بسمة وأشرقت في قلب

رواية بقلم

شموسة

شيماء يسرى

قالوا في السماء شعراً
وحصدن من الحياة فراً
تنتهي قصة لتبدأ أخرى
تتشابه كثيراً
تختلف قليلاً .
هن فيها مرفوعات ـ
ومنهوبات ـ
ومكسورات ـ
وبالعادات مقيدات .

يُخفين خلف الدموع أسراراً
وقلوباً أنهكها التمني ـ
والخيبات.

فيا قلب ـ صبراً .
ويا رب ـ جبراً
ويا شمس العمر لا تغيبي
حتى تشرق في القلب ـ
بسمة.

سلسلة قلوب مغتربة 2

Des: Shammosah

تصميم الغلاف الخارجي : شمموسة

تصميم القالب الداخلي والتعبئة : شمموسة

تدقيق : صحبة شمموسة

تنويه:

هذه الرواية ككل رواياتي لا أحلل تداولها على مجموعات تطبيقات الهواتف ولا نسخها ولا رفعها على المواقع دون إذن مني ومن سيفعل ذلك سيتعرض للمساءلة القانونية

توضيح :(١)

الروايه تعكس العادات الموجوده فى بعض المناطق الريفيه وليس كلها وبالرغم من ذلك لم يكن الهدف من عرضها أى انتقاص من المجتمع الريفى فهو مثله مثل أى مجتمع كبر أو صغر له ما له وعليه ما عليه .

توضيح :(٢)

جنسيه الوافدين الموجودين بالروايه لا يقصد بها جنسيه عربيه معينه وكل الاحداث من صنع خيال الكاتبه .

رواية

وأشرقت في القلب بسمة

الجزء الثاني من سلسلة قلوب مغتربة

بقلم

شيماء يسري شمـوسـة

يبعث الله من يحتضنك في قلبه كوطن
صغير، بعيدا عن تفاهة هذا العالم والسوء
الذي يسكنه في كل زاوية.

إخوي حاشور

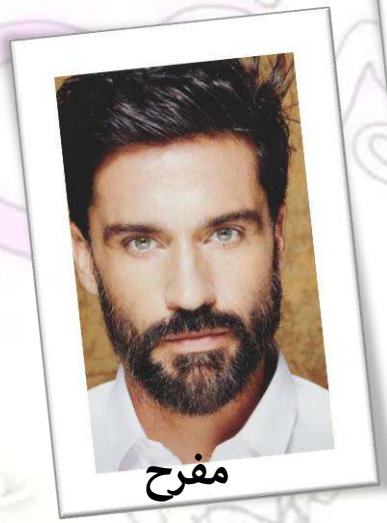

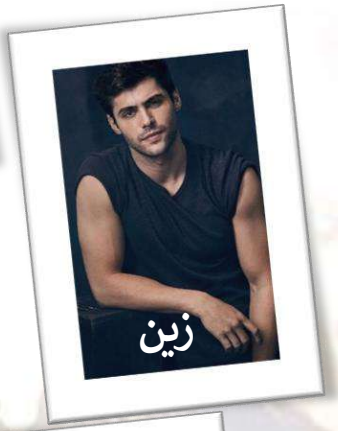

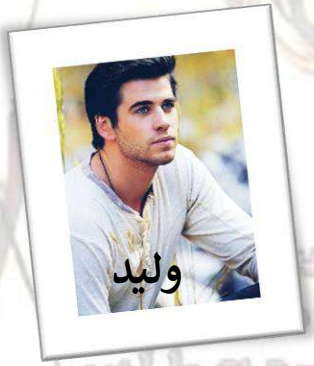

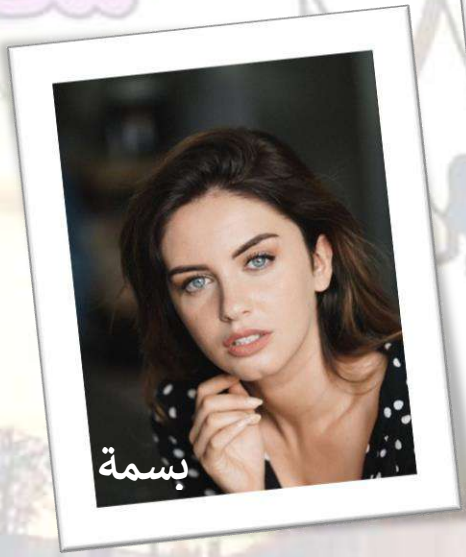

سلسلة قلوب مغتربة 2

Dec: Shahdah

المقدمة

خرجت بسمة تهرول في طرقات القرية مفجوعة غير مصدقة لما سمعت .. حتى أنها لم تنتبه لأن وشاحها قد سقط عن رأسها وأن شعرها يطير خلفها ..

كانت الطرقات خالية تماما ليس فقط لأن الساعة متأخرة من الليل .. ولكن لأن الجميع قد تجمعوا هناك يتابعون الكارثة .

ظل صوت الصرخات المفجوعة يقترب ويقترب حتى ظهر أمامها المشهد من بعيد .. حيث معظم أهالي القرية مجتمعون ..

اخترقت الأجساد بصعوبة ثم دخلت من البوابة تلهث بشدة وتوقف الوقت بعدها للحظات..

تطلعت بغير تصديق في الجسد الصغير الممدد على الأرض والمسجى تحت الأغطية وتحجرت الدموع في عينيها الزرقاوين .

الألم يعتصر قلبها .. وأصوات البكاء والنواح تصم أذنيها ولم تستوعب مما يحدث لحظتها سوى أن أحدهم يمسك بتلابيب أحد المسعفين صارخا غير مصدق بأنها ماتت .

شعرت لحظتها بأنها تموت ببطء..

بالتأكيد هذا كابوس .. مجرد كابوس وستصحو منه بعد قليل ..

في الخارج تطلعت وَنَسْ في مَليكة صَوالحة التي ترتدي اسدال صلاة منزلي وهي تترجل بصعوبة من السيارة ثم خانتها ساقاها .. فهرولت الأولى مبتعدة عن الجميع في حالة صدمة وهي تهمس في سرها " هذا كذب .. كذب !.. " .

بينما رفعت بسمة في الداخل مقلتيها الفيروزيتين الذاهلتين تدقق في الواقفين فلمحت أم هاشم تدفع المتجمعين عند البوابة بخشونة وعصبية ليفسحوا لها الطريق حتى تدخل .. ثم تسمرت أمام الجسد المسجى على الأرض.. ورفعت أنظارها الذاهلة نحو بسمة تحرك شفتيها ببطء (ماتت !).

وسقطت تفترش الأرض بانهيار وهي تضرب رأسها بيدها تصرخ بلوعة .

أما بسمة فتسمّرت على حالة الجمود والشلل وعدم التصديق هذه ..

أو ربما هي الصدمة ..

تتطلع فيما حولها .. تحاول استيعاب ما يحدث ..

وتمنت أن تهرب ..

تهرب بعيدا .. بعيدا عن هذا المكان .

لتسمع أحدهم يقول وهو يضرب كفا بكف "هذا ما جناه الحُب يا أخي !"

فرد الآخر بأسف " لديك كل الحق ..لا حول ولا قوة إلا بالله !"

وكأن حديثهما طلقات أطلقت في صميم قلبها فرفعت يديها تمسك برأسها وصرخت فيهما بهستيريا "بل هي عاداتكم المقيتة .. بل هي أعرافكم الظالمة .. دمها في رقبتكم جميعا .. أنا أكرهكم وأكره هذا المكان .. أكرهكم .. حسبي الله .. أعرافكم السبب .. حسبي الله .. حسبي الله "

xxxx

بسمة
ولقلبي
وانشرقت في

وقلوباً أنهكها التصنع ـ
والخيبات.

فيا قلب ـ صبراً .
ويا رب ـ جبراً
ويا شمس العصر لا تغيبي
حتى تشرق في القلب ـ
بسمة.

سلسلة قلوب مغتربة 2
DES: SHAMMOSAH

الفصل الأول

إنها النهاية..

نهايتها .

فألسنة النار تحيط بها من كل جانب ..

تحاصرها ..

تقترب منها ..

وتقترب ..

حاولت الصراخ بكل قوة لتطلب النجدة لكن صوتها كان محبوسا ولا أحد يسمعها ..

لا أحد ..

همت بتخليص نفسها والفرار .. فتحركت هنا وهناك لكن ألسنة النيران حاصرتها أكثر ولم تترك لها مخرجا..

فاستسلمت أخيرا لنهايتها.

وانهارت على الأرض تغطي رأسها بذراعيها برعب شديد واستسلام لقدرها..

ثم أطلقت صرخة رعب أخيرة ..

صرخة مكتومة ..

صرخة يأس وقلة حيلة .. وشكوى للديان ..

لكن صوت بعض الاخشاب المشتعلة يُدفع بقوة من الخارج جعلها ترفع رأسها بفزع.. واتسعت عيناها بذهول وهي تحدق في ذلك الرجل الذي ظهر أمامها من وسط النار !!..

شهقة قوية تزامنت مع تحديق عيناها الزرقاوان في سقف الغرفة تتطلع حولها لاهثة .. لتدرك بعد ثوان قليلة بأنها في غرفتها ..

إنه ذلك الحلم المتكرر المرعب الذي بات يزورها كل فترة ..

رفعت جذعها تمسح قطرات العرق الباردة من فوق جبينها وتحاول تهدئة ضربات قلبها الفزعة .

وامسكت بالدورق الزجاجي بجوار السرير ولم تنتظر حتى لتسكب الماء في الكوب بل رفعته إلى فمها وشربت منه شاعرة بالظمأ .. لتنفجر موسيقى المنبه في هاتفها المحمول فأجفلت مرة أخرى حتى كادت أن تسكب الماء على نفسها .. لكنها مدت يدها بغيظ لاخراسه.

أما التلفاز الذي تبقيه طوال الليل يتحدث بجوارها ويملأ فراغا مخيفا في ظلمة الليل فظل يتحدث بصوت خافت .. وخرجت منه أغنية المقدمة لأحد المسلسلات التي تعاد .

زمن الاحزان رمانا
غُربا.. ولا دريانين
الغربة دى ف دمانا؟!
ولاّ جاتنا منين؟!
تايهين ما بين غُمانا
وليل مالهوش عنين

فينك يا نجوم سمانا
دايبين لهفة وحنين
والخوف فى قلوبنا طايح
ولا عاد بياجينا عيد

سحبت بسمة نفسا عميقا وأنزلت ساقيها من السرير تستند بمرفقيها على ركبتيها وتدفن وجهها في كفيها فانسدل شعرها الحالك السواد كشعر الخيل ليغطي وجهها كستار أسود لامع .. وأخذت تقاوم ذلك الثقل الشديد الذي يعتريها وعدم رغبتها في مغادرة غرفتها اليوم بالذات .. فما كانت تتحاشاه على مدى ثلاث سنوات ستضطر اليوم لأن تواجهه .

قايمة علينا القِيامة
وايامنا مغيَّمين
وإن عشناها بَقتامة
رح نفضل قيَّمين

وانا فى الريح والغيامة
باحلفلكو ميت يمين

دنيتنا خيرها ياما
ومين اللى مانعُه مين؟!

والناى فى قلبى نايح
بس أنا واعى وشديد

تسللت كلمات الأغنية إلى أذنيها وكأنها تشجعها على المواجهة .. فتطلعت في الساعة ثم استجمعت قواها للوقوف وقد أدركت بأنها قد تأخرت كثيرا عن موعدها الذي تنتظره بعد فجر كل يوم فأسرعت نحو الحمام بمنامتها القطنية التي ترسم قدّها كلوحة متفجرة الأنوثة وهي تغمغم لنفسها بكلمات الأغنية وكأنها تشجعها " والناى في قلبى نايح..بس أنا واعى وشديد"

بعد قليل كانت بسمة قد فرغت من صلاة الفجر فأسرعت تنزع عنها اسدالها وترتدي الشبشب ثم التقطت هاتفها لتغادر غرفتها بسرعة ..

وعلى رائحة النسكافيه صعدت إلى سطح منزل والدها وقد بدأ النور يمحو ظلمة الليل .. فاقتربت من السور لتستعد للحظة التي تنتظرها كل صباح ..

لحظة الشروق ..

شروق الشمس على الدنيا .

فنظرت ناحية الشرق تستقبل شروق يوم جديد..

كان بطيئا .. خجولا .. يخرج من خلف الحقول الخضراء الواسعة الممتدة على مرمى البصر والتي تقع خلف بيتهم ..

لا تدري متى اكتسبت هذه العادة .. عادة انتظار شروق الشمس كل صباح ..لكنها بالتأكيد بدأتها بعد عودتها من العاصمة ..

راقبت الشمس وهي تظهر لتنير الظلمة ..فسرت القشعريرة في جسدها وكأنها لم ترى هذا المشهد مئات المرات من قبل ..

ولا تدري لمَ باتت تحرص على هذه العادة..

ولمَ أضحت تتأثر كلما رأته وتسيطر عليها رغبة في البكاء .

رشفت القليل من النسكافيه تبلع الدموع العالقة في حلقها مستمتعة بطعم القهوة ..

إنها عادة أخرى اكتسبتها بعد ذهابها للعاصمة ..إدمان القهوة على الطريقة الأوروبية بكل أنواعها .. هذا لا يعني بأنها وحدها من تشرب النسكافيه في

بلدتها الريفية الصغيرة .. لكنها لم تقع في عشقها إلا في الفترة التي ذهبت فيها للعاصمة ..

تنهدت بقوة واستمرت في متابعة لحظات شروق الشمس.. وسيرة العاصمة تجلب عليها الكثير من الذكريات ..

أو ربما الخيبات ! ..

تلك الرحلة التي استمرت لأربع سنوات في تجربة زواج فاشلة عادت بعدها وقد اتخذت قرارها بالانفصال رغم أنف الجميع ..

وها هي بعد مرور ثلاث سنوات على انفصالها لم تعد بسمة القديمة ..

لم تعد تلك الساذجة الحالمة القديمة ..بل أضحت بسمة أخرى بسمة جديدة ..

سحبت نفسا عميقا من الهواء النقي المشبع بقطرات الندى .. واسرعت بفتح هاتفها وكتبت رسالة على الواتساب (زارني نفس الحلم الغريب مجددا)

ثم ضغطت على زر إرسال

xxxx

"الرحمة يا الله .. ارحمني من هذا البارد السمج"

قالها أدهم وهو يتطلع في أخيه الأصغر منه بعام بينما تجاهله الأخير وظل يمشط شعره أمام المرآه بكل هدوء وتأني وهو يدندن إحدى الأغنيات المتداولة مؤخرا.. فدخلت مَلِيكَة الغرفة بسرعة تقول " لمَ تصرخ يا أدهم ؟"

رد أدهم من بين أسنانه وهو يستدير ليترك الغرفة "هذا المستفز سيجلطني اقسم بربي"

نظرت مَلِيكَة لإياد الذي لا يزال يصفف شعره بعناية بالغة وتجاهل تام لأخيه فقالت ببعض الحزم "إياد السائق أمام الدار منذ ربع ساعة وستتأخرون على المدرسة"

عدل إياد من ياقة قميص المدرسة ..وناظر نفسه بنظرة إعجاب في المرآة فصاحت مليكة بتوبيخ " إياد أنا أتحدث معك !!"

استدار إليها نصف استدارة يقول بهدوء" حاضر حاضر ..حاضر ألا يستطيع الانسان الاهتمام بمظهره قليلا !"

عقدت ذراعيها أمام صدرها تناظره بحاجب مرفوع فأسرع إلى حقيبة المدرسة يعلقها خلف ظهره وهو يقول مناغشا " لا تغضب يا موكّا يا جميل .. ها قد انتهيت "

لم تستطع مقاومة سحره ولا ابتسامته المليحة فابتسمت له تناظره بحنان وهو يقترب منها في طريقه لمغادرة الغرفة .. لكنه توقف فجأة وقد تذكر شيئا فقال وهو يعود بسرعة للمرآه " العطر .. نسيت أن أضع عطر "

ابتسمت ملكية وهي تراه يخطف زجاجة العطر ويرش منها بسرعة مغمغما " ثانية .. لن نحتاج سوى ثانية .. أرأيت يا موكّا كم أنا سريع "

انفجرت مليكة ضاحكة تضرب كفا بكف من هذا العفريت الصغير ثم قالت" هيا بسرعة الحق بأخيك وسأضع العباءة عليّ وألحق بكما"

بعد دقائق كانت مليكة تنزل من السلم الرخامي وقد وضعت فوق منامتها الأنيقة عباءة سوداء وغطت شعرها البني بالحجاب فسمعت حماتها تصيح في بهو الدار باستهجان "من قال بأنكما ستذهبان إلى

المدرسة اليوم !!.. (ورفعت انظارها نحو مليكة فوق السلم تقول) أنت يا ست مليكة ..ألا يوجد لديك أي تمييز ؟!!.. أهذا يوم تصلح فيه الدراسة والمدارس؟!!"

قبل أن ترد اندفع أدهم يقول" لدينا quiz هام جدا اليوم يا جدتي "

طالعت الحاجة نحمده حفيدها بغباء وغمغمت بعدم فهم "ها ؟!!"

فأسرعت مليكة تقول" لديه اختبار شهري يا حاجة نحمدو"

ردت نحمده بامتعاض "فليذهب الاختبار للجحيم اليوم (يوم فرش*) عمتهما"

*يوم الفرش : هو يوم نقل حاجيات العروس من أجهزة ومفروشات وغيرها إلى بيت العريس ويتم في الريف باحتفال خاص.

رد أدهم ذو الثانية عشر من العمر يقول بإصرار "
وأنا لن أغيب عن الاختبار الشهري لأي سبب"

ناظرته الحاجة نحمده بغضب وهي تقف في وسط البهو تستند بقبضتيها علي جانبيها فأسرعت مليكة تقول بدبلوماسية" لا تقلقي يا حاجة اليوم الخميس وقد قدمت لهم على إذن خروج مبكر بعد الاختبار مباشرة حتى منة ومَيّس قدمت لهما إذن أيضا لارتباطهما بالعودة مع أدهم وإياد (ثم ربتت على كتف الولدين تحثهما على المغادرة وهي تقول) هيا السائق في الانتظار "

اسرع أدهم بالخروج من باب دار عبد الرحيم الزيني عمدة القرية يقطع الساحة عدوا نحو البوابة الحديدية العملاقة بينما قال إياد لجدته بإغاظة "ابسطي وجهك يا نحمدو لازلنا في أول النهار "cheer up baby"

امتقع وجه الحاجة نحمده بينما شهقت مليكة وأسرعت بارتباك تدفعه للخروج وهي تلملم طرفي عباءتها في يديها في الوقت الذي أتت ضحكات مكتومة من خلف الحاجة فاستدارت للنسوة المتابعات من إحدى الغرف القريبة وصاحت فيهن "علامَ تضحكن؟!.. هيا انتهوا مما تفعلن فلدينا يوم طويل"

في الخارج خرجت من دار فاضل الزيني المجاورة لدار العمدة فتاة صغيرة تحمل حقيبة مدرسية بعد أن ودعت أمها على البوابة فألقت مليكة الصباح على الواقفة خلف تلك البوابة قائلة " صباح الخير يا صفاء (ثم حولت انظارها لتلك الصغيرة التي ترتدي مريلة المدرسة زميلة إياد وفي نفس صفه

وقالت ترمقها بابتسامة حانية) انتبهي ولا تهرولين بهذا الشكل حتى لا تنكفئين على وجهك"

قالت منة الله حين اقتربت منها "صباح الخير خالتي مليكة"

غامت عينا مليكة وطبعت قبلة حانية على رأسها .. فجز أدهم الجالس بجوار السائق على أسنانه وقال" تأخرنا .. سنصل في الحصة الثانية بهذا الشكل"

اسرعت مليكة بمساعدة منة على ركوب السيارة في المقعد الخلفي بجوار إياد الذي استقبلها بابتسامة عريضة ثم قالت للسائق العجوز مشددة "اغلق الأبواب بالأقفال يا عم طه أرجوك وخاصة بعد أن تركب مَيّس"

أومأ الرجل برأسه مطمئنا وأسرع بالتحرك لتقف مليكة تلملم في حجابها حول وجهها وهي تتطلع

للسيارة التي تبتعد ثم نظرت في هاتفها لترى إن كان زوجها قد اتصل لكنها لم تجد سوى رسالة من بسمة أرسلتها لها قبل قليل .. فاستدارت تدخل وتغلق خلفها البوابة .

حين عادت للدار أسرعت بالركض على السلم لتبدل ملابسها قبل وصول زوجها القادم من العاصمة اليوم لكن صوت الحاجة نحمده جمدها وهي تقول بلهجة ساخرة "إلى أين إن شاء الله !"

استدارت مليكة تناظرها بعينين جليديتين وردت بهدوء "سأصعد لأبدل ملابسي وسأنزل بعد قليل"

اشاحت نحمده بيدها في الهواء تقول" لا يوجد لدينا وقت لتبديل الملابس يا بنت الأكابر (ونظرت إلى عباءتها التي تدرك جيدا بأنها غالية الثمن وأضافت بلهجة متهكمة) نعتذر والله فلدينا أعمال حتى رأسنا وليس لدينا وقت لدلال الهانم"

حافظت مليكة على وجهها الخشبي وردت ببرود وهي تعود بهدوء إلى بهو البيت "أنا لست مدللة يا حاجة نحمدو ولم أقل بأني سأترككم في يوم كهذا دون مساعدة "

لوت نحمده عنقها وغمغمت متهكمة في نفس وقفتها تسند قبضتيها إلى جانبيها " كتر خيرك والله !.. حسبت بأنك ستطلبين من باباه سليل البشوات أن يرسل لك خدم السرايا ليقوموا بالأعمال بدلا منك"

كظمت مليكة غيظها وتحركت متجاوزة حماتها نحو الغرفة الداخلية وهي تقول بكبرياء" لا داعي لذكر سيرة والدي يا حاجة من فضلك"

عوجت نحمده فمها يمينا ويسارا تتطلع فيها حتى اختفت في الغرفة ليأتيها صوت ابنتها مهجة التي

نزلت من الطابق الأعلى تقول "ألن تكفي عن معاملتها بهذا الشكل يا أمي؟!"

التفتت إليها نحمده تقول " أهلا بالعروس ..الناس تلقي بتحية الصباح أولا"

"صباح الخير"

قالتها فايزة ابنتها الكبرى وهي تدخل من باب البيت فردتا الصباح بوجوم ..

تطلعت فايزة فيهما وقالت "ماذا يحدث؟"

قالت مهجة لوالدتها بصوت مخنوق" أنت لن تكفي حتى يعلم مفرح بالطريقة التي تعاملينها بها يا أمي وتعرفين بالضبط ما الذي سيفعله .. ويا ويلي لو علم أهلها ستقوم الدنيا بين العائلتين من جديد"

قالت نحمده ترسم البراءة على وجهها "وهل فعلت أنا شيئا غريبا؟!.. هل أطلب منها شيئا مختلفا عما تفعله زوجة الابن.. أليست كنة هذا البيت؟!"

وقفت مهجة بقامتها القصيرة وجسدها الضئيل بين أمها وأختها اللتان تفوقانها طولا وهتفت بحنق هامس "تعرفين يا أمي بأنها ليست كأي كنة وإنما ابنة الصوالحة.. كما أننا لسنا أي بيت يا أمي ..هذا بيت العمدة وما أكثر النسوة المساعدات فيه"

عدلت فايزة من نظارتها الطبية وتدخلت تقول ببرود "وهل اشتكت لك ؟.. إنها تعلم جيدا بأنها لابد أن ترضخ ولا تثير المشاكل .. أي امرأة ذكية في ظروفها تعلم ذلك"

هتفت مهجة باستهجان فعلا صوتها " ظروفها !!.. أية ظروف التي تتحدثين عنها؟!!!... لا أصدق يا

فايزة أن موظفة كبيرة مثلك في ديوان المحافظة لازالت تتشدق بمثل هذه الأفكار الغريبة !"

ادارت نحمده وجهها نحو الغرفة الداخلية التي يتجمع فيها بعض النسوة المساعدات وهدرت بتوبيخ "مهجة لا تتدخلي في هذه الأمور واذهبي وتأكدي من أنك قد أخرجت كل شيء تريدين نقله لشقة زوجك"

حركت مهجة عينيها بين أمها وأختها شاعرة بالضيق .. فربتت فايزة على كتفها تقول ببعض الدبلوماسية "عروستنا الحلوة لا تتكدري بهذا الشكل ولا تنفعلي من أجل غيرك فكل شخص له ظروفه .. ركزي فقط في أننا بعد قليل سننقل جهازك لبيتك الجديد وأن مساء اليوم ليلة حنتك وغدا زفافك "

زمت مهجة شفتيها ثم استدارت صاعدة بعصبية وصوت الحاجة نحمده يتبعها قائلة" انزلي كل ما تريدين نقله للشقة بسرعة يا مهجة فالسيارات ستأتي بعد قليل(ثم غمغمت) عَجّل الله في وصولك يا مِفْرِح يا ولدي"

في الغرفة الداخلية كانت النسوة العاملات يقمن بعجن الخبز الفلاحي وتسويته أمام فرن الغاز استعدادا لضيافة عدد كبير من الضيوف المهنئين بزواج أصغر بنات عمدة القرية سواء كانوا ضيوفا من أهل البلدة أو من خارجها سيحلون لعدة أيام ضيوفا عليهم.

فباشرت مليكة الاشراف على سير العمل وتوجيه المساعدات ثم تحركت تلملم قطع الخبز التي خرجت من الفرن وبردت لترصها فوق بعضها وتفسح المكان لدفعة جديدة ساخنة فأسرعت

تماضر احدى المساعدات تقول" دعيني أنا أرصها يا ست البنات "

توقفت الاخيرة عما تفعل فحدجت تماضر باب الغرفة بغيظ مكتوم حيث تقف الحاجة نحمده خارجها تثرثر مع بكريتها فايزة الزيني بينما تبادل باقي النسوة المساعدات النظرات فيما بينهم ما بين متشف ومستهجن لمعاملة نحمده الوديدي لابنة الصوالحة .. لتميل تماضر على مليكة قائلة بهمس " والله انت تتساهلين معهم يا ست البنات وما يحدث هذا وما تسكتين عنه لا يليق بمقامك أبدا"

احتفظت مليكة بملامحها الهادئة وردت بحزم "اسكتي يا تماضر وانتبهي لعملك"

أخذت منها تماضر أرغفة الخبز تقول بتعاطف" دعيني احملها عنك يا ست مليكة والله لو يعرف الصوالحة أن ابنتهم تعامل هكذا في بيت العمدة

وقد أرسلوني لخدمتك لأقاموا الدنيا ولعادت الحروب القديمة بين العائلتين من جديد"

نهرتها مليكة في حزم" تماضر .. ركزي فيما تفعلين"

قالتها ثم توجهت نحو أحد أركان الغرفة تباشر عمل باقي النسوة لتحضير إفطار الضيوف الذين أتوا من العاصمة مساء أمس ووقفت بينهما تخفي كالعادة تحت هدوئها الظاهري ..

نظرة انكسار ..

وغصة شديدة المرار .

××××

حين نزلت بسمة من غرفتها كان البيت في حالة استنفار لاستقبال حاجيات العروس .. فامتلأ بالنسوة المساعدات والمتطوعات للمجاملة في

مثل هذه المناسبات لإعداد الغداء لأهل العروس القادمين كما هي العادات ..

وعلى الرغم من فرحتها لزواج أخيها الأصغر والوحيد ولاستقبال فردا جديدا في أسرتها الصغيرة وهي مهجة ابنة عمتها نحمده وابنة عمدة القرية ..

وعلى الرغم من سعادتها بذلك الضجيج الذي يشغل فراغ ذلك البيت الذي ازدادت كآبته منذ طلاقها من ثلاث سنوات ..

إلا أن شعور بالضيق قد تملك منها بل وطغى على فرحتها لاضطرارها لتحمل نظرات النسوة وهمزهن ولمزهن عليها منذ أن أصبحت مطلقة .. وهو السبب الذي جعلها تتجنب الاحتكاك بأهل البلدة وأقصرت تعاملاتها فقط على بعض المعارف وعدد من الفلاحين الذي باتوا مؤخرا يلجئون إليها في بعض الاستشارات التي تخص المحاصيل في

حقولهم .. لكن اليوم ستضطر لمواجهة الجميع فهي أخت العريس .

استقبلتها والدتها بدهشة وقالت وهي تراها تهم بمغادرة البيت "إلى أين يا بسمة في هذا الوقت المبكر؟!!"

ردت بسمة وعيناها تدققان فيما يفعل النسوة في إحدى الغرف من ترتيبات "سأذهب لمزرعة العمدة يا أمي فهناك بعض الأمور عليّ أن اتفقدها بنفسي"

هتفت والدتها باعتراض وهي تنتحي بها جانبا بعيدا عن الغرفة التي تضج بالنسوة "ألا يمكن أن يؤجل هذا الأمر يا بسمة؟ .. اننا نحضر لاستقبال فرش العروس وسيكون ذهابك الآن غير لائق أمام الحاضرات"

ردت بسمة بهدوء وإصرار "الجميع يعلم بأني بت أتابع مزرعة العمدة يا أمي ولا أعرف متى سيأتي مِفْرح ابن عمتي اليوم من العاصمة .. وهناك أمرا هاما في الصُوبات الزراعية يحتاج لمتابعة وإلا لتضرر المحصول "

نكست أم بسمة رأسها تقول بضيق واستسلام "كما تريدين يا بسمة "

اشفقت عليها الأخيرة بشدة .. إنها تعاند الكل وتتمرد على الجميع ولم يعد يهمها والدها أو أخيها وليد .. لكن أمها هي نقطة ضعفها .. وتعلم كم هي حزينة بسبب طلاقها .. لكنها لا تستطيع أن تسعدها .. فببساطة لم تعد أحلامها تتوافق مع أمنيات والدتها .. كما لم تعد نسخة من والدتها كما كانت من قبل خلعت نفسها من عباءة أمها قبل ثلاث سنوات ..

اقتربت تقبل رأسها وتقول ببعض اللين متخلية عن وجهها جامد الملامح التي باتت تختبئ خلفه "سأعود بسرعة يا أمي أعدك "

عند باب الدار .. دار سليمان الوديدي قابلها المزيد من النسوة يلقون عليها السلام فردت بتحفظ قبل أن تضع نفسها في عربة التوكتوك الصغيرة التي تنتظرها وتقول لسائقها "صباح الخير يا حمادة "

رد الفتى المراهق ببشاشة " صباح الأنوار.. إلى مزرعة العمدة يا ست الكل ؟"

ردت بسمة بالإيجاب فتحرك التوكتوك ليمر ببطء بجوار سيارة الدكتور مهاب التي ركنت للتو بالقرب من بوابة مزرعة الوديدي للمواشي التي تجاور دار الوديدي .. والذي وقف بجوارها مهاب يتطلع في بسمة بنظرة خاصة ملقيا عليها تحية الصباح ..

فردتها بحرج قبل أن تسرع بها عجلات التوكتوك مبتعدة .

قابلها في الطريق المزيد من النسوة التي تعلم انهن متجهات إما لبيت الوديدي بيت والدها ووالد العريس أو بيت العمدة عبد الرحيم الزيني زوج عمتها ووالد العروس .. فأشاحت بنظرها بعيدا عن الجميع .. فالكل هنا يعرف بعضه تمام المعرفة .

كم تكره نظرات الشفقة أو التشفي أو الفضول في عيون الناس! ..

وكم تحاصرها أسئلتهم الصامتة الجارحة التي تلوح فوق شفاههم ! ..

وكم يؤلمها أن تكون محطا للأنظار أكثر من ذي قبل .. ليس لجمالها الملفت فقط وانما رغبة في

مراقبتها في كل خطوة ولمحة ونفس باعتبارها مطلقة ..

وياله من شعور مهين أن توضع تحت المجهر ويفترض فيها الناس السوء لكونها قد أصبحت مطلقة ظانين بأنها قد تخطئ مادام الشمع الأحمر لبكارتها قد أُزيل ..

والأكثر إهانة وإيلاما أن تتحفظ بعض النسوة في التعامل معها وكأنها ستخطف منهن أزواجهن خاصة أنها بشهادة الجميع من أجمل نساء القرية إن لم تكن أجملهن .. فلن تنسى أبدا مقابلة بعض من قريباتها لها بتحفظ بعد طلاقها مباشرة حينما ذهبت للمباركة على إنجاب إحداهن .. تلك الحادثة بالذات كانت أشد إيلاما على نفسها من أي شيء آخر ..لتخرج من تلك الزيارة مقررة الاعتكاف

وتحجيم علاقتها بالجميع وقد أدركت بأن جمالها قد تحول لنقمة عليها بعد أن كان مصدرا لفخرها وعزتها .

نفضت عنها تلك الأفكار التي تحاصرها وتضيق عليها أينما ذهبت وتطلعت في الحقول الممتدة على طول الطريق يمينها تلتمس من خضار لونها بعضا من الحياة لما تداريه في داخلها من رماد ..

××××

"هيا يا كاميليا الأولاد قد تأخروا عن المدرسة"

قالها جابر وهو يقف أمام بيته يتطلع في إحدى سيارات بيت العمدة التي تقل أولاد بيت الزيني وابنته لمدرسة اللغات التي تقع في مركز المحافظة .. وحين لمح تأفف وعصبية أدهم حفيد العمدة

أسرع إلى داخل البيت ليستعجل زوجته التي كانت تقف في الصالة تمشط شعر ابنتها بعصبية .. فقال باستنكار "مادام اليوم سيغادرون المدرسة مبكرا ليلحق أحفاد الزيني بفرش بنت العمدة .. فلمَ لا تغيب مَيّسَة عن المدرسة اليوم؟!!.. ما أهمية ذهابها ما دمنا قد استيقظنا متأخرين !"

ردت كاميليا بعصبية "عندها امتحان شهري"

قال جابر ببساطة " لا توجد مشكلة يا كاميليا .. انها لا تزال في الصف الأول الابتدائي وليست في الثانوية! "

انتهت كاميليا من تصفيف شعر ابنتها لتقول بعصبية وهي تساعدها على ارتداء حقيبة المدرسة فوق ظهرها " دعها تذهب للمدرسة يا جابر حتى استريح قليلا من الزن والطلبات .. ألا يحق لي الانفراد بنفسي لبضع ساعات !!"

تطلع جابر في طفلته ثم قال باستسلام" تعالي يا حبيبة أبيك لأوصلك للخارج "

بعد دقائق دخل جابر غرفة نومه يقول لزوجته "حاولي ان تقللي من انتقادك لمَيّسَة يا كاميليا فهي لاتزال طفلة وما تقولينه أمامها قد يشعرها بالإحباط"

ردت كاميليا بقلة صبر" أنت لست متواجد معنا طوال اليوم لتعرف كيف تزعجني طوال الوقت لذا لا تتحدث .. يكفي تلك الواجبات التي ترهقني معها .. (واستدركت تقول) بالمناسبة عليك بإحضار معلمة لتدرِّس لها في البيت فمنذ أن بدأت الصف الأول الابتدائي وانا لا أفهم شيئا من المناهج فغالبيتها بالإنجليزية "

قال جابر بلهجة ساخرة" ألم يكن ذلك سبب رفضي لإلحاقها بمدرسة لغات من الأساس .. أننا لن نستطيع مساعدتها في دراستها .. لا زلت لا أفهم لمَ ادفع كل هذه المصروفات للمدرسة وفي النهاية اضطر لإعطائها دروسا خصوصية ؟!!!!"

قالت كاميليا بعصبية " هل سنعود لهذه السيرة يا جابر .. قلت لك ابنتنا لا يجب ان تقل أبدا عن مستوى أكبر العائلات في البلد وكل من في عمرها من عائلات البلد الكبار اصبحوا يلحقون أولادهم بمدارس لغات وابنتي ليست أقل منهم "

صحح لها جابر قائلا" اولئك كبار عائلات البلد ما شأننا نحن بهم !"

ناظرته بحدة ثم ردت بغرور" ماذا تعني بهذا الكلام أنا بنت حسيب العسال "

كادت ضحكة ساخرة أن تفلت منه لكنه سيطر عليها ثم وضع يديه في جيبي بنطاله الرياضي ورد بلهجة متهكمة مبطنة "عائلة العسال لم تكن سوى عائلة فقيرة حتى هبطت فجأة تلك الثروة الغامضة على والدك الحاج حسيب العسال رحمه الله يا كاميليا .. "

هتفت كاميليا " ماذا تقصد بكلامك يا جابر!!.."

مط جابر شفتيه وقال متنهدا " لا أقصد شيء دعينا لا نتشاجر .. سأحاول إيجاد معلمة لتدريس مَيّسَة حاضر"

عقدت كاميليا ذراعيها أمام صدرها وقالت مصححة وهي تناظره بتحدي" اسمها مَيّس يا جابر .. مَيّس وليست مَيّسَة .. ألن تكف عن مناداتها بهذا الاسم؟!"

قال جابر ببرود " تعرفين بأني لا استسيغ اسم مَيّس هذا ولا افهمه ومع هذا لبيّت رغبتك وسميتها بهذا الاسم لكن لن تجبريني على مناداتها به ولن نعود للشجار حول هذه النقطة مجددا يا كاميليا"

استدارت توليه ظهرها وغمغمت وهي تخلع مئزرها الحريري وتلقي به بعشوائية على السرير "انت من تحاول البحث عن أسباب للشجار يا جابر بالحديث في موضوعات سبق وأن تحدثنا فيها مرارا"

تطلع جابر في قدها مبهر التقاسيم .. ببشرتها البيضاء وتفاصيلها الأنثوية شديدة الإغراء .. ولشعرها الذي سحبت منه مشبك الشعر فانسدل على كتفيها ناعما اشقرا كما تصبغه دوما .. فبلع ريقه ثم اقترب يحضنها من الخلف قبل أن تهم بالاستلقاء على السرير قائلا بحشرجة " إلى أين؟"

قالت كاميليا بحنق " سأنام ..أريد أن أنام ..ألا يكفي بأني أستيقظ مبكرا جدا "

مرر جابر يده على ذراعها الطري الناعم وقال بإغواء " ليلة أمس كنتِ مشغولة مع الفيلم حين وصلت في ساعة متأخرة .. كما كنت أنا متعبا جدا بعد يوم طويل .. ما رأيك أن نستغل عدم وجود ميسة و ...."

صاحت كاميليا باندفاع " جابر !!.. أقول لك أريد أن أنام تقول لي نستغل عدم وجود ميسة !!.. ألا تفكر إلا في تلك الأمور !!.."

تجمدت يد جابر على قدها بينما أكملت كاميليا بلهجة أهدأ " كما أننا لسنا وحدنا والدتك تشاركنا البيت"

تحرك جابر للخلف وقد اظلمت ملامحه مرددا عبارتها باستهجان" لا أفكر إلا في تلك الأمور !!.."

تركها وتحرك مبتعدا نحو خزانة الملابس يفتحها قائلا باقتضاب " لا تنزعجي .. لن أفكر في هذه الأمور يا ست كاميليا"

جلست كاميليا على السرير شاعرة بالندم أن اندفعت بهذا الشكل فقالت ببعض الدلال الذي تعرف بأنه يؤثر فيه "تعرف بأني أصبح عكرة المزاج حين استيقظ مبكرا يا جابر"

لم يرد .. وإنما استمر في تبديل ملابسه بملامح جامدة متجنبا النظر نحوها .. فشعرت كاميليا بأنه قد غضب بالفعل فاستقامت تقترب منه .. ثم وضعت كفها على صدره العاري تدلكه وهي تقول بدلال "هل احضر لك الإفطار "

ابعد جابر يدها واكمل ارتداء ملابسه وهو يقول متجها نحو باب الغرفة "ستعده أمي ككل يوم .. أكملي نومك حتى يتعدل مزاجك"

حين صفع الباب خلفه زفرت كاميليا بغيظ ثم حركت كتفيها بلا مبالاة واتجهت ناحية السرير تلقي بنفسها فوقه لتعود للنوم من جديد مغمغمة " سأصالحه حين استيقظ"

××××

غريبة هي الحياة ! ..

أو ربما البشر هم الغريبون ! ..

لقد باتت تحب الزرع بعد أن كان لا شيء بالنسبة لها ..هكذا فكرت بسمة وهي تتطلع في الحقول الممتدة على جانبي الطريق ..

فرغم كونها ابنة الريف لكنها لم تنظر يوما للحقول حولها باهتمام أبدا .. حتى حين التحقت بكلية الزراعة منذ ما يقرب من ثلاثة عشر سنة أمضت

سنواتها الأربع فيها دون أي اهتمام إلا بأن تنتهي من الدراسة لتحصل على شهادة جامعية تتفاخر بها في وقت كانت الجامعيات في البلدة اعدادهن قليلة بعكس الآن ..

لكنها حين عادت محطمة من رحلتها إلى العاصمة قررت أن تكون بسمة جديدة..

أو ربما أجبرتها الظروف على ذلك .. فكان أول ما فكرت فيه أن تكتشف حقيقة شخصيتها .. حقيقة بسمة .. نقاط قوتها وضعفها .. أن تعي ماذا تريد بصدق .. وأن تتسلح بالأسلحة التي ستجعلها أقوى وأصلب في مواجهة الحياة وحدها ..

أجل وحدها ..

لا أب ولا أخ ولا زوج ..

فاقتنصت الفرصة التي قدمها لها مِفْرح الزيني ابن عمتها حين أسند لها مهمة الاشراف على مزرعة العمدة وبالتحديد الصوبات الزراعية التي يقيمها هناك بما أنها خريجة كلية الزراعة مثله .. واضطرت ساعتها لأن تعود لكتبها الدراسية وتعيد مراجعة واستذكار ما درسته من قبل .. وهذا شجعها لأن تعود للدراسة من جديد متخذة مفرح مثلا أعلى لها .. فهو حاصل على شهادة الماجستير في الزراعة ويحضر نفسه حاليا للحصول على شهادة الدكتوراه .. فبدأت هي الأخرى رحلة الدراسات العليا منذ عامين .. وحصلت على دبلومة في الزراعة .. وها هي قد بدأت رحلتها في الحصول على الماجستير..

وهي قفزة عملاقة .. لم تتخيل يوما أن تفكر فيها ..

لكن من قال بأننا لا نتغير ..

وأن الظروف لا تجبرنا أحيانا على تغيير أولوياتنا بل ونظرتنا للأمور.

لا تنكر بأن الشهادات قد أعطتها بعضا من الشعور بالقوة .. وجعلتها تثبت لنفسها وللجميع أنها ليست مجرد دمية جميلة فارغة العقل .. لذلك تحملت من أجلها اعتراضات من أهلها ونظرات مستهجنة ممن حولها.. ليس اعتراضا على التعليم أو على عمل المرأة فهي ليست أول ولا آخر امرأة في البلدة تحصل على شهادة عليا أو تخرج للعمل..

لكن لكونها مطلقة ..

ذلك اللقب اللعين الذي يحاصرها ..

يضيق عليها الخناق ..

يسلبها ابسط حقوقها لأن تعيش كإنسانة عادية ..

فباتت كل خطواتها محسوبة ..

مراقبة ..

لهذا قررت أن تنتحي بنفسها جانبا .. ولا تحتك كثيرا بالناس .. تركز على دراستها ومباشرتها لمزرعة العمدة حين يكون مفرح في العاصمة .. وفي سبيل تحقيق ذلك خاضت حروبا كثيرة مع أسرتها فهم لا يفضلون خروجها من المنزل من الاساس منعا للقيل والقال بالطبع لأنها مطلقة ويضغطون عليها بكل الوسائل لتتزوج من جديد وكأن بقائها في بيتها بهذا الشكل هو بمثابة شوكة في خاصرتهم .

"وصلنا يا ست الكل"

أفاقت من شرودها حين نبهها سائق التوكتوك .. فترجلت منه ليسألها " هل تريدين مني انتظارك يا باشمهندسة؟"

غمغمت وهي تهز رأسها بالرفض " لا .. اذهب أنت وإذا احتجت لك سأتصل بك يا حمادة "

فرفع حمادة يده إلى رأسه يؤدي لها تحية عسكرية قبل أن يسرع بالمغادرة .

(الباشمهندسة بسمة)

لقبها الجديد بين الفلاحين بالتحديد ..

ذلك اللقب الذي لم تعتقد يوما بأنه سيجعلها فخورة بنفسها كما تشعر الآن .. فكل ما كانت تطمح إليه في الماضي أن تصبح زوجة فلان .. أن يأتي ذلك الأمير الوسيم على حصانه الأبيض فيقع

في غرامها ويتزوجها .. وهذا ما ظنت بأنها قد حصلت عليه حين تزوجت .. لكنها على مدى أربع سنوات قضتها وحدها في العاصمة اكتشفت أن هذا اللقب قد يفقد بريقه لسبب ما وقد يكون مصدرا للمعاناة أحيانا ..

لكن لقبها الجديد هذا (الباشمهندسة) حين حصلت عليه صدفة منذ ما يقرب من عام كان لسعادتها طعما خاصا ..

وكان ذلك حين تضرر أحد المحاصيل في البلدة بإحدى الآفات الزراعية فاستنجد الفلاحون بمفرح الزيني فهو مهندس القرية الزراعي لكنه كان في العاصمة يبرم إحدى الصفقات الهامة مع أحد المستوردين الأجانب للمنتجات الزراعية .. فطلب منهم اللجوء لبسمة الوديدي وتابعها أولا بأول على

الهاتف حتى حددا المشكلة والحل .. ومن وقتها اصبحت (الباشمهندسة) وهو اللقب الذي يطلق على المهندس الزراعي في القرية..

وكم هي سعادتها وفخرها بهذا اللقب الآن .

قبل أن تدخل من بوابة مزرعة العمدة استدارت تنظر للجهة المقابلة وبالتحديد لذلك البيت ذي الثلاث طوابق وبجواره مبنى من طابق واحد كان يستخدم كمخزن وحولهما باحة كبيرة محاطة بسور ومغلقة ببوابة كبيرة ... بيت جدها صالح رحمه الله.. ذلك البيت الذي ودعت في ساحته منذ ثلاث سنوات طليقها سيد صبرة وودعت فيها بسمة القديمة .. والذي سيصبح مكانا لمشروعها القادم بإذن الله .

عند تلك الخاطرة (مشروعها الخاص) دب فيها الحماس واستدارت تدخل مزرعة العمدة وهي تفكر فيما توشك على تنفيذه قريبا ..

قريبا جدا ..

بعد حفل زفاف اخيها مباشرة .

××××

أهلا بكم في قرية (××××××)

طالع مِفْرِح اليافطة الصغيرة وقرأ العبارة دون جهد رغم المسافة البعيدة نسبيا .. فإن لم يكن يدرك تفاصيلها ببصره فهو يحفظها عن ظهر قلب ..

وكيف لا يحفظ المكتوب فيها وهو يتردد عليها جيئة وذهابا باستمرار لأكثر من نصف حياته من وإلى العاصمة !..

وكيف لا يدرك ما هو هذا المكان وهو منبت جذوره ونشأته .. وحيث يسكن أهله وأحبابه!..

ورغم ذلك..

لا يستطيع أن يتحكم في حالة الاختناق التي تصيبه كلما عاد إليه !..

و لا ينكر اشتياقه إلى تلك البقعة من الأرض التي هو ينتمي إليها رغم كونه لم يتركها إلا بضعة أيام.

هكذا هو حاله مع قريته ..

مسقط رأسه وحيث تكون عائلته وزوجته وأولاده .. حين يدخلها يشعر بالثقل والاختناق ربما من تلك المسئوليات الملقاة على عاتقه .. وفي الوقت ذاته لا يحب مكانا على الأرض أكثر منها حتى العاصمة نفسها بكل أضوائها وإبهارها.

سحب نفسا عميقا وعيناه لا تزالا متعلقتان بمدخل قريته الذي يقترب أمامه عبر زجاج سيارته ويقترب أيضا من مفترق الطرق الذي ينتهي عنده الطريق الأسفلتي الممهد ويتفرع بعدها لعدة طرق فرعية مؤدية إلى قرية من القرى الواقعة على خريطة المحافظة التي ينتمي إليها .. ليلمح من ناحية اليمين تلك السيارة الآتية من الجهة المقابلة وبالتحديد من الطريق القادم من قرية مجاورة .. فانقبض صدره.. وزفر دخان أسود وقد تعرف على صاحبها ..

صاحب السيارة .. الذي كان يوما من الأيام صاحبه.

في نفس اللحظة علا صوت انذار صاخب لينبه المارة لاقتراب قطار فتوقف مجبرا بمجرد أن أغلق عامل التحويلة الطريق أمام المارة والسيارات .. لكنه رغم رغبته الشديدة في الاشاحة بوجهه عن

تلك السيارة التي تركت الطريق الجانبي أمامه واعتدلت لتواجهه على الناحية الأخرى من شريط القطار تنتظر فتح الطريق .. ظل مثبتا نظراته للأمام رغم عدم توجيهها نحو سائق السيارة الأخرى الذي هو أكيد بأنه قد لمحه وتعرف على هويته ..

دقائق ..

فقط دقائق قليلة.. كان الشارع فيها في حالة جمود إلا من حركة ذلك القطار الذي اقترب شيئا فشيئا ليفصل بين الضفتين مخترقا ذلك الحجاب الغير مرئي الذي يضعه مفرح على ذكريات موجعة .. ليعود إليه كل شيء رغم مرور خمسة عشر سنة .. لكن الوجع هو نفسه .. ومشاعر الخذلان هي نفسها .

رحل القطار هو وصخبه.. وترك صخب الذكريات التي نُكأت خلفه .. ليفتح العامل الطريق فيتحرك المارة وتتحرك السيارتان فتقتربا من بعضهما .. ويلتقيا لثوان على شريط القطار .. لقاء خاطف .. قبل أن يفترقا كل منهما إلى وجهته فشعر مفرح وكأن السيارة الأخرى قد مرت من فوق صدره..

ربما لا تتكرر صدفة التقائهما كثيرا لأن كل طرف يتجنب بشدة الالتقاء بالأخر .. بالإضافة إلى امتناع كل منهما عن التواجد في قرية الأخر رغم تجاور القريتين .. فطبيعة المنطقة الجغرافية في محافظته تقسم المنطقة لعدة قرى صغيرة متجاورة حول مركز المحافظة والذي لا يبعد عن كل قرية بمسافة كبيرة لكنه تقسيم جغرافي منذ قديم الأزل فرضته الأحداث التاريخية وطبيعة العائلات الموجودة في كل قرية .

دخل مفرح إلى قريته يحاول التغلب على تلك المشاعر التي قلّبت عليه ذكريات بغيضة في هذا الوقت الباكر من الصباح فبلع غصة مرة في حلقه .. واستدار إلى المقعد المجاور يبحث عن هاتفه وسط ملفات كثيرة تخص عمله وصفقاته وابحاثه الخاصة برسالة الدكتوراه .. ليلمح تلك السيارة الآتية على الطريق الترابي فاتسعت ابتسامته وأبطأ من حركة سيارته حتى توقفتا متقابلتين ليسرع بالترجل من سيارته الثمينة ويقترب من الأخرى في الوقت الذي أسرع إياد يخرج بجذعه من نافذة السيارة حتى كاد أن يجلس عليها صائحا بفرح "أبيييييي"

نهره مِفْرح بحزم قبل أن يقترب منه ويمسك وجهه بكلتا يديه يقبّل رأسه ملقيا السلام على السائق ..

ثم قال بتوبيخ "لا تفعلها مرة أخرى وتخرج حتى برأسك من السيارة فهذا خطر "

عاد اياد إلى موضعه بطاعة فمد مفرح ذراعه الأسمر يمسح على رأس منة الله التي تبتسم له بحبور ثم استدار حول مقدمة السيارة يضرب كفه بكف بكريه أدهم بسلام رجولي يتعانق فيه الابهامين .

ليقول إياد "ما رأيك يا أبي أن تتصل بأمي وتخبرها بأننا لن نذهب اليوم للمدرسة ونعود معك"

رد مفرح بلهجة جادة "أليس لديك اختبارا شهريا إذن عليك بالذهاب "

مط إياد شفتيه بتبرم طفولي معترض وهو يقول "ولكني اشتقت إليك لم أرك منذ خمسة أيام "

مال مفرح بقامته الطويلة يطالعه عبر نافذة السيارة وقال" بضع ساعات وستعود لتجدني في انتظارك إن شاء الله "

قالها وهو يفسح الطريق ويشير للسائق للتحرك فنفذ على الفور ..

تحركت السيارة تغادره ليخرج إياد رأسه من السيارة صائحا "إياكم أن تبدأوا بنقل فرش عمتي قبل أن نعود"

أشار له مفرح بسبابته بحزم ليدخل رأسه من النافذة ثم وقف يراقب السيارة وهي تبتعد وتخرج من القرية نحو مركز المحافظة..

حين عاد لسيارته من جديد كان يشعر بالتحسن بعد رؤية ولديه .. فضغط على مشغل الأغاني التي كان يسمعها أول الطريق وتحرك بسيارته مدندنا مع كاظم الساهر :

سيدة عمري الفاضلة

هذه رسالة عاجلة

من عاشق مضطهد

على الطريق الترابي الطويل على امتداد الترعة على يساره كانت الحقول الخضراء ترافقه يمينا ويسارا في رحلة امتدت لدقائق بين الحقول لم يقابله خلالها سوى بعض البيوت المتفرقة البعيدة عن بعضها والتي تعتبر فعليا بمنأى عن باقي بيوت القرية .. فمر على ذلك البيت القديم الذي يتخذ جانبا منه لعرض منتجات الفخار مصطفة بمحاذاة الطريق ليستدير ذلك الرجل العجوز ويرفع يده ليحييه حين تعرف على سيارته ليرد مفرح التحية على العم عيد القللي صانع الفخار بضغطة من بوق السيارة قبل أن يتجاوزه وهو لا يزال يدندن مع الأغنية ..

أنا بشر مو صنم

احترمي مشاعر رجل

كُثر ما حب انظلم

آه لو كنت بمكاني

كنت قلتي ننتقم

لكن آني مو أناني

وعمري ما أحب الظلم

أما العم عيد فقد تحرك ينقل بعض الأواني الفخارية من مكانها ويرصها بشكل هندسي ملفت.. في الوقت الذي أغلقت شابة صغيرة باب البيت بهدوء حتى لا تلفت انتباهه وجلست على عقبيها خلف الباب تزفر بعصبية متمتمة في سرها "باءت المحاولة الثانية للهروب هذا الصباح من سجن

عيد القللي بالفشل ..(وأضافت بغيظ) أكان لابد أن يمر مفرح الزيني في هذه اللحظة بالذات وأنا على وشك الخروج فيترك عيد مكانه !! .. لكن لا تراجع ولا استسلام يا وَنَسْ"

قالتها وهي تخلع عن رأسها وشاحها الملون وتنكش شعرها الكستنائي الممووج عدة مرات بغيظ ثم نفخت بكل الحنق المكبوت في صدرها في خصلة تدلت وغطت وجهها لتبعدها بعيدا عنها .

xxxx

على الطريق بعد قليل ظهرت بيوت القرية المتكدسة على يمين مِفْرِح ..وميز ظهر شابة تخطو بخطوات واسعة على مرمى بصره ترتدي بنطالا من الجينز وكنزة طويلة عليه وحجاب حول رأسها .. فلاحت ابتسامة على جانب فمه وغمغم وهو

يهدئ من سرعة السيارة" ستفضحنا بهذا الجينز الذي تصر على ارتدائه"

ضغط على بوق السيارة عدة مرات وهو يقترب ببطء منها لكنها لم تعره اهتماما .. فأغلق صوت الأغنية وأخرج رأسه من النافذة قائلا" أتظنين نفسك تتريضين في تراك النادي حضرتك !"

توقفت بسمة على الفور حين ميزت الصوت واستدارت وشبه ابتسامة تزين ثغرها ترفع يدها لتعدل الوشاح الذي يغطي نصف شعرها.. ليشير لها مفرح برأسه كي تركب فتحركت بسرعة حول مقدمة السيارة في الوقت الذي أسرع هو بإخلاء المقعد المجاور له ووضع ما يخصه في المقعد الخلفي لتركب بجانبه وهي تقول" صباح الخير "

رد بصوته الأجش ذو البحة الطبيعية وهو يتحرك بالسيارة "صباح النور على فاتنة المجرة.. لمَ

تسيرين على قدميك؟.. ألا توجد لدينا تكاتك فاخرة أو سيارات حديثة تليق بفخامتك حتى تسير جميلة الجميلات على قدميها !.."

ناظرته بسمة بنظرة ساخرة ليكمل مفرح وهو يوزع عينيه بينها وبين الطريق "بالتأكيد الهمس المنتشر الآن في هذا الوقت من الصباح تحت عنوان (ترى ماذا كانت تفعل فاتنة البلدة بالسير وحدها في الطريق؟).."

ابتسمت بسمة وردت" أردت أن اسير قليلا بعيدا عن البيت المكتظ بالنسوة الآن "

أدار وجهه لها قائلا ببرود متعمد " لمَ البيت مكتظ بالنسوة هل لديكم مناسبة إن شاء الله ؟!"

عقدت ذراعيها وردت" أجل لدينا حفل زفاف وبالمصادفة لديكم أنتم أيضا نفس حفل الزفاف .. أتوقع أن مهجة ستفجر رأسك حين تراك يا مفرح بسبب ذهابك للعاصمة بشكل مفاجئ بعد عقد قرانها مباشرة "

قهقه مِفْرِح وهرش في لحيته السوداء العصرية مغمغما "ليست وحدها الحقيقة .. مهجة وأم مهجة وأبو مهجة" فأكملت له بسمة القائمة تقول بتهكم " وزوجة أخو مهجة"

نظر مفرح للطريق أمامه ورد ضاحكا" لا .. مليكة لا تنزعج من غيابي غالبا يئست مني المسكينة"

اتسعت ابتسامة بسمة وأدارت وجهها تنظر من النافذة لتعود ملامحها للوجوم خلال ثوان فتطلع فيها مفرح ثم سألها بمحبة "كيف الحال يا بنت الخال ؟"

حركت بسمة كتفيها دون أن تنظر إليه مغمغمة "لا جديد"

فسألها مغيظا " ها .. أخبريني كم عريسا تقدم لخطبتك مؤخرا (وأكمل بلهجة ساخرة) سمعت يا بنت أن هناك من طلبوك من القرى المجاورة .. (واستمر متهكما) يااااااه دوما تتخطين حدود القرية إلى ما أبعد منها!"

ردت بلهجة متهكمة وهي تعود لتنظر إليه "أجل لكن الفارق حاليا أن من يطلبوني للزواج جميعهم متزوجون بالفعل.. (واكملت بمبالغة) أعتقد بأنه لم يبق رجلا متزوجا في قريتنا لم يطلبني صراحة من أبي أو يلمح لذلك .."

رد مفرح يجاريها في مزحتها " بل هناك واحدا لم يفعلها بعد"

تطلعت إليه بعينيها الفيروزيتين لينظر إليها مفرح قائلا وهو يضع كفه على صدره" أنا .. الفقير إلى الله"

ابتسمت من جديد ثم غمغمت وهي تشيح بوجهها نحو النافذة "هذا ما ينقصني!"

حين شعر باستيائها أضاف قائلا "ومن أخبرك بأن جميع من يرغبون في الزواج منك متزوجون بالفعل انا شخصيا اعرف بعض الشباب لم يسبق لهم الزواج وارادوك زوجة لكن كما تعرفين سطوة العائلة هنا .. وبالطبع لم يقدروا على معارضة أهاليهم "

شعرت بسمة بالضيق لكنها غمغمت بصوت يخنقه البكاء "أنا لا أفكر في الزواج مرة أخرى .. لكن احساسي بأنهم يعاملونني كسلعة سبق استخدامها أمر مهين ومؤلم يا مِفْرح"

بلع مِفْرح غصة في حلقه وتمتم معترفا وهو يتطلع في الطريق أمامه" اتفق معك (ثم سألها يغير الموضوع) متى ستبدئين مشروعك؟"

لاح الحماس على وجهها أخيرا لتعتدل في مقعدها وتجيب "بعد أن ينتهي حفل الزفاف مباشرة "

قال مفرح متفاجئا "بهذه السرعة !!.. ظننتك ستحتاجين لبعض الوقت لترتيب الأمور "

قالت باندفاع " لا لا ..لن انتظر .. لقد انتظرت كثيرا وحان الوقت الذي سأبدأ فيه الاستقلال المادي .. المهم هل وافقت على أن اشتري من مزرعة العمدة ما أريد؟"

رد مفرح مستنكرا سؤالها " بالطبع يا هبلاء وهل هذا سؤال! (ثم نظر إليها يسألها) وهل حصلت على موافقة خالي العزيز ؟"

جمدت ملامحها وردت ببرود "أحاول الضغط عليه بكل السبل هو ووليد وأمي وسأفعل ما أريد وإلا سأرحل ولن يعرفوا لي طريقا"

نظر لها مفرح بنظرة موبخة ثم قال "ما هذا السخف أمجنونة أنت ! .. عموما أعتقد بأن خالي قد يأخذ تهديدك بجدية بعد أن كتب لك جدنا صالح رحمه الله بيته والأرض المحيطة به وقد كان خالي يظن بأنه سيكون من نصيب أمك وسيضع يده عليه .. كما أن بيعك للبيت الذي تركه لك طليقك ووضع ثمنه وثمن أثاث بيتك السابق كوديعة في البنك أعتقد بأنه سيجعل والدك يصدق بأنك قد تنفذين تهديدك بالرحيل فعلا .. "

غمغمت بسمة بوجوم معترفة "أعتقد ذلك خاصة وأنه يطمح لوضع يده على ما أملك كما تعلم"

غمغم مفرح وهو يدلك رقبته بيده الحرة "أعلم .. للأسف أعلم ..(وصمت لثوان ثم قال) الحقيقة أن كتابة الجد صالح البيت باسمك كانت ضربة قوية قلبت الموازين لصالحك "

اغرورقت عيناها بالدموع وتمتمت " رحمه الله لقد اشتقت إليه"

ساد الصمت وكل منهما يتطلع في الطريق أمامه لتقطعه بسمة بعد قليل وهي تسأله "هل بدأت في رسالة الدكتوراه؟"

أجابها بلهجة بائسة "لم أفعل أي شيء منذ أن بدأت فيها .. انشغلت بالصفقات وبزواج مهجة وبالأمور الأخرى التي تعرفينها "

قالت بسمة " أنتَ أيضا ضغطت على نفسك الفترة الماضية يا مِفْرح ولم تنل أي راحة .. بل اسرعت وبدأت في طلب الحصول على الدكتوراه"

لم يرد .. وإنما قال مغيرا للموضوع "أمامي أيام حافلة أعانني الله فيها (ثم أدار وجهه إليها قائلا بحاجب مرفوع) هل أعد أبوكِ كل شيء؟ .. أخشى أن يفضحنا بسبب بخله"

مطت بسمة شفتيها وردت "لا أعرف لست متابعة للتجهيزات سوى ما يحدث في بيتنا وفي شقة وليد .. أما ما يعد خارج البيت فلا علم لي به ..لمَ لا تسأله أو تسأل وليد؟"

غمغم مِفْرح متوعدا وهو ينظر أمامه" بالطبع سأسأله وسأدقق في كل شيء (ثم أضاف بلهجة ساخرة وابتسامة صفراء) إنه خالي العزيز وأعرفه جيدا"

صمت لثوان ثم زفر بحنق يضيف" لولا أن مهجة تحب وليد لم أكن لأوافق أبدا على هذه الزيجة "

رفعت بسمة حاجبا جميلا وقالت بمناكفة "ما بها مصاهرتنا يا ابن الزيني !"

رد مناكفتها بامتعاض قائلا " يكفي مصاهرة خالي وابنه وليد الذي لا أعرف ماذا يعجب مهجة فيه بصراحة .. لا يوجد فيكم يا ودايدة سوى أنت وأمك"

قالت بسمة بمكر " وأمك ؟ أليست من الودايدة أيضا !"

مسد مفرح على لحيته عدة مرات هاربا بنظراته من مواجهتها ثم رد ساخرا وهو يلملم ابتسامته " الحاجة نحمدو ! .. إن الجنة تحت أقدام الأمهات يا بنت خالي "

ردت بسمة ضاحكة " اللهم قوي ايمانك يا شيخ مِفْرح "

قهقه مِفْرح قائلا " استغفر الله ! .. ستدخلوننا النار بأسئلتك الغريبة هذه يا بنت الوديدي !"

××××

في بهو بيت العمدة قالت فايزة لأمها بلؤم وهما جالستان على الأريكة المواجهة لباب البيت المفتوح بعد أن لمحت مليكة تقترب من باب الغرفة الداخلية التي تباشر فيها عملية إعداد الطعام للضيوف وإرساله مع المساعدات لمقر ضيافتهم "هل أنت متأكدة يا أمي أن مفرح ليس متزوجا في العاصمة ؟"

ابتسامة مستمتعة لاحت على شفتي الحاجة نحمده وهي تسترق النظرات نحو الغرفة وردت" الله أعلم يا ابنتي ..لمَ تسألين هذا السؤال؟ "

قالت فايزة ببراءة مصطنعة " هذا ليس كلامي .. بل ما سمعته من اشاعات تدور حاليا .. وهناك من

سألوني مباشرة متعللين بتردده على العاصمة كثيرا ومبيته فيها لعدة أيام مقسما وقته بين هنا وهناك"

اعتدلت الحاجة نحمده ترتب أساورها الذهبية العريضة وردت "لو فعلها لا أحد سيلومه أبدا فالشرع يبيح له مثنى وثلاث ورباع "

في داخل الغرفة حافظت مليكة على وجهها البارد وتحركت مبتعدة عن الباب دون أن تمنحهما أي رد فعل .. بينما قالت مهجة الواقفة بجوار باب البيت بلهجة مستهجنة " مفرح يقسم وقته بين هنا والعاصمة طيلة عمره يا فايزة .. هذا الوضع ليس بجديد.. فهو يباشر دراسته العليا ومكتب تصدير الخضر والفاكهة الذي يدير فيه أعمال أرضنا وانتاج مزرعة العمدة وصُوَبِها .. فما الجديد في هذا الوضع لتظهر هذه الشائعة الآن لا أفهم !"

هتفت فايزة موبخة" اخرسي أنت يا ذات اللسان الطويل ولا تتدخلي في أحاديث الكبار"

في الخارج ركن مفرح سيارته في ساحة بيت العمدة بعد أن أوصل بسمة لبيت خاله سليمان الوديدي .. وترجل منها مسرعا .. لتتطلع فيه مهجة عبر باب البيت وهي تقف في انتظاره متكتفة.. فتأملته معجبة بأناقة ملابسه العصرية.. دوما كان مفرح بالنسبة لها فتى الأحلام قبل أن يكون أخاها الأكبر منها بخمسة عشرة عاما .

دخل الأخير مسرعا وعيناه مركزتان على أمه وأخته فايزة الأكبر منه بثلاث سنوات وقبل أن يفتح فمه أجفل حين فوجئ بمهجة تظهر أمامه .. فتحكم في ابتسامة محرجة قبل أن تقول أخته الصغرى

بلهجة ساخرة " لم اتعبت نفسك وجئت مبكرا !..
كنت بقيت في العاصمة وأتيت مساء الغد في حفل الزفاف مباشرة !"

رد مفرح والابتسامة تزين شفتيه" لا لا ..فضلت أن ألحق بكم في نقل حاجيات العروس لبيت العريس .. فلا يصح أن أفوت عليّ يوم فرش اختي (ونظر أمامه قائلا) السلام عليكم يا أمي كيف حالك يا فايزة ؟"

ردتا السلام ليسأل مفرح "أين أبي؟"

أجابت أمه "في غرفة المجلس مع بعض الضيوف يا حبيبي"

قال وهو يهم بالتحرك محاولا الهرب من وصلة توبيخ متوقعة من مهجة "سأغتسل أولا ثم اذهب إليه "

وقفت مهجة تعترض طريقه وصاحت بغيظ "الضيوف أتوا من العاصمة قبلك يا مفرح !"

رد مفرح ببساطة وهو يضربها على رأسها ويتجاوزها "لهذا تأخرت في العاصمة .. حتى أطمئن أن كل اقاربنا ومعارفنا سيحضرون يوم فرش أثاث الأميرة مهجة "

استدارت تتطلع في ظهره وهو يصعد السلم المؤدي لشقته بالأعلى وهتفت بحنق " يوم الفرش الذي تأخر بسببك ! .. كل العرائس ترسل فرشها قبل عدة أيام من زفافها حتى يتم ترتيب كل شيء بتأني وأنا العروس الوحيدة التي ترسل حاجاتها قبل الزفاف بيوم ولا أعرف متى سننتهي من ترتيب كل شيء لألحق بحفل الحناء في المساء "

رد مفرح ببرود " ومن طلب منك انتظاري؟!.. فيم سأفيد أنا في نقل حاجياتك من هنا لبيت خالي ؟..

فأبي موجود بارك الله لنا في عمره .. كما أن البلد كلها جاهزة للمساعدة "

هتفت الحاجة نحمده باستياء" ما الذي تقوله يا مفرح !! ..ننقل بدون أخيها عمدة البلدة القادم !!.. ألا يكفي العطلة والتأخير بسببك !.. بنت العمدة تنقل حاجياتها قبل زفافها بيوم !"

استدار مفرح يطالعها من فوق السلم ورد بهدوء قائلا" لم يكن بيدي يا أمي .. لم أتأخر لأني كنت ألهو في العاصمة .. وأبي يعلم التفاصيل .. عموما لا تقلقي كل شيء سيسير على ما يرام (ونظر لمهجة بلؤم يسألها بإغاظة) أهم شيء .. هل وجدت حذاء ذا كعب مترين حتى لا يتهمنا الناس بأننا نزوج طفلة؟.. صدقيني الشيخ مبروك تطلع في بطاقتك الشخصية مرتين حتى يتأكد بأن عمرك عشرون سنة وليس اثني عشرة .. رغم أن الرجل يعرفنا جيدا

لكن على ما يبدو كان يعتقد بأنك في المرحلة الإعدادية وأنني أخ جاهل يزوج أخته القاصر "

زمت مهجة شفتيها فاسرع مفرح بالهرب من الشرر الذي يخرج من عينيها واستدار يقول وهو يكمل صعوده" هل مليكة بالأعلى ؟"

غمغمت والدته بارتباك " بل هنا .. أصرت أن تباشر بنفسها إعداد الطعام للضيوف (وهتفت بصوت عال تنظر للناحية الأخرى) يا مليكة .. نادوا على مليكة واخبروها أن زوجها قد حضر "

حدجت مهجة أمها بنظرة مستاءة واستدارت تصعد هي الأخرى نحو غرفتها شاعرة بالضيق مما يصدر من أمها وأختها تجاه زوجة أخيها على مدى سنوات بدون معرفته .. ولا تفهم حتى الآن لمَ تسكت مليكة على هذه المعاملة؟!..

فمهما كانت عاقلة .. ومهما كانت تحب مفرح ولا ترغب التسبب في المشاكل كعادتها .. ومهما كانت تدرك بأن الوضع بين العائلتين قد ينفجر من اشارة واحدة .. لكن الأمر مستهجنا بالنسبة لها كمهجة ..

وفي نفس الوقت تتملكها الحيرة هل سيكون من الصواب أن تخبر مفرح ؟.. فلو علم فمن المؤكد سيكون رد فعله قويا.

زفرت وهي تفتح باب غرفتها تحاول نفض التفكير في هذا الموضوع عن رأسها .. وقررت أن تركز فيما ينتظرها من تفاصيل لا تنتهي قبل مساء الغد حيث سيكون حفل زفافها على وليد الوديدي ابن خالها .

××××

بعد قليل دخلت مليكة شقتها مسرعة تبحث عنه بلهفة .. ومن صوت الماء أدركت بأنه في الحمام فأسرعت إلى غرفة النوم لتجهز له ملابس نظيفة..

لتجد ملابسه كالعادة ملقاه في كل مكان على الأرض .. فابتسمت وهي تزيح الوشاح الذي يغطي رأسها ثم مالت ليميل معها شعرها البني الناعم معها والتقطت ملابسه المبعثرة في أرض الغرفة متمتمة" لا يفعل إياد هذه العادة من فراغ !"

بعد دقائق دخل مفرح الغرفة يلف جسده العضلي الأسمر بمنشفة فاستدارت مليكة تطالعه بابتسامة هادئة .

قلبه كالعادة بدأ يعزف معزوفات صاخبة تخصها وحدها فابتسم وهو يسألها مقتربا " لماذا لا تردين على هاتفك ؟"

قالت متفاجئة وهي تتحسس جيوب العباءة " ربما تركته في الأسفل تعلم أن البيت يضج بالضيوف حتى أن بسمة أرسلت لي رسالة صباحا ولم أرد عليها "

كان قد قطع المسافة بينهما بخطوات رجولية واثقة وعيناه الخضراوان تطالعانها بنظرات تلمس كل ذرة فيها .. فحانت منها نصف استدارة تحاول الهرب من عينيه .. فرغم كل هذه السنين بينهما لا يزال يربك دواخلها من مجرد نظرة من عينيه ..

منعها مِفْرح من الهرب مطوقا ذراعيه حول جذعها بقوة يلاصقها بوضع جانبي ورفع يده ليبعد شعيرات ناعمة عن عنقها ثم يدفن وجهه فيه هامسا بأنفاس محترقة" هذا يعني بأنك لم تشتاقي إلى مِفْرح"

قالت بابتسامة محرجة "بالطبع اشتقت لك"

رفع وجهه إليها يقول بمداعبة "كاذبة ..لو كنتِ اشتقتِ إليّ لما ابعدت الهاتف عنك أبدا لتطمئني في أي ساعة سآتي اليوم "

تطلعت في خضار عينيه .. واحتها الخضراء التي تهرب فيها من العالم .. وقالت بابتسامة هادئة " كنت أعلم بأنك ستأتي في وقت مبكر لتحضر فرش مهجة .. وأكيدة بأنك لم تنم ليلة أمس لتنتهي من بعض الأمور الخاصة بالعمل حتى لا تتأخر اليوم "

رفع حاجبا وقال بشقاوة " لازلتُ لا أصدق اثبتي لي "

تلون وجهها بالخجل وهي تطالعه بمقلتيها البنيتين ليضيف مِفْرح وهو يميل إلى شفتيها هامسا " أريني كيف اشتقتِ لمفرح "

جرس الباب جمد وضعه لثوان قبل حتى أن يدرك شفتيها فابتعد يتطلع في وجهها.. لترمش مليكة بعينيها عدة مرات وهي تعض على شفتها .. فانفجرت الحمم الساخنة في شرايينه وقد هاجت

فراشات الشوق والرغبة في رأسه لكن الحاح الجرس جعله يقلب وجهه بانزعاج ويفلتها ليلتقط ملابسه النظيفة من فوق السرير بعصبية ..
فأسرعت مليكة تقول "سأفتح أنا"

أوقفها قائلا بغضب " لا .. انتظري أنا من سيفتح"

توترت ووقفت تطالع عضلاته المتشنجة وقد أدركت بأنه غاضب ..

رن جرس الباب للمرة الثالثة مع صوت طرقات متردد قبل أن يفتح مِفْرح الباب هادرا" ماذا هناك؟؟؟!!"

ارتعبت المرأة الواقفة أمام باب شقته وبلعت ريقها تقول بلجلجة" الـ .. الحاجة نحمدو ...."

"يا ميفرح "

جاء صوت والدته من الدور الأرضي لينقذ المرأة المرتعبة من غضب مِفْرح الزيني فرد الأخير على أمه بمزاج عكر" ماذا هناك يامّة"

قالت نحمده "السيارات وصلت يا حبيبي وبدأ أهل القرية في التجمع "

تقبض مفرح يسحب نفسا ليهدئ من عصبيته ثم قال "حسنا أنا قادم يامّة وأرجوك لا ترسلي أحدا للطرق بهذا الالحاح على الباب .. كما تفعلون دائما طرقة واحدة وإن لم أجيب فلا داعي لتكرارها "

قالت أمه بلهجة دبلوماسية " حاضر يا حبيبي .. إنها أم سعيد (ونظرت للمرأة التي نزلت من السلم تقول بلهجة موبخة) لا تلحي بهذا الشكل مرة أخرى يا أم سعيد"

جحظت عينا المرأة وتمتمت باندهاش "أنا يا حاجة !.. ألم تطلبي مني أن ..."

هدرت نحمده فيها تقاطعها "هيا عودي إلى عملك"

أغلق مِفرح باب شقته فنظرت نحمده إلى أعلى السلم وغمغمت لنفسها بغيظ " لابد من أن تؤخره عن حدث هام مثل اليوم بمرقعتها وقلة حيائها بنت الصوالحة "

قالتها وزفرت بغيظ ثم تحركت تصيح بعصبية في النسوة ليسرعوا من الانتهاء من نقل حاجيات العروس الخفيفة من الغرفة الأرضية إلى ساحة البيت في الخارج ثم خرجت توجه الرجال لحمل الأجهزة الكهربائية والأشياء الثقيلة وسط زغاريد بدأت تتزايد من الخارج والداخل فقلبت دار العمدة عبد الرحيم الزيني رأسا على عقب .

××××

بعد دقائق خرج مفرح من باب بيت العمدة يتطلع حوله في ساحة البيت الذي امتلأ إلى آخره بحاجيات العروس من أجهزة كهربائية ومفروشات بأنواعها ومراتب وبطاطين والحفة ملونة وسجاد ونجف وأدوات المطبخ وأطقم الأطباق بأنواعها المختلفة وغيرها مما قد وضع للعرض والتفاخر كعادة أهل القرية قبل تحميلها على سيارات إلى بيت العريس .. بينما بعض النسوة قد تجمعن يصفقن ويغنين الأغاني الفلاحي الخاصة بهذه المناسبات.

في طريقه إلى مدخل آخر بجوار باب الدار الداخلية حيث مجلس الحاج عبد الرحيم الزيني والده وعمدة القرية لمح كبير الغفر خارج البوابة يقف مع بعض الأهالي الذين تجمعوا لمشاهدة فَرْشْ

بنت العمدة والمشاركة في نقله فتحرك ناحية البوابة متلقيا التهاني والتبريكات من كل من يقابله ثم نادى عليه " عويس "

تحرك الرجل الخمسيني البدين بأقصى سرعة لديه ملبيا نداء ابن العمدة يقول "مُرني يا باشا"

قال مفرح بلهجة حازمة" هل ستترك عملك لتقف أنت والغفر تتسامرون مع أهل البلد؟"

قال الرجل مدافعا " أبدا يا باشا اطمئن نحن مسيطرون على الوضع تماما "

قال مفرح بلهجة آمرة "أريدك أن تكون مستعدا أنت والرجال فسأحتاجكم في مهمة سرية اليوم"

لمعت عينا الرجل وتمتم بحماس "مهمة سرية!!"

قال مفرح "أجل فأنت تعلم أن عندنا مناسبة كبيرة وبالتالي عيون الأعداء والمدسوسين ستكون مفتوحة علينا لإفساد فرحتنا"

قال الرجل مطمئنا " لا تقلق يا مفرح باشا لن نسمح لأي من كان لإفساد فرح بنت العمدة الغفر كلهم جاهزون لأي شيء"

تطلع مفرح في الغفر الواقفين بالخارج وعددهم القليل وإلى عويس كبير الغفر وبالتحديد في كرشه البارز أمامه وغمغم بلهجة متهكمة رغم وجهه الجاد " بالنسبة للاطمئنان فأنا مطمئن جدا "

ثم تحرك يعود للداخل وهو يسمع غمغمة الرجل المتحمسة "سنعود لأمجاد العمودية القديمة وسنقوم بمهام سرية يا حلاوة يا أولاد ! "

رفع مفرح حاجبيه متعجبا من فرحة الرجل لاستعادة ماضٍ لم يعد له وجودا.. فمنصب

العمدة انقرض تقريبا في معظم القرى وما بقي منهم مثل قريتهم بقي لمناسبته لطبيعة المكان ولثقة الجهات الأمنية في الدولة في أولاد الزيني الذين يتوارثون هذا المنصب منذ أجيال ..

دخل بعد دقيقة على والده ملقيا التحية على الغفرين الواقفين على باب المجلس واللذان اعتدلا بمجرد اقترابه ثم قال "السلام عليكم يا حاج عبد الرحيم "

في جلسته على مقعده المفضل يتصدر المجلس الذي يحتوي على أرائك خشبية تحيط بالمكان والذي غادره بعض المهنئين منذ قليل ابتسم الحاج عبد الرحيم لرؤية ولده مرددا السلام قبل أن يقترب مفرح ويقبل كتف والده فبادره الحاج يقول مبتسما "الشائعات تملأ القرية بأنك متزوج في العاصمة يا ولد"

اتسعت عينا مفرح ثم سأله بانبهار "حقا يا حاج !..
المهم أن تكون جميلة لو سمحتم؟!"

ضحك الحاج عبد الرحيم فاتسعت ابتسامة مفرح
مغمغما "لابد أن يطمئن المرء على أن تكون
الشائعات التي تخصه ساخنة ومثيرة "

استمر العمدة على ابتسامته لكنه قال بلهجة
جادة" علينا أن نبحث عمن خلف هذه الشائعة يا
مفرح .. وأن نعرف لماذا الآن بالذات خرجت ..
فأنت تتردد على العاصمة كثيرا منذ سنوات طويلة
وتبيت فيها ليلة أو اثنين في شقتك هناك لظروف
العمل أو الدراسة .. وكل أهل البلد يعرفون بأنك
تباشر مكتب تصدير المنتجات الزراعية التي ننتجها
في حقولنا .. إذن ما الذي جد لتصدر هذه
الشائعات ولماذا؟ علينا أن نعرف "

قال مفرح مطمئنا "وما الذي سيستفيده مطلق هذه الشائعة يا حاج من كوني متزوجا في العاصمة .. إذا أراد النيل من سمعتي ربما سيفضل أن يدعي بأني أرافق النساء أو أتردد على أماكن مشبوهة أو أي شيء أخر ..إنما شائعة (متزوج) هذه بمَ ستضرني؟!"

رد العمدة بحمائية مدافعا " ومن يجرؤ على ادعاء تلك الأكاذيب عنك والكل يعلم من هو مفرح الزيني وكيف هي أخلاقه وتربيته ..عموما ضع هذا الموضوع في رأسك وحاول البحث خلفه ..وأخشى أن يكون مصطفى الزيني خلفه ليضر بسمعتك "

رغم الضيق الذي انتابه من الأفكار المتشككة المرتابة التي تدور في رأس عائلته دوما عن كونهم مستهدفين من الجميع لاقتناص منصب العمدة منهم .. لكنه ربت على فخذ والده مطمئنا وهو

يقول " قلت لا تقلق يا حاج .. فما الذي سيستفيده مصطفى الزيني من اطلاق شائعة كهذه ؟.. إن كان هناك شخصا يرغب في الحاق الضرر بي بهذه الشائعة فهو بالتأكيد يرغب في استنفار أولاد صوالحة أهل زوجتي ضدي"

عند ذكر اسم الصوالحة ظهر الامتعاض على وجه العمدة فأسرع مفرح بالقيام ليمد يده لوالده قائلا ببشاشة "هيا يا عمدتنا لنقف قليلا نتلقى التهاني من أهل البلد قبل أن تتحرك السيارات "

استقام الرجل العجوز بصعوبة مستندا على ذراع ولده الذي سار بجوار أبيه يداري حزنا عتيقا في صدره .. فبرغم كل الجهود التي بذلها للتقريب بين أولاد الزيني والصوالحة لإنهاء عقودا من المعارك والمنافسات على زعامة القرية لكن والداه لا يزالا غير مستسيغان لزواجه من بيت الصوالحة .

في الخارج وقف مصطفى الزيني يباشر ويوجه في عملية تحميل حاجيات العروس ابنة عمه على سيارات النقل.. وبمجرد أن لمح عمه العمدة يخرج من مجلسه مستندا على ذراع ابنه تحرك نحوه محييا ومال يطبع قبلة على كتفه قائلا" الف مبروك يا عماه"

ببعض البرود الذي لم يخف على مصطفى ومفرح رد الحاج عبد الرحيم" بارك الله فيك يا أبا حمزة.. العقبى لأولادك إن شاء الله "

سلم مصطفى على مفرح وبارك له ثم قال منسحبا" سأعود لأباشر البقية "

فغمغم مفرح "دقائق وسألحق بك يا أبا حمزة "

تابعه الحاج عبد الرحيم وهو يبتعد وتمتم قائلا" كلما كبر في العمر تحول أكثر فأكثر لشكل أخي فاضل بالضبط لم يكذب المثل الشعبي (من أنجب لم يمت) سبحان الله !.. (ونظر لمفرح قائلا بانزعاج) أراك في الآونة الأخيرة تتودد له ولأخواته البنات"

هم مفرح بالحديث فقاطعه العمدة قائلا" أنا أعلم ميلك لنشر السلام في القرية .. ولا أعترض على ذلك.. لكن حاذر منه دوما ولا تأمن له "

قال مفرح بضيق" ماذا صدر من الرجل يا أبي؟ .. إنه نعم الرجل ونعم الجار .. الجدار بالجدار (قالها مشيرا على بيت عمه فاضل الزيني الذي يجاور بيت العمدة ثم أضاف) والقرية كلها تشيد به وبأخلاقه وبرجاحة عقله ولم نرى منه أي أذى "

رفع العمدة سبابته يقول بتحذير "قلت لك حاذر فقط فلربما تكون لديه خططا سرية للانقضاض عليك وانتزاع العمودية منك كما اقتنصتها أنا منه بمجرد أن توفى والده .. واحذر من وجهه الورع هذا .. فربما هي طريقة لاكتساب ثقة الناس ليضرب ضربته في أي لحظة بمجرد أن أموت "

أسرع مفرح يقول" اطال الله في عمرك يا حاج"

لمح العمدة علي ابن عبد الغني صوالحة أخو مليكة قد حضر .. وتأمل ترحيب مصطفى الزيني به فقال لولده "انظر كيف يسلم على ابن الصوالحة بحرارة متناسيا ما بين الصوالحة وأولاد الزيني من عقود من العداء"

اتسعت عينا مفرح ثم قال بضيق "أبي!... أنا متزوج من الصوالحة منذ سنين هل نسيت؟!! .. أنسيت أن بين العائلتين صلحا مضى عليه سنوات ؟!"

ناظره والده بامتعاض وغمغم بقرف" لولا أنك قد اجبرتنا على تلك الزيجة لما وافقنا وأنت تعرف ذلك جيدا"

قال مفرح باستهجان" ما الذي فتح سيرة الماضي الآن أنا لا أفهم !.. ألم ننتهي منه؟"

قال العمدة وهو يتحرك عائدا إلى الداخل بمجرد أن لمح علي صوالحة قد دخل لساحة الدار " سأذهب إلى مجلسي لم أعد قادرا على الوقوف "

شيع مفرح والده بنظرات حزينة قبل أن يستدير ليستقبل صهره مرحبا وهو يداري شعورا عظيما بالضيق والاختناق يصيبه عادة أثناء وجوده بالقرية.

قال علي صوالحة " مبارك يا مِفْرح "

رد مِفْرح بترحيب" العقبى لأولادك يا علي"

قال علي بدبلوماسية" اخوتي سيحضرون للمباركة في المساء وأنا جئت الآن بالنيابة عنهم جميعا .. أما اكرم وعامر فسيحضران من العاصمة غدا بإذن الله لحضور حفل الزفاف .. (وتردد قليلا ثم أضاف) أما أبي الحاج عبد الغني فتعلم ظروف صحته جيدا"

ربت مفرح على كتف صهره بمحبة قائلا "مجيئك وحده يكفي يا أبا محمد والعقبى عندكم جميعا "

تطلعت عينا علي نحو باب دار العمدة قائلا" أين مليكة ؟"

رد مفرح "بالتأكيد مع العروس تعلم بأن تأخري في العاصمة أجل نقل الفرش حتى صباح اليوم أتحب بأن أنادي عليها؟"

أسرع علي قائلا" لا لا بالتأكيد مشغولة سأراها فيما بعد"

قال مفرح وهو يربت على كتفه "إذا تعال لننضم للرجال في الخارج"

××××

في بيت سليمان الوديدي كانت الاستعدادات على أشدها أيضا لاستقبال حاجيات عروس البيت وتجهيز طعام الغداء لأهل العريس وضيوفهم.. فوقفت الحاجة أم بسمة بين النسوة تتابع وتباشر التجهيزات وتحاول أن تداري حزنها وهي تسمع الهمسات من هنا وهناك كلها تدور حول بكريتها بسمة .. ما بين مشفق على حالها أو متشف أو منتقد لرفضها للزيجات التي تعرض عليها ..

ورغم استهجانها لأن يتهامسن في بيت الوديدي بهذه الجرأة لكنها كتمت الحزن في قلبها كما تفعل على مدى ثلاث سنوات وحاولت التركيز في الحدث المرتقب وهو زواج ابنها وليد..

ودعت في سرها أن تتخلى بسمة اليوم عن ذلك البنطال الجينز الذي باتت تصر على ارتدائه إما تحت كنزة طويلة أو تحت عباءة مفتوحة من الامام حتى فوق الركبة .. فأهل البلدة يتحينون لأي شيء مهما كان صغيرا ليتحدثوا عنه بانتقاد هامس.

حين نزلت بسمة من الطابق العلوي تكدرت الحاجة فاطمة وهي ترى العباءة السوداء الناعمة التي ترتديها ابنتها بسمة وطرفيها المفتوحين من أسفل يبرزان ساقي البنطال الجينز فهتفت بانزعاج" ما هذا يا بسمة؟!!.. ألا يوجد لديك سوى تلك البناطيل؟!!"

ردت بسمة ببرود وتحدي " ما به البنطال يا أمي؟؟.. ها أنا ارتدي فوقه عباءة"

تلفتت الحاجة فاطمة حولها تخشى أن تكون بعض الآذان تسمعهما ثم قالت بهمس متوسل" يا بسمة لمَ لا تحاولين تجنب الكلام حولك "

هتفت بسمة بحنق " أكثر من ذلك !!..أكثر من ذلك يا أمي؟!!.. أنا تقريبا أتجنب الخروج و الاختلاط ولا اخرج إلا للدراسة أو العمل (ورفعت طرفي العباءة تكشف أكثر عن البنطال وهي تضيف بانفعال) ما به الجينز ما دمت ارتدي فوقه ملابس طويلة؟.. لست وحدي من ترتدي الجينز الكثير من بنات القرية أصبحن يرتدينه"

شعرت أم وليد بأنها على وشك الاصابة بنوبة قلبية وأخذت تتلفت حولها من جديد برعب من أن يسمع النسوة حديث بسمة المنفعل .. ثم رفعت رأسها لابنتها الواقفة على السلم وقالت بهمس" اشششششش اخفضي صوتك لا نريد المزيد من

الفضائح .. أنت لك وضع خاص يا بسمة وتعلمين ذلك جيدا "

وضع خاص! ..

وضع خاص !..

تلك العبارة التي سأمت من سماعها على مدى ثلاث سنوات فهتفت قائلة" أنا ارتدي بهذا الشكل منذ ذهابي للعاصمة يا أمي.. وكنت ارتديه على فترات متقطعة قبل ذلك أثناء ذهابي للكلية.. ما الذي تغير الآن لا أفهم؟ .. كيف يكون نفس الشيء مقبولا وأنا متزوجة وغير مقبول وأنا مطلقة!!"

شعرت الحاجة فاطمة بقلة الحيلة كالعادة وباليأس من أن تقنع ابنتها التي تغيرت كثيرا منذ طلاقها بأن تحاول تجنب كلام الناس أكثر من ذلك .. فنظرت لبسمة بحزن أخرس الأخيرة ورقق قلبها

لأمها خاصة بعد أن لمحت لمعان الدموع في عينيها فقالت بشفقة "ما بك يا أمي ؟"

اطرقت المرأة برأسها تمسك بطرف حجابها وتمسح عينيها مغمغمة بخفوت " لا شيء يا ابنتي افعلي ما تريدين "

نزلت بسمة الدرجتين الباقيتين على السلم وربتت على كتف أمها تقول بتعاطف "حسنا يا أمي ماذا تريديني أن أرتدي؟ .. (واضافت بلهجة ساخرة لم تستطع التحكم بها لا تخلو من الشعور بالقهر) أخبريني ما الذي يليق بمطلقة في عيون الناس.. شوالا من الخيش مثلا ؟"

دخل الحاج سليمان الوديدي آتيا من الخارج يبدو الانشغال على وجهه .. لكنه انتبه لوقفتهما فقال

بحاجب مرفوع" ماذا يحدث لمَ تقفان بهذه الشكل ؟"

اسرعت أم وليد تقول" لا شيء يا حاج لا شيء"

بينما بادلته بسمة نظرة باردة جعلته يقول بلهجة متوعدة وقد فاض كيله من الصبر عليها " سأنتهي من زواج وليد لأتفرغ لك يا بنت سليمان "

قبل أن تهم بالرد بادرت الحاجة فاطمة بقطع شجارا متوقعا بين الاثنين بأن دفعت بسمة برفق قائلة" اذهبي أنت يا بسمة وافعلي ما اتفقنا عليه (واستدارت لزوجها تقول) أكنت تريد شيئا يا حاج؟"

بعد بضع ثوان تبادل فيها الحاج سليمان نظرات متحدية مع ابنته قال لزوجته بامتعاض "أريد شايا للرجال بالخارج لمَ تأخر الشاي؟؟؟"

اسرعت زوجته تقول" الشاي جاهز حالا (وصاحت تنادي إحدى النساء) يا أم حنان الشاي يا أم حنان "

مرر الحاج سليمان نظراته بين الأم وابنتها ثم رفع سبابته قائلا بتحذير" لا أريد أي تقصير في أي شيء "

قالها واستدار خارجا من باب البيت بعد أن عدل من وضع العباءة الثمينة المعلقة على كتفيه فوق جلبابه الأبيض بينما جزت بسمة على أسنانها واسرعت بالصعود إلى الطابق الأعلى بخطوات عصبية.. فوقفت الحاجة أم وليد مكانها تشيع ابنتها بنظرات متحسرة على شبابها الذي يضيع عاما

بعد الأخر دون أن تطمئن عليها في بيت يخصها وزوج يرعاها.

وغمغمت بتوسل " يا رب لأجل حبيبك النبي .. فوضت أمري إليك .. اجبر بخاطرها بسمة بنت بطني واهدِ لها نفسها .. ورد عنا كيد الأعداء يا كريم"

xxxxx

وقفت أمام المرآه المشقوقة من المنتصف تلف حجابها الأسود حول وجهها ذا السُمرة الداكنة وتأكدت من إدخال بعض الشعيرات الهاربة فوق جبينها من شعرها المجعد لتداريها بالوشاح.. ثم نظرت لعباءتها السوداء قبل أن تهم بالمغادرة .. لكنها توقفت مستاءة من منظر جسدها الطويل النحيف الذي تتعمد مداراته بعباءة سوداء وتأملت مقدمة جذعها التي تبدو مسطحة دون أي معالم

أنثوية بارزة بوضوح .. فسألت نفسها نفس السؤال الذي تسأله كل مرة تنظر فيها لنفسها في المرآه ..

هل عليها أن تلبس تلك الملابس الداخلية النسائية المبطنة بالإسفنج لتحسن من شكلها وتصنع لها بروزا يشعرها بالثقة بين النساء ؟.

لتعود وتغمغم بصوت خفيض " من ستضللين يا أم هاشم؟؟.. البلدة كلها تعلم بأنك لا تملكين ذلك البروز الأنثوي .. هل ستفاجئينهم بأنهما قد نبتا إليكِ فجأة "

ضحكة ساخرة انفجرت من خلفها لتجد ابنة عمها تقول وهي تتلوى على السرير " لا تحاولي يا أم هاشم (ووضعت كفيها فوق مقدمة جذعها البارز بأنوثة ملفتة تفوق سنوات عمرها الستة عشر

وأكملت بإغاظة) فما لم يكبر في سنوات المراهقة لن ينبت في الثلاثين من العمر يا ابنة عمي "

بلعت أم هاشم المرارة في حلقها وردت ساخرة" هل بيّتِ لسانك في الرَدة* طوال الليل يا وفاء فاستيقظتِ لتجدينه قد نفش وبات طويلا !"

تلوت وفاء في السرير تضحك بميوعة وكأنها تغيظها بجسدها الممتلئ وبياض بشرتها .. فأمسكت أم هاشم بالوسادة وألقتها عليها قائلة" نامي يا وفاء .. لمَ أريتنا طلتك البهية في هذا الوقت المبكر من الصباح على غير عادتك .. فالساعة لا تزال العاشرة وهذا قد يضر بصحتك يا حبيبتي "

---

* الردة : نخالة القمح

قالتها ثم تحركت تغادر الغرفة وهي تسمع الأخرى تقول" بل سأقوم حتى ألحق بفرش بنت العمدة"

خرجت أم هاشم إلى ساحة دار عمها تلقي تحية سريعة على زوجة عمها وتتجاوزها مغادرة لتلحق بها الأخيرة تقول" إلى أين يا أم هاشم؟"

توقفت الأخيرة واستدارت إليها ترد بوجه ممتعض " إلى ديوان عام رئاسة الجمهورية لأباشر عملي كرئيسة جمهورية البلاد !"

طالعتها المرأة بعدم فهم .. فضربت أم هاشم بيدها فوق الأخرى وهي تضعهما فوق بطنها قائلة بلهجة ساخرة "إلى أين برأيك سأذهب يا خالتي؟"

قالت المرأة " ألم تقولي ليلة أمس بأنك لن تذهبي للعمل اليوم رغم أن صاحب السوبر ماركت قد رفض أن يمنحك إجازة ؟.. (وفركت كفيها ببعضهما تقول بلهجة ناعمة بعض الشيء) لهذا قلت لو أنك

تصنعين لنا حَلّة من المحشي من يديك الحلوتين هاتين .. فخطيب سامية سيأتي اليوم وقد أعجبه المحشي الذي صنعتيه المرة الماضية"

عدلت أم هاشم من حجابها حول وجهها وقالت "وهل تعتقدين يا صباح أني قد أخذت إجازة من العمل لأطبخ للمحروس خطيب ابنتك .. ثم تخبرونه بأنها هي التي طبخت !"

ضحكت المرأة بحرج وردت وهي تربت على كتف أم هاشم بمحاباة مزيفة تدركها الأخيرة جيدا "إنهن أخواتك .. والأخت تقف بجوار أختها .. وفي المقابل سيرزقك الله بزواج قريب إن شاء الله"

جاءت السيرة التي تذبح أم هاشم ..

لكنها حافظت على ملامحها دون تأثر وردت متهكمة كعادتها " الآن تتمنين لي زواجا قريبا!.. وبالأمس كنتِ أنتِ وبناتك الخمس تتبادلن النكات بوصفي بالعانس السوداء !"

اسرعت المرأة بالقول" كنا نداعبك لا أكثر يا أم هاشم .. منذ متى وأنت تستائين من هذا المزاح!"

طالعتها أم هاشم بملامح هادئة لثوان غير مصدقة تلون البشر على حسب مصلحتهم بهذه الفجاجة ثم قالت " أنا لست متفرغة اليوم (وتحركت وهي تكمل) لابد أن ألحق بفَرْش بنت العمدة .. فمهجة تريدني من أجل رص وترتيب النِيشْ* ..سلام"

---

* النِّيش :خزانة من الخشب بأبواب زجاجية ترص بها الاطباق من الخزف والبورسلين وغيرها وكذلك الفناجين وكاسات الكريستال بشكل ديكوري منسق ومفارش منقوشة لتتزين به شقة العروس .

قالتها أم هاشم وهي تبتعد بخطواتها العسكرية الخالية من الدلال الأنثوي في الوقت الذي مصمصت زوجة عمها شفتيها ثم تمتمت بتهكم" وهل اخطأت أنا وبناتي حين قلن عانس! .. أجل عانس سوداء.. وحمدا لله أن بناتي لم يتأثرن بعنوستك "

××××

"نعم !!!! .. لم أفهم يا كاميليا أي سيارة التي تريدين مني أن أرسلها لك ؟؟!!!"

قالها جابر في الهاتف غير مستوعبا وهو يقف في وسط محله الكبير لبيع الأجهزة المنزلية في مركز المحافظة .. فردت كاميليا موضحة "سيارتك يا جابر (واكملت بلهجة يشوبها بعض السخرية) هل نملك أكثر من سيارة !"

جز جابر على اسنانه وقال يكتم الغيظ "يا كاميليا أنت ستذهبين لبيت الوديدي والأمر لا يحتاج سوى لعدة دقائق مشيا على الاقدام "

صاحت باستنكار "وهل تريدني وأنا متأنقة وأرتدي أفخم العباءات أن أذهب إليهم سيرا على قدماي !"

صمت لثوان يحاول استيعاب ما تقوله ثم قال باستغراب" منذ متى وأنت تهتمين بمجاملة بيت الوديدي! .. ألست لا تحبين بسمة؟"

ردت مصححة "بل لا أطيقها"

سألها باندهاش "إذا لمَ ستذهبين؟!!"

ردت ببرود وهي تنظر لنفسها في المرآة وتلعب بأطراف شعرها المصبوغ بالأصفر"

أنا لن أذهب من أجل عائلة الوديدي بل من أجل بيت العمدة .. فلابد أن نحافظ على الصلة القوية

معهم كما أنني (وصمتت قليلا تنظر لنفسها قائلة بابتسامة شامتة تزين شفتيها) كما أنني أتحرّق الآن لمقابلة بسمة فلم استطع مقابلتها إلا لمحات خاطفة منذ أن عادت من العاصمة "

نظر جابر لأعلى متمتما بصوت خافت" لا حول ولا قوة إلا بالله (ثم سألها) وما دخل ذلك بضرورة ذهابك بالسيارة يا كاميليا إن الأمر سيكون مبالغا فيه جدا "

هتفت بحنق "وهل تعتقد بأن مليكة ستأتي سيرا على الاقدام ؟.. أو سيسمح لها زوجها أو اخوتها بذلك ؟!.. وهل تعتقد بأن بسمة نفسها لو كانت المناسبة في بيت العمدة كانت ستذهب سيرا على الاقدام !! "

سكت جابر يحاول أن يجد مبررا لنفسيتها الحقودة تلك والتي يئس من اصلاحها لتضيف كاميليا بدلال تتقنه " هل ستبخل عليّ بأن أكون مدللة من زوجي أمام الناس يا جابر؟!"

وقف يحك جبينه غير مقتنع بما تطلبه ثم قال محاولا لإيجاد حلا وسطا " كاميليا المسافة بين بيت العمدة وبيت الوديدي بعيدة .. أما بيتنا فقريب جدا منه .. اسمعي سأرسل لك توكتوك ليأخذك من أمام البيت حتى هناك "

صاحت باستنكار " توكتوك !!.. توكتوك يا جابر!!!"

قال جابر موضحا "لولم أكن قد وعدت بعض الاخوة لاصطحابهم في رحلة عودتي من المحل للقرية للمباركة لكنت مررت عليك رغم أن المسافة فعلا لا تستحق .. فإن كنت سآتي بالسيارة

هذا لأني آت من خارج القرية في هذا الوقت من النهار والكل يعلم بذلك ..لكن اذا مررت عليك لآخذك سيكون الأمر مبالغا فيه جدا أن نتحرك أنا وأنت من أمام بيتنا هذه المسافة الصغيرة بالسيارة"

هتفت بغضب "وأنا لن أركب توكتوك يا جابر "

قال جابر بحزم " إذن لا تذهبي يا كاميليا ..وهذا أفضل للجميع .. اتركيني الآن فلدي ما أفعله قبل أن اذهب للمباركة ..سلام"

قالها واغلق الهاتف يحوقل ويستغفر ويعيد التفكير في الأمر رغبة منه في ارضائها .. لكن الأمر كان مستهجنا جدا بالنسبة له فهو يكره المبالغة بشدة.

فوقف شاردا بينما ظل مساعده في المحل يراقبه بتمعن قبل أن ينفض جابر عنه الشرود ويقول محاولا التركيز "هات الفواتير لأراجعها يا عصفور قبل أن اذهب ..هات يا بني فمن الواضح أنه يوم لن يمر على خير "

××××

في إحدى الاستراحات على الطريق السريع هدر صاحب المحل في الشاب الذي يعمل لديه" أنت يا فالح استيقظ"

انتقض الشاب مفزوعا في وقفته خلف طاولة الخدمة ينظر حوله مرتعبا وهو يقول " ماذا حدث .. ماذا حدث"

رد الرجل متهكما" حدث أنك تنام أثناء العمل يا حبيب والديك "

دلك الشاب رقبته وغمغم ناعسا" هذا طبيعي يا أستاذ فكري .. فأنا أعمل منذ مساء أمس وكان من المفروض أن أكون نائما الآن"

قال الرجل بغيظ "وما ذنبي أن صاحبك قد اعتذر عن المجيء في وردية الصباح .. هيا أفق فأنا أرى سيارات قد ركنت بالقرب من محطة البنزين"

قالها صاحب المحل وخرج بعصبية يقف خارجه يدخن سيجارته بينما برطم الشاب بغيظ "هو يعتذر وأنا أواصل الليل بالنهار"

بعد دقائق صوت الجرس الذي يحدثه باب المحل حين يُفتح جعل العامل يستدير بابتسامة مفتعلة مرحبا بذلك الشاب ذو القامة الطويلة والملابس الأنيقة الذي خلع نظارته الشمسية يضعها فوق رأسه بمجرد دخوله واهداه ابتسامة هادئة قبل أن يتجول في المكان ويلتقط عدة أنواع من الشكولاتة

والمكسرات .. ثم اقترب من العامل قائلا" أريد كوبا من اللاتيه من فضلك"

ضرب العامل على ماكينة الكاشير سعر الشكولاتة والمكسرات والقهوة اللاتيه وأخبره بالمبلغ ليخرج الشاب حافظة نقوده وينقده المبلغ قبل أن يقول" سأترك مشترياتي هنا وأذهب للحمام حتى تعد اللاتيه "

ابتسم العامل وتحرك ليعد القهوة وهو يشاهد الشاب يختفي بالداخل .

بعد دقائق قليلة سمع العامل جرس فتح الباب فاستدار بنفس الطريقة بابتسامة متسعة ليستقبل زائرين جدد فوجد سيدة ومعها طفلاها قد دخلوا .. ليحييهما قبل أن تتجمد الابتسامة على شفتيه وهو يرى نفس الشاب الذي دخل منذ قليل يدخل

مجددا من الباب .. فرفع حاجبيه مندهشا وقد ظنه قد توجه للحمام .

تحركت السيدة مع طفليها في المكان بينما اقترب الشاب منه بوجه عابس وقبل أن ينطق قدم إليه العامل كوب اللاتيه

فنظر الشاب للكوب ثم سأله بامتعاض "ما هذا؟؟"

نظر العامل للكوب وقال" طلب حضرتك "

ناظره الشاب بنظرات متسائلة عن مدى صحة قواه العقلية ثم قال واضعا يديه في جيبي بنطاله " أنا لم اطلب شيء بعد!"

رمش العامل بعينيه وشعر بالارتباك .. ثم نظر في الفاتورة التي في يده يقول " ألم تطلب اللاتيه والشكولاتة والمكسرات !!"

مط الشاب شفتيه ثم هدر فجأة قائلا" كلا لم أطلب شيء بعد .. هل سنقف نتحدث حتى المساء ؟!!..أم أذهب لأطلب من مكان آخر؟!!"

صوته العالي نسبيا واسلوبه العدائي جعل الشاب يسرع بالقول بارتباك " آ... آسف يا فندم ..ماذا تطلب؟"

رد الشاب " أريد نسكافيه بلاك"

ضرب العامل على الكاشير ثم سأله" أي شيء أخر؟"

حرك الشاب رأسه بلا .. وأخرج حافظة نقوده ..فأخبره العامل بالمبلغ الذي دفعه على الفور.

فسأله العامل بارتباك وهو يشير للكيس على المنضدة أمامه " وهذه المشتريات يا فندم ألن تأخذها؟"

نظر له الشاب باستغراب ثم قال بعصبية "أنا لا أريد هذه الأشياء أريد نسكافيه بلاك فقط .. أم أنكم تتعمدون بيع الزبائن أشياء اضافية لا يريدونها مع الطلبات (واستدار حوله قائلا) أين صاحب المكان؟"

ارتبك العامل وقال بسرعة وهو يمسك بكيس المشتريات من على المنضدة ويخفيه في أحد الادراج " أنا آسف .. آسف .. اعتبره غير موجود "

وقفت المرأة تتطلع فيهما بفضول وهي تنتظر دورها للكاشير فأفسح لها الشاب المجال بأدب ثم قال" أنا ذاهب للحمام"

رمش العامل بعينيه عدة مرات ثم ضرب رأسه بيده عدة مرات أخرى فطالعته المرأة بتوجس ليسرع العامل بحساب مشترياتها ويبتسم لها ابتسامة مرتبكة مودعة وعيناه تتحركان بين الحمام وباب

المحل الزجاجي .. وحين غادرت أخذ يضرب يده برأسه قائلا "استيقظ يا بكر استيقظ .. لقد بدأت في الهلوسة (ثم غمغم وهو يعد النسكافيه) حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا شعبان"

بعد دقائق خرج الشاب من الحمام .. فتنفس بكر الصعداء أنه لم يكن يهلوس هذه المرة .. ليبادره الشاب بابتسامة متسائلة حين وضع أمامه كوب النسكافيه ثم قال" أنا طلبت لاتيه !"

اتسعت عينا الشاب ثم هتف بحنق " عرضت عليك اللاتيه لكنك رفضته وطلبت نسكافيه"

جحظت عينا الشاب وهتف باندهاش " أنا؟!!..(ثم نظر على المنضدة وقال بفزع) أين مشترياتي؟!!"

قال بكر بارتباك " أنت رفضت أخذها يا فندم "

كشر الشاب عن أنيابه وقال باستياء " هذا نصب .. لقد حصلت على قيمتها من النقود بالفعل ألم ادفع لك حقها؟ .. (ونظر حوله مغمغما) أين صاحب المحل ما هذا النصب العلني ؟!"

أسرع الشاب يقول بلهجة باكية " أرجوك ..أرجوك يا فندم .. أنا لم أنم منذ أربعة وعشرين ساعة ولم يأتي زميلي ليستلم وردية النهار فاضطررت للعمل بدلا منه .. سامحني.. "

تطلع فيه الشاب بشفقة ليقول بكر بارتباك وهو يخرج كيس المشتريات ويضعه أمامه" هذه الشكولاتة والمكسرات هل تخصك؟"

رد الشاب بهدوء" نعم "

غمغم بكر بارتياح "جيد (واستدار يضع كوبين أمامه مضيفا) وهذان كوبان من النسكافيه البلاك واللاتيه .. لا يهم أيهما تريد .. سأمنحك الآخر معه

هدية .. لكن أخفض صوتك من فضلك ولا تشتكيني فأنا أحتاج بشدة لهذه الوظيفة وبدونها ستنهار المصائب فوق رأسي "

لاح التأثر الشديد على وجه الشاب فغمغم بتعاطف" نكتفي بهذا القدر (وعلّا صوته قائلا) اظهر وبان عليك الأمان"

خرج من ناحية الحمام شاب أخر صورة طبق الأصل من الشاب الواقف أمام بكر .. فشهق الأخير وجحظت عيناه وهو يخبر نفسه بأنه بالتأكيد يهلوس بسبب عدم النوم بينما قال الشاب العبوس موبخا الآخر "لماذا كشفت الأمر بهذه السرعة كنا تسلينا قليلا يا سمج "

قال الشاب البشوش بتعاطف" يكفي هذا على الشاب المسكين "

سألهما بكر بلجلجة " أنتما توأمان؟"

أومأ الشاب البشوش برأسه وهو يناول شقيقه الكوب الخاص به ثم يلتقط ما يخصه من مشتريات ويقول" كنا نمزح معك يا بطل"

قالها وهو يخرج حافظة نقوده وينقده منها مبلغا كبيرا كإكرامية ثم غمز له مغادرا.. ليقول الأخر ذو الوجه العبوس بلهجة متهكمة "كنا في فقرة الكاميرا الخفية "

وأشار له على بقعة وهمية في سقف المحل يضيف قبل أن يغادر محدثا خلفه ذلك الجرس الخاص بفتح الباب

"ابتسم للكاميرا "

وقف بكر متسع العينين يحاول الاستيعاب ثم غمغم بعد دقائق " سبحان الله الاثنان نسخة متطابقة كيف يفرقونهما عن بعضهما؟!!"

ثم عاد ينظر للباب الزجاجي هاتفا خلفهما "لم تخبراني على أي قناة سيذاع البرنامج؟؟؟"

ونظر لسقف المحل مجددا حيث أشار الشاب على موضع الكاميرا لكنه لم يجد شيئا!.

xxxxx

بعد دقائق

في سيارة دفع رباعي سوداء ضخمة تليق بطوليهما وعضلاتهما انفجر التوأمان كامل وشامل ضاحكين .. ليقول شامل وهو يجلس بجوار مقعد السائق بعد أن بدلا القيادة "اشفقت عليه المسكين كاد أن يجن "

شغل كامل السيارة وبدأ في التحرك بها ممسكا بيده الأخرى كوب النسكافيه وقال "خسارة ..كنت

أتمنى أن نطيل اللعب لوقت أكبر .. حين دخلت ووجدته يقدم لي اللاتيه أحببت أن ألاعبه قليلا "

قال شامل مشفقا" كنت أود ان أجاري مقلبك حين أخبرتني في الحمام لكني لم استطع تحمل منظر وجه المسكين "

فتح شامل كيسا من الشكولاتة وألقاه لأخيه الذي التقطه قائلا" ستفسد علينا الحمية وتضيع تعب الشهور الماضية"

قال شامل وهو يلقي بقطع الشكولاتة في فمه" لا بأس سنرفع المزيد من الأثقال في صالة الحديد "

ساد الصمت لبعض الوقت يتطلعان في الطريق أمامهما ويتذكران أحد ألعابهما المفضلة في إرباك الأخرين بالتظاهر بأنهما شخصا واحدا.. فنظر شامل لأخيه متأملا ومتسائلا عن عدد المرات التي قاما فيها بهذه الخدعة منذ أن أدركا بأنهما

متطابقين بشكل مخيف .. ليرتعش قلبه وهو يفكر كيف سيستطيع أن ينفصل عنه .. كيف سيقدر على تحمل الابتعاد عنه .. إنهما نادرا ما تحركا منفصلين .. دوما هما شخص واحد.. كيف سيقسم هذا الشخص إلى نصفين واحد هنا والأخر في امريكا ؟!.

"اخرس وكف عن ثرثرة الأفكار هذه ولا تحاول التأثير عليّ"

قالها كامل بعبوس وهو يركز على الطريق أمامه ليجيب شامل باستهبال" وهل فتحت فمي!"

شتمه كامل ثم قال وهو يشير إلى رأسه "أرحمني من أفكارك التي تطن في رأسي كذبابة الفاكهة"

ضحك شامل ضحكة خشنة وادار وجهه نحو النافذة يتطلع فيها..

لكن داخله لا يزال حزينا ..

الفصل الثاني

على أصوات الزغاريد التي ملأت القرية منذ الصباح .. وصل أهل العروس خلف السيارات المحملة في موكب مهيب إلى بيت العريس تمهيدا لفرش شقة العروس وبدأوا في انزال كل شيء من فوق السيارات وحملها إلى الشقة ..

فوقفت الحاجة نحمده الوديدي وقد ارتدت عباءة غالية الثمن وتزينت بمصوغاتٍ ذهبية لمعت بشكل ملفت تحت أشعة الشمس تتابع الموقف في الشارع أمام بيت أخيها سليمان الوديدي يملأها الفخر بما جهزت به ابنتها الصغرى بكل ما يليق ببيت العمدة .. وجالت بنظراتها بين الواقفين

لتتأكد من انبهارهم بما جلبه العمدة من جهاز للعروس في الوقت الذي اقترب منها مفرح يقول مذهولا وهو يدقق فيما يحمله المساعدين والذي لم يستطع أن يشاهد غالبيته قبل نقله من بيت العمدة " أمي .. ألا ترين بأنكِ قد بالغت قليلا !.."

ناظرته والدته باستهجان ليقول مفرح وهو يتابع نزول الأجهزة من فوق السيارات "ما كل هذا العدد من السجاد مثلا ؟.. إنه يفوق مساحة الشقة ثلاث مرات ..أنا متأكد من ذلك .. (وجعد جبينه يضيف) و ثلاثة أنواع من الغسالات يا أمي ..ثلاثة أنواع !!.. واحدة عادية وأخرى نصف أتوماتيك وثالثة أتوماتيك !!.. وميكروويف ! .. ميكروويف يا حاجة نحمدو ! "

ردت الحاجة نحمده باستنكار " وهل بنت العمدة ستحضر أقل من بنات البلدة ؟!!"

سألها بذهول "وهل يحضر بنات البلدة بهذا الكم والعدد ؟"

ردت بحاجب مرفوع "أجل بالطبع وابنتي لابد أن تكون متميزة عنهم في كل شيء "

قال مفرح ولم يغادره الذهول بعد" بهذه المبالغة!!"

هتفت أمه بضيق " ماذا حدث لك يا مفرح .. هل ما يحدث جديدا في بلدتنا "

هرش الأخير في رأسه وغمغم بحيرة " لا أعرف.. ربما لم أدقق من قبل كون الأمر لم يخصني لكني

لاحظته الآن بما أنه يخص أختي ولا اتوقع بأن مهجة قد طالبت بهذه المبالغة فأنا أعرفها جيدا"

قالت أمه بكبرياء" مهجة تفزلكت مثلك بالضبط لبعض الوقت .. ثم استسلمت وتركتني أفعل ما أراه مناسبا لمقامنا"

قال مفرح مستسلما "حسنا يا أمي المهم أنك تشعرين بالسعادة الآن "

زينت الابتسامة وجه الحاجة نحمده وقالت "الحمد لله العقبى لك حين تزوج أدهم وإياد"

غمغم مفرح بهدوء "في حياتك إن شاء الله يامّة "

انقلبت لهجة الحاجة نحمده فجأة لتقول بلهجة ذات مغزى وهي تلمح القادمين من خلفه "ونتمنى من الله أن يبعد عنا عيون الحاسدين والحاقدين"

ردد مفرح خلفها "اللهم آمين "

لكنه حين لمح نظرة أمه استدار ليجد مصطفى ابن عمه وزوجته قادمان.. فاقترب يحييهما قبل أن تستأذن زوجته لتهنئ الحاجة نحمده التي قابلتها بابتسامة تداري فيها ما تفكر فيه .. فتحركت صفاء زوجة مصطفى بعد ذلك للانضمام لباقي النسوة في الداخل وتبعتها الحاجة نحمده بعد قليل .

قال مفرح لمصطفى "العقبى لحمزة (ثم أضاف مداعبا) أم أقول العقبى لك أولا؟"

قهقه مصطفى ثم قال بهدوئه المعهود وهو يحرك سبحته "أتريد أن تُقطّعني أم حمزة بالساطور وتفرق لحمي على كلاب القرية؟!.. لن أُذهب عمري هدرا يا أخي "

ضحك مفرح وقال "إذن فالعقبى للدكتور حمزة وإخوته.. هل تفكر في تزويجه بما أنه في السنة النهائية من كلية الطب؟"

قال مصطفى بحيرة " اعتقد بأننا قد نفعلها قريبا فقد فاتحني برغبته في التقدم لخطبة زميلة له بالكلية"

قال مفرح بسعادة "ما شاء الله! هل ستحظون بكنة من المدينة "

ابتسم مصطفى وقال "يبدو ذلك .. لكني لا أريد أن اتسرع في هذا الأمر فلينتهي من سنته الأخيرة أولا"

تأمل مفرح جهاز العروس الذي لا يزال ينقل من فوق السيارات وغمغم " لا أصدق بأننا بدلا من أن

نكون قدوة للناس ننافسهم في رفع سقف التجهيزات بهذا الشكل المبالغ فيه "

رد مصطفى بهدوء" هذه طبيعة المجتمعات الصغيرة يا باشمهندس "

قال مفرح بغيظ" لكن علينا أن نكون قدوة يا أبا حمزة فنحن قادرون لكن الكثير غير قادرين ويدخلون في المنافسة رغبة منهم في رفع شأن أولادهم أمام أهل البلد "

قال مصطفى "اتفق معك لكني أرى صعوبة في تنفيذ ذلك فجأة لابد من تهيئة الناس للتغير أولا بالتوعية مثلا لما يحدث من مبالغة .. وعلينا أن نتوقع بأن الاستجابة لن تكون سريعة ولكن ستأخذ وقتها لتمر إلى عقول الناس"

غمغم مفرح متنهدا "لديك كل الحق وهذه مسئولية العائلات الكبيرة في البلدة "

قالها وصمت يفكر في الحمل الثقيل الذي ينتظره.. حمل أن يكون عمدة البلدة القادم .. ذلك الشيء الذي عليه أن يتقبله صاغرا رغم عدم رغبته فيه .

في جهة أخرى تحركت عينا بدير العسال بحثا عنها لعلها تظهر في أي لحظة فيملأ عينيه برؤية جمالها الفاتن ..لكنها لم تظهر بعد .. وحين انتظرها أن تمر من أمام بيته صباح اليوم في طريقها إلى مزرعة العمدة لم تمر .. وهو الذي كان يمني نفسه برؤيتها لوقت أطول اليوم في مناسبة كهذه ..

حين لمح الحاج سليمان الوديدي اسرع إليه قائلا" مبارك يا أبا وليد"

قال الحاج سليمان لأحد اتباعه بامتعاض " اذبح عدد العجول التي قلت لك عليها وأمرنا لله (ثم استدار يقول لبدير) العقبى لأولادك يا بدير"

مال عليه بدير قائلا "ظننتك ستقول العقبى لي يا حاج وستبشرني بما أنا انتظر لأسمعه منك "

قال سليمان الوديدي ببرود "يفعل الله ما يريد يا بدير تعرف بأنها ترفض الزواج"

قال بدير متملقا " لكني متأكد بأن الحاج سليمان له الكلمة العليا على أولاده .. وبأنه يعلم من هو بدير العسال "

قال سليمان بقلة صبر "دعنا من هذا الأمر الآن يا بدير ألا ترى ما نحن فيه (ثم ضيق عينيه يسأله) ماذا فعلت فيما طلبته منك؟.. هل اتفقت مع الطباخين ؟.. أنا اعتمدت عليك في هذا الأمر رغم أنني أراه مكلفا بشكل مبالغ فيه لكننا مضطرون حتى لا نغضب أهل العروس منا "

أجاب بدير بثقة" كل شيء تم يا حاج .. اتفقت مع طباخ في أشهر فنادق العاصمة ليأتي هو وفريقه .. بل إنهم في الطريق الآن للقيام بتجهيز الطعام في ليلة الحناء وليلة الزفاف"

سأله الحاج سليمان بقلق " أشهر طباخي العاصمة! .. وكم سيحصل من مال إن شاء الله؟!"

مال عليه بدير يقول بلهجة ذات مغزى "لا تقلق بشأن ذلك .. فهو هدية مني للحاج سليمان الوديدي لربما نلنا رضاه"

انتفخت أوداج الحاج سليمان بغرور وعدل من العباءة فوق اكتافه مغمغما "لمَ كلفت نفسك يا بدير !"

قال بدير وهو يمسك بطرف شاربه" خيرك سابق ولاحق يا حاج "

ربت الحاج سليمان على كتفه يقول قبل أن يغادره ليستقبل باقي المهنئين من أهل البلد " ليفعل الله ما فيه الخير يا بدير"

راقبه بدير وهو يبتعد ووقف يعدل طرفي شاربه بسبابته مغمغا " الصبر .. الصبر أكثر يا بدير حتى تنال المراد"

ليضيف لنفسه وهو يلمح دكتور مهاب يتطلع بنظرات خاصة على بيت الوديدي قبل أن يقترب من الحاج سليمان مباركا " المهم أن نزيح من طريقنا كل من يهدد الحصول على هذا المراد وأولهم دكتور البهائم هذا "

رن هاتفه فمد يده إلى داخل جلبابه ليخرجه ثم عقد حاجبيه قبل أن يجيب " ماذا هناك يا كاميليا؟"

أجفل فجأة يبعد الهاتف عن أذنه بانزعاج قبل أن يعيده قائلا " بدون صراخ يا كاميليا لأفهم بالله عليك "

xxxx

قالت نصرة لابنتيها المراهقتين" أريد أن أجد البيت نظيفا حين أعود .. واغلقا هذا الزفت ..ألم تشاهدا هذا الفيلم من قبل أكثر من مرة ؟!"

لم ترد أيا منهما فصاحت "أنا أتحدث "

قالت نسمة باختناق "حاضر يا أمي حاضر"

سألتهما "ألم يعود كريم من المدرسة بعد؟"

ردت همسة وهي لا تزال تحدق في شاشة التلفاز "لا والله.. سعادة الباشا كريم لم يأت بعد "

أشاحت نصرة بيدها غير راضية على استهزاء ابنتها بأخيها الصغير وتحركت نحو غرفة نومها لتجد زوجها لا يزال نائما .. فزمت شفتيها بقهر وحزن على حاله الذي لا يسر أحد واقتربت منه تهزه قائلا "هلال .. استيقظ يا رجل ..هل ستنام حتى أذان المغرب !"

جعد هلال وجهه ورفع رأسه مغمض العينين يقول منزعجا "ماذا هناك يا نصرة لمَ توقظيني بهذا العنف؟!"

عوجت نصرة شفتيها يمينا ويسارا وقالت " إن لم تستيقظ من أجل البحث عن عمل .. فاستيقظ لتذهب معي لدار الوديدي فاليوم فرش بنت العمدة"

رد هلال بمزاج عكر "وماذا سأفعل أنا في فَرش بنت العمدة؟.. هل سأتحزم وأرقص؟!!!"

غمغمت نصرة بإحباط وهي تراه يوليها ظهره ويعيد رأسه تحت الوسادة" لا حول ولا قوة إلا بالله!"

قال هلال بصوت مكتوم من تحت الوسادة "اذهبي أنت يا نصرة واتركيني لأنام قليلا فانا لم أنم إلا بعد الفجر"

بملامح حزينة متحسرة تحركت مبتعدة عن السرير وهي تغمغم بصوت خافت "لم تنم إلا بعد الفجر بسبب شِلة الفساد حسبي الله ونعم الوكيل"

فتحت الخزانة القديمة من قدم عمر زواجها منذ أربعة وعشرين عاما وتطلعت في عباءتها الجديدة التي اهدتها إليها ابنتها الكبرى اسراء في عيد الأم

وهمت بارتدائها .. لكنها تراجعت في أخر لحظة وقررت ارتداء عباءة عادية لتترك تلك العباءة الجديدة لليلة زفاف بنت العمدة .

حين انتهت من لف حجابها بعناية سمعت صوت كريم أصغر أبنائها قد عاد من المدرسة فأسرعت بالتقاط كيسا صغيرا كان مخبأ بين طيات الملابس وخرجت تبحث عنه لتجده يقف أمام باب البيت بعد أن وضع حقيبته بالداخل فبادرها كريم بالقول " هل ستذهبين لفرش بنت العمدة ؟"

أومأت برأسها فقال "أنا أيضا سأبدل ملابسي وألحق بك فأدهم وإياد ينتظراني هناك"

قالت بابتسامة واسعة " احضرت لك مفاجأة "

اتسعت عينا كريم ذو الثلاثة عشر عاما ونظر إليها في ترقب لتفتح الكيس وتخرج منه هاتف وهي تقول" قبضت الجمعية واشتريت لك هذا"

حدق كريم في الهاتف في يدها متفاجئا لتقول نصرة ببعض الحرج "انه مستعمل وقديم الطراز كما فهمت من الشاب في المحل .. لكنه أكد لي بأنه يدخل على الانترنت "

مد كريم يده يأخذ منها الهاتف وتفحصه متأثرا ثم اقترب من أمه يحضنها قائلا بامتنان" شكرا يا أمي ..شكرا جدا"

قالت نصرة بحماس طفلة قامت بعمل مبهر" أعدك يا حبيبي بأنه بمجرد أن يعود والدك للعمل

سأبدله لك بواحد أحدث منه .. لذا لا أريدك حزينا ولا متحسرا وأنت تشاهد الأولاد يحملون هواتف ويلعبون عليها ألعابا"

ابتسم كريم لسذاجة والدته فهي لا تعلم بأن دخول الهاتف على الانترنت ليس ذاتيا وإنما يحتاج لاشتراك مدفوع للإنترنت .. وأنه بنظرة واحدة قد أدرك بأن الهاتف عتيق الطراز لكنه غمغم بتأثر " لا حرمني الله منك يا أمي"

ربتت نصرة على كتف ابنها تقول " ولا منك يا حبيبي (ثم قالت مغادرة) سأسبقك أنا لبيت الوديدي (وعلّت من صوتها تحدث بناتها في الداخل) أنا ذاهبة يا بنات وحين تأتي اسراء اخبروها بأنني في فرش بنت العمدة"

قالتها وتحركت وهي تعدل من حجابها حول وجهها الأبيض الممتلئ .. فشيعها كريم بنظراته قبل أن يعود ليتفحص الهاتف في يده .. و لا يعرف إن كان عليه أن يفرح أم يشعر بالإحباط !.

xxxx

في وقفته مع الرجال أمام بيت خاله لمح مفرح سيارة تقف أول الشارع فتحكم في ابتسامة مراهقة بلهاء تريد أن ترتسم على وجهه وتنحنح ليحتفظ بوقاره وهيبته بين الواقفين وهو يتابع نزولها من السيارة بتلك العباءة السوداء التي يزينها من الأسفل نقوش بدوية حمراء كما تزين معصميها حتى كوعيها ومقدمة جذعها.. وتأمل وجهها الخالي من الزينة وملامحها الرقيقة التي يحيط بها حجابها فيضفي عليها هالة نورانية تخصها وحدها .. ورأى

ولديه يترجلان من المقعد الخلفي للسيارة بعد أن بدلا ملابس المدرسة لملابس عادية عصرية وأحذية رياضية .. ثم راقبها وهي تودع أخيها علي صوالحة ثم تتجه بخطوات واثقة ارستقراطية يغلفها الحياء وهي تمر من أمام الرجال نحو بيت الوديدي ..حتى أنها لم ترفع أنظارها للبحث عنه بينهم..

ستظل مليكة صوالحة المتحكمة الأولى والوحيدة في دقات قلبه للأبد..

وستظل كل خطوة تخطوها .. وكأنها تخطوها فوق قلبه ..

وستظل روحه تهفو إليها في كل حركة وسكون يصدر عنها .

دخلت مليكة بيت الوديدي تلقي السلام على بعض النسوة الواقفات عند الباب فرددن عليها السلام بحبور وهن يتأملن أناقتها بإعجاب واضح معترفين بالإجماع أن مليكة صوالحة هي ملكة متوجة رغم أنها ليست الأكثر جمالا في بلدتهم الشهيرة ببناتها الجميلات ..

ليس فقط لأنها ابنة السرايا .. سرايا جدها الأكبر عبد القادر صوالحة باشا ابن البلد الوحيد الذي استطاع الحصول على الباشوية أيام الملكية ..ولكن لشخصيتها الراقية ولهيئتها الملوكية الطلة دوما ..

بجوار السلم تطلعت امرأتان جالستان عنده في مليكة التي دخلت للدار .. لتميل الأولى على صاحبتها تقول" انظري لعباءتها .. ما شاء الله.. دوما ترتدي عباءات جديدة ومختلفة وتبدو غالية الثمن "

ردت الأخرى مؤكدة "يقولون بأنها تذهب للعاصمة خصيصا لتشتري ملابسها من أشهر المولات بها.. وأن ثمن العباءة الواحدة بمبلغ مخيف "

غمزت لها الأخرى تقول "تستحق والله كل هذا فهي سليلة البشوات وزوجة ابن العمدة"

ألقت مليكة عليهما السلام وهي تصعد على السلم نحو الطابق الأعلى فغمغمتا بحبور "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا ست الكل "

في شقة العروس التي لا يزال الشيالون يضعون فيها حاجياتها دخلت مليكة تلقي السلام والمباركات على النسوة الجالسات في الصالة تتوسطهن نحمده الوديدي حماتها والحاجة فاطمة والدة بسمة فرددن عليها التحية قبل أن تهجم عليها بسمة وتسحبها من يديها إلى أحد أركان الصالة الواسعة الكبيرة المبلطة بأفخر أنواع البورسلين الذي يلمع ذاتيا دون مجهود وقالت موبخة " أين كنتِ كل هذا الوقت؟.. ولماذا لم تردي على رسالتي صباح اليوم ؟"

ردت مليكة بهدوئها المعهود "كنت مشغولة والله يا بسمة منذ أن استيقظت فأدهم رفض أن يتغيب عن المدرسة لأن لديهم اختبارا شهريا .. والحاجة

نحمدو كالعادة (واسترقت النظر لحماتها التي تجلس بخيلاء وسط النسوة تتابع ردود افعالهن على جهاز العروس الذي لا يزال يُنقل من السيارات بالأسفل للشقة ثم قالت بعد أن استغفرت) هداها الله (ونظرت لبسمة تقول) نفس الحلم يتكرر؟"

تكتفت بسمة وردت بشرود" أجل.. نفس الحلم ..يغيب لبعض الوقت فأعتقد بأنه لن يعود ليفاجئني مرة أخرى .. وبدأ يتردد في الفترة الأخيرة على فترات أقصر"

سألتها مليكة باهتمام " وهل لا يزال وجه ذلك الشخص غامضا ؟"

حركت بسمة رأسها إيجابا وهي لا تزال شاردة فزينت ابتسامة ماكرة وجه مليكة المليح ..لتقول بسمة بغيظ "لا تنظري إليّ هكذا"

ناكفتها مليكة قائلة باستفزاز وهي تقرب وجهها منها محدقة في عينيها "وكيف تريدين مني أن أنظر لك (ورمشت بعينيها عدة مرات تسألها) هكذا ؟"

هتفت بسمة بغيظ خافت الصوت "ارحميني من تفسيراتك التافهة يا مليكة "

اطرقت مليكة برأسها تقول متصنعة الحزن "أكرمك الله يا اختاه !"

طالعتها بسمة بجانب عينيها بوجوم.. ثم عوجت شفتيها تقلدها بلهجة ساخرة " تفسير هذا الحلم بشرى لك بأن فارس الأحلام الهمام سيأتي يوما

ليخلصك من ألسنة الناس التي تحرقك كالنار (وأشارت بيدها تقول بقرف) بالله عليك ابعدي عنا هذه السيرة التي باتت تصيبني بحموضة في المعدة (ونفضت كفيها ببعضهما تضيف) عصر الأحلام الوردية انتهى منذ زمن وكبرت عن هذا التفكير المراهق السطحي "

أعتصر الحزن قلب مليكة وكأنها لم تستكفي من الأحزان بعد ليأتي فشل بسمة في زيجتها السابقة ليزيد من حزنها وآلامها .. لكنها سحبت نفسا عميقا تتصنع الكبرياء والترفع ثم وضعت يدها على كتف صاحبة عمرها تقول بلهجة تمثيلية شقية لا تخرج إلا لدائرة المقربين جدا منها " سيأتي اليوم الذي ستقدرين فيه كل تفسيراتي البليغة وستدركين بعد كل هذا العمر بيننا أنني ثروة قومية "

حدجتها بسمة بنظرات جليدية ممتعضة بينما تأملت مليكة تلك العباءة على الطراز المغربي التي ترتديها بلون عسلي ونقوش باللون الذهبي وتذكرت بأنها قد أهدتها إياها في إحدى المناسبات .. فذوقها في العباءات معروف ولا يخطئه أحد لتقول بلهجة ساخرة" لا أصدق نفسي .. هل تخليتِ عن البنطال الجينز أخيرا وتلك العباءة السوداء المفتوحة من الأسفل وقررت ارتداء عباءة رائعة بهذا الشكل كمن اهدتها لك؟!"

اندفعت بسمة تقول بمزاج عكر " بالله عليك ارحميني من ظُرفك فأنا اليوم اشعر بالاختناق واكره تلك العيون المحدقة بي وتلك العبارات المبطنة بالشفقة أو المصمصة أو حتى الخوف من أن أكون ضُرة لاحداهن ..وذلك الهمس من خلف ظهري

الذي يظنون بأنني لا أسمعه.. أشعر بأنني اليوم ككائن عجيب يقف وسط حديقة الحيوان ويتحلق الناس حوله ليشاهدوه بفضول "

قالتها وتحركت تتركها وقد لمعت الدموع في عينيها.. فانفطر قلب مليكة ..لكنها حاولت ألا تظهر لها تعاطفا فبسمة لم تعد تتحمل حتى نظرات التعاطف حتى لو كانت منها لتتحرك لتلحق بها قائلة بلهجة حاولت أن تكون مازحة " إلى أين أنت ذاهبة يا بنت .. هل ستتركين ضيفة مهمة مثلي !.. ما هذه الجلافة !"

أمام بيت الوديدي كان علي صوالحة قد انتحى جانبا بعد أن حيا مفرح ومصطفى الزيني ثم وقف

مع بعض أهل البلدة يتحدث معهم في الوقت الذي وصل جابر دبور وبعض رجال البلدة واقترب مباركا لمفرح ثم سلم بحرارة على مصطفى الزيني الذي يخصه بمكانه خاصة له في قلبه ربما لتقاربهما السني فمصطفى يكبره بثلاث أعوام فقط وربما لشخصية مصطفى الرزينة الهادئة الحكيمة التي تعجبه ليبادره مصطفى مازحا "أهلا بشيخ الشباب "

اتسعت ابتسامة جابر لذلك اللقب الذي يطلقونه عليه في البلدة .. لأنه رغم سنوات عمره الاثنتين والأربعين قد خط الشيب شعره ولحيته فأصبح مظهره مميزا بملامح شابة يزينها الشيب .. ويعتقد هو بأن السبب في ذلك تلك السنوات الطويلة التي عاشها في الغربة في إحدى دول الخليج ليجمع

المال الذي عاد به ليؤسس تجارته في الأجهزة الكهربائية ..

وقف جابر يتبادل أطراف الحديث مع الرجلين.. ثم استأذن بعد ذلك وتحرك يبحث عن سليمان الوديدي ليبارك له .. فقابل صهره بدير العسال الذي بادره قائلا بلهجة ساخرة" أهلا بصهرنا مسبب المشاكل"

رفع جابر حاجبا وسأله مستنكرا" أنا أتسبب في المشاكل !"

قال بدير مربتا على كتفه وكأنه ينصحه " يا أبا مَيّس النساء يخضعن بالكلام المعسول وهناك أمور عليك بتمريرها بدون التدقيق فيها "

تطلع جابر في كف بدير الممسكة بكتفه ثم ابعدها بهدوء قائلا لصهره ببرود "سأذهب لأبارك للحاج سليمان"

لمح مفرح وليد قادما على وجهه ابتسامة سعيدة فاستقبله يقول "طمئني على الاستعدادات يا عريس أخشى من بخل خالي العزيز"

نفش وليد كتفيه وهو يناظر مفرح ومصطفى الزيني ويقول بثقة" لا تقلق يا ابن عمتي كل شيء جاهز والحمد لله .. حتى أن أبي قد اتفق مع أشهر الطباخين في العاصمة للحضور لإعداد طعام اليومين"

وضع مفرح يده على صدره وقال يتصنع المفاجأة" يا إلهي !.. لا اصدق !.. هل سيُحضر خالي العزيز

طباخين من العاصمة !! (وتوجه بالكلام لمصطفى قائلا بنفس اللهجة المتهكمة) أرأيت يا أبا حمزة نسبنا المشرف !"

ابتسم مصطفى وقد أدرك لهجة مفرح المتهكمة بينما حدج الأخير ابن خاله بنظره ممتعضة ثم اقترب منه يفرد ذراعه على كتفيه قائلا بلهجة ساخرة " جاء دوري لأتقمص دور الحاجة نحمدو .. (وأمسك بيده الأخرى تلابيب وليد قائلا باستنكار) أكان والدك يفكر في ألا يحضر طباخين من أجل حفل زفاف أختي يا عريس !!.. أم أنه كان ينوي ألا يقدم عشاءً للضيوف ويفضحنا؟!"

قهقه مصطفى بينما أسرع وليد قائلا " أبدا يا ابن عمتي أبدا والله ..أنا أصريت على أن يكون حفلا يليق ببيت العمدة "

رد مفرح بنفس اللهجة الساخرة " وكأن لديكم الاختيار في فعل غير ذلك !"

ابتأست ملامح وليد وسأل مفرح " لماذا تكرهني يا ابن عمتي؟"

تطلع فيه مفرح قليلا ثم قال" أنا لا أكرهك يا ابن خالي .. لكني سأكرهك بحق وسترى مني النجوم ساعة الظهيرة إن لم تهتم جيدا بمهجة (وشدد من قبضته على تلابيبه مضيفا) هل سمعت مهجة الزيني أمانة في رقبتك وإن .... "

قبل أن يكمل حديثه ارتسمت ابتسامة بلهاء واسعة على وجه وليد .. فتبادل مفرح النظرات مع مصطفى ثم عاد لابن خاله يحرك ذراعه من فوق كتفيه ويلفه حول عنقه قائلا "ما معنى هذه

الابتسامة البلهاء حين ذكرت اسم مهجة لم أفهم "!!

ازدادت ابتسامة وليد اتساعا ليطلق مفرح سراحه ويقف أمامه صائحا باندهاش "أريد جملة مفيدة على ما قلته وليس تلك الابتسامة البلهاء يا ابن الوديدي"

حافظ وليد على ابتسامته رغم احمرار وجهه وقال وهو يشير بسبابته لعينيه الواحدة تلو الأخرى " عيناي فداء لمهجة يا ابن عمتي "

قهقه مصطفى بينما تمتم مفرح متهكما وهو يربت على صدره" حبيبي يا رومنسي !"

تنحنح وليد يقول "لابد أن أستأذن الآن "

سأله مفرح رافعا حاجبيه" إلى أين يا عريس!.. هل ستترك ضيوفك وترحل؟!!"

رد وليد " أبي موجود .. كما أن البركة فيكم .. لكني (وعادت الابتسامة البلهاء للاتساع على وجهه وأكمل) لابد أن أمر على مهجة لأوصلها هي وصديقاتها للكوافير في مركز المحافظة "

ضيق مفرح عينيه وسأله بلهجته الساخرة" أأنت متأكد أن صديقاتها سيكُن معكما ؟ .. أنا لا أطمئن لك ولابتسامتك البلهاء هذه "

قهقه وليد ورد وهو يغادر " وحتى لو لم يكن معها أليست زوجتي"

هتف مفرح مستنكرا " ما هذه الوقاحة !.. تعال هنا يا ولد"

أمسك مصطفى بذراعه ضاحكا وقال مهدئا "قلبك أبيض يا باشمهندس .. أصبحت زوجته وقضي الأمر "

قال مفرح مازحا بوجهه الجاد "من أجلك أنت فقط يا أبا حمزة "

فربت مصطفى على صدره قائلا "عشت يا أبا أدهم"

دخلت نصرة إلى بيت الوديدي بوجه أحمر من السير تحت الشمس .. فحيت الموجودين واقتربت تصعد السلم وهي تتحامل على جسدها الممتلئ بعد أن ألقت السلام على السيدتين اللتين قد اعجبتهما الجلسة بجوار السلم للتدقيق فيما

جلبته العروس معها وفي الرائح والغادي من أهل البلدة فردا عليها التحية لتقول إحداهما للأخرى" ألا يزال زوجها عاطلا عن العمل؟"

مصمصت الأخرى شفتيها وردت "يبدو أن الجلوس في البيت قد أعجبه .. فالرجل عاطل عن العمل منذ مدة طويلة "

قالت الأولى وكأنها تزف إليها خبرا حصريا "يقولون بأنه يلازم جماعة يسهر معهم طوال الليل على مقهى مشهور في مركز المحافظة "

غمغمت الأخرى" مساكين أولاده كيف يدبرون حالهم "

لترد الثانية " بالتأكيد بمرتب ابنتهم الكبرى اسراء فقد أصبحت معلمة للغة الانجليزية في مدرسة القرية كما تعلمين "

حدجتها الأخرى بنظرات مستنكرة تقول "وهل مرتب معلم في مدرسة حكومية يكفي لإطعام أسرة كاملة حتى بالخبز يا امرأة !"

وافقتها صاحبتها ورفعت انظارها للسلم في تعاطف مغمغمة " قدّرها نصرة على الحمل الثقيل .. فوالله لو زوجي الذي جلس كل هذا الوقت في البيت بدون عمل لكنت طردته "

في الدور العلوي وبالتحديد في الغرفة المجاورة لباب شقة العروس الواسعة جلس النسوة

المهنئات يطبلن ويرقصن على أغاني الافراح التي تميز أهل الريف فقالت بحنق إحدى الفتيات اللاتي تتوسطن الجلسة تربط وركيها بوشاحها "أنتِ لا تدقين على الطبلة جيدا واحدة أخرى تطبل بالله عليكن"

تطوعت امرأة أخرى بسحب الطبلة منها وبدأت في الدق عليها بينما قامت أخرى بشدو الأغاني على إيقاع الطبلة ليتبادلن الفتيات اللاتي يرقصن في منتصف الغرفة نظرات ممتعضة فيما بينهن غير راضيات عن الممسكات بالطبلة في الوقت الذي دخلت فيه نصرة من باب الشقة تنهت بقوة وقد ازداد احمرار خديها الأبيضين فألقت السلام على النسوة الأكبر سنا الجالسات في الصالة وخصت

الحاجة نحمده والحاجة فاطمة والدة العريس بالمباركة قبل أن ترفع يديها بالقرب من فمها وتطلق زغرودة قوية فجرت البهجة في قلوب الجالسات لتقول الحاجة نحمده" العقبى لإسراء إن شاء الله يا نصرة "

غمغمت نصرة بوجهها البشوش لاهثة "في حياتك يا حاجة نحمدو"

من الغرفة المجاورة للباب التي كان المجموعة المحتفلة يتجمعن فيها صرخت الفتيات الراقصات مهللات حين لمحنها" الخالة نصرة حضرت .. افسحي أنت وهي الخالة نصرة حضرت "

وهتفت إحداهن وهي تسرع لتسحبها بقوة إلى داخل الغرفة "انجدينا يا خالتي فلا أحد يتقن الطبل والغناء مثلك "

عوج بعض النسوة في الغرفة أفواههن بينما قالت نصرة وهي تُسحب لداخل الغرفة" صبرا يا بنات صبرا لألتقط أنفاسي !"

في الشقة المقابلة لشقة العروس والتي تسكن فيها بسمة مع عائلتها وقفت الأخيرة في صالتها تداري تلك الدموع التي تصر بأن تفر من عينيها فسألتها مليكة بهدوء "هل تبكين يا بسمة ؟"

اشاحت الأخيرة وجهها بعيدا تمسح دمعة هاربة ثم استدارت لمليكة تقول بإنكار" لا .. ولمَ سأبكي؟ ..

هل تعتقدينني بهذه الهشاشة وستؤثر عليّ بضع عبارات ونظرات من هذه وتلك.. لا أنكر بأنها تخنقني لكن ليس لدرجة أن تبكيني "

قالت مليكة بتعاطف وهي تمسك بكتفيها" البكاء ليس ضعفا يا بسمة صدقيني لو في استطاعتك البكاء افعليها بدون حرج .. فبعض الأوجاع قد تحرمك حتى من القدرة على البكاء "

قالت بسمة بعناد " لا البكاء دليل ضعف وأنا لا أريد أن أكون ضعيفة يا مليكة "

اشفقت عليها مليكة فلم تضغط عليها أكثر وقالت بلهجة ممازحة شقية "ما رأيك أن تردي على كل من يضايقونك بأن تتأنقي ليلة حفل الزفاف بأحسن ما يكون وتبهريهم بجمالك وتخطفين انفاسهم

فيظل النساء منهن مرتعبات من أن تكوني على وشك اختيار زوج من الرجال الذين يريدونك للزواج كزوجة ثانية "

تكتفت بسمة تقول بلهجة ساخرة" تقصدين بأن أرتدي لهم ملابس الساحرة الشريرة مثلا !"

قهقهت مليكة وقالت وهي تمسكها من كتفيها وتدفعها أمامها لتعود بها لشقة العروس "من مميزات شخصيتك الجديدة أنك أصبحت تلقين بالنكات بوجه جاد كمفرح ..لكن مفرح لم يكن أبدا عبوسا قاطب الجبين مثلك"

حاولت بسمة إدارة وجهها للخلف هاتفة باستنكار" أنا وجهي عبوس وقاطبة الجبين يا مليكة !!"

استمرت مليكة في دفعها من كتفيها أمامها وردت بلهجة ساخرة " لا .. بل أنا يا بسمة .. تحركي يا فتاة ليس من اللائق أن تتركي ضيوفك"

في الغرفة التي يتجمع فيها النساء افترشت نصرة الأرض ووضعت الطبلة فوق فخذها وتحت ابطها وبدأت بالطرق عليها بدقات متتابعة مميزة للإيقاع الريفي في الغناء .. لتصرخ الفتيات الراقصات في المنتصف مهللات وهن يشعرن بصوت دقها فوق الطبلة يداعب آذانهن ومشاعرهن فبدأن بالرقص .. لتبادر نصرة بالغناء نافضة عن رأسها هموم الحياة .. تنثر البهجة بين الحاضرات بصوتها الجميل :

ادلع يا عريس يابو لاسة نايلو

ادلع يا عريس وعروستك نايلو

جنب بيت ام فاروق

هاي هاي

والشجرة طرحت برقوق

هاي هاي

والي بحبه طلع مجنون

يابو لاسة لاسة نايلو

في الشارع وقف أدهم بالقرب من والده يقول لإياد بغيظ "أنت يا بارد .. ألن تدخل معي لتحمل أي من جهاز العروس؟!"

وضع إياد يديه في جيبي بنطاله الجينز وارتسمت على وجهه ابتسامة رائقة استفزت أخيه قبل أن يقول وهو يحرك كتفيه ببرود "ولمَ أساعد وكل هؤلاء البشر يساعدون.. كما اننا أحفاد الزيني ومن أهل العروس فليس علينا أن نحمل أي شيء "

أشار أدهم لأبناء مصطفى الزيني الأكبر سنا منهما وقال "أليس أبناء عمنا مصطفى أحفاد الزيني أيضا ؟.. لكنهم يجاملون في هذه المناسبات لرفع شأن العروس "

تحركت مقلتي إياد بوضع جانبي تناظر أدهم ببرود في الوقت الذي لمح الأخير منة الله آتية مع أخيها ياسر بعد أن بدلت ملابس المدرسة فتابعها

بنظراته حتى وصلت إلى والدها مصطفى الزيني ووالده مفرح .

في الوقت الذي اقترب كريم منهما فانتبه له أدهم وسلم عليه سلاما رجوليا قبل أن يخرج الأول من جيبه هاتفه الجديد يريه لأدهم قائلا "انظر ماذا ابتاعت لي أمي؟"

تفحص أدهم الهاتف يقول" مبارك عليك"

تمتم كريم بحرج "إنه .. إنه ليس عالي الامكانيات لكنه ذكي ويدخل على الانترنت (وصمت قليلا ثم قال بمزيد من الحرج) وسأتصرف أنا في الحصول على كارت انترنت إن شاء الله حتى استطيع أن ألعب معكم أونلاين"

انفجر إياد ضاحكا ورد بسخرية "كارت ماذا الذي ستلعب به يا كريم ؟!!.. هل تعلم كم ميجا بايت ستسحبها اللعبة أنت تحتاج لـ..."

قضم عبارته حين حدجه أدهم بنظرات موبخة جعلته يدرك بأنه قد تمادي في سخريته فتنحنح يغمغم باقتضاب "مبارك عليك الهاتف"

بينما قال أدهم مشفقا على ملامح كريم التي ازدادت حرجا "لا بأس يا كريم المهم أن الهاتف موجود وتستطيع أن تأتي إلى بيتنا لتستخدم الواي فاي"

أخذ كريم الهاتف منه شاكرا وسعيدا بأنه سيستطيع أن يشاركهم اللعب ..فرغم اختلاف

الطبقات كونه ابن هلال جمعة العامل وأدهم وإياد أحفاد العمدة .. ورغم التحاقه هو بمدرسة حكومية عادية والتحاق أدهم وإياد بمدارس لغات خارج القرية إلا أن هناك ما يربط بينهم وما يجعله يحب مصاحبتهما أكثر من باقي الأولاد في مثل سنه.

أما إياد فغمغم بامتعاض "المهم ألا ينقطع الانترنت .. ليتنا نعيش في العاصمة حيث اشارات الانترنت أقوى بكثير "

دخلت سيارة الشارع فلفتت انظار الواقفين لمعرفة صاحبها لتخرج منها كاميليا العسال بذقن مرفوع ومظهر استعراضي متعمد .. فاتسعت العيون لوهلة قبل أن تنخفض غالبيتها في حرج ..أما جابر

فكاد أن يصاب بنوبة قلبية ويقسم بأنه قد فقد الاحساس بأطرافه لبضع ثوان وهو يتطلع فيها تمشي مشية استعراضية أمام الرجال جعلته يتمنى أن تنشق الأرض وتبلعه وتبلعها هي الأخرى..

كانت كاميليا ترتدي عباءة سوداء مطرزة بحبات شديدة اللمعان مضيئة بمختلف الألوان خاصة عند اطراف العباءة من أسفل وعلى الأكمام والصدر وتلف حجابا من نفس لون العباءة بنفس التطريز اللامع المضيء حول وجهها الأشقر الذي استخدمت فيه زينة الوجه بمبالغة لا تتناسب مع الحدث ..

بل إن هيئتها كلها كان مبالغا فيها بشدة ولا تتناسب مع المكان أو مع هذه الساعة من النهار أو حتى المناسبة .

انزل مفرح ومصطفى انظارهما أرضا دون تعليق بينما ظل الصبية الثلاثة أدهم وإياد وكريم محدقين باتساع عيونهم فيها بصدمة ليتمتم إياد والصدمة لا تزال تسيطر عليه "علمت من كان يسرق كابلات الكهرباء العمومية في المحافظة "

ضحكات مكتومة من رفيقيه ولكزة موبخة من أخيه الأكبر كانت الرد عليه لكنه ظل يتابعها بعينيه المتسعتين وهي تبتعد في اتجاه بيت الوديدي ثم أضاف " لقد استخدمت كل أفرع الإضاءة الموجودة في البلدة.. بم سنزين بيت العمدة إذن في حفل زفاف عمتي!"

تحكم أدهم في رغبته في الضحك ووضع يده على فم أخيه ليمنعه من الاسترسال بينما وقف كريم بوجه أحمر هو الأخر يكتم الضحك .

مرت كاميليا من أمام الرجال ولم يدري جابر ماذا يفعل وكيف يتحكم في اعصابه التي هاجت من منظرها المبالغ فيه بشدة وقد سببت له حرجا شديدا أمام الرجال .. أما بدير العسال لم يعر للأمر اهتماما ووقف يتفاخر هو الأخر أمام الواقفين معه بأمور أخرى .

في الوقت الذي قالت فيه إحدى السيدتين الجالستين بجوار السلم حين دخلت من باب الدار رغم اندهاشهما مما ترتديه "انرتِ الدار يا أم مَيّس"

غمغمت كاميليا بكلمات مجاملة مقتضبة دون أن تنظر نحوهما قبل أن تسرع بصعود السلم بخيلاء ..

لقد مر وقت طويل منذ أن دخلت هذا البيت حين كانت تأتي مع باقي البنات للعب بعد المدرسة مع بسمة في المرحلة الابتدائية .. لكنها توقفت عن المجيء بعد أن ازداد العداء والمنافسة بينهما فالجميع يقر بأن أجمل فتاتين في البلدة هما بسمة وكاميليا .. وانقسموا ما بين من يرى أن بسمة هي الأجمل على الاطلاق .. أو من يرى بأن كاميليا العسال الأجمل .. لتنقطع العلاقة بينهما خلال المرحلة الاعدادية والثانوية وتظل المنافسة قائمة حتى الآن ..

لكن منذ عودة بسمة مطلقة من العاصمة وهي تتحين الفرصة لمقابلتها .. ترغب في أن تنظر في وجهها بانتصار وشماتة .. فهي كاميليا العسال من ربحت في النهاية .. تزوجت وانجبت بينما بنت الوديدي عادت لأهلها كالبضاعة التالفة .. عادت مطلقة وعقيم .

بابتسامة مصطنعة دخلت الشقة واطلقت زغرودة فعقدت بسمة الواقفة مع مليكة أمام الغرفة التي يغني فيها النسوة حاجبيها لتقول مليكة متسعة العينين "ما الذي أتى بها إلى هنا ؟"

كانت بسمة تعرف بأن كاميليا أكثر الناس الشامتة فيها .. تعرف إلى أي مدى هذه الإنسانة حقودة ..

ربما لم تقابلها خلال الثلاث سنوات الماضية نظرا لانقطاع بسمة تقريبا عن المجاملات والمناسبات التي تخص البلدة وانحسار تحركاتها بين مزرعة العمدة والأراضي الزراعية ومشوار الجامعة وقت شهادة الدبلومة وبيت العمدة لزيارة مليكة.. لكنها كانت تعرف بأنها تتحرق لمقابلتها ..

قديما كانت تجاريها في المنافسة وتقابل استفزازها باستفزاز أكبر متفاخرة بجمالها هي الأخرى وراغبة في الانتصار عليها في أمور تراها الآن بعين أخرى ..

أما الآن فلم تعد فكرة المنافسة تستهويها ليس لأنها تشعر بالنقص أمام كاميليا بل لأنها تشعر بأنها أفضل من ذي قبل ..

ليس أفضل من كاميليا..

ولكن ..أفضل من..

بسمة القديمة.

أدارت كاميليا وجهها ناحية زميلتي الدراسة وقالت "مبارك يا بسمة مبارك لأخت زوجك يا مليكة "

غمغمتا ببرود فتطلعت عينا كاميليا في بسمة من رأسها حتى أخمص قدميها في تلك العباءة التي تلتف حول قدها الأنثوي المثير وغمغمت في سرها بغِل "ازدادت حلاوة وأنوثة بنت الوديدي مع السنين"

تحركت نحو النسوة الجالسات في الصالة هاتفة" اليوم يوم هناء وسرور يا حاجة نحمدو والله .. الف الف مليون مبروك لحبيبتي مهجة "

ردت الحاجة نحمده بابتسامة" بارك الله لك يا كاميليا "

استدارت الأخيرة تقول لأم بسمة بترحيب أقل حرارة" الف مبروك يا حاجة فاطمة "

ردت أم بسمة مبتسمة "بارك الله لك يا بنيتي"

حين جلست كاميليا تعمدت رفع جزء من طرف العباءة وكميها ليظهر جسدها المائل للامتلاء ناصع البياض وذلك الخلخال الذهبي الذي ترتديه في قدمها وطلاء الأظافر الزهري اللون لتسألها إحدى الجالسات "أين ابنتك يا أم ميّس؟ "

بحركة استعراضية حركت كاميليا ذراعها لتصدر أساورها الذهبية العريضة صوتا قبل أن تجيب بصوت عال ولهجة ذات مغزى "تركتها عند إحدى

شقيقاتي فجابر يخاف عليها جدا من شر العين والحسد"

أطرقت أم بسمة برأسها تداري حزنا عميقا لما يعلمه الجميع بأن السبب الرئيسي لطلاق بسمة هو عدم قدرتها على الإنجاب بينما سألت احداهن كاميليا" ألن تخاويها يا كاميليا ؟"

قالت كاميليا بابتسامة عريضة " إن شاء الله في الخطة لكن جابر متردد قليلا فهو يشفق عليّ من تجربة الحمل الاولى .. ماذا أفعل معه .. إنه يبالغ في الخوف عليّ "

ردت سيدة أخرى" لا حرمكما الله من بعضكما .. توكلي على الله وربك سيهوِّنها "

جزت بسمة على أسنانها فأمسكت مليكة بكتفها مهدئة وقالت "لا تعيريها أي اهتمام إنها تزداد حقدا وغلا مع الوقت بدلا من أن تزداد تعقلا "

لتقول بسمة وهي تسحب صاحبتها لأحد الأركان في الصالة " تعالي لنجلس بعيدا فأعصابي لن تتحمل استفزاز بنت (...) هذه "

أمام بيت الوديدي وقفت منة الله تضحك على مداعبة مفرح لها بينما سأل مصطفى أصغر أولاده الذكور ذو الخمسة عشر ربيعا" أين حمزة لماذا لم يأتي ليبارك؟"

قال ياسر بارتباك "يقول بأن لديه مذاكرة مهمة"

جز مصطفى على أسنانه غاضبا من بكريه حمزة المعاند دائما فيما يخص عبد الرحيم الزيني وعائلته .. بينما قال مفرح مستمرا في مناكفته لأبنة مصطفى " لم اتعرف على الضيفة الحلوة حتى الآن .. من أنتِ ولماذا تقفين معنا هنا؟"

اشاحت منة بوجهها بخجل طفولي متمتمة " أقف مع أبي"

رد مفرح مستهبلا " من والدك؟.. أنا ؟.. أنا لست والدك"

ببعض الدلال والخجل ردت منة الله" بل أبي هذا"

نظر مفرح لمصطفى يتصنع المفاجأة ثم عاد إليها يقول" حقا!.. أنتِ بنت أبي حمزة ؟.. لم أكن أعلم بذلك !.. ما اسمك؟"

أمسكت بطرف جلباب والدها وردت بخجل دون أن تنظر إلى مفرح "اسمي منة الله .. مصطفى .. فاضل .. الزيني"

غمغم مفرح "صدقيني ما كنت أعرف"

تطلعت إليه وردت بوجنتين محمرتين" بل تعرف .. وسلمت عليّ صباحا في طريقنا للمدرسة "

ضرب مفرح على جبهته يقول" يا الله!.. نسيت"

على بعد عدة أمتار وقف اثنان من الصبية يتطلعون في منة الله ويتهامسون فيما بينهما .. ليقول أحدهما غامزا لصاحبه " أحب البنطال الجينز "

فقال الأخر " والجيوب الوردية اللامعة ..يا ويلي !"

ليقول الأول" انها بالفعل (مُزّة) "

فردد الأخر وهو يدقق فيها من بعيد "صدقت مُزّة جدا "

الكلمة اخترقت أذني أدهم وإياد الواقفين على بعد مترين منهما في نفس الوقت .. فاتسعت عينيهما واكفهرت ملامح الأول ليندفع فجأة ويقفز فوق أحدهما قائلا" من هي المُزّة يا ابن (...)"

بينما تخلى إياد عن ملامحه الهادئة وابتسامته الرائقة واسرع بالانضمام لأخيه يبعد عنه الصبي الأخر الذي حاول الدفاع عن صاحبه واشتبك معه.

أجفل مفرح ومصطفى وتفاجآ بالمعركة بين الصبية فهدر الأول وهو يسرع إليهم" توقفوا .. أدهم .. إياد ..توقفوا"

لم يسمعه أحد .. بل استمروا في الشجار وغبار الأرض الترابية يتطاير حولهم .. ليكون ياسر الزيني الأسرع في العدو والوصول إليهم ومساعدة كريم في تطويق إياد وحمله من فوق الصبي بينما تدخل مفرح لإبعاد أدهم عن الأخر وهو يهدر قائلا" قلت توقفوا ماذا حدث ؟"

اسرع الصبيّان الأخران بالوقوف ونظرا للجميع بخوف ثم ابتعدا بسرعة بعد أن هتف أحدهما" ألأنهما حفيدي العمدة يضربانا !"

قال مفرح بغضب " تعال يا ولد وأخبرني ماذا حدث"

حين ابتعد الصبيّان نظر مفرح لولديه قائلا "ماذا حدث ؟"

ناظره أدهم بوجه مكفهر من الغضب .. ثم عدل ملابسه بعصبية وقال" أنا ذاهب للمنزل"

اتسعت عينا مفرح وهو يرى ابنه يبتعد في خطوات عصبية فجز على أسنانه غاضبا ثم توجه لإياد الذي ينفض التراب عن ملابسه وينظر لساعده الذي يحمل أثار خربشة وسأله "تكلم يا إياد لماذا تشاجرتما"

ثم نظر لكريم لعله يفصح فتمتم الأخير قائلا " لا أعرف لقد تفاجأت بانقضاضهما على الصبيين ولم أفهم .."

عاد مفرح لإياد وهدر بقلة صبر " إياد أنا أتحدث "

نظر إياد لمنة الله الواقفة منكمشة من بعيد تتابع ما يحدث بتوتر وقال بصوت خافت" لأنهما كانا يتحدثان عن منة "

ضيق مصطفى عينيه بينما قال مفرح بعدم فهم "ماذا تعني بـ (يتحدثان عنها) ؟!!.. ماذا قالا ؟"

رفع إياد رأسه ورد " وصفاها بالمُزّة "

اتسعت عينا مفرح وهتف مصدوما "أفندااام!"

بينما شهق أخوها ياسر بطريقة مسرحية وقال مازحا" الكلاب !.. أولاد من هذان الولدان سأمزقهما بأسناني !!"

استمر اياد في نفض ملابسه بينما تبادل مفرح ومصطفى النظرات ليبتسم الأخير معقود اللسان.

قال مفرح لأبنه يحاول الاستيعاب "وانتما ثُرتما وهاجمتماهما لأنهما وصفا منة الله بهذا اللفظ؟! "

رد إياد بهدوء وهو لا يزال منشغلا بنفض ملابسه بالطبع (ثم تحرك يقول بانزعاج وهو ينظر للخدش في ساعده) سأذهب لأبحث عن أمي"

تطلع مفرح مجددا في مصطفى الذي يتحكم في ابتسامة ملحة ثم أمسك بابنه قبل أن يتحرك وسأله " وما معنى كلمة مُزّة يا إياد"

رفع الأخير إليه رأسه واتسعت ابتسامته بحرج قبل أن يفلت من يد والده مسرعا إلى بيت الوديدي فوقف مفرح يتطلع فيه مصدوما ثم غمغم متهكما " ما معنى هذه الابتسامة !!.. (واستدار لمصطفى

يقول بعينين متسعتين) هل رأيت تلك الابتسامة الوقحة على وجه ابني الصغير يا أبا حمزة؟!"

قهقه مصطفى فأكمل مفرح واضعا يده على صدره يتصنع التأثر " أرأيت كيف تعارك ولداي من أجل ابنتك ؟!"

غمغم مصطفى من بين ضحكاته " ما شاء الله .. أولاد الزيني بحق "

فجأة مد إليه مفرح يده للسلام .. فالتقطها الأخر بحركة آلية وهو يطالعه بملامح مستفهمة .. ليقول الأول بابتسامة عريضة" مبارك لنا يا أبا حمزة .. أنا شخصيا لن أتنازل عن أربع غسالات

وثلاثة مايكروييف .. ونعدكم بأننا سنحضر عشرة طباخين من العاصمة "

انفجروا ضاحكين يشاركهما ياسر الزيني .. فاقتربت منة الله منهم بعد أن شاهدت ضحكهم واطمأنت بأن التوتر قد زال لتشد أبيها من جلبابه وترفع وجهها إليه تسأله ببراءة" ما معنى مُزّة يا أبي؟"

اطبق مفرح على شفتيه بينما تنحنح مصطفى وقال بلهجة حازمة "لا تقفي في الشارع يا منة اصعدي إلى والدتك"

تحركت منة بطاعة نحو بيت الوديدي فغمغم مفرح معقبا " اذهبي يا ابنتي فالشارع امتلأ بالذئاب البشرية التي تصف الأطفال بال(مُزز)"

لينفجر الثلاثة في وصلة ضحك أخرى ويقول مفرح بعدها " لا أصدق حقا أنهما ضربا الصبيّان لأنهما قالا على منة مُزّة .. منة الله ! .. كم أعمارهم ؟.. احدى عشر واثتني عشر سنة!!"

قال مصطفى مناكفا "من شابها أباهما فما ظلما !"

تزينت شفتي مفرح بابتسامة محرجة مختلسا النظر نحو ياسر الواقف يستمع إليهما ثم هرش في أرنبة أنفه يقول مصححا "كان عمري خمسة عشر عاما يا أبا حمزة"

قال مصطفى مستمرا في مناكفته "وكم كان عمرها؟"

غمغم مفرح بحرج "مليكة كانت في الحادية عشرة من عمرها"

عقب مصطفى قائلا بإغاظة " أي في عمر منة الله .. أتذكُر المشاكل التي تسببت فيها وكنت انقذك منها في وقت كان الصراع بين الصوالحة وأولاد الزيني على أشده؟ "

تطلع مفرح في ياسر وقال "لماذا تقف هنا يا بني اذهب والعب مع الاولاد "

جحظت عينا ياسر وقال شاعرا بالإهانة" ألعب مع الاولاد!!"

قهقه مصطفى فاستدار إليه مفرح يقول" أبو حمزة .. هيبتي ضاعت أمام الجيل الجديد"

استمر مصطفى في الضحك .. لكنه تمتم " سكتنا عن فضائح الماضي ..(ووضع سبابته وابهامه بين

عينيه مغمغما) لم أضحك هكذا منذ مدة .. اللهم اجعله خيرا"

دخل إياد يبحث بين الجالسات عن مليكة فوجدها تجلس مع بسمة في أحد الاركان بالقرب من تجمع النسوة في صالة المنزل .. فأسرع إليها يقوس فمه لأسفل وهو يريها ساعده قائلا بمسكنة "انظري يا أمي "

نظرت مليكة للخدش وسألته منزعجة "ماذا حدث ؟"

قال بمسكنة "تشاجرت مع أحد الصبيان"

قالت مليكة مهدئة وهي تمسح الخدش بمنديل" الف سلامة يا حبيبي إنه خدش صغير"

قال بدلال طفولي جعل بسمة تبتسم " إنه يؤلمني"

ناظرته مليكة بعينين ضاحكتين تعلم بأنه يتمسكن لطلب الحنان فمالت على الخدش تنفخ فيه ثم قالت وهي تأخذه إلى حضنها "الف سلامة عليك وعلى ساعدك .. "

غرق إياد في حضنها قليلا .. قبل أن تضربه بسمة على مؤخرته مازحة .

في الوقت الذي دخلت منة الله تبحث عن أمها فوجدتها جالسة بجوار الحاجة فاطمة الوديدي .. فأسرعت إليها تهمس في أذنها قائلة" أمي ما معنى مُزّة؟"

رفعت أمها حاجبيها باندهاش ثم ردت" معناها بنت فاتنة وجميلة"

غطت منة الله فمها بكفيها تضحك بحرج .. لتكمل والدتها بلهجة محذرة "لكنها كلمة غير لائقة بالمرة ولا يجب أن نتلفظ بها .. فهي كلمة وضيعة جدا "

أومأت منة الله برأسها موافقة واستمرت في الضحك حتى دفنت رأسها في صدر أمها التي شاركتها الابتسام دون أن تفهم ماذا حدث .. في الوقت الذي جلس إياد على حجر مليكة فصاحت الحاجة نحمده فيهما من على بُعد قائلة بحزم "انزل يا ولد ولا تجلس بهذا الشكل لست صغيرا"

التفتت الأنظار كلها إليهما فأغمضت مليكة عينيها تتحكم في أعصابها بينما رفعت بسمة حاجبا

مستنكرا لهذا الاستعراض من عمتها أمام الناس ..
أما إياد فلم يبدو عليه أي استجابة بل إنه لف ذراعيه حول رقبة مليكة متمرغا في حضنها لتهدر نحمده بغيظ "ولد يا إياد أنا أتحدث معك !"

قالت مليكة بهدوء" انزل حبيبي نحن أمام الناس "

قالت الحاجة فاطمة" اتركيه يا نحمدو إنه طفل صغير"

ردت نحمده بعناد " بل أصبح رجلا وعليه ألا يتصرف كطفل صغير بهذا الشكل"

استجاب إياد لدفع مليكة له فترك حجرها واستقام واقفا يمط شفتيه بامتعاض .. ثم وضع يديه في جيبي بنطاله وتوجه ناحيه باب الشقة وهو ينظر

لجدته بنفس النظرة الباردة ثم قال بهدوء" ابسطي وجهك يا نحمدو Take it easy"

قالها وغادر بهدوء فاتسعت عينا جدته بغيظ بينما انفجرت الحاضرات في الضحك وسط تمتمات بما شاء الله والله أكبر لتقول بسمة مبتسمة " غالبا هذا الولد هو من سيقتص من عمتي القديم والجديد "

وصلت أم هاشم إلى بيت الوديدي غارقة في أفكارها..

إنه حفل زفاف آخر ستحضره .. ونِيش أخر سترتبه .. وكم من عروس رتبت لها حتى الآن .. وهي تموت شوقا لأن ترتب خاصتها يوما ما ..

لكنها تعلم بأن هذا اليوم قد لا يأتي .. وكلما مرت السنين عليها كلما تضاءل الأمل بداخلها..

فمن سيفكر بالزواج منها وقد اتمت الثلاثين من العمر في قرية ينظر أهلها لبنت الخامسة والعشرين كعانس؟! ..

ومن سيفكر بأن يتقدم لطلب يدها وهي المنحوسة الوحيدة السمراء فيها !.. ليست سُمرة عادية وإنما سمرة داكنة جدا حتى كان لقبها بين الأطفال في صغرها (البنت السوداء) أو (العفريتة).

أجل إنها عفريتة !!..

هكذا ترى نفسها في المرآة .. عيناها بنيتان كبشرتها وليستا مميزتان بأي شكل من الأشكال .. وشفتيها كبيرتان نسبيا .. بالإضافة لسواد بشرتها ..

إنها الوحيدة .. من سوء حظها .. السمراء في البلدة .. وما يعذبها أكثر أن قريتهم ليست كأي قرية .. إنما قرية تشتهر بناتها بالبشرة البيضاء وبالجمال الفاتن وبعض العائلات يتوارثن العيون الملونة لتصبح فتيات قريتها بلا منازع من أجمل الفتيات على مستوى المحافظات كلها ..

فأين ستذهب هي بين كل هؤلاء الجميلات؟!!.

تمتمت في سرها "سامحك الله يا جدي "

تذكرت الحكايات التي حكاها لها عمها وباقي النسوة في البلدة بأن جدها الأكبر عشق امرأة سمراء من خارج القرية وتزوجها فاختلط نسله حتى جاءت هي سمراء تماما..

نفضت أم هاشم عنها أحزانها وشعرت بالراحة أنهم لا يزالوا ينقلون بعض الأشياء لشقة العروس .. فقد اتصلت بها مهجة في الطريق لتطمئن إن كانت قد وصلت أم لا .

تطلعت في بعض الكراتين التي لا تزال موضوعة في الشارع وغمغمت وهي ترى على إحداها صورة أطباق "لدي طقما من الأطباق مخزن تحت سريري منذ زمن بنفس النقشة (ثم عادت لتقول بحسرة) بالتأكيد هذا الطقم أصلي وغالي بينما خاصتي تقليد ردئ لكنها نفس النقوش ..(وأضافت بابتسامة) بارك الله لها فيها "

تحركت تدخل دار العريس تلقي السلام قبل أن يعترض طريقها بعض الرجال الذين يحملون كرتونة ضخمة يصعدون بها لأعلى فانتحت جانبا تفسح لهم الطريق وهي تغمغم "ما شاء الله لا قوة الا بالله ..ترى هل سأعيش يوما مثل هذا "

تطلعت فيها إحدى السيدتين الجالستين بجوار السلم وقالت" وصلت أم هاشم"

لترد الأخرى "بالتأكيد طلبت منها العروس أن ترتب لها النِيش وخزانة الملابس .. فلا أحد ينافسها في هذا الأمر هذه الأيام "

ردت الأخرى بلهجة مشفقة "مسكينة لقد وصلت للأربعين ولم تتزوج بعد"

ردت الأخرى باستنكار" أربعين كيف يا امرأة؟؟!!.. إنها في الثلاثين من عمرها .. أهذا شكل امرأة في الاربعين؟؟!! .. إنها ولدت في نفس السنة مع ابنتي هالة "

ردت الأخرى مشيحة بيدها "لا أعلم .. المهم أنها قد كبرت على الزواج .. من سيقبل بها في هذا العمر ؟.. "

تحركت أم هاشم خلف الرجال نحو السلم تلقي السلام على المرأتين فردتا عليها السلام لتقول واحدة منهما" العقبى لك يا أم هاشم"

ردت أم هاشم بطريقة آلية وهي تصعد بسرعة" في حياتك يا حبيبتي "

لتلوي المرأة شفتيها مغمغمة " في حياتي أو حتى بعد مماتي .. المهم أن يحدث! "

توقفت أم هاشم ولوت عنقها تنظر للسيدتين قائلة بلهجة خطرة " هل قلت شيء يا أم هالة؟!"

اسرعت المرأة تقول برعب "لا شيء يا حبيبتي لا شيء سلامتك "

حدجتها أم هاشم بنظرة ثابتة جعلت المرأة تتعرق لتقول بعدها وهي تواصل الصعود "حسبتك قلت شيء (ثم اضافت لنفسها هامسة) لم تخطيء المرأة .. فمن سيتزوج من فتاة سوداء أتمت الثلاثين ولا تملك بروزا أنثويا منتفخا بوضوح كالباقيات والأنكى من ذلك اسمها أم هاشم[1] !!"

[1] اسم أم هاشم : هو اسم مركب مثل اسم أم كلثوم وهو كنية للسيدة زينب حفيدة رسول الله (ص) وتسمى به بعض الفتيات تيمنا بها.

بعد دقيقة كانت تدخل من باب شقة العروس تلقي السلام بابتسامة مليحة اظهرت الغمازتين على جانبي خديها وهي ترفع يديها الاثنتين تحي الجالسات بتحية ذكورية .. ليرد عليها الجميع التحية ثم تقول لأميّ العريس والعروس " مبارك يا حاجة فاطمة .. مبارك يا حاجة نحمدو "

ثم استدارت للغرفة التي يجلس فيها المحتفلات لتسرع نصرة بدق ضربات متتالية على الطبلة مرحبة وهي تصيح بتهليل "وصلت الفتاة اللولبية .. صاحبة الأنامل الذهبية في رص النِيش والديكورات وخلافه .. واسمعني أحلى سلام "

لتبدأ في الضرب على الطبلة بإيقاع مرحب فتجاريها أم هاشم بأسلوب كوميدي وترفع عباءتها قليلا من عند الخصر تشده ناحية اليمين وتفرد ذراعها للجهة المقابلة لتؤدي بعض الحركات التي لا تمت للرقص البلدي الأنثوي بصِلَة .. تنهيها ببعض حركات المغني مايكل جاكسون لينفجرن المشاهدات في الضحك .

اقتربت منها مليكة وبسمة لتقول الأولى" لم تتغيري يا بنت يا أم هاشم .. كنت مهووسة بتقليد حركات مايكل جاكسون أيام الثانوية رغم أنك لا تفهمين حرفا مما يغنيه"

رحبت بها أم هاشم قائلة" كيف حالك يا ست البنات (ونظرت لبسمة) كيف حالك يا بسمة؟"

ابتسمت لها الأخيرة بدفء وقد تملكها الحنين لأيام المدرسة في الوقت الذي قالت مليكة" أين أنت يا أم هاشم لا أراك كثيرا؟"

ردت الأخيرة بلهجة ساخرة تلازمها دوما "بل أنت المختفية يا ست البنات أما أنا فستجدينني في طرقات القرية كل يوم كقطة شوارع لا تعرف الجلوس في البيت"

ابتسمت مليكة بينما تطلعت كاميليا بغِل لثلاثتهم شاعرة بالغيظ أن احتفوا بأم هاشم بينما تعاملوا معها ببرود .. دوما ما كان ثلاثتهم متجمعين ضدها.

أما أم هاشم فغمغمت لصاحبتيها متسائلة بدهشة حين لمحتها "ماذا تفعل هذه هنا؟ .. ولماذا لم تخبروني كنت أحضرت معي مبيدا حشريا لطرد الذباب "

ابتسمت مليكة بينما قالت بسمة بهدوء" لا تعيريها اهتماما إنها فرصتها لتشمت بي أعلم ذلك"

قالت أم هاشم بحمائية "فلتفعل ذلك إن كانت تملك الشجاعة وسترى مني مالم تره أيام الثانوية "

ابتسمت مليكة وقالت " كانت أيام جميلة وكنا بلا هموم.."

لتضيف بسمة مبتسمة " وكانت تخاف منك يا أم هاشم "

تخصرت أم هاشم تقول بخيلاء " لابد أن تخاف ..
فمن الذي لا يخاف من عفريتة القرية!!"

مزحتها لم تضحك صاحبتيها بل زادت من طعم المرارة في حلقيهما ..لتقول بسمة وهي تتحرك لتعود للركن الذي كانت تجلس فيه مع مليكة "
تعاليا لنجلس بعيدا عنها "

تحركت أم هاشم خلفهما ثم أبطأت حين مرت بجوار كاميليا التي حدجتها بغِل .. لتغمغم الأولى بصوت مسموع بعد أن تطلعت في لمعان عباءتها المبالغ فيه " هل أحضروا راقصة مع الفرش !..
جديدة هذه التقليعة والله !"

xxxxx

في السيارة على الطريق سأل شامل توأمه "هل تحدثت مع أبي هذا الصباح ؟ .. كان يسأل عنك"

رد كامل بوجوم "أجل .. كالعادة يحاول اقناعي بعدم السفر"

قال شامل بلهجة مترجية " يا كامل هذه البلد عشنا فيها سبع سنوات ولم نجد منها إلا كل خير ..واستقرينا وكونّا فيها صداقات .. كيف ستترك والديك وتتركني وترحل؟!"

قال كامل بعصبية "أنت من تُيَبس رأسك وتصر على أن توجعنا نحن الاثنين ببقائك"

رد شامل بعصبية " أنا باق شفقة بأبي وأمي يا كامل"

هدأت ملامح كامل المتشنجة وقال بصوت أقل حدة "لو قررت السفر معي قد نستطيع اقناعهما بالذهاب معنا"

قارعه شامل قائلا بغيظ " ولمَ الذهاب وقد استقرينا هنا؟!.. ولماذا اذهب لبلد أجنبي مختلفا عني في كل شيء؟!!"

قال كامل بغل" أنا بت أكره كل ما هو عربي ولم أعد اطيق البقاء هنا "

رد عليه توأمه قائلا بثقة " المشكلة بداخلك يا كامل وليس لأي بلد دخل فيها .. أنت من تأذيت مما حدث في الحرب .. أي أنك حتى لو استقريت في أمريكا ستبقى كما أنت ما دمت لم تحل المشكلة مع نفسك "

لم يعلق كامل فأضاف شامل "حين ذهبنا لأمريكا العام الماضي لم أرك تطير من السعادة .. ولم يتغير فيك شيء إذن قرار هجرتك هذا لا يضمن لك تحقيق السعادة"

قال كامل معاندا " اسمع.. أنا لن أفرط في التأشيرة التي حصلت عليها بعد سنوات من المحاولة .. هذه فرصة العمر لبدء حياة جديدة في بلد جديد في كل شيء .. ففكر جيدا قبل أن تتخذ قرارك الأخير .. تعلم بأني لن تتاح لي زيارتكم لبعض الوقت حتى تستقر أوضاعي هناك "

لم يرد شامل ولم يعقب وإنما أدار وجهه نحو النافذة شاردا في هذا القرار الذي اتخذه توأمه منذ أن حصل على تأشيرة عمل في أمريكا ..

يعلم بأنه لم يكن يرغب في الاستقرار في هذا البلد وبأنه كان يفضل منذ بداية فرارهم من الحرب أن يتوجهوا لدولة أوروبية لكن تأشيرات الدخول لم تكن متاحة وقتها ..بالإضافة لتفضيل والده لدولة عربية ولهذا البلد بالذات لما له فيه من علاقات .. لكن كامل ظل يحاول الحصول على تأشيرة عمل حتى أنهما في زيارتهما العام الماضي لأمريكا ظل يبحث عن فرصة عمل هناك .. وها هي الفرصة تأتي لأن ينضم لأحد أشهر الفنادق في أمريكا كطباخ ومنذ ذلك اليوم والحياة في بيتهم انقلبت رأسا على عقب .. فوالداه يعارضان بشدة سفره.. وكامل يعاند بل ويحاول اقناعهما بتصفية كل شيء هنا والذهاب معه .. أما هو فممزق بين ترك والديه بمفردهما أو الانفصال عن نصفه الأخر .

ذلك الألم الذي يعتصر قلب شامل لم يكن ليخفى عن توأمه .. وكيف يخفى عليه وهما يشعران ببعضهما بشكل يدهش المقربين لهما ... فقال يحاول تشتيت انتباه اخيه عما يفكر فيه ويؤلمه" هل تعلم بأن هذه القرية التي نحن بصدد زيارتها يشاع عنها بأن بناتها من أجمل البنات في البلد كلها؟"

أدار شامل وجهه إليه يرفع حاجبا وقد بدا الاهتمام على ملامحه ليؤكد له كامل بابتسامة خبيثة من جانب فمه ويقول "اقسم لك .. اسأل أي شخص هنا عن اسم هذه القرية وسيخبرك بنفس الشيء"

لمعت عينا شامل ورد" حقا !.. لم أكن أعلم بأننا على موعد لمتعة أنظارنا "

قهقه كامل وقال " ولكن حاذر أن يُقبض علينا متلبسون بالبحلقة في نساء البلد "

فرك شامل كفيه وقال بحماس "إذن فنحن على موعد مع أجمل فتيات هذا البلد يا مسهل"

غمز له كامل قائلا "ربما عثرت فيها على نصفك الآخر الذي عذبتنا في البحث عنه "

قهقه شامل ورد "لا أظن فهذا مستبعد"

نظر إليه كامل ثم مط شفتيه وعاد ينظر للطريق امامه قائلا "وتصفني أنا بأني معقد!!"

رن هاتف كامل فتطلع فيه من بعيد ثم تجاهله ليمد شامل رأسه ويلتقط الاسم متسائلا" لمَ تلح

عليك هذه الفتاة ؟.. أراها تتصل بك كثيرا هذه الأيام وتتجاهلها "

رد كامل باختناق" تحاول محاصرتي بشكل خانق وحتى الآن أحاول أن أكون لبقا لكنها تصر على فرض نفسها بشكل مقرف"

تطلع فيه شامل لثوان وللهاتف الذي عاد للزن من جديد ثم غمغم " لولا أني متأكد بأنك لم تعدها بأي شيء لقلت بأنك تعاملها بنذالة"

قال كامل مدافعا " أبداً والله .. كما أفعل مع كل من أعرفهن.. أوضحت لها منذ البداية بأننا نقضي وقتا ظريفا لا أكثر لكنها رغم ذلك بدأت تأخذ الأمر بجدية "

قال شامل موافقا" الحقيقة كان واضحا مطاردتها لك والتصاقها بك في رحلتنا الأسبوع الماضي للساحل حتى أنها... "

بتر شامل عبارته وزينت وجهه ابتسامة ملحة و تطلع في النافذة بجانبه لثوان قبل أن يعود للنظر لتوأمه الذي داعبت الابتسامة ثغره هو الآخر وسأله بفضول موزعا نظراته بينه وبين الطريق "لا تقولها؟ ... هل فعلت معك شيئا في الرحلة وهي تظنك أنا؟!!"

رفع شامل يديه أمامه يبرئ نفسه قائلا بابتسامة" أنا لم أفعل شيئا اقسم بالله .. كنت جالسا في أمان

الله في الشرفة لأجد فجأة من تميل عليّ من الخلف وتعانق رقبتي هامسة باسمك"

اتسعت عينا وابتسامة كامل بمفاجأة ليكمل توأمه "فأسرعت بأخبارها بأني شامل .. واحتاج الأمر منها لدقائق للاستيعاب لأنها كانت في حالة سُكر .. هذه الدقائق كنت أنا فيها قد تحولت لكائن منصهر"

انفجرت ضحكاتهما الخشنة ليتمتم كامل بعدها" تلك المجنونة !"

قال شامل بعد أن هدأت ضحكاته "اعتقد بأننا قد تجاوزنا الحدود في السفرة الأخيرة للساحل يا كيمو .. فشربنا للخمر لم يكن أبدا أمرا صائبا ولو علم أبوك لأفرغ فينا مسدسه"

هرش كامل في رأسه قائلا ببعض التبرير" كنا نجرب كما اتفقنا.. كما أننا لم نصل لحالة السُكر .. لقد جربنا بعض الكؤوس ولم نكثر"

قال شامل بإصرار "جربنا وانتهى الأمر واستغفرنا الله ولن نكررها أليس كذلك يا أبو كامل؟"

رد كامل يهز رأسه بالموافقة ورد " بالتأكيد .. إن شاء الله"

قال شامل يحذره "ولا حتى إذا ما كتب لنا الله أن نفترق وتسافر .. أتعدني؟"

كلمة الفراق كانت ثقيلة على قلب كامل ..

ثقيلة إلى حد مؤلم ..

ليته يستطيع أن يقنعه بالسفر معه .. فهز رأسه لأخيه موافقا .. ليرن الهاتف مرة أخرى .. فزفر كامل بانزعاج.

قال شامل بشفقة "رد عليها يا بني ووضح لها الأمر مجددا "

قال كامل بعصبية "اقسم بربي أوضحت لها ولكل الفتيات في شلة الساحل أني ليس لي في أمور الحب والزواج وهي كانت تتعامل معي على هذا الاساس في البداية حتى انقلبت فجأة وبدأت تتحدث عن أمور الحب والعاطفة متخيلة بأنها ستغيرني وستقنعني بالوقوع في غرامها والزواج منها"

قال شامل بأسف" يبدو أنها قد وقعت في حبك المسكينة .. (ونظر لأخيه قائلا بامتعاض) وقعت في حب من هو معدوم الاحساس وقلبه من حجر "

قهقه كامل بضحكة خشنة ومد يده يداعب ذقن أخيه قائلا بإغاظة "حبيبي أبو شامو الحساس!"

أبعد شامل يد أخيه عنه بخشونة وهو يناظره بقرف ثم قال "ولماذا لا تفكر فيها بجدية أراها جميلة ووالدها رجل أعمال كبير"

ناظره كامل بحدة ثم هتف باستنكار "هل جننت يا شامل؟!!.. لقد سبق لها الزواج .. كما أنني بالتأكيد لن أتزوج من فتاة كانت تخرج وتبيت مع أصحابها من الجنسين خارج بيتها "

غمغم شامل متراجعا عن اقتراحه" كنت أقول فقط ربما الحب يفعل المعجزات "

قال كامل متهكما" ما دمت رومانسي هكذا لمَ لا ترحم أمك المسكينة وتقبل بواحدة ممن تقترحهن عليك للزواج !.. اصبحت في الرابعة والثلاثين من العمر "

هرب شامل من نظرات أخيه وغمغم بامتعاض" اخرس أنت وانظر لنفسك أولا (ثم نظر للهاتف الذي لا يزال يلح وهتف بعصبية) و أجب على هذا الهاتف وإلا سألقي به من النافذة"

قال كامل بلهجة غامضة " أجب عليها أنت"

نظر إليه شامل .. ليغمز له توأمه قائلا بتسلي " رد .. دعنا نتسلى قليلا "

اللعبة المغرية ..

لعبتهما المفضلة دغدغت شامل ليزم شفتيه على ابتسامة تسلي تريد أن تتسع .. ومد يده نحو الهاتف وتنحنح مجيبا بصوت هادئ "نعم"

جاءه صوت الفتاة تقول" لم لا ترد يا كامل اتصل بك منذ الصباح "

اختلس شامل النظر نحو أخيه الذي يركز على الطريق تزين شفتيه ابتسامة متسلية ثم قال" أنا أقود السيارة الآن عندي سفرة خارج العاصمة "

قالت الفتاة بفضول " إلى أين أنت ذاهب ؟.. هل تخرج مع فتيات أخريات يا كامل ؟"

قال شامل بلهجة حازمة متمسكا بأسلوب أخيه في الحديث وهو يعلم جيدا بأن صوتيهما متطابقان لدرجة من الممكن ألا يفرقهما والديهما على الهاتف

"لا اعتقد بأن عليّ أن أخبرك بخطوط سيري يا شيرويت.. كما أنني حُر فيمن اقابلهن وأنت تعلمين ذلك جيدا"

جاء صوت بكاء شيرويت ليقوس شامل شفتيه لأسفل متعاطفا وهو ينظر لأخيه ويشير له بأنها تبكي .. فحرك كامل مقلتيه لأعلى بيأس بينما قالت شيرويت" كنت أظن بأنني سأقدر على اقناعك بأن تحبني"

تنحنح شامل وقال" تعرفين منذ البداية يا شيرويت أني لا أفكر في أمور الحب والزواج بل إن كل بنات

الشلة يعلمون بأننا نقضي أوقاتا ظريفة معا بدون وعود"

هتفت شيرويت "وماذا عن تلك الليلة في الشاليه وما حدث بيننا فيها؟!!"

جحظت عينا شامل ونظر لأخيه ثم هتف بدون أن يحرك شفتيه أو يصدر صوتا "هل عاشرتها يا (.....)؟!!!!"

لاح الاستنكار على وجه كامل ورد عليه محركا كتفيه بصمت سمعه الآخر في عقله " أبدا أقسم بربي !"

ليعود شامل يقول لشيرويت وهو يدعك جبينه "ماذا تقصدين؟ .. ماذا حدث تلك الليلة ؟..

تعلمين بأني كنت قد تناولت بضع كؤوس من الخمر"

قالت شيرويت ببعض الميوعة " أقصد .. أقصد تلك القبلة التي قبّلتها لي في الشرفة مثلا .. والتي لا استطيع أن انساها أبدا "

عاد شامل ينظر لأخيه شزرا وقال موبخا يخاطره فكريا "قبلتها ولم تخبرني يا (....)"

لملم كامل ابتسامة ملحة يهرش في رأسه بحرج وحول نظراته للطريق أمامه هاربا من نظرات أخيه.. ليعود شامل لشيرويت قائلا ببعض العصبية " اسمعي يا شيرويت تعلمين بأني كنت مخمورا ليلتها والحقيقة لا أذكر ما حدث .. لهذا

دعينا نحدد الأمور فيما بيننا الآن .. فأنا لا أريد التسبب في جرحك .. و لا أنوي على أي ارتباط حاليا بل انني على وشك السفر وترك هذه البلد نهائيا"

هتفت شيرويت بانزعاج "ماذا ؟؟.. تسافر يا كامل؟!!"

قال شامل مؤكدا " أجل أنا بالفعل انهي اجراءاتي لترك البلد في القريب العاجل .. بل إنني اخطط أن يكون ذلك خلال أقل من شهر ..لدي فرصة كبيرة للعمل في امريكا .. (وقبل أن تقترح شيرويت السفر معه قال شامل بلهجة قاطعة) ولا أخطط إلا للسفر وحدي"

ساد الصمت لبضع ثوان ليقول شامل بعدها بلهجة متعاطفة "أنا أعلم بأني قاس معك لكني أفعل ذلك حتى لا تتفاجئي بأمر سفري ..وكما قلت لك لا أخطط لأي ارتباط حاليا.."

قالت شيرويت بلهجة باكية " ولكن ماذا عما حدث بيننا في تلك الليلة و..... "

قاطعها شامل قائلا بحزم " أتمنى لك السعادة يا شيرويت مع من يستحقك .. سلام"

اغلق الخط واستدار لأخيه يناظره بغيظ بينما صفق كامل بخشونة قائلا "الله عليك يا أستاااذ .. تستحق جائزة أوسكار أكبر مخادع (ثم نظر إليه يقول متهكما بلهجة لائمة) غررت بالفتاة أيها الذئب ..أهذا يصح!"

هدر شامل فيه قائلا " أتمزح يا كامل .. قبّلت الفتاة وتقول لم يحدث بيننا شيء !!"

رد كامل متصنعا البراءة " صدقني هي من بادرت أقسم لك "

سأله شامل متهكما" وأنت ماذا فعلت؟"

رد كامل ببرود " أنا اقتنصت الفرصة بالطبع وقبلتها .. كيف سأقاوم فرصة كهذه تعرض عليّ؟.. أنا بشر يا عالم لست مصنوعا من فولاذ !!"

مط شامل شفتيه وتطلع في نافذته بغير رضا لينظر كامل إليه ثم يعود للطريق قائلا بلهجة تمثيلية وهو يضع يده على صدره" أنت لم تجرب يا شامو يا حبيبي ... مازلت ببراءتك .. لم تجرب القبلات و الأشياء الأخرى .. صدقني من جربها مرة يصبح

التحكم في أعصابه غاية الصعوبة بعدها.. لذا أنا استحق جائزة أن اقتصرت زلاتي على القبلات وبعض اللمسات وأنا في هذا العمر"

نظر إليه شامل قائلا "وهل منعك أحد من الزواج؟!"

مط كامل شفتيه وغمغم قائلا" ليتني أجد من ترضى بزواج للمتعة فقط .. نلتقي أنا وهي لبعض الوقت من أجل تلك الأمور ويذهب كل واحد منا إلى بيته .. لا قيود ..لا التزامات لا تعقيدات مشاعر وهرمونات انثوية تنفجر في وجهك.. (ونظر لأخيه نظرة ذات مغزى ثم سأله بابتسامة) ما رأيك في هذه الفكرة؟"

زينت الابتسامة ثغر أخيه رغما عنه ورد " فكرة رائعة فعلا "

ليقهقها معا ثم يقول كامل "المهم أين نجد اثنين من الفتيات العاقلات توافقان على هذه الفكرة الجبارة "

مرت من جانبهما سيارة ينظر من نافذتها طفلة صغيرة وبجوارها أخيها ليسرع شامل بالقول وهو يداعب الطفلين مناغشا بأنفه وحاجبيه " والأطفال يا فالح كيف سيكون وضعهما في ظل فكرتك الجبارة هذه ومع من سيكونوا؟ "

تطلع كامل للجهة التي يتطلع فيها أخيه وظل متابعا للسيارة حتى تجاوزتهما وقد رق قلبه لرؤية

الطفلين فقال" لا بأس .. سأتفق مع أمهم ..إما عندي أو عندها ليس لدي أي مانع"

استدار إليه شامل يقول متهكما" أنت متمسك بالفكرة فعلا وتضع لها قوانين !"

ابتسم كامل ورد" صدقني ستكون الحياة ساعتها رائعة.. وستفعل كل ما يمتعك في الحلال .. بدلا من حالة التقشف التي نعانيها حتى هذا العمر (ونظر لأخيه يسأله مازحا) ما رأيك أن نعرض الفكرة على أبي؟"

صاح شامل محذرا" اترك الرجل في حاله يا كامل بالله عليك .. يكفيه ما يلقاه منا .. علينا أن نرأف به قليلا فلم يعد سنه يسمح بهرائنا ولا سخافاتنا"

قال كامل بابتسامة خجله معترفا " لا أنكر بأني اشفق عليه في أحيان كثيرة .. لو كنت مكانه لأفرغت مسدسي فينا وأرحت نفسي"

قال شامل بلهجة ذات مغزى " يكفي حالته منذ أن علم بقرار سفرك"

أشاح كامل بوجهه ينظر أمامه وقد ساد الوجوم على كليهما من جديد وظلا على صمتهما الصاخب كل منهما يقرأ جانبا من أفكار توأمه حتى لاحت من بعيد يافطة القرية

(أهلا بكم في قرية(××××))

××××

جلس مفرح أمام الطاولات الكبيرة بين الرجال في بيت خاله سليمان الوديدي المقدم عليها ما لذ وطاب من غداء أهل العريس لأهل العروس ..

وشرد يتذكر الماضي.. لكن ما ركز فيه كان علاقته بمصطفى ابن عمه .. فقد قضى معظم الوقت على علاقة باردة متوجسة معه .. مطيعا لتعليمات والده ووالدته المتشككة دوما في نواياه .. وظلت تزوره في سنوات مراهقته الكوابيس التي يرى فيها مصطفى يحاول قتله ..

حتى كبر ونضج وبدأ أن يتخذ أفكاره وآراؤه فيما حوله وحده بدون توصية من أحد.. ومصطفى الزيني كان أول من غير نظرته له ...

ربما لأنه لم يرى منه ما يعيبه ..

وربما لأنه أُجبر على احترامه بعد أن تابعه على مدى سنوات كيف ربى أخواته البنات وزوج من لم تتزوج في حياة أبيها وتزوج هو وأنجب خمسة ذكور على درجة عالية من الأخلاق والرقي أكبرهم حمزة طالب كلية الطب في سنته الأخيرة .. وابنة وحيدة أصغرهم جميعا هي منة الله ..

وربما لأنه يراه هادئا وقورا مثقفا لا يتحدث إلا بحساب ..

حانت منه نظرة جانبية لمصطفى الجالس بجواره يتحدث مع جابر دبور وعلي صوالحة وغمغم في سره "لا أعرف إن كنت قد ضيعت سنينا اعاملك بحذر يا مصطفى ..أم أنني بعد كل هذا العمر لازلت

ساذجا ووالداي على صواب ؟.. اسأل الله ألا يصدمني فيك فيكفيني ما تلقيته من خيانة من المقربين لي!"

رن هاتفه فأخرجه من شروده لتلمع عينيه ويجيب عليه بهدوء .. ثم يقول بعد ثوان بلهجة غامضة " هذا جيد جدا .. أنا آت حالا .. سلام "

قالها وانتفض واقفا .. فقال مصطفى متفاجئا " إلى أين يا مفرح؟!"

قال مِفْرح بلهجة غامضة " سأستأذن أنا يا جماعة فقد طرأ أمرا هاما .. العقبى عندكم جميعا وسأنتظركم في المساء إن شاء الله "

سأله مصطفى بقلق " هل حدث شيء يا مفرح ؟!"

غمغم مفرح وهو يسرع " لا شيء يا مصطفى هناك مكالمة مهمة عليّ أن أقوم بها مع الشركة المستوردة بالخارج .. سأتركك مع الناس فالبركة فيك"

قالها مربتا على كتفه قبل أن يسرع بالمغادرة وهو يرفع هاتفه على أذنه ويقول بلهجة خطرة " عويس .. استعد برجالك بسرعة "

××××

خرجت مهجة من بيت العمدة فاستقبلتها ابتسامة وليد في سيارته الواقفة أمام البيت في انتظارها لتسرع وتركب بجواره قائلة بوجوم " لا تقول أي شيء ولا تتحدث معي فأنا في أسوأ حالاتي المزاجية ..سنمر على صاحباتي ثم نذهب لصالون التجميل"

قال وليد وهو يشغل السيارة ويتحرك بها " ماذا حدث؟ "

غمغمت بتوتر " أخشى ألا نستطيع فرش كل الشقة اليوم وألا أكون جاهزة لليلة الحناء في المساء والحقيقة سأموت وأنام لكني لدي الكثير لأفعله "

قال وليد مهدئا " أتركي كل شيء من رأسك يا مهجة .. ولا يهم إن اكتمل فرش الشقة اليوم أم لا (وغمز بعينه يكمل) هناك أمور أخرى هي ما تهمني يا مهجتي .. حتى لو سنقضي ليلتنا الأولى على الأرض"

أحمر وجه مهجة وأشاحت به بحرج ليمد ذراعه ويقرصها في خصرها فانتفضت واستدارت إليه تقول بتوبيخ " وليد تأدب!!"

قهقه وليد ثم قال " هذه الجملة لابد أن تحذفيها تماما من بين شفتيك .. فقد انتهى عصرها "

ازداد احمرار وجهها وهي تلملم ابتسامة محرجة تريد أن ترتسم على شفتيها ليضيف وليد مغيظا" باقي من الزمن يوم ونصف .. وبعدها سيكون لقاء السحاب بين ذات العينين الخضراوين وذي العينين الزرقاوين من أجل انجاب أطفالا للبشرية بلون عيون عجيب لم يُرى من قبل (ومال نحوها قليلا يضيف) لذا انتهي من قول هذه الجملة كما يحلو لك خلال الساعات المتبقية لأنني لن أسمح لك بالتفوه بها بعدها يا مهجة الفؤاد"

أشاحت مهجة بوجهها تتطلع في النافذة هاربة من نظراته الوقحة شاعرة بمزيد من الارتباك وهي تسمع ضحكته المجلجلة بجوارها .

في نفس الوقت ومن مزرعة العمدة خرج مفرح يركب فوق حصانه ويلكزه بقوة ليسرع الحصان قاطعا طريق القرية الترابي الذي تمتد الحقول الخضراء على طوله .

xxxxx

"أخضر.. أخضر .. بني .. أحمر داكن .. أزرق فاتح .. أبيض ..أسود في أبيض"

رددت في سرها كل الألوان التي تراها أمامها وهي تسير على جانب الترعة ..

حقول .. زراعة .. جذوع النخل ..ولون البلح ..ثم لون السماء .. ولون أحد البيوت .. وأخيرا لون تلك العنزة التي تراها على مرمى البصر .

من جيب فستانها الواسع القصير الذي ترتدي تحته بنطالا من الجينز القديم وحذاء باللون الأخضر أخرجت أصابع الطباشير الملونة وتفقدت عدد الألوان التي تمتلكها من الطباشير ثم شعرت بالإحباط ..

إن الطباشير الذي تشتريه من مكتبة القرية لا يتواجد إلا بألوان محدودة .. هذا إن وجدت الطباشير من الأساس فصاحب المكتبة لا يشتري منه إلا علب قليلة العدد تكفي معلمي القرية .. وهي لا تملك المال لتطلب منه أن يشتري لها عددا كبيرا من العلب لتحتفظ بهم .. أو حتى لتذهب لمركز المحافظة لتشتري علبة أكبر بعدد ألوان أكثر .

سرحت في السماء الزرقاء فوقها تفكر ..

لماذا لا يتواجد الطباشير في الطبيعة على هيئة أصابع ملونة جاهزة للاستعمال؟!..

أو لماذا لا يُزرع الطباشير حتى تستطيع أن تصل إليه بسهولة ؟!..

فهو الوسيلة الوحيدة التي تمنحها القدرة على تلوين ما تريد .. حتى علبة الألوان الفلوماستر والأخرى الخشبية التي تمتلكها لا تستطيع استخدامها إلا على الأوراق ..

لكن الطباشير يسمح لها بأن تفعل ما يسعدها ..

أن ترسم على الجدران .. والحوائط .. وكل شيء تريده .

لكنها تجد صعوبة في الحصول عليه لعدم امتلاكها للمال الكافي .

سحبت نفسا عميقا وأدخلت بعض الخصلات الكستنائية المموجة في الوشاح الذي تلف به رأسها ورقبتها بعشوائية غير مهتمة بباقي غرتها الفارة من وشاحها وتحيط بوجهها ثم وضعت يديها في جيبي السترة القصيرة الخفيفة باللون الأصفر التي ترتديها فوق فستانها واستمرت في رصد الألوان من حولها التي تعشقها مغمغمة في سرها "عليك بالبحث عن عمل للحصول على المال لشراء الألوان يا وَنَسْ فعملك مع عيد في صناعة الفخار وتلوينه غير مربح .."

ثم أضافت في سرها" المهم أن يرضى عيد بأن أعمل ولا يثور عليّ كعادته !"

احكيلي احكيلي عن بلدي احكيلي
يا نسيم الي مارق ع الشجر مقابلي
عن أهلي حكاية
عن بيتي حكاية
عن جار الطفولة حكاية طويلة

على صوت فيروز سارت سيارة التوأمين على طريق القرية الترابي ليقول شامل وقد أصابته الأغنية بالحنين" اشتقت للوطن يا كامل اشتقت إليه جدا"

ازداد عبوس كامل ولم يرد ..ليدير شامل وجهه إليه يسأله "ماذا لو تركت فكرة السفر لأمريكا وذهبنا في زيارة للوطن؟.. يقولون بأن بعض المناطق قد هدأ فيها القتال.. فلنتفقد أحوال الوطن ونملا صدورنا من رائحته قليلا في زيارة سريعة"

قال كامل معاندا "أولا موضوع السفر ليس مجرد فكرة يا شامل إنه قرار .. قرار مصيري اتخذته وبدأت في اجراءات تنفيذه كما تعلم ..ثانيا ..(وصمت قليلا يشيح بوجه الناحية الأخرى ثم عاد يكمل بحشرجة) ثانيا أنا لا أرغب في زيارة الوطن .. فلن اتحمل مشاهد الدمار يكفينا ما رأيناه وعشناه .. ويكفي الوضع الذي قصته بانة الخازن على أمي حين عادت والاحوال التي اخبرنا بها الدكتور عبد الله الخازن .. ويكفي جدا ما شاهده وعاشه رامز المسكين"

لم يجد شامل ما يعقب به فأدار وجهه يتطلع في الطريق أمامه وقد بدأت الأراضي الزراعية تتقلص مساحتها وتظهر بعض البيوت من بعيد.

فسحب كامل نفسا عميقا منعشا وقال " هذه القرية تذكرني ببلدة (...) مسقط رأس أبي ..نفس الأجواء ونفس الرائحة (ونظر لأخيه يسأله) أليس كذلك ؟"

رد شامل وهو مشغول في التدقيق في رسوم ملونة على أحد الجدران على يمينه " اتفق معك .. (واسرع يقول) انظر لهذا الرسم الجميل "

ألقى كامل نظرة سريعة قبل أن يعود للطريق أمامه .. ليجد على مرمى بصره فتاة تمشي بجانب الترعة بخطوات هادئة متمهلة تتحرك ناحية اليمين قليلا ثم تعود لتلتزم بجانب الترعة ثم إلى اليمين مرة أخرى بخطوات متعرجة شاردة وهكذا .. فضغط

كامل على بوق السيارة لكنها لم تنتبه .. فاستمر في ضغطه وهو على نفس سرعته لينتبه شامل قائلا وهو يراقب ما يحدث "هدئ السرعة إذن مادامت غير منتبهة"

ضغط كامل بعصبية على بوق السيارة عدة مرات رافضا تهدئة السرعة وقد اقترب جدا من الفتاة.. ليصيح شامل " هدئ السرعة يا كامل ستصدم الفتاة!!"

بكل عناد وملامح عابسة استمر كامل على سرعته لعل تلك الساهمة تفيق مغمغما بغيظ " أكره تميّع الفتيات وشرودهن في الشارع "

لكنها لم تستجب .. فأسرع بلف المقود ناحية اليمين بقوة قبل متر واحد منها في الوقت الذي صرخ شامل فيه" أيها المجنون!!"

أجفلت وَنَسْ من تلك السيارة التي ظهرت بجوارها فجأة ثم ابتعدت بسرعة .. فوقعت من الفزع جالسة على جانب الترعة تمسك بصدرها وتضرب على إحدى أذنيها بكفها برعب بينما أكمل شامل صياحه في أخيه موبخا وهو يدير رأسه للخلف "كدت أن تقتلها يا كامل!!"

رد كامل ببرود وهو يتابعها من مرآة السيارة الأمامية والجانبية "هذا درس لها حتى لا تسير في الطرقات شاردة "

صاح شامل بغضب "أوقف السيارة لنطمئن عليها البنت وقعت من الفزع .. "

حين لم يستجب كامل هدر فيه مرة أخرى" قلت أوقف السيارة "

بملامح ممتعضة بدأ كامل يهدئ من السرعة في حين تطلع شامل في الفتاة التي استقامت على الفور.

نفضت وَنَسْ ملابسها بغيظ وهي تنظر شذرا لتلك السيارة السوداء الضخمة والغريبة عن القرية .. ثم اسرعت بالتقاط حجرا من الأرض واطلقت زمجرة وهي تهرول نحو السيارة وتلقي بالحجر عليها .

فضغط كامل على البنزين ليزيد من سرعة السيارة قائلا وهو يتابع الفتاة التي التقطت حجرا أخر" أرأيت ..إنها متوحشة أيضا"

ابتعدت صورة الفتاة عنهما فعاد شامل ليعتدل على مقعده ثم نظر لأخيه بغيظ مغمغما" لن أتركك تقود السيارة مرة أخرى"

بعد دقائق انعطف كامل يسارا نحو طريق ترابي ضيق فقال شامل متفقدا المكان "اعتقد بأننا نبتعد عن البيوت يا كامل إنها باتت خلفنا .. ولا أرى أمامنا سوى حقول شاسعة!"

قال كامل وهو يركز على الطريق " هو طلب مني أن انعطف يسارا عند اليافطة السابقة "

تطلع شامل حوله بشك .. قبل أن يتفاجأ بخروج عدد من الرجال يقطعون عليهما الطريق .. يحملون بنادق ويقفون في منتصف الطريق يصوبونها ناحيتهم .. فاتسعت عيني التوأمين متفاجئين.. وتبادلا النظرات قبل أن يهدئ كامل من سرعته مجبرا حتى وقفت السيارة على بعد أمتار من الرجال المتسمرين أمامهما في وضع استعداد لإطلاق النار ليصيح أكبرهم سنا "قف مكانك أنت وهو"

غيم الخطر على وجه التوأمين وحركا رقبتيهما يمينا ويسارا مصدران طرقعة في نفس اللحظة وكأنها شخصا واحدا .. ليمد كامل يده ويفتح أحد جيوب السيارة ويخرج منها مسدسا فغمغم شامل مهدئا" اهدأ ودعنا نفهم ماذا يحدث ..فبالتأكيد هناك

خطأ ما .. أو ربما دخلنا في مكان لا يسمح بالدخول فيه "

ظهر فجأة حصان يعدو نحوهم آتيا من خلف الرجال يمتطيه رجل.. فتحفز التوأمان في الوقت الذي كان مفرح يشد لجام حصانه بقوة فيطير به الأخير والجدية تعلو ملامح مفرح ..

وبمجرد أن اقترب أخرج مسدسه من جيبه الخلفي وضرب طلقتين في الهواء مهددا قبل أن يوقف الحصان الذي ظل يتحرك يمينا ويسارا وهو يهدر بصوته الجهوري

"إلى أين تظنان أنكما ذاهبان .. أتحسبونها وكالة بدون بواب!!"

الفصل الثالث

انعطف كامل يسارا نحو طريق ترابي ضيق فقال شامل متفقدا المكان "اعتقد بأننا نبتعد عن البيوت يا كامل إنها باتت خلفنا .. ولا أرى أمامنا سوى حقول شاسعة!"
قال كامل وهو يركز على الطريق " هو طلب مني أن انعطف يسارا عند اليافطة السابقة "

تطلع شامل حوله بشك .. قبل أن يتفاجآ بخروج عدد من الرجال يقطعون عليهما الطريق ..يحملون بنادق ويقفون في منتصف الطريق يصوبونها ناحيتهم .. فاتسعت عيني التوأمين متفاجئين.. وتبادلا النظرات قبل أن يهدئ كامل من سرعته مجبرا حتى وقفت السيارة على بعد أمتار من الرجال

المتسمرين أمامهما في وضع استعداد لإطلاق النار ليصيح أكبرهم سنا "قف مكانك أنت وهو".

غيم الخطر على وجه التوأمين وحركا رقبتيهما يمينا ويسارا مصدران طرقعة واحدة في نفس اللحظة وكأنهما شخصا واحدا .. ليمد كامل يده ويفتح أحد أدراج السيارة ويخرج منه مسدسا فغمغم شامل مهدئا "اهدأ ودعنا نفهم ماذا يحدث ..فبالتأكيد هناك خطأ ما .. أو ربما دخلنا في مكان لا يسمح بالدخول فيه "

ظهر فجأة حصان يعدو نحوهم آتيا من خلف الرجال يمتطيه رجل.. فتحفز التوأمان في الوقت الذي كان مفرح يشد لجام حصانه بقوة مقتربا منهما والجدية تعلو ملامحه ..

وبمجرد أن اقترب أخرج مسدسه من جيبه الخلفي وضرب طلقتين في الهواء مهددا قبل أن يوقف الحصان الذي ظل يتحرك يمينا ويسارا بينما مفرح يهدر بصوت جهوري
"إلى أين تظنان أنكما ذاهبان .. أتحسبونها وكالة بدون بواب!!"

تسمر التوأمان لثوان يحدقان في المشهد قبل أن يتبادلان النظرات فيما بينهما .. ثم يعيد كامل المسدس إلى مكانه ويترجلا من السيارة بهدوء شديد ليتحركان نحو مقدمتها ..
ثم ..
استندا عليها يعقدان ذراعيهما أمام صدريهما ويتطلعان في مفرح بملامح شديدة الهدوء .

أما الغفر فشهق بعضهم وارتبك البعض الأخر بمجرد خروج التوأمين أمامهما بنفس الهيئة ونفس

الملابس .. ليتحكم مفرح في ابتسامة تلح عليه بشدة وينزل المسدس ليعيده إلى جيب بنطاله الخلفي وهو يسيطر على الحصان المتململ.
تخلى كبير الغفر عن صدمته متمتما "بسم الله الرحمن الرحيم أهما من الانس أم من الجن؟! "

قال مفرح بلهجة حازمة "انزلوا الاسلحة "

ظل الغفر محدقين ببلاهة في التوأمين المتطابقين المتسمرين متكتفان يستندان على مقدمة السيارة يعلقا أنظارهما على مفرح الذي عاد يقول بلهجة أكثر صرامة "قلت انزلوا الاسلحة!! "

اسرع الغفر بالتنفيذ بينما قال مفرح لشيخ الغفر "يبدو أن البلاغ كاذب يا عويس .. لذا خذ رجالك وعد لدار العمدة "

حاول عويس ابعاد نظره عن التحديق في التوأمين اللّذين وقفا يتابعا نزول مفرح من فوق الحصان وأدار رأسه للأخير يقول بعدم فهم" بلاغ كاذب !"..

أكد له مفرح وهو يحاول أن يداري ضحكة شقية تصارع للظهور على وجهه وقال ممسكا بلجام فرسه "أجل يا عويس فهذان صديقاي الآتيان من العاصمة لذا عد برجالك وكن في وضع استعداد لأي خلل أمني قد يحدث "

عاد عويس يحدق في التوأمين ثم نظر لمفرح يسأله بخفوت "هما اثنان وليس شخصا واحدا أليس كذلك؟.. اشعر بأني أهلوس "

هدر فيه مفرح بلهجة حازمة" عويس قلت عد بالرجال فورا"

انتفض عويس يغمغم "أوامرك يا باشا .. هيا أنت وهو بسرعة افسحوا الطريق "

بمجرد أن ابتعد الغفر وهم لا يزالون يلتفتون للتحديق في التوأمين بين خطوة وأخرى متمتمين بـ(سبحان الله) على تطابقهما .. وقف مفرح أمام التوأمين يمسك بلجام حصانه وعلى وجهه ابتسامة متسلية قائلا "مرحبا بوحشيّ الشاشة ..أنرتما قريتنا المتواضعة"

لم يبد عليهما أي استجابة بل ظلا يطالعانه بهدوء حتى تحدث كامل بعد ثوان قائلا "هلا أفهمتني معنى ما فعلته منذ قليل؟!"

اتسعت ابتسامة مفرح وقال بلهجة متشفية "هذا ردي على المقلب الذي قمتما به معي أول تعارفنا حين أوهمتماني بأنكما شخصا واحدا يا ظريف"

اسرع شامل بالقول مستنكرا " يا لسواد قلبك يا رجل! .. ألا زلت تذكر ذلك المقلب الذي قمنا به معك منذ عامين !"

رد مفرح بخيلاء مشيرا على نفسه" أنا مفرح الزيني يا ولد ولا أحد يستطيع أن يعبث معي"

نظر التوأمين لبعضهما ثم سأله شامل بامتعاض " وهل أخذت حقك الآن؟"

اتسعت ابتسامة مفرح بتشفي وكأنه صبي صغير .. فقال شامل "ألف مبروك .. (واعتدل يضيف) هيا بنا نعود يا كامل"

تحركا عائدين للسيارة فاتسعت عينا مفرح واسرع باللحاق بهما تاركا لجام فرسه وأمسك بكامل قائلا" إلى أين يا شباب؟.. من منا قلبه أكثر سوادا الآن "

بحركة مباغتة استدار كامل ولف ذراعه الضخم حول رقبة مفرح وقد بدا فارق الطول بينهما واضحا .. فرغم قامة مفرح الطويلة إلا أن التوأمين كانا أطول من الطبيعي وبعد أن خضعا لحمية غذائية لأكثر من عام فقدا وزنا ملحوظا وازدادت عضلاتهما ليبديا كلاعبيّ كرة سلة .

غمغم مفرح وهو يجز على أسنانه ويحاول التخلص من ذراع كامل مزمجرا" بدأنا في قلة الأدب !" قال كامل بلهجة خطرة " حتى لا تلعب معنا مرة أخرى يا خفيف "

بكوعه ضربه مفرح في بطنه فلاح الألم على وجه كامل ليتخلص الأول من ذراع الثاني ويبتعد مدلكا رقبته ..فقال كامل لأخيه " هل رأيت من قبل شخصا يقابل ضيوفه بالبنادق والمسدسات والأحصنة وأخيرا بالضرب ؟!"

طقطق شامل بلسانه وهز رأسه قائلا بلهجة آسفة مصطنعة" تؤ تؤ تؤ بصراحة لم أرى قلة ذوق كهذه أبدا في حياتي يا أخي "
رد مفرح بلهجة مغيظة مرقصا حاجبيه" هذا لأثبت لكما أني ابن عمدة حقيقي يا ولد أنت وهو "

تنهد كامل وقال لتوأمه بلهجة متهكمة "عدنا للهلوسة مرة أخرى !"
ليقول شامل لمفرح مستخفا" ألأنك قد أجّرت بعض الرجال يحملون البنادق ليقوموا بدور الغفر تظن بأننا قد اقتنعنا بأنك ابن العمدة؟! "

ضحكة ساخرة باردة ضحكها مفرح وهو يمسح على لحيته السوداء الأنيقة عدة مرات قبل أن يقول بخيلاء " لن اتحدث عن نفسي بعد الآن .. سأترككما لتكتشفا وحدكما "

هم بالاستدارة لكنه توقف منتبها لأول مرة لسيارتهما فاتسعت عينيه وقال متفاجئا وهو يقترب ليتفحص السيارة الضخمة "هل غيرتما السيارة يا (.....)؟! "

ابتسامة متفاخرة زينت شفتي التوأمين ليقول شامل لأخيه "قلت لك سيصاب بنوبة قلبية حين يراها"
مرر مفرح انظاره بينهما قائلا" لم أكن أعرف بأنكما حقودان بهذا الشكل!.. ألأني قد غيرت سيارتي من بضعة أشهر تقلداني !.. مساكين والله (ومد يده يربت على كتف شامل قائلا بلهجة مواسية في ظاهرها مناكفة في حقيقتها) لا بأس .. أنا أعذركما .. فلن تصلحا من نفسية اللاجئين بسهولة "
رفع كامل حاجبه وقال لأخيه" أخبرتك بأن لسانه طويل وعلينا قصّه لكن قلبك العاطفي هو ما يوقفني"

وضع مفرح يديه في جيبي بنطاله يقول بكبرياء" لسان من الذي ستقطعه يا أبا نخلة أنت وهو !.. أنت في بلدتنا يا حبيبي .. ومن يمس ابن العمدة يُخسف به الأرض .. أتظناها سهلة ! (وتحرك يشير بيده بتعال قائلا) هيا اصعدا لسيارتكما واتبعاني لأجد لكما مكانا للإيواء .."

قالها واستدار يوليهما ظهره يهم بالتحرك لكنه عاد من جديد ينظر إليهما مشيرا بطول ذراعه على الأراضي الزراعية الشاسعة الممتدة على جانبي الطريق قائلا بلهجة متعالية "بالمناسبة ..هذه الأرض هي جزء من أملاك أولاد الزيني .. فلا تحسبا أنكما وحدكما الاثرياء"

عاد يوليهما ظهره ويصفر لحصانه الذي كان قد ابتعد قليلا ليعود إليه في خطوات متهادية فأسرع بامتطائه في الوقت الذي تبادل كامل وشامل الابتسامات وتحركا ليركبا السيارة .

على مدى العشر دقائق التالية كان مفرح يتبختر بتعمد أمام سيارة التوأمين التي تسير خلفه على الطريق الترابي الضيق ببطء شديد جعل كامل يزفر بعصبية ويتبادل النظرات المغتاظة مع توأمه الغارق في الضحك .. ليُخرج كامل رأسه من النافذة صائحا" لن أتحمل سخافتك يا ابن الزيني أكثر من ذلك فارحمنا منها كاستثناء الليلة"

ابتسم مفرح من فوق حصانه لكنه ظل يتبختر بهدوء شديد شاعرا بروحه قد باتت أخف بحضورهما .

انه يتحول إلى صبي صغير كلما تواجد في محيط هذين التوأمين اللّذين تعرف عليهما صدفة في إحدى صالات الحديد التي انضم إليها في العاصمة منذ عامين.

في أول الأمر لم يرهما معا فحسبهما شخصا واحدا حتى لاحظ التوأمان ذلك فقاما بإحدى مقالبهما معه ليكتشف بعدها بأنهما توأمان .. ثم توطدت العلاقة بينهم خلال العامين الماضيين بسرعة غريبة..

وكم كان ذلك حدثا رائعا بالنسبة له..

هو بالذات مفرح الزيني ..

الذي لم يحظ بصديق حقيقي منذ ما يقرب من خمسة عشرة سنة ..

فما حدث له في سن العشرين زعزع ثقته في كل المحيطين وأجبره على أن يحافظ على مسافة بينه وبين الناس ..لينخرط بعدها في العمل والدراسة محتفظا بنفسه في دائرة الأمان .. حتى ظهر هذان التوأمان في حياته.

الحقيقة لا يدري لمَ تعلق بهما؟ .. فالأمر قد حدث بدون مقدمات وبسلاسة شديدة بين ثلاثتهم .. ليجد نفسه شيئا فشيئا يرتبط بهما وزياراته المتكررة للعاصمة جعلته يتردد عليهما في المطعم الذي يملكانه .. وقد حاول كثيرا أن يقنعهما بزيارة بلدته لكن الأمر لم يتحقق إلا اليوم بمناسبة حفل زفاف اخته ولرغبة التوأمين في التعاقد على توريد خضروات وفاكهة للمطعم بعد أن تم توسيع مساحة المطعم واعادة تصميمه ليغطي عددا أكبر من الطلبات والزبائن ..

انه سعيد بوجودهما ..
ويشعر أخيرا بأنه ليس وحيدا.. لكن هذه السعادة باتت مهددة مؤخرا بعدما صُدم بقرار كامل بالسفر .. وربما لحق به شامل لعلمه بشدة ارتباطهما..
أخرجه كامل من شروده حين صاح بصوت غاضب " أتعلم يا مفرح .. أنا لن استعمل معك مسدسي..

يكفي بأن أضغط على بوق السيارة عدة مرات ليفزع حصانك ويفر من أمامي .
عندها قهقه مفرح ثم لكز حصانه وشد اللجام يقول لحصانه آمرا "هيا ألفونس .. أنطلق "

xxxx

غادر معظم النسوة ولم يبق إلا القليلات في شقة العروس وقد بدأن في ترتيب حاجياتها نظرا للوقت الضيق .. فوقفت مليكة في غرفة النوم ترص ملابس العروس في الخزانة.. لتمسك بسمة بدمية على شكل عروسة مصنوعة من الخيط على طريقة فن الأميجرومي* تقول بانبهار " رائعة يا مليكة ..رائعة جدا .. اعشق تلك العرائس التي تصنعينها " قالت مليكة بابتسامة " إنها هديتي لمهجة .. هي طلبتها "

الاميجرومي : فن ياباني الأصل لصنع الدمى المحشوة باستخدام الكروشيه أو التريكو

اثنى الواقفات بانبهار على شكل الدمية الرائع بينما قالت إحدى أخوات مصطفى الزيني ضاحكة وهي تنظر لحقائب الملابس "ألن تأتي والدة العريس لتعد ما أحضرته العروس من قمصان للنوم قميصا قميصا!"

ضحكت الموجودات فردت بسمة بهدوء "أمي والحمد لله ليست من هذا النوع .."

لتقول أخرى "إذن افعليها أنت يا بسمة عليك بالبحث خلف العروس وما احضرت"

قالت بسمة بامتعاض" لا أحب هذه العادة بأن يفتش الأخرون في ملابسي وغرفة نومي الشخصية.. من الممكن أن يتجولوا في الشقة لكن غرفة نومي خط أحمر .. وهذا ما احببته حين تزوجت في العاصمة أني منعت من جاء لزيارتي من أهل البلدة عن القيام بهذه العادة"

ساد الوجوم واحتقن وجه بسمة نادمة على اندفاعها لذكر تجربتها السابقة .. فتدخلت مليكة تقول بحزم رقيق "وأنا أيضا لا أحب هذه العادة واعتقد أن مهجة لا تحبها لذا لا تؤاخذوني وتفضلن .. فالشقة تحتاج لسرعة في الانجاز نظرا لضيق الوقت"

دخلت أم هاشم من الباب تقول بلهجتها المازحة "ما هذا الكلام الذي اسمعه !.. أنا هنا خصيصا لأتفحص وأعد قمصان العروس"

ضحكت المتواجدات في الوقت الذي اخترقتهم هي لتقترب من إحدى حقائب ملابس العروس الموجودة على السرير وتلتقط أحد القمصان الداخلية معلقة "قلة حياء !"

لتنفجر الموجودات في الضحك بينما تناظرها مليكة موبخة لكن أم هاشم سحبت واحدا أخر وفردته أمامها متمتمة "قلة أدب!"
انفجار أخر في الضحك تبعه شهقة من أم هاشم وهي تمسك بقميص ثالث ثم تقول
"أما هذا فهو السفالة بعينها"

أغلقت مليكة الحقيبة مضيقة عينيها لأم هاشم وقالت بغيظ " اذهبي لـ(نِيشك) يا أم هاشم فالوقت لا يسعفنا"
قبل أن ترد الأخيرة قالت إحدى الواقفات "أهذا يعني بأنك لو تزوجتِ يا أم هاشم لن ترتدي هذه النوعية من قلة الأدب والسفالة؟!"

ردت أم هاشم بثقة " بالطبع لا .. فخسارة أن أرتدي قميصا يُنزع بعد بضع دقائق .. أفضل بدون قميص طبعا .. بدون أي شيء "

انفجارات في الضحك ممزوجة بشهقات البعض منها شهقة مليكة التي دفعتها وهي تقول بتوبيخ "ألا يزال لسانك طويلا يا أم هاشم!!"

مدفوعة من مليكة تحركت أم هاشم نحو باب الغرفة وهي تقول" وهل كنتِ تعتقدي بأن لساني سينكمش مع زيادة سنوات العمر يا بنت البشوات "!!

علقت واحدة من قريبات بسمة تقول بخبث "وماذا ستفعلين فيهما يا أم هاشم ..حين يكتشف العريس بأنك لا تملكين؟!"

تجمدت مليكة وأم هاشم عن الحركة في نفس اللحظة .. لتستدير الأولى للمرأة تناظرها بلوم شاركتها فيه بعض الواقفات بينما ضحك البعض الأخر ..

أما أم هاشم فردت بلهجة ذات مغزى وبابتسامة متسعة تداري بها وجعا وحرقة قلب " الحقيقة لم أجد أن من تملكهما منتفخان تعيش في النعيم (وأضافت بلهجة مبطنة فهمت منها المرأة والواقفات بأنها تقصدها) فمنهن من تذهب لبيت أهلها غاضبة بين اليوم والأخر !"

ساد الصمت المتوتر وقد اكفهر وجه المرأة لتتدخل بسمة قائلة وهي تتحدث للجميع "هيا يا جماعة لننتشر في الشقة و(ونظرت لمليكة نظرة ذات مغزى وأكملت) لنترك ترتيب غرفة النوم بعد الانتهاء من باقي الشقة"
خرجن جميعا .. لتقول بسمة لمليكة بهمس "اغلقي الغرفة بالمفتاح حتى ننتهي "

تطلعت أم هاشم حولها في العدد القليل الباقي من النساء والفتيات في الشقة وتمتمت " الحمد لله

الذبابة الخضراء المتوهجة قد انصرفت .. لنبدأ بسم الله"

قالتها وهي تشمر ذراعيها الأسمرين وتميل لتفتح الكراتين الخاصة بالأطباق والكاسات استعدادا لرص النيش وهي تغمغم هامسة "بسم الله .. ما شاء الله .. اللهم بارك لها وزدها مهجة بنت الزيني ..(ثم علا صوتها تقول) أين أنت يا ونس يا بنت عيد لماذا تأخرتِ؟!"

قالت مليكة "أنا أيضا انتظرها .. لماذا تريدينها؟"

صاحت أم هاشم في إحدى الفتيات حين بدأت في فتح الكراتين معها " بالله عليك لا أريد أحدا هنا يعبث بالكراتين .. الشقة أمامك واسعة ما شاء الله اذهبي وجدي لنفسك عملا أخر "

امتعضت الفتاة وتحركت بينما استدارت أم هاشم ترد على مليكة وهي تشمر طرف العباءة لتربطه

حول خصرها "ونس تساعدني في رص النيش البنت لديها نظرة في الألوان رائعة .. أنا أرصها بهندسة وبترتيبي الخاص لكنها ما شاء الله احيانا تقترح عليّ شيئا يخص الألوان يكون كلمسة سحرية مكملة"

ابتسمت مليكة وقالت "إنها فعلا موهوبة .. أنا أيضا أستعين بها في ترتيب الألوان مع عرائسي"

لم تكد تكمل عبارتها حتى دخلت ونس من باب الشقة واضعة يديها في جيبي سترتها الصفراء القصيرة .. وتوقفت تتطلع حولها بانبهار .. قبل أن تميل برأسها بمحاذاة كتفها وتنظر لسجادة مطوية بجانب الحائط وقارنت بين درجة لونها ودرجة لون الأرائك الموجودة بالقرب منها ثم قالت في سرها" لو ينوون وضع هذه السجادة مع هذا اللون من الأرائك فهو خطأ فادح .. هذا ارجواني وهذا نبيتي!"

قالت مليكة حين لمحتها " ها قد حضرت ونس"

استدارت ونس على ذكر اسمها وقد ميزت صوت مليكة فاتسعت ابتسامتها واسرعت إليها لتقول الأخرى بمحبة" كيف حالك يا ونس؟.. ألابد أن أرسل لك أحدا حتى أراك؟!"
أخرجت ونس من جيب فستانها الواسع القصير فوق البنطال الجينز دفترا صغيرا وقلما وكتبت " عيد كان غاضبا مني فرفض أن أخرج من البيت لعدة أيام"

ورفعت الدفتر أمام مليكة التي غمغمت" لا بأس تعالي"
سحبتها مليكة من ذراعها لتنتحي بها في الغرفة التي تقع بجوار باب الشقة والتي كانت منذ ساعة تضج بالمحتفلات لكنها الآن خالية إلا من بعض الاثاث

الموضوع بدون ترتيب ثم قالت" احضرت لك شيئا ستحبينه"

وقفت بسمة على باب الغرفة تتابع بينما أخرجت مليكة من حقيبتها هاتفا تناوله لونس وهي تقول" هذا هاتف مستعمل لم أعد احتاجه ..فمفرح ابتاع لي جهازا أخر (وأكملت بحرج) إن حالته جيدة لم استعمله إلا بضعة شهور"

جحظت عينا ونس بصدمة وانبهار وقبضت على ساعد مليكة الممسك بالهاتف تطلق صيحة تفاجؤ بينما أكملت الأخرى " أعلم بأنك لن تستطيعي حمل هاتف عادي لأنك لن تقدري على الاجابة على المتصل لكنك تستطيعين التواصل مع أي شخص عبر تطبيقات الدردشة كتابة لهذا وضعت لك خطا وباقة للإنترنت وسأجددها لك كل فترة إن شاء الله "

رفعت ونس يديها تغطي فمها وهي تنظر لمليكة بحرج وتردد لتسرع الأخرى وتقول
"أنت تعرفين بأني احتاج لرأيك في بعض الألوان فيما أصنع من عرائس .. وأحيانا لا أجد من استطيع أن أرسله لك ليستدعيك فمن الممكن أن استدعيك عبر الواتساب وممكن أيضا إذا ما أردتُ رأيا سريعا لا يحتاج لأن تحضري أن أرسل لك على الواتساب"

وقفت ونس تناظرها بعينين دامعتين ذاهلتين قبل أن تمد يدها وتأخذ الهاتف الذي يبدو غالي الثمن .. لتقول مليكة شاعرة بالحرج" أرجو أن يكون قد أعجبك"
نظرت إليها ونس ثم ألقت بنفسها عليها لتحضنها بتأثر وكأنها تشكرها .. فابتسمت مليكة وربتت على ظهرها.

حين ابتعدت ونس وعادت لتتفحص الهاتف قالت مليكة "من الممكن أن أعلمك كيف تستخدمينه وكيف تستخدمين تطبيق الواتساب"

نظرت إليها ونس بعينين متحمستين ثم أسرعت بالإمساك بدفترها وكتبت" لا تقلقي فأنا أعرف كيف اتعامل مع الهواتف الذكية (وتطلعت فيها ببعض الحرج ثم كتبت وابتسامتها المليحة المميزة تنير وجهها) فقد كنت أستعير هواتف أولاد البلدة لأجربها قليلا خاصة أدهم وإياد كلما جئت عندك سمحا لي باللعب على هاتفيهما "

قهقهت مليكة وهي تدخل لها غرتها الكستنائية المموجة الفارة من وشاحها الذي لا يغطي سوى نصف رأسها فاصطدمت اصابعها بالسماعة التي تضعها ونس في أذنها لتساعدها على السمع فنغزها قلبها لكنها قالت بلهجة تفيض بالحنان " أنا أعرف

بأنك فتاة ذكية ويعجبني فيكِ أنك تتعلمين وحدك ما تحبينه"

عادت ونس لتلف ذراعيها حول رقبة مليكة شاعرة بالامتنان والتأثر فقالت الأخرى وهي تربت على ظهرها" سأتركك مع هاتفك وسأذهب لأرى ما لدينا من مهام شاقة لانجاز عمل يحتاج لأكثر من يوم في بضع ساعات"

اسرعت ونس بالانتحاء جانبا في أحد أركان الغرفة تتفحص الجهاز بسعادة جمة بينما قالت بسمة بصوت خافت وبنظرة ماكرة لمليكة التي قابلتها عند الباب" تحتاجينها من أجل العرائس!!"

نظرت مليكة لونس التي تتطلع في الجهاز بانبهار ثم عادت تقول بصوت خافت" أنا فعلا أحتاجها أحيانا من أجل الألوان .. لكني في الوقت نفسه أحب هذه

البنت وأشعر بالشفقة تجاهها .. ربما لأنها لم تحظ بأم أبدا منذ أن ولدت .. وأشعر أحيانا بأنها ابنتي أو حتى لا أكون مبالغة بأنها أختي الصغيرة فلا أكبرها إلا بثماني سنوات .. وكنت اتمنى منذ فترة طويلة أن أفعل لها شيئا يسهل عليها حياتها لكن العم عيد لا يقبل المساعدات بسهولة كما تعلمين "..

تمتمت بسمة بتعاطف" فكرة جيدة فكرة الهاتف هذه .. لو كنتِ قلت لي كنت شاركت معك في ثمنه ..(وتنهدت تضيف بلهجة حزينة) الحقيقة حين أتأمل حال بعض الاناث في بلدتنا أجد أن بعضهن يعشن في ظروف قاسية جدا "

صوت نحمده الوديدي وهي تدخل من باب الشقة وتصيح بأعلى صوتها أجفل الاثنتين فانتبهتا لما

يحدث لتقول الأولى وهي تتطلع في أم هاشم "ماذا تفعلين ؟؟!!"
امتقع وجه أم هاشم وقالت" ماذا حدث يا حاجة نحمدو لماذا تصرخين؟!!"
قالت نحمده بصرامة "أنا أصرخ فيمن أريد وقتما أريد ولن تحاسبيني يا بنت زكريا ..قلت ماذا تفعلين؟!!"

تملك الغضب من أم هاشم لكنها تقبضت تحاول السيطرة على أعصابها حتى لا تندفع في الرد كعادتها مذكرة نفسها بأن المرأة تكون زوجة العمدة وحماة العريس فردت بهدوء مصطنع " أرص النيش يا حاجة نحمدو"

هتفت نحمده باستنكار "كيف تتجرئين على فتح ما لا يخصك !!.. ومن أذن لك أصلا بذلك

!!..باركتِ لنا وقمتِ بالواجب .. لماذا لم تغادري مع من غادرن؟"

اندفعت بسمة تقترب من عمتها وتقول باستنكار" ماذا تفعلين يا عمتي ؟!.. مهجة من طلبت منها رص النيش"
تطلعت نحمده في أم هاشم الواقفة تضع على بطنها يدا فوق الأخرى وتطالعها بنظرات متململة ثم ردت "لا نريد منها شيئا متشكرين .. أنا أحضرت من يفعل ذلك"

استغفرت مليكة في سرها بينما انقسم النسوة الواقفات بين مؤيدة أو مجاملة لزوجة العمدة أو مشفقة بصمت على أم هاشم .. لتتدخل بسمة منفعلة "لكن مهجة يا عمتي ..."

قاطعتها أم هاشم تقول بكبرياء تداري به شعورها بالحرج والغضب " لا بأس يا بسمة فلننفذ للحاجة نحمدو ما تريد"

أنزلت كميها وطرف عباءتها وهي تخطو من فوق الكراتين مغمغمة" ألف مبروك لأخيك يا بسمة"

وتحركت من أمام الحاجة نحمده التي تناظرها بقرف نحو الباب.. فقابلتها الحاجة فاطمة وهي تخرج من الشقة وقد سمعت ما حدث فقالت بحرج" انتظري يا أم هاشم سأتحدث أنا مع الحاجة نحمدو"

ربتت أم هاشم على كتف الحاجة فاطمة تقول بحشرجة حاولت أن تداري بها رغبتها في البكاء "مبارك لوليد يا حاجة "

وتحركت مغادرة .. بينما قالت بسمة لعمتها باندفاع "لمَ هذه المعاملة يا عمتي؟!!.. أم هاشم لم تخطئ في شيء ومهجة هي من طلبت منها أن ترص لها النيش"

دخلت فاطمة تقول "لماذا احرجتِ البنت يا نحمدو؟!!"

استدارت نحمده للأخيرة وقالت باستنكار "كيف توافقين على أن تقوم هذه العانس السوداء برص حاجيات ابنتي يا فاطمة .. أتريدين أن تصيب ابنتي بعين الحسد!!! .. "

اتسعت عينا فاطمة وبعض الموجودات باستنكار لتصيح نحمده في الأولى مبررة " من الطبيعي أن يملأ الحقد قلبها وهي ترى كل هذا وهي لم تنل ولو جزء مثله "

كلماتها ذبحت أم هاشم التي كانت واقفة على السلم تعدل طرف العباءة الذي لم يعتدل كله وتدخل أطراف شعرها المجعد تحت الحجاب.. فأسرعت بالنزول بخطوات عصبية تتحكم في ملامحها حتى لا يظهر تأثرها على وجهها ..

أما الحاجة فاطمة فقالت باستنكار" هل تتهمينني بأني أعرض ابنتك للحسد يا نحمدو؟"
حاولت نحمده المداهنة فقالت بلهجة أهدأ "لا أقصد يا بنت عمي لكن ضعي نفسك مكاني أنا أم وأخاف على ابنتي من عين الحاسدين والحاقدين"

التحكم في أعصابها لم تقدر على مواصلته فاندفعت مليكة تقول "بصراحة كنتِ قاسية معها بدون سبب يا حاجة نحمدو .. أم هاشم الكل يعرفها .. قلبها أبيض ونيتها صافية "

استدارت إليها نحمده تقول ببرود " لا تتدخلي فيما يخص ابنتي فهذا ليس من شأنك؟"

امتقع وجه مليكة وقبضت على أعصابها من الانفلات خاصة مع الهمهمات الخافتة للنسوة الواقفات فقالت وهي تغادر "أنا سأغادر لأني لن أتحمل هذا الاسلوب .. السلام عليكم"

وقفت نحمده تسند قبضتيها في جانبيها تتطلع في ظهرها وهي تغادر وقد شعرت بالحرج من رد فعل زوجة ابنها أمام الأخريات بينما صاحت ونس صيحة معترضة في وجه نحمده ووقفت أمامها تناظرها بقرف .. ثم اندفعت تلحق بمليكة فازداد غيظ نحمده وقالت بوعيد" اتفقنا يا بنت عيد القللي .. أنا تنظري إليّ بهذه الطريقة؟!!"
قالت بسمة لعمتها بحدة" أنت أهنت أم هاشم في بيتنا يا عمتي واحرجتنا كلنا وهذا لا يصح"

استدارت لها نحمده تقول بلهجة مستنكرة "وهل ستعلميني أنت الأخرى ما يصح ومالا يصح يا ست بسمة !"

وقفت بقية النسوة يتابعن ما يحدث بتوتر بينما قالت فاطمة بلهجة موبخة "بسمة!!!"

بصعوبة بلعت الأخيرة لسانها بغيظ ..لكن تراشق العيون الملونة بينها وبين عمتها ظل لبضع ثوان قبل أن يقطعه دخول فايزة الزيني تقول بترحيب "تفضلوا أهلا وسهلا (ثم نظرت لحالة الوجوم التي تعلو وجوه الموجودات وسألت) ماذا حدث؟!!"

تفاجأت الواقفات بدخول رجل يصطحب معه عددا من الشبان والشابات .. فتبادلن النظرات المتسائلة باستغراب ليشرق وجه الحاجة نحمده وتقول " أهلا وسهلا تفضل (ثم ناظرت

الموجودات توضح بفخر) إنه مهندس الديكور وفريقه الذين سيقومون بترتيب وفرش الشقة"

تطلعت الواقفات في بعضهن باندهاش .. لتميل واحدة على الأخرى هامسة " سمعت أن بعض العائلات الكبيرة في القرى المجاورة بدأوا بهذه الموضة ..يحضرون مهندس ديكور لفرش شقة العروس "

بينما أكملت نحمده بصوت عال " ومعهم بالطبع متخصص لرص النيش"

قالت فايزة للمهندس "تفضل يا باشمهندس تفضل"

لم تستطع بسمة تحمل المزيد فاندفعت بعصبية تخترق الواقفين عند الباب وتغادر الشقة ..

فطحنت الحاجة نحمده ضروسها بغضب .. في الوقت الذي قالت فايزة الزيني للمهندس "أرجوك

نحن في عجلة من أمرنا فليس أمامنا سوى ساعات قليلة"

قال المهندس بهدوء وثقة "لا تقلقي يا فندم ستدهشين من سرعة انجازنا"

أما نحمده فكانت لا تزال تتطلع في الباب المفتوح الذي غادرت منه بسمة للتو .. ثم قالت لفاطمة "تغيرت بسمة يا أم وليد .. تغيرت جدا.. بكل أسف "

فأطرقت فاطمة برأسها تكتم شعورا بالحسرة وقلة الحيلة ولم تعقب .

××××

خرجت أم هاشم من بيت الوديدي بوجه خشبي جامد الملامح تختفى تعابيره خلف سمرته الطبيعية وتحركت بخطوات عصبية متقبضة

غاضبة .. تحاول استحضار الجانب العاقل فيها .. وتخبر نفسها بأنها صحيح لا تسمح لأحد بإهانتها أو التصرف بدونية معها .. لكن نحمده الوديدي هي زوجة عمدة القرية وفي عمر والدتها وليس من الحكمة التطاول عليها ولهذا بلعت لسانها وغادرت ..

تطلعت في الشوارع حولها تائهة ..
إلى أين تذهب ؟..
لن تستطيع أن تختلي بنفسها في بيت عمها خاصة وهي تتشارك الغرفة مع اثنين من بناته الصغار..
إنها غاضبة..
ومتألمة..
ومجروحة بشدة مما قالته المرأة في وجهها وبعد مغادرتها ..
أكل هذا بسبب سواد بشرتها!!.

تطلعت في الوجوه البيضاء والحنطية حولها .. ثم أنزلت أنظارها إلى كفيها ذوي السمرة الداكنة تقلبهما أمامها ثم اطبقتهما بقوة على مشاعرها المجروحة وأسرعت الخطى تبحث عن أي مكان تستطيع أن تبكي فيه وحدها ..

دون أن يراها أحد..
دون أن يشمت فيها أحد..
دون أن يشفق عليها أحد..
ودون أن يبصر ضعفها أحد.

فالعفريتة السوداء في نظرهم لا تبكي أبدا ولا تتألم!.

××××

قالت كاميليا صارخة وهي تنزع عنها غطاء رأسها بعصبية" أنا لا أفهم ما هي مشكلتك بالضبط يا جابر .. أنت لا تفعل سوى التضييق عليّ والكتم على أنفاسي !!"

هتف جابر باستنكار " ألا تعرفين ما هي مشكلتي بالضبط يا كاميليا؟!!.. قلت أن حضورك بالسيارة مبالغ فيه ومع هذا نفذتِ ما تريدين ..."

قاطعته كاميليا تقول بحدة" لم ألجأ لسيارتك وطلبت من أخي أين مشكلتك؟!!"

اندفع نحوها يقبض على ذراعها بقوة هادراً بعنف "هل أتحدث بلغة غير العربية يا كاميليا ؟؟.. اقول لك ما قمتِ به كان بدون موافقتي .. وكان مبالغا فيه جدا .. هيئتك التي ظهرتِ بها (وأشار بإصبعه لمظهرها من رأسها حتى أخمص قدميها يقول) ما هذا المظهر المبالغ فيه ؟!.. عباءة لامعة في وضح النهار وفي مناسبة لا تستحق كل هذا التأنق .. وزينة وجه وكأنك العروس .. كم من مرة أخبرتك أن بياض بشرتك وملامحك لا يحتملان الإغراق في زينة الوجه وإلا لانقلب شكلك لـ ... (بلع الكلمة

وجز على أسنانه يمنع أعصابه بقوة من الانفلات ثم قال بصوت حاول أن يكون أهدأ) شكلك يكون فج يا كاميليا .. (لكن مراجل الغضب ظلت تغلي في رأسه فغرز أصابعه بقوة في ذراعها وهو يتذكر مشيتها وقال من بين أسنانه) هذا غير تلك المشية الاستعراضية أمام الرجال .. أقسم بالله لولا أني لازلت احتفظ ببعض العقل في رأسي لصفعتك أمام الناس "

سحبت ذراعها من بين أصابعه بعصبية وصاحت بشراسة وهي تحدق فيه بعينيها الخضراوين بغضب " من هذه التي ستصفعها أمام الناس يا جابر!! .. وما بها مشيتي!! .. ألا يكفي بأني التزم بتعليماتك ولا أرتدي عباءات ضيقة أو مفتوحة من الأسفل وأغطي شعري كله كما تريد !!.. وبرغم كل هذا لا يرضيك !! (وتجمعت الدموع في عينيها وقالت شاعرة بالقهر) لمَ أنت معقد بهذا الشكل يا

جابر .. كل الرجال يتفاخرون بكون زوجاتهم جميلات إلا أنت"

أحس جابر وكأنه كحيوان ضاري شديد الشراسة يرغب في تمزيق من أمامه .. فرفع وجهه بعيدا عن شكلها المستفز أمامه بالأصباغ فاقعة اللون التي تغطي وجهها كله .. ومسح بيديه على وجهه بقوة يحاول السيطرة على نفسه حتى لا يقوم بما لا يحب أن يفعله كأنه يستنجد بالسماء لتنزل عليه المزيد من الصبر .. ثم تحرك خطوتين للخلف قائلا" كالعادة نحن نتحدث بلغتين مختلفتين.. وكل منا لا يستوعب الأخر .. دعينا نتوقف عن الجدال حاليا حتى نهدأ (وتحرك مغادرا لكنه توقف عند الباب وادار لها وجهه يقول بلهجة صارمة) لا تتحركي من البيت بدون إذني وفي المساء لن تخرجي لحفل الحناء قبل أن أرى ماذا تلبسين وبعدها أقرر"

قالها وصفع الباب خلفه فتقبضت كاميليا بغضب وقد جن جنونها .. أما جابر قابلته أمه في صالة البيت في الطابق الارضي بقامتها القصيرة وجسدها النحيل حين نزل من الدور العلوي تقول" ماذا حدث يا جابر ؟؟.. لمَ صوتكما عال بهذا الشكل يا ولدي؟"

ربت جابر على كتف أمه وقال بصوت خافت متحكما بقوة في رغبة ملحة لتحطيم الأشياء حوله
"لا تشغلي بالك يامّة "
وتحرك مغادرا فلحقته بصوتها "إلى أين يا ولدي؟"
رد جابر قبل أن يغلق باب البيت "عائد للمحل"
نظرت أم جابر للدور العلوي واستغفرت ربها وحوقلت قالت "هداكِ الله يا بنت العسال"

××××

بعد ساعة

هدر مصطفى الزيني قائلا "ما معنى أنك لا تريد حضور فرح عمتك مهجة"
قال حمزة لوالده بهدوء "أولا هي ليست عمتي وإنما ابنة عم والدي التي تصغرني بأربع سنوات ..ثانياً أنا لا أريد أن اتعامل مع أي شيء يخص عائلة عبد الرحيم الزيني"

وقفت صفاء مرتعبة من شجار وشيك بين زوجها وبكرها لنفس السبب الأزلي بينهما بينما استقام مصطفى واقفا يقول لابنه بتوبيخ" هل سنعود لتلك السيرة يا حمزة؟!!"
قال حمزة بحنق" أنا لم أعد لأي سيرة يا أبي (وضرب على فمه بكفه بعصبية يقول بلهجة متألمة) فمي مغلق ولم أفتح أي سيرة تخص أحقيتك في العمودية التي أخذها عمك منك بالقوة بعد وفاة والدك .. ولم اتحدث عن استسلامك لهم بكل هدوء منعا لإراقة الدماء بين أولاد الزيني

فمنعتنا نحن أولادك من حقنا في وراثة منصب العمدة الذي نتوارثه أبا عن جد منذ أكثر من مائة عام .. ولم أتحدث عن كل الاستعدادات الصريحة والفجة لتمرير المنصب لمفرح ابنه بالاتفاق مع الاجهزة الحكومية دون الالتفات لأحقيتك في المنصب بعد أن كانت حجتهم حين اخذوها منك بأنك لم تكن تتعدى العشرين وقتها ولازلت صغيرا .. لم أقل شيئا يا أبي أنا مخروس .. كل ما قلته أني أمقت هذا الرجل وكل ما يأتي من ناحيته"

تدخل عبد الله الولد الثاني لمصطفى يسحب أخيه من أمام والده وكأنه ينبهه بأنه قد انفعل في حضرته لكن حمزة كان الغضب قد سيطر عليه تماما.
ولم يكن مصطفى أقل منه غضبا مضافا إليه شعور بالإحباط والحسرة أن يحمل أكبر ابنائه كل هذا الغل في صدره لأحد من أفراد عائلة الزيني ..وأن تكون هذه هي نظرته إليه لكنه قال بهدوء مصطنع

"وهل كنت ستتولى المنصب من بعدي يا دكتور بعد أن أموت وتترك مهنة الطب؟!!!"

رد حمزة منفعلا " أنا أتحدث عن المبدأ يا أبي ومن الممكن أن يأخذها أحد اخوتي بعد عمر طويل "

قالها مشيرا لإخوته الأربعة الذكور الواقفين بترقب داعين الله ألا يتطور الوضع بين والدهم وأخيهم الأكبر.
فهدر مصطفى قائلا بحزم " أنا لا أريد المزيد من الحديث في هذا الأمر يا حمزة فقد انتهينا منه منذ زمن والحمد لله لسنا في حاجة إلى ألقاب .. يكفي اسم فاضل الزيني والدي ..وتكفي سيرتنا بين الناس لتكسبنا مقاما وهيّبة .."

قال حمزة بهدوء وهو ينهت من الانفعال "أنا آسف يا أبي .. لم أكن أرغب في فتح أي شيء يخص

هذا الأمر .. وآسف أيضا فلن استطيع المشاركة في أي شيء يخص عبد الرحيم الزيني عمك فعليّ أن أذهب للعاصمة لبعض الأمور التي تخص الكلية"

ضيق مصطفى عينيه وقال مستنكرا "أمور تخص الكلية اليوم الخميس وغدا الجمعة!!"

رد حمزة متقبضا ومشيحا بوجهه" أجل يا أبي"

ساد الصمت للحظات ثقيلة بين الجميع ونظرات إخوة حمزة ما بين لائم له أو قلق من رد فعل والدهم ليقول مصطفى بحسرة قلب مستسلما "حسنا بني اذهب"

لم يكد يتم عبارته حتى كان حمزة يسرع في المغادرة ليلحق به عبد الله ومحمد في محاولة لإقناعه بالعدول عن قراراه .. بينما بقي يامن وياسر أصغر

ولدين واقفين لا يعرفان كيف يخففان الأمر على والدهما .. لتتدخل صفاء قائلة "لا تغضب منه يا مصطفى أنت دوما تقول بأنه يشبه عمك العمدة في عصبيته وتعصبه.. لكنك تعلم بأنه يحترمك ويقدرك"

أومأ مصطفى برأسه دون أن ينطق .. فتدخل يامن ذو السبعة عشر عاما يقول ببعض المزاح لتخفيف الأجواء "نحن الأربعة سدادون يا حاج مصطفى وسنشرفك ونشرف جدي العمدة أليس كذلك يا ياسر"

رد ياسر قائلا بنفس المرح المتعمد "بالضبط فإن كان ولدك البكر غائبا .. فلديك من الأسود أربعة أخرين يا والدي"

ابتسامة ضعيفة ظهرت على وجه مصطفى وغمغم بخفوت" بالطبع ..لا حرمني الله منكم (ثم اضاف برجاء) هلا تركتموني وحدي قليلا"

تطلع الأخوين في أمهما التي تناظر زوجها بنظرات قلقة والتي قالت بطاعة" حسنا .. كما ترغب يا أبا حمزة هيا يا أولاد"

حين خلت الغرفة له .. رفع مصطفى نظراته إلى تلك الصورة التي تزين غرفة الضيوف في منزله الفخم..
صورة والده العمدة السابق فاضل الزيني .. فكانت الصورة وكأنها قد التقطت لمصطفى الزيني في عصر أقدم ..
تأمل مصطفى الصورة بحيرة وغمغم متسائلا بنفس السؤال الذي يخشى أن تكون أجابته صادمة بالنسبة له.

"هل أنت أيضا غاضبا مني يا أبي لأني آثرت حقن الدماء بين أولاد الزيني وتنازلت عن العمودية

لعمي؟ .. هل تلومني لأني حاولت تربية أولادي على أن يتسامحوا وينسوا الأمر برمته ويترفعوا عنه؟ هل أنت غاضب مني يا أبي لهذا يعاقبني الله بعدم مسامحة ابني البكر لي في هذا الأمر؟؟ .. ليت الله يريحني ويخرجني من حيرتي بأي إشارة تؤكد لي بأنك لست غاضبا مني ..فهو وحده يعلم بأني قصدت الخير للجميع"

××××

وقف مفرح أمام أمه يحك جبينه شاعرا بأنه على وشك الإصابة بذبحة صدرية ..بينما تدخل والده قائلا لزوجته بغضب وعصبية "ما دام قد أخبرك يا نحمدو بألا يبيت أحد في البيت القبلي لماذا لم تلتزمي بذلك!"

قالت نحمده وهي تمرر نظراتها المرتبكة بين زوجها وابنها" نسيت يا حاج .. أقسم بأني نسيت ..أنت تعلم بأن عدد الضيوف الآتين من العاصمة

والمحافظات الأخرى كبير والتهيت بتدبير أماكن مبيت لهم فنسيت أن مفرح قد طلب مني ذلك"

نظر مفرح لأمه قائلا وهو يطحن ضروسه "والآن ما العمل ؟.. صديقاي آتيان من العاصمة والمفروض أن أوفر لهما مكانا للمبيت ..ماذا أفعل الآن وكل الأماكن التي نملكها والتي يملكها الأقارب غير متاحة؟"

تدخلت فايزة تقول "ما رأيك أن أبحث لهما عن مكان عند أهل زوجي؟"
رد مفرح بعصبية "هل من المعقول أن أقول لضيفاي ستبيتان في قرية مجاورة عند أُناس لا تعرفونهم من قبل؟!"
عدلت فايزة من نظارتها الطبية فوق عينيها واطرقت في حيرة .. بينما أمسكت مليكة بذراع مفرح رغبة منها لتهدئته وهي تشعر به سيتفتت

من العصبية خاصة وهي تعرف كم أن هذين التوأمين أصبح لهما مؤخرا أهمية كبيرة لديه .. فقالت بهدوء "سأحاول أن أسأل أبي إن كان لدينا مكانا مناسبا"

لوت نحمده شفتيها بحركة مخفية بينما تحرك مفرح بعد أن ربت على ذراع مليكة مغمغما" دعي هذا آخر الحلول سأسأل مصطفى الزيني أولا "

اسرعت مليكة تخرج خلف مفرح قلقة عليه وهي تتأمل وجهه الأحمر وعضلات كتفيه المتشنجة ثم توقفت عند باب البيت وهي تراه يتجاوزه بخطوات مسرعة عصبية في الوقت الذي قال الحاج عبد الرحيم الزيني لزوجته موبخا" أرأيتِ ماذا فعلت يا امرأة.. ستجعلين الصوالحة يكرمون ويضيّفون صاحبيّ ابنك بدلا منا .. ما عرفته من مفرح أنهما من دولة أخرى وثريان جدا"

أسرعت نحمده تقول بمكر " لا والله لن اترك للصوالحة الفرصة لضيافتهما (وقالت لابنتها الكبرى آمرة) اتصلي لي بخالك سليمان بسرعة" في الخارج أمام بيت العمدة وقف التوأمان يستندان لسيارتهما يتطلعان فيما حولهما بفضول فلكز شامل أخيه قائلا "يا ويلي .. إن الفتيات هنا جميلات بالفعل .. لمحت بعضهن في الطريق ورأيت اثنتين تخرجان من بيت العمدة بعينين ملونتين .. (وأضاف بلهجة صبيانية) ليتنا نبقى هنا أكبر وقت ممكن يا كيمو"

ابتسامة مصحوبة بلكزة من مرفق أخيه كانت الرد ثم قال وهو يلمح مفرح خارجا من البوابة الضخمة لدار العمدة" اخرس وإلا سيقتلع ابن الزيني عينيك إن سمعك"

هيئة مفرح العابسة والتي تتنافى تماما مع حالته الصبيانية منذ أقل من ساعة أصابتهما بالقلق

فاستقبلاه بعيون متسائلة .. لكنه لم يقل شيئا بل رفع الهاتف على أذنه ثم غمغم بضيق وهو ينزله بعد ثوان " أين أنت يا مصطفى!"

نظر التوأمين لبعضهما ثم تطلعا فيه ليقول شامل "ماذا حدث يا مفرح تبدو منفعلا؟!"

أجاب مفرح بحرج "لا شيء لا شيء .. هناك مشكلة ما تخص ترتيبات حفل الزفاف سأعود إليكما حالا "

قالها وتحرك متجها نحو بوابة البيت المجاور لبيت العمدة .. بيت مصطفى الزيني.

بعد دقائق كان مصطفى يخرج لمفرح الواقف في ساحة بيته يقول بلهجة لائمة "لمَ تقف هكذا يا باشمهندس ولم تدخل!"

قال مفرح مدققا في وجه مصطفى وقد استشعره مهموما " هل أنت بخير؟!"
ابتسم مصطفى ابتسامة باهتة واجاب مؤكدا "بخير والحمد لله لا تشغل بالك"

قال مفرح موضحا " معي صديقاي من العاصمة وفوجئت بأنهم قد اسكنوا بعض الأقارب في البيت القبلي وقد كنت اعده لهما ولم يعد هناك مكانا شاغرا .. فهل لديك مكانا ليبيتان فيه بضعة أيام؟"
تفاجأ مصطفى من كلمة (صديقاي) فهو يعلم أن مفرح ليس لديه اصدقاء بالمعني المعروف للكلمة ولكنه يبقي الجميع على مسافة منه لكنه غمغم قائلا "لا للأسف .. فكل البيوت التابعة لنا قد اسكنت فيها اقاربنا وبعضهم عندي هنا في البيت"

أطرق مفرح برأسه يطحن ضروسه .. فقال مصطفى مربتا على كتفه "لا تقلق سأحلها لك بإذن الله سأتصل بحماي وأسأله"

تطلع فيه مفرح وغمغم" أشعر بالحرج منهما .. إنهما أول مرة يزوراني هنا ..كما أنهما ليسا من بلدنا فهما من بلد عربي شقيق .. عموما لا يصح أن أتركهما يقفان بالخارج سأضايفهما عندنا حتى نجد حلا"

قال مصطفى وهو يتحرك معه نحو البوابة "لا تقلق سنحل الأمر"

حين تطلع الأخير من البوابة لمح التوأمين يقفان أمام سيارتهما فاقترب مرحبا بهما وقد تفاجأ بالتشابه العجيب بينهما وأخذ الأمر منه بضع لحظات للاستيعاب قبل أن يقول مسلما" يا أهلا بكما في قريتنا"

سلم عليه التوأمان بترحيب ليتدخل مفرح يعرّف الجميع" هذا ابن عمي مصطفى الزيني وهذا شامل غُنيم نَخْلَة وتوأمه كامل "
رحب بهما مصطفى وقال ضاحكا " هل أنت متأكد من أنك تستطيع التفريق بينهما يا مفرح ؟!"

غمغم مفرح وسط ضحكات الجميع "سبحان الله أقدر على التفريق بينهما بسهولة ولا تسألني كيف"

قال شامل بابتسامة واسعة " الحقيقة أننا نقدر جدا من يستطيع التفريق بيننا .. نشعر بأنه يعرفنا حق المعرفة وليس من مجرد هيئتنا الخارجية"

رد مصطفى بهدوئه المعهود " أنرتما قريتنا وضيوف مفرح نحملهما فوق رؤوسنا "..

فجأة وقفت سيارة بالقرب منهم وخرج منها سليمان الوديدي يلملم في عباءته ويقيّم التوأمين بنظرة خاطفة بعد أن أخبرته أخته نحمده بضيوف مفرح المهمين من العاصمة .. ومن خلال هيئتهما وتلك السيارة التي ترابط بالقرب منهما والتي يعلم جيدا بأنها بمبلغ مخيف .. تأكد من أنهما ثريان فاقترب مرحبا يقول "السلام عليكم .. (وتحدث بابتسامة واسعة) الحاج سليمان الوديدي خال الباشمهندس مفرح"

رفع مفرح حاجبيه متفاجئا ومتسائلا ليضيف الحاج سليمان" أخبرتني الحاجة أم مفرح بما حدث .. وبالطبع ضيوف بيت العمدة نحملهم فوق رؤوسنا"

غمغم شامل وكامل بعبارات الشكر في حرج وهما ينظران لمفرح بنظرات متسائلة عما يعنيه .. فنظر الأخير لخاله نظرة لائمة يمنعه من الاسترسال لكن

الأخير قال باندفاع مبررا " عائلتي الزيني والوديدي بفضل الله لديهم أقارب وأصهار وأصدقاء في كل محافظات الدولة فطبيعي أن تمتلئ كل الأماكن الشاغرة لدينا في البلدة في مناسبة كهذه .. فلا تشعر يا باشمهندس مفرح يا ولدي بالحرج أمام صاحبيك فبالتأكيد هما مقدران لهذه النقطة"

شحب وجه مفرح شاعرا بأنه على وشك الإصابة بنوبة قلبية.. فناظر خاله بحدة بينما أسرع مصطفى يقول بلهجة حادة غير مستسيغ لذكر الأمر أمام الضيفان فهو في عرف أهل الريف أمرا محرجا " لا توجد مشكلة يا حاج سليمان الأمر محلول بإذن الله"

فهم التوأمين سبب حالة مفرح المرتبكة فرد كامل ببساطة موجها الحديث لمفرح "لا تشغل بالك يا رجل الأمر بسيط فلا تعاملنا معاملة الضيوف .

سنعود للعاصمة في المساء وسنأتي غدا مرة أخرى في حفل الزفاف لا تشعر بالحرج"

قال مفرح بضيق "كيف تقول هذا الكلام !.. هل ستأخذون الطريق ذهابا وعودة ليومين متتاليين!"

تدخل شامل قائلا "لا بأس فالطريق ساعتين تقريبا فلا تنفعل الأمر بسيط يا شقيق"

هز مفرح رأسه بعناد غير راض عن اقتراحهما وقال مختلقا كذبة تحفظ له ماء وجهه في هذا الموقف السخيف " أنا فقط كنت أود أن أضيفكما في مكان معين فحدث خطأ من والداي أثناء التسكين .. (وقال ينظر لمصطفى وكأنه يطلب المساعدة مضيفا) لكن الأماكن موجودة إن شاء الله "

قال شامل بهدوء " نحن أكيدان بأنكم أهل الكرم كله .. لكن لا نريد أن تعطيا للأمر أكبر من حجمه ..ولا أعتقد بأنك يا مفرح تعتبرنا ضيوفاً .. نحن إخوة لذا سنغادر مساء اليوم وسنعود صباح الغد إن شاء الله"

كان الحاج سليمان الأسرع في الرد حين قال "هذا الكلام لا يصح كما قال الباشمهندس مفرح (واستدار لمفرح يخرج بحركة استعراضية من جيب جلبابه مفتاحا وهو يقول) تفضل يا باشمهندس هذا مفتاح بيت الحاج صالح.. نظيف.. ومرتب.. ويليق بضيوفك.. حتى في موقعه على الطريق (وتحدث بلهجة المسيطر على الأمور) لم أرغب في أن أستضيف فيه أحدا من الضيوف ..وكأني كنت أشعر بأنه ينتظر ضيوفاً مهمين.. وها قد صدق حدسي"

شعر مفرح بالحرج وغمغم بصوت خافت لخاله "ولكن هل سألت بسمة؟"

قاطعه الحاج سليمان قائلا " لا تقلق كل شيء على ما يرام (واستدار للتوأمين اللذان يتطلعان فيهما بعدم فهم قائلا) انرتما القرية يا شباب (واختلس النظر نحو سيارتهما مرة أخرى ثم قال) سنلتقي إن شاء الله خلال فترة تواجدكما في القرية .. (ولملم عباءته بحركة استعراضية مغادرا وهو يقول) السلام عليكم"

رد الجميع السلام .. فتطلع فيه مفرح وهو يعود لسيارته قبل أن ينظر للمفتاح في يده في حيرة .. ثم رفع عيناه لصاحبيه قائلا باستسلام " هيا لأريكما البيت"

××××

ما معنى أنها لن تخرج إلا بإذنه ؟!!! ..

وبأنه يريد أن يرى ماذا سترتدي في حفل الحناء قبل خروجها ؟!!!

هل يفكر في منعها من الذهاب للحفل؟؟؟!!!..

لا .. لن يحدث أبدا ..

إنه الحدث الذي تترقبه منذ مدة في هذه القرية المملة .. الفرصة التي ستتيح لها بعض الوقت من التلذذ برؤية بسمة الوديدي والاستمتاع بسماع الهمس واللمز عليها والتشفي فيها وعروس صغيرة في العشرين من عمرها تنضم لبيتهم بينما هي باقية في بيت والدها عاقر ومطلقة..

كم سيسعدها حين تنجح الضغوط على بسمة وترتضى في النهاية بالزواج من رجل متزوج بالفعل .. أو ربما أرمل كبير في العمر ولديه عددا من الاطفال ويرغب فيمن تربي له أولاده ..

آلمها ذراعها موضع أصابع جابر.. فرفعت كاميليا كُم العباءة تتطلع في لحمها الأبيض البضّ والعلامات الحمراء والزرقاء التي شكلتها أصابعه على ذراعها .. ثم جزت على أسنانها وتحركت تخطف وشاحها وتضعه بعشوائية حول رأسها.. و غادرت غرفتها.

في الطابق الأرضي تطلعت فيها أم جابر بعد دقيقة من جلستها على أحد الأرائك في الصالة وهي تنزل بعصبية فبادرتها قائلة" إلى أين يا كاميليا؟"

احكمت كاميليا الوشاح حول رقبتها وردت بقرف وهي تتجاوزها نحو باب البيت " لا تتدخلي فيما لا يعنيك يا خالتي بالله عليك "
حين صفعت الباب خلفها تكدرت أم جابر وأطرقت برأسها في حيرة ولم تعرف كيف تتصرف ..

هل تتصل بابنها وتخبره بخروج زوجته؟
أم تتركه ليكتشف ذلك وحده ؟
فهي لا تريد أن تشعل الأمر بينهما أكثر مما هو مشتعل .. وهذا ما يجعلها تتحمل معاملة زوجة ابنها المتعالية حتى لا تخرب بيت ابنها..

فحسمت أمرها بعد قليل مغمغمة" لا تتدخلي يا نَجَف حتى لا تقول أن أمه هي السبب"

××××

لمحها عيد القللي آتية من أول الطريق تتبختر في مشيتها ساهمة كعادتها .. فازداد غضبه وانفعاله .. يوما ما ستنهي حياته هذه الفتاة بلامبالاتها وعِنادها وإصرارها على فعل ما تريد .. إنه يكبر بالعمر ويزداد ضعفا وهي تزداد جموحا وانطلاقا .. المشكلة أنها لا تعترف بأنها مختلفة وأن لديها ظروفا خاصة.. بل تتعامل وكأنها ليست صماء بكماء .. تتعامل وكأنها لا ترتدي سماعة في أذنيها..

تتعامل وكأنها عادية تستطيع النطق ..
والحقيقة لا يعلم إن كان عليه أن يفرح بكونها لا تشعر بوجود مشكلة وتتعامل مع عاهتها بكل تقبل؟
أم عليه أن يخاف ؟!..
يخاف من سذاجتها .. ومن انفتاحها على الجميع..
يخاف من عنادها واصرارها على تنفيذ ما تريد..
يخاف عليها من بعده .. فمن سيرعاها وهي لا تملك سواه.. لا أم لا أخوة لا أقرباء..

على مشيتها المتبخترة السعيدة لسبب لا يعرفه
تذكر حياتهما معا على مدى ثلاثة وعشرون عاما
بداية من انجابها وهو في الأربعين من عمره بعد أن ظل هو وأمها يحاولان الانجاب سنينا طويلة ..
لتحمل فيها زوجته أخيرا .. ثم ينتهي الحلم الجميل بكابوس وفاة والدتها أثناء ولادتها ..

فبقيت هي معه كائنا ضعيفا جميلا شقيا ..هون عليه مصيبته .. وهون عليه شقاء الحياة وضيقها .. لكن ذلك المرض الذي أصابها وهي صغيرة وتسبب في فقدانها لحاسة السمع وبالتالي فقدانها النطق ذبحه في الصميم ..

أن ترى فلذة كبدك ليس كطفل عادي كبقية الأطفال إنه لعذاب أبدي ..

ومع هذا لم يقنط من رحمة الله .. ظل حامدا شاكرا له ..لكنه رغما عنه يشعر بالخوف الشديد عليها .. شخصيتها الغير نمطية ..
عاهتها ..
فقره وقلة حيلته ..
كلها أمور تشعره بالخوف والقلق وباتت تؤرق مضجعه مؤخرا ..

إنه ينام كل ليلة مرعوبا ألا يستيقظ .. ليس خوفا من الموت في حد ذاته فهو رجل مؤمن لكن خوفا عليها .. خوفا من أن يتركها وحيدة من بعده.

أوقف عجلة الفخار التي يلفها بقدمه وترك قطعة الطين التي كان يشكلها على آلة صنع الفخار وتوجه ناحية دلو الماء يغسل يده وهو يفكر ..
أعليه أن يقبل بزواجها بأي زيجة حتى لو لم تكن مناسبة.. لمجرد أن يطمئن بأنه لن يتركها وحدها!..

لكنه عاد يوبخ نفسه قائلا "أي زيجة هذه التي ستأمن عليها فيها يا عيد وأنت تقول بأنها غير مناسبة!!"
حين اقتربت حدجها بنظرات غاضبة .. فأشاحت ونس بمقلتيها عنه بحرج وهي تعلم بأنه غاضبا منها لخروجها بدون إذنه ..فوضعت يدها في جيبها تتأكد أن الهاتف الذي اعطته لها مليكة مختبئا

خلف الدفتر وبأن والدها لن يراه .. فهو لا يسمح لها بقبول أي هدايا من أي أحد .. ثم اشارت له بلغة الإشارة تقول بابتسامتها المليحة لعلها تخفف من غضبه " كيف حالك يا أبي؟"

"أين كنتِ؟ "

قالها عيد بغضب .. فتصنعت ونس عدم السمع ووضعت يدها على أذنها وكأنها تقول "لا اسمعك"

ليقول عيد بغيظ أكثر "لا تتلاءمي يا ونس أنا أعلم أنك تسمعينني وإن كنت لا تسمعينني فأنت تقرئين الشفاه جيدا"

ضربت ونس على أذنيها الواحدة تلو الأخرى وأشارت له بأن السماعتين معطلتين.. ثم تجاوزته تهم بدخول البيت هاربة لكن عيد اعترض طريقها يقبض على ذراعها هادر "ونس!"

اسرعت ونس بإخراج دفترها وكتبت "كنت في فرش مهجة بنت العمدة .. أم هاشم كانت تريدني لمساعدتها في اختيار الألوان في النيش"
واحجمت عن ذكر أن مليكة أيضا كانت تريدها حتى لا تضطر لأن تذكر السبب فقال عيد موبخا" ولماذا لم تخبريني؟"
ردت ونس بلغة الإشارة" حين خرجت لم أجدك وكنت متعجلة من أمري"
ناظرها عيد بعتاب فاتسعت ابتسامتها .. واقتربت منه تلف ذراعيها حول عنقه .. فتصنّع عيد بعض الحزم وقال وهو يبعد ذراعيها " هيا اعدي لنا شيئا للغداء"
طبعت قبلة سعيدة على وجنته ثم أمسكت بخديه تداعبه .. فأبعدها عيد بوجه صارم يخفي قلبا ضعيفا أمام شقاوتها .. لتتحرك ونس تدخل البيت البسيط ذا الطابق الواحد وهي تفكر ..
كيف ستخفي أمر الهاتف عن والدها؟!!

xxxxx

في المساء

في رحلتهما من بيت (الجد صالح) كما سمعا مفرح يطلق عليه إلى بيت العمدة مشيا على الأقدام بعد أن وصف لهما الأخير الطريق والذي كان سهلا..

أخذ التوأمان يتطلعان فيما حولهما بفضول وبنظرات مختلسة للفتيات اللاتي كن يتوجهن في نفس طريقهما إلى بيت العمدة حيث يقام حفل ليلة الحناء للعروس .. وقد حظيا هما أيضا بنظرات فضولية من الجميع ليس فقط لكونهما غريبان عن البلدة ولا لأن طولهما الملحوظ وضخامتهما ووسامتهما وأناقتهما كانوا ملفتين لفتيات القرية اللاتي بدأ بعضهن يتهامس عنهما ولكن بالتأكيد لتطابقهما في الشكل لكنهما لم ينزعجا من تلك النظرات فقد اعتادا عليها منذ صغرهما.

كانت عينا كامل تدوران حوله وكأنه يبحث عن شيء ما ..ليأتيه صوت شامل يقول بحماس" أحببت بيت الجد صالح ذكرني ببيت جدي في الوطن"

ابتسامة باهتة ارتسمت على شفتي كامل دون رد ليضيف شامل وقد شاهد الأنوار التي تزين الشارع الذي يقع فيه بيت العمدة" ها قد اقتربنا (ثم تطلع في توأمه قائلا بقلق) هل تبحث عن شيء يا كيمو ؟ أشعر بك تفكر في أمر لكنك تحتفظ به في موقع خاص في رأسك بعيدا عني!"

هز كامل كتفيه ورد بهدوء " لا شيء فقط ارتب الصفقات التي سنعقدها مع مفرح لتوريد الخضر الأورجانيك والفاكهة للمطعم .. وافكر في التجهيزات الباقية لإعادة افتتاح المطعم لأني أريد أن اطمئن على اعادة فتح المطعم بعد توسعته واطمئن على سير العمل فيه قبل أن أسافر"

غمغم شامل بامتعاض وهو يشيح بوجهه "ما دمت قلقا إلى هذا الحد على المطعم في ثوبه الجديد فالغِ فكرة السفر من أساسها "

أشاح كامل بوجهه دون رد ليقتربا من بيت العمدة ويجدا صوانا كبيرا على مقربة منه يضم الضيوف المهنئين من الرجال ..فشعرا ببعض الحرج وهما لا يجدان مفرح بين الجموع ..بينما أسرع سليمان الوديدي مقتربا منهما وهو يقول بتهليل" يا أهلا وسهلا بالأشقاء العرب "

ابتسم له التوأمان شاعران بعدم الارتياح لهذا الرجل بينما قال سليمان مضيفا بفخر "بالمناسبة أنا لست فقط خال مفرح .. أنا والد العريس أيضا"

غمغم شامل بمجاملة" ألف مبروك تممها الله على خير"

أكمل سليمان ثرثرته مضيفا" فضّلنا أن يكون تجمع المهنئين للعريس أيضا عند بيت العروس بدلا من تقسيم المهنئين .. ففي النهاية لا يوجد فرق بين بيت الوديدي وبيت العمدة (وأضاف بلهجة استعراضية) حتى أنني اضطررت لنقل الطباخ الآتي من العاصمة وفريقه كاملا هنا بالقرب من مجلس الرجال ليقدموا العشاء اليوم وغدا بإذن الله "

منحه شامل ابتسامة مجاملة بينما تطلع كامل حوله يبحث عن مفرح ..فقال سليمان ببشاشة" أرجو أن يكون البيت قد أعجبكما.."
ابتسم له كامل ابتسامة مجاملة ضعيفة واضعا يديه في جيبي بنطاله الجينز الأسود بينما قال شامل ببعض الحماس "الحقيقة بيت الجد صالح ما شاء الله مريح جدا وهادئ ونظيف احببناه جدا أنا وأخي كامل"

ازدادت ملامح سليمان حبورا وفخرا وتمتم بسعادة "الحمد لله .. الحمد لله (ثم نادى على أحد الرجال من أعيان البلد قائلا بلهجة متفاخرة) يا حاج عبد الجليل تعال لأعرفك على أصدقاء مفرح ابن أختي القادمين من دولة أخرى"

بالقرب منهم وقف بدير العسال مضيقا عينيه الخضراوين ومدققا في هذين التوأمين المتطابقين وفي ترحيب سليمان الوديدي بهما بهذا الشكل المبالغ فيه ثم مال على أحد رجاله يسأله" قلت أنهما ثريان؟"

رد الرجل مؤكدا " أجل .. فأهل البلدة ليس لديهما سيرة اليوم سوى فرش بنت العمدة وفخامته .. وذلك الرجل مهندس الديكور الذي جاء هو وفريقه لترتيب بيت العروس وانتهى خلال ساعات قليلة من فرش الشقة بأكملها .. و هذان الشابان المتطابقان في الشكل.. لو رأيت سيارتهما ستعرف بأنهما ثريان جدا"

أخيراً ظهر مفرح خارجا من بوابة بيت العمدة يبدو عليه الانشغال بمتابعة هذه وتلك .. واسرع نحو التوأمين بنظرات معتذرة متفهما حرجهما وشعورهما بالغربة بدونه .. فسلم عليهما واعتذر للرجال الذين جمعهم سليمان الوديدي حولهما ثم قال" تعاليا ليرحب بكما أبي عبد الرحيم الزيني"

xxxx

خرجت بسمة من بيت سليمان الوديدي تبرطم في عصبية بعد أن علمت بأن والدها قد سمح لبعض أصدقاء مفرح بالمبيت في بيت الجد صالح دون الرجوع لها ..

فاستقبلها حمادة بالتوكتوك ليقلها لبيت العمدة بعد أن قررت الأسرتين جعل حنة العروس وصوان استقبال الرجال من المهنئين للجانبين عند بيت العروس بدلا من تقسيم أهل البلدة .. ولم يبق أمام بيت الوديدي إلا الشباب أصحاب العريس المحتفلين به على أغاني ال DJ الراقصة .

قبل أن تركب التوكتوك أوقفها صوت ينادي باسمها فاستدارت لتجد الدكتور مهاب الطبيب البيطري الآتي من العاصمة لرعاية مزرعة الوديدي للمواشي .. فشعرت بسمة بالحرج .. فهي تكاد تجزم بأن هذا الطبيب يميل إليها ويتحين الفرص والحجج للتحدث معها لكنها قالت بلهجة عادية "أهلا دكتور مهاب"

قال مهاب وهو يعدل من نظارته الطبية "أولا ألف مبروك لوليد يا باشمهندسة بسمة (واكمل بلهجة ذات مغزى) والعقبى لك إن شاء الله"

ردت بسمة بوجه خالي من أي تعابير" شكرا يا دكتور العقبى لك أنت أيضا"

تنحنح الطبيب وعدل من سترته الأنيقة ثم قال" أين مجلس الرجال حسبته سيكون هنا؟"

قالت بسمة متعجلة وهي تتطلع حولها خوفا من أن يلمحهما أحد وهما يقفان يثرثران .. فلا ترغب في

إثارة المزيد من الأقاويل حولها " لقد نُصب الصوان بجوار بيت العروس لاستقبال المهنئين من الرجال وبقي الشباب هنا "
قال مهاب بارتباك " حقا ! .. إذا سأبارك لوليد وأذهب إلى هناك إن شاء الله "

ركبت بسمة التوكتوك دون تعقيب .. ليسرع مهاب بالقول قبل أن تغادر مختلسا نظرة سريعة نحو سائق التوكتوك " كنت أود أن أتحدث معك في أمر هام في أقرب فرصة ممكنة يا باشمهندسة "

شعرت بسمة بالارتباك والحرج لكنها تطلعت فيه بملامحها الباردة متعمدة وردت بصوت عال من بين الموسيقى الصاخبة لل DJ" إن شاء الله دكتور مهاب .. والآن اسمح لي (وقالت للسائق وهي ترفع يدها لتسحب الوشاح الذي يغطي نصف شعرها

للإمام قليلا قبل أن ينزلق) هيا يا حمادة بسرعة فقد تأخرنا"
ليقول الأخير وهو ينطلق بسرعة " من عيني يا ست الكل"
شيعها مهاب بنظراته وهي تبتعد .. وراقب طرف عباءتها الذي يرفرف طائرا من باب التوكتوك كقلبه .. داعيا بأن ينال هو وقلبه ما يتمنيا في القريب العاجل.

××××

قال جابر في الهاتف بعصبية "ما دمتِ قد كسرت أوامري وخرجتِ من البيت يا كاميليا فابق عندك حتى أجلس مع أخيك لنَبِت في هذا الأمر .. وحتى لا تتهميني بالتسلط كعادتك ..لن أمنعك من الذهاب لحفل الحناء ..فأنا أعرف بأنك قد تصابين بذبحة صدرية إن فوتِ هذا الحدث بالذات .. لكن قسما بالله .. لو رأيتك ترتدين شيئا مبالغا فيه أو تضعين

زينة وجه فجة لا أعرف كيف سيكون رد فعلي فقد نفذ صبري معك ولم أعد أحتمل"..

قالها واغلق هاتفه دون أن ينتظر منها ردا .. ثم ألقاه على الأريكة ووقف متخصرا يزم شفتيه في محاولة للسيطرة على أعصابه التي أهاجها الغضب حين حضر منذ قليل فأخبرته أمه بأن كاميليا قد غادرت المنزل .

ربتت أمه على صدره وقالت ترفع عيناها اللتان غشيهما العمر "اصبر عليها يا بني إنها مازالت طائشة"

انفجر جابر صائحا " وإلى متى ستبقى هكذا يا أمي إنها في الواحدة والثلاثين من عمرها الآن .. يبدو أنها قد اعتقدت أن صبري وحلمي عليها ضعفا مني .. أتحسبني لعبة بين يديها؟!"

قالت أمه مهدئة" لا أقصد أن تتهاون معها بما يقلل من رجولتك لكن في المقابل حاول أن تدللها أكثر لربما اعتدلت وهداها الله"

جن جنون جابر وقال بغيظ "أكثر من ذلك يا أمي!!.. أكثر من ذلك؟!! .. ألست شاهدة على ما أفعله معها؟!"

تنهدت أمه وقالت بحزن " أعلم يا ولدي .. وأشعر بمعاناتك لكن من أجل ابنتك"

فرك جابر وجهه بكفيه ينظر لأعلى محاولا السيطرة على أعصابه .. فأشفقت عليه أمه وقالت " هل أعد لك الطعام؟"

غمغم جابر بصوت خافت "سلمت يداك يا أمي ليس لدي أي شهية .. سأغير ملابسي واستعد للذهاب لعرس ابن الوديدي .. فاستعدي أنتِ أيضاً لأوصلك إلى هناك "

تحرك صاعدا نحو شقته تشيعه نظرات أمه الحزينة على حظه العاثر تدعو الله أن يهدي له زوجته.

أما كاميليا فارتعبت من لهجته الغاضبة وخشيت أن يتهور ويحرجها بأي تصرف أهوج منه أمام الناس فوقفت قليلا في صحن دار العسال تهز قدمها بعصبية وتقدر الوضع .. ثم استدارت صاعدة لأعلى لتبدل تلك العباءة شديدة اللمعة التي كانت تنوي أن تذهب بها فتلفت كل العيون لجمالها .. ولتخفف بعضا من زينة وجهها وهي تبرطم شاعرة بالقهر..

فأسرعت وجدان زوجة بدير تسألها" إلى أين يا كاميليا؟.. ألم تستعجليني للذهاب؟!"

غمغمت كاميليا بغيظ وهي تصعد درجات السلم "إلى حظي الأسود .. ذاهبة إلى حظي الأسود في هذه الحياة "

xxxx

نزلت بسمة من التوكتوك غاضبة أمام بيت العمدة وهمت باستكمال الطريق على قدميها نحو الصوان الكبير الذي يظهر في الساحة أمامها .. لكنها تحكمت في أعصابها بقوة تمنع نفسها من التهور واختراق مجلس الرجال للبحث عن مفرح الذي لا يرد على هاتفه .. خاصة وهي تلمح بدير العسال يقف على مسافة ما بين الصوان وبيت العمدة وقد التقت عينيهما فأشاحت بنظراتها على الفور ودخلت بيت العمدة حيث التجمع النسائي في ساحة البيت .. وبدلا من أن تنضم إلى المحتفلات اللاتي يقفن حول العروس الجالسة في فستان منفوش لامع على كرسي وحيد يطبلن ويرقصن ويغنين تحركت نحو داخل البيت .

قابلتها عمتها نحمده لتبادرها بسمة بالقول"أين مليكة؟ "

ردت نحمده ببرود" بالأعلى تساعد الصبيّان على ارتداء ملابسهما منذ ساعة وكأنها تلبس عريسين"

ردت بسمة ببرود مماثل" حسبتها تشرف على شيء ما ..من الاشياء التي تُخترع فجأة من أجل مضايقتها"

وضعت نحمده قبضتيها في خصرها ورفعت وجهها لبسمة الصاعدة على السلم وسألتها بلهجة مستنكرة "هل اشتكتنا لك بنت الصوالحة؟"

استدارت بسمة تقول بابتسامة ساخرة "ليتها تشتكي يا عمتي ..ليتها تشتكي ..لكنها بنت أصول وتعرف أن شكوتها ستتسبب في الكثير من المشاكل"

قالت نحمده وهي تتأملها "تغيرتِ كثيرا يا بسمة .. لم تعودي بسمة الهادئة الوديعة المطيعة"

بنفس الابتسامة الساخرة ردت بسمة "أجل تغيرت يا عمتي .. فالزمن لا يترك أحدا دون أن يضع بصمته عليه"

قالتها وتحركت صاعدة حتى اختفت من أمامها .. فغمغمت نحمده في سرها "لو كنتِ أنت ومفرح وافقتما على الارتباط ببعضكما لما كان هذا حالك يا بسمة .."

لكنها عادت تنهر نفسها مغمغمة" هذا أفضل يا نحمدو .. فلو كانت قد تزوجت من مفرح لكان الآن بدون أولاد !"

قاطع شرودها دخول يامن وياسر الزيني من الباب ليقول الأول "أين المفارش البلاستيكية يا جدتي .. أخبروني بأنها أتت مع الطلبية التي جاءت صباح

اليوم ويريدونها لاستكمال فرش طاولات الطعام بالخارج"

أشارت نحمده لغرفة داخلية تقول" في إحدى الأكياس بالداخل"
تابعتهما وهما يدخلان الغرفة ثم يعودان بعد دقيقة يحملان لفة كبيرة من البلاستيك فتطلعت ببعض الحقد في طولهما وهمتهما في المساعدة..
فهي دوما تحقد على مصطفى الزيني لأن لديه خمسة ذكور يسدون عين الشمس كما يقولون .. أكبرهما طبيب في الرابعة والعشرين وأصغرهما في الخامسة عشرة بخلاف الفتاة الوحيدة منة الله.

تابعت عبر الباب المفتوح محمد مصطفى الزيني الأكبر من يامن وياسر وهو يقف على البوابة الخارجية متحرج من الدخول إلى الساحة حيث تتجمع النساء للاحتفال .. ينتظر أخويه ويتعجلهما

ثم التقط منهما اللفة متجها في اتجاه الصوان ليختفيا الثلاثة من أمام عينيها .

لقد تمنت دوما أن تنجب الكثير من الأولاد وخاصة الذكور.. وكانت في منافسة دائما مع زوجة فاضل الزيني رحمها الله في الانجاب.. لكن الأخيرة انجبت الكثير من الإناث وولدا واحدا هو مصطفى.. أما هي فمات لها الكثير من الولد سواء قبل أن يولدوا أو بعدما ولدوا مباشرة ...ولم يبقى لها سوى فايزة ومفرح ومهجة ..

لهذا عليها أن تشكر الله على عدم موافقة بسمة ومفرح على رغبة العائلتين في زواجهما من صغرهما .. فبسمة مثلها مثل كل نساء عائلة الوديدي اللاتي يشتهرن بالجمال المبهر والعيون الملونة لكنهن إما عاقرات أو لديهن مشاكل في الإنجاب ..حتى فاطمة الوديدي ابنة عمها وزوجة أخيها لم تنجب سوى

بسمة ووليد وها هي بسمة تطلق بسبب عدم قدرتها على الانجاب .

زفرت بغيظ وتمنت الاطمئنان بسرعة على مهجة .. ففايزة والحمد لله ليس لديها مشاكل في الانجاب وها هي أم لبنتين وولدين .. بقي مهجة لتطمئن عليها داعية من الله ألا تكون قد نالت حظا سيئا بدمائها المختلطة بدماء عائلة الوديدي.

××××

في الخارج تحرك بدير عائدا نحو الصوان متجاهلا ذلك الرجل الذي يتحدث معه ..
وذلك بعد أن رآها ..
أخيرا لمح وجهها الجميل ..
إنه يتلكأ ذهابا وإيابا في تلك المسافة الصغيرة بين الصوان وبيت العمدة متعمدا فعل اللاشيء حتى يراها لعلمه بأنها حتما ستأتي .

شاردا في حالة السُكر التي انتابته برؤيتها تحرك لا يدري بخطواته .. ليصيح ذلك الرجل الذي كان يحدثه بحنق" أنا أتحدث معك يا بدير"

رغم الصوت العالي لمكبرات الصوت بأغاني الأفراح التي تضج بالمكان انزعج بدير من صياح الرجل خلفه ووضع سبابته في أذنه مغمضا عينيه لثوان قبل أن يستدير للرجل قائلا "اسمي الحاج بدير يا زُهير "

رد زُهير قائلا بغيظ "أنا أتحدث معك منذ ما يقرب من نصف ساعة وأنت لا تعيرني اهتماما"

ناظره بدير بنظرة متعالية ثم قال ببرود شديد "حديثك لن يغير شيء يا زهير ..فأنا لا أنوي على أن أصبر عليك أكثر من ذلك"

تطلع زهير حوله بحركة لا إرادية وكأن هناك من يستطيع سماع حديثهما وسط صخب الموسيقى

العالي ثم اقترب يقول بملامح متوسلة لا تتماشى مع انفعاله منذ دقيقة" يا حاج بدير .. أنت تعرف بأن ظروفي صعبة .. وما استطيع أن أدبره شهريا قليل .. ولا يرضيك أن أدخل السجن واترك زوجتي وأولادي ووالداي مشردين"

رفع بدير حاجبا يناظره بعينيه الخضراوين الباردتين ثم قال ببطء" وأنا لن أصبر يا زهير قلت .. أنظر كم عام صبرت عليك .. اقترضت المال لتتزوج ووعدتني بأنك ستواظب على السداد ولم تفعل .. وها أنت قد تزوجت وأنجبت وابنك الكبير على وشك دخول المدرسة وأموالي لم تصلني بعد"

قال زهير بحنق " يا حاج بدير لو كان أصل المبلغ هو ما أرده إذن فالدين قد وصلك منذ زمن ..لكن تلك الفوائد المركبة التي تفرضها عليّ كلما تأخرت عليك في السداد وايصالات الأمانة التي تعبت من

عدها ومن التوقيع عليها والتي تكتبها عليّ هي ما حولت مبلغ الدين لهذا الرقم المهول ..(واختنق صوته مضيفا) صدقني أنا لا أنام الليل بسبب تلك الديون فاستكفِ بأصل المبلغ واطلق سراحي استحلفتك بالله "

انقلبت عيني بدير قائلا بلهجة خطرة "ما دمت لست على قدر كلمتك لسداد الدين كان عليك ألا تستدين من الأساس .. فنقودي التي أخذتها لتتزوج بها كان من الممكن أن أتاجر بها واكسب من ربحها .. لذا أنا لم أظلمك بهذه الفوائد وأنت حين اقترضت مني كنت تعلم بأمرها .. والآن دعني فلست في مزاج لمهاتراتك .. الشيكات وايصالات الأمانة قد وصلت للشرطة بالفعل .. وهذه المرة ليست تهديدا كالمرات السابقة"

وتحرك مبتعدا بعد أن ناظره بقرف .. ليقف زهير حائرا لا يعلم ماذا يفعل في هذه المصيبة التي ستهدم أسرته بالكامل .

xxxxx

في شقة مفرح قالت مليكة بهدوء "الحقيقة لم تتح لي الفرصة لمعرفة تفاصيل الأمر يا بسمة ..لكن مفرح كان في موقف شديد الحرج وكنت قلقة عليه جدا"

قالت بسمة بحنق" أنا لست معترضة يا مليكة.. أنا معترضة فقط على تصرف أبي في بيت الجد صالح بدون علمي"

ردت مليكة " مرريها هذه المرة من أجل مفرح فهذان الشابان شديدي الأهمية بالنسبة له.. ولم أره مرتبطا بأحد هكذا منذ مدة "

غمغمت بسمة باستسلام" لا بأس من أجل مفرح وضيوفه فقط (ثم قالت عاقدة الحاجبين) سمعت وليد يقول بأنهما وافدان من دولة أخرى"

أجابت مليكة" أجل (ثم مالت على إياد الذي يقف أمام المرآه تقول بعد أن انتهت من تصفيف شعره) هل هذا جيد إياد باشا؟"

طالع إياد نفسه في المرآه وحرك رأسه يمينا ويسارا ليتفحص هيئته قبل أن يقول بلهجة متعالية مازحة "لا بأس به .. سأمنحك قبلة جائزة لك"

ضمت مليكة قبضتيها أمامها ورمشت بعينيها كالفتيات في الرسوم المتحركة تقول بامتنان وبصوت طفولي رقيق "هذا شرف كبير يا سيدي.. ومالت بخدها ليطبع إياد عليه قبلة بصوت عال

أضحكت مليكة قبل أن تتدخل بسمة وتقول بغيظ" اذهب يا إياد ولا تفقأ مرارتي أنت ومليكة" ضحك إياد واسرع بالخروج .. فأشارت بسمة لصاحبتها تقول" وأنتِ .. هيا لننزل فبالتأكيد مهجة ستغضب منا على تأخرنا هذا "
عدلت مليكة من حجابها مغمغمة" زوجات أخوتي أيضا بالتأكيد قد وصلوا ويبحثن عني"

حين وصلا لباب الشقة نظرت بسمة لمليكة التي تفتح الباب وقالت "لازلت لا أصدق أن مهندس الديكور قد انتهى هو وفريقه من ترتيب الشقة في هذا الوقت القياسي"

غمغمت مليكة " رأيت صور الشقة فقد عرضتها فايزة بعد ترتيبها لكل من تعرفهم متفاخرة" قالت بسمة بلهجة متعاطفة" أم هاشم لا ترد على الهاتف منذ أن غادرت"

غمغمت مليكة "أنا انشغلت ولم اتصل بها أتمنى أن أراها بالأسفل"
ردت بسمة وهي تنزل خلفها" ألا تعرفين أم هاشم وكبريائها .. لن تأتي وأراهنك على ذلك"

××××

بملامح مظلمة عابسة دخلت أم هاشم بيت عمها فسألتها زوجته متفاجئة والتي كانت على وشك الذهاب لحنة العروس " لماذا أتيت؟!"
كانت أم هاشم قد ألقت سلاما خافتا وتجاوزتها لكنها بمجرد أن سمعت السؤال حانت منها نصف التفاتة وردت على المرأة بلهجة مستنكرة" وهل كنت ترغبين في ألا أعود يا صباح!"

قالت صباح موضحة "لا .. أقصد لماذا أنتِ لست في حفل الحناء (وتطلعت في عباءتها المغبرة بالأتربة وقالت متهكمة) ولمَ أنتِ بهذه الهيئة رغم أنهم قد استغنوا عن خدماتك وعن أنامللك الذهبية

في رص نيش بنت العمدة بعد أن استعانوا بمهندس ديكور وفريقه لترتيب الشقة .. البلد ليس لها سيرة إلا هذا منذ ساعات "

ضيقت أم هاشم عينيها ناظرة للمرأة بنظرة تعلم بأنها ترعبها ثم ردت ببرود رغم ما يعتريها من انفعالات غاضبة تفور بداخلها "ليس من شأنك أين كنت .. ولست في مزاج للذهاب للمباركة .. باركت لهم صباحا وانتهى الأمر.. والآن اتركيني فأنا متعبة ولا أريد أن اتحدث مع أحد الليلة فاتركوني في حالي واذهبوا إلى حيث تنوون"
تحركت نحو غرفتها بكتفين بذلت مجهودا ليبقيا مفرودين.. رغم شعورها بالمرارة والألم.

لم تجد مكانا ظهر اليوم تذهب إليه لتختلي بنفسها بعيدا عن الجميع .. فساقتها قدماها إلى المقابر خارج البلدة .. إلى حيث يكون قبر والديها ..

وبجوارهما أخذت تبكي طوال الوقت وتفرغ معينا من الدموع المحبوسة التي لا تجد مكانا أو خصوصية أو فرصة للانهمار ..
سألت والديها اسئلة أزلية تدور في صدرها ولم تتلق ردا عليها ..
وتعجبت من أنها قد رضيت بقدرها ولم تقنط أبدا .. لكن الناس يصرون على معاملتها بطريقة مهينة..
يصرون على وضعها في تصنيف متدني بسبب لون بشرتها ..

يصرون على افتراض خيالات عنها غير منطقية رغم أنها تعيش معهم على مدى ثلاثين عاما ولم يروا منها ما يسيئها ..
إنها لم تطلب شيئا من أحد ..
ولم تؤذ يوما أحد ..
ولم تنظر يوما لشيء لا يخصها ..

ولم تحاسبهم على ما يقولونه في وجهها ومن خلف ظهرها ..
لماذا لا يفكر البشر فيما يطلقونه من أحكام قبل تصديقها؟!.
لماذا لا يفكرون فيما يخرج من أفواههم من كلمات قد تكون جارحة أو مهينة للأخرين؟!

لماذا يا الله؟!!!

××××

بعد أن سلما على جدهما العمدة الجالس في صدر الصوان بهيبة بين الرجال من أهل البلدة والشخصيات الهامة .. سحب مفرح ولديه تشيعهما نظرات جدهما الغائمة بالحب والفخر بحفيدي الزيني .. وتحرك بهما إلى هذين التوأمين الجالسين في ركن من الصوان يشعران ببعض الحرج واللذان ما أن لمحاه قادما حتى منحاه ابتسامة

متطابقة إلى حد كبير فشهق إياد قائلا" أنظر يا أدهم هذا الرجل انقسم لشخصين وهو جالس "

ابتسم أدهم بينما ضربه مفرح بخفة على رأسه والابتسامة تزين شفتيه ثم قال لصاحبيه" أحفاد الزيني أدهم وإياد مفرح الزيني "

اشراقة على وجهي التوأمين وهما يسلمان على ولدي مفرح متمتمان بما شاء الله .. ثم غمغم كامل " أهلا بوحشيّ آل الزيني "

تابع مفرح السعادة التي بدت على وجهي التوأمين وهما يناكفان ولديه .. وتذكر كم أنهما يحبان الأطفال بشكل كبير .. حتى أنه أخبرهما أكثر من مرة بأن عليهما بالإسراع بالزواج ما داما يعشقان الأطفال بهذا الشكل فحتى كامل الذي يبدو باردا متعاليا لمن لا يعرف حقيقته يظهر عشقه للكائنات الصغيرة فور أن تقع عينيه عليهم .

ناكف التوأمان ولدي مفرح فقال كامل" لا .. أنا شامل وهو كامل .. "
بينما قال شامل" كاذب ..بل أنا شامل وهو كامل"
أمسك إياد برأسه ونظر لأخيه قائلا" رأسي ستنفجر .. هل فهمت من فيهما كامل ومن شامل !!"

على جانب آخر من الصوان قال جابر متهكما وهو يسلم على صاحبه هلال جمعة "أشرقت الأنوار هلال باشا .. لم نر وجهك منذ مدة لعل المانع خير!"

رد هلال ببرود وهو يجلس بجانبه " أنت الذي اصبحت تتعالى علينا يا جابر باشا"
هتف جابر باستنكار" أنا!!! .. أنا أتعالى عليك يا هلال؟!!!"
رد هلال بامتعاض" أنت تعرف بأني بت أسهر كل يوم في مقهى (...) فإذا كنت ترغب في رؤيتي لكنت

ذهبت إلى هناك خاصة وأني قد طلبت منك أكثر من مرة أن تنضم إليّ هناك لكنك ترفض .."

رد جابر بلهجة غاضبة" أنت تعرف بأني ليس لي في جلسات المقاهي ولا غرز الحشيش يا هلال .. وليس لدي وقت لأضيعه مع هؤلاء الضائعين الذين تلازمهم منذ فترة .. وقد حذرتك من مصاحبتهم"

رد هلال بلهجة متهكمة " آه نسيت بأنك أصبحت المَعلم جابر صاحب محلات الأجهزة المنزلية وأن وقتك أصبح من ذهب فمن الطبيعي ألا تضيع وقتك مع مفلس عاطل مثلي "

أشاح جابر بوجهه وغمغم بضيق" لا حول ولا قوة إلا بالله ..(ثم عاد ينظر لصاحبه) لمَ أنت مصر على قطع الصلات بيننا؟!!! .. هل ما أفعله هذا جديدا عليك ؟!..أنت صاحبي منذ أكثر من ثلاثين

عاما هل رأيتني يوما أجلس على مقهى أو أدخن سيجارة؟!!"

زم هلال شفتيه وأشاح بوجهه غير راغب بالاعتراف بصدق ما يقوله جابر .. ثم استقام فجأة يقول" لقد باركت لآل الزيني وآل الوديدي لذا أنا ذاهب "

وقف جابر مصدوما ثم نادى عليه .. لكن الأخير غادر بخطوات غاضبة يترك الصوان..
إلى حيث يسهر كل ليلة في أحد المقاهي الشهيرة في مركز المحافظة .

××××

كانت طرقات القرية خالية تقريبا رغم أن الساعة لم تتجاوز الثامنة .. لكن تواجد معظم أهل القرية

في حدث مهم كحنة بنت العمدة فرض هدوءً على بعض الشوارع الجانبية فيها ..

في طريقها إلى الحفل .. وعلى الرغم من أن سماعات أذنيها القديمة قد أصابها بعض الضعف وقلت كفاءتها بعض الشيء .. وصل إلى مسامع ونس بعض الاحاديث التي التقطتها السماعات من المارين بجانبها في هدوء وسكون الليل والتي كانت تتمحور غالبيتها عن أهم الأحداث في القرية هذا اليوم.

لكنها لم يكن يهمها شيء من كل هذا .. ولم تكن منشغلة بشيء بقدر انشغالها بحدث أكبر وأهم وأمتع .. ألا وهو ذلك الهاتف الذي حصلت عليه ..

إنها ستستطيع من خلاله التواصل مع من تريد عبر تطبيقات الدردشة .. وقد قضيت الساعات

الماضية تشاهد فيديوهات على الانترنت من تلك الباقة التي اشتركت لها مليكة فيها .. فاطلعت على الكثير من المعلومات .. ودخلت على مواقع تخص أفلام الرسوم المتحركة التي تحبها .. وأخرى عن عالم الألوان الذي تحبه ..
إن الهواتف الذكية رائعة والانترنت أروع .. يسحبها إلى عالمٍ ساحر كالعالم التي تحب أن تعيش فيه ..

قررت اختصار المسافة إلى بيت العمدة بالانعطاف إلى أحد الطرق الجانبية الهادئة تماما .. وهي منشغلة في التقليب في الهاتف ذي الألوان البراقة ..
يا الله كم تبهجها الألوان !..
كم تشعرها بالسعادة وتغمرها بالبهجة ..
توهمها بعالم جميل كأحلام اليقظة التي دوما تسرح فيها .

لاح ظهر الصوان الكبير من بعيد .. فأيقنت بأنها قد وصلت .. وعزمت على أن تلتقط صورا مع العروس ومع مليكة أيضا ..

الأنوار والزينات من بعيد ألهموها أيضا بأن تلتقط صورة لنفسها وخلفها تلك الأنوار البراقة
..فتساءلت عن جودة كاميرا الهاتف الذي أصبح ملكها ..وأولت ظهرها للصوان وأنواره المتلألئة ثم رفعت الكاميرا أمام وجهها وبدأت في التقاط الصور.
من شارع جانبي خرج أحد الشباب بعد أن انتهى من شرب سيجارة من نوع خاص وابتلاع إحدى الحبات المخدرة كعادة ينتهجها بعض الشباب في المناسبات كنوع من الاحتفال من جهتهم .. وكان اصحابه قد سبقوه منذ دقائق فخرج ليلحق بهم ..ليتفاجأ بظهر تلك الفتاة التي ترفع هاتفا وتلتقط لنفسها صورا مستغلة خلو الطريق وهدوءه للتميّع

أمام الكاميرا.. فازدادت سخونة جسده ...وتحرك بإنفلات اعصاب ليطوقها من الخلف ملتصقا بها.
تفاجأت ونس بتلك الذراعين اللتين تطوقانها وبرائحة عرق ذكورية مختلطة برائحة دخان غريبة فأطلقت صرخة مرتعبة تاهت وسط صخب مكبرات الصوت العالية الآتية من الصوان ..
ليسحبها الشاب للخلف قليلا إلى حيث ذلك الشارع الضيق الذي خرج منه قائلا " سآخذ قبلة يا أنتِ ثم أطلق سراحك"

بالتزامن مع هدير قلبها العالي كانت ونس تزمجر بشراسة في محاولة منها للفكاك من الشاب ..
فضربته بكوعها في بطنه بكل ما فيها من خوف تحول لطاقة مقاومة .. ليتألم الشاب بقوة وترتخي ذراعيه قليلا فأفلتت منه .. لكنها ما كادت أن تبتعد خطوتين وقبل حتى أن تستدير لتتعرف عليه ألقى الشاب الغير متزن بنفسه عليها لتقع أرضا

ترتكز على يديها وقدميها ويقع الشاب فوقها وتتسلل يديه لتتحسس جسدها مغمغما بلسان ثقيل" قلت سأخذ قبلة فقط .. من أنت؟ فجسدك طري وجميل "

صيحة شرسة من ونس أتبعتها بغرز أسنانها في ذراعه ليتألم الشاب بشدة لكنه تحمل بقوة حتى لا يفلتها من يده بينما اهتزت السماعات من أذنيها وسقطت إحداهما في طيات وشاحها فتملك الرعب منها .. فبهذا الشكل ستفقد جزء من قوتها حين لا تسمع .

لاح حجر بالقرب منها فحاولت مد يدها لالتقاطه لكن الأمر كان صعبا .. ليرتفع فجأة ثقل الشاب من فوقها وكأنه قد انتزع انتزاعا.

قبل دقائق

نظر شامل في هاتفه الذي كان يرتعش في يده ليجد اتصالا من والده .. فتحرك تاركا الصوان وهو يرفعه إلى أذنه ويقول" نعم أبي"
قادته قدماه إلى ما وراء الصوان مبتعدا عن مكبرات الصوت وهو يتمتم" لا تقلق يا أبي أنا أباشر العمال الذين يقومون بتوضيب المطعم وأتابع أولا بأول الوضع مع مهندس الديكور ..... لا نحن في حفل الحناء وبعدها سنعود إلى حيث سنقضي الليل ..... المكان هنا رائع يا أبي ذكرني ببلدة(.....) مسقط رأسك .. لا تقلق يوم أو اثنين سنعود حالما نتفق على طلبيات توريد الخضر والفاكهة مع مفرح فهو مشغول حاليا بزواج أخته"

صرخة مكتومة وصلت إليه رغم صوت الموسيقى العالي فجعد جبينه ينظر في اتجاه معين وهو يقول لوالده مودعا "تصبح على خير يا أبا نخل .. سلام"

أغلق الهاتف وقرر العودة حينما لم يسمع شيئا جديدا لكنه ما أن استدار حتى أتاه صوت صرخة مكتومة وتبعتها زمجرة مقاومة فتحرك يسارا نحو شارع ضيق ليجد شابا يطوق فتاة من الخلف ويرمي بثقله فوقها وهي تقاومه بشراسة وتغرز أسنانها في ذراعه فهدر شاتما بلهجة بلده وهو يسرع بالانقضاض على الشاب يرفعه عنها من قميصه ويضربه بعنف في الحائط حتى شعر الشاب بأن عظام ظهره قد تهشمت .. بينما تحركت الفتاة بسرعة تمسك بحجر كبير وتهم بإلقائه .

في أقل من ثانية تذكر شامل تلك الفتاة التي كاد أن يدهسها كامل بسيارته صباح اليوم ..خاصة مع تلك السترة باللون الاصفر القصيرة التي ترتديها الواقفة في حالة من الرعب أمامه ومع هذا لم يكن متأكدا إن كانت هي أم لا .

في الوقت الذي تحرك الشاب مرتعبا من ذلك الضخم الذي ظهر أمامه ومن انفضاح أمره رغم أنه من قرية مجاورة .. فأطلق ساقيه للريح مستغلا تلك اللحظة التي دقق فيها شامل في الفتاة ..

لم يعره شامل اهتماما بقدر ما كان راغبا في الاطمئنان على الفتاة التي ألقت الحجر بغيظ خلف الشاب مطلقة زمجرة مغلولة وهي تحاول اللحاق به فاتسعت عينا شامل مندهشا وهم باللحاق بها صائحا "اتركيه فلن تلحقي به وتعالي لتلملمي اشيائك التي سقطت منك"

لم تكن ونس تسمع شيئا مما قاله شامل .. فتحركت لاهثة تلتقط حجرا أخر ..وعادت إلى هاتفها وقلمها ودفترها وخطفتهم من الأرض وهي لا تزال تمسك بالحجر في يدها متشككة من نوايا ذلك الشاب الطويل الذي انقذها .. قبل أن تسرع

بالخروج من الشارع جريا منعطفة يمينا نحو الصوان ..

ناداها شامل" يا أخت .. هل أنت بخير ؟.. هل أذاك؟ ..هل تعرفينه لنشتكيه؟ .. يا آنسة!.. " ثم حانت منه التفاتة للجهة المعاكسة حيث جرى الشاب و عاد لينظر باتجاه الصوان مغمغما " ألديها هواية إلقاء الأحجار على الناس !"

××××

صدح صوت نصرة عاليا وهي تصفق بيديها وتقود الغناء للعروس بعدما قرر النسوة تجاهل مكبرات الصوت التي تذيع أغاني الافراح ليحتفلن بطريقتهم الخاصة..

يالي ع الترعة حود ع المالح
وشوف الحلوة الي عودها سارح

- شعري بيوجعني
- من ايه؟
- شعري بيوجعني
- من ايه؟
- شعري بيوجعني من شد امبارح

احمر وجه مهجة وغطت عينيها بكفها في حرج مع انفجارات في الضحك من النسوة المتحلّقات حولها .. في الوقت الذي أدارت اسراء ابنتها وجهها بخجل بسبب شقاوة أمها التي أخذت ترقّص حاجبيها للعروس وللسيدات ثم اكملت بمزيد من الشقاوة والضحك..

- وسطي بيوجعني
- من ايه؟
- وسطي بيوجعني
- من ايه؟

- وسطي بيوجعني من رقص امبارح
يالي ع الترعة حود ع المالح

دخلت ونس من البوابة مندفعة تتجاوز اسراء وصديقاتها التي نادت عليها باندهاش "يا ونس أنت يا فتاة(ثم غمغمت) ربما لا تضع السماعة جيدا"
أما ونس لم تكن تدري إلى أين تتجه وهي تخترق الموجودات.. لكنها اسرعت نحو مليكة ما أن لمحتها تقف مع بسمة .. ووقفت بجانبهما تلتقط أنفاسها.
استقبلتها مليكة بانزعاج تسألها" ما بك؟ولمَ هيئتك ليست مرتبة بهذا الشكل ؟"

جلست ونس على مقعد خلفهما تنهت فتبادلت مليكة النظرات المفزوعة مع بسمة قبل أن تقول الأخيرة بقلق "أخبرينا يا ونس"

أخرجت ونس دفترها وكتبت بيد مرتعشة
"هاجمني أحد الشباب في أحد الشوارع الجانبية
وكان قليل الأدب معي"
اتسعت عينا مليكة وسألتها" من هو ؟.. ابن
من؟؟"

حركت ونس رأسها ثم كتبت" لا أعرفه ليس من
قريتنا"
سألتها بسمة "وكيف تخلصتِ منه؟.. وهل أضرك
بشيء؟"
كتبت ونس بيد مرتعشة " قاومته وضربته
وعضضته .. لكنه لم يتركني إلا عندما حضر ذلك
الجِنّي"

مالت مليكة تحدق في الكلمة المكتوبة تحاول
استيعابها .. ثم رفعت انظارها لبسمة التي اتسعت

عيناها الزرقاوين كحجرين مشعين من الفيروز وهي تسألها " من؟؟؟.. لم أفهم الكلمة"
كانت ونس ترتب هندامها .. فزفرت وامسكت بالقلم والدفتر تكتب" الجِنّي .. جِنّي المِصباح"
فغرت بسمة فيّها ثم أشارت لمليكة بإشارة تعني (إنها مجنونة) فانتفضت ونس واقفة تصيح بزمجرة معترضة جعلت بسمة تميل بجذعها للخلف بملامح متوجسة ..
لتمسك ونس الدفتر وتكتب بخط كبير عصبي "أقصد رجلا طويلا وذو عضلات كمارد المصباح .. أنا لست هبلاء!"

ربتت مليكة على كتفها مهدئة ثم قالت "ادخلي واطلبي من تماضر أن تريك مكان الحمام لتغسلي وجهك .. الحمد لله أنها مرت على خير حتى تطيعي العم عيد ولا تمشي وحدك في طرقات مظلمة"

تحركت ونس نحو الداخل بينما سألتها بسمة "هل سنترك هذه المجنونة تعود وحدها بعد الحفل إن بيتها على أطراف القرية؟!"

غمغمت مليكة " إن لم يكن العم عيد موجودا سأرسل معها أحدا ليوصلها"
اصوات لطبل ومزمار آتية من الخارج جعلت بعض الفتيات يهرولن عند البوابة للاستطلاع قبل أن تأتي إحداهن تهتف بحماس "زفة العريس قد أتت"

بعد دقائق كان وليد يدخل من البوابة وحوله عددا كبيرا من شباب القرية .. ودخلت خلفهم فرقة موسيقية من ثلاثة أفراد بطبلة ومزمار يعزفون الموسيقى لتحية العروسين..فتطلعت بسمة في وليد من بعيد بعينين متأثرتين وهي تراه عريسا على وشك الزواج .. ربما اختلفت علاقتهما منذ أن تطلقت وربما تشعر هي بخيبة الأمل من رد فعله

منها بسبب طلاقها وقد حسبته سيؤازرها واضعا ما يؤذيها على رأس أولولياته..
وربما تشوب علاقتهما بعض البرود مؤخرا من جانبها هي على الأقل .

لكنه سيظل يحتل بداخلها منطقة خاصة جدا تختلط فيها مشاعرها نحوه بين الأخوة والأمومة .. و بدلا من أن تقترب لتحضنه .. تسمرت مكانها تحضن نفسها وكأنها تمنعها من اظهار مشاعر أمومية أخوية تلح عليها تجاهه .. وتابعته وهو يقترب سعيدا مبتسما من مهجة التي تخضبت بالحمرة ليحشر نفسه بجوارها في المقعد الوحيد الموضوع للعروس رغم اعتراضها وتحرجها ورفضه لإقتراح أن يحضروا له مقعدا آخر قائلا..
بمزاح" لمَ التبذير؟.. المقعد يسع لنا معا !"
فضحك المتواجدون وبدأوا في الغناء من جديد مع قيام بعض الشباب بالرقص لتحية العروسين .

في الخارج اقترب العم عيد من بوابة بيت العمدة يرتدي جلبابا نظيفا مهندما يحتفظ به دوما لحضور المناسبات .. وها هو قد حضر للمباركة لكن ذهنه كان مشغولا بشدة على تلك الهبلاء العنيدة ابنته التي خرجت مجددا من البيت وسبقته إلى الحفل دون أن تنتظره..
فوقف يتطلع في الفتيات لعله يلمحها ليطمئن قلبه .. والذي لا يعرف لمَ ينغزه اليوم بالذات .. فلمحته إسراء ونادت عليه "أتريد شيئا يا عم عيد؟"

انتبه عيد فقال وكأنه غريق قد عثر على قشة ليتمسك بها "هل رأيت ونس يا أستاذة إسراء؟"

ردت إسراء بلهجة مطمئنة" لقد وصلت منذ قليل هل تريدني أن أنادي عليها؟"
سحب عيد نفسا عميقا بارتياح ثم قال" لا لا دعيها .. كنت اطمئن عليها فقط"

وتحرك عائدا إلى مجلس الرجال يدعو ربه ألا تقرر العودة إلى البيت وحدها دون أن تخبره.

أما جابر فظل واقفا ما بين الصوان وبوابة بيت العمدة ينتظر وصول كاميليا .. بعد أن طلب من أخيها الأصغر إيصالها .. ولم تمر دقائق حتى وقفت سيارة عماد العسال الذي قال بعصبية لأخته وزوجته وزوجة أخيه اللاتي يجلسن في السيارة معه "ها قد وصلنا هلا خرجت الهوانم بسرعة حتى لا أشغل الطريق كثيرا "

امتعضت زوجته الشابة من اسلوبه العصبي كالعادة وتحركت مع الأخريات تترجل من السيارة بينما لمحت كاميليا وهي تنزل مع ابنتها ميّس زوجها الواقف من بعيد .. فعدلت من عباءتها اللامعة والتي هي أقل بريقا من التي كانت تنوي أن تحضر بها .. ورفعت ذقنها بكبرياء قبل أن تدخل

بوابة بيت العمدة .. فتحرك جابر عائدا للصوان لينضم لباقي أهل البلد مخبرا نفسه " لا بأس يا جابر .. من حقها أن ترتدي اللامع حتى لو كنت تكرهه .. فهذه العباءة ليست سيئة "

قابله بدير قائلا" لمَ اغضبت كاميليا هذه المرة يا جابر ؟.. ألن ننتهي من هذا المسلسل ؟.. كل فترة تتشاجران وتأتينا غاضبة ؟!!"

تطلع فيه جابر لثوان ثم رد " لو كانت تجد في بيت أهلها شخصا حازما يخبرها بألا تخرج من بيت زوجها بدون علمه وبألا تأتيكم إلا لسبب قوي لا من أجل تفاهات لما وجدتها عندك كل فترة يا بدير"

قال بدير ببرود" أتريدني أن أطرد أختي حين تأتي لبيت والدها حسيب العسال رحمه الله!"

رد جابر مقارعا " بل أريدك أن تعقّلها وتفهمها بأن الدلال إن زاد عن الحد انقلب للضد وأفسد كل شيء"

قال بدير بلهجة متعالية "عموما اتركها في بيت والدها لبضعة أيام لتهدئ أعصابها ثم نجلس ونتحدث "

رد جابر ببساطة" لا بأس ..فلتهدئ أعصابها كما ترغب "

تفاجأ بدير من رد فعل صهره والذي كان من قبل يجري إليها متلهفا ولا يقبل بأن تبيت خارج البيت.. فعلم أن كاميليا قد بالغت في أفعالها وقد حذرها من قبل أكثر من مرة من المبالغة مع جابر .. وبألا تعتقد بأنه زوج ضعيف أو شخص ساذج ..فهو يعلم جيدا بأنه ليس كذلك أبدا .. صحيح هو يكبر جابر بثلاث سنوات لكنهما من نفس الجيل ويعرف بأن خلف صبره وحلمه رجلا ليس بالهين إذا ما نفذ هذا الصبر.. فأسرع بالقول" من أجل

خاطرك أنتَ .. ستبيت عندنا الليلة .. وغدا نتحدث أنا وأنت يا أبا نسب .. وإن شاء الله نصفي القلوب ونقرب وجهات النظر"

ابتسامة ضعيفة صفراء كانت رد جابر ..قبل أن يتحرك تاركا إياه .. فشيعته نظرات بدير وهو يغمغم من بين أسنانه بوعيد" كاميليا.."

أما الأخيرة فبعد أن استعرضت نفسها أمام الموجودات حول العروس وانتشت بنظرات الإعجاب والحسد بجمالها .. اقتربت بجرأة من بسمة ومليكة الواقفتان في ركن من الساحة بعيدا عن الزحام وقالت بلهجة مرحة استفزتهما" كيف حالكما حبيباتي؟"

ردتا بهدوء وتحفظ " حمدا لله "

نظرت كاميليا لبسمة تقول بلهجة تعاطف مزيفة " العقبى لك يا بسمة .. أدعو لك كثيرا أن تجدي (العوض) وتتزوجي مرة أخرى حبيبتي "

ابتسمت بسمة ابتسامة هادئة وردت بلهجة ساخرة "شكرا كاميليا لكني لا أفكر بالزواج .. رغم أن العرسان كثيرون .. لكني أحببت الحرية ولست متفرغة للزواج من الأساس "

ردت كاميليا بمكر" لديك كل الحق حبيبتي .. فأنا لو كنت مكانك لفعلت مثلك فالمرأة التي في مثل ظروفك في عدم القدرة على الإنجاب ستشعر دوما بأنها للمتعة فقط خاصة حين تكون مطلقة فلن يتزوجها إلا رجل متزوج أو أرمل يرغب في مربية لأطفاله وبالطبع سيرحب بأن تكون تلك المربية جميلة "

قبضت بسمة يديها بجانبها بقوة محتفظة بملامحها الهادئة ونظراتها الزرقاء الباردة تخبر نفسها بألا تهبط لمستوى كاميليا .. بينما تدخلت مليكة تقول بحزم "أنرتِ بيتنا يا كاميليا .. هلا

عذرتنا فلدينا أمرا هاما علينا البت فيه يخص ترتيبات الحفل (وأشارت بيدها على النسوة المتجمعات بالقرب من العروس وأضافت) تفضلي لتنضمي للضيفات"

اتسعت ابتسامة كاميليا تشعر بالانتصار لصمت بسمة ثم قالت بلهجة متعالية وهي تشير لداخل البيت "لقد هنأت العروس وسأدخل لأجلس بالداخل مع زوجة العمدة (وتطلعت حولها تبحث عن ابنتها وهي تضيف) هيا يا ميّس .. تعالي يا حبيبتي فلن أحتمل أنا ووالدك أن يصيبك مكروها بسبب شقاوة الأولاد هنا "

بعد أن تركتهما زفرت مليكة مغمغمة" لا حول ولا قوة إلا بالله !.. ما هذه المخلوقة!.. إنها تزداد سخفا وسوادا كلما كبرت في العمر"

ظلت بسمة واجمة متخشبة دون تعقيب بينما أطرقت مليكة برأسها في حزن قبل أن ترفع نظراتها لبسمة وتتطلع فيها قائلة بتعاطف" ألازلت مصرة على عدم إخبار أحد بأن ليس لديك مشاكل في الانجاب.. وبأن الأمر هو ظن خاطئ من أهلك وأنت لم تصححينه ؟"

ردت بسمة بهدوء" أجل "

قالت مليكة معترضة " لكن يا بسمة والدتك بالتأكيد تشعر بالحسرة "

رفعت إليها بسمة عينيها الزرقاوين المكحلتين بائستين وردت "لا أنكر بأني أشعر بالأسف على حزن أمي لكني لا أريد أن أجدد أملها في أني سأتزوج وأنجب .. ومتأكدة بأني لو أخبرتها بالحقيقة لن تقدر على حفظ السر وستخبر الجميع .. وأنا لا أريد أن يعرف به أحد .. إن كانوا يعتقدون ذلك فليعتقدوه .. لن أستفيد بمعرفتهم للحقيقة شيئا

سوى زيادة الإلحاح .. بل (وصمتت تبلع ريقها لثوان ثم أكملت) بل إني أشعر ببعض التشفي فيهم وهم يعتقدون خطأ بأني لا أنجب .. "
حين تطلعت فيها مليكة غير راضية أضافت الأخرى " أنا أريدهم أن يتقبلوني كبسمة .. بسمة فقط .. بدون جَمالي .. بكل أوضاعي آنسة .. سيدة .. متزوجة .. مطلقة.. أنجب أو لا أنجب .. بسمة فقط "

ارتجف قلب مليكة شفقة على صاحبتها فلفت ذراعها حول كتفيها وسحبتها إليه تضمها بعد أن عجزت عن إيجاد كلمات مناسبة لمواساة صديقتها.

في نفس الوقت وعلى جانب أخر من الساحة التي اختلط فيها النساء بالشباب أصحاب العريس وقف طلال يتطلع في إسراء بنظرة معجبة وقد فاض قلبه

بما يكتمه .. تأمل ملابسها المحتشمة وحجابها الطويل وهدوئها .. بالإضافة لكونها معلمة للغة الانجليزية في المدرسة .. وقرر أن ينفذ ما عزم عليه فأخرج من جيبه ورقة مطوية بعناية وتطلع حوله في الصبية الذين يلعبون مع أدهم وإياد في جانب من ساحة بيت العمدة ثم نادى على أحدهم..

بمجرد أن أتاه أحد الصبية مال عليه يعطيه بعض العملات المعدنية قبل أن يشير على اسراء ويعطيه الورقة هامسا ببعض الكلمات في أذنه .. فتحرك الصبي على الفور متجها نحوها .. وبكل سذاجة وبراءة رفع إليها الورقة أمام صاحباتها .. فالتقطتها باندهاش قبل أن يسرع الصبي مبتعدا وهو يعد النقود التي بحوزته .

شعر طلال بالحرج من تصرف الصبي أمام صاحباتها ولم يعرف ماذا يفعل .. فلم يرغب في أن يتم الأمر أمام الأخريات بهذا الشكل ..فوقف يوليها جانبه بارتباك مشيحا بوجهه ومختلسا النظر إليها

..في الوقت الذي فتحت اسراء الورقة باستغراب والفضول يعلو وجه صاحباتها .. لكنها احتفظت بهدوء ملامحها وهي تقرأ كلمات الحب القليلة التي كتبها موقعا باسمه ..

زمت إسراء شفتيها بانزعاج وطوت الورقة بسرعة قبل أن تمتد رؤوس صديقاتها بفضول شديد إليها .. لكنها لم تستطع أن تتحكم في احمرار خديها وانفراط عقد ضربات قلبها وهي تتطلع في الشباب الواقفين من بعيد حتى وقعت عيناها عليه .. فهي تعرفه جيدا وتشعر بأنه يتطلع فيها في الذهاب والعودة بشكل ملفت استشعرته انوثتها.

ببعض الارتباك نظر إليها طلال وهو يراها تبحث في الوجوه وعلا هدير قلبه حين استقرت نظراتها على وجهه .. قبل أن يُصدم بتمزيقها للورقة وإلقائها على الأرض ثم أولته ظهرها بكبرياء .

لثوان هبطت معنوياته شاعرا بالإحباط .. لكنه سرعان ما استعادها وهو يحدث نفسه بإعجاب ذكوري أن رد فعلها قد أعجبه وأكّد له بأن اختياره كان صحيحا وأن عليه أن يتحرك لتنفيذ الخطوة التالية.

بعد قليل تحرك وليد على مضض تاركا العروس لتكمل حفل الحناء بعد أن قامت أمه وعمته بإخباره بألا يطيل في بقائه .. فالعريس يزور العروس قليلا ثم يعود مع أصحابه إلى حيث يحتفلون .. فودع مهجة غامزا لها قبل أن ينسحب مع باقي الشباب .. لتبدأ بعض الشابات في الرقص من جديد .. وعادت نصرة لاختيارها الأغاني الشقية ذات المعاني المبطنة التي تنفجر بسببها ضحكات الحاضرات .. فغمغمت اسراء وهي ترفع طرف حجابها لتغطي وجهها بحرج " يا نصرة .. الرحمة يا نصرة !"

xxxx

في الصوان الكبير بعد العشاء سلم شامل وكامل على مصطفى الزيني الذي كان شاردا مهموما يفكر في ولده الكبير الغائب عن المناسبة وفي المبررات والكذبات التي اضطر أن يقولها لتفسير عدم وجوده ..

بعدها اتجه التوأمان نحو مفرح يستأذناه بالعودة إلى حيث يبيتون .. فتفهم الأخير موقفهما وشعورهما بالحرج خاصة مع انشغاله الشديد في الترحيب بالضيوف والمهنئين .. فغمغم قائلا" أنا اعلم بأني لم أجلس معكما لكن أعدكما بأني سأعوض لكما ذلك"

قال شامل بمحبة وهو يربت على كتفه" لا تقل هذا يا مفرح نحن مقدران الظرف كان الله في عونك وأتمها لكم على خير"

قال مفرح" سأمر عليكما بعد أن أنتهي من السهرة"
رد كامل ببرود مغيظا" سنكون غاطين في نوم عميق"
وتحرك مغادرا لكن مفرح صاح من خلفه :سآتي .. إياكما والنوم"
ابتسم شامل وودعه ليلحق بأخيه فسأله مفرح بعلو صوته قبل أن يبتعد" أتريد أن أرسل معكما أحدا حتى لا تضلا الطريق؟"
استدار إليه شامل وهو يتحرك قائلا "لا تقلق نحن قد حفظناه"
واستدار ليلحق بأخيه فصاح مفرح مازحا "هل أرسل معكما أحدا من الغفر للحراسة؟"
هذه المرة استدار كامل إليه ومرر ابهامه على نحره يهديه ابتسامة خطرة مهددة قبل أن يستدير ليكمل طريقه .

فوقف مفرح قليلا يراقب ابتعادهما والسعادة تملأ قلبه لوجودهما .. ثم استدار عائدا للصوان .. فلم تنتهي الليلة بعد .

في الطريق سار التوأمان جنبا إلى جنب وكل منهما شاردا في اتجاه .. فشامل كان مشغول الذهن بتلك الفتاة ذات السترة القصيرة الصفراء التي يكاد حدسه يؤكد له بأنها نفس الفتاة التي كانت تسير بجوار الترعة صباح اليوم خاصة مع هوايتها في إلقاء الحجارة كما قال لنفسه متهكما ..
وسخر من نفسه وهو يشعر بتلك الرغبة الغريبة لديه لأن يعود للصوان وينتظر هناك لربما قررت العودة وحدها .

أما كامل فكان يشعر بالإحباط ..

لقد ظن بأنه قد يراها هنا .. صحيح لم يقابل كل فتيات البلد لكنه كان يراقب كل من وقعت عيناه عليها لربما كانت معهم ..

ترى هل اخطأ في اسم القرية؟ ..
لا مستحيل.. إنه يحفظ الاسم عن ظهر قلب منذ أكثر من ثلاث سنوات ..
يحفظه رغم أنه لم يكن ينوي بأن يحفظه !.

فغمغم لنفسه قائلا" بالتأكيد يا كامل عدة ساعات ليست كافية لأن ترى كل بنات القرية .. (واضاف بإحباط لا يدري سببا وجيها له) هل يا ترى توجد أكثر من قرية في هذا البلد بنفس الاسم ؟.. وفتياتها أيضا يشتهرن بالجمال!"

استدار إليه شامل مجعدا جبينه يقول" هل قلت شيئا؟ أشعر بأنك متوتر وقلق "

انتبه كامل وقال بسرعة "لا شيء ...لا شيء .. هيا فلنسرع فأنا مجهد جدا وأرغب في النوم بشدة "

××××

الفصل الرابع

في نفس اليوم

في الواحدة بعد منتصف الليل كانت القرية تغط في نوم عميق بعد انتهاء ليلة حنة بنت العمدة .. بينما مفرح يقرع الباب الداخلي لبيت الجد صالح بعد أن نجح في فتح البوابة بمفتاح يملكه لكنه لم يكن لديه مفتاحا لباب البيت .. بين طرقاته الملحة واتصالاته بالتوأم بإصرار مستفز .. فتح له كامل الباب عاري الجذع بوجه مكفهر فتجاهله مفرح ودفعه قليلا ليتجاوزه ويدخل للبيت ببرود جعل الثاني يعض على شفته بغيظ قبل أن يغلق الباب ويلحق به.

جلس مفرح على الأريكة ومد ساقيه فوق المنضدة أمامه يتطلع في شامل الذي نزل هو الأخر عاري الجذع مثل توأمه .. فانفجر مفرح ضاحكا وأشار إليهما قائلا "هل تتفقا مثلا قبل النوم (أننا اليوم سننام بالملابس الداخلية يا أخي فلا تخرج إلا وأنت عار الجذع)!!"
تطلع التوأمان في بعضهما وفيما يرتديان فلاحت ابتسامة على وجهيهما لكنهما لم يعيرا للأمر اهتماما فقد تعودا على ذلك السلوك المتطابق بينهما حتى بات الأمر لا يثير عجبهما ولكن قال كامل لمفرح بغيظ "ألا يوجد لديك أي نوع من الذوق يا أخي؟!!"

أشار لهما مفرح بيده قائلا بتعال "اجلس يا ولد أنت وهو لنتسامر قليلا"
تعجب كامل ونظر لأخيه يحدثه بلهجة بلده" ما هذا البارد الذي ابتلينا به!"

فتجاهله مفرح وقال لشامل ببرود" أعد لنا الشاي يا أخي بالله عليك "

××××

قالت فايزة منزعجة وهي تربت على ظهر مهجة التي تجلس على سريرها تبكي بانهيار "الشقة جميلة والله يا مهجة أقسم لك أن كل من رأى صور ترتيب الشقة كان منبهرا"

من بين دموعها هتفت مهجة "وأنا طلبت أن ترتب أم هاشم النيش (ونظرت لمليكة الواقفة على باب غرفتها تقول بلوم) لماذا لم تخبريني يا مليكة بأن أمي طردتها ؟ (ونظرت لأمها التي تطالعها بغيظ واكملت) ولماذا لم تحققي لي يا أمي ما أريد؟ .. أنا تركتك تجهزين كل ما رأيتيه يليق ببيت العمدة ولم أتدخل إلا في الألوان والموديلات .. فهل كثير عليّ أن يكون النيش بالشكل الذي أحببت أن يكون عليه"

قالت نحمده باستنكار "وهل ستفهم أم هاشم أكثر من مهندس الديكور؟!!!"

ردت مهجة بانهيار " أنا لا يهمني مهندس الديكور يا أمي.. أنا دوما أعجب بتنسيق وترتيب أم هاشم.. وكنت أنتظر اللحظة التي سترص لي فيها النيش خاصتي .. هذا الأمر جزء من سعادتي وفرحتي بشقتي يا ناس ! "

تدخلت مليكة مشفقة على حالتها تقول مهدئة" يا مهجة أنا رأيت الصور وبكل صدق ترتيب المهندس للشقة جميل جدا "

أضافت فايزة بهدوء وهي تمسك بالهاتف "انظري لترتيب النيش رائع جدا"
دفنت مهجة وجهها بين كفيها تبكي بحرقة مغمغمة "أنا كنت أريد تنسيق أم هاشم "

صاحت نحمده ترفع يديها بغضب" الصبر يا رب على دلع البنات .. الصبر يا رب"

قالت فايزة لأمها بلهجة لائمة" يا أمي بالله عليك ليس هذا وقته"
بينما انفجرت مهجة بالبكاء بشكل غريب.

xxxx

قهقهات عالية ممزوجة ببعض الصخب ملأت صحن دار الجد صالح الفخمة .. فأعادت للبيت روحه بعد فترة من السكون بعد رحيل صاحبه ..
و أطباق لطعام كان قد أُرسَل للضيفين قبل ساعات تفترش المنضدة الصغيرة بينهم..
ليقول كامل وهو يعود بظهره للخلف " يكفي هذا .. أكلنا كثيرا اليوم .. وكل حمية الشهور الماضية ستفسد بسبب مفرح وأهل بلدته"

قال شامل وهو يهم بترك مقعده ليغسل يديه"
رغم أن الطباخ طعامه جيد لكني بكل صراحة
أشعر بالإحباط يا مفرح"
سأله مفرح باهتمام" لماذا؟"
رد شامل بتعابير وجه طفولية" كنت أعد
نفسي لطعام الريف ... وكنت أرغب في أكلات
كمحشي الكرنب وكفتة الأرز وغيرها"

قال مفرح ضاحكا" لا تقلق أمهلني فقط حتى
ينتهي حفل الزفاف مساء غدا .. ومبدئيا
الإفطار عندي صباح الغد"

رن هاتفه فعقد مفرح حاجبيه وهو يرى اسم
مليكة ليمسح يده بمنديل ويستقيم واقفا يرد"
ظننتُكِ قد نمتِ .. كنت أعلم بأنك مجهدة
طوال اليوم"

جاءه صوتها قلقا تقول "مفرح أعتقد بأن عليك الحضور"
سألها وقد أصابته عدوى القلق" ماذا هناك يا مليكة هل الأولاد بخير؟"
قالت بخفوت "مهجة منهارة في البكاء منذ ما يزيد عن ساعة"
اتسعت عيناه قائلا" لماذا؟ .. ماذا حدث؟
(وأضاف بتحفز مضيقا حاجبيه) هل أحزنها ابن الوديدي !!!"

ردت مليكة" الأمر بسيط لا تقلق .. لكن يبدو أنها مشدودة الأعصاب كأي عروس و...
(صمتت قليلا ثم أكملت بصوت أكثر خفوتا)
وتشاجرت مع الحاجة نحمدو"
قال مفرح بهدوء" اعط الهاتف لمهجة "

بعد ثوان جاءه صوت مهجة تقول من بين شهقاتها "نعم أخي"
قال مفرح منزعجا" ما الأمر يا مهجة (ثم أكمل بأسلوبه المتهكم) ماذا فعلت لكِ (بئر الحنان) الوديدي ؟"
قالت مهجة بصوت يقطعه البكاء "منعت أم هاشم من أن ترتب النيش .. (وأضافت بانهيار) النيش يا مفرح سيء.. سيء.. لا أريده بهذا الشكل.. ولا أشعر بأني عروس"
اتسعت عينا مفرح بصدمة .. ونسي فمه مفتوحا لثانية ثم انعقد لسانه لثوان في محاولة لاستيعاب ما يسمع.. قبل أن يضرب على صدره قائلا بفزع "يا الله !.. النيش ! ما هذه المصيبة التي وقعت على رأس آل الزيني!!"

تركت مهجة الهاتف لمليكة وهي تغمغم"أنت تسخر مني .. لا أحد يشعر بي"

تكلمت مليكة في الهاتف بلهجة موبخة "مفرح ماذا فعلت الأمر لا يحتمل سخريتك.. البنت منهارة فعلا حتى لو كان السبب تافها "

فرك مفرح جبهته بأنامله وغمغم بإنهاك شديد" حاضر .. أنا آت حالا"
أغلق الخط واستدار يقول للتوأمين اللذين يتطلعان فيه بترقب" آسف يا شباب.. عليّ أن أذهب بشكل عاجل"
سأله كامل بقلق " أهناك مشكلة ما ؟"

رد مفرح بلهجة ساخرة وهو يلملم هاتفه ومفاتيحه "لدينا مشكلة كبيرة في بيتنا تخص النيش"

عقد التوأمين حاجبيهما وتبادلا النظرات المتسائلة قبل أن يقول شامل لمفرح الذي

تحرك مغادرا "لا نفهم ..لكن أأنت بحاجة لأي مساعدة؟"

استدار إليه مفرح قائلا" في النيش ؟! .. لا شكرا .. فيبدو أن المشكلة للأسف أكبر وأعمق من استيعابي واستيعابكما .. أراكما في الصباح"

قالها وأغلق الباب خلفه.. ليسأل شامل أخيه بتوجس" ما هو النيش؟"
حرك كامل كتفيه مغمغما" لا أعرف لكن يبدو أن الأمر خطيرا .. نسأل الله السلامة "

××××

" إسرااااء .. يا روءة .. هل نمت؟ "
قالتها نصرة بلهجة ناعمة منغّمة وهي تدخل غرفة البنات فرفعت إسراء التي تنام على جنبها وتوليها ظهرها مقلتيها للسماء نادمة على أنها

أخبرتها بما حدث من طلال اليوم .. لكنها للأسف لم تعتاد أن تخفي عنها شيئا ..
فغمغمت بخفوت وهي تغمض عينيها "أجل نمت يا أمي "
ضحكت نصرة وقالت هي تقترب من السرير "وكيف تردين عليّ إذن؟!"
ردت إسراء بخفوت "من وسط الأحلام"

غمغمت الأخرى وهي تستلقي بجانبها وتحشر جسدها الممتلئ بجوارها في السرير "افسحي قليلا .. ماذا لو لم تكوني رفيعة كعود القصب الممصوص ! "

ابتسامة زينت ثغر إسراء وهي تفسح لأمها المجال لتنام خلفها لتقول الأخيرة بعد أن استقرت أنفاسها " لا زلت غير موافقة على رد فعلك مع الشاب "

فتحت إسراء عينيها وقالت بلهجة متعجبة "يا أمي أنت تقلبين الموازين دوما .. المفروض أن أكون أنا المراهقة العاطفية الحالمة وأنت التي توبخيني لا العكس !"

مطت نصرة شفتيها وصمتت قليلا تحدق في سقف الغرفة المتقشر والمتشبع بالرطوبة تبحث عن رد لكنها لا تجد .. فإسراء في نظرها المتعلمة العاقلة التي أضفى عليها التعليم والشهادات حكمة وعقلا واتزانا .. بل إنها ترى أن ابنتها البكر مولودة بالفطرة بهذه الشخصية ..

لو أرادت وصفها ستقول بأنها تحظى بركن خاص في قلبها لا يشاركها فيه أولادها الثلاثة الباقيين.. حتى كريم الذي يتهمونها دوما بتدليله .. فقالت وقد غلبها قوة منطق ابنتها كالعادة " لكن يا حبيبتي قصدت أن تكوني أقل

خشونة في رد فعلك لربما الشاب كان جديا
وباسلوبك احبطيه فصرف نظر "

انقلبت اسراء واستدارت على الجانب الأخر لتواجه أمها قائلة بهدوء " يا أمي أولا ما فعله كان خطأ خاصة أمام صاحباتي وفي وسط كل هذا العدد من الناس .. ثانيا من يريدني عليه أن يأتيني لا أن يرسل لي خطابا مع طفل صغير "
غمغمت نصرة بامتعاض " ما بها الخطابات .. أحببنا وتزوجنا بها والله!"
ضحكت اسراء وقالت " أعلم بأن أبي كان يرسل لك الخطابات بطرق خفية قبل أن يتقدم للزواج منك .. لكن أنتِ تعلمين بأن ليس كل الشباب صادقي النية كأبي "

غمغمت نصرة وقد أقرت أخيرا بما هي مقتنعة به لكن مراهقتها ورغبتها في تزويـج ابنتها البكر دوما يغلبانها " لديك حق "

لاحظت إسراء تطلع أمها في ساعة الحائط وبالحزن الذي كسى وجهها فعلمت بأن والدها لم يعد من سهرته بعد.. لتسرع بتشتيت ذهنها عن التفكير في المزيد من الهموم وتقول وهي تدفن رأسها في حضنها "أشعر بالارهاق لكني غير قادرة على النوم أفعلي شيئا من أفعالك السحرية لأنعس يا نصرة "

أحاطتها الأخيرة بذراعيها وأخذت تمشط لها شعرها بأصابعها بحركة رتيبة وغنت هامسة بصوت جميل وهي شاردة تحدق في سقف الغرفة :

بتغني لمين ولمين يا حمام ..
بتغني لمين .. ولمين ؟

.. لإتنين أحبة جوة الجنينة
ونسمة دايبة
والروح سفينة

عدلت إسراء رأسها ..وغرقت أكثر في حضن أمها مغمضة العينين وبدأت عضلاتها تسترخي .. وابتسامة حالمة تزين ثغرها على صوت أمها الحنون .

××××

بعد ساعة

كانت أم هاشم متكوّمة تحت الغطاء تولي ظهرها للحياة .. فاقتربت وفاء أصغر بنات عمها تهزها بعنف وهي تقول" أم هاشم.. أنت يا أم هاشم هل نمت؟"
بعينين متورمتين من أثر بكاءٍ مخفي تحت طيات الغطاء رفعت أم هاشم عنها اللحاف بغتة وأدارت وجهها لابنة عمها تصيح بعصبية

"وماذا تعتقدين أني سأفعل في الثانية صباحا؟! احضر الجن تحت اللحاف!... ألم أقل لكم أني لا أريد أن يقترب مني أحد اليوم!"
ابتعدت وفاء للخلف مفزوعة من حالة ابنة عمها لكنها عادت لتقول" ماذا فعلتِ يا مصيبة أنتِ؟!"

اعتدلت أم هاشم جالسة تصيح في ابنة عمها باستنكار" تأدبي يا وفاء وابتعدي عني في هذه اللحظة فقد ارتكب فيكِ جريمة"

ناظرتها وفاء ببرود ممتعض لثوان قبل أن تقول ساخرة" آسفين لمقاطعة نومك يا (خانوم) لكن مليكة صوالحة تريدك"
اتسعت عينا أم هاشم متفاجئة .. ثم استدارت يمينا ويسارا حولها تغمغم "مليكة!! أين هاتفي؟"

حين التقطته من تحت الأغطية وجدت عدة مكالمات فائتة من مليكة وبسمة .. وقبل أن تهم بالاتصال تكلمت وفاء بامتعاض" هل ستتركينها تقف في صحن الدار؟!"

جحظت عينا أم هاشم وسألت بعدم فهم "من؟"

ردت وفاء بغيظ" أم هاشم ألا زلت نائمة !.. أقول لك مليكة صوالحة في بيتنا تريدك على وجه السرعة"

انتفضت أم هاشم تبحث عن عباءتها السوداء لترتديها بسرعة وهي تحاول تخمين سببا منطقيا يجعل مليكة تزورها لأول مرة في بيت عمها في هذا الوقت المتأخر من الليل.

بعد دقائق خرجت تخترق زوجة عمها وبناته المتجمعات على الباب الداخلي للبيت يراقبن

ما يحدث بفضول شديد .. واقتربت وهي تعدل حجابها الأسود فوق رأسها تطالع مليكة بوجه شاحب متسائل .. ثم حانت منها نظرة سريعة إلى خلف صاحبتها حيث يقف عمها على باب الدار وسمعته يقول" لا يصح يا باشمهندس مفرح .. لا يصح يا أستاذ وليد تفضلا "
بادرتها مليكة بالقول" أم هاشم نعلم بأن الوقت متأخر (وصححت بحرج) بل هو متأخر جدا .. وأنا ومفرح في غاية الخجل منك .. لكن مهجة منهارة وأقامت الدنيا حين علمت بأنكِ لم ترصي لها النيش كما كانت تتمنى .. والحقيقة باءت كل محاولاتنا لتهدئتها أو أقناعها بتعديل الترتيب بعد الزفاف بالفشل .. فلم نجد إلا أن نأتيك في هذا الوقت ونحن في أشد حالات الحرج والله"

خيم الصمت على المشهد لثوان إلا من
هسهسة صراصير الليل في الخلفية ..
فتسمرت أم هاشم فاغرة الفاه ترمش بعينيها
عدة مرات .. قبل أن تعتدل فجأة في وقفتها
بحركة استعراضية فتفرد كتفيها وذراعيها في
الهواء وتقول بنشاط دب فيها خلال ثوان
"وهل هذا يصح !.. كيف تبكي العروس وأنا
موجودة !"
قالت مليكة بحرج شديد تنظر خلفها نحو
زوجة عم أم هاشم وبناتها متسعات العيون
فاغرات الأفواه " آسفين جدا للإزعاج في هذا
الوقت نحن في غاية الأسف"

غمغمت المتجمعات خلف أم هاشم بكلام غير
مفهوم في الوقت الذي وضعت الأخيرة يديها
فوق بعضهما على بطنها المسطحة ومالت
بجذعها للخلف قليلا تدير وجهها إلى صباح

وبناتها وهي تقول بلهجة مغيّظة" أنا أيضا (آسفين جدا للإزعاج في هذا الوقت والله) لكن بنت العمدة تطلبني شخصيا ..(وتحركت مع مليكة تغمغم) هيا يا مليكة ولا تشعري بأي حرج يا حبيبتي فالأمر بسيط وليس لدينا أغلى من مهجة "

تحركت مع مليكة نحو باب الدار وتجاوزت عمها الذي لم يكن أقل من أسرته اندهاشا بعد أن مالت عليه هامسة " اغلق الباب خلفي جيداً يا عماه .. وأعد لطاقم الحريم الذي لديك في الداخل دلو ماء بسكر .. فيبدو أنهن حبيباتي على وشك الاغماء .. أما أنا فسأغيب لبعض الوقت .. (وتنهدت بطريقة مسرحية وأكملت) عليّ أن اتحمل ضريبة الأنامل الذهبية "

قالتها ثم تحركت مغادرة وركبت نافشة ريشها كطاووس أسود بجوار مليكة في المقعد الخلفي لسيارة مفرح الزيني الذي يجلس بجواره وليد الوديدي بعد أن حضر قبل قليل لبيت العمدة فزعا حينما أخبرته بسمة بحالة مهجة ..

وانطلقت السيارة إلى بيت الوديدي بأم هاشم التي تخفي تأثرها خلف تصرفاتها الفكاهية .. وهي تشكر ربها بامتنان أنه لم يكسر بخاطرها .

xxxxx

بعد ساعة أخرى:

دخل مفرح إلى غرفة نومه مجهدا منهكا بعد ليلة سابقة بدون نوم لإنجاز ما يمكن إنجازه قبل العودة للبلدة ..وبعد يوم طويل.. وبعد أن أوصل أم هاشم لبيت الوديدي وتركها مع

بسمة يعيدون ترتيب ذلك النيش اللعين الذي انهارت من أجله أخته الصغرى ..

تأمل مليكة التي حلت حجابها وفردت شعرها البني أمام المرآة .. وبرغم إجهاده .. وبرغم ذلك الانهاك الواضح على وجهها لم يستطع كبح جماح شوقه إليها .. فاقترب منها وحضنها من الخلف يدفن وجهه في شعرها مستنشقا عبيره..

إن مليكة قلبه مميزة دوما في اختيار العطور .. وأحيانا تكون تلك العطور وسيلة من وسائل تعذيبه ! .

دلكت ملكية ذراعه بدفء مغمغمة "أعرف بأنك اجهدت بشدة اليوم .. لا حرمهم الله منك ولا من وجودك ظهرا وسندا لهم"

رفع رأسه فوجدها تدير رأسها إليه فتطلع في وجهها من تلك المسافة الصغيرة جدا التي تتعانق فيها الأنفاس.

تجولت مليكة بمقلتيها على ملامحه بتلك النظرة التي لم تتغير أبدا منذ أن كانت صغيرة .. نظرة تحول كل العالم من حوله لواحة من الهدوء والسلام .. نظرة براءة وحالمية ودفء غامر ..

حضن بكفه وجهها واقترب بشفتيه يلتهم شفتيها برد غير منطوق.. وهو يسحب جسدها الطري إليه ليسجنه بين ضلوعه يخبرها عن لمحات من شوقه العارم إليها .

طرقات صغيرة ضعيفة مترددة على الباب جعلته يطلق زمجرة منزعجة في شفتيها قبل أن

يشعر بتشنج عضلاتها بين ذراعيه .. فأبعد مفرح شفتيه عنها وتشاركا لهاثا ساخنا قبل أن تهمس مليكة بارتباك " الـ ..باب"

من بين أسنانه قال مفرح بلهجة حادة منزعجة وهو لا يزال يأسرها بين ذراعيه "ماذا هناك يا إياد!!"

جاءهما غمغمة ضعيفة " آ..آسف "

ليسمعا بعدها صوت خطواته مبتعدا.

نغزة في قلبيهما تشاركا فيها قبل أن يرفع مفرح رأسه لأعلى مغمضاً عينيه يحاول السيطرة على أعصابه ...بينما غمغمت مليكة بصوت هادئ "تعرف بأنه تنتابه بعض الكوابيس والمخاوف التي تحدث للأطفال في هذا السن يا مفرح .. سأعود بسرعة"

افلتها مفرح باستسلام قائلا بعبوس" وأنا سأنام تصبحين على خير"
قالها وتحرك يوليها ظهره وهو يخلع ملابسه ويلقي بها في الأرض بإهمال .. فوقفت مترددة لثوان قبل أن تتحرك مسرعة لتغادر الغرفة إلى حيث غرفة الصبيين ..ليلقي مفرح بنفسه على السرير بعصبية ثم يعتدل على جنبه بإرهاق ويغمض عينيه مستعيدا لتلك الثواني التي كانت بينهما منذ دقائق.. لعله يهدئ من اشتعال أعصابه .

xxxx

صباح اليوم التالي :

بخطوات متبخترة كعادتها وبنفس الحذاء الأخضر الأرضي التي تصر على أن ترتديه دوما .. كانت ونس تدندن بهمهمات غير واضحة من حنجرتها لأغنية سمعتها مساء أمس على

الانترنت في جولتها الليلية السرية من تحت الغطاء دون أن يدري بها والدها ..
ولا تعلم لمَ بحثت عن فيلم يصور قصة علاء الدين وجني المصباح لتشاهده ..لكنها بالرغم من خفة ظل الممثل الأمريكي الأسمر الذي قام بدور الجني لم يعجبها لأنها ترى أن الجني يناسبه هيئة أخرى .. كهيئة ذلك الرجل الذي ضرب مهاجمها ليلة أمس بقوة في الحائط وجعله يفر هاربا بعد أن تأكد من أن العراك بينهما غير متكافئ .

ورغم انزعاجها مما حدث الليلة الماضية إلا أنها حين استعادت تلك اللحظات وبخت نفسها لأنها لم تشكر ذلك الرجل على مساعدته لها ..فقد فرت هاربة تحت وطأة مشاعر الخوف ..

أمسكت جيدا بكيس طعام الافطار بعد أن ابتاعت فول وطعمية وخبز .. واستمرت في مشيتها تفكر في ذلك الرجل الضخم متسائلة كيف هو صوته .. فقد تحركت سماعتها أثناء مقاومتها لذلك الشاب ولم تسمعه .. وبرغم قدرتها على قراءة الشفاه جيدا إلا أنها لم تقدر على ذلك في تلك الحالة التي كانت عليها .. كل ما تذكره هو مظهره الغريب عن بلدتها وطوله وعرض كتفيه بطريقة ذكرتها بجني مصباح علاء الدين .. والحقيقة أنه جني وسيم جدا يشبه ممثلين السينما .

عند تلك الخاطرة ابتسمت مقررة أن ترسم هذا الرجل على هيئة جني المصباح ..

فجأة تسمرت وتخشبت الابتسامة على وجهها أمام بيت الجد صالح وبالتحديد أمام سيارة

الدفع الرباعي السوداء الضخمة التي ترابط أمام البوابة الخارجية للبيت ..
كشرت ونس عن أنيابها وأصدرت زمجرة مغتاظة وهي تضرب عجلة السيارة بقدمها ..فتوجعت قدمها بشدة .. لتقف للحظات تمرر نظراتها بين السيارة والبيت مفكرة قبل أن تسكن ملامحها فجأة ..وتنقلب مقلتيها بلمعة ماكرة تحركهما يمينا ويسارا كثعلبة صغيرة شقية تزين شفتيها ابتسامة شيطانية..
وهمست في سرها وهي تُرقِّص حاجبيها "حان وقت الانتقام! "

××××

بعد ساعتين

بشعر منتكش وملامح منزعجة أخرج مفرح رأسه من تحت الوسائد في نومته منبطحا على بطنه ليمد ذراعه الأسمر ويلتقط هاتفه من جانب السرير محدقا فيه بعينين مغمضتين

قبل أن يرفعه على أذنه ويعتدل على ظهره قائلا بصوت أجش" كم الساعة؟..هل تأخرت عليكما؟"

قال كامل بلهجة غاضبة" اسمع يا مفرح .. أنا لا أعرف حجم المشكلة التي كنت تواجهها مساء أمس مع ذلك المسمى بـ(النيش).. لكن إن لم تكن المشكلة عويصة فعليك بالحضور حالا ..وإلا سأفقد أعصابي وسآتي إليك أنا لأحطم رأسك وأفرغ فيك غضبي كله حتى لا ارتكب جريمة في بلدتكم هذه"

لثوان ظل مفرح يتطلع في سقف الغرفة يحاول لصق كلمات كامل ببعضها ليخرج بمعنى منطقي مفهوم قبل أن يهدر كامل بغيظ " مفرح أنا أتحدث معك!!"

فرك مفرح جبينه وقال وهو يعتدل شاعرا بإجهاد وتيبس في عضلاته "من الذي ستضربه يا حبيب والديك! .. أنا ابن العمدة يا بني!" تكلم كامل بلهجة ساخرة" إذن تعال يا سيادة ابن العمدة وأعد لي حقي "

تطلع مفرح في الساعة ليجدها العاشرة صباحا فنظر حوله يبحث عن مليكة .. ولم يجدها ولكن لمح عند المرآة عددا من العرائس الصغيرة التي تصنعها فأدرك بأنها باتت ليلتها تشعر بالأرق .. ليعود ويسأل صاحبه وهو يستقيم واقفا" ماذا حدث حتى أضطر لأن أستيقظ على صوتك وأنت تخور كالثور في هذا الوقت الباكر من الصباح؟!!"

××××

بعد أقل من ساعة كان مفرح يقف متخصرا بملابس رياضية وحذاء رياضي يتطلع بعينين

متسعتين لسيارة التوأم التي غطتها رسوم بالطباشير الملون لجماجم وعظام وأشكال أخرى لم يستطع تفسيرها .. فكانت مقدمة السيارة مغاطاة بالكامل وجزء من الجانبين الأماميين .

بينما جز كامل على ضروسه وقال" ألست ابن عمدة هذه البلدة؟! .. عليك بمعرفة من فعل هذا وأفسد سيارتنا بهذا الشكل ومعاقبته أمامي حتى اهدأ ولا أؤذيه "

شعر مفرح بالحرج الشديد أمام ضيفيه لكنه تنحنح وقال" بسيطة إن شاء الله إنه مجرد طباشير ملون"

حدجه كامل بنظرة غاضبة وصاح باستنكار "مجرد طباشير !! .. وماذا لو مسحت الطباشير لأجد خدشا من احتكاك الطباشير بسطح

السيارة.. أتعرف كم سيتكلف الخدش الواحد؟!! "

استشعر شامل موقف مفرح الحرج وحِدّة توأمه فتدخل قائلا" اهدأ يا كامل.. لا تنفعل بهذا الشكل "
صاح كامل في أخيه بغيظ " وهل يعجبك أنت ما حدث للسيارة؟!!"
حدجه توأمه بنظرة موبخة ثم تطلع في مفرح يقول "بالتأكيد أنت تعرف من فعلها يا أبا أدهم أليس كذلك؟"

تنحنح مفرح مرة أخرى وهرش في رأسه قائلا وهو يتهرب من الإجابة " وكيف لي أن أعرف؟ .. أتعتقد بأن عدد سكان أهل القرية قليل! .. كما أنه من الوارد أن يكون شخصا من خارج القرية"

ضرب كامل على سقف السيارة بقوة هادرا "ألست ابن العمدة عليك بمعرفة الفاعل"

حرك مفرح كتفيه يرد ببرود متعمد " وكيف سأعرفه يا بني آدم أأنت غبي! .. لا توجد كاميرات في قريتنا"

ناظره كامل والغضب يفتته فتدخل شامل قائلا "ما كنت أقصده يا مفرح أن هذه الرسوم هي بالتأكيد لشخص موهوب وموهبته بالتأكيد يعرفها الجميع .. أنظر لطريقة رسمه .. إنها رائعة (وهرش في رأسه مضيفا) رغم اندهاشي أن تُرسَم الجماجم والعظام بهذه الألوان الزاهية وأراه تناقضا غريبا الحقيقة ..كيف تكون الجماجم بألوان زاهية!!! .. لكن رسمه مبهر جدا"

صاح كامل وقد جن جنونه "شامل هل سنقف لنتغزل في مُخرب سيارتنا !!"

أسرع شامل بالقول "كنت فقط أحاول مساعدة مفرح في التعرف على الجاني (وضيق عينيه مدققا في الألوان وغمغم لنفسه) أو الجانية !"

قال مفرح لكامل مستمتعا بمناكفته " ما ذنبنا نحن إن كان نوع سيارتك ردئ وسيتأثر من خدش الطباشير !.. (واشاح بيده باستهانة وأضاف) عموما سأرسل لك أحد الغفر ليغسلها بماء الترعة (وأكمل مربتا بيده على رقبته عدة مرات وهو يتحكم في ابتسامة حين طالع وجه كامل المكفهر والجنون الذي يتطاير من عينيه) وأي خسائر في رقبة مفرح الزيني لا تقلق .. (ثم أضاف وهو يتحرك عائدا لسيارته يضع نظارة الشمس على عينيه) استعدا سأمر

عليكما بعد ربع ساعة لنفطر سويا لكن عليّ الذهاب لمشوار هام أولا"

تحرك يركب سيارته ويغادر أمام انظار صديقه الغاضبة .. والذي عاد ليتطلع في السيارة بغيظ شديد قبل أن يلاحظ أن توأمه يلتقط بهاتفه صورا لها فهدر فيه صائحا "ماذا تفعل يا شامل بالله عليك!.. أتريد أن تجلطني أنت الآخر !!" تنحنح الأخير وقال وهو يعيد الهاتف لجيبه" كنت ألتقط صورا للرسـ..... أقصد للجريمة قبل مسحها لنوثق الواقعة "

××××

يا رب !
قصدت بابك .. وغير بابك ماقصدتوش
آدي الباب مفتوح .. عمري ماقفلتوش
يا سابل الستر .. استرها ما تفضحهاش

ولغيرك إنت أبداً .. ما تحوجناش
والحق يعلى وإحنا على الحق .. مانعلاش
يا واخد العهد على عمك ياخويا.. ماتعلاش
زي اللي قبلنا ما قالوا ..
العين على الحاجب ما تعلاش .
وإذا كنت بتحب حِب ..
بس لازم لازم تكون حساس
وفتش على روحك يا حبيبي..
قبل ما تفتش يا واد ع الناس.

على أنغام موال يصدر من مسجل صوت قديم بجواره تطلع العم عيد في سيارة مفرح الزيني التي توقفت أمام بيته مندهشا واسرع بإيقاف عجلة الفخار وحاول أن يغسل يده من الطين لكن مفرح كان قد ترجل من سيارته مسرعا واقترب يلقى السلام فلم يجد العم عيد إلا أن

يمد إليه ساعده وليس كفه قائلا" لا تؤخذني يا باشمهندس"
أمسك مفرح بساعد العم عيد محييا قبل أن يقول "كيف حالك يا رجل يا طيب؟"
رد العم عيد بابتسامة "الحمد لله في نعمة "
وقضم سؤالا كاد أن يسأله عن سبب الزيارة الغريبة ليبادره مفرح قائلا "هل ونس موجودة؟"

تفاجأ عيد بسؤاله عن ونس ..ومرر نظراته بينه وبين باب البيت المجاور لتلك المساحة الصغيرة التي يتخذها مكانا لصناعة الفخار ثم قال بارتباك" أجل موجودة .. هل فعلت شيء؟؟"
اسرع مفرح بالقول مطمئنا " لا لا لم تفعل شيء .. أممم .. مليكة طلبت مني أن اسألها عن شيء"

تحرك عيد بقامته القصيرة وظهره المائل للانحناء يسرع نحو بيته وأخذ ينادي على ابنته .. فخرجت له ونس بنظرات متسائلة وقد خيل إليه بأنها تخفي شيئا ما في جيبها .. لكنه أسرع بالقول "ضعي وشاحا على رأسك واخرجي لمفرح الزيني ..يريدك "

عقدت ونس حاجبيها بتعجب ليسألها العم عيد بتوجس "هل فعلت شيئا؟"

حركت ونس كتفيها بلا أعرف قبل أن تلتقط وشاحها وتخرج لمفرح .

وقف ثلاثتهما خارج الدار .. مفرح متخصرا يتطلع في ونس وبينهما العم عيد رافعا كفيه أمامه ملطخان بالطين الفخاري .. يمرر نظراته القلقة بينهما .. فقال مفرح بهدوء "كيف حالك يا ونس؟..مليكة تسألك عن ألوان الدمى التي طلبت منك اختيارها "

حركت ونس مقلتيها يمينا ويسارا بغباء ..فأشار مفرح بمقلتيه لها ناحية والدها لتضرب قبضتها في كفها تدعي التذكر وقد فهمت أنه يريد أن يخبرها بأمر لا يريد لوالدها معرفته .. وخمنت أن يكون متعلقا بالهاتف الذي اعطته لها مليكة .. فتحركت خطوتين مبتعدة حاولت أن تجعلهما غير متعمدتين وهي تخرج دفترها ليقول مفرح للعم عيد مبتسما" أكمل أنت ما كنت تفعله يا عم عيد فلا أريد أن أعطلك" انتفض عيد منتبها وقال وهو يتحرك مبتعدا نحو دلو من الماء ليغسل يده " لم نضايفك بعد .. سأعد لك الشاي حالا "

على بعد خطوات من العم عيد قال مفرح بخفوت لونس من بين أسنانه "لماذا فعلت ذلك؟؟"

ضيقت حاجبيها بعدم فهم ليضيف مفرح بصوت خافت وهو يختلس النظرات نحو والدها الذي يغسل يديه "لماذا رسمتِ بهذا الشكل على سيارة أصحابي؟!!"

اتسعت عينا ونس متفاجئة بكون أصحاب السيارة تابعين لمفرح الزيني .. لكنها عادت وكشرت عن أنيابها بسرعة وكتبت في دفترها حانقة "كنت أرد لهم ما فعلوه بي "

سألها مفرح باندهاش "ماذا فعلا؟؟!"

كتبت بخط كبير "كادت السيارة أن تضربني و توقعني في الترعة؟"

رفع مفرح حاجبه مندهشا ثم قال " مادمت قد حفظت شكل السيارة كان من الممكن أن تبلغيني أو تبلغي أحد الغفراء أو تبلغي مليكة لتخبرني أو والدك يا ونس .. لا أن تفعلي ما فعلت وتحرجيني أمام ضيوفي "

اشاحت بوجهها بامتعاض تهز ساقها بغير رضا لكنها أعادت أنظارها إليه حين أضاف مفرح قائلا بتوبيخ " وبعيدا عن موقفي المحرج .. هل تدرين ثمن هذه السيارة التي رسمتِ عليها ؟" عقدت ونس كفيها خلف ظهرها ورفعت إليه مقلتين ممتعضتين ووجنتين مشتعلتين تطالعه بفم مزموم في حرج.. ليكمل مفرح قبل أن يضع نظارة الشمس على عينيه ويتحرك للخلف بعد أن شعر أن العم عيد قد انتهى من غسل يده " لا تكرريها مجددا .. وأتمنى ألا يلجأ صديقاي لسؤال أهل البلد عن الفاعل فأصغر طفل يلعب في الشارع سيخبره بأن هذه الرسمات تخصك (وتحرك نحو السيارة يقول) سأذهب أنا يا عم عيد"

قال عيد وهو يجفف يديه" والشاي؟!!!"

دخل مفرح السيارة ورد قبل أن يتحرك "دائما عامر يا رجل يا طيب .. سأنتظرك في حفل الزفاف إن شاء الله .. السلام عليكم "

رد العم عيد السلام قبل أن يستدير لإبنته يناظرها بتوجس .. فأسرعت الأخيرة تهرول هاربة لتختفي في داخل البيت .

××××

في سيارة مفرح بعد دقائق قطب الأخير حاجبيه وهو يتطلع في شاشة الهاتف الذي يرن .. وتحولت ملامحه الهادئة إلى بعض الجمود وهو يجيب بلهجة متحفظة "السلام عليكم "

جاءه صوت المتصل يقول ببعض التردد "وعليكم السلام ورحمة الله .. كيف حالك يا مفرح؟ "

تمتم مفرح وهو يتطلع في الحقول الخضراء على يسار الطريق " بخير والحمد لله وأنت كيف حالك يا سيد "

رد سيد صبرة مغمغما " الحمد لله بخير .. أردت أن أبارك لك بمناسبة زواج أختك "

غمغم مفرح بتحفظ " بارك الله لك شكرا جزيلا "

قال سيد بصدق " تعرف بأن لك عندي قدرا كبيرا من المحبة يا مفرح ولولا حساسية الوضع لكنت جئت بنفسي مهنئا "

رد مفرح بتحفظ " أعلم جيدا بأنك صاحب واجب يا سيد وأشكرك .. كيف حال أولادك؟"

نظر سيد في جلسته في سيارته للصورة المعلقة أمامه في المرآة الأمامية لتوأمين في عمر عامين ورد بهدوء" بخير والحمد لله .. (وببعض التردد

والحرج أضاف) وكيف حال ....(الجميع) عندكم "

رد مفرح بتحفز لم يستطع التحكم فيه "(كلنا) بخير يا سيد وفي نعمة كبيرة .. وأعتقد أن من يوصل لك أخبارنا أولا بأول بالتأكيد قد أخبرك بذلك .. فلا تُضيع وقتك في تتبع أخبارنا " رغم شعوره بالحرج لكنه رد بهدوء " تعلم يا مفرح بأني لازلت أشعر بالذنب ولن أتخلص منه إلا بعد ..."

قاطعه مفرح منفعلا " نحن أناس مؤمنون بالقسمة والنصيب يا سيد .. ولا راد لقضاء الله .. ولولا أن ابنتنا هي من طلبت الطلاق وأصرت عليه لما كنت أرد على اتصالاتك الآن بهذا الهدوء والتحضر .."

ساد صمت كئيب حرج بينهما قبل أن يحاول مفرح التصرف بلباقة نادما على انفعاله فقال بهدوء "اسمع يا سيد .. على المستوى الشخصي تعرف بأني أحترمك جدا .. وربما أكون أكثر الناس تفهما لما حدث بينكما .. لكن الوضع الآن ومحبتي لإبنة خالي سيجعلني دوما متعاطفا معها .. وفي الوقت نفسه لا أحب أن أتعامل معك بطريقة لا تليق بك وبي ولا بالخبز والملح الذي كان بيننا يوما .. لذا أرجو أن تُخرج بسمة من رأسك .. عش حياتك ودعها تعيش حياتها .. وشكرا جزيلا على التهنئة .."

رد سيد بهدوء " أنا متفهم لوضعك جيدا يا مفرح ولا تؤاخذني .. في حفظ الله "

أغلق سيد الخط .. فألقى مفرح الهاتف بعصبية على المقعد المجاور واشتدت أصابعه ضغطا على المقود وقد ازدادت حدة ملامحه ..

شاعرا بتلك الحسرة التي تعتصر قلبه حزنا على ابنة خاله .

أما سيد فاعتصر الهاتف في يده وضرب على المقود أمامه باليد الأخرى بعنف كارها أن يضطر لتحمل هذه المواقف المحرجة له .. لكن ذلك الشعور بالذنب تجاه بسمة لا يزال يطارده ...

يلتف كالحبل حول عنقه ويخنقه ..

يشعره دوما بسعادة منقوصة ..

يتشكل كظل أسود مخيف خلف لحظة سعادة يعيشها في حياته الجديدة مع زوجته وأولاده ..

ولا يعرف ماذا يفعل ليتخلص من ذلك الظل الأسود الذي يلاحق كل لحظة من حياته ..

ولا يعرف ماذا يفعل لبسمة حتى يطمئن عليها .

عاد برأسه إلى الخلف يستند على ظهر مقعده ونظر لسقف السيارة يتمتم " يارب .. كنت

كريما معي.. لكني عبدك الضعيف الطامع في المزيد من كرمك .. ارزقها بمن هو أفضل مني وحررني من ذلك الحبل المشدود حول رقبتي ..وساعدني على أن أطوي صفحتها من حياتي للأبد "

××××

بعد قليل كان مفرح يجلس مع التوأمين في دار العمدة وبالتحديد في شرفة واسعة ملحقة بغرفة أرضية مرتفعة لها مدخل منفصل من ساحة البيت وسلم قصير .. وأخذ يناكف في كامل الذي كان عابسا عكر المزاج فقال " يا بني قلت لك سيغسل لك الغفر السيارة بماء الترعة وستكون لامعة تضوي تحت الشمس ليس بها أي شيء ..فلا تقلق"

قال كامل بلهجة خطرة مهددة "لو أقترب أحد من السيارة سأقتله"

على صوت قهقهة مفرح الصبيانية تنحنحت مليكة وافسحت المجال لتماضر لتدخل بصينية كبيرة فوقها العديد من الأطباق قبل أن تغمغم بهدوء" السلام عليكم"

استقام مفرح وتحرك إليها يهديها ابتسامة وَلِهة قبل أن يحيط ذراعه بجذعها ويستدير ليواجه صاحبيه اللذان استقاما واقفان قائلا "هذه حرمنا المصون مليكة صوالحة"
غمغم التوأمان بأدب جم مشبوب بالحرج "أهلا زوجة أخي "
كادت ضحكة ساخرة أن تفلت من بين شفتي مفرح وهو يراهما على هذا الأدب والحرج .. فاستدار لمليكة يقول "وهؤلاء شامل وكامل اللذان صدعت رأسك بحكاياتي عنهما "
ردت مليكة "أنرتما بيتنا .."
قال شامل بلباقة" بنوركم يا أم أدهم"

ابتسمت ملكية وسألت مفرح "أهناك شيء ينقصكم؟"
لمعت عيني مفرح وهو يتطلع فيها ورد بابتسامة " سلمت يداك"

تحركت مغادرة فجلس التوأمان يتفحصان الصينية العامرة بالطعام بعيون تتفجر منها القلوب الحمراء ..ليقول مفرح باغاظة" هذا الإفطار من يد مليكة صوالحة ..أتفهما معنى هذا ؟.. أي من يد بنت البشوات.. إنها حفيدة باشا حقيقي يا ولد أنت وهو "

غمغم شامل وهو يمزق فطيرة كبيرة بين يديه "سلمت يداها (وقال لأخيه يشير على أحد الأطباق بسعادة جمة) عسل أسود يا كيمو عسل أسود بالطحينة"

غمغم كامل يهز رأسه وهو يكور قطعة كبيرة من الخبز مملوءة بالفول المدمس وحشرها في فمه هو الأخر فضحك مفرح وسحب كرسيا لينضم إليهما .

بعض قليل كانت تماضر ترفع الصينية فقال مفرح "الشاي بسرعة يا تماضر"

غمغمت بطاعة وتحركت مبتعدة بينما نظر شامل في هاتفه يقول وهو يستقيم واقفا "سأتصل بالبيت لأطمئن على أبي " وابتعد يوليهما ظهره فسأل مفرح كامل " ألا يزال والدك غاضبا منك بسبب قرار السفر؟" رد كامل مهموما " يتحدث معي لكنه ليس سعيدا بالقرار"

بلع مفرح غصة واستشعر الحرج أن يتدخل في قراره رغم شعوره بالانزعاج الشديد إلى حد التأثر فقال "وهل ستتركه غير سعيد وترحل؟" رد كامل وهو يتطلع في ظهر أخيه الذي يتحدث في الهاتف "عندي ثقة بأن شامل رغم تمزقه بيني وبين والداي لن يستطيع الابتعاد عني ولهذا سيقنعهما بعد مدة لتصفية كل شيء والسفر إلى حيث سأكون"

قال مفرح يقارعه" لكنكما أخبرتماني بأن والدك يحب العيش هنا.. وأوصاكما إن لم تستطيعا دفنه بعد عمر طويل في الوطن فلتدفنوه هنا في هذا البلد "

سحب كامل نفسا عميقا معترفا بكل ما قاله مفرح لكنه غمغم بضيق هاربا" لا أعرف يا مفرح لكني أريد السفر بشدة "

صوت نسائي متحفظ جاء من ساحة البيت
أسفل الشرفة المرتفعة قليلا عن الأرض فانتبها
إليه.. ليعقد مفرح حاجبيه ويستقيم واقفا ثم
يتحرك نازلا السلم القصير وهو يقول بدهشة"
بسمة !"
غمغمت بسمة " اتصلت بك أكثر من مرة
لكنك لم ترد"
تحسس مفرح جيوبه يبحث عن الهاتف ثم
غمغم "ربما نسيته في السيارة "
ثم وقف أمامها يستمع باهتمام لما تقوله عن
أمر تتابعه في الصوبات الزراعية ..

أما كامل ..
فاستقام ببطء واقفا .. وتوقف الزمن عنده
للحظات ..
إنها هي ..
أخيرا وجدها وقد كاد أن ييأس ..

هي بالتأكيد ..
ليس لأن مفرح تلفظ باسمها الذي يعرفه ..
ولكن لأن ملامحها محفورة في ذهنه منذ ثلاث سنوات ..بذلك اللون الفيروزي الذي يشع من مقلتيها .
فرغم طول المدة.. ورغم بعد المسافة بينهما
الآن .. شيء ما بداخله يخبره بأنها هي..
شيء ما لا يدري كنهه..
ولكن يبدو أن هذا الشيء يعرفها جيدا !.

لكن سؤال ما صفعه ليستفيق من ذلك الشعور الذي شجعه على المجيء بمجرد أن سمع اسم القرية من مفرح وهو يدعوهما لحفل الزفاف .
سؤال صادم ..
ما علاقة بسمة بمفرح الزيني؟؟!!!

اختلس النظر نحو شامل الذي لا يزال مشغولا بالحديث في الهاتف ثم عاد ليتطلع فيها من هذا البعد متمنيا أن تكون أقرب ليروي ذلك الفضول الذي يأكله تجاهها .. وسمع مفرح يقول وهو يحك جبينه بيده

"يا الهي من الجيد أنكِ قد تابعتِ الأمر يا بسمة ..وإلا لكان المحصول كله قد فسد (وتحرك نحو سيارته التي تقع على بعد خطوتين يلتقط من نافذتها المفتوحة هاتفه ثم عاد إليها يقول وهو يرفعه على أذنه) أعلم بأنكِ قد أخبرتيني بالأمس لكني نسيت تماما .. ممتاز جدا الإجراء الذي اتخذتيه مع الموقف .. سأعطيهم أوامري للاهتمام بهذا الأمر والمتابعة لأننا سنكون منشغلين في حفل الزفاف بالتأكيد"

غمغمت بسمة وهي تهم بالتحرك" سأذهب أنا"

فرفع لها مفرح يده مودعا قبل أن يقول في الهاتف "يا عم عطية أنا مفرح الزيني "

في استدارتها للمغادرة اختلست بسمة النظر بفضول لضيفيّ مفرح اللذان يحتلان بيت الجد صالح ..خاصة وأن أهل البلد يقولون بأنهما توأمين متطابقين .. فوقعت عيناها على كامل الواقف عملاقا في الشرفة الأرضية يضع يديه في جيبي بنطاله والذي أشاح بنظراته عنها لثوان يدعي اللامبالاة ..لتكمل بسمة استدارتها ثم تتوقف متخشبة للحظات.

ادارت وجهها مجددا تنظر إليه بحاجبين معقودين وتدقيق أكبر.. فاختلس كامل النظر إليها هو الأخر .. وتقابلت العيون للحظة خاطفة شعرت بعدها بسمة بالحرج والارتباك .. فأجبرت نفسها على التحرك والمضي في

طريقها .. لكنها كانت مصدومة بشدة ومتفاجئة .. فأسرعت الخطى وهي تحدث نفسها قائلة بعدم استيعاب "ذلك الشاب! .. هنا ؟ .. في قريتنا ! .. ومع مفرح!!.. كيف ؟!!"

بعد دقائق أنهى شامل المكالمة.. واقترب من توأمه المتسمر يحدق في الساحة الخالية أمامه فسأله باندهاش "بم أنت شارد يا كيمو؟"

أجفل كامل وتنحنح قائلا " لا شيء"
لم يقتنع شامل فهو الأدرى به لكن عودة مفرح يصعد درجات السلم جعلتهما ينتبهان إليه ليقول الأخير " لا تؤاخذاني فقد نسيت أن أتابع أمرا هاما في الصوبات الزراعية لكن الحمد لله تم تداركه "
ابتسم كامل ابتسامة ضعيفة وجلس هو وتوأمه بينما قال مفرح بطريقة استعراضية متعمدة

وشبح ابتسامة شقية تزين زاوية شفتيه" أين الشاااااي يا جماعة (وجلس أمامهما قائلا بإغاظة مبطنة) لا تؤخذوننا .. تعرفان دوار العمدة به عددا كبيرا من المساعدات لكنهن يعملن كالنحل في يوم مهم كهذا"

حاول كامل نفض ذلك التساؤل الذي لا يزال يدور في رأسه فلجأ للمزاح قائلا لأخيه ليداري شعورا داخليا بالارتباك " أنت وقلبك العاطفي هذا السبب .. لو كنا كسرنا عظامه من أول مرة لما تجرأ وتكلم أمامنا بهذه الطريقة الاستعراضية "

وضع مفرح ساقا فوق الأخرى قائلا بكبرياء "حبيبي .. قرة عيني .. فلذة كبدي .. أنت في ديارنا فكف عن أحلام اليقظة هذه "

صوت أخر جاء ينادي من الساحة
"باشمهندس مفرح "
رفع مفرح رأسه للسماء بغيظ ثم هتف وهو يستدير " مفرح مفرح مفرح ماذا تريدون من الزفت مفرح؟ .. ألا استطيع أن أجلس مع أصحابي بدون مقاطعة !!"

تطلع فيه شيخ الغفر بارتباك ولم يعرف إن كان ما قاله سماحا له بالحديث أم طلبا منه للمغادرة .. فأكمل مفرح بقلة صبر ".. قل يا عويس ماذا هناك هذه المرة؟!"
غمغمة خافتة جاءت من شامل مصاحبة لضحكة متهكمة وهو يقول لتوأمه بخفوت مسموع" يمثل علينا دور الشخص المهم .. كان أولى به أن يعرف ما حدث لسيارتنا !"

استدار إليه مفرح يهديه ابتسامة صفراء مستخفة متزامنة مع صوت ضحكات صاحبه المكتومة هو وأخيه بينما جاء صوت عويس من أسفل الشرفة يقول "الحاج سيلمان الوديدي بالخارج ويريد سعادتك على وجه السرعة ومعه الحاج بدير العسال"

رفع مفرح حاجبا وغمغم باندهاش وهو يستقيم واقفا "ولماذا لم يدخل؟ .. أيحتاج لإذن للسماح له بالدخول!! "
رد عويس " قال لا وقت للمضايفة ويريد سعادتك بالخارج (وتنحنح ثم قال بصوت أهدأ) ويبدو أن هناك مشكلة ما ..فهما متوتران جدا "

علت الجدية ملامح مفرح وقد بدأ في القلق فنظر لصاحبيه مغمغما "مشكلة ! (ثم تحرك

بعدها ينزل السلم وهو يردد) خالي العزيز!..
استر يا رب"

على البوابة بادره سليمان الوديدي ما أن رآه
قائلا "لدينا مشكلة يا مفرح يا ولدي"

سأله مفرح بقلق وهو ينظر لبدير العسال الذي
يضع هاتفه على أذنه يحاول الاتصال بشخص
ما "ماذا حدث ؟"
قال سليمان ببؤس "الطباخ أصيب بأزمة كُلى
ونقلناه للمستشفى في مركز المحافظة ..
والأطباء يقولون بأنه لن يستطيع العودة للعمل
قبل ست أو سبع ساعات .. ومساعدوه وفريق
عمله مرتبكون ويهابون تحمل مسئولية حفل
كبير وهام كحفل اليوم بدونه "
مط مفرح شفتيه بامتعاض ثم قال "وما العمل
الآن يا خال؟"

جفف سليمان عرقه بمنديل وغمغم من بين أسنانه وهو يتطلع في بدير الذي لا يزال يتحدث في الهاتف "بدير يحاول التصرف لكني أحببت أن أخبرك بالمشكلة من البداية"

فرك مفرح رأسه بكفيه.. ثم نظر في ساعته مغمغا "وهل سنستطيع التصرف يا خالي ؟.. لو حضر شخصا آخر من العاصمة أو من أي محافظة مجاورة سيحتاج الأمر لساعتين على الأقل"

"وأين ذهبنا نحن يا أبا أدهم؟!!"

قالها شامل وهو يخرج من بوابة بيت العمدة مع أخيه بعد أن قلقا وقررا اللحاق به ..فاستدار مفرح إلى صاحبيه متفاجئا ثم قال باستنكار وحرج شديد "أنتما ضيفاي يا شامل!"

تدخل سليمان قائلا "ماذا تعني يا استاذ؟ .. هل تعرف طباخا ؟"

رد شامل بابتسامة " بل أنا وأخي نمتلك مطعما في العاصمة (وأخرج من جيبه بطاقة عمل يعطيها للحاج سليمان وأكمل وهو يغمز لأخيه وينظر لمفرح متفاخرا ومتعمدا اغاظته فقال بتعال مقصود) وليس أي مطعم .. وإنما مطعم كبير .. راق .. شهير .. في مدينة من المدن الجديدة التي لا يسكنها إلا المستويات الاجتماعية الثرية .. ولا يزور مطعمنا سوى الشخصيات الهامة .. كما أنه ملاصق لفيلا والدي المليونير غنيم نخلة وبالتالي لن يكون صعبا علينا الاشراف على الطباخين عندكم " اتسعت ابتسامة سليمان ولمعت عيناه بينما أسرع مفرح بالتدخل قائلا بابتسامة صفراء وقد فهم بأنه يغيظه " حبيبي والله يا أبو شامو لكن لا يصح فأنتما ضيفاي .. سنتصرف لا تقلقا" عادت لشامل جديته وقال بإصرار وصدق هذه المرة بعد أن نفض عنه تلك الطريقة الصبيانية

المتعمدة لإغاظة مفرح " يا عم مفرح لا تكبر الأمر ف .."

بتر عبارته مجفلا وهو يتطلع بجوار ذراعه لرأس بدير التي أطلت على البطاقات في يده فناوله واحدة بابتسامة مجاملة ليأخذها الأخير منه ويتطلع فيها بعينيه الخضراوين ممتعضا .

في الوقت الذي تدخل سليمان قائلا بسعادة غير مبررة للواقفين" صاحباك أولاد أصول يا مفرح والله .. فلمَ تصنع فارقا يابن أختي !.. فالصاحب يقف بجوار صاحبه في المواقف الطارئة مثل اليوم"

حدج مفرح خاله بنظرة لائمة وقال من بين أسنانه" ألم تقل بأن بدير يبحث عن بديل؟.. فليتصرف (ثم استدار للتوأمين يقول بحرج) ما تفكران فيه لن يحدث "

قال بدير بلهجة باردة "أنا بالفعل أقوم باتصالاتي وبعون الله سأحل المسألة "
قال له سليمان بإصرار" مفرح كان صائبا يا بدير حين قال أن أقرب بديل سيأتي من خارج المحافظة .. وسيحتاج لساعتين على الأقل .. هذا إن وجدنا على الفور من يوافق على المجيء بدون ترتيب مسبق"
تدخل كامل قائلا "يا مفرح .. قلنا لا تصنع فارقا بيننا .. أنت تهيننا برد فعلك هذا "
ليضيف توأمه" اعتبرها هديتنا لك بمناسبة زواج أختك (ونظر للحاج سليمان يسأله)أين مكان الطباخين ؟"
تحرك سليمان يتقدمهما قائلا بحماس وهو يلملم في عباءته "تفضلا سأدلكما .."

تحرك خلفه التوأمان بعد أن ربت كامل على كتف مفرح يطمئنه أن لا عليه أن يشعر

بالحرج .. بينما قال الحاج سليمان من بين لهاثه وهو يسرع الخطى "القرية ازدادت نورا ونحن ازددنا شرفا بأن يقوم طباخان من دولة عربية شقيقة بالطهي لضيوفنا .. هذا جميل لن ينساه لكما مفرح .. ولن ننساه نحن أيضا والله "

غمغم شامل شاكرا بحرج بينما التزم كامل الصمت وهو يستشعر لُزوجة هذا الرجل .. في الوقت الذي تسمر بدير ومفرح مكانهما .. كل منهما يشعر بالغيظ ويجز على أسنانه لسبب يخصه .

بعد أقل من ساعة كان التوأمان يقفان بضخامتهما في خيمة كبيرة ليست ببعيدة عن الصوان بينما الفريق المساعد للطباخ السابق يتطلعون فيهما فاغري الأفواه يشوبهم بعض التوجس خاصة من كامل الذي وقف بارد

الملامح يديه في جيبي بنطاله يناظرهم ببعض التعالي ..
أما شامل فتقدم يقف أمامهم بكل ثقة قائلا بابتسامة هادئة وبلهجة أهل البلد يقولها منغمة "أحبائي .. وحوشي الصغار .. أنا شامل نخلة وهذا توأمي كامل .. لا أريدكم أن ترتبكوا من تطابقنا(وأخرج من جيبه منديلا يربط به رأسه قائلا) احفظوا بأن شامل هو من يربط المنديل حول رأسه .. والآن لدينا مهمة ليست بالهينة .. وسباقا مع الوقت فقد تأخرنا في البدء (وتطلع لورقة في يده أعطيت له منذ قليل وقال) قائمة الأصناف المتفق عليها طويلة لكني واثق بأننا سنفعلها لو تحركنا كفريق واحد .. (وضرب كفيه ببعضهما بقوة يحمسهم وصاح) تحركوا هيا كلٍ إلى مهمته"

××××

بعد العصر

أمام أحد المباني الكبيرة التي يقع فيها صالون التجميل الشهير في مركز المحافظة وقفت فرقة موسيقية تستعد بآلاتها لاستقبال العروس حين تخرج من المبنى.. وبمجرد أن خرج وليد من السيارة الفاخرة المزينة بالورود وأشرطة الزينة يرتدي حلة أنيقة عزفوا التحية له .

أما في صالون التجميل في أحد الطوابق العليا عدلت مليكة صوالحة من فستان ونس وهي تقول بلهجة معجبة" فستان رائع جدا جدا رغم بساطته"
اتسعت ابتسامة ونس وفتحت حقيبتها تخرج دفترها وتكتب بحماس "إنها قطعة قماش أعجبتني مع تاجر أقمشة في السوق (ورفعت يدها تغطي ضحكة شقية ثم كتبت) قماش خاص بالستائر"

قهقهت مليكة ثم قالت "لكنه اختيار رائع جدا"
فكتبت ونس مضيفة "ورسمت الموديل وأعطيته للخياطة لكني كنت في رعب من أن تفسده فقد شعرت بأنها غبية ولم تفهم من رسمتي شيء لكن الحمد لله بعد بعض التعب معها خرج كما أريد "

حشرت بسمة رأسها بينهما لترى ماذا كتبت ونس ثم رفعت أنظارها لتسألها وهي تتطلع في شعرها الكستنائي الممزوج الطويل المنطلق خلف ظهرها "وهل العم عيد موافق على عدم تغطيتك لشعرك؟"

هرشت ونس في رأسها تمنحهما ابتسامة محرجة .. فقالت مليكة بعينين متسعتين

مكحلتين" وماذا ستفعلين يا مجنونة؟..
بالتأكيد سيغضب بشدة"
كتبت ونس في دفترها وهي تحرك كتفيها بلا مبالاة "سينتهي الأمر بعلقة .. لكن لا بأس فهذا الحدث لن يتكرر كثيرا لأطلق شعري وألبس هذا اللبس وأبدو كالأميرات "
قالت مليكة بقلق "غَطِ شعرك يا ونس وتجنبي المشاكل "
رقّصت الأخيرة حاجبيها بشقاوة وهي ترفع كتفيها رافضة .. فناظرتها بسمة وتمتمت بحقد "أيتها المحظوظة ! .. ليتني أملك شجاعتك في هذا الأمر وأطلق العنان لشعري"
تطلعت فيها ملكية بنظرة ممتعضة وبالتحديد في الوشاح الخفيف الذي تلفه حول رقبتها ولا يغطي إلا نصف رأسها ثم قالت بلهجة متهكمة "الحقيقة أنت ملتزمة جدا بغطاء رأسك يا مسكينة لهذا تحسدينها!"

تجاهلت بسمة تعليق صاحبتها المتهكم وتنهدت قائلة" من أهم مميزات الحياة في العاصمة أني لم أكن مضطرة لتغطية شعري"
ردت مليكة بنفس اللهجة المتهكمة "بالطبع خاصة مع حفلات الفنانين التي حضرتيها .. وإشادة الصحافة بجمالك الأخاذ"
حدجتها بسمة بنظرة متعالية باردة لتكمل مليكة مناكفة "طوال عمرك كنتِ تتحينين الفرصة لكشف شعرك (وقرصتها في ذراعها تضيف) أيتها اللعوب الماجنة "
توجعت بسمة وناظرتها بغيظ ..بينما ضحكت ونس ..
بعد دقائق ضيقت بسمة عينيها تسأل مليكة بفضول " هل تعرفين كيف تعرف مفرح على هذين الشابين؟ "
هزت ملكية كتفيها وردت" لا أذكر .. كل ما أذكره أنه يعرفهما منذ عامين تقريبا وأنه يذهب

معهما لصالة الألعاب الرياضية .. وقد ارتبط بهما بسرعة غريبة حتى أنه قد زارهما عدة مرات في فيلتهما ومطعمهما وهما زاراه في شقته في العاصمة أكثر من مرة أيضا .. لمَ تسألين؟ "
نظرت بسمة لونس الواقفة بجوارهما تتابعهما وهي تتطلع في المرآة المواجهة لها كل دقيقة وتعدل من مظهرها ثم قالت بمراوغة " لا أبدا مجرد فضول كونهما من بلد أخرى (وغمزت لها) سأخبرك فيما بعد"

ردت مليكة بلهجة متأثرة "أنا في الحقيقة ممتنة لهما أن استطاعا أن يكسبا ثقة مفرح.. تعلمين بأنه يحتفظ بمسافة معينة بينه وبين الناس .. وكنت أشعر به يعاني من الوحدة بشدة لسنوات طويلة "

تنهدت بسمة بمرارة بينما قالت مليكة مغيرة الموضوع "هل اتصلت بك أم هاشم؟.. لقد فقدت الاتصال بها منذ أن تركتها في شقة مهجة "

ردت بسمة بهدوء " بالتأكيد أخذت اليوم كله نائمة .. لقد ظللنا أنا وهي حتى الشروق نرتب في هذا النيش اللعين .. والحقيقة أنها بذلت مجهودا كبيرا جزاها الله خيرا .. لهذا توقعت أن تأتي على الحفل مباشرة "

غمغمت مليكة بلهجة حزينة" اشفق عليها دوما .. وحزنت أن وصلت لسن الثلاثين بدون زواج لمجرد أنها مختلفة في الشكل"

قالت بسمة بسخرية مُرة " ليت الأغبياء يعلمون أن الجمال ليس ضمانا أبدا لأن تنال حب الأخر أو تحقق السعادة لنفسها "

كلماتها أوجعت مليكة في الصميم .. خاصة وهي ترى ذلك الحزن المتجسد على وجه صاحبتها لكنها حاولت المزاح فأمسكت بقلبها بيد واستندت على ذراع بسمة بيدها الأخرى تميل بجذعها للأمام قليلا مغمضة العينان .. فاتسعت عينا ونس بجزع بينما ضيقت بسمة عينيها تناظرها ببرود وهي تسمع مليكة تغمغم " يا إلهي ..هذه الجرعة من العمق الذي أصابتك بعد الثلاثين تقتلني يا فتاة! (ثم فتحت عينيها تتطلع فيها واكملت سخريتها أمام ابتسامة تلح لتظهر على شفتي بسمة الجميلتين) ما رأيك في أن تكتبي كتابا وتنشريه بعنوان (النصائح الذكية لبسمة السوداوية)" ضحكت ونس بينما عوجت بسمة شفتيها المطليتين باللون النبيتي بابتسامة مستخفة لصاحبتها التي شاركت ونس الضحك ثم

استدارت للأخرى تقول بامتعاض "هل أعجبتك ظرافتها ؟"
أصوات جلبة في الخارج غطت على أخر حروف سؤالها .. لتدخل إحدى صاحبات مهجة تقول بحماس "وصل العريس .. وصل عريسك يا مهجة"

استقامت مهجة تعدل من فستانها المنفوش وتتمم على حجابها الأبيض ثم نظرت لفايزة أختها ثم لمليكة وبسمة بارتباك واضح .. فقالت مليكة مطمئنة "ما شاء الله لا قوة إلا بالله ..بدر في ليلة تمامه "
أما بسمة فخرجت بسرعة لترى ذلك العريس الذي كبر أمام ناظريها عاما بعد عام .. ووقفت تتأمله وهو يقترب مع عدد من الأقارب .. كان مليح الوجه مبتسم الثغر في سعادة .. وكانت هي سعيدة من أجله ..

التقت عينيهما فاقترب وليد منها حتى وقف أمامها يسألها مشيرا لحلته " ما رأيك ؟"

غلبتها تلك العاطفة اللعينة تجاهه التي حاولت كثيرا خنقها لربما ماتت وأراحتها .. فمسحت على سترته وعدلت له من المنديل الذي يزين جيب السترة العلوي وهي تقول بتأثر " مبارك لك يا حبيبي "
مال وليد يطوقها بذراعيها مغمغما " بارك الله لك ورزقك بالعوض"
أبعدته في محاولة منها لاستعادة رباطة جأشها وغمغمت " هيا عروسك في الانتظار"

عند باب صالون التجميل عدل وليد حلته وفتح الباب ينظر في الداخل بترقب .. ثم عقد حاجبيه حين وجد مهجة توليه ظهرها..

أمام نظرات الواقفات دخل مقتربا منها حتى بات خلفها تماما ثم رفع قبضته أمام فمه متنحنحا وقال " مساء الخير يا فندم ..أنا العريس .. هل وصلت في وقت غير مناسب؟!"

انفجرت الموجودات بالضحك بينما استدارت مهجة إليه ببطء وحياء فلم يمهل وليد لنفسه فرصة حتى لتأمل فستانها أو لفة حجابها وزينة وجهها الجميل وإنما مال عليها يحضنها بقوة .. لتطلق فايزة الزيني زغرودة قوية شقت جدران المكان وفجرت السعادة في قلوب الحاضرات ..

××××

بعد قليل

وصلت أم هاشم أخيرا لمبنى صالون التجميل بعد أن سرقها النوم حتى أذان العصر فقامت

مسرعة لتستعد للحاق بالحدث من أوله عند خروج العروس من صالون التجميل .. لكنها حين اقتربت وجدت الفرقة الموسيقية التي كانت في استقبال العروسين عند خروجهما من المبنى قد انتهت وأن العروس تركب السيارة بمساعدة أختها فايزة الزيني ..

تملك الاحباط من أم هاشم وبحثت بين الوجوه الكثيرة من الشابات اللاتي كن في انتظار خروج العروس لمصاحبتها في موكب بالسيارات إلى مكان الحفل في القرية فلم تجد بسمة أو مليكة فهما الأقرب إليها دوما رغم تقطع الوصال بينهم على مدى السنوات الماضية لانشغال كل منهم في حياته .. وفي الوقت نفسه تحرجت من الاتصال بهما أو فرض نفسها عليهما ..

ليأتيها من خلفها صوت إحدى الفتيات تقول" علمنا بأن العروس أصرت ألا تدخل شقتها

بدون ترتيبك أنت بالذات للنيش يا أم هاشم
وأن رص مهندس الديكور لم يعجبها"

بحركة استعراضية استدارت إليها وقالت
"معلوم .. فهي بنت العمدة وذوقها عالي"
ضحكت الفتيات .. ثم صاحت إحداهن وهي
تشير لسيارات الأجرة الجماعية التي يتجه
نحوها الواقفون ممن لا يملكون سيارات
خاصة " هيا لنلحق مكانا في السيارات فلا أظن
أنها ستسع الكل"

اسرعت الفتيات بالهرولة نحو السيارات
المصطفة خصيصا بتكليف من أولاد الزيني
لنقل المهنئين الذين ينتظرون العروس عند
صالون التجميل حتى يدخلوا القرية معها في
موكب سيارات يليق ببنت العمدة .. فراقبتهم
أم هاشم ثم عادت تتطلع حولها بحيرة

والشعور بالوحدة يقبض على قلبها .. لتقرر بسرعة حشر نفسها في أي سيارة جماعية حتى تعود للقرية..

مرت على السيارات فوجدتها كلها مزدحمة بالناس ولم تجد إلا كرسيا واحدا شاغرا في أخر سيارة وهو المقعد المجاور للباب فصعدت تجلس عليه لتصيح الفتاة المراهقة التي جلست بجوارها "هذا لصديقتي "
أدارت إليها أم هاشم وجهها وردت ببرود "وهل صديقتك هذه تلبس طاقية الإخفاء بينما أنا جالسة على حجرها الآن ؟!"
قالت الفتاة بحنق" إنها ستأتي الآن وأنا أحجزه لها"

تنهدت أم هاشم وأشاحت بوجهها تتطلع أمامها قائلة" إن أردتِ حجز لها مكانا فانزلي

وابحثي عن (تاكسي) .. وادفعي أجرته لتحجزي لصاحبتك مكانا .. أما هذه فتابعة لأصحاب العرس (وأشارت لنفسها) ولكل المدعوين وليس أنت وصاحبتك فقط "

تدخلت إحدى النساء في المقاعد الخلفية تقول "ولمَ لا تركبين أنت يا أم هاشم (التاكسي) وتدفعي ثمنه ليدخل بك خصيصا للقرية ؟..هل ستتركين فتاة مراهقة تعود بمفردها؟"

استدارت أم هاشم تنظر للمرأة ثم عادت لتتطلع أمامها وهي تقول بلسان حاد" إن كنتِ تشفقين عليها .. فاعطِها مكانك يا أم شذى" حوقلت المرأة بصوت مسموع في الوقت الذي صعدت الفتاة المعنية للسيارة ووقفت تتطلع في صاحبتها وأم هاشم .. لتقول لها الأخيرة" اسمعي يا صغيرة .. أمامك ثلاثة حلول ..إما أن

تجلسي على حجري فالمسافة ليست ببعيدة ..
أو تجلسي على حجر صاحبتك .. أو تذهبين للمقعد الخلفي فمن تجلسن عليه رفيعات ومن الممكن حشر نفسك بينهن "
زمت الفتاة الواقفة شفتيها بتذمر بينما ناظرتها الأخرى بغيظ متزامن مع حوقلة أم شذى كبندول ساعة مستفز في الخلفية ..
في الوقت الذي جلس السائق أمام المقود وقد التقط طرف الحديث في وقفته بجوار الباب وفهم ما يحدث فقال ساخرا وهو يعدل المرآة الامامية وينظر لأم هاشم ببشرتها الداكنة السُمرة والتي ترتدي عباءة سوداء وحجابا أسود
" لمَ اظلمت الدنيا فجأة ؟!"

ضحكات خافته متهكمة وصلت لأم هاشم من الخلف كانت كدبابيس حادة تنغز في قلبها وتشعرها بالحرج لكنها ابتسمت ساخرة

فظهرت أسنانها الناصعة البياض وهي ترد على السائق قائلة "ربما لديك مشكلة في النظر يا أسطى .. لذا أنصحك بالكشف على عينيك "

في نفس الوقت خرجت سيارة من خلف المبنى يقودها علي صوالحة تجلس فيها مليكة بجواره بينما بسمة وونس في المقعد الخلفي .. فنظرت الأولى لأخيها وسألته بقلق "هل تأكدت من أن إياد وأدهم في سيارة أخي بِشْر ؟" رد علي مطمئنا " لا تقلقي بهذا الشكل يا مليكة أنهما مع أولادي وأولاد بِشْر "

هتفت مليكة وهي تتطلع في إحدى سيارات الأجرة التي بدأت في التحرك ومرت بجوار سيارتهم "أليست هذه أم هاشم؟! .."

أسرعت بسمة بفتح النافذة المجاورة لها ونادت عليها بينما السيارتان تمشيان بالتوازي خلف موكب السيارات التي تحرك .. فانتبهت أم هاشم ومعها أغلب الموجودات لسيارة علي صوالحة ولبسمة التي تصيح من النافذة "أم هاشم .. أنت يا أم هاشم .. لماذا تركبين عندك يا بنت تعالي معنا"

هدّأ سائق السيارة سرعته حينما اشار له علي صوالحة فوقف بجوار الأخرى التي وقفت بجانب الطريق .. لتدير أم هاشم وجهها للفتاة المراهقة بجوارها وتحجدها بنظرة إغاظة لم تستطع التحكم فيها .. ثم تركت مقعدها تفتح الباب ..لكنها استدارت تتطلع في الوجوه التي تطالعها فاغرة الأفواه وقالت للفتاة التي جلست بالخلف "تعالي بجوار صاحبتك .. (ثم نظرت للمرأة) وأنتِ كفي عن الحوقلة يا أم

شذى وكأني كنت أجلس فوق حجرك .. فأنا ذاهبة فانعموا بالسيارة كلها "

قالتها ونزلت بهدوء تركب السيارة الأخرى بعد أن ألقت السلام .. لتهتف فيها بسمة بغيظ "ألن تتخلي عن ارتداء العباءات السوداء يا أم هاشم ؟"

ردت الأخيرة بلهجة متهكمة وهي تشيح بنظراتها وتتطلع في النافذة بجوارها للسيارة الأخرى "وبم ستفيد الألوان سوى أنها ستلفت النظر أكثر للقالب الأسمر (وأخرجت رأسها من النافذة تصيح) لا تنس بأن تعرض عينيك على الطبيب يا أسطى ! "

××××

على مقعد في غرفة أثاثها مطلي باللون الذهبي البراق في بيت حسيب العسال وضعت كاميليا ساقا فوق الأخرى وأخذت تهزها بعصبية وتلوي فمها وهي تناظر جابر الجالس أمامها يحدجها بنظرات جامدة غاضبة بينما أكمل الأخير قائلا " وهذا وضع لا يليق ببنت أصول يا بدير .. أن تعصي امرأة أمر زوجها وتخرج من بيته بدون علمه "

هتف عماد العسال بعصبيته المعتادة "أتريد أن تحبسها في البيت؟؟"

تدخل أخوه الأكبر بدير هادرا ليتحاشا أي قرار متهور من جابر الذي استشعره متحفزا أكثر من أي مرة سابقة "اسكت أنت ولا تتدخل (ثم التفت لجابر يقول بمهادنة) لا لا يرضيني طبعا لكن أنت أيضا يا جابر عليك ألا تكون متشددا في طلباتك "

جز عماد على أسنانه وغضب لأن أخوه احرجه أمام صهره فانتفض مغادرا للغرفة بينما قال جابر بانفعال " اسمع يا بدير أنا لست مطالبا بأن أدافع أو أبرر ما أفعله مع زوجتي أمامك.. لكن كاميليا تعرف بأني لست هذا المتشدد الذي تصفه أنت وتدعيه هي .. فكل ما أريده أن تظهر بمظهر امرأة عادية كنساء البلدة أو حتى كنساء المدينة المحتشمات.. وعندي خطوط حمراء لا أحب تجاوزها وهي تعلمها جيدا منها ارتداء الملابس الضيقة أو اللامعة الملفتة بشدة .. والمبالغة في وضع زينة الوجه بشكل تكون فيه اشبه بفتيات الليل من وجهة نظري .. أنا لا أمنعها من أن ترتدي ما تحبه وأن تتجمل مثل النساء لكن دون الخروج عن الخطوط الحمراء فهذا الأمر يثير حفيظتي ..وفي المقابل أنا أيضا أتغاضى عن أمور كثيرة أخرى "

صرخت كاميليا بصوت يخنقه البكاء " نساء العائلات الكبيرة كلها ترتدي أفخم الثياب لكنك تصر أن تخنقني يا جابر"

هتف جابر باستنكار " ما دخل الفخامة والعائلات الكبيرة بهذا الذوق في اللبس لا أفهم !!.. وحتى لو كن يرتدين ذلك مالنا نحن بهن ! .. على أية حال أنا اتحدث عن طاعتك لزوجك يا كاميليا"

استمرت في هز ساقها بعصبية وأشاحت بوجهه تقول بضيق " وأنا تعبت من تحكماتك"

أتسعت عينا جابر وأشار على نفسه يقول بغير تصديق " أنا؟!!!.. تحكماتي أنا يا كاميليا؟!! .. (واطرق برأسه للحظات صامتا ثم رفع إليها أنظاره يقول بلهجة اهدأ) حسنا.. ما هو المطلوب مني الآن"

كان الغضب يسيطر عليها ورغبة متملكة منها تلح عليها لكسب نقطة جديدة لصالحها فقالت بعناد" أنا لم أعد استطيع التحمل " حدجها بدير بنظرة محذرة .. لكنها رفعت ذقنها بكبرياء في محاولة للضغط على جابر الذي تفاجأت به يستقيم واقفا بهدوء يخفي حسرة استشرت في قلبه خلف وجه متخشب جامد وقال بضيق" كما تريدين .. حددوا طلباتكم واخبروني (واستدار مغادرا وهو يقول بحشرجة لم يستطع اخفائها) السلام عليكم"

رماها بدير بنظرة خطرة اربكتها فوق ارتباكها الذي شعرت به وجابر يستدير مغادرا .. هذه المرة لم يحاول محايلتها كما يفعل في السابق ..في الوقت الذي انتفض بدير وهو يستقيم ويلحقه بصوته" إلى أين يا أبا ميّس (وحدج

أخته بنظرة موبخة وهو يقول) ألا تعرف كاميليا وتدللها عليك "

في لحظة كانت كاميليا تدفن وجهها في كفيها وتبكي بنشيج مسموع ..ليسرع بدير قائلا بلهجة تمثيلية وهو يختلس النظرات نحو جابر الذي وقف مترددا عند الباب يولهما ظهره" ما بك يا كاميليا لم البكاء يا حبيبتي ..لا إله إلا الله!"

مرت بضع ثوان على جابر في حيرة .. أيكمل طريقه للخارج ويتجاهلها حتى لا تتصور بأنه قد رضخ لها؟.. أم يعود ليسترضيها ولا يساهم مثلها في زيادة الفجوة بينهما .. ليأتيه صوتها تغمغم ببؤس" لم تعد تحبني يا جابر .. بت لا اسمع منك إلا اللوم والتقريع والتوبيخ .. وعدتني بأنك ستسعدني لكنك أدرت لي ظهرك في النهاية بكل قسوة "

استدار أخيرا وقد لان قلبه فقال بهدوء" أنتِ من تصنعين الحواجز بيننا يا كاميليا.. أنت تصرين على عدم طاعتي بكل تحدي وهذا أسلوب لا أقبله"

تدخل بدير يستغل لحظة العتاب هذه حتى لا يعود أحد منهما للتشنج مرة أخرى رغبة منه في انهاء هذا الخلاف المزعج حتى يسرع إلى حفل الزفاف فقال" بالطبع غير مقبول وأنا لا أرضى بذلك يا جابر .. وأختي من بيت أصول وتعرف كيف تحترم زوجها وتطيعه "

فرفعت الأخيرة إليهما وجها مغرقا بالدموع وقالت بمسكنة ودلال "زوجها الذي لم يعد يطيقها"

اسرع بدير بالقول وهو ينظر في ساعته " لا تقولي هذا يا كاميليا فجابر ونعم الرجال (ونادى على زوجته) يا أم علاء جهزي لي العباءة لنلحق بالحفل أنا وصهري (واستدار يقول

لجابر وقد لاحظ لين ملامحه واطمأن لأن كاميليا قد نجحت في استدرار عاطفته) .. سأرتدي العباءة ونذهب يا جابر فلا يصح ألا نكون على رأس المهنئين ..أسرعي يا كاميليا واستعدي لنذهب جميعا "

قالها وترك الغرفة يغلق الباب خلفه ليترك لهما الفرصة للتصالح .. فرفعت كاميليا عينيها لجابر بمسكنة تزم شفتيها ببؤس ..فتشكلت أمامه كلوحة اغراء متكاملة رغم احمرار وجهها من أثر البكاء .. فلم يستطع جابر الصمود أمام دموعها وقرر أن يكتفي بهذا القدر لعلها تكون قد استوعبت الدرس ومد يده ليمسك بمرفقها ويسحبها إليه فاستقامت واقفة أمامه .. ليأخذها إلى حضنه قائلا بنبرة هادئة " الزوجة التي تريد الحفاظ على بيتها لا تتحدى زوجها يا كاميليا وتخرج دون علمه ولا تفعل ما يثير

حفيظته .. لا أعرف متى ستتعقلين وتكفين عن ترك البيت كل فترة "

لم ترد كاميليا .. فقد كانت تتفتت من الغيظ أنه كاد أن يتركها منذ قليل ويرحل ببرود لم تعتاده منه .. وأنها اضطرت للرضوخ له حتى لا تفقد زمام سيطرتها على الأمور .. وهذا يفقدها لذة الشعور بالانتصار .. لكنها بالتأكيد ورغم شعورها بعدم الرضا على حياتها معه لن تسعى للانفصال حتى تظل متفوقة على بسمة الوديدي .

xxxx

بعد ساعة

اصطفت السيارات التي كانت ترافق سيارة العروسين أمام الساحة الواسعة حيث يقام الصوان الضخم بالقرب من بيت العمدة .. بعد أن قاموا بالسير في شوارع مركز المحافظة

يعزفون بأبواق السيارات نغمات خاصة بالأفراح ..
وعند توقف سيارة بعينها التفت الرؤوس والعيون الفضولية للمتابعة بترقب .. فتباينت المشاعر والنوايا والهمسات تجاه الشابات الأربعة المترجلات منها..
نزلت من المقعد المجاور للسائق (مَليكَة صَوالحة) بكل هيبتها ووقارها وجمال إطلالتها الهادئة الارستقراطية.. في عباءة ثمينة - كالعادة - لم يرى أهل البلدة مثلها من قبل ..لونها أخضر شديد الدُكنة من قماش الاورجانزا المبطن.. بأكمام واسعة الأساور وتطريز بارز مخرم من عند الذيل من نفس لون العباءة والذي يظهر من تحته حذائها المخملي الأسود الأنيق ذا الكعب العالي .. تلف حول وجهها بسيط الزينة حجابا ذا لمعة خفيفة .

ونزلت من المقعد الخلفي (وَنَسْ) بنفس بنطالها الجينز القديم .. وحذائها الأخضر المسطح على الأرض الذي ترفض التخلي عنهما .. إلا أنها ارتدت فوقهما فستانا قصيرا رملي اللون مطبوع بالورود الصغيرة الملونة وذا لمعة .. مطلقة شعرها الكستنائي الممزوج على ظهرها دون أي تدخل خاص .. إلا من وردة كبيرة فوق إحدى أذنيها من نفس لون ورود الفستان الصغيرة .. ولا يزين وجهها إلا ملمع للشفاه .. فبدت رغم طولها المتوسط وجسدها الأنثوي أصغر من سنين عمرها الثلاثة والعشرين وأضفى على ملامحها براءة فوق براءتها الطبيعية.. تزين ابتسامتها فمها الواسع وهي تتطلع لأضواء الصوان بانبهار طفولي .

ثم تلتها تلك الفتاة غريبة المظهر ليس فقط بمقارنتها بالمترجلات من نفس السيارة وإنما أيضا بأهل البلدة الذين اشتهرت بناتهن

بالجمال والحلاوة .. فنزلت (أم هاشم) بسُمرتها الداكنة جدا في عباءتها السوداء -كالعادة - وقامتها الطويلة وجسدها النحيل.. وجهها خالي من الزينة إلا من ذلك الكحل الاسود الذي تُأطِّر به عينيها البنيتين .. لتبدو أمام النظرات المتفحصة كائنا شديد الدُكنة شجع البعض على التلفظ السري بذلك اللقب الذي يطلقونه عليها بوصفها بـ (العفريتة السوداء)!.

خاصة وهم يتابعون بعيون منبهرة رابعتهن المترجلة من السيارة بعدها تخط بكعب حذائها الكحلي العالي برشاقة وتخرج إليهم في ثوب ناعم بلون نيليّ هادئ مائل للون الرمادي.. حزين كحزن عينيها.. مشدود من عند الخصر بحزم.. ينزل بكشكشة طبيعية لتنورة الفستان الطويلة .. وأساور لامعة ضيقة

حول المعصمين تتحكم في وسع الكمين
الناعمين ..
كانت تضع فوق رأسها وشاحا خفيفا ناعما من
نفس لون الفستان يلتف حول رقبتها ولا يغطي
إلا نصف رأسها فيظهر شعرها الأسود الحالك
مصففا ببساطة فوق ذلك الوجه البهي الحسن
بشفتيها الممتلئتين المطليتين باللون النبيتي
وخاتم الحسن الطبيعي البارز الذي يزين ذقنها
..
أما عيناها..
المتلألئتان بزُرقة السماء الصافية ..
والمكحلتان بالأسود..
فكانتا حكاية أخرى ..
حكاية لم ولن يكف الجميع عن الحديث عنها
..
رغم ذلك الحزن المعتق فيهما ..

فاستحقت أن تكون (بسمة الوديدي) جميلة الجميلات بشهادة الجميع .

واستحقت أن يتطلع فيها معظم الرجال الواقفين في استقبال موكب العرس خاصة بدير الذي تسمر يتطلع فيها منبهرا بجمالها الأخّاذ الذي أسر قلبه منذ سنين ..فلم يتحفظ كعادته في التحديق فيها وتأملها بعد أن غلب حسنها الذي لم يرى مثله من قبل حرصه الدائم على عدم إظهار ما يضمره في صدره ..
ومن بعيد وقفت زوجته وجدان تتطلع فيه بعينين دامعتين ثم أطرقت برأسها أرضا ..بينما ناظرت كاميليا البنات الأربعة بحقد كبير خاصة بسمة .. ونظرت لعباءتها التي اضطرت أن ترتديها بدلا من تلك البراقة اللامعة التي كانت تتمناها.. غير راضية عنها رغم اشادة الكثيرات بجمالها وفخامتها .. ثم عادت للتطلع في هيئة

بسمة التي تبرزها في جمال أخّاذ ذكرتها بالمرات القليلة التي ظهرت صورتها في المجلات وفي مواقع التواصل في حفلات كانت ترافق فيها زوجها السابق.. واشتعل الحقد والغيرة في صدرها خاصة وهي ترى عيون الرجال تتطلع فيها بينما هي لم تلحظ إلا عدد قليل فقط من اختلسوا النظر إليها بسبب وجود جابر معها وملاصقته لها .. فجزت على أسنانها تتطلع فيه بغيظ شاعرة بالكبت والقهر تلعن ذلك الحظ العاثر الذي جعلها تتزوج منه وتدفن جمالها المتفرد من الظهور .

أما كامل فتقبض بقوة وهو يحدق في بسمة من خارج الصوان وبالتحديد من تلك البقعة التي وقف فيها ليشاهد موكب وصول العروسين .. وقف يطالعها مشدوها .. مبهورا بجمال تلك المخلوقة..

يتملكه فضول قديم لم يروى بعد للتحدث معها..
وحائرا .. لا يجد إجابة على سؤاله الملح في رأسه منذ صباح اليوم..
ماذا تقرب بسمة لمفرح الزيني؟!
بينما وقف شامل وعيناه لا ترى من الأربع فتيات إلا تلك الصغيرة المرحة وقد اجتاحته راحة غريبة حين وجد الابتسامة تعلو وجهها وهي تتحرك بجوار الأخريات وتبدو عليها سعادة طفولية بأجواء الحدث ..

ونفس الشعور بالحيرة الذي سيطر على توأمه كان من نصيبه وهو يسأل نفسه ..
لمَ شعر بالراحة بل والبهجة لأنها سعيدة بالرغم مما حدث لها ليلة أمس؟ ..

لكن تلك التساؤلات تبخرت في ثوان وبدأت عيناه في الجحوظ تدريجيا حتى كادت أن تخرج من محجريها وهو يتطلع في تلك الفاتنة التي قطعت عليه تأملاته وهي تمر أمام بصره .. فتابعتها عيناه حتى وقفت على جانب من الصوان فكانت بوقفتها تواجهه وهي تنتظر دخول سيارة العروسين..

تسمر شامل للحظات يحدق فيها ثم أدار وجهه بحركة حادة ينظر لأخيه الواقف متسمرا هو الأخر يتطلع باتجاهها ..فناداه لكنه لم يرد ..ليصيح شامل بعصبية "كامل أنا أتحدث معك ؟؟؟؟"

استفاق كامل من الحالة الغريبة التي أصابته ونظر لأخيه متفاجئا بوجوده وقد حسبه لا

يزال في خيمة الطباخين فبلع ريقه ووقفا متواجهان لا يفصل بينهما سوى عدة أمتار .

قال شامل يخاطره فكريا وملامح الصدمة تعلو وجهه " هذه هي أليس كذلك؟ ..بسمة؟!!" حين لم يرد تكلم شامل قائلا " أكنت تعلم بأن بسمة من هذه القرية ؟!!.. أهذا هو السبب الذي جعلك تغير رأيك وتقرر فجأة المجيء معي لتهنئة مفرح بعد أن كنت تتحجج بإنشغالك بإجراءات السفر وتفوضني وحدي للمباركة !"

استمر كامل على صمته ..بل وقف يناظره في حالة من الارتباك الداخلي غير المفهوم له .. فجز توأمه على أسنانه وقد تأكد من ظنونه ..وعاد يتطلع في بسمة من بعيد يحاول استيعاب المفاجأة .. بينما ضُربت الأعيرة النارية في الهواء بالتزامن مع توقف سيارة

العروسين فتابع التوأمان الحدث بشرود وكل منهما عيناه تختلسان النظر نحو بسمة التي تتابع بتأثر وليد وهو يخرج من السيارة ويمد يده ليساعد عروسه على الخروج .. ليتوجه العروسان بعد ذلك إلى داخل الصوان حيث يقع مقعدي العروسين وسط الزغاريد ونغمات الأفراح .

بعد قليل صاح إياد بانبهار وهو يطالع منة الله التي ارتدت فستانا من التُل الأبيض المنفوش بكم واحد بينما الآخر ما هو إلا حمالة رفيعة " واااااو .. تبدين كعروس حقيقية يا منة!! "

وقفت الأخيرة وقفة استعراضية وردت بدلال أنثوي ووجنتين مخضبتين بحمرة طبيعية " أصريت على أن ارتدي فستانا كفستان العروس "

اقترب إياد يحدق في وجهها بعينين طفوليتين منبهرتين ثم قال مصعوقا" هل تضعين أحمر شفاه !.. أحمر شفاااااااه !!!"

ازداد احمرار وجنتيها وسألته بتوجس " هل أبدو به قبيحة؟ "

رد إياد وقد ازداد اتساع عينيه "بل رااائع أحببته جداااا "

بشفتين مزمومتين ووقفة جانبيه يديه في جيبي بنطال حلته الأنيقة اختلس أدهم النظر لمنة الله ووقعت عيناه على الكتف العاري فلم يستطع لجم لسانه وقال بلهجة ممتعضة " ألم تجدي فستانا إلا هذا بكُم واحد ؟!!.. تبدين كمن سُرق منها كُمها في مشاجرة !"

احتقن وجه الصغيرة ولاح الاحباط على ملامحها ..فنظرت لإياد وكأنها تطلب منه قول الصدق.. ليلتفت الأخير ويهتف معارضا لأخيه

" بل إن موديل الفستان راقي جدا رأيته على الانترنت "

عاد الأخر للإشاحة بوجهه وهو يغمغم "هذا رأي وكل انسان حر في رأيه "

اطرقت منة الله برأسها بإحباط ليرتفع صوت أدهم فجأة ويصيح هاتفا" أنظر يا إياد إنه أبي "

في نفس الوقت دخل شامل خيمة الطباخين بوجه غير الذي خرج به .. كان عصبيا متجهما حتى أن الموجودين شكّوا بأنه كامل رغم ذلك المنديل الذي يعصب به رأسه كعلامة للتفريق بينهما .. ووقف يضرب كفيه ببعضهما هادرا بحزم " هيا يا شباب .. فلنسرع قليلا لقد بدأ الحفل "

قال أحد الواقفين على باب الخيمة من أهل العريس لصاحبه بصوت عال " أنظر .. إنه

مفرح الزيني على حصانه.. يا الهي يبدو كنجوم السينما .. طوال عمره فارس مغوار تليق به العمودية والله "

فتحرك شامل ليتركهم ويخرج من جديد ليشاهد ما يحدث .

في الساحة الكبيرة خارج الصوان كان مفرح الزيني على ظهر حصانه يتوسط الساحة فأسرعت مهجة تلملم في فستانها وتترك مقعدها بجوار عريسها مهرولة وسط ضحكات واندهاش الواقفين لتشاهد أخيها فوق حصانه .. فوقفت بجوار بسمة ومليكة وباقي الموجودين قبل أن يلحق بها وليد ضاحكا .. لينظر نحوها مفرح من فوق حصانه بحنان وعاطفة قوية .. عاطفة أخ تجاه اخته التي تحمل في قلبه رتبة (ابنة).. ثم مرت عيناه على مليكة بجوارها فبرقتا لثوان ذلك البريق الذي لا

يضوي ولا يلمع ولا يشع إلا لها وحدها .. قبل أن تبدأ الموسيقى .

على الأنغام الراقصة بدأ الحصان يضرب بحوافره الأرض الترابية ضربات مرتبة منغمة ويرقص برشاقة وهو يتلقى التعليمات الصامتة من صاحبه .. فتطلعت مليكة في فارسها فوق حصانه وهو يجلس مهيبا شامخا رجوليا .. ذراعاه العضليان المصبوغان بسمرة الشمس ظهرا من تحت كمي القميص اللذين رفعهما إلى مرفقين بعد أن ألقى كعادته بسترة الحُلة في مكان ما ستحتاج لاستكشافه قبل أن تضيع .. فلاحت ابتسامة حنون على زاوية شفتيها الجميلتين واستدارت تبحث عن أدهم وإياد لتجدهما يقفان يتطلعان في والدهما بانبهار .

هيئة الصبيين بالحُلات الرسمية الأنيقة دغدغت قلبها فلمعت عيناها بالدموع وعادت للتطلع في مفرح الذي كان يُرَقِّص حصانه بمهارة حازت على اعجاب الجميع تعبيرا عن سعادته بزواج أخته .

كان الحصان(ألفونس)كما يطلق عليه ابن العمدة يتراقص برشاقة وخفة على صوت المزمار .. حتى أمره مفرح بعد قليل بالتوقف وترجل من فوقه بخفة وهو يشير آمرا لبِكره أدهم الزيني الذي تفاجأ بدعوة والده فلبى النداء في طاعة .. ليساعده الأخير على امتطاء الحصان ويلقي إليه ببضع كلمات قبل أن يتحرك بعض خطوات للوراء ويترك ابنه الذي بدا لثوان مرتبكا أحمر الوجنتين ثم استجمع شجاعته أمام أنظار والده المشجعة ليستعيد

كل دروس الفروسية التي علّمها مفرح له ولأخيه ليعود الحصان للرقص من جديد .

أما مصطفى الزيني فسحب عينيه عن ذلك الصبي الذي يسر الناظرين له فوق حصان والده وهو يتمتم بـ (ما شاء الله) ويبلع غصة مرة في قلبه لعدم تواجد بِكره في هذه المناسبة فجالت عيناه بين الحاضرين يبحث عن أولاده حتى وجدهم يصطفون أربعتهم بحلات أنيقة يشاهدون الحدث ..ليتفاجأ بعد دقائق بذلك الذي يقترب منهم يديه في جيبي بنطال حلته حتى انضم إليهم ووقف بجوارهم ليكتمل عدد أولاده الذكور ..فقام أربعتهم بالتهليل والمشاكسة بل ومنهم من ناكف حمزة بمحاولة القفز فوق ظهره من الخلف محتفلين بعودته.. لكنه كان يبعدهم عنه بتجهم واضح

على وجهه .. ثم تحركت عيناه يبحث عن والده حتى تقابلت الأنظار..

أطرق حمزة برأسه فورا ما أن تواجه مع والده متحاشيا إطالة النظر في عينيه شاعرا بالندم والحرج .. ولم يدر بأن الأخير كاد أن يطير من الفرح برؤيته عائدا بعد أن لانت رأسه الصلبة قليلا .. يعلم بأنه لا يزال على موقفه .. لكنه سعيد أن ابنه حريص على إرضائه ..ويشهد الله أنه حتى لو لم يحضر لما قدر قلبه على أن يغضب منه .. فتمتم في سره بامتنان " اللهم لك الحمد والشكر "

على دقات قلبه السعيدة ونغمات المزمار والطبول عاد مصطفى الزيني يتطلع في الساحة بينما أنزل مفرح ابنه ثم سحب الحصان إلى

حيث تقف مهجة وأمره قائلا "ألفونس .. قدم التحية للعروس "
مال الحصان ينحني قليلا بقدميه الأماميتين وبرأسه فغامت عينا مهجة تأثرا واقتربت تلقي بنفسها على أخيها الذي عانقها متأثرا هو الأخر وهمس يشاكسها "مهما لبست من كعب عال ستظلين قزمة يا قزمة"

انفجرت مهجة بالبكاء فشدد مفرح من ذراعيه حولها يحاول الهرب من عدوى البكاء هو الأخر حتى لا تضيع هيبته أما أعين أهل القرية ..

أما منة الله فاقتربت من إخوتها الذكور تسألهم ببعض التوجس "هل هذا الفستان سيء وقبيح وأبدو كمن سُرق منها كُمها في مشاجرة ؟"
طالعها الخمسة بأنظار متفحصة غير مستوعبة لما تسأل عنه..ليهتف حمزة

مصعوقا " هل تضعين أحمر شفاه يا بنت!!
(ونظر لإخوته الذين كتموا الضحك يقول بتوبيخ) هل سمحتم لها بوضع أحمر شفاه في غيابي "
ردت منة بتحدي "أمي وافقت فأنا أصبحت آنسة الآن "
فرد عليها بعبوس وبعينين ذاهلتين "وأنا لم أوافق "
هتفت في حنق "أنا أسألكم عن الفستان يا حمزة "
مال بجذعه يتطلع فيها عن قرب وقال بإصرار "وأنا أتحدث عن أحمر الشفاه (ورفعها فجأة فوق ذراعيه يقول لعبد الله الأقرب له في الوقفة) احمل معي يا بني لقد باتت ثقيلة الوزن لكن لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى"
صاحت منة بغيظ "أتركني يا حمزة ولا تمزح بهذا الشكل "

في الوقت الذي أمسك عبد الله بساقيها وهو يسأل أخيه ضاحكا " كيف سنعاقبها يا دكتور؟"
رد حمزة وهو يحاول السيطرة على محاولتها للإفلات " عض ودغدغة يا بني"
تكالب عليها أخوتها مدغدغين من بين ضحكاتهم بينما تعالت صرخاتها الحانقة المغتاظة وهي تتفتت من الغضب هاتفة "اقسم بالله سأشكيكم لأبي .. يا أبيييي"

بعد قليل لمحت مليكة أخويها أكرم وعمار الأتيان من العاصمة يدخلان بصحبة أخويها الأصغر علي وبشر فأسرعت كطفلة صغيرة تهرول إليهما وهي تلملم عباءتها مما استدعى انتباه مفرح فترك أخته تعود مع عريسها إلى مقعد العروسين وتابعها بنظراته .

ألقت مليكة بنفسها تقول لأكرم صوالحة
"اشتقت إليك يا أخي .. اشتقت جدا "
ضمها أكرم بحنان مغمغا "لو اشتقت إلي لكنت
زرتني .. لكني اليوم آت لأخانق زوجك"
رد مفرح ضاحكا وهو يقترب" وماذا فعل زوجها
الطيب المسالم الفقير إلى الله!"

بالسلام الحار رحب مفرح بأكرم بينما قال عمار
لأخته بغيرة" اشتقت له هو فقط؟"
اسرعت مليكة تقبل وجنتيه قائلة" وهل عندي
أعز منكم في حياتي "
ثم اقتربت تحيي زوجتي أخويها وأولادهم في
الوقت الذي قال أكرم لمفرح مشاكسا "لماذا
تمنع أختي عن زيارتي يابن العمدة ؟!"

تطلع مفرح في مليكة متفاجئا وهتف "أنا؟؟!!"

فتدخلت مليكة تقول ضاحكة "أبدا والله يا أخي لكني أنتظر أن تنتهي السنة الدراسية وسآتيك بالتأكيد في إجازة المدارس "

اقترب مصطفى الزيني مرحبا بحفاوة "يا أهلا يا دكتور يا أهلا يا باشمهندس أشرقت الأنوار"

على بعد أمتار قال أحد الرجال المتابعين للمشهد "سبحان الله من كان يصدق أن الصوالحة وأولاد الزيني سيقفان يوما يتبادلان الحفاوة والترحيب والضحكات بهذا الشكل بعد سنين طويلة من العداوة !"

فعلق أخر" لاحظ أن عبد الغني صوالحة حضر لمدة عشر دقائق بصفته عضو مجلس الشعب والأعراف تقتضي بحضوره .. وظل هو والعمدة

واجمان في مجلس الرجال حتى استأذن الحاج عبد الغني بدعوى المرض "

قال ثالث " يا عمنا الكل يعلم بأنهما أجبرا على التصالح بعد أن ضغط عليهما أبناءهما بقيادة مفرح وأكرم وبمساعدة مصطفى الزيني .. وكان إدخال المحافظ في عملية الصلح وقتها خطوة ذكية من مفرح الزيني "

قال الأول ضاحكا " الحب يصنع المعجزات يا أخي .. كل هذا ليفوز بابنة الصوالحة "

اقترب منهم بدير يطالعهم بعينين خضراوين ماكرتين وغمغم بامتعاض وهو يراقب مثلهم المشهد " لا يغركم المشهد الوردي هذا فالقلوب متشبعة بتاريخ أسود بين الأجداد ولا يفر الأبناء أبدا من ميراث أجدادهم .. الأمر

فقط يحتاج لشرارة .. عود ثقاب .. وسيشتعل كل شيء من جديد "

رد أحدهم بقلب مقبوض من الخاطرة "نسأل الله ألا يحدث شيء كهذا ..فيكفينا توترا وخلافات .. نريد أن نربي أبناءنا بسلام"

أمّن الواقفين على أمنيته بينما ظل بدير ساهما يتأمل المشهد من بعيد وعبارة سمعها منذ قليل تدور في رأسه(الحب يصنع المعجزات) .. وبحركة مختلسة من مقلتيه نظر إلى حيث تقف بسمة بين النساء توليه ظهرها ورسم قدها بنظرة ذكورية جائعة قبل أن يسرع بإشاحة نظراته حتى لا يلاحظه أحد وهو يغمغم في سره " إن كان الحب يصنع المعجزات فسأحقق حلمي بامتلاكك مهما كلفني الأمر يا بنت الوديدي .. فليت رأسك

تلين وترضين بظروفي .. ليتك تعلمين بأنك ستكونين الأولى والأخيرة في قلبي .. وبأنني لو كنت أعلم بأنك ستستولين على قلبي بهذا الشكل لكنت انتظرتك بلا زواج حتى تكبرين .. وليتك تدركين كيف يعذب بدير من أجل نظرة من عينيك"

بعد ساعة

خرجت اسراء من الصوان تنظر حولها وهي تحاول الاتصال بكريم الذي لم تره منذ مدة بعد أن كان يتسامر مع أحفاد العمدة وبعض الصبية .. فحاولت أن تتصل به على هاتفه الجديد الذي ابتاعت له رقما بمجرد أن علمت بأن أمها قد أحضرت له هاتفا لكنه لم يرد فهمت بالعودة للصوان حين لمحت ذلك الذي يقترب منها .

ارتبكت اسراء واخفضت نظراتها تمر من أمامه مسرعة .. فقال طلال" السلام عليكم ممكن دقيقة ؟"

توقفت توليه ظهرها في تردد .. ليقول طلال ببعض الترجي " أرغب في التحدث معك بضع دقائق"

غمغمت بخفوت دون أن تستدير إليه "كيف سأقف لأتحدث معك في الشارع بهذا الشكل ؟!"

تطلع طلال حوله بحيره ثم سألها" هل استطيع أن اتصل بك إذن؟ .. أنا لدي رقم هاتفك "

غمغمت وهي تستدير لتواجهه" آسفة ..لا استقبل مكالمات من أشخاص لا أعرفهم"

حرك طلال كتفيه ورد ببساطة" ولهذا أردت أن أتحدث معك لتعرفيني"

هتفت باستنكار" أفندم !"

تنحنح طلال بحرج وقال" ها أنت قد اضعت الدقائق دون أن أخبرك بما أريد .. "

ساد الصمت للحظات واسراء توبخ نفسها على الوقوف أمامه ليسرع طلال قائلا قبل أن تقرر المغادرة " أنا أولا أعتذر عما حدث ليلة أمس .. فقد طلبت من الصبي أن يعطي الورق لك في الخفاء"

رفعت حاجبا متعجبا وردت ساخرة "هذا فقط ما تعتذر عنه ! .. لكن الورقة في حد ذاتها لا تستوجب اعتذارا !!"
قال طلال وهو يتحرك خطوة ناحيتها "إن كان هناك طريقة أخرى لأخبرك بها عن إعجابي بك فاخبريني "
حاولت إخفاء ارتباكها وقالت بوجه أحمر وشجاعة" وأنا لا أحب تلك الطرق "

قال طلال بسرعة " أنا لا ألهو يا اسراء أنا جاد جدا .. لكني أرغب في أن أطمئن قبل دخولي بيتكم أن هناك قبولا لديك "

تعرقت من الخجل لكنها قالت " وهل لو أوقف أحد الشباب أختك يسألها في الشارع عن رأيها فيه ستقبل بهذا "

بلع طلال ريقه بحرج فأضافت وهي تستدير مبتعدة " إذن ما ترضاه لأختك هو ما يجب أن تعامل به بنات الناس.. بعد اذنك "

اسرعت الخطى تشعر بالحرج الشديد وبتوهج وجنتيها بينما اتسعت ابتسامة طلال يتابعها حتى اختفت بين الحاضرات وأدار عينيه يبحث بشكل عاجل عن والدته .

يحيا أبوها وشنبو
يالي ما حدش غلبو

على صوت نصرة الصادح كان النسوة يحتفلن بطريقتهن الخاصة مستغلات فترة راحة بين فقرات الفرقة الشعبية التي حضرت براقصيها وآلاتها الموسيقية لإحياء الحفل .. فتجمع النسوة بجوار العروسين يغنين ويرقصن في الصوان المقسم لجانب للنساء وجانب للرجال ..

اقترب مفرح يتطلع في الموجودات بالقرب من الكوشة باحثا عن مليكة قبل أن يحدد مكانها في ركن ساهمة صامتة بالقرب من زوجات إخوتها المتابعات للمحتفلات .. فدنا منها يدقق فيها قائلا "ما بك؟.. كلما نظرت إليك شعرت بأنك لست على ما يرام"

ردت بهدوء والمطارق تضرب برأسها "أعاني صداعا شديدا "

قال باهتمام" أعرف بأنك قد أجهدت نفسك الأيام الماضية .. سأرسل أحدا ليحضر لك دواء للصداع "

ربتت على ساعده وردت " أرسلت تماضر لتحضر لي دواء "

لمعت عيناه وهو يمرر أنظاره عليها من رأسها حتى أخمص قدميها وغمغم بلهجة مغازلة "سلم لي الحلو وحفظه الله من كل شر "

سألته مليكة بلهجة موبخة " أين سترة الحُلة يا مفرح ؟"

انزل مفرح أنظاره ينظر إلى نفسه متفاجئا بأنه لا يرتدي سترة الحلة بينما رابطة العنق مفتوحة على جانبي عنقه فغمغم بحرج وهو ينظر حوله قائلا " لا أعرف .. لا أذكر أين خلعتها ولمن أعطيتها "

ضيقت عينيها تناظره بنظرة خطرة .. فهرش خلف رقبته بحرج يبحث حوله في محاولة للتذكر .. لتقول مليكة بهدوء " أنا وجدتها وتحفظت عليها يا مفرح .. وبها هاتفك وأوراقك ونقودك وكل شيء "

تطلع فيها يلملم ابتسامة محرجة ثم رد بثقة " أين ستضيع يا مليكة .. من سيجدها سيحضرها لنا "

ردت مقارعة " هذا على أساس أنه لا يوجد بيننا من هو غريب عن القرية الليلة !!"

مسد على لحيته الأنيقة عدة مرات مفكرا في رد ثم قال غامزا "ولمَ أهتم أين وضعتها أو لمن أعطيتها وأنا أعرف بأنها ستصل في النهاية إلى يديكِ يا مليكتي"

تخضبت وجنتيها لكنها استمرت تناظره بتوبيخ
وقالت " هاتفك الجديد لم يمر عليه شهرين
بعد الذي ضاع يا مفرح "
هرش مجددا في رأسه يتطلع فيها بنظرة
صبيانية خجلة في الوقت الذي استدارت أم
هاشم تقول باندفاع " مليكة أين بسمة
وونس؟ "
لكنها حين وجدت مفرح شعرت بالحرج
وغمغمت " سأذهب لأبحث عنهما "
أوقفها مفرح حين قال مشاكسا" أهلا بمنقذة
عائلتنا من الانهيارات العاطفية "

كتمت أم هاشم ضحكتها بخجل شاعرة
بالإطراء ليكمل مفرح مزاحه قائلا " بل
ومنقذتي أنا شخصيا من الزن والدموع
والانهيارات ومن توبيخ وعقاب زوجتي لي على

تقصيري في عدم التعامل بحكمة في قضية مفصلية كقضية النيش "
غمغمت أم هاشم بحرج " العفو يا باشمهندس"
بينما هتفت مليكة" أنا يا مفرح أوبخك وأعاقبك ؟!!!"

استمر مفرح في مزاحه وقال لأم هاشم "ألم تلاحظي صاحبتك بنفسك وهي توبخني قبل ثوان يا أم هاشم ورأيتِ كيف أنا زوج مسكين؟ .. "
تأثرت أم هاشم بلقب (صاحبتك) الذي أعاد لها علاقتهم السابقة والتي تقطعت منذ سنوات بعد أن التهت عنها صاحبتيها بعد الزواج وانشغلت كل منهما بمشاكلها وهي كالعادة لا تحب أن تفرض نفسها عليهما

خاصة مع استشعارها للحرج من الاختلاف الطبقي بينها وبين مليكة وبسمة .

أما مفرح فأضاف بمسكنة " كل هذا لأني أضيّع هاتفي ثلاث أو أربع مرات فقط كل عام "
ضحكت أم هاشم مغمغمة " فداك أي شيء يا باشمهندس "
بينما دفعته مليكة تقول بغيظ " اذهب يا مفرح إلى ضيوفك "
فقال الأخير لأم هاشم "أنا اشهدك على المعاملة؟ .. ليعلم الجميع كيف أنا زوج مسكين "
غمغمت أم هاشم ضاحكة" لا حرمكما الله من بعضكما وأبعد عنكما عين الحاسدين "

تحرك مفرح مبتعدا وهو يقول لمليكة وقد عاد لجديته" سأذهب لأتفقد حال التوأمين أشعر

بحرج شديد منهما لم يستريحا منذ صلاة الجمعة "

تأملت مليكة بقلب ترفرف خفقاته مشيته مبتعدا .. بقوام عضلي ممشوق يبدو شديد الجاذبية والرجولة والأناقة ببنطال الحلة وقميصها رغم رابطة العنق المتدلية على جانبي رقبته بإهمال ..وراقبت كيف أن ناداه أحد الأقارب ليذهب لوالده العمدة فغيّر وجهته إلى حيث مجلس الرجال الكبار والشخصيات الهامة ..

ثم تطلعت بنظرات غاضبة وقلب تنهشه الغيرة عليه في بعض الواقفات المتابعات له بإعجاب من بينهن كاميليا التي أسرعت بالاشاحة بوجهها بعيدا بمجرد أن لاحظت نظرات الأخرى نحوها .. فغمغمت مليكة في سرها " لا حول ولا قوة إلا بالله اللهم اهدنا جميعا "

بينما بحثت كاميليا حولها عن جابر الذي كان يقف بين الرجال ناقمة عليه وهي تراه يرتدي جلبابا فاخرا يصر على ارتدائه داخل القرية ويرفض ارتداء الملابس العصرية إلا حين يذهب إلى العاصمة رغم أنه يكون فيها أكثر جاذبية وشبابا من مفرح .. فنعت حظها السيء في الحياة .

في الناحية الأخرى من الصوان قال بدير وهو ينتحي جانبا بوليد الذي كان ينهت من الرقص وسط الشباب" تعال يا عريس أريدك على انفراد"

أخرج وليد منديلا ليجفف عرقه من الجو الحار وسط الرقص والأغاني والاصوات وتجمعات الشباب وغمغم متسائلا " ماذا هناك يا عم بدير "

بنظرة ذات مغزى دس بدير يده في جيب جلبابه ثم أخرج سيجارة قائلا " هذه سيجارة من نوع خاص ..تعرفها أليس كذلك؟"
رد وليد بسرعة شاعرا بالإهانة أن يشك بدير في أنه يجهل نوع هذه السيجارة " بالطبع أعرف ما نوع هذه السيجارة يا عم بدير"

قال بدير وهو يناوله أكثر من واحدة " وهذه مباركة العم بدير لعريسنا الذي سيرفع رؤسنا عاليا اليوم "
اتسعت ابتسامة وليد وأخذ السجائر يدسها في جيب سترته الداخلي وهو يقول" عشت يا عمنا .. عشت "
اقترب أحد أصدقاء وليد هاتفا" أين اختفيت يا عريس الكل يسأل عنك .. هيا لقد بدأنا الرقص من جديد"

قالها وهو يسحب وليد مبتعدا بينما وقف بدير يحرك نظرات خفية يبحث عنها ..

خرجت بسمة من بيت العمدة بعد أن أصلحت من زينة وجهها لتعود للحفل فتفاجأت ببدير الذي اقترب منها بطريقة بدت عفوية لمن سيلمحهما لكن بسمة كانت تعلم بأنها ليست عفوية أبدا ..

فدوما كانت نظراته نحوها غير مريحة وحين أبدى قبل زواجها رغبته في الارتباط بها قوبل طلبه بالرفض المستنكر لأنه متزوج بالفعل فهو يكبرها بأربعة عشر سنة .. وعندما عادت للقرية مطلقة ازداد الحاحه على والدها للفوز بها .. لكنها رفضت بشدة أن تكون زوجة ثانية .. ومع هذا لا يزال يحاصرها بنظراته في كل مكان تذهب إليه في القرية .

بحركة متهورة لم يستطع التحكم فيها وقف أمامها يعترض طريقها للصوان قائلا "العقبى لك يا ست البنات"
قالت باقتضاب وهي تحاول تجاوزه" شكرا"

بحركة مدروسة ماكرة تظاهر بأنه يعدل من عباءته في الوقت الذي خطى خطوة جانبيه ليعترض طريقها مرة أخرى فطالعته بسمة بنظرات زرقاء تموج بالغضب هاتفة" أريد أن أمر يا أبا علاء "
لم يتحرك هذه المرة بل تركها تتجاوزه وهو يغمغم" تأمر ست البنات فتطاع .. (وأكمل بصوت خافت) أحلى (أبو علاء) سمعتها في حياتي كلها !.. فداك والله أبو علاء "

انتبهت بسمة في طريقها لإمرأة عجوز ترفع طرف وشاحها وتمسح دمعة بائسة وهي تغمغم "ألا توجد رأفة بالفقراء البائسين!" فتركت طريقها نحو الصوان واكملت ناحية العجوز وسألتها "ما بك يا حاجة؟"
رفعت إليها المرأة وجهها تقول بعينين دامعتين " لا يريدون أن يطعموني يقولون بأن الضيوف المهمين أولا .. لكني لن استطيع الانتظار فلابد أن أعود لقريتي قبل أن يشتد ظلام الليل"

شعرت بسمة بالغيظ .. وانطلقت كالسهم الناري نحو خيمة الطباخين وهي تقول بعصبية "من الذي منعك من الأكل ؟.."

هرولت المرأة بجوارها تقول "الشباب الواقفين على الباب"

لم تنصت لها بسمة جيدا .. أو ربما سمعتها وتجاهلت ما قالته ..
فشعوران كانا يسيطران عليها لحظتها.. شعور بالغضب وقد اشفقت على المرأة التي تبدو في حال بائس ومُنعت من الأكل.. وشعور آخر .. شعور خفي ..
شعور بالفضول يأكل في رأسها منذ أن رأت ذلك الرجل صباح اليوم .

في الخيمة تحرك شامل من أمام الموقد بعد أن قلّب بالملعقة العملاقة الرز في ذلك الإناء الضخم .. معطيا تعليماته للشباب بغرف المزيد في الأطباق .. ثم توجه لقدر أخر على الموقد وأخرج منه بعضا مما يحتويه الإناء بالملعقة ثم اتجه ناحية توأمه الذي استدار له بحركة آلية دون أن يناديه .. فاقترب منه يقول باقتضاب ووجه متجهم "أفكر في إضافة هذه

التتبيلة كطبق جانبي للأطباق القادمة ..ذق واخبرني رأيك "

مد كامل له قبضته ليضع الثاني فوق ظاهرها بعضا مما تحتويه الملعقة .. فتذوقها الأول وغمغم "ممتازة .. ضع قليلا من القرفة الخفيفة فقط "

استدار شامل مغادرا لكنه عاد ينظر لتوأمه وقد استشعر ارتباكه المفاجئ قبل حتى أن يظهر ذلك الارتباك على ملامح الأخر التي بدت متخشبة .. فنظر شامل إلى حيث ينظر واتسعت عيناه .

بخطوات مندفعة وبجرأة لم تكن تختبرها في نفسها من قبل كانت بسمة قد اقتحمت الخيمة تمسك بتنورة فستانها ترفع طرفه عن الأرض .. وترفع معه أنظارها تتطلع في التوأمين

اللذان تسمرا يحدقان فيها متفاجئان وهي تقترب منهما ..

DES: SHAMMOSAH

وقلوباً أنهكها التعب ـ
والخيبات.

فيا قلب ـ صبراً .
ويا رب ـ جبراً
ويا شمس العمر لا تغيبي
حتى تشرق في القلب ـ
بسمة.

سلسلة قلوب مغتربة 2

DES: SHAMMOSAH

الفصل الخامس

بخطوات مندفعة وبجرأة لم تكن تختبرها في نفسها من قبل كانت بسمة قد اقتحمت الخيمة تمسك بتنورة فستانها ترفع طرفه عن الأرض .. وترفع معه أنظارها تتطلع في التوأمين اللذان تسمرا يحدقان فيها متفاجئان وهي تقترب منهما ..

لم يدري كامل ما الذي اعتراه لحظتها وهو يرى هذه الفاتنة بهذا الفستان المبهر و القد الأنثوي بامتياز تقترب منه .. وتحرك عينيها الفيروزيتين بينه وبين توأمه .

أما بسمة فاعتراها بعض الارتباك في التفريق بينهما لأول وهلة وهي ترى التوأمين المتطابقين متخشبان كتمثالين من الشمع يحدقان فيها ..

لكنه ارتباك لحظي لم يدم سوى بضع ثوان زمن المسافة من باب الخيمة إلى حيث يقفان .. لتخمن بعدها من منهما ذلك الذي قد تعارك يوما مع زوجها السابق ومن الأخر .. فحددت بحدس لا يحدث من الكثيرين أن ذلك الواقف إلى اليسار والذي يربط رأسه بمنديل هو الشاب الأخر الذي تدخل مع والده لفض الاشتباك .

بانفعال وقفت أمام التوأمين وقالت " من منع هذه السيدة من الأكل ؟ ..(ونظرت لكامل تضيف) أعتقد أن أصحاب العرس هم من يقررون مثل هذه الأمور أليس كذلك؟"

لم يرد كامل بل وقف هادئا يديه في جيبي بنطاله يحدق في حجرين فيروزيين يشعان بالغضب أمامه .. بينما تدخل شامل يقول وهو

يمرر نظراته المرتبكة بينها وبين توأمه "ومن منعها يا فندم؟"

أخذت العجوز بضع لحظات من الدهشة تحدق في التوأمين قبل أن تغمغم" بسم الله الرحمن الرحيم ! .. سبحان الله على تشابهكما (ثم اسرعت بالقول لبسمة مصححة) ليس هما من منعاني يا ست بسمة بل الواقفين على الباب"
اشتعلت وجنتي بسمة بالحرج الشديد وندمت على اندفاعها لكنها غمغمت بصوت أقل حدة "حسنا يا خالة فهمت الآن "

تكلم كامل.. تكلم بصعوبة استنكرها من نفسه جعلته يقول بعجرفة وهو يمرر دون ارادة منه نظرة خاطفة عليها من رأسها حتى أخمص قدميها " هل لي أن أعرف لمَ اختصيتنا بهذا

السؤال دونا عن كل المتواجدين؟! .. هل أخبرك أحد بأننا قساة القلوب؟!"

تفاجأت بأسلوبه المتعالي وبتلك النظرة المستهينة التي وصلتها من عينيه فاشتعل غضبها لكنها دارته خلف نظراتها الباردة وتكتفت تقول وهي ترفع ذقنها بكبرياء" حينما أدخل مكان ما من الطبيعي أن ابحث عن قائده .. ألستما تقودان العمل هنا في الخيمة على حسب علمي ؟"

طابع الحسن الذي يزين ذقنها كان مذهلا من هذه المسافة.. فتقبض كامل وأشاح بوجهه عنها و ابتسامة ساخرة من نفسه على ذلك الارتباك الذي يعتريه لأول مرة لمحتها بسمة على وجهه .. فتقبضت وحدجته بنظرات زرقاء .. في الوقت الذي تدخل شامل بهدوء قائلا " لا

يا فندم نحن لم نرى الحاجة من قبل .. وكما قالت لك منعها الواقفون على الباب "
دارت بسمة شعورها بالحرج ونظرت لشامل تقول بلهجة أكثر لطفا " من فضلك مُر الشباب بإعطائها ما تريد"
شعر شامل بالحرج من أن يسألها من تكون ..فنظر خلفها حيث تقف العجوز وقال بابتسامة هادئة " بكل سرور (واستدار نحو أحد الشباب) يا .. (وصمت لثانية يحك جبينه بأصابعه ثم غمغم) ما اسمك نسيته .. أجل رجب .. يا رجب من فضلك ضيّف الحاجة "

هللت العجوز بسعادة .. فأشار لها شامل بالجلوس أمام إحدى الطاولات وقال لبسمة التي تشعر بالغيظ والاستنفار " لا تقلقي بهذا الشأن يا فندم "
لانت ملامحها وغمغمت "شكرا لك "

ثم حانت منها نظرة ممتعضة تجاه كامل الذي لا يزال مشيحا بوجهه يديه في جيبي بنطاله يقف طويلا ضخما أمامها فاكفهر وجهها شاعرة باستهانة ذلك الغليظ بها .. لكنها أجبرت نفسها على التحرك.. فاقتربت من العجوز التي بدأ الطعام يوضع أمامها وقالت وهي تربت على كتفها" أنتِ من أي قرية يا حاجة ؟"
ردت العجوز "من قرية (***) لكن ابنتي متزوجة هنا من بيت السوالم "

لم يكن كامل وحده من يختلس النظرات نحو بسمة وإنما غالبية الموجودين .. في الوقت الذي قطبت الأخيرة حاجبيها الجميلين وقالت مفكرة " ابنتك من؟.. مديحة أم أسماء؟"
اتسعت ابتسامة العجوز فتجعدت خطوط وجهها أكثر وهي ترد " اسم الله عليكِ ..هي

أسماء ..(ثم قالت بحرج ولهجة مترجية خافتة) هل استطيع أن آخذ بعضا من الطعام لأحفادي أيضا ؟"

ربتت بسمة على ظهرها بشفقة ثم رفعت انظارها نحو شامل الذي أومأ برأسه متفهما .. فغمغمت بالشكر ثم تحركت لتغادر .. لكن نظرة فيروزية مختلسة حانت منها نحو ذلك التمثال الرخامي الذي يناظرها بنظرة غريبة غير مفهومة استفزتها واشعرتها بالغيظ .. فرمته بنظرة متعالية وخرجت بخطوات عصبية حتى وصلت لباب الخيمة ثم قالت ببعض الحدة للواقفين من الشباب على الباب ينظمون دخول المدعوين أو ينظمون خروج الصواني للضيوف المهمين " لا تردوا أحدا يريد أن يأكل بالله عليكم .. وسأبلغ مفرح بما حدث "

قالتها واستدارت منفعلة ثم تبخرت من أمام أنظار كامل الذي ظل يحدق في أثرها لدقائق.

لقد كان حدسه حقيقيا حين تملكه الفضول نحو هذه المخلوقة الباهرة الحسن لكنه ظن أن ذلك الفضول يتعلق بصورتها .. بملامحها التي يكاد يجزم بأنه لم يرى أجمل منها من قبل..

لكن ..

ما يشعر به الآن لم يعجبه.

وما لمحه من تحديق المحيطين فيها وفي أثرها وتلك الهمهمات التي تبعت رحيلها لم يعجبه أيضا .. فاستدار يقول للطباخين الشباب بحدة " لمَ توقفتم عن العمل .. هيا جهزوا الصواني التالية "

بدا كامل أمامهم مخيفا وعدائيا فأسرعوا للتنفيذ
بينما وقف شامل يتأمله وهو يجز على أسنانه..
فاستدار الأخر هاربا من نظرات توأمه .. لكنه
عاد لينظر في عيني توأمه حينما استشعر بأنه
يناديه.. فخاطره شامل فكريا يسأله "هل
تعرف صلتها بمفرح الزيني ؟"
رد كامل بدون أن يدر أحد من الموجودين
بأنهما يتحدثان "لا"

اقترب شامل يقول هامسا بلهجة موبخة من
بين أسنانه " يبدو أنها قريبة من مفرح يا كامل
فقد كانت مع زوجته في نفس السيارة .. ومنذ
دقائق كانت تأمر وتنهي الشباب على باب
الخيمة .. ربما هي ابنة عمه "

أطرق كامل برأسه مفكرا وتمتم بحيرة " أنا لا أفهم معنى هذه الصدف العجيبة المتكررة مع هذه المخلوقة بالذات "

تجاهل شامل ما قاله واستمر في لهجته الموبخة يقول من بين أسنانه " وربما هي أخت زوجته أو قريبتها .. المهم أن مفرح يعرفها جيدا "

رد كامل بعصبية وهو يتطلع حوله ليتأكد من عدم متابعة أحد لحوارهما " وماذا فيها إن كانت قريبته ؟.. أنا لم أفعل شيئا يستحق انفعالك هذا "

غمغم شامل " أنت لم تفعل ..لكني أخشى أن تفعل !.. "

وقفا يحدقان في بعضهما وكامل يتساءل في سره .. هل شعر شامل بما يشعر به؟ ..

قاطع الوقفة الصامتة المحتدة النظرات بينهما أحد شباب الطباخين وهو يناول شامل كيسا به طعام تم تجهيزه للعجوز فتناوله الأخير واقترب منها يضع الكيس بجوار الأطباق التي تأكل منها وقال "وهذا الطعام لك أيضا يا حاجة"

غمغمت العجوز بابتهاج وبفم ممتلئ بالطعام "جزيت الجنة يا ولدي.. ورزقك الله..

(وصمتت قليلا تتطلع فيه باهتمام ثم سألته بفضول) هل أنت متزوج؟"

مال شامل عليها يستند بكفه على الطاولة أمامها وهو يحرك رأسه نافيا ..فقالت العجوز تكمل دعوتها " ورزقك الله بزوجة تسعد قلبك وناظريك "

ابتسم لها ثم تنحنح يسألها" من هذه التي كانت معك ؟"

قطبت العجوز حاجبيها وهتفت باستنكار لجهله " إنها الست بسمة .. بسمة الوديدي أخت العريس .. أما كنت تعرفها؟!!"

ببطء .. اعتدل شامل ليستقيم محاولا السيطرة على ملامح المفاجأة على وجهه وغمغم "لا .. أنا لا أعرف هنا سوى مفرح الزيني فهو صديقي "
تفحصته العجوز ثم قالت بلهجة ذات مغزى وقد خمنت أنه يسأل عنها لإعجابه بها " إنها أجمل فتاة في القرية كلها .. بل يشهد ربي أني لم أرى في حياتي الطويلة هذه برغم أن هذه القرية انجبت الكثير من الفاتنات ..لم أر في حسنها امرأة (وابتأست ملامحها وهي تكمل) لكن المسكينة حظها أعوج فهي مطلقة لأنها لا تنجب"

لم يسمع شامل باقي ثرثرتها ولكن نظر لأخيه يخاطره " أخت العريس يا فالح .. أي ابنة خال مفرح الزيني .."
لم يرد كامل .. وإنما تجمد من المفاجأة التي اعتبرها غريبة وتزيد من حيرته .

في الخارج وقفت بسمة مع مليكة وأم هاشم أمام العم عيد تقول بترجي" لن تفعلها مجددا يا عم عيد .. لن تخرج بدون غطاء لرأسها مرة أخرى "
جز الرجل على أسنانه ورفض أن يترك يد ونس التي تختبئ خلف مليكة تستشعر أن القادم ليس جيدا ..لقد كانت تعلم بأن والدها سيثور بسبب شعرها الذي اسدلته على ظهرها دون غطاء لكنها لم تتوقع أن يتصرف بهذا الجنون والعصبية أمام الناس مصرا على العودة بها للبيت ..

لقد تفاجأ بمنظرها وهي تخرج من بيت العمدة بعد أن جلست هناك منذ بداية الحفل حتى تحمّل من الواي فاي عدة أفلام على هاتفها بعدما أملاها أدهم كلمة السر .. فاستغلت الفرصة لتملأ مساحة الهاتف المتاحة بأفلام ترغب في مشاهدتها لتوفر في باقة الانترنت التي فهمت بأنها لن تتحمل تحميل هذا النوع من الملفات .

قالت مليكة بتعاطف مع ونس "بالله عليك يا عم عيد اهدأ واترك يدها .. من أجل خاطري "

تردد عيد قليلا محاولا السيطرة على أعصابه الغاضبة ثم ترك معصم ابنته وهو يقول بملامح متجهمة" خاطرك فوق رأسي يا بنت الناس الأكابر لكن هذه البنت ستجلطني أقسم بالله "

تدخلت أم هاشم تقول ضاحكة " أتركها يا عم عيد وأنا شخصيا لو فعلتها ثانية سأشدها من شعرها الكستنائي الناعم هذا الذي ما شاء الله لا قوة الا بالله يصيبني بالإحباط (وغمزت له تقول) تشبه خالتي أم ونس رحمها الله " تمتم عيد " رحمها الله واحسن إليها"

استمرت أم هاشم في محاولة اضحاكه فأضافت "صدقني أنا جادة فيما أقول بأني سأشدها من شعرها ..فلا يستفزني سوى البنات اللاتي يتبرعن بإظهار جمالهن هنا وهناك .. لأنهن يتسببن في عزوف الشباب عن من هن أمثالي .. "

تبادلت كل من مليكة وبسمة النظرات المتألمة وكلمات صاحبتهما المتهكمة تنغز كدبابيس في قلبيهما بينما أكملت أم هاشم ضاحكة "

وبصراحة .. أنا لا ألوم الشباب .. فأنا شخصيا لو مكانهم ورأيت هذه (الحلوى) .. لن أنظر لأمثالي أبدا من (الباذنجان الأسود)"
غمغم عيد بحرج" لا تقولي هذا يا بنيتي كلنا خلقة الله.. خلق الانسان في أحسن تقويم لكن العباد هم من يتجبرون .. (ونظر في عينيها يقول بيقين) رِزْقك محفوظ في السماء يا ابنتي فلا تقلقي .. سيجيئك عندما يحين وقته"
تنهدت أم هاشم وغمغمت وهي تضع يدا فوق الأخرى على بطنها " دعواتك يا عم عيد بأن أجد غريب الأطوار هذا و(فلتة زمانه) الذي يفضل الباذنجان الأسود على الحلوى"

همسات اعجاب وانبهار بين الواقفين بالقرب منهم لفتت انتباه الجميع .. فالتفتوا نحو احدى الشاشات الكبيرة في الصوان والتي تصور ما يحدث عند المنصة التي يجلس عليها

العروسين ليجدوا مفرح يتقدم من أخته ويهديها علبة مخملية كبيرة الحجم .. فقالت مليكة وهي تسحب ونس معها" لا تؤاخذنا يا عم عيد سنذهب لنشاهد هدية مفرح لأخته.. وكما وعدتني بأنك ستمررها هذه المرة لونس " تطلع عيد في ابنته ونظرتها الشقية التي تحدجه بها وكأنها لم تفعل شيئا ..فجز على أسنانه وقال "من أجل خاطرك أنت فقط يا بنت الأكابر وخاطر هاتين الطيبتين"

غمغمت بسمة وهي تتحرك مع مليكة وونس "أعزك الله يا عم عيد وأطال في عمرك "

أما أم هاشم فربتت على ذراعه تقول" لا تنس أن تكثف دعواتك من أجل الباذنجان الأسود يا رجل يا طيب "

وأسرعت تهرول في عباءتها السوداء كطفلة في العاشرة حتى ترى ماذا أحضر أخو العروس هدية لأخته ..
أما عيد فغمغم "كله مقدر ومكتوب .. ليتنا نصبر ونرضى فنُجزى "

فتح مفرح العلبة المخملية الكبيرة فكانت أمه أول الفضوليين لمعرفة علام تحتوي فمدت إليها أنظارها وحين لمحت ما فيها شمخت بأنفها عاليا تطالع الحاضرين بفخر .. بينما أطلقت فايزة الزيني زغرودة عالية طويلة وسط همهمات الواقفين بالإعجاب ومصور الفيديو يركز على محتويات العلبة فظهرت على الشاشات .. فنظر مفرح حوله يقول" أين مليكة؟"

اخترقت مليكة الواقفات في الوقت الذي عوجت الحاجة نحمده فمها بحركة غير مرئية .. ليناول مفرح زوجته العلبة لتحملها ثم تناول منها قلادة ذهبية كبيرة الحجم وهو يغمغم أمام مهجة التي تناظر أخيها بإمتنان "هذا من اختيار زوجة أخيك ..فكما تعلمين أنني لا أفقه شيئا في هذه الأمور"

ضحكت مهجة من بين دموعها ومفرح يلف ذراعيه حول رقبتها ويميل عليها يحاول بصعوبة اغلاق قفل القلادة.. فتدخل وليد يساعده لكنه الأخر نظر إليه من خلف رأس أخته نظرة خطرة بحاجب مرفوع محذرا.. فمال وليد ليغمغم بهمس بائس من خلف رأس عروسه "لماذا تكرهني يا بن عمتي ؟!"

ضحكات مكتومة خرجت من العروس وأخيها قبل أن ينادي الأخير "يا مليكة تعالي وانقذيني فهذا الشيء شيء صعب التعامل معه "

وسط ضحكات الجميع ومصمصات نحمده وابنتها الخفية اقتربت مليكة تساعده في اغلاق القفل ..ثم ألبس مفرح أخته الأساور الذهبية قبل أن يميل ويقبل رأسها وسط الزغاريد العالية.

في ناحية أخرى وبوجه ممتعض وغير راض عن التسرع تحركت والدة طلال تبحث عن نصرة بين النساء ثم اشارت لابنها الواقف بعيدا بأنها غير موجودة .. فحرك طلال ناظريه بين الواقفات يبحث عنها قبل أن يشير لوالدته على جهة معينة..

زمت الأخيرة شفتيها وتحركت نحوها مبرطمة
" لا أفهم لمَ التعجل !"
وحشرت نفسها بين النسوة حتى وصلت لنصرة
التي كانت حمراء الخدين من حرارة الازدحام
والغناء والتصفيق ونقرت لها على ذراعها ..
فانتبهت الأخيرة واستدارت إليها بكليتها بعينين
لامعتين مترقبتين تقول بترحيب " أهلا أهلا يا
أم حمدي "
قالت أم حمدي بابتسامة مصطنعة " أريدك
لحظة "

بعد ساعة كانت الأعيرة النارية تطلق في الهواء
أمام بيت سليمان الوديدي عند خروج العروس
من السيارة التي زفتها إلى بيتها الجديد ..
فوقف مفرح يتطلع في صغيرته في فستان زفافها
وغمغم لمليكة التي تقف بجواره" أشعر بأني قد

تسرعت بالموافقة على زواجها فمازالت صغيرة جدا .. لا تزال في العشرين من عمرها"

دلكت مليكة ذراعه متفهمة مشاعره بينما تخلصت مهجة من أحضان وقبلات المهنئات .. واستدارت تبحث عن والدها الذي يقف بعيدا مع كبار رجال العائلات فاقتربت منه هي وعريسها وقبلت يده.. ليربت العمدة على رأس ابنته بحنان ويدعو لها بالخير والذرية الصالحة ..

غمغم شامل متأثرا بالمشهد " أشعر بأننا نظلم والدنا بعزوفنا عن الزواج يا كامل (ونظر إليه يضيف) أحيانا أخاف من أن يموت دون أن نحقق له أمنيته "

لاحظ شامل بأن أخيه شاردا بعينيه نحو باب بيت الوديدي يختلس النظرات لبسمة التي كانت تقف على الباب تتحدث مع فتاة سمراء فغمغم من بين أسنانه موبخا " كامل !"
أنزل كامل نظراته وقال "هيا لنعود للبيت فانا متعب جدا "
فرد شامل بغيظ "انتظر دقائق حتى ينتهي مفرح ونودعه "

تركت مهجة عريسها مع والدها الذي كان يوصيه على ابنته ويحذره من اغضابها وأخذت تبحث عن أخيها .

حين التقت عيناهما فتح لها مفرح ذراعيه فلملمت فستانها وهرولت نحوه وتعانقا.
بصوت مرتجف قال لها مفرح "ذراعي أخيك وبيته مفتوحون لك دائما في أي وقت يا مهجة

.. واعلمي بأنني سأظل لك ظهرا وسندا حتى يتوفاني الله .."

غمغمت مهجة بلهجة باكية" لا حرمني الله منك يا أخي .."

ابعدها عن حضنه فاتسعت عيناها وهي ترى لمعة الدموع في عينيه وهو يضيف هامسا "أوصيك بزوجك اتقي الله فيه واحفظي سره وكوني له سكنا وبيتا .. ورغم أننا دوما أصدقاء أنا وأنت لكني فيما يخص علاقتك بزوجك لست مؤهلا لسماع ثرثرة عاطفية فهذا تستطيعين فعله مع إحدى النساء القريبات منك .. فلا تلجئي لي إلا حين يكون الأمر يستحق تدخلي .. لأنه سيكون تدخل حازم لصالح أحد الطرفين وليس طبطبة أو مواساة"

أومأت مهجة برأسها متفهمة .. فقبّل مفرح جبينها قبل أن يمنحها ذراعه فتأبطته حتى وصلا لعريسها الذي سلم عليه مفرح وقال "مهجة أمانة في رقبتك يا بن خالي فلا تخون الأمانة وإلا سأقطعها "

سأله وليد بغباء " من ؟"

رد مفرح موضحا " رقبتك يا خفيف "

بعد دقائق صعدت العروس وصعد معها والدتها وأختها بينما اقترب مفرح من العمدة قائلا " العقبى لك يا حاج عبد الرحيم حينما ازفك بنفسي لعروسك "

ضحك الواقفون ليضيف مفرح وهو يمد له ذراعه ليساعده على السير إلى إحدى السيارات المرابطة على بعد أمتار "هيا يا عمدتنا لنعود للبيت "

ربت العمدة على كتف ابنه وقال " بارك الله فيك يا ولدي وجعلك سندا لأختيك ولكل أهل البلدة (وأشار نحو التوأمين الواقفين بعيدا وأضاف) اذهب أنت لضيوفك وأنا معي الرجال "

قبّل مفرح كتف والده ثم ذهب للتوأمين ثم قال مشاكسا حين وقف أمامهما " هلا بوحشيّ الشاشة الذين شرفوني وحمّلوني جميلا في رقبتي لن انساه "

غمغم كامل بهدوء "توقف عن هذا الكلام يا مفرح وإلا سنغضب منك حقا"
رغم إرهاقه الشديد لكنه قال بلهجة مرحة "ها هل سنسهر الليلة يا شباب ؟"..

رد شامل بهدوء "لا يا عم مفرح فكلنا مرهقون .. سنذهب للنوم وغدا نتحدث "

ربت مفرح على كتفه وغمغم" إذا تعاليا لأوصلكما في طريقي"

تحرك مفرح وشامل بينما تأخر كامل خطوة ليختلس النظر نحو بيت الوديدي قبل أن يلحق بهما.. ولم يكن وحده من اختلس نظرة قبل المغادرة فالدكتور مهاب فعلها .. وبدير العسال أيضا الذي انتظر انتهاء تلقي سليمان الوديدي للتهاني ثم اقترب منه يقول بلهجة ذات مغزى " مبارك يا حاج سليمان .. وادعو الله أن تطمئن على بسمة في القريب العاجل حتى ترفع رأسك أمام الجميع وتكيد الحاقدين بأنها تزوجت من يليق بمصاهرة الودايدة "

بإرهاق وبرغبة في عدم التسرع قال سليمان "بارك الله لك يا بدير .. أتعبناك معنا الأيام الماضية .. نردها لك في الأفراح إن شاء الله "

xxxx

بعد وقت قصير سكنت القرية تماما إلا من هسهسة حشرات الليل .. بعد أن رحل ذلك الصخب الذي كان يملأها على مدى ليلتين .

انتهى الاحتفال وعاد كل شيء لوضعه ..
والوقت لرتابته..
والحياة لهدوئها ..

ترجلت ونس من سيارة أحد أبناء الصوالحة بعد أن أصرت مليكة على أن يوصلهما أخيها بِشْر في طريقه .. فجرت ونس مسرعة إلى البيت تاركة والدها يسلم بحرارة ويشكر

بامتنان ممزوج بالحرج بِشر صوالحة قبل أن يستدير ليجدها قد اختفت .

بغضب لم يغادره بعد دخل داره يبحث عنها وينادِيها لكنها كانت قد سبقته بإغلاق باب غرفتها الصغيرة .. فجز على أسنانه وضرب الباب بكفه يقول بغيظ "افتحي يا ونس لم نتحدث بعد "

لم يصدر منها أي ردة فعل لعدة دقائق حتى تفاجأ عيد بصاروخ من الورق المطوي ينطلق من تحت عقب الباب الخشبي القديم المرتفع قليلا عن الأرض فعض على شفته السفلى بغيظ وانحنى يلتقط الورقة ويقرأ فيها بصعوبة مقربا الورقة من عينيه (أنت وعدت مليكة بأن تمرر الأمر هذه المرة ولا تعاقبني) .

جز عيد على أسنانه واستغفر ربه وهو يتحرك مبتعدا .

إن هذه البنت تزداد جموحا وشقاوة كلما كبرت.. وأهل البلدة ألسنتهم لا ترحم وعقولهم لا تستوعب الغريب والمختلف وغير النمطي مثلها .

أيذهب بها إلى العاصمة لتتوه وسط البشر هناك ؟!
لكن أين سيذهب هناك ؟.. وكيف سيعيش؟..
وماذا سيعمل فيها ؟..
كما أن العاصمة ضخمة ومخيفة وتشعره بعدم الراحة.

كما أنه برحيله قد يعطي فرصة لذلك الرجل الذي يحوم حوله منذ مدة يحاول أقناعه ببيع

بيته الصغير أن يستولي عليه .. لربما زور له ورقة تنازل أو أي شيء من هذا القبيل ..فيبدو من هيئته أنه نصاب .. وبالطبع لن يرضخ لإلحاحه في بيع البيت له.. بيت والده .. وبيت ونس من بعده .. يريد أن يترك لها بعد موته ولو شبر في قرية اجدادها .. مساحة تربطها بأرض هذه القرية .

خلع جلبابه وعلقه بحرص على مكانه فوق المسمار خلف باب غرفته بعدما غطاه بقماشة قديمة حتى يبعده عن الأتربة والغبار وخرج من غرفته يشمر ذراعيه ليتوضأ استعدادا لصلاة قيام الليل .. فهو يشعر بالقلق أكثر من العادي اليوم .. ولمن سيلجأ إلا لخالقه وسيده ليبدد شعوره بالوحشة.

في طريقه إلى الحمام اخترق صاروخا ورقيا أخر مجال الرؤية أمامه من تحت الباب بينما ابتسمت الثعلبة الشقية من خلفه واسرعت تخلع عنها ملابسها وتهرول بسعادة نحو السرير الخشبي القديم في ركن الغرفة لتلقي بنفسها عليه وتفتح هاتفها وهي في توق شديد لمشاهدة تلك الأفلام التي انزلتها على الهاتف من بيت العمدة.

أما عيد فغامت عيناه تأثرا وهو يقرأ في الورقة (أحبك يا عيد .. ولا أعرف كيف أسيطر على اندفاعي ولهفتي لفعل ما أريد .. لكني والله لا أتعمد إغضابك ..و أحبك كثيرا كثيرا كثيرا كثيرا كثيرا كثيرا)

××××

في بيت هلال جمعة كانت نصرة تشعر بحماس طفلة وهي ترتب وتخطط في رأسها كيف ستعد البيت لاستقبال عريس اسراء .. فمنذ أن لمّحت لها أم طلال برغبتهما في الزيارة ورأسها تعمل في كل الاتجاهات ..فتدخلت اسراء تقول بلهجة مشفقة "نامي يا أمي وفي الصباح نخطط وننفذ ما تريدينه "

غمغمت نصرة تحدث نفسها" أجل ..علينا أن ننام لنستيقظ مبكرا .. (ونظرت لابنتيها الأصغر تقول) هيا إلى النوم .. أريد أن نستيقظ من أول الصباح لنقوم بحملة نظافة موسعة للمنزل"

تحركت همسة وتبعتها نسمة نحو غرفة النوم وهما تبرطمان .. بينما أشار كريم الذي يكتم ضحكاته على حالة أمه لأخته الكبرى بأنه سيهرب هو الأخر للنوم..

فابتسمت له اسراء ثم اقتربت من أمها التي كانت تحدق في الأرض شاردة وهي تعد على أصابعها البيضاء الغليظة ما ينتظرها غدا لتقول اسراء بهدوء" أمي لا أريدك أن تتحمسي بهذا الشكل المبالغ فيه .. فالأمر مجرد جلسة ودية لا تنم عن قبول الطرفين"
رفعت إليها نصرة نظراتها تقول باندفاع "وهل سيجدون عروسا أفضل منك! ..جمال وتعليم ووظيفة ما شاء الله .. "

غمغمت اسراء بمرارة" أخشى ألا نكون مناسبين لعائلة طلال يا أمي فكما تعلمين أن وضعهم المادي يفوقنا بكثير "
هتفت نصرة بحمائية واندفاع " ماذا عن وضعهم المادي ! .. رحم الله حالتهم التي كانت أسوأ من حالتنا بكثير لولا أن أبا طلال قد سافر

للخليج لبضع سنوات قبل جابر دبور ففتحها الله عليهم ما شاء الله "

قالت اسراء بوجوم " لا يهم كيف كانوا يا أمي المهم كيف أصبحوا .. (ثم غمغمت بخفوت) عموما أنا متعبة بعد يوم طويل وسأخلد للنوم الآن تصبحين على خير"

شيعتها نصرة بوجه بائس ثم رفعت رأسها للسماء تقول" يا رب ..لا تكسر بخاطر ابنتي يا كريم .. (ونظرت في الساعة وغمغمت من بين أسنانها) أين أنت يا هلال!"

××××

في بيت الوديدي خرجت بسمة من الحمام تمسح زينة وجهها بعد أن ارتدت منامة قطنية .. ثم دست جسدها المرهق تحت الأغطية الباردة .. وحدقت في سقف غرفتها تشعر

بالغيظ وهي تحاول أن تخرج من رأسها صورة ذلك المتعجرف الذي تعامل معها باستهانة منذ ساعات.. وتشعر بالاندهاش أن يكونا توأمين بهذا التطابق في كل شيء ويكون أحدهما متواضع والأخر متعجرف بهذا الشكل! ..

انقلبت على جانبها متوسدة ذراعها ومقلتيها الفيروزيتين تتحركان بحيرة وهي تفكر في تلك الصدفة العجيبة ..
ترى هل يعرف مفرح بأنهما من معارف عائلة سماحة وبالتالي يعرفان زوجها السابق !.

عادت صورة كامل المتعالية أمامها ثانية فزفرت بغيظ من نفسها تقول وهي تمسك بالوسادة وتغطي بها رأسها " يظن نفسه شخصا مهما .. ألأنه قد خسر وزنا وازداد طولا يشعر بأن به شيئا مميزا !.. وقح !"

أما وليد .. فبمجرد أن شعر بأن الحاجة نحمده وفايزة الزيني قد تركتا العروس في شقتها ..هم بأن يصعد إليها .. لكنه توقف قليلا يتساءل .. أيدخن سيجارة أخرى من التي أعطاها له بدير أم يستكفي بتلك التي دخنها مع أصحابه منذ قليل؟ ..

لاح وجه مهجة أمامه فاشتعلت أعصابه وقرر أن يدخن واحدة أخرى لتزيد من حماسه وانتباهه الليلة فهو يخطط ألا يتركها لتنام حتى صباح اليوم التالي ..

على الباب ودع سليمان أخته التي كانت تبكي وتقول "أوصيك بابنتي يا سليمان .. "
غمغم سليمان ضاحكا "تشعرينني بأننا سنخطفها ونطير .. اذهبي يا نحمدو إلى بيتك تصبحين على خير "

سحبتها فايزة لتركب سيارة زوجها التي تنتظرهما أمام البيت فأجهشت نحمده بالبكاء بحرقة .

بعد دقيقة لمح سليمان ابنه بجوار السلم فقال له بعينين متسعتين" ماذا تفعل هنا!!.. ألن تصعد لعروسك ؟!"
اتسعت ابتسامة وليد ورد" حالا سأصعد حالا"
ربت سليمان على كتف ابنه وقال بسعادة "لا تعرف يا ولد يا وليد كم أنا فخور بك لأنك استطعت أن ترمي بشباكك على ابنة العمدة لتوافق على الزواج منك ... أسد يا ولد.. أسد وابن أبيك .. وسعادتي لا توصف لأنك أطعتني وحققت لي أمنيتي حين طلبت منك أن تشغلها وتعلقها بك حتى تسهّل علينا مهمتنا في الفوز بها وسط العدد الكبير من الذين تمنوا مصاهرة

العمدة .. هذا هو الخلف المُشرِّف الذي افتخر به "

ابتسم وليد لوالده ولم يعقب ..فأضاف سليمان قبل أن يتركه ويصعد السلم للدور العلوي "ارفع رأس الودايدة يا وحش "

بقهقهة محرجة شيعت نظرات وليد أبيه وهو يصعد السلم ثم انتحى في غرفة قريبة يشعل السيجارة ويغمغم شاردا في دخانها المتصاعد من بين أصابعه" ماذا لو علمت يا حاج أني لم أفعلها لأنفذ لك رغبتك ولكن لأني غارقا في حبها منذ الصغر .. وبأنني كنت يائسا من قبولها بالزواج مني فهي (صمت وسحب نفسا من السيجارة ونفثه وهو يقول) هي استثنائية ولا تشبه أية فتاة أخرى .. لكنها كانت كريمة معي وقَبِلت ..ولا أعرف كيف لمثلها أن تقبل بمثلي

!.. لكن هذا القبول كان أسعد شيء حدث لي في حياتي كلها "

بسرعة أنهى السيجارة متحمسا وصعد السلم .. وكأنه يخطو فوق السحاب .

xxxxx

دخلت أم هاشم غرفتها تخلع عنها حجابها وعباءتها السوداوين .. وتخلع عنها أيضا وجهها الساخر.. ثم تقوقعت في سريرها تدير ظهرها للدنيا وتدفن نفسها تحت الغطاء حتى رأسها وهي تغمغم بألم " سامحك الله يا عم عيد .. أي نظرية خرافية هذه التي سيُقبل فيها رجل على الباذنجان الأسود ويترك الحلوى !! .. لمَ لا ينتبه الناس وهم يمنحون الأمل الزائف للقلوب اليائسة !.. لمَ لا يدركون بأن منح الأمل أحيانا يقتل لا يحيي النفوس! .. (واغمضت عينيها بإرهاق تضيف بخفوت) لمَ

لا يدركون بأن هذه جريمة شنيعة .. جريمة إعطاء أمل زائف للباذنجان الأسود !"

××××

في غرفتها سمعت مهجة خطواته فتوترت .. لقد رفضت رفضا باتا أن تساعدها أمها أو أختها في خلع الفستان .. بل ورفضت أن يدخل أحد لغرفة النوم.. فأخذت أمها وأختها ترتبان صينية الطعام وتثرثران قليلا ببعض النصائح ثم رحلتا.

فتح وليد الباب فتطلعت فيه من جلستها على السرير بوجل .. فدخل الغرفة وهو يفك رابطة عنقه مغمغما "مهجتي .. مهجة فؤادي .. أتعلمين لو كنتِ قد خلعتِ الفستان بدوني لكنت حزنت جدا"

أطرقت مهجة بخجل تنظر في كفيها المفتوحين في حجرها فمد وليد يده ليسحبها فاستقامت وهي لا تزال مطرقة برأسها ..

اقترب منها ومال عليها يحضنها وهو يكمل
"لأني كنت أريد أن .. ."
وهمس لها ببضع كلمات في أذنها جعلت عينيها تتسعان بشدة.. فابتعدت عنه بارتباك تغمغم
"وليد أرجوك ما هذه الألفاظ !"

قهقه وليد منتشيا وقد فقد اتزانه بعض الشيء وقدرته على التمييز ثم قال وهو يقترب منها مجددا " قلنا لا داعي للخجل.. فالليلة (********)"
تدفقت الكلمات صريحة وفجة من فمه.. دون مراعاة لأي اعتبارات .. فتسمرت مهجة مذهولة ومتأذية مما تسمع قبل أن تقول وهي تبتعد للخلف" وليد هلا ترفقت بي فيما تتلفظ به .. ما هذه الفجاجة والألفاظ الوقحة !"
انفجار أخر في الضحك بشكل أدهشها صدر منه وقد استشعرته في مزاج غريب.. فابتعدت

لخطوتين للوراء بتوتر وهي تراه يحدق فيها بعينين مشتعلتين ويفتح ازرار قميصه مقتربا منها ..
اصطدمت بطاولة الزينة خلفها بينما اقترب وليد أكثر والتصق بها يحيطها بذراعيه ومال يقول "لن تفلتي اليوم من يدي *****"

وافلتت كلمات أخرى صريحة وبذيئة من لسانه فلم تتحمل مهجة ودفعته تقول بحدة" ما هذه الرائحة! ... رائحتك دخان غريب!"
غمغم وليد وهو يعود للالتصاق بها" دعينا من الدخان و ******"
دفعته مجددا وجرت نحو الحمام الملحق بالغرفة وأغلقت عليها الباب من الداخل ..
فانزعج وليد واقترب من الباب يضرب عليه بقبضته قائلا وقد تعكر مزاجه " افتحي يا

مهجة هل جننت !.. أهناك عروس تفعل ما تفعلين!.. مهجة افتحي وإلا سأكسر الباب"

هتفت من الداخل "لن افتح حتى تستفيق وتعي لما تقول يا وليد .. (واكملت بإحباط) أهذه ليلة عرسي التي وعدتني بها .. تسمعني فيها ألفاظا بهذه الفجاجة "

بإحباط شديد جلست القرفصاء تدفن وجهها في كفيها وفستانها يفترش أرض الحمام وانفجرت بالبكاء..
فجاءها صوته يقول مهددا " أنا في كامل وعيي .. افتحي وإلا سأكسر الباب يا مهجة"
هتفت مهجة من بين دموعها" افعلها لو تستطيع تحمل تابعات ذلك "
تحرك وليد في الغرفة جيئة وذهابا يشعر بالغيظ ويخشى أن يكسر الباب حتى لا تصرخ

فيسمع الجيران.. يعرفها مجنونة ولا يهمها شيء .. وسرعان ما هاجمه شعور بالإجهاد الشديد وبرغبة قوية في النوم ..

إنها المرة الأولى التي يجرب فيها تدخين هذا النوع من السجائر .. فتحرك بصعوبة نحو السرير .. ثم ألقى بنفسه عليه وحدق في السقف شاعرا بالدوار وأخذ يغمغم " يا مهجة .. افتحي يا مهجتي ..أنت يا بنت"

غلبه النعاس بعد بضع دقائق وكأنه مخدر فأغمض عينيه متوسطا السرير يفرد ذراعيه فوقه ونام منهكا بعد يوم طويل وحماس شديد أهلك أعصابه ..

بعد قليل وبدون صوت فتحت مهجة قفل الباب وتطلعت منه خلسة لتجده بهذا الوضع فقررت بغيظ وعناد أن تعاقبه بعدم خروجها من الحمام.. وعادت لتغلقه بهدوء وذهبت

بفستانها نحو المغطس ثم خلعت حذائها وجلست فيه تمدد ساقيها المتعبين وتبكي .

××××

بعد ساعة

في بيت العمدة وقفت نحمده عند السلم المؤدي للدور العلوي تستقبل مليكة الآتية من الخارج بصحبة أدهم وإياد وبادرتها بالقول وهي تسند قبضتيها على جانبيها" أين كنتِ كل هذا الوقت؟.. لقد عدنا منذ مدة رغم أننا بقينا قليلا مع العروس"

ردت مليكة ببرود" مررنا على أبي قليلا وأدهم وإياد كانا يتسامران مع أولاد اخوتي خاصة أولاد أكرم وعمار فلم يقابلوهم منذ فترة (ونظرت للولدين تقول) هيا اصعدا بسرعة وبدلا ملابسكما ولا تنسيا أن تغتسلا قبل النوم"

تحرك الصبيّان يصعدان فغمغمت مليكة "تصبحين على خير يا حاجة نحمدو "
قالت نحمده بتحفز وحاجب مرفوع "إلى أين إن شاء الله !"
تصلب ظهر مليكة فازداد ذلك الصداع الذي لا يزال يضرب برأسها ولم تنجح حبة المسكن في اسكاته .. واستدارت تطالع حماتها من علو..
وكذلك فعل الولدان... في الوقت الذي أضافت نحمده "من المفترض أن تقولي (هل تريدين شيئا يا حاجة نحمدو) وليس تصبحين على خير "

بانفعال تدخل أدهم يقول بتجهم "وماذا ستريدين منها في هذا الوقت المتأخر من الليل؟!"
بنظرة من مقلتيها الملونتين هتفت نحمده "لا تتدخل أنت"

تحفز أدهم ولاحت العصبية على وجهه فأسرعت مليكة بالتدخل وأشارت للصبيين بلهجة آمرة" اصعدا فورا لمَ تقفان هنا؟ ..هيا" بعد بضع ثوان من التردد تحرك إياد الذي بدأ يرتبك من توتر الأجواء ودفع أخيه الواقف أمامه ليجبره على الصعود فاستجاب الأخير بتثاقل بينما تقبضت مليكة إلى جانبي جسدها وقالت بإنهاك "هل كنتِ تريدين شيئا ؟"

أسبلت نحمده جفينها وأجابت "علينا البدء في إعداد صباحية العروس "
رفعت ملكية حاجبيها وقالت في دهشة "الآن!!"
فرفعت إليها نحمده عينيها وقالت ببرود "أجل الآن .. علينا أن نبدأ الآن لأني أنوي أن أرسل وليمة لم ترسل لعروس من قبل .. فانزلي هيا ولا تضيعي وقتنا"

قبل أن تفتح مليكة فمها لترد جاء صوت مفرح من على الباب يسأل" تنزل إلى أين يا أمي؟!!" تفاجأت الحاجة نحمده بوصوله وقالت بارتباك "جئت يا حبيبي .. ظننتك ستسهر مع صاحبيك الليلة"

هدأ تحفز أدهم في وقفته عند باب الشقة بوصول والده فأسرع بالدخول ..بينما مرر مفرح في الأسفل نظراته بين أمه وزوجته ثم قال "لا ..فكلنا منهكون ..أوصلتهما وعدت "

وصعد بضع درجات على السلم وهو يقول لمليكة التي لا تزال تقف صامتة تحدق في حماتها رغم تفاجؤها بعودة مفرح "لمَ تقفين هكذا يا مليكة ! (واستدار لأمه يسأل) ماذا كنت تريدين منها يا أمي؟"

ارتبكت الحاجة نحمده وغمغمت" كنت أقول لها بأن علينا أن نبدأ في إعداد طعام صباحية العروس "
رفع مفرح حاجبه وهتف باستنكار" الآن!!"

قالت نحمده بدبلوماسية "تعلم يا حبيبي أن الإعداد يأخذ وقتا طويلا "

غمغم متعجبا " لا لم أكن أعلم (ثم سألها) وهل كل أولئك النسوة اللاتي يساعدن في البيت لسن كافيات لإنجاز الأمر !"
اسرعت نحمده بالقول" انهن يحتجن لمن يباشر عملهن يا حبيبي"

دفع مفرح مليكة برفق يشير لها آمرا بأن تصعد فأطاعته ثم قال وهو يهم بالصعود "لا تؤخذينا يا أمي فمليكة متعبة ومستنزفة جدا الليلة

وتعاني من الصداع .. لذا أطلبي من فايزة أن تباشر الأمر "

ردت أمه باندفاع "فايزة مع زوجها الآن في غرفة الضيوف ولا يصح أن استدعيها في وجوده "

تجمد مفرح على السلم وتصلب ظهره أمامها .. فأطبقت نحمده على شفتيها بارتباك ليستدير الأخير لأمه ويقول بحاجب مرفوع مستنكرا "وهل لا يصح أن تستدعي فايزة من أحضان زوجها لكن مليكة يصح يا أمي!!"

اسرعت نحمده تقول" لم أقصد يا حبيبي.. قصدت أن مهجة هي من طلبت واشترطت أن تقوم مليكة بالذاااات بطهي طعام الصباحية لها .. وأنت تعرف مهجة ورأسها اليابس "

مسد مفرح على لحيته السوداء الأنيقة عدة مرات مفكرا ثم تكلم مناديا" يا تماضر يا أم سعيد"

بسرعة خرجت المرأتين إليه ليقول مفرح لهما ببعض اللطف " أنا أعلم بأنكما متعبتان لكن يبدو أن صباحية العروس تحتاج لوقت طويل في الإعداد ..المهم أريدكما أن تجهزا ما تستطيعا تحضيره .. وتتركا اللمسات الأخيرة لمليكة .. فبالتأكيد تحفظان طريقة طهوها .. وأنا سأوقظها مبكرا أن شاء الله لتتابع ما تم إنجازه وتكمل عليه "

غمغمت المرأتين بطاعة فأشار لهما بالانصراف .. ثم قال لوالدته التي كانت تداري غيظها" أعتقد أن المشكلة قد حُلت يا أمي.. فاتركيها لتنام قليلا .. وأنتِ اذهبي للنوم فأنتِ بالتأكيد

متعبة بعد كل هذا المجهود ..ولا تقلقي كل شيء سيكون على ما يرام.. تصبحين على خير " ردت نحمده وهي تتفتت من الغضب "وأنت من أهل الخير يا حبيبي (وأضافت في سرها) أفلتت مني هذه المرة بنت الصوالحة "

××××

دفع كامل توأمه بعنف فاصطدم الأخير في الجدار في الوقت الذي هتف الأول بعصبية "لمَ تحمّل الأمر أكبر من حجمه يا شامل!!"

عاد شامل يمسك بتلابيب أخيه ويقول بغيظ "أكبر من حجمه !!.. أتراه أكبر من حجمه يا كامل! .. ألم نغلق هذا الموضوع منذ ثلاث سنوات .. ما الذي فتحه مجددا !"

بخشونة خلّص كامل ملابسه من يد أخيه وقال محتدا "قلت لك كان مجرد فضول ...فضووول

ألا تفهم العربية؟! .. كنت دوما أشعر بفضول لمعرفة مصيرها ولم أحاول أبدا أن أروي هذا الفضول .. لكن حينما ذكر مفرح اسم قريته وجدت أني سأروي فضولي بدون أي مشاكل .. غلبني ذلك الفضول صدقني فجئت معك لعلني أراها لمرة أخيرة قبل أن أسافر"

لم يقتنع شامل .. لم يقتنع أبدا .. فهو الأكثر دراية بتوأمه وبما يصدر عنه من أفعال وسلوك .. وما حدث منذ أكثر من ثلاث سنوات أدهشه وجعله يتيقن بأنه منجذب بالفعل لتلك الفتاة .. وذلك الارتباك والمزاج العكر الذي يعتري أخيه الآن يشعره بأن الأمر لم ينتهي بعد .. وهذا ينذر بتعقيدات هما في غنى عنها خاصة مع حقيقة أن تلك فتاة تقرب لمفرح صديقهما ..

لمح شامل توأمه يصعد للدور الثاني فلحق به بسرعة.

في إحدى غرف النوم وقف كامل عاري الجذع يبحث في حقيبة سفره عن ملابس نظيفة فقال شامل بلهجة حازمة "وها أنت قد رويت فضولك وعلمت عنها ما كنت تريده وأكثر .. فهي ابنة خال مفرح صديقنا الذي سيستاء لو علم بأنك جئت لتراها لمجرد فضول يعتريك .. السؤال هنا هل انتهى فضولك وذهب إلى حال سبيله يا كامل ؟"

رفع إليه مقلتين حائرتين لكنه قال بسرعة وبإنكار لم يخف أبدا على الآخر " بالطبع انتهى الأمر.. انتهى تماما"

بغير اقتناع بالإجابة التي تلقاها غمغم شامل "إذن سننتهي غدا من الاتفاقيات على الخضر والفاكهة مع مفرح ونعود للعاصمة فورا قبل حلول المساء ما رأيك ؟"

لم يرد كامل .. بل خرج من الغرفة قاصدا الحمام وهاربا من ملاحقة توأمه ..
ومن عينيها اللتين لم تكفا عن ملاحقته منذ ساعات .

xxxxx

دخل مفرح غرفة نومه بعد أن اغتسل ليجد مليكة تقف تعلق عباءتها في خزانة الملابس بقميص داخلي أسود قصير جدا يظهر مفاتنها التي تذيب أعصابه من مجرد نظرة .. فاقترب بخفة وأحاطها من الخلف بذراعيه يضمها بقوة ويقبّل شعرها هامسا باسمها في شوق .

استشعرت مليكة بحاجته الملحة إليها ورغم المطارق التي تضرب برأسها قالت بهدوء
"دعني أغتسل أولا"

بصعوبة أطلق سراحها فتحركت تغادر الغرفة فلحقها مفرح بصوته يقول " لا تبدلي هذا القميص"

ابتسمت له ابتسامة واهنة خجول وخرجت فألقى بنفسه على السرير يحاول السيطرة على وحوشه الجائعة لوصالها ..

حين عادت بعد دقائق كانت قد جددت رائحة عطرها فغمغم مفرح في سره وهو يرسم تفاصيلها بعينيه " أقادر أنا على تحمل بقايا العطر القديم حتى تجددينه يا بنت الصوالحة!"

سألته مليكة وهي تندس تحت الاغطية" هل قلت شيء ؟"

رد مفرح وهو يتأملها مشفقا " أقول تبدين متعبة جدا .. ألا يزال الصداع شديد ؟"

أومأت برأسها .. فقال بحنان وهو يفتح لها ذراعيه "تعالي إلى حضني سأدلك لك رقبتك "

اقتربت منه أكثر تتأمل عينيه الخضراوين فدلك بأصابعه خلف رقبتها برفق وهمس "نامي وسيزول الصداع يا مليكتي "

اغلقت عينيها بإجهاد شاعرة بالامتنان بأنه سيتركها لتنام ..فاستمر مفرح في تدليك رقبتها حتى انتظمت انفاسها .. يتحكم في شوقه المضني وشعوره بالإحباط.. ثم لف ذراعيه حولها بقوة وكأنه يتشبث بها .. ونام يحلم بمليكته .

xxxx

رفع جابر رأسه عنها وأخذ يتأملها لبضع دقائق ثم مرر أطراف أصابعه يبعد خصلات صفراء عن جبينها المتعرق وقال بهمس لاهث "أنت

أجمل امرأة رأتها عيناي يا كاميليا صدقاً أقول ..ولستِ في حاجة لإبراز هذا الجمال ولفت الانتباه إليه ..فالأعمى وحده من لن يرى جمالك ..فقد أبدع الخالق في تصوير ملامحك" أطربها كلامه فمصدر سعادتها دوما إشادة الأخرين بجمالها .. لكنها رغبت في سماع المزيد ..فعضت على شفتها وسألته بميوعة وهي تمرر أصابعها فوق صدره العاري " هل تراني أجمل امرأة حقا يا جابر؟"

رد بصدق شديد وبرغبة منه لأن يعزز ثقتها في نفسها " صدقيني أنت الأجمل على الاطلاق .. تفوقين حتى نجمات السينما جمالا "

دغدغت أعصابها جملة (نجمات السينما) فدوما كانت تتمنى لو أن تستثمر جمالها هذا لتشتهر به .. دوما كانت تتمنى أن تكون في مكان أخر غير قرية متواضعة صغيرة .. كانت تتمنى

أن تكون نجمة سينما تبهر أكبر عدد من الناس بجمالها .

داعب جابر عنقها الأبيض بقبلة رقيقة رغم ذلك الحاجز الذي يستشعره ويكبر بينهما يوما بعد يوم فيصعِّب عليه فهم نفسيتها لكنه وعد نفسه اليوم بأن يوليها اهتماما أكبر لربما هو مقصر في شيء ما ولا يدركه بينما سألته كاميليا سؤالا يلح عليها بشدة وتحتاج لإجابته ليكتمل انتشائها " هل هذا يعني بأني أجمل من بسمة الوديدي؟"

شعرت بعضلاته فوقها تتشنج في الوقت الذي رفع رأسه عنها يقول بعدم استيعاب" لم أفهم سؤالك؟"

لقد خرج السؤال الذي تمنت دوما أن تسأله .. خرج ولا يمكن أن يعود ..

وتعطشها للإجابة كان أكثر إلحاحا لحظتها من أي وقت سابق .. فأوضحت بنفس الميوعة وهي تلامس وجهه "تقول بأني أجمل من رأيت .. فهل هذا يعني بأني أجمل من بسمة ؟"

حاول جابر التحكم في أعصابه وسألها" وما الداعي لذكر اسم أخر بيننا الآن ؟"

حركت كتفيها العاريين وقالت ببساطة "الحديث عن جمالي فرض هذا السؤال (ولمعت عيناها الخضراوان تضيف) أريدك أن تصف لي كيف أني الأحلى من بسمة "

ابتعد جابر عنها واستند بمرفقه بجانبها على السرير يقول بوجه مكفهر"هذا السؤال لن استطيع أن أرد عليه بصدق يا كاميليا فلو قلت (أجل) هذا يعني بأني قد دققت في ملامح

بسمة وقارنت بينكما وهذا أمر يعيبني أن أدقق في امرأة ليست حلالي"

حاولت الضغط عليه أكثر لتحصل على اجابة فهي تعرفه صريحا وصادقا إلى حد مغيظ ولا يجامل أبدا فدلكت صدره العضلي بأصابعها تقول بنفس النغمة المائعة " لكنك رجل وأنا أعرف بأن الرجال يختلسون النظر أحيانا للنساء الأخريات وبالتأكيد مرت عيناك على بسمة في أي يوم وتعلم إن كانت جميلة أم لا"

انتفض جابر جالسا يتطلع في وجهها لثوان كمن لدغه عقرب ..ثم انزل ساقيه على الأرض يتناول ملابسه وهو يغمغم" لا حول ولا قوة إلا بالله !"

سألته بعصبية "ما المشكلة يا جابر ؟.. لماذا انفعلت هكذا؟! .. أليس من حقي أن أعرف مدى حب زوجي لي وكيف يشعر بأني الأجمل بين النساء؟"

استدار إليها يقول باستنكار" المشكلة في أنكِ لا تدركين المشكلة يا كاميليا.. كيف بالله عليك تسأليني سؤالا كهذا!"

قالت شاعرة بالقهر " لماذا تُعَقِد الأمور دوما وتغير مسارات ومعاني الأحاديث بيننا ؟.. كان من الممكن أن تجاملني حتى أو تكذب عليّ وتقول بأني أجمل منها لكنك كالعادة معقد"

انتفض واقفا بعد أن انتهى من ارتداء بنطاله وهتف بعدم تصديق " أنا معقد يا كاميليا!! .. أيجب أن أجيب على سؤالك بإجابة تطعن في رجولتي بأني أمد عيناي لمفاتن امرأة أخرى ليست حلالي حتى أكون بسيطا أمامك !!"

ردت بانفعال " جمال بسمة الوديدي تتحدث عنه الناس كلها "
زفر ورد بنبرة أهدأ " لا أنكر بأنها امرأة جميلة .. بالطبع أعلم ذلك كمعلومة مثل بقية الناس.. لكني لم أدقق فيها من قبل لأجيب على سؤالك إن كنتِ أنتِ الأجمل أم هي .. ومع هذا أكدت لك بأنك أجمل من رأته عيناي .. ألا يكفيكِ هذا التصريح؟!"

زفرت كاميليا بحنق وضربت بيدها على السرير متمتمة بغيظ وهي تنظر لسقف الغرفة بقنوط "لن تفهمني أبدا "
تركها جابر وتحرك مغادراً للغرفة بعصبية وهو يدمدم " وأنت لن تفهميني أبدا "

انقلبت على بطنها بغيظ تنعي حظها العاثر الذي أوقعها في رجل كجابر .. فهي تعرف بأنه

مستقيم إلى حد يستفزها .. ليس لأنها تريده أن يخونها.. لكنه لم يكن له علاقات نسائية قبل الزواج .. لم يكن يوما شابا عابثا لعوبا .. ولا يشعرها هذا بخبرته في النساء وبأنها الأحسن من بين من عرفهن .. كانت تتمنى لو تقترن برجل لعوب تعرّف على نساء بعدد شعر رأسه ثم خر صريع جمالها الفاتن وقرر أن يتزوجها هي دونا عن بقية النساء .. مقرراً أن يزهد في الأخريات لاعترافه بأنها الأجمل بينهم ولا توجد أجمل منها ..

هذه الفكرة ترضيها ..
تشعرها بالانتشاء .. تسعدها ..
لكن جابر ليس هذا الرجل أبدا .. فكيف تشعر بالسعادة والتميز حين يقر بأنها أجمل ما رأت عينيه فهو لم يكن أبدا على علاقة مع غيرها ليصبح كلامه لها مقنعا !!.

بشعور عارم بعدم الرضا تذكرت كاميليا كيف تزوجته .. لقد ظلت ترفض طلبات الزواج الكثيرة التي كانت تأتيها من القرية والقرى المجاورة .. بحجة أنه لم يكن يرضيها أحد .. لكنها في الحقيقة كانت تخشى أن تتزوج بسمة بزيجة أفضل منها .. لذا انتظرت لترى من ستتزوج بسمة الوديدي ورفضت الجميع مثلها .. وحين خُطِبت بسمة لذلك الشاب الوسيم الضخم الآتي من العاصمة احترق قلبها بالغيرة ولم تدر ماذا تفعل .. شعرت ساعتها بأن بسمة قد انتصرت عليها بزواجها من خارج القرية .

وقتها كان جابر قد عاد من الخليج وقرر الاستقرار أخيرا في القرية وعدم السفر مجددا بعدما أرسل أخيه الأصغر للعمل هناك ..فأضحى حديث القرية ساعتها .. كيف أنه سافر صغيرا في سن العشرين وعاد بثروة كبيرة

في سن الرابعة والثلاثين .. وبأنه ينوي أن يفتتح سلسلة محلات للأجهزة المنزلية في مركز المحافظة .. وقد بالغ بعضهم وقتها بشأن الثروة التي يمتلكها .

بعد زواج بسمة ومغادرتها للبلدة لتعيش مع زوجها ابن المليونير في العاصمة اشتد حنقها واحباطها من أن كل من يتقدم لخطبتها من العائلات الكبيرة هم شباب نمطيون ليس فيهم ميزة تميزها ككاميليا عن غيرها من الفتيات .. ميزة يستحق بها أن يمتلك جمالها الفاتن .. هذا بالإضافة لعيب خطير كانت تريد أن تتجنبه في أي زيجة في القرية ألا وهو وجود الحماة في البيت .. فالتقاليد تقتضي بأن يتزوج الشاب في بيت أهله وغالبية الحموات يتسلطن بطريقة أو بأخرى على زوجات أبنائهن وهي لم تكن لتتحمل ذلك .. لم تكن لتتحمل أن تتسلط

عليها امرأة أخرى ولا تحب أن تنحصر حياتها في دور زوجة الابن وكنة البيت ..

لهذا حينما تقدم جابر للزواج منها .. وبسبب ضغط أخاها الأكبر بدير عليها لأن تتزوج بعدما وصلت لسن الثالثة والعشرين بدون زواج خاصة وأنها لم تكمل تعليمها بعد الثانوية كبسمة وإنما اكتفت بشهادة الثانوية.. وجدت ساعتها في جابر ما يميزه عن غيره وما يعطيها ذلك الشعور بالاختلاف عن بقية بنات البلدة .. فهو عائد من الخليج بثروة كبيرة أبهرت الجميع .. وأعاد بناء بيت والده القديم وهو البيت الذي تعيش فيه الآن بل واشترى الأراضي المجاورة له .. بالإضافة لأن أمه امرأة عجوز طيبة ليس لديها سواه هو وأخيه الأصغر منه بكثير ولن تكون تلك الحماة المتسلطة التي

تتدخل في شئونها .. لذا وافقت على الزواج منه
..

لكن شعور بالنقمة على حياتها بات يتسلل إليها شيئا فشيئا مع الوقت .. خاصة حين كانت تقارن بينه وبين زوج بسمة الأول وطوله وعرضه ومظهره وشهرته بعد ذلك في مجال الفن .. ذلك المجال الذي تمنت أن تكون تحت أضوائه .. و أن تظهر في بعض المجلات الالكترونية كما حدث مع بسمة وهي في صحبته .. ..تمنت أن تكون مكانها في كل شيء
..
فكم حسدت بسمة على زوجها السابق .. وكم هي أكيدة بأن ذلك الوسيم المفتول العضلات لو كانت هي من تزوجت منه لما طلقها أبدا خاصة وأنها ليس لديها مشاكل في الانجاب مثلها .

ورغم أن خبر طلاق بسمة كان من أسعد الأخبار التي سمعتها في حياتها والذي أشعرها بالانتصار والتميز لكن استقلال بسمة الواضح وذلك البيت الكبير الذي تركه لها زوجها السابق وباعته وقبضت ثمنه .. والبيت الأخر الذي ورثته عن جدها باتا يشعرانها بأن الأخرى قد كسبت نقطة لصالحها .

اخرجها من شرودها دخول جابر للغرفة فتأملت جذعه العاري وتفاصيل جسده العضلي المذيبة للأعصاب .. والتي تعترف في قرارة نفسها بأنه ينافس بها أكثر الرجال جاذبية وسخونة.. لكنه ليس ضخما كزوج بسمة السابق ويرفض بأن يحلق تلك اللحية ذات الشيب التي تظهره أكبر عمرا .. كما أنه يصر على ارتداء الجلباب التقليدي ولا يرتدي الملابس العصرية ولا الجينز إلا حينما يخرج خارج

المحافظة .. وهذا يغيظها ولا يشعرها بالرضا ولا بالتميز ..

ألقى جابر بنفسه بجوارها يوليها ظهره قائلا "تصبحين على خير "
فلوت كاميليا شفتيها ولم ترد .. وانما حدقت في سقف الغرفة وسرحت في خيالات تخصها .. خيالات ترى فيها نفسها نجمة سنيمائية تخرج من سيارة فارهة .. ترتدي فستانا لامعا براقا يكشف عن تفاصيل مفاتنها المبهرة.. وتمشي على بساط أحمر.. بينما أفواه الجميع تتدلى بانبهار لجمالها الذي لا تملكه امرأة غيرها..

xxxx

تطلعت لنفسها في المرآه... وبغصة مُرة تأملت قميص النوم الجديد وتأملت معه ملامحها وتفاصيلها التي لم تعد كما كانت .

صحيح لا تزال تحتفظ بشبابها رغم اتمامها لعامها الأربعين ..
وصحيح أن من يراها لا يمكن أبدا أن يعطيها أكبر من ثلاثين سنة ..وأن من لا يعرفها لا يتخيل أبدا أنها أم لثلاثة شباب يفوقونها طولا أكبرهم في التاسعة عشرة .
لكنها اختلفت بالتأكيد عن تلك الفتاة التي كانتها حين تزوجت بدير في الثامنة عشرة من عمرها ..

تحسست بطنها التي لم تعد مشدودة كالسابق والتي تحمل آثار حملها لأولاده.. ورغم أنها ليست مترهلة بشدة لكنها لم تعد أبدا كالسابق..

فكرت في صالة الالعاب الرياضية التي سمعت بعض النسوة يتحدثن عنها والتي تقع في مركز

المحافظة وتخصص ساعات معينة للنساء كل اسبوع ويذهب إليها بعض الموظفات .. لكنها تشعر بالحرج .. فماذا سيقول عنها أهل البلدة إن علموا .. بل ماذا سيقول عنها أبنائها ..

تأملت من جديد تفاصيل جسدها في القميص بإحباط شديد .. لا تصدق ما قالته هدى سلفتها التي أكدت لها بأنها تتمتع بجمال ورشاقة تحسدها عليها الكثيرات.. وحتى بطنها العالي قليلا غير ملحوظة وتداريها الملابس .. زفرت وجدان وتطلعت في ساعة الحائط وتساءلت عمَ يفعل حتى الآن في الخارج .. إنها مجهدة بعد يوم طويل ومستنزفة عاطفيا ولا تطيق حتى رؤيته بعدما تأكدت اليوم بأن شكوكها في محلها وبأنه لم ينس بسمة بعد . بسمة التي أضحت مطلقة بعد أن كانت قد تنفست الصعداء حين تزوجت ورحلت

للعاصمة وظنت بأنه سينساها .. سينسى رغبته المحمومة في الزواج بها .. لكن لحظها العاثر بسمة عادت مطلقة .. وأمله في الزواج منها قد تجدد بل أصبح أشد رغبة وهوسا .. ورغم أنها وبدير لم يتواجها أبدا بشأن ما يخطط له حاليا أو ما كان يخطط له سابقا لكنها تعلم كل شيء .. تعلمه وتكتم في صدرها وتخشى مواجهته ..

ستحاول مرة أخرى ..
ستحاول مرة لم تعد تعلم عددها لإرضائه بأي شكل حتى لا يفعلها .. حتى لا يتزوج ثانية .. فلو فعلها لن تتحمل .. ولن يستمع لرفضها أحد..
تعرفهم كيف يفكرون .. وكيف سيرون الأمر .. فهو قادر ماديا وصحيا على إدارة بيت واثنين

وثلاثة .. وسيخبرونها بأن الشرع يسمح له بذلك ..

ببطء وتردد فتحت أحد الأدراج وأخرجت منه علبة صغيرة .. وفتحتها تخرج منها ذلك الشيء الذي تدربت عليه أكثر من مرة بمساعدة سلفتها وهمت باستخدامه.

بعد قليل .. التقطت المئزر وارتدته ثم خرجت من غرفتها تبحث عنه لعلها تنتهي من هذه المهمة التي باتت ثقيلة عليها مع رجل يرغب فيها ويرغب في الزواج من غيرها في نفس الوقت .

كان بدير في الشرفة يدخن سيجارة من نوع خاص ويقلب في هاتفه باهتمام ويدقق ويتحسس بأصابعه شاشة الهاتف ..

لقد كلف الشاب (عصفور) بأن يلتقط صورا لها في حفل الزفاف اليوم مدعيا بأنه يصور أجواء الحفل .. والحقيقة أن اللئيم عصفور قد التقط لها صورا رائعة استحق عليها ذلك المبلغ الكبير الذي منحه إياه .

تأمل كل إنش فيها ..وكبّر الصورة بكل تفاصيلها .. تفاصيلها الأنثوية ..
عيناها وشفتاها وطابع الحسن الذي يشق ذقنها طوليا ..
وجسدها ..
آه من جسدها تتفجر منه الأنوثة..
يا الله .. متى سينول المراد؟!
متى سيمتلك ذلك الجسد الفاتن؟!
متى سيمتلكها كلها .. بسمة .

إنه على استعداد لأن يضحي بكل شيء وأي شيء من أجلها .. من أجل نظرة رضا واحدة من عينيها تراه فيها ..
ترى بدير العسال ..

أفاق من تحديقه في الهاتف على صوت زوجته التي قالت وهي ترسم ابتسامة على وجهها "ألن تنام يا بدير .. أنا انتظرتك مثلما طلبت "

أظلم شاشة الهاتف بسرعة في يده وقال "أنا آت حالا (ثم تطلع في ملامحها يقول متفاجئا) ما هذه العدسات الملونة؟!!"

ابتسمت وجدان وقالت بغصة " نوعا من التغيير.. واخترت العدسات زرقاء لأن عيناك خضراوان.. "

دقق في تفاصيلها بنظرة ذكورية ثم قال وهو يمسك بطرف المئزر "وقميص جديد ! ...ليلتنا أنس الليلة"

ابتعدت قليلا تقول بهمس موبخ وهي تنظر خلفها "بدير أولادك في غرفهم ! "

غمز بدير بعينه وقال" اسبقيني وأنا آت حالا يا غالية"

حينما تركته وجدان لتسبقه إلى غرفة نومهما عاد إلى حيث كان.. يتأمل الصور على الهاتف مغمغما في سره" سألهي نفسي بعينين زرقاوين زائفتين حتى أمتلك الزرقة الطبيعية في القريب ..و الذي أتمنى أن يكون في القريب العاجل جدا "

وأضاف بهمس حار وهو يدقق في صورتها "الليلة سأتخيل أني .. معكِ..أنتِ .. وأن زرقة عيناك هي ما تنظران لي .. يا فاتنتي "

××××

الشروق ..

الشروق من جديد .. مصاحبا لرائحة القهوة ومثيرا في داخلها تلك الرغبة في البكاء .. فرغم اجهادها الشديد لكنها استيقظت من أجل صلاة الفجر وحتى لا يفوتها الشروق .

أتراه يشكل بداخلها رمزا لأمل تنكره وسط لُجة قاتلة من يأس متملك منها؟! .. وإن لم يكن كذلك فلماذا تحرص على التواجد لحظة الإشراق؟ .. لحظة هزيمة النور للظلام ؟..

رشفت قهوتها وراقبت قرص الشمس الذي بدأ في البزوغ .. وتذكرت ليلتها الغير مريحة أمس .. فهي لم تنم بملء جفنيها بل زارتها ذكريات ترغب في نسيانها.. ذكريات عن ليلة زفافها وكيف اعتقدت يومها أنها ملكت الدنيا بما

فيها.. حتى الذكريات الحلوة واللطيفة ترغب
في أن تمحوها من ذاكرتها لتمحو معها بسمة
القديمة .. بسمة الحالمة الساذجة ..

سبب أخر لم يسمح لها بالنوم .. ألا وهو صورة
ذلك المتعجرف الذي قابلته ليلة أمس
..ونظرته المتعالية لها ..ماذا يحسب نفسه ..
لماذا لا يكون متواضعا كأخيه !.

أمسكت بهاتفها وكتبت على الواتساب:
" حلمت ليلة أمس بأني لطمت ذلك
المتعجرف على وجهه"
جاءها رد مليكة بسرعة "الحقيقة أرى بأنك
تضخمين الأمر يا بسمة "
استفزها ما كتبته صاحبتها فأسرعت بالاتصال
بها تقول باندفاع" أنا أضخم الأمر يا مليكة!!!"

بصوت مرهق ردت الأخرى " ما صدر من الشاب ليس فيه ما يستدعي رد فعلك المغتاظ هذا بصراحة !"

قالت بسمة بغيظ من بين أسنانها " أنتِ لم ترينه كيف تحدث معي يا مليكة .. لم تري تلك الابتسامة المستخفة على شفتيه"

اعطت مليكة تعليماتها لإحدى السيدات ثم عادت لبسمة تقول" كل هذا حدث في الثواني التي تحدثت فيها معه بضع كلمات !!!"

قالت بسمة تجز على أسنانها" لن تفهميني أبدا إلا إذا حضرتِ الموقف بنفسك .. هل تعرفين متى سيغادران؟"

غمغمت مليكة " لا أعلم ربما مساء اليوم أو صباح غد على حسب ما فهمت من مفرح"

تمتمت بسمة بضيق " هذا جيد لأني سأبدأ في تنفيذ مشروعي فقد اعلنت للفتيات أمس أن من تريد أن تنضم للعمل معي تأتيني إلى بيت الجد صالح حيث سأبدأ هناك"
قالت مليكة تشجعها "على خير إن شاء الله"

سألتها بسمة وقد انتبهت أخيرا لصوتها المجهد "لمَ أنتِ مستيقظة في هذا الوقت المبكر ظننتك بعد مجهود الأيام الماضية ستستريحين قليلا خاصة وأن اليوم عطلة في مدرسة الولدين"

أجابت مليكة بامتعاض" نجهز لطعام الصباحية لقد نمت كالقتيلة ليلة أمس لكني استيقظت قبل قليل حتى لا تلوي عمتك فمها" قالت بسمة بغيظ" اغلقي الهاتف يا مليكة قبل أن أغلقه في وجهك .. فرغبتي في خنقك تزداد كلما رأيت استسلامك هذا أمامها ..والذي لا أفهم له مبررا .. خاصة وأني أعلم بأنكِ لست هذه الشخصية الخانعة الضعيفة ..اعطني سببا وجيها لأقتنع "

غمغمت مليكة بهدوء "قلت لك مرارا أي شكوى مني لمفرح سيكون رد فعله عليها عصبيا معها .. وأنا لا أرغب في أن أكون سببا في أي مشاكل بين مفرح وأهله يا بسمة .. أريد أن أقصيه عن كل المشاكل .. لا أريدهم أن يعايروه بأن زوجته التي حارب الدنيا من أجلها وقَبِلَ بسببها بأن يكون العمدة القادم رغم كرهه للأمر قد سببت مشاكل بينه وبين أهله .. كما

أني لست بقادرة على تحمل أي نوع من التوتر
كما تعلمين .. "

صمتت بسمة ولم تجد ما تعقب به لبرهة بل
حدقت في قرص الشمس أمامها بشرود قبل أن
تقول بلهجة مشفقة" يا حبيبتي هذه الرغبة
المبالغة في تجنيب مفرح الصدام مع أهله
ستزيد من معاناتك يا مليكة .. ولولا أنك قد
اقسمت عليّ بألا أخبره لكنت أخبرته عن تعنت
عمتي معك"

قالت مليكة بهدوء "هي لا تطلب أكثر مما
تطلبه أي حماة "
قارعتها بسمة بانفعال "بل هي تتعمد
مضايقتك والضغط عليك رغم أنها تعلم بأن
لك وضعا خاصا ليس كباقي بنات البلدة .. فأنت

سليلة البشوات والسرايا مليئة بالخدم وكنت تعيشين فيها ملكة"

قالت مليكة بترجي " لا أريد تعريض مفرح لأي مشاكل أرجوك ..ولا أرغب أنا شخصيا في أي مشاحنات أو شجار أو صدام بين العائلتين بسببي .. كما قلت لك أنا لم أعد قادرة على تحمل المزيد من التوتر "

تنهدت بسمة وغمغمت باستسلام " حسنا كما تريدين .. هل استيقظ مفرح؟"
ردت مليكة" كلا بالطبع فهو مرهق هو الأخر ولم ينم الليلة قبل الماضية فبالتأكيد سيستيقظ في وقت متأخر"
قالت بسمة بتفهم" إذن سأقوم أنا بالمرور على الصوبات لأرى ماذا فعل العمال أثناء انشغالنا ليلة أمس فهناك أمر يتطلب المتابعة"

غمغمت مليكة مودعة " إذن أراك في وقت لاحق سلام"
ردت بسمة السلام وأغلقت الخط وقد ازداد ضيقها .. فتطلعت في كوب النيسكافيه الذي برد ثم تحركت لتنزل من السطح لتصنع كوبا أخر ..
كوبا أكثر تركيزا لعل مرارة البُن تغطي مرارة طعم الأيام.

××××

الطنين في أذنه .. وصوت الطبول والمزامير مختلطا بصوت الزغاريد العالية .. مفرح فوق الحصان والحصان يرقص .. وزحام .. زحام شديد جعله يشعر بالخوف على مهجة .. فبحث عنها ..
"ألم يرى أحد فتاة قصيرة القامة كمراهقة في المرحلة الاعدادية بعينين خضراوين ورأس يابس ترتدي فستان زفاف يا بشر ؟!".

فتح عينيه يحرك مقلتين زرقاوين في محاولة للاستيعاب وهو يردد " مهجة .. فستان الزفاف ..الطبول .. المزامير .. "
استقام برأسٍ ثقيل ونظر حوله مفكرا" أكان يحلم بأنه قد احتفل بزفافه على مهجة؟!"

تدفقت الأحداث كلها في رأسه دفعة واحدة ... دفعة صادمة .. جعلته يقفز من فوق السرير كالملسوع جاحظ العينين يضرب بيده على فمه عدة مرات معنفاً نفسه وهو يتلفت حوله كالمجنون يبحث عنها صائحا برعب "مهجة!"
تذكر الحمام فأسرع إليه واندهش حينما انفتح بابه في يده بسهولة لتتسع عيناه مصعوقا وهو يراها تنام بفستان الزفاف في المغطس .
انخلع قلبه من صدره وتمنى أن يضرب رأسه في أقرب حائط عقابا له عما بدر منه في حقها ..

فاندفع نحوها صارخا "مهجة .. مهجة أجيبيني"

أجفلت مهجة وفتحت عينيها ثم أبعدت يديه التي تحاول سحبها من المغطس صارخة "اتركني يا وليد لا تلمسني"

آلمه قلبه بشدة فغمغم وهو يمسك بذراعيها " أنا آسف ..آسف .. أنا أحمق ومن حقك أن تعاقبيني كما تريدين لكن انهضي أرجوك "

صرخت بعصبية " قلت لك... "

بترت عبارتها عندما حملها وليد فوق ذراعيه فقالت بغيظ ووجه أحمر خجلا "دعني يا وليد"

قربها من صدره وحضنها بقوة مغمغماً "آسف .. آسف جدا جدا يا قلب وليد "

انفجرت مهجة بالبكاء دون إرادة منها وأخذت تضربه بقبضتها في ظهره فشدد من احتضانها .. واستمرت هي في بكائها وفي ضربه تقول من بين دموعها "أنزلني قلت ولا تلمسني"
غمغم متفهما " حاضر .. حاضر"
وتحرك بها نحو الغرفة ليضعها على السرير برفق ..

اعتدلت مهجة تجلس على السرير تمسح دموعها بسرعة ثم رفعت سبابتها محذرة "إياك أن تلمسني يا وليد"

اعتدل واقفا وقال بلهجة نادمة " حسنا سأفعل ما تريدين ولكن سامحيني واغفري لي ما فعلت"

قوست شفتيها للأسفل كالأطفال ففرك جبينه بأصابعه في حرج شديد .. لتغمغم بصوت مبحوح" لم أتوقع أن تتلفظ أمامي بهذه الألفاظ وفي الليلة الأولى لنا معا "
قوس شفتيه مثلها وقال بملامح طفولية شاعرا بالخزي" لديكِ كل الحق"
أضافت غير مصدقة "وتدخن سجائر غريبة الرائحة يا وليد !!"
أطرق برأسه يقول بخزي طفل صغير "دخنتها من حماسي وظننت بأنها ستجعلني ساهرا معك طوال الليل"
احمر وجهها وجرت عيناها في لمحة خاطفة على بنطاله وقميصه وشعره المنكوش

ووسامته وهو مستيقظ للتو من النوم فازداد ارتباكها .. واستدارت توليه ظهرها وتلقي بنفسها على السرير .

اقترب وليد منها ومال عليها يمسح بكفه على شعرها بحنان قائلا بلهجة مترجية " ألن تبدلي ملابسك وتأكلي أي شيء أولا ؟"

انتفضت تجلس على السرير فتراجع بجذعه للخلف يتصنع الرعب لتقول وهي ترفع له سبابتها محذرة " قلت لا تلمسني يا وليد .. فأنا لا أطيقك هذه اللحظة"

عاد يقلب شفتيه كالأطفال ويطرق برأسه بتلك الطريقة الدرامية التي تثير فيها عاطفة الأمومة لكنها أجبرت نفسها على مقاومة ذلك الشعور

فتجاهلته وألقت بنفسها على الوسادة توليه ظهرها من جديد ليعود هو ويميل عليها..
فانتفضت مرة أخرى وحدجته بنظراته نارية .. ليذم شفتيه مجددا كالأطفال واعتدل يرجع بجذعه للخلف لتحاشي انفجارها ثم قال بصوت هامس يتصنع الارتجاف " كنت ..فقط ..أقول .. بدلي ملابسك حتى تنامين مستريحة"
رفعت إليه رأسها تقول ساخرة " لن تكون نومتي أسوأ من النوم في المغطس!"

مال عليها يمسك بوجهها بين يديه ويقبل رأسها رغم اعتراضها قائلا بندم" آسف جدا .. قلت لك أنا أحمق"
رفعت إليه عينين دامعتين فغمغم بلوعة وهو يقبل جبينها " روحي فداء لهذه الدموع والله العظيم .. فليدهسني جرار زراعي ضخم ليقتص لك مني "

صرخت فيه بغيظ وقد أوجعها قلبها" لا تقل هذا الكلام"
أومأ برأسه يرد "حاضر لن أقوله لو بدلت ملابسك"
مسحت دموعها وتصنعت الجدية وقالت "رائحتك دخان مقرف"
ترك وجهها مغمغما "حاضر حاضر"
وأمسك بحزام البنطال ليفكه .. فصرخت مهجة بذعر" ماذا تفعل ؟!"

رد وليد مستهبلا وهو يلملم ابتسامة شقية "سأتخلص من أثار الجريمة"
قالت بتأتأة "ليس هنا.. بل في ..الحمام"

اتسعت ابتسامته واستدار وهو يقول "حاضر" ثم اتجه ليفتح درفة الخزانة قبل أن يشهق وهو يرى ثيابها المعلقة ..

قفزت مهجة واسرعت إلى الخزانة لتغلقها فقال وليد بلهجة مترجية" دعيني فقط أرى ذلك الأحمر"
وضعت راحتيها على صدره وهتفت وهي تدفعه بعيدا " اذهب يا وليد لن ترى أي شيء"

أطرق برأسه بملامح بائسة وتحرك حتى وصل لباب الحمام ثم قال "إذن أعدي لي ملابسي وإلا سأخرج ...."

شحب وجهها فاشفق عليها وأكمل بلؤم "مرتديا نفس الملابس بنفس رائحة الدخان "

غمز لها بعينه فأسرعت بالتقاط ملابس قطنية من الجهة التي تخصه من الخزانة وناولتها له ثم دفعته ليدخل .

حين أغلق باب الحمام سارعت مهجة بالنظر لنفسها في المرآة وصعقت من شكلها المزري ولطخات الألوان على وجهها فقامت بتنظيف وجهها بكريم التنظيف ثم وضعت رتوشا خفيف من مساحيق التجميل وصففت شعرها وفردته طويلا على ظهرها قبل أن تذهب لتفتح الخزانة وتقف حائرة ماذا تلبس ..فهي بالتأكيد بعدما حدث لن ترتدي ذلك القميص الفاضح الذي حاولت أختها اقناعها بأن ترتديه أول ليلة .. وفي الوقت نفسه لا تريد أن تقتل فرحة العروس بداخلها فيكفي ما حدث الساعات الماضية .. تملكتها الحسرة فأخذت تغمغم لنفسها " الحمد لله على كل شيء "
وعادت تفكر من جديد أمام الخزانة .

بعد دقائق كانت قد بدلت فستان الزفاف بقميص أبيض ناعم بدون أكمام وبخصر ضيق

مرتفع وأسرعت ترتدي فوقه المئزر الخاص به وتربطه بإحكام وخجل ..
تحركت نحو السرير لكنها وقفت أمامه مترددة قبل أن تحزم أمرها وتقرر الاستمرار في معاقبته.

حين خرج وليد من الحمام وجد الغرفة خالية ..فرفع حاجبيه وأسرع بالبحث عنها في الشقة في الوقت الذي ألقت مهجة بنفسها على جانبها في غرفة نوم أخرى تولي ظهرها للباب وتدعي النوم..
دخل وليد الغرفة ولمعت عيناه وهو يرى ذلك الثوب الأبيض الناعم جدا الذي ترتديه وشعرها المفرود على الوسادة خلفها ويدها المرسومة برسوم الحناء .. فأجلى صوته وقال" مهجتي ..ماذا تفعلين عندك؟"

ردت مغمضة العينين" أعوض النوم في المغطس فقد تكسرت عظامي وأكلتها الرطوبة" آلمه قلبه .. فاقترب يقول بخفوت "حبيبتي أنا آسف جدا"

رفعت رأسها فجأة تنظر للخلف حيث يقف بجوار السرير وسبابتها في وجهه محذرة وهي تقول "إياك أن تقترب"

رجع وليد بجذعه يلملم في ابتسامته فعادت تلقي بنفسها على الوسادة بطريقة مسرحية توليه ظهرها فجاءها صوته بعد ثواني منغماً "مهجتي.. لقد اشرقت الشمس .. وأمك ستأتي بعد بضع ساعات"

غمغمت ببرود "ألف مبروك "

قال بلهجة شقية وهو يقترب أكثر " لا .. لم يحدث الـ (ألف مبروك) بعد"

ضغطت شفتيها ببعضهما بخجل وأغمضت عينيها دون رد .. فاستمر في لهجته المنغمة كمن يقنع طفلة " أأهون عليكِ أن أفضح بين أفراد العائلة !"

غمغمت بعناد "سأخبر أمي بأني كنت خائفة ورفضت اقترابك مني لا تقلق .. اذهب لتكمل نومك ودعني أنام"

كان يمنع نفسه بصعوبة الانقضاض عليها وهي متكومة بجسدها الضئيل تحت الأغطية بذلك الثوب الناعم المهلك لأعصابه.. لكنه كان مدركا لفداحة ما قام به ليلة أمس فلم يرغب في الضغط عليها واستمر في طلب رضاها فقال بمسكنة "مهجتي"

أسلوبه الطفولي يؤثر فيها بسهولة .. فردت مغمضة العينين بغيظ مكبوت من نفسها "نعم"

قال بلهجة بائسة " أيرضيك فضيحتي بين الرجال"
استفزها كلامه فاعتدلت جالسة تواجهه وهي تصيح بحنق " أية فضيحة لا أفهم !.. ولماذا يتدخل الأخرون في حياتنا الشخصية إن كان على أمي قلت لك أني..... "

بترت عبارتها عندما انقض وليد على شفتيها بعد أن فقد أعصابه ومال بجذعه يحيط ذراعه برقبتها ..فلم يعد قادر على الانتظار لثانية أخرى .. بعد سنين قضاها يحلم بلحظة واحدة بهذه الحميمية معها.

أجفلت مهجة وحاولت مقاومته بعناد لأول وهلة لكن مقاومتها ضعفت شيئا فشيئا أمام هجوم شفتيه .. لتستسلم تماما بين ذراعيه وهي تختبر الاقتراب منه لأول مرة.

أطلق وليد سراح شفتيها ثملا لكنه لم يبتعد عنها سوى بضع سنتيمترات تسمح له بتأمل وجهها المرفوع إليه وقال بصوت هامس حار " لو أخبرتك بأني كنت على استعداد لأن أدفع عمري كله مقابل قُبلة واحدة من شفتيك هاتين يا بنت عمتي هل ستصدقينني؟!"

قالها ولم يعطي لها الفرصة للإجابة بل مال عليها يطبق على شفتيها من جديد .. لتستلقي فوق السرير ويخيم فوقها يروي شوقا متأججا لمهجة فؤاده .. ولم تكن هي برغم خجلها أقل منه شوقا لذلك الحبيب الذي ملك قلبها باسم الحب .

xxxx

الثامنة صباحا

تتبختر بالحذاء الأخضر القديم الذي تحب لونه وتتمسك بارتدائه دوما لأنه يشعرها بأنها كـ (دورثي) بطلة فيلم (ساحر أوز) تلك التي حذائها أحمر بينما هي حذائها أخضر .. يشبه البيئة الخضراء من حولها ... فهي تحب الأخضر .. وتتمنى أن تعيش في بيت جدرانه خضراء وبه حديقة من ورود ملونة وأرجوحة تجلس عليها ..والأمير الوسيم يـ..

تبخر فجأة عالم (ساحر أوز) من أمامها وتغير تردد القناة في مخيلتها إلى فيلم (ابراهيم الأبيض) فاستحضرت كل ما حدث فيه من عنف ودموية حين أدركت بأنها تمر من أمام بيت الجد صالح وبالتحديد بجانب تلك السيارة السوداء الضخمة التي تلمع تحت شمس الصباح وكأنها تتعمد اغاظتها.

حركت مقلتيها بغل باتجاه البيت ذا الطابقين خلف بوابته الحديدية وسوره القصير .. ثم تقبضت بقوة تمنع نفسها من التهور ..وأجبرت قدميها على الاستمرار في السير لتمر من جانب السيارة .. لكنها لم تستطع أن تبعد عنها بل تركت الطريق الواسع لتسير بملاصقتها تضربها بجسدها عدة مرات بحركات طفولية وكأنها غير متعمدة حتى تجاوزتها وابتعدت بضع خطوات .

تأجج الغيظ بداخلها وأصبح يفوق حد الاحتمال فتوقفت ونس في منتصف الشارع تحاول إجبار نفسها على استكمال السير لكنها فشلت..

غمغمت في سرها " اهدئي يا ونس .. هذه المرة مفرح سيغضب منك .. هذه المرة سيخبرون عيد"..
ثم شرست ملامحها وضيقت عينيها تقارع نفسها قائلة" لكنني لم اشف غليلي من أصحابها بعد"

ظلت على حالها لدقائق تولي ظهرها للسيارة وتقف في منتصف الطريق الخالي نسبيا من المارة في هذا الوقت المبكر من الصباح تهز ساقها بغيظ .. لتلمع بعدها ابتسامة ماكرة شقت طريقها إلى وجهها وهي تقول لنفسها "مرة أخيرة .. مرة أخيرة دون أن يشعر أحد "

قلبت مقلتيها تنظر يمينا ويسارا بنظرة شريرة كشخصيات أفلام الرسوم المتحركة.. ثم استدارت لتعود للسيارة وهي تتلفت حولها

كثعلبة ماكرة صغيرة و مدت يدها لدبوس وشاحها وخلعته ثم نزلت على عقبيها إلى إحدى إطارات السيارة.

في الطابق الثاني من بيت الجد صالح وقف كامل بملابسه الداخلية يتطلع من النافذة شاردا في منظر الحقول الممتدة أمامه والتي هي جزء من مزرعة العمدة ويتأمل في جانب منها صوب زراعية عديدة..
لم ينم ليلة أمس .. رغم اجهاده الشديد لم ينم .. بل كان مطاردا ومستفزا ومغتاظا بدون سبب وجيه ..

مطاردا بأسئلة حائرة حول تلك الصدف المتكررة التي جمعته مع هذه المخلوقة الفاتنة .. ومستفزا لأن عيناها زارتاه ليلة أمس.. زارتاه مجددا ..

وكانتا هذه المرة أكثر وضوحا وقربا ..وحُزنا ..
رغم ذلك الجليد الذي أطل عليه منهما
استشعر حزنهما ..
حُزن ظل يطارده في منامه من عينيها على مدى
ثلاثة سنوات.

وما يدهشه.. وما يزيد من حيرته أنه ليس ذلك
الشخص المتأمل الذي يلتقط مشاعر الأخرين
بهذا الوضوح .. والوحيد الذي يستثنى من ذلك
شامل توأمه الذي تربطه به علاقة استثنائية
فيستطيع فهمه والتقاط مشاعره حتى لو لم
يبح بها .. لكن شامل بالذات لا يمكن أن
يصنف تحت تصنيف(أخرين) !..
فماذا يحدث معه بالضبط !.

وقعت عيناه على سيارته في الشارع وبالتحديد
على ذلك الجسد الذي يجلس على عقبيه
يفعل شيئا ما بجوار أحد الإطارات ..

" السيارة !!!!"
قالها صارخا وهو يندفع نحو باب الغرفة لكنه
اكتشف بأنه بالملابس الداخلية فأكمل طريقه
للخارج والغضب يطن في رأسه كنحلات هائجة
حتى وصل لسور السلم وصاح في شامل الذي
يعد الافطار في الدور الأرضي "السيارة يا شامل
.. الشخص الذي يتقصّد سيارتنا بالخارج ..
امسك به حتى ارتدي ملابسي "
لاح الخطر على وجه شامل فكشر عن أنيابه
واندفع نحو الباب متحفزا بينما أسرع كامل
للداخل هو يقول" أتركه لي .. أريد أن اشفي
غليلي "

رد شامل وهو يسرع " لنمسك به أولا ثم نتصل بمفرح لا أعتقد بأنه يصح أن نقتص منه في بلدته "
فشتمه كامل هو و مفرح .

في ساحة البيت تباطأت خطوات شامل المسرعة بمجرد أن اقترب من باب البوابة الموارب حينما رآها ..
تعرف عليها فورا .. رغم أنها تجلس على عقبيها بوضع جانبي أمام ناظريه و...
عقد حاجبيه يحاول أن يفهم ماذا تفعل بالضبط فلم تسمح له جلستها ليرى ماذا تفعل أو عم تبحث بجانب الإطار .

كانت ونس قد وجدت أن دبوس الوشاح ضعيفا فبحثت حول المكان حتى وجدت قطعة زجاج صغيرة التقطتها وبدأت في قطع

الإطار المطاطي بإصرار رغم صعوبة الأمر ..
ليأتيها صوت شامل من خلفها "صباح الخير"
انتفضت ونس تنظر خلفها حين التقطت
وجود الصوت ثم اتسعت عيناها بصدمة حين
رأته بينما اتسعت ابتسامة شامل وقال بلهجة
ودودة "كيف حالك؟"

استقامت وتسمرت مكانها وهي ترفع نظراتها
لأعلى فاغرة الفاه تتمتم في سرها "يا الله ..
ذلك الجني !.. إنه وسيم .. وسيم جدا ..
أوسم مما توقعت"

حين لم ترد تنحنح شامل ينظر حوله ثم قال
بحرج " أتذكرينني؟ .. أنا .. ذلك اليوم .. ذلك
الشاب في الظلام في ليلة الحناء ؟"
لم تكن ونس تركز فيما يقول وإنما تفكر في تلك
المصيبة الجاثمة خلفها .. فزمت شفتيها

وقوستهما ببؤس كالأطفال حين استوعبت بأنه صاحب السيارة والقاطن في بيت الجد صالح .. ليسرع شامل برفع كفيه أمامها قائلا بلهجة مشفقة "أنا آسف .. آسف .. لم أرغب في تذكيرك بالحادثة (ولمعت عيناه تمسحان على وجهها متأملا ثم أضاف) المهم أنكِ بخير أليس كذلك؟"

بالرغم من أنها لم تكن قد أفاقت من الصدمة بعد لكنها أومأت برأسها بالإيجاب وهي تخفي قطعة الزجاج خلف ظهرها.

سادت دقيقة من صمت مرتبك كل منهما يتطلع في الأخر قبل أن تتورد الوجنات وتتسارع دقات القلوب .. فكسر شامل نظره بعيدا عنها شاعرا بالحرج وبتوتر لذيذ يسري في أعصابه بينما رفعت ونس يدها الحرة لتدخل بعض

الخصل في وشاحها وهي تشيح بنظراتها في توتر عنه ثم عادت لتتطلع فيه بملء عينيها بجرأة .

قطع شامل الصمت قائلا" وددت لو أطمئن عليك بعد هذه الليلة لكنني لم أكن أعرف من أنتِ (وجالت عينيه فيها بتدقيق ثم سأل بحذر) هل .. تعرفين هوية ذلك الشاب ؟"

حركت رأسها بلا وهي لا تزال تتأمله .. وهي تجزم لنفسها بأنه بالتأكيد هارب من صفحات رواية رومانسية .. وأنه ليس حقيقيا على الأغلب .. فلا يمكن أن يكون هذا الوسيم الضخم هنا في بلدتها الصغيرة .

كانت عيناها بنيتين لامعتين وخصلاتها كستنائية مموجة حول وجهها متمردة وهاربة

من الوشاح ..وجهها طفولي ولها صدغين عريضين وأنف صغير ذكره بأنوف الدمى.

شعر شامل بأن وقفتهما غريبة فأسرع بالقول بلهجة فضولية " عم كنتِ تبحثين بجانب السيارة؟"
اشتعل وجهها حرجا فأطبقت على شفتيها وعادت خطوتين للخلف وهي تسقط قطعة الزجاج خلف ظهرها أرضا بينما عقد شامل حاجبيه يسألها "وما اسمك؟"

خطوة أخرى خطتها للخلف وهي تراقب شفتيه وهما تتحدثان وابتسامته .. نزولا برقبته العضلية بينما صوته كان ....

صوت كامل الجهوري المخيف من الداخل وهو يفتح باب الدار الداخلي مزمجرا ومتوعدا

أجفلها وأطار الطيور حولهما من فوق أعشاشها فتحركت ونس خطوة أخرى للخلف قبل أن تستدير برعب وتهرول مبتعدة .

صاح شامل خلفها " يا اااا أنتِ .. يا آنسة"

ثم عقد حاجبيه ينظر لإطار السيارة قبل أن تتسع عيناه في صدمة ويعود لينظر نحوها وهي تبتعد .

وصل كامل للبوابة يقول لأخيه بعصبية "لماذا أفلته .. (ودقق النظر في الهاربة أمامه وصحح متفاجئا) لماذا أفلتها ؟!!"

لم يجد شامل ما يرد به لأول وهلة وهو يستجمع خطوط الموضوع في رأسه .. في الوقت الذي وقعت عينا كامل على إطار السيارة

الهابط على الارض فجن جنونه وهم باللحاق بها وهو يشتم من بين أسنانه .. لكن توأمه أمسك به بقوة قائلا بتوبيخ "إنها فتاة ماذا ستفعل معها؟!!"

هدر كامل بغيظ وهو يحاول تخليص نفسه من يدي أخيه" أتركني يا شامل سأعرف فقط من هي وأتصل بمفرح .. لقد خربت إطار السيارة"

دفعه شامل بخشونة يلصقه بالبوابة الحديدية ويمنعه من الحركة هادرا " ومن قال بأنها الفاعل يا عمي ! .. هل رأيتها بنفسك؟!"

عقد كامل حاجبيه ونظر في وجه أخيه متفحصا وهو يقول "وماذا كانت تفعل بجوار السيارة إذن لقد رأيتها بنفسي؟"

رد شامل بسرعة مبررا "وقع منها شيء وكانت تبحث عنه"

عبس كامل مدققا في وجه أخيه في محاولة لقراءة أفكاره لكن الآخر كان يحجبها عنه في نقطة بعيدة .. منطقة خاصة نادرا ما كان يستخدمها وهذا ما ادهش كامل واستفزه فحاول الفكاك من يد شامل قائلا وهو يجز على ضروسه " أتركني يا شامل .. أنت تكذب وتعرف بأني أعرف بأنك تكذب"

لم يجد شامل سببا لتبرير الأمر بداخله سوى شفقته على الفتاة من عصبية توأمه فقال وهو يدفعه بحزم " اهدأ يا كامل وكفاك صبيانية إنها فتاة .. هل هبط نيزك من السماء على رأسك فأصيب عقلك!!"

فجأة هدأ كامل تماما ..

هدأ كمن ضربه نيزك بالفعل ..

هدأ تماما وأخذ يحدق في نقطة ما خلف شامل..
فعقد الأخير حاجبيه واستدار ينظر خلفه ليجد توكتوك يقترب فتابعه بأنظاره حتى مر من أمامهما وتوقف على بعد أمتار قليلة على الناحية المقابلة للشارع حيث مزرعة العمدة.

ترك شامل ملابس أخيه ووقف يمرر أنظاره بينه وبين التوكتوك وقد أدرك هوية راكبته بينما تأملت أنظار كامل ساقها التي تنزل في بنطال جينز سماوي من التوكتوك تحت عباءة سوداء مفتوحة حتى الركبة لتستقر على الأرض ثم تخرج بسمة .
وضع كامل يديه في جيبي بنطاله ثم استدار يدخل من البوابة بحركة لاحظتها بسمة .. فحركت مقلتيها الزرقاوين نحوهما ونظرت لظهر كامل الذي دخل ساحة الدار .. دارها ..

بطول قامته وكتفيه العريضين ثم تقابلت نظراتها مع شامل الذي وقف أمام البوابة محرجا لا يعرف هل يبادر بالتحية أم أن هذا غير مسموحا به في عُرف البلدة .. لكنها سحبت عينيها بسرعة بعيدا عنه وحمادة يسألها "هل انتظرك يا ست الكل؟"

ردت على سائق التوكتوك بلا وهي تداري غيظا تجدد بداخلها فلملمت طرفي العباءة بعصبية ورفعت ذقنها بكبرياء تولي ظهرها لشامل وتدخل بوابة المزرعة وهي تبرطم من بين أسنانها " وقح !"

أما شامل فوقف على البوابة يتفحص إطار السيارة ثم مال ليلتقط قطعة الزجاج من الأرض واتسعت عيناه وهو يرى عليها آثار دماء

.. فعاد ينظر في الاتجاه الذي هربت منه متسائلا ..
من هذه الفتاة ؟؟
ولماذا تبدو أمامه مختلفة؟ ..
إن فيها شيئا مختلفا لا يستطيع تحديده ..شيء سبب له توترا لذيذا..

أما في مزرعة العمدة نظرت بسمة في هاتفها عاقدة الحاجبين قبل أن ترفعه على أذنها وتجيب باندهاش " نعم دكتور مهاب "

xxxx

بعد ساعتين

قبّل جابر طفلته المتعلقة برقبته ثم انزلها يقول "هيا أكملي فطورك ودعيني أذهب لعملي"

سألته قبل أن يغادر "هل ستحضر لي ما طلبته منك ؟"
أشار لها بعينيه إيجابا ثم تركها وخرج إلى ساحة الدار يبحث عن أمه قبل أن يعبس وجهه ما أن رآها منحنية تكنس ساحة البيت بمقشة من جريد النخل .. فأسرع يأخذ منها المقشة قائلا بعتاب "ماذا تفعلين يا أمي؟!"

قالت وهي تأخذ منه المقشة بعناد "اتركني يا جابر أكنس الساحة "
قال جابر "سأرسل لك الفتاة التي تساعد في شغل المنزل .. لماذا لم تطلبي منها ؟"

ردت أمه بتذمر "وهل ستحضرها خصيصا لتكنس ساحة البيت !!.. اذهب يا جابر ودعني أفعل ما أريد"

مط الأخير شفتيه مستسلما ثم قال" تركت مَيّسة تشاهد الرسوم المتحركة بعد أن أنهت فطورها "

سألته أمه تخفي امتعاضها" ألم تستيقظ كاميليا بعد ؟"

رد جابر وهو يهم بالمغادرة" تركتها نائمة فاليوم السبت وهي دوما تنزعج من الاستيقاظ مبكرا .. فلنتركها تستيقظ وقتما تريد مادامت مَيّسة في عطلة من المدرسة اليوم "

لم تعقب أمه .. بل انحنت تكنس ساحة الدار بذراعيها الواهنين فقال جابر وهو يغادر "لازلتِ على عنادك .. أنا سأذهب السلام عليكم"

ردت أمه السلام .. ثم اسرعت تنادي عليه "جابر"

توقف جابر عند بوابة البيت ينظر إليها في تساؤل فقالت " زين لم يتصل بي"
رد جابر مطمئنا "كان لديه ضغط عمل في الشركة اليومين الماضيين يا أمي"

كسى الحزن ملامحها وغمغمت ببؤس "اشتقت إليه يا جابر .. اشتقت لولدي .. هل قدري أن أعيش عمري وواحد من أبنائي بعيد؟!"
اشفق جابر عليها فأخرج هاتفه من جيبه وقال وهو يرفعه على أذنه" سأتصل لك به ووبخيه واشتميه أيضا يا حاجة نجف "

حين لم يرد أخيه غمغم مستدركا " يبدو أنه قد سهر في الشركة ليلة أمس أيضا .. أعدك بأني سأظل خلفه حتى يرد"

حركت الحاجة نجف رأسها وقالت " اذهب يا حبيبي حتى لا تتأخر على عملك وإن رد عليك أخبره أن يتصل بي "

تحرك جابر يخرج من بوابة بيته ولكنه لم يتحرك يمينا إلى الشارع الرئيسي ليركب سيارته وإنما سار يسارا إلى داخل الحارة الضيقة التي يقع بيته على أولها والتي تنتهي ببيت عم أم هاشم في الواجهة والذي كان يخرج للتو من بيته .. فسلم جابر عليه قبل أن يتركه وينعطف من جانب البيت يمينا إلى حارة أصغر وأضيق حتى وقف بعد عدة بيوت أمام بيت متواضع .. بيت صديق طفولته هلال جمعة..

كان باب البيت مفتوحا فوقف بوضع جانبي على بعد عدة خطوات حتى لا تجرح نظراته

أهل البيت وصفق بيديه منبها ينادى باسم(كريم)..
خرجت إليه نصرة بابتسامتها البشوشة وخديها الأحمرين تقول مرحبة "خطوة عزيزة يا أبا ميّس .. هل تريد هلال؟ .. (وابتأست ملامحها وهي تقول) إنه مازال نائما "

دارى جابر حسرته على حال صاحبه وقال موضحا "بارك الله لك يا أم كريم .. لا .. في الحقيقة أنا أريد الأستاذة"
قالت نصرة متفاجئة " اسراء !.. إنها في المدرسة .. يريدونهم اليوم رغم أنه عطلة لا أدري لماذا "
لاح الاحباط على وجهه لكنه غمغم " لا بأس سأتواصل معها في وقت أخر "

سألته نصرة بقلق" هل هناك شيء يا أبا ميس؟"
اسرع جابر بطمأنتها قائلا" كل خير إن شاء الله لا تقلقي كنت أريدها لتذاكر مع ميسة"

ابتسمت نصرة وردت "ما شاء الله لا قوة الا بالله .. حاضر سأخبرها "
قال جابر وهو يتحرك مغادرا " إذن سأتحدث معها في وقت آخر .. السلام عليكم "

بتردد نادت عليه " أبا ميس "
استدار إليها فبلعت نصرة ريقها ورفعت إليه أنظارها تقول بحرج وهي تفرك في يديها كطفلة "ألا يمكن أن تتحدث مع هلال؟ .. أنت بالتأكيد لا يخفى عليك حاله .. (وتطلعت حولها لتتأكد من أن ليس هناك أحد من الجيران بالقرب وهمست) لن أخفي عليك ..

لقد حدثتني كريمة زوجة عطية بشأن اسراء لابنها طلال .. ولا أريد أن يتعطل الأمر بشأن ما يفعله كل ليلة مع رفاقه .. ولا أريد بأن نقصر في حق البنت وتجهيزها فيكفي أن حظها قليل ..فلتتزوج على الأقل زيجة جيدة ما دامت لم تقدر على الالتحاق بالكلية التي تمنتها .. لهذا اقنعه بأن يرضى بأي عمل يأتيه (واختنق صوتها تكمل) أنا صابرة يا أبا ميس ولا اشتكي لكن مستقبل البنت على المحك"

بلع جابر ضيقه وغضبه من صاحبه وقال بلهجة مشفقة " حاضر سأتحدث معه يا أم كريم .. ولا تحملي هما سيفرجها الله بإذن الله .. وأنا موجود وسدّاد "

شعرت نصرة بالحرج وبالخزي فأطرقت برأسها مغمغمة "عشت يا أبا ميس أنت دوما صاحب واجب "

تحرك جابر مغادرا وهو يقول " سأتحدث معه بإذن الله .. ومبارك مقدما .. السلام عليكم "

قالها وتحرك بقامته الطويلة وجلبابه الثمين ليعود للشارع الرئيسي حيث ترابط سيارته شاردا وذهنه مشغول على حال صديقه .

××××

قبيل الظهيرة

دخلت بسمة مزرعة الوديدي للمواشي وهي تلملم في طرفي عباءتها السوداء وترد تحية العمال الذين قابلوها في طريقهم و هي تنظر في ساعتها مقررة أن عليها أن تنتهي من هذا الأمر بسرعة فيكفي أنها تأخرت في مزرعة العمدة لتباشر عمل ما ..

تأملتها عيني مهاب من بعيد كيف تمشي بمشية مسرعة عصبية كعادتها عابسة الوجه وجادة .. وتمنى لو أتت أبكر من ذلك حتى يستطيع أن يتحدث معها فيما يريد بأريحية .. لكنه الآن يشعر بالارتباك الشديد فالحاج سليمان الوديدي موجود منذ ساعة مع بعض الضيوف يتجول معهم في المزرعة .

حددت بسمة مكانه واقتربت منه تداري توترها فستكون غبية لو لم تخمن سبب اتصاله في الصباح الباكر يستأذنها في حضورها للمزرعة.. والحقيقة أنها فكرت في اخباره بأي مبرر والاعتذار لكنه أخبرها بأن الأمر هام فقررت أن تأتي وتنهي الموضوع .. فلا تريد أن تترك شابا مثله معلقا بأمل زائف .

ازداد ارتباكها وهي تلقي عليه السلام خاصة مع تلك النظر التي استقبلها بها .. لكنها باتت ماهرة في إخفاء كل ما يعتريها خلف قناع ثلجي وقالت وهي ترفع وشاحها قليلا قبل أن يسقط عن رأسها "تفضل دكتور مهاب .. ما الموضوع الذي أردت التحدث معي فيه "

لم يدري مهاب ماذا يقول فوجود الحاج سليمان أفسد خطته وفي الوقت نفسه لا يعرف بأي حجة يخبرها ..
لم يعرف سوى أن زرقة عينيها أسرته وأربكته نظرتها الجريئة فتنحنح يخفض أنظاره ويقول مشيرا لإحدى الحظائر لعله يبعدها قليلا "تفضلي يا باشمهندسة .. أردت أن أستشيرك في أمر يخص المواشي "

وأولاها ظهره يتحرك فرفعت بسمة حاجبها متعجبة ثم سألته دون أن تتحرك " وما دخلي أنا بهذا الأمر؟"

توقف مهاب واستدار عائدا إليها شاعرا بأن حجته في استدراجها لمكان أكثر هدوءا من هذه البقعة الواقعة في الطريق للبوابة والتي من المؤكد سيمر عليها الحاج سليمان إذا ما قرر توديع ضيوفه قد فشلت فقال وهو يثبت نظارته الطبية الأنيقة فوق عينيه " الحقيقة أردت أن أريك بعض المواشي التي أشعر بأنها تأكل أكثر من اللازم كما أن فضلاتها تبدو بلون مختلف .."

ضيقت بسمة عينيها تدقق في وجهه فازداد حرجه وأضاف" الباشمهندس المختص بالتغذية لم يحضر اليوم ويغلق هاتفه وقلت بما أنك خريجة كلية الزراعة فلربما ...."

قاطعته بسمة تقول ببرود" تخصصي ليس انتاج حيواني يا دكتور مهاب "

غمغم مهاب " أعرف لكني قلت لربما عندك أي تخمين بما أنه أحد تخصصات الكلية "

ساد الصمت قليلا .. وبسمة تستشعر ارتباكه فأشفقت عليه من غلاظتها المتعمدة التي باتت تعامل بها الجميع تحاشيا للقيل والقال لكنها لم تعطي لنفسها فرصة للتحدث ببعض اللين خاصة معه حتى لا تمنحه أملا زائفا فقصفته بلؤم " أعتقد بأنك كطبيب بيطري أكثر تخصصا من خريجي كلية الزراعة في هذه الأمور يا دكتور "

تنحنح مهاب ولم يستطع الصمود أمام أسلوبها الحاد فاعترف بهدوء "الحقيقة يا

باشمهندسة أنا طلبت مقابلتك من أجل أمر آخر .. لكني مرتبك قليلا وأخشى أن تصدي طلبي "

دوما لهذه المواقف ارتباكاً خاصاً يعتري كل أنثى حتى لو كانت هذه الأنثى لا تفكر في الزواج ..وحتى لو كان قد سبق لها الزواج .. لكن بسمة نجحت في إخفاء مشاعرها وانتظرته ليكمل فأضاف مهاب بعد أن أجلى صوته" أنا .. كنت أريد أن أعرف رأيك فيّ يا باشمهندسة .. أقصد .. على المستوى الشخصي"
بلعت بسمة ريقها وقالت بلهجة صادقة "أنت دكتور جاد في عملك وماهر وإنسان على خلق .. "

أكمل مهاب بسرعة وبمزيد من الارتباك " أهذا يعني أني لو أخبرتك عن أمنيتي في الارتباط بك سيلقى طلبي عندك قبولا ؟"

تكتفت بسمة وأشاحت بوجهها تحاول إيجاد طريقة لبقة للرفض ثم عادت تقول ببعض اللطف " أنا أحترمك جدا يا دكتور مهاب.. وكما قلت لك أنت انسان جاد وعلى خلق .. لكني .. لا أفكر في الزواج في الوقت الحالي (واضافت بامتنان متخلية عن تحفظها) لهذا أتمنى لك السعادة "

لم ييأس .. رغم الألم الذي اعتصر قلبه لرفضها لم ييأس .. فقال يحاول أن يقنعها "سعادتي بيدك يا باشمهندسة"

على الرغم من امتنانها للطفه .. وارتباكها لتلك العاطفة التي تطل من عينيه وهي الأكثر

احتياجا لها لكنها كانت مدركة بأنها لا تنظر إليه أبدا كشريك حياة .. ولا تجد رغبة لديها في الزواج حاليا .. فهمت بأن تعتذر له مرة أخرى .. لكنها لمحت ما جعلها تحدق في نقطة ما خلفه متسعة العينين ومتفاجئة.

على بعد أمتار قال سليمان الوديدي بحماس "وكما رأيتما بأعينكم وكما شرح لكما المشرفون بالداخل .. المواشي في مزرعتنا يخضعون لنظام غذائي عالي الكفاءة على يد متخصصين"

نظر شامل لتوأمه يخاطره قائلا " أعترف بأن اللحوم هنا عالية الجودة بالفعل "

لم يرد كامل وإنما استمر يستمع لثرثرة الحاج سليمان الحماسية واضعا يديه في جيبي بنطاله والذي أضاف" وتخضع المواشي لعناية طبية

فائقة بل إن طبيبا بيطريا مقيما لدينا أحضرته من العاصمة خصيصا من أجل العناية الطبية بالمواشي .. وبفضل الله نورد كل أنواع اللحوم لأفخر المطاعم في العاصمة والمحافظات الأخرى (واستدار حوله يقول لأحد أتابعه) يا جاد .. احضر لي من مكتب الاستاذ وليد الملف الخاص بالمطاعم الكبيرة التي نتعامل معها (وعاد يغمغم ضاحكا) الاستاذ وليد هو ابني العريس الذي يدير معي هذه المزرعة و.. " بتر عبارته وتجمد لحظة حين تفاجأ ببسمة على بعد أمتار تقف بجوار الدكتور مهاب الذي استدار خلفه ليتفاجأ به فاكفهر وجه الحاج سليمان بينما شعر مهاب بالحرج الشديد.

أما كامل فبمجرد أن لمحهما أخرج يديه من جيبي بنطاله وتشنجت كتفاه لوهلة وهو يحدق فيها عابسا حين وجدها تقف أمام شاب

يرتدي معطفا أبيضا وتحدق فيهم بملامح مندهشة .. بينما مرر شامل أنظاره بينهما وبين أخيه ..

ترك الحاج سليمان ضيفيه وأسرع بالاقتراب منهما يقول بانزعاج شاعرا بالحرج والغضب من وقفتهما معا " ماذا تفعلين هنا يا بسمة ولماذا تقفين بهذا الشكل !"
أسرع مهاب بالتبرير فقال متنحنحا "المهندس سامح مريض ولا .. ولا يرد على هاتفه وكنت أرغب في استشارة الباشمهندسة استشارة عاجلة تخص .. تخص الأعلاف "

لم يعجب سليمان ما سمع وحدج بسمة بنظرة متوعدة فرفعت ذقنها ببرود ظاهري تداري حرجها .. ليستدير ويقول لضيفيه "وها هو طبيب المزرعة الدكتور مهاب .. (وقال مبررا

بلهجة لا تخلو من الاستعراض) كان يستشير ابنتي (الباشمهندسة) بسمة في بعض الأمور التي تباشرها هنا في المزرعة .. (وأضاف متفكهاً) إنها مهندسة زراعية وليست مهندسة بناء ويعتمد عليها ابن أختي المهندس مفرح الزيني بشكل كبير في مزرعة العمدة .. وتعد نفسها للحصول على شهادة الماجستير بإذن الله "

ناظرت بسمة ظهر والدها بنظرة متفاجئة .. ولولا أنها تعلم جيدا طريقته المتفاخرة وخاصة أمام الأغراب لصدقت بأنه فخور بها فعلا بينما أشار سليمان على شامل يقول لبسمة ومهاب" وهذا هو السيد كامل نخلة وأخوه السيد شامل من كبار رجال الأعمال ويملكون مطاعم فاخرة في العاصمة"

بملامح هادئة متحفظة ناظرتهما بسمة تداري صدمتها التي لم تغادرها بعد برؤيتهما في مزرعة الوديدي وهزت رأسها بتحية سريعة فأعاد كامل يديه إلى جيبي بنطاله يطالعها بتلك النظرة الغريبة التي تستفزها بينما تقدم مهاب يمد يده للسلام فسلم عليه شامل مرحبا وهو يقول مبتسما "العكس يا حاج سليمان ..أنا هو شامل وهذا كامل"

رمق كامل الدكتور مهاب بنظرة متعالية باردة ومتفحصة من رأسه حتى أخمص قدميه قبل أن يخرج يده من جيبه ببطء وبرود ويمدها إليه حينما مدها الآخر مرحبا .

قال الحاج سليمان للدكتور مهاب " اشرح للضيفين كيف نعتني عناية صحية فائقة بالماشية في مزرعتنا يا دكتور "

أدركت بسمة بأن والدها قد استغل الفرصة ليعرض على التوأمين منتجات مزرعة المواشي .. ولم تدر بأنه قد فاجأهما بالذهاب لبيت الجد صالح قبل ساعتين يدعي رغبته في الاطمئنان على أنهما مستريحان في البيت ويسأل إن كان ينقصهما شيء ثم وقف يثرثر معهما قليلا حتى وجه دفة الحديث بلؤم ليخبرهما عن المزرعة ثم دعاهما لزيارتها .. بل واصر عليهما لمرافقته فورا .. فلم يملك التوأمان إلا الموافقة .. حيث شعر شامل بالحرج بينما تملك الفضول من كامل لمعرفة المزيد عن بسمة وعائلتها.

أخذ مهاب يتحدث فأولى شامل اهتمامه لما يقوله بينما حاول توأمه التركيز لكن ذهنه كان مشوشا يحاول تحاشي التطلع في وجهها

ويتملكه فضول مغيظ لمعرفة ماذا كانت تفعل مع ذلك الطبيب .

أما بسمة فتأملت التوأمين قبل أن تلتقي نظراتها بذلك الذي رمقها بعبوس ثم أسرع بالإشاحة بوجهه عنها بتعال استفزها بشدة فطالعته من رأسه حتى أخمص قدميه بنظرة سريعة .. يرتدي بنطالا من الجينز وحذاءً رياضيا وقميصا أسودا مفتوح بمبالغة من عند الصدر .. بينما أخوه يرتدي مثله لكن قميصه كان أبيضا ..
كانا طويلين وعريضي الكتفين بشكل ملفت .. شعرهما بنيا ناعما طويلا قليلا أطرافه مقوسة للخلف على جانبي رأسيهما.

جاءت زغاريد عالية من الخارج .. فتحركت بسمة وقد وجدت سببا للانسحاب من هذه

الوقفة الخانقة فغمغمت" أنا سأذهب يا أبي لا تؤاخذونني"
قال الحاج سليمان مفسرا للجلبة التي تأتي من خارج البوابة " هذه صباحية العروس العقبى عندكم جميعا"
تكلم مهاب وشامل يشكراه بينما ظل كامل محدقا في الأرض يطحن ضروسه ويحاول التوقف عن اختلاس النظر إليها ناهرا نفسه على تلك الحالة الغريبة التي تعتريه منذ أن رآها صباح أمس.

تحركت بسمة مبتعدة بخطوات عصبية وهي تغمغم في سرها بسخرية " كامل ! .. ونخلة أيضا!!"

حين دخلت بيت الوديدي وقفت تتلقى من المهنئات التهاني والأمنيات لها بالعوض..

فوقفت تتطلع في هدايا أهل العروس التي احضروها في يوم الصباحية وسط الزغاريد العالية.. وتوجههم أين يضعونها .. بينما ترك وليد حماته وفايزة الزيني ومليكة وأمه في شقته ونزل على السلم يرتدي ملابس بيتية رياضية ويمسك بتفاحة فانطلقت الزغاريد الجماعية من أعلى ففهم سببها واتسعت ابتسامته بسعادة شديدة وعدل من ياقته بفخر ذكوري .. ثم قضم التفاحة وهو يكمل نزوله ويكاد أن يطير من السعادة.

xxxx

رفع جابر الهاتف على أذنه يجيب اتصالا دوليا وهو يتطلع في الطريق أمامه قائلا " باشا .. آسفون والله على إزعاج رجل أعمال مهم مثلك وإيقاظه من النوم"

جاءه الصوت ضاحكا "رجل أعمال !! أعزك الله يا أخي"
كشر جابر عن أنيابه وقال بلهجة موبخة "لماذا لم تتصل بأمك منذ يومين يا زين؟!"

جاءه صوت أخيه مجهدا وقال وهو يتثاءب "ألم أطلعك على تفاصيل الوضع في الشركة ؟ .. كل الموظفين سهروا اليومين الماضيين ولم أعد للسكن إلا فجر اليوم"
سأله جابر وهو يخرج إلى أحد الشوارع الرئيسية في مركز المحافظة" وهل انتهيتم من المهمة؟"
غمغم زين بعد أن تمطى" أنجزنا العاجل والمهم وبقيت تفاصيل أخرى ستتم على مراحل .. المهم أن أصحاب الشركة منبهرون بما تم إنجازه (وأضاف بحماس شديد) وهذا الانبهار يعني مكافأة يا أبا ميس"

مط جابر شفتيه بامتعاض ورد " يا زين المال مهم لكنه ليس الأهم بل صحتك هي الأهم وأنت تضغط على نفسك كثيرا"
رد زين باستنكار" ولماذا أنا هنا إذن إن لم يكن من أجل جمع المال الحلال واستغلال كل لحظة لتحقيق ذلك !"
قال جابر بضيق" قلت لك ألف مرة حتى قبل أن تسافر تعال وساعدني في إدارة محلاتي"

رد زين بعناد " وأنا قلت ألف مرة أني لن أعود وأشاركك إلا وأنا أملك ما أشاركك به .. كيف اعتمد على خميرة شقاءك في سنين الغربة التي أضاعت عليك زهرة شبابك وأكون الفتى المدلل الذي يقطف ثمارا جاهزة ؟.. أريد أن أملك الأرض أولا التي سأزرع فيها وأجني الثمار يا جابر "

انفعل جابر وهدر غاضبا" أنا ظروفي كانت مختلفة .. والدنا كان فقيرا فلم يكن هناك مفرا من الاغتراب عن الأهل والوطن .. أما أنت فلديك أنا .. هل بخلتُ عليك يوما يا زين!"

ساد الصمت للحظات قبل أن يرد زين بهدوء "أنا لم أقل شيئا من هذا حاشا لله .. ما بك يا شيخ الشباب أهناك مشاكل بالعمل ؟!.. ماذا عن مركز التسوق هل فشلت في الحصول على مكان فيه لإقامة السوق التجاري الذي تخطط له؟"

غمغم جابر بهدوء نادما على انفعاله "لا شيء يا زين أنا فقط مضغوط عصبيا هذه الأيام"

سأله زين بإصرار" لماذا أخبرني.. هل الجميع بخير؟

لم يرد جابر وإنما ضيق عينيه وهو يتطلع أمامه بتركيز قبل أن تجحظا ويقول لأخيه وهو يهدئ من سرعة السيارة ويبحث عن جانب مناسب لإيقافها " اذهب الآن يا زين عليّ أن أغلق الخط ولا تنسى بأن تتصل بأمك"
غمغم زين" حاضر سأتصل بها حالا .."

أوقف السيارة ملقيا بالهاتف على المقعد الجانبي وترجل منها بسرعة.

كانت أم هاشم تقف أمام أحد محلات السوبر ماركت تعدل من حجابها وتصيح منفعلة "قلت لن اغادر قبل أن آخذ مستحقاتي ..بقي يومين على نهاية الشهر هل ستأكل حقي !!"

تقدم جابر يقول بوجه متجهم "ماذا يحدث؟"

تفاجأت أم هاشم بوجوده فتنحنحت وقالت بعبوس" لا شيء يا أبا ميس اذهب أنت لطريقك"
سألها جابر بإصرار" انطقي ماذا حدث؟"

قالت بغيظ وهي تشير على رجل قصير القامة أصلع الرأس بين الواقفين "طردني ولا يريد أن يعطيني مستحقاتي"
قبل أن يفتح جابر فمه قال صاحب المحل بعناد " ليس لك عندي شيئا فاذهبي من هنا بوجهك العكر هذا"

اتسعت عينا جابر واستدار إليه بكليته يقول بحمائية "تحدث بأدب يا هذا وإلا لأريتك ما تستحق"

لم تستطع أم هاشم السكوت فانفجرت تقول بعصبية" أنا وجهي عكر يا رجل يا ناقص !! يا آكل مستحقات من يعملون لديك!! "
هدر جابر فيها بلهجة حازمة "اسكتي أنت ودعيني أتعامل معه "
بلعت لسانها بصعوبة وعدلت من وشاحها وهي تتفتت من العصبية بينما قال صاحب المحل يرفع سبابته نحو جابر "لا تتدخل يا هذا"
كشر جابر عن انيابه .. فتدخل أحد الواقفين يحاول تهدئة الوضع قائلا لصاحب السوبر ماركت "هذا جابر دبور صاحب محلات دبور الشهيرة للأجهزة المنزلية يا حاج عيسوي ألا تعرفه !"

تراجع الحاج عيسوي عن انفعاله وتنحنح يقول بلهجة اهدأ مبررا" أي مستحقات هذه

التي تريدها وهي تحصل على الإجازات على حسب مزاجها"

ضربت أم هاشم كفيها ببعضهما تنظر لوجوه الذين يتابعون المشهد بفضول ثم قالت باستهجان" لا حول ولا قوة الا بالله! .. أنا طلبت منك يوما واحدا إجازة بعد عدة شهور أعملها عندك بدون إجازات لكنك رفضت وكان لدي ظرفا هاما اضررت أن آخذ يوم الخميس من أجله لأجدك اليوم تطردني وترفض أن تعطيني مستحقاتي .. أتستحل لنفسك أكل مال امرأة !"

نظر جابر إليه بعبوس ينتظر رده فقال الأخير متهكماً" أين المرأة ؟! (ونظر حوله للرجال يسأل بابتسامة متهكمة) هل ترون نساءً هنا .. أنا لا أرى سوى وجها أسودا .. (ونظر إليها مغيظا وأضاف) لا عجب بأنك عانس!"

ضحكات مكتومة جاءتها من بعض الواقفين بينما اسرع إليه جابر وأمسك بتلابيبه هادرا " من الواضح أني لا أملأ عينيك لهذا لسانك مستمرا في التطاول ولا تحترم وجودي "

امتقع وجه الرجل وسأله في رعب" ماذا تقرب لك يا معلم دبور؟"
شدد جابر من قبضته على ملابس الرجل ورد من بين أسنانه" ابنة قريتي وجارتي.. أهذا يكفيك لتحفظ لسانك وتتعامل بأدب ؟!.."

بلعت أم هاشم غصة مرة في حلقها لكنها لم تستطع الصمت خاصة مع الضحكات المكتومة والنظرات الساخرة حولها .. وتملكتها رغبة قوية في غرز أظافرها في وجه هذا الرجل الذي يسخر منها .. فاندفعت تقول بتهكم وهي تضع يدا فوق الأخرى على بطنها" اللهم صل

على النبي عليك !.. وعلى رجولتك الطاغية التي تشع منك يا (حسين فهمي) زمانك.. برأسك الأصلع هذا ووجهك الذي يقطع الخميرة من البيت .. مؤكد لن تراني فطولك شبر ونصف وتتحرك في المحل بكرسي لتطول الأرفف"

انفجر الواقفون بالضحك بينما امتقع وجه الحاج عيسوي وهم بالرد فحذره جابر الذي يحاول بصعوبة ألا ينفجر في الضحك مثلهم وقال له وهو يناظره من علو " إياك أن تنطق بكلمة (ثم أدار وجهه لأم هاشم يقول محافظا على وجه حازما) قلت اغلقي فمك يا بنت الشيخ زكريا وانتظريني بجوار السيارة وحقك سيصلك "

ضغطت أم هاشم على شفتيها لتخرسهما فظل جابر يتطلع فيها بنظرات ثابتة حتى اجبرت

نفسها على التحرك وهي تغمغم "اقسم بالله من أجل خاطرك أنت فقط يا أبا ميس"

بعد قليل كان جابر قد انتهى من حديثه مع الحاج عيسوي والذي تدخل بعض الوسطاء لتلطيف الجو بينهما فخرج من المحل يبحث عنها لكنه لم يجدها .. فنظر لراتبها الذي أصر على أخذه من صاحب المحل ثم دسه في جيبه ينوي بأن يرسله لها في أي وقت حين يعود للقرية ..

××××

قبيل العصر

دخلت مليكة غرفة النوم وأغلقت الباب بهدوء شديد ثم تطلعت فيه وهي تخلع عنها عباءتها وتعلقها في الخزانة دون أن تحدث صوتا ..

كان يدفن رأسه تحت الوسائد الكثيرة وينام على جانبه.. ولاحظت أن سجادة الصلاة تفترش الارض باتجاه القبلة فعلمت بأنه قد استيقظ ليصلي وعاد ليكمل نومه ..وغمرها شعور بالشفقة عليه فهي تعلم بأنه قد أجهد نفسه كثيرا الأيام الماضية ..

راقبها مفرح من بين جفنيه الثقيلين وهي تقف أمام الخزانة تتطلع فيها بنظرات حائرة وتتبعها وهي تتحرك بخفة غزال بقميصها الداخلي حافية القدمين فوق السجادة فأحس وكأنها تمشي فوق قلبه بخطوات رشيقة كراقصات الباليه ..

اهتزاز هاتفه بجوار السرير أصدر صوتا خافتا عند ارتطامه بسطح الكومودينو فأسرعت مليكة إليه لتلتقطه لكنها أوقعت مفاتيحه

أرضا وأصدرت صوتا .. لتعض على شفتها السفلى توبخ نفسها .. فهمهم مفرح بصوت أجش "لا بأس أنا مستيقظ"
غمغمت بخفوت" أردت أن أغلقه حتى لا يوقظك"
قال وعيناه تمسحان على تفاصيلها "أتركيه (ثم سألها بصوت ناعس) هل مهجة بخير؟"
لملمت ابتسامة محرجة وردت " كل شيء بخير والحمد لله لا تقلق"

مط شفتيه بامتعاض ثم ربت على السرير بجانبه في دعوة لها لأن تقترب .. فاحمر وجه مليكة ليسألها مفرح "أين الولدين؟"
غمغمت بخفوت "بالطابق الأرضي"

فربت على الفراش يقول بلهجة حارة "اغلقي الباب بالمفتاح وتعالي مليكتي"

لم تتركها عيناه وهي تتحرك لتغلق الباب بالقفل من الداخل وتعود إليه بهدوء .. فأفسح لها مكانا .. لتجلس مليكة على طارف السرير وتخلع مصوغاتها الذهبية التي كانت ترتديها في زيارتها للعروس .. فتحركت كف مفرح تتحسس ظهرها باشتياق وهو يخبر نفسه بالصبر لثوان أخرى.. ثم رفع رأسه يقرب شفتيه من ساعدها ويطبع قبلة طويلة مشتاقة عليه ..

التفتت مليكة إليه واقتربت لتستلقي بجواره وتحدق في السقف فانفرطت أعصابه في ثانية معلنة تمرد وعصيان لأي مطالبة أخرى لها بالمزيد من التأني .. وانتفض يخيم فوقها ويميل عليها ليلتهم شفتيها وهو يشدد من احتضانه لها هامسا "اشتقت إليك مليكتي اشتقت إليك بجنون"

xxxxx

بخطوات يلفها الوقار والخجل دخلت إسراء المحل الكبير لجابر دبور في مركز العاصمة .. فتطلع فيها الشاب عصفور الذي يعمل لدى جابر متسائلا وقال" أي خدمة يا استاذة اسراء؟"

تطلعت في المحل حولها وقالت" كنت ابحث عن أبا ميس "

رفع عصفور حاجبه وسألها ببرود" هل أساعدك بشيء ؟"

ناظرته بجدية وقالت بلهجة حازمة" أنا أريده شخصياً "

مط شفتيه ورد وهو يلوي عنقه "إنه يصلي العصر"

قبل أن تقرر إن كانت تنتظره أم تمضي في طريقها جاء صوت جابر يخرج من غرفة مكتبه قائلا بترحيب حار " يا أهلا بأستاذتنا أنرت المكان"

اقتربت بحرج وقالت " كيف الحال "
رد جابر مبتسما " أنا بخير والحمد لله (وأشار لها للداخل) تفضلي "

قالت بلهجة عملية " أمي اخبرتني بأنك سألت عني صباحا .. وجئت لأشتري بعض الأشياء من محل قريب فقررت أن أمر عليك "
قال جابر بابتسامة "هذا من حظنا السعيد ماذا تشربين على الأقل ؟"
حركت يديها أمامها بسرعة تغمغم" لا لا عليّ أن أعود بسرعة"

قال جابر متفهما "وأنا لن أعطلك .. كنت أرغب في اعطاء ميسة دروسا للتقوية فأنا خارج البيت طوال اليوم ولا استطيع متابعتها دراسيا (وتنحنح يقول ببعض الحرج وابتسامة تزين شفتيه) كما أن لغتي الإنجليزية متوسطة

وغالبيتها فهماً وليس كتابةً نظرا لاحتكاكي في الغربة بالاجانب .. أي أنني افهمها سماعا أكثر .. لكني نسيت غالبية القواعد التي درستها في الثانوية والحمد لله "

ابتسمت اسراء وقالت" لا بأس أنا موجودة لأي استشارة في أي وقت .. تستطيع أم ميس تصوير أي صفحة تقف أمامها وترسلها لي على الواتساب "

قال جابر موضحا" لا يا ست البنات .. أنا أرغب في تأسيس البنت من الصغر فلن أدفع هذا المبلغ الضخم لإلحاقها بمدرسة لغات وتخرج منها لا تفهم شيئا .. فأرجو أن تدرسي لها إن أمكن بما يتفق مع وقتك طبعا"

ردت اسراء مطمئنة" لا تحمل هما (وأضافت بشقاوة) وستكون فرصة جيدة لألعب أنا وميس الحلوة كما يحلو لي"
ضحك جابر وقال" إذا اتفقنا"

همت إسراء بالمغادرة وقالت "سأرتب أموري إذا وابلغك بالمواعيد"
لحقها جابر بصوته قبل أن تغادر قائلا " لم نتفق على المبلغ "
شعرت اسراء بالحرج وقالت وهي تهم بالمغادرة "سامحك الله هل تهيننني !"

قال جابر باعتراض" لا لا هذا عمل وإلا سأبحث عن معلمة أخرى "
نظرت له نظرة لائمة ثم تحركت فقال جابر "انتظري أريد أن أطلب منك شيئا آخر "

استدارت إليه متسائلة فمد يده في جيبه وأخرج نقودا .. فعقدت حاجبيها ليقول جابر" هلا أوصلت هذا المبلغ لبنت الشيخ زكريا " غمغمت " أم هاشم ؟!"

رد جابر موضحا " أجل كان باقي حسابها في السوبر ماركت الذي كانت تعمل به.. لقد أخذته من صاحب المحل "

أخذت اسراء النقود وقالت مغادرة " إن شاء الله السلام عليكم "

رد جابر السلام وراقبها تبتعد وهو يفكر كيف سيعطيها ثمن الحصص .. فهو لا يريد أن يعطيها لهلال .. فمن ناحية لا يرغب في أن ينفقها الأخير في غير موضعها ومن ناحية أخرى يعرف حساسية هلال وشخصيته النزقة وكرامته المتورمة فغمغم قائلا في سره "إن أصرت على موقفها في عدم قبول ثمن الحصص فلا مفر إلا أن أعطيها لأم كريم ..بإذن الله "

قالها ودخل لمكتبه .. فرفع عصفور هاتفه على أذنه وانزوى في أحد أركان المحل يطلب رقما ثم قال " ست كاميليا .. جئتك بآخر الأخبار "

xxxx

فوق جفنيها المغلقين في وجهه طبع قبلتين من بين لهاثه المتأجج .. ثم مال يطبع أخرى طويلة تحت أذنها .. عند تلك البقعة التي تنبض بعطرها المتجدد ..في محاولة بدأها منذ دقائق لجمع شتات أعصابه والعودة إلى أرض الواقع مستعينا بذلك الشعور بالذنب الذي بدأ يستفيق من خدره المؤقت ليقاوم به رغبته في الالتصاق بها للأبد .

أخيرا استجمع همته وحرر جسدها المتخشب لكنه لم يستطع الابتعاد أكثر من بضع انشات .. وراقبها وهو يعد في سره ويراهن نفسه أنها لن تتخطى الخمس ثوان ككل مرة ..

واحد.. اثنان .. ثلاثة .. أربعة.

فتحت مليكة عينها وتمسكت بالغطاء بخجل تغطي نفسها .. ثم اعتدلت جالسة على السرير توليه ظهرها وتلف الغطاء حولها قبل أن تلتقط ملابسها.

أغمض عينيه لثانية يبلع غصة مُرة في حلقه ثم أسرع بفتحها حتى لا يضيع عليه تلك اللحظات الثمينة بقربها .. متجاهلا تلك السرعة التي ترتدي بها ملابسها وهي تغمغم بهدوء يقتله " سأعد لك طعام الغداء فأنت لم تأكل منذ أمس"

لم يرد .. وإنما أراح رأسه على الوسادة وقد هدأت أنفاسه .. وراقبها وهي تستقيم واقفة وتغادر الغرفة بهدوء .. فحدق في السقف وقد

هدأت وشبعت حاجة جسده .. لكن حاجة الروح لوصالها لا تزال تضنيه وتفسد عليه كل وصال بينهما ..

أغمض مفرح عينيه في استرخاء بدني بينما شعور خبيث بالذنب وجلد الذات يتسلل ليلتف حول رقبته .. في الوقت الذي عاود الهاتف اهتزازه للمرة التي لا يعرف عددها وكأنه يلح عليه للعودة لأرض الواقع ونفض عذابات العاشق المراهق بداخله إلى أقصى نقطة بين شغاف قلبه ..فمد يده لذلك الهاتف اللعين ليجد عشرات الاتصالات الفائتة من شيخ الغفر .. فهم بإلقاء الهاتف لولا أن أتاه اتصالا من العمدة ..

أجلى مفرح صوته ورد " نعم أبي (وصمت قليلا ثم عقد حاجبيه يقول باندهاش) ماذا .. ضابط من قسم الشرطة !!!"

بسمة
ولقلبي
وأشرقت في

وقلوباً أنهكها النصب ـ
والخيبات.

فيا قلب ـ صبراً .
ويا رب ـ جبراً
ويا شمس العصر لا تغيبي
حتى تشرق في القلب ـ
بسمة.

سلسلة قلوب مغتربة 2
DESI SHAMMOSAH

الفصل السادس

بعد ساعة

وقف مفرح متخصرا شاردا بنظراته بينما عويس شيخ الغفر يسرد له كيف تم الأمر ..

لقد فوجئ مفرح حين نزل لمجلس العمدة بوجود ضابط وعساكر من قسم الشرطة يخطرون العمدة بقرار بالقبض على زهير عبد النبي .. بسبب إيصالات أمانة قدمها بدير العسال ضده .. ولم يكن هناك بدا إلا من تنفيذ الأمر وارسال شيخ الغفر مع الضابط لبيت زهير..

استمع إليه مفرح مهموما وعويس يكمل "وتعلم النسوة وصراخهن يا باشمهندس .. يا ويلي!

..زوجته وأمه لم يتوقفا عن الصراخ والولولة وهم يسحبونه إلى سيارة الشرطة .. سامحه الله بدير العسال "

أغمض مفرح عينيه بإرهاق وشفقة على ابن قريته قبل أن يشير لعويس بالانصراف في الوقت الذي دخل مصطفى الزيني من البوابة وعلى وجهه علامات استفهام ثم قال لمفرح "ما هذا الذي سمعته؟! .. لقد كنت في مشوار خارج القرية وحضرت منذ قليل لأتفاجأ بالأمر"
ناظره مفرح دون رد .. فعقد مصطفى حاجبيه وقال "ألم تستطع أن تطلب من الضابط التريث قليلا لنتحدث مع هذا الزفت بدير"

رد مفرح بهدوء "للاسف البلاغ مقدم منذ عدة أيام والضابط أخبرني بأن مأمور المركز أمر بعدم التحرك للقبض عليه إلا بعد انتهاء حفل الزفاف عندنا إكراما للعمدة وبالطبع لم استطع أن أطلب من الضابط تأجيل الأمر أكثر من ذلك فلن تسير الشرطة على هوانا .. (وأضاف بغيظ) الخطأ خطأ

بدير العسال الذي لجأ للشرطة ولم يرجع إلينا أولا"

جز مصطفى على ضروسه وغمغم بلهجة متوعدة من بين أسنانه" بدير.."

سأله مفرح مضيقا عينيه "هل تعتقد بأنه قد يتنازل عن البلاغ ؟.. إن مبلغ الدين كبير جدا يا أبا حمزة أنا مصدوم كيف أقرضه مبلغا كبيرا كهذا؟!"

رد مصطفى بوجوم" هو بالتأكيد لم يقرضه كل هذا المبلغ يا مفرح .. هذه فوائد مركبة أضيفت لأصل المبلغ"

اتسعت عينا مفرح وغمغم "فوائد؟.. تقصد أنه يتعامل بالربا!! "

لم يرد مصطفى وانما استغفر ربه بينما شعر مفرح بالثقل .. إنه يكره المشاكل ولا يجد في نفسه صبر ولا موهبة المُصلح الاجتماعي .. طبيعة شخصيته لا تتماشي مع دور العمدة المفترض.. لكنه مضطر لأن يتعامل ومضطر لأن يحاول أن يجد وقتا في

يومه المزدحم لمباشرة مصالح أهل القرية لأن والده قد كبر بالعمر ولم يعد قادرا على متابعة هذه وتلك.

سأل مفرح مصطفى وكأنه يطلب رأيه" هل تعتقد بأن عليّ أن أتحدث مع بدير مثلا لربما تنازل (ثم أضاف محدثا نفسه بحيرة) كيف سأطلب منه أن يتنازل عن مبلغ كبير كهذا! بالطبع سيكون طلب غير منطقي"

رد مصطفى وهو عاقد حاجبيه وشارد بنظراته في الأرض "بالطبع علينا أن نتحدث معه .. منذ متى ونحن ندخل الشرطة بيننا .. لكن أي اتفاق سيكون عن الالتزام بأصل المبلغ (ورفع انظاره يربت على ذراع مفرح قائلا) سأحاول أنا التحدث معه إن أردت"

غمغم مفرح بامتنان " ليتك تتحدث معه يا أبا حمزة ولنرى ماذا سيكون رده"

رن هاتف مفرح فتطلع فيه قاطبا حاجبيه وازداد حنقه حينما أدرك بأنه لم يقابل التوأمين اليوم ..في الوقت الذي قال مصطفى وهو يتحرك مغادرا "سأخبرك إن جد جديد"

رد مفرح بامتنان" لا حرمني الله منك يا أبا حمزة" بمجرد أن استدار مصطفى رفع مفرح الهاتف على أذنه وهو لا يجد اعتذارا يقوله لضيفيه اللذيّن وعد بمقابلتهما بعد صلاة العصر مباشرة ليبادره شامل بالقول" يا عم مفرح يبدو أننا سنغادر اليوم بدون حتى أن نسلم عليك!"

غمغم مفرح وهو يسرع نحو سيارته" تغادرون! .. ما هذا الهراء!!"

××××

علا صوت الشجار الآتي من غرفة نوم والديهم فوقف اربعتهم في حالة من التوتر .. لتقول اسراء بحزم" هيا اذهبوا لإنهاء واجباتكم المنزلية.. " تقبض كريم ثم اندفع مغادرا للبيت فأسرعت اسراء خلفه لتناديه لكنه لم يتوقف .. لتعود وتصيح في أختيها "هيا اذهبا وافعلا شيئا مفيدا بدلا من الوقوف بهذا الشكل "

تحركت الفتاتان تباعا وقررتا الصعود إلى سطح البيت وكأنهما تهربان من أصوات الشجار بينما وقفت اسراء في منتصف الصالة وقد أظهرت على ملامحها توترها الذي كانت تخفيه ووقفت تسترق السمع في خوف شديد من أن يتطور الشجار.

كانت تعلم بأن الأمر لن يمر على خير بين والديها .. فأمها كأي أم ترغب في تزويج ابنتها لكن والدها لا

تعلم إن كانت تشفق عليه بعد أن خسر وظيفته أم تشعر بالغضب لاستسلامه للإحباط..

علا صوت نصرة تقول بغيظ "اسمع يا هلال أنا لا أريد لهذا العريس أن يطير من يد البنت .. يكفي حظها المائل في الدراسة "

أطرق هلال برأسه يطحن ضروسه غاضبا لتكمل نصرة بلهجة موبخة "أتحسبني لا أشعر بها ؟!.. أتحسبني لا أعرف كيف تداري البنت الحسرة في قلبها بعدما قررت بنفسها عدم الالتحاق بالكلية التي تمنتها لأنها تعرف بأننا لن نستطيع تحمل تكاليفها؟!"

بلعت اسراء غصة مُرة في حلقها وجاءها صوت أمها تضيف "كل من يعرف بأن مجموعها في الثانوية العامة كان يؤهلها للالتحاق بكلية الطب لكنها التحقت بكلية التربية بدلا منها حتى تصبح معلمة

وأنها رفضت بكل إباء محاولات بعض المقتدرين في القرية لمساعدتها في تكاليف دراسة الطب يشعر بالأسف الشديد عليها .. فيزيد ذلك من حسرتي أن ابنتي لم تصبح طبيبة كما تمنت .. كما أنها لا تستحق منا أن نخيب أملها أكثر يكفي بأنه لولا مرتبها الآن لما...."

بكرامة مجروحة قاطعها هلال هاتفا بانفعال "أعرف يا نصرة.. أعرف كل ما ستقولينه ..لولا أن مرتبها يساعد مع المبلغ الذي يرسله أخي من العاصمة كل شهر لما وجدنا حتى الخبز الجاف لنأكله .. (وأمسك بفتحه صدر جلبابه يصيح بقنوط) ولكن ماذا بيدي لأفعله.. أنا عشت عمري كله بين ماكينات النسيج ولا أعرف مهنة غيرها ولا يوجد مصانع أخرى للنسيج في المحافظة كلها .. ولا أملك رأس المال لبداية أي مشروع .. ولا أفهم في المشاريع من اساسه .. (واضاف بمرارة وقهر)

ماذا عليّ أن افعل بالله عليك ؟!.. أتريدين مني في هذا العمر أن اعمل صبي في مقهى أو بائع أو كاشير في سوبر ماركت!!.. أهذا سيرضيكِ وسيشعركم بأني أعيلكم ؟.. ثم كم سأجني من وظيفة كهذه؟"
نظرته المكسورة في عينيه رغم الغضب البادي على ملامحه ووقفته المتشنجة بقلة حيلة حرك شفقتها عليه .. فغمغمت بصوت مبحوح " والعمل يا هلال البنت..."

قبل أن تكمل عبارتها طرقات على باب الغرفة جعلتها تصيح بعصبية "من؟؟"

جاء صوت اسراء تقول" أنا يامّة هل أدخل؟"

نظرت نصرة لزوجها الذي يحدجها بمقلتين حانقتين ثم قالت "ادخلي يا اسراء "

بخطوات مترددة وملامح متبسمة رسمتها جيدا
قالت اسراء بمرح زائف "أنت تجهزين للأمر يا نصرة
وكأني قد قبلت العريس ..أنا لن أوافق قبل أن
اجلس معه مرة واثنتين وعشرة وبعدها سأقرر ..
ولا تعارضي ذلك أرجوك "

كانت تعلم نصرة بأنها ستفعل ذلك .. ستحاول أن
تظهر بأنها لا ترغب في الأمر .. وهي ك نصرة لن
تتحمل المزيد من تضحياتها ..لن تتحمله أبدا ..
فإن ما يحدث فوق طاقتها .. فلمع الغضب في
عينيها وصرخت فيها " اقسم بالله لو فعلتِها لأترك
لكم البيت ولن تروا وجهي ثانية .. "
وانهمرت الدموع من عينيها وضربت بكلتا يديها
على صدرها صائحة بهستيريا "ارحموني ..
ارحموني ما عدت اطيق حياتي "

لم يستطع هلال تحمل رؤيتها منهارة .. قلبه كان يؤلمه بشدة فانطلق بسرعة يترك المكان يتمنى الموت .. بينما أسرعت اسراء بالاقتراب من أمها ومحاولة تهدئتها .. لكن الأخيرة كانت منهارة كليا فلم تنجح إسراء في احتضانها إلا بعد عدة محاولات .. حتى استكانت الأخيرة واخذت تبكي على صدر ابنتها بقهر وقلة حيلة وهي تردد بصوت مكتوم " ارحموني "

××××

ردت بسمة على الهاتف تقول" السلام عليكم" جاءها صوت محدثها "وعليكم السلام استاذة بسمة معك مندوب شركة(...) .. بخصوص المعدات التي طلبتِها نحن سنكون عند العنوان المسجل لدينا خلال ربع ساعة إن شاء الله "

العنوان ؟؟

ما هو تاريخ اليوم؟؟

يا إلهي .. لقد نسيَت أنها قد طلبت الاسبوع الماضي بعض المعدات من أجل مشروعها واعطتهم عنوان بيت الجد صالح !.
ما هذه الورطة !.

أسرعت بالقول لمحدثها "حسنا انتظر عند البوابة إن وصلت قبلي من فضلك ..وسأرسل لك احدا ليستلمها"

اغلقت الخط ثم اسرعت بالاتصال بمفرح .. لكنه لم يرد ..جزت على أسنانها بعصبية وعاودت الاتصال بإلحاح لكنه لم يرد أيضا .. فاتصلت بمليكة تقول بمجرد أن فتحت الخط "الحمد لله أن فيكم أحدا يرد على الهاتف"

ردت مليكة عاقدة حاجبيها" ما بك ؟.. لمَ أنت متحفزة بهذا الشكل؟"

سألتها بسمة بسرعة" أين مِفرح؟"
أجابت مليكة "مع صديقيه ..أخبرني بأنه سيأخذهما في جولة في المزرعة قبل أن يسافرا"

غمغمت بسمة "إذن حتى الضيفان ليسا في دار جدي صالح؟ "
ردت مليكة "أجل ..وأكد لي ذلك الغفير الذي أتى من هناك منذ دقائق جالبا معه ما أوصى به مفرح من أقفاص الخضر والفاكهة التي سنهديها لأخوتي قبل عودتهم للعاصمة"

هتفت بسمة بغيظ " ومادام السيد مفرح أفندي في المزرعة ..لمَ لا يرد على هاتفه؟؟!"

ردت مليكة بهدوء "ربما يضعه صامتا (واكملت بلهجة ممتعضة) أو أضاعه كالعادة (ثم سألت باندهاش) ماذا بك ؟.. ماذا تريدين من مفرح؟"

ردت بسمة بغيظ وهي تحك جبينها وتفكر في حل " المعدات الخاصة بالمشروع وصلت .. وبالطبع كنت قد أعطيتهم عنوان بيت الجد صالح ولم أكن أعلم بأنه سيكون مشغولا.. والسيد مفرح لا يرد عليّ حتى يستلمهم مادام في المزرعة"

قالت مليكة مقترحة " هل اطلب من أحد الغفر الذهاب لمفرح؟"
اسرعت بسمة بالقول وهي تسحب وشاحها من فوق السرير " ليس هناك وقت اذهبي الآن"

سألتها مليكة قبل أن تغلق "لم تخبريني ما الذي كان يريده منك الدكتور مهاب؟ "

غمغمت بسمة بسرعة قبل أن تغلق الخط "كان يريد ما كنا نتوقعه سأخبرك التفاصيل لاحقا"

تجاهلت صراخ مليكة المغتاظ والتي تريد تفصيلا لما اخبرتها به للتو .. وتجاهلت محاولاتها إعادة الاتصال بها وهي تخرج من غرفتها ومن الشقة كلها وتسرع نحو الشقة المقابلة .. شقة أخوها وعروسه ..لكن يدها تجمدت بتردد قبل أن تطرق الباب .. ففكرت لثوان ثم تراجعت شاعرة بالحرج ونزلت السلم بسرعة.

في بهو البيت سألت أمها بتردد" هل صعد وليد إلى شقته؟"
اومأت أمها بالإيجاب .. فأسرعت بسمة تلقي بوشاحها فوق رأسها وتلفه بإهمال .. لتصيح والدتها باندهاش "إلى أين يا بسمة؟!"

ردت الأخيرة وهي تندفع نحو باب البيت "سأعود بعد قليل يا أمي لن اتأخر"

انطلقت تسرع الخطى تخبر نفسها بأنه لا وقت للاتصال بفتى التوكتوك الذي تتعامل معه دوما .. فخرجت من شارعهم نحو شارع أوسع وأشارت لأحد التكاتك مقررة انتهاز فرصة عدم وجود الضيفين بالبيت لتدخل المعدات بالمخزن فالأمر لن يستغرق سوى بضع دقائق .

××××

في مزرعة العمدة انهى مفرح محاضرة طويلة للتوأمين عن نظام الصوب الزراعية في مزرعته وأنواع الزراعات المختلفة ومميزاتها وحرص القائمين عليها أن تكون صحية .. وقد استشعر التوأمين فخره واعتزازه بما يقول..

وكيف لا يكون وهو فلاح ابن فلاح .. ارتبط هو واجداده بطين هذه الأرض التي ارتوت بعرقهم على مر السنين..

يعرف قيمة كل ذرة تراب فيها ..
حتى لو ارتدى احدث الماركات العالمية وركب أغلى السيارات وزار بلاد العالم كلها.. وحصل على أعلى الشهادات .. سيظل يحمل هوية (فلاح) بكل فخر .. وسيظل الطين عنده كشرفه وعرضه .. وستحمل بشرته وبشرة أولاده سُمرة شمس النهار في الحقول.. حتى لو تربوا بين رفاهية العصر وثراء عائلته ..
مر سؤالا عابرا في رأس مفرح في وقفته مع التوأمين .. هل يرتبط أولاده بهذه الارض مثله..؟
أيدركان أهميتها أم انه التهى بما يشغله ونسي أن يعلمهما ماذا يعني الطين ..
الطرح النابت من باطن الأرض ..
الخير والرزق والنعمة التي يقدرها صاحبها ..
هل علمتهم يا مفرح أن زراعتها وحصادها نوع من العبادة ؟!.

انتهى شامل من التهام حبة المانجو الطازجة التي اقتطفها بنفسه من على الشجرة ثم تحرك يغسل يديه من أحد الخراطيم الموصلة بصنبور أرضي .. قبل أن يعود لصاحبه وتوأمه ويقول بمشاكسة وهو يجفف يديه بمنديل ورقي " كل هذا جميل .. لكني حتى الآن لم انبهر يا مفرح.. بصراحة كنت متوقعا مستوى أخر من الابهار (ونظر لأخيه يسأله بلؤم) هل انبهرت يا كامل ؟"

بابتسامة لئيمة هز كامل رأسه ومط شفتيه نافيا.. فرفع مفرح حاجبا مستنكرا ومسد على لحيته المنمقة عدة مرات ثم قال بثقة وابتسامة صفراء متهكمة تزين شفتيه "حبيبي.. قرة عيني ..فلذة كبدي أنت وهو .. أنا لست هنا لأعرض عليكم منتجات مزارعنا ..ولا احتاج لذلك .. فأنا بفضل الله وكرمه أصدر منتجاتنا لدول أوروبا.. أنا فقط أتحدث لمصلحتكما لا أكثر يا ولد"

أسبل شامل جفنيه لعدة ثوان وقال مستمرا في مناكفته" لا بالطبع سنشتري منك حتى نساعدك في زيادة دخلك .. (وعاد ليرفع له أنظاره ويقول) ولكن السؤال المهم كم قيمة الخصم الذي سنحصل عليه .. لن نوافق بأقل من ... "
صمت ونظر لأخيه المستمتع بما يفعله توأمه وبالابتسامة الساخرة التي تزين شفتي مفرح ليكمل له كامل عبارته " أقل من ثمانون بالمائة خصما لن نقبل"

تطلع مفرح فيهما بابتسامة هادئة ثم نادى "يا عم عطية .. جهز أقفاص الهدايا للضيوف حتى لا يتأخرا في العودة لبيتهما"

رفع كامل حاجبيه يقول باستهجان ولهجة تمثيلية " أتطردنا يا ابن الأصول !!"

رد مفرح بمراوغة والابتسامة الباردة تزين شفتيه " أنا !.. حاشا لله .. نحن أولاد بلد نكرم ضيوفنا ..وإن لم تحملكما الأرض نحملكما فوق رؤوسنا.. "

نفض كامل الهزر الصبياني الذي يدور بينهم وقال بجدية "لن نختلف يا عم مفرح نحن قد طلبنا التعاقد معك من قبل مجيئنا ولم نكن ننوي أصلا الحضور لولا زفاف اختك .. (ونظر لتوأمه الذي فهم على الفور علام ينوي القول فتجهم وجهه بغير رضا ليضيف كامل) الحقيقة أنا لدي لك خبرين أردنا أن نفاجئك بهما"

عقد مفرح حاجبيه ومرر نظراته المستفهمة بينهما مغمغما" خير إن شاء الله"

داري شامل ملامح عدم الرضا عن مفرح بينما أكمل كامل بابتسامة ماكرة" لقد وقّعنا عقدا مع مزرعة الوديدي للمواشي صباح اليوم لتوريد اللحوم ومنتجات الالبان أيضا للمطعم"

رفع مفرح حاجبيه متفاجئا .. فأوضح كامل "لقد أخذنا الحاج سليمان الوديدي في جولة في مزرعته صباح اليوم "
تدخل شامل يقول معترفا " الحقيقة ما رأيناه كان جيدا جدا .. فقلنا لمَ لا نتعاقد على اللحوم والخضر من مكان واحد"
غمغم مفرح من بين أسنانه في سره " خالي!"

"يا باشمهندس مفرح .. يا باشمهندس مفرح"

استدار الأخير بحاجبين معقودين إلى مصدر الصوت منزعجا ..فوجد أحد الغفر يهرول نحوه فلاح الاهتمام على وجهه.. قبل أن يقف الغفير أمامه يلهث .

سأله مفرح بتوبيخ "ما هذه الجلبة؟"

قال الغفير من بين لهاثه " حضرة العمدة يريدك على وجه السرعة ..لقد حاول الاتصال بك بدون رد"

تحسس مفرح جيوبه واخرج هاتفه بملامح عابسة ونظر فيه متذكرا بأنه قد وضعه صامتا في طريقه إلى التوأمين فوجد عشرات المكالمات الفائتة ..

فرفع الهاتف يتصل بوالده وهو يسأل الغفير بقلق "هل حدث شيء جديد؟"

قال الغفير بسرعة" هناك طفل تائه يبحثون عنه منذ ساعة"

عبس مفرح وسأله " كم عمره ؟"

رد الغفير " تقريبا خمس أو ست سنوات سعادتك "

قال مفرح " اخبر عويس أن يخرج الغفر لمساعدة أهل البلدة في البحث عنه إذن (ثم قال في الهاتف) نعم أبي"

قال العمدة بغيظ "ماذا تفعل عندك والبلدة مقلوبة تبحث عن الصبي"

تكلم مفرح باندهاش "أين سيذهب يا أبي سنجده إن شاء الله.. سأطلب من شيخ الغفر حالا أن ..."

قاطعه والده يقول بانفعال" شيخ الغفر خرج بالفعل هو ورجاله للبحث عنه .. لكني أريد لأهل البلد أن يروا اهتمامك بشئونهم الصغيرة لأنني أكيد بأن مصطفى الزيني سيهب للمساعدة كعادته في مثل هذه المواقف حتى يظهر أمام الجميع بأنه الأحق بمنصب العمدة القادم .. هذا اللؤم أنا اعلمه جيدا ..خاصة وأن الناس الآن مستنفرون بسبب ما حدث مع زهير ومنهم المتعاطفون معه .. فما بالك أن يتوه ولده "

عقد مفرح حاجبيه وسأل متفاجئا "الطفل التائه ابن زهير؟!! "
رد العمدة" أجل ابنه .. المسكين أخبر جدته انه سيذهب للبحث عن والده وتحريره من أيدي الشرطة .. ثم اكتشفت اختفائه بعد قليل .. هو ودراجته الصغيرة"

حك مفرح جبينه وغمغم "لا حول ولا قوة إلا بالله .. سأتابع أنا الامر يا أبي لا تشغل بالك.. وسأجند البلدة كلها للعثور على الولد فطفل في الخامسة على دراجة صغيرة لا اتوقع أن يكون قد خرج من القرية"

قال والده بإصرار " لا أريد متابعتك فأهل البلدة قادرون على ايجاده بإذن الله ..فأنت تعرف أن الناس لا تتأخر في مثل هذه المواقف .. ما أريده هو

أن تظهر أمام الجميع وتبدي اهتمامك بالأمر .. لا أريد لمصطفى أن يسرق منك المشهد.."

رفع مفرح انظاره لصاحبيه المتابعين لتعبيراته باهتمام ثم غمغم بضيق واستسلام وهو يشير للغفير بالانصراف" حاضر يا أبي سآتي حالا" أغلق الخط وتحرك يقول لصاحبيه بوجوم واختناق وقد اختفى المرح السابق "عليّ الذهاب فورا .. هل ستبقيان أم ستغادران؟"

قال كامل وهو ينظر في ساعته" علينا بالتحرك خلال نصف ساعة لأن الوالد لديه موعد هام مع طبيبه في العاشرة مساء وعلى أحد منا أن يكون معه"

ربت مفرح على ذراع الأول ثم الثاني وهو يقول بضيق ممزوج ببعض الحرج " كنت أتمنى أن نبقى بعض الوقت سويا لكن كما ترون..."

سأله شامل بقلق "أتريد منا أن نخرج بالسيارة لنبحث عن الطفل معكم؟"

رد مفرح وهو يغادر "سلمتما .. لا تقلقا أهل البلد سدادون في مثل هذه المواقف كما أنكما لا تعرفان تفاصيل الطرق الداخلية للقرية .. (وتوقف عند البوابة والتفت إليهما قائلا بحرج) أنا اعتذر بشدة يا شباب كنت اخطط لجعلكما تنتظراني وأعود معكما للعاصمة .. لكن للأسف يبدو أني سأؤجل المغادرة .. (وأضاف بجدية تتنافي مع تصرفاته الصبيانية معهما عادة) آسف مرة أخرى مضطر أن اغادر فورا وسأخبركما حينما اذهب للعاصمة.. في أمان الله"

قالها وتحرك مسرعا فطالع صاحبيه مشيته العصبية وكتفيه المتشنجين شاعران بالحزن لوجومه وقد فهما بأن والده يضغط عليه كالعادة .. ثم قال شامل لأخيه بعبوس "لماذا لم تخبره بالخبر الأخر يا كامل؟"

متجاهلا بعناد عبوس توأمه رد كامل محركا كتفيه" أنت رأيت بنفسك جاءه الغفير واضطر للمغادرة مسرعا .. كنت أود أن أرى وجهه حين يعلم .. لكن يبدو أني سأضطر لإخباره على الهاتف .."
قالها وتحرك يهرب من نظرات أخيه النارية وهو يغمغم "سأذهب لأضع الحقائب في السيارة"
تحرك كامل يخرج من بوابة المزرعة بينما وقف شامل متخصرا يشعر بالقلق من القادم ..فكامل متهور ومندفع وعنيد .. والوضع هنا في القرية مثله مثل كل المجتمعات الصغيرة يختلف تماما عن طبيعة الحياة في المدن الكبيرة.

قاطع شروده أحد رجال المزرعة حين قال "حالا سنحضر الاقفاص هل تريدنا أن نضعها مباشرة في حقيبة سيارة سيادتك؟"

رفع شامل حاجبيه وسأله باندهاش وهو ينظر في هاتفه الذي بدأ يرن في يده" لا افهم عن أي أقفاص تتحدث؟!"

قال الرجل موضحا "الباشمهندس مفرح أمر بإعداد اقفاصا من منتجات المزرعة لسيادتكم"

ابتسم شامل بحرج ولم يعقب وإنما رفع الهاتف على أذنه يقول" نعم يا أمي"

××××

في الخارج نزلت بسمة من التوكتوك وتطلعت حولها فلم تجد أحدا في انتظارها فهمت بالاتصال بالمندوب قبل أن تلمح سيارة نصف نقل تدخل من أول الشارع خمنت بأنها سيارة الشركة.

أخرجت مفتاح بوابة بيت الجد صالح لكنها لاحظت أنها مفتوحة قليلا فدفعتها مغمغمة بامتعاض "يتركان البوابة مفتوحة!"

وقفت تستلم الطلبية من مندوب الشركة وتوقع على الأوراق ثم أشارت لمرافقيه وهي تسبقهم للمبنى ذي الطابق الواحد المجاور لدار الجد صالح والذي يستخدم كمخزن ورفعت لهما الباب ليضعوا فيه المعدات.

على أصوات جلبة في الخارج عقد كامل حاجبيه وأسرع الخطى ناحية باب البيت وهو يحمل حقيبتين صغيرتين.. وما أن خطى للخارج حتى وضع الحقيبتين في الأرض وتسمر مكانه.

إنها هي ..

رغم أنها توليه ظهرها لكنه لا يعرف كيف أخبره حدسه بأنها هي ..

راقبها وهي توجه رجالا يحملون أشياء ميز منها آلة تغليف وبراميل بلاستيكية ..وراقب نظراتهم المختلسة لها ما بين معجب ووقح شاعرا ببعض الضيق بسبب ذلك الوشاح الذي ينحسر عن رأسها كل دقيقة وتعيد ضبطه.

صوت اغلاق بيت الجد صالح خلفها أجفل بسمة فأدارت وجهها بسرعة لتتفاجأ به ينظر إليها وهو يغلق الباب بالمفتاح ..فعادت لتنظر أمامها مغمغمة "يا للحرج!.. ألم تقل مليكة بأنه في المزرعة مع مفرح؟!"

صوت خطواته الصامتة كانت تشعر بها وهو يقترب منها فأغمضت عينيها بغيظ لثانية تجز على

أسنانها ليأتيها صوته بعد ثوان يغمغم ساخرا "من الواضح أنكم هنا تحبون اقتحام الأماكن على الناس ومفاجأتهم"

تقبض كفاها بجوار جسدها ومنحته نصف استدارة تقول موضحة بذقن مرفوع" لا تؤاخذنا .. نضع بعض المعدات في المخزن ولا أعتقد أنا اقتحمنا عليكما المكان لا سمح الله ..فالدار شيء والمخزن شيء آخر .. والاثنان يضمهما بوابة واحدة"

على الرغم من تلك الخطوات التي تفصل بينهما وقد حرص على عدم اقترابه كثيرا .. إلا أنه خُيّل إليه باستشعاره لدفء جسدها من هذه المسافة..

وتعجب.. كيف لإنسان بهذه الجاذبية أن يُترَك هكذا يتجول في الطرقات بدون حراسة؟!! ..

بلع كامل ريقه الذي جف فجأة مستنكرا على نفسه تلك الأفكار المراهقة السخيفة .. واسرع بالإشاحة بنظراته بعيدا عن عينيها الزرقاوين اللتان حدقتا فيه ببرود قبل أن تدير رأسها بعيدا عنه تتابع العمال.. فغمغم بلهجة ساخرة شاعرا برغبة غريبة في مشاكستها "ومع هذا وجب إخطار ساكني المنزل على الأقل احتراما لهم"

استدارت إليه بحدة تقول باستنكار " أتقصد بأننا لا نحترم ضيوفنا يا حضرة !"

رفع كامل كفيه في الهواء يرد بلهجة ساخر استفزتها بشدة "أنا لم أقل هذا أبدا .. وهذا ثاني اتهام اتلقاه منك في أقل من أربع وعشرين ساعة .. أنا أكيد بأنكم أهل أصول (وانزل يديه يعيدهما في جيبيه ثم مال إلى الأمام برأسه قليلا يضيف مستمتعا

باستفزازها) لكن يبدو أن بعضكم لديه هواية إلقاء التهم على الناس جزافا"

لجمت شعورا بالغيظ سيطر عليها وهي تمنع نفسها من التمادي في الحديث معه فغمغمت وهي تتحرك خطوتين مبتعدة "ليس هناك دخانا بدون نار"

عقد كامل حاجبيه بدون فهم وتابعها من مكانه وهي تحاسب العمال الذين اسرعوا بالمغادرة فورا ..

فنظرت بسمة لباب المخزن المفتوح عاقدة حاجبيها وهي تقترب منه لا تعرف كيف ستغلقه وقد فتحوه حتى آخره ولن تطاله .. فهو من النوع المعلق من الأعلى ببكرة ويُسحب لأسفل

فاستدارت تخفي ارتباكها تحت وجه مصمت لتلحق بأحدهم أو تنادي أحد العمال من مزرعة العمدة القريبة منها ليساعدها في إغلاقه .. لكنها بمجرد أن خطت بضع خطوات لمحته يتحرك

باتجاه باب المخزن فتابعته بأنظارها عابسة وهو يرفع ذراعيه العضليين ويسحب بقامته الطويلة الباب بسهولة.. ثم انحنى ليغلق القفل قبل أن يعتدل واقفا ويستدير إليها يقول بنفس الطريقة التي تستفزها وهو ينفض كفيه " أرجوكِ.. لا داعي للشكر .. ولا داعي لإلقاء المزيد من الاتهامات أيضا"

ناظرته ببرود تشعر بأنه يسخر منها بتلك الابتسامة التي تنبعج عنها زاوية شفتيه كلما تحدث معها فغمغمت " أشكرك (واستدارت تكمل طريقها للبوابة وهي تقول من بين أسنانها) لماذا يشعر نفسه شخصا مُهماً !.."

بمجرد خروجها من البوابة تفاجأت بتوأمه شامل وهو يقف مع ونس بنت عيد القللي.

قبل قليل :

على بعد أمتار من بوابة بيت الجد صالح وقفت مطرقة الرأس ترسم بمقدمة حذائها على الأرض الترابية تحت قدميها.. يداها معقودتان خلف ظهرها ولسانها يتلوى من الحرج والخجل في جانبي فمها يمينا ويسارا .

خرج شامل شاردا في تصرفات توأمه ..فلمح وقفتها البعيدة عن البوابة في الطريق الخالي تقريبا من البنايات إلا من بيت الجد صالح ومزرعة العمدة وسط سجادة كبيرة باللون الأخضر.
ابتسامة لا ارادية ارتسمت على وجهه وقد نسي ما كان يفكر فيه ..ورغم حذره في التعامل مع الاناث في البلدة لتفهمه باختلاف التقاليد فيها عن حياة المدن.. إلا أن قدماه ساقتاه نحوها ..لكنه توقف على بعد خطوات يديه في جيبي بنطاله يتلفت

بأنظاره هنا وهناك وذلك التوتر اللذيذ عاد ليسري ببطء في اعصابه.

أحست ونس بخطواته نحوها قبل أن تلمحه يتوقف قريبا منها بصمت.. لقد استجمعت شجاعتها وجاءت بنفسها إليه لتعرف إن كان قد فهم بأنها الفاعلة أم لا..
لم تستطع الاختباء أو حتى الانتظار.. كانت كلص يحوم حول مسرح جريمته .. لكنها لم تكن خائفة.. أو بمعنى أدق لم تكن تخشى العقاب .. وإنما خشيت أن تكون صورتها أمام ذلك الوسيم سيئة.

مرت دقيقة من الصمت .. قبل أن يبادر شامل بالحديث قائلا بلطف "مساء الخير"

رفعت وجهها تناظره بزاوية عينيها بمقلتين بنيتين ووجنتين مخضبتين بالحُمرة .. فسألها شامل "لمَ تقفين بهذا الشكل؟"

عادت تطرق برأسها دون رد واستمرت في رسم دوائر على الأرض بمقدمة حذائها ولسانها يلعب في جدار خدها من الداخل.

بنظرة ذكورية خاطفة مرت مقلتي شامل عليها من رأسها حتى أخمص قدميها.. ثم اشاح بوجهه للناحية الأخرى وابتسامته تتسع وضربات قلبه تتسارع بسعادة غريبة.. ليعود بعد ثانية يقول بتلقائية متعمدا مناكفتها "هل جئت لتعتذري على فعلتك يا ترى ؟"

اغمضت ونس عينيها بقوة دون أن ترفع رأسها شاعرة بالحرج .. فاتسعت ابتسامته ثم طقطق

بلسانه باستهجان وأضاف مشاكسا "تؤ تؤ تؤ ..لم أتوقع أبدا أنكِ مؤذية بهذا الشكل !"
جملته استفزتها فكشرت عن أنيابها وأدارت وجهها نحوه بحركة حادة ترفع إليه مقلتين مقلوبتين مليئتين بالغل..

ارتفع حاجباه متفاجئا ولملم ابتسامته يحاول ألا يضحك من تعابيراتها التي انقلبت فجأة .. ثم ضيق عينيه وهو يراقبها تدس يدها في جيب سترتها الصفراء القصيرة فوق تلك البلوزة الطويلة حتى ركبتها علي بنطال جينز واخرجت أمام دهشته دفتراً صغيراً وقلماً.. ثم كتبت شيئا ما فيه بعصبية ورفعته أمام ناظريه ..
"أنت من أخطأت في حقي.. أنت من كنت على وشك الإطاحة بي في الترعة"
عدة ثوان وقف أمامها شامل غير مستوعبا وقد تجمدت الابتسامة على وجهه ..

عدة ثوان نظر في الدفتر دون أن يعي ماذا كتبت.
عدة ثوان احتاجها عقله لإدراك الأمر .. وهذا الإدراك تلاه شعور قوي غير مفهوم اجتاحه..
أهو الصدمة ؟..
أم الشفقة ؟..
أم الألم والحسرة؟..
فهو بالتأكيد ليس (حزنا) كما بدا له .
فكيف يكون وهو لم يرها سوى ثلاث مرات!.
أنزلت ونس الدفتر وعادت لتكتب بنفس العصبية وبخط كبير ثم رفعته في وجهه مجددا..
"أتحسبني سأمرر لك الأمر ؟!!.. إن كان عليّ الاعتذار فأنت أيضا عليك أن تعتذر"

بلع صدمته وأخرج يديه من جيبي بنطاله يقول بملامح جادة وارتباك يحاول التحكم فيه" أناااا اعتذر بشدة عما حدث .. فالأمر لم يكن مقصودا يا...!"

لانت ملامحها وتخلت عن انفعالها فهدأت نظراتها النارية واشتعلت وجنتاها.. ثم اولته ظهرها وضربات قلبها تتسارع تكتب شيئا في الدفتر ثم استدارت ترفعه في وجهه مجددا .

مال شامل بجذعه للأمام قليلا يحدق في الاسم الذي كتبته بخط عريض فلمعت عيناه وانفرجت ملامحه مغمغما "اسمك..."

"ونس! ..ماذا تفعلين هنا ؟"
قالتها بسمة بعصبية.. فأسرعت ونس بإخفاء الدفتر خلف ظهرها تتصنع البراءة.. وحركت كتفيها لبسمة بلا شيء ..

اقتربت بسمة منها وامسكت بمعصمها بعد أن حدجت شامل بنظرة باردة ثم تحركت بخطوات عصبية تسحبها خلفها وهي تغمغم "لا يصح أن

تقفي بهذا الشكل في الشارع ومع الأغراب .. لو علم العم عيد سيقتلك "

أخذت تهرول خلف بسمة لكنها ادارت وجهها بارتباك نحو شامل .. تتطلع فيه وهي تبتعد .. كان لا يزال واقفا ينظر نحوها .. طويلا وسيما .. تنعكس شمس الغروب على شعره الذي تطير خصلاته الناعمة على جانبي وجهه .. فسألته في سرها "وأنت أيها الأمير الوسيم ما اسمك؟"

استمر شامل علي وقفته حتى أدارت ونس عنه وجهها فأخذ يردد في سره" ونس .. ما أجمله اسم "!

أما كامل فظل واقفا في ساحة البيت يديه في جيبي بنطاله يحدق في الأرض يشعر وكأنه قد وقع في فخ كبير غير قادر على الفكاك منه.

××××

"الحاج بدير لديه كل الحق فيما فعل "
قالها أحد الرجال البسطاء معلنا عن رأيه في الجدال الحاد الذي يدور في البلدة منذ أن ألقت الشرطة القبض على زهير ..فأيده أخر قائلا "الرجل اقترض مبلغا كبيرا جدا .. ولا أتصور كيف ظل يقرضه رغم أنه لم يكن يلتزم بالسداد"

قال ثالث بشفقة" لكن لا تؤاخذني يا معلم بدير .. الشرطة ليست حلا لاسترداد أموالك"

سحب بدير نفسا من مبسم الشيشة في جلسته المختالة على مقعد خشبي أمام بيته واضعا ساقا فوق الأخرى ..وأسبل أهدابه يقول بهدوء "وهل لو كنت مكاني لكنت صبرت على هذا المبلغ الكبير

يا عبد العزيز؟ .. أنا اتحدث عن سنين طويلة صابرا عليه ..بل وأقرضه المزيد حينما يأتيني مترجياً" تكلم أحدهم "لم يكن عليك الاستمرار في اقراضه يا حاج بدير .. لا تؤاخذني .. بل كان عليك أن تكون أكثر حزما معه حتى لا يتمادى ويثقل دَيّنه "

وضع بدير يده على صدره وقال بلهجة تمثيلية متقنة "ماذا أفعل في قلبي الضعيف .. لا أحب أن أرد أحدا خائبا"

توقفت سيارة على بعد أمتار وترجل منها مصطفى الزيني بجلبابه الفاخر وسبحته وهيبته التي تفرض نفسها على المكان .. فاستقام الجالسون ليستقبلوه باحترام .

اقترب مصطفى يلقي السلام ..فمط بدير شفتيه بامتعاض وقد خمن سبب مجيئه قبل أن يستقيم

واقفا ويرحب به قائلا بدبلوماسية" يا مرحب بأبي حمزة ما هذا النور"

بنظرة غاضبة متوارية خلف وجه رزين حدجه مصطفى وهو يقول" أريد التحدث معك يا أبا علاء" حرك الأخير رأسه يقول بهدوء ظاهري "أه طبعا تفضل (وأشار له على مقعد مجاور ثم صفق بيديه يقول) لا تؤخذونا يا جماعة لدينا أمرا نريد أن نناقشه"

تحرك الرجال ليقفوا على الناصية الأخرى من الشارع مستمرون في الجدال فيما بينهم بينما بلع بدير ريقه وجلس يضع ساقا فوق الأخرى .. ويصفق بيده قائلا بعنجهية "الشاي هنا يا علاء و... (ومال برأسه ينظر لمصطفى يسأل سؤالا يعرف إجابته) أتريدهم أن يجهزوا لك شيشة..؟"

حدجه مصطفى بنظرة حادة دون رد فغمغم بدير مستهبلا" آه نسيت بأنك لا تُقبل على مثل هذه الأشياء .. "

قال مصطفى بلهجة صارمة " ماذا فعلت بالرجل المسكين ؟.. ومنذ متى ونحن ندخل الشرطة في مشاكلنا؟"

ناظره بدير بعينيه الخضراوين لثوان ..ثم رد ببرود بعد أن سحب نفسا من الشيشة واطلقه في الهواء "أكنت تريد مني أن أصبر أكثر على كل هذا المبلغ الكبير ؟"

قال مصطفى معقبا "وما الذي أوصل المبلغ إلى هذا الحد المخيف؟.. أليس التعامل بالفائدة يا بدير؟"

طالعه بدير بنظرات حادة فأضاف مصطفى "أتظنني لا أعلم .. بل .. أتظن أن معظم أهل البلدة

لا يعلمون ؟!.. انهم فقط يهربون من المواجهة .. يعلمون كل شيء ويصمتون متصنعين الجهل "
أسبل بدير أهدابه ورد ببرود "وماذا فيها؟..كلها تجارة وربح "
اكفهر وجه مصطفى وقال غاضبا " أنت تعرف بأنها ليست تجارة يا بدير .. ولست هنا لأحدثك في هذا الأمر فكل امرئ بما كسب رهين.. لكن ألا توجد لديك أية شفقة على هذا المسكين الذي ستتدمر عائلته بسببك!"

هتف بدير باستنكار "بسببي أنا!! .. أكان مطلوبا مني بعد أن صبرت عليه كل هذه السنين أن أتركه؟!"
ضرب مصطفى على المنضدة بحزم فأجفل بدير وانتفض قبل أن يعدل من فتحة جلبابه حول رقبته ويعتدل في جلسته متنحنحا وهو ينظر حوله ليرى إن كان هناك من يتابعهما ..بينما قال مصطفى

بهمس من بين أسنانه ولهجة حازمة "اسمع يا بدير .. هذا المسكين ستتنازل عن شكواك ضده ..وبعدها سأجلس معك أنا وبعض كبار رجال العائلات وسندفع لك جزءاً منه والباقي نجدوله ونضمن لك السداد"

سأله بدير بشك يرفع حاجبه "ستدفعون المبلغ كاملا ؟!!"

بلهجة حازمة أجاب مصطفى ضاغطا على كل كلمة ينطقها" سنضمن لك استرداد أصل المبلغ أما الباقي فأنت تعرف بما يسمى"

اشتعلت حرب النظرات بينهما لعدة ثوان قبل أن يسبل بدير جفنيه ليجهز ردا .. فاستقام مصطفى واقفا ..

رفع إليه الأخر انظارا ناقمة .. فرآه من جلسته مهيبا كعادته وسبحته التي تتدلى من بين أصابعه ذات

حبات العقيق تلمع بشكل استفزه .. يحدجه بنظرات حازمة وينتظر رده .. فمر سريعا شريط حياتهما في القرية أمام عينيه .. فهما من نفس الجيل ويتشاركان نفس الزمان والمكان .. تربوا على نفس الطين .. لكنه كان دوما مصطفى ابن العمدة السابق فاضل الزيني .. أما هو .. بدير ابن المزارع البسيط .. الصعلوك ابن الصعلوك وسط الأكابر .. قبل أن يغتني والده .

أخيرا رد بدير ببرود" وإن رفضت أن اتنازل عن البلاغ ؟"

اشتعلت ملامح مصطفى بالغضب ورد بلهجة ماكرة" إذا ما دمت ترى أن إدخال الشرطة بيننا أمرا مقبولا .. فربما أنا الآخر أجد ما أقوله للشرطة"

ضيق بدير عينيه وكشر عن أنيابه وقد انتابه القلق لكنه لم يبدِ أي تأثر على وجهه .

علت همهمات بين الرجال الواقفين على بعد فالتفتا إليها قبل أن يقترب أحدهم نحوهما وهو يصيح " ابن زهير عبد النبي تائه والكل خرج للبحث عنه"

××××

بعد ساعة

نظر علي صوالحه لأخته قلقا من توترها بمجرد أن علمت بخبر الطفل التائه .. وتمنى لو أن يصل للسرايا بسرعة لتلتهي بتجمع أولاد الصوالحة قبل أن يغادر أكرم وعمار للعودة للعاصمة في المساء .. فنفذ ما طلبه مفرح بأن يتخذ أحد الطرق الرئيسية في القرية مبتعدا عن الطرق الداخلية حتى لا تتابع استنفار أهل البلد للبحث عن الطفل التائه .

سألته مليكة عاقدة الحاجبين " لماذا لم تسير في الشوارع الداخلية ؟"

غمغم مدعيا اللامبالاة " أتفادى الطرق الغير معبدة حفاظا على السيارة (ومال برأسه نحوها يضيف بمشاكسة) هل مللت مني بهذه السرعة يا ست مليكة فلا ترغبين في إطالة الطريق لبضع دقائق إضافية قبل الوصول للسرايا "

لم ترد ولكن عيناها كانتا تركزان على نقطة ما أمامها تقترب منهما شيئا فشيئا .. فركز عليّ على الطريق أمامه ليرى تجمع بعض الناس بجوار الترعة .. فأبطأ من سرعة السيارة وقد ازداد قلقه وهو يحاول تخمين ما يحدث .. ليخرج أمامهما فجأة من أحد الشوارع الجانبية عددا من النسوة يصرخن ويولولن .. فاتسعت عيني مليكة بتوتر تحاول فهم ما يحدث قبل أن تميز وسطهن شابة تهرول حافية القدمين مكشوفة الرأس تصرخ وتولول .. أوقف علي السيارة وسأل من النافذة أحد المارين "ماذا يحدث؟ "

فأجابه الرجل " ابن زهير انتشلوه من الترعة"

قبل دقائق:

في رحلة البحث الحثيثة والقلقة من أهل البلدة المستنفرين عن ذلك الطفل الذي اختفى لمح أحدهم شيئا في الترعة تحت شمس الغروب قبل أن يتبين بأنه دراجة طفل صغيرة فنادى على البقية الذين استنفروا على الفور للبحث عن الطفل بعد أن تجمع عدد كبير من الأهالي فورا.

خلال وقت قصير كانوا قد حددوا مكانه ليقفز في الترعة فورا عدد من الرجال وينتشلوا الطفل الذي كان ساكنا بين أيديهم بوجه شاحب لا يعرفون إن كان حيا أم ميتا .. ثم وصل بعدها مفرح ومصطفى وبعض الرجال قبل أن يصرخ الأخير في أحد أولاده لينادي أخيه حمزة .

خلال دقائق كان حمزة جاثيا بجوار الطفل الصغير يحاول إسعافه .. حتى وقفت سيارة أكرم الصوالحة وترجل منها الأخير مسرعا فصاح مفرح هادرا في المتجمعين "افسحوا الطريق الدكتور أكرم وصل"

اخترق أكرم الجموع فتنفس حمزة الصعداء أن أتى من هو أكثر منه خبرة للتصرف في الموقف وتحمل المسئولية عنه .. فجلس منهكا لاهثا بجوار الطفل الممدد على الأرض .. بينما جثى الأول بجواره وبدأ بفصحه بحرص وهو يسأل حمزة بعض الأسئلة الطبية عن الحالة قبل أن يكمل ما كان يقوم به الأخر قبل مجيئه وهو التنفس الصناعي وتدليك عضلة القلب..

سقطت زوجة زهير التي يمنعونها من الاقتراب على الأرض وملأت الدنيا صراخا وعويلا يقبض القلوب

ويبكي العيون .. ففتحت مليكة باب السيارة وترجلت منها ببطء .. ليسألها علي بقلق "إلى أين يا مليكة؟! .. لا داعي للنزول هيا سأعود بالسيارة للخلف وأعيدك للبيت"

لم ترد ..وربما لم تسمعه..
صوت الصراخ كان هو الوحيد المسموع في أذنيها ..
صوت عويل أُم توشك على فقد قطعة منها..

كانت قدميّ مليكة ثقيلتين تتحركان بصعوبة وهي تتطلع في المرأة المنهارة بعينين متسعتين وكفين يمسكان ببعضهما بقوة وكأنها تمنع شيء ما أن يتمزق.

ترجل عليّ من السيارة بقلق ينادي عليها باسم (مِفْرح) فانتبه الأخير لما يحدث وشحب وجهه حينما وجدها تقف من بعيد تحدق في المرأة التي

تولول في الأرض بعينين متألمتين تطبق كفيها ببعضهما بقوة..

سكت كل شيء حول مفرح ..
العالم من حوله صمت فجأة ..وكأنه قد أصيب بالصمم .. وبدون حتى أن يعي كان يتحرك نحوها ويخترق المتجمعين ليصل إليها.

هذا ما كان يخشاه حين طلب من عليّ ألا يمر على ما قد يوترها .. يعرف أعصابها الهشة التي لا تحتمل الأذى لأي كائن حي ..لكنه لم يكن أبدا متوقعا أن يكون مصير الطفل مروعا بهذا الشكل وأن يحدث ذلك أمام مليكة .
صراخ وعويل المرأة أمامها يمزق قلبها .. يفتته ..
لكنها تحاول ألا تنفجر معه إلى أشلاء .. تضغط كفيها ببعضهما بقوة..

تسحق عظام أصابعها بشدة .

الصراخ والعويل .. مرعب .. مقبض .. مؤذي بشدة..

تخبر نفسها بأنها قوية وبأن البشر مبتلون وعليهم التحمل ..
لكن أعصابها لم تتحمل ..
فسقطت ..
سقطت مليكة مغشيا عليها بين ذراعي أخيها الذي أدركها بسرعة ..

بينما سعل الطفل أخيرا بين يدي أكرم صوالحة مخرجا المياه من رئتيه ..
فتعالت صيحات الفرح من الواقفين .. وصيحات الجزع من مفرح وعليّ صوالحة .

××××

سيطر الصمت والشرود على سيارة التوأمين منذ أن غادرا القرية .. كل من هما غارقا في أفكاره الخاصة .. وفي حالة نادرة كحالتهما من التلاصق والمشاركة في كل شيء .. فهو أمر نادر الحدوث .. لكنه هذه المرة يخص المشاعر .. شيء كبصمة الهوية .. مهما تشابها وتداخلا وتشاركا حتى أيام المرض .. تظل أمور القلب والمشاعر والانجذاب لأنثى معينة أمرا مستحيلا .. أو بمعنى أدق أمرا مستحيل قبول المشاركة فيه .

قد يحسدهما البعض على هذا التطابق فمن الممتع أن يكون لك شبيها في كل شيء .. شريكا من نفس النوع في كل شيء .. لكن الأمر أحيانا يكون مزعجا ومربكا ..وأحيانا أخرى مؤلما .. خاصة مع ذلك الخوف الدفين من الوقوع في حب امرأة واحدة ..

و شامل وكامل لم يبرآ من هذا الخوف خلال حياتهما السابقة .. خاصة حينما انجذبا لأول مرة في سنوات المراهقة لنفس الفتاة ودق قلباهما الأخضران في نفس اللحظة .. صحيح تواجها .. وأدركا حجم المشكلة التي وقعا فيها .. وقررا أن يتركا الأمر برمته ويتجاهلا الفتاة.. لكن ذلك الخوف الدفين من الوقوع جديا في حب امرأة واحدة هو من أعظم مخاوفهما وربما كان ذلك سببا من أسباب رفضهما للتورط عاطفياً مع أي أنثى ..

لكن الحالة المسيطرة عليهما الآن تختلف .. فشامل كان غارقا في التفكير في تلك الفتاة التي يراها ويستشعرها مختلفة .. يرى فيها شيئا مميزا .. لا تبدو نمطية ..لا تشبه فتيات الريف ولا تشبه أيضا فتيات المدن ..وما يشغله أيضا تلك الحالة المختلطة بين السعادة والألم بعد تلك اللحظات التي جمعت بينهما قبل ساعتين.

أما كامل فكان بين شقي رحى .. يشعر بالندم الشديد لأن قد أطاع فضوله وأتى ليراها ..

كان قد وارى طيفها خلف جدران التجاهل والنسيان منذ مدة .. حتى حين كانت تزوره بين فترة وأخرى في منامه كان يتعمد تجاهل ذلك حين يستيقظ .. ويخبر نفسه دوما بأنه حديث نفس .. اضغاث أحلام ذكورية لمغامرة لم تكتمل لا أكثر .. حتى شامل لم يكن يخبره بأن تلك العينين الجميلتين الحزينتين كانتا تزورانه أحيانا في منامه ليس فقط لأن شامل كان حازما معه بشأنها ..وإنما لاستنكاره هو نفسه من نفسه أن يظل متعلقا بها كل هذا الوقت وهو كامل نخلة بكل عنجهيته واعتداده بنفسه .

من أمام عجلة القيادة أفاق شامل من أفكاره وانتبه لصخب الأفكار في رأس توأمه الجالس بجواره ..

لكنه ظل صامتا .. إنه لا يزال يشعر بالغيظ منه ويرفض ما قام به بتسرع .. فآثر الصمت لعدم رغبته في الشجار .. فشجارهما في بعض الأحيان يكون عنيفا .. وضغط على مشغل الموسيقى ليبدد هذا الصمت الكئيب بينهما واختار قائمة أغاني عبد الحليم الذي يعشقانه ..فانبعث الصوت الجميل يملأ السيارة بالنغمات و...
بالذكريات.

كان يوم حبك أجمل صدفة
لما قابلتك مرة صدفة
يالي جمالك أجمل صدفة
كان يوم حبك صدفة

سحب كامل نفسا عميقا وأخرج ذراعه يسنده على النافذة وضم قبضته بقوة شاعرا بلمسة برودة على

جلده أرسلت رعدة في أعصابه أو ربما فسر سببها بذلك ..
حدق في الظلام الذي يلون جانبي الطريق .. كتلك الحيرة التي تعصف به منذ أن رآها مجددا .. منذ أن اقترب منها هذه المرة وحدثها ورأى عينيها وحُسنها عن قرب ..فأخذ يزفر بقلق شاعرا بأنه قد أوقع نفسه في فخ ذهب إليه بقدميه ..

أم إنه واقع فيه بالفعل من أول لحظة رآها فيها؟!

قبل ثلاث سنوات ونصف

ركن سيارته وترجل منها ينعطف يمينا إلى ذلك الشارع الذي يقع فيه محل الحلاقة الذي بات يتعامل معه مؤخرا .. في الوقت الذي كانت بسمة في شرفة غرفة نومها في شقتها في العاصمة تقول في الهاتف بحرقة وهي تضع كوبا من النيسكافيه على السور "لكن يا مليكة هذا القرار ليس هينا ..

فبعيدا عن رفض أبي للفكرة ماذا سيقول أهل البلدة إذا عدت مطلقة.. (وصمتت قليلا ثم قالت بانفعال) أعلم .. قلت لك الأمر بيننا انتهى .. صحيح أنه يتعامل معي بمثالية مغيظة لكن ما كُسِر بيننا ليس له جبرا يا مليكة ولو بعد مائة عام .. (حكت جبينها صامتة بتوتر تستمع للطرف الأخر ثم بدلت من وضع الهاتف على أذنها بحركة عصبية تقول بانفعال) لا أعرف يا مليكة .. لا أعرف ماذا أريد أنا ..."

بدون أن تدري ضربت الكوب بكوعها فسقط من فوق السور فشهقت ومدت رأسها تنظر من الشرفة بسرعة لترى مصيره خوفا من أن يسقط فوق رأس أحد المارة.. لكنها تفاجأت بأن الكوب سقط فوق مقدمة سيارة ترابط تحت الشرفة وبسبب إحدى الأشجار تحت شرفتها لم تعرف مصير الكوب بعد ذلك .

في نفس اللحظة أسفل البناية سمع كامل صوت الارتطام وهو يسير بخيلائه على الرصيف المواجه لشرفة بسمة فاجفل ونظر للسيارة التي سقط فوقها كوبا به سائل أغرقها ..وحمد ربه أنه قد ركن سيارته خارج الشارع وسار هذه الامتار على قدميه ..

تطلع في ملابسه ليجد أن بضع قطرات قليلة من السائل قد طالت ذراعه .. فرفع انظاره بغيظ نحو البناية يشتم في سره ذلك المسطول الذي أوقع الكوب ليجد فتاة في الدور الأول تحدق برعب في المشهد .. ثم أسرعت بالاختفاء بالداخل فجز على أسنانه بغيظ.

اقترب من محل الحلاقة المواجه لبوابة البناية وهو يتابع بطرف عينه رد فعل بوابها على ما حدث ..في الوقت الذي خرج صاحب المحل يستقبل

كامل مرحبا ما أن لمحه ثم توقف أمام الباب يشاهد ما يحدث .

خرجت بسمة من بوابة البناية مسرعة تقول للبواب بذعر وهي تضع يدها على قلبها "هل أصيب أحد يا عم برعي؟"
قال البواب بهدوء "لا شيء يا ست بسمة جاءت سليمة في الأرواح والحمد لله "

هم كامل بدخول المحل حينما سمع غمغمة الشاب المراهق الذي يعمل في محل الحلاقة في وقفته على باب المحل "اللهم صل على النبي .. اليوم يوم سعدي اقسم بالله أن تنزل إلينا جميلة الجميلات وتقف في الشارع"

بوقفة جانبيه يديه في جيبي بنطاله بجوار الحلاق الواقف على الباب أخذ كامل يتابع المشهد .. فنظر

بامتعاض نحو تلك الفتاة صاحبة الكوب المسكوب وهي تغمض عينيها في راحة وتميل للأمام قليلا تدفن رأسها بين كفيها بارتياح لما قاله البواب.. ليقول الأخير بحرج "لكن السيارة يا ست بسمة "

اعتدلت بسمة وتحركت تلملم طرفي عباءة مفتوحة من عند الركبة حتى الأرض ارتدتها على عجل فوق ملابس البيت واقتربت تعاين حجم التلف بالسيارة بينما أسرع البواب بفحص واجهتها الزجاجية التي أصيبت بنقرة بسيطة ..

أما كامل فبعد أن قرر تجاهل الأمر ودخول المحل تسمر في مكانه رغم ذلك الوجه المتعالي اللا مبالي الذي كان يقف به .. وأخذ يتطلع فيها مشدوها دون أن يظهر على وجهه أي ملامح اهتمام ..

عيناها زرقاوان كحجرين من الفيروز ..كسماء صافية في يوم مشمس رائق .. وشعرها أسود حالك ترفعه بدبوس لأعلى وبعض الخصلات تتدلى على رقبتها بإهمال..

راقب قسمات وجهها القمحي المائل للبياض الذي يبدو رغم المسافة بهي الحسن .. ثم راقب حركتها وهي توليه ظهرها لتفحص السيارة بنظراتها ثم تسأل البواب "سيارة من هذه؟"
رد البواب سيارة "مادام روزيت في البناية المجاورة "

حركت بسمة كتفيها وعادت تقف أمام بوابة البناية تقول بهدوء" اعتذر لها بالنيابة عني وأخبرها أن أية مصاريف أنا مستعدة لها (ووضعت يدها على قلبها تتنهد قائلة) الحمد لله أنها لم تقع على أحد الأطفال ..والله شعرت بأني أوشك على الموت في طريقي من الشقة حتى هنا "

فجأة اقتربت امرأة عجوز تضع الكثير من مساحيق الزينة على وجهها وتصبغ شعرها بالأصفر الفاتح وصاحت مصعوقة وهي ترى السيارة المغرقة بالنيسكافيه " ما هذا ..يا الهي .. سيارتي .. سيارتي الحبيبة"

شعرت بسمة بالحرج فقالت للمرأة بلهجة معتذرة " أنا آسفة جدا يا مدام اعتذر بشدة"
نظرت المرأة لبسمة بنظرة متعالية من رأسها حتى أخمص قدميها ثم صرخت في وجهها قائلة "وماذا سأفعل أنا باعتذارك يا أنت!"

تجاهلت بسمة لهجتها الحادة وقالت بهدوء "يا مدام أنا على استعداد لدفع ثمن التصليح والضربة بسيطة لا تقلقي مجرد نقرة في الزجاج"

قالت المرأة صارخة "بالطبع ستدفعي ثمن التلفيات أكنت تحسبين نفسك ستفلتين بفعلتك؟ "

رفع كامل حاجبه يشعر بالغيظ وقد بدأت العجوز المتصابية تستفزه وفي الوقت نفسه أخذ يراقب كل حركات وسكنات تلك الفاتنة أمامه بينما ضربت بسمة كفيها ببعضهما وغمغمت" لا حول ولا قوة إلا بالله.. هل أنت مصرة على الشجار؟!.. اعتذرت لك وقلت سأتحمل قيمة التلفيات "

تحرك الحلاق يترك مكانه ويقترب من الواقفين وقال وقد بدأ عدد المتابعين في التزايد " صلوا على النبي يا جماعة .. الأخت أخبرتك يا روزيت هانم بأنها على استعداد لدفع كل شيء"

لمحت عيني كامل أن غالبية من وقفوا كانوا يحدقون في تلك الفاتنة أكثر من متابعتهم للحدث

.. واعترف بينه وبين نفسه وهو يعود ليتطلع فيها بطرف عينه أنها تستحق كل هذا التحديق .

خرج من البناية المجاورة شاب في أواخر العشرين من عمره واقترب بملامح متسائلة .. فأسرعت العجوز تقول بدلال " تعال يا (بيبي) انظر ماذا حدث لسيارتنا"

صاح الشاب في غضب وهو ينظر في الواقفين "اخبريني من ابن**** الذي فعل ذلك "

تقبضت يدي كامل بجوار جسده بتحفز دون أن يدري لكنه ظل يتابع ما يحدث بهدوئ ظاهري ليري كيف سينتهي الأمر.. بينما انقلب وجه بسمة بانزعاج.

ردت روزيت بميوعة لا تتماشى مع سنها "هذه البنت يا (بيبي) بنزقها وعدم مسئوليتها أوقعت الكوب فوق سيارتنا"

تسمرت عيني الشاب أمام بسمة وبلع ريقه بانبهار واضح بينما كشرت الأخيرة عن أنيابها وقالت وهي تشيح بيدها في وجه العجوز"احترمي نفسك يا حاجة .. لقد اعتذرت لك واخبرتك بأني على استعداد لدفع كافة مصاريف التلفيات .. كلمة اضافية لن أسمح "
رفع كامل حاجبه متعجبا من انقلاب هذه الفاتنة التي بدت وديعة ولطيفة منذ دقائق لهذا الوجه العصبي الشرس .. بينما شهقت روزيت وقالت باستنكار " حاجة !! .. ما هذه الألقاب الوضيعة!!"

قالت بسمة بعصبية وهي تقترب منها فانكمشت المرأة للخلف وامسكت في ذراع الشاب برعب "

قلت لا تزيدي في الكلام أكثر من ذلك وإياك
والتطاول عليّ أنتِ أو ابنك "

امتقع وجه المرأة و تحرج الواقفون وصدرت منهم
ضحكات مكتومة في الوقت الذي لاح شبه ابتسامة
على زاوية فم كامل وغمغم في سره مستمتعا
"ليست وديعة وشرسة فقط بل ساذجة أيضا "

تدخل البواب متنحنحا واقترب من بسمة يقول
مصححا " روزيت هانم وزوجها السيد شهاب
بالتأكيد يقدرونك يا ست بسمة"

ظل شبه الابتسامة يتراقص على شفتي كامل وهو
يراقب اتساع عيناها الزرقاوان وكيف رمشت عدة
مرات بصدمة في محاولة للاستيعاب وهي تحرك
ناظريها بين الزوجين حتى تدخل شهاب قائلا

بلهجة هادئة وهو يأكلها بعينيه "حاشا لله أن نتطاول عليك يا .... بسمة .. هانم "
تدخل الحلاق يقول "بسيطة إن شاء الله الأخت أبدت استعدادها لدفع التلفيات وانتهى الأمر (ونظر حوله يقول) هيا يا جماعة ليس هناك داع لهذا التجمع"

تدخل شهاب قائلا بنظرات مغازلة" ومن قال بأننا سنقبل العوض .. فداكِ يا هانم "

عبست روزيت بينما رفعت بسمة ذقنها وقالت بكبرياء" أنا مصرة على الدفع من فضلك "
قال شهاب بلهجة ذات مغزى" إذن ما دمتِ تصرين اخبرينا بطريقة التواصل لإخبارك بتكلفة التصليح"
عوج كامل شفتيه في الوقت الذي ناظرته بسمة ببرود ثم تكتفت وردت وهي تستدير لتدخل

البناية" اخبر عم برعي البواب بالتكلفة وسيصلك المبلغ "

عاد الحلاق يقول للمتجمعين "هيا يا جماعة كل يذهب في حال سبيله انتهي الأمر "

واسرع يهرول نحو كامل يقول باعتذار "آسف جدا يا باشا "
تحرك كامل يدخل .. فاسرع الحلاق يسبقه ويسحب له الكرسي أمام المرآه وهو يقول مُرحبا" أنرتنا والله (ونظر في المرآه أمامه يسأله) شعر أم ذقن؟"
رد كامل " قص شعري ولا تقصر كثيرا"

في الشارع لكزت روزيت زوجها تقول بغيظ "فيمن تحدق ؟"

خرج شهاب من شروده في بسمة التي اغلق المصعد ابوابه على صورتها وغمغم" لا شيء (ثم توجه للبواب يسأله) في أي طابق تسكن؟"

سألته روزيت بانزعاج" لماذا تريد أن تعرف؟!!"

أسرع بالقول " حتى نطمئن بأننا سنأخذ مستحقاتنا يا روحي "
جزت العجوز على أسنانها وهي تطالع نظرات الاعجاب على وجه زوجها الشاب بينما رد البواب بلهجة ذات مغزى وقد فطن لما يحدث "الست بسمة تسكن في الدور الأول ..مع زوجها سيد صبرة الملحن المشهور"

امتقع وجه شهاب وأشار للبواب يشكل بيديه هيئة شخص ضخم قائلا" سيد صبرة!.. ذلك الطويل صاحب السيارة ماركة (....) السوداء"

بنظرة لئيمة متشفية أومأ البواب برأسه ..فلف شهاب ذراعه حول جسد زوجته العجوز وقال بإحباط "هيا يا روحي لنلحق بموعدنا "

تحركا نحو السيارة التي مسحتها زوجة البواب فركب شهاب .. بينما اسرعت روزيت إلى البواب حتى تغلق أي باب قد يتحجج به زوجها للتواصل مع بسمة فقالت "أخبر هذه الفتاة بأننا لا نريد منها شيء .. ولا نقبل العوض وأن الأمر منتهي"
واسرعت تلحق بزوجها وهي تعدل من شعرها المصبوغ بينما لاحت ابتسامة على وجه البواب وضرب كفا بكف مغمغما بعد تحرك السيارة "عالم يخاف ولا يختشي"

في محل الحلاقة قال الحلاق لكامل " لا تؤاخذنا أخذنا من وقت الباشا "

لم يرد كامل ولكن هز له رأسه متفهما .. في الوقت الذي دخل الفتى المراهق الذي يعمل في المحل يضع يده على صدره ويقول بهيام "اليوم يوم سعدي.. أرأيت عينيها .. يا الهي كأنك أمام سماء صافية"

حدجه الحلاق بنظرة موبخة ..لكن الفتى استمر يقول بابتسامة ثملة على وجهه "اتركني يا عم عاطف اتركني .. إنها المرة الأولى التي أتأملها كل هذه الدقائق .. يا الهي ما هذه المخلوقة !"
قال الحلاق بلهجة موبخة من بين أسنانه "اذهب واحضر المناشف .. هيا تحرك قليل الحياء ! "
هرش الفتى في رأسه وتحرك مبتعدا في حرج بينما ابتسم الحلاق وقال لكامل الذي يتابع ما يحدث في المرآة بنظرات جامدة " أرأيت شقاوة الشباب الصغير .. الولد لم يتجاوز السادسة عشر ويعيش في دور العاشق"

تحركت مقلتي كامل بحركة لا إرادية نحو باب المحل بينما أضاف الحلاق بلهجة ذات مغزى "والحقيقة هي تستحق ... ما شاء الله فاتنة"

سحب كامل نظراته يستنكر في نفسه رغبة غريبة لرؤيتها مرة أخرى ..في الوقت الذي مال عليه الحلاق يكمل ثرثرته "انظر يا أستاذ.. هذه المنطقة بل هذه المدينة كلها كما تعلم تضم مستويات عالية اجتماعياً ومادياً ..وتضم جنسيات مختلفة أيضا حالها كحال المدن الجديدة التي تستقطب نوعاً خاصاً من السكان الباحثين عن مكان بمستوى خدمي واجتماعي معين وفي الوقت نفسه ملاصق للعاصمة .. لكني على مدى حياتي الطويلة أقول بمنتهى الصدق لن تجد أجمل من بنات الريف وبالذات من قرية (***).. (وأضاف بفخر) إياك أن تعتقد بأن الريف هو ما يظهر في المسلسلات والأفلام .. لا أبدا .. فهم حاليا مثل

أي مجتمع .. به الفقراء ومتوسطي الدخل والأثرياء .. وفيه الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة وأغلبهم من كبار السن وفيهم المهندسين والأطباء أساتذة الجامعات .. وبلا فخر إن عائلات كبيرة جدا ترجع أصولها للريف تعيش بالعاصمة وعلى مستوى عالي جدا من الثراء ما شاء الله .. مثلا هذه المدينة بها عائلات معروفة بالاسم من أصول ريفية وهذه البناية مثلا (وأشار على البناية التي تسكن فيها بسمة) فيها عائلات من أصول ريفية على مستوى عالي جدا اجتماعياً ومادياً ولا يزالون على تواصل مع أصولهم في الأعياد والمناسبات (وأكمل بفخر) أنا مثلا من أصول ريفية (وتنحنح بحرج يضيف) لكني لست من قرية (***) لهذا عيناي ليست ملونة"

قالها وضحك ..فابتسم كامل وهو ينصت بهدوء رغم أنه لا يكره في حياته أكثر من ثرثرة الحلاقين .. لكن هذ المرة كان بداخله فضولا ليستمع أكثر.

مال عاطف على كامل يسأله بفضول "هل الباشا متزوج؟"
رفع كامل إليه عينيه يناظره في المرآة وهز رأسه بلا .. فقال الحلاق "إن أردت أن تتزوج من أهل البلد هنا وتستقر فأنصحك بفتيات محافظة (*****) وخاصة قرية (***) ما شاء الله جمال رباني من صنع الخالق لم يعرف الشفط ولا النفخ ولا المساحيق ولا العدسات .. صدقني إن ذهبت هناك أو قابلت احداهن هنا ستذهل (وأشار ناحية باب المحل) وهذه هي العينة كما رأيت"

ابتسم كامل ابتسامة مجاملة وتمنى أن يسأل عما إذا كانت تلك الفتاة آنسة أم متزوجة لكنه شعر

بسخافته وأنكر على نفسه أن يكون مهتما بهذا الشكل بفتاة..

بعد قليل انهى الحلاق مهمته فشكره كامل وغادر المحل .. لتتحرك عيناه لا إراديا إلى تلك البناية وبالذات إلى الطابق الأول ولمحها هناك تمسح ببعض العصبية آثار النيسكافيه على ما يبدو من فوق السور بقماشة .. ورغم المسافة إلا أن عيناها كانتا واضحتان .. لتزيد هيئتها أمام عينيه إبهارا .. انزلاق ذلك الدبوس الذي ترفع به شعرها مع حركتها العصبية.. فانسدل شعرها الأسود كالليل البهيم يتحرك مع حركتها وهي تمسح السور .. ليسرع كامل بإنزال نظراته في غيظ من نفسه لهذا الانجذاب الغريب عليه وتحرك نحو سيارته وهو لا يعرف لمَ التصق اسمها واسم القرية في رأسه !!.

صدفة قابلتك ولا على بالي ..

شفت ساعتها جمال الدنيا

صدفة لقيتني إتغير حالي ..

واتبدلت لوحدي فى ثانية

عاد كامل من شروده على صوت باب السيارة يغلق فانتبه لأنهما يقفان في إحدى محطات الاستراحة وشامل قد غادر متجها نحو أحد الاستراحات .. لكن كامل لم يكن في مزاج لترك السيارة .. ولا لترك ذكرياته التي سحبته بعيدا مجددا وهو يتذكر كيف وجد نفسه في الاسبوع الذي تلى ذلك اليوم يعود للحلاق بحجة تشذيب لحيته .. وعيناه تتعلقان بشرفتها .. لكنها لم تكن هناك

..وكيف تحمل في صمت ثرثرة الحلاق طوال الجلسة عن هذه وتلك وهو يشعر بإحباط غريب..

لكنه منع نفسه من إلحاحها لسؤاله عمن تكون هذه الفاتنة وابنة من .. تدرس أم تعمل ..
كان ذهنه منصبا على كونها تعيش مع عائلتها ذات الاصول الريفية في هذه البناية كما فهم بالخطأ من ثرثرة الحلاق في الجلسة السابقة عندما أخبره بوجود أكثر من عائلة في المبنى من أصول ريفية..

حين انتهى وخرج من المحل لمحها في الشرفة .. كانت تستند بمرفقها على السور وذقنها على يدها كتمثال من الشمع ..
تمثال شارد مستغرق في التفكير ..

لا يعرف لحظتها سببا لذلك التوتر الذي اعتراه .. ولا لتلك الرغبة في أن يراها عن قرب .. لكنه أسرع بإنزال نظراته حين لمح البواب يخرج من البناية وتحرك سريعا إلى سيارته وهو يشتم نفسه في سره

مغمغما "ماذا حدث لك يا كامل!! .. ألم ترى فتاة جميلة من قبل"

وتذكر كيف سحب شامل معه بعد ذلك بأيام مصرا عليه لأن يقص شعره عند ذلك الحلاق بالذات لكن شامل الذي كان يعلم السبب أخذ يشاكسه بالرفض والمعاندة حتى اضطر لسحبه رغما عنه .. لكنها يومها لم تظهر في الشرفة ولم يستطع شامل أن يرى شكلها ..

وهكذا تكررت زياراته بحجة أو بدون بعد أن كان يتعمد ترك لحيته الخفيفة بدون تشذيب ليجد حجة كل بضعة أيام لزيارة ذلك الحلاق رغم أنه يقوم بحلاقة أو تشذيب لحيته بنفسه دوما .. وخلال هذه المرات المتكررة كان كبريائه وتعاليه يمنعانه من أن يسأل الحلاق عنها .. فكان يغادر من

عنده مقررا بأنها المرة الاخيرة ولكنه يعود مرة أخرى .

وفي كل مرة كان يتمنى لو تتاح له الفرصة لأن يتحدث معها أو يراها عن قرب .. وتعجب كيف أنها لم تلمحه ولو مرة واحدة من جلستها الطويلة الشاردة في الشرفة .. وقتله الفضول ليعرف فيم تفكر .. ولم هذا الحزن البادي عليها .. حتى جاء ذلك اليوم الذي لمحها أسفل البناية.

قبل ثلاث سنوات ونصف تقريبا

بلهفة جديدة غلبته يعد نفسه بأنها الأخيرة اغلق باب سيارته وتحرك لينعطف إلى ذلك الشارع الذي يقع فيه ذلك الحلاق الثرثار اللعين الذي أصبح الذهاب إليه إدمانا .. وهذه المرة كان ينوي أن يسأله عنها لربما انتهى فضوله الغريب نحوها.

بمجرد دخوله للشارع تفاجأ بها تخرج من البناية ..
فتجمد مكانه يتطلع فيها وهي تقترب .

كالعادة كانت شاردة .. ترتدي هذه المرة بنطالا من الجينز الأزرق وبلوزة رمادية طويلة من التريكو .. وشعرها كذيل حصان خلف رأسها.. تحركت بمحاذاة البناية بينما وقف هو يتطلع فيها من الناحية المقابلة للشارع حتى خرجت منه..
فتحرك خلفها يديه في جيبي بنطاله شاعر بالحرج من نفسه أن يقوم بهذه التصرفات وهو في الثلاثين من عمره .. لكنه منجذب بشكل غير مسبوق حتى لو أنكر ذلك أمام نفسه أو أمام شامل الذي لو علم بأن الأمر قد وصل معه لأن يسير خلفها في الشارع كالمراهقين لسخر منه وصنع منه مادة للتفكه والتهكم ..
ليفاجئه شامل بالاتصال لحظتها..

حدق كامل في الهاتف بعينين متسعتين ثم رد ..
فبادره توأمه بالقول "ماذا يحدث معك؟"
سأله كامل مستهبلا "ماذا تعني؟"

قال شامل موضحا " أعني بأني شعرت فجأة بحاجتي للاتصال بك"
ابتسم كامل وعيناه لا تزالان مسلطتان عليها تراقبان خطواتها الهادئة وكأنها شاردة وليست في طريقها لانجاز شيء ما ..ورد على توأمه "أنا.. (وتنحنح يكمل بحرج) أنا رأيتها في الشارع و... أمشي الآن خلفها"

هتف شامل باستهجان " نعم .. ماذا تفعل يا فلذة كبدي ؟!!"
ازداد حرج كامل بينما أكمل شامل بوعيد "أتعرف يا كامل.. أنا فضولي ازداد بشدة لرؤية هذه الفتاة .. ليس فقط من أجل جمالها الذي تصفه ولكن لأرى

من هذه التي أنزلت كامل نخلة من برجه العاجي
ليهتم بها ويذهب كل يوم وآخر من أجل رؤيتها ..
ويتحول به الوضع لأن يمشي خلفها كالمراهقين ..
أخبرني أين أنت"
كانت ابتسامة كامل تتسع وشعور بمغامرة صبيانية
لم يحدث له من قبل يسيطر عليه فرد على أخيه"
أنا في شارع(...) بالقرب من ذلك الحلاق ..
وسأوافيك تباعا بالموقف لأني لا أعرف إلى أين
ستذهب تلك الفاتنة .. ولكني لا أعتقدها ستذهب
بعيدا كونها تسير على قدميها"

غمغم شامل بامتعاض" وأنا آت لأرى فاتنتك يا عم
كامل "

بعد دقائق دخلت بسمة المركز التجاري الكبير
الذي يقع على بعد عدة شوارع من شقتها..

كانت في حاجة ماسة للخروج وحدها .. حتى أنها تهربت من رحمة التي أرادت أن تذهب معها.. إن ذهنها فارغ .. ولا يوجد شيء محدد تريد أن تشتريه لكنها شعرت برغبة في الخروج وحدها وهو أمر لم تعتد عليه .. فتحركاتها إما مع زوجها أو أخوها عادة .

دخلت المركز التجاري .. وتوجهت مباشرة لأحد محلات السوبر ماركت الكبيرة .. واستمر كامل خلفها على بعد خطوات يراقبها عن قرب وهي تلمس الأشياء على الأرفف بشرود واضح .. فتساءل في نفسه.. عن سبب شرودها.. ولمَ تقضي أوقاتا كبيرة وحدها في الشرفة .. وفيم تفكر .. استشعرها مهمومة وكأنها تتخذ قرارا في موضوع مصيري.. وتساءل أيضا عن سبب ذلك الحزن الذي يغطي ملامحها..

حاول أن يدقق في أصابعها .. لكنها كانت ترتدي أكثر من خاتم في الاصبع الواحد فلم يستطع معرفة إن كانت مرتبطة أم لا..

عند ركن أنواع البن ومنتجات القهوة السريعة توقفت بسمة بحيرة أمام ماركات كثيرة وأنواع أكثر ولم تدري أيهما تختار .. إنها تحب البن وتعشق القهوة ومنذ مدة أدمنت النيسكافيه لكن الأنواع سريعة التحضير محيرة.

اقترب كامل ليقف بالقرب منها .. لكن ذهنه لم يسعفه بأي شيء مناسب وهو يشعر بسخافته أن يختلق معها أي فرصة للحديث ..فضحك على نفسه ساخرا من تلك الحالة التي تعتريه.. فلم يسع أبدا طيلة حياته على التعرف على فتاة معينة .. إن لم تتدخل الصدفة في تعارفهما فهو لم يكن أبدا من

النوع المبادر .. لكن الأمر مع هذه الفاتنة يسير بخطى غريبة عنه تماما .

مدت بسمة يدها لتسحب إحدى العلب من أحد الرفوف ولم تدري ماذا حدث بعدها.. فقد إنهار جزءاً من العلب الكرتونية المصطفة فوق بعضها ووقع عددا منها على الأرض ..فارتبكت شاعرة بالحرج الشديد .. بينما أسرع كامل إليها وانحنيا في نفس الوقت للملمة العلب من الأرض ..
كان وجهها يشع حرارة وارتباك وهي ترى يدي شخص ما يساعدها في لملمة العلب .. ولم تعرف بأن عيناه كانتا مسلطتان على رأسها المنكس يتطلع في لمعة شعرها الأسود.

غمغمت بارتباك دون أن ترفع رأسها " لا أعرف ماذا حدث!"

رد بحشرجة متمنيا أن ترفع وجهها لينظر في عينيها "لا بأس تحدث أحيانا"

رفعت وجهها إليه أخيرا ..
رفعت عينيها الفيروزيتين لثوان قالت فيها "أشكرك جدا"
ثوان..
لم يعرف كامل ساعتها معنى ذلك الشعور الذي اعتراه لكن ما أدركه .. أنها آية من الجمال .. وأن عيناها من أجمل العيون التي رآها في حياته.. وأنه يشعر بأن قلبه يدق!.
ثوان ..
استقامت بعدها واقفة .. فاستقام هو الآخر معتدلا .. لتستدير ناحية الرف وتحاول وضع العلب .. في الوقت الذي تدخل أحد العمال يقول بلباقة" لا بأس يا فندم سأعيدهم أنا"

ناولت بسمة العلب للعامل بحرج وتحركت مغادرة .. بينما وقف كامل يتابع ابتعادها بإحباط أنه لم يستطع انتهاز الفرصة لتبادل بضع كلمات معها على الأقل .. فأعطى للعامل العلب التي يمسك بها بغيظ وأسرع باللحاق بها عند ماكينة الكاشير تدفع حساب بعض المشتريات الخفيفة ثم خرجت..
اكملت بسمة طريقها في المركز التجاري بدون هدى تمسك بالكيس الصغير في يدها.

لقد وصلت لقرار الانفصال بعد أن كانت تخشى من اتخاذه خوفا من العودة لقريتها مطلقة .. اتخذته لأن كرامتها تئن .. وجبل الجليد بينها وبينه يزداد .. رغم أنه يعاملها بمثالية مغيظة واشترى بيتا في بلدتها وعرض عليها السفر معه ..
حاولت هي من جهتها تجميد الوضع معه وابقائه على ما هو عليه لكنها لا تستطيع الاستمرار في حياة كهذه لتتجنب ما تخشى أن تتعرض له بعد عودتها

مطلقة .. فما كُسر لا يمكن إعادة اصلاحه ولو بعد مائة عام .. وما دام قدرها أن تعيش ميتة في كل الأحوال فلتمت بكرامة.

لمحت مقهى صغير يحمل اسما عالميا شهيرا في أحد أركان المركز التجاري وجذبتها صورة فنجان ضخم على بابه فاشتهت القهوة وقررت أن تدخله.

إنها المرة الأولى التي تدخل فيها مقهى وحدها .. دوما كانت تذهب إلى تلك الأماكن مع زوجها .. لكنها قررت أن تستقل بنفسها وأن تتغير .. أن تتوقف عن السلبية وعن الاعتماد عليه أو على أخيها في التحرك خارج البيت ...

أن تكون شخصا أخر غير الذي هي عليه ..

أن تتخلى عن عباءة والدتها التي تتوسلها حاليا ألا تتخذ أي قرار بالانفصال وبأن الأيام كفيلة برأب الصدوع ومداواة الجراح وبأنه مادام زوجها يعاملها بما يرضي الله فلا بأس حتى لو تزوج ثانية فهذا حق يكفله له الشرع.

دخلت المقهى .. فشعر كامل بالسعادة أن اختارت هذا المقهى بالذات .. فمديره من بلده ويعرفه جيدا ..

دلف إلى المكان خلفها ووجدها تقف أمام طاولة الطلبات تمسك بأحد قوائم المشروبات والحيرة تتراقص في مقلتيها .. فتحرك يدخل إحدى الغرف الخاصة بالعاملين .. ليقابله صاحبه وابن بلده مهللا وهو يتحدث في الهاتف .. فحيّاه كامل بصمت ووقف على باب الغرفة مشغولا بمراقبتها.

وقفت بسمة ترفع رأسها للشاشة المضيئة في حيرة وارتباك..
نيسكافيه – لاتيه – اسبرسو – امريكانو-موكا – كابتشينو ..
إلى جانب أنواع أخرى لا تفهم منها شيئا بالإضافة للأنواع التقليدية التي تعرفها من قبل.

رائحة البن المعبأ بها المكان تستفز أعصابها وتجذبها بشكل كبير .. لكنها لا تعرف أيهم الأفضل بالنسبة لها .. ثلاث أو أربع أنواع هي ما جربتها من قبل .. أحبتهم لكن تشعر بأنه هناك نوعا آخر أفضل بكثير سيشبع عشقها للقهوة .

تحرك النادل أمام الطاولة المستطيلة مجبرا نفسه على عدم التحديق في تلك الفاتنة التي ترفع مقلتيها الفيروزيتين إليه في صمت ثم تعود للتطلع في القائمة الملونة فقال بأدب "تفضلي يا فندم"

دارت بسمة ارتباكها تحت وجه بارد الملامح ورفعت ذقنها بثقة مزيفة ثم طلبت ما تعرفه مسبقا .. وما أكثر ما اختارته في حياتها تحت هذا الشعور بحتمية الاختيار مما تعرفه خوفا وجهلا بما لا تعرفه .. وهي تعترف بأنها تجهل الكثير فقالت " نيسكافيه بلاك من فضلك"

ابتسم النادل وسألها "هنا أم take away ؟"

لم تكن تنوي أن تجلس لكنها نظرت للطاولات الخالية تماما في هذا الوقت المبكر قبيل الظهيرة وقررت الجلوس فردت "هنا"

راقبها كامل وهي تتطلع في المكان حولها بتدقيق .. وبخبرته بالزبائن شعر بأنها متوترة.. وعاد للتطلع في اصابعها لربما تأكد من حالتها الاجتماعية .. فلم يستطع من هذه المسافة رؤية أي خاتم زواج ولم

يعرف بأنها لم تعد ترتديه منذ مدة .. لكنه لاحظ أن كفها تقبض على يد حقيبتها بقوة وهي تتجه لأحد الطاولات وتجلس.. فعبس وجهه لصعوبة رؤيتها من موقعه .. واضطر للخروج إلى ساحة المقهى والمرور من أمامها لكنها كانت شاردة من جديد.

عند اقترابه من طاولتها تعمد الارتطام بأحد المقاعد حول الطاولة التي تجلس عليها فرفعت إليه عينين شاردتين وهو يغمغم باعتذار .. لتومئ برأسها بهدوء وتعود للتطلع في فنجانها.

تحرك وجلس على إحدى الطاولات أمامها فأصبحت خلفه إلى اليمين قليلا وأخذ يقدح زناد فكره ليبحث عن طريقة لفتح حديث معها.. وهو ينظر للهاتف ويشتم من بين أسنانه شامل الذي تأخر .. ثم فتح كاميرا الهاتف الأمامية وحرك يده

بزاوية ليبدو وكأنه يتصفحه لكنه كان يسلطه عليها واسرع بالتقاط عدة صور متتالية لها .

خلال دقائق معدودة كانت قد انتهت من قهوتها ووضعت مبلغا كإكرامية بجوار الفنجان ثم استقامت مغادرة .. في الوقت الذي رن هاتف كامل فأسرع بالرد من بين أسنانه" أين أنت يا (***)ألم أرسل لك بأن تلحق بي في المركز التجاري" رد شامل" أنا هنا .. في أي طابق أنت؟"

بعد قليل كانت بسمة تعبر من إحدى بوابات السوق التجاري وكامل خلفها يتحدث في الهاتف مع شامل الذي يقف أمام نفس البوابة كما اتفق مع أخيه .. وبمجرد أن لمحها آتية من بعيد أسرع بالتدقيق فيها بعد أن أشار له كامل عليها بحركة خفية.

لاح الاعجاب على وجه شامل وراقبها حتى ابتعدت ..ثم أسرع نحو كامل الذي بادره بالقول "أرأيت كم هي جميلة يا شامو؟"
قال شامل بإعجاب " أفلت من حفلة التهكم التي كنت سأقيمها على شرفك يا كيمو .. إنها فاتنة بالفعل"
سأله كامل "أرأيت عينيها الزرقاوين؟"

أجاب شامل يرفع كتفيه" لم استطع التدقيق لكنها بالفعل جميلة الملامح"

فتح كامل هاتفه وتطلع في الصور التي أخذها وقال لأخيه "أنظر هذا ما استطعت أن أحصل عليه"
ناظره شامل بصدمة لعدة ثوان ثم قال باستنكار وعدم تصديق "صوّرتها يا كامل!!"

هرش الأخير في رأسه بحرج وغمغم مبررا "ظننت بأنك لن تلحق بي في الوقت المناسب فأردت أن أريها لك (وناوله الهاتف يقول) انظر لعينيها .. على الطبيعة أحلى مئات المرات صدقني يا شامو الصورة هنا تظلمها كثيرا"

كان واضحا لأخيه بأنه يكذب وهذا ما أدهش شامل الذي أسرع بالنظر في صورتها يقول "هي بالفعل جميلة جدا .. لكننا رأينا أجمل منها من قبل يا كيمو"

رد كامل مدافعا" بالطبع بالطبع .. آآآآ ..مممم .. أردت أن أريك جمالها لا أكثر "
عقد شامل حاجبيه يتطلع في أخيه بحيرة وخاصة حينما فشل في اختراق عقله ليعرف فيم يفكر .. فعاد ينظر لصورتها من جديد مدققا هذه المرة لاكتشاف سر هذا الانجذاب الغريب الذي يجعل

أخاه يتصرف بهذا السلوك الصبياني لأول مرة ..
فتفاجأ بكامل يخطف منه الهاتف قائلا بعبوس
"كف عن التحديق فيها بهذا الشكل .. ستأكلها
بعينيك (وغمغم بلهجة ذات مغزى وابتسامة تزين
زاوية شفتيه) ألم ترى فتاة جميلة من قبل "
فرفع شامل حاجبه وتطلع فيه باندهاش.

دخول شامل السيارة مجددا أعاد كامل من شروده
ليجده يضع له كوبا من النيسكافيه البلاك ويمسك
بالأخرى مشروب اللاتيه الذي يخصه ثم حرك
السيارة يقودها في صمت يكمل طريقه إلى البيت .

××××

أصوات المحيطين تختلط بأصوات صراخ ونحيب
امرأة .. ميزت منهم صوت أكرم أكبر إخوانها .. يليه
مفرح الذي ينادي عليها ..
لكنها لم تستطيع أن تعي ماذا يقولان .. فصراخ تلك
المرأة ونحيبها كان عاليا في أذنيها.

خاطرة ما قفزت إلى رأسها هي ما جعلتها تحاول الاستيقاظ متمتمة بصوت ضعيف "أولادي .. أين أولادي ؟"
اقترب مفرح من السرير الذي ترقد عليه في غرفة حماه عبد الغني صوالحة وقال بلهفة "مليكة ردي عليّ هل أنت بخير؟"

حاولت فتح عينيها بصعوبة وصوت الصراخ في أذنيها يبتعد بينما مال عليها أكرم يقول بحنو "أأنت بخير يا ست البنات؟"

نجحت في فتح عينيها أخيرا وقالت " أين أولادي؟"
اجابها مفرح مطمئنا " إنهم بخير يا مليكة أدهم وإياد بخير"
بدأت تعي ما حولها فقالت بضعف وهي تحاول النهوض "أين هما يا مفرح .. ماذا لو تاها منا ولم نجدهم أو حدث لهما أي مكروه؟!"

نظر مفرح لأكرم ثم قال " صدقيني هما بخير .. اتصلت بالبيت وتأكدت بنفسي بأنهما هناك ولا تقلقي سأشدد على الجميع ألا يخرجا منه حتى نعود"

اقترب عَليّ يجلس على السرير بجوارها ويساعدها على الاعتدال.. ثم أخذ رأسها في صدره يقول بدفء "أرعبتنا عليك يا مليكة"
سألته بضعف يخنقها البكاء" هل مات الولد؟"
رد عمار الواقف عند باب الغرفة مع زوجات أخوتها "الطفل بخير والحمد لله يا مليكة بفضل الله استطاع أكرم انقاذه"

أدارت مليكة وجهها ترفع نظراتها لأخيها أكرم تقول بترجي" لا تكذبوا عليّ"

رد أكرم بلهجة رزينة" الولد بخير لا تقلقي قمنا بإسعافه وهو الآن في المستشفى أتوقع بأن ساقه قد تضررت كثيرا وسأقوم بالمرور عليه بعد الاطمئنان عليك إن شاء الله"

اسندت مليكة جبهتها على صدر عليّ براحة بينما وقف مفرح شاعرا بالضيق ..فهو مكبل ويسيطر عليه الحرج في إظهار لهفته عليها وسط أخوانها ووالدها الذي يجلس في أحد أركان الغرفة مبتئسا..

دوما هو مكبل في علاقته مع مليكة .. الأضواء مسلطة عليهما في مجتمع صغير له خصوصيته ومساحة الخصوصية لهما ضيقة..

جاء صوت الحاج عبد الغني يقول بتأثر "الحمد لله أنكِ بخير .. الحمد لله "

تنبهت مليكة لوجود والدها ولأنها في غرفته في الدور الأرضي فقالت" أنا في غرفة أبي؟!"
قال أكرم متنهدا "ماذا نفعل للحاج الذي أصر ألا نضعك إلا في غرفته"

نظرت مليكة لعيني والدها الذي يجلس يتوكأ على عصاه في أحد الأركان ولاحظت أن عينيه دامعتان .. فتحاملت على نفسها وقالت وهي تحاول مغادرة السرير" أنا بخير يا أبي .. يبدو أن ضغطي قد انخفض أليس كذلك يا أكرم؟"
رد أكرم مطمئنا" قلت هذا للحاج ..مجرد نوبة ضغط منخفض.. "
تحرك مفرح يمسك بيدها ليساعدها على الوقوف فتعانقت عيناهما وتمنى لو يسحبها إلى حضنه ويضمها بقوة ..لكنه اكتفى بالضغط على كفها برفق متحرجا من الواقفين .. وساعدها لأن تتحرك نحو الرجل العجوز الجالس في ركن الغرفة .

حاولت مليكة بكل قوتها نفض الحالة التي تسيطر عليها ودفن أي شعور مؤلم تشعر به وقالت بابتسامة واسعة وهي تميل على والدها "ما بك يا حاج عبد الغني .. أنا بخير انخفض ضغطي والمشهد كان مؤلما للجميع وأنت تعلم أن أعصابي لا تتحمل "

رفع إليها العجوز عينين دامعتين فامتلأ قلبها بالشفقة وانحنت تقبل رأسه وتقول بمناغشة "لكن هذا لا يمنع أن أجلس على حجرك اليوم وتدللني يا حجوجي"

قالتها وهي تتحرك لتجلس على حجره بينما دخلت ابتسام زوجه أكرم تقول لزوجها "أرى أن نؤجل السفر إلى صباح الغد فأنا لا أحب السفر في الليل كما تعرف"

أومأ أكرم برأسه موافقا ثم نظر لأخيه عمار الذي وافقه الرأي لتقول ابتسام بصوت عال للجميع "لقد طلبت من الخدم تجهيز العشاء"

غمغم مفرح معتذرا "أنا لن استطيع البقاء على العشاء للأسف لدى الكثير من الأمور التي تنتظرني"
ناظرته مليكة بقلق بينما قالت ابتسام معترضة "لماذا يا باشمهندس؟ "
أجاب مفرح وهو يستعد للمغادرة "سامحيني يا دكتورة ابتسام "
قال أكرم معترضا "على الأقل ابق حتى العشاء"
رد مفرح بحرج "عامر دائما يا دكتور أكرم (واستدار يقول لمليكة) ابق كما تشائين وابلغيني لآتي واقلك للبيت"
قال بشر" لا تشغل بالك أحدنا سيوصلها بالتأكيد"
هز مفرح رأسه موافقا ثم استدار نحو حماه يقول" أتريد مني شيئا يا حاج عبد الغني؟"

غمغم الأخير قائلا "أريد سلامتك بني ..وفقك الله"

تحركت مليكة تترك حجر والدها وخرجت إلى بهو سرايا صوالحة بما تحتويه من أثاث ذو طراز خاص ومميز لتلحق بمفرح الذي سلم على الموجودين وغادر الغرفة فنادت عليه ..
استدار إليها بلهفة لتقترب منه ببطء .. ويلتقط كفها ويضغط عليه وعيناه تتطلعان في وجهها بقلق.

سألته بخفوت" أنا بخير لا تقلق .. هل أنت بخير؟"
تطلع مفرح في أحفاد الصوالحة مختلفي الأعمار الذين يملؤون بهو السرايا خلفها لعبا وصخبا وعاوده التمني أن يكونا بمفردهما لكنه قال بصوته ذو البحة بعد أن مال عليها وطبع قبلة سريعة

خاطفة على رأسها " أنا بخير ما دمتِ بخير يا مليكة"

كان يبدو أمامها مرهقا فقالت" لا تجهد نفسك كثيرا اليوم وأجّل ما يمكن تأجيله"

أومأ برأسه فسألته بارتباك" كنت أتمنى أن أبيت معهم اليوم بدلا من يوم الثلاثاء مادام أخوتي وأولادهم متجمعين"
اسرع مفرح بالقول متفهما" لا بأس ابق هنا الليلة" غمغمت بقلق " لكني في الوقت نفسه أشعر بالقلق الشديد على الولدين اليوم بالذات .. هل من الممكن أن ترسلهما ليبقيا معي "

بدا مترددا لكن ذلك الترجي في عينيها جعله يهز رأسه موافقا .. ثم قال " سأغادر أنا (ورفع كفه

يحضن خدها بحركة سريعة وأضاف) سأرسلهم مع أحد الغفراء وسأطمئن عليك أخر الليل"

ابتسمت له بحنان وراقبته وهو يغادر بكتفين متشنجين .. فشعرت بالذنب لكنها لم تكن قادرة الضغط على نفسها للعودة لدار العمدة هذه الليلة بالذات ..

قطع شرودها عَليّ الذي اقترب منها يقول "هاتفك يا مليكة يرن بإلحاح منذ أن فقدتِ الوعي" بابتسامة واهنة التقطته تنظر فيه وهي تعرف هوية المتصل .. وقد كان تخمينها صحيحا حين وجدت عشرات الاتصالات الفائتة من بسمة وأم هاشم قبل أن يرن الهاتف من جديد وترد " نعم بسمة .. اطمئني أنا بخير "

××××

قطع كامل شروده ليقول لشامل " علينا ألا ننسى إصلاح إطار السيارة الإضافي فلا نعرف أي مختل ..أو مختلة قد يبلينا بهم الله لتخريب السيارة كتلك التي رسمت عليها بالطباشير .. (واستدار في مقعده نحو أخيه يقول) بالمناسبة أنا أكيد بأن تلك الفتاة التي رأيتها ذلك اليوم هي من قطعت الإطار وهي أيضا من رسمت بالطباشير أنت بنفسك حينما رأيت الرسوم قلت هذا رسم بلمسة أنثوية .. لكنك تنكر وتداري على الفتاة لا أعلم لماذا"

غمغم شامل بهدوء ساخرا "هل أدركت ذلك وحدك لكنك لم تدرك بأنها نفس البنت التي كدت أن توقعها في الترعة ذلك اليوم!"

رفع كامل حاجبا متعجرفا وزم شفتيه يقول بامتعاض" وهل تصدق بأني كنت سأفعلها؟!"

رد شامل ببرود وهو يركز على الطريق "لكنها تعتقد ذلك "

هتف كامل باستنكار" كان من الممكن أن تشتكيني بدلا من التخريب .. (وأضاف بإغاظة ليستفزه) ما رأيك بأني سأتصل بمفرح واشكو له ليأخذ لي حقي منها .. ها أنت اعترفت بنفسك بأنها نفس الفتاة التي رسمت على السيارة .. سأخبره ليبحث عنها"

أدار إليه شامل وجهه يقول بانفعال " أترك البنت وشأنها يا كامل وارحمها من سخافاتك"

ضيق كامل عينيه وسأله بغتة" أهي جميلة؟"

تجمد شامل لثانية وأحمر وجهه ثم أداره لينظر في الطريق قائلا" بدأنا في التخريف"

لاحت ابتسامة وقحة على شفتي كامل وقد استشعر ارتباكه فقال بلهجة متسلية "أخبرني يا شمشم عن شكلها .. يبدو أنها تعجبك .. ما لون عينيها ؟ خضراء أم زرقاء.."

نظر له شامل يقول بغيظ " لا شأن لك بها ولا تتحدث عنها قلت "

قال كامل بلهجة ناعمة قاصدا إغاظته" لماذا يا شامو؟.. قل لي إنها جميلة وأنا سأصمت وأتركها لك حلال عليك "

قال شامل بانفعال " البنت خرساء يا كامل"

عبس الأخير وسأله "أتقول الصدق .. خرساء بالفعل ؟!"

أومأ شامل برأسه وعاد ينظر للطريق واجما فغمغم كامل بشفقة " لا حول ولا قوة إلا بالله! .. هل تعرف لماذا .. أعني ما مشكلتها؟ ..أهي صماء أيضا؟"

عقد شامل حاجبيه وهز رأسه قائلا" لا أعرف" ثم عاد ينظر للطريق يتساءل ...ألديها ضعفا بالسمع وتستعمل سماعات أيضا؟!..

تلك الخاطرة ضاعفت بداخله ذلك الشعور المؤلم تجاهها ..

أما كامل فشعر بأن توأمه يهتم بتلك الفتاة أكثر من مجرد شفقته العادية على الضعفاء فصمت ولم يعقب.. بل عاد لشروده ...
عاد ليتذكر كيف كانت نهاية قصة اعجابه القصيرة ببسمة.

منذ ثلاث سنوات ونصف
بلعت بسمة ريقها وهي تقف على بوابة فيلا غنيم تشعر بالرعب من منظر الثلاثة المتحفزين أمامها أحمد سماحة وزوجها سيد يتعاركان مع شاب ضخم غاضب .. ولم تجلس في السيارة تنتظر سيد كما طلب منها منذ قليل بعد أن تلقى مكالمة من الحاج سماحة.
كان منظر الثلاثة مخيفا وبدى أن هناك معركة طاحنة قادمة..
لكن قطع ذهولها رجل عجوز يدخل الفيلا على عجل يتبعه شخص ضخم آخر نسخة طبق الأصل

من الشخص الذي يتعارك مع سيد وأحمد سماحة.. فاتسعت عيناها تتابع باهتمام.

هدر العم غنيم في الشباب بقوة رغم صوته الضعيف .. لكن لم ينتبه أحد منهم لأول وهلة .. فاندفع شامل بحمائية يقف أمام كامل ويقول " نهدأ من فضلكم يا شباب وكل شيء يحل.."

انتبه الجميع للعم غنيم الذي أمرهم مرة أخرى بعدم الاشتباك .. ثم توجه لأحمد وسيد يقول "ما الأمر ؟.. أجئتما لتتهجمان على ممتلكاتي؟ .. أستطيع أن أقدم بلاغا للشرطة حالا"
رد أحمد بغضب "افعل ما تريد .. لكن انتظر لتحدد صيغة التهمة هل ستكون اقتحام منزلا والتسبب في عاهة لأبنك أم قتله"
رفع غنيم عصاه التي يتوكأ عليها وأشار بها نحو أحمد يقول " اخرس يا ولد .. وأفهمني ماذا حدث"

رد أحمد بغضب " ابنك المحترم سمح لنفسه بالتواصل مع زوجتي دون علمي .. ويقابلها دون علمي .. ويتناقش معها ويخطط كيف ستصل لأهلها دون علمي"

رد كامل بصوت جهوري" لم أتعمد ذلك .. لكنها صاحبة الشأن كان عليّ إخبارها وهي من تقرر" صاح غنيم في ابنه " هل أخبرتها ؟؟ ألم انهك عن إخبارها حتى نحصل على معلومات تفصيلية؟!!"

قال أحمد موجها الكلام للعم غنيم " أكنت تعرف بشأن الأخبار عن عائلتها يا عمي ولم تخبرني كما اتفقنا من قبل ؟!"

حاول غنيم السيطرة على غضبه واشاح بوجهه عن ابنه يقول لأحمد بهدوء " أردت أن أحصل على مزيد من التفاصيل أولا .. فما عندنا معلومة واحدة فقط .. ولم أحب أن أربك حياتكما دون فائدة"

رد أحمد ساخرا "ابنك قام بالواجب وتواصل مع زوجتي دون علمي .. وجعلها تعيش شهرا كاملا في جحيم ترتعب من إخباري .. بل ويضغط عليها بكل وقاحة أن تسرع في القرار"

زمجر كامل وهم بالهجوم عليه وهو يردد "أنا لست وقحاً"

فامسك به شامل يمنعه بينما استعرض سيد الصامت يراقب المشهد صدره أمام كامل بتهديد.

ليهدر العم غنيم " كفى"

ثم رفع عصاه ووكز بها ابنه بعنف في صدره وهو يقول " أنت تخرس ولا تجادل في الخطأ .. ما فعلته عيبا على رجولتك .. ولن أمرر لك كسر كلمتي"

شعر كامل بالحرج لكن اعتداده بنفسه منعه من الاعتراف بأنه قد أخطأ .. ورد فعل والده وتوبيخه

له أمام الرجال صغّره وجرح كرامته فنفض توأمه بعيدا عنه .. وتحرك مندفعا إلى خارج الفيلا يكبح جماح غضبه احتراما لكلمة والده قبل أن يطيح بهذين الرجلين أيا كانت النتائج .. الحالة التي كان عليها جعلت بسمة التي تشاهدهم بقلب مرتجف تنكمش في رعب بجانب البوابة..

مر من البوابة وشياطين الغضب تسابقه..
مر بجوارها دون أن يعي..
مر بجوارها وابتعد لعدة خطوات .. فراقبته بسمة بفضول لتتأكد من أنه لن يحاول العودة مجددا لاستئناف العراك قبل أن تستدير لتتأمل شامل متعجبة من تطابق الاثنين.

أما كامل فبمجرد أن وصل لسيارته تشنج جسده فجأة وتجمدت أطرافه ..ليس من الغضب هذه المرة ولكن بإدراك متأخر لما التقطته عيناه

واستوعبه عقله للتو .. فاستدار بحدة غير مصدقا بأنها هي..
هي من تقف أمام بوابة بيته تنظر للواقفين بداخل حديقة الفيلا..

لقد تمنى أن يلقاها مرة أخرى صدفة في الشارع ..خاصة وهما يعيشان في نفس المدينة الصغيرة التي تقع على أطراف العاصمة لكن أن يراها أمام بيته في موقف كهذا معناه أنها تقرب لأحد الرجلين ..
اتسعت عيناه في حيرة وهو يتطلع في السيارتين المرابطتين في الشارع وتساءل .. ترى مع من منهما قد جاءت؟!.

أهي حقا أم أنه يهلوس ؟!..

هي بالتأكيد ..

وكيف يتوه عن تلك العينين وتلك الملامح التي يحفظها عن ظهر قلب.. وهو يحدق فيها كل يوم في الهاتف.. ويوصي نفسه بالتعقل وألا يتصرف بصبيانية لمحاولة التعرف عليها.

وكأنها شعرت بتحديقه فيها .. أدارت بسمة وجهها له من جديد لتتفاجأ بتطلع ذلك الشاب الغاضب فيها ..وتوارى احساسها الغريب بأنها قد شاهدته من قبل خلف شعورها بالفزع من تحديقه الغريب فيها ..

كل ما تبادر لذهنها ساعتها أنه قد يفكر في الانتقام من أحمد وسيد بأذيتها.

بلعت ريقها في رعب ورمشت عينيها الفيروزيتين عدة مرات ثم نظرت باتجاه سيارة سيد تفكر في اللجوء إليها .. بينما تقبض كامل يناظرها بعينين متسعتين في صدمة وتحرك لا شعوريا خطوتين باتجاهها .. فانكمشت بسمة وتراجعت خطوتين

غير مستوعبة لمعنى تلك النظرات التي تستقبلها منه .. لتجد نفسها لا شعوريا قد أصبحت في داخل حديقة الفيلا..

في نفس اللحظة انتاب شامل شعور مقبض خانق فهم بالبحث عن توأمه لكنه قبل أن يتحرك تسمرت عيناه على بسمة التي تقف في حديقة الفيلا بجوار البوابة تحدق في شيء ما خارجها

..

أما كامل .. فتلك النظرة وذلك الرعب الذي يطل من عينيها وصدمته من كونها تقرب لأحدهما .. ويدها التي تقبض على حقيبتها بقوة جعلوه يجمع شتات نفسه ويقرر الانسحاب قبل أن يزيد موقفه حرجا .. فتراجع الخطوتين ذاتهما ثم استدار ليركب سيارته يضغط على البنزين بقوة وينطلق مبتعدا .. بينما ظل شامل على حالته وهو لا يزال يحاول استيعاب سبب وجود هذه الفتاة هنا على باب

الفيلا .. ووقف بعدها يراقب مغادرة سيد وأحمد
حتى وجدها تركب السيارة مع سيد فازدادت حيرته
لتضاف لصدمته ولقلقه على كامل الذي لم يعرف
أين ذهب لكنه يستشعر توتره وحيرته جليا..
بعد ساعة رد كامل على اتصالات توأمه المتكررة
والذي بادره بالقول "أين أنت يا كامل؟"
سأله كامل بوجوم "هل أبي بخير؟"
رد شامل " إنه غاضب منك "
صاح كامل بانفعال" أنا أسأل عن حالته الصحية"
غمغم الآخر "بخير لا تقلق"
تكلم كامل بإحباط شديد "هل رأيت ما رأيته على
بوابة الفيلا.. أم أنني كنت أخرف؟"
رد شامل مؤيدا "بل رأيتها"
قال كامل مصدوما "إنها بالتأكيد تقرب لسيد فليس
من المعقول أن تكون قريبة أحمد"

غمغم شامل بحذر "ربما زوجته يا كامل"

أسرع كامل بالقول رغبة منه في عدم التصديق "وربما أخته .. تذكرت منذ قليل الحكاية التي قصتها بانة لأمي عن ظهور أخت لسيد هذا ربيب عائلة زوجها .. أتذكر حينما سمعناها ذلك اليوم الذي كانت فيه بانة تزورنا وطلبت أنت مني أن أغادر البيت لأن زوجها على وشك الوصول لإعادتها .. ووقتها أخبرتك بأن موضوع بانة قد أغلق وبأنني كنت معجبا بها لا أكثر"

رد شامل بتقريع مبطن" لكنك أردت الانتصار على أحمد بتسريب المعلومة التي وصلتنا عن الخوازن لبانة وعرضت عليها مساعدتها في السفر نكاية فيه يا كامل"

رغم شعوره بالندم على تهوره بالتواصل مع بانة لكنه جادل توأمه قائلا" صدقني كانت نيتي صادقة جدا في مساعدتها .. لربما لم تكن ترغب في

الاستمرار معه ..لربما ندمت على زواجها منه ..
لربما أجبرها هو على البقاء في هذا البلد ومنعها من
السفر بحكم زواجه منها فهو بالتأكيد لن يسمح
لزوجته بالسفر لبلدها وسط ما تتناقله الأخبار من
أحداث متوترة رغم السيطرة على الأوضاع هناك ..
ولا أظن بأنه سيغامر بالسفر معها .. أردت أن
أخبرها وحدها بالمعلومة وأقدم لها يد المساعدة
إن أرادت اتخاذ قرارا يخالف ما يرغب فيه زوجها..
بل وألحيت لمعرفة إن كانت ترغب في العودة أم لا
لأن عائلة داوود الرحمي قرروا العودة كما تعلم
فكنت أرغب في أن تنضم إليهم فبالطبع لن
أشجعها على السفر وحدها "

أصر شامل على رأيه قائلا "ومع هذا كان تصرفا
خاطئا وقد حذرتك من القيام بذلك يا كامل .. ولا
تنكر أن جزءا من الأمر كان رغبة منك في الانتقام
من ابن سماحة لشعورك بأنها قد فضلته عليك"

صاح كامل بغضب "قلت لك بانة كانت مجرد فتاة من بلدي أعجبت بها وتعاطفت مع حالتها وأردت سترها .. كان مجرد اعجابا انتهى برفضها لي .. ألست أدرى الناس بي يا أخي ! .. ألا تشعر بما أشعر به ! .. هل تشعر بأني أكذب في هذا الأمر؟!"

قال شامل بهدوء " أعرف بأن بانة كانت لك مجرد فتاة من بلدنا اعجبت بها وبجمالها وأردت سترها تعاطفا معها لكن رفضها لك واختيارها لشاب من غير بلدك لم تنساه يا كامل ..اعترف"
صاح كامل بانفعال" أبي أحرجني أمامهما ووبخني وانتهى الأمر.. هلا وفرت محاضرتك هذه بالله عليك "

مط شامل شفتيه ثم قال" وتلك المصيبة القادمة على رؤوسنا بعد الاكتشاف الذي اكتشفناه اليوم"

انفعل كامل وهدر في توأمه يقول " أية مصيبة؟!!! .. وهل أنا على تواصل مع بسمة أو تعرضت لها بأي طريقة لتحدث مصيبة!!! .. اغلق يا شامل .. اغلق الخط قبل أن أذهب إليك وأدق عنقك.. أصبحت خانقا ومستفزا"

أغلق الخط بانفعال ووقف حائرا فوق ذلك الكوبري يتطلع في مياه النهر بشرود .. يمني نفسه بأنها تلك الأخت التي ظهرت لسيد منذ فترة كما سمع صدفة من حكاية بانة لأمه.

لم يستطع الصبر .. لابد أن يعرف الآن وفورا من تكون بالضبط لسيد هذا ..

بعد ساعات

بخطوات ثقيلة دخل كامل الشارع الذي يقع فيه محل الحلاق وتوجه إلى بواب البناية التي تسكن فيها بسمة .

لقد جاءه مدعيا بأنه يبحث عن شقة في البناية فاصطحبه البواب ليريه شقتين شاغرتين فيها .. واستدرجه كامل في الحديث يسأله عن سكان العقار متعللا بأنه يرغب في الاطمئنان على مستوى جيرانه الاجتماعي .. فانطلق البواب يخبره عن سكان البناية واحدا واحدا ويمدح فيهم حتى يحثه على شراء إحدى الشقتين .. حتى جاء الحديث عن قاطني إحدى شقق الدور الأول ليخبره بفخر بأن من يسكن فيها ملحن مشهور مع زوجته واخته .. وقبل أن يحاول كامل في استدراجه أكثر رن هاتف البواب فأسرع بالإجابة قائلا "نعم سيد باشا ..

حاضر.. حاضر أنا في الطابق الرابع سأرسل لك أم محمد"
أغلق المكالمة وغمغم لكامل بحرج" لا تؤاخذني يا باشا هذا سيد صبرة الذي كنت أحدثك عنه منذ لحظات"

قالها وهو يرفع السماعة على أذنه وينتحي جانبا ثم قال في الهاتف" أم محمد سيد باشا وزوجته بالأسفل ومعهما أكياس كثيرة ولا يوجد أحد من الأولاد بالأسفل ليساعدهم على حملها (وصمت قليلا يستمع ثم اكفهر وجهه وصاح بانفعال هامس) وهل سنترك الرجل بالشارع حتى تنتهين مما تفعلين !!"

بعد ثواني من الصمت يستمع للطرف الأخر أغلق الهاتف بغيظ يجز على أسنانه.. ثم استدار لكامل

يرسم ابتسامة ويقول بحرج "هل اعجبتك الشقة أم تريد أن أريك شقة أخرى يا باشا؟"

كان كامل يشعر بالتوتر رغم ذلك الوجه الخالي من التعبير الذي يظهره دوماً.. وفكرة أن يقابل سيد للمرة الثانية في نفس اليوم كانت ستقضي على ما تبقى له من كبرياء .. كما أنه لا يعرف كيف من الممكن أن يتطور الأمر بينهما لو تقابلا .. لذا قال للبواب الذي استشعره متوترا ويرغب في الاسراع للنزول لسيد "أريد أن اتجول في هذه الشقة قليلا حتى أقرر"

اسرع البواب بالقول " طبعا طبعا .. لهذا سأترك سيادتك خمس دقائق فقط وأعود إليك .. وهذا سيعطيك فرصة للتجول براحة في الشقة"

بمجرد خروج البواب أسرع كامل إلى الشرفة واستطاع تمييزها وهي تقف على الرصيف المقابل للبناية تمسك ببضع أكياس ويبدو عليها أنها في انتظار سيد ليخرج البقية من السيارة..

كانت هي ..
بنفس الملابس ونفس الهيئة التي رآها فيها منذ ساعات..
كانت هي ..
بسمة..
زوجة سيد صبرة !.

فاسرع بالابتعاد عن الشرفة والتخفي مصدوما .

بعد قليل انقد البواب اكرامية كبيرة يخبره بأنه سيفكر ويعاود الاتصال به .. وأسرع بالخروج من

الشارع متخفيا يشعر وكأنه لص قد أوشك على سرقة مالا يخصه..

حين ركب سيارته رفع الهاتف على أذنه يقول لشامل بإحباط " إنها .. زوجته يا شامل .. أنا كنت أراقب امرأة متزوجة الأيام الماضية .. أرأيت رجلا أكثر مني خزيا ونذالة!"

سارع شامل بالقول مشفقا " لكنك لم تكن تعرف يا كامل .. (وصمت لثانية ثم قال بلهجة ذات مغزى) أما الآن..."

لم يعطه كامل الفرصة بل غمغم مقاطعا "أعرف ما ستقوله "

أغلق الهاتف .. وتجمدت يده تقبض عليه للحظات وكأنه يرغب بسحقه في قبضته ..قبل أن يفتح معرض الصور .. ويضغط على أمر (حذف)

ليحذف صورها من هاتفه فورا .. صورها كلها محاها .. ثم ضغط على بنزين سيارته بقوة مقررا ألا يعود مجددا لذلك الحي وداعيا ألا يقابلها أبدا بأي صدفة بعد ذلك .

بعدها أغلق الأمر ونسيه تماما .. وألهى نفسه مع شلة الأصحاب من الجنسين التي يتسامر معهم ويسافر معهم في رحلات هو وشامل إلى المدن الساحلية والسياحية نهاية كل اسبوع أو في سفرات طويلة خارج البلاد كل فترة .. ومرت عليه علاقات نسائية عابرة وقصيرة دون التزامات من الطرفين .. حتى علم بعدها بعدة شهور بأنها انفصلت عن سيد .. علم ذلك بالصدفة البحتة حينما وجد أمه تستعد لحضور حفل زفاف سيد ربيب عائلة سماحة .. لحظتها تشنج جسده وسألها محاولا عدم اظهار توتره بأن سيد متزوج بالفعل .. ففاجأته

والدته بالرد أنه انفصل عن زوجته منذ عدة شهور وسيتزوج من أخت أحمد الصغرى .

لحظتها تحكم في ملامح المفاجأة التي علت وجهه وتحرك مغادرا دون تعقيب ..

ورغم أن معلومة انفصالها لم تغير شيئا من الأمر فهو يعرف بأن الأمر منتهي قبل أن يبدأ وبأنه في وضع (الاستحالة) إلا أنه عاد بعد ذلك بعام يتعامل مع ذلك الحلاق.

قبل عامين

استقبله الحلاق مهللا "باشا ..اشرقت الأنوار ..ظننتك نسيتنا أو عدت لبلدك .. أرأيت كيف تعرفت عليك بسهولة يا كامل باشا .. فأنت دوما كنت تأتيني بمفردك .. أما توأمك لا يأتي إلا في صحبتك"

ابتسم كامل ابتسامة مجاملة ضعيفة وهو يجلس على الكرسي أمام المرآة وغمغم في سره بغيظ يمنع نفسه من لكمه في فمه الثرثار هذا " أنت تحمد ربك أني لم آتيك مباشرة بعد أن علمت بأنك حكيت لي عن كل ساكن من سكان الشارع لكنك لم تذكر ولو مرة واحد أنها تكون زوجة الملحن سيد صبرة .. "

قال الحلاق قبل أن يتكلم كامل" أذكر طلبك جيدا قص الشعر دون تقصيره"

اعتدل كامل على الكرسي يومئ برأسه فأكمل الحلاق بلهجة معجبة وهو يمشط شعر كامل "بسم الله ما شاء الله شعر سيادتك خسارة أن يقصر بشدة (ومال عليه يقول) الحقيقة بأن سيادتك وتوأمك تصلحان لتكونا نجمي سينما"

ابتسم له كامل مجددا وانتهز فرصة استدارة الحلاق يطلب من مساعده شيئا فحانت منه نظرة مختلسة نحو باب المحل.. أو بالتحديد نحو بوابة البناية المقابلة .. قبل أن يعود الحلاق ليمسك بخصلات شعره ويقوم بقص أطرافه.

لمح كامل مساعده فسأله بفضول "أين الفتى الآخر الذي كان يعمل معك؟"
ضيق الحلاق عينيه لثوان ثم انفرجت ابتسامته قائلا" آه ..تقصد الفتى العاشق"

ابتسم كامل وغمغم ساخرا" أجل ذلك العاشق"
رد الحلاق بسخرية " يا عمنا لم اطلق عليه هذا الاسم اعتباطا صدقني .. ها هو قد ترك العمل عندي عندما تركت هي الشارع ورحلت "

رغم فهمه عمن يقصد بـ (هي) لكنه ضيق عينيه يحاول استيعاب ما يقوله الحلاق.. فأوضح الأخير "صدقني هذا ما حدث بالفعل"

سأله كامل مدعيا عدم الفهم" تقصد من؟"

قال الحلاق موضحا " تلك الفاتنة أتذكرها؟.. التي أخبرتك بأنها من قرية (***) وكان هذا المراهق يتابعها "
هز كامل رأسه فأكمل الحلاق ساخرا " عُمّال أخر زمن ! .. سيادته ترك العمل حينما انفصلت عن زوجها ورحلت ..(ومال مجددا يقول وكأنه يسرب إليه معلومة خطيرة).. زوجها كان الملحن الشهير سيد صبرة .. هل أخبرتك بذلك من قبل؟"

ناظره كامل بعينين مقلوبتين عبر المرآه يقبض على قبضته بقوة بينما أكمل الحلاق ثرثرته " المهم أن

ذلك الشاب ترك العمل عندي حزنا على فراقها
..هل رأيت جنونا أكثر من ذلك!"

لم يعقب كامل .. رغم ذلك الفضول الذي أثير بداخله يرغب في المزيد من المعلومات عنها .. لكن الحلاق أكمل بلهجة آسفة "الحقيقة كلنا حزنا على طلاقها رغم أننا لم نكن نعرفها حق المعرفة .. لكن يبدو أن عدم انجابها هو السبب في طلاقها"

رفع كامل حاجبيه متفاجئا بالمعلومة ليميل عليه الحلاق قائلا" لم ترى رجال بلدتها وهم يملؤون الشارع يوم أن حضروا لينقلوا أثاث البيت وحاجياتها .. يبدو أن والدها من أثرياء القرية ... لكن الأسف والحزن كان يخيم على الجميع (وبلع ريقه واسهب في الثرثرة) كنت واقفا على باب المحل بل ودعوت بعضهم للجلوس وأخرجت الكراسي في الشارع لضيافتهم (وأضاف بفخر)

تعرف نحن أهل الريف نتمتع بكرم الضيافة .. المهم أني سمعت الاحاديث الجانبية والهمهمات .. وعلمت بأن سبب طلاقها هو أنها عقيم .. (وأضاف بلهجة آسفة) مسكينة .. جمالها هذا سيكون نقمة عليها "

رفع كامل عينيه يناظره في المرآة متسائلا فأضاف الحلاق مفسرا " بالطبع سيكون نقمة عليها .. أنت لا تعرف كيف هو حال المطلقة في مجتمع صغير .. ستكون مطمعا للقلوب المريضة .. وستُعد عليها خطواتها .. وستخشاها النساء المتزوجات من أن تسرق منهن أزواجهن .. ولا أستبعد أن ينتهي بها الأمر بالزواج من أرمل أو مطلق لتربي له أولاده هذا في أحسن الظروف وإلا ستضطر لأن تكون زوجة ثانية أو ثالثة لرجل لديه أكثر من زوجة .. خاصة وأنها جميلة ولا تنجب أي أن من سيتزوجها

سيكون من أجل .....(صمت لحظة ثم أضاف بحرج) أنت تعرف ماذا أقصد بالطبع "

عقد كامل حاجبيه شاعرا بالاختناق فأضاف الحلاق " وحتى لو كانت تنجب .. لا تؤاخذني لن يقبل شاب لم يتزوج من قبل أن يرتبط بامرأة سبق لها الزواج من غيره .. وحتى وإن كان قد سبق له الزواج وليس له أولادا .. ما الذي سيجبره لأن يتزوج من امرأة سبق لها الزواج حتى لو كانت باهرة الجمال مثلها وهو يستطيع الزواج من عذراء لم تتزوج من قبل (ومال عليه يسأله بلهجة ذات مغزى) أنت رجل مثلي وتفهم ماذا أقصد أليس كذلك؟"

أومأ كامل برأسه معترفا بما يقوله الحلاق .. ومؤيدا بشدة .. فبعيدا عن استحالة الأمر كونها كانت متزوجة من رجل يعرفه فالمبدأ نفسه عنده ك كامل

مرفوض .. لن يقبل بأن يرتبط بامرأة قد سبق لها الزواج من غيره .

هكذا أغلق كامل الأمر مجددا أو ربما أعاد تجديد القفل عليه .. لكن عيناها كانتا تزورانه كل فترة في منامه منذ أن علم بطلاقها .. كانتا حزينتين جدا .. لكنه كان يتجاهل تلك الاحلام مفسرا لنفسه بأن ما يعتريه هو مجرد فضول لا أكثر لمعرفة ماذا حل بها ..

في نفس التوقيت تعرف على مفرح في إحدى صالات الألعاب الرياضية في المدينة .. بعد أن نقل الأخير مكتبه من العاصمة إلى هذه المدينة التي تقع على اطراف العاصمة حتى تكون الأقرب لرحلاته الأسبوعية من وإلى قريته متحاشيا زحام العاصمة واختناقاتها المرورية التي تضيع الكثير من وقته .. وبمجرد التحاقه بالصالة الرياضية تعرف على

التوأمين .. ونشأت بينهما صداقة سريعة تبادلا فيها الزيارات .. هو زار مطعمهما وفيلا غنيم أكثر من مرة .. وهما زاراه في شقته التي تقع هي ومكتبه في نفس المدينة والتي يبيت فيها حينما يعقد الصفقات أو يتابع أعمال مكتب تصدير الخضر والفاكهة الذي يديره ..

وبالرغم من معرفته بأن مفرح من أكبر عائلات الريف وأكثرهم ثراء .. وبأنه ابن عمدة قريتهم والعمدة القادم لها .. لكنه لم يكن يعلم أبدا باسم قريته أو في أي محافظة تقع .. كل ما كان يعلمه أنها إحدى محافظات (وجه بحري) .. حتى حينما دعاهما مفرح أكثر من مرة قبل زواج أخته لزيارة القرية لم تتح الفرصة لتنفيذ ذلك و عندما قرر هو وتوأمه توسيع المطعم بحيث يستقبل عددا أكبر من الزبائن يوميا وتخصيص جزءا منه لتوصيل الطلبات كان لابد من التعاقد مع مورد كبير للخضر

والفاكهة وبالطبع لم يكن هناك أقرب من مفرح ..
وتم الاتفاق على أن يزورا القرية مدعوان لحفل
زفاف أخته لكنه كان متكاسلا في الذهاب خاصة
بعد حصوله على تأشيرة السفر للعمل في أمريكا
واعداد نفسه لسفر طويل .. فترك الأمر لشامل كما
ترك له أمر مباشرة أعمال تجديد المطعم .. ليتفاجأ
قبل يوم واحد من سفر شامل لقرية مفرح بالأخير
وهو يُمليه عنوان القرية بالتفصيل ..
تفاجأ كامل بالاسم الذي لا يعرف لماذا ظلت
ذاكرته محتفظة به بعد أن مر أكثر من ثلاث
سنوات على معرفته.. ليجد ذلك الفضول اللعين
يسيطر عليه بقوة ويقرر الذهاب مع شامل ..
لكنه الآن يشعر بالندم على ذهابه ..
يشعر بأنه قد أوقع نفسه في فخ كبير .

××××

تحرك جابر يودع بعض رجال البلدة الذين لا يزالون يقفون أمام المستشفى العام بمركز المحافظة بعد أن اطمأن على حالة الطفل الصغير الذي نقل إلى هناك بمجرد أن استعاد وعيه .. واسرع باللحاق بهلال قبل أن يرحل هو الأخر بعد أن أدى الواجب بالاطمئنان على الطفل .

صاح جابر مناديا "انتظر يا هلال"
تخشب ظهر الأخير لثوان قبل أن يستدير إليه متحفزا .. ليقول جابر وهو يقترب منه "أريد أن أتحدث معك"
وضع هلال يديه في جيبي جلبابه البسيط ورفع ذقنه بكبرياء زائف يسأله" عم تريد التحدث فيه معي ؟"
قال جابر وهو يمسك بذراعه ويقوده نحو سيارته" سنتحدث قليلا.. ألم تشتاق لجلساتنا (وأضاف

يقول) تعال لنجلس في ذلك المقهى الذي تحب أن تجلس فيه دوما"
رفع هلال حاجبيه مندهشا ثم قال بلهجة متهكمة "ترى ما هو هذا الشيء الهام الذي تريد أن تتحدث فيه معي لدرجة أن تتنازل وتجلس على مقهى الهلاسين والتافهين!"

ناظره جابر بحزن وحيرة وغمغم قائلا " تعال لنتحدث يا هلال وكفاك تهكما"
تطلع هلال في سيارة جابر بنظرة حاقدة لم يستطع أن يتحكم فيها .. قبل أن يخلص ذراعه من يد صاحبه ويقول" قل ما تريده الآن وهنا وبعدها دعني أذهب لحال سبيلي"
حك جابر جبينه بيده ثم قال مستسلما "أنا أعرض عليك العمل معي للمرة التي لم أعد أعرف عددها..(وأضاف بلهجة صادقة) أنا بالفعل أحتاج لمن يباشر أعمال أحد المحلات"

بنفس وقفته لوى هلال عنقه وقال بلهجة متهكمة" وهل أنت معتادا على الالحاح على من تريدهم أن يعملوا عندك؟"

تماسك جابر يمنع نفسه من الاستسلام لاستفزازه وأجاب بهدوء" أفعل ذلك مع من أعزهم يا هلال .. مع أصدقائي"

عبرت جملته ذلك الجدار الغير مرئي الذي علا بينهما على مر السنين وانغرزت في قلب هلال ..لكنها كانت مؤلمة وليست مبهجة .. فهو يشعر بأنه لم يعد لائقا لمصاحبة جابر دبور .. كانا صديقين .. (كانا) .. فعل ماضي مضى وانتهى بعد أن صعد جابر على قمة الطبقات الاجتماعية وسقط هو في القاع.

غمغم هلال ساخرا رغم الحزن الذي سيطر على صوته " وأنا قلت لك من قبل لا أفهم في تلك الأمور .. ولا اقبل بالصدقة .. شكر الله سعيكم يا معلم جابر..."
قالها وتحرك مغادرا .

وقف جابر مشلولا يتطلع في صورته التي تبعد كحال صداقتهما منذ أن عاد من الخليج وقرر الاستقرار .. ثم أطرق برأسه متحيرا يشعر بضيق شديد ..

لمَ باتت الأيام لا معنى لها؟
لماذا لم يعد يفهم الأخرين ؟..
لا يفهم زوجته ولا صاحبه؟..

فتحرك نحو سيارته يركبها مقررا أن يذهب للمسجد ليصلي العشاء ويقرأ قليلا من القرآن .. لربما هداه الله لما لا يفهم سببه .

××××

دخلت السيارة فيلا غنيم نخلة فاستقبلهما (شهبندر) بحالة من الهياج شوقا إليهما كعادته كلما غابا عن البيت .. ووقف حائرا لأي منهما يتجه .. ناحية شامل أم كامل .. لكنه حسم أمره حينما كان شامل الأسرع في فتح بابه ليقفز عليه شهبندر بترحيب .

استقبل شامل الكلب وأخذ يفرك وجهه قائلا بدفء " اشتقت إليك يا وحش .."
حاول الكلب مناكفة شامل بخشونة لكن الأخير غمغم " أنا مرهق جدا يا عم شهبندر فلنلعب في وقت أخر .. (وصفر من بين شفتيه وأضاف) اذهب لكامل هيا "

تحرك الكلب يدور حول مقدمة السيارة في الوقت الذي خرج كامل منها ونزل على عقبيه يرحب بالكلب في صمت .

صاحت سوسو وهي تقف على باب الفيلا "هل ستتركان السيارة في الحديقة دون أن تدخلاها المرآب !"

اقترب شامل من أمه مبتسما ومال على قامتها القصيرة يحضنها قائلا بلهجة حانية "ألن تقولي (حمدا لله على سلامتكما) أولا يا سوسو"

قالت متنهدة " حمدا لله على سلامتكما يا حبيبي .. لكن أبوكما كالعادة متعب وذو رأس عنيد "

اتسعت ابتسامة شامل وهو يعرف بأنها ستقوم كالعادة بالشكوى من والده بينما أكملت هي " لا يريد تناول أدويته (وأمسكت بجبينها تقول بشفقة على نفسها) تعبت والله تعبت "

غمغم كامل بلهجة لئيمة متعمدة ليخرجها من تلك الحالة " ما هذه الأناقة يا سوسو! "

تغيرت ملامحها كما توقع وأسرعت تقول بكبرياء " تقصد تلك البلوزة؟ ..حمدا لله أن أحدا قد لاحظ .. فوالدك لا يلاحظ تلك الأشياء حتى لو نطقت أمامه .. "

ضيق شامل عينيه يدقق في البلوزة وهو لا يعرف إن كانت جديدة أم لا .. بينما أكملت سوسو " لقد اشتريتها منذ فترة .. إنها من ماركة.... "

قطعت ثرثرتها حينما مر كامل بجوارها واجما بعد أن طبع قبلة على رأسها بصمت وأكمل طريقه للداخل .. فسألت شامل " ما به أخوك؟"
زفر شامل ورد ممتعضا " ليس به شيء لا تشغلي بالك "

غمغمت سوسو بضيق " هل تشاجرتما ؟!"

احاط شامل ذراعه حول كتفيها يدخل معها إلى داخل الفيلا مغمغما " دعك من كامل وأخبريني عن البنطال الجديد .. أقصد ... البلوزة الجديدة التي تبدو عليك رائعة "

××××

صباح اليوم التالي :

فتحت بسمة بوابة بيت الجد صالح وتطلعت في البيت والمخزن الذي بجواره بحماس ..

لقد آن الأوان لأن تنطلق وتبدأ مشروعها .. ستستقبل الفتيات الراغبات في العمل معها اليوم لكنها حضرت في هذا الوقت المبكر من الصباح لترتب أمورها على الطبيعة بعد أن انتهت من زيارتها الصباحية لمزرعة العمدة .. والحقيقة أن

الحماس قد تملك منها من الليلة الماضية حينما علمت من مفرح بأن بيت الجد صالح قد أصبح خاليا بعد مغادرة صاحبيه .

على سيرة صاحبيه نظرت بسمة نحو بيت الجد صالح وتحركت نحوه تقول " ترى ماذا أفسدا في بيت جدي الحبيب ؟"

فتحت باب البيت ودخلت تتلمس فيه الذكريات .. لكنها استشعرت بتغير رائحة المكان وكأن أمرا جديدا قد طرأ عليه .. سكان جدد .. طبعوا عليه بصمتهما ..
الأمر كان غريبا خاصة مع قِصَر المدة التي سكن فيها الضيفان .. أو ربما هي تهذي ..

تذكرت ما قالته مليكة من أنها تبالغ في رد فعلها تجاه هذا المتعجرف كامل .. لكنها لا تزال عند رأيها فيه ..

أزاحت الوشاح عن رأسها تلقي به على أحد المقاعد .. ولفت نظرها كيس على المنضدة فأسرعت إليه تنظر لما فيه لتجد كتب ..

أخرجت بسمة أحد الكتب من الكيس لتجده رواية بالإنجليزية..فرفعت حاجبا وغمغمت " هل نسياه؟ .. تُرى من منهما يهوى القراءة ؟!.. لا أتوقع بأنه ذلك المتعجرف .. فهو لا يفقه إلا في التعالي والسخرية من الناس"

واهتزت تتمايل بجذعها تُرَقِّص كتفيها ساخرة وهي تقلده بصوت متهكم " هل تظنيننا قساة القلوب

!.. يبدو أن بعضكم لديه هواية إلقاء التهم على الناس جزافا"

جاءها صوت رخيم من خلفها يقول "وقلت أيضا بأنكم تحبون اقتحام الأماكن على الناس ومفاجأتهم"

انتفضت بسمة في رعب واستدارت بسرعة قبل أن تشهق بقوة ويسقط منها الكتاب أرضا .

سلسلة قلوب مغتربة 2

وقلوباً أنهكها التصنع ـ
والخيبات.

فيا قلب ـ صبراً .
ويا رب ـ جبراً
ويا شمس العصر لا تغيبي
حتى تشرق في القلب ـ
بسمة.

DES: SHAMMOSAH

الفصل السابع

قبل قليل

ركن كامل السيارة في الطريق الترابي بجانب بيت الجد صالح مغمغما بلهجة ماكرة "هنا أفضل مكان حتى لا يعبث بها المجانين والمختلين عقليا .."

وخرج يتمم عليها ويربت عليها باعتزاز متجاهلا تلك الاتصالات المستمرة من توأمه.

لم يستطع النوم طوال الليل .. كانت تحتل أفكاره .. تطارده .. وسيطر عليه شعور غريب بأنه قد ترك شيئا مهما خلفه حينما غادر ليلة أمس .. تركها هي ..

بسمة .

فقرر بما أنه كان ينوي العودة والمكوث لعدة أيام أخرى أن يضع نفسه في السيارة بعد صلاة الفجر ويعود .. وهذا ما أغضب شامل منه والذي يلح في الاتصال به ما أن شعر باختفائه .
دخل من باب دار الجد صالح وهو يجيب على الهاتف الذي سينفجر من الاتصالات قائلا بغيظ "يالسخافتك يا أخي !.. حين لا أرد لا تلح بهذا الشكل المستفز"
هتف شامل بغضب "عدت للقرية أليس كذلك "!
تحرك في بهو البيت يقول ببرود وابتسامة سعيدة تزين شفتيه "أجل ذهبت إلى هناك (وميز كيسا على المنضدة به بعض الروايات العربية والانجليزية كان مفرح قد أعادها لهما بعد أن قرأها فأضاف متحججا) نسيت الكتب في البيت فخفت أن ينظفوه بعد رحيلنا مباشرة ويُضيّعونها "

هدر شامل وقد استفزه الرد" لا تستهبل يا كامل كان من الممكن أن تتصل بمفرح "
ترك كامل البهو ودخل إحدى الغرف الداخلية يفتح نافذتها التي تطل على الحقول الخضراء خلف البيت وهو يقول" أنا بالطبع الاسرع فلربما رد عليّ مفرح بعد أن ينظفوا البيت "
غمغم شامل بعصبية "كامل !"
صاح الأخير بغيظ " اهدأ يا شامل حتى لا يرتفع مستوى السكر لديك .. الأمر بسيط أردت أيضا أن أخبر مفرح بالخبر الأخر وجها لوجه"

قال شامل من بين أسنانه " ألا زلت ترى الأمر بسيطا يا كامل !.. ما دمت لست جديا وكل ما لديك هو مجرد فضول كما تدعي فلماذا تقرب البنزين من النار خاصة حينما يكون مفرح طرفا في الأمر .. فبالتأكيد إن علم الحقيقة لن يعجبه ما تفعل"

رد كامل بجدية" وماذا افعل أنا يا متخلف !..
البنزين والنار يخصوني وحدي ووجود مفرح
يضمن لك ولي أني لن اتجاوز حدودي معها ..
فأنت تعرف كيف أحترمه وأقدره .. أنا أعدك أن
أحل الموضوع سريعا مع نفسي وأعود .. كل ما
في الأمر أني غير قادر حاليا على التصرف بشكل
أنت تعلم أنه لم يحدث لي مع فتاة أخرى من
قبل .. صدقني يا شامل أنا غير قادر على
التصرف أشعر وكأني ....."

صمت فأكمل شامل له العبارة " وقعت في فخ
كبير "
ابتسم كامل وغمغم " أجل أيها المتلصص
المتطفل على أفكاري "
قال شامل بقلق "أنا فقط وجود مفرح طرفا في
الموضوع يشد أعصابي فلا أريد أن ..... "

صوت باب الدار يفتح جعل كامل يعقد حاجبيه ويقول لشامل مقاطعا" اغلق الآن أعتقد أن هناك شخصا بالخارج "

اقترب من باب الغرفة ببطء فلمحها أمامه .. ولوهلة خُيل إليه بأنه يهذي .. رآها تخلع الوشاح عن رأسها وتلقي به على أحد المقاعد .. فتسارعت ضربات قلبه وهو يتحرك ببطء ويخرج للبهو بخطوات هادئة ثم وقف يتأملها وهي مولية له ظهرها تقترب من طاولة السفرة وبالتحديد نحو كيس الكتب وتخرج منه واحدا ..

رفعت بسمة حاجبا وغمغمت " هل نسياه؟ .. تُرى من منهما يهوى القراءة ؟!.. لا أتوقع بأنه ذلك المتعجرف .. فهو لا يفقه إلا في التعالي والسخرية "

واهتزت تتمايل بجذعها تُرَقِّص كتفيها ساخرة وهي تقلده بصوت متهكم " هل تظنيننا قساة القلوب !.. يبدو أن بعضكم لديه هواية إلقاء التهم على الناس جزافا"

تراقصت الابتسامة على شفتيه وهي تهتز أمامه و تقلده بهذا الشكل .. فوضع يديه في جيبي بنطاله وتصنع الجدية يقول "وقلت أيضا بأنكم تحبون اقتحام الأماكن على الناس ومفاجأتهم"

انتفضت بسمة في رعب واستدارت بسرعة قبل أن تشهق بقوة ويسقط منها الكتاب أرضا مغمغمة وهي تضع يدها على صدرها "بسم الله الرحمن الرحيم .. بسم الله الرحمن الرحيم "

كررتها مرتين بصوت مبحوح مرتعب وهي تحاول استيعاب ذلك الماثل أمامها طويلا

مخيفا ..يديه في جيبي بنطاله يطالعها وابتسامة تستفزها تزين زاوية شفتيه .

انتفاضتها وذعرها وعيناها المتسعتان البراقتان اشعروه بالندم أن أفزعها ..وفي الوقت نفسه تملكته لذة مجهولة المصدر لرؤيتها على هذه الحالة.

حاولت بسمة استيعاب حقيقة وجوده وغمغمت بعد ثوان بلجلجة وحرج شديد "ظننت .. مفرح .. مفرح قال أنكما غادرتما مساء أمس"

لماذا يشعر بذلك الشعور الغريب .. الحلو .. حينما تنظر إليه وتوجه له الكلام؟!

حافظ على جديته وحرك كتفيه قائلا ببساطة
"غادرت مساء أمس وعدت صباح اليوم..
ألديك مانع ؟!"

لم تفهم بسمة ماذا يحدث .. ولم تفهم لمَ عاد؟ .. هل اتفق مفرح معهما على ذلك ولم يخبرها؟!.. لم تفهم أي شيء .. كل ما كان يسيطر عليها ذلك الحرج الشديد من أنها اقتحمت مكانا فيه رجل غريب وليس أي رجل بل هذا المتعجرف .. فأسرعت نحو وشاحها تلتقطه من فوق المقعد وهي تقول هاربة
"يبدو أني قد فهمت بالخطأ وظننت أن البيت خاليا "

خرجت من الدار مهرولة ووجهها تأكله نيران الحرج الشديد متمنية لو تنشق الأرض وتبتلعها

..فأسرع كامل خلفها يناديها قائلا "يااااااا
أستاذة .. لو سمحتِ"
في ساحة بيت الجد صالح استدارت إليه
متسائلة وهي تلف الوشاح حول رأسها بارتباك
خلفته الصدمة فرأت شبح تلك الابتسامة
المستفزة يلوح على زاوية شفتيه قبل أن
يسألها" أين من الممكن أن أجد شخصا ليغير
لي مفتاح البيت والبوابة؟"
رمشت بسمة عدة مرات تسارعت بسببها
ضربات قلبه ثم سألته " لـ..لماذا ؟"

وضع يديه في جيبي بنطاله ورد بلهجة متسلية
"حتى لا أتفاجأ مرة أخرى بمن يقتحم عليّ
بيتي"

قال بيتي !!!
بيته !!!!!

بين الاستهجان والغضب وعدم الاستيعاب
وتصور خبيث قفز إلى رأسها يخص والدها
كانت بسمة تحاول التحلي بأقصى درجات
ضبط النفس .. فيكفيها ذلك الموقف
السخيف الذي كانت فيه منذ دقيقة أمام هذا
الكائن المستفز ولم ترغب بالتسرع في
الاستنتاج فسألته بعدم فهم " أي بيت؟!!!"

أخرج كامل يده من جيبه وأشار لبيت الجد
صالح خلفه قائلا" هذا .. بيتي هذا .."

ارتفعت الدماء إلى رأسها بينما أضاف كامل
بلهجة تمثيلية" آآآه ... فهمت الآن ... يبدو أن
الحاج سليمان لم يخبرك بعد "
تسارعت أنفاسها وشرست ملامحها صارخة
"يخبرني بماذا ؟؟؟؟؟"

تفاجأ كامل بعصبيتها فرد وهو يحاول استيعاب سبب توترها " أنني قد استأجرت هذا البيت من الحاج سليمان "
صاحت باندفاع وهي تشيح بيدها " ما هذا الكلام الفارغ الذي تهذي به !!"

أظلمت ملامحه ورد بانزعاج "أنا لا أهذي يا ..... أستاذة ولن اسمح لك بإلقاء المزيد من التهم في وجهي"
ردت بتحدي "وبقاءك هنا سيكون على جثتي "

اتسعت عينا كامل بعدم فهم بينما استدارت بسمة تخرج من البوابة مهرولة وأخذت تبحث حولها على توكتوك يمر بالصدفة من هذه المنطقة الخالية من البيوت تقريبا.

كانت أنفاسها تتسارع والغضب يعميها عن رؤية أي شيء .. فرفعت الهاتف على أذنها لتتصل بوالدها فلم يرد فأسرعت بالاتصال بمفرح .. وحينما لم يرد ألحت في الاتصال حتى أجابها الأخير بصوت أجش من أثر النوم "ماذا هناك يا بسمة؟"

صرخت فيه" أكنت تعرف؟ ..أكنت تعرف يا مفرح ولم تخبرني؟؟؟؟"
عقد حاجبيه متفاجئا من انفعالها وسألها بعدم فهم "أعرف بماذا؟"
صرخت تهذي بانفعال وهي تهرول في الطريق الترابي "لماذا كل شيء يسير ضدي .. لماذا كلكم ضدي ..حتى أنت يا مفرح !!.. حتى أنت !!"

هدر فيها مفرح " اهدئي يا بسمة واخبريني عم تتحدثين ؟؟"

قالت له وهي تقاوم البكاء" هل كنت تعرف بأن أبي قد أجر بيت الجد صالح لصاحبيك القادمين من العاصمة؟"

لاح الذهول على وجه مفرح واعتدل جالسا بحركة حادة يقول "نعم .. ماذا قلتِ !!!"

xxxx

بجوار نافذة إحدى الغرف كانت نصرة جالسة تتطلع من بين قضبانها الحديدية وتتأمل الشارع .

إنها المرة الأولى التي يتأخر فيها حتى صباح اليوم التالي .. فأقصى تأخير له أن يأتي قبيل الفجر .. لكن أن يبيت خارج البيت حتى شروق الشمس فهذا لم يحدث من قبل .

لم تتواصل معه منذ أن خرج غاضبا أمس لكن اسراء حاولت الاتصال بهاتفه وكان يغلق الخط في وجهها ..

إذن على الأقل هو بخير .. حتى لو كان مع هؤلاء العابثين الهلاسين فهو بخير ..هكذا غمغمت لنفسها .. لكنها عادت لتوبخ نفسها .. "كوني حازمة معه يا نصرة هذه المرة .. فتساهلك معه وشفقتك عليه هي ما جعلته يتمادى في الكسل .. دوما هو يغلبك بأسلوبه الماكر متخذا حبك له نقطة ضعف ليضغط عليكِ بها .. لكن هذه المرة مختلفة .. فمستقبل اسراء على المحك فلا تسمحي له بتدميره"

في الشارع العمومي كان هلال يسير شاردا.. لا يزال حائرا بعد ليلة طويلة من التفكير اجتر فيها ذكريات حياته كلها .. كيف أحب نصرة في سن صغير .. وحينما خُيّر بين السفر مع جابر أو الزواج بها .. قرر الزواج منها حتى لا يزوجونها لغيره .. وحتى بعد الزواج .. لم يستطع الابتعاد عنها والسفر لجابر .. كانا دوما هو ونصرة

مرتبطان ببعضهما بشكل قوي.. حتى أنهما حينما حاولا مجرد المحاولة لطرح فكرة السفر بينهما كانا يجهشان بالبكاء بشكل عجيب ..

ورغم هذا .. ورغم يقينه بأنه لم يكن في استطاعته أبدا أن يسافر حتى لا يبتعد عنها .. لا يزال يلوم نفسه على اضاعته فرصة السفر مع جابر وتكوين مبلغا من المال كان من الممكن أن ينتشلهم مما يعانون منه الآن..

انعطف يمينا يدخل الشارع الذي يقع على أوله بيت جابر دبور .. فتطلع في البيت الحديث ذي الطابقين ولتلك الأراضي والبيوت حوله التي اشتراها جابر بعد عودته .. وتذكر بيت الحاج اسماعيل دبور القديم الذي كان على مساحة أقل من ربع البيت الحالي .. ذلك البيت الذي

جمع طفولته مع جابر .. فهو يكبر الأخير بعامين فقط ..

تغيرت صورة البيت أمامه ليراه في صورة البيت الصغير القديم .. ورأى نفسه .. ورأى جابر وبدير ومصطفى والكثير من صبية الحي القديم يلعبون بالـ(بليّ) أمام البيت بعدما هربوا ذات مرة من كُتّاب الشيخ زكريا .. وتذكر كيف كان الغفر يكتشفون هروب مصطفى من حراستهم ويلفوا البلد بحثا عنه .. فقد كان العمدة والده يرسله للكتاب ليحضر مع أبناء البلدة بدلا من أن يحضر الشيخ خصيصا له في بيت العمدة حتى لا يشب مصطفى مدللا وبمنأى عن أهل البلدة خاصة وأنه الابن الوحيد بين الكثير من البنات..

ابتسم هلال وهو يتذكر كيف كانوا يضعون الخطط لتهريب مصطفى من حراسة الغفر دوما ..
كانوا .. وكانوا .. وكانوا ..
وكانت الحياة حينها أبسط ..
والتعامل مع الرفقاء أسهل ..
والأمنيات كثيرة تتساقط ببذخ فوق وجوههم كقطرات المطر .

على ذكر المطر تغيرت الصورة أمامه .. فرأى نفسه في هذا الشارع بشكله القديم .. قبل حتى أن تُبنى بعض البيوت هنا .. حين كانت هنا على يساره ترعة قديمة تم ردمها فيما بعد ..

رأى نفسه يدور ويدور حول نفسه.. رافعا وجهه للسماء ليستقبل المطر المتساقط على

وجهه بسعادة كبيرة فاتحا ذراعيه في الهواء
وكأنه يفتح ذراعيه للحياة..
كان يدور وكل الصبية من حوله يشمرون
جلابيبهم وبناطيلهم ويفعلون مثله ..

يا ليتها تعود تلك الحياة البسيطة قبل أن
يفرقهم الواقع بحواجز الحساسيات
الاجتماعية والمادية والطبقية .

عاد بيت جابر أمام عينيه إلى شكله الفخم
الحديث ليوقظه من خيالات الماضي .. فأطرق
برأسه وواصل سيره إلى داخل الشارع متسائلا
..
أعليه أن يقبل بتلك الوظيفة التي يعرضها عليه
جابر وهو أكيد بأنه يعرضها عليه شفقة
وصدقة ؟ ..

إن الأمر يشعره بالإهانة .. يشعره بأن الزمن قد أذله ليعمل في النهاية عند جابر .. إنه لأمر يشق على نفسه ..وأخلاق جابر الطيبة لا تعطيه فرصة لأن يكرهه .. وهو يحتاج لأن يكرهه .. يحتاج لأن يجد شماعة يعلق عليها فشله وإحباطه وشعوره بالغبطة تجاهه.

سحب نفسا عميقا ثم زفره بقنوط مستمرا في شروده..

إنه لا يفهم سوى في الآلات و ميّكنات الغزل والنسيج .. لم يتعلم حرفة في حياته .. ولم يرث أرضا من أجداده .. لقد قضى عمره يعمل في مصنع الغزل والنسيج .. وترقى من عامل على ميكنة حتى صار رئيسا للعمال .. وتحمل خسارات المصنع على مدى سنوات بعد وفاة صاحبه وإدارة الورثة له على أمل تحسن

أحواله .. حتى انهار المصنع وأفلس وأعلن مالكوه اغلاقه وبيعه .. فبيع لأحد الأثرياء ليهدمه ويقيم مكانه بناية حديثة ضخمة سعر الشقة فيها بمبلغ مخيف لأمثاله .

حين وصل للبيت الذي يقع في آخر الشارع وكأنه يسده .. بيت الشيخ زكريا قديما تذكر كيف كان هذا البيت قبل ثلاثين سنة وقبل أن يجدده أبناء الشيخ .. ورآه رحمه الله يجلس أمام ساحة البيت وهو يمسك بعصاه ويتوعد بها بدير الذي كان يتغيب كثيرا عن حضور حصص الكُتّاب ولا يحفظ ما يطلب منه من القرآن ..

ترحم على الشيخ زكريا وانعطف يمينا إلى ذلك الشارع الضيق يتساءل في حيرة ماذا سيفعل في حياته .. أعليه أن يقبل بوظيفة موظف كاشير

أو ساعي في مكتب ! .. إنهم لا يعينون في الوظائف الأرقى إلا ذوي الشهادات العليا وهو لا يحمل سوى شهادة متوسطة .. ولا يوجد مصنع أخر للنسيج في كل المحافظة .

لمحته نصرة آتيا .. فأسرعت بإغلاق النافذة وهي ترفع يدها إلى فمها تقبل ظاهرها وباطنها تشكر ربها على عودته سالما .. قبل أن تسحب الغطاء فوقها على تلك الأريكة القديمة في غرفة المعيشة وتحشر فيها جسدها الممتلئ وتتصنع النوم .

حينما سمعت صوت الباب احمرت وجنتيها تلقائيا وهي ترى من بين رموشها خياله من بعيد على باب الغرفة يتطلع فيها .. لقد قررت أن تعاقبه وألا تنام معه اليوم في نفس الغرفة ..

بلع هلال غصة حين رآها تنام على الأريكة ..
فاقترب بهدوء شبه متأكد بأنها مستيقظة ..
فهي لا تنام إلا بعد أن يعود .. ووضع بجوارها
على منضدة قريبة منديلا قماشيا ملفوفا
واستدار مغادرا .. نحو الغرفة التي هجرتها .

حاولت نصرة التماسك على الأقل حتى ينام ..
لكنها فقدت صبرها بعد دقائق وقد سيطر
عليها فضول تلك المراهقة التي تسكن بداخلها
فاعتدلت بجسدها البدين تمد يديها البيضاوين
نحو منديله وتلتقطه .

بضربات قلب متراقصة نظرت بداخل المنديل
وغامت عيناها وهي تتطلع في بضع وحدات من

فاكهة الجِمّيز* والتوت الأسود ..فاتسعت ابتسامتها بسعادة كالأطفال وغمغمت " من أين حصل عليهم في هذا الوقت المبكر من الصباح؟!.."

مسحت واحدة من الجِمّيز في جلبابها المنزلي ثم قضمت نصفها وهي تقول في سرها بحبور "إنها طازجة .. قطفت من الشجر منذ قليل"

حانت منها نظرة مختلسة نحو باب الغرفة ثم عادت تنظر في المنديل بسعادة شديدة وتهمس لنفسها بتبرم أنثوي خرج من وسط ابتسامة متسعة "كان من الممكن الاكتفاء

---

* الجِمّيز : نوع من الفاكهة تشبه شكلا وطعما ثمرة التين لكنها اصغر حجما وأفتح لونا .. وفي بعض الدول تسمى (التين البري) .

بالجميز يا هلال .. فالتوت بَقّعَ المنديل .. كيف سأغسله أنا الآن !"

××××

رفع كامل الهاتف على أذنه ليأتيه صوت مفرح غريبا وهو يسأله بدون تحية" أين أنت؟"
تعجب كامل ورد وهو يرفع حاجبا مستغربا
"صباح النور يا عم مفرح .. أنا في بيت الجد
صالح ما رأيك في هذه المفاجأة ؟!"
قال مفرح بجدية " أبق مكانك أنا آت إليك "

عقد كامل حاجبيه ونظر للهاتف وقد تأكد بأن هناك أمرا يخص استئجاره للبيت لكنه لا يفهمه ..فوضع الهاتف في جيبه وخرج يحضر شاحن الهاتف من السيارة التي ركنها في الطريق الجانبي الصغير بجوار البيت..
بمجرد خروجه من البوابة رفع حاجبه مندهشا وهو يرى فتاة تقف على بعد عدة أمتار ترسم

بمقدمة حذائها الأخضر فوق الأرض الترابية .. لكنه لم يتوقف بل تحرك للناحية المقابلة إلى حيث ركن السيارة.

في منتصف الطريق توقف واستدار ينظر إليها من بعيد مدققا .. ثم انقلب وجهه وجز على أسنانه وقد أدرك من تكون .. و تذكر ما قاله شامل بأنها خرساء فكظم غيظه واستدار يكمل طريقه يضغط على قبضتيه بجوار جسده بقوة.

طالعت ونس ظهره بإحباط وهو يبتعد ثم نظرت لما تحمله بين يديها بحزن شديد .. لقد عكفت على صنعه يوم أمس بشكل متواصل .. وبالرغم من أن ألوانه لم تجف تماما لكنها أسرعت به إليه كهدية .. لكنه تجاهلها وذهب...

تحركت خطوتين تفكر في اللحاق به ثم أصابها التردد لربما هو لا يريد أن يتحدث معها .. فهي أكيدة من أنه رآها .. ترى هل صدم حين علم بأنها لا تسمع ولا تتكلم فقرر تجاهلها ؟!
نظرت لما تحمله في يديها وقوست فمها للأسفل بحزن قبل أن تلمحه عائدا من جديد فبقيت مكانها بالقرب من البوابة.

ضيق كامل عينيه حين وجدها لا تزال تقف بجوار البوابة وخمن بأنها ربما تظنه شامل .. لكنه قرر أن يتجاهلها وهم بدخول البوابة.. فرفعت له ونس رأسها تصدر همهمة من حنجرتها أقرب للزمجرة .

أغمض كامل عينيه يقاوم شعورا بالشفقة بداخله لا يريده أن يظهر .. لكن الشعور غلبه .. فسحب نفسا عميقا وألصق أسنانه الأمامية

فوق بعضهم يكشف عنهم وهو يستدير إليها
يرسم ابتسامة على شفتيه جعلته يبدو ك شامل
وقال بلطف مستحضرا طريقة توأمه بالضبط "
صباح الخير لماذا تقفين هكذا ؟"
ناولته ونس ما في يدها .. فأمسك به كامل
يتفحصه بين يديه بقرف بينما أسرعت هي
بإخراج الدفتر من جيبها وأخذت تكتب فيه .

بحاجب مرفوع وملامح ممتعضة دقق كامل في
ذلك الشيء الفخاري بين يديه وهو يرى
مصباحا كمصباح علاء الدين في القصص ..
مصنوعا من الفخار ومطليا بالألوان الزاهية من
الأزرق والأخضر .. وبمجرد أن رفعت ونس
وجهها إليه عاد يرسم تلك الابتسامة
البلاستيكية على وجهه من جديد ثم مال
بجذعه قليلا ليقرأ من الدفتر الذي أشهرته في

وجهه " صنعته كهدية من أجلك حتى أشكرك لأنك انقذتني ذلك اليوم "

اعتدل كامل وغمغم بطريقة شامل اللطيفة "رائع .. رائع جدا .. اشكرك بشدة على هذه الهدية "

ضيقت ونس حاجبيها تدقق فيه وانتابها الخوف فجأة وهي تشعر به .. مختلفا . نفس الملامح .. نفس الشكل .. نفس الصوت ..

لكنه ليس هو !

اقتربت أكثر ترفع رأسها نحو ذلك الرجل طويل القامة الوسيم الملامح تتفحص ملامحه متعجبة .. لماذا تشعر به مختلفا .. إنه ليس هو ..

استشعر كامل بأنها لربما تستغربه .. وهذا أمر لا يحدث للكثيرين فهو وشامل يتقنان القيام بدور الأخر وخداع الأخرين بسهولة فقال بلطف مزيف متراجعا خطوتين للخلف ليدخل البوابة" شكرا لك مرة أخرى على هذه الهدية الجميلة "

عقدت حاجبيها أكثر .. فاستدار ليدخل .. لكنه تذكر سيارته وخشي أن يترك الفتاة أمام البوابة فتخربها مثل المرتين السابقتين .. فعاد للاستدارة إليها يقول بذلك اللطف الذي سيفقأ مرارته إن استمر على هذا النحو لوقت أطول "تفضلي أنتِ أولا فلا يصح أن أغلق الباب في وجهك "

بذلك التوجس الذي سيطر عليها تحركت خطوتين للخلف تهم بالمغادرة .. ثم نظرت للمصباح بين يديه وعادت لترفع أنظارها نحوه

تدقق فيه مجددا فرسم الابتسامة العريضة يغمغم في سره بغيظ " خلصينا بالله عليك .. أشعر أن وجهي سيتشقق من كثرة الابتسام "

اندفعت ونس تعود إليه ومدت يدها تخطف المصباح من بين يديه ثم أسرعت بالهرولة تشيعها نظراته الذاهلة ...

فتطلع كامل في يديه الفارغتين مندهشا وغمغم وهو يدخل البوابة ويغلقها خلفه "قلت له إنها هبلاء لم يصدقني !"

××××

هتفت بسمة صارخة" ما معنى أنك أجرت البيت لصاحب مفرح ؟!!"

ببرود علق سليمان الوديدي عباءته المفتوحة فوق كتفيه ورد "كما سمعتِ"

صرخت بسمة مذهولة و الغضب يكاد أن يفجر رأسها "وكيف وقعت معه عقدا ؟؟ .. بأي صفة؟؟!"

قال سليمان ببساطة وهو يستدير نحوها "بصفتي والدك "

طالعته بعينين متسعتين وقالت بغير تصديق" وهل هناك صفة قانونية اسمها والد صاحبة الشأن ؟؟؟ .. هذا تزوير .. أنت وقعت بصفتك مالك البيت وهذا تزوير"

كظم سليمان غيظه وقال من بين أسنانه "افهمي يا غبية .. هذه فرصة جيدة لنا .. هما معجبان بالبيت .. ووافق كامل بك على السعر الذي حددته بل ودفع الثلاثة أشهر مقدما وأنا

قمت بتوقيع العقد معه بدلا منك .. أين المشكلة ؟!!"

قالت بسمة باستنكار " هكذا دون أخذ رأيي أو أخباري!!! .. هل أنا قاصر لتتصرف فيما أملك بالنيابة عني !!"

زفر الحاج سليمان بملل وأولاها ظهره يتناول هاتفه ومفاتيحه من فوق المنضدة الصغيرة في صحن الدار يستعد للمغادرة فتطلعت بسمة في ظهره شاعرة بإهانة شديدة لتجاهله واستخفافه بها فصاحت " بل أنا أدنى مكانة من القاصر .. على الأقل هي يتم اخبارها من باب الإحاطة .. أما أنا ففي مستوى بهيمة من بهائم المزرعة عندك "

استدار الحاج سليمان واندفع نحوها يصيح غاضبا "ارحمينا من هذه العبارات المتفزلكة التي بتِ تتشدقين بها منذ أن عدتِ لاستكمال دراستك .. قلت أجرت البيت للرجل لأنه استثمار جيد "

بملامح مرتعبة مررت الحاجة فاطمة أنظارها بين ابنتها وزوجها بينما نزل وليد من الطابق العلوي مفزوعا من الصوت العالي وخلفه مهجة.. في الوقت الذي صرخت فيه بسمة " ومشروعي؟ .. وتلك الأدوات التي اشتريتها والفتيات اللاتي وعدتهن بأني سأوفر لهن فرصا للعمل معي ؟!"

غمغم وليد "ماذا حدث يا جماعة .. لماذا تصرخين بهذا الشكل يا بسمة .. صوتك بالتأكيد مسموعا في الشارع "

رد الحاج سليمان بقلة صبر" أختك تحاسبني لأني استثمرت لها أملاكها وأجّرت بيت الجد صالح لصاحب مفرح "

لاحت المفاجأة على وجه وليد بينما نظر والده لبسمة وأضاف "أنا لست موافقا على ذلك المشروع وأنت تعرفين هذا .. ألا ترغبين في استثمار أموالك ؟.. ها أنا قد استثمرتها لك بمبلغ كبير سأعطيك إياه لا تقلقي"

قالت صارخة بإصرار " أنا لا أريد هذا الاستثمار.. أريد أن انفذ مشروعي"

تدخل وليد بينهما يقول في محاولة لتهدئة الأمر "اهدئي يا بسمة أرجوك فصوتك عال وسننفضح في الشارع "

رفعت رأسها لوليد بتحدي تقول بلهجة متوعدة " أنتم لم تروا فضائح بعد .. الفضائح هي ما سأفعلها حينما أقرر أن أبيع البيت وأختفي من حياتكم ولن تعرفوا طريقي أبدا .. أنتم مصرين على دفعي لفعل ذلك"

ضربت فاطمة على صدرها قائلة" ما هذا الذي تقولينه يا بسمة !!"

بينما هجم عليها الحاج سليمان يهم بضربها قائلا من بين أسنانه " ماذا تقولين يا بنت الـــ.."

اسرع وليد بالوقوف أمامه بسرعة ومنعه من الوصول إليها وهو يقول مهدئا "اهدأ يا حاج اهدأ أرجوك ما هذا الصباح يا جماعة !..

اصعدي يا بسمة لغرفتك الآن لو سمحت "

ازداد شعورها بالإهانة فصاحت في وليد" أنا لست طفلة ستصرفني إلى غرفتي معاقبة يا أستاذ وليد !!"

جز الأخير على أسنانه وقال بغيظ " أنت تريدينها حريقا إذن يا بسمة "

انفجرت صارخة بهيستيريا " أنا لا أريد أي شيء .. أنا أريد أن تتركوني في حالي .. أن يتركني الجميع في حالي ... لا أريد إلا أن أنفذ مشروعي لم أطلب منكم شيئا غيره "

اعتصر الألم قلب مهجة والحاجة فاطمة التي أسرعت بالتدخل قائلة بمهادنة" نفذيه يا حبيبتي بعد أن تنتهي مدة العقد "

استدارت إليها بسمة تقول بتحدي وجنون الغضب يختلط بالدموع في عينيها الزرقاوين " أنا لن أؤخر مشروعي دقيقة واحدة "

أمسكت مهجة بذراع بسمة تقول بلهجة دبلوماسية "تعالي معي إلى الطابق العلوي يا بسمة"

ناظرتها الأخيرة بعينين متألمتين وغمغمت بكرامة مجروحة" هل ستساعدينهم في حبسي بغرفتي كالمجنونة أنت أيضا يا مهجة!!"

تألمت مهجة بشدة .. فأسرعت بالقول" لا تقولي هذا يا بنت خالي.. بل تعالي إلى شقتي لتهدئي قليلا فلا تبدين بخير أبداً "

تحرك الحاج سليمان نحو باب الدار يقول بقرف" أنا سأغادر فلست متفرغا لتلك التفاهات"

نظر وليد لبسمة التي تسمرت تطالع أثر والدها بعينين يتراقص فيهما الجنون فقال متصنعا الهدوء " أعتقد بأن ما قام به الحاج مناسبا لجميع الأطراف يا بسمة .. أنتِ سيكون لكن دخلا إضافيا .. وفي نفس الوقت لن تخرجي للعمل وتعرضين نفسك للقيل والقال"

رفعت إليه أنظارها تقول بلهجة مستنكرة "أي قيل وقال !! .. هل سأعمل راقصة !!.. أنا سأفتح مشروعا لتقطيع وتجهيز الخضر وتغليفها .. ما هو القيل والقال الذي سأتعرض له؟؟!!"

عاد للصياح في وجهها وقد نفذ صبره " أنت تعرفين أني أنا وأبي معترضان على فكرة عملك من أساسها "
تدخلت مهجة تقول " لماذا يا وليد ؟.. ما به عملها؟؟"

استدار يقول لزوجته بغيظ " لأن لها وضعا خاصا ولو ألقى أحدهم عليها السلام صدفة سيتحدث عنها الناس وينسجون خيالاتهم المريضة "

ردت مهجة بغضب " أنت قلتها (خيالات مريضة) أي أن عقولهم مريضة .. أنا أرى أنكم تضخمون الأمر"
صاح وليد فيها " اصمتي أنت يا مهجة أنت لا تعرفين شيئا"

امتقع وجهها بينما قالت بسمة صارخة "أجل اصمتي يا مهجة.. فهم وحدهم من يعرفون .. لأنهم رجال أما نحن فنساء لا نعي شيئا"

قال وليد بلهجة تحذيرية" بسمة .. أرجوك اهدئي أنت تتصرفين برعونة"

صاحت بسمة ترفع أنظارها وسبابتها إليه بتحدي " لن أهدأ ..ولن اسكت على ما حدث حتى لو اضطررت للذهاب لهذا الرجل بنفسي وطرده من بيتي "
ربتت فاطمة على ذراعها تقول " اهدئي يا بسمة .. ستمرضين بهذه الطريقة "
حالة بسمة الهستيرية أشعرت وليد بالشفقة عليها رغم عدم استساغته لموضوع المشروع .. ونظرة مهجة المحبطة له جعلته يجز على أسنانه بغضب فقال وهو يتحرك ناحية الباب

" دعيني اتحدث مع الحاج في الموضوع ونرى إن كان هناك حلا"

قالها وخرج يلحق بوالده بينما وقفت بسمة تحضن نفسها وتحدق في الأرض وذلك الجنون لا يزال يسيطر على زرقة عينيها .. تفكر كيف ستتخلص من هذه المصيبة التي حلت فوق رأسها .

××××

إنه هو ..
لا أبدا ليس هو ..
نفس الشكل .. ونفس الوسامة .. لكنه بدا لها منذ قليل شخصا آخر ..
فما تشعر به نحوه يختلف عما شعرت به من قبل ..
أكان شعورها لحظيا وتغير ؟..

نظرت للمصباح الفخاري في يديها بإحباط ثم رفعت انظارها نحو الطريق أمامها .. فلمحت والدها يقف أمام الدار مع شخصا ما.

قال العم عيد بلهجة تحذيرية" قلت لك لن أبيع داري فلا تفتح هذا الأمر مجددا "

بلهجة باردة قال الرجل "لماذا يا عم عيد .. أنا أعرض عليك مبلغا كبيرا أكثر مما يستحقه بيتا (وتطلع للبيت على يمينه بنظرة ساخرة وقال) أكثر ما يستحقه بيتا قديما مثل هذا البيت " رد العم عيد بانفعال" ومادام هو بيت قديم صغير لماذا ستدفع هذا المبلغ فيه؟!!"

وضع الرجل يديه في جيبي جلبابه ورد" قلت لك موقعه على الطريق سيسهل لي تخزين بضاعتي "

ضيق عيد عينيه وسأله "أي نوع من البضاعة هذه ؟.. ولماذا في قريتنا وأنت من قرية أخرى؟!!! "

رد الرجل بثقة" لي تجارة يا عمي في كل القرى"

سأله عيد بمكر "تجارة مع بدير؟؟!!"

صاح الرجل منفعلا "ما شأنك أنت إن كانت مع بدير أو غيره !"

بصلابة قال عيد" وأنا ليس عندي ما أبيعه لك "

قال الرجل محاولا اقناعه" إذن أجِّره لي وانتقل بمبلغ الايجار لمكان أوسع"

رد عيد بإصرار "قلت لا لن أترك بيت أبي وأجدادي إلا إلى قبري "

مرت ونس بجوارهما تحمد ربها أن والدها منشغلا مع هذا الرجل واسرعت بالدخول للبيت ..فخطف الرجل نظرة لونس ثم قال لعيد بلهجة تهديد مبطنة "سأترك لك وقتا إضافيا لتفكر يا عم عيد.. وانصحك بالقبول ..فالدنيا لم تعد أمانا مثل السابق .. ووجود هذا البيت وحده على الطريق عند مدخل القرية قد يعرضكم للخطر (وأضاف وهو يضغط على حروف كلماته) وأنت لديك فتاة"

لهجته لم تكن مريحة جعلت ريق عيد يجف فجأة لكنه هدر في الرجل بعصبية " اذهب من هنا بالحسنى هيا "

تطلع الرجل في عينيه لبضع ثوان قبل أن يعدل من ياقة جلبابه ويتحرك ببرود مبتعدا .. بينما ظل عيد لدقائق يفكر في هذه المصيبة التي حلت على رأسه ..

هل قصد الرجل أنهم قد يؤذون ونس ؟؟

لا .. لا يمكن أن يكون الأمر بهذه الخطورة أبدا .

تحرك يدخل البيت مهموما وخاطرة ما ضربت برأسه كمطرقة ثقيلة .

إن كان تخمينه صحيحا وبدير هو من خلف هذا الرجل .. فالأمر لن يكون سهلا .

لمح ابنته تقف شاردة تتطلع في ذلك الشيء الذي عكفت على صنعه من الفخار منذ البارحة وبقيت تراقبه طوال الوقت حتى جف ثم أخذت تلونه .. ورغم أنه معتادا على تلك النوبات التي تصيبها كل فترة بالانشغال بتشكيل شيئا ما بالفخار أو رسم لوحة على الورق أو الرسم على جدران غرفتها أو نحت أشكال من صفحات الجرائد بعد بلها بالماء .. لكنه يشعر بأن حالتها هذه المرة مختلفة و لا يعرف كيف .. هو فقط مجرد شعور ..

يعترف بأن لها تصرفات غريبة أحيانا لا يفهمها .. ليست غرابة مؤذية لكنها غير نمطية .. ابنته ليست على نمط باقي البنات وهذا يحزنه .. لأنه لا يعرف كيف سيتقبلها الناس من بعد موته .. كيف ستعيش؟ .. مع من؟ .. ومن سيقبلها بعيوبها قبل مميزاتها؟ .. إن الناس لا تقبل الغريب وغير المألوف بسهولة ..
هذا إن قبلته ..
وهذه الزيارة الصباحية زادت من همه ومن خوفه عليها .

أعليه أن يترك بيت والده حتى يحميها !.
سؤال صعب الإجابة عليه .

سألها ببعض الخشونة "ونس أين كنت كل هذا الوقت؟؟!"

رفعت إليه عينين بنيتين شاردتين وهزت كتفيها تدعي البراءة وهي تشير لكيس يحتوي على طعام الإفطار .

لا يزال وقع كلام ذلك الرجل يشعره بالقلق .. فانقض عليها يمسك بذراعها قائلا " ولماذا لم تخبريني قبل خروجك.. ولمَ تأخرتِ؟.. ولمَ أخذتِ ذلك الشيء الذي صنعتيه معك؟"
صرخت ونس متألمة من أصابعه التي تضغط على ذراعها بقوة.. لكن عيد كان قد وصل لذروة انفعاله وخوفه عليها فقال هادرا وهو يهزها "متى ستتعقلين وتتصرفين تصرفات مسئولة؟ .. متى ستسمعين كلامي ولا تخرجي دون أن تخبريني "
خلصت ونس يدها من ذراعه وأخرجت دفترها تكتب " أنا أخبرتك بأني سأذهب لإحضار طعام الافطار هل نسيت؟"

تذكر لحظتها بأنها بالفعل قد أخبرته فقال منفعلا وهو يشيح بيده "هيا اذهبي واعدي لنا الافطار هيا"

تطلعت فيه بعبوس وغضب وهي لا تفهم سببا لعصبيته .. ثم تحركت نحو المطبخ الصغير تجز على أسنانها و تقول في سرها وهي ترفع كمها لترى موضع أصابعه على ذراعها" ماذا أصابه اليوم ؟.. لماذا هو عصبي بهذا الشكل !"

شعر عيد بالذنب تجاهها وبأنه كان قاسيا معها فلحق بها في المطبخ ليراضيها بطريقته الغير مباشرة فغمغم بعبوس "دعيني أنا أعد الافطار اليوم .. سأريك كيف يُعد الفول يا خائبة"
بوجه مقلوب افسحت له ونس الطريق ليقترب من الموقد القديم وهي لا تزال تدلك

ذراعها فقال "ستأكلين اليوم طبقا من الفول لم تأكليه في حياتك من قبل و...."
تجمد عيد ينظر للمنضدة بجوار الموقد فأسرعت ونس تنظر لما ينظر إليه وشهقت متسعة العينان في رعب ..
فهناك على المنضدة كانت قد وضعت دفترها وفوقه هاتفها .

قبل أن تندفع لالتقاط الهاتف كانت يد عيد الأسرع إليه .. فأمسك به يتفحصه بذهول.

قد يكون لا يفهم في تلك الهواتف الحديثة ذات الشاشات الكبيرة والتي يعرف بأنها تعمل باللمس ..لكنه يفهم بأن هذا الهاتف يبدو غالي الثمن .. وحتى لو كان رخيصا فمن أين حصلت عليه؟!

رفع إليها عينين خطرتين وهو يعتصر الهاتف في يده وسألها من بين أسنانه " من أين حصلت على هذا؟"

بلعت ونس ريقها بصعوبة وشعرت بالخوف فحركت أنظارها يمينا نحو باب المطبخ تفكر في الهرب بسرعة والاحتماء بغرفتها .. لكن عيد كان الأسرع بالانقضاض عليها حينما قبض على شعرها بعنف .. فمالت برأسها أمامه على الرغم من أنها أطول منه ليعيد سؤاله هادرا "من أين حصلت على هذا الهاتف الذي يبدو غاليا يا بنت عيد ؟!!"

همهمت من بين بكائها تصدر أصواتا من حنجرتها غير مفهومة .. فصاح عيد وهو يضغط على رأسها لتميل بجذعها أكثر أمامه " انطقي من ؟"

بلهجة باكية صرخت في وجهه تنطق بصعوبة شديدة "مييييييكا"
ضيق عينيه وسمح لها لتستقيم واقفة مغمغما بعدم استيعاب" تقصدين مليكة؟ ..مليكة صوالحة؟؟؟!"
أومأت برأسها متمنية أن تتخلص من يده التي لا تزال تقبض على شعرها وتؤلمها لكن غضبه قد ازداد فشدد من قبضته على شعرها يقول مغلولا " ولماذا قبلتيه منها يا بنت ال*** ...
ألم أنهك عن قبول أي شيء من أحد !!.. ألن تكفي عن عادة قبول الهدايا من الأخرين .. ألم أفهمك بأننا لا نملك ما نرد به هذه الهدايا .. متى ستتعلمين أن يكون لك كرامة وكبرياء !"

انفجرت ونس في البكاء متألمة .. فدفعها يحاول ابعادها عنه وعما يفور في رأسه من

غضب شديد قد يدفعه لأذيتها .. فارتطمت بالباب قبل أن تفر هاربة إلى غرفتها وتغلق عليها بابها ..

افترشت ونس الأرض تبكي وقد أدركت .. بأن أيام البهجة قد انتهت .. وستعود بلا هاتف .. بلا انترنت .. بلا أفلام وحكايات وخيال .. ستعود للعالم الرمادي الكالح .

××××

قالت مهجة تحاول تهدئتها وهي تراها تتحرك جيئة وذهابا في صحن البيت بعصبية وغضب" اهدئي يا بسمة أرجوك أنت تلهثين بطريقة مقلقة ووجهك يبدو منتفخا .. اهدئي وأنا أكيدة بأن مفرح سيحلها ألم تخبريه ؟"

استدارت إليها بسمة وقالت وهي ترفع وشاحها من فوق كتفيها إلى رأسها وتغادر "وأنا لن أنتظر مفرح أو غيره ليحل لي مشكلتي .. إلى متى سأظل أنتظر رجلا لأتخفى خلفه!!"

نظرت مهجة لحماتها الحاجة فاطمة التي صاحت في ابنتها وهي تلحق بها عند باب البيت" إلى أين يا بسمة .. بالله عليك لا تزيدي الأمر تعقيدا .. بسمة.. بسمة "

أمسكت الحاجة فاطمة بقلبها فأسرعت مهجة إليها لتهدئها قائلة" تعالي يا خالتي .. سأتصل بمفرح وأخبره ليلحق بها "

غمغمت حماتها بعينين باكيتين" أجل اتصلي بمفرح ولا تخبري أخوها أو أبوها فلا تنقصنا المشاكل"

قالتها ونكست رأسها تغطي عينيها بطرف وشاحها وتبكي " اجعل العواقب سليمة يا رب "

xxxx

قال وليد للحاج سليمان معاتبا" لماذا يا أبي أجرت له البيت .. أنت تعلم بأنها باتت عصبية وقد يصدر عنها ما حدث قبل ثلاث سنوات فوق السطح وتفكر في أذية نفسها "

قال الحاج سليمان بقرف" إنها غبية ولا تفهم أين مصلحتها .. لقد استثمرت لها البيت لمدة ثلاثة أشهر بمبلغ لم تكن تحلم به .. ولربما أعجبهما الوضع وطلبا تجديد العقد.. أي أنها ستقبض مبلغا شهريا ليس بالهين دون أي عناء وبدون أن ترهق نفسها بمشاريع .. وبالطبع سترحمنا من القيل والقال الذي قد يطالها بسبب ذلك المشروع .. كما أنها فرصة جيدة لربط هذين الثريين بنا وتقديم كافة وسائل الراحة لهما ليستمرا في التعامل معنا "

قال وليد متفهما " أنا مثلك لست موافقا على هذا المشروع يا أبي لكني أخشى من انفلات أعصابها كالمرة الماضية أخشى من الضغط عليها .. أنت رأيت بنفسك كم كانت منفعلة .. وكيف ترفض مبدأ التأجير"

أشاح سليمان بيده قائلا " ما حدث قد حدث وتم تأجير البيت "

ركن مفرح سيارته بجوار مزرعة الوديدي للمواشي وترجل يسأل أحد العمال ليتأكد من أن الحاج سليمان بالداخل قبل أن يدخل المزرعة بخطوات عصبية ..

لقد فضل المرور على خاله أولا ليتأكد منه وجها لوجه صحة ما قالته بسمة قبل أن يحرج نفسه أمام صاحبه الذي تعامل معه رغما عنه على الهاتف منذ قليل بطريقة سخيفة.

حين لمح خاله وابنه يقفان أمام بعضهما أسرع إليهما يسأل " ما هذا الذي سمعته يا خال ؟" قال الحاج سليمان بامتعاض" قل صباح الخير أولا يا ابن أختي .. ما الذي حدث؟ .. هل أسرعت الست هانم بإخبارك ؟؟"

سأله مفرح سؤالا مباشرا "هل أجرت بيت الجد صالح لصاحبي يا حاج سليمان ؟"

رد سليمان بغيظ" وأين المشكلة؟.. لقد أبديا اعجابهما بالبيت وطلب كامل بك مساعدته في العثور على مكان ليبيتا فيه كلما حضر لمباشرة أعمال الذبح والتقطيع التي سنوردها للمطعم في الفترة الأولى من التعاقد ..فعرضت عليهما البيت مرحبا .. لكنه أصر على مكان ليؤجره حتى يشعر بالراحة.. فعرضت عليه البيت للإيجار .. فيم أخطأت أنا ؟.. أفهمني! .. هذا

بدلا من أن تشعر الست بسمة بالامتنان لما فعلت؟!!"

مشط مفرح شعره الأسود بأصابعه للخلف عدة مرات بعصبية مشيحا بوجهه عنهما يحاول التحكم في أعصابه ثم عاد إلى خاله يقول بلهجة مستنكرة " وقّعت العقد بصفتك المالك ؟؟.. وبدون أن تخبر بسمة أو تخبرني يا خال وأنت تعرف بصلتهم بي؟ .. لقد وضعتني في موقف محرج لأنني لا اتوقع أن بسمة سترضخ لهذا .. فأنا أعلم مدى تمسكها بهذا المشروع"

قال وليد غاضبا "المشروع الذي تساندها فيه يا ابن عمتي "
حرك مفرح مقلتيه نحوه قائلا بتقريع
"لأعوض عدم مساندتك لها فيه يا ابن خالي"

امتقع وجه وليد بينما عاد مفرح ينظر لخاله ويقول بغيظ " الحقيقة لا أعرف كيف أحل هذا الموقف المحرج .. ولماذا وُضِعت فيه من أساسه أمام صاحبي"

هتف الحاج سليمان منفعلا " ليس هناك أي حرج إن شاء الله .. و أنا كفيل بمنع بسمة من الاقتراب من البيت حتى لو اضطررت لحبسها " رفع وليد حاجبيه باستنكار ورفض بينما رد مفرح وهو يعود خطوتين للخلف ويهم بالمغادرة" وأنا أفضل الحرج أمام صاحبي على أن تتعرض لها بأي أذى يا خالي .. سأتحدث معه ليلغي العقد "

قالها واستدار يوليهما ظهره مبتعدا يضع النظارة الشمسية فوق عينيه .. فجحظت عينا الحاج سليمان وقال لوليد بارتباك "سيكون

الأمر محرجا لي بشدة أمام كامل إذا أخبره مفرح أني قد أجرت البيت وهو ليس ملكا لي .. كما أنني شعرت بأنه وتوأمه يبالغون في الاهتمام بالتفاصيل ولا أريد أن أترك لديهما انطباعا بأننا لسنا محلا للثقة "

رد وليد بهدوء مفكرا " لكنك في المقابل عليك بإقناع بسمة يا أبي فالعنف والقمع لن ينفع معها "

ضيق سليمان عينيه وسأله بشك " هل تعتقد بأنها قد تنفذ تهديدها ببيع البيت بدون علمي والاختفاء "

هرش وليد في رأسه وغمغم بحيرة" لا أعرف .. الحقيقة أنها قد تغيرت كثيرا منذ طلاقها ولم أعد أعرف فيم تفكر .. لكني بعد ذلك اليوم الذي كادت فيه أن تقتل نفسها بت أتوقع منها

تصرفات متهورة إذا ما تعرضت لضغط نفسي
..وأنت رأيت حالتها منذ قليل"
صمت الحاج سليمان يحاول البحث عن
مخرج سلمي من الوضع المتأزم دون خسارة
عميل ثري كصاحب مفرح ودون احراج نفسه
أمامه .. قبل أن تتهور بسمة بأي تصرف غير
مدروس .

××××

وقف التوكتوك أمام بوابة بيت الجد صالح
فترجلت بسمة بسرعة والغضب يسري كالحمم
في دمائها ..
تُصارع الاحباط في أجلّ صوره..
الصدمة الكبرى ..بعد أن عشمت نفسها بذلك
المشروع الذي سيشعرها بأنها قادرة على انتاج
شيء مفيد .

فتحت البوابة بالمفتاح ثم عبرت الساحة بخطوات عصبية واقتربت من باب البيت تطرق عليه بخشونة.. فتحرك كامل ليفتح الباب وقد اعتقدها مفرح .. لكنه فوجئ بها من جديد تقف على بعد متر من باب البيت.. فامتن لذلك الحظ الجميل الذي مكنه من أن يرى حسنها البهي مرتين خلال هذا الوقت القصير ..

خرج إليها في ساحة البيت ووقف أمامها واضعا يديه في جيبي بنطاله صامتا متسائلا يكاد يلتهم وجهها بعينيه .. فبادرته بسمة ترفع رأسها إليه وتقول" اسمع يا أستاذ .. هذا البيت ملكي أنا .. والحقيقة أنني لا أرغب في تأجيره .. واعتذر عن أي سوء فهم حدث.. فقد تصرف والدي بدون علمي"

تفاجأ كامل بمعلومة أن البيت ملكها .. لكنها مفاجأة حلوة جعلته لا يعير اهتماما لما قالته بعد ذلك ورد بلهجة ساخرة" تشرفنا يا حضرة صاحبة البيت .. وما هو المطلوب مني؟"
تقبضت إلي جانبي جسدها وردت بعصبية لم تستطع التحكم فيها" قلت أنا أرفض تأجير البيت ونحن نعتذر لك بشدة وتستطيع أن تكلم مفرح حتى يجد لك بيتا أخر "
طالعها من علو بتلك النظرة الغامضة التي تستفزها وقال بهدوء مناكفا" لكني أريد هذا البيت "
ناظرته بتحدٍ تقول بثبات "وهو ليس معروضا للإيجار "
حرك كتفيه قائلا ببساطة وهو يراها شهية بتلك البحة التي ينقلب إليها صوتها عند العصبية" أنا بالفعل معي عقد إيجاره "

"بِلّه واشرب مائه لقد اخبرتك وانتهى الأمر"

قالتها مستفزة من تلك الابتسامة المتراقصة على زاوية شفتيه واستدارت مغادرة بخطوات عصبية .. ابتسامة استقبلتها كاستخفاف بها فنكأت بدون قصد شعورا عاما بالإهانة تعيشه في تلك الساعة قد يكون هو ليس طرفا فيه ..

استمر كامل في مشاكستها راغبا في إبقائها لوقت أطول فقال وهو يتحرك ببطء خلفها "حسنا يبدو أنني سألجأ للشرطة"
تجمدت مكانها ثم استدارت إليه لتتفاجأ به خلفها فرفعت إليه أنظارها تسأله باستهجان "ماذا تقصد؟!"

بنفس وقفته يديه في جيبي بنطاله حرك كتفيه وقال ببرود" أقصد بأنني سأقدم بلاغا للشرطة

وأرفق به صورة من العقد الذي وقّع عليه
والدك بصفته المالك وأنه يريد أن يطردني "

كررت باستنكار " قلت لك البيت ملكي أنا ..
وأنا لم أوقع على أية عقود معك"
مال قليلا للأمام يحدق في عينيها المبهرتين
ويقول مستمرا في المناكفة " لكن والدك وقّع
وهذا تزوير .. يا .... استاذة"
رفعت ذقنها إليه تقول بكبرياء مصححة
"باشمهندسة"
طاوعها يهز رأسه قائلا " يا باشمهندسة ..
أتريدين إخباري بأن الحاج سليمان مزور!"

انعقد لسانها .. ووقفت تتطلع فيه بغيظ
ممزوج بشعور غريب بالرغبة في .. ضربه في
صدره العريض هذا الذي يتباهى به فاتحا أزرار

قميصه بأكثر مما ينبغي معلقا في رقبته خيطا أسودا سميكا تختفي نهايته تحت قميصه ..
ولم تدري بأن تلك الثواني من الصمت الغريب بينهما سمحت له بالتجول بنظراته في وجهها ..
وبأن قلبه قد بدأ بالقفز في صدره وعيناه أخذتا تغازلان طابع الحسن في ذقنها..
وبأن ذلك الشعور بدفء جسدها يصله رغم تلك الأمتار القليلة التي تفصل بينهما.

هل انتبهت لأنه يحدثها بلهجة بلده؟ ..
وهل انتبه هو بأنه فعل ؟..
فهو يحرص هو وتوأمه على استخدام لهجة البلد المحلية هنا في البلدة حتى يفهمهما أهلها البسطاء .

في الخارج ركن مفرح سيارته وترجل منها مسرعا يسب ويلعن في سره بعد أن اتصلت به مهجة تخبره بخروج بسمة ..
لا يعرف أي موقف حرج قد وضعه فيه خاله لكنه مصر أن يحسمه فورا فصاح فور دخوله للبوابة "بسمة !"

لم تلتفت إليه.. ولم يتغير وضعها عن التحديق في ذلك الكائن المستفز أمامها الذي أسرع بإنزال نظراته أرضا بمجرد دخول مفرح بل هتفت في وجه كامل بجنون "من تظن نفسك يا هذا؟!!"
اظلمت ملامح كامل وعقد حاجبيه بعبوس بينما اقترب مفرح يقول بلهجة موبخة "بسمة ماذا تفعلين؟"

لم تحيد نظراتها عن كامل .. بل ظلت تحدق فيه بإصرار تحاول إيجاد رداً مناسباً وكأنه هو

سبب ما تعانيه لحظتها فقالت صارخة" أهو غصب !! .. قلت لا أرغب في تأجير البيت!!"

تدخل مفرح بسرعة يفرد ذراعه بينهما موليا ظهره لكامل وكأنه يفض اشتباكا وقال بلهجة موبخة " لم يكن هناك داع لمجيئك .. اذهبي يا ابنة خالي وأنا سأتصرف"

لولا ذلك الألم الذي استشعره كامل في عينيها وهو ينظر لها من فوق كتف مفرح لشعر بالمتعة من استفزازها لكن الأمر يبدو معها جديا .

هدر مفرح في تلك التي لا تزال تحدق في كامل من فوق كتفه " بسمة (وأمسك بذراعها يقودها نحو الخارج قائلا بحزم) قلت سأحل أنا الأمر فلا يصح وقوفك هكذا"

تفاجأت بسمة بطريقة مفرح العصبية معها وبأصابعه التي تمسك بذراعها ببعض الخشونة تقودها بغضب للخارج بينما شعر كامل بالضيق وبشعور آخر لا يدري كنهه مستهجنا خشونة مفرح معها ومستاءً من يده التي تقبض على ذراعها.

على بوابة البيت وقفت بسمة تنظر لمفرح نظرة لوم أوجعت قلبه لكنه حافظ على وجهه الحازم حتى لا تتمادى في جموحها وتؤذي نفسها .. فالناس لن ترحمها إن تصرفت بجرأة .. وهي في حالة من الجنون تجعلها تتناسى أن الوضع في قرية صغيرة يختلف تماما عن حياة المدن .

سألته بلهجة ساخرة مُرّة "هل ستلقي بي في الشارع يا ابن عمتي؟.. أم ستتركني أراقب الوضع من خلف قضبان هذه البوابة وأنت تتحدث معه في أمر يخصني؟!"

بحزم وبصمت غاضب قادها مفرح نحو سيارته وفتح باب المقعد الخلفي وادخلها ثم قال" ابق هنا فالموضوع بسيط بإذن الله (ورفع سبابته محذرا) ولا أريد منك تهورا فيكفيني خالي وما يفعله بي "

بمجرد أن استدار تفاجأ بكامل يقف على بوابة البيت خلفه فاقترب منه يقول بلهجة عتاب" لماذا لم تخبرني يا كامل؟"

حاول كامل أن يحافظ على نظراته بعيدا عن تلك التي تُخرِج رأسها من نافذة سيارة مفرح

على يساره ورد بجدية وقد أدرك بأن هذا العقد قد سبب مشكلة كبيرة وليس مجرد أن والدها أجر البيت بدون علمها وأجاب"الموضوع أتى بالصدفة ونحن نوقع عقد التوريد لمنتجات اللحوم .. وكنت أنوي إخبارك أمس في المزرعة أتذكر حين قلت لك لدي خبرين وأخبرتك عن واحد ثم قاطعنا ذلك الغفير واضطررت لتركنا .. وها أنا جئت اليوم لأخبرك بنفسي لكني لا أفهم ماذا يحدث؟"

قال مفرح وهو يحك جبينه بأنامله" لو كنت أعلم بأنك ترغب في بيت لك في البلدة كنت وفرت لك واحدا دون أن تلجأ لأمر الإيجار يا صاحبي"

قال كامل بجدية "أنا أصريت على أن أؤجر مكانا يخصني أنا وشامل كلما جئنا لمباشرة أعمال

الذبح وتقطيع اللحوم في الفترة الأولى لأننا اتفقنا على مواصفات معينة وأردنا متابعتها بأنفسنا في أول الأمر فأردت أن نشعر بالراحة وبأننا لسنا ثقيلان على أحد ولآتي وقتما أحب دون حرج .. وقد عرض الحاج سليمان تأجير البيت لنا فوافقت ووقعت العقد"

بحرج شديد غمغم مفرح مضطرا للكذب "الموضوع فيه سوء فهم فخالي كان يعتقد أن بسمة سترحب بتأجير البيت لكنها ترفض ذلك"

حانت منه نظرة مختلسة نحوها سحبها بسرعة وقال "إن كان مبلغ الإيجار لا يناسب فسأ .."

قاطعه مفرح قائلا بإصرار "الأمر ليس كذلك يا كامل .. فهلا صرفت نظر عن هذا البيت بالذات من أجل خاطري "

قال كامل بإحباط مستسلما "بالطبع يا صديقي لك ما تريد "

شعر مفرح بالراحة وربت على كتف كامل مغمغما " لا تؤاخذنا يا كيمو على ما حدث"

انتبها لسيارة توقفت خلفهما وترجل منها الحاج سليمان يلملم في عباءته قائلا بعد أن حدج بسمة التي تخرج رأسها من سيارة مفرح بنظرة متوعدة" السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"

رد كلاهما السلام بينما مد كامل يده يسلم على يد الحاج سليمان الممدودة فقال مفرح "إن كامل قد قرر..."

قاطعه الحاج سليمان قائلا " الأمر بسيط جدا
وقد حدث فيه سوء فهم يا جماعة .. لكني
كنت أرتب لكل شيء منذ البداية .. "
امتقع وجه مفرح واتسعت عيناه بغيظ بينما
أكمل الحاج سليمان بلهجة استعراضية
"الباشمهندسة بسمة ابنتي تنوي إقامة مشروعا
يخصها هنا في بيت الجد صالح لكنها لا تحتاج
للبيت .. تحتاج للمخزن فقط .. ففكرت بما أني
والدها والذي يراعي شئونها ..أن أقيم سورا
يقسم ساحة البيت الكبيرة هذه إلى نصفين
حتى تتمكن هي من إقامة مشروعها بالمخزن
بينما يظل البيت بمنأى عن أيدي العاملات
اللاتي سيترددن على المكان وذلك للحفاظ على
البيت .. وها هو كامل بك قد أعجب بالبيت
وأصر على دفع إيجارا نظير سكنه فيه .. ولولا
أنه أصر واقسم عليّ لما كنت قبلت أي نقود ..

(واتسعت ابتسامته مضيفا) فنحن في النهاية شركاء عمل وهو ضيف مفرح ابن أختي "

غمغم كامل يختلس النظرات لمفرح وقد عاد ليتشبث بالأمل من جديد.. أمل لا يدري بماذا.. وإلى أين سيأخذه" أنا لا أريد أن أسبب حرج من أي نوع"

رد الحاج سليمان بثقة استفزت مفرح وبسمة " إطلاقاً فنحن لا نستخدم البيت من الأساس "

قال كامل شاعرا بالسعادة رغم ملامحه الجادة" لا بأس .. وأنا لا احتاج لساحة البيت الكبيرة في شيء فإن كان التقسيم سيكون حلا مريحا لجميع الأطراف فلا بأس"

ظل مفرح ينظر لخاله بوجه ممتقع معقود اللسان .. لا يعرف بما يرد بينما اتسعت ابتسامة الحاج سليمان برضا بعد أن استطاع هو ووليد التوصل إلى هذا الحل الدبلوماسي حتى لا يخسر ثقة شريك ثري مثل كامل نخلة فغمغم بسعادة " الحاجة أم وليد صنعت بعض الفطير (المشلتت) خصيصا حينما علمت بوجودك يا كامل باشا .. (ونظر خلف الأخير يسأله بفضول) أين توأمك ألم يأتي معك ؟"

أما مفرح فقد استدار وتحرك نحو السيارة ينظر بضيق لبسمة التي بداخلها تسند رأسها بين كفيها ومال يقول عبر النافذة مواسيا "رُب ضارة نافعة يا بسمة .. على الأقل اعترف بمشروعك "

لم ترفع رأسها بل تمتمت بهمس في محاولة منها للتماسك "اللهم لا اعتراض .. اللهم لا اعتراض"

xxxx

إن الأمر يخرج عن سيطرته وعليه التصرف وتغيير الخطة بسرعة .. فحين لجأ للشرطة كان يعلم جيدا بأن مدة صبره على دين زهير ستبرر موقفه أمام الناس .. وكان إدخال الشرطة في الأمر هو خطته الجديدة بعد أن فشلت خطته في الضغط على زهير للتخلي عن قطعة الأرض التي ورثها عن أجداده ..صحيح هي قطعة أرض صغيرة جدا لكنها تجاور أرضه الزراعية في مدخل القرية .. وتقع هي وبيت عيد القللي على الطريق المؤدي للمخازن التي يخفي فيها ما يريد اخفائه ..وهو منذ فترة يحاول الحصول على أرض زهير وبيت عيد لتأمين الطريق لصفقاته والتي يخطط لأن يتوسع فيها.. ولهذا

كبّل زهير بالديون وفوائدها لعله يرضى ببيع الأرض لكن الأخير كان عنيدا بشأنها.. فلم يجد بدا من تهديده بالحبس لعله يرضخ للبيع مقابل التنازل عن البلاغ ضده ..

وبالرغم من توقعه لتدخل مصطفى الزيني كالعادة في مثل هذه المواقف وحسب حسابه جيدا .. وقرر مسبقا ماذا سيفعل بشأنه.. لكن ما حدث لابن زهير أفسد مخططاته وحرك مشاعر الجميع ضده تعاطفا مع الولد الصغير ..

لذا عليه تعديل الخطة قليلا والتحلي بالمرونة لسرقة المشهد مرة أخرى من زهير وكسب تعاطف الناس .. فلا بأس من خسارة جولة .. هكذا علمته حياته الطويلة .. فجولات أخرى

كثيرة قادمة وإن لم يستفد من الموقف فعلى الأقل لا يخسر ..
لا يخسر أموالا أو أشخاصا
قاده الغفير إلى مجلس العمدة فدخل بدير عليه مهللا "السلام على عمدة بلدتنا حكيم زمانه الذي لولا حكمته في إدارة الأمور فيها لضاعت قريتنا"

حدجه العمدة بنظرات حادة ثم قال وهو يشير له بيده الممسكة بالسبحة " اجلس يا بدير وكف عن هذا الهراء أنت لم تحترم لا عمدة ولا قرية حين فعلت فعلتك بالذهاب للشرطة"
جلس بدير على أحد الأرائك يقول بمحاباة "ما عاش ولا كان من يتخطاك يا عمدتنا .. الأمر وما فيه أني أعرف بأنه مُفلس ولا يملك ما يرد به الدين وكنت أريد معاقبته حتى يكف عن استغلال قلبي الرقيق وطلب المزيد من المال

(وأضاف بمكر) ولم أكن أرغب في أن يتدخل أحد لسداد الدين عنه والظهور بمظهر الزهد والورع ومساعدة الناس"

اعتدل العمدة في جلسته في المقعد الوثير الذي يتوسط المجلس وقد نجح بدير في استدراجه لما يخطط له فسأله متوجسا "من تقصد؟"
أجاب الأخير سعيدا بالتعبير الذي يراه على وجه العمدة أمامه" أنت تعرفه جيدا يا عمدتنا .. من يحاول أن يظهر بمظهر قاضي مصالح الناس لشحنهم بعد ذلك حينما توافق الجهات المعنية على أن يكون مفرح الزيني هو العمدة القادم لتغرق قريتنا الهادئة المسالمة في الفتنة"
ضيق العمدة عينيه وقال بانفعال " تقصد مصطفى الزيني؟"

بهدوء رد بدير " وهل هناك غيره !.. بصراحة أردت أن ابتعد عن تدخل الأخير في الأمر وجمع تبرعات لسداد الدين بل والتبرع بسداد جزء منه من ماله الخاص .. (وأكمل بلهجة تمثيلية وهو يضع كفه على صدره) ففضّلت سجن زهير وخسارة أموالي في مقابل ألا يظهر مصطفى الزيني بمظهر البطل المغوار حَلّال العُقَد أمام الناس "

جز العمدة على أسنانه ولم يعقب .. بل أخذ يهز ساقه بغضب بينما أكمل الأخر " ومع هذا تدخل أبا حمزة ووصل الأمر لتهديدي "

عقد العمدة حاجبيه قائلا باستنكار "تهديدك؟!!!"

أسبل بدير أهدابه يقول " أجل تهديدي بأن اتنازل عن البلاغ ضد زهير وأن نجلس لجدولة ديوني .. وبأنه سيدفع لي جزء منها من ماله الخاص .. وبالطبع سيظهر أمام أعين الناس حكيم القرية وحامي مستضعفيها"
اكفهر وجه العمدة .. فلاح شبه ابتسامة ماكرة على زاوية فم بدير وأضاف يضغط على مخارج حروف كل كلمة " ومع هذا أنا آت الآن لأخبرك يا عمدتنا بأني سأتنازل عن البلاغ .. ولن أقبل بالعوض من أطراف خارجية .. إما أن يدفع لي زهير من ماله الخاص أو (وتنهد بطريقة تمثيلية أمام عينين العمدة الناظرتان إليه بشرود) سأفوض أمري إلى الله وسأقبل خسارة أموالي في مقابل أن أثبت اخلاصي لعائلة عبد الرحيم الزيني وأولاده "

سُمِع طرق على باب المجلس ودخل بعدها عويس .. فأذن له العمدة بالدخول ليسرع مقتربا ثم يميل على أذن العمدة يهمس بشيء جعل عيني الأخير تتسعان قبل أن يهتف في شيخ الغفر "هل أنت متأكد من هذا الكلام؟؟" قال عويس بثقة "متأكد جدا يا جناب العمدة جئت من هناك حالا "

لاح الفضول على وجه بدير فأدار إليه العمدة وجهه يقول" لقد هرب زهير من الحجز" اتسعت عينا بدير بينما أضاف العمدة "هناك من سرب له معلومة خاطئة إلى داخل الحبس بأن ابنه قد غرق في الترعة ومات " مط بدير شفتيه في صمت .. فنظر العمدة لشيخ الغفر قائلا" ضع مراقبة حول داره بالتأكيد سيذهب إلى هناك"

قال عويس بثقة "لا اعتقد بأنه سيفعلها جنابك"

سأله العمدة بلهجة ساخرة" لماذا يا فقيه عصرك!"

حرك عويس أنظاره بين الرجلين في تردد من الحديث ثم قال "لقد أصيب بطلق ناري أثناء هروبه "

سأله العمدة بعبوس" هل مات؟"

أجاب عويس " لا نعرف جنابك ..فقد هرب ولم تستطع الشرطة العثور عليه حتى الآن"

ضرب العمدة كفيه ببعضهما مغمغما بأسف " لا حول ولا قوة إلا بالله "

أما بدير فتنهد قائلا بسخرية مبطنة "هيييه دنيا !.. لو صبر فيها القاتل على المقتول لمات وحده !"

xxxx

عند الظهيرة

دخل مفرح لساحة بيت العمدة بعد أن ترك كامل لينال قسطا من النوم وبعدها سيلتقيان عصرا قبل أن يعود الأخير للعاصمة مساء اليوم أو صباح الغد ..

كان يتمنى أن يتنازل كامل عن العقد وينتهي الأمر لكن تدخل خاله أمام صاحبه وضعه هو وبسمة في حرج .. بسمة التي يشعر بالشفقة عليها ويشعر بأنه مكبل بأشياء كثيرة تعوقه لمساعدتها كما يجب .. لو كانت أخته لفعل من أجلها الكثير حتى تقف صلبة على قدميها ..

ترجل من السيارة يفكر في مليكة .. فلم يطمئن عليها حينما استيقظ ولا يعرف إن كانت قد عادت من سرايا الصوالحة أم لا .. وهل ذهب

ولداه للمدرسة أم لم يذهبا .. تحسس جيوبه يبحث عن هاتفه واستدار ينظر في السيارة قبل أن يقترب منه أحد الغفر قائلا "مفرح باشا " بمزاج عكر قال مفرح دون أن يستدير إليه "خيرا .. ماذا تريد من الزفت ؟.. أي مصيبة أخرى حدثت هات ما عندك "

حين لم يرد الغفير استدار إليه مفرح متسائلا.. فتكلم الأول وهو يشير على أحد أركان الساحة قائلا "ينتظرك منذ ما يقرب من ساعتين " تطلع مفرح خلف الرجل فوجد العم عيد يستقيم واقفا من على أحد درجات السلم الصغير المؤدي لتلك الشرفة العالية التي لها مدخلا منفصلا من ساحة البيت ووقف ينفض جلبابه وهو يتطلع فيه من بعيد..

عقد مفرح حاجبيه وسأل الغفير "ولماذا تركته يجلس بهذا الشكل ألا يوجد لدينا غرفا للانتظار ؟!"

قال الغفير "حاولنا معه كثيرا سعادتك .. لكنه رفض رفضا تاما وأصر على انتظارك في هذا المكان .. وتعرف كيف هو عنيد "

تركه مفرح وتقدم من العم عيد يقول ببعض اللطف "لماذا تنتظر هنا يا عم عيد ألا تريدنا أن نضايفك "

سلم عليه عيد مغمغما بالشكر ثم قال وهو يخرج من جيب جلبابه هاتفا محمولا "هذا يخص السيدة حرمكم"

امسك مفرح بالهاتف بين يديه بدهشة وغمغم قائلا "لا أفهم "

بلع عيد ريقه وقال بهدوء" السيدة حرمك بارك الله فيها أهدته لونس ابنتي لكني أمنعها من قبول أي هدايا لذا اعيده لها فاشكرها جزيل الشكر "

قال مفرح بجدية " مادامت هدية فلماذا ترفضها يا عم عيد ؟!"

تكلم عيد بترجي " سامحني يا باشمهندس وابلغ الست هانم اعتذاري الشديد "

لم يلح عليه مفرح فهو يعرف كيف أنه رجل عنيد وشديد الحساسية لكرامته فغمغم مستسلما "كما تريد يا عم عيد .. تعال لنشرب الشاي"

قال عيد باعتذار مؤدب" لا تؤاخذني يا باشمهندس فقد تأخرت على ونس وأنت تعرفها .. قد تدور لتبحث عني في البلدة كلها إن شعرت بأني تأخرت عليها (وتحرك مغادرا يقول) السلام عليكم "

شيعه مفرح بنظراته وهو يرد السلام قبل أن يفحص الهاتف الذي في يده ثم تذكر هاتفه فعاد إلى السيارة ليبحث عنه ..

بعد دقائق دخل البيت يلقي السلام على والدته التي بادرته بالقول " خرجت بدون إفطار يا حبيبي "

رد مفرح بلهجة متهكمة "البركة في خالي العزيز"
سألته بفضول" ماذا فعل سليمان ؟"
غمغم مفرح بابتسامة صفراء وهو يصعد السلم "كل خير .. وهل يأتي من طرف خالي العزيز إلا كل خير !.. (ونظر لأعلى يسأل) هل عادت مليكة لم أتواصل معها منذ الصباح؟ "

غمغمت أمه بلطف ظاهري" عادت يا حبيبي
في الصباح الباكر ليرتدي الولدين ملابس
المدرسة ويبدو أنها نائمة الآن "

قال مفرح وهو يكمل صعوده" من الجيد أنها
نائمة دعوها ترتاح اليوم يامّة "
سألته أمه بسرعة " ألن تفطر؟"
رد مفرح وهو يواصل الصعود " أكلت مع كامل
صديقي .. لقد أعد خالي وليمة إفطار وارسلها
له في بيت الجد صالح .. سلمت يداك يا غالية
.. سأطمئن على مليكة وأنزل لأرى العمدة "
قالها واختفى من أمامها صاعدا للطابق الأعلى
بينما تغيرت ملامح نحمده ولاح الغيظ على
وجهها مغمغمة "دع السنيورة تنام .. فلتنام
فوقها حائط لا تقم بعدها بنت الصوالحة "

بعد دقيقة دخل مفرح غرفة نومه فوجدها على ذلك المقعد بجوار النافذة وحولها تلك العرائس التي تصنعها من الخيوط وتحشوها .. فخمن بأنها لم تنم جيدا .. ليس فقط بسبب ذلك الارهاق البادي على وجهها ولكن لأنها غالبا ما تلجأ لصنع هذه العرائس حينما يصيبها الأرق .

اهدته ابتسامة رقيقة كرقة منامتها ذات الماركة الشهيرة التي لا يتذكر اسمها .. والمصنوعة من الحرير بلون وردي باهت تلتف حول جذعها وتنتهي بلوزتها بإطار من الدانتيل من نفس اللون لا يغطي من خصرها الرشيق إلا القليل وبنطال من نفس القماش واللون يظهر جمال قدها بما يأجج نيرانه وعذاباته..

ألقى السلام .. فردته برقه وهي تترك مقعدها وتقترب منه ليشدها مفرح إلى أحضانه قائلا براحة كبيرة وهو يحضنها " أخيرا استطعت أن أخذك إلى حضني مليكتي"
غمغمت بهمس" أعرف بأني أرعبتكم كلكم .. سامحوني"
أبعدها قليلا وألصق جبينه بجبينها ينظر في عينيها ثم قال هامسا وأصابعه تتجول في شعرها" الملكة تفعل ما تريد وليس لنا حتى حق الاعتراض "

من هذه المسافة القريبة جدا تأملت عينيه .. واحتيها الخضراوين اللتين تتآمران مع عطر رجولته وقوة ودفء ذراعيه لسحبها لعالم بعيد .. بعيد جدا عن كل تفاصيل الواقع .. لكنه ذلك الشيء اللعين بداخلها الذي يحثها

على المقاومة وعدم الاستسلام لهم .. مقاومة
دعوات للسلام النفسي ..
للعيش في النعيم ..
للراحة فوق صدره ونسيان كل شيء.

غمغمت بسخرية مُرة "ليتني أستحق بالفعل
لقب الملكة التي تلقبني به "

قال لها مؤكدا بحرارة " بل أنت كذلك يا مليكتي
.. (ورفع حاجبا يقول بملامح عابسة) ولكن
هناك أمرا لم يعجبني يا ست مليكة .. ألم
يكفيك أن اخوتك يوزعون عليك الأحضان وأنا
أقف متحرجا لا استطيع أن اخطفك منهم
...لتجلسي على حجر الحاج أمامي بكل جرأة يا
ست هانم !"

اتسعت ابتسامتها فتفاجأت به يسحبها من معصمها ويرجع للخلف حيث المقعد القريب من الباب فيجلس عليه ويقول وهو يشدها إليه" لا جلوس إلا على حجر مفرح.."
جلست على حجره ولفت ذراعها حول عنقه تنظر في عينيه ..فرفع أنظاره يتأمل وجهها من بين خصلات شعرها المنسدلة على جانبي وجهها.. ثم مد يده يرفع جانبا من شعرها إلى خلف أذنها وهو يقول بكبرياء صبياني معترفا " أجل أنا أغار عليك حتى من والدك "
بابتسامة مالت عليه فدفن وجهه في حضنها يشدد من ذراعيه الملتفين حول خصرها ويحاول مقاومة تلك الرغبة التي تفور في شرايينه .. حتى لا يثقل عليها .. برغباته التي لا تعرف طريقا للشبع .. منها .
بعد دقيقة قالت مليكة " هاتفك يرن يا مفرح "

غمغم بصوت مكتوم في حضنها" حاضر"
أضافت موضحة" هذه النغمة التي تخصصها لوالدك العمدة "
غمغم وهو يشدد من ذراعيه حولها "حاضر.. حاضر"
شعرت بالشفقة عليه فصمتت ولم تعقب
بينما ظل مفرح بضع دقائق حتى استجمع قواه ورفع رأسه.

فقالت مليكة "مفرح ..أريد أن اشارك في مصاريف علاج الولد ابن زهير .. سمعت من أكرم أن ساقه تضررت بشدة وسيحتاج لأكثر من عملية جراحية "
قال مفرح مطمئنا "لا تقلقي أنا ومصطفى وأولاد الصوالحة والكثير من أهل البلد سنساعد في تكاليف علاجه "

قالت بإصرار "أنا أيضا أريد أن أساهم معكم من مالي الخاص"
قال مفرح مستسلما "لا بأس اعدي المبلغ وسأعطيه لمصطفى فهو يكلف أحد ابنائه بجمع التبرعات "

بإلحاح رن الهاتف مرة أخرى فاستقامت مليكة تترك حجره وتأخذ معها الدفء ..

بعد أن أنهى المكالمة قال وهو يقف ويعدل ملابسه أمام المرآة استعدادا للخروج" رائعة تلك العرائس .. ذكريني ما اسم هذا الفن ؟"
غمغمت بابتسامة" أميجرومي"
سألها بلهجة ساخرة" من!!!"

تحكمت في ابتسامة وكررت برقة من بين شفتيها الجميلتين "أميجرومي"

همس بحرارة مغازلا "يالحلاوة ذلك الـ
أميجرومي من فم بنت البشوات "

اشتعال وجنتيها كان يماثله اشتعال أكثر احتراقا بملايين المرات في كل ذرة فيه لكن صوت جرس الباب المصاحب لصوت طرقات منغمة على الايقاع جعلت مفرح يقول بامتعاض "حضر زوجيّ النسانيس"

وتحرك نحو باب الغرفة لكنه توقف بعد خطوتين يقول" آه نسيت (وبحث في جيوب سترته العصرية وقال وهو يخرج هاتف ونس) العم عيد مر منذ قليل واعطاني هذا .. يبدو أنه غير مستسيغ لفكرة اهدائك هاتفا لابنته"

نظرت مليكة بحزن وهي تتناول الهاتف منه فقال مفرح موضحا" الرجل كما تعرفين لديه حساسية شديدة تجاه تلك الأمور "
استمر الطرق الإيقاعي على الباب فغمغمت مليكة باندهاش " لماذا لم يفتح أدهم بالمفتاح"
بابتسامة شقية قال مفرح" أنا أغلقته بالقفل من الداخل (واستدار متجها نحو الخارج يصيح بلهجة موبخة) حاضر ما هذه الجلبة!!.."

عند باب الغرفة استدار قائلا بلهجة جادة "بالمناسبة .. اتصلي ببسمة فاليوم لم يكن يوما لطيفا معها "
غمغمت مليكة بعبوس " بسمة ؟.. ما بها بسمة ! "

xxxxx

"أنا تعبت أقسم بربي تعبت "

قالتها بسمة صارخة.. فانقض عليها الحاج سليمان يمسك بذراعها بقوة صائحا "أنا الذي تعبت منك ومن بلاياكِ .. البنات أقل منك جمالا ويشرفون آبائهم ويرفعن رؤوسهم بين الناس.. أما أنتِ فأصبحت تتفننين في احراجي بينهم "

على الرغم من شعورها بالخوف من أن يؤذيها.. حافظت بسمة على وجه بارد وهي تطالعه .. إلا من لمحة سريعة خانتها نحو مهجة التي تقف فوق السلم تتابع المشهد بأعصاب مشدودة والتي أسرعت بالصعود لأعلى حينما شعرت بحرج ابنة خالها منها..
لكن بسمة لم تكن تشعر بالحرج فقط.. بل بالخزي والإهانة أيضا .. من أن يقال لها هذا الكلام أمام من تصغرها بإحدى عشرة سنة.. فبلعت طعما مُرّا في حلقها وتحملت بنظرات

متحدية ضغطة أصابع والدها التي تقبض على ذراعها بينما تدخل وليد بينهما يبعد والده بهدوء قائلا "صلي على النبي يا حاج "

ترك الحاج سليمان ذراعها ونفض طرفي عباءته المعلقة على كتفيه بقنوط مغمغما "عليه أفضل الصلاة والسلام (ثم رفع سبابته في وجهها قائلا بلهجة تحذيرية) اسمعي .. أنا سأتركك لتنفذي هذا المشروع الزفت .. لكن بشرط .. أن تسرعي في اختيار أحد المتقدمين لك للزواج .. وأولهم الحاج بدير.. إن الرجل مستعد لأي شيء ولأي طلبات وشروط .. لا أفهم كيف لا تنتهزين فرصة كهذه لتعيشي فوق الرؤوس ؟!!"

هتفت بسمة وجرح كرامتها ينزف " وهل الزواج هو وحده ما سيرفعني فوق الرؤوس ! .. أنا لا أرغب في الزواج مرة أخرى "

عاد الحاج للانقضاض عليها فوقف وليد أمامه لكن يده كانت قد قبضت على ذراعها مرة أخرى من خلف ظهر ابنه يقول "ماذا تحسبين نفسك يا بنت سليمان؟ .. زمن السفيرة عزيزة ولى وانتهى منذ ثلاث سنوات حينما أصريتِ على الطلاق وفضحتينا .. أجل الزواج هو ما سيرفع من شأنك هنا في البلدة .. كل مكان وله مقاييسه يا بنت المدارس .. وهنا لا شهاداتك ولا عملك ولا زفت .. بل أنت زوجة مَن وأم مَن .. فلتحمدي ربك أنك جميلة وإلا من كان سيرغب بالزواج من امرأة لا تنجب "

قال وليد يحاول أن يوقفه مشفقا عليها" أبي يكفي هذا يا أبي "
أكمل سليمان بإصرار "دعني اذكرها بما تحاول أن تتناساه متوقعة بأنها تفعل شيئا عظيما بتلك الكتب التي تدرسها وذلك المشروع التافه الذي تتمسك به ..أذكرها بأنها ليس لها أي قيمة بدون زوج "

تدخلت الحاجة فاطمة متخلية عن ذلك الجبن الذي ينتابها دوما حينما يرفع زوجها صوته وقالت بترجي "يكفي يا حاج بالله عليك"
قالت بسمة بسخرية مُرة" دعيه يا أمي .. دعيه يعبر أكثر عن قيمتي عنده .. دعيه يعلن بأني مجرد بهيمة لديه في المزرعة إن لم تستطع الانجاب يباع لحمها "

اشتعل غضب الحاج سليمان أكثر ..بينما أدار وليد وجهه لها يصيح فيها "بسمة .. اسكتي يا بسمة"

رفعت أنظارها نحو وليد بدموع متحجِّرة ترفض السماح لها بالتحرر واستمرت في لهجتها الساخرة تقول " ما شاء الله.. كَبرت أنت وأصبحت أطول مني وتصيح في وجهي لتأمرني بأن أسكت !"

كظم وليد غيظه وتحرك مع والده ليخرجه من البيت متحاشيا تصعيدا آخر للموقف وهو يتلمس ذلك التمرد على كل شيء في عيني بسمة فقال "تعال يا حاج حتى لا يرتفع ضغطك تعال "

وقفت بسمة تحدق في الأرض تحاول التماسك حتى لا تبكي.. فلن تمنحهم متعة رؤيتها مكسورة أبدا ..

فدلكت أمها ذراعها موضع أصابع والدها ولم تجد ما تقوله لها .. فمن ناحية تتمناها زوجة في بيت يخصها.. ومن ناحية أخرى تعترف بأن كلام زوجها كان قاسيا .. فلم تجد فاطمة إلا أن تميل وتقبل ذراع ابنتها مغمغمة بقلة حيلة" كلنا نريد لك الاستقرار يا بسمة"

رفعت إليها بسمة عينين زرقاوين جليديتين .. فأسرعت أمها تقول مستشعرة معاناة فلذة كبدها "لا بأس ..لا بأس .. كما تريدين (وانهمرت دموعها وهي تقترب من ذراعها وتقبله قائلة) حقك عليّ أنا حبيبتي .. رزقك الله السعادة بأي شكل تريدينه "

دموع والدتها رققت قلبها فمالت بسمة وطبعت قبلة على رأس أمها مغمغمة بشفقة " بل أنتِ التي حقك عليّ .. سامحيني "

قالتها واستدارت نحو السلم ..تضغط قبضتيها بقوة إلى جانبي جسدها ..وصعدت تحمل فوق رأسها كرامتها المجروحة وتجر أذيال الخيبة والمهانة متمتمة في سرها "اللهم إني لا اسألك رد القضاء ولكني اسألك اللطف فيه "

xxxx

في المساء

بابتسامة متسعة وقفت نصرة بجوار هلال على باب الدار تودع كريمة وزوجها عطية وطلال الذي اختلس نظرة سريعة نحو اسراء التي تقف خلف والدها غارقة في الخجل بحجابها الطويل الذي يغطي معظم جذعها.

غادرت كريمة بعد أن ألقت نظرة ممتعضة ذات مغزى على صالة البيت بسيطة الأثاث خلف نصرة ثم أطلقت تنهيدة صامتة أوصلت الرسالة لنصرة التي فهمتها جيدا لكنها تجاهلتها

حتى لا ينتهي الموضوع قبل أن يبدأ بنقل هذه المتعجرفة للمستشفى بعد أن تنتف لها نصرة شعرها شعرة شعرة ثم تلقيها أرضا وتجلس فوقها لتلفظ أنفاسها .. فقالت نصرة مودعة تشيعهما بنظراتها وابتسامتها "أنرتمونا وشرفتمونا"

بمجرد أن غادر الضيوف وقفت نسمة تقلد أم العريس فأمسكت طرف بلوزتها بطرفي اصبعيها السبابة والابهام وقالت بأنفة وترفع "ابني طلال يعمل رئيسا للوزراء في جمهورية (أم سحلول) "
حركت همسة أختها كتفيها تُرَقِصهما وأكملت بلهجة ساخرة تكمل لأختها التَهكم "وشقته قصرا من قصور الجنة"

هتفت اسراء فيهما موبخة تداري ابتسامة وتدعي الجدية "اخرسي أنتِ وهي"

تدخل كريم يغلظ صوته وهو يشكل ذراعيه كقوسين على جانبي جسده مقلدا والد طلال وجسده البدين "والله يا هلال يا أخي الحالة الاقتصادية راكدة هذه الأيام .. أين أيام العمل في الخليج وخيرها "

عاد هلال بعد توصيل الضيوف للخارج ووقف يراقب مبتسما ما يفعله أولاده قبل أن تصيح فيهم نصرة "كفاكم تهريجا (ووجهت الحديث لهمسة ونسمة واضافت) اذهبا هيا لجمع الأطباق والأكواب .. أريدها نظيف جافة لامعة بعد نصف ساعة فقط "

برطمت الفتاتان مغادرتان بينما قال هلال لابنته الكبرى " ما رأيك في طلال يا اسراء بكل صراحة؟"

بحرج غمغمت اسراء" أنا قلقة من ألا نستطيع أن .."
قاطعتها نصرة بسرعة" والدك يسألك عن الشاب يا اسراء"
بوجنتين مشتعلتين غمغمت" يبدو رزينا ومحترما لكني لم أكَوِّن عنه سوى فكرة عامة"
اسرعت نصرة بالقول وهي تسحب زوجها من ذراعه "على بركة الله "

دخلت نصرة تدفع هلال أمامها إلى غرفة النوم ثم أغلقت الباب ..وجلست على السرير متربعة تقول بصوت خافت "اسمع يا هلال الشاب جيد ويبدو عليه ملهوفا على ابنتك لا نريد أن نفسد هذه الزيجة بالله عليك"
وضع هلال يديه في جيبي جلبابه وقال بامتعاض" لكن أمه"

قاطعته نصرة تقول بثقة" دعك من كريمة أنا أعرف مشكلتها .. بمجرد أن نجهز البنت بجهاز عروس على مستوى جيد ستغلق فمها بإذن الله"

قال هلال" هذا هو مربط الفرس يا نصرة لماذا نضع أنفسنا في امتحان إما أن نقدر على تجهيزها أو .."

قالت نصرة بانفعال هامس" لا يوجد (أو) يا هلال الفتيات الآن يتجهزن بمستوى معين لن نقدر على أن نقل عنه .. لا يهم وضع عائلته الاقتصادي سواء تزوجت اسراء من طلال أو غيره هذا هو المعروف وإلا لاسودَّ وجهنا أمام الناس ولخربنا زيجة ابنتنا"

قال هلال بغيظ "ولماذا لا نقم نحن بكسر هذه العادة اللعينة ونجهزها بما هو في وسعنا ويكمل الاثنان بعد الزواج بيتهما"

احمر وجه نصرة الأبيض وقالت بصوت مبحوح" أتريد أن توصم ابنتك بالعار يا هلال!!"

غمغم مستهجنا" أوصمها بالعار لأني لا أملك أن أجهزها بتلك الطريقة المبالغ فيها كما يدور هذه الأيام في البلدة !"

قالت نصرة بعينين مغرغرتين بالدموع" وهل ابنتنا أقل من باقي البنات .. بسم الله ما شاء الله جمال ووظيفة وشهادة وذكاء وأخلاق .. اسمع يا هلال إلا اسراء والله سأقاطعك طوال العمر لو كسرت بخاطرها "

قال هلال بغيظ" إنهم أيضا متعجلون ويريدون الانتهاء من كل شيء قبل أن يسافر أخوه

للخارج بعد شهرين .. أهو جنون .. هل سنسحر ونجهزها خلال أقل من شهرين !!"

فركت نصرة في كفيها تنظر في الأرض شاردة توافقه الرأي في صعوبة الانجاز خاصة مع ظروفهم المادية .. ثم رفعت إليه عينين دامعتين بمسكنة وكأنها تستجير به وغمغمت بحسرة شديدة " اخشى لو ذهب لا يأتي غيره مناسبا.. تعرف بأنها ترفض الارتباط بمن هو أقل منها تعليميا ونحن كما تعرف حالنا ضيق ومن لديها ابن يحمل شهادة جامعية هذه الأيام تأمر وتتشرط كما لو كان عالم زمانه "

اشفق عليها وعلى رغبتها في تزويج ابنتها فقال باستسلام "حاضر أعانني الله .. غدا سأذهب لأرى ورشة أخشاب كبيرة يطلبون فيها شخصا يراقب العمال لعلها تكون فاتحة خير "

لاحظت نصرة الهم على وجهه فقالت بحماس مشجعة "إن شاء الله ربي سيرزقك برزق هذه الغلبانة .. المهم اخبرهم بموافقتنا وعلى ربك التسهيل ..وصدقني يا هلال سواء كان طلال أو غيره هذا هو مستوى تجهيز البنات وإذا شذينا عن القاعدة سيقولون من ضيق الحال "

ظل هلال مطرقا برأسه في الأرض بشرود فسحبته من يده ليجلس بجوارها على السرير وقالت تخفف عنه "أنا لا أريدك أن تحمل هما .. غدا سأقوم بجرد المفروشات والاطباق وكل الأشياء التي كنت أخزنها لها منذ سنوات ثم أحدد ما الذي سنحتاجه اضافة لهم "

اتسعت عينا هلال وقال" اضافة لهم !! الغرفة مملوءة بالكراتين بالداخل"

قالت بثقة "الزمن تغير وهناك أشياء حديثة ظهرت على الموضة لابد أن نشتري منها.. وكما تعلم الناس هنا تهتم بالعدد "

مط شفتيه بامتعاض فقالت بحماس طفلة وهي تضرب قبضتها في باطن كفها الأخر وكأنها ستقول حلا عبقريا" أما الاجهزة الكهربائية كلها والمنزلية فلا تحمل لها هما أيضا بل نحن محظوظون ..فالمعلم جابر صاحبك يقوم بتقسيط الـ..."

هب هلال صائحا بلهجة تحذيرية " لا .... جابر لا "

xxxxx

أجفلت أم هاشم من اندفاع وفاء إلى المطبخ فأسرعت بإغلاق النافذة التي كانت تقف أمامها وهتفت بانزعاج "لماذا تدخلين هكذا كالقضاء المستعجل أجفلتني!"

قالت وفاء بسرعة "أمي تقول اسرعي في الانتهاء من المحشي لأن خَلَف خطيب سامية يسألها عن موعد الطعام "

غمغمت أم هاشم بلهجة متهكمة" وما الجديد في ذلك .. إنه يسأل عن الطعام بمجرد أن يدخل من باب البيت وكأنه يزور إحدى موائد الرحمن* لا يزور خطيبته"

دخلت زوجة عمها من باب المطبخ تقول بهمس "اششش ..صوتك عال يا أم هاشم وقد يسمعك خلف "
مطت أم هاشم شفتيها بامتعاض .. لتقول زوجة عمها وهي تنظر لإناء المحشي الذي لم

*موائد الرحمن هي موائد أهل الخير العامرة بالطعام المجاني لإفطار المساكين في رمضان

تنتهي من لفه بعد "ألم تنتهي بعد .. (وشمرت أكمامها) دعيني أساعدك لننجز"
قالت أم هاشم بلهجة خطرة جمدت يد الأخرى في الإناء قبل أن تصل لخلطة المحشي فيه "إياك .."

رفعت إليها المرأة أنظارها بتوجس لترفع الأخرى حاجبا وتقول بلهجة محذرة أرعبتها " إياك بلمس أي شيء يخصني .. تعرفين بأني لا أحب ذلك"

أعادت المرأة كفيها مضمومان إلى صدرها تقول "أنا فقط أردت المساعدة والتخفيف عليك "
ردت أم هاشم بتهكم وهي تلف ورق الكرنب " عن أي تخفيف تتحدثين وأنت تزنين كالنحلة على المحشي منذ يومين لأن المحروس خطيب ابنتك يحبه.. وتسلطين بناتك للإلحاح

عليّ والزن بجوار أذني كالمذياع الخربان.. ولكن ما يدهشني حقا .. أن هذا الغبي توهمونه بأن سامية هي من تقوم بصنعه كل مرة رغم أنها تظل ملتصقة به منذ أن يحضر .. كيف تكون قد صنعته إذن ؟!.. بالتخاطر مع المحشي عن بعد!"

رقّصت زوجة عمها حاجبيها تقول" بل اخبرناه بأنها استيقظت مبكرا لصنعه من أجله خصيصا وأنه جاهز على التسوية "

غمغمت أم هاشم بلهجة ساخرة" ما أروعكم!.. سأرى حينما تذهب لبيت حماتها ماذا ستفعل السنيورة"

ربتت زوجة عمها على ذراع أم هاشم تقول بتزلف "البركة فيكِ أليست كأختك "

قالت أم هاشم باستنكار وهي ترص وحدات الكرنب الملفوف في الإناء الأخر" وماذا سأفعل أنا؟.. هل ستأخذني في حقيبة مع الجهاز وتخفيني في الخزانة لأصنع المحشي للمحروس! "

قالت زوجة عمها موضحة "أقصد أنك بالتأكيد ستهدينها كل أسبوع ببعض (حِلَل) من المحشي تضعهم في الثلاجة"

تطلعت فيها أم هاشم باستنكار ترفع زاوية شفتها العلوية ثم قالت وهي تحاول أن ألا تنفجر في وجهها من الغيظ "اذهبي يا صباح لابنتك وخطيبها ..فمرارتي لن تتحمل سماجتك أنت وبناتك"

عبست صباح وقالت موبخة" أنا سمجة يا أم هاشم ! .. سامحك الله .. (وأضافت بمداهنة) لن أغضب منك لأني أعرف أن قلبك أبيض"

ردت أم هاشم عليها بلهجة متهكمة" بل لأنك تنتظرين أن انتهي من المحشي هذا هو سبب سكوتك .. عموما لا تتعشمي كثيرا في استغلالي فلولا أن مزاجي عكر وأحاول تفريغ طاقتي في شيء لما قمت بعمل المحشي اليوم .. أي أن عليك أن تحمدي ربك أنت وبناتك والباشا خلف أني قررت أن اصنع لكم المحشي"

غمغمت صباح تحرك فمها يمينا ويسارا "إذن فلندعو لأن يتعكر مزاجك كل يوم"

كتمت وفاء ضحكتها بينما قلبت أم هاشم مقلتيها تهتف بلهجة خطرة" قلتِ شيء يا زوجة عمي؟!"

أسرعت المرأة برسم ابتسامة صفراء على وجهها وقالت بتزلف" قلت أن دمك مثل الشربات حتى حينما يكون مزاجك عكر"

كتمت وفاء ضحكتها مرة أخرى ثم قالت بلهجة متسلية وهي تختلس بجانب عينيها النظر لأم هاشم "لقد غادر عريس إسراء منذ قليل ويبدون سعداء .. أعتقد بأنهم سيتفقون على كل شيء بسرعة سأعرف الأخبار من نسمة أو همسة غدا "

بنظرة خبيثة سريعة لأم هاشم قالت صباح لابنتها "صبرت ونالت نصرة .. كانت ترفض هي

وابنتها العرسان انصاف التعليم بحجة أن ابنتهم جامعية ومعلمة .. ليأتيها من هو جامعي مثلها وميسور الحال ما شاء الله "

رغم إدراكها بأن زوجة عمها كالعادة تتعمد إغاظتها ومعايرتها بوصولها لسن الثلاثين بدون زواج إلا أن أم هاشم ردت بجدية "بارك الله لها ..اسراء ونصرة تستحقان كل خير "
دخلت هند إحدى بنات عمها تقول" أمي سامية تقول أن خلف يسأل متى سيكون العشاء لأنه مرتبط بموعد"

زمجرت أم هاشم واسرعت بحمل إناء المحشي الذي أوشك على الاكتمال بعصبية وقالت بتهديد وهي تقربه من كيس القمامة "قولي له أن يأخذ السنيورة وأخواتها وأمها وأبوها ويعَشّيهم في أي مطعم .. فليس لدينا عشاء"

أسرعت صباح بالإمساك بذراعي أم هاشم لتمنعها وهي تقول لابنتها" أخبريها أن اسطوانة الغاز قد نفذت ونقوم بتبديلها (ثم نظرت لأم هاشم تقول بأدب مصطنع)خذي وقتك ولن نزعجك"

أعادت أم هاشم القدر للمنضدة .. لتقول صباح بتأتأة "أتريدين أن ..أن ..أنزل البط من على النار ؟"

ردت أم هاشم بصرامة "قلت لا أحب أن يدخل أحد معي المطبخ يا صباح فبالله عليكم أرحموني .. المطبخ كله كعلبة سردين وأنا أريد أن اتنفس وأنتم تسحبون الهواء كله من المكان .."

اسرعت صباح بالابتعاد تقول برعب وهي تدفع وفاء أمامها" حاضر ..حاضر .. سنترك لك

المطبخ والهواء وكل شيء .. وسننتظر أن تنتهي من العشاء على راحتك (وغمغمت من بين أسنانها لابنتها في همس) اخرجي بسرعة قبل أن تلقي المحشي في وجهينا "

تنفست أم هاشم براحة بعد خروجهما وأسرعت لتنهي ما تبقى من وريقات الكرنب بوجوم وذهن مشغول ..
إن مزاجها عكر منذ أن طردت من وظيفتها ولا تعلم كيف ومتى ستستطيع الحصول على وظيفة أخرى .. فحتى أرباب العمل يهمهم الشكل .. ويشعرونها بأنها كائنا فضائيا آتيا من مجرة أخرى .. وشهادة معهد التجارة والمحاسبة التي تملكها تحصرها في وظائف محدودة فهم يفضلون الآن الجامعيين .. هذا في حالة التغاضي عن سُمرتها الداكنة التي لا

تعرف لما تُشعرهم بهذه الغرابة إن لم يكن النفور .. ألهذه الدرجة هي قبيحة المنظر؟! .

رفعت أنظارها إلى الصينية اللامعة الموضوعة على الرف المقابل وتأملت انعكاس صورتها فيها .. لترى نفسها كائنا قبيحا كالغوريلا .. فأسرعت بإنزال أنظارها بحزن وتساءلت في نفسها .. لماذا لا يستطيع الانسان أن ينسلخ من جلده ليسكن القالب الذي يريده؟.. فأتاها صوت والدها من الذاكرة يقول موبخا "أتعترضين على قدر الله يا أم هاشم "

غمغمت بخزي من نفسها وألم شديد" أنا لا أعترض يا أبي بل هم من يعترضون .. استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم (وعادت للف وريقات الكرنب مرددة الاستغفار وهي تمسح دمعة باغتتها واسرعت بالنزول) استغفر الله العظيم من كل ذنب "

xxxx

قال مصطفى بانفعال" والمطلوب يا حاج عبد الرحيم؟"

قال العمدة وهو يعتدل في مقعده في منتصف المجلس "المطلوب أن تكف عن تلك الألاعيب التي أفهمها جيدا يا مصطفى"

وقف مفرح شاعرا بالحرج الشديد لانفعال والده بهذا الشكل على مصطفى الزيني الواقف أمامه والذي أشاح بوجهه وحرك سبحته بين أصابعه بعصبية مغمغما "لا حول ولا قوة إلا بالله"

فتدخل مفرح يقول للرجل العجوز مهدئا "يا عمدتنا ما هذا الكلام"

احمر وجه العمدة وقال بحدة " اتركني يا مفرح لأخبره بأنني واع لكل ألاعيبه"

صاح مصطفى غاضبا "ألاعيب !!.. أنا أقوم بألاعيب يا حاج عبد الرحيم !!"

هتف العمدة بإصرار " أجل ألاعيبك بالقفز لتقديم المساعدة وحل مشاكل الناس .. هذا اللؤم أنا أفهمه جيدا .. تريد أن يتعلق بك الناس لتصير بلبلة حينما يصبح مفرح العمدة من بعدي "

قال مصطفى بغير تصديق" استغفر الله العظيم .. هل أنا يا عمي بهذا الخبث في نظرك؟!"

حك مفرح جبينه بأنامله يشعر بالضيق والحرج بينما قال الحاج عبد الرحيم بلهجة مباشرة " اسمع يا ابن أخي .. أنا أعلم بأن كل منا يبحث عن مصلحته .. لكن عليك بأن تكون أذكى من ذلك وألا تكون مكشوفا بهذا الشكل

فيما تفعل وتخطط .. لهذا أقول لك ركز في أرضك وزراعتك وأترك شئون أهل البلدة"
طحن مصطفى ضروسه يذكر نفسه بسن الرجل العجوز وبذنب قطع الرحم ثم قال ممسكا سبحته بكلتا يديه" آسف يا حاج عبد الرحيم .. أنا أقوم بما أقوم به لوجه الله تعالى وحبا مني لأهل بلدتي ليس لأني طامعا في شيء .. ولكن لأن هذا هو أنا .. هكذا خلقني الله "
قال العمدة بلهجة تهديد " مصطفى يا زيني أنا أحذرك .. لا تدخل أنفك في شئون غيرك .. وامنع ابنك من الحديث هنا وهناك عن احقيتك في العمودية"
عقد مصطفى حاجبيه يسأل بعبوس "ابني! .. من فيهم ؟!
بلهجة مستخفة أجاب العمدة " ابنك حمزة ..(ثم سأله) وما قصة تلك التبرعات التي

سمعت بأنك تجمعها لعلاج ابن زهير .. من سمح لك بجمعها؟"

قال مصطفى يكتم العصبية " أولا أنا أشك في أن حمزة يفعل شيئا كهذا .. ثانيا هذه التبرعات من أجل طفل صغير ساقه ستحتاج لعدة عمليات جراحية ووالده هارب من السجن ولا نعرف إن كان حيا أم ميتا .. كما أني لست من يجمع التبرعات بل ابني عبد الله ومعه أخوته الأصغر ومجموعة من أصحابهم من أهل البلد.. فلا أظن أن مفرح سيكون متفرغا من أجل أمر بسيط كهذا "

هتف الحاج عبد الرحيم باستنكار " أتتباهى أمامنا بكثرة عدد أولادك يا مصطفى !.. الحمد لله ابني مفرح بألف رجل"

أشاح مصطفى بوجهه وقال وهو يحرك سبحته بعصبية " لا حول ولا قوة إلا بالله!.. (وعاد ينظر للحاج قائلا بوجه مكفهر وهو يهم بالمغادرة) هل تريد شيئا أخر يا حاج عبد الرحيم ؟"

اقترب مفرح من والده يقول " أبي أرجوك .. لا يصح ما تقوله "
حينما لم يرد العمدة بل ناظر ولده مفرح بغيظ قال مصطفى وهو يغادر " السلام عليكم ورحمة الله "
اسرع مفرح خلفه مناديا " أبا حمزة "

في ساحة بيت العمدة توقف مصطفى دون أن يستدير إليه فاقترب منه مفرح يقول بحرج شديد " بالله عليك لا تؤاخذه فالسن له أحكامه"

نظر إليه مصطفى مضيقا عينيه وسأله بلهجة مباشرة "هل تصدق ما يقوله عني يا مفرح؟"
بلع مفرح ريقه ورد يداري تردده " بالطبع لا"
صمت مصطفى لثوان ثم قال بسخرية مُرة "اتمنى ذلك (وربت على كتفه قائلا بعبوس وتجهم) اذهب للحاج "

بعد دقائق دخل مفرح على والده الذي استقبله يقول بانفجار غاضب "ما الذي يجعلك أن تذهب خلفه!! .. لماذا تعيره اهتماما بهذا الشكل ؟!!.."

حاول مفرح التحكم في غضبه وشعوره بالقرف من الأمر برمته وقال "لا تؤاخذني يا حاج ما فعلته ليس لائقا بمقامك ولا بمقام الرجل الذي لم يرى أحد منه إلا كل خير"

اشاح والده بيده يقول بقرف" ستظل حسن النية هكذا حتى يقلب عليك أهل البلد حينما تتولى منصب العمودية .."

"العمودية .. العمودية .. العمودية"
صرخ بها مفرح في سره وهو يتحكم في نفسه بصعوبة حتى لا ينفجر..
لقد بات يكره هذه الكلمة أكثر مما كان يكرهها من قبل..
باتت تخنقه ..
تذكره بالصراعات والمشاكل ..
تذكره بذلك القيد الذي يدمي معصميه..
بذلك الوعد الذي قطعه لوالده بعد أن كان يرفض المنصب تماما ..
ذلك المنصب الذي لم يعد له تلك الأهمية كالسابق ومع هذا يتمسك به والده كأنه الحياة ..

ذلك المنصب اللعين الذي يجبره على أن يبقى في القرية هو وأولاده بدلا من أن يستقل هو ومليكة والولدين في العاصمة كما كان يتمنى ويزور البلدة في المناسبات والأعياد .

أمسك العمدة بصدره متألما ودمدم بحسرة وقد احمر وجهه " يا خيبة أملك يا عبد الرحيم في ابنك الوحيد "

على الرغم من ضيقه الشديد حاول مفرح بأقصى درجات السيطرة على أعصابه ألا يظهر عدم احترام للرجل العجوز فقال له مطمئنا "لا تقلق يا عمدتنا .. ولا تخشى شيئا فلن يتجرأ أحد على الاقتراب من منصب العمدة .. فقط انتبه أنت لصحتك .. هيا بنا لأوصلك لغرفتك فلقد برد الجو"

أمسك مفرح بذراع والده الذي استقام واقفا
وهو يقول له ناصحا " لا تثق في مصطفى الزيني
يا مفرح يا ولدي وحَرِّص منه "
أطرق مفرح برأسه مستسلما وغمغم وهو
يمشي بجواره" حاضر يا حاج حاضر "

بعد قليل خرج مفرح من بيت العمدة يشعر
بالاختناق الشديد .. فرفع الهاتف على أذنه
يقول لكامل" هل سافرت ؟"
جاءه صوت كامل "لم أتحرك بعد"
قال مفرح وهو يتجه لسيارته" أَجِّل السفر
الليلة يا كامل فأنا قادم إليك لنسهر سويا"

سأله كامل بقلق "هل أنت بخير .. صوتك لا
يبدو جيدا"

غمغم مفرح وهو يدخل سيارته" أنا منزعج قليلا .. بل كثيرا .. منزعج بشدة.. حين اقابلك سأحكي لك .. سلام "

قالها وألقى بالهاتف على المقعد المجاور وتحرك يسرع بالابتعاد عن بيت العمدة .

xxxx

قال مصطفى في الهاتف "هل أنت أكيد بأنك لم تقل هذا الكلام إلا كما شرحت لي يا حمزة؟"
جاءه رد حمزة من العاصمة يقول "اقسم لك يا أبي لم اتحدث فيه إلا حديثا عرضيا بين اصدقائي خلال مناقشة جادة ولم أكن أقصد بها شيء"

صمت مصطفى قليلا بينما وقفت صفاء تتطلع في زوجها بقلق قبل أن يغمغم الأخير "حسنا بني .. لا تكررها مادامت تتناقلها الألسنة بهذا

الشكل .. نحن لا نحب أن نكون طرفا في فتنة لا سمح الله .. فهناك من يتربصون لتأجيج النار في البلدة بأي طريقة "

قال حمزة بطاعة رغم ضيقه الذي لم يخف على والده "أمرك يا أبي"
تمتم مصطفى وهو ينهي المكالمة" بارك الله فيك يا حمزة ويسر أمورك.. تصبح على خير"

اغلق الهاتف مهموما ولم ينطق بشيء .. بل دخل إلى غرفته بالدور الأرضي التي تحتوي على مكتبه الذي يدير منه شئون أراضيه الزراعية ومنتجاتها وعلى مكتبته الضخمة التي تضم كتبه المفضلة من أمهات الكتب .

فدخلت صفاء خلفه تشعر بالقلق عليه .. وتابعته وهو يخلع عنه عباءته المعلقة على

كتفيه في صمت فأسرعت بالتقاطها منه ثم سألته "ألن تتناول العشاء؟"
غمغم وهو يجلس على مقعده المفضل أمام حامل المصحف المفتوح " ليس لدي شهية للطعام"

شعرت بالشفقة الشديدة عليه فما قصه عليها من كلام عمه كان مؤلما .. فجلست على المقعد المجاور تبحث عن طريقة للتخفيف عنه ورفعت يدها تربت على ذراعه وهي تقول "وأنا لن آكل ما دمت لن تأكل يا أبا حمزة"

بطارف عينيه نظر لها قائلا بهدوء " كلي أنت يا أم حمزة واتركيني وحدي فأنا أرغب في القراءة من المصحف قليلا قبل أن أنام "

صمتت تتأمله ثم وضعت أصابعها على جانب رأسه تقول متفاجئة وهي تقرب أنظارها منه "ما هذا ؟.. شعرة بيضاء!!"

رد مصطفى بدون اهتمام "ولماذا تفاجأتِ هكذا؟! "
قالت صفاء باستنكار "مازلت في الخامسة والأربعين من عمرك !.. (ووقفت تميل عليه وتقول بلهجة شقية أنا سأنزعها "

نجحت في استفزازه فأمسك بمعصمها يقول بلهجة خطرة رغم فهمه لما تحاول فعله "إياك أن تقتربي منها .. أنا أحذرك"

اعتدلت ووقفت أمامه متخصرة تقول" لالا يا مصطفى أنا لازلت في عز شبابي"

رفع أنظاره لها وشاكسها قائلا "أولادك أصبحوا أطول منك"
رفعت ذقنها تقول بكبرياء "من لا يعرفني يظن بأنني أختهم الكبيرة .. بل هناك من لا يصدق أن عمري اثنين وأربعين سنة يظنوني في الثلاثين"
تطلع في وجهها الصبوح وفي تفاصيلها في جلبابها البيتي ومصوغاتها الذهبية التي تتزين بها ثم قال معترفا بابتسامة هادئا "هذا أمر لا أنكره .. لا أحد يمكن أن يعطيك أكثر من ثلاثين سنة .. لكني معتزا يا سيدتي بهذه الشعرة البيضاء وأرحب بالمزيد منها وعليك بتقبلي عجوزا بشعرات بيضاء "

اتسعت ابتسامتها وهي تقترب لتجلس على ذراع مقعده وتربت على صدره قائلة بحنان

"بارك الله فيك يا أبا حمزة وفي عمرك .. ولا حرمنا الله منك ولا من وجودك في حياتنا أبدا"

لف مصطفى ذراعه حول خصرها وقربها منه قائلا "ولا منك يا بنت الأصول يا غالية (وتأمل وجهها عن قرب مضيفا) يشهد الله أن النظر في وجهك وحده يريح النفس ويذهب الهموم ..وبأنه لولا وجودك معي لما تحملت مصاعب الحياة "

غامت عيناها وقالت وهي تربت من جديد على صدره فرنت أساورها الذهبية " حلفتك بالله ألا تحزن من كلام الرجل العجوز... أنت تقول دوما أن تحمل الأذى من الأقارب في سبيل عدم قطع الرحم له ثواب كبير .. فتحمل كبر سنه لوجه الله ولا تحزن مما قال"

هز رأسه لها موافقا ثم قبّل جبينها بقبلة حانية .. فاستكانت صفاء تسند رأسها على كتفه ..
سألها مصطفى بخفوت "هل زرتِ زوجة زهير ووالدته واطمأننتِ على الصبي؟!"
غمغمت دون أن ترفع رأسها" نعم فعلت .. لا تقلق بهذا الشأن "
تمتم وهو ينظر للمصحف المفتوح أمامه "جُزيت الجنة يا أم حمزة "
قالت صفاء" اقرأ بصوت عال .. أريد أن أسمعك وأنت تتلو القرآن "
غمغم مصطفى" حاضر.. جعله الله لنا شفيعا يوم القيامة .. (واستحضر صفائه الذهني مرددا) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم "

xxxx

في صباح اليوم التالي

انتهى عيد من لملمة وتجميع الفخار المكسور الذي استيقظ في الصباح على صوت تكسيره لكنه لم يستطع الامساك بالجاني الذي كان ملثما وهرب فورا .. وفهم بأنها رسالة تهديد ليقبل ببيع المنزل ..
وعلى الرغم من أن ما حدث لم يخيفه على نفسه لكنه أخافه على هذه الخرساء قولا وفعلا التي تخاصمه بالداخل ..

لا يعرف كيف يكون المهرب من هؤلاء الذين لا يعرف من هم بالضبط .. وليس لديه أي دليل على من يظن بأنهم خلفه .. وفي الوقت نفسه لن يقبل أبدا ببيع بيت والده ..
فلو لم تكن ونس هي نقطة ضعفه لما شعر بهذا الخوف ..

دخل إلى البيت يغسل يديه ثم توجه إلى غرفتها وفتح الباب بهدوء ليجدها على نفس جلستها منذ أن قام ليصلي الفجر .. ولا يعرف إن كانت قد بقيت على هذا الوضع طوال الليل أم لا ..

إنها صامتة هادئة منذ أن أخذ منها الهاتف صباح أمس وأعاده لبيت العمدة .. وكعادتها حينما تحزن كانت لا ترتدي السماعات وكأنها ترغب في الانفصال تماما عن العالم ..

كانت تجلس أمام أحد جدران غرفتها توليه ظهرها.. وبجوارها أوراقا كثيرة فيها رسوما ملونة غير مكتملة ..وتضع في حجرها بقايا الطباشير الملون الذي تبقى لديها .. ترسم بالألوان وتلون وتلون بتفاني ودقة ..

إن الألوان تؤنس وحدتها ..

تملأ ذلك الفراغ الرمادي المخيف بداخلها ..
تملأ سكون الكون في رأسها بضجة ملونة براقة ومحببة ..
وحدها الألوان هي ما تملك لتلون طعم الواقع الـ .. باهت .. الـ.. ممل .

أغلق عيد الباب بحزن وهو لا يعرف إن كان قد أخطأ بسحب الهاتف منها أم لا .. معترفا بينه وبين نفسه بأن الجيل الحديث من الفتيات اللاتي في سنها يحملن هواتف مثله .. لكنه لا يقبل على كرامته صدقة من أحد .

خرج من الدار يشمر ذراعيه مقررا أن يصنع بعض أوان من الفخار لتعويض ما تكسر .. في الوقت الذي توقفت أمام البيت سيارة مفرح الزيني .. وترجل منها الأخير يقول "السلام عليكم يا رجل يا طيب"

بترحيب رد عيد وهو يمد يده ليسلم عليه
"وعليكم والسلام يا باشمهندس "
قال مفرح مشيرا على سيارته" معي شخصا
يرغب في مقابلتك"
من السيارة ذات الزجاج المظلم ترجلت مليكة
ترتدي إحدى عباءاتها الراقية العصرية التي
تحمل اسم دار أزياء شهيرة بلون باذنجاني داكن
وتحركت وهي تحمل حقيبة أنيقة من نفس
لون الحذاء الداكن اللون من ماركة أكثر شهرة
.. وقابلته بابتسامتها الرقيقة تقول "كيف
حالك يا عم عيد؟"
هلل عيد قائلا" نعمة وفضل يا بنت الأكابر
تفضلوا .. تفضلوا"
استند مفرح على سيارته يضم ذراعيه أمام
صدره قائلا "أنا غير مسموحا لي بالتدخل"

نظر عيد له ولمليكة التي تكلمت بعتب رقيق"
أترفض هديتي يا عم عيد؟"

غمغم الرجل بحرج" لا تؤاخذيني يا بنت الأكابر
.. ولكننا أناس بسطاء وتعرفون بأني لا أقبل
الهدايا من أحد "
عاتبته بلطف" وهل أنا (أي أحد)؟"

تحرج الرجل وأشاح بوجهه لثوان ولم يجد ما
يقوله فعاد إليها يغمغم" حاشا لله .. بل أنت
ست الكل وبنت الأكابر "
حاصرته مليكة فقالت "ومع هذا يبدو أني ليس
لي خاطرا عندك .. فقد أعطيتها الهاتف لأني
أحتاج لرأيها في ألوان الخيوط التي أعمل بها ..
ولأنها تحب الاطلاع على العالم الخارجي وهذا
سيساعدها كثيرا"

صمت عيد محرجا لا يعرف بم يرد فسألته مليكة بجدية" هل ستردني خائبة اليوم؟"

قال الرجل مستسلما" والله لولا خاطرك لما قبلت اقسم بالله"
اتسعت ابتسامة مليكة تقول "هذا كان عشمي فيك يا عم عيد .. أين ونس أريد أن أسلم عليها "
مط عيد شفتيه وأجاب بامتعاض "تخاصمني منذ ليلة أمس "
سألته مليكة" هلا سمحت لي بمقابلتها؟"
بعد دقائق خرجت مليكة تتبعها ونس التي عادت لارتداء سماعتيها وتبدو السعادة على وجهها ورافقتها حتى الباب .. فاستدارت إليها مليكة ترفع لها خصلة من شعرها الكستنائي خلف أذنها وتقول لها موصية "لا تعذبي هذا الرجل الطيب "

أومأت ونس برأسها بطاعة وابتسامتها الواسعة تملأ صدغيها العريضين.. فقالت مليكة مودعة "سألحق أنا بمفرح لأني عطلته كثيرا .. السلام عليكم "

ناول مفرح العم عيد كوب الشاي بعد الانتهاء منه .. واستقبل مليكة بابتسامة قبل أن يركبا السيارة .. بينما نظرت ونس للهاتف الذي عاد لحضنها ثم نظرت لوالدها وبدأت في القفز عدة مرات بسعادة شديدة وهي تقول له بلغة الإشارة" أحبك يا عيد .. أحبك جدا جدا"

في السيارة قال مفرح" ما رأيك في أن أخطفك ونذهب للعاصمة ؟"
ردت مليكة بابتسامة "والمهام التي كلفك بها العمدة صباح اليوم واخبرتني بها منذ قليل؟!"

مط شفتيه وقال بهدوء "أجل نسيت "
ربتت على ظهره تقول مواسية "أعرف بأنك مضغوط ..إن شاء الله سنجد وقتا مناسبا ونذهب معا للعاصمة"

هز رأسه بوجوم وصمت شاردا في الطريق أمامه لتضيف مليكة في محاولة للتخفيف عنه" ما رأيك أن نخطف ساعتين قبل عودة الولدين من المدرسة وأن نذهب مثلا لمطعم أو لأي مكان تحبه في مركز المحافظة يفتح أبوابه في هذا الوقت الباكر "

تغيرت ملامح مفرح فجأة وقال بحماس وكأنه قد تذكر شيئا "هناك مكان مناسب جدا سأخطفك إليه لساعتين"
ضيقت حاجبيها متسائلة ..فغمز بعينه ثم عاد لينظر للطريق أمامه بملامح غامضة .

xxxx

وقف عماد العسال يتلصص على مكالمة أخيه الذي كان يقول لاحد أتباعه " جميل .. جميل جدا .. استمر في تهديده من بعيد لكن لا تُصعِّد الأمر إلا عندما أخبرك .. واستمر في إيصاله رسائل غير صريحة بشأن ابنته .. أهم شيء لا أريده أن يعرف بأن الأمر له علاقة بي .. (صمت قليلا ثم قال) وهل علمتم أي أخبار عن زهير؟ .. يا غبي لو كان قد مات من الرصاصة التي تلقاها لعثرت الشرطة على جثته وتعرفت عليه وأبلغت أسرته .. لكن مادام ليس هناك خبرا حتى الآن فهذا معناه أنه لا يزال حيا .. ربما مختبئ عند أحد من معارفه ليتعافى من الإصابة ... حسنا أبقوا أعينكم مفتوحة "

حينما استدار بعد اغلاق الخط تفاجأ بأخيه الأصغر الذي يقف على باب الغرفة يناظره

بنظرة مدققة فغمغم ممتعضا" بسم الله الرحمن الرحيم"

قال عماد وهو يدخل الغرفة" هذا أحد أتباعك الذين سلطتهم على عيد القللي حتى تأخذ بيته الذي يقع على الطريق المؤدي لمخزن بضاعتك أليس كذلك؟ "

بنظرة جليدية قال بدير" هل تتلصص على مكالماتي يا عماد؟ .. (وأكمل مستهبلا) أي بضاعة تقصد أليست بضائعنا من المحاصيل أنت تعرف مكانها جيدا؟"

ضيق عماد عينيه وقال بمكر " أقصد البضاعة الأخرى .. البضاعة التي ورثتها عن المرحوم أبي"

نظر بدير لأعلي بملل قائلا" عدنا للسيرة التي ليس لها أي معنى "
اقترب منه الأخر يقول بهمس من بين أسنانه" هل تعتقد بأني لا أعرف طيلة هذه السنوات بشأن مشاركتك لكبار تجار توزيع الحشيش والبانجو .. ومساعدتك لهم في تخزين البضائع في أماكن بعيدة عن عيون الشرطة !! .. (ونظر في عينيه يحاصره مضيفا) هل ستنكر هذا- أيضا كما أنكرت أن السيد الوالد مات وله مخزن سري يحتوي على بضاعة من هذا النوع بالملايين وبأنك أخفيتها عني وعن أختك وأخذت ثمنها وحدك؟!"

صمت بدير قليلا ثم رد بمراوغة" من الجيد أنك تعلم بأمر تجارتي ..(ورفع كفيه بمحاذاة جسده يضيف باستعراض) فحق التجارة مكفول للجميع تماما مثلما تضارب أنت في

البورصة .. (وقلب مقلتيه يقول بلهجة خطرة) لكن هذا لا يعني بأني قد ورثت من السيد الوالد ما تتحدث عنه يا عماد .. كل الاراضي التي كانت بحوزة أبي عند موته وزعتها بيننا بما برضي الله وحسب الشرع"

غمغم عماد بحقد" بما يرضي الله!! .. أتريد أن تخبرني بأن الملايين التي تملكها حاليا هي من نصيبك من زراعة الأفدنة التي نملكها يا بدير ونتشارك في ربحها سويا "

رفع بدير كفه في وجه أخيه مغمغما " أعوذ بالله .. من شر حاسد إذا حسد .. ما املكه من حر مالي .. وتلك المخازن التي تتحدث عنها هي تجارتي وحدي استثمر فيها أموالي(وأشاح بيده وهو يتركه هاربا وأضاف) عموما تصدق أو لا تصدق هذا شأنك .."

تطلع فيه عماد مغادرا فاستدار بدير عند باب الغرفة يقول" صف قلبك تجاه أخيك يا عماد .. وارحمني من حقدك "
قالها وخرج فلحق به عماد يصيح بهياج" أنا لن أسكت على نصيبي مما تركه أبي في المخازن يا بدير.. وإلا سأفضحك وأفضح تجارتك "
في أقل من ثانية كان بدير قد استدار وأمسك برقبته يلصقه في الحائط ويقول بفحيح مرعب " اسمع .. سأقطع لسانك لو تفوهت بحرف .. وأنت تعرف جيدا أني قادر على فعل ذلك .. أنا تحملت مهاتراتك كثيرا بشأن تلك الخرافة التي تعتقدها بأن الحاج حسيب قد ترك شيئا غير الأفدنة الزراعية .. وكنت أقول أنك ستتعقل مع الوقت .. لكن أن يصل الأمر لتهديدي سأقطع لسانك وأفعل ما يمكن أن يخرسك طوال العمر ويجعلك تندم على ابتزازي يوما .. فاخرس وإياك أن تنطق بحرف "

ناظره عماد بغل ممزوج برعب لا يريد أن يظهره معترفا في نفسه بأن بدير ليس له عزيز حتى لو كان أخاه من لحمه ودمه .. وشعر بالاختناق الشديد ويد الأخر لا تزال تقبض على رقبته بقوة وعيناه الخضراوان تحدقان فيه بتهديد مرعب .. حتى ترك بدير رقبته أخيرا فسمح له باستنشاق الهواء .. فأخذ يسحب نفسا طويلا ويسعل بينما حدجه بدير بنظرة خطرة أخيرة وهو يقول محذرا " ركز في نصيبك من الأرض الزراعية وفي مضارباتك في البورصة وربي أطفالك "

واستدار ينزل السلم إلى الدور الأرضي نافشا كتفيه بخيلاء وهو يعدل من ياقة جلبابه الفاخر .. فقابلته على السلم هدى زوجة عماد تقول بقلق " سمعت عماد يصيح .. هل حدث شيء يا أبا علاء ؟"

لم يرد بدير وإنما أكمل نزوله ببرود وهو يلعب بمفاتيح سيارته قبل أن يرن هاتفه فرفعه على أذنه ليرد.. ثم لاح على وجهه الاهتمام وقال " خرجت من القرية؟؟ .. حسنا حسنا .. تتبعها واخبرني إلى أين هي ذاهبة وأنا قادم حالا "

أما هدى فأسرعت بالصعود وقالت لزوجها بقلق "ما بك يا عماد ؟"

غمغم عماد بحشرجة وهو يتطلع نحو باب السلم بنظرات مغلولة حاقدة" لا شيء .. لا شيء .. ناوليني بعض الماء "

××××

في مزرعة العمدة .. وبالتحديد في الجزء الخلفي منها بين أشجار الفاكهة وقف مفرح بجوار حصانه يتأملها وهي تدلل فرسها .

مسدت مليكة على الفرس تغمغم بجوار رأسها قائلة بحنان "اشتقت إليكِ يا نانسي .. اشتقت إليك بشدة"

ابتسم مفرح شاعرا بسعادة جمة لسعادتها وقال بلهجة شقية" ما رأيك أن آخذك أمامي على حصاني لقد أمرت العمال عدم الاقتراب من مزارع الفاكهة حتى تكون لنا خصوصية "

رفعت مليكة طرف عباءتها ليظهر من تحتها بنطالا من الجينز الأسود وفي ثوان كانت تقفز فوق فرسها وتقول بلهجة متحدية شقية "بل سنرى من منا سيفوز في سباق الخيل يا ابن الزيني .. فأنت تعرف بأن الصوالحة مشهورون بمهارتهم في ركوب الخيل"
رفع مفرح حاجبيه يقول باستنكار وقلبه يرقص في صدره لشقاوتها "ابن الزيني ! (واعتلى

حصانه برشاقة مضيفا بلهجة متهكمة)
الحقيقة كل ما أعرفه عنهم أن لهم ابنة طويلة اللسان .. أريني ما عندك يا بنت الصوالحة"
ربتت مليكة على رقبة فرسها هامسة لها ببعض الكلمات قبل أن تشد اللجام وتنطلق .. فانطلق خلفها مفرح بحصانه وبقلبه الذي كان يسابقه عدوا خلفها ..

منذ زمن لم ير تلك النظرة الشقية في عينيها..
نظرة عمرها خمسة عشرة سنة مضت ..

انطلقت مليكة أمامه جامحة كفرسها .. فترك لها الفرصة لكي تسبقه وقلل من سرعة حصانه..

تمنى أن يكونا طائرين في السماء..
هو ومليكة ..

يسافران بحرية ..
يقطعان المسافات دون حواجز ..
يتعانقان فوق الأشجار بعيدا عن الأنظار ..
فقط هو ومليكته في فضاء فسيح واسع ..
خاليا من القيود ..
ومن الأحقاد والعصبيات ..
ومن التقاليد والعادات ..
ليته يلف بها العالم كله على ظهر حصان ..
ويخبئها في جزيرة لا يعرفها أحد .. ويبثها حبه وعشقه وتتيمه بها في كل ثانية ومع كل نفس يخرج من صدره ..
وليتها تكون بهذا المزاج الرائق للأبد ..

أفاق من شروده حين لاحظ أن حصانها بدأ في تخفيف سرعته .. وبدأ قلقه يزداد حين رآها تميل بجذعها على الفرس تحضن رقبته وكأنها تتشبث به .. فزاد من سرعة حصانه حتى

اقترب منها مناديا " مليكة .. مليكة ما بك ردي علي ؟!!"

كان الحصانان قد خففا من سرعتهما فاستطاع مفرح شد لجام فرسها يأمره بأن يتوقف قبل أن يوقف هو حصانه ويترجل من فوقه مقتربا منها يقول وقد اطمأن بأنها واعية" ما بك يا مليكة؟!"

غمغمت وهي تحاول الاعتدال" شعرت بدوار شديد "

أمسكها من خصرها ينزلها من فوق الفرس قائلا "الحمد لله انك استطعت السيطرة على توازنك فوق الفرس .. (ثم قال وهو يعدل لها حجابها حول وجهها) ربما بسبب عدم النوم يا مليكة .. يخيل لي بأنك لم تنمي منذ يومين إلا بشكل متقطع "

أومأت برأسها معترفة" أعتقد بأن هذا هو السبب .. وكنت أحاول ألا ألجأ للحبوب المنومة التي صرفها لي أكرم لكن يبدو أني سألجأ لها"

أخذها يخبئها في حضنه متمتما " أنا وأنت في حاجة ماسة لسفرة طويلة بعيدا عن كل شيء.. لكنك ترفضين كلما عرضت عليكِ السفر وحدنا وتتحججين بأشياء كثيرة"
قالت مليكة بهدوء " عندما ينتهي الأولاد من الامتحانات سنفكر في الأمر أعدك .. هيا لنعود"

ابعد رأسها عنه يقول بشقاوة " ألن تأتي معي إلى خلف تلك الشجرة ونفعل كما يحدث في الافلام ؟!"

ضربته بخفه في صدره تبعده وقالت موبخة بحرج "مفرح هل ستجن وأنت في هذا العمر؟!.. هيا لنعود"

برطم مفرح قائلا بلهجة صبيانية " حتى تقليد الأفلام في مزرعة تخصني لا أستطيع ..هذا ظلم والله"

أمسكت برأسها مرة أخرى شاعرة بالدوار .. فكف عن المزاح و أسرع باعتلاء حصانه .. قبل أن يمد يده لها.

طالعته مليكة بعينين مترددتين ثم منحته يدها ليسحبها لتصعد وتجلس أمامه على الحصان .. فتحرك بها في هدوء يسحب فرسها خلفهما محيطا خصرها بذراعه .. وأمنية وحيدة تمناها لحظتها..

ألا تنتهي تلك الرحلة أبدا .

xxxx

بوجه جامد الملامح جاد وقفت في أحد الأركان في إحدى المصالح الحكومية تنتظر دورها لاستلام بعض الأوراق الرسمية التي ستسمح لها بمزاولة النشاط التجاري .. بينما كانت عيون الغالبية تتطلع في تلك الحسناء ذات العباءة الجينز التي تقلب في هاتفها .

حاول أحد الموظفين الاستظراف فخرج من خلف الواجهة الزجاجية مقتربا منها يقول "الأخت ستستلم من أي شباك ؟"
غمغمت بسمة بتحفظ مشيرة على أحد الشبابيك المزدحمة " من هناك .. شباك عشرة"
قال وعيناه تتطلعان فيها بجرأة" اعطني بطاقة هويتك لأحضر لك الطلب"

طالعته بسمة بوجه بارد رافض حتى لا يرى الخانة الخاصة بالحالة الاجتماعية في بطاقتها فارغة فيفهم بأنها مطلقة ويتجرأ عليها أكثر .. فلأسف تحدد الحالة الاجتماعية (آنسة _ متزوجة من فلان – أرملة) وفي حالة المطلقة أصبح يترك مكانها فارغا بعد أن كان يكتب بكل وضوح (مطلقة) .. وفي كلتا الحالتين يفهم من يتفحص البطاقة بأنها مطلقة فيصبح الأمر مزعجا خاصة مع فتاة جميلة مثلها .. وكأن اللقب هذا يبيح لمن يقرأه في بطاقتها من الذكور بأن يستبيحها ولو بالنظرات وأن يتباسط معها في الحديث .. فردت ببعض الحزم "شكرا لا أحتاج للمساعدة سأنتظر دوري "

طريقتها الفظة وصوتها العالي أحرجاه فتحرك للخلف مبتعدا دون تعقيب .. أما هي فأخذت تعد الدقائق حتى تخرج من هذا المكان المكتظ بـ العيون التي تتطلع فيها ..

للأسف لم تجد من يأتي معها .. فوليد عريس جديد مشغول بعروسه وليست متأكدة إن طلبت منه المساعدة سيستجيب أم لا .. ومفرح لا تقدر أن تذهب معه وحدهما خاصة في مشوار خارج القرية منعا للقيل والقال من المتابعين والمدققين في خطواتها .. فلم تجد مفرا من الحضور وحدها لتنهي هذا الأمر .. لكن الدقائق تمر ببطء وذلك الشعور بالاختناق يتعاظم في صدرها ..

من أصعب لحظات الوحدة حين تضطر لمواجهة الجميع وحدك ..
وأن تقوم بكل المهام وحدك ..
وبالنسبة لها كـ بسمة يصعب الأمر أكثر لأنها تلفت أنظار الرجال بسهولة.

من باب المصلحة الحكومية دخل بدير.. ووقف بخيلاء يخبئ عينيه خلف نظارة شمسية داكنة باحثا عنها .. فخرج رئيس

المصلحة من مكتبه يرحب به مهللا يدعوه لأن يتفضل معه للانتظار في مكتبه ..

حين انتبهت بسمة لوجوده أشاحت بوجهها بعيدا وقد ازداد شعورها بالاختناق تدعو ألا يلمحها.. لكنه استطاع تحديد مكانها .. فترك رئيس المصلحة واقترب منها يقول متصنعا المفاجأة " الباشمهندسة هنا !.. ماذا تفعلين؟"

تطلعت بسمة حولها في العيون المتابعة بحرج ثم عادت تحدج بدير بنظرة حادة قبل أن تقول باقتضاب "جئت لاستلم بعض الأوراق"

قال مستعرضا أهميته" كيف يحدث هذا!!..كيف يتركوك تنتظرين !!"
اسرع رئيس المصلحة يقول "بدير باشا وضيوفه فوق رؤوسنا"

وسأل بسمة "كيف نساعد الاستاذة؟"
ردت بسمة باقتضاب" انتظر لاستلم أوراقي من شباك رقم عشرة"
قال بدير موضحا" الباشمهندسة تكون ابنة الحاج سليمان الوديدي بالطبع تعرفه "

غمغم رئيس المصلحة " بالطبع ومن الذي لا يعرف الحاج سليمان (واستدار يشير لأحد الموظفين فأومأ برأسه في طاعة بينما قال رئيس المصلحة بنظرة خبيثة يمررها بين بسمة وبدير الذي وقف يتأملها من خلف النظارة الداكنة) تفضلا عندي في المكتب لا يصح وقوفكما هكذا "

قالت بسمة بتحفظ وهي تتشبث بيد حقيبتها المعلقة على كتفها "شكرا أنا في عجلة من أمري"

اقترب الموظف بالأوراق التي تخص بسمة فناولها رئيس المصلحة لها قائلا " ابلغي سلامي الحار للحاج سليمان الوديدي "

أخذت بسمة الأوراق وغمغمت باقتضاب وهي تسرع بالمغادرة " بإذن الله .. أشكرك .. السلام عليكم"

قالتها وغادرت مسرعة تتلهف لبعض من الهواء حتى تنعش صدرها المقبوض مغمغمة بقرف" يرتدي نظارة شمسية داخل المبنى ! "

أما بدير فأخذ يفكر كيف سيتخلص من رئيس المصلحة ليلحق بها بعد أن جاء خلفها خصيصا حينما أخبره من يعينه مراقبا لها بأنها خرجت من البلدة .. لذا ما أن وصل بدير مع رئيس المصلحة إلى مكتب الأخير قال وهو يتحسس جيوبه نسيت هاتفي في السيارة

واعتقد أن نوافذها مفتوحة .. سأعود فورا يا مرعي باشا "

بمجرد أن خرجت بسمة من باب البناية وجدت سيارة تقف أمام الباب ولا تترك إلا ممرا ضيقا للمرور .. فشتمت في سرها هذا الغبي الذي أوقفها بهذا الشكل .. وحاولت المرور من جانبها .. إلا أن بدير كان قد لحق بها وفتح باب السيارة فجأة أمامها ليسد عليها فرصة الخروج قائلا "تفضلي يا باشمهندسة لنوصلك " أجفلت من وجوده ومن جرأته فغلى الدم في عروقها وتطلعت فيه تقول بغضب "هل جننت يا معلم بدير .. كيف تتجرأ وتعرض عليّ عرضا كهذا "

تسارعت انفاسه وهو يتطلع فيها من هذا القرب وحسنها البهي يشع أمام عينيه فغمغم

بلهجة حارة وعيناه تتحركان على وجهها " لو اشفقت الأميرة على حالنا ووافقت على طلبنا .. لأصبحت سيارات آل العسال كلها رهن إشارة من إصبعها ولما اضطرت لركوب سيارة أجرة للتنقل "

هتفت بسمة بعصبية " ما تفعله يا معلم بدير غير لائق ولو علم به أحد من الودايدة لن يمر على خير أبدا.."

خلع بدير نظارة الشمس ووضع يده على صدره يقول بحرارة" أنا غرضي شريف يا أميرة .. اعطيني فرصة واحدة لنتحدث ولأقنعك "

بحركة حادة استدارت بسمة للخلف لتمشي من الناحية الأخرى رغم ضيق المساحة .. حتى خرجت من جانب السيارة وواصلت طريقها

لتخرج من ذلك الشارع الضيق نحو أحد ميادين مركز المحافظة الواسعة.. لكنها توقفت فجأة متسعة العينين بمفاجأة حين لمحت كامل يقف بجوار سيارته متقبضا مكفهر الوجه يناظرها بنظرات غريبة .

قبل دقائق

كان كامل يدور في الميدان الواسع يبحث عن محطة بنزين ليملأ سيارته قبل أن يسافر للعاصمة ..بعد أن أضطر للمبيت في بيت الجد صالح فقد غادر مفرح من عنده الليلة الماضية في وقت متأخر من الليل.. فأتاه صوت شامل صارخا بحنق عبر السماعة اللاسلكية " إياك أن تكون قد تعاملت مع ونس بسخافتك وعجرفتك المعهودة وهي تظنك أنا يا كامل"

تكلم كامل بلهجة متهكمة مناكفا " ماذا؟! .. ما اسمها؟!! ما هذا الاسم الغريب مثلها يا بني !!"

قال شامل بغيظ " كامل .. أخبرني ماذا فعلت معها بالضبط"

رد كامل بلهجة متسلية وهو يتطلع حوله "صدقني يا عَمّنا مثّلتُ دورك بدقة وعاملتها بلطف شديد حتى كادت مرارتي أن تُفقأ .. لكنها هبلاء كما قلت لك .. بعد أن اعطتني ذلك الشيء العجيب من الفخار أخذته مني وابتعدت "

غمغم شامل مفكرا " لا أتصور أبدا أن تكون قد كشفت بسهولة أنك لست أنا إن كنت أتقنت دوري كما تقول"

رد كامل بنفس الابتسامة المتسلية على شفتيه" أنا أيضا لا أتصور ذلك لأنها تبدو هبلاء يا عمي !"

صاح شامل فيه بغيظ " كامل كف عن السخف ولا تتهكم عليها بهذا الشكل ..عيبٌ عليك ..البنت لها ظروف خاصة"

استمر كامل في مناكفته فقال وهو يدقق في أحد المحلات على يساره من خلف نظارته الشمسية " قل لي بأنها تهمك وسأكف عما أفعل "
غمغم شامل " لا حول ولا قوة إلا بالله !"

أوقف كامل السيارة بجوار مدخل أحد الشوارع الضيقة يقول لأخيه " أين محطة البنزين يا شامو لا أرى شيئا؟"

قال شامل شارحا " حين تلف الصينية في وسط الميدان ستجدها على يسارك بجوار محل إطارات كبير في الواجهة .. (وعاد ليسأله) لماذا

لم تخبرني قبل الآن بما حدث مع ونس رغم أني تحدثت معك أكثر من مرة على الهاتف يوم أمس "

بابتسامة صغيرة متسلية رد كامل ببرود "نسيت .. كما أنك قلت أنها لا تهمك "

لم ينصت جيدا لما قاله توأمه.. بل أظلمت ملامحه فجأة وأخذ يحدق في المشهد أمامه عبر النافذة .. ففي الشارع الضيق الذي يقف بمقدمة سيارته على أوله لمحها ..

لأول وهلة شك في نظره ..خاصة وهي توليه ظهرها لكنه مرة أخرى يشعر بذلك الشيء المبهم بداخله الذي يؤكد له بأنها هي .. وأكد شعوره مسكتها العصبية لحقيبة يدها وذلك الرجل البارد السمج الذي شاهده في حفل الزفاف ملاصقا للحاج سليمان يقف أمامها

..وحين تحركت قليلا في الثانية التالية وهي تشيح بيدها بعصبية ظهر له جانبا من وجهها ليتأكد بأنها هي ..
اشتعلت نار في صدره لم يعرف مصدرها ولا سببا منطقيا لها غير أن وقفتها الغريبة مع هذا السمج ونظراته لها .. وميله عليها قد أوقدوا نارا لم يختبرها من قبل .

وبدون تفكير خلع السماعة من أذنه وفتح الباب بحركة عنيفة .. لكنه بمجرد أن ترجل من السيارة حاول عقله أن يحذره بألا يتهور .. ونبهه لسخافة ما يفكر في عمله .. فتقبض كامل بقوة يراقب المشهد ويقاوم ذلك الجنون الذي أصابه .. مانعا نفسه من لكم ذلك الرجل الذي مال قليلا للأمام واضعا يده على صدره ونظرته كانت واضحة لأي كفيف بأنها تأكلها أكلا ..

الحريق أخذ في الازدياد.. وضغطه لقبضتيه اشتد .. واعتراض عقله ازداد حدة ليقاوم أي حركة متهورة غير محسوبة منه .. فغمغم في سره" مادامت متشنجة بهذا الشكل لماذا لا تصفعه على وجهه وتبتعد "

وكأنها قد سمعت كلامه .. استدارت بسمة تمشي من الجهة المقابلة لتخرج من جانب السيارة فرآها كامل بوضوح وتقابلت عيناهما.

شعرت بسمة بالاندهاش لوقوفه على أول الشارع واندهشت أكثر من تلك النظرة الغامضة التي حدجها بها .. في الوقت الذي وقفت في الشارع الضيق حافلة كبيرة خلف سيارة بدير تنتظر أن يفسح لها الأخير الطريق لتخرج.. فبرطم الأخير وركب سيارته يحاول ركنها في أي مكان.

حاولت بسمة الحفاظ على ثباتها الانفعالي كما حافظت عليه منذ دقائق مع بدير واستمرت في سيرها تتصنع التجاهل فخرجت من الشارع ووقفت على بعد أمتار من كامل تنتظر تاكسي ليأخذها للقرية .. بينما شعر كامل بالحرج لوقفته الغريبة.. فمشط شعره بأصابعه يرفعه إلى فوق رأسه بخيلاء ثم دخل سيارته .. لكنه ظل يتطلع فيها أمامه متمنيا لو يعرض عليها توصيلها لكنه يعرف أنه أمر غير لائق .

بعد دقائق أوقفت بسمة تاكسيا وعرضت عليه مبلغا كبيرا حتى يوافق على الدخول بها للقرية ..ثم ركبت في المقعد الخلفي وهي تسخر من تلك الخاطرة الغريبة التي مرت في رأسها حينما استشعرت بعضا من الراحة عند ظهور كامل في هذا التوقيت بالذات بعد أن كانت قلقة من أن يلاحقها بدير بإلحاح .. فغمغمت في سرها

بتهكم " من الواضح أنك مرهقة عصبيا وخرّفتِ يا بنت الوديدي .. وإن علم هذا المتعجرف بما شعرتِ به سيظن نفسه شخصا مهماً بالفعل "

رن هاتفها معلنا وصول رسالة نصية ففتحتها لتجد رقما غير مسجلا يقول" هذا رقمي الشخصي يا أميرة .. رقم لا يعرفه أحد .. اعطني فرصة واحدة لأخبرك كيف أن غرضي شريف وبأني أنوي أن أجعلك ملكة الدنيا كلها " عاد إليها التوتر.. فهذا الرجل بدأ في تجاوز حدوده .. لكنها في المقابل لا تريد أن تخبر أحدا حتى لا يتأزم الوضع وتنفجر الحِميات وتصير فضيحة أو أن يضغط عليها أهلها للإسراع بالارتباط به أو بغيره .. فقررت تجاهل الأمر وحذف الرسالة النصية .

تحرك كامل بسيارته مبتعدا بعد أن تحرك بها التاكسي وهم بإكمال طريقه للبحث عن محطة البنزين .. لكن القلق سيطر عليه وهو يفكر في أن طريق البلدة في أوله خالي وهادئ إلا من بعض البيوت المتناثرة .. وهي وسائق التاكسي وحدهما .. فاستدار فجأة يغير طريقه قاصدا الإتجاه إلى البلدة حتى استطاع أن يلحق بهما عند شريط القطار فتوقف بسيارته خلف التاكسي منتظرا فتح المزلقان وهو يضرب كفا بكف يضحك على نفسه ويسخر مما يفعل من تصرفات مجنونة قائلا في سره " إن علم ذلك المتلصص المتطفل على أفكاري وحياتي ما فعلت لن يرحمني من تهكماته "

أما في سيارة الأجرة فكانت بسمة غارقة في أفكارها تفكر كيف تستطيع أن تتعلم القيادة .. وهل سيسمح لها أهلها أن تقود سيارة خاصة

بها .. إن الأمر سيكون غريبا ومستهجنا في بلدتها .. لكنها وضعت تلك الرغبة في تعلم قيادة السيارة هدفا مستقبليا لها .

بمجرد أن وصل التاكسي إلى منطقة عامرة بالبيوت أسرع كامل يضغط على بنزين السيارة ليتجاوز التاكسي ويسبقه فلمحت بسمة سيارته الضخمة وميزتها بسهولة .. ثم تابعتها وهي تمر من أمام التاكسي وتنعطف يسارا مع أول ملف لتعود للطريق المعاكس فرفعت حاجبيها باندهاش ورأته كتمثال خلف نظارته الشمسية ينظر في الطريق أمامه قبل أن تبتعد السيارة عن مجال رؤيتها .. فعادت تنظر أمامها عاقدة الجبين تحاول طرد تلك الأفكار المراهقة التي قفزت إلي رأسها تتساءل إن كان قد أتى خلفها ليطمئن لوصولها مغمغمة في سرها " أفيقي يا بسمة أفيقي فأنت لا تزالين مراهقة ..

ولست مراهقة عادية .. بل مراهقة فوق الثلاثين مثيرة للشفقة "

××××

بعد عدة أيام

وقفت بسمة في ساحة بيت الجد صالح تتطلع بامتعاض لذلك السور بطول مترين الذي أصبح يقسم ساحة البيت القديمة الواسعة إلى ساحتين صغيرتين كل واحدة ببوابة صغيرة مستقلة .. وطالعت من خلف السور بيت جدها ذي الطوابق مغلقا .. فتساءلت إن كان هذا المتعجرف وتوأمه قد صرفا نظر عن السكن فيه أم ماذا .. فمنذ ذلك اليوم الذي شاهدته فيه في مركز المحافظة لم تره في البيت بعدها .

سألتها إحدى الفتيات العاملات عن شيء فاستدارت لتجيبها ووقفت تتطلع بسعادة شديدة للبنات الجالسات أمام الطاولات الخشبية الكبيرة يقطعن الخضراوات ..

لقد بدأت في تنفيذ مشروعها منذ أيام وبدأت الفتيات في الانتظام في الحضور .. ورغم أن الوضع يحتاج منها للتنظيم أكثر .. لكن سعادتها كانت لا توصف .. فاشتهت كوبا من القهوة السريعة ليكتمل عندها ذلك الشعور بالسعادة .

دخلت أم هاشم من بوابة المكان تقول "اللهم صل على النبي .. ما شاء الله لا قوة إلا بالله .. "

عبست بسمة وصاحت فيها موبخة " أنت يا مصيبة .. أين كنت؟! .. ألم أخبرك منذ أيام تذكرت الآن فقط الحضور؟!!! "

اقتربت أم هاشم بعباءتها ووشاحها الأسودان
تبتسم فظهرت غمازتيها الداكنتين وهي تقول"
أموري لم تكن على ما يرام يا بسمة وكنت
مكتئبة قليلا .. الحمد لله على كل حال "
سألتها بسمة باهتمام " ما بك .. ماذا حدث؟"

راوغت أم هاشم وقالت" أخبريني أولا كيف
حال سير العمل ؟"
تطلعت بسمة بسعادة في المكان وقالت
"الحمد لله ..لازلت مرتبكة لكني سعيدة ..
خاصة وأن مفرح قد كلف أحد الاشخاص
بالتسويق لمشروعي والاتفاق مع المحال
الكبيرة في مركز المحافظة لتوريد الطلبيات ..
ورحمني من الاضطرار للمرور عليهم جميعا ..
تعلمين كيف كان ذلك بالنسبة لي سيجلب
المشاكل وسيثير حفيظة أبي "

قالت أم هاشم بسعادة حقيقية " سيفتحها الله عليك ويرزقك من وسع إن شاء الله "

تطلعت فيها بسمة مدققة ولاحظت ذلك الإرهاق البادي عليها فسألتها بقلق " وأنت .. ما بك؟ .. هل من جديد؟ "

ببعض الحرج قالت أم هاشم " الحقيقة أنا جئتك اليوم في طلب وأرجو ألا تشعري بالحرج مني وتخبريني بصدق لو كان في غير استطاعتك تنفيذه حاليا "
عقدت بسمة حاجبيها وقالت " خير إن شاء الله "

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. كيف حالك يا أم هاشم "

قالتها إحدى السيدات وهي تدخل من البوابة ..
فاستدارت إليها الأخيرة عاقدة حاجبيها
باندهاش وقالت" وعليكم السلام ورحمة الله يا
أم مصعب "...

نظرت أم مصعب بحرج لبسمة تقول "مبارك
إن شاء الله ليجعلها الله فاتحة خير لك (ثم
نظرت لأم هاشم مغمغمة ببعض الحرج)
أريدك في أمر خاص يا أم هاشم "

رفعت الأخيرة حاجبا مستغربا وطالعت المرأة
الشابة من رأسها حتى أخمص قدميها ثم
تبادلت النظرات مع بسمة قبل أن تقترب من
المرأة قائلة" تفضلي "

انتحت بها المرأة جانبا .. فراقبت أم هاشم
ترددها وكفيها اللذان تفركهما تحت خمارها

الطويل قبل أن ترفع المرأة نظراتها لأم هاشم
وتقول " لقد جئتك بعريس يا أم هاشم "

xxxxx

الفصل الثامن

تطلعت بسمة في وجه أم هاشم مدققة ولاحظت ذلك الإرهاق البادي عليها فسألتها بقلق " وأنت .. ما بك؟ .. هل من جديد؟ "

ببعض الحرج قالت أم هاشم " الحقيقة أنا جئتك اليوم في طلب وأرجو ألا تشعري بالحرج مني وتخبريني بصدق لو كان في غير استطاعتك تنفيذه حاليا "
عقدت بسمة حاجبيها وقالت " خير إن شاء الله "

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. كيف حالك يا أم هاشم "
قالتها إحدى السيدات وهي تدخل من البوابة .. فاستدارت إليها الأخيرة عاقدة حاجبيها

وقالت" وعليكم السلام ورحمة الله يا ..... أم مصعب "

نظرت أم مصعب لبسمة بحرج وقالت "مبارك إن شاء الله ليجعلها الله فاتحة خير لك (ثم نظرت لأم هاشم مغمغمة ببعض التردد) أريدك في أمر خاص يا أم هاشم "

رفعت الأخيرة حاجبا مستغربا وطالعت المرأة الشابة من رأسها حتى أخمص قدميها ثم تبادلت النظرات مع بسمة قبل أن تقترب من المرأة قائلة" تفضلي "

انتحت بها المرأة جانبا .. فراقبت أم هاشم ترددها وكفيها اللذيّن تفركهما تحت خمارها الطويل قبل أن ترفع المرأة نظراتها لأم هاشم وتقول " لقد جئتك بعريس يا أم هاشم "

لوهلة جف حلق الأخيرة وازدادت ضربات قلبها لكنها حافظت على هدوئها خاصة مع هيئة المرأة الواجمة والمرتبكة فعقدت ذراعيها أمام صدرها وسألتها بريبة" ومن هو إن شاء الله؟"
بلعت المرأة ريقها وردت" سعيد ....زوجي "
فكت أم هاشم ذراعيها وهتفت باستنكار "ماذا !!..هل تسخرين مني يا أم مصعب؟!!"
أسرعت المرأة بالقول " أبدا والله .. جئتك جادة في طلبي "
بعدم تصديق سألتها أم هاشم مستنكرة "أتخطبينني لزوجك يا امرأة ؟!"
امسكت أم مصعب بذراع أم هاشم وقالت بلهجة جادة "اسمعي يا أم هاشم .. سعيد زوجي بفضل الله شديد الالتزام بالدين كما يعلم كل الناس.. ولقد فاتحني بنيته في الزواج مرة أخرى لرغبته في أن يعف أخت من الأخوات ويكسب فيها ثوابا ..وطلب مني أن أرشح له

بنفسي فتاة لم يسبق لها الزواج حتى اقتسم معه الثواب .. وأنا اخترتك أنتِ"

ردت أم هاشم بتهكم وهي تضع يدا فوق الأخرى على بطنها " ما شاء الله ! .. وهل الزواج من عذراء بالذات هو الأكثر ثوابا هذه الأيام؟.. اللهم قوي إيمانه !!..."

ارتبكت المرأة وحاولت إيجاد ما تقارعها به لأقناعها حتى تكون قد ضربت عصفورين بحجر .. فإن كان زوجها يرغب في الزواج بثانية ويطلب منها أن تخطب له فلتخطب له أم هاشم السوداء حتى لا تكون أجمل منها .. ولا تسرقه منها ولا يكون لها دلالا عليه .. المهم أن يوافق هو .. فلن تتحمل أن تخطب له أجمل من أم هاشم أبدا ..

استشعرت أم هاشم ارتباك المرأة فحاولت التحكم في أعصابها وقالت من بين أسنانها

"اذهبي .. اذهبي من أمامي يا أم مصعب ..
اذهبي قبل أن يجن جنوني "
اقتربت بسمة التي كانت تراقب الموقف من بعيد وناظرت الاثنتين قبل أن تسأل قاطبة الجبين " ماذا حدث يا أم هاشم؟"
قبل أن تجيب اندفعت أم مصعب مستمرة في محاولة اقناعها " اسمعي يا أم هاشم هذه فرصة جيدة صدقيني .. سعيد شاب ملتزم ويسير على شرع الله وفي عنفوان شبابه فهو في الخامسة والثلاثين من عمره وميسور الحال ومن أكبر عائلات البلدة كما تعرفين.. ومادام يريد تطبيق الشرع في الزواج من أكثر من واحدة فلماذا لا توافقين !"
طحنت أم هاشم ضروسها وكورت قبضتيها أمام وجهها تقول بغل " اذهبي يا أم مصعب من أمامي .. صدقيني العفاريت الصغار التي أربيها تتقافز أمامي الآن وسأطلقها عليك "

بعدم تصديق هتفت بسمة متسعة العينان
"هل ما فهمته صحيحا؟!"
ردت أم هاشم بلهجة ساخرة " أجل .. الأخت الفاضلة تخطبني لزوجها .. وسبحان الله اختارتني أنا بالذات لوجه الله لتكسب في ثوابا .. أرأيت لؤما وخبثا أكثر من هذا "
شعرت بسمة بالذهول وسألت المرأة التي وقفت تشعر بالضيق والحرج أمامهما " وهل زوجك يعرف باختيارك لأم هاشم؟"
أسرعت أم مصعب في الإجابة " لا .. لا يعرف بعد .. لقد جئت لأعرف رأيها أولا .. (ورفعت أنظارها لأم هاشم الأكثر منها طولا وقالت متمسكة بالأمل) وإن شاء الله ستوافق (وأضافت بحرج) فلا تؤخذيني يا أم هاشم هذه فرصة جيدة لك ولن تتكرر "

جن جنون الأخيرة فهجمت عليها تقول "يبدو أنك لن تغادري من هنا إلا في سيارة اسعاف.. تعالي"

حاولت بسمة الوقوف بينهما وإبعاد أم هاشم التي رغم نحافتها كانت طويلة وقوية العصب فصاحت " يا أم هاشم .. اصبري يا أم هاشم " تركت العاملات ما في أيديهن واقتربن للمشاهدة في الوقت الذي دخلت فيه نصرة من البوابة .. وأسرعت إليهن ما أن لمحت ما يحدث ..

وساعدت بسمة في تخليص رأس أم مصعب من يدي أم هاشم .. ثم قالت لها مهدئة" صلي على النبي يا أم هاشم ماذا فعلت ؟"

بمشاعر الإهانة والحرج والغضب برطمت أم مصعب وهي تعدل من خمارها الذي انتزع غالبيته في يد أم هاشم" أعوذ بالله .. وأنا التي كنت أفعل فيكِ خيراً.. صحيح خيراً تفعل شرا تلقى !"

زمجرت أم هاشم تحاول الانقضاض عليها من جديد لكن نصرة احتجزتها بجسدها البدين في الوقت الذي قالت فيه بسمة للمرأة بلهجة حازمة وهي تمسك بذراع أم هاشم "اذهبي من هنا من فضلك وابحثي لزوجك عن عروس في مكان الأخر ليطبق معها ما أمره به الشرع "

شهقت نصرة وضربت على صدرها تقول بغير تصديق " هل تخطبين لزوجك يا خائبة!!"

ضحكت بعض الفتيات المتابعات بينما شهق البعض الأخر .. فناظرتهن أم مصعب بعينين دامعتين وهتفت بحرقة قلب تدافع عن موقفها " قلت يريد أن يعف أخت من الاخوات ويكسب ثوابا كيف أمنعه من تطبيق شرع الله "!

احست نصرة بفطرتها البسيطة بألم أم مصعب وبأنها مجبرة فاقتربت تربت على ظهرها مواسية بينما شعرت بسمة بالاستفزاز وقالت

باستنكار " ولماذا لا يدفع المبلغ الذي ينوي أن يتزوج به من الثانية ليساعد شاب وفتاة على الزواج وبالتالي يعف فردين بدلا من فرد واحد !! "

هتفت أم هاشم بدم محروق وهي تعدل من حجابها "عم تتحدثين يا بسمة .. الأمر واضح جدا .. الرجل يشترطها عذرااااء لم يسبق لها الزوج وهي هبلاء وتصدقه .. (وأكملت بصوت رغما عنها خنقه البكاء) ومعلوم لمَ اختارتني أنا بالذات"

تدخلت نصرة تقول وهي تسحب المرأة للخارج قبل أن تنقض عليها أم هاشم مجددا" هيا يا حبيبتي .. طريقك أخضر "

تحركت معها أم مصعب تشعر بالحرج الشديد وبحرقة قلب فودعتها نصرة على البوابة قائلة " صبرك الله على ما ابتلاكِ به يا ابنتي "

أسرعت أم مصعب بالمغادرة خائبة الأمل لكنها أخذت تفكر .. من غير أم هاشم تستطيع أن ترشحها لزوجها !.

أما بسمة فهدرت في الفتيات بحزم " هيا عدن للعمل"
ثم اقتربت من أم هاشم التي وقفت تداري شعورها بالإهانة وبنزف كرامتها خلف وجومها وقالت مواسية " لا تحرقي دمك "
تدخلت نصرة تقول بتعاطف " المرأة بسيطة التفكير وتبدو مغلوبة على أمرها وأنت عقلك أكبر منها فلا تعيرينها اهتماما"
لم ترد أم هاشم وإنما أشاحت بوجهها بعيدا بضيق .. لتقول نصرة بمرح طفولي في محاولة منها لتلطيف الأجواء وهي تضرب بقبضتها في كفها الأخر " من الجيد أني وجدتكما معا..

الحقيقة خرجت اليوم قاصدة كلتاكما ومررت
على أم هاشم في البيت ولم أجدها "
قالت بسمة " خير إن شاء الله "
تكلمت نصرة موضحة "جئت لسببين .. بل
ثلاثة أسباب .. الأول أن أبارك على هذا
المشروع جعله الله فاتحة خير عليك يا أبلة
بسمة "
ردت بسمة بابتسامة رزينة " جزاك الله خيرا يا
أم كريم "
ناظرتهما نصرة وقالت بسعادة جمة "والثاني أن
ادعوكما لحفل خطبة اسراء غدا"
غمغمتا بالمباركة والتمنيات بالخير فوقفت
نصرة بعدها تقول بتردد" وجئت لكل منكما
بطلب وأتمنى ألا ترداني خائبة "
قالت أم هاشم والوجوم لا يزال يسيطر على
ملامحها" خير إن شاء الله "

فركت نصرة كفيها ببعضهما وترددت قليلا تشعر بالحرج ثم نظرت لأم هاشم تقول "سأبدأ بك يا أم هاشم أولا .. كنت اتعشم في أن تساعدينا في طبيخ العشاء في يوم خطبة اسراء .. تعرفين أننا سنقيم الحفل في البيت ولابد أن نطبخ لأهل العريس والضيوف .. أخواتي البنات سيأتين لمساعدتي طبعا لكني كنت طامعة في أن تشرفي عليهما ..فأنا سأكون مشغولة في الكثير من الأمور وأنت ما شاء الله طبخك ..."

قاطعتها أم هاشم تقول بمحبة وهي تشير بسبابتها على عينيها " من هذه العين قبل هذه العين يا أم كريم لا تشغلي بالا بهذا الأمر"

هتفت نصرة بامتنان" أراح الله قلبك يا أم هاشم يا بنت الشيخ زكريا ورزقك بأفضل مما تتمنين"

ابتسامة ضعيفة زينت ثغر أم هاشم بينما ناظرت نصرة بسمة بتردد وقد ازداد فركها لكفيها وهي تقول " كنت .. كنت أتساءل إن كنتِ تحتاجين لمن يعمل مع هؤلاء الفتيات يا أبلة بسمة .. أنا أعلم بأنك تختارين الشابات الصغيرات لكني كنت .. اسأل .. فقط .. (واسرعت بالقول وهي ترفع كفيها في الهواء) لو لم تكن هناك فرصة فلا بأس"

تفاجأت بسمة بالطلب بينما ابتأست أم هاشم فهي الأخرى كانت طامعة في أن تجد لها وظيفة مع بسمة حتى لو كانت هذه الوظيفة هي تقطيع الخضر وغسلها وتغليفها.

قالت بسمة بترحيب "بالطبع يمكنك الانضمام للفتيات يا أم كريم .. على الأقل سأكون مطمئنة من وجود شخص ذو خبرة لتوجيهن أثناء العمل .. لكن عليك بمعرفة بأن الراتب سيكون في البداية ..."

قاطعتها نصرة بفرحة شديدة " لا يهمك يا ست الكل .. صحيح ما أحوجني للعمل هو رغبتي في المشاركة في تجهيز اسراء .. لكني أعلم بأن إيجاد وظيفة لي هنا في القرية سيكون صعبا .. ووجودي في مشروع نسائي ويخصك سيجعلني أستطيع اقناع هلال بالموافقة"

ابتسمت بسمة وقالت" إذن اتفقنا .. تستطيعين أن تبدئي من بعد خطبة اسراء إن أردتِ"

بسعادة جمة قالت نصرة " سلمتِ من كل شر يا رب وعوضك الله ورزقك من وسع يا بسمة يا بنت فاطمة "

قالتها وتحركت مغادرة وهي تقول" سأذهب أنا لأرتب أموري واستعد لمناسبة الغد .. استودعكما الله"

تأملتها بسمة وهي تهرول فرحة .. فشعرت بأنها على الطريق الصحيح .. طريق توفير

فرصة عمل للفتيات والسيدات الراغبات في زيادة دخلهن .. فقالت لأم هاشم بشرود "أحببت هذا الشعور .. فكم من أنثى تحتاج لفرصة عمل "

غمغمت أم هاشم بحزن" صدقتِ "

نظرت إليها بسمة تقول بحماس" هذه مجرد بداية .. أنا أفكر في المستقبل أن نقوم بعمل بعض الطعام البيتي مغلف وجاهز على التسوية للموظفات .. فهن يقدرن مثل هذه الأمور التي تسعفهن في الانجاز "

غمغمت أم هاشم بمحبة " إن شاء الله سيتوسع المشروع وستفرحين به يا بسمة (وهمت بالمغادرة وهي تقول بإنهاك نفسي) سأذهب أنا الآن"

أمسكت بسمة بذراعها لتوقفها قائلة "تعالي هنا لم تخبريني بما كنتِ ترديه مني!"

راوغت أم هاشم وردت بحرج " لا شيء أقصد نسيت .. أنستني هذه الهبلاء بعد أن أحرقت دمي .. سأخبرك حين أتذكر "

قالتها تهم بالمغادرة في الوقت الذي رن هاتف بسمة فأسرعت بالرد وهي تقول "هذه مليكة انتظري"

تطلعت فيها أم هاشم بينما قالت بسمة في الهاتف " نعم مليكة .. كيف حالك؟"

أشارت لها أم هاشم بأنها مغادرة وتجاهلت بسمة التي قالت بتوبيخ" أنت يا بنت انتظري "

سألتها مليكة "من معك؟"

ردت بسمة وهي تنظر للبوابة التي غادرت منها أم هاشم للتو " إنها أم هاشم جاءت لتبارك وارادت أن تطلب شيئا لكن حدث موقف غريب حرق دمها وها هي تغادر دون أن تخبرني "

قالت مليكة بهدوء " قبل أن أعرف تفاصيل الموقف الغريب .. أعتقد بأن الطلب الذي أرادته هو أن تسألك عن فرصة عمل "

عقدت بسمة حاجبيها واسرعت نحو البوابة ووقفت تطالع ظهر أم هاشم الذي يبتعد وهي تقول "فرصة عمل !.. ألا تعمل في سوبر ماركت كبير في مركز المحافظة"

أجابت مليكة" تركت العمل .. علمت بذلك يوم أمس حين هاتفتها لأطمئن عليها بعد اختفائها "

قالت بسمة بسرعة "أغلقي يا مليكة لألحق بهذه المجنونة وأعاود الاتصال بك"

قالت مليكة قبل أن تغلق بسمة " تمام لكن إن لم أجيب فسأعاود الاتصال بك لأني أجهز بعض الأمور قبل أن أذهب لأبي.. تعلمين بأني أبيت ليلة في كل أسبوع عند أبي في حالة وجود مفرح بالعاصمة وسأذهب إليه الليلة"

قالت بسمة بسرعة "حسنا لا بأس اتصلي بي أنت حين تتفرغين سلام (ونادت على أم هاشم بصوت عال) يا أم هاشم .. أم هاشم .. تعالي يا بنت الشيخ زكريا ..تعالي "

استدارت أم هاشم وتطلعت فيها لثانية ثم زفرت بقلة صبر وعادت إليها بخطوات ثقيلة .. فبادرتها بسمة "غادرتِ بدون أن أكمل حديثي معك .. "

سألتها أم هاشم بهدوء شديد وكأنه لم يعد فيها طاقة للحديث "خير إن شاء الله"

قالت بسمة بلهجة مباشرة " ما رأيك في أن تتولي أمر الحسابات في المشروع .. فأنا مازلت مرتبكة وأشعر بأني تائهة .. وبالتأكيد سأحتاج لشخص ما يدير المكان في حالة غيابي لأي سبب "

تفاجأت أم هاشم بما تقوله صاحبتها ..
وبسرعة ربطت بين مكالمة مليكة وكلام بسمة
فقوست شفتيها لأسفل كالأطفال وقالت
ببؤس" هل قالت لك مليكة بأني تركت العمل
؟!"
ردت بسمة موضحة " صدقيني أنا أحتاج
لشخص معي أقسم لك"
غمغمت أم هاشم بتأثر وهي تربت على ذراع
صاحبتها "وصدقيني أنت أن هذا الشعور منك
ومن مليكة يكفيني فقد .. (وازداد لهجتها تأثرا
) افتقدتكما بشدة السنوات الماضية ..منذ أن
تزوجت كل منكما وانشغلت بهمومها فشعرت
بالوحدة الشديدة .. أنا لا أريد أن أضغط عليك
يا بسمة فأنا أعرف بأن مشروعك لا يزال في
بدايته صدقيني يكفيني هذا الشعور منك"
انتبهت بسمة لما لم تدركه من قبل .. وشعرت
بالخزي من نفسها حينما أدركت بأنها قد

أهملت صديقتها .. هي و مليكة أهملا أم هاشم وألهتهما الدنيا عنها .. فاستاءت بشدة .. خاصة وهي تلتقط ذلك الحزن الشديد في عيني صاحبتها .. وتعترف في قرارة نفسها أن أم هاشم بالذات لها وضع خاص في البلدة .. فقالت بتأثر أضحت لا تظهره إلا نادرا "أقسم لك أنني بالفعل أحتاجك معي لأنك أكثر خبرة مني في المحاسبة والتجارة .. وكنت أفكر في هذا قبل أن تأتي إلى هنا .. كما أنني بكل أسف لا أضمن أن أُمنع في أي وقت من مغادرة البيت لأي سبب كما تعرفين وضعي .. وقتها سأكون مطمئنة أنك خلف ظهري وستديرين المشروع نيابة عني "

استمرت أم هاشم على تعبيراتها الطفولية البائسة وهي تتأمل بسمة وتحاول أن تلتمس صدق حديثها قبل أن ترفع سباباتها وتقول

"بشرط .. أني لن أحصل على راتب في الفترة الأولى حتى تستقر أوضاعك "
قالتها وهي تدخل البوابة فقالت بسمة معترضة وهي تدخل خلفها "لكن أنت ستتفرغين لهذا العمل كيف لن أعطيك راتب؟!!"
قالت أم هاشم بإصرار " هذا شرطي .. كما أنني متفرغة بالفعل كتفرغ قطط الشوارع .. هيا اشرحي لي طبيعة العمل هنا وتفاصيله
(وصمتت قليلا ثم قالت بصوت متأثر) بسمة .. أنا سعيدة بأني سأعمل هنا معك .. فالوحدة قاتلة يا صاحبتي "

xxxx

خرج شامل من الجناح الخاص به يرتدي ملابس النوم وتحرك في صالة صغيرة تفصل بين جناحي التوأم في الدور الثاني حتى وصل إلى باب الشرفة يفتحه ويستقبل نسائم الصباح ..ووقف يتمطى وهو يتطلع في حديقة فيلا

غنيم في ذلك الحي الأنيق الذي يضم عدد من الفيلات والبنايات التي تخص الطبقة المخملية في تلك المدينة الجديدة نسبيا المتاخمة للعاصمة .. لكنه تجمد فجأة في وضع مائل نسبيا ونسي فمه مفتوحا وهو يلمح ما يحدث في حديقة الفيلا المواجهة .. فاعتدل بعد ثوان وأسرع بالبحث في جيوب منامته على شيء قبل أن يسرع مهرولا نحو الداخل إلى حيث يقع باب جناحه ثم يعود بعد ثوان وهو يضع نظارة طبية على عينيه عائدا للشرفة ومدققا .. لتنفرج بعدها شفتيه على ابتسامة شقية عابثة ثم يهرول كطفل طويل ضخم نحو باب الجناح المقابل .

اقترب شامل من السرير بعد ثوان يهز توأمه قائلا "قم يا كيمو قم وشاهد معي ما يحدث في الفيلا المقابلة.. الجيران الجدد ظهروا "

زمجر كامل بعصبية وأولاه ظهره يغطي رأسه بالغطاء وهو يشتمه فلم يستسلم جسده للنوم إلا بعد الفجر لكن شامل لكزه بحركة عنيفة موجعة جعلت الأخر يصيح بعصبية "يا لسخافتك يا زفت أتركني في حالي "
تجاهل شامل مزاج توأمه العكر وسحب الغطاء بحدة جنت جنون الأخر لكن الأول أسرع بالهمس بجوار أذنه ببضع كلمات وابتسامة شقية جعلت الأخر يستكين وينظر إليه فاعتدل شامل واسرع نحو نافذة غرفة كامل يفتحها قائلا بانبهار " يا ابن الـ(...) المنظر من عندك أوضح .. أنا غيرت رأيي يا كيمو .. ألم تتشاجر معي من قبل من أجل الجناح الأخر وأنا من فزت به؟.. سأتنازل عنه من أجلك يا أخي يا حبيبي ولنبدل الغرف"

أنزل كامل ساقيه الطويلين واستقام واقفا عاري الجذع يقول بصوت أجش "ألهذه الدرجة الجيران الجدد ملفتون "
غمغم شامل بابتسامة وقحة وهو يتطلع أمامه" ليسوا ملفتين بل متفجري الأنوثة "
اقترب كامل ينظر إلى ما ينظر إليه أخيه قبل أن يرفع حاجبيه ويلقي بسبة وقحة ثم أسرع بالبحث حوله في الغرفة يمينا ويسارا قبل أن ينظر لأخيه ويمد يده ليأخذ النظارة الطبية من فوق عينيه ويرتديها مدققا في المشهد أمامه .

كانت في حديقة الفيلا امرأة متفجرة الأنوثة ترتدي شورتا يبرز جسدها السنيمائي المنحوت وبلوزة ضيقة بدون أكمام تبدو من هذه المسافة بفتحة رقبة واسعة .. تقوم بحركات وأوضاع رياضية لثني وفرد الجسم على سجادة رياضية تفترشها على أرض الحديقة .. فسأل

أخاه وهو يبلع ريقه "هل هذه هي الجارة الجديدة؟"

هز شامل رأسه وهو لا يزال يتطلع أمامه قائلا" أحببت الجيران الجدد يا كيمو "

ابتسم كامل وابتعد عن الشرفة يدقق في ساعة الحائط قبل أن يقول بوعيد " مادمت قد أيقظتني فعقابك سيكون بالخروج للتريّض "

صاح شامل معترضا " لا لا عد إلى النوم .. أنا أعتذر ..أعتذر.. إذهب لنومك "

لم يعره كامل اهتماما بل أخرج من الخزانة منشفة نظيفة وأسرع بوضعها على كتفه وهو يحدج توأمه بنظرة صارمة قبل أن يتركه ويدخل الحمام .. فزفر شامل وبرطم كطفل صغير "ما الذي جعلني أوقظه الآن ! اووووف"

بعد قليل نزل كامل من السلم الذي يؤدي لبهو الفيلا الواسع الفخم يديه في جيبي بنطاله

يشعر بالإرهاق الشديد .. فهو غير قادر على النوم بملء جفنيه منذ ذلك اليوم الذي عاد فيه من القرية .. رأسه تعصف بالأفكار .. يحاول أن يحلل ليجد معنى منطقي لتلك الصدف الغريبة التي تضع هذه المخلوقة في طريقه .. يحاول أن يجد مبررا منطقيا لذلك الانجذاب الغريب نحوها مستنكرا أن يقع في حب امرأة مطلقة كانت يوما ما ملكا لرجل آخر .. رجل يعرفه ..

ليعود للتأكيد لنفسه أنه ليس إلا انجذابا لجمالها .. وأن تلك الصدف ما هي إلا مجرد صدف ليس لها معنى وقد تحدث .

لكن السؤال الذي لم يجد له إجابة قاطعة مُرضية عنده هو ..

متى سينتهي عنده هذا الانجذاب أو الفضول تجاهها ؟.. متى سيعود كالسابق كما كان قبل أن

يتخذ ذلك القرار اللعين بالذهاب للقرية للبحث عنها لإرضاء فضوله ..

اقترب من طاولة السفرة ليتخذ مكانه بجوار توأمه ملقيا تحية الصباح على والديه .. ولم يخف عليه ذلك الرد المقتضب الذي تلقاه من والده الهادئ.

هم آخر فوق أكتافه .. وهو رفض والده لسفره .. رغم أن السفر بات ملحا في حالته الغريبة تلك ليبتعد عن كل ما يخصها ويشده إليه غصبا دون إرادة منه .. ومع هذا لا يزال متشبثا بالأمل أن يستطيع شامل اقناع والديه بتصفية كل شيء هنا والسفر خلفه لأمريكا .

خرج من شروده وصاح بالإنجليزية في الخادمة الأفريقية التي تضع بعض الاطباق أمام شامل"

ما هذا الذي تضعينه أمامه يا زيلا ..ألم ..."

صمت لحظة حين لاحظ بأنها تضع سماعات الهاتف في أذنها تستمع لأحد الأغاني فهدر بمزاج عكر " زيلا من فضلك هلا نزعت هذه السماعات من أذنك أثناء العمل"

نظرت إليه زيلا بعبوس في الوقت الذي تدخل شامل قائلا "أنا من طلبت منها أن تعد لي هذا الافطار"

تجاهله كامل يوجه حديثه للخادمة "زيلا قلت انزعي السماعات "

بامتعاض نزعت زيلا السماعات وعلقت طرفها في جيب بنطالها الجينز .. فقال كامل بلهجة خطرة" إياك أن أراك تضعين السماعات أثناء تقديم الوجبات"

ناظرت سوسو الخادمة بتوبيخ وغمغمت وهي ترفع الفنجان بأناقة إلى شفتيها "تحدثت معكِ أكثر من مرة في هذا الشأن "

قال شامل بالإنجليزية مشفقا" حسنا اذهبي أنت يا زيلا ونفذي ما قاله كامل من فضلك "
تحركت زيلا مبرطمة بعربية ركيكة " زيلا إفعل .. زيلا إفعل ..زيلا لا تفعل اووووف"
رفع كامل حاجبيه ولاحت الخطورة على ملامحه ..فأمسك شامل بذراعه يقول "لا تشغل بالك بها تعرف أن عقلها بسيط "
نظر إليه كامل يقول بلهجة مستهجنة وهو يتطلع في الطبق أمام أخيه " حسنا لن أشغل بالي بها لكني سأشغل بالي بك .. ما هذا الطعام يا سيد يا محترم"
تكلمت سوسو وهي تضع الفنجان في الطبق " الحقيقة أنا تعبت معه .. عدنا للطعام الغير صحي بعد أن كنت سعيدة وأنا أراكما قد غيرتما نظامكما الغذائي في الفترة الماضية "
سحب كامل الطبق من أمام أخيه ووضع طبقا آخر به أنواعا أخف وكميات أقل ..فصاح شامل

بعصبية " أرحمني بل ارحموني كلكم .. قلت لكم لست مريضا .. لست مريضا .. أنا فقط أحتاج لتنظيم الوجبات وممارسة الرياضة" قالت سوسو معترضة " لكن الطبيب حذرنا من أنك معرض بنسبة كبيرة للإصابة بمرض السكري"

قال شامل حانقا" يا أمي هناك فرق بين من هو مصاب بالفعل ومن هو معرض لذلك .. وها أنا قد فقدت وزنا كبيرا وازدادت قواي العضلية وأمارس الرياضة باستمرار .. وانظم وجباتي .. ولكن هذا لا يعني بأني لن اشتهي بعض الطعام الدسم يا عالم هذا عذاب "

قال كامل بحزم رغم شعوره بالشفقة على توأمه" يا شامل أنا وأنت انطلقنا في الطعام بدون حساب في قرية مفرح ولهذا علينا حرق هذه السعرات أولا"

قالها بصيغة المثنى لتشجيع توأمه رغم أنه لم يثبت بعد بأنه معرضا للإصابة بمرض السكري مثل شامل .. لكن بعيدا عن كونهما يعلمان بأن تاريخهما المرضي يكاد يكون متطابقا فهو يقلق عليه بشدة ولا يعرف إن لم يقرر هذا الغبي الذهاب معه لأمريكا من سيراقبه لينظم له وجباته ويدفعه دفعا لممارسة الرياضة التي يتهرب منها .

بامتعاض وعصبية ضرب شامل الشوكة في الطعام أمامه ثم رفعها إلى فمه .. بينما استقام غنيم الصامت طوال الجلسة وترك مقعده يستند على عصاه .. فسألته سوسو باندهاش "ألن تفطر يا غنيم ؟"

غمغم بهدوء" أريد قهوتي في الحديقة"

تبادلت سوسو النظرات القلقة مع ولديها قبل أن تقول بالإنجليزية بصوت عال "زيلا من فضلك قهوة غنيم بيك في الحديقة "

بعد أقل من ساعة كان التوأمان في حديقة الفيلا يرتدي كل منهما حُلة رياضية أضافت لوسامتهما جاذبية خاصة وتحرك كامل يدفع شامل المتكاسل أمامه .. فتطلع فيهما غنيم من جلسته في مقعدة الأثير في ركن من أركان الحديقة .. غير راض عن حالهما ..

حين خرج التوأم من البوابة وسط برطمة شامل ونباح شهبندر الذي يرافقهما في رحلة التريض وجدا مفرح قد وصل للتو مرتديا حُلة رياضية هو الأخر لا تقل أناقة عن ملابس التوأمين فقال شامل متفاجئا " مفرح .. إذن هي مؤامرة ضدي !"

تمتم مفرح بتحية الصباح ضاحكا ثم قال "أين عمي غنيم لأسلم عليه أولا "

أشار له كامل على حديقة الفيلا فدخل مفرح بينما وقف الأول يتطلع في ذلك الحارس الضخم مفتول العضلات كث الشارب الذي يقف على بوابة الفيلا المقابلة .. الذي اقترب منه الكلب يشتمه فهدر به شامل "شهبندر تعال هنا"

غمغم الحارس بهدوء" لا بأس يا باشا أتركه يلعب فسنكون جيرانا وعليه أن يعتاد عليّ .. أنا جنزير"

فجأة خرجت تلك المرأة جارتهم الجديدة بنفس الشورت القصير والملابس الفاضحة تقول بميوعة واضحة " يا الهي أنا أحب الكلاب "

وقف التوأمان متسمران بجوار بعضهما .. فاقتربت المرأة تقول بغنج وهي تطالعهما بعينين جريئتين معجبتين مدققتين " يا الهي أنتما متطابقان جدا .. صباح الخير .. أنا من

سكنت هنا حديثا و... (برقت عيناها وأضافت
) سيسعدني أن نتعرف"
بعجرفة ظل كامل صامتا يديه في جيبي بنطاله
يطالعها ببرود رغم فضوله الذكوري الذي يلح
للتعرف عليها بينما اضطر شامل للرد حتى لا
يبدو الموقف سخيفا فقال بتحفظ" أهلا
وسهلا أنرتِ المدينة"
ابتسمت بشفتيها الممتلئتين بشكل يظهر
بوضوح أنهما خاضعتان لجراحة تجميل وقالت
بميوعة "المكان منير بكما ..أنا خمنت من
هيئتكما أنكما وافدان والآن تأكدت من اللهجة
(و مالت برأسها تطالع طولهما الفارع وهي
تضيف بغنج مدروس) تسونامي "
تنحنح شامل ورد" أفندم !!"
ردت بنفس الميوعة موضحة " أنا .. اسمي..
تسو ..نا ..مي"

غمغم شامل متهكماً" لا حول ولا قوة إلا بالله
!.. أقصد تشرفنا "
سألته بدلال وهي ترمش برموشها الصناعية
عدة مرات "ألم تسمع بي من قبل؟"
أجلى شامل صوته وقال بعد أن نظر لتوأمه
"الحقيقة تسونامي الذي نعرفه مختلف قليلا"
ردت بحنق عاتب" أنا الراقصة تسونامي ألم
تحضر حفلات زفاف من قبل ؟"
غمغم شامل " نحضر بالطبع ولكن الحقيقة
رأينا أنواعا أخرى من الكوارث الطبيعية لم يكن
من بينهن تسونامي.. عموما تشرفنا"
تحكم كامل في رغبة في الضحك يعرف بأن
توأمه يتحكم في رغبة مماثلة خاصة بعد أن
نظرت تسونامي للكلب الذي أخذ يتمسح فيها
ومالت تربت عليه فانكشف جزء كبير من
ظهرها من تحت تلك البلوزة الملتصقة
بجسدها .

نظر التوأمين لبعضهما وتنحنحا يشيحان بوجهيهما وهما يتصنعان الجدية في الوقت الذي خرج مفرح من البوابة ووقف مصدوما أمام المنظر ..فقال له كامل بلهجة ذات مغزى" تسونامي .. جارتنا الجديدة .. "

بحرج أسرع مفرح بأنزال أنظاره أرضا قبل أن تعتدل تسونامي وتقول" كنت أرغب في أن أشتري كلبا لكن ليس لدي أي خبرة في هذا الأمر.. هل أستطيع أن أعتمد عليكما ؟..

(ونظرت لمفرح بنظرة تقييمية فلمعت عيناها قبل أن تقول مصححة) أقصد هل استطيع أن اعتمد على ثلاثتكم؟ .. (ووجهت الحديث لمفرح تقول بميوعة) أنا تسونامي"

ابتسم مفرح ابتسامة مجاملة ضعيفة مغمغما "تشرفنا (ثم تحرك مبتعدا يضع نظارته

الشمسية على عينيه قائلا بجدية) هيا يا شباب سنتأخر "
أسرعت تسونامي بالقول " يبدو أنكم منشغلون الآن إذن فلنتحدث مرة أخرى "
تحرك التوأمان ليلحقا بمفرح الذي وقف على بعد أمتار مشيحا بأنظاره قبل أن يقول كامل لتوأمه" هيا سنبدأ في الهرولة لمدة خمسة عشر دقيقة "
صاح شامل معترضا" ماذا !!.. خمسة عشرة دقيقة !!هذا تعذيب والله تعذيب"
أمسكه كامل من قفاه يدفعه أمامه بخشونة وقد بدأ في الجري في المكان للتسخين هو ومفرح الذي قال لشامل مشجعا "هيا يا بني هداك الله لا تضيع وقتي "
بدأ شامل يسرع الخطى خلفهما مجبورا وهو يبرطم " أنا أكره الجري أكرهه .. لا أحب إلا

حمل الأثقال .. الملاكمة.. المصارعة .. لكن الجري لا اطيقه"

استدار إليه مفرح وهو مستمر في الحركة بطريقة عكسية وقال بلهجة ذات مغزى "أنت لا تعلم بما أوصيت لكما من طعام حين نعود للبلدة "

سأله شامل بفضول "بماذا "

رقّص مفرح حاجبيه يقول بابتسامة خبيثة "محشي كرنب"

سال لعاب شامل وقال بفرح "حقا محشي كرنب !"

قال مفرح وهو يستدير ويوليه ظهره مستمر في الهرولة "نعم "

سأل شامل وهو يسرع خلفه بينما شهبندر يهرول بجانبهم "أريده بالشطة الحارة"

رد مفرح "علم وينفذ (ثم أكمل) وكفتة أرز بالصلصة "

غمغم شامل بسعادة " يا عيني يا عيني أحب ممارسة الرياضة على سيرة الطعام "
ضحك ثلاثتهم ثم أخذ كامل يتأمل مفرح المنطلق كما عهِداه دائما .. والذي يختلف عن مفرح الأخر الذي قابلاه في القرية الأسبوع الماضي .. كان مهموما مثقل الروح رغم حبه الشديد وفخره ببلدته وهو ما يلمسانه دوما منذ أن تعرفا عليه .. لكنه يعلم جيدا أنه يشعر بضغط والده الشديد عليه ويشفق هو وتوأمه عليه .. ومن ناحية أخرى يشعر بالخزي من نفسه لأنه لا يستطيع أن يفعل المثل مع والده خاصة مع المستجدات الأخيرة أصبح سفره بعدها أمرا ملحا..

نفض عنه أفكاره و قال مازحا بلهجة ذات مغزى" دعونا من الطعام الآن .. ولنتحدث عن

هذا الـ تسونامي الذي انفجر في شارعنا .. حتى الوغد شهبندر سال لعابه"
انفجر ثلاثتهم في ضحكة ذكورية مجلجلة قبل أن يقول مفرح من بين ضحكاته" لن يهدأ لي بالا قبل أن أزوجكما حتى تتعقلا يا أولاد غنيم "
قال شامل مازحا وهو يلهث " أنا وافق بشرط أن تكون زيجة مزلزلة كهذا التسونامي "
فانفجرت ضحكاتهم من جديد لتملأ الشارع وهم مستمرون في الهرولة .

xxxxx

قبيل الغروب

ركن جابر السيارة بجوار البيت عائدا من العاصمة بعد رحلة قصيرة أخذ فيها كاميليا في الصباح الباكر للتنزه والتبضع .. وبالرغم من استشعاره سعادتها بعد هذه الرحلة وبعد المشتريات الكثيرة التي ابتاعتها.. لكنه يشعر

بالاختناق .. ذلك الشعور الذي بات مصاحبا له منذ مدة طويلة ويزداد قوة مع الوقت .
لقد توقع بأنه حينما يخرج معها بعيدا عن القرية قد يساعده تغيير الجو على التخلص من ذلك الشعور لكنه لم يحدث .
وجودها بات خانقا وغير مريحا ..ويحفز الكثير من الاسئلة المحيرة في رأسه ..
أهي من تغيرت أم هو ؟
أهي التي تزداد جموحاً أم هو الذي يزداد تزمتا؟
لماذا يشعر وكأنهما يسيران على شريطي قطار متوازيان يبتعدا عن بعضهما كلما تقدم بهما المشوار .
ترجل من السيارة في ثيابه المدنية العصرية التي يرتديها في كل مشاويره خارج المحافظة ..
فتأملته كاميليا بإعجاب متمنية أن يظل على هذه الهيئة مثل مفرح لينافس شباب البلدة في الجاذبية والأناقة فذلك يشعرها بأنها مميزة ..

بينما قال جابر وهو يحمل الاكياس الكثيرة التي احضراها من العاصمة "اعتقد بأن اسراء بنت هلال قد وصلت .. كان من المفترض أن تجد أحدا منا موجودا في استقبالها خاصة وأنها أول حصة لها مع ميسة لكنني لم أتوقع هذا الزحام الشديد في طريق العودة"

لوت كاميليا شفتيها قائلة "ولمَ علينا استقبالها بأنفسنا ؟!.. إنها تعمل لدينا بالأجرة وليست ضيفة لنستقبلها"

حدجها جابر بنظرة حادة فبلعت لسانها وانخرست بينما قال جابر وهو يدخل من بوابة البيت" سأُدخل الأكياس وأرحب بها ثم أذهب لألحق بصلاة المغرب في الجامع"

بعد دقيقة دخل جابر البيت يضع الأكياس في مدخله ويقول" السلام عليكم"

ابتسمت اسراء التي تجلس في الصالة ذات الأثاث الفخم ومعها ميس والحاجة أم جابر ..
ثم ردت هي وأمه السلام بينما اسرعت ميس إلى والدها الذي استقبلها بالأحضان تقول" أبي .. أنا أحب مِس اسراء جدا ..إنها تقول أشياء تضحكني "
دخلت كاميليا تلقي السلام بشفتين ممطوطتين بينما قال جابر وهو يربت على رأس ابنته "المهم ألا تعذبيها"
ردت اسراء بابتسامة "أبدا .. نحن اصدقاء وهي بنت شاطرة وذكية أليس كذلك يا ميس"
أومأت ميس برأسها بسعادة وهي تعود لتجلس بجوارها فغمغم جابر" بارك الله فيكِ .. ومبارك الخطبة"
احمرت وجنتيها وغمغمت بالشكر بينما قال جابر لكاميليا "سأذهب أنا (ونظر لأمه) أتريدين شيئا يامّة"

ردت أم جابر بهدوء " أريد سلامتك يا بني"
غمغم جابر بالسلام عليكم وتحرك مغادرا
فوقفت كاميليا تتفحص اسراء بنظرة أنثوية مقيمة ..
إنها تشبه أمها نصرة كثيرا .. بشرتها بيضاء كأمها وعيناها عسلية .. لكنها نحيفة ..
مطت شفتيها ممتعضة وسألت نفسها عن سر ترحيب جابر الزائد بها .. أيكون معجبا بها !..
عادت لتنفض الفكرة الغريبة من رأسها باستنكار فلا هذه ولا أي فتاة أخرى في القرية يمكن أن تنافس جمالها ..
إلا واحدة .. واحدة فقط تعيش دور سيدة الأعمال صاحبة المشاريع حاليا .
هكذا حدثت نفسها بامتعاض وهي تلملم الأكياس وتضع بعضا منها بجوار السلم .. ثم أخذت البعض الآخر ودخلت لتضعه في المطبخ ..

استقامت الحاجة نجف وذهبت خلفها تسألها
" كاميليا .. متى ستغسلين الملابس التي
بالغسالة ؟ لي فيها ما يخصني ولا أعرف كيف
تعمل الغسالة الاوتوماتيك "
قالت كاميليا بعبوس "وما المطلوب مني الآن
ألا ترين أني عائدة بعد يوم طويل "
اكفهر وجه نجف لكنها تحكمت في غيظها
وقالت" أنا أسألك فقط يا بنيتي لأعرف إن
كنت أنتظر أم أغسل ما يخصني على يدي"
غمغمت كاميليا بعصبية وهي تتحرك لتخرج
من المطبخ "ما دمت متعجلة اغسلي ما
يخصك على يدك فالأمر ليس كبيرا إلى هذه
الدرجة ويحتاج لأن تنتظريني حتى أغسل "
من الصالة رفعت اسراء حاجبيها باستنكار وقد
وصل إلى مسامعها الحديث بوضوح بينما
أكملت كاميليا وهي تلملم باقي الأكياس إلا

كيسين بقيا في الأرض " هذه الأكياس تخصك أحضرها لك جابر "

قالتها وصعدت السلم .. فحانت من إسراء التفاته للخلف تنظر لنجف التي تقف بجوار السلم تقبض كفيها إلى جانبيها وتضغط على شفتيها بقوة وكأنها تحاول السيطرة على أعصابها .. فشعرت بالشفقة عليها بينما انزلت نجف انظارها للكيسين ووقفت تتطلع فيهما لبضع دقائق في صمت.

تنحنحت اسراء تقول بلهجة مرحة رغم شعورها بالضيق الشديد والاستهجان " لم تخبريني يا حاجة نجف هل ستأتين لحفل خطبتي أم لا؟ "

انتبهت نجف فابتسمت لها وتحركت بقامتها القصيرة وعادت لتجلس بجوارها تقول وهي تربت على كتفها" بالطبع سآتي.. وهل من

الممكن أن لا أحضر حفل خطبة قطعة سكر مثلك "

رفعت ميس أصبعها وقالت "وأنا سأحضر أيضا"

أمسكت اسراء بذقنها وقالت بحنان مداعبة "أنت طبعا أول المدعوين يا ميوس .. هيا نكمل حل الواجب المنزلي "

أما نجف فعادت لشرودها حائرة هل تصب البنزين على النار وتخبر جابر بطريقة زوجته السيئة معها أم تسكت حتى لا تظلم تلك الطفلة المسكينة بتفريق والديها خاصة وهي تشعر بتغير جابر الشديد نحو زوجته ..

ضحكة ميس على دغدغة إسراء لها جعلت أم جابر تطلب من نفسها المزيد من الصبر من أجل حفيدتها .

xxxx

بعد قليل أسند جابر رأسه إلى حائط المسجد يتطلع في سقفه العالي والثريات البراقة التي تزينه بعد أن فرغ من صلاة المغرب ..
كان مكتئبا يشعر بالثقل والوحدة ولا يعلم مع من يتحدث في أمر حساس كعلاقته بكاميليا .. إنه يكره العنف ولا يتخيل نفسه يوما يضرب امرأة ..يرى في ذلك انتقاصا لرجولته واستعراضا لقوته .. صحيح لا توجد لديه مشكلة في اجبارها على تنفيذ ما يريد ووضع الخطوط الحمراء لها .. لكن مشكلته العويصة تكمن في ذلك الشعور بالضيق الذي بات يلازمه كلما كان معها .
قطع أفكاره ومجال نظره مصطفى الزيني الذي اقترب منه قائلا "ما هذه النظرة في سقف المسجد يا جابر هل تعد الثريا يا رجل! "
انتفض جابر واقفا ليسلم على مصطفى بحفاوة قائلا " كيف حالك يا أبا حمزة "

ابتسم مصطفى مغمغما" في نعمة والحمد لله (ثم تفحصه بنظراته يقول) ما بك أراك مهموما؟"

لم يعرف جابر بم يرد .. فما يحزنه لا يستطيع مناقشته مع أحد فرد بهدوء" لا شيء .. هموم الحياة"

قال مصطفى وهو يسحبه من يده " أترك أحمالك على الله .. والله ما ضاقت إلا لتفرج .. تعال لدينا جلسة قراءة قرآن حتى صلاة العشاء "

قال جابر مرحبا وهو يتحرك معه نحو ركن آخر من المسجد "أنا فعلا في حاجة لهذه الجلسة (وغمغم في سره) لعلها تريح لي نفسي وترفع عني همي"

xxxx

فتحت مهجة باب الشرفة المطل على المسبح الكبير الذي يتوسط ذلك المنتجع الفخم

وسحبت نفسا عميقا وهي تتطلع في الأنوار المتلألئة التي تنعكس على صفحة المياه وهدوء المكان حول المسبح في هذا الوقت من المساء .. فاقترب منها وليد يحيطها بذراعيه من الخلف ويطبع قبلة على رقبتها قبل أن يسألها" ما رأيك في المنظر من هنا؟"

قالت بسعادة" جميل جداً أشعر بالحماس ..أريد أن يأتي الصباح بسرعة لأرى المنظر بالنهار"

قال وليد بلهجة ذات مغزى وهو يطبع قبلة أخرى على رقبتها" وأنا أيضا ..أشعر بالحماس ولكني لا أريد أن يأتي الصباح "

لكزته بمرفقها برفق وخلصت نفسها من ذراعيه بدلال لتدخل الغرفة وتقول" ارفع لي الحقائب على السرير لأفتحها وأرتب الملابس في الخزانة "

اقترب منها ليلتصق بها مجددا ويطبع قبلة
أخرى على مؤخرة عنقها قائلا" دعي الحقائب
الآن فقد وصلنا للتو وعلينا أن نستريح"
افلتت منه تقول مغيظة" استرح وحدك"
عض على شفته يتأمل تفاصيلها بنظرة ملتهبة
وهي تبتعد حتى وقفت بجوار طاولة الزينة
تخلع من يدها مصوغاتها الذهبية وتقول"
أحببت اختيارك للمكان هنا"
سألها بابتسامة " ألم تأتي إلى هنا من قبل؟"
ردت عبر المرآة "جئت للمدينة مع مفرح
ومليكة والاولاد ذات مرة وكان مفرح يأتي بي إلى
هنا كثيرا وأنا صغيرة لكن كنا نسكن في فنادق
أخرى .. هذه أول مرة أسكن في هذا الفندق
لهذا أنا متشوقة لتفقد المنتجع "
رد وليد بابتسامة واثقة " إن شاء الله
سيعجبك أنا زرته أكثر من مرة "

استدارت تسأله بلهجة ذات مغزى" مع بسمة ؟"

فهم مغزى سؤالها لكنه رد نافيا" لا مع اصدقائي الشباب"

استدارت وهي تغمغم" حسبت مع أختك بسمة لا أعتقد بأنها زارت مثل هذه الأماكن معك "

قال وليد بامتعاض" سنعود للسيرة التي تجعلنا نتشاجر "

قالت ببرود وهي تميل لتحمل الحقيبة الثقيلة بصعوبة "وسنظل نتشاجر ما دمنا مختلفين في النظرة للأمور يا وليد"

اقترب يحمل عنها الحقيبة وألقاها على السرير وهو يقول بغيظ" يا حضرة المُصْلِحة الاجتماعية .. حين تزوجت بسمة من زوجها السابق كنتُ أنا في السادسة عشرة من عمري وبالتالي لم أكن أستطيع أن آخذها إلى أي مكان

مثلما كان يفعل معك مفرح الذي يكبرك بخمسة عشرة سنة .. كنت فقط أوصلها من وإلى العاصمة عند الضرورة .. وحين انفصلت هي عن زوجها حدث شرخ كبير في علاقتنا كما تعلمين ..(وأكمل بصوت مخنوق) هي تغيرت كثيرا وأنا ظللتُ مدة كبيرة مستاءً منها بشدة"

رددت مهجة باستهجان "مستاء !"

نظر وليد للسقف بملل مغمغما " سنعود لنفس السيرة مجددا.. أجل .. مستاء يا مهجة .. أنت تعرفين من كانت بسمة بالنسبة لي ..كنت دوما افتخر بها في القرية .. وأنا صغير لم أكن مميزا في أي شيء أكثر من كوني أخا لفاتنة القرية .. وحينما تزوجت من العاصمة كان الجميع يتحدث عنها .. وإذا بها تصر فجأة على ذلك الانفصال فتتغير النظرة لها .. أنت تعرفين كيف هو الوضع في قرية صغيرة كل أهلها يعرفون عن بعض معظم التفاصيل"

عقدت ذراعيها أمام جذعها وقالت "أنا لا أتحدث عن أهل البلدة يا وليد أنا أتحدث عنك عن دعمك لها"

قال بحنق مدافعا "أنت تعرفين بأني أحبها لكن بعد انفصالها نشأ جدارا بيننا لم أعرف كيف اتخطاه .. صدقيني حاولت وفشلت "

قالت بإصرار " عليك بالاستمرار في المحاولة"

هرش في رأسه وغمغم" المشكلة في أنه حين يحدث شيء مترتب على انفصالها نتشاجر ويقام جدارا جديدا "

قالت بهدوء " سيكون سهلا عليك اختراق كل الجدران حينما تغير نظرتك لها كونها مطلقة يا وليد (وأكمت بلهجة مستنكرة) لازلت لا أفهم لمَ هذه النظرة الدونية للمطلقة؟ .. في السابق كنت أقول ربما سأشعر بما تشعرون به حينما أتزوج وها أنا قد تزوجت ولا زلت لا أفهم لمَ

هذا التفريق العنصري بين المطلقة والتي لم يسبق لها الزواج !"

وقف وليد يديه في جيبي بنطاله يطالعها في صمت فقالت مهجة موضحة " أتعرف يا وليد .. رغم ما بيننا من حب وعاطفة قوية .. لا أجد مستحيلا في أن تحدث أية ظروف أو أي سوء فهم أو حتى تدخل من أطراف خارجية تجعلنا ننفصل ..لكن ما أنا على يقين منه وأراه من رابع المستحيلات أن يتركني مفرح لو انفصلت وأصبحت مطلقة أو يخذلني أو يوبخني أو..."

قاطعها وليد حين اندفع نحوها ليحضن وجهها بكفيه قائلا باستنكار هامس "مهجة ماذا تقولين؟!!"

طالعته بعينيها الخضراوين تقول موضحة "أنا فقط اسوق لك مثالا .. أنه رغم ما بيننا من حب قوي وكبير .. لا مفر من النصيب والقدر "

مال عليها يحضنها بقوة قائلا بانزعاج شديد"
مهجة أرجوك لا تتكلمي في سيرة الانفصال
مجددا "
اتسعت ابتسامتها وهي تستند بذقنها على كتفه
وقالت بلطف" إنه مجرد مثال ولا أحد يعلم
ماذا يخبئ لنا المستقبل ..ما أريد أن اسألك إياه
هل لو انفصلنا لا قدر الله واصبحت
مطلقة...."
قاطعها يشدد في احتضان جسدها الضئيل بين
ذراعيه وهو يهمس "على جثتي .. لن يحدث
شيء كهذا إلا على جثتي .. إن أرادوا ابعادك عني
فليقتلوني أولا .. وسأموت حينها وأنت زوجتي
..حتى لو كرهتيني يوما .. سأتحمل كرهك لي
لكني لن افك ارتباطك بي أبدا أبدا ..الموت عليّ
أهون يا مهجة"
حركت كفيها تدلك ظهره بحنان مغمغة
بعاطفة جياشة تحملها له والتي تجعلها تتحمل

اختلاف القناعات بينهما "يا الهي لقد تزوجت من طفل طويل ورفيع كعود القصب "
لم يرد وإنما شدد من احتضانه لها بانزعاج شديد من سيرة الانفصال .. لكن مهجة لم تستسلم في عرض وجهة نظرها فأبعدته قليلا قبل أن يغلب على الموقف ذلك الانجذاب الجسدي الذي يسيطر عليهما منذ ليلة الزفاف وقالت بصيغة أخرى "دعني اصيغ الأمر بطريقة أخرى .. فلنفترض...."
عبس وليد بشدة ينتظر القادم.. فاتسعت ابتسامتها لتعابير وجهه الصبيانية وأكملت "فلنفترض أنني أنا مهجة كنت مطلقة"
هم بالنطق فأسرعت بالقول " مطلقة من رجل أخر "
كشر وليد وازدادت ملامحه عبوسا فأكملت مهجة " اسرتينا مثلا لم توافقا على زواجنا لأي سبب واجبروني على الزواج من أخر ولم يدم

هذا الزواج وانفصلت عنه .. كيف ستكون نظرتك لي؟.. هل ستقل مكانتي عندك ؟.. سيقل حبك لي؟.. سأكون عارا ولن تحاول الارتباط بي(ورفعت سبابتها إليه تقول) وأريد ردا واقعيا لا عاطفيا"

لثوان تطلع فيها بصمت عابس قبل أن يرفع يديه ويحضن وجهها بكفيه ويرد بعاطفة ساخنة كأنفاسه" أبدا وربي.. أبدا .. لن يغير ذلك من قدرك عندي شيء .. رغم انزعاجي من الفكرة والغيرة التي قد تقتلني قتلا وتمزقني لأشلاء.. لكنك ستظلين بالنسبة لي كما أنتِ مهجة الزيني "

رغم تأثرها بذلك الحب الجارف الذي يطل عليها من عينيه الزرقاوين سألته بإصرار لإقناعه بنقطة معينة" لأنني مهجة بنت العمدة أم لكوني ابنة عمتك؟"

مال يحدق في عينيها عن قرب وهمس بأنفاس ألهبت بشرتها" بل لأنك مهجة الفؤاد .. ساكنة الروح .. لأنك مهجة فقط ..مهجة حبيبة وليد "

قالها وانقض يلتهم شفتيها وهو يلصقها به في حضن عنيف .. قبل أن تتسلل يديه لمحاولة انتزاع ما ترتديه .

خلال دقائق كان وليد يستلقي بها فوق السرير وهو يوزع قبلاته اللاهبة على تفاصيلها .. فأسرعت مهجة بالقول بأنفاس متسارعة قبل أن تستسلم لطوفان مشاعره "هذا هو نفس الحال يا وليد مع بسمة .. يجب أن تبقى بسمة عندك كما هي .. سواء كانت متزوجة أم مطلقة .. وعليك أن تكون أنت لها كما سيكون مفرح لي لو بليت بوضع كهذا لا قدر الله "

غمغم من بين قبلاته هامسا " صدقت عمتي حين قالت بأنك تربية مفرح "
ردت بلهجة ذات مغزى وهي تشدد من احتضانه بذراعيها "لا تنس بأنك أيضا تربية بسمة "
قالتها على حافة الإدراك قبل أن يسحبها هو ويحلق بها بعيدا في غفوة من العقل إلى حيث تكون اللحظات استثنائية .

xxxxx

دخل جابر غرفة نومه بعد صلاة العشاء فوجد كاميليا تضع أحد أقنعة الوجه الورقية المبللة على وجهها وهي تشاهد التلفاز فألقى السلام وهو يتحرك ليبدل ملابسه ثم سألها" هل نامت ميسة؟"
ردت كاميليا وهي تتابع المسلسل باهتمام "أجل نامت بمجرد أن غادرت بنت نصرة "

رفع جابر حاجبيه وردد باستنكار "بنت نصرة!!"
قالها ممتعضا ثم أكمل ارتداء ملابسه وجلس على السرير يقول بهدوء" كاميليا تعالي لنتحدث قليلا "
قالت كاميليا بحنق "بعد قليل يا جابر فهذه هي اعادة الحلقة لأني لم ألحقها في العرض الأول وستفوتني "
هدر جابر فجأة بصوت عال أجفلها فانتفضت
"أنا قلت تعالي لنتحدث يا كاميليا"
جف حلقها لكنها حافظت على وجه بارد ونزعت عنها القناع بعصبية ثم تحركت لتجلس بجواره وهي تقول بغيظ "جئت وجلست تفضل "
تحكم جابر في أعصابه و فكر في العدول عما يريد أن يتحدث فيه لكنه ذكر نفسه بنيته في إلهائها عن ذلك العالم السطحي الذي تدور فيه

بشيء مفيد فقال بهدوء " ألم أخبرك أكثر من مرة برغبتي في أخ أو أخت لميسة .. البنت عمرها ست سنوات اعتقد بأنها فترة كافية للراحة وأنت وعدتيني بالتنفيذ"

مطت شفتيها وردت بلهجة متهكمة تقارعه " وأنت وعدتني بأنك ستبني لي بيتا كبيرا به حديقة واسعة لكنك لم تنفذ ..وها أنا هنا منذ سبع سنوات ولم يحدث شيء "

عقد جابر حاجبيه وقال بلهجة خطرة "أهي واحدة بواحد يا كاميليا !!"

اسرعت بالقول " لم اقصد .. ولكني اذكرك أيضا بوعدك الذي لم ينفذ حتى الآن بأن نبني بيتا كبيرا واسعا كبيوت الاثرياء"

رد باستهجان " وماذا يعيب هذا البيت؟.. إنه حديث البناء وكبير وواسع .. وتم تشطيبه على أحدث الطرق من الدهان وأرضياته من

البورسلين الذي اخترتيه أنت بنفسك وتكلف مبلغا ليس بالهين "

قالت موضحة " أنا لا اتحدث عن هذا يا جابر .. أنا أخبرتك حين تقدمت لي بأن أمنيتي أن اعيش في بيت أوسع وبه حديقة كبيرة كسرايا الصوالحة وأنت وعدتني بأنك ستحقق لي هذه الأمنية "

تكلم جابر بصدق " وكنت صادقا ولازلت عند وعدي لكن التنفيذ سيؤجل كما قلت لك "

قالت بتبرم وهي تزم شفتين جميلتين " إلى متى نحن متزوجان منذ سبع سنوات؟"

قال ببعض العصبية " حين أكون جاهزا ماديا لتنفيذ ذلك .. عندما تزوجنا كنت لازلت أجهز تجارتي وأنشئ محلاتي واوزع بضاعتي في السوق هذا بخلاف تكاليف الزواج .. صحيح أن ظروفي الآن أفضل لكن أموالي موزعة في السوق ولم اجمعها بعد"

اندفعت تقول بلهجة متهكمة" هذا لأنك
لازلت تتصرف بقلبك الطيب مع الزبائن ..
فمَن الآن يبيع بالتقسيط وبنسبة فائدة صغيرة
مثلما تفعل "
انتفض واقفا يقول باستنكار " وما شأنك أنت
بتفاصيل عملي ومن أخبرك بهذا ؟"
رفعت مقلتيها الخضراوين إليه تقول بارتباك "
لا .. لم اقصد .. أنا فقط خمنت بأنك تفعل
ذلك لأني أعرفك وأعرف طبعك العاطفي "
نظر إليها بشك مضيقا عينيه ثم رفع إليها
سبابته يقول محذرا "اسمعي يا كاميليا ..
تدخُل في كيفية إدارتي لعملي مرفوض ..
موضوع البيت مازال غير قابل للتنفيذ حاليا
لأنه سيحتاج إلى مبالغ كبيرة كما أنه غير عاجل
.. وهذا البيت ما شاء الله مساحته واسعة
وتكفي ثلاثتنا بل وتكفينا لو انجبنا نصف دستة
من الأولاد .. ومع هذا أنا لازلت عند وعدي لك

بأنني سأنفذه لك يوما ما .. على الاقل يكون زين قد عاد وقرر الاستقرار في الوطن وتأسيس بيت وعائلة ..وأكون أنا قد أكرمني الله واستطعت الحصول على محل في السوق التجاري العالمي الذي ينشئونه حاليا في مركز المحافظة "

ضيقت عينيها وسألته باهتمام " هل تنوي الحصول على محل هناك ؟.. لقد سمعت بأنه سيكون كبيرا وضخما كمراكز التسوق في العاصمة وسيضم محال لماركات عالمية"

جلس بجوارها من جديد يرد باقتضاب "بأمر الله .. ولهذا فالمنافسة ستكون شديدة واسعار المحال ستكون عالية .. ولأؤجر هناك مكانا عليّ أن أكون دارسا للمشروع.. وواضعا له ميزانية دقيقة وعندي سيولة نقدية .. فخطوة

كهذه ليست سهلة وأي مغامرة غير محسوبة سنخسر فيها الكثير"

قالت بحماس" لا ..إن شاء الله سيكون لك محلا هناك وسأتباهى بك في كل البلدة"

رفع حاجبيه باستهجان فأسرعت تقول بميوعة" بالطبع سأتباهى بك ألست زوجي الذي افتخر به(ومدت ذراعيها وطوقت عنقه تضيف بمزيد من الدلال المتعمد) كنت أريد منك طلباً أخر"

مط شفتيه وسألها " خير؟"

بأصابعها مشطت فوديه الذي يختلط فيهما الشعر الأبيض الذي ظهر قبل أوانه بالشعر الأسود وقالت بنغمة تدلل " كنت أريد هدية معينة في عيد ميلادي "

رد عليها عابسا " خير اللهم اجعله خير .. ترى ما ثمن طقم المشغولات الذهبية الذي تريدينه هذه المرة؟ "

أسرعت بالقول " لا لا .. لا أريد ذهبا .. فأنا فهمت الآن بأنك تحتاج لأن يكون عندك سيولة نقدية .. لكني أريدك أن تكتب قطعة أرض من الاراضي التي تملكها حول هذا البيت باسمي "

عقد حاجبيه ولم يستسغ أن تطلب بنفسها طلبا كهذا لكنه قال "لا مانع عندي من حيث المبدأ .. لكن اتركيني لأفكر في الأمر وأدرسه حتى يأتي يوم ميلادك .. ولكن لماذا من الأراضي التي أملكها حول البيت ؟.. لماذا لم تطلبي من قطعة الأرض البحرية مثلا ؟"

حركت كتفيها وردت ببساطة " ليس هناك سببا غير أني أريدها في هذه المنطقة حتى أشعر بأن لي مكانا أملكه في بيت زوجي "

ناظرها بغير استيعاب صامتا لبضع ثوان ثم قال" سأفكر في الأمر .. والآن لنعود لنقطة

البداية أنا أريد المزيد من الأولاد لأربيهم وأنا في
كامل صحتي فلم أعد صغيرا يا كاميليا "
قالت بمسكنة" لكنك تعلم كم تعذبت في ولادة
ميس ..فكلما تذكرت أيام العذاب في الحمل
ووقت الولادة أشعر بالرهبة والخوف"
قال مشجعا " أمي تقول بأن لكل طفل ظروفه
في الحمل فلنتوكل على الله وبالطبع سنتابع
عند الطبيبة من أول يوم في الحمل "
تطلعت فيه مترددة في الوقت الذي رن هاتفه
.. فطالعه جابر من بعيد على المنضدة
الموضوعة بجوار السرير قبل أن يقول باهتمام
وهو يلتقطه بسرعة "هذا زين"
واستقام واقفا يرد" أين أنت يا زين؟ .. أمنيتي
أن اتصل بك يوما وترد عليّ في لحظتها "
قالها وتحرك مبتعدا .. ليأتيه صوت زين ضاحكا
" شيخ الشباب .. أنا لا أرد عليك حتى لا اكلفك

ثمن مكالمة دولية وافضل أن اطلبك عبر الانترنت"

قال جابر وهو يغادر الغرفة" المهم .. البرنامج المحاسبي الذي أوصيتني بأن أدخله على الحاسب الالي لأراجع به الفواتير اواجه فيه مشكلة"

تطلعت كاميليا في الباب المفتوح الذي غادر منه للتو وشردت في رغبته في الانجاب شاعرة بالضيق والثقل ..فتجربة الحمل في ميس كانت متعبة جدا بالنسبة لها وكلما فكرت في أنها قد تعود لهذه الفترة الصعبة تشعر بالخوف الشديد لكنه يبدو مصرا هذه المرة .. وعليها أن تقرر ماذا ستفعل؟

استقامت ونظرت لنفسها في المرآة تتأمل جسدها الفاتن المتناسق المغري التفاصيل.. وتذكرت ما يقوله النسوة عن ترهلات الجسم

بعد الولادات المتكررة .. وتملكها الخوف من أن يصيبها مثلهم .. فلو حدث ذلك .. ساعتها ستموت من الحسرة .

إلا جمالها ..

إنه نقطة قوتها وضعفها في نفس الوقت .. إن ظهور بثرة على وجهها كفيلة بتعكير مزاجها لأيام .

رن هاتفها على الأريكة الجانبية فذهبت إليه لتجدها تلك الفتاة التي زرعتها في مشروع بسمة لتكون عينا لها هناك .. ذلك المشروع الذي يزيد من حقدها على بسمة أكثر من ذي قبل ..فأسرعت بالرد فلابد أن لديها أخبارا.

بعد دقائق دخل جابر فوجدها تضحك بصوت عال في الهاتف وتبدو في سعادة شديدة ..

وبمجرد أن لمحته قالت من بين ضحكاتها" حسنا .. اذهبي الآن ولنتحدث فيما بعد"

عقد جابر حاجبيه وتطلع فيها مبتسما وهي تضرب كفا بكف فسألها "خير أن شاء الله فلتضحكينا معك"

غمغمت من بين ضحكاتها " لا أصدق ما يحدث أقسم بالله .. أم مصعب"

عقد حاجبيه وسألها " من أم مصعب؟"

قالت موضحة " أم مصعب زوجة سعيد الجابري"

هز رأسه يقول " آه ..أعرف سعيد ..لكني لا اذكر زوجته ما بها ؟"

قهقهت من جديد ثم قالت " يبدو أن سعيد أخبرها برغبته في الزواج بزوجة ثانية وطلب منها أن تخطب له بنفسها حتى تكون راضية"

رفع جابر حاجبيه فأكملت كاميليا " وتخيل المرأة اللئيمة اختارت له من؟"

سألها بفضول " من يا ترى؟"

كتمت ضحكتها تقول "أم هاشم"

قالتها وانفجرت ضاحكة فعبس جابر وسألها " أم هاشم بنت الشيخ زكريا ؟"
ردت من بين ضاحكاتها" أجل هي أم هاشم جارتنا .. أم مصعب ذهبت إليها في مشروع بسمة وفاتحتها في الأمر.. يا الله على لؤم الحريم! .. ترك الاختيار لها فاختارت له عفريتة!"
وقف جابر يحاول استيعاب ما يحدث .. يحاول تحديد كينونة هذه المرأة التي تقف أمامه تضحك بهذه السعادة على قصة شديدة الحزن كهذه .. قصة تخطت تعاطفه الإنساني البحت لما هو أكبر من ذلك .. إلى شعور بالقرف من الجميع .. من تلك التي تقف أمامه سعيدة ومن أم مصعب ومن الناس كلهم بنظرتهم الدونية لمن هو أقل منهم في أي شيء .

بينما برقت عيني كاميليا الخضراوين الجميلتين أمامه تشعان بالسعادة واضافت بإعجاب"
يااه أحببت تفكير أم مصعب .. لعبتها صح .. فما الذي كان يتوقعه ذلك الأبله زوجها ؟ .. أن تختار له بنفسها من تنافسها في زوجها وتأخذ ولو قطعة صغيرة من اهتمامه ؟!!"
ظل يطالعها بذهول وذلك الشعور بالاشمئزاز يزداد في صدره في الوقت الذي قالت فيه كاميليا" وبالطبع أم هاشم كما تعرفها ..عصبية.. خلصوا المرأة من يديها بصعوبة.. (وعادت للضحك) لا أتصور شعور أم هاشم وهي تقول لها (جئتك بعريس) .. لتنزل عليها في الثانية التالية بباقي العبارة كالصاعقة لتهدم آمالها (زوجي سعيد)"
انفجرت هي في الضحك وانفجرت معها كل مشاعر الذهول والاشمئزاز بداخل جابر فتحولت لغضب شديد جعله يتقبض بقوه

بجوار جسده مستمرا في التحديق فيها معقود اللسان وهي تقول " وأم هاشم أيضا غبية .. من تظن نفسها لترفض زيجة مثل هذه .. إن كانت بسمة الوديدي بجمالها الفاتن لم يتقدم لها شابا واحدا لم يسبق له الزواج .. ولم يشفع لها ذلك الجمال أن ينسوا بأنها مطلقة .. فهل كانت أم هاشم تعتقد بأن هناك من سيتزوجها كزوجة وحيدة في حياته!! حتى لو كانت بكر..

(واضافت بثقة) إنه الغباء بعينه .. لو كنت مكانها لانتقمت من أم مصعب بالموافقة

(وضحكت من جديد) ليتني أرى وجه سعيد حين يعرف بمن كانت زوجته ستختار له ..يا ربي لم اضحك بهذا الشكل منذ زمن "

"كفى كفى كفى ..أنت تثيرين اشمئزازي وقرفي ولم أعد اتحمل "

قالها جابر وقد وصل إلى ذروة غضبه ..

إلى نقطة لم يسمح لنفسه من قبل أن يصل إليها لكن ما يحدث كان فوق طاقة احتماله .

عبست كاميليا تتطلع في وقفته المتشنجة باندهاش وعينيه اللتان تحدجانها بنظرات خطرة ثم قالت "ماذا حدث يا جابر هل جننت؟"

في لمح البصر كان قد قطع المسافة بينهما .. تلك المسافة التي يحافظ على وجودها في أي خلاف بينهما حتى لا يعميه الغضب .. فأمسك بذراعها يلويه خلف ظهرها قائلا بتعنيف " ألن تكفي عن تلك العادة .. ألن تكفي عن مراقبة الناس"

أسرعت بالتبرير " مراقبة من؟ .. إنها إحدى صديقاتي وقد تواجدت بالصدفة وحكت لي"

ضغط على ذراعها أكثر وهو يقول من بين أسنانه " وهل لديك صديقات من العاملات الفقيرات اللاتي يعملن عند بسمة ؟!"

قالت بارتجاف وقد هالها حالته الغاضبة "البلدة كلها تتحدث بالتأكيد عما حدث صباح اليوم .. آآآه ..ذراعي ..ذراعي يا جابر أنت تؤلمني "

كان يصارع غضبه الذي يصور له لحظتها ارتكاب ابشع الجرائم فهدر فيها بقوة " اقسم بالله أنت لا يناسبك إلا رجل يتعامل معكِ بالعنف كالحيوانات .. وستجبرينني يوما على أن أكون ذلك الحيوان لأؤدبك وأربيك بما لم تتعلمينه في بيت أهلك.. "

صرخت باكية" ذراعي يا جابر ستكسر ذراعي" قال من بين أسنانه " ليتني أكسر رأسك هذه لأخرج منها ذلك العفن الذي يعشش فيه " بخشونة ترك ذراعها وانحنى يلتقط هاتفها الذي وقع على الأرض وقال وهو يرفعه أمامها " هذا الهاتف لن تمسكيه مجددا"

دلكت ذراعها وهي تهتف بعصبية من بين دموعها "ماذا تعني؟؟.. هل ستحرمني من هاتفي ؟!!"

تحرك نحو الهاتف الأرضي بجوار السرير وسحب السلك الذي يوصله بالحائط فقطعه وهو يقول "وهذا أيضا ..وإياك أن أعلم بأنك قد اشتريت هاتفا غيره .. ساعتها ستكون النهاية بيننا يا كاميليا"

صرخت في وجهه بذهول " هل ستمنعني من أن أحمل هاتفا .. أأنا عبدة عندك ؟"

ناظرها من رأسها حتى أخمص قدميها بقرف مجيبا " بل أنت عبدة لأفكارك العفنة وقلبك الأسود .. (ورفع سبابته محذرا فبدا أمامها مخيفا بشكل غير مسبوق وهو يقول) ما قلته سينفذ .. وإياك .. إياك أن أقبض عليك تحملين هاتفا"

قالها وخرج يصفع الباب خلفه .. ثم سمعت صوت باب أخر يصفع ففهمت بأنه سينام في غرفة أخرى .. لترتمي على السرير تبكي بحرقة وتقول " مجنون اقسم بربي .. متزوجة من مجنون"

xxxxx

في الثانية بعد منتصف الليل

الهدوء يعم القرية ..

هدوء قاتل مقبض لمن يسير ليلا وسط أضواء ضعيفة خافتة تخرج من الشوارع الرئيسية على استحياء أو من مصابيح بعض البيوت ..

أما على الطرقات .. ووسط الحقول ..

فالسكون أكثر رعبا .. و الظلام ممتد على مدى النظر يرهب أقوى القلوب .. ويحسب حسابه أشجع الشجعان ..

وكم من قصص خرجت من رحم هذا الظلام..

ظلام الليل أو العقول أو القلوب فسيطرت على أرواح البسطاء .
ومن ذلك الظلام وعلى صوت حشرات الليل ونقيق الضفادع تحرك ذلك الظل ..
ظل لدرّاجة يبدو على الأرض ضخما مخيفا ويبدو أن راكبها ملثما ..
كان يمشي بالدراجة بجوار الترعة برتابة وبطء ..وظله يعدو بجواره على الأرض حتى توقف بجوار أحد الحقول .. ليتحرك ظل ذلك الشخص فوق الدراجة ويكور قطعة من القماش رائحة البنزين تفوح منها بقوة .. ثم يخرج ولاعة ويشعل طرف القماش قبل أن يلقيها بأعصاب باردة على أحد الحقول..
ظل ذلك الظِل ساكنا لثوان يشاهد النار التي بدأت تأكل في جزء من المزروعات قبل أن تتحرك الدراجة بهدوء ويواصل طريقه .

بعد دقائق كان أحد الاشخاص يمر بالصدفة فشاهد النار من بعيد فأطلق صفيرا متتاليا قبل أن يطلق صوته صائحا "حريق .. حريق في حقل أولاد الجهيني "

xxxxx

ظهر اليوم التالي :

"إذن فقد خرجت دون إذني مجددا"

قالها جابر لأمه في الهاتف فأجابته " أجل أخذت ميس وخرجت وسمعتها تقول للبنت بأنهما ذاهبتان لبيت خالها بدير "

غمغم جابر بلهجة متوعدة " إذن فهي اختارت وعليها أن تتحمل نتيجة اختيارها .. هذه المرة لن أذهب خلفها ولنرى ماذا ستفعل هي وأهلها"

بتردد غمغمت أم جابر " لكن ميس يا بني .. ابنتك ..أخشى أن .. "

انفجر جابر قائلا "لقد فاض بي يا أمي فاض بي وتعبت .. الله وحده يعلم كم تحملت أنا مالم يتحمله رجل من أجل ميس .. وكم حاولت تقويم اعوجاجها.. لكنها تستغل حلمي عليها وتحسبني ضعيفا .. ورصيدها من الصبر عندي قد نفذ والقادم هي من ستحدده بنفسها "

قالت أمه مشفقة " اهدأ يا ولدي .. اهدأ ولا تعكر مزاجك وليفعل الله ما يريد "

أغمض جابر عينيه بإرهاق يضع سبابته وابهامه أعلى أنفه وغمغم بهدوء "لا تؤاخذيني يا أمي أني انفعلت عليكِ "

قالت أمه متفهمة " لا بأس يا حبيبي أعلم بما تمر به .. المهم .. أنا سأذهب لبيت نصرة.. تعرف بأن خطبة ابنتها اليوم ولا يصح أن نتركها وحدها المرأة صاحبة واجب وابنتها ونعم البنات"

رد جابر بهدوء "حسنا يا أمي وأنا سأنتهي من العمل وسآتي للحفل في المساء إلى اللقاء "
أغلق الهاتف مهموما فلمح عصفور عند الباب وسأله " هل تريد شيئا يا عصفور ؟"
اسرع عصفور يدخل وهو يقول مرتبكا "كنت .. جئت لأذكرك بإيصالات الأمانة والشيكات المتأخرة السداد عند بعض الزبائن ماذا سنفعل معهم ؟"
قال جابر بهدوء" اتركهم الآن لن نفعل شيئا .. فلنصبر على الناس قليلا "
قال عصفور معترضا " لكن لا تؤاخذني يا معلم الناس تستغل طيبتك ولا تواظب على السداد"
ضرب جابر على مكتبه وصاح فيه "مالك أنت بهذا الأمر !.. أنا أدرى بما أفعل"
انتفض عصفور مرتعبا بينما أكمل جابر بعصبية" كلهم ظروفهم صعبة .. إلا اثنين أنا

أعرفهما وسأتحدث معهما بنفسي هيا اذهب إلى عملك "

تمتم عصفور برعب "حاضر حاضر "

بمجرد أن خرج ضرب جابر على سطح مكتبه مجددا وزفر بقوة قبل أن يستغفر الله كثيرا وقد أدرك بأن النهاية وشيكة بينه وبين كاميليا .. إن لم ينصلح حالها وتتعقل.

xxxx

بوجه مكفهر دخلت كاميليا إلى بيت العسال وبدون أي كلمة جلست في غرفة المعيشة بعد أن نزعت وشاحها وألقته بعصبية على أحد المقاعد .. فلحقت بها وجدان وهي تجفف يدها بمنشفة تقول" خير يا كاميليا ما الذي أتى بك؟"

هتفت كاميليا بغيظ "وهل ستمنعينني من زيارة بيت والدي حسيب العسال يا وجدان!"

قالت وجدان موضحة" أقصد أتيتِ فجأة بدون أن تطلبي من بدير أو عماد أن يرسل لك السيارة .. وتفاجأت حينما وجدت ميس الآن تلعب مع أولاد عماد "

بوجه عابس ومزاج عكر قالت كاميليا "اعطيني الهاتف الذي اعطيته لك حينما تعطل هاتفك أم أنك لا زلت تستخدمينه ؟"

تحركت وجدان تقول وهي تفتح أحد الأدراج" لم أعد استخدمه فعلاء اشترى لي واحدا جديدا (واقتربت منها تناولها إياه وهي تسأل بفضول) أين هاتفك ؟"

أجابت بعبوس" وقع في الماء وتعطل "

تطلعت وجدان في معصمها المربوط برباط ضاغط وهتفت "وماذا حدث ليدك؟ "

غمغمت كاميليا بنفس العبوس" لا أعرف صحوت فوجدتها تؤلمني يبدو أني حملت بها

شيئا ثقيلا .. تعلمين بأن جسدي حساس ولا يتحمل "

غمغمت وجدان وهي تجلس على الأريكة المقابلة" ألف لا بأس عليك "

قالت كاميليا" لقد أرسلت علاء ليشتري لي رقما جديدا للهاتف "

عقدت وجدان حاجبيها وقالت" ولماذا لا تستعيدين رقمك الأصلي؟ .. اذهبي لفرع الشركة بالبطاقة الشخصية وسيستعيدونه لك "

قالت كاميليا بتجهم" الخط كان باسم جابر"

ردت وجدان ببساطة " فليستعيده أبا ميس لك إذا"

اشاحت كاميليا بوجهها واستندت بكوعها المزين بثلاث أساور ذهبية لامعة على ظهر الأريكة تقول بامتعاض "لا أريد منه شيئا"

ضيقت وجدان عينيها وسألتها" هل تشاجرتما ؟"

لم ترد كاميليا ولم تجد ما تقوله فسألتها وجدان" ما السبب؟ تكلمي "

تطلعت فيها كاميليا بجانب عينيها وقالت "لأنه يريدني أن أنجب أخا أو أختا لميس "

قالت وجدان متعجبة " حقه .. البنت في السادسة من عمرها كما أنه لم يعد صغيرا "

صاحت كاميليا بغيظ " إنه يطلب ذلك ببساطة لأنه لن يعاني شيئا ..أنا فقط التي ستعاني من قرف الحمل والوحام وزيادة الوزن وألام الوضع ولزوجة تدفق اللبن "

ضربت وجدان كفا بكف وقالت بلهجة متهكمة" وهل سيحمل هو بدلا عنك يا كاميليا !.. هذه سُنة الحياة وقدر بنات حواء"

بوجه مقلوب عادت كاميليا للإشاحة بوجهها مغمغمة "اسكتي يا وجدان ودعيني في حالي"

قالت وجدان بلهجة محذرة " أنت بهذا الشكل ستدفعينه للزواج بأخرى"

أدارت كاميليا إليها وجهها تقول بحدة " من الذي يتزوج عليّ !!.. أنا كاميليا العسال .. وهل كان يحلم بالزواج مني أصلا !"

شعرت وجدان بغصة في قلبها .. ليتها تملك نصف ثقة كاميليا في نفسها.. فبلعت طعما مراً كالعلقم في حلقها وقالت بصدق " مهما كنتِ.. سيحتاج لولد ذكر يحمل اسم عائلته ويرث كل ما يملك يا كاميليا .. أم أنك تريدين بعد عمر طويل ألا تنالي أنت وابنتك إلا قدرا بسيطا من تركته؟ "

اعتدلت كاميليا وتطلعت فيها باهتمام متفاجئة كيف لم تفكر في هذا الأمر من قبل!..

كيف لم تفكر بأنها لم تلد له بعد ولدا ذكرا ليرث كل ما يملك .. كيف كانت بهذه الحماقة فلم تنتبه..

" أمن الممكن أن يجن جابر ويتزوج بأخرى إن لم ألد له الذكر !"

قالتها بصوت مسموع جعل وجدان ترد "وما الذي سيمنعه .. مهما كنت جميلة ومهما كان يحبك فهو ابن فلاح والولد والعزوة سر قوته وجاهه"

رفعت إليها كاميليا ذقنها تقول بثقة" أخي بدير سيقف أمامه"

عوجت وجدان شفتيها يمينا ويسارا ثم قالت بحرقة قلب "كيف وهو نفسه ينوي بأن يفعلها"

بعدم فهم سألتها كاميليا "يفعل ماذا ؟"

بصوت يخنقه البكاء ردت وجدان " يتزوج بثانية"

حدقت فيها كاميليا تسألها بعدم تصديق "من؟؟... بدير؟!!"

ردت وجدان مؤكدة " أجل"

بذهول سألت كاميليا " لماذا ؟!!"
قالت وجدان بسخرية مُرة " لأنه غارق في الحب "
اتسعت عيني كاميليا الخضراوين وهتفت ذاهلة " نعم!! .. لم أفهم .. هل تهلوسين يا وجدان؟!!... بدير أخي!!!"
شعرت وجدان بأنها بحاجة ماسة للحديث .. بحاجة لمن يؤازرها .. لمن ينصحها ماذا تفعل فتركت مكانها واسرعت نحو باب الغرفة تغلقه ..ثم عادت أمام عيني كاميليا الذاهلتين تجلس بجوارها واغمضت عينيها تتمتم" لابد أن أحكي لأحد وإلا سأموت مقهورة"
صاحت كاميليا بقلة صبر " تكلمي يا وجدان"
نظرت إليها وجدان بعينين تتجمع فيهما الدموع وقالت بصوت مخنوق " اخوك غارق في الحب منذ سنين يا كاميليا هذه هي الحقيقة التي حاولت التعامل معها ولم أفلح"

غمغمت كاميليا باستنكار " الحب !! بدير أخي؟!!.. ومنذ سنين !!"

بحسرة قلب ردت وجدان " أجل سلبت منه قلبه وعقله"

هتفت كاميليا "ما هذا الذي تقولينه؟ ومن هذه؟؟"

بسخرية مرة ردت "حبيبتك ..بسمة الوديدي"

انتفضت كاميليا واقفة وهتفت بصراخ" بم تخرفين أنت!!"

ملأت الدموع مآقيها وردت وجدان " هذا ما أتحمله منذ ما يزيد عن عشر سنوات يا كاميليا .. وأعلم بأنه قد طلب يدها من والدها أكثر من مرة ورفضوه لأنه متزوج"

صرخت كاميليا بقوة "هذا جنون ..أنت تهذين بالتأكيد!!"

انهمرت دموع وجدان وردت بحرقة قلب "ليس جنونا يا كاميليا بل أمر واقع .. أمر مقرف

وشديد المرار اكتمه في قلبي .. ولا أستطيع أن أصف لك سعادتي حين علمت بأنها خطبت وستتزوج في العاصمة .. ويوم زفافها كان أسعد أيام حياتي .. (وأكملت ببطء) وأتعس أيام أخيك"

ناظرتها الأخرى بذهول غير مصدقة فأضافت وجدان "ظننت خلال الأربع سنوات التي قضتهم بسمة في العاصمة بأنه نسيها .. أو هكذا خُيّل إليّ .. حتى عادت مطلقة وعاد إليه جنونه .. وأصبحت رغبته في الزواج بها أقوى من ذي قبل .. ووصلني بأنه يكاد يتذلل لوالدها حاليا حتى يقبل به زوجا لها "

باستنكار وجنون هتفت كاميليا " بسمة الوديدي تصبح زوجة أخي !!.. هذا لن يحدث أبدا على جثتي إن حدث"

لاح الأمل في عيني وجدان فأمسكت بطارف عباءة كاميليا التي تقف أمامها وقالت بمسكنة "

هل تقدرين على إيقافه يا كاميليا؟.. (وعاد اليأس يتسرب إليها في اللحظة التالية فغمغمت) لا أعتقد بأن هناك أحدا يستطيع إيقافه لو قرر أمرا كهذا "

مالت عليها كاميليا تمسك بذراعيها صائحة "لماذا لم تخبريني من قبل؟!!"

رفعت إليها الأخرى وجها مغرقا بالدموع واجابت " لا أعرف .. ربما لأني لم أجد فائدة من إخبار أحد فبدير سيفعل ما يريد في النهاية"

قالت كاميليا باستنكار " وأنت هل ستتركينه يفعلها؟"

اعترفت وجدان بخزي " وماذا بيدي لأفعله؟ .. إن ذهبت لبيت أهلي اخوتي سيعيدونني إلى هنا.. وإن اعترضت الكل سيرد بأن هذا حقه والشرع يكفل له ذلك "

جزت كاميليا على أسنانها وتحركت في الغرفة بعصبية تفكر بصوت عال وهي تضرب قبضتها في باطن كفها "وأنا لن اسمح بذلك .. لن اسمح لبنت الوديدي أن تأتي إلى بيت العسال وتنعم بخيره وترفع رأسها أمام الناس .. وخصوصا لو كان ما تقولينه صحيحا وهو واقع في حبها لدرجة أن يستمر على هذا الحب كل هذه السنوات فبالتأكيد سيرفعها فوق الكل وهذا لن أسمح به ما دمت حية واتنفس "

مسحت وجدان وجهها وسألتها بلهفة غريق يتعلق بقشة " ماذا ستفعلين؟ .. أنت لن تقدري على الوقوف أمام بدير ولا أحد سيستطيع الوقوف أمامه"

تكلمت كاميليا بشرود مفكرة " لا تقلقي .. هذا الامر يحتاج لتخطيط ذكي .. وسأريك كيف سأعرقل زيجته بها .. لن أكون كاميليا إن لم أفعل ذلك "

xxxx

في المساء

علت الزغاريد مصاحبة لأغاني الـ DJ أمام بيت نصرة وقد وقف كريم بجوار الشاب صاحب الـ DJ يراقب ما يفعله بفضول ..بينما تحركت هي بين الحضور بسعادة شديدة ترتدي عباءة جديدة وخديها المكتنزين أحمرين بحمرة طبيعية متجاهلة رغم الغصة ما يصلها من همسات قريبات العريس الممتعضة بزعامة أمه من إقامة حفل الخطبة في الشارع بدلا من تأجير قاعة أو إقامة صوان كبير في مكان أوسع وليس في الحارة الضيقة التي يقع فيها بيت هلال جمعة والد العروس* .. والذي وقف هو الأخر يستقبل المهنئين من الرجال .

أما اسراء فلم تكن تمتلك مثل أمها موهبة الابتسام رغم المنغصات .. فجلست على مقعد

---

*عادة تكون تكاليف حفل الخطبة على أهل العروس

العروس ترتدي ثوبا ورديا لامعا ومنفوشا فوقه حجاب بسيط ولم تستطع اخفاء شعورها بالتوتر والوجوم .. ولا تشعر بالفرحة العارمة التي تتمناها أي عروس في يوم كهذا .. كيف وأمها قد باعت قرطها.. القطعة الوحيدة التي بقيت من مصوغاتها الذهبية .. من أجل مستلزمات الحفل البسيط الذي يبدو من الواضح بأنه لا يعجب أهل طلال .. لكن الأخير كان يجلس على المقعد المجاور لها تبدو السعادة على وجهه جلية .

طالعها طلال ومال عليها يقول " هل أنت بخير ؟ أشعر بك تشردين بين الحين والاخر"

ابتسمت اسراء في حياء وقالت بمراوغة " لا شيء .. فقط محرجة قليلا "

قال بابتسامة وسيمة "ووقت كنا نختار الشبكة** كنتِ صامتة تماما والخالة نصرة من كانت تدفعك للحديث"

شعرت إسراء بالخجل الشديد فقال طلال بلهجة صريحة " صبرني الله على الشهرين القادمين حتى تكونين في بيتي "

قالت اسراء بتردد " طلال أشعر بأن شهرين وقت قصير جدا لأعد نفسي .. حتى أغنى العائلات لا تستطيع أن تدبر كل شيء في شهرين "

قال طلال بصدق " صدقيني يا اسراء الأمر خارج عن ارادتنا جميعا فأخي سيسافر لمدة طويلة ويرغب في حضور حفل زفافي قبل سفره .. ولولم أكن أقضي الخدمة في الجيش لكنت تقدمت إليك في وقت أبكر لأني كما قلت لك

**الشبكة هي هدية من الذهب من العريس للعروس بالإضافة لمحبسي الخطبة .

عيني عليك منذ مدة ولم أكن أعلم بأن أخي سيحصل على التأشيرة الآن "
فركت كفيها بارتباك وخجل .. فتدخلت أخت العريس تقول مازحة "بم تتهامسان ! لا تتعجلا فالعمر أمامكما إن شاء الله للحديث .. هيا يا عريس لتلبس عروسك الشبكة "
وسط الزغاريد العالية وقفت نصرة بجانب ابنتها تراقبها وهي تلبس شبكة عريسها وبطرف وشاحها مسحت تلك الدموع التي تصر على إفساد اللحظة لتسيطر على الموقف.
إنه يوم خطبة الغالية اسراء .. اليوم الذي تمنته منذ أن ولدت .. ذلك الشعور الأمومي بالسعادة والذي يطغي على أي شعور أخر حتى لو كان مشاعر الحرج وضيق اليد أمام أهل العريس و هَم تجهيز العروس في ظروف مادية صعبة ووسط منافسة بين أهل البنات أصعب .. بينما أدخلت اسراء خاتم الخطبة بارتباك في بنصر

طلال بعد أن انتهى من إلباسها الشبكة ..
لتنطلق بعدها الزغاريد.
في نفس الوقت وبسعادة كبيرة أخذت ونس تلتقط للعروسين صورا بهاتفها رغم صعوبة التقاطها لتفاصيل الأصوات الكثيرة العالية المتداخلة حولها مع أصوات الموسيقى الصاخبة حتى أن إحدى الفتيات لكزتها أثناء التجمع أمام العروس بعد أن طلبت منها الافساح ولم تنتبه فتألمت ونس ونظرت للفتاة بغل بينما تدخلت بعض الفتيات صاحبات ونس واسراء للدفاع عن الأولى بحمائية جعلت الفتاة الأخرى تنكمش متراجعة .. لتقرر البنات بعدها الانتشار حولها من كل جانب حتى يتركن لها الفرصة للانتهاء من التقاط الصور للعروسين .. فناظرتهم ونس بسعادة وامتنان وتذكرت انهن واسراء كن يحمينها في المرحلة الابتدائية والاعدادية من التنمر وبعضهن

رافقنها في المدرسة الثانوية الصناعية بينما التحقت اسراء والأخريات من المتفوقات بمدارس الثانوي العام.

في إحدى الغرف بالداخل وقفت أم هاشم تكشف عن ذراعيها الأسمرين و تغرف بهمة مع أخوات نصرة أطباق العشاء للمدعوين ولم تتوقف مساعدتها عند مجرد طهي الطعام الذي أخذته على عاتقها كله ..حتى أن بسمة حينما مرت سريعا منذ قليل لتقديم واجب التهنئة لنصرة لم تقابلها خاصة وأن بسمة لم تطل في البقاء فهي تكاد تكون منقطعة عن جميع المناسبات حتى أصبح البعض يتهمها بالغرور والتعالي لكنها خجلت من دعوة نصرة لها واضطرت للذهاب بالنيابة عن بيت الوديدي خاصة مع سفر العروس مهجة لأحد المنتجعات السياحية مع زوجها.

أما في الخارج فوقف جابر بجانب هلال .. لكنه كان متحفظا معه أكثر من أي وقت بعد أن استشعر أن أي مساعدة من أي نوع يقدمها عادة الجار لجاره وابن البلد لأخيه والصديق لصديقه في مثل هذه المناسبات في الريف قد يأخذها هلال على كرامته فقرر أن يقوم بدور الضيف الغريب ..
وكم كان هذا الشعور صعبا عليه وهو يحمل الكثير من المحبة لهلال وأسرته.

بعد قليل وقفت أم هاشم اثناء تقديم العشاء للمدعوين ترتكن إلى الحائط مجهدة بعد يوم طويل وطبخ كميات كبيرة من الطعام .. متجاهلة بعض الغمز واللمز عليها من بعض الحاضرات منذ أن بدأ الحفل .. في الوقت الذي شكرت فيه إحدى النساء في الطعام بشدة لترد

إحدى أخوات نصرة " أم هاشم سلمت يداها من قامت بطهيه كله وكنا نساعدها فقط .. (ونظرت لأم هاشم بمحبة تقول) كنت اسمع عن طهوها من نصرة لكني لأول مرة أكل من يدها "

ابتسمت لها أم هاشم بمجاملة .. فسألت إحدى الموجودات بفضول "هل حقا ما سمعناه يا أم هاشم .. أن أم مصعب خطبتك بنفسها لزوجها؟ اخبرينا بالتفاصيل"

لوت أم هاشم شفتيها وردت باقتضاب "هو ما سمعتيه ولا توجد تفاصيل "

قالت أخرى بغيظ " لو كنت مكانك كنت وافقت حتى أحرق دمها .. ترى على من ستميل أم مصعب في مهمتها هذه المرة "

تكلمت ثالثة" اقطع ذراعي إن لم يكن زوجها عينيه على إحداهن ويلهيها في البحث ثم

يفاجئها باختياره .. الرجل لا يطلب هذا الطلب بهذا اللؤم إلا إذا كان قد أعد العدة لشيء ما وسترين "

ردت رابعة " حرام عليك يا أم عاطف الرجل متدين والشيوخ يتبعون السُنة في هذا الأمر "

قالت الثالثة باستهجان " وهل قلت بأنه كفر إن كان يخطط بالزواج من أخرى ويحاول اقناع زوجته بالأمر !"

مطت أم هاشم شفتيها وغمغمت باقتضاب " أبي وجدي رحمهما الله كانوا شيوخا وجد أبي الشيخ تيمور رحمه الله كان شيخا أزهريا ولم يفعلوها والله !"

تكلمت الحاجة نجف بهدوء من جلستها عند الباب " لا تحرمون حلالا حبيباتي .. وأصابعكن ليست مثل بعضها فلكل واحدة ظروفها .. هناك من ترضى بذلك دون غضاضة وهناك من تجبر عليه وأخرى ترفضه ولها حق الانفصال ..

إنما العادات والتقاليد التي وضعناها هي ما تصعب حياة النساء وترفض انفصال الزوجة وتستهجنه إن رفضت زواج زوجها بأخرى "

قالت إحدى الجالسات وهي تلوك الطعام في فمها "لا تؤاخذينني يا أم هاشم لقد كانت فرصة كبيرة وفوتها عليك فأبو مصعب رجل في عنفوان شبابه ووسيم وميسور الحال وأنت .. أنت .. لا تؤاخذيني"

حدجتها الحاجة نجف موبخة بينما كتمت بعض النسوة الضحك .. فهبت أم هاشم تقول بعصبية" أنا ماذا يا عدلات تكلمي لمَ انعقد لسانك عن الاسترسال؟! "

تدخلت إحدى أخوات نصرة تقول بتعاطف "ما لزوم هذا الكلام الآن يا جماعة !"

غمغمت أم هاشم وهي تعود إلى الغرفة التي يتم فيها تجهيز وغرف الطعام " هذا لزوم التحلية بعد الأكل "

اغتاظت عدلات وجزت على أسنانها بعصبية لكنها خافت من أم هاشم فبلعت لسانها ..

لتلكزها أم عاطف هي تقول "دعك منها الآن ..

هل شاهدتم بنت الوديدي ؟.. تفاجأت بظهورها السريع اليوم في الحفل ..(وعوجت فمها يمينا ويسارا تغمغم) منذ متى وهي تجامل في المناسبات"

ردت أخرى " لأن نصرة ستعمل لديها في مشروعها ودعتها بنفسها "

تكلمت إحدى الشابات بغيرة واضحة " حتى لو كان هذا هو السبب فظهورها كان غير متوقعا ..

ألم تترفع عن التواصل مع الجميع منذ أن عادت من العاصمة وتحاول حاليا أن تلعب دور الباشمهندسة وسيدة الأعمال !"

غمغمت أخرى تمصمص شفتيها "ماذا لو لم تكن مطلقة ولا تنجب !"
قالت إحدى السيدات المتعاطفات " لا تتحدثوا بهذه الطريقة عنها يا جماعة .. إنها فقط تركز على مستقبلها ..فالمسكينة لم يعد لديها أمل في الإنجاب"
في داخل الغرفة ضربت أم هاشم جبهتها بباطن كفها تقول لنفسها من بين أسنانها تعليقا على ما يأتيها من حديث من الخارج "اللهم طولك يا روح !!"

قالت شابة أخرى بتهكم وهي تقلد بسمة بطريقة ساخرة " هل رأيتموها حين وصلت؟.. سلمت على الجميع بأطراف أصابعها .. ووقفت بجانب العروس خمس دقائق كتمثال من الرخام وكأنها تتفاخر بجمالها .. قبل أن تستأذن وتغادر.. (وأكملت بغيظ) من تحسب نفسها

؟.. وما هذا الغرور الذي تتعامل به على خلق الله .. أتعلمون كلها حركات استعراضية أمام الرجال تريد أن تبدو غامضة ومستحيلة حتى تثير فضول أحدهم ليحاول الفوز بها شاعرا بأنه قد فاز بالجائزة الكبرى .. هذه الطرق اللئيمة واضحة جدا "

تساءلت إحداهن بقلق "هل تعتقدن فعلا أن ظهورها المفاجئ اليوم كان لتبحث عن زوج؟!! .. لقد رأيت معظم الرجال يبحلقون فيها في دخولها وخروجها"

كالطوفان خرجت أم هاشم تصيح فيهن بعصبية "ألن تكفوا عن جلد الناس بألسنتكم! .. بسمة الوديدي من التي ستبحث عن زوج يا حلوة أنتِ وهي وأكثر من رجل ينتظر إشارة من اصبعها لتوافق؟!!.."

ناظرتها النسوة مرعوبات ومخروسات فأضافت أم هاشم تضرب كفا بكف" عجيب والله أمركن !.. إن اختلطت المسكينة بالناس لا يعجبكن وتقولون تبحث عن زوج .. وإن اعتزلتهم لا يعجبكن ..وتقولون مغرورة .. أ تشعل في نفسها النار لترتحن !!"

هتفت عدلات بغيظ" وما دخلك أنت يا أم هاشم !... ألأنها صاحبتك تصيحين في وجوهنا بهذه الطريقة"

قالت أم هاشم من بين أسنانها وهي تضغط على قبضتيها بقوة" اتقي شري في هذه الساعة يا عدلات"

امتقع وجه المرأة رغم تظاهرها بالشجاعة بينما صاحت نجف بصوتها الضعيف في شفقة "إهدئي يا أم هاشم .. وأنتن كفوا عن الثرثرة .. عيب عليكن "

دخلت نصرة بوجه ممتقع تقول" ماذا يحدث يا جماعة؟! "
وجه نصرة المحبط أشعر أم هاشم بأنها على وشك افساد الحفل ..فقبضت على أعصابها المشتعلة بالغضب وقالت وهي تعدل من حجابها" اعتقد بأن مهمتي انتهت يا نصرة .. مبارك لك ولإسراء يا حبيبتي .. (وتحركت مغادرة وهي تقول) سأغادر أنا حتى لا تنفلت أعصابي وانكد عليكم .. السلام عليكم"
غمغمت نجف باستياء وهي تنظر للنسوة بقرف " لا حول ولا قوة إلا بالله !"

هتفت أم عاطف تقول " دعونا من هذه السيرة واخبروني من تظنون أنه المسئول عن اشعال النار في حقل أولاد الجهيني ؟.. صحيح أن جزءا صغيرا جدا من الزرع هو ما تضرر لكنه بالتأكيد بفعل فاعل "

خرجت أم هاشم بوجه متجهم ومشية عصبية تغادر الحفل بينما نصرة تسرع باللحاق بها وهي تنادي "يا أم هاشم .. إلى أين ... يا بنت انتظري أنت حتى لم تتناولي العشاء "

مرت أم هاشم من أمام هلال وجابر .. ولفت انتباههما مشيتها العصبية وهي لا ترى أحدا أمامها .. بينما وقفت نصرة بالقرب منهما وقد يئست من اللحاق بها فسألها هلال بفضول" ماذا حدث؟"

غمغمت نصرة بأسى "النسوة ليس لديهن حديث اليوم إلا عن طلب أم مصعب منها .. وبالطبع يلومونها على عدم الموافقة باعتبار أن هذا تبطرا منها على فرصة قد لا تتكرر "

غمغم هلال بوجوم" لا حول ولا قوة إلا بالله .. بهذا الشكل قد تضطر يوما للموافقة على ما لا تريد لتهرب من ألسنتهم"

رد جابر بثقة" أم هاشم فتاة حرة لن تخضع لأحد مهما كانت الأسباب "
قالها وتذكر باستياء شديد ما قالته كاميليا الليلة الماضية فانتابه ذلك الشعور بالتعاطف مع أم هاشم والقرف والنفور من كاميليا ..
بينما تحركت نصرة عائدة للداخل وهي ترفع وجهها للسماء وتهمس" عدلك يا رب .. نطلب عدلك ورحمتك "

xxxx

"هل أنت متأكد مما تقول يا عصفور؟"
قالتها كاميليا في الهاتف بعد أن استطاع علاء ابن بدير استعادة الارقام الخاصة بها من حسابها على الانترنت فجاءها صوت عصفور مؤكدا " هذا ما سمعته يا ست كاميليا .. قال لوالدته لن أذهب إليها وهي ستختار ماذا تريد في المرحلة القادمة"

زمت كاميليا شفتيها وهزت ساقها بعصبية قبل أن تقول "حسنا .. سجل هذا الرقم عندك إنه رقمي الجديد ولا أريد لمخلوق أن يعرف به هل فهمت وافتح عينيك جيدا ".

أغلقت الخط تعتصر الهاتف بعصبية ووقفت تفكر .

إن جابر متغير هذه الأيام ..بل إنه كذلك منذ مدة وهي أيضا لم تعد كاميليا الصغيرة المرنة .. تشعر بأنها قد تغيرت هي الأخرى.. أصبحت أقوى وأصبح لديها متطلبات أكثر جموحا ووضوحا وجابر لا يلبيها .. يكفي أنها لم تعد تشعر بأنها مميزة بزواجها منه .. وشخصيته المعقدة المتزمتة معها تخنقها .. لكن في الوقت نفسه لا تملك الشجاعة لطلب الطلاق حتى لا تكون مثل بسمة ..لابد أن تظل متفوقة عليها ..

إذن ما العمل الآن؟

تحركت في الغرفة جيئة وذهابا بعصبية ..
إن كان جابر لا ينوي أن يأتي خلفها هذه المرة فهو بالتأكيد قد عاد للبيت وأخبرته أمه بذهابها لبيت أهلها.. إذا لا يوجد أمامها إلا أن تصر على بقائها وتضغط على أخويها ليؤدباه حتى يدرك بأنها ليست لقمة سائغة .. ستبقى لبعض أيام وترى إن كان جابر سيضعف ويأتي إليها أم تلجأ لخطة بديلة.

صوت عودة أخويها من مشوار في العاصمة أتاها من الخارج قبل أن يدخل عليها عماد عاقدا حاجبيه يسألها "ماذا تفعلين هنا أنت وابنتك في هذا الوقت المتأخر؟"

ردت بمراوغة "وهل ممنوع عليّ أن أبيت في بيت اهلي ؟.. هل أنا أقل من مليكة صوالحة التي تبيت ليلة كل أسبوع في بيت والدها ؟"

سألها بدير من خلفه" هل تشاجرت مجددا مع جابر ؟"

أجابت بعناد" أجل وهذه المرة لن أعود إلا بعد أن يعرف قيمتي جيدا "

هب عماد مقتربا منها يقول باستهجان "ما معنى لن أعود إلا بعدما يعرف قيمتك ؟... هل تفكرين في الطلاق حضرتك "

قالت بعناد لتناطحه "وماذا فيها؟!"

أمسكها عماد من شعرها بعنف يقول من بين أسنانه" إياك أن اسمع كلمة الطلاق هذه على لسانك .. هذا الامر ليس لعبة في يديك"

صرخت كاميليا متألمة في الوقت الذي اسرعت وجدان بالطلب من أحد أولادها بأن يأخذ صغار العائلة وخاصة ميس إلى الطابق العلوي.

هتفت كاميليا متألمة" لقد أخذ مني الهاتف ومنعني من التواصل مع أحد "

رد بدير عليها بهدوء "بالتأكيد فعلت مصيبة ..لقد حذرتك أكثر من مرة ألا يغرك صبر جابر

أنا أعرفه حق المعرفة .. وأعرف بأنه ليس بهذا الضعف الذي تعتقدينه"

غمغم عماد من بين أسنانه وهو لا يزال يمسك بشعرها "أنا شخصيا كنت أتعجب من أنه يصبر عليك كل هذا الوقت فلو كنت مكانه لاصبحتك وأمسيتك بعلقة ساخنة حتى تعتدلين"

صرخت كاميليا فيه بغل وهي تدفعه في صدره بعنف "قلبك أسود طوال عمرك يا عماد"

هم بضربها قائلا "بم تتبجحين؟"

اسرع بدير يقف بينهما يقول لأخيه بهدوء خطر" هل ستضربها أمامي؟"

ابتعد عماد صائحا بعصبية "لا .. سأتركها لك لتفرح بها وهي مطلقة "

قالها وتحرك مغادرا .. فأسرعت زوجته التي كانت تراقب ما يحدث بارتباك لتلحق به ..

بينما استدار بدير يحدق في كاميليا بنظرة خطرة قائلا للباقين" اتركونا وحدنا"

اسرعت وجدان بالخروج برعب هي وولديها واغلاق الباب بينما زم بدير شفتيه وقال بهدوء مخيف "إن لم تستطيعي السيطرة على الامور فلا تلعبي بالنار يا كاميليا .. هذه المرة لم يحضر جابر خلفك كالمرات السابقة ولم يتصل بي حتى .. وهذا انذار خطر لك بأن الأمور قد خرجت عن سيطرتك تماما "

قالت وهي ترفع ذقنها بكبرياء" من قال هذا .. أنا كاميليا وأحسب حساب كل شيء .. يومين وسيعود إليّ راكعا"

قال بدير بلهجة قاطعة " بل ستعودين لبيتك الآن .. علاء سيوصلك "

همت بفتح فمها لتعترض لكنه أضاف بلهجة خطرة جمدت الدم في عروقها "الآن يا كاميليا"

xxxx

بسعادة كبيرة راجعت ونس في هاتفها صور العروسين وهي مستلقية في سريرها.. ثم حدقت في سقف الغرفة القديم تتخيل نفسها في نفس المشهد كعروس بجوار ذلك الأمير الوسيم .. لكنها عادت وعبست حين رأت ذلك الوسيم وقد اصبح غريبا كما حدث معها الاسبوع الماضي .. فنفضت عن رأسها الفكرة وانقلبت على جانبها تحضن الهاتف بكفها .. وعادت تفكر من جديد ..

ترى هل تسرعت في تكوين انطباعها عنه ؟..

لكن أي انطباع كان الأصح الأول أم الثاني؟ ..

وسؤال آخر يؤرقها ..

ألن يأتي هذا الأمير لقريتهم مرة أخرى ؟.. ألن تراه مجددا؟ ..

عند هذه الخاطرة شيء بداخلها أشعرها بالوحشة وتمنت أن تراه ولو مرة واحدة أخرى .

xxxx

تحرك صاعدا على سلم البيت تُثقل الهموم اكتافه ويشعر بأنه على مفترق طرق ولأول مرة لا يعرف إلى أين يتجه ..

طوال عمره كان محدد الأهداف .. واقعي النظرة والتفكير .. يعرف إلى أين سيخطو الخطوة القادمة ..

لكنه في هذه اللحظة يجد أن تحديد الطريق أمر صعب .. فكل طريق منهم سيحمل له قدرا من التعاسة إما تعاسته أو تعاسة ابنته .

أجل .. لقد نفذت طاقة صبره مع كاميليا وتسلل الجفاء إلى قلبه وسيطر عليه .. وأدرك بعد فوات الأوان أنه لم يحسن الاختيار ..

حين عاد من الخليج وقرر الاستقرار والزواج أراد أن يتزوج بامرأة جميلة وكأنه يكافئ نفسه على تحمله رحلة الشقاء والعذاب التي عاشها في الغربة ..

رحلة بدأها من الصفر .. بدأها كعامل بسيط في سوبر ماركت وعاش الشهور الأولى يفترش الكراتين في مرآب السيارات ويتغطى بها .. حتى ارتقى بكده وتعبه ومثابرته و أصبح مشرفا لكافة أعمال الشيخ صاحب السوبر ماركت .. وكان يعتقد أنه يكافئ نفسه على انضباطه واستقامته فيما يخص العلاقات النسائية المحرمة التي اتيحت له بكثرة وسهولة في الغربة بزواجه من امرأة جميلة مثل كاميليا..

غمغم في سره " فتنتك أموالك يا جابر وفتنك حسنها فلم تحسن الاختيار .. فُتنت يا ابن دبور والآن تجني الثمار "

في غرفة النوم سمعت كاميليا خطواته .. وبكل غيظ وقهر عدلت من هيئتها أمام المرآة واتجهت نحو الباب .. لقد قررت ألا تتركه ليتحرر منها .. فهي لا تقبل بالخسارة في أي

شيء .. وكما قال لها بدير خسارة جولة ليست نهاية المطاف فقد نخسر بإرادتنا لنكسب جولات أخرى مستقبلية.

خرجت من غرفة النوم فتفاجأ جابر بأنها قد عادت وقد ظن بأنها ستنتظره حتى يهرع إليها ككل مرة..

انتهى من صعود السلم.. فتصنعت كاميليا اللامبالاة وتحركت ببطء ودلال أمامه تدعي الذهاب للحمام ..فتأمل ما ترتديه بنظرة ذكورية مقيمة وقد أدرك بما تنوي عليه بنت العسال ..

كانت أمام مستقبلاته الحسية كائنا مبهر الجمال .. رائع التقاسيم .. تفاصيلها في قميص نوم قصير جدا شفاف تماما يكشف عن كافة تفاصيلها الصاخبة الأنوثة والمنحوتة تحته

بإغراء لتستفز أعصابه .. وتدعوه صراحة لما يشتهي الرجل فيه..
لكن كل هذا لم يهز فيه شعرة !
ويا لغرابة ما يحدث معك يا جابر!
فذات يوم كانت في نظره امرأة باهرة الحسن..
يعترف بذلك.
والآن يراها قبيحة قميئة الصفات.
يعترف بذلك أيضا ..
قال باقتضاب "عدتِ إذن!"
غمغمت بتمنع " لم ارغب في اغضابك "
ابتسامة ساخرة ظهرت على زاوية شفتيه وهو يمر من جانبها دون أن ينظر إليها .. ثم تجاوزها في طريقه إلى الغرفة الأخرى التي بات فيها ليلة أمس ..
حين لم يعيرها اهتماما استدارت تسأله باستنكار" إلى أين؟!!"

رد دون أن يستدير " إلى حيث سأنام من الآن فصاعدا .. أمي وضعت لي بعض الملابس هناك"

أغضبها أن تخرج الأمور عن سيطرتها .. بل هو جابر الذي يخرج عن سيطرتها .. فأسرعت خلفه تمسك بذراعه لتوقفه وتقول بغنج " من منا عليه أن يخاصم الأخر (ورفعت أمامه معصمها المربوط وهي أكيدة بأن قلبه رقيق ولا يتحمل الأذى وقالت بمسكنة) ألا يكفيك ما فعلته بي!"

حرك مقلتيه نحوها ورد ببرود "احمدي ربك أني اتحلى ببعض العقل والحكمة وإلا لكسرت عظامك في يدي (وأدار وجهه نحوها يضيف) وهذا شيء استطيع فعله بسهولة شديدة إن كنتِ لا تعلمين "

سألته بغباء مضيقة حاجبين مرسومين بفن "تفعل ماذا"

رد مؤكدا وهو يبعد يديها عن ذراعه " أكسر عظامِك "

قالها وتحرك يكمل طريقه .. فصرخت بغيظ" كل هذا من أجل ماذا؟؟؟؟ .. ما الجرم الذي فعلته لكل هذا ؟!!!"

وضع يده على مقبض باب الغرفة وقال بسخرية مُرة" جرم لن تدركيه أبدا .. لأن معيار القِيَم لديكِ غير موجود من الأساس وفشلت أنا في زرعه فيكِ"

فتحت فمها وضيقت عينيها تناظره بعدم فهم وقد خيم الغباء على ملامحها الجميلة ..

فأضاف جابر بهدوء خطر "بالمناسبة ..هذه هي أخر مرة سأسمح لك فيها بمغادرة المنزل دون إذن مني .. لو خطت قدمك عتبة البوابة الخارجية بدون إذن مني يا كاميليا لأي سبب من الأسباب فلن تعودي إلى هذا البيت أبدا .. تصبحين على خير "

دخل الغرفة واغلق الباب خلفه فتركها في الممر
كتمثال شديد الإغراء .
والغباء..

xxxx

شروق جديد ..
شروق آخر انتظرته هذه المرة في مشروعها
وبالتحديد فوق سطح المبنى الصغير الذي كان
ذات يوم مخزنا ..
جاءت لتشهد الشروق ومعها قهوتها..
ورغم ندوب الماضي والحاضر ..
ورغم الألم ..
ورغم الحزن الساكن في عينيها ..
استقبلت بسمة اليوم الجديد على رائحة البن
بحماس وتمنت أن يأتي الوقت الذي سترى فيه
مشروعها هذا أكبر..

لكن ذلك الخوف اللعين من المستقبل ..
وذلك الشك المخيف من القادم ينغص عليها فرحتها بالنجاح ..
ما تشعر به بأنها لا تملك زمام أمرها بعد يخنقها .. وتساءلت إلى متى ستصمد أمام ضغط أهلها عليها بالزواج ..
فما أصعبه من الشعور أن تكون ورقة في مهب الريـح أمرها ليس بيدها .
حين نزلت من فوق السطح كانت الفتيات العاملات قد بدأن بالتوافد .. وراقبت أم هاشم التي تولت مهمة الضبط والربط تلقائيا في المكان ومراقبة الحضور والانصراف بالإضافة لتولي أمر حسابات المشروع .. تصيح في الفتيات بلهجة حازمة " حلفتكن بالغاليين لا أريد مرقعة لأنها ترفع ضغطي وتجنن عفاريتي الصغار (ونظرت لأكياس الفول والطعمية التي

ينوين أن يفترشن الأرض ليفطرن بها وقالت)
خمس دقائق ويُفض هذا المولد"
هبت إحدى الفتيات تصيح باعتراض "خمس
دقائق فقط يا أم هاشم لن نلحق (ونظرت
لبسمة التي تراقبهن بابتسامة وقالت) لماذا
تتركينا في يد هذه المفترية يا أبلة بسمة؟! "
جزت أم هاشم على أسنانها وغمغمت" أنا
مفترية يا بنت حُسْنِيَة !"
قالت بسمة بهدوء "امنحيهن خمسة عشر
دقيقة يا أم هاشم "
مطت أم هاشم شفتيها وبرطمت بامتعاض
"هذا الدلال المفسد يفقأ مرارتي يا بنت
الوديدي .."
ابتسمت بسمة وتأملتها قائلة " أ تعرفين بأني
ممتنة لوجودك معي يا أم هاشم في هذا
المشروع ؟..صدقا أقول"

ابتسمت أم هاشم فظهرت غمازتيها على جانبي وجهها وردت" ليس بقدر سعادتي اقسم بربي .. اشعر بأنه مشروعي أنا .. وإن شاء الله سيكرمك الله فيه يا بسمة يا بنت فاطمة"

قبل أن تعقب بسمة انتبهتا لسيارة دفع رباعي سوداء ضخمة تقف في الشارع أمام بوابة المشروع المفتوحة على مصراعيها فبلعت بسمة ريقها وبدأ شعور بالتوتر الغريب يسري في أعصابها .

لقد عاد ..

وقد ظنته لن يعود بعدما غاب لأكثر من أسبوع..

نهرت نفسها باستنكار أن تهتم لمجيئه ولذهابه فالسور الفاصل الذي يقسم الساحة قد أقيم وأصبح البيت منفصلا عن ساحة المشروع .. عليها أن تهدأ إذن ولا تعيره اهتماماً.

دققت أم هاشم في الشابين المترجلين من السيارة ..طويلان بشكل ملحوظ عريضي الكتفين ومفتولي العضلات ..
كانا متطابقين في الملامح .. وفي الملابس أيضا وكأنهما نسخة مكربنة ..
أغلق كامل باب السيارة أمام عيني بسمة يعدل من التيشيرت الأبيض الذي يرتديه فوق بنطال من الجينز الأسود وحذاء رياضي.. ثم فتح باب المقعد الخلفي ليخرج منه كلب من النوع البوليسي بني اللون .. وتأملت بامتعاض حركته الطاووسية التي لاحظتها كلازمة يقوم بها وهي رفع شعره إلى أعلى رأسه بمشط يده..
فغمغمت من بين أسنانها "استعراض صبياني سخيف .. لماذا يحسب نفسه وسيما !"
علقت أم هاشم بهمس مسموع لصاحبتها "اللهم صل على النبي .. الآن أحببت العمل

معك أكثر من ذي قبل يا بنت الوديدي.. قلبي الصغير لا يحتمل والله!"

تحكمت بسمة في ابتسامة محرجة ولكزتها بمرفقها تقول بهمس موبخ "أم هاشم !"

نظرت إليها الأخيرة تقول باستنكار " اتركي أم هاشم لتلطم على وجهها في صمت"

سحبتها بسمة وهي تكتم الضحك ودفعتها بقوة ليبتعدا عن واجهة البوابة.

تحرك كامل يحاول السيطرة على خفقات قلبه المتسارعة وتصنع برودا يتقنه على ملامحه بينما مط شامل شفتيه بامتعاض وهو يشعر بما يشعر به أخوه ..ثم صاح في الكلب الذي تحرك نحو بوابة المشروع يتشمم " شهبندر تعال هنا"

عند بوابة بيت الجد صالح الجديدة فتح كامل الباب وتأمل السور الفاصل لا يعرف إن كان

عليه أن يفرح لوجوده كحل وحيد لبقائه بجوارها أم يحزن لأنه سيفصل بينهما..
أم يستمر في قلقه على حاله الذي بات مقلقا..
كل ما هو أكيد منه أنه سعيد جدا بعودته إلى هنا .
قال شامل "اعطني مفتاح السيارة لأركنها على جانب الطريق إن أوقفتها بهذا الشكل ستعرقل المرور"
غمغم كامل وهو يدخل ساحة البيت" أتركها الآن أنا سأركنها بعد قليل "
كان مقروءا لتوأمه .. وكان محيرا له أيضا ..
فانخرس شامل ولم يعقب وإنما اسرع بالدخول خلفه هو وشهبندر إلى بيت الجد صالح معترفا لنفسه بأنه قد اشتاق لهذا البيت .
بعد ساعتين قالت نصرة التي انتهت من الاشراف على عمل العاملات "الطلبية جاهزة يا أبلة بسمة وتم تغليفها ولم يبقى إلا أن تأتي

الشاحنة لتحملها .. لكن كيف ستدخل وتلك السيارة التي تقف في الخارج تسد الطريق؟!"
تدخلت أخرى تقول "أجل يا أبلة بسمة لن تستطيع سيارة التوصيل الوقوف أمام البوابة"
نظرت بسمة في ساعتها فوجدت أن موعد وصول الشاحنة الصغيرة التي توزع الطلبيات على المحال قد اقترب فجزت على أسنانها واندفعت نحو البوابة تتطلع في سيارة التوأمين وهمت بالذهاب إليهما .. لكنها تحكمت في أعصابها وفضلت عدم الاحتكاك المباشر بينها وبينه فقالت وهي تنظر لبعض العاملات الواقفات" واحدة منكن تذهب إليهما وتطلب منهما تحريك السيارة "
كتمت الشابات الضحك بحرج وأخذت كل منهما تدفع الأخرى غامزة لتذهب هي ..
فشعرت بسمة بالغيظ في الوقت الذي صاحت

نصرة فيهن بحزم" هيا يا بنات فلتتطوع واحدة منكن للذهاب ليس لدينا وقت "

قالت إحداهما ضاحكة" لن استطيع يا خالتي فهما وسيمان جدا وقلبي الصغير لن يحتمل"

عوجت نصرة فمها يمينا ويسارا بينما دفعت إحداهما أخرى تقول" رضوى جريئة هيا رضوى"

غطت رضوى فمها وهي تضحك بحرج وتحركت إلى البوابة المجاورة تتابعها الانظار .. في الوقت الذي خرجت فيه أم هاشم تتابع ما يحدث.

عند البوابة الأخرى تراجعت رضوى بعد أن كادت أن تدفع البوابة وتدخل .. واسرعت بالعودة إلى الواقفات.. فانفجرت الفتيات في الضحك المحرج .

اندفعت أم هاشم تقول متصنعة الحزم "ما هذه المرقعة! ..سأذهب أنا "

اتسعت عينا بسمة وقالت معترضة" أنتِ تعالي هنا"

عند البوابة المجاورة نظرت إليها أم هاشم تقول بلهجة شقية "هل سنقف هكذا اليوم لابد أن أتصرف"

همست بسمة فيها بتوبيخ" بنت يا أم هاشم عودي "

ثم نظرت حولها للفتيات المتابعات لما يحدث وبلعت لسانها بينما دفعت أم هاشم البوابة ودخلت بثقة.

عند باب دار الجد صالح وقفت الأخيرة تعدل من وشاحها حول رأسها بسلوك أنثوي عفوي قبل أن تغمغم لنفسها ساخرة "ماذا تفعلين يا أم هاشم أنت غوريلا مهما فعلتِ!"

طرقت على الباب وهي تضيف "لكن هذا لا يمنع أن يعاين الباذنجان الأسود حلوى السمسمية عن قرب"

فتح كامل الباب بتحفز وأطل عليها بقامته الطويلة يناظرها بتساؤل .. فبلعت ريقها الجاف وقالت وهي تضع على بطنها يدا فوق الأخرى "لو سمحت يا استاذ حرك السيارة من أمام البوابة الأخرى لأن شاحنة الطلبيات على وشك الوصول وحالنا سيتعطل "

أطل شهبندر برأسه بجوار ساق كامل بفضول فأجفلت أم هاشم وبسملت في سرها بينما رفع كامل حاجبا وسألها ببرود" ومن تكونين بالضبط ؟"

أجابته بكبرياء وهي تعدل من وشاحها" معك الـ HR* "

رفع كامل حاجبيه باندهاش ثم قال بعناد "حين تصل سيارتكم سأخرج ساعتها لتحريك سيارتي.. بلغي من أرسلتكِ بذلك"

---

*تقصد المسئول عن الـ Human resource - الموارد البشرية .

شعرت أم هاشم بالاستفزاز فضيقت عينيها تقول بإصرار "وأنا لن اتحرك من هنا إلا حين تحرك السيارة"

قلب كامل مقلتيه وهم بالرد فتدخل شامل يخرج من الباب بجواره قائلا وهو يدس يده في جيب بنطال اخيه ويخرج مفتاح السيارة " حاضر .. سنقوم بتحريكها حالا"

وتحرك يشير بيده لأم هاشم لتتقدمه قائلا بأدب " اسبقيني يا اختي ..نعتذر بشدة عما حدث .. فأخي يحب المزاح "

غمغمت أم هاشم في سرها وهي تتقدمه "سبحانك يا رب كيف يفرقون بين هذين الوسيمين .. أُصِبت بالحَوَل والله وأنا أنظر إليهما"

حين خرجت من البوابة اسرعت بالانضمام لبسمة التي ناظرتها بنظرات موبخة.. فتكشفت غمازتي أم هاشم بابتسامة شقية وأسنان بيضاء

بينما تراجعت باقي الفتيات لداخل البوابة
يكتمن الهمسات والضحكات وهن يتأملن
شامل الذي فتح باب السيارة يعلو وجهه
الجدية انزعاجا من أفعال توأمه .
بينما لمحت بسمة بطارف عينيها كامل الذي
خرج ليقف عند بوابة بيته وبجواره ذلك الكلب
فتجاهلته وقالت لتوأمه بلهجة عتاب هادئة"
هل هذه الوقفة تصح يا أستاذ شامل؟"
تجمد شامل عن الحركة لثانية وحانت منه
نظرة مختلسة لأخيه مذهولا ..فخاطره الأخير
فكريا يقول بسعادة شديدة "تستطيع التفريق
بيننا يا شامل"
استدار شامل إلى بسمة يقول بلهجة مؤدبة
"نعتذر بشدة يا باشمهندسة كنا ننقل منها
بعض الأشياء ونسيناها"
هزت رأسها متفهمة واستدارت تلقي نظرة باردة
على كامل الذي حرك لها رأسه بتحية صامتة

فلم ترد وإنما دخلت وتركته .. بينما نفضت أم هاشم عنها الشقاوة وصاحت في البنات بحزم
" هيا إلى العمل .. لماذا تقفن هنا "
هتفت نصرة من الداخل وهي تجلس أمام المنضدة الخشبية تقطع بعض الخضروات
"أجل أعيديهن يا أم هاشم للعمل فلسنا متفرغات لدلع البنات هذا "
اسرعت الفتيات بالعودة بينما مالت أم هاشم على بسمة تقول باندهاش "كيف عرفتِ بأنه هذا هو شامل ؟.. اقصد كيف فرقتِ بينهما؟..
إنهما يرتديان حتى نفس الملابس بنفس الألوان وكأنهما يتعمدان إرباك الجميع"
ضيقت بسمة عينيها وقالت ببساطة "إنهما مختلفان ليسا متطابقان إلى هذه الدرجة"
هرشت أم هاشم في رأسها تغمغم" حقا ! ..
كيف لم ألحظ ذلك ..أهل عميت !"

جزت بسمة على أسنانها تقول وهي تقرصها "وأنت ألن تتعقلي وتكفي عن جرأتك هذه "
بنفس الابتسامة الشقية والمزاج الرائق قالت أم هاشم وهي ترفع طارف كمها وتكشف لها عن ساعدها الأسمر" اقشعر جسدي من وسامتهم والله "
ضربتها بسمة على ظاهر يدها بتوبيخ وهي تكتم الضحك فقالت أم هاشم ضاحكة "ماذا فعلت أنا !.. هل رأيتني أخطب أحدهما؟ .. ما دمتُ لست في عصمة رجل فما المانع من اللعب قليلا.. هل سأُحرم من الشقاوة في الحقيقة وفي الخيال أيضا!"
رغم خفة ظلها لكن كلامها كان مؤطرا بالحزن الذي أشعر بسمة بالغصة لكنها ردت بتهكم" حاذري إذن من الوقوع في حب أحدهما فيبدوان شقيان وعابثان "

قالت أم هاشم متهكمة" أنجح في التفريق بينهما أولا .. فالقلب لن يسع حبيبين حتى لو كانا متطابقين"

ناظرتها بسمة بامتعاض فلكزتها أم هاشم تقول وهي تضحك" أنا أمزح بالطبع هل ستعرفيني الآن ؟!.."

قالت بسمة بتعاطف" أنا فقط أخشى من تعلق قلبك بأحدهما"

رفعت أم هاشم ذقنها بكبرياء تقول بثقة "من هذه الجهة لا تحملي هما يا فاتنة المجرة فهذا من رابع المستحيلات"

غمغمت بسمة "هل علمتك مليكة لقب فاتنة المجرة "

ابتسمت أم هاشم وردت" أجل ولم تكذب "

لاحت ابتسامة مُرة على وجه بسمة بينما قالت أم هاشم بجدية "أتريدين الصدق؟.. هذان الشابان راقيان ومتحضران"

تطلعت فيها بسمة باهتمام فأكملت أم هاشم موضحة" اسأليني أنا عن النظرات الراقية .. فتاة مثلي وبهيئتي قابلت كل أنواع التنمر في حياتها وأصبحت تكشف من نظرة عن نفوس الناس ودرجة رقيها .. هذان الشابان حينما رأياني منذ قليل لم أرى في نظراتهما أي فزع من شكلي أو أي استهانة أو احتقار أو حتى وقاحة .. لا تندهشي فمن مثلي لم تسلم من النظرات الوقحة أيضا تحت بند الفضول .. لقد عاملاني كإنسان .. وأنا أقدر هذا جدا في البشر .. فأصعب اللحظات التي تمر عليّ .. هي اللحظات الأولى التي سأقابل فيها شخصا لأول مرة .. لأن النظرة الأولى إن لم تكن آدمية تجرحني بشدة فبت حساسة لنظرات العيون واستطيع استقرائها باحتراف"

نغز الألم قلب بسمة فقالت تحاول التخفيف عنها" أعلم بأن الوضع هنا أصعب بكثير ..فأهل المدينة اعتادوا على التنوع وقابلوا من كل شكل وجنسية ولون بينما هنا...."

قاطعتها أم هاشم تقول "أعلم يا بسمة ما تقولينه واتفق معك فيه .. وهذا لا يعني بأن هنا في قريتنا لم أقابل من ينظر لي برقي وتحضر .. ولا أنكر بأن أهل المدينة ليس فيهم من سينظر لي بعنصرية ...ما قصدت أن أقوله أنهما راقيان ومتحضران (وأضافت بفضول)المهم أخبريني هنا .. فهمت أن من حرك السيارة اسمه شامل فما أسم الأخر ؟"

xxxx

في البيت المجاور وقف كامل في صحن البيت غارقا في أفكاره سعيدا بأنها تستطيع التفريق بينهما .. وسأل نفسه هل تذكره ؟.. هل تذكر

ذلك اللقاء بينهما على بوابة بيت آل نخلة منذ أكثر من ثلاث سنوات ؟ .

دخل شامل بعد أن حرك السيارة ليأخذ هاتفه استعدادا للخروج مرة أخرى ففاجأه كامل بسؤاله " أصدقني القول يا شامل كيف هو شعورك نحوها ؟"
تصلب ظهر شامل وقد شعر بجدية ما يحدث في رأس أخيه وبأن الأمر يتخذ معه منحنى خرج عن طور الإعجاب العادي .. فاستدار إليه يسأله باستهبال" نحو من ؟"
قال كامل بهدوء" تعرف من أقصد فلا تستهبل .. بسمة .. كيف تشعر تجاهها .. كيف تراها بعينيك ؟"

ناظره شامل مسدلا ستارا غير مرئيا على أفكاره حتى لا يخترقها الأخر بينما وقف كامل أمامه

بترقب وذلك الشبح القديم المرعب يخيم فوقه ..
الخوف من أن يقعا في حب امرأة واحدة..
فكانت ثوان..
تجمدت فيها أطراف كامل وتوقف قلبه عن الخفقان في انتظار حكما بالحياة أو الموت ..
ثوان ..
هاله فيها ما يشعر به وأدهشه ذلك الخوف الذي سيطر عليه ..
ثوان ..
تساءل فيها ألهذه الدرجة قد تورط في الأمر؟!"
ثوان ..
اتخذ فيها شامل قراره ورفع إليه أنظاره يجيب"
اشعر تجاهها كما تشعر أنت بالضبط .. هل وصلتك الإجابة !"
ثوان ..
وكان قلب كامل يسقط بين قدميه..

وقلوباً أنهكها التصنع ـ
والخيبات.

فيا قلب ـ صبراً .
ويا رب ـ جبراً
ويا شمس العصر لا تغيبي
حتى تشرق في القلب ـ
بسمة.

سلسلة قلوب مغتربة 2

DES: SHAMMOSAH

الفصل التاسع

دخل شامل بعد أن حرك السيارة ليأخذ هاتفه استعدادا للخروج مرة أخرى ففاجأه كامل بسؤاله " أصدقني القول يا شامل كيف هو شعورك نحوها "

تصلب ظهر شامل وقد شعر بجدية ما يحدث في رأس أخيه وبأن الأمر معه يتخذ منحنى خرج عن طور الإعجاب العادي .. فاستدار إليه يسأله باستهبال" نحو من ؟"

قال كامل بهدوء" تعرف من أقصد فلا تستهبل .. بسمة .. كيف تشعر تجاهها .. كيف تراها بعينيك ؟"

ناظره شامل مسدلا ستارا غير مرئيا على أفكاره حتى لا يخترقها الأخر بينما وقف كامل أمامه بترقب وذلك الشبح القديم المرعب يخيم فوقه ..

الخوف من أن يقعا في حب امرأة واحدة..
فكانت ثوان..
تجمدت فيها أطراف كامل وتوقف قلبه عن الخفقان في انتظار حكما بالحياة أو الموت ..
ثوان ..
هاله فيها ما يشعر به وأدهشه ذلك الخوف الذي سيطر عليه ..

ثوان ..
تساءل فيها ألهذه الدرجة قد تورط في الأمر؟!"
ثوان ..
اتخذ فيها شامل قراره ورفع إليه أنظاره يجيب"
اشعر تجاهها كما تشعر أنت بالضبط .. هل وصلتك الإجابة !"
ثوان ..
وكان قلب كامل يسقط بين قدميه..

أيقول الصدق ؟!
لماذا يحجب ذلك المستفز عنه أفكاره ؟!
سأله بحشرجة "أمتأكد مما تقول؟"
رد شامل ساخرا وهو يوليه ظهره ليغادر "مثلما أنت متأكد من أن ما تشعر به نحوها هو مجرد فضول ..(وأكمل بلا مبالاة) أنا ذاهب لمركز المحافظة لأبتاع بعض الأشياء من المركز التجاري"
قبل أن يصل للباب كان كامل يمسك به ويلصقه بالحائط بعنف ممسكا بتلابيبه قائلا بحدة "تعالى هنا .. أنت تكذب أليس كذلك؟"
بانزعاج صاح شامل فيه "بل أنت من فقدت التمييز يا كامل"
حدقا في بعضهما لثوان بتحدٍ فبديا كشخص يمسك بتلابيب صورته في المرآة .. حتى تغيرت ملامح كامل حين قال بترجي "قلها يا شامل ..لا

أريد أن أشعر بها وأخمنها .. أريدها صريحة من فمك .."

اعترف شامل لنفسه بفشل خطته حين قال مشفقا "يا بني ..أأنت غبي !.. بالطبع لا"

اغمض كامل عينيه ملقيا رأسه للخلف براحة قبل أن يعود للنظر لتوأمه وترتفع قبضته في أقل من ثانية نحو وجه أخيه هادرا "أيها الكاذب ..كدت أن تقتلني بكذبتك"

لكن شامل كان قد قرأ أفكاره فأخفض رأسه قبل أن يصل إليه .. ثم قام بليّ ذراع كامل بقوة خلف ظهره قائلا من بين أسنانه" من منا الكاذب يا كامل؟ .. أنت مصر على قولك بأنه مجرد فضول .. مجرد اعجاب "

قال كامل معترفا" أنا لا أنكر بأني واقع في فخ وأحاول أن أخرج نفسي منه .. لكني أنوي أن تكون هذه آخر مرة سآتي فيها إلى هنا "

قال شامل يواجهه بما ينكر كمرآة له " كلها أكاذيب .. أنا وأنت نعرف بأنك تكذب على نفسك "

حاول كامل بكل قوته أن يفلت ذراعه الذي يؤلمه بشدة لكن الأخر كان مساويا له في القوة فصعبت عليه مهمته ليهدر بصوت غاضب

"أترك ذراعي يا شامل وإلا..."

ترك شامل ذراعه وأداره نحوه يقول بتحدٍ وهو يدفعه في كتفه بظهر يده باستفزاز "وإلا ماذا ؟.. أريني ماذا ستفعل"

أمسك كامل بتلابيب الأخر ووقفا يتناطحان كديكين شرسين ليصيح الأول في وجهه " ما مشكلتك يا شامل ؟؟.. أخبرني ما مشكلتك .. لماذا حاولت الكذب ؟.. لمَ أنت قلق ومتحسس من هذا الأمر بهذه الطريقة ؟"

دفعه شامل بقوة ثم عدل من ملابسه بعد أن أفلت منه وهو يقول" مشكلتي أنت يا كامل ..

أنت كالعادة لا تفكر إلا في نفسك ..في ذاتك .. فيما تريده أنت .. أنت الآن تعترف صراحة بأنك واقع في حب بسمة الوديدي وبأنك لم تتخلص من انجذابك لها .. كل هذا رائع وجميل ومبهر ..لكن السؤال الذي عليك الإجابة عليه هو .. ماذا بعد؟ .. ماذا بعد الاعجاب والحب يا كامل ؟.. هل أنت مستعد للزواج منها؟ .. فنحن لسنا في المدينة ستراقبها من بعيد وتتبعها وقد تقابلها في نادي أو في مناسبة ودمتم .. أنت هنا في قرية صغيرة أهلها مثل أي مجتمع صغير يراقبون خطوات الرائح والغادي وما استشعرناه من الاحاديث الجانبية للناس خلال يومي الفرح أن وضع بسمة هنا حساس جدا .. ليس فقط لأنها مطلقة ولكنها من جميلات القرية والعيون مسلطة عليها والنفوس تضمر لها من خير وشر وطمع وغيرة الكثير .. ماذا بعد يا كامل ؟ .. أنا أسأل هذا

السؤال لأني أعرفك وأعرف رأيك من الارتباط بمطلقة .. فهل أنت مستعد لتغيير نظرتك والزواج منها أم أنك تلهو وتتسلى وتشغل وقتك قبل السفر .. لو أخبرتني بأن نيتك جادة في الارتباط بها .. سأطير من الفرح وسأشعر أخيرا بأنك ستنال السعادة بالزواج عن حب ووجدت أخيرا رفيقة لدربك المرأة التي ستكون لك وطنا بعد أن لفظتنا الأوطان .. لكن لأني أعرفك أكثر حتى مما تعرف نفسك ..أنا قلق جدا من ازدياد ارتباطك بها مع عدم تغير الصورة الذهنية في رأسك عن وضعها كمطلقة .. قلق من أن تُدخلك هذه المشاعر في دوامات من الألم والعذاب .. قلق من تصرفات متهورة منك ستفعلها تحت وطأة هذه المشاعر قد تُغضب منا مفرح .. وأنا لا أريد أن أخسره وأعرف بأنك كذلك يا أخي.."

ظل كامل يحدق فيه بنظرات فارغة .. يعترف في داخله بكل ما يقوله شامل ولا يجد ما يستطيع أن يجزم به فيجهر به بشكل قاطع .. بينما استمر شامل في تفسير مخاوفه " ومع هذا سأكون متفائلا وسأفترض بأن الحب يصنع المعجزات ..وبأنك ستُغيّر نظرتك منها كمطلقة وستسعى بجدية للفوز بها .. السؤال الأهم .. هل أنت مستعد للعودة بها للعاصمة ومواجهة الجميع بها وهي زوجة سابقة لسيد صبرة؟ .. طبعا الأمر يبدو عاديا في عرف الكثيرين وهو بالفعل عاديا إن سألتني عن رأيي أنا كشامل .. لكني أتحدث عنك .. عن كامل بكل ترفعه وطاووسيته وعنجهيته وأنانيته .. هل أنت قادر على تخطي الأمر مع نفسك ومواجهة الناس ببسمة كزوجة لك؟"

من جديد وقف كامل وكأنه أمام مرآته التي تعكس له دواخله ..عُقَده ومخاوفه .. نقاط ضعفه وحدود تطرفه ..وكان شامل يدرك جيدا ما يدور في عقل توأمه فقال" أرأيت كم أن الأمر معقد يا أخي؟ .. أرأيت كم أني قلق منك وعليك؟.. هذا هو السبب في محاولة كذبي عليك منذ قليل .. ويا ليتني استطعت التمادي فيه للنهاية .. لكن بعيدا عن صعوبة تنفيذ ذلك بيننا فكما تقول دوما نحن متطفلان متلصصان على بعضنا .. فهيئتك وملامح وجهك (وضرب على قلبه) وقلبك يا كامل الذي سقط بين قدميك والذي احسست به جعلني اتراجع بسرعة"

وتحرك نحو الباب مغادرا بعد أن قال" هأنذا اخبرتك بالأمر تفصيليا ووضعت أمامك كل

الاسئلة المحيرة والمخاوف .. أما الإجابات .. فأنت وحدك الذي تملكها .. أنا ذاهب سلام" قالها وأغلق الباب خلفه تاركا كامل كتمثال من الحجر يتطلع أمامه في أثر أخيه .. تتملكه الحيرة .. والغضب وهو يحاول البحث عن إجابات.

xxxx

قبيل الظهيرة

خرج مفرح من مجلس العمدة بعد أن تباحث معه بشأن آخر المستجدات في البلدة وتحرك نحو باب البيت فقابله عويس محييا " حمدا لله على سلامتك يا باشا .. قالوا لي أن سعادتك سألت عني حين وصلت"

قال مفرح وهو يتحرك وعويس يهرول بجواره "أين كنت يا عويس؟"

رد عويس موضحا "كنت في مشوار يخص جناب العمدة"

سأله مفرح "هل من جديد؟"
قال عويس بسرعة" الأمن مستتب يا باشا"
توقف مفرح عند باب البيت واستدار إليه
يعقب متهكما" يا رجل .. قل كلاما غير هذا ..
والحريق الذي حدث في حقل أولاد الجهيني!"
قال عويس موضحا" تم السيطرة عليه
سعادتك بعد دقائق معدودة وما حدث لم
يحرق إلا جزءا بسيطا جدا"
مسد مفرح على لحيته عدة مرات مفكرا ثم
سأله" ومن يتوقع أهل البلد أنه الجاني"
تكلم عويس بثقة "لا يوجد غيره يا باشا ..زهير
عبد النبي الفار من العدالة"
ابتسم له مفرح ابتسامة صفراء ساخرة وقال"
وما علاقة ما حدث لزهير الفاااااار من العدالة
بأولاد الجهيني يا فالح؟!"

هرش عويس في رأسه مفكرا .. فقال مفرح وهو يستدير ليدخل البيت"افتحوا أعينكم جيدا"
قال عويس بلهجة عسكرية "علم وينفذ سعادتك"
دخل مفرح محييا والدته ثم سألها "كيف حالك يا أم مفرح"
ردت نحمده "بخير يا حبيبي"
سألها وهو يصعد السلم للطابق العلوي" هل راجعتِ الأشياء التي احضرتها لك من العاصمة؟.. أهي كل ما طلبتيه أم نسيت شيئا؟"
غمغمت أمه بسعادة" سلمت يدك يا حبيبي كلها تمام"
تمتم مفرح بالحمد لله وهو يصعد فسألته "هل آمرهم بتجهيز الغداء؟"
رد مفرح " سأطلب من مليكة أن تعد شيئا خفيفا في شقتي.. لأني سآكل آخر النهار مع

صديقاي فقد حضرا معي من العاصمة ..
ومليكة أعدت لهما وليمة"
قالت نحمده " أجل كانت تجهزها منذ أمس مع المساعدات (واكملت في سرها)وتحججت بذلك السنيورة فلم تفعل أي شيء آخر سواه طوال اليوم"
سألها مفرح " مليكة بالأعلى أليس كذلك؟"
لم ينتظر مفرح ردها بل أكمل صعوده بينما غمغمت أمه في سرها "ما بك ملهوفا بهذا الشكل وكأنها ستطير !"
رن هاتفها فأسرعت بالرد "أجل يا مهجة .. كيف حالك وحال وليد ؟.. طمئنيني يا حبيبتي"

××××

دخلت ونس من بوابة مشروع بسمة تتبختر وتنظر حولها بفضول تدقق فيما يحدث .. فتوقفتا بسمة وأم هاشم عن الكلام تتطلعان

فيها بابتسامة قبل أن تخرج ونس الدفتر وترفعه إلى بسمة بما كتبته مسبقا .. فضيقت بسمة عينيها تقرأ " جئت لأعمل معكن " رفعت بسمة حاجبيها وتبادلت النظرات مع أم هاشم ثم ابتسمت لونس وقالت" أهلا بك" كتبت ونس ورفعت الدفتر "هل هذه موافقة؟"

أومأت بسمة برأسها تقول" أجل موافقة" فرفعت ونس ذراعيها عاليا بالدفتر والقلم وبدأت في القفز بسعادة .. لتقول بسمة باستدراك" ولكن هل أخذت موافقة العم عيد؟"

أظلم وجه ونس وانزلت ذراعيها واجمة ..فقالت بسمة بلطف وهي ترفع سبابتها "أنا لا مانع عندي لكن عليك الحصول على موافقة العم عيد أولا لا أريد اغضابه"

زمت ونس شفتيها وحدجتها بنظرة جانبيه ممتعضة فضحكت بسمة وقالت" لكن يمكنك الانضمام للفتيات اليوم إن أردتِ على سبيل التجربة"

عادت ونس لترفع ذراعيها في الهواء مجددا بسعادة فقالت أم هاشم مبتسمة" هيا أريني همتك (ثم تصنعت الحزم تقول بلهجة متوعدة) أنا أُطلق عفاريتي الصغار على من يتمرقع هنا "

صفت ونس قدما بجوار الأخرى ورفعت كفها إلى رأسها بتحية عسكرية تتصنع الجدية وكأنها تقول " حاضر يا فندم"

ثم اسرعت نحو الطاولات الخشبية الكبيرة التي يعمل عليها الفتيات فطالعتها نصرة مبتسمة وقالت مهللة " تعالي هنا بجانبي"

ابتهجت ونس لرؤية نصرة فأسرعت إليها تحشر نفسها بين الفتيات حتى تكون بجوارها .. لتبدأ نصرة في اعطائها التعليمات .. فقالت بسمة وهي تراقبهما" انظري لنصرة كيف تعاملها بمعاملة خاصة.. أتعتقدين بأنه قد خُلق رباط بينهما منذ أن كانت ونس طفلة؟"
ردت أم هاشم "مؤكد .. فنصرة التي رعتها للعم عيد في الأشهر الأولى من عمرها بعد أن وقع الرجل أسيرا للحزن على موت أمها .. وبعدها كانا يتبادلان رعايتها خلال اليوم الواحد فربتها نصرة مع اسراء"
قالت بسمة مفكرة " أعتقد بأن نصرة تقرب لهم أليس كذلك"
ردت أم هاشم "قرابة من بعيد "

على الطاولات التقطت سماعة ونس حديث الفتيات عن البيت المجاور وعن الشابين

الموجودين فيه ..لكنه كان حديثا بعيدا لم تلتقط تفاصيله بالإضافة لأن السماعة في أذنها تخذلها كالعادة ولا تلتقط بعض الاحاديث أحيانا .. كل ما فهمته أن هناك شابين في المنزل المجاور وبأن بسمة يبدو عليها عدم ترحيبها بهم .. مخمنين أن يكون والدها هو من وقع معهم عقد الإيجار وهذا هو سبب إقامة السور الفاصل بين المكانين.."

لم تستطع ونس الصبر .. فحقيقة وجود شخص في البيت المجاور أحيا عندها الأمل في عودة الأمير الوسيم فتركت الطاولة مبتعدة لتصيح نصرة "إلى أين؟"

أشارت لها ونس بما يعني سأعود بعد قليل وخرجت تبحث عن السيارة التي تعرفها حق المعرفة كعلامة مميزة لوجوده لكنها لم تجدها ..فعاد إليها الاحباط وبدأت تنظر للبوابة بغيظ

وهي تتذكر ما قالته البنات أن بسمة لا تريدهما في المكان ..
تملك الفضول منها فاقتربت من البوابة المواربة وحاولت التلصص للداخل قبل أن تقفز للخلف مرتعبة وباب البوابة يُفتح فجأة ويطل منه كامل بقامته الطويلة يرفع الهاتف على أذنه.
بلعت ريقها وهي ترتد أكثر للخلف .. ولم تدر هل تفرح لوجوده أم تعبس لملامحه التي كشرت في وجهها.

قال كامل في الهاتف "حسنا يا حاج سليمان سآتي أنا لأرى كل شيء على الطبيعة .. لا ..لا داعي لإرسال سيارة استطيع الحضور سيرا أنا احفظ الطريق سلام"
أغلق الخط وأدار وجهه لونس يقول بمزاج عكر لم يتخلص منه بعد منذ مواجهته مع

أخيه من ساعة مضت " نعم .. أفندم .. لا توجد سيارة هنا لتخربيها الحمد لله"
ناظرته ونس تقوس فمها لأسفل بحزن شديد ..فهب فيها يقول بعصبية ليقاوم شعورا بالشفقة عليها لا يحبه" أنا لست هو هل تفهمين ؟.. أنا شيء وهو شيء وأعتقد بأنك شعرت بذلك المرة السابقة "

لم تفهم ونس ماذا يعني بكلامه لكنها حولت الحزن والاحباط بداخلها لطاقة غل جعلتها تقلب مقلتيها وتناظره بغيظ ليكمل كامل عصبيته معها والتي لم تكن تخصها من الاساس لكنها قابلته في وقت خاطئ "وإن أردتِ انتظاره فانتظريه بعيداً عن بيتي .. (وأشار بيده لتبتعد وأكمل بصبيانية) هيا ..هِش هِش من هنا"
ظلت ونس ترفع له مقلتين مقلوبتين فوقف متخصرا يمنع نفسه من التمادي في سخافته مع هذه المستفزة .. في الوقت الذي وقفت

بسمة على البوابة الأخرى تقول" ماذا يحدث هنا ؟"

استدار إليها كامل وقد تعرف على صوتها قبل أن يراها .. فقلبه السخيف الذي يصر على أن يقلب موازين أفكاره وقناعاته وكل شيء ارتعش لذلك الصوت ذو البحة فرد ببرود "لا شيء أتحدث في أمر يخص بيتي "

هتفت باستنكار وقد نجح في استفزاها "بيتك!"

ببرود ثلجي رد مغيظا" أجل بيتي حتى ثلاثة أشهر قادمة ومعي عقد يؤكد ذلك "

تقبضت بسمة على جانبي جسدها بغيظ وعيناها الفيروزيتين تطالعانه بغضب فحانت منها عضة عفوية مغتاظة على شفتها السفلى تفكر في رد مناسب ..أشعلت بها دون أن تدري النار في أعصاب ذلك الواقف أمامها يدعي البرود

قبل أن تقول بتحدٍ "إذن عليك باحترام الجيرة يا أستاذ وركن سيارتك أمام بوابتك "
رفع ذقنه وقال بنفس البرود وهو يضع النظارة الشمسية ويتحرك مغادرا " ابني سورا في الشارع أيضا ليفصل بيننا "
تطلعت فيه وهو يبتعد .. ثم جزت على أسنانها ونظرت لونس المتسمرة هي الأخرى تراقب ابتعاده وقد عاد إليها ذلك الحزن الذي يعتصر قلبها .. في الوقت الذي أطلت فيه أم هاشم تقول "هل حدث شيء؟.. ماذا كان يقول؟"
لم ترد بسمة وإنما نظرت لونس تشير إليها لأن تقترب قائلة "هل فعل لك شيئا هذا المتعجرف ؟"
بوجه عابس حركت ونس رأسها بلا ..فقالت بسمة وهي تشير للداخل "هيا ادخلي ولا تضايقي نفسك إنه هكذا فظ وغليظ فلا تحتكي به "

تركتها ودخلت فأسرعت خلفها أم هاشم تسألها بفضول "ذلك الفظ الغليظ المنفعل الوسيم هو كامل أم شامل؟ "

بينما عادت ونس لتتطلع في صورته البعيدة بغضب ثم نظرت لبوابة البيت تفكر قليلا والشرر يتطاير من نظراتها.. قبل أن تدس يدها في جيبها وتخرج منه طباشير ملون .

××××

صاح مفرح بقوة "كلاااااب ..سأنتقم منكم يا كلاااااب"

صدرت قهقهات من الجانبين حيث يجلس بين ولديه أمام شاشة كبيرة ويمسك في يديه متحكم الألعاب الالكتروني في الوقت الذي ابتسمت مليكة وهي تخرج من المطبخ حاملة صينية تحتوي على عدد من السندوتشات .. فنظر إليها مفرح نظرة سريعة قبل أن يعود

للشاشة قائلا" الكلاب يفعلان ما يفعله معي توأميّ غنيم ..لكني لن استسلم"
قالت مليكة بلهجة حازمة لثلاثتهم وهي تضع الصينية أمامهم على المنضدة الصغيرة" أوقفوا اللعب قليلا حتى تأكلوا أولا"
ترك إياد ما في يده وقال مناغشا وهو يلتقط سندوتشا "أحبك يا موكا ..أحبك"
هدر فيه مفرح بتوبيخ زائف " اسكت يا ولد لا تتحدث بهذه الطريقة (ونظر إليها يقول بلهجة مغازلة) أنا فقط من يخبرها بهذا الكلام ..
أحبك يا موكا أحبك"
ابتسمت مليكة ابتسامة واسعة بينما ضحك إياد وقال" إذن فلنقولها سويا"
في صوت واحد كرر مفرح وابنه العبارة بينما ظل أدهم يتابعهما بابتسامة هادئة كعادته وهو يأكل ..فقالت مليكة وهي تجلس على يد مقعد

مجاور لمقعد مفرح "كلوا إذن إن كنتم تحبونني"

همس مفرح وهو يمسك بكم ردائها البيتي الأنيق المكون من بنطال وبلوزة" ما رأيك أن تجلسي على حجري بدلا من يد المقعد"

نظرت له مليكة بتوبيخ تشير بمقلتيها على الولدين ..فأمسك مفرح بسندوتش وقضم منه بغيظ.. لتبتسم وهي تراقبه يأكل .. فقد اشتاقت إليه في اليومين اللذين بات فيهما في العاصمة.

بعد قليل لاحظها مفرح تتشمم ملابسها .. فنظر إليها متسائلا لتسأله بدورها "هل تبدو رائحتي غريبة؟"

رفع مفرح حاجبا ورد بلهجة ذات مغزي" لا أظن أنك قد غيرت عطرك وكريمات ما بعد الاستحمام وما بعد الاستيقاظ والخ الخ من

قائمة الروائح عندك.. فرائحتك كما
هي..(وهمس) أم أن هذه دعوة لشيء ما؟!"
تخضبت وجنتيها وغمغمت "لا تتأمل في شيء
فهناك موانع نسائية"
لوى شفتيه ممتعضا فاتسعت ابتسامتها ثم
عادت لتتشمم ذراعيها بالتبادل ليقرب مفرح
رأسه منها يتشممها هو الأخر بشقاوة فأسرعت
مليكة بإبعاده باعتراض هامس "مفرح!..
الأولاد"
بمجرد أن أنهت كلامها سأل إياد" ماذا
تفعلان؟"
تجمد مفرح لثانية قبل أن يعتدل ويمسك
بسندوتش ويحشر طرفه في فم إياد قائلا" لا
يخصك ..كُل"
كتم أدهم الضحك .. فأشار له مفرح بعينيه
هو الآخر.. وقال "وأنت أيضا ..ركز في طعامك"

عاد يرفع نظراته لمليكة الجالسة على يد المقعد المجاور فتأمل شعرها الذي عقدته في ضفيرة واسعة مرتخية على جانب واحد و الخصلات المسدلة على جانبي وجهها المليح .. لتتلاقى عينيهما .. ويسألها بحنان "هل كل شيء على ما يرام؟"

أومأت برأسها بالإيجاب.. فقال" أنا سعيد بأن نومك قد اصبح أكثر انتظاما"

غمغمت بخفوت "اضطررت للجوء للحبوب المنومة كما قلت لك"

رد مفرح متعاطفا" حتى لو كان .. فمن الجيد أن تنامي .. ألا تريدين أن نذهب لطبيب ؟..

تكلمت مع الدكتور أكرم وأخبرني بأنه فشل في اقناعك"

ردت مليكة بهدوء" الأمر بسيط ولا يستحق كل هذا .. واضطرابات النوم نصف الشعب يعاني منها"

تردد قليلا ثم قال بحذر "لربما أردتِ أن تتحدثي معه عن أمور أخرى"
قالت بسرعة " لا أريد أن اتحدث في أي شيء مع أي أحد"
صمت مفرح غير راغب في الضغط عليها ..ثم تعمد أن يغير الموضوع فسألها" وكيف حال الحاج عبد الغني؟.. اتصلت به أمس لأطمئن عليه"
ردت بابتسامة" أبي بخير والحمد لله"
عاد ليسألها " وهل تصالح زوجتيّ بشر وعليّ أم أن الخلاف لا يزال قائما"
قالت مليكة " تصالحتا الحمد لله .. كان مجرد سوء فهم من الجانبين"
غمغم بالحمد لله قبل أن يعود ليلتقط ساندويشا فقالت مليكة" الطعام جاهز لتأخذه .. جزء منه غلفته ليأخذه صاحباك معهما إلى العاصمة .. عليهما فقط وضعه في الثلاجة فور

استلامه .. والباقي سيكون من أجل طعامكما الليلة"

أمسك مفرح بيدها وقبلها ثم رفع وجهه إليها قائلا "سلمت يداك"

ربتت على يده بحب يطل من عينيها له .. فاعترف لنفسه بأنها هذه اللحظة أكثر استرخاء لأنها في أيام المانع الشرعي .. وكأن وصالهما هما ثقيلا عليها .. هذه الحقيقة وحدها كانت كفيلة لأن تحزنه مدى الحياة ..لأن تضعه بين شقي رحا .. ما بين حبه واشتياقه لوصالها وحاجته الملحة لها كرجل من جهة.. وبين حبه لها وعدم رغبته في الضغط عليها بما يزعجها من جهة أخرى.. ناهيك عن أن فكرة نفورها منه وحدها هي بمثابة خنجر مسموم مغروس في قلبه منذ سنين اعتاد على وجوده.. قاطعت مليكة أفكاره حين سألته "متى تريدون أن أرسل الطعام؟"

بلع غصة مُرة وأجابها بهدوء " سآخذه أنا إليهما معي في السيارة آخر النهار .. فسنشاهد ثلاثتنا المباراة في بيت الجد صالح .. أخبرني شامل بأنه سيشتري شاشة اليوم وسنقوم بتركيب الطبق وضبطه قبل موعد المباراة مساء "

صمتت مليكة ولم تعقب بينما ظلت نظرات مفرح معلقة بها قبل أن يقول شاردا في ملامحها التي تبهج روحه من مجرد النظر "كثيرا ما تمنيت أن يكون التوأم متزوجين وأن تكوني على علاقة بزوجتيهما.. وتجتمع الثلاث أسر في لقاءات جماعية .. "

ابتسمت مليكة فغمغم باستدراك" أعلم بأنه مجرد حلم .. وبأن كامل سيغادر قريبا وقد يلحق به شامل"

تطلعت فيه بشفقة ثم مدت يدها تمشط له شعره الأسود وهي تسأله" ألا يزال كامل مصرا على السفر؟"

أومأ برأسه بأسف وكل خلية من جسده تتجاوب مع لمسة يدها بشوق بينما غمغمت مليكة مشجعة" فليكتب لهما الله الخير ويلهمهما بالقرار السليم "

أمن على دعائها ثم قال ينفض عنه المشاعر السلبية "أتعلمين بم أخطط إن شاء الله ؟" ناظرته بتساؤل فأوضح" أن نقضي عطلة الصيف كلها خارج القرية .. أعلم أن أبي سيعارض وبأنك لا تحبين الابتعاد عن القرية لفترات طويلة لكني سأحاول اقناع أبي إن شاء الله.. واقناعك أنت أيضا .. فأنا وأنت بحاجة ماسة لتغيير الأجواء.. فلنقضي شهور الصيف بين شقتي في العاصمة وأحد المدن الساحلية .. أنا حتى غير قادر على البدء حتى الآن في رسالة الدكتوراه .. أشعر بأني مستنزف كليا"

غمغمت مليكة وقد أحست بالذنب لمعاناته بسببها " لن تحتاج لإقناعي أنا معك في أي مكان يريحك إن شاء الله"

قهقهة من أدهم جعلتهما ينتبهان .. فوجدا إياد يقف بجوار أخيه يمسك بقلبه ويمشط على شعر أخيه باليد الأخرى وهو يقول بطريقة مسرحية متنهدا" سلمت يداك يا مليكة .. أنا معك في أي مكان يريحك يا مفرح"

احمر وجه مليكة وضغطت شفتيها ببعضهما بحرج وهي تبعد يدها عن رأس مفرح بينما هتف مفرح وهو يستقيم واقفا ويهم بالهجوم عليه" أتتنصت على حواري مع المُزّة خاصتي يا كلب!"

شهقت مليكة تضع يديها على خديها هاتفة باستنكار "مفرح !!!"

انفجر أدهم وإياد في الضحك والأخير يسرع هاربا من أمام والده بينما نظر مفرح لمليكة

قائلا بصبيانية" هما من علماني الكلمة يا مليكة لست أنا"

تطلعت فيه متسعة العينان ويدها على فمها بينما اسرع مفرح خلف ابنه الذي أخذ يتحرك هنا وهناك وهو يتراقص أمامه سعيدا بالإفلات منه ..فتبادل أدهم ومليكة الابتسام قبل أن تترك مكانها مقتربة منهما وهي تصيح "ثواني يا مفرح من فضلك ثواني"

توقف الاثنان عن المطاردة والضحك فنظرت إليهما مليكة بملامح متسلطة قبل أن تقول بحزم" من أين أتت هذه الكلمة الوضيعة؟"

رد مفرح مدعيا البراءة" أنا مؤدب يا مليكة ابنك من قالها"

شهق إياد وقال بسرعة" ألم تسمعيها منه بأذنيك منذ دقيقة!"

ناظرت مليكة زوجها بتوبيخ قبل أن تقول "أتمزح يا مفرح!.. (وتطلعت إلى إياد تقول محذرة) هذه الكلمة غير لائقة يا إياد"
رد إياد بثقة" أعرف يا أمي ..لكننا نستخدمها فيما بيننا نحن الذكور"
اتسعت عيني مليكة متفاجئة فكتم مفرح الضحك وهو ينظر لوقفتها تسند يد على خصرها قبل أن تسأل بصدمة "من تقصد بـ نحن الذكور ؟!"..
قال إياد ببساطة يرفع كتفيه" أنا واصحابي"
قالت وهي ترمش بعينيها عدة مرات " أنت وأصحابك تتحدثون عن أي شيء بالضبط لتستخدموا هذه الكلمة؟!!!"
قبل أن يندفع إياد في الإجابة كان مفرح قد لف ذراعه حول كتفي ابنه وكتم باليد الأخرى فمه قائلا شفقة بها "دعي أمر البحث في عالم الذكور لي أنا يا مليكة"

سألته بعدم استيعاب" ماذا يقولون فيما بينهم يا مفرح؟"
قال وهو يرفع إياد ليلقي به خلف رقبته بشكل أفقي ممسكا ذراعيه بيد وساقيه بيد أخرى كما تُحمل الجديان* " قلت دعي الأمر لي مليكتي فأعصابك لن تتحمل الغرف المغلقة لحياة الذكور"
شهقت ورددت بصدمة "يا الهي الغرف المغلقة !.. لهذين؟! "
قالتها وأشارت على إياد ثم على أدهم الجالس يراقب ما يحدث من بعيد بابتسامة هادئة فانفجر إياد ضاحكا من فوق كتفي والده وهو يردد" الغرفة المغلقة"
قال مفرح وهو يتحرك به نحو غرفة الصبيان قبل أن يعض على ذراع ابنه "حسابك معي عسير "

---

*جِدْيان : جمع جَدْي وهو ذكر الماعز

صرخ إياد ضاحكا "انجدني يا أدهم ..انجدني يا أخي"

اتسعت ابتسامة أدهم وهو يترك مقعده ويذهب ليلحق بهما مارا بمليكة التي وقفت تحدث نفسها "يا الهي .. مُزّة! .. وغرف مغلقة لعالم الذكور !.. هل كبرا إلى هذه الدرجة!!"

xxxx

غارقا في افكاره وتائها وسط لُجة مشاعره كانت خطوات كامل شاردة في طريق العودة من مزرعة الوديدي للمواشي .. يمشي في ذلك الطريق الطويل الخالي إلا من بيت واحد هو بيت الجد صالح ومزرعة العمدة في مواجهته وسط سجادة خضراء من الحقول على الجانبين .

أفاق من شروده بمجرد أن لمحها عند البوابة .. فكشرت ملامحه وأسرع الخطى ليعرف ماذا تفعل بالضبط.

كانت ونس قد انتهت بالفعل من آخر الخطوط التي رسمتها على سور البيت الخارجي فاقترب كامل محدقا بعينين متسعتين قبل أن يصرخ بغيظ "ماذا تفعلين يا أنتِ؟"
انتفضت بمجرد أن اخترق صوته سماعتيها .. وعلى الرغم من شعورها بالخوف من مظهره المخيف وملامحه المرعبة إلا أنها قبضت على الطباشير في يدها بقوة ووقفت بحاجبين معقودين ترفع إليه وجها عابسا متحديا جعل كامل يجز على أسنانه بقوة وهو يحاول التماسك حتى لا ينطحها برأسه في رأسها المرفوع إليه بهذا التحدي الساذج غير المتكافئ في أي شيء وهدر بعصبية "أقسم بربي أنا أمسك أعصابي بقوة حتى لا أرتكب جريمة"
خرجت بسمة وأم هاشم من الباب الأخر وخلفهما بعض الفتيات على صوته العالي

..فهتفت الأولى باندهاش "ماذا حدث مجددا؟"

نظر إليها كامل يقول بعصبية مشيرا على الحائط" أنا من يسأل يا باشمهندسة"

تحركت بعض الفتيات لمشاهدة ما فعلته ونس قبل أن يكتمن الضحك .. فزمجر كامل بعصبية جعلت أم هاشم تصيح فيهن وهي تحاول ألا يظهر على وجهها الضحك هي الأخرى" هيا عدن للعمل فوراً.. من سمح لكن بتركه "

حين تلكأن تحركت نحوهن تشيح بيدها فاضطرت الفتيات التراجع للداخل ضاحكات بينما أم هاشم خلفهن للتأكد من عودتهن للعمل في الوقت الذي وقفت بسمة تحاول بكل قوتها الثبات على جدية ملامحها لكن الابتسام تسلل إلى وجهها البارد ليضيئه أمام عيني كامل المدققتان فيها رغم شعوره بالغيظ ..

فغمغمت وهي تتحرك نحو ونس "تعالي يا ونس ..قلت لك لا تحتكي به"
بخطوات ثقيلة تحركت معها ونس خطوتين وهي لا تزال تتطلع في كامل تبحث في عينيه عن ذلك الأمير الوسيم بنفس الملامح الذي قابلته من قبل فازداد غيظ كامل ووقف متخصرا يطالع بسمة بنظرات نارية ثم قال باستنكار وهو يرفع حاجبا "أهذا هو كل ما ستفعلينه؟.. تسحبينها من أمامي حتى لا تحتك بي!!"
بشفتين مزمومتين بصعوبة وملامح ضاحكة رفعت إليه بسمة وجهها ترد ببرود متعمد "وماذا تريدني أن أفعل؟ .. البنت كانت ترسم وتلون في الشارع .. والشارع ملك الناس "
مستمتعا بتلك الدقائق للحديث بينهما ومتمنيا أن تستمر لساعات مع هذا الكائن الأنثوي ذو العينين الفيروزيتين قال كامل باستهجان " في

الشارع !! تقولين ترسم في الشارع !! .. هذا بيتي باشمهندسة باسمة"

تنحنحت بسمة وقالت "حضرتك أجرت البيت من الداخل أما ما يحدث على سوره الخارجي فأنا مالكة البيت وليس لدي مشكلة فيه"

غمغم ساخرا "حقا !"

أومأت بسمة برأسها مؤكدة ببرود فتدخلت أم هاشم العائدة من عند البوابة الأخرى تقول بلهجة حازمة لتنهي الأمر "حصل خير يا استاذ"

ناظرها كامل بجانب عينيه قائلا بعناد" لا لم يحصل خير يا استاذة"

ضربت أم هاشم يدا فوق الأخرى مغمغمة وهي ترفع نظراتها للسماء" اللهم طولك يا روح !.. هل تريد الشجار يا أستاذ؟"

رد عليها كامل وهو ينظر لبسمة التي وقفت تحدق فيه " أنا لن أطيل في الحديث معكن

لأنكن نساء .. لكن لي كلاما مستفيضا مع الحاج سليمان"

غمغمت أم هاشم " هذا أفضل .. هيا يا ونس .. هيا يا بسمة "

كانت الرغبة في مشاكسته تزداد بداخلها فاندفعت بسمة تقول " انتظري يا أم هاشم .. ما معنى لأنكن نساء .. ما بهن النساء ها؟!"

بنظرة لئيمة من جانب عينيه قال مغيظا "لأن الحاج سليمان هو من وقع العقد معي"

ناظرته تعض على شفتها بغيظ فأشاح كامل وجهه هاربا مما يعتريه لتصطدم نظراته بنظرات ونس المتفحصة وذلك الحزن الذي سيطر عليها .. ليس فقط لأنها لم تجد أميرها فيه ولكن لما استشعرته بأن هذا الشاب يصب جل اهتمامه اثناء الحديث على بسمة .. أما الأخيرة فاختلست النظرات نحو الرسوم من جديد وعادت إليها الرغبة في الضحك

..فأسرعت بسحب ونس المتسمرة للابتعاد قبل أن يتفاجأوا بالسيارة التي اقتربت من الناحية الأخرى وركنت بالقرب من البيت.
دققت ونس في ذلك الشاب الذي خرج من السيارة بنفس ملابس وملامح ذلك الواقف أمامها بينما قال شامل وهو يتطلع في الواقفين وخاصة ونس" ماذا يحدث يا كامل؟"
شهقت ونس ورفعت يديها تمسك برأسها وهي تمرر نظراتها بين الاثنين بفك متدلي .. بينما صاح كامل فيه" تعال يا بك ..يا سبب المشاكل كلها"
لم يفهم شامل ولم يعره اهتماما فهيئة ونس المتفاجئة وهي تحدق فيه جعلته يبتسم ويقول لها بلطف يرفع أصبعيه السبابة والوسطى "نحن اثنان.. لم أكن أعرف بأنك لا تعرفين هذه المعلومة"

كانت الصدمة عليها قوية وضربات قلبها تضرب بقوة في صدرها فتراجعت للخلف عدة خطوات وهي تمرر نظراتها بينهما قبل أن تستدير وتهرول نحو البوابة الأخرى لتختفي بالداخل تتابعها نظرات شامل بقلق بينما تحركت بسمة مغمغمة بلهجة مغيظة "هيا يا أم هاشم لدينا عمل ولسنا متفرغات للتفاهات"

بوقفته متخصرا هتف كامل في ظهر بسمة المغادر ووجه أم هاشم التي تتابع صاحبتها "تفاهات !!.. هل هذا الكلام موجها لي يا باشمهندسة ؟!"

لم ترد بسمة بل اختفت في داخل البوابة المجاورة ولحقت بها أم هاشم قبل أن يقترب شامل من الحائط مدققا في الرسوم ويسأل توأمه" ماذا فعلت لها بالضبط؟"

استدار إليه كامل يقول بوجه مقلوب "لا شيء غير أني أخبرتها أنني لست أنت وأن عليها ألا تقف أمام بيتي ..وحينما عدت من مزرعة الوديدي وجدت هذا على الحائط"

اتسعت ابتسامة شامل وهو يتطلع في الرسم بينما أكمل كامل بغيظ" والمعصب والمستفز هو تحديها لي وهي لن تحتمل نفخة مني فتطير "..

انفجر شامل في الضحك فصرخ كامل فيه "إنها هبلاء صدقني ..هبلاااااء (وضرب بسبابته ووسطاه على جانب رأسه مضيفا بعصبية) لديها مشكلة في رأسها"

جلجلت ضحكات شامل عاليا فصرخ كامل فيه "أنت تضحك يا شامل!! .. أتجد الأمر مثيرا للضحك!"

خرج رأس بسمة مائلا للخلف من البوابة تتابع ما يحدث بين التوأمين بفضول واصابتها عدوى

الضحك من مكانها بينما هتف كامل مشيرا على الحائط وهو يقول بغيظ وإنكار" أنا أصلا لا أفهم من هم هؤلاء الناس المرسومين على الحائط"

من وسط ضحكاته قال شامل" انهما شخصان يا غبي (وأشار على الرسم) انظر هذه الفتاة الصغيرة ذات الشعر الطويل حتى الأرض هي ونس .. "

ضيق كامل عينيه ورفع زاوية شفته العليا بينما أكمل شامل من وسط ضحكاته "وهذا الطويل الضخم ذو العضلات والشعر الطائر على جانبي رأسه من يا ترى؟"

بإنكار سأله كامل ممتعضا "من؟"

ربت شامل على صدر أخيه قائلا من بين ضحكاته "أنت يا حبيبي"

حدجه كامل بنظرة نارية .. فأكمل شامل من بين ضحكاته يكمل التفسير" هذه صور متتابعة يا غبي بنظام قصصي .. هنا الفتاة تضرب الضخم بحجر .. وهنا الضخم سقط على الأرض ..وهنا الفتاة تمسك بسكين (وانفجر ضاحكا) والضخم يتوسل إليها.. أنظر يا كامل كيف يتوسل إليها "

طالعه كامل بمقلتين مقلوبتين يطحن ضروسه بينما وضعت بسمة يدها على فمها تكتم أنفاسها حتى لا تنفجر ضاحكة مستمتعة بحالة كامل المغتاظة ليكمل شامل " هنا غرزت السكين في قلب الرجل (وأمسك بقلبه يقول بطريقة تمثيلية) آي .. وهنا مشهد رائع للنهاية .. كما ترى الضخم .. الذي هو أنت بالطبع معلقا من رقبته ومشنوقا بينما السكين لا يزال مغروزا في قلبه.. النهاية .. وبالطبع

تستطيع قراءة الجملة المكتوبة إلا إذا كنت قد نسيت اللغة العربية"

مرر كامل أنظاره المشتعلة بالغضب بين توأمه والعبارة المكتوبة بخط كبير (ارحل من هنا) ..فمد شامل يده وسحب يد أخيه يسلم عليه وهو يكمل بتهكم " ألف مبروك عليك المشنقة يا كيمو سعدت من أجلك"

في لمح البصر كان كامل يلوي ذراع أخيه خلف ظهره متمتما من بين أسنانه" إن كنت لن استطيع أن أهشم رأسها فسأهشم رأسك أنت بدلا منها"

كان منظرهما ممتعا أمام أنظار بسمة المختلسة من طرف البوابة المجاورة .. في الوقت الذي قال شامل مستنكرا ومتألما "نحن في الشارع عيب على طولك هذه الأفعال يا أبا نخل "

استمر كامل في لي ذراع توأمه وهو يقول "ستقوم أنت بنفسك بمسح هذا الزفت أو دهانه هل سمعت؟"

قال شامل من بين ضحكاته "حاضر .. أمرك.. اترك ذراعي"

ترك كامل ذراعه فأسرع شامل بإخراج هاتفه من جيبه وبدأ في تصوير الحائط .. لينقض عليه كامل يقول بغيظ "ماذا تصور ؟"

حاول شامل الافلات منه وتركيز الكاميرا بصعوبة على الحائط والتقاط صور متعددة وذراعه الأخر يقاوم أخيه ضاحكا .. حتى طوقه كامل من الخلف ليشل حركته فهتف شامل من وسط ضحكاته" والله عيب عليك أن ترانا الناس بهذا الشكل"

استدار به كامل وهو لا يزال يكبله بذراعيه من الخلف قبل أن تتقابل عيناه بعيني بسمة ويرى ملامحها لأول مرة ضاحكة رغم فمها الذي

تغطيه بكفها .. فتنحنحت هي واعتدلت في وقفتها المائلة ترسم الجدية على وجهها بسرعة ولم تجد ما تبرر به وقفتها تلك ولا تداري حرجها إلا أن تسرع برفع الهاتف على أذنها تقول بتأتأة وارتباك "آآ..آلو ..أمي .. هل اتصلت بي؟ .."

أرخى كامل ذراعيه عن أخيه في الوقت الذي اقتربت فيه أم هاشم تسألها باندهاش "لماذا تقفين هنا يا بسمة؟"

بارتباك أجابت بصوت عال وكأنها توصل رسالة ما "الهاتف لا يلتقط شبكة آلو .. آلو"

بوجنتين مشتعلتين وارتباك مراهقة اسرعت بسمة للداخل تشتِم نفسها على تخليها عن وقارها وتحفظها وعلى ذلك البله الذي أصابها بينما وقف كامل محدقا في أثرها بكتفين مسترخيين يديه في جيبي بنطاله والابتسامة تتراقص على شفتيه .

فانتهز شامل الفرصة واسرع بالتقاط الكثير من الصور قبل أن ينتبه لحالة أخيه الساكنة تماما فجاء دوره ليكشر عن أنيابه قائلا وهو يدفعه لبوابة البيت "هيا أمامي لا تقف بهذا الشكل .. هيا يا بني آدم"

بجسد متصلب استجاب كامل أخيرا لدفعات أخيه في الوقت الذي لمحا فيها سيارة مفرح قادمة من بعيد .. فوقفا ينظران إليها حتى استقرت خلف سيارة التوأمين وترجل منها مفرح ملقيا السلام ثم سألهما " ماذا تفعلان في الشارع يا (نخلتين في العلالي) ؟"

لم يرد كامل .. كان مسترخيا شاردا يستعيد ملامحها المبتسمة في خياله وعينيها اللتين قبض عليهما منذ ثوان تراقبانه يتساءل في سره أكانت تراقبه هو؟ .. أهي مهتمة بمتابعته؟ ..

بينما اسرع شامل بالرد" وصلت منذ قليل واحضرت أشياء كثيرة كنا سننقلها للداخل "

قال مفرح "أهم شيء اشتريت الشاشة؟.. أنا احضرت طبقا هوائيا صغيرا كان لدينا لا نحتاجه "

أجاب شامل "نعم كله في السيارة"

توقف مفرح ينظر للرسوم على الحائط قائلا بتعجب" هل فعلتما شيئا جديدا لونس بنت عيد ؟"

رد شامل بعد أن حدج توأمه بنظرة مهددة حتى يخرس ولا يتفوه بشيء " لا شيء مجرد سوء فهم بسيط (وضرب بخشونة على كتف أخيه وقال) هيا لننقل الأشياء من السيارة .. هيا تحرك يا بني آدم"

xxxx

وقفت تفرك كفيها بتردد وهي تتطلع في واجهة المعرض الضخم للأجهزة المنزلية في مركز المحافظة والذي يطل على شارعين ويحمل اسم (دبور) كبيرا في الواجهة .

لقد فضلت أن تأتي بنفسها لمفاتحته فلن يكون الوقوف معه في البلدة مناسبا خاصة وأنها لم تنجح في اقناع هلال بعد .. لكنها تريد أن ترتب لهذا الموضوع وتحسب الحسبة وعدد الأقساط وإلى آخره لأن مهلة شهرين ستنتهي سريعا.

لا تعرف ما الذي أصاب هلال وجعله يتحسس بهذا الشكل من جابر .. وللأمانة هو يتعامل مع الأمر بحساسية منذ أن عاد جابر واستقر وتغيرت احواله لكنها انقلبت لحساسية مفرطة بعد أن ترك هلال عمله بالمصنع.

عادت لتشعر بالشفقة على زوجها فهو مكسور ومكتئب منذ ذلك الحين .

اعتلت نصرة درجات السلم الثلاث أمام المعرض الرئيسي لمحلات دبور للأجهزة

المنزلية تشجع نفسها بأن جابر شهم ولن يخذلها وبأنها فقط ستعرف الأسعار وتتفق معه على التقسيط ..

قابلها أحد العمال ببشاشة فقالت وهي تعدل وشاحها فوق رأسها" أريد المعلم جابر لو سمحت"

نادى العامل على عصفور "يا عصفور الحاجة تريد المعلم"

وقفت نصرة تتطلع حولها بانبهار وهي تتمتم بما شاء الله فالأجهزة المنزلية أمامها كانت مغرية ولامعة و حديثة ومن كل الماركات.. في الوقت الذي اقترب عصفور يقول" أهلا خالة نصرة"

قالت نصرة ببشاشة "كيف حالك يا عصفور وحال أمك؟"

غمغم الأخير" بخير والحمد لله"

قالت نصرة وهي تفرك كفيها "أريد المعلم جابر"
أشار لها لتتقدمه قائلا" سأريك الطريق"

بعد دقيقة كانت نصرة تدخل مكتب جابر
بينما وقف عصفور ملتصقا بالحائط جوار الباب المفتوح يتسمع وعيناه تدوران في المكان ليتأكد من أن أحدا لن يلحظه.
في المكتب هلل جابر مُرَحِباً "مَرحبا بأم كريم أنرت المعرض"
غمغمت نصرة بحرج" المكان منير بأصحابه يا أبا ميس"
قال جابر بلهجة معجبة" الحقيقة أن العشاء ليلة أمس كان رائعا جدا يا أم كريم .. لم آكل أطيب منه في حياتي سلمت أيدكن"

غمغمت نصرة بالهناء والشفاء ثم اسرعت بقول ما يدور في ذهنها قبل أن تجبن على قوله "الحقيقة يا معلم جابر أنا جئتك طامعة في كرمك"

غمغم جابر بحرج "استغفر الله ما هذا الكلام أنت تأمري"

اسلوبه المتواضع أثر فيها بشدة خاصة مع الأزمة التي تعيشها حاليا والأفكار التي تعصف بها بشأن كيفية تدبير مصاريف جهاز اسراء .

قال جابر" ماذا تشربين أولا؟"

اسرعت بالقول" لا لا أرجوك لا وقت لدي لقد خرجت من عند أبلة بسمة واسرعت إليك قبل أن أعود للبيت ولم أخبر أحد"

لم يحتاج الأمر لذكاء ليخمن سبب مجيئها لكنه قال" بهدوء تفضلي يا أم كريم طلباتك أوامر"

عادت لفرك يديها في بعضهما وقالت
"الحقيقة أنت تعرف أننا قد بدأنا في تجهيز
حاجيات اسراء.. وطلال متعجل لإتمام الزواج
..فكنت أرغب في معرفة نظام التقسيط
عندك في المعرض و..."

قبل أن تكمل كان جابر يشير بسبابته لعين تلو
الأخرى قائلا "من هذه العين قبل هذه العين
وهل لدينا أعز من الاستاذة اسراء"
قالت نصرة بسعادة "جزاك الله خيرا يا معلم
جابر هذا هو عشمي فيك ولم تخيب ظني"
قال جابر" إذن تعالي لأريك المعروض
وتختاري ما تريدين"
هتفت نصرة غير مصدقة" الآن !..أنا فقط
أردت أن أعرف نظام التقسيط "

قال جابر وهو يخرج من خلف المكتب ويتوجه نحو الباب فأسرع عصفور بالاختباء" ما دمتِ موجودة فسأريك الموجود أم أنك تريدين إحضار العروس لتختار بنفسها؟" قالت نصرة وهي تلحق به بمجرد أن خرج من المكتب "لا اسراء وكلتني لأختار ما أريد هي فقط اشترطت عليّ ألا أبالغ في العدد وأن أختار الضروريات .. وبيني وبينك أنا لا أريدها أن تختار لأنها ستختار الأقل سعراً وأنا لا أريدها أن تشعر بأنها أقل من أي عروس أخرى" قال جابر "تعالي إذن لأخذك في جولة في المعرض "

بعينين مبهورتين تفقدت نصرة ما حولها في الدقائق التالية ..ثم وقفت أمام أحدى الثلاجات وفتحتها متفحصة ثم نظرت للأخرى قبل أن ترفع نظراتها لجابر فقال "لو

تسأليني عن خبرتي سأقول لك اختاري تلك التي على اليمين.. ربما ليست مبهرة في الشكل كالأخرى لكنها من ماركة مشهود لها بالجودة العالية والعمر الطويل كما أنها أوسع وأكثر راحة(وفتح باب الثلاجة يضيف) انظري أيضا بالداخل تقسيمها أكثر راحة"

قالت نصرة "أنا اثق في رأيك يا معلم جابر"

قال جابر مبتسما "إذن هي لك"

احمر وجه نصرة من الحرج بينما نادى جابر" يا عصفور تعال الصق هنا بطاقة بأن هذه الثلاجة محجوزة باسم هلال جمعة وتُنقل للمخزن فوراً هي وكل ما ستختاره أم كريم"

بامتعاض مخفي أومأ عصفور برأسه بينما أكمل جابر جولته مع نصرة التي كانت ساعتها كمن تخطو فوق السحاب .. وهي تدقق وتختار كما يحلو لها.. رغم شعورها بثقل الحمل أكثر فأكثر..

بعد بعض الوقت قالت نصرة" أريد أن أعرف إجمالي التكاليف وقيمة القسط يا معلم جابر"
قال جابر" هذا الامر لا تشغلي بالك به سأسويه أنا مع هلال"
اسرعت نصرة بالقول" هلال لا يعرف.. أقصد لم أخبره بأني سأمر عليك"
رد جابر ببساطة" لا بأس الأجهزة التي اخترتِها موجودة .. وستظل بالمخزن حتى تطلبونها أو تخبروني فأوصلها حتى باب البيت"
فركت نصرة كفيها ثم قالت "الحقيقة أردت أن أعرف المبلغ والاقساط لأقنع هلال لأنه.. لأنه متحرج من الطلب منك"

فهم جابر بأن هلال يأخذ هذا الامر أيضا على كرامته فقال مطمئنا" لا تشغلي بالك يا أم كريم وخذي وقتك وأزيحي هم الأجهزة الكهربائية من رأسك .. هي لكم من الآن لو

تريدين أن أرسلها بسيارة في أي وقت فقط أخبريني .. عموما هي عندي في المخازن حتى تطلبونها "

قالت نصرة متأثرة" جزاك الله خيرا يا معلم جابر ورزقك السعادة وراحة البال.. سأذهب أنا الآن "

رد جابر " في أمان الله "

استدار ينظر للثلاجة التي اختارتها نصرة ثم صاح بغضب " عصفور .. أين البطاقة التي طلبت أن تلصق عليها ؟"

بارتباك قال عصفور" حالا ..حالا"

بمجرد أن اقترب أشار له جابر بيده بنفاذ صبر أن يسرع الخطى .. ثم أخذها منه وكتب عليها بنفسه وألصقها على الثلاجة قبل أن يقول" يا شعبان تعال هنا ومعك الرجال وحركوا هذه إلى

المخازن في ركن وحدها هي وكل ما سيأتيك باسم هلال جمعة "

تحرك شعبان بسرعة بينما قال جابر لعصفور بعبوس " وأنت تعال يا فالح لألصق بنفسي على الأجهزة التي اختارتها أم كريم وكف عن المرقعة "

××××

راقبها تقترب من بعيد .. ساهمة شاردة .. ليست على حالتها الطبيعية .. فجز على أسنانه وسأل نفسه بقنوط.. أيضربها ..أم يحبسها ويغلق الباب بالجنازير حتى لا تخرج وتغيب دون أن يعرف عنها أي شيء ؟..

لولا أنها جعلت أم هاشم تتصل به وتخبره بأنها معهم في مشروع بسمة لكان يدور باحثا عنها في

البلدة كلها منذ ساعات فقال بغيظ "هل شرفت يا ست هانم ؟"
انتبهت ونس من شرودها وأسرعت بإحاطة عنقه بذراعيها تطبع على خده قبلة تلو الأخرى بمزاج رائق ..فاتسعت عيني عيد وتنحنح بحرج قائلا " احتشمي يا بنت عيد .. ماذا تفعلين! "
ابتعدت ونس قليلا ثم شكلت أمامه بأصابع السبابة والوسطى قلبا وهي تتطلع فيه بسعادة فاندهش لحالتها قائلا " ألهذه الدرجة أعجبك وجودك مع الفتيات هناك؟!"
أسرعت ونس بإخراج الدفتر من جيبها وكتبت بحماس" أحببت وجودي هناك والعمل مع البنات .. أريد أن أكون معهم كل يوم "
عقد عيد حاجبيه يقرب عينيه مما كتبت ثم قال مرددا "تعملين معهم؟"
أمسكت ونس بجلبابه وأخذت تتقافز على قدميها أمامه كطفلة مترجية .. فهرش عيد في

رأسه قبل أن تكتب ونس "أرجوك يا أبي..
أرجوك ..أرجوك"
فكر عيد قليلا .. أيتركها لتبقى معهن طوال النهار خاصة وأنه علم أن نصرة أيضا تعمل هناك وبهذا يطمئن على وجودها في مكان آمن وأنها ستشغل نفسها بشيء بدلا من توريط نفسها في مشكلة بسبب اندفاعها ؟.

اقتربت ونس لتقبّله من جديد فأبعدها قائلا " احتشمي قلت يا بنت ما هذه الميوعة !"
قوست فمها للأسفل لاستعطافه مترجية فعبس في وجهها ليبدو حازما أمامها حتى لا يشعرها بأنها نجحت في استدرار عاطفته .. فهي محتالة في السيطرة عليه وعلى قلبه وبدلالها عليه هذا تضعفه فقال بغموض "هيا فقد اعددت الغداء يا ست هانم اذهبي واغرفيه لنا.. ودعيني أفكر في الأمر"

اقتربت لتقبله من جديد فرفع سبابته لها محذرا من الاقتراب .. لتتسع ابتسامتها الساحرة التي تسرق قلبه ثم أسرعت تسبقه للبيت بكل همة ونشاط وطاقة سعادة كبيرة تملأها منذ أن اكتشفت أن أميرها موجود ولم يتبدل .. وأنه عاد .. وستراه كل يوم .

أما عيد فتلفت حوله بتوجس شاعرا بأن هناك من يراقبه لكنه لم يرى أحدا في ضوء شمس الغروب المنعكسة على حقول الذرة أمامه فاستدار يدخل البيت لكن تلك القشعريرة الخفية ظلت تسيطر على جسده وتشعره بالقلق .

xxxx

في المساء

قهقهت مليكة وقالت " ونس هذه مجرمة .. احببت ما فعلت بالتوأمين "

قالت بسمة وهي تجاورها في المطبخ تساعدها في إعداد صنفا من الحلوى" هي فعلت ذلك انتقاما من كامل .. يا إلهي لو ترينه كيف كان يتفتت من الغيظ "

تأملتها مليكة بنظرة متفحصة .. إن مزاجها اليوم رائق ومفعمة بطاقة غريبة لم ترها عليها منذ سنين طويلة حتى وهي مخطوبة لزوجها السابق .. فقالت بلهجة ذات مغزى وهي تراقبها تفتح الثلاجة وتلتقط منها حبة جوافة

" أنا أيضا مندهشة مثل أم هاشم من أنك تستطيعين التفرقة بين الاثنين ..وحده مفرح من البلدة كلها من يستطيع .. أنا مثلا حينما قابلتهما شعرت بأنني أمام شخصين متطابقين في كل شيء يصعب عليّ التفريق بينهما "

انتهت بسمة من غسل حبة الجوافة وردت على مليكة ببساطة" بصراحة أنا متعجبة مما تقولان حتى البنات في مشروعي مثلكما .. لكني

في الحقيقة أراهما مختلفين صحيح نفس الملامح بالضبط لكنهما مختلفان صدقيني "
وضعت مليكة الصينية في الفرن وأشارت لبسمة ليخرجا من المطبخ فسبقتها الأخيرة وهي تضيف موضحة "شامل يبدو بسيطا ودافئا ومتواضعا .. أما كامل .. يا ستار يا رب .. انسان متعجرف مغرور يشعر بأنه لا يوجد رجلا وسيما غيره على الأرض"
بمكر قالت مليكة وهي تجلس على الأريكة في الصالة تطوي ساقيها تحتها "ألا تلاحظين بأنك تتحدثين عن كامل أكثر من شامل بل تتحدثين عن كامل منذ أن حضرت؟ "
بارتباك قالت بسمة مبررة "أنا فقط كنت اشرح لك ما فعله هذا الغليظ المتعجرف اليوم منذ وصوله.. صدقيني يستفزني ويعصبني من مجرد النظر إليه"

بنظرة شك تطلعت فيها مليكة فقالت بسمة بغيظ" لماذا تنظرين إليّ بهذا الشكل ؟"
مطت مليكة شفتيها تشيح بنظراتها بعيدا عن نظرات بسمة النارية فقالت الأخيرة "أشعر بأنه يتعمد استفزازي أنا بالذات .. ولا أعرف إن كان ذلك لارتباطي السابق بسيد صبرة .. أم أنه لا يذكرني ولا يذكر صلتي به .. (صمتت لثوان تفكر ثم غمغمت) مؤكد لا يذكرني فلم يرني إلا لبضع ثوان "
نظرت إليها مليكة متسعة العينان قبل أن تسألها بذهول "ماذا قلت؟ .. توقعت أنك تتحدثين عن ظهورك مع سيد في المجلات الالكترونية لكن أنت تقولين لم يرني سوى بضع ثوان !!..ما معنى هذا الكلام؟!!"
عضت بسمة على شفتها تناظر مليكة ببراءة مصطنعة وترمش بعينيها عدة مرات ..
فتحفزت الأخيرة وهتفت بوعيد" ليلتك

سوداء يا بسمة .. هل هناك ما لا أعرفه يا بنت الوديدي؟!"
غمغمت بسمة بملامح طفلة مذنبة" كنت سأخبرك لكن حدثت أمور شغلتني يا موكا "
شهقت مليكة وقالت بتوبيخ "قلت ليلتك سوداء انطقي بسرعة"
خلال الدقائق التالية قصت عليها بسمة عن المشاجرة التي حدثت منذ أكثر من ثلاث سنوات ونصف ..فظلت مليكة تناظرها بعينين متسعتين حتى انتهت من سرد ما حدث في المشاجرة التي شاهدتها بين أحمد وسيد من جانب وكامل من جانب أخر لتختم حديثها قائلة "للحظة شعرت على البوابة بأنه سيهجم عليّ .. كان ينظر لي بنظرات مدققة غريبة قبل أن يستدير ويركب سيارته ويغادر "

بشرود غمغمت مليكة " حقا إن هذه الدنيا صغيرة جدا .. غريبة هذه الصدفة.. والأغرب أنك لا زلت تذكرينها"

وضعت بسمة حبة الجوافة على الطاولة الصغيرة أمامها وأمسكت بإحدى الوسائد من فوق الأريكة وحضنتها تقول "بالتأكيد كونهما توأمين متطابقين ومن جنسية أخرى هو ما لفت انتباهي "

تساءلت مليكة "وهل مفرح يعرف هذه المعلومة؟"

حركت بسمة كتفيها وردت" بالتأكيد لا يعرف فلا أظن بأن كامل يذكرني"

هزت مليكة رأسها شاردة تحاول استيعاب الأمر ثم غمغمت "صدفة غريبة أيضا أن يتعرفا على مفرح بعدها ويحضرا إلى هنا (وعادت تسألها) هل أنت متأكدة بأنه هو .. أقصد ربما اختلط عليك الأمر بتوأمين أخرين"

جادلتها بسمة " اختلط عليّ الأمر مع توأمين من نفس البلد العربي وبنفس التطابق وبنفس الملامح .. هما فقط فقدا وزنا كبيرا عن ذلك اليوم .. (وصمتت قليلا تفكر ثم عادت تقول بثقة)صدقيني هما .. وكامل هذا هو من تشاجر مع سيد وشامل من جاء مسرعا مع والدهما لفض الاشتباك (واسرعت بالقول وقد تذكرت شيئا) آه نسيت وكانا يمتلكان مطعما بجوار الفيلا "

ردت مليكة مفكرة "هما بالفعل مطعمهما بجوار الفيلا كما أخبرني مفرح ..وبالفعل فقدا وزنا كبيرا كما أخبرني أيضا (وضربت كفيها ببعضهما تقول وكأنها تذكرت شيئا) انتظري أنا لدي صور تخص مفرح في صالة الألعاب الرياضية على اللابتوب واعتقد بأن لهم صورا قديمة عند بداية تعارفه معهما"

عقدت بسمة حاجبيها وراقبتها تنتفض واقفة وتسرع للاختفاء بالداخل لعدة دقائق كانت بسمة فيها قد أكلت حبة الجوافة بشرود .. لتعود مليكة تحمل اللابتوب وتجلس بجوارها تطوي ساقا تحتها وتفتحه وهي تقول "لن أنام الليلة إلا إذا وجدت لهما صورة قديمة قبل أن يفقدا الوزن لأتأكد من قصتك الغريبة هذه" سألتها بسمة" هل تحتفظين بصور مفرح كلها هنا؟"

ردت مليكة متنهدة وهي تبحث في صور كثيرة وتختار ملفات قديمة التاريخ " أفرغ هاتف مفرح من الصور أولا بأول وأنسخ له كل فترة نسخة من قوائم الاسماء وأرقام الهواتف لأنه كما تعلمين لا يكف عن إضاعة هاتفه .. ولولا التقنيات الحديثة في الاحتفاظ على حسابك على الانترنت بنسخة من قوائم الاتصال

لتعطل عمله وفقد أرقام عملائه في كل مرة يضيع فيها الهاتف "

ضحكت بسمة قبل أن تهتف مليكة بانتصار "وجدت ملف الصور التي تخصهما "

اقتربت بسمة لتحشر رأسها بلهفة غير مبررة أمام شاشة اللابتوب مدققة بعينيها الفيروزيتين ثم صاحت بانتصار هي الأخرى "هما .. ألم أقل لك"

ناظرتها مليكة باندهاش فأسرعت بسمة بالإشارة لكامل في الصورة "هذا هو المتعجرف كامل وهذا شامل"

تطلعت فيها مليكة باندهاش ثم عادت لتدقق في الشخصين اللذان يبدوان متماثلان ثم سألتها بارتباك "كيف عرفتِ وتكلمتِ بهذه الثقة؟"

عقدت بسمة حاجبيها وقالت باستنكار "لماذا تشعراني أنت وأم هاشم بأن لدي قدرات خارقة .. فمفرح يفرقهما بسهولة .. (وأشارت على

الشاشة تقول) انظري بنفسك لعيني هذا المتعجرف ونظرته الطاووسية و... (صمتت قليلا تشيح بيدها في الهواء تبحث عن تعبير مناسب ثم قالت) وتلك الروح التي بداخل جسده ..وانظري لدفء وبشاشة توأمه "

ضيقت مليكة عينيها وجعدت جبينها وهي تقترب من الشاشة وتلصق وجهها بها فقالت بسمة بغيظ وهي تستقيم واقفة لتبحث عن وشاحها" أنا سأغادر قبل أن ترفعي لي ضغطي "

صاحت مليكة باعتراض " والجُلّاش الذي بالفرن! "

غمغمت بسمة بمزاج عكر " لا أريد منك شيئا "

أسرعت مليكة بالقول بجدية" عموما لا تشغلي بالك بكامل ..ولا تدققي على كل ما يصدر منه.. حاولي تجاهله مادام يستفزك"

هزت بسمة كتفيها تقول بكبرياء" أنا لست مهتمة به أصلا .. ولدي الكثير ليشغلني عن سخافته وعجرفته ..(واستدارت فجأة تقول) أتعرفين بما يشعرني كامل هذا؟"

صمتت مليكة تنتظرها لتكمل وشعورها يتأكد أكثر فأكثر بأن بسمة تهتم كثيرا بكامل بالذات.. بينما أكملت الأخيرة "يشعرني بأنه طفل صغير مشاكس .. بل .. طفل ضخم يتعمد ازعاج من حوله "

ساد الصمت .. فشعرت بسمة أنها بالفعل تتحدث عن كامل كثيرا لتقول باستدراك وهي تلف الوشاح حول رقبتها "أنا ذاهبة فالوقت قد تأخر .. اتمنى أن يكون حمادة قريبا من هنا وإلا سأطلب من أحد الغفر احضار توكتوك لي"

خاطرة مرت بذهن مليكة أشعرتها بالقلق على صديقتها .. فأسرعت بقولها قبل أن تتمادى بسمة في شعورها بالاهتمام بكامل فتصدم "

عموما يا بسمة تحملي التوأمين حتى تنتهي مدة العقد .. أو يسافر كامل قريبا وتتخلصي من عجرفته"

استدارت إليها بسمة تسألها بحاجبين معقودين "يسافر؟!"

هزت مليكة رأسها تؤكد لها ثم قالت وكأنها ترسل إليها رسالة معينة "أجل يا بسمة هذا ما علمته من مفرح ..كامل قد قرر الهجرة لأمريكا والعمل هناك كشيف في أحد الفنادق الكبرى ..وقد حصل على التأشيرة بالفعل وينهي باقي الإجراءات حاليا .. كما أنه يحاول اقناع اسرته بتصفية كل شيء والسفر معه أو بعده ليفتتحوا مطعما هناك ويعيشوا في أمريكا للأبد .. وهذا الأمر يحزن مفرح كثيرا"

بوجوم رددت بسمة " يهاجر!"

××××

صباح اليوم التالي

وقف شامل أمام طاسة الزيت الكبيرة الموضوعة أمام أحد محلات الفول والطعمية في القرية وأخذ يراقب بقامته الطويلة العامل الذي يلتقط من عجينة الطعمية بأصابعه ويكورها ويلقي بها في الزيت في أقل من ثانية ثم يعود إلى طبق العجين مرة أخرى بسرعة ويلتقط أخرى وهكذا .

كان شديد التركيز على حركة العامل السريعة ولم يلحظ ونس وهي تقترب وتقف لتحدق فيه وقد أخبرها حدسها بأنه هو أميرها وليس توأمه فوقفت في ركن كما تفعل دوما تكتب في دفترها الطلبات .

قال شامل للعامل" حسنا يا عيسى دعني أجرب أنا"

ضحك الشاب وافسح له المجال بينما قهقه المراقبون وهم يرون هذا الغريب الذي يقف

بملابسه وحذائه الرياضيين بجوار طاسة الزيت الكبيرة الخاصة بالطعمية.

قال شامل لعيسى" لا تخف لقد غسلت يدي جيدا"

ضحك عيسى ووقف يتطلع فيه بينما كور شامل أصابعه ووضعها في عجينه الطعمية وألقاها في الزيت بسرعة وعاد إلى العجينة مرة أخرى يلتقط أخرى .. فصفق عيسى ضاحكا ليقول أحد الواقفين بإعجاب "طبيعي أن يكون ذلك سهلا عليه .. فكما نعلم فهو يمتلك مطعما فاخرا في العاصمة"

غمغم شامل وهو يركز فيما يفعل" لكني لست سريعا مثله"

بعد قليل ترك شامل للعامل ليكمل ما يفعل ثم أسرع بإخراج الطعمية الناضجة من الزيت للمصفاة الكبيرة قبل أن يأخذ من الواقفين القراطيس الورقية الفارغة التي يحملونها

ويسأل كل منهم بكم يريد من الطعمية ثم يلتقطها ساخنة بين أصابعه ليضعها في القرطاس الورقي حتى لمحها تقف في ركن خلف الواقفين الذين كان أغلبهم شبابا.. فأسرع بإنزال نظراته .

قال المعلم صاحب المطعم الجالس أمام المحل "يا عنتر تعال لتأخذ طلب بنت العم عيد ..لا تدعها تقف بهذا الشكل وسط الشباب "

خرج عنتر لأخذ النقود منها وقرأ ما تريد ثم عاد للداخل بينما الأخيرة تختلس النظرات بجانب عينيها لشامل الذي كان يختلس إليها النظرات هو الأخر حتى أنه قرر أخذ ما جاء من أجله من طلبات بعد أن كان ينوي البقاء لوقت أطول معهم .. وتلكأ قليلا حتى تنتهي هي من طلباتها .

بجوارها وقف شابان مراهقان وأخذا يتهكمان عليها ويقلدان حركاتها حينما كتبت في الدفتر ورفعته لعنتر منذ قليل.. فلمحتهما ونس وكشرت عن أنيابها تطالعهما بعبوس .. بينما تقبض شامل بقوة يراقب الأمر بتأني فهو مدرك لحساسية وضعه في المكان..

ضحك الشابان وأخذا يشيران لها بإشارات تعني بأنها صماء مقطوع أذنيها ولسانها فزمجرت ونس واشاحت لهما بذراعها أن يبتعدا في الوقت الذي قبض شامل على الكيس في يده بقوة في وقفته خلف طاولة الطعمية وحرك عينيه في المكان متسائلا إن كان أحد سيتدخل من الواقفين اللاهين عما يحدث خلفهم.

قهقه الشابان وبدأ في إغاظتها فلمحهما أحد الواقفين وكتم ضحكه بينما زجره الأخر قائلا " عيب عليك والله "

نظرت ونس حولها تبحث عن حجر في الوقت الذي هم شامل بالتدخل لكن صيحة صاحب المحل كانت حازمة "ولد ! .. احترم نفسك "
التفت الواقفون وتحرك بعضهم بحمائية لإبعاد الشابين فهدأ شامل بينما وقفت ونس تنظر للشابين بوجه مقلوب متحفزة ..
أما صاحب المحل فكان حازما وطرد الشابين قائلا "اذهبا لن أبيع لكما اليوم"
فوقف المراهقان يترجيان صاحب المحل بحرج بينما أخذت ونس من عنتر الكيس وتحركت مبتعدة بعد أن ناظرت الشابين بقرف ..
وقف شامل يتحدث مع عيسى لمدة دقيقة يشكره على هذه التجربة الجديدة عليه قبل أن يتحرك خلفها محتفظا بمسافة كبيرة بينهما حتى لا يلاحظ أحد ..

في الطريق كان ذهن ونس مشغولا بأميرها ..
إنها متحمسة للذهاب اليوم للعمل عند بسمة
حتى تراه وتعطيه هديتها .. حدس ما جعلها
تلتفت خلفها فرأته من بعيد يسير على أول
الشارع فاشتعلت وجنتاها وعادت لتنظر أمامها
بسعادة .. وهي تتساءل ..ترى ما اسمه؟.. لم
تذكر الفتيات أمس اسميّ التوأمين رغم كل
ثرثرتهما حولهما .. فغمغمت في سرها بتبرم
"لماذا لا يثرثر الناس في الأمور التي أريد أن
أعرفها فقط"

أما شامل فظل خلفها محتفظا بالمسافة
الكبيرة نسبيا بينهما يريد فقط أن يطمئن بأنها
ستصل بخير وفي الوقت نفسه لديه فضول
لمعرفة أين تسكن ..
لا يستسيغ أن تترك هكذا وحدها تتعامل مع
الجميع وتتلقى السخافات من البعض ..

صحيح هو ليس بجاهل عن طبيعة الحياة في المجتمعات الريفية وبأن الجميع يعرف بعضه وبأن عليها أن تعتمد على نفسها ..لكن ما كونه عنها في المرات التي جمعتهما جعله يضع تصورا لشخصيتها ويراها مندفعة أكثر من اللازم وبما لا يتماشى مع امكانياتها الجسدية .. وهذا يشعره بالقلق عليها.. فلن يسلم الأمر معها كل مرة ..عليها أن تكون أكثر حرصا وألا تستفز الأخرين أيضا .. ولم ينس وقفتها المتحدية بكل سذاجة أمام كامل أمس ..وذلك الرسم الذي رسمته على الحائط .. صحيح الأمر كان فكاهيا ومضحكا ..لكن ماذا لو كان مع شخص أخر غير كامل .. شخص مؤذي سهل استفزازه .

راقبها تدخل أحد البيوت على الطريق الرئيسي للقرية .. بيت صغير بسيط وحيد وسط الحقول يبدو من هيئته الخارجية أن صاحبه

صانعا للفخار ..فتأملها من بعيد وذلك الرجل العجوز قصير القامة يدخل خلفها ثم تأمل المكان وتلك الحقول الخضراء حولهما .. والتي تشعره أكثر بالقلق عليها وهي تتحرك وحدها ذهابا وعودة .. ثم أكمل طريقه يحاول تذكر اتجاهات العودة للبيت وهو يتفحص الصور الخاصة برسوماتها على الحائط في هاتفه .. فاتسعت ابتسامته قبل أن يغمغم" ما بك يا شامل؟ .. ماذا يحدث معك بالضبط؟!"

xxxx

كان قلبها يدق بعنف .. وجسدها كله يرتجف بشدة .. وأنفاسها تسحبها إلى صدرها بصعوبة ..

نظرت حولها تفكر إن كان هناك مفر ..لكنها ذكرت نفسها بأن أي حركة من الممكن أن تستفزه .. هذا إن كانت تستطيع الحركة أصلا

فحتى صوتها تشعر به محشورا في حلقها غير قادرة على الصياح وطلب النجدة.

أقترب من المنضدة التي تقف فوقها وبدأ يتشممها ثم رفع أنظاره إليها وهو يلوي عنقه ويخرج لسانه خارج فمه .. ليقف بعدها على قدميه الخلفيتين مقتربا من قدميها يتشممها فلملمت بسمة أطراف العباءة وانكمشت على نفسها وهي ترتجف متمنية أن تأتي إحدى الفتيات مبكرا عن موعدها لتنقذها.

في بيت الجد صالح بحث كامل عن شهبندر فلم يجده .. فخرج لساحة البيت ينادي بصوته الجهوري" شهبندر ..أين أنت "وبدأ يصفر ..

سمعته بسمة من خلف الجدار القصير الفاصل وحاولت التحدث " هنننا "

لكن صوتها خرج همسا مبحوحا وقلبها أوشك على أن يخترق قفصها الصدري رعبا.

خرج كامل من البوابة التي وجدها موارية يشتِم في سره وهو يتلفت حوله قبل أن يقترب من البوابة المجاورة المفتوحة ويمد رأسه ينظر بحذر ثم خطى خطوتين إلى الداخل ووقف مصدوما.

كانت بسمة أمامه تقف فوق إحدى الطاولات منحنية للأمام قليلا ومنكمشة في رعب واضح .. وقد انزاح وشاحها بالكامل عن رأسها ووقعت بعض الخصلات الطويلة لتغطي جزءا من وجهها.. بينما شهبندر يقف على قدميه الخلفيتين يتشمم حولها بفضول.

بمجرد أن رأته بسمة وتقابلت عيناهما أغمضت عينيها بمزيد من الخوف والحرج فهدر كامل بقوة" شهبندر ..تعال هنا فورا" بطاعة أنزل الكلب قدميه الأماميين واستدار يقترب من كامل الذي ظل يحدق فيها وفي تلك الهيئة التي تجمدت عليها لدقائق .. وتمنى لو

يلتقط لها صورة على هذا الوضع الغريب والمثير ..لكنه اقترب منها بحذر يسألها بقلق" هل أنت بخير؟"

حاولت التماسك بكل قوتها وبحثت في عقلها لاستحضار ذلك القناع البارد التي تختفي خلفه لكنها لم تستطع .. كانت لا تزال ترتجف بشدة ..

مد كامل يده نحوها ليساعدها على النزول لكنها لم تقدر إلا على أن تجلس على عقبيها متكومة على نفسها فوق المنضدة حتى لم تستطع أن تزجره على عرضه لمساعدتها .. كل ما قدرت عليه هو أن تهمس بصعوبة "أرجوك اذهب من هنا"

تنبه كامل لأنه أصبح في داخل المكان ..وبأنهما وحدهما رغم أن البوابة مفتوحة لكنه كان متفهما لحساسية الوضع فقال وهو يبتعد

للخلف خطوتين "طمئنيني أولا هل أنت بخير؟"
استجمعت قواها .. وبقايا من كبريائها وقالت بصوت مبحوح معاندة" أنا بخير ..اذهب أنت و...هو"
نظر كامل لشهبندر ثم سألها" أتخافين الكلاب إلى هذه الدرجة؟.. إن شهبندر غير مؤذي ما دام لم يهاجمه أحد"
غمغمت بصوت مبحوح "اذهب أرجوك"
نزل كامل على عقبيه إلى شهبندر يقول بتوبيخ وهو يفرك رأسه بين يده" ما الذي أتى بك إلى هنا يا شهبندر ..حسابك معي عسير (ودفعه ليتحرك قائلا)هيا اسبقني إلى البيت فورا "
تحرك الكلب مبتعدا فأنزلت بسمة ساقيها في بنطالها الجينز الأزرق تحاول الوقوف لكنها كانت لا تزال ترتجف حتى أنها شعرت بعدم اتزان وكادت أن تسقط .

بحركة عفوية منحها كامل ساعده وبتلقائية أمسكت بذلك الساعد حتى لا تسقط .. لكنها أسرعت بترك ساعده بسرعة بمجرد أن وقفت على قدميها أرضا ورفعت تلك الخصلة المغرية من شعرها وهي تقول ببعض العصبية المبحوحة" أرجوك اخرج من هنا ولا تدع ذلك الكلب يدخل هنا أبدا"

تحرك كامل خطوتين للخلف بمجرد أن سمعا أصواتا تأتي من الخارج ثم دخلت بعض الفتيات بحذر من البوابة مبتعدات عن شهبندر الذي كان في استقبالهن في الشارع ووقفن يتطلعن في كامل بذهول.

بعد ثوان دخلت أم هاشم من البوابة تنظر لشهبندر باندهاش ثم تطلعت في بسمة وفي

كامل وسألت" هل حدث شيء يا بسمة وجهك يبدو غريبا؟"

تحرك كامل للمغادرة بينما رفعت بسمة الوشاح على رأسها تتطلع في العيون المندهشة وقالت بعصبية لتبرر سبب وجوده بطريقة غير مباشرة " لا شيء سوى أننا اصبحنا تحت رحمة الحيوانات المفترسة تقتحم علينا بيوتنا .. ولا نحظى حتى باعتذار لائق"

تصلب ظهر كامل عند البوابة ..ثم استدار يرد بحاجب مرفوع "أين الحيوانات المفترسة يا باشمهندسة؟ .. شهبندر كلب لطيف ومدرب .. دخل المكان ليتفقده بفضول (ومال برأسه يسألها بلهجة مستفزة) هل أذى حضرتك؟"

هتفت قائلة "كيف لم يؤذني وأنا كدت أن أموت رعبا بسببه"

تطلعت أم هاشم في بسمة المنفعلة ثم في كامل الذي يقف بالقرب من البوابة يديه في جيبي

بنطاله الرياضي والذي حرك كتفيه لها يقول مستمتعا باستفزازها "وما ذنبي أنا أنك تخافين الكلاب ؟.. هل سأتحمل أنا خوف كل انسان يخاف من الكلاب ؟..غريب والله؟!"

عادت أم هاشم تتطلع في بسمة التي هتفت بعصبية وهي تقترب منه وترفع سبابتها في وجهه "الاعتذار من ابسط قواعد الذوق يا أستاذ"

كان قلبه يدق بشدة .. يتراقص في صدره بهستيريا وكانت أمام عينيه شهية في عصبيتها وذلك الجنون الذي يتراقص في عينيها الزرقاوين وهو يستشعرها محرجة من منظرها أمامه منذ قليل .. فاتسعت ابتسامته فجأة وضرب كفا بكف مشيحا بوجهه بينما انفجرت نبضات قلبها كمفرقعات الاحتفالات في سماء مظلمة وهو يبدو أمام عينيها وسيما إلى حد .. مزعج !. ليتجمد اصبعها في الهواء وهي تحدق

فيه قبل أن يعود بوجهه إليها قائلا بلهجة ساخرة وهو يهز رأسه "نعتذر يا استاذة باسمة .. (واستدرك مصححا) أقصد يا باشمهندسة .. اعدك بأن هذا الأمر لن يتكرر وسنحرص على ألا يقترب شهبندر من بوابتكم أبدا .. (ومال برأسه قليلا يسألها بهدوء مستفز وبتلك الابتسامة التي تتراقص على شفتيه) هل هذا كافي؟"

حين لم ترد .. رفع اصبعيه السبابة والوسطى إلى جانب رأسه محييا ثم أجبر نفسه على المغادرة وهو يصفر لشهبندر الذي أسرع خلفه ..بينما وقفت الفتيات يكتمن الضحك ويغمزن هامسات فيما بينهن عن وسامته وطوله وابتسامته الجميلة.

راقبت أم هاشم وقفة بسمة وتحديقها في أثر كامل والغيظ وشيء أخر غامض يبدو على

ملامحها ..ثم استدارت للفتيات تطلب منهن الاسراع بالانتهاء من الافطار حتى يبدأن في العمل لتقترب بعدها من بسمة تقول باهتمام "بسمة .. هل أنت بخير .. تبدين شاحبة جدا .. ألاحظت كيف ينطق اسمك؟!"

انتبهت بسمة وأدارت وجهها نحوها تسألها بحاجبين معقودين" ماذا قلت .. لم اسمعك!"

أما كامل فدخل بوابته يغمغم مبتسما بما طرأ على ذهنه فجأة فقد مرت سنوات طويلة منذ أن جاءته خاطرة شعرية حين كان يكتب الشعر في المرحلة الثانوية :

وأسافر بين زرقة عينيكِ.. أصارع الموج ..
وأهزم الحزن .. ثم يطويني الحنين "

××××

بعد ساعة

هتفت الحاجة نحمده باستنكار " ما معنى أنك ستأخذي السيارة وتقوديها في البلدة .. أتريدين أن تأكل الناس وجوهنا !"

بصبر شديد هي تحترفه قالت مليكة " ولماذا ستأكل الناس وجوهكم يا حاجة نحمدو .. هي سيارتي ومركونة منذ مدة والناس تعرف بأني استطيع قيادة السيارة .. كما أنني استأذنت من مفرح وأذن لي "

هتفت نحمده باستنكار "ولِمَ لا تطلبين أحدا من اخوتك لتوصيلك (وأكملت بلهجة متهكمة) ألا يرسلون لك السيارة دوما في كل متر تتحركينه"

ردت مليكة وهي تعدل من عباءتها الصباحية " لا أحد من اخوتي متفرغ في هذ الساعة حتى مفرح غير متفرغ لاصطحابي فهو في مركز المحافظة يتابع بعض الأمور وأنا أريد أن أذهب

سريعا لمشروع بسمة وأعود قبل أن يحضر
الأولاد من المدرسة "
وقف أحد الغفر أمام الباب المفتوح يقول
"السيارة جاهزة يا ست مليكة "

قالت نحمده "إذن أجلي المشوار حتى يتفرغ
أحد لإيصالك "
هتفت مليكة باستنكار "و هل أنا معاقة!! ..
لقد اجبت على اسئلتك وأخبرتك بأن مفرح قد
أذن لي .. السلام عليكم "
قالتها واستدارت مغادرة بينما جزت الحاجة
نحمده على أسنانها واتصلت بمفرح الذي
بادرها بالقول " نعم أمي "
هتفت بغيظ " كيف سمحت لزوجتك
المصون بنت الحسب والنسب أن تقود
السيارة يا مفرح .. أترغب في أن تكون سيرتنا
على كل لسان في البلدة! "

صمت مفرح قليلا ثم سألها بهدوء" ولماذا
سيتحدث الناس عن سيرتنا يا أمي.. هل
خرجت زوجتي عارية لا سمح الله "
صاحت أمه بغضب " لا توجد نساء تقود
السيارات في قريتنا يا مفرح "
بهدوء قال مفرح "أيوجد قانون في القرية يا أمي
يمنع قيادة النساء للسيارات أو يعتبر أن
قيادتهن عيبا ؟! .. وحتى لو يوجد علينا بتغييره
..ما المشكلة أن تقود مليكة سيارتها فالمشوار
بسيط في داخل البلدة "
اندفعت أمه متخلية عن الحذر الذي تتبعه
دوما معه بشأنها وقالت "ولماذا لا تنتظر
السنيورة أن يتفرغ أحد ليوصلها ..فما أهمية
هذا المشوار حتى لا يتم تأجيله !"
قال مفرح بلهجة حازمة "أمي .. من فضلك ..
هذا الأمر يخصني مع زوجتي .. وحينما
سيتحدث الناس كما تقولين سيتحدثون عن

زوجة مفرح .. وأنا لا أرى فيها مشكلة أن تقود مليكة السيارة فلا هذا أمر ضد الدين أو يسيء لها .. ومركز المحافظة تملأ شوارعه النساء يقدن سياراتهن بشكل طبيعي .. عموما اطمئني الناس كلها تضع لمليكة صوالحة بفضل الله مكانة خاصة بين نساء القرية .. وبالمناسبة لم أحب أسلوب حديثك عنها يا أمي وأتمنى ألا تكوني تستخدمين هذه اللهجة معها لأن هذا سيحزنني كثيرا وأنت وعدتني أنك ستحترمين ما يحبه ولدك ..أليس كذلك؟"

ساد الصمت .. وتقبضت نحمده تمنع نفسها من الانفجار بقول ما يدور في عقلها بينما شعر مفرح بأنه كان حادا معها فقال لتلطيف الأجواء" أتريدين شيئا من المركز يا غالية .. " بغيظ مكتوم ومزاج عكر " لا أريد شيئا يا مفرح وما دمت لا ترى فيها عيبا فأنت حر يا ولدي "

قال مفرح مستاء من أن يغضبها " أنا أحجز قاعة صغيرة للاحتفال بعيد ميلاد أدهم سأدعو فيها مدرسيه واصحابه بالمدرسة ككل عام وبالطبع ستنيرين أنت الاحتفال يا غالية "
ردت نحمده بقرف " أنا لا احضر هذه المناسبات وأنت تعرف .."
صمت مفرح قليلا ثم قال " كما تريدين يا أم مفرح .. عموما إن اردت شيئا اتصلي بي وسأحضره لك وأنا قادم .. السلام عليكم "
اغلقت نحمده الهاتف وقالت بغيظ " يكفي عليك حضور الست السنيورة (واسرعت بالاتصال بفايزة تقول) دوما أقول لك أن بنت الصوالحة سحرت لابني وأنت تقولين لي بأن هذه المعتقدات ليست حقيقية .. (وصرخت بغل) ولكني بعد كل هذه السنوات أؤكد لك أنها قد ربطت قلبه بعمل سحري سفلي عند

أحد الشيوخ البارعين .. حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا مليكة يا بنت الصوالحة "

××××

خرج كامل بعد وليمة الإفطار التي اعدها شامل ليتمشى قليلا مع شهبندر .. وبمجرد أن فتح البوابة تفاجأ بونس تقف هذ المرة على بعد أمتار من البيت ترسم بمقدمة حذائها كالعادة على الأرض وقد ميزت على الفور بأنه توأم أميرها .. بينما جز كامل على أسنانه وحرك انظاره بينها وبين الحائط الذي لا تزال الرسوم تزينه وقال بامتعاض" سأتكلم أنا مع مفرح حتى يتكفل هو بدهان الحائط الذي خربه المجانين وإلا لن أمرر الأمر "

طالعته بعبوس وبمقلتين مقلوبتين ..فضرب كامل كفيه ببعضهما مغمغما باندهاش" لا حول ولا قوة الا بالله !..لا أعرف من أين تأتين

بنظرات التحدي هذه وأنت بنفخة مني تطيرين لكوكب أخر .. الصبر من عندك يا رب"
قالها وتحرك مع الكلب مغادرا ثم رفع هاتفه يقول لشامل في رسالة صوتية على الواتساب"
أنت يا زفت أخرج للشارع وتخلص من المهبولين الموجودين أمام البوابة والا سأتصرف أنا ولن يعجبك ما سأفعل"
عقد شامل حاجبيه وهو يستمع للرسالة وبدأ قلبه يدق لا إراديا بقوة بعد أن استقرأ ما يقصده أخوه فأسرع يخرج من البيت نحو البوابة..
رفعت ونس رأسها بمجرد أن لمحت خيال يخرج من البوابة واحمرت وجنتيها حينما رأته..
إنه هو الأمير .. جني المصباح.

بابتسامة وسيمة قال شامل "صباح الخير رأيتك منذ ساعة تقريبا لكني تحرجت من الحديث معك أمام الناس"

اقتربت ونس ومدت يدها له بكيس تحمله فتناوله شامل منها عاقد الحاجبين قبل أن يفتحه ويخرج ذلك الإناء الفخاري على شكل المصباح ملون ومزخرف بنقوش مبهجة خطفت قلبه من أول لحظة.. فاتسعت ابتسامته أكثر في الوقت الذي رفعت ونس أمامه دفترها وقد كتبت "هذه هدية بسيطة على انقاذك لي تلك الليلة"

بحرج سألها شامل سعيدا "ولماذا هذا الشكل بالذات أليس هذا مصباح علاء الدين؟"

اومأت برأسها ثم عادت تكتب فمد رأسه فوقها يقرأ "لأنني شعرت بأنك مثل جني المصباح خرجت لي من العدم لتنقذني"

قهقه شامل بسعادة فاتسعت ابتسامتها تتطلع فيه بعينين لامعتين وقلب يقفز بجنون في صدرها.

استند شامل على البوابة خلفه وقال" هدية مقبولة (وتفحص المصباح قائلا) أنت موهوبة جدا في الرسم والتلوين ما شاء الله.. (وأضاف بجدية) أتعلمين بأن هذا المصباح سيكون أكثر دقة واحترافية في الصنع لو استخدمتِ الصلصال الحراري؟"

ضيقت عينيها باهتمام فأضاف شامل "ستجدين منه في المكتبات الكبرى وتشكيله سيكون أسهل بكثير من الفخار العادي وتلوينه أيضا لكنه سيحتاج لفرن درجة حرارته عالية" كتبت ونس في دفترها "صلصال حراري؟.. هذا اسمه؟"

لم يعتد شامل بعد على فكرة أنها لا تسمع ولا تتكلم أو ربما كان متألما من الفكرة لكنه أومأ

برأسه ثم قال" ستجدين طرقا رائعة على الانترنت أنا شخصيا جربته في بعض المرات فأنا أيضا أحب أن اصنع هذه الأشياء..(وهرش في رأسه يتفحص المصباح في يده) لكني لست بهذه الموهبة في التشكيل والتلوين "

كتبت ونس بسعادة "أعتقد بأني قد سمعت عنه أثناء دراستي في المدرسة لكن ربما كان له اسما أخر"

سألها شامل بفضول " أ لازلتِ تدرسين؟ "

عبست ونس في وجهه ثم كتبت شاعرة بالإهانة " هل أبدو أمامك مراهقة !"

اتسعت عيني شامل مندهشا ثم اتسعت ابتسامته يهرش في رأسه بحرج ولم يقدر على منع نفسه من تقييمها بنظرة سريعة من رأسها حتى قدميها قبل أن يغمغم بحيرة ضاحكا " لا أعرف "

نظرته الخاطفة تلك فجرت رجفة في أعصابها وأشعلت نارا في وجهها فأشاحت به بعيدا ولسانها يلعب في جانبي خديها من الداخل بحرج ثم عادت لتكتب في الدفتر متصنعة العبوس " أنا لست مراهقة .. أنا عمري ثلاثة وعشرون عاما "

رفعت الدفتر في وجهه بعصبية فأبعد شامل رأسه للخلف قليلا ثم قرأ وضحك لتعود وتكتب " وأنهيت دراستي بدبلوم فني صناعي فوق المتوسط نظام الخمس .. هل تفهم؟ ..فوق المتوسط قسم زخرفة .. أي تعتبر شهادة معهد وليس ثانوية"

رفعت الدفتر أمام أنظاره مجددا بعصبية حتى كادت أن تلصقه بوجهه فقال شامل وقد شعر بأنه أغضبها "حسنا فهمت رغم أني لا أفهم الفارق لكني فهمت"

عادت ونس تكتب" وحصلت على مجموع يؤهلني لكلية الفنون التطبيقية "
رفعت الدفتر بيد ووقفت متخصرة في وقفة استعراضية باليد الأخرى تناظره بافتخار فبدت أمامه شقية وشهية ..فسألها شامل بفضول " رائع ..هذا يناسبك جدا لماذا لم تلتحقي بها؟ "
سكتت عن الحركة تتطلع فيه للحظات بحزن قبل أن تسحب نفسا طويلا إلى صدرها وتكتب بملامح جادة" الكلية خارج المحافظة .. ولم أرغب في أن أجهد أبي ذهابا وإيابا وهو في هذا السن .. كما أن الكلية مصاريف الأدوات والخامات فيها مكلفة جدا يكفي أنه تحملها خلال خمس سنوات في المدرسة بصعوبة.. خلاصة الأمر قررت ألا أكمل تعليمي .. النهاية "

قرأ شامل ما كتبته ولونت الجدية والتعاطف ملامحه فأسرعت ونس بسحب الدفتر وكتبت

منهية الموضوع" عموما سأبحث عن شغل الصلصال الحراري على الانترنت"
قال شامل "أعرف بعض المواقع الأجنبية المتخصصة في التعليم سترين الفيديو وتنفذين بسهولة "
عبست ونس على ذكر المواقع الأجنبية فلا تعتقد بأن لغتها الانجليزية قد تساعدها فقال شامل وكأنه قد خمن ما يدور برأسها "لو ستجدين صعوبة في البحث في المواقع الأجنبية من الممكن أن أرسل لك الروابط .. هل لديك هاتف ؟(ثم صحح باستدراك خوفا من أن يكون قد جرحها) أقصد واتساب أو طريقة تواصل كتابية عبر الانترنت؟"
باندفاع أومأت ونس بالإيجاب وأخرجت الهاتف من جيبها تريه له بسعادة فقال شامل متخليا عن ذلك الحذر الذي يذكر به نفسه

وتوأمه دوما في القرية " إن أردتِ من الممكن أن أرسل لك روابط المواقع على الواتساب"
احمرت وجنتيها واشتعل وجهها .. ففكرة أن تراسل الأمير الوسيم فكرة تفوق كل خيالاتها الحلوة .. لكن حذر الانثى بداخلها جعلها ترفع حاجبا ثم تكتب له" اعطني رقمك وإن لم استطع الوصول لتلك المواقع سأرسل لك"
اتسعت ابتسامة شامل وهرش في أرنبة أنفه بحرج ثم أملاها الرقم سريعا .. فعبست وهي تدونه على هاتفها وأشارت له أن يعيده ببطء.
اشفق شامل عليها وبدأ في املائه ببطء قبل أن ترفع إليه هاتفها ليتأكد من الرقم لتحفظه
..فأومأ شامل برأسه مؤكدا ثم قال "شامل"
تطلعت فيه بعينيها اللوزيتين بتدقيق فكرر "اسمي شامل "
بابتسامة بلهاء على وجهها غمغمت ونس في سرها" ما أحلاه اسماً .. (ثم جعدت جبينها

تفكر) لكنه صعب النطق فهذه (الشين)لو حاولت بلساني المقطوع هذا مائة عام لن انطقها مثلها مثل حرف (السين) في اسم ونس .. لكن من الجميل أن ينتهي اسمي بحرف ليبدأ اسمه بالحرف الذي يليه "

كتبت اسمه على الهاتف فأضاف وهو يراقبها" شامل غنيم نخلة"

تجمدت لثانية ثم رفعت رأسها إليه متسائلة .. فتساءل في سره أهي لهذه الدرجة ضعيفة السمع وتحتاج لقراءة الشفاه كما بحث وقرأ الأيام الماضية عن ضعاف السمع ؟..

كرر شامل نطق اسمه كاملا فحركت ونس رأسها تبحث حولها وتشير على إحدى النخلات باندهاش.. فقهقه شامل ورد وهو يضع يدا في جيبه بينما الأخرى تكاد تحضن المصباح إلى صدره "أجل نخلة كهذه"

انفجرت ونس ضاحكة بفمها الواسع الذي يتوسط صدغيها العريضين فشاركها شامل الضحك وللحظة شعرا بأنهما في داخل فقاعة ملونة معزولة عن العالم .

كشر شامل عن أنيابه فجأة يتصنع الجدية وقال بتهديد مزيف "هذا اسم عائلتنا وهي من العائلات العريقة في بلدنا "

كتبت له ونس في الدفتر "أنت من بلد أخرى أليس كذلك سمعت الفتيات يتحدثن"

أومأ برأسه فكتبت " تتقن لهجتنا جيدا .. لكن سماعتي تلتقط أحيانا لكنة بسيطة في كلامك وكلام توأمك لكني لن استطيع التأكد من ذلك فسماعاتي تخذلني أحيانا أو كثيرا لا أعرف .. وقد لا تلتقط كل شيء بوضوح فلا أعول عليها كل ما اسمعه"

عاد إليه الوجوم ونغزه قلبه .. فهم بأن يسألها عن حالتها بالضبط لكن خروج أم هاشم من

البوابة المجاورة نبه شامل لأنه قد سرقه الحديث مع ونس.

قالت أم هاشم وهي تنقر على كتف ونس فاستدارت لها الأخيرة وكأنها قد ايقظتها من حلم" ماذا تفعلين يا بنت الشيخ عيد؟ .. (وأشارت برأسها تضيف بلهجة حازمة) إن كنت قد أتيت من أجل العمل فهيا الى الداخل فأنت قد تأخرت وأنا حازمة في مثل هذه الأمور "

استدارت ونس بملامح معتذرة ووجنتين مخضبتين بالأحمر لشامل وتحركت بصعوبة إلى داخل البوابة الأخرى بعد أن ودعت شامل بنظراتها اللامعة التي تشده إليها شدا..

وبمجرد أن دخلت ..رفعت الدفتر في وجه بسمة بابتسامة منتصرة مكتوبا فيه " لقد وافق أبي على أن اعمل لديك"

بينما غمغمت أم هاشم على البوابة بلهجة لطيفة وهي تعدل من وشاحها بحركة أنثوية عفوية "بالإذن يا استاذ كامل أو شامل على حسب من تكون"

××××

بعد قليل انتحت بسمة بونس جانبا بعدما أخبرتها أم هاشم بأنها وجدتها تقف مع أحد التوأمين وكانا يضحكان .. ولا تدري لمَ تساءلت في سرها لأول وهلة أهو كامل أم توأمه .. ولا تدري أيضا لمَ شعرت بالانزعاج ليس فقط لأنها تخاف على ونس ولكن لفكرة أن تكون الأخيرة قد تصالحت مع كامل وكانا يضحكان .. لكن انطباعها عن كامل وعجرفته جعلها تستبعد أن يكون هو..

عادت تنفض عنها تلك الأفكار التي وصفتها بالتافهة وغمغمت في سرها " كامل أو شامل ما شأني أنا .. المهم أن أحذر البنت الساذجة من التمادي في الأمر "

وقالت لونس التي وقفت تتفحصها بحاجبين معقودين منتظرة لتعرف ماذا تريد أن تخبرها به " اسمعي يا ونس .. هذان الشابان في بيت الجد صالح غريبان عن البلدة وحتى لو كانا من أهل البلدة تعرفين بأنه لا يصح أن تقفي مع أحدهما وتتسامري ومثل هذه الأمور"

أطرقت ونس برأسها بوجنتين مشتعلتين.. فرفعت بسمة لها ذقنها وأكملت" أنا اتحدث معك لأن أمرك يهمني ولأني أخشى عليك من كلام الناس خاصة وأن هذه ليست المرة الأولى التي أراك فيها تحتكين بأحد التوأمين .. كما احذرك من أن يصل الأمر للعم عيد فأنت تعرفينه أكثر منا "

حاولت ونس الهرب بنظراتها معترفة بكل ما تقوله بسمة لكنها لا تعرف كيف توقف هذا الاندفاع الذي تشعر به تجاه شامل فعادت بسمة تقول "هل تتفقين معي فيما أقول؟" بفتور أومأت ونس برأسها ايجابا ..فربتت بسمة على كتفها مغمغمة " هيا اذهبي إلى العمل " في الخارج ركنت مليكة سيارتها الصغيرة أمام البوابة وترجلت منها تطل عليهن بأناقتها المعتادة في عباءة من قماش الجينز وبتلك الهالة التي تخصها من الوقار الممزوج بالجمال الارستقراطي الهادئ .. فهللت ونس لرؤيتها واسرعت تهرول إليها كطفلة تطوقها بذراعيها . استقبلت مليكة احضانها بسعادة وتأثر قبل أن تدخل لتحيي الجميع وتقول" كيف حالك يا خالة نصرة مبارك لأسراء سامحيني لم استطع الحضور"

ردت نصرة ببشاشة في جلستها أمام إحدى الطاولات تقود عمل الفتيات "بارك الله لك يا أميرة يا بنت الأمراء"

استدارت مليكة لبسمة تقول بلهجة شقية "أخيرا استطعت المجيء لأنشر بركاتي على المشروع.. أعرف بأنكن كنتن في انتظارها..

(واخفضت صوتها تقول لبسمة بإغاظة) واطمئن على أن المكان خالي من الكلاب "

ناظرتها بسمة بغيظ لتقول أم هاشم" هل اخبرتك بما حدث صباح اليوم؟ "

نظرت مليكة لبسمة بنظرات متشفية ثم قالت لأم هاشم "قصت لي الأمر على الهاتف منذ قليل "

قالت أم هاشم بسعادة" تعالي تعالي فقد اكتملت الجلسة بحضورك (وصاحت في الفتيات خلفها) واحدة منكن تحضر كرسي لبنت الصوالحة"

ضحكت مليكة فعادت إليها أم هاشم تقول بلهجة طفولية متفاخرة وهي تعدل من هندامها " هذا بعض الاستعراض أمامك لأريك بأني مسيطرة على الوضع ..وأراقب الشاردة والواردة هنا "

ضحكت الفتيات الثلاث وشاركتهن ونس ثم قالت بسمة مازحة وهي تنظر لمليكة بنظرة حاقدة" احقد عليك لأنك تتقنين قيادة السيارة يا بنت الصوالحة"

طالعتها مليكة بنظرة متعالية من فوق كتفها وردت بفخر صبياني مغيظة "هذه أشياء نتعلمها منذ الصغر حبيبتي في عائلتنا ..قيادة السيارة .. ركوب الخيل (وسألت بسمة سؤالا خبيثا تعرف اجابته جيدا) هل تركبين الخيل "؟

مطت بسمة شفتيها بامتعاض بينما انفجرت أم هاشم ضاحكة فظهرت غمازتيها ثم قالت بتأثر

" اشتقت لهذه اللحظات المراهقة المشاكسة بيننا والله .. واشتقت لأيام الدراسة ولحياة خالية من الهموم والتفكير في المستقبل .. اشتقت إليكما جدا يا بنات "

عاد الوجوم لوجه مليكة وهي تعود بذاكرتها للخلف .. لأيام الدراسة .. فعضت أم هاشم على شفتها قبل أن تتدخل بسمة وتقول بتهكم مقصود " ما بك يا أم هاشم لمَ كل هذا التأثر هل تنتظرين ظروفك الشهرية يا فتاة"

أشاحت أم هاشم بيدها مغمغمة "الهرمونات كلها منفجرة عندي يا اختاه لعدم الاستعمال"

عادت الضحكة لوجوه الثلاثة بينما عقدت ونس حاجبيها تحاول فهم المزحة وشكت بأن سماعتيها لم تلتقط جيدا ما قالته أم هاشم وضحكن عليه .

بعد قليل أغلقت مليكة الهاتف بعد أن طمأنت مفرح على وصولها لبسمة وسمعت إحدى

الفتيات تهتف وهي تدلك ذراعيها "أخيرا الاستراحة(ثم هتفت بسعادة جمة) هيا يا بنات فلنبدأ الحفل"

رفعت مليكة حاجبيها في جلستها على أحد الكراسي الخشبية وراقبت فتاة أخرى تجري نحو البوابة لتغلقها ثم بدأت الفتيات بالتجمع حول نصرة ..فغمغمت بتساؤل "ماذا يحدث؟"

ابتسمت بسمة بينما ردت أم هاشم بامتعاض "هذا وقت المرقعة"

قالت بسمة بهدوء موضحة وهي تراقب نصرة التي تركت مقعدها الخشبي وافترشت الأرض بينما تحلق الفتيات يجلسن بجوارها على هيئة دائرة وكل منهن تفتح ما احضرته كلقمة بسيطة للغداء " البنات يأخذن نصف ساعة راحة عند الظهيرة فيستغلين وجود نصرة لتطبل وتغني وهن يرقصن"

اتسعت ابتسامة مليكة وردت" حقا .. هل سأرى المواهب اليوم؟"

ردت أم هاشم بلهجة ساخرة " مواهب ليست كأي مواهب (وصاحت في إحدى الفتيات التي قررت أن تفتتح الحفل) هيا أري الضيوف المواهب فهذا ما أنتن فالحات فيه لكن عند العمل تتحولن لكسيحات "

ردت الفتاة الواقفة في منتصف الدائرة استعدادا للرقص "أتدرين يا أم هاشم أن من أسباب حبي للعمل هنا هو وجود الخالة نصرة وطبلتها؟"

نظرت أم هاشم لبسمة ومليكة وقالت مستنكرة "أرأيتن الجيل الفاسد!"

قهقهت الفتاتان ثم قالت بسمة " دعيهن يفرغن بعضا من الطاقة فهذا هو الشيء الذي يخفف عنهن صعوبة الواقع .. أنا شخصيا

ابتهج حينما أراهن يرقصن ويغنين وكأنهن بلا هموم "
قالت أم هاشم معترفة وهي تتطلع في الجالسات حول نصرة " أنا أيضا .. لا أنكر ذلك "

جلست ونس بجوار نصرة تنظر للفتيات فأزعجها صوت الطبلة .. فسماعتها تضايقها مؤخرا أكثر من السابق لهذا قررت نزعها لتستمع بدونها فأذنيها تلتقطان الأصوات العالية جدا بدون سماعة وصوت الطبلة مميز وجميل حتى لو كان بعيدا بدون تدخل تلك السماعة السخيفة التي تعصبها حين تلتقط الأصوات بتشويش .
قالت نصرة بوجه طفولي مفكرة " ماذا سأغني؟ .. ماذا سأغني؟ .. سأغني أغنية جاءت في رأسي صباح اليوم"

وبدأت في الضرب على الطبلة فقالت مليكة مقاطعة" هناك سؤال أريد أن أسئله لك يا خالة نصرة .. أنت بسم الله ما شاء الله صوتك رائع وينافس أقوى المغنيات المحترفات وتذكرينني بمطربات شعبيات شهيرات كخضرة محمد خضر وجمالات شيحة "

هتفت نصرة بحب وهي تضرب على صدرها "إنهما حبيباتي ومثلي الأعلى "

ضحكت مليكة وأكملت" وسؤالي الذي دوما أريد أن اسأله لك هل فعلا كان معروضا عليك كما سمعت أن تعملي مغنية لكن والدك رفض "

ردت نصرة بفخر طفولي وقد احمرت وجنتيها أكثر من احمرارهما "هذا صحيح .. حين كنت في الرابعة عشر جاءت الست جمالات شيحة إلى هنا لتحيي حفلا وقد تسللت إلى حيث يضيّفونها وأصريت عليها أن تسمعني ..

(ورفعت عينيها بتأثر لأعلى شاردة وكأنها تستعيد الذكريات الجميلة واضافت) وقتها انبهرت الست جمالات بصوتي وأخبرتني بأنني أمتلك صوتا يطعمني الشهد إن احترفت الغناء .. ولكنها طلبت مني أن أنتظر حتى يكتمل صوتي فلا يجب أن أرهقه في فترة المراهقة .. المهم عدت للبيت وأنا في غاية السعادة ولا أستطيع أن أصف لكن كيف شعرت ومطربة شعبية ذات صيت مثلها تستحسن صوتي .. (وعادت تنظر للمستمعات إليها بانبهار من الفتيات الشابات حولها وتضيف بحماس طفولي) ولن تصدقن أنها جاءت مرة أخرى بعدها بأربع سنوات فمنعني أبي من الخروج من البيت حين علم بوجودها في البلدة .. لكنه فوجئ بأنها تذكرني وبأنها سألت عني أهل البلدة فأتوا يخبرون أبي بأنها تطلب رؤيتي .. المهم تحرج أبي وتركني أذهب إليها .. وأخبرتني الست

جمالات وقتها أنها تستطيع مساعدتي في تعريف الناس بصوتي ومن الممكن أن أنضم لفرقتها وألف معها كل المحافظات لأغني .. وقالت لأبي لتقنعه بأنه إن وافق على ذلك سترعاني كابنتها لأنها متحمسة لصوتي جدا" سألتها إحدى المراهقات" ولماذا لم تذهبي معها يا خالتي هل رفض والدك ؟"

ردت نصرة ضاحكة بحرج وهي تمسك بطرف وشاحها وتغطي به فمها "ليس والدي فقط من رفض بل هلال أيضا رفض بشدة وأمرني بألا أذهب وأصر على أبي أن يعقد عليّ حتى لا أتهور وأذهب .. كان يعرفني أحب الغناء جدا "

هتفت احداهن بهيام "يا عيني يا عيني على الحب والغرام .. أين نحن من قصص الحب هذه .. حسرة علينا "

هتفت نصرة بغيظ" لأن أيامنا كانت أبسط بكثير .. أما أيامكن فمعقدة بأشياء لا يعلم بها

إلا الله .. يكفي أني وهلال تزوجنا بالأساسيات في بيتنا وعلى قدر حالتنا المادية .. ولم يكن هناك تلك الطلبات المبالغ فيها حاليا ولم نكن نتنافس مع أحد "

صرخت الفتاة الواقفة في منتصف الحلقة بتبرم" الوقت يجري يا بنات وأنا تعبت من الوقفة"

اسرعت نصرة تطبل من جديد وبدأت تغني بصوتها الجميل:

من حبي فيك يا جاري

يا جاري من زمان

بخبي الشوق أداري

لا يعرفوا الجيران

غمغمت مليكة باستحسان" الله! .. أحب هذه الأغنية جدا وتذكرني بذكريات جميلة "

بينما لاح أمام عيني بسمة فجأة وجه كامل حين ابتسم هذا الصباح .. فأسرعت بهز رأسها وكأنها

تنفض عنها ذبابة متطفلة وهمست لنفسها بامتعاض" لا توجد ميزة في ابتسامته أصلا ..فهي صورة طبق الأصل من ابتسامة توأمه"
أما أم هاشم فوجمت ملامحها وهمست في سرها" لماذا هذه الأغنية بالذات .. أنا لست في حالة نفسية جيدة لأتحملها"

وحياة حبك ما شبكنا
غير شِبّاكوا وشِبّاكنا
وعيون تنده وتشاور
وتدوب شوقها ببسمة
وعيون تفهم وتحاور
وتسلم ويا النسمة

في الخارج كان التوأمان أمام البوابة يستعدان للعودة للعاصمة وشهبندر يطل هو ولسانه من نافذة السيارة .. فتنامى لمسامعهما صوت الطبلة والغناء من الداخل فنظرا لبعضهما وابتسما وكل منهما يفكر فيمن تخصه.. ركب

شامل أمام المقود يتطلع في هاتفه متسائلا إن كانت ونس ستراسله على الواتساب أم لا ..
بينما جلس كامل بجواره يغلق باب السيارة لكن التفكير فيها لم يغلق في رأسه بعد .. ثم تحركت السيارة مودعة بيت الجد صالح على وعد بالعودة في الأسبوع القادم .

لما تصادف ع السلم
وتصبح ولا تسلم
قلبي بيرقص م الفرحة
والدنيا تدور حواليا
ماعرف إن كنت أنا رايحة
ماعرف إن كنت أنا جاية
وأخبي الشوق وأداري
ليعرفوا الجيران

اسرعت أم هاشم إلى داخل المخزن واختبأت في إحدى أركانه تداري دمعا مصرا على أن يسيل على وجنتيها .. وحاولت بقوة أن تطرد صورته

التي تصر أن تتجسد أمام ناظريها فضربت على رأسها عدة مرات توبخ نفسها "أفيقي يا أم هاشم وتحكمي في نفسك ..هل أنت صغيرة على هذه المراهقة !"

لكن كلمات الأغنية كانت تأتيها من الخارج وتتسلل إلى قلبها بكل خبث وإصرار على إيلامها .. وتتحالف مع الدموع المصرة على التدفق من مآقيها .. لكن أم هاشم بكل تحدي لنفسها أصرت على مسحها ..وعلى استعادة سيطرتها على نفسها ومشاعرها كما تفعل دوما .. ثم سحبت نفسا طويلا وتحركت عائدة وصوت طبلة نصرة لا يزال يدق على قلبها لتفتح له باب الجراح الموصد عليها بألف قفل :

يوم ما تخبط على بابنا

وتجينا يا اعز أحبابنا

أهلك هتكلم أهلي

وتفرح عيني وقلبي

والقى الدنيا بتندهلي

في عنيك الحلوة حبايبي

واقول لك ايه يا جاري

هقولك قايدة ناري

وأخبي الشوق وأداري أدراي

لا يعرفوا الجيران

نادت مليكة أم هاشم تسألها" أين ذهبتِ؟"

غمغمت الأخيرة وهي تداري وجهها" كنت أتأكد من عدد الطلبات التي تم انجازها في انتظار أن تنتهي وصلة المرقعة هذه (وهتفت في الفتيات بحزم) هيا انتهت فترة الراحة منذ عشر دقائق "

بتبرم تحركت الفتيات لتعدن للعمل .. فقالت مليكة وهي تغمز بسمة "حازمة هذه البنت"

ردت بسمة معترفة" الحقيقة تستطيع ببراعة ادارتهن أكثر مني أشهد لها بذلك"

نظرت مليكة لساعتها ثم قالت بسرعة "تأخرت ..والأولاد على وشك الوصول علي أن أذهب بسرعة"

هتفت بسمة "بهذه السرعة!"

xxxx

في المساء

بمقلتين مقلوبتين كان جالسا يناظرهما مباعدا ما بين ساقيه ويديه في جيبي جلبابه البسيط .. بينما الصمت الرهيب يعم الجلسة بشكل مضحك .. فازدادت حرارة وجنتي اسراء وهي تتطلع بعينيها العسليتين في والدها الجالس

أمامها بهذا الشكل وضحكة تريد أن تفلت منها بينما هرش طلال في رأسه بحرج وبعض الضيق وسأله للمرة العاشرة تقريبا" كيف حالك يا عمي؟"

أجابه هلال بنفس الاجابة" بخير والحمد لله .. كيف حالك أنت "

من المطبخ نادته نصرة "يا هلال .. يا أبا كريم" بشفتين مزمومتين وضع هلال قدميه في الخف وتحرك متبرما يترك الصالة متجها نحو المطبخ.. فاستقبلته نصرة بتوبيخ هامس "ماذا هناك يا رجل هل ستكبس على أنفاسهما طوال الوقت؟"

هتف باستنكار" وهل تريدين مني أن أوصلهما لباب غرفة النوم واغلق عليهما !.. ألا يكفي بأنه يحدثها طوال اليوم في الهاتف .. هذا الولد لا ارتاح له .."

اسرعت نصرة بوضع كفها على فمه لتسكته وهي تقول بتوبيخ هامس "اخفض صوتك يا هلال سيسمعك .. أنا فقط أقول اتركهما بضع الدقائق وحدهما فهما في صالة البيت ليسا في غرفة مغلقة عليهما"

ناظرها هلال بمقلتين مقلوبتين لثوان ثم نادى خلفه" يا كريم"

عقدت نصرة حاجبيها ..فأتى كريم مسرعا ليقول له هلال مشيرا له بعينيه" اذهب واجلس في الصالة .. تفهمني أليس كذلك"

بابتسامة محرجة هز كريم رأسه مختلسا نظرة سريعة نحو أمه قبل أن يذهب ..فعاد هلال ينظر إليها بتحدٍ صبياني جعلها تضرب كفا بكف وتنظر للسماء وتشتكي في صمت ..فمط هلال شفتيه وقال وهو يستدير "انتهي من هذا الطعام حتى يأكل ويغادر ..أنا متعب بشدة من العمل وأريد أن أنام"

اسرعت نصرة بمناداته قبل أن يغادر فاستدار إليها بملامح متسائلة.

اعتراها الارتباك الشديد .. فمنذ أمس وهي مترددة في إخباره بأنها ذهبت لمحل جابر ولا تعرف هل تخبره بأنها بالفعل قد اختارت وبأنه وعدها بتخزين البضاعة باسمهم أم تحاول أن تقنعه أولا ليذهب معها وكأنها المرة الأولى ؟..والسؤال الأهم هل سيخبره جابر بما حدث؟.

عادت تستبعد من رأسها الخاطرة الأخيرة ..فهي تثق في أن جابر رجل حكيم وذكي ولن يتحدث مع هلال من تلقاء نفسه .

ضيق هلال عينيه وسألها باندهاش "هل ناديتني لتسمعيني سكاتك يا نصرة؟!"

جبنت نصرة من إخباره.. فأسرعت بقول أول ما جاء إلى رأسها "ما هي احوالك في العمل الجديد؟"

لاح الضيق على وجه هلال ورد بوجوم" أنا غير مرتاح بالمرة يا نصرة ..أشعر بالمهانة وأنا اتلقى أوامر من شاب أرعن في العشرين من عمره لا يحترم سن ولا يحترم أحد ..لكني أصبّر نفسي على أمل أن يشفى والده وينزل للعمل ..فالرجل صحيح سخيف ومتعجرف كابنه لكنه على الأقل يتعامل بمهنية اكتسبها بخبرة السنين"

اشفقت نصرة عليه.. فربتت على صدره مشجعة وهي تقول "أعرف يا هلال بأنك غير مرتاح ولا أجد ما أقوله لك إلا أن أدعو بأن يرزقك الله برزق أولادك"

أومأ هلال برأسه بغير رضا واستدار مغادرا المطبخ بعد أن قال "اسرعي في الطعام يا نصرة أنا صدقا متعب جدا وأرغب في النوم مبكرا .. فاليوم اضطرت لحمل الاخشاب مع العمال لغياب بعضهم "

شعرت نصرة بالشفقة عليه وبالخزي من نفسها أكثر.. فهذه أول مرة تخفي عنه شيئا أو تفعل شيئا دون علمه ..لكن عناده بشأن التعامل مع جابر هو ما دفعها لفعل ما فعلت فهو الحل الاسهل والأقرب من المنطق والذي سيرمي من فوق اكتافهم نصف الحمل تقريبا ..

فرفعت نظرها للسماء تقول" حِلّها من عندك يا رب أنا تعبت من التفكير"

في الصالة نظرت إسراء لكريم الجالس أمامهما على نفس مقعد والده يلعب على هاتفه ثم سألت طلال في محاولة منها لفك جمودها معه "ماذا فعلت في مشكلتك مع المدير؟"

رد طلال مطمئنا "لا بأس أصريت على أن أوضح له سوء الفهم مثلما نصحتني وهو تفهم الأمر"

غمغمت إسراء" الحمد لله"

تسللت يده ليضعها فوق يدها الموضوعة بينهما على الأريكة فأسرعت بإبعاد يدها بحرج وهي تختلس النظرات لكريم المستغرق في اللعب ثم عادت لطلال تحدجه بنظرات موبخة جعلت الأخير يبستم بشقاوة وهمست بلهجة حازمة "قلت لك لا أحب هذا يا طلال .. لو كررتها صدقني ....."

قاطعها طلال يرفع كفيه في الهواء مستسلما وهو يقول بسرعة "آسف ..آسف يا أبلة (ثم أضاف بلهجة ذات مغزى) صبرني يا رب على الأيام المتبقية"

بلهجة عملية وببعض الحرج قالت اسراء "طلال أريد أن أتحدث معك في موضوع ..وفضلت أن يكون وجها لوجه"

عقد طلال حاجبيه وقد شعر بالقلق من جديتها ..لتقول اسراء" أنت تعلم بأن مهلة الشهرين هذه لن تتيح حتى لأغنى العائلات

تجهيز إحدى بناتها بكل شيء ..وتعرف أيضا حالة الغلاء في البلد هذه الأيام .. لهذا أنا اشترطت على أمي ألا تشتري إلا الأساسيات .. بالطبع لن نقل في التجهيز عن أساسيات البيت العصري لكن ما قصدته بأني لا أريد أن أدخل في سباق ..كم غسالة أحضرت وكم ثلاجة وكم فوطة وهذه الامور (وبلعت ريقها تكمل)ولأكون صادقة ..لو كانت حالتنا المادية تسمح بشراء أكثر من ذلك لم أكن لأفعلها ..فأنا أرى أن ما يحدث حاليا هو نوعا من المبالغة المقيتة التي يجب أن نكف عنها"

اتسعت ابتسامة طلال وقال" الحقيقة أنا لا افكر في هذه الأمور ولا أركز فيها (واكمل بلهجة حارة شقية) أنا كل ما افكر فيه هو اليوم الذي ستكونين فيه حلالي حتى لو سنُزَف في الشقة فارغة"

اختلست النظر لكريم ثم أطرقت برأسها بخجل شديد قبل أن تتنحنح وتستحضر حزم المعلمة وتقول "ووالدتك؟.. أنا أخشى ألا يعجبها ذلك مثلما لم يعجبها حفل الخطبة"

رد طلال " بصراحة أنا لا أعرف رأي أمي .. ولا أذكر يوم زواج أخي حمدي ماذا كانت تفاصيل الزواج خاصة وأنه قد حدث منذ عدة سنوات لكن ما أنا أكيد منه أن الأمر سيمر كما مر يوم الخطبة إن شاء الله "

قالت اسراء بإصرار" لكني قلقة يا طلال"

قال طلال مطمئنا "لا تشغلي بالك سأتحدث معها في هذا الأمر"

بلعت اسراء شعورها بالضيق وبغصة مُرة في حلقها وأطرقت برأسها شاردة ..فبرغم من صدقها في أنها لا تحب المبالغة ولا ترغب في أن تدخل في منافسة سخيفة للمفاخرة بما ستجهز به بيتها .. لكن ضيق الحال سيجعل

الجميع يخمن بأن ذلك بسبب ظروفهم المادية التي لم تعد تخفى على أحد.. وليس لأنها جادة في رغبتها في عدم الدخول في منافسة مع أحد ..

ليتها ميسورة الحال لتقف بكل شجاعة وتصر على ما تنويه دون أن يعايرها أحد بضيق الحال

.

قطع شرودها دخول والدها وهو يقول بابتسامة صفراء مصطنعة "إسراء أمك تغرف الطعام ..هلا ساعدتها؟.. فلابد وأن طلال قد شعر بالجوع "

xxxx

بعد يومين

مساء

أغلقت ونس باب غرفتها عليها وعادت للهاتف بحيرة تزداد كل دقيقة .. تكاد تجن وترسل لشامل على الواتساب .. خاصة حينما علمت

بأنه قد غادر مجددا وبأنه يأتي ليوم وليلة أو أكثر كل اسبوع ثم يعود للعاصمة .
أمسكت بالهاتف وباندفاع تعبت من إيقافه كتبت على الواتساب " مساء الخير "
انفجرت ضربات قلبها بعنف وهي تحدق في الرسالة التي وصلته وظلت تنظر في الهاتف كل دقيقة لترى إن كان قد قرأها أم لا .
في المطعم كان شامل يقف في المطبخ مع الطباخين يخبرهم بآخر التعليمات قبل إعادة افتتاح المطعم في اليوم التالي بعد توسعته وتجديده بينما كامل في صالة المطعم يتابع مع العاملين ترتيب المقاعد وديكور المكان ..
لينتحي الأول بعد قليل جانبا ويخرج الهاتف من جيبه يضحك من نفسه ساخرا مما يفعله من سلوك مراهقين صغار على مدى يومين وهو يتطلع في الهاتف كل ساعة تقريبا متأملا في أن ترسل له ونس أية رسالة.. وتسارعت دقات

قلبه حينما وجد رسالة على الواتساب من رقم غير مسجل ..
دقق في الصورة الرمزية للرقم فوجدها صورة حديقة من الورد مختلفة الألوان .. فكتب بسرعة "مساء النور "
انتفضت ونس بمجرد أن أضيئت شاشة الهاتف معلنة عن وصول رسالة وحين قرأتها انفجرت دقات قلبها بعنف شديد .
كتبت " هذا .. أنا"
ابتسم شامل وكتب " مرحبا يا .. أنتِ"
كتبت " هل تعرف من أنا ؟"
اتسعت ابتسامة شامل وكتب "أمممم.. دعيني أفكر "
باندفاع كتبت" هل هناك أكثر من فتاة تراسلك ؟"
قهقه شامل وانفجرت ضربات قلبه فحك جبينه غير مصدق لما يحدث معه فهو ليس

غشيما وهذه ليست المرة الأولى التي يتحدث فيها مع فتاة لكنه يشعر بالفعل بأنها المرة التي.. (لم تحدث له من قبل) .

كتب شامل " وهل هذا يهمك؟"
ساد الصمت لبرهة قبل أن تكتب ونس لتداري اندفاعها " لا .. لا يهم "
كتب شامل بمكر " إذا لمَ كنت تسألي ؟"
ارتبكت ونس وتركت الهاتف تقضم أظافرها .. إنها ترغب في أن تكون تلقائية معه .. تريد أن تتتبع شعورها تجاهه .. وفي الوقت نفسه تخشى بأن يظنها فتاة سهلة ومنحلة ..
أضيئ الهاتف باستلام رسالة جديدة فأسرعت بقراءتها " ألا زلت موجودة؟"
غلبها الاندفاع وغلبتها تلقائيتها فكتبت "سألت لأني كنت أريد أن أعرف هل ستعرفني دون أن أخبرك أم لا "

ترددت قليلا ثم ضغطت على زر إرسال..
فابتسم شامل وكتب بمشاكسة " وهل هذا يهم ؟"
ساد الصمت للحظات فهرش شامل في رأسه وهو يشعر بقلة صبره في انتظار ردها .. وتأكد له بأن ما يحدث معه يحدث معها هي الأخرى .
كتبت ونس " يهمني أكثر مما تتصور "
بمجرد أن قرأها شامل أسرعت ونس بحذفها ثم ضربت رأسها بيدها عدة مرات موبخة بينما رفع شامل حاجبيه وهو يرى الرسالة التي حذفت من أمامه .
صوت كامل من خارج المطبخ يناديه "شامل تعال لحظات أريدك "
فصاح الأخير " قادم "
قبل أن تكتب ونس له " لا بأس انس الأمر"
كتب شامل لينهي حيرتها " أجل أعرف بأنك ونس الشقية "

اتسعت ابتسامتها وهزت قبضتيها في الهواء بانتصار .. ثم ألقت بنفسها للخلف على السرير ترفع قدميها في الهواء بالتبادل بسعادة قبل أن يضيء الهاتف من جديد فاعتدلت تلتقطه وهي ترفع عن وجهها شعرها الكستنائي المموج ثم تقرأ " كيف حالك يا ونس؟"

كتبت بحماس " أنا بخير .. كنت أريد أن اسألك عن روابط المواقع الأجنبية التي حدثتني عنها "

كتب شامل يرد " حاضر .. هلا اعطيتني بضع ساعات فأنا مشغول في ترتيبات المطعم الخاص بي لأن إعادة افتتاحه غدا وهناك الكثير من العمل لإنجازه "

كتبت ونس " لا بأس سأنتظر منك الرد .. آسفة على الازعاج (وجه محرج مغطى بكفين)"

كتب شامل " لا يوجد أي ازعاج أبدا ..لنتحدث فيما بعد .. سلام "

كتبت ونس "سلام"

ثم عادت لتستلقي وتحدق في سقف الغرفة الذي أكلته الرطوبة تضع كفها فوق قلبها وتتنهد بحرارة تنافس حرارة وجنتيها وهمست في سرها " اليوم لن أنام .. لربما أرسل لي في وقت متأخر وأنا نائمة "

أما شامل فأعاد الهاتف لجيبه يحدث نفسه" تبدو مختلفة على الواتساب .. بل تبدو أكثر رزانة وهدوءً"

جاءه صوت كامل من بعيد عصبيا " يا شاماااال "

هدر شامل بانزعاج وهو يتحرك ذاهبا إليه "قلت حاضر يا زفت حاضر "

xxxxx

في ساعة متأخرة من الليل

في الظلام.. وعلى صوت حشرات الليل ونقيق الضفادع تحرك ذلك الظل .. يمشي بالدراجة بجوار الترعة برتابة وبطء .. حتى توقف بجوار أحد الحقول .. ليتحرك ظل ذلك الشخص الذي فوق الدراجة ويكور قطعة من القماش رائحة البنزين تفوح منها بقوة .. فيخرج ولاعة ويشعل طرف القماش قبل أن يلقيها بأعصاب باردة على أحد الحقول..

وظل ساكنا لثوان يشاهد النار التي بدأت تأكل في جزء من المزروعات قبل أن تتحرك الدراجة بهدوء ويواصل طريقه مبتعدا.

بعد دقائق كان أحد الاشخاص يطلق صفيرا متتاليا قبل أن يطلق صوته صائحا "حريق .. حريق في حقل أولاد عابد "

وقلوباً أنهكها التمني ..
والخيبات.

فيا قلب .. صبراً .
ويا رب .. جبراً
ويا شمس العصر لا تغيبي
حتى تشرق في القلب ..
بسمة.

الفصل العاشر

بعد اسبوعين

في موعدها ككل يوم لزيارة مزرعة العمدة نزلت بسمة من التوكتوك وارتبكت حينما وجدت تلك السيارة السوداء الضخمة مرابطة أمام بيت الجد صالح.

هل عاد؟

بعد اسبوعين لم يظهر فيهما عاد.

استدارت تدخل المزرعة متقبضة وهي تتساءل أ جاء هو أم توأمه أم الاثنان معا؟ ..

في حالة من الغضب من نفسها تحركت بعد أن حيّت العمال متجهة إلى الصوبات وهي تنهر نفسها على هذا الاهتمام الذي يسيطر عليها منذ أن جاء هذا المتعجرف ليسكن في بيتها ..

لماذا لا تتجاهل وجوده ؟

لمَ تهتم لذهابه أو عودته ؟..
ما قالته لها مليكة وما لاحظته أم هاشم عن التغير الذي يحدث لها في وجوده يشعرها بالغضب من نفسها .. فهي تعطيه حجما وأهمية اكبر مما يستحق .. تفكر فيه أكثر مما يجب .. يستعيد عقلها وجهه وهيئته وكل ما يخصه بتكرار مقيت يعصبها ويشعرها بالغيظ والغضب .. يشعرها بأنها تفقد تحكمها في ذاتها

..

وهذا يخيفها ..

عند اقترابها من مدخل الصوبات لمحته..
أجل إنه هو الذي يتحدث مع العمال ويشير على بعض الاقفاص التي يبدو بأنها سترسل اليوم لمطعمه في العاصمة..
التقت العيون بنظرة خاطفة جعلتها تسرع بدخول الصوبة في تجاهل مزيف.. وجعلته

يسحب عينيه بسرعة عنها حتى لا يلاحظه العمال ..
لكن قلبه كان يناقض هيئته الهادئة الجادة المتعالية.. قلبه كان يقفز ويرقص كطفل صغير سعيد يستقبل المطر في يوم شديد القيظ ..
لقد انشغل في إعادة افتتاح المطعم الأيام الماضية لكن ذهنه كان معها طوال الوقت..
كانت تحاصره .. تخرج إليه من كل الزوايا والأركان.. تقفز الى مخيلته مهما ألهى نفسه عنها ..حتى أنه حاول أن يعود لشلة الأصحاب ليقضي معهم بعض الوقت كما كان يفعل أحيانا لكنه كان فاقدا للشغف.. شاردا عنهم .. حتى شامل كان مختلفا هو الأخر وهذا ما لاحظه الجميع .. فاستغل أول فرصة استطاع فيها هو وتوأمه الحضور وحضرا في وقت مبكر جدا من اليوم .. يسبقهما الشوق لملاقاة الأحبة.

فشامل أيضا منجذب لتلك الهبلاء .. هذا الأمر أصبح هو اكيد منه .. يكفي بأنه لا يكف عن التحدث معها على الواتساب طوال الوقت .
بعد قليل خرجت بسمة من الصوبة .. بعد أن تممت على الوضع فيها وبعد أن شعرت بالثقة في نفسها وهي ترتدي اليوم ما تحبه من الملابس.. بنطال من بناطيلها الجينز التي تحبها وعليه بلوزة ربيعية طويلة وذلك الوشاح الذي يغطي نصف رأسها .

بإنكار لما يعتريها من مراهقة أنثوية متأخرة تحركت بسمة تبحث عنه بنظرات مختلسة من طارف عينيها .. وبمجرد أن لمحته يتحدث في الهاتف زفرت بضيق وغمغمت لنفسها "لماذا يقف ناحية البوابة ما قلة الذوق هذه !"
تحركت نحو الداخل تتمشى بهدوء وروية وهي تغمغم "فلننتظر قليلا حتى ينتهي سعادته من

المكالمة ويفسح الطريق .. فلست في مزاج لرؤية هيئته المستفزة"
لمحتها عيناه وهي تتجاوز الصوبات وتدخل للداخل وهو الذي كان ينتظر مرورها عند البوابة ليراها عن قرب .. فحانت منه نظرات مختلسة للعمال المشغولين بتجهيز الاقفاص التي تخص مطعمه والتي ستنقلها إحدى الشاحنات بعد قليل وتحرك خلفها وهو لا يزال يتحدث في الهاتف .

ساقتها قدماها نحو مزارع الفاكهة والتي هي في البقعة الهادئة نسبيا في أخر المزرعة وبحدس الأنثى استشعرت وجوده خلفها حتى قبل أن تلتقط أذناها حديثه في الهاتف فزفرت وقررت تجاهله وتصنع عدم ملاحظتها لوجوده .

راقبها كامل بذهن شارد عما يقال له في الهاتف وتأملها كيف تتحرك بخفة غزال بين أشجار الفاكهة .. وبخطوات هادئة سار بالتوازي على الناحية المقابلة

صرخت أمه في الهاتف" هل تسمعني يا كامل أم أني أحدث نفسي"

انتبه كامل وقال "اسمعك يا سوسو ..اسمعك والله حاضر لا تقلقي لقد رتبت هذا الأمر معه"

غمغمت بسمة بقرف" سوسو !"

قالت سوسو متنهدة " إذن سأترك لكما الأمر لأن أبوكما عنيد وأنا تعبت والله ..طلبت منه ألا يخرج للمطعم اليوم وأن يستريح وبأنكما تركتما من يباشر الأمور فيه لكنه مصر بل إنه منذ الصباح يتخذ مقعده المعتاد في المطعم ويباشر هذه وتلك"

قال كامل مطمئنا" اتركيه يفعل ما يريد مادام لا يجهد نفسه"

باستهجان أخذت مخيلة بسمة تتصور شكلا لمن تدعى (سوسو) هذه .. وانتابتها حالة من الغيظ المكبوت من اهتمامها أصلا بالأمر ومع هذا غمغمت في سرها وهي تمد يدها وتلتقط عنقودا من العنب "قمة الوقاحة"

سألته سوسو بانزعاج" وأين شامل لا يرد عليّ؟"

رد كامل وعيناه تتابعان بسمة التي التقطت عنقودا من العنب "شامل في البيت ربما يضع هاتفه على الوضع الصامت سأخبره بأن يتصل بك"

بحركة استعراضية رفعت بسمة العنقود بعد أن مسحته بكفها وكأنها تثبت لنفسها وله أنها لا تنتبه لوجوده وبدأت تلتقط من طرفه بفمها حبة عنب كما كانت تفعل دوما وهي صغيرة .. تتسابق هي ومليكة لالتقاط حبات العنب وأكلها بهذا الوضع ..فاتسعت ابتسامة كامل

وهو يتابع ما تفعل .. وتفوه ببعض العبارات المودعة لأمه بدون تركيز قبل أن يغلق الخط ..ثم توقف يتابعها من تلك المسافة التي تفصل بينهما متمتما بما جاء على لسانه:

" تلهو كطفلة ولا تبالي
بقلب يصبو لمُحال "

ثم هرش في أرنبة أنفه ينظر حوله ليتأكد من خلو المكان .. لكنه عاد يحذر نفسه من أي تهور يفكر فيه بانتهاز الفرصة للتحدث معها. كان الالحاح بداخله شديدا للاقتراب واختلاق أي حجة للحديث ..

أي حديث حتى لو مشاجرة كما يحدث دوما فعليه أن يعترف لنفسه بأنه اشتاق إليها بشدة .. لكنه عاد وذكر نفسه بأن ذلك لا يصح هنا .. ذكر نفسه بمفرح وبأن شيئا متعمدا كهذا يعيبه كصديق .. وذكر نفسه بمصلحتها فلو رآهما أحد لن يكون ذلك جيدا.. فاستجمع قواه وهم

بالمغادرة ملقيا عليها نظرة سريعة ليملأ عينيه برؤياها وهي تلهو بالتقاط العنب بفمها كالفتيات الصغيرات ترفع العنقود وتمد شفتيها لتلقط واحدة فتدفقت الحمم السائلة في عروقه دفعة واحدة قبل أن تجحظ عيناه فجأة في اللحظة التالية ويسقط قلبه بين قدميه .

كانت بسمة قبل ثوان على حالتها تدعي اللامبالاة وتعيش لحظات طفولية لا تعرف كيف سيطرت عليها فجأة .. وفي خضم صراعها الفكري وفي لحظة تتسارع فيها المشاعر المتناقضة بلعت حبة عنب كاملة بحجم عقلة الأصبع وخلال ثوان كانت تختنق حتى أن العنقود سقط منها أرضا.

مالت بسمة للأمام تحاول اخراج الحبة التي وقفت في بلعومها وحاولت السعال لكن الاختناق كان شديدا وبدأت تتوسل لنفس

واحد ..في الوقت الذي أسرع كامل نحوها
يسألها بجزع "باسمة هل أنت بخير؟"
في الثانية الأخرى وحين لم ترد كان كامل يضرب
بباطن يده على ظهرها ضربتين متتاليتين
لإسعافها لكن ذلك لم يسعفها بل مالت
بجذعها للأمام أكثر تشهق بقوة طلبا للهواء
وشحب لونها تماما..
و للحظة ظنتها النهاية .. وقد ازداد شعورها
بالاختناق ..
وبرغم ذلك كان شبح الخوف من الناس يظهر
أمامها كفزاعة حتى وهي على حافة الموت..
فأشاحت له بيدها ليبتعد.
انه ذلك الرعب الخفي من ألسنة الناس ..
ذلك الشعور البشع بأن يخطئ الأخرون فهمك
..
الخوف ..

من سياط الألسنة الجارحة والخيالات
المريضة التي ترعبك حتى وأنت تصارع ما هو
أكثر رعبا ورهبة ..
حتى وأنت تصارع الموت .

تجاهل كامل حركتها واقترب أكثر مستمرا في
الضرب على ظهرها بحزم وإصرار وعقله يعمل
بسرعة لاستعادة خطوات الاسعافات الأولية
لحالات الاختناق مقررا أن يلجأ للخطوة التالية
إن لم تستجب .. فضغط على عنقها من
الخلف لتميل للأمام أكثر وضربها بباطن يده
على ظهرها .. فخرجت حبة العنب من حلقها
وسعلت بسمة بشدة قبل أن تنزل على ركبتيها
أرضا وهي تشهق بقوة شديدة تسحب أكبر قدر
من الهواء إلى صدرها .
تنفس كامل الصعداء ونزل على ركبته بجوارها
يسألها وهو يلهث هو الأخر وكأنه كان يختنق

معها" باسمة أأنت بخير؟ حاولي السعال
..واسحبي نفسا عميقا "
أشارت له بذراعها دون أن تنظر إليه بأن يبتعد
.. فأشفق عليها أن تكون مرتعبة إلى هذا الحد
من أن يراهما أحد رغم اللحظة الصعبة التي
مرت بها منذ دقيقة .. فقال بلهجة حازمة
"حاولي السعال يا باسمة"
بدأت بسمة تسعل وتشهق بشكل متتابع فنظر
كامل حوله يبحث عن مصدر للمياه قبل أن
يستقيم واقفا ويسرع إلى صنبور أرضي يملأ منه
كفيه ويعود إليها قائلا "ضمي كفيك وخذي
بعضا من الماء لتشربي "
بنفس وقفتها على ركبتيها رفعت كفيها فكانتا
ملطختان بالطين فعادت لإنزالهما أرضا
ودخلت في نوبة سعال متتالية ليسرع كامل بمد
كفيه بالماء بسرعة يقربها من وجهها ..

أشاحت بسمة بذراعها أثناء صراعها لتنظيم أنفاسها لتخبره بأن يذهب ..فهدر فيها بحزم" اشربي أولا وسأنصرف بعدها فورا ..هيا"

كانت ترتجف ..

وكانت تشعر بالخوف ..

وكيف لا تشعر بذلك وقد اقتربت من الموت منذ لحظات .

وكانت بحاجة ماسة للاستسلام.

بحاجة ماسة للكف عن التفكير.

وبحاجة لشربة ماء من كف ممدود إليها.

رفع كامل كفيه نحوها بإصرار.. فمالت برأسها لتشرب من بين كفيه رشفتين .. استقام بعدها كامل واقفا ..وتحرك خطوتين متثاقلتين للخلف يرفع شعره عن جبهته بمشط يده قبل أن يسرع مغادرا يبحث عن شخص مناسب ليرسله إليها.

لم يجد كامل حوله سوى عمال المزرعة الذين لا يزالون منشغلين برص الاقفاص فوق الشاحنة التي وصلت منذ دقائق .. فخرج من البوابة بخطوات سريعة واتجه إلى بوابة المشروع يتفحص وجوه الفتيات اللاتي بدأن في الوصول قبل أن يميز من بينهن أم هاشم التي رفعت حاجبا وهي تراه يدخل بهذا الاندفاع عبر البوابة فأسرعت بهندمة وشاحها على رأسها ليقول كامل بلهجة جادة "يا أنت ...يا HR"

اقتربت أم هاشم وهي تتساءل في سرها أهذا شامل أم كامل قبل أن يقول الأخير " باسمة .. اذهبي لباسمة بسرعة .. هناك في المزرعة تحتاج لمساعدة"

طارت الشقاوة من وجه أم هاشم وسألته بسرعة وهي تتحرك مع خطواته "ماذا تعني؟؟.. ما بها بسمة"

قال كامل بعبوس "اذهبي إليها الآن في المزرعة
ستجدينها عند أشجار الفاكهة"
اسرعت أم هاشم بقلق تدخل المزرعة مهرولة
واستعادت بسرعة خريطة المكان من الذاكرة
حين كانت تأتي إلى هنا وهي صغيرة مع البنات
فتلفتت حولها تنادي بهلع" بسمة"
بعد دقيقة كانت بسمة تحاول النهوض وهي
تنطق بالشهادتين براحة وقد انتظمت انفاسها
رغم ذلك الشعور غير المريح في قصبتها
الهوائية ..فأسرعت أم هاشم نحوها تسألها
بقلق "ماذا حدث يا بسمة ما بك؟"

بعد دقائق كان كامل لا يزال واقفا بجوار
الشاحنة التي أوشكت على المغادرة و كل ذهنه
مشغولا بها حتى خرجت تمسك بذراع
صاحبتها وتمشي ببطء حتى دخلت للبوابة

الأخرى.. فزفر براحة وسمح لنفسه أخيرا بالاسترخاء و..
استعادة ملمس شفتيها وطابع حسنها على كفه
..

xxxx

بعد ساعة

كتبت ونس على الواتساب وهي تقف في ساحة المشروع "أنا وصلت منذ قليل "
في بيت الجد صالح اسرع شامل بفتح الرسائل بلهفة بعد أن انتهى من الاتصال بوالدته وكتب
" وأنا أيضا وصلت منذ قليل"
اتسعت ابتسامتها بفرحة شديدة وأدخلت خصلاتها الكستنائية الفارة من الوشاح وكتبت
" حمدا لله على سلامتك "
كتب شامل " ونس "
"نعم"

ترددت أصابعه على الأحرف للحظات ثم كتب" احضرت لك شيئا لكني لا أريد أن اعطيك إياه أمام العاملات فسأتركه بين البوابتين وانتظري مني إشارة لتخرجي لالتقاطه"

نظرت حولها بارتباك وقضمت ظفرها قبل أن تكتب "حاضر"

خرج شامل وتأكد من خلو الطريق من المارة قبل أن يضع كيسا ملفوفا بين البوابتين ويسرع بالدخول مغلقا البوابة ثم كتب "وضعتها"

خرجت ونس تنظر للفتيات خلفها ثم التقطت الكيس وعادت للدخول وهي ترتجف ..

ترتجف رهبة .. وترقب .. وسعادة.

الأيام الماضية لم يكفا عن الحديث ..بدأ بالصلصال الحراري وتلك الروابط التي أرسلها لها ..وتطورت للدردشة عن أجمل التصاميم التي رأتها من الصلصال الحراري وتمنت أن

تنفذها ..ثم تطور بعد ذلك لتبادل المعلومات عن بعضهما البعض فصور لها شامل المطعم .. وصور لها تصاميما للكعكات صنعها بعجينة السكر أعجبتها بشدة .

لم تستطع ونس الصبر ففتحت الكيس لتجد علبة كبيرة من الصلصال الحراري .. وعلى الرغم من فرحتها الشديدة إلا أنها ولأول مرة تتحكم في ردة فعلها فلم تقفز ولم تهلل كالأطفال .. وإنما لاحت الفرحة ممزوجة بالتأثر على وجهها .. ربما لأنها لم ترغب في لفت الانتباه..

وربما بسبب ذلك النضج الذي أصابها مؤخرا .. والذي أخرجها من عباءة الطفولة والتلقائية وتجاهل ردود أفعال الأخرين لتدخل في عباءة أخرى .. تشعرها بأنوثتها .. وتثقلها بكل قلق الأنثى وحيرتها ومخاوفها وأحلامها..

أحلامها مع الجني الأمير ..

كتبت له ونس على الواتساب "صلصال حراري (قلب أحمر) "
شعر شامل بالسعادة لسعادتها وكتب "أعرف بأنك لا تخرجين من القرية كثيرا ويصعب عليك الحصول عليه "
أتاها صوت نصرة من عند الطاولات تناديها فأشارت لها بأن تصبر وفكرت قليلا قبل أن تكتب "كم ثمنه لأدفعه لك؟"
عقد شامل حاجبيه ورد" إنه هدية"
احمرت وجنتيها وكتبت بجرأة "لماذا؟"
اتسعت ابتسامة شامل وأجاب " لأنك قد أهديتني هدية هل نسيتِ ؟"
ازداد اشتعال وجهها فحركت كفها أمامه عدة مرات تهوّي عليه ثم رفعت انظارها للسماء الصافية أمامها تفكر قليلا قبل أن تكتب "ولكني أريد أن أدفع ثمنه .. أنا معي نقود فقد

قبضت مرتبا أسبوعيا من عملي هنا ومصرة أن أدفع ثمن الصلصال "

فكر شامل قليلا ثم كتب" ما دمت مصرة .. أريد ثمنه عينيا وليس ماديا.. اصنعي لي شيئا من الصلصال "

أعجبتها الفكرة فكتبت " مثل ماذا؟"

نادت عليها نصرة مجددا فاستدارت إليها بعبوس ثم عادت لتقرأ رد شامل "لا أعرف .. ربما ميدالية أو أي شيء ترينه مناسبا "

أسرعت بالكتابة " حسنا أتفقنا .. مضطرة أن أذهب الآن"

قبل أن يرد شامل كتبت " شامل"

" نعم"

" شكرا جدا جدا جدا جدا جدا بحجم السماء"

ارسلتها وأسرعت نحو الفتيات تتخذ مكانها بجانب نصرة بعد أن مالت وقبلتها على وجهها

قبلة سريعة جعلت حاجبا نصرة يرتفعان وابتسامتها تتسع باندهاش .

xxxx

أوقف السيارة بصمت أمام بيت العسال وقال دون أن ينظر إليها" إن كنت ستعودين قبل أن انتهي من أعمالي فاخبريني من سيوصلك من بيت العسال قبل التحرك ..وإن أردت أن تنتظري حتى أنتهي من أعمالي وآتي لأن أعيدك فلا بأس ..ولكني سأتأخر قليلا اليوم "

مطت شفتيها وسألته بلهجة متهكمة "كيف أخبرك وأنا لا أمتلك هاتفا"

حدجها بنظرة نارية بجانب عينيه ورد "استخدمي أحد هواتف بيت العسال لإخباري "

جزت كاميليا على أسنانها وهزت ساقها بعصبية .. فأكمل جابر ببرود "سأتصل بعلاء العسال

ليرسل أحد أخوته حتى يأخذ ميس إليك عندما تعود من المدرسة"
قالت بغيظ " وهل سأبقى بدون هاتف هكذا كثيرا حتى تتعطف عليّ سيادتك؟ "
بهدوء شديد وبدون أن ينظر إليها قال جابر بلهجة قاطعة "لم أقرر بهذا الشأن بعد "
تطلعت فيه بعينين ناريتين تشعر بالغيظ وهو ينظر أمامه متجنبا النظر إليها ثم قررت الاستمرار في تجاهله كما تفعل في الأسبوعين الماضيين حتى يرضخ لها في النهاية ويعود إليها مشتاقا ..
إنها حرب إرادات .. وهي تسعى لكسبها .. عليها ألا تبدأ بالصلح .. فقد حاولت في تلك الليلة التي عادت فيها لكنه أصر على المبيت في الغرفة الأخرى .. وكبريائها لن يسمح لها بالتنازل واستعطافه ..

فتحت باب السيارة تهم بالخروج ثم عادت تنظر إليه لتسأله" ولماذا ستتأخر اليوم؟"
أجابها باقتضاب "سأنهي لأمي إجراءات سفرها للعمرة فزين يلح على حضورها ..ومتعجل ..وانتهى من أرسال طلب زيارة لها .. فعليّ أن أكمل باقي الأوراق "
بدون تعقيب تحركت كاميليا تترجل من السيارة أمام بيت العسال .. فتحرك جابر مغادرا وهو يفكر .. هل يعيد لها هاتفها ويكتفي بهذا الوقت الذي منعه عنها؟.. أم يتركها وقتا أطول؟ .. المشكلة التي يعترف بها أن هناك أمور بديهية لا تقال وهو تعب من القول والشرح ..تعب من ارشادها وتقويمها خلال سنوات زواجهما ..هناك جزء فاسد في ذلك القلب الذي يقع في صدرها لم يقدر على علاجه .. ولا يعتقد أن هناك حلا إلا أن يدعو لها الله بالهداية .

أما المعضلة التي باتت تؤرقه هي .. ماذا بعد؟ ..
إنه قد هجر غرفتهما ويشعر بالراحة في الغرفة الأخرى .. ويتعجب كيف انقلب شعوره بها للنقيض بهذا الشكل .. حتى جمالها الأخاذ الذي كان يبهره في الماضي لم يعد يؤثر فيه .. وذلك الجدار الذي نشأ بينهما أصبح أكثر طولا وصلابة وحجبها من أمام عينيه فلم يعد يراها ..ولا يريد.

أجل عليه أن يعترف بأنه لم يعد يريد أن يراها .. أصبحت تذكره دوما بنفس مريضة وقلب اسود ..

انعطف بالسيارة يخرج للشارع الواسع وضميره يناطحه .. يذكره بأنها زوجته والحياة لن تستقيم بينهما بهذا الشكل فإن كان لا يرغب في تنفيذ ما أصبح يفكر فيه بجدية وهو الانفصال من أجل ميس حتى لا تربى بعيدة عنه أو ممزقة

بين والديها .. فحياة بهذا البرود بينه وبين كاميليا في البيت ليست وضعا صائبا أيضا .. على أية حال هو غير قادر أن يضغط على نفسه حاليا للعودة للتعامل معها كالماضي ... ربما بعد فترة .. لكن حاليا لا يرغب في أي شيء .. حتى حقوقه كرجل واحتياجاته لم يعد راغبا في أن يحصل عليها ..وعليه أن يتحمل هذا الوضع كالأعزب عقابا له على سوء اختياره ..على سذاجته حينما قرر الزواج وتخيل بأنه يجازي نفسه بالارتباط بامرأة جميلة ولم يبحث ولم يتأكد من جوانب أخرى فيها ..

حانت منه نظرة سريعة للسماء وهو يتمتم في سره "اللهم إني لا اسألك رد القضاء ولكني اسألك اللطف فيه "

xxxx

عند الظهيرة

بيني وبينك أيه؟
يا ريت تقولي عليه
شغلت بالي ليه
بيني وبينك أيه؟

دندن شامل وهو يقف في مطبخ بيت الجد صالح يصب الماء المغلي من الغلاية الكهربائية في كوب فدخل كامل يدندن معه:

آه من عيونك
آه من قوامك
ومن سكوتك ومن كلامك

بابتسامة أكمل شامل له ..

شغلوني وفتوني
بين همي وظنوني

قهقها بعدها ليسأله شامل وهو يرى توأمه يستعد للخروج " إلى أين؟ "

أجاب كامل " سأذهب للبنك قبل أن يغلق لأودع دفعة في حساب الحاج سليمان بشأن اللحوم ما دمت يا فالح قد نسيت دفتر الشيكات "

هز شامل رأسه وقلب بالملعقة داخل الكوب .. في الوقت الذي عقد كامل حاجبيه واقترب من المنضدة ليرى ماذا يوجد في العلبة الكرتون الموضوعة عليها قائلا" ما هذا؟"

تنحنح شامل ورد وهو يقترب هو الأخر من العلبة" بعضا من البسكويت اشتهيته فصنعته واحضرته معي لنأكله"

ضيق كامل حاجبيه ثم قال متهكما" سأستهبل مثلك وأدعي بأني لا أقرأ افكارك .. ولا أستطيع أن اترجم سلوكك.. وسأتصرف كشخص غريب عنك تماما .. لكن ألا ترى عدم المنطقية فيما تتلفظ به؟ .. تشتهي البسكويت فتحضره معك من العاصمة إلى هنا ! .. لماذا لم تأكله هناك! ..

أم أنك تنجم بما ستشتهي حينما تصل إلى هنا فتؤمن نفسك ؟.. ثانيا كل هذا سنأكله أنا وأنت في يوم واحد سنعود إلى العاصمة في نهايته! .. أ تنوي أن نتغذى على البسكويت طوال اليوم؟!"

زم شامل شفتيه وقال بعبوس "كفاك فزلكة واذهب يا كامل إلى حال سبيلك"

اتسعت ابتسامة وقحة على شفتي كامل واقترب يفتح العلبة .. فأمسك بها شامل يحضنها ليبعدها عنه ..ليقول كامل بلهجة خطرة مهددة "اعطني واحدة وإلا سيكون مصير هذا البسكويت كله التكسير بين أصابعي"

مط شامل شفتيه يناظره بغيظ ثم ناوله واحدة بامتعاض ليقول كامل بصبيانية" أريد اللون الأزرق من فضلك يا شامو"

عوج شامل شفتيه وأمسك بواحدة زرقاء ووضعها بخشونة في كفه الممدود .. فاتسعت

ابتسامة كامل الصبيانية مغيظا ثم قال" لو كنت أخبرتني كنت طلبت منك أن تصنع بسكويتا كله باللون الأزرق وتضع بداخله رسائل ورقية صغيرة ملفوفة تكتب فيها (اشتقت إليك فعلمني ألا أشتاق ..علمني كيف أقص جذور هواك من الأعماق)"

سأله شامل بجدية "أهي بخير بعد ما حدث صباحا؟"

رد كامل وقد عاد لجديته وهم بالمغادرة" لا أعرف ..حاولت أن أراها من نافذة الطابق العلوي التي تطل على ساحة المشروع فلم أجدها ..ولا أعرف إن كانت قد رحلت لبيتها لتستريح أم لا .. لكن صدقا يا شامل كانت من أصعب الدقائق التي مرت بي"

لم يعقب شامل .. فقال كامل مغادرا" لن أتأخر (واستدار يملي عليه بلهجة ساخرة ما كان

يخبره به شامل من قبل)حاذر يا أخي من التهور فنحن في بلدة صغيرة ويجب أن تكون حذر مع هبلاءك"

نظرة نارية حدجه بها شامل رد عليها كامل بحاجبين متراقصين قبل أن يعود للاستدارة ويغادر .. فنظر شامل لعلبة البسكويت واعترف لنفسه بأنها كبيرة الحجم نسبيا وستكون ملفتة لو تركها لها عند البوابة لتأخذها لهذا تردد في إعطائها لها مع الصلصال.. لقد صنعها من أجلها خصيصا ولكنه لا يعرف كيف يقدمها لها.

في الخارج ركب كامل سيارته وبدلا من أن يتحرك بها للأمام تحرك للخلف وأوقفها متعللا بـ(لا شيء) حتى يختلس من نافذة السيارة النظرات عبر البوابة المفتوحة لساحة المشروع

لعله يراها.. وهو يتلمس بأصابعه موضع شفتيها على يده.
لفت انتباهه شخص توقف أمام بوابة بيته فترجل من السيارة وذهب إليه ليجده محصل فواتير الكهرباء ..
أخذ كامل منه الفاتورة ودفع مبلغها ثم عاد إلى سيارته يركبها ملقيا بالفاتورة بإهمال على المقعد المجاور ..لكنه قبل أن يغلق باب السيارة لمعت عيناه وعاد يلتقط الفاتورة تاركا سيارته .

تطلعت عيون الفتيات في كامل الذي يقف أمام البوابة بكل ثقة فتشجعت إحداهن لتقترب منه ليبادرها بالقول" أريد الباشمهندسة"
اسرعت الفتاة نحو الداخل تصيح "يا أبلة بسمة ..يا أبلة بسمة"

أما الباقيات فوقفن يتهامسن متجاهلات نداءات نصرة للعودة للعمل ووصل إلى مسامع ونس أنهن يعتقدنه شامل فأسرعت بالإشارة إليهم بالرفض لينضم مجموعة من الفتيات إليها يؤيدنها بأنه كامل وليس شامل.

خرجت بسمة على صوت الفتاة لتجدها تكتم الضحك وهي تشير على البوابة ..فاتسعت عيني بسمة وهي ترى كامل واقفا بنظارته الشمسية يرتدي بنطالا من الجينز الأسود فوقه تيشيرت أبيض بأكمام قصيرة تبرز عضلات ذراعيه بشكل استعراضي استفزها .. ويضع سترة خفيفة كحلية اللون على ظهره يربط كميها من الأمام حول عنقه.. فتقبضت وهي تقترب منه بينما استمر جدال الفتيات من بعيد حول إن كان شامل أم كامل وبدأن في المراهنة .

وقفت بسمة أمامه بملامح متحدية ترفع رأسها إليه بكبرياء زائف تداري حرجا شديدا وارتباكا بعد موقف الصباح المحرج .. فأعطاها كامل فاتورة الكهرباء قائلا" هذه لك"

تطلعت في الفاتورة بعدم فهم ليضيف كامل "استلمت الفاتورة ودفعتها رغم أني مؤجر حديث للبيت ورغم أن هذا المشروع يستهلك من الكهرباء أكثر من استهلاكي أنا البسيط لها" بمزاج عكر سألته بسمة" والمطلوب؟ ..هل تريد أن نقتسم فاتورة الكهرباء هذه؟"

رد من خلف نظارته حاجبا عنها عيناه اللتان تتفحصان وجهها بتدقيق وتقبّلان طابع الحسن في ذقنها المرفوع إليه "قلت دفعتها يا باشمهندسة وانتهى الأمر ..أردت فقط أن اعطيك الفاتورة لربما احتجتها في حسابات المشروع"

بمناكفة وبكرامة مجروحة من حالتها المخزية صباح اليوم والتي لا تزال تسترجعها كل دقيقة
قالت" لكني مصرة أن أدفع يا أستاذ"
رد كامل بابتسامة تتراقص على زاوية شفتيه وهو يهم بالمغادرة" إذا أصريت على الدفع فسيكون لسبب آخر غير استهلاك الكهرباء"
ضيقت عينيها بتساؤل ليختلس كامل النظر للفتيات اللاتي يقفن من بعيد يلكزن بعضهن ضاحكات ثم عاد ينظر إليها قائلا" أي مشكلة أخرى سأنقذك منها بعد ذلك سأطلب منك راتبا شهريا كون الاقدار تضعني دائما حارسا شخصيا لك "
امتقع وجه بسمة واشتعلت اعصابها غيظا في الوقت الذي خرجت أم هاشم من الداخل تتفقد الموقف وتصيح في الفتيات" هيا يا حلوات إلى العمل"

استدار كامل يهم بالمغادرة أمام بسمة المخروسة لا تجد ما ترد به على هذا المستفز الذي توقف وعاد ينظر إليها قائلا بلهجة متسلية " بالمناسبة "
تطلعت فيه ورغبة قوية في صفعه على وجهه تلح عليها بينما أنزل كامل نظارته الشمسية على أنفه وناظرها من فوقها قائلا بصوت خافت وبلهجة مغيظة " يجب أن تعلمي بأن كل الفاكهة بما فيها العنب لابد أن تغسل جيدا قبل أكلها .. (وتحكم في ضحكة ملحة وهو يرى امتقاع وجهها المرفوع إليه وأضاف) هذه نصيحة من أجل صحتك "
اتسعت عيناها الفيروزيتان وتقبضت بقوة بينما رفع كامل أنظاره عنها لينظر للفتيات الواقفات خلفها من بعيد قائلا بصوت عال وبثقة رجولية أذابت أعصابهن "من قالت منكن بأني كامل هي الفائزة في الرهان"

وغمز لهن من فوق النظارة ثم عاد لبسمة يرفع اصبعيه السبابة والوسطى إلى رأسه مودعا..
قبل أن يغادر .. تاركا الفتيات في الخلف يتقافزن من الحماس ..
وتاركا بسمة تعاني من ارتجافة قلب .
قلب أدركت لحظتها بأنه كان في سبات عميق طوال عمره فأتى هذا الفظ المشاكس ليسلبه منها .
وهذا أرعبها بشدة .. فإن كانت قد خرجت من التجربة السابقة كان لتحكمها في قلبها .. لكن هذه الحالة من فقد السيطرة ..
هذه الحالة من الجنون الذي يعتري دقات قلبها حاليا ..
هذه الحالة من الجوع والعطش والاحتياج بشكل ملح وعاجل ومفاجئ.. لشيء مجهول
هذه الحالة من الذهول لما تشعر به لأول مرة في حياتها ..

كل هذا يشعرها بالخطر .. ويزيد من شعورها بالغيظ منه .. يزيد من رغبتها في المقاومة .. متشبثة بحالة الانكار والمكابرة.

اقتربت أم هاشم من بسمة المتخشبة ووقفت تراقبه وهو يركب سيارته وهمست لها "هذا كثير على أعصابي يا بشر .. هذان التوأمان عليهما مراعاة أن لي ظروفا مكبوتة لا يعلم بها إلا الله "

حرك كامل السيارة ضاغطا على زر مشغل الموسيقى لينبعث منه صوت عبد الحليم عاليا قبل مغادرته:

بحلم بيك أنا بحلم بيك
وبأشواقي مستنيك

غمغمت أم هاشم بشقاوة" بل أنا التي ستحلم بيك (واستدارت لبسمة التي تطحن في

ضروسها وقالت) أنا علمت بأنه كامل وليس شامل ..ليس لأنني استطعت التفريق بينهما ..وإنما بسبب ذلك التغير الذي يبدو على وجهك في وجوده (ولكزتها تقول بشقاوة) عموما مادام يستفزك دوما بهذا الشكل لربما كانت هذه علامة ما"

اتسعت عيني بسمة واستدارت إليها تقول باستنكار" أم هاشم !"

كتمت أم هاشم فمها بيدها بعد أن قالت بابتسامة أظهرت غمازتيها "خرست أم هاشم (ثم رقصت لها حاجبيها تضيف بإغاظة) لكن إن شاء الله يوما ما سيذوب الجليد وسنطلق الزغاريد"

××××

بعد قليل تفاجأت بسمة بشامل يقف على البوابة يتنحنح بحرج فغمغمت أم هاشم "هذا

المكان يزداد تسلية كل دقيقة اللهم صل على النبي!"
قرصتها بسمة وتحركت نحوه بينما اختلس شامل نظرة سريعة نحو ونس التي تقف بعيدا وقد اشتعل وجهها عند رؤيته..
هل اشتاقت إليه ؟
أجل بشدة.
وهل اشتاق إليها؟
أجل ..ويا لدهشته ؟!
بادرته بسمة تقول بلطف "أهلا أستاذ شامل"
قال بحرج وهو يمسك بعلبة البسكويت "الحقيقة لقد خبزت بعضا من البسكويت وأردت أن أهديه لَكُن كنوع من الاعتذار عن سوء الفهم الذي حدث في المرة السابقة..
فأرجو أن يعجبكن "
بابتسامة مجاملة قالت بسمة متخلية عن برودها" هذا لطف منك أستاذ شامل"

لمح شامل احداهن تقف تراقب ما يحدث بلهفة فأشار لها لأن تقترب وتأخذ واحدة من العلبة .. فنظرت لبسمة ثم اقتربت وهي تغطي فمها بحرج والتقطت واحدة من البسكويت..
ابتسم لها شامل وتبعتها فتاة ثانية وثالثة ..وقلبه يتعجله لأن يأتي دور ونس التي شعرت لحظتها بفرحة ممزوجة بشعور بالضيق من أن يشاركها الفتيات في لطف وحنان شامل ..
بيد موضوعة فوق الأخرى على بطنها المسطحة اقتربت أم هاشم تشب بعنقها وتنظر في العلبة بفضول فمد إليها شامل العلبة قائلا" تفضلي "
عدلت أم هاشم من حجابها وغمغمت" أم هاشم .. اسمي أم هاشم مسئولة الـ HR هنا"
ابتسم لها شامل مرحبا فقالت تداري لهفة طفلة متخفية تحت سواد ملابسها "ما دمت مُصِرا لن أردك خائبا"

اتسعت ابتسامة شامل وقال بلطف ليجاملها
"خذي واحدة أخرى من أجل هاشم"
توقفت قطعة البسكوت عند فمها وامتقع
وجهها تناظره متسعة العينان بينما كتم
الفتيات الواقفات المنتظرات دورهن الضحك
.. فتطلع شامل فيهن ثم نظر لبسمة التي انعقد
لسانها للحظات ولم تدري بم ترد..
قالت أم هاشم مصححة بلهجة ممتعضة "أنا
آنسة يا أستاذ .. اسمي الآنسة أم هاشم"
للحظة لاح الغباء على وجه شامل ولم
يستوعب فقال" أفندم !!. كيف هذا ؟!"
ضربت يدا فوق الأخرى ترد " هكذا خلقني الله
هل ستعترض!"
اشارت بسمة بحزم للفتيات والواقفات
يضحكن" هيا إلى العمل (ثم تنحنحت تقول
لشامل موضحة) أم هاشم اسم مركب كاسم
أم كلثوم"

امتقع وجه شامل وأحس بحرج شديد فغمغم بارتباك "أنا آسف .. آسف جدا .. لم أكن أعرف أنه اسم ... آسف جدا"

ردت أم هاشم بهدوء ممتعض "لا بأس .. حصل خير"

شعر بالذنب بسبب سوء فهمه فمد لها العلبة يقول" أرجوك خذي واحدة أخرى"

بمكر صبياني تصنعت أم هاشم البؤس وقوست فمها للأسفل وهي تمد يدها لتأخذ واحدة أخرى ... فأشفق شامل عليها ومد لها بالعلبة كلها قائلا" سأترك لك مهمة توزيع الباقي وأعتذر مرة أخرى ..يا ... آنسة أم هاشم "

أخذت أم هاشم العلبة وهي مستمرة في تمثيل دور البائسة بينما نظر شامل لبسمة قائلا "سأستأذن أنا"

قالت بسمة "شكرا للطفك استاذ شامل"

اسرع شامل الخطى يخرج من المكان بعد أن تبادل النظرات المختلسة مع ونس التي شعرت بالإحباط بينما اتسعت ابتسامة أم هاشم ولاحت أسنانها البيضاء ترقص حاجبيها لبسمة باغاظة .. لتقول الأخيرة من بين أسنانها وهي تقرصها في ذراعها " أنت محتالة يا أم هاشم وأشعرت الشاب بالذنب"

قالت أم هاشم وهي تحضن علبة البسكويت بفرحة طفلة دون العاشرة "المهم أني حصلت على العلبة كلها ..إنها أول مرة أرى فيها بسكويتا ملونا"

اقتربت ونس تمد رأسها لتنظر في العلبة وملأت الحسرة قلبها .. فقطع البسكويت المستديرة كانت مختلفة الألوان ومزخرفة بدوائر ملونة أيضا .. كان منظره شهي ومبهر .. فحزنت بشدة لأنها تمنت أن يكون كل هذا البسكويت لها وحدها ..ليس فقط لأنه أحلى بسكويت

رأته في حياتها ولكن لأن الجني الأمير هو من صنعه.

هتفت أم هاشم في البنات وقد عادت للهجتها الحازمة " من ستنتهي من عملها قبل موعد تسليم الطلبية لها قطعة بسكويت .. ومن لم تأخذ من قبل لها قطعتين عند الانتهاء هيا أروني الهمة"

غمغمت نصرة من جلستها على رأس الطاولات وهي منغمسة في العمل" أجل بالله عليكن أسرعن "

تحركت ونس تطرق برأسها بحزن يديها في الجيبين الأماميين من فستانها القصير الذي ترتديه فوق البنطال الجينز.. فأمسكت أم هاشم بذراعها تقول بلهجة حانية" انتظري أنت ..خذي واحدة والأخرى عندما تنتهين"

تطلعت ونس من فوق كتفها في قطعة البسكويت الخضراء المرقطة بنقط بالأخضر

الداكن ثم نظرت لأم هاشم ورفعت كتفيها برفض وابتعدت تنضم للفتيات بخطوات حزينة .. بينما عادت الاخيرة تحضن العلبة بين يديها بسعادة شديدة .

غمغمت بسمة شاردة في أثر شامل الذي اختفى

" شامل هذا يشبه سيد كثيرا"

قضمت أم هاشم قطعة بسكويت وسألتها عاقدة الحاجبين "تقصدين زوجك السابق؟"

أومأت بسمة برأسها وأكملت شاردة" انه يمتلك دفئا فطريا في التعامل مع الضعفاء وخاصة النساء لذا قد يخطئه البعض لأول وهلة ويعتقد أن حنانه هذا موجه له هو وحده"

ساد صمت ثقيل فتنهدت بسمة لتقول أم هاشم بعد أن تركت قطعة البسكويت في العلبة" لمَ هذه السيرة الآن .. هل تريديني أن أعيد البسكويت لهذا الوسيم؟"

ابتسمت بسمة وردت وهي تربت على ذراعها"
لا يصح أن نحرج الشاب يكفي ما فعلتيه فيه
بشقاوتك يا مشمش"

تأوهت أم هاشم بتأثر" يااااااا الله ! .. ألا زلت
تذكرين ذلك الاسم !"
اتسعت ابتسامة بسمة وقالت" جميل أن
نستعيد بعضا من الماضي بعد أن فرقتنا الأيام
يا مشمش !"
رن هاتف بسمة فأشارت لأم هاشم معتذرة
وردت وهي تنتحي جانبا" نعم مليكة"
أما أم هاشم فوقفت تتطلع في البسكويت
شاردة قبل أن تهمس بتأثر وقلبها يرتجف
بشدة يطالبها بالتحرر.. يسترحمها للبوح
"سامحكِ الله يا بسمة .. لمَ ذكرتني باللقب
الذي اختاره لي الغالي"

xxxx

الغضب..

ممزوجا بالإحباط ومشاعر القهر يسيطرون عليه وهو يسير في الشارع يكاد أن يتوقف قلبه من فرط العصبية والضغط العالي..

ما هذا الذل يا رب؟!

ماذا فعل في حياته ليهان وتسحق كرامته وهو في هذا العمر؟ ..

لقد تشاجر مع ابن صاحب ورشة الاخشاب الذي يعامله باستهانة وعدم احترام .. إن الشاب أرعن وقليل الخبرة وهو يتحمله..

يتحمل صلفه وغروره ... ويتحمل هسترته في الأيام التي يأتي فيها تحت تأثير نوع من الحبوب المخدرة فالكل بات يعلم أنه غير متزن

..ويتحمل توبيخه المتعمد له أمام العمال على أخطاء لم يرتكبها .. ويتحمل أن يضطر لأن يحمل البضاعة مع العمال الشباب في حالة غياب أحدهم لسد العجز رغم أنه من

المفترض رئيس العمال .. يتحمل كل هذا لكن أن يصل الأمر لأن يطلب منه أمام أحد عملائه أن يصنع قهوة لضيوفه وحين وقف مصدوما يحاول ايجاد ردا لبقا ..يرميه هذا المدلل بالماء الموجود في الكوب أمامه!!.

حك هلال جبهته بأنامله بارتباك وهو يتذكر كيف فقد أعصابه منذ قليل وضرب ذلك المدلل المدمن .. وكيف تدخل العمال لتخليصه من يده ..

تطلع في الشارع حوله تائها مهزوما يشعر بالاختناق .. هذه المرة نصرة لن تغفر له .. ولا يعرف كيف سيخبرها بأنه قد طرد من العمل ..

إنها منذ أن خطبت اسراء وهي تعد الأيام والساعات لحفل زواجها .. وتجهد نفسها في عمل نهاري حتى تدبر معه مصاريف تجهيز البنت .. خبر كهذا لا يعرف كيف سيكون وقعه عليها .

رفع أنظاره وتفاجأ بأن قدماه قد ساقتاه لمعرض جابر دبور ..
أ جاء إلى هنا ليبحث عن صديق يفضفض إليه؟
أم جاء ليطلب وظيفة ؟!..
صدره يضيق وشعوره بالذل يتكاثر بداخله ..وهذا ليس بيده .. لا يكره جابر لكنه لا يستسيغ فكرة العمل عنده .
ربما لمعرفته كم أن جابر كريم وشهم .. ربما لأنه لا يرغب بأن يكون عالة على أحد حتى الراتب الذي سيأخذه من جابر يعلم بأنه سيكون أكبر من الراتب العادي .. كل هذا يزيد من شعوره بالعجز والقهر .. كل هذا يصعب عليه تقبل الأمر.
عاد ليتذكر نصرة وخيبة الأمل التي ستكون في عينيها .. وآلمه قلبه .. آلمه بشدة .. لن يقدر

على مواجهتها بخبر كهذا .. لن يقدر على كسر خاطرها ..المسكينة قد لا تحتمل.
تقبض بقوة مستجمعا شجاعته ..وتحرك نحو معرض جابر يهمس لنفسه " فليذهب كبرياءك وكرامتك وشعورك بالإهانة للجحيم يا هلال .. فاقبل ما تصر الأقدار على دفعك إليه "
اعتلى درجات السلم الثلاث أمام المعرض ودخل يسأل عن جابر ليطلب منه مذلولا فرصة عمل فاستقبله عصفور قائلا "مرحبا عم هلال .. مُرني"
انعقد لسان هلال لثوان قبل أن يتنحنح قائلا بحشرجة" أين جابر ؟..أقصد المعلم جابر"
طالعه عصفور بعبوس متفحصا ثم أجاب "آت حالا ..ذهب للمخزن المجاور .. (واضاف بمكر) هل جئت لتنقل الأجهزة الخاصة بالأستاذة اسراء؟ "

نظر إليه هلال لوهلة بعدم فهم ليضيف عصفور " لا تقلق فالأجهزة التي اختارتها أم كريم المعلم يحتفظ بها رغم أنه يحتاج لسيولة هذه الأيام لكنه لم يرغب في أن يردها خائبة .. (امتقاع وجه هلال وعيناه الجاحظتان أمامه جعلاه يشعر بالنشوة فاندفع يضيف بدون تفكير) حتى أنه رضخ لإصرارها وإلحاحها لأن توقع على ايصالات الأمانة للتقسيط بدلا منك لاستشعارك الحرج" وكأن خنجر قد اخترق قلبه .. ليقضي على البقية الباقية من عقله..

جن جنون هلال .. وانقض يمسك بتلابيب عصفور صائحا بجنون" ماذا قلت؟؟ .. ما الذي تهذيه ..أي أجهزة اختارتها أم كريم؟؟؟؟"

تفاجأ عصفور برد فعله العنيف .. فلم يكن يعتقد بأنه سيجن بهذه الطريقة ..ولم يدر ماذا يقول ليصلح ما اندفع به لسانه فصاح برعب"

ماذا فعلت أنا يا عم هلال؟.. أقسم بالله أم كريم جاءت منذ عدة أيام واختارت الاجهزة والمعلم كتب بنفسه عليها أنها محجوزة لكم حتى اسأل العاملين هنا"

مذهولا .. مطعونا في كرامته .. مصدوما في زوجته وصديقه الذي وافقها أن توقع على ايصالات أمانة بدلا منه كما فهم.. كل هذا كاد أن يقضي عليه.. أشعره بأنه على وشك الإصابة بذبحة صدرية فظل ممسكا بتلابيب عصفور يحاول استيعاب الصدمة وقد بدأ العاملين في التجمع حولهما.

في الوقت الذي وصل فيه جابر يقول بانزعاج "ماذا يحدث؟ .. (ودقق النظر حين افسح له العمال المجال وهتف باندهاش) هلال ..ماذا حدث يا هلال؟!"

ترك هلال ملابس عصفور واستدار لجابر يحدجه بنظرات مخيفة فاجأت الأخير فتطلع

فيه بغير فهم بينما هدر هلال" ما يحدث هو نذالة يا صاحب العمر .. نذالة وخسة لم أتوقع أبدا أن تصدر منك أنت يا جابر"

اتسعت عيني جابر مذهولا فسأله هلال وهو يشير على عصفور خلفه" هل ما يقوله هذا الولد صحيحا ؟؟!.."

أسرع عصفور يقول بارتجاف وقد تملكه الرعب "ظننـ ..ظننته يسأل على البضاعة التي تخصهم في المخازن يا معلم "

اتسعت عيني جابر وحدج صبيه بنظرة خطرة ارتعدت لها مفاصل الأخير قبل أن يهدر هلال منفعلا" انطق يا جابر"

صاح جابر في الواقفين بلهجة حازمة "هيا إلى اشغالكم لا أريد لأحد أن يقف هنا"

تفرق العاملون بسرعة بينما قال هلال وهو يندفع ليمسك بتلابيب جابر "لماذا صرفتهم .. أتتجنب أن تكون فضيحتك علنية؟"

أسبل جابر جفنيه ينظر ليدي هلال التي تقبض على ملابسه ثم رفع أنظاره يرد بهدوء وهو يحاول أن يمتص غضب الواقف أمامه "عن أي فضيحة تتحدث أنا لا أفهم .. اهدأ يا هلال واسمعني جيدا"

كور هلال قبضته واستحضر كل مشاعره الهائجة ليفاجئ جابر بضربة بجوار عينه جعلت الأخير يدفعه بخشونة صائحا "أهدأ يا مجنون أنحن صغار على ما تفعل!!"

ابتعد هلال للخلف صائحا بهياج "أنت لم ترى جنونا بعد .. لكن سأنتهي منها هي أولا واتفرغ لك يا معلم (وبصق على الأرض) جابر"

قالها واسرع بالعدو مبتعدا أمام أنظار جابر المذهولة والذي أسرع بالإمساك بعصفور من قفاه قائلا" ماذا فعلت يا متخلف؟!!! "

تكلم عصفور بتأتأة مرتعبا "لم ..لم ..أفعل شيء .. فهمت خطأً أنه جاء ليأخذ الأجهزة التي في المخزن"

دفعه جابر بخشونة فارتطم بالحائط خلفه قبل أن يقول هادرا" هذه نهايتك معي يا عصفور (وقال لأحد الواقفين من العمال بداخل المحل) يا عبد العزيز .. هذا الولد يسلم كل المفاتيح لك وتحسب له مستحقاته ويمشي من هنا فورا .."

هم بالتحرك فأسرع عصفور بالإمساك بكم جلبابه يقول باستعطاف "استحلفك بالله يا معلم .. أرجوك لا تقطع رزقي الأمر تم بحسن نية"

خلص جابر ذراعه من يد عصفور وتحرك مغادرا بعد أن قال لعبد العزيز" لا أريد أن أراه حين أعود"

قالها وألقى بنفسه في السيارة يسرع خلف صاحبه المجنون قبل أن يضر نفسه أو أهل بيته

xxxx

"أفهم من كلامك أنكِ من اطلقت تلك الاشاعات؟"

قالتها وجدان متفاجئة .. فأطلقت كاميليا ضحكة متشفية وردت بثقة "وهل كنتِ تعتقدينني أمزح حينما قلت لك سأفعل ما في وسعي لأمنع زواجه منها ..(ووقفت تنظر أمامها شاردة وهي تضيف) هذه فقط البداية .. فحينما يتحدث أهل البلدة على أن بسمة تساعد الفتيات على قلة الحياء ويقلبون المشروع للمرقعة والطبل والرقص هذا سيضر بسمعة الست الباشمهندسة ..وسترين أن هناك أهالي سيمنعون بناتهم عن الذهاب إلى هناك"

عند باب الغرفة كان بدير يقترب لكنه توقف عند سماع اسم بسمة بينما سألت وجدان بالداخل "ولكن يا كاميليا بم سيضر ذلك بسمة فيمنع بدير من الزواج منها؟"

رفع بدير حاجبا متفاجئا بمعرفة زوجته لأمر بسمة بينما ردت كاميليا بلهجة ماكرة "بالطبع سيضر بها إنها مطلقة وأي سلوك يصدر عنها سيعطي أهل البلدة فرصة للحديث والقيل والقال وتعلمين مواهب الناس في وضع لمستهم الخاصة في أي حديث يتم تناقله .. هذه فقط البداية كما قلت لك لتسوء سمعتها وتكون مثار حديث الجميع والبقية تأتي ..وساعتها سيصرف بدير النظر عن الزواج بامرأة سيئة السمعة"

طالعتها وجدان قاطبة الحاجبين لا تفهم لكن تلك الثقة التي تبدو على كاميليا جعلتها تصمت

ولا تعقب في انتظار أن يؤتي ما تفعله كاميليا ثماره.

أما بدير فغمغم في سره بغيظ "ستظلين ترتكبين الحمق والغباء بكل ثقة يا كاميليا .. (وهز رأسه مفكرا) إذن وجدان تعرف وتدبر مع تلك الحمقاء المكائد .. لا بأس سأتركهما تلعبانها بغباء .. فكل ما ستفعلانه سيصب في مصلحتي أنا وسيقرب البعيد وييسر العسير .. (وغير رأيه عن الدخول وتحرك مغادرا) استمرا .. فما لن نقدر على الحصول عليه بالإلحاح قد نأخذه تَفضُلا منا وشهامة حينما يعزف الجميع عن الزواج منها "

خرج بدير من المنزل وهو يفتح هاتفه ويرسل لها رسالة من ذلك الخط الذي ابتاعه لها خصيصا بعد أن حظرت الرقم الأخير وكتب "يا أميرة .. متى ستتعطفين عليّ وتسمحين لي

بزيارتكم في البيت .. امنحيني فرصة واحدة للحديث معك وستعرفين بعدها أني أفديك بمال الدنيا ..وبأني سأجعلك فوق رؤوس الجميع .. "

ضغط على زر ارسال وغمغم لنفسه "عليك بوضع أكثر من خطة بديلة يا بدير فيبدو أن أبيها البارد يتلذذ بإلحاحك عليه .. فلننتظر لنرى نتيجة تخطيط تلك الحمقاء لربما يأتي من ورائها شيء مفيد (ودلك صدره من فوق جلبابه مضيفا) لكن ماذا سنفعل في الشوق الذي يذبح القلب ويقتل الصبر.. آه يا قلب بدير المعذب! "

xxxxx

في الغرفة الداخلية للمشروع تطلعت بسمة في هاتفها قاطبة الجبين بملامح منزعجة فاقتربت منها أم هاشم تسألها بقلق "ما بك يا بسمة؟"

ضغطت بسمة على أمر حذف فحذفت رسالته
ثم حظرت الرقم وهي تقول" لا شيء شخص
سمج سخيف مصر على مطاردتي"
انزعجت أم هاشم وردت "من يضايقك؟"
بلعت بسمة ريقها ثم غمغمت "بدير العسال"
شهقت أم هاشم وقالت "ألا يزال هذا الرجل
يفكر بك ؟.. اذكر بأنه كان يرغب باستماتة
الزواج منك قبل أن تتزوجي"
زفرت بسمة وقالت بضيق" وبعد أن انفصلت
عاد ليطلبني من جديد"
صمتت أم هاشم قليلا ثم قالت" كنت أود أن
اشجعك على الارتباط بشخص يريدك بهذا
الإلحاح لكني لن أرضى لك أن تكوني زوجة
ثانية ..وبدير هذا أنا لا أطمئن له ولا أعرف لمَ
أشعر بأنه شخص مريب.. يكفي أن تكون أخته
الذبابة الخضراء لترفضيه"

ابتسمت بسمة فسألتها أم هاشم بقلق" ماذا ستفعلين معه؟"
ردت بسمة "لن أفعل شيئا .. أنت تعرفين أنه لو علم أحد من الودايدة قد تتحرك حمية الرجال وقد يتخذ أبي ذلك حجة للضغط عليّ حتى أتزوج لذا عليّ أن اتجاهله فقط"
أطرقت أم هاشم برأسها وغمغمت" عجيب أمرنا وحالنا .. اللهم لا اعتراض على قضائك وقدرك"

على الناحية الأخرى أرسل شامل رسالة على الواتساب لونس "متى ستنتهين من العمل؟"
اهتز الهاتف في جيب ونس فأسرعت بالتقاطه ولم تجد ردا من الكلمات لتعبر عن المشاعر العالقة في حلقها فأرسلت له وجها مبتئسا.
سألها شامل بانزعاج" ما الأمر ماذا حدث؟"

ردت ونس ببؤس طفولي "لم أذق من البسكويت (وجه يبكي)"
بإحباط سأل شامل" لماذا ؟.. أنا تركته مع تلك الأخت ذات الاسم المركب"
كتبت ونس بعناد طفولي" وأنا رفضت أن آكل منه لأنك أعطيته لها (وجه بائس).. لماذا لم تعط العلبة لي أنا وأنا أوزع على البنات ..(وجه غاضب)"
كتب شامل معترفا" أنا شعرت بالحرج الشديد منها ولا أعرف كيف سأواجهها مرة أخرى"
كتبت ونس مشفقة " لا بأس أنت لم تكن تعرف والموقف كان مضحكا"
كتب شامل بسرعة "كان مضحكا وبدوت أنا كالأخرق أليس كذلك ؟..(وجها محرجا مغطى بكفين) لم أكن أعرف بأن هناك اسما مركبا كهذا"

ابتسمت ونس وكتبت "لا بأس هن يعلمن بأنك من بلد أخر ولم تبدو أخرق أبدا صدقني (وهمست في سرها) بدوت وسيما إلى حد يحبس الأنفاس "

ساد الصمت لدقيقة ثم سألها شامل "ألازلتِ حزينة بسبب البسكويت؟"

كتبت وهي تزم شفتيها "حزينة جدا .. حزينة لأنه أجمل بسكويت رأيته في حياتي يا شامل .. للحظة ظننته مصنوعا من الصلصال الملون"

"ونس"

"نعم"

تردد قليلا ثم قال" أتريدين الصدق؟"

"أجل"

"لقد صنعت البسكويت من أجلك أنتِ ..وكنت أعلم بأن ألوانه ستعجبك "

ساد صمت مترقب انفجرت فيها ضربات قلبها واحمرت وجنتيها .. فحاولت التنفس بانتظام

وهي تتطلع حولها بحذر .. بينما بلع شامل ريقه وظل يحدق في شاشة الهاتف يعترف لنفسه لحظتها بأنه قد تجاوز الحد .. بل إنه قد تجاوزه منذ عدة أيام .. منذ أن بدأ في مراسلتها على الواتساب والدردشة معها وهو يعلم بأن هذا مرفوض في الوسط الذي تعيش فيه .. قد تجاوز الحد في حواره معها والذي خرج عن إطار الدردشة العامة لما هو شخصي .. قد تجاوز الحد الذي يسمح به لنفسه معها كفتاة ..فهو كشاب لم يكن أبدا ملاكا لكنه يعلم جيدا أن الفتيات أنواع هناك من ستسمح له بالتجاوز والعبث والشقاوة والبقية من الفتيات يربطه بهن الاحترام المتبادل .. وهو ليس أحمقا ليخلط هذا بذاك ..

لكن معها .. مع ونس ..فالأمر يتخذ منحى أكثر خصوصية واختلافا .. فلا هي من النوع العابث ولا هي من النوع الاخر الذي تتصف العلاقة

معهن بالصداقة أو المعرفة .. الأمر يتخذ منحى شخصي عاطفي وهذا يشعره بالارتباك.
الارتباك في تحديد إن كان ما يفعله صحيحا أم خاطئا .. فهو من ناحية يرغب بشدة في التعرف عليها أكثر وأكثر معترفا لنفسه بأنه منجذب لها .. وفي الوقت نفسه يعلم بأن ذلك التحاور بينهما بالنسبة لعرف أهل البلد لو علم به أحد سيضر بسمعتها .

رفع رأسه يتطلع في السقف يخبر نفسه بضرورة الاسراع في حسم أمره تجاهها .
كتبت ونس "ولهذا أنا حزنت لأني شعرت بأنه لي .. قد تراني طماعة لكن هذا ما شعرت به حقا (وجه يختبئ خلف كفين حرجا)"
صوت التنبيه برسالة على الواتساب جعل شامل ينزل نظراته للهاتف ثم اتسعت ابتسامة حانية على شفتيه وكتب بسرعة "لك علبة

وحدك سأصنعها لك في المرة القادمة إن شاء الله "

اتسعت ابتسامة ونس وانفجرت من جديد ضربات قلبها قبل أن تكتب" متى ستغادر؟"

رد شامل "الليلة بعد حضور عيد ميلاد ابن مفرح"

بإحباط كتبت "بهذه السرعة !"

كتب شامل "هذه المرة علينا العودة بسرعة لأن لدينا حجوزات كبيرة غدا وعلينا مباشرة تنفيذها فلا يزال العمل في البداية "

حركت مقلتيها يمينا ويسارا ثم كتبت "ستسافر في الليل ؟.. أنا لا أحب الليل"

جلس على الأريكة بأريحية وكتب وابتسامة تتراقص على شفتيه "ألن تكفي عن تقليدي؟.. أنا أيضا لا أحبه ..هذا هو التشابه رقم كم بيننا حتى الآن ؟"

قبل أن تجيب تجمدت الابتسامة على وجهها وهي ترفع انظارها لما يحدث أمامها .. ووقفت باندهاش تشاهد ما يحدث مع الخالة نصرة.

قبل دقيقة

بغضب يشل كل مداركه والدماء تغلي في عروقه اقتحم هلال بوابة المشروع .. لتتفاجأ به نصرة وتتطلع إليه بعينين متسعتين مفزوعة والأفكار السوداء كلها قد انفجرت في رأسها دفعة واحدة .. لكن هيئته الغاضبة أربكتها فهتفت بجزع "هلال ..ماذا حدث؟".. هل الأولاد بخير؟"

انقض عليها هلال وسط ذهول الموجودات يشدها من ذراعها ليسحبها من فوق مقعدها صائحا من بين أسنانه "تعالي معي"

قالت نصرة بذهول" ماذا تفعل يا هلال!!"

هدر فيها يشدها من ذراعها حتى اجبرها على الوقوف "قلت تعالي معي إلى البيت هيا"

امتقع وجه نصرة وشعرت بالإهانة أمام الفتيات الصغيرات فقالت بانزعاج "عندي عمل الآن و ..."

صاح بقوة وهو يحاول أن يسيطر على تلك النار التي تنهش في رأسه "أمامي إلى البيت يا نصرة"

خرجت بسمة وأم هاشم من الداخل مفزوعات على صوت هلال الجهوري لتقول الأولى بعصبية" ماذا تفعل يا أبا كريم؟!!"

استدار هلال إليها يصيح في وجهها بعصبية "لا أحد يتدخل بيني وبين زوجتي"

كانت نصرة مذهولة ومحرجة ومجروحة الكرامة فهي ليست صغيرة السن ليعاملها بهذا الشكل أمام الناس فأفلتت ذراعها تقول بكبرياء مجروح وقد أظلم وجهها البشوش "اهدأ يا أبا كريم وانتظرني بالخارج سألملم أدواتي واغسل يدي"

صاح هلال بجنون وهو يشدها بعنف
"كلمة واحدة أمامي فورا"
صرخت الفتيات برعب وأدركن بأنه في حالة
ليست طبيعية بينما اندفعت أم هاشم تقول
وهي تحاول تخليص ذراع نصرة التي تناظره
بوجه أحمر ونظرات عاتبة " اهدأ يا أبا كريم
فما تفعله لا يصح"
تشبث هلال بذراع نصرة الكاظمة لغيظها
وهدر في الجميع بقوة "لا أحد يتدخل بيني
وبين زوجتي وستتحرك معي حالا"
تدخلت ونس بوجه مكفهر تدفعه بغضب
لكنه كان كالجدار بالنسبة لها في الوقت الذي
صاحت بسمة بحزم "من فضلك يا أبا كريم
هذا مكان عمل ولا يصح هذه الفضائح
مشاكلكما تحلاها في بيتكما"
صاح فيها هلال" قلت لن أرحل بدونها
(وشدها بجسدها البدين من ذراعها قائلا)

هيا فورا أنا امسك اعصابي عن ارتكاب جريمة في هذه اللحظة"

حين همت نصرة بالتحرك أُجبر هلال فجأة على ترك ذراعها حينما أطل شامل من خلفه وأمسك بمعصمه يضغط عليه بطريقة أوجعته.

ناظر هلال شامل بحدة والجنون يسيطر عليه وصاح بقوة " كيف تجرؤ!"

قال شامل وهو يدفعه من كتفيه بخشونة "اخرج من هنا"

شقهت نصرة بينما تجمع عمال مزرعة العمدة على صوت صياح الفتيات وحاولوا التدخل ليهدر هلال في شامل محذرا" لا تتدخل فيما لا يعنيك يا هذا "

دفعه شامل مرة أخرى ليجبره على التراجع خطوات للخلف نحو البوابة هادرا بوجه مخيف" قلت اخرج من هنا فورا"

سحبت أم هاشم بسمة وصاحت في الفتيات لتبتعدن عن ساحة المشاجرة "هيا عدن للخلف "

في الوقت الذي أمسك بعض عمال المزرعة بهلال يهدئونه ويطلبون منه الخروج فخلص ذراعيه منهم ووقف أمام شامل رغم فارق القوة الجسدية يقول بتحدي" ما دخلك أنت.. أنا سأبقى في المكان الذي يعجبني"

هذه المرة دفعه شامل بعصبية للخلف فأصبح هلال خارج البوابة ثم هتف الأول بصوت جهوري في الرجال الواقفين وهو يمسك بدرفتها "هيا من فضلكم لا أريد رجلا داخل المكان "

تحرك الرجال خارجين ووقف بعضهم في محاولة تهدئة هلال الذي أخذ صدره يعلو ويهبط والجنون يشتعل في عينيه وهو يرى شامل يغلق الباب على النساء بالداخل

فاندفع يمنعه قائلا" لن أذهب قبل أن آخذ زوجتي"
بذراع واحدة دفعه شامل بعنف وأكمل اغلاق الباب في الوقت الذي ركن جابر سيارته وترجل منها بسرعة بعد أن ذهب لبيت هلال وعلم بأن نصرة لا تزال في عملها.
امسك جابر بهلال مهدئا يقول" هلال ماذا تفعل اهدأ وتعال معي"
دفعه هلال بعيدا عنه بحالة من الهياج واستدار يحدج شامل بنظرات نارية بينما وقف الأخير أمام البوابة يعقد ذراعيه أمام صدره ويناظره بتحدي.
اقترب جابر يقول لصاحبه "هل جننت؟..هل ستفضح نفسك وبيتك في الشارع؟؟"
هدر فيه هلال بجنون "ابتعد أنت بالذات .. ابتعد عني وعن طريقي وعن حياتي"

واندفع نحو شامل الصامت وأمسك
بملابسه في الوقت الذي وصل فيه كامل
..فترجل من السيارة مسرعا بملامح متحفزة.
حاول جابر من جديد ابعاد صاحبه الذي ظل
يقاوم في هياج حتى امسك به كامل من
جلبابه يبعده عن توأمه قائلا "ابعد يدك عنه
.. أأنت مجنون!"
صاح جابر في كامل بحزم "لا تتجاوز في
الحديث من فضلك ودعه لي"
اظلمت ملامح كامل لكنه وقف صامتا متكتفا
بجوار أخيه ليرى علام سينتهي الوضع بينما
قال جابر مترجيا صاحبه "حلفتك بالله أن
تأتي معي يا هلال"

أفلت الأخير ذراعه قائلا لشامل" ماذا تظن
نفسك يا هذا ..ومن عينك حارسا للمكان
..سأبلغ عنكما الشرطة "

رد شامل بهدوء "هات ما تريد .. لكن قدمك
لن تخط عتبة هذه البوابة"
في الداخل وقفت بسمة وسط الأخريات
بأعصاب مشدودة تشعر بالتوتر وتتابع
معهن الأصوات الآتية من الخارج ولوهلة
قلقت من تطور الأمر لمشاجرة كبيرة قد
تضر بمشروعها أو تضر بأحد التوأمين بينما
تقبضت أم هاشم تقول من بين أسنانها"
ماذا حدث لأبي كريم..؟!"
قررت نصرة بلع كرامتها المجروحة والتدخل
لإنهاء الموضوع قبل أن تكبر المشاجرة
وتتوسع خاصة وأن التوأمين الذيّن يسكنان
في البيت المجاور يفوقان هلال في القوة
الجسدية وهذا الأخير عنيد وفي حالة من
الجنون ففتحت البوابة .
تفاجأ شامل بالبوابة تفتح ففك تشابك
ذراعيه وانتحى قليلا لتخرج نصرة تعدل

وشاحها بحرج وتقول "أنا خرجت سآتي
معك يا هلال فلا داعي للمزيد من الفضائح"
بشعور بالخزي من نفسه وبالحرج مما يفعل
وهو غير قادر على التحكم في اعصابه انقض
هلال عليها وكأنه يثبت رجولته المنقوصة
المهانة أمام الجميع بالتسلط عليها فأمسكها
من ذراعها قائلا "أمامي"
تحرك كامل يقف بينهما مستعرضا صدره
يناظر هلال بتحذير صامت .. بينما أمسك
جابر بهلال يدفعه بدوره صائحا بتوبيخ
"اهدأ يا هلال كم مرة سأقولها"
ظل الأخير ممسكا بملابس نصرة بعناد
وصاح بجنون" قلت لا أحد يتدخل بيني
وبين زوجتي"
لم تستطع أم هاشم الصمود أمام الاستفزاز
فخرجت تمسك بيد هلال وتخلص منها
ملابس نصرة وهي تصيح بعصبية "أترك

ملابسها يا أبا كريم .. أتظن نفسك ممسكا بلِص!"
صاح فيها هلال" لا تتدخلي وابتعدي يا أم هاشم"
علا صوتها ترمقه بنظرات نارية وهي تقول "بل سأتدخل فما تفعله عيب عليك وعلى سنك"
رد هلال صائحا" لا تتدخلي يا بنت الشيخ زكريا قلت حتى لا أتهور عليك"
قال جابر بلهجة حازمة" كفى يا أم هاشم" تجاهلته أم هاشم وصاحت تشيح بيدها في وجه هلال غاضبة "هل ستستعرض قوتك عليّ كما تفعل مع زوجتك الآن"
جز هلال على أسنانه يهم بالرد فأمسك به بعض عمال المزرعة يبعدونه بينما هدر جابر فيها صائحا" أم هاشم .. إلى الداخل فورا دون أي حرف إضافي"

ناظرته أم هاشم متقبضة لثوان كان الشرر فيهما يشع من عينيها وصدرها يعلو ويهبط من الانفعال فناظرها جابر بنظرة صارمة جعلتها تسحب نفسا مهدئا وتغمغم وهي تطحن ضروسها "من أجل مقامك أنت فقط يا أبا ميس"

وتحركت خطوتين لتقف بتحفز بجوار بسمة الواقفة بجوار نصرة بمؤازرة صامتة.

قال كامل لبسمة بعبوس "ادخلي أنت والبنات فلا داع للوقوف أمام البوابة"

تحركت بسمة تحاول إدخال نصرة وأم هاشم وباقي الواقفات للداخل لكن نصرة تركتهم وتحركت نحو هلال وجابر تقول "اتركه يا أبا ميس .. تفضل يا هلال انا ذاهبة معك"

ناظر وجهها المكفهر والدموع المتحجرة في عينيها فآلمه قلبه.. وازداد غضبه منها ومن نفسه ومن صاحبه ومن الحياة كلها .. فانتهز

فرصة تدخل أحد العمال مجددا يحيط ذراعه برقبته قائلا " وحد الله يا هلال وتعال"

وتحرك معه يطحن ضروسه وهو يتبعد .. فما يشعر به لحظتها قد يجعله يضرب نصرة في الشارع وأمام الجميع.

قال أحدهم لنصرة مستفهما" ماذا حدث يا أم كريم؟ .. ماذا حدث يا معلم جابر ما به هلال ؟"

أسرع جابر بإغلاق أي سيرة من الممكن أن تكون مصدرا لإشاعات قادمة حين رد بمراوغة" وكيف لي أن أعرف.. فأنا كنت أمر بالصدفة ووجدت المشاجرة"

ظلت نصرة مكفهرة الوجه بدموع متحجرة في مآقيها تتطلع في ظهر هلال المغادر والذي تخلص بطريقة فظة من الرجل الذي يهدئه وانطلق مبتعدا غاضبا .. ثم تحركت للجهة

العكسية مقررة العودة للبيت بدون أن تنطق بحرف.

قالت أم هاشم وهي تسرع خلفها "انتظري يا نصرة أنا قادمة معك "

واستدارت لبسمة معتذرة فأومأت لها الأخيرة متفهمة قبل أن تقول للفتيات "هيا يا بنات عدن للعمل"

اسرع جابر إلى سيارته يقول" وأنا سأحاول أن أذهب خلف هلال لأفهم ما المشكلة"

انتهز كامل الفرصة أخيرا ليسأل توأمه "ماذا حدث؟"

لم يرد شامل وإنما استدار يختلس نظرة سريعة على ونس في داخل البوابة والتي بادلته النظر بعينين لامعتين ممتنتين قبل أن يتوجه لبوابة البيت" قائلا سأخبرك بالداخل"

في آخر الشارع كان جابر يقطع الطريق بسيارته على هلال الذي وقف يناظره في الطريق الخالي وقد عاد له جنونه الذي كان يحاول تحجيمه منذ دقائق فضرب الأخير على سيارة جابر عدة مرات هادرا "ماذا تريد يا قليل الاصل ؟"

خرج جابر يدفعه بعصبية قائلا "أَفهِمني أولا ماذا فعلت لك قبل أن تتهمني بقلة الأصل يا صاحبي"

صاح هلال وقد استفزته الكلمة " لا تقل صاحبي فالصاحب لا يجعل زوجة صديقه توقع على ايصالات أمانة دون علم زوجها"

صاح جابر مذهولا " أأنت مجنون ؟.. لم يحدث ..قسما بالله لم يحدث"

بعناد قال هلال " صبيك قال لي ذلك"

عقد جابر حاجبيه مندهشا .. ثم مد يده في سيارته يخرج منها مصحفا ورفعه على جبينه

قائلا "اقسم بالله مرة أخرى لم يحدث أن وقعت أم كريم معي أيا مما تتفوه به يا هلال"

وقف هلال يتطلع فيه صامتا وصدره يعلو ويهبط فأعاد جابر المصحف إلى داخل السيارة وقال بلهجة متألمة مصدومة منتهزا صمت صاحبه "أنا تظن فيّ ذلك! .. أنا !.. أنا جابر يا هلال أتذكره؟.. (وأكمل بحسرة وحزن) خسارة السنين التي قطعناها سويا .. خسارة العشرة والجيرة .. خسارتك يا هلال .."

صاح هلال قائلا بمكابرة " وهل سيكذب الشاب بشأن زيارة نصرة لمعرضك لقد استقبلني معتقدا أني قد حضرت لنقل الأجهزة "

تماسك جابر وهو يتوعد عصفور في سره ثم قال بهدوء "أم كريم حضرت لتأخذ فكرة عن

الأسعار وأنا تطوعت من عندي بالاحتفاظ بكل ما أعجبها حتى لا أنسى فكتبت عليهم بأنهم باسمك .. باسمك يا صاحبي .. متوقعا أن تلجأ لي في ظرف كهذا ..(وضرب على صدره بقبضته) تلجأ لصديقك جابر ليقف بجوارك في مناسبة كهذه.. عموما هذا هو كل الموضوع .. وأنت فضحت أهل بيتك في الشارع بسبب عصبيتك ورعونتك واندفاعك .. فما سيظن الناس الآن بالله عليك بعد ما فعلت؟"

مصدوما بحقيقة ما حدث .. شاعرا بالندم والخزي من نفسه .. تراجع هلال للخلف يصيح مكابرا" لا شأن لك كيف أتصرف .. وكيف أعامل أهل بيتي .. (وتراجع أكثر أمام نظرات جابر المتألمة يضيف) لا شأن لك بحياتي ولا بعيالي يا جابر.. أنا لم أطلب منك أن تتطوع وتتفضل وتتصدق علينا .. فأنس

ما تتشدق به فيما يخص صداقتنا .. هذه الخرافة لم تعد موجودة فلا تتصرف كالصديق المثالي الوفي الذي ابتلي بصديق مجنون يعض اليد التي تقدم له الاحسان.. (وابتعد أكثر صائحا بألم ومرارة) لا أريد صداقتك ولا احسانك .. هل فهمت .. لا أريد "

واستدار يهرول مبتعدا أمام نظرات جابر الحزينة .. يهرول فارا من خيباته واخطائه .. وغضبه من نفسه ومن الحياة .

xxxx

في المساء

صاحت مليكة في الهاتف معترضة" ما معنى أنك لن تحضري يا بسمة ؟..هذا بدلا من أن تكوني هنا قبل بداية الحفل لتساعديني في تفقد الأمور في القاعة!"

قالتها وهي تقف وسط قاعة احتفالات فخمة في عاصمة المحافظة والعاملين يتحركون حولها يضعون اللمسات الأخيرة للحفل .

قالت بسمة وهي مستلقية في سريرها تدلك جبهتها "صدقيني يا مليكة أشعر بالصداع وبأني فاقدة للطاقة النفسية للتعامل مع أي شخص.. لقد أخبرتك بما حدث صباحا في مزرعة العمدة وما حدث أخر اليوم مع نصرة فأشعر بأني مستنزفة كليا ..خاصة بعد المناقشة الحادة التي حدثت بيني وبين السيد الوالد والذي اتخذ مشاجرة اليوم حجة ليعاود الضغط عليّ في موضوع الزواج وعدم جدوى مشروعي الذي سيجلب عليّ المشاكل إلى آخره"

بصوت مختنق محبط قالت مليكة "حسنا كما تريدين يا بسمة .. سأذهب أنا الآن لأباشر باقي الترتيبات.. سلام"
اغلقت بسمة الهاتف وألقته بجانبها على السرير وأخذت تتطلع في سقف الغرفة وتدلك جبينها شاعرة بأنها نذلة وبأن مليكة كانت تريدها معها في عيد ميلاد أدهم ..
انقلبت على بطنها فغطى شعرها الأسود وجهها وهي تقاوم ذلك الشعور بالاستنزاف والاكتئاب وعدم الرغبة في القيام بشيء إلا بالتقوقع في سريرها أمام التلفاز.. ليلح عليها صوت مليكة المحبط ولهجتها اللائمة تنغزها في الوقت الذي سمعت طرقا على الباب ومهجة تقول" هل أنت جاهزة يا بسمة؟"
همت بالقول بأنها لن تذهب لكن شعورها بعدم الراحة لترك مليكة وحدها جعلها تقول

بثقل" اعطني بعض الوقت يا مهجة
وسأنتهي إن شاء الله"
غمغمت مهجة من وراء الباب" لا بأس أنا
ووليد سننظرك في الطابق الأرضي"
سحبت بسمة نفسا عميقا ثم زفرته بقوة
قبل أن تستجمع همتها وتقفز تاركة السرير
لتستعد للذهاب لحفل عيد الميلاد .

xxxxx

صاحت كاميليا في عصفور في وقفتهما في
ساحة بيت العسال" كيف تتهور و تأتي إلى
هنا لتقابلني يا زفت أنت!!"
قال عصفور حزينا "لأن بيتي قد خرب يا
ست كاميليا"
هتفت بغيظ "ليست مشكلتي أنك غبي
وانكشف أمرك وطردك جابر يا فالح"

قال عصفور باكيا "ألم تطلبي مني أن انتهز أي فرصة لأوصل خبر زيارة أم كريم للمعرض لزوجها؟ "

قالت من بين أسنانها" قلت توصل الخبر وليس أن تختلق أمر الإيصالات التي من الطبيعي أن يجن الرجل ويثور إذا علم بشأنها يا غبي "

قال عصفور نادما "اندفعت بدون تفكير لقول ذلك (وأضاف بتزلف) بيتي قد خرب يا ست كاميليا ..ماذا أفعل .. أنا عبد المأمور وأخدم عائلة العسال منذ سنوات ..بالله عليك تصرفي ..أو أوجدي لي وظيفة أخرى"

قالت كاميليا وهي تهز ساقها بعصبية "حسنا اذهب الآن وسأرى ماذا سأفعل في مصيبتك هذه"

اصفر وجه عصفور فجأة وهو يحدق في نقطة ما خلفها .. فاستدارت كاميليا لتجد

بدير يقف يحدق فيهما بعينين خضراوين خطرتين ..
جف حلقها وحاولت بسرعة إيجاد مبررا لوقفتها مع عصفور .. لكن بدير سأل بفحيح مرعب "ما هذا الذي سمعته؟(ونظر لعصفور وهو يقترب ببطء قائلا) لم تخبرني من قبل بأنك تنقل اخبار جابر للست كاميليا "!
شحب وجه عصفور ونظر باستغاثة لكاميليا المنكمشة رغم تماسكها الظاهري قبل أن يقول بارتباك "الست كاميليا .. الست كاميليا هي من طلبت أن .."
لطمة قوية من كف بدير على صدغه أخرسته فوضع عصفور يده على أذنه ينظر لبدير بعينين متسعتين مرتعبا قبل أن يدفعه الأخير بقوة قائلا بوعيد "حسابك معي عسيرا يا ابن الكلب"

وقع عصفور على الأرض فهتف أمام بدير الذي يناظره من علو غاضبا "السماح يا معلم بدير .. السماح أنا ولائي لعائلة العسال ولحم أكتافي من خيركم لهذا حينما طلبت الست كام....."

"اششششش"

قالها بدير يرفع سبابته أمام فمه يحدجه بنظرات مخيفة محذرا ..فكتم عصفور فمه بسرعة قبل أن يقول بدير" لا أريد أن اسمع حرفا في هذا الشأن ..(وركله بقدمه) اذهب الآن لبيتك ولا تغادره حتى أرسل لك .."

بلع عصفور ريقه الجاف بصعوبة بينما رفع بدير سبابته مهددا "وأقسم بالله لو خرجت منك كلمة هنا أو هناك سأجعل منك عبرة لمن يعتبر "

هز عصفور رأسه عدة مرات وزحف للخلف مبتعدا .. ثم حاول النهوض بصعوبة قبل أن

يقول مرتعبا" حاضر .. أمرك يا معلم بدير .. أمرك"

قالها واسرع بالخروج من ساحة بيت العسال مهرولا بينما استدار بدير لكاميليا التي رفعت أمامه ذقنها تحاول اظهار تماسكها رغم ارتعابها من أخيها الأكبر الذي أمسك بشعرها من فوق الوشاح الذي كانت تلفه بعشوائية حول وجهها وجرها إلى الداخل قائلا من بين أسنانه "تعالي معي"

في أول غرفة قابلته ألقى بها بدير فوقعت على الأريكة قبل أن تقول صارخة "ماذا فعلت أنا؟"

هدر بدير بغيظ "أنت تصرين بكل حمق على هدم حياتك .. ماذا تفعلين بالله عليك؟! .. ما الذي ستستفيدينه من مراقبة جابر ..؟!!"

دخلت وجدان الغرفة تقول لبدير "استهد بالله يا بدير ماذا فعلت كاميليا؟"

بدون أن يلتفت لها هدر بدير "لا تتدخلي يا وجدان ودعيني أربيها قبل أن تفضحنا بنت *** هذه"

صاحت كاميليا بعصبية وهي تقف أمامه تمسح دمعة باغتتها وسقطت "أليس من حقي أن أراقب زوجي وأعرف ماذا يفعل!" ضرب كفيه ببعضهما وقال غير مصدقا "أنت بالفعل مختلة عقليا وغبية .. أولا حتى لو راقبتيه يا جهبذ زمانك وعلمتِ بأي شيء ماذا ستفعلين ؟.. هو في النهاية رجل وسيفعل ما يريد .. ثانيا لو كنتِ تفهمين يا غبية كنت أدركت أن جابر بالذات لن تجدي عنده أي أخبار تستحق ما تفعلينه .. لكنك يستهويك السلطة والتسلط لا أكثر "

قالت كاميليا بلهجة ذات مغزى وهي تسترق نظرة سريعة لوجدان التي لا تزال واقفة

خلفه عند الباب "لربما اكتشفت أن جابر
لديه حب قديم يسعى لاسترداده"
وضعت وجدان يدها على فمها تناظرها
باتساع عينيها في رعب.. بينما اشتعلت عيني
بدير بغضب أسود وازدادت انفاسه تسارعا
مع تغير ملامح وجهه حتى بدا أمامها كوحش
على وشك الفتك بها .. فبلعت كاميليا ريقها
وتحركت خطوتين للخلف فارتطمت
بالأريكة ونزلت عليها جالسة معترفة بأنها قد
تهورت بما تفوهت به.. لكن سبق السيف
العذل لينقض بدير عليها يمسك بذراعيها
ويرفعها لتستقيم واقفة أمامه قائلا بفحيح
مرعب "ما تحاولين التلميح له سأعتبره لعبا
بالنار معي ..(وهزها بعنف) ومن يلعب مع
بدير بالنار .. يحرقه .. (وقرب وجهه ومقلتيه
الخضراوين جاحظتين منها مضيفا) هل
سمعت ؟.. يحرقه يا كاميليا"

اشاحت كاميليا بوجهها بعيدا تضغط شفتيها ببعضهما في رعب بينما أضاف بدير موجها الحديث لها ولوجدان الواقفة خلفه" أنا أعلم بما تخططان له.. وأتجاهله لأنه لعب أولاد صغار .. وأمور كيد النساء هذه لا تؤثر في بدير العسال .. ولا تغير ما هو عازم عليه "

ترك ذراع أخته واستدار يحدج وجدان المحتقنة الوجه بنظرة خطرة قائلا" ولن يؤثر مهما فعلتما فيما يريده بدير "

اسرعت وجدان بالخروج من الغرفة باكية فوقف بدير يحدق في أثرها لثوان ثم استدار لكاميليا وقال وهو يرفع سبابته في وجهها " المصيبة التي فعلتيها لو علم جابر بأنك خلفها لن يمر الأمر على خير"

صرخت كاميليا تدافع عن نفسها" إن عصفور هو الغبي أنا لم اخبره بأن يخترع أمر الإيصالات"

قال بدير بغيظ "ومع هذا يا ست الهوانم أي اضرار بسمعة هلال وأسرته أمر لن يمر بالهين على جابر ووقتها أنا لا أضمن ردة فعله .."
انكسرت نظرة كاميليا رغم تمسكها بعدم الاعتراف بخطئها فقال بدير من بين أسنانه وهو يضرب بسبابته على جانب رأسها بقوة آلمتها" أنت تتصرفين بغباء يا كاميليا..
تذكريني بالمثل الشعبي الذي يقول " متآمر وأهبل " تتصرفين بحمق .. وهذا الحمق سيؤدي لخراب بيتك ووقتها لن أرحمك .. أنا حذرتك أكثر من مرة"
صمتت كاميليا تفكر قليلا ثم رفعت انظارها لأخيها باستغاثة صامتة ليقول بقرف "مبدئيا لا تظهري لجابر بأنك تعلمي أي شيء .. ونتمنى ألا يتفوه زفت عصفور عن سبب المشاجرة لأي شخص .. لأني أكيد بأن جابر لن يتحدث بشأنها حتى لا يفضح صديقه"

تخصرت تقول باندفاع "ولماذا يتكتم على الأمر بهذا الشكل المبالغ فالجميع يشتري منه بالقسط"

رفع بدير نظره للسماء باستغاثة قائلا "صبرني يا رب على الغباء"

تطلعت فيه كاميليا بعينيها الواسعتين بعدم فهم فحدجها بطارف عينيه يقول "يا أم الغباء لأنه على حسب ما سمعت من ابن

*** عصفور أنه ادعى بأن نصرة وقعت ايصالات على نفسها بدلا من زوجها وهذه فضيحة .. لهلال ولزوجك يا ست كاميليا فأي رجل عنده نخوة لن يوافق على أن يأخذ ايصالات أمانة على زوجة صاحبه من خلف ظهره .. فدعيني اعدد لك ما سيترتب على ذلك .. أولا الإضرار بسمعة جابر وأمر كهذا لن يسكت عليه ولو كنتِ أنت سببا فيه ولو من بعيد فستكون النهاية بينكما .. ثانيا هلال

بالنسبة لجابر صديقه المقرب وأية أذية لصديقه بالتأكيد لن يسكت عليها جابر خاصة وأن الأمر بالتأكيد سيضر بسمعة عائلة هلال جمعة وسيؤدي لفسخ خطبة ابنته .. ماذا ستتوقعين أن يفعل جابر بعد كل هذا؟ "

السبب الأخير جعلها تفكر بصوت عال "تفسخ خطبة اسراء !(ثم نظرت في عيني اخيها تقول)هل من الممكن أن يحاول تعويض هلال بأن يطلب اسراء لنفسه !"

رفع بدير حاجبا متفاجئا ثم قال ساخرا "لم يلفت انتباهك من كل ما قلت إلا هذا الموضوع !..(ونكس رأسه يحك جبينه بأنامله في يأس ثم عاد ينظر إليها قائلا) عموما عليّ أن أمنع تلك المصيبة قبل أن يعرف جابر وينقلب علينا وانقلابه سيضر بنا لا محالة ..(وأشار بسبابته محذرا) وأنت

تخرسين وأياك بتسريب تفاصيل المشاجرة بين هلال وزوجته لأي مخلوق وأنا سأعرف كيف أخرس عصفور"

وتحرك مغادرا بعد أن حدجها شذرا من رأسها حتى أخمص قدميها .. فجلست كاميليا تقضم ظفر ابهامها بتوتر مفكرة.

بعد دقيقة دخل بدير غرفة نومه ليبدل ملابسه استعدادا للخروج مرة أخرى فتفاجأ بوجدان التي وقفت بمجرد دخوله تناظره بعينين باكيتين.. وأدرك بأن ساعة المواجهة قد حانت فأخبر نفسه بأن هذا كان سيحدث لا محالة فهو لن يتحمل الصبر على موضوع بسمة أكثر من ذلك فقال لها بهدوء

"تخططين من خلف ظهري مع هذه الغبية يا وجدان! .. عموما عليك بالعلم بأنه مهما فعلتِ أنا لن أترك هذا الأمر"

عقدت وجدان كفيها ببعضهما بقوة تحاول السيطرة على جسدها الذي يرتجف أمامه وقالت بحرقة قلب" هل قصرت معك في شيء لتذلني بهذا الشكل يا بدير؟"
من فوق كتفه قال وهو يبدل جلبابه" أين المذلة .. أنت لك بيتك وستعيشين فيه معززة مكرمة ما تطلبينه ستجديه بإشارة من يدك ..أولادك في حضنك ..وإن كان سيزعجك أن تكون معك في بيت العسال سأبني لها بيتا مستقلا .. "
قالت بلهجة مستنكرة باكية " تقولها بهذه البساطة "
أكمل ارتداء جلبابه النظيف المكوي ثم قال ببرود "أنا لا أخالف الشرع بما أفعل يا أم علاء .. وأنت لست أول من يتزوج زوجها بأخرى"

هتفت وجدان بقهر" لكني لن اتحمل أن تتزوج بأخرى خاصة وأنت مدلهاً في حبها بهذا الشكل"

في لحظة قطع بدير الخطوات بينهما وانقض عليها يمسك بذراعها قائلا بفحيح مرعب "ما دمت تعلمين بأني مدلهاً في حبها فعليك بقبول الأمر مثل أي امرأة عاقلة تحافظ على بيتها وزوجها.."

ناظرته بعينين دامعتين فأضاف "قلت لك لن اقصر معك في أي شيء وكل طلباتك مجابة (ومال على عنقها يقول بأنفاس ساخنة اقشعر لها جسدها) ولا تقلقي سأعدل بينكما في كل شيء (وطبع قبلة على عنقها أحستها كالسم سرى في عروقها ثم قال بحرارة) فأنت ستبقين الغالية أم العيال"

بتذلل قالت وجدان " ما دمت الغالية ..
حلفتك بالله يا بدير سأفعل أي شيء تطلبه
مني لكن لا تفعلها"
ترك ذراعها بهدوء .. واستدار يلتقط
مفاتيحه وهواتفه النقالة ونظارة الشمس من
على السرير ثم رد ببرود وهو يغادر "صدقيني
يا وجدان لو كنت قادرا على ذلك لفعلت ..
عليك بتقبل الأمر (واستدار إليها من عند
الباب يضيف بهدوء وجدية) زواجي من
بسمة أمر نافذ لا رجعة فيه يا وجدان
فحاولي تقبله .. فكما قلت لك أنا لست أول
رجل يتزوج بثانية أو ثالثة أو رابعة .. هذا ما
حلله الله للرجل فهل ستحرّمين عليّ ما
سمح لي به الشرع !"
بنظرات متألمة وكرامة مجروحة ناظرته
وجدان لا تجد ما تقوله وما ترد به .. ليخرج
بدير ويغلق الباب خلفه بهدوء .

انهارت على المقعد تقول باكية " حسبي الله فيك يا .... (كادت أن تقول بدير لكن قلبها لم يطاوعها أن تدعو على زوجها أبو ابنائها فقالت) حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا بسمة يا بنت فاطمة .. ليتك تموتين ونستريح منك ومن سيرتك .. حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا بسمة "
قالتها ثم دفنت وجهها في كفيها تبكي بقهر شديد

xxxx

في قاعة الاحتفال سأل أحد الصبية توأمي غنيم بفضول "وكيف كانت والدتكما تفرق بينكما وأنتما صغار؟"
نظر شامل لكامل ثم أجاب اصحاب أدهم وإياد المتجمعين حولهما " كانت تربط شريطا أزرق حول معصمي وأخر أحمر حول معصم كامل"

سأله أدهم "وهل استغليتما ذلك التشابه الرهيب بينكما في صنع المقالب؟"
نظر التوأمين لبعضهما ضاحكين ثم قال شامل ببراءة مصطنعة" لا ..أبدا ..اطلاقا ..كنا دوما (ونطقها ببطء) مؤدبيّن طيبيّن"
ناظره أدهم بشك .. بينما وقف كامل يكتم الضحك وذهنه مشغول بالتطلع نحو باب القاعة يسأل نفسه نفس السؤال للمرة الألف "هل ستأتي الليلة؟.. أيمكن ألا تحضر الحفل رغم قرابتها لمفرح "
في ركن أخر اقتربت مليكة من مفرح الذي يقف مع بعض معلمي المدرسة يتحدث ..
واستقبلت بحدس الانثى ثرثرة إحدى المعلمات بالذات مع مفرح بغيرة .. بينما فرد هو ذراعه حول ظهرها بمجرد استشعاره لدنوها منه لتقول مليكة مقاطعة "آسفة

للمقاطعة (وقالت لمفرح) مدير القاعة يود الاستفسار عن شيء"
عقد مفرح حاجبيه وقال رغم اندهاشه" آه طبعا"
تحرك معها ثم سأل بمجرد أن ابتعدا" عم تتحدثين ألست أنت من تحددين له التفاصيل!"
حدجته مليكة بنظرة موبخة ثم قالت" كنت انقذك من الثرثرة"
عقد مفرح حاجبيه وقال" كنت ادردش مع المعلمين"
قالت بامتعاض " بل كنت تدردش مع مودموزيل سونيا معلمة اللغة الفرنسية والباقي كان يستمع"
تمتم مفرح متهكما وقد التقط غيرتها بسعادة شديدة "سونيا ! .. "

ردت بابتسامة صفراء مستخفة" أجل ..ألم تعرفك على اسمها أثناء ثرثرتها ؟..فمنذ أن وصلت وهي تثرثر وتثرثر ألا يوجد لديها ذوق" وضع يديه في جيبي بنطاله وقال " ربما قالت ولم انتبه.. لكني لاحظت بأنها تنطق حرف الراء بالغين حتى أنها كانت تدعوني بـ مسيو مفغج"

غمغمت مليكة بقرف وهي تشيح بوجهها "مفغج ! "

اتسعت ابتسامته ومسد على لحيته السوداء وهو يقول" عموما كنا نتحدث في موضوع تطوير المناهج"

نظرت إليه مليكة تقول باستنكار" ولماذا تتحدث معك أنت في ذلك هل أنت وزير التعليم؟"

مال بجذعه يقترب منها هامسا" هل اعتبر هذا غيرة.."

ناظرته من فوق كتفها بتعال ثم عادت ونظرت أمامها تقول باستهجان" أغير مِن مَن! .. أنا مليكة صوالحة"

يعلم بأنها تشاكس وهذا يسعده بشدة.. يسعده أن تعود للحياة من جديد .. أن يشعر بأنها ليست زاهدة فيه وفي حياتها معه ..وأعاده هذا الشعور لأيام المراهقة ..لأيام مشاكساتهما معا

..

أعاده هذا الشعور للحياة ..

وأعادها ..

وضع يديه في جيبي بنطاله وقال بتعال مماثل" تشرفنا ..وأنا ابن الزيني .. أية خدمة؟"

حدجته بنظرة جانبيه بطارف عينها دغدغت أعصابه واسعدته تلك الابتسامة التي ارتسمت على محياها الجميل لتتسع تلك الابتسامة وهي ترى محمد ابن مصطفى الزيني يدخل مع أخته منة الله القاعة.

راقب أدهم منة الله وهي تدخل ترتدي بنطالا من الجينز وبلوزة أنيقة لامعة وشعرها تطلقه خلف ظهرها ترفع جانبيه بدبابيس شعر لامعة .. فاحمرت وجنتيه وهو يراقبها تقترب هي وأخوها من مفرح ومليكة.

قالت مليكة بسعادة وهي تحضن وجه منة الله بين كفيها وتميل لتقبل وجنتها" ما هذا النور والحلاوة والرقة!"

اتسعت ابتسامة منة الله بينما سلم مفرح على محمد وسأله" أين البقية أنا قلت لأبي حمزة أن الجميع مدعوون وهو اعتذر عن حضوره لكني توقعت أن أخوتك كلهم سيحضرون"

رد محمد بحرج "حمزة في العاصمة كما تعرف والباقين لديهم التزامات لم يستطيعوا الحضور وأنا جئت مع منة بالنيابة عنهم"

ربت مفرح على ذراعه وتمتم" أنرتنا يا باشمهندس ما أخبار كلية الهندسة؟"

رد محمد "بخير الحمد لله"
نظر مفرح لمنة وقال مشاكسا" ومن الآنسة؟..
ألن تعرفنا يا محمد؟"
عاد لمنة حرجها ورفعت أنظارها لأعلى في يأس
فمد مفرح يده إليها للسلام قائلا" مفرح الزيني"
جارته منة في المزاح وسلمت عليه تقول بدلال
انثوي عفوي" منة الله الزيني"
رفع مفرح حاجبيه قائلا باستهبال "الزيني أيضا
(وسأل محمد المبتسم) هل تقرب لك يا
محمد؟"
أحاطت مليكة ذراعها بعنق منة الله تضمها
إليها قائلة" كف عن مشاكسة البنت يا مفرح"
وطبعت قبلة على خدها .. بينما تلفت محمد
حوله ثم قال لمنة" تعالي لنقدم لأدهم الهدية
.. نستأذنكما"
تحركت منة مع أخيها ثم قدم محمد الهدية
لأدهم يقول "كل عام وأنت بخير يا أدهم"

اتسعت ابتسامة الأخير فقالت منة" كل عام وأنت بخير (ثم أضافت بحماس)طمئني على الهدية هل أعجبتك؟"

تركها محمد مع أدهم وإياد واصدقائهم وذهب لينضم لبعض الشباب الذين يعرفهم بينما اشتعلت وجنتي أدهم وهو يفتح الهدية ورأس إياد تطل بفضول بجواره ليخرج أدهم تيشيرتا أسودا مطبوعا عليه صورة أحد أبطال المصارعة واسم أدهم عليه بحروف إنجليزية فأسرع إياد بالقول منبهرا" واااو أحببت الهدية جدا"

تلجم أدهم ولم يجد ما يقوله شاعرا بالسعادة الشديدة فقالت منة بحماس" لقد اشتريت التيشيرت بنفسي واخترت صورة ذلك الرجل المصارع الذي رأيت ملصقاته على كتبك فاشتريت الصورة والحروف من محل طباعة وطلبت منه أن يطبعها على التيشيرت باسمك"

غمغم أدهم بسعادة " أعجبتني جدا شكرا لك"
أطرقت منة بخفر وهي ترفع خصلة من شعرها إلى خلف أذنها بينما خطف أحد أصحاب أدهم التيشيرت بمناكفة فأسرع الأخير خلفه وسط ضحكات البقية .
من وقفتها راقبت مليكة المشهد من بعيد وهي تتأبط ذراع مفرح وغمغمت تتأمل منة الله التي انتحت جانبا تضحك على ما يحدث " ما شاء الله كلما كبرت كلما ازدادت جمالا .. (وغامت عيناها تضيف) أحبها هذه البنت يا مفرح .. أشعر بأنها تعيش سنها وأن مصطفى وصفاء قد ربياها بعيدا عما يحدث هذه الأيام مع الفتيات في سنها (وجالت بنظراتها في القاعة لزميلات أدهم اللاتي يتسامرن وقالت) انظر لطريقة لبس الفتيات اللاتي يتراوح سنهن بين الحادية عشرة والثانية عشرة يبدين كالنساء أكثر منهم مراهقات في عمر الزهور .. طريقة لبسهن وزينة

وجوههن المبالغ فيها .. جرأتهن في الاختلاط رغم أصولهن الريفية .. يوما ما حينما يكبر الأولاد أتمنى أن يختارا زوجات من بيت أصول وتربية كبيت مصطفى الزيني "

لف مفرح ذراعه حول جذعها قائلا وهو يطالع أناقتها بعينين لامعتين " أو من بيت الصوالحة "

اشتعلت وجنتيها وهي تناظره بطرف عينها بتلك النظرة الساحرة فأضاف مفرح " لن أنسى أبدا مليكة الطفلة والمراهقة التي خطفت قلبي خطفا بجمالها وتميزها الداخلي قبل الخارجي .. كنتِ دوما وستظلين لا تشبهين أي أنثى أخرى مليكتي "

اشاحت بوجهها شاعرة بالإطراء فلمحت بسمة تدخل مع مهجة ووليد القاعة.

من أحد الاركان وخلف ملامح باردة كان قلب كامل يتقافز لرؤيتها أخيرا .
كانت ترتدي بنطالا أسودا وبلوزة طويلة باللون الوردي بها رتوش لامعة خفيفة ووشاح بألوان مختلطة بين الوردي والأبيض يغطي نصف رأسها وتحته شعرها الأسود الناعم مشدودا للخلف ببساطة أما حذائها وحقيبتها فكانا من المخمل الأسود ..وحجري الفيروز يشعان في وجهها وقد زادهما الكحل الأسود تميزا وجمالا.
اقترب الثلاثة يحيون مفرح ومليكة مهنئين واتسعت ابتسامة مهجة وهي تقف بجوار أخاها تمسك بذراعه قبل أن تقول مليكة لبسمة بلهجة ساخرة" ولماذا اتعبت نفسك وحضرتِ !"
ردت بسمة بإرهاق "صدقيني جئت حتى لا تغضبي مني"

ناظرتها مليكة بتأثر ثم مالت إليها تقبل وجنتها مبتسمة.. فهمست بسمة وقد لمحت التوأمين "لم أكن أعرف بأن الفظ سيكون هنا"
اختلست مليكة النظر للتوأمين الذيّن أشار لهما مفرح قائلا بصوت عال" أنا أترك لكما الفرصة للعب مع الأطفال .. وأراكما مستمتعين"
قالت مليكة لبسمة هامسة " ألن تخرجيه من رأسك (ثم ناظرتها وقالت مغيظة) الرجل انقذك من الموت اليوم وعليك أن تكوني ممتنة له"
ضيقت بسمة عينيها واعتراها ذلك الشعور بالتوتر الغريب حينما لمحته يقترب ثم مالت على مليكة تهمس" أشعر بالحرج الشديد كلما أراه أمامي وأتذكر ما حدث في الصباح وكيف بدوت كالحمقاء أمامه .. ونسيت تماما أنهما من الممكن أن يكونا مدعوين اليوم لو كنت أعرف لما حضرت"

لملمت مليكة ابتسامة بينما قال مفرح للتوأمين اللذين اقتربا " هل انتهيتما من اللعب مع الصغار؟"

رد شامل بحماس "فرصة جيدة أن ألعب معهم (وتطلع حوله يضيف بسعادة) ما شاء الله القاعة مملوءة بالكائنات الصغيرة "

تقابلت عيني بسمة وكامل فأشاحت بنظراتها بعيدا بسرعة بينما قال مفرح لوليد "بالطبع لن أعرفكما بالتأكيد تعرفان العريس والعروس"

قال وليد وهو يسلم عليهما" ونحن شركاء عمل أيضا"

ابتسم مفرح له ابتسامة صفراء ثم قال لبسمة "علمت ما حدث اليوم من هلال جمعة عند بيت الجد صالح يا بسمة"

لم ترد بسمة فقال مفرح للتوأمين "من الجيد وجودكما يا شباب .. عاش وحشيّ الشاشة"

غمغم وليد "شكرا لتدخلكما فما سمعته أن الرجل كان منفعلا جدا ولربما أذاها أو أذى إحدى الفتيات"

رد شامل معترفا " لا اتوقع بأنه كان ينوي أذية أحد فرغم تلك الحالة من الهياج التي رأيته عليها ..كان يحاول التحكم في تصرفاته .. لكني كنت مضطرا للتعامل معه بخشونة لأسيطر عليه"

سألت مليكة بسمة "هل تعرفين سبب حالته يا بسمة؟"

ردت الأخيرة تحرك كتفيها" لا لم يذكر السبب"

نظرت مليكة في ساعتها وقالت" أعتقد بأن علينا إطفاء الشمع يا مفرح ..فغالبية المدعوين قد حضروا "

تحرك الجميع حينما أشارت مليكة لمدير القاعة فدخل بكعكة مزينة كبيرة لتضاف

لطاولات الطعام المليئة بالأصناف الحلوة والحادقة.

بينما وقفت بسمة في ركن من القاعة تنتظر حتى يتخذ الضيوف أماكنهم حول الطاولات فسحب كامل توأمه حتى يقف معه بالقرب منها .

حينما لمحتهما يقفان بجوارها تنحنحت تقول "أشكرك أستاذ شامل على تدخلك اليوم"

رد شامل بحرج "لم أفعل شيئا ..أي شخص مكاني كان سيتدخل"

عادت تنظر أمامها تتطلع في مفرح الذي يتوسط التجمع حول المائدة بجواره مليكة وأمامهما الولدين أدهم وإياد بينما رفع كامل حاجبا مغتاظا وقال معترضا "شامل فقط! .. شكرا يا شامل فقط !!.. ألا توجد شكرا لي أنا أيضا"

حدجته بنظرة جانبيه سريعة من مقلتيها الزرقاوين المكحلتين فكادت أن تصيبه بانفجار في عضلة القلب ثم ردت "الاستاذ شامل هو من قام بإخراجه من المكان أنت جئت في النهاية"

قال بصبيانية مقارعا " المهم أني كنت متواجد وشاركت معه .. وهذه هي مشكلة أخرى تتعرضين لها وأنا أخلصك منها ..وأعتقد بأنني سأطالبك بمرتب (المنقذ) "

زمت شفتها لتمنع انبساط ملامحها وهي تدير وجهها لتنظر إليه فازداد طابع الحسن في ذفنها عمقا حينما وقعت عينا كامل عليه وهو يقول مستمرا في مشاكسته لها حتى يداري اضطرابه "وان كان شامل قد ساعدك في اخراج الرجل ..فأنت تعرفين بالضبط ماذا ساعدتك أنا في اخراجه باشمهندسة باسمة .. هذا بخلاف

انقاذي لك من شهبندر .. ومع هذا لم اسمع كلمة شكر واحدة موجهة لي"
اتسعت عيناها واختلست النظر لشامل الذي تنحنح متصنعا الجدية وهو ينظر أمامه نحو الطاولات ففهمت بأن ذلك الغليظ قد أخبره بأمر حادثة العنب فعادت تنظر لكامل بغيظ تبحث عن رد مناسب في الوقت الذي جاء صوت مفرح ينادي على الجميع للاقتراب لينقذها.. واقترب وليد يقول "هيا يا بسمة"
تحركت مع وليد تقف بجوار الطاولة بينما قال شامل لأخيه موبخا" احرجتها أمامي يا غبي"
حرك كامل كتفيه قائلا بعناد صبياني "لأنها قليلة الذوق ولم تشكرني"
قهقه شامل لصبيانية أخيه وضربه على مؤخرة رأسه بينما وقف كامل كما هو يديه في جيبي بنطاله يتابع الاحتفال بعام جديد سعيد لأدهم الذي كان يشعر بالارتباك مبتسما والانظار كلها

موجهه نحوه بينما إياد منطلق في الغناء بأغنية عيد الميلاد بصوت عال يشيح بذراعيه كمغني على مسرح الأوبرا.

بعد قليل تفرق الموجودون بالقاعة في تجمعات يمسكون بأطباق الطعام والأكواب ويتسامرون ..فاقتربت مهجة من أخيها الذي كان يعطي تعليماته لمدير القاعة وبمجرد ابتعاد الأخير تعلقت بذراعه تقول بدلال وابتسامة حلوة "أخيرا وجدتك وحدك.. اشتقت إليك"

حدجها مفرح بنظرة جانبية ثم قال بلهجة صبيانية بائسة "انتهى عصر مفرح وبدأ عصر ابن الوديدي"

اتسعت ابتسامتها وازدادت تعلقا بذراعه تقول" كيف تقول هذا الكلام يا مفرح!"

حدجها بنظرة جانبية أخرى ثم قال متنهدا
"أصبحت لا تسألين عني"
قالت مدافعة" ألم أتصل بك أول أمس؟!"
قال ببؤس " كنتِ تزعجيني بالاتصالات
والرسائل كل يوم"
ربتت على صدره تقول بعاطفة" أنا فقط
انشغلت .. أنت تعرف الفترة الأولى من أي
وضع جديد يكون مربكا .. لكني سأعود
لإزعاجك بقوة"
نكس مفرح رأسه بطريقة مسرحية وتمتم
ببؤس طفولي أثار عاطفتها" طيب"
استطالت على أطراف أصابعها وتعلقت بذراعه
لتطبع قبلة سريعة على لحيته الأنيقة وهي
تقول " أرجوك لا تغضب مني"
قال مفرح بحرج وهو ينظر حوله "احتشمي يا
بنت نحن بين الناس! "

ضحكت مهجة بشقاوة فاطمأن قلبه بأنها بخير وسألها" متى ستعودين للجامعة؟.. (وأكمل ساخرا) أم أنك تنوين عدم استكمال تعليمك يا ست البنات!"

ردت مهجة مطمئنة" لا طبعا أنت تعرف بأن التخرج من الجامعة من أولوياتي .. أنا فقط لم أرتب مع وليد بعد متى سأعود لكن البنات يرسلون لي المحاضرات أولا بأول"

ربت مفرح على ظهرها مشجعا وغمغم "وفقك الله .. حاولي الانتهاء من الدراسة قبل أن تنشغلي بالحمل والإنجاب إن شاء الله"

بوجنتين مخضبتين أومأت مهجة متمتمة "إن شاء الله"

في جانب أخر وقفت بسمة تتسامر مع مليكة بجوار باب القاعة بعيدا عن السماعات الصاخبة وعيناها لا تكفان عن النظر لكامل مهما وبخت نفسها تتفاجأ بأنها تختلس النظر

إليه مجددا .. فزفرت من نفسها بغيظ وراقبته وهو يغمز لأخيه ويشير له على طفلة صغيرة في عمر عامين تتبختر أمامهما في القاعة مرتدية فستانا منفوشا ..فبادر شامل بجذب انتباهها حتى اقتربت منهما ليميل ويلتقطها من الأرض ويحملها فوق ذراعه بينما وقف كامل يبتسم ويداعبها وهو يمسك بيدها يقبلها قبل أن يأخذها من أخيه ويحملها مهدهدا ..

رفعت بسمة حاجبيها باندهاش من اهتمام التوأمين بالطفلة وبالتفاف الاطفال حولهما من وقت لآخر وتساءلت كيف لشخص فظ مثله أن يكون رقيقا مع الاطفال بهذا الشكل.

التقط شامل طفلا آخر وحمله يقول مداعبا "ما اسمك "

رن هاتف كامل فأخرجه من جيبه يتطلع فيه ثم أنزل الطفلة أرضا وتحرك نحو الباب هاربا من الصوت العالي يتجاوز بسمة ومليكة ووقف

في الخارج ..فأرهفت الأولى السمع لتجده يقول "حاضر يا سوسو لن نتأخر"
ازداد غيظ بسمة مغمغمة "إن هذه الـ سوسو تلاحقه بشدة.. ألا تهدأ !"
نظرت إليها مليكة عاقدة الحاجبين بعدم فهم بينما قال كامل " شامل حاضر .."
قبل أن ينادي كان شامل يستدير للبحث عن كامل بذلك الحدس القوي بينهما .. فأشار له الأخير ليقترب ثم قال يعطيه الهاتف" تريد أن تسألك عن شيء"
رفعت بسمة حاجبيها تقول باستنكار "هل سوسو هذه على علاقة بالاثنين لا حول ولا قوة الا بالله !"
سألتها مليكة بصوت خافت وهي تختلس النظرات للتوأمين بجوارها "بم تحدثين نفسك؟"

ردت بسمة هامسة "إنه يتحدث مع سوسو ويخبرها بأنه سيعطي الهاتف لأخيه أرأيت عبثا أكثر من ذلك!"

قبل أن ترد مليكة قال شامل موضحا " يا أمي لا تقلقي .. أعرف بأنك لا تحبي سفرنا في ساعة متأخرة من الليل لكن كان علينا حضور الحفل .. لا تقلقي .. حاضر ..سنتحرك بعد قليل وسنطمئنك حاضر"

امتقع وجه بسمة حرجا بينما قالت مليكة هامسة "أسمعت.. سوسو هذه أمه يا سيئة الظن"

بحرج تنحنحت بسمة تقول مجادلة "وما أدراك .. ربما هي كلمة دلال لسوسو هذه.. فشامل شخص حنون "

سألتها مليكة باستنكار" وهل سينادي فتاة عابثة بكلمة (أمي) يا ذكية! .. (وحكت جبينها

بأناملها مغمغمة) أعتقد بأن مفرح قد أخبرني بأن اسم أمه الخالة سوسو فعلا "
اشاحت بسمة بوجهها تقول وهي تهز ساقها " متى ينتهي هذا اليوم الذي هو ضدي من أوله .. وبالطبع معروف السبب ألا وهو حضور هذا الفظ منذ بدايته "

قالت مليكة تواجهها" الرجل لم أر منه أي فظاظة يا بسمة هذا على اعتبار أني قادرة على التفريق بينه وبين توأمه مثلك ...لكن ما صدر منه أمامي ومن خلال حكاياتك عنه يقول بأنه غير ذلك .. لكنك بالفعل تضعينه في رأسك بشكل مبالغ فيه "
طالعتها بسمة بعينين ناريتين مغتاظتين .. فاستمرت مليكة في النظر إليها بتحدٍ ..تحاول سبر أغوارها ..لتهتف الأولى بعصبية " ما بك لمَ تنظرين إليّ هكذا"

قالت مليكة بهدوء وجدية " احترسي يا بسمة .. فلا أعتقد بأنك قد تتحملين ضربة أخرى "
ضربت بسمة كفيها ببعضهما وأشاحت بوجهها تقول" أنا لا أعرف عم تتحدثين لكنك تضخمين الامور (وعادت تنظر إليها قائلة بمناكفة) أتعلمين .. أنا لن اتحدث معك في أي شيء متعلق به .. اقصد متعلق بهما مجددا "

xxxx

رغم كل شيء لا يزال الغضب يسيطر عليه ..
رغم قَسم جابر له بعدم وجود إيصالات أمانة وهو يعلم جيدا أن جابر لا يكذب أبدا على كتاب الله ..
ورغم اعترافه بأنه قد تهور وفضح نفسه وأهل بيته بما فعل اليوم أمام الناس ..
ورغم حرجه من مواجهتها وتوقعه بأن هذه المرة نصرة لن تسامحه بسهولة..

لكنه لا يزال غاضبا من ذهاب نصرة من الأساس لجابر وقد نهاها عن ذلك ..حتى لو كان من أجل السؤال على الاسعار كما ادعى صاحبه ..

فتح باب البيت بتحفز ودخل ينوي أن يحاسبها على كسر كلمته .. فوجدها تجلس على الأريكة المواجهة للباب تعصب رأسها بمنديل رأس حريمي وتناظره بغضب وعينين حمراوين مغرغرتين بالدموع ووجه منتفخ بشكل ملحوظ ..ولم تكن وحدها بل كان أولادها حولها يناظرونه بترقب.

بكبرياء زائف صاح بصوت مخيف" اذهبوا لغرفتكم(واقترب منها يقول) وأنت تعالي معي"

اعترضت اسراء طريقه تقول بدبلوماسية "أبي هلا أجلت أي حديث للغد"

صاح فيها يدفعها من أمامه "لا تتدخلي ولن تحددي لي متى أتحدث في بيتي"

انقض على نصرة الصامتة التي تناظره بنظرات
حسرة وألم دون حراك ليمسك بذراعها
ويشدها هادرا "حينما أقول تعالي يا نصرة
تنفذين فورا"
صرخت ابنتيه همسة ونسمة برعب وهما
تحيطان ذراعيهما بأمهما بينما وقف كريم أمامه
قائلا بحزم" لا تلمسها"
عقد هلال حاجبيه بغضب واستنكار ونحاه
جانبا بخشونة وهو يقول "ابتعد عن طريقي
أنت الأخر"
عاد كريم ليقف أمامه قائلا بإصرار رغم شعوره
بالرعب منه "قلت لا تلمسها"
تراقص الجنون في عيني هلال فقالت اسراء وهي
تدعو ربها أن تنتهي الليلة على خير دون المزيد
من الفضائح "أبي أرجوك"
أبعدها هلال عن طريقه بعنف صائحا" هل
ستتحكمون فيما أفعل ببيتي"

ارتطمت اسراء بالمنضدة خلفها صارخة بألم ..فاندفع كريم يصيح بغضب ممزوج بالخوف "اصرف عليه قبل أن تقول بيتي ..فأمي وأختي من تصرفان عليه"

شهقت نصرة بينما صاحت اسراء بتوبيخ "كريم اخرس"

صفعه هلال على وجهه .. فصرخت نصرة فيه وهي تسحب ابنها إليها لتحميه "هل جننت يا هلال!!"

خلص كريم نفسه من بين يدي أمه بسرعة وعاد ليقف أحمر الخد متقبضا بقوة أمام هلال رافضا أن يتزحزح وصدره يعلو ويهبط توترا وغضبا يداري شعوره بالخوف منه ومن أن يضرب أمه خلف جمود وجهه وتلك الدموع التي تترقرق في عينيه وهو يناظر والده بتحد .. فهاج الأخير يمسك به من ملابسه ويلقي به بعيدا وسط صراخ همسة ونسمة ..ليقع كريم

أرضا ويمسك هلال بذراع نصرة بخشونة صارخا "لو كنت تسمعين الكلام لما حدث كل هذا "

سحبها يجبرها على الوقوف .. وهم بشدها بالقوة في وسط صراخ همسة ونسمة ومحاولة اسراء لإفلات أمها من يد أبيها .. ليستقيم كريم بسرعة واقفا ويدفع والده بأقصى قوة لديه صارخا "ابتعد ولا تلمسها .. ابتعد ..أنا لا أحبك لا أحبك ..."

كان صوت ولده ذو الثانية عشر غاضبا متألما مبحوحا ..وكانت كلماته أقوى وأشد إيلاما بأضعاف من ذراعيه الضعيفين اللذيّن يدفعه بهما .. فكان هلال يرتد للخلف بقوة الكلمات أكثر من ذراعي ابنه الذي ظل يدفعه بهيستريا مرددا والدموع الصامتة تنهمر من عينيه "ابتعد عنا .. ابتعد .. أنا لا أحبك "

على باب البيت وقف هلال ينظر ذاهلا لابنه الذي يقف أمامه بضآلته ونحافته يرفع له ذقنا متحديا وعينان تنضحان بالغضب وسط وجها مغرقا بالدموع ثم رفع نظراته خلفه نحو نصرة التي تناظر ظهر ابنها ويدها على خدها مصعوقة مما يحدث .. وبجوارها همسة ونسمة يمسكان بوالدتهما بمؤازرة ..ونظر لإسراء التي تضع يدها على فمها بعينين متسعتين تنظر لأخيها بذهول قبل أن تتحرك نحوه تحاول إبعاده قائلة "عيب يا كريم عيب ما قلت"

افلت كريم منها والغضب لا يزال يسيطر عليه في الوقت الذي اندفع هلال يخرج من البيت هاربا من غضبه الذي يوسوس له بارتكاب جرائم بشعة.

هاربا من شعوره بالخزي والحرج.

هاربا من نظرات أولاده الكارهة له ولتصرفاته ناقصة النخوة والرجولة.
هاربا من مشاعر الألم والخذلان في عيني نصرة التي تمزقه تمزيقا.
هاربا من ذلك الشعور الذي يتعاظم بداخله بأنه مؤذي .. أذى نصرة وأذى أولاده .
هاربا من نفسه ومن ذاته..
ومن القرية كلها.

××××

وقفت بسمة أمام القاعة مع مهجة تنتظر وليد أن يحضر السيارة بينما مفرح يودع ضيوفه هو ومليكة على بعد أمتار .. فتوقف كامل الذي كان يستعد للسفر للعاصمة بسيارته الضخمة أمام بسمة وقال لها عبر النافذة بلهجة مشاكسة" ألن تشكريني قبل أن أغادر لتخلصي ضميرك.. لربما ذهبت ولم يكن هناك في العمر بقية لأعود"

قطبت مهجة جبينها تمرر نظراتها بينهما بينما عبست بسمة من جملته الأخيرة ليكمل كامل بنفس اللهجة المتهكمة "أو لربما غادرت أنت هذا العالم بسبب حبة عنب ..مثلا "

بمزيج من الحرج والغيظ اختلست بسمة نظرة جانبية سريعة لمهجة التي ازداد تقطيبها واسرعت تقول لتتخلص من فظاظته وهي تعيد الوشاح الذي انزلق للخلف على رأسها "شكرا أستاذ كامل"

تراقصت الابتسامة على شفتيه ورد "على الرحب والسعة باشمهندسة باسمة ..استودعكم الله"

قالها كامل يرفع اصبعيه السبابة والوسطى يحييها قبل أن يضغط على البنزين مغادرا ..فسألتها مهجة "ماذا قال عن العنب لم افهم؟!"

تمتمت بسمة بمراوغة وهي ترى وليد آتيا بالسيارة" لا شيء.. لا تشغلي بالك ..أمر يخص المزرعة.. هيا وليد قد أحضر السيارة"

بعد قليل كان مفرح ومليكة قد ودعا جميع الضيوف فزفر الأول براحة قائلا" أخيرا انتهى اليوم .. كنت أشعر بأني على وشك السقوط تعبا وارهاقا (وتطلع في ولديه اللذان يحملان أكياسا وعلبا تحتوي على الهدايا وقال)أهذا كل شيء؟.. ألم تنسيا شيئا بالداخل؟"
هز أدهم رأسه نافيا وهو يتأكد بأن الكيس الورقي اللامع الذي يحمل التيشيرت الأسود في يديه بينما غمغم إياد باستغاثة مزيفة وهو يحمل بعض العلب "هيا يا أبي أسرع باحضار السيارة وإلا ستنفرط كل هذه العلب أرضا" ضربه مفرح على مؤخرة رأسه .. واستدار يقول "أين ركنت السيارة؟"

وقفت سيارة مودموزيل سونيا أمامهم تسأل "هل تحتاجون لتوصيل؟"
غمغمت مليكة بهمس مسموع" لا حول ولا قوة الا بالله !"
في الوقت الذي ابتسم مفرح بحرج معترفا في قرارة نفسه بأن هذه المعلمة تبالغ في توددها إليه فرد" لا شكرا سيارتنا موجودة"
قالت سونيا "حسنا .. ميغسي على هذا الحفل اللطيف مسيو مفغح اغاكم في مناسبات أخغى إن شاء الله وكل عام وأنت بخيغ يا أدهم"
قالت مليكة وهي تتابع بنظراتها مغادرة سيارتها "ستكون آخر مرة ندعوك فيها إن شاء الله"
سألها إياد ببراءة" لماذا يا أمي إنها معلمة ودودة"
نظرت له مليكة تقول بغيظ" اسكت أنت (ثم رفعت انظارها لمفرح ترفع حاجبا وتسأله) هل

سنقف على الرصيف طوال الليل مسيو مفرح!"

تأملها لثوان بابتسامة متسعة أغاظتها فأشاحت بوجهها بعيدا عنه ليهمس لها قبل أن يتحرك ليحضر السيارة "مفغح.. من فضلك اسمي مفغح "

تركها تحدجه شذرا وتحرك سعيدا بغيرتها وبتلك الحياة التي دبت فيها أخيرا فيما يخصه ..

وتساءل هل ستعود يوما ما مليكة القديمة مع مفرح ؟.. والسؤال الأكثر إلحاحا هل سيصمد الليلة ويتحكم في نفسه كما يفعل بمباعدة أيام تواصلهما بقدر تحمله؟.. أم سيضعف الليلة بالذات تحت وطأة تلك المشاعر الجديدة؟

يشعر بنفسه الليلة مشتعلا وضعيفا أمام نفسه .. وبأنه قد اقترب من ذلك المنحدر الذي يصله بعد أيام من الصبر والتحكم في الذات حتى لا

يضغط عليها ولا يراها في تلك الحالة
المتخشبة .. لكنه بمجرد أن يصل لذروة
التحمل .. ينفلت منه كل شيء .. وكأنه يسقط
من فوق منحدر عال بسرعة كبيرة يجعله لا
يعي بنفسه إلا مع انتهاء رحلة السقوط ..
حينما يسكن صخب المشاعر الهائجة
المشتعلة .. ويجد نفسه قد ارتطم بقوة ..
بموتها المؤقت ..
وبمشاعر الذنب وجلد الذات لأنانيته ... كرجل
.!

xxxx

أوقف جابر السيارة أمام بيته في وقت متأخر
من الليل بعد أن مر على بيت العسال ليحضر
كاميليا من هناك وقطع الصمت الطويل بينهما
حينما غمغم وهو يحدق أمامه في الظلام"
أليست هذه اسراء ابنة هلال؟!!"

قبل أن يسمع ردا من كاميليا التي رفعت زاوية شفتها العليا باستهجان كان جابر قد ترجل من السيارة مسرعا نحو اسراء التي تقف بينما كريم يقف على بعد خطوات يداري شعوره بالقلق خلف واجهة متماسكة ..

قال جابر بقلق "اسراء ماذا هناك لمَ تقفين هكذا؟"

بارتباك قالت اسراء" الحقيقة جئت لأسأل عنك فأخبرتني الحاجة نجف بأنك غير موجود ..وكنت أنوي بأن أعود للبيت لكني عدت من منتصف الطريق وقررت أن انتظرك هنا لأني لا أعرف رقم هاتفك"

قال جابر بقلة صبر" ماذا حدث تكلمي هل الجميع بخير؟"

قالت اسراء ببعض الحرج " لقد تشاجر والداي ومن بعدها اختفى أبي وأغلق هاتفه وأنا لا

أعرف أين أبحث عنه خاصة وأن الوقت متأخر"

غمغم جابر "أنا ظللت واقفا بسيارتي على أول الشارع هنا لمدة طويلة منتظر أن يعود للبيت .. وحين تأخر ذهبت لإحضار كاميليا ويبدو أنه قد حضر أثناء غيابي"

رن هاتف اسراء فنظرت فيه لتجد طلال الذي يلح بالاتصال منذ ساعات فبالتأكيد قد وصلته أخبار ما حدث بين والديها في الشارع اليوم وهو في مهمة عمل في محافظة أخرى فأسرعت بإغلاق المكالمة وقالت لجابر"فقط أخبرني أين أبحث عنه"

قال جابر بعبوس "وهل سأتركك تبحثين عنه في هذا الوقت من الليل؟!!. اذهبي للبيت أنت وأخوك وأنا سأذهب للبحث عنه"

عند البوابة صاحت كاميليا" جابر ألن ندخل"

بانزعاج استدار إليها صائحا" ادخلي يا كاميليا هل أمسك بك!"
جزت الأخيرة على أسنانها ودخلت حتى لا تبدي اهتماما لكنها وقفت بجوار البوابة تراقب من بعيد.
قال جابر لإسراء بلهجة حازمة" قلت اذهبي وأنا سأبحث عنه .. واعطني رقم هاتفك وهاتف كريم حتى اتصل بأحدكما وأطمئنكم"
اسرعت اسراء بإملائه الرقمين فقال جابر بلهجة صارمة" اذهبي ولا أريد لأحد منكم أن يخرج للبحث عنه من فضلك"
أطرقت اسراء برأسها بطاعة وتحركت مع كريم مغادرة بينما عاد جابر لسيارته ليحمل ابنته النائمة في المقعد الخلفي واسرع يدخل البيت.
في الطريق للبيت الذي هو على بعد أمتار قليلة من بيت جابر ردت اسراء على الهاتف " نعم طلال "

جاءها صوت طلال غاضبا " لماذا لا تردي يا اسراء ؟!"

اطبقت على شفتيها تشيح بوجهها تنظر للظلام حولها وتحاول ألا تطلق سراحا لدموعها وردت بتماسك " آسفة كنت مشغولة مع والداي "

سألها بصوت عابس " ماذا حدث اليوم؟ .. أمي أخبرتني ..."

قاطعته تقول بلهجة مترجية " طلال .. هلا أجلت أي استفسارات حاليا ؟.. فلا يزال الوضع مربكا بين والداي وأعدك حين أقدر على الرد على اسئلتك سأتصل بك .. أرجو أن تفهمني وتترك لي فرصة لالتقاط أنفاسي "

سألها بقلق " هل أنت بخير ؟"

غمغمت باقتضاب "أجل بخير لا تقلق ..سأتصل بك فيما بعد "

قال بهدوء " اسراء لا تحملي هم شيء"

غمغمت " إن شاء الله .. سلام "
أغلقت الخط رغم حاجتها لأن تحكي له عن كل ما حدث .. حاجتها لأن تستشيره ..لأن تنزع عنها عباءة المعلمة العاقلة المتماسكة وتبكي أمامه كطفلة .. لكنها لا تدري لمَ تشعر دوما بأن أي مشكلة قد تحكي له عنها بشأن أسرتها سيكون انتقاصا منها أمام عائلته..
وكأن أسرتيهما شريكا لهما في هذه العلاقة!. ..

مسحت إسراء دمعة ساخنة على خدها وتطلعت في ظهر كريم الذي يسبقها صامتا ثم نظرت للسماء تغمغم " يا رب "

بعد دقائق كان جابر قد وضع ميس في غرفتها في الطابق الثاني وخرج يغلق باب الغرفة خلفه وذهنه مشغول بهلال فهتفت كاميليا بغيظ

وهي تراه يتوجه نحو السلم المؤدي للطابق الأرضي" إلى أين؟"

رد جابر باقتضاب" عندي مشوار هام"

اغتاظت وسألته" وما هو المشوار الهام الذي يتطلب أن تأخذ رقم الست الاستاذة"

رد جابر وهو ينزل السلم "الأمر يخص هلال يا كاميليا فاذهبي للنوم"

اندفعت تقول بعصبية "ولماذا تدخل نفسك بين مشاكلهما ألا يكفي بأنك قد طردت عصفور بدون ذنب"

تصلب ظهر جابر وشحب وجه كاميليا تعض على لسانها الذي اندفع في الحديث ..فاستدار إليها يناظرها بنظرات خطرة قبل أن يصعد بسرعة يمسك بذراعها قائلا بهمس غاضب" وكيف عرفت بأنني طردت عصفور؟!!"

بارتباك تأتأت "لقد .. لقد رأيته عند بدير .. أجل جاء لبدير يبكي بأنك قد طردته ظلما ويستعطفه ليتوسط له عندك"

ضيق جابر عينيه يحاول سبر أغوارها المظلمة ثم سألها "وهل تكلم عصفور عن سبب طردي له؟"

رمشت بعينيها الخضراوين الواسعتين عدة مرات وقالت" ها؟ .. لا لا لم يقل شيء .. أقصد لا أعرف شيء"

جز جابر على أسنانه بغضب ثم قال بلهجة خطرة محذرا "لو أن حرفا واحدا خرج من فمك يا كاميليا بشأن موضوع عصفور أقسم بجلال الله سيكون عقابك شديدا .. (ودفعها ببعض الخشونة وهو يقول) قد أتأخر في الخارج"

قالها وعاد ينزل على السلم مفكرا ..بأن عليه أن يقطع لسان عصفور هذا حتى لا يتحدث هنا

وهناك بما حدث ويثير إشاعات ستضر بعائلة هلال وتفسد زيجة ابنتهم.
أما كاميليا فغمغمت وهي تراه من فوق السلم يغادر من باب البيت في عجلة" لن أتكلم.. ليس لسواد عيونك ولكن حتى لا تأخذك الشهامة فتتزوج بنت هلال التي تشبه عود القصب"
وتحركت نحو غرفتها تحدث نفسها" عليك باتخاذ قرار الحمل يا كاميليا فوضعك بهذا الشكل خطر .. (ودخلت غرفتها تنظر لنفسها في المرآة وهي تلملم قماش عباءتها على جانب واحد لتظهر تفاصيل جسدها المغري وقالت) لا بأس ..فلنضحي قليلا حتى لا نخسر .. المهم أن يأتي ذكر هذه المرة فلن أتحمل الحمل لمرة ثالثة"

xxxx

في سيارة التوأم على الطريق وعلى صوت غناء عبد الحليم كان كامل غارقا في أفكاره منتشيا

بهذه الجرعة ..منها ..رغم اعترافه بأنها لا تكفي .. بينما قلبه يناطحه باعتراض يريده بأن يعترف بما ينكره كبرياؤه وعنجهيته .. ينكر رغم يقينه بأنه يعيش حالة لم تحدث له من قبل..
ينكر ما يراه حتى الكفيف بوضوح..
فلا تزال عنجهيته تقاوم وتضع المبررات ..لأنه لو اعترف سيكون عليه أن يتخذ قرارا..
قرار ليس بالهين .. قرار بالاقتراب من النار لتحرقه أو الابتعاد فيحترق قلبه ..وهو لا يريد أن يفسد على نفسه هذه الحالة من الطفو .. من السعادة .. التي لم يعشها أبدا من قبل .
لا يريد لكبريائه أن يتدخل فيحارب حتى ذكرى اللحظات الحلوة التي جمعتهما مؤخرا .. لا يريد بأن يتعجل حربا طاحنة.
حرب بعضه سيطحن فيها بعضه ..
انتبه لأن عبد الحليم قد بدأ أغنية جديدة فاتسعت ابتسامته وهو يسمعها..

حبيبي الغالي

من بعد الاشواق..

بهديك كل سلامي

وحنيني وغرامي

أما شامل فكان مشغولا بالتطلع في هاتفه وقد اختار ألا يقود في رحلة العودة حتى يتفرغ للحديث مع ونس قبل أن تنام لكنه أرسل لها أكثر من مرة ولم ترد.

نور عيني .. روح قلبي

حبيبي .. حياتي

غنى كامل بصوت عال نشاز يحرك يده في الهواء على ايقاع الاغنية فتطلع فيه شامل باندهاش.

مشتاق لعينيك .. مشتاقلك

مشتاق وأنا لسة مقابلك

وفي عز الشوق يا حبيبي

وفي عز الليل بكتبلك

اتسعت ابتسامة شامل سعيدا بتلك الحالة التي يبدو عليها أخيه .. فقد مرت مدة طويلة لم يره فيها بهذه السعادة .. منذ أن قامت الحرب وما تلا ذلك من أحداث لم تترك أحدا لم تنل منه فغنى معه بنفس الصوت النشاز.

لا .. لا .. قلبي اللى بيكتبلك

هوه الي بيبعتلك

الليل صحاه .. والشوق خلاه

يكتب لك

قهقه التوأمان بسعادة وأكمل كامل نشازه بينما تطلع شامل في الهاتف الذي اهتز في يده ليجد ونس قد كتبت" ألن تكف عن هذا السخف "

قبل أن تسرع بحذفها .. فأسرع بالكتابة "ماذا حدث من الذي كنت تقولين له هذا الكلام؟!.. وفيم كنت مشغولة؟"

خف عن ونس انزعاجها قليلا وكتبت "شخص مزعج لا تشغل بالك بدلا من أرسل له أرسلت لك أنت .. وكنت مشغولة بتصميم كان يلح على ذهني بقوة"

عقد شامل حاجبيه وشعر بالانزعاج فكتب "من يا ونس يزعجك تكلمي؟"

في الوقت الذي غنى كامل مع الاغنية:

يكتب لك ع اللى بقاله كتير

كتير مداريه

يوصف لك حبه .. وسهده

وشوق لياليه.. لياليه

ترددت ونس قليلا ثم كتبت "شخص ما يزعجني على الواتساب حظرت رقمه فارسل لي من رقم أخر"

كتب شامل بانزعاج" هل تعرفينه؟"

ردت" أجل شاب غبي"

سألها بعبوس "وكيف حصل على رقمك؟"

أجابت " لا اعرف ..يبدو من بعض الفتيات اللاتي أعمل معهن فهن الوحيدات من اعطيتهن الرقم وله قريبة تعمل معنا"

سألها "ولماذا لا تخبري والدك مثلا ليتصرف معه؟ "

أسرعت بالكتابة " لا لا أبي لا أريد ادخاله في هذا الأمر فهو عصبي وقد يسحب مني الهاتف"

زفر شامل بغيظ وتطلع في أخيه الغارق في حالة هلامية من الفرحة يغني:

مش قادر على بعدك ثانية

ابدا .. ابدا يا حبيبي

ولا عارف ايه طعم الدنيا

ابدا .. ابدا يا حبيبي

عاد شامل يكتب "وماذا ستفعلين إن أرسل لك من رقم أخر؟.. ماذا يريد هذا السمج؟"

كتبت ونس بوجنتين مشتعلتين "يقول كلام حب وغرام وتلك الأمور"

اشتعلت نارا في صدر شامل وكتب بمقلتين مقلوبتين "كم عمره ؟..وماذا يعمل ؟وكيف

يتجرأ بهذا الشكل في مجتمع محافظ مثل مجتمعكم!"

ردت ونس "اعتقد بأنه أكبر مني قليلا ولا أذكر ماذا يعمل لكنه يلمح لي في الذهاب والعودة بالإعجاب"

بنفس الانزعاج سألها شامل" وما هو رد فعلك أنت إن كان صادقا في تلميحاته؟!"

تخضبت بالحمرة وكتبت" لا شيء"

كتب شامل "ربما أراد الارتباط بك وهذه طريقة لجس نبضك"

ارتبكت ولم تدر بم ترد فقالت بعد قليل "لا أريده"

بدأ يعود لمزاجه الطبيعي وسألها "وماذا ستفعلين معه إذن؟"

كتبت ببساطة "سأتصرف"

رفع حاجبا وكتب ساخرا "هل ستلقينه بحجر كعادتك!"

عقدت حاجبيها وقالت" هل تتهكم علي!"

مط شفتيه ثم كتب بلهجة ألطف " لا ..أنا فقط معترض على طريقتك"

"لماذا؟"

نظر للطريق المظلم بجانبه ثم عاد يكتب "لأنك بصراحة أحيانا تكونين مندفعة وتحاولين استفزاز من أمامك كما حدث مع كامل"

عبست ونس وكتبت "هل تدافع عن توأمك؟ هو من بدأ(وجه غاضب)"

كتب بسرعة " أنا لا أدافع عن كامل يا ونس افهميني ..أنا اتحدث معك عن موقف تكرر مع كامل وأخشى أن يحدث مثله مع شخص أخر غيره.. تستفزيه فيؤذيك"

زمت شفتيها وكتبت بعناد " أنا آخذ حقي"

كتب بإصرار " حقك فوق رأسي ..لكنك مهما كنت قوية فأنت فتاة أمام أي رجل وقوتك الجسدية محدودة"

فاجأها شعور بالبكاء ولم ترد بل زمت شفتيها بقوة وظلت تنظر في الهاتف .. فكتب شامل بعد قليل" اسمعي يا ونس"

اسرعت بمسح دمعة ترقرقت من عينها لا تدري سببا لها لكنها تأثرت من ازعاجه منها وحدته معها وكتبت مازحة "اسمع بالسماعة أم بدونها؟"

بعد أن كتب شامل بعض العبارات عاد ليمسح ويعلق على جملتها بإرسال وجه كبير ضاحك
ثم عاد يكتب من جديد " أنا أقدر جدا شجاعتك ورغبتك في الدفاع عن نفسك ..لكني أرى أن عليك أن تتجنبي استفزاز الآخرين .. ما تستطيعين تجاهله فتجاهليه واكتفي فقط بالدفاع عن نفسك في أي موقف صعب"

بعبوس كتبت "أتريدني أن أكون جبانة؟"

أسرع بالكتابة "أعلم بأنك لست كذلك لكني...."

"لكنك ماذا؟"

صمت كثيرا .. وترددت أصابعه على لوحة الحروف لا يرغب في التسرع في التعبير عما يشعر به بينما صوت كامل مستمر في الغناء بعد أن أعاد نفس الاغنية مرة أخرى :

أنا عايزك .. عايزك على طول يا حبيبي

مش عايز اشواقنا تطول يا حبيبي

انا عايزك .. انا عايزك جنبي

تسقيني وتشرب من حبي

ولا نعرف بكره من امبارح

ولا دقة قلبك من قلبي

كتب شامل بحرص " أنا أشعر بالقلق عليك يا ونس .. ماذا لو قابلتِ شخصا وآذاك .. شيء رائع أن تكوني شجاعة ولكن عليك بالحذر أكثر"

بملامح بائسة كتبت "أنت تتحدث كوالدي"

زفر وكتب بعصبية "والدك الحقيقة أنا لا أعرف كيف يتركك تتحركين وحدك هنا وهناك"

عادت إليها الرغبة في البكاء وكتبت بغضب "أنت مثله أنت تريد أن تقيدني وتحبسني في البيت(وجه غاضب) "

أسرع بالكتابة وقد نغزه قلبه " لا لم أقصد لكني بالفعل قلق عليك .. ومادام والدك يريد بقائك في البيت فكيف تخرجين إذن؟"

صمتت قليلا وتحرك لسانها ليلعب في جدار خدها من الداخل ثم مسحت دمعة أخرى وكتبت بحرج" استخدم اللؤم تارة والعناد تارة والعاطفة تارة .. لكن دون تعمد والله.. أقصد .. أقصد أني اندفع ثم أندم وهكذا ..وفي الحقيقة اشفق عليه كثيرا مما أفعل (وجه مغطى بكفين حرجا)"

علت ضحكة شامل فجأة ونظر لأخيه الذي بادره بالقول "ماذا قالت فأضحكك؟..

اضحكوني معكما يا بشر .. يوجد شخص هنا محروم من التواصل مع من يريد"

تجاهله شامل وكتب" أنتِ...."

وصمت قليلا يحاول صياغة شعوره .

فهي كنسمة صباح منعشة بريئة خفيفة تدغدغ القلب.

ككعكة طازجة شهية زكية الرائحة خرجت للتو من الفرن.

كبتلة وردة صغيرة رقيقة على وشك فتح أوراقها لقطرات الندى.

سحب نفسا عميقا يهدئ من الطبول العالية في صدره وهم بالكتابة ليجدها قد كتبت له "هبلاء ؟"

عقد حاجبيه وعلت الجدية على ملامحه وهو يسألها"هل ترين نفسك هبلاء؟"

ردت بجدية مماثلة " لا ..ولكن هم يرونني كذلك ..حتى أبي ..لأني لست مثلهم"

سألها " وهل هذا الوصف يضايقك؟"

رفعت أنظارها لسقف الغرفة تفكر ثم عادت لتكتب "امم فقط من بعض الناس .. لكن لا يهمني البقية كيف يرونني"

سألها شامل بفضول "ومن هم (بعض) الناس المقصودين "

عضت على شفتها وكتبت " أبي مثلا (ثم ترددت قليلا وكتبت) وشخص أخر"

كشرت ملامح شامل وسألها "من هو ذلك الشخص؟"

شعرت بأنها اندفعت كعادتها .. فهي غير قادرة على تمثيل دور الحاذقة المتحفظة معه .. فضربت رأسها بيدها عدة مرات ثم أجابت "فقط شخص"

قاوم شامل شعورا بالفضول الشديد بل والانزعاج من غموضها يريد أن يعرف إن كان هو ذلك الشخص أم أن هناك شابا أخر في حياتها .. واستحضر الجانب الناضج فيه يكتب" اعتقد بأن والدك لا يراك كذلك ..فمن يحبوننا يدركون حقيقتنا بالتأكيد .. أما الشخص الأخر فلا أعرف كيف يراك .. عليك بسؤاله إن كان يهمك رأيه فيك"

تجمدت يده ينتظر أي رد منها ..على أمل أن يكون هو ذلك الشخص ثم زفر وتطلع بنظرة سريعة لأخيه الذي لا يزال على حالته في ملكوت أخر وقد أعاد الأغنية مجددا ..

عاد شامل ينظر للهاتف بترقب قبل أن يضحك من نفسه مشيحا بوجهه ناحية النافذة ويغمغم في سره " وقعت يا شامل .. وقعت في شِباك تلك الجنية الماكرة "

أما ونس فنكشت شعرها المموج بكلتا يديها بغيظ من نفسها وحيرة واضطراب ..ثم ألقت برأسها للخلف على الوسادة مطلقة صيحة مختنقة من حنجرتها والمشاعر المتناقضة تملأ صدرها ..

مشاعر خوف وقلق وحيرة ورغبة في الانطلاق في الحديث معه دون قيود ..لتعتدل بعد دقيقة وتسحب نفسا قويا ثم كتبت ومسحت.. ثم عادت وكتبت" وهل تراني أنت .. هبلاء؟"

سؤالها حيّره ولم يفهم إن كان هو المقصود بالشخص الأخر أم لا لكنه أجابها "بالتأكيد لا"

اتسعت عيناها وأسرعت بالكتابة بلهفة لم تستطع ايقافها "كيف تراني إذن؟"

سيطر شامل على اندفاعه شاعرا بالمسئولية تجاه أي حرف قد يكتبه ..فهو يعرف بأن أي تعبير عن مشاعره يستوجب أن يتبعه خطوة جدية فونس ليست من نوع البنات التي سيتسلى معها .. وهو لم يتحدث مع إحداهن حديثا يخص العاطفة من قبل ..فكتب" أراك .. مختلفة"

تجمدت الابتسامة على وجهها ثم عبست وهي تكتب "هذه الكلمة تحمل وجهين ومعنيين"

اتسعت ابتسامته ورد" أقصد الوجه الجميل .. والمعنى الحلو "

اشتعل وجهها كله وتسارعت ضربات قلبها ولم تجد ما ترد به .. إلا أن ترسل له وجها محرجا مغطى بكفين ..فقهقه شامل عاليا.

لمحت من تحت عقب الباب نور الصالة يضاء فعلمت بأن والدها قد وصل لتسرع بالكتابة لشامل "علي أن أذهب الآن فوالدي قد وصل"

"ونس"

"نعم"

بدون تفكير كتب بسرعة " لم أخبرك بعد ماذا كنت أنوي أن أقول بعد كلمة أنت..."

"ماذا؟"

"أنت ...جنية ..شقية.. ماكرة"

وجوه كثيرة محرجة تختبئ خلف كفوف ارسلتها له ونس دفعة واحدة قبل أن تترك

هاتفها على السرير وتقفز لاستقبال والدها وهي تحاول السيطرة على ضربات قلبها المنفجرة في صدرها .. بينما حك شامل جبينه بأنامله وأدرك بأن عليه أن يتخذ قرارا جديا بشأن علاقته بونس لكنه في هذه اللحظة كان سعيدا .. سعيدا جدا كسعادة هذا الأبله الذي يجلس بجواره لا يزال يغني ويعيد ويزيد في الاغنية فقال له متهكما" هل شربت شيئا غريبا في الحفل أم ماذا ؟"

ضحك كامل وقال واضعا يده على قلبه "قالت شكرا يا استاذ كامل"

رفع شامل حاجبيه الاثنين مندهشا من حالته لكنه احجم عن قصفه بذاك السؤال الشهير (وماذا بعد؟) الذي قد يعكر مزاجه فعلق مناكفا" تبدو كمن بلع قطعة حشيش"

رد كامل غامزا "هذا لم نجربه بعد يا شامو علينا بتجربته هو الأخر يوما ما"

أسرع شامل بالقول يحرك كفه في الهواء" لا لا بالله عليك اتفقنا لا مزيد من الحماقات والأفعال المتهورة ..اتفقنا أننا لن نتجاوز الخط الأحمر بعد تلك المرة يا كيمو"

ضحك كامل عاليا وهو يتطلع في الظلام أمامه وأنوار المدينة تلوح من بعيد ..ليأتيه المقطع الأخير من الأغنية فيغني بصوت عال وهو ينظر لتوأمه الذي شاركه هو الأخر النشاز .

وختاما ..لك الف سلام

ومحبة واشواق وغرام

من قلب لا يهدى ولا ينام

قلب حبيبك

اسرع شامل بإغلاق الأغاني قائلا "كفى وإياك أن تعيدها أوشكت أن أكرهها"
قال كامل وقد بدأ يهدأ "تبدو سعيدا أنت الأخر (وغمز) ما الأمر؟"
أطبق شامل شفتيه ببعضهما يناظره صامتا لعدة ثوان قبل أن ينطق "أعتقد أن عليّ أن أفكر في علاقتي بونس بجدية وأن أضع النقاط فوق الحروف بيني وبين نفسي وإن كان خيرا كما أشعر حاليا سأتوكل على الله"
اتسعت عيني كامل ونظر له باندهاش قبل أن يعود للطريق قائلا" ماذا قلت ؟؟؟.. هل أنت جاد يا شامل !!"
رد شامل مفكرا " وضع ونس كفتاة في مجتمع محافظ حساس .. لذا عليّ أن احسم مشاعري تجاهها في أسرع وقت وإن كانت حقيقية وليست نزوة عابرة .. عليّ الانتقال للخطوة التالية .. أعرف بأن الأمر لن يكون سهلا لإقناع

والداي لكن قبل خوض هذه الحرب.. أريد أن اتأكد من أن ما أشعر به تجاهها يستحق ردة الفعل التي ستحدث جراء قرار كهذا .."
لم يعقب كامل .. بل صمت يناظره باندهاش من هذه اللهجة الواثقة التي يتحدث بها ..

xxxx

بعد يومين
فجرا

وقفت تتطلع خلسة من نافذة المطبخ المطلة على الشارع كعادة تنتهجها منذ سنوات طويلة.. وغمغمت بقلق " ما به قد تأخر اليوم عن صلاة الفجر؟! "

في نفس الوقت قطع جابر ساحة بيته بخطوات بطيئة شاردا مهموما ..

لمَ باتت الأيام ليس لها معنى .. حتى نجاحه في تجارته لم يعد يسعده .. ووضعه كما هو مع كاميليا يتخذ من الغرفة الأخرى مكانا لنومه ولانفصاله عنها .. ويزيد من همه حال صاحبه الذي قضى ليلة أمس الأول كلها يبحث عنه في كل مكان حتى الصباح ..ليأتيه اتصالا من إسراء تخبره بأن عمها حامد قد اتصل من العاصمة وأخبرهم بأن هلال قد وصل إليه .. وبأنه لا يرغب في الحديث مع أحد .. وباءت محاولته هو بالحديث معه حينما اتصل بحامد بالفشل .. حتى أنه سافر إليه بنفسه.. لكن حامد قابله وأخبره بأن هلال يرفض مقابلته وبأنه يبيت عند أحد أقاربهما غير راغب في أن يعرف أحد طريقه .. وبكل أسف عاد أمس بخفي حنين يخبر نصرة بما حدث .

فتح البوابة الحديدية لبيته وخرج يمشي يسارا إلى داخل الشارع الذي يسكن على أوله ممسكا بسبحته يسبح بها غارقا في أفكاره ..

من نافذة المطبخ لمحته أم هاشم آتيا ..
وعزفت دقات قلبها تحية ولهة صاخبة لاستقباله ..
لاستقبال (الغالي) عند فجر كل يوم جديد.

راقبت من خلف الزجاج المظلم كيف يمشي ببطء متهدل الكتفين كمن يحمل أثقالا من الهموم فوق ظهره فهمست بقلق " ما به هذه الأيام !..مهموم مكسور النفس.. ماذا فعلت بك بنت العسال ؟"
اقترب جابر من نهاية الشارع الذي يواجهه بيت الشيخ زكريا فرأته أم هاشم من أقرب نقطته تستطيع أن تنظر إليه منها.. قبل أن ينعطف

يمينا إلى حيث يقع ذلك المسجد الصغير المجاور لبيت الشيخ زكريا .. مسجد الشيخ تيمور جد الشيخ زكريا والذي بناه قبل وفاته على قطعه أرض تخصه ..فتحرك جابر نحو المسجد الذي اعتاد أن يصلي فيه الفجر منذ صغره بينما أسرعت أم هاشم بترك المطبخ نحو الغرفة التي تشارك فيها أصغر بنتين من بنات عمها..

ارتدت اسدال الصلاة واستعدت لصلاة الفجر ككل يوم في نفس التوقيت..

معه..

مع جابر ..

وخلفه ..

متمنية لو كان بمسجد جدها تيمور مصلى للسيدات لتكون أقرب مسافة منه ..

فرشت سجادة الصلاة في الوقت الذي اصطف جابر بجانب المصلين في المسجد

الملاصق..فسمعت أم هاشم شيخ المسجد يكبر ورأت جابر بعيني قلبها يرفع كفيه بجوار رأسه مكبرا فكبرت هي الأخرى وبدأت في الصلاة

.

سنوات طويلة قد مرت وهي تنتظره كل فجر حتى يخرج للصلاة ثم تقف وهي تتخيل نفسها خلفه أمام رب العالمين ..

فإن كان قد كتب عليها أن تحرم من تحقيق ذلك عن قرب.. فلتحققه ولو من بعيد ..

فهذا الخيال رغم بساطته يسعدها ..

يرضيها ..

يشعرها بأنها تشاركه الصلاة أمام ربها .. فهي لن تجرؤ على الطمع في أكثر من صحبته ..

في الصلاة ..

حتى ولو كان موقعها في آخر الصفوف!.

بعد دقائق فرغت أم هاشم من صلاتها ورفعت كفيها تهمس بالدعاء " يا رب إن كان حبي له ذنبا فأنت غافر الذنب.. لكنك وحدك تعلم بأني لست بقادرة على الدعاء بأن تنزع حبه من قلبي ..قلبي لن يقوى على طلب هذه الدعوة منك يا الله .. أنت تعلم بأني لا أريد منه شيئا .. ولا أطمع بغير تلك الدقائق أصلي فيها معه أمامك..فإن لم تكن ذنبا فلا تحرمني منها .. اللهم بارك له في عمره وصحته جابر ابن نجف وارفع عنه همه ويسر أمره واسعده.. واهد له الذبابـــ ... (ونهرت نفسها) استغفر الله العظيم بم تخرفين يا أم هاشم .. (وعادت لتكمل) اهد له كاميليا بنت أحلام قادر يا كريم واسعده بها.. اللهم اهد لي نفسي وقومني عليها ..وسامحني فأنت الرحيم ولا رحيم سواك ..وارزقني يا رب بما تحبه وترضاه .. وإن كنت

قد كتبت عليّ الوحدة فهونها عليّ يا رب ..
هونها يا كريم "

الفصل الحادي عشر

بعد يومين

متجهمة الوجه وقد اختفت البشاشة عن ملامحها وحل محلها الاصرار والعزيمة للمواصلة ..

تداري ألما ..تداري وجعا ..تداري شعورا بالحسرة ..

اقتربت نصرة من بوابة مشروع بسمة بعد أن غابت يوم أمس وبعد أن قضت تلك الليلة التي خرج فيها هلال من البيت حتى الصباح مرتعبة هي وأولادها في انتظار عودته ..

وبعد أن قضى جابر تلك الليلة حتى الصباح هو الأخر يبحث عنه في شوارع مركز المحافظة وكل الاماكن التي من الممكن أن يكون فيها ..

حتى جاء لإسراء اتصالا من عمها في العاصمة

والذي طمأنهم بأن هلال قد وصل عنده وبأنه
لا يرغب في التواصل مع احد ..
لحظتها سمحت نصرة لنفسها بأن تترك القلق
عليه وأن تغضب منه وتتحسر على نفسها ..
وبرغم كل هذا ..
قررت أن تواصل ..
فإن كان هو قد قرر القفز من المركب وتركها
وحدها .. ستواصل هي التجديف ..
صحيح لا تعرف كيف ستدبر أمورها لكنها
ستفعل كل ما في وسعها لإعالة البيت ولن
تنتظر منه شيئا ...
مادام قد قرر الهرب و تركها وسط المعركة فلن
تبكي عليه ..
رغم أنها تريد ..
لكنها لن تسمح لنفسها بذلك..

دخلت من بوابة المشروع تلقي تحية الصباح فناظرتها بسمة وأم هاشم باهتمام بينما اقتربت منها ونس وباقي الفتيات للاطمئنان عليها.
قالت نصرة " هل لديك مانع أن أعود للعمل يا أبلة بسمة؟"
ردت بسمة بسرعة "بالطبع يا أم كريم"
غمغمت بالشكر فسألتها إحدى الفتيات بفضول ذلك السؤال المتوقع " لم تخبرينا عن السبب الذي جعل عم هلال يفعل ما فعل يا خالتي"
اجابتها نصرة بالإجابة التي اعدتها مسبقا ..والتي سبق وأن قالتها لكريمة أم طلال التي لم تهدأ من طلب محادثتها على الهاتف يوم أمس لكن اسراء كانت تتحجج لها بأنها متعبة ونائمة حتى زارتها كريمة بنفسها لتروي فضولها.
قالت نصرة مبررة "القصة أنه قد جاءته فرصة عمل جيدة مع أخيه في العاصمة وكان يريد مني

ترك العمل هنا لكني أصريت وجئت فهاج وماج حين علم بأني قد كسرت كلمته لأني مصرة على العمل .. فقد أحببته وارتبطت بكم وأحببت أن يكون لي دخلا إضافيا أساهم به في جهاز إسراء .. لكن هلال يخاف عليّ كثيرا ولا يحب أن يرهقني في العمل ..ومن هنا حدثت المشاجرة .. (وأضافت لتنهي الموضوع) المهم أننا قد تصالحنا قبل سفره للعاصمة والحمد لله وقد اعتذر لي وقبّل رأسي وتركني اذهب للعمل .. وها أنا قد جئت "

قالت إحداهن بإعجاب "يا عيني يا عيني! ..يخاف عليك يا خالتي"

تدخلت أم هاشم تضرب كفيها في بعضهما عدة مرات للتنبيه ثم قالت بلهجة حازمة "هيا إلى العمل أنت وهي ..هل سنقضي اليوم كله في الثرثرة "

تحركت الفتيات بطاعة واتخذت نصرة مكانها
تتوسط الجلسة تسمي بسم الله بينما أخذت
بسمة تتطلع فيها شاردة في ملامحها الجادة
بعكس طبيعتها ثم غمغمت بحزن "كل هذا
لأنها قررت أن تعمل!"

××××

دخل بدير مكتب جابر في المعرض يلقي التحية
" السلام عليكم يا معلم جابر "
يبرود رد جابر السلام وهو يسلم عليه ويدعوه
للجلوس وقد كان في انتظار هذه الزيارة ..
ليبادر بدير بالقول وهو يجلس جلسة عنجهية
واضعا ساقا فوق الأخرى "سمعت أن الحاجة
نجف ستسافر للعمرة"
رد جابر بهدوء" قريبا إن شاء الله .."
رد بدير " عمرة مقبولة "
سأله جابر "ماذا تشرب يا معلم بدير"

قال بدير بسرعة" لا لا .. أنا متعجل عندي مشاوير مهمة .. كنت آتيا لأتوسط للولد عصفور"

عاد جابر بظهره ليستند على ظهر المقعد وشبك يديه ببعضهما يناظره بتدقيق وقد صدق حدسه بأنه سيتدخل من أجل عصفور بينما أكمل بدير "الشاب جاءني من يومين يبكي ويطلب مني التوسط له عندك لتسامحه على سوء الفهم الذي حدث .. فهو لم يكن يقصد"

اسبل جابر جفنيه لثوان ..ثم رفعهما يرد بلهجة غاضبة "ليس سوء الفهم وحده هو خطأه بل كذبه واختلاقه لما لم يحدث"

قال بدير مدافعا بإصرار " صدقني القصة مختلفة (ونادي بصوت عال) تعالى يا عصفور"

دخل عصفور من الباب المفتوح ووقف أمامهما منكمشا بملامح بائسة وأدب جم .. فناظره

جابر بنظرات باردة غاضبة ثم بادره بالقول"
لماذا قلت لهلال جمعة بأني قد جعلت زوجته
توقع لي على ايصالات أمانة؟"
نظر عصفور لبدير ثم اسرع بالقول "أنا؟؟؟..
لم يحدث أقسم لك لم يحدث .."
صاح جابر منفعلا "من أين أتى هلال بهذه
الفكرة إذن؟"
رد عصفور بسرعة" لا أعرف .. أنا فقط ظننته
قد حضر لحمل الأجهزة ولم أذكر شيئا أخر عن
إيصالات أو غيره"
ضيّق جابر عينيه غير مصدق لما يتفوه به
الكائن الماثل أمامه بينما تدخل بدير لإقناع
جابر بالكذبة" لا تؤاخذني يا معلم جابر ..كما
حكى لي من حضروا المشاجرة التي حدثت بين
هلال وزوجته في الشارع .. الرجل كان في حالة
غضب شديد ولهذا أتوقع أنه قد فهم الموضوع

بشكل خاطئ من عصفور وتهيأ له أمر
الايصالات هذا "
سكت جابر قليلا ثم قال" والمطلوب؟"
قال بدير بابتسامة لزجة" هذا صبيّك يا معلم
ويعمل عندك منذ سنوات ..نتعشم في أن
تسامحه"
نظر جابر لعصفور ثم قال" ولكن اخطاؤه كثيرة
في الفترة الأخيرة"
قال عصفور باستعطاف" سامحني يا معلم
جابر أنا لحم أكتافي من خيرك"
صمت جابر قليلا يتصنع التفكير فقد كان في
انتظار أن يأتيه بدير بالتوسط لعصفور حتى
يعيده كي لا يثرثر بين الناس عن سبب تركه
للعمل عنده خشية من انطلاق شائعات حول
أسرة هلال جمعة .. قال بعد برهة "من أجلك
أنت فقط يا حاج بدير سأمرر الأمر لكن قسما
بالله أي خطأ أخر..."

قاطعه بدير قائلا وهو يرفع يده بثقة " لن يكررها أنا أضمنه لك"

اسرع عصفور يقول بتزلف" أعدك يا معلم جابر"

غمغم جابر بامتعاض" حسنا سنرى"

استقام بدير واقفا يقول" إذن سأغادر أنا السلام عليكم"

قال جابر وهو يستقيم واقفا لتوديعه "وعليكم السلام"

بمجرد أن استدار بدير عاد مرة أخرى ينظر لجابر يسأله بلهجة ماكرة" وأين هلال؟..

سمعت من أهل البلدة أنه عند أخيه في العاصمة"

رد جابر بما اتفق على قوله مع أسرة هلال "أجل كما سمعت لقد ذهب للعمل مع أخيه"

قال بدير بمكر "لكن بعض الناس يقولون بأنهم قد حاولوا الاتصال به وأن هاتفه مغلق"

رد جابر مبررا "هذا لأنه قد أضاع هاتفه أثناء سفره ولهذا سيشتري هاتفا ورقما جديدين إن لم يستطع استعادة الرقم من شركة الاتصالات"

هز بدير رأسه وغمغم بلهجة ذات مغزى "يبدو أن لديك الكثير من التفاصيل عنه"

ببرود رد جابر "بالطبع ألديك شك في هذا؟!"

ابتسم بدير ابتسامة سمجة واستدار مغادرا بعد أن ربت على كتف عصفور مغمغما "إياك أن تسوِّد وجهي أمام المعلم جابر يا عصفور"

غمغم عصفور" حاضر "

بمجرد أن خرج بدير أخذ جابر يتطلع في عصفور قليلا ..فأطرق الأخير برأسه بارتباك ليقول جابر بعدها بلهجة محذرة " ما حدث مع هلال وأسبابه وتفاصيله لا أريدك بأن تتحدث فيه مع أحد حتى عمال المعرض هنا"

هز عصفور رأسه عدة مرات بطاعة مغمغما "أمرك"

عاد جابر ليشدد عليه بالقول" لو علمت بأنك تحدثت فيه يا عصفور سأقطع لسانك ..أنت لم تر مني الوجه الأخر بعد .. فأنا لا أتهاون أبدا في خيانة الأمانة"

غمغم عصفور بصوت خافت" أمرك يا معلم لن أتحدث عن شيء مع أي أحد حتى المعلم بدير نفسه طلب مني ذلك"

عقد جابر حاجبيه ولم يفهم لماذا يهتم بدير بالأمر لكنه قال" اذهب الآن ومهامك ستتلقاها من عبد العزيز"

عقد عصفور حاجبيه وقال بعدم فهم "عبد العزيز!!"

رد جابر بمكر "أجل .. ستعمل تحت إمرة عبد العزيز مع باقي العمال وهو من سيتولى شئون المكتب هنا عندي"

امتقع وجه عصفور وغمغم "لكن يا معلم"
قال جابر بصرامة" هذا ما عندي لك .. عبد العزيز سيأخذ مكانك وأنت تنفذ ما يوكل إليك من مهام منه ..وراتبك كالسابق لن يتغير فيه شيء"
صمت عصفور قليلا ثم غمغم بامتعاض
"حاضر يا معلم كما تأمر المهم أن تكون راض عني"
انقلبت مقلتي جابر وهو يناظره بارتياب ثم قال آمرا بلهجة جافة لم يتلقاها منه عصفور من قبل "اذهب لعملك وانتبه لما تفعل جيدا لأنني لن اتهاون في المرة القادمة"
قالها ثم عاد ينظر فيما كان يفعل قبل دخوله
فانقلبت مقلتي عصفور ورد" أمرك ..يا معلم أمرك "

××××

بعد الظهيرة

"والمطلوب يا أمي؟"

قالها طلال وهو يستعد للخروج فقالت أمه في جلستها على الأريكة وهي تربت على فخذيها بانفعال" بعد كل ما قلته تسأل عن المطلوب!"

نظر طلال لأعلى يائسا ثم عاد ينظر إليها قائلا "يا أمي القصة كما شرحتها لك وشرحتها لك اسراء والخالة نصرة مالنا نحن بما يقوله أهل البلدة"

صاحت كريمة "إن الناس يتحدثون عن المشاجرة يا طلال ويقولون بأن رفض هلال لعملها من الأساس لأن بنت الوديدي تأوي الفتيات عندها للرقص والمرقعة .. أي أن نصرة تعمل في مكان يتحدث عنه الرائح والغادي"

قال طلال منفعلا" مالي أنا ومال كل هذا؟.. وما علاقته بخطبتي بإسراء .. الخالة نصرة تريد أن تعمل لتساعد في جهاز ابنتها هل سأمنعها! ..

هل لي كلمة عليها لأحدد لها إن كانت تعمل أو لا تعمل!!"

غمغمت كريمة تحرك فمها يمينا ويسارا" إن كانت كلمة زوجها وكسرتها وذهبت للعمل وكأنها السيدة المديرة ..هل ستستمع لأحد!

(ونظرت لابنها تقول بانفعال) أنا قلت لك هذه الزيجة ليست من مقامنا وغدا سأذكرك بأنهم لن يستطيعوا تجهيز ابنتهم بما يليق وسيفضحوننا"

قال طلال يدلك جبهته بأنامله بإرهاق" يا أمي أرجوك دعينا لا ندقق على أمور شكلية .. إسراء ارتضيتها زوجة لي فلن يهم أمور الجهاز والفرش"

ناظرته بانفعال شديد وقد ارتفع ضغطها ..فصاحت "وهل ترضى لنا بأن يسوَد وجهنا أمام الناس! .. أتريدني أن أقبل بأقل من جهاز زوجات اخوتك! .. (ودمعت عيناها تضيف

بتأثر) أنت أخر العنقود ألا تريدني أن أفرح بك!"

اقترب طلال منها وقد اشفق على منظرها وكأنها ستصاب بجلطة فقبّل رأسها قائلا بهدوء "يا أمي ..ما المشكلة أن نتنازل قليلا من أجل أن يسعد ولدك وألا ندقق بمبالغة"

تغرغرت عيناها بالمزيد من الدموع وردت "أتريد أن تكسر فرحتي بابني وفخري وفخر والدك أمام الناس حتى تفرح أنت يا طلال !"

قال طلال بانفعال "وما دخل ما ستحضره عائلة هلال جمعة بافتخاركم بي!!"

هتفت بانفعال مماثل موضحة "دخله أن الناس ستقول لم يقدّروهم .. دخله بأننا سنكون أقل من باقي الأسر وأنت لست بقليل .. الحمد لله شهادة جامعية ووظيفة ووسامة وعائلة وتستحق أن تكون شقتك ليست بأقل من اصحابك .. أنظر كم صرفنا من مبالغ على

الشقة وكم ستصرف على أثاثها وكم سيكلفك ؟.. إذن في المقابل عليهم أن يدفعوا مثلنا.. وأن تكون مستوى حاجياتهم وثمنها بمستوى ما جلبناه "

قال طلال يرغب في انهاء هذا الجدال غير المفيد" عموما يا أمي لا تقلقي اسراء اخبرتني بأنهم بإذن الله سيجهزون بأحدث الأجهزة إن شاء الله.. فلا تحملي هم هذا الأمر.. وبالنسبة للعم هلال كما قلت لك يعمل في العاصمة مع أخيه واسراء اخبرتني بأنه مشغول بشدة لتجهيز المال اللازم لتجهيزها فتفاءلي خيرا (وتحرك مغادرا) والآن سأتركك يا غالية لدي عمل وبعدها سأمر على اسراء قليلا"

راقبته أمه وهو يخرج من البيت ومصمصت شفتيها تقول بامتعاض "زيجة الندامة والله من أول يوم"

xxxx

بعد مرور شهر

شاردان .. كل منهما في ملكوته وإن كانا يتشاركان نفس مشاعر الشوق للمحبوب.. دخلت سيارة التوأمين القرية في الصباح الباكر...

إن اللقاء الأسبوعي في يوم وسط الاسبوع بات موعدا مقدسا لهما لزيارة القرية .. وباتا يضعان له الخطط التي تتماشى مع مباشرة أعمال المطعم فيتركاه تحت اشراف والدهما في الأيام البعيدة عن الذروة ويحضرا صباحا وقد يبيتا ليلة أو ليلتين بحجج مختلفة .. كل ذلك من أجل اختلاس لحظات مسروقة مع الأحبة.

قطع شامل صمت يملأه صوت عبد الحليم الذي أصبح ملازما لرحلاتهما للقرية حينما لمحها تقف في الطريق الرئيسي عند مدخل القرية ترسم بمقدمة حذائها في الأرض

..فأعتدل في مقعده وكامل الشارد يتجاوزها بالسيارة دون أن يلاحظها ..ليهب شامل قائلا "انتظر يا كامل.. انتظر"

أوقف كامل السيارة على بعد أمتار عاقدا حاجبيه وهو ينظر في المرآة الأمامية والأخرى المجاورة لتوأمه الذي فتح باب السيارة لكنه تردد في الترجل منها يحاول السيطرة على اندفاعه ولهفته لرؤيتها عن قرب .. فلقاءاتهما وجها لوجه نادرة وبعيدة المسافة حريصان فيها على عدم إثارة انتباه أحد.

أمسك شامل بهاتفه وكتب على الواتساب "ونس ماذا تفعلين عندك في هذا الوقت المبكر من الصباح ؟!"

بارتجاف حدقت فيه ونس من بعيد تتمنى لو يقترب أو تقترب هي منه ..

لقد رضخت لضغط مشاعرها المشتاقة وقررت أن تنتظره عند مدخل القرية حينما

أخبرها بأنه قادم في الصباح .. فهي غير قادرة على رؤيته وجها لوجه في أي مكان .. وتشعر بالضيق الشديد .. تشعر وكأنها في سجن كبير .. تريد أن تراه وتتحدث معه كثيرا كثيرا .. وكأن حوارهما طوال اليوم على الواتساب لم يعد يكفيها .

كتبت بحرج "لا شيء فقط كنت أمر هنا .. فقررت أن اتوقف قليلا لأشاهد(ونظرت أمامها للحقول الخضراء ثم عادت تكتب) اللون الاخضر في الحقول ..وسأمضي في طريقي بعد قليل"

نظر شامل في الهاتف يقرأ ثم رفع نظراته إلى حيث تقف على مسافة من السيارة قبل أن يفقد سيطرته على نفسه ويترجل منها يقطع الأمتار إليها بسرعة بينما كامل يناديه معترضا " إلى أين يا زفت .. من منا المتهور الآن!!"

قالها وأخذ يتطلع حوله بقلق بينما وقف شامل بقامته الطويلة وملابسه العصرية الأنيقة متخصرا أمام ونس يتطلع إليها بملء عينيه .
لقد اشتاق إليها بشدة ..فهذه الجنية تتسلل إلى جزيئاته بسرعة عجيبة ورهيبة.
على هدير دقات قلبها الذي تشعر بها عالية كانت ونس تتطلع فيه متقبضة إلى جانبي جسدها ولسانها يلعب في جدار خدها من الداخل ..
وكانت متلهفة لسماع صوته وهي تتساءل في سرها عما اذا كان صوته هذا الذي تلتقطه سماعتها هو صوته الحقيقي أم أن هذه السماعة تزيف لها الأصوات !.
أخيرا قطع شامل الصمت المتوتر موبخا بلهجة رقيقة" كيف تقفين بهذا الشكل يا ونس؟!"
اطبقت شفتيها ببعضهما وعيناها البنيتان اللامعتان تتجولان في قسمات وجهه الخشنة

الوسيمة ثم عقدت يديها خلف ظهرها
وحركت كتفيها بلا شيء .
زفرة حارة أخرجها شامل من صدره وهو يشيح بنظراته عنها للحظات يحاول السيطرة على مشاعره التي تلح عليه بأفكار مجنونة ثم عاد ينظر إليها قائلا بلهجة حازمة" إياك أن تقفي بهذا الشكل مجددا ألست في طريقك للعمل؟"

أومأت برأسها ايجابا ..فقبّل وجهها الطفولي القسمات بنظراته وأنفها الصغير الماثل أمام عينيه كأنوف الدمى الصغيرة قبل أن يضيف "كنت أود أن أدعوك لتوصيلك لكن أنت تعرفين"
هزت ونس رأسها متفهمة فأشار بيده إليها يقول بحزم" هيا قبل أن يراك أحد"

أومأت برأسها وتحركت متلكئة بشكل واضح
فاتسعت ابتسامته المشرقة من فرط سعادة
يشعر بها وهو يستقبل كل ما يصدر عنها ..
ابتسامة شحنتها بطاقة فجعلتها تتحرك
مسرعة من أمامه تداري ضحكة محرجة بينما
وقف شامل يراقب ابتعادها بقلب انفرط عقد
دقاته ..
غادرت تأخذ معها رائحة الصابون المنعشة التي
تفوح منها دوما كلما رآها ..
وتأخذ عينيها البنيتين الملهمتين تحت حاجبين
جميلين غير مشذبين من أمام ناظريه ..
وتأخذ ضحكة كشمس مشرقة تخلب لُبه.

إن ما يحدث معه ضربا من الجنون .. أو مساً
من سحر غريب ..ذكره بحالة كامل منذ ثلاث
سنوات ونصف حينما رأى بسمة .
فعقد حاجبيه مفكرا ..

ألهذه الدرجة هما متشابهان حتى في الأقدار!!.
تجاوزت ونس سيارة التوأم بخطواتها فراقبها كامل بحاجب مرفوع قبل أن يعود شامل للسيارة وعيناه معلقتان بها قائلا لتوأمه "لننتظر قليلا حتى تبتعد"
بمشاكسة وعناد حرك كامل مقود السيارة وضغط على البنزين بسرعة ..وعند مروره من جوارها ضغط على بوق السيارة بقوة فوضعت ونس يدها على السماعة بانزعاج شديد ثم ناظرت السيارة بغيظ بينما انقض عليه شامل يحيط ذراعه برقبته ويطبق عليها في محاولة لخنقه قائلا بغيظ "ألن تكف عن سخافتك وصبيانيتك أبدا.. كم عمرك لتفعل ذلك !"
قال كامل ضاحكا وهو يحاول تخفيف قوة ذراع توأمه بيد بينما يقود باليد الأخرى "الترعة الترعة .. سنقع في الترعة يا زفت"..

استمرت مشاكساتهما حتى وصلا لبيت الجد صالح بصعوبة لإصرار شامل على الانتقام منه .. فأوقفها كامل أخيرا أمام البوابة واشتبك معه بالأيدي مطلقا ضحكة شريرة مستمتعا بحالة شامل المغتاظة .. فضغطا أثناء عراكهما على بوق السيارة بقوة نبهت بسمة المترقبة الحواس لوصولهما فخرجت من البوابة الأخرى لتتفقد الوضع .

لمحها كامل بطارف عينه عند البوابة تمسك بكوب خزفي فتوقع أنها تشرب النيسكافيه وقال لشامل الذي سينفجر من الغيظ "كفى.. أنا اعتذر ..لا تفضحنا أمام ذات العينين الزرقاوين"

قال شامل بغيظ" بل سأريك مقامك أمامها يا "***

تركه شامل وترجل من السيارة مسرعا بينما تبادل كامل النظرات مع بسمة التي سحبت عينيها عنه هاربة وتابعت شامل الذي استدار حول السيارة ليفتح الباب الآخر ويصارع لإخراج كامل الذي يضحك بحرج شديد ويقاوم محاولات إخراجه قائلا بصوت خافت" أجِّل انتقامك الآن يا ****"

تكلم شامل بغيظ مصرا على اخراجه "لا بل الفضيحة ستكون علنية .. اخرج"

اخذ يشده للخروج بعناد متمتما وهو يرفع قدمه على جانب السيارة ويسحب توأمه" ما هذا .. وكأنني اسحب ثور!"

ابتسامة على زاوية شفتي بسمة زادت من عمق طابع الحسن في ذقنها بينما شعور بالدفء أكثر منه استمتاعا يتسلل إليها ..

تلك العلاقات الدافئة تفتقدها بشدة ..

ذلك الشجار التافه مع من نحبهم الذي نمارسه دون رقابة ذاتية على ما نفعل .. تلقائية التصرف دون الخوف من التقويل والفهم الخاطئ..

لا تنكر بأنها قد عادت لممارسة بعضا من تلك التلقائية والعفوية مع مليكة وأم هاشم بعد فترة طويلة من الانقطاع ..

لكنها بضع لحظات مختلسة من الزمن ..

فلم يعدن متفرغات كالسابق ..ولم يعد يجمعهن مكانا واحدا كأيام الدراسة والتزاور .. كبرن ..

وازدادت الحواجز المكانية بينهن ..

وتفنن عداد العمر في إلقاء المسئوليات على عاتقهن ..

فاضحت الضحكة النادرة تخرج متبوعة بسعلة من صدر مشبع بغبار وعوادم الحزن والخيبات .

عند تلك الخاطرة شعرت بسمة بأنها قد تقدمت في العمر كثيرا .. فإن كان الجسد له عمر فالروح قد تحمل اعمارا أكبر وكأنها قد عاشت حيوات كثيرة.. أحداث تضيف إلى أعمارنا أعمارا فلكية..

بابتسامة تساءلت بسمة وهي تراقبهما كم عمرهما ؟.. ملامحهما توحي بأنهما في منتصف الثلاثين ..

أمن المعقول أن يكونا في سن مفرح!!.. بينما تصرفاتهما مع بعضهما حينما يجتمعان وكأنهما في العشرين من العمر !.

استسلم كامل أخيرا لمحاولات توأمه في اخراجه فخرج ولا تزال تلك الضحكة الصبيانية على شفتيه ولم تدر بسمة التي تراقبهما بأنها ضحكة نادرة هي الأخرى.. ولحظة سعادة

حضرت بعد سفر بعيد .. بعد غياب أكثر من عشر سنوات.
بمجرد خروجه وبحركة لئيمة استطاع كامل ليّ ذراع توأمه وهو يصدر ضحكة شريرة منتصرة لكن الآخر لم يكن ينوي الاستسلام فزمجر بقوة ونجح في الافلات منه ثم أمسك برقبته يلصقه بالسيارة ويضغط عليه حتى مال كامل للخلف عليها ليأتي دور شامل ليضحك نفس الضحكة الشريرة .
قال كامل من بين أسنانه "لمَ الفضائح في الشارع تعال ندخل البيت ونتشاجر كما تريد"
بنظرة ماكرة مغيظة قال شامل بصوت عال "لماذا يا كيمو؟ مما تتحرج يا حبيبي؟.. ألأنك تتلقى عقابا على فظاظتك على الملأ"
ضربه كامل في ساقه بمقدمة حذائه فأفلته شامل متوجعا وهو يمسك بساقه ليقول الأول محذرا "سأؤذيك وأنت تعلم"

انقض عليه شامل يحيط ذراعه بعنقه ويضغط عليه ليميل برقبته للأمام قليلا وهو يقول" بل أنا من سأنتقم للبشرية من فظاظتك .. (ونظر لبسمة صائحا بصوت عال قاصدا في احراج توأمه) صباح الخيرات يا باشمهندسة لا تؤاخذينا أخ يؤدب توأمه الفظ "

رفع كامل أنظاره نحوها رغم انحناءة عنقه ضاحكا تلك الضحكة الخشنة التي تدغدغ أعصابها ..رغم أنها مطابقة لضحكة توأمه وقال بلهجة بريئة وهو يضع يده على صدره "اخبريه يا باشمهندسة أني شخص لطيف"

أشاحت بسمة بأنظارها بابتسامة ساخرة مستهجنة ردا على عبارته ثم عادت تنظر إليه وشامل يرد عليه مستمرا في الضغط على عنقه" بالطبع .. لطيف بشدة .. لطيف بعنف .. لطيف بفظاعة "

كانا مسليان دافئان وهما يتشاكسان كدبين ضخمين أمامها .. قبل أن يخرج أحد عمال المزرعة مستكشفا لما يحدث من جلبة .. فلمحه شامل وكف فورا عن صبيانيته وترك توأمه ..فوقفا يعدلان من هيئتهما بحرج خاصة مع ظهور عامل أخر من بوابة المزرعة حيا التوأمين اللذين تنحنحا وتصنعا الجدية بسرعة

.

وقف كامل أمامها يرفع شعره بمشط يده ويصففه فعوجت بسمة شفتيها وأشاحت بوجهها للناحية أخرى قبل أن تعقد حاجبيها بمفاجأة حينما لمحت ونس آتية .. فنظرت بتعجب لساعة يدها ثم قالت لها بمجرد أن اقتربت تختلس النظرات للتوأمين الواقفين عند السيارة "أتيت مبكرة جدا اليوم!.. أنت دوما تأتين أخر واحدة"

حركت ونس لبسمة كتفيها ببراءة بينما ربت كامل على كتف أخيه يقول بلهجة ذات مغزى"
اركن أنت السيارة يا وَحش"
واستدار يخرج مفاتيحه من جيبه ويفتح البوابة وهو ينظر لبسمة يحرك رأسه بتحية قائلا" صباح الخير باشمهندسة باسمة"
باقتضاب غمغمت "صباح النور "
ثم سحبت ونس ثقيلة الخطوات التي تحدق في شامل وهو يبادلها نظرة سريعة مختلسة من خلف المقود يستعد لركن السيارة.
ادخلتها بسمة بحزم وحاولت تجاهل مشاعرها المراهقة المتراقصة بسبب عبارة (صباح الخير) عادية تسمعها مئات المرات و وقفت تسأل ونس بصوت خفيض" ماذا يحدث معك بالضبط؟"
ناظرتها الأخيرة لثوان بنظرات شاردة وتمنت لو تتحدث مع أحد بشأن شامل .. تمنت بأن

تبوح .. أن تقول الكثير دون قيود .. دون خوف .. يكفي بأنها لا تستطيع أن تبوح له بما يتأجج بداخلها من مشاعر.

شعرت بسمة بأن حدسها صحيحا وبأن هذه البنت متعلقة على الأغلب بشامل فقالت تحفزها عن الافصاح" أخبريني يا ونس وأعدك بألا أخبر أحدا"

الخوف تملك من ونس .. الخوف من أن تُمنع من التواصل معه إذا ما علم أحد بأنها تحادثه.. وهي التي تعلقت به بشكل أصبح صعبا عليها التخلي عنه .. فتراجعت للخلف تشير بما يعني لا شيء متبوعة بابتسامة مرتبكة ليقطع دخول أم هاشم وبعض الفتيات خلفها على بسمة الفرصة لأن تضغط عليها ..فراقبتها وهي تبتعد بوجه أحمر لتقف في أحد الأركان وتتطلع في هاتفها.

سألتها أم هاشم بحاجبين مقطبين" صباح الخير يا بسمة هل حدث شيء؟"
تطلعت بسمة في ونس التي ابتعدت نحو الطاولة وردت شاردة" اشعر بالقلق على هذه البنت وأتمنى أن تصارحني"
نظرت أم هاشم لونس وسألتها "ماذا تقصدين؟"
تطلعت فيها بسمة بعينيها الزرقاوين القلقتين وردت "أخشى من تعلقها بشامل نظراتها له تقلقني"
عقدت أم هاشم حاجبيها ثم انتبهت لدخول نصرة مع مجموعة من الفتيات احداهن تحمل فوق رأسها قفصا خشبيا مستطيلا به وَزّ
فسألتها وهي ترفع حاجبا "ما هذا إن شاء الله؟!"
ضحكت الفتاة وردت بحرج وهي تنزل القفص أرضا " ذاهبة به لأختي بعد العمل وقلت بدلا

من العودة للبيت فلأختصر المسافة وأذهب من هنا (ونظرت لبسمة تقول) لا تؤاخذينا يا أبلة بسمة"

ابتسمت بسمة ولم تعقب ثم استدارت تشرد من جديد في ونس .

xxxxx

خرج مصطفى الزيني من بوابة بيته يرحب بجابر دبور قائلا "لماذا رفضت الدخول يا أبا ميس؟"

غمغم جابر مبتسما وهو يمد يده للسلام "لا أريد أن اعطلك كما أن عليّ أن أسرع للعمل.. أنا فقط أردت أن أمر عليك سريعا قاصدك في خدمة"

قال مصطفى بترحيب" خير إن شاء الله"

تكلم جابر "الحقيقة كنت أريد أن اسألك إن كانت لك علاقات قوية بصاحب مدرسة اللغات التي بها ميس ومنة"

عقد مصطفى حاجبيه ورد" أعرفه لكن علاقتنا ليست قوية لماذا؟"
قال جابر بصراحة" كنت أود أن نتوسط لإسراء بنت هلال لتعمل في مدرسة اللغات.. البنت ذكية وممتازة وخسارة أن ندفنها في مدرسة القرية بينما تخصصها مطلوب بشكل أكثر تعمقا في مدرسة كهذه.. كما أن الراتب بالتأكيد سيكون أعلى اضعافا وهي كما تعلم على وشك الزواج وتحتاج لراتب كهذا"
قال مصطفى يحرك سبحته مفكرا "فهمتك.. لا تشغل بالك سأهتم بهذا الأمر (وصمت قليلا ثم قال باستدراك) بل مفرح من سيقوم بذلك فأنا أعرف بأنه على علاقة قوية بصاحب المدرسة .. سأتحدث معه وإن شاء الله نستطيع التوسط لها يا جابر"
اتسعت ابتسامة الأخير وغمغم بامتنان "عشت يا أبا حمزة"

تطلع فيه مصطفى مدققاً ثم قال" ماذا يحدث معك يا جابر؟ "

السؤال لمس وترا حساسا بداخله بأن هناك من يشعر به ويهتم .. لكنه للاسف لن يستطيع البوح عن أمور خاصة فقال مطمئنا " لا شيء يا أبا حمزة .. الحمد لله نحن غارقين في نعم الله لكن كما تعلم الإنسان أحيانا تقيده الهموم ولا يفكر إلا فيما ينقصه"

غمغم مصطفى بلهجة صادقة " حفظك الله من الهم والحَزن ورزقك بما يرضيك .. عموما إذا احتجت لأذن صديق (ووضع يده على صدره) مصطفى موجود .. فالله وحده يعلم كم أحترمك واقدرك "

اتسعت ابتسامة جابر ورد يداري تأثرا شديدا "عشت يا مصطفى .. الله وحده يعلم كم أحبك في الله "

ابتسم مصطفى وربت على ذراعه شاعرا بالحرج ثم قال ليبدد الموقف الذي لم يعرف لمَ أضحى ملبدا فجأة بشعور مؤثر بينهما" ومتى ستعود الحاجة أم جابر؟"

قال جابر ممتعضا" انتهت من العمرة بفضل الله .. لكن زين يرفض السماح لها بالعودة "

قال مصطفى ضاحكا " اتركه فالغربة صعبة وبالتأكيد اشتاقا لبعضهما"

تنهد جابر وقال مهموما " أجل صعبة جدا .. لهذا اتمنى أن استطيع اقناعه حينما يأتي في إجازة الصيف أن يكتفي بهذا القدر من الاغتراب .. وأن يستقر ويتزوج .. لقد أضحى في الواحدة والثلاثين من عمره .. ومن في مثل عمره متزوج ولديه أطفالا "

غمغم مصطفى " صدقت "

أسرع جابر بالقول " سأستأذن أنا "

قال مصطفى "بهذه السرعة!"

غمغم جابر متجها نحو سيارته" نعوضها مرة أخرى إن شاء الله.. لابد أن ألحق بالمعرض
السلام عليكم"
ردد مصطفى خلفه " وعليكم السلام ورحمة الله "

xxxxx

بعد ساعة

"ونس"

"نعم"

"هل قرأت الرابط الذي أرسلته لك؟"

"أجل إنه عن صاعق كهربائي للدفاع عن النفس ما به؟"

"أريدك أن تشاهدي الفيديو الخاص به وتحفظيه جيدا لأني..."

صمت شامل قليلا وهو يجلس على الأريكة في بيت الجد صالح فكتبت ونس "لأنك ماذا؟"

أسرع بالرد "لأني أحضرت لك واحدا"
"ماذا؟؟؟؟"
"احضرت لك صاعقا يا ونس وأنا أعلم بأنك ذكية وستتعلمين من الفيديو كيفية الاستعمال والمحاذير بسهولة"
عضت ونس على شفتها السفلية بحيرة وارتباك فهي لا تشعر بالراحة في استقبال الهدايا منه واكتفت فقط بالصلصال الحراري وعلبة بسكويت ملون خبزها لها ذات مرة تحتفظ بها في البيت لتأكل منها كل يوم قطعة متمنية ألا تنتهي .
كتبت "لكن"
رفع حاجبا وكتب "لكن ماذا؟"
بحيرة ردت " لا أعرف ماذا أقول"
"لا تقولي شيئا .. سأضعه بجوار البوابة كما تعودنا أن نفعل .. اذهبي وخذيه بعد ثلاث دقائق من الآن"

"حاضر"

××××

قبيل الظهيرة

كانت منهمكة في عملها رغم طاحونة الأفكار التي تعصف برأسها .. فمنذ سفر هلال للعاصمة وحياتها كلها انقلبت رأسا على عقب .. صحيح مرت بهم أوقات سابقة كان فيها هلال عاطلا عن العمل لكن وجوده في حد ذاته كان مصدرا للطمأنينة حتى لو كان وجودا شرفيا .. بالإضافة لحِمل جهاز اسراء الذي استجد . وبرغم ذلك ليس لديها وقت للتفكير في هلال وفيما بدر منه..

قلبها موجوع .. مجروح .. وتشتاق اليه لا تنكر..

تشتاق لقاسي القلب هذا الذي طاوعه قلبه على الابتعاد ..وتشعر بالغضب الشديد منه..

لكن كل هذا ليس وقته .. هو اختار أن يبتعد ..
اختار أن يقفز من المركب بعد كل هذا العمر
ويتركها وحدها .. إذن فهذا اختياره ..
لقد اتصلت بجابر دبور أمس واخبرته بأنها لا
تزال على اتفاقها معه بشأن الاجهزة المنزلية ..
صحيح حاولت معه كثيرا أن يخبرها بقيمة
القسط بعد أن قدّرت القيمة الكلية للمبلغ
حين ذهبت لمعرض آخر لكنه رفض وأخبرها
بأنه سينتظر عودة هلال ..
الحقيقة أن المبلغ الإجمالي الذي قدرته كان
كبير جدا ولا تعلم كيف أن الأهالي اللذين
يشترون لبناتهن أكثر من جهاز من الشيء نفسه
كنوع من التباهي يدفعون هذا الكم من المبالغ
من أجل التباهي فقط لا غير!! ..وهي التي
اختارت الاساسيات فقط وجدتها بمبلغ ليس
بالهين.. لكن حمدا لله أن جابر موجود ..
صحيح تشعر بالحرج الشديد منه لكن لا يوجد

مفر من الاعتماد عليه .. كله يهون من أجل الغالية إسراء.

سحبت نصرة جزرة نظيفة وقامت بتقطيعها ثم انتبهت لصوت الوز في القفص فقالت للفتيات" افتحوا لهذا الوز ليتحرك يا بنات وليأكل فضلات الخضار هذا ويشبع"

نفذت إحدى الفتيات ما قالته نصرة .. فأخذت الثلاث وزات يتجولن في المكان ويتبخترن بجوار العاملات.. وقامت نصرة بإلقاء بقايا الخضار لهن وهي تعود للتفكير في همومها.

لقد مرت على بعض المحلات لتأخذ فكرة عن أسعار المفروشات والستائر وأدوات المطبخ .. وما وجدته كان بأسعار مبالغ فيها بشدة .. لكنها لن تيأس.. إن شاء الله ستدبر المبالغ المطلوبة ..

فكرت في عمل اضافي لها في المساء من المنزل .. لكنها لا تعرف بعد ما هو فهي لا تجيد الخياطة ..

تنهدت بمرارة و حزن شديدين واستمرت على وجومها وشرودها بينما الفتيات يثرثرن في نفس السيرة التي باتت حديثا للقرية مؤخرا حول تخمين هوية الجاني الذي يقوم بالحرائق الغامضة المتكررة في الحقول ..

من البوابة دخلت اسراء وتبعتها اختيها همسة ونسمة .. وبمجرد دخول الأولى لمحت أمها الواجمة الحزينة التي تتوسط الفتيات فآلمها قلبها أن ترى وجهها دائم البشاشة رغم كل المحن بهذا الحزن ..

تعرف أن سفر والدها وعدم رغبته في الحديث معهم قد كسر بقلب والدتها بشدة .. وتعلم أيضا أن والديها تربطهما علاقة حب استثنائية يندر حدوثها في الوقت الحالي..

نظرت لأختيها نظرة تعني (سننفذ ما اتفقنا عليه)واقتربت تلقي السلام ..
تفاجأت نصرة ببناتها يقفن أمامها ..فشحب وجهها وسألتهن بجزع "هل حدث شيء؟؟!!"
اسرعت اسراء بالرد لتطمئنها "ليس هناك شيئا يا أمي لا تقلقي"
حيّت ونس اسراء بسعادة فردتها الأخرى بابتسامة دافئة قبل أن تضيف" انتهيت من حصصي اليوم ومررت على همسة ونسمة في مدرستهما وقررنا المجيء لزيارتك هنا وزيارة البنات .. أين بسمة وأم هاشم"
خرجت أم هاشم وخلفها بسمة من إحدى الغرف الداخلية لتقول الأولى" ها قد حضرنا أنرتن المكان يا بنات نصرة "
شمرت اسراء ذراعيها وكذلك فعلت اختيها فنظرت لهن نصرة بدهشة وعدم فهم لتقول

اسراء لبسمة" اسمحي لنا يا بسمة بالقيام بدور أمنا اليوم .."

ابتسمت بسمة وتبادلت النظرات مع أم هاشم وقد فهمت بأن بنات نصرة جئن ليدعمنها خاصة بعد تغير الاخيرة كليا بعد تلك المشاجرة ..

صاحت نصرة تبعد يد اسراء التي اتخذت المقعد المجاور لها" ماذا تفعلين يا اسراء ..اذهبي للبيت واستريحي قليلا"

قالت اسراء ببساطة" بل أنت من يستريح قليلا وأنا والبنات سنقوم بالجزء الخاص بك اليوم "

قالت نصرة باعتراض" لا يصح يا حبيبتي أن يراك أحد تلامذتك وأنت تقشرين الخضار !.. اذهبي للبيت أنت واختيك بالتأكيد لديهما واجبا منزليا"

أمسكت إسراء بالسكين وبدأت في العمل مع اختيها وهي تقول بهدوء "ما المشكلة يا أمي..

هل الأستاذة مقطوعة اليدين ولا تستطيع أن تقطع الخضار؟!.. كما قلت لا تفعلي أنت شيئا اليوم"

زمت نصرة شفتيها تتطلع في بناتها بتأثر وغامت عيناها متمتمة" لكن"

قالت اسراء وهي تضع ما قطعته في الوعاء البلاستيكي الكبير على المنضدة "ليس هناك لكن يا نصرة .. وكفى حديثا أمام الفتيات حتى لا يعتقدن بأني فاشلة في المطبخ ويخبرن حماتي"

قالت نصرة بحمائية "قطع لسان من يقول هذا .. أنت استاذة في كل شيء بسم الله ما شاء الله عليك "

ضحكت اسراء لتقول احدى الفتيات مشاكسة" من يشهد للعروس !"

غمغمت اسراء بمثل شعبي أخر" بل قولي .. (القرد في عين أمه غزال)"

ضحكت الفتيات فقالت نصرة بانزعاج "قرد!! .. من يقول هذا هو القرد .. اللهم صل على النبي عليكِ "

قالت بسمة لأم هاشم بتأثر في وقفتهما عن بعد" احببت علاقتهما ببعض أدام الله عليهما المحبة والبر .. انظري كيف تحاول نصرة أن تخطف منها السكين لتعمل هي بدلا منها"

قالت أم هاشم وهي تتحرك لتعود للداخل لتكمل الحسابات "لا حرمهما الله من بعضهما .. ورحمك الله يا أمي"

بعد قليل بدأت فترة الاستراحة فقالت إحدى البنات لإسراء "ما دمت هنا فلتقنعي الخالة نصرة بأن تطبل لنا كما كانت تفعل .. فلم تعد تفعلها منذ يوم المشاجرة"

قالت اسراء لأمها في محاولة منها لإخراجها من حالة الاكتئاب التي احاطت بها الأيام الأخيرة" لماذا يا أمي .. لقد توقعت أن من أسباب تعلقك

بهذا العمل هو الفرصة التي تتاح لك للغناء يا غالية"

بوجه غابت عنه بشاشته قالت نصرة مشيحة بوجهها " لم يعد لدي مزاجا للغناء"

قالت فتاة أخرى" ربما لا ترغب بعد تلك الشائعات التي تدور في البلدة بأننا نأتي هنا للرقص وقلة الحياء وليس للعمل .. ألا تعرفن بأن سبب انقطاع هالة عن الحضور أن منعها والدها خوفا من سمعة سيئة قد تطالها من ترددها على المكان"

رفعت اسراء حاجبيها باندهاش ومررت نظراتها بين أمها وبسمة التي كانت تتابع من بعيد والتي قالت لإسراء وهي تضرب كفا بكف " لا تعليق" خرجت أم هاشم من الداخل تقول باندفاع "لا تلتفتن لهذا الهراء ..الناس لا يوجد لديها سوى الشائعات(واقتربت من بسمة لتريها ورقة

بيدها سائلة) من أين جاءت هذه الفاتورة أنا لم أرها من قبل ؟"
قالت نصرة وقد استفزها الحديث "ما رأيكن أني سأعود لأطبل وأغني وليضرب أصحاب الشائعات رؤوسهن في أقرب حائط ..فلتناولني إحداكن الطبلة"
صرخت الفتيات بفرحة كبيرة جعلت بسمة وأم هاشم يتبادلن الابتسام باندهاش بينما قالت اسراء مشجعة "يا لجمالك يا نصرة! ..هذا هو الكلام الصحيح"
ذهبت إحدى الفتيات لإحضار الطبلة بسرعة بينما اسرعت الأخرى نحو البوابة لتغلقها ..
فغمغمت أم هاشم متهكمة "دب الحماس الآن في أجسادكن !"
مالت اسراء تقول لأمها " لقد اتصل عمي وأخبرني بأنه قد أرسل حوالة بريدية باسمي بالمبلغ الشهري الذي يرسله زيادة عليه مبلغ

أخر أرسله أبي .. وطمأنني عليه و أخبرني بأنه يعمل معه حاليا .. لكنه لا يزال لا يرغب في الحديث مع أحد منا"

ما قالته اسراء طمأنها عليه رغم شعورها بالحزن والخذلان.

لكنها ردت بامتعاض وعناد" ولا نحن نريد الحديث معه.. (وأشارت للفتاة الواقفة) هات يا بنت الطبلة"

ضحكت إسراء على أمها التي تكابر وتدعي عدم اهتمامها وتابعتها وهي تترك مقعدها وتفترش الأرض والفتيات يتحلقن حولها بسعادة شديدة .. حتى همسة ونسمة انضمتا للحلقة ..فمالت إسراء على ونس المهتمة بهاتفها منذ بداية الاستراحة وقالت لها "بم أنت مهتمة في الهاتف وشاردة عما يدور حولك؟!"

اجفلت ونس واسرعت بإخفاء الهاتف في جيبها تحرك ذراعيها بلا شيء .. فعقدت إسراء

حاجبيها تدقق فيها وتقول بقلق" هل أنت بخير يا ونس؟ .. أراك منعزلة أكثر من اللازم " مطت ونس شفتيها بلا مبالاة وحاولت الهرب من عيني اسراء المتفحصتين في الوقت الذي بدأت نصرة بالضرب على الطبلة بإيقاع راقص فقامت إحدى المراهقات بالرقص عليه بينما انتهزت اسراء الفرصة وعادت للتقطيع لانجاز ما يمكن انجازه أثناء فترة الاستراحة .

بدأت نصرة بغناء موال وهي تضع كفها بين فمها وأذنها لتسلطن النغمة:

يا حلو يا أسمر .. غرامك في الفؤاد شبابيك
لكن سَمارك بخِفّة شَغَلني ..
والعيون شبابيك.
أنا خاطري أطولك ..وأشوف طولك من الشبابيك.

ضربت نصرة على الطبلة وضربت أم هاشم على جبهتها وفي تهمس في سرها" مالك

بالشبابيك يا نصرة!! .. هل أذيتك في شيء يا بنت الناس لتتفنني في تعذيبي!!"
سألتها بسمة باندهاش" بم تغمغمين يا مشمش؟!!"
ناظرتها أم هاشم تقول بعصبية " من أين جاء هذا الاسم الآن بالذات أهي مؤامرة ضدي يا بشر !"
قالت بسمة باندهاش" ما بك يا بنت؟"
ردت أم هاشم وهي تتحرك للداخل" لا شيء لا شيء سأعود للداخل عندي عمل لابد أن ينتهي اليوم "
دخلت أم هاشم إلى إحدى الغرف الداخلية الصغيرة التي تتخذها مكانا هي وبسمة للإدارة
وجلست خلف المكتب الصغير تقول بامتعاض" واحدة تخصص شبابيك ونجارة ..والأخرى لا يحلو لها بأن تدللني إلا في نفس اللحظة!!"

حاولت أم هاشم السيطرة على تلك المشاعر الملحة وانكفأت على الأوراق أمامها لكن صوت نصرة الحزين يصر على التسلل إلى قلبها:

يا بو حُسْن وجَمال .. ما شوفت جَمال أوصافك.

وأنا لازم أغني وأوصف جَمال أوصافك.

ودا سبب ما أديت ..في الحي أوصافك.

تشكلت صورة جابر على الأوراق أمامها رغما عنها ..

رأته في كل مراحل حياته منذ أن وعت على الدنيا ..

تذكرته منذ أن كانت في الخامسة وهو في السابعة عشرة شابا مراهقا جميل المحيا ذو وجه مبتسم دائما ..

كان والدها يحبه جدا .. ويرعاه هو وأخوه بعد وفاة والدهما اسماعيل .. تذكرته في كل مراحل حياته بعد ذلك .. كيف سافر في عمر العشرين

وكيف كانت تنتظر الصيف ليأتي شهرا كل عام حتى باتت السنة كلها هذا الشهر ..
تذكرت حينما مات والدها وهي في الخامسة عشر من عمرها فنزل جابر خصيصا ليحضر العزاء .. ولن تنس وجهه أبدا وهو يبكي على وفاته ..
تذكرت كل شيء عنه .. تواريخ ذهابه وعودته ..تفاصيل تغير شكله من عام لآخر..
وتذكرت كيف أصبح مرور السنين عليها نقمة .. فلم تعد أم هاشم الصغيرة التي تستطيع اللهو حوله ومصاحبته هنا وهناك .. لقد كبرت .. وكبرت الحواجز والحدود بينهما لتفصله عنها ..
فرضيت بنصيبها وقدرها بأن تُحرم من مصاحبته .. تحرم منه وهي في اشد الحاجة إلى صحبته ..
واكتفت بأن تراقبه من بعيد..

اكتفت بأن تلمحه صدفة في الشارع فيتبادلان التحية .

أنا قلبي حَبك ونار العشق كاوياني..
لكن رسمك جميل زين ..
رموش العين كاوياني
لكن بعدك عليّ طال
بعاد الحبايب علينا طال..
والنوم مجافيني
ومافيش كويني ..
خلاف طَلّك من الشبابيك.

كانت تعلم بأن حلما كالارتباط به في يوم من الأيام .. هو حلم وردي خرافي التمني ..
أن يراها كأنثى أو أن تنعم بصحبته في أي صورة بأي شكل إنها لأمنية مستحيلة التحقيق ..
فهو لن يلتفت أبدا ..
لعفريتة سوداء..

وهي لم تنتظر منه أن يفعل ذلك .. حتى حينما عاد وقرر الاستقرار والزواج تمنت له كل الخير مع كاميليا رغم عدم حبها للاخيرة.. لكنها تعترف بأنها جميلة .. جميلة بشدة .. جمال يستحقه جابر .. وتعلم بأنه قد تعب وكافح وضاعت سنوات شبابه ويستحق أن يتمتع بامرأة بجمال كاميليا ..

لم تحزن ..

فهي لم تتمناه لنفسها لتفقده ..

وكيف تجرؤ على تمني المُحال! .

فأمنية كهذه ليست إلا خرافة صعبة المنال..

لم تحزن ..

رغم أن قلبها ينزف دما ..

لكن جابر ليس مسئولا عما تحمله له من مشاعر .. ليس مسئولا عن أنها أحبته رغما عنها..

أحبته بشدة ..

وكانت ولا زالت تتألم بهذا الحب..
بشدة ..
جابر ليس مسئولا عن أنها قد وُلدت ببشرة سمراء وسط قرية بناتها مشتهرات بالبياض والجمال ..
جابر ليس ملاما على أي شيء ..
أرادته سعيدا .. أرادته مستقرا في حياته ..وتمنت له أن يحظى بعائلة وأطفال مع امرأة جميلة رغم تمنيها أن تكون شخصا أخر غير كاميليا .. لأنها تعرف كم هي حقودة سوداء القلب ..
لم تحزن ..
يكفيها فقط وجوده في هذه الحياة.

تمردت الدموع على تلك السيطرة الفولاذية التي تمارسها على نفسها فتساقط بعض منها من جانب عينها لتسرع بمسحها وهي تحدث

نفسها "أنا متماسكة .. متماسكة .. فقط أشعر بالقلق عليه لأنه أضحى مهموما .. ترى ماذا اصابه؟ .. هل نكدت عليه الذبابة الخضراء؟"

غنت نصرة على ايقاع الطبلة:

على ورق الفل دلعني
ماحملش الذل دة يعني
أنا لا حيلتي ولا في يدي
إلا الخاتم اللي في يدي
ما قولتلك يالا نبيعه
واسهر وياك ودلعني

استمرت أم هاشم في حديثها مع نفسها وهي تسحب منديلا ورقيا من أمامها على المكتب وتمسح تلك الدموع الغبية التي أصرت على الانهمار "يبدو أني سأكرهك بعد هذا العمر بيننا يا نصرة (وعادت للتفكير) هل اذهب لكاميليا وأطلق عليها عفاريتي الصغار لأهددها بأن تصلح من نفسها من أجل الغالي؟!.. سامحك

الله يا بنت العسال .. لن أدعو عليك حتى لا يحزن الغالي .. سامحك الله وهداك ..وسامحك الله أنت الأخرى يا نصرة يا بنت .. ماذا كان اسم أمها؟"

في الخارج كانت عيني نصرة تلمعان بالدموع وصورة هلال تتسلل إليها .. لكنها عاندت نفسها وانكرت بأنها اشتاقت إليه فغنت شاردة بدون روح وهي تطبل.. وقد لاحظت إسراء ذلك ..وتنهدت مشفقة على والدتها وعلى ما أصاب عائلتها ولم تعد تعرف كيف تحل هذا الوضع.. خاصة وأن والدها يرفض التحدث مع أحد منهم لكنه حمدا لله يرد على طلال ووالده إذا ما حاولوا الاتصال به .

أنا لا حيلتي ولا في ايدي
غير الغوايش اللي في إيدي
ما قولتلك ياللا نبيعها

وأسهر أنا وياك ودلعني

من إحدى غرف النوم في الطابق الثاني لبيت الجد صالح والتي تطل على ساحة المشروع اقترب كامل من النافذة بفضول يبحث عن مصدر الطبل والغناء والتصفيق ثم اتسعت ابتسامته وهو يرى إحدى المراهقات تتوسط الساحة وترقص .. فرشف قليلا من كوب نيسكافيه في يده في الوقت الذي كانت فيه بسمة ترفع نظرها بحركة عفوية على حسب ادعائها نحو المبنى المجاور ولمحته في الشرفة .

استدار كامل يترك النافذة ويخرج من غرفته نحو إحدى شرفات الصالة التي تطل على واجهة البيت ومزارع العمدة الممتدة بينما اندفعت بسمة نحو البوابة بغيظ ولم تدر

بنفسها إلا وهي تخرج منها وتدخل البوابة المجاورة .

كان كامل شاردا يفكر بم سيتحجج ليراها .. لقد قطع كل هذه المسافة فقط ليراها .. لكنه منع نفسه منذ حادثة العنب من دخول مزرعة العمدة أثناء تواجدها فيها خوفا على أي شائعات قد تطالها ..

هل يملك الجرأة ليعترف بأنه يحبها؟!

لم يتخيل أبدا أن يأتي يوم يكتشف فيه بأنه جبان!

لكنه ليس بجبان ..

بل هو في وضع صعب ..

هكذا قارع نفسه .

إن اعترافه بأنه يحبها سيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار .. فليست المشكلة في الاعتراف ولا في مواجهة الناس ..

المشكلة في أن هذا الاعتراف سيستفز جانبا ذكوريا فيه هو يعلمه ..وهذا ما يثير تخوفه وتخوف توأمه .

لو اعترف بهذا الحب ستُفتح عليه أبواب الجحيم..

جحيم الـ....غيرة !.

انتبه من شروده حين لمح بسمة تدخل من البوابة فاتسعت عيناه واسرع يترك الشرفة مهرولا نحو السلم.

أمام بيت الجد صالح رنت بسمة الجرس فهم شامل بالذهاب لفتح الباب لكن أخاه صاح وهو يهرول على السلم "أنا سأفتح ..أنا سأفتح"

عقد شامل حاجبيه وهو يتابع أخيه المراهق الذي أسرع نحو باب البيت ووقف يتنحنح ويشد من قامته قبل أن يفتح الباب مبديا ذلك البرود على وجهه ..

لكنه لم يجد أحدا أمام البيت .

عقد كامل حاجبيه وقطع الساحة نحو البوابة التي كانت مفتوحة حتى وجد بسمة تقف في الشارع توليه ظهرها فتنحنح وقال ببرود "هل أنت من رن الجرس؟"

استدارت ترفع إليه عينين زرقاوين غاضبتين وتقول بعصبية "ما تفعله لا يصح يا استاذ"

عقد ذراعيه أمام صدره العريض في تلك الحلة الرياضية المريحة التي يرتديها وسألها بلهجة ساخرة" وما الذي أفعله بالضبط يا استاذة؟"

قالت بسمة بغيظ" أن تتلصص على الفتيات من نافذة بيتك وهن يرقصن إن هذا يعد وقاحة"

لوّن الغضب عينيه فجأة ورد بلهجة محذرة خطرة تفاجأت بها " أنا لست وقحا يا باشمهندسة ..وإياك في التمادي بالحديث معي بهذا الشكل"

(أنا لست وقحا)

عبارة أعادتها لأكثر من ثلاث سنوات ونصف فقالت بتحدٍ "يبدو أنها العبارة المفضلة لديك فقد سمعتك تقولها من أكثر من ثلاث سنوات أيضا"

اتسعت عيناه وبديتا أمامها مخيفتان ذكرتها بتلك اللحظة التي ظنته سيهجم عليها أمام بوابة فيلا غنيم.. فبلعت ريقها توبخ نفسها في سرها أن اندفعت وذكرت الماضي أمامه .. ماذا لو كان لا يذكرها .. ستبدو أمامه بلهاء وستغذي نرجسيته بأنه شخص مهم .

أما كامل فحصل أخيرا على اجابة السؤال الذي سأله لنفسه كثيرا ..

إنها تذكره.

تلك المعلومة خففت من غضبه قليلا فوضع يديه في جيبي بنطاله قائلا بحاجب مرفوع " جميل أنك تذكرين بأننا قد تقابلنا في الماضي "

لا تدري بسمة لمَ شعرت بالارتباك حين أكد لها بأنه يذكر مقابلتهما وقت المشاجرة ..
إذن هو يذكرها ويعرف هي طليقة من !..

أكمل كامل حديثه قائلا " وقبل أن أرد على ما قلتيه .. دعيني أخبرك بما قلته لك من قبل يا باشمهندسة بأنك بارعة في القاء التهم جزافا على الأخرين"
تكتفت وناظرته بتحدٍ فمال كامل بجذعه نحوها يقول أمام عينيها الرائعتين " هلا أخبرتني من أين تيقنتِ بأني أنا الفاعل وليس شامل ؟!"
ارتبكت وردت بلجلجة" أنا جئت لأتحدث عمن لمحته يقف في الشرفة أيا كان"
علق ساخرا " لمحتيه! .. مجرد لمحة من بعيد أصبح كامل هو الفاعل !.. ألم أقل لك بأنك تلقين التهم دون التأكد مما تتحدثين عنه"

حركت كتفيها تقول بمكابرة " أيا كان من وقف في الشرفة فإن هذا أمر لا يصح يا سادة"
اعتدل وهز كتفيه يرد ببرود " أولا أنا حر أين أقف في بيتي"
اندفعت ترفع سبابتها أمامه وتقول بانتصار طفولي " ها قد اعترفت بلسانك أنه أنت "
اتسعت ابتسامته التي تتسبب في انفجار دقات قلبها اللعين ثم تجاهلها يكمل" ثانيا رغم أني لست في حاجة للتبرير لكني سأثبت لك بأنك تتسرعين في الحكم على الأشخاص فأنا لم أقف سوى دقيقة واحدة .. دقيقة واحدة لأعرف ماذا يحدث عندكم .. كما أنني لست بحاجة للتلصص على فتيات صغار يرقصن يا أستاذة باسمة "
ناظرته بغيظ .. فعاد ليميل بجذعه نحوها ويقول بصوت خافت "عموما لأثبت لك بأني

لست وقحا وبأنك ظلمتني بالظن السيء
سأخبرك سرا .."
ضيقت عينيها باهتمام فأضاف كامل "أنا لا أرى التفاصيل بوضوح عن بعد ..واحتاج لأن أرتدي نظارتي الطبية لأرى تفاصيل الأشياء البعيدة .. أهذا دليل كاف لتقتنعي.. أم تحتاجين تقريرا طبيا لحالتي ؟ .."
شعرت بسمة بالحرج واحمرت وجنتيها لا تدري بماذا تبرر انفعالها ليقول كامل بصوت أكثر خفوتا وجاذبية "أرجوك.. أنا أمّنتك على سري فلا تخبري أحدا به حتى لا ينتقص ذلك من سحري على الفتيات"
ناظرته بغيظ شديد وتمنت لو تصرخ في وجهه وتخبره بأنه مغرور ويعطي لنفسه أهمية أكثر مما يستحق لكنها عضت على لسانها ولجمت نفسها بصعوبة أمام مقلتيه اللتين تتراقصان كقلبه فوق ملامحها ..بينما همس كامل في سره

" يا ويلك يا كامل .. لقد اشتقت إليها بشكل مؤذٍ يا منحوس.. وسينتهي أمرك لا محالة لاًجئاً أو صريعاً أمام شطآن عينيها "

خرجت وزة من بوابة المشروع الموارب ..ومالت بوجهها تنظر لبسمة وكامل الذي قال بلهجة متهكمة ليخرج نفسه من سيطرة مشاعر خطرة منفلتة تلح عليه "نسيت أن أسألك ..ما أخبار محصول العنب في مزرعة العمدة؟ ... أتمنى أن يكون بخير"

راقب وجهها الفاتن وهو يحتقن وهدير الموج الغاضب في عينيها يعلو ..وراقب فمها الجميل المغري إلى حد التعذيب ينفرج قليلا قبل أن تقول من بين أسنانها بغضب وهي تهم بالمغادرة" أنت...."

في لمح البصر تحركت الوزة وقررت هدفها ..فأسرعت نحوهما ومدت منقارها نحو كامل الذي ناظر اقترابها من علو بامتعاض قبل أن

يطلق آهة وجع ..ويميل ليمسك بساقه التي عضتها الوزة.

توجع كامل وناظر الوزة مصدوما من أن تعض بهذا الشكل المؤلم بينما انفجرت بسمة بالضحك بشكل هستيري وهي ترى كامل مائلا يمسك ساقه وعلامات الألم والصدمة على وجهه.

ضربت كفا بكف ولم تستطع السيطرة على ضحكاتها في لحظة تخلت فيها عن حذرها وعن برودها وعن تحفظها ..

لحظة ضحكت فيها من قلبها ضحكة ربما لم تزرها بهذا الشكل النقي المنطلق منذ سنين ..

لحظة كانت فيها غير مبالية بأي شيء سوى ما يحدث مع كامل الذي هدر فيها بغيظ متألم

"هل تضحكين ؟!"

انفجر المخلوق الباهر الحُسن أمامه مجددا بالضحك ..ولم يدر لحظتها إن كان الألم يأتيه

من ساقه أم من قلبه الذي كان يتجرع رؤيتها أمام عينيه بشوق مؤلم ..
ولم يلحظ أي منهما خاصة بسمة التي كانت تولي جانبها للطريق تلك السيارة التي مرت من جانبهما والتي كانت تحمل بدير وأخته كاميليا.

قبل دقيقة

سألت كاميليا أخيها وهي تجلس بجواره في السيارة "وهل ستوصلني وتذهب أم ستبقى حتى تحضر مراسم الحفل في المساء؟"
قال بدير بعصبية "ما الذي سيجعلني ابقى كل هذه الساعات !..هل أنا متفرغ لهذه الأمور!
..ألا يكفي بأني اضطررت لأن أوصلك بدلا من زوجك الذي تحجج على أخر لحظة واعتذر عن توصيلك "
تذكرت كاميليا تلك الحالة من التجاهل التي لا يزال جابر ينتهجها معها رغم مرور كل هذه المدة على انتقاله للغرفة الأخرى .. لكنها

صامدة ولا ترغب في التنازل ولديها أمل بأنه سيشتاق إليها قريبا وسيأتيها يطلب الوصال أو على الأقل يطلب حاجته منها كرجل ووقتها ستكون هي المنتصرة ..

قالت لأخيها بغيظ" وكيف كنت سأذهب للقرية المجاورة وحدي؟!"

رد بدير "بالمواصلات العادية مثل باقي البشر"

هتفت باستنكار " أنا كاميليا العسال اركب سيارات الأجرة !.. أتريد للناس أن تأكل وجهي أم كنت تريدني ألا أحضر حفل زفاف ابنة عمتي "

قالت ميس من المقعد الخلفي " أنا أريد أن أرى العروس يا خالي "

ناظراها بدير في المرآة الأمامية ثم مط شفتيه واشاح بوجهه نحو النافذة مغمغما "ليت جابر قال منذ الصباح أنه لن يقدر على إيصالك كنتِ ذهبتِ مع وجدان وزوجة عماد والأولاد

بدلا من أن تتصلي بي وتصرخي في أذني كسرينة الاسعاف لأوصلك"

همت كاميليا بقول شيء حين لفت انتباههما معا بسمة وكامل الواقفين في الشارع بجوار بيت الجد صالح.. كانت بسمة تضحك بملء شدقيها وهي تنظر لكامل الذي كان متجهم الوجه يمسك بساقه .. وحين مرت السيارة كاد بدير أن يدهس الوزة في طريقه لولا أن الأخيرة اسرعت بالانتحاء جانبا.

ظل بدير وكاميليا يحدقان في المشهد بصدمة وظلت عينيهما متسمرة عليهما والتوى عنقيهما لثوان حتى بعد أن تجاوزتهما السيارة وابتعدت.

في الشارع بدأت بسمة في موجة ضحك أخرى حينما اقتربت الوزة من كامل مجددا لتهاجمه ولم تستطع السيطرة على حالتها وهي ترى نظرة هلع في عينيه وهو ينظر للوزة قبل أن

يصيح بغيظ " ابعديها .. ابعديها وإلا سأمسكها من عنقها وأكسره بيدي صدقيني"
من وسط ضحكاتها رفعت بسمة الوشاح الذي كاد أن ينزلق تعيده إلى رأسها وتحركت تشيح بيدها لتبعد الوزة حتى أدخلتها في بوابة المشروع .. ثم بذلت مجهودا كبيرا للسيطرة على تلك الحالة الهيستيرية من الضحك التي تملكت منها خاصة وهي تسمعه يقول بمزاج عكر متألما"لم أتوقع أن تكون عضتها بهذه القوة"
على بوابة المشروع قالت بسمة من خلف ظهره دامعة العينين من كثرة الضحك "ضع عليها قليلا من الثلج"
استدار إليها يناظرها بنظرة عابسة مغتاظة .. فهمست بسمة بلهجة متشفية وابتسامة واسعة وهي تغمز بكلتا عينيها دفعة واحدة "لا

تقلق .. هذا السر أيضا لن أخبر به أحد حتى لا تفقد سحرك أمام الفتيات"

وعلت ضحكتها من جديد وهي تتركه وتدخل ساحة المشروع تبذل مجهودا للسيطرة على حالة فريدة من الطفو التي تشعر بها لحظتها.. حالة من السعادة المدغدغة كفقاعات مياه غازية تسري في أعصابها ..

أما كامل فدخل بوابة بيته يعرج وهو منتشي رغم الألم الشديد في ساقه من رؤية وجهها الضاحك .. لأول مرة يراها وهي تضحك .. ويخيل إليه بأن هذا الوجه لم يضحك منذ مدة طويلة.

كانت ضحكتها فاتنة مبهرة وعيناها كانتا كسماء صافية خالية من الغيوم..

والهموم..

أما في سيارة بدير العسال كان دخان الغضب والغيرة يخرج أسود اللون من صدر صاحبها الذي تجهمت ملامحه واحتقن وجهه .. ولم تكن أخته بأقل منه غضبا و غيرة فسألت أخيها سؤالا في ظاهره برئ "هل تعتقد بأن بسمة الوديدي على علاقة بهذا الشاب الغريب؟!"

ناظرها بدير نظرة خطرة وهتف بضيق "اسكتي يا كاميليا"

قالت بصدمة وهي تفكر بصوت مسموع "أمن الممكن أن تتزوج بسمة مرة ثانية من هذا الشاب الثري !!"

هدر بدير بقوة" قلت اسكتي يا بنت *** ودعيني أفكر"

صرخت كاميليا وقد جن جنونها هي الأخرى "ألم ترى كيف كانا يقفان يتضاحكان وكأنهما صديقان قديمان"

ضرب بدير على عجلة القيادة بعصبية عدة مرات يحاول السيطرة على أعصابه فانكمشت ميس في المقعد الخلفي بينما اسرعت كاميليا تقول" أترك هذا الأمر عليّ سأنشر...."
أدار وجهه إليها صائحا بتحذير" إياك .. إياك أن تقومي بنشر إشاعات عن علاقتها بأحد التوأمين .. إن فعلتها سأقتلك بيدي هاتين"

قالت كاميليا باندهاش "أنا سأفعلها من أجل مصلحتك ..فحين تنتشر الإشاعات ستتقدم أنت للزواج منها فلا يجد أهلها بدا من اسكات الجميع إلا بالقبول"
من بين أسنانه قال وهو يوزع نظراته بينها وبين الطريق أمامه " يا أم الغباء ..كيف ستكون زوجتي ويشوبها سمعة سيئة مع رجل غريب .. إنها مطلقة وأي خبر يخص رجل في حياتها .. الناس ستنسج خيالات قذرة خاصة وأنه

يستأجر بيتها ..فلا تفعلي شيئا سوى السكوت ودعيني أفكر .. فما عاد هناك وقتا للصبر"
قالت كاميليا بغل "أجل فكر واسرع بالزواج منها "
غمغم بدير شاردا "هذا ما سأفعله (ثم عقد حاجبيه ونظر إليها يسألها باندهاش) لماذا غيرت رأيك ؟.. ألم تحيكي المؤامرات الغبية مع وجدان من قبل لإفشال زواجي منها!!"
بارتباك ردت كاميليا" لأني لمست حبك الشديد لها .. ورأيت كيف تلون وجهك بالغيرة والغضب حينما مررنا عليهما يتضاحكان منذ قليل فأشفقت عليك .. ألست أخي حبيبي! ..
(واضافت بلهجة تمثيلية) أنا لن أقف أمام سعادتك يا بدير .. مادامت هي السعادة بالنسبة لك عليك باقتناصها من فم الأسد ..
وهل أنت قليل !.. كيف ترفض تلك الغبية أن

ترتبط ببدير العسال (ومصمصت شفتيها) هل كانت تحلم أصلا بشخص مثلك يتقدم لها " ناظرها بدير بشك قبل أن يضرب على عجلة القيادة قائلا "هذا الأمر لابد أن يوضع له حدا في أسرع وقت"

غمغمت كاميليا وهي تنظر أمامها شاردة "أجل لابد أن يوضع له حدا (وأكملت في سرها) قبل أن تتزوج بنت الوديدي للمرة الثانية من رجل ثري ووسيم بهذا الشكل ومن بلد أخرى ولم يسبق له الزواج "

واستعادت تفاصيل هيئة ذلك الشاب الذي لمحته هو و توأمه أكثر من مرة من قبل وأكملت في سرها "رجل بهذا الطول الفارع وهذه العضلات المفتولة.. لا .. لن اسمح لك بالفوز به أبدا يا بسمة"

××××

بعد يومين

"ارحمينا من بكائك رأسي تصدع"
قالها أدهم من المقعد الأمامي بجوار السائق مستديرا لمنة الله في المقعد الخلفي فانفجرت الأخيرة بالبكاء .. ليناظره إياد بنظرة لائمة وهو يربت عليها جعلت الأول يعود لينظر أمامه وهو يزفر بعصبية شاعرا بالذنب.
توقفت السيارة بعد قليل أمام بيت مصطفى الزيني فنزلت منة بائسة منتفخة الوجه من أثر البكاء لتتسع عيني أخيها يامن ويسألها بقلق "ماذا حدث؟"
خرج أدهم من السيارة متوجها للبيت المجاور بيت العمدة بعد أن ألقى تحية مقتضبة بينما أجاب إياد وهو يترجل من السيارة" لقد أضاعت عروستها الصغيرة"
عقد يامن حاجبيه وسألها" تلك التي كنت تعلقينها في يد الحقيبة؟"

أومأت برأسها وقالت باكية" بحثت عنها في كل مكان.. والمعلمة سألت الجميع ولم نجدها وأدهم وإياد بحثوا عنها في المدرسة كلها"
قال إياد مواسيا" صدقيني إحدى الفتيات سرقتها فبالتأكيد لو كانت قد سقطت منك كنا وجدناها"
قال يامن لأخته " وهل أنت صغيرة لتبكين على لعبة يا منة!"
حياهما إياد وتركهما متجها نحو بوابة بيت جده العمدة بينما مسح يامن على رأسها وقال مواسيا "لا بأس سأشتري لك واحدة أخرى هيا ادخلي"
في بيت العمدة لحق إياد بأدهم يقول له بغضب" ألن تكف عن فظاظتك أبدا.. البنت كانت متأثرة بضياع عروستها "
قال أدهم بمزاج عكر" وما دخلك أنت؟"

دفعه إياد في كتفه يقول "دخلي أنها قريبتي وزميلتي بالفصل "
دفعه أدهم بدوره يقول بغضب " أتضربني!"
أمسك إياد بملابسه صائحا" هل ستمثل عليّ أنا الآخر دور الرجل الكبير"
تدخلت نحمده تصيح" ماذا يحدث علام تتشاجران؟"
كف الصبيّان عن التشابك وعاد كل منهما يحمل حقيبته قبل أن يقول أدهم وهو يتجه لصعود السلم للطابق العلوي" لا شيء"
بينما سأل إياد" أين أمي؟"
أشارت نحمده برأسها للداخل تقول " لديها عمل بالداخل "
ترك إياد حقيبته أرضا وذهب مبرطما" أنا لا أفهم لمَ تعمل أمي بيديها ولديها خدم كثيرون في سرايا الصوالحة .. هذا البيت عجيب جدا!"

ناظرت نحمده حفيدها بنظرات نارية وهو يدخل لإحدى الغرف المجاورة ولم تدر بأن حفيدها الأخر يناظرها من فوق السلم بنظرات أكثر غضبا ونارية .

xxxxx

في المساء

كتب شامل وهو يقف في مطعمه وآخر الزبائن على وشك المغادرة "هل تدربت على استعمال الجهاز؟"

"أجل"

"إنه صغير جدا بحجم بطارية صغيرة وستستطيعين حمله في جيبك أينما ذهبت .. عديني بأنك لن تخرجي بدونه من الآن فصاعدا"

في جلستها على جانبها على السرير تتوسد هي وشعرها المموج الوسادة كتبت ونس "حاضر" "وهناك أمر هام"

"ما هو؟"

"ستستخدمينه في الطوارئ فقط .. هل فهمت فقط الطوارئ يا ونس ولا غير ذلك.."

رفعت مقلتيها لسقف الغرفة ثم عادت تكتب متنهدة "حاضر فهمت"

"شامل"

"نعم"

اشتعلت وجنتيها وكتبت سؤالا يزن كالنحلة في رأسها ولن تستطيع تحمله أكثر من ذلك "لماذا تفعل ذلك؟"

"افعل ماذا؟"

"كل ما تفعله معي"

شعر شامل بالارتباك ونظر حوله بشرود وكأنه يبحث عن إجابة مراوغة ثم عاد ليكتب "لأنك مختلفة"

"مختلفة !!!!"

اسرع بالكتابة "أقصد .... مميزة"

اعتدلت على السرير وكتبت "أنا مميزة؟!"
ضغط شفتيه ببعضهما شاعرا بارتجاف في عضلة قلبه وكتب "أجل يا ونس أنت مميزة في كل شيء "
تركت الهاتف وغطت وجهها بكفيها بسعادة ثم سحبت نفسا عميقا وعادت لتكتب "أنت أول شخص يخبرني بذلك"
اتسعت ابتسامة شامل وعيناه معلقتان كقلبه بالهاتف بينما اسرعت ونس بالكتابة "لا لا أقصد ثاني شخص"
عبست ملامحه بسرعة وكتب "ومن هو الأول؟؟؟؟؟"
اتسعت ابتسامتها وعادت لتستلقي على ظهرها وكتبت بمكر أنثوي " شخص"
كتب بعصبية "أجل علمت بأنه شخص وليس كائنا فضائيا ..من هو؟"

تراقص قلبها بسعادة شديدة وهي تلف خصلة من شعرها حول اصبعها وكتبت "لماذا تريد أن تعلم؟"

حدق شامل في السؤال بعبوس ثم ألقى بالهاتف بعصبية على أحد الطاولات ووقف متخصرا يناظره بغيظ .. فالتفت كامل إليه من بعيد عاقدا جبينه لكنه لم يتدخل بل عاد يعطي تعليماته للعاملين .. أما شامل فدلك مؤخرة عنقه معترفا بأنه أصبح يغار وبأن ذلك التريث الذي يتعامل به معها يضعه في مواقف غير مريحة .

حين لم يرد عقدت ونس حاجبيها بقلق واعتدلت بجلسة متشنجة على السرير وقد عادت لأرض الواقع ..

عادت للحقيقة التي تعلم بوجودها علم اليقين.. بأنها وشامل لن يجتمعا أبدا إلا في

احلامها المراهقة .. حتى لو كان يحمل لها
بعض المشاعر ..
شعرت بالقلق من أن تكون قد أزعجته
بمراوغتها فكتبت "شامل"
"شامل"
نظر شامل للهاتف وقبل أن يمد يده نحوه رن
باسم ونس فانفجرت دقات قلبه فجأة قبل أن
يهدأ الهاتف ويعود لصمته فالتقطه يكتب
"للحظة كنت سأفتح الخط واحدثك"
ساد صمت طويل أدرك فيه شامل أنه قد
اندفع في القول .. ولولا أنه قد علم بأنها قد
قرأت ما كتبه لمسح العبارة فعاد يكتب "آسف
لم يجدر بي قول ذلك"
كتبت ونس بسرعة "لا لا أتمنى دوما أن
تتحدث معي بدون حساسيات أو مجاملات"
"ونس"
"نعم"

حرك أصابعه في الهواء أمام لوحة المفاتيح بتردد ثم كتب "هل استطيع أن أعرف تفاصيل عن حالتك؟"

صمتت ونس تتطلع في السؤال بحزن .. فلم تتمنى يوما أن تكون مثل باقي الفتيات أكثر من هذه الأيام منذ أن قابلت شامل.. تعرف بأنهما من عالمين مختلفين لكن أكثر ما يجرحها هو إعاقتها .. تتمنى لو يراها أنثى مكتملة .

كتب شامل بضيق من نفسه " إن لم ترغبي في الحديث عن هذا الامر فلا بأس يا ونس كانت مجرد دردشة عادية "

كتبت ونس بملامح جادة "أنا ولدت طبيعية .. توفيت أمي أثناء ولادتي وتربيت في العام الأول عند الخالة نصرة"

"من الخالة نصرة؟"

"قريبة لنا من بعيد نحن.. أنا وأبي.. ليس لدينا أقارب من الدرجة الأولى أو حتى الثانية (وجه

ضاحك) المهم في عمر عام أخذني أبي لأعيش معه وكنت طفلة عادية واسمع جيدا لكني لم أكن أتحدث عند سن الكلام سوى بضع كلمات لا أعرف لماذا لكن هذا ما قيل لي .. مرضت في عمر أربع سنوات تقريبا وارتفعت درجة حرارتي ويبدو أنني بعدها قد أصبت بما أنا عليه الآن .. في البداية لم يلحظ أبي الأمر ..من لاحظ بعد فترة كانت الخالة نصرة خاصة حينما تأخرت في النطق فأصرت بأن تأخذني لطبيب وبعد رحلة طويلة مع الأطباء تم تشخيص حالتي بضعف في السمع"

"ضعف لأي درجة؟"

"لدرجة متوسطة أو أقل قليلا أي أنني أستطيع أن اسمع الاصوات العالية جدا ..ارتديت سماعات لتحسين مستوى سمعي لكن بكل أسف معظم الوقت هذه السماعات تشعرني بالإحباط كونها لا تلتقط الأصوات بشكل جيد

لا أعرف لماذا ..بالرغم من أني لست ضعيفة السمع بشدة "

"ولماذا لم تتابعي مع طبيب سمعيات جيد؟"

رفعت ونس شعرها في عقدة مهلهلة فوق رأسها وكتبت "كما تعلم نحن في قرية صغيرة ..وهذا الأمر غير شائع في المحافظة كلها .. ربما حالة أو اثنين أخرى وبالتالي علينا الذهاب للعاصمة والتردد على طبيب السمعيات أكثر من مرة ..كما أنه على حسب ما علمت من خلال البحث على الانترنت مؤخرا أن السماعات أنواع وماركات ..وغالية الثمن جدا .. أنا سماعاتي احصل عليها من مستشفيات التأمين الصحي بالمجان وأنت تعلم بأن الاشياء المجانية ليست بمستوى تلك الأنواع الاخرى غالية الثمن .. المهم أنه لم يكن في الامكان أفضل مما كان .."

جلس شامل على أحد الطاولات منفصلا عن العالم حوله وكتب "والكلام؟"
تنهدت ونس وكتبت " لا أعرف .. تأخرت كثيرا في الكلام ربما حتى سن المدرسة وحين حاولت أن اتحدث بعد تركيب السماعات لم استطع .. النطق صعب ومجهد وحروف كثيرة لم أقدر على نطقها ..كما أن السماعات لا تسعفني غالبية الوقت في التقاط الحديث وأحيانا تخذلني حتى أنني ألجأ لقراءة الشفاه أحيانا لأتأكد مما سمعت"
كتب شامل مستوضحا " ولكني على حسب ما قرأت في الفترة الماضية عن هذا الموضوع أن قراءة الشفاه يستخدمها فقط الصم وضعيفي السمع بالدرجة الشديدة بينما أنت تقولين بأن درجة سمعك أقرب للمتوسطة"
"لا اعرف صدقني"

"اعتقد بأنك كنت بحاجة لدروس تخاطب في السن الصغيرة"

ردت ونس معترفة "ربما لكن هذا التخصص نادر في المحافظة كلها واشفق على أبي من مجهود السفر للعاصمة والتكاليف العالية يكفي مصاريف البطاريات شهريا"

"أية بطاريات؟"

ابتسمت بحزن وردت " السماعات تعمل ببطاريات تبدل كل أسبوع تقريبا "

رفع شامل حاجبيه متفاجئاً وكتب " لم أكن أعلم بهذه المعلومة (وصمت قليلا ثم كتب) ما استشعرته من تعاملي معك يا ونس أنك ذكية جدا وسريعة التعلم فكيف لم تحاولي مع نفسك للنطق ؟"

كتبت بحرج " حاولت وفشلت (وجه مغطى بكفين حرجا) أو بمعنى أصح تم التنمر عليّ من

الأولاد وقالوا لي كلمات موجعة جدا .. فقررت
أن أكف على المحاولة و...."
باغتتها دمعة حارة سقطت على خدها
فضغطت على زر ارسال ورفعت أصابعها
لتمسحها ليكتب شامل "وماذا؟"
سحبت نفسا عميقا ثم زفرته وردت "لا شيء
تذكرت آخر مرة تهكموا على نطقي الأبله ..
كنت أنطق كالخرساء تقريبا حين تحاول
الحديث وبديت كخرقاء .. بعدها قررت الكف
عن المحاولة والاستعاضة عنها بالكتابة حتى لا
أبدو بلهاء بنصف لسان"
تألم قلبه بشدة .. وتملكته الحمية متمنيا لو
كان موجودا وقتها حتى لا يسمح لأحد بالتنمر
عليها .. فقال بعد فترة صمت "أهذا يعني أنك
قد التحقت بمدرسة عادية؟"
ردت ونس " أجل .. في الحقيقة لقد رفضوني
أول الأمر كوني مختلفة ..لكن مصطفى الزيني

تدخل وسعى في الموضوع حتى أحضر تأشيرة من المحافظ وقتها بالموافقة على أن التحق بالدراسة مادامت المحافظة ليست بها مدرسة لضعاف السمع .. حاولت كثيرا أن اعوض ما فشلت فيه وهو النطق .. فقررت أن أولي اهتمامي لتعلم الكتابة وساعدتني بعض الفتيات منهن إسراء بنت الخالة نصرة فأجدت الكتابة والقراءة .. وكان مستواي الدراسي في المرحلة الابتدائية جيدا لكن بعد ذلك صارت المواد الدراسية أصعب للتعلم الذاتي"

عقد شامل حاجبيه وكتب "التعلم الذاتي!!"

"أجل .. فشرح المعلم كانت سماعاتي لا تلتقطه كله فكنت اعتمد على التعلم الذاتي من الكتب وشرح إسراء .."

أسرع بالكتابة بانفعال وهو يشعر بغصة قوية تعصر قلبه "اعتقد بأن سماعاتك بحاجة

لإعادة فحص يا ونس.. سأستشير أنا طبيب سمعيات"

عادت الابتسامة لوجهها وكتبت "المهم أني انتهيت من المرحلة الإعدادية ..ورغم التعب والمجهود المضاعف الذي كنت أبذله حصلت على مجموع أدني بدرجات قليلة من قبول الثانوية العامة الذي سيؤهلني لدخول الجامعة .. صدقا أردت دخول الجامعة يا شامل ..(عينان مغرغرتان بالدموع) كنت أشعر بأن تخرجي من الجامعة هو فوزي على إعاقتي .. المهم أني شعرت بالإحباط الشديد وكدت بعدها أن استسلم ولا أكمل التعليم لكنهم أشاروا عليّ بأن ادخل الثانوية الفنية الصناعية نظام الخمس سنوات وذلك لأن ميولي الفنية كانت واضحة منذ الصغر .. أذكر أن المعلمين كانوا يعتمدون عليّ في تصميم ورسم ما يخص الاحتفاليات الخاصة في المدرسة .. ليتني كنت

امتلك كاميرا وقتها لاحتفظت بصور كل هذه التصميمات (قلب أحمر) .. المهم أني التحقت بالمدرسة وتخصصت في الزخرفة والباقي اخبرتك عنه من قبل .."

زفر شامل وكتب "لا أعرف ماذا أقول .. أنا أرفع لك القبعة على كفاحك يا ونس رغم قلة امكانياتك .. وبالنسبة لحالة أذنيك اتوقع أن العلم قد تقدم كثيرا فيما يخص حالتك وبالتأكيد هناك حلولا لجعل حياتك أفضل"

كتبت وابتسامة حزينة على شفتيها "كما قلت لك ليس في الإمكان أفضل مما كان .. لا أحب التفكير في هذا الأمر ما دمت لا أملك إمكانية تغييره"

اسند شامل رأسه للخلف على الحائط مفكرا بينما انتابت ونس حالة من الإحباط الشديد وكتبت " إذن أنت قلت أنك تفعل كل هذا لأني مميزة .. حالة انسانية تقصد"

أنزل شامل وجهه ينظر في الهاتف واتسعت ابتسامته ثم كتب" أشم رائحة مكر واحتيال (وجه متحفز بحاجب مرفوع)"
اتسعت ابتسامة ونس وأرسلت "(وجها مغطى بكفين حرجا)"
ضحك شامل وكتب بصبيانية " حسنا اخبريني أولا ثم سأخبرك"
"أخبرك بماذا؟"
"اخبريني من هو أول شخص قال لك بأنك مميزة .. وسأخبرك بعدها إن كنتِ حالة إنسانية بالنسبة لي أم لا"
اعتدلت ونس على السرير وقد دب فيها الحماس من جديد وكتبت "حسنا اتفقنا"
وبابتسامة متسعة أضافت "أول شخص أخبرني بأني مميزة هي مليكة"

عقد شامل حاجبيه وسألها "مليكة من؟ ..
مليكة زوجة مفرح الزيني أم أن هناك مليكة
أخرى في قريتكم؟"
ردت ببساطة "أجل مليكة زوجة مفرح ..
دورك أنت(وجه مغطى بكفين)"
كتب شامل بحنق طفولي " دوري في ماذا؟..
ألم أقل لك بأنك ماكرة ..أوحيتِ لي بأنك
ستخبريني سرا خطيرا وفي النهاية أجد معلومة
عادية"
أرسلت له وجها يضحك فاتسعت ابتسامته
وكتب بغيظ "سأسميك الثعلبة الماكرة "
انفجرت بالضحك وكتبت بسرعة " هاهاها ..
أتعرف .. أنا أحب أن أشاهد دراما مترجمة حتى
أقرأ الترجمة بدلا من السمع لأن سماعتي
تخذلني كما قلت لك سابقا .. وانتهيت للتو من
مشاهدة مسلسل كوري البطلة فيه ثعلبة
بتسعة ذيول .. اقسم لك .. إنها اسطورة كورية

.. المهم أن البطلة فتاة مسحورة وتحب البطل فتتحول من ثعلبة بتسعة ذيول لفتاة بشرية .. فتذكرت المسلسل الآن وأنت تقول ثعلبة ماكرة"

"تحبين الدراما إذا"

"احبها جدا ..والشهر الماضي هو أفضل أيام حياتي لأن مليكة أهدتني هاتفا ذكيا وعندما أذهب إليها أحمل من الانترنت دراما وأشاهدها بعد أن كنت انتظر المسلسلات المترجمة على التلفاز الصغير لدينا "

كتب بسرعة "أخبريني عن نوعية الدراما التي تفضلينها وسأحملها لك على (فلاشة) لتشاهديها على الهاتف بسهولة"

اتسعت ابتسامتها .. لكن ما قاله لم تهتم به بقدر اهتمامها بالإجابة على السؤال الذي يحيرها .. إنها ليست ونس المراهقة الآن ..بل

ونس الأنثى التي تتمنى لو تكون أنثى في عينيه ..
كتبت بإلحاح "لم تخبرني .. هذا دورك"
تعرق جسده دفعة واحدة وهو يشعر بأنه على وشك الإفصاح عما يشعر به فدلك مؤخرة عنقه مبتسما ثم كتب بمراوغة " ماذا كان السؤال نسيت (وجه يخرج لسانه مغيظا)"
جزت ونس على أسنانها واسرعت بالكتابة "هل تساعدني لأني مميزة أم لأني حالة إنسانية يا شامل ؟"
قلبه كان يعزف مارشات عسكرية في صدره حين كتب "لأنك حالة خاصة جدا ولا تشبهين أية فتاة أخرى قابلتها في حياتي"
أظلم وجهها وكتبت باندفاع " وبالطبع قابلت الكثيرات (وجه ممتعض)"
قهقه شامل بصوت عال ولم يجبها إلا بإرسال"(وجه كبير يضحك بملء شدقيه).

التفت كامل يتطلع فيه من بعيد وهو يرفع حاجبا فسأله ديمتري رئيس النُدل الروسي الجنسية بعربية ركيكة "ماذا يحدث معه ؟"
أجابه كامل " لا تشغل بالك يبدو أنه قد بلع قطعة حشيش "
اتسعت عيني ديمتري وسأله متفاجئاً "هل تتعاطيان هذه الأشياء؟! "
ابتسم كامل ورد بامتعاض "إنه من نوع خاص .. نوع ناعم ورقيق يتسلل تحت الجلد فيُتلف خلايا الدماغ ويحتل شغاف القلب"
رد دميتري وقد فهم ما يعنيه " أووووه .. هنيئا له "
في بيت عيد عقدت ونس حاجبيها وهي تتطلع في رده المستفز الصامت الضاحك وكتبت بغيظ " ما هذا الرد لم أفهم (وجه يرفع حاجبا متحفزا)"

كتم شامل المزيد من الضحك ثم رد بمراوغة "
هل تريدين الاجابة على السؤال الأساسي أم
سندخل في أسئلة فرعية آنسة ونس!"
ضيقت ونس عينيها ومطت شفتيها تقول في
سرها" إنه يراوغ (ثم كتبت) تفضل أكمل
كلامك"
أكمل شامل بجدية " قلت أنك لا تشبهين أي
فتاة أخرى قابلتها .. وكوني أكبر منك عمراً..
وسافرت كثيراً واختلطت بأناس كثيرة .. أخبرك
بكل صدق أنك يا ونس لا تشبهين أحدا..
تحملين في شخصيتك تميزا وتفردا واستثنائية
لم اقابلها مع فتاة أخرى"
غامت عيناها بتأثر وكتبت " أنا كل هذا؟!
(وجه محرج مغطى بكفين)"
ارتسمت ابتسامة حانية على وجهه وكتب
بحنان " أجل ..أنتِ.. كل هذا "

عضت على شفتها وكتبت بمكر "ولأني مميزة أحضرت لي الصاعق الكهربائي؟"
قهقه شامل وغمغم لنفسه" إنها ماكرة ومصرة على محاصرتك يا شامو ..(و كتب بسرعة) لا يا محتالة ..لأن هذا سيطمئنني عليك"
وضعت ونس يدها على فمها تحاول تحجيم ذلك الاندفاع القوي بداخلها لمصارحته بمشاعرها ..رغم توقعها بأنها غالبا بالنسبة له مجرد شخص مميز يعرفه .. لكنها تشعر بأنه سيتفهم .. لديها إيمان قوي لا تعلم متى اعتقدت فيه بأنه سيستوعب مشاعرها حتى لو لم يبادلها تلك المشاعر .. سيتفهم ..ولن يعتقدها جريئة أو منحلة ..
أضاء الهاتف أمامها فأسرعت بالتقاطه لتجد شامل يقول "ونس .. افهمي ما سأقوله .. ما تريدين معرفته .. أنا افهمه جيدا.."

انفجرت دقات قلبها تدق بعنف فأرسل شامل رسالة ثانية "لكني أتريث في التصريح بما أشعر به تجاهك .. ليس لأني غير متأكد من مشاعري .. فهذا ليس صحيحا .. فأنا لست صغيرا أو مراهقا حتى لا أدرك ما أشعر به .. لكني لا أريد أن اتحدث عن مشاعري هذه دون أن أكون قادرا على اتخاذ خطوة جادة متبوعة بهذا التصريح .. وهذه الخطوة لا تخص ونس وشامل وحدهما ستخص عائلتي ووالدك"

زفر شامل براحة بعد ما كتب لكنه ظل يحدق في الهاتف بترقب وساد صمت طويل لم يدر خلاله أن ونس كانت تقف على ركبتيها فوق السرير ويديها تمسك برأسها وهي تحدق بذهول في الهاتف الموضوع أمامها .

تطلعت في كلماته التي للحظة ظنت بأنها تهذي ...وتسارعت أنفاسها تحاول الاستيعاب .

على هدير قلبها الذي لا يريد أن يهدأ التقطت الهاتف بعد قليل وكتبت وهي تعود للجلوس

"شامل أنت تقصدني أنا بهذا الحديث؟؟!!!!!!.. أنا ونس بنت عيد القللي!"

ابتسامة حانية زينت شفتيه وهو يكتب "أجل يا ونس أنتِ.. ألم أقل لك بأنك جنّية"

"كيف؟"

عقد حاجبيه وكتب "كيف ماذا؟"

انسابت دموع كثيرة .. دموع فرح .. دموع ذهول .. دموع لحظة تحقيق أمنية كبيرة وكتبت بأصابع مرتعشة "كيف أكون أنا؟ .. أقصد .. "

رسالة ثانية " أقصد من المنطقي أن أشعر أنا بهذا لأنك .. "

رسالة ثالثة "لأنك شخص من خارج هذا الكون .. ولأنك شخص خُلِقت ليحبك الجميع لكن أنا ..."

شعر شامل بالتأثر الشديد وتمنى لحظتها لو أن تكون أمامه ليأخذها إلى حضنه .. فكتب "الاجابة على سؤالك هي (سبحانه من يملك القلوب ويؤلفها كما يريد يا ونس)"

انهمرت الدموع الساخنة من عينيها أكثر وهي تتطلع في الشاشة .. ربما ألحت عليها رغبة في أن تحصل على إجابة صادمة منه لتتوقف عن التفكير به ..لكن أن يبادلها المشاعر هذا شيئا خياليا.

كتب شامل " وكما قلت لك عليّ أن أنتظر حتى امهد لوالدي الموضوع"

أسرعت بالكتابة وهي تمسح دموعها " لأني معاقة وفقيرة ومن الريف؟!"

آلمه قلبه لكنه كتب موضحا " لأننا مختلفان في الطبقة الاجتماعية .. ولأن لديكِ ظروفا خاصة ولأنك من بلد غير بلدي فأمي كانت ترغب في أن نتزوج أنا وأخي من نفس بلدنا ..

ولهذا عليّ أن أمهد الأمر لهما ..واعدك ألا يطول.. المعضلة التي أواجهها هي أني لا اعرف كيف سأتصرف لو رفضا .. ماذا سأفعل .. لا أريد اغضابهما فيكفي ما عانوه بسبب الحرب قبل أن يتخذ أبي القرار بأن نغادر بلادنا .. والآن كامل على وشك السفر والوضع في البيت حساس ومعقد لهذا أنا لم أرغب في الافصاح عن مشاعري قبل أن أكون مستعدا لاتخاذ خطوة جدية تجاه علاقتنا"

"شامل"

"شامل"

"نعم"

"أنا أعي كل ما تقوله تماما .. ولا اتوقع أن يقبل والديك.. وبصراحة اعذرهما .. فلسنا في مسلسل رومانسي وإنما في الواقع .. كل ما أريد أن أقوله لك.. "

رسالة ثانية " يكفيني ما قلته منذ دقائق ..
صدقا يكفيني (وانهمرت دموعها أكثر فأضافت
) أنا أبكي في هذه اللحظة"
كتب بقلق "لمَ البكاء؟!!"
مسحت دموعها وكتبت" لأني أشعر بأني قد
دعكت المصباح .. ونس بنت عيد دعكت
المصباح فخرج لها الجني الأمير يخبرها بأنها
مميزة وبأنه ..."
رسالة ثانية" يا الهي لا أصدق!"
اتسعت ابتسامته وشعر بأنه يحلق فوق
السحاب فكتب "حسنا ما دمت أنا الجني فأنت
الجنية هكذا اطلقت عليك منذ أول يوم"
"شامل"
"نعم"
"هل أطلب منك طلبا؟"
"شبيك لبيك "
ضحكت من بين دموعها وكتبت" لا ترحل "

عقد شامل حاجبيه وهو يقرأ فأرسلت له تقول
"إن كنتَ خيالاً أو حقيقة أرجوك لا ترحل ..
أعلم بأننا قد لا يجمعنا مكانا واحدا أمام الناس
يوما .. وأن ما نتمناه أو على الاقل ما أتمناه أنا
لن يقبل به والديك وسيظل محض خيال ..
لكن لا ترحل يا شامل .. ابق حولي ولا تبتعد ..
ألست الجني؟!.. ابق في المحيط بأي صورة ..
ودع هذا الخط من التواصل مفتوحا بيننا ولا
تغلقه في وجهي أبدا.. فرغم شعوري بالذنب
تجاه والدي لكني لست بقادرة على التوقف عن
التحدث معك .. أنا أحب الحديث معك ..
أحب كل ما يصدر عنك لي .. توجيه ..توبيخ
..مزاح.. جدية.. نقاش .. كل شيء ..كل شيء ..
وأتمنى ألا احرم من الحديث معك أيها الجني
الذي خرجت لونس من المصباح "
قرصت الدموع عينيه وتأثر بشدة فكتب يقول
" اعدك بأني سأفعل المستحيل لأكون جني

المصباح خاصتك يا جِنّية الجِنّي (وتطلع حوله حين اطفئت الأنوار الخارجية للمطعم فوجده خال تماما ليسرع بالكتابة) هيا اذهبي للنوم فقد تأخر الوقت ولديك عمل في الصباح .."
وابتسم وهو يكتب "تصبحين على خير يا جِنّية"

ألقت ونس نفسها على السرير وهي تحضن الهاتف وتمسح دموعا مصرة على التدفق وغمغمت في سرها بابتسامة " على الأقل يحمل إليك مشاعر يا ونس .. يراك أنثى .. حتى لو كان اجتماعكما صعبا فيكفي أن قلبه قد أحس بك يا بنت عيد "

وعادت لتغمغم بعد قليل من وسط دموعها " أنا أحلم .. بالتأكيد هذا حلم .. ليته يطول"

في المطعم قال شامل وهو يرى توأمه مقبلا عليه "هل اغلقت كل شيء؟"

رد كامل بلهجة متهكمة " أجل يا حبيبي حين كنت أنت غارقا في الدردشة"

هز شامل رأسه والسعادة تتراقص على وجهه فشعر توأمه بأنه في حالة من حالات الطفو وسأله "هل من جديد؟"

عبر شامل الباب الداخلي الموصل بين المطعم وفيلا غنيم وهو يقول" أنا وونس تصارحنا"

رفع كامل حاجبيه وقال ساخرا وهو يعبر من الباب خلفه "تصارحتما !.. وهل فهمت تلك الهبلاء ماذا تعنيه أصلا !"

هدر شامل بتحذير "كامل!!"

أطلق كامل ضحكة شريرة ثم قال وهو يضع يديه في جيبي بنطاله "حسنا ثم ماذا؟"

أجاب شامل وهو يغلق الباب الداخلي بعد أن أصبحا في الفيلا "شرحت لها الوضع وأن عليّ أن أمهد لوالديّ الموضوع "

سأله كامل عاقدا حاجبيه "شامل ..أأنت متأكد؟.. أقصد لقد قابلت العديد الفتيات طوال عمرك .. لماذا هي؟"

وضع شامل يديه في جيبي بنطاله ووقف أمام توأمه يجيب بهدوء " لو كان الأمر اختيارا يا كيمو ..لما كنت أنت الآن في صراع قاسٍ بين عقلك وقلبك "

اطرق كامل برأسه ثم زفر بحيرة ليضيف شامل " عموما أنا لم أضع وصفا معينا لمن أريدها أن تشاركني حياتي.. لا وصفا شكليا ولا جوهريا .. لكني كان لدي يقين بأني حين أقابلها سأدرك بأنها هي ..هكذا ببساطة .. الموضوع أشبه بترس ماكينة يحتاج لترس أخر ليكمل حركته .. ولكنه ترس من نوع فريد ليس له شبيه ولن يتناسب إلا مع ترسك أنت فقط... "

ناظره كامل شاردا فيما يقول ليضيف الأخر "أنا أعرف بأن الأمر لن يكون سهلا .. لكني

ببساطة وبدون تعقيد أو تقويل أو بحث عن أسباب أشعر بأنها هي.. هي الجزء المكمل لشامل نخلة (وشرد قليلا ينظر أمامه يحاول أن يجعل كلامه يبدو منطقيا لكنه عاد وقال لتوأمه) لا أريد أن أبدو مبالغا .. لكني أشعر بأني كنت أعرفها من سنين طويلة (وصمت لبرهة أخرى ثم أضاف وقد نفذت حججه) وصف الأمر أشبه بالسهل الممتنع "

اتسعت ابتسامة كامل شاعرا بسعادة جمة لهذه الثقة التي تشع من عيني توأمه ..فربت على كتفه وقال مشجعا" هيا أريني همتك في اقناع والدينا لأفرح بك قبل سفري"

على سيرة السفر وجم شامل وتحرك ليخرج إلى بهو الفيلا فوجد والديه يجلسان في غرفة المعيشة المفتوحة على البهو فبادرتهما سوسو بالقول بحماس "تعال يا شامل تعال يا حبي..

سأريك دفعة جديدة من الفتيات لعل واحدة منهن تفك عقدتك"

تطلع التوأمان في بعضهما ..ليكتم كامل الضحك ويربت على كتف توأمه يقول مشجعا بلهجة متهكمة "تفضل يا شامل يا حبي أريني كيف ستحل هذه المعضلة"

اقترب شامل هو وأخاه وجلسا على الأريكة ليقول الأول" لا أريد أن أرى المزيد من الصور يا سوسو"

قالت سوسو تمد بهاتفها نحوه لتحاول إقناعه" الفتيات رائعات ومن عائلات كبيرة من بلدنا"

خطف كامل الهاتف منها يقول بفضول "أريني" ناظره شامل باستنكار .. فقال كامل مراوغا "ماذا .. عندي فضول لأرى لربما وجدت من تحل معضلتي"

مط شامل شفتيه وغمغم بقرف" شفاك الله"

قالت سوسو" ليتك تسعدني أنت أيضا يا كامل وتختار (ونظرت لزوجها الصامت ثم عادت تنظر لابنها قائلة) ربما تزوجت وأخذت زوجتك معك لأمريكا"

رفع كامل انظاره عن الهاتف يتطلع فيها بنظرة شاردة بينما تكلم شامل قائلا "الحقيقة يا أمي أنا قررت أن أعود لقراري السابق بالعزوف عن الزواج "

تكلم غنيم بعبوس" لماذا إن شاء الله ! لقد عشمت نفسي بأنك قد تعقلت حين قلت بأنك ستفكر في أمر الزواج"

رد شامل بمراوغة " لأني أعلم بأن من أريدها لن توافقان عليها فقررت عدم الدخول في جدال والعزوف عن الزواج تماما"

نظرت سوسو لغنيم ثم عادت لشامل تقول "من تريدها؟؟؟؟.. أفهم من ذلك أن هناك فتاة اخترتها؟!!"

قال شامل مصححا "اختارها قلبي يا أمي
والقلب ليس عليه سلطان"
اطرقت سوسو برأسها تقول "فهمت ..هي
ليست من بلدنا أليس كذلك؟!"
تابع غنيم نظرات توأميه لبعضهما بتلك
الملامح التي توحي بأنهما يخفيان شيئا ..بينما
تكلم شامل قائلا "لهذا لم أرغب في إخبارك
حتى لا تحزني"
قالت سوسو تداري احباطها" لا بأس لقد كانت
مجرد أمنية لكن لو هناك من ستسعدك فلن
أقف في طريقك يا شامو"
تنحنح شامل وقال " السبب ليس فقط لكونها
ليست من بلدنا كما ترغبين .. ولكن هناك
بعض العقبات في ارتباطنا"
عقدت سوسو حاجبيها وسألته" ماذا تعني
بعقبات؟"

تبادل النظرات مع كامل من جديد ثم أجاب "
أقصد .. أن لها ظروفا خاصة وقد لا تتقبلونها"
استقام غنيم فجأة واقفا يستند على عصاه
مغمغما "فهمت .. يبدو أنها من تلك الفتيات
المستهترات اللاتي تتسامر معهن وتسافر"
بعدم فهم قالت سوسو "لنسمعه أولا يا غنيم"
قال غنيم مبتعدا "مادام يخشى أن يقدمها لنا
ويبدأ بكل هذه المقدمات إذن هو يعلم بأننا لن
نقبلها"
صاح شامل معترضا" أبي هذا ليس عدلا أنت لم
تسمعني!"
قال غنيم وهو يبتعد نحو غرفته بالطابق
الأرضي " أنا تعبت .. وغير مستعد لأن يرتفع
ضغطي"
استقامت سوسو لتلحق بزوجها بعد أن قالت
لتوأميها "سنتحدث فيما بعد لأعرف تلك

الظروف الخاصة (وتحركت خلف زوجها تقول) يا غنيم"
تقبض شامل وأطرق برأسه فاشفق عليه كامل وقال وهو يضربه على ذراعه "محاولة جيدة للتمهيد ..لا تيأس يا وحش"

xxxxx

في صباح اليوم التالي

قالت مليكة وهي ترتدي عباءة على ملابس البيت" هيا.. عم طه ينتظر بالأسفل"
تحرك أدهم بتردد ثم لحق به إياد وتجاوزه مسرعا وهو يصيح بلهجة منغمة "أنا قاااادم"
من عند باب الشقة عاد أدهم لمليكة التي دققت فيه وفي ارتباكه ووجنتيه الحمراوين بحاجبين معقودين ليقول بعد لحظة " هل استطيع أن أخذ إحدى العرائس الصغيرة التي تصنعينها؟"
سألته مليكة باندهاش" لماذا؟؟"

اشاح بنظره عنها بحرج لثوان ثم عاد يهرش بسبابته في رأسه قائلا" سأخبرك فيما بعد"
قالت مليكة متعجلة تنظر في ساعتها" تعال معي واختر ما تريده بسرعة"
في غرفة النوم دخلت بهدوء وأشارت لأدهم أن يلتزم الصمت حتى لا يوقظ مفرح .. وأشارت له على العرائس المختلفة الأحجام فاختار واحدة بحجم الكف ثم اسرع يخرج هو ومليكة بهدوء.
في الصالة غمغم أدهم في سره وهو يقلب العروس في يده "اعتقد بأن هذه ستعجبها.."
عقدت مليكة حاجبيها بتساؤل ثم قالت بطفولية" علام سأحصل في المقابل أدهومي؟"
عبس أدهم وسألها بدوره" ماذا تعنين؟"
فتحت مليكة ذراعيها تقول بلهجة طفلة صغيرة " أريد حضنا"
احمرت وجنتيه وقال باعتراض" أمي لم أعد صغيرا !"

اتسعت عيناها تقول باستنكار" أمنيتي أن اعرف ما علاقة هذا بأن تمنحني حضناً !! (ثم مالت بدلال وطفولية تمنحه خدها وتقول) قُبلة إذن أدهومي "

مال أدهم يطبع قبلة رقيقة على خدها قبل أن يتنحنح ويسرع نحو الباب .. فضحكت مليكة تضرب كفا بكف ثم اسرعت باللحاق به وهي تثبت وشاحها جيدا فوق رأسها.

في البيت المجاور قالت صفاء" اسرعي يا منة السيارة تنتظرك منذ مدة"

بوجه مقلوب غمغمت الأخرى "حاضر حاضر.."

نزل مصطفى من الطابق العلوي يقول "صباح الخير"

بوجنتين مخضبتين بالحمرة غمغمت منة الله" صباح النور يا أبي"

ثم تجاوزته مسرعة على السلم تضيف "نسيت أن أحضر سترتي"
راقبها مصطفى وهي تصعد ثم تحرك ليجلس على الأريكة في صالة البيت عاقدا حاجبيه وهو يقول لزوجته" ماذا حدث ..ما بها ؟"
كتمت صفاء ضحكتها ثم اسرعت لتجلس بجانبه وتهمس له في أذنه فاتسعت عيناه وهو يتطلع نحو السلم وقال متفاجئا "ما شاء الله هل كبرت بهذه السرعة !.. إنها لا تزال في الحادية عشرة من عمرها"
لكزته صفاء تقول بدلال" أنا كنت في سنها أيضا أول مرة"
ضحك مصطفى وقال" ولماذا تبدو هكذا ألم تهيئيها لهذا الأمر؟"
أجابت صفاء مبتسمة "بل تعرف كل شيء لكن أنت تعلم أول مرة والوضع جديد ومربك

وتشعر بالحرج ..وكانت تفكر في ألا تذهب للمدرسة اليوم"

غمغم مصطفى بابتسامة" لا اصدق أنها أضحت آنسة صغيرة لقد كانت تبكي أمس على ضياع إحدى عرائسها .. ولماذا ضغطت عليها للذهاب يا صفاء؟"

قالت صفاء موضحة "أبدا والله لم اضغط عليها ..قلت لها افعلي ما تريدين.. فحمزة شدد عليّ في أن أتعامل مع الأمر بشكل طبيعي "

اتسعت عينا مصطفى وهتف باستنكار "حمزة؟؟!!!.. هل اخبرت حمزة يا صفاء بأمر حساس كهذا"

اسرعت بالقول مبررة "اضطررت للاتصال به حتى يسيطر على أولادك الشباب بعد أن أخبرهم عبد الله"

بذهول سألها مصطفى "عبد الله أيضا يعرف؟!!!"

قالت تضع يدها على فمها بحرج" لقد سمعني في الهاتف وأنا أخبر خالتها .. تعرفه يتسلل من خلفي دوما ليفزعني فسمع ما كنت اقوله .. وبدأ المزح والتهريـج وأخبر محمد ويامن وياسر ولم اسلم من مزاحهم"

باستنكار وغضب سألها "أمام منة ؟؟!!"

قالت بسرعة " لا لا منة كانت بغرفتها .. لكني خشيت أن يتطور مزاحهم لأخبارها بأنهم يعرفون فأسرعت بالاتصال بحمزة ليوقفهم عند حدهم وكنت في أشد الحرج لم اعرف كيف أخبره فتبرع ابنك محمد بخطف الهاتف من يدي وأخباره"

بعدم استيعاب سألها مصطفى" وماذا فعل حمزة؟!!"

ناظرته زوجته بملامح ممتعضة وردت "اكتمل الحفل"

قهقه مصطفى .. لتكمل صفاء بهمس ضاحكة "لكن حمزة حذرهم في النهاية من اشعارها بأنهم يعرفون"

ضرب مصطفى كفيه ببعض ضاحكا وهو يغمغم "الملاعين"

نزلت منة مسرعة تحمل حقيبتها وسترتها وغمغمت بوجوم ووجنتين محمرتين" أنا ذاهبة"

استقامت صفاء تقول" سأوصلك للخارج يا حبيبتي "

أمسك مصطفى بذراع زوجته وقال" بل أنا من سيخرج معها(وهمس) ولا تشعرينها بأن أحد منا يعرف"

في الخارج وقفت مليكة تنظر لظهر أدهم الواقف أمام بوابة مصطفى الزيني تعقد جبينها بعدم فهم .. وهمت بسؤاله لكن خروج منة

الله من البوابة والتي تفاجأت بوقفته جعل مليكة تراقب في صمت بينما مد أدهم بالعروسة يقول لمنة بخشونة يداري شعوره بالحرج" هذي عروسة أخرى لك علّنا نتخلص من بكائك ونستريح "

امسكت منة الله بالعروسة تطالعها بعينين مبهورتين في الوقت الذي رفعت مليكة حاجبيها باندهاش قبل أن يفتح مصطفى البوابة على مصرعيها ويخرج خلف ابنته عاقد الحاجبين وهو يراقب المشهد .

رفع أدهم أنظاره المتسعة لمصطفى متفاجئا وتحول وجهه لحبة طماطم قبل أن يسرع إلى السيارة بحرج شديد ورهبة ليركب بجوار العم طه بينما قال مصطفى لمليكة "صباح الخير يا أم أدهم"

ردت مليكة تحية الصباح محرجة بشدة وتمنت لحظتها أن تنشق الأرض وتبتلعها بينما قال مصطفى لابنته ببعض الجدية "هيا اسرعي يا منة السيارة تنتظر"

اسرعت منة بالتحرك وهي تحضن العروسة بفرحة.. فدخلت لتجلس بجوار إياد في المقعد الخلفي وهي لا تزال تتطلع في العروسة بابتسامة سعيدة .. بينما وقفت مليكة تنظر لأدهم الذي دفن وجهه في حقيبته يبحث عن لا شيء وبمجرد أن تحركت السيارة نظرت لمصطفى الزيني وتمتمت بالاستئذان هاربة إلى داخل البوابة.

أما مصطفى فوقف يحدق في السيارة المبتعدة ويضرب كفا بكف مبتسما.

في بيت العمدة هرولت مليكة تصعد للطابق العلوي بسرعة فغمغمت نحمده وهي تحرك

فمها يمينا ويسارا" علام هي مسرعة بهذا الشكل؟ .. بالتأكيد على قلة الحياء .. وهل تسيطر عليه إلا بهذه الطريقة "

بعد دقيقة دخلت مليكة إلى غرفة النوم تهز مفرح قائلة" مفرح .. مفرح استيقظ "

فتح مفرح عينيه مفزوعا وسألها بصوت هارب منه " ماذا حدث يا مليكة "

ضغطت شفتيها ببعضهما للحظة بحرج ثم قالت بملامح طفولية بائسة " ابنك المتهور احرجني أمام مصطفى الزيني .. وأخشى أن يظن بأني من حرضته لفعل ما فعل لأني كنت أقف من بعيد "

غمغم مفرح يحاول الاستيعاب " من منهما؟.. وماذا فعل لأبي حمزة؟"

xxxx

"صباح الخير (وجه مختفي خلف كفين)"
ارسلتها ونس ثم وضعت الهاتف على المنضدة بجوار سماعتيها واستدارت لتحضر ملابسها لتغتسل ولم تدر بأنها قد ضغطت على زر إلغاء الوضع الصامت ليرتفع بعدها صفير قصير ينذر لوصول رسالة .. لكنها لم تسمعها ولم تكتشف الرسالة إلا بعد أن اقتربت من الهاتف تنظر فيه لتجد شامل قد كتب" صباح الخيرات على أميرة الجنيات "
احمرت وجنتيها وسألته "هل استيقظت؟"
رد شامل "ليس بعد .. مازلت في السرير فقد نمت بعد الفجر"
"لماذا؟"
مهموما كتب شامل "لا شيء لا تشغلي بالك"
بابتسامة متسعة كتبت "أنا أيضا نمت بعد الفجر"
"لماذا؟"

عضت على شفتها وكتبت بحرج " كنت أعد لك الهدية التي وعدتك بها"
كتب شامل متهكما " يااااااه ألا زلت تذكرين!.. حسبتك قد نسيت والله (وجه ممتعض)"
ضحكت وردت " لا أبدا .. كنت فقط انتظر أن يأتيني تصور للميدالية التي أريد أن اصنعها لك (وجه مغطى بكفين) "
تقلب شامل على جانبه وكتب "هل ستصنعين لي ميدالية؟"
ردت ونس "(وجه محرج مغطى بكفين) أجل ..حتى لا تنساني أبدا .. وكلما رأيتها تتذكر ونس حتى لو لم يعد هناك ونس "
آلمه قلبه ولم يدر بم يرد .. يشعر بضغط شديد ويتمنى أن يستطيع الفوز برضا والديه..
كتبت ونس بحماس" متى ستأتي؟ ..أنا متحمسة لأعطيها لك"

" في موعدي ككل أسبوع إن شاء الله .. ما رأيك أن ترسلي لي صورة الميدالية على الواتساب لأراها"
بشقاوة كتبت " لا لا سأتركك متشوقا حتى تراها على الطبيعة .. وأتمنى أن تعجبك (وجه محرج مغطى بكفين)"

اتسعت ابتسامته ورد "إن شاء الله ستعجبني يا ونس ..أنا أكيد من ذلك"
كتبت ونس" سأتركك الآن ..ولنتحدث فيما بعد ..هل ستعاود النوم؟"
"أجل ..سأنام قليلا "
"شامل"
"شبيك لبيك"
قهقهت ونس وكتبت بسرعة "هذه العبارة تضحكني جدا (وجه ضاحك)"

بابتسامة وعينين مرهقتين من قلة النوم كتب شامل "ألستُ الجني خاصتك ؟"
وسجل لها رسالة صوتية بصوت غليظ
"شبيك لبيك الجني شامل بين يديك"
ضغطت ونس على الرسالة الصوتية واعادتها عدة مرات .. وهي تلصق الهاتف بأذنها وتضغط عليه بقوة .. وبرغم ضعف الصوت وخفوته .. وبرغم تمنيها أن تضع الهاتف بجوار مكبر صوت لتسمع شامل .. وبالرغم من تلك الأمنية التي باتت تكبر في أحشائها يوما بعد يوم أن تسمع صوته بنفس النبرة التي يسمعه بها الناس ... إلا أنها سمعته أخيرا .. ربما سمعته بقلبها .. فترقرقت عينيها بالدموع تشعر بأن عضلة قلبها ستنفجر من السعادة التي عاشتها خلال الساعات الماضية ..
سعادة لم تحظى يوما بمثلها ولا بنصفها ولا بشعرة منها ..

سعادة من النوع المربك الذي يحذرك من أن تصدقه ..
سعادة سريعة العطب قصيرة كعمر الفراشات ..
بابتسامة متسعة تناقض لمعة العيون بالدموع كتبت ونس " شامل .. كن بخير دائما"
بعد قليل رفع شامل الوسادة عن رأسه وقد طار النوم من فوق جفنيه .. فهو لم يعد يطيق الانتظار عليه بالتحدث مع أهله ومحاولة اقناعهما ويتمنى من الله أن ييسر له المهمة .
أمسك بالهاتف وكتب لها " أتعرفين يا بنت يا جنية ..لقد تحمست للميدالية وقد تجدينني قد جئت لقريتكم بسرعة .. سأجد أي حجة لآتي إليك بسرعة"
صفر الهاتف فوق المنضدة ..فانتبه عيد الذي كان يمر بصالة البيت وبحث حوله عن مصدر الصفير.

كتب شامل "هل ذهبت؟"
" طمئنيني بأنك قد وصلت للعمل"
تحرك عيد نحو مصدر الصوت في غرفة ونس ليجد الهاتف فتساءل أهذا اتصالا يا ترى فيصدر هذا الصفير؟!
أمسك بالهاتف فوجد كلاما مكتوبا .. فقلب الهاتف في يده بينما كتب شامل "لماذا لا تأخذين اليوم عطلة .. أبلغيهم بأنك مريضة ونامي قليلا .. ألم تخبريني بأنك قد نمت في ساعة متأخرة"
بعينين متسعتين راقب عيد الرسالة الجديدة تظهر أمام عينيه .. ولم يفهم كيف يتعامل مع الهاتف الذكي فهو لا يملك إلا هاتفا صغيرا قديم الطراز بأزرار ..لكن الكلمات المعروضة على الشاشة فجرت الدم في رأسه ..واسم (الجني الأمير شامل) المكتوب أعلى الشاشة جعل

أنفاسه تتسارع بقوة وهو يمرر نظراته بين الهاتف وباب الغرفة.

أخذ عيد يضغط بسبابته بشكل عشوائي على شاشة الهاتف فاختفت الرسالة من أمامه لكن قائمة من الأسماء المسجلة على الواتساب وعلى رأسها اسم ذلك الذي يدعى (شامل) ظهرت أمامه .

لم يعرف كيف يتصل من هذا الهاتف ليعرف من شامل هذا .. فضغط بعشوائية على الاسم عدة مرات لتكبر الصورة الرمزية أمامه وتظهر صورة شامل فتعرف عليه ..

إنه واحد من التوأمين الغريبين الساكنين في بيت الجد صالح ..

حين دخلت ونس الغرفة تفاجأت بوجود والدها فأصابها الهلع وهو يمسك بالهاتف بيد ترتعش بشكل ملحوظ ..في الوقت الذي رفع

عيد عينين ناريتين مخيفتين لونس التي توقفت
عن التنفس وسقط قلبها بين قدميها..
وفي نفس اللحظة ..
في فيلا غنيم ..
كان شامل يعيد قراءة جملتها الأخيرة للمرة
العاشرة بقلب يرتجف بغرابة..
"شامل.. كن بخير دائما "

وقلوباً أنهكها التصنع ـ
والخيبات.

فيا قلب ـ صبراً .
ويا رب ـ جبراً
ويا شمس العصر لا تغيبي
حتى تشرق في القلب ـ
بسمة.

الفصل الثاني عشر

حين عادت ونس لغرفتها وقفت ذاهلة وهي ترى والدها يرفع إليها وجها مخيفا يناظرها بعينين تقذفان نيرانا وشررا فسقط قلبها بين قدميها وللحظات شلت اطرافها وتعرق جسدها كله دفعة واحدة .. فظلت تحدق فيه وكأنها في كابوس حالك السواد..

كانت يد عيد ترتعش وهو يمسك بالهاتف ويعيد النظر فيه وكأنه يحاول الاستيعاب ..قبل أن يرفعه بيده المرتعشة قائلا" من هذا الذي تحدثينه؟؟(وعاد ينظر للهاتف من جديد ثم عاد إليها يقول) أليس هذا واحد من التوأمين الغريبين؟؟؟! .. (وهدر بقوة متسع العينين حين لم تبد أي رد فعل سوى التجمد) انطقي يا ونس"

لم تجد ونس ما تقوله .. فهي لا تملك حجة أو مبررا.. وتعترف بأن ما فعلته غير مقبول .. لكنه شيء لم تستطع التحكم فيه ..

اقترب عيد منها ببطء .. وقسمات وجهه تتوحش أمام عينيها ..وبمجرد أن وقف أمامها كانت يده تهوي بعنف على وجهها لتخرجها من حالة الشلل التي أصابتها.. فرفعت يدها تلمس خدها وبكت في صمت .. وعقلها لا يزال فارغا لا يجد ما يقوله.

قبض على شعرها المبلل بقوة يدني رأسها إليه ويهدر بقوة بجوار أذنها وعروقه قد قاربت على الانفجار "اخبريني ما يحدث يا ونس.. هل تتحدثين مع رجل بهذا الهاتف يا بنت ***"

خرجت من صدمتها أخيرا وأخذت تشير له بهستيريا بإشارات مبهمة جعلته يتركها صائحا بجنون بجانب أذنها وهو يلقى بالهاتف بقوة

فارتطم بالحائط "اخبريني بما يحدث يا بنت عيد قبل أن اقتلك وادفنك في هذه الغرفة" ما يحدث كان شديد الصعوبة عليها.. حالة والدها المصدومة الغاضبة .. والهاتف الملقى في الأرض لا تعرف إن كان لا يزال يعمل أم لا .. كادا أن يصيباها بأزمة قلبية.. فأسرعت إلى سماعتيها ترتديهما لعلها تستطيع التواصل معه بشكل أوضح ثم التقطت دفترها وقلمها من فوق السرير وكتبت بيد مرتعشة "إنه مجرد شخص اتحدث معه ..إنه شاب محترم جدا جدا"

خطف عيد الدفتر من يدها وقربه من عينيه بزاوية مائلة يقرأ قبل أن يلقي به على السرير ويلطمها على وجهها بقوة.. فوقعت ونس بجوار الدفتر والقلم بينما صاح عيد " هل وعدك بالحب والزواج يا بنت عيد؟... يا منحلة يا قليلة الحياء .."

أخذت ونس تنتحب فرفعها من شعرها يقول"
هل كنتما تتقابلان اخبريني"
حركت رأسها بقوة نافية ثم اغمضت عينيها تبكي ليقول عيد "وكيف سأصدقك الآن بعد أن خنت ثقتي بك! .. بعد أن أثبتِ لي بأنني قد فشلت في تربيتك !(وصرخ بقوة شديدة وهو لا يزال ممسكا بشعرها) قولي يا ونس ولا تتركيني للظنون ..سأموت الآن وعقلي يظن ألف ظن وظن.. أخبريني الأمر بالتفصيل"
ناظرته بعتاب نظرة مجروحة لشكه فيها .. وأشارت على نفسها بما يعني(هل تشك في سلوكي).
هدر فيها عيد بجنون" أجل .. فأنا لا آمن لتصرفاتك.. ولا لاندفاعك ..أشعر بالعجز أمام اختلافك عن بقية البنات .. وأشعر بالخوف من سذاجتك .. انطقي يا ونس"

أمسكت بالدفتر تكتب ودموعها تتساقط فوق حروفها المرتعشة فترك عيد شعرها وانتظر ما ستكتبه " أقسم بالله لم أقابله إلا بضع لحظات سريعة في الشارع .. وكل ما نفعله أننا نتحدث على الهاتف .. وهو أخبرني بأني مميزة وبأنه يحمل لي مشاعر .. لكنه يحاول أن يقنع أهله بعلاقتنا لأنه (ومسحت سيل الدموع من وجهها وأكملت كتابة) لأنه لا يرغب في أن يحزنهما .. صدقني شامل شخص محترم جدا"

كان عيد فاقدا للصبر فخطف الدفتر منها يقربه من عينيه وصدره لا يزال يعلوا ويهبط .. لكن ما قرأه كان صعبا عليه فهمه ..
ما قرأه لا يتماشى مع عقليته البسيطة ..
ما قرأه زاد من جنونه وانفعاله فضربها على وجهها بالدفتر لتسرع ونس بالاحتماء بذراعيها من موجة غضبه وهي تبكي بحرقة بينما صاح

عيد بجنون" وهل تصدقين هذا الهراء!!. هل تصدقين أنه سيحب فتاة قروية فقيرة والدها صانعا للقلل؟!!"

أخذت تنتحب بصوت مسموع فوقف عيد يتطلع فيها بعينين جاحظتين و الغضب بداخله يزين له ارتكاب جرائم .. ليس فقط لأن كرامة الرجل والأب والفلاح قد أهدرت .. ولكن أيضا لصوت بكائها المعذب هذا الذي لم يرها عليه من قبل.

البنت كبرت وأحبت يا عيد ..
لكنها أحبت شاباً من طبقة أخرى ومن عالم أخر ومن بلد أخرى.
البنت كبرت وأحبت يا عيد .. وستفضحك فتهورها غير مأمون الجانب.
البنت كبرت وأحبت يا عيد وستجلب لك العار..

البنت كبرت وأحبت يا عيد ..
لكنها ساذجة لا تعرف أن الحياة أقسى مما قد تتصور .. وبأن رجلا مثله لن يرتبط بمثل ظروفها أبدا.
البنت كبرت وأحبت يا عيد وسينكسر قلبها ويشيخ حينما تصطدم بالواقع.
البنت كبرت وأحبت يا عيد وأنت عاجز أمام فقرك وقلة حيلتك.

رجع للخلف خطوتين يضع يده على رأسه ويحاول تنظيم أنفاسه المتسارعة والسيطرة على غضبه ..لكنه لم يستطع كبت انفعالاته لوقت أطول ولم يتحمل نحيبها المؤلم لقلبه فانفجر يقول بعروق نفرت من رقبته "ستظلين هبلاء كما أنت .. ساذجة .. تصدقين كل شيء .."

رفعت إليه ونس وجهها الغارق في الدموع فأكمل عيد كلامه الجارح" البنات في مثل عمرك زوجات وأمهات لطفل أو اثنين .. وأنت لازلت هبلاء تظنين بأن شخصا مثله سيحمل لمعاقة مثلك مشاعر حقيقية .. مشاعر غير الشفقة أو التسلي "

صمت قليلا ثم تطلع حوله وكأنه يبحث عن شيء.. و تحرك يخرج من الغرفة مسرعا أمام مقلتيها المختبئتين خلف غمامتين من الدموع .. فنظرت ونس للهاتف الملقى على الأرض وهمت بالذهاب إليه لكن والدها عاد للغرفة مسرعا وبيده يد الهون المعدنية الثقيلة.

بذهول تطلعت فيه ونس باتساع عينيها تحاول فهم ما سيفعله ..قبل أن تطلق صرخة قوية ..صرخة خشنة معذبة من حنجرتها وهي تراه يلتقط هاتفها ويجلس على عقبيه يضعه أرضا وينزل بيد الهون فوقه .

اسرعت ونس نحوه تصيح بأصوات غير مفهومة تحاول منعه فدفعها عيد بيده بعيدا .. لتقع جالسة على الأرض قبل أن يعود ليجهز على الهاتف الذي تحطم تماما.

يضرب لينفث فيه كل غله .
يضرب لينفث فيه عصبيته.
يضرب لينفث فيه غضبه .
يضرب ويضرب ويضرب.

بعد دقيقة استقام واقفا وهو ينهت .. قابضا بقوة على يد الهون و الغضب يزين له جرائم بشعة .. لكن ذرة من عقله كانت لا تزال باقية جعلته يسرع بالمغادرة تاركا ونس التي تفترش الأرض تحدق بذهول في الهاتف الذي تهشم .. كقلبها.

لحظتها أدركت بأن مِصباحها قد كُسر ولم يعد هناك جِنّي ..
لم يعد هناك الأمير الوسيم ..
ولم يعد هناك...
شامل.
أما عيد فاسرع بالخروج من البيت .. ولم يكتف بإغلاق بابه الحديد بالمفتاح فقط ..بل أخرج السلسلة الحديدية وأغلق بها الباب بالقفل ..قبل أن يتحرك مبتعدا ليقضي على هذا الأمر من جذوره.

xxxxx

خرج مفرح من باب الدار يمسد على لحيته السوداء ببعض الحرج وهو يستقبل مصطفى الزيني.. وسلم عليه قائلا" كنت قادما إليك والله يا أبا حمزة "
قال مصطفى باهتمام "خير إن شاء الله؟"

رد مفرح "خير طبعا بإذن الله "
دعاه ليدخل إلى إحدى غرف مجلس العمدة المجاور لباب البيت لكن الأخير رفض ..فقال مفرح وهو يدعوه إلى الناحية الأخرى حيث الشرفة المرتفعة قليلا عن الأرض "تفضل لنجلس هنا إذا"
صعد مصطفى أمام مفرح الدرجات القليلة ثم اتخذ لنفسه مقعدا ..ليبادره مفرح بالقول"
كنت أريد أن أوضح شيئا بشأن ما حدث منذ قليل أن مليكة ليس لها دخل فيما بدر من أدهم وأنها تفاجأت بما فعله مع منة"
عقد مصطفى حاجبيه قليلا يحاول الاستيعاب ثم رفعهما قائلا "استغفر الله ..لم يرد هذا أبدا على ذهني .. اعلم بأنه سلوك مراهقين "
تنحنح مفرح يضيف بحرج "وفيما يخص سلوك المراهقين (وتحكم في ابتسامة ملحة)

فإن كان ما حدث قد أثار حفيظتك فلا تؤاخذنا
..وسأتحدث مع أدهم حين يعود"

داري مصطفى ابتسامة وناظر مفرح بنظرة
خطرة يقول ممازحا وهو يحرك سبحته
"اتمنى فعلا أن تتحدث مع ابنك يا
باشمهندس.. وإلا الدماء ستكون حتى الرُكَبْ في
المرة القادمة "
قهقه مفرح وشاركه مصطفى الابتسام ليقول
الأول واضعا يده على صدره " لا تتحدث بهذا
الشكل يا أبا حمزة فنحن غرضنا شريف والله ..
وأنا من الغد سأبدأ في تشطيب إحدى شقق
الدور العلوي على أعلى مستوى لتليق بنسبكم"
علت قهقهة مصطفى وضرب كفه بكف مفرح
الذي شاركه الضحك ثم قال الأول "الله وحده
يعلم الغيب .. وجيل هذه الأيام غير جيلك
وغير جيلي يا أبا أدهم"

قال مفرح بصدق " لكن نسبكم يشرفنا يا أبا حمزة صدقا أقول"

ربت مصطفى على ركبة مفرح باعتزاز قبل أن يعود لجديته قائلا " لنتحدث إذن فيما جئت من أجله "

اسرع مفرح بالقول " إن كان بشأن مدير المدرسة وابنة هلال فلا تقلق لقد تحدثت معه بالفعل وسيحدد لها موعدا بعد عودته من الخارج خلال هذا الأسبوع إن شاء الله"

غمغم مصطفى" بارك الله فيك يا أبا أدهم .. لكني جئتك في موضوع آخر "

ناظره مفرح باهتمام ليقول مصطفى" علينا أن نتخذ إجراءات أكثر جدية للكشف عن مسببي الحرائق يا مفرح هذه المرة الخامسة تقريبا التي تحدث فيها هذه الحرائق ..ولا أريد أن ندخل الشرطة بيننا "

سحب مفرح نفسا عميقا وغمغم شاردا
"الحقيقة الامر محير جدا فلا توجد أي علاقة
بين الخمس عائلات التي تعرضت أراضيها
لذلك الحريق .. كما أن الحرائق تبدو بفعل
شخص غير محترف أو ربما صغير السن
..وحمداً لله أنه يتم السيطرة عليها قبل أن
تتوسع في المحصول كله ..لكنني غير قادر على
تفسير هذا الامر الغامض"
قال مصطفى بحيرة شديدة" إنه غريب بالفعل
ولا أجد أن له صلة منطقية بزهير عبد النبي كما
يعتقد أهل البلدة "
قال مفرح مفكرا " المشكلة أننا لن نستطيع
وضع حراسة على كل حقل .. للامساك بالجاني
خاصة وأن أفعاله هذه في أوقات غير منتظمة "

جلبة وصلت إلى مسامعهما فالتفتا ينظران من
الشرفة إلى بوابة البيت ليجدا عيد القللي

يتشاجر مع الغفراء مصرا على الدخول وعدم انتظارهم لإبلاغ مفرح.. فرفع مفرح ومصطفى حاجبيهما باندهاش قبل أن يصيح الأول بلهجة آمرة وهو يستقيم واقفا " دعوه يدخل "

اقترب عيد في حالة غضب شديد في الوقت الذي تحرك مفرح ينزل إليه قائلا "ماذا هناك يا عم عيد؟"

قال عيد وهو يتطلع في مصطفى الواقف في الشرفة "من الجيد أن يكون أبو حمزة هنا ليشهد على حديثنا"

التفت مفرح متخصرا يرفع نظرات خاطفة متعجبة لمصطفى قبل أن يعود للعم عيد الذي قال" اسمع يا باشمهندس .. نحن أناس لا نملك إلا كرامتنا وشرفنا في هذه الحياة .. وأي مساس بها .. نُطَيِّر الرقاب دون تفاهم ..حتى لو كانت رقاب صاحبيك الثريين الآتيين من

العاصمة .. وحتى لو كانا في حِماك أنت شخصيا"
عقد مفرح حاجبيه بعبوس وسأل عيد بلهجة مستهجنة " لا افهم"
قال عيد بعصبية "ما الذي لا تفهمه يا باشمهندس !!.. (وأضاف بحرقة قلب يضرب على صدره) ربما نحن فقراء لكن الشرف عندنا غالي .. وصاحبك بكل استهتار دعس على كرامتي ووصل لابنتي "
جحظت عينا مفرح بينما أكمل عيد" لكني أعترف بأن الخطأ من عندنا أيضا ..فأنا من لم أربها كما يجب"
بملامح خطرة أسرع مصطفى بالنزول قائلا بينما مفرح يمرر نظراته الذاهلة بينه وبين عيد بعدم فهم "ماذا تقول يا حاج عيد أفهمنا ماذا فعل صاحبيّ مفرح لابنتك؟"

رد عيد بغضب شديد "أحدهما يراسل ابنتي على الهاتف ويتحدث معها ويخبرها بأنه يحبها وقلة حياء من هذا النوع .. والحمد لله أني اكتشفت هذه المسخرة قبل أن يغرر بها.. وبنت الكلب هذه هبلاء ساذجة قليلة الخبرة وتصدقه"

اتسعت عينا مفرح ذاهلا بينما سأله مصطفى باندهاش "هل أنت متأكد؟؟؟"

أجاب عيد" طبعا متأكد ..لقد رأيت صورته على هاتفها وهي اعترفت لي بأنهما يتحدثان"

اشتعل الغضب في عيني مفرح الخضراوين وسأله بحشرجة "من منهما؟"

أجاب عيد بقرف "ذلك الذي يدعى شامل.. أنا ذهبت إلى بيت الجد صالح فوجدت البوابة مغلقة وأحد عمال المزرعة أخبرني بأنه في العاصمة حاليا "

ناظره مفرح مذهولا بينما سأله مصطفى بلهجة خطرة" سأسألك مرة أخرى يا حاج عيد ..هل أنت متأكد ؟.. هذا الأمر حساس ولا يبنى على تخمينات"

قال عيد لمصطفى منفعلا " قلت لك البنت اعترفت ..وأنا رأيت صورة أحد التوأمين والاسم المكتوب كان (شامل) ولولا أني قد كسرت الهاتف لكنت أريتكما الدليل"

قال مفرح وهو لا يزال مصدوماً" أنا لا أعرف ماذا أقول.. ولكن لابد أن أواجه شامل بنفسي .. عموما أنا أشعر بالخزي أمامك يا عم عيد .. وما حدث هذا لن أمرره على خير أبدا ..وأعدك أن أحقق في الأمر"

قال عيد وهو يتحرك للمغادرة" اخبره بأنني لو رأيت أحدهما أمامي سأقتله"

بعينين مغمضتين وشعور بالغضب والحرج أومأ مفرح برأسه .. فتحرك عيد مغادرا دون

حتى أن يلقي السلام .. بينما وقف مصطفى يحرك سبحته بين يديه وهو ينظر لمفرح الذي كان يتمنى لحظتها أن تنشق الارض وتبتلعه وهو يخرج هاتفه ليتصل بشامل ..

بعد دقائق هدر مفرح في الهاتف "لا تراوغ يا شامل وأجبني.. هل تتواصل مع ونس على الهاتف؟"

صاح شامل بعصبية" أنا لا أراوغ يا مفرح ..أنا كنت أوضح لك الأمر .. ولست عديم الشرف لأراوغك في أمر كهذا ..أجل ..أنا أتواصل مع ونس ..ونيتي شريفة"

هدر مفرح بعدم تصديق وكأنه على وشك الإصابة بأزمة قلبية "أي نية تلك يا شامل ..أي نية.. لقد خذلتني "

شعر مصطفى الواقف خلفه بالشفقة عليه بينما قال شامل منهيا الحديث" لا تنفعل يا مفرح .. أنا قادم حالا"

قالها وأغلق الخط يلتقط مفاتيح السيارة .. فاسرع كامل خلفه قائلا" انتظر يا شامل أنا آت معك"

××××

عند الظهيرة

دخل عليها الغرفة فالتفتت بوجهها نحوه ترفع إليه نظراتها من خلف سحابات من الدموع .. تطلع فيها عيد تجلس مكانها كما تركها منذ قليل تفترش الأرض وأمامها الهاتف المحطم ..كأحلامها وأمانيها التي تحطمت معه .. فآلمه قلبه .. وازداد غضبه من نفسه ومنها ومن الدنيا بكل ما فيها ..

هدر بعنف يقاوم شفقة قلبه على قلبها المكسور "كما قلت لك لقد كان يتسلى معك" اتسعت عيني ونس واستقامت واقفة يعلو وجهها المبلل ملامح متسائلة.. فقال عيد برغبة منه لقطع الأمر من جذوره في رأسها "لقد تحدثت مع مفرح وأخبرته ..ومفرح اتصل به واعطاني إياه فهددته بأني لو رأيته في البلد سأؤذيه .. ومفرح كذلك عنفه بشدة ..فخاف شامل هذا وارتعب واعتذر لي .. معترفا بأنه كان يتسلى معك لأنه قد أشفق عليك .. ووعدني بأنه لن يحضر إلى البلدة مجددا"

(لن يحضر للبلدة مجددا)

بنظرات ذاهلة تبللها بقايا دموع حركت ونس رأسها غير مصدقة لما يقوله والدها.. فأضاف عيد مؤكدا " قلت لك أنت هبلاء وصدقتِ ما قاله .. هل هناك عاقل يصدق بأن شاباً مثله قد يتزوج من فقيرة معاقة أبوها صانع فخار!!"

(كان يتسلى معك لأنه قد أشفق عليك)
ازدادت حركة رأسها غير مصدقة بأن شامل مخادع.. ربما تكون متيقنة من أنهما لن يكونا أبدا معا ..فوالداه لن يوافقا على ارتباطهما .. لكنها لا تستطيع التصديق بأن شامل لم يكن صادقا معها ..
كان يكذب عليها !!..
يتسلى بها !!..
هذا كذب .. كذب.
اقتربت من والدها أكثر فاستمر عيد في كلامه الموجع معتقدا بأنه يعالج الجرح عن طريق الكي" كان يتسلى بك وأنت خنت ثقتي فيك وصدقت كالغبية كلاما معسولا ووعودا مزيفة من ثري مخادع"
أمسكت ونس بجلباب والدها تتشبث به.
(مخادع)
(شامل مخادع)

صرخة قوية رافضة خرجت من حنجرتها كطائر مذبوح ثم سقطت على ركبتيها أمامه .. تبكي بحرقة..

تبكي بصوت معذب مبحوح ..

كمن يلفظ قلبه انفاسه الأخيرة.

××××

بعد ساعتين

وقف مفرح أمام التوأمين غاضبا متخصرا في ساحة بيت الجد صالح.. ليقول شامل موضحاً " أنا لا ألعب يا مفرح ولست شابا عابثا إن كانت هذه نظرتك لي .. وإن كنت ألهو أنا وكامل أحيانا فنفعل ذلك مع فتيات يرغبن في التسلية مثلنا ولنا حدود لا نتخطاها بشكل عام .."

تدخل كامل يقول باستهجان " وهل سيتعرف علينا مفرح الآن يا شامل !!"

ناظرهما مفرح بنظرات غاضبة فقال له شامل مؤكدا " كما قلت لك وكررت علاقتي بونس

علاقة جدية ..فرضتها مشاعرنا .. حاولت أن
اتجنب التورط فيها خاصة وأنا أعلم بأن
ارتباطي بها سيقف أمامه عقبات كثيرة ..لكني
لم استطع ..ووعدتها بأن أفاتح والداي وبالفعل
مهدت لهما الطريق واسأل كامل"
تطلع فيه مفرح باندهاش لكنه توقع أن يكون
شامل يحفظ ماء وجهه بهذا الكلام رغم
تصديقه لسلامة نيته وخمن أنه قد تعامل مع
ونس بحسن نية فقال رغم أن الغضب لايزال
يسيطر عليه "أنا لا اتهمك بشيء يا شامل ..
ولولا أنك اعترفت بنفسك لما كنت صدقت
هذا عنك .. لكن ضع نفسك مكاني هذه الأمور
هنا حساسة جدا.. ووالدها رجل عصبي
وحساس جدا لكرامته "
قال شامل وهو يتحرك مغادرا" لا تقلق أنا
سأحل هذا الأمر فورا"

نظر مفرح لكامل الذي اتسعت عيناه ثم تحرك مسرعا للحاق به.

حين خرج من البوابة كان شامل يحرك السيارة.. متجاهلا إشارة أخيه له بالتوقف ..

فخرجت بسمة التي كانت تقف بالقرب من البوابة تشعر بالقلق من شيء ما لا تفهمه وخاصة مع عودة التوأمين بشكل مفاجئ في غير موعدهما ووجود مفرح بعد وصولهما بدقائق ..لذا لم تستطع التحكم في فضولها وخرجت لتجد سيارة التوأمين تبتعد بينما كامل المتجهم الوجه يتجه هو ومفرح لسيارة الأخير فسألت بقلق وهي تختلس النظر نحو كامل" مفرح هل حدث شيء؟"

قال مفرح قبل أن يدخل ليجلس خلف عجلة القيادة "لا شيء يا بسمة لا تقلقي"

قالها وحرك السيارة .. فراقبتها وهي تمر من أمامها مغادرة وقد شعرت بأن كامل جاد وشارد في شيء هام .. وازداد القلق بداخلها.

xxxxxx

بعد قليل أوقف شامل السيارة أمام بيت عيد القللي .. فتفاجأ به الأخير يترجل منها .. واشتعل غضبه وجنونه في الوقت الذي أوقف مفرح سيارته هو الأخر وترجل منها هو وكامل.

قال شامل بجدية وهو يقترب من عيد ويمد يده للسلام" السلام عليكم يا حاج"

لم يمد عيد يده للسلام .. بل رفع إليه عينين صغيرتين محفورتين وسط تجاعيد العمر يناظره بغضب قائلا" هل أنت شامل؟؟"

رد شامل بجدية وهو يسحب يده "أجل أنا شامل غنيم نخلة وأريد التحدث معك من فضلك"

استدار عيد وتحرك إلى باب البيت يغلقه جيدا بالمفتاح من الخارج وهو يحمد الله أن ونس قد خلعت السماعات منذ أن انتابتها تلك الحالة المفجعة من البكاء وحين تفقدها منذ قليل وجدها تفترش الأرض بجوار السرير وتحدق في الهاتف المكسور وهي تبكي في صمت

..

استدار عيد على صوت مفرح يلقي عليه السلام وهو ينظر لشامل بنظرات عدم فهم .. فاقترب عيد يسلم على مفرح وحده ..بينما احجم كامل عن مد يده وقد فهم بأن الرجل غاضب ولا يرغب بالسلام.

قال عيد لشامل بحدة "ماذا تريد؟ .. ولمَ أتيت؟ ..ألا تستحي على وجهك !.. (ورفع سبابته يقول بعصبية) والله لولا وجود ابن

العمدة وكرامته عندي لاستقبلتك بسكين المطبخ اغرزه في بطنك ولن يهمني شيء "

قال شامل يتحكم في أعصابه" ارجوك اهدأ يا عم عيد ودعني أتحدث ...ألن تدعونا لنجلس؟"

وقف عيد بقامته القصيرة يطالعه بعناد فتدخل مفرح قائلا "اعطه فرصة يا راجل يا طيب"

انفعل عيد ولم يستطع التحكم في أعصابه أكثر فصرخ وهو يمسك بصدر جلبابه البسيط شاعرا بالقهر " ولأنني طيب ..ولأن ابنتي هبلاء ..يفعل صاحبك ما فعل يا ابن الأصول!!"

كلماته كانت مؤلمة موجعة لثلاثتهما ..لكنها كانت أكثر شدة على مفرح ..

كانت تضرب بقوة على قفل صندوق أسود منفي في أعمق اعماقه لينكسر ويخرج ما فيه..

كانت تستفز عُقدا يحاول جاهدا أن ينساها..
لكنه بلع غصة مُرة وتمسك بتلك الثقة التي
نشأت بينه وبين التوأمين.
الثقة التي كان يتسلل إليها لحظتها وسواس
خبيث يريد أن يهدمها وقال" اعطنا فرصة
للتفسير من أجل خاطري"
حاول عيد السيطرة على أعصابه وتحرك بنفس
الملامح الغاضبة يدعوهم بغير ترحيب
للجلوس على أريكة حجرية أمام البيت قائلا"
تفضل يا باشمهندس مفرح"

تحرك مفرح مع التوأمين نحو الأريكة بينما
سحب عيد كرسيا خشبيا وجلس أمامهم
بعروق منتفخة من الضغط العالي ليبادره
شامل قائلا" أنا لم أكن اتسلى مع ونس وكلامي
لها كان صادقا .. لقد كنت فقط أعطي لنفسي
فرصة للتعرف عليها أكثر "

قبل أن ينطق عيد معترضا أسرع شامل بالقول" أعرف بأن هذا يتعارض مع عاداتكم .. لكني كنت بحاجة للتعرف عليها بنية طيبة اقسم لك "

اسرع مفرح بالقول ليمتص غضب الرجل العجوز الذي كان يناظر شامل شذرا " لكنك اخطأت يا شامل حتى لو كانت نيتك صادقة"

غمغم شامل بالقول معترفا "اعترف بذلك لكني كنت اتعامل معها بكل احترام ونيتي صادقة في الارتباط بها كما قلت "

رفع مفرح حاجبيه متفاجئا .. فقد تصور بأنه جاء للاعتذار ليرفع عنه الحرج بينما لم يبد على كامل أي ردة فعل فقد قرأ ما عزم عليه توأمه مسبقا ..

قال عيد باستهجان" لم افهم"

رد شامل بلهجة جادة واضحة "أنا اتقدم لطلب ونس منك يا عم عيد لتكون زوجتي على سنة الله ورسوله"

ناظره عيد صامتا لثوان ثم قال باستنكار "أجئت لتسخر مني يا أستاذ!"

تدخل مفرح قائلا" حاشا لله يا عم عيد"

نظر إليه عيد يقول بعصبية" ألم تر ماذا يقول صاحبك.. أيحسبني رجلا عبيطا سأصدق مزحة كهذه !"

تكلم شامل ببعض العصبية وعيناه تختلسان النظر للباب المغلق خلف عيد " أي مزحة يا عم عيد و أنا أريد ابنتك على سنة الله ورسوله!!"

رد عيد باستخفاف " هل تريد بأن تخبرني بأنك تركت كل البنات حولك وأتيت لتتزوج من ابنتي أنا الفقيرة المعاقة!"

صاح شامل بحمائية تلقائية "لا تقل معاقة .. قل محاربة .. قل لديها وضعا خاصا"
رفع عيد زاوية شفته العليا بامتعاض بينما أضاف شامل بلهجة أكثر هدوءً" أنا أريد أن أتزوج من ابنتك .. أريدها زوجة لي .. وأراها مميزة عن كل البنات اللاتي قابلتهن"
ما قاله كان صعب الفهم بالنسبة لعيد .. كان كلاما غير منطقيا .. عقليته البسيطة تعرف أن شيئا كهذا محض تخريف ..فبدأ عقله يبحث عن سبب منطقي يستوعبه ثم قال "هل تريد أن تتزوج ابنتي لتجعلها خادمة في بيتكم؟"
رفع شامل حاجبيه وتبادل النظرات مع أخيه وصاحبه ثم عاد ليقول لعيد بلهجة مستنكرة "وهل احتاج للزواج حتى أحصل على خادمة !.. إن أردت سأوظف عشرة دون أن اعطي اسمي لفتاة كي تخدمني يا حاج"

تدخل مفرح يقول رغم عدم استيعابه لما يحدث "يا عم عيد صديقي هذا كان عازفا عن الزواج ولم يتجرأ ويطلب يد فتاة إلا ونس" قارعه عيد قائلا "وهذا يدعو للتعجب ويثبت بأن هناك أمرا مريبا في طلبه يا باشمهندس " وناظر شامل بطوله وعرضه بشك فضرب الأخير كفيه ببعضهما قائلا بعدم تصديق "لا حول ولا قوة إلا بالله !..أي أمر مريب في طلب زواج لا أفهم ..أهذا ردك على عريس يأتيك طالبا الزواج من ابنتك يا حاج!!"
قال عيد باستهجان "وهل كنت تتوقع بأني سأطير من الفرح وسأنحني لأقبل يدك لأنك تطلب ابنتي للزواج"
حك مفرح جبينه بأنامله يشعر بتأزم الموقف ..فالعم عيد يعرفه ذو عقلية عنيدة ومعقدة وخوفه الشديد على ابنته يجعله متعنتا في أمور كثيرة بينما تبادل التوأمين النظرات المندهشة

ليقول شامل بعد لحظات حاول فيها التحلي بالهدوء "حاشا لله يا حاج .. أنت مقامك من مقام والدي .. لم تخبرني بردك على طلبي أنا كما قلت اسمي شامل نخلة و..."

"لا اوافق "

قالها عيد مقاطعا لينهي هذا الحديث الغريب الذي لا يدخل عقله فسأله شامل وقد شحب وجهه "لماذا؟!"

قال عيد وهو يستقيم واقفا "هذا هو ردي بدون أسباب (ومرر نظراته بينه وبين توأمه بعبوس ثم قال) كما أنك تبدو في ضعف عمرها"

رد شامل باستهجان "أنا .. أتعني أني أبدو امامك فوق الأربعين ؟؟!!!"

ضحكة مكتومة جاءته من أخيه وصاحبه ..فناظرهما شامل بغيظ قبل أن يعود لعيد

قائلا" أنا أصغر عمرا من مفرح بالمناسبة وأكبر من ونس بإحدى عشر سنة "
ناظره عيد يديه في جيبي جلبابه البسيط ممتعضا بينما تدخل مفرح يقول "إنه بالفعل أصغر مني بعام يا حاج عيد فهو في الرابعة والثلاثين من عمره لكنه طويل وضخم ما شاء الله كما ترى.."
تجاهل عيد ما قاله وتمتم بعبوس" أنرتنا يا باشمهندس ومرحب بك في أي وقت.. وحدك .. وأرجو أن تُفهم صاحبك أني صحيح فقير ..لكني لست أبلها ..ولا أصدق التخاريف ..
وأبلغه أيضا بأني إن لمحته هو أو توأمه باعتباري لن استطيع التفرقة بينهما بالقرب من ونس فصدقني لا اعرف بمَ سيقودني جنوني"
تكلم كامل أخيرا وقد استشعر حزن توأمه الشديد "لكنك يا عم لم تخبرنا بسبب منطقي لرفضك .. لابد أن هناك سببا"

تطلع فيه عيد قائلا" الأمر واضح .. أخوك اعجبته فتاة ووجد بأنه لن يحصل عليها إلا بالزواج فلم يجد بدا من التقدم لطلب يدها متوقعا بأن والدها البسيط سيطير من الفرح .. وبمجرد أن يتزوجها ويحصل على غرضه ومزاجه منها سيعيدها لي مطلقة"

بدا الانفعال على شامل واستقام واقفا يقول باعتراض" أنا لا اسمح لك بأن تتهمني باللهو ببنات الناس"

أمسك كامل بذراعه وكأنه ينبهه بألا ينفعل في الوقت الذي تدخل مفرح يقول بلهجة لائمة" حسبت بأن وجودي معه وعلاقته بي ستثبت لك حسن نوايا صديقي وجديته يا عم عيد .. أنا اضمنه برقبتي فوالله لا أعلم عنه ولا عن أسرته إلا كل خير .."

شعر عيد بأنه قد تمادى في شكوكه وبأنه قد اخطأ في حق مفرح كونه صديقه فغمغم بعبوس" لا تؤاخذني يا باشمهندس فأنا لازلت مصدوما مما حدث عموما حتى لو فرضت صدق نية صاحبك بالزواج من ابنتي فلا تحسبني سأنبهر .. ربما أكون رجلا بسيطا لكن الحياة علمتني الكثير .. إنهما من بيئتين مختلفتين بل وبلدين مختلفين وعالمين مختلفين .. ولو تخطينا كل هذه الفروق لن نستطيع تخطي فروقا أخرى فهي كثيرة خاصة وأن ابنتي ليست فتاة عادية"

هم شامل بالحديث فقاطعه عيد يرفع يده قائلا بلهجة حاسمة "طلبك مرفوض يا أستاذ وإياك أن تحاول التواصل مع ابنتي (ونظر لمفرح قائلا) أنت مرحب بك دائما يا باشمهندس في أي وقت وحدك .. أنرتنا"

قال مفرح وهو يستقيم واقفا "هيا يا شامل دعنا نغادر الآن"

تلكأ شامل وتحركت عيناه نحو الباب المغلق بقلق وقلب مقبوض .. فأمسك به كامل يسحبه نحو سيارتهما بحزم بينما عينا الأول معلقتان بباب الدار وهو يتساءل في سره (لماذا لم تخرج حتى إليهم؟!!).

عند السيارة سأل شامل مفرح بقلق "هل من الممكن أن يكون قد أذى ونس؟"

قال مفرح مطمئنا رغم عدم تأكده" لا تقلق بشأنها .. هل ستعودان للعاصمة أم ستبقيان؟"

رد كامل نيابة عن أخيه الشارد" سنذهب لبيت الجد صالح ونقرر"

قال مفرح وهو ينظر في ساعته" وأنا سأذهب لموعد هام فاخبراني بخطتكما حينما تقرران"

قال شامل لمفرح "لا تغضب مني يا مفرح لم أقصد أن اضعك في موقف محرج"
على الرغم من شعوره بعدم الراحة .. وبغضب داخلي ينكأ جرح قديم حاول مفرح مقاومة تلك المشاعر وقال" عليّ أن أذهب أخبراني علام تنويان حينما تقرران ..سلام"
قالها ووضع النظارة الشمسية على عينيه يخفي شعورا بالضيق والصدمة .. فآخر ما كان يتوقعه أن يعجب شامل بونس بنت عيد القللي .

xxxx

بعد العصر

قالت بسمة لأم هاشم التي تجلس في الغرفة الداخلية الصغيرة التابعة للمشروع "ألم تنتهي بعد يا أم هاشم؟"
قالت الأخيرة وهي تدون الحسابات في دفتر وأمامها كومة من الفواتير" قاربت على الانتهاء

.. إن أردت أن تذهبي أنت للبيت وأنا أغلق البوابة فلا بأس"
قالت بسمة " لا أبدا أنا فقط اشفقت عليك من التأخير"
ضحكت أم هاشم وغمغمت ساخرة دون أن ترفع رأسها" وعلام سأتأخر يا أختاه .. على الوحدة؟ .. أم على ابنتيّ عمي اللتين تشاركاني النَفَس في الغرفة .. على الأقل هنا أحظى ببعض الهدوء والخصوصية (ثم رفعت عينيها إلى بسمة تقول) أَجِّري لي هذه الغرفة يا بسمة لتكون غرفتي الخاصة فلطالما أردت أن أحظى بغرفة خاصة بي"
ابتسمت بسمة وردت بشفقة "أليس لك نصيبا في البيت تركه لك والدك ؟.."
ردت أم هاشم وهي تعود للآلة الحاسبة تحسب حسبة "لي ربع البيت .. فكما تعلمين أنه كان مناصفة بين والدي رحمه الله وعمي

يحيى ..وبعد وفاة أمي ثم أبي ورث معي عمي في نصيبي من أبي .. فأصبحت أملك ربع البيت .. لكن البيت كله ثلاث غرف اتشارك أنا فيه غرفة منهم مع أصغر بنتين.."

غمغمت بسمة متنهدة" كلنا نعيش في مساحة ضيقة صدقيني .. حتى من يملكون بيوتا واسعة (ثم أضافت بصدق) لو سيتركونكِ لتعيشي وحدك دون اعتراض والله لتركت لك بيت الجد صالح لتسكني فيه"

رفعت أم هاشم رأسها تناظرها بعينين لامعتين وردت بابتسامة شقية" بيت الجد صالح !.. ستتركينني أسكن في بيت الجد صالح بمن فيه من حلويات!"

قهقهت بسمة واقتربت تضربها على ذراعها قائلة" أقصد حينما يخلو من ساكنيه بعد نهاية مدة العقد يا وقحة"

ضربت أم هاشم ظاهر كفها في باطن الأخرى تقول" لا لا سأقترح عليك حلا جميلا .. ابني لي غرفة صغيرة في ساحة البيت هناك وأجّريها لي .. وبهذا سأكون جارتهما"

ضحكت بسمة فأضافت أم هاشم ضاحكة بغمازتيها "صدقيني سأتطلع فيهما من بعيد فقط .. نوعا من الاستشفاء عن بعد"

قهقهت بسمة وغمغمت وهي تضع الوشاح على رأسها" ليس بك إلا لسان يا أم هاشم .. من يسمعك دون أن يعرفك سيتخيل بأنك لعوب ..لا يعرف بأنك تمزحين وأن أقصى ما عندك نظرة من بعيد تخفضين بعدها نظرك"

قالت أم هاشم وهي تراقبها تهم بالخروج من الغرفة" لأنني لو تركت الفرصة لناظراي سيكون مصيري جهنم وبئس المصير يا أختاه (وعقدت حاجبيها تسألها)هل سترحلين؟"

ردت بسمة "لا .. سأذهب للمزرعة لأطل على أمر ما سريعا حتى تنتهين أنت مما تفعلين ونغادر سويا "

قالت أم هاشم وهي تعود لما تفعله" وأنا سأنتهي مما أفعل وأصلي العصر قبل أن يفوتني حتى تعودين"

خرجت بسمة تعدل الوشاح على نصف رأسها وترفع عينيها بنظرة مختلسة للبيت المجاور لربما لمحته .. فقد عاد منذ بضع ساعات بعد أن خرج هو وتوأمه مع مفرح .. عاد ولم تره بعدها وتشعر بأن هناك شيئا ما مريبا يحدث لا تفهمه.

xxxx

في نفس الوقت كان كامل يجلس مستندا بمرفقيه على فخذيه يراقب شامل الذي يتحرك في بهو بيت الجد صالح جيئة وذهابا فقال شاعرا بالقلق عليه وبكل ما يعتلج بصدر

الأخير من مشاعر "اهدأ يا شامل أرجوك حتى لا يرتفع مستوى السكر لديك"

قال الأخير بقلق شديد "كيف لي أن أهدأ يا كامل وأنا لا أعرف عنها شيئا.. هاتفها مغلق والرجل بدا لي عصبيا ولا أدري ماذا فعل بها .. هل لاحظته حينما أغلق باب البيت قبل أن يجلس معنا؟"

ناظره كامل بنظرة حائرة قلقة لا يعرف بم يجيبه فقال شامل وهو يعود للتحرك بعصبية أمامه "ونس شخصية مندفعة .. فلو كانت تعرف بوجودي ولم تحاول حتى الخروج بتهور لمقابلتي فهذا يعني بأنه يمنعها بطريقة قاسية"

رد كامل يقارعه "ربما هي ليست في البيت ..ربما أرسلها لأحد أقاربها ليبعدها قليلا"

قال شامل مؤكدا "ليس لديهما أية أقارب .. أنا أعلم ذلك .. ليس سوى امرأة قريبة لهما من بعيد اسمها ..اسمها "

وفتح هاتفه يبحث في مئات المحادثات بينهما على الواتساب بعصبية ليقول كامل "حسنا اجلس وسنطلب من مفرح أن يطمئنا عليها"

صاح شامل بعصبية " لا أعرف إن كان مفرح سيقبل بأن يساعدنا أم لا .. ألم ترى كيف كان وجهه ؟.. شعرت به ينظر لي نظرات تعني أني خنته"

قال كامل بهدوء ليخفف عن توأمه شعوره بالذنب " يا شامل أعلم بأن هذا الأمر غير مقبول هنا .. لكنك لم تفعل سوى التحدث معها على الواتساب ونيتك كانت سليمة مع البنت ..وها أنت قد أثبتت ذلك بذهابك لوالدها لطلب يدها .. عموما دعنا ننتظر مفرح

حتى ينتهي من موعده ونطلب منه أن يطمئنا على الفتاة"

قال شامل وهو يتحرك ليخرج من البيت "لا أنا لن استطيع الانتظار أشعر بخوف شديد على ونس"

اسرع كامل خلفه يقول "إلى أين ستذهب يا مجنون ..الرجل سيطلب لك الشرطة هذه المرة وستفضح البنت بهذا الشكل"

في ساحة البيت في الخارج قال شامل" إذن سأتصل بمفرح لأعرف أين هو كل هذا الوقت"

رفع الهاتف على أذنه في الوقت الذي لاحظ كامل بأن باب البوابة موارب .. وللحظة تخيل بأن هذه المواربة كافية لدخول وزة .. فآلمه موضع العضة وتحرك بسرعة مبتسما يسخر من نفسه .. فلو علمت صاحبة العينين الفيروزيتين بأنه قد اصيب بـ (رهاب من الوز) و بأنه لو لمح واحدة منها لن يهدأ إلا بعد أن

يسحبها من عنقها ويكسره انتقاما لما حدث معه منذ يومين لسخرت منه بتشفٍ.
حين اقترب من البوابة تساءل في سره إن كانت قد أنهت عملها اليوم وغادرت أم لا ..فالهدوء يعم المكان .. لتتجمد الابتسامة على شفتيه فجأة قبل أن تختفي بسرعة ويحل محلها نارا هبت في صدره وهو يلمح سيارة واقفة في الشارع .. فنظر بحذر يراقب بسمة وهي تقف مع ذلك الشخص.. وأرهف السمع متقبضا عابس الوجه.

قبل دقيقة

خرجت بسمة من مزرعة العمدة وعيناها لا تزالا تختلسان النظر لبيت الجد صالح لكنها وبخت نفسها تقول" سنعود يا بسمة للاهتمام به .. يذهب أو يعود لماذا تهتمي فليذهب للجحيم"

قطعت الشارع شاردة ولم تهتم بالسيارة التي مرت من خلفها وتوقفت إلا بعد أن سمعت نداء باسمها "باشمهندسة بسمة "
استدارت تنظر خلفها لتجد الدكتور مهاب يترجل من سيارته فاتسعت عيناها بمفاجأة أن يتجرأ وينادي في الشارع وقالت بعبوس
"دكتور مهاب !.. أهناك شيء"
اقترب مهاب ووقف أمامها يضع يده في جيبيه الأماميين قائلا بابتسامة هادئة" كيف حالك؟"
ازداد عبوسها وردت" بخير هل تريد شيئا؟"
قال مهاب بحرج "أنا فقط أردت أن أقول لك .. لمَ لا تعطيني فرصة"
قالت بلهجة حادة" أرجوك دكتور مهاب لا يصح بأن تقف بهذا الشكل لتتحدث معي في مثل هذه الأمور في الشارع"

غمغم مهاب بحرج وهو يعدل من نظارته الطبية على عينيه "آسف جدا ..أعلم بأني أتهور لكني غير قادر على التحكم في ذلك"

لمحت بسمة حركة بجانب البوابة الأخرى المواربة ورغم اختفاء ذلك الذي لمحته بسرعة لكن خاطرة أن يكون هو كامل أربكتها بدون سبب مفهوم.. أربكها أن يراها تقف مع رجل في وسط الشارع الخالي من المارة تقريبا..

وهذا الارتباك .. وهذا الشعور بالخوف من أن يسيء الظن بها أربكها من نفسها أكثر أن تهتم بهذا الشكل .

تحركت تهم بالمغادرة وهي تقول" أرجوك يا دكتور مهاب هذا الموضوع قد أغلقناه"

احتدت ملامح كامل وتأججت نارا في صدره وهو يردد باستهجان "أغلقناه !.. ماذا يريد هذا اللزج منها!!"

قال مهاب بسرعة قبل أن تبتعد "يا باشمهندسة أنا أطلب فرصة واحدة .. أعلم بأنك عازفة عن الزواج مرة أخرى لكن.."
استدارت إليه بسمة تقول بانزعاج "لكن ماذا يا دكتور؟.. أنا أبلغتك برفضي ..وما تفعله الآن لا يصح ..ماذا لو رآنا أحد بهذا الشكل"
قال مهاب بلهجة معذبة" صدقيني أنا في حالة نفسية سيئة وأطلب منك فقط فرصة واحدة لربما..."
كل حواسها كانت متحفزة ومنتبهة تجاه البوابة الأخرى التي لمحت بطارف عينيها بابها يفتح ببطء ..فقالت بسرعة وهي ترجع بظهرها للخلف وتدخل بوابة المشروع" أرجوك يا دكتور من فضلك هذا لا يصـ ... آآآآآآه"
صرخت بسمة بألم ففتح كامل البوابة بسرعة لكنه لم يجدها وإنما وجد مهاب يسرع بالدخول إلى البوابة الأخرى.

نظر مهاب لقدم بسمة التي انغرز فيها مسمارا كبيرا مثبتا في قطعة خشب كانت ملقاه على الأرض ثم رفع أنظاره لها وهي تتوجع بشدة في الوقت الذي دخل كامل يصيح وهو يندفع نحوها" باسمة"

كانت تكتم فمها بيدها وهي تنظر لقدمها بذهول وتتوجع بشدة .. فاسرع مهاب يجلس على ركبته أمامها ليمسك بقدمها المغروزة في المسمار لكنها أشارت له بيدها بصوت متألم رافضة بخوف شديد من أن يقترب من المسمار بينما اندفع كامل كالإعصار يدفعه بقوة قائلا بلهجة مخيفة "لا تلمسها"

وقع مهاب للخلف مستندا على ذراعيه ورفع أنظارا متفاجئة لكامل الذي عاد ينظر لبسمة المتوجعة يتفحصها ..وقبل أن ينطق بشيء كان مهاب قد استقام واقفا بسرعة واسرع نحو بسمة يمد يديه ليمسك بقدمها وهو يقول

لكامل "أجننت يا هذا!.. دعني أتعامل مع الوضع أنا طبيب"
قبل أن تصل يده إليها كان كامل يدفعه بعيدا هادرا بصوت مخيف "قلت إياك أن تلمسها"
دخل شامل من البوابة مسرعا ووقف يحول بين أخيه الواقف بتحفز يكشر عن أنيابه بغضب أمام مهاب الذي استقام واقفا وحاول الاشتباك معه دون أن يفهم شامل ماذا يحدث بالضبط ..
في الوقت الذي نظرت بسمة برعب شديد للمسمار المغروز في قدمها والذي اخترق حذائها القماشي فجبنت من رفع قدمها أو حتى لمسه وهي تشعر به مخترقا حتى نصفه في قدمها ..لكن بمجرد أن شعرت بذلك السائل اللزج الساخن يخرج من بين الحذاء وقدمها ..وقبل حتى أن ترى اللون الأحمر .. انتابتها حالة من الهلع .. حالة من ضيق التنفس

والرعب الشديدين فانفجرت بالبكاء تصيح بفزع" دم .. . دم يا كامل.. أنا أنزف يا كامل "
قالتها بعفوية خطفت قلب الأخير خطفا
فاستدار إليها بسرعة وقد سقط عنه جنون الغيرة واتسعت عيناه وهو يرى حالتها الباكية ..
فاسرع بالركوع أمامها يقول مهدئا "لا بأس ..لا بأس يا باسمة إنه مجرد مسمار"
صرخت بسمة تشيح بيدها رافضة حين حاول لمس قطعة الخشب "لا لا سيتدفق المزيد من الدم"
رفع إليها كامل عينيه غير مستوعبا في الوقت الذي خرجت فيه أم هاشم مهرولة بعد أن فرغت من صلاة العصر تحاول فهم ما يحدث
فأحد التوأمين كان يُخرج الدكتور البيطري من البوابة بهدوء وحزم.. بينما الأخير عيناه معلقتان ببسمة التي يركع أمامها التوأم الآخر

والذي خمنت بأنه كامل في الوقت الذي كانت فيه بسمة في حالة من الهلع الشديد.
اسرعت أم هاشم إليها تنظر لقدمها ورأت بسمة تتطلع بأنفاس متسارعة ونظرات مرتعبة في الدم جعلت كامل يقطب جبينه ويرفع نظراته لأم هاشم بتساؤل قبل أن يعود وينظر لبسمة قائلا" سأرفع قدمك وأسحب المسمار مرة واحدة و..."
انهارت بسمة في البكاء تقول بإصرار" لا لا سيتدفق الكثير من الدم"
في الخارج جز الدكتور مهاب على أسنانه واستدار غاضبا نحو سيارته حتى لا يهدر المزيد من كرامته أمام هذين الضخمين اللذين ظهرا فجأة لا يعرف من أين لكن مناداة بسمة باسم أحدهما أشعره بالحرج لأنها طلبت منه هو المساعدة ..في الوقت الذي وضعت أم هاشم

يدها على عيني بسمة وقد أدركت بأنها في حالة غريبة فقالت "لا تنظري يا بسمة "
ونظرت لكامل نظرة ذات مغزى فأسرع الأخير يمسك بكاحلها ويسحب المسمار من قدم بسمة التي أمسكت بذراع أم هاشم وصرخت متألمة ..ثم أخذت تبكي وتشهق بشكل يدعو للشفقة والتعجب جعلت كامل يعاود النظر لأم هاشم لعله يجد إجابة ..لكن الأخيرة بدا عليها هي الأخرى الصدمة وعدم الفهم.
عاد شامل بسرعة جالبا من سيارته صندوقا صغيرا للإسعافات الأولية بينما وضع كامل قدمها بحرص على ركبته .. وأخذ يمسح الدم ويعقم الجرح .. فقالت أم هاشم بعبوس" لا يوجد الكثير من الدم يا بسمة لحالتك هذه"
غمغمت بسمة وعيناها لا تزالا مغمضتان تحت كف أم هاشم "أنا لا أحب رؤية الدم أنا أنا .. "

أجهشت مجددا في البكاء فسحبت أم هاشم رأسها إلى حضنها تقول "حسنا ..حسنا .. لا بأس كاد الاستاذ أن ينتهي ويربط الجرح"
قال كامل بعد أن انتهى من ربط قدمها "ستحتاجين للذهاب للمستشفى"
رفعت بسمة رأسها وأزالت يد أم هاشم تقول بهلع وهي تنظر لقدمها المربوط "هل الجرح حالته سيئة؟؟"
قال وهو لا يزال راكعا وقدمها فوق ركبته "الجرح بسيط لكنك ستحتاجين لحقنة التيتانوس ..المسمار صدئ جدا وأعتقد أن الطبيب سيكتب لك مسكنا للآلام أيضا"
هتفت بسمة بهلع" حقنة!!"
اتسعت عيني كامل في الوقت الذي اقترب شامل بكرسي لبسمة التي لا تزال واقفة تستند على أم هاشم فجلست الأخيرة وتألمت حين

أمسك كامل بقدمها من فوق ركبته بأطراف أصابعه بحذر ووضعها أرضا فوق الحذاء.
أما أم هاشم فتحركت نحو الداخل تقول "سأجلب لك قليلا من الماء لتشربي"
وقف شامل يراقب توأمه الذي استقام وقفا ثم مال بجذعه أمام بسمة يسند يديه على ركبتيه قائلا بهدوء "لابد أن تذهبي إلى المستشفى فورا لتأخذي حقنة التيتانوس يا باشمهندسة"
دفنت بسمة وجهها في كفيها تغمغم باكية "لا أريد حقن"
ابتسم كامل وهو يتأمل هشاشتها ..
هذا الجانب ..منها ..جديد عليه .. بل ومفاجئ وغير متوقع .. فمن كان يتصور أنها تخفي خلف برودها وعصبيتها ووجومها طفلة تهاب الحقن وترتعب من رؤية الدم.. ولا يدري لماذا تذكر أول مرة رآها فيها منذ أكثر من ثلاث سنوات

كانت تشبه ذلك الكائن الهش الذي يجلس أمامه ينتحب الآن.
وهذا الجانب منه.. جديدا عليه أيضا..
أن تتدفق عاطفته وشفقته بهذا الشكل ..وأن يؤلمه قلبه كل هذا الألم من أجل امرأة دخل في قدمها مسمار .. وأن يتعذب لأنها تبكي وهو غير قادر على أن يدللها في حضنه.
عادت أم هاشم فاعتدل كامل ووقف يضع يديه في جيبي بنطاله الجينز بينما ناولتها الأخيرة كوب الماء تقول" اشربي يا بسمة وسم بسم الله "
شربت بسمة من الكوب فتبادل كامل النظر مع أخيه الواقف بعيدا عند البوابة قبل أن يقول" جهز السيارة يا شامل لنأخذ هذه الطفلة الباكية إلى المستشفى"
حدجه شامل بنظرة نارية ليوقف اندفاعه قائلا "اعتقد بأن عليها الاتصال بأحد من اسرتها"

غمغمت بسمة تحاول التماسك رغم صور الدم التي تظل تقفز إلى مخيلتها .. صورة لبقعة كبيرة من الدم تطاردها.. " أنا بخير"

قالت أم هاشم وهي تضع الزجاجة بجوارها على الأرض "هاتِ رقم وليد لأتصل به يا بسمة "

قال كامل يخرج هاتف من جيبه" سأتصل به أنا ليحضر أنا معي رقمه"

تكلم كامل في الهاتف بينما همست أم هاشم لبسمة تسألها "منذ متى وأنت تنزعجين من رؤية الدم؟!!!"

لم ترد بسمة ..فقالت أم هاشم متنهدة في ألم "فهمت"

وقف شامل مترددا يرغب في سؤال بسمة وأم هاشم عن ونس لكنه منع نفسه بصعوبة حتى لا يثير البلبلة والشائعات حولها خاصة وأنه لا يعرف إن كان عليه أن يثق في الفتاتين أم لا..

لكنه اقترب منهما بعد قليل غير قادر على الصمود وقد غلبه الخوف الشديد على ونس .. فتنحنح قائلا "كنت أريد أن اسألكما عن الآنسة ونس .. هل حضرت للعمل اليوم؟ "
سؤاله كان مفاجئا وصادما لكلتيهما فاتسعت العيون قبل أن تقول بسمة " لماذا تسأل عن ونس بالذات يا أستاذ شامل؟ "
كان محرجا بشدة .. ويعرف بأن الأمر حساس جدا .. لكنه لم يجد مفرا من فعل ذلك .. وإلا سيجن.. فتبادل نظرة سريعة مع توأمه الذي وقف يراقب بهدوء ثم قال وهو ينظر لبسمة وكأنهما أصدقاء قدماء " هل اتحدث الآن أم نؤجلها لوقت آخر؟ "
فهمت بسمة بأنه يقصد أم هاشم فقالت وهي تمسك بساعد صاحبتها "تحدث يا أستاذ شامل ولا تقلق أم هاشم صديقتي وأي حديث سيكون في أمان "

نظر شامل لأم هاشم بنظرة معتذرة ثم وقف أمامهما يحك جبينه بأنامله محرجا و قال "الحقيقة أني قد تقدمت لخطبة ونس من العم عيد لكنه رفض لأنه يرى أننا غير متكافئان .."

ساد الصمت .. وتطلعت بسمة وأم هاشم في شامل بعيون متسعة وفاهين فاغرين ليكمل شامل" المهم أني لا أعلم شيئا عن ونس منذ الصباح وأشعر بالقلق الشديد.. لأن .. لأن والدها علم بأن الاعجاب بيننا متبادل فأخشى أن يؤذيها "

حاولت بسمة التخلص من وقع المفاجأة الغير متوقعة وحركت رأسها تنظر لأم هاشم على يمينها وكامل الهادئ على يسارها قبل أن تعود لتنظر لشامل قائلة "ونس .. بنت العم عيد؟!!"

أومأ شامل برأسه مؤكدا وقال" وكنت أتمنى أن أطمئن عليها بأي طريقة .. أنا صدقا قلق جدا ..والرجل بدا أمامي عصبيا.. فكنت طامعا في أن يساعدني أحد"

كانت بسمة في حالة تَشَوُّش فلم تكن قد تخلصت من حالة الانهيار بعد فناظرت شامل بغير استيعاب بينما نفضت أم هاشم الذهول عن لسانها وقالت بجدية "لا تقلق العم عيد يحبها كثيرا "

ناظرها شامل بقلق ثم قال " كنت أتمنى لو أحصل على رقم هاتف أحد هنا لأطمئن منه ..فالأمر حساس جدا لأن أسأل مفرح عنه"

ساد الصمت لبرهة فأسرع شامل يقول معتذرا" أنا آسف أنا أعرف بأني أطلب شيئا غير مقبول .. لكن ماذا لو أعطي رقمي لأحد فيطمئنني "

أشفقت عليه أم هاشم فقالت وهي تخرج هاتفها من جيب عباءتها السوداء "لا بأس

اعطيني رقمك يا أستاذ وسأمر عليها اليوم وأطمئنك عليها بإذن الله ..وليكتب الله لكما كل الخير"

غمغم شامل بامتنان "أنا عاجز عن الشكر يا آنسة أم هاشم"

تمنى كامل لحظتها أن يحصل على رقم هاتف بسمة .. تمنى ذلك بشدة .. وتأمل بسمة التي شردت تتطلع في قدمها المربوط وقد بدأت عيناها تدمعان من جديد فأخذت تمسحها بمنديل في صمت ليعود له ذلك الشعور الملح بالرغبة في ضمها وطمأنتها رغم اعترافه بأنها مبالغة في ردة فعلها.

بعد قليل كانت الشمس في طريقها للمغيب وكامل الذي أجبره شامل أن يترك ساحة المشروع يقف مع توأمه في الشارع بين البوابتين في انتظار وليد الذي سرعان ما ركن

سيارته وخرج منها وعلى وجهه علامات القلق ..فحياهما سريعا ودخل إلى بسمة التي لا تزال تجلس على الكرسي في الساحة وبجانبها أم هاشم.

وقف كامل على البوابة يتابع وليد الذي أمسك بيدي بسمة يقول بقلق" ماذا حدث؟"

ذلك الاهتمام وتلك العاطفة المطلة من عينيه جعلت عينا بسمة تغرغران بالدموع وهي تنظر إليه .. ليقول كامل من بعيد مناكفا "يا عم وليد ..لماذا سألت هذا السؤال .. لقد تعبنا في اغلاق صنبور البكاء"

لم ترد بسمة ..ولم تشاكس كما اعتاد منها أن تفعل ..كانت كطفلة مفزوعة باكية ..وهذا در عاطفته وشفقته عليها أكثر .. في الوقت الذي ابتسم وليد وقال وهو يمسك بيد أخته ويساعدها على الوقوف "يبدو أنها قد شاهدت الدم"

أحاط ذراعه بجذعها وهو يقول لكامل الملهوف على أي تفسير" إن لديها رهبة من رؤية منظر الدم في أي جرح"

عقد كامل حاجبيه متسائلا في سره عن السبب الذي يجعلها تفزع بهذه الطريقة ..بينما قال وليد لبسمة التي بدأت تعرج "هل أحملك؟"

عبست ملامح كامل .. وشعور بالضيق يسيطر عليه لالتصاق وليد بها بينما حركت بسمة رأسها بلا فقال وهو يسندها "سنذهب للمستشفى"

قال كامل بإصرار "وحقنة التيتانوس لا تنسى"

همت بسمة بالاعتراض فقال وليد وهو يهز رأسه لكامل مؤيدا " لو تسمحي يا أم هاشم أن تأتي معنا (ونظر لبسمة مغيظا وأكمل) حتى تُكَتّفين صاحبتك معي لتأخذ الحقنة"

قالت أم هاشم وهي تعدل وشاحها "أنا آتية معك لا تقلق.. وصّلها للسيارة حتى أغلق البوابة وألحق بكما"
راقبها كامل ووليد يساعدها لتجلس في السيارة بجوار مقعد السائق.. قبل أن يعود قائلا له ولشامل الواقف واجما عند بوابة البيت"
أشكركما على مساعدة بسمة"

بعد مغادرة السيارة بوليد وبسمة وأم هاشم استعاد كامل ما مر به خلال الساعة الماضية ..وذلك الشعور الجنوني الحارق الذي شعر به لأول مرة في حياته حينما رآها مع ذلك الطبيب ..وتلك الثورة العارمة التي كاد فيها أن يقتل الرجل لأنه سيلمسها .. وشعوره بالضيق من وليد ..فتملكه الخوف من القادم .. الخوف من نفسه .. برغم أن تلك المشاعر يعيشها لأول مرة .. لكنه يشعر بأنه كمن يقود سيارة فوق

منحدر دون مكابح.. فهمس في سره "ويلك يا كامل أنت تغار عليها.."

قال شامل من عند البوابة وقد شعر بما يدور في رأس توأمه "هذا الأمر عليك البت فيه يا كامل دون إضاعة المزيد من الوقت ..لقد كدت أن تتسبب بفضيحة مع الطبيب .. ومن نحبهم لا نضرهم أبدا يا كامل "

أدار له كامل وجهه وقال شاردا "معك حق .. أشعر بأن الأمور تخرج عن سيطرتي .. أنا للحظة لم أكن أعي ماذا كنت أفعل ..وكانت بداخلي رغبة شديدة لأذية ذلك الطبيب دون التفكير في العواقب ..فكرة أن يلمسها ضربت الدماء في رأسي بطريقة لم تحدث لي من قبل .. (صمت قليلا بشرود ثم أضاف بعد برهة) وأشعر بالخزي من نفسي بعد موقفك الشجاع من ونس .. فبسمة تستحق موقفا كهذا مني (وأطرق برأسه يغمغم بحزن) يتملكني شعور

مرعب بأني كلما اقتربت منها سأتسبب في أذيتها .. فهي تستحق رجلا لا يملك كل هذه العُقد التي أحملها في رأسي .. (ورفع رأسه لتوأمه يقول) شامل ..أعتقد بأن عليّ أن اسرع في السفر ..وفورا"

xxxxxx

أخذت تهرول في الطريق مبتعدة عن بيت العمدة وهي لا تصدق ما سمعته ..
لقد كان قلقها في محله حينما لا حظت أن كريم يختفي لأوقات طويلة خلال اليوم في الفترة الماضية.. وكانت تظن بأنه يذهب لأدهم وإياد كما اعتاد أن يفعل ..لكن شعور بالقلق كان يساورها زاده ما افصحت لها به نصرة بأن حدسها يخبرها بأن كريم يفعل شيئا ما من خلف ظهورهم ..خاصة وأنه لا يعود إلا في المساء ..ولهذا ذهبت تسأل عنه في بيت العمدة فأكد لها أدهم بأنه لم يره منذ مدة

وحينما اتصل به قبل عدة أيام أخبره بأنه لن يستطيع القدوم عنده لفترة لأنه يعمل.. وهذا الخبر صدم إسراء بشدة ..

أوقفت سيارة أجرة جماعية على الطريق الرئيسي المؤدي لعاصمة المحافظة إلى حيث ذلك المحل الذي لا يعرف أدهم إلا اسمه واسم المنطقة التي يقع فيها ..المحل الذي يعمل فيه كريم.. وركبت .

كريم يعمل في محل !!..
شعرت اسراء بغصة في قلبها وهي تحاول استيعاب الخبر وتطلعت من زجاج سيارة الأجرة تشعر بالضيق الشديد .. فما ذنبه هو أن يحمل هم ظروفهم المعيشية .. لو علمت أمها ستحزن بشدة فكريم عندها آخر العنقود المدلل.

بعد قليل وبعد البحث في المنطقة كلها عن اسم ذلك المحل وقفت أمام سوبر ماركت كبير مصدومة وهي ترى كريم يعاون أحد العمال في حمل كراتين إلى داخل المحل قبل أن ينادي عليه أحد الرجال بلهجة آمرة "أترك ما في يديك يا كريم واذهب بهذه الطلبات إلى هذا العنوان"

وضع كريم الكرتونة أرضا وجفف عرقه لاهثا قبل أن يحمل أكياسا ويخرج بها ثم تخشب على باب المحل حين رأى أخته الكبرى.

قالت اسراء بصوت مبحوح جاحظة العينين "ماذا تفعل؟"

بلع ريقه وقال بكبرياء" كما ترين"

سألته بلهجة خافتة خطرة " وهل استشرت أو بلغت أحد قبل أن تتخذ قرار كهذا؟!"

دارى مشاعره المرتبكة ورد باندفاع "أنا لست صغير"

شعرت بأن عليها أن تكون أكثر دبلوماسية فقالت بلهجة أقل حدة "لم أقل بأنك صغير لكنك لا تعيش وحدك"

قال معاندا " أنا أريد أن اعمل وأشارك في الانفاق على البيت"

نغزها قلبها فبلعت غصة في حلقها وقالت بهدوء "لكنك لا زلت تتعلم"

رد مجادلا " أولاد كثيرون يعملون ويدرسون ولا توجد مشكلة"

انفعلت من جديد تقول بعصبية "توجد مشكلة بالطبع .. فليس مطلوبا منك أن تعمل وتذل نفسك ..ولم يطلب منك أحد المشاركة في الانفاق على البيت"

جاء صوت صاحب المحل من خلف الكاشير يقول بلهجة آمرة "هيا يا كريم أ لازلت تقف عندك"

بحمائية قالت إسراء للرجل "هو لن يعمل هنا بعد الآن (وأمسكت بالأكياس من يد أخيها ووضعتها أرضا ثم قالت وهي تمسك بمعصم أخيها) أترك هذا وهيا معي"

نفض كريم يده من كف أخته بعصبية قائلا بعناد " أنا لن أذهب إلى أي مكان ..واتركيني أرجوك ولا تفسدي الأمر لأني تعبت حتى وجدت فرصة العمل هذه "

هتفت إسراء غير مصدقة "كريم ماذا تفعل!.. تعال معي للبيت حالا"

صاح بصوت أعلى والغضب يتراقص أمامها في عينيه "قلت لن أعود إلا في موعد انتهاء العمل .. وعليكم التعود على ذلك ..وسأشارك معكم في الانفاق على البيت"

هتف الرجل من خلفه " أنت يا حمار لقد تأخرت على الزبون"

صاحت إسراء في الرجل بغضب " من فضلك لا تسبه"

هتف الرجل بغلاظة " وما شأنك أنت؟!"

أمسك بها كريم يمنعها عن الرد لكنها صاحت بعصبية "شأني بأني أخته ولن اسمح لك"

رد الرجل بلهجة متهكمة قبل أن يسحب نفسا من مبسم الشيشة بجواره " تشرفنا يا أخته لكن هذا ليس مكانا للتزاور العائلي للأسف "

قال لها كريم غاضبا من بين أسنانه" هيا يا اسراء اذهبي من هنا (ونظر للرجل) لا تصرخ في وجهها لو سمحت "

مط الرجل شفتيه بامتعاض بينما دفع كريم أخته ببعض الخشونة يقول بعصبية " قلت عودي للبيت ولا تحرجيني أمام الناس ..لم أعد صغيرا ولو تطاول عليك الرجل لن أسكت له وستكونين أنت السبب"

قال الرجل بقلة صبر "هل ستذهب للزبون أم مع أختك خلصني"
أدار وجهه للرجل يقول من فوق كتفه "سأذهب فلا تصيح هكذا (واستدار لأخته يقول) هيا حتى لا تتسببين في سماعي لكلمات غير لائقة .. فأول درس تعلمته حين نزلت للعمل ..أن عليّ أن أكون ملتزما بالأوامر حتى لا اسمع الاهانات.. وبأن الحصول على المال أمرا ليس بتلك السهولة التي كنت أعتقدها"
كلماته اعتصرت قلبها فبلعت اسراء غصة وابتعدت للخلف خطوتين .. قبل أن تستدير مغادرة وقد أدركت بأنها لن تقدر عليه وحدها. لقد كبر .. وما تعرضت له العائلة منذ شهر قد أثر عليه تأثيرا كبيرا .. وكأنه يشعر بالذنب لأنه قال ما قال لوالدهما .. وكأنه يشعر بالذنب لما يعانونه هذه الأيام من غياب الأب ..

شعرت بالضيق والاختناق .. وبرغبة قوية في البكاء .. ولم تعرف ماذا تفعل .. وحتى لو انتظرته ليعود أخر الليل كيف ستقنعه بأن يعدل عما يفعل .. إن أمها لن ترضى بذلك بل إن أمر كهذا سيحزنها بشدة ..

على بعد أمتار من السوبر ماركت ..وقفت اسراء تتطلع حولها في حيرة تسأل نفسها .. لمن تلجأ ..

تطلعت في الهاتف في تردد وتساءلت .. هل تلجأ لطلال ؟

xxxx

ما أسوأ تلك اللحظة التي تفقد فيها زمام تحكمك في ذاتك وتبكي كطفل صغير دون توقف..

لحظة تشعر فيها بالغيظ من نفسك وبالحرج أمام الأخرين متمنيا لو تنشق الأرض وتبتلعك لتخفيك عن الأعين .. خاصة حينما يكون

سبب هذا البكاء تافها عند الكثيرين لكنه عندك مؤلما مثيرا للذكريات السيئة لو يعلمون.
انتهت الممرضة من اعطاء بسمة حقنة لتعدل الأخيرة ملابسها وتمسح بقايا الدموع التي لا تزال تزورها كلما تذكرت منظر الدم على قدمها ..فمدت لها أم هاشم ذراعها تقول بلطف لتخفف عن صاحبتها ما اكتشفته منذ ساعتين بأنها ترتعب من رؤية دماء تنزف من أي جرح
"هيا لتتأبطي ذراعي يا مدللة"
بصمت أمسكت بسمة بذراعها وتحركت معها نحو باب الغرفة تعرج لتقول الأخرى بلهجة ذات مغزى لتخرجها من حالتها "هل من كان راكعا أمامك وقدمك موضوعة على ركبته هو كامل؟"
اشتعلت وجنتي بسمة ولم ترد فعقبت أم هاشم بلهجة شقية " الرجل كان متعاطفا معك جدا وخفف من فظاظته"

فتحت أم هاشم باب الغرفة تخرج
..فاستقبلهما وليد الواقف خارجها .
تهربت بسمة من أنظار وليد المبتسم تشعر
بالحرج لما انتابها من نوبات بكاء محرجة
فاقترب الأخير يقبل رأسها بحنان وهو يقول
بمشاكسة " لن تصدقي .. لقد أقسمت للجميع
هنا في المستشفى أن عمرك واحد وثلاثون عاما
ولم يصدقوني ..اعتقدوك طفلة ضخمة"
زمت بسمة شفتيها وذلك الشعور بالدفء
نحوه يتدفق في أوردتها خاصة مع تأثرها
باهتمامه في الساعة الماضية ولم ترد .
لقد مر زمن لم تشعر بذلك الاهتمام منه ..
حوالي ثلاث سنوات .. منذ ذلك القرار الذي
اتخذته لتنجو بنفسها من علاقة زواج فاشلة ..
لكنه الآن يبدو مختلفا عن ثلاث سنوات
مضت .. يبدو أكثر نضجا وحنانا .

عند باب المستشفى قال وليد" انتظرا حتى احضر السيارة"

سألتها أم هاشم بفضول بعد أن ابتعد " ألم يكن ذلك الطبيب البيطري موجودا .. ما الذي أتى به؟ ولماذا كان التوأم الأخر يخرجه من المكان؟"

قالت بسمة بإنهاك وهي تستعيد المشهد "ليس هذا وقته يا أم هاشم سأخبرك فيما بعد "

رن هاتف أم هاشم فزفرت بضيق ثم ردت بعصبية" ما بك يا هند ..ألم أخبر عمي بأني مع بسمة وسأتأخر قليلا ..لمَ كل هذه الاتصالات خلال الساعة الماضية؟ ..اغلق الخط وتعيدي الاتصال أنت وأختك!!"

صاحت هند" لماذا لا تردي يا أم هاشم؟"

ردت أم هاشم ممتعضة " كنت في اجتماع هام لحل أزمة الشرق الأوسط .. ما الأمر يا هند

فبالتأكيد لم تشتاقوا إليّ فجأة.. ولماذا تلحين في الاتصال؟.. لا تقولي بأن عريس سامية قد حضر ويريد محشي"
قالت هند " تعالي يا مصيبة أنت بسرعة لقد جاءك عريس "
xxxxx

بعد ساعة

اقترب من السوبر ماركت يداري غصة في قلبه وهو يرى كريم ينقل أكياسا لأحد الزبائن ليضعها في سيارة الأخير فيناوله صاحبها مبلغا كإكرامية .. فانتابته حمية الأبوة تجاهه .
لقد ذهبت إليه اسراء في معرضه منذ قليل واخبرته بما حدث وكأنها تستنجد به رغم تلك الطريقة الهادئة التي سألته بها أن ينصحها ماذا تفعل معه.. فلم يجبها جابر إلا بأن تعود للبيت وهو سيتصرف .

تقابلت عيناه مع كريم الذي تفاجأ بوجوده واسرع بوضع القروش القليلة التي حصل عليها للتو في جيبه بحرج شديد قبل أن يخفض نظراته أرضا بانكسار أوجع قلب جابر وذكره بنفسه حين كان في مثل عمره .

قال بصوت حاول أن يكون عاديا "السلام عليكم يا كريم"

خمن كريم سبب زيارته ومن التي اخبرته بينما أضاف جابر" ألن ترد السلام على عمك جابر ؟"

بابتسامة ضعيفة غمغم كريم وهو يقترب منه مادا يده للسلام" وعليكم السلام يا عم جابر" قال جابر وهو ينظر للمحل بجواره " كنت قد انتهيت من العمل وعلمت بالصدفة بأنك هنا ..فقلت لأمر عليك حتى نعود سويا .. متى تنتهي من دوامك؟"

قال كريم بهدوء " اعتقد خلال نصف ساعة ..لا أعرف .. (واستدار ينظر لذلك للرجل غليظ الهيئة الجالس خلف طاولة الحساب في السوبر ماركت وأكمل) سأسأل المعلم"
وضع جابر يده على كتف كريم يقول وهو ينظر باتجاه صاحب السوبر ماركت" بل أنا من سيسأله "
تقدم مع كريم مادا يده يقول "السلام عليكم يا معلم .. أنا جابر دبور صاحب محلات دبور للأجهزة المنزلية ..وهذا الشاب الصغير الرائع هو ابن أخي .."
بعد قليل كان كريم يخرج من حمام أحد المقاهي بعد أن اغتسل وعدل من هندامه البسيط ..وتحرك نحو الطاولة التي يجلس عليها جابر في انتظاره وذلك الشعور بالاطمئنان يعود إليه من جديد.

كبريائه الذكوري في مهد مراهقته غير راغب بالاعتراف بأنه كان يشعر بالخوف منذ أن قرر النزول للعمل ..وخلال رحلته للبحث في المحال على عمل واحتكاكه بشكل مفاجئ وواسع بالعالم الخارجي الذي لم يكن يحتك به خارج قريته الصغيرة إلا في نطاق ضيق من قبل كان يداري رهبة كبيرة لكل شيء حوله .
الايام القليلة الماضية كانت عليه صعبة وضاغطة منذ أن التحق بالعمل في السوبرماركت.. أسبوعا كاملا احتك فيه بعدد كبير من البشر ووضع في مواقف ضاغطة وموترة واضطر لأن يتعامل مع أكثر من موقف صعب..
يكفيه رهبته من صاحب السوبر ماركت ذو الصوت المخيف .. ولم يكن هناك شخصا خلفه يطمئنه .. رجلا مثله ليسأله عن شعوره ويتحدث إليه ..

الآن ومع جابر شعر ببعض الأمان ربما لأنه صديق والده وربما لأنه كان يتملكه الذعر منذ رحيل هلال ..
الذعر والخذلان والشعور بالذنب لأنه كان السبب ..
كلما نظر في عيني أمه المهمومة شعر بالذنب الشديد والخزي مما فعل .. الخزي من خطأ كبير لا يعرف كيف تهور وفعله ..
خطأ لم يقصده ولكنه كان يدافع عن أمه .. كان خائفاً من أن يؤذيها ..
خطأ تسبب في ترك والده للبيت..
يشعر بأنه مجرم وعاق وسيكون مصيره جهنم كما قال معلم التربية الدينية عمن يغضبون والديهم.
ابتسم جابر حين رآه يقترب وأشار له ليجلس فجلس كريم وهو يتطلع حوله في ذلك..

المقهى الخاص بالعائلات ليقول جابر
"انتظرتك لأعرف ماذا ستطلب"
قال كريم" أي شيء"
أشار جابر للنادل وطلب علبتين من المياه
الغازية قبل يبدأ كريم الحديث قائلا ويديه
متقبضتان على فخذيه تحت الطاولة "تفضل
يا عم جابر قل ما عندك"
قال جابر بدبلوماسية " أنا جئت بك إلى هنا
لأقول لك بأني سعيد وفخور بقرارك بالعمل"
طالعه كريم متفاجئا ثم قال" ظننتك تريد أن
تقنعني بترك العمل"
سأله جابر بهدوء "وهل كنت تريدني أن أطلب
منك ذلك؟"
قال كريم بلهجة قاطعة "لا"
تكلم جابر بنفس الهدوء والرزانة "إذن مادامت
هذه رغبتك فأنا احترمها ..المهم ألا تقصر في
دراستك"

قال كريم بثقة "بالطبع لن أقصر فيها "
غمغم جابر براحة " هذا رائع .. أنا مثلك كنت اعمل بجانب الدراسة"
"حقا؟"
رد جابر بثقة " أجل كنا فقراء .. وأبي ظل مريضا لفترة طويلة.. واضطررت للعمل بجانب الدراسة .."
صمت قليلا عند حضور النادل بالطلبات واسعده ذلك الاسترخاء الذي لاح على كريم بعد أن كان متحفزا ثم أضاف بعد مغادرة النادل" لكني عاتب عليك يا كريم"
سأله كريم وقد عاد لتحفزه" لماذا؟"
قال جابر وهو يفتح له علبة المياه الغازية ويصبها فوق قطع الثلج في الكوب " لأنني أولى من الغريب ..فإن كنت ترغب في العمل لماذا لم تطلب مني فأوفره لك عندي في محلاتي وفي الوقت نفسه أكون مطمئنا عليك"

ناظره كريم مفكرا ليضيف جابر لإغرائه "اعتقد أن العمل عندي أولى من غيري وخاصة أني جاركم وصديق والدك .. وتستطيع أن تحضر كتبك بعد المدرسة لتذاكر دروسك خلال اليوم .. وأيضا ستعود معي في المساء أي أنك ستوفر أجرة العودة.."

بلع كريم ريقه يتطلع في جابر وهو يفكر في شيء وحيد ألا وهو أن العمل عند جابر سيقضي على هذا الشعور بالخوف والتوتر الذي يشعر به منذ أن خرج لعاصمة المحافظة يبحث عن عمل.

أضاف جابر بدهاء" أنت تذكرني بزين ..ولو كنت أملك هذه المحلات وهو في مثل عمرك لكنت قد جعلته يعمل معي .. عموما إن أردت العمل معي سأعطيك مثل ما وعدك صاحب السوبر ماركت بل وأكثر ..ما رأيك في هذا العرض المغري؟"

لم يأخذ الأمر من كريم وقتا ليقرر .. فهذا العرض مثالي بالنسبة له فرد بحماس "وأنا أوافق"

تنفس جابر الصعداء مغمغما في سره براحة "الحمد لله"

××××

تداري لهفة وتوترا ..

تداري ترقبا وقلبا يدق بعنف ..

دخلت أم هاشم بيتها مهرولة..

إنه ذلك الأمل الذي يتسلل بخبث فيفسد مفعول القناعات ويجعلنا للحظة نصاب بـ (لحظة أمل) ..

في الصالة استقبلتها هند ووفاء أصغر بنتين لعمها تكتمان الضحك .. فتسمرت أم هاشم تناظرهما بريبة وهي تسأل" هل ما قلتيه يا هند حقيقي؟"

قالت هند بمكر "لقد أقسمت لك على الهاتف عدة مرات ألا تسمعين الأصوات الأتية من غرفة الضيوف؟"

ضيقت أم هاشم عينيها وسألتها "من يكون؟؟"

ردت وفاء تداري ابتسامة "ادخلي وستعرفين"

ما قرأته في وجهيهما أصابها بالإحباط وبدلا من أن تذهب لغرفتها لتعدل من هندامها كأي عروس في محلها .. أسرعت أم هاشم متحفزة إلى غرفة الضيوف وقد هبط مستوى الأمل لديها لدرجة الصفر دفعة واحدة .. فأصابها بأزمة (خيبة أمل) قبل حتى أن تتأكد مما تخمنه ..

كشخص قد إعتاد مثلها على الصدمات دارت مشاعر الإحباط لديها ودخلت الغرفة متحفزة تلقي السلام .. فرد الجالسون السلام بينما

قفزت صباح تقترب منها قائلة " حبيبتي أم هاشم"
بحاجب مرفوع طالعتها الاخيرة بنظرة سريعة قبل أن تدقق في الجالسين تحاول فهم ما يحدث ..
إن عمها وزوجته كانا يضيّفان الحاج عبد الحميد الصناديلي وابنه ماهر وزوجة ابنه ..وعائلة الصناديلي هي العائلة التي يشرف عمها على شئون أراضيهم الزراعية.
قالت صباح هامسة" ما هذا المنظر ..ادخلي بدلي السواد هذا وافعلي شيئا لتبدي بهيئة أفضل"
تجاهلتها أم هاشم وتحركت نحو أحد الارائك تجلس .. فساد صمت غريب على الحضور ..
قطعه ماهر متنحنحا "هذه هي العروس يا أبي"
سألت أم هاشم بجرأة" عروس من ؟.. هل تنوي الزواج بأخرى يا أستاذ ماهر ؟"

ونظرت لزوجته لتتبين صدق ما يحدث
فبادلتها الأخرى نظرات مستهجنة بينما قال
والده الطاعن في السن بلهجة طفولية مبرطمة
"هذه سمراء ..أنا لا أحب السمراوات أنا غير
موافق"
بحرج تنحنح ماهر مبتسما وربت على ركبة
والده بينما تكلم عمها يقول بلهجة عابسة
مهمومة " الأستاذ ماهر جاء ليطلب يدك
للحاج عبد الحميد الصناديلي يا أم هاشم "
ساد صمت آخر ..
صمت تطلعت فيه أم هاشم في الجالسين
أمامها وهي ترمش عدة مرات متأملة ذلك
العجوز الطاعن في السن الذي خمنت بأنه قد
تخطى السبعين عاما .. ثم نظرت لابنه ماهر
الذي قال متنحنحا بلهجة دبلوماسية وابتسامة
بلاستيكية " الحقيقة أن والدي يرغب في
الزواج .. تعلمون بأن الحاجة والدتي توفاها الله

منذ عامين وأنا اشفق عليه من الوحدة خاصة
وأني كما تعلمون خارج البلاد معظم شهور
السنة نظرا لظروف العمل واخوتي احدهم
مستقر في العاصمة والثاني هو وأسرته في دبي ..
فاقترحت عليه الزواج ورحب بشدة ولم أجد
أفضل من بيت الشيخ تيمور ونسبكم"
أهناك أسوأ من أن تشعر بأنك بخس القيمة
عند الناس ؟!.
ومن أنهم يتحينون الفرصة ليخبروك بذلك
بدون تردد.. وبكل جرأة !.
أسرعت صباح تقطع الصمت المتوتر حين
قالت "نسب عائلة الصناديلي شرف لنا يا أستاذ
ماهر (وحدجت زوجها تقول بلهجة ذات
مغزى لتخرجه من صمته الذاهل منذ
دخولهم) أليس كذلك يا يحيى!"

هم زوجها بالكلام لكن أم هاشم اندفعت تقول وهي تتقبض بقوة بجوار جسدها حتى لا تنفعل

"كم عمرك يا جدي؟"

تلون وجه ماهر وزوجته بينما حدجتها صباح بنظرة موبخة وهي تقول" أم هاشم!"

قالت أم هاشم بلهجة باردة ساخرة "ماذا؟.. أليس من حقي أن اعرف سن العريس؟!"

تكلم الحاج عبد الحميد بلهجة طفولية "اسمعي .. أنا لا أريدك يا سمراء أنت فلا تقولي عريس"

ردت أم هاشم بلهجة لينة" أنا لم أقل هم من يقولون يا جدي"

قال عبد الحميد بعند طفولي وهو يشيح بيده "دعيهم يثرثرون واخبريني أنت يا سمراء .. أليس لديك صديقة بيضاء وجميلة وشابة و..."

أمسك ماهر بساعد والده وأصدر ضحكات متقطعة محرجة يمنعه من الاسترسال قائلا "الحاج يحب المزاح كما تعرفونه .. فقلبه لايزال قلب شاب .. المهم يا حاج يحيى كما تعلم لدينا بيتا واسعا كبيرا وعروسنا لن تحتاج لشيء إن شاء الله.. وسيكون هذا توثيقا لعلاقتنا سويا فأنت تراعي أراضي الصناديلي منذ ربع قرن تقريبا "

لهجته عن عمل الحاج يحيى لديهم كانت غير مريحة وهذا ما استشعره يحيى نفسه الصامت منذ بداية الجلسة حتى أنه ناظر ماهر الصناديلي بنظرة متمعنة ليتأكد مما أحس به.

أما أم هاشم فكل مشاعر الإحباط والصدمة والاهانة تحولت عندها لطاقة غضب عظيمة .. ورغبة قوية في الصراخ في وجوههم جميعا ..

ما هذه المهزلة !

وما هذه الوقاحة !

تبادلت مع عمها النظرات وشعرت به متحرجا من الرجل واشفقت عليه من أي رد فعل عصبي يلح عليها لحظتها تتمنى لأن تفعله رداً على ماهر هذا .. فلم تجد إلا أن تنتفض واقفة وهي متقبضة بقوة حتى تسيطر على عصبيتها وتحركت مغادرة بعد أن قالت بحدة" أنا سأخرج من هنا حفاظا على الأرواح والممتلكات "

امتقع وجه صباح وأصدرت ضحكة محرجة وهي تقول " عروس ... تعلمون خجل العروس"

خرجت أم هاشم من الغرفة بوجه واجم وغضب تحاول السيطرة على غليان الدم في رأسها .. حتى أن الخمس بنات اللاتي استقبلنها لأول وهلة بنظرات هازئة مستهينة انكمشن مبتعدات عن طريقها في رعب رغم أنها لم تفعل شيء ..

لم تفعل سوى أنها بلعت نظراتهن تلك في صمت فوق ما تشعر به من إهانة واتجهت نحو باب البيت تخرج منه كقنبلة على وشك الانفجار ..

قبل أن تغلق باب البيت رن هاتفها فتطلعت فيه ثم رفعته على أذنها تقول بصوت مبحوح" نعم بسمة"

سألتها بسمة "طمئنيني ما قصة هذا العريس؟"

بلعت طعما مراً في حلقها وردت "لا أريد التحدث الآن"

شعرت بسمة بأنها ليست على ما يرام فقالت "حسنا استريحي الآن وغدا نتحدث .. المهم اخبريني هل ستذهبين صباحا للعم عيد لنطمئن على ونس؟"

تكلمت أم هاشم بنفس الحشرجة" لا سأذهب الآن لأطمئن عليها فغيابها اليوم وسؤال هذا الشاب عنها أقلقني ... سلام"

اغلقت الخط ثم قالت من فوق كتفها للبنات خلفها "أبلغن
عمي بأن لدي مشوار هام ولن اتأخر"

في الغرفة قال يحيى "يا أستاذ ماهر طلبك هذا يشرفنا.. وأنا أعمل لدى الحاج عبد الحميد منذ خمس وعشرون عاما وخيره يغرقنا .. لكن كما تعلم في مسائل الزواج لابد من أن نأخذ رأي العروس فيها أولا"
قالت صباح تقاطع زوجها بلهجة مستدركة "بالطبع لابد أن نأخذ رأيها يا أبا سامية لكنها بالتأكيد لن تجد فرصة أفضل من هذه"
حدجها زوجها بنظرة موبخة فخرست بينما أكمل يحيى "اعطنا وقتا لنسأل العروس عن رأيها.. تعرف أن فارق العمر قد يأخذ منها وقتا للتفكير "

قال ماهر وهو يستقيم واقفا " طبعا ..طبعا ..لكن في أسرع وقت يا عم يحيى فكما تعلم أنا في إجازة قصيرة وعليّ بالعودة بسرعة وهذه المرة سآخذ زوجتي وأولادي معي.. ولابد أن اطمئن على أبي بأنه مستقر مع زوجة بنت أصول ومن بيت طيب تكون جزءا من عائلة الصناديلي "

ومد يده لوالده الذي قال وكأنه لم يكن منتبها لما يحدث " هل سنرحل؟"

قال ماهر " أجل ..هيا يا حاج"

وقف يحيى يقول باحترام "انرتنا يا حاج عبد الحميد"

قال عبد الحميد وهو يتحرك ممسكا بساعد ابنه "بارك الله فيك يا يحيى ..لا تنس أن تمر عليّ في الصباح لنقفل حسابات المحاصيل.."

أومأ يحيي برأسه بطاعة بينما قالت صباح بلهجة مرحبة لزوجة ماهر "انرتمونا والله يا ست أم رامي"

بعد قليل دخل يحيي داره بعد وداع الضيوف لتقول صباح بغيظ" ابنة اخيك ليست بالبيت"

عقد يحيى حاجبيه وسألها" وأين ذهبت؟"

قالت وهي تشيح بيدها بامتعاض" أخبرت الفتيات أن يبلغوك بأن لديها موعد هام ولن تتأخر"

أومأ يحيى برأسه وتجاوزها مهموما نحو غرفته فناظرت صباح بناتها الخمسة المراقبات بترقب ثم اسرعت باللحاق بزوجها..

في غرفة النوم قالت صباح" ماذا سنفعل يا يحيى؟"

قال مهموما "لا اعرف"

مصمصت شفتيها تقول"ابنة اخيك يبدو عليها عدم الموافقة"
قال بهدوء "لديها كل الحق"
صاحت صباح " أتريد أن تجن جنوني يا رجل!.. هذه فرصة جاءتها من السماء ..ستتزوج من عبد الحميد الصناديلي الثري صاحب الافدنة والاطيان .. وستنضم لعائلة من أكبر عائلات البلدة "
قال يحيى بضيق "إنه رجل في السبعين من عمره يا صباح وطبيعي أن ترفضه .. ولن استطيع أن أجبرها عليه"
بغيظ مكبوت قالت "وعملك مع عائلة الصناديلي؟.. ألم تلحظ ما قاله ماهر .. الرجل كاد أن يهددك بعملك معه"
هز رأسه يقول بقلة حيلة "أجل استشعرت لهجة التهديد في حديثه ..وهذا يؤكد لي ظنوني بأنه يرغب في ممرضة لوالده حتى يطمئن عليه

قبل أن يأخذ عائلته معه هذه المرة حين يعود للبلد التي يعمل بها "
قالت صباح مقارعة " وماذا فيها ..أليس هذا أفضل من أن تجلس بجوارك بدون زواج طول العمر .. لقد أتمت الثلاثين يا يحيى .. أين المشكلة في أن تخدم الرجل العجوز بضع سنوات وترث منه بعد أن يموت .. ونحن سينوبنا من الحب جانب بالتأكيد"
قال يحيى بعصبية " أنا لن استطيع أن أجبر أم هاشم على ما لا تريد يا صباح "

هتفت زوجته صارخة " إنها فرصتها الأولى والأخيرة يا يحيى وأنت تعلم .. لا تطاوعها في أن تجلس إلى جوارك .. ستدعو عليك بعد أن تموت وتقول لماذا لم يضغط عليّ عمي من أجل مصلحتي .. فكر جيدا .. بعد عمر طويل كل بنت من بناتنا سيكون لها بيتا وأنا وأنت

تحت التراب .. مع من ستعيش أم هاشم؟ ..
لكن حينما تكون أرملة الصناديلي سيكون لها وضعها .. وسيكون لها ورثها وساعتها قد يأتيها من يتزوجها من أجل مالها .. لكن وضعها الحالي لا مال ولا جمال .. لا تؤاخذني لا يسر عدو ولا حبيب "

طالعها يحيى بحيرة لتكمل صباح " ومن ناحية أخرى هل بعد كل هذا العمر ستترك العمل مع أولاد الصناديلي؟ .. وهل إيراد قيراطين الأرض اللذين نمتلكهما ستكفينا لنأكل خبز فقط؟..
وسامية التي ستتزوج الشهر القادم ماذا سنفعل معها؟ ماذا سنفعل فيما لم نشتريه بعد من جهازها إذا تركت العمل عندهم .. (واغرورقت عينيها بالدموع تضيف بلهجة باكية) سننفضح يا يحيى إن لم توافق ابنة اخيك على هذه الزيجة"

قال يحيى بحيرة شديدة "اتركيني الآن بالله عليك يا صباح "

مسحت دموعها وقالت بمسكنة وهي تترك الغرفة " حاضر سأتركك لكن عليك بالتفكير فيما قلت واقناع ابنة اخيك بمصلحتها هي أولا قبل مصلحتك .. (وأضافت من عند باب) وبصراحة لو كانت بارة بك لن تتأخر عن مساعدتك"

صاح يحيى بعصبية "اخرجي يا صباح واتركيني بالله عليك"

خرجت صباح وأغلقت باب الغرفة فجلس يحيى مهموما يفرك رأسه بيديه لا يعرف ماذا يفعل في هذه الورطة .

xxxx

بخطوات عسكرية خالية من النعومة كانت تمشي في الطريق تكتم مشاعرها الثائرة الغاضبة .. المحبطة .. حتى أنها قررت المشي

رغم طول المسافة حتى تُنَفِس قليلا من طاقتها
..
في نفس الوقت كان عيد يجلس أمام بيته
والأفكار تعصف برأسه والوساوس تأكل فيها
أكلاً..
أ من الممكن أن يكون شامل هذا له علاقة بمن
يريدون أن يأخذوا البيت منه بالقوة وقرروا
الضغط عليه بأذية ونس عن طريق هذا الشاب
؟! ..
المشكلة في أنه لا يوجد لديه دليل ولا يعرف
هوية الشخص الذي يهدده ومَن خلفه ..ولا
يعرف لو اشتكى ماذا سيقول .. عمن سيشتكي .
عاد يقارع نفسه بالتأكيد صاحب مفرح لن
يتورط في أمور كهذه أبدا ورجل ثري مثله لن
يستفيد من منزل صغير بسيط كمنزله ..

إنه يفكر في الموضوع منذ الصباح وخاصة بعد زيارة هذا الشاب مع مفرح لكن الامر لا يريد أن يدخل عقله .. لابد أنه كما خمن يريد أن ينال ابنته باسم الزواج وبعدها يعيدها له مطلقة .. مثله مثل كافة أبناء الأثرياء .

عاد من جديد يرد على نفسه بأنه ليس كل أبناء الأثرياء كذلك .. لكن الغالبية بالتأكيد .

بوجه واجم اقتربت أم هاشم من بيت العم عيد الذي كان جالسا أمام بيته على تلك الاريكة الحجرية مهموما وقد رفع رأسه لها متفاجئا بمجرد أن أحس بخطواتها.

بادرته أم هاشم بلهجة لينة رغم ما يعتلج بصدرها من هموم " السلام عليكم يا عم عيد"

ردد عيد السلام لتقول أم هاشم" جئت لأطمئن على ونس لأنها لم تأت للعمل اليوم ..ولم تتصل أيضا ..وحاولت الاتصال بها لكن هاتفها مغلق"

قال عيد بمزاج عكر" إنها مريضة ولهذا أغلقت هاتفها"
وقفت أم هاشم تتطلع فيه بتدقيق وقلقها بدأ يزداد خاصة حينما أضاف عيد "وبلغي صاحبة العمل أنها لن تذهب إلى هناك بعد الآن"
سألته بهدوء "لماذا يا عم عيد؟"
أشاح بيده يهتف بمزاج عكر "أنا حر هل أنت شريكتي!"
استشعرت عصبيته وتأكدت من شكوكها بأن الأمر أكبر مما قاله شامل فقالت مهادنة "كما تريد طبعا.. لكن هل لي أن أراها؟"
عقد عيد حاجبيه بانزعاج فقالت أم هاشم "أريد أن أطمئن عليها ألم تقل بأنها مريضة؟"
قال مشيحا بيده " لكنها نائمة الآن.. هيا اذهبي إلى بيتك "

نظرت أم هاشم في ساعة هاتفها وغمغمت "هل تنام مبكرا كالكتاكيت ؟..الساعة لا تزال السابعة !!"

قال عيد بعصبية" ألم أقل لك أنها مريضة يا أم هاشم!!"

غمغمت أم هاشم "شفاها الله وعفاها (ثم تطلعت في الحقول على الناحية الأخرى من الطريق لبرهة تفكر بسرعة ثم قالت وهي تتحرك لتجلس على أريكة أخرى)إذن سأجلس لانتظر استيقاظها .. فبالتأكيد ستقوم للذهاب للحمام أو لتناول الدواء .. (وسحبت نفسا طويلا واخرجته بصوت مسموع أمام نظرات عيد المغتاظة وغمغمت وهي تفرد ذراعا على ظهر الأريكة) أنا شخصيا لا أرغب في العودة للبيت الآن والمكان هنا هادئ جدا ومريح للأعصاب .."

راقبت بطرف عينها عيد الذي زم شفتيه يناظرها بغيظ ثم قالت ببرود "هل تريد أن اصنع لنا كوبين من الشاي؟"

استقام عيد واقفا وتحرك بقامته القصيرة ذات الانحناءة البسيطة يقول بلهجة مغتاظة من بين أسنانه" سأنظر إن كانت قد استيقظت أم لا .."

بعد دقيقة فتح باب الغرفة بحرص ليجد ونس تولي ظهرها للباب تفترش الأرض فنظر للمنضدة ووجد سماعتيها لا تزالا مكانهما منذ الصباح ..فصاح بأعلى صوت لتنتبه" أم هاشم تريدك يا ونس"

انتبهت ونس للصوت البعيد لكنها لم تلتقط بالضبط كل ما قاله ولم تهتم بالالتفات فطلت أم هاشم من فوق عيد تقول بصوت عال "ألف سلامة عليك يا ونس"

اجفل عيد لوجودها خلفه فأدار رأسه ورفعها يناظرها باستنكار ..لكن أم هاشم هتفت بصوت عال" يا بنت يا ونس"
غمغم بضيق" إنها لا ترتدي السماعات "
أدارت ونس رأسها ببطء وعينين بائستين أوجعتا قلب عيد وزادت من غضبه حينما شعرت بصوت غريب ..فتطلعت في وجه أم هاشم التي عقدت حاجبيها وبادرتها برفع كفها لها بتحية ..
لم يبدو على ونس أي اهتمام .. ولم تكن تريد شيئا من أحد .. فليتركوها في مصيبتها..
عادت تنظر أمامها وفي يدها ورقة وقلم رصاص تظلل به رسما معقدا بخطوط كثيرة يشبه المتاهة ..والهاتف المهشم موضوع في حجرها
.
همت أم هاشم بدخول الغرفة ..لكن عيد أسرع يقول وهو يأخذ الباب في يده ليغلقه خلفه

"اتركيها الآن فمادامت تخلع سماعتيها وترسم
فلن تتجاوب مع أي احد"
سألته أم هاشم" ما بها؟"
تكلم بفظاظة وعدم صبر "مريضة قلت مريضة
وحزينة لأني منعتها من الذهاب للعمل .. هل
ارتحت الآن "
حاولت أم هاشم الالحاح أكثر لكن عيد قال
بلهجة عصبية "ها أنت قد اطمأننت عليها ..
لكنها لا تريد أن يقاطعها أحد"
شعرت أم هاشم بالحرج فأشاح عيد بيده
يقول" هيا يا بنت الشيخ زكريا .. هيا اسرعي
للبيت فالوقت متأخر والمكان هنا على الطريق
غير آمن"
تحركت أم هاشم بثقل ..ولم تجد مفرا من
المغادرة .. وبمجرد أن خرجت على الطريق
اتصلت بشامل تقول" السلام عليكم ..أنا أم
هاشم يا أستاذ "

قال شامل بلهفة" أهلا آنسة أم هاشم"
تكلمت تقول بلهجة عملية "لا تقلق ونس بخير ..لكنها تبدو حزينة ولا ترغب في الحديث مع أحد.. فوالدها يمنعها من الذهاب للعمل "
حك شامل جبينه بأنامله وسألها بلهفة "هل رأيتها بنفسك بالله عليك"
قالت مطمئنة "أجل رأيتها أقسم لك وهي بخير"
لم يدر شامل ماذا يقول .. ولا يريد أن يثقل على أم هاشم أكثر فهو يعلم بحساسية الوضع فقال " أنا اشكرك بشدة يا أختي جزاك الله خيرا ..وآسف جدا على ازعاجك "
غمغمت أم هاشم" لا شكر على واجب السلام عليكم"
اغلقت الخط وتحركت بخطوات واسعة وهي تمسد على عضديها بالتبادل شاعرة ببعض البرودة..

فكرت في أمر ونس وشامل وخنقها البكاء فجأة .. فأسرعت بمسح دمعة ساخنة وغمغمت "حكمتك يا رب .. اللهم ارزقنا بفرحة لم تكن في الحسبان .. واجبر بقلوبنا يا كريم"

xxxx

أمام بيت الصناديلي أوقف ماهر السيارة وترجل منها هو وزوجته ثم استدار أمام مقدمتها ليساعد والده على الخروج منها فقال العجوز معترضا "لا تساعدني أنا لا احتاج للمساعدة" ابتسم ماهر وقال" بالطبع يا حاج رزقك الله الصحة والعافية"

قال عبد الحميد وهو يتحرك مع ولده يدخل البيت" لا زلت لا أوافق على تلك السمراء أريدها بيضاء يا ماهر"

قال ماهر مهادنا "يا حاج أنت جربت البيضاء مع أمي رحمها الله عليك بتجربة السمراء "

ومال يهمس في أذنه بشيء وانفجرا يضحكان بصوت عال قبل أن يدخلا بيت الصناديلي الذي هو من اكبر البيوت في القرية .

بعد قليل وقف ماهر في شقته في الدور العلوي يقول في الهاتف في مكالمة جماعية مع أخويه" هذا هو الحل الوحيد أمامي ..المهم أن يستطيع عم يحيى اقناع ابنة أخيه فقد بدت غير راضية"

دخلت زوجته من الباب وجلست على السرير تناظره بقلق بينما قال أحد أخويه "كنت أفضل أن نستأجر ممرضا للعناية به أثناء سفرنا يا ماهر "

قال ماهر بعصبية " يا فقيه زمانك ..الناس ستجلدنا بألسنتهم ..سيقولون أولاد الصناديلي سافروا جميعهم وتركوا الرجل العجوز وحده ..وستكون وصمة عار على جباهنا جميعا مدى الحياة ..كما أنني لن آمن لممرض أو ممرضة

معه .. لا تعرف ماذا يمكن أن تفعل به في غيابنا"
قال الأخ الأخر" فكرة زواجه من أهل القرية جيدة فعلا فنحن نعرف أصل وفصل من سيتزوجها ..واختيارك لبيت أحفاد الشيخ تيمور مناسب جدا "
أضاف ماهر " هذا صحيح .. خاصة وأن العم يحيى يدير أرضنا منذ سنوات ونعرفه جيدا رجل مستقيم ومحترم ..وسأضغط عليه بكل قوتي ليقنع ابنة أخيه (وأضاف بلهجة ماكرة) والعروس عانس وسترضخ بعد تفكير بالتأكيد "
قال الأخ الأول" ولماذا لم تختر مطلقة أو أرملة من عائلة كبيرة تناسبنا أكثر بدلا من العم يحيي"
رد ماهر من بين اسنانه " يا ذكي إذا كانت كبيرة في العمر لن تقدر على خدمة والدك ..وغالبيتهن لديهن أولاد ومن الممكن أن تؤثر

على الرجل العجوز لينتفع أولادها بشيء من ثروته معها .. صحيح أنا أباشر معه ومع العم يحيى كل شيء عن بعد .. لكن الحذر واجب .. وإن اخترتها أصغر عمرا فبالتأكيد لن ترضى برجل في السبعين كوالدك .. الحل الوحيد أن تكون شابة قوية البنية حتى تخدم والدكما وأن تكون عانسا ومن عائلة متواضعة لتقبل بالزواج من رجل في عمره"

قال الأخ الثاني بقلق "وإن لم توافق بنت الشيخ زكريا ماذا سنفعل؟"

رد ماهر بتوتر "هذا ما لا أعرفه وسفري بعد عدة أيام ولن أستطيع أن أترك زوجتي وأولادي هنا أكثر من ذلك فلقد انتهيت من نقلهم للمدارس في استراليا وحجزت تذاكر الطيران أي أنه لا يوجد مفر من سفرنا"

تكلم الأخ الأول منفعلا "ولماذا تسرعت في نقل الأولاد وحجز تذاكر الطيران يا ماهر !"

هتف ماهر بعصبية " تسرعت!! .. بعد عامين منذ وفاة أمي وأنا أترك زوجتي واولادي هنا لخدمة والدكم واضطر للعودة مرة أو اثنين في العام لزيارتهم زيارات سريعة حتى لا يكون أبي وحده .. وتقول تسرعت !!"

قال الأول مقارعا "أنت تركتهم حتى ترتب أمورك وعملك في استراليا أولا يا ماهر فلا تحاول تمثيل دور الشهيد"

هتف ماهر منفعلا "أنا أمثل دور الشهيد !!.. عموما ادع ربك أن نجد من نزوجها لوالدك ..والا ستضطر أنت وزوجتك وأولادك للحضور والبقاء لخدمته"

هتف الأول باستهجان "ولماذا أنا؟!!"

رد ماهر بغيظ " ألم أقل لك أنك فقيه زمانك .. لأنك ستكون الأقرب مسافة له منا يا غبي ..فأنا

سأكون في استراليا وأخوك في دبي ..وأنت
الوحيد الذي يعيش في العاصمة"
صاح الأول باستنكار" هذا من رابع
المستحيلات ..ماذا سأفعل بعملي وبعمل
زوجتي ومدارس أولادي الدولية !!.. وأبوك
يرفض مغادرة البلدة رفضا تاما"
زفر ماهر يمسك برأسه من الصداع وغمغم "
والله أنا شرحت لكما الوضع.. ويكفي ما قدمته
أنا وزوجتي حتى الآن أنتما عليكما التصرف.."
تحدث الأخ الثاني مهدئا" دعونا نهدأ وننتظر
رأي عم يحيى وأنت يا ماهر حاول اقناعه "
هز ماهر رأسه يقول بإنهاك "لا تقلق سأفعل ما
استطيع فعله كثفوا الدعاء"
أغلق الهاتف بعد قليل واستدار ينظر لزوجته
يسألها" هل نام الأولاد؟"
أومأت برأسها ثم قالت بقلق" اشعر بأن أم
هاشم لن توافق يا ماهر ..ولا اعرف ماذا

سنفعل ..بالله عليك لا تتركني وترحل مهما حدث .. لقد تعبت من خدمة والدك ومن بعدي عنك أنا والأولاد"

رد ماهر وهو يقف أمامها متخصرا "كيف سأتركك يا غبية وقد نقلت مدارس الاولاد وقطعت تذاكر الطيران (وشرد مفكرا) المهم أن أجد وسيلة قوية للضغط على يحيى بالموافقة ..أو أجد شخصا آخر ليباشر أرضنا في غيابنا ..لأني لن أتركه يعمل لدينا بعد أن يرفض مصاهرتنا .. فلابد أن يعاقب هو و ابنة أخيه على رفضه مصاهرة عائلة الصناديلي .. ألا يكفي بأننا قبلنا بها سمراء وعانس!"

xxxx

صوت طرقات على الباب جعل اعصابهن تتحفز بعد أن كن مترقبات خلال الساعتين الماضيتين منذ عودة اسراء واخبارهن بما حدث مع كريم .. فأسرعت نسمة لفتح الباب

والأعناق الباقية تستطيل لمعرفة القادم قبل أن تطلق زفرة محبطة حينما وجدت طلال أمامها جعلت الأخير يرفع حاجبا متفاجئا.

اقتربت اسراء من الباب تداري شعورها بالقلق في انتظار عودة كريم مع جابر ولمعرفة كيف سيستطيع الأخير التعامل مع الأمر وقالت لطلال "أهلا طلال كيف حالك؟"

رد طلال وهو يأكلها بعينيه "الحمد لله (ورفع صوته يقول لنصرة الجالسة على الأريكة المواجهة للباب)كيف حالك يا خالتي؟"

ردت نصرة بلهجة حانية تداري مشاعرها القلقة" بخير يا حبيبي سلمت يا رب من كل شر"

عاد طلال ينظر لإسراء يسألها" ما بها خالتي هل هناك مشكلة؟"

خرجت إسراء اليه توارب الباب خلفها وقالت بتردد "الحقيقة كريم قرر أن يعمل"

رفع طلال حاجبه وقال باستنكار" كيف وهو في هذا السن أي عمل هذا؟"

ردت بتردد "عامل في سوبر ماركت في مدينة المحافظة"

بدا طلال متفاجئا فقال" كيف يفعل هذا .. أهل البلد لو علموا سيعلقون تعليقات سخيفة"

قالت اسراء بحدة "أهذه هي المشكلة الأهم يا طلال!!.. الولد صغير وكونه يتعرض لضغوط العمل في هذا السن أمر غير صحي ..يكفي الضغط الذي يعانيه بسبب موضوع أبي"

ضيق طلال حاجبيه وسألها" ماذا تعني بموضوع والدك؟"

بلعت اسراء ريقها وقالت باستدراك" أقصد سفر والدي وهو متعلق به"

رد طلال بضيق "سفر والدك الذي حرمني من أن اجلس معك ونتحدث وجعلك تقفين معي

على باب البيت بهذا الشكل دون أن تدعيني للدخول"
قالت إسراء بحدة" يا طلال عليك بتقدير الظروف ..كيف ستدخل ونضيفك ورجل البيت غير موجود!"
قال بلهجة عتاب" كل هذا وأنا غير مقدر للظروف !!"
حاولت بذل مجهود للسيطرة على حدتها في الحديث معه وتفهم ظروفه فقالت" أرجوك يا طلال نحن متوترون بسبب قرار كريم دعنا نتحدث في وقت لاحق"
سألها بعبوس وهو يتخيل التعليق الذي ممكن أن تقوله أمه وضغطها عليه إذا ما وصلتها معلومة كهذه.. فيكفيه ما يعانيه مع أمه التي لا تستسيغ الزيجة من أساسها "وماذا ستفعلون معه ؟.. لابد أن يدع هذا الأمر فورا حتى لا

نسمع تعليقات سخيفة من هنا وهناك يا إسراء"

قالت اسراء باقتضاب "سنحاول اقناعه بالعدول لا تقلق لن يتحدث الناس عنا"

هتف بانفعال وقد استشعر ضيقها "لمَ هذه اللهجة الآن أنا أتحدث من أجل مصلحة الكل"

قالت لتنهي الحديث" قلت لا تقلق فأبا ميس قال بأنه سيقنعه أتمنى من الله أن ينجح"

عقد حاجبيه وسألها " من أبا ميس .. جابر دبور؟"

"أجل"

صاح بغيظ "ومن أدخله في هذا الأمر؟"

ردت باستهجان لسؤاله "الرجل أكبر سنا وسيستطيع التحدث معه واقناعه ما المشكلة ؟!"

سألها باستنكار" ومَن الذي تحدث معه إن شاء الله وعرض عليه المشكلة ؟"

بانفعال هتفت "هل هذا وقت التحقيق يا طلال !"

أتى صوت نصرة من الداخل" أنا يا حبيبي من اتصلت وطلبت منه أن يتدخل"

زمت اسراء شفتيها بضيق لاضطرار والدتها للكذب بينما رد طلال على حماته بحرج وهو يفتح الباب الموارب" حسنا يا خالتي .. أنا جئت فقط لأطمئن إن كنتم تحتاجون لشيء"

غمغمت نصرة "سلمت يا حبيبي"

عاد طلال ينظر لأسراء ثم قال" أنا ذاهب وسأطمئن على كريم بالهاتف (واكمل بغيرة) ولنرى كيف سيحلها جابر دبور"

تحرك مغادرا يشعر بضيق شديد خاصة وهو منذ سفر حماه غير قادر على زيارة اسراء في البيت والتواصل بينهما مقصور على المكالمات الهاتفية وهذا لا يروي شوقه إليها ..فقطع الساحة الضيقة للبيت في عدة خطوات وخرج

يغلق البوابة الخارجية بخشونة بينما ظلت اسراء واقفة على باب البيت تكبت رغبة قوية في البكاء ..

إنها مشدودة من جميع الأطراف ..وما يحدث مع عائلتها يجعلها غير قادرة على التركيز في علاقتها بطلال .. ويسيطر عليها شعور بالثقل والاجهاد ..

كم تتمنى أن تعود صغيرة لا تحمل هما ..

كم تتمنى أن تنطلق كمراهقة دون أن تخشى من عواقب انطلاقها ..

كم تتمنى أن تكون على سجيتها مع طلال دون خوف من أن يخطئ فهمها أو أن يحكم حكما قاسيا على عائلتها..

كم تتمنى لو كانت في مجتمع أوسع وأكثر انفتاحا ليس لشيء إلا لتشعر ببعض الاسترخاء ولا تحسب حساب كل حركة وكلمة ونفس قد يلتصق بثوبها واسم عائلتها للأبد ..

افاقت من شرودها عندما دفع كريم البوابة
يدخل فهتفت "كريم حضر يا أمي"
ببعض الحرج اقترب أخوها يقول "السلام عليكم"
قالت بنظرات متسائلة" وعليكم السلام"
ظهرت نصرة من خلف اسراء لاهثة تقول بلهجة عاتبة "هكذا تفعل دون إخباري يا كريم!"
نحنحة من الخارج لم يتبين للواقفات صاحبها
جعلت كريم يقول "عم جابر يريد محادثتك يا أمي"
عدلت نصرة من وشاحها واسرعت تنزل الدرجات القليلة للعتبة المرتفعة لبيتها نحو البوابة و خلفها اسراء وكريم ..لتقول نصرة وهي تفتح البوابة على مصراعيها" أهلا أبا ميس أنرتنا"
قال جابر "السلام عليكم"

ردت نصرة وبنتها السلام فنظر جابر لكريم الواقف بجوار أمه متقبضا وقال "جئتك اليوم يا أم كريم في طلب"

مررت اسراء النظرات بين جابر وكريم بينما قالت نصرة "خير يا معلم جابر"

قال جابر وهو يتبادل النظرات مع كريم "الحقيقة أن كريم بسم الله ما شاء الله أصبح رجلا ..وقد أبدى رغبته في أن يعمل بجانب الدراسة .. واتفقت معه من بعد إذنك طبعا وإذن والده أن يعمل معي في المعرض"

رفعت نصرة حاجبيها متفاجئة في الوقت الذي فهمت إسراء ما فعله جابر لحل الموضوع فناظرته بامتنان وهو يضيف "كريم وعدني بأن عمله لن يؤثر على دراسته وسيحضر حقيبة المدرسة معه بعد انتهاء اليوم الدراسي .. فنتمنى موافقتك يا أم كريم ..واعدك بأنه

سيكون أمام عيني وسيعود آخر اليوم معي إن شاء الله"
ناظرته نصرة بتأثر وقد استوعبت ما يحدث
فردت" أنت في مقام والده ومادام سيكون معك فأنا مطمئنة يا معلم جابر "
قال جابر مبتسما" على بركة الله إذن ..
سأستأذن أنا السلام عليكم"
رددوا السلام خلفه وهو يبتعد عائدا لبيته بينما ناظرت نصرة ولدها بنظرة عتاب قبل أن تأخذ برأسه في حضنها باكية .. في الوقت الذي زفرت فيه اسراء براحة تدعوا بكل الخير لجابر دبور .
أما كريم فوضع يده في جيبه يتحسس المبلغ البسيط قيمة عمله لمدة أسبوع في السوبر ماركت ..والذي أصر جابر على أن يعود معه لصاحب السوبر ماركت يخبره بأنه سيترك العمل وأخذ منه أجر الأسبوع الذي عمل به رغم امتعاض صاحب العمل.

خرج جابر من الشارع الضيق وعند بيت الشيخ زكريا انعطف يسارا الى الشارع المؤدي لبيته .
كان الشارع خافت الضوء هادئ .. كل شيء فيه ساكن إلا ..
هدير الأفكار في رأسه ..
وضجيج النبضات في صدرها..
لمحته أم هاشم بمجرد أن دخلت الشارع من الناحية المقابلة آتياً من عند بيتهم فأخفضت نظراتها وأسرعت الخطى ..
لاحظت خطواته البطيئة الشاردة واحسته مهموما كحاله في الفترة الأخيرة ..
ليتها تعلم ما الذي يضنيه .. وليتها تستطيع أن تطلب منه أن يرمي أحماله وهمومه على الله..
انتبه جابر أخيرا بأن هناك من هو مقبل عليه ..وبمجرد أن رفع أنظاره تعرف عليها ..

عند نقطة الالتقاء في منتصف الشارع تقابلا ..وبدون أن يتوقف قال جابر محييا" كيف حالك يا أم هاشم؟"

دون أن تتوقف هي الأخرى خطفت بطارف عينيها نظرة سريعة بدون إرادة منها نحوه .. ارتجف لها قلبها بشدة كصحراء تندت بالماء وقالت بسرعة "الحمد لله (وأكملت في سرها) سلمت من كل شر يا رب"

كان قد تجاوزها بخطوتين حين توقف و قال دون أن يلتفت إليها" لماذا تأخرت كل هذا الوقت يا بنت الشيخ زكريا في الشارع؟"

توقفت وردت دون أن تلتف إليه" كان لدي مشوارا مهما"

قال بلهجة هادئة حازمة "لا تتأخري مرة أخرى فالشوارع في الليل غير آمنة"

بعفوية اسرعت بالقول "حاضـ... أقصد إن شاء
الله (وغمغمت تداري ارتباكا) لا تقلق عليّ
فالعفاريت تخاف مني لا أخاف أنا منها"
ابتسم .. وليتها تعلم أنها اضحكته .. ورد بهدوء
"عفاريت الجن ربما.. لكن عفاريت الإنس
ملاعين ..حفظك الله منهم "
أومأت برأسها في طاعة وواصلا السير مبتعدين
.. لتتوسع الخطوات بينهما ..
خطوة مهمومة ثقيلة منه ..
وخطوة خفيفة سعيدة منها..
قلب بطئ النبضات في صدره ..
وقلب سريـع النبضات في صدرها ..
فغمغمت أم هاشم في سرها" وحفظك الله
أنت أيضا وسلمك من كل شر يا رب"
دفع جابر بوابة بيته الكبيرة ودخل يغلقها
خلفه في الوقت الذي اغلقت فيه كاميليا شرفة
غرفة النوم في الدور العلوي.. ودخلت إلى

الغرفة تلقي بالوشاح من فوق رأسها والعباءة عنها ووقفت تهز قدمها بعصبية ..
حين سمعت باب البيت يفتح اسرعت تخرج من الغرفة نحو السلم فطالعها جابر يرفع حاجبا وهو يرى ما ترتديه ..
كانت ترتدي شورتا قصيرا جدا يبرز جسدها الأبيض وبلوزة شفافة بحمالات رفيعة تكشف تفاصيل ما تحتها بكل وضوح لجسد شديد الاغراء فغمغم بامتعاض" السلام عليكم هل نامت ميسة؟"
تكلمت كاميليا وهي تنزل السلم بعصبية وكعب حذاء البيت العالي يصدر ضجيجا "أجل نامت .. أين كنت يا جابر؟"
عقد حاجبيه مندهشا ورد" كنت في العمل ..هل عندي مكان أخر أذهب إليه؟!"

من وقفتها أعلى منه ببضع درجات قالت عاقدة ذراعيها أمام جذعها "وعملك هذه الأيام مع كريم ابن هلال!!"

صاح جابر باستنكار "وما شأنك أنت بهذا ومن بلغك؟"

قالت بغيظ "رأيتك من الشرفة منذ قليل ..وشأني أني زوجتك ولي حقوق عليك"

اطلق جابر ضحكة ساخرة ورد متهكما "والحقيقة أنت تقومين بواجباتك ولهذا تطالبين بحقوقك"

زمت شفتيها تناظره بغيظ فأضاف موضحا " كنت اوصل كريم الذي رأيتني معه إلى بيت هلال ..هل هذه الاجابة أرضت روح الفضول عندك؟!"

هتفت بغيظ "وهل هذه طريقة تتحدث بها مع زوجتك؟"

رد ببرود وهو يصعد السلم "حين تتحدث زوجتي بلهجة هادئة ولا تستقبلني بالتحقيق والصوت العالي وقتها سأتحدث معها بلهجة مختلفة"

تجاوزها يصعد السلم فتبعته بأنظارها تسأله "وماذا كان كريم يفعل معك؟"

رد دون أن يتوقف أو يلتفت إليها "هذا شيء لا يخصك"

صعدت خلفه تصيح بعصبية "كلما تحدثت معك تقول هذا لا يخصني"

أجابها بلهجة حازمة "لأنك تتدخلين في شئون عملي ..وأنا لا أحب ذلك"

نادته قبل أن يصل لغرفته "جابر"

رد دون أن يلتفت إليها" نعم"

سألته بغيظ "إلى متى سنظل هكذا؟"

أمسك بمقبض الباب وأجاب "إلى أن يحلها الله "

عقدت حاجبيها بعدم فهم بينما دخل جابر غرفته فأسرعت تدخل خلفه تقول" لم أفهم" قال بإنهاك وهو يخلع عنه جلبابه "ماذا تريدين يا كاميليا؟"

تأملت جسده الرجولي واعترفت لنفسها بأنها اشتاقت للعلاقة الحميمة معه فقالت بلهجة أقل حدة" متى سنعود كما كنا"

ناظرها بطرف عينه ثم قال" تقول الست أم كلثوم (قل للزمان أرجع يا زمان)"

اهتاجت مشاعرها الانثوية فقالت وهي تتطلع في تفاصيله "أنا قررت إنجاب الطفل الثاني"

رفع حاجبيه ثم استدار لها يقول بلهجة ساخرة "حقا! ..أنا في غاية السعادة أنك وصلت لهذا القرار أخيرا"

استدركت تحاول التخفيف من طريقة حديثها فقالت "اقصد بأني من أجلك أنت ومن أجل

رغبتك سأنجب للمرة الثانية رغم ما أعانيه في الحمل"
وقف أمام الخزانة يقول " لكني لا أريد"
عقدت حاجبيها وقالت بعدم فهم "ماذا تعني ألم تقل..."
نظر إليها يرد ببرود "أجل قلت .. وطلبت من قبل أكثر من مرة ..لكني لم أعد أريد"
شكوكها في كونه يفكر بالزواج بأخرى بدأت تزيد فصرخت تقول" لماذا؟"
نظر إليها يغمغم" كاميليا ..أنا متعب ومرهق بعد يوم طويل اتركيني وحدي"
فتح خزانة الملابس يخرج ملابس نظيفة ..
بينما وقفت هي تقيم الوضع .. إنها تشعر به يتباعد كل يوم أكثر من الأخر ..وفي نفس الوقت كبريائها وغرورها لا يسمحان لها بالتنازل والمبادرة من جانبها.

اخرج جابر هاتفها القديم من فوق الرف أمامه يقول وهو يلقي به على السرير "بالمناسبة هذا هاتفك أرجو أن تكوني قد استوعبت الدرس ..وتوقفت عن مراقبة هذه وتلك فأنت بذلك ترتكبين ذنوباً.. اشغلي نفسك بشيء مفيد "
ناظرت الهاتف الملقى على السرير من علو ثم عادت إلى ما هو أهم تقول "وإلى متى سنظل على هذا الوضع بيننا؟"
تقبض الأخير صامتا لبرهة يرتب أفكاره المبعثرة ثم رفع إليها أنظاره يقول بلهجة جادة"
سيستمر طالما نحن كما نحن ولم يتغير أحد منا"
عقدت حاجبيها وارتسم الغباء على ملامحها فقال جابر "سأظل في هذه الغرفة يا كاميليا ولن أعود للغرفة الأخرى "
طعنها في صميم غرورها وهي التي كانت تخطط لأن تغريه اليوم لتحمل منه فتكون لها الكلمة

العليا بهذا الحمل .. فتماسكت ورفعت ذقنها تقول ببرود متعمد "هذا شأنك وأنت الخاسر" ناظرها بحدة .. فقالت تداري شعورا بجرح كبريائها " ولكن إياك أن تفكر بالزواج بأخرى .. أنا لن أسمح بذلك أبدا"

انقلبت مقلتيه وقال بلهجة غاضبة أخافتها رغم برودها الظاهري " أولا إذا أردت الزواج فلن انتظر رأيك ولن يوقفني أحد ما دمت لن أظلمك .. ثانيا أنا غير راغب لا في الزواج ثانية ولا ثالثة .. ولم أعد أرغب في أي شيء .. سنبقى أنا وأنت في هذا البيت من أجل ميس فقط حتى نموت .."

صاحت بغيظ "وهل تعتقد بأني سأقبل بحياة مثل هذه؟!"

حرك كتفيه ببرود استفزها قائلا " هذا يعود إليك .. قرري واخبريني ولن أقف في طريقك"

اتسعت عيناها وسألته باستهجان "ماذا تعني؟؟؟؟"

رد مستمرا في بروده "اعني ما فهمتيه"

صرخت بغير تصديق "ولماذا كل هذا !!!.."

أجاب ببساطة " لأن أنا وأنت فشلنا في إيجاد أرضا مشتركة نقف فوقها سويا يا كاميليا "

كشرت ملامحها الجميلة وهتفت باستنكار "كل هذا من أجل الموقف الأخير الذي لا أعرف ما علاقته بنا؟؟!!"

نظر لأعلى بيأس ثم عاد يقول من بين أسنانه " الموقف الأخير كان القشة التي قصمت ظهر البعير ..والبعير كان يحمل كثيرا يا كاميليا.. كان حصاة صغيرة ألقيت في كأس مملوءا بالماء على آخره ففاض بما فيه .. لكن الحقيقة هي أني على مدى سنوات كنت أحاول وحدي..أحاول أن اشعر معك بالرفقة الحسنة ..بالدفء ..أن أشعر معك بأني حي .. أتفهمين معنى ما أقول يا

كاميليا .. حي ..ليس مجرد كائن يأكل ويشرب ويفرغ شهوته .. حاولت احتوائك ..توجيهك ..الصبر عليك.. تهذيب طباعك التي تظهر وتتوضح كلما مر بك العمر .. حاولت كثيرا معك .. (وصمت قليلا يتطلع فيها متسمرة كتمثال تحاول استيعاب ما يقول ثم أضاف) حين تقدمت لخطبتك وخلال الفترة القصيرة التي سبقت زواجنا كنتِ تُجيدين التَجَمُّل.. (اتسعت عيناها فقال بإصرار) أجل التجمل .. هذا ما أدركته خلال تحليلي لما حدث .. كنت تتجملين يا كاميليا .. تخفين أو تهذبين من طباعك لأن هذا لا يحدث أبدا بين يوم وليلة.."

عوجت كاميليا شفتيها تناظره كمن تتطلع في مجنون بينما أضاف جابر بضيق شديد وهو يستقبل منها هذا الاستخفاف بما يقول "أتعلمين.. الأمر اشبه باثنين جلسا بجوار بعضهما في رحلة قطار ..في البداية كانا يظهران

لبعضهما كل ما هو جميل ومبهر .. ويسقطان عمدا أمورا أخرى بحسن نية.. مع مرور الوقت بدأ من كان يتجمل منهما أن يتخلى عن أقنعته رويدا رويدا .. ويترك نفسه على سجيتها .. فنضح الإناء بما فيه ..بدون تجمل ..بدون حرص .. ومن جهتي أنا ما قدرت عليه حجّمته فيك .. لكن حين يكون العطب هنا وهنا (واشار على عقله وقلبه)صعب جدا بل مستحيل التغيير .."

"وأنت ملاك بالطبع ولا تخطئ أبدا !!"
قالتها كاميليا بغيظ تشعر بالاختناق من تعقيداته التي تصيبها بالصداع فرد جابر معترفا
" لا .. لست ملاكا بالتأكيد ولا أطالبك بأن تكوني ملاكا .. فقط.. كوني إنسانة يا كاميليا.. انسانة بسيطة ..طبيعية.. اشعري بالأخر .. اشعري بمن حولك .. اعط قبل أن تأخذي "

أشارت بسبابتها نحوه تقول بغيظ "هذا هو أول عيوبك.. أنك معقد"

ساد الصمت قليلا ثم هز جابر رأسه يقول معترفا " يبدو كذلك ..لكني للاسف لا استطيع أن أتغير ..مشاعري كلها مرتبطة بقيمة الشخص عندي وقيمته تأتي من أفعاله ومبادئه وسلوكه "

ناظرته وقد لاح الغباء على وجهها فأخذت ترمش عدة مرات تحاول فهم كينونته المعقدة بالنسبة لها فقال جابر "أرأيت ..أنا وأنت لا نملك لغة مشتركة بيننا ..عموما نكتفي بهذا القدر وكما قلت سأترك لك القرار"

قالها وترك الغرفة إلى الحمام بينما وقفت هي تتطلع في أثره بغضب شديد ..تلجم نفسها بقوة حتى لا تتفوه بما يلح في رأسها لحظتها .. والكفيل بأن يلقي عليها بيمين طلاق ألا وهو .. هل كان يحلم أصلا بالزواج منها!!.

××××

قالت مليكة وهي تطوي الملابس في جلستها على السرير بينما الهاتف ملقى بجوارها "مازلت غير مصدقة أن كامل أيضا يذكرك .. هذا الموضوع أفكر فيه منذ أن اخبرتني به ولا استطيع استيعابه حتى الآن "

جاءها صوت بسمة مجهدا يخرج عبر مكبر الصوت الخاص بهاتف مليكة " أجل .. والحقيقة أشعر بارتباك شديد لما حدث اليوم أيضا"

قالت مليكة بصوت عالي باندهاش وهي تتحرك نحو الخزانة لتضع الملابس المطوية" تلك الصدفة غريبة يا بسمة .. القصة كلها غريبة .. تقابلين التوأمين قبل ثلاث سنوات أمام فيلّاتهما .. وكامل بالذات تقولين بأنه كاد أن يهجم عليك يومها .. ثم يتعرفا على مفرح بعدها بعام أو عام ونصف ويأتيان إلى هنا ..

وكامل بالذات يستفزك بشدة .. وتجدين نفسك لازلت تذكرينه حتى بعد أن فقد وزنا هو وتوأمه .. وذلك الحدس الغريب في مقدرتك على التفريق بينهما .. كل هذا قد أستطيع استيعابه واستطيع تصديق أنك لازلت تذكرينهما لأنهما توأمان متطابقان ومن بلد عربي آخر .. لكن الشيء الذي لا استطيع استيعابه أن يتذكرك كامل!! .. أتفهمين ما اقصده يا فتاة؟!.. أنت قلت الرجل وقف أمام البوابة قبل ثلاث سنوات لدقيقة ينظر إليك .. فقط دقيقة ... كيف تحتفظ ذاكرته بصورة شخص رآه لمدة دقيقة وفي ظرف كهذا !! "

فُتح باب الغرفة الموارب فجأة وظهر مفرح.. ظهر بهيئة مخيفة فاجأت مليكة وهو يناظرها بنظرات ذاهلة لم تفهم سببها لأول وهلة..ولم تسمع ما تقوله بسمة عبر مكبر الصوت الآتي

من فوق السرير " أنا ايضا تعجبت يا مليكة حينما علمت بأن كامل لا يزال يذكرني.. الأمر به شيء غامض وغريب .. غريب كغرابة كامل هذا وكل ما يصدر منه نحوي .."

امتقع وجه مليكة ولم تعرف ماذا تقول بينما قال مفرح بفحيح مرعب "ما هذا الذي اسمعه؟؟!!"

ردة فعل مفرح وهيئته سمرتا مليكة مكانها لوهلة بينما أضاف هو صائحا " ما هذا الذي اسمعه .. أهناك شيئا لا اعرفه يا مليكة؟!!!"

انتفضت من صياحه ونظرت للهاتف واستطاعت أخيرا إعطاء أمر لجسدها ليتحرك حتى تلتقطه من فوق السرير بينما عضت بسمة على شفتها السفلى تشعر بحرج شديد .. ولم تدر ماذا تفعل.. هل تغلق الخط .. أم تنتظر فغمغمت في سرها "أكان لابد من مكبر الصوت يا بنت الصوالحة !!"

هدر مفرح وهو ينقض ليمسك بمعصم مليكة الممسك بالهاتف "هات"
تركت له مليكة الهاتف الذي وضعه على أذنه وسأل بسمة بصوت غاضب رغم أن مكبر الصوت لا يزال مفتوحا" ماذا يحدث يا بسمة؟؟ .. هل تعرفين توأمي غنيم من قبل؟؟"
ارتبكت بسمة وردت" لا اعرفهما .. فقط رأيتهما ذات مرة قبل ثلاث سنوات ونصف تقريبا.. كان كامل يتعارك مع أحمد سماحة وذهب سيد ليدافع عن أحمد وكنت معه هذا كل شيء"
نظر مفرح لمليكة بعينين جاحظتين وغمغم بعدم استيعاب " سيد !.. سيد صبرة!! .. كامل وشامل يعرفان سيد صبرة !!! (وهدر في الهاتف بصوت مخيف) ولماذا لم تخبريني؟.. ولماذا لم يخبرني أحد .. هل أنا آخر من يعلم ؟!!"

بلجلجة وارتباك غمغمت بسمة "الموضوع بسيط وصدفة يا مفرح وظننت بأنه .. اقصد بأنهما لا يتذكراني و...."

بنفس اللهجة الغاضبة قال مفرح "لكن كامل أخبرك بأنه هو الآخر يذكرك .. متى أخبرك بهذا؟.. وأين تتحدثان؟؟ هل تتواصلين أنت الأخرى معه على الواتساب من خلف ظهري ..تكلمي"

صاحت بسمة بغضب " أهذا تحقيق يا مفرح؟؟.. لمَ أنت منفعل بهذا الشكل؟!!.. الموضوع بسيط وكان حديثا سريعا أمام البيت كنت أخبره عن شيء يخص البيت .."

هدر بعدم استيعاب والشياطين تفتح عليه أبواب الجحيم " بسيط ؟؟!!!... تقولين بأن الموضوع بسيط!!!"

هتفت بغيظ وقد شعرت بالإهانة "لماذا تصرخ يا مفرح ماذا حدث لكل هذا؟؟"

رد من بين أسنانه وهو ينظر لمليكة الذاهلة من حالته " حدث أنني آخر من يعلم بينكم .. حدث أن هناك ما يدور من خلف ظهري وأنا أجهله .. ماذا تظنونني !..(وهز رأسه عدة مرات) لكن هذا خطئي أنا ..أنا من منحت الثقة كالأبله .. "

صاحت بسمة متعجبة " مفرح لم يحدث شيء لكل هذا الانفعال!!"

ضرب الهاتف بعصبية في الخزانة فانتفضت مليكة مرتعبة .. ثم وقف متخصرا جاحظ العينين ينظر في أرض الغرفة وصدره يعلو ويهبط يحاول استيعاب ما علمه للتو ..

لقد وصل منذ دقائق ينوي بأن يغتسل ويبدل ملابسه ليلحق بالتوأمين اللذين لا يزالا في بيت الجد صالح ليتفاجأ بهذه المعلومات الغريبة والصادمة له .

اقتربت مليكة منه قلقة بشدة من حالته الغريبة تقول " اهدأ يا مفرح ..ماذا حدث لكل هذا الانفعال ؟"

امسك بمعصمها بقوة فشهقت متفاجئة من رد فعله خاصة حينما هدر فيها " كيف لم تخبريني يا مليكة!!.. كيف لم تخبريني بأن بسمة تعرف التوأمين من قبل حضورهما إلى هنا؟؟!!"

غمغمت بارتباك " صدقني كانت مجرد صدفة .. وكنا مندهشات من حدوثها .. ولم نتخيل أن كامل يذكر تلك الصدفة كما أن الموضوع بسيط و..."

غمغم مفرح من بين أسنانه متوعدا "كامل..." قالها واستدار كقذيفة من لهب يغادر الغرفة.

بخوف شديد عليه أسرعت مليكة لتلحق به لكنها تفاجأت به يضرب باب الشقة خلفه بقوة

.. فأمسكت بقلبها تقول "استرها يا رب استرها.."

xxxx

بعد قليل

سعلت بسمة بقوة وقالت لوالدتها التي تقف بجوار سريرها تمسك بمبخرة والدخان العطري يملأ الغرفة "كفى يا أمي بالله عليك"

قطعت فاطمة تمتماتها الهامسة وردت "اسكتي يا بسمة اسكتي ودعيني أبخرك من شر حاسد إذا حسد .. اعوذ بالله من أعين الناس (ونظرت لقدم بسمة المربوطة على السرير وقالت بتعاطف) من شر حاسد إذا حسد ..من شر حاسد إذا حسد .. ألن يتركوك الناس في حالك أبدا !"

قالت بسمة لتطمئنها" الحمد لله على كل شيء يا أمي كان حادثا بسيطا"

عادت فاطمة لمبخرتها وتمتماتها بينما شردت بسمة بقلق فيما حدث منذ قليل .. فلم تتوقع أن يثور مفرح كل هذه الثورة لأنها لم تخبره بأنها شاهدت التوأمين من قبل ..
وسألت نفسها ..لمَ تشعر بالتوتر والقلق ؟..
نامت على جنبها تتوسد ذراعها .. وأعادت شريط ما حدث اليوم.
لم تفكر فيما بدر من الدكتور مهاب .. ولم تفكر في شجار والدها معها اليوم بمجرد أن عادت من المستشفى مع وليد وتهديده لها بإغلاق المشروع إن لم تتعجل في اختيار عريس من بين المتقدمين لها وعلى رأسهم بدير الذي أخبرها والدها بأنه يلح عليه بشدة وعليها أن تسرع في الاختيار حتى يتخلص من إلحاحه ..
لم تفكر في كل هذا ..
بل شغلتها لحظة واحدة ..

لحظة كانت مرتعبة فيها من منظر الدم الذي
بات يدخلها في حالة من حالات الهلع..

لحظة كان التوأمان موجودان ومعهما مهاب
..وعقلها يدرك بأن أم هاشم بالداخل ..
لكنها استنجدت به هو ..
نطقت بتلقائية باسمه هو ..
وكأنها لم تكن ترى إلا...
هو .
إن الأفكار تعصف بها منذ مدة .. لكنها تجادل
نفسها خوفا من الاعتراف بحقيقة مرعبة ..
أجل مرعبة ..
فلأول مرة تختبر الحب .. الحب بمعناه
المجنون .. الخارج عن السيطرة ..
الحب الذي يأتي كالقدر .. كالصاعقة ..
فيسلبك قلبك وحواسك .. ويمنحهم لشخص
آخر..

شخص تخشى من الوثوق به ..
شخص ..
هو مجرد عابر سبيل في حياتها جاء ليخطف قلبها ثم يهاجر بغير رجعة ..

عند تلك الخاطرة ارتجف قلبها..
وحين تذكرت ردة فعل مفرح ازداد خوفها ..
فأسرعت بالتقاط الهاتف تطلب رقم صاحبتها من جديد وتقول بقلق " مليكة طمئنيني ماذا حدث "

xxxx

إن الشعور بالخيانة قد طعنه بخنجر .. وفتح جرح قديم متقيح في صدره .. فكانت صدمته بعد أن سمح لنفسه بأن يثق في توأمي غنيم شديدة..
ترجل مفرح من سيارته أمام بيت الجد صالح ثائرا ..ودفع البوابة بعنف يقطع ساحة البيت

بخطوات متعجلة حتى وصل باب البيت
وضغط على الجرس بقوة وإلحاح أجفلت
التوأمين بالداخل .. فاسرع شامل يفتح الباب
ليجد قبضة قد انفجرت في وجهه.
اسرع كامل إليه مذهولا وهو يتطلع في توأمه
الذي يضع يده على فكه ويناظر مفرح بصمت
ذاهل فهتف الأول"ماذا تفعل يا مفرح؟؟؟!!"
بعينين تشتعلان بغضب متأجج وقف مفرح
أمامهما متخصرا يقول بابتسامة ساخرة وصوت
كالفحيح " مفرح لم يفعل شيئا بعد"
نظر التوأمان لبعضهما ثم عادا ينظران إليه
فهدر مفرح بغضب مشتعل "هل كنتما تعرفان
بسمة ابنة خالي قبل مجيئكما إلى هنا ولم
تخبراني؟!"
تفاجأ التوأمين بسؤاله فهدر مفرح فيهما
"تكلما"

رد كامل بهدوء حذر "تقابلنا صدفة مع زوجها السابق"

هز مفرح رأسه عدة مرات بعصبية وغمغم "وتعرفان زوجها السابق أيضا ما شاء الله !.. (ثم سأل بخفوت مرعب) ولماذا لم تخبرني يا كامل ؟"

رد بهدوء استفز الأخر "ولماذا أخبرك؟"

أمسك مفرح بتلابيبه يرفع إليه أنظاره الغاضبة قائلا " وكيف وقفت مع بسمة تتسامر معها وتخبرها بأنك قد رأيتها من قبل!!"

صاح كامل يوضح بلهجة مستنكرة "أنا لم أقف معها بشكل متعمد .. كنت أسألها عن شيء يخص البيت.. ولهجتك هذه لا تعجبني يا مفرح "

بعينين جاحظتين سأله مفرح وكأنه لا يستوعب ما يقال بقدر ما هو يطرح أسئلة

تتفجر كالقذائف في رأسه " وهل تعارفكما بي كان صدفة أيضا ؟!!"

اتسعت عينا كامل وغمغم باستنكار " لا حول ولا قوة إلا بالله !.. (ونفض يدي مفرح عن ملابسه بخشونة وأكمل) أأنت غبي يا بني!!.. أنت من جئت لصالة الالعاب الرياضية ونحن كنا أعضاء به من قبلك "

عاد مفرح يمسك بملابس كامل بيد وهتف بلهجة خطرة وهو يرفع سبابته أمامه "احترم نفسك وأعلم مع من تتكلم.. أنا مفرح الزيني"

رفع كامل أنظاره للسماء وتقبض بقوة يطحن ضروسه متحكما في أعصابه بقوة حتى لا يرد بعنف تلح عليه أعصابه المستفزة بينما تدخل شامل قائلا بلهجة عاتبة "ما هذه اللهجة يا مفرح؟"

ترك مفرح ملابس كامل وأدار وجهه لتوأمه يقول وهو يرفع سبابته في وجهه " أنت بالذات

تصمت فخيبة أملي بك كبيرة .. أحرجتني أمام الرجل وتواصلت مع البنت البريئة من خلف ظهري .. حتى لو كان غرضك شريف .. ما فعلته كان طعنة في صداقتنا "

كان كلامه قاسيا جدا على شامل الذي تأثر شاعرا بالذنب فاستشاط كامل غضبا مشفقا على توأمه ودفع مفرح من كتفه وكأنه يرغب في استقبال غضب مفرح وحده قائلا" ما هذه المبالغة يا بني آدم !.. شامل لم يكن يلهو مع الفتاة .. من الطبيعي أن يتعرف عليها قبل أن يفكر في الارتباط بها خاصة وأن لها وضعا خاصا "...

دفعه مفرح بدوره بقوة في كتفه وتحرك نحوه خطوتين متحديتين هادرا " لماذا لم تخبرني يا كامل بأنك قد رأيت بسمة من قبل؟؟"

رفع كامل قبضتيه أمامه يضغط عليهما بشدة في محاولة لتحجيم طاقة الغضب التي تشتعل

في رأسه لحظتها حتى لا يتطور الموضوع ويخسرا بعضهما ورد من بين أسنانه " لأن الموضوع لم يكن يستحق لأن أخبرك"

أوشك مفرح على الانقضاض عليه فتدخل شامل بينهما يمسك بمفرح قائلا بلهجة واجمة " اهدأ يا مفرح أرجوك .. بهذا الشكل سنخسر بعضنا .. أخبرنا لمَ أنت منفعل بهذا الشكل المبالغ فيه "

أبعده مفرح عنه وعدل من ملابسه بكبرياء ثم ناظرهما يقول آمرا "هذا البيت تتركاه فورا.."

هتف شامل بغير تصديق " مفرح!!"

أصر الأخير على قوله مضيفا " غدا قبل الظهيرة أريده خاليا من أي شيء يخصكما"

انفلتت أعصاب كامل واقترب يدفعه بقبضته في صدره قائلا باستنكار " هذا بيتي وليس لك الحق في طردي منه.. أهو ملك لك؟!!"

صاح مفرح بغضب وإصرار " ستخرجون من هذا البيت ومن البلدة كلها "
صاح كامل بغضب مماثل معاندا وهو يقف متخصرا أمامه بتحدٍ" وأنا لن اتحرك من هنا وأريني ماذا ستفعل"
وقف شامل يفرق بينهما من جديد قائلا "نهدأ يا شباب نهدأ ارجوكما"
تجاهله مفرح وقال لكامل الواقف خلف توأمه مشيرا بسبابته مهددا " اسمع يا كامل .. أنت حقا لا تعرف ماذا يمكن أن يفعل مفرح الزيني بك وبأخيك .. فاتقي شري واختر سلامتكما أفضل ونفذا ما قلته"
بعناد تحرك كامل ليقف بجوار أخيه متخصرا يقول ببرود " لن أفعل شيئا وأعلى ما في خيلك اركبه ..لا أنت ولا بسمة ولا أي أحد سيخرجني من بيت استأجرته ومعي عقده "

انقض مفرح بسرعة يلكمه في وجهه قائلا "أنت مصر أن تقف في وجهي إذن "
جز كامل على اسنانه وزمجر غاضبا والشرر يتطاير من عينيه وهم بالهجوم عليه .. لكن شامل أحاط بتوأمه من الخلف بقوة قائلا "اهدأ يا كامل .. اهدأ أرجوك .. من الواضح أنه ليس في حالة طبيعية"
تقبض كامل بقوة ونفض توأمه عنه بعنف ثم تحرك مغادرا يترك البيت قبل أن يؤذيه بينما قال شامل لمفرح" اهدأ يا مفرح وتعال لنتكلم .. ولو كنا أخطانا .. حقك فوق رؤوسنا"
صاح الأخير بجنون " أنا لا أريد اعتذارا .. أريد أن تغادرا البلدة ولا تعودا مجددا .."
قال شامل بإصرار" سنعود يا مفرح ..أنا شخصياً سأعود من أجل ونس وسألح على والدها ليثق بي ويوافق .. وبالنسبة لموضوع الباشمهندسة بسمة لم نخبرك لأن الأمر

محرج.. تخيل أنت أنك قد قابلت ابنة خالنا يوما .. هل لو رأيتها معنا ستبادر بالقول (بالمناسبة لقد قابلت ابنة خالكما من قبل).. لقد تحرجنا من ذكر الأمر يا مفرح"

لم يكن الأخير في حالة نفسية أو ذهنية تؤهله لاستقبال أي مبررات واخضاعها للمنطق .. فتحرك مغادرا وهو يقول لاهثا من فرط الغضب "هذا البيت يتم إخلائه قبل ظهر يوم غد ..وإن لم يحدث ..."

بلهجة قاطعة قال شامل " سنخليه يا مفرح .. سنخليه ليس لأننا خائفان مما تهدد به .. ولكن تحقيقا لرغبتك .. رغم أنك لست صاحب الحق في ابقائنا أو طردنا لكننا سنغادر البيت يا صاحبي"

استدار مفرح إليه وقد استفزته الكلمة الأخيرة وقال محذرا وعيناه تلمعان بغضب مجنون " لا

تقول صاحبي .. أنا ليس لدي أصحاب .. هل سمعت ؟.. ليس لدي أصحاب .. فانسيا أنكما كنتما تعرفان مفرح الزيني.."

قالها وغادر تاركا باب البيت خلفه مفتوحا ..

فوقف شامل في بهو البيت يناظر أثره مذهولا لا يفهم ماذا يحدث معه بالضبط .

أما مفرح فأسرع بإلقاء نفسه في سيارته واشباح الماضي تطارده ..

تقلب عليه ذكريات أليمة خانقة ..

حارقة في طعنتها ..

ذكريات لايزال طعمها مرا كالعلقم في الافواه..

رغم مرور السنين.

xxxx

"هذا أخر كلام عندك؟"

سألها يحيى فردت أم هاشم باندهاش "بالطبع يا عمي وهل هناك كلاما آخر ؟!.. هل ترضاها لي أن أتزوج من رجل في سن جدي!"

قال يحيى بهدوء "أنت دوما تقولين أنك راضية بنصيبك ..ماذا لو كان هذا ما قسمه الله لك ..أن تتزوجي من هذا العجوز؟"

شعرت بالضيق رغما عنها وغمغمت " لو كان هذا قدري فرفضي لن يغير من الأمر شيء .. (ونظرت لعمها تقول بصوت مرتعش بالبكاء) ما أملكه من أمري هو الرفض والباقي بيد الله"

هز رأسه وقال "ونعم بالله (ثم غمغم وهو يغادر مهموما) ليفعل الله ما يريد"

راقبت صباح بغيظ زوجها الذي يغادر غرفة أم هاشم ثم استدارت للأخيرة تقول" اسمعي يا أم هاشم .."

انقلب وجه الأخيرة وضربت كفها فوق الأخر على بطنها تمط شفتيها بامتعاض بينما أكملت صباح " المثل الشعبي يقول .. (البطران آخرته قطران) فلا تبطري على النعمة .. هذه فرصة لم تكوني لتحلمي بها"

تمتمت أم هاشم وهي تنظر لأعلى" استغفر الله العظيم يا رب .. (وصاحت بعصبية) أنا لا أريده يا خالتي وأفضل العنوسة على الزواج من رجل عجوز"

صاحت صباح باستنكار " هل جننت؟.. ألا تعرفين من هو؟!! .. إن الصناديلي من أثرى أثرياء البلدة وبعد موته سترثين مبلغا كبيرا ..وعمك أيضا سيطاله من الخير جانبا"

ضحكت أم هاشم ساخرة وردت " هذا هو بيت القصيد إذن"

تكلمت صباح ببساطة استفزت الأخرى " ما المشكلة؟.. ألا تريدين الخير لعمك الذي رباك !!!"

تنهدت أم هاشم وتحركت لتخلع عنها وشاحها الأسود وهي تقول "أنا لا أريد أن أرث أي شيء ..فاتركيني أرجوك فأنا مجهدة بعد يوم طويل"

هتفت صباح " وماذا عن طرد عمك من عمله؟"

تجمدت أم هاشم لثوان ثم استدارت إليها تسألها بعدم فهم "ماذا قلت؟"

ردت صباح مؤكدة " ما سمعتيه .. ألا ترين عمك مهموما منذ حضورهم .. بالتأكيد رفض عمك سيكون محرجا له وبالتأكيد سيأخذها ماهر على كرامتهم وقد يسحب منه الاشراف على أفدنة الصناديلي الزراعية وإن حدث ذلك سنجوع ونتشرد كلنا ..فقيراطي الأرض اللذان نملكهما لن نحصل منهما على ما يكفينا .. وسامية ستتزوج الشهر القادم وأربع فتيات لا يزلن في رقبة عمك .. أيرضيك أن يحدث لنا كل هذا بسببك!!"

عقدت أم هاشم حاجبيها وشعرت بالضيق الشديد بينما أكملت صباح وقد التمست تأثرها" فرصة رائعة وجاءتك ..عليك

باستغلالها جيدا لتساعدي عمك في حمله الكبير"

جف حلق أم هاشم وشردت تفكر فيما سمعت لتقول الأخرى" فكري يا أم هاشم ..فكري جيدا في مصلحتك ومصلحة عمك"

ضيقت أم هاشم عينيها وقد استفزها إلحاح المرأة فسألتها باستهجان "ولماذا لا تزوجيه إحدى بناتك؟"

تلجلجت صباح ورمشت بعينيها عدة مرات متفاجئة بالسؤال ثم قالت بتأتأة " لو .. لو .. طلب احداهن للزواج لم أكن لأتردد بالطبع .. لكنه طلبك أنت يا أم هاشم (وأضافت هاربة برعب من نظرات أم هاشم التي تلمع بالغضب) عموما سأتركك تفكرين وتحتكمين لضميرك ..وسأطلب من يحيى أن يتريث في اخباره بردك النهائي"

واسرعت بإغلاق الباب خلفها بسرعة بينما سقط عن أم هاشم قشرتها الخارجية الصلبة وتحركت تجلس بجوار الخزانة أرضا تحضن ركبتيها بذراعيها متقوقعة على نفسها في ضيق وهم .. وتمنت لو تسعها خزانة الملابس كما كانت تفعل قديما .. كلما أرادت أن تنفرد بنفسها تجلس في الخزانة مختبئة من الجميع .. تحضن ركبتيها إلى صدرها ..

أسندت ذقنها فوق ركبتيها وغمغمت " ما العمل في هذه الورطة يا أم هاشم "

xxxx

صباح اليوم التالي :

انتهت المغامرة وحان وقت الرحيل.

هكذا فكر كامل وهو يقف أمام بيت الجد صالح على أمل لقائها بعد أن انتهى هو وتوأمه من

وضع ما يخصهما في السيارة استعدادا للمغادرة..

لقد أخرا موعد مغادرتهما حتى شروق الشمس

رغبة من شامل في أن يذهب مرة أخرى للعم عيد ..ورغبة منه لأن يودعها ..

ما أقساها من كلمة .. وما أقساه من شعور.

وما أصعب من أن يكون الابتعاد بقرار منه في المرتين.

لكن المغامرة قد انتهت وعليه الرحيل..

لقد قضى الليل بطوله يفكر ..

وما توصل إليه هو أن عليه أن يغادر..

ليس القرية فقط وإنما البلد كلها ..

هذا حله الوحيد حتى يتخلص من لعنته ..

من عينيها المطاردتين ..

من قلبه العنيد .

هذا حله الوحيد ليهرب من جحيم اعترافه بحبها.

هذا حله الوحيد للتنفيس عن غضبه من مفرح ومن ظنه السيء فيه وفي توأمه وكلامه الجارح الذي لولا معزته عندهما لكان رد الفعل مختلفا تماما.

هذا حله الوحيد تكفيرا عن ذنبه تجاه صاحبه رغم أنه بذل الكثير حتى يحجم اندفاعه نحوها .

هذا هو الحل ..
الذي يظنه الوحيد.

إن الاعتراف بالحب سهل ..
فإن لم ينطق به اللسان أو يقر به العقل صراحة..
فالقلب والجوارح يعبران عنه دون تعقيدات العقل والمنطق..
لكن المواجهة مع النفس صعبة ..
وهو يخشى أن يجرحها ..

يجرح بسمة ..
بسمته .
طوال الليل وهو يفكر .. أهو قادر على التخلص من قناعته برفض الزواج من امرأة سبقه إليها غيره؟
لم يكن أكيدا من إجابته.. ولهذا أدرك بأن بسمة لن تكون حمل اختبار ذلك منه .
أشفق عليها من أن يورطها في مشاعره المعقدة..
صحيح لا يعرف سبب انفصالها لكن حدسه يخبره بأنها مرت بتجربة مؤلمة ..ووضعها هنا في البلدة لن يتحمل أن تدخل في تجربة فاشلة أخرى ..

ليلة أمس ..
واجه نفسه ..وأعترف بأنه يحبها ..
بل يعشقها..

يحبها بجنون.
وهذا الجنون مع نفسيته المعقدة تجاه النساء
يخشى عليها منه .. يخشى أن يجرحها ..ألا
يقدر على التغلب على عقده ونواقصه ..
ليلة أمس ..
تمنى أن يكون مثل شامل ..
لأول مرة يرصد اختلافا جوهريا حقيقيا بينه
وبين توأمه.. اختلاف ينبع من الإعماق ..
اختلاف قناعات ..
وبعض القناعات تهدم صاحبها وتجرح من
يحبهم ..

ليلة أمس ..
أدرك أن خوفه على بسمة وعلى أذيتها خوفا
كبيرا .. أكبر مما تصور ..
فحسم أمره ..
لا مزيد من الاقتراب ..

لا مزيد منها ..
عليه أن يبتعد .. أن يرحل .. أن يسافر .

ما حدث أمس مع طبيب المزرعة كان إنذارا له .. أدرك أن الأمور تخرج عن سيطرته.. وتلك الغيرة التي تملكت منه أفزعته .. أن يصل لمرحلة فقد السيطرة على ذاته كاد بها أن يؤذي بسمة وسمعتها.
فلا تزال تلك العبارة التي أخبره بها شامل ليلة أمس تؤلمه (أنت تضر ببسمة يا كامل .. ومن نحبهم لا نضرهم أبدا).
ولأول مرة يقر بأنه حين يأتي الحب يأتي الخوف .
افاق من شروده حينما لمح توكتوك آتيا من بعيد وتمنى أن تكون هي .. لا يعلم إن كانت ستأتي اليوم أم ستستريح بسبب قدمها لكنه كان في أشد الحاجة لرؤيتها ..

لإلقاء نظرة أخيرة ..
وداع أخير ..
عناق أخير..
عناق عن بعد لا يعرف اللمس !..

شعور بالتوتر والقلق ..
هذا ما يسيطر عليها منذ ليلة أمس ومنذ أن علمت من مليكة بخروج مفرح الغاضب وحتى ساعة متأخرة لم يكن قد عاد بعد ..ولا تعرف ماذا حدث..
والآن ازداد هذا القلق حين لمحته من بعيد ..
يقف أمام البيت وكأنه ينتظرها .
لقد أصرت على الحضور منذ شروق الشمس رغم الوجع في قدمها ..

ليلة أمس ..
كانت الليلة الفاصلة في حياتها ..

ليلة اعترفت فيها أمام نفسها بأنها تهتم بكامل كثيرا ..
بأن هناك ما يجذبها إليه ..
بأنها تحمل إليه مشاعر خاصة .. لم تختبرها من قبل ..
لكنها لم تستكشف بعد عمق هذه المشاعر ..
كل ما تيقنت منه أنها تشعر بالخوف ..
ومن خاف سلم ..
ومن سلم غنم ..
وهي تخاف الخسارة ..
ومن أكثر منها قد ذاق مُر الخسارة ..
وطعم الخذلان ..

وقف التوكتوك أمام المزرعة فنزلت منه بسمة والتوتر يضرب كموجات الكهرباء في جسدها .
تطلعت في كامل الواقف أمامها هادئا جادا يخفي مشاعر من نار في نفسه خلف واجهة

غامضة ثلجية ذكرتها باليوم الذي قابلته فيه بخيمة الطباخين.
تحرك حمادة بالتوكتوك مغادرا ووقف الاثنان في الشارع الهادئ في مواجهة بعضهما.
بادرها بالقول بحشرجة "صباح الخير باشمهندسة باسمة"
وقفت أمامه متقبضة إلى جانبي جسدها ترفع إليه عينيها الزرقاوين الملبدتين بغيوم تنذران بهطول مطر وشيك وردت بحشرجة مماثلة "صباح النور"
بعد ثوان من اختلاس النظرات لحسنها البهي أنزل مقلتيه إلى قدمها يسألها باهتمام وقد لاحظ عرجها وهي تنزل من التوكتوك "ما أخبار قدمك ؟"
دون أن تحيد نظراتها عن التطلع في قسمات وجهه غمغمت بقلب مقبوض" أفضل الحمد لله"

ببطء شديد .. موجع أكثر مما توقع .. أخرج من جيب بنطاله مفتاح البيت ومد يده به إليها قائلا" شكرا على استضافتنا خلال الفترة الماضية .. وأرجو أن تذكروننا دوما حتى لو كنا ضيوفا مزعجين .."

انزلت نظراتها ببطء ومدت يدا مرتعشة لتأخذ المفتاح من كفه الممدود ..

كفه الذي شربت منه يوما شربة ماء ..

وتطلعت في المفتاح بيدها لثوان ولم تعرف بأن كامل كان يقاوم لحظتها رغبة تلح عليه بشدة أن يميل ويطبع قبلة على رأسها مودعا..

عادت ترفع إليه نظراتها المتسائلة وسألت باندفاع " لماذا؟... أقصد .. أقصد هل حدث شيء؟.. أقصد ..."

لم تجد ما تقوله لتداري اندفاعها .. لكن كامل سحب نفسا عميقا ثم قال "انتهت رحلتنا وعلينا العودة .. (وأضاف ببطء موجع لقلبه)

أنا سأهاجر .. سأترك البلاد خلال أيام..(
وسحب نفسا آخر وأضاف بابتسامة خافتة
مرتبكة) ستتخلصين من فظاظتي ليس من
القرية فقط ولكن من بلدكم كلها"

لماذا يتألم قلبها
أليس هذا ما تمنته ليلة أمس
أن يرحل بعيدا .. حتى لا تتعلق به أكثر .. لأنها
..خائفة .

بذلك الاستشعار القوي التفت كامل خلفه
بحركة عفوية وقد أحس باقتراب توأمه
..وصدق حدسه .. فقد عاد شامل من زيارته
لبيت العم عيد .. لأنه لم يصبر على انتظار
كامل ليودع بسمة ثم يمرا في طريقهما على بيت
عيد بل ذهب بنفسه.

عاد كامل ينظر لبسمة المخروسة التي لم تحد بنظراتها عنه وقال وقد بدأ يضعف ويتردد في قراره أمام عينيها اللتان دوما ما تحكمتا في نبضات قلبه "أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .. أتمنى لك كل الخير والسعادة.. وأتمنى ألا تحتاجين لحارس شخصي أبدا.."

اجبر ساقيه الطويلين على التحرك للخلف وقال بهمس سمعته جيدا" كوني باسمة دائما"

انفجرت دقات قلبها بعنف شديد بينما استجمع هو قواه وإرادته واستدار مبتعدا نحو سيارته فالتقت عيناه بتوأمه الذي كان يجلس في المقعد المجاور للسائق ..ولم يجد صعوبة في تخمين ما حدث مع العم عيد..

ركب كامل السيارة الضخمة أمام عيني بسمة المسمرتين بصمت .. وحانت منه نظرة أخيرة .. نظرة وداع نحوها .. قبل أن يضغط على

البنزين ويتحرك بالسيارة يشعر بأن قلبه ينزع منه في كل متر تقطعه السيارة مبتعدة ..
وما أصعب من أن يُنتزع منك قلبك وأنت حي..
ولم يدر كامل بأنها كانت تشعر بنفس الألم في صدرها..
نفس الشعور بانتزاع القلب ..
وكأنها عملية جراحية لتبادل القلوب دون تخدير.
الألم القوي الموجع في صدرها .. جعلها تدرك لحظتها معنى تلك المشاعر التي احتارت في تصنيفها الفترة الماضية ..
وقفت بسمة تتطلع في السيارة التي ابتعدت كثيرا حتى انعطفت آخر الشارع واختفت ..
ولم تدر بأنها تقبض على الفتاح فوق قلبها .

فاجأتها دمعة ساخنة سالت على وجنتها
اسرعت بمسحها .. ثم نظرت في أثر الدموع في يدها بصدمة.
واعترفت بأنها...
تحبه .
بعد قليل كانت السيارة تمر من أمام بيت العم عيد وعيني شامل معلقتان بباب البيت المغلق الذي لا يعرف مصير ونس خلفه .. وتذكر زيارته لوالدها منذ قليل يكرر طلبه للزواج من ونس بينما الآخر يكرر رفضه .. فلم يجد بدا إلا بترك رقم هاتفه له في بطاقة العمل ورحل ..
تجاوزت السيارة بيت العم عيد واستمرت في طريقها على طريق الخروج من القرية ..
تحمل بداخلها شابين واجمين متألمين .. تركا قلبيهما أمانة عند فتاتين من بنات القرية ..
بعد أن انتهت الرحلة .

وقلوباً أنهكها التصنع ـ
والخيبات.

فيا قلب ـ صبراً .
ويا رب ـ جبراً
ويا شمس العصر لا تغيبي
حتى تشرق في القلب ـ
بسمة.

DES: SHAMMOSAH

الفصل الثالث عشر
بعد يومين

إنه ذلك الخوف الذي يعمي بصائرنا عن الحقائق أو يضللنا عند البحث عن الاجابات ..أو يخيفنا من العواقب.
وكم من قلوب كسرت وانكسرت بسبب الخوف .

تحرك عيد ببطء منهكا بعد يومين دون نوم .. حتى استطاع جسده أن يستسلم للنوم منذ ساعتين فقط بعد أن صلى الفجر وجلس يتعبد قليلا يشكو همومه لخالقه يشكو خوفه ممن يهددونه بشأن البيت والذي لا يعلم علم اليقين مَن هم .

ويشكو له ما يحدث مع ابنته الوحيدة .. أغلى ما يملك في الدنيا.
يشكو له ضعفه وقلة حيلته.

إن تلك الهبلاء تصدق ما وعدها به ذلك الشاب الثري ..وعلى الرغم من أن هذا الأخير قد جاءه مرتين بعد تلك المرة التي جاء فيها مفرح ..مرة في صباح اليوم التالي والمرة الأخرى أمس ..أتى من العاصمة وعاد مباشرة بعد أن رفضه مرة ثالثة ..
لكنه لا يزال غير موافق .. فبعيدا عن تصديقه لحسن نوايا الشاب يجد أن الأمر غير منطقي ويثير في داخله الكثير من المخاوف ..
المشكلة الآن في ونس .. ماذا سيفعل معها؟..

إنها حبيسة غرفتها جبرا واختيارا في حالة من الانعزال والعزوف عن كل شيء.

ماذا ستفعل يا عيد ؟

بالتأكيد بضعة أيام وستعود لحياتها الطبيعية حين تجد أنه لا مفر من تقبل الواقع ..

هكذا حدث نفسه وهو يقترب من غرفتها .. لكنه تسمر في مكانه وجف حلقه حينما فتح الباب ووجد الغرفة خالية..

اسرع نحو الحمام فوجده خاليا فخرج مهرولا إلى الشارع ينظر هنا وهناك تسبقه ظنونه وتجلده مخاوفه ..

أين ذهبت تلك المجنونة ؟.

إلى أين أخذها اندفاعها وتهورها؟

أ من الممكن أن تكون قد فعلت شيئا في نفسها؟!!.

استرها يا رب استرها .
قالها وهو يلهث مهرولا في الشارع يخشى أن يسأل أحد حتى لا يثير القيل والقال لكنه بعد مسافة قليلة أمسك بصدره ولم يستطع المواصلة فتطلع حوله يبحث عن توكتوك حتى توقف أمامه أحدهم فركب وهو لايزال ممسكا بصدره يعاني من ضيق تنفس شديد.. لكنه أخذ يتطلع حوله يبحث على الجانبين ناهرا صاحب التوكتوك من الاسراع .. ولم يستسلم لإلحاح الأخير لمعرفة عمن يبحث حتى وصل لمشروع بسمة فترجل بسرعة ودخل يقتحم المكان باحثا في وجوه البنات من وقفته عند البوابة فضربت نصرة على صدرها تسأله "ماذا تفعل هنا يا عم عيد؟ وأين ونس؟.. ألا تزال مريضة ؟"

غمغم بسرعة واقتضاب" لا شيء .. لا شيء يا نصرة فيما بعد نتحدث"

هم بالرحيل لكنه توقف حينما شاهد أم هاشم تقبل هي وبسمة نحوه لتقول الأولى باندهاش" ماذا هناك يا عم عيد؟"

بصوت خافت غمغم من بين أسنانه" هل رأت إحداكما ونس؟"

اتسعت عينيهما ليقول بخفوت "استيقظت ولم أجدها"

تحركت أم هاشم بحمائية تقول وهي تهم بالخروج للبحث "ما معنى لم تجدها سأبحث معك"

قال عيد بخفوت وهو يتهرب من عيني نصرة المدققتين من بعيد" لا لا ابق هنا لا اريد أن أثير الشائعات ..أرجوكما لا تتحدثا عن اختفائها

ولا لأي مخلوق حتى نصرة حتى لا تغلبها
عاطفتها وننفضح (ونظر للبيت المجاور قائلا
)هل أحد من سكانه موجود؟"

ردت بسمة وقد فهمت أنه يسأل عن شامل "لا
لقد تركا المنزل وأصبح خاليا"
هز رأسه يشعر بالراحة لهذا الخبر فسألته
بسمة بتعجب "لكن أين من الممكن أن
تكون؟"
غمغم عيد وهو يبتعد" سأعرف وأخبركما لكن
أرجوكما لا تتحدثا بشيء"
راقبته أم هاشم يمد بخطواته فصاحت
"سأتصل بك على الهاتف لأطمئن "

ثم تبادلت مع بسمة النظرات القلقة وهما "تعودان للغرفة الداخلية وأم هاشم تغمغم "استرها يا رب .."

حانت التفاتة من بسمة ترفع نظراتها لأعلى حيث البناية الواقعة خلف ذلك السور القصير ثم بلعت غصة في حلقها وتحركت وهي تعرج لتدخل الغرفة الداخلية .. فتبعتها أم هاشم تسألها بقلق "بسمة هل أنت بخير؟ .. كنت أتمنى أن تستريحي في البيت كاليومين الماضيين"

غمغمت بسمة بصوت بذلت مجهودا فيه حتى يبدو طبيعيا" أنا بخير لا تقلقي لكني تعبت من جلستي في البيت"

تطلعت فيها أم هاشم متعاطفة وتكاد تجزم أن ما يحدث معها بسبب رحيل ذلك الذي يدعى كامل فربتت على كتفها تهمس بلهجة متألمة"

ستعتادين على الوجع .. فبعض الاوجاع المزمنة نصاحبها بالتعود حتى تتحول الحياة معنا لرحلة معاناة مستمرة"

غمغمت بسمة هاربة" عم تتكلمين؟.. أنا بخير وقدمي في طريقها للشفاء"

ابتسمت أم هاشم وقالت " حسنا دعينا نعود لسيرة ونس ..أين تعتقدين أن تكون؟"

xxxx

"شامل لا يكذب"

هكذا حدثت نفسها وهي تجلس على أحد الصخور العالية في مدخل القرية تنتظره .

إنها هنا منذ شروق الشمس وقد مر على موعده بضع ساعات ولم يحضر .. وللأسف لا تذكر

رقم هاتفه .. تحاول أن تعتصر عقلها لتتذكر الرقم لكن لا تتذكره كله ..
لكن السؤال لو تذكرت الرقم هل عليها أن تتصل به بعد أن أخلف وعده معها حين قال بأنه سيأتي ولم يأت؟.
أيكون كلام والدها صحيحا؟
أيمكن أن يكون شامل قد خاف بالفعل من الفضيحة التي افتعلها والدها عند مفرح وفضل عدم الحضور؟
أتراه كاذبا فيما أخبرها به يوما ؟
اخبرته من قبل أنها لا تريد منه أي شيء ولم تكن لتطالبه بالالتزام بأية وعود فهي تعلم منذ البداية بأنهما لن يجتمعا أبدا وهو وعدها أن يأتي .. أن يكون قريبا منها .
تطلعت في الشمس البعيدة وفي السماء بألوانها الزاهية ..
لماذا لم تعد للألوان وقعا بداخلها كالسابق؟!..

لماذا لم يعد لها نفس البهجة في نفسها؟! ..
لماذا لم تعد تخرجها من حزنها كما تفعل دوما؟!
إنها حزينة .. حزينة بشدة وقلبها يؤلمها .
وضعت يدها على صدرها تضم في قبضتها الميدالية التي صنعتها له.
إن الوجع في قلبها كبير ..والتفكير في الفراق حارق بشدة وذلك الأمل اللعين الذي خرجت متسلحة به اليوم من بيتها لتثبت لنفسها قبل الجميع أن شامل لن يتركها .. سيأتي للقرية حتى لو لم يستطع التحدث معها مجددا حتى لو لم يستطع محادثتها على الواتساب مرة أخرى لكنه سيأتي ..
ذلك الأمل بدأ أن يتسرب من بين يديها ولم يبق منه شيئا لتخدر به أوجاعها .
بعض العيون الفضولية أخذت في التطلع فيها جيئة وذهابا في جلستها لكنها لم تعر لها

اهتماما .. فعيناها كانتا معلقتان على مدخل القرية وكل بضع دقائق تفتح كفها لتتفحص الميدالية .

حين يشتد الوجع يهزم اليأس الأمل فنبدأ في التنازل عن الأمنيات واحدة تلو الأخرى ..فبعد أن تمنته أن يأتي ليبقى فقط في المحيط لتشعر فقط بوجوده قللت من سقف أمانيها وتمنت ولو يأتي فقط ليودعها .. ليخبرها بأنها لم تكن حالة خاصة يشفق عليها .. يأتي ليخبرها بأنها شخص مهم عنده.. يأتي ليقول ..

وداعا .

لكن الوقت يمر ببطء وصعوبة والدموع تلح عليها وهي تقاوم ..

بعد قليل نزل عيد من التوكتوك ينقد السائق بيد مرتعشة وعيناه مثبتتان عليها من بعيد ..تجلس على صخرة يديها في حجرها وتنظر نحو مدخل القرية .

لم يعرف ماذا يفعل .
هل يأخذها إلى حضنه ليواسيها ويواسي قلبه الممزق عليها؟
أم يضربها علقة ساخنة لا يترك في عظامها عظمة سليمة لخروجها دون إذنه وجلوسها بهذه الجلسة التي ستفضحهما لا محالة؟ .
أم يسجد لله شكرا أنه وجدها سليمة فقد كاد أن يصاب بنوبة قلبية وهو يبحث عنها هنا وهناك في مهمة صعبة لحرصه الشديد على ألا يثير انتباه أحد حتى لا تخرج الشائعات حولها .. لكنه أخيرا اضطر أن يسأل الصبية المنتشرين في الشوارع إن كانوا قد رأوها فأخبره أحدهم أنه قد رآها عند مدخل القرية.
لمحت ونس على الأرض ذلك الظل الذي اقترب منها يحجب عنها ضوء الشمس قبل أن ترفع رأسها لتتفاجأ بوالدها أمامها يطل عليها

بوجه غاضب مخيف الملامح فسقط قلبها بين قدميها..

كانت تعلم بأنه سيثور .. وبأنها ستُعاقب ..

لكنها تهورت وخرجت اليوم لتقابل شامل بأي ثمن ..

لم تقل شيء .. فقط وقفت ببطء وصمت

وباغتها ذلك الشعور بالخذلان واليأس في عودة شامل كما باغتها والدها منذ ثوان .

سبها عيد من بين اسنانه وأمسك بذراعها يعتصره في يده يلجم انفعالاته المتناقضة وهو يجرها مهرولا نحو البيت الذي لم يكن بعيدا ..

كان غاضبا.. وكانت مستسلمة.

كان ينفث دخانا اسودا ..وكانت تذرف دموعا صامتة.

كان قلبه يؤلمه .. وكان قلبها يموت .

xxxx

"صباح الخير"

قالتها تسونامي بميوعة وهي تدخل من باب المطعم الزجاجي ترتدي ملابس رياضية فاضحة .. فرفع ديمتري حاجبيه مندهشا وهو يتطلع بإعجاب لمفاتنها ثم نظر لكامل الواقف من بعيد قبل أن يعود لها وقد تحركت نحو أحد الطاولات في المطعم الخالي تماما في هذا الوقت من الصباح.

اقترب منها ديمتري قائلا بعربية مكسرة "صباح الخير .. أسف ولكن مواعيد العمل في المطعم لم تحن بعد"

ناظرته تقول بعينين لامعتين " يا الهي أنت أجنبي! .. (واكملت بإعجاب) لقد خمنت ذلك من ملامحك (واضافت وهي تدور بنظراتها في المكان) أنا تسونامي ..أين أصحاب المطعم؟"

لمحت كامل الواقف بعيدا يديه في جيبي بنطاله فأشارت بكفها تلوح له وكأنهما أصدقاء

ثم اسرعت تقترب منه تقول بميوعة وهي تأكله بعينيها "لقد عدت"

طالعها كامل ببرود وعنجهية صامتا ..لتكمل تسونامي" لقد كنت مسافرة ..بالتأكيد لاحظتما غيابي (وأكملت بفخر) كنت في جولة فنية في عدة مدن أوروبية (ونظرت حولها تقول) أين توأمك اللطيف؟"

كان في مزاج عكر لكنه غمغم ببرود مضطرا للرد في غياب توأمه الذي يتولى التحدث بالنيابة عنه في مثل هذه المواقف "إنه غير موجود .. (ورفع انظاره لرئيس النُدل يقول) خذ طلبات الضيفة يا ديميتري .."

قالها ثم تركها إلى حيث الباب الموصل بين المطعم والفيلا فغمغمت تسونامي وهي تتطلع فيه مبتعدا" ما أوسمه هذا المغرور وما أوسم توأمه اللطيف !"

أجفلت عندما استدارت ووجدت ديمتري يقف خلفها مباشرة والذي باغتها بالإشارة بكفه بأدب لتتقدمه نحو إحدى الطاولات ...فعدلت من تسريحة شعرها ببعض الخيلاء وتحركت أمامه بخطوات مائعة نحو الطاولة .

بعد دقائق في الدور العلوي للفيلا اقترب كامل من سرير تؤامه المستلقي يوليه ظهره فاستدار حول السرير يقول " هل ستحبس نفسك في الغرفة أكثر من ذلك؟"

تصنع شامل النوم فلم يكن قادرا على القيام بأي حركة أو التفاعل بأي شيء .. كان يشعر بأن جسده ثقيلا وروحه أثقل .. فاقترب كامل وقال ممازحا "هل أخبرتك أن الجيران متفجري الأنوثة قد عادوا من السفر؟!"

لم يبد شامل أي رد فعل فمال عليه كامل يهمس له بشيء وقح المعنى لكن الأخير أمسك

بالوسادة ووضعها فوق رأسه.. فمط كامل شفتيه وقال بغيظ" إياك أن تعتقد بأني اهتم بشأنك.. أنا فقط مجبور للعناية بك لأني بكل أسف مربوط بك إن مرضت غالبا أنا سأمرض لهذا أنا خائف على نفسي وليس عليك"
حين لم يرد زفر كامل بيأس وتحرك يستلقى بجواره على السرير متعمدا مزاحمته والتضييق عليه لكن الأخر لم يتحرك فتمدد كامل على ظهره ينظر لسقف الغرفة مهموما.

إنه يموت ببطء ..
هكذا يشعر منذ أن غادر القرية قبل يومين .. الفراق هذه المرة أصعب من المرة السابقة بمراحل.. ولولا أن هذا البيت يحتاج لشخص متماسك لكان هو من يرقد محل شامل لكن بعد تلك المواجهة الحادة بين شامل ووالديه

بمجرد عودتهما من البلدة قبل يومين والبيت في حالة سيئة.

قبل يومين

صاح شامل بعصبية" لا اعرف يا أبي لمَ تعارض رغبتي"

قال غنيم غاضبا "أنت تعرف يا شامل ولهذا جبنت عن مواجهتنا بها أول الامر "

صاح شامل بعصبية "أنا لست جبانا يا أبي واعتقد أنك تعرف ابنك جيدا ..كل ما في الامر أني كنت أمهد لكما لأني اعرف بأنه وضع غير تقليدي"

صرخت سوسو باندفاع " أنت بنفسك قلتها (غير تقليدي) حالة خاصة لماذا عليك أن تقبل بها؟!"

رد شامل عليها " لأني أحبها يا أمي.. هل اكتبها على يافطة كبيرة وأعلقها ليدركها الجميع؟!!"

حركت سوسو سبابتها نافية وهي تقول "أنت لا تحبها أنت فقط متعاطف معها أنا اعرفك جيدا"

رد شامل مقاطعا " وأنا اعرف نفسي أكثر يا أماه ولست مراهقا حتى لا أصنف مشاعري جيدا ..أنا رجل عمري أربعة وثلاثون عاما ..من في مثل عمري التحق أطفاله بالمدرسة"

تكلم غنيم متعجبا "وما دمت تفهم ذلك وبعد كل هذا العمر تأتينا بهذه البنت!"

استدار شامل إليه يرد " اسمها ونس يا أبي و الحقيقة أنا مندهش من ردة فعلك أنت بالذات فقد كنت اتوقع أن تكون أكثر لينا من أمي"

صاح غنيم بغضب "لأن ما تقوله غريبا"

سأله شامل متعجبا "أين الغرابة يا أبي؟!!. لم احسبك أبدا تتعامل مع الناس بفوقية"

قال غنيم في وقفته في غرفة الجلوس مشيرا بعصاه "الأمر ليس فوقية أو شخصنة ضد

الفتاة بسبب حالتها الصحية يا غبي الموضوع أكبر من هذا .. لا يوجد تكافؤ بينكما لا في الطبقة الاجتماعية ولا في طبيعة الحياة ومن بلد غير البلد كل واحدة من هذه تضع عقبة في نجاح علاقتكما أنا لست ضد الفتاة نفسها"

غمغم شامل بحزن وهو يضع يديه في جيبي بنطاله "تقول نفس الكلام الذي قاله والدها"

عقب غنيم بلهجة أخف حدة "الحقيقة يبدو حكيما رغم بساطته كما وصفته لي"

تبادل شامل النظرات الحزينة مع كامل الواقف على باب الغرفة يتابع في صمت ووجوم ثم عاد يقول لوالده "يا أبي أنا متفهم لكل ما تقوله ووضعته في الاعتبار وأنا اتعامل معها ..لكن بعد ذلك غيرت رأيي وتخليت عن مخاوفي .. صدقني لو رأيت ونس ستدرك مثلي بأنها حالة خاصة خلقت لتكون في مكان أخر غير قرية صغيرة"

صاحت سوسو بانتصار "أرأيت... أنت فقط مشفق عليها"

رد شامل بهدوء " مكان أخر معي يا أمي هذا ما قصدته"

امتقع وجه سوسو ثم جلست على المقعد خلفها ودفنت وجهها تجهش بالبكاء فقال شامل بعصبية وقد آلمه قلبه "لماذا تبكين يا أمي ؟.. ألا يحق لي أن اختار من أريدها زوجة"

اشاح غنيم بعصاه وقال بقرف وهو يتحرك ليغادر الغرفة "ما دمت تريدها اذهب وتزوجها ..ألست رجلا وقادرا على تحمل مسئولية بيت افعل ما تريد"

رفعت سوسو وجهها الباكي تصيح "ماذا تقول يا غنيم؟؟!!"

استدار إليها الأخير من عند الباب قائلا "اتركيه يفعل ما يريد يا سوسو فليتحمل هو مسئولية ما يفعل"

قالها وأبعد بقرف كامل الذي كان يسد باب الخروج في الوقت الذي صاح شامل مستنكرا "بدون موافقتكما؟؟!!...أبي!!!.. أبي!!"

عاد كامل من شروده والضيق في صدره يتعاظم .. فشامل يهمه بشدة موافقة أبويهما ولن يستطيع المضي قدما بدون رضاهما هذا بالإضافة لأنه قد ذهب للمرة الثالثة لوالد ونس يوم أمس وعاد كما ذهب ليجد أن والدهما مريض.. فعاد ليتقوقع على نفسه في غرفته كما يفعل منذ أن رجع من القرية قبل يومين .

اعتدل يهز توأمه بخشونة وقال مناكفا" يا بني كفاك أنانية وأنزل أنت لتباشر الامور ودعني أرقد قليلا واتقوقع على نفسي .. صدقني أنا في حالة نفسية سيئة أكثر مما تتصور "

لم يتحرك شامل ولم يبد أي رد فعل رغم أنه يشعر بما يعتلج في صدر أخيه فكلاهما يحمل

من الحزن الضِعف مرة لنفسه ومرة لتوأمه .. فأخذ كامل يدفعه بجسده بغلاظة وصبيانية ليوقعه من فوق السرير بإصرار جعل الثاني ينتفض فجأة بعصبية ويلكزه في بطنه بكوعه بقوة مزمجرا بغضب.

تألم كامل بشدة لكنه انقض عليه فاشتبكا في عراك فوق السرير تطور لأن يقعا على الأرض فارتطم كتف شامل في وحدة الادراج بجوار السرير في الوقت الذي تركه كامل واستقام واقفا يقول مغيظا ليستفزه "هيا اريني قوتك للعراك يا ****"

بغضب انتفض شامل وافقا وقال من بين أسنانه" تريد عراكا سأجعلك تندم على ذلك" زمجر كامل وقال متحفزا "تعال يا حبيبي لأريك قيمة نفسك"

كدبين ضخمين تعاركا بتلك الطريقة التي ينفّسان بها عن طاقتهما السلبية .. لتتعالى أصوات التحطيم والتكسير حولهما والزمجرة والصيحات المنتصرة والمتألمة وكأن الغرفة قد أصابها زلزال.. حتى انقلبا على ظهريهما على الأرض بعد قليل و هدآ تماما إلا من صوت انفاسهما العالي.

غمغم كامل لاهثا وهو يحدق في سقف الغرفة" أنا أعيش أصعب أيام حياتي يا شامل من جهة اتعذب بفراقها بشدة و أريد أن أرحل بسرعة هاربا ..ومن جهة اشفق على والدك الراقد وعلى وأمك المكتئبة منذ أن علمت بأمر ونس .. ومن جهة ثالثة قلق عليك وعلى حالتك .."

لم يقل شامل شيئا بل اعتدل واستقام واقفا ثم تحرك ليعود للسرير في صمت كئيب..

إن الألم في قلبه شديد وقلقه على ونس أشد رغم اطمئنانه أن والدها لن يؤذيها فلو كان

ينوي ذلك لفعل لحظة اكتشافه للأمر .. لكنه لا يزال يشعر بالألم .. وبالفراغ في قلبه وكأنه قد فقد جزءا منه باختفائها من حياته .. وكأن حياته قد فقدت ألوانها..

لماذا لا يصدقون بأنها باتت قطعة منه بل هي في الأصل كذلك وكان يبحث عنها طوال عمره .

لماذا يصدرون احكاما مسبقة على فشل علاقتهما ؟!..

استقام كامل واقفا بعد قليل ثم أخرج من احد الادراج جهازا صغيرا واقترب من أخيه يقول بلهجة متشفية "حان وقت الانتقام"

جلس بجواره على السرير ولف ذراعه حول ذراع توأمه ليثبته فصدرت زمجرة معترضة من شامل لكن كامل قال وهو يشك اصبعه بإبرة تخص الجهاز" انتظر يا متخلف واثبت"

بعد بعض المقاومة استطاع كامل قياس نسبة السكر في دم توأمه ثم زفر بقلق وهو يطلق سراحه مغمغما "هذا ما كنت أخشاه "

xxxxx

دفعها بخشونة إلى داخل غرفتها قبل أن يصرخ قائلا بقنوط "ماذا تريدين؟ .. هل تريدين فضحي! .. هل تريدين موتي! (وأمسك بصدر جلبابه وكأنه سيشقه إلى نصفين) هل تريدين موتي يا ونس؟ .. أم ترغبين في أن يتحدث عنا أهل البلدة ..(واقترب يضربها على ذراعها عدة ضربات متتالية مقاوما رغبة مجنونة لقتلها) لو علم أحد .. لو رآك أحد في هذه الحالة سيقولون سلبها شرفها وغادر .. ستفضحيننا يا بنت عيد"

ناظرته بعينين لم تتوقفا عن البكاء الصامت منذ ثلاثة ايام ناظرته بنظرة حزن .. نظرة وجع .. نظرة لوم .. نظرة غضب .. ليصرخ عيد

بعصبية "أعلم بأن رأسك يابس وبأنك لا تهتمين لكلام الناس لكن أنا (وضرب على صدره بقوة) أنا أبوك يا ونس ألا تشفقين عليّ من الفضيحة؟! .. ألا تشفقين عليّ من أن تصبح سيرتي على كل لسان؟ .. أيرضيك بعد هذا العمر أن يلوك الناس في سيرتي وسيرتك يا بنت عيد؟.. أهكذا تفعلين بوالدك !!"

ما يقوله والدها كان موجعا لها .. اشعرها بالغضب من نفسها لعدم قدرتها على تحجيم تلك المشاعر بداخلها وذلك الاندفاع الذي يدفعها دفعا لضرب كل شيء بعرض الحائط ..

عاد عيد يقول بعينين صغيرتين تلمعان بالغضب والتصميم "كما قلت لك هذا الأمر منتهي يا ونس منتهي .. هذا الشاب لا يصلح لك .. (رآها تمسك برأسها فأضاف) كنتِ بالنسبة له حالة خاصة وانتهى الأمر ولن يأتي مجددا "

وضعت ونس يدها على أذنها ترفض سماع المزيد من الكلمات الجارحة فصرخ فيها بقوة"
هل سمعت يا ونس لن يأتي مجددا (وتحرك مغادرا يقول وهو يمسك بالباب) وهذه الغرفة لن تغادري منها.. هل تفهمين؟ .. لن تغادري يا ونس ..وقسما بالله لو غادرتها لأقتلك وأدفنك فيها "
قالها وأغلق الباب خلفه بعنف فرمت ونس نفسها على السرير تبكي بحرقة بينما اسرع عيد بالعودة بمفتاح غرفتها وأغلق عليها من الخارج ثم غمغم مبتعدا " أعد نفسك لكفارة يمين يا عيد "

××××

دخل كامل إلى غرفة والديه فوجد والده راقدا في سريره بينما والدته تجلس على أحد المقاعد الوثيرة بجوار النافذة تسند خدها بيدها بوجوم

فقال بهدوء" لماذا لا نعطيه فرصة يا أبي ليفعل ما يريد "

صاحت سوسو بعصبية" وهل سنتركه ليتعس نفسه"

قال كامل "يا أمي هو ليس صغيرا وأراه بالفعل متعلقا بها"

تطلع غنيم في كامل مدققا فدوما ما يستغل تلك الرابطة التي تربط توأميه ببعضهما ليعرف من أحدهما ما لا يستطيع التأكد منه بشأن الأخر بينما أكمل كامل" أنا مندهش مثلكما من تعلقه بها لكني أفهمه جيدا وأشعر به"

سأله غنيم " وبم تشعر؟"

رد كامل بثقة "كما قلت هو بالفعل يحبها ومتعلق بها ويراها تكمله ومتأكد من أنه سيبذل كل جهده ليثبت لكما أنه كان على حق وأنها تستحق أن يتمسك بها "

ناظره غنيم بحيرة بينما صاحت سوسو بإصرار
"قلت لك هو متعاطف معها لا أكثر .. أنا اعرفه قلبه رقيق"
"وهل تعاطفه معها يحزنه لدرجة أن يرفع مستوى السكر في دمه !"
قالها كامل وهو يرفع الجهاز الصغير في يده فطالعه غنيم بقلق بينما قالت سوسو بهلع
"ارتفع سكره! .. ارتفع سكره ! ..الطف بنا يا رب (وأمسكت بمقدمة رأسها) أنا تعبت ..تعبت.."
تحرك كامل نحوها وهو يعيد الجهاز إلى جيبه ثم جلس على عقبيه أمامها يمسك بيدها ويقول بلهجة لينة " لمَ هذه الحالة يا سوسو ؟..ألا تريدين سعادته؟ .. دعيه يفعل ما يريد صدقيني هو حريص جدا ألا يحزنكما لكنك في المقابل لا تتسببي في تعاسته يكفيه بأن والد البنت يرفض "

سأله غنيم بعبوس "ولماذا يرفض والد البنت؟"

أدار كامل وجهه له يجيب" لنفس الاسباب التي ذكرتها يا أبي كما قال لك شامل منذ يومين.. بالإضافة لأنها وحيدته ويبدو أنه خائف من القبول .. يفترض سوء النية في شامل"

صاحت سوسو بحمائية "سوء النية!! .. (ثم اكملت بلهجة باكية) ألا يعرف أن ابني حبيبي قلبه رقيق لدرجة أنه يرغب في الزواج منها شفقة على حالها "

رفع كامل اصبعيه إلى زاويتي عينيه الداخليتين بانهاك ثم استقام واقفا وقال لوالديه "اعتقد بأن سعادة ابنكما أهم من أي مخاوف.. وأرى أنكما قد نبهتماه وأخبرتماه بعوائق كثيرة قد تحدث إن ارتبط بها ..وإن كنت أشك في ذلك ..فأنا رغم كل شيء أشعر شعورا غريبا بأنهما متطابقان وبأن نسبة نجاح علاقتهما كبيرة ..

بالإضافة لأن الفشل في علاقة زواج ليس آخر الكون .. فمادام متمسكا بها بهذا الشكل فلنخفف عنه الضغط ونعطيه مباركتنا ونتركه يخوض التجربة (ونظر لوالده يقول) أنا متخوف جدا من ارتفاع السكر لديه واخشى أن ينتقل للدرجة الأعلى ويصاب بالمرض نفسه "

تنهد غنيم وطالع ابنه بحيرة بينما تحرك كامل مغادرا وهو يقول "سأذهب لأباشر العمل في المطعم فابنك طبعا يتحجج بحالته وكأنه هو وحده من يعاني"

طالع غنيم ظهر كامل وهو يغادر الغرفة ثم قال غنيم "كامل أيضا يبدو غير طبيعي يا سوسو "

غمغمت بنفس الصوت الباكي" بالطبع قلق على توأمه"

ناظر غنيم باب الغرفة الفارغ وغمغم بحيرة "اعتقد أن هناك شيئا أخر .. اللهم الطف بنا يا رب "

xxxxx

بعد الظهر

على الطريق أوقف ماهر الصناديلي سيارته وترجل منها يقترب من يحيى الذي كان يعطي أوامره للأنفار الذين يعملون في أحد الحقول التابعة لأولاد الصناديلي وقال "السلام عليكم يا حاج يحيى"

ارتبك يحيى حين رآه ورد بلهجة مقتضبة "وعليكم السلام ورحمة الله يا أستاذ ماهر "

نظر ماهر لما يجري من عمل ثم قال" لم ترد عليّ يا حاج"

بتردد وبشعور عظيم بالضيق قال يحيى" إنها لا تزال تفكر يا استاذ ماهر "

رفع الأخير حاجبا وقال باستنكار " وهل الامر يحتاج لكل هذه المدة ؟!!"

رد يحيى بدبلوماسية " لم يمر سوى يومين وتعرف أن فارق العمر بينهما حوالي اربعين سنة وبالتالي القرار ليس سهلا"

قال ماهر بغيظ " لكني متعجل يا حاج تعرف أن عندي الكثير من الأمور لأعدها قبل سفري "

تصنع يحيى الهدوء ورد "لنسأل الله الفرج يا استاذ ماهر"

سأله بلهجة ماكرة وهو يتطلع على مرمى بصره "لمن قطعة الأرض الصغيرة الملاصقة لحدود أرض الصناديلي هذه يا حاج ؟"

رفع إليه يحيى عينين مغتاظتين لكنه أجاب بهدوء وتماسك "إنها أرضي وأرض اجدادي يا أستاذ ماهر"

قال ماهر باستهبال" آه تذكرت .. من الجيد أن أرضك متاخمة لأرضنا لتستطيع مباشرة الارضين في نفس الوقت فأفضل شيء أن

تربطك علاقة قوية مع جارك تعرف ما نسمعه هذه الأيام عما يحدث بين الجيران في الأراضي الزراعية ... فابسط شيء أن يغرق أحدهما أرض الأخر ..تعلم هذه الأمور بالتأكيد "
لم يرد يحيى بل وقف متقبضا يتمنى أن يلكم هذا الوقح في وجهه لكن ذلك الحِمل الكبير المعلق بعنقه المتمثل في بناته الخمسة جعله يتحكم في أعصابه بقوة حتى لا يتهور.. وفضّل أن يعطي لنفسه المزيد من الوقت ليفكر في طريقة لإبلاغه برفض أم هاشم بينما أكمل ماهر بلهجة خبيثة متنهدا "الحمد لله أنه ليس بيننا مثل هذه الأمور وأنك تباشر أرض الصناديلي المجاورة لأرضك ..فتخيل لو أنك لا سمح الله لم تعد تباشر أرض الصناديلي لأي سبب من الأسباب (وناظره في عينيه يكمل) وأنت رجل ناضج وتعرف أن علاقات العمل

وارد جدا أن يحدث فيها أي خلاف في أي لحظة ماذا من الممكن أن يحدث ساعتها "
بلع يحيى ريقه الجاف وقال بثبات "نسأل الله سبحانه وتعالى ألا يحدث أي خلاف بيننا إن شاء الله فنحن تربطنا علاقات قوية على مدى خمس وعشرون سنة يا أستاذ ماهر "
غمغم ماهر يستعد للمغادرة "هذا ما كنت أقوله وأراك دوما ناضجا ومتفهما يا حاج يحيى (وربت على كتفه عدة مرات ثم وضع النظارة الشمسية على عينيه وأضاف) ونتمنى أن تقوى علاقتنا بالمصاهرة قريبا إن شاء الله (وتحرك نحو سيارته قائلا) سأنتظر منك رد في أسرع وقت"
وقف يحيى يحدق في سيارة ماهر الصناديلي المبتعدة مهموما ولم يعرف كيف يحلها ..فلم يجد إلا أن يرفع انظاره للسماء متمتما "اللهم أنت تعلم بحالي فيسرها يا الله "

ناداه أحد الرجال" حاج يحيى"
استدار إليه يحيى ليقول الرجل وهو يشير على
شاب أسمر يقف بجواره" إنه يسأل عنك "
عقد يحيى حاجبيه بينما اقترب الشاب
بابتسامة بيضاء واسعة تزين سمرة بشرته
الداكنة وقال" حاج يحيى؟"
سلم عليه يحيى مرحبا ليقول الشاب "الحاج
يحيى جاد الله تيمور ؟"
ناظره يحيى يهز رأسه فقال الشاب" أنا محسن
المنيلاوي ..من عائلة المنيلاوي عائلة جدتك
ذهبية التي تزوجها الشيخ تيمور رحمه الله
وأخذها من بلدتنا "
اتسعت عيني يحيى وتهللت اساريره وهو
يقول" ما شاء الله! .. يا أهلا برائحة الأحباب ..
أنت ابن مَن مِن المنايلة؟"
رد محسن يرفع نظره لأعلى يحاول الإيضاح
"سأحاول الشرح ..الحاجة ذهبية هي أخت جد

والدي عبد المحسن المنيلاوي الذي تسميت أنا على أسمه "
ابتسم يحيى مرحبا وقال" وكيف عرفت بمكان قريتنا ؟"
رد محسن بابتسامة " الحقيقة نحن نعلم في بلدتنا في الجنوب بأن لنا أصهارا في وجه بحري وفي هذه القرية بالذات .. فالناس رغم مرور السنوات ورغم أني لم أعاصر الشيخ تيمور ولا جدتي ذهبية لكن سيرة الشيخ تيمور الأزهري الذي زار بلدتنا الصغيرة ومكث فيها عدة سنوات وتزوج منها ذهبية المنيلاوي لا تزال تتناقلها الأجيال حتى أن المسجد الذي كان يخطب فيه كل جمعة قد سمي فيما بعد حين تم تجديده بمسجد الشيخ تيمور.. وصرنا نحن المنايلة نعتز بمصاهرتنا للشيخ تيمور ونحفظ سيرته ونعلم بأن جدتنا الكبرى دفنت هنا في قريتكم وأن أولادها وأحفادها هنا "

ضحك يحيي وقال مازحا" بل قل وأحفاد أولادها ..سبحان الله الناس لا تنسى السيرة الطيبة أبدا (واضاف وهو يمسك بيده) تعال إلى البيت لنُضيّفك يا محسن يا ولدي (وتطلع فيه قائلا) أنت أسمر مثل جدتي .. لا زلت أحتفظ لها بصورة قديمة جدا ومهترئة بين أوراقي"

ابتسم محسن وقال مغيظا" أنا عندي أكثر من صورة قديمة لها .. (ودقق في وجه يحيى) ظننتك ستكون أسمرا أنت أيضا يا حاج لكن بك لمحة فقط من السمار"

قهقه يحيي ورد "هذا من سمرة الشمس ..لكن الحقيقة أنا كنت من عرق تيمور وهكذا بناتي أما أخي زكريا رحمه الله فكان أكثر سمرة مني وله ابنة ولدت سمراء كجدتي بالضبط سبحان الله "

ابتسم محسن ابتسامة مليحة وقال مازحا "هذا جيد حتى لا أشعر بأني غريبا هنا وسط هذا البياض المشع من حولي"
قهقه يحيى وقال "والله لقد جئت لتسر قلبي وقد كنت بحاجة ماسة لذلك (وشده قائلا بترحيب) هيا لأريك بيت الشيخ تيمور "
قال محسن بجدية" لن أستطيع هذه المرة فلدي عمل"
عقد يحيى حاجبيه وسأله" أي عمل؟ .. كنت أنوي أن أسألك ما الذي أتى بك إلى هنا ونحن في الطريق"
أشار محسن على شاحنة تقف على بعد وأجاب" والداي رحمهما الله كانا مستقران في العاصمة منذ سنوات ولم نكن نذهب لقريتنا في الجنوب إلا في المناسبات .. ولقد جئت لهذه المحافظة منذ عدة شهور لأعمل مندوبا لدى إحدى شركات المنتجات الغذائية .. أوزع

المنتجات على المحلات في المحافظة كلها..
لهذا ستجدني هنا في نفس هذا اليوم من كل أسبوع"
قال يحيى بإصرار "تعال إذن لنضيّفك (ونظر خلفه لسائق الشاحنة وقال)ونضيّف زميلك أيضا "
رد محسن "هذه المرة أنا متعجل جئت فقط أسأل عنك .. ولكني سآتيك مرة أخرى يا .. (وضحك يقول) بم أدعوك؟ يا خال؟.. أم يا حاج يحيى ؟"
ابتسم يحيى فقال محسن مربتا على يد يحيى التي تمسك بيده الأخرى "دائما عامر يا خالي .. أعدك أن آتي مرة أخرى "
قال يحيى وهو يترك يده "اعطني رقم هاتفك"
اسرع محسن بإملائه الرقم وسجل رقمه هو الأخر ثم قال "أراك في وقت آخر .. استودعكم الله "

قال يحيى وهو يشاهده يبتعد" حين تأتي في المرة القادمة اسأل عن مسجد الشيخ تيمور ألف من سيدلك عليه"

أومأ محسن برأسه وتحرك بسرعة ليركب بجوار السائق فشاهده يحيى والشاحنة تبتعد وضرب كفا بكف متعجبا وهو يقول "سبحانك يا رب!"

xxxx

قبيل الغروب

ركن مفرح سيارته أمام إحدى البنايات الفاخرة في العاصمة وقال بصوت واجم متحدثا في الهاتف" أنا بخير يا مليكة لا تقلقي"

قالت مليكة بلهجة متأثرة "لكنك لم تعد يا مفرح منذ ذلك اليوم الذي خرجت فيه غاضبا"

غمغم وهو يدلك جبينه بأنامله "كنت بحاجة لأن أنفرد بنفسي كما قلت لك أكثر من مرة "

سألته بقلق "ألا تريد التحدث ؟"
همس بلهجة متألمة "لا أريد أرجوك"
سألته بإلحاح "ألن تخبرني ماذا فعلت مع التوأمين؟"
رد بهدوء "كما تتوقعين"
سألته لتحثه على الحديث ليخرج ما يحبسه في صدره "انفعلت غاضبا ؟"
علا صوته وصاح بانفعال "لا أريد الحديث في هذا الموضوع يا مليكة"
تنهدت وقالت باستسلام " حسنا كما تريد"
تكلم بلهجة اخف حدة نادما على انفعاله "لهذا لا أريد أن اختلط بأحد يا مليكة لأني بالفعل فاقد للسيطرة على نفسي ولا أريد أن اضايق أحد بحالتي .. يكفيني ما خسرته حتى الآن "
قالت بهدوء "حسنا.. كما تريد المهم أنك بخير"

سألها بهدوء من أمام المقود "هل أنتم بخير؟..
تحدثت مع العمدة هذا الصباح واطمأننت
عليه "
ردت " الحمد لله"
لمح شامل يترجل من سيارته فقال بسرعة
"سأذهب الآن سلام "
ترجل هو الأخر من سيارته وتجاهل وقوف
شامل وفتح الباب الخلفي يخرج كومة من
الكتب قبل أن يغلق الباب ضاغطا على المفتاح
ليغلقه وتحرك ليدخل البناية حيث تقع شقته
فناداه شامل بلهجة غاضبة" أنت يا بني آدم
أظنك تراني فلا تتصنع العمى !"
مط مفرح شفتيه واستدار إليه يناظره
بامتعاض فقال شامل "هل هدأت حالتك
لنتحدث فيما يزعجك ؟"
قاوم مفرح شعورا بالامتنان والسعادة داخله
لمبادرة شامل رغم اعترافه بأن ردة فعله عليهما

منذ يومين كان مبالغا فيها ورد بفم مزموم" لا لم تهدأ بعد"
مط شامل شفتيه وقال "لاحظ أني من بادر بالصلح رغم أننا لم نخطئ في حقك "
اندفع مفرح صائحا باستنكار" لم تخطئا ! (ثم تلفت حوله في الشارع وأخفض نبرته يقول بلهجة أهدأ متحكما في أعصابه) شامل ..أنا ممتن لمبادرتك وأعترف بأني قد بالغت والسبب في ذلك قد استطيع أن اخبركما به في يوم من الأيام.. المهم أني حاليا لازلت أشعر بنفسي غير طبيعي فهلا أعطيتني وقتا لأتوازن نفسيا"
هز شامل رأسه وقال متفهما " حسنا خذ كل الوقت الذي تريده ولكن اعلم بأن أولاد غنيم لا يخونوا الصداقة أبدا .. وبأننا كنا نضع نصب أعيننا دوما علاقتنا بك في القرية رغم أننا قد نكون قد تجاوزنا قليلا أو على الأقل اتحدث عن

نفسي ولكن لم يكن ذلك مقصودا واعلم بأننا رجال ونقدر قيمة الصاحب ونقدرك أنت بالذات يا مفرح "

هز مفرح رأسه وداري تأثره وهو يقول "امنحني المزيد من الوقت يا شامل وسنتحدث فيما بعد"

تحرك شامل يفتح باب سيارته وهو يقول "خذ الوقت الذي تريده ... يا صاحبي "

قالها وركب سيارته .. فاستدار مفرح يبلع غصة مرة كالعلقم في حلقه وتحرك نحو المصعد وسيل جديد من ذكريات غير مرغوب فيها بدأ يتدفق في رأسه والتي يقاومها بكل قوته منذ ثلاثة أيام ليبقى صامدا متحكما في ذاته .

××××

تعثرت خطواتها وهي تدخل في زيارة متأخرة يومين و لم تدر لمَ كانت تؤجلها لبيت الجد صالح .

منذ ذلك الوداع وهي تؤجل تلك الزيارة .. ربما لما أصابها من حزن بعد الفراق ..وربما لتمسكها بالوهم بأنه سيعود في موعده الاسبوعي ..
واليوم كان الموعد ولم يأت.
ها هي الشمس قد قاربت على الرحيل ولم يأت.
تحركت بسمة تتطلع حولها.. كل شيء كما هو ..المقاعد ..الجدران ..الارائك ..صور الحائط ..والسجاجيد .. كل شيء كما هو حتى قبل أن يسكن فيه .. لكنها تشعر وكأن البيت مختلف ..
كيف يمكن للأشياء أن تتغير بتغير ورود الأشخاص عليها !.
كيف يمكن للمواقف أن تختلف باختلاف الاشخاص الذين نقابلهم فيها !
كيف يمكن أن تتغير رائحة البيت على حسب ساكنيه!

مع هذه الأفكار ومع تلك المشاعر التي تحاصرها ..تخنقها .. بل وتؤلمها تعجبت بسمة من حالها وهي تتحرك في أرجاء البيت ثم تحركت إلى السلم لتصعد للدور العلوي وهي تتساءل ..

متى حدث هذا؟ .. متى احتلها هذا الاحتلال؟ ولماذا ترك في نفسها أثرا عميقا موجعا كما فعل؟

كانت تعتقد بأنها لن تقع في الحب أبدا .. ليس حب المودة التي تخلقه المواقف ويؤيده العقل ولكن ذلك الحب الذي يأتينا كالقدر .. ومع الاقدار لا نختار.

لقد كانت تشعر بالراحة لأن تجربتها السابقة لم تكن من هذا النوع من الحب ..فكان القرار أقل صعوبة مما لو كانت المشاعر متورطة فيه ..لكن هذه المرة جاءها ذلك الحب القدري ..حب دون أسباب منطقية تحسب بالورقة

والقلم .. مشاعر كشفرة مخفية يزرعها القدر في الروح.. فإن تقابلت يوما بمن يملك الجزء الثاني منها حدث التعلق الروحي..
هكذا دون مقدمات ..دون تفسيرات منطقية واجتهادات ..دون حتى الالتفات للفروقات الفكرية والاجتماعية والثقافية ..
شفرة تحل أحجية شفرة ..
روح تتعلق بروح ..
ويبقى نجاح أو فشل العلاقة نفسه في يد القدر أو حسبما يقرر الطرفان .
عند تلك الغرفة في الدور العلوي التي تطل على ساحة المشروع توقفت ثم تساءلت وهي تدفع باب الغرفة الغارقة في الصمت القاتل ..
ما هذا الوجع ؟.. وهل كان ينقصها أوجاع؟!!
كان صوت صرير الباب يخترق ذلك الصمت الموحش وضربات قلبها العالية تعلو أكثر وأكثر حتى باتت تنبض في رأسها..

لماذا تشعر بأن هذه كانت غرفته فليس لأنها قد رأته ذات مرة يطل من نافذتها يعني أنها تخصه .

تطلعت حولها .. واقتربت تفتح تلك النافذة المطلة على ساحة المشروع فتفاجأت بأنها قريبة جدا وكاشفة لغالبية ما يحدث في ساحته وقد تاه عن ذاكرتها ذلك ..

مررت يدها على حافة النافذة الخشبية وكأنها تتحسس أثره في المكان.

ماذا حدث لك يا بسمة ؟..

منذ متى وأنت بهذا الرومانسية ؟

أأنت مراهقة؟ ..

أيمكن لمن مرت بمثل تجربتك أن تفكر بهذه المراهقة؟.. أن تتصرف كالفتيات الصغار؟..

كيف بعد ما تخطيتيه من آلام؟ ..وبعد ذلك التغير الذي حدث لك مؤخرا !.

راودها سؤال وجودي :

أيولد الحب ويزداد مع العشرة والوقت؟
أم يأتينا كالقدر بكل قوته دفعة واحدة ؟
عادت لتغلق النافذة وكأنها تغلق عليها أفكارها
واستدارت تجول بأنظارها في الغرفة .. وكأنها
تبحث عن شيء..
عن أثر ..
عن ذكرى ..
لماذا ترتجف ؟
لمحت كتابا فوق المنضدة بجوار السرير
فأسرعت إليه بفضول .. ولهفة ..
أمسكت به وقرأت عنوانه.
(أجمل قصائد الحب)
رفعت حاجبا مستعجباً وغمغمت" أيقرأ هذا
الفظ المستفز الشعر !".
عند هذه الخاطرة ..خاطرة فظاظته واستفزازه
..استدارت خلفها بتلقائية وكأنها تخشى أن
يسمع صوت أفكارها فتجده خلفها كالمرة

السابقة .. وكم تمنت أن يحدث ذلك .. لكنها بلعت غصة مرة في حلقها حين لم تجد من يطل عليها بطوله وعرضه ليخبرها بعنجهية بأنها تحترف اقتحام الأماكن ..

عادت إلى الكتاب لتتصفحه ففهمت بأنه يضم مختارات من الشعر لأكثر من شاعر ..وفي أول صفحة كان هناك ما كُتِب باليد بخط أنيق :

إلى أولئك الذين نهجرهم اختيارا ..

فيحتلون قلوبنا إجبارا .

سلام من أعماق الروح والقلب.

سلام ليس بعده سلام.

تألم قلبها.. رغم أنها لا تعلم لمن كتبت هذه الخاطرة.. لكنه تألم بشدة ..

ولفت انتباهها صفحة معينة قد طوي طرفها بشكل بدى متعمدا ففتحتها لتجدها قصيدة لنذار قباني بعنوان (عُقدة المطر) فجلست على السرير وأخذت تقرأها .. ورغم أنها لم تكن

أبدا تهتم بالشعر إلا أن دموعها انهمرت مع كل
شطر وبيت قرأته ..
مع كلمة ومعنى ..
مع كل حرف ..

أخاف أن تمطر الدنيا.. و لستِ معي.

فمنذ رحتِ.. و عندي عقدة المطر.

في نفس اللحظة كان كامل يقف بوجه واجم وصدر متخم بالأوجاع في صالة المطعم وكلمات القصيدة تنساب بنعومة وخفوت مغناة بصوت كاظم الساهر تلف بشاعرية في أركان المكان لترفه عن رواد المطعم المزدحم بالزبائن كأفكاره.

كان الشتاء يغطيني بمعطفه.

فلا أفكر في برد و لا ضجر.

و كانت الريح تعوي خلف نافذتي

فتهمسين: تمسك ها هنا شَعري

و الآن أجلس .. و الأمطار تجلدني

على ذراعي.

على وجهي.

على ظهري.

فمن يدافع عني.. يا مسافرة

مثل اليمامة.. بين العين و البصر.

تطلعت بسمة ودققت من وسط دموعها في تلك الابيات بالذات التي اعيد كتابتها في ركن الصفحة مرة أخرى بالقلم الحبر وكأن صاحبها يريد توثيقها ..يريد تأكيدها .. وكأنه يتمنى أن يقولها أو يرسلها كرسالة لأحدهم ..

وكيف أمحوك من أوراق ذاكرتي

و أنت في القلب مثل النقش في الحجر.

على الرغم من ملامحه الصلبة والتي قد يخطئها كل من يتطلع فيه أو ربما يخشاه في وقفته المتصلبة الجامدة كان في صدر كامل قلب يعاني وهو لا يرى إلا عينيها .. إلا وجهها .. إلا ضحكتها التي خرجت في لحظة خالية من الأحزان .. وتمنى لو كان قد أجل الوداع ولو أسبوع أخر لكان الآن في بيت الجد صالح يبحث عن حجة لمشاكستها أو الحديث معها أو الغوص في بحر عينيها..

إن الوضع صعب رغم أنه لم يمر إلا يومين .. لكن الفراق صعب وعدم وجود أمل للقاء قريب يجعله أكثر صعوبة .. وإن كان يخشى عليها من نفسه فعقله يصور له خوفا أكبر عليها .. وخاصة وهو يفكر في أنها قد تُجبر يوما من الأيام على زيجة لا تريدها أو أن تتزوج من ذلك الطبيب البيطري.

تنهد ينظر لسقف المكان .. أيغار من زواجها السابق ؟.. ماذا لو وصلته معلومة يوما بأنها قد تزوجت من شخص ثان فلا يعتقد بأن علاقته بمفرح قد انقطعت للأبد .. صحيح هو لا يزال غاضبا منه .. لكنه يعلم بأن الأمر يحتاج لبعض الوقت حتى يهدآ ويتصالحا .. وهذا يعني أنه قد يعرف اخبارها ولو صدفة.. ولا يتصور أنه قادر على تحمل خبر زواجها من رجل أخر هذا الشيء سيصعب عليه ..

زفر زفرة حارة وتمتم مع الاغنية في سره.

أنا أحبك يا من تسكنين دمي

إن كنتِ في الصين.. أو إن كنتِ في القمر

ففيك شيء من المجهول أدخله

و فيك شيء من التاريخ و القدر

في بيت الجد صالح مسحت بسمة دموعها تنفض عنها مشاعر الضعف التي لا تريدها أن تتملك منها وحدثت نفسها " كوني قوية يا بسمة .. تخطيت مرحلة أصعب من هذه بكثير .. لن تربطي حياتك بأحد "

استقامت واقفة تشحذ من همتها وتشجع نفسها .. ستكون قوية .. متماسكة وستحتفظ بتلك الذكريات ..

تحركت تترك المكان بسرعة لكنها تفاجأت بأن الكتاب لا يزال في يدها .. ترددت قليلا تنظر فيه ثم قررت وهي تغلق باب الغرفة بأنها ستحتفظ به كذكرى .

ذكرى رجل مر من هنا يوما .. فوشم اسمه على قلبها ثم رحل.

xxxx

بعد ثلاثة أيام

كان جالسا في صالة شقته الصغيرة في العاصمة أمام إحدى الطاولات المتكومة عليها بعض الكتب يكتب بتركيز على اللابتوب الخاص به .. إنه يحاول منذ أسبوع انجاز أوراق بحثية تخص رسالة الدكتوراه التي يعدها كوسيلة لشغل نفسه وأفكاره عما يدور بهم من منغصات .

لا ينكر بأنه قد تحسن كثيرا عن اسبوع مضى خاصة أن زيارة شامل له منذ أيام أكدت له أنهما متمسكان بصداقته ..لكنه لا يزال يعتزل الجميع منذ تلك الليلة ولم يذهب حتى للبلدة مكتفيا بطمأنة أهله وخاصة والده يوميا على الهاتف رغم صعوبة تقبل الأخير لهذا الوضع .

رشف من كوب الشاي ثم أجفل من دقات مفاجئة على الباب مصاحبة لرن الجرس بشكل متواصل ..فعبس واستقام بسرعة متوعدا لمن بالباب.

حين فتح تفاجأ بمليكة والولدين فبادره إياد يقول بلهجة استعراضية "لقد حضرنا ما رأيك في هذه المفاجأة؟"

رغم الدهشة اتسعت ابتسامة مفرح ..

ابتسامة لم تزره منذ عدة أيام ولا يقدر على رسمها على وجهه سواهم ومال يقبل رأس إياد ثم أدهم الذي دخل يقول" السلام عليكم"

رد مفرح السلام ثم رفع أنظاره لمليكة التي تدقق فيه بقلق وسحبها دون كلام إلى حضنه ..ولم يعرفا من منهما كان يضم الأخر إليه أكثر.

أخذت مليكة تتحسس ظهره المتشنج وتربت عليه ..لقد اشتاقت إليه وقلقت عليه بشدة ..اسبوع لا تطال منه سوى صوته عبر الهاتف ..ورغم أنهما لم يتحدثا عن الماضي أبدا لكنها أدركت بأن جراحه لم تمت بعد .

ابتعد عنها يتجول بنظراته الملهوفة في وجهها ولوهلة نسيا الولدين الواقفين غير أن اللحن الرومانسي الذي عزفه إياد بفمه ساخرا منهما جعلهما ينتبهان فتحركت مليكة تدخل بينما أخذ منها مفرح حقيبة صغيرة كانت تحملها قائلا " ما هذه المفاجأة من أوصلكم؟"

ردت مليكة "أخي بشر أوصلنا لديه مشوارا في العاصمة وسيبيت عند أكرم (وتطلعت حولها تتفقد أحوال الشقة) فسألها مفرح لماذا لم تخبريني بأنك ستأتين؟"

مطت شفتيها وردت مناكفة "تفتيش مفاجئ"

اتسعت عيني مفرح لثوان قبل أن يقهقه ضاحكا ..فلملمت ابتسامتها وقالت بلهجة خطرة" ألا تصدقني ؟"

هدأت ضحكته وقال بحاجب مرفوع "وهل تعتقدين بأنك ستكونين أذكى مني ..بالتأكيد اتخذ احتياطاتي حتى لا ينكشف أمري "

حدجته بتلك النظرة المتعالية المتعمدة من طرف عينيها والتي تذكره بمشاكساتهما وهما صغار وقالت وهي تتفقد المكان" لن يعصى شيء على مليكة صوالحة إن شاء الله"

تأملها وهي تتحرك في المكان فتضفي بحضورها دفئا لكل شيء حولها .. وشعر بالسعادة وهو يراها قد بدأت في الفترة الأخيرة في العودة لمليكة القديمة .. يراها تحاول السيطرة على جراحها وهشاشتها وذلك يمنحه بعض الأمل بعد أن كان اليأس قد تمكن منه "

قالت مليكة باستنكار "ما هذا يا مفرح النوافذ مغلقة ورائحة الشقة مكتومة تحتاج للتهوية وتبدو كما لم تنظف منذ مدة !"

نظر مفرح حوله ورد" لا أشم أي رائحة وأرى أن الشقة مرتبة"

نظرت مليكة للمنضدة التي عليها الكتب
ولمقعد تتكوم عليه ملابسه فقال مفرح
بغيظ" دعي كل شيء يا مليكة الآن"
خرج أدهم وإياد من الداخل بعد أن غسلا
وجهيهما فقال الأول " أنا جائع"
سأل مفرح" ما رأيكم أن نخرج لنتنزه قليلا
ونتناول الغداء بالخارج (ثم استدار لمليكة
يسألها)أم أنك متعبة من المشوار ؟"
تقافز إياد يقول "نخرج ..نخرج "
فردت مليكة رغم شعورها بالإرهاق "نخرج"
نظر مفرح لأدهم يستطلع رأيه فرد الأخير
بابتسامة "نخرج "
قال مفرح "إذن سأبدل ملابسي بسرعة "

قبل أن يتحرك اقتربت مليكة تداري وجومها
وقالت بهمس " مفرح أنا اضطررت للكذب على
الحاجة نحمدو واخبرتها بأنك من طلبت مني

القدوم إليك لأنها كانت معترضة على سفري أنا والأولاد "

عقد مفرح حاجبيه وسألها "لماذا كانت معترضة؟.. ألم تعرف بأن بشر سيوصلك ؟"

حاولت مليكة ألا تحرق دمها بتذكر استفزاز نحمده لها والتي حاولت أن تمنعهم من الخروج فقالت باقتضاب" لا أعرف "

غمغم مفرح وهو يتحرك نحو الداخل" لا بأس سأقول بأني من طلبت منك ذلك .. وسأتكلم معها في أمر منعك من الخروج العجيب هذا ..سأبدل ملابسي بسرعة"

ناظر أدهم مليكة بنظرة متفحصة وطحن ضروسه مغتاظا وهو يتساءل في سره ..لماذا تداري عليه الأمر ؟.. ولماذا تسكت على ما تفعله فيها جدته؟.. ولماذا لا يفعل والده شيئا ليمنع ما تفعله أمه ؟!

لماذا؟!!

xxxx

" إذن غيرت رأيك بشأن السفر"
قالها رامز الخازن في وقفته أمام كامل في المطعم فرد الأخير بهدوء نافيا "لا لم أغير رأيي وإنما أجلته .. أبي راقد منذ أن علم بأني قد حجزت تذكرة السفر"
مط رامز شفتيه وشرد بحيره فسأله كامل "وأنت هل قررت السفر ؟ .. الحقيقة كنت متحمسا للسفر حينما علمت بأنك أنت أيضا قد حصلت على تأشيرة لأمريكا"
نظر إليه رامز نظرة حائرة وأجاب "أنا أيضا يبدو أني سأؤجل السفر ..فوالدي كوالدك يعارض سفري وبانة تقيم مناحة وتلعب على وتر مشاعري الأخوية بشكل مغيظ"
ابتسم كامل ابتسامة ضعيفة وغمغم" إذن ستؤجل أنت الأخر "

قال رامز وهو يتحرك ليطفئ السيجارة في إحدى طفايات السجائر على أحد الطاولات "الحقيقة لا أعلم.. لماذا لا نكون أحرارا لنفعل ما نريد بدون ابتزاز عاطفي"

ناداه كامل ببعض التردد" رامز"

تطلع فيه الأخير متسائلا فسأله كامل بحرج "هل ..وضّحت لأحمد سماحة موقفي من موضوع أختك الذي اعترفت لك به وأبلغته اعتذاري كما طلبت منك منذ فترة ؟"

هز رامز رأسه وغمغم "أبلغته لكنه لم يعقب .. حدجني فقط بنظرته الممتعضة"

لوي كامل شفتيه ممتعضا هو الأخر وغمغم بتكبر "فعلت ما عليّ فعله ..هو حر بعد ذلك

(وسأل رامز الذي شرد من جديد كعادته) هل هذا معناه أنك ستستمر في العمل مع آل سماحة ؟"

رفع رامز إليه أنظاره وقال بتشتت" سيبقى الوضع كما هو عليه حتى أرى نهاية ذلك الابتزاز العاطفي من الأخت بانة وذلك التعنت من الدكتور عبد الله الخازن"

سأله كامل "ألا يزال يبحث عن أخيك فراس؟"

لاحت نظرة متألمة في عيني رامز وهز رأسه يقول متنهدا" لا يزال يبحث ..ولا يريد الاستسلام ..وصحته لا تحتمل كل هذا المجهود والضغط النفسي ..وكلما حاولت معه ليتوقف يقول أخبروني بمكان قبره وسأتوقف"

تألم قلب كامل وهاجمته ذكريات لا يريد أن يتذكرها عن الحرب بينما غمغم رامز وهو يتحرك مغادرا" أنا سأذهب "

قال كامل مستنكرا" لماذا لا تبقى معنا قليلا على الغداء "

قال رامز مبتعدا "لا سأذهب ..(ثم استدار نصف استدارة يسأله)أين شامل؟"

أجابه كامل مراوغا "لم يستيقظ من النوم بعد"
قال رامز بشك "أشعر بأنكما لستما بخير"
غمغم كامل بلهجة حزينة "لا تشغل بالك
كله سيمر إن شاء الله "
هز رامز رأسه وتحرك مبتعدا وهو يقول
"سأخبرك إن قررت شيء بشأن السفر ..وأنت
أيضا إن قررت أبلغني .. سلام"
قالها وخرج من الباب الزجاجي فزفر كامل بحيرة
شديدة لا يعرف إلام ستنتهي تلك الأيام
الصعبة على الجميع .

xxxxx

على باب إحدى المحلات وقف يتشاكس مع
ولديه ثم قال يكمل حديثه الذي بدأه قبل
قليل" لهذا وبما أننا قد اصبحنا رجالا صغار
فعلينا أن نكون أكثر حذرا في التعامل مع
الفتيات لأن كل فعل سيصدر منا سيكون
محسوبا علينا "

قال إياد باندفاع "أنا لا ألمسهن أثناء المزاح كما تشدد علينا أمي "
قال مفرح يومئ برأسه "هذا جيد لأنك محترم ومن عائلة محترمة وتحافظ على بنات الناس كأخواتك.. والله يرى كل أفعالك"
أضاف إياد وهو يضع يده على فمه ليداري ضحكة محرجة "لكن أنا وأدهم نشعر أحيانا برغبة في لمس البنات "
جحظت عينا أدهم وناظر أخاه موبخا وهو يزم شفتيه حتى لا يضحك بينما أفلتت ضحكة صغيرة من مفرح قبل أن يحاول السيطرة على نفسه ويتصنع الجدية قائلا "هذا لأنكما قد بدأتما في مرحلة المراهقة وسيلفت انتباهكما دائما الفتيات .. هذه المشاعر تكون متأرجحة ومذبذبة حتى تستقر حينما تكبران وتتخطيان هذه المرحلة"

سأله أدهم بوجنتين متوردتين" وهل حينما أكبر ستتوقف هذه الرغبة التي تحدث عنها إياد على فتاة واحدة فقط هي من تزوجتها؟"
سعلة فاجأت مفرح مع سؤال ابنه ثم تنحنح يفكر بسرعة كيف يرد عليه بما يتناسب مع عمره وأخبر نفسه بتلقائية بأنه سيحكي متفكهاً عن هذه المناقشة لصاحبيه.
على سيرة التوأمين أصابته غصة معترفا بأنه يفتقدهما وقبل أن يجيب على ابنه بإجابة دبلوماسية لمح بعينه صاحب المحل وهو يتحدث مع مليكة بالداخل ولم تعجبه تلك النظرة في عينيه لها فتحرك يدخل المحل مقتربا منها بينما صاحب المحل يقول بإعجاب" كلامك مضبوط يا هانم "
قال مفرح وقد انقلبت ملامحه تماما خلال الثانيتين اللتين عبر فيهما من الباب للداخل "ماذا هناك؟"

التفتت إليه مليكة بينما قال صاحب المحل لمفرح" الهانم كانت تجادل مندوب المحل (واشار لشاب يقف بجواره) في مكونات أحد أنواع العطور وكلامها كان صحيحا ويبدو أن المندوب قد اختلطت عليه المعلومات لكن الحقيقة الهانم ما شاء الله لديها معلومات كثيرة عن أنواع العطور ومكوناتها "

لم يعقب مفرح بل لمس كتف مليكة مشيرا بمقلتيه بما يعني هيا فورا .. فعبست الأخيرة وتعجبت لكنها أسرعت تقول للشاب البائع "سأكتفي بما اخترت اخبرني بالحساب من فضلك "

بعد دقائق سألت مليكة مفرح وهما يسيران في أحد المراكز التجارية الكبرى في العاصمة "ما الذي حدث؟.. لماذا استعجلتني يا مفرح كان هناك أشياء لم اشتريها بعد "

قال ببرود" اشتريها من محل أخر"

سألته بغيظ" لماذا؟ ..هذا المحل كان به كل ما
أريد من عطور وصابون وكريمات"
مط شفتيه وأجاب دون أن ينظر إليها" لم
تعجبني نظرة صاحب المحل لك "
تطلعت فيه باتساع عينيها لثوان ثم قالت
"الرجل كان مؤدبا معي "
حدجها بنظرة جانبية قبل أن يعود لينظر أمامه
على ولديه اللذين يسيران أمامهما ورد ببرود"
أنت لست رجل لتفهمي في تلك الامور "
انفجرت دقات قلبيهما معا بلحن متناغم
فتوردت وجنتي مليكة وأشاحت وجهها تقول"
لا أصدق أنك تغار من بائع يبيع لي بضاعته"
دبت الحرارة في جسده ورد وهو ينظر إليها
بطرف عينيه "أغار عليك من كل شيء حتى
الثوب الذي ترتدينه ..هل لديك اعتراض !"
استمرت ضربات قلبها في عزف المزيد من
النبضات لكنها غمغمت بلهجة ساخرة "حمدا

لله أننا لا نسكن في المدينة وأني لا أحب أن أخرج كثيرا"

رد ببرود دون أن ينظر إليها " حتى لو كنا نسكن المدينة كنت سأحبسك .. بسيطة المسألة "

أدارت إليه وجهها تقول بغيظ "وتقولها هكذا ببساطة!!"

وقف أمامها ورد وهو يرفع كتفيه مستمرا في استفزازها "من حكم فيما يخصه فما ظلم "

قالت بوجنتين مشتعلتين " لا تحاول التبرير يا مفرح فما فعلته عطلني عما أريد شرائه"

قال متهكما وهو يشير للأكياس في يده" ماذا كنت ستشترين أكثر من ذلك ؟!.. صابون عطري برائحة حقول الوديان؟ .. أم كريم برائحة السهول الفيضية لجزر كوكب الزهرة؟!"

ضيقت عينيها تناظره بغيظ لثوان قبل أن تلمح محلا أخر خلفه فقالت وهي تنظر بداخله "

البائعة فتاة .. هلا تركتني لأشتري دون مقاطعة
"

واسرعت تدخل المحل فتأمل مشيتها الرشيقة وتلك العباءة العصرية الأنيقة التي ترتديها .. دوما مليكة مميزة بين النساء في نظره حتى طريقة ارتدائها لملابسها ليست كأي امرأة أخرى .. من القلائل اللاتي جمعن بين اللبس التقليدي والأناقة والعصرية والالتزام الديني .. فكانت مميزة دوما في نظره..

تنهد وزفر نفسا متألما من صدره فرغم فرحته بقدومها هي والأولاد وقد كان بحاجة إليهم إلا أنه كان يتحاشى التواجد في محيطها هي بالذات في حالته هذه التي لم تتوازن بعد..

نادى على ولديه المتقدمان وقال مشيرا لهما "انتظرا هناك محل آخر لم تدخله أمكما "

صرخ الاثنان باعتراض فقال مفرح مواسيا وهو يبحث عن أي مقهى قريب حولهم" أنا أيضا لا

أشعر بقدميّ لكنه حُكم القوي (وناظر ولديه وقال بلهجة بائسة) لنسأل الله أن يرأف بحالنا ويكون هذا آخر محل.. كثفا الدعاء "

xxxx

نزل شامل من غرفته واجما ثم تحرك نحو جناح والديه في الطابق الأرضي ليطرق على الباب حتى يطمئن على والده ثم فتح الباب حين سمح له بالدخول يقول "كيف حالك يا حاج اليوم ؟"

غمغم غنيم بهدوء في جلسته نصف المستلقية على السرير وهو يتأمل ملامح ابنه العابسة ووجهه الشاحب" أنا بخير الحمد لله"

هتفت سوسو وهي تقترب من ابنها وتسحبه من يده ليدخل "تعال يا شامل أريد أن اتحدث معك"

قال شامل بضيق "فلنؤجلها يا أمي لأني لست في حالة نفسية تسمح لي بالتحدث في موضوع ونس "

قالت أمه بإلحاح" تعال سأعرض عليك فكرة ستعجبك بشأنها "

عقد شامل حاجبيه ودخل فعادت والدته لمقعدها تجلس بأناقتها المعهودة ثم تبادلت النظرات مع زوجها الهادئ الذي يتفحص ولده حائرا وقالت" اسمع يا شامل أنا أصدق أن هذه البنت مميزة ..لهذا سأقترح عليك فكرة ممتازة ..إحدى صاحباتي تعمل في السفارة الايطالية وقد اخبرتني عن معهد خاص اقامته ايطاليا هنا في البلد يعطي مِنَحا مجانية للراغبين في دراسة الفنون ويختارون المميزين منهم وهناك أولوية لذوي الاحتياجات الخاصة .. والمتميزين منهم قد يحصلوا على منحٍ للسفر لإيطاليا .. وأنا تقديرا مني ومساعدة لك في احتواء واحتضان

هذه البنت المميزة سأوصي عليها صاحبتي
لتُقبَل فيه ..بل انني اقترح عليك أن نوهم
والدها الذي أخبرتنا عنه بأنه حساس تجاه
كرامته بأن المعهد سيوفر لها مكانا مجانيا
للسكن هنا في العاصمة وبإمكانه أن يأتي ليسكن
معها طوال فترة الدراسة وبالطبع سنتحمل
نحن تكلفة السكن دون أن يعرف.. كما أنني أنا
ووالدك على استعداد لعرضها أيضا على أشهر
الأطباء وللمساهمة في تغيير حياتها للأفضل
..وتستطيع أنت أيضا أن تشارك من مالك
الخاص معنا فبالتأكيد العلم قد تقدم الآن
بشأن حالتها ومالم تستطع أن تجده في بلدتها
الصغيرة ستجده هنا في العاصمة .. واترك اقناع
والدها على غنيم سيقنعه بالموافقة على
التحاق ابنته بالمعهد ..ما رأيك ؟"
دعك شامل جبينه بأنامله وقال ساخرا "وهذا
العرض السخي بالطبع مقابل أن أترك فكرة

الزواج منها باعتبار أني الشاب الابله الذي لا يستطيع التفرقة بين مشاعره المتعاطفة مع انسانة أو مشاعره تجاه انثى يريدها كزوجة له وأما لأطفاله"

هتفت سوسو " ها أنت قد قلت ..أما لأطفاله ..هل هذه ستكون أماً كفئا لأطفالك؟!"

صاح شامل بغضب "أين المشكلة يا أمي؟ ماذا ينقصها؟! ..وهل من في مثل ظروفها لا يتزوجن ولا ينجبن .. بصراحة يا سوسو أنا مصدوم من نظرتك هذه "

شعرت سوسو بالحرج الشديد والحيرة بينما أكمل شامل بتأنيب مؤدب" صدقيني مصدوم بشدة لأني أعرف مواقفك الإنسانية جيدا وسمو فكرك فلم اتوقع كل هذا الرفض بسبب حالتها"

هتفت سوسو تدافع عن نفسها موضحة "الامر ليس له علاقة بحالتها فقط يا شامل صدقني ..لكن كل ظروفها مختلفة عنك " رد شامل بإصرار " وأنا أؤكد لك بأن ونس ذكية ومختلفة وستتعود على اختلاف الحياة بسرعة"

زفرت سوسو بضيق ونظرت لزوجها فنظر إليه شامل بدوره يقول بلهجة حزينة صادقة " أنا آسف يا أبي .. صدقا أنا في غاية الأسف أن سببت لكما كل هذا الحزن لدرجة أن ترقد في الفراش (ونظر لامه) آسف يا أمي (وعاد ينظر لوالده) خاطركما وكلمتكما فوق رأسي لكني اشعر بمسئولية كبيرة تجاه ونس وسأظل ألح على والدها لعله يثق بي ويوافق .. لم أكن يوما أتخيل بأني قد أفعلها بدونكما لكن الأمر لا يتعلق بي أنا فقط شامل الذي أحب ونس وسيتحمل ألم الفراق .. يتعلق بها هي أيضا وأنا

متأكد أنها تعاني هذه اللحظة ولا أعرف كيف سيكون مصيرها .. آسف أني خيبت أملكما فيّ وتعلمان كم أنا دوما حريص على ألا أفعل لكن هذه المرة الأمر خارج عن إرادتي .. واتمنى أن تسامحاني يوما وتعطياني مباركتكما والتي هي جدا تهمني .. ..وعاقبني يا أبي بما تراه لكن بالله عليكما لا تغضبا عليّ .. أنا أسف جدا "

قالها وتحرك خارجا يغلق الباب خلفه بهدوء فنظرت سوسو لزوجها بحزن تسأله" ماذا سنفعل يا غنيم لم أره متمسكا بشيء بهذا الشكل المستميت "

أطرق الأخير برأسه يقول " ماذا سأقول يا سهيلة.. لله الأمر من قبل ومن بعد "

xxxxx

في المساء

انه يقترب من ذلك المنحدر ويفقد القدرة على ذاته شيئا فشيئا .

كان قد وعد نفسه بأن يحاول ألا ينام في نفس الغرفة الليلة .. لكنه بمجرد أن نام ولديه في الغرفة الصغيرة دخل ليبدل ملابسه فوجد الغرفة معبأة برائحة العطور التي ابتاعتها.
فهي ملكة العطور بلا منازع .. تختار عطور مميزة ولديها معلومات كثيرة عنها..
رآها بمنامة قطنية أنيقة تبزر تفاصيل جسدها الذي لا يشبع منه أبدا فسألها بحشرجة" ماذا تفعلين؟"
ردت بهدوء "أرتب لك الخزانة ..هناك ملابس استعملتها ووضعتها مرة أخرى يا مفرح ..أحاول التفريق بين النظيف والمستعمل "
هذا الهدوء يعرفه .. وتعرفه هي أيضا .
ذلك الهدوء الذي تكون هي عليه بمجرد أن تجمعهما غرفة واحدة.
هدوء ميت يعم المكان حين يخبو صخب الأولاد من حولهما .

هدوء على ايقاع النبضات المرتبكة المضطربة بمشاعر جياشة.
مشاعر حب جارف لا يشبع من قِبله.
ومشاعر اضطراب وتباعد ومقاومة للاستسلام من قِبلها.
كان يعلم بأنه يقترب من ذلك المنحدر وبأن مقاومته قد ضعفت .. بل شُلّت.
وكانت تعلم بأنه يحتاج إليها ولوصالها وقد استعدت لذلك .. فتلك الامور يحبها وتسعده وهي أتت لتسعده ..
شعرت مليكة بدفء جسده حين اقترب وأحاط بها من الخلف يهمس في أذنها بحرارة"
أتركي الملابس والخزانة فليست مهمة "
أطاعت بهدوء واستسلمت.
استسلمت لذراعين قويين وحضور رجولي طاغ.
استسلمت لفيضان من مشاعر حارقة.

ولقبلات ملتهبة من شفتين كجمرتين من نار على جسدها.
استسلمت لعنفوان ذكوري في حالة شديدة من الاحتياج .
استسلمت لكن روحها كالعادة لم تستسلم .
وحين يكون الصراع بين الروح والجسد مؤلم
وحين تكون المعركة مع الذات موجعة .
فالموت هو الحل .
الموت المؤقت .
موت لم يتحمله مفرح .. هذه المرة ..لم يكن لديه الطاقة النفسية الكافية للتحمل .. هذه المرة كانت غير كل المرات .. لم يكن يرغب في وصال جسدي فقط .. لم يكن يرغب في افراغ شهوة ..
كان يحتاج لوصال كامل مع محبوبته .. يحتاج لطمأنة حانية .. كان بحاجة للغة جسد بليغة تخبره بما يرغب في معرفته ..

كان بحاجة إليها بكليتها.
لكنه لم يلق إلا جثة هامدة !
بعد دقائق معدودات ابتعد مفرح.. واطلق سراحها قبل أن يطلق العنان لمشاعره .
هذه المرة لم يكمل حتى خط النهاية متغاضيا عن وعورة الطريق.
هذه المرة لم يكن الوصول إلى خط النهاية مُلح بقدر ما كانت الحاجة للاستمتاع بتفاصيل الرحلة أكثر الحاحا .
تركها جثة عارية مغمضة العينين على السرير وابتعد عنها بصمت يناظرها بغضب واحباط شديدين وبأنفاس ثائرة ضلت طريقها للهدوء ثم تحرك يعدل مالم يكن قد خلعه بعد من ملابسه ...
ألهذه الدرجة هو لا شيء بالنسبة لها؟ .. اقترابه منها حمل ثقيل على روحها! ..

ألهذه الدرجة تكرهه وتكره اقترابه ولمساته..
وهو المدله في حبها لدرجة أن يذل نفسه كل مرة معها بهذا الشكل المهين !.
أخيرا فتحت مليكة عينيها ولمحته يخرج من الغرفة مندفعا فأجفلت ولم تفهم شيء .. ثم اسرعت بارتداء ملابسها لتلحق به بقلق ..
حافية القدمين تربط المئزر حول جسدها وشعرها البني الناعم مسدلا على ظهرها ..
بحثت عنه فوجدته يجلس على الأريكة في الصالة بجذع عار مرفقيه على فخذيه مطرق الرأس ومظلم القسمات.
بقلق صادق سألته "مفرح ..ماذا حدث (حين لم يرد نادته) مفرح"
"ابتعدي "
قالها بصوت خافت غاضب أصابها بالارتباك والحيرة فاقتربت أكثر تضع يدها على كتفه تقول" مفرح اخبرني ماذا حدث"

بخشونة أبعد يدها عنه قائلا بصوت أعلى رغم كل محاولاته للسيطرة على انفجار غاضب وشيك "قلت لا أريد أن أراك أمامي الآن وإلا ستندمين "

كانت المرة الاولى التي يعاملها بتلك الطريقة لكنها لم تغضب منه بل شعرت بالجزع لأن الأمر يبدو بسببها .. فتحركت لتقف أمامه ثم جلست بين ساقيه تقول بخفوت قلق ومقلتاها تتوسلان إجابة من تفاصيل وجهه المريعة "اخبرني يا مفرح ماذا فعلت"

تلك اللهجة البريئة المتمسكنة التي أثارت شفقة قلبه تجاهها استفزته وزادت من غضبه أضعافا.. فهدر بكرامة مجروحة في وجهها المرفوع إليه" أنتِ بالفعل لا تفعلين شيئا يا مليكة .. هذه هي مشكلتك أنك لا تفعلين شيئا.. ولا أعرف إلى متى عليّ التحمل .. إلى متى سأتجاوز عن جرح كبريائي وكرامتي .. إلى متى

سأتجاوز عن شعوري بالإحباط والخذلان في كل مرة نلتقي فيها .. لا تريدينني؟.. حسنا وأنا لن أريدك .. من هذه اللحظة لن أفرض نفسي عليك"

كانت تنتفض من الارتباك وعدم الفهم أو ربما الانكار وهي تحاول استيعاب ما يقوله ..وقلبها يرتجف مرتعبا من تلك الشياطين التي تحتل واحتيها الخضراوين في وجهه .. فأمسكت بساقيه بقوة ..وكأنها تحتمي به منه ..

وغمغمت بصوت مرتعش استمر في إثارة شفقته عليها واستفزازه" ماذا فعلت يا مفرح أخبرني أرجوك "

صاح أمام مقلتيها اللتان تترقرق فيهما الدموع " أأنتِ غبية يا مليكة ؟!(اتسعت عيناها بصدمة فأكمل وقد انفلت عقد تحكمه فيما يقول) كم عمرك لتسألي هذا السؤال؟.. لم اعهدك جاهلة أبدا .. حتى أبسط النساء في الحقول منهن من

تفهم .. تفهم بفطرتها أنها ليست مجرد أداة لإفراغ شهوة زوجها .. لديها مشاعر وحاجة ورغبة"

غمغمت بارتباك وتقطع وقد امتلأت عينيها بالدموع "أنا.. أنا ..أنا والله أراعي هذا الجانب.. ولم ...لم أرفض لك أي مرة طلبت فيها (ونظرت في الأرض تحاول إيجاد كلمات للدفاع عن نفسها) أنا أحرص على أن أشتري وارتدي ما تحبه و .. و لم يكن هناك مرة رفضت فيها .. لأني أعرف بأن هذا الموضوع تحبه وأنا .."

صاح فيها بجنون " ليتك ترفضين .. ليتك ترفضين يا مليكة .. لكان أرحم وأقل ألما "

كانت ترتجف بين ساقيه بشدة وهي تقول "مفرح أنا لا أفهم ما الذي حدث أنا..."

كلما ازدادت ضعفا وارتجافا كلما جن جنونه فصاح غاضبا "ما الذي لا تفهمينه يا مثقفة يا متعلمة ..أنا أتحدث عن تجاوبك معي ..عن

مشاعرك الجسدية تجاهي ..أنا أشعر بأني متزوج الوسادة .. متزوج من جثة باردة .. (وبكل غضب انفجر مؤكدا) أنت باردة يا مليكة .. هل فهمت الآن .. هل استوعبت .. أنت لوح من ثلج .. وأنا لن أهين نفسي معك مرة أخرى حتى لو سأموت .."

تساقطت الدموع الصامتة من عينين متسعتين ذاهلتين مرفوعتين إليه في الوقت الذي خرج الولدان من الغرفة التي ينامان فيها واقتربا بحذر ليقول أدهم بتوتر" أبي .. هل هناك مشكلة؟ "

لم يتحرك مفرح من جلسته ولم يدر حتى وجهه المتجهم الحاد النظرات عن وجه مليكة الجالسة على ركبتيها بين ساقيه ..

لم يتحرك مفرح لثوان طويلة .. لكن غريزة الامومة لدى مليكة تفوقت على مشاعر الأنثى المجروحة التي تلقت صدمة كبيرة للتو وتحركت تشيح بوجهها الناحية الأخرى

لتمسح دموعها بعيدا عن الولدين قبل أن تتمالك نفسها بقوة وتستقيم واقفة تربط الحزام حول خصرها وتتمم على ستر المئزر لجسدها وهي تغمغم بصوت مبحوح فشلت من جليه جيدا "لا شيء ..لا شيء يبدو أن أباكما منزعج من شيء بالعمل هيا إلى السرير"
ناظرها الولدان بقلق ولاحظا عينيها الدامعتين لكنهما لم يملكا إلا الطاعة فعادا للغرفة بينما دخلت مليكة إلى الغرفة الأخرى والأرض تميد بها حتى وصلت بصعوبة للسرير.
جلست لوقت طويل مصدومة تستعيد ما قاله مفرح للتو.. واعترفت أمام نفسها بأنها لا تحب تلك اللحظات الحميمة بينهما ..لكنها كانت تظن بأن هذا الشعور يخصها وحدها ..كانت تعتقد بأنها تمنحه كل ما يريده كرجل .. لم ترفض يوما طلبه .. إنها تحرص بشدة على أن تسعده بما تصورت أنه يسعده كرجل .. ترتدي

ما يحبه تتزين وتتعطر كما يريد .. بل إنها كانت تبالغ أحيانا في ذلك وكأنها تغطي على شعور ما بداخلها . . كل هذا من أجله ..من أجل مفرح ..
لم تكن تعلم بأنه يعاني .. ظنت أن كرهها للحظات الحميمة بينهما أمر يخصها وحدها مادامت لا تقصر معه .. مادامت تلبي كل مرة يطلبها فيه ..
نظرت للأرض بنظرات ذاهلة .. أبعد كل هذه السنين .. تكتشف بأنها لا تسعده!!!..
إنها مصدومة.
مذهولة .
وكأنها في كابوس.
هذا بالتأكيد كابوس وستستيقظ منه.

بعد قليل فتح مفرح باب الغرفة فوجدها تجلس على حافة السرير يديها معقودتان في حجرها وقد رفعت إليه عينين مذهولتين ..

لكنه رغم كل الألم الذي يعتصر قلبه ورغم الندم الشديد عما تفوه به منذ قليل .. قرر ألا يتحدث .. قرر أن ينعزل كما كان منعزلا الأيام الماضية.

تلك المواجهة كان يخشاها ويتحاشاها .. لهذا هرب .. لهذا ابتعد ..

ليتها لم تحضر ..

وليته لم يقل ما قال ..

يعرف بأنه جرحها .. وما أصعب ذلك عليه حتى لو كان هو نفسه مجروحا.

همست بمسكنة خافتة معذِبة له" مفرح " تماسك ولم يرد وإنما تحرك يلف حول السرير بملامح قاسية مظلمة و استلقى على الجانب الأخر في صمت وعقد ذراعيه يوليها ظهره .. فراقبته من فوق كتفها لفترة ثم تحركت تستلقي هي الأخرى وتوليه ظهرها .. وتقوقعت على نفسها في وضع الجنين تفكر في كل ما قاله

والدموع الصامتة تنهمر لتغرق وسادتها وقلبها .. وقلبه .

xxxxx

اليوم التالي (الجمعة)

حان وقت الاستسلام فقد تعبت من المقاومة.
تعبت من خوض المعارك التي قدر لها بأن تخوضها منذ أن ولدت .
حان وقت إلقاء السيف والاستسلام.
فلتترك الضوء ليخبو ولتترك شمس عمرها تغيب فلم يعد للحياة معنى ولا هدف .
لماذا تعيش من الأساس؟ .. ولماذا كانت تتمسك بالحياة؟ ..فحتى والدها الذي لا تملك غيره عزيزا في حياتها كادت أن تتسبب له بفضيحة .. ولو تركها ستفعل ما تريد ..ستتسبب له بالفضيحة لا محالة .. تعرف نفسها مندفعة .. وتعرف بأن قلبها يحترق .. وبأنها لن تهدأ إلا بعد أن تصل لشامل .. فقط

لتسأله .. هل كان يكذب عليها حينما قال بأنها مميزة؟ .. أكان يشفق عليها حين قال ذلك؟.. أم أنه كما تثق فيه صادقا معها في كل شيء .

دخل عيد الغرفة واقترب يضع الصينية بجوار السرير وقال بلهجة لينة وهو يهزها "ونس .. ونس شويت لك دجاجة على الفحم .. اقسم بالله لن تأكلي مثلها في أفخر المطاعم .. طهوتها رغم أن الوقت لا يزال مبكرا على موعد الغداء لأني أعلم بأنك تحبين الدجاج المشوي"

ارتعشت مقلتيها تحت جفنيها المواربين في نومتها على السرير ورائحة الطعام وصلت لأنفها رغم أنها لم تسمع ما قاله جيدا .. لكنها لا تريد .. لم يعد لديها شهية لأي شيء .. لا طعام ولا رسم ولا ألوان ولا أي شيء .. لم يعد للألوان ذلك السحر لإخفاء عيوب العالم الرمادي .. ولم يعد للحياة أية معنى .. فلتموت لتخفف ذلك الحمل الثقيل عن

والدها .. لتخفف عنه ما يلقاه طوال عمره في عيون الناس بسبب اعاقتها .. فلتخفف عنه ذلك الشعور بالخيبة كلما تطلع فيها وهي ليست مثل باقي البنات وغير قادرة على التصرف حتى مثلهن.. غير قادرة على أن تكون شخصا أخر غير ونس .

قال عيد بعصبية وهو يرفع جذعها ويضع السماعة في أذنيها "هيا يا ونس .. كلي وأعدك أن أتركك تخرجين كما تشائين .. هيا لا تُصلّبي رأسك يا بنت عيد"

كان جسدها مرتخيا وكأنه ليس فاقدا للقوى فقط ولكن فاقد للروح أيضا وعيناها كانتا شاردتان لا تنظران إليه فتركها بخشونة لتعود لاستلقائها على السرير مرتطمة بالوسادة دون أي مقاومة ووقف يصرخ بجنون "ماذا تريدين ها؟.. ماذا تريدين يا ونس .. إن لم تتح لك

الفرصة لتفضحيني تضربين عن الطعام!!! ..أم أنك تعاقبيني لأني أخاف عليك!"

حين لم يجد منها استجابة صاح فيها "أنت لا تعلمين حجم الخطر الذي نحن فيه ولا تعلمين بأنه حتى لو كان هذا الشاب صادقا معك فإنه سرعان ما سيفيق لنفسه بعد أن تهدأ رغبته فيك يا غبية.. لا تعرفين بأن حياتكما معا ليست بهذه السهولة .. ولا تعرفين بأن أهله لن يوافقوا"

لم يبد عليها أي رد فعل .. كانت الكلمات تخرج من فمه فتستقبلها بألم كمن تُرجم بالحجارة . كل كلمة تضرب في موضع ما من جسدها فتؤلمها ..

لكن ليقل ما يريد .. ليخبرها بأنها معاقة ..وأنها تخذله دوما كونها ليست كباقي الفتيات .. وأنها هبلاء ..وأنها لم تكن مصدرا أبدا لسعادته

..وأنها حملا ثقيلا .. كل هذا ستصدقه إلا أن يقول بأن شامل كان يتسلى بها أو يشفق عليها .
عاد عيد يمسكها من كتفيها ليرفعها ويهزها قائلا "إن لم تأكلي سأطعمك بالقوة هل تفهمين؟ .. (حركت إليه مقلتين فارغتين تناظره بنظرة ميتة فقال مستمرا في هزها) لقد ذهب ولم يعد .. تحملي هذه الحقيقة وقفي على قدميك كما كنت تقفين أمام الجميع وكأنك لا تشعرين بأن شيئا ينقصك"
لم يبدو عليها أية بوادر استجابة فتركها لتعود للوسادة وجلس أرضا بجوار سريرها يضرب على رأسه بقلة حيلة لا يعرف ماذا يفعل .. ولمن يلجأ .
إنه مرتعب .. يخاف عليها من ذلك الشاب ويخاف أيضا ممن يهددونه بشأن البيت .. خاصة بعد ما حدث معه صباح اليوم .

قبل بضع ساعات

وقف أمام بيته ينظر لذلك الرجل الذي لم يره من قبل في القرية ولكنه يبدو من هيئته ولكنته أنه من نفس المحافظة بينما قال الأخير" هذا انذار أخير لك يا حاج أنا جئتك لأحذرك لأنهم سيأخذون منك البيت لا محالة "

بعينين صغيرتين تتأججان بالغضب وسط تجاعيد وجهه هتف عيد بعصبية "من أنت؟.. وأين الرجل الأخر الذي كان يأتيني من قبل وعمن تتحدث بالضبط؟.. وماذا تريدون مني ؟"

قال الرجل بهدوء خطر "أنا جئت لأحذرك وانصحك لوجه الله ..البيت يريدونه لأنه الوحيد في مدخل القرية ويريدونه لمشروع ما "

هتف عيد بحدة "أي مشروع ..ومن هم؟"

قال الرجل بلهجة غير مريحة" هذا لا يخصك بع لهم البيت ولا تسأل .. اطلب مبلغا مضاعفا إن أردت"

صاح فيه عيد منفعلا " أنا لا أريد أية مبالغ ..(واشار للبيت خلفه) هذه أرض أجدادي .. هذا النصف قيراط ورثته أبا عن جد .. أتريدني أن أفرط في أرض أجدادي؟.. أتريد للناس أن تأكل وجهي !"

تنهد الرجل وقال هازئا "لم يعد أحد يفكر بهذه الطريقة القديمة يا حاج عيد ...كل من يملك شبرا الآن يبيعه لمن يدفع أكثر ويستفيد ..لماذا لا تريد أن تستفيد أنت أيضا!"

صرخ عيد فيه " أنا لا أريد أن أستفيد ..أريد أن تتركوني في حالي"

رد الرجل بثقة "لن يتركوك ..لقد حذرتك منهم (ونظر للبيت) ما علمته أنهم قد فقدوا صبرهم

معك وسيؤذونك في أعز من تملك يا حاج ..
وساعتها لن تلوم إلا نفسك"
تطلع فيه عيد لثوان بعينين ثائرتين من الغضب
ثم استدار يبحث حوله قبل أن يتحرك ليدخل
البيت ..فعقد الرجل حاجبيه ولم يفهم ثم
اشرأب لينظر في باب البيت المفتوح يبحث عن
عيد الذي عاد إليه مرة أخرى متجهم الوجه
وأمسك بتلابيبه يرفع في وجهه سكين المطبخ
صائحا "إما أن تقول لي من هم وإلا سأذبحك
الآن بهذه السكين"
قال الرجل مفزوعا" أنا لا أعرف من هم صدقني
.. ولكني عرفت المعلومة حينما كلفني أحدهم
عن طريق الهاتف بإخبارك إياها"
هتف عيد "هل تحسبني أبله ؟..انطق"
قال الرجل يدفع عيد بقوة فرجع للخلف "قلت
لك لا اعرفهم وجئتك لأحذرك لا أكثر وأنت
حر"

وعدل من ملابسه وتحرك مبتعدا بسرعة بينما وقف عيد والسكين بيده لا يعرف ماذا يفعل ومن هم بالضبط ..

أيقدم بلاغا في قسم الشرطة ! أم يشتكي للعمدة ؟.. المشكلة أنه لا يعرف يشتكي من .. خاصة وأن هذه التهديدات تأتيه بشكل غير منتظم فاستدار ينظر للبيت وفكر كيف سيترك هذه الهبلاء العنيدة المضربة عن الطعام ويذهب إلى أي مكان؟.. حتى لصلاة الجمعة لن يستطيع الذهاب وتركها ..

عاد عيد من شروده يدير وجهه لابنته فوق السرير وضرب على مرتبته قائلا من بين أسنانه"

يا بنت الكلب لو علم أحد بحالتك هذه سيلوكون في سمعتك .. سيقولون قد غرر بها وافقدها أعز ما تملك .. لن يصدقوا أبدا أن حالتك هذه فقط لأنه قد رحل"

دمعة ساخنة انسابت من عينيها وسقطت على الوسادة ثم على قلبه كماء النار لتحرقه بينما رددت ونس في سرها" أجل رحل .. رحل جني المصباح .. رحل ولن ترى ابتسامته الحنونة مرة أخرى .. لن تتحدث معه .. لن تأخذ برأيه في رسوماتها .. رحل قبل أن يخبرها عن كل مالا تعلم عنه بعد .. رحل حتى دون أن يودع ونس"

تجمعت الدموع في عيني عيد وهو يتطلع في حالتها وقال بصوت مبحوح مخنوق بالبكاء "أتعلمين .. سأخبرك سرا لم أكن أرغب في أن اخبرك به حتى لا تصدمي .. إن شامل هذا وأخاه مفلسان (لاحظ تحرك واهن من مقلتيها نحوه فأكمل) صدقيني مفلسان وهذا ربما يكون السبب الحقيقي في أنه لم يستطع أن يعود للقرية .. لقد اخبرني ابن العمدة بأن البنك قد حجز على كل أموالهما ..فقد كانت عليهما ديونا كبيرة .. حتى السيارة الفخمة البراقة التي كنت

ترينها معهما لم تعد ملكهما أي أن المسكين مفلس الآن ..وبالطبع مشغول في البحث عن عمل لهذا كان لابد أن يبتعد عنك من أجل مصلحتك فاعذريه وانسيه يا ونس "

اجهشت فجأة بالبكاء وقد مالت لتصديق ما قاله والدها وغمغمت في سرها "ربما هذا هو السبب في أنه لم يأت كما وعدني .. بالتأكيد هو حزين الآن ..ليتني بجواره لأخبره ألا يحزن .. ليتني كنت استطيع الوصول إليه لأواسيه"

بكائها مزق قلبه لأشلاء وجن جنونه في نفس الوقت فهتف بغيظ وهو يمسح دمعة فاجأته "لماذا تبكين الآن ؟.(وضرب على السرير بعصبية) لماذا تبكين ..لماذا تبكين يا ونس ؟"

ازداد نحيبها غير قادرة على التحكم في نفسها فعاد عيد ينظر أمامه بيأس في جلسته على الأرض وأخذ يضرب رأسه المنكسة بيديه مغمغما وقد اطلق العنان لدموعه " لماذا

تبكين .. ولماذا لا تأكلين ..أترغبين في الموت؟..
كرهتِ الحياة معي؟ ..تريدين أن تتركيني يا بنت
الكلب؟ ..هنت عليك .. هنت عليك ..اللهم أني
لا اسألك رد القضاء ولكني اسألك اللطف فيه..
اللهم أني لا اسألك رد القضاء ولكني اسألك
اللطف فيه "

xxxx

انتهى الإمام من خطبة الجمعة وأمر بإقامة
الصلاة فاستقام يحيى الذي يجلس في الصفوف
الأولى في مسجد جده الصغير واقفا بين
المصلين لكنه لمح الناس يحيون أحدا دخل
من باب المسجد للتو ليتفاجأ بالحاج عبد
الحميد وابنه ماهر .
اندهش من وجودهما في مسجد صغير كهذا
يبعد عن بيت الصناديلي الكثير وبلع ريقه بريبة
حينما لمح الشيخ مبروك مأذون القرية يدخل
خلفهما .

أقيمت الصلاة فاصطف الجميع خلف الإمام ولم يستطع يحيى الواقف على الناحية الأخرى حتى من تحيتهم فبدأ يصلي بقلب مقبوض .
بعد انتهاء الصلاة سلم المصلين على بعضهم البعض وبدأوا في مغادرة المسجد بينما اقترب يحيى وهو يبلع ريقه الجاف من الحاج عبد الحميد وابنه قائلا بنظرات متسائلة " ما هذه الزيارة العزيزة يا حاج عبد الحميد؟"
قبل أن يجيب قال ماهر بصوت عال متعمدا" قلنا ما دمنا سنصير أصهارا لماذا لا نصلي الجمعة هنا في المسجد.. وأحضرت الشيخ مبروك معي لنعقد القران في هذا المسجد تبركا بشيخنا الشيخ تيمور رحمه الله"
اتسعت عيني يحيى بينما سمع بعض الحاضرين واقتربوا ليغمغم عبد الحميد معلقا "رحم الله الشيخ تيمور كان شيخا جليلا.. لا زلت أذكره

حين كنت صغيرا فأنا كانت تربطني صداقة بوالدك جاد الله يا يحيى "

اتسعت ابتسامة ماهر المحرجة وضغط على ساعد والده يغمغم من بين أسنانه" فيما بعد يا حاج فيما بعد نتحدث في هذه الذكريات "

اقترب جابر عاقدا حاجبيه بفضول ليشاهد ما يحدث ولم يفهم بالضبط من سيتزوج من ..

فمد يده للحاج عبد الحميد يرحب به ثم الشيخ مبروك بينما اقترب يحيى من ماهر يقول هامسا" ما الذي تفعله يا استاذ ماهر!!.. أنا لم اخبرك بموافقتنا لتحضر المأذون وتنشر الخبر أمام الجميع!!"

قال ماهر بلهجة ذات مغزى "وهل كان هناك غير الموافقة يا حاج يحيى .. أنت بالتأكيد تُقدّر مصاهرة أولاد الصناديلي الذي تعمل لديهم منذ سنين"

بارتباك قال يحيى "لكنك بهذا الشكل وضعتنا في موقف حرج لكلينا فأم هاشم لا توافق " لاح الخطر في عيني ماهر وقال بلهجة مستنكرة "إن ما تقوله خطير يا حاج يحيى .. وسيتسبب في الحرج لكلينا كما قلت ووقتها والدي سيحزن من احراجه على الملأ ولا نعلم ما الذي قد يفعله الحاج حين يغضب"

بانفعال هامس قال يحيى "أنت من تسرعت يا استاذ ماهر ..أنت من وضعتنا في هذا الموقف المحرج"

قال ماهر بهدوء قاتل " أهذا جزائي أني مصر على مصاهرتكم!!.. لقد كنت أقول صباح اليوم للحاج لو عقدنا قرانك اليوم على أم هاشم سنهدي الحاج يحيى قيراطين كهدية زواج"

قال يحيى بإصرار وهو يتلفت حوله يتطلع في وجوه الناس في المسجد" اقول لك أم هاشم ابلغتني برفضها "

قال ماهر بعصبية وصوت خافت " اذهب إليها الآن واشرح لها الموقف وأنا أكيد بأنها ستعيد النظر فبالتأكيد ستفرح مثل أي عروس حين تعلم بأن المأذون بالمسجد وسيحقق لها أمنية عزيزة لديها .. ولا تقلق ..الشيخ مبروك سيكمل باقي اجراءات تسجيل العقد فيما بعد لأني أخبرته بأني متعجل لظروف سفري "

أطرق يحيى برأسه لا يعرف كيف يتصرف في هذه المصيبة التي توشك أن تكون فضيحة فقال ماهر يشجعه على التحرك" اخبر أم هاشم بأن شبكتها ستكون من أغلى الشبكات التي احضرت لعروس في البلدة "

بعينين متسعتين تحرك جابر يترك الشيخ مبروك الذي أخبره بهوية العروسين واقترب من يحيى الذي كان في طريقه لخارج المسجد يسأله" هل ما سمعته صحيحا يا أبا سامية؟.. وهل وافقت أم هاشم على هذا !"

نظرة فارغة تلقاها جابر من يحيي قبل أن يرد الأخير وهو يخرج من المسجد" كان قد تقدم لها منذ بضع أيام وسأسألها رأيها الآن "
رفع جابر حاجبا مندهشا وتأمله وهو يخرج من المسجد ثم استدار يتأمل الرجل العجوز باستياء شديد وبعدها تطلع في ماهر الذي اقترب من جابر يقول بابتسامة واسعة استفزت الأخير دون سبب واضح "كيف حالك يا معلم جابر؟"
مد جابر يده لماهر مرغما ليسلم عليه ويرد بعبارات مقتضبة ثم وقف يحرك سبحته وينظر للحاج عبد الحميد مرة أخرى وشعور بالأسف وغصة يملآن قلبه متسائلا ..لماذا تقبل أم هاشم بهذا الوضع بعد كل هذا الانتظار؟! .

في بيت يحيى المجاور للمسجد ضربت صباح على صدرها تقول مولولة "سننفضح .. سننفضح وسنتشرد أنا وأنت والبنات يا يحيى" رغم شعوره بالضيق الشديد وبالخوف على مصير عائلته قال يحيى بثبات لأم هاشم متجاهلا ولولة زوجته "أنا شرحت لك الوضع كله ويعلم الله أني تلكأت في الرد عليه بالرفض فقط لأجد طريقة أو حُجة تخفف من وقع رفضنا ولكن ماهر لم يمهلني الوقت" قالت أم هاشم بارتباك وهي تفكر بسرعة في هذه المصيبة التي حلت فوق رأسها" أنا أيضا كنت أفكر في الأمر يا عمي وكنت احاول اقناع نفسي به حتى لا تتأذى لكن .. لكن (ناظرت عمها بنظرات متألمة وغمغمت) لا أعرف ماذا أقول ولماذا عليّ أن أوضع في موقف كهذا معك .. لكني لن أقدر على الموافقة (وأمسكت بيده تقول باستعطاف) سامحني يا عمي .. لن

استطيع أن ابيع نفسي .. إن حياتي وحيدة أفضل بكثير ... وأنا مستعدة لأن أعمل ليل نهار لأعوضك عن تركك لعملك إن حدث ..وأن اساعدك في تجهيز البنات (وخنقتها غصة تقول) لكني لا أريد .. وخاصة بعد ما فعله ماهر هذا فأنا لست بهيمة ليضعنا أمام الأمر الواقع يريد شرائها وهو واثق من موافقتنا "

هز يحيى رأسه وقال " لله الأمر من قبل ومن بعد "

وتحرك يغادر المنزل فظلت عينا أم هاشم معلقتان بظهره حتى اختفى ووقفت متقبضة بقوة تشعر بالخوف وتشعر بالغضب وبأنها أمام أمر أكبر منها .. أمر سيؤذي عمها بينما صرخت صباح مولولة وهي تضرب بكف فوق الأخر على رأسها "ضِعنا وانفضحنا يا بنات ضعنا وانفضحنا "..

استدارت أم هاشم تناظرها وتناظر بناتها الخمس الواقفات بوجوم بينما تحركت سامية نحو أمها تربت عليها وتقول لأم هاشم بغيظ "أنت أنانية ولا تحبين إلا نفسك"

اتسعت عيني أم هاشم وازداد غضبها وعصبيتها وهي تتطلع في وجوه باقي البنات اللاتي بدأن في النحيب قبل أن تقول صباح باكية" تشردنا في الشارع بسببك .. حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الله "

فاندفعت أم هاشم متألمة غاضبة خائفة على عمها وخرجت من البيت تهرول يمينا نحو المسجد.

في نفس الوقت كان جابر لا يزال يقف مصدوما متألما وهو يفكر مذهولا من أن تضطر أم هاشم للقبول بزيجة كهذه .. هل بلغ بها اليأس إلى هذه الدرجة ؟

وهل بلغ بشباب البلدة من السطحية والغباء ألا يقدّروا فتاة كالألماس مثلها !.
عند هذه الخاطرة تعرق جسده كله مرة واحدة وكأنه قد سُكب عليه دلوا من الماء المثلج وهو يستنكر من نفسه أن يلوم شباب البلدة وهو نفسه لم يفكر فيها حينما أراد الزواج !!
اتسعت عيناه وهو يحدق أرضا في سجاد المسجد بشرود يحرك سبحته بين يديه ببطء وكأنه قد اكتشف للتو اكتشافا خطيرا .. اكتشافا جعل الندم يضربه في مقتل ..
هذه هي المرة الثانية التي يكتشف فيها بأنه كان غبيا .. الأولى عندما اكتشف خطأ اختياره لكاميليا والثانية الآن وهو ينتبه لأنه كان الأولى به ستر بنت شيخه حتى لا تضطر لأن تلجأ لزيجة كهذه ..

أم أن أموال الصناديلي أبهرتها لهذا وافقت؟..
هز رأسه رافضا الخاطرة بثقة .. فليست أم
هاشم من تنظر للمال أبدا.
رفع أنظاره عند دخول الحاج يحيى الذي اقترب
منه بعض المهنئين الذين بقوا ليشاهدوا عقد
القران .. لكن جابر لم يكن يشعر بالراحة وهو
يتطلع في ملامح يحيى الشاحبة ولا في نظرات
ماهر الغريبة المترقبة .. ليتفاجأ الجميع بأم
هاشم التي اندفعت تخلع حذائها خارج
المسجد وتدخل كالإعصار من خلف عمها .
تحرك أحد الشباب الملتحين يفرد ذراعه أمامها
ويقول معترضا "ماذا تظنين أنك فاعلة!! .. لا
دخول للنساء المسجد ؟!!
كانت أم هاشم متحفزة للانقضاض على أي
أحد فاستدارت إليه تناظره من رأسه حتى
أخمص قدميه ثم صاحت" وما بهن النساء إن
شاء الله !.. هل أنا نجسة؟!"

حدج يحيى الشاب باستنكار بينما تحرك جابر بحمائية ينهر الشاب قائلا" ماذا تفعل يا رضا وما الذي يمنعها من دخول بيتا من بيوت الله !"

تحرك الشاب مبتعدا بغيظ بينما شعرت أم هاشم باستياء شديد من وجود جابر .. لم تكن تريده أن يراها في موقف كهذا وعفاريتها كلها حاضرة .. في الوقت الذي قال عمها بتوبيخ خافت "ماذا تفعلين يا أم هاشم !"

قالت بصوت عال وهي تندفع مخترقة جابر على يسارها وعمها على يمينها وتقترب من جلسة المأذون الذي يجلس أرضا بجواره الحاج عبد الحميد والباقين" جئت لأخبر الشيخ بنفسي برأيي ..ألست العروس .. أم تنوون ألا تسألوني عن رأيي ؟"

امتقع وجه ماهر ومرر نظراته بينها وبين يحيى الواقف بعيدا بينما قال الشيخ مبروك عاقدا

حاجبيه" بالطبع كنا سنرسل عمك ليسألك يا بنيتي"
قالت بشجاعة " الحقيقة يا سيدنا الشيخ أنا مجبرة على هذه الزيجة ولكن ليس من عمي"
صاح ماهر ليغطي موقفه قبل أن تتفوه أم هاشم بما قد يحرجه أمام الموجودين "ما هذا الاسلوب وما هذه الطريقة يا حاج يحيى.. أهذا منظر وسلوك عروس من بيت طيب!"
وقف يحيى ينظر لأم هاشم بذهول لا يفهم علام تنوي بالضبط وقد شل العالم من حوله واستعد لفضيحة مدوية بينما هدر جابر بحمائية في وجه ماهر " حسِّن من الفاظك واعلم كيف تتكلم وعمن تتكلم"
اشاحت أم هاشم بيدها وصاحت في ماهر "وما دمت لست من بيت طيب لماذا أنت ووالدك موجودان هنا اليوم؟"

وقف الجميع يشاهدون ما يحدث بذهول
وعلى رأسهم الشيخ مبروك بينما تحرك جابر
يقول بلهجة حازمة " كفى يا أم هاشم أنا تقريبا
فهمت ما يحدث تفضلي أنت ودعي لي الأمر"
قال الشيخ مبروك يمرر أنظاره بالجميع "أريد
أن أفهم ماذا يحدث وكيف أنك مجبرة يا أم
هاشم؟"
قال جابر يفرد ذراعه أمام أم هاشم يحاول
السيطرة على الأمر درءا للفضيحة خاصة مع
العيون المتسعة على آخرها حولهم "سنعرف
من الحاج يحيى كل شيء يا شيخ مبروك
..اذهبي للبيت يا أم هاشم وأنا سأحل الأمر
(ونظر لماهر الواقف خلفه يحدج أم هاشم
بنظرات خطرة وقال بلهجة أخطر) ولا تخشي
شيئا فلن يستطيع أحد بعون الله على اجبارك
على شيء "

هتف ماهر باستنكار ليصلح موقفه المحرج "
ما هذه المهزلة يا حاج يحيى؟! .. جئناك في
طلب مصاهرة فإن كنت ترفض لماذا لم تخبرنا
ولماذا تحرجنا بين الناس هكذا"
اندفعت أم هاشم تصيح "لأنه خائف على
عمله عندك .. عمي في رقبته خمس بنات
فخشي أن تطرده إن أبلغك برفضي لطلبكم"
تطلعت الأنظار المتسعة في ماهر فقال مرتبكا
يتصنع الاستنكار" أنا !! .. أنا من الممكن أن
أفعل شيئا كهذا واهدده!! .. إن كنت ترفضين
كان عليه أن يبلغني وأنا سأتصرف لا أن يوحي لي
بالموافقة ويتسبب في احراجنا بهذا الشكل"
تكلم عبد الحميد فجأة يقول بصوت واهن
"لماذا تصرخ يا ماهر ماذا يحدث ؟"
نظرت أم هاشم لعمها الذي آثر الصمت بوجه
ممتقع لا يرغب في احراج ماهر على الملأ ثم
اندفعت تقول" الحقيقة لست وحدي التي

ترفض هذا الزواج العريس أيضا يرفض أليس كذلك يا جدي العريس ؟"

رفع عبد الحميد أنظاره لأم هاشم من جلسته على أرض المسجد وقال بلهجة متذمرة " قلت لا تقولي عريسا أيتها السمراء"

اقتربت منه تقول " قلت لك يا جدي من قبل لست أنا من يقول ذلك بل ابنك الذي يقول بأنك تريد أن تتزوجني لكني أعلم بأنك لا تحب السمراوات "

عبس عبد الحميد وزم شفتيه قائلا " أجل لا أحب السمراوات "

أمسكت أم هاشم بذقنها بأصبعيها مالت نحوه تريه وجهها وهي تقول" وأنا شديدة السمرة كما ترى (عقد عبد الحميد حاجبيه بعبوس فأكملت بصوت مخيف خافت لكنه مسموع للجميع) وفي الليل اتحول لعفريتة لكن لا تخبر أحد بهذا السر "

ارتجف الحاج عبد الحميد مرتعبا يقول "بسم الله الرحمن الرحيم"
صدرت ضحكات من معظم المتابعين بينما حافظ جابر على جدية ملامحه حتى لا يضحك وهو يتطلع فيها بغيظ في الوقت الذي نظر عبد الحميد لابنه الذي يرشق أم هاشم بنظرات نارية وقال "يا ماهر قلت لك لا أريد هذه السمراء لا أريد أن أتزوج من عفريتة "
امتقع وجه ماهر وناظر أم هاشم شذرا فبادلته النظر بحاجب مرفوع سعيدة بأنها ذكرت عمل عمها أمام الجمع فلن يجرؤ على تنفيذ ذلك حفظا لماء وجهه أمام أهل البلدة بينما اقترب يحيى يجلس بجوار الحاج عبد الحميد يحاول تهدئة الوضع .
انتبهت أم هاشم أخيرا لجابر الواقف بجوارها يتطلع فيها صامتا يمسك بسبحته بكلتا يديه ويحركها بعصبية فالتفتت تنظر إليه وقد جف

حلقها ثم كسرت عينيها اللتين كانتا تنظران منذ ثوان في عين ماهر بتحدٍ وأشاحت بهما بعيدا عن جابر الذي يقف أمامها بكليته وهيبته وحضوره الطاغي من تلك المسافة الذي أدرك عقلها للتو بأنها قريبة جدا ..قريبة لدرجة أن أنفها التقطت رائحته العطرة فانفجرت ضربات قلبها بعنف بينما قال جابر بهدوء خطر ولهجة موبخة "هل انتهيت من كل ما تريدين قوله أم أن هناك ما يزال عالقا بلسانك لم تقوليه بعد؟!"

حركت رأسها بلا وهمست دون أن تنظر إليه خوفا من أن تلتهمه عيناها " انتهيت "

فرد كفه المعلق به السبحة مشيرا لها نحو باب المسجد قائلا بنفس الهدوء الجاد الحازم "إلى البيت من فضلك وأنا سأحل الموضوع"

رفعت إليه أنظارها تقول بصوت مخنوق "لا أريده أن يطرد عمي يا أبا ميس "

اغمض جابر عينيه يقول ويده لا تزال ممدودة تشير إلى الباب " فهمت كل شيء منذ أول دقيقة يا أم هاشم فاذهبي قلت فقد انتهى دورك "

هزت رأسها بطاعة وهي تعدل من وشاحها الأسود وتحركت مغادرة بسرعة تخط بقدمها تخرج من المسجد وهي تشعر بالاطمئنان من أنه سيتدخل بنفسه .

بينما قال يحيى بدبلوماسية للجالسين وعلى رأسهم الشيخ مبروك يحاول أن ينقذ ما يمكن إنقاذه " يبدو أن الاستاذ ماهر قد فهم مني بالخطأ أن أم هاشم وافقت "

جز ماهر على اسنانه وهو يشعر بالحرج الشديد أمام الناس وناظر يحيى بنظرات متوعدة بينما اقترب جابر وجلس بجوار يحيى يقول بلهجة مهادنة يفرضها الموقف رغم شعوره برغبة قوية في ضرب ماهر الصناديلي

الذي فهم بأنه يضغط لإتمام الزيجة " من الواضح فعلا أن هناك سوء فهم قد حدث يا أبا سامية .. ومن الجيد أيضا أن الحاج عبد الحميد قد أبدى عدم موافقته هو الأخر (وضغط على حروفه) أي أن الرفض من الطرفين "

غمغم عبد الحميد مؤيدا "أجل أنا لا أريدها سمراء "

نظر جابر للحاج عبد الحميد ثم عاد ينظر لماهر قائلا بصوت عال وكأنه يتعمد اسماع كل الحاضرين ليشهدوا على ما يقال "والحقيقة أنا متأكد من أن بنت الشيخ زكريا فهمت الأمر خطأ هي الأخرى.. فلا أتوقع بأن الاستاذ ماهر من الممكن يخلط أمور العمل بالأمور الشخصية ..إنه رجل ناضج ويعمل في دولة أجنبية ويفهم في هذه الأمور جيدا ..فلا اعتقد

بأنه قد يطرد أبا سامية من العمل معه لهذا السبب "

تطلع ماهر في العيون المترقبة حوله ثم عاد ينظر لجابر بنظرة مغتاظة ورد من بين أسنانه " أنا لم أقل هذا أبدا ولم أهدد الحاج يحيى بشيء .. (ونظر ليحيى يسأله ببراءة) هل هددتك يا حاج يحيى؟"

رد يحيى بدبلوماسية مضطرا "لا لم يحدث"

ابتسم جابر ابتسامة بلاستيكية مجاملة وعيناه لا تزالا في حرب صامتة مع ماهر ثم قال" كنت أكيدا من هذا والحاج عبد الحميد لن يستطيع الاستغناء أبدا عن الحاج يحيى أليس كذلك يا حاج عبد الحميد؟"

رد الحاج عبد الحميد بسرعة" طبعا كيف اتخلى عن يحيى وهو الذي يدير لنا أمور أرضنا ومحاصيلنا منذ سنوات طويلة (وأكمل منفعلا) من الحمار الذي قال هذا الكلام !"

غمغم جابر بلهجة منتصرة مسبلا أهدابه
"أعتقد أنه لا يوجد حمير وسطنا الحمد لله"
استقام الشيخ مبروك قائلا وهو يلملم دفاتره
"إذا سأستأذن أنا مادام ليس هناك عقد قران"
في وقفتها خارج المسجد تتسمع اسرعت أم
هاشم بالابتعاد براحة بعد أن وقفت قليلا حتى
اطمأنت لما ستؤول إليه الأمور .. وحتى
تستجمع قواها الخائرة واعصابها المنهارة التي
تحولت من قمة العصبية إلى الارتجاف الشديد
.. فكما يقولون رُب ضارة نافعة .. فما حدث
اليوم رغم كونه قد جن جنونها واخرج عفاريتها
إلا أنه أتاح لها فرصة أن ترى الغالي عن قرب
وأن تملأ طرف عينها بصورته واسمها المنطوق
من فمه يدغدغ مشاعرها .. فشكرت تلك
الفرصة التي أتاحت لها بضع دقائق في حضرته.
بعد قليل وقف جابر مع يحيى وبعض الرجال
يراقبون ماهر الذي أجلس والده في السيارة

الواقفة بعيدا ثم وقف يتحدث في الهاتف مع أخويه ليقول ذلك الذي يسكن في العاصمة بانفعال" لماذا احرجتنا بهذا الشكل واحرجت نفسك يا ماهر ؟!!!"

قال ماهر بخفوت وهو يولي ظهره للسيارة "لم يكن أمامي سوى ذلك فالوقت قد حان لسفري وظننت بأن الرجل سيتحرج من الحاضرين ولن يسبب فضيحة علنية لكني لم أكن أعلم بأن ابنة أخيه بهذه الجرأة وستفتعل تلك الفضيحة بنت الـ **** وتحرجني أمام الناس حتى لا أطرد عمها (وحانت منه نظرة سريعة على والده الجالس في السيارة ثم قال بنفس الخفوت الغاضب) لكني لن اسكت وسأطرده"

قال أخوه الأخر" كفى حماقة يا ماهر الأمر انتهى وتلك الفتاة الجريئة لعبتها بذكاء حينما تعمدت ذكر عمل عمها والجميع أصبح شاهدا عليك بأنك لن تضره"

قال ماهر بعناد وهو يلمح بطرف عينيه الرجال المتجمعين عند المسجد حول يحيى وجابر"
لكني لي طرقي الخاصة واستطيع اختلاق الحجج والمبررات لطرده "
قاطعه أخوه "أجننت يا ماهر حسبتك فقط تهدده .. كيف ستطرده وهو العالم بشئون اراضينا منذ سنوات طويلة وكيف ستأمن لشخص جديد ستختاره خلال أيام وتسافر بعدها وتتركه مع الرجل العجوز.. أنت تعرف جيدا أن يحيى شخص أمين ومأمون الجانب وأي مغامرة لاختيار شخص أخر بعيدا عن كونها ستعيبنا أمام أهل البلدة بعد أن وعدته أمامهم فهي مخاطرة غير محسوبة العواقب"
جز ماهر على أسنانه بغيظ وهو يشدد قبضته على الهاتف بينما قال والده بتململ "هيا يا ماهر لماذا نحن متوقفان؟ "

استدار يقول لوالده" حاضر يا حاج حاضر
جاءتني مكالمة دولية "
قال اخوه الساكن في العاصمة "هذا رأيي أنا أيضا
يا ماهر دع يحيى وأنس أمره فلن نأمن لأحد
غيره على إدارة شئون أراضينا "
قال ماهر بانفعال "وماذا سنفعل الآن.. الوقت
ليس في صالحي "
رد أخو "سأرشح لك واحدة تذكرتها حماتي ليلة
أمس ..إنها مطلقة في الاربعين من عمرها تقريبا
ولا تنجب ومن بيت فقير وحماتي واثقة أن
أهلها سيوافقون وقالت بأنها ستتوسط لنا
عندهم إن أردنا "
لاح الاهتمام على وجه ماهر وهو يعود للسيارة
بعد أن حدج الواقفين بقرف فتقابلت عيناه مع
جابر الذي ناظره بنظرة خطرة .. ليسرع ماهر
بسحب عينيه ويجلس في السيارة قائلا"
اخبرني عنها بسرعة ومِن بيت مَن؟"

سأله عبد الحميد" هل يتحدث عن عروس؟"
هز ماهر له رأسه وهو يستمع لما يقوله أخوه الساكن بالعاصمة .. ليقول الحاج عبد الحميد بإصرار "اسأله إن كانت بيضاء أم لا .. لا مزيد من السمراوات يا ماهر (وغمغم لنفسه برعب) خاصة تلك التي تتحول لعفريت ليلا"

في نفس الوقت وقف جابر أمام المسجد يستمع لحديث بعض الجيران وأهالي البلدة يقولون للحاج يحيى متعجبين مما فعله ماهر الصناديلي" ما هذه الجرأة والوقاحة ..كان يهددك بإعطاء ابنة أخيك لعجوز طاعن في السن وإلا يطردك من العمل عنده!"
قال يحيى بهدوء "يا جماعة انتهى الأمر ومن الواضح أنه قد حدث سوء فهم "
قال أخر بإصرار" الأمر واضح يا حاج يحيى لست بحاجة لتبريره "

ليقول ثالث بثناء" لكن أم هاشم دخلت كالسبع لتحرجه على الملأ .. كانت تعرف بأنك رجل مسالم وستكتفي بإبلاغه بالرفض وستتلقى منه العقاب"

غمغم رابع بإعجاب "هكذا النساء وإلا فلا .. رفضت أن تكون ممرضة لعجوز حتى لو كانت سترث من بعده الكثير مع أن الكثيرات سينصحنها بالقبول من أجل أمواله .. ولم تكتف بذلك بل أصرت على حفظ حق عمها حتى لا يضر بسببها ولم تخش من الحق لومة لائم .. والله لولا ذكائها لما خرج يجر أذيال الخيبة بهذا الشكل"

أطرق جابر برأسه .. وتحرك مغموما يغادرهم وهو يغمغم في سره "صدقت ..ومع هذا لم تجد من يقدرها وأولهم أنا الغبي الذي ترك ابنة

شيخه للكلاب الذين يبخسون بقيمتها ..
ويمارسون عليها نواقصهم "

لاح له بيته من بعيد .. ذلك البيت الذي بناه بشقاء عمره حتى يعمره لكنه لم يحسن اختيار ملكته .. راودته نفسه للحظة بفكرة طلب الزواج من أم هاشم لرد اعتبارها أمام الأخرين الذين لا يقدّرون قيمتها لاختلاف لون بشرتها.. لكنه عاد ونهر نفسه قائلا "وهل زواجك منها كزوجة أخرى مع زوجتك الأولى اكراما لها يا جابر !! .. والله لا تستحق منك بنت الشيخ زكريا هذا أبدا (ونظر لبيته الذي تقربه الخطوات منه .. وتبعده عن بيت شيخه وأضاف) أنت اسأت الاختيار فلا تهرب من عقابك يا جابر .. ستظل معاقبا طوال عمرك بسوء اختيارك "

عند بوابة بيته وقف يترحم على شيخه مغمغما "رحمك الله يا شيخي وطيّب ثراك .. سامحني .. سامح تلميذك جابر الذي لم يستر ابنتك وتركها للذي لا يسوى .. لكن الأوان قد فات يا شيخي وكريمتك لا تستحق مني أن أدخلها على زوجة أخرى .. كما أني استحق هذا العقاب .. استحق بأن تتوقف حياتي فأعيش عازبا وعلى ذمتي زوجة لسوء اختياري .. وسأدعو لابنتك في كل صلاة أن يرزقها بمن يراها ويقدرها كما تستحق "

فُتِحَت البوابة وخرجت ميس تقول لوالدها متخصرة "تأخرت يا أبي ..ألم تعدني بأننا سنتنزه اليوم"

أفاق جابر من شروده وابتسم لها قائلا "طبعا سنخرج هيا بنا "

ظهرت كاميليا من خلفها فتجمدت ابتسامة جابر وطالعها باستفهام لتقول بابتسامة باردة "قررت أن أخرج معكما "

قالت ميس بفرح "أجل أمي وافقت أن تأتي معنا يا أبي"

رغم شعوره بالضيق تطلع جابر في زوجته ليتأكد من أن ما ترتديه لائقا ثم هز رأسه بعبوس وهو يتحرك ناحية السيارة تسبقه ابنته بحماس بينما اتسعت ابتسامة كاميليا سعيدة جدا ولديها رغبة شديدة للاحتفال بعد أن تأكدت لها الاخبار التي انتشرت في البلد بأن الشابين الثريين الغريبين قد غادرا البلدة بلا رجعة

الفصل الرابع عشر

مساء الجمعة

جهل أم إنكار أم غفلة !!
صدمتنا في صورتنا عند من نحبهم تشغلنا أحيانا عن البحث عن الأسباب فيضحى جل ما يؤلمنا لحظتها كيف أننا كنا مذنبين في حقهم.

"اهدئي يا مليكة لأفهم"
قالتها بسمة وهي تجلس أمامها على الأريكة في جناح الأخيرة الخاص في بيت الصوالحة فقالت مليكة من بين دموعها وهي تحتضن ساقيها أمامها فوق الأريكة "لم أكن اتصور أبدا أني من الممكن أن أجرح مفرح يا بسمة .. هذا شيء صعب عليّ تحمله ..فلا أحد يعرف كم أبذل من جهد حتى لا أقصّر في حقه .. (وازداد نحيبها) شيء صعب .. صعب جدا بل مؤلم لقلبي أن

.. أن أكون السبب فيما شعر به خلال زواجه مني .. صعب يا بسمة أن يكتم في نفسه وأن .. وأن أكون ...."

قالت بسمة تربت على ظهرها مواسية "اهدئي يا مليكة"

هتفت مليكة بانفعال من بين دموعها "كيف اهدأ ؟.. كيف ..أنا أشعر بذنب شديد ..أشعر بالتقصير ومفرح لا يستحق ذلك مني ..لا يستحق "

ناظرتها بسمة بحيرة ثم قالت بهدوء " هلا أخبرتني ماذا حدث لأفهم "

سحبت مليكة بضع أوراق من المناديل من العلبة جانبها وقالت بحرج وهي تمسح دموعها وأنفها "الأمر حساس قليلا"

ضيقت بسمة عينيها الزرقاوين وسألت "حساس من أي نوع"

رفعت مليكة انظارها لبسمة وقالت "أمر يخص علاقتنا الحميمية يقصد ..عدم تجاوب مني"
اتسعت عيني بسمة ولم تعرف بما ترد .. لكنها سألتها بعد قليل" وهل أنت كذلك؟"
مسحت مليكة عينيها وقالت بهدوء "أنا أعترف بأني لا أحب هذا الموضوع (ونظرت لبسمة التي تناظرها متفاجئة وغمغمت بتوسل) أرجوك لا تنظري إلي بدهشة هكذا.. ولا توبخيني "
اسرعت بسمة بالقول مطمئنة " لا لا لن أفعل ذلك بالطبع .. لكن هل ناقشت نفسك وعرفت سبب هذا "

أسرعت مليكة بالقول " لا أريد أن أناقشها ..ولا أريد أن اتحدث في هذا الأمر إنه يخصني وحدي ..(وعادت للنحيب) أو كنت أحسب بأنه

يخصني وحدي .. طوال هذه السنوات أبذل مجهودا حتى لا أقصر في هذا الجانب بالذات لكني لم أكن أعي بأنه كان تعيسا بسببي .. وبعد أن علمت الآن أشعر بألم رهيب في قلبي .. أتألم لأني سببت له هذا الشعور رغما عني .. لأني كنت جاهلة باحتياجاته وكنت أحسبني أبذل ما في وسعي لإسعاده فاكتشفت ..فاكتشفت بأني لا افعل سوى اهانته كزوج "

غمغمت بسمة وقلبها يتمزق على حالة مليكة المنهارة "اهدئي"

لم تستمع إليها مليكة بل اضافت " قالها لي يا بسمة أنا لا اتلقى منك إلا الاهانة والاحباط .. أنا متزوج من جثة "

اقتربت بسمة أكثر وحاوطتها بذراعها تضمها إليها وهي تقول "أنا متفهمة للوضع ومتفهمة ما تقولينه لكن لا تقسي على نفسك يا مليكة ..أنا أراك تتعاملين مع الازمات بشجاعة وأثق في

أنك ستجدين طريقة لتسعدي بها مفرح أنا واثقة منكما .. أنت وهو دوما اضعكما أمام عينيّ حينما اشعر باليأس .. ما شاء الله حبكما لبعضكما باقي رغم المحن لهذا أنا أكيدة بأنك ستجدين الحل لإسعاده بقدر استطاعتك "

غمغمت مليكة وهي تضع يدها على قلبها "لكني غير قادرة على تحمل فكرة أنه كان يعيش معي كل هذه السنين وأنا لا أرضيه "

قالت بسمة مشجعة "انظري للأمر بطريقة ايجابية إنه تكلم أخيرا وأنك ستقدرين على تعويضه أنا واثقة من ذلك "

قالت مليكة بإحباط شاردة "لا اعرف يا بسمة أشعر بالفشل .. فالأمر معقد بداخلي ..معقد ولا تسأليني عن السبب لأني أنا لا أعرف كيف أصفه أو احلله لكني .. لكني لا أريده "

قالت بسمة مشجعة " حسنا يا مليكة اهدئ حتى تستطيعي ايجاد حل ولا اعتقد أن الحياة بين أي زوجين تكون كاملة من كل شيء لكن وجود الحب بينهما يجعلهما يتخطيان الكثير من المصاعب"

عادت مليكة لنفس الفكرة التي تسيطر عليها منذ ليلة أمس " قلبي يؤلمني بشدة يا بسمة .. لم أكن أعلم بأني اظلمه طوال هذه السنين .. أنا أحبس أحزاني بداخلي .. وأحاول دوما أن أبعده عنها .. لا أحد يعلم قدر المجهود الذي افعله لأبقى ثابتة متوازنة .. لا أحد يعلم كيف احاول دفن الماضي لأنظر للمستقبل.. لا أحد"

ضمتها بسمة أكثر وقد اغرورقت عيناها بالدموع متمتمة" أفهمك .. أفهمك يا حبيبتي وصدقيني مفرح يعلم ما تبذلينه أنا أكيدة من

ذلك .. (وشردت قليلا ثم عادت تقول مشجعة) أتعلمين بأنك كنت ولا زلت مثلي الأعلى في الصمود أمام المحن؟ .. صدقيني يا مليكة .. وطريقة تعاملك مع الاحزان والصدمات كانت ملهمة لي في محنة طلاقي وكانت دافعا لي لأكمل حياتي دون انكسار"
انفجرت مليكة بالبكاء تدفن وجهها في كفيها تأثرا بما قالته صاحبتها .. فقد كانت في حاجة ماسة لسماع كلمة تشجعها على المواصلة ..بينما طبعت بسمة قبلة على شعرها شاعرة بقلة الحيلة ..

كم من لحظة تمر بنا نشعر فيها بالعجز عن تخفيف أوجاع من نحبهم ..فحتى اللسان يعجز عن إيجاد عبارات مواسية أو مشجعة مجبرين على الصمت ..

وكم من مرة تمنينا أن نمتلك ممحاة أو عصا سحرية لنمحو بها أوجاعنا وأوجاع من نحبهم .. لكننا لا نملك إلا المواساة ..لا نملك إلا الحب .. هو ما نقدمه لمن نحب في لحظات ضعفهم .. وهي كبسمة لم تقدر قيمة هذا إلا بعد أن مرت بمحنتها ولن تنس الدعم والمحبة التي تلقتهما من مليكة ومفرح ومن أمها .. ولن تنس طعم الاحباط والخذلان الذي تلقته من والدها وأخيها .

بعد قليل وضعت إحدى الخادمات على المنضدة كوبين من العصير وطبقا من الحلوى أمام بسمة ومليكة الجالسة تحضن ركبتيها وشعرها مسدلا على جانب واحد والتي كانت قد توقفت عن البكاء .. فشكرت بسمة الخادمة ثم سألت مليكة بعد مغادرة الخادمة

للغرفة " وهل عدت وحدك أنت والاولاد .. ما أعرفه بأن مفرح لم يعد من العاصمة بعد ؟"
ردت مليكة موضحة " أنا من اتصلت ببشر صباح اليوم لأسأله متي سيعود وعلمت بأنه كان يستعد للعودة فتعللت بمذاكرة الولدين وطلبت منه أن يمر علينا ليعيدنا معه .. ولم يعترض مفرح .. كان يتهرب من مواجهتي وكنت أتهرب من مواجهته حتى أننا لم نتبادل ولا حتى كلمة واحدة منذ تلك المواجهة ليلة أمس..
فقط أرسلت له وأنا في الطريق رسالة لأعلمه بأنني سأذهب للسرايا فلم أكن قادرة على العودة للبيت أردت أن أنفرد بنفسي .. ورأيته قد شاهد الرسالة ولم يرد"
ساد الصمت قليلا ثم سألتها مليكة بعينين حمراوين منتفختين "وأنت كيف حالك؟ أراك شاحبة جدا"

ناولتها بسمة كوب العصير ثم هزت كتفيها وقالت بهدوء "لا شيء ..لا جديد"
قالت مليكة" أقصد ..أقصد كيف تشعرين؟"
عضت بسمة على شفتها ثم قالت بحشرجة "الحقيقة أن الوضع أصعب مما كنت أتوقع .. رغم أنه لم يمر سوى اسبوع تقريبا .. (ونظرت لمليكة تبوح بما لم تقدر على البوح به من قبل فقالت بخفوت متألم) اشعر بفراغ كبير في قلبي يا مليكة وكأنه قد اضحى به ثقبا كبيرا ..وكأنني قد اصبت برصاصة تركت في صدري فراغا "
ناظرتها مليكة بتعاطف ومسحت بقايا دموع تحت جفنيها المنتفخين .. ولم تعقب فسألتها بسمة "بما أنك قد جربت الحب قبلي ..هل تعتقدين بأنني سأتحسن مع الوقت أم .... أنا أشعر بأن حالتي تسوء يا مليكة"

أجابت مليكة بصدق "أعتقد بأن هذا الأمر يختلف من شخص لأخر ومن حالة لأخرى.. هناك حب نتناساه مع الأيام وآخر يزيدنا عذابا يوما بعد يوم .. أسأل الله أن تكوني من النوع الأول وأن تنسيه خاصة وأن فترة علاقتكما ليست طويلة "

سألتها بسمة بنظرات متألمة "هل تعتقدي بأن مدة العلاقة تؤثر؟"

رشفت مليكة من كوب العصير تحاول التماسك والسيطرة على حالتها المنهارة وردت بهدوء " صدقا لا أعرف لأن مسائل الحب والعشق أراها لا تخضع لقانون معين"

أطرقت بسمة بملامح بائسة وقالت بلهجة متألمة" لماذا نحن بائسات بهذا الشكل؟.. لماذا يا مليكة؟ .. لماذا كل هذا الوجع الذي نلقاه؟.. لماذا بعد أن استطعت الوقوف على قدميّ ..بعد أن قررت ألا احتاج لأحد .. يظهر

هو في حياتي .. لماذا ظهر في حياتي يا مليكة؟ ..
لماذا أتى ولماذا رحل؟ .. ولماذا أشعر بهذا
الوجع؟ .. ظننت بأني بعد كل ما مررت به قد
أخذت نصيبي من الألم دفعة واحدة لم أكن
أعلم بأن هناك المزيد ينتظرني"
على الرغم مما تعانيه غمغمت مليكة مشجعة
"لا تقنطي من رحمة الله يا بسمة لعله خير ..
"

قالت بسمة مستغفرة " استغفر الله العظيم
.. حتى أم هاشم المسكينة وونس لم تسلما من
الوجع والحزن "
اتسعت عيني مليكة وسألتها بجزع "أم هاشم
وونس ؟!..ما بهما ؟؟!!"

xxxx

صباح اليوم التالي

"البنت تضيع منك يا عيد .. البنت تضيع وأنت لا تعرف ماذا تفعل معها .. رأسها أيبس من رأسك "

قالها عيد في جلسته على سجادة الصلاة يدفن رأسه بين يديه لا يعرف ماذا يفعل ..

كان يظن بأنها ستستسلم للجوع وتأكل لكنها لا تزال ترفض الطعام وتنام لوقت طويل .. حتى أنه قضى الليل مفترشا الارض بجوارها يقرب سبابته كل فترة أمام أنفها ليتأكد من أنها نائمة ولا تزال تتنفس .

تساءل في نفسه هل يذهب بها للعيادة الطبية الصغيرة بالبلدة ؟ إن الساعة لا تزال التاسعة صباحا فمن من الاطباء سيكون متواجدا في هذا الوقت ؟

أيؤجر سيارة ويحملها لأي مستشفى في المدينة؟

ضرب رأسه بيديه عدة مرات شاعرا بالشلل التام خاصة وأنه هو الأخر لم يأكل إلا لقيمات منذ أن اضربت ونس عن الطعام .. فقط لقيمات لتجعله يقف على قدميه ..

حاول التركيز واسترجاع اسماء من يعرفهم ويملكون سيارات يستطيع أن يطلب منهم المساعدة لنقلها لأي مستشفى في عاصمة المحافظة .. وأخذ يدعو الله في سره أن يجد مبررا يقوله للناس عن حالتها تلك فأفكار أهل البلد ستذهب تلقائيا لافتراض السوء ..

تذكر أم هاشم وشعر بالغيظ منها فقد جاءته مرتين متتاليتين وطردها ولم يسمح لها برؤية ونس لكنها لم تأت يوم أمس .

طرقات على الباب افاقته من شروده فاستجمع قواه التي هدها عدم الأكل واستقام واقفا يخرج

من الغرفة إلى صالة البيت بلهفة.. آملا أن يجد من يستطيع أن يستعين به لنقل ونس لإحدى المستشفيات.

حين فتح الباب طلت عليه أم هاشم بطولها وسواد عباءتها ووشاحها فبادرها صائحا بتوبيخ" كنتِ تأتينني على مدى اليومين الماضيين وتظلين ملتصقة بالباب كالعلكة حتى اطردك لماذا حرمتنا من طلتك البهية يوم أمس ؟"

رفعت أم هاشم ذقنها بكبرياء تقول بخفة ظل وهي تعدل من وشاحها " لم استطع القدوم أمس لأني كنت أصارع للاحتفاظ بلقب عانس القرية (ثم أضافت بلهجة متحدية) لكني جئتك اليوم ولن اتزحزح من مكاني هذه المرة يا عم عيد إلا بعد أن أراها ولم آت وحدي بل

جئتك بمن ستصرخ وتلم عليك أمة لا إله إلا الله إن منعتها من الدخول "

طالعها عيد باستنكار لتتنحى أم هاشم جانبا فتظهر نصرة وهي تقترب لاهثة تقول بفزع "ما بها ونس يا عم عيد؟.. ظننت بأنك قد منعتها عن العمل لكن أن تمنع أم هاشم عن زيارتها...."

قاطعها عيد قائلا بيأس وهو يفسح المجال للدخول" ها هي عندكم فقد تعبت .. أروني همتكم في اقناعها بالأكل"

اتسعت عيني أم هاشم متفاجئة وهتفت "ماذا تعني بهذا الكلام؟!!"

بينما اسرعت نصرة للداخل فتبعتها الأولى مصدومة.

في غرفة ونس بعد دقائق كانت نصرة ترفع جذع ونس الغائبة عن الوعي وتحتضنها باكية

"سامحيني .. انشغلت بهمومي ولم أسأل عنك ..سامحيني"

هتفت أم هاشم في عيد بعصبية" ماذا فعلت يا عم عيد ؟!!"

رد عيد وصدره يعلو ويهبط من الخوف على ابنته "إنها ..إنها نائمة .. كانت ترفض الطعام منذ أربعة أيام ونائمة"

صرخت نصرة مولولة "أربعة أيام !!!.. يا ويلي .. يا ويلي "

تحركت أم هاشم تقول بسرعة "علينا بنقلها للمستشفى فورا "

قال عيد وهو يلحق بها وقد تملك منه الرعب بعد أن أكد له ردة فعلهما أنها ليست نائمة " سأبحث عن أحد يقلنا بسيارته"

خرجت أم هاشم تفكر هي الأخرى في وسيلة لنقل ونس وهمت بالاتصال ببسمة التي تنتظرها هي ونصرة لتطمئن على ونس بعد أن

اتفقن على ذهاب نصرة وأم هاشم لبيت العم عيد .

في نفس الوقت وقفت سيارة مليكة أمام بيت عيد وترجلت الأخيرة منها تقول "السلام عليكم .. جئت لأطمئن على ونس "

صرخت أم هاشم مستجيرة "جئتِ في وقتك تماما يا مليكة نحتاج لنقلها للمستشفى بأسرع وقت"

هتفت مليكة بجزع" مستشفى !!"

xxxx

بعد عدة ساعات

فتح عيد باب الغرفة بهدوء في تلك المستشفى الفاخرة التي أصرت بنت الصوالحة على أن تنقل إليها ابنته فاقدة الوعي والذي لم يملك لحظتها حق الاعتراض على أي شيء في سبيل انقاذ فلذة كبده العنيدة يابسة الرأس التي فشلت كل المحاولات بعد إفاقتها لإقناعها

لتناول الطعام .. حتى مليكة بسحرها عليها ومحبتها عندها لم تفلح ونصرة بدموعها لم تفلح ..وأم هاشم بعصبيتها لم تفلح أيضا.

تأمل جسدها المستلقي على السرير والذي يتصل به خرطوم صغير .. وتأمل نومتها منهكة .. لكنه لم يستطع الدخول.. فلو دخل سيهشم رأسها العنيد هذا الذي يرفض الطعام حتى الآن أو سيجلس بجوارها يبكي كالنساء.

أعاد اغلاق الباب ونظر إلى نصرة التي تسند رأسها بيدها في جلستها على أحد المقاعد في رواق المستشفى .. كان وجهها متورما من البكاء بينما اسراء تقف بجوارها لتواسيها .. أما أم هاشم فكانت تقف على الناحية الأخرى من الممر تستند على الحائط بوجه واجم .

قال عيد بحرج" أرجو ألا تخبرن أي أحد عن سبب اضرابها عن الطعام أنتن تعرفن كيف سيُقَوَّل الأمر وستلوك سيرتها الألسنة "
ردت أم هاشم مطمئنة" لست بحاجة لإخبارنا بهذا يا عم عيد فلن يفتح أحد منا فمه حتى مليكة قبل أن تضطر للمغادرة نبهتنا لهذا الأمر أيضا "
هتفت نصرة من بين دموعها بغيظ مكبوت "ولماذا لم توافق على العريس ها ؟!.. الشابين قمة في الاخلاق والشهامة ولم نر منهما شيئا قبيحا ومادام أحدهما قد تقدم لك رسميا لخطبتها أين المشكلة؟.. لماذا التعقيد ؟!"
ربتت اسراء على كتف أمها مواسية وغمغمت" اهدئي يا أمي واخفضي صوتك الجدران لها آذان من حقه أن يخاف على ابنته"
قال عيد ناهرا" لا تتدخلي يا نصرة ولا تشعريني بأني أخطأت حينما أجبت على سؤالك الذي

صدع رأسي منذ الصباح عن سبب اضرابها عن الطعام"
اشاحت بيدها تقول بتحدي "بالطبع سأتدخل لقد ربيتها معك .. أنا أول من تلقيتها بين يدي هاتين وهي لا تزال قطعة لحم حمراء .. كانت بكريتي حين كنت لا أزال حاملا في اسراء (وانفجرت بالبكاء تلوم نفسها) لكني انشغلت عنها الفترة الماضية بهمومي .. أنا من قصرت"

قال عيد بامتعاض "ما دمت قد فشلت في اقناعها بالأكل فلا تقولي ابنتي .. (واشاح بيده يقول) هيا اغلقي صنبور البكاء هذا وتعالي لأوصلك أنت وابنتك في طريقي.. فأنا ذاهب للبيت لإحضار ملابس نظيفة لها "
قالت نصرة بإصرار "لن أمشي من هنا بل سأبيت معها"

قال عيد بعناد "لن يبت معها سواي فاذهبي لبيتك يا نصرة فلا يصح أن يبيت أولادك وحدهم ..وأنت يا أم هاشم ابق معها قليلا حتى أعود"

هزت أم هاشم رأسها بينما ساعدت اسراء أمها على الوقوف وهي تقول" هيا يا أمي فجلستنا لا تفيد وسنزورها غدا صباحا إن شاء الله "

اقتربت بسمة آتية من بعيد تقول" السلام عليكم"

رد الجميع السلام لتقول بسمة" ألف لا بأس عليها يا عم عيد "

غمغم عيد " حفظك الله من كل شر يا باشمهندسة "

تكلمت أم هاشم قائلة " أنا وبسمة سننتظرك حتى تعود يا عم عيد لا تقلق على ونس "

هز عيد رأسه وتحرك مع نصرة وابنتها والنار تأكل قلبه قلقا على ابنته بينما اقتربت أم هاشم

من بسمة تمسك بذراعها وتقول بشفقة"
البنت ترفض الطعام يا بسمة ..ما رأيك أن
أتصل بشامل هذا وأبلغه ربما يفعل شيئا"
صمتت بسمة تفكر قليلا ثم قالت" نفس
الموضوع الذي تناقشنا فيه على الهاتف أنا
ومليكة منذ قليل لكني أميل لرأيها بأننا لا نعرف
إن كان شامل لا يزال متمسكا بها أم أنه كان
يفعل ما فعل بدافع المسئولية تجاهها
والشهامة فقط لا غير "

قالت أم هاشم بتعاطف" لكن البنت عنيدة
والأطباء قالوا أن علينا اقناعها لتأكل "
غمغمت بسمة "فلننتظر للغد ونرى مدى
استجابتها للعودة للطعام .. وأتمنى من الله أن
يأتي شامل مرة أخرى أو يتحدث مع مفرح لو
كان لا يزال متمسكا بها ..المشكلة أن مفرح لا
يزال في العاصمة وغالبا لا يعرف ما حدث

لونس أتمنى أن تخبره مليكة (وغمغمت في سرها) وإن كنت أشك أن في استطاعتها ذلك في الوضع الحالي "

صمتت أم هاشم قليلا ثم دعت بصدق" يا رب هونها على الجميع .. صحيح من يرى بلايا الناس تهون عليه بلواه "

هزت بسمة رأسها موافقة تشجع نفسها بأنها لا تزال قادرة على تلقي الصدمات بثبات وغمغمت" صدقتِ"

xxxx

بعد ساعة

ماذا لو أصرت هذه العنيدة على الاستمرار في الامتناع عن الطعام ماذا سيفعل ؟

فكر عيد مهموما وهو يفتح باب الخزانة ليخرج بعض من ملابسها ويضعها في كيس من البلاستيك .. واستدار ينظر لسريرها الخالي فدمعت عيناه ..

يشعر بأنه في كرب عظيم وبأن حياته كلها على وشك الانهيار .. فذلك الرجل المجهول الذي هدده بأخذ بيته من جانب وتلك العنيدة التي قررت معاقبته من جانب أخر.

مسح دموعه الصامتة وهم بغلق الخزانة قبل أن يلمح ذلك الشيء الأسود الصغير على الرف .. مد يده يمسك به وأخذ يتفحصه بعينيه الدامعتين بعدم فهم ..

ما هذا الشيء وماذا تفعل به في خزانتها ؟!!..

قلّبه في يده وفتح زرا جانبيا بلون مختلف لكن لم يحدث شيء فضغط على زر أخر جانبي لتصدر منه ذبذبات قوية اهتز لها الجهاز في يده فأجفل ورماه مفزوعا ..ثم وقف يحدق فيه لثوان بعدم استيعاب قبل أن يميل من جديد و يلتقطه بحرص ..

هاجمته الأفكار السوداء .. جاءت كلها لتنهش في رأسه وهو يخرج من البيت بعد دقائق حاملا

هذا الشيء في يده يبحث حوله عن أي شخص يسأله عما يكون .

تحرك يهرول في الشارع رغم الألم في صدره حتى وصل لتجمع لبعض الفلاحين بالقرب من أحد الحقول فألقى السلام يقول" هل يعرف أحدكم ما هذا الجهاز أنا لم أره من قبل ؟"
تطلع أحدهم في الجهاز وضغط على الزر بسرعة قبل أن يحذره عيد فاصدر الجهاز ذبذباته الكهربائية أجفلت الواقفين وبدأوا يحدقون فيه باتساع عيونهم ليهتف أحدهم "بسم الله الرحمن الرحيم !.. ما هذا الشيء؟..
من أين أحضرته يا عم عيد ؟"
غمغم عيد بمراوغة" وجدته ملقى في الشارع أمام بيتي وأريد أن أعرف ما هو .. (وتطلع حوله يقول في سره)لابد أن استشير شخص ذو خبرة "

قال أحدهم "يبدو كماكينة حلاقة بالكهرباء" وهم بوضعه على ذقنه وتشغيله ليسرع عيد بالإمساك بمعصمه قائلا باستنكار" يا غبي إنه يصدر كهرباء ألم تلحظ ذلك.. كيف سيكون ماكينة حلاقة !"

جف حلق الأخير بينما تكلم أخر "ربما صاعق للناموس يا عم عيد .. صوته وذبذباته كصاعق الناموس"

أمسك عيد بالجهاز يقلبه في يده بعبوس مفكرا فقال ثالث "ولماذا لا يكون جهاز تنصت " ناظره عيد باستنكار ثم هب فيه قائلا بلهجة مستخفة "أتحسب نفسك في مسلسل رأفت الهجان (وغمغم وهو يعود ليقلب في الجهاز) تفسير أنه صاعق للناموس غريب لكنه وارد (وقال في سره) لماذا تحتفظ به في خزانتها ومن أحضره لها؟"

صدرت ضحكة ساخرة من خلفهم فاستداروا ليجدوا شابين صغيرين كل منهما يمشي بجوار دراجته الهوائية كانا قد توقفا ليشاهدا ما يحدث بفضول ليقول أحدهما ضاحكا "عن أي جهاز ناموس تتحدثون !.. إنه يبدو كصاعق كهربائي أريني "

اعطاه عيد الجهاز ليتفحصه الشابين الصغيرين قبل أن يؤكد أحدهما بثقة " أجل إنه صاعق كهربائي للدفاع عن النفس فحاذروا حتى لا تصعقكم الكهرباء واغلقوا هذا الزر للأمان "

غمغم عيد بعدم فهم "ماذا تعني (للدفاع عن النفس)؟"

قال الشاب الأخر بابتسامة" ألا تشاهد الأفلام الأجنبية يا عم عيد؟.. إنه للدفاع عن النفس وخاصة الفتيات يستخدمنه في حالة أن حاول أحدهم الاقتراب منهن يصعقنه به"

تسمر عيد للحظات قبل أن يقول الشاب الأخر وهو يقلبه "يبدو غالي الثمن ومن ماركة جيدة "

أخذ منه عيد الجهاز وقال باقتضاب" حسنا ..احسنت بإخبارنا "

سأله أحد الشابين" إن كنت لا تريده فاعطني إياه"

غمغم عيد وهو يغلق زر التشغيل الرئيسي ويضعه في جيبه "لا لا فإنه قد وقع أمام بيتي وبالتأكيد هو لأحد زبائني وسيعود ليسأل عنه"

واستدار يحيي الجميع ثم ابتعد وذهنه مشغولا بسؤال ملح من أين حصلت ونس على هذا الجهاز؟!"

xxxx

صباح اليوم التالي

لو كنت يوم انساك .. ايه افتكر تاني

بالي وخيالي معاك .. وكل وجداني

تسلل صوت عبد الحليم إلى شامل حتى من تحت الوسائد فاعتدل على السرير زافرا بقوة والشياطين تتراقص أمامه وتستفزه ..وأطرق برأسه يفركها بكفيه لعله يستطيع التخفيف من تلك النار التي تأكل في رأسه وقلبه معا.

لقد مر أكثر من أسبوع على أخر اتصال بينه وبين ونس ويكاد أن يجن لا يعرف شيئا عنها .. لا يعرف حالتها .. وقد طلب يدها من والدها ثلاث مرات وقوبل طلبه بالرفض.

الحب اللى في قلبي .. والدمع اللى في عيني

والنار اللى في جنبي .. والشوق اللى كاويني

طول بعدك ولا مره فاتوني...

لو انساك ازاي ينسوني..

لو كنت يوم انساك .. ايه افتكر تاني

لقد حاول خلال الأيام الماضية أن يتأقلم على حقيقة عدم وجودها في حياته .. حاول أن يخبر نفسه بأنها بخير وبأنها قد تحزن لبعض الوقت لكنها ستتأقلم في النهاية على عدم وجوده وبأنه قد طلبها بالفعل من والدها وهو الذي لم يقبل ..

حاول كثيرا لكنه فشل في أن يخرجها من رأسه ..فشل في أن يستأنف حياته .. لا ينام ولا يأكل جيدا ولا يزال مستوى السكر في دمه يرتفع وحياته في حالة من الشلل التام ..

ليلة أمس قرر أن يذهب للبلدة لكن والده كان على موعد مع الطبيب فأجل سفره والحمد لله أن

الطبيب طمأنهم على حالته ولهذا سيذهب اليوم ..فقد كان ينتظر شروق الشمس حتى يسافر إلى هناك متحججا كالسابق بمتابعة التوريدات الخاصة بالمطعم.

يا فايتني وهان حبي

على قلبك يا حبيبي

بادعيلك من قلبي

ماتشوفش تعذيبي

اندفع مغتاظا يترك السرير ويخرج من غرفته نحو إحدى الغرف التي تقع في نفس الطابق الذي يخصه هو وتوأمه .. غرفة يطلقان عليها (غرفة الألعاب) لأنها تحتوي على شاشة عملاقة يلعبان فيها الألعاب الالكترونية وتضم مكتبتهما الموسيقية والمكتبة الخاصة بهما من الكتب والروايات.

دخل شامل على كامل الجالس ساهما يعقد ذراعيه على صدره ويحدق في سقف الغرفة يستمع لصوت عبد الحليم الذي يملأ المكان فوقف الأول متخصرا يناظره بغيظ شديد.

لا اللى قاسيته كان على بالي

ولا اوهامه جت في خيالي

لو كنت يوم انساك

ايه افتكر تاني

اندفع شامل والتقط الريموت كنترول الخاص بنظام السماعات الموجود بالغرفة وأغلق الصوت ..فانتبه كامل وحرك رأسه ينظر إليه عابسا منزعجا ليقول الأخر "ارحمني .. ارحمني من بؤسك يكفيني ما أعانيه "

لم يقل كامل أي شيء .. فقط ظل ينظر إليه بعينين تنضحان بالألم الشديد .. فزفر شامل بعصبية

وتحرك يغادر الغرفة وقد تعاظم الألم في صدره هو الأخر فغمغم متهكما " لم يكذب المثل الشعبي حين قال(اجتمع التعيس بخائب الرجاء)"

أما كامل فعاد يلقي برأسه للخلف ويحدق في سقف الغرفة صامتا ..

مستسلما لأفكاره ..

إنه في محاكمة صامتة مع الذات منذ أن غادر القرية ..عقله وأفكاره وقناعاته من جهة.. وقلبه العنيد العصي من جهة أخرى.. وهو بكينونته في قفص الاتهام .. وسط سيل من السجالات والمجادلات التي لا تهدأ ليل نهار..

يعترف بأن هناك قناعات اختلت أو تغيرت أو هدمت منذ أن قابل بسمة ..فبعد أن كان يعتنق بكل غرور ذلك المبدأ الذكوري الرافض للارتباط

بامرأة تزوجت من قبل .. وبعد سجال عنيف موجع بين قلبه المعذب وقناعاته ..وصل لحل وسط أو لـ (لتحايل) كما يراه عقله .. بأنه لايزال يرفض الفكرة في المجمل لكن الوضع مختلف مع بسمة نظرا لتورط مشاعره معها ..

هذا بشأن قناعته التي استطاع هزيمتها بقوة من أجلها لكن الإشكالية التي ليس لها حل هي مشاعر الغيرة ..

فكلما فكر في أن بسمة كانت ملكا لرجل أخر في يوم من الأيام يؤذي ذلك مشاعره ويجن جنونه وهو غير قادر على تحمل الأمر ولهذا لا يزال يخشى عليها من نفسه .

فك عقد ذراعيه ورفع يديه يفرك رأسه ليخفف من النيران التي تأكل فيه..

نيران الأفكار والسجالات ..

نيران الشوق واللوعة ..

نيران الغيرة .

هل هو قادر على تلجيم مشاعر الغيرة بداخله من زواجها السابق؟ ..

هل سيستطيع أن يتعامل مع جنون الغيرة عليها من عيون الرجال خاصة وهي بهذا الجمال الملفت؟..

أيمتلك الشجاعة الكافية للنزول عند رغبات القلب واتخاذ قرار بالارتباط بها؟ .

اعتدل في جلسته ومال بجذعه للأمام يستند بمرفقيه على فخذيه وهو لا يزال يمسك برأسه معقل أفكاره وقناعته ومنبع قراراته يطلب منه ومن قلبه الرحمة فلم يعد قادرا على المزيد من العذاب .

في نفس الوقت وقف شامل في غرفته أمام هاتفه يمسك به في تردد ..وللحظة فقد كل صبره وفعل ما يلح عليه على مدى الأيام الماضية .. اتصل بأم هاشم .. التي كانت لحظتها في الغرفة الداخلية للمشروع والتي اسرعت بالتقاط هاتفها وردت بلهفة "أستاذ شامل"

اتسعت عينا بسمة وتطلعتا في بعضهما ليأتيها صوت شامل يقول بلهجة محرجة "أنا آسف جدا جدا يا آنسة أم هاشم ..والله أنا أخجل منك خجل شديد لاضطراري للاتصال بك .. لكن اعتبريني حالة إنسانية وطمئنيني عن ونس"

قاطعته أم هاشم تقول " هل ستحكي لي قصة حياتك يا أستاذ شامل .. أنا انتظر هذه المكالمة منك اقسم بالله"

سقط قلب شامل بين قدميه وسألها بقلق "ماذا تعنين؟.. هل حدث شيء لونس؟!!"

xxxx

لماذا لا يقتنعون بأنها لم تعد تريد شيئا ؟

أي شيء.

لماذا لا يصدقون أنها لا تعاندهم ولا تتنظر منهم شيئا؟ ..

لماذا لا يدركون بأنها لم تفعل سوى الاستسلام؟ ..

فلمَ لا يتركونها في حالها؟!

في ظلامها ووحشتها..

في سكونها ..

في ذلك الركن البعيد القصيّ من الحياة كما قدر لها دوما أن تكون..

إنها تشفق عليهم لكن لم يعد لديها طاقة للمقاومة .. للمحاربة ..

لم يعد لديها طاقة ولا رغبة ..

فليتركوها وشأنها في هذا السكون البارد الرمادي الخالي من الالوان ..

فليتركوها مع أنيسها شامل الذي تحلم به كلما غفت .. وليكفوا عن إيقاظها فإنها تحتاج لغفوة طويلة هادئة معه .

من بين جفنيها المواربين ونومتها مستلقية على جنبها شاهدت والدها يتحرك في الغرفة جيئة وذهابا بتوتر ..

تشعر بالأسف الشديد عليه لكنها غير قادرة على فعل شيء حتى ما كانت تقوم به من مجهود طيلة عمرها لتبقى بعيدا عن دائرة الاكتئاب من أجله لم

تعد قادرة على فعله الآن خاصة وهي تشعر بالذنب تجاه ما كان يعانيه في السابق منها وما عاناه مؤخرا حين اكتشف قصتها مع شامل ..وبعدما تيقنت أخيرا من أنها مهما فعلت لن تشعره أبدا بالفخر بها ..بل باتت تخشى من نفسها ومن اندفاعها ومن أنها لو تمتلك القدرة على الحركة لربما ذهبت للبحث عن شامل أو وجدت طريقة للاتصال به ..ووقتها لن يتحمل والدها ما ستفعله من حماقات ..

لاحظ عيد عينيها المواربتين فاسرع يقترب منها قائلا "ونس هل أنت مستيقظة ..أجيبيني يا بنت"

لم يتلق منها إلا حركة من رموشها فأسرع بوضع السماعة في أذنها ثم اخرج الصاعق من جيبه يريها إياه قائلا" من احضر لك هذا؟"

لم ترتبك .. ولم تخف .. فلم تعد تخشى شيئا فليقتلها لترتاح ويستريح منها .

التقط عيد دفترها وقلمها اللذيّن احضرهما لها من البيت ووضعهما على السرير بجانبها قائلا" أجبيني يا ونس من أين حصلت على هذا الشيء ؟"

حركت يدها بصعوبة تلتقط القلم ومن استلقائها على جنبها كتبت ببطء "شامل"

كانت تتوقع انفجاره .. لكنه لم يفعل بل تقبض بقوة يحاول ألا ينفعل بعد أن حذره الاطباء من تعرضها لأي انفعال .. وبعد أن صدّع ذلك الطبيب المتفزلك رأسه بأن لديها انهيارا عصبيا وميولا انتحارية .

سألها عيد "ولماذا احضره لك؟"

كتبت ببطء "حتى .. ادافع .. به .. عن نفسي "

طرقة على الباب قاطعتهما متبوعة بدخول الممرضة التي قالت ببشاشة" صباح الخير نريد أن نبدل لها ملابسها "

أخذ عيد الصاعق وأطرق برأسه مغمغما قبل أن يغادر الغرفة" وضعت كيس ملابسها في الخزانة"

قالها وتحرك يخرج إلى ممر تلك المستشفى الفخمة وهو لا يعرف كيف سيرد دين بنت الصوالحة التي أصرت على احضارها هنا .. خاصة وأنها منعت موظفي الاستقبال من اخباره حتى بالتكاليف بل ويشعر بأنه هو وابنته يعاملان باهتمام شديد من الموجودين ففهم بأنها وعائلتها قد أوصوا عليهما في المستشفى.

دمعت عيناه تأثرا ونظر حوله لا يعرف أين يختبئ بحالته هذه .. فأسرع ناحية الحمام الكبير في آخر الممر وحبس نفسه في احدى كبائنه يبكي وهو يتطلع في ذلك الصاعق .

هل من الممكن أن يكون هذا الشاب صادقا مع ابنته ..

حتى لو كان كذلك .. ماذا لو كانت نزوة شاب ثري يرغب في المغامرة ؟.

كلما مسح عم عيد تلك الدموع التي تسيل من عينه كانت تنهمر من جديد بشكل مغيظ..

لا يعلم كيف يتصرف وبمن يثق؟

نهر نفسه أن يفكر بهذه الطريقة وربه موجود فمسح دموعه بعناد مع نفسه وقرر أن يتوضأ ويصلي ركعتين يطلب من ربه تفريج كربه وكرب ابنته .

أما في غرفة ونس فبعد دقائق من مغادرة الممرضة للغرفة كان شامل يدخل الممر مهرولا يبحث عن رقم غرفتها .. فمنذ أن أخبرته أم هاشم قبل ثلاث ساعات عما حدث لها وهو في حالة سيئة فلم يتخيل أبدا أن يتطور الوضع إلى هذا الحد ..

وقف أمام باب غرفتها أخيرا وسحب نفسا عميقا يهدئ من روعه ثم طرق على الباب عدة مرات يستعد لمقابلة عصبية منفجرة من والدها أو ربما تطور الأمر للتسبب في احراجه في المكان كله لكنه لن يتراجع إلا بعد أن تعرف ونس بأنه موجود وبأنه قد أتى من أجلها ..

إن الطبيب المعالج لها رفض اعطائه اية معلومات عن حالتها لكنه استطاع التأثير بسحره على إحدى الممرضات فأخبرته بأنها مضربة عن الطعام .

بعد أكثر من طرقة على الباب دون إجابة فتحه ببطء وحرج بعد أن تأكد مجددا من رقم الغرفة ..واشرأب بعنقه يتطلع في الغرفة بحذر وهو يقول" السلام عليكم"

انتبهت حواسها المحتضرة لصوته لكنها لم تقدر على الحركة بينما أعاد شامل إلقاء التحية وهو يخطو خطوة حذرة متوترة للداخل "السلام عليكم"

استنفرت حواسها أكثر في الوقت الذي نظر شامل للسرير وانفجرت دقات قلبه ولم ير سواها في الغرفة رغم أنه لم يدقق فيما حوله ولم يعي ما يفعل بل ساقته قدماه إليها.

من بين جفنيها لمحته ونس كحلم .

كضوء يهزم ظلمة حالكة السواد حولها..

وتقافز قلبها في صدرها بجنون ليلقي تحية صاخبة مشتاقة مجنونة على قلبه الذي تمزق لأشلاء وهو يراها بهذه الهيئة فقال شامل بلوعة وألم" ونس"

اسمها منطوقا من بين شفتيه التقطته سماعتها وهي مستلقية على جانبها فكان كشربة ماء بعد أيام عجاف .. وتطلعت في ساقيه الطويلين تقتربان منها ولم تقوى على أن تحرك حتى رأسها لترى قسمات وجهه عن قرب ..لكنه كعهده دائما كان كريما سخيا معها فهبط على ركبة واحدة أمامها بجوار سريرها متحفظا ومحتفظا بمسافة بينه وبينها وكأن عقله نبهه بأن ما يفعله غير لائق.

من تحت جفنيها الثقيلين رأته شاحبا ..والتقطت أنفها رائحة عطره القوية التي باتت تحفظها فتأكدت بأنه ليس حلما .. أو ربما يكون.. لكن لا يهم ..المهم أن يكون بهذا الزهو والبريق .. فابتسمت بضعف بينما ظل شامل لثوان تلجم المشاعر لسانه.. فمن أين سيأتي بعبارات تعبر عما يراه أمامه وما يعذبه لحظتها .

حبيبته ومحاربته الصغيرة في هذا الوضع الذي يمزق نياط القلب ..

إنه مجرم..

هذا ما فكر فيه .. لقد سوّد لها حياتها وهو يحسب بأنه كان يُلوّنها .. اعطاها وعدا لم يستطع تنفيذه .. ورغم صدق نيته أذاها ..أذى شخصا استثنائيا مثلها ..

إنه بالفعل مجرم.

تأمل عينيها البنيتين اللتين تتطلعان فيه بسعادة رغم الوهن ورأسها المربوط للخلف بوشاح أزرق صغير وتلك الابتسامة المنهكة من بين ركام الهزيمة التي تزين وجهها الشاحب وتكلم بصعوبة " هل .. أذيتك إلى هذه الدرجة؟... اخبريني.. هل اذيتك لدرجة أن تتمني الموت يا ونس"

ابتسامتها الضعيفة اتسعت وهي تتأمل قسمات وجهه المتألمة البعيدة وتمنت أن يقترب حتى تلمسه وتتأكد إن كان حلما أم حقيقة.. ثم حركت يدها بصعوبة لتسحب طرف الدفتر من فوق المنضدة المجاورة فأسرع شامل بمد ذراعه لالتقاطه ووضعه بجوارها على السرير لتمسك ونس بالقلم تكتب ببطء" لا .. أنت .. كنت ...أحلى ..شيء.. حدث .. لونس "

أمسك بالدفتر يقرأ وازدادت ملامحه تألما فأعاده لموضعه يقول بتأثر " إذن لماذا؟ .. لماذا هذه الحالة إن لم تكوني تعاقبيني أنا؟"

"أنا.. لا أعاقب ..أحدا ..أنا ..فقط ..قررت.. أن.. استسلم ..أن ..أظل ..في ..وضع ..السكون "

قرأ ما كتبت ثم أعاد لها الدفتر وهو يقول بلهجة عاتبة" دون مراعاة لحالتي ولحالة والدك المسكين؟"

"الحياة ...بدون ..ونس ..أسهل"

قال بقلب مفطور ملجما مشاعر جامحة ترغب في ضم جسدها الفاقد للقوى أمامه .. ترغب في حملها وأخذها بعيدا "كيف تقولين ذلك والحياة بدونها لا تسوى شيء"

"بدون ..من ؟"

رد مؤكدا " بدون ونس .. حياة شامل نخلة بدون ونس عيد .. لا تسوى .. حياة باهتة خالية من الألوان "

"اقسم"

رفع أنظاره عن الدفتر ونظر إليها يقول بلهجة عاشقة "اقسم بالله أن الحياة بدونك يا ونس لا تسوى شيء "

"أريدك ..أن تقسم ..بشأن ..شيء أخر"

سأل شامل " ما هو ؟"

"أنني ..لم ..أكن ..مجرد ..حالة خاصة ..تدعو للشفقة ..أو فتاة ...تتسلى ..بها"

آلمه قلبه بشدة وهم بالقول بأنه قد طلبها للزواج لكنه عاد ولجم لسانه فعلى ما يبدو أنها لا تعرف بطلبه للزواج منها وهو لا يعلم إن كان سينجح في اقناع والدها أم لا لهذا لم يرغب في أن يعدها بما لن يستطع تنفيذه فقال مؤكدا "اقسم بربي يا ونس أنت لا هذا ولا ذلك ..أنا جاد جدا في كل كلمة قلتها لك (وتقبض بقوة ليبقى في مكانه بجوار سريرها وأن يحافظ على تلك المسافة بينهما وأضاف بصوت متهدج) أنت جنية وشقية "

أجهشت ونس فجأة بالبكاء فقال شامل بجزع "لا بالله عليك إياك والدموع ..لا تزيدي عليّ صعوبة ما

أعانيه .. يعلم ربي بم أشعر الآن وأنت في هذه الحالة"

عادت لتكتب ببطء والدموع تسقط على الوسادة "لمَ ..قررت ..إذن ..مقاطعة ..القرية .. حتى لو كنت خسرت أموالك... وأفلست .."..

عقد شامل حاجبيه وهو يشرئب بعنقه ليرى ماذا تكتب بينما استمرت ونس في الكتابة "ألم ..تعدني بأنك ..ستكون ..بالقرب ...دوما ..حتى لو ..لم نستطع اللقاء؟؟ "

سحب شامل الدفتر ليتأكد مما التقطته عيناه وغمغم بعدم فهم" أفلست !!"

رفعت ونس ذراعها ببطء وسحبت منه الدفتر وكتبت "هل تحسبني ..كنت ..انظر ..لأموالك ؟ ! ! ! !"

قال شامل بحيرة" أنا لا أعرف عم تتحدثين لكني...."

قطع حديثه عندما لاحظ بأنها مدت يدها تحت الوسادة وكأنها تبحث عن شيء فراقبها حتى أخرجت له شيئا ومدت ببطء ووهن يدها إليه ..ففتح كفه ثم تطلع في الميدالية التي وضعتها فيه ..

كانت عبارة عن مصباح يخرج من فوهته مارد يشبهه كثيرا فدمعت عيناه وقال بصوت متهدج" يا ونس أنت تقتلين شامل بما تفعلين "

عادت لدفترها تكتب "هذا ..حتى ..تتذكرني .. تتذكر ..ونس .. حتى لو ..تزوجت ..من فتاة ..من.. المدينة ..و...ليست ...معاقة ...الق ..نظرة ..من وقت لأخر ..على هذه ..الميدالية .. وتذكر ..ونس ..التي ..كانت ..جنية ..وشقية.. وتحب .. الالوان "

انهمرت دموع شامل دون أن يدري وهو يقرأ ما كتبت ثم قال مشيرا لكفه المفتوح "أعدك بأني سأصحب هذه الميدالية دوما معي "

لم تستطع ونس التحكم في اندفاعها فمدت يدها لتضعها على كفه تطبقه فوق الميدالية وظلت لثوان ممسكة بقبضته المضمومة تهمس في سرها "أنت حقيقي ولست حلما .. وأنا ألمسك "

وكأن عيناها أخبرتاه بما قالت .. فلم يدر بنفسه إلا وهو يميل على قبضتها التي تحضن قبضته ويطبع قبلة بطيئة حارة على ظاهر يدها جعلت ونس تشهق وهي تتطلع فيه بقلب يضرب في صدرها بقوة ..

أسرع شامل باستعادة سيطرته على نفسه فوضع يدها على السرير بجوار الدفتر وهو يحاول السيطرة

على مشاعره ويمسح دموعه لكنه لم يستطع تحجيم ما يريد أن يقوله فنظر بعمق لعينيها يقول بجدية "اسمعي يا ونس .. أنا لم اكذب عليك أبدا في كل ما قلته لك من قبل .. ووعدي لك بأن أحارب من أجلنا كان صادقا .. ولهذا أنا تقدمت لخطبتك من والدك الاسبوع الماضي لكنه رفض لأنه يخاف عليك كثيرا"

بدون أن تكتب لاح على وجهها المتسع العينين ما يعني " ماذا تقول؟؟؟"

فقال مؤكدا "اقول أني تقدمت للزواج منك لكن من الواضح أن والدك لم يخبرك"

هزت رأسها بلا مصدومة وهي تضم قبضتها ذات القُبلة إلى حضنها فقال شامل" ربما لأنه يظن بأني غير جدي لكني أخبرك هذا الآن لسببين .. السبب الأول لأثبت لك بأني صادق معك وبأنك بالفعل مميزة بالنسبة لي يا ونس .. والثاني لأطلب منك

الدعم لأني في معركة لأقنع والدك بالموافقة على زواجنا واحتاجك معي .. احتاجك أن تكوني قوية ..ولن تكوني قوية إلا بعد أن تأكلي وتغادري المستشفى .."

ظلت تطالعه بعينين متسعتين تضم قبضتها إلى قلبها وقد نبهت كلماته كل حواسها غير مصدقة أو مستوعبة لما يقول في الوقت الذي اقترب عيد من غرفة ابنته وعقد حاجبيه حين وجد بابها مفتوحا لكنه تسمر مكانه متفاجئا حين لمح شامل الجالس على ركبته بالقرب من سريرها وسمعه يقول "لقد جئت اليوم مع والدي رغم مرضه لإقناع والدك .."

غلى الدم في رأس عيد فتلفت حوله يبحث عن أي شيء حاد ينقض به على هذا الوقح وتمنى لحظتها أن يحمل مثل الشباب مطواه للدفاع عن النفس لكن ما قاله شامل جعله يتجمد مكانه وعقله يأمره

بأن يتريث ويراقب هذا الشاب قليلا لعله يستطيع أن يحكم عليه حكم نهائي.

أكمل شامل مشجعا " وعليك أنت الأخرى أن تكوني قوية لتقفي بجانبي كيف تقررين الاستسلام هكذا !.. أتسمين ما تفعلينه تشبثا بشامل ! ..لا اسمحي لي هذا فرار من المعركة وليس استسلاما"

بجسد مرتجف ويد مرتعشة أمسكت ونس القلم وكتبت "أنت ..تقول ..الصدق؟ .. أتريد ..ونس أن تكون ..مع شامل للأبد؟"

عقد عيد حاجبيه متسائلا ماذا كتبت له بينما رد شامل بجدية "سأفعل كل ما استطيع حتى أقنع والدك واقنع الجميع بنا ..لكني أريد أن تكوني قوية وألا تيأسي .. "

رغم صدمتها هزت رأسها بطاعة .. فاستقام شامل واقفا وهو يقول" هل تعديني بشيء؟"

ضيق عيد عينيه وأرهف السمع متقبضا ليقول شامل "أنا لا اعرف إن كنت سأستطيع العودة لأراك مرة أخرى أم لا فهذا سيكون حسب رد فعل والدك على زيارتنا له اليوم لكني أريدك أن تعديني ألا تنهزمي أبدا في معركتك مع الحياة وبأنك ستظلين تحاربين الظروف وتحاربين كل شيء ..هل ستعدينني بذلك؟"

هزت رأسها بطاعة وضعف فقال شامل "وستبقين على وعدك لي كما سأحافظ أنا على وعدي لك"

هزت رأسها بطاعة فأضاف شامل وهو يجبر نفسه بقوة على التحرك للخلف" أنا مضطر للمغادرة فقد تركت والدي في السيارة بالأسفل حتى آتي لأراك وعليّ أن أذهب لأبحث عن والدك لنتحدث "

تمنت ونس أن تطلب منه ألا يغادر ..

تمنت أن تتشبث بملابسه كطفلة صغيرة وحمدت ربها أنها غير قادرة على الحركة حتى لا تفعلها.

بينما أطرق عيد برأسه يفكر وقد أصابه الارتباك حينما علم بأن شامل هذا قد حضر مع والده ..قبل أن ينتبه لما يقوله شامل بالداخل" أنت وعدتني بأنك ستأكلين لذا سأطلب من الممرضة أن تحضر لك الطعام.. فكل منا عليه بتنفيذ وعده يا ونس .. وأتمنى أن تكتب لي زيارة أخرى لك أحمل فيها البشرى وأراك في حال أفضل .."

اسرع عيد بحركة مرتبكة بالابتعاد عن باب الغرفة فلم يكن راغبا في الاحتكاك به لحظتها أو مواجهته حتى لا يحضر والده ويضعه أمام الأمر الواقع بينما قال شامل وهو يغادر "اهتمي بنفسك من أجلي ومن أجل والدك يا ونس "

قالها وتحرك بسرعة مغادرا فشاهده عيد يخرج من الغرفة بخطوات واثقة فاسرع للاختباء في أحد الممرات .

بكت ونس لاختفائه وحضنت قبضتها فوق قلبها بينما ظل عيد واقفا في الممر صدره يعلو ويهبط من الانفعال ثم جلس على عقبيه يفكر .

أعليه أن يثق فيه؟ .. فبرغم شعوره بصدق نيته وما رآه بعينه من تأثر .. وبعد أن علم بذلك الجهاز الذي احضره لها كدليل على خوفه عليها ..لكنه خائف .. الأمر يصعب عليه تصديقه .. بل إن نفسه توسوس له بأنه ربما يكون هو وابنته جزء من لعبة كبيرة.

استقام واقفا وترك الممر الجانبي مقررا بأنه يحتاج لبعض الوقت مع نفسه ليفكر قبل أن يقابل شامل

هذا ووالده لو كان قد صدق الحديث مع ونس .. فرفع سماعة الهاتف وطلب رقما ثم قال " أم هاشم .. هلا استطعت المجيء للبقاء مع ونس بعض الوقت .. إنها بخير لكني لا احب أن أتركها وحدها في مكان غريب ..إن كنت مشغولة هلا اتصلت بإسراء بنت نصرة احتاج لأن أذهب لمشوار"

قالت أم هاشم مطمئنة "لا تقلق أنا سأكون عندها بعد قليل"

شكرها بامتنان وتحرك يلقي نظرة على ونس فلمح الممرضة تحمل صينية وتدخل الغرفة فاقترب ببطء وفتح الباب بهدوء ليجد الممرضة تساعد ونس على الجلوس نصف مستلقية وبدت ابنته أمامه على استعداد لاستقبال الطعام فعاد يغلق الباب بهدوء وهو يغمغم بعينين دامعتين وقد

تسارعت دقات قلبه فرحا " الآن فقط ستأكلين يا بنت الكلب !"

××××

أخذ يقلب في الأوراق أمامه دون أن يعي ما يقرأه ثم تركها ليمسك بهاتفه كما يفعل من وقت لأخر متعللا بأي شيء منكرا لما يبحث عنه أو ينتظره أو ينتويه .

هذه هي حالته منذ أن غادرت مليكة والأولاد صباح أمس .. لقد تعلل بالعمل وتركها لتعود للبلدة مع أخيها ..

ما حدث ليلة أمس الأول كان مفجعا بالنسبة له .. لم يتخيل أبدا أن ينفجر في وجه مليكة بكل ما تفوه به من كلام جارح .. وما أصعب الندم بعد لحظة انفجار تخرج فيها الكلمات كالقذائف الحارقة .

إنها من أسوأ اللحظات التي مرت به معها .. وقد كان يعتقد أن ما مر بهما في الماضي لن يأتي بأسوأ منه .. لكنها الحياة دوما لا تتوقع فيها إن كنت قد مررت بالأسوأ بعد أم لا ..

المشكلة .. والمسيطر عليه أنه لا يعلم كيف يبدأ معها .. لا يعلم مدى الضرر الذي خلفه انفجاره هذا خاصة وهو يدرك تمام الادراك أنها قد عانت بما يكفي .. لكنه برغم ذلك يجد لديه إيمان قوي حفر في قناعته كوشم بأنها خلقت من ضلعه حتى لو كانت ضلعا مكسورا مهشما .

في نفس الوقت كانت مليكة تتحرك جيئة وذهابا في غرفتها في سرايا الصوالحة فلم تعد بعد لشقتها في بيت العمدة .. نظرت في الهاتف كما تفعل كل فترة وأخرى لتجد إن كان قد أرسل لها شيئا أو اتصل بها ..

إنها ترزح تحت وطأة أفكار يائسة مدمرة وعقدتها بالذنب اشتدت قوة وتعقيدا وألما .. وكالعادة قوتان متنافستان تتعاركان لاستقطابها .. قوة تدفعها للأمام .. تطلب منها أن تقهر احزانها كما فعلت من قبل .. تطلب منها أن تتوازن بعد هذه الضربة الجديدة التي تلقتها .. أن تتمسك بما لديها من نعم ومن منح تذكرها بوجود مفرح والاولاد في حياتها .. وقوة أخرى لا تقل عنها شراسة وقوة توسوس لها بأن تستسلم .. تدفعها للسقوط .. تخبرها بأن ما حدث لها من فواجع وما تعرضت له من محن كفيل بأن يقتلها ..تستنكر محاولاتها للتشبث بالقوة الأخرى .. تستنكر أن تفكر في الحياة ليوم اضافي بعد أن اكتشفت بأن حتى مفرح غير سعيد معها ..

ورغم هذا .. تحاول بكل قوتها ألا تستسلم لتلك القوة السلبية متسلحة بشيئين .. قوة إيمانها بالله ورضا بقدره والثانية يقينها بحب مفرح لها .. ذلك اليقين الذي حفر في قناعتها كوشم وكأنها قد خلقت من ضلعه حتى لو كانت ضلعا مكسورا مهشما .

أمسكت بهاتفها وقررت أخيرا أن تفض ذلك الصمت بينهما فكتبت له على الواتساب "كيف الحال؟"

في نفس اللحظة استلمت رسالة منه تقول "كيف الحال؟"

حدق مفرح في الرسالة الآتية منها وحدقت مليكة في الرسالة الآتية منه ولا يعرف سوى شركة الاتصالات من منهما أرسل للثاني أولا .

بلع ريقه بصعوبة وكتب" الحمد لله.. كنتِ تريدين شيئا؟"

في نفس اللحظة التي ضغط فيها على زر ارسال كان قد تلقى رسالة منها تقول" الحمد لله على كل شيء ..هل كنت تريد شيئا ؟"

فرك مفرح وجهه بكفه عدة مرات ولم يعرف ماذا يقول.. هل يعتذر .. هل يعبر عن ذلك الغضب المكبوت الذي رغم صبره لم يستطع محوه من داخله أبدا وهو لا يعلم إن كانت بهذه الحالة معه لأنها باتت تكرهه أم نتيجة لما حدث في الماضي .. هل يسأل عنها وإلى أي مدى هدم بما تفوه به ما وصلت هي إليه خلال السنوات الماضية من تحسن؟.

كتب مفرح" كنت أطمئن على الأولاد"

تلقي منها رسالة في نفس الوقت وكأنهما يقرآن أفكار بعضهما تقول "كان الأولاد يطمئنون عليك"

تطلعت مليكة في رسالته ولم تدر هل لا يزال غاضبا منها أم ماذا فكتبت "متى ستأتي ؟" لكنها اسرعت بمسحها قبل ارسالها ووقفت تتطلع حولها بحيرة شديدة لا تعرف ماذا تقول.

كتب مفرح" أنا بخير الحمد لله هل ما زلتم في السرايا؟"

"نعم "

"تمام "

تطلعت في رده بحاجبين معقودين ثم ألقت بالهاتف على الأريكة بغيظ وعادت لتقوقعها فوق السرير مستسلمة للقوتين اللتين تصارعهما حتى ترى أي منهما ستتسيّد الوضع الراهن قوة بيضاء مضيئة وقوة سوداء قاتلة .

أما مفرح فتلقى رسالة على الواتساب من شامل كتب له فيها "أنا في البلدة مع أبي .. إن كان يهمك هذا الخبر "

وضع مفرح الهاتف على المنضدة وفرك رأسه ليستفيق من غيبوبة دامت لأكثر من أسبوع ..ثم استقام بعد قليل واقفا وقد اتخذ قرارا بالاكتفاء بهذه العزلة وأن عليه العودة للبلدة قبل حلول المساء .

xxxxx

قبيل العصر

الحيرة تأكله منذ ساعات .. منذ أن خرج من المستشفى بعد أن شاهد شامل هذا .. ولم يرغب في الذهاب لبيته لأنه لو كان قد جاء مع والده كما قال فبالتأكيد سيذهب للسؤال عنه وهو لا يريد أن يقابلهما قبل أن يرتب أوراقه ويعلم بم سيجيبهما ..

وأوراقه مبعثرة حاليا وكثيرة يشوب بعضها الغموض ..ويشوب البعض الأخر الخوف والحيرة ..

وهو خائف .. خائف بشدة لن يستطيع أن ينكر هذا أبدا .. وها هو يجلس منذ ساعات في مسجد القرية الكبير ولا يزال حائرا ولا يعلم بما سيجيب طلبهما .. بعد أن تزعزعت قناعاته خلال الأيام الماضية .

لقد كان رافضا حتى يوم أمس .. لكن ذلك الاصرار الذي تصر به هذه الحمقاء بشأن هذا الشاب .. وذلك الصاعق الذي وجده في خزانتها والذي أوحى له بأنه يهمه حمايتها .. وذلك المشهد الذي رآه عليه ظهر اليوم وخاصة حينما استشعره متأثرا بحالتها كل هذا وضعه في حيرة شديدة .. لكن الأمر لا يزال غريبا وصادما وغير منطقيا بالنسبة له.

اغلق عيد المصحف الكبير واستقام يضعه على أحد الرفوف مع صوت أذان العصر قبل أن يلمح

مصطفى الزيني يدخل المسجد استعدادا للصلاة .. فألحت عليه رغبة شديدة للحديث معه واسرع يستقبله مسلما.

اتسعت ابتسامة مصطفى وقال بلهجة مرحبة كعادته " كيف حالك يا رجل يا طيب .. علمت بأن ابنتك متوعكة قليلا ما بها كفاها الله الشر "

قال عيد مهموما "الحمد لله هي بخير الآن .. كنت أود أن آخذ رأيك يا أبا حمزة في أمرين "

قال مصطفى وهو يتحرك ليجلس في ركن من المسجد ويلحق به عيد " تفضل يا حاج عيد خير إن شاء الله "

في خارج المسجد الكبير أكبر مساجد القرية ساعد شامل والده على الترجل من السيارة ووقفا يتطلعان في المسجد ليقول شامل متحرجا ومشفقا على

والده وهو يميل ليقبل كتفه "أعلم بأني عذبتك معي يا أبي اليوم سامحني"

غمغم غنيم بهدوء " لا بأس المهم أن نجد الرجل هنا في المسجد "

قال شامل متحمسا "لا تقلق لقد أكد لي أكثر من شخص بأنهم قد رأوه هنا "

على باب المسجد قال غنيم بينما شامل يميل ليساعده في خلع حذائه "الحمد لله أن لحقنا بصلاة العصر"

في المسجد هتف مصطفى باستنكار "من هؤلاء الذين يهددونك ؟!!"

قال عيد مهموما "لا أعرفهم فكل من أتاني ليس من قريتنا لكن لكنتهم تقول بأنهم من نفس المحافظة ولهذا لم أعرف اشتكي من واشعر بالقلق من آخر تهديد"

قال مصطفى حائرا "المشكلة أنك لا تعرف من هم ولصالح من حتى أنهم يأتوك في أوقات غير منتظمة كما تقول "

قبل أن يعقب عيد لمح شامل ومعه رجلا كبيرا في السن تبدو عليه الوجاهة يدخل المسجد وتقابلت عيناهما قبل أن يراهما قادمان نحوه فدقق مصطفى فيما ينظر إليه عيد مغمغما "من الذي بصحبة أحد صاحبي مفرح؟ "

قال عيد باقتضاب "هذا هو الأمر الثاني الذي كنت أريد أن أتحدث معك فيه لكنهما ظهرا كالقضاء المستعجل "

اقترب شامل يقول" السلام عليكم"

استقام مصطفى واقفا هو والعم عيد ومد الأول يده للسلام مرحبا ثم قال مبتسما "أنت كامل أم شامل أولا ؟ "

قال شامل بابتسامة ضعيفة "أنا شامل وهذا والدي غنيم نخلة"

سلم مصطفى عليه بحرارة مرحبا ليقول شامل مشيرا على عيد "وهذا الحاج عيد يا أبي "

رحب به عيد بعبوس بينما أذن المؤذن في مكبر الصوت لإقامة الصلاة في الوقت الذي قال شامل" نريد أن نتحدث معك يا حاج عيد (ونظر لمصطفى مضيفا) ونتمنى أن يحضرنا أبو حمزة إن لم يكن لديه مانع"

قال مصطفى بوقار "فلنصلي العصر أولا ثم نجلس ونتحدث "..

بعد قليل جلس أربعتهم في ركن من أركان المسجد وبدأ مصطفى الحديث مرحبا "أنرتنا يا غنيم بيك اليوم"

قال غنيم بابتسامة " بنوركم كلكم .. لندخل في الموضوع مباشرة (ثم توجه بالقول لعيد الصامت) يا حاج عيد هذا ابني شامل عمره اربعة وثلاثين عاما يمتلك مع أخيه مطعما في العاصمة ونحن مستقرون هنا في بلدكم منذ ما يقرب من عشر سنوات .. ولقد استخار ابني الله وقرر أن يكمل نصف دينه بالزواج من كريمتكم "

سأله عيد بحدة "وهل أخبرك عن ظروفها كلها؟"

رد غنيم الذي قرر هو وزوجته قبل وقت سابق أن يستسلما لقرار ولدهما بل هو من اقترح على شامل أن يصحبه إلى البلدة حينما وجده قلقا بشدة بعد أن تلقى خبر نقل ونس للمستشفى "أعلم بكل شيء وابننا متمسك بها "

تردد عيد ثم قال "لكن هذا لم يكن رأيك من البداية أليس كذلك؟ "

تكلم غنيم بصدق " في البداية كنت رافضا لسبب واحد هو اختلاف البيئات لكن شامل أخبرني بأنها ذكية وستتأقلم بسرعة .. واستشهد بتجربتنا نحن هنا في بلد أخرى وكيف أننا تأقلمنا بسهولة حتى أن ولداي باتا يتقنون اللهجة المحلية"

صمت عيد ثم نظر لمصطفى الزيني فقال شامل "بالمناسبة يا حاج (وأخرج من جيبه ورقة) هذا خطاب قبول لونس في معهد ايطالي للفنون تابع للسفارة الايطالية هنا"

أمسك عيد بالورقة التي لم يفهم منها شيء وقال بعبوس "فنون !!..أي نوع من الفنون؟!!"

رد شامل موضحا " رسم .. رسم وزخرفة يا حاج ..كما ترسم ونس عادة ..إنه مثل المدرسة أو الكلية

.. الحقيقة الوالدة أوصت عليها هناك لكني متأكد بأنها حينما تذهب ستذهل الجميع بموهبتها ومن الممكن أن تفوز بمنحة للدراسة في الخارج"

هتف عيد بعدم فهم "ماذا تعني .. أتريد لابنتي أن تسافر وتتركني ؟!!"

أسرع شامل بالتوضيح بعد أن تبادل النظرات مع والده وقد أدرك بأن ما قاله سيزيد من خوف الرجل " لا لا لم أقصد .. ونس لن تغادر لأي مكان أنا فقط اشرح لك كم هي فرصة رائعة .. إنها موهوبة جدا ومكان كهذا سيقدرون فيه موهبتها .. عموما هذا فقط للعلم وتستطيع إن أردت الذهاب معها في أي وقت "

أخذ مصطفى دفة الحديث قائلا " دعنا نتحدث في المهم الآن يا استاذ شامل (ونظر لعيد) يا حاج عيد شامل يطلب منك يد ابنتك ونس فما هو ردك ؟"

قال عيد لشامل بشك "أتريد أن تأخذ مني ابنتي ثم تعود بها لبلدك ؟!!"

رد غنيم بهدوء وثقة " يا حاج عيد أنا مستقر هنا منذ عشر سنوات .. وأعدك أمام الناس إن قسم الله لنا بالعودة أن يبقى شامل هنا مادام هذا ما يطمئنك .. فنحن لا نقبل أبدا أن نحرمك منها .. كما أن السفر هذه الأيام بين البلاد بات سهلا ومع هذا .. هذا وعد مني ومن شامل ألا نغادر البلاد ونأخذها منك أبدا "

شعر عيد بالارتباك وبأنه مطلوب منه أن يعطيهم ردا هو لا يعرفه فعاد يقول مهاجما " تقصد ستعيدونها لي مطلقة إن قررتم الرحيل أليس كذلك "

غمغم شامل مستنكرا " لا حول ولا قوة إلا بالله!"

بينما انفعل غنيم " نحن لا نلعب ببنات الناس يا حاج .. هل أبدو أمامك أني قد آتي بنفسي لطلبها وأنا أعرف عن ابني اللهو والعبث! "

شعر عيد بالحرج والندم على اندفاعه بينما تدخل مصطفى الزيني يقول ملطفا " لا بأس يا رجل يا طيب أنا مقدر لقلقك لكن الاستاذ شامل قد وجد في ونس ما يميزها بل انه سيساعدها لتدرس الفنون التي هي موهوبة فيها .. "

اضاف شامل على ما قاله مصطفى "وكل طلباتك والضمانات التي ترغب فيها أنا جاهز لها"

أطرق عيد برأسه في حيرة فقال غنيم ليشجعه على عدم المماطلة "كنت آمل أن احصل على ردك قبل العودة للعاصمة يا حاج"

قال مصطفى متدخلا من جديد " حسنا فلنعطيه فرصة ليفكر حتى آخر اليوم ولتأتيا معي لنضيِّفكما"

قال غنيم بحرج بعد أن تبادل النظرات مع ابنه"
دائما عامر يا أبا حمزة لا تشغل بالك بنا"

قال مصطفى بحزم "والله لن يحدث ابدا ..أتحسبنا بخلاء!"

غمغم غنيم بابتسامة محرجة " أبدا والله.. ولداي يتحدثان عنكم بكل خير .. يكفي أن مفرح ابنكم نعم الرجل والله"..

اتسعت ابتسامة مصطفى وقال بهدوء " أنا بفضل الله سأقيم ليلة ذكر وإنشاد ديني هذا المساء وسيكون بها أشهر المنشدين إن شاء الله.. تفضلا معنا إلى دارنا دار مصطفى الزيني واحضرا في المساء الحفل وحينها سيقابلنا الحاج عيد ليعطينا رده النهائي وإن شاء الله خير "

استقام عيد واقفا وقال مهموما" إذن سأغادر أنا الآن (ونظر لغنيم يقول ببعض اللطف) أنرتنا يا

غنيم بيك ولا تؤاخذني إن كنت محتدا بعض الشيء .. السلام عليكم "

خرج عيد من باب المسجد ولا تزال الحيرة تأكله يريد أن يثق فيهما..

يريد أن يصدق أن ونس ستتزوج وستكون في أمان بعيدا عمن يهددونه .

يريد أن يستريح من التفكير في مصيرها بعد موته..

لكنه خائف .

لمح الواقفين أمام المسجد والذين خرجوا منه منذ دقائق وفهم بأنهم قد التقطوا أطراف الحديث .. ليبادره أحدهم قائلا باستنكار "هل تحتاج وقت لتفكير يا عم عيد أجننت؟؟! وهل هذه الفرصة تعوض ؟"

قال آخر بلهجة متهكمة ممزوجة بالحسد "ابنتك ربحت ورقة اليانصيب وأنت تطلب وقتا للتفكير !.. ليته طلب ابنتي أنا! "

تكلم ثالث " أرأيتم كيف أن الشاب متلهفا ويقول ما تريده يا حاج عيد .. سبحانك يا رب وكأنه قد جاء من بلد أخرى ليتزوج بنت العم عيد "

قال رابع بلهجة ذات مغزى "لا تؤاخذني يا حاج عيد هذه فرصة لا تعوض "

تركهم عيد دون رد وتحرك صامتا بينما حديثهم لا يزال يطارد أذنيه .

"سمعت بأن دولة ايطاليا أرسلت لها منحة لهذا هذا الثري يشعر بالفخر من الزواج بها "

"صدقا يا جماعة البنت موهوبة منذ صغرها وتبدو مختلفة عن بقية بناتنا "

" يا أخي سبحان الله الناس الذين يولدون بعاهة يعوضهم الله بموهبة مميزة "

"سبحان الله "

"سبحان الله"

وضع عيد جسده المنهك في أحد التكاتك ورأسه تضج بالأفكار التي تدور غالبيتها حول سؤال واحد هل يصدق ما يحدث ويوافق ؟!

xxxx

في المساء

أحيانا تعجز الكلمات أمام ما نشعر به من مشاعر متناقضة .. وكلما تعاظم الشعور لا نجد ما نعبر به خاصة لو كنا لا نعرف إن كان علينا تقديم الاعتذارات أم التمادي في توجيه الاتهامات ..

وأحيانا أخرى يكون ما يربطك بشخص ما أقوى وأمتن من أن يشرخه أي شيء حتى لو كان صداما قاسيا جارحا كالذي مر به مفرح ومليكة ..

التضحية والمحبة من طرف واحد

قاتلة ..

قاتلة ..

سيدة عمري الفاضلة

مد مفرح يده يغلق الأغنية وهو يتطلع في مليكة بترقب وارتباك وهي تخرج من سرايا الصوالحة فتلاقت عيناهما لثوان قبل أن يشيح كل منهما بعينيه عن الاخر وتتحرك مليكة حول السيارة لتركب بجواره مغمغمة بخفوت "السلام عليكم"

دون أن ينظر نحوها رد السلام ثم سألها "هل الأولاد في بيت العمدة ؟"

ردت بنفس الخفوت " أجل طلبا أن يوصلهما عم طه لبيت العمدة عند عودتهما من المدرسة وكانا سيتصلان بي في المساء ليعرفا إن كنت سأبيت مجددا في السرايا أم سأعود"

هز رأسه وحرك السيارة دون تعقيب فاختلست النظرات نحوه قبل أن تشيح بوجهها نحو النافذة .

كان مفرح قد أرسل لها رسالة عندما اقترب وصوله للقرية يخبرها بعودته ويطلب منها أن تجهز نفسها لتعود معه لبيت العمدة فأطاعته .. هكذا ببساطة دون تعقيدات رغم ما يشوب علاقتهما من تعقيدات لحظتها ..

غادرت السيارة سرايا الصوالحة إلى بيت العمدة والصمت رفيقهما وكلمات الاعتذار تتراقص في الأعين وفوق الشفاه .. لكنها اعتبارات شكلية

بالنسبة لهما .. فما بينهما أكبر من ذلك بكثير ..
أكبر حتى من الصدامات والصدمات ..

xxxx

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت

أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها

إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه

وإن بناها بشر خاب بانيها

صدح صوت المنشد الشهير الذي يتوسط الصوان وعلا صوته في مكبرات الصوت بينما الناس جلوس يستمعون بأرواح تطفو فوق المكان .

وفي جانب أخر كان الطعام يقدم للضيوف الفقراء منهم والاغنياء يتقدم للترحيب بهم ومساعدتهم

أبناء مصطفى الذكور .. أما الأخير فكان يجلس بهيبته بجوار ضيفيه غنيم نخلة وابنه شامل المستمتعين بأجواء الإنشاد الديني وبالليلة كلها .. رغم القلق الذي يعتري شامل ..قلق من رد العم عيد وقلق على والده الذي يشعر بأنه قد بذل مجهودا كبيرا اليوم رغم ضيافة مصطفى الزيني الكريمة لهما .

في البيت المجاور .. بيت العمدة وضعت نحمده يدها على رأسها وغمغمت" متى سينتهي هذا الصداع يا ربي !"

ردت فايزة بلهجة متهكمة" الليلة قد بدأت منذ قليل أمامك ساعات طويلة لتنتهي يا أمي"

قالت مهجة وهي تغلق الهاتف" مليكة على وشك الوصول مفرح قد مر عليها في طريقه"

مصمصت نحمده شفتيها وقالت متهكمة " ولماذا ضغطت على نفسها بالعودة !..كانت تكمل باقي الأسبوع عند أهلها !"

ردت مهجة مقارعة" أفهم من ذلك بأنني لو جئت لأبيت عندك عدة أيام ستفعل معي خالتي فاطمة مثلما تفعلين مع مليكة يا أمي!"

رفعت نحمده ذقنها وقالت باستهجان "وهل يجرؤ أحد على منعك أو الاعتراض حين ترغبين في المبيت في بيت والدك !!"

رفعت مهجة حاجبيها باندهاش فغمغمت فايزة متنهدة "وهل هناك أطيب ولا أغلب من حماتك يا محظوظة يا مهجة.. ليتها حماتي أنا"

قالت مهجة باستنكار " لا تؤاخذاني ولكن أنتما أكبر مثال حي على الازدواجية والكيل بمكيالين بصراحة "

عقدت نحمده حاجبيها ونظرت لفايزة تقول بعدم فهم" بم تخرف هذه البنت؟! "

ربتت فايزة على فخذ أمها ثم قالت لمهجة بلهفة " دعك من الفزلكة وطمئنيني هل جاءتك هذا الشهر أيضا ؟"

ببعض الحرج ردت مهجة "أجل "

عوجت فايزة شفتيها يمينا ويسارا فأسرعت نحمده تقول" ما رأيك في أن نذهب للطبيبة لنطمئن يا مهجة ؟"

قالت مهجة باستنكار" لماذا يا أمي أنا لم أتم ثلاثة أشهر متزوجة !"

غمغمت نحمده" فقط للاطمئنان "

قالت مهجة ببساطة "أنا شخصيا لا اشغل نفسي بالأمر حاليا ..صحيح لا أمنعه لكني لا أتتبعه أيضا وإن كنت أتمنى أن يتأخر قليلا لأني قد ضيعت السنة الدراسية في التجهيز للزواج وأريد أن أركز في دراستي"

هبت نحمده تقول باستنكار" دراسة !!.. وهل الدراسة أهم من أن نطمئن عليك وأن تنجبي من سيحمل اسم الودايدة !"

قالت مهجة بهدوء" يا أمي أنا لم أقل أني لا أريد "

تكلمت فايزة مفسرة" أمي تقصد بأن خالي بالطبع مشتاق لحفيد خاصة بعد عدم قدرة بسمة على الانجاب وبالتأكيد وليد أيضا يهمه أن ينجب من يحمل اسم الودايدة"

هزت مهجة كتفيها وردت ببرود "لم نتناقش في هذا الموضوع الحقيقة "

في الخارج أوقف مفرح السيارة في ساحة بيت العمدة ولا يزال الصمت يسيطر على الأجواء فسألته مليكة بهدوء وهي تمسك بعتلة الباب" هل ستذهب لأبي حمزة؟"

رد مفرح دون أن ينظر إليها" أجل لابد أن أذهب إليه خاصة وأن شامل ووالده موجودان عنده.. لكني سأمر على أبي أولا "

هزت رأسها وهمت بالخروج قبل أن تسأله "شامل هنا ؟ .. هل هناك جديد في موضوع ونس؟"

استدار يسألها عاقد الحاجبين "ما بها ونس وكيف علمت بأمر علاقتها بشامل؟!"

بعد قليل دخلت مليكة تقول" السلام عليكم"

ردت الجالسات السلام ورحبت بها مهجة تقول ببشاشة "كيف حالك يا مليكة لقد جئت مبكرا حتى أجلس معك فتفاجأت بأنك في السرايا "

قالت مليكة بإنهاك" آسفة يا مهجة أشعر بأني متوعكة فسامحيني اليوم .. أنا أيضا اشتقت إليك جدا .. لكن ... "

قالت مهجة بتفهم "لا بأس تبدين شاحبة فعلا اذهبي لتستريحي "

غمغمت مليكة بحرج شديد" آسفة جدا فلنعوضها يوما أخر إن شاء الله "

قالتها وصعدت لشقتها فلم يكن لديها من الطاقة النفسية للثرثرة مع أحد فهناك مهمة عليها بتنفيذها .

ناظرتها الحاجة نحمده وهي تصعد ثم قالت بعد أن اختفت "أقطع ذراعي إن لم يكن هناك خصاما

بينها وبين مفرح .. ولهذا بقي كل هذه الأيام في العاصمة وقبلها سمعته يصيح فيها منفعلا وخرج يومها غاضبا وها هي باتت عند والدها يومين ولم تفعل ذلك من قبل "

قالت فايزة بلهجة متشفية" هل تعتقدين بأنها حينما ذهبت إليه في العاصمة تخانقا مرة أخرى لهذا عادت إلى بيت أهلها ولم تنتظر للعودة معه"

قالت نحمده بقرف في جلستها الطاووسية في بهو البيت الواسع "ليته يفعلها يا بنيتي .. لكنه كما ترين لم يتحمل عند عودته البعد عنها ومر ليأخذها من بيت والدها قبل حتى أن يدخل بيته.. قلت لك هذا تأثير عمل سحري سفلي قوي يربط ابني بها لكنك لا تصدقين"

قالت مهجة بحزن "بصراحة يا أمي كلما سمعتك تتحدثين عنها بهذا الشكل رغم أنها بالفعل لم تفعل

لك شيئا .. وأراها من خيرة الناس أدبا ونسبا أشعر بحزن شديد"

هتفت نحمده بقرف" اسكتي أنت لا تفهمين شيئا .. يكفي أنفها المرفوع بخيلاء "

هتفت مهجة باستنكار "كل هذا وأنفها مرفوع بخيلاء !!"

قالت فايزة بغل وهي تعدل من وضع خواتمها الذهبية التي تملأ أصابع يديها" ألا يكفي بأنها لا تدعوني بـ (عمتي)* "

ردت مهجة باستنكار" هذه العادات بطلت منذ زمن .. أنا مثلا لا أدعو بسمة إلا باسمها بدون القاب رغم أن فارق العمر بيني وبينها أكبر منك أنت ومليكة "

*في بعض المناطق الريفية كانت تلقب أخت الزوج بالـ (عمة)

قالت نحمده بعصبية وهي تبحث حولها عن شيء لتقذفها به "قومي من هنا يا تربية مفرح قبل أن ترفعي لي ضغطي .. قومي .. هل سحرت لك أنت الأخرى!"

استقامت مهجة واقفة وقالت بحنق "سأغادر يا أمي سأغادر .. أنا ذاهبة لأطمئن على مفرح وعلى أبي "

أشاحت نحمده بيدها بامتعاض قبل أن تلحقها بصوتها قائلة "لا تنسي أن تحجزي عند الطبيبة يا مهجة هل سمعت ؟!"

لم ترد مهجة فعادت نحمده تعتدل على الاريكة وتقول لفايزة التي تجلس بجوارها "ها .. اكملي لي .. وماذا فعلت حماتك العقربة لأني أنوي أن أردها لها بنت **** هذه "

في غرفة نوم الحاج عبد الرحيم الزيني رفع مفرح اصبعيه يضعهما على زاويتي عينيه الداخليتين يشعر بإنهاك شديد وهو يقف أمام والده العمدة يكمل توبيخه له بوجه محتقن وكأنه روحه ستخرج مع كلماته "موضوع الحرائق المتكررة لا يزال لغزا لم نجد له حلا ولا يزال مستمرا .. وأنظر كيف أن مصطفى أقام ليلة يطعم فيها الفقير قبل الغني وأحضر أشهر منشد في البلد كلها ليحي الليلة .. وأنظر كيف استقبل صاحبك ووالده الذي يحضر لقريتنا لأول مرة وبدلا من أن نستقبله نحن ونضيّفه قام بذلك مصطفى الزيني وأنت مشغول في العاصمة بهذه الدكتوراه التي لن تفيد بشيء"

طرقت مهجة على الباب المفتوح ثم دخلت بينما هز مفرح رأسه متفاديا أي صدام مع الرجل العجوز

ثم مال يقبل رأسه دون أي طاقة لديه للمناقشة أو قول أي شيء ثم قال " حقك فوق رأسي يا حاج"

نقلت مهجة أنظارها بين الاثنين وهي تشعر بأن مفرح يكبت عصبيته بقوة بينما قال الأخير" سأذهب لأسلم على عمي غنيم هل قابلته يا أبي؟"

رد العمدة بامتعاض "أجل ..فقد اضطررت للذهاب لمصطفي والجلوس قليلا عنده حتى لا يظهر وحده في المشهد أمام أهل البلدة.. وهناك تفاجأت بوجود صاحبك ووالده وشعرت بمصطفى وهو يعرفني عليه وكأنه يغيظني بأنه من يستقبله وليس أنت "

رفع مفرح حاجبيه متعجبا من طريقة تفكير والده ثم قال بهدوء "الحقيقة يا حاج اعتقد بأنك حساس بمبالغة تجاه كل ما يصدر من مصطفى فلا أتوقع أبدا بأنه قد يتصرف بهذه التفاهة والسطحية"

انفعل والده واحمر وجهه وهو يقول "هل سنعود لتلك السيرة ولدفاعك عن مصطفى يا مفرح!"

وقف مفرح يدعك جبينه بأنامله يحاول السيطرة على أعصابه والتزام الأدب في حضرة والده بينما تدخلت مهجة تقول بابتسامة متوترة لتنقذ مفرح "لا لا لا يا حاج .. أنا اخاصمك"

انتبه العمدة لوجودها فلانت ملامحه بينما اختلست مهجة نظرة قلقة إلى مفرح الذي لايزال مطرق الرأس يدعك جبينه ثم قالت بابتسامة مليحة لوالدها وهي تقترب منه "ألا يوجد ترحيب بمهجة !..نسيتني !.. نسيت دلوعتك .. وأنا التي أتيت حتى أجلس معك ونتسامر "

ابتسم العمدة وربت على ظهرها حينما استطالت تطبع قبلة على خده بينما قال مفرح وهو يتحرك ليخرج" أنا سأغادر "

نادته مهجة ثم لحقت به عند الباب وسألته هامسة حينما استدار إليها" هل أنت بخير؟ تبدو مجهدا جدا"

ربت مفرح على ظهرها وهو يطبع قبلة سريعة على رأسها وخرج فشيعته بنظرات قلقة قبل أن تستدير لوالدها وتقول بمشاكسة "صرنا وحدنا يا عبد الرحيم يا زيني ..هيا اخبرني كم اشتقت إلي "

والله ما طلعت شمس ولا غربت

إلا وحبك مقرونا بأنفاسي

ولا تنفست مسرورا ومكتئبا

إلا وأنت صهيلي بين أنفاسي

ولا شربت شراب الماء من عطش

إلا رأيت خيالا منك في الكاس

على صوت المنشد دخل مفرح يسلم على غنيم نخلة ومصطفى الزيني ثم استدار ووقف متخصرا يمط شفتيه أمام شامل الذي رفع له حاجبا خطرا متحفزا ..ليقول الأول وهو يشير بيده له ليجلس "اجلس ..اجلس فلن أفعل بك شيئا فأنت في ديارنا"

قالها وهو يجلس بجوار شامل الذي قال بلهجة متهكمة "والله لا نعرف كيف سنرد لك هذا الكرم "

غمغم مفرح بلهجة ممتعضة دون أن ينظر إليه "حاذر فقط أن تبكي من فرط العاطفة والتأثر "

دون أن ينظر إليه هو الأخر مد شامل يده إلى مرفق مفرح وبحركة مدروسة ضغط عليه يغرز ابهامه في باطن الذراع بقوة جعلت الأخير يتوجع ويجز على اسنانه وهو ينظر إليه مغتاظا ويقول باستنكار هامس "احترم نفسك نحن أمام الناس !"

غمغم شامل بحاجب مرفوع" أنا هنا أقوم بدوري ودور كامل حبيبي ..وإن انفردت بك ستعرف جيدا كيف يكون الاحترام "

ناظره مفرح بنظرة فوقية يداري سعادة جمة بداخله لوجوده ثم قال بامتعاض" ولماذا لم يأت البيك معك لتكتمل هذه الزيارة السعيدة؟!"

هم شامل بالرد حينما رن هاتفه فأجاب بسرعة وهو يقول لمفرح "ها قد أحس بنا .. نعم كامل"

أشاح مفرح بيده بقرف وهو يدير وجهه للناحية الأخرى بينما قال شامل "أنا مع مفرح يا كيمو لكنني لم انفرد به بعد لأؤدبه يا شقيقي هل تريد أن تكلمه؟!"

مط كامل شفتيه وقال "لا أريد أن أكلم أحد .. طمئنني هل من جديد ؟"

غمغم شامل " لا جديد العم عيد موجود لكنه منذ أن حضر وهو وسط الرجال يؤدون بعض الرقصات المصاحبة للتواشيح والابتهالات"

سأله كامل بفضول" كيف هذا أريد أن أرى ماذا يفعلون "

اجاب شامل " صورت مقطعا سأرسله لك بعد قليل .. أعتقد بأنها عادة قديمة (وسأل مفرح الذي يركز في الحفل) أليس كذلك يا مفرح (وأشار على بعض البسطاء من أهل البلدة المصطفين خارج الصوان) "

قال مفرح موضحا " أجل عادة قديمة يقوم بها بعض البسطاء في مثل هذه المناسبات يظنون بأنهم يبتهلون لله بهذه الطريقة "

عاد شامل يقول لتوأمه " كما قلت لك .. الأجواء هنا روحانية جدا يا كيمو كنت ستستمتع بها جدا"

سأله كامل بصوت متحشرج "ألم تصادفها؟"

اختلس شامل النظر لمفرح الذي يتطلع في اقتراب جابر دبور من الصوان ثم همس "بالطبع لا فالحضور هنا للرجال فقط اذهب الآن وسأطمئنك إن جد جديد "

اغلق الخط بينما وقف مفرح ليرحب بجابر دبور الذي سلم عليه ثم سلم بالتبعية على شامل وغنيم قبل أن يستقبله مصطفى الزيني بحرارة اسعدت الأخير وهو يقول له عاتبا" لماذا تأخرت يا جابر ؟"

قال جابر بابتسامة ودودة "لا تؤاخذني كان لدي عملا هاما في المعرض لكني جئت بمجرد أن أنهيته"

بترحيب شديد أجلسه مصطفى بجواره مما أشعر جابر بالامتنان .. فانصت الجميع لغناء المنشد..

أكادُ من فرط الجمال أذوبُ
هل يا حبيب في رضاك نصيبُ
جعلت قلبي يهفو دوما للقاء
و إذا ذكرت يا حبيبي أطيبُ

في خارج الصوان كان عيد يقف بين الصفوف يحرك وجهه وجسده يمينا ثم يسارا يمينا .. ثم يسارا بحركة رتيبة وهو غارق في أفكاره يطلب مددا من مولاه وسيده .

بمجرد الأذكار ..قلبي هائم
هل فؤادي عنك قط يغيبُ
إني الأسير.. بحبي فيك ..في شرع الهوى
فارحم قلوب نال منها شحوب.

في خضم أفكاره أخذ يلوم نفسه .. يلومها على هذا الجزع الذي شعر به وهو في معية ربه .. واتهم نفسه بالتقصير في اتكاله على الله .. وأنكر عليها أنه كان يبحث عمن يشكو له ما

يمر به من كرب.. ونسي بأن الصبر على البلاء
مفتاح الفرج .

من يغفر الزلات.. غيرُك سَيدي
إني السعيد إذا أتيت اتوبُ
شاقني وجدي ..و حبك مطلبُ
من شاقه حُب الجمالِ يصيبُ

كان وجهه يتطلع للسماء .. وانظاره تحمل
رجاءً وذلاً واستنجاداً ..
تحمل ترجيا وتطلب المدد..
وبعد السؤال تأتي الإجابة ..
وبعد التضرع يأتي العفو ..
وبعد الكرب يأتي الفرج ..
يأتي كماء زلال يغسل القلوب من قلقها ..
فنُسلم الأمر لصاحب الأمر .

أسلمت أمري آه
أسلمت أمري للذي أنا مِلكُه
فامُلك .. فحسبي إن أنت قريبُ

تسارعت حركات عيد هائما في الملكوت
إني الفقير إليك عبد رضاكمُ
عطفا عليّ فإنني المجذوبُ
أو كل ما هتف الأحبة باسمه
رف الفؤادُ و شاقني المحبوبُ
كان عيد يشعر بجسده خفيفا وبأنه منفصلا عما يدور حوله إلا من كلمات المنشد الذي بات يحرك معها جسده بشكل أكثر تسارعا وبقلب أكثر تذللا وطمعا
أهيمُ في لقيآه كيف وصاله؟
هل يا ترى يرضى و كلي عيوبُ
متطاولُ أنا في ادعائي بحبه
و الحبُ يأتي يسوقه المطلوبُ
إن لم أكابد لن أفوز بحبه
والقلب لن ينعم وفيه ثقوب
مدد يا مدد

انتهى المنشد من شدو الأغنية فوقف عيد وفرك وجهه بكفيه ليستفيق ثم تحرك لاهثا يترك الصفوف والهمس حوله وحول عريس ابنته لا يزال منذ أن حضر تلتقطه مسامعه .

تطلع فيه شامل أتيا فناظره بترقب وقلب ثقيل النبضات حتى وقف عيد أمامهم وقال لغنيم"
أين تريد أن نتحدث يا بيك؟"
قال مصطفى الزيني" فلتتفضلوا للداخل لنتحدث بحرية" استقام الجميع بينما تبادل مفرح النظرات القلقة مع شامل وبدأوا في التحرك جميعا .
التفت مصطفى يقول لجابر الشارد "تعال أنت أيضا لتحضر شاهدا معي "
تفاجأ جابر وسأله" أنا ؟؟ .. وما دخلي فيما يحدث ؟!"

قال مصطفى وهو يشده من ذراعه "احتاج لشخص أمين ومحايد ليشهد معنا على ما سيحدث لأني أتوقع أن الرجل سيوافق .."

سأله جابر وهو يتحرك خلفه مسحوبا من ساعده "يوافق على ماذا؟!"

في نفس الوقت في بيت مصطفى كانت صفاء تقول في الهاتف وبجوارها حمزة يحمل ابتسامة بلهاء على وجهه" يا حبيبتي وحمزة أيضا ليس له سيرة إلا سيرتك .. إن شاء الله حين يعود والدك من السفر يحدد معه موعد لزيارتنا لكم .. (وصمتت قليلا مبتسمة ثم قالت) وأنا أيضا أحببتك من كلام حمزة عنك "

أشار لها حمزة ليأخذ الهاتف فقالت قبل أن تعطيه إياه" إن شاء الله يا حبيبتي وسلمي لي على والدتك حتى اتصل بها خصيصا .. فوالله

لم أجلس منذ الصباح تعلمين مباشرة الذبح والطهي وما إلى ذلك أمر مجهد .. معك حمزة" أعطت الهاتف لولدها الذي اسرع بوضعه على أذنه.. فشاكسه عبد الله قائلا" ألن تطلب منها بأن تحادثني أنا أيضا .. أنا أخوك الأصغر منك مباشرة "

ناظره حمزة مكشرا عن أنيابه بينما وقف مصطفى على باب الغرفة يقول بتوبيخ" لا تقفا هكذا وتغلقا الطريق كجذعي شجرة انتحيا جانبا لأتحدث مع أمكما"

ابتعدا بسرعة ليقول مصطفى لزوجته "أريد ضيافة في غرفة الضيوف يا أم حمزة وجهزوا العشاء أيضا "

قالت صفاء بإنهاك وهي تضع يدها على جانب رأسها" حاضر يا أبا حمزة"

سألها مصطفى بقلق "ما بك؟"

غمغمت بإرهاق "عندي صداع شديد منذ الصباح"
قال مشفقا " من المجهود .. هانت إن شاء الله.. جعله الله في ميزان حسناتك (وهتف في ولديه المنشغلان بالهاتف) جِدا حبة دواء للصداع لأمكما"

في غرفة الضيوف بعد قليل جلس الجميع فبدأ عيد الحديث قائلا " غنيم بيك .. ونس هي ابنتي الوحيدة .. هي كل ما أملك في هذه الدنيا .. لن أخفي عليك أنا لست حتى الآن مشجعا لهذه الزيجة ليس عيبا فيكم لا سمح الله ولكن كما قلت لك وكما اتفقت أنت معي من قبل بشأن اختلاف البيئة .. لكني ومع إصرار ابنك وموافقة ابنتي ..وبعد ضمانة ابن العمدة ومباركة هذا الرجل الذي أكن له كل احترام (وأشار على مصطفى الزيني) وشهادة هذا

المحترم (مشيرا على جابر) فأنا سأتوكل على الله واعطيك موافقتي "

غمغم شامل بعد أن سحب نفسا عميقا "الحمد لله (وقال بابتسامة متسعة)فلنقرأ الفاتحة إذن "

قال عيد باستنكار" ألن نتفق أولا على التفاصيل؟!"

قال شامل بسرعة " كل ما تطلبه مجابا بإذن الله.. نقرأ الفاتحة "

نظر عيد لمفرح الذي ربت على كتف شامل قائلا" لا تقلق فكما قلت أنا أضمنه لك "

هز عيد رأسه عدة مرات وقال" على بركة الله" فقال جابر مباركا" ألف مبروك يا حاج عيد تممها الله على خير "

رن هاتف شامل فنظر فيه ليجد كامل يتصل فأغلق المكالمة وعاد ليتصل بتوأمه بمكالمة

مرئية ليبادره كامل بالقول "ماذا يحدث معك ولماذا اتصلت بمكالمة مرئية؟"

رد شامل سعيدا وهو يوجه كاميرا الهاتف للجالسين" هيا لنقرأ الفاتحة يا حاج عيد أمام توأمي فلا أريد أن أحرمه من مشاركتي لحظة كهذه "

أخذوا جميعا في قراءة الفاتحة وقلب عيد رغما عنه لا يزال خائفا بينما قلب شامل كان يطير من الفرح والسعادة وتمنى أن تكون ونس حاضرة..

بعد قليل كان عيد ومفرح ومصطفى وجابر يودعون الضيفين بعد أن أصر غنيم على العودة وعدم المبيت في القرية.. فساعد شامل والده للجلوس في السيارة ثم وقف يسلم على الجميع مودعا بعبارات الشكر والامتنان حتى وصل لمفرح الذي حضنه وربت على ظهره يقول

بمحبة صادقة "أرجو ألا تؤاخذني على انفعالي المبالغ فيه تلك الليلة .. لقد ضغطما على وتر حساس بداخلي ربما يأتي يوما فأخبركما عن سببه "

ربت شامل على ظهره ثم ابتعد ينظر إليه قائلا" كل منا اخطأ في حق الأخر دون تعمد (ونظر للسيارة وأضاف) عليّ أن اذهب فالوالد قد اجهد اجهادا شديدا اليوم "

هز مفرح رأسه ثم قال بمشاكسة وهو يدور معه حول السيارة ليوصله إلى باب مقعد السائق " ما قلته منذ قليل كان يخصك أنت فقط .. أما المتعجرف الثاني فحذره من أن يقترب من البلدة .. وقل له مفرح الزيني لا يزال ينتظر منك تفسيرا "

ابتسم شامل ودخل سيارة يقول "استودعكم الله"

بعد دقيقة تحركت السيارة فربت مصطفى على كتف عيد مباركا له بينما اقترب بعض الرجال الذين كانوا ينتظرون عيد ليخرج من جلسته مع مصطفى الزيني وضيوفه وقد تأكدوا من أن اتفاق الخطبة قد حدث فأخذوا يباركون لعيد الذي لا يزال غير مستوعب بينما قال جابر لمصطفى "هل هناك شيء أخر أم استطيع أن أغادر الآن يا أبا حمزة؟"

سحبه مصطفى ببعض المشاكسة قائلا "تعال يا رجل السهرة لم تنتهي بعد إلى أين ستذهب الآن !"

ابتسم جابر ولحق به دون تعقيب بينما بقي مفرح في نفس الموضع الذي تركه فيه شامل .. يرفع أنظاره لبيت العمدة أمامه وبالتحديد إلى

شقته في الدور العلوي متسائلا.. هل ستعود حياته كما كانت قبل عشرة أيام ؟.

xxxx

بعد ساعة

فتح غرفتها في المستشفى بهدوء ولم يعرف إن كانت نائمة أم لا .. فتحرك يلقي بجسده المنهك بشدة على المقعد.. وكأنه كان في جولة مبارزة انهكت قواه ..

شاهد جفون ونس تتحرك قبل أن تفتح عينيها وتمد يدها لتثبت السماعات في أذنيها وهي ترفع جذعها قليلا بصعوبة من فوق السرير. ناظرها عيد ببعض النظرات العاتبة.. فصباح اليوم كانت فاقدة للقوى رافضة للطعام غير قادرة على حمل رأسها من فوق الوسادة والآن تبدو وقد تحسنت كثيرا عن الصباح .

قال بحشرجة " أنا .. لم أكن ابدا ضدك ولا ضد سعادتك .. ربما خوفي الزائد عليك هو ما أوصلنا إلى هنا .. لكن هذا شيء لا استطيع التحكم فيه .. و لن استطع أن اتحكم في خوفي عليك الذي سيستمر من الآن فصاعدا حتى يطمئن قلبي تمام الاطمئنان لما يحدث.

صمت قليلا فناظرته ونس بشعور بالذنب وأخر باللهفة وهي تنتظر لأن تعرف إن كان شامل قد رحل أم لا .. فاليوم قد مر عليها ببطء شديد وهي تنتظر عودة والدها منذ أن غادر عند الظهيرة لتعرف إن كان قد قابل شامل أم لا رغم أنها لم تستوعب بعد بأنه قد خطى خطوة جدية للارتباط بها ..ولم تستوعب ما قالته أم هاشم لها عن لهفة شامل واتصاله بها .

قال عيد يكمل حديثه بصوت هادئ "شامل نخلة قد حضر هو ووالده ليطلبا يدك وأنا وافقت ما دمت تصرين على خوض التجربة معه .."

وضعت ونس يديها على فمها وانفجرت دقات قلبها بينما أكمل عيد " أراه هو ووالده أناس طيبين وأتمنى ألا تصدق توقعاتي وأن تنجح علاقتكما ..أتمنى ذلك من كل قلبي لأطمئن عليك .. وأتمنى أن يكون هو رحمة السماء بي وبك ولا استكثر شيئا على الله سبحانه وتعالى"

تغرغرت عيناها بالدموع فأضاف عيد "تمت قراءة الفاتحة .. وبمجرد أن تخرجي من المستشفى ستكون هناك زيارة أخرى لتحديد التفاصيل "

انهمرت الدموع من عيني ونس .. دموع فرحة بعد طول انتظار .. وناظرت والدها الهادئ

النبرات المجهد بشدة وهو يضيف "تذكري فقط يا ونس أني فعلت الكثير لأحميك ..وبأني لم أكن أبدا ذلك الأب الذي يبيع ابنته لمن يدفع أكثر "

تأثرت ونس بكلمات والدها ففتحت ذراعيها لتدعوه ليحضنها ..لكن عيد لم يتحرك من مكانه ..فحاولت أن تتحامل على قواها الخائرة وتعتدل بجذعها حتى تغادر السرير فأسرع عيد يقول بعبوس وهو يترك مقعده ويقترب ليجلس بجوارها على السرير " ماذا تفعلين؟" رفعت ونس جذعها بصعوبة ثم لامست سبابتيها وابهاميها ببعضهم لتشكل له قلبا قبل أن تحيطه بذراعيها وتحضنه باكية .. فأشاح عيد بوجهه بعيدا وعيناه تلمعان بالدموع مغمغما "الآن فقط تحبينني يا بنت الكلب وقد كنت تنوين مغادرة هذه الحياة قبلي ؟!"

شددت ونس من احتضانه باكية وهي تقول في سرها "سامحني يا أبي لم أكن أخطط لشيء بل كنت فاقدة لطاقة المواصلة .. سامحني يا عيد "

وكأنه قد سمعها دون كلام .. وكأن قلبيهما قد تحدثا .. فلم يستطع عيد الصمود ولف ذراعيه حولها يقبل رأسها ممتنا أن عادت إليه .. أن عادت للحياة .. ثم رفع مقلتيه الغائمتين للسماء هامسا " توكلنا على الله الذي لا يغلبه أحد "

xxxxx

"لقد تأكدت من الخبر فعمي كان يحضر الليلة التي أقامها مصطفى الزيني واخبرنا بأنه قد تم الاتفاق على الزواج وقراءة الفاتحة "

قالتها أم هاشم في الهاتف فردت بسمة وهي تجلس على سريرها "سبحان الله قصتهما غريبة"

أضافت أم هاشم "أهل البلدة كلهم ليس لهم سيرة طوال اليوم سواهم هذا ما علمته حينما عدت من عند ونس بعد انتهاء مواعيد الزيارة"
ساد الصمت قليلا لتقول أم هاشم حتى تمنع نفسها الضعيفة من حسدها" سبحان الله رزقها جاءها من بلد أخرى وكنت أظن أن من مثلها لن تُقَدّر أبدا.. ما شاء الله لا قوة إلا بالله "

قالت بسمة متألمة "العقبى لك حينما يأتيك رزقك أنت أيضا إن شاء الله يا مشمش"
الاسم جعل قلب الأخيرة يتقافز في صدرها طربا ومع هذا قالت لبسمة بغيظ "هلا غيرت هذا الاسم وناديتني باسم أخر بالله عليك"
رفعت بسمة حاجبيها وسألتها "لماذا؟.. لقد كنت تحبينه جدا ..وكنت تطلبين من الجميع مناداتك به ..حتى من كانوا يغيظونك باسمك

كنت تقولين بأن اسمك مشمش وليس أم هاشم"

اعتدلت أم هاشم في نومتها على سريرها وغمغمت وهي تلعب في فردة قرط وحيدة ترتديها في أذنها "كان هذا أيام الشقاوة المهم غيريه الآن"

سألتها بسمة مبتسمة "وبم ادللك إذن؟"

ردت أم هاشم بجدية "بأم هاشم ما به أم هاشم ؟..اسم مكتمل .. اثنين في واحد كما كان يقول أبي رحمه الله"

اتسعت ابتسامة بسمة وقالت "حسنا يا أم هاشم اسأل الله أن يقرب لك رزقك حتى لو في بلد أخرى"

قالت أم هاشم مشاكسة بلهجة ذات مغزى "لكنه بالطبع لن يكون توأم شامل فهو محجوز "

قطبت بسمة وغمغمت بوجوم" ماذا تقصدين بأنه محجوز هل سمعت عنه بأنه مرتبط أو سيرتبط؟!"

رفعت أم هاشم حاجبيها وردت باستنكار "وكيف لي أعرف إن شاء الله.. هل تريني على تواصل معه أو مع توأمه لأعلم!"

ردت بسمة موضحة " لم أقصد .. قصدت ربما معلومة سمعتها من أهل البلدة اليوم .. ألم تخبريني بأن شامل قد حضر مع والده (وعادت لتسأل بحذر) هل جاء توأم شامل معه؟"

قالت أم هاشم " أولا أنا لم اسمع أي شيء يخص كامل اليوم ..ثانيا لا لم يأت معهما .. فما علمته بأن واحدا من التوأمين قد جاء هو ووالده بلدتنا اليوم .. وبدون ذكاء هو شامل"

ساد الصمت قليلا ثم قالت أم هاشم
"بصراحة يا بسمة أنا مندهشة من رحيل كامل بهذا الشكل المفاجئ وأخبار هجرته كما أخبرتني فقد كنت أشعر بأنه منجذبا لك بشدة .. أنت لم تريه كيف كان ملهوفا وقلقا يوم أن دخل في قدمك المسمار "
آلمها موضع الجرح في قدمها وفي قلبها أيضا وغمغمت باقتضاب "كنتِ تتوهمين لا أكثر"
تنهدت أم هاشم وقالت مستسلمة "ربما ..لكن هذا ما شعرت به "
تنهدت بسمة هي الأخرى وقالت "هلا اغلقنا هذه السيرة بالله عليك "
قالت أم هاشم بشفقة "لا بأس أتمنى أن تنسيه قريبا"
عقدت بسمة حاجبيها ثم قالت بحنق "هل أنا مكشوفة إلى هذه الدرجة أمامك أنت ومليكة ؟"

ضحكت أم هاشم وقالت "ربما لأنك تهميننا ..
المهم هل مليكة بخير اتصلت بها أمس
وشعرت بأنها لم تكن في مزاجها العادي "

قالت بسمة بمراوغة "لا شيء ربما تخانقت مع
مفرح"
غمغمت أم هاشم "حفظهما الله ..سأتركك
الآن لتنامي.. تصبحين على خير"
"وأنت من أهل الخير"

اغلقت بسمة الهاتف واسندت رأسها للخلف
على ظهر السرير تتذكر كيف شعرت حين
علمت بأن شامل في البلدة مع والده وكيف
تمنت أن يكون كامل معه .
ابتسمت ساخرة من نفسها فحين حضر لأول
مرة وعندما علمت بأنه قد أجر البيت كانت

تتمنى ألا ترى وجهه وها هي الآن تتمنى لو أن تراه ولو مرة واحدة أخرى .
ترى هل سيأتي لأي مناسبة تخص توأمه؟ ..
بالتأكيد سيأتي وربما أجل سفره لأجل ذلك أيضا .
هل هذا معناه بأنها قد تراه مرة أخرى؟! ..
لماذا تشعر بالخوف عند هذه الخاطرة .
أتريد أن تراه ؟
أم تتمنى أن تنساه ؟
لا .. هي تتمنى أن تنساه ..فهي ليست حمل صدمة أخرى فلو كان مهتما كما تدعي أم هاشم لما قرر الرحيل .. أو..
ربما انجذب إليها قليلا لكنه لم يقبل بأن يتزوج من مطلقة ؟
بلعت طعما مرا كالعلقم في حلقها وضاق صدرها بشدة .. فها هو شعور بالإهانة آخر تشعر به لأنها مطلقة .

اعتدلت تجلس على السرير وتدفن وجهها في كفيها تبكي فانسدل شعرها الأسود الناعم يغطي وجهها وكفيها .
لا بد أن تنساه ..
لن تسمح لنفسها أبدا لأن تكون حياتها معلقة بأحد..
لابد أن تنساه .
لابد .

xxxx

مهما بلغت قسوة الحبيب فالقلب يغفر والروح تشتاق لوليفها .. وكلما كبر الحب ازدادت طاقة الصبر والصفح.

وقفت مليكة في غرفتها تتطلع لنفسها في المرآة وهي ترتدي قميصا بلون أحمر داكن من قماش الحرير قصير يغطي ردفيها بالكاد بحمالات رفيعة وفتحة صدر واسعة وكاشفة لما تحت

قماش الدانتيل الذي يزين مقدمة الجذع ..
بينما شعرها البني الطويل منسابا على كتفيها وظهرها .. وعطورها التي تختارها بعناية تصنع هالة رقيقة حولها .
بثقة حاولت تشجيع نفسها على تناسي ذلك الجرح الذي سببه لها مفرح بقسوة كلماته واستعانت بتلك القوة الداخلية التي تدفعها دوما للتماسك في وجه لطمات القدر .. تلك القوة البيضاء التي تشدها نحو النور بعيدا عن نفق مظلم يلوح في الأفق لتغرق فيه .. وقررت أن تتغلب على مشاعر النفور والشعور بالثقل الذي تشعر بها تجاه لحظاتها الخاصة مع مفرح ..

تطلعت في انعكاس صورتها في المرآة برضا وقيدت تلك المشاعر السلبية السوداء بقوة فلن تسمح لها بأن تطفو على السطح هذه

الليلة .. ستتمسك بحب مفرح من أجل هزيمة ذلك الشعور السلبي بداخلها وهي تخبر نفسها بأنها إن لم تفعل ذلك من أجلها ..من أجل رغبتها الخاصة.. فستفعله من أجل مفرح ..

في نفس الوقت دخل مفرح شقته في آخر الليل بخطوات ثقيلة ومشاعر اثقل .. مشاعر ضحية وجلاد .. وما أصعب من أن تكون بين شقي رحى .

بكرامة رجل مجروحة وقلب عاشق يطلب الصفح دخل إلى غرفة نومه عابس الوجه والهدوء يعم الشقة كلها لتجحظ عيناه لثوان حينما وجد مليكة تجلس على طرف السرير في انتظاره والتي استقامت واقفة بمجرد أن دخل وقلبها يضرب في صدرها بعنف حينما استقبلت الانثى بداخلها ذلك الانبهار الذي ظهر لوهلة

على ملامحه وأحتل عينيه خاصة حينما ساهمت رائحتها مع ما ترتديه في تعذيبه. كانت أمام ناظريه في هيئة لم يرها عليها من قبل .. فانتفض قلب العاشق المحروم بقوة وتحولت أعصابه إلى هلام لكن كرامته المجروحة وعنجهيته الذكورية انتصرتا في جعله يتجاهلها متعمدا ويشيح بوجهه وهو يقول بصوت متحشرج "هل نام الأولاد ؟"

ردت بهدوء وهي تقف أمامه بمسكنة أوجعت قلبه تعقد كفيها أمامها "أجل ناما" فتح الخزانة وأخرج ملابس نظيفة ثم تحرك بنفس الوجه العابس نحو السرير متجاهلا النظر نحوها رغم احتراق أعصابه والتقط وسادته قبل أن يخرج من الغرفة وهو يقول بصوت جاف "سأغتسل ثم أنام في غرفة الأولاد حتى لا أضايقك "

تلجم لسانها وارتبكت لم تعرف ماذا تقول.. وكأنها عادت مراهقة صغيرة .. بينما اسرع هو بالخروج واغلاق الباب خلفه بهدوء يشتم نفسه بكل الالفاظ التي يعرفها ليتحكم في أعصابه حتى لا يقع في فخ أنوثتها الطاغية ثم يصطدم بعد فوات الأوان وامتهان المزيد من كرامته بصخرة الواقع الموجعة .. فألقى بالوسادة على أحد المقاعد واسرع للحمام ليطفئ بالماء البارد نيران اججتها بنت الصوالحة فيه.

أما مليكة فعادت لتجلس من جديد على طرف السرير وقد هبطت معنوياتها للصفر ولم تعرف ماذا تفعل .. هل تذهب إليه في غرفة الأولاد؟ .. تخشى أن توقظهم فيلاحظان ما يحدث .. هل تبادر هي بإغوائه ؟.. وماذا تفعل أكثر من ذلك ؟.. حاولت كرامتها التحالف ضد عزيمتها

مع القوة السلبية بداخلها لتمنعها من المواصلة .. لكنها هزمت ذلك الشعور بسهولة فمع مفرح لا توجد مساحة للكرامة .. يكفي بأنها كانت تهدر كرامته كرجل طوال هذه السنين دون أن يشتكي.
القوة الإيجابية شحنتها بطاقتها البيضاء جعلتها تفكر كيف تستدرجه للغرفة من جديد

.

بعد قليل دخل مفرح غرفة الصبيان يجفف شعره بالمنشفة مرتديا منامة مريحة ثم ألقى بها على المقعد بإهمال ووضع هاتفه على منضدة جانبيه بجوار سرير إياد قبل أن يزيح الأخير الذي ينام بعرض السرير جانبا ويحشر نفسه بجواره ثم فصل الشاحن عن هاتف ابنه ووضعه في هاتفه هو بدلا منه .

لاحظ اشارة على شاشة الهاتف باستلام رسالة واتساب ففتحها ليجدها من مليكة فعقد حاجبيه في الوقت الذي تقلب إياد وضربه بقدمه كمطرقة على فخذه ..فاعتدل مفرح يجلس متألما وهو يعض على شفته ويناظر ابنه النائم بغيظ ثم عاد لرسالة مليكة بلهفة ليجدها رابطا لأغنية .

نظر حوله يبحث عن سماعة خارجية فوجد سماعة إياد على الكومود والتقطها ليسمع ما أرسلت له.

أبوس قلبك خلي قلبك صافي
لو فعلاً تحبني وتريد انصافي
خليك طيب..
يا عسل ..
يا صافي
لك صفي نيتك روحي لأجلك فدوة
أبوس قلبك.

جف حلقه واستقام واقفا وقد غامت عيناه مع انتفاضة قلبه العاشق انتفاضة قوية كادت أن تحطم صدره .

أبوس روحك لا تروح لحالك
ملهوفة روحي وحالي يشبه حالك
بهذا الهجر منهو عليّ أوحالك
معقولة تنسى أيام حبنا الحلوة
أبوس روحك

لم يستطع مفرح المقاومة ثانية واحدة فليست مليكة من تستجدي الصفح أبدا فهرول حافيا يخرج من الغرفة إلى غرفتها .

حين اقتحم الغرفة الأخرى كانت لا تزال في مكانها تجلس بانتظاره على طرف السرير عيناها تحملان إليه أقوى مشاعر عشق تحملها امرأة لرجل .. رجل لا يعلم بأنه هو السبب الأساسي

لبقائها صامدة تتحدى المحن .. ليس من أجل نفسها وإنما من أجله..
طالعها مفرح بعينين جائعتين قائلا بارتباك وهو يسمع صوت كاظم الساهر الذي تعلم بأنه يحبه يخرج من هاتفها هي الأخرى" لـ لماذا أرسلت هذه الاغنية ؟"
اقتربت مليكة منه ببطء ورشاقة وفتنة طاغية أكبر من احتمال أعصابه حولت ذرات جسده لجمرات من نار بينما عيناها كانتا متوسلتان للصفح .. ثم لمست صدره بكفيها الناعمين تلصق جسدها الطري بجسده العضلي وهمست بأنفاس عطره "صدقني لم أكن أعلم .. كنت أشعر بأنه شعور يخصني وحدي ..كان عليك بتنبيهي"
قرب مفرح شفتيه من شفتيها يلتقط أنفاسها إلى صدره وهو يهمس "لو كنت تحبين مفرح لن تكرهي اقترابه منك"

قالت بهمس متوسل " لا يا مفرح ..ليس بعد كل ما مررنا به تقول هذا الكلام!"
تحركت يديه على جسدها هامسا أمام ملامحها التي يعشقها "أنت لا تريدين هذا الشيء يا مليكة"
كان جسدها يستجيب للمساته وحاولت بقوة ألا تقاوم هذا الشعور وهي ترد " هذا لا يعني أني لا أحبك"
قال وهو يمرر ظاهر أصابعه على خدها وعنقها فسرت القشعريرة في جسدها " لكني أحبك وأذوب فيك وأعشقك بهذه الطريقة يا مليكتي "

فتحت أزرار منامته هامسة بصدق متألم وهي تستسلم أكثر لمشاعر الأنثى فيها " وأنا سأبذل كل جهدي لأثبت لك بالطريقة التي تحبها بأني أحبك .. أحبك جدا .."

أبوس عينك يللي عينك عيني
راعيتك تمنيتك تراعيني

ارتجف قلبه قبل جسده حين مررت كفها على صدره العاري واستطالت تطبع عدة قبلات متتالية رقيقة على رقبته وصدره العضلي.. فانتهى صبر مفرح عند هذا الحد وانفرط عقد أعصابه فانقض عليها ليلتهم شفتيها بعنف وأخذت يديه تعبثان بتفاصيلها بلمسات مشتاقة وهو يستشعر أخيرا وبعد زمن طويل حرارة تشع من جسدها وأنوثة تقهر موتها المؤقت ..

استسلمت مليكة .. لَبّت ذلك النداء الذي كانت دوما ترفضه .. نداء لأن تدخل في جنته .. كانت دوما تقاوم .. تكتفي بالوقوف عند البوابة .. تقاوم وتقاوم كمن يُحَرِّم على نفسه الحياة ..

كانت تغلبها تلك القوة السلبية ..تمنعها .. لكن
هذه المرة قاومتها بشدة .. هربت منها في
عقلها وغاصت أكثر في أحضانه .. قاومت الألم
حتى أضحت حرارة جسده ومشاعره التي يبثها
لها كالمخدر الذي يقاوم أوجاع الروح ..
حملها مفرح تاركا قميصها الأحمر أرضا ومال بها
فوق السرير يتسابق هو وجوارحه لاحتلالها ..
هذه المرة لم يكن وحيدا في رحلته ..
هذه المرة استعاد رفيقة الرحلة ..
الرحلة التي كانت تفاصيلها هذه المرة ممتعة
بل رائعة وبراقة ..
أخذها بين ذراعيه ليسافرا بعيدا خارج حدود
المكان ..
بعيدا عن الاوجاع والأحزان ..
أخذها بعيدا في نقطة ما يتوقف فيها الزمن ..
وهي لأول مرة منذ مدة طويلة تنسى كل شيء ..
تطفو فوق كل ما فات ..

لقد مر زمن طويل لم تعبر فيه حدود الزمن ..
مر زمن لم تدخل في جنة مفرح .

لو تعطش اشرب يا حلو من عيني
أرويك بيدي الماي يحلى ويسوى
أبوس قلبك
أبوس روحك
أبوس عينك

بعد مرور بعض الوقت شارفت الرحلة على الانتهاء واقتربا من خط النهاية ..رحلة كان مفرح فيها سعيدا وشك بأنه يحلم .. لكنه لم يكن يعلم أبدا أن الحلم من الممكن أن يكون بهذه الروعة .. قبّل شفتيها وعنقها وأسفل أذنها وهو يتلقى استجابتها كمن يعزف على الأوتار فيطرب بالموسيقى ..و مليكة تطفو فوق

بركان من المشاعر الملتهبة .. حتى وصلا إلى
خط النهاية معا يطفو هو بسعادة جمة ..

أما هي .. مليكة ..
فوحش الذكريات كان في انتظارها عند النهاية
.. وبحركة لئيمة مباغتة ضربتها تلك القوة
السلبية السوداء ضربة قاضية في قلبها..
ضربة قاتلة..
موجعة..
مميتة..
مغلفة بشعور قاتل بالـ ذنب .
فانفجرت بهستيريا بكاء ..
بكاء شديد..
بكاء متألم ..

أجفل مفرح وارتعب وتألمت كل ذرة فيه وكأنه
قد ألقي بماء مثلج بينما تشبثت به مليكة بقوة

مغمضة العينين تشعر بالخزي من نفسها والألم الشديد في قلبها .. تشعر بأنها لا تستحق لأن تعيش تلك اللحظات التي مرت بها منذ قليل .. لا تستحق دخول الجنة ..

ولأول مرة تدرك لماذا كانت تنفر .. لماذا كانت لا تريد ..
لأنها لا تستحق !.

من بين أنفاسه اللاهثة هتف مفرح بجزع "مليكة .. ماذا حدث .. ماذا حدث يا مليكة.." كانت تبكي بانهيار وأظافرها تتشبث بذراعيه بقوة حتى كادت أن تحفر في جلده وشما موجعا لن ينمحي ..وبصعوبة أخذت تتمتم من بين شهقاتها " أنا آسفة .. أنا آسفة .. أفسدت كل شيء .. آسفة .."

تفتت قلب مفرح.. وأدرك بأنه أمام حالة أعقد مما كان يتصور .. فما كان منه إلا أن حضنها بقوة يهدئ من روعها هامسا من بين لهاثه الذي لم يهدأ بعد "بل أنا من هو آسف .. أنا آسف يا مليكة آسف "

تشبثت بظهره العاري وغمغمت في حضنه "أنا فاشلة .. وأستحق كل كلمة قلتها عني .. بل أنا لا استحق أن تكن لي كل هذه الحب ..أنا ...."

"اششششش"

أخذ مفرح يرددها وهو يغمرها في حضنه وقد قرصت الدموع عينيه متألما على حالها متهما نفسه بأنه السبب .. بينما استمرت مليكة تبكي بانهيار في صدره ورائحة جسده تذكرها بكل اللحظات التي جمعتهما منذ قليل .. في الوقت الذي كانت فيه تلك الرغبة التي تسيطر عليها

لجلد ذاتها تضيق عليها الخناق لتنتقم منها
أشد انتقام ..

همس مفرح مشددا في احتضانها " آسف والله
يا مليكة ... آسف .. سامحيني أنا الذي
ضغطت عليك ..أنا من أجبرتك على مالا
تريدين .. أنا أناني .. أناني وآذيتك ..سامحيني"

ظلت تبكي في حضنه لبضع دقائق أخرى حتى
هدأت فأطلق سراحها بعد قليل واتخذ مكانه
بجانبها يطالع وجهها المنتفخ من أثر البكاء
وازدادت حيرته يتساءل أعليه أن يبتعد ويتركها
ولا يريها وجهه حتى لا يؤلمها أكثر ..أم يستمر
كما يتمنى في دعمها ومواساتها .

مرر ابهامه تحت عينها يمسح بقايا دموع
ففتحت عينيها المنتفختين وناظرته بنظرة

المذنب ..ليهمس مفرح بقلب تفتت إلى شظايا
من الألم "أتريدين مني أن أترك الغرفة؟"

هزت رأسها رافضة وتشبثت بذراعه تهمس
أمام عينيه الخضراوين اللتين تنضحان عذابا"
بل أريدك أن تسامحني على فشلي "
وضع سبابته على شفتيها اللتين لا تزالا
تحملان أثار هجومه وقال بحشرجة " بل أنا هو
الآسف .. أنا من جرحتك في لحظة انفجار .. أنا
من طلبت منك قربانا صعبا لإثبات حبك لي ..
ربما كنت أخشى أن يكون الماضي ...."

وضعت يدها على فمه تسكته هامسة
"اششش لا أريد الحديث أرجوك "
قال متفهما "هذا ما اتجنبه صدقيني
..وسامحيني"

قالت بلهجة متوسلة "بل أنت من عليك أن تسامحني"
سألها بتردد "ما رأيك أن نستشير طبيب نفسي "

هتفت بجزع "لا لا أرجوك يا مفرح"
قال مشجعا " سيكون هذا سرا لن يعلم به أحد ولو أردت سيكون بعيدا عن علم عائلتك تماما ..أنت مثقفة وتعلمين بأن ... "
قاطعته متألمة وهي تضع يديها على أذنيها "لا يا مفرح أرجوك .. لا أريد أن أتحدث عن شيء .. لا أريد أن أناقش شيء ولا أن أتذكر أي شيء "
عادت عيناها تمتلآن بالدموع ..فاسرع مفرح باحتوائها في حضنه يضمها بقوة قائلا" لا بأس ..لا بأس (ثم تحامل على نفسه رغم صعوبة الأمر وعذابه بالنسبة له وسألها) أتريدين أن نتحدث أنا وأنت فيه ونفرغ مشاعرنا حول ..."

قاطعته مليكة مجددا متشبثة بظهره باستجداء "لا يا مفرح أرجوك ..أرجوك استحلفك بالله ..قلت لا أريد أن أتحدث عن شيء "

قال بسرعة وهو يشدد من احتضانها ويدفن وجهه بين كتفها ورأسها "لا بأس ..لا بأس لست مطالبة بالحديث عن أي شيء .. أتمنى فقط أن تسامحيني .. (ومسد على شعرها بيده عدة مرات قائلا بعينين دامعتين) وأعدك ألا أطلب هذا الشيء مجددا فإن كان يؤذيك إلى هذا الحد فلا أريده أعدك يا مليكة أعدك"

ابعدته تقول بتصميم "بل سنجرب من جديد ..عدني بأننا سنحاول من جديد ..أنا قادرة على تخطي المواقف الصعبة أليس كذلك ؟"

عاد ليضمها قائلا بحب جارف ووجع قاتل وهو يمسد على شعرها " أنت رائعة دوما .. أروع وأقوى امرأة عرفتها يا مليكة.. وأنا أحبك ..

وسأظل أحبك حتى أخر نفس يخرج من صدري .. وسنتحمل أنا وأنت المحن سويا .. هيا لتنامي وانس كل شيء وانس كل ما قلته .. انسي كل حماقتي "

همست بضعف" وأنت اغفر لي أني .."
قاطعها مفرح" اششش لا مزيد من الحديث ..هيا لتنامي"

صمتت مليكة تقبض على مشاعرها ..مهزومة ..منهكة بشدة ففكر مفرح قليلا قبل أن يسألها" أين الحبوب المنومة ؟"
همست "في الدرج خلفي"
قال آمرا "هيا خذي واحدة لتنامي.. وانس كل شيء "
وتحرك مبتعدا يرتدي بنطاله فسألته بمسكنة" هل ستترك لي الغرفة وترحل ؟"

استدار إليها يسألها متألما "ماذا تريدين أنت؟ ..
بكل صدق دون ضغط على نفسك "

ردت بصوت باك "لا تبتعد"
هز رأسه ثم استقام واقفا يقول" أنا ذاهب
للحمام وسأعود بسرعة "
بمجرد أن خرج من الغرفة أنهار على عقبيه
يدفن أصابعه في شعره منكسا رأسه شاعرا
وكأنه في كابوس .. كان دوما يتساءل عن تفسير
حالتها إن كان كرها ونفورا منه أم له تفسيرا أخر
..والآن وبعدما تأكد له من أنها تكن له حبا لا
يقل عن حبه لها .. وبعدما ذبحت نفسها قربانا
تحت قدميه لتثبت له أنه أناني ولا يُقدّر ما
مرت به .. تأكد من أنها لن تعود أبدا مليكة
القديمة .. وأن عليه أن يتقبلها كما هي بكل
أوجاع روحها وتشوهاتها .. فلا هو سيقدر على
فراقها ولا هي ستقدر أيضا.. وأدرك بأن

ابتلاءهما لا يزال مستمرا وعليهما الصبر والاحتساب عند الله .

بعد دقائق عاد للغرفة فكانت مليكة توليه ظهرها وقد نامت في وضع الجنين بعد أن تناولت حبة منومة فاقترب منها يتمدد خلفها وحضنها بقوة يدفن وجهه في شعرها يستنشق عبيره لعله يرطب بعضا من الوجع في صدره وغمغم هامسا "اللهم أني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه "

xxxxxx

في صباح اليوم التالي

طُرق باب الغرفة لكن لم يدخل أحد فعقد عيد حاجبيه واستقام ليفتحه حين فهم بأن الطارق غريبا وليس الطبيب أو إحدى الممرضات .

بمجرد أن فتح الباب تفاجأ بشامل أمامه يسد الباب تقريبا يقف حاملا صندوق هدايا كبير

من الكارتون ويبادره قائلا بلهجة بشوشة"
صباح الخير يا حاج عيد"
قال عيد بذهول" ماذا تفعل هنا ومتى
حضرت؟"
تقابلت عينا شامل بعيني ونس الجالسة على
السرير والتي اتسعت ابتسامتها حينما رأته
فاتسعت ابتسامته بدوره وقال لعيد دون أن
ينظر له "أنا هنا منذ الصباح الباكر أرابط أمام
المستشفى حتى اتمت الساعة العاشرة صباحا
وفتح باب الزيارة "
نظر عيد من فوق كتفه على ونس التي دبت
الدماء في وجهها الشاحب واحمرت وجنتيها ثم
عاد يقول لشامل بغيظ "ولماذا أتيت؟"

ابعد شامل أنظاره عن ونس وانزلها لعيد الذي
يقف أمامه ممسكا بالباب ورد" حتى أزور
خطيبتي .."

قال عيد مجادلا" ليست خطيبتك بعد فلم نقرأ سوى الفاتحة "

قال شامل ببرود " وهل تستهين بالفاتحة! .. إنها فاتحة الكتاب يا حاج عيد وعندنا نسميها خطبة"

رد عيد بلهجة مستخفة "وعندنا نسميها ربط اتفاق فقط"

أسرع شامل بالقول "اتفاااااق .. بالضبط .. أنا جئت بعد اتفاقنا لأرى خطيبتي.. إنها في المستشفى ولابد أن أطمئن عليها "

رفع عيد سبابته يقول بغيظ "اسمع ..نحن فلاحون وعاداتنا تختلف تماما عن عادات أهل العاصمة وخلال فترة الخطبة سيكون الدخول بحساب والخروج بحساب وعليك الالتزام بذلك "

أومأ شامل برأسه مطيعا ثم قال" وهل
الفلاحون يقابلون ضيوفهم على الباب برغم
أنهم قد أتوا من سفر بعيد ! "
عوج عيد شفتيه وانزاح بثقل يسمح له على
مضض بالدخول ..فدخل شامل بابتسامة
متسعة يقول "السلام عليكم"

تعلقت انظار ونس به وتعلقت روحها أيضا
وهي تراه أمامها مبهرا يخطف الأنفاس .. كان
ضخما مبتسما وسيم الملامح يرتدي بنطالا من
الجينز الازرق وتيشيرت أبيض بنصف كم يبرز
عرض كتفيه .
ظلا صامتين يحدقان في بعضهما وقلباهما
يتقافزان كجروين صغيرين سعيدين فقال عيد
"ها قد اطمأننت عليها هيا تفضل عد لبيتك"
مال شامل يضع الصندوق الأحمر الكبير على
طرف السرير وعيناه تختلسان النظر لها بشوق

.. كانت رأسها مربوطة للخلف بذلك الوشاح القصير الأزرق وعنقها الأبيض يلوح أمام عينيه بينما وجهها مشرق كشمس ربيعية رغم ذبولها .. أما عيناها فكانتا تقولان الكثير مما لن يستطيع لسانها نطقه .

قال عيد بغيظ" يا أستاذ أنا اتحدث معك" انتبه شامل وقال" سأعطيها ما احضرته من هدايا على الأقل"
عقد عيد حاجبيه وقال" وما لزوم الهدايا؟!!"
اتسعت عيني شامل وعقب باستنكار" ماذا تعني؟.. أليست خطيبتي ومريضة "

مط عيد شفتيه وهو يتطلع في شامل الذي فتح غطاء الصندوق فخرجت منه بالون لامعة وردية اللون معبأة بغاز الهيليوم ارتفعت لأعلى عليها قلوب بيضاء جعلت ونس تضع يدها على

فمها وتطلق شهقة مبهورة وهي ترفع انظارها إليها بعد أن ارتفعت لتلتصق بالسقف ..فربط شامل طرفها بمقبض أحد الادراج بجوارها ثم اعطاها الصندوق يقول "الباقي تفقديه بنفسك "

لم تكن ونس تهتم بالصندوق وما فيه أكثر من اهتمامها بوجوده .. كان وجوده كشمس أطلت بعد هطول المطر فزينت سمائها بقوس قزح عملاق مبهر وبراق .

تمنى شامل أن يبقى أكثر .. أن يقترب أكثر وأكثر .. فلم تكن أبدا بهذا القرب والوضوح منه .. لكنه كان مضطرا للرحيل فاستدار ليجد عيد يقف يديه في جيبي جلبابه يناظره بمقلتين مقلوبتين والذي بادره بالقول" هل انتهيت من تقديم الهدايا ؟"

ابتسم شامل ورد وهو يتحرك "أجل وعليّ العودة لأن لدي التزامات في العاصمة .. سأطمئن على ونس وسأتصل بك لأحدد موعدا لأزور خطيبتي فيه إن شاء الله .."

قالها ثم استدار لونس يقول مشيرا على الصندوق" تفقدي ما فيه .. أنا مضطر للمغادرة "

قوست شفتيها لأسفل باعتراض طفولي فاتسعت ابتسامته وتحرك بخطوات ثقيلة مودعا قبل أن يجبر ساقيه على الخروج ليعود مرة أخرى للعاصمة .

بعد مغادرته تبادلت ونس مع والدها النظرات فاشتعل وجهها حرجا وخبأته بكفيها لثوان قبل أن تقرب الصندوق بحماس لتتفقد ما فيه .

راقبها عيد وابتسامة فمها الواسع تملأ وجهها سعادة فأخذ يدعو بداخله أن تنجح هذه العلاقة من أجل ابنته .. وكلما حاصره الخوف يستعيذ بالله ويخبر نفسه بأنه لا شيء يعلو فوق ما يقدره الخالق .

أخرجت ونس من الصندوق دب صغير من الفراء الأحمر وتطلعت فيه بعينين تتفجر منهما القلوب الحمراء قبل أن تحضنه بقوة وتقبله ثم أخرجت علبة صغيرة خمنت ما فيها قبل أن تفتحها ملصقا عليها ورقة صغيرة مكتوب فيها(هذا لك وحدك) ففتحتها وتطلعت بانبهار للبسكويت المتعدد الألوان أمام عينيها ثم أمالتها لوالدها بسعادة ..فرفع عيد زاوية شفته العليا بامتعاض .

عادت لتتأكد أن الصندوق أصبح خاليا لكنها وجدت كيسا صغيرا ففتحته ثم أطلقت شهقة انبهار وهي تضع يدها على فمها فأثارت فضول عيد لكنه تماسك في وقفته بعيدا مستندا بكتفه على الجدار ويديه في جيبي جلبابه .
اخرجت ونس من الكيس علبة صغيرة وفتحتها لتخرج منها هاتف ذكي .. ثم رفعت انظارها المبهورة لوالدها الذي لجم اندفاعه بقوة ورغبة بداخله للاعتراض مخبرا نفسه بأنه قد اصبح خطيبها وبأنه من المنطقي أن يتبادلا الاحاديث وفي حالة ونس لن يتم هذا عن بعد إلا بهاتف حديث .. فمط شفتيه مبديا امتعاضه وتحرك يقول "سأتركك مع هداياك الثمينة وأنزل أنا لأبحث عن إحدى عربات الفول لأفطر "

أسرعت ونس بالإشارة له فناظرها بجانب عينيه بوجه عابسا.. لتلامس سبابتيها وابهاميها ببعضهما على هيئة قلب داعب مشاعر عيد الأبوية برغم عبوسه الظاهري فغامت عيناه وهو يتطلع في ملامحها وهي تعود للهاتف تتأمله بفرحة شديدة..

غادر عيد الغرفة وهو يدعو لها بأن تكون كل أيامها القادمة سعيدة وألا ترى الحزن مرة أخرى فيكفيها ما عانته منذ أن جاءت إلى الدنيا

.

اسرعت ونس بفتح الهاتف فوجدت في استقبالها مهرجانا من القلوب الحمراء المتفجرة على الشاشة انتهت بعبارة (مرحبا ونس ..شبيك لبيك)

اتسعت ابتسامتها وتفقدت الهاتف بسرعة وارتباك بعض الشيء مبهورة فبدا لها غالي الثمن وعالي الامكانيات.
اشارة لاستقبال رسالة واتساب جعلتها تقطب جبينها وهي تضغط لتفتحها فوجدت قائمة الاتصال لا تحتوي إلا على اسم واحد هو شامل الذي قد كتب لها.

"اشتقت إليك يا جنيتي الشقية (قلب أحمر)"
ترقرقت الدموع في عينيها وتوقفت كثيرا أمام تلك العبارة تلمسها بإصبعها قبل أن تضغط على لوحة المفاتيح لتكتب "شامل"

في السيارة على الطريق سمع شامل الصوت ونظر بطرف عينه للهاتف ثم اتسعت ابتسامته وركن السيارة جانبا يفتح الواتساب ليكتب "شبيك لبيك"

جاءه رسالتها "أنا لا أصدق"
"صدقي يا ونس صدقي .. بعون الله لن يفرقنا أحد"
"أنك مجددا في حياتي"
"ولن أبتعد عنك مادام في صدري نفس "

سقطت دمعة ساخنة من عينها مسحتها بسرعة ثم كتبت "شامل .. لقد اشتقت إليك جدا جدا جدا جدا (وجه مغطى بكفين خجلا) "

اتسعت ابتسامته وكتب "ونس"
ردت "شبيك لبيك"
ضحك ثم كتب "إياك أن تفعليها ثانية ..إياك أن تتركي شيئا يهزمك حتى لو اختفى شامل من الوجود "
"أرجوك لا تقول هذا الكلام .. وصدقني الأمر كان فوق طاقة احتمالي "

"عديني إذن أنك ستغادرين المستشفى بسرعة"
"حاضر...شامل"
"نعم"
"هذا الهاتف يبدو باهظ الثمن وما دمت قد خسرت أموالك لم يكن عليك إحضاره لي"
اتسعت عيني شامل يحاول الاستيعاب ثم كتب
"من اخبرك بهذا .. والدك ؟"
"نعم .."
قهقه شامل ودعك جبينه بأنامله يغمغم" لا أصدق .. هذا الرجل متشبع بأفلام الأبيض والأسود "
كتبت ونس "بالتأكيد أنت محبط ..لكن أريد أن اقول لك لا تحزن .. أنا واثقة بأنك طباخ ماهر وستجد وظيفة بسهولة "

انفجر شامل ضاحكا حتى دمعت عيناه ثم كتب لها بشقاوة يدعي المسكنة "افهم من ذلك بأنك

ليس لديك مانع من الارتباط بي حتى لو كنت فقيرا معدما (وجه ترتعش الدموع في عينيه) "
اسرعت ونس تكتب " طبعا ألست جني مصباحي "
"ونس "
"نعم"
"أحبك"
حدقت ونس في الكلمة باتساع عينيها بينما تسارعت دقات قلب شامل وهو يتطلع في الهاتف وكذلك كان قلب ونس التي حركت يدها أمام وجهها لترطب اشتعاله ولم تملك ردا إلا أن ترسل له قلب أحمر كبير ينبض .. ثم وجه مغطى بكفين .

غامت عينا شامل ووضع يده على قلبه الذي يدق بعنف ثم كتب بسرعة "أنا مضطر لأن أذهب الآن لأني أوقف السيارة على الطريق

..وعليّ العودة بسرعة قبل أن يغلبني النعاس أثناء القيادة فلم أنم منذ ليلة أمس .. سأطمئنك حين أصل للعاصمة ..وساعتها سنتحدث باستفاضة عن أمر افلاسي هذا .. بالمناسبة وضعت لك عددا من الافلام على الهاتف لتتسلي بها .. سلام "

رفعت ونس الهاتف إلى شفتيها تطبع عدة قبلات سعيدة قبل أن تعود لتستلقي على ظهر السرير تحضنه هو والدب الأحمر وعلبة البسكويت ..وبقيت على هذا الحال مغمضة العينين تحاول أن تهدئ من ضربات قلبها التي تعزف الألحان الصاخبة في صدرها قبل أن تفتح عينيها فجأة وتقطب جبينها وهي تقول في سرها "يقود السيارة ألم يقل أبي بأنه قد باعها "!!!

xxxx

بعد العصر

قالت بسمة لنصرة" إذن اتفقنا سيكون هذا عملا إضافيا ستقومين به من البيت في المساء وستحضرينه في الصباح معك.. وسنحاول تسويقه إن وجدنا إقبالا عليه سنزيد من حجم انتاجنا"

قالت نصرة بسعادة " ربي يوسع رزقك ويرزقك بفرحة لم تكن في الحسبان يا بسمة يا بنت فاطنة قادر كريم ويعلي من شأنك "

ابتسمت بسمة وربتت على ذراعها بمحبة لتقول الأخرى وهي تغادر" سأبدأ من اليوم إن شاء الله هل تريدين شيئا مني قبل أن أغادر ؟" غمغمت بسمة "لا شيء يا أم كريم في أمان الله"

تحركت نصرة سعيدة وهتفت في أم هاشم الوحيدة الباقية ولم تغادر بعد تقول" سأراك في الصباح يا أم هاشم"
اقتربت أم هاشم من بسمة تقول بعد أن غادرت نصرة " أحببت فكرة أن تعد وجبات نصف مطهوة للسيدات العاملات أتمنى أن تنجح الفكرة فهي بحاجة لزيادة دخلها"
هزت بسمة رأسها موافقة فسألتها أم هاشم "هيا ألن تغادري ؟"
قالت بسمة "لا بل سأبقى قليلا .. عليّ أن أتفقد شيئا في مزرعة العمدة "

قالت أم هاشم وهي تعدل وشاحها "أنا عليّ الذهاب لأن عمي يقول بأن قريب لنا من جهة جدتي ذهبية سيزورنا اليوم وعندي فضول لأقابل أحد من طرف عائلة جدتي أتريدين شيئا ؟"

هزت بسمة رأسها بلا فودعتها أم هاشم مغادرة ..بينما تطلعت بسمة حولها في ساحة المشروع التي أصبحت خالية من العاملات وشعرت بالوحدة ..

إن وجودها معهن خلال ساعات النهار يلهيها قليلا عن التفكير فيمن لا تريد التفكير بهم لكنهم لحوحون ومصرون على احتلال أفكارها كرها.

سحبت نفسا عميقا واشتهت كوبا من النيسكافيه فأغلقت بوابة المشروع واسرعت للداخل .
بعد دقائق كانت تصعد

درجات السلم الخاص بسطح المشروع ..
تشعر بالحاجة لأن تقف فوق شيء مرتفع لربما
شعرت بالتحسن أو بالطفو فوق الهموم .

على رائحة النيسكافيه سحبت نفسا عميقا
وأخرجته ببطء لكنه خرج من صدرها بألم ..

تعالى فجأة صوت أغنية فقطبت جبينها
ونظرت حولها باندهاش قبل أن تستدير لترفع
أنظارها نحو بيت الجد صالح على يسارها .

اتسعت عينا بسمة بذهول وهي تجد تلك
النافذة المطلة على الساحة مفتوحة وخيل لها
بأنها قد لمحت خيال شخص يتحرك مبتعدا
عن النافذة بينما تسلل صوت أغنية :
تقول إنسى
وأقول آهين لو أقدر رغم طول النوى أنسى

تقول إقسى
وأقول اللي شرب من عينك الاحساس ما يقسى
أحبك يا بعد هالقلب
أحبك أحبك أحبك

الفصل الخامس عشر

قبل ساعتين

نعم يا حبيبي نعم
أنا بين شفايفك نغم
وأيامي قبلك ندم
وأيامي بعدك عدم يا حبيبي

على صوت عبد الحليم الذي يصدح في سيارته دخل كامل القرية ولأول وهلة شعر بأنه قد عادت له الحياة .

لقد اتخذ قراره وحسم أمره .

فبعد أكثر من عشرة أيام من الفراق لم يقدر على الصمود فهو يتعذب ..

يعترف بأنه لم يجد حلا بعد بشأن غيرته الشديدة عليها من الماضي والمستقبل لكنه

وصل لنقطة لم يجد لديه بعدها القدرة على الصمود ..
إنها قدره وعليه أن يتقبل هذا القدر ..
سيسعى إليها بشجاعة وليساعده الله على تخطي عقده النفسية والسيطرة على غيرته .
بالقرب من بيت الجد صالح أطفأ صوت الموسيقى ودخل الشارع بهدوء وشكر الله أن وجده خاليا من المارة فانعطف يمينا إلى ذلك الشارع الجانبي المجاور للبيت ليركن السيارة فلا يريد أن يعرف أحد من عمال المزرعة أو العاملات في المشروع بوجوده يريد أن يفاجئ بسمة .. ويتحرق شوقا ليرى وقع المفاجأة على وجهها .
ترجل من سيارته ومد رأسه يتأكد من خلو الشارع ثم تحرك بخفة ليدس المفتاح في البوابة ويدخل منها ببطء حريصا على ألا تصدر

صوتا ثم اعاد اغلاق الباب وتركه سهل الفتح
ثم تحرك ليدخل بيت الجد صالح .
تطلع حوله في أركان البيت الهادئ الباعث على الراحة واعترف لنفسه بأنه قد اشتاق إليه
فأسرع يرتقي السلم بفرحة طفل صغير يختصر درجاته إلى تلك الغرفة التي كانت له قبل عشرة أيام .
بعد دقيقة كان يفتح باب الغرفة الهادئة
وبسرعة اتجهت انظاره للمنضدة بجوار السرير
ولم يجد الكتاب .. فتش في أرجاء المكان
مبتسما ثم فكر متسائلا هل من الممكن أن تكون قد أخذته كما تمنى أم أنه يتوهم ؟
ترى أين ذهب الكتاب وما هو مصيره ؟.
اقترب من النافذة المغلقة ثم نظر في ساعته
مقررا أن يبقى حتى موعد انصراف العاملات
متمنيا أن تبقى بسمة قليلا بعد العمل كما تفعل دوما وتمنى أن تكون وحدها وليس معها

صاحبتها السمراء .. فعاد إلى السرير وتمدد عليه وقلبه يضرب في صدره بقوة في انتظار لقاءها بشوق كبير .. شوق يؤكد له بأنه قد وقع في شباكها بلا رجعة ..

بعد ساعتين اتسعت ابتسامته وهو يرى عبر النافذة المواربة المطلة على ساحة المشروع أنها أضحت وحدها بعد أن غادرت صاحبتها وبمجرد أن أغلقت البوابة ودخلت .. أسرع بفتح النافذة وراقبها وهي تخرج بعد دقائق من الغرفة الداخلية وتصعد للسطح فشكر الأقدار التي تعمل لصالحه.. لكنه تذكر مفرح فجأة وتذكر بأنه لم يخبره بوجوده في القرية ولو أن شخصا قد لمحه وتعرف عليه فهذا سيغضب مفرح منه ..

فكر قليلا ثم أسرع إلى هاتفه وبدلا من أن يتصل به أرسل له رسالة نصية ليراها وقتما

يلاحظها متمنيا ألا يراها فورا فكتب " أنا في قريتكم الآن .. أرني ماذا ستستطيع أن تفعل"
أرسل الرسالة ثم اسرع بتنفيذ خطته لاستدراجها وابتسامة صبيانية شريرة تتراقص على شفتيه .. فشغل أغنية معينة من هاتفه ووقف بجوار النافذة يرفع الصوت إلى أقصى حد وراقبها .

تقول إنسى
وأقول آهين لو أقدر ..
رغم طول النوى ..أنسى

تقول إقسى
وأقول اللي شرب من عينك الاحساس
ما يقسى

أحبك يا بعد هالقلب
أحبك أحبك أحبك

التفتت بسمة لمصدر الصوت ترفع أنظارها لأعلى وسقط قلبها بين قدميها وهي ترى النافذة مفتوحة وخيل إليها لوهلة بأنها تهلوس .. لكنها لم تستطع السيطرة على ضربات قلبها العالية ولا على التحكم في قدميها اللتين أسرعتا بالنزول على السلم هرولة .

شاهدها كامل تنزل فأسرع هو الأخر بالتقاط هاتفه ونزل بسرعة يطير على السلم ثم وضع هاتفه مفتوحا على المنضدة وضبطه لإعادة تشغيل الأغنية قبل أن يخرج بسرعة من باب البيت وينتحي جانبا إلى ممر ضيق جوار المبنى في آخر لحظة ووقف يراقبها وهي تدفع البوابة وتدخل فارتجف قلبه لرؤيتها وتقبض بقوة يمنع نفسه من العدو إليها .

ازدادت ضربات قلب بسمة وهي ترى باب البيت الداخلي مفتوحا .. فقطعت الساحة وهي تسمع كلمات الاغنية التي تزداد علوا ووضوحا كلما اقتربت.

تقول إنسى
وأقول آهين لو أقدر
رغم طول النوى أنسى

تقول إقسى
وأقول اللي شرب من عينك الاحساس
ما يقسى
أحبك يا بعد هالقلب
أحبك أحبك أحبك

بأنفاس مخطوفة خطت بسمة بقدمها في داخل البيت تقول بتوجس" السلام عليكم من بالداخل؟"

لم تجد ما يرد عليها سوى صوت الأغنية التي بحثت عن مصدرها.

أبا أتأسف وأنا ماخْطِيت
لأني بالفعل حبيت
أنا سمعتني الأيام
يا ليتك تسمعي يا ليت

اقتربت ببطء من منضدة السفرة تتطلع بذهول في الهاتف الموضوع فوقها والمنبعث منه الأغنية التي أخذت تعزف على أوتار قلبها فوقفت تتلفت حولها ثم عادت تنظر للهاتف ومدت يدا مرتعشة تلتقطه وتتطلع فيه .

صعب أصبر على الحرمان
صعب أنسى ولو لحظة
لأني عاشق وإنسان

راقبها كامل وهو يقف خارج الباب يمنع نفسه بالقوة من الدخول وشاهدها تقلب الهاتف في

يدها بذهول فتساءل إن كان سيأتي عليه يوم يستطيع فيه أن يدخل هذا البيت معها ويغلق الباب خلفه دون أن يخشى عليها من حديث الناس ..

انتبهت بسمة لمن يقف بالخارج ورأته باتساع عينيها الزرقاوين على بعد خطوتين من الباب يقف هناك يديه في جيبي بنطال كلاسيكي باللون الزيتي فوقه قميص عاجي اللون ويربط كمي سترة خفيفة ملونة فوق كتفيه العريضين .. وشعره الناعم يتطاير إلى جانبي وجهه .. كان غامض الملامح وهو يقف يولي ظهره لشمس المغيب التي تلوح من فوق كتفه الأيسر بعيدة جدا ..

ك جمرة نار تدفئ ..

ك طاقة نور تضيء..

ك قلبه ..

تحركت بسمة تخطو ببطء على إيقاع الأغنية نحوه .

كفاية قسوة العالم
تعالي
أنا محتاج لك
دايم قبالي

تعالي من ورا حزني
تعالي من خيالي

خرجت بسمة من الباب ووقفت ترفع إليه عينين كقطعتين من سماء صافية في يوم مشمس براق .. وبعدم استيعاب لحقيقة وجوده جالت عيناها على ملامحه الخشنة الوسيمة وتلك الابتسامة الغامضة التي تستفزها على زاوية فمه الذي تحيطه لحية خفيفة عصرية .

تكلمت بصعوبة فخرج صوتها متحشرجا وهي تقول بذهول "ماذا ...تفعل هنا ؟"
لم يرد .. فقط خرج صوت كاظم من هاتفه في يدها..

أنا لفيت
حتى تعبت الدنيا من أسفاري
ولا لاقيت
في عز الشتا مثلك دفا وإحساس
يا ناري

كان يبذل مجهودا حتى يبقي يديه المتقبضتين في جيبيه ..
وكان يبذل مجهودا حتى لا يغرق في تلك الزرقة المبهرة أمام عينيه .

وكان يبذل مجهودا حتى لا يقتنص بقوة تلك الشفتين الشهيتين ويلثم طابع الحسن في ذقنها

الذي يستفز أعصابه.. أو يحطم ضلوعها
بحضن عنيف بين ذراعيه .

كان يبذل مجهودا حتى يتعقل ولا يتهور
بالتفوه بلفظ (أحبك) .

فأجلى صوته وهو يتساءل في سره عما إذا كانت
تلك اللهفة في عينيها حقيقية أم أنه يتوهم
وقال بصوت هارب منه "ماذا تفعلين أنت
هنا؟"
بذهول غمغمت" أنا.. .. "
ولم تجد ما تقوله فقال كاظم متدخلا .

نهاري والسهر إنتي
وأحلام العمر إنتي
ولو بان لي صوتك ..
عرفت السر بسكوتك

عادت بسمة تحاول الاستفاقة وغمغمت
"أقصد ... أنت ..."
أنا عشقِك .. وأنا موتِك
وأنا داري

صمت كل شيء فجأة مع انتهاء الأغنية ..
فانتبهت بسمة وانزلت نظراتها تحدق في
الهاتف في يدها ليقول كامل وهو يسحبه من
كفها "هل يعجبك هاتفي؟"

رفعت إليه أنظارها مجددا وانتفض قلبها الذي
انتبهت للتو بأنه كان متوقفا للحظات .. لم
ينتفض فقط بل أضحى مجنونا في صدرها
يحيي بهسترة مجنونا أخر يشبهه في صدر كامل
الذي قال مشاكسا ليخرج من تلك الحالة التي
تغريه بتقبيلها مستشعرا رغم المسافة دفء

جسدها " لازلتِ كما أنت تقتحمين الأماكن دون إنذار"

لماذا تشعر بمشاعر طفلة عاد والدها من السفر؟ .. أو مراهقة عاد حبيبها بعد فراق ؟ لماذا تشعر بنفسها تريد أن تبكي ؟

تراقصت ابتسامته التي تستفزها على شفتيه وهو يقبّل بعينيه كل انش في وجهها وشعرها الأسود الناعم الذي انزلق الوشاح عنه وسقط على كتفيها .

ابتسامته استفزتها واعترفت لنفسها بأنه الوحيد القادر على ذلك فقالت ببعض العصبية لتنفض عنها منظرها السخيف المرتبك "قلت ماذا تفعل هنا يا كامل؟ "

اتسعت ابتسامته فجأة فبدى أمام عينيها وسيما إلى حد مؤذٍ وتوقف قلبها من جديد ليرد كامل بحاجب مرفوع "وهل يسأل المرء ماذا يفعل في داره؟!!"

اتسعت عيناها بدورها وقالت باستنكار "داره! .. ألم تسلمني المفتاح لأنك ستهاجر؟!"

هز كتفيه ورد ببساطة "أجلت السفر وقررت أن أعود لبيتي (وأكمل رغم شكه فيما يقول) فلم تنتهي مدة العقد بعد "

قالت بلجلجة " لكن ..لكن أنت أخبرتني بتركك للبيت وانتهى الأمر "

تكلم كامل موضحا " لا لم ينتهي بعد باشمهندسة باسمة فأنا لازلت أمتلك نسخة

من العقد أم أنك قد نسيت ؟.. إذن من حقي أن أعود مادام لا يزال في العقد مدة باقية"

تلك الطريقة التي ينطق بها اسمها عادت لتدغدغ أعصابها فقالت لتخرج من تلك الحالة "لكن كان عليك إخطاري يا استاذ كامل "
مال بجذعه نحوها يقول محدقا في عينيها "أدفع نصف عمري لأعرف كيف تفرقين بيني وبين توأمي؟ وكيف عرفتِ أني كامل ولست شامل؟!! "
ردت بتلقائية وبدون تفكير "شامل طيب ولطيف المعشر "
انتفض كامل للخلف معتدلا يمسك بصدره كمن تلقى رصاصة وقال بطريقة تمثيلية درامية وهو يرفع كفه الأخر في وجهها" كفى أرجوكِ.. سحبت السؤال "

رن هاتفه فأخرجه من جيبه ليجد مفرح وخشي أن يكون بالقرب ويجدهما يقفان في ساحة البيت فأسرع بالرد قائلا "نعم مفرح"
جاءه صوت مفرح يقول بلهجة خطرة "أين أنت الآن ؟"
رد وهو يتأملها أمامه " في بيت الجد صالح؟"
قال مفرح آمرا "تعال أنا في بيت العمدة"
تحرك يتجاوزها نحو باب البيت خلفها ليغلقه قائلا لمفرح بمناكفة "ولماذا لا تأتي أنت؟"
قال مفرح بحزم وجدية "تعال يا كامل فورا"
غمغم متهكما وهو ينظر نحوها " لا بأس سآتي فجهز نفسك لاستقبالي يا حبيبي"

أغلق الخط والتفت إليها بحركاته الاستعراضية المختالة بنفسه يقول بتلك الابتسامة التي تستفزها" آسف .. مضطر للذهاب لأبن عمتك .. وقد اغلقت الباب لأنه كما تعلمين هناك

أناس و وز في قريتكم يقتحمون الاماكن بدون سابق انذار .. "

تحرك مجبرا ساقيه على الابتعاد شاكرا لمكالمة مفرح بعد أن اعترف لنفسه بأنه لم يعد قادرا على التحكم في مشاعره أكثر من ذلك .. أنه مشتاق إليها بشدة ..والتحديق فيها عن قرب لم يعد كافيا بل بات معذبا .

شاهدته يتحرك بضخامته الرشيقة مبتعدا يغادر ساحة البيت نحو البوابة التي فتحها ثم استدار إليها يقول "أرجو أن تغلقي البوابة خلفك جيدا حتى لا اتفاجأ بوزة متوحشة تستقبلني حين أعود"

اختفى من أمامها فأسرعت خلفه هاتفه "كامل" تجمد في مكانه وانفجرت دقات قلبه حتى كاد أن يتفتت لشظايا هذه المرة ..فأغمض عينيه

لثوان قبل أن يستدير إليها بملامح متسائلة ليجدها تقف عند البوابة الخارجية تسأله عاقدة حاجبيها "من أين حصلت على المفتاح؟ .. ألم .. ألم تعطني .."

رد ببساطة وابتسامة ماكرة تتراقص على شفتيه "من شامل.. شامل كان لديه نسخة لكنه لم يسلمها لك (وغمز بعينه ثم أضاف) والحمد لله أنك لم تغيري القفل "

اسرع يمشي مبتعدا حتى انعطف يسارا في الشارع الجانبي بجوار البيت ..فعقدت حاجبيها بفضول قبل أن تسمع صوت محرك وترى السيارة الضخمة تخرج من الشارع وتعود إليها.
راقبها كامل وهي لا تزال واقفة محنطة أمام البوابة .

كانت فاتنة في جلباب مغربي.. مطرز من عند الاكمام لونه من لون قميصه وطرف وشاحها الناعم يهفو من فوق كتفها كريشة مع النسيم تعزف على أوتار قلبه فغمغم في سره ما جاء إلى رأسه والسيارة تمر من أمامها.

بسمتي أنتِ
ووجعي ..
وجنوني..
والصاعقة التي شطرت قلبي إلى نصفين .

بُليت بعشقك..
فانصهرت ..
واحترقت..
وهزمني الموج الأزرق في عينيك مرتين.

فاقبليني قدرا ..
ووطنا ..
ومطرا ..
يُنبت نُوّار العشق في قلبين.

xxxxx

استقبل بدير في بيته ابن عمه المعلم بسطاويسي العسال بلهفة قائلا " ها ماذا فعلت؟ "

مط بسطاويسي شفتيه وقال وهو يجلس بجسده البدين على المقعد " حاولت أن أقنع الحاج سليمان بطلبك بالزواج من بسمة لكنه تعلل بأنها قد رفضت من قبل فقلت له أنك تتقدم بطلبك مرة أخرى وتلح لأنك تتمنى مصاهرته"

قال بدير بغيظ "أهذا كل ما فعلته يا شملول!"

أخرج بسطاويسي من جيبه علبة معدنية بها تبغ وورقة ثم أخذ يضع فيها التبغ ويلفها لتصبح سيجارة وهو يقول " وما بيدي لأفعل يا ابن عمي ..لقد جربت كل شيء بل إني ألمحت له ببعض الإغراءات المادية سواء ما تخص شحنات الأعلاف التي أورّدها أنا لمزرعة المواشي أو لاستعدادك للدخول كشريك معه إن أراد توسيع حجم المزرعة .. ولا أنكر بأن لعابه قد سال وبدا عليه الاهتمام لكنه أخبرني بأنه لن يستطيع الضغط عليها فهي ليست صغيرة وأخذ يعززها بأنها الآن لديها عملها الخاص وتدرس شهادة ذات اسم غريب لا أذكره والخ الخ وأن الكثيرين قد طلبوها منه المهم وعدني بأنه سيتحدث معها مجددا "..

غمغم بدير بحزن "والحل يا بسطاويسي؟ "

انهمك الأخير في بل طرف ورقة التبغ بلسانه ليتمم على لفها فهدر فيه بدير بعصبية" أنا أتحدث معك يا بسطاويسي"

انتفض الأخير وترجرج كرشه أمامه وهو يقول بغيظ" قلت لك اصرف نظر عنها .. سنوات وأنا أطلب منك ذلك (واتسعت ابتسامته اللزجة وقال وهو يشعل السيجارة ويسحب منها نفسا ويطلقه في الهواء) طوال عمري أقول لك افعل مثلي فالنساء حولك كثيرات تزوج اثنين وثلاثة واربعة نساء ومتع نفسك الأمر ليس مقصورا عليها .. لا أنكر بأنها صاروخ من الجمال لكن .. "
هدر بدير فيه "بسطاويسي!! ..."

قهقه الأخير بضحكة أكثر لزوجة من سابقتها وغمغم "حاضر يا عم الغيور .. ابق كما أنت

واهدر عمرك خلفها ودعني أنا أتمتع مع نسائي الثلاث "

ناظر بدير صديق عمره الذي تجاوز الخمسين من العمر بغيظ .. فقال بسطاويسي وهو يتطلع في دخان سيجارته "بالمناسبة رأيت أحد التوأمين في القرية اليوم في تلك السيارة الضخمة الباهظة الثمن "

عقد بدير حاجبيه ثم غمغم "بالتأكيد هو صهر ذلك القللي .. فقد سمعت بأنه قد خطب ابنته (وصمت قليلا مفكرا ثم غمغم) لابد أن أصل إليها بأي شكل لأقنعها .. لا بد"

في خارج الغرفة ابتعدت وجدان قبل أن يراها أحد وهي تتنصت على زوجها وابن عمه ثم أسرعت بالاتصال بكاميليا تقول باكية" بدير لم

يكف بعد عن طلبها من والدها لقد أرسل إليه ابن عمك بسطاويسي "
غمغمت الأخيرة بغيظ " اتركيني الآن بالله عليك ولنتحدث في الصباح حينما آتيكم "
سألتها وجدان بفضول" ماذا بك؟"
ردت وهي تتفتت من الغيظ" سأموت منذ أن علمت بأن تلك الخرساء الهبلاء بنت القللي قد خطبت لواحد من التوأمين .. يا ربي من أين أتت بهذا الحظ!! .. صحيح كما يقول المثل (يضع سره في أضعف خلقه)"

قالت وجدان باستنكار" عجيب أمرك والله يا كاميليا ..فأنت متزوجة من رجل ينطبق عليه قول المثل الشعبي (انسان يوضع فوق الجرح فيطيب) ومع هذا تنظرين إلى فتاة مسكينة معاقة "

حركت كاميليا شفتيها الجميلتين يمينا ويسارا وقالت متهكمة "يوضع فوق الجرح فيطيب !! .. (وأضافت بضيق) اذهبي يا وجدان الآن فأنا لا أطيق حتى نفسي هذه اللحظة "

قالت وجدان بعتاب "أنا اتحدث معك بشأن بدير يا كاميليا"
صاحت الأخيرة بمزاج عكر" اذهبي يا وجدان فلست في مزاج يسمح بسماع شيء .. غدا نتحدث حينما أزوركم"
قالتها وأغلقت الهاتف تلقيه بغيظ على السرير وغمغمت وهي تقضم ظفر إبهامها "بنت المحظوظة المعاقة ستعيش مع الشاب الثري في العاصمة .. اووووووف "

xxxxx

"هل وصلتِ؟"

قرأتها ونس على الواتساب فكتبت بابتسامة عريضة "أجل فأنا أرى بيتنا الآن من نافذة سيارة الأجرة "

كتب شامل "كنت أتمنى أن أقلك أنا بسيارتي عند خروجك من المستشفى لكني لم استيقظ إلا منذ قليل ومشغول جدا اليوم فكامل في مشوار يخصه (وجه حزين) "

"لا بأس (قلب أحمر)"

سألها شامل "هل تشعرين بالتحسن؟"

"أجل .. متى سأراك مجددا؟"

رد شامل "سأتصل بوالدك اليوم أو غدا لنحدد موعدا لزيارتكم بشكل رسمي وستأتي معنا أمي إن شاء الله "

نظرت ونس لبيتها الذي اقترب ثم كتبت وهي تضغط شفتيها ببعضهما "والدتك .."

وأرسلت رسالة أخرى " أنا اشعر بالارتباك .. لا أحب لقاء الأغراب لأني أخشى من نظراتهم لي .. ولهذا كنت لا أبالي بأحد .. كنت أسقط من رأسي الاهتمام بما سيقولونه عني فكنت أشعر حينها بالراحة والتحرر لكن هذه المرة لن استطيع أن أفعل ذلك لن استطيع ألا أبالي .. أن اسقط من رأسي ما ستقوله عني .. لأني أريدها أن تتقبلني وأن تفرح لك "

رد عليها شامل " لا تحملي هماً .. أمي سيدة لطيفة وتلقائية ودوما ما تفكر به تتفوه به لذا لو تكلمت بشيء ضايقك فلا تحزني ..هي بالفعل لا تقصد الأذى ولكنها تتحدث بكل ما تفكر فيه .. أما قلبها فرقيق جدا"

هتف عيد بغيظ وهو يفتح باب سيارة الاجرة بعد أن توقفت "أنا أتحدث معك يا ست هانم وأنت لا تنتبهين إلا لهذا الزفت في يدك"
زمت ونس شفتيها وترجلت وهي تمسك بالصندوق الكرتون وطرف البالون الوردية .. ثم حدجته بنظرات طفولية غاضبة وتحركت نحو باب البيت فهي تخاصمه منذ أن نفى لها شامل ما قاله عيد عن كونه قد تعرض للإفلاس .

أنقد عيد السائق ثم أخرج هاتفه من جيب جلبابه يرد بعصبية "لماذا تلحين في الاتصال يا نصرة قلت سأتصل بك حينما أصل .. ها أنا قد وصلت الآن .. هي بخير الحمد لله .. لا بأس يا نصرة أنا مقدر لظروفك كان الله في عونك "
اغلق الخط وتطلع حوله متوجسا من ذلك الهدوء الشديد حوله .. فمنذ ذلك اليوم لم يأتيه أحد .. ربما لأنه قضى معظم الوقت في

المستشفى وربما لأن مصطفى الزيني قد كلف شخصا للمرور على بيته من وقت لآخر لتقصي أي شيء مريب كما أخبره ..

رفع عيد عينيه الغائمتين للسماء وهو يقبّل ظاهر يده وباطنها ويتمتم بالحمد والشكر .. ثم تحرك يدمدم بغيظ "لنذهب ونصالح بنت الكلب هذه التي تلوي فمها منذ الصباح .. (واضاف بقرف)لماذا أخبرها هذا الفتّان خطيبها قبل أن أعترف لها أنا بنفسي .. حسابه معي عسير.. (وناداها وهو يدخل من الباب) أنت يا ذات الفم الملوي .."

xxxx

ناولته مليكة القميص المكوي فارتداه ووقفت تتطلع فيه عبر المرآه قبل أن تسأله "أنا سمعتك تقول (تعال يا كامل) هل هذا يعني بأنه قد جاء للقرية ؟"

غمغم وهو يغلق الأزرار ويعدل من ملابسه
"أجل وسأقابله الآن "
كان الفضول ينتابها لتسأله لماذا عاد لكنها
تحفظت عن السؤال حتى لا يشك بشيء بينما
قال مفرح وهو يلتقط هاتفه ومفاتيحه
وحافظة نقوده" لا داعي لأن تنزلي فقد أخبرت
أمي منذ بداية اليوم بأن لديك صداعا"

أومأت مليكة برأسها ورافقته إلى باب الشقة ..
فمال عليها يطبع قبلة على رأسها ثم قال
مشاكسا "هذه قبلة أخوية لا تثير الغرائز
القذرة"
تطلعت فيه ببؤس متألمة فاقترب يضمها قائلا
بخفوت جدي نادما عن جملته" كنت
أشاكسك لا أكثر لست جديدا عليك "

مسدت على ظهره بيدها الطرية فقال متنحنحا وهو يبعدها عنه" لا لا بالله عليك .. هناك بعض الأماكن في جسدي سيحظر عليك من الآن فصاعدا لمسها ولو حتى بشكل عفوي"

احمرت وجنتاها أمام عينيه فبديتا شهيتين أكثر من ذي قبل وكأن الممنوع أضحى مرغوبا أكثر فقال مازحا وهو يخرج من الباب "سأذهب قبل أن تسيطر عليّ الغرائز القذرة سلام "

ابتسمت له مليكة بضعف تشيعه بنظراتها واغلقت الباب خلفه لا تعرف إن كان عليها أن تشعر بالمرارة والشفقة عليه أم تشعر بالامتنان له ..فهو لم يغادر الشقة اليوم .. واستيقظ في الصباح يغلق المنبه الذي لم تسمعه واشرف بنفسه على الولدين وعلى استعدادهما للذهاب للمدرسة ..لتتفاجأ بنفسها قد بقيت نائمة حتى

الظهيرة وكأنها في غيبوبة مليئة بالكوابيس
وازداد شعورها بالذنب حينما استيقظت
لتجده جالسا وحده في الصالة غارقا بين كتبه ..

ابتسمت مليكة وهي تعود لغرفة النوم بعد أن
تذكرت كيف تهكم عليه الولدان عند عودتهما
من المدرسة خاصة وهما يصفان شكل
السندويشات التي وصفاها بالمريعة والتي قام
بإعدادها لهما في عجلة صباح اليوم..

لا تعرف إن كان عليها أن تشعر بالمرارة والفشل
أم بالشفقة على مفرح أم يزداد شعورها بالذنب
..
كل ما هي أكيدة منه أن مفرح يكبر مقاما
واحتراما أمام عينيها في كل يوم يمر عليها منذ أن
عرفته ..

لم يخذلها يوما .. كان دوما ولا يزال رجلا بمقام توأم الروح ..فهو لم يعقب بأي شيء يخص ما حدث ليلة أمس رغم أنها تعلم بأنه كان حدثا مريعا .. عاملها وكأن شيئا لم يكن وهي كذلك حاولت التصرف بطبيعية طوال اليوم متجنبة العودة لأي نقطة مؤلمة مرت بهما .. ولا تعلم إن كان ما يفعلانه صائبا أم لا .. لكنهما دوما يصران على تخطي المواقف الصعبة التي تواجههما دون الخوض فيها أو مناقشتها ..

عادت للاستلقاء على السرير كالمخدرة تشعر بالإنهاك الشديد .. وكأنها قد عاشت اليومين الماضيين في معركة عصبية مجهدة .. ثم التقطت الهاتف تنوي الاتصال ببسمة لتخبرها بوجود كامل في القرية .

في الشرفة الأرضية في جانب بيت العمدة وقف مفرح يناظر كامل بامتعاض فبادله الأخر بنفس النظرة وكلاهما يداري محبة للأخر لم تستطع اللحظات الحمقاء أن تمحوها .

أشار مفرح على المقعد يقول" تفضل يا كامل بيك.. أهلا بك في قريتنا"
رد كامل وهو يجلس ويفتح ساقيه الطويلين قائلا بلهجة متهكمة "شكرا لك باشمهندس مفرح"
مال مفرح بجذعه للأمام مستندا بمرفقه على فخذيه وسأله مشبكا أصابعه أمامه "هل لي أن أعرف ما الذي أتى بك إلى هنا فحظونا بِطلّتك البهية هذه رغم تحذيري لك بعدم الاقتراب من بيت الجد صالح ؟"

رفع كامل حاجبا وقال بعنجهية وتحدي "بيتي وأنا حر فيه مادام العقد لا يزال ساريا يا باشمهندس.. فلا أنت ولا كل قريتك تستطيعون إخراجي منه"

هز مفرح رأسه وهو يمسد على لحيته عدة مرات ثم غمغم " سأتغاضى عن لسانك الطويل هذا وسأعتبرك ساذجا لا تعرف مع من تتكلم (وناظره بجدية يقول بلهجة قاطعة) لكني انتظر منك تفسيرا لكل ما حدث يا كامل "

سقط عن كامل عنجهيته وتقبض يقول باستسلام "سأخبرك بكل شيء منذ البداية وبكل أمانة .. لكني أتمنى أن يكون المستمع هو مفرح صاحبي وليس مفرح قريب بسمة"

في شقة مفرح قالت مليكة لبسمة في الهاتف" لم أفهم ما معنى هذا ؟!!"

قالت بسمة بارتباك وهي جالسة على سريرها "
وأنا أيضا لا أفهم يا مليكة فهذا ما حدث
..ومازلت في حالة ذهول وارتباك .. ولولا انك
قد أكدت لي بأنه بالفعل موجود ويجلس مع
مفرح الآن لقلت بأني كنت أخرف ..(
واستقامت واقفة تتحرك في الغرفة وهي ترفع
عن وجهها شعرها الأسود وتقول من بين
أسنانها) وأكثر ما يغيظني أني بدوت أمامه
كبلهاء وأنا أتلعثم وارتعش من وقع المفاجأة
(وأكملت بعذاب) وكاد قلبي أن ينفجر يا مليكة
وأنا أراه متجسدا أمامي "
ظلت مليكة صامتة لا تريد أن تقول تخمينا قد
يعطي لبسمة أملا زائفا بينما أكملت بسمة
"أشعر أن بداخلي كلاما لا أملك صيغة مناسبة
للتعبير عنه.. وبداخلي شعوران متناقضان..
شعور بالسعادة الشديدة ..وأخر بالخوف
الشديد .. فبعد ما واجهت نفسي بما أشعر به

نحوه لا أعرف كيف من المفروض أن أتصرف الآن ..فمن المستبعد أن يراني كاملة دون نقصان وأنا مطلقة وأعرف بأنه حتى لو حدثت المعجزة وكان يكن لي أي شيء فالوضع في ظل معرفته بآل سماحة سيكون حساسا جدا"

قالت مليكة بحيرة "الحقيقة لا أعرف ماذا أقول"

أكملت بسمة استرسالها وكأنها تفكر بصوت عال "الأسوأ من ذلك أني حين عدت وجدت والدي في انتظاري وكان حادا جدا معي لأني أبلغت أمي صباح اليوم بأني لا أريد أن أتزوج أيا من العرسان المتقدمين لي "

زفرت مليكة وقالت شاعرة بالعجز حتى على اقتراح شيء قد يساعد صاحبتها " الوضع يزداد صعوبة بهذا الشكل"

ردت بسمة متنهدة " أجل ولا أعرف كيف أتصرف .. أشعر بضغط شديد.. ضغط مشاعري وحصار والدي والآن عودة كامل "

صمتت مليكة ولم تجد ما تقوله فسألتها بسمة وقد انتبهت لصوت صاحبتها المجهد " وهل أنت بخير اتصلت بك أكثر من مرة اليوم ولم تردي؟"
غمغمت مليكة بلهجة متألمة "الوضع يزداد سوءا يا بسمة وليلة أمس كانت من أصعب الليالي التي مرت عليّ"

في الطابق الأرضي حدق مفرح في كامل مصدوما وهو يمسد على لحيته مفكرا .. فقال كامل منهيا حديثه بعد أن قص عليه بتحفظ الخطوط العريضة من قصته مع بسمة "واقسم لك بأني لم اتجاوز يوما معها بأي شكل

من الاشكال .. بل بذلت مجهودا جبارا لضبط النفس احتراما لك ولها "

تكلم مفرح بعد فترة من الصمت" ما حكيته للتو من أغرب القصص التي سمعتها في حياتي وهذا ما يجعلني استمع إليك هادئا الآن لأني اشعر بأن في القصة صدفة غريبة .. لكن السؤال المهم ..لماذا أتيت الآن؟ "

تكلم كامل بصوته الرخيم معترفا " أتيت لأني لم اعد احتمل .. أنا بالفعل أحمل مشاعر قوية لابنة خالك (وأضاف بحرج) و ارتباطها السابق بشخص أعرفه كان من الاشياء التي جعلتني أقاوم هذه المشاعر لكني استسلمت يا مفرح لم يعد أمامي سوى الاستسلام "

سأله مفرح مستوضحا "والمعنى؟"

أجاب كامل " المعنى أني قررت أن أمضي قدما في خطوة جدية معها ..ولهذا عدت ولا أعرف إن كانت ستقبل هي بي أم لا .. خاصة وأني قد التقطت من هنا وهناك خلال وجودي في القرية أنها عازفة عن الزواج .. ولا أعرف أيضا ما هو شعورها نحوي .. (وزفر يقول بحنق) أنا مرتبك جدا ولا أعرف من أين أبدأ .. وما هي الخطوة الأولى .. خاصة مع حساسية وضعها وحساسية عادات القرية و ... (وصمت قليلا لا يجد ما يعبر به فسأل مفرح) هل تفهمني؟"
ظل مفرح لثوان يتطلع فيه صامتا .. ثم انفجر فجأة ضاحكا يضرب كفا بكف متعجبا.

شرست ملامح كامل وهتف بلهجة خطرة
"لماذا تضحك؟"

رد الأخر بعد أن هدأت نوبة الضحك " لأني مذهول .. قد لا أندهش لو قلت بأنك انجذبت لجمالها فأنا دوما أطلق عليها لقب فاتنة المجرة لأنها كانت دوما تجلب لي المشاكل ونحن صغار بسبب جمالها .. لكن أن يجلس أمامي كامل نخلة الملقب بالسيد المتعجرف مرتبكا لا يعرف أين رأسه وأين قدميه يخبرني بأنه قد سقط في هواها ولا يستطيع الفكاك ..."

قاطعه كامل بزمجرة قائلا " مفرح سأهشم لك صف أسنانك فأنا لست هنا لتتهكم عليّ"

قال مفرح هازئا " تهشم ماذا وأنت في هذه الحالة البائسة المعذبة يا فلذة كبدي !.."

هتف كامل من بين أسنانه وهو يرفع قبضته أمامه "يا مفرح بالله عليك أنا اشعر بالضيق والغيظ "

سحب مفرح نفسا عميقا ثم قال بجدية "حسنا انتهى دور مفرح الصديق الآن وسيبدأ دور مفرح قريب بسمة .. ما المطلوب مني بعد هذا الاعتراف ؟"

رد كامل بقلة صبر " أن تخبرني ما هي الخطوات الرسمية .. وهل من الممكن أن أتحدث معها لأعرف رأيها بنفسي"

رد مفرح بلهجة خطرة " نعم يا روح الست الوالدة تفعل ماذا !.. أتريد أن أعيدك للعاصمة في تابوت!"
ناظره كامل بضيق وقال بلهجة ممتعضة "عد لوضع الصديق من فضلك حتى نتفاهم"
أكد له مفرح بحزم " لا يا حبيبي حتى وضع الصديق لن يسمح لك بذلك نحن هنا لسنا في

العاصمة ..(وأشار له بيده) عد إلى بيتك وأنا سأتصرف .. هيا قبل أن يشتد سواد الليل "
رفع كامل حاجبيه وقال مستهجنا "تقصد أعود للعاصمة الآن !!"
قال مفرح مغتاظا " وما الداعي لأن تبقى .. قلت لك أنا سأحاول جس نبض ابنة خالي"

جادله كامل متعجبا " ولماذا لا أبقى في بيت الجد صالح؟!"
قال مفرح بإصرار وحزم " بل ستتركه يا كامل .. لأن الوضع الآن أصبح غير لائق "
هتف كامل باستنكار " لماذا؟.. ألست مستأجرا للبيت"
أصر مفرح على موقفه يقول بلهجة خطرة "عد للعاصمة يا كامل هيا "
أحس كامل بجديته وإصراره فقال مستهبلا "الوقت قد تأخر والليل أظلم يا ابن الزيني.. وأنا

لم أنم جيدا ليلة أمس كيف سأقود السيارة في هذه الحالة؟!"

ضيق مفرح عينيه يتأمله مفكرا ثم قال "حسنا سأتركك تبيت في البيت لكن قبل الثامنة صباحا أريدك في الطريق إلى العاصمة"

مط كامل شفتيه ممتعضا ليقول مفرح بلهجة متوعدة "هل تفهم.. الثامنة صباحا يا كامل .. ولا تعود لهذا البيت مجددا"

زفر الأخير بغيظ واستقام واقفا فسأله مفرح "إلى أين لم نتناول العشاء بعد "

قال كامل بقرف "أنا لا أريد عشاءً ولا أطيقك هذه اللحظة"

أمسك مفرح بساعد كامل وقال "اجلس يا بني اجلس هداك الله "

ناظره الأخير بجانب عينه ممتعضا ثم قال "أرجو ألا تخبرها بأي شيء عن الماضي .. أو عن مشاعري .. أنا أخبرتك لأنك صديقي ولأثبت

لك حسن نيتي وسبب عدم اخباري لك بأني سبق ورأيتها ..أخبرها فقط برغبتي في الزواج منها ودع الباقي أخبرها به أنا في الوقت المناسب "

هز مفرح رأسه ثم أضاف وهو يشد ساعده لأسفل "اجلس لنتسامر قليلا فقد جئت في وقتك تماما "

سأله كامل بقلق "هل حدث شيء؟"

غمغم مفرح بمراوغة " لا لا مجرد هموم عادية .. أجلس وسآمرهم بتحضير العشاء "

جلس كامل مستسلما وأخذ يفكر بإحباط .. كيف يمكن أن يذهب للعاصمة دون أن يقابلها فهو لم يرها سوى لحظات!

xxxx

صباح اليوم التالي

لن تدعي الإنكار ولن تحاول ..
فهي تدرك بأنها تفعل ما يفعله المراهقون ..
وبأنها جاءت حتى تراه ..
فلن تدعي الإنكار ولن تحاول.
منذ ظهوره فجأة يوم أمس في بيت الجد صالح وهي لا تستطيع لملمة أعصابها .. كل المشاعر المتناقضة تتسلى عليها وهي غير قادرة على تحديد بوصلتها ..
تطلعت بجوارها من التوكتوك للحقول الخضراء واستشعرت الهواء البارد على وجهها وكأنها كورقة شجر تهفو فوق نسيم يوم ربيعي .. رغم المنغصات والأوجاع التي تأبى أن تتركها لتحظى باللحظة الكاملة .. فأفكارها السوداء واحباطها من ناحية وذلك التهديد الذي تلقته من والدها ليلة أمس من ناحية أخرى لكنها رغم كل شيء استيقظت بعد ليلة مؤرقة

وقررت الإسراع لمزرعة العمدة حتى ترى إن كان لايزال موجودا أم لا.. واسئلة كثيرة تشغلها حول عودته..

هل عاد فقط لأنه قد قرر تأجيل سفره حتى يتزوج أخيه؟ أم .. أم أن هناك سببا آخر .. سبب شعرت بأنه يرغب في إخبارها به .. أم .. أم إنها تتوهم وتراهق ..

ويا لصدمتها إن كانت تتوهم ..

عند اقترابها من بوابة المشروع وبمجرد أن أنزلت قدمها من التوكتوك جثم الإحباط على صدرها فجأة ولم تعد تهفو مع النسيم كما كانت تشعر في طريقها إليه بل هبطت معنوياتها كما لو كانت قد سقطت كحجر على الأرض وهي تفكر في وضعها ووضعه .. هي مطلقة وهو لم يسبق له الزواج .. وقليل من الرجال من يتغاضى عن هذا الامر..

زفرت بحنق وقررت أن تدخل ساحة مشروعها بدلا من التوجه لمزرعة العمدة ..
فتحت البوابة وخطت بداخلها لا تفعل شيئا إلا انتظاره ..خاصة بعد أن اختلست النظرات لتلك النافذة فوجدتها مفتوحة ففرحت وتوترت في آن واحد لأنه لا يزال موجودا.
لم تنتظر كثيرا حتى سمعت خطوات خلفها وهي تولي ظهرها لبوابة المشروع فتصنعت عدم الانتباه ولم تلتفت بينما قلبها يضرب بعنف .. وللحظة ارتجفت من الخوف ..
الخوف من الصدمة حينما ستتأكد بعد قليل من أنه لم يأت لأي سبب تافه مراهق من الذي تفكر به .
"بسمة"
قالها ذلك الصوت من خلفها فسقط قلبها بين قدميها وهي تستدير بسرعة وتقف متسعة العينان بذهول .

"كيف حالك يا اميرة البنات؟"
قالها بدير بخفوت وهو يقف أمامها عيناه تأكلانها وصدره يعلو ويهبط بانفعال أمام عينين رائعتي الجمال مبهرة حتى وهي تحدق فيه باتساع عينيها الفيروزيتين اللتين لم يرى في مثل جمالهما في حياته وشفتيها الشهيتين وطابع الحسن المبهر الذي يشق ذقنها .
أخذت الصدمة بسمة لثوان ولم تقل شيء بل ظلت تحدق فيه وتحاول استيعاب وجوده في ساحة مشروعها في هذا الوقت المبكر من الصباح .. أما بدير فلم يصدق بأنها أمامه أخيرا فقد اشتاق إليها بشدة وانتظر اللحظة التي يمكن أن ينفرد بها بعيدا عن أعين الناس .. وها هي أمامه في هذا الوقت الهادئ ..في هذا المكان الهادئ.
نفضت عنها حالة الشلل وهتفت بذهول "ماذا تفعل هنا يا معلم بدير !!"

قال وهو يقترب منها "جئت لنتفاهم"
ابتعدت خطوتين وهي تهتف باستنكار " نعم ..
عن أي شيء نتفاهم ألن تكف عما تفعل!!"
قال بإصرار وهو مستمر في انتهاز الفرصة
لالتهامها بعينيه "أنت من اضطررتني لفعل
ذلك ..ولن أتحرك قبل أن نتفاهم أنا وأنت
وحدنا "
جرأته أغضبتها بشدة .. وأشعرتها بالإهانة
الشديدة .. فإن كان ما يفعله هذا غير مقبول في
المجتمعات الأكثر انفتاحا فقيامه به هنا في
مجتمعهما الصغير أكثر صدمة وإهانة فهتفت
بغضب شديد "أنت لن تسكت إلا حينما أخبر
أبي وأخي ليتصرفا معك "
بابتسامة واثقة وبلهجة ذات مغزى قال بدير "
أعلم بأنك ذكية وتعرفين جيدا أن أي فضيحة
ستثار لن تكون في صالحك وستجلب عليك
القيل والقال "

رغم معرفتها جيدا بما يقول وبرغم القهر والذل الذي شعرت به لحظتها هتفت بغضب وهي تشير بإصبعها ناحية البوابة "ما هذه الوقاحة تفضل من هنا "

اقترب منها خطوة أخرى يقول بلهجة حارة متذللة " دعينا نتحدث بضع دقائق .. بضع دقائق فقط "

تحركت نحو البوابة تمسك بها وهي تقول بحزم "هيا تفضل "

اقترب بدير منها مجددا ومد يده ليمسك بمرفقها وهو يقول مهدئا "اسمعيني يا بسمة أنا ..."

نفضت ذراعها بسرعة وهي تقول باستنكار "يدك .. هل جننت!!"

قال بارتباك وهو لا يصدق أنها أمام عينيه "لا بأس اهدئي .. صدقيني أنت لا تعرفين كم أعشقك .. لو تعلمين لكنت رأفت بحالي أنا

المدله في حبك منذ سنين .. حاولت نسيانك ولم أفلح ..اعطني فرصة وحيدة لأريك كيف ستكونين سعيدة معي "

صرخت بسمة بغضب شديد "أنت تحتاج لتأديب"

لم يعبأ بدير بغضبها فتلك السيجارة التي دخنها منذ قليل في طريقه إليها بعد أن انتظر شروق الشمس بفارغ الصبر لينفذ ما جلس طوال الليل يفكر فيه بأن يقابلها هنا في ساحة عملها قبل وصول العاملات لعلمه المسبق بأنها تحضر أبكر قليلا لمباشرة أعمال مزرعة العمدة ..

اقترب منها أكثر فرجعت بسمة للخلف وعقلها يعمل بسرعة .. تحاول إيجاد مخرجا من هذه الورطة بعيدا عن الصراخ وجمع الناس لأنه سيضر بسمعتها .. أو أن يعلم والدها ويمنعها من العمل .. ولم تعي بأنها قد انحشرت خلف

البوابة المفتوحة وأن هذا المختل يمنعها من الخروج بوقوفه أمامها وهو يقول بلهجة عاشقة " لماذا ترفضينني يا أميرة؟ .. أنت لم تجلسي معي حتى ولم تعرفيني حق المعرفة !" هتفت باستنكار موضحة لعله يفهم " لأني أرفض المبدأ ذاته ..أنا لن أكون زوجة ثانية أبدا ولن أدخل على امرأة أخرى لأسمم لها حياتها " قال بحرارة وعيناه تتجولان على وجهها وشعرها الذي فرت من مقدمته المكشوفة بعض الخصلات تزين جانب وجهها القمحي الرائع الحسن "حتى لو كنت ستجدين كل ما تريدينه .. اعطني فرصة وسأجعلك فوق كل الناس .. سأبني لك دارا وحدك وسأكتبه باسمك وسأشتري لك شبكة يحكى عنها كل البلدة وكل ما ستطلبينه سيكون مجابا ..ألن يكفي هذا لتعرفي كم أعشقك؟"

ناظرته بذهول فلم تكن تعلم بأنه يكن لها كل هذه المشاعر .. ولم تكن تتوقع أن يحبها شخص بهذا الإلحاح .. وتألمت بشدة أن يكون حظها من العشاق هو بدير ..

أهذا هو حظها من الحب؟ .. أن تجد من يحبها ذلك الحب الذي تسمع عنه هو بدير العسال !!..

أصابتها الحسرة الشديدة وهي تتطلع فيه فحدق فيها بدير لاهثا وهو يشعر بأنه لم تمر عليه لحظة في حياته أحلى من هذه اللحظة التي يعيشها الآن وهو يقف يتطلع فيها بملء عينيه من هذه المسافة القريبة .. القريبة جدا والتي لم تتح له من قبل ..ومهما تخيل لم يكن ليتصور أبدا أن تكون بهذا الجمال الباهر .. إنها آية من الجمال ..فقال بحشرجة أمام عينيها الفيروزيتين " يا بسمة أنا اعشق التراب الذي تمشين عليه "

همست باستنكار " أنت مهووس!"
أضحت عيناه الخضراوان أكثر حدة وجحوظا
وهو يقول بلهجة ساخنة " أنت السبب .. أنا
مهووس بك وبجمالك وبلون عينيك "
رفعت يدها بسرعة تهم بلطمه على وجهه
والشرر يتطاير من عينيها لكنه أمسك
بمعصمها يناظرها بنفس النظرة المهووسة ..
فصرخت فيه وقد ازداد تطاير الشرر من عينيها
"ابتعد من هنا وإلا سأصرخ"
قال بإلحاح "وافقي ولن تندمي صدقيني"
صرخت فيه وهي تحاول تخليص معصمها من
يده فخرجت باقي جملتها مبحوحة "قلت لك
لن أتزوج من رجل متزوج أبدا "
قال بأنفاس عالية وهو يمرر إبهامه بلهفة على
معصمها الذي يمسك به بقوة وكل جسده
يستجيب لهذه اللمسات " حسنا سأطلّقها .. "

اتسعت عيني بسمة محدقة في خضار عينيه ليقول مؤكدا " سأطلق أم العيال من أجلك هل هذا سيرضيك؟.. هل سيثبت لك كم أحبك؟ .. كم أعشقك؟ .. هل هذه التضحية الكبيرة كفيلة بأن تخبرك بحالتي ..تخبرك كم أنا ذائب فيك (وقرب معصمها الذي يقبض عليه إلى صدره قائلا) هات يدك واشعري بقلبي كيف ينبض باسمك منذ سنين يا بنت الوديدي " بكل قوة دفعته بسمة في صدره غاضبة وهي تصيح وقد نفذ صبرها وحذرها "قلت ابتعد أيها الوقح"

تراجع بدير أثر دفعتها لخطوتين لكنه ظل ممسكا بساعدها فأدركت بسمة بأنه غير متزن وبدأت تشعر بالرعب وهي تفكر بسرعة كيف تتخلص منه.

فجأة طار بدير من أمامها في الهواء بعد أن أجبر بقوة أن يترك ساعدها حتى كادت أن تسقط

على وجهها وهي تسمع زئير كامل قبل أن تراه يقف ضخما مخيفا أمام بدير الذي وقع أرضا يناظره بذهول.

قبل دقائق

كان كامل في غرفته المطلة على ساحة المشروع يتناول هاتفه ومفاتيحه ثم استدار يعدل من ملابسه استعدادا للعودة للعاصمة على مضض بعد أن وعد مفرح لكنه كان في انتظار أن يراها مرة أخرى قبل أن يسافر فالشروط التي وضعها مفرح السخيف مجحفة لكن لا بأس من الانتظار قليلا .. سيحاول أن يمهد لها اليوم ليرى كيف ستكون ردة فعلها .

اقترب من النافذة ليرى إن كانت قد وصلت أم لا وأخبر نفسه إن وصلت أبكر كثيرا من موعدها للمزرعة أو للعمل لربما كان لهذا دليل مطمئن على اهتمامها .. ثم جحظت عيناه فجأة وهو يراها ويرى رجلا يتحدث معها في

ساحة المشروع .. وتوحشت ملامحه حين وجده يمسك بمرفقها فجن جنونه واشتعل فتيل الغيرة بداخله ليفجر القنابل في عقله .. وتمنى لحظتها لو يستطيع أن يقفز من النافذة إلى ساحة المشروع .. ولا يعرف كيف اسرع يخرج من الغرفة وكيف كان يقتحم البوابة المفتوحة وصوت بسمة يأتيه غاضبا "قلت ابتعد أيها الوقح" فأسرع بلكمه بقوة وهو يطلق زئيرا غاضبا.

انهارت ساقي بسمة واسرعت بالإمساك بالبوابة لا تعرف كيف تلملم اعصابها وكيف تسيطر على الارتجاف وهي ترى كامل قد عاد لينقض على بدير الذي لجمته المفاجأة وقد حسبه ذلك التوأم الذي خطب بنت القللي.. بدأت بعض الفتيات بالتوافد ووقفن ذاهلات على بوابة المشروع بينما لكمه كامل فانفجرت

قبضته في وجه بدير كماء النار لكنه استقام واقفا وقد جن جنونه هو الأخر واسرع بالانقضاض على كامل فهذه فرصته للتنفيس عن غضبه وغيرته بعد أن أدرك من نظرة كامل لبسمة بأنه هو ذلك التوأم الذي كانت تضحك معه ذلك اليوم وشراسته هذه ليست مجرد شهامة.. فدفعه بكل قوته لكن الثاني كان كالجدار الذي لم يتزحزح بل استوحشت ملامحه أكثر وانقض يمسك بتلابيب بدير الذي بدأ يرتعب من ذلك الكائن المتوحش الذي هدر بكل شراسة في وجهه صائحا " سأقتلك "

واتبعها بضربة من رأسه مؤلمة بشدة جعلت رأس بدير تدور.

بدأت الفتيات بالصراخ ودخلت أم هاشم مفزوعة لا تفهم ماذا يحدث بينما أسرعت بسمة بمجرد أن استطاعت حل شلل ساقيها

واقتربت من كامل تصيح بولولة "اتركه يا كامل
بالله عليك سيموت في يدك"
ناظرها كامل بنظره متوحشة قائلا "ابتعدي عن
المكان فورا واخرجي الفتيات "
تجمع عمال المزرعة على أصوات الصراخ
فقالت صارخة حينما وجدت الأعداد على
البوابة تزيد "اتركه يا كامل"
ترك كامل بدير فجأة ففقد الأخير توازنه
وسقط أرضا بينما ناظرها الأول يقول بغيظ
"هل يهمك أمره ؟"
وضعت كلتا يديها على فمها تكتم شهقة قوية
وهي تتطلع في كامل بذهول بينما دخل الرجال
مذهولين ينظرون لكامل الذي يقف كحيوان
ضارٍ وبدير الذي يحاول أن يتوازن ..

قال كامل بملامح شرسة أمام عينيها الذاهلتين
" خذي الفتيات وادخلي البوابة المجاورة "

وقف بدير وهو يمسح الدم من فمه فارتعبت بسمة من منظر الدماء القليلة ورجعت خطوتين للخلف لتمسك بها أم هاشم تسألها بجزع" ماذا يحدث يا بسمة؟"
في نفس الوقت أوقف مفرح سيارته وترجل منها بسرعة مخترقا الجموع بعد أن جاء خصيصا ليتأكد من مغادرة كامل خشية من غلبة مشاعره التي التمسها ليلة أمس .. ليتفاجأ بما يحدث فوقف مذهولا لثوان يشاهد المنظر الغريب قبل أن يهدر بخطورة وهو يتطلع في بدير ثم كامل ثم بسمة "ماذا يحدث هنا!"
ناظرت بسمة المتجمعون على البوابة ثم غطت وجهها بكفيها وتمنت لحظتها الموت بينما شحب وجه بدير وشعر بأن الأمر قد تحول لمصيبة .

أما كامل فبدأ يستفيق قليلا من حالته المتوحشة ويدرك أبعاد الموقف حوله وبأن الفضيحة أصبحت علنية.

عاد مفرح للسؤال بصوت أكثر علوا وغضبا وهو ينظر لكامل قائلا "قلت ماذا يحدث يا كامل؟"

لم يجد كامل في ذهنه ما يسعفه لشرح الأمر بشكل أقل تهذيبا .. فالفضيحة قد وقعت وحدث ما حدث فقال مشيرا على بدير الذي يحاول القيام بصعوبة وقلبه قد سقط في قدميه لرؤية مفرح " اسأل هذا الوقح"

انطلق مفرح يمسك بذراعي بدير يرفعه بخشونة ليستقيم واقفا ثم قال بلهجة خطرة "ماذا حدث يا معلم بدير ماذا تفعل هنا ؟"

بسرعة قلب بدير الموقف إلى صالحه قبل أن يتفوه كامل بأي شيء وهتف وهو ينفض التراب عن ملابسه "كل هذا لأني كنت أتحدث

بالحسنى وأقول بأن ما يحدث عيبا .. عيبا والله
في حق بسمة وفي حقنا جميعا وقلة احترام"
أطلقت بسمة صرخة صغيرة تلطم وجهها في
الوقت الذي كانت قبضة كامل تنفجر في وجه
بدير متزامنة مع صرخة أم هاشم بغضب "
قطع لسانك بم تخرف أنت !!"
قبل أن يستوعب مفرح صدمة ما يحدث
سقط بدير أرضا فاندفع كامل يركله بقوة هادرا
" لا تنطق باسمها على لسانك يا عديم الشرف"
سعل بدير وبصق دما فلم تحتمل بسمة ما
يحدث .. كان ذلك فوق قدرتها على الثبات ..
وأسوأ لحظة مرت بها.. فاندفعت تخترق
الجمع الذي لا تعرف متى أصبح بهذا العدد ولم
تحفل بنداءات أم هاشم وركضها خلفها لبضع
أمتار خارج البوابة بل أسرعت تهرول هاربة من
كل شيء .
هاربة من همهماتهم الهامسة الجارحة .

هاربة من منظر الدم ..
هاربة من كامل ومفرح وبدير .
هاربة من كل شيء .
أما مفرح فكان يقاوم أعراض ذبحة صدرية وشيكة وقد أدرك بأن المصيبة كبيرة صحيح لا يفهم ماذا حدث لكنه اسرع بالإمساك بكامل الذي اندفع لينقض مرة أخرى على بدير وهو يزمجر قائلا " ستبيت اليوم في المشرحة يا ابن *** على ما تفوهت به للتو"
صاح مفرح هادرا " اهدأ يا كامل .. أتركه "
كانت مهمة مفرح صعبة جدا ليس فقط لتفوق كامل الجسماني ولكن لتلك الحالة من الشراسة والتوحش التي كان عليها حتى أن بعض الرجال تدخلوا مع مفرح لتلجيمه وهو يهدر فيه قائلا"
اهدأ قلت وافهمني ماذا يحدث "
بمجرد أن استطاع الرجال شل حركة كامل الذي ظل يناظر بدير بغضب شديد استقام

الاخير واقفا وقد آلمته كرامته بشدة أن يتغلب عليه ويضربه هذا الغريب الذي تأكد بأنه غريمه .. لذا أراد أن يهد المعبد على ما فيه وأن يتخلص من حرجه ويعطي للعيون الكثيرة الواقفة تحدق بفضول شديد سببا يحفظ ماء وجهه فقال صارخا بلهجة تمثيلية وهو يمسك بذراعه" ذراعي كسر ذراعي (وتحرك مغادرا وهو يمسك بذراعه).. ما حدث لن يمر على خير أبدا وسأبلغ الشرطة واسجنك وسترى صحيح خيرا تفعل شرا تلقى! "

ظلت العيون تحدق في بدير الذي غادر ثم عادت لمفرح وكامل ليقول مفرح وهو يحاول التحلي بالثبات وتحجيم الفضيحة "بالتأكيد هناك سوء فهم قد حدث وسنحل الأمر إن شاء الله جزاكم الله خيرا يا جماعة "

بدأ الناس بالتحرك متلكئين ومنهم من يضرب كفا بكف فتماسكت أم هاشم وصفقت بيديها

تقول للبنات بحزم "هيا كل واحدة إلى العمل لا تقفن هكذا "
أطاعت الفتيات بينما اقتربت نصرة التي نزلت من التوكتوك للتو تسأل أم هاشم مفزوعة "ماذا حدث؟"
لكن الاخيرة كانت تمسك بهاتفها وتحاول الاتصال ببسمة دون رد ..

سحب مفرح كامل خارج البوابة ودخل الأخرى وأغلق الباب ثم دفعه أكثر نحو البيت قائلا" ادخل أمامي للبيت فالجدران لها آذان "
استسلم كامل ودخل يسبقه قبل أن يقف مفرح أمامه ويمسك بتلابيبه هادرا بقوة "ماذا فعلت بالله عليك أي فضيحة سببتها يا كامل أخبرني .. هل تجاوزت حدودك مع بسمة ؟!"
خلص كامل ملابسه من يد مفرح بعصبية قائلا" هل تشك في يا مفرح ؟!"

قال مفرح بلهجة خطرة" لو كنت اشك فيك ما كنت سألتك هذا السؤال بل كنت قتلتك يا كامل .. انطق وافهمني فبسمة في مصيبة كبيرة الآن ..ماذا حدث؟"

قال كامل وهو لا يزال يشعر بفورة الغضب تشعل أعصابه كلها "هذا الوقح كان معها في ساحة المشروع وكان يحشرها خلف البوابة ويمسك بذراعها وهي كانت تقاومه وتصرخ فيه فدخلت وضربته ..لكن دخول الفتيات جعلهن يصرخن .. ليقول هذا الوقح ما قال "

تحرك مفرح بتوتر يحاول التفكير بسرعة وهو يغمغم" الأمر أصبح خطيرا وسيضر بسمة ..لماذا لم تمسك أعصابك ؟"

هدر فيه كامل بتوحش "أقول لك كان يمسك بها ويحشرها خلف البوابة يمنعها من المرور "

قال مفرح بوجه مكفهر " صدقني أنا كل ما يلح عليّ حاليا أن أحضر مسدسي وافرغ فيه

الرصاص لكن ما سيحدث لبسمة لا يعطيني رفاهية لذلك (ونظر لكامل يضيف) وأنت وضعك سيكون في منتهى السوء أتعلم في منتهى السوء يا كامل .. إن صدق ادعائه وكسر ذراعه فحالته ستحتاج لأكثر من واحد وعشرين يوما من العلاج أي أنها قضية .. وبدير هذا لن يتوانى عن إدخال الشرطة في الأمر "

غمغم كامل عابسا "الشرطة"

قال مفرح مؤكدا "أجل الشرطة .. هذا بالإضافة للفضيحة التي حدثت لبسمة الكل سيصدقه لأنه من أهل البلدة بينما سيكذب روايتك "

قال كامل باستهجان "وروايتها ألن يسمعوا من صاحبة الشأن ؟!!"

رد مفرح بحزن " إن المطلقة وضعها حساس جدا في عيون الناس وأذهانهم "

هتف كامل باستنكار " وهل كونها مطلقة يعني بأنها فاقدة للأهلية !!"

صاح مفرح بعصبية "ليس هذا ما أقصد لكن وضعها حساس قلت ..أنا وأنت نفهم ونعي من هي بسمة لكن البعض لديه من القذارات في رأسه ما لن يدع الامر يمر على خير .. الرجل أوحى بأنكما كنتما في وضع مخل وبأنه حامي الحمى الذي دخل لينصحكما فنال منك ما نال"

أخذ مفرح يتحرك بتوتر يستوعب أبعاد ما حدث قبل أن يهتف" يا إلهي .. خالي! .. الخبر بالتأكيد وصل لخالي .. وبسمة بالتأكيد عادت للمنزل"

تحرك نحو الباب فاسرع كامل خلفه يقول "أنا آت معك"

استدار مفرح ودفعه بعصبية قائلا" أنت تبقى هنا هل سمعت .. إياك أن تظهر في الصورة إياك ..ربك وحده يعلم هذه المصيبة كيف ستخرج منها بسمة"

قال كامل بإصرار" دعني أذهب وأوضح "
صاح مفرح مشيرا بسبابته في وجهه "أسكت أنت ولا تتدخل كما قلت .. ولا تظهر في الصورة .. إياك أن تخرج وابقى هنا في البيت حتى أخبرك بالوضع (وقبل أن يتحرك)قال احذرك يا كامل من الخروج لو مخاوفي صدقت هذا يعني أن الودايدة سيتجمعون وستحدث مصيبة كبيرة مع أولاد العسال ومن الممكن أن يهاجمك أحد الطرفين فالزم مكانك "
قال كامل باستنكار "يهاجموني!!"
قال مفرح مؤكدا " ويقتلوك أيضا فالخبر بعد قليل سيدور بالبلدة كلها بكل تأكيد .. عليّ أن أذهب لبسمة بسرعة"
اسرع بالخروج فصاح كامل" طمئني على بسمة استحلفتك بالله يا مفرح "
هتف مفرح "قلت ادخل ولا تخرج من البيت أبدا لأي سبب "

اغلق البوابة الخارجية خلفه بينما فتح كامل الهاتف الذي يرن بإلحاح منذ دقائق ورد بحشرجة "نعم شامل"

قال شامل بقلق "ماذا يحدث معك؟!!"

xxxx

بعد ساعة

كانت ترتجف بشدة .

بل تنتفض .. فكل ما بنته قد هدم ..كل ما اجتازته للأمام بضربة واحدة عادت لنقطة الصفر .. لا بل لنقطة اللا عودة.

أخذت فاطمة تربت عليها في جلستها في إحدى الغرف بالدور الأرضي من البيت وهي تقول بذعر شديد" ماذا حدث يا بسمة ؟ لماذا عدت من العمل وما بك؟؟؟ "

حضنت بسمة نفسها بقوة .. تشعر بشعور مرعب بالخوف .. تشعر بأنها وحدها .. وحدها تماما وتنتظر تنفيذ الحكم عليها بالإعدام حتى

أنها لم تصعد لغرفتها لتحتمي بها .. هي من الاساس لا تملك أحدا تحتمي به ..
تعرف بأنها ستساق إلى المقصلة قريبا .. الحكم قد صدر منذ قليل وسيأتون ليسوقوها لتنفيذه .. رغم أنها لا تعرف ماذا فعلت وبم أخطأت .. لكن وفي وضعها الراهن وبما تعرفه عن البلدة ... تدرك جيدا أن اسئلة وجودية كهذه ضربا من الرفاهية التي لا تملك أن تسألها.
دخلت مهجة وهي تقلب كوبا من الماء والسكر وتقول "اشربي يا بسمة اشربي"
طالعتها بسمة بعينين ذاهلتين قبل أن تجبرها الأخيرة على الشرب بعد أن قربت الكوب من فمها بينما دخلت إحدى الجارات تقول "يا خالة فاطنة أين أنتم والدنيا مقلوبة بالخارج"
هتفت فاطمة بجزع وهي تخرج إليها "لماذا؟؟"

ردت المرأة باستنكار" الناس تتحدث عن شجار بدير العسال بسبب الباشمهندسة بسمة "

نظرت مهجة لبسمة التي لم تقل شيء .. كانت تحضن نفسها بارتجاف وعيناها متسمرتان على الفراغ فتركت مهجة الكوب لتلحق بحماتها بينما سألتها فاطمة "ماذا حدث؟"

قالت المرأة "سمعت أن بدير العسال يقول أن ذلك الشاب الغريب المستأجر لبيت الجد صالح قد ضربه من أجل الباشمهندسة بسمة .. ووليد حاليا قد اشتبك هو وعدد من شباب الودايدة مع بعض الذين كانوا يتحدثون بهذا الكلام بل إنه قد ذهب مع أولاد عمومته للبحث عن بدير "

ضربت فاطمة على صدرها بينما سقط قلب مهجة في قدميها لتضيف المرأة "المعركة ستكبر لأن اثنين من الجماعة الذين كانوا

يدورون في البلدة يخبرون الجميع بما حدث قد اعترفا بعد إمساك وليد والشباب بهما بأن بدير العسال هو من أخبرهم بذلك فتوعدوا لبدير"

حاولت مهجة الخروج فأمسكت بها فاطمة تقول بجزع "إياك والخروج ستكبر المسألة"

دخل سليمان مكفهر الوجه فارتعبت الجارة وقالت بسرعة وهي تهرول خارجة" أنا ذاهبة يا أم وليد"

هدر سليمان غاضبا وهو يصعد السلم" أين بسمة؟"

قالت فاطمة مهدئة" انتظر يا سليمان وأخبرني ماذا يحدث "

صاح بعصبية" أين بسمة لم أجدها بالمشروع؟؟"

"أنا هنا"

قالتها بسمة بجمود من الغرفة الأخرى فنزل سليمان ثم أبعد زوجته غاضبا ليدخل على

بسمة التي استقامت واقفة وهي متقبضة إلى جانبيها بقوة تطالع والدها بجمود ..فانقض عليها الأخير يمسك بذراعها قائلا بلهجة خطرة" ما الذي حدث صباح اليوم ؟"
صرخت فاطمة وهتفت "بالله عليك يا سليمان اسمع منها أولا "
بينما قالت مهجة مرعوبة " خالي استحلفك بالله"
أدار سليمان رأسه يصيح فيهما "اخرسا (ثم عاد لبسمة قائلا) انطقي ماذا حدث؟؟؟! "
قالت بتماسك تمنع نفسها من البكاء وتداري ارتجافها" بدير العسال أتى لساحة المشروع وتواقح وتجاوز معي كثيرا.. فصرخت ولم ينجدني غير كامل .. وتعاركا فكذب بدير وقلب الوضع مدعيا كلاما لم يحدث"
بكفه الغليظ لطمها سليمان على وجهها هاتفا "أنت فضحتني يا بنت ال**** ... سيرتي على

كل لسان الآن .. قلنا أن هذا العمل سيجلب علينا المصائب لم تصدقيني"

تقبضت بسمة بقوة تتلقى الضربة بثبات وجمود رغم ذلك الألم الشديد في خدها وأذنها .. وهي تشعر بأن كرامتها تحرقها والاحساس بالقهر كالضباب الاسود يغيم فوقها لكنها لم ترغب في أن تكون مثيرة للشفقة أمام أحد .

دخل مفرح من الباب جزعا يقول" السلام عليكم"

اسرعت مهجة إليه تهتف باستنجاد" مفرح" تحرك مفرح يتجاوزها ويدخل الغرفة يتطلع في بسمة وخاله الذي استدار إليه قائلا بسخرية" هل جئت لتطمئن على خيبتنا الثقيلة ! .. لترى نتيجة تشجيعك لها على العمل والخروج من البيت .. (ورفع سبابته في وجهه قائلا) أتعرف .. أنا أحملك جزءا من مسئولية ما حدث يا ابن الزيني"

قال مفرح مؤكدا " ما حدث كان بسبب ذلك الوقح بدير العسال وعلينا بتربيته "
ضرب سليمان قبضة في باطن الأخرى يقول متوعدا " بدير هذا سأجعله يندم على ما فعل (ونظر لبسمة هادرا) و هذا المشروع سيغلق فورا "
هتفت بسمة بعصبية " وما دخل عملي بالأمر .. بدير العسال ..."
قاطعها سليمان قائلا "بدير العسال لم يفعل ما فعل إلا بسببك "
هتفت باستنكار غير مصدقة " بسببي أنا!!!"
أوضح سليمان بغيظ "أجل فلو كنت احترمت نفسك وجلست في البيت وقبلت بزوج ممن تقدموا لك لما تجرأ هو وذهب إليك"
قالت بسمة باستنكار "هكذا ببساطة أنا المخطئة!!"

قال سليمان بعصبية " بقائك مطلقة بدون زوج جعله يتهور .. صحيح هذا التهور لن اسكت عليه وسأريه مقامه لكنك من شجعته على ذلك"

بذهول قالت متسعة العينان "أنا شجعته!!"

من بين أسنانه قال " أجل بقائك بدون رجل وأنت مطلقة جعله يستغل الأمر ضدك هل نسيت تفكير أهل البلد "

قال مفرح مهدئا " انتظر يا خال لنفهم ما حدث بالضبط لنكون على بينة (ثم سألها) احكي لنا يا بسمة ما حدث لنفهم"

قالت بسمة بقهر تمنع تدفق الدموع من عينيها " قلت بدير جاءني وتواقح وتعدى حدوده وقاومته فتدخل كامل وضربه فقال ما قال أمامك وهذه ليست أول مرة يتخطى بدير حدوده معي "

"ما معنى بأنها ليست أول مرة؟"

قالها وليد صائحا بعصبية وهو يدخل من الباب .. فصرخت أمه ومهجة حينما رأوه بملابس ممزقة تدل على شراسة المعركة التي كان يخوضها بينما جبهته تنزف دما

فأسرعت أمه تمسك بيده تقول" ماذا حدث لرأسك؟"

نفض وليد يد أمه بخشونة ولم ينظر حتى إليها بل ظلت أنظاره مسلطة على بسمة التي صاحت تجيبه" كان يرسل لي رسائل من أرقام غريبة"

قال مفرح باستنكار " رسائل !!.. أية رسائل أريني إياها"

ردت بسمة موضحة "حذفتها .. كلما جاءتني كنت أحذفها واحظر الرقم "

اندفع وليد قائلا وهو يمسك بمرفقها "ولماذا لم تخبريني!"

ناظرته بسمة متألمة ونظرت لمرفقها في يده ..
نفس الذراع .. نفس الطريقة التي امسكها بها
بدير منذ قليل ونفس التعدي عليها واهانتها.
نظر مفرح لخاله الذي يمسك برأسه مغمضا
عينيه يفكر في المصيبة التي حلت فوق رأسه
ثم تدخل هادرا" تحكم في نفسك يا وليد فكل
منا لا يفكر إلا في ارتكاب جرائم هذه اللحظة
لكن علينا ضبط النفس "
ظل وليد يحدق في بسمة وهو يطحن ضروسه
بينما هي تناظره بكبرياء مجروح .. فتدخلت
مهجة تسحبه من ذراعه تقول باستنكار" وليد
ما الذي تفعله؟!!"
خلص وليد يده منها هي الاخرى بخشونة دون
أن يلتفت إليها بينما صرخ سليمان بعصبية "
ليس لدينا وقت للنقاش الآن نحن في مصيبة
بسبب بنت الـ *** هذه "

ترك وليد ذراع بسمة وهو يحاول أن يتحكم فيما يشعر به من فوران في رأسه بينما قال مفرح " اهدأ يا خالي"

انفجر فيه سليمان قائلا " أنت تسكت ولا تتدخل ..يكفي ما جاءنا من تحت رأسك ..مرة تشجعها على العمل ومرة تأتينا بأصحابك"

هتف مفرح باستنكار" الآن اصحابي أصبحا المشكلة!!"

قطع حديثه حينما ضرب وليد منضدة صغيرة بجوار بسمة بقدمه هادرا بجنون أجفل الأخيرة رغم ادعائها التماسك "أرأيت ما الذي أوصلنا إليه عنادك!!"

تحرك مفرح يمسك به قائلا بلهجة مستنكرة" ماذا تفعل.. احترم نفسك نحن واقفون"

هتف وليد فيه "لا تتدخل أنت"

قال مفرح بلهجة خطرة وهو يدفعه في كتفه "ماذا تعني"

صاحت مهجة غير مصدقة "وليد !!"
التفت إليها والجنون يعميه صائحا "لا تتدخلي"
صاح مفرح محذرا وهو يمسكه من ياقة قميصه "لا تصرخ في وجهها"
صرخ سليمان ينفض عباءته المعلقة فوق كتفيه بعصبية قائلا " اتركونا من ذلك الهراء ودعونا نفكر في المصيبة التي حلت فوق رؤوسنا .. "
استدار وليد يقول متوعدا "بدير العسال حين سأجده سيلقى مني الجزاء على فعله "
قال سليمان بلهجة مستخفة " لكن تهورك يا فالح واشتباكك الذي حدث منذ قليل مع أولاد العسال سيحول الأمر لكارثة والعائلتان ستشتبكان والدماء ستكون حتى الركب "

صاح وليد باستنكار حتى نفرت عروقه من عنقه " وهل كنت سأتركه ليلوك في سمعتنا يا أبي !!"

قال مفرح من بين أسنانه " يا غبي افهم أنت بهذا ستضخم المشكلة وبدير سيلجأ للشرطة وسيدرج اسم بسمة في محاضر الشرطة هذا بالإضافة للفضيحة"

قالها وصمت يفكر في وضع كامل الذي لا يعلم كيف سيتم التعامل معه إن وصل الموضوع للشرطة كونه مقيما وليس مواطنا.

دمدم سليمان بقنوط "أي أننا سنخسر حتى أعمالنا بسببك يا بنت ***"

قبل أن يندفع نحوها وقف مفرح أمامه يمنعه متماسكا حتى لا يتحول الوضع لمعركة أسرية وقال مهدئا "يا خالي بالله عليك لدينا مصائب بالخارج الآن"

قال سليمان لبسمة من فوق كتف مفرح "من هذه اللحظة قدمك لن تخطو عتبة الباب وإلا أنا من سيفرغ فيك الرصاص هل فهمت؟! "
قالها وتحرك مغادرا فهتفت بسمة باستنكار "ما معنى هذا الكلام ؟...وعملي!"
ناظرها مفرح بأن تصمت مؤقتا بينما استدار سليمان يقول من عند الباب "عملك هذا سيغلق فورا وستنسين هذا الموضوع تماما ولن تتحركي من هنا إلا كزوجة لأحدهم وهذا سيكون قريبا جدا إن شاء الله لأني سأقبل بأول شخص سيتقدم لك بعد أن ننتهي من هذه المصيبة دون حتى الرجوع إليك "
قالت غير مصدقة "ماذا تقول يا أبي !!"
رد سليمان بقرف " أقول بأنني قد انفضحت .. وسيرتك اصبحت على كل لسان وبالطبع هناك من سيستخدمها للترويج لعلاقة مشبوهة بينك وبين أحد الرجلين يا ست هانم وهناك

من سيضيف عليها من خيالاته المريضة .. لذا فالحل الوحيد هو أن أزوجك فورا لأي شخص سيتقدم للزواج منك لنقطع الالسنة ونثبت للعالم بأنك تزوجت ولا تشوب سمعتك شائبة "

اتسعت عيناها بقوة وهتفت بغير استيعاب " ما هذا الهراء! ..وهل سأجبر على الزواج من أي شخص يطلبني حتى يكون ذلك برهانا على أني شريفة ؟!!..أنا لا أقبل بهذا أبدا .. أنا لست بهيمة تساق دون رغبتها لمن سيقرر أن يشتريها "

أشفق مفرح على بسمة ورغم معرفته بعقلية خاله وعقلية أهل البلدة لكنه لم يستطع منع نفسه من القول "إن ما تقوله يا خالي أمر محزن بشدة"

قال سليمان هادرا "قلت لا تتدخل أنت"

تكلم مفرح بإصرار "سأتدخل .. إنها ابنة خالي وعليّ أن ادافع عنها وما تقوله مهين "
قال سليمان بلهجة عصبية " إن كانت تهمك فتزوجها أنت ..على الأقل حين تتزوجها وأنت ابن العمدة سيكون هذا أكبر رد اعتبار لها"
شهقت كلا من بسمة ومهجة وفاطمة بينما اتسعت عيني مفرح يقول باستهجان " ما الذي تقوله يا خالي !!"
رد سليمان ينفض جانبي عباءته صائحا "خالك تعب وكره العيشة .. البلد ستحترق وبدير العسال لن يهدأ إنه يريدها باستماتة وبالتأكيد سيقلب الأمر لصالحه ويساومني .. أتفهمون ما أقول؟! .. بدلا من أجلس واتشرط سيساومني "
هتف وليد متوعدا "لن تتاح له الفرصة لأني أنوي أن اقتله عندما أجده"
قالت مهجة مستنكرة "ماذا تقول يا وليد؟!"

تدخل مفرح موبخا " هل جننت الامور لا تحل بهذه الطريقة !!"
قال وليد منفعلا " كل شباب الودايدة سيكونون هنا بعد قليل لنذهب للبحث عن بدير "
هتف سليمان من بين أسنانه" لماذا ..لماذا أنحن في حمل المزيد من الفضائح "
صاح وليد " الفضائح سببها ابنتك يا ابي ونحن من نجني الآن "
زمت بسمة شفتيها تتطلع بكرامة مجروحة في أخيها الأصغر بينما راقب مفرح وجه مهجة المصدوم ثم قال" يا وليد حاول التحكم في اعصابك أنت بهذا الشكل تفسد لا تصلح.. هل تظن بأنك وحدك من يشعر برغبة في الذبح والقتل انتقاما !"
هدر سليمان في ابنه باستهجان " أنت يا غبي (نقول ثور تقول احلبوه !) إذا حدثت مشاجرة

بين العائلتين لن يكون هذا في صالحنا لأنه لو تأذى شخص ما ستبقى هذه الفضيحة معلقة في الأذهان مدى الحياة علينا أن نخرج منها بسلام ..(ولملم عباءته يضيف) سأذهب لأحاول تهدئة الوضع قبل أن تتكتل المصائب فوق رؤوسنا "

تحرك مفرح يلحق به خارج البيت قائلا "انتظر يا خالي أفهمني علام تنوي حتى لا يعمل كل واحد منا على حدة"

قال سليمان "علينا أن نمنع بدير من أن يتواصل مع الشرطة حتى استطيع جره لجلسة عرفية لحقن الدماء بين العائلتين .. الشباب الصغيرة أنا سأقدر على تلجيم الودايدة منهم لكني لا آمن لجانب أولاد العسال خاصة بعد المناوشات التي حدثت من وليد وأولاد أخوالك معهم .. الحل الوحيد هو جلسة الصلح التي ستلزم الطرفين .. أنت تعرف بأنه لو حدثت

اصابات أو وفيات مهما اثبتنا أن ابنتنا شريفة ستظل الفضيحة عالقة بالأذهان لذا علينا حل الأمر بهدوء"

قال مفرح متفهما " أعلم يا خالي .. أعلم كل ما تقوله أنا من جانبي سأسعى للوصول لبدير لإقناعه "

قال سليمان وهو يغادر بوابة البيت "وأنا سأرسل من يبحث عن ابن*** هذا المختفي ..بالتأكيد هو في أحد المستشفيات يتعالج ويحاول الحصول على تقرير طبي بحالته حتى يقدمه للشرطة "

بمجرد أن خرج خاله وقف مفرح يفكر قليلا أمام البيت فيما سيفعل قبل أن يأتيه صوت مهجة تصرخ فاسرع إلى الداخل.

قبل دقائق

في الغرفة الداخلية وقفت بسمة تشعر بالظلم الشديد من ضياع أحلامها التي انهارت فجأة

بدون أي ذنب .. وانتابتها حالة هستيرية مما يحدث وكأن العالم كله قد إنهار من حولها .. فكل ما بنته بشقاء وتعب ودموع الفترة الماضية بكلمتين من والدها وكلمتين أخريين من أهل البلدة إنهار .. كانت تعتقد بأنها قد أصبحت اثقل وزنا على الأرض لتقف ثابتة في وجه مالا تريد لكنها اكتشفت بأنها لا تزال بخفة ورقة تتحكم فيها الريح هنا وهناك .. لا يمكن أن تسكت على هذا الكم من الإهانات..

لا يمكن أن تسكت على امتهان كرامتها .. فهتفت بقهر وقد تجمعت الدموع في عينيها تنظر للباب الذى غادر منه والدها للتو " أنا لن أقبل بكل هذا .. أنا لم أفعل شيء لأعاقب بهذا الشكل المهين "

اندفع وليد يقول بغيظ " تقبلي أو لا تقبلي هذا لن يغير من الأمر شيء فمنذ هذه اللحظة ما ستقرره العائلة ستنفذيه دون نقاش "
هتفت مهجة وهي مصدومة من طريقته "وليد اهدأ من فضلك أنت تزيد من الأمر سوءا وتجرحها بما تفعل .. (وسحبته من يده تضيف) تعال لأعقم لك الجرح "
ناظرها صائحا "اسكتي أنت ولا تتدخلي"
انفجرت بسمة فيه غير قادرة على تحمل المزيد" كف عن التحدث معي بهذه الطريقة"
عاد ينظر إليها قائلا بغضب مجنون "أنا سأتحدث معك بالطريقة التي أراها مناسبة .. يكفي ما فعلتيه .. يكفي الدماء التي قد تسيل بسببك .. يكفي انك دمرت كل شيء"
صاحت بسمة باستنكار " أنا!! .. أنا السبب!!"
سألها بانفعال وعيناه الزرقاوين جاحظتين "لماذا لم تخبرينا بما يفعل بدير هذا؟؟"

ردت بعصبية " لم أرغب في التسبب فيما يحدث الآن لم أثق في حكمتك في التصرف..
فلازلت تتصرف بحمق وصبيانية "
لطمها وليد على وجهها فشهقت أمه وصرخت مهجة مصدومة "وليد إنها اختك الكبيرة !!"
لطمته سحقت البقية الباقية من كرامة بسمة ..شقت قلبها إلى نصفين .. لكنها تماسكت بقوة حتى لا تنهار وصاحت ترفع إليه عينيها المغرغرتين بالدموع "أتحسب نفسك رجلا !"
أمسكها وليد من ذراعها ودفعها للخلف فارتطمت بالحائط لتصرخ أمه بينما تسرع مهجة لإبعاده عن بسمة وقد استشعرت بأنه في حالة من انفلات الاعصاب فقالت بعصبية هي الأخرى " ابتعد يا وليد واتركها ما هذه الهمجية؟!!"
صاح في زوجته "قلت لا تتدخلي"

وقفت أمامه مهجة بقامتها القصيرة تقول
"سأتدخل هل ستضربني أنا أيضا .. أهذه
طريقة تعاملك مع الأمر ..أتعتقد بأن العصبية
والصوت العالي رجولة .. انظر لمفرح كيف
يحاول التعامل مع غضبه دون... "
قاطعها هادرا " هذا هو أنا ... بهذه العصبية
بهذه الصبيانية وعليك التعود"
اشاحت بيدها أمامه تقول " وأنا لا أقبل بأن
اعيش مع شخص بهذه الهمجية "
رفع قبضته أمامها يقبضها بقوة محاولا التحكم
في رغبة في ضربها هي الأخرى وهو يقول " اتقي
شري يا مهجة"
قالت فاطمة التي تبكي منذ مدة وهي ترى ما آل
إليه حالهما "اهدئي يا بنيتي فلا يصح أن تعاندي
زوجك وقت غضبه "
ظلت عينا مهجة معلقة بعيني وليد الذي
ناظرها والجنون يتطاير من عينيه فقالت

بحسرة وحزن شديد " يا لخيبة أملي بك .. حقا يا لخيبة أملي بك .. أنا لن ابق في هذا البيت لحظة واحدة "

قال باستنكار "ما معنى هذا الكلام!!"

تطلعت بسمة فيما يحدث وقد اشتدت صدمتها بينما هتفت أمه" اهتديا بالله يا أولاد ..ما الذي تقوليه يا مهجة ؟!!"

قال وليد بعناد متوعدا " جربي أن تخرجي من هذا البيت "

عقدت مهجة ذراعيها وردت بكبرياء "ماذا ستفعل ؟.. هل ستضربني؟!.. وهل تعتقدني سأسمح لك بذلك "

وكأن عبارتها قد ضربت بسمة في مقتل فوقفت تتطلع فيها كيف هي شامخة مرفوعة الرأس لا تسمح لأحد بأن يتطاول عليها .

أما وليد فشعر بالخوف .. بالخوف من تهديدها .. كان يعلم بأنه قد تمادى .. وبأن

مهجة قادرة على تنفيذ ما تقول .. لكن خوفه هذا زاد من عصبيته التي دفعته للمزيد من الحماقات ليثبت لنفسه سيطرته على الأمر فدفعها من ذراعها قائلا "اصعدي لشقتك " هتفت بلهجة حاسمة " ليست شقتي من هذه اللحظة فلم أعد احتمل .. هذا كثير "
ضربت أمه على صدرها بينما شعرت بسمة بالذنب وبأن كل ما يحدث منذ الصباح بسببها هي رغم أنها لم تفعل أي شيء خاطئ.
قال وليد معاندا والخوف بداخله يزداد "قلت اصعدي ولا تجعليني افقد اعصابي معك"
صرخت مهجة في وجهه "طلقني يا وليد"
اتسعت عيني بسمة مصدومة وازداد شعورها بالذنب بينما شحب وجه وليد وقال بحشرجة " هل أنت مجنونة؟"

قالت مهجة بتماسك " كنت مجنونة وغبية ..
والآن فقط افقت واستوعبت بأن الناس لا
يتغيرون"
اسرع بالإمساك بذراعها يقول بفحيح مرعب "
جربي أن تخرجي من هذا البيت "
صرخت معاندة " قلت سأخرج يا وليد ولن
أعود مجددا"
"وليد!! "
قالها مفرح هادرا لكن الأخير لم يستدر بل ظل
ممسكا بذراع زوجته يناظرها بغضب فأسرع
مفرح بإبعاده عنها بخشونة قائلا "ماذا
يحدث؟!!"
ظل وليد ومهجة يناظران بعضهما وكأن هناك
حربا كلامية بين عينيهما قبل أن تقول مهجة
بتصميم وعيناها المتحديتان لم تحيدها عن
عيني وليد "أنا ذاهبة معك يا مفرح لبيت أبي "

تفاجأ مفرح بينما قال وليد معاندا "لن تتحركي إلى أي مكان"
بحثت مهجة حولها ثم التقطت وشاح بسمة الملقى على أحد المقاعد واسرعت بلفه حول رأسها ومفرح يحاول استقراء ما يدور في عقل أخته .
تحركت مهجة فشعر وليد بأن روحه تخرج من جسده مع خطواتها المبتعدة فاندفع بعناد ذكوري يمسك بذراعها قائلا" لن اسمح لك أبدا"
تدخل مفرح يقف بينهما في وجه وليد قائلا بلهجة خطرة "إياك والتصرف بهمجية معها"
هتف الأخير بعصبية "لا تتدخل أنت إنها زوجتي وأنا حر "
صاحت مهجة من خلف أخيها "أنا زوجتك ولست جاريتك !"

هجم وليد عليها من خلف مفرح ليمسك بها صائحا " اصعدي للشقة " فدفعه الأخير بقوة ليرتطم بالحائط وسط شهقات فاطمة ومهجة بينما ظلت بسمة تشاهد ما يحدث ومقلتاها يتراقص فيهما الذهول ..

إنها السبب في كل ما يحدث .. أو سيحملونها كلهم السبب.

قبض مفرح على رقبة وليد يلصقه في الحائط وعيناه تطلقان قذائف من الشرر قائلا بفحيح مرعب " أنت لم تحترم وجودي ..ولم تحترم كبيرا منذ أن دخلت .. وأنا لن اقبل أبدا بأن تهان أختي .. سأحرقك حيا يا وليد لو حدث ذلك .. "

قال وليد بحشرجة "لوكنت لا احترم الكبير لكان تصرفي الآن معك وفي هذه اللحظة مختلفا"

سأل مفرح مهجة الواقفة بذهول خلفه تغطي فمها بيديها "ماذا قررت يا مهجة .. وأنا اعرف بأنك تدركين تابعات قرارك جيدا"
هتف وليد بعناد واصرار يداري رعبه "لن تخرج "

وقفت مهجة لثوان تحدق في المشهد ..وأصابها الارتباك بعد أن كانت مصرة حينما خذلها وليد وأكد لها سوء اختيارها .. لكنها الآن تشفق عليه وهو بهذا الشكل مع مفرح وتلك الرعشة في مقلتيه التي يناظرها بها رغم جمود وجهه أوجعت قلبها فقالت لتحافظ على كرامة زوجها "سأبقى حتى تهدأ الاجواء وأطمئن على بسمة بعدها .."
قاطعتها فاطمة تقول بتوسل "حلفتك بالله كفى يا مفرح لا توجع قلبي أكثر مما هو موجوع "

تركه مفرح بسرعة شفقة بزوجة خاله ثم قال لوليد "أعلم بأنك زوجها وبأن كلمتك هي الأحق عليها .. لكن هذه الأحقية ستكون لك طالما هي تريد أن ترضخ لها .. وإن قالت ابنتنا يوما لا تريد فلن يجبرها أحد .. ولست أنا .. مفرح الزيني الذي سيخشى من العادات والتقاليد أمام رغبة أختي ضع هذا في رأسك جيدا وكن صاحب حكمة لا صاحب صوت عال"

واستدار لأخته يقول بخفوت متحشرج "إذا احتجتني فقط اضغطي على زر الاتصال وسأكون عندك فورا"

ما حدث بين مفرح وأخته زاد الحسرة في قلب بسمة وقارنت رغما عنها بينهما وبين الوضع المخزي الذي تتعرض له منذ الصباح.

دخلت مليكة من باب البيت تقول" السلام عليكم"

فناظرها مفرح متفاجئا ..لتقترب منه تقول بخفوت "اتصلت بك أكثر من مرة ولم تجب .. وكنت أريد أن أطمئن على بسمة "
لمس مفرح ذراعها لمسة سريعة وتحرك مغادرا فأشفقت عليه بشدة فقد كان باديا عليه الارهاق والضيق الشديد وأدركت بعدما حكت لها أم هاشم على الهاتف ما حدث صباح اليوم بأنه هو بالذات بين شقي الرحى.
تطلعت في وليد ومهجة اللذان يقفان على باب الغرفة الداخلية يحدقان في بعضهما .. واقتربت تقول" السلام عليكم "
اندفع وليد خارجا حتى كاد أن يصطدم بها بينما وقفت مهجة تشيعه بعينين دامعتين وخيبة أمل كبيرة واعترفت لنفسها بأنها قد أخطأت من الأساس في موافقتها على الزواج منه .. كانت ساذجة حينما تصورت بأنها ستستطيع تغييره

لكن اليوم وفي أزمة كهذه وضح كل شيء ووضح سوء اختيارها.

قالت مليكة لمهجة "هل أنت بخير؟"

غمغمت بحشرجة "سأكون بخير إن شاء الله "

قالتها وتحركت لتصعد لشقتها فتابعتها مليكة بأنظارها ثم دخلت الغرفة لتجد الحاجة فاطمة تجلس على الأريكة تغطي وجهها بطرف وشاحها وتبكي فقالت مشجعة "لا تبكي يا خالتي سيمر الأمر بخير إن شاء الله"

ثم نظرت لبسمة التي تطرق برأسها أرضا في جلسة متجمدة ونادتها "بسمة "

ببطء رفعت إليها بسمة أنظارها وهال مليكة ما رأته على وجهها من ألم وعذاب رغم أنها لم تكن تبكي .. ويا ليتها تستطيع البكاء !.

××××

بعد قليل

قال مفرح وهو يقود سيارته "المشكلة أني بين شقي الرحى أريد أن أسحب مسدسي وأفرغه في بدير هذا وفي الوقت نفسه اؤيد ما قاله خالي بأن المشكلة لو كبرت وأصبح فيها اصابات أو وفيات لا سمح الله الفضيحة ستظل عالقة في الأذهان .. ومهما أثبتنا أن بسمة اشرف من الشرف نفسه ستظل الفضيحة تطاردها"

قال مصطفى مؤيدا" وهذا رأيي أنا الأخر كما أن علينا أن نحقن دماء أهل البلدة لا أن نشعل النار فيها"

قال مفرح يفكر بصوت عالي " لهذا علينا السيطرة في اتجاهين الأول أن نمنع بدير العسال من اخبار الشرطة فبعيدا عن كون الأمر سيزيد من الفضيحة وسيدخل الشرطة بيننا فكامل كما تعلم مقيم وليس مواطنا ومهما كانت علاقات والده أخشى من أن تتعرض له

الشرطة بشكل أو بآخر ويقلقني جدا ما نسمعه في الصحف هذه الأيام من بعض مثيري الفتنة بشأن الوافدين من بلده ومحاولة اثارة المشاكل حولهم أخشى أن يطال كامل في حالة الاستنفار الأمني هذا ما يسيء له .. والاتجاه الثاني وليد الوديدي .. إنه ينفعل إلى حد التهور والحماقة أيضا واخشى أن يتسبب في اشعال النزاع "
قال مصطفى "سمعت بأنه قد احتك بخشونة مع أولاد العسال "
زفر مفرح ورد " أجل .. ذهب للبحث عن بدير وحين لم يجده تشاجر مع أولاد العسال وأخشى أن يتمادى في حماقاته وتشتعل الامور "

سحب مصطفى نفسا عميقا ثم قال "سأحاول أنا الوصول لبدير قبل أن يذهب للشرطة وأنت عليك بتحجيم اندفاع وليد"

رد مفرح "حسنا وسأحاول من ناحيتي إيجاد بدير أنا الآخر"
غمغم مصطفى بوجوم " اتفقنا من يصل إليه أولا يبلغ الثاني "
قالها وودع مفرح ثم اغلق الخط يجز على أسنانه يتوعد بدير قبل أن يرفع الهاتف ويطلب رقما ثم يقول" جابر .. كيف حالك .. أريد منك خدمة عاجلة "
أما في سيارة مفرح فتلقى اتصالا وأسرع بالرد "نعم أبي ... "
سأله العمدة " هل لازلت في بيت خالك؟"
أجابه مفرح " لا أنا تركت بيت الوديدي منذ قليل وسأذهب لكامل ثم.."
قاطعه العمدة بانفعال" عد إلى هناك فالأمر قد تفاقم ..أخبروني أن أولاد العسال بزعامة عماد وابن أخيه علاء في طريقهم لبيت الوديدي بالشوم والعصي ردا على احتكاك وليد وشباب

الودايدة بهم .. اذهب بسرعة قبل أن تسيل الدماء بين العائلتين"
لاح الخطر على وجه مفرح واسرع بتحويل مسار السيارة عائدا لبيت خاله وهو يقول حسنا يا أبي أنا ذاهب فورا "
أغلق مفرح الخط ثم اتصل بمليكة يقول "أريدك أن تسيطري على الأمر عندك فلا تسمحي لنساء البيت بالخروج منه مهما حصل .."
سألته مليكة بجزع "ماذا هناك يا مفرح؟"
قال هادرا "نفذي بدون اسئلة يا مليكة .. لا بسمة ولا زوجة خالي ولا مهجة وأي من نساء البيت عندك تخرج مهما حدث سلام "
أغلق الخط واتصل بكامل الذي كان يتحرك كأسد حبيس في البيت يخشى أن يتدخل في الخلاف الذي لا يعلم إلى أي مدى قد وصل حتى لا يزيد من تفاقم الوضع ..ويلوم نفسه

بأن كان عليه أن يتحكم في أعصابه أكثر من ذلك فكان يكفي أن يخرج بدير من المكان لا أن يتصرف بهذا الانفلات العصبي ويترك لغيرته أن تغيب عقله..

حين رن هاتفه أسرع بالتقاطه يقول بلهفة "مفرح طمئني "

قال مفرح بلهجة صارمة أقلقته" اسمع يا كامل .. الوضع حاليا سمعت بأنه قد تفاقم وهناك انذار بحدوث مشاجرة كبيرة بين عائلتي العسال و الوديدي ..وبدير الزفت هذا نبحث عنه قبل أن يخبر الشرطة "

قال كامل باستنكار " هل سيصعد الأمر للشرطة؟"

رد مفرح مؤكدا "أجل كلنا أكيدون بأنه سيحاول إيصاله لذلك .. المهم أنا أريدك أن تبقى مكانك وسأخبرك بتطور الوضع .. أهم شيء لا تحاول الاقتراب من بيت الوديدي حاليا"

قال كامل باستنكار" لماذا كل هذا لا أفهم!!"
صاح مفرح منفعلا "بدير ألقى ببضع كلمات
تفيد بأنه هو من دخل عليكما في ساحة
المشروع ثم أرسل بعضا من تابعيه لينشر الأمر
في القرية والناس بدأوا يتناقلونه بشكل يشوه
من سمعة بسمة .. ولهذا أي ظهور غير
مدروس لك أثناء المشكلة قد يشكل خطورة
على حياتك لأني لا آمن جانب أولاد العسال إن
ذممت أنت في بدير ولا أضمن رد فعل الودايدة
بعد انتشار الهمس في البلد ابق مكانك حتى
اتصل بك يا كامل ولا تتهور أكثر من ذلك "
سأله كامل " وبسمة كيف حالها؟"
رد مفرح بحسرة " بسمة .. يكفي أن أخبرك
بأنها قد خسرت كل شيء.. سمعتها وعملها
الذي تعذبت حتى أقامته "
سأل كامل يحاول الفهم "وما دخل عملها ؟"

رد مفرح "دخله أن والدها كان معارضا له من البداية والآن اقسم بأنها لن تخرج من باب البيت وسيزوجها غصبا حتى يثبت للناس بأنه لم يطل سمعتها شيء هل فهمت"

تمتم كامل مذهولا " ما هذا التخريف في أي عصر نحن!"

ضرب مفرح على المقود بعصبية قائلا "أرأيت حجم المصيبة التي أوقعتنا بها بعدم تحكمك في غضبك ..عموما حسابي معك سيكون فيما بعد سلام "

قالها وأغلق الخط يلقي بالهاتف على المقعد المجاور ثم يضغط على البنزين أكثر وهو يضرب على المقود بقوة عدة مرات بعصبية قبل أن يهتف بقنوط "سترك يا رب"

xxxxx

كانت اصوات الشجار ومناوشات تأتي من الخارج بينما مليكة تمنع مهجة التي تبكي من

الخروج من بوابة بيت الوديدي وبعض النسوة المساعدات في المنزل يواسين الحاجة فاطمة التي تبكي بحرقة مولولة "استرها يا رب استرها ولا يؤذى أحد يا رب "

قالت مليكة لمهجة مطمئنة " لا تقلقي إن شاء الله لن يتطور الامر "

قالت مهجة باكية "أخشى من تهور وليد أنت لا تعرفينه.. هل وصل مفرح ؟"

ردت مليكة بقلق مماثل " لا أعرف يا مهجة ولن استطيع أن أتصل به حاليا حتى لا اشغله "

وقفت مهجة تبكي مغمغمة "استرها يا رب هداك الله يا وليد "

تطلعت مليكة عبر باب الغرفة الداخلية في بسمة بقلق وهي تراها منذ أن حضرت تجلس في مكانها في حالة من التخشب والوجوم ولم ترد عليها حتى حينما سألتها عن حالها.. لقد اتصلت بها أم هاشم تخبرها بما حدث وتطلب

منها أن تطمئنها عليها لأنها لم تستطع ترك العمل لضرورة التغطية على عدم وجود بسمة وتسليم بعض الطلبيات فما كان منها إلا أن اسرعت بالحضور لكن بسمة لم تقل أي شيء تتطلع في وجوه الجميع صامتة..
تمنت مليكة أن تقترب منها لتواسيها لكنها مضطرة للبقاء بالقرب من البوابة حتى تمنع أي تهور من مهجة أو حماتها للخروج .. وتمنت أيضا أن تبكي بسمة فتلك الدموع الحبيسة في عينيها تقول الكثير .. وما أخبرته مهجة لها بأن وليد قد لطمها على وجهها مزق قلبها على صاحبتها .. وكرهت لحظتها البلدة وما فيها من تصرفات قادرة على تحطيم النفوس .

في الخارج كان سليمان الوديدي يصيح في عماد العسال قائلا "هذا بدلا من أن تشعر بالخزي مما فعله أخوك بالحديث في حق بنتنا"

قال عماد العسال منفعلا" لا شأن لنا بما يشاع من أخبار عن بنتكم .. وابنك هو من جاء مع اقاربه واصحابه واحتكوا بأولاد العسال"
اندفع وليد يقول وهو مقيد من شابين من الوداية حتى لا يتهور" لقد امسكنا برجلين من اتباع بدير واعترفا بأنه هو من سلطهما "
على الرغم من تخمين عماد بأن بدير قد فعلها لكن الأمر برمته يمس سمعة عائلة العسال كلها فأخذ يشتم بدير المختفي منذ الصباح في سره ثم قال ردا على وليد" كذب وتلفيق فلا تحاولوا تجميل سمعتكم بالافتراء علينا"
قال سليمان هادرا "أنت تريدها دما حتى الركب إذن يا عماد!"
في نفس الوقت أفلت وليد ممن يمسكون به واندفع يشتبك مع عماد العسال قائلا" ما بها سمعتنا يا روح الوالدة"

بدأ الشباب من الجانبين في الاشتباك
وتسارعت انفاس سليمان يشعر بأنه على وشك الموت بذبحة صدرية فالأمر يتأزم ويكبر .. في الوقت الذي ظهر عدد من الغفر فجأة وبدأوا في محاولة التفريق بين المشتبكين بقوة .. قبل أن يوقف مفرح سيارته ويترجل منها يشهر مسدسه ويضرب طلقتين في الهواء ليفرق المتشاجرين ثم يهدر بلهجة حازمة "تفرقوا فورا"
بدأ البعض في الاستجابة لكن وليد وعماد ظلا ممسكين ببعضهما فتدخل مفرح يفرقهما بخشونة قائلا "قلت تفرقا (وأشار للغفر على وليد) كبلوا حركته ولو أفلت منكم يا ويلكم مني .. (وتوجه لعماد العسال يقف أمامه قائلا) عيب عليك أن تكون أكبر وتتصرف بهذا الشكل المتهور يا عماد!"

قال عماد بغضب " ألأنهم أقاربك يا
باشمهندس تدافع عنهم!"
قال مفرح " لو كنت أتصرف لأنهم أقاربي لكنت
الآن انضم إليهم في المشاجرة ضدكم يا عماد..
فما قاله المعلم بدير يسيء لنا جميعا"
غمغم عماد بإصرار لدفع التهمة عن عائلته
"أنتم مصرون على أن تلقوا علينا مشاكلكم "
وقفت سيارة وخرج منها العمدة يتوكأ على
عصاه فتفاجأ مفرح بحضوره بينما اسرع إليه
سليمان مهللا يشعر بحضور العمدة مؤازرة له
فقال الاخير هادرا في الجميع بصوته الواهن" ما
هذا التسيب والاستهتار بأرواح الناس .. ألا
يوجد ضابط ولا رابط في هذه البلدة! "
قال عماد مهاجما " تراك جئت لتقف بجانب
اصهارك يا عمدة!"
قال العمدة بغضب "بل جئت لأوقف أنهار
الدم التي ستراق يا ابن العسال .. من أخطأ في

حق الأخر سنأخذ له حقه .. (ونظر لسليمان قائلا) أنا دعوت زعماء العائلات لجلسة عرفية بعد العصر وسنجلس ونعطي لكل حق حقه (ونظر لعماد) أبلغ بدير الذي يغلق هاتفه عن موعد الجلسة وإن لم يظهر أو يأتي حتى موعدها فسيضيع حقه إن كان له حق وعليه أن يتقبل بعدها ما ستقرره الجلسة"

قال مفرح في الواقفين بحزم "هيا إلى اشغالكم ولا أريد أي اشتباكات (واقترب من وليد يناظره بنظرة خطرة ثم أمر الغفر بتركه قبل أن يقول له هامسا بلهجة متوعدة) أنت مصر على التغابي وخسارة من تحبهم وستندم على ذلك كثيرا ..تذكر هذا الكلام"

قالها وتحرك عائدا لوالده يساعده على العودة للسيارة .. فأتاه اتصالا من مصطفى ورد باهتمام" نعم أبا حمزة (وصمت قليلا ثم قال) رائع وجدت مكان بدير"

××××

قبل دقائق

قال جابر في الهاتف وهو يقف بجوار سيارته أمام إحدى المستشفيات الكبرى في العاصمة "وجدته يا أبا حمزة وسأذهب إليه حالا وأخبرك بالنتيجة "

قالها وأغلق الهاتف يضعه في جيب جلبابه الفاخر ويتحرك ليقطع الشارع وعيناه مثبتتان على بدير العسال الذي يخرج مع رجلين من أتباعه من المستشفى ..وبمجرد أن اقترب منه قال" ألف لا بأس عليك يا أبا علاء"

استدار بدير بعبوس ومزاج عكر يتطلع في جابر متفاجئا ثم قال "أهلا يا جابر ماذا تفعل هنا؟"

رد جابر وهو يدقق في الكدمة الزرقاء تحت عين الأخير "الحقيقة سمعت بما حدث صباح اليوم وجئت لأطمئن عليك "

ناظره بدير بشك ثم قال وهو يدلف للسيارة"
شكرا لك "
سأله جابر بسرعة" إلى أين هل أنت عائد
للقرية؟"
رد بدير باقتضاب "لا بل إلى قسم الشرطة التي
ستأخذ لي حقي "
قال جابر منبها " بهذا الشكل ستشعل النار أكثر
ووقتها ستكون الخسائر من الطرفين "
تراجع بدير عن دخول السيارة وسأله عاقدا
حاجبيه "أي طرفين ؟!"
وضح جابر قائلا " ألم تعلم .. لقد اشتبك
الودايدة وأولاد العسال وكاد الطرفان أن يفتكا
ببعضهما خاصة حينما أمسك الودايدة اثنين
من الرجال يروجون الشائعات واللذيّن اعترفا
بأنك من طلبت منهم ذلك "
شتم بدير وغمغم في سره" ماذا فعل هؤلاء
الأغبياء .. قلت لهم أن ينشروا أمر تعرضي

للضرب لا أن يتسببا في إثارة العائلتين على بعضهما ويعترفان عليّ أيضا (وقال لجابر نافيا) كذب أنا لا أعرفهما .. فكما ترى كنت في المستشفى كل هذا الوقت لأحصل على تقرير طبي بحالتي لأقدمه للشرطة"

ناظره جابر بشك ثم قال "أنا أرى أن تترك أمر الإبلاغ الآن حتى لا تعادي الودايدة أكثر من ذلك فكما تعرف أن ذلك الشاب الثري تربطه علاقة عمل بالحاج سليمان وصديق لابن العمدة أي أنك بهذا ستعادي العمدة أيضا.. كما أن الحال في البلدة يتطلب العودة فورا وترك ما هو أقل أهمية لتلحق بالجلسة العرفية "

اتسعت عينا بدير يسأله متفاجئا "جلسة عرفية لمَ كل هذا ؟!!"

قال جابر متهكما " لو كنت لم تغلق هاتفك لكنت علمت بأن العمدة قد تدخل بنفسه لمنع إراقة الدماء بين الطرفين"

غمغم بدير بعدم فهم وهو يخرج الهاتف من جيبه" هاتفي! (ثم نظر فيه يقول) لقد فرغ شحنه "

وشرد قليلا يفكر فيما فعل .. فقد كان غاضبا بشدة ويشعر بالحرج بعد أن فر من ساحة المشروع وتوقع بأنه حينما يتهامس أهل البلدة بشأن ما ألمح إليه اليوم مع هؤلاء الذين ارسلهم لنشر خبر تعرض كامل له أنه بذلك سيضغط على سليمان لقبول الزواج من بسمة فكيف تطور الموضوع لعراك بين العائلتين!.

رن هاتف جابر برقم غير مسجل عنده فأسرع بالرد" السلام عليكم "

قال المتصل "وعليكم السلام ورحمة الله كيف حالك يا جابر أنا عبد الرحيم الزيني "

تكلم جابر متفاجئا" أهلا حضرة العمدة
..مرني"
قال العمدة "الأمر لله وحده علمت بأنك مع
بدير الآن هل هذا صحيح ؟"
نظر جابر لبدير الشارد وقال "نعم هو معي"
انتبه بدير بأن الحديث عنه فنظر لجابر نظرة
متوعدة وأشار بيده رافضا الحديث بينما قال
العمدة "اعطني إياه"
تجاهل جابر إشارات بدير الرافضة وقال له
وهو يمد إليه الهاتف "العمدة يريدك"
تفاجأ بدير وبلع ريقه الجاف قبل أن يرد "نعم
يا حضرة العمدة "
هتف العمدة غاضبا "أهكذا تفعل يا بدير؟!..
وأنا أقول بأنك أعقل مَن في هذه القرية !"
رد بدير بهدوء "ماذا فعلت يا حضرة العمدة؟"
قال العمدة آمرا " تعال للمجلس العرفي بعد
قليل وستعرف ماذا فعلت يا بدير .. كبار

العائلات سينتظرونك وإن لم تأت فستخسر كثيرا"

قالها وأغلق الخط دون انتظار الرد .

ناظر بدير جابر وهو يعيد له الهاتف فقال له الأخير "ألم أقل لك بأن الوضع في القرية مشتعل "

صمت بدير قليلا يفكر فقال جابر" لو كنت مكانك لما تهورت بالذهاب للشرطة بعد تدخل العمدة في الموضوع .. أنت بهذا الشكل ستعاديه هو شخصيا .. ولا تنسى أن من ستشكوه هو صديق ابن العمدة"

ناظره بدير مضيقا عينيه بعبوس يفكر في هذه الورطة فجُل ما يهمه أن يبعد كامل هذا عن التواجد في الصورة .

اقترب منه أحد الرجلان اللذان يرافقانه ومال على أذنه يهمس بشيء قبل أن يعطيه هاتفه.. فأخذه بدير يضعه على أذنه يقول بلهجة

غامضة وهو يختلس النظرات لجابر الذي يناظره بريبة "نعم ماذا هناك (وبدا على ملامحه الاهتمام وسأل محدثه) هل أنت متأكد مما تقول؟ ... حسنا اذهب الآن"
قالها واعاد الهاتف لصاحبه ثم نظر لجابر يقول بابتسامة مشرقة فاجأت الأخير "كلامك منطقي يا أبا ميس لهذا سأستأذن أنا لألحق بالجلسة السلام عليكم"..
قالها وتحرك ليدلف لسيارته .. فشاهد جابر السيارة تبتعد ثم رفع الهاتف يطلب مصطفى ويقول "قرر أن يترك أمر الذهاب للشرطة وسيحضر الجلسة بعد أن اتصل به العمدة "
رد مصطفى مفكرا " هذا جيد اتمنى أن يتم احتواء الامر على خير "
قال جابر بعفوية" مصطفى "
رد الأخر بتلقائية" نعم"

انتبه جابر لنطقه اسم مصطفى دون لقب أو كنية وشعر بالحرج ..فصحيح أن الأخير يكبره بثلاث سنوات فقط إلا أنه كان يتحرج من مناداته باسمه مجردا كنوع من التوقير لكنه يشعر مؤخرا بتقارب نفسي شديد بينهما وكأن الله أهداه مصطفى بعد افتقاده للصديق المقرب في حياته بابتعاد هلال .. وتلقائية رد مصطفى شجعته لأن يقول "رغم أنه صهري لكني سأحدثك بصدق .. لقد بدا مريبا وجاءه اتصال على هاتف أحد أتباعه جعله متفائل ولهذا أنا لست مرتاحا"

رد مصطفى مفكرا "أنا أيضا لست مرتاحا فمادام قد أثار هذه الزوبعة فأكيد يرغب في الاستفادة من الموضوع "

سأله جابر وهو يعبر الطريق نحو سيارته "وما مصلحته أصلا من إثارة هذه الشائعات؟"

أجابه مصطفى " لأنه يضع عينه على بنت الوديدي "

هتف جابر بعينين متسعتين "ماذا ؟!!"

أكد له مصطفى قائلا " هذا ما علمته من مفرح اليوم لكن لا تخبر أحد بذلك"

غمغم جابر متفهما "بالطبع ..بالطبع"

سأله مصطفى "ألن تحضر الجلسة"

رد جابر باقتضاب "لا"

سأله مصطفى" لماذا ألست صهره ؟!"

تكلم جابر بصراحة " وهذه هي المشكلة .. فلم أعد افتخر بأني صهره ولا أريد أن أجلس في جلسة إلى جانب أولاد العسال كلهم .. أخبرك بهذا وأنا شاعر بالحرج مما اتفوه به ربما يوما ما أخبرك بالتفاصيل "

قال مصطفى متفهما " لا بأس سأذهب أنا لأستعد للمجلس "

غمغم جابر " الله معك سأتصل بك في المساء لأطمئن سلام "
رد مصطفى" في حفظ الله"
أغلق جابر الخط شاعرا بالضيق لما وصلت إليه قناعته .. فازداد الهم في قلبه .. ودخل سيارته يطلب رقما ثم قال "السلام عليكم يا حاجة نجف .. (وأضاف بتهكم مشاكسا) اشتقت لي ؟!.. كيف اشتقت لي وأنت قد أعجبتك الحياة مع ابنك الآخر ونسيتني يا حاجة !"

xxxxx

ركن مفرح السيارة أمام بيت الجد صالح وترجل منها وفكرة معينة تسيطر عليه.. ألا وهي الاتفاق مع كامل أنه مادام قد طلب يد بسمة منه وأخبره بجديته في الارتباط بها فعليه أن يسرع في التحدث مع الحاج سليمان بعد انتهاء الجلسة العرفية واخباره بنيته قبل أن يضغط

سليمان على بسمة للزواج من شخص غير مناسب .
تطلع بتعجب في البوابة المغلقة ثم طرق عليها عدة مرات مستغربا من اغلاقها فهو بالعادة لا يغلق البوابة بالمفتاح اثناء تواجده بالبيت وحين لم يرد هم بالاتصال به ..
سمع من ينادي من خلفه فاستدار ليجد أحد العمال الذي تطوع بالقول" كامل بك غير موجود لقد غادر"
عقد مفرح حاجبيه وسأله متفاجئا" غادر!!"
رد الرجل "أجل منذ ساعتين تقريبا "
اتسعت عيني مفرح ليضيف العامل "اعتقد بأنه قد سافر عائدا للعاصمة .. حتى أني كنت اناديه لأسأله عن شيء بخصوص الطلبية التي سترسل لمطعمه فلم يلتفت لي ولم يرد حتى .. وقد بدا متعجلا"

وقف مفرح مصدوما.. فمعنى أنه قد خرج منذ ساعتين ولم يعد أو يظهر في البلدة يعني بأنه قد سافر بالفعل .. فبلع ريقه واقترب من سيارته وهو يرفع الهاتف على أذنه ليطلبه .. لكن يده تجمدت وتراجع في اللحظة الاخيرة.

ألقى مفرح بنفسه في سيارته مفكرا "أمن الممكن أن يكون كامل قد خشي من تعقيد الموضوع وهرب؟ .."

لقد كان سعيدا جدا حينما علم بمشاعر صاحبه تجاه بسمة ..كان يشعر بأنها تستحق شخصا مثل كامل .. وأحس أن تلك العاطفة التي نبتت في صدر كامل والتي غلبت عجرفته وعنجهيته قادرة على أن تكون ترياق يداوي جراح بسمة .

واندهش أيضا من نفسه أنه حينما حدثت المشكلة صباح اليوم .. ورغم خطورة ما حدث .. إلا أنه قد صدق كامل بسرعة ولم يشك فيه

للحظة بأنه قد تجاوز حدوده مع بسمة مما بشره بأن عقدته القديمة في طريقها للشفاء .
تحركت مقلتيه بحيرة شديدة ومسد على لحيته الأنيقة عدة مرات يحاول استيعاب تصرف كامل الذي عاد ليضغط على ذلك الوتر الحساس بداخله .. وسأل نفسه أمن الممكن أنه قد قلق من إبلاغ بدير للشرطة ومما يحدث في البلدة فقرر الهرب .
الهرب !.
لماذا يشعر بأنه محبط بشدة؟! .. فمن حق كامل أن يضع لنفسه الأولوية.. هل كان يعتقد بأنه قد يضحي بنفسه ويبقى فيجد الشرطة تستدعيه أو يجد نفسه طرفا في مشكلة كبيرة في القرية؟!.
"ربما لأنه غريب "
أخذ مفرح يغمغم لنفسه ليخفف من شعوره بالصدمة والإحباط وخيبة الأمل .

"كن منطقيا يا مفرح .. من حقه أن يخاف على نفسه ..ومن حقه أن يشعر بذلك بشكل أكبر من أي شخص آخر كونه غريبا وكونه مقيما وليس مواطنا .. أنت تبالغ في مثاليتك وفيما تتوقعه ممن حولك .. هل كنت تتوقع أنه غارق في حب بسمة للحد الذي يجعله يعرض نفسه للخطر أو الحرج أو الإيذاء .. بالتأكيد لا .. أنت فقط الساذج المثالي الذي تتوقع بأنك ستجد الصديق الخارق الذي لن يخذلك ابدأ.. عليك بالنضوج يا مفرح"

نكس رأسه يقاوم ذلك الاحباط الذي يسحب معنوياته إلى أسفل سافلين .. ثم التقط هاتفه بعد قليل وطلب مليكة مبادرا بالقول بحشرجة" يبدو أني سأظل ساذجا يا مليكة ولن أتغير"

صوته كان كما يأتيها من قاع بئر مظلم فسألته بقلق" هل حدث جديد؟.. فآخر ما علمته أنهم سيعقدون جلسة صلح "

غمغم بهدوء أقلقها وهو يحك جبينه بأنامله" لا جديد فقط أردت أن افضفض بهذه الجملة معك لا أكثر "

شعرت مليكة بحزنه الشديد لكنها لم تكن تعلم بما ترد في الوقت الذي سألها مفرح "كيف حال بسمة ؟"

نظرت مليكة لبسمة التي تتحرك في الغرفة الداخلية جيئة وذهابا كنمرة حبيسة في قفص وقالت" منذ أن علمت بتطور الأمر لمناوشات بين العائلتين ولتقرير المجلس العرفي وهي في حالة من القلق الشديد"

هز مفرح رأسه وقال وهو يشغل السيارة ويتحرك بها" حسنا دعواتك أنا ذاهب لأصلي العصر وأحضر الجلسة"

قالها ثم أغلق الهاتف يلقي به بإهمال على المقعد المجاور .. أما مليكة فنظرت في الهاتف بقلب مقبوض وفي ذلك البؤس الذي يلوح على وجوه الجميع مغمغمة "الطف بنا يا رب الطف بنا في قضائك وقدرك يا كريم"..

فتحت إحدى المساعدات الباب لتدخل أم هاشم التي القت بالسلام ثم اسرعت لمليكة تقول" طمئنيني يا مليكة لقد انهيت العمل وصرفت الفتيات مبكرا .."
لم تجد ما ترد به مليكة ولكن نظرت للغرفة المفتوحة حيث لا تزال بسمة تتحرك جيئة وذهابا بينما الحاجة فاطمة في الخلفية تجلس تسند رأسها على كفها وتبكي في صمت لتقول أم هاشم بصوت مخنوق "ما هذا الظلم أقسم بالله اشعر برغبة شديدة منذ الصباح في أن أذهب لبدير هذا وأضربه وأضرب كل من

سمعت بأنهم يلسّنون عليها .. إنها لا تستحق كل هذا .. لا تستحق يا مليكة"
غمغمت ملكية " لعله خير .. ما ضاقت إلا فرجت إن شاء الله "
سألتها أم هاشم بفضول" هل تعتقدي بأن كامل حين عاد من العاصمة كان ينوي على شيء؟"
سألتها مليكة بدورها" ماذا تقصدين؟"
قالت أم هاشم هامسة "أقصد بأني تفاجأت بوجوده صباح اليوم حين وصلت ووجدت المشكلة فما السبب الذي جعله يتدخل"
غمغمت مليكة بحيرة" لا أعرف "
سألتها أم هاشم بنفس الهمس" وهل تعتقدي بأنه قد شعر بأن الأمر أكبر منه وهرب"
رددت مليكة باستنكار" هرب .. ماذا تقصدين؟؟"

قالت أم هاشم موضحة " لقد خرج بعد ما حدث بحوالي ساعتين ولم يعد حتى تركت المكان .. فأين من الممكن أن يكون (ثم قالت غاضبة) أتعلمين .. لو كان قد عاد بمنتهى البرود للعاصمة رغم أنه يعلم بأنه بسببه قد طالت بسمة مشكلة وخشي على نفسه أو لم يهتم حتى .. فلا يستحق منها أن تفكر فيه لحظة واحدة فليذهب للجحيم عديم النخوة هذا "

تطلعت فيها مليكة واستعادت صوت مفرح الحزين ثم عادت تنظر لبسمة بشفقة كبيرة وهي تتوقع بأنها ستصدم بهذه المعلومة بعد أن تنتهي من هذه المحنة .. فغمغمت في سرها باستنكار وحزن شديد "هرب !!"

××××

"أريد أن اعرف لماذا اشتبكتم مع الوداية من الاساس؟ "

قالها بدير في وقفته أمام بيته وعدد من أولاد عائلة العسال مجتمعون فرد علاء ابنه بعصبية " لأنهم جاءوا ليبحثوا عنك مدعين بأنك تسيء لسمعة بسمة الوديدي"

تكلم بدير منفعلا" كان من المفروض أن تمسكوا أعصابكم لا أن تجمعوا شباب العائلة وتذهبوا إليهم للاشتباك (ونظر لعماد العسال موبخا) كيف تفعل ذلك يا عماد ؟"

قال عماد بغيظ شاعرا بالحرج من أنه يوبخه أمام الشباب الأصغر سنا "وهل كنت تطلب مني أن أتركه يمس عائلة العسال بالسوء!"

هتف بدير بغيظ " أنتم انفعلتم وبالغتم في ذلك .. اذهبوا من هنا ولا أريد أي اشتباك مع أي من الودايدة (ونظر لعماد) وأنت إن حضرت الجلسة تجلس صامتا ولا تتدخل وقد أبلغت ذلك لكل من سيحضر من جانبنا من كبار العائلة "

امتقع وجه عماد بينما هتف علاء ابنه باستنكار" لماذا يا أبي ؟"
رد عماد بلهجة متهكمة "لأنه لا يريد أن يعادي من سيناسبهم بالطبع "
سأل احمد ابن بدير الثاني قائلا باندهاش "من سيناسب من؟!"
نظر بدير لعماد شذرا فطالعه الأخير ورد بتشفي" لماذا لم تخبر أولادك بخبر رغبتك في الزواج من بسمة الوديدي؟!"
تطلع شباب عائلة العسال في عماد متفاجئين بينما قال بدير بلهجة خطرة "وهل هناك من سيجرؤ على الوقوف في وجهي؟ .. هذا زواج على سنة الله ورسوله (وتحرك مبتعدا وهو ينظر لأخيه بقرف مؤكدا) وسيتم في القريب العاجل جدا "

سأله علاء ابنه بصدمة "وهل ستترك كامل هذا الذي علّم على وجهك بهذا الشكل والله الناس سيأكلون وجوهنا !!"

قال بدير بابتسامة وهو يفتح باب سيارته "لقد هرب الجبان .. لذا لن اشغل نفسي به حاليا .. يكفي أن يعلم أهل البلدة بأنه قد هرب لأنه خائف من بدير العسال ومما يمكن أن يفعله به (ونظر لأخيه يقول آمرا) اتصل بكبار العائلة واستعجلهم لحضور الجلسة وأنا سأسبقكم إلى هناك فلا تتأخروا"

قالها وركب سيارته مبتعدا شاعرا بسعادة شديدة منذ أن علم من أحد اتباعه الذي أمره بأن يراقب بيت الجد صالح بأنه قد شاهد كامل يغادر القرية وبأنه قد تتبعه حتى خرج من المحافظة كلها ..

××××

في بيت بدير العسال قالت وجدان باكية
"أرأيت يا كاميليا إنه لا يزال مصرا على الارتباط بها .. أهان نفسه أمام الشاب الغريب ومع هذا لايزال متمسكا بها "
قالت كاميليا بدم محروق من الغيظ "لا اصدق أنه لا يزال يريدها حتى بعد ذلك الكلام عنها.. هل جن أخي!"
ابتعدت ناحية النافذة وفتحت هاتفها تطلب من ذلك الرقم الجديد عصفور وبادرته بالقول بهمس غاضب" أنت يا زفت ألم أطلب منك أن تثير اللغط حول سمعة بنت الوديدي ؟"
قال عصفور واقفا في الشارع أمام إحدى محلات دبور القريبة من المعرض الرئيسي
"حدث يا ست الكل طلبت من أمي أن تذهب للسوق وتنشر شائعات أن المعلم بدير وجدها مع الشاب الغريب في وضع غير لائق وأن هذه

ليست أول مرة وبأنه قد تدخل بشهامة
فحدثت مشاجرة بينه وبين الغريب "
اختلست كاميليا نظرة خلفها لوجدان التي تبدو
في حالة غير جيدة ثم قالت من بين أسنانها"
من الواضح أن أمك لم تنشر الخبر بما يكفي"
رد عصفور حانقا" والله يا ست كاميليا أمي
فعلت ما استطاعت أن تفعله .. فأنت تعلمين
أن هذه الأمور حساسة وإذا تتبع أحدهم قائلها
ستكون نهايتنا ونحن أناس بسطاء ولن
نستطيع الوقوف في وجوهكم يا كبراء البلدة
وتعلمين أن المعلم بدير لو علم.."
قاطعته وهي تشيح بيدها ذات الأساور الذهبية
قائلة "لماذا أنت ثرثار هكذا .. أخبرني لمَ لم ترد
عليّ إن كان الشاب الغريب لا يزال في البلدة أم
سافر؟"
حك عصفور جبينه بضيق ثم قال" أخي
الأصغر طلبت منه أن يتتبع خبره في البلدة

وحول بيته ولم يتصل بي حتى الآن سأتصل به وأرد عليك "

اغلقت الخط ووقفت تفكر وهي تقضم ظفر ابهامها ..
بقي خطوة واحدة وتدمر بسمة للأبد .. ووقتها ستكون هي الافضل في كل شيء .. ذلك الشعور يرضيها .. يشعرها بالأهمية .. ويضعها في مكانها الصحيح.
دوما ما كانت تحقد على بسمة .. فهي ابنة العائلة الكبيرة منذ صغرها .. وهي كاميليا في صغرها لم تكن ثرية ومن عائلة كبيرة مثلها .. تذكر حين كانت تسمع الحديث عن جمال بسمة الملفت وحين كانوا يقارنون بينها وبين بسمة كانوا يتبعون عبارتهم دوما بجملة أنها تنافس بسمة في جمالها لكنها ليست ثرية وعائلتها ليست من أكبر العائلات مثلها ..

فأوغر الحقد صدر كاميليا لأن بسمة الوحيدة التي كانت دوما تحظى بأفضل منها في كل شيء حتى في منافسة الجمال في عيون أهل البلدة كان حسبها ونسبها نقطة تفوق عليها ..وحينما اغتنى والدها حسبت بأنها ستشعر بالرضا أخيرا لكن ذلك لم يحدث وبقي دوما بداخلها شعور بتفوق بسمة عليها وزاده زواج الأخيرة من ذلك الشاب الثري الوسيم..

كل هذا زاد من حقدها واشعرها بأن بسمة تقف دوما عقبة في طريقها لنيل ما تستحق من مكانة في عيون الناس .

بقي خطوة بسيطة وتدمر بسمة للأبد وينتهي بها الحال زوجة ثانية أو ثالثة بدون أطفال .

رن هاتفها فأسرعت بالرد على عصفور الذي قال مؤكدا "لقد غادر البلدة يا ست الكل أخي علم بذلك وتأكد من أنه قد غادر القرية قبيل الظهيرة"

اتسعت ابتسامة كاميليا وقالت " احسنت يا عصفور.. في اقرب فرصة سأرسل لك ولأمك ما يحلي أفواهكم"

أغلقت الخط واتسعت ابتسامتها تغمغم "هرب الشاب ..خاف وهرب .. وهذا جيد (وفكرت قليلا) وماذا لو أصر بدير على الزواج منها ؟"

وعادت لتقول لنفسها " لا بأس حتى لو تزوج بسمة الوديدي فيكفي أنها ستتزوج من رجل متزوج .. وأنها ستأتي إلى بيت العسال .. وساعتها سأريها كيف ستكون الحياة في بيت العسال التي أنا من تكون سيدته .."

انتبهت لنحيب وجدان خلفها فتصنعت تعاطفا مزيفا على وجهها واستدارت تقترب منها وتجلس بجوارها على الأريكة تقول وهي تربت على ظهر زوجة اخيها" قلبي عندك يا حبيبتي والله"

xxxx

بعد العصر

دخل سليمان الوديدي المجلس في بيت العمدة ملقيا السلام على العمدة الذي يتوسط الجلسة وباقي الجالسين من كبار العائلات في البلدة .. وبحضور عائلتي الوديدي والعسال .. وبمجرد أن تقابلت عيناه مع بدير ناظره بنظرة نارية ثم لملم طرفي عباءته المعلقة على كتفيه وتحرك ليجلس على الجانب الذي يجلس فيه الودايدة وقد بدا أكثر استرخاءً وثقة عن حالته في الصباح.. بينما تطلع مفرح في مصطفى الزيني بجلبابه الأبيض الجالس في أحد الأركان يستند بمرفقيه على فخذيه ويمسك سبحته بكلتا يديه يناظر بدير بنظرات ممتعضة تجاهلها الأخير وهو يشحذ تفكيره للخروج من الأزمة بأقل خسائر ممكنة وأهمها أن يستطيع المساومة بأي طريقة للفوز بها .

دخل وليد الوديدي وبمجرد أن وقعت عيناه على بدير اندفع ليهجم عليه قائلا بغضب "هل ظهرت الآن!"

اسرع الرجال لمنعه بينما هدر العمدة بحزم "احترم الكبار يا ابن الوديدي ألا يملأ عينك الجالسون!"

قال سليمان صائحا في ابنه "اجلس يا وليد واحترم المجلس"

فتحرك الأخير وهو يجز على أسنانه ليجلس .. بينما ربت الحاج بسطاويسي على فخذ بدير مشجعا .

على الناحية الأخرى جلس مفرح شاعرا بالحزن على ما آلت إليه الأمور .. ومشفقا على بسمة .. وشاعرا بالإحباط الشديد من كامل حتى أنه لم يكن قادرا على الاتصال به لمعاتبته وحاول بكل الصور اقناع نفسه بأنه إن كان قد..

قرر النجاة بنفسه فمن حقه أن يفعلها لكنه يأخذ عليه أن فعلها دون حتى أن يخبره ..
عاد يقاوم تلك الأفكار المحبطة وقال لنفسه "ما دمت قد اخترت أن تثق يا مفرح فلا تتسرع في الحكم ربما مرض والده وأسرع إليه"
قال العمدة بصوته الواهن" ما سبب المشكلة يا حاج سليمان ؟"
تكلم سليمان بغيظ "المشكلة أن بدير العسال تفوه في حق ابنتي بكلام تطير من أجله الرقاب "

صاح بدير معترضا " لم يحدث .. هذا كذب .. وهل سأتفوه بهذا الكلام وأنا كنت من الأساس ادافع عن بنت قريتي وبسببها تلقيت ما ترونه على وجهي بعد أن شوهت لهذا الرجل وجهه! "

قال العمدة مستفهما " اخبرنا ماذا حدث بالضبط يا بدير ؟"

تكلم بدير بثقة " الذي حدث يا سادة أني كنت أمر بالصدفة البحتة صباح اليوم من أمام مكان عمل الباشمهندسة ووجدت أحد التوأمين أصحاب الباشمهندس مفرح يضايقها .. فنزلت لأحمي بنت قريتي وتشابكت مع هذا الغريب .. فكيف أكون بعد ذلك قاصدا النهش في سمعتها ؟!"

هتف سليمان مقارعا " لأنك كنت ترغب في الزواج منها وهي رفضت "

سرت الهمهمات بين الجالسين بينما رد بدير بثقة "أجل ولازلت أرغب في نسبكم يا حاج سليمان .. أنا رجل وقادر على أن افتح بيت واثنين"

سُمعت جلبة آتية من الخارج وصوت شخص يقول بصرامة "من فضلك أبلغ العمدة أني أرغب في مقابلته"

عقد العمدة حاجبيه بينما تحرك مفرح إلى الخارج ليرى ماذا يحدث قبل أن يهتف متسع العينان متفاجئا " عمي غنيم!!!"

الفصل السادس عشر

دخل سليمان الوديدي المجلس في بيت العمدة ملقيا السلام على العمدة الذي يتوسط الجلسة وباقي الجالسين من كبار العائلات في البلدة .. وبحضور عائلتي الوديدي والعسال .. وبمجرد أن تقابلت عيناه مع بدير ناظره بنظرة نارية ثم لملم طرفي عباءته المعلقة على كتفيه وتحرك ليجلس على الجانب الذي يجلس فيه الودايدة وقد بدا أكثر استرخاءً وثقة عن حالته في الصباح.. بينما تطلع مفرح في مصطفى الزيني الجالس بجلبابه الأبيض في أحد الأركان يستند بمرفقيه على فخذيه ويمسك سبحته بكلتا يديه يناظر بدير بنظرات ممتعضة تجاهلها الأخير وهو يشحذ تفكيره للخروج من الوضع المتأزم بأقل خسائر ممكنة وأهمها أن يستطيع المساومة بأي طريقة للفوز ببسمة .

دخل وليد الوديدي وبمجرد أن وقعت عيناه على بدير اندفع ليهجم عليه قائلا بغضب "هل ظهرت الآن!"

اسرع الرجال لمنعه من الاشتباك معه بينما هدر العمدة بحزم "احترم الكبار يا ابن الوديدي ألا يملأ عينك الجالسون!"

قال سليمان صائحا في ابنه "اجلس يا وليد واحترم المجلس"

تحرك الأخير وهو يجز على أسنانه ليجلس .. بينما ربت المعلم بسطاويسي على فخذ بدير مشجعا .

على الناحية الأخرى جلس مفرح شاعرا بالحزن على ما آلت إليه الأمور .. ومشفقا على بسمة .. وشاعرا بالإحباط الشديد من كامل حتى أنه لم يكن قادرا على الاتصال به لمعاتبته ..وحاول بكل الصور اقناع نفسه بأنه إن كان قد

قرر النجاة بنفسه فمن حقه أن يفعلها لكنه يأخذ عليه أن فعلها دون حتى أن يخبره ..
عاد يقاوم تلك الأفكار المحبطة وقال لنفسه "ما دمت قد اخترت أن تثق يا مفرح فلا تتسرع في الحكم ربما مرض والده وأسرع إليه"
قال العمدة بصوته الواهن" ما سبب المشكلة يا حاج سليمان ؟"
تكلم سليمان بغيظ "المشكلة أن بدير العسال تفوه في حق ابنتي بكلام تطير من أجله الرقاب "

صاح بدير معترضا " لم يحدث .. هذا كذب .. وهل سأتفوه بهذا الكلام وأنا كنت من الأساس ادافع عن بنت قريتي وبسببها تلقيت ما ترونه على وجهي بعد أن شوهت لهذا الرجل وجهه! "

قال العمدة مستفهما " اخبرنا ماذا حدث بالضبط يا بدير ؟"

تكلم بدير بثقة " الذي حدث يا سادة أني كنت أمر بالصدفة البحتة صباح اليوم من أمام مكان عمل الباشمهندسة ووجدت أحد التوأمين أصحاب الباشمهندس مفرح يضايقها .. فنزلت لأحمي بنت قريتي وتشابكت مع هذا الغريب .. فكيف أكون بعد ذلك قاصدا النهش في سمعتها ؟!"

هتف سليمان مقارعا " لأنك كنت ترغب في الزواج منها وهي رفضت "

سرت الهمهمات بين الجالسين بينما رد بدير بثقة "أجل ولازلت أرغب في نسبكم يا حاج سليمان .. أنا رجل وقادر على أن افتح بيت واثنين"

سُمعت جلبة آتية من الخارج وصوت شخص يقول بصرامة "من فضلك أبلغ العمدة أني أرغب في مقابلته"

عقد العمدة حاجبيه بينما تحرك مفرح إلى الخارج ليرى ماذا يحدث قبل أن يهتف متسع العينان متفاجئا " عمي غنيم!!!"

قال غنيم بلهجة جادة "السلام عليكم يا مفرح أريد أن أقابل العمدة من فضلك "

غمغم مفرح بحرج وهو ينظر لكامل الواقف خلفه ليفهم إن كان قد فهم سبب مجيئهم صحيحا أم لا "الحقيقة نحن حاليا.."

قال غنيم مقاطعا" أعلم بأنكم في جلسة عرفية تخص مشكلة في القرية "

قبل أن يرد مفرح ترك سليمان مقعده وذهب للباب يقول مرحبا "ما هذا يا كامل بك لماذا لم تخبرني بأنك ستأتي اليوم مع السيد الوالد غنيم بك !"

احتقن وجه بدير وتسارعت أنفاسه بغضب بينما صاح العمدة "ماذا يحدث يا مفرح؟!! "

قال مفرح وهو لا يزال متفاجئا "غنيم بك وكامل يريدان رؤيتك على وجه السرعة يا عمدة "

من عند الباب قال سليمان قبل حتى أن يرد العمدة " تفضلا ..تفضلا لا يصح أن تقفا هكذا على الباب "

تطلع فيه مفرح مذهولا أن يدعوه لدخول مجلس عرفي يخص أمر من أمور البلدة .. وازداد ذهوله وهو يرى سليمان يتصرف بهدوء وبدون تفاجؤ أو تساؤل.

دخل غنيم يلقي السلام واخترق المجلس مادا يده للعمدة الذي رحب به بينما تبادل كامل النظرات النارية مع بدير يتحكم في أعصابه بقوة ثم تحرك وهو يجز على اسنانه متقبضا ليجلس هو ووالده بجوار مصطفى الزيني الذي استقبلهما بترحيب حار.. بينما عاد سليمان لمكانه يجلس شامخا بأنفه .

تكلم غنيم بوقار " أنا آسف لحضوري بدون موعد وتطفلي على مجلسكم الكريم .. لكني علمت من أصهاري هنا في قريتكم أنكم تناقشون مشكلة وأن اسم ابني يتردد فيها .. فأحضرته بنفسي أمامكم لأعرف ماذا فعل .. وإن ثبت تجاوزه في أي شيء يمس احترامه للقرية وأهلها أنا بنفسي من سأعاقبه .. فنحن أناس لا نقبل بالخطأ أبدا ولا نرغب في أن تكون سيرتنا هنا في القرية يشوبها أي شائبة أولا للصداقة التي تربط ولداي بمفرح الزيني وثانيا لأننا لنا اصهارا هنا في القرية كما علمتم "

غمغم سليمان مجاملا " حاشا لله يا غنيم بك أنتم ونعم الناس والله "

قال العمدة "أنرتنا يا غنيم بك"

تكلم كامل بصوته الرخيم يسأل بهدوء ظاهري يداري رغبة لم تهدأ بعد لقتل بدير "هل لي أن أعرف ما هي التهمة الموجهة لي؟"

رد العمدة "بدير العسال يقول بأنك كنت تتعرض بالسوء لابنة الوديدي وأنه قد تدخل لإبعادك عنها فاشتبكتما"

جف حلق بدير وهو يناظر كامل بنظرات قلقة بينما توترت ملامح مفرح وناظر كامل بحدة ليمنعه من التفوه بأمر تهجم بدير على بسمة حفاظا على سمعتها لكن الأخير كان يناظر بدير وعيناه تقذفان شررا فسقط قلب مفرح بين قدميه مرتعبا من أن يتحدث كامل بغباء ويشرح ما حدث بصدق فيتسبب في فضيحة أخرى لها فحتى لو كانت هي المجني عليها فضيحة كهذه من الممكن أن يستغلها بدير بطلب يدها للاعتذار عما صدر منه في حقها .

تكلم كامل بلهجة هادئة " هذا صحيح " سرت الهمهمات بين الحضور بينما اتسعت عيني مفرح فهب وليد يهم بالانقضاض عليه قائلا " ماذا تقول أنت !!"

اسرع مفرح الأقرب إليه في الجلسة بالإمساك به قائلا "انتظر لنفهم "
في الوقت الذي ناظر سليمان ولده بما يعني (ألم أطلب منك قبل الحضور أن تخرس طوال الجلسة) .
أوضح كامل وهو يناظر بدير بتحدٍ أن يكذبه "هذا صحيح أني كنت أقف مع الباشمهندسة .. وأن هذا الرجل قد تدخل علينا "
علت الهمهمات مرة أخرى بينما ناظره بدير بنارية يحاول فهم المغزى من التصديق على كذبته.. في الوقت الذي تبادل مصطفى ومفرح النظرات عبر القاعة ليقول العمدة "وهل كنت تضايق الباشمهندسة ؟"
رد كامل بصوته الرخيم وبلهجة قاطعة "هذا لم يحدث أبدا .. أنا كنت اسلمها مفتاح البيت لأني كنت عائدا إلى العاصمة"

هتف بدير " هذا كذب .. أنت كنت تضايقها وهي كانت تحاول الفرار منك"
اسرع مفرح بالتدخل وقد التقط أخيرا طرف الخيط فقال بحزم " هذا غير صحيح .. أنا سألت ابنة خالي مستفهما عما حدث وأخبرتني بأنه لم يحدث أن ضايقها كامل أبدا"
تلجلج بدير وقال " ربما هي متحرجة من قول الحقيقة"
تكلم كامل بثبات "كلامك يا هذا غريب جدا .. كيف سأضايق امرأة طلبتها للزواج من والدها!"
علت الهمهمات المتفاجئة في القاعة فناظر وليد والده باندهاش بينما بلع مفرح ريقه الجاف ولاحت في الوقت نفسه ابتسامة رضا على جانب فم مصطفى وحرك السبحة بهدوء.
أضاف كامل مؤكدا " أجل أنا طلبت من مفرح أن يتوسط لي عند الحاج سليمان لأطلب

الباشمهندسة للزواج .. وقد قابلنا الحاج سليمان مساء أمس في مزرعة المواشي وأبلغته برغبتي في تحديد موعد لحضور والدي معي للزيارة في حالة الموافقة المبدئية على طلبي ووعدني بالرد عليّ في أقرب وقت ممكن "
قال مفرح بحشرجة وهو يشعر براحة شديدة" حدث ذلك فعلا "
أضاف كامل مستنكرا" إذن كيف سأحاول مضايقتها في اليوم التالي؟.. ولماذا ؟هل أبدو أمامكم شابا عابثا .. من يريد العبث لن يدخل البيوت من أبوابها .. ولن ألهو مع قريبة صاحبي ولا مع ابنة عائلة كبيرة كعائلة الوديدي !!.. (وحدج بدير بجانب عينه مضيفا بلهجة ذات مغزى) وحتى لا يحاول أحد ليّ ذراع الحقيقة أو ادعاء أي شيء كاذب يخص سمعة الباشمهندسة أنا لن أطلب يد امرأة للزواج

لتحمل اسم عائلتي وهي تسمح لي بالعبث معها .. وأعتقد بأنكم تعرفون ابنة بلدتكم جيدا "
سرت همهمات جانبية تقول "الباشمهندسة ونعم الاخلاق والأدب "
اضاف كامل " ما حدث بالضبط أني بعد انتهاء زيارتي للحاج سليمان ليلة أمس نبهني مفرح لأن وجودي في بيت الحاج صالح بات غير لائق من الآن فصاعدا وأن عليّ أن أترك البيت فورا فنفذت ذلك منعا لأي حرج قد يسببه وجودي"
تدخل سليمان قائلا بلهجة استعراضية وهو يعتدل في جلسته بخيلاء " للأسف لم تتح لي الفرصة بعد لإخبار الباشمهندسة .. فكما قلت أنت كان ذلك مساء أمس وكنت أنوي أن افاتحها في الأمر اليوم لولا ما حدث"
ناظر مفرح خاله مدققا وتأكد من أن حضور كامل مع والده جاء باتفاق مع خاله والدليل

معرفة كامل بمكان تواجد الجلسة .. وفهم لماذا بدا خاله منذ بداية الجلسة أكثر استرخاء عما كان عليه قبل ساعات.

قال كامل يكمل حديثه" أنا جمعت حاجياتي من البيت صباح اليوم وبمجرد أن حضرت الباشمهندسة ناديتها ودخلت لساحة المشروع ببوابتها المفتوحة استعدادا لاستقبال العاملات لأعطيها المفتاح لأني كنت في عجلة من أمري أي أننا تقريبا كنا نقف في الشارع .. فإذا بي اتفاجأ بهذا الرجل يهجم عليّ ويتفوه بعبارات تمس الباشمهندسة.. فلم أشعر بنفسي إلا وأنا احطم وجهه واعتقد أن أي شخص أخر في مكاني كان سيفعل بالمثل ..وقد جاء مفرح وحضر جزء من المشاجرة وسمع بنفسه ما قال هذا الرجل عنها دون وجه حق " أجلى مفرح صوته وقال "هذا ما حدث بالفعل .. فقد كنت في زيارة لمزرعة العمدة فإذا بي

اتفاجأ بالمشاجرة ووقتها المعلم بدير تفوه ببعض الكلمات في حق ابنة خالي ولولا حالة كامل الذي كاد أن يقتله لكنت أنا من سيرد عليه بنفس الطريقة "

هتف بدير باستنكار وقد لاحظ النظرات المستهجنة له مِن مَن حوله " أنا لم أقل أي شيء يخص سمعة الباشمهندسة"

هدر مفرح باستهجان " هل تكذبني؟؟!!"

أسرع بدير بالقول مصححا " لا لم أقصد ولكن قصدت أنك ربما فهمت كلامي بشكل خاطئ ولا تنسى بأن رأسي كانت مصابة"

وأشار لكدمة على جبهته موضع رأس كامل عليها بينما اندفع وليد يقول بغل" والناس الذين اطلقتهم ليتحدثوا بكلام غير لائق عنها"

هتف بدير بعينين متسعتين مكذبا " أنا؟!!! .. لم يحدث أبدا "

قال وليد مقارعا " هناك شهود على ذلك وهم بالخارج الآن "

أشار العمدة قائلا " ادخلهم يا وليد"

استقام وليد وخرج وسط همهمات جانبية بينما نظر بدير لبسطاويسي بجواره .. فطمأنه الأخير بنظرة من عينيه .

في نفس الوقت تبادل كامل المتجهم الوجه النظرات مع مفرح الذي شعر براحة شديدة وبرغبة قوية في ضرب صاحبه علقة ساخنة في الوقت نفسه .

دخل رجلان بدا عليهما البساطة والخوف ليسأل العمدة مدققا "ألستما أولاد عبد العال سند؟"

أومأ كلاهما ليسألهما " هل طلب منكما المعلم بدير التحدث في أي شيء يخص بنت الوديدي أو مشاجرته مع الاستاذ كامل ؟"

اختلسا نظرة مرتعبة لبدير ثم قال أحدهما "لا لم يحدث أن طلب منا الحاج بدير أي شيء"
هدر وليد منفعلا "لقد غيرتما كلامكما!!"
قال الثاني" كنا خائفين من أن تؤذينا لا أكثر يا استاذ وليد "
قال وليد بإصرار" لكن هناك شهود بأنكما قد قلتما للناس عن المشاجرة التي حدثت اليوم"
تكلم الأول مستهبلا وهو يتحاشى النظر في عينيه " الذي حدث أننا علمنا بأمر المشاجرة فحكينا لبعض الناس أن الحاج بدير قد تشاجر مع أحد الشابين الغريبين ..واعتدى عليه بالضرب .. لكن الحاج بدير لم يطلب منا ذلك "

أمسك وليد بتلابيبهما بغيظ فتدخل مفرح مخلصا "اتركهما يا وليد "
تركهم وليد على مضض ليأمرهما مفرح بالذهاب فأسرعا بالخروج بسرعة بينما وقف

وليد يناظر بدير بنظرات نارية.. ولم يستطع السيطرة على أعصابه فهم بالانقضاض عليه قائلا من بين اسنانه " أمرتهما بأن يغيرا شهادتهما أيها الوقح "

تدخل مفرح يمنعه بينما هدر العمدة بلهجة حازمة " اخرج هذا الولد الذي لا يحترم الكبار خارج المجلس يا مفرح "

ناظر مفرح وليد بنظرة ناهرة فتحرك الأخير يعدل ملابسه بعصبية ويترك المجلس منصاعا لأوامر حماه .

لم يكن وليد وحده الذي يتفتت من الغضب بل كامل أيضا كان يمنع نفسه من الانفعال حتى لا يفسد الأمر ..

أما عماد العسال فابتسم ابتسامة شامتة في سره وهو يرى فشل بدير وخسارته أمام الشاب الغريب وبأنه لن يحصل على مبتغاه بالزواج ممن يريدها .. بينما تأمل غنيم ابنه المتقبض

بقوة يطحن ضروسه غير مصدق ما حدث وجعله يأتي إلى القرية على وجه السرعة .

قبل عدة ساعات

قال غنيم باندهاش في جلسته في غرفة مكتبه في الفيلا" أنا لا أفهم يا كامل كيف سنذهب فورا لطلب امرأة للزواج هكذا فجأة دون سابق انذار !!"

قال كامل بحنق " ما الذي قلته يا أبي غير مفهوما .. لقد أخبرتك بكل شيء .. بأني متعلق بها .. وبأني كنت أقاوم هذا التعلق لأنها قد سبق لها الزواج .. وبأني قد غيرت رأيي واستسلمت لمشاعري وعدت لأفاتح مفرح في الأمر فحدث الموقف الذي حدث صباح اليوم من ذلك الرجل الحقير وهذا ما يتعجلني لضرورة طلبها للزواج اليوم فلن اسمح لأي كلب بتلويث سمعتها أو الافتراء عليها "

قال غنيم وهو يحاول الاستيعاب" أمور الزواج لا تتم بهذه العجلة يا كامل بالتأكيد مفرح سيتصرف وسيتم حل مشكلة قريبته "
قال كامل بإصرار " قلت لك يا أبي هؤلاء ريفيون وهي وضعها كمطلقة حساس جدا .. والرجل استغل ذلك لترويج شائعة بوجود شيء بيني وبينها وما فهمته أن حدثت مشاجرة بين العائلتين .. وأخشى أن تُجبر بسمة على الزواج أو تُضر بأي شكل من الاشكال .. ووجدت بأن تدخلي بحضورك سيعطي لطلبي جدية وثقل .. كما أن هذا الحدث سيمس بالتأكيد شامل "
ضيق غنيم عينيه وتطلع في شامل الواقف عند باب الغرفة عاقدا ذراعيه تعلو الجدية وجهه ثم عاد يسأل كامل مستفهما " سيؤثر على موقف شامل !"

أكد له كامل " أجل يا أبي فأي شيء سيطال سمعتي قد يتخذها حماه حجة لعدم اتمام الزيجة "

قال غنيم مفكرا " لكن ماذا لو قوبل طلبنا بالرفض ؟"

هز كامل رأسه وقال معترفا " هذا وارد لأني أعلم بأن بسمة عازفة عن الزواج وغير متأكد من مدى تقبلها لي.. لكني مضطر للمغامرة والحضور معك حتى أثبت حسن نيتي إن كان هذا الرجل ينوي أن يلعب اللعبة بقذارة "

هز غنيم كتفيه يحاول تفنيد الوضع وسأل ابنه "وما دخل طلبك هذا بتصحيح صورتها أمام الناس بعد ما حدث ؟"

مرر كامل أصابعه في شعره قائلا بحيرة وعجز " أنا لا أعلم كيف سيحل الأمر ..لكني اشعر بأن بسمة في كرب شديد وأريد أن أثبت للجميع في حالة أن قام هذا الرجل بتشويه سمعتها بأني

جاد .. أنا بكل صدق لا أملك خطة واضحة لكني أحتاج لوجودك ولدعمك بشدة يا أبي "

صمت غنيم وأطرق برأسه قليلا بينما تبادل كامل وشامل النظرات ليعود غنيم ليسأله "وهل فكرت جيدا في مسألة الزواج من امرأة سبق لها الزواج؟"

تقبض كامل ورد بوضوح "أجل يا أبي "

تدخل شامل فجأة يقول بلهجة ذات مغزى " كامل .. عليك بإخباره بالمعلومات كلها كاملة عن بسمة"

ناظرهما غنيم عاقدا حاجبيه فأغمض كامل عينيه وجز على أسنانه متقبضا قبل أن يفتحها ويقول بحشرجة متألمة "بسمة طليقة شخص نعرفه"

ضيق غنيم عينيه.. فتكلم شامل بدلا من أخيه "بسمة طليقة سيد صبرة يا أبي"

صمت غنيم قليلا ليستوعب ثم قال بعبوس
"سيد صبرة؟ ..ذلك الرجل ربيب عائلة سماحة!!"
غمغم شامل مؤكدا "أجل هو"
هتف غنيم بسرعة " أنا لا أوافق"
صاح كامل معترضا "لماذا !!"
رد غنيم هادرا " لحساسية الأمر مع أصهارنا"
قال كامل مقارعا " ليسوا بأصهارنا يا أبي"
قال الرجل العجوز بإصرار " بل اصهارنا وأنت تعرف بأن بانة كابنة لي ..وبالتالي الأمر سيكون حساسا بين العائلتين .. ألم تجد فتاة لتحبها إلا هذه!! "
تكلم كامل بلهجة متألمة "صدقني حاولت وفشلت ..سأحكي لك في طريقنا للقرية كيف أنني حاولت باستماتة وفشلت"
قال غنيم بلهجة قاطعة "أنا لن أذهب إلى أي مكان وهذا الأمر مرفوض "

زمجر كامل غاضبا وضرب المنضدة بقدمه بعصبية فانزلقت إحدى المزهريات الثمينة من فوقها مهشمة ثم استدار لضرب الحائط بقبضته .

تبادل غنيم النظرات مع شامل ثم صاح بحزم "اخرج وحطم ما تريد خارج مكتبي هيا ..فلتضرب رأسك حتى في كل الحوائط .."

عاد كامل يقول بتذلل ليس من شيمته فاجأ غنيم "أرجوك يا أبي أنا أحتاجك معي لأثبت جديتي أمام كل الناس برغبتي في الزواج منها وأني لست أصحح موقفا .. لابد أن يرد اعتبارها فورا فهي لا تستحق ما يحدث معها .. وأخشى من أن تجبر على الزواج بأخر ويفوت الأوان"

حاول غنيم مخاطبة عقل ابنه قائلا " اسمع يا كامل .. أنا لا أنكر أني متفاجئ من تمسكك بفتاة أخيرا بعد كل هذا العمر وبهذا الشكل الغريب.. لكن هذه الزيجة بها حساسيات كبيرة يا بني"

هتف كامل بقوة "لماذا لا تفهمني يا أبي!"
قالها واندفع يخرج فعقد شامل حاجبيه
متسائلا إلى أين ذهب ثم قال لوالده بهدوء
"كامل متعلق بها بشدة يا أبي .. وبذل مجهودا
كبيرا لينساها لكنه فشل .. ألا تخبرك حالته
بجديته ؟.. أنا أقولها لك كامل لن يستطيع أن
يخرجها من رأسه ..إنها كلعنة أصابته رغما
عنه.. تصور أن يتخلى عن عنجهيته وأفكاره
المتحجرة ويقرر الزواج منها وقد سبق لها
الزواج ومن شخص هو يعرفه ..بالتأكيد لن
يضع كامل نفسه في موقف حساس كهذا من
أجل مشاعر عابرة أو نزوة "
أطرق غنيم رأسه في حيرة فأضاف شامل "إنه
ليس شامل فستعتقدون بأنه يفعل ذلك
بسبب رقة قلبه .. إنه كامل يا أبي .. أليس هذا
كافيا ليثبت لك أن الأمر بالنسبة له حياة أو
موت! "

اندفع كامل عائدا كالإعصار يدخل الغرفة .. فتطلعت فيه أنظار أخيه ووالده وهو يقترب من الأخير ويناوله جواز سفره قائلا" هذا هو" عقد غنيم حاجبيه وسأله "ماذا تقصد؟" أسند يديه إلى خصره وقال وهو يلهث بانفعال " ألم تكن ترغب في عدم سفري.. هذه هي تأشيرة السفر خذها ومزقها بيدك ولن أسافر سأظل هنا أو في أي مكان تطلب مني أن أبقى فيه في مقابل شيء واحد أن تأتي معي لتدعمني لأرد الاعتبار لبسمة "

اتسعت عيني غنيم متفاجئا وغير مستوعب لأن يتخلى كامل عن التأشيرة ويساومه في البقاء.. فنظر إلى شامل و عاد ينظر لولده ثم للتأشيرة في يده بذهول .

في الجلسة العرفية قال العمدة لينهيها "أعتقد بأنك قد أخطأت في تقدير الموقف يا معلم

بدير فلا يوجد دليل على ما تصورته وبسؤال بسمة نفسها كما ذكر مفرح أنكرت ما تدعيه " بذهول تطلع بدير في العمدة ولم يلهمه عقله برد مناسب فأسرع بسطاويسي بالتدخل قائلا بابتسامة لزجة "ربما اختلط عليه الأمر يا عمدتنا ..هذه الأمور تحدث احيانا أن يخطئ الفرد منا الفهم وهذا إن دل فيدل على نخوة ورجولة ابن عمي"

تحكم كامل في اعصابه بشدة حتى لا يتهور بينما تكلم العمدة قائلا "حسنا فلنكتفي بهذا .. فأنا أرى أن بدير قد أخطأ الفهم وأن كامل كانت ردة فعله طبيعية ترتب عليها كل ما حدث بعد ذلك .. لذا نكتفي بما حدث ولا مزيد من الاحتكاك بين الطرفين فلم يثبت سوء نية مبيّتة من أي طرف تجاه الأخر "

هتف بدير صارخا " وأين حقي؟؟... لقد تم التعدي عليّ يا عمدة !"
شده بسطاويسي حتى لا يتهور ويعادي العمدة بينما ناظره الأخير بغيظ .. ليتنحنح مصطفى الزيني ويتدخل قائلا بلهجة هادئة حازمة " من بعد إذن العمدة .. (ونظر لبدير يقول) لو أصريت على أن لك حق يا معلم بدير .. فالحاج سليمان يحق له بأن يطالبك بحق ابنته التي لم تتروى قبل أن تتهور وتتسبب لها في كل ما حدث اليوم مما جعل اسمها على كل الألسنة .. "

على الرغم من امتعاض العمدة لتدخل مصطفى لكن ما قاله كان مفحما لبدير الذي استقام غاضبا وتحرك منفعلا .. فتحرك خلفه كل آل العسال مغادرين .. بينما قال سليمان بابتسامة متسعة " أنرتنا يا غنيم بك .. لولا الظرف الحالي لكنا فرشنا الأرض بالورد لاستقبالك "

غمغم غنيم بهدوء" بنوركم يا حاج سليمان"
قال سليمان بحبور " أنت ضيف الودايدة الليلة"
رد غنيم بهدوء " سنزوركم بالتأكيد حينما ترد على طلبنا بالموافقة يا حاج سليمان .. وأنا أكرر طلب ابني أمام كبار رجال العائلات بأنه يشرفنا مصاهرتكم"
قرأ سليمان العيون المبهورة من حوله ثم اعتدل بزهو يقول بابتسامة عريضة" ونحن أيضا يشرفنا مصاهرتكم يا غنيم بك.. لكن كما تعلم عليّ أن أسأل العروس أولا فأنا كما أوضحت سابقا لم أجد الفرصة لمفاتحتها بعد والباشمهندسة ابنتي لا تعرف عن طلب كامل بك شيئا حتى الآن "
استقام غنيم واقفا يقول "إذن سأنتظر منك ردا "

اعترض العمدة قائلا "إلى أين يا غنيم بك هذا لا يصح أنت ضيفنا الليلة !"
قال غنيم بابتسامة "دائما عامر يا حاج عبد الرحيم .. لكن لا تؤاخذوننا فلدينا مواعيدا مهمة في العاصمة لا نستطيع إلغائها "
قالها وتحرك مغادرا بعد أن سلم على الموجودين .. فتبعه كامل ومفرح بينما اعتدل سليمان في جلسته يناظر الجالسين بخيلاء وابتسامة عريضة قائلا " فاجأني والله بحضوره "

في الخارج أمام بيت العمدة ساعد كامل والده على ركوب السيارة ثم وقف مع مفرح الذي قال له منفعلا بتوبيخ "ما دمت قد اتخذت القرار لماذا لم تخبرني؟.. لماذا تركتني أعاني الظنون؟.. ماذا لو كنت قد تصرفت بشكل قد يساء فهمه .. أنت تعرف بأن الوضع حساس هنا وكل كلمة لها رد فعل "

رد كامل بهدوء " أنا شعرت بأني لابد أن أقوم بالخطوة كرد اعتبار لبسمة .. ولم ارغب في اخبارك حتى لا تعترض أو تعلق آمالا وأفشل أنا في اقناع أبي .. والحقيقة (واختلس النظر لولده الجالس في السيارة ثم أكمل) كنت غير متأكد من موافقته على القدوم معي بهذه السرعة .. واتصلت بالحاج سليمان وأنا في طريقي إلى هنا وأوضحت له ما حدث .. وبأني قد طلبت منك أن تتوسط لي في التقدم للزواج من بسمة وأخبرته بأني قادم مع أبي .. فأخبرني بأنكم ستجتمعون هنا وأن عليّ أن أدعي عدم معرفته بقدومنا .. واتفقنا على ماذا سأقول بالضبط للرد على بدير "

غمغم مفرح من بين اسنانه" خالي !"

قال كامل وهو يربت على كتفه متعجلا "أنت لا تعلم بم ضحيت من أجل أن يوافق أبي على

المجيء .. سأحكي لك كل شيء بالتفصيل لكني لابد أن أعود للعاصمة فأبي لم يحضر أدويته .. (ثم سأله بقلق) ألا توجد أي أخبار عن بسمة طمئني يا مفرح؟"

رد مفرح بهدوء " الوضع مازال متأزما لكننا قطعنا شوطا لا بأس به .. يكفي تبرئتها من أي لغط أمام الناس .. سيبقى فقط تابعات ما حدث نفسيا عليها .. ورد فعل خالي على كل ما حدث "

قال كامل بلهجة مترجية " بالله عليك يا مفرح طمئني عليها (ثم أطرق برأسه يضيف) كنت أتمنى أن توافق على طلبي وهي ليست مضطرة .. وأن يتم الأمر بيننا بشكل تدريجي وليس بهذا الشكل لكن قدر الله وما شاء فعل"

ربت مفرح على كتفه ثم ناظره بامتنان قائلا "سواء قبلت بسمة أو رفضت شكرا لك يا كامل

لأنك لم تخذلني وكنت رجلا بمعنى الكلمة وليس مجرد صديق"

عاد كامل للتربيت على ذراع صاحبه ثم تحرك مسرعا ليتخذ مكانه أمام عجلة القيادة ومال يقبل كتف والده قائلا بلهجة متأثرة فاجأت غنيم " لا حرمني الله منك يا أبي أنا لن أنس لك هذا الموقف أبدا بأنك وثقت بي وفي قراري ..وكبرتني أمام الناس رغم تحفظك على الزيجة "

غمغم غنيم بهدوء " لهذا أرجو أن يكون هذا الاختيار يستحق كل هذه المشقة يا كامل"

قال كامل بثقة فاجأته قبل أن تفاجئ والده "يستحق يا أبي إن شاء الله ستجد بأنه يستحق"

زفر غنيم وقال "هيا أسرع بالعودة ..وليرحمني الله مقدما من سوسو .. فبالتأكيد شامل قد أخبرها وهي في انتظارنا الآن على باب الفيلا

(ونظر في هاتفه ثم قال مرتعبا) خاصة وأنها لم تتصل ولم تنفجر فينا حتى الآن .. فأشعر بأن عقابنا سيكون أسوأ من مجرد انفجارات عاطفية ومناحات بكائية وتهديد ووعيد "

ابتسم كامل ..فأضاف غنيم مازحا " أنا شخصيا سأقول بأني قد جئت معك تحت تهديد السلاح وسأتركك في وجه المدفع أقصد في وجه مدافع الهاون "

اتسعت ابتسامة كامل ومال على كتف والده يقبله مرة أخرى وكل منهما يداري خوفه خلف تلك الابتسامة ..

فكامل رغم شعوره بالثقة في هذه الخطوة التي كان قد قررها مسبقا لكن ما حدث له من انفلات اعصاب صباح اليوم يقلقه بشدة مما كان يخشاه ألا وهو الوقوع فريسة لنار الغيرة بسهولة .

أما غنيم فظل يناظر ولده كما كان يفعل طوال الطريق قادما من العاصمة ويقارن حالته قبل وبعد الزيارة .. وتذكر حالته الصادمة صباح اليوم و تخليه عن فكرة السفر مقابل انقاذ هذه البنت .. وتساءل هل من الممكن أن تنجح هذه الـ بسمة في ربط كامل بالبلد وتخليه نهائيا عن فكرة الهجرة لبلاد الغرب؟

xxxx

نظرت بسمة لهاتفها الذي يضيء باسم الدكتور مهاب ثم تجاهلته وأخذت تتحرك في الغرفة جيئة وذهابا منتظرة انتهاء الجلسة العرفية لتعلم مصيرها ..

اقتربت مليكة لتجلس على الأريكة بينما وقفت أم هاشم على باب الغرفة لتسألها الأولى "من يتصل بك ؟"

غمغمت بسمة بصوت مبحوح "الدكتور مهاب"

سألتها مليكة "لماذا لم تجيبي؟"
ردت بسمة بحشرجة "لا أريد أن أفعل أي شيء يا مليكة (وسخرت بمرارة) تخيلي أن أجد نفسي فجأة مصيري وسمعتي في يد أهل البلدة "!!
تبادلت مليكة النظرات الصامتة مع أم هاشم بينما استمرت بسمة في تحركها بعصبية في الغرفة .
هذه البقعة على وجه الأرض باتت تخنقها ..تنتابها نفس المشاعر التي انتابتها قبيل تقدم سيد للزواج منها ..ألا وهي الرغبة في الهرب..
الرغبة في الابتعاد عن أي شخص تعرفه..
الرغبة في العيش في مكان أكثر براحا..
إنها تشعر بأن القرية تضيق بها ..
بل العالم يضيق بها ..
توقفت فجأة وغمغمت باختناق" أشعر برغبة قوية في الهرب .. أرغب في أن أخرج حالا وابتعد

.. أبتعد بعيدا .. إلى البراح الواسع .. أريد أن اعيش وسط أناس لا أعرفهم ولا يعرفونني ..أن أتنفس .. أنا أريد أن أتنفس يا مليكة .. أريد أن أتنفس يا أم هاشم .. أشعر بأن أنظار الناس لي في كل تحركاتي جاثمة فوق صدري.. "

قالت مليكة بهدوء مواسية " اهدئي يا بسمة والله ما ضاقت إلا فرجت ..وأنا أكيدة بأنه سيرد إليك اعتبارك"

صوت استلام رسالة جعل بسمة تتوقف عن الحركة وتلتقط الهاتف قبل أن تفتح الرسالة وتتسع عيناها فسألتها أم هاشم "ماذا حدث؟"

قرأت بسمة الرسالة بصوت مسموع " أجدد طلبي مرة أخرى يا باشمهندسة فأنا لازلت أطلب الزواج منك فكري جيدا لقد تحدثت مع الحاج سليمان أيضا منذ قليل وأتمنى أن تعطيني فرصة (ثم أضافت بحشرجة) الدكتور مهاب طلب يدي من أبي "

اتسعت عيني مليكة بمفاجأة بينما قالت أم هاشم عاقدة حاجبيها "مهاب؟ .. الطبيب البيطري؟"

تكلمت مليكة مشجعة في محاولة منها للتخفيف من وقع خبر اختفاء كامل الذي لم تنتبه له بسمة بعد ربما بسبب انهيار العالم من حولها فجأة "أنا أرى أن تفكري فيه بجدية يا بسمة .. الرجل أعزب ومتعلم وعلى قدر من الثقافة وكما ترين ربما أجبرك والدك على الزواج"

قالت بسمة بصوت مخنوق بالبكاء "ولماذا أجبر لماذا!! .. مهاب لا أشعر معه بأي شعور حتى شعوري بالإعجاب الذي كنت اشعر به مع سيد لا اشعر به مع مهاب .. لماذا عليّ أن اتزوج من شخص لست منجذبة له لمجرد أنه قد سبق لي الزواج لماذا !"

اطرقت أم هاشم برأسها بينما قالت مليكة بإصرار حازم " أرى أن تعطي لنفسك فرصة لتجلسي مع مهاب جلسة واحدة لربما شعرت بالراحة "

هتفت بسمة باستنكار " تقولين هذا وأنت تعلمين كل شيء يا مليكة !!"

أطرقت مليكة برأسها بحيرة دون رد بينما غمغمت أم هاشم "فكري بطريقة عملية يا بسمة ..فليس كل من يحب انسان يستطيع الارتباط به .. إنها أقدار ولا تعلمين ربما لو كنت اقترنت بمن تحبين كنت فشلت في اسعاده"

قالت بسمة بحدة " ومن قال بأني انتظر الزواج من شخص معين .. فمن تقصدونه أنا غاضبة منه ..غاضبة بشدة"

نظرت مليكة لأم هاشم ثم سألتها" لماذا يا بسمة؟"

صرخت بسمة بانهيار وكأن سيرته قد ضغطت
على زر انفجارها " لأنه السبب فيما حدث ..
لأنه السبب أن انهار كل شيء في لحظة .. لقد
انضم للبقية المصرين على تحطيمي ..
(وناظرتهما بمقلتين رماديتين من الغضب تقول
) الكل يتفنن في إيذاء بسمة .. أريد أن أهرب
أريد ترك القرية والبلد كلها أريد ألا أرى بشرا ..
كلهم متآمرون ويرغبون في إيذائي "
قالتها وتحركت فجأة تتجاوز أم هاشم
وانطلقت تخرج من باب الغرفة مسرعة ..
فتبادلت مليكة وأم هاشم النظرات الفزعة قبل
أن تنطلقا خلفها فتصيح أم هاشم" إلى أين يا
بسمة أنت بدون غطاء للرأس"
اندفعت بسمة تخرج من بوابة البيت .. بحاجة
للتنفس .. بحاجة للهرب لكنها تجمدت بمجرد
أن خطت خطوتين حينما سمعت من يقول

من خلفها "إلى أين أنت ذاهبة يا خاطفة الرجال !"

استدارت بسمة ببطء ونظرت لامرأة تقف أمامها ثم تبادلت النظرات مع أم هاشم ومليكة اللتين لم يقلا عنها اندهاشا لتقول المرأة " ألأنك جميلة تكونين بلا ضمير بلا أخلاق وتعيشين على خطف الرجال من حولك "

سألتها بسمة بذهول متحشرج "هل تتحدثين عني !"

هتفت المرأة بغل "أجل أنت بسمة خاطفة رجال القرية "

سألتها بسمة بحدة" من أنت؟!"

تدخلت أم هاشم تقول بهجوم " ما هذا التخريف يا أم علاء؟!!"

ناظرتها بسمة بنظرة ذاهلة متسائلة "من أم علاء؟"

ردت وجدان بحدة " أنا زوجة بدير العسال .. الذي تمارسين عليه سحرك لتخطفيه مني ومن بيته وأولاده.. ألم يكفيك الشاب الغريب .. أم أنك كنت تلعبينها بمهارة ليتدخل بدير وتورطيه في زيجة .. "

تسمرت بسمة شاعرة بالذهول مما تسمع بينما اندفعت أم هاشم نحوها بحمائية تدفعها للخلف قائلة "هل أنت مجنونة يا امرأة .. عجيب والله أمرك أو كما يقول المثل الشعبي (لم يقدر على الحمار فقدر على البردعة) اذهبي وابعدي زوجك أنت عنها"
اسرعت مليكة بالإمساك بأم هاشم التي ناظرتها وجدان بنظرة سريعة غير عابئة ثم عادت تقول لبسمة الواقفة مكانها وكأنها صنم متسع العينان " ما أنت ؟؟.. صدقا ما أنت؟ .. أ لأن الله قد منحك بعضا من الجمال تتصرفين

برعونة وأنانية واستهتار. تنفصلين عن هذا وتبحثين عن غيره .."

اندفعت أم هاشم تقول وهي تحاول التخلص من مليكة "زوجك يا امرأة هو من يطاردها.. لماذا تلوي ذراع الحقيقة ..اتركيني يا مليكة هذا أغرب شيء سمعته والله "

تدخلت مليكة مستمرة في تحجيم أم هاشم" اسكتي يا أم هاشم (ونظرت لوجدان تقول بلهجة حازمة) وتفضلي أنت من هنا من فضلك فلا يصح ما تقولينه أبدا عيب عليك "

تجاهلتها وجدان.. لم تلتفت إليها حتى .. بل كانت في حالة من التشوش الذهني والضغط النفسي وهي تنتظر أن تنتهي الجلسة التي تشعر بأنها ستنتهي بمصيبة فوق رأسها فصرخت في بسمة فجأة " كنا مرتاحين منك حينما ذهبت للعاصمة ..كنا سعداء باختفائك

.. لماذا عدت ها؟ .. لم يعجبك الزوج الأول فقررت العودة للبحث عن واحد أخر أغنى منه لتسلبين عقله؟! .. كم رجل تنوين سلب عقله ها! .. يبدو أن هذا يشعرك بالسعادة حينما يجتمع الرجال من حولك منبهرين بجمالك .. ألم يخلق الله أحدا في جمالك لتتلوني كالأفعى على هذا وذاك "

حاولت أم هاشم التخلص من مليكة وهي تقول من بين أسنانها" اتركيني يا مليكة بالله عليك هذه الأشكال لابد أن تعامل معاملة أولاد الشوارع "

هتفت الأخيرة هادرة وهي تبذل مجهودا كبيرا للسيطرة على أم هاشم " لو سمحت اذهبي وارم بلاياك ونواقصك على شخص أخر "

صوت سيارة قادمة نبه وجدان فقررت الهرب كالمذنبة قبل أن يراها أحد .. لقد أرادت فقط أن تفرغ ما في قلبها من قهر في وجه بسمة ..

فأسرعت وعيناها لا تزالان متسمرتان على بسمة وأخذت تردد حتى ابتعدت" حسبي الله ونعم الوكيل فيك .. فليبتليك الله بحريق يخلصنا من جمالك هذا الذي يخرب البيوت .. حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا خرابة البيوت ..حسبي الله"

افلتت مليكة أم هاشم أخيرا وأخذت تدلك ذراعيها ويديها بألم شديد بينما قالت الأخرى بغيظ "لماذا لم تتركيني عليها يا مليكة؟..لماذا؟"

لكزتها مليكة وهي تشير بعينيها لبسمة ثم اقتربت منها بينما الأخيرة لا تزال واقفة كصنم مذهول يركز أنظاره في الفراغ و الألم ينتشر في كل ذرة من جسدها .

حاوطتها مليكة بذراعها وقالت مشفقة وهي تسوقها للداخل "إنها امرأة مختلة عقليا لا

تشغلي بالك بها .. شعورها بالعجز جعلها تتصور أن المشكلة فيك أنت لا في زوجها "
ناظرتها بسمة بنظرات زائغة وقد بدأ جسدها ينتفض ويرتجف بشدة وهمست والدموع تقف على حافة جفنيها السفليين" دعت عليّ يا مليكة .. المرأة دعت عليّ"

ادخلتها مليكة للداخل واجلستها على الأريكة فأخذت بسمة تنتفض بقوة وهي تحضن نفسها متمتمة بذهول متألم "دعت عليّ .. تمنت لي الحرق والتشوه .. دعت علي يا أم هاشم "
شعرت مليكة بالخوف عليها ومسحت دمعة انحدرت على خديها واستقرت في حجرها ثم رفعت كفها لجبين بسمة وقالت "لا تعانين من الحمى .. لماذا تنتفضين هكذا"

ونظرت لأم هاشم تستنجد بها فوجدت
الأخرى وجهها مغرقا بالدموع..
اقتربت أم هاشم من بسمة تقول بصوت
متحشرج" لماذا الناس قساة بهذا الشكل؟!..
لماذا؟ "
الكلمة لم تؤثر في بسمة فقط بل اخترقت ذلك
الساتر الذي تربط به مليكة على قلبها
فاستقامت واقفة هاربة من انهيار يلوح في
الأفق وخرجت تبحث عن الحاجة فاطمة .
بعد قليل عادت تحمل بطانية صغيرة فوجدت
أم هاشم تضع يدها على رأس بسمة وتقرأ
القرآن بصوت خافت فأسرعت تلف كتفي
الأخيرة بالبطانية في الوقت الذي دخلت
الحاجة فاطمة منتفخة الوجه من كثرة البكاء
وخلفها مهجة التي أخذت تتابع الموقف بقلق .

أمسكت مليكة كفي بسمة المثلجين وقالت وهي تدلكهما "اثبتي يا بسمة اثبتي والله ما ضاقت إلا لتفرج (ونظرت لأم هاشم تقول) علي صوتك بالقرآن يا أم هاشم دعينا نستمع معها "

اقتربت فاطمة تجلس بجوار بسمة على الناحية الأخرى فتركت لها مليكة مكانها مع احتفاظها بكفيها تدفئهما بينما أخذت فاطمة رأس ابنتها إلى حضنها تقبلها باكية وهي تتمتم " اللهم لا اعتراض .. اللهم لا اعتراض "

تحركت مهجة تقول بسرعة " وأنا سأعد لها مشروبا ساخنا"

على صوت أم هاشم تتلو القرآن هدأ ارتجاف بسمة قليلا وبدأت تسيطر على تلك الحالة التي انتابتها لكن طعم المرارة في حلقها كان يزداد .. والذهول ظل يسيطر عليها وهي تتساءل ..أي ذنب اقترفت لكل هذا !.

بعد قليل دخل الحاج سليمان ومفرح ووليد فتطلع مفرح في حال الموجودات وخاصة بسمة التي استقامت واقفة فوقعت تلك البطانية من فوق كتفيها أرضا ووقفت تناظرهم بدموع متحجرة ليقول مفرح مطمئنا "الحمد لله تم رد اعتبارك أمام أهل البلدة .. وكل شخص علم حجمه وموقعه وقيمته جيدا ..وقيمة بسمة الوديدي"

هتفت الحاجة فاطمة وهي ترفع يدها إلى فمها تقبل ظاهرها وباطنها" الحمد لله .. الحمد والشكر لك يا رب ..والله لأذبح واطعم المساكين"

على الرغم من الشعور ببعض الراحة .. وبأن تلك الصخرة التي جثمت على صدرها منذ الصباح قد رفعت لكن آثار ما تعرضت له من تجريح لايزال ساخنا مؤلما .. فبعد الإهانة ..

لا يكفي رد اعتبار .. وليست كل الجروح تشفى بالنفخ فوقها والطبطبة .

قال سليمان بملامح جادة غامضة "أريدك يا بسمة في موضوع هام "
اسرع مفرح يقول بغيظ من جلافة خاله "هيا يا مليكة لنعود لبيتنا "
أسرعت أم هاشم تقول هي الأخرى" أنا أيضا ذاهبة وسأطمئن عليك بالهاتف يا بسمة الحمد لله أن ظهر الحق "
تحرك مفرح ومليكة وأم هاشم يخرجون من الغرفة بينما دخل الحاج سليمان وأغلق الباب خلفه مما ضايق مفرح ..فسألته مليكة بقلق "أهناك شيء يا مفرح ؟"

غمغم مطمئنا "لا تقلقي كل خير إن شاء الله ربك كريم سأشرح لك في الطريق "

قالت أم هاشم تودعهم" سنتحدث في الهاتف يا مليكة السلام عليكم "

استدار مفرح يقول لها " انتظري يا بنت الشيخ زكريا لأوصلك في طريقي"

غمغمت أم هاشم بحرج" لا لا البيت ليس ببعيد"

قال مفرح بهدوء وإنهاك" اسمعي ..أنا مرهق لدرجة أني غير قادر حتى على الحديث

(واستدار لمليكة يقول) تصرفي أنت مع صاحبتك "

قالت مليكة بلهجة قاطعة "سنوصلك يا أم هاشم"

عدلت أم هاشم وشاحها بحركتها المختالة وغمغمت مازحة "حسنا .. مادام هذا مطلبا جماهيريا فلن اخذلكما"

ابتسم مفرح ورد "أريد فقط أن اطمئن على بسمة ثم نرحل"

في داخل الغرفة وقفت بسمة أمام والدها بينما قالت فاطمة بترجي "أَجِل أي كلام الآن يا أبا وليد .. فكلنا لا نزال تحت تأثير ما حدث"
رد سليمان دون أن ينظر لها مركزا بنظراته على بسمة التي وقفت متقبضة تدعي التماسك بينما هي تستعد لتلقي حكما تم تخفيفه من الإعدام للمؤبد ..فغالبا سيمنعها من الخروج من البيت
" لا يوجد لدينا وقت .. فصحيح أنه قد تم رد اعتبارنا .. إلا أننا لابد أن نُخرِس كل الألسنة بزواجك فورا لنقطع الالسنة الحالية والمستقبلية"
همت بسمة بالاعتراض فقال سليمان هادرا وهو يرفع سبابته أمامها متوعدا" اسمعي هذه المرة أنا من سيقتلك ويدفنك ولن انتظر لتهددينا بالانتحار كالمرة السابقة"

من الخارج سمع الجميع صوت سليمان المنفعل فنظرت البنات لوليد الواقف صامتا يناظر مهجة ولمفرح الذي جز على أسنانه ومنع نفسه من التدخل إلا إذا تطور الوضع بينما عاد الحاج سليمان يخفض صوته وقال من بين اسنانه "أمر زواجك لا رجعة فيه .. بعدها تتفقين مع زوجك على العمل .. على الدراسة ..لا يهمني ..أمامك ثلاثة عرسان قد تقدموا لي اليوم .. أولهم بدير الذي عاد واتصل بي بعد الجلسة يقول بأن أفضل رد اعتبار لك هو الزواج منه هو شخصيا لقطع الالسنة بما يشيعون بأنه قد قال ما يؤذي سمعتك ..ورغم أني لم أعد أطيقه لكن سأترك لك حرية الاختيار ..والثاني دكتور مهاب طبيب المزرعة الذي تفاجأت به أيضا يطلب مني يدك .. والثالث كامل بك نخلة أعتقد الاثنين الأخيرين

ليس عليهما غبارا.. واحد ابن العاصمة والثاني ثري من بلد أخرى"
اتسعت عينا بسمة وغمغمت باستنكار "من؟؟ كامل ؟؟؟"
رد سليمان مؤكدا " أجل هذا ما حدث .. وهو من انقذك وتدخل لأخبار الجميع بأنه كان واقفا معك ليسلمك المفتاح لاستشعاره الحرج في البقاء في البيت بعد أن طلب يدك هكذا اتفقنا بأن يقول حينما بادر بالاتصال بي وطلب يدك لرد اعتبارك أمام الجميع ..المهم أنه أمام أهل البلدة قد طلبك للزواج والأمر بين يديك يا ست هانم .. أتمنى أن تكوني ذكية وتختاري كامل بك فأنت تعرفين كيف ستكون مصاهرة كهذه رد اعتبار لك ولنا .. لكن حتى لا تتهميني بأني الأب القاسي .. اخبرتك عن ثلاث عرسان دفعة واحدة ولن اسمح لك برفضهم جميعا هل فهمت؟.. ستختارين واحدا وفي اسرع وقت

.. وإلا سأحبسك في غرفتك للأبد .. فلست حملَ كلمة أخرى تقال في حقك خاصة وأن بدير مهووس ولن يسكت .. الرجل مريض بك بعد كل ما حدث عاد بعد الجلسة يتصل بي ليطلبك .. لذا أي خطأ أخر ستكون وصمة عار في حقك للأبد .. وستراق بسببك انهارا من الدم .. فقبل أن تفكري في طموحك العلمي والعملي وهذا الهراء .. فكري في ضحايا قرارك إن قررت العزوف عن الزواج (وهم بالمغادرة قائلا) سأنتظر منك ردا سريعا .. سريعا جدا (وناظرها من رأسها حتى أخمص قدميها يضيف باستهزاء) واتمنى أن أجدك يوما ذكية وتستغلين امكانياتك ومقام عائلتك في القرارات التي تتخذينها استغلالا جيدا"

سمعت جلبة آتية من الخارج فعقد الحاج سليمان حاجبيه وتحرك نحو باب الغرفة.

قبل دقيقة

كان مفرح قد اعطى مفتاح السيارة لمليكة لتسبقه وتجلس فيها هي وأم هاشم فقالت مهجة لمفرح بمجرد أن غادرتا "أنا أيضا أريد أن آتي معك يا مفرح أريد أن أبيت الليلة في بيت أبي "

ناظرها مفرح يلتمس جدية قرارها هذا بينما قال وليد بعناد "لن تخرجي يا مهجة من البيت"

صرخت في وجهه بانفجار باك "وأنا لن أبيت هنا الليلة أريد أن أختلي بنفسي "

تحكم مفرح في أعصابه حتى لا يتطور الامر بشكل أسوأ مما حدث ظهر اليوم واقترب من أخته بينما فتح الحاج سليمان الباب يقول "ماذا يحدث؟ "

انفجرت مهجة بالبكاء بانهيار تسند جبينها في صدر مفرح فقال الأخير وهو يناظر وليد

بتحدي "مهجة تريد أن تبيت في بيت والدها اليوم وسآخذها معي"
مرر سليمان نظراته على الجميع واستشعر أن هناك مشكلة فقال مهادنا" لا بأس فبالتأكيد قد توترت أعصابها مما حدث اليوم"
ناظر وليد الجميع .. ثم أنزل أنظاره لمهجة التي لا تزال تسند جبينها على صدر أخيها فأوجعه قلبه .. وبدأ يبصر أخيرا نتائج حماقاته .. فلم يكن منه إلا أن تحرك مغادرا وهو يقول بغضب "افعلي ما تشائين"
ربت مفرح على ظهر أخته فرفعت أنظارها تقول لأخيها بهمس باك "أنا أريد أن أختلي بنفسي يا مفرح أريد متسعا لترتيب أوراقي التي تبعثر الكثير منها اليوم"
غمغم متفهما" لا بأس هيا بنا "
واستدار نحو الغرفة فشاهد بسمة تقف متسمرة .. والتقت عيناهما فأشار لها بأنه

سيتصل بها ثم ألقى السلام وغادر وأخته تحت إبطه .

في الغرفة قالت فاطمة بعد قليل " يا بسمة هذه فرصة جيدة جدا .. ثلاث عرسان ..اثنين منهما ليسا من أهل البلدة ولم يسبق لهما الزواج ..فكري جيدا يا بنيتي"

ناظرت بسمة الفرحة التي تتراقص على وجه والدتها وكيف تحول حالها في لحظة حين جاءت سيرة الزواج .. ونظرت لوالدها المتحفز الذي هدر في زوجته" أين العشاء يا فاطنة أنا على لحم بطني منذ الصباح"

تحركت فاطمة تقول" حاضر.. حاضر"

بخطوات ثقيلة تحركت بسمة تخرج من الغرفة وتجاوزت والدها لتصعد للطابق العلوي في صمت تحمل فوق كتفيها هموما وأوزارا لم تقترفها ..

وتحمل كرامة مهانة واحساسا بالدونية ..

وتحمل قلبا مجروحا ..
لماذا لم تفرح بخبر طلب كامل ليدها ؟
ربما لأنها تشعر به شهامة منه وانقاذا للموقف
هذا ما شعرت به وهذا ما أوجعها بشدة
واشعرها بالإهانة
وربما لأنها لم يعد لديها رغبة في أي شيء ..

حين دخلت الغرفة رن هاتفها فأخرجته من
جيبها ببطء ثم رفعته بنفس البطء ترد
بخفوت مبحوح" نعم مفرح "
سألها الأخير "كيف حالك؟ "
اشاحت بمقلتيها لتمنع الدموع المتراقصة فوق
جفنيها السفليين من التدفق ولم ترد ..فقال
مفرح متفهما" أنا أدرك جيدا ما مررت به
..وصدقيني يا بسمة هناك أقدار لا نستطيع أن
نفر منها وعلينا تحملها .. نضطر لمصاحبة

أوجاعنا أحيانا حين يكون هذا هو قدرنا يا بنت خالي"

اطرقت مليكة برأسها تشعر بأنه يتحدث عنهما بينما مهجة في المقعد الخلفي تسند برأسها على النافذة بعد أن أوصلوا أم هاشم لبيتها وقد اخترقت جملته قلبها قبل أذنيها هي الأخرى .

أضاف مفرح " أريد أن أوضح لك أمرا هاما.. كامل أخبرني ليلة أمس برغبته في الزواج منك ولولا ما حدث ..."

هزت بسمة رأسها عدة مرات ثم قاطعته تقول بلهجة ساخرة" مفهوم .. مفهوم سأفكر في الطلبات فعليّ أن أكون ممتنة أن لدي ثلاث طلبات من ثلاثة عرسان"

عقد مفرح حاجبيه وسألها "من الأخران؟"

ردت بنفس اللهجة الساخرة "بدير مرة أخرى ومهاب طبيب المزرعة"

هز مفرح رأسه وقال "تمام وفقك الله يا بسمة .. فكري جيدا واعلمي بأني سأكون بجوارك بكل قوتي .. وللأسف أنا معك مكبل كما تعلمين ولي حدود للأسف ..لكن بعون الله سأبذل أقصى ما عندي لأكون عونا لك يا بنت خالي .. سلام"

هزت بسمة رأسها عدة مرات ثم أغلقت الخط .. وتطلعت في الغرفة الخاوية حولها ثم جلست على طرف الفراش تحضن نفسها وتسأل .

هل ستستسلمين يا بسمة ؟

xxxx

في فيلا غنيم تحركت سوسو بصمت كئيب تترك غرفة الجلوس دون تعقيب فاسرع كامل يلحق بها قائلا" إلى أين يا أمي ألن تخبريني برأيك؟"

رفعت إليه أنظارها تقول "وهل رأيي يهم؟..
لقد تقدمت لها رسميا وأخذت والدك بدون علمي"
قال كامل بهدوء" حكيت لك ما حدث ..لكن لو كانت الأمور قد سارت بشكل طبيعي كنت أخبرتك بالتأكيد"
هزت رأسها مستسلمة وقالت بلهجة محبطة " ماذا تريدني أن أقول .. ما دمت قد ضحيت بسفرك الذي كنت متمسكا به إذن فهي مهمة عندك .. أتمنى لك السعادة"
تركته وغادرت الغرفة فأطرق كامل برأسه يشعر بالحزن بينما غمغم شامل بأسف وشفقة "أُحبطت مرتين في وقت قصير .. وفي أمر كانت تنتظره كثيرا"
قال غنيم مهموما "لم نخبرها بعد بهوية طليقها يا كامل "

قال كامل بسرعة "أرى أنه لا داع لذلك حاليا...
فلندعها تتقبل فكرة أنها مطلقة أولا .. ومن
بيئة مختلفة ..ثم نخبرها فيما بعد "
قال شامل بقلق" ماذا لو احتكت يوما ببانة
أو.."
قاطعه كامل قائلا "دعونا نفك العقد واحدة
..واحدة بالله عليكما ..ننتظر جواب بسمة أولا
ثم نفكر في الخطوات القادمة "
استقام غنيم واقفا وتحرك مغمغما باستسلام
"ليفعل الله ما فيه الخير سأذهب لأطمئن
عليها ثم أستريح"

بعد دقيقة دخل غنيم غرفة النوم فوجد
سوسو تقف أمام النافذة متكتفة تتطلع في
سكون الليل في الحديقة فاقترب منها يربت
على ظهرها ويقول "أعلم بأنه لم يكن ما

تطمحين إليه ..لكني أراه متمسكا هو الأخر بهذه الفتاة "

أدارت سوسو وجهها ترفعه إليه وتقول "وكأن ذهابهما إلى هذه القرية كان لعنة عليهما"

عقب غنيم بهدوء " بل كان مكتوبا لهما يا سهيلة .. لو هاتين الفتاتين هما نصيبيهما فلن نستطيع فعل شيء .. ربما أنت محبطة ..لكني سعيد"

ناظرته بتساؤل فسحب نفسا عميقا ثم أوضح بهدوء "أنا لم أر بسمة هذه لكن مهما كانت كينونتها سأظل ممتنا لها للأبد أن كانت سببا في عدم هجرة كامل وتركه للبلد .. لم أحب أن أحرم منه ولم أحب أن أضطر للذهاب خلفه في النهاية .. أردت حين أموت أن أدفن في وطني أو هنا في هذا البلد الذي أحببته طيلة عمري وكنت أزوره دوما .. البلد الذي استقبلني أنا وعائلتي حين طرقت بابه هاربا من ويلات

الحرب .. وهذه البنت وضعها الله قدرا له ورأفة بي أنا .. فكم كان سيصعب عليّ فراقه هو أو أخوه .. وفي نفس الوقت لم أرغب في الضغط عليه ليبقى مرغما .. أشعر بأن لها تأثيرا قويا على كامل ألم تري كيف غيرت قناعته بشأنها .. "

ناظرته سوسو وقد بدأت دموع الاحباط في الانهمار من عينيها ليضيف غنيم "يا سهيلة أنا تفاجأت مثلك لكني حين حللت الأمر وأنا في طريقي اليوم إلى هناك وجدت أن ما حدث كان من لطف الله وتدبيره فهذه البنت ستربطه بالبلد .. ما حدث لها وله أجبره على أن يساومني على تأشيرة سفره مما جعلني أدرك بأهميتها عنده .. وسبحان الله كيف تم الأمر ليترك التأشيرة ويظل في البلد هنا .. هل تطلبين مني أن أبطر واعترض على ما دعوت به الله

مرارا .. أنا طلبتها من الله أن يبقى كامل هنا بكامل إرادته واستجاب لي .. لهذا سأتقبل البنت ككنة لي وأنا سعيد وممتن لها أن كانت سببا في عدم حرماننا منه .. وتلك الأخرى ونس .. سبحان الله كحالهما دائما أقدارهما متشابهة البنت والدها متمسك بها بشدة وهو فلاح لن يترك ارضه ولو بكنوز الدنيا وكأن الله قد أرسلها لشامل حتى يتمسك بها هو الأخر ولا يذهب خلف أخيه .. هل علينا أن نبطر يا سهيلة بعد كل هذا؟.. الانسان يتنازل أحيانا من أجل أمور أكثر أهمية "

صمتت سهيلة قليلا ثم قوست شفتيها لأسفل ببؤس وهي تميل برأسها على صدر زوجها ..فضمها إليه ثم قال" لننتظر ونرى كيف سيدبرها الله .. (وصمت قليلا ثم قال) هيا ابتهجي ولا تزمي شفتيك ..(وأضاف مناغشا) ألا يوجد لديك بلوزة هنا أو فستانا جديدا هناك

اشترتيه ولم أهتم به لتوبخيني بسببهم
وتخرجي شحنة احباطك"
لكزته في صدره بحنق طفولي فقهقه غنيم ثم
تمتم" لعله خير .. قضاء اخف من قضاء"

xxxx

ألهذه الدرجة هي تجثم فوق صدور الجميع..
ألهذه الدرجة يُسقطون عليها فشلهم ونقصهم
وأمانيهم أيضا..
رن هاتفها فنظرت إليه ثم التقطته ترد "نعم
مليكة"
قالت الأخرى" خشيت أن تكوني نائمة"
غمغمت بابتسامة ساخرة "وهل تتوقعين مني
ذلك في ظل ما أعانيه حاليا أن أجد رغبة في
النوم"
ردت مليكة بتعاطف "ظننت ربما ستسقطين
من الاجهاد أو ستؤجلين التفكير للغد"

ردت بسمة بنفس السخرية " لا بكل أسف فحتى وجود وقت كافي لاتخاذ القرار أصبح رفاهية لا أملكها"
سألتها مليكة "بم تفكرين؟"

صمتت بسمة وتحركت لتقف عند النافذة التي تطل على تلك الحقول خلف البيت .. فتذكرت اللحظة التي وقفت فيها أمام نفس النافذة وهي تتخذ قرارها بالانفصال منذ ثلاث سنوات .. وانتابها شعور مقبض وهي ترى الظلام الدامس أمامها .. ذلك الظلام الذي أخفى اللون الاخضر ولم يشعرها إلا بالانقباض .. فردت على مليكة بعد برهة من الصمت " الانتقام .. افكر في الانتقام "
غمغمت مليكة في جلستها على طرف السرير "ماذا تعنين؟"

ردت بسمة بصوت بارد" سأنتقم من الجميع سأريهم من هي بسمة الوديدي "
عقدت مليكة حاجبيها وسألتها " علام تنوين بالضبط (واسرعت بالقول محذرة) بسمة أمور الهرب وتلك الخزعبلات ..."
قاطعتها بسمة تقول بهدوء قاتل " لالا سأخبرك حينما اتأكد من شيء ما ماذا ستكون خطتي .. اذهبي الآن أنت تعبت جدا معي اليوم "..
قالت مليكة مجادلة "يا بسمة "
تكلمت بسمة بحزم " اذهبي يا مليكة لمفرح يكفيه ما عاناه اليوم هو الأخر .. وأنا سأذهب لأبي قبل أن ينام لأطلب منه شيئا .. لنتحدث فيما بعد سلام"
قالتها وأغلقت الخط ثم ألقت الهاتف على السرير وتحركت بوجه واجم بارد .. أكثر برودة من أي وقت مضى وخرجت من الغرفة .

أما مليكة فزفرت في قلق وشردت في الوقت الذي دخل مفرح بعد قليل يقول على الهاتف بصوت منهك "اذهب الآن يا كامل أنا مجهد وبالتأكيد أنت أيضا وسننتظر ردها .. فارحمني واتركني لأستريح "

زفر كامل في وقفته أمام النافذة في غرفته يتطلع في سكون الليل في حديقة الفيلا ثم ضحك ساخرا من نفسه فقال مفرح "أنا طلبت أن تذهب يا بني لا أن تضحك هل أصبح لديك مشكلة في السمع والإدراك !"

غمغم كامل بلهجة ساخرة " لو كان قد أخبرني أحد قبل هذا اليوم أني سأكون بهذا القلق وأنا انتظر الرد على طلبي بالزواج من امرأة لكنت وصفته بالمختل عقليا "

لمحت عينا مفرح مليكة الجالسة بشرود على طرف السرير في منامتها الحريرية الأنيقة وهو يرد متهكما " لا تحزن يا فلذة كبدي كلنا لها "

جاءت مكالمة أخرى لكامل فأبعد الهاتف عن أذنه واتسعت عيناه ثم عاد يقول لمفرح بسرعة" اذهب الآن فخالك يتصل بي "
غمغم مفرح عاقدا حاجبيه "خالي !"

××××

قبل دقائق

طرقت بسمة على الباب ثم دخلت إلى غرفة نوم والداها فناظرها سليمان من جلسته على المقعد متحفزا ..

اقتربت منه متقبضة ولم يخف عليها ذلك التعبير المترقب على وجه والدتها فأشفقت عليها بشدة .. ولو كان ما تنوي فعله انتقاما من الجميع ومن نفسها هي أيضا فهي ستفعله من أجل إسعاد والدتها حتى لو كانت سعادة مزيفة مؤقتة..

قالت لوالدها بثبات وذقن مرفوع" أنا رفضت بدير قبل ذلك ولا أقبل ابداً بأن أكون زوجة

لرجل متزوج وبالتالي بدير مرفوض .. أما مهاب فهو شاب محترم لكني لا أشعر بأني سأرتاح معه "

ضيق سليمان عينيه وقال مقارعا" إذا لم يبق إلا كامل والحقيقة يا لسعدك يا لهناك إن تزوجتيه .. رأسك ورؤوسنا ستكون مرفوعة في البلدة وستردين لنفسك اعتبارها"

رددت بسمة خلفه بخفوت متهكم "أرد لنفسي اعتبارها!! .. (ولاح شبه ابتسامة باردة على شفتيها الجميلتين وغمغمت بسخرية مرة) آه بالطبع لكوني مطلقة وأقل قيمة "

ناظرها سليمان بحدة فقالت لوالدها مؤيدة " أنا بالفعل اقتنعت بوجهة نظرك يا حاج سليمان وعليّ أن أجعل الجميع يدركون من هي بسمة الوديدي بالضبط "

اتسعت عيني سليمان متفاجئا ثم قال بحماس
"حقا!!.. هل هذا يعني بأنك ستوافقين على الزواج من كامل نخلة!!"
رفعت ذقنها وقالت بتحد "أريد أن أجلس معه أولا"
عقد حاجبيه وقال مستنكرا" لتفسدي الزيجة أليس كذلك ؟!"
قالت بسمة ببرود مصطنع تهز كتفيها" لا ولكن لي شروط أريد أن أعرف إن كان سيحققها لي أم لا"
ازداد قلق سليمان وسألها" شروط من أي نوع يا بنت الوديدي(وقال محذرا)إياك أن تخبريه بأنك لا تنجبين سأعرضك بعد الزواج على أفضل الأطباء دون أن يعرف ؟!!"
قالت بسمة بابتسامة ثلجية هادئة "لا تقلق ألم تقل بأن عليّ أن أكون ذكية واستغل ما أمتلك لأقصى استفادة سأفعل ذلك "

تدخلت فاطمة تقول وقد تهلل وجهها " لا بأس يا أبا وليد من حقها أن تجلس معه وتتفاهم "

صمت الأخير يفكر وهو يتأملها ثم قال بتوجس "حسنا أتمنى أن تكوني تفكرين بطريقة عملية .. لك ما طلبت لكن قسما بالله العظيم إن أفسدت الأمر بشروط مجحفة لأزوجك لمن أراه أنا مناسبا دون حتى موافقتك .."

هزت بسمة رأسها بابتسامة ساخرة متألمة على شفتيها واستدارت مغادرة فربتت عليها فاطمة في طريقها تقول بسعادة لم تخف على بسمة" أتمنى يا بسمة أن تسعدي قلبي عن قريب "

ربتت بسمة على يد أمها مغمغمة" إن شاء الله يا أمي .. دعواتك "

قالتها وتحركت مغادرة وهي تقول في سرها "سعادة مؤقتة يا أمي .. أرجو أن تسامحيني

بعدها .. فقدرك أن تبتلي بابنة قدرها بائس مثلي "

أما سليمان فأسرع يتصل بكامل ولم يصبر على أن ينتظر للصباح .. فرد الأخير على الهاتف يداري لهفته وقلقه" أهلا حاج سليمان "

قال سيلمان ببشاشة غير مبررة "السلام عليكم يا كامل يا ولدي"

غمغم كامل يداري لهفته" وعليكم السلام والرحمة"

قال سليمان مباشرة " الحقيقة أنا تحدثت مع بسمة ابنتي بشأن طلبك وهي قالت أن لديها بعض الشروط .. (وأضاف بضحكة مضطربة) تعلم بأنها كانت عازفة عن الزواج لكنها أرادت أن ترى إن كنت ستتفهم شروطها أم لا.. لهذا أقترح أن تشرفنا غدا لتتناول معنا الغداء ولتجلسا سويا ..وليفعل الله ما فيه الخير .."

غمغم كامل" شروط ؟!!.. حسنا يا حاج سليمان أنا أوافق"
قال سليمان براحة شديدة " إذن سأنتظرك غدا إن شاء الله عمت مساء "
اغلق كامل الخط ووقف حائرا يفكر .. ترى ما هي الشروط التي ستشترطها بسمة .
والسؤال الأهم والذي لن يدعه ينام الليلة .. ما أخبارها بعد هذا اليوم العصيب؟؟!.

××××

أخذت تتحرك في غرفة الجلوس في بيتها بعصبية والجنون يسيطر عليها .. فمنذ أن علمت بما حدث في المجلس العرفي وبأن ذلك الغريب قد تقدم للزواج من بسمة وهي تشعر بأنها ستموت من الغيظ والقهر.

لا مستحيل أن يتقدم هذا الشاب للزواج من بسمة .. مستحيل أن تتزوج ثانية من شاب لم

يسبق له الزواج .. هذا الشعور بالفشل
والهزيمة لا تستطيع تحمله ..
تشعر بأنها ستموت ..
دخل جابر بيته منهكا وتبدد شعوره بالوحشة
والكآبة عند دخوله حينما رأى ميس مقبلة
عليه.
انحنى يستقبلها بين ذراعيه وقبل رأسها وهو
يقول "لماذا لم تنامي حتى الآن دوما تنامين
مبكرا يا ميسة "

همست ميس في أذنه وكأنها تخبره سرا خطيرا
"إن أمي غاضبة بشدة "
سألها جابر بنفس الهمس" لماذا؟"
مالت على أذنه مرة أخرى تجيب "لا أعرف ..
منذ أن خرجت من عند خالي بدير وبعد أن
أوصلنا علاء إلى هنا وهي بهذه الحالة حتى أني

خفت أن أخبرها بأني جائعة كي لا تثور في وجهي "

عبس جابر وانقلب وجهه وهو يعتدل واقفا ويربت على رأس ابنته قائلا" أنا أيضا جائع لنتناول العشاء سويا"

توجه إلى غرفة الجلوس يلقي السلام فانتبهت كاميليا وردت باقتضاب "وعليكم السلام"

سألها مدققا" هل حدث شيء ؟"

حركت ذراعيها بجوار جسدها للأمام والخلف تقول بهدوء مصطنع تداري به حالتها" لا شيء .. لا شيء "

هز رأسه وقال "أنا جائع فلتجهزي لنا العشاء حتى اغتسل"

ردت بقلة صبر "العشاء في الثلاجة يا جابر سخنه فلست في مزاج .."

قاطعها هادرا فانتفضت" أقول جهزي العشاء يا كاميليا"

جزت على أسنانها فناظرها بنظرة خطرة قبل أن يتحرك ليصعد للدور العلوي.

تحركت كاميليا بعصبية نحو المطبخ تفتح الثلاجة بغيظ وهي تلعن هذا الحظ الذي لم يمنحها حظا كحظ بنت الوديدي..
التقطت إناء من الثلاجة ثم توقفت لثوان تفكر ثم تحركت تضعه على المنضدة تاركة باب الثلاجة مفتوحا وأسرعت تخرج من جيبها الهاتف .. وانزوت في ركن من المطبخ تطلب رقما ثم تقول بهمس" زفت يا عصفور .. أريد رقم هاتف ذلك الغريب الذي حضر الجلسة العرفية اليوم "
قال عصفور متسع العينان "رقم هاتفه!! ومن أين سأحصل عليه ؟!"

همست بغيظ وهي تتطلع في باب المطبخ بتوتر" تصرف يا غبي .. اسأل من يتعاملون معه من عمال مزرعة الوديدي أو العمدة"
سألها عصفور مستنكرا "وهل هذا الثري سيعطي رقمه للعمال يا ست كاميليا؟!"
قالت من بين أسنانها آمرة "ابحث عن الرقم يا عصفور وستجده .. اسأل السوبر ماركت القريب لربما قد أرسل إليه من قبل طلبات حتى المنزل .. بأي طريقة جد لي الرقم ولك مكافأة كبيرة"
قالتها وأغلقت الخط حينما شعرت بحركة آتية من الخارج فأسرعت تضع الإناء على النار ووقفت شاردة تفكر بسرعة إن كان هناك شيئا أخر تستطيع أن تفعله لتمنع هذه الزيجة .. لابد أن تمنعها وإلا ستموت قهرا ..
لماذا قدرها دوما أن تكون بنت الوديدي أفضل منها ؟..

لماذا؟

××××

بعد قليل

دخلت مليكة الغرفة بعد أن اطمأنت أن الصبيان قد ناما فوجدت مفرح يتمدد على السرير ويشاهد التلفاز فانتابها ذلك التوتر المعتاد كلما تواجدا وحدهما لكنها حاولت السيطرة عليه تتأرجح بين الفكرة وعكسها بين إقدام وإدبار.

هل تحاول مرة أخرى الليلة أم تنتظر قليلا حتى تتخطى آثار الليلة قبل الماضية التي لا تزال تعاني من تابعاتها وتعلم بأنه هو الأخر كذلك ؟.

اقتربت من السرير تعضعض شفتها من الداخل فالتقط مفرح حالتها وكما وعد نفسه وطلب من ربه العون سيتحمل قليلا أو كثيرا إن

استطاع الصبر على مشقة هذا الأمر معها ..
فربت على السرير في دعوة صامتة لأن تقترب .
استدارت حول السرير وصعدت فوقه تجلس بجواره ليقول بصوت منهك "انتظرتك حتى ننام سويا فأنا مجهد لدرجة أني غير قادر حتى على النوم"
مدت يدها لتمشط له شعره الأسود بأصابعها وهي تقول مشفقة" أعلم بأنه كان يوما مرهقا جدا عليك"
غمغم وهو يغمض عينيه "بل عصيبا.. كان يوما عصيبا يا مليكة "

رسالة جاءته على الواتساب فمد يده يلتقط هاتفه ينظر فيه ليجد كامل قد كتب له (الحاج سليمان يقول بأن بسمة تريد أن تتحدث معي قليلا لذا أنا قادم غدا إن شاء الله)

قرأ مفرح الرسالة بصعوبة من بين جفنين ثقيلين ثم ألقى بالهاتف على المنضدة بجانبه وانقلب على جانبه الأخر إلى حيث تكون مليكة فكتف ذراعيه تحت صدره بعد أن دس وجهه في حضنها وغمغم بإرهاق شديد" استمري هكذا في تصفيف شعري مليكتي .. استمري حتى أنام أريد بشدة أن أبتعد عن كل شيء أريد أن أغيب عن الوعي "

أوجعها قلبها فمالت لتطبع قبلة على رأسه ..ليغوص مفرح أكثر في حضنها وكأنه يعالج ذلك الصداع بالغوص في حضنها وارتسمت ابتسامة راحة شديدة على شفتيه على وقع عزف أصابعها في شعره قبل أن يغرق في النوم العميق.

xxxx

في وقت متأخر من الليل

تطلع وليد في الغرفة الباردة المظلمة ولم يضيئ حتى النور بل تحرك بجسد مجهد يخلع عنه ملابسه المتربة الممزق جزء منها واقترب من السرير الخالي ..وذلك السكون من حوله يطبق عليه فيكاد أن يخنقه .

ألقى بنفسه فوق السرير منهكا وحيدا وكل احداث اليوم العصيب تمر برأسه وتلك المحاكمات للذات منذ أن خرج من المجلس العرفي وهدأ الوضع لا تريد أن تتركه .

أغمض عينيه متقوسا في وضع الجنين واستسلم للنوم وصوتان يجلدانه دون رحمة ويعدانه بكوابيس قادمة لا محالة .

صوت كفه وهو يلطم بسمة على وجهها .. وصوت مهجة وهي تطلب منه الطلاق .

xxxx

في اليوم التالي ظهرا

عند مدخل القرية قال شامل لتوأمه يطمئنه"
إن شاء الله سيتم الامر على خير يا كامل ..
فمادامت قد قالت أن لها شروطا أي أن المبدأ
نفسه مقبول"
قال كامل من خلف عجلة القيادة " يا شامل
الوضع ليس وضعا عاديا .. فأنا قلق جدا مما
تعرضت له أمس .. ورغم أن مفرح لم يخبرني
بتفاصيل لكني أكيد أن هناك أمور تعرضت لها
طوال يوم أمس تجعلني قلق عليها بشدة ..
واشعر بالذنب الكبير والمسئولية الكبيرة
لمشاركتي في التسبب فيما حدث لها "
قال شامل بلهجة مباشرة " بصراحة يا كيمو
أنت تعديت الحدود بغيرتك هذه .. سأسميك
مستر فاير (Mr. Fire) من الآن فصاعدا"

غمغم كامل بضيق " لا أعرف يا شامل الموضوع حدث معي مرتين حتى الآن وكلتاهما كنت فيهما عاجزا عن السيطرة على أعصابي.. ومجرد التفكير في أنه هناك من ينظر لها نظرة ذكورية ذلك يشعل فتيل النار في أعصابي "

قال شامل بضيق "اتمنى من الله أن تستطيع أن تسيطر على حالتك هذه وإلا لو قدر لكما الزواج الأمر سيكون كارثيا وستؤذيها على الأقل نفسيا"

وجم وجه كامل وتطلع في الطريق أمامه ثم غمغم بحشرجة "أنا لازلت لا أعرف كيف سأتصرف مع حقيقة زواجها السابق .. ليس عنجهية مني اقسم لك .. ولكنها الغيرة ..كلما مرت في رأسي تلك الفكرة بأنها كانت مع رجل أخر "

ضرب على المقود بقوة فهدر فيه توأمه بغيظ "كان حلالها يا أخي !"

قال كامل موضحا "القصة ليست في الحلال والحرام.. القصة في الفعل نفسه.. أنا أحاول أن أبعد هذه الافكار عني لأنها تعذبني .. صدقني أحاول "

تكلم شامل بضيق " بصراحة أنا قلق جدا بسبب تفكيرك هذا"

عقب كامل بصدق " ليس بيدي يا شامل ..هل تعتقد بأني لا أريد أن أكون سعيدا "

زفر شامل وقال بحيرة " بصراحة لا أعرف بماذا انصحك "

غمغم كامل وهو ينظر على الطريق " البعد عنها كان عذابا.. والآن الاقتراب منها عذاب .. ألم أقل لك بأني مبتلى بها"

تطلع فيه شامل بصمت لبرهة ثم قال "هناك موضوع أخر أريد أن أذكرك به فقط حتى تكون على بينة ..ولا اقصد شيء فكل شيء قسمة ونصيب "

قرأ كامل أفكاره فقال "تقصد مسألة الانجاب؟"
هز شامل رأسه فقال كامل بهدوء وثقة " لا يوجد في يدي شيئا لأفعله .. (وتنهد مضيفا) عليّ بتقبلها بكل ظروفها وهي عليها بتقبلي بكل عُقدي "
هز شامل رأسه يعيد عينيه إلى الطريق قائلا " أتمنى أن تجدا طريقا سهلا للوصول لبعضكما "
قال كامل بابتسامة حزينة " سيكون عليك أنت يا شامو مهمة انجاب نخل صغير يزين العائلة (ووضع يده على كتف أخيه مضيفا) استمرار اسم نخلة يقع على عاتقك من الآن يا وحش "
قهقه شامل وقال" المهم أن احصل عليها أولا واتزوجها"
غمغم كامل بمناكفة "رغم أني اشك في أن هذه الهبلاء .."
هتف شامل محذرا "كامل!"

غمغم الأخير بامتعاض وهو ينظر أمامه "خرس كامل "

بعد قليل سأله شامل " هل اخبرت والدك بموضوع عدم قدرة بسمة على الانجاب ؟"

رد كامل بهدوء " لا .. ولا أنوي .. فهذا أمر يخصني وحدي ربما إن قسم الله لنا بالزواج نقوله فيما بعد "

غمغم شامل مهموما "والدك لا يعرف بعدم استطاعتها الانجاب .. وأمك لا تعرف بهذا أيضا وبأنها طليقة ربيب بيت سماحة .. أتمنى من الله أن يوفق لما فيه الخير "

غمغم كامل "اتمنى ذلك"

رن هاتف شامل برقم غير مسجل فرد "نعم"

أتاه صوت امرأة مكتوم يقول" الاستاذ كامل؟"

نظر شامل لأخيه الذي بادله النظرات ثم سألها "من يريده؟"

قالت بلهجة غامضة "ليس مهما أن تعرف من أنا"

عقد شامل حاجبيه وبادله كامل نفس الحركة ليسرع شامل بفتح مكبر الصوت ويقول" معك كامل نخلة تفضلي "

قالت المرأة " أريد أن أخبرك يا أستاذ عما يخفيه عنك آل الوديدي "

تحفزت ملامح التوأمين ليقول شامل" ماذا تقصدين ومن أنت ؟"

تكلمت المرأة موضحة " أقصد بأن الفتاة التي تريد الارتباط بها لم يخبروك بالتأكيد عن سبب طلاقها فأردت أن أخبرك لوجه الله حتى لا تقع في فخ الودايدة إنهم ماكرون بشدة .. إنها عقيم يا أستاذ لا تنجب وإن سألت أي شخص في البلدة يعرف بهذه المعلومة .. لكنهم يستغلون أنك غريب ولم يخبروك"

سألها شامل بحدة " من أنت؟"
قالت بإصرار " ليس مهما .. أنا فقط أردت اخبارك ..فمن حقك أن تعرف معلومة خطيرة كهذه وأنت شاب وفي كامل صحتك ومن العيب أن يخفوها عنك "
لم يستطع كامل التحمل وهتف بلهجة خطرة "من أنت وما مصلحتك لإبلاغي بهذه المعلومة؟!!"
ردت بسرعة وارتباك " قلت لك فاعلة خير"

أسرعت كاميليا بإغلاق الخط وحظر الرقم ثم ألقت بالهاتف على السرير .. ووقفت تقضم ظفر إبهامها لاهثة الأنفاس وقلبها يدق بسرعة من التوتر ..
لم تجد مفرا من فعل ذلك بنفسها حتى تفسد على بسمة تلك الزيجة .. خاصة بعد أن علمت

أن سليمان قد أبلغ بدير برفضهم لطلبه ولحالة الأخير السيئة منذ أن علم بذلك .

أما كامل فضرب على المقود بقوة عدة مرات يقول باستنكار "ما هذا الجنون .. (واتسعت عيناه ينظر أمامه قائلا باستهجان) أنا لا أصدق .. صدقا لا أصدق .. لماذا يضعونها تحت المجهر بهذا الشكل؟ .. ماذا فعلت لهم ؟.. لقد كانت تلفظ روحها يوما وعقلها ظل ينبهها بأن تحرص ألا تجلب على نفسها كلام الناس .. لماذا أوصلوها لهذه الحالة !"

عقب شامل مهدئا" يا كامل أنا وأنت نعلم جيدا بأن المطلقة تعامل في معظم المجتمعات الشرقية الصغيرة بهذه الطريقة .. كما أنك أنت نفسك كنت ولا زلت ضد الزواج من امرأة سبق لها الزواج "

قال كامل معترفا "لن أنكر ذلك ..لكني لا انظر لها بدونية أو بشك في سلوكها أنا فقط أريد أن اتزوج من امرأة لم يسبقني لها رجل أخر ..أعرف بأنه تفكير ذكوري مستهجن لكن هذا أنا للأسف .. أتمنى أن تتغير قناعاتي يوما ما لكن هذا ليس استحقارا للمطلقات "

قال شامل منهيا الحديث " على أية حال أتمنى أن توافق بسمة لتخرجها من هذا المكان وأتمنى أن حبك لها يقويك على أن تتغلب على عقدك يا كيمو لأنني قلق من هذا الأمر (ونظر من النافذة وقال) أنزلني أمام بيت ونس ولا تنس أن تطمئني"

أوقف كامل السيارة فترجل شامل ثم أكمل الأخر طريقه إلى بسمة وفكرة واحدة تسيطر عليه ألا وهي ..

لابد من اخراج بسمة من هذا المكان بأي طريقة .

xxxx

وقف عيد يشبك أصابعه خلف ظهره ويرفع رأسه يناظر بغيظ شامل الماثل أمامه يرسم ابتسامة بشوشة على وجهه والذي قال" ألن ترد السلام يا عم عيد؟!"

رد عيد بملامح ممتعضة "وعليكم السلام ما الذي أحضرك ؟.. ألم أخبرك بأن كل شيء سيكون بحساب وبميعاد ؟"

بحثت أنظار شامل عنها بشوق في مدخل البيت خلف حماه فلم يرها بينما اخذت ونس تعدل بسرعة من هندامها ونظرت نظرة أخيرة في المرآة قبل أن تسرع للخروج .

هتف عيد بغيظ وهو يقف على باب البيت "أنا أتحدث معك !"

اتسعت ابتسامة شامل حينما وجدها تخرج من الغرفة باندفاع حتى كادت أن تنكفئ على وجهها قبل أن تبذل جهدا لتتوازن وتحجم من اندفاعها وحماسها ثم تقف أمامه في الصالة يديها خلف ظهرها ..فأنزل نظراته يقول لعيد "ولهذا السبب أتيت "

عقد عيد حاجبيه وسأله" ماذا تقصد؟"
تحركت عينا شامل مشتت الانتباه إلى ونس بالداخل فأدار عيد وجهه يقول لابنته مشيحا بيده" أنت ..لماذا تقفين عندك اختفي في إحدى الغرف هيا "
قوست ونس شفتيها لأسفل لكن عيد تجاهلها وعاد لشامل الذي قال له" لقد ارسلني أبي حتى أحدد موعد لزيارة والداي لنتفق على كل شيء "

قال عيد باستهجان " وهل الهواتف مُنعت حتى تأتي من العاصمة بنفسك !.. كان من الممكن أن تتصل بي "

قال شامل بتلك الابتسامة التي تستفز عيد "فضلت أن آتي بنفسي لنتفق على الموعد"

أشاح عيد بيده قائلا" أي وقت يناسبكم أبلغني به.. هيا عد من حيث أتيت"

قال شامل باستنكار ولهجة عاتبة " هل سأعود للعاصمة وقد وصلت للتو !!"

رد عيد ممتعضا " وهل كان عليك أن تأتي من اساسه لتحدد موعد لحضور والديك!"

تكلم شامل بابتسامة " ألن تضيفونا حتى يا أهل الكرم"

أجابه عيد " الضيافة لمن يحضر بموعد لكني لا أحب أن تعتاد على الحضور دون استئذان هيا"

أطرق شامل برأسه بطريقة مسرحية مغمغا ببؤس "حسنا "
وتحرك مبتعدا حتى جلس على صخرة عالية جانب البيت .
اقترب منه عيد يقول باستهجان " ماذا تفعل هنا يا استاذ؟!!"
تكلم شامل بنفس البؤس المصطنع " انتظر أخي فقد أخذ السيارة وذهب لبيت الوديدي"
قال عيد " اركب أي توكتوك"
أشار شامل على نفسه وقال " بهذه الضخامة لن أستطيع فرأسي ينحشر فيه وأضطر لأن امدها للأمام فيلصق في قفا السائق المسكين"
زم عيد شفتيه حتى لا يضحك بينما اختلس شامل نظرة لونس التي خرجت ووقفت خلف والدها يدها على فمها تكتم الضحك ..فقال عيد "أجر سيارة نصف نقل واصعد فوقها "

قال شامل ببرود " لا ..سأجلس هنا انتظر أخي "

ونظر لونس خلف والدها ثم عاد لينكس رأسه بطريقة بائسة فغمغم عيد يحدث نفسه بخفوت " لو استمر على هذا البرود سيجلطني هذا الشاب "

عاد ينظر إليه بتردد بينما أمسكت ونس بكم جلباب والدها تناظره بملامح طفولية حانقة مترجية فناظرها بنظرات حازمة فقوست شفتيها لأسفل .

عاد ينظر لشامل الذي يدعي المسكنة وقال بقرف" تفضل لنضيفك وأمرنا لله "

رفع شامل رأسه يقول بمسكنة " لا لا أشكرك لا تضغط على نفسك لاستضافتي سأبقى على الطريق حتى يأتيني أخي "

قالها ثم نكس رأسه من جديد فقال عيد بامتعاض "لا تعيش دور نجيب الريحاني .. هل تحسب نفسك في فيلم أبيض واسود "

رفع شامل إليه عينيه يناظره بنظرة ذات مغزى .. ثم قرب رأسه منه هامسا "أنت تعرف جيدا من منا اختلق قصصا كالأفلام القديمة يا حاج عيد"

امتقع وجه عيد وقرب رأسه من شامل يرد هامسا من بين أسنانه يداري حرجه "إن كنت أنا أختلق القصص فأنت فتّان "

شهق شامل بطريقة مسرحية ثم قال باستنكار" أنا؟!!"

قال عيد بإصرار هامس " أجل أنت ..كان من الممكن أن تصبر حتى أخبرها أنا"

طلت ونس برأسها لتفهم ماذا يحدث لأن سماعتها لم تلتقط ما يقولانه .. فأبعدا رأسيهما عن بعضهما ليقول عيد بامتعاض "هيا تفضل

اجلس على هذه الأريكة لنضيفك فلا أريد أن تأكل الناس وجهنا حينما تراك جالسا بهذا الشكل المزري "

استقام شامل واقفا وهو يقول بنفس المسكنة" أكثر الله من خيرك"

وتحرك يجلس على الأريكة الحجرية أمام البيت .. بينا تحرك عيد مبتعدا يفكر كيف يضيّفه ..فالوقت غداء وهو لم يعمل حسابا لاستضافته ..فأخرج هاتفه مفكرا بينما وقفت ونس أمام شامل.

تأمل شامل ما ترتديه جنيته من فستان قصير ملون .. فوق بنطال من الجينز ..نفس البنطال غالبا الذي يراه عليها كل مرة ..ونفس الحذاء الاخضر .. بينما رائحة الصابون الرقيق تنعش أنفه .. تأمل وشاحها المهندم وشعرها الذي يبدو هذه المرة مربوطا للخلف فلم يجد خصلات غجرية مموجة فارة من الوشاح ..

وتأمل بشوق وجهها الطفولي والأنثوي في نفس الوقت وهو يقول بلهجة هامسة حارة" كيف حالك؟ .. تبدين أفضل بكثير الحمد لله"

هزت رأسها بحرج وقلبها يدق في صدرها بجنون وهي تتطلع في وسامته المذيبة للأعصاب وذلك الحنان المطل من عينيه .

نادى عيد على ونس فتحركت تترك شامل على مضض وانضمت لوالدها عند مدخل البيت فقال عيد "هل ستقدرين على طهو أي شيء بسرعة .. مثلا اشتري دجاجة وتطبخيها أم ماذا ؟.. أشك في أن أجد ذلك المحل الذي يبيع الدجاج المشوي مفتوحا إنه يعمل من بعد العصر "

حركت ونس سبابتها أمام وجهه نافية ثم التقطت من جيبها الدفتر والقلم وكتبت "هو يعرف بأننا سنتغدى بصارة اليوم ومتحمس لأكلها "

رفع عيد حاجبا وقال بغيظ "إذن أنت كنت تعرفين بأنه قادم !"

ارتبكت ونس واسرعت تكتب بمراوغة " لا لا لقد اخبرته فقط بأني قد طبخت بصارة اليوم (واحجمت عن ذكر أنه علم بذلك اثناء رحلته قادما من العاصمة وأنه أخبرها بأنه آت ويريد أن يتذوقها من يدها فكتبت ونس) وهو أخبرني بأنه يحبها جدا "

قال عيد باستهجان "لكن لا يصح أبدا أن أول لقمة يأكلها عندنا تكون بصارة!!"

خيم الظل عليهما فجأة فاتسعت ابتسامة ونس بينما استدار عيد يرفع رأسه لشامل الذي سأله ببرود" هل هناك مشكلة؟ (وعاد لأسلوب المسكنة التمثيلي يقول) إن كنت شخصا غير مرغوب فيه فلا بأس سأمشي "

قال عيد بغيظ " اجلس وكف عن مزاحك هذا لأن مرارتي لن تتحمل "

هز شامل رأسه وتحرك خطوتين ..لكنه عاد ليقول "هل لي أن اطلب طلبا؟"
سأله عيد يلوي شفتيه " خير إن شاء الله"
قال شامل " سمعت أن لديكم بوصارة"
قال عيد متهكما " بووصارة .. اسمها بصارة (نطقها بكسر الباء)"
قال شامل " أجل هي البوصارة هل استطيع أن اشارككما الغداء ؟"
قال عيد بحدة" هل تحسبنا بخلاء لا نكرم ضيوفنا حتى لو كانوا ضيوفا يأتون دون موعد .. فنطعمهم بصارة في أول مرة يأكلون فيها عندنا "!
قال شامل بإصرار " لقد سال لعابي حين علمت أنكم تطبخون بوصارة .. (وسأل بانزعاج) هل تناولتم الغداء واجهزتم عليها كلها !!"
اتسعت عينا عيد غير مصدق ما يفعله هذا المجنون ثم قال باستسلام " لا لم نتغدى بعد

..عموما ما دمت تصر فلا بأس فقط لأنك تشتهيها وإن كنت أتمنى ألا تكون أول لقمة تأكلها عندنا "

غمغم شامل بسعادة شديدة " دائما عامر .. وإن شاء الله لن تكون أخر لقمة ..أليس كذلك يا حماي العزيز؟"

بامتعاض استدار عيد يقول لابنته "هيا اذهبي وهات الطعام"

بعد قليل وعلى منضدة خشبية صغيرة مغطاة بمفرش من البلاستيك كان شامل يتناول من يد ونس أطباق البصارة المزينة بالبصل المقلي وهو يغمغم بابتسامة متسعة "سلمت يدك "

تطلع عيد في تلك النظرات المتبادلة بين ابنته وشامل واعترف لنفسه بأنه يشعر ببعض الغيرة فهو لم يعتد أبدا على اهتمامها برجل غيره .. لكنه قاوم شعوره بالضيق وقال هادرا في الاثنين

اللذين لا يزالا ينظران لبعضهما "هل سنأكل أم سنقضي الوقت في التسبيل!"
انتبه شامل واخفض نظراته إلى حبه الثاني بعيدا عن حبه الأول أو الذي أصبح في المرتبة الأولى وتطلع في الأطباق ثم أمسك بالخبز المحلي وشق الرغيف إلى نصفين يعطي نصفه لونس المخضبة الوجنتين والتي تجلس إلى يمينه وقطع لقمة كبيرة ليدس يده في الطبق ويكورها ويحشرها في فمه باستمتاع بعد أن سمى بسم الله فطالعته ونس بهيام.
أشار لها بيده لتأكل فاتسعت ابتسامة فمها الواسع ليضيء وجهها أمامه قبل أن تمد يدها لتأكل وهي سعيدة .. سعيدة جدا وتتمنى ألا ينتهي هذا الحلم أبدا.
أما عيد فتطلع وهو يمضغ الطعام في شامل المقبل على الأكل بشهية .. وراقب نظراته المختلسة لونس متسائلا في سره إن كان هذا

الشاب بسيط ومتواضع كما يبدو له .. أم أنه يحاول تصنع ذلك ليلقى قبولا !.
وشتان بين الاثنين!
وتطلع في ونس التي لا يعلم كيف أضحت فجأة عروس مخضبة الوجنتين تحرص على ارتداء ما يجعلها آنسة ..
تأمل وجهها السعيد .. وذلك الانبهار والتعلق الذي يراه أي كفيف في عينيها .. وشعر بالخوف الشديد عليها ..
بالخوف من الخذلان ..
بالخوف من أن تصدم هذه القصة الوردية بصخرة الواقع ..
فرفع عينيه للسماء يتمتم في سره" يا صاحب الجود لا تكسر بقلب ابنتي وافض علينا بكرمك وتممها على خير فلا أنا ولا هي سنتحمل الفشل أبدا"

xxxx

"أنتِ بالتأكيد تمزحين يا بسمة!!"
قالتها مليكة صارخة في الهاتف باستنكار فردت عليها الأخيرة بهدوء ثلجي "أنا لا أمزح طبعا"
قالت مليكة باستهجان " ما تنوين عليه يعد جنونا.. وهل تعتقدين أن كامل سيقبل بهذا؟!"
قالت بسمة بنفس الهدوء "سنرى"
سألتها مليكة " ماذا ستستفيدين من كل هذا؟
"

هتفت بسمة بغضب مكبوت " الانتقام .. الانتقام من الجميع .. ممن في القرية وممن في العاصمة من كل مَن حاول استغلالي أو جرحي .. من كل مَن عاملني كلقمة سائغة سهلة المضغ .. حاولت كثيرا أن أرمم نفسي دون المساس بأحد فلم يسمحوا لي بذلك .. أهل البلدة يروني لقمة سائغة لتلوكها الألسنة .. بعض الرجال يرونني بضاعة جميلة بخسة الثمن يستطيع الوصول إليها كنوع من الرفاهية وكزوجة ثانية

يتغلبون بها على شعورهم بالملل الزوجي..
والنساء يرونني أشكل خطرا عليهم .. تفاعلت معهن أو تقوقعت على نفسي في كلتا الحالتين لم أعجبهم .. مهما حاولت التجاهل لا يتركوني في حالي .. حسنا سأريهم كيف أن بسمة الوديدي قد تزوجت من ذلك الشاب الثري الذي لم يسبق له الزواج "
قالت مليكة باستهجان "ولكنك تنوين على الانفصال بعد فترة قصيرة !"
قالت بسمة بثقة " لا بأس يكفي أن أريهم أنني حينما أريد الزواج سأتزوج ممن هو ذا قيمة وشأن .. وبأني لست بضاعة تم ركنها في سوق المستعمل.. أما أبي وأخي الذين يعاملونني كعار فسأجعلهما فخورين بي سعداء .. سأمنحهما كل ما يرغبان فيه ليشعرا بالزهو بين الناس ثم وعلى حين غرة (طرقعت بإصبعيها) أعود إليهما مطلقة للمرة الثانية (ولاحت ابتسامة

متشفية على وجهها وأضافت) أو ربما لن أعود ربما أجد لي مكانا في العاصمة بعد الطلاق أو حتى أسافر .. لا أعرف سنرى"

قالت مليكة بغير تصديق " يا بسمة أنت تنتقمين من نفسك بهذا الشكل لا تنتقمين منهم وحدهم .. "

غمغمت بمرارة " ربما أستحق ذلك .. فقد عشت ساذجة الجزء الأول من حياتي وحين أردت النهوض من كبوتي ضُربت في مقتل يا مليكة "

زفرت مليكة بقنوط وغمغمت "أنا لا أعرف ماذا أقول ..و أرى أن تتريثي "

هتفت بسمة باستنكار "أتريث بشأن ماذا يا مليكة ..أنا عليّ أن أختار من الثلاثة عرسان بأسرع وقت وكامل سيحقق لي ما أريد"

سألتها مليكة متعجبة " وهل سيقبل بشرطك ؟!"

بوجوم هزت بسمة رأسها وقالت بلهجة حزينة " أتوقع بأنه سيقبل فهو من الاساس كان يحل الموقف .. شهامته وحبه لمفرح فرضا عليه ذلك .."

ردت مليكة مجادلة " الحقيقة لا أتوقع أن مفرح سيقبل بهذا من الاساس لو كان ما تظنينه صحيحا .. وأتوقع بأن كامل صادق في طلبه"

قالت بسمة بلهجة متألمة " يا مليكة بالله عليك ..لم يعد عندي مساحة خالية من الجروح ..ولا أريد أن أرفع سقف توقعاتي لأكثر من شهامة ورجولة منه لحل الموقف ..أنا في حالة من الانهيار النفسي الذي يوشك على الضياع ..على التلاشي ..وأمنع نفسي من التشبث بالأوهام .. ولا أجد في نفسي ما أمنحه

لشخص أخر .. سأركز على انتقامي لنفسي من الجميع وأتمنى أن يوافق على التعاون معي "
سألتها مليكة بقلق "وإن لم يوافق "
ردت بسمة بلهجة ساخرة" ماذا سيريد في المقابل .. علاقة جسدية ؟.. لا بأس عليّ بتقديم بعض التنازلات"

هتفت مليكة بغير تصديق " بسمة !!"
قالت بسمة مطمئنة "لا تقلقي سأديرها جيدا هذه المرة لأني أنوي بأن أنتصر وأجعل الجميع يرون من هي بسمة ..هيا اذهبي ولا تقلقي بشأني سأطمئنك سلام "

وقفت مليكة تنظر في الهاتف بذهول معقودة اللسان بينما تحركت بسمة بخطوات ثابتة تغادر غرفتها إلى الطابق الأرضي إلى حيث ينتظر كامل.

الفصل السابع عشر

تطلع كامل في تفاصيل البيت من حوله بفضول وبدا له تقليديا أكثر من اللازم بل إنه لا يدل على أن صاحبه رجل ثري ومن عائلة كبيرة كسليمان الوديدي .. فهو بعكس بيت العمدة وبيت الجد صالح اللذان يحتويان على أثاث فخم فلا يشابههما هذا البيت إلا في الضخامة والاتساع .. فالأثاث فيه بسيط وتقليدي ولولا أنه يعرف الحاج سليمان ومدى ثرائه لتصور أنه لعائلة متوسطة الدخل فلا شيء فيه يدل على ثراء صاحبه ..

أهنا تربت بسمة ؟..

ترى هل احبت هذا البيت وتمتلك فيه ذكريات سعيدة ؟

قال الحاج سليمان مرحبا بطريقته المبالغة "أنرتنا يا كامل يا ولدي؟"

رغم شعوره بلزوجة هذا الرجل وعدم تقبله لأن يكون هذا هو حماه رسم كامل ابتسامة ضعيفة على وجهه ولم يعقب متسائلا لماذا تأخرت بسمة في مقابلته .. لقد انتهى من كوب الشاي الذي قدمته له الحاجة أم بسمة الجالسة قبالته تتأمله بتدقيق يشعره بالحرج .

غمغمت الأخيرة بترحيب شديد" أنرتنا يا حبيبي أخبرني هل تفضل طعاما معينا؟"

تنحنح كامل ورد برزانة " أنا آكل كل الطعام ..لكني لا أريد أن أتعبك يا حاجة فأنا متعجل اليوم ولن استطيع أن أبقى على الغداء "

قال سليمان بعتاب" وهل هذا يجوز ! "

رد كامل "عليّ أن أعود للعاصمة فورا أنا وتوأمي فلدينا اشغالا معلقة "

سأله سليمان بفضول " وأين هو الآن هل هو عند مفرح ؟"

رد كامل باقتضاب يشعر بالاختناق لكرهه للثرثرة" إنه عند خطيبته "

غمغم سليمان ممتعضا" آه البنت الخرساء ..الحقيقة تفاجأنا كلنا باختيار أخوك لبنت القللي ..فلا تؤاخذني البلدة مليئة بفتيات أكثر منها جمالا وحسبا ونسبا"

انقلبت مقلتي كامل يناظر سليمان بنظرة جعلت الأخير يقول مستدركا بحرج "سبحان الله كله نصيب"

تكلم كامل بصوت هادئ "إنها عنده أغلى ممن هن أكثر جمالا ومالا ونسبا "

قال سليمان متحرجا "بالطبع ..بالطبع (ثم صاح في زوجته) أين بسمة يا حاجة تعجليها"

قامت فاطمة تقول "حاضر (ثم استدارت لكامل تسأله) سأحضر لك عصيرا ما دمت قد انتهيت من الشاي"

استشعر كامل طيبتها واستشعر سعادتها بوجوده فغمغم بلطف لا يخرج لأي أحد وهو يتطلع في عينيها الزرقاوين مدركا لحظتها من أين حصلت بسمة على زرقة عينيها "شكرا لك ولكن صدقا لن أقدر "

دخلت بسمة تقول بصوتها الرخيم ذي البحة" السلام عليكم "

استقام كامل واقفا ببطء بينما قال سليمان "أخيرا جئت يا بسمة "

لم ترد بسمة ولم يقل كامل أي شيء بل ظلا واقفان بصمت مرتبك .. ليقطع سليمان الصمت قائلا" أنا سألحق بصلاة الظهر قبل أن تفوتني ثم أعود ..وأنت أعدي لكامل بك العصير يا أم وليد .. "

تحركت فاطمة مغادرة الغرفة مع زوجها وقد تُرك الباب مفتوحا بينما وقف كامل وبسمة يحدقان في بعضهما ..وهال كامل ما رآه .

كان بها شيئا مختلفا ..أو مفقودا ..
شيئ يذكره بلقائهما أول مرة في خيمة الطباخين
..
عيناها كانتا رماديتين حزينتين كغابة موحشة مقبضة ..
ولم يكن يعلم قبل الآن عيناها يتغير لونهما..
بينما بدا وجهها منتفخا وجفونها متورمة ..
فأدرك بأنها قد تضررت كثيرا ..

أما بسمة فطلبت من قلبها التنحي جانبا فلم يعد له مكانا .. فلا وقت للحب ولا للتورط فيه
.
سألها بحشرجة" كيف حالك؟"
ردت بلهجة متألمة "تقصد بعد ما تسببت لي فيه؟!"
سألها باستهجان "هل تلومينني !!"

ردت بسخرية مرة " وهل هناك أحد أخر يمكن أن ألومه!"

قال بصوت خافت غاضبا والشرر يتطاير من عينيه " أكنت تريدين مني أن أترك لهذا الوقح أن يتجاوز معك!!"

تكتفت ترفع ذقنها وتقول بكبرياء " كنت سأتصرف بشكل أكثر هدوء حتى لا تحدث فضيحة"

قال مستهجنا "عن أي هدوء تتحدثين لا أفهم! "

لاح الألم فجأة في عينيها رغم أنها حاولت بشدة ألا تبدو أمامه مثيرة للشفقة فسحب كامل نفسا عميقا وقال " عموما اعترف بأني بالغت في رد فعلي"

عقبت بلهجة ساخرة متألمة " ولهذا أتيت وتقدمت للزواج مني؟! "

أدرك كامل بأنها مجروحة وتداري وجعا عظيما .. وجع وجد صداه في قلبه هو أيضا فسألها مراوغا وهو يضع يديه في جيبي بنطاله "هل هذا ما تعتقدينه ؟"

بلهجة ساخرة متهكمة قالت متصنعة التفاجؤ " لا تقول! .. هل أعجبك ؟.. هل وقعت في غرامي أنت الآخر ؟!!..فذلك المعتوه كان أيضا واقعا في غرامي وأنا الآن أعاقب بسبب مشاعره هذه .. (ووقفت تضع يدها في خصرها وتقول بلهجة مستعرضة ساخرة) ها ..أخبرني هل أعجبك جمالي كامل بك؟ .. عموما لو كان هذا حقيقيا فلن اندهش فهذا أمر اعتدت عليه منذ صغري .. حتى أني مطلوب مني الآن أن أختار من بين ثلاثة عرسان دفعة واحدة " كالطائر المذبوح الذي يؤدي رقصته الأخيرة بكبرياء مزيف .. بدت أمامه ..

وعلى الرغم من ذلك ناظرها كامل بنظرات خطرة في صمت بعد أن جرحت كبريائه الذكوري الذي يتحفظ في الأوقات العادية على الاعتراف بأمور الحب والعشق فما بال الآن وفي هذا الموقف المعقد بينهما .. فتحصن خلف صلفه وغروره معترفا بأنه حتى لو تنازل عن كرامته في تلك اللحظة ليخبرها بالحقيقة فالبوح بأية مشاعر لن تستقبلها بسمة بشكل صحيح حاليا .. وأدرك بأنها مشوشة وغير متزنة بعد كل ما مرت به .. فتقبض بقوة في جيبي بنطاله ورد بلهجة ساخرة يتقنها "يؤسفني أن أخبرك بأنك مغرورة قليلا "

أطلقت بسمة ضحكة باردة خالية من الحياة وغمغمت ساخرة "أنظر من يقولها !!.." وقف يناظرها بمقلتين مقلوبتين صامتا وحائرا بين لهفة قلبه وزمجرة كرامته .. فأمسكت

بسمة بين عينيها بسبابتها وابهامها تغمغم" يا إلهي هذا أغرب حديث بين اثنين يتحدثان بشأن الزواج (وأشارت له على الأريكة خلفه تقول بهدوء) تفضل من فضلك "

لم يتحرك ولم يخرج يديه من جيبيه بل قال "هل أرسلت إلي لتخبريني بأني السبب فيما حدث لك ؟"

قالت بثقة مزيفة " أليست هذه الحقيقة؟!"

سألها بهدوء وقد استشعر بأنها تريد أن تصل لنقطة معينة "والمطلوب ؟"

ضيقت عينيها تسأل " أريد أولا أن أعرف لماذا فعلت ما فعلت بطلب الزواج مني .. هل تجامل مفرح ولا تريد أن تخسر صداقته فقررت التضحية بنفسك والزواج من مطلقة ؟!!"

جاراها للنهاية ليعرف ماذا تريد فرد ببرود "من ناحية التضحية فكلامك صحيح.. ولكن ليس

من أجل مفرح ولكن من أجل أخي ..فهو كما تعلمين قد خطب ونس ووالدها متردد بشأن هذا الارتباط ولهذا لم أرغب في أن يتحدث الناس عني بما يعطل زيجة أخي "

"اممم فهمت "

قالتها تداري ألما جديد يضاف لآلامها وكأنها كانت تهتم بالإجابة .. رغم أنها قررت ألا تهتم .. بينما أكمل كامل " بالإضافة لأني رجل أتحمل مسئولية أفعالي .. ورأيت أن تصرفي كان له رد فعل أضخم وأكثر مبالغة مما توقعت لذا قررت أن أتحمل مسئولية ما تسببت فيه "

عقدت ذراعيها أمام صدرها وسألته بهدوء

"وماذا بشأن السفر ألم تخبرني بأنك ستهاجر؟"

رد كاذبا " الحقيقة قد تأجل الموضوع مؤقتا"

نظرت أرضا تفكر برهة فتمنى كامل أن ينهي هذا الجدل العقيم وأن يأخذ تلك الحمقاء التي

تدعي الصلابة إلى حضنه ويعتذر لها بالنيابة عن الجميع ويحثها على تبكي وتفرغ أنهار الدموع المحبوسة في مآقيها .
تمنى بشدة أن يضمها إليه بقوة ليخفيها بين ضلوعه عن العيون ..
تمنى أن يخبرها بأنه موجود وسيظل موجودا فلن تبقى وحيدة بعد الآن .
رفعت إليه أنظارها تقول بذقن مرفوع "اسمع يا استاذ كامل كما قلت بأنك قررت أن تتحمل مسئولية ما تسببت لي فيه.. واعترفت بأنك ترغب في الزواج مني لإنقاذ زيجة توأمك .. وأنا أقدر لك صراحتك وأجدها مناسبة لظروفي جدا .. لذا دعنا نعقد صفقة يستفيد منها الطرفان"
ما توقعه كان صحيحا بأن لديها غرض ما من تلك المقابلة فطحن ضروسه وتماسك ليستمع وقلبه لا يزال متألما لحالتها الماثلة أمامه بينما

أكملت بسمة " أنا أوافق على طلبك ولكن
شرطي أن يكون زواجا صوريا فقط أمام الناس"
تفاجأ كامل وصدم لكنه حافظ على غموض
ملامحه بينما أكملت بسمة بلهجة حاولت أن
تكون عملية لكنها خرجت متألمة رغما عنها
"فمن الجيد أنك لا تفكر فيّ كزوجة "
هم كامل بالنفي لكنها اسرعت بالقول "وهذا
يريحني جدا ويرفع عني الضغط "

خرس كامل ووقف أمامها محتارا بينما أكملت
بسمة توضح فكرتها.. "أنت ستنقذ زيجة
توأمك وستجامل مفرح صديقك وأنا
سأتخلص من إلحاح أهلي عليّ بالزواج لفترة
..سأقوم فيها بتثبيت قدمي وتطوير عملي
وهناك شرط أخر ألا وهو أني سأستمر في عملي
وسأحضر لمباشرته أكثر من مرة في الشهر

..وسينتهي هذا الزواج أو الاتفاق بعد مدة حين
يطلب أحد الاطراف من الاخر الانفصال"
صمتت تتطلع في عينيه العميقتين ..
من أين أتت بتلك الثقة في أن تعرض عليه فكرة
غريبة وحساسة كهذه ؟!
وهل لو كان مهاب مكان كامل الآن كانت
ستتكلم بهذه الـ أريحية وكأنه سيتفهم
وجعها؟..
ولماذا تبذل مجهودا حتى تبقى ثابتة متحفظة
قوية ومتماسكة أمامه ..
لماذا لا تترك نفسها تنعم ولو لدقائق بالـ وهم
..
بأنه يريدها ..
بأنه فارس الأحلام في حكايات البنات المراهقة
الذي أتى بحصانه الأبيض لينقذها .
لماذا لا تتشبث بالوهم فهو مخدر رائع لآلام
الروح؟ .

ولماذا لا تضيف على مطالبها أن يكون لها حق اللجوء إلى حضنه فما أصعب الشعور حين تقف وحيدا ضعيفا متألما لا تملك وطنا يحتويك .

مرت الثواني عليها بطيئة وصعبة بينما ملامحه تزداد صلابة وغموضا أمامها .. وللحظة ندمت على ما قالت ليس استهجانا للفكرة فهي ما تتمني أن تحققه لتنتقم لكنها شعرت بأنها ربما تهورت بعرض الفكرة عليه بهذا الشكل الفج الصريح ..

المشكلة أنها لا تتقن ألاعيب النساء ولا تحبذها .. هي دوما صريحة وواضحة وليست من النوع المتلون أو المراوغ ولن تقبل لنفسها بأن تخدعه هو أو غيره بالموافقة وليس في نيتها الاستمرار في الزواج.

أما كامل فأدرك الوضع جيدا ..ورغم الحاح كرامته المهانة عليه لكن قلبه وحبه لها فازا في المعركة على كبريائه وعنجهيته .. ورغبته في حمايتها واخراجها من هذه البلدة كان الأكثر أهمية في تلك اللحظة فقال بهدوء "لي شروط أنا الأخر "

تماسكت وهي ترفع له ذقنها بكبرياء زائف مترقبة فأوضح كامل "ستتعاملين مع هذا الزواج بجدية فيما يخص صون كرامتي كزوج .. وثانيا لن يعرف أي فرد من العائلتين بهذا الاتفاق وسنبدو أمامهم زوج وزوجة طبيعيان" هزت رأسها موافقة تتحكم في رغبة في اظهار امتنانها وراحتها لكنها تحتفظ بنفسها باردة غير مبالية فهذا يخدر مشاعرها كلها الحزينة والمجروحة منها والهائمة الولهة أيضا. بهدوء وثقة قال كامل "و أنا أوافق"

xxxx

"اتركني يا بسطاويسي سأحرق البلدة كلها"
دفعه الأخير قائلا بغضب "اهدأ يا بدير هل فقدت عقلك؟.. يكفي أن البلدة كلها باتت تعلم الآن أنك طلبتها للزواج ورفض طلبك وبعد ما حدث أي رد فعل منك سيسئ لك وللعائلة كلها "

كان صدر بدير يعلو ويهبط بانفعال والنار تأكل في قلبه فقال متوعدا "سيرى مني هذا الغريب ما يليق به .. رصاصة طائشة ستنهي حياته "
هدر بسطاويسي في لحظة نادرة من الغضب ليست من شيمته "أنت بالفعل قد فقدت عقلك .. إنك أول شخص ستشير عليه أصابع الاتهام يا غبي لو حدث ذلك ..هل ستضيع حياتك من أجل امرأة !"

ناظره بدير بألم وغمغم بقلب محروق
"ستضيع مني للمرة الثانية يا بسطاويسي"
ابتعدت وجدان عن التلصص على غرفة
الضيوف لا تعرف إن كان عليها أن تفرح بأن
قوبل طلبه بالرفض أم تحزن على حالته
المزرية .. كل ما تعرفه أنها تشعر بالراحة وبأن
شعورا بالخيبة والخذلان والمرارة وكسرة
النفس سيصاحبونها للأبد.
في الغرفة قال بسطاويسي " أنت بحاجة لأن
تترك القرية وتذهب لأي مكان لتريح أعصابك
بعيدا عن الجميع بضعة أيام ..أعرف سمسارا
يؤجر شققا في إحدى القرى السياحية سأجعله
يؤجر لك شقة هناك تستجم فيها وتريح
أعصابك وتمتع عينيك بما لذ وطاب من النساء
هناك .. (واضاف مغادرا وهو يناظره بقرف)
ربما تخلصت ساعتها من ذلك العفريت
الملقب ببسمة الذي يلبسك !"

اغلق الباب خلفه .. بينما أسند بدير رأسه بين يديه في جلسته على الأريكة يحاول ألا يفقد اتزانه حتى لا يخسر أكثر من ذلك فيكفيه ما حدث ..لكنه لن يسكت ابدا .. لن يترك انتقامه ابدا.. لابد أن ينتقم من هذا الرجل الذي أخذها منه.. لابد .

××××

بعد ثلاثة أيام

في الصباح

" قلت أريد أن أريح أعصابي يا أمي"

قالتها مهجة بانفعال لتقول نحمده بغيظ

"أنت هنا منذ ثلاثة أيام وكلما سألتك عن السبب تخبريني بهذه الجملة وزوجك لم يظهر .. والناس ستتساءل عن سبب وجودك هنا"

قالت مهجة بترجي " أرجوك يا أمي لا تضغطي عليّ حتى لا اتخذ قرارات لن تعجبك "

عقدت نحمده حاجبيها تسأل بارتياب " ما معنى هذا الكلام؟"
غمغمت مهجة "لا شيء لا تشغلي بالك"
"ماذا يحدث ؟"
قالها مفرح وهو ينزل من الطابق العلوي
فهتفت نحمده "ألن تأمر هذه البنت أن تعود لبيتها الناس ستأكل وجوهنا إنها لا تزال عروس!"
لم يعلق مفرح وإنما قال " صباح الخير يا أم مفرح (ثم قال لمهجة) تعالي أريدك"
ناظرته نحمده بغيظ بينما لحقت مهجة به في إحدى الغرف فأغلق الباب واستدار يقف أمامها متخصرا يطالعها بملامح جدية .. فتقبضت تواجهه .. ليقول" أنا تركتك لترتاحي وترتبي أوراقك "
انفجرت مهجة فجأة بالبكاء فقال مفرح بحزم وتهديد "مهجة لا أريد انفجارات عاطفية لأن

ذلك سيشوش على حكمتي وتعقلي في التعامل مع الأمر .. ما تفعلينه هذا أقل رد مني عليه هو أن أذهب لابن الوديدي اوسعه ضربا حتى يموت في يدي وقتها فقط سأشعر بالراحة .. لذا أريد أن تتحدثي معي بعقلك واتركي العاطفة جانبا "

مسحت مهجة دموعها ورفعت رأسها تحاول التماسك قائلة "أنا لن أكمل معه"

انقبض قلب مفرح ووضع أمام شيئين متناقضين خوف عليها من خوض تجربة ليست بالهينة .. وفي الوقت ذاته لا يريدها أن تبقى معاقبة بسوء اختيارها الذي حذرها منه من قبل فقال بهدوء ورزانة " اسمعي يا مهجة تعلمين جيدا أني سأساندك في أي قرار ستتخذينه مهما كان الطريق صعبا ووعرا ..ومهما كانت الاعتراضات ..لأن الأمر لن يكون

وقعه هينا فأنت متزوجة من ابن خالك ..لكن دعيني أناقشك في هذا القرار "
قالت مهجة ممتنة " أنا بالفعل بحاجة للتفكير بصوت عال "
سألها مفرح "هل هذا بسبب الموقف الأخير فقط أم أن هناك أسبابا أخرى تضاف على ذلك؟"
هزت رأسها المطرقة أمام أخيها ثم قالت "ليس هناك شيء أخر فهو يعاملني جيدا ويحبني بجنون "
ذكرها مفرح "وانت تحبينه يا مهجة .. تذكري مناقشتنا حينما تقدم للزواج منك قلتي أنك تحبيه"
قالت بلهجة بائسة " ولازلت يا مفرح بل وأكثر .. وهذا هو ما يضغط على أعصابي أنا لست خائفة من لقب مطلقة ولا أخشى شيئا ربما لأني أعلم بأنك ستدعمني وأن أبي مهما عارض

لن يرضى لي بما لا أطيق .. لكنك كنت على حق حين قلت بأن الناس لا يتغيرون بسهولة هذا إن تغيروا .. أنا تصورت بأن الحب سيكفي .. وحاولت التعامل مع تهوره وحماقاته بصبر لكن ما حدث أظهر لي أني كنت كمن ينقش على الماء .. أن الطريق طويل وصعب وغير مضمون النتائج"

قال مستهجنا "فقررت الاستسلام!"

نفت مهجة "لا"

جادلها مفرح مؤكدا " هذه هي الحقيقة .. هل تسمين هذا حبا !"

سألته بحيرة "ماذا تقصد؟"

رد موضحا " أن تستسلمي من أول جولة انهزمت فيها في أمر يخص شريك حياتك .. أين ايمانك بنفسك وحبك له؟.. من نحبهم نتمسك بهم ما داموا لا يتعمدون أذيتنا ..لا أطلب منك تعذيب نفسك أو الاستمرار في

علاقة فاشلة لكن اطلب منك أن تكوني قد استوفيت كل المحاولات مع شريكك ..خاصة لو كان هذا الشريك يحبك"

قالت بلهجة متألمة " لكنه خذلني يا مفرح ..في أول امتحان لرجولته خذلني .. حاولت التماسك ..حاولت التماس الاعذار .. لكن حين لطم بسمة على وجهها صدمت صدمة عمري .. لم اصدق أنه تجرأ على فعل ذلك"

عقد مفرح حاجبيه يقول متفاجئا" هل فعلها!!!"

قالت باكية" أجل أمامي وأمام أمه"

مسد مفرح على لحيته عدة مرات مستاء بشدة ومشفقا على بسمة .. وتمنى أن تتم الامور على خير بين بنت خاله وصديقه لتبتعد عن البلدة كلها رغم أنه يشعر بأن هناك شيئا قد تم بين كامل وبسمة قبل يومين حينما طلبت أن تجلس معه لكن كامل لم يقل شيئا غير أنها

اشترطت على أن يبقى مشروعها كما هو وأن تباشره من فترة لأخرى لكنه لم يشعر به سعيدا كما توقع .. على أية حال يعلم بأن بسمة ربما سترتبط بكامل حتى تخرج من أزمتها لكنه متفائل بأن مشاعر كامل نحوها ستسعدها وتعوضها.

عاد من شروده حين سمع مهجة مستمرة في استرسالها تقول "لحظتها قارنت بين تصرفك وتصرفه وشعرت بخيبة الأمل الشديدة تيقنت بأن الحب بدون أن تملك ثقة في تصرفات الأخر واحترام له لا يكفي "

رد مفرح بهدوء" هل تريدين رأيي؟"

"بالطبع"

أوضح مفرح " هذه المقارنة ظالمة يا مهجة .. المقارنة بيني وبينه ليست عادلة .. أنا أكبر منه عمرا وخبرة وهو مر بضغط شديد .. ألسنة

الناس قاسية وهو لا يزال طائشا يحكمه دمه الحامي وحماس الشباب كلنا نخاف من ألسنة الناس يا مهجة حتى أنت من تقولينها بشجاعة سأنفصل لابد أنك قد فكرت ولو للحظة في كلام الناس"

أطرقت برأسها تقول " أكثر شيء جعلني مترددة هو معرفتي بأنه سيتألم لقراري هذا .. وبأني سأؤذيه بشدة ..لكني لا أريد لقلبي أن يسيطر على أفكاري مرة أخرى"

قال مفرح بإصرار " يا مهجة أنا أرى أنك استسلمت من أول جولة .. لا انكر كما قلت أن تصرفاته كانت طائشة ومتهورة وغير مدروسة .. وأنه لم يحاول أن يتريث ويفكر بل طاح كالثور الهائج .. لكن ما تطلبينه أيضا فوق طاقته واستسلامك للهزيمة من أول جولة شيء محبط لي أنا شخصيا "

قوست شفتيها لأسفل فأضاف مشفقا " أنا أقول هذا لك لتتخذيه كمبدأ عام في حياتك"
ازداد تقوس شفتيها وقالت "هل هذا معناه أنك تطلب مني العودة له ؟"
رد مفرح بحيادية " لا هذا ولا ذاك فكما قلت لك أنت ستأخذين القرار وتتحملين تابعاته وستتحملين النتائج بشجاعة.. وصدقيني كل شيء في الدنيا مهما كان حلوا له جانبه السلبي حتى في الحب"
قالت مجادلة "وهل هناك جانب سلبي في حبك لمليكة "
سؤالها لمس الجرح بداخله لكنه تجاهله قائلا بشقاوة وهو يهرش في لحيته" طبعا يكفي بأني مضطر أن أبقى مخلصا لها للأبد ولن استطيع مثلا أن اتزوج ثانية وثالثة ورابعة لأن ذلك سيؤذي مشاعرها "

اتسعت عينا مهجة وقالت بصدمة" حتى أنت يا مفرح! .. أنت بالنسبة لي أيقونة العشق .. فارس الأحلام "

ضحك مفرح وضربها على مؤخرة رأسها يقول " إن لم توجد هذه الرغبات بداخلي وأسيطر عليها من أجلها .. فأين الابهار في كوني مخلصا لها إن كنت مبرمجا من الأساس على ألا أنظر إلا لها يا ذكية !"

توردت وجنتيها وهي تطالعه فدوما كانت قصته مع مليكة وحبه لها رمزا للحب الذي يتحدى الصعاب ..

أضاف مفرح بجدية " الحب نعم لا يصنع المعجزات لكن من الممكن استخدامه كسلاح قوي ..قرارك هذا ربما كنت سأفرح به لو كنت مازلت على البر لم توافقي على الإبحار معه (وأكمل بامتعاض) تعرفين أني لا أطيقه لا هو ولا أبوه لكن يا ست البنات أنت أبحرت معه

بالفعل.. ولازلت في بداية الرحلة وأي زوجين عاديين ليس بينهما هذا الحب الذي تدعينه يمران بأمواج عاتية وأمطار غزيرة وعواصف وأحيانا دوامات لاختبار مدى قوة العلاقة بينهما ..لكنك مع أول ضربة للمركب قررت القفز منها .. أين ذلك الحب الذي تتشدقين به! ..أين إعطاء الحبيب أكثر من فرصة ! .. تعلمين أني لا أشجعك على أن تكوني ضعيفة ذليلة لتقبلي بعلاقة مؤذية لكن هذا أيضا لا يعني التصرف برعونة"

قالت بارتباك "أنا..."

قاطعها يؤكد بلهجة موبخة " أجل قرارك هذا الذي اتخذتيه لم تضعي في حساباتك أهلك وسمعتك في البلدة .. هذه ليست شجاعة يا مهجة .. الشجاعة حينما تستوفي كل محاولاتك للإصلاح ثم تتخذين القرار بعدها وأنت ضميرك مستريح أنك حاولت .. أما في

حالتك هذه فأنا أرى أنه تهور وحماقة لا تقل
عن حماقة وليد ..خاصة وأن الموقف بعيد
عنكما انتما الاثنين "
قالت بحنق طفولي " لكني حزينة وغاضبة منه
بشدة يا مفرح ولا اطيقه"
قلدها متهكما " (لا اطيقه !) .. كما قلت لك
وجود الحب بينكما سلاح قوي في يدك عليك
باستخدامه بذكاء "
ضيقت عينيها تسأله " ماذا تقصد؟"
لمعت عيني مفرح وقال "سأخبرك "

xxxx

بعد الظهر

"يا الله المكان هنا مريح للأعصاب يذكرني
بمسقط رأس أبي أليس كذلك يا حاج غنيم؟"
قالها شامل بمجرد أن دخلت السيارة القرية
وهو يستدير بوجهه للمقعد الخلفي حيث
يجلس والديه قاصدا لفت انتباه والدته

الصامتة طوال الطريق لكن الأخيرة لم تعلق بل ظلت تتطلع في الحقول الخضراء من النافذة بينما رد غنيم وهو يختلس النظرات لزوجته "هذا حقيقي نفس الأجواء والخضرة"
نظر شامل لكامل الذي يجلس خلف عجلة القيادة والغارق في أفكاره ثم عاد للصمت متخوفا من أن تتصرف والدته بهذا البرود وهما ذاهبان لزيارة عائلتي ونس وبسمة للاتفاق على تفاصيل الارتباط .
بإصبعه نغز غنيم خصر زوجته التي ناظرته بعبوس فبادلها النظرة بعتاب لكن الأخيرة لم تستطع التغلب على حالتها ..صحيح لا تعارض وليست حزينة لكنها ليست متحمسة أيضا .
قال غنيم مناغشا "ذكرتني بالذي مضى يا شامل ..كنت انتظر سوسو كل يوم وهي عائدة من المدرسة ..كانت تمشي كالغزال "

صفق شامل بكفيه بخشونة قائلا بمزاح" يا عيني على الغزال يا عيني !"

ابتسم كامل وطالع في المرآة أمامه والدته التي توردت وجنتيها ولملمت شفتيها حتى لا تبتسم بينما استرسل غنيم" وكان الناس يقولون لي كيف وأنت في السابعة والعشرين من عمرك تنظر لفتاة مراهقة في السادسة عشرة لكني كنت مصرا.. (ونظر لسوسو بحب قائلا) ذكريات جميلة في الوطن .. لا زلت أذكر أمكما بمريلة المدرسة وضفائرها يا ويلي من ضفائرها الطويلة والغرة على جانب واحد .."
تحكمت سوسو في ابتسامة تصر على الظهور ودفنت وجهها في النافذة بجوارها أكثر بينما أضاف غنيم "كانت تتعمد الإبطاء أمام مطعم أبي أو تحضر صديقاتها عندنا بالمطعم وتختلس النظرات بعينيها الساحرتين نحوي"

استدارت سوسو بسرعة تقول نافية" لم يحدث"
قال غنيم بنظرة ذات مغزى "يا سوسو!..لقد اعترفت لي حينما تزوجنا "
غمغمت بحرج "لم يحدث يا غنيم أبدا"
ضحك كامل بينما صفق أخيه بنفس الخشونة قائلا بمناغشة "يا سوسو يا صاحبة النظرات المختلسة "
شمخت بأنفها وقالت" إنه يتوهم أنا لم أنتبه له أبدا قبل أن يرسل لي تلك الرسالة "
صيحات أعجاب خرجت من فاهي التوأمين .. بينما قهقه غنيم .. ليقول كامل لوالده في المرآة "لم نعرف بهذه القصة كنت أعرف فقط أنك كنت تخشى من رفض والدها لفارق العمر بينكما ولأن أسرتها من المحامين والقضاة ووالدك وأجدادك طباخين واصحاب مطاعم"

أدارت سوسو وجهها المتورد للنافذة بدلال أنثوي بينما قال شامل متحمسا" احك لنا عن الرسالة يا أبي"

قال غنيم وهو ينظر لزوجته التي تدفن وجهها في النافذة "جاءت مرة مع صاحبتها للمطعم كما كانت تفعل عصر كل خميس بعد خروجهن من المدرسة .. فأمرت النادل أن يضع ورقة صغيرة مطوية تحت فنجانها عبرت فيها عن مشاعري ووقفت من بعيد أراقبها "

سأل شامل بحماس" وماذا حدث؟"

رد غنيم "حين غادرت وجدتها قد وضعتها مطوية كما هي تحت الفنجان وفيها مبلغا على سبيل الإكرامية"

انفجر غنيم وولديه ضاحكين بينما استمرت سوسو في التحكم في وجهها حتى لا تضحك ليقول غنيم بعدها "فعلمت بأنها موافقة وذهبت لوالدها في نفس اليوم مساء"

عقد كامل حاجبيه وسأله "وكيف علمت بأنها
وافقت لقد وضعت لك بقشيشا !"
نظر غنيم لسوسو ثم قال " أولا لأنها حين
وجدت رسالتي أنزلتها تحت الطاولة لتقرأها
دون أن يراها صاحباتها ولو كانت تقصد الرفض
كانت مزقت الورقة ووضعتها مع البقشيش
لكنها تعمدت التدلل والمناكفة "
قال شامل بإعجاب" أووووه لست هينة أبدا يا
سوسو"
قالت سوسو تدافع عن نفسها" أنا لم أرغب في
اهانته لا أكثر "
تكلم شامل متهكما " هذا على أساس أن
البقشيش لم يكن إهانة له!! "
رد عليه كامل متفكها" إهانة ناعمة يا ولد"
ضحك شامل ليضيف غنيم وقد ألحت
الذكريات على رأسه "والدها رفض في البداية ..
قال لي إنها لا تزال تدرس وأنت في السابعة

والعشرين من عمرك ..قلت له سأنتظرها
عامين حتى تنتهي من الدراسة الثانوية (ونظر
لسوسو يضيف) لا زلت أذكر حتى لون
الفستان الذي اطلت عليّ به حين ذهبنا أنا
واسرتي لنخطبها رسميا "
حدجته سوسو بدلال أنثوي ثم عادت لتتطلع
في النافذة بكبرياء بينما شرد كامل يفكر ..
هل سيأتي اليوم الذي يعود فيه بالذاكرة ليتذكر
كل تفصيلة تخص علاقته ببسمة ؟
هل سيستطيع أن يقنعها بعد الزواج بحبه؟..
هل سيقدر على أن ينسيها كل ما مرت به ؟.
والسؤال الأهم :
هل ستحبه بسمة يوما ؟.
نظر إليه شامل مواسيا وقد قرأ أفكاره وحزن
بشدة لما آلت إليه الأمور بينه وبين بسمة فهو
الوحيد الذي أطلعه على فحوى اتفاقهما.

سأله غنيم من المقعد الخلفي" هل أكدت على الحاج عيد بأننا سنمر أولا على بيت الوديدي يا شامل ؟.. لا أريد أن يأخذ الرجل الأمر بحساسية "

رد شامل مطمئنا" أبلغته يا أبي"

لاحظ شامل أن كامل قد انحرف يمينا متخذا طريقا جانبيا فقال معترضا" لماذا؟؟؟ "

رد كامل ببرود متعمد "حتى لا نمر من أمام بيت هبلائك وتضعف .. علينا أن نزور بسمة كلنا كعائلة"

هتف شامل متوعدا "كامل أنت مصر أن اكسر عظامك اسمها ونس ..ونس يا زفت ونس .. "

xxxx

بعد قليل كانت سوسو تجلس في غرفة الضيوف في بيت الوديدي تتطلع حولها بوجوم على البيت التقليدي بينما الحاج سليمان يقول للجميع" أنرتمونا والله يا غنيم بك"

رد غنيم مبتسما "هذا نوركم يا حاج سليمان" في الطابق العلوي قالت بسمة في الهاتف" لا تقلقي عليّ يا مليكة وكامل موافق على كل طلباتي كما قلت لك تحملا منه لمسئولية ما حدث.. وبصراحة أجد أن الأمر مريحا بالنسبة لي وسيجعلني استفيد .. فهذا الزواج الصوري سيجعلني أنتقم من الجميع كما قلت لك .. المهم لا تبالغي في قلقك عليّ يا مليكة " شحب وجه بسمة فجأة حينما وجدت أمها تقف مصفرة الوجه على باب الغرفة فقالت بسرعة" سأذهب الآن يا مليكة سلام " قالت فاطمة بحشرجة وهي تضرب على صدرها "زواج صوري !!.. ما معنى هذا الكلام؟! " لم تكن ترغب في أن تعلم أمها بالذات فقد كان من ضمن اهدافها بهذه الخطة أن تفرح أمها ولو لبعض الوقت .. فأسرعت تقول مبررة "يا

أمي أنا اضطررت لهذا فأنت رأيت بنفسك ماذا حدث لي"

سألتها فاطمة "ولماذا ليس زواجا حقيقيا؟!!"

ردت بسمة موضحة "لأن كامل ينوي أن يهاجر وأنا لا أريد أن أربطه بمكان لا يريده ..ولا أريده.."

أن يشعر بأنه متورط لأن قدره كان معي "

كان ما تقوله صعب الفهم بالنسبة لعقليتها البسيطة فسألتها باستهجان "وهل وافقك هو على ذلك ؟!!"

أجابتها بسمة مؤكدة " وافق يا أمي ومشكورا قرر مساعدتي"

بحزن شديد اطرقت فاطمة برأسها لتقول بسمة محذرة" لا أحد يعرف هذا الأمر يا أمي سوى مليكة .. ألا تريدين سعادتي ؟"

رفعت إليها فاطمة عينين حزينتين وغمغمت "هذا كل منايا يا بسمة "

قالت بسمة " وتريدين قطع ألسنة الناس عني؟"
هزت المرأة رأسها "طبعا"
قالت بسمة تحاول أن تخفف عنها الصدمة "إذن أنا أقول لك أني سعيدة بأن الأمر سيتم بهذا الشكل ..لا أريد أن أتورط عاطفيا ثم أخسر مجددا لن اتحمل الخسارة يا أمي أبدا "
قالت فاطمة بحيرة "والله يا بسمة أنت متعلمة وذهبت للمدارس صحيح ..لكني لا أتوقع أن هناك رجلا سيوافق على هذا إلا إذا كان يطاوعك فقط وبعد أن تصبحي زوجته لن تستطيعي أن تقولي لا "
قالت بسمة لتطمئنها "سنرى يا أمي إلام ستؤول إليه الأمور"
ضربت فاطمة على صدرها تقول باستنكار "هل من الممكن أن يكون به عيبا أقصد ..أقصد .."

احمرت وجنتي بسمة وردت" يا أمي بالله عليك ما هذا الكلام .. هو فقط شهم ويريد أن يتحمل مسئولية ما حدث .. هيا لننزل للضيوف " سحبتها بسمة معها بينما غمغمت فاطمة تحدث نفسها" لا لا الرجل طول وعرض ما شاء الله لا أتوقع بأنه لا يصلح للزواج "

بعد قليل سحبت بسمة نفسا عميقا ودخلت تشعر بتوتر شديد وكأنها عروس حقيقية.. وتذكرت رغما عنها تلك اللحظة البعيدة قبل ثمان سنوات حينما زارهم سيد مع الحاج سماحة ليطلب يدها بعد أن قابلها في حفل زفاف لعائلة ثرية في مركز المحافظة .. كان سيد على علاقة وقتها بالعريس .. لكن وقتها كانت بسمة أخرى .. أما ما تشعر به الآن هو مزيج مختلط من مشاعر كثيرة .. خوف ..ترقب ..ارتباك ..واشياء كثيرة لا تملك الوقت

لترجمتها خاصة بعد أن التقت عيناها بعينيه العميقتين اللتين كانتا في استقبالها بمجرد أن دخلت .

ارتبكت بسمة أكثر وسخرت من نفسها مما تشعر وكأنها مراهقة.. فوضعت الصينية التي تحملها على المنضدة ..ثم استدارت لتمد يدها للحاج غنيم الذي قال معجبا" ما شاء الله لا قوة الا بالله ما هذا الجمال !"

مال شامل على كامل يقول هامسا "أبشر سقط والدك في بحر عينيها "

تحكم كامل في ابتسامة بينما نظر شامل لأمه الواجمة التي تتطلع في بسمة بتدقيق من رأسها حتى أخمص قدميها وهمس لأخيه ضاحكا "سوسو تمارس دور الحماة من الآن استر يا رب مع ونس المسكينة اليتيمة .. "

همس مفرح " علام تتهامسان؟"

لعب له شامل حاجبيه مغيظا ولم يرد .
تطلعت سوسو في بسمة بعين أنثى متفحصة فاقتربت منها بسمة تحاول الحفاظ على وجهها هادئا من أي انفعالات تموج في صدرها خاصة قلبها الذي تشك في أن المتواجدين كلهم يسمعونه وسلمت عليها بهدوء فأسبلت سوسو جفنيها وهي تسلم عليها بأناقة قبل أن تهرب الأولى لتجلس بين والدتها وأخيها الصامت منذ بداية الجلسة ..
على الناحية الأخرى كان يجلس كامل الذي لم يرفع عينيه عنها ..بينما دخلت بعض المساعدات لتضعن باقي صواني الضيافة أمامهم .
قال غنيم بلهجة عملية "نريد أن نتفق على التفاصيل يا حاج سليمان "
تكلم سليمان بسعادة "ما بين الأهل لا يوجد تفاصيل يا غنيم بك "

قال غنيم "بارك الله لكم .. نحن جاهزون فولداي سيعشان عندي في الفيلا بعد الزواج .. لهم في الطابق الثاني جناح لا ينقصه أي شيء .. والعروس ما عليها إلا أن تجلب حقيبة ملابسها .. وهدية العروس أو ما تسمونه الشبكة فستكون بالقيمة التي تحددونها حسب العرف في قريتكم"

من تحت جفنيها المسبلين أخذت سوسو تدقق في بسمة واعترفت لنفسها بأنها أكثر جمالا مما توقعت بل إنها فاتنة تستحق أن توضع على أغلفة المجلات واعترفت بأنها لم تتوقع بأن تجد في القرى من هن بهذا الجمال الأخاذ ..

تطلعت في ملابسها فستان أرجواني بخصر مرتفع وذلك الوشاح الخفيف الذي لا يغطي إلا نصف رأسها ..واعترفت بأنها تبدو لطيفة رغم جدية ملامحها ووجومها .

أما كامل فكان لا يزال يختلس النظرات لها
حينما قاطع الحديث قائلا "أنا أرى أنه لا داعي
لإطالة الوقت ولا داعي لفترة خطبة ليس لها
معنى فلنعقد القران دون تأجيل"
تنحنح سليمان وناظر مفرح ووليد براحة ثم
قال "لا يوجد لدينا مانع على بركة الله"
التقت عيني كامل بعيني بسمة التي اسبلت
أهدابها سعيدة لأنها ستتخلص من هذا المكان
قريبا بينما قال كامل "إذن هل نعقده غدا ؟"
ضحك سليمان وقال" لا تتعجل يا عريسنا"
تدخل مفرح قائلا" علينا أن نعرف الاجراءات
أولا لأن الزواج سيعقد بالمحكمة وليس على يد
مأذون القرية "

قال غنيم مقترحا "ما رأيكم في الاسبوع
القادم؟.. وسأقترح على الحاج عيد أن يكون
شامل هو الأخر في نفس اليوم"

اتسعت ابتسامة الأخير ..وتبادل النظرات مع مفرح وكامل بينما انطلقت الزغاريد عالية من الخارج تطلقها النسوة المساعدات ..

عاد كامل وبسمة لتبادل النظرات .. ورغم الحزن الكامن في القلوب انتصرت الفرحة لثوان ..في الوقت الذي نظر وليد نظرة واجمة لمفرح الذي يتجاهله منذ بداية الجلسة.

قال الحاج سليمان بلهجة استعراضية "أين الغداء يا حاجة فاطنة ؟"

قال غنيم "دائما عامر يا حاج سليمان لكن لابد أن نذهب للحاج عيد فهو ينتظرنا "

هتف سليمان غاضبا "ما هذا الكلام!!.. والله لن تغادروا إلا بعد الغداء لقد اقسمت "

غمغم غنيم بلهجة عاتبة "لماذا القسم يا حاج سليمان!!"

استقامت بسمة لتلحق بأمها التي غادرت لإعداد السفرة فأمسكت بها الأخيرة بمجرد أن

خرجت من باب الغرفة تقول هامسة "يا بسمة
كيف ستفرقين بين التوأمين ؟!!"

ابتسمت بسمة وغمغمت "استطيع يا أمي لا
تقلقي"
اختلست فاطمة النظر عبر الباب وقالت "هل
أنت متأكدة من هو العريس بينهما انهما
متطابقان بشكل مرعب!! "
قالت بسمة مطمئنة" أجل يا أمي أنه ذو
القميص الرمادي"
سألتها هامسة" قلتِ ما اسمه؟"
ردت بسمة عليها وهي لا تزال تشعر بالذنب
من التسبب في قتل فرحتها منذ قليل بما عرفت
"اسمه كامل يا أمي ..هيا لنتعجلهن فيبدو أن
الضيوف في عجلة من أمرهم"

قالتها وتحركت تسبقها للمطبخ بينما اختلست فاطمة النظر عبر الباب لكامل تتأمل طوله وعرضه .. ثم تحركت تدمدم بخفوت "هذا الطول والعرض لن يكون به عيب أن شاء الله (واستدارت تنظر له مجددا وعادت تحدث نفسها) كامل مثل اسمه بإذن الله.. ابنتي هي الهبلاء وهو يطاوعها لا أكثر "

بعد قليل كانت سوسو تجلس أمام المائدة العامرة بكل ما لذ وطاب تحدق في الطعام باتساع عينيها ..لتقول الحاجة فاطمة عبر المائدة وهي تضع لها صدر ذكر بط على طبقها "كلي يا سهيلة هانم لماذا لا تأكلين !"

قالت سوسو مفزوعة وكأنها قد لدغها عقرب " لا لا بط لا "

تنحنح شامل الجالس بجوارها ومد يده يأخذ من يد الحاجة فاطمة قائلا "سلمت يدك "

قالت فاطمة بحرج "والله يدي نظيفة جدا
والبط صعب تقطيعه بالسكين "
شعرت سوسو بالاستياء لتسببها في إحراج
المرأة فقالت بلهجة أكثر لطفا "لا بأس كلنا
نقطع الطعام بيدينا سلمت يدك"
تدخل كامل يقول بهدوء" أمي لا تأكل البط"
قالت فاطمة متفهمة "لا بأس .. "

ومدت يدها تلتقط واحدتين من الحمام
المحشي لتضعها أمامها فابتعدت سوسو
بجذعها للخلف تمسك في بجانبي الكرسي الذي
تجلس عليه متحاشية النظر إليه فرفعت إليها
فاطمة مقلتيها الزرقاوين باستفهام ليقول
شامل ضاحكا وهو يأخذ الحمام "ولا الحمام يا
حاجة فاطمة"

قالت سوسو بلطف" شكرا لذوقك لكن..."

تدخل كامل مرة أخرى ليقول بهدوء" أكل البط و الحمام غير منتشر في بلدنا"
اتسعت عيون أفراد عائلة الوديدي متفاجئين بينما قال مفرح ضاحكا من الطرف الأخر للمائدة "تفاجأت مثلكم حينما علمت منهما بهذه المعلومة لأول مرة "

تدخل شامل يقول ضاحكا وهو يمد يده لذكر بط أخر ويقوم بتقطيعه بيديه "لكن أنا وكامل وأبي نأكل كل شيء والبط يقطع باليد أسهل يا حاجة فاطمة"
لكز كامل أخيه بمرفقه يقول من بين أسنانه "ارحم نفسك "
قال شامل ببراءة وهو يفصل الورك "كنت أقطع قطعة لأبي"

مال وليد الذي كان يلعب بالطعام أمامه دون شهية على مفرح يقول بوجوم" اليوم مساء سأمر لأعيد مهجة إن شاء الله فيكفي هذا القدر من المبيت خارج البيت "

رد عليه مفرح بامتعاض "حين تأتي تعال مع خالي لأن مهجة لا تريد العودة "

اشتعل الغضب في عيني وليد وهم بالصياح لكنه نظر حوله وتماسك حتى لا يثير فضيحة وعاد ليلعب في الطعام وهو يطحن ضروسه.

أما بسمة .. فظلت تراقب سوسو التي كانت تحرك الارز في طبقها بالملعقة دون أن تقربه .. فسألتها "لماذا لا تأكلين؟"

غمغمت سوسو بحرج "أعتذر بشدة لكني لا أقوى على الأكل الدسم "

قالت فاطمة مدافعة "الأرز بالسمن بالبلدي ألا تحبين السمن البلدي! "

تطلعت سوسو في الأرز المخلوط بالشعرية أمامها وقالت باستياء من اضطرارها للكسر بخاطر المرأة الطيبة" آسفة بشدة أنا لا أكل الكثير من الدهون آسفة سامحيني"

قالت فاطمة بحزن" لا أعرف هذه المعلومة والله سامحيني ..المرة القادمة اخبريني ماذا تحبين من الطعام وأنا سأطبخه لك "
تركت بسمة مقعدها فجأة فتطلع فيها الجميع لتقول" أنا سأتصرف "
صاحت سوسو بحرج" لا لا أرجوك لا تشغلي بالك "
قالت بسمة بهدوء" لا يصح ألا تأكلي في بيتنا"
راقبها كامل وهي تغادر وتحكم في ابتسامة تتراقص على شفتيه كقلبه السعيد جدا رغم كل شيء ..بينما حدج غنيم زوجته بنظرة موبخة

جعلت الأخيرة تطرق بملامح طفلة مذنبة في حرج شديد.

طلبت بسمة من إحدى المساعدات أن تستأذن وليد لاستخدام المايكرويف في شقته لأنها لا تتحدث معه منذ ذلك اليوم .. فدخلت المرأة محرجة ومالت على وليد هامسة فأومأ لها برأسه ..
أخذت بسمة ما اخرجته من الثلاجة واسرعت تصعد إلى شقة وليد ..ثم نزلت بعد قليل تحمل طبقا مسطحا من الصيني ودخلت لتناوله لسوسو عبر المائدة فالتقطه غنيم قائلا "سلمت يدك يا عروسة ابني"

بحرج ورغم احتفاظها بجديتها غمغمت بسمة "أرجو أن يكون مقبولا "

قالت سوسو بحرج وهي تتطلع في صدور الدجاج المتبلة وبجانبها بعض الخضروات المقطعة" جميل سلمت يدك"
هربت بسمة من عيني كامل الذي لم يرفعهما عنها منذ أن دخلت ومن تلك الابتسامة التي تستفزها على جانب فمه.. ودفنت وجهها المشتعل في الطبق أمامها مختلسة النظرات من تحت اهدابها لسوسو التي بدأت تأكل واعترفت بسمة لنفسها بأن هذه السيدة الأنيقة جدا تبدو طيبة ولطيفة..

بعد ساعة كان آل الوديدي على باب البيت يودعون عائلة غنيم ومفرح الذي سيرافقهم لبيت عيد القللي .. فقال شامل للحاجة فاطمة بلهجة معجبة قبل مغادرته" الطعام كان رائعا يا حاجة سلمت يدك"

غمغمت الأخيرة بسعادة شديدة "بالهناء والشفاء يا حبيبي" ودققت فيه بارتباك ترفع إليه مقلتين زرقاوين حائرتين غير متأكدة إن كان هو العريس أم لا .. فلاحظ شامل ذلك وسحب أخاه الذي يقف يديه في جيبي بنطاله يتطلع في بسمة التي تقف تحضن نفسها وقال من بين أسنانه" ألن تودع حماتك !"

تركه وحيا بسمة مغادرا بينما مد كامل يده يسلم على الحاجة التي تطلعت فيه تقول بعفوية" أنت لست مبتسما مثل توأمك ..لكن قلبي مطمئن لك"

شعر كامل بالإطراء فشدد على يديها بكلتا يديه مستشعرا طيبة قلبها .. لتطلق فاطمة زغرودة طويلة وتبعتها النسوة يطلقن الزغاريد فأحس كامل بالحرج ونظر لبسمة نظرة سريعة ثم خرج من باب البيت ليلحق بعائلته.. بينما قال مفرح بسعادة شديدة "مبارك يا بنت خالي "

وقفت بسمة تودعهم على الباب وعيناها تختلسان النظر للجيران اللذين يطلون من الشرفات ويقفون أمام الأبواب يراقبون ما يحدث بفضول ومنهم من بدأت بالزغردة للمجاملة .

شعور بالانتصار .. بالتشفي .. تملك من بسمة رغما عنها ..

لقد كانت تتجاهلهم منذ أن عادت قبل ثلاث سنوات والآن هم من أجبروها على ذلك .

قاد شامل سيارة آل غنيم بينما ركب كامل في سيارة مفرح وبادره بالقول بمجرد أن تحركت السيارة" أعتقد الآن من حقي أن أحصل على رقم هاتف بسمة أليس كذلك ؟"

ناظره مفرح بنظرة جانبية وغمغم بمناكفة وهو يمسد على لحيته عدة مرات" سأفكر في الأمر"

قال كامل بغيظ "مفرح .. اعطني إياه وإلا سأحصل عليه من وليد "

قال مفرح ببرود مغيظا "كم ستدفع ؟"
فهدر الآخر بغيظ "مفرح لن يعجبك ردي"

xxxx

وكأن الزغاريد لها أجنحة ..
وكأنها طارت لتلف القرية كلها بخبر خطبة بسمة الوديدي لأحد التوأمين الثريين .
خبر انتشر في البلدة بسرعة البرق وتباينت القلوب في استقباله ..ما بين سعيد وحاقد .
لكن عائلة العسال كان لها وضعا خاصا ومعقدا في استقبال الخبر .. فعماد العسال تلقاه شامتا في أخيه الأكبر .. شاعرا بالسعادة بأنه قد خسر .. يسعده دوما أن يخسر أخاه .

وجدان انهارت في بكاء حار من رقدتها في سريرها منذ تلك الليلة التي ذهبت فيها لبسمة .. وأخذت بمجرد أن سمعت خبر زواج بسمة

الوشيك وذهابها للعاصمة تقبل ظاهر يدها
وباطنها تحمد الله وتشكره ..
صحيح قلبها تحطم إلى أشلاء.. ولن يعود أبدا
كما كان ..
وصحيح أن الجرح لن يطببه أي شيء ..
لكن يكفي أنها ستعود لدائرة الأمان بعيدا عن
الشعور بأنها مهددة وفي خطر .

على الناحية الأخرى وفي بيت جابر دبور كان
هناك من توشك على الموت.
لقد فازت عليها ..
انتصرت ..
أخذت كل شيء ..
كالعادة حصلت بسمة على كل شيء ..
كالعادة هي الأفضل ..

حتى كونها مطلقة ولا تنجب لم يعقها لأن تتزوج للمرة الثانية ممن هو أكثر شبابا وثراء ووسامة ..ولم يسبق له الزواج .
هذه المرة فازت عليها بنت الوديدي بالضربة القاضية ..
وهي التي تحملت عيشتها مع زوج معقد كئيب عتيق الطراز من أجل أن تبقى متفوقة عليها بزوج وابنة ..
لقد ضاع كل شيء هباء ..
ضاع ما صبرت عليه هباء ..
ضاع عمرها من أجل لا شيء .
تحركت كاميليا جيئة وذهابا في غرفتها منذ أن علمت بأمر الزغاريد التي انفجرت في بيت الوديدي منذ قليل ..
رأسها سينفجر وكأنه يوشك أن يتفتت إلى شظايا ..

إنها الغبية فها هي بنت الوديدي استغلت
جمالها أحسن استغلال ..
ها هي ستعود للعاصمة من جديد وربما
سافرت خارج البلاد مع زوجها ..
وهي ستبقى في هذه القرية الصغيرة الخانقة
حتى تموت ..
حتى بدير يبدو أنه قد استسلم .. فقد سافر إلى
مكان ما منذ أمس ويغلق هاتفه ..
العالم كله ينهار من حولها وتشعر بالنار تأكل في
قلبها ..
لو بيدها لذهبت وأشعلت النار في بيت بسمة
حتى تموت محروقة ..

من أين تأتي بهذا الحظ ؟..
من أين ؟
لابد أن هناك سرا لهذه المحظوظة .
حتى الخرساء لها حظ أفضل منها ..

أهي مؤامرة كونية لإحراق قلبها !!
انفجرت بالبكاء بانهيار وهي تضرب رأسها بيديها تشعر بأنها ستموت ..
لابد أن هناك حل فلن تتحمل الوضع بهذا الشكل ..
ستموت ..
تقسم بأنها ستموت .

في نفس اللحظة كان بدير يقف في شرفة إحدى الشاليهات المطلة على البحر يتلقى نفس الخبر على الهاتف وما كان منه إلا أن ضرب الهاتف في الحائط فنزل مهشما على الأرض.. ثم مال يستند بذراعيه على ظهر كرسي أمامه يمسك به بقوة .. وهو رفع عينين يختلط فيهما الغضب والحقد بالدموع ..
قبل أن يضرب بالكرسي في الحائط فينزل بجواره الهاتف .

xxxx

دخل آل غنيم ومعهم مفرح إلى غرفة ذات أثاث متواضع في بيت عيد القللي.. وعند أريكة تقليدية مرتفعة أكثر من اللازم عن الأرض وهو شكل تقليدي قديم للأريكة في هذه المنطقة..
حاولت سوسو الجلوس عليها إلا أن قامتها القصيرة لم تساعدها على ذلك ..
بعد بضع محاولات فاشلة قررت بحنق الارتكان بجسدها نصف واقفة عليها يدها فوق الأخرى باستسلام .
بمجرد أن خرج العم عيد من الغرفة بعد الترحيب بهم اقترب كامل يقول وهو يكتم الضحك" لماذا تجلسين بهذا الشكل يا سوسو "؟

رفعت إليه أنظارها النارية بينما انفجر شامل ضاحكا و حاول مفرح ألا يضحك حتى لا يحرجها.

مد كامل ذراعه لها لتستند عليه لأن الاريكة ليس لها يدين فضربته على ذراعه تقول بعصبية" ابتعد من أمامي الآن"
اقترب غنيم منها يتحكم في ضحكته بصعوبة شديدة قائلا بلهجة موبخة لولديه" علام تضحكان .. أ لأنكم نخل تفعلون هذا مع عقلة الإصبع خاصتي! "
أدارت له سوسو وجهها تحدجه بنظرات نارية مستنكرة فمنحها غنيم ذراعه لتستند عليه وتصعد فوق الأريكة ثم ضربت ذراع كامل الممدودة والذي يحاول أن يكتم الضحك.
إلى غرفة ونس دخل عيد يقول بتوتر" ماذا تفعلين عندك؟"
قالت نصرة موبخة "أنت متوتر أكثر من اللازم يا عم عيد اهدأ قليلا"
غمغم عيد بغيظ "اسكتي أنت"

تنهدت نصرة ترفع عينيها للسماء بيأس قائلة"
سامحك الله لن أرد عليك "
انتهت اسراء من تعديل الوشاح الوردي حول وجه ونس الأبيض والذي يغطي نصف رأسها فوق فستان بألوان متداخلة من الوردي والزهري والبنفسجي فتطلع عيد فيها ومط شفتيه يداري تأثرا بهيئتها الساحرة ثم تمتم
"هيا الناس ينتظرون "
تركها فأمسكت ونس قلبها من فرط الحماس تهدئه لتقترب منها نصرة وتعطيها التعليمات وهي تمسك بصينية فوقها كؤوس لامعة اعارتها لها أم هاشم بينما أعارتها اسراء طقما من الاطباق والشوك من جهازها الذي تخزنه حتى تقدم فيه الحلوى للضيوف .
ارتبكت ونس فقالت نصرة "تطلعي أمامك ولا ترتبكي وضعي الصينية بهدوء على الطاولة أمامهم واجلسي برقة "

بعد ثوان دخلت ونس والصينية تهتز بين يديها بشكل ملحوظ وعيناها تدوران في المكان بفضول لم تستطع كبحه حتى بدا أن الصينية ستسقط من يديها فهب شامل واقفا واسرع إليها يحمل عنها الصينية ثم وقف متسمرا يحدق في وجهها وعيناها التي يراها مكحلتان لأول مرة فازداد اللون البني فيهما توهجا بينما طلاء شفاه وردي على شفتيها وهي تطالعه بابتسامة متسعة فانفجرت دقات قلبيهما تعزف سلاما متناغما .

تنحنح كامل الجالس بجوار الباب وهو يشد توأمه من قمصيه فتحرك على الفور ليضع الصينية فوق المنضدة .

اتجهت انظار الجميع إلى ونس وتكلم غنيم "بسم الله مشـ"

قطع كلامه حينما تحركت ونس فجأة تهرول إلى خارج الغرفة وكأنها قد نسيت شيء ..

فتطلعت سوسو باتساع عينيها في زوجها الحائر بينما غمغم عيد بحرج شديد "ستحضر بقية الصواني"

هتفت سوسو بذعر " بط مرة أخرى لا بالله عليكم! "

سعل شامل عدة مرات يغطي عما قالته أمه في الوقت الذي لكزها كامل الجالس بجوارها

فتطلعت لزوجها التي يناظرها بعتاب بعد أن اتفقوا ألا يذكروا أنهم قد تناولوا الغداء عند الودايدة حتى لا يحزنوا عيد أو يدفعوه لفهم الأمر بشكل خاطئ لأنهم رفضوا دعوته على الغداء من قبل حضورهم من العاصمة متعللين بضرورة السفر قبل حلول الظلام ..

غمغمت سوسو بحرج" أقصد ..أقصد لا داعي لأي طعام ..فأنا لا آكل وأنا على سفر"

ربت مفرح على فخذ عيد متمتما بلباقة "مبارك يا رجل يا طيب .. "

ردد عيد كلمات مجاملة ثم غمغم في سره "الهمها بالرزانة والتعقل يا رب حتى لا يكسر بخاطرها "

دخلت ونس تحمل صينية أخرى عليها اطباق من الجاتوه والحلوى واقتربت تضعها على المنضدة ثم وقفت أمامهم تشبك يديها أمامها

.

سألها غنيم مناغشا" هل هناك شيئا آخر ستحضرينه ؟"

تطلعت فيها سوسو مدققة متفحصة بينما هزت الأخرى رأسها نافية ليقول غنيم مشيرا بيده "تعالي.. اقتربي لأرى عن قرب تلك الشقاوة التي تتراقص في عينيك"

نظرت ونس لشامل ثم اقتربت بوجنتين مشتعلتين من غنيم الذي استقام واقفا وقال مناغشا "يا الله ما هذا الكم من الشقاوة والمكر

في عينيك!! .. أعان الله هذا الرجل الطيب عليك "

أشارت ونس على نفسها ببراءة مصطنعة ما يعني أنا !!

فرد غنيم متهكما وهو يغمز لها بعينه "لا بل أنا "

اتسعت ابتسامة ونس فمد غنيم يده يقول "مرحبا ونس"

سلمت ونس عليه ليقول مشيرا على الأريكة المقابلة" سلمي على حماتك "

استدارت ونس تضغط شفتيها ببعضهما وهي تقترب من سوسو التي وقفت تطالعها بهدوئها الذي بدا مخيفا فسلمت عليها الأخيرة تقول برزانة "أهلا ونس "

فجأة ألقت ونس نفسها على سوسو باندفاع تحضنها مبتسمة .. فأجفلت الأخرى قبل أن

يذوب لها قلبها لكنها تنحنحت وربتت على ظهرها ..
ابتعدت ونس عنها تتطلع فيها بابتسامة ثم أخرجت دفترها تكتب شيئا ثم رفعته أمام سوسو التي عقدت حاجبيها تقرأ بصوت عال "أنا عيناي تشبه عيني شامل (ثم رفعت إليها أنظارها تقول باعتراض وكبرياء) أنا عيناي أوسع من عينيه بكثير "
حركت ونس سبابتها أمام سوسو نافية ثم عادت تكتب في الدفتر وترفعه لتقرأ سوسو "تقصدين نظرة العين ولَحْظها؟"
أومأت ونس برأسها ثم أدارت وجهها لتنظر خلفها من فوق كتفها لشامل بينما قال كامل مناكفا "عيناها كعيني شامل فقط !! لا حول ولا قوة إلا بالله! "

انقلب وجه ونس وحدجته بجانب من عينها قبل أن تهز رأسها بالإيجاب متحدية فقال كامل بامتعاض" عليك بفحص نظرك إذن "
كتبت ونس بإصرار " أنا اتحدث عن نظرة العين"
عادت تنظر لسوسو التي كانت لا تزال تتفحصها بتدقيق كبير ثم انتبهت فجأة ورفعت سبابتها بما يعني سأعود بعد قليل وتحركت مهرولة تترك الغرفة.

تطلع الجميع في اثرها باندهاش قبل أن يقول غنيم لعيد "نريد أن نتفق على التفاصيل يا حاج عيد"
مدققا في هاتفه منح كامل ساعده في نفس جلسته بجوار الباب لوالدته لتعود للصعود على الأريكة العالية والتي أخذت تتحسس

مرتبة الأريكة القاسية اسفل منها بانزعاج تاركة البقية يتحدثون عن التفاصيل.
بينما كامل كان منشغلا بهاتفه حيث كتب لبسمة على الواتساب" مساء الخير"
وظل مترقبا للرد غير مصدق بأن الحواجز بينهما تتلاشى شيئا فشيئا .. فها هو يستطيع أن يتحدث معها في الهاتف أخيرا.

اقتربت ونس من الغرفة .. فقطع شامل تركيزه مع ما يدور من مناقشات بين والده والعم عيد ومفرح بينما اسرع كامل دون رفع رأسه بفرد ساقه الطويلة أمام باب الغرفة فشهقت ونس متفاجئة ثم كشرت ملامحها تناظره بغيظ.
همس شامل بغيظ ينادي أخيه متوعدا بينما الآخر إدعى عدم الانتباه .. لتلكزه سوسو هامسة بتوبيخ" هل أنت ولد صغير يا كامل!!"

رفع كامل رأسه عن الهاتف مستهبلا وسحب ساقه بسرعة وكأنه لم يكن منتبها ثم عاد يتطلع في هاتفه فدخلت ونس ووقفت أمامه تلوي شفتيها وهي تناظره بامتعاض ..

رفع كامل انظاره لها يقول بتحفز صبياني "لماذا تنظرين إلي بهذا الشكل؟ .. اسمعي أنا سأكون في مقام اخيك الأكبر وعليك التعامل معي بكل توقير واحترام "

رفعت ونس زاوية شفتها العليا بينما ظلت سوسو تتأمل ما في يدي ونس باندهاش قبل أن تتسع ابتسامة الأخيرة وهي تقترب منها تمنحها أصيصا صغيرا ملونا مصنوع من الصلصال الحراري .

أمسكت سوسو الأصيص بمفاجأة بينما تراقص قلب شامل في صدره وهو يرى جنيته الساحرة متفردة في تصرفاتها .

كتبت ونس لسوسو في دفترها "هذه هدية لك لم أعرف أي أنواع الورود تفضلين وخشيت إن سألت شامل يخبرني بنوع من الورود لن استطيع احضاره فأشعر بالإحباط لهذا اخترت الريحان .. إنه بالتأكيد موجود في كل البلدان ورائحته جميلة وعطرة .. وهذا الأصيص أنا من صنعته ولونته بنفسي "

رفعت سوسو الأصيص أمام ناظريها تدقق في دقة وجمال النقوش الملونة عليه على هيئة أزهار صغيرة وغمغمت بإعجاب واضح" هل أنت من زخرفه بهذه الدقة؟"
أومأت ونس بالإيجاب .

الهدية لمست قلب سوسو ورغم احتفاظها بملامحها المتحفظة قالت "شكرا لك (وأكملت وقلبها يرتجف) رائحة الريحان ذكرتني ببيت

أبي رحمه الله (ثم نظرت لها تقول)لماذا لا تجلسين؟"
تحركت ونس تجلس بجوارها بوجنتين مشتعلتين فرماها شامل بنظرة مناغشة سريعة ثم عاد ليستمع لحديث والده والعم عيد ..
فأخذت ونس تتأمل من تحت جفنيها المسبلين حماتها الجالسة بجوارها .. كانت أنيقة ولم تبد كبيرة في العمر كما تخيلتها ..وتطلعت في قدميها المعلقتين فوق الأريكة دون أن تصلا للأرض فابتسمت في الخفاء متعجبة كيف أن هذه السيدة القصيرة تنجب شابين ضخمين كشامل وكامل.

أما سوسو فأخذت تتطلع في أثاث الغرفة المتواضع البسيط والذي لم تستطع أن تنكر بأنه كان دافئا ونظيفا ..وألوان الفرش رغم رخص ثمنه كانت متناسقة مع لون السجادة

المصنوعة من خيوط طولية من القطن تدعى (كليم) ..

لاحظ كامل أن بسمة قد قرأت الرسالة ولم ترد فأرسل لها يقول "أنا كامل"
حين لم ترد استقام واقفا ..وطلب رقمها بدون تفكير وهو يخرج من الغرفة بينما لفت انتباه سوسو لوحة على الحائط في برواز تقليدي قديم مقسومة لنصفين نصف يحمل صورة تبدو قديمة جدا لوجه امرأة ترتدي حجابا خمنت من ملامحها بأنها أم ونس والنصف الأخر كان لرسم مطرز بالخيط ..
سحبتها اللوحة إليها بشكل غريب فنزلت من فوق الأريكة وتحركت نحوها فراقبت ونس مشيتها الأنيقة الراقية بحذاء ذي كعب عال وتمنت أن تتعلم يوما أن تسير مثلها بهذه الأناقة ..

وقفت سوسو أمام اللوحة مأخوذة تحاول فهم العلاقة بين الصورتين حتى وضعتا في إطار واحد فاقتربت منها ونس ثم كتبت "هذه أمي"
نظرت سوسو في الدفتر ثم عادت ترفع انظارها للوحة وهي تقول "خمنت ذلك تشبهينها كثيرا .. ومن رسم هذا الرسم المتقن بالتطريز ؟"
اشارت ونس على نفسها بفخر ..فتطلعت فيها سوسو ثم عادت تنظر للوحة تقول "رائع جدا .. أنت موهوبة بالفعل "
اشتعلت وجنتي ونس لتسألها سوسو وهي تتطلع في تفاصيل اللوحة المرسومة بالتطريز لفتاة بشعر كستنائي مموج طويل يصل للأرض.. كما تحب أن ترسم نفسها ..وسط حديقة من الورود الملونة الكثيرة تطير طائرة ورقية "وهذه الفتاة هي أنت؟"
ضحكت ونس بحرج وأومأت برأسها ثم كتبت في الدفتر "أجل هذه أنا حينما أذهب للجنة

والتقي بأمي .. أردت أن اتخيل بأني في الجنة معها ..لقد طلب مني وأنا في الثانوية أن أرسم لوحة بالخيوط فصنعت هذه ثم وضعتها بجوار صورة أمي حتى أكون بجوارها دوما"
تأثرت سوسو بشدة وقرصت الدموع عينيها ولم تعقب بل عادت تتطلع في اللوحة بإعجاب.

قال كامل في الخارج متحفزا" لماذا لا تجيبين"
جاءه صوتها ذا البحة على الهاتف لأول مرة ليدغدغ أعصابه وهي تقول" كنت سأتصل بمفرح اتأكد من أنه رقمك قبل أن أرد عليك أو أحظر الرقم "
عقد حاجبيه يقول متحفزا" وهل أنت معتادة على أن يرسل لك أحدهم رسائل عادية أو على الواتساب من أرقام غريبة ؟!"
ردت بسمة مراوغة" لا فقط كنت اتأكد"

لم يقتنع كامل .. وخمن بأنها ربما تتعرض لذلك بالفعل فطحن ضروسه وسألها بهدوء ظاهري "هل الامور تسير بخطى مرضية بالنسبة لك؟"

ردت بهدوء " نعم الحمد لله .. وأنت هل اتفقتم مع العم عيد ؟"
قال كامل "سنحاول أن نقنعه أن يعقد شامل قرانه في نفس اليوم "

في الغرفة كانت سوسو لا تزال أمام اللوحة فقالت لونس "أحب تناسق ألوانك"
كتبت ونس " أنا أيضا أحب تناسق ألوانك ما ترتدينه الآن رائع ويدل على ذوق عالي في تناسق الألوان"

تورد وجه سوسو شاعرة بالإطراء بينما قال عيد منفعلا" لا تحسبني لأني رجل بسيط يا غنيم بك لن استطيع تجهيز ابنتي "

استدارت سوسو وونس لتشاهدا ما يحدث ليتدخل مفرح قائلا بلباقة " يا عم عيد اقسم لك بأن العريس في بلدهم يجهز كل شيء .. كما أن الفيلا ما شاء الله لن تحتاج شيء .. وهذا ما حدث بالضبط مع ابنة خالي بسمة صدقني"

صمت عيد شاعرا ببعض الراحة لهذا الخبر غير المتوقع فقد كان يحمل هم تجهيزها بما يليق بنسبهم ..بينما تدخل شامل يقول "أهم ما في الأمر يا عم عيد أن توافق على طلبنا"

ضيق عيد عينيه ليوضح شامل " أن اعقد على ونس الأسبوع القادم .. في نفس الوقت الذي سيعقد فيه أخي قرانه على بسمة الوديدي "

ردد عيد باستهجان" عقد قران الأسبوع القادم "!!

xxxx

في المساء

"طلاق لن أطلق وافعلوا ما تقدروا عليه" قالها وليد صارخا وهو يقف في إحدى غرف بيت العمدة بينما نحمده تضرب على صدرها باندهاش من طلب مهجة في الجلسة العائلية التي ضمت العمدة وسليمان ومفرح ونحمده. ناظرت مهجة وليد بنظرات محبطة فلا يزال ينفعل من أقل الاسباب بينما قال العمدة معاندا بسبب أسلوبه "أتعرف يا ابن سليمان .. ما قالته مهجة كان مستهجنا ومرفوضا مني بمجرد أن تلفظت به الآن أمامنا .. لكن رد فعلك هذا وتطاولك في مجلس الكبار سيجعلني

أصر على التنفيذ .. وأرني أنت وابيك ماذا
ستفعلان لتقفا أمام رغبة ابنتي"
ظل مفرح جالسا بصمت يحاول ضبط
انفعالاته حتى لا يقع تحت تأثير اسلوب وليد
المستفز بينما تدخل سليمان قائلا بمهادنة
وهو يحدج ابنه بنظرات موبخة" ما الذي
تقوله يا عمدتنا "
صرخت نحمده بذعر "عن أي طلاق تتحدثون
..إن ابنتي لا تزال عروس ..وفضيحتنا ستكون
مدوية خاصة وانه ابن خالها "
هدر العمدة في زوجته قائلا" اسكتي أنت "
تدخل سليمان يقول "يا عمدتنا عصبية
الشباب "
قاطعه العمدة هادرا "بل قل قلة أدب ..أن
يقف أمام الكبار وبدون احترام لنا يرد عليها
بهذا الرد المستفز .. كنت سأتفهم من ابنتي ما

المشكلة لكني الآن لا أريد أن أعرف أي شيء وما تريده سينفذ"
صرخت نحمده تكاد تصاب بأزمة قلبية" يا حاج عبد الرحيم "
هدر فيها الرجل العجوز "قلت اسكتي يا نحمدو"
اندفع وليد نحو مهجة يترجم خوفه بل رعبه من تنفيذ ما طلبته بسحبها من معصمها ليجبرها على الوقوف ويجرها قائلا بعصبية "هيا إلى البيت"
استقام مفرح بسرعة واندفع نحوه يدفعه نحو الحائط فصرخت مهجة ونحمده بينما رفع مفرح سبابته يقول بتحذير" إياك .. هل سمعت إياك أن تحاول التعامل معها بهذه الهمجية سواء في حضوري أو في عدم حضوري سأمحوك من على وجه الأرض "

حاول وليد بذل مجهود خارق للتحكم في أعصابه وقال معاندا" أنا لن أطلقها .. حتى لو قتلتني .. سأموت وهي على ذمتي .. حتى لو رفضت العودة ستبقى على ذمتي وسأتركها كالمعلقة "

قال مفرح بهدوء "تستطيع مهجة أن ترفع عليك قضية خلع وتطلق نفسها من المحكمة"

اصفر وجه وليد رغم تمسكه بملامحه الجامدة بينما ضربت نحمده على صدرها صارخة "خلع .. يا لفضيحتي .. تقول خلع يا مفرح (ونظرت لزوجها وأخيها) انجدني يا عبد الرحيم انجدني يا سليمان "

غمغم العمدة بقرف "هذا الولد أنا لا أريد التعامل معه وما يقوله أخوها الكبير سينفذ"

نظرت نحمده لأخيها الذي قال لوليد صارخا" وليد تعال وقبل رأس زوج عمتك "

طحن وليد ضروسه وتحرك متقبضا يقترب من الرجل العجوز الذي اشاح بيده بقرف .. فمال وليد يقبل رأسه قائلا بصوت مبحوح" لا تؤخذني يا عمدتنا كنت منفعلا"
غمغم العمدة بقرف "ليست أول مرة يا ابن الوديدي "
وقف وليد يناظر مهجة من بعيد بنظرات عاتبة مجروحة تعني (أهنت عليك!) فحاولت الأخيرة التماسك تشيح بنظراتها بعيدا عنه .
قال سليمان لمهجة ناصحا " يا بنت أختي الحياة الزوجية بها الكثير من العقبات أخبريني ماذا فعل وسأعـ..."
قالت مهجة مقاطعة "لم أعد أريده"

صرخت نحمده فيها "هذا جنون وغباء تكلم يا مفرح كيف توافقها على ذلك سيرتنا ستكون على كل لسان فضيحتنا ستكون مدوية..

(وحدثت نفسها مولولة وهي تضرب على فخذيها) يا لفضيحتي ..طلاق يا لفضحتي .. طلاق !..لازالت عروس يا ناس.."

تطلع مفرح في مهجة بينما بدأت نحمده ترتعش وتمسك بصدرها فأسرع مفرح إليها يقول مفزوعا" أمي"

اجتمع الجميع حولها وقد بدأت تتصبب عرقا فأمسكت مهجة بيدها تقول" يا أمي اهدئي أنت لا ترضين لي أن اعيش في تعاسة "

تألم قلب وليد مما قالت فأصعب ما مر ويمر به هو أن يكون قد خذلها لكنه لا يعرف كيف يتحكم في انفعاله .. انه يفقد السيطرة على ذاته عند التعرض للضغط ويتفوه بأشياء يندم عليها فيما بعد .. يكفي ما فعله مع بسمة .. لا يزال يشعر بالخزي من نفسه ويتجنب الاحتكاك بها منذ ذلك اليوم ولا يعرف كيف عليه أن يتصرف ليمحو فداحة تطاوله عليها .

بعد قليل قالت مهجة لنحمده التي تسند رأسها إلى كفها "سأعود يا أمي من أجل خاطرك أنت فقط (ونظرت لوليد تقول بلهجة ذات مغزى) إما أن ينصلح حاله أو يأتي الوقت المناسب للانفصال"

بلع وليد طعما مرا في حلقه ولم يعرف إن كان عليه أن يتنفس الصعداء لقرارها بالعودة أم يقلق بشدة ..

كل ما كان متيقنا منه لحظتها بأنه قد خسر مهجة فؤاده ربما للأبد ..

خسرها بسبب حماقاته.

xxxxx

بعد اسبوع

بمجرد أن فرغ من الصلاة في مسجد الشيخ تيمور استدار ليسلم على من يجاوره في الصلاة

ثم اتسعت عيناه هاتفا بمفاجأة "الشيخ زكريا !!"

اتسعت ابتسامة الشيخ زكريا بلحيته البيضاء وقال" كيف حالك يا جابر ؟"

مال جابر على يد الشيخ يقبلها قائلا بحشرجة والدموع قد تجمعت في عينيه" أنا بخير الحمد لله اشتقت لك يا شيخي "

قال الشيخ زكريا وهو يربت على فخذه " كله مقدر ومكتوب يا ولدي "

سأله جابر بلهفة ومحبة غامرة" هل أنت غاضب مني؟"

ابتسم الشيخ زكريا ورد" كيف وأنا جئت لأوصل لك أمانة من الشيخ تيمور !"

اتسعت عيني جابر وغمغم مذهولا" الشيخ تيمور جدك!!. ..وهل يعرفني؟!! .."

ابتسم الشيخ زكريا ابتسامة مشرقة وأجاب "هديتك تقف خارج المسجد "

أدار جابر وجهه إلى يساره حيث يقع باب المسجد ثم عاد ليسأل" أي هديـ ... (وأجفل حينما لم يجد الشيخ زكريا فتلفت حوله مناديا) شيخ زكريا !.. (واستقام واقفا ينادي) شيخ زكريا .."

حين وجد المسجد كله خاليا إلا منه أطرق برأسه حزينا وتحرك نحو باب المسجد بفضول قبل أن تتسع عيناه وهو يتطلع فيما يراه .

كان يقف أمام المسجد فرس أسمر اللون يناظره .. أو تناظره كما وقع في قلبه أنها انثى .. بعينين بنيتين .. وشعر بأن تلك العينان تقولان كلاما غير منطوق .. لكنه لم يفهمه.

شهق جابر وفتح عينيه ينادي "شيخ زكريا " ثم تطلع حوله ليجد نفسه في غرفته وبأنه كان يحلم فتطلع في الضوء الذي يتسلل عبر النافذة ونظر في الساعة بجوار السرير ليجدها السابعة

صباحا فغمغم باندهاش وحيرة "خير اللهم اجعله خير .. ما معنى هذا الحلم العجيب ؟!"

xxxx

بعد ساعة

دخلت الشاحنة الكبيرة لشركة المنتجات الغذائية الشهيرة إلى الشارع المؤدي لبيت الشيخ زكريا واتسعت ابتسامة محسن وهو يلمح أم هاشم آتية من عند بيت الشيخ من آخر الشارع في الوقت الذي خرج فيه جابر من بيته ولا يزال ذلك الحلم العجيب يسيطر عليه

.

لفت انتباه جابر تلك الشاحنة التي دخلت للشارع للتو فتعجب من دخولها .. فليس في هذا الشارع ممر لها إلا بالانعطاف يسارا من أمام بيت الشيخ زكريا ليعود ويخرج من الشارع الخلفي.

كانت أم هاشم تمشي شاردة تفكر في بسمة وونس .. فاليوم عقد قرانهما وكم تمنت أن تكون معهما .. لكن عقد القران سيكون بالمحكمة في مركز المحافظة قبيل الظهيرة ومقصور على الرجال .. وحتى تمنع نفسها الضعيفة من الشعور بالغيرة تمتمت في سرها "ما شاء الله لا قوة الا بالله فليتم الله لهما على خير ويرزقنا مثلهما "

وتحركت تسرع الخطى لتلحق بالمشروع فقد أولتها بسمة مسئولية إدارته بالكامل منذ ذلك اليوم المشئوم وتمهيدا لانشغالها في الفترة القادمة .

مرت بجوار الشاحنة التي توقفت بنفس الشرود فأطل محسن من نافذتها حتى كاد أن يخرج بكامل جسده منها يقول بابتسامته البيضاء "يا صباح الخير على شبيهة جدتي "

وقفت أم هاشم ورفعت انظارها للنافذة العالية
ثم ابتسمت لمحسن ترد الصباح ..فمد الأخير
يده إليها بزجاجة عصير كبيرة قائلا "هذا كي
تشربيه على الإفطار "
قالت رافضة "شكرا لك يا محسن لا أريد "
قال محسن بإلحاح "حلفتك بالغالية جدتنا
ذهبية"
ناظرته بعتاب لإصراره ثم التقطت الزجاجة
وهي تقول" شكرا لك "
بدأت في التحرك فسألها "هل خالي في البيت أم
خرج؟"
قالت دون أن تستدير له "على وشك الخروج "
في وقفته على أول الشارع بجوار سيارته وقف
جابر يتابع المشهد باستهجان وضيق.. بينما
واصلت أم هاشم طريقها تتذكر كيف أن
محسن يحرص على زيارتهم مرة أو اثنين في
الاسبوع منذ ذلك اليوم الذي زار البيت فيه

خاصة وأنه يسكن وحيدا في شقته في مركز المحافظة بعد وفاة والديه قبل انتقاله إلى هذه المحافظة .. وكيف أنه يلقبها بشبيهة عمته التي هي شبيهة الجدة الكبرى ذهبية ويمدح طبيخها مصرا على أن عمته رحمها الله كانت أيضا تتقن الطهي .. فابتسمت معترفة بأنه شاب طيب القلب لا تفارق الابتسامة وجهه .

انتبهت أم هاشم أخيرا لوقوف جابر بجوار سيارته فاختض قلبها في صدرها وأسرعت الخطى بعد أن وضعت الزجاجة تحت إبطها وكتفت ذراعيها وكأنها تمنع قلبها من القفز والهرولة إليه لمعانقته لعلها تخفف قليلا من ذلك العبوس الذي بات يلازمه مؤخرا ..

أسبل جابر جفنيه عند اقترابها بينما أذناه تلتقطان حفيف ذيل عباءتها السوداء قبل أن تدخل في مجال نظره .. ثم سمعها تلقي سلاما

متعجلا خافتا وهي تسرع الخطى "السلام عليكم "

لم يدرك بأن صوته خرج غاضبا وهو يرد سلامها "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته"

رفع عيناه بعد أن غادرت يراقبها حتى انعطفت في آخر الشارع ..وعاد ينظر للشاحنة التي وجدها قد وقفت أمام بيت الشيخ وشاهد الحاج يحيى يتحدث مع الشاب .

عاد جابر إلى سيارته يفتح بابها ويهم بالركوب لكنه توقف شاعرا بعدم الراحة .. بل بالضيق .. أو ربما الغضب الغير مبرر بالنسبة له لكنه لم يعط لنفسه أي فرصة حتى للتفكير بل أغلق باب السيارة وتوجه إلى بيت الشيخ .

أمام باب البيت وضع محسن كرتونة على الأرض فسأله يحيى مندهشا" ما هذا ولماذا؟!!"

قال محسن ببشاشة وهو يعود إليه "هدية مني لك يا خالي ..إنها عروض ترويجية للمنتجات ونحن كموزعين نأخذ منها نصيبا"
قال يحيى متحرجا "وما لزومه يا محسن !"
قال محسن وهو يعود للشاحنة " (النبي قبل الهدية) فلا تردني خائبا يا خالي "
ابتسم يحيى وقال مشيرا على سائق الشاحنة" ألن تبقيا لتفطرا حتى ؟"
أشار محسن بلا وتحرك يركب شاكرا ومحييا يحيى والشاحنة تتحرك لتنعطف يسارا لتمر من أمام البيت ثم تعود للطريق مرة أخرى من الشارع الخلفي .

اقترب جابر يلقي السلام على يحيى فاستقبله الأخير مرحبا ليسأله جابر بعبوس" من هذا الشاب الأسمر لم أره من قبل "

أجاب يحيى بسعادة" انه قريب لنا من بعيد ..من فرع جدتي ذهبية في الجنوب رحمها الله "
هز جابر رأسه ثم قال" تشرفنا .."
قالها وأطرق برأسه يتطلع في ميدالية مفاتيحه صامتا فعقد يحيى حاجبيه ليضيف جابر بعد ثوان " يبدو أنه غير مطلع على عاداتنا "
سأله يحيى عاقد الحاجبين " لماذا .. هل صدر منه شيء؟ "
رفع جابر انظاره إلى يحيى يقول ناصحا " أرى أن تلفت انتباهه لأن الوقوف للتحدث مع أم هاشم في الشارع سيعرضها للقيل والقال"
قال يحيى موافقا " لديك كل الحق طبعا .. سأنبه عليه بذلك .. انه شاب محترم وطيب القلب جدا أشعر بالتفاؤل كلما قابلته "
هز جابر رأسه وغمغم" بارك الله فيه (وتحرك مغادرا) سأذهب لألحق بعملي استودعكم الله"
غمغم يحيى خلفه" في أمان الله"

عاد جابر إلى سيارته وشعور غامض بالضيق لا يزال يسيطر عليه وذلك الحلم الغريب لايزال يشغل مخيلته فغمغم بحيرة "ترى ما معنى هذا الحلم الغريب وما دلالته!"

xxxx

وقفت السيارات أمام المبنى فسأل وليد من المقعد الأمامي بسمة التي تجلس وحدها في المقعد الخلفي "هل تنزلين هنا أم أركن خلف السيارة الأخرى ؟.."

لم ترد عليه بل ترجلت بعد أن فتح لها كامل الباب فأطرق وليد برأسه لا يعرف ماذا يفعل معها فهي تتجنبه تماما .. مثلها مثل مهجة التي حاول مصالحتها تلك الليلة التي عادا فيها للبيت لكنها رفضت واخبرته بأنها عادت فقط حرصا على سمعة العائلة لكنها تنوي الانفصال عنه بعد مدة مما دفعه للمبيت في غرفة أخرى

بعد أن تشاجرا .. ولا يزالان متخاصمان حتى الآن..
أما بسمة فأسبلت أهدابها تداري مشاعرها المتضاربة فمنذ الصباح وهي متوترة بشدة وقد ألحت عليها كل الاحاسيس المؤلمة من تجربة زواجها الأولى .
من تحت جفنيها المسبلين تأملت كامل في حلة نهارية أنيقة سترتها من اللون الرملي بنفس درجة فستانها الذي أرسلته لها سوسو من العاصمة فوق حذاء بني ذا كعب عال ووشاح خفيف فوق رأسها ..

دق قلب كامل بقوة وسعادة شديدة لأن هذه الفاتنة ستكون حلاله بعد دقائق .. ولا يعرف إن كان ذلك سيكسر الجمود بينهما بعدها أم لا .. فحديثهما على الهاتف قليل وعملي بدرجة

مغيظة له ..خاصة وأنها تتعامل معه بتحفظ أكثر من ذي قبل ..

أمسك بمرفقها ليساعدها على أن تصعد بضع درجات أمام البناية التي سيتم فيها عقد القران فاختلست إليه النظر بزرقة عينيها المكحلتين اللتين كانتا رائعتين إلى حد التعذيب وشفتيها الجميلتين المطليتين بلون نحاسي وطابع حسن يثير فيه كل الشهوات المكبوتة .

من سيارة مفرح خرجت ونس بفستان رملي اللون أيضا لكنه بقصة مختلفة تناسب شخصيتها أرسلته سوسو أيضا في وقت سابق وحذاء بني بكعب متوسط ووشاح فوق رأسها.. فمد شامل كفه لها ليساعدها على أن تصعد نفس الدرجات أمام المبنى ..

تطلع فيها شامل ولوجهها المتورد من الخجل بينما عيناها تأملتا وسامته وأناقته ..فعقد شامل حاجبيه مدققا في وجهها قبل أن يشير لها بحركة مخفية على حاجبيها المختلفين بعد تشذيبهما فبديا مع كحل عينيها قد ازدادت جمالا ونضجا.

اتسعت ابتسامة ونس لأنه قد لاحظ وأسرعت بدفن وجهها في كفيها بحرج .. فقهقه شامل وضربها بخفة على مؤخرة رأسها وقد اشتعلت أعصابه .

بعد قليل وفي إحدى الغرف في المبنى كان الجمع البسيط من الحضور يقفون بدون وجود النساء إلا العروستين .. فكان مفرح شاهدا على عقد بسمة من جهة العروس بعد أن طلبت ذلك بنفسها في وقت سابق متجاهلة وليد الذي شعر بالحزن الشديد .. بينما كان

مصطفى الزيني شاهدا على عقد ونس .. وتبادل التوأمان كل منهما الشهادة على عقد الأخر .

أمسكت بسمة بالقلم وعند خانة توقيع العروس ارتجفت وانتابها الخوف لكنها سمت بسم الله مسيطرة على مشاعرها لتفوز بما تخطط له .. بينما تنفس كامل الصعداء براحة فقد وضع قدمه على أول طريق الوصول إليها .. ومجرد أن اتمت التوقيع وتلقت التهاني من الموجودين اقترب كامل أمام نظرات الجميع في تلك الغرفة الضيقة وأمسك برأسها بين يديه ثم مال يطبع قبلة على جبينها الناعم .. جعلت قلبها يخترق صدرها في محاولة للوصول إليه لمعانقته وهي تسمع صوته الرخيم يقول بخفوت "مبارك يا عروس "

تقبل سليمان التهاني من الجميع بينما اقترب وليد منها يقول " مبارك يا بسمة أتمنى لك السعادة "

كلماته أضافت مرارة فوق مرارتها فأشاحت بوجهها غير قادرة حتى على التمثيل أمام الناس فخمن كامل بأنها مستاءة من أخيها .. ليبتعد وليد في صمت بعد أن تلقي المباركات من الباقين .

قال شامل بسعادة "ألا يوجد زغرودة يا بشر فنحن نتزوج .. اشهر عازبين في القطر العربي يتزوجان ؟

قهقه الجميع بينما أشار وليد من وقفته عند باب الغرفة لإحدى عاملات النظافة في المبنى يطلب منها أن تزغرد .. فأطلقت المرأة زغرودة طويلة وهو يمنحها اكرامية ليقول شامل "تحفظ عليها يا وليد حتى أنتهي أنا من عقد قراني "

وقفت بسمة تتهرب من عيني كامل بينما أمسكت ونس بالقلم ونظرت لوالدها المتأثر ولشامل .. فقال غنيم مشاكسا "هل ستتردين الآن وفي هذه اللحظة "
اتسعت ابتسامتها مع تورد وجنتاها وهي تميل لتوقع على العقد .

علت زغاريد من المرأة مرة أخرى بينما اقترب عيد من ابنته وحضنها وهما يرتجفان وقد كان الوحيد من بين الحضور الذي يشارك بسمة الشعور الكبير بالخوف من القادم ..بينما نظر التوأمان لبعضهما ثم تعانقا بخشونة وتأثر ومفرح يلتقط لهما صورا بهاتفه للذكري .. قائلا بمشاكسة " حمدا لله أني عشت حتى اليوم الذي رأيتكما عريسين يا فلذتا كبدي .. العقبى لكما حينما تتعقلان"
سأل كامل أخيه مشيرا على مفرح " من هذا؟"

رد شامل "ظننته آت معك "
قال مفرح ضاحكا "الآن يا اندال بعد أن ضمنتما العقود في جيبيكما تتنصلان من مفرح "
علت قهقهاتهم ثم غمز شامل لهما وتحرك نحو ونس التي كانت تقف أمام عيد فسحبها بكل جرأة ومال يقبل وجنتيها يمينا ويسارا متحكما في نفسه بقوة من التمادي لما يتوق إليه بشدة ثم طبع قبلة أخيرة على جبينها .
غطت ونس وجهها بكفيها بحرج بينما اتسعت عيني عيد يقول بغيظ بعد أن تلفت حوله " ماذا تفعل ؟"

ناظر مفرح صاحبه نظرة موبخة تجاهلها شامل ورد على حماه " زوجتي يا حاج عيد هذه أصبحت زوجتي بشهادة كل الواقفين .. وبموجب ورقة سأحملها معي في كل مرة سأزورك فيها حتى موعد الزفاف "

قال عيد مناطحا وهو يرفع رأسه إليه بعد أن أمسك بساعدها " إنها لا تزال في بيت والدها وعليك احترام ذلك"

بمناكفة قال شامل وهو يمسك بالساعد الأخر" وأنت أيضا عليك احترام أنها أصبحت زوجتي فلا تخبرني بعد الآن عن الدخول الذي بحساب والمواعيد التي بحساب "
قال عيد لغنيم" أترى ماذا يفعل ابنك يا غنيم بك "

رد شامل مغيظا" ابنه هذا أصبح زوج ابنتك وعليك من الآن فصاعدا أن تستسلم لهذه الفكرة"
ناظره عيد بغيظ بينما تدخل غنيم يوبخ شامل وهو يلكزه بعصاه قائلا " كف عن المزح بهذا الشكل واحترم نفسك "

كانت الرغبة في البكاء تلح على بسمة بشدة وتعاني من الصداع .. فتحركت تترك القاعة ليسألها وليد باندهاش "إلى أين؟"

توقفت وردت دون أن تستدير إليه" سأقف بالخارج لاستنشاق الهواء اشعر بصداع" هم وليد بالذهاب خلفها لكن يد كامل ربتت على كتفه لتوقفه ثم خرج هو خلفها .. بخطوات شاردة ذكرته بالمرة التي سار خلفها إلى السوبر ماركت سارت بسمة تخرج من المبنى وتقطع ساحته الواسعة .

إنها تشعر بالتيه والخوف والتردد .. تشعر بأنها قد فقدت بوصلتها.. فرحتها ملطخة بالخيبات ..

انتقامها نفسه لا تعرف إن كانت تفعل به
الصواب أم لا .. حياتها مع كامل كيف ستكون؟
..
إنها خائفة ..
خائفة بشدة ووحيدة ..
وتخشى أن تخرج من تجربة الارتباط بكامل
بوجع أكبر من التجربة السابقة فهذه المرة
قلبها متورط وسيكون جرحا قاسيا..
لماذا أضحى خوفها من الفشل أكبر من رغبتها
في الانتقام؟ ..
ورعبها الحقيقي من لحظة انتهاء هذه العلاقة
.. لحظة الانفصال ..
تخشى أن تعتاد عليه .. أن تدمنه ..
تطلعت حولها في الشارع بغير هدى وكأنها
تبحث عن ملجأ..
إنها وحيدة وتشعر بالتيه.

صوت فتح الأبواب أصدرته السيارة السوداء الضخمة التي تخص التوأمين فانتبهت بأنها كانت تقف قبالتها دون أن تشعر واستدارت خلفها لتبحث عمن فتح أقفال السيارة فوجدته واقفا على بعد أمتار يديه في جيبي بنطاله ..يتأملها بصمت .

بلعت ريقها الجاف فقال كامل" استريحي في السيارة ما دمت تعانين الصداع "
اقترب ببطء وبخطوات واثقة فسرقت كل خطوة منه خفقة من قلبها ليفتح لها الباب ويمد كفه مفتوحا أمامها ليساعدها على ركوبها ..
رفعت بسمة طرف فستانها ونظرت لكفه المفتوح أمامها ببعض التردد ثم مدت يدها تضعها فيه .. فأطبقت أصابعه الطويلة على عظام يدها اللينة باحتواء .

وتمنى لحظتها أن يضمها .
وتمنت لحظتها أن تلجأ إلى حضنه ليطمئنها.
نزلت درجتي السلم ثم صعدت لتجلس في المقعد الخلفي من السيارة .. وراقبته يتحرك مغادرا ليقطع الطريق للناحية الأخرى ولم تستطع أن تخمن أين ذهب فالميدان كان واسعا أمامها ..

عادت لتتأمل كفها الذي كان في كفه منذ ثوان وانهمرت دموعها .
وعاد لها الشعور بالوحدة والتيه .
بعد دقائق لمحته عائدا يحمل كوبين من الفايبر فوق علبة من الكرتون ..فأسرعت بمسح دموعها وراقبته وهو يستدير أمام السيارة ثم فتح الباب ..وقبل أن يتفوه بشيء كانت رائحة القهوة تدغدغ أعصابها .. القهوة التي تعشقها ..

مد كامل يده لها بأحد الكوبين قائلا" ربما ساعدك على التغلب على الصداع"
امسكت بالكوب ممتنة ثم عقدت حاجبيها وهي ترى أن الكوب لا يحتوي إلى على ربعه من القهوة بينما كوبه ممتلئ .. لكنها تحرجت من السؤال ورفعته لفمها لترشف منه قليلا قبل أن تتغير ملامحها وتعود لترشف رشفة أخرى سألته بعدها باندهاش" ما اسم هذا النوع من القهوة إنه ليس قهوة تركية ؟!"

لاحت ابتسامة على زاوية شفتيه في وقفته بجوار السيارة يشعر بالزهو أنه قد خمن ما يناسبها من القهوة لكنه لم يرد.

رشفت رشفة أخرى ثم قالت مبهورة " دوما كنت أقول لنفسي أنا أحب القهوة بكل أنواعها لكني لم أقابل بعد نوعي المفضل .. ونظرت في

القهوة المركزة في الكوب وقالت وهذه هي ما كنت أبحث عنه بالضبط .. هذا هو نوعي المفضل ..إنه قوي مركز الطعم والرائحة ..(ورفعت رأسها إليه تسأله) لماذا اخترته لي بينما اخترت لنفسك نوعا أخر .. ما اسم هذا النوع يا كامل أرجوك ؟"

تأمل زرقة عينيها المختلطتين بحمرة البكاء ومد ابهامه يمسح بقايا دموع تحت عينها اليسري قبل أن يرفع حاجبا ليقول بمشاكسة "كم ستدفعين لأخبرك باسمه ؟"

الفصل الثامن عشر
بعد أسبوع

وصلت صورة لونس على الواتساب لشخصية كارتونية مصنوعة من عجينة السكر ثم كتب شامل" ما رأيك؟"
تطلعت ونس فيها بتدقيق وهي تكبر الصورة ثم كتبت" جميلة جدا يا شامل .. لكن أعتقد أن القدمين يحتاجان لإعادة النظر في طولهما"
تطلع شامل من وقفته في مطبخ المطعم وهو يرتدي قميص الطباخين باللون الأسود ويربط منديلا على رأسه في الكعكة أمامه ثم كتب" لديك كل الحق سأعود لك بعد قليل"

ابتسمت ونس ثم وجدت مليكة على الواتساب تكتب لها " هل وضعت قناع الوجه الذي طلبت منك أن تضعيه ؟"

بوجنتين مشعلتين كتبت ونس" أجل .. كل ما طلبتي مني أن أفعله فعلته"
قالت مليكة " إذن سأرتب لك مع صالون التجميل موعدا .. الفتاة هناك لطيفة وتعرفني وقد أخبرتها بكل شيء أريدها أن تفعله لك "
رفعت ونس خصل شعرها الكستنائي فوق رأسها بعشوائية محببة وكتبت بقلق "هل وافق أبي؟.. أعني أخشى أن يعارض فأنت تعرفينه"
كتبت مليكة " لا تقلقي اتصلت به وأخبرته بأن هذه هدية مني بمناسبة زواجك واخبرته بأن شامل أوصاني بالحجز لك في نفس الصالون من أجل التحضير ليوم الزفاف وبأنه قد دفع المبلغ كاملا الذي يخص تجهيزات يوم الزفاف
وبالطبع لم يجد فرصة لأن يعارض"

امسكت ونس بقلبها الذي يقفز من السعادة ثم كتبت "قلبي يدق ..يدق يا مليكة ..وأشعر بأنني أحلم"

ابتسمت مليكة بتأثر ثم كتبت " إن شاء الله ستظلين في هذا الحلم مدى الحياة .. بعد قليل سأكتب لك بعض النصائح التي أريدك أن تضعينها في حسبانك فأنت لم تعودي صغيرة وهناك أمور على الزوجة ألا تغفلها حتى تظل في صورة جيدة أمام زوجها"

أومأت ونس وكتبت "أجل أريد أن أعرف كل شيء .. لا أريد لشامل أن يشعر بالندم لأنه اختارني .. لأول مرة افكر بهذه الطريقة .. كنت دوما متحررة من هذا الشعور لأنه يصيبني بقلق شديد"

ابتسمت مليكة وردت " لا بأس كلنا نبذل أقصى ما عندنا لإسعاد من نحبهم"

كتبتها وألقت بالهاتف على المنضدة تغمغم "
أتمنى أن تستجيب العروس الأخرى أيضا
لاستعدادات الزواج كأي عروس محترمة
وترحمنا من الوجه البارد الذي باتت تصدره
للجميع "
(كلنا نبذل أقصى ما عندنا لإسعاد من نحبهم)
شردت في العبارة التي قالتها لونس ..وذبحتها
عقدة الذنب ..فلم تعد تعلم كيف تتصرف مع
مفرح .. وكيف تتخطى ذلك الموضوع
الحساس بينهما ..
انهما لم يتواصلا منذ آخر مرة انهارت فيها .. لا
هو يبادر.. ولا هي تملك الشجاعة للمحاولة..
نظرت لنفسها في مرآة طاولة الزينة وتساءلت
.. هل عليها أن تلجأ لطبيب نفسي لربما
استطاع إيجاد حل لها ..

الفكرة ضربت رأسها كصعق الكهرباء فجعلتها
تنتفض مبتعدة حتى من مواجهة نظراتها
لنفسها في المرآة ..
كانت متألمة .. وكان مجرد النظر لنفسها في
المرآة مؤلم .. فما بال لو ذهبت لطبيب
واضطرت للبوح عن مشاعرها ..
هناك لحظة ما لا تريد استرجاعها أبدا ..
من أجل سلامتها العقلية والنفسية لا تريد
استرجاعها .
حتى تبقى قوية ومتعايشة لا تريد التحدث عنها
.
أسرعت بالابتعاد عن المرآة ..
عن مواجهة نفسها .
بل تركت الغرفة كلها وكأن شبحا يطاردها ..
شبح من الذاكرة .
تركت الغرفة ولا يزال السؤال يتردد في ذهنها ..
ماذا ستفعل من أجل مفرح؟! .

xxxx

في نفس الوقت خارج بيت عيد ألقت نصرة التحية عليه فردها قائلا" وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته جئت في وقتك يا أم كريم" سألته نصرة باهتمام" ماذا هناك يا عم عيد؟.. هل حدث شيء؟"

رد عيد بلهجة عملية " لا شيء كنت أريد أن أطلب منك طلبين فأنت تعرفين بأني لا أعرف غيرك من الممكن أن اعتمد عليه في بعض الأمور التي تخص ونس"

قالت نصرة بلهجة عاتبة " بالطبع يا عم عيد إنها ابنتي هل ستطلب من الغريب وأنا موجودة .. لقد انتهيت من العمل للتو وقررت أن أمر عليها قبل عودتي للبيت لأطمئن إن كانت تريد شيء فزواجها بعد ثلاثة أسابيع"

تمتم عيد بارتباك" ولهذا أريد أن اتحدث معك"

ناظرته نصرة عاقدة حاجبيها فأشاح بنظراته بعيدا يشعر بالحرج الشديد ثم أغمض عينيه قليلا يهمس لنفسه" كيف ستطلب منها هذا الأمر يا عيد عيب عليك والله .. لكنك لا تعرف غيرها لتطلب منه هذا الطلب"

ظلت نصرة تتطلع في العم عيد بنظرات متفحصة مندهشة قبل أن يعود إليها متنحنحا ثم أخفض أنظاره أرضا وتنحنح مرة أخرى في حرج وهو يقول بعبوس شديد لاضطراره لطلب هذا الطلب منها بل والتحدث في هذا الأمر من الأساس" أنت تعرفين يا نصرة بأن ونس مقبلة على الزواج .. و .. و.. (تنحنح مجددا) ولا يوجد في حياتها أُم .."

قاطعته نصرة تضرب على صدرها قائلة بلهجة لائمة منزعجة " لا يوجد في حياتها أم!!!.. (وأكملت دامعة العينين) ليس هذا العشم يا حاج سامحك الله .. هل أمتني وأنا على قيد

الحياة!!.. أم لأني شغلت عنها قليلا رغما عني تقول هذا الكلام!"

بنظرة جانبية حدجها عيد ثم قال بعبوس "لم أقصد يا نصرة.. كلامي هذا كان مقدمة لابد منها من أجل الطلب الذي أريد أن أطلبه منك"

سألته بقلة صبر" و ما هو ؟!"

رد عليها بعصبية " حين تصمتين سأخبرك يا امرأة!"

وضعت نصرة يدها على فمها لتخرسه فعادت نظرات عيد للأرض وتمتم " ونس تحتاج لأن تعرف معلومات كفتاة مقبلة على الزواج عن .. عن .."

ظلت نصرة تنظر إليه عاقدة الحاجبين في محاولة للفهم فهب فيها يهتف بعصبية قائلا بحرج " شغلي مخك يا نصرة وافهمي .. البنت مقبلة على الزواج هل كلامي يحتاج لشرح !!"

أخيرا التقطت نصرة ما يشير إليه فأخفت ابتسامة محرجة وقد احمر وجهها أكثر من احمراره الطبيعي وردت بهدوء وهي تتحرك لتدخل إلى ونس" لا تقلق .. فهذا الموضوع كنت أنوي أن أتحدث معها فيه"

هز عيد رأسه وقال" بارك الله فيك تعلمين بأنها هبلاء وأخشى أن تفضحنا بسذاجتها"

ضحكت نصرة وهي تغطي فمها بطرف وشاحها ودخلت تنادي على ونس بينما ربت عيد على جيب جلبابه يتمم على وجود كيس النقود فيه .

لقد ذهب لمكتب البريد اليوم وسحب من حسابه كل ما يملكه من أجل تجهيز ونس .. صحيح ربه كان رحيما به أن العادات عند أهل العريس بأن يتكفل بكل شيء .. لكنه يحتاج بأن يجهزها بأشياء شخصية وحقيبة ملابس تليق بها ..

وتمنى أيضا لو يهديها مصوغات ذهبية كما سيفعل سليمان الوديدي لابنته فبالتأكيد سيهديها من الذهب بما يليق باسم عائلة الوديدي ..

عاد ينهر نفسه لتفكيره الجشع ..كما وصف نفسه .. فعليه أن يحمد ربه أن أكرمه بما لم يكن في حسبانه أبدا .. يكفي أن أهل البلدة اصبحوا يعاملونه بتوقير اكبر من السابق .. ويحسدونه على هذه المصاهرة .. صحيح قلبه لم يطمئن مائة بالمائة فلا يزال خوفه على جرح مشاعر ابنته يؤرقه .. لكنه يعترف بأنه غارق في نعم الله .

بعد قليل خرجت نصرة تقول "هل تريد مني شيئا قبل أن أرحل يا عم عيد؟"

قال عيد بعبوس " قلت لك أريدك في موضوعين يا نصرة"

ضربت الأخيرة على رأسها وقالت " لا تؤاخذني .. مرني يا حاج "

اقترب عيد وأخرج من جيبه كيسا بلاستيكيا منفوخا يحتوي على مبلغ من المال .. على ما يبدو كبيرا .. وأعطاه لنصرة قائلا "هذه حصيلة شقاء العمر .. كنت ادخرها من أجل ونس .. أريدك أن تشتري لها ملابس ومستلزمات شخصية تليق بعائلة زوجها.. كنت سأطلب هذا من الست مليكة لكني تحرجت منها .. لكن لو استشرتها بشأن الأنواع التي تليق بأهل المدينة أو ربما استشرت اسراء بما أنها تخرجت من الجامعة وتعلم كل شيء لربما ساعدتك .. لا أريد ان تشعر ونس بأنها أقل من أحد يا أم كريم"

سمت نصرة بسم الله وأمسكت بالكيس متفاجئة ثم قالت مطمئنة" لا تشغل بالك من عينيي الاثنتين"

شعر عيد ببعض الذنب أن طلب منها هي بالذات للقيام بهذه المهمة وهي التي تشقى هي وزوجها من أجل تجهيز ابنتهما فقال بلهجة معتذرة "أنا أعرف بأنك مشغولة جدا هذه الأيام لكني لا أعرف غيرك يا أم كريم لأعتمد عليه"

قالت نصرة بلهجة عاتبة "أليست ونس مثل اسراء ؟.. إن شاء الله سأشتري لها كل ما تحتاجه وأنواع قيمة .. وسأجعل كريم يدون كل الحسابات في ورقة لنخبرك ما الذي صرفناه بالضبط (وتحركت مغادرة وهي تقول) ربي يتمم لها على خير ونس بنت وداد "

أشارت لأحد التكاتك المارة فتوقف على بعد خطوات لكن عيد كان لا يزال يشعر بالحرج منها فسألها "ومتى ستتزوج اسراء ؟"

قالت له نصرة بعد تنهيدة طويلة "نحاول أن نمد المدة ولو شهر أخر فلا يزال أمامنا الكثير والله ..وهم متعجلين من أجل سفر أخيه"
قال عيد بصدق "إن بقي شيئا من هذه النقود خذيه لأسراء يا أم كريم فهي كونس بالضبط "
قالت بابتسامة واسعة "بارك الله لك يا عم عيد مستورة والحمد لله "
همت بالتحرك فسألها عيد ببعض الحرج "هل .. هل تحدثت معها عن كل شيء يا نصرة؟"
اتسعت ابتسامتها وردت ضاحكة " ابنتك تعلم كل شيء يا عم عيد لا تقلق بشأنها"
جحظت عينا عيد متفاجئا فضحكت نصرة وأكملت "التعليم والانترنت لم يترك أحد ساذجا يا حاج ..(واسرعت الخطى نحو التوكتوك وهي تقول) لقد اقتربت الشمس من المغيب عليّ أن اذهب السلام عليكم"

ركبت نصرة التوكتوك الذي غادر بها على الفور
بينا حرك عيد أنظاره نحو باب البيت يقول
بصدمة "تعرف كل شيء !!.. ونس !! ..(وأكمل
من بين أسنانه بغيظ) وأنا الذي ظللت
أسبوعا مترددا في طلب هذا الأمر من نصرة ..
واحرجت نفسي مع المرأة .. لأجدك في النهاية
تعرفين كل شيء يا بنت الكلب !"

××××

دخل مصطفى داره بخطوات سريعة مفزوعا
ليجد أولاده الخمسة الشباب مصطفين في
غرفة المعيشة بجوار بعضهم البعض يناظرون
أمهم التي تجلس منكمشة على الأريكة بنظرات
مصدومة .. فتطلع في الجميع قائلا "ماذا
هناك.. ما بها صفاء؟؟؟؟"
تحولت نظرات أولاده الشباب من أمهم إليه
يناظرونهم بمُقل مقلوبة لم يفهم منها مصطفى
شيء .. ولم يجد في نفسه صبرا لفهمها بل

أسرع ليجلس بجوار زوجته يتفحصها قائلا" ما بك يا صفاء بعيد الشر عنك؟"

اجهشت صفاء في البكاء ..فالتاع قلبه ورفع نظرات مرعوبة لحمزة الواقف إلى يمين الصف متخصرا يناظره بملامح متجهمة وسأله بقلة صبر "ما بها أمك انطق؟"

اقتربت منة الله من والدها وقالت بحرج وهي تخبئ فمها بكفيها " أمي ستأتي لنا بطفل صغير"

اتسعت عيني مصطفى لثوان وعلق متفاجئا "ماذا؟؟؟"

بفرحة شديدة تقافزت منة الله أمام والدها وقالت" سيأتينا أخت أو أخ صغير ادلله وألعب به"

تطلع مصطفى في زوجته التي ازداد نحيبها تخفي رأسها بين كفيها ثم ناظر أولاده الصبيان اللذين لا يزالون يتطلعون فيه بصمت ومُقل

مقلوبة وعاد مجددا لزوجته يسألها" هل أنت متأكدة؟!"

انفجرت صفاء بالمزيد من البكاء دون أن ترفع وجهها إليه ..

لاحت ابتسامة على وجه مصطفى واتسعت تدريجيا دون أن يجد ما يقوله .. فرفع وجهه لحمزة يسأله بنفس الابتسامة" هل قامت بالتحاليل وتأكدتم يا دكتور؟"

ازدادت حدة نظرات حمزة الممتعضة له .. فقاوم مصطفى رغبة قوية في الانفجار ضاحكا خاصة مع نظرات الخمسة أمامه الصامتة المصدومة ثم عاد لزوجته ومال عليها هامسا وهو لا يزال تحت تأثير المفاجأة يسألها "ألست تركبين وسيلة لمنع الحمل؟!!"

انفجرت قائلة بلهجة باكية " أجل أقسم بالله ..لا أعرف كيف حدث وحملت (وضربت على

رأسها مولولة) حملت فوقه يا مصطفى حملت فوقه يا لفضيحتي"
ظل مصطفى يحاول مقاومة الضحك وهو يربت على ظهرها بمواساة بينما هتفت منة الله معترضة" لماذا تبكين يا أمي أنا سعيدة جدا جدا (ونظرت لوالدها الذي لا يزال يزم شفتيه حتى يسيطر على انفجار وشيك بالضحك وقالت) وأبي أيضا سعيد"
نظر مصطفى للتماثيل الخمسة أمامه ثم تصنع الجدية وقال بلهجة موبخة "ما بكم تقفون هكذا كتماثيل الشمع!"
كان محمد أول من قطع صمت اخوته قائلا بلهجة تهكمية "من الفرحة .. متخشبين من الفرحة العارمة التي شملتنا جميعا يا حاج"
قال مصطفى مناكفا " حسبت أن لديكم اعتراضا أو شيء كهذا بوقفتكم هذه"

تكلم حمزة بانفعال" يا أبي .. أنا عمري اربع وعشرون سنة .. ومن المفترض أن نزور قريبا بيت الفتاة التي أريد أن أتزوجها .. ماذا سأقول لهم؟ .. أمي حامل !!.. لا تؤاخذوننا لأن أمي تتوحم !!.. لولا سفر حماي المستقبلي لكنت أنا الآن على وشك الزواج ولكان ميلاد الطفل القادم في العائلة هو حفيدك يا حاج وليس ابنك!"

تماسك مصطفى رغم شعوره بالغيظ من ردة فعل ابنه لكنه كان متفهما لموقفه .. فأكتفى بمناظرة حمزة بحدة حينما اجهشت صفاء في المزيد من البكاء في الوقت الذي

تنحنح فيه عبد الله الذي يرتدي زي الجيش والذي عاد اليوم في إجازة صغيرة وقال لحمزة بوجوم " أنت مشكلتك أهون من مشكلتي.. تخيل عندما تلد أمي وأطلب إذناً بإجازة وحين

أُسأل عن السبب أجيب(من أجل الاحتفال بسبوع أمي) "

ضحك مكتوم أتى من ناحية يامن وياسر بينما هتفت صفاء باكية "سامحوني"

هدر مصطفى فيها عابسا "علام تعتذرين يا صفاء! (وناظر أولاده بحدة قائلا) أنا وأمكما لا زلنا شبابا .. ولن يحكم عليّ أحد كم من الأولاد أنجب حتى لو انجبت قبيلة.. هل ترونني عجوزا !.. لازلت في الخامسة والأربعين من عمري .. كما أنكم تعلمون بأن الأمر حدث قدريا فهل سنعترض على نعمة الله !"

قال حمزة بغيظ" ليس اعتراضا يا أبي لكن حمل في عمر الثانية والأربعين محفوف بالمخاطر"

اختلس مصطفى نظرة سريعة لزوجته ثم ناظر ابنه بنظرة لائمة موبخة جعلت الأخير يتمتم بحرج بعد استشعاره تماديه وجلافته" أنا كنت أتحدث من الناحية الطبية"

قال مصطفى بلهجة ذات مغزى وهو يمد يده ليربت على ظهر زوجته التي عادت للبكاء "وهل يصح أن تقول هذا وابن المرأة الحامل طبيب على وشك التخرج"

ردد محمد عبارة والده بصوت خافت مسموع متهكما وهو يحك جبينه بأنامله "ابن المرأة الحامل.. طبيب على وشك التخرج !"

قاوم يامن وياسر الضحك من جديد وشاركهما هذه المرة مصطفى الذي رد على محمد متحديا " جدتي ظلت تنجب حتى سن الخمسين .."

ضرب محمد على صدره بطريقة مسرحية قائلا" يا للمصيبة ! هل لا يزال أمامنا ثمان سنوات أخرى من القلق!!"

انفجر مصطفى وأولاده ضاحكين عدا حمزة الذي ظل متجهم الوجه .. فناكفهم مصطفى بلهجة مغيظة " احمدوا ربكم أني مكتفي بأمكما ولا أفكر في الزواج بأكثر من زوجة "

رد محمد بلهجة متهكمة " شاكرين تضحياتك والله يا حاج "

كتم يامن وياسر وعبد الله الضحك بينما حاول مصطفى تخفيف وقع الخبر على حمزة قائلا " عموما يا دكتور لا تقلق ..بمجرد أن يكون أهل فتاتك مستعدين لاستقبالنا سنذهب معك وسنصر على إتمام الزواج سريعا حتى ترينا همتك لتلحق بنا ثم تربي ابني وابنك سويا يا بطل"

ضحكات مكتومة صاحبت جحوظ عيني حمزة فاستمر مصطفى في مناكفته يسأله ببرود متعمد" أم تنوي بأن تتخلى عن أخيك الصغير إذا ما حدث لي شيء ولم يمنحني الله العمر لأربيه وأراه بطول ضرفة باب مثلكم ما شاء الله!"

هتفت منة باعتراض" إنها فتاة يا أبي ..(وناظرت أخواتها تضيف بلهجة مغيظة) فتاة بإذن الله"

تكلم مصطفى مؤمنا على ما قالته ابنته " أو أختك الصغيرة.. ألن تربيها وتزوجها وتطمئن عليها كما كنت سأفعل أنا ؟"

غمغم يامن بصوت خافت مسموع" أو أخت وأخ توأمين .. ما دمنا في مهرجان الانجاب هذه الأيام"

انفجر مصطفى وأولاده ضاحكين بينما غمغم حمزة مستسلما وهو يحك جبينه " أطال الله في عمرك يا حاج حتى تزوج أحفادنا .. الحمد لله على كل شيء .. سأحجز لك يا أمي عند طبيبة نسائية في أسرع وقت لمتابعة الحمل" قالها وتحرك يترك الغرفة .. فنظر عبد الله في أثر أخيه ثم تبادل النظرات مع محمد قبل أن يقول لوالديه" لا تؤاخذاه انه متفاجئ قليلا" قال مصطفى بتفهم" لا بأس اذهبوا خلفه"

تحرك محمد وعبد الله بينما قال ياسر ممازحا" ألف مبروك يا حاج .. ألف مبروك على الحمل يا حاجة"

ثم انفجر هو ويامن ضاحكين وهما يغادران الغرفة فنظر مصطفى لمنة الله وقال "مري إحدى المساعدات بصنع كوبا من العصير لأمك يا منة"

قالت منة بسرعة وهي تغادر" بل سأشارك في صنعه بنفسي"

خلت الغرفة من الأولاد فرفعت صفاء وجها مغرقا بالدموع لزوجها تقول" أشعر بالحرج الشديد يا مصطفى "

ناغشها الأخير قائلا" لمَ الحرج يا امرأة! .. أين كلامك السابق عن كونك لازلت شبابا وأن من يراك لن يقدر عمرك بأكثر من ثلاثين سنة!"

قالت بلهجة باكية" ماذا سأقول للناس لقد صار أولادي رجالا"

قال مصطفى بعبوس" يا صفاء هذه الأمور تحدث أحيانا ولسنا أول ولا أخر من يحدث معهم أمرا كهذا .. هل سنعترض على قدر الله .. نعمة وفضل الحمد لله (ثم ناغشها ليخفف عنها) كل هذا بسبب شقاوتك ولأنك تزدادين حلاوة يوما بعد يوم "

ازداد بكائها وارتمت على صدره فضمها إليه مهدئا وهو يقول "قدر الله وما شاء فعل يا صفاء .. (وقبّل رأسها يقاوم شعورا بالقلق مما قاله حمزة عن سنها والحمل لكنه طرد قلقه مغمغما) اللهم لك الحمد والشكر على كل نعمك "

xxxx

في المساء

صاحت مليكة في الهاتف " أتعلمين يا بسمة ..أنا أعرفك منذ سنوات طويلة وعاشرت مراحل عمرك حتى الآن كلها .. لكني لأول مرة

أجدك عنيدة بهذا الشكل لو استمريت في التخطيط لما تنوين عليه ستدمرين نفسك "
بابتسامة مُرة غمغمت بسمة وهي تتحرك جيئة وذهابا في غرفتها كحالها منذ أيام
وبالتحديد منذ تلك الحادثة وكأنها تعاني قلقا أو توترا فكريا أو نفسيا لا يريد أن يتركها "قلت لك بسمة القديمة انتهت .. ماتت .. لم يعد لها وجود .. أشعر بنفسي شخصا أخر غير الشخص الذي كنت عليه قبل عشر سنوات "
زفرت مليكة وقالت " المهم أن تكوني شخصا أفضل يا بسمة "
ردت بسمة بمرارة " كنت أريد .. كنت أخطط .. لكنهم لم يمنحوني الفرصة "
علقت مليكة بعدم تصديق "فقررت الاستسلام!"
رددت بسمة بانزعاج من الفكرة "الاستسلام !"

أجابت مليكة بتأكيد " أجل هذا يعد استسلاما"

دافعت بسمة عن نفسها قائلة " من قال لك ذلك .. عملي مستمر إن شاء الله وأنوي أن استغل الفترة التي سأقضيها في بيت نخلة بتكثيف جهودي للانتهاء من تحضير رسالة الماجستير وتعلم أشياء أخرى كنت أتمنى تعلمها ولكن يصعب تحقيق ذلك في قريتنا أي أنني سأستفيد وسأطور من ذاتي "

غمغمت مليكة بهدوء " عموما أنا كل ما أتمناه أن تكوني سعيدة يا بسمة"

ردت الأخيرة بكآبة" وأنا أيضا أتمنى ذلك"

ساد الصمت للحظات قبل أن تقول بسمة "مليكة"

"نعم"

كادت أن تبوح لها بأنها خائفة من الاقتراب من كامل والتورط أكثر في مشاعرها تجاهه لكنها لم

ترغب في أن تتكلم في هذا الأمر حتى لا يهبط ذلك من عزيمتها ..
فأحيانا نخشى أن نجهر بمخاوفنا خوفا من أن تتحقق فقالت "لا شيء نسيت ما كنت سأقوله "

طرقة على الباب ثم دخلت إحدى المساعدات تخبر بسمة بأن أم هاشم حضرت فأشارت لها بسمة بأن تسمح لها بالدخول ثم قالت على الهاتف "عليّ أن أذهب فأم هاشم قد حضرت"
ردت مليكة "وأنا أيضا سأذهب فقد تركت والدي بمفرده"
سألتها " هل أنت في السرايا اليوم ؟"
أجابت مليكة " أجل سأبيت الليلة عند أبي فمفرح في العاصمة ..سلام"
أغلقت بسمة الخط ثم استقبلت أم هاشم في غرفتها تقول بعفوية "كيف حالك يا مشمش ؟"

خطف الاسم قلب أم هاشم كالعادة فغمغمت بغيظ" لا حول ولا قوة إلا بالله !"
ابتسمت بسمة رغما عنها وقالت وهي تدعوها للجلوس على أحد المقاعد" آسفة .. أقصد يا أم هاشم كيف حالك وحال العمل طمئنيني "
غمغمت أم هاشم وهي تعتدل في جلستها "العمل بخير لا تقلقي عليه وركزي في تجهيزاتك يا عروس "
قالت بسمة بصدق "صدقيني لا أعرف لو لم تكوني معي ماذا كنت سأفعل في المشروع بعد ما حدث "
ابتسمت أم هاشم وقالت وهي تربت على فخذها بمحبة" لا تقولي هذا .. ربك يدبر الأمر يا بسمة لا شيء يتم هكذا صدفة "
أطرقت بسمة برأسها وغمغمت "ونعم بالله .. أتمنى أن أجد إجابات يوما ما عن سبب ما مررت وأمر به "

قالت أم هاشم بلهجة خرجت حزينة رغما عنها " كلنا نتمنى إيجاد الإجابة على هذا السؤال "

ساد الصمت قليلا ثم قطعته أم هاشم تقول بحماس" المهم ألا يوجد لديك أشياء جديدة تخص العروس اشتريتها .. (وأضافت بصدق) أنا افرح بشدة حينما أرى أشياء العروس وبالذات الملابس وأدوات المطبخ ولا تسأليني لماذا "

عفوية أم هاشم آلمت قلب بسمة وزادت من كآبتها .. اشعرتها بالحزن على صديقتها .. وضخمت ذلك الإحساس بالظلم بداخلها .. وكأن عبارة أم هاشم العفوية ضغطت على الزناد .. فانفجرت بسمة بالبكاء فجأة .

اجفلت أم هاشم وقالت بفزع وهي تقترب منها وتربت على ظهرها " بسم الله الرحيم

ماذا حدث يا بسمة؟!! .. هل ضايقتك بمزاحي والله أنا أمزح أنا .. (وارتبكت نادمة على كلامها الذي تقسم بأنه ليس قرا أو حسدا فأصابتها عدوى البكاء وهي تقول) أقسم بالله لم أقصد ..أنا بالفعل أسعد برؤية هذه الأشياء .. آسفة إن كنت.."

قاطعتها بسمة وهي تحضنها قائلة بعاطفة قوية تجاه صاحبتها " أنا أحبك يا بنت الشيخ زكريا .. وأسأل رب العرش العظيم أن يسعدك في الدارين "

حضنتها أم هاشم وقالت باكية هي " ولك بالمثل يا بسمة ..وأن تكون هذه المرة زيجة العوض لك بإذن الله (وأبعدتها عنها تقول بمزاح حتى تسيطر على المشهد الكئيب) هل تبكين حتى لا أقرص ركبتك يا بسمة؟ .. لا والله .. لقد أقسمت أن أقرصك في ركبتك يوم زفافك

يا بنت الوديدي حتى ألحق بك كما يقولون في المثل الشعبي .."

ابتسمت الأخيرة من وسط دموعها فأضافت أم هاشم بتأكيد " هل تعتقدي أني هبلاء .. سأقرصك يعني سأقرصك "

xxxx

بعد منتصف الليل

كان ظل الدراجة وفوقها ذلك الشخص الملثم الغامض يتحرك على الطريق الترابي القديم الذي يقسم الحقول الكثيرة على جانبيه من الناحية الثانية من القرية التي لا تحتوي إلا على الحقول الشاسعة بمحاصيلها المتنوعة .. إن الليل وسكونه يرعبان أي شخص قد يفكر بالمرور من هذا الطريق .. لكن على ما يبدو أن صاحب الظل لم يكن يعبأ بأي شيء .. بل توقف وأخرج قماشة قديمة ممزوجة بالبنزين وأشعل النار فيها قبل أن يلقي بها على

أحد الحقول ويتحرك مبتعدا .. ولم يلتفت خلفه حتى ليعرف أن كانت لا تزال مشتعلة أم انطفأت نيرانها ..

أخذت النار تلتهم جزءا من الزروع قبل أن ينتبه لها من بعيد أحد المارة ويطلب الإغاثة في مشهد بات متكررا على مدى أكثر من شهرين وسط حيرة كبيرة تعم البلدة لمعرفة الجاني وأسبابه .

××××

ظهر اليوم التالي

تطلع عيد في الأكياس الكثيرة التي وضعها شامل على الاريكة الحجرية أمام البيت ووقف يتبادل بعض العبارات مع توأمه الذي يجلس خلف مقود السيارة .

لا ينكر عيد بأنه قد شعر ببعض الراحة لظهور شامل بعد أن غاب لمدة اسبوع منذ ذلك اليوم الذي تم فيه عقد القران وعادوا جميعا ليجدوا

زفة تنتظرهم على أول القرية من المهنئين أوصلت ونس وشامل حتى بيت عيد ووقفت نصرة بطبلتها وغنائها بين النسوة يحتفلن بعقد القران بينما ذهبت السيارة بالعروسين الاخرين لبيت الوديدي.. ولا يعرف عيد وقتها من أين انهالت عليه صناديق المشروبات الغازية والعصائر كهدايا من أهل البلدة البسطاء وكيف تحول المكان أمام بيته البسيط لتجمع لأهل البلد لتهنئته .. لكن شامل لم يأتي بعد ذلك اليوم وقد ظنه سيزعجه كل يوم بالحضور .. وعلم من ونس بأنه مشغول بشدة في تجهيزات الجناح الخاص بالعروسين وفي بعض الامور العاجلة في المطعم .

أخذ شامل أخر دفعة من الاكياس من السيارة واستدار لعيد بابتسامته المعهودة التي تستفز الأخير قائلا بعد أن غادرت السيارة بكامل "كيف حالك يا حماي العزيز؟"

رد عيد بامتعاض" بخير نحمد الله (وأشار للأكياس قائلا) ما هذا؟"
قال شامل بسرعة وعيناه تجولان بشوق خلف عيد لعله يراها" هذه أكياس تخص ونس"
أسبل عيد اهدابه ينظر للأكياس الكثيرة التي تبدو من محلات كبيرة وسأله" وما المناسبة؟"
رفع شامل حاجبيه وقال موضحا " هدايا يا حاج عيد ..هدايا للعروس"
أشاح بيده قائلا" احتفظ بها في بيتك حتى تأتيك ونس"
غمغم شامل بغيظ" لا حول ولا قوة إلا بالله!..
هل ستمنعني من أن أحضر لزوجتي هدايا !..
كما أنني سألت وعلمت بأن العروس عندكم يأتيها هدايا من العريس وأهله"
مط عيد شفتيه بامتعاض ثم قال" وما لزومها الآن فلتعطيها لها في بيتكما"

خرجت ونس مهرولة كطفلة ووقفت أمامه بوجنتين حمراوين تدقق فيه ..تعترف لنفسها بأنها اشتاقت إليه في هذا الاسبوع بشدة ..
أما شامل فتاه عمن يقف أمامه بقامته القصيرة وذاب في تلك الكعكة الشهية التي تتطلع إليه بلهفة ..
نظر عيد خلفه ثم عاد لشامل قائلا "هيا أعد هذه الهدايا.."
قال شامل بعبوس وقد اختفى عنه مرحه المعهود "لماذا تمنعها من الشعور بفرحة العروس يا عماه .. (وأضاف بلهجة ماكرة) بالمناسبة بها هدايا من أمي .."
عند سماع سيرة حماة ابنته لم يستطع عيد المناكفة أكثر فأشار له بيده باستسلام ليدخل..

عادت ملامح شامل لانبساطها وأشار لونس قائلا" هيا ساعديني أيتها الجنية في حمل الأكياس"

نظرت ونس للأكياس بانبهار بينما تحرك عيد ليسبقهما للداخل فاختلس شامل نظراته نحو البيت ثم همس لونس "اشتقت إليك"

انفجرت دقات قلبها وهي تتطلع فيه عن قرب ورائحة عطره المسكرة تمنحها المزيد من السعادة لرؤيته وهي تومئ برأسها بما يعني أني بخير.

نزلت عيني شامل إلى شفتيها ثم تطلع حوله في الشارع يقول بلهجة مبرطمة "الشارع من خلفنا والعم عيد من أمامنا ولن نستطيع حتى أن نبل ريقنا"

عقدت ونس حاجبيها تتطلع فيه بعدم فهم مصدرة صوتا قصيرا بما يعني (ماذا قلت) .. فأسرع شامل بالقول وهو يشير لها بأن تتقدمه

"لا شيء كنت أحدث نفسي هيا لندخل فالجو حار هنا"

تحركت ونس أمامه فدققت نظراته في تفاصيلها بحرية لأول مرة واشتعلت اعصابه مغمغما لنفسه" ثلاثة اسابيع يا شامو بقي ثلاثة أسابيع "

بعد قليل في غرفة المعيشة أخذت ونس تتطلع في الأكياس بفرحة عارمة وبدأت في اخراج بعض الاشياء منها في الوقت الذي قال فيه شامل بعد أن جلس على الاريكة" لقد حجزت لونس عند طبيبة شهيرة متخصصة في مجال السمعيات وموعدنا يوم السبت القادم لذا لابد أن نكون عندها في الموعد"

علق عيد بهدوء "ولماذا لا تنتظر إلى ما بعد الزفاف؟"

رد شامل شارحا" الموعد اخذته بصعوبة وبمجرد أن نذهب أول مرة سيوضع لنا جدولا

للزيارة بعد ذلك ولا أريد أن نتأخر .. ثم أنكما أنت وونس ستأتيان للعاصمة بالتأكيد فلقد اخبرني والدي بأنه قد دعاكما لزيارة الفيلا"
صاحت ونس فجأة .. فأجفل عيد بينما تطلع فيها شامل بابتسامة متسعة وهي تمسك بحذاء رياضي وردي اللون بين يديها ثم قال متنحنحا بحرج "اذهبي بالأكياس لغرفتك وتفقديها يا ونس (واختلس نظرة جانبيه لحميه ثم قال ببعض الحرج) وطمئنيني على المقاسات ..ارتدي شيئا وأريني.. أقصد أرينا إياه"
عقد عيد حاجبيه فنظر له شامل وأسرع بالقول" أريد أن اطمئن على المقاس بنفسي حتى أتأكد من أني أخترته مضبوطا (وأوضح بلهجة ذات مغزى ليطمئن الرجل) اختاري فستانا أو بنطالا وبلوزة وارتديها يا ونس"
اسرعت ونس بتجميع الاكياس الكثيرة بحماس شديد كلما امسكت بمجموعة أفلتت منها

أخرى فأخذت تضحك بدلال وشقاوة فجرت الحمم السائلة في أعصاب شامل الذي تقبض بقوة يشعر بالغيظ من حميه الذي لا يبدو أنه سيعطيهما أية مساحة ولو بسيطة من الخصوصية .. في الوقت الذي هدر عيد في ابنته بحزم "كفى دلعا يا ونس واحملي ما تقدرين عليه للداخل هيا"

احمرت وجنتي ونس هذه المرة من الحرج فاستقام شامل وساعدها في الإمساك بالأكياس بعد أن أصرت على أخذها كلها مرة واحدة ثم تحركت تترك الغرفة بنفس طاقة الحماس التي تدفقت في شرايينها بينما وقف شامل شاردا في أثرها .

سأله عيد "وهل ستحضر بنت الوديدي أيضا وأهلها في نفس الدعوة على الغداء؟"

انتبه شامل لما يقوله حموه ورد" اعتقد أن بسمة أخبرت كامل بأنها ستكتفي برؤية فيديو مصور للمكان "

غمغم عيد قائلا " أنا أرى أن زيارة العاصمة خصيصا من أجل رؤية الجناح الخاص بونس لن يفيد بشيء مادام العرس بعد ثلاثة أسابيع ومادامت بنت الوديدي ستكتفي بالصور وأنا اتفق معها .. أما بالنسبة لأمر الطبيبة فحاول تأجيله لما بعد العرس بدلا من الإجهاد في يوم حار ذهابا وإيابا من وإلى العاصمة "

شعر شامل بأن عيد يستثقل الذهاب للعاصمة أو ربما متحرج من زيارة الفيلا لاستشعاره الفارق الطبقي وهو من خلال معرفته البسيطة به يجده يبالغ في حساسيته فلم يجد بدا من القول " عموما سأرى إن كنا سنستطيع تأجيل الموعد أم لا"

جاءت صيحة فرح حماسية من الداخل فاغمض عيد عينيه يشعر بالحرج بينما اتسعت ابتسامة شامل وازدادت قبضتيه الموضوعتين على فخذيه تقبضا شاعرا بفرحة جمة ومتمنيا لو كانت أمام ناظريه وهي تتفحص الهدايا لكنه يشعر براحه أكبر الآن فهناك بعض الهدايا خشي من أن تخرجها باندفاعها وحماسها أمام والدها .

ساد الصمت فأمسك شامل بهاتفه بضيق من استمرار جلوس حماه وفتح الواتساب عند سماعه صوت استلام رسالة ليجد ونس قد ارسلت له صورة لفستان من قماش الشيفون الملون قصير جدا بحمالات رفيعة لديه كورنيش من نفس اللون ثم سألت "شامل ما هذا؟!! (وجه يختبئ خلف كفين)"

كتب والشقاوة تملأ عينيه " هذا فستان (وجه يغمز)"
كتبت ونس " وكيف سألبسه بهذا الشكل (وجه يختبئ خلف كفين)"
ازدادت حرارة جسده وهو يكتب " فيما بعد ستلبسينه إن شاء الله حينما نكون وحدنا (ونظر لحميه الذي يتملكه الفضول ليعرف ماذا يقولان لبعضهما فهو يكاد يجزم أنه يحدث ونس بينما عاد شامل للهاتف ليكتب) اعجبني لونه ولم أصبر واشتريته .. احتفظي به لأراه عليك فيما بعد .. في غرفتنا(وجه يغمز)"
"(وجه يختبئ خلف كفين) شامل"
"نعم"
"أنت قليل الادب"
كتم الأخير الضحك بصعوبة وكتب " شكرا (وجه ضاحك ملء شدقيه)"

عاد ليتطلع لحميه الذي أسرع بالإشاحة بأنظاره وساد صمت أخر قطعه عيد بعد برهة وهو يسأله "هل تشرب شاي أم شيئا مثلجا؟"
رد شامل بحماس لربما غادر الغرفة ولو لدقائق
" أي شيء جميل من يدك يا عماه "
صاح عيد مستمتعا بمناكفته " يا ونس اعدي لنا كوبين من الشاي"
صاح شامل بسرعة" لا لا شكرا غيرت رأيي لا تعدي شيئا يا ونس"
ساد الصمت من جديد فعاد شامل لينظر في الهاتف وكتب "ونس"
"ونس"
"أين أنت لماذا تأخرت؟"
كتبت الأخيرة بعد برهة "لا استطيع الخروج يا شامل"
"لماذا؟؟؟"

كتبت بعد تردد " لأني لا اشعر بالثقة في نفسي بالملابس الجديدة .. أخشى ألا اكون أنثى كاملة أمام عينيك كفتيات المدينة"

كتب بقلة صبر " يا ونس هذا ليس وقته بالله عليكِ ..أشعر بأن والدك سيطردني بعد قليل متعللا بأن وقت الزيارة انتهى ولم اجلس معك حتى .."

انتبهت أذنا عيد لحركة ما بالخارج فترك مكانه يقول لشامل "سأعود بسرعة لا تؤاخذني"

فأسرع شامل قائلا وهو يخفي فرحته" كن على راحتك يا حاج عيد "

بمجرد أن غادر عيد الغرفة .. أسرع شامل بالكتابة "ونس بالله عليك اخرجي الآن حتى لو لم تبدلي ملابسك .. والدك ترك الغرفة .. أريد أن اتحدث معك وحدنا ولو لدقيقة"

لم تمر دقيقة إلا وانتبه شامل لخيال عند الباب فرفع رأسه عن الهاتف واتسعت عيناه وهو

يتطلع فيها على باب الغرفة .. ترتدي بنطالا من الجينز الازرق شبيه بذلك الذي اعتادت على أن ترتديه دوما لكن هذا أغلى ثمنا وأكثر أنوثة وضيقا وتفصيلا لحنايا جسدها.. خاصة وأن البلوزة القطنية الوردية القصيرة حتى الخصر فوقه تحدد كل شيء بوضوح .. والوشاح الذي تحرجت من الخروج بدونه رغم أنها لم تكن تلتزم به من قبل لكنها شعرت بالخجل الشديد وبالخوف من والدها إذا ما خلعته.

استقام شامل واقفا ودبت الحرارة في جسده وهو يتأملها تقف عند الباب تتمايل أمامه بخجل طفولي تشبك أصابعها خلف ظهرها .. واقترب منها يسحبها إلى داخل الغرفة بيد وبالأخرى وارب الباب وهو يحاول تذكير نفسه بأن الرجل العجوز سيكون هنا بعد دقائق معدودات .

أشارت له ونس بوجنتين مخضبتين بالحمرة بما يعني أن والدها سيدخل في أيه لحظة .. خاصة وهي تستقبل تلك النظرة الحميمة من عينيه .. فقال شامل بلهجة حارة وهو يقترب أكثر" اعرف .. اعرف ..فلنقتنص عدة ثوان من هذا الجمال"

ظل ممسكا بكفها الأيسر وعيناه تجولان بجرأة مشتعلة على تفاصيلها .. فغطت ونس عينيها بكفها الأخر وقلبها يدق بعنف لا يقل عن عنف ضربات قلبه الذي كان يهدر في صدره لحظتها في ثورة عارمة..

اقترب شامل حتى شعرت ونس بدفء جسده وانفاسه لأول مرة وانتابها بعض الخوف من القادم ممزوج بالقلق من دخول والدها في أي وقت ..

بيده الحرة أبعد شامل يدها عن عينيها فأطرقت برأسها والحرارة تشع من جسديهما

ليقول بصوت متحشرج وهو يرفع ذقنها
"انظري إليّ يا ونس"
اسرعت بتنكيس رأسها ترفض مواجهته وقد بدأت تتوتر من دخول والدها في أية لحظة.
أدرك شامل بأن الوقت يجري فمد يده يتحسس خصرها من فوق البلوزة وهو يشعر بانفلات وشيك لأعصابه بينما بدأت ونس تهز رأسها رافضة دون أن ترفعها إليه خائفة بشدة من الثانية التالية ..
مال برأسه يقرب وجهه من وجهها لكنه تجمد فجأة وابتعد عنها قبل أن يصل إلى شفتيها ..
فرفعت رأسها تنظر إليه ولمحت عبوسا وجدية على وجهه لم تفهم سببهما قبل أن تراه يشير لها بنظرة خطرة آمرة أن تبقى مكانها وهو يفتح الباب ويسرع للخارج في الوقت الذي التقطت فيه سماعتيها أخيرا ما التقطته أذناه قبلها من جلبة مريبة تأتي من الخارج.

قبل دقائق

خرج عيد من باب البيت بعد أن التقطت أذناه حركة مريبة في الخارج ..وبمجرد أن شاهد الرجل الذي لا يعتقد بأنه قد شاهده في القرية من قبل خمن الموضوع ..فتحركت عيناه لا إراديا يبحث عن هؤلاء الرجال الذين يمرون من أمام بيته بشكل دوري واحدا تلو الأخر أكثر من مرة في اليوم كما طلب منهم مصطفى الزيني لكنه لم يجد منهم أحد في هذا اليوم الحار من فترة ما بعد الظهيرة فاقترب من ذلك الرجل الغريب يسأله بريبة "نعم تفضل أية خدمة؟" قال الرجل بلهجة مهددة رغم هدوئها "جئتك لأخبرك بأنه قد طفح الكيل فلا تلومن إلا نفسك بعد ذلك"

لاحظ عيد عربة نصف نقل تقف على بعد ولم يلمح فيها إلا السائق الذي يخرج ذراعه من النافذة وجرار يقف بجوار السيارة .. فقال

بانفعال "اسمع أنا لا اقبل بهذا التهديد اذهب من هنا حالا وإلا سأتصل بمن سيأتون ليقبضوا عليك وعلى من معك"

ابتسم الرجل وقال بلهجة هادئة "سأذهب .. أردت فقط أن أخبرك بأنه هناك قرارا قد اتخذ في المجلس المحلي بإزالة هذا البيت لإنشائه على أرض زراعية (و أشار حوله قائلا) انظر حولك لا يوجد إلا بيتك .. والدولة تجرم البناء على الاراضي الزراعية .. القرار صدر بالفعل وسيهدم هذا البيت في القريب العاجل "

عقد عيد حاجبيه لثوان ثم هتف مستنكرا "عن أي تخريف تتحدث؟!!.. إن هذا البيت هنا منذ سنوات طويلة.. كان بالطوب اللبِن بناه جدي رحمه الله وقد هددته واقمته بالطوب الاحمر منذ خمسة عشرة سنة"

قال الرجل بسماجة "هذا ليس من اختصاصي ..الاوراق كلها قد تم ترتيبها لهدم البيت ..أنا

فقط جئت لأخبرك ولأقول لك أنك تستطيع أن تتجنب قرار هدم البيت بتليين رأسك قليلا "..

كان عيد يتفتت من الغضب لكنه هذه المرة تماسك بقوة رغم شعوره الشديد بالخوف مما يهدد به ذلك الرجل حتى لا ينفعل على هذا الواقف أمامه في وجود صهره فلا يريد أية فضائح أمامه .. لهذا ضرب الرجل في صدره قائلا وهو يدفعه للخلف " اذهب من هنا وقل لمن يرسلك مصطفى الزيني بنفسه سيتدخل في هذا الامر"

قال الرجل باستهزاء "وماذا سيفعل مصطفى هذا !..عموما سنرحل ..ولكن قبل أن نرحل (ولمعت عيناه بتسلي) نحب أن نترك لك ذكرى بسيطة "

أشار للجرار خلفه فسُمع صوت محركه ثم تحرك .. لتتسع عينا عيد ويهتف صارخا "ماذا

ستفعل يا هذا؟!.. هل تعتقد بأنك ستفلت بفعلتك هذه! "

وتلفت حوله عله يجد من يمر من أهل البلدة ليؤازره لكنه لم يجد أحد تحت حرارة الشمس الشديدة بينما قال الرجل بابتسامة لزجة " ابني صغير ويلعب بالجرار فماذا افعل معه "

تطلع عيد مدققا في سائق الجرار ليجده مراهقا صغيرا في الوقت الذي خرج شامل يقول بعبوس متفحصا "ماذا يحدث يا عماه؟"

لم يعرف عيد بما يجيبه ..بينما توقف المراهق مترددا على بعد أمتار من صفوف الأواني الفخارية المتراصة فوق بعضها والتي كان يقصد ضربها بالجرار.

قال الرجل لشامل وقد حسبه من هيئته المدنية بأنه زبون "اذهب يا أستاذ وتعال في وقت أخر لدينا أمور خاصة نبحثها حاليا"

تقدم شامل يقف أمام الرجل قائلا بتحدي
ولهجة متحفزة "أي أمور خاصة؟"
على الرغم من شعور الرجل بالتوتر من ملامح
شامل وقوته البدنية الواضحة إلا أنه ظل
معتقدا بأنه زبون يحاول المساعدة وسيبتعد
بمجرد أن يشعر بأن الأمر جدي فقال لعيد
متجاهلا شامل "تذكر بأني حذرتك "
شعر المراهق خلفه بأن (الدار أمان) وأن
الضوء أخضر فأعاد تشغيل الجرار متقدما
بحماس المراهقين من الفخار المرصوص..
ليصيح عيد هادرا "ارجع يا ولد"
انتبه شامل لما يحدث فتحرك نحو الجرار بعد
أن دفع الرجل بقوة ليزيحه عن طريقه .. لكن
الرجل أمسك به يمنعه قائلا" لا تتدخل يا
حضرة وامض إلى حال سبيلك"
هدر عيد في الرجل "بل أنت الذي سترحل من
هنا"

دفع شامل الرجل بقوة وهو يقول " بل أنت
من سترينا عرض أكتافك هيا"
ارتد الرجل للخلف حتى كاد أن يسقط لولا أنه
قوي البنية في الوقت الذي خرجت ونس لترى
ماذا يحدث .
عاد الرجل لينقض على شامل ممسكا بتلابيبه
وهو يقول "قلت ابتعد يا هذا لا نحتاج
لشهامتك فلا تتدخل "
برأسه ضرب شامل الرجل في جبهته وهو يقول
بلهجة خطرة "سأتدخل يا حبيبي فأنا ابنه"
صرخ الرجل يمسك برأسه ووقف يتطلع في
شامل بذهول في الوقت الذي اسرع عيد نحو
الجرار يشير للفتى المراهق أن يتوقف ..
هم شامل باللحاق بعيد لكن صرخة ونس
جعلته يستدير بسرعة مرعوبا فوجدها تشير
لشيء ما خلفه في الوقت الذي انتهز سائق
السيارة الفرصة والذي كان قد اقترب عندما

ضرب شامل صاحبه فضرب شامل بغتة بعصا غليظة جاءت في كتف الأخير قبل أن يستدير بسرعة ويمسك بالعصا وهو يصيح "ادخلي يا ونس .. ادخل ونس يا عماه "

ترك عيد الجرار الذي بدأ في تكسير جزء من الفخار وأسرع لونس التي اندفعت تقترب وهي ترى شامل وقد هجم عليه الرجلان معا..

امسك عيد بابنته يحاول ادخالها وهو يصيح فيها "ادخلي يا ونس انت تعرضين نفسك للخطر"

اخذت تقاومه وترفض الدخول وهي ترى شامل يتصدى للرجلين معا .. السائق الذي لايزال لا يريد أن يتخلى عن عصاه الغليظة والثاني الذي كان يهدد عيد ..فظل عيد في صراع معها ليهدئها لكنها كانت مفزوعة بشدة وتصيح بانفعال بينما شامل يحاول ألا ينصت لما تلتقطه اذناه من نحيبها ..

ضرب شامل أحدهما برأسه مع صوت تكسير الفخار في الخلفية .. ليرتد الرجل وقد شعر بدوار شديد بينما ظل الأخر والذي يتمتع ببنية قوية ممسكا بالعصى بشكل افقي بينهما كل منهما يحاول دفع الأخر للخلف .. حتى دفعه شامل دفعة قوية أوقعته أرضا وحصل هو على العصى ليباغته الثاني من الخلف فاستدار له شامل يناروه بالعصا في يده وانضم إليه الأخر.
أخيرا حضر شخص مهرولا قد لمح ما يحدث من إحدى الحقول القريبة وبمجرد أن اقترب سأل عيد عما يحدث وقبل أن يجيب عيد كان أحد المكلفين بالمرور على بيته من قبل مصطفى الزيني قد ظهر وأسرع بالاشتباك مع الرجلين ففهم شامل بأنه يحاول مساعدته وصاح فيه "الجرار أوقف الجرار"

اسرع الرجل بالتحرك نحو الجرار وقفز يمسك بالفتى المراهق ويجبره على إيقافه في الوقت الذي دفع شامل السائق على الأرض بقوة.. بمجرد أن شعر السائق بأنه لن يقدر على شامل وبأن الفتى الصغير وقع أسيرا .. خمن بأن صاحبه لن يترك ابنه ويهرب معه لذا أسرع هو بالفرار نحو السيارة نصف النقل وركبها هاربا .. في الوقت الذي انزل الرجل التابع لمصطفى الفتى من فوق الجرار يقبض عليه ..وقد لاحت علامات الرعب على وجه الأخير بينما ضرب شامل الرجل أمامه بقبضته فوقع على الأرض . قفز شامل فوقه وامسك بتلابيبه وهو يوجه له لكمة أخرى وقد سيطر عليه الغضب وفقد أعصابه كليا .

كان الناس قد بدأوا في التجمع من الحقول القريبة بعد أن لاحظوا من بعيد ما يحدث في الوقت الذي أوقف كامل السيارة في عرض

الطريق وخرج منها مسرعا نحو أخيه وقد قاده حدسه لأن يعود إليه فورا .

قبل قليل

أوقف كامل السيارة أمام بيت الوديدي وهو يرى بسمة تقف على البوابة في استقباله بجلباب باللون الأخضر الداكن ..

لقد طلب منها أن تخرج إليه حتى لا يضطر للدخول.. فمن ناحية يعلم أن الوقت وقت ظهيرة ووليد والحاج سليمان بالمزرعة.. ومن ناحية أخرى لا يعرف عما سيتحدثان إن دخل وجلس معها فهما يتكلمان بالكاد.. إما في اتصالات تليفونية سريعة ليسألها عن شيء يخص تجهيزات الزواج وترتيب الأمور الخاصة به أو يتحدثان على الواتساب آخر الليل حديثا مقتضبا يكون هو البادئ به ليسألها اسئلة

سريعة غير مباشرة عن يومها فهي لم تخرج من البيت منذ ذلك اليوم إلا لتشتري بعض الاشياء التي تخص تجهيزات العرائس .. غير ذلك فالحال بينهما مضبوط على الوضع الصامت.. لا هي تتحدث ولا هو يجد مجالا لقول أي شيء..

يشعر بها متألمة حزينة ويشعر أن تلك التجربة التي مرت بها منذ اسبوعين تركت أثرا في نفسها سيحتاج وقتا طويلا لينمحي .

وهو .. ويا للغرابة .. قرر أن يصبر عليها !..

غريبة هي تلك الطاقة التي نملكها من الصبر على من نحبهم .. تمنحنا قوة ربما لهضم وتمرير الكثير مما قد نتلقاه منهم ..

أو ربما هو الأمل ..

الأمل في أن يتغير الأخر .

وغريب أن يتحلى هو بالذات بتلك الطاقة من الصبر .

من أمام البوابة تأملت بسمة طوله وعرض منكبيه وهيئته الملفتة بضخامتها رغم ذلك الوزن الكبير الذي فقده خلال السنين الماضية.. ورغما عنها فقدت السيطرة على قلبها المتمرد الذي قفز من صدرها ليستقبله بترحيب حار لم يظهر على ملامحها الباردة .. فأدركت لحظتها أي فخ قد أوقعت نفسها فيه بقبولها الزواج منه..

الزواج !

يا الله ! .. لا تزال لا تصدق بأنها قد فعلتها ثانية وبأنها قد أصبحت زوجة لكامل نخلة !.

عدل كامل من التيشيرت الاسود الصيفي فوق بنطال من الجينز باللون الزيتي وحذاء رياضي بلون البنطال .. واختلس نحوها نظرة سريعة ثم تحرك يفتح الباب الخلفي للسيارة يلتقط منه عددا من الاكياس بعد أن رفع شعره عن جبهته بمشط يده بلازمة عصبية غير متعمدة

حينما يريد أن يداري توتره .. لكن بسمة دوما ما تخطئ في تفسيرها فاطلقت صوتا ساخرا خافتا من حنجرتها وغمغمت بتهكم "لن يكف أبدا عن الزهو بنفسه "

اقترب منها كامل يقول بحشرجة وعيناه تلتهمان تفاصيلها بتدقيق "كيف الحال؟"

لا تعرف لماذا اغتاظت من قصر كُمّيّ التيشيرت اللذان يبرزان عضلات ذراعيه و بحركة لا إرادية جالت عيناها في المكان تخشى عليه من الحسد فالعيون تراقب من الشرفات ومن أمام الأبواب

..

اعتقد كامل أنها ترغب في التباهي بوجوده بحركة عينيها تلك وهي تلتقط منه الأكياس وترد على سؤاله بالحمد لله .. وبرغم ضيقه لكنه كان متفهما ..

ويا ليته ..
يعرف بأنها كانت تشعر بالغيرة عليه من العيون
..
ويا ليتها ..
تعي بأن لسانها قد تحرك في سرها يبسمل من
شر حاسد اذا حسد ..
ويا ليتهما ..
يعبران ذلك الحاجز غير المرئي من سوء الفهم
بينهما !.
سألته بسمة "ما كل هذا؟"
رد بهدوء وهو يتطلع في تفاصيل وجهها بهي
الحُسن رغم حزنه " بعض الأشياء اشريتها لك
وفيها كيسا يخص والدتك .."
قالت بسمة بحرج شديد وشعور بالذنب أن
تغرم كل هذا المبلغ بسببها "لم يكن هناك
داعي"

قال بلهجة متحفزة "اتفقنا أن تسير الامور
وكأنها حقيقية .. شامل وأمي كانا يشتريان الهدايا
لونس فلم يكن منطقيا ألا اشتري أنا الآخر
خاصة وأن أمي اشترت بعض الهدايا لك
ولوالدتك أيضا"
لم تدري بسمة ماذا تقول فسألته "كم ثمنها
إذن فأنا لا أريد أن تتغرم بسببي"
انقلبت مقلتيه يطالعها بنظرات غاضبة
فابتلعت ريقها وخرست خاصة مع وقفتها
القريبة في مجال عطره الرجولي الذي يشل
دفاعاتها .
اندفعت الحاجة فاطمة تخرج رأسها من البوابة
خلف بسمة وتقول بتهليل" أهلا يا ولدي ..
أنت كامل أليس كذلك؟"
ابتسم لها كامل يقول بلطف" أجل يا حاجة
كيف حالك؟"

شددت فاطمة على يده تمسك بها بكلتا يديها قائلة" بخير ما دمت قد رأيتك.. (حصاة في عين من يراك ولا يصلي على النبي)"
ذاب قلب كامل لطيبتها.. بينما اشفقت بسمة على والدتها و زاد ذلك من شعورها بالمرارة فنادت على إحدى المساعدات لتعطيها الاكياس في الوقت الذي قالت فاطمة" لا يصح أبدا ألا تدخل .. ألا يعجبك طعامي؟ .. إن لم يعجبك قل لي ماذا تحب واطبخه لك"
رد كامل بحرج شديد" أبدا.. أبدا الطعام كان ممتازا ..أنا فقط لدي اعمال مهمة عليّ أن أنجزها لأعود للعاصمة قبل حلول المساء
(ونظر لبسمة لتنقذه وهو يقول) لا يزال هناك أكياسا بالسيارة يا باسمة"
تدخلت بسمة تربت على ذراع أمها قائلة "اتركيه يا أمي مادام لديه عمل"

بإحباط قالت فاطمة" فليوفقك الله
..سأترككما سويا"
قالتها ودخلت تغمغم لنفسها بسعادة
"يناديها (باسمة)..(وتنهدت تطمئن نفسها)
كامل إن شاء الله.. وسيُليِّن رأس ابنتي اليابس"
أخرج كامل المزيد من الأكياس من السيارة
وسط نظرات بسمة المحرجة ..فتناولتها منه
وهي تقول" لا تؤاخذ أمي قد تكون لحوحة
قليلا لكنها طيبة القلب ولا تفعل ذلك إلا مع
من تعزهم .."
مر تساؤل مفاجئ في رأس كامل جعله يتقبض
ويجف حلقه .. هل كان هذا هو موقف أمها من
طليق بسمة أيضا ؟
وهل كانت تحبه وتحتفي به وتدعو له أن
يكفيه من شر العين هو الآخر؟!
إنه لا يحب هذا الشعور ..

وكبريائه لا يقبل بأن يكون في منافسة مع أحد
..
هذا يجرح كبرياءه بشدة ويفسد عليه أي شعور أخر ..
لاحظت بسمة انقلاب وجهه فسألته بقلق
"هل حدث شيء؟"
رد بحشرجة وقد نجحت تلك القوة التي تعارضه في أن تفسد اللحظة التي كان يتلهف لها على مدى أسبوع من أن يراها وجها لوجه ويتأمل تفاصيلها المغرية بأريحية "لا شيء هل أنت تريدين شيئا؟.."
قبل أن تجيب لمح كامل بطارف عينيه وزة تتبختر أمام أحد البيوت التي تقع عند أول الشارع فعبست ملامحه لا إراديا وتقبض متحفزا .
تتبعت بسمة سبب انزعاجه قبل أن تتسع ابتسامتها وهي تعود بأنظارها لتتطلع فيه

..فتعلقت نظراته على ابتسامتها التي اشرقت على روحه بعد أيام من الجليد ..وقفز قلبه في صدره بانتعاش وكأنه قد تلقى جرعة الأكسجين الخاصة به .لكنه رفع حاجبا وسألها بتحفز " لماذا تضحكين؟"

عادت بسمة للملمة ابتسامتها وغمغمت وهي تكتف ذراعيها وكأنها تضع حاجزا بين قلبها ومالكه " تبدو مضحكا أن تكون بهذه الهيئة وتتوتر في حضور الوز "

هتف بصبيانية لذيذة كادت أن تضحكها " أنا أتوتر !.. لم يحدث أبدا.. أنا اشفق على وز هذه البلدة لأني سأكسر عنق كل ما سأراه في طريقي منهم "

كان أمام عينيها أوسم رجل رأته في حياتها .. وسيما إلى حد يستفزها .. فحاولت ألا تتباسط معه حتى لا تتعلق به أكثر ..

فتعلق القلب يجلب العشم ..وهذا العشم
سيتضخم ويتحول إلى وهم ..
وهم بما نأمل بأن نتلقاه ممن تعلقت بهم
قلوبنا ..
فإذا ما اصطدمنا بصخرة الواقع .. تكسر القلب
وتهشم الخاطر .. وتحطم الكبرياء.
سألته بهدوء "هل ستعود فورا للعاصمة ؟"
قبل أن يجيبها كامل اتسعت عينا بسمة وهي
تراه يمسك بكتفه فجأة بعبوس متألم فسألته
باهتمام" كامل ما بك؟"
لم يرد .. بل اخرج هاتفه وحاول الاتصال
بشامل لكن الأخير لم يجيبه فعاود الاتصال
وهو ينسحب من أمامها قائلا "لابد أن أغادر
..أشعر بأن هناك ما يحدث مع شامل"
لم تفهم بسمة.. فظلت محدقة فيه وهو
يركب السيارة ويحركها بسرعة بعد أن أشار لها
بيده أن تدخل ولا تقف على البوابة..

وعندما وصل إلى بيت عيد أوقف سيارته في وسط الطريق وأسرع بالترجل منها وعينيه فقط على توأمه الذي قفز فوق رجل يمسك بتلابيبه ويقول هادرا "من أنت ؟.. وماذا كنت تريد منه ؟"

اسرع كامل بتخليص الرجل من يد شامل بحزم ورفعه عنه ليقف على قدميه ثم قبض على الرجل ليقف هو الأخر وبادره يقول باندهاش "أي مصيبة فعلت لتوصله لأن تفلت أعصابه بهذا الشكل ؟"

اندفع شامل من خلفه يقول " اتركني يا كامل لابد أن اعرف ماذا يريد "

قالها ونظر لحميه الذي كان يقف أمام الباب ليمنع ونس من التحرك ويداري خلف صمته وجمود ملامحه تأثرا بما يفعله شامل .. ويداري

شعورا حقيقيا بالامتنان له .. فسأله شامل"
ماذا يريد هذا الرجل يا عماه؟ أخبرني"
كان عيد متأثرا لدرجة لم يستطع معها الرد بل
ظل يتطلع في شامل بصمت وشعور غريب
يقرصه في عينيه فلم يكن له يوما أخا أو ابنا
يسانده بهذه الحمائية ..بينما تكلم كامل وهو
يضرب على خد الرجل الذي يمسك به مهددا
"هيا اعترف .. فهذا الثور الذي أمامك لا ينفعل
إلا نادرا وإذا ما انفعل فإننا لن نستطيع تهدئته
بسهولة"
توقفت سيارة مصطفى الزيني وترجل منها
الأخير يتطلع في المشهد كله..
بعض الفلاحين يراقبون بينما كامل وشامل
يمسكون برجل يناظرهما بغل والرجل الذي
يتبعه والذي اتصل به يخبره بما حدث يقبض
على فتى مراهق ..

ألقى مصطفى السلام سريعا فتحرك عيد يستقبله ويسلم عليه قبل أن ينظر مصطفى للرجل الذي يناظر الجميع بغيظ وغل محاولا الإفلات من يد كامل الممسكة به .

سلم مصطفى على كامل وشامل وتطلع في الفخار المكسور والجرار الواقف بعرض الطريق ثم عاد للرجل يسأله بغضب شديد " كيف تجرؤ على التبجح بهذا الشكل في قريتنا ..من أنت ومن أرسلك ومن أي قرية أتيت؟ "

بعد قليل كان مصطفى يأمر أحد اتابعه بجر الرجل وابنه الى العمدة بعد أن رفض الرجل البوح بهوية من أرسله بينما وقف عيد بجواره يتابع شامل وهو يقف أمام ونس عابسا يمسك بكتفه ويقول بصوت خافت يوبخها بسبب اندفاعها السابق " لا تشعري بالأسف على كتفي فأنت السبب "

اتسعت عينا ونس تشير على نفسها باستنكار ما يعني " أنا!! "
رد شامل بجدية هادئة "أجل أنت السبب ..فلو لم تندفعي وتشتتي انتباهي لما تلقيت الضربة ..ووالدك حاول أن يبعدك أكثر من مرة "
ابتأست ملامحها وحاولت لمس كتفه المصابة شاعره بالشفقة عليه لكنه أبعد يدها عن كتفه بحزم لطيف وهو يناظرها بجدية .. جعلتها تخفض نظراتها ببؤس طفولي شاعرة بالذنب فأضاف شامل محذرا" إياك والتهور والاندفاع بهذه الطريقة مرة أخرى ..سواء كنت أنا من يتشاجر أو والدك .. اتفقنا من قبل ألا تضعي نفسك في موقف أقوى منك ..(ونقر بسبابته على جانب رأسها) وأن تستخدمي ذكائك يا ونس لا قوتك .. هنا ذكائك يكمن في عدم التهور (وأشار لكتفه) وها هي النتيجة ..صرخة واحدة منك شتت انتباهي ..فما بالك

لو كنتِ اقتربتِ واتخذك أحدهم وسيلة لإيذائي أو ايذاء والدك .. (وتخصر أمامها يقول بمشاكسة) أهذا تسمينه ذكاءً!"

احمرت وجنتاها من الحرج وشعرت بالضيق من توبيخه لها .. ورغم شعور شامل بالشفقة عليها ..لكنه تماسك حتى تتعلم الدرس ..

بكل مكر جادلته ونس بالإشارة عليه بإصبعها ثم رفع قبضتيها بمستوى ذراعيها بما يعني بأنه قوي .. ثم أسرعت بضم أصابع كفها تلفهم بحركة دائرية حول وجهه وكأنها ترش عليه ملحا لتقيه من الحسد وتقصد أن تقول (ما شاء الله).

حافظ شامل على ملامحه حتى لا يضحك ورد بجدية " ربما أكون قويا لكني بالتأكيد لي نقطة ضعف وأنت نقطة ضعفي يا ونس .. كان من الممكن ببساطة أن أنفعل لدرجة تجعلني أقتل

الرجل إن تعرض لك بأي سوء .. ما رأيك ؟"

أفحمها شامل برده فشبكت يديها خلف ظهرها
ووقفت أمامه تتأرجح يمينا ويسارا ولسانها
يلعب في باطن خدها من الداخل ..
على الرغم من شعور عيد بعدم الراحة من أن
توبخ فلذة كبده لكن اعجبه أن يكون شامل
حازما معها .. واعجبه أنه يتعامل مع تحايلها
ومكرها بحزم هادئ .. لحظتها شعر
بالاطمئنان ..
وشعر بالرضا .
أخرجه مصطفى الزيني من شروده حينما سمعه
يهدر في الهاتف " لا أفهم كيف أن هناك قرارا
بالإزالة لبيت بُني منذ أعوام كثيرة واعيد
تجديده منذ خمس عشر سنة بحجة أنه قد
بني على أرض زراعية! .. كل أهل البلد يعرفون
بأن البيت مبني منذ مدة طويلة ويشهدون

بذلك يا أستاذ ناجي ..... حسنا سأترك لك الأمر من فضلك اهتم به .... وعموما سواء هذا أو ذلك تلك المعلومة التي وصلتنا كانت بالتأكيد ستمر على عمدة قريتنا قبل التنفيذ وكان سيخبركم بنفس الكلام ..... أريد أن أعرف من أين جاءت هذه الفكرة من الأساس ومن المحرض عليها ! .... حسنا يا أستاذ ناجي سأنتظر منك ردا ولا تؤاخذني على انفعالي .. السلام عليكم "

أغلق مصطفى الخط عابس الوجه ثم ربت على كتف عيد يقول مطمئنا" لا تقلق بشأن ذلك القرار .. فبالتأكيد هناك خطأ ما .. والعمدة لن يسمح بشيء كهذا .. وهذا الرجل وابنه سيذهبان إلى العمدة وسنضغط عليهما للبوح باسم الشخص الذي أرسلهما .. أما أنت فانتهي من ضيوفك ثم مر عليّ لأخبرك بما حدث "

غمغم عيد بامتنان وهو يتحرك خلف مصطفى الذي توجه إلى سيارته بعد أن ركب فيها الرجل وابنه بالقوة والإجبار من كامل وبمساعدة تابع مصطفى" رفع الله قدرك وعظم أجرك يا أبا حمزة"

غمغم مصطفى وهو يركب السيارة "وإياكم يا عم عيد.. إن شاء الله سنعرف مَن خلفه.. أو على الأقل سنوصل رسالة لمن خلف كل هذا بأنك لست وحدك .. السلام عليكم"

غمغم عيد براحة "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته"

واستدار ينظر للجرار الذي ركبه تابع مصطفى الزيني ليتحفظ عليه ثم نظر للفخار المكسور وغمغم "الحمد لله على كل شيء قدر الله وما شاء فعل"

××××

دخل بدير بيته عائدا من تلك القرية السياحية التي مكث فيها قرابة أسبوعين وهو يقول في الهاتف منفعلا بصوت خافت "لماذا تسرعت يا بسطاويسي بإرسال الرجال لتهديد عيد قبل صدور قرار الإزالة؟!! .. القرار كان أمامه عدة أيام أخرى حتى يرتب رجلنا هناك الأوراق دون أي ثغرات"

قال بسطاويسي ببروده المعهود "ألم تطلب مني أن أتصرف مع عيد حتى تعود؟"

رد بدير بغيظ خافت "قلت تخيفه كالمرات السابقة لا أن تخبره بأمر قرار الإزالة الذي سيفشل الآن بعد أن كُشف الأمر ..ثم كان عليك اختيار توقيتا صحيحا لإرسال الرجل يا غبي !"

قال بسطاويسي ببساطة" وكيف لي أن أعرف بأن صهره كان موجودا داخل البيت وفي هذا

التوقيت بالذات ؟!.. فلم نر أحدا من التوأمين منذ ذلك اليوم الذي عقد فيه القران"
على هذه السيرة شبت النار من جديد في صدر بدير ..الذي بذل في الفترة الماضية مجهودا كبيرا حتى لا يتهور ويطاوع شيطانه بقتل ذلك الرجل الذي تزوجها ..ولولا تذكير بسطاويسي له كلما أصابته موجة هياج بما سيخسره إذا ما تهور لكان ارتكب جرائم كثيرة منذ ذلك اليوم في الجلسة العرفية ..
وكأن بسطاويسي كان مطلعا على أفكاره حين قال محذرا للمرة المائة "بدير ها أنت قد عدت للبلدة .. لقد اخبرت الجميع بأنك كنت تعقد صفقة في العاصمة لتصدير محاصيلك .. إياك والتهور يا ابن عمي .. العيون كلها ستكون عليك .. لابد أن تثبت لهم بأن الأمر كان شهامة منك لا أكثر حينما طلبت يدها وأن لا شيء يؤثر فيك .. واحذر أي تهور .. لو حدث لهذا الشاب

الذي تزوجها خدشا واحدا ستذهب إليك أصابع الاتهام.."

طحن بدير أسنانه بقوة وسحق الهاتف في يده بغيظ في الوقت الذي هرولت فيه وجدان بمجرد أن علمت أنه قد عاد تنزل إليه من الطابق العلوي .. وعلى الرغم من أنها كانت قد وعدت نفسها بألا تمررها له هذه المرة وأن تقاطعه لفترة .. إلا أنها بمجرد أن سمعت من الأولاد بعودته لم تتمالك أعصابها فنزلت ووقفت تتطلع فيه بشوق كبير وهو يتحدث في الهاتف بانفعال .

تأملت هيئته المتحفزة وعينيه الخضراوين اللتين بديتا داكنتين من الغضب ..ودققت في ذلك الإرهاق البادي على وجهه .. ولم تعرف إن كان عليها أن تتحسر على نفسها وعلى قلبها المكسور أم تشفق عليه وعلى حاله .. خاصة

وأنه لم يكسره شيء من قبل أبدا .. وها هي تراه حزينا مجددا بعد زواج هذه الساحرة الشريرة بسمة للمرة الثانية .

أما كاميليا فنزلت هي الأخرى خلف وجدان والغل لا يزال يقتات عليها منذ ذلك اليوم .. حتى أنها لم تعد تطيق البقاء في بيتها .. تشعر به أضحى خانقا .. وكأن جدرانه تريد أن تسقط فوقها .. عيناها لم تعد ترى بيتها إلا خرابة .. لم تعد تشعر بالرضا عن أي شيء فيه .. تشعر بأن كل ما فيه قديم فهو لم يجدد منذ ثماني سنوات منذ زواجها .. تشعر بأن البيت نفسه ليس مُرضيا لها وللمكان الذي تطمح إلى العيش فيه .. كل شيء حولها في البيت قديم ..قبيح ..منفر .. لم تعد تطيق الجلوس فيه

فتحججت بهدى زوجة عماد التي كسر ذراعها بعد أن انزلقت من فوق السلم ..لتحضر كل يوم إلى بيت العسال .. يوصلها جابر صباحا

ويعيدها أحد أولاد العسال مساء .. فجابر كعادته يعود للبيت متأخرا ولا يزال يهجرها في الفراش.. لكن لم يكن يشغل بالها شيء سوى تلك المصيبة التي حلت على دماغها بزواج بسمة للمرة الثانية..

لا تستطيع النسيان .. لا تستطيع التقبل .. الأمر خارج عن إرادتها والنار تأكل في قلبها غيظا وحسرة على نفسها.

أنهى بدير المكالمة وتطلع في وجدان يقول بتجهم" حضري لي الحمام يا أم علاء"

شعرت وجدان بالغصة وحزنت لأنه حتى لم يلقي عليها سلاما بعد هذا الغياب .. وراقبته وهو يتجاوزها هي وكاميليا ويصعد لأعلى .. فأسرعت الأخيرة بالقول وهي تصعد خلفه "حمدا لله على سلامتك يا أخي" ..

غمغم بدير دون أن يلتفت لها أو حتى يتوقف عن الصعود "ماذا تفعلين هنا يا كاميليا؟.. علمت بأنك بت تأتين كل يوم تقريبا"

غمغمت كاميليا بمراوغة "لا شيء .. أشعر بالملل بجلوسي وحدي في البيت (ثم قالت بمواساة متعمدة وهي تفرك كفيها ببعضهما وتدقق فيه) أنا قلقة عليك يا أخي.. أنظر لنفسك كيف تعاني .. بالتأكيد لن تتركهما ليهنآ أبدا ولن تدعها بعدما فضلت شخصا أخر على المعلم بدير"

في الدور العلوي استدار بدير هادرا بغضب شديد أفزعها "لا تتدخلي في هذا الأمر يا كاميليا"

قالت بلجلجة مستميتة في المحاولة "لأني حزينة على حالتك يا أخي"

قال بغضب مكابرا " ما بها حالتي ؟!.. أنا المعلم بدير العسال .. وإن رفضتني واحدة أتزوج بدلا

منها ثلاثة .. (واشاح بيده في وجهها بغضب)
ابتعدي عني وعودي لبيتك فلست متفرغا
لثرثرة الحريم هذه"
قالها وتحرك مبتعدا يداري كرامته المجروحة
خلف دمدمته "متفرغ أنا لتلك التفاهات !"
وقفت كاميليا تتطلع فيه وهي تهز ساقها
بعصبية وتسأل نفسها بارتباك ..ماذا بعد؟ ..
لقد انتظرت عودته حتى ترى ماذا سيفعل
وكيف سينتقم ..
أهذا يعني بأنه سيستسلم !!.. وإن كان ينوي
ذلك ماذا ستفعل هي؟ ..
ليتها كانت رجل .. ليتها كانت رجل لفعلت
أشياء كثيرة للانتقام بدلا من جلوسها هكذا
مقيدة الخطوات تتحسر على حالها.
سمعت باب الغرفة يصفع بشدة في وجهها
فانتفضت مفزوعة قبل أن تسمع صوت
وجدان من خلفها يقول بصدمة" يا لك من

حرباء متلونة! .. تتصرفين لمصلحتك فقط .. هل تواسينه وتحفزينه للانتقام حتى تستفيدي شيئا من محاباته أم أن لك سببا أخر لما تفعلين؟!!"

استدارت كاميليا متفاجئة ثم غمغمت بحرج" وجدان!"

قالت الأخيرة وهي تتطلع فيها باشمئزاز "أجل وجدان .. وجدان الهبلاء التي استأمنتك على سر بيتها ولكنها لم تكن تعرف بأنك حرباء متلونة"

هبت كاميليا تقول من بين أسنانها بصوت خافت " اخرسي يا وجدان وأعلمي مع من تتحدثين.. أنا كاميليا العسال .. أم تريدين أن أخبر أخي عما كنت تحيكينه من مؤامرات ضد بسمة"

ردت وجدان تشيح بيدها في وجهها "أنت من كنت تفعلين ولست أنا .. أنا فقط وافقتك

كغريق يتعلق بأي قشة ..إن أردت إخباره فلا بأس افعلي .. وسأخبره أنا بكل ما فعلتيه إن كنت تستطيعين مواجهته"

فضلت كاميليا انهاء الأمر بينهما عند هذا الحد فقالت بقرف وهي تشيح بيدها وتتحرك نحو السلم "ابتعدي .. ابتعدي عن طريقي هيا وهرولي خلفه يا معدومة الكرامة بعد كل ما فعل فيك"

تطلعت وجدان في ظهر كاميليا المبتعد والتي رفعت طرف عباءتها الثمينة ذات النقوش الكثيرة ونزلت السلم تصدر طرقعة بكعب حذائها وكأنها موسيقى تصويرية متعمدة لإغاظتها فقالت بصوت مسموع " حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا كاميليا يا بنت العسال ..فليرد لك الله كل ما فعلتيه وتفعلينه ..وليذلك الله القادر على كل شيء كما تذلين كل من يقع تحت يدك .."

قالتها بقهر شديد وألم بينما هدر بدير من داخل الغرفة بشراسة "وجداااان أين أنت؟!!"
انتفضت وجدان ورغم الغصة والألم والشعور بالذل اسرعت إليه ملبية طائعة ..
فهذا هو قدرها في هذه الحياة .

xxxx

"كف عما تفعل وكتفك مصابة ..لمَ أنت عنيد هكذا!!"
قالها عيد لشامل بمناكفة وهو يرى الأخير يرص مع ونس الأواني الفخارية السليمة بعيدا عن المتكسرة معتمدا على ذراعه الأيمن بشكل أكثر من الذراع الأخر..
فرد شامل مناكفته بلهجة متهكمة "سبحان الله.. انظر من يتحدث عن العناد!.."
تحكم عيد في ابتسامة تريد البزوغ على شفتيه وقال بامتعاض " كف عن تمثيل دور (وحش الشاشة) لتبهر عينيها!"

بابتسامة مستفزة استدار شامل يرد عليه "من أخبرك باسمي الحركي؟ .. إن لقبي بالفعل هو (وحش الشاشة) "

جز عيد على أسنانه وتطلع فيه قليلا قبل أن يصيح في ابنته "اذهبي يا ونس وهات بعضا من الثلج أو زجاجة بها مياه مثلجة ليضعها وحش الشاشة هذا على كتفه المصابة"

اسرعت ونس بالهرولة نحو البيت ..فتتبعها شامل بطارف عينه وهي لا تزال ترتدي بنطال الجينز الجديد وقد بدلت البلوزة القصيرة بأخرى طويلة أخفت تلك المنحنيات التي فجرت الدماء في أعصابه منذ قليل ..

إنه يراها بالملابس الجديدة أكثر جمالا وسحرا ..وبهذه الهيئة الأكثر عصرية وأناقة يراها لا تنتمي لهذا المكان.. بل إن لها شخصية متفردة لا تشبه أحد.

أما كامل فكان يقف بالقرب منهم يرتكن في وقفته على مقدمة سيارته يحدق في الهاتف ويقرأ ما كتبته بسمة" ومن هؤلاء الذين هاجموا العم عيد؟"

رد سعيدا بوجود موضوع للحوار بينهما فقنوات الاتصال بينهما مسدودة بشكل غير مفهوم منذ تلك الحادثة" لا أعرف ..لم أفهم شيئا .. وغالبا لا أحد يعلم حتى الآن من هم حتى العم عيد نفسه"

ساد الصمت ..فحاول كامل البحث في رأسه لفتح أي حديث أخر لتفاجئه بسمة بسؤال فضولي وهي جالسة على السرير في غرفتها وحولها أكياس الهدايا التي أبهرت عيني والدتها والمترددات على المنزل "وهل شعرت به فعلا حينما أمسكت بكتفك ؟ كنت أسمع عن تلك العلاقة الخاصة والغريبة بين التوائم المتماثلة لكني لأول مرة أقابل أحد منهم"

كتب شاعرا بالتميز " أجل شعرت بألم مفاجئ في كتفي في نفس المكان الذي ضُرب فيه شامل" اتسعت عيني بسمة الزرقاوين ثم كتبت "هذا غريب ..كنت أظنها خرافات"

رد كامل موضحا " ليس كل التوائم المتطابقة المخلقة من بويضة واحدة مثلنا ..فدرجة التواصل بين التوائم تختلف من حالة إلى أخرى لكن حالتي أنا وشامل بها الكثير من الأمور النادرة .. أذكر أننا حين زرنا إنجلترا ونحن في الخامسة عشرة من عمرنا تقريبا في معسكر دراسي .. كان هناك من لاحظ ذلك الترابط الشديد بيننا بشكل ربما أقوى من التوائم في مثل حالتنا ..واهتم بنا كثيرا وحاول الاتصال بأبي واقناعه أن نبقى في إنجلترا لنخضع للدراسة والمراقبة وأشياء كهذه.. وأذكر أنه عرض مبلغا شهريا كبيرا على أبي وقتها وفرصة له لأن يأتي ويعيش ويستقر في إنجلترا والكثير من

الإغراءات لصالح أحد معاهد الأبحاث المتخصصة هناك التي تدعمها المملكة.. لكن الحاج نخلة كانت رأسه أيبس من الحجر الصوان ورفض"

سألته "وأنت وشامل ماذا كان انطباعكما؟ "

كتب معترفا " أنا دوما المغامر الفضولي المتحمس للجديد الكاره للروتين ..شامل مثلي لكنه يستطيع أن يفكر في الأمور بعقلانية أكثر مني .. ولهذا اعترضت أنا وعاندت وكنت متمسكا بخوض التجربة والعيش في إنجلترا وتلك الأمور المبهرة لمراهق في ذلك العمر"

"وكيف انتهى الامر؟"

رد بصدق " لا شيء .. تركني الحاج نخلة لأضرب رأسي في الحائط"

ابتسمت بسمة وأرسلت بتلقائية وجه يبتسم جعله يتبسم هو الأخر ثم كتب مضيفا" وقد فعلتها"

حدقت بسمة في الهاتف بدون فهم ثم كتبت"
فعلت ماذا؟؟!!"
رد كامل وابتسامة تتراقص على زاوية شفتيه
"ضربت رأسي في الحائط فعلا بعصبية
شديدة"
اتسعت عيناها ثم سألته " والنتيجة؟"
كتب ببساطة " شُجت رأسي طبعا وحمدا لله
لم يكن الأمر خطيرا "
كتبت بصدمة " يا الله!"
حين ساد الصمت مجددا سألها كامل " هل
اعجبتك الهدايا؟"
تطلعت في الهدايا المميزة والأنيقة على السرير
من ملابس وعطور واكسسوارات وكتبت بتأثر
رغم أنها لم تظهر ذلك "الحقيقة رائعة جدا..
سأتصل بسوسو هانم لأشكرها"
كتب كامل باستنكار" فقط سوسو هانم؟؟؟"

رفعت بسمة مقلتيها لأعلى تقاوم ذلك الشعور بالدغدغة الذي يصيبها كلما تحدثت معه وغمغمت لنفسها " لا تتوهمي يا بسمة ..ولا تتعلقي أنت تأذين نفسك .. هذه المرة خيبة الأمل ستكون كبيرة .. أنت مجرد مسئولية بالنسبة له.. هو مجرد محطة قصيرة في حياتك"

حين غابت كتب كامل " آلووو ألا يوجد رد!!"

على الناحية الأخرى تطلع عيد في شامل الذي لا يزال يرص الفخار بذراع واحدة والجدية تعلو وجهه .. وتحركت عيناه يتأمل توأمه المختلف عنه رغم تطابقهما الشكلي إلى حد مرعب .. ثم تساءل كيف سيفرق بينهما في المستقبل ؟.. فهذا أمر صعب .. اليوم مثلا لولا أن كامل يرتدي تيشيرت أسود وشامل يرتدي أخر رملي

اللون لما استطاع التفريق بينهما .. فهما
يرتديان نفس البنطال الزيتي والحذاء..
ماذا لو ارتديا نفس الألوان ..
إن الأمر يبدو غريبا وشاذا .
أما الخاطرة التي أرعبته بشدة .. كيف ستفرق
ونس بينهما؟؟ .. إن التوأمين سيعيشان في
نفس البيت .. ماذا لو أخطأت يوما؟ ..
سيطر عليه وسواسه من جديد وتطلع في كامل
الصامت الغامض بتدقيق مُقيِّما .. وراوده
سؤال شديد الخطورة ؟.. هل من الممكن أن
يستغل توأمه الشبه بينهما بطريقة ... .!!!
قاوم أفكاره بسرعة حتى قبل أن يكمل تساؤله
واسرع بالاستغفار ومقاومة وسواسه ..
لكن تلك الخاطرة كانت أصعب من قدرته على
هضمها أو تحملها فقال لشامل بعبوس وكأنه
يبحث عن سبب للمناكفة" أنا لا أفهم كيف
يستطيع اهلك التفرقة بينك وبين أخيك!! ..

وكيف ستستطيع ابنتي التفرقة بينكما!.. إن هذا الأمر غريب ومرعب خاصة وأنكما ستعيشان في بيت واحد"

تطلع فيه شامل رافعا حاجبيه حتى التصقا بمنابت شعر رأسه ثم سأله سؤالا مباشرا وقد بدا عليه انزعاجا مما خمن أن الرجل يلمح إليه"

ماذا تعني بكلامك يا حاج؟.. مم أنت متخوف بالضبط ؟"

رد عيد بعبوس وهو يشيح بيده بانزعاج " لا أقصد شيئا .. لكن ابنتي هبلاء وقد تتسبب في مواقف محرجة .. أعرفها جيدا"

ضحكة مكتومة أتت من ناحية كامل ..فطالعه شامل بتجهم ومقلتين مقلوبتين .. ليغمغم الأول بصوت خافت دون أن يرفع عينيه عن الهاتف سمعه توأمه جيدا "وشَهِدَ شاهد من أهلها"

رد شامل على عيد بضيق" لا تقل على ونس هبلاء يا عمي من فضلك"
جاءه صوت توأمه مغمغما وهو لا يزال يحدق في هاتفه" أتركه يعبر عن رأيه بحرية.. لماذا تحجر على الآراء.. التعبير عن الرأي حرية يكفلها الدستور"
لم يفهم عيد ما يغمغم به كامل ولم يهتم بل رد على شامل قائلا" أنا فقط أشعر بعدم الراحة من وضعكما العجيب هذا وأخشى....."
قطع حديثه حينما تحرك شامل فجأة يتجاوزه متجها ناحية توأمه الذي رفع إليه عينيه واسرع بالقول ببراءة مصطنعة من بين ضحكاته متحفزا لهجوم أخيه" أنا لم أقل شيء يخصك أنا كنت منشغلا بهاتفي"
قال شامل آمرا" اخلع"
لم يستغرق الأمر إلا ثوان ليقرأ كامل أفكار أخيه بينما اتسعت عيني عيد بعدم فهم ليقول كامل

ببرود متهكم وهو يحضن نفسه "عيب عليك .. هل ستسرق من أخيك ملابسه وترميه عاري على قارعة الطريق يا ابن أبي!!"

من بين أسنانه قال شامل بعد أن اختلس نظرة سريعة على باب البيت البعيد نسبيا" يا كامل كف عن التغابي هيا بسرعة"

قالها وهو يخلع تيشيرته فازداد اندهاش عيد وتطلع حوله ليرى إن كان هناك من يراقبهم في الشارع ثم عاد للتوأمين اللذين أصبحا بالفانلة ذات الحمالات واللذان تبادلا التيشيرتات رغم امتعاض كامل وبرطمته فصاح عيد "ماذا يحدث بالضبط؟؟؟"

بعبوس قال شامل وهو يمسك بذراع أخيه الذي انتهى من ارتداء تيشيرته " أثبت لك بأن ونس ليست هبلاء "

ودفع كامل الممتعض للناحية الأخرى وهو يقول "سأقتلك لو أفسدت الأمر يا كامل "

أمام أنظار عيد المندهشة تحرك كامل بتثاقل ليتخذ مكان شامل بينما وقف شامل عند السيارة بعد أن أخذ الهاتف من أخيه وارتدى تيشيرته الأسود .. ثم أشار لعيد محذرا " ألا تريد الدليل الذي سيريح قلبك؟ إياك أن تفسد الأمر أنت الأخر"

لمحوا جميعا ونس تخرج من باب البيت فلم يستطع عيد تمالك أعصابه وبدأ يتوتر وتزداد ضربات قلبه ..فاستدار يوليهم ظهره في البداية متطلعا في الطريق حتى لا تتقابل عينيه مع عيني ابنته التي اسرعت إلى حيث يقف كامل.

استدار عيد ليتطلع في كامل ثم اتسعت عيناه وتدلى فكه وهو يرى تلك الابتسامة المتسعة التي زينت وجهه فبدا وكأنه شامل .. فعاد بأنظاره لشامل الواقف عند السيارة وقد أغلق ملامحه وبدى متحفظا غامضا كتوأمه بالضبط.

بتلك الابتسامة الوسيمة وبنظرات مسبلة أخذ كامل من ونس كيس بلاستيك به ماء مثلج ومربوط كالقربة.. لكن الأخيرة أشارت له بأن يجلس على إحدى الأواني الفخارية العالية حتى تضع له الكيس.. فأطاع كامل وقد بدا الأمر له مضحكا ومسليا لكنه تماسك بقوة حتى لا ينفجر في الضحك خاصة وهو يشعر بتوتر أخيه.

اقتربت ونس بتركيز شديد تضع الكيس على كتف كامل الذي يكاد عيد يقسم بأنه بعد أن بدل التيشيرت أصبح كشامل بالفعل لكن الأمر لم يستغرق أكثر من عدة ثوان قبل أن ترتد ونس للخلف وتعقد حاجبيها بانزعاج شديد. لحظتها أحس كامل بأنها قد كشفته ومع هذا استمر في اللعبة التي كانت دوما اللعبة الأكثر تسلية له ولتوأمه لكنها هذه المرة أكثر إمتاعا

له لأنها مع ونس التي تستفز بداخله الكثير من المشاعر الصبيانية والرغبة في المناكفة.

عقدت ونس حاجبيها تنظر لكامل بتدقيق وقد سيطر عليها شعور بأنها قد دخلت إلى مجال ذي تردد خاطئ ..لكن كامل أصر على إرباكها فقال بلهجة رقيقة حانية مقلدا توأمه" هل تعبت يدك؟ (ومد كفه يقول برقة) اعطني الكيس وأنا سأكمل بدلا منك"
تطلعت فيه لثوان بصمت ثم ناولته الكيس وأدارت وجهها ..فعاد عيد لينظر للطريق هاربا من مواجهتها وقد أصابه الارتباك الشديد والتوتر بينما تطلعت ونس في شامل الذي وقف نفس وقفة أخيه متطلعا في الهاتف.
عاد عيد ليختلس النظر ويراقب ما يحدث بذهول وونس تتقدم من شامل ببطء وعبوس
.

كانت لا تفهم ماذا يحدث .. ولم يرد إلى ذهنها أن هناك مقلبا يحاك ضدها .. كل ما كانت تفكر فيه هو ذلك الشعور بالارتباك الذي انتابها فجأة وتبعه شعور أخر بالـ رعب .. وكأنها استيقظت من حلم لواقع مخيف .. شعورها كان أشبه بطفلة اكتشفت فجأة أنها وحدها في مكان غريب ..

جرجرت قلبها خلف قدميها وهي تخطو خطوات بطيئة إلى حيث يقف شامل ..

تقترب من هالة دافئة محببة تجذبها..

وتبتعد عن أخرى غريبة لا تعرفها .

ورغم هلوسة البصر وعدم الفهم والارتباك وهي ترى شامل يرتدي ملابس كامل ويقف نفس وقفته .. إلا أنها تركت شعورها يقودها..

هذا شامل ..

هذا الذي رفع إليها وجها جادا يحمل نظرة ساخرة أحستها مصطنعة يكون شامل.

ذلك العطر الذي لا تعرف إن كان هو نفس العطر الذي يستعمله توأمه أم لا هو عطر شامل.

وأحست أن كل ما يحاول فعله أمامها في تلك اللحظة هو تمثيل .

هل جنت ؟

لا لم تجن ..

هذا حبيبها شامل..

بكل جرأة وبأعصاب قوية اقتربت أكثر وأمام ذهول والدها دست يدها في جيب بنطاله وأخرجت الميدالية التي كان طرفها المعدني يلمع من جيبه ثم تطلعت في طرفها الآخر لتجد ذلك الجني والمصباح معلقا فيها فاتسعت عيناها ورفعتهما لشامل باستهجان.

انفجر كامل بالضحك خلفها في الوقت الذي أمسك شامل برأسها يطبع قبلة عليه ثم صاح

بانتصار وقلبه سيحطم صدره من السعادة
"حبيبتي أنت.. اقسم بربي"
تدلى فك عيد مذهولا وشامل يقول له مغيظا"
أرأيت يا عماه"
استشاطت ونس غضبا .. كانت غاضبة بشدة
ولم تفهم ماذا يحدث فتطلعت في الجميع
تحاول تحليل وفهم ما حدث ثم...

أجهشت بالبكاء وتحركت مهرولة نحو المنزل.
فزع شامل وعيد من ردة فعلها وتحركا خلفها
بينما ظلت ضحكات كامل المستفزة تلاحقها.
كان شامل اسرع من عيد فدخل خلفها للبيت
لكنها كانت قد وصلت إلى غرفتها وأغلقت بابها
من الداخل ..فوقف عيد يراقب من عند باب
البيت شامل وهو يطرق على باب غرفتها
بإلحاح قائلا" اسمعي يا ونس ..لم يكن مقلبا
مقصودا .. ونس .. حسنا كانت فكرة مؤذية

اعترف وأعتذر .. (وطرق على الباب مجددا)
افتحي لنتحدث وافهمك لمَ فعلنا ذلك .. اقسم
لك لم يكن مقصودا به الاستهانة بك"
لمح عيد الواقف خارج المنزل يراقبه فقال له
بغيظ" ألن توضح لها الأمر؟!!"
وضع الأخر يديه في جيبي جلبابه ورد ببرود
"مادامت قد أغلقت الباب فلن تفتحه أعرفها
عنيدة كمن أنجبها"
جز شامل على أسنانه وأسرع بإخراج هاتفه من
جيبه وكتب لها على الواتساب "اقسم لك لم
يكن مقلبا متعمدا ..والدك ألمح لعدم راحته
لكوني أنا وكامل متطابقين .. ومن خلال معرفتي
البسيطة به أظنه كثير الشك والوساوس ..
فاردت أن اطمئنه واثبت له بأنك تعرفين
زوجك جيدا .. وأنه ليس هناك مجالا ولو
واحد في المليون لأي خطأ .."

عاد يضرب على الباب قائلا " ونس ردي .. أرى أنك قد قرأت ما ارسلته .. أنا أعتذر يا ونس كان موقفا سخيفا وغير متعمدا"

فُتِح الباب بهدوء فتطلع شامل في وجهها الباكي بلهفة قبل أن تكتب له على الواتساب "أنت شرير يا شامل"

نظر شامل في الهاتف ثم قوس شفتيه كالأطفال وهو يقترب منها ويمد ابهاميه ليمسح دموعها قائلا بحنان جارف وصوت خافت" آسف والله.. آسف "

اختلس النظر لعيد الواقف على الباب يتطلع فيه بوجوم وكتم غيظه وهو يقاوم بشدة رغبة ملحة في ضمها ومواساتها ثم مال يطبع قبلة فوق رأسها فسمع نحنحة موبخة تأتي من ناحية حماه الذي قال" يا أستاذ أنا واقف"

زفر شامل وابتعد عنها يقول بين أسنانه بابتسامة صفراء "أعلم بأنك واقف يا عمي

كالقمر المنير في وضح النهار (وقال لونس بلهجة حانية) اذهبي واغسلي وجهك" حركت كتفيها بعبوس طفولي رافضة ..فقال عيد مغتاظا من ردود أفعالها التي باتت أنثوية مائعة بشكل يستفزه" هيا يا ونس وكفى تدللا ..قال لك لم يكن الأمر مقصودا ..هيا اغسلي وجهك وهات الدجاج الذي تبلتيه (ثم نظر لشامل يسأله بلهجة متهكمة) هل تستطيع اشعال الفحم أم أنك شيف لا يعرف إلا المواقد الحديثة"

انقلبت مقلتي شامل وهو يناظره فشعر الأخر بالمتعة لنجاحه في اغاظته .. ليسأله شامل من بين أسنانه وهو يحاول التحكم في أعصابه" أين الفحم يا حمايا العزيز؟"

أشار عيد إلى خارج البيت قائلا "سنشوي أمام البيت أرينا همتك يا بطل"

تحركت ونس نحو الحمام بينما سمع عيد نداء باسمه من الخارج.. فاستدار ليجد عددا من الفلاحين اللذين يقفون عند الطريق الترابي ينادونه .. فتحرك إليهم وأحدهم يقول "يبدو أن عندك ضيوف لكنا كنا نريد أن نعرف ماذا حدث اليوم"

ظل شامل واقفا مكانه في صالة البيت يراقب عيد حتى ابتعد قاطعا الساحة الترابية أمام البيت و وصل للرجال ثم وقف يتحدث معهم ..في الوقت الذي خرجت ونس من الحمام بعد أن غسلت وجهها وجففته فتطلع فيها شامل يشعر باستياء شديد لما حدث بينما ناظرته هي بشفتين مقوستين وهي تقترب منه .

قال بلهجة مشفقة" ألا زلت غاضبة مني؟"

أخرجت هاتفها من جيبها وكتبت بأصابع مرتعشة "للحظة شعرت بالخوف الشديد.. شعرت وكأن الدنيا بردت فجأة من حولي "

نظر شامل في هاتفه يقرأ ما أرسلت بينما أكملت ونس كتابة "قلبي يا شامل ..قلبي لا يزال يرتجف حتى الآن ..لقد شعرت بالرعب الحقيقي ..لا أدري لماذا؟.. لكن خاطرة أن أنت لست أنت خلعت قلبي خلعا"

لم يستطع شامل التحمل .. فانفلتت سيطرته على أعصابه وبكل تهور مد يده يسحبها من ذراعها ليكونا في اللحظة التي تليها في غرفتها .

أغلق الباب وأخذها إلى حضنه قائلا بلهجة عاشقة" سلم قلبك من الوجع يا قلب شامل"

للحظات اجفلت ونس وارتعشت بين ذراعيه لكن ذلك الدفء الذي يشع من كل ذرة فيه وذلك الحنان الكبير كضخامته الذي حاصرها به جعلها تسترخي خاصة حين قال وهو يشدد من احتضانها "آسف يا جنية شامل"

غرقت ونس في احضانه وشعرت بالانجذاب الشديد لبنيته القوية فوضعت الهاتف في

جيبها ولفت ذراعيها حوله .. وأحست بخفة وزنها على الأرض وكأنها تقف فوق سجادة سحرية على وشك أن تأخذها إلى عالم جميل يشع بالدفء.

أبعدها شامل قليلا لكنه لم يطلق سراحها تماما بل أخذ يتطلع في ملامحها القريبة جدا منه بينما يده تسللت لتتحسس تفاصيلها بلهفة وهو يقول بلهجة حارة وقد حلت الشقاوة محل الحنان في عينيه "هل تعلمين أن كل زوجين لديهما أسرار تخصهما وحدهما لا يخبران الأخرين عنها ؟"

كان صوته قريبا جدا من سماعاتها .. ولأول مرة تسمعه بهذا الوضوح .. فوجدت ذبذبات صوته الرجولية الساحرة تتسلل إليها عبر السماعات .. فأسبلت جفنيها بخجل شديد.

ليكمل شامل بهمس " مثل هذا السر "

و مال بوجهه بسرعة يلتهم شفتيها ..

استسلمت ونس لشفتيه المهاجمتين تغزوان براءة شفتيها وارتجفت وشامل يعتصرها بين ذراعيه بقوة ..تسبقه إليها رغبة تحكم فيها طويلا حتى من قبل أن يقابلها .. رغبة في تقبيل فتاة تسلب قلبه قبل عقله ..

قلبه الذي كان موشوما بخاتم سري لم يفك اسره إلا جنية شقية مثلها تملك خلطة سحرية شديدة البساطة وشديدة التميز.. وها هو حينما جاءته الفرصة عاش اللحظة بكل تفاصيلها المبهرة التي فصلته لدقائق عن الواقع وعن كونه ينفرد بها في غرفتها وأن والدها العنيد قد يأتي في أي لحظة .

أما كامل فذلك الحدس بينه وبين توأمه جعله يشعر بأن الثاني يفعل شيئا شقيا بالداخل.. ورغم أنه لم يعرف بالضبط ماذا يحدث لكنه راقب بقلق عيد الواقف مع الرجال يروي فضولهم حول تفاصيل ما حدث قبل قليل

..ثم شاهد الناس يسلمون على عيد مغادرين فأسرع بمناداته قبل أن يهم بالدخول والبحث عن شامل وونس .

استدار إليه عيد بينما فتح كامل هاتفه واتصل بأخيه بحركة مخفية وتحرك خطوتين ليقابل عيد.

انبعاث صوت مزعج من هاتف شامل الموضوع في جيبه وهو صوت طبول وصياح إحدى القبائل البدائية كنغمة مخصصة لتوأمه جعله يصدر زمجرة معترضة بين شفتي ونس وقد أخبره حدسه أن أخاه ينبهه .. فأفلت شفتيها بصعوبة وظل لثوان يتجول بمقلتيه فوق ملامحها لاهثا لا يرغب في تحريرها خاصة وهي ترتكن بكل وزنها على ذراعيه بعد أن تحولت ساقيها إلى هلام تسبل أهدابها بخجل .

في الخارج سأل كامل عيد وهو يشير على سيارته بيد بينما الأخرى مستمرة في الضغط

على الهاتف للاتصال بأخيه "هل تعرف مكانا استطيع فيه نفخ إطار السيارة؟.. أم أنني لابد أن أذهب إلى مركز المحافظة؟"

عقد عيد حاجبيه وتطلع في إطار السيارة خلف كامل وقال "أعتقد أن هناك محلا عند مدخل القرية"

سأله كامل مستهبلا ومدعيا الاهتمام" حقا ..صف لي المكان لا أذكر بأني لمحت واحدا مثله"

استطاعت ونس أخيرا الثبات على قدميها فوق الأرض فسحب شامل الوشاح من فوق رأسها وفك عقدة شعرها فانفرط أمام عينيه طويلا كستنائيا مموجا حتى منتصف ظهرها

..فنكست هي رأسها تغطي وجهها بكفيها ..

بكل قوته تحكم شامل في رغبات مجنونة تتفجر في رأسه وأمسك برأسها بين يديه يطبع قبلة فوق شعرها ثم قال بلهجة شقية من بين

لهاثه "هذا فقط سر من الأسرار والباقي سأخبرك به تباعا"

استمرت الطبول والصيحات المرعبة تخرج من الهاتف كموسيقى تصويرية لا تتماشى أبدا مع اللحظة واحاسيسها .. وكأنها مقصودة لإفزاع وإفاقة هاذين التائهين عما حولهما .. فأسرع شامل بتعديل ملابسه وهندمتها ثم أخرج منديلا من جيبه وهو يقول بشقاوة لتلك التي لا تزال تدفن وجهها في كفيها خجلا "لن تدعي أحد يكتشف سرنا هذا أليس كذلك يا جنيتي ؟"

حركت رأسها موافقة دون أن تكشف عن وجهها فمسح فمه بالمنديل وهو يقول "أشعر بأن فمي ولحيتي أصبحا ملطخان بطلاء الشفاه هذا الذي بتي تضعينه يا شقية"

ظلت الموسيقى التصويرية المرعبة تخرج من الهاتف فقال شامل من بين أسنانه بصوت خافت "حاضر يا زفت حاضر (ونظر لونس

يقول وهو يمسح جانب فمه وينظر في المنديل في يده) انظري لي يا ونس هل هناك شيئا من أحمر شفاهك على وجهي"

باعدت بين سبابتها ووسطاها تنظر إليه من بينهما بنظرة جانبيه محرجة ثم تركت يدا فوق وجهها وأشارت بسبابة الأخرى على جانب فمه

.

كانت شهية حتى في خجلها ..

وكان وسيما مذيبا للأعصاب كأحد أروع أحلام اليقظة..

وكانت خطواته الثقيلة المبتعدة وهو يفتح الباب خلفه مؤلمة لكليهما .. قبل أن يخرج بسرعة وتبتعد أصوات الطبول والصيحات المرعبة شيئا فشيئا عنها ..فتحركت ونس بساقين هلاميتين ورأس يدور حتى وصلت للسرير وألقت بنفسها عليه دفعة واحدة ..ثم تجمدت تتطلع في السقف وهي تمسك بقلبها

وتحاول تنظيم أنفاسها.. وترطيب وجنتيها اللتين كانتا كجمرتين .

أما شامل فأسرع بالخروج من البيت وتبادل مع أخيه نظرة سريعة قبل أن يسرع ليقف خلف صفيحة معدنية قديمة على ما يبدو أنها كانت صفيحة للجبن فتح جانب منها ووضع بها الفحم فوق منضدة خشبية قديمة ففهم بأنها الشواية المزعومة .. وسمع عيد يقول ببعض العصبية" يا بني أين التعقيد في الوصف فيما أقول؟؟"

أسرع كامل بالقول" فهمت يا حاج عيد .. فهمت مكان المحل ..أشكرك .. لقد انقذتني من الذهاب خصيصا لمركز المحافظة"

سأله عيد عاقدا حاجبيه " ألا تملك إطارا إضافيا؟"

غمغم كامل وهو يتراجع ليقف عند السيارة بعد أن حدج أخوه بنظرة موبخة" أجل معي إطار لكنه تمزق ونحن قادمان ظهر اليوم"

رد عيد وهو يتحرك" أعوذ بالله .. من شر حاسد إذا حسد .. الناس لن تتركما في حالكما (وغمغم بصوت خافت دون أن يسمعه أحد متحرجا من إعلان شعوره بالاهتمام بهما) فليحفظكما الله من شر العين "

رد كامل بلهجة ذات مغزى وهو يرمي أخيه بنظرة حاقدة "ماذا سنفعل يا حاج .. حظووووظ ! "

رفع شامل كفه ليمسح به مؤخرة عنقه بحرج هاربا من نظرات أخيه المدققة التي ترغب في اقتحام منطقة ما في رأس توأمه تخصه وحده مهما تشاركا في كل شيء ..لكنها المنطقة المحرمة التي سيبدأ في حفظ الكثير فيها من الآن فصاعدا فيما يخص علاقته بونس .

سأله عيد وهو يقترب" ألم تشعل الفحم بعد؟"

غمغم شامل مراوغا" أأأأأأ لم أجد ثقاب أو ولاعة فأنا لا أدخن كما تعرف لذا لا أحمل أيا منهما"

غمغم عيد "سأحضر لك الثقاب ظننتك قد اشعلت الفحم في هذا الوقت"

قالها وهو يبتعد قليلا لإحضار الثقاب بينما غمغم كامل متهكما بصوت خافت وصل لمسامع توأمه واضحا" كان مشغولا بإشعال شيئا أخر"

حدجه شامل بنظرة موبخة ثم التقط قطعة فحم وألقاها عليه فانتحى كامل بجذعه جانبا لتتجاوزه وتسقط خلفه بينما عاد عيد لشامل بالثقاب.

بدأ الأخير في اشعال الفحم وإخماد نيرانه الذاتية التي اشتعلت من قبلة تلك الجنية التي هي وكل ما فيها أصبح يذهب عقله .

تأمله كامل من وقفته بجوار السيارة وتأمل تلك الابتسامة السعيدة العالقة فوق شفتيه فشعر بالسعادة من أجله .. فهو لم يكن مثله شقي عابث ينزلق في قبلة مع هذه أو تلك كانت زلات شامل نادرة رغم أنه لم يكن ملاكا لكن حدود عبثه مع الفتيات كانت تقف عند حد معين .. وهو فخور بأن توأمه كان بهذه الصلابة والقوة ليمنع نفسه من الانزلاق ..بل إن شامل يرجع إليه الفضل دائما إلى أنه كـ كامل لم يضعف أمام احتياجه الذكوري أو يتورط في علاقات محرمة .. فلولا شامل وحزمه معه وتذكيره له دوما بالحلال والحرام لضعف واستسلم لرغباته المكبوتة كاملة ..

حدق كامل في الهاتف وفتح الواتساب ليتفقد إن كانت بسمة قد أرسلت شيئا جديدا أم لا وهو يتساءل في سره.. هل سيأتي اليوم لينال هو أيضا ما يتوق إليه بشدة؟ ..

وهل قراره بالموافقة على شرطها كان قرارا صائبا ؟..

والسؤال الأهم .. هل سيستطيع الصمود حينما تكون في بيته وأمامه ليل نهار؟.. متعجبا كيف أن الحب يذل أصحابه .

xxxx

في المساء

"هل كنت تريدني أن أدير ظهري للرجل حينما استنجد بي أول مرة "

قالها مصطفى الزيني لعمه منفعلا وهو يقف أمامه في غرفة نومه يشاركهما مفرح .. ليرد العمدة بانفعال مماثل " أجل .. أخبره أنك ليس

لك شأن بتلك الأمور .. وأن يلجأ للعمدة بدلا من اللجوء إليك "

رد مصطفى غاضبا " وأنا لن أفعل ذلك ولن أدير ظهري لأي مخلوق يستنجد بي هذه ليست أخلاقي أبدا "

تدخل مفرح الذي يشعر بالحرج كالعادة من مصطفى " يا أبي هو بالفعل أخبرني بشأن مشكلة العم عيد منذ فترة وأنا طلبت منه أن يتابعها مشكورا "

حدج العمدة ابنه بنظرة مغتاظة ثم عاد لابن أخيه يقول بتعنيف " أنا حذرتك أكثر من مرة يا مصطفى من التمادي في تمثيل دور الرجل الشهم في البلدة "

أمسك الأخير سبحته بكلتا يديه يحركها مشيحا بوجهه وهو يقول " لا حول ولا قوة إلا بالله !..(ثم عاد ليواجه العمدة بنظرات حازمة بعد أن فاض به الكيل) اسمع يا عماه أو يا حضرة

العمدة حتى يكون الحديث بيننا رسميا .. أنا لست صغيرا لتحضرني وتوبخني بهذا الشكل كل فترة .. وإن كنت أتغاضى عن هذا فذلك لأني أحترم نفسي أولا وأحترم سنك ومقامك وأحترم ولدك وصلة الرحم بيننا .. لكن تحذيرك هذا أنا لست ملزما بتنفيذه .. أنا مثلي مثل أي شخص يعيش في هذه القرية ..وما دمت لم اتخط حدودي فليس لك عندي شيء .. هذا آخر ما لدي لأرد به على ما تقوله عني من اتهامات .. وسأغادر الآن .. السلام عليكم "

صاح العمدة بوجه محتقن وهو يتطلع في ظهر مصطفى المغادر " ما معنى هذا !!.. هل تقصد أن تقول لي (اركب أعلى ما في خيلك)!!"

لم يرد مصطفى ولم يلتفت بل خرج من الغرفة بينما قال مفرح غاضبا وقد طفح به الكيل هو الأخر " لماذا أنت مصر على احراجنا أمامه بما تفعل يا أبي؟!"

باستنكار وذهول هتف العمدة مشيرا بسبابته على الباب " أرأيت !.. أرأيت كيف يعاملني ابن فاضل!! .. إنه يخبرني بما معناه أن أذهب وأشرب من البحر ؟"

بضيق شديد رد مفرح " يا أبي بالله عليك قلنا لك هو اخبرني من قبل .. وحينما أمسك بالرجل أحضره لك ماذا فعل لكل هذا"

ازداد الجنون في عيني عبد الرحيم وهتف بانفعال حتى احمر وجهه وكأن روحه ستغادره " أنت ستجلطني بأفعالك هذه أقسم بربي .. ثم عن أي رجل تتحدث أنت وهو وكأنه أتى بمجد الفاتحين ! .. الرجل الذي امسك به لم يعترف بشيء مفيد سوى أنه قد تلقى اتصالا من شخص طلب منه تنفيذ مهمة مقابل مبلغ من المال .. وأرسل له جزء منه مع رجل ملثم ووعده بالضِعف إن نفذ المهمة .. ماذا استفدنا نحن بالإمساك به !"

رد مفرح موضحا " على الأقل من يهدد العم عيد علم بأن الأمر وصل لعمدة البلدة .. واستفدنا بأننا علمنا بما يحاك للرجل بشأن بيته ..(وأضاف بإرهاق) أنا تعبت يا أبي .. تعبت من اسلوبك .. وتعبت من تخوينك لمصطفى طوال الوقت.. الرجل ونعم الرجال .. بل أنا فخور بأنه ينتمي لعائلة الزيني "

قال العمدة بحسرة وذهول " هذا ما كنت أخشاه .. أن يسيطر عليك .. أن يسحر لك فتصدقه رغم تحذيري لك .. يا حسرتي عليك وعلى عقلك .. سلبه منك مصطفى الزيني بمكره وحيله لقد نجح مصطفى .. نجح وهزمني "

لم تستطع أعصاب مفرح تحمل المزيد فانفجر يقول بغضب " هل أنا بهذا الضعف وتلك التفاهة يا أبي حتى يسيطر على عقلي شخص أخر!! .. هل تراني بهذه السطحية.. أهذه

نظرتك لي ! (وكاد أن ينطقها بقسوة أنه ليس بالضرورة أن مصطفى سيفعل نفس ما فعله هو مع أخيه قبل أكثر من عشرين سنة لكنه لجم لسانه حتى لا يواجهه بالحقيقة شفقة عليه فقال وهو يهدئ نفسه) عموما أنا آسف يا أبي لأني لست هذا الابن الذي تمنيته رغم كل ما ضحيت به أنا وبذلته حتى ترضى .. وإن كنت قد خذلتك إلى هذه الدرجة دعني أغادر أنا وزوجتي وأولادي بعيدا حتى لا ترى خيبتك فيّ كلما رأيتني "

قالها وكأنه يتحجج ليتلفظ بها ..

وكأنه يعبر ولو بتهديد مزيف عن رغبته القاتلة في التحرر ..

قالها وكأن التلفظ بهذه الرغبة قد يخفف من شعوره بالاختناق.. لكن والده لم يقدر على تحمل مجرد التلميح لرحيله .. ذلك الشبح المخيف الذي يسيطر عليه دوما من أن يذهب

مفرح ويقرر البقاء في العاصمة سيطر عليه ..
فتحول خوفه لألم شديد جعله يمسك بصدره
ويميل للأمام قليلا .. ففزع مفرح وسقط عنه
كل غضبه وهو يسرع إلى والده قائلا بقلق" أبي
ما بك؟"
أجاب عبد الرحيم وهو يبعد يده عنه "اتركني
لأموت واذهب إلى حيث تريد هيا "
اغمض مفرح عينيه بقوة يحاول التماسك
..يحاول التحلي بالمزيد من الصبر ثم أمسك به
يقوده إلى سريره قائلا بترجي " يا أبي بالله عليك
هلا خففت عني الضغط قليلا "
قال عبد الرحيم بعينين مغرغرتين بالدموع
اعتصرتا قلب مفرح " ها أنا أقول لك اذهب هيا
..واتركني أموت بحسرتي على ولدي الوحيد
الذي انجبته ليرفع رأسي ويجعل اسم عبد
الرحيم الزيني عاليا فخذلني وتركني لتنهش
الكلاب أمثال مصطفى في جسدي "

كاد مفرح أن يصاب بذبحه صدرية .. لقد فشلت كل محاولاته في اقناع والده بأن مصطفى الزيني ليس ماكرا وبأنه قد زهد في المطالبة بحقه في العمودية منذ زمن .. حقه الذي يعترف به مفرح .. لكنه عاد ليذكر نفسه بما قرره منذ سنوات طويلة.. أنه ليس أمامه إلا طاعة والده وبره خاصة وأن صحته ليست على ما يرام ..وأنه لا يرغب في أن يكون سببا في موته محسورا .. لذا فهو مضطر لتحمله مثله مثل أمور أخرى في حياته كابتلاءات عليه الصبر عليها .. فلا أحد يختار والديه ..

مال مفرح على رأس أبيه وقبلها وهو يسنده ليستلقي على سريره ثم قال بحشرجة خرجت منه بصعوبة " لا تغضب يا حاج .. أريدك أن تركز في صحتك ولا تركز في أمور البلدة"

هتف الثاني بانفعال "كيف وأنا عمدتها هل ستدفنني وأنا حي !!"

تماسك مفرح ورد " طبعا عمدتها أطال الله في عمرك .. إذن دعنا ننسى ما حدث منذ قليل فأنا وأنت لن نتفق في هذه النقطة أبدا .. لذا فلنتجاوزها حتى لا يؤثر ذلك على صحتك يا حاج عبد الرحيم .. هيا استرح وهدئ من روعك"

قال عبد الرحيم مصرا على ذلك التصور الذي يزينه له عقله "إياك أن تأمن لمصطفى الزيني"

رد مفرح بوعد كاذب حتى يريحه " حاضر يا حاج لا تشغل بالك لن اثق به "

قالها وشرد معترفا بقناعته التي لا يعرف متى توصل إليها بأنه بات يثق في مصطفى الزيني ثقة تامة .

أما في الخارج فأمسكت نحمده برأسها تقول لابنتها في الهاتف مصعوقة" هل أنت متأكدة من هذا الخبر يا فايزة؟؟؟"

ردت الأخيرة بثقة "متأكدة طبعا يا أمي ..قلت لك سحر صديقتي كانت عند الطبيبة النسائية اليوم واتصلت بي لتخبرني بأنها رأت مصطفى وصفاء وتعرفت عليهما هناك .. وبعد أن دخلا للطبيبة علمت من الممرضة بعد استدراجها بأن صفاء حامل يا أمي .. وتأكدت من ذلك الخبر بنفسها حينما خرجا من عند الطبيبة واتفقا مع الممرضة على حجز جدول مواعيد لمتابعة الحمل "

هتفت نحمده باستهجان " ألم يشبعا من الأولاد ليفكرا في انجاب السابع؟!.. السابع!!! .. هل تظن نفسها أرنبة بنت حمدية !"

علقت فايزة بعدم استيعاب " أنا أيضا لا زلت لا أصدق يا أمي .. ما هذا الجنون!.. إنها أكبر مني بثلاث سنوات ..من أين ستأتي بالصحة لحمل وتربية طفل صغير"

أجابتها نحمده بغيظ " لديها الصحة يا حبيبتي ..لديها الصحة ..(ونظرت إلى أعلى السلم تضيف بحسرة) نحن فقط المبتلون بضعاف الصحة .. اذهبي يا فايزة اذهبي سامحك الله على هذا الخبر "

هتفت فايزة باستنكار " لو لم أخبرك كنت ستغضبين مني!"

أغلقت نحمده الخط بضيق شديد ..وألقت بالهاتف بجوارها على الأريكة التي تجلس عليها متربعة في بهو البيت .. ثم أمسكت رأسها بيد وبالأخرى ضربت على فخذها مولولة "حبيبي يا ابني .. يامن انقطع سلسالك بولدين فقط .. تعال لترى هذه الأرنبة التي تخطت الأربعين ولا زالت تنجب .. حقا (يعطي القرط لمن ليس له أذنين*)

xxxx

---

* مثل شعبي يحرم التلفظ به أو الاعتقاد في معناه.

دخل مصطفى الزيني غرفة مكتبه في الطابق الأرضي من منزله وهو يقول "آسف يا جابر لا تؤاخذني"

قال الأخر بحرج" قلت لك سأذهب أنت من أصريت على أن انتظرك ..كنت سأعيد لك الكتاب وأذهب"

قال مصطفى وهو يلقي بالعباءة من فوق كتفيه ببعض الضيق ويخرج ما في جيبه من مفاتيح وهاتف وسبحة ليضعهم على مكتبه " حين قابلتني عند باب البيت كنت عائدا للتو من عند الطبيبة ووجدتها فرصة لنجلس سويا وتخبرني بانطباعك عن الكتاب ..لكن استدعاني العمدة فجأة كما رأيت "

تطلع فيه جابر بتدقيق ولم يخف عليه عبوس مصطفى و تجهمه فسأله بقلق " هل حدث شيء؟"

غمغم مصطفى " لا شيء مخنوق من معاملة العمدة لي ..الرجل لا يكف عن إساءة الظن بي وبكل ما أفعل "

قال جابر مهدئا" الصبر يا مصطفى ..الصبر ..أنت قلت بأنك تتحمله لوجه الله تعالى فاصبر الرجل كبير في السن"

تنهد مصطفى وهو يمسح وجهه بكفيه قائلا " استغفر الله العظيم وأتوب إليه (ثم تطلع في الصينية الموضوعة أمام جابر على المنضدة يستفسر) هل ضيفوك أم لا؟"

أشار جابر على الصينية وقال مبتسما " كل هذا ولم يضيفوني !"

سأله مصطفى وهو يجلس على الأريكة المقابلة " كيف حال الكتاب معك؟"

أجابه جابر بصدق " احببته جدا كنت بحاجة لكتاب بسيط كهذا كبداية.. فكما قلت لك أني

هجرت القراءة منذ فترة كبيرة حيث كانت
تسليتي الوحيدة في الغربة"
بابتسامة رد مصطفى " الحمد لله أنه اعجبك
سأعطيك واحدا أخر إن أردت"
قال جابر بحماس " أريد طبعا .. المهم طمئني
لماذا كنت عند الطبيب كفاك الله الشر ؟"
تنحنح مصطفى وأجاب بابتسامة محرجة
"لست أنا في الحقيقة بل أم حمزة "
غمغم جابر بتعاطف صادق " ألف لا بأس
فليشفها الله"
ازدادت ابتسامة مصطفى ورد " الحقيقة هي
ليست مريضة بالمعنى الحقيقي نحن ننتظر
طفل "
رفع جابر حاجبيه واتسعت ابتسامته متفاجئا
ثم قال مهنئا " ما شاء الله لا قوة إلا بالله
مبارك بإذن الله"

علق الأخر بسعادة " العقبى لك حينما تنجب أخا أو أختا لميس "

علا الضيق على وجه جابر ورد بعد زفرة حزينة "لا اعتقد أن هذه الأمنية قد تتحقق"

علق مصطفى بقلق " لماذا ؟.. لا حول ولا قوة إلا بالله .. بالتأكيد هناك علاجا إن شاء الله"

وضّح جابر بهدوء " ليس هناك سببا مَرَضيا يا أبا حمزة ..أنا الذي لا أرغب في المزيد من الأولاد من أم ميس "

لم يندهش مصطفى فدوما كان يشعر بعدم ملائمة جابر لبيت العسال فغمغم باقتضاب " اممم فهمت "

أضاف جابر شاردا بنظراته في السجادة الفاخرة التي تزين أرض الغرفة وكأنه كان بحاجة للبوح " نحن منفصلان تقريبا منذ شهرين أو ربما أكثر توقفت عن العد "

سأله مصطفى وقد حزن لاستشعاره حزن صاحبه " أليس هناك مجالا للصلح ؟"
رفع جابر إليه أنظاره يرد بصراحة " لا.. فأنا لا أريد.. الأمر انتهى بالنسبة لي"
هز مصطفى رأسه عدة مرات متفهما ثم سأله "ولماذا تبقيها على ذمتك ما دمت قد وصلت إلى هذه الدرجة من النفور"
سحب جابر نفسا عميقا ثم رد بهدوء " حتى لا أظلمها ولا أظلم ابنتي أنت تعرف وضع المطلقات .. أنا أخبرتها بقراري بهجرها وتركت لها الحرية في أن تقرر مصيرها معي وهي لم تطلب الطلاق لذا بقي الوضع على ما هو عليه "

أطرق مصطفى برأسه قليلا ثم عاد ينظر إليه قائلا " يحزنني بشدة أن أسمع ذلك .. ألم تفكر في الزواج بثانية ما دمت قد صارحت أم ميس بقرارك؟ "

رد جابر بنفس الهدوء والثبات " الحقيقة إن فكرت في الزواج مرة أخرى فهناك انسانة معينة هي من أريدها زوجة"

قالها وصمت فجأة شاردا فأكمل له مصطفى مستفهما " وهي لن تقبل بأن تكون زوجة ثانية ؟"

انتبه جابر ونظر إلى مصطفى مجيبا " لا أعرف .. أعتقد لن ترضى بي ..فقد سبق ورفضت أن تكون زوجة ثانية ..لكن هذه ليست المشكلة الأساسية ..فربما استطعت أنا اقناعها ..المشكلة في أن مقامها عندي كبير ولا تستحق مني أن أجمعها مع زوجة أخرى"

ضيق مصطفى عينيه ثم غمغم " أممم.. يبدو أنك معجبا بهذه الفتاة "..

عقد جابر حاجبيه يناظره بحيرة ثم أجاب "لا أعرف .. كل ما أعرفه بأني أحترمها وأقدرها بشدة وأراها تستحق زيجة مميزة "

اقترح عليه مصطفى " ما دمت لن تستطيع أن تتزوج من هذه الانسانة فلماذا لا تفكر في الزواج من أرملة أو مطلقة.. فهناك فتيات صغيرات تطلقن أو ترملن في سن صغيرة وليس لديهن مانع من أن يدخلن على زوجة أخرى"

رد جابر بلهجة مكتئبة " الحقيقة أنا لم يعد لدي رغبة في الزواج ولا العلاقات ولا أي شيء يا أبا حمزة ..أشعر بعزوف كامل عن أي شيء "

هتف مصطفى باستنكار تعاطفا مع صاحبه "وهل ستقضي بقية حياتك راهبا!!. مازلت في عز شبابك يا جابر هل ستدفن نفسك وأنت حي !!"

رد جابر بلهجة قاطعة " أجل لأعاقب نفسي على سوء اختياري"

كاد مصطفى أن يندفع ويذم في عائلة العسال بما يعرفه عنهم لكنه ذكر نفسه بحرمة الغيبة وبأن ابنتهم لا تزال زوجة جابر وأم ابنته فقال

بهدوء متفهما بعد أن استغفر ربه " لا بأس لا تقسو على نفسك .. اسأل رب العرش العظيم أن يفرج همك ويرزقك من وسع "

زينت ابتسامة حزينة شفتي جابر ورد بهدوء " سلمت يا أبا حمزة .. ولك بالمثل .. وليتمها الله لكم على خير ويبارك لك في أولادك "

جاء دور مصطفى ليقول مهموما " كل ما أتمناه من الله أن تكون أم حمزة بخير ..فلا أخفيك سرا أنا قلق عليها رغم أن الطبيبة طمأنتنا بأنها بصحة جيدة والحمد لله"

طمأنه جابر يهدئ من روعه " إن شاء الله ستمر فترة الحمل على خير .. ربك رحيم بعباده "

غمغم مصطفى " ونعم بالله .. لنتناول العشاء إذن ..ثم نتناقش في الكتاب وأعطيك واحدا أخر "

قال جابر وهو يستقيم واقفا " أي عشاء! .. لا ..لا عليّ أن ارحل"

هتف مصطفى بانزعاج " والله لن تذهب إلا بعد أن نتعشى سويا (وعلا صوته) العشاء يا أم حمزة"

xxxx

تركت ونس الهاتف على السرير واعتدلت تطوي ساقيها تحتها فوق السرير وتدفن وجهها الأحمر في كفيها بحرج ثم أخذت تهوِّي عليه بكفيها لتخفف من اشتعاله قبل أن تعود وتلتقط الهاتف من جديد لتكتب "ماذا تريد يا شامل بالضبط؟ (وجه يختبئ خلف كفين)"

اعتدل الأخير من استلقائه على سريره لينام على الجانب الأيمن ويكتب وابتسامة عابثة شقية تزين شفتيه "كما أخبرتك .. أريد أن أعرف رأيك في السر الذي أخبرتك به اليوم في غرفتك "

كتمت ضحكتها وكتبت " كف عن قلة الأدب يا شامل"

قهقه شامل ثم كتب بتسلي " أنا أسألك عن رأيك في السر.. ألا يحق لزوجك أن يعرف رأيك فيما أخبرك عنه"

شعرت بالحرج الشديد ولم تعرف بما ترد عليه فكتبت لتهرب من حصاره " بالمناسبة هذا ليس بسر لأني أعلمه من قبل (وجه يخرج لسانه بإغاظة) "

ضحك شامل وكتب بلهجة متهكمة "وكيف عرفتيه قبل أن أخبرك به إن شاء الله (وجه يرفع حاجبا متحفزا)"

ردت ونس " شاهدته يحدث بين البطل والبطلة في المسلسلات والأفلام الأجنبية (وجه يخرج لسانه مغيظا)"

ضحك من جديد وهو يكتب موبخا " وكيف تشاهدين هذه المشاهد يا قليلة الحياء ولم

تنتظري لأخبرك عنها أنا بنفسي (وجه غاضب)
"

اتسعت ابتسامتها وكتبت " إنها في المسلسلات والأفلام الأجنبية التي وضعتها لي في الهاتف .. كما أنني لست صغيرة (وجه أخر غاضب) "
رفع حاجبا وكتب بشقاوة " أمم .. إذن ما دمت لست صغيرة أخبريني بما شعرت حينما كنا سويا (وجه يغمز) "
تجمدت أصابعها في الهواء لا تعرف بما ترد عليه فما شعرت به ظهر اليوم كان مزيجا من السعادة والإثارة والمتعة وأشياء كثيرة لم تستطع فهمها فكتبت لتهرب من اسئلته المحرجة " اذهب يا شامل فأنا أريد أن أنام"
كشرت ملامحه وأسرع بالكتابة لها " يا جنّية أين ذهبت وأنا أحدثك !!!"
ردت بحزم " سأنام"

عاد لشقاوته يسأل " لماذا تهربين من السؤال؟"
وجدها قد شاهدت السؤال ولم ترد فأسرع بالكتابة " انتظري هناك ما أريد أن أقوله لك"
تملكها الفضول فسألته " ماذا؟"
كتب شامل " المرة القادمة لا تشاهدي هذه المشاهد يا قليلة الحياء بل تعالي لزوجك حبيبك ليريك مثلها عمليا وليس نظريا "
اشتعل وجهها من جديد وازدادت ضربات قلبها من ذكرى ما حدث ظهر اليوم فكتبت بسرعة هاربة منه" تصبح على خير يا شامل"
وضعت الهاتف واستلقت على ظهرها تغطي وجهها بكفيها حرجا بينما كتب شامل بعبوس "انتظري لم تجيبي على السؤال"
" يا ونس "
حين لم ترد زفر زفرة حارة وقال بصوت مسموع " آه يا جنية "

وضع الهاتف بجواره على السرير وتوسد ذراعه يحدق في السقف في الوقت الذي رفعت ونس كفيها عن وجهها والتقطت الهاتف تكتب"
شامل "
التقط الهاتف بسرعة ورد " نعم"
كتبت بتردد " أريد أن أسألك سؤالا .. كيف رأيتني اليوم بالملابس الجديدة؟"
اتسعت ابتسامته وأرسل لها وجها يضحك ملء شدقيه فعبست وسألته " ما معنى هذه الابتسامة!"
رد بشقاوة " رأيتك Hot Like fire* .. هل تحتاجين لترجمة (وجه يغمز) "
كتبت بسرعة وبحرج شديد " لا شكرا سأنام"
"ونس"
"نعم"

---

* يقصد ساخنة ومغرية جدا

كتب لها والشقاوة تتراقص في عينيه "هل تعلمين بأن هناك أسرار كثيرة سأخبرك بها حينما تنتقلين للعيش معي إن شاء الله؟"

كتبت بسرعة " اذهب يا شامل تصبح على خير (وجه يختبئ خلف كفين) "

ألقت بالهاتف وقررت ألا تنظر فيه مجددا حتى الصباح فهو سيحاصرها بتلك الأسئلة المحرجة بينما سألها هو " ألا تريدين أن أخبرك عن بعض منها الآن ؟"

"ونس"

"أنت يا بنت! "

حين لم ترد وضع الهاتف بجواره على الكومود وتوسد ذراعيه ينظر في سقف الغرفة مغمغما بأنفاس مشتعلة " الصبر يا شامو الصبر بقي ثلاثة أسابيع يا بطل وتبدع في إخبارها بتلك الأسرار "

xxxx

بعد عدة أيام

تطلعت نصرة حولها بانبهار في المركز التجاري الفخم في مركز المحافظة بينما اسراء تمسك بذراعها لتقودها إلى قسم الملابس النسائية .. وكلما حدقت نصرة في الأسعار بدت لها غالية بشكل مبالغ فيه فغمغمت" لا أنكر بأن جودة المعروض ممتازة ..لكن أرى أنه من الخسارة صرف كل هذه النقود في ملابس داخلية ستلبس لوقت قصير "

كتمت اسراء ضحكتها وغمغمت وهي تلتفت حولها" اخفضي صوتك يا نصرة ستفضحيننا ما الذي تقولينه الآن!"

اشاحت نصرة بيدها تقول بتقرير " لا أقول غير الصدق .. قمصان النوم هذه ستلبس وقت قصير في غرفة النوم .. وحين يكرمها الله بالحمل ربما لن تعود لارتدائها مجددا حتى بعد الولادة"

بوجنتين مخضبتين بالحمرة قالت اسراء بهمس
" ألم نتفق على أن نشتري عدد من قمصان
النوم الغالية لونس من النقود التي تركها العم
عيد وأن نكمل باقي قمصانها وحاجياتها
الشخصية من محلات عادية .. ما لزومه هذا
الكلام الآن !"
لم ترد نصرة بل ظلت تتطلع حولها في
المعروضات المبهرة قبل أن تنتبه لتسمر
نظرات ابنتها على قميص نوم أبيض ترتديه
دمية عرض الملابس.. فدققت فيه هي الأخرى
واعترفت في سرها أنه رائع ومبهر لذا اقتربت من
الدمية وحاولت التدقيق في الورقة الملصقة به
لعلها تتعرف على ثمنه لكنها لم تفهم شيئا من
المكتوب .. لتتدخل اسراء وتخبرها بالسعر
الذي جعل عيني نصرة تخرجان من محجريهما
.. لكنها عادت ونظرت إليه بانبهار خاصة مع

تدقيق ابنتها فيه وقالت "سأشتريه لك إن شاء الله قبل زفافك مباشرة "
اسرعت اسراء تقول كاذبة" لا لا لست مبهورة به كنت أفكر فيه من أجل ونس"
شعرت نصرة بغصة في قلبها خاصة حين قالت اسراء مصطنعة عدم الاهتمام "لا أحب مثل هذه الأشياء (وشدت ذراع أمها تقول) هيا يا نصرة علينا انجاز المهمة التي كلفنا بها العم عيد "

بعد قليل كانت نصرة تتطلع في اسراء التي تقف في طابور دفع الحساب وتذكرت الأشياء الجميلة التي ابتاعوها لونس فانتابها شعور بالحزن على حال ابنتها وتصنعها الدائم بعدم الاهتمام حتى لا تحزنها .. ثم أخذت تستغفر وتحوقل وتردد في سرها "اللهم بارك لها ونس بنت وداد وارزق اسراء بنت نصرة برزق وفير قادر كريم"

في طريقهما للخروج من المحل تطلعتا في نفس اللحظة في مفرش سرير مبهر من الحرير و الاورجانزا معروضا خلف الزجاج .. فوقفتا مسمرتان تحدقان فيه بانبهار قبل أن تقول نصرة لابنتها بصوت مبحوح "هل ترين ما أرى يا اسراء!"

بلعت اسراء ريقها الذي جف من التطلع في روعة المفرش ثم ردت "أجل يا أمي"

غمغمت الأخرى وعيناها لا تحيدان عنه "اصدميني بالسعر بسرعة حتى استفيق"

اقتربت اسراء من واجهة العرض قبل أن تجحظ عيناها وتعود لأمها تقول "هيا يا نصرة ..هيا تأخرنا "

قالت نصرة ببؤس طفولي" اخبريني بالسعر واعدك بأني سأتماسك "

جرتها إسراء لتخرجا من المحل تحملان ما ابتاعوه وهي تقول بلهجة قاطعة " لا .. لست مستعدة لسقوطك في الشارع مغشيا عليك"
غمغمت نصرة بلهجة باكية مترجية واسراء مستمرة في سحبها "فلنتصور بجانبه حتى قبل أن نتركه وحيدا بائسا خلف الواجهة الزجاجية "

ابتسمت اسراء بحزن واشفقت بشدة على والدتها .. لكنها شدتها بحزم مغمغمة "سأخبرك حينما نصل للمنزل حتى يغشى عليك في مكان آمن "

xxxx

وقف التوأمان يناظران والدتهما التي تقف أمامهما في مطبخ المطعم تسند يدا على خصرها وتتطلع فيهما بعدم استيعاب قبل أن تقول باستنكار " ما معنى هذا الكلام؟؟.. ما معنى أنكما لا ترغبان في إقامة حفلا للزفاف!!!"

ناظرا بعضهما ثم رد كامل بهدوء" هذه رغبتنا يا أمي ..سنكتفي بزفة في القرية ونعود إلى هنا مع زوجتينا"

صرخت بغيظ فانتبه كل الطباخين في المطبخ " ومن سيسمح لكما بذلك! "

نظر شامل خلف قامة والدته القصيرة قائلا للطباخين بهدوء " هلا تركتمونا قليلا يا شباب "

استجاب الجميع مغادرين.. فأوضح شامل "يا ست الكل نحن لا نشعر بأن لدينا الرغبة في إقامة حفلا ضخما في أحد الفنادق وما إلى ذلك .. ستكفينا الزفة في البلدة .. مثلا ونس صوت الضجيج والسماعات العالية علمت منها أنه يجعلها غير مرتاحة بسبب سماعتيها القديمتين .. والوقت لا يسعفنا لتركيب أخرى جديدة لها لأنه كما فهمت ممن استشرتهم أن الأمر سيحتاج لوقت ولأكثر من جلسة مع طبيب

السمعيات لضبتهما .. وبصراحة أرى أن نقلة كهذه بالنسبة لونس بإقامة عرس في فندق كبير وعدد مدعوين كبير لا تعرف غالبيتهم قفزة كبيرة قد تصيبها بالارتباك ..وصدقيني يا أمي إنها رغبتنا الصادقة أنا وكامل في أن يكون الاحتفال بسيطا حتى بسمة أوضحت لكامل بأنها هي الأخرى تفضل عدم إقامة حفل كبير"

صرخت سوسو بلهجة متألمة " وأنا .. أنا وفرحتي بأولادي.. ألم تفكروا فيّ؟ .. حتى إقامة احتفالا بزواجكما سأحرم منه ؟!!"

تطلع التوأمان في بعضهما مستاءان قبل أن يقول شامل "يا أمي أنا شرحت لك وضع ونس .. ورغبة بسمة ..ومن قبلها رغبتنا"

عقدت سوسو ذراعيها تحت صدرها وأطرقت دامعة العينين تتطلع في مقدمة حذائها الذي يضرب الأرض بعصبية ثم أشاحت بوجهها تغمغم بلهجة محبطة "أنتم مصرون على قتل

فرحتي .. رغم أني أحاول أن أتقبل الأمر برمته لكن ..."

اختنق صوتها بالبكاء فأسرع شامل بالقول وقد تألم قلبه لأجلها " حسنا .. حسنا يا ست الكل (واقترب منها يقبل رأسها) دعينا نفكر في حل وسط قد يشعرك بالفرحة"

تكلم كامل زافرا بضيق من حالتها التي آلمت قلبه " يا أمي بالله عليك لماذا تدققين على أمور شكلية !"

حدجه شامل بنظرة موبخة ثم ضمها إليه قائلا بصدق " نعرف بأننا قد احبطناك في هذا الموضوع .. لكنك لا تعلمين حجم الامتنان الذي نحمله أنا وكامل لك على موقفك هذا .. أنت أعظم أم "

كلماته داعبت مشاعر الأم بداخلها فمطت شفتيها حتى لا يظهر عليها التأثر بكلماته وهي تختلس نظره جانبية له ثم لكامل الواقف

أمامها هادئا يديه في جيبي بنطاله يناظرها بنظرة امتنان وتعاطف حقيقية استطاعت قراءتها بسهولة ثم قالت بعناد طفولي" حسنا لن نقيم حفلا ضخما.. لكن سنقيم حفلا بسيطا يضم بعض من معارفنا من جاليتنا المقربين منا .. وسأقيمه في حديقة الفيلا وليس حتى بالمطعم حتى يكون حميميا .. فليس من اللائق أن نزوجكما ونفاجئهم بالخبر ..على الأقل ندعو العائلات المقربة منا"

أسرع شامل يقول وهو ينظر لأخيه "حسنا يا ست الكل مادام هذا سيريحك .. لكن فليكن حفلا صغيرا يضم معارفنا من بلدنا المقربين جدا .. نقيم لهم عشاء لطيفا ونتلقى منهم التهاني والتبريكات"

غمغمت سوسو ببعض الرضا" لا بأس"

قال كامل بلطف "والآن يا سوسو اتركينا فقد عطلنا العمل بسبب عدم صبرك لأن ننتهي من عملنا ونأتيك"

استدارت سوسو تتطلع حولها ثم قالت "آه حسنا عودا لعملكما.. وسأركز أنا في اعداد الحفل "

وتحركت مغادرة للمطبخ وهي شاردة فيما ستقدمه وفيمن ستدعوه بينما تطلع التوأمان في بعضهما يشعران ببعض الراحة أن استطاعا ارضائها ولو قليلا شاعرين بالذنب تجاهها.

في صالة المطعم كانت تسونامي التي أصبحت تزور المطعم بعد الظهر لتتناول فطورها بعد انتهائها من ممارستها الرياضة تتطلع إلى الطباخين الشباب الواقفين خارج المطعم بفضول قبل أن ينادي عليهم كامل ليعودوا للداخل ..فتدخل ديمتري بلباقة يشير إليها

بكفه المفتوح حتى تجلس عند إحدى الطاولات بدلا من وقفتها وسط المطعم.
تأملت عيناه الملونتان وبشرته البيضاء قبل أن تلمح سوسو تخرج من المطبخ فاندفعت نحوها تقول بصوت عال مرحبة "يا أهلا بالهانم يا أهلا تشرفنا والله"
انكمشت سوسو مجفلة من اندفاع المرأة نحوها وابتعدت بجذعها للخلف لتحافظ على مسافة آمنة بينهما وهي تناظرها باندهاش واستنكار بينما تطلع ديمتري في زبائن المطعم الذين انتبهوا لصوتها العالي ثم عاد ينظر لتلك الزبونة المتعبة.
سألتها سوسو باستغراب" هل أعرفك ؟!!"
ونظرت لديمتري لعله يساعدها على التذكر فقالت تسونامي ببشاشة" أنا تسونامي جارتكم يا هانم ..الباب أمام الباب .. وكنت أتوق بشدة للتعرف على هانم راقية حقيقية مثلك

(وتطلعت في أناقة سوسو وأضافت بإعجاب
)بسم الله ما شاء الله أنت حقا مُزّة"
اتسعت عيني سوسو وناظرتها باستهجان من
رأسها حتى أخمص قدميها ولم يعجبها ذلك
الشورت الساخن ذو التطريز اللامع الذي
ترتديه وفوقه بلوزة قصيرة تظهر بطنها
وجانبيها ولحم جسمها المغري ثم قالت
بتحفظ "اهلا بك (وناظرت ديمتري تقول)
فلترى طلبات الـ (وعادت تتطلع فيها من جديد
ولم تدري بما تلقبها فقالت) فلترى طلباتها يا
ديمتري من فضلك "
قالتها ثم رسمت ابتسامة صفراء معتذرة على
وجهها وهي تتركها نحو ذلك الباب الداخلي
الذي يصل بين الفيلا والمطعم بينما هتفت
تسونامي خلفها" لا بأس سأزورك في يوم أخر
تكونين فيه متفرغة (وغمغمت وهي تراقبها
مغادرتها) يا ما شاء الله قطعة من الكنافة والله

.. لهذا أنجبت هذان اللوحان من الشيكولاتة البيضاء "

تنحنح ديمتري من خلفها ثم قال بعربية مكسرة" هلا تفضلت معي"

انتبهت تسونامي لوقفته وغمغمت وهي تتأمله " وأنت أيضا شيكولاتة بيضاء محشوة بعين الجمل.. هذه المدينة كلها حلوى وسكاكر "

قال ديمتري باندهاش" لم آكل من قبل شكولاتة محشوة بعين الجمل* .. ترى كم جمل تذبحون لتقتلعوا عينيه وتحشون الشيكولاتة بها ؟!!!"

اتسعت عيناها تحاول فهم لغته المكسرة ثم ضحكت وضربته على صدره وهي تقول مازحة " أضحكتني يا هذا .. أنت خفيف الظل .. تعال وأريني أين سأجلس"

---

* ثمرة الجوز

سبقته نحو الطاولات بينما ظل ديمتري يفكر لثوان قبل أن يغمغم "عندي فضول شديد لأعرف كيف يحصلون على أعين الجِمال لحشو الشيكولاتة سأسأل التوأمين"

أما في داخل الفيلا فبدأت سوسو بإعداد قائمة قصيرة من المقربين جدا لدعوتهم لحضور الحفل ثم رفعت الهاتف على أذنها لتبدأ في الاتصال بهم وقالت بعد ثوان "مرحبا حاجة إلهام كيف حالك وحال الجميع عندك "

xxxx

"ما هذا الذي تقوله يا وليد!!"

قالتها مهجة صارخة وهي تتطلع في ظهره الذي يوليه لها وهو يستعد لمغادرة الشقة .. فرد عليها ببرود دون أن يستدير" ما سمعتيه"

هتفت باستنكار " ومحاضراتي ودراستي؟!! .. لقد وعدتني بأني سأنتظم في الدراسة بعد

الزواج .. والامتحانات اقتربت وعليّ الذهاب للكلية"

رد بسخرية مُرة وهو يعدل من هيئته في المرآة بجوار الباب "ضمي هذا الوعد إلى بقية الوعود التي وعدناها لبعضنا قبل الزواج ولم ننفذها"

قالت بضيق " لكني بهذا الشكل قد أرسب وأعيد العام الدراسي"

رد عليها ساخرا وهو يهم بالتقاط هاتفه ومفاتيحه من فوق الطاولة تحت المرآة " لا بأس بجملة خساراتك منذ أن تزوجت بشخص مثلي"

صاحت بغيظ " هل تلوي ذراعي لأني قررت الرضوخ لإلحاح اسرتينا بالتريث قليلا قبل اعلان انفصالنا؟!!"

استدار إليها نصف استدارة يقول بابتسامة مستفزة " لا بالطبع .. فليّ ذراعك أمر لن أقدر عليه (وأضاف ساخرا) فأنت بنت العمدة التي

تملك أخا قد يأكلني حيا إن اقتربت منها .. (وعاد لبروده) أنا ببساطة أمارس حقوقي كزوج ما دمتِ لازلتِ على ذمتي وفي بيتي .. حقوقي التي يلزمك بها الدين يا بنت الأصول في طاعة الزوج حتى لو كان زوجا حقيرا مثلي .. فلا تقعي في ذنوب قد تندمين عليها لأني أمنعك من الخروج من البيت بدون إذني وهذا أمر لا أنت ولا أخيك الهُمام يمكن أن تجادلا فيه "

رفعت سبابتها أمامه تقول بتحذير والشرر يتطاير من عينيها الخضراوين " اِخرج مفرح من الموضوع مثلما أخرج هو نفسه منه"

صاح باستنكار وهو يستدير إليها بكليته "أخرج نفسه !!... كل التهديدات التي تلقيتها منه وتعتبرينه قد أخرج نفسه!!"

ردت مدافعة " وماذا كنت تنتظر منه وأنت لم تحترم وجوده أو وجود الكبار .. هل كنت تظنه

سيأخذك بالأحضان !!..أنت تعرف ماذا أكون أنا بالنسبة لمفرح؟"

اسرع بالرد بحشرجة مُرة " وأنت تعرفين ما أنت بالنسبة لي"

اعتصر الألم قلبها وردت بصوت مخنوق بالحسرة " أنت من افسد كل شيء.. أو ربما زيف كل شيء ..وأوهمني بأنك ستتغير"

كلماتها ذبحت قلبه لكنه قال بسخرية مرة "آسف يا بنت العمدة لأن الهمجي الذي تزوجتيه أفسد كل شيء .. تحملي تلك الأيام الباقية .. قلت أو كثرت .. حتى تتخلصين مني نهائيا"

صرخت بخيبة أمل وهي تقترب لتقف أمامه " أنت لا تساعد في رأب الصدع بيننا .. بل توسعه بكل حماقة كعادتك"

لم تتحمل أعصابه المزيد من الإهانة فرفع يده ولطمها على وجهها ..لتتسع عيني مهجة شاعرة

بالإهانة الشديدة وهمست بغير تصديق وهي تغطي خدها الملتهب بيدها "وليد!!!"
قبض على ذراعها واقترب منها أكثر حتى مال بوجهه يتطلع في وجهها المرفوع إليه قائلا بنظرات مجنونة وأنفاس أكثر جنونا واشتياقا لقربها" إياكِ ووصفي بالحماقة مرة أخرى حتى لو كنت كذلك .. (وأضاف هامسا بلهجة متألمة وهو يغوص في خضار عينيها) هيا اذهبي وابلغيه بأن الهمجي الأحمق الذي تنازلت وتزوجتيه قد ضربك .. ووصيه أن يأتي هذه المرة بمسدسه ليطلق عليّ رصاصة الرحمة فأنا بحاجة شديدة لها حاليا"
همست بلهجة متألمة" ضربتني يا وليد!!"
راقب الدموع التي سالت على جانبي وجهها المرفوع إليه ورد هامسا بقلب وكرامة ينزفان" لا بأس ابكي .. زيدي من الشِعر بيتا ..ومن الوجع ألما ..ومن الحزن غصة"

قالت بإصرار هامس " أنت تصر على وضع كلمة النهاية بيننا "

رد بنفس الهمس وعيناه تلتهمان ملامحها بشوق "أنت من وضعها من أول مشكلة"

"لأني صدمت فيك"

قالتها هامسة بمرارة فصمت قليلا وهدير قلبيهما يصم الآذان ..ثم رد وليد بعد برهة بهمس مر أمام شفتيها " بل لأن كرامتك أوجعتك أن يكون ذلك الأحمق المتهور هو زوج مهجة ابنة العمدة .. لقد شعرتِ بالحرج من اقترانك بي أليس كذلك؟!"

دافعت عن نفسها بنفس الصوت الهامس وهي تتأمل محياه الوسيم وموج عينيه الأزرق الغاضب " كل امرأة تريد أن تفخر بزوجها"

عبارتها ضربت سؤالا مفاجئا في رأسه .. ماذا يملك هو لتفتخر هي به ؟.. فالمال مال أبيه والوسامة خلقة من ربه .. ماذا يملك هو من

جوهر صنعه بنفسه لنفسه كي يقدمه لها حتى تفخر به؟!!.

قال هامسا بحرارة وهو يسحب أنفاسها إلى صدره بشوق مؤلم" من يحب انسان يغفر له ويصبر عليه بقدر هذا الحب"

دافعت عن نفسها حتى تخفف من وقع نظراته المتألمة على قلبها الموجوع " أنا بشر يا وليد ..وهناك أمور تكسرني ولا أقدر على تحملها ..ضع نفسك مكاني وتخيل أني خذلتك"

رد بمرارة " أنت خذلتني يا مهجة واهدرت كرامتي ورغم كل هذا لازلت أحبك وأتعذب بهذا الحب"

بادلته الشعور بالمرارة وهي تقول " لا أعرف من منا خذل الأخر أولا .. لكن ما تيقنت منه أن الحب وحده لا يكفي لنكمل الطريق معا"

همس أمام شفتيها بلوعة " كنت أعلم بأنك الأكبر عقلا ..وبأني أحبك أكثر مما تحبينني

بكثير .. لكني لم أكن أعلم أبدا بأنك تملكين هذا القلب القاسي يا مهجة "

كلماته ذبحتها لكنها تماسكت وهي تقول بهمس معذب " لو تعرفني حق المعرفة لعلمت أنه بقدر الحب يكون العتب.. وبقدر الحب تكون الصدمة ..وأنا صدمتي فيك كانت قوية"

سألها بلهجة ساخنة ظمآنة " أهذا يعني أن حبك لي قويا يا بنت عمتي؟.. (وأكمل بترجي وهو يتطلع في عينيها) قوليها .. قوليها يا مهجة ..قولي بأنك لازلت تحبينني"

شعرت بأن رأسها يدور وهي مأسورة في دائرة وجوده المُسكر فهمست وهي تلعن قلبها اللعين في سرها " قلت لك الحب وحده لم يعد كافيا "

تطلع فيها لثوان أخرى ثم مال يطبق على شفتيها بقوة شوق عظيم وهو يسحقها بين ذراعيه فبادلته مهجة ذلك الشوق بمثيله

للحظات قبل أن تلح عليها كرامتها بعدم الاستسلام وذكرتها بتلك اللطمة على وجهها منذ دقائق مستنكرة أن يضربها ثم تستسلم لرغباته بكل هذه السهولة.. بينما أخذت يدي وليد تعبثان بقلة صبر بمنامتها في محاولة للوصول لجسدها .

قالت مهجة بمجرد أن أطلق سراح شفتيها ونزل إلى عنقها يطبع عليه قبلات محمومة "وليد كفى .. وليد ما تفكر فيه لن يحدث ..على الأقل ليس الآن لا يزال بيننا ما يجب أن نتحدث فيه بجدية"

دفعها بإلحاح للتراجع معه للخلف .. ولم يستطع الصبر حتى الوصول لغرفة النوم التي تهجرها هي منذ عودتها وتتخذ من غرفة أخرى مكانا للنوم ..بل مال بها على أقرب أريكة قابلته وقد نجح في فتح سحاب بلوزتها الأمامي مخيما

فوقها رغم همهماتها المعترضة لكن شوقه الجارف كان متحكما فيه بقوة ..
حين شعرت مهجة أنها ستفقد السيطرة على نفسها وتستسلم لانجذابها إليه هتفت وهي تستجمع قواها "وليد أرجوك .. وليد إياك أن تفعلها .. والله سأحتقر نفسي إن فعلتها"
كانت بذلك تقاوم تلك الرغبة القوية بداخلها للاستسلام له .. وما كانت تقصده بعبارتها أنها إن استسلمت له ستحتقر نفسها لأنها تركت لقلبها دفة السيطرة من جديد ..مستنكرة أن تكون خانعة ذليلة بسماحها له أن يضربها ثم يأخذها كما يشتهي ..
لكن عبارتها ضربت في قلب وليد ورأسه .. ولامست وترا حساسا نما وتضخم خلال الأيام الماضية .
عبارتها جرحت كرامته بشدة وهو يتصور بأنها تكره قربه منها .. فرفع رأسه عنها ببطء يتطلع

فيها بعينين رماديتين من الغضب .. ثم استقام واقفا وهو يقول من بين لهاثه باستهجان"
تحتقرين نفسك !!.. لمسي لك سيجعلك تحتقرين نفسك يا مهجة !!"
رفعت مهجة جذعها وهي تعيد غلق سحاب بلوزتها قائلة "وليد أنا لم أقصد أنا... آآآآآآ.."
صرخت مجفلة حينما ضرب بقدمه الأريكة التي تجلس عليها غاضبا .. ثم استدار يمسك بمزهرية خزفية وضربها في الحائط لتنزل محطمة .
اتسعت عيناها في رعب وهتفت صارخة "وليد ماذا تفعل ؟؟!!"
لم يكن يسمعها .. كانت تسيطر عليه طاقة غضب عظيمة ولم يكن واعيا إلا لأنه يشعر بالإهانة وبالألم .. ألم قوي يعتصر قلبه .. وكعادته أفصح عن مشاعره السلبية بالغضب

وهو يصيح في وجهها بصوت جهوري "وأنا لم أعد أريدك هل تفهمين؟ .. لم أعد يا مهجة" قالها واندفع خارجا من باب الشقة ..فحدقت في الباب الذي أغلق بعنف ثم لفت ذراعيها حول نفسها تحضنها وتبكي .. معترفة بأنها لم تعد تعلم ماذا تفعل .. وكيف تتصرف .. إنها تائهة وتتألم بشدة .. ولا تستطيع مناقشة تفاصيل علاقتهما مع مفرح.. لقد كانت خطتهما أن يوهما الجميع وخاصة وليد أنها قد قررت الانفصال وقد راهن مفرح بأن والدته بالذات ستعارض ذلك .. فاتفقا على أن يوهما وليد بأنها قد عادت لفترة مؤقتة لعله يراجع نفسه ويحاول كسب ثقتها مرة أخرى .. لكن الأمور تسوء بينهما من أول دقيقة عادا فيها لشقتهما بسبب انفعاله الزائد وشعورها المستمر بالإهانة والاستهجان من أسلوبه .. كرامتها تقف حائلا بينه وبين قلبها .

انهمرت دموعها تشعر بالوحدة وبالذنب لأنها منعته من شيء تعلم بأنه يتلهف إليه بشدة ..
وأطرقت برأسها تعترف بأنها هي الأخرى اشتاقت الى لحظاتهما الصافية معا.. لكنها إن استسلمت ستعود لنقطة الصفر مجددا حيث لا يجمعهما سوى الحب .. الحب الذي لا يكفي وحده لاستمرار الحياة بينهما .. على الأقل من ناحيتها .

xxxx

قبل يومين من حفل الزفاف

صباحا

تطلع جابر بذهول في كاميليا التي ارتدت ملابس الخروج كعادتها كل صباح منذ ما يقرب من شهر استعدادا لأن يوصلها لبيت اهلها فسألها بغيظ" إلى أين؟"
ردت ببساطة" إلى بيت العسال"

انتابته رغبة قوية في تهشيم رأسها الغبي فقال لميس التي تقف بجوارها مستعدة للخروج "اذهبي يا ميس والعبي قليلا حتى أتحدث مع والدتك"

تطلعت ميس في والديها بقلق ورغم عدم ادراكها لما يحدث بينهما لكنها تشعر منذ مدة أن العلاقة بين والديها غريبة فأطاعت والدها وتحركت مغادرة بينما قال جابر من بين أسنانه بغيظ " ألا يوجد لديك إحساس بالمرة !! .. هل وصل بك الحال لانعدام التمييز يا كاميليا "!!؟

لم يكن مزاجها رائقا كحالها منذ شهر فلم تكف عن التفكير في بسمة وفي زواجها الوشيك وانتقالها للعاصمة حتى أنها أصبحت تواجه صعوبات في النوم من كثرة التفكير والشعور بالقهر فردت بعصبية " ألم أخبرك يا جابر بأن هدى ..."

قاطعها صارخا "هدى وذراع هدى ..وتلك الحجة التي تتحججين بها للذهاب كل يوم لبيت أهلك لم تنطلي عليّ ..ومع هذا تركتك تفعلين ما يريحك ..لكنك كالعادة غبية وتتمادي دون مراعاة لأي شيء"

هتفت باستنكار "أنا غبية يا جابر!"

رد بتأكيد "أجل غبية .. هل تتخذين من هذا البيت مكانا للمبيت فقط .. لقد تحملت ذهابك كل يوم على مدى شهر وتحملت أني لا آكل في بيتي طعاما ساخنا لكن أن يستمر الوضع بهذا الشكل أمر غير مقبول يا بنت الناس"

هتفت مبررة" ألم أكن أحضر معي طعاما من بيت أبي وأنا عائدة لكنك كنت ترفض الأكل منه وتطلب أن أصنع لك أي شيء سريع من الثلاجة لهذا توقفت عن احضار الطعام معي ما دمت لا تأكله.. وبعدها أصبحت تأكل قبل أن تعود ..ما ذنبي أنا !!"

استفزه برودها فرد بغيظ " لأني لا أحب أن آكل طعام بيت غير بيتي وبنقود غيري .. "
لوت شفتيها فأضاف" والآن يا ست هانم أخبرتك بأن أمي ستأتي غدا ألا يستدعي هذا أي ترتيبات لاستقبالها .. "
لم تكن مستعدة للبقاء في البيت اليوم فقالت مهادنة" كنت أنوي أن أذهب وأعود مبكرا "
رد بلهجة قاطعة" لا .. لن تخرجي من البيت اليوم ..وذهابك لبيت أهلك كل يوم ممنوع من الآن فصاعدا .. "
قالها واستدار مغادرا فهتفت صارخة باعتراض" هل ستمنعني من زيارة أهلي ؟؟!"
وقف عند الباب واستدار إليها بنصف استدارة قائلا " لا لن أمنعك بالطبع لكننا سنجلس في وقت أخر لننظم أمر خروجك اليومي هذا وحتى ذلك الحين ممنوع الخروج"

هتفت باعتراض "ولكني لن أقبل بهذا ألا يكفي بأننا نعيش منفصلان "

نظر لأعلى يحاول التماسك ثم قال" نحن منفصلان منذ أول يوم لنا معا يا كاميليا أم أن الانفصال الذي تعنيه هو الانفصال الجسدي وعلاقة الفراش؟! .. عموما هذا ما عندي يا بنت الناس اقبلي به أو لا تقبلي الأمر في يدك .. سلام "

قالها واندفع خارجا يشعر بضيق شديد في صدره ويسأل نفسه إلى متى سيتحمل هذه الحياة .

أما كاميليا فكانت تتفتت بالغيظ والغضب والشعور بالقهر ..

تراودها فكرة الطلاق كثيرا لكنها تخشى من شماتة الناس .. خاصة بعد أن تفوقت عليها بسمة بالزيجة الثانية .. الزيجة التي تشبه ربح ورقة اليانصيب .. لا تريد أن تطلب الطلاق

بالتزامن مع زواج الأخرى الذي سيحدث بعد يومين .. والذي هو حديث البلدة منذ مدة .. خبر كهذا حاليا سيصغرها أمام الجميع .. لذا عليها التماسك والتريث في تنفيذ الفكرة ودراستها بعيوبها ومميزاتها .

اخرجتها ميس من شرودها حينما سألتها "ألن نذهب إلى بيت أخوالي يا أمي ؟"

هتفت كاميليا بغيظ "لا لن نذهب إلى أي مكان"

قالت ميس بحزن "لكني أريد أن ألعب مع أولاد خالي عماد "

قالت كاميليا وهي تصعد السلم لتخلع عباءتها "ماذا نفعل في تحكمات والدك المتعنتة ..حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا جابر يا ابن نجف "

قالتها شاعرة بالقهر والضيق وبأن جدران البيت ضيقة عليها تكاد تطبق على أنفاسها .

xxxx

بعد العصر

"أنا بصراحة لا أفهم سببا لهذا التعنت يا أحمد"

قالتها بانة بعصبية وتركته متجهة نحو غرفة النوم فهدر أحمد منفعلا وهو يلحق بها "لا تعرفين السبب !!"

استدارت إليه في الغرفة وهي تمسك ببطنها المنتفخ وقالت بغيظ" أنت تعلم ماذا يمثل لي عمي غنيم والخالة سوسو .. وتعلم فضلهما عليّ .. أنا تعاملت مع موقفك من موضوع كامل بكل تفهم واحترمت رغبتك في عدم زيارتهم إلا على فترات متباعدة بعد الحاح شديد مني كل مرة .."

رد عليها معاندا "لكنني لم أنسى ولن أقبل بأن تذهبي لحضور حفل زفافه"

نفخت بغيظ ثم قالت " الموقف الذي تتحدث عنه يا أحمد مر عليه ما يقرب من أربع سنوات ووقتها كامل أوضح بأنه لم يكن يقصد الإساءة.. وبعد ذلك إن صادف وجودي وجود كامل كان يعاملني بتحفظ شديد أقرب للمقاطعة ولم يصدر منه أي شيء خلال الأربع سنوات الماضية "

استشاط أحمد غضبا وغيرة وهتف بانفعال " آآآه إذن صادفتيه خلال زيارتك لهم ولم تخبريني"

شعرت بأنها قد وقعت بلسانها بما أخفته عنه حتى لا تثير غيرته فغمغمت بارتباك "مرة أو مرتين ..وقلت لك يكاد لم ينظر تجاهي .. فقط يلقي سلاما مقتضبا ويغادر البيت ..صدقني يا أحمد هو لم يسيء لي يوما"

قضم شفته السفلى بأسنانه يناظرها بغيظ وهتف باستهجان " وتدافعين عنه!!"

ضربت كفيها ببعضهما وهي تقول بتعجب "لا حول ولا قوة إلا بالله .. أحمد هل أنت واع لما تفعل؟!!"

رد بلهجة ساخرة " وماذا تنتظرين مني! .. أن أقول لك هيا نذهب يا حبيبتي لنحضر حفل زفاف الشاب الذي كان يرغب فيك كزوجة"

هتفت بغيظ " ما تتحدث عنه كان منذ خمس سنوات "

صاح بعناد " حتى لو كان من خمسين سنة ما أدراني أنه نسي تلك الرغبة !"

حدجته بنظره مغتاظة وقالت " هذا الأمر عادي يحدث في كل العائلات.. ومن الممكن أن يحدث بين العائلة الواحدة أن يتقدم قريب لخطبة فتاة ويُرفض وينتهي الأمر ..هل هذا معناه إنهاء العلاقات بين أفراد العائلة الواحدة؟.. كما أنه ليس حفل لزفافه وحده بل زفاف شامل أيضا ..ومن واجبي أن أكون من

أوائل الموجودين مع عمي غنيم والخالة سوسو"

تأملها في رداء البيت القصير حتى أعلى ركبتيها وبطنها المنتفخة والتي لا يعلم لماذا تزيدها جمالا وأنوثة وفتنة في عينيه وغمغم بامتعاض

" لن تكفي عن التفزلك أبدا "

عقدت حاجبيها الجميلين وردت مقارعة

"ألأني أفند لك ما تقول أكون متفزلكة !"

صاح بعناد يقول بلهجة قاطعة " لن تذهبي لأي مكان يا بانة .. اتصلي بهم وتحججي بأي شيء .. أخبريهم بأنك متعبة من الحمل .. وأنا سأطلب من أمي أن تعتذر للخالة سوسو حينما تذهب إلى العرس"

تركت شمس لعبها في الصالة ودخلت مسرعة ثم وقفت تناظرهما لثانية قبل أن ترفع سبابتها الصغيرة أمام والدها وتقول بلهجة محذرة"

أحمد ..اششششش صوتك عالي ويزعج النونو في بطن أمي"
من وقفته متخصرا متحفزا أنزل أحمد مقلتيه لابنته يطالعها من علو بامتعاض بينما هرمونات الحمل تفجر قنابل من المشاعر السلبية في رأس بانة فلم تجد متنفسا لغضبها أمام ذلك المستفز إلا أن تستدير وتوليه ظهرها لتخبئ الدموع التي انهمرت فجأة كالشلال من عينيها .. فأمسك أحمد برأسه وقد ضربته في نقطة ضعفه فقاوم شفقة قلبه عليها بعناد شديد وهتف معترضا "سنعود لاستخدام الأسلحة المحرمة دوليا .. لمَ البكاء مجددا يا بانة ؟!.. أليس من حقي أن أغار عليك!"
غمغمت وهي تقاوم تلك الدموع اللعينة التي تتدفق من عينيها بسهولة منذ بداية الحمل "اتركني الآن يا أحمد أرجوك"

طحن ضروسه بينما هتفت شمس بحزم أكبر وهي تعقد حاجبيها "أحمد قلت هششش صوتك مزعج ويخيفني"

نظر أحمد لابنته التي تحاول توصيله رسالة بأنها خائفة من مشاجرتهما ثم تحرك مغادرا للغرفة وهو يقول مبرطما "أنا سأذهب من هنا .. سأريحكما مني"

اسرعت شمس ذات الثلاث سنوات بالعدو خلفه بخطواتها الصغيرة تنادي عليه بصوتها الرقيق الذي يمس قلبه بطريقة تستفزه "أحمد .. أحمد"

عند الباب الذي فتحه غمغم بوجوم دون أن يستدير إليها حتى لا تؤثر عليه "ليس الآن يا شمس.. بابا غاضب"

قالها وصفع الباب خلفه فأجفل الفتاة الصغيرة بينما نزل هو على السلم يحدث نفسه مبرطما "الأم وابنتها تستخدمان أسلحة فتاكة محرمة

دوليا .. قلت إنها مؤامرة كونية ضدي ولم يصدقني أحد!"
خرج من باب بيت سماحة وهو لا يزال يبرطم" إحداهما تبكي فيتمزق قلبي والأخرى تناديني أحمد بطريقة الممثلة ماجدة الصباحي"
"قريبي هل تحدث نفسك؟؟؟!!"
انتبه أحمد لبرقوق الذي يجلس على باب المقهى يدخن الشيشة فقال بامتعاض "لا شيء يا برقوق"
وتحرك متجاوزا المقهى فالتقت عيناه بعيني وائل الذي كان قد ترجل من سيارته للتو ويغلق بابها .. فأشار له الأخير بمقلتيه مستفهما إن كان هناك شيئا قبل أن يتقابلا في منتصف المسافة بعد ثوان ..فغمغم أحمد بانزعاج "رغم أن المقهى بات ملكا لهولاكو منذ سنوات لكني أخشى أن أتفاجأ يوما بأنه قد أصبح ملكا

لبرقوق .. ولا تسألني كيف سيحدث ذلك فهذا الرجل مريب كما تعرف"

قهقه وائل بعد أن تطلع في برقوق الجالس في أول المقهى يدخن الشيشة واضعا ساقا فوق الأخرى وكأنه صاحب المكان ثم رد "سيختفي كالفأر بمجرد أن يرى سيد قادما .. إنه يفعل ذلك دوما "

ربت أحمد على كتفه مغادرا فسأله وائل" إلى أين ؟"

أشار له أحمد وهو يبتعد بما يعني (سأعود بعد قليل).. فابتسم وائل ثم عاد يتطلع في برقوق الذي يسحب من مبسم الشيشة الدخان ويطلقه في الهواء وغمغم وهو يتجه نحو محله "عجبت لك يا زمن !"

××××

بعد قليل كان أحمد يجلس أمام أروى مائلا بجذعه للأمام مستندا بمرفقيه على فخذيه

ووجهه يحمل ملامح عابسة بينما قالت أروى
وهي تربت على ظهر رضيعتها جَنَّة على كتفها "
بصراحة أراك تعقد الأمر يا أحمد .. الموضوع
مر عليه خمس سنوات وموقف كامل هذا كان
قبل أربع سنوات وأنت اعترفت لي الآن بأنه قد
أرسل لك منذ فترة مع رامز يخبرك باعتذاره
وبأنه لم يكن يقصد اساءة ..ولا أعتقد بأن
أخيها قد يقبل باعتذاره لو كان قد شعر بأن
هناك أمرا غير مريح.. كما أنه حفل زفاف
الشاب وتوأمه بالإضافة لأن هناك امرأة أخرى
في حياته الآن"
هب أحمد يقول بغيظ" هل جئت إليك لتقفي
في صفها؟!!"
ردت أروى باستنكار "وهل جئتني لأؤيدك في
احراجها مع أقاربها !!"
قال بغيظ" ليسوا أقاربها"
ردت بهدوء "هي تعتبرهم كذلك يا أحمد"

صدر صوتا صغيرا رقيقا منزعجا من فوق كتف أروى فنظرت لصغيرتها جنة وأخذت تربت على ظهرها بحنان وهي تقول "لا تفزعي يا صغيرتي أنه خالك الفظ"

هتف أحمد باستنكار " أنا فظ أم هي التي تجعلها هرمونات الحمل تبكي بسبب وبدون سبب وأنت تأخذين صفها لأنها بنت جنسك"

لمح أحمد كائنا صغيرا يخرج من الممر المؤدي للغرف الداخلية و اتسعت عيناه وهو يتطلع فيه فاستدارت أروى تنظر إلى ما ينظر إليه ثم شهقت تقول باستنكار "بيدو .. لماذا خلعت ملابسك؟!!"

كان عبد الرحمن يقف مرتديا بنطالا بيتيا فقط وفي يده تيشيرت وفانلة داخلية فحرك نظراته بين أمه وخاله ثم رد "ملابسي توسخت"

هتفت أروى بغيظ "توسخت!.. مم توسخت لقد ارتديتها قبل ساعتين!! "

رد عبد الرحمن بملامح مشمئزة" انسكب عليها قطرات من العصير"

انتفضت أروى واقفة فناظرها أحمد باندهاش وهي تقترب منه وتعطيه طفلتها قائلة" امسك يا أحمد"

اتسعت عيناه وهو ينظر لابنة أخته الرضيعة التي استقرت بين يديه وهتف مستنكرا "امسك يا أحمد!!"

رفعت أروى شعرها الأسود الحريري من على وجهها واقتربت من ابنها تقول من بين اسنانها وبلهجة ذات مغزى "تفضل يا أستاذ عبد الرحمن أمامي لنرتدي ملابس أخرى (وغمغمت وهي تدخل الممر) حسبي الله في هذا الإرث اللعين!"

تراقصت الابتسامة على شفتي أحمد ولحقها بصوته مشاكسا "أراك تبرطمين يا بنت سماحة"

أتاه صوت أروى "اعطاك الله الصحة يا أمي
كنت بالفعل تعانين"
اتسعت ابتسامة أحمد متسليا .. قبل أن تنزل
نظراته لذلك الكائن الرقيق بين ذراعيه الذي
يتطلع فيه فاختفت ابتسامته ورفع حاجبا
يحدثها" وأنتِ ماذا ورثت من خالك؟"
استمرت عيني جنة تدوران على وجه أحمد
وهي مستقرة على ظهرها فوق ذراعيه فقال
الأخير يتأمل شعرها الأسود الناعم كأمها
وملامحها التي تشبهها كثيرا ثم غمغم بامتعاض
"الحمد لله أنه لم تحدث الكارثة ولم ترثي
شكل والدك ولحيته .. (وذاب قلبه لرقتها
ونعومتها بين يديه فأضاف) تشبهين أمك كثيرا
(ثم أكمل بقرف) لكن سبحان الله أشعر بدم
أبوك يسري خلف ملامح أمك الرقيقة هذه"

فجأة تجشأت جنة باللبن على صدر قميص خالها فقفز أحمد واقفا وصرخ عاليا "آرواااااااااا"

قوست جنة شفتيها لأسفل ومطت شفتها السفلى تناظره بعينين دامعتين قبل أن تنفجر في البكاء بينما أسرعت أروى تعود إليه مهرولة وهي تقول بفزع "ماذا حدث يا أحمد؟"

بكل قرف واشمئزاز أعطاها ابنتها فأخذتها أروى وهي تتطلع في بقعة اللبن على صدر أخيها وكتمت الضحك بينما اشمأز الأخير وقال وهو يمسك بطرف القميص بسبابته وإبهامه يبعده عن جسمه "ما هذا القرف يا بنت عمرو (ونظر لجنة التي تهدهدها أمها يقول بغيظ) ولك عين لتبكي !!"

لم تستطع أروى التماسك فقهقهت وهي تربت على ابنتها وتقول لها "لا تفزعي من خالك الفظ يا جنتي"

جلس أحمد على الأريكة يشعر بالعصبية والاشمئزاز ثم بدأ في فك أزرار قميصه وهو يقول لأخته بغيظ" تضحكين يا ست هانم!!" شاكسته أروى قائلة بتهكم" ألم تفعل شمس هذا معك ..وسيفعله ابنك حين يولد إن شاء الله"

قال بقرف وهو يخلع عنه قميصه "هناك فرق بين أولادي وأولاد غيري .. فحتى لو كانوا أولادك فدمائهم ملوثة بدماء والدهم"

علت ضحكة أروى وهي تمد يدها لتأخذ منه القميص في الوقت الذي فتح عمرو الباب واتسعت عيناه وهو يرى أحمد جالس على الأريكة في وجه الباب يرتدي فانلته الداخلية ذات الحمالات ويعطي قميصه لأروى التي رنت ضحكتها العالية في أذنه بمجرد أن دخل فقال باستنكار "ما شاء الله!.. في بيتي وبدون إذني وبالفانلة ذات الحمالات !!"

قال أحمد بقرف" فلتخرس أنت وأولادك المقرفين"
اتسعت عينا عمرو وهو يغلق الباب خلفه وهتف باستهجان" وتشتم أولادي وفي بيتي!!..من أين أتيت بهذه الوقاحة يا ابن سماحة؟!!"
خرج عبد الرحمن من الداخل مهرولا بسعادة نحو والده ثم حضن ساقه بينما تركت أروى القميص واقتربت بخطوتها ذات العرج الخفيف تستقبل زوجها بابتسامة مشرقة رغم الإرهاق البادي عليها من عدم النوم بسبب رضيعتها جنة ..فاستقبلها عمرو بعينين غائمتين ورفع خصلة من على وجهها وهو يقول بخفوت" كيف الحال؟"
ابتسمت تلك الابتسامة التي تذيب قلبه وغمغمت "بخير والحمد لله .. (واعطته جنة وهي تقول) احملها قليلا حتى اغسل القميص

لأحمد (واتسعت ابتسامتها موضحة بلهجة متسلية) لقد تجشأت عليه"
قهقه عمرو عاليا وهو يأخذ ابنته بين ذراعيه بحرص والتي ابتسمت له بمجرد أن ميزته فغمغم عمرو مناغشا "سلمت لي ابتسامة البنت وأمها"
قال أحمد باستفزاز وهو يضرب الأريكة بجواره بالقميص " هلا غسلت هذه البقعة في القميص الزفت وأجلتما هذا المشهد العاطفي للأسرة السعيدة حتى اغادر!"
اتسعت عيني أروى وعمرو في نفس اللحظة وهما يختلسان النظرات لعبد الرحمن الواقف يراقب خاله ثم اتجهت عيونهم لأحمد بتوبيخ
.
شعر الأخير بالحرج وهو يختلس النظرات هو الأخر للصغير ثم قال من بين أسنانه بلهجة بذل مجهودا لتكون هادئة مؤدبة رقيقة" أقصد

هلا تفضلت بغسل البقعة من فضلك يا أختي الحبيبة"

كتمت أروى الضحك واقتربت تتناول منه القميص وهي تقول بلهجة ذات مغزى "بكل سرور مادام اسلوبك مؤدب في الطلب يا أخي الحبيب"

طالعها أحمد بابتسامة بلاستيكية وهو يطحن ضروسه بغيظ فتحركت مبتعدة ليعود لشراسته قائلا بلهجة آمرة "عقمي مكان البقعة جيدا بالمطهرات (واصطدمت عيناه بعيني الصغير مجددا فأضاف بلهجة رقيقة) من فضلك "

غمغم عمرو وهو يمرغ ذقنه ولحيته في رقبة ابنته مناغشا "سبحان الله ..مالا تربيه الأيام يربيه الأبناء"

تطلع فيه أحمد بمقلتين مقلوبتين بينما اقترب عمرو ليجلس على الأريكة المقابلة حاملا جنة

التي أوشكت على النعاس ثم نادى على عبد الرحمن ليقترب منه وأجلسه بجواره يسأله"
كيف حالك يا بطل؟"
رد عبد الرحمن بابتسامة "الحمد لله"
بينما شرد أحمد في بانة التي ربما لا تزال تبكي وازداد ضيقه وغضبه .

بعد قليل خرجت أروى تمسك القميص بيدها وهي تقول "غسلت البقعة وطهرتها بالمطهر وعطرتها بالمعطر وكويتها أي ليس لك أي حجة"
استقام أحمد واقفا يأخذ منها القميص ويتطلع فيه بشك ثم قرب مكان البقعة من أنفه وسألها "هل عقمتيه متأكدة أم غسلتيه فقط؟"
هتفت أروى بغيظ" أحمد لا تتمادى وإلا ستحتاج للذهاب لطبيب نفسي بهذه المبالغة"

رد باستنكار "هل لأني أحب الملابس نظيفة جدا يعني أني مريض!!"
قالت أروى وهي ترفع حاجبا "قلت لك عقمته وعطرته بمعطر الملابس"
رفع أحمد القميص يتطلع فيه بارتياب فكتفت أروى ذراعيها زافرة بغيظ ثم قالت "أرى أن تذهب إلى بانة لتغسله لك"
غمغم وهو لايزال يفكر "أعتقد أن هذا ما سأفعله فعلا"
هتفت أروى باستنكار "باتت بانة فقط هي مصدر الثقة والطمأنينة عندك يا أحمد !!!"
رفع انظاره عن القميص يتطلع فيها وقد تراقصت ابتسامة شقية متسلية على شفتيه وهو يرد عليها بلهجة قاطعة "فيما يخصني من أمور النظافة والتعقيم أجل بانة والهام فقط"
عضت على شفتها السفلى بغيظ ثم تحركت من أمامه تقول "تمام يا باشمهندس أحمد ما

دام الأمر هكذا سأحضر لك قميصا من عند عمرو لترتديه "

هتف الأخير باعتراض "ومن سيأذن له بذلك!!"

عادت أروى بعد دقيقة ومعها قميصا مكويا تعطيه لأحمد وهي تقول لزوجها "لا بأس يا عمرو اعتبره حالة إنسانية بدلا من أن ينزل الشارع بالفانلة الداخلية ويلم بنات الحي حول عضلاته فتطرده بانة من البيت طردا نهائيا "

التقط عمرو نظرات أحمد المترددة على القميص الأخر فأسرع بالقول بلؤم" أنا شخصيا لا أتوقع بأنه قد يرتدي قميص خاص بشخص أخر .. لم يفعلها أبدا طيلة عمره"

أدار أحمد وجهه إليه يناظره مضيقا عينيه بينما قالت أروى بتوبيخ حتى يتوقف عما يحاول فعله" عمرو بالله عليك!"

استمر عمرو بالقول ونظرة عابثة لئيمة تتراقص في عينيه "لقد قرأت ذات مرة في مكان ما لا أذكره أن جزيئات الانسان وخلاياه الميتة (وسأل أحمد الذي يطالعه باهتمام) أنت تعرف بالتأكيد الخلايا الميتة التي تعلق بأي ملابس قد نرتديها"

هز أحمد رأسه ببطء موافقا فاستمر عمرو يقول بنفس اللؤم بينما أمسكت زوجته رأسها بيأس " هذه الجزيئات والخلايا تظل عالقة بملابس الانسان مهما غُسلت في الغسالات .. الحل الوحيد للتخلص منها الغلي أو الحرق .. (وأكمل بلهجة صبيانية مغيظة) فتخيل أن هذا القميص ذو الماركة الشهيرة الذي في يدك والذي اشتريته بمبلغ وقدره بالتأكيد لا يزال به بقايا خلايا ميتة تخصني لم تزل حتى بالغسيل التقليدي..(وتنهد مضيفا ببراءة مزيفة) أحببت

أن أنبهك لا أكثر.. أما إن أردت أن ترتديه فلا بأس ليس لدي أي مانع"
رغم ادراك أحمد بما يحاول عمرو فعله لكنه لم يستطع أن يتجاهل ما قاله ..فأمسك بقرف شديد قميص عمرو بسبابته وابهامه وقربه من الأخير ثم اسقطه من يده ليقع في يد عمرو بينما غمغمت أروى بيأس" لا حول ولا قوة إلا بالله !"
مستمرا في اشمئزازه ارتدى أحمد قميصه وأغلق ازراره وسط ضحكات عمرو المكتومة المتسلية.. وأسرع يتناول هاتفه من فوق المنضدة الصغيرة وتحرك مغادرا ..فلحقت به أروى تقول باعتراض" هل ستذهب بهذه السرعة؟.. إن الغداء جاهز!!"
أدار وجهه يقول" لابد أن أذهب بسرعة وابدل هذا القميص ..كما أنك تعلمين أنه عليّ تفقد الوضع هناك"

فتح الباب فقالت وهي تراه يغادر" لا تعاند يا احمد وكن مرنا "
أشار لها باستهانة قبل أن يغلق الباب خلفه
فعقد عمرو حاجبيه يسألها بفضول" هل حدث شيء؟"
غمغمت وهي تقترب منه" لا شيء شجارا عاديا بينه وبين بانة (ونظرت لابنتها التي استكانت في نوم هادئ بين ذراعي والدها وقالت) كالعادة تنام بين ذراعيك بسرعة (مالت عليه تضيف)هاتها لأنيمها في سريرها"
قال عمرو بلهجة ذات مغزى" ليس قبل أن أحصل على تحية عودتي من العمل"
تخضبت وجنتيها واقتربت بوجهها منه وهي ترفع خصلة من شعرها إلى خلف أذنها ثم قبلت شفتيه.. في الوقت الذي خرج عبد الرحمن من الداخل مهرولا وهو يمسك بالتابلت الخاص به قائلا" أبي"

تفرق الزوجان بسرعة والتقطت أروى جنة من حضن والدها الذي تنحنح يقول بلهجة جادة" نعم يا بيدو "

تطلع فيهم عبد الرحمن مدققا لثانية ثم تجاهل الأمر واقترب من والده يقول بحماس شديد "انظر لقد اجتزت المستوى في اللعبة"

أما في مصعد البناية فدخل أحمد واغلق الباب خلفه قاصدا الدور الأرضي وهو ينظر إلى مكان البقعة ويمسك بها بأصابعه ويشمها عدة مرات ..

ورغم الرائحة العطرة المنبعثة من القميص إلا أنه لم يستطع التحكم في شعوره المشمئز فغمغم بامتعاض " قرف اقسم بالله قرف "

xxxx

صباح يوم الزفاف

خرج التوأمان كل منها من جناحه الخاص وتقابلا في الصالة التي تربط بين جناحيهما في الدور الثاني .

كانا يرتديان حلتي الزفاف وبديا وسيمان ..أنيقان ..متطابقان أكثر من أي وقت مضى .

تطلعا في بعضهما بتأثر فهذه اللحظة لن ينسياها .. وكل منهما يحمل قدرا من المخاوف في قلبه قبل خوض تجربة جديدة ستغير نمط حياته كليا ..

اقترب كامل من توأمه يقول وهو يعدل له كتفي الحلة " الحمد لله أني عشت حتى رأيتك عريسا يا فلذة كبدي "

اتسعت ابتسامة شامل وقال بفرحة شديدة "أشعر بالحماس الشديد"

غمغم كامل بلهجة مسرحية بائسة " لك كل الحق فأنت ستعربد مساء اليوم مع هبلائك"

خَمّس شامل بأصابع كفه الخمسة في وجه توأمه وهو يقول مازحا " يا ناس يا شر يكفي قر"

قهقه كامل قبل أن يقول له شامل بصوت غليظ" هل الدبين القطبيين جاهزين؟"

رد عليه كامل بصوت غليظ هو الأخر "جاهاااز"

اصدرا صيحة تشجيعية عالية وهما يقتربان من بعضهما ويضربان صدريهما العضلي ببعض قبل أن ينفجرا في الضحك وتحركا لينزلا للطابق الأرضي.

بمجرد أن أصبحا في البهو الرئيسي للفيلا علما من زيلا أن والديهما في احدى الغرف فقررا أن يذهبا إليهما ليرياهما حلتي الزفاف لكنهما بمجرد أن دخلا سمعا غنيم يهتف في زوجته بصدمة "من؟؟؟ .. دعوت من ؟.. آل سماحة !!!"

الفصل التاسع عشر

بمجرد أن أصبحا في البهو الرئيسي للفيلا علم التوأمان من زيلا أن والديهما في إحدى الغرف فقررا أن يذهبا إليهما ليريهما حلتي الزفاف لكنهما بمجرد أن دخلا سمعا غنيم يهتف في زوجته بصدمة "من؟؟؟ .. دعوت من ؟.. آل سماحة !!!"

تسمر التوأمان وكأن ماءً مثلجا قد ألقي عليهما خاصة كامل الذي جف ريقه وبدت المفاجأة عليه واضحة بينما هدر فيه والده بمجرد أن أحس بدخولهما "أنت لم تخبرها؟؟"

وقفت سوسو تمرر نظراتها بينهم وقد شعرت بانقباض قلبها بينما غمغم كامل بحشرجة" لم تتسن لي الفرصة لإخبارها "

سألت سوسو بحذر" تخبرني بماذا؟!"

ساد الصمت وغنيم يناظر ابنه بغضب ثم هتف من بين أسنانه وهو يضربه بعصبية

بعصاه على ساقه "أمك دعت آل سماحة
لحضور حفل اليوم ..تفضل حلها يا عبقري "
تبادلوا النظرات مشفقين على سوسو التي
تناظرهم بريبة فأطرق غنيم برأسه يشعر
بالضيق الشديد كلما حاول حل عقدة تتعقد
أخرى .. أما كامل فكان في موقف صعب خاصة
مع توقيت كشف الحقيقة فقال بصوت
هادئ" هناك ما أجلنا اعلامك به يا أمي ..
(وصمت قليلا يحاول جاهدا صياغة الكلمات ..
فهو ليس طليق اللسان كتوأمه ثم أكمل) أنت
تعرفين بأن بسمة لها تجربة زواج سابقة ..
ومن كان زوجها هو مقرب من بيت سماحة
وهم يعرفونها جيدا "
شحب وجه سوسو تتطلع في ابنها ثم نظرت
لغنيم فوجدته مشيحا بنظراته بضيق شديد
فعادت لكامل تسأله بصوت مبحوح "يعرفونها
؟.. وأنا من كنت أقول لنفسي من الجيد أنها

من خارج العاصمة فلا داعي لذكر إن كانت قد سبق لها الزواج أم لا .. (ثم سألته بنفس الحشرجة) من يا كامل.. كانت زوجة من ؟"
تلكأ كامل في الإجابة وقال" أريدك فقط يا أمي أن تعلمي بأني..."
هتفت بصوتها المبحوح بقلة صبر مقاطعة وهي تقترب بخطوات رشيقة لتقف أمام ابنها
"من يا كامل؟"
بلع ريقه ونطق الاسم الذي يكرهه" سيد"
رمشت بعينها عدة مرات بحركة عصبية ثم قالت بعدم فهم "سيد من؟.. سيد رييبهم وزوج ابنتهم .. الملحن !!!"
ساد الصمت فتعلقت أنظار سوسو الغاضبة المصدومة بابنها الذي أومأ برأسه ببطء يؤكد لها ما سمعته فما كان منها من صدمتها وارتباكها إلا أن رفعت يدها تلقائيا ولطمته على وجهه ..

ظل كامل أمامها متخشبا دون أي حركة بينما تجعد جبين شامل شاعرا بالسوء أن يتطور الأمر إلى هذا الحد .. وفي يوم كهذا .. أما سوسو فظلت يدها متعلقة في الهواء بعد أن قبضتها بقوة وقد تأذت مشاعرها بشدة .. مرة من الصدمة ومرة مما فعلته للتو خاصة في يوم زفاف ابنها فأمسكت بطرفي حلة العرس التي لم تجد الفرصة لأن تفرح بها ورفعت وجهها إليه توبخه باكية" لماذا .. لماذا وضعتني في هذا الموقف المحرج مع الناس (ولصقت جبينها بصدر ابنها تغمغم) لماذا يا كامل"

رد كامل شاعرا بالذنب" كان رغما عني يا أمي"

رفعت إليه وجهها صارخة" رغما عنك !!.. كل شيء رغما عنك وأنا لا أحد يضع لي اعتبارا في هذا البيت .. تخفون عليّ الأسرار كالعادة "

قال كامل" يا أمي...."

هدرت فيه وهي تدفعه بعيدا عن الباب" لا أريد أن أسمع شيئا .. وأنا في غرفتي ولن أنزل لأحد ولا أريد أن أرى أحد ابتعد "

قالتها وهي تتجاوزه لتخرج من الغرفة فزفر غنيم بضيق شديد محوقلا بينما نظر شامل لتوأمه يخفف من ضيقه مشيرا له بعينيه بأنه سيتولى أمر والدهما و على كامل أن يتولى أمر أمهما ..فلحق كامل بأمه بعد دقائق في غرفتها والتي كانت لا تزال الصدمة تلجمها ليجدها جالسة على أحد المقاعد وقد اشاحت بوجهها عنه فور دخوله تفتح وتضم قبضتها المستقرة على يد المقعد برتابة تحاول التماسك بكل قوتها حتى لا تنهار .

اقترب كامل ببطء حتى وصل إليها ثم هبط أمامها يجلس على عقبيه وهو لا يعرف كيف يحلها وماذا يقول ليخفف عنها .. في الوقت الذي كانت مشاعر الأمومة في قلب سوسو

تحثها على المزيد من الصبر والتحمل ومحاولة البحث عن أي أعذار واهية حتى لا تفسد الحدث العائلي الهام .

تكلم كامل بهدوء مبتعدا عن طريقته الصدامية المعهودة وذلك ما تفاجأت به سوسو لتجده يقول" أنا اعترف بأنك وأبي قد تحملتما بخصوص زواجنا أمورا لم تكن في حسبانكما ..لكن صدقيني لم يتعمد أحد منا مضايقتكما أو يقلل من احترامكما .. أنا خشيت أن أخبرك بالحقيقة كاملة فيتعقد الأمر .. أردت أن أخرج بسمة من القرية بأي ثمن حتى لو كان هذا الثمن هو حرق أعصابي أنا"

كلماته وذلك الألم الذي لمحته في صوته شد انتباهها فتطلعت فيه مدققة بينما أكمل كامل بنفس الهدوء" كنت بالتأكيد أنوي اخبارك ..فأمر كهذا لم أكن استطيع اخفائه لوقت طويل .. كل ما في الأمر أني كنت أؤجله حتى تأتي

بسمة وتعيش معنا ثم أخبرك .. لم يكن هذا تهميشا لك بل تخفيفا عنك مما أعرف بأنه ثقيل لكني كنت مضطر له .. أنا أشفقت عليك يا أمي من جرعة الصدمات المتتالية "
سألته بهدوء وهي تتفحصه بعيني أمومتها
"ولماذا اضطررت لكل هذا ؟؟"
رد معترفا " لأني كنت خائف من تعقيد الأمر وتعطيله (وأضاف ببعض الانفعال دون أن يدري) أنا أتعامل مع أكثر من عقدة وأكثر من جهة في آن واحد .. هذا بخلاف عُقدي الشخصية "
لم يخفى عليها كأم لا الآن ولا من قبل.. حينما تخلى عن التأشيرة من أجل الزواج من هذه المرأة.. حقيقة أنه غارق في حبها .. وربما هذا ما جعلها تجاهد مشاعرها السلبية من أجل هذه الحقيقة التي تأكدت منها للتو .. أن كامل عاشق وهو أمر لم يحدث له من قبل ولم

تتوقع أن تكون مشاعره بهذه القوة فغمغمت
بصوت مبحوح تقاوم مشاعر الضيق
والصدمة" انهض يا كامل هيا حتى لا تتأخرا
وحتى تعودوا قبل حلول الليل "
امسك كامل بيدها ثم قال" أنا آسف يا أمي"
قالت بضيق "اذهب يا كامل"
سألها بقلق " ماذا ستفعلين ومن دعيت
بالضبط من آل سماحة ؟"
ردت بضيق "لا أعرف ..أنا اتصلت بإلهام وبانة
ودعوتهما"
شرد كامل قليلا ثم سأل والدته" ماذا سنفعل
الآن؟"
طحنت سوسو ضروسها ثم قالت بعصبية "لا
أعرف بصراحة فالموقف محرج جدا "
صمت كامل قليلا فسألته سوسو بشك مضيقة
عينيها " هل بالفعل عرفتها حينما ذهبت إلى
القرية يا كامل؟"

رفع أنظاره لها ثم رد بحشرجة "لا بل صدفة حينما كانت هنا .. كانت تسكن في المدينة هنا ورأيتها صدفة ولم أكن أعلم بأنها متزوجة "

اتسعت عينا سوسو شاهقة ثم قالت باستنكار" وهي كانت تعرفك حينما كانت متزوجة ؟!!!!"

رد كامل بسرعة ينفي التهمة عن بسمة" لا لا يا أمي بسمة لا تعرف بأني رأيتها قبل ذلك اليوم الذي كنت اتشاجر فيه مع سيد وأحمد سماحة أمام الفيلا "

هتفت بغير تصديق "وجاءت إلى هنا أيضا!!!"

شعر كامل بأنه كلما حل عقدة تتعقد أخرى فقال بلهجة قاطعة "بسمة لم تكن تعرفني يا أمي قبل زيارتي قبل أربعة شهور للقرية .. هي فقط رأتني يوم المشاجرة وانتهى الأمر .. ولا تعرف بأني أعرفها من قبل وبأني قد صدمت حينما اكتشفت بأنها متزوجة ومن هو زوجها

هذا اختصار الموضوع ..وحينما رأيتها في قرية مفرح تجدد الشعور بداخلي"
ساد الصمت ولاحت نظرة متوسلة في عينيه لم تستطع سوسو تجاهلها فقالت بحشرجة " اذهب يا كامل هيا .. وليساعدني الله على الخروج من هذا الموقف المحرج .."
ظل كامل يناظرها مترددا فصرخت فيه بعصبية " هيا يا كامل ليس أمامنا سوى المضي قدما فيما هو مخطط له .. هيا لأني لن أتحمل عودتكما مساء خاصة وأن أهل العروسين سيأتون معكم فلابد أن تصلوا في ضوء النهار حتى يلحق أهل العروسين الحفل"
استقام الأخير واقفا يناظرها ولا يزال التردد يسيطر عليه أن يتركها في هذه الحالة .. ثم مال فوق رأسها يطبع قبلة امتنان .. قبل أن يتحرك وقد تعكر مزاجه في يوم كان يترقبه ويعد الساعات والدقائق له .. ولم يكن يعلم بأنه

سيأتي حاملا معه مواجهة حتمية لما ظن أنه يستطيع أن يؤجله . . مواجهة من يعرفون بسمة مسبقا .

خرج كامل متوجسا ومترقبا لما يمكن أن يحدث خلال الحفل المرتقب بينما راقبه شامل متعاطفا وهو يراه يسبقه إلى خارج الفيلا.. ولم يجد من الكلمات ما يواسي أي أحد في هذه العائلة التي توشك على مواجهة تحدي أخر من التحديات التي تقابلهم في الحياة ..فأسرع ليلحق بتوأمه .

xxxx

أوقف وليد السيارة أمام المركز التجاري الكبير في مركز المحافظة فأسرعت مهجة التي تجلس بجانبه تقول بعجلة "هيا يا بسمة تأخرت كثيرا .. فونس ومليكة هناك منذ ساعتين "

استدار وليد لبسمة في المقعد الخلفي وقال بهدوء" بسمة هلا تحدثنا لبضع دقائق؟"

طالعته بوجهها الخشبي الخالي من التعابير
بينما تبادلت مهجة النظرات مع بسمة وأم
هاشم التي تجلس بجوارها قبل أن تقول
الأخيرة وهي تترجل من السيارة حاملة معها
أكياس تخص العروس " سننتظرك بالخارج يا
بسمة فلا تتأخري وإلا مليكة سترمينا معك من
شرفة صالون التجميل "
خرجت مهجة وأم هاشم بينما رفعت بسمة
أنظارها لوليد الذي كان يستند بساعده على
ظهر المقعد مسبلا أهدابه وكأنه يبحث عن
صياغة لما يريد أن يقوله .
ساد الصمت للحظات قبل أن يرفع وليد أنظاره
نحوها قائلا بلهجة محرجة" أنا آسف"
تطلع في ردة فعلها فوجدها تشيح بنظراتها
بعيدا عنه دون إجابه .. فأيقن بأن مهمته
ليست سهلة .

كانت بسمة تشعر برغبة في البكاء وكأن اعتذاره أيقظ الجرح في داخلها فأمسكت بمقبض الباب تهم بالخروج ليسرع وليد بالقول" أنا أعلم بأني تصرفت بشكل مريع.. ربما وقتها لم أكن أشعر بنفسي وبما أفعل.. كنت منفعلا غاضبا لكن استحلفك بالله أن تعطيني الفرصة للحديث" تعلقت يدها على مقبض الباب لكنها لم تفتحه بل ساد صمت أخر قبل أن يقول وليد" أنا لا أعرف ماذا أقول كنت أعد كلاما كثيرا منذ مدة وأتلمس الفرصة حتى أواجهك لكني كنت أجبن كل مرة خاصة وأنت تصدينني لكني الآن اشعر برأسي خاوية "

همت بسمة بفتح المقبض فأسرع يقول "أنت لا تعرفين شيئا عن حياة شاب في مجتمع صغير .. لا تعرفين كيف أن كل شيء يمسه ويمس كرامته وكيف أن نساء بيته لو سعلت الواحدة

منهن يكون ذلك محسوبا عليه .. ربنا تظنين أن هذا تافها أو هينا لكن صدقيني إنه ليس كذلك أبدا ..فقانون الذكور قاس جدا وحساس بشدة .. أنا أعرف بأني خذلتك مرة سابقة بموقفي منك عند طلاقك ولن أبرر أي شيء غير أني كنت أشعر بالأمر كالفضيحة .. صدقيني أنت لا تعلمين كيف يكون وضعي كأخ لمطلقة في مكان صغير خاصة لو كانت عليها كل العيون مثلك .. لن أنكر بأني ظللت بأفكاري تلك حتى وقت قريب لكني وبفضل مهجة التي كانت تناقشني دوما تغيرت نظرتي تدريجيا أو لنقول الحقيقة لم يتغير كليا فأسفي عليك كمطلقة كما هو ..ولم يتغير أيضا شعوري بالحرج لأنك مطلقة "

ناظرته بسمة بحدة فأسرع بالقول" صدقيني أنا أجاهد نفسي كي أغير هذه النظرة .. لكن الأمر ليس بضغطة زر يا بسمة .. ما ساعدتني فيه

مهجة هو أن أرى الموضوع من نظرة أوسع .. وتخليت عن رؤيتي الضيقة له .. وما حدث مؤخرا صدقيني كان فوق طاقتي .. أنت لست رجلا لتشعري بشعوري كيف أن سيرة أختي تلوكها الألسنة .. ولست رجلا لتعلمي كيف يفكر بعض الرجال من قذارات .. كونك لست بكرا يعطي لبعض سفهاء العقل الفرصة لإطلاق العنان لأفكارهم القذرة ..ولو لم أتصرف بهذا العنف لكانت سيرتنا كلنا على كل لسان .. للأسف كوني ذكرا فأنا أحمل كل من حولي من نساء يخصونني فوق ظهري .. أعترف بأني كنت خارجا عن السيطرة.. وأعترف بأني قلت كلاما وقت الغضب لك أنا نادم عليه بشدة وبأني.. (وصمت قليلا يناظرها بطرف عينيه بتلك النظرة التي يفعلها منذ أن كان صغيرا حينما يشعر بأنه قد أخطأ .. نظرة كانت كفيلة لأن تسامحه فورا وقال بحشرجة) وبأني

قد فعلت شيئا لا يغتفر.. لكني نادم بشدة
وأعدك بأن أحاول أن أكون أكثر رزانة في
التعامل مع الضغوط .. الحادثة كانت بشعة
وكنت مشدودا من كل الجهات لكن صدقيني
كان جزء كبير من ثورتي لأجلك أقسم لك "
حاولت بسمة ألا تضعف أمام أسلوبه الذي
يذيب قلبها خاصة وهي تستقبل منه تلك
النظرات المستعطفة والصوت المخنوق
فأشاحت بوجهها تقول بحشرجة "هل انتهيت
من كلامك ؟"
رد بحزن وقد أدرك بأنها لن تسامحه" أجل "
فتحت باب السيارة وترجلت منها مغادرة
..وراقبها وهي تتحرك لتدخل المبنى هي وأم
هاشم ..بينما تبادلت مهجة معه نظرات
سريعة قبل أن تستدير لتلحق ببسمة ..فأطرق
وليد برأسه مغمغما بحزن شديد "أنت تفقد
من تعزهم تباعا يا وليد .. حتى مهجة التي لم

تتوقع يوما أن تمد يدك عليها فعلتها يا ابن الوديدي (وضرب على المقود عدة مرات بغضب ثم ضرب رأسه بيده يقول لنفسه موبخا) أحمق .. أنت أحمق يا وليد"

xxxx

بعد ساعتين

قالت مليكة للمرأة صاحبة صالون التجميل الشهير " أسرعوا بالله عليكن العريسان قادمان في الطريق "

أومأت المرأة برأسها مطمئنة ثم أعطت تعليماتها للفتيات العاملات في وقفتها أمام بسمة تضع لها اللمسات الأخيرة في زينة وجهها .. بينما نفخت ونس بدون صبر من فوق أحد المقاعد أمام المرآة ترتدي فستان الزفاف المنفوش وهي تحاول التملص من الفتاة التي تصفف لها شعرها فقالت الأخيرة" أرجوك .. أنت تتحركين كثيرا وأنا لا استطيع التركيز"

بملامح غاضبة أدارت لها ونس رأسها ترفع وجهها بتبرم بينما اسرعت مليكة بالتدخل ..فنظرت لها ونس بغيظ ثم التقطت هاتفها من على طاولة الزينة وكتبت لمليكة "مللت.. مللت.. إنها بطيئة جدا .. انظري لبسمة لقد انهت تسريحة شعرها في وقت أقل بكثير رغم أنها حضرت بعدي "

نظرت مليكة للهاتف ثم قالت بدبلوماسية "اهدئي يا ونس لأنها تريد أن تجعلك عروس رائعة كما تستحقين"

حاولت الأخيرة التماسك رغم شعورها بالملل والعصبية من كل ما حدث خلال اليومين الماضيين من استعدادات وتحضيرات حفل الزفاف والجلسة الطويلة في مكان واحد وهذا أكثر ما يعصبها بينما قالت مليكة للفتاة "من فضلك اسرعي فالعريس على وشك الوصول "

ردت الفتاة بعصبية "أنا أحاول أن أصفف شعرها بطريقة لا تظهر السماعات خلف أذنيها لكنها تتحرك كثيرا وتفقد لي تركيزي"

نبرتها وطريقة حديثها عن سماعتي ونس لم يعجبا الجميع لا بسمة الجالسة أمام إحدى طاولات الزينة على الناحية الأخرى من المكان ولا مليكة الواقفة عاقدة حاجبيها باستنكار تناظر الفتاة ولا إسراء ومهجة الواقفتان بعيدا تتحدثان ولا أم هاشم الواقفة بجوار الباب لتمنع تدفق المتطفلات على الغرفة الخاصة التي حجزت لبسمة وونس بعيدا عن بقية العرائس المترددات على المكان ..

حتى ونس نفسها أظلمت ملامحها وناظرت الفتاة بمقلتين مقلوبتين فأسرعت صاحبة المحل بترك بسمة والتوجه ناحية ونس تقول للفتاة بتوبيخ "ما هذه الطريقة التي تتحدثين بها يا رجاء!"

شحب وجه رجاء فقالت المرأة بلهجة آمرة
"اذهبي أنت لمباشرة باقي الزبونات بالخارج
وارسلي لي فاتن"
غمغمت رجاء بغيظ" فاتن معها زبونة"
هتفت فيها صاحبة المحل بوعيد" خذي
مكانها وارسليها فورا هيا "
اسرعت رجاء بالتحرك بوجه مكفهر بينما
ابتسمت صاحبة المحل باعتذار لمليكة التي
كانت تكتم غضبها ثم قالت لونس بلطف
"حالا ستأتي فاتن وتنتهي من تصفيف شعرك
إنها سريعة جدا .. وبعدها سأكمل أنا زينة
وجهك لنظهر جمال هذا الوجه الذي ينير
كالبدر .. "
ابتسمت ونس وتخضبت وجنتيها ..بينما
عادت المرأة لبسمة.
مرت رجاء عند خروجها بأم هاشم التي سمعتها
تبرطم فغمغمت " اللهم طولك يا روح يبدو أن

الكثير من الناس يتعمدون استفزازي للشجار معهم هذه الأيام "
قالتها تقصد تلك الهمهمات من بعض المدعوات اللاتي لم تسلم كل من بسمة أو ونس من لسانهن منذ ليلة أمس .. فلم تكف بعضهن عن الهمس واللمز والحسرة على نفسهن بأنهن لسن في مكان ونس أو بسمة اللتين لا تستحقان في نظرهن هذه الزيجة الرائعة ..فواحدة منهما صماء بكماء فقيرة والأخرى مطلقة ولا تنجب .. ورغم عدم جهرهن بذلك صراحة لكن نظراتهم وتنهداتهم ومصمصة شفاههن كانت واضحة للجميع .. حتى همسات بعضهن كانت مسموعة بشكل فج جعل مليكة تطلب من الجميع منذ بداية اليوم عدم دخول أحد والانتظار خارج الغرفة حتى قريبات بسمة وصاحبات ونس.. ولم يسمح إلا لمهجة وإسراء وأم هاشم التي وقفت

عند الباب تمنع دخول المختلسات بين الحين والأخر .

غمغمت مليكة لونس مشجعة " كوني صبورة قاربنا على الانتهاء"

زفرت ونس بقلة صبر وعادت تنظر في المرآة وتذكرت بضيق وغضب ما حدث ليلة أمس في ليلة حنتها.

ليلة أمس

كانت ونس سعيدة بشدة بذلك الفستان ذي الطبقات الملونة من التل بدون أكمام ولا أكتاف.. جزءه العلوي بلون بين الأخضر الفاتح والأزرق وطبقة التل الأولى من التنورة بنفس الدرجة تليها طبقة تل خفيفة من الأصفر الفاتح ثم عدة طبقات حتى الأرض باللون الوردي الفاتح.. وكان له حزام من الساتان الوردي يزين الخصر .

وفي غرفتها التي تحولت إلى ساحة لجلسة الفتيات والنسوة على رأسهن نصرة التي تفترش الأرض وتغني على طبلتها كانت ونس تكاد تقفز من الفرحة بهذا الفستان الذي ارتدته دون أن تستر أكتافها بأي شيء فبدت رائعة الجمال .. فجمعت حولها نظرات اعجاب الفتيات وحقد وحسد بعضهن وهمساتهن المتحسرة .

أما في الخارج فكان عيد يجلس بين المهنئين بينما الطعام يقدم لهم من الذبائح التي ذبحها كل عريس لبيت عروسه واللذان أرسلا طباخين من العاصمة لطهي وتقديم العشاء للمدعوين .. فكانت مشاعر عيد مختلطة ما بين السعادة والامتنان لربه والرهبة من فراق ابنته الوشيك متجاهلا بعض نظرات الحسد التي تقابله من بعض المترددين للتهنئة .

وقفت سيارة التوأمين الضخمة فنزل شامل منها بابتسامة متسعة وانهالت عليه التهاني من

أهل البلدة بينما تحرك كامل بالسيارة مستمرا
في طريقه نحو بيت بسمة .
بعد قليل هتفت احدى الفتيات في غرفة ونس
" وصل العريس وصل العريس"
تركت نصرة طبلتها واستقامت بسرعة ترحب
به والعيون كلها متسعة تتطلع في شامل الذي
اقترب من باب الغرفة بحذر تبحث عيناه عن
ونس متشوقا لأن يراها في ثوب الحناء الذي
أرسله لها.. ولم تمر إلا ثوان حتى اتسعت عيناه
مبهورا وونس تقترب منه بوجه يشع بالحمرة .
رحبت به نصرة ثم صاحت في الباقين "عودوا
للطبل والغناء وأنا سأجهز العشاء للعريس
وأعود لكن "
تجاوزت شامل على باب الغرفة بعد أن مررت
نظراتها بينه وبين ونس التي اقتربت تقف أمامه
وتركت الغرفة .

لم تستطع ونس تحمل ما تتلقاه من عيني شامل من اعجاب خاصة وهي عارية الكتفين والذراعين فغطت وجهها بكفيها بحرج بينما ابتلع شامل ريقه بصعوبة .

بدأت الفتيات يطبلن من جديد ويرقصن شاردات في المنظر أمامهن على باب الغرفة بينما أمسك شامل يد ونس يسحبها للخارج ..فالتوت أعناق معظم المتواجدات تتبعهما حتى اختفيا عن الأنظار.

في غرفة المعيشة دخل شامل يسحب ونس خلفه فتفاجأ بأن نافذة الغرفة المطلة على الشارع مفتوحة فأسرع هو بغلقها ثم استدار يقول بلهجة غيورة" لماذا ارتديت الفستان بدون أي شيء يغطي كتفيك وذراعيك يا ونس.. أنا اخبرتك أن ترتدي شيئا تحته "

لم يكن معها هاتفها واحتارت كيف ترد عليه .. فاقتربت بنعومة وسحبت هاتفه من يده ثم

فتحت الواتساب وكتبت لنفسها من هاتفه " أحببته بدون أكمام والبنات أخبروني بأن هكذا أحلى كما أنني وسط الفتيات"

رفعت إليه الهاتف بوجنتين حمراوين أمام نظراته المشتعلة التي مررها بينها وبين هاتفه ثم قال بهدوء" أعرف بأنك وسط الفتيات لكن ما أدراني لربما صورتك احداهما صورة وأنت عارية بهذا الشكل "

وقفت أمامه تشبك يديها خلف ظهرها تناظره بخجل فأكلتها عيناه خاصة وهو يراها لأول مرة عارية الكتفين وشعرها الكستنائي المموج كان مفرودا فأصبح أطول من ذي قبل .. وتمنى لو كان باب الغرفة مغلق حتى يستطيع أن يتصرف بأريحية بما يليق بهذه الطلة المذهلة ..لكنه تماسك وقال وهو يسحب منها هاتفه" دعيني اصورك حتى تراك أمي .. لقد اشفقنا عليها من

المشوار فطلبنا منها هي وأبي ألا يأتيان خاصة
وأن أمي لا تحب السفر ليلا "
كان الخجل يلجم ونس بهيئتها الجديدة
ووجنتاها كانتا كجمرتين من نار لكنها سرعان ما
تخلصت منه حينما وقفت أمام كاميرا هاتفه
تقوم بحركات استعراضية شقية أمامه فلم
يكتفي بصورة واحدة بل التقط لها عشرات
الصور التي اشعلت أعصابه وهي أمامه بهذه
الهيئة المذهلة .
قاوم شامل رغبة قوية في التهامها فورا وتصنع
الحزم يقول "هيا هاتي شيء وغطي به كتفيك
بسرعة أخشى أن يدخل أحد الغرفة .. ومري
بسرعة من الصالة فالباب مفتوحا"
وتطلع حوله يبحث عن شيئا ليسترها به أثناء
خروجها نادما أنه لم يأخذ سترته الخفيفة من
السيارة .. ثم أسرع بالتقاط سجادة صلاة

صغيرة من فوق الأريكة ولفها حول كتفيها
وقال بحشرجة "امسكي طرفي السجادة "
رفعت أنظارها نحوه تطالعه بدلال غير متعمد
لكنها باتت تتحول لقطعة لينة مائعة مرتخية
الأعصاب أمامه فهمس بحرارة ويده ترفع
شعرها عن وجهها " هيا يا بنت الحلال البيت
ممتلئ بالناس "
تلكأت ونس تتطلع في وسامته وقلبها سينفجر
من السعادة .. اليوم كله كان مبهجا منذ أن
ارتدت هذا الفستان .. فستان الأحلام ..
واستقبلت الفتيات والنسوة في البيت لتهنئتها
ورأت الفرحة في عيني والدها..
وبرغم أن سماعتيها تتشوشان مع الأصوات
العالية والطبل إلا أنها تلتقط مشاعر الفرحة
من وجوه الاخريات وتلتقط أيضا حقد بعضهن
وهمسهن عليها لكنها تتجاهله .. لا تريد أن
تفسد عليها فرحتها .. وها هو أميرها الوسيم

الجني يقف أمامها بطلته الرجولية الخاطفة للأنفاس وترى في عينيه ما تمنت بشدة أن تراه ..

نظرة رجل لامرأة يشتهيها ..
ونظرة حنان جارف وحب عميق ..
ونظرة حازمة ظهرت الآن وهو يقول لينبهها "ونس أنا أتحدث معك هل سنقضي اليوم كله واقفين هكذا!.. اذهبي وهاتي شيئا لتضعيه حول كتفيك أو أشيري لأحد ليجلب لك شيئا "
ازداد تخضب وجنتيها بالحمرة واستدارت تخرج من الغرفة مسرعة لتنفذ ما قاله.. في الوقت الذي توقف فيه الغناء والتصفيق في الغرفة الأخرى كاستراحة قصيرة فظهرت بعض الأصوات الجانبية العالية .. ليصل صوت إحدى الفتيات التي تقف في صالة البيت مع صاحبتها تقول مشيرة على ونس "انظري كيف تجري كالهبلاء .. خسارة فيها هذا الفستان

الرائع.. لا أفهم كيف لثري وسيم مثله أن يفكر
في أن يرتبط بصماء بكماء "
صوتها كان عاليا ولم تنتبه لسكوت الغناء
والطبل وبأن الصوت لم يكن فقط مسموعا
لشامل الذي يفصل بينه وبينها جدارا ولكن
أيضا التقطته سماعتا ونس فتوقفت فجأة عند
باب الغرفة الأخرى .. واستدارت بوجه شاحب
نحو الفتاتين اللتين أدركتا أخيرا أن صوت
حديثهما كان مسموعا .
ناظرت ونس الفتاة وقد رشقت كلماتها
كالخنجر في قلبها فلم تعد قادرة على تجاهل ما
تتلقاه من عيون البعض من تهكم وحقد منذ
ارتباطها بشامل .. فاشتعل الغضب في صدرها
وتحركت إلى حيث تقف الفتاتين محرجتين
شاحبتين.. فلم تجد الفتاة التي كانت تتحدث
ما تقوله قبل أن تهجم عليها ونس وتدفعها

بقوة غضبها وهي تطلق زمجرة مجروحة من حنجرتها .

وقعت الفتاة على الأرض وهمت ونس بالانقضاض عليها مدفوعة بكل المشاعر السلبية التي تعتمل في صدرها فكان شامل أول من خرج من غرفة المعيشة ثم خرجت نصرة من المطبخ الصغير وتبعها خروج المدعوات من غرفة ونس .

اسرع شامل بإحاطتها بذراعيه من الخلف قبل أن تنقض على الفتاة قائلا" ونس .. ونس اهدئي يا ونس"

لكنها كانت لا تزال خارج السيطرة فأخذت تزمجر وتحاول الإفلات من ذراعي شامل وهي تناظر الفتاة شاعرة بجرح عميق في قلبها

...فهتفت نصرة مفزوعة" ماذا حدث يا ونس؟؟؟"

اسرع شامل بلف ذراعه حول خصرها وحملها لداخل غرفة المعيشة بسرعة وهو يوضح للجميع" سمعت احداهما تشتمها "
هتفت الفتاة الأخرى تدافع عن صاحبتها وهي تساعدها على الوقوف" لم يحدث بل هي تتوهم ربما سماعتيها لم تلتقطا ..."
" كاذبة"
قالها شامل بعد أن دارى ونس عن فتحة باب البيت بإدخالها في الغرفة ووقف على بابها هادرا في الفتاة ليقاطعها مضيفا " أنا سمعتها من الغرفة الأخرى أيضا.. فلتحمد صاحبتك ربها أنها فتاة ..وإلا لنالت مني ما تستحق (ونظر ناحية نصرة يقول) أريد وشاحا لتغطي به ونس كتفيها بالله عليكن "
أومأت أسراء برأسها واسرعت تخترق الاعداد الواقفة على باب الغرفة الأخرى لتحضر وشاحا بينما قالت نصرة بحزم للفتاتين اللتين كانت في

وضع محرج أمام العيون" هيا من هنا دون مطرود "

تحركت الفتاتين بوجهين مكفهرين تغادران البيت بينما قالت نصرة للباقين "هيا يا جماعة لنعد للاحتفال"

دخلت مليكة بجلباب أنيق فاخر تقول باندهاش" السلام عليكم ..ماذا يحدث؟؟"

رحبت بها نصرة وقالت" تعالي تفضلي يا ست مليكة "

في الغرفة كانت ونس تقف مطرقة الرأس تبكي ..فاقترب شامل وضمها إليه يقول بمواساة" لا بأس.. أعلم بأن كلامها كان جارحا لكنك تتعاملين مع أمثالها بتجاهل يعجبني دوما .. وتعرفين بأنك ستتعرضين لمثل عقليتها الضيقة دوما سواء هنا أو في العاصمة .. لكني لا أحب أن تفقدي السيطرة على نفسك بهذا الشكل"

أمسكت ونس بقميصه متشبثة وهي تبكي ..
فقبّل شامل رأسها مواسيا ثم قال بغيظ "ليتها كانت رجل كنت..."
رفعت إليه رأسها فقطع حديثه ليناظرها ليفهم ماذا تريد ..وحين شعر بأنها تريد أن تقول شيئا أخرج هاتفه من جيبه فأمسكت به ونس وكتبت لنفسها على الواتساب من هاتفه "أنت أيضا عليك بأن تتحكم في أعصابك فلن تتشاجر مع كل من سيجرحونني "
اتسعت ابتسامته وهو ينظر للهاتف ثم أخذه منها وضمها قائلا "تمام إذن نتفق على أن نتجاهل ما سنسمعه من الأخرين "
نحنحة جاءت من خارج الغرفة فانتبه شامل لإسراء التي ناولته بحرج وشاحا طويلا ..
فشكرها قبل أن تغادر مسرعة .. بينما وقف هو يلفه حول كتفي ونس وذراعيها قائلا "هكذا

اشعر بالراحة ولنؤجل فقرة التعري إلى مساء الغد في غرفتنا "

أسرعت ونس برفع كفيها إلى وجهها لتخبئه في حرج شديد .. فأطلق شامل قهقهة عالية اختلطت بصوت الطبل والغناء والتصفيق الآتي من الغرفة الأخرى .

حين وقفت اسراء بجوار أمها التي شرحت لمليكة ما حدث سألتها الأخيرة" هل هي بخير ؟"

بوجنتين مشتعلتين أومأت اسراء بحرج .. فقالت مليكة" أنا للأسف تأخرت بسبب مروري على بسمة أولا لأبارك لها رغم أنها لم تقم حفل حناء كبير كما تعلما "

علقت نصرة" أنا أيضا اضطررت للذهاب لمباركتها بعد الظهر قبل أن آتي إلى هنا وانشغل بالترتيبات فليسعدها الله بسمة بنت فاطنة "

سألت مليكة اسراء" هل أذهب إلى ونس أم أنتظر حتى يغادر خطيبها أم ماذا ؟"
ضمت اسراء قبضتها ورفعتها أمام فمها تتنحنح ثم ردت وابتسامة شقية على وجهها "أقول دعيها الآن فخطيبها يحتويها حاليا "
ابتسمت مليكة ونصرة في آن واحد ثم قالت الأخيرة وهي ترفع جسدها البدين من فوق الكرسي بإجهاد "إذن سأحضر العشاء للشاب فمن غير المعقول أن يكلف كل هذه الذبائح ويأتي من سفر ولا يتعشى.. (وربتت على يد مليكة تقول) لا تؤاخذيني يا ست مليكة سأعود "

ردت مليكة بابتسامة "سأنتظرك يا نصرة فأنا مشتاقة لسماع صوتك وغنائك "

أفاقت ونس من شرودها عندما حضرت .. التي ستقوم باستكمال تصفيف شعرها فأعطتها

صاحبة المحل بعض التعليمات ثم توجهت لبسمة تسألها "ما رأيك؟"
نظرت بسمة لوجهها في المرآة وقالت بهدوء "سلمت يداك"
قالت المرأة بمداعبة "ألن توافقي على أن ألتقط صورة لك لأضعها وسط صور الجميلات اللاتي قمت بتزينهن.. بل أنت بسم الله ما شاء الله تبارك الخلاق تستحقين أن يوضع لك بوستر كبير على واجهة المحل"
ابتسمت لها بسمة بلطف فلم تعد عبارات الإطراء على جمالها تشعرها بذلك التميز الذي كان يبهرها قديما وقالت باعتذار لطيف" لا أرجوك لا أريد هذا "
أومأت المرأة برأسها باستسلام وقالت لبسمة" الصالون أنار بوجودك فيه "
قالتها وهي تتركها وتذهب لونس في انتظار الفتاة من الانتهاء من تصفيف شعرها لتضع

هي اللمسات الأخيرة لزينة وجهها التي قد بدأت فيها قبل قليل .
تطلعت مليكة في بسمة ثم تركت مكانها واقتربت منها تتأمل جمالها وهي تقول بقلب يرتعش من السعادة" أنت تزدادين جمالا مع العمر يا بنت الوديدي بسم الله ما شاء الله مسكين كامل لما سيحدث له"
ناظرتها بسمة بنظرة حزينة مرتبكة وغمغمت " لا تقلقي بشأنه فقد أخبرني من قبل بأني لست بتلك الأهمية عنده.. وإن حدث أي شيء مما تلمحين له سيشعرني هذا بأني تسلية بالنسبة له لا أكثر "
ضربت مليكة كفيها ببعضهما تغمغم هامسة" لا حول ولا قوة إلا بالله .. بعد كل ما فعله الشاب من أجلك ولا يزال في نظرك يتسلى!!"
جادلتها بسمة " إنه يفعل ذلك من أجل إتمام زواج أخيه"

مالت مليكة لتنظر في عيني صاحبتها وقالت بثقة " هذا الكلام لا يدخل عقلي بقرش .. عموما الأيام بيننا وسترين أن نظرتي للأمور كانت صائبة "

أطرقت بسمة برأسها تشعر بالتوتر وبالخوف من رحلة جديدة على وشك الاقلاع .. ولا تعلم كيف ستكون حين تعود منها .

قالت مليكة تحاول استفزازها لتخرج من حالة الجمود التي تنتابها منذ ليلة أمس "هل هذا ما قدرت عليه .. رسمت الحناء على ظهر يديك فقط !!"

ناظرتها بسمة بنظرة ممتعضة فأضافت مليكة بغيظ "يكفي ما فعلتيه ليلة أمس مع الشاب والله مسكين كأنه تزوج من العسكري الأخضر "

بطرف عينيها الزرقاوين حدجتها بسمة
فغمغمت مليكة مصححة " أو العسكري
الأزرق كلون عينيك "
قالتها قبل أن تخرج لها طرف لسانها مغيظة
فلم تجد بسمة مفرا من الابتسام ثم شردت
تتذكر زيارة كامل لها ليلة أمس .

مساء أمس

سحبت بسمة نفسا عميقا أمام غرفتها ثم
نزلت بخطوات بطيئة على السلم بعد أن
تأكدت من زينتها جيدا أمام المرآة ..
لقد أصرت على عدم القيام بأي احتفال للحناء
فلم يكن لديها أي رغبة في الاحتكاك بأي من
أهل القرية.. فهي تعلم مسبقا ردود الأفعال
ونوعية النظرات المتباينة التي ستتلقاها ..
لكن بعض القريبات والجارات أصرين على
الحضور والمجاملة والطبل والغناء .. هذا
بالإضافة لحضور أم هاشم ومليكة وإصرار

الأخيرة على عدم الصعود إلى غرفتها وانتظارها في الدور الأرضي مع المحتفلات مما اضطر بسمة للنزول بعد أن ارتدت أحد فساتينها الثمينة التي فصلتها منذ سنوات ولم يتسن لها ارتدائها .

تطلعت العيون في بسمة بانبهار حقيقي تلقته الأخيرة بابتسامة باردة على شفتيها وهي تقول في سرها" الآن فقط تريدون الاحتفاء بي !" لكن أكثر ما آلمها اندفاع قريبتها التي أوضحت لها قبل عامين حينما زارتها بسمة لتهنئها بسبوع مولودها بأنها غير مرحب بها في عائلتها خوفا منها أن تزوغ عينا زوجها على بسمة .. ناظرتها بسمة وهي تبارك لها بسعادة ولم تدري لحظتها هل تشفق عليها أم تغضب منها .. ما كانت تشعر به هو الألم والاختناق .. فتلقت تهنئتها وتهنئة الباقيات ببرود رغم شعورها أن

من بينهن من هي صادقة في سعادتها من أجلها.. وتجاهلت العيون الأخرى الحاسدة والحاقدة واتجهت إلى مليكة وأم هاشم تتلقى منهما التهاني بحرارة وامتنان .. ثم جلست على أحد المقاعد في إحدى الغرفة الداخلية وسط المحتفلات بينما عادت النسوة للطبل والغناء .. بينما مهجة تباشر عمل الطباخ وغرف النسوة للطعام وارساله للخارج لضيوف الحفل

.

بعد قليل سألت بسمة أم هاشم التي اختارت مقعدا بعيدا " لماذا تجلسين عندك !!"

أشارت لها أم هاشم بعدم اهتمام ثم عادت تصفق مع الباقيات فاستقامت بسمة من مكانها وذهبت إليها تسألها "ما بك يا أم هاشم لماذا تجلسين بعيدا ؟"

قالت أم هاشم متفكهة" يا فتاة إن جلست بجوارك سيؤذونني بالتعليقات التي ستعكر

مزاجي فأنت بسم الله ما شاء الله .. نمسك الخشب ..(وبحثت حولها على خشب لتمسك به ولم تجد فشمرت ذراعها تمسك بساعدها وتضيف بخفة ظل) نمسك الخشب.. كالبدر المنير وإن جلست بجوارك لن يروني إلا قردة"

قالت بسمة بلهجة موبخة " استغفر الله العظيم !.. والله أنت من تبخسين بحق نفسك أنت بالفعل جميلة الملامح لمن يدقق سيدرك ذلك "

اقتربت مليكة تسأل" عم تتحدثان وتتركاني!"

قالت لها بسمة "كنت أخبرها بأنها جميلة الملامح "

ردت مليكة بصدق" أجل من يدقق في ملامحك يراها مريحة وجميلة التفاصيل"

ربتت أم هاشم على صدرها تقول بنفس خفة الظل" شكر الله سعيكما .. ترى هل يوجد

منكما نوعا لديه شنب ولحية ليقول لي هذا الكلام!"

ضحكت الثلاث فتيات في الوقت الذي علت الزغاريد عالية من الخارج قبل أن تسمع بسمة بأن العريس قد وصل ..فجعدت جبينها تغمغم باستغراب "وصل! .. لم يخبرني بأنه سيأتي اليوم!!"

ردت مليكة غامزة" ربما أنت لم تسأليه" في الخارج وبكل بشاشة كانت أم بسمة تستقبل كامل بفرحة عارمة ثم هتفت تناديها بمباهاة لم تستطع مدارتها " يا بسمة عريسك يا بسمة"

كانت فاطمة تنهت بشدة من الانفعال والسعادة فها هو اليوم السعيد يكتمل بحضور عريس ابنتها الذي تتمنى من الله أن يعوضها عما عاشته في الماضي .

بخطوات محرجة وملامح جادة اخترق كامل الواقفات وعيناه تبحثان عنها .. قبل أن تخرج له من إحدى الغرف كبدر ينير الظلام وتقف تتطلع فيه بارتباك وتفاجؤ.

جف حلقه حينما تطلع فيها و اكفهر وجهه رغم اعترافه بأنها تبدو مذهلة .. فقد كانت ترتدي فستانا من طبقتين من الشيفون واحدة بدرجة هادئة من اللون الوردي المائل للبني الفاتح والأخرى فوقها طبقة شفافة من نفس اللون مشغولة بالورود البارزة بالأصفر والنبيتي من الركبة حتى الأرض .. وتفريعات غصون الشجر الخضراء مطرزة بالخيط ومنتشرة على طول الفستان ..

كان الفستان بحزام عريض من نفس لون وقماش الفستان.. وبدون أكمام يبرز ذراعيها القمحيين .. وشعرها كان مسدلا على كتفيها كليل أسود حالك ذكّره بأول مرة رآها فيه ..

أما عيناها المشعتان بزرقة كبلورتين من زجاج
واللتان لم يرى في جمالها من قبل كانتا
مكحلتان تناظرانه بتدقيق لتعرف سبب
عبوسه المفاجئ .
قالت أم بسمة بانشراح" تفضل يا حبيبي
تفضل "
وسبقتهما إلى غرفة أخرى تفتح بابها فأخرج
كامل يده من جيبه وأشار لبسمة أن تتقدمه
..فأمسكت بفستانها ترفعه عن الأرض ثم
تحركت .
استمرت عينا كامل عليها وهو يتحرك خلفها ..
كانت باهرة الحسن لدرجة تحبس الانفاس ..
حتى أنه لم ينتبه لأول وهلة لما قالته حماته
التي وقفت على باب الغرفة بعد أن دخلاها
..فنظر لحماته يقول " عفوا ..ماذا قلت يا
حاجة؟ ..لم أسمع من صوت الطبل "

أعادت أم بسمة كلامها " أقول هذه المرة ستتعشى وإلا ستكسر بخاطري .. هل تريد أن تكسر بخاطري ؟!"
ابتسم كامل ابتسامة رزينة وأومأ برأسه يقول" أنا بالفعل جائع "
هللت أم بسمة وكأنه قد منحها هدية وقالت بحماس وهي تنهت من فرط السعادة" حالا سيجهز العشاء"
قالتها وتركت الغرفة مطلقة زغرودة طويلة ..
فقابلتها مليكة في صالة البيت تقول" أنا سأذهب يا حاجة فاطمة فكما تعرفين عليّ أن أذهب لونس ..وأيضا لأترك بسمة مع خطيبها "

قالت أم بسمة بامتنان "العقبى لك حينما تزوجين أدهم يا حبيبتي"
قالت أم هاشم وهي تعدل من حجابها" وأنا أيضا سأذهب تمم الله لها على خير يا خالتي"

غمغمت أم بسمة بعينين دامعتين" العقبى لك يا بنت الشيخ زكريا فليرزقك الله بفرحة لا تحزني بعدها أبدا"

عند بوابة البيت سألتها مليكة" هل ستذهبين معي إلى ونس ؟"

ردت أم هاشم "لا فقد جئت من عندها منذ قليل"

فقالت مليكة وهي تسحبها من يدها" تعالي إذن لأوصلك في طريقي فالسائق ينتظرني في السيارة هناك "

في الغرفة قال كامل بعبوس" لماذا ترتدين فستانا مكشوفا يا باسمة؟"

تفاجأت بسمة بحدته وردت "أنا وسط النساء"

تطلعت عينا كامل في فتحة رقبة الفستان التي تكشف عن نحرها ورقبتها ولذراعي الفستان

المكشوفين وقال "وما أدراك أن إحداهن
ليست معها هاتفا من الممكن أن تصورك به"
بحركة تلقائية وضعت بسمة كفها على عنقها
ثم مسدت على ذراعها تقول وقد اشتعلت
وجنتاها" لا أعتقد بأنهن قد يفعلن شيئا كهذا "
رد بإصرار "كل شيء وارد والحذر واجب ..انتم
هنا مجتمع صغير والكل يعرف بعضه"
هربت بأنظارها عن مواجهة نظرات عينيه
اللتان تدققان فيها بطريقة اربكتها وقالت
مغمغمة "حسنا سأحضر وشاحا"
همت بالوقوف فسألها بعبوس "إلى أين؟"
قالت وهي تضع يدها تلقائيا على فتحة عنق
الفستان "سأحضر وشاحا"
غمغم يقول بلهجة متسلية استفزتها" أنا
اتحدث فيما بعد حينما اغادر ليس بالضرورة
تنفيذه الآن"

جعدت جبينها تسأله مضيقة عينيها" ولماذا ليس الآن"

رد يناظرها بنظرات شقية وقد تحسن مزاجه "حتى لا تتركينني في الغرفة وحدي فأنا محرج جدا وأنا في وسط النساء ..ولولا أن الحاج سليمان قد أذن لي لما كنت قد مررت "

اعتدلت في جلستها وسألته" لماذا لم تخبرني بأنك ستأتي ؟"

رد ببساطة وعيناه ترسمانها " لأنك لم تسألي"

احمرت وجنتاها تشعر بخدر لذيذ وهي تتطلع فيه جالسا أمامها ضخما أنيقا و .. مختلفا .. مختلفا عن كل شيء .. عمن عرفتهم في حياتها .. وعن رجال قريتها.. وعن رجال العاصمة ..وعن الرجال الذين شاهدتهم حتى في التلفاز .. إنه مختلف .. وشعورها به مختلف .. وتأثيره عليها مختلف .. مختلف حتى عن توأمه الذي يشبهه.

سألته تقاوم مشاعرها " ولماذا أتيت؟"
رد بهدوء " لأن شامل جاء ليزور عروسه فكان من الغريب ألا أحضر ..كما أن أمي أرادت أن أصورك لها صورة بفستان الحنة "
غمغمت ببرود مصطنع يتناقض مع سخونة وجنتيها "تصورني !"
أخرج الهاتف من جيبه وهو يقول بلهجة متسلية " أجل هل لديك مانع ؟... هل أخبر أمي بأنك ترفضين؟"
انتابها الخجل الشديد وهي تراه يرفع الهاتف أمامها فأسبلت جفنيها بعفوية تشعر بارتباك مراهقة صغيرة وكورت قبضتيها بجوارها ..
ليلتقط كامل الصورة ويقول" هلا نظرت للكاميرا من فضلك "
بحركة مباغتة رفعت جفنيها تناظره بعينين زرقاوين أبدع الخالق في صنعهما فارتجف قلبه بينما قالت بسمة بوجنتين مشتعلتين وهي

تسمع صوت الكاميرا تلتقط عدة صور متتابعة
لها "ألا يكفي ما التقطته ؟"
بابتسامة تتراقص على زاوية شفتيه تطلع كامل
في الهاتف وقلبه لا يزال يرتعش بانتشاء لرؤية
حسنها الـ مؤلم ..
أجل مؤلم .. هكذا تيقن وهو يجلس معها في
غرفة واحدة ويراها بهذا الحسن لكنه غير
مسموح له بالاقتراب .
ابعد عنها عدسة كاميرا الهاتف ونزلت انظاره
لتتفحص الصور بقلب صبي صغير حصل للتو
على قطعة كبيرة من الحلوى.. فقالت بسمة
وهي تحاول السيطرة على اشتعال وجنتيها
وارتباكها" أريني الصور"
رفع أنظاره يسألها بمشاكسة" لماذا؟"
ردت باستنكار" لأرى إن كنت قد صورتني صورا
جيدة أم لا "

قال بحاجب مرفوع وتلك الابتسامة تتراقص على زاوية شفتيه " ولماذا تهتمي لأن تكوني جميلة في عيني .. ... حماتك"
قال الكلمة الأخيرة ببطء .. فهبت واقفة تترك مكانها وتقترب منه .. فتسارعت ضربات قلبه يترقب اقترابها حتى وقفت أمامه ترفع شعرها الأسود الناعم عن جانبي وجهها وتشد منه الهاتف لتتفحص الصور .

كاد قلبه أن يتوقف عن النبض ..
وهو يراها تقف أمامه ويلتقط أنفه عطرها الهادئ وكل ذرة من جسده تشعر بدفء جسدها القريب ..
كاد قلبه أن يتوقف عن النبض ..
وهو يتأملها من هذا القرب .. ويمنع نفسه بقوة حتى لا يمد أصابعه فيلمس أطراف شعرها.. أو

يتحسس وجنتيها.. أو أن تُقَبل أصابعه شفتيها اللتين كانتا مطليتين باللون النبيتي .
كاد قلبه أن يتوقف عن النبض ..
وهو يصارع رغبة متوحشة بداخله للانقضاض عليها وسحقها بين ذراعيه ليذيب برودها بقبلة يضع فيها كل أشواقه وتجمر أعصابه.
كاد قلبه أن يتوقف عن النبض ..
وعيناها الفيروزيتان تتركان شاشة الهاتف وتنظران إليه من هذه المسافة القريبة قائلة "هذه الصورة سأحذفها "
هتف باعتراض وهو يقترب برأسه لينظر في الهاتف "لماذا؟؟"
ردت ببرود وهي تبحث عن أمر حذف "لأني أبدو فيها حولاء"
شد الهاتف من بين يدها يقول وهو يتطلع في الصورة" حقا!.. أريني الحَوَل.. ستكون صورة تستحق التكبير والتعليق على الحائط "

هتفت باعتراض وهي تحاول سحب الهاتف من يده" كامل أرجوك"
يحبها أن تنطق اسمه.
هذا يشعره بأنه حقيقة في حياتها..
رفع يده بالهاتف عاليا واستمتع ببرطمتها وهي تميل عليه وتحاول الحصول على الهاتف..
واستمتع باقترابها أكثر حتى لامس فخذيها ركبتيه .
التيار الكهربائي الذي سرى في أعصابها حين لامست ركبتيه جعلها تدرك بأنها تكاد تكون مخيمة فوقه ..فتراجعت بارتباك وقالت متماسكة " اعطني الهاتف يا كامل"
رد باستنكار صبياني وهو يحافظ على ذراعه عاليا "هذا هاتفي"
قالت بغيظ "لكنه فيه صوري .. أريد أن أحذف صورة منهم قبل أن ترسلهم"

تراقصت تلك الابتسامة المستفزة على شفتيه
وظل معلقا ذراعه في الهواء بعيدا عنها ينتظرها
لأن تقترب وتخيم فوقه لتحيطه بعطرها
ودفئها من جديد .
صرخت بغيظ" كامل"
ناظرها بتحدي أن تقترب فوقفت تتطلع فيه
وهي تتفتت من الغضب .
دخلت أم بسمة من الباب المفتوح وتبعتها
سيدتان تحملان صينية ضخمة عليها اطباق
تحتوي على ما لذ وطاب.. فاستغلت بسمة
اعتدال كامل في جلسته عند دخول حماته
وانغلاق ملامحه وعودتها لجديتها وقامت
بخطف الهاتف من يده بسرعة وابتعدت .
صمت كامل محرجا من حماته التي وقفت
تدقق فيهما بينما جزت بسمة على أسنانها
حينما حاولت فتح شاشة الهاتف فوجدته
بكلمة سر ..فرفعت عينيها لكامل الذي ناظرها

بنظرة متشفية جعلتها تقول من بين أسنانها"
ما هي كلمة السر يا كامل ؟..أريد أن أحذف
الصورة "
تجاهلها وتوجه لحماته يقول بعد مغادرة
السيدتين للغرفة "هلا تصورت معنا يا حاجة ..
فأمي كما تعلمين لم تستطع الحضور .. وتريد
صورا لحفل الحناء "
ردت الحاجة بحبور" أجل لقد اتصلت بي
سوسو هانم واعتذرت عن الحضور أعلم بأن
الطريق طويل والسفر ليلا مخيف "
وقف كامل بجوارها وقال لبسمة بلهجة
متسلية وهو يمد يده "هلا اعطيتني هاتفي من
فضلك ..وأتيت لتتصوري معنا "
وضعت الهاتف في يده وقالت بعناد" لن
أتصور"

هتفت أمها موبخة" بسمة ماذا تقولين!! .. لا يصح أن تطلب حماتك الصورة ولا ترسلي لها واحدة"

ردد كامل ما قالته حماته بلهجة متسلية استفزت بسمة بشدة" أجل لا يصح يا باسمة" ظلت تناظره بنظرات زرقاء مشتعلة .. فأضاف بهدوء "تعالي لنتصور ثلاثتنا وسأحذف الصورة التي لا تعجبك"

صمتت قليلا تتطلع فيه ثم تحركت بوجه مكفهر ووقفت على الناحية الأخرى من والدتها بحيث تكون الأخيرة في المنتصف .. فمط كامل شفتيه محبطا والتقط صورة لثلاثتهما .

قالت الحاجة فاطمة " سأترككما لتتعشيا "

وتطلعت في بسمة التي تناظر كامل بتحفز وسمعتها تقول (الصورة) فتدخلت تقول بلهجة موبخة" اتركي أمر الصورة الآن يا بسمة وقدمي لزوجك الطعام "

وضع كامل هاتفه ويديه في جيبي بنطاله وقال لحماته وعيناه مثبتتان على بسمة "أجل أوصيها عليّ يا حاجة بالله عليك "

ناظرت أم بسمة ابنتها بنظرات حزينة تتمنى أن تلين رأسها قليلا مع زوجها ثم قالت باستدراك" أوصيها والله عليك .. وأوصيك أنت أيضا عليها.. إنها طيبة جدا ومطيعة وتعرف الأصول "

ناظرت بسمة أمها باستهجان فربتت أمها على ذراعها بترجي وكأنها تقول (هداك الله) قبل أن تغمغم وهي تتحرك نحو باب الغرفة" سأترككما لتأكلا .. وسأنتظر رأيك في الطعام يا كامل "

رد كامل ملاطفا "سلمت يدك يا حاجة "

حين غادرت الأخيرة الغرفة قالت بسمة بحدة" ماذا تحاول أن تفعل أمام أمي بالضبط ؟!!"

قال كامل متصنعا الدهشة" ماذا فعلت أنا؟؟!!"

قالت بغيظ وهي تقلده بفم معووج" أوصيها عليّ يا حاجة "

تحكم في ابتسامة ملحة كانت واضحة على ملامحه ورد ببرود استفزها "ألم نتفق على أن نكون طبيعيين أمام الجميع "

كادت بسمة أن تندفع وتخبره بأنها تعلم بأن الزواج بينهما صوري لكنها لجمت لسانها على آخر لحظة خوفا من غضبه .. فقالت بانفعال " وما المطلوب مني بالضبط لنبدو طبيعيين؟"

جلس على الأريكة أمام الطعام ورد بلهجة متسلية" أن تبدي اهتماما بي أمام الناس .. أن تطعميني في فمي .. واشياء من هذا القبيل التي نراها في الأفلام "

فغرت فاهها الجميل تتطلع فيه باستنكار ..فدس كامل ملعقة مملوءة بالأرز في فمه ثم أشار لها بيده بتعال جن جنونها وهو يقول "أجلسي ..هيا لنأكل"

رفعت حاجبا وعقدت ذراعيها أمام صدرها تناظره بتحدٍ فمسحت عيناه سريعا على لحم ذراعها الذي يغريه بشده للمس ثم قال بلهجة تهديد وهو يبلع ما في فمه " اجلسي وكلي وإلا الصورة لا تزال معي سأرسلها لأمي حالا"

جلست بسمة على الأريكة بجواره مطلقة زفرة حانقة قوية فأعطى لها ملعقة نظيفة .. ناظرتها بامتعاض ثم رفعت انظارها له ليقول كامل بلهجة متهكمة" هذه تسمى ملعقة لتأكلي بها .. أم أنك تأكلين بيدك ؟.."

اتسعت عيناها باستنكار بينما أطلق هو طقطقة بلسانه يقول متعمدا استفزازها "تؤتؤتؤتؤ ...حياة الانسان البدائي هذه التي تعتمد على (الجمع والالتقاط) والتي كنت تعيشينها هنا كحورية هائمة على وجهها بين الأشجار .. تلتقط الفاكهة وتأكلها بدون غسيييل .. لا تتناسب مع الحياة في المدينة

لذا عليك التدرب على التصرف بتحضر من الآن فصاعدا"

اتسعت عيناها ككشافين يشعان باللون الفيروزي وتقبضت يداها بجوارها على الأريكة بقوة ثم هتفت بغيظ من بين أسنانها "كامل كف عن استفزازي"

رد عليها متعجبا" وماذا سنفعل في جلستنا هذه غير المناكفة .. فالوضع الطبيعي لنا كأي عروسين أن تكوني الآن على حجري وأنا التهم شفتيك بدلا من الأرز بالشعرية!"

امتقع وجهها واشتعلت وجنتاها من جرأته .. لكن لسانها لم يسعفها لأي رد قاصف .. فدارت ارتباكها اللعين كمراهقة لا تزال تحت العشرين .. ودعت ربها ألا تكون ضربات قلبها العالية مسموعة له ولم تجد إلا أن تقول بمراوغة " هل لو أكلت ستحذف الصورة التي لا أريدك أن ترسلها لوالدتك ؟"

أومأ برأسه .. فسألته "هذا وعد؟"
هز رأسه لها مجددا بوعد وهو يعطيها الملعقة
فتناولتها من يده ووضعتها أمامها و رفعت
شعرها الأسود تربطه في عقده مهلهلة فوق
رأسها تخفف من شعورها بالاشتعال ..ولم تدر
بأن أعصابه كانت قد ازدادت اشتعالا بعد أن
ظهر عنقها الجميل أمامه..
ليتشاركا في أول لقمة تجمعهما وحدهما ..
و يتشاركا هدير القلوب العالي ..
ومخاوف حول حياتهما معا ..
وكل منهما يعتقد بأنه هو وحده من يتمنى
الوصال .
استفاقت بسمة من شرودها على رسالة عبر
الواتساب ففتحتها بلهفة لتجد كامل يقول
"لقد اقتربنا من المبنى"
سألته بفضول "لماذا تأخرتما هل حدث
شيء؟"

رد بعد برهة" سأخبرك فيما بعد "
عقدت حاجبيها بانزعاج بينما استقامت ونس تشعر بالتحرر أخيرا بعد أن انتهت صاحبة المحل من تزيين وجهها فوقفت تناظر الجميع بنظرات مترقبة لرأيهن وقوبلت بابتسامة من بسمة و(ما شاء الله) من مليكة وأم هاشم واسراء .
عادت تنظر لنفسها في المرآة وتمسك قلبها وهي ترى نفسها كأميرات القصص بفستانها وتصفيفة شعرها التي تداري السماعتين وزينة وجهها فاقتربت مليكة منها تحضنها وتقبلها مغمغمة بتأثر" تمم الله لك على خير يا حبيبتي سأشتاق لك بشدة "
بدأت ونس في التأثر هي الأخرى وحضنتها بينما .. شردت اسراء في طلال ونظرت في هاتفها مجددا للمرة التي تعبت من عدها لترى إن كان قد حاول الاتصال بها أو إرسال حتى رسالة لكنه

لم يفعل .. لم يفعل منذ أن تشاجرا ليلة أمس أمام بيت العم عيد .

مساء أمس

عند باب بيت عيد كانت اسراء تقف مع طلال وكلاهما يناظر الأخر بغضب لتقول هي بصوت مختنق" حسنا يا طلال إن كانت ظروفنا لا تناسبك فكل منا يستطيع أن يذهب لحال سبيله ..فليس في يدي شيء لأفعله"

على سيرة الانفصال ازداد غضب طلال وهتف" ألن تكفي عن التلويح بالانفصال يا إسراء كلما تحدثت معك..!!"

ردت بثبات رغم شعورها بالحزن" أنا مقدرة أن عائلتك متعجلة على زواجنا لأن أخيك على وشك السفر .. لكن ليس بيدي أي شيء .. أسرتي تفعل ما في وسعها لتجهيزي .. وأنا كما تعرف مرتبي من مدرسة اللغات التي بت أعمل

فيها أساهم به ..وأبي يرسل من العاصمة ما
يستطيع من أجل هذا الغرض أيضا "
لانت ملامح طلال وقال بلهجة عاشقة" أنا
أعلم بالوضع جيدا لكني أنا أيضا أتعرض
لضغوط كثيرة صدقيني "
استفزها كلامه وفهمت ما يقصده فأمه لا تكف
عن الاتصال بها وبأمها والحديث عن ابنها
المتعجل للسفر .. وعن زوجات أولادها اللاتي
جهزهن أهاليهن في وقت قصير وتتغنى بما
جلبن معهن من جهاز .. بينما أضاف طلال وهو
يشملها بنظرة مشتاقة" ما رأيك أن اساعدك أنا
بدون أن يعلم أحد من الطرفين؟ .. هناك مبلغا
من المال كنت قد اقرضته لصديقي والحمد لله
أعاده لي فلتأخذيه لتبتاعي الذي ينقصك
ونتزوج يا اسراء "

ألحت عليها كرامتها وشعرت بالاستياء الشديد
فقالت بحدة "طلال أرجوك.. إياك أن تجرحني
بعرض كهذا مرة أخرى "
هتف مستنكرا "لماذا غضبت الآن؟.. ألست
خطيبتي وستصبحين زوجتي وكل طلباتك
ملزمة مني "
ردت بحدة "حين أكون زوجتك قلها أما الآن
فلا تكررها ثانية أرجوك "
طحن ضروسه وقال وهو يستعد للمغادرة
"حسنا كما تريدين .. فأنت مصرة على افساد
كل شيء بيننا.. أنا ذاهب ..سلام "
شاهدته يبتعد متقبضا فأطرقت برأسها في حزن
تشعر بالحصار من كل جانب وبضغط شديد
على أعصابها .. محتارة بينه وبين أهلها
وظروفهم .. تحاول أن ترضي الجميع وأن
تخفف عنهم لكنها لا تجد من تبوح له بما
تشعر وما ترزح تحته من مشاعر وضغوط ..

وسألت نفسها هل هي بالفعل تفسد اللحظات الحلوة بينهما ؟
لماذا لا تستطيع أن تتصرف معه بأريحية دون ضغوط؟ ..
وكيف عليها أن تتصرف في هذا الوضع الضاغط ؟.

ابتلعت كعادتها مشاعرها السلبية وسحبت نفسا عميقا ثم عادت للداخل حيث حنة ونس ترسم على وجهها ابتسامة ضعيفة حتى لا تلحظ أمها ما يعتمل في صدرها .. فهي سعيدة بانطلاقها الليلة في الغناء والطبل ويكفيها ما تحمله من هموم ومسئوليات تقصم الظهر .

عادت اسراء من شرودها على صوت بسمة الذي يقول باستنكار" ماذا تفعلين يا أم هاشم؟!!!!"

قالت الأخيرة وهي ترفع طرف فستان بسمة
"أفعل ما اقسمت على أن افعله "
حاولت بسمة مقاومتها وهي تقول ضاحكة "ألا
يمكن أن تقرصيني من فوق الفستان ؟!"
ردت أم هاشم وهي تقرصها في ركبتها "كلا لابد
ألا يكون هناك حاجزا بيني وبين ركبتك لربما
أزال ذلك النحس"
تألمت بسمة ضاحكة بينما استقامت أم هاشم
تنفش كتفيها كمصاص دماء انتهى للتو من
فريسته وناظرت ونس بنظرة خطرة ..
فاتسعت عينا الأخيرة وتراجعت للخلف تشير
بسبابتها رافضة .. لكن أم هاشم ظلت تتقدم
منها ببطء فاقتنصت الضحكات من
الموجودات بينما ونس تسرع لتختبئ خلف
مليكة التي قالت لأم هاشم من بين ضحكاتها
"ألا تكفي بسمة"

بنفس نظرة الصياد الذي يتتبع الفريسة قالت أم هاشم بإصرار "لا ..سأقرصها هي الأخرى .. ولولا الملامة لكنت خرجت وقرصت العرائس المصطفات بالقاعة الخارجية"

مالت من خلف مليكة ورفعت فستان ونس المنفوش بطبقات كثيفة من التل ثم أخذت تبحث عن ركبتها وهي تقول بغيظ "أين ذهبت ركبتك يا بنت !!"

أطلقت ونس زمجرة منزعجة قبل أن تستقيم أم هاشم واقفة وابتسامة سعيدة منتصرة على شفتيها فناكفتها مليكة بصوت خافت قائلة" قلنا انزعي هذا السواد وازيدي قليلا من زينة الوجه .. أ وضعت الكحل وطلاء شفاه باهت فقط ؟!!"

قالت أم هاشم بإصرار وهي تتطلع في المرآة أمامها "لو أزلت سواد اللبس ماذا سأفعل بسُمرة البشرة"

قالت مليكة بانفعال" يا أم هاشم لا أحب ما
تقولينه عن نفسك هذا كله خلقة الله "
ردت أم هاشم بهدوء" ونعم بالله أنا لست
معترضة أقسم لك لكن عليّ ألا أكابر واعترف
بالحقيقة فأنا سمراء والناس لا تحب سمرتي ..
لذا اخشى من تغيير الأسود حتى لا ألفت
الانتباه لسمرتي "
تدخلت صاحبة المحل والتي التقطت حديثهما
فقالت من جلستها في ركن تدخن سيجارة"
اتفق مع مدام مليكة فيما قالت .. ملامحك
جميلة تحتاج فقط لحسن ابرازها"
ردت عليها أم هاشم" أعدك حينما اتزوج
سآتيك لتبرزي ما تستطيعين ابرازه يا اختاه "
علت الزغاريد من الخارج مصحوبة بطرقات
على الباب فأسرعت صاحبة المحل لفتحه
لتخبرها إحدى الفتيات أن العريسين التوأمين
قد وصلا .. بينما وقفت أم هاشم تتطلع

لنفسها في المرآة تعترف بأنها تخاف من التغيير .. تخاف من لبس غير الأسود فتسمع كلاما رغم تكراره لا يزال يجرحها .. تخاف من أن تصدق ما يقولونه بأنها ليست قبيحة .. فتتمنى وتترقب.. ثم تصدم بشدة .. ولم يعد لديها مساحة لتقبل الوجع والصدمات ..
نهرت نفسها تمنعها من التمرد أو الاعتراض .. وغمغمت "ستخسرين الدنيا والأخرة يا بنت الشيخ زكريا .. اصمتي ولا تستفيضي في التفكير "

اخذت ونس تهتز بحماس وانفعال وتعيد النظر لنفسها في المرآة متحمسة لتعرف رد فعل شامل على هذه الطلة الأسطورية ثم نظرت لمليكة وهي ترتعش من الترقب فاقتربت الأخيرة تمسك بيديها وتطمئنها ثم سألت "من منكما ستخرج أولا ؟"

استقامت بسمة تعدل من فستانها وقالت بصوت مبحوح وقد شعرت ببرودة مفاجئة لا تعرف سببها "أنا سأبدأ "
وتطلعت في أم هاشم ومليكة بنظرة مرتبكة قبل أن تسحب نفسا عميقا و تقترب من الباب .

سُمح لمصور الفيديو بالدخول والتركيز على العروس وتصويرها وقد أخذ الأخير وقته في التركيز على وجهها وحسنها وفستانها .. فاقترب كامل من الباب المفتوح والذي كان يقف منتظرا بترقب ودخل الغرفة يقطع ما يفعله المصور .. ويتطلع فيها بملء عينيه مداريا خلف ملامحه الهادئة قلبا يكاد ينفجر من فرط السعادة.

كانت مبهرة بحق .. أكثر من أي مرة رآها فيها.. وأحلى من خياله مئات المرات ..فقد ارسل لها كتالوج فساتين العرس من العاصمة وطلب

منها اختيار ما تريد وإبلاغ صاحبة المحل في الهاتف الذي أرسلته لها بدورها كما أرسلت لونس ما اختارته ..

فستانها لم يكن منفوشا .. كانت بلوزته بتطريز بارز تلتف حول جذعها تبزر تناسقه وفتحة صدر على شكل رقم سبعة .. أما الأكمام فكانت بنفس التطريز البارز يتخلله مناطق شفافة .. وتنورة الفستان تنسدل بسيطة وغير منفوشة وكأنه فستان سهرة من طبقات كثيرة فوق بعضها من الشيفون الناعم جدا بلون العاج.. وذيل التنورة مطرز من نفس اللون بتطريز بارز ..

شعرها كان معقوصا للخلف على هيئة كعكة كبيرة نسبيا منخفضة أسفل رأسها ومتداخلة في بعضها ويزينها بضع وردات جانبية باللون العاجي من نفس درجة الفستان وبدون طرحة .. وقرطين من اللؤلؤ يزينان أذنيها ..

كانت بسيطة ومبهرة وكأنها تخبر الجميع بأنها لا تحتاج إلا للمسات بسيطة حتى تكون خاطفة للأنفاس.. عيناها الزرقاوان مكحلتان تحت رموش سوداء كثيفة وشفتاها مطليتان باللون النبيتي الذي بات يعشقه بسببها .
تطلعت فيه بسمة تحبس أنفاسها هي الأخرى وهو يقترب أكثر في حلة زفاف زادت من وسامته أضعافا ..
كان كحلم رائع بعد أيام صعاب ..
كلحظة كاملة لا ينقصها إلا الـ تصديق .
كان أمامها يقترب ويقترب وعيناها تدوران على هيئته الوسيمة ولم تفلح في إخفاء انبهارهما أو استسلامهما لنظرات عينيه اللامعة .
وقف كامل أمامها بطلته الحابسة للأنفاس وعطره الرجولي .. وأعطاها باقة ورد بيضاء ثم أخرج من جيبه سوارا ذهبيا به دلايات من عيون زرقاء فيروزية .. ومد يده يلتقط يدها

ويلبسها إياه في معصمها كإسورة وسط زغاريد كثيرة والكثير من العيون لبعض المتزاحمات أمام الباب ..

تطلع في عينيها فحاولت التماسك أمام نظراته بينما بلع كامل ريقه الجاف وأمسك برأسها يطبع على جبينها قبلة بطيئة .. قبلة تعدها بالكثير من الوعود الحلوة .. قبل أن يبتعد قليلا ويمنحها ذراعه وسط الزغاريد العالية .

انزلت نظراتها لمرفقه ثم رفعت يدها لتتعلق به فأمسك كامل بيده الأخرى يدها وكأنه يلصقها بذراعه .. يقيدها به للأبد .. وخرج من باب الغرفة على غرفة أكبر تحتوي على عدد من العرائس الأخرى تصادف اليوم زفافهن ومر من وسط بعض الفتيات اللاتي تزاحمن لمشاهدتهما قبل أن يخرج من الصالون إلى ممر واسع في المركز التجاري الشهير الذي يقع فيه صالون التجميل .

كان ينتظره خارج الصالون شامل ووليد ومفرح والكثير من الفتيات والشباب من البلدة ..
فعلت الزغاريد مرة أخرى قبل أن يحضن شامل أخيه ويسلم على بسمة بتهنئة حارة ثم يذهب هو ليأخذ دوره في استلام عروسه .
اقترب مفرح يحضن كامل بمحبة ثم ابتعد يقول بلهجة مهددة "والله يا كامل لو احزنتها يوما ..."
ابتسم كامل في الوقت الذي قطع وليد عليهما المشهد وهو يسلم على كامل ويحضنه ..ثم اقترب من بسمة فتطلعت في حلة الأنيقة ..
بدون تردد مال عليها وليد يحضنها بقوة ويقول بصدق" ألف مبروك يا بسمة ..لا استطيع أن أصف لك سعادتي بزواجك "
ربتت بسمة على ظهره بهدوء ولم تجد ما ترد به .

في الداخل كان المصور الذي سبق شامل قد انتهى من تصوير ونس وبمجرد أن أخبرتها أم هاشم أنهم سيدخلون شامل ارتبكت ونس واسرعت بالاستدارة تولي ظهرها للباب وتدفن وجهها في كفيها .. فدخل شامل بابتسامة سعيدة وقلب يدق بعنف يتلقى التهاني من الواقفات وعيناه مسلطتان على تلك التي توليه ظهرها .. فستانها منفوشا كفساتين الأميرات من طبقات كثيفة من التل الأبيض لكنه لم يكن تقليديا وإنما كانت تزينه بعض وردات زهرية وبنفسجية مشغولة بالخيط في أماكن متفرقة من تنورة الفستان توحي لمن يراها من بعيد بأنها ورود منثورة فوقه هنا وهناك .. أما الجذع فكان ملفوفا بالتل الأبيض وقد لبست تحته بلوزه أخرى بأكمام طويلة ملتصقة بجسدها لتداري موديل الفستان المكشوف بدون أكمام .. بينما شريط من التل

ملفوف كحمالة عريضة مرتخية ساقطة عن كل ذراع وتدور حوله .
اقترب شامل وقلبه يسبقه إليها وتطلع في عقدة شعرها الكستنائي المرفوعة فوق رأسها كتاج ومثبت فيها ورود زهرية اللون كوردات الفستان ..وغرة مرتخية على الجانبين مثبت طرفها في الشعر تداري أذنيها..
ناداها شامل بصوت أجش "ونس"
مالت بجذعها للأمام بحرج شديد وحماس فاق القدرة على التحمل ودارت وجهها بكفيها ..
فدار شامل حول فستانها المنفوش ليقف أمامها يتطلع فيها مبهورا .. ثم مال برأسه ناحيتها ينادي "ونس ألن تريني وجهك"
هزت رأسها بلا .. فابتسم ومد يده يبعد كفيها عن وجهها الذي كان جميلا مشرقا .. مزينا باحترافية اشعرته بنضجها ..وببساطة عكست شخصيتها ..

لم تستطع ونس التحديق في عينيه المبهورتين طويلا وإنما أطرقت برأسها تضحك بحرج .. فأعطاها شامل باقة الورد البيضاء ثم أخرج من جيبه أمام عدسة المصور التي تسجل كل لحظة سوارا ذهبيا صغيرا له دلايات على شكل وردات ملونة فألبسها إياه في معصمها ورفع يدها يقبلها قبل أن يحيط ذراعيه بخصرها ويرفعها فجأة ثم يلف حول نفسه ببطء رغم ضيق المساحة.. وحضنها بقوة فلفت ونس ذراعيها حول عنقه تحضنه هي الأخرى بقوة وتأثر .

بعد قليل كان العروسان قد وقفا في الممر خارج الصالون بجوار العروسين الأخرين فنظر كامل وشامل لبعضهما بتأثر قبل أن يقتربا ويحضنا بعضهما .. فانهالت على التوأمين كاميرات الهواتف تصور هذين العريسين الوسيمين المتطابقين في الشكل وعروستيهما الفاتنتين

بينما أخذ مفرح يصورهم في بث مباشر لغنيم وسوسو ومدعويهم في العاصمة .
عاد كل عريس لعروسه لتتأبط ذراعه وبدأت طبول الزفة تزفهم بطول الممر الواسع ونزولا على السلم حتى خرجوا للشارع ليجدوا المزيد من المهنئين في انتظارهم على رأسهم عيد الذي كان يرتدي جلبابا فاخرا ابتاعه خصيصا من أجل هذه المناسبة فوقف يتطلع في فلذة كبدة التي تخرج من المبنى .
كانت ونس تقترب وتقترب وهي تطالعه بابتسامة متسعة خجلة مخضبة الوجنتين .. ومع كل خطوة كان يتذكر رحلة شقاء ومعاناة معها حينما ولدت وحيدة بدون أم واصيبت بضعف في السمع فيما بعد .. وكيف كانت مختلفة عن أقرانها ..

تذكر كل شيء .. وكل الدعوات التي كان يتذلل بها إلى ربه بألا يكسر قلبه في ابنته .. وها هو ربه يستجيب .. ويغدق عليه بالنعم.

بمجرد أن اقتربت بشقاوتها الممزوجة بالخجل مالت عليه ونس تحضنه .. واستشعر سعادتها وارتجافها وحماستها وخوفها وهو يضمها .. واشتاق لها من لحظتها .. فتدفقت دموعه وهو يشدد من احتضانها ويقرأ عليها القرآن ليحميها من العيون الحاسدة .

ابتعدت عنه ونس وقد بدأت تبكي هي الأخرى وهالها أن تراه يبكي .. فعادت لاحتضانه مرة أخرى بتأثر انتقل كعدوى للواقفين .

على الناحية الأخرى لمحت اسراء طلال يقف بعيدا في بقعة اهدأ يتحدث مع كريم..

فتخضبت وجنتيها واقتربت منه تشعر بالسعادة أنه قد حضر وقد ظنته لن يحضر فنظر إليها بصمت ثم قال مشيرا لسيارته "هيا

لنسير خلف الموكب (وبحث بين الجموع قائلا) أين والدتك والبنات ؟"
عقدت اسراء حاجبيها وأخذت تبحث بين الواقفين حتى لمحت نصرة تحضن ونس وتبكي هي الأخرى وبجوارها همسة ونسمة .
بعد قليل كان موكب العرسان يجوب شوارع القرية وقد اختار التوأمان أن يزفا في سيارتهما الضخمة المزينة بالورود واشرطة الساتان ..
فكان كامل خلف المقود وبجواره بسمة وشامل في المقعد الخلفي وبجواره ونس ..
راقب كامل كيف أن بسمة تشمخ بأنفها وهي تتطلع في العيون المبهورة التي تميل لتتطلع فيها عبر نافذة السيارة .. وأدرك كم هي مجروحة ومرتبكة خاصة حينما دقق في اصابعها التي تقرص وتحك في قماش الفستان في حجرها.

أما ونس وشامل فكانا في ملكوت آخر .. يديهما متعانقة وأصابعهما متشابكة وعيونهما تقول كلاما كثيرا .. فكان وجه ونس مخضب بالحمرة ونظراتها تتراقص فوق وجه شامل الذي كانت ابتسامته المتسعة تملأ وجهه يقبل يدها المتعانقة مع يده كل بضع دقائق فتميل ونس لتلمس بجبينها كتفه في سعادة وحرج .

كان موكب السيارات يسير ببطء بمجرد دخوله للقرية لأن الأعداد كانت غفيرة أمامه بالإضافة لتلك الفرقة الموسيقية التي كان وليد قد احضرها للزفة ..

رغم الزحام أمام السيارة كان وليد ظاهرا وسط أصحابه وتأملته بسمة من موقعها بجوار كامل ومهجة من موقعها في سيارة مفرح وهو يتوسط الموجودين ويرقص على أنغام الموسيقى الشعبية مرة بالعصا ومرات بذراعيه .. ويبدو سعيدا جدا..

بعد قليل اقترب وليد وأصر على اخراج كامل من السيارة فنزل الأخير بحرج وتبعه شامل فاصطحبهما ليقفا في مركز الزفة وبدأ يرقص أمامهما ليشاركه شامل محاولا تقليد حركاته بينما ظل كامل يتابعهما مبتسما يديه في جيبي بنطاله .

بعدها عاد التوأمان للسيارة وبدأ الموكب يخترق الجموع ببطء نحو بيت الوديدي بعد أن وقف قليلا عند بيت العم عيد .. وذلك كمحطة أخيرة قبل الاستعداد للسفر للعاصمة .

سألت بسمة كامل فجأة "هل كان هناك سببا لتأخركما لقد أقلقتني حينما قلت بأنك ستخبرني فيما بعد "
شعر كامل بأن عليه أن يخبرها بما حدث لتستعد فتردد قليلا ثم أجاب" أمي لم تكن

تعرف بهوية زوجك السابق ولهذا دعت آل سماحة للحفل الذي سنقيمه في حديقة الفيلا "

اتسعت عينا بسمة متفاجئة فأضاف كامل باقتضاب "كنت أؤجل اخبار أمي بهويته لما بعد العرس وتاه عني أنها من الممكن أن تدعو آل سماحة فكما تعرفين هم من معارفنا "

صمتت بسمة ولم تعرف بم ترد على هذه المفاجأة التي لم تكن تحسب حسابها بينما أضاف كامل "والحقيقة أمي كانت مصدومة وتشعر بالحرج منهم .. وأنا أشعر بذنب شديد تجاهها "

شاطرته بسمة الشعور بالأسف على حماتها فهي ليست غبية لتدرك بأن المرأة تحاول بذل مجهودا للتكيف مع زيجة ولديها الغير نمطية .. وتطلعت في ملامح كامل الغامضة التي يركز فيها على تتبع سيارة مفرح في المقدمة والتي

تحاول إيجاد مخرج من الزحام أمامه من المهنئين بينما الناس مصطفة على الجانبين..
أخذت بسمة تفكر في تلك المواجهة المبكرة التي لم تحسب بأنها ستأتي بهذه السرعة ..
ومر سؤال في رأسها .. هل من الممكن أن يكون سيد مدعوا لهذا الحفل؟!! ..
عادت ترفض الفكرة وتصفها بالمستحيلة فسيد لن يحضر حفل عائلة لا تربطه بهم صلة .. من الممكن أن يحضر آل سماحة كنوع من المجاملة لكن ... مَن مِن عائلة سماحة سيحضر بالضبط ؟؟؟.
على أية حال يبدو أن خبر زواجها سيصل لكل من في العاصمة الليلة .. وهذا في حد ذاته خبر جيد كانت تسعى لإيصاله بشدة ..
رغم توترها الشديد لهذا الخبر ولهذه المواجهة التي لم تحسب بأنها ستأتيها بهذه السرعة .. إلا أنها حاولت طمأنة نفسها (اهدئي يا بسمة هذا

ما كنت تخططين له .. إن خطتك تسير في مسارها الصحيح)

تطلع فيها كامل بنظرة جانبيه يراقب ردة فعلها منذ أن أخبرها ولاحظ قبضتها التي تقبض على قماش فستانها الناعم الذي يغريه بقوة لتحسس ملمسه لكن مزاجه لم يعد رائقا بعد أن تمكنت الوساوس من احتلال أفكاره متسائلا ما الذي تفكر فيه ؟

هل هي مرتبكة لأنها تذكرت زوجها السابق ؟

وهل نسيته من الأساس؟

وهل تشعر بالفرح بنفس فرحة تجربتها السابقة ؟

حتى لو بنفس القدر من الفرحة هذا لا يرضيه .. يريد أن يكون شعورها معه مختلفا..

فكرة المقارنة مع شخص أخر تصيبه بالاختناق ..

لا يحب الشعور بأن يكون في مقارنة مع أحد ..
هذا يحزنه كعاشق ويجرح كرامته وينال من عنجهيته كرجل ..
قبض على المقود وقد ازدادت ملامحه عبوسا .. فهذا ما كان يخشاه عند الاقتراب منها .. تلك الأفكار والوساوس والمقارنات التي يعلم بأنها ستقوده إلى الجحيم .
وها قد بدأت رحلتك مع جحيمك يا كامل! .

عند بيت الوديدي توقفت سيارة مفرح وخرج الأخير منها .. في الوقت الذي خرج العريسان أيضا من سيارتهما لتحية بعض رجال البلدة على رأسهم مصطفى الزيني .. فلمحت أم هاشم جابر من جلستها في المقعد الخلفي من سيارة مفرح ..

كان يقف بجوار مصطفى يهنئ العريسين ..
فتأملته من نافذة السيارة وغافلتها نفسها
ودققت فيه باشتياق .
جلبابه الأبيض الأنيق والعباءة المعلقة على
كتفيه والوقار والهيبة اللتان تحيطان به ..
وذلك الحزن الذي يؤثر فيها بشدة والمرسوم
على محياه رغم ابتسامة المجاملة التي تزين
شفتيه ..
لو تعلم ما يشقيه ..
لو تعلم من يشقيه ..
لو تستطيع أن تمنحه السعادة بأي ثمن .
همست في سرها " والله لا أملك لك إلا الدعاء
.. والله لا أملك لك إلا الدعاء يا غالي .. أن تحيا
كما تستحق سعيدا هنيئا قرير العين .. اسأل
رب العرش العظيم أن يزيل عنك الهم والحزن
ويعطيك ما يسعد قلبك يا جابر يا ابن نجف.."

ودعت نحمده وفايزة العروسين بدون السفر معهما وذلك لعدم قدرة العمدة على السفر لظروفه الصحية فبقيت معه نحمده بينما اعتذرت فايزة لظروف تخص انشغال زوجها هي الأخرى .

في الوقت الذي عاد مفرح للسيارة ورجع العريسان لسيارتهما خلف سيارة الأول فكانت سيارة مفرح تضم مليكة وأم هاشم وأدهم وإياد وانتقلت مهجة لسيارة وليد التي ضمت الحاج سليمان والحاجة فاطمة .. أما العم عيد فقد كان في سيارة أخرى تطوع صاحبها من أهل البلدة بتوصيله والعودة به من العاصمة مع بعض من فرضوا نفسهم للذهاب معه .. وبدأوا في التحرك استعدادا للسفر فاصطف الجموع على الناحيتين ..ليكون من نصيب أم هاشم أن يكون جابر على ناحية نافذتها وتمنت مع مرور السيارة من أمامه لو أن تلمس أصابعها طرف

جلبابه عبر النافذة حين تمر بجواره .. تمنت بشدة أن تملك تهور المراهقين لتفعل ذلك .. كانت السيارة تقترب منه .. فتقبضت في حجرها خوفا من لحظة جنون يلح بها الشوق الذي يعذبها .. وتأملته وصورته تقترب منها .. ثم انفجرت دقات قلبها الذي كان يحتضر منذ دقائق واندفعت الدماء في شراييها فجأة حينما تقابلت عينيهما للحظة أسرعت بعدها بخفض نظراتها والاشاحة بوجهها ..

كان جابر قد لمحها في سيارة مفرح .. وبرغم شعوره بالراحة بأنها ليست وسط زحام المهنئين المتزاحمين الواقفين لكنه تساءل هل ستسافر للعاصمة لتوصيل العرسان ؟ ساوره بعض القلق كونها ستسافر العاصمة وحدها .. لكنه عاد وطمأن نفسه بأنها مع مفرح الزيني وحرمه فهو يعرف بأنها صديقة لبنت الصوالحة وبنت الوديدي .. وهذا اشعره

بالفخر بها.. أن تربطها صداقة ببنتين من بنات أكبر العائلات في القرية .. فهذا دليل كافي لمكانتها هي نفسها التي لا يعرفها إلا أولاد الأصول فغمغم في سره " فليحفظك الله وتعودين سالمة يا بنت الشيخ زكريا "

xxxx

بعد ساعة

الحلو الغالي شغل بالي

ولا عارف إيه اللى جرالي

ولا قادر أقوله على حالي

من غير ما يقوللي ولا أقوله

فى عنيا وقلبي الشوق كله

على صوت عبد الحليم الذي صاحب رحلة العرسان على الطريق كان كامل يختلس النظرات لبسمة الساهمة طوال الطريق يتمنى لو أن يخترق أفكارها كما يفعل مع توأمه وأن

يعرف فيما تفكر هي وتتركه فريسة للأفكار والوساوس بينما شامل وونس في المقعد الخلفي هائمان سعيدان .

توقف الموكب على الطريق بجوار أحد الاستراحات لدخول الحمام أو لملئ السيارات بالبنزين .. فطلبت ونس أن تخرج من السيارة بعد أن ملت من الجلوس لفترة طويلة فساعدها شامل وهي تلملم فستانها المنفوش وترفعه حتى لا يتعفر من التراب بينما تحركت بسمة تخرج من السيارة فسألها كامل" إلى أين؟؟"

ردت باقتضاب " سأذهب للحمام"

قال كامل وهو يفك حزام مقعده" سآتي معك"

استدارت إليه تناظره بتساؤل فرد بحاجب مرفوع" ربما أردت المساعدة "

تخضبت وجنتيها لكنها مطت شفتيها تخرج دون أن تعلق .. فلحق بها كامل في طريقها إلى

إحدى الاستراحات لتقول باستنكار" كامل ماذا تفعل؟!!"
رد ببرود "أذهب مع زوجتي لأعرف أين الحمام بالضبط "
صمتت وهما يدخلان من الباب الزجاجي وقد لفتا انتباه المتواجدين في الاستراحة وتعلقت العيون بالعروس الفاتنة التي دخلت للتو ..فمط كامل شفتيه وحاول تحجيم مشاعر غيرته عليها وتقبض متحفزا .
عند الحمامات قابلت بسمة مليكة التي خرجت للتو من أحد الحمامات والتي عادت معها للداخل فاطمأن كامل وذهب ليطلب القهوة منضما لمفرح الذي كان يشتري بعض الحلوى لولديه .

بعد دقائق عاد وليد من الاستراحة يحمل كوبا من عصير الفواكه الذي تحبه مهجة فلمحها

تقف متكتفة الذراعين بجوار السيارة شاردة ..
تأمل فستانها المائل للأخضر كلون عينيها
وتقدم منها يمنحها كوب العصير .
رفعت مهجة أنظارها نحوه تقول بمعاندة "لا أريد ولم اطلب منك "
في لحظة واحدة انقلبت ملامحه وألقى بكوب العصير أرضا بعصبية فانسكب السائل ينثر بعض الرذاذ على حذائها وطرف فستانها .. ثم تركها وتحرك ليناول لوالدته من نافذة السيارة زجاجة المياه التي طلبتها .
ناظرته مهجة بغيظ وهو يعود للسيارة ليتخذ مكانه أمام عجلة القيادة بينما عاد الحاج سليمان إلى مقعده بجوار ابنه وهو يتحدث في الهاتف بمباهاة قائلا "لولا أن صهري غنيم بك يقيم حفلا عائليا في فيلته الفخمة في العاصمة كنت دعوت أهل البلدة كلهم للعاصمة

ونقلتهم كلهم على حسابي الخاص والله يا حاج رزق "

كانت مهجة تشعر بالتيه .. وكأنها فاقدة لبوصلتها .. أحيانا تلوم نفسها على أنها مررت له تلك المرة التي لطمها على وجهها فيها .. وأحيانا أخرى تخبر نفسها بأن عليها التنازل قليلا حتى ولو على حساب كرامتها لتصبر عليه فهي تعلم بأن خبر تعرضها للضرب لو علمه مفرح أو والدها ستكون النهاية ..أخرجها وليد من شرودها حينما هتف من نافذة السيارة "هل الهانم ستأتي أم لديها خططا أخرى!!!"

في سيارة مفرح دخل أدهم وإياد يحملون كيسا من الحلوى وثلاثة أكواب من المثلجات الملونة أعطى أدهم لأم هاشم واحدا منها فقالت متفاجئة" لي أنا؟؟!!"

رد إياد وهو يأخذ المثلجات التي تخصه من يد أخيه "أمي قالت بأنك ستحبين المثلجات"

قالت أم هاشم وهي تمسك بالمثلجات بين يديها لمليكة التي عادت للتو إلى السيارة تأخذ مكانها في المقعد الأمامي "سلمت يدك يا مليكة لازلت تذكرين أني أحبها"

قالت مليكة " ما دمت لا تريدين الخروج من السيارة ولا تريدين أن نحضر لك شيئا تذكرت بأنك تحبين المثلجات "

ابتسمت أم هاشم فرحة بالمثلجات التي تبدو شهية ولها طعما أحلى بكثير مما هو متوفر في القرية بينما اتخذ مفرح مكانه أمام عجلة القيادة يستعد للمواصلة .. وقبّلت عيناه تفاصيل مليكة الجالسة بجواره والتي لم تسنح له الفرصة بأن يخبرها منذ أن بدأ الاحتفال بأنها تبدو رائعة الجمال.

تعانقت عيناهما في صمت فأخبرتها عيناه بما يريد أن يقول بكل صراحة ووقاحة جعلتها تتخضب بالحمرة وتعطيه كوب الشاي الذي كانت تحمله له ..

تغيرت ملامحه فجأة وهو يلمح مهجة تقف عاقدة ذراعيها تناظر سيارة وليد أمامه بملامح متجهمة استنفرت أعصابه فنظرت مليكة إلى حيث ينظر ولحقته قبل أن يفتح عتلة الباب يهم بالخروج فأمسكت بذراعه تقول بهمس" مفرح .. أنت قلت بأنك لن تتدخل إلا إذا هي طلبت منك"

طحن ضروسه فقالت مليكة بهمس "مادامت لم تلجأ لك فهذا يعني بأنها لا تزال لديها طاقة من الصبر للتعامل معه .. تدخلك سيعقد الأمر ويرفعه للمستوى الأعلى"

تراجع مفرح وهو لا يزال يطحن ضروسه وبدأ في تشغيل سيارته بعصبية ..بينما تحركت

مهجة أخيرا لتركب في المقعد الخلفي لسيارة وليد بجوار والدته .
حين عاد كامل من المحل وجد بسمة تهم بالجلوس في المقعد الأمامي فأسرع بالقول "المقعد الخلفي"
استدارت إليه متسائلة فقال" شامل من سيقود لقد تعبت "
تحركت نحو المقعد الخلفي تلملم فستانها فصفّر كامل لأخيه وعروسه اللذان يلتقطان صورا في العراء بهاتف العريس ثم مال على نافذة السيارة يعطي لبسمة صينية من الكرتون بها عدة أكواب فالتقطتها منه ورائحة القهوة تتسلل إلى رئتيها تصلح ما افسده الكون من مزاجها.. بينما فتح كامل الباب الملاصق لها ومال يرفع ذيل فستانها ليدخله في السيارة قبل أن يغلق الباب بإحكام ويستدير ليتخذ مكانه بجوارها في المقعد الخلفي .

رائحة القهوة الممزوجة برائحة عطره حين استقر بجوارها كانت تحثها على الاسترخاء .. ومن تحت رموشها السوداء تأملت ساقيه الطويلين وحلته التي جعلته وسيما أنيقا بشكل خاص وحابس للأنفاس.

سألته بهدوء" ألن تخبرني عن نوع القهوة هذه؟"

رد ببرود وهو يأخذ القهوة (الأمريكانو) التي تخصه" قلت لك كم ستدفعين ؟"

هذه المرة لم تهرب من السؤال كالمرة السابقة في يوم كتب الكتاب فسألته" ماذا تريد؟"

تحركت مقلتيه لتحدجها بنظرة جانبية ثم قال بلهجة غامضة "ربما ما أريده لن يعجبك"

لا تعرف لماذا اشتعل جسدها فجأة وشعرت بأنه يريد أن يلاعبها بوقاحة .. فصمتت ولم ترد خاصة مع جلوس ونس في المقعد الأمامي بعد أن ساعدها شامل في السيطرة على طبقات

التل الكثيفة لفستانها واستدار ليتخذ مقعده أمام عجلة القيادة.

أخذ كامل من الصينية الكرتون في يد بسمة كوب (اللاتيه) ليضعه بجوار أخيه .. فسأله الأخير" ماذا أحضرت لونس؟"

رد كامل ببرود " الحقيقة لم أحضر شيئا.. فلا أعتقد أن القهوة مناسبة للأطفال "

استدارت ونس نحوه تناظره بامتعاض بينما عقدت بسمة حاجبيها تنظر في كوب المثلجات الذي يجاور قهوتها على الصينية وأدركت بأنه يشاكسها .

قال شامل بهدوء وهو يحرك السيارة" تعرف بأني أعرف بأنك تكذب"

رد كامل بعد أن منح ونس نظرة مغيظة "وكيف لي أن أعرف ماذا ستحب يا بني !"

قال شامل وهو يركز على الطريق" هات ما جلبته من أجلها يا كامل دون مراوغة وكن لطيفا مع حرم أخيك حتى لا أكسر عظامك"
تدخلت بسمة لتنهي الجدل بأن أعطت الكوب لونس تقول "انه يشاكسك لا أكثر .. فقد أحضر لك المثلجات"
بسعادة تطلعت ونس في كوب المثلجات وعادت به تنظر أمامها بينما رد كامل على أخيه مناكفا" من الذي يكسر عظام الآخر! .. يبدو أنك تريدني أن أريك مقامك أمام عروسك وفي ليلة فرحك يا فلذة كبدي "
أطلق شامل ضحكة ساخرة ثم قال" من يستعرض نفسه أمام عروسه الآن يا ابن أبي!"
ناظر كامل ونس التي تلتهم المثلجات وقال لأخيه بلهجة صبيانية مغتاظة" حرمك المصووون لم تقل لي شكرا .. أريد أن أرى إشارة شكرا الآن "

قال شامل مناكفا " حبيبي زوجتي تفعل ما تريد "

سألت بسمة سؤالا مباغتا لتقطع مشاكستهما " من منكما الأكبر؟ .. اقصد أعرف بأنه هناك بضع دقائق بين ولادة التوأم والأخر إن ولدا ولادة طبيعية فمن منكما أكبر من الثاني؟"

ساد الصمت وتبادل التوأمان النظرات الماكرة عبر المرآة الأمامية للسيارة .. بينما تطلعت عيون ونس وبسمة فيهما بترقب ليقول كامل بلهجة غامضة " هذا أيضا سر لا نقوله لأحد .. لذا سنترك لكما فرصة التخمين ولنرى من منكما ستكون الفائزة "

بينما ضغط شامل على مشغل الموسيقى لينبعث منها صوت عبد الحليم من جديد

الحلو حلاوته فى عينيَّ

م الشوق بيزيد كل شوية

والدنيا تغني حواليَّ

من غير ما يقوللي ولا أقول له
فى عينيَّ وقلبي الشوق كله
والحلو حياتي وروحي وأقول له إيه
إن قلت باحبه الحب شوية عليه
دا حياتي وروحي وأقول له إيه

xxxx

بعد ساعة أخرى

وقفت سوسو على باب الفيلا تتطلع في ولديها الوسيمين كل واحد منهما يقف بجوار عروسه .. وكادت أن يغشى عليها من الفرحة..
اقترب التوأمان وحضنا والدتهما ثم ناغشها شامل قائلا" ما هذه الأناقة يا سوسو هل تقصدين منافسة العروستين؟"
تطلعت فيه بعينين دامعتين وشبت على اطراف أصابعها رغم كعب حذائها العالي لتطاله فمال شامل يقابلها في منتصف الطريق لتطبع

على وجهه قبلة ثم حضنها بقوة يقبل رأسها في الوقت الذي كان كامل يحضن والده ..
تبادل التوأمان المواقع لتلقي التهنئة من والديهما ثم اقتربت ونس من حماتها وألقت بنفسها عليها تحضنها فتلقت سوسو الحضن بابتسامة وهي تتمتم" مبارك إن شاء الله ..
تبدين رائعة بحق "
اقتربت بسمة من سوسو تداري ارتباكها وتتطلع في أناقتها بإعجاب ولم تستطع قراءة ملامحها فطبعت الأخيرة قبلة على وجنتي بسمة مباركة وتبعها غنيم كذلك .
دخل العرسان من باب الحديقة المزينة والمملوءة بالمقاعد المغطاة بالساتان الوردي وقد قاربت الشمس للمغيب يستقبلهم المدعوين من بلد آل غنيم وتستقبلهم الطبول بدقات مميزة للأعراس تخص بلدهم.

دارت عيني كامل وبسمة في الحضور فلم يجدوا أحدا من آل سماحة فمال الأول على والده يسأله ليجيبه الثاني بأنهم لم يحضروا حتى الآن .

بعد قليل استقر كامل وبسمة على مقعديهما المزينين في ركن من الحديقة بينما كان شامل في منتصف القاعة يحاول تعليم ونس كيف ترقص رقصة بلدهم ..

كانت ونس سعيدة وتضحك لكنها أشارت له بما يعني أنها لا تستطيع التقاط كل الإيقاع..

فأخذ شامل يدها وضرب فوق كفها المفتوح في يده ضربات إيقاعية مصاحبة لحركاته رسمت الابتسامة على وجه المتابعين وخاصة عيد الذي وقف يراقب الحفل في ركن من الحديقة حيث يجلس أهل البلدة بينما سليمان يتوسط الجلسة في خيلاء بين أهل بلدته المنبهرين ..

فبدأت ونس تتحرك راقصة مع شامل على الإيقاع.

اقترب مفرح من مليكة يقول بمغازلة واضعا يده على صدره " مفرح الزيني .. ابن عمدة بلدنا .. الهانم من الهند أليس كذلك؟ "

أشاحت بأنظارها بعيدا عنه لثانية ثم عادت إليه ترد بابتسامة " ولماذا من الهند بالذات؟"

ابتسم يدقق في فستانها الذي يراه كالعادة لا يشبه أحدا لا في القرية ولا في العاصمة .. كانت ترتدي جلبابا باللون الأسود من طبقتين .. طبقة لامعة وأخرى تظهر من ذيل الفستان ناعمة بدون لمعة وفوقه رداء أخر طويل إلى ما بعد ركبتيها بكثير مفتوح حتى أسفل وبأكمام طويلة مشغولا باللونين الأسود ولون العنبر الفاتح.. وللرداء الأسود ذيل طويل ترفعه على ذراعها كالساري الهندي .. أما حجابها فكان

باللون العنبري مع زينة وجه بسيطة
أرستقراطية .
قال مفرح بلهجة معجبة" هذا الرداء يشبه
اللبس الهندي أم أنا مخطئ.. وخاصة ذلك
الذي ترفعينه على ذراعك "
صححت له وهي تقترب لتغلق له زر من أزار
القميص المفتوح" باكستاني .. التصميم
باكستاني .. أين ربطة العنق يا مفرح؟.. ألم
تخبرني بأنك سترتديها عندما نصل !!"
هرش في رأسه وقال باستهبال" ضاعت "
ناظرته مليكة مضيقة عينيها فأضاف ببراءة
مصطنعة "بحثت عنها في السيارة فلم أجدها"
تنهدت ضاحكة وعدلت له سترة الحلة
مغمغمة" لا أعرف ما هي مشكلتك مع رابطات
العنق يا مفرح "
تسلل كفه يدخله بين فتحتي الرداء ليتحسس
خصرها من فوق القماش الأسود اللامع

فانتفضت تناظره بتوبيخ قائلة "مفرح ماذا تفعل !!"

أطرق برأسه يقول بلهجة بائسة " مفرح يريد أن يشعر بأنه بعيد عن قيود القرية ولو لبضع ساعات"

اقترب ولداه ليقول إياد بحماس" الفيلا رائعة يا أبي ولديهم كلب لكنه بالحديقة الخلفية مربوط"

قال مفرح وهو ينظر بعيدا" هل ربطوا شهبندر أين هو؟"

سحبه ولداه فقال معترضا" دعوني قليلا مع أمكما يا كلاب "

لكن الولدين سحباه بعيدا فنظر لمليكة التي تضحك قائلا " المنحوس سيظل منحوسا "

ترك كامل بسمة وذهب ليباشر عمل الطباخين الذين أعدوا العشاء .. فاقتربت مليكة وأم

هاشم من بسمة لتقول الأخيرة وهي تتطلع في مبنى الفيلا والحديقة" بسم الله ما شاء الله المكان فخم جدا والمدينة كلها يبدو أن أهلها من الأثرياء"

ابتسمت بسمة تتطلع في البوابة بالذات متعجبة كيف يدور الزمان .. لقد وقفت على هذه البوابة يوما ولم تدري بأنها ستدخل الفيلا بعد بضع سنين زوجة لمن كان يتشاجر مع زوجها .

قالت مليكة بمناكفة" علينا أن نكثر من الحقد والقر عليها يا أم هاشم"

ضحكت الأخيرة وعيناها تتطلع في بعض الشباب الموجودين وتقول" والحقيقة أن بلد زوجك تمتلك من الوسامة ما يخرج العينين من محجريهما (ونظرت لبسمة تضيف) بسمة أنا اختك وحبيبتك وعليك مساعدتي في إيجاد عريس من بلد زوجك .. صدقيني زيجة كهذه

تضمن تحسين النسل والإنتاج بشكل مضمون
"

ضحكت صاحبتيها فأكملت أم هاشم بابتسامة
"هل تفهمين لهجة زوجك يا بسمة؟.. أشعر
بأني أشاهد إحدى القنوات الفضائية التي
تتحدث بلهجة لا أفهم غالبيتها "
ردت بسمة "إن كامل وشامل يحدثاني بلهجتنا
لكن يبدو أن عليّ التدرب على لهجتهم أكثر أنا
وونس "

أمام الفيلا ركن إبراهيم سماحة سيارته
فغمغمت إلهام وهي تترجل منها " أتمنى ألا
يكون الحفل قد انتهى .. لقد قالت لي سوسو
بأنه حفل بسيط "
قال إبراهيم مطمئنا حتى لو لم نلحق يكفي بأن
نقدم التهاني ونظر لبانة في المقعد الخلفي
وتذكر مشادته مع أحمد صباح اليوم حينما

علم بأنه يمنع بانة من حضور الحفل فتدخل هو آمرا بحتمية حضور بانة معهم فعدم ذهابها سيكون محرجا للعائلة بأكملها .. فلم يجد أحمد مفرا إلا أن ينصاع لكلمة والده وهذا ما أخرهم حتى تجهز بانة.

نزل رامز الخازن من المقعد الأمامي بجوار الحاج سماحة وفتح الباب لأخته يمد يده ليساعدها على الترجل من السيارة .. بينما خرجت إلهام بعباءتها الفاخرة من الناحية الأخرى ..ورفعت شمس ذراعيها لخالها ليحملها فالتقطها رامز يخرجها من السيارة ويحملها فوق ذراعه ثم قال لبانة بوجهها المتجهم مناكفا "افردي وجهك ..إن كنت لا تريدين الحضور لمَ حضرت؟"

همست بوجوم "تحرجت من كسر كلمة حمايا لكني اشعر بالضيق لذهابي بدون رغبة أحمد رغم أنه مستفز ويغيظني "

مط رامز شفتيه وقال بامتعاض "تعلمين بأني اتحفظ على التدخل بينكما لأنك لا تشتكين .. ولأني إن تدخلت فلن يعجبكما تدخلي .. ورغم شعوري بالغيظ من مبالغة زوجك الشديدة في غيرته عليك لكني لا اتدخل لأنكما تحبان بعضكما وهذا ما يجعلني أتحمل فظاظته وأصمت "

قالها وهو يشير لها بالتحرك بينما الحاج إبراهيم وإلهام قد سبقوهما بالدخول.

تطلع الحاج غنيم وسوسو في آل سماحة الذين يدخلون من بوابة الفيلا واقتربا منهما يداريان الحرج الشديد ويرحبان بهما .. فسلم غنيم على إبراهيم ورامز ثم أخذ الأول جانبا يقول له" أريدك في أمر هام يا حاج إبراهيم.."

أما سوسو فرحبت بإلهام وبانة ورامز وانعقد لسانها فلم تجد ما تقوله لهم فقالت بارتباك" تفضلوا أنرتمونا"

غمغمت إلهام وهي تتطلع في الأجواء حولها "بنوركم يا سوسو هانم ..بارك الله لكم ورزقهما بالذرية الصالحة"

تفوهت سوسو ببضع كلمات غير مفهومة تشعر بأنها توشك على الإغماء في الوقت الذي قال فيه إبراهيم سماحة متفاجئا "سبحان الله على الصدفة والنصيب!!"

قال غنيم يجمل الحقيقة" إن مفرح ابن عمتها هو صديق شخصي لأولادي تعرفا عليه من سنتين فقط وفي زيارة لمناسبة للقرية رآها "

ابتسم إبراهيم رغم المفاجئة ورد بصدق "وهي بنت أصول ولم نرى منها إلا كل خير وسبحانه مقسم القسم والنصيب "

شعر غنيم بالارتياح بينما اقترب سليمان الوديدي ينظر لإبراهيم سماحة يقول بمفاجأة "حاج سماحة؟!!"

عاد لغنيم قلقه وداري ارتباكه يقول "الحاج سماحة من معارفنا "

نفش سليمان كتفيه ورد بخيلاء" صدفة سعيدة يا حاج سماحة أن نراك في عرس ابنتي الباشمهندسة بسمة التي عوضها الله بعائلة عريقة ونسب مشرف "

رد إبراهيم سماحة بلهجة حازمة ليمنع استرسال سليمان غير اللائق" مبارك لها يا حاج سليمان فهي تستحق كل خير "

تدخل غنيم قائلا بحرج "تفضلا.. تفضلا لأعرفكما على الموجودين "

أما سوسو فقالت مجددا وهي تقف أمامهم وتحاول البحث عن طريقة لإخبار إلهام وبانة" انرتمونا"

تركهن رامز معتذرا وتحرك ليسلم على باقي الموجودين من أهل بلده والذي لم يكن يعرف منهم الكثيرين في الوقت الذي لمحت إلهام من

خلف سوسو بسمة التي بادلتها النظرات في نفس اللحظة ..
جعدت إلهام جبينها مدققة قبل أن تقول "سبحان الله يخلق من الشبه أربعين كما يقولون .. بانة أنظري "
اتسعت عيني بانة شاهقة فتدخلت سوسو تقول بحرج شديد "ليس شبها وإنما هي بالفعل"
كانت المفاجأة أكبر من تتحلي إلهام وبانة باللباقة فقالتا في نفس واحد "ماذا!!"

الفصل العشرون

دلكت سوسو جبينها بحرج شديد تشعر بأنها على وشك الإغماء ثم قالت بما اتفقا عليه هي وغنيم " كامل قابلها قبل عدة شهور حينما زار قرية الباشمهندس مفرح صديقه وابن عمتها فأعجب بها وطلبها للزواج واكتشفنا صباح اليوم هذه الصدفة الغريبة"

كانت إلهام لا تزال تتبادل النظرات مع بسمة فتحركت بدون وعي تتجاوز سوسو نحو بسمة التي استقامت واقفة مترقبة ترفع ذقنها بخيلاء وهي تشاهد إلهام تقترب وخلفها بانة وسوسو التي سقط قلبها بين قدميها ولم تدر ماذا سيحدث وكيف سينتهي هذا الموقف المحرج بينما وقفتا أم هاشم ومليكة بجوار صاحبتهما تدعماها بعد أن أخبرتهما من تكون .

بعينين مغرغرتين بالدموع اقتربت إلهام وقالت بحشرجة "بسمة"

قاومت بسمة شعورها بالتأثر لرد فعل إلهام وازداد تقبض يديها إلى جانب جسدها بينما تطلعت إلهام فيها بتدقيق تقول" كيف حالك يا بنيتي؟"

ردت بسمة باقتضاب تشعر بالحنين لهذه المرأة الطيبة" بخير الحمد لله "

تطلعت إلهام في فستانها وأناقتها وكأنها تحاول استيعاب ما يحدث ثم قالت وقد سالت دموعها "مبارك يا بسمة والله هذا يوم سعد وفرحة (واقتربت منها تحضنها بعاطفة صادقة) مبارك يا حبيبتي ألف حمد وشكر لك يا رب "

قالتها بامتنان حقيقي فقد كانت تشعر بغصة كلما تذكرت أن ابنتها أخذت مكانها .. قد تكون بخبرتها في الحياة تعلم أنها قسمة ونصيب لكنها أيضا بخبرتها تعلم كيف يكون الطلاق نقمة في حياة بعضهن ..فكانت تحمل همها وتدعو لها .. كلما وجدت ابنتها سعيدة تدعو لها

بأن تحظى بنفس السعادة ..ومن وقت لأخر كانت تسأل سيد عنها سرا متمنية أن تسمع عنها أخبارا سعيدة .

حافظت بسمة على تماسكها في حضن إلهام رغم شعورها بالتأثر بينما خرج كامل من باب الفيلا وتعرف على إلهام وبانة فتقبض بقوة وهو يقترب .

أبعدتها إلهام وأخذت تتأملها قائلة " لا تعلمي كم أنا سعيدة لأني رأيتك واطمأننت عليك .. ربي وحده شاهد أني كنت أدعو لك في صلاة الفجر أن يعوضك خيرا ويراضيك "

رسمت بسمة ابتسامة متسعة بمجرد أن لمحت كامل وردت بلهجة خرجت استعراضية رغما عنها وكأنها تداري جرحا "الحمد لله ربي عوضني بأكثر مما أتمنى"

لم يغفل عن كامل لهجتها الاستعراضية المزيفة كابتسامتها لكنه اقترب بهدوء يقول "السلام عليكم"

رفعت إلهام نظراتها إليه وقالت بسعادة "ألف مبروك يا ولدي احسنت الاختيار"

بلهجة مقتضبة حاول أن يلطف من حدتها رد كامل" بارك الله فيك يا خالتي "

فاجأته بسمة بمجرد أن اقترب بأن تأبطت ذراعه بكلتا يديها ونفس الابتسامة المزيفة الواسعة لاتزال تزين وجهها فأفلت كامل ذراعه منها ولفه حول ظهرها يضمها إليه بطريقة أكثر استعراضية في الظاهر وأكثر دعما في حقيقتها رغم مرارة الشعور الذي سيطر عليه لحظتها بينما تأملتها إلهام بكليتها من جديد وقالت بصدق "بسم الله ما شاء الله ربي وهبك جمالا يزداد عاما بعد عام يا بنيتي ..أدام عليك جمال وجهك وخُلقك "

كانت كلماتها مؤثرة بشدة لبسمة فتشبثت بطرف حلة كامل تقول بحرج "بارك الله لك يا خالتي"

تكلمت بانة أخيرا وقد بدأت في استيعاب المفاجأة "مبارك لك يا بسمة "

انتبهت بسمة لوجودها فغمغمت بهدوء "أشكرك يا بانة "

توجهت بانة لكامل تقول بلهجة مجاملة "مبارك يا كامل "

رد كامل بلهجة مقتضبة" شكرا لك "

هذه الثانية من المجاملات المتبادلة بين كامل وبانة أمامها أزعجت بسمة بشدة .. و تذكرت مشهد المشاجرة وسببها فلم تكن تدقق من قبل في هذا الأمر لكنها فجأة شعرت بنار تتقد في صدرها واستدارت تتطلع في وجه كامل الذي كان غامضا متحفظا بينما قالت إلهام وهي تترك

العروسين" مبارك مرة أخرى تمم الله لكما على خير"

شعرت سوسو بالراحة وهي تتحرك معها هي وبانة لتبارك لشامل وعروسه وإلهام لا تزال تقول" نعم البنات اخترتم والله يا سوسو هانم "

استأذنت مليكة وأم هاشم لتعودا لمجلسهما لتتركا بسمة مع عريسها في الوقت الذي أبعدت بسمة نفسها عن كامل الذي تركها تفلت دون مقاومة لكن مزاجه وشعوره بالغيرة كانا أكثر منها بكثير .

جلست في صمت وهي لا تزال تختلس النظرات لبانة وتدقق فيها لاعنة هذا الحظ الذي يكرر فعلته معها وتساءلت ..

هل كانت بانة حبا حقيقيا لكامل؟! ..

أهي صاحبة القصيدة التي نسيها كامل في بيت الجد صالح؟

هل لا يزال يذكرها ؟
هل ستعيد الكَرّة مرة أخرى ؟
"يا ويلك يا بسمة .. يا ويلك .. أنت أخترت نهايتك بيدك هذه المرة .. كنت تعتقدين بأنك أصبحت حذقة وذكية.. بل أنت غبية .. ساذجة .. ضعيفة .. اخترت بمشاعرك .. اختيارك لكامل لم يكن لأنه الأكثر منطقية بل لأن مشاعرك تدخلت في هذا الاختيار .. وها أنت قد وضعت نفسك في منافسة أخرى يا بنت الوديدي "
قالتها بسمة لنفسها بضيق شديد بينما جلس كامل متقبضا بجوارها يتابع الحفل .

في ناحية أخرى من الحديقة كان رامز يتتبع خطوات شمس سماحة التي ترتدي فستانا بدون أكمام من قماش الساتان الكحلي المنقوش برسوم وردية اللون ومذيل بإطار

عريض من الساتان الوردي ويحيط خصرها حزام وردي اللون به وردتان مع حذاء وردي كلاسيكي يناسب عمرها وبدون كعب .
وكعادته كان رامز صامتا منزويا يكتفي بعلاقات سطحية ومتباعدة عن الجميع سواء من أهل بلده أو من أهل البلد الذي يقيم فيه فبعد أن هنأ العريسين .. أخذ يلهو مع شمس التي كانت تدور حول نفسها لتنفش تنورة الفستان ثم تقع فيضحك رامز ويساعدها على الوقوف لتكرر الكَرّة مرة أخرى .
من بعيد لمحته أم هاشم فلكزت مليكة قائلة بطريقتها المازحة "اللهم صل على النبي .. من رأيتهم في هذا الحفل من شباب مثل الورد في كفة ومحطم قلوب العذارى هذا في كفة أخرى .. ما هذا الذي أراه !.. هل دعوا نجوم السينما إلى الحفل؟"

كتمت مليكة ضحكتها وقالت" اخرسي يا أم هاشم ستفضحيننا"
ردت أم هاشم بحنق " وما ذنبي أن هذا الحفل ملغم بما يجلب الذنوب (وكسرت نظرتها المدققة فيه بصعوبة وهي تقول) استغفر الله العظيم لماذا لا يراعون حينما يطلون بوسامتهم هذه القلوب الصغيرة مثل قلبي الذي لا يحتمل "
ربتت مليكة على فخذها تقول بلطف "بل قلبك كبير وعظيم يا حبيبتي "
غمغمت الأخرى بصوت عال تسأل نفسها "ترى هل يحب محطم قلوب العذارى هذا الباذنجان الأسود؟! "..
ابتسمت مليكة دون رد وعادت بنظراتها مدققة في بسمة وكامل اللذيّن يجلسان بصمت وقد بديا متوترين بينما ونس وشامل في المقعدين المجاورين يتحدثان مع مفرح .. فجالت

بنظراتها تبحث عن الولدين فوجدتهما قد اندمجا مع صبي وصبية أخرين من المدعوين .. خارج بوابة الفيلا ترجل أحمد سماحة من سيارته ينفخ بغيظ فلم يستطع أن يتحمل وجود بانة وحدها في الحفل بعد أن تنازل أمام كلمة والده الذي لم يوافق على اعتذار بانة عن الحضور .. لقد تركها تذهب معهم لكنه لم يستطع تحمل فكرة أن تكون وحدها هناك أمام كامل نخلة بدونه فضغط على نفسه للحضور

.

عدل من سترة حلته الصيفية الأنيقة على بنطال من الجينز الأسود ودخل من بوابة الفيلا تعلو وجهه علامات القرف.. فاستقبلته شمس الواقفة مع خالها تقول بترحيب وهي تجري نحوه" أحمد"

مال يستقبلها بين ذراعيه ويرفعها ليحملها على ذراعه ثم سأل رامز بوجه ممتعض" هل الأمن مستتب؟"

رد رامز ببرود مناكفا" وهل تتوقع أن يكون غير ذلك وأنا موجود معهم !"

سأله أحمد بامتعاض "ولمَ لا تجلس بجوار أختك وتتركها وحدها ؟"

رفع رامز حاجبا ورد باستنكار " وهل أحضرتها معي للحفل لأقف عليها حارسا !.. بناتنا يا باشمهندس أحمد الواحدة منهم بمائة رجل وأنت تعرف ذلك جيدا"

رغم تيقنه مما يقول رامز لكنها الغيرة اللعينة التي تجعله يتصرف بغباء أحيانا فقال بامتعاض وهو يتركه مبتعدا" متفزلك مثل أختك .. الآن عرفت من أين تشبعت بالفزلكة"

راقبه رامز وهو يبتعد وزينت شفتيه ابتسامة ثم أسرع يشعل سيجارة في عدم وجود شمس .

تفاجأت بانة بوجود أحمد ورغم جمود ملامحها إلا أن وجنتاها تخضبتا بشكل واضح وهي تراه يسلم على العم غنيم مباركا وهو يحمل شمس على ذراعه .

بعد دقائق اقترب منها وألقى سلاما مقتضبا ثم جلس بجوارها يضع شمس على المقعد بينهما .. فردت هي وأمه السلام بينما حدجها بطرف عينيه وهو يسألها" كيف الحال؟"

ردت بهدوء "الحمد لله"

نزلت شمس من فوق المقعد وتركتهما لتعود للعب بينما سألته بانة" لماذا حضرت ؟"

وضع أحمد ساقا فوق الأخرى وفرد ذراعه على ظهر مقعدها ثم مال بوجهه يقول بهمس متطلعا في وجهها الأبيض وحجابها البني "وهل كنت تتوقعين أن أتركك أمام عينيه .. جئت قناصا للعيون التي من الممكن أن تنظر إليك "

لم تستطع التحكم في الضحكة التي زينت وجهها وأسرعت بالإشاحة بوجهها تداريها ..فارتعش قلب أحمد ثم غمغم وهو ينفض غبارا من فوق ركبته" اشرقت الأنوار يا فندم .. فقد كانت سماءنا غائمة بهرمونات النكد خلال اليومين الماضيين"

عادت تنظر إليه وتقول باستنكار " أنا نكد يا أحمد؟!!!"

رد باستنكار مماثل "هل تقصدين بأني سبب النكد!!.. (ونظر لبطنها) الحمد لله لست منفوخا بالهرمونات مثلك لأكون نكدا"

غمغمت بتهكم" لاااا أنت بالذات كالنسمة في يوم ربيعي "

قال ببرود وهو يرفع طرف حجابها فوق كتفها" احمدي ربك إذن على النسمة التي تعيشين معها"

قهقهت بانة رغما عنها وضربت كفيها ببعضهما متعجبة فشاركها أحمد الابتسام قبل أن يتطلع حوله في الحفل ويدقق في العريسين اللذين كانا أخر اهتماماته عند وصوله .. ثم توقفت عيناه عند بسمة وعقد حاجبيه مدققا فردت بانة على السؤال قبل أن يسأله " هي من تظن " نظر إليها متسع العينان فأضافت" هي بسمة طليقة سيد"

عاد أحمد ليتطلع فيها ثم قال بعدم تصديق" كيف حدث هذا ؟؟؟؟!!"

ردت بانة" سأخبرك بما عرفناه"

أخذ شامل وونس يرقصان من جديد على دقات الطبول وانضم لهما شباب ورجال جاليته ليؤدوا رقصتهم المشهورة فتحرك شامل يسحب أخيه وحاول مع بسمة التي اعتذرت فاكتفى بسحب كامل للاصطفاف

بجوار الراقصين واقترب من رامز المتابع بهدوء وسحبه هو الأخر وسيجارته ليصطف معهم وبدأوا جميعا يؤدون رقصتهم على أنغام الطبول .

وقفت ونس تراقبهم سعيدة بينما راقبت بسمة كامل وهو يرقص معهم في الوقت الذي تعلقت عيني بانة بأخيها الذي يشاركهم الرقص والسيجارة معلقة بشفتيه .

تحركت أم بسمة من مقعدها الذي تجلس عليه منذ حضورها بجوار اخواتها البنات وزوجات أخوتها اللاتي حضرن معها واقتربت من بسمة والسعادة لا تسعها فناظرتها الأخيرة وابتسمت .

جلست أمها مكان كامل وقالت وهي تمسك بيدها دامعة العينان" فليكتب لك الله السعادة يا بسمة يا بنت بطني"

ربتت بسمة على يد أمها .. فسألتها أمها بفضول" من هذه المرأة التي كانت تسلم عليك بحرارة قبل قليل ؟ "

لم يكن لدى بسمة مزاج للشرح خاصة وأن أمها لم تقابل إلهام من قبل فقالت هاربة" لا تشغلي بالك يا أمي معرفة قديمة "

وعادت عيناها تتعلقان بكامل لترى إن كان ينظر لبانة أم لا .. ورغم أنه لم يكن يفعل أو يهتم كما بدا أمامها لكن نار الغيرة بدأت تأكل فيها بشكل غير مسبوق وتساءلت ..

أيفعل كل هذا ليثبت لبانة أنه سعيد بدونها!.

حاول شامل سحب مفرح الذي يقف بجوار مليكة حتى يشاركهم رقص بلدهم لكن الأخير رفض بحرج رفضا باتا .. فعاد شامل للرقص هو وونس التي كانت قد حفظت الخطوات رغم عدم متابعتها للإيقاع بشكل دقيق بينما انخرط وليد في الرقص مع الشباب مقلدا ما يفعلونه

وهو يضحك .. فراقبته مهجة بابتسامة
ارتسمت على شفتيها رغما عنها معترفة بأنه
سعيد اليوم بشكل واضح وقد اندمج وتآلف مع
معارف كامل وشامل بسهولة .
بعد قليل دخلت من بوابة الفيلا تسونامي التي
عادت من الخارج للتو لتتفاجأ بالعرس..
وبمجرد أن رأت العريسين اللذين جلس كل
منهما ليرتاح من الرقص بجوار عروسه اقتربت
تصيح بصوت عال لفت انتباه الجميع" ألف
ألف مبروك يا شباب والله هذا يوم سعد وهناء
لماذا لم تخبروني؟ "
اتسعت عيون التوأمين وتبادلا النظرات
المندهشة بينما لفتت تسونامي أنظار الجميع
بصوتها العالي ولبسها الملتصق بجسدها
ترتدي تنورة قصيرة فوق الركبة مشقوقة من
أحد الجوانب وبلوزة بدون أكمام ملتصقة
بجسدها ومفتوحة بشكل مبالغ فيه من عند

الصدر.. وشعرها الأشقر المصبوغ مفرودا على ظهرها .
نظرت الأخيرة لسوسو تضيف" ألف مبروك يا سوسو هانم لماذا لم تخبروني حتى أقوم بالواجب؟!"
ناظرتها سوسو من رأسها حتى أخمص قدميها وتطلعت في الموجودين بحرج شديد بينما قالت تسونامي "وبرغم هذا أنا بنت أصول ولن أفوت هذه المناسبة بدون أن أجاملكم في حفلكم .. سأتبرع برقصة للعرسان مجانا هدية مني لجيراني وخاصة غنيم بك "
كتم التوأمان الضحك بينما ناظرت سوسو غنيم باستنكار فتنحنح الأخير محرجا .
بحثت حولها تقول" أين مصدر السماعات أريد أغنية لأرقص عليها .. صابر الرباعي وعمرو دياب وهذه النوعية لن تسلطن خصر الراقصة تسونامي "

تطوع أحد الشباب الموجودين يساعدها في اختيار أغنية من هاتفه تصلح للرقص فوقع اختيار تسونامي على أغنية (شيك شاك شوك) ليسرع الشاب بتوصيل هاتفه بالسماعات بينما ناظرت ونس شامل بنظرة غاضبة جعلته يرفع يديه أمامها يقول ببراءة "أقسم بالله ليس لي بها أية علاقة إنها جارتنا"

بينما جلست بسمة تهز ساقها بعصبية وهي تتطلع بقرف في تفاصيل تسونامي التي بدأت في الرقص .

وضع كامل يده على ركبتها فناظرته باستنكار ليقول "اهدئي .. كيف لعروس أن تهز ساقها بهذه العصبية في حفل عرسها!!"

أوقفت هز ساقها لكنها قالت بغيظ "يبدو أن معارفك النسائية كثيرة يا أستاذ كامل "

رد كامل بهدوء "أنا الحقيقة لا أعرف من تقصدين بمعارفي النسائية الكثيرة .. لكن أتوقع

أن هذا ليس المكان أو الزمان للحديث عن تلك الأمور .. (واستدار إليها يقول بلهجة ذات مغزى) أم أن هناك شيء أخر يزعجك إلى هذه الدرجة؟!"

سألته بتحفز "ماذا تقصد؟"

كانت عيناها الفيروزيتين تناظرانه بغضب فجز على أسنانه وأشاح بوجهه يقول باقتضاب" لا شيء"

قالها وشرد في معاناته الخاصة .. لم يكن يتوقع أن يفسد هذا اليوم بهذا الشكل .. كان يتوقع بأن صراعاته ومواجهته لماضيها سيؤجل بعض الوقت لم يكن يعلم بأنه سيكون لحوحا لمواجهته بهذه السرعة .

ظلت تسونامي تهتز وترقص في وسط الحديقة وتتحرك نحو شامل وكامل وتولي ظهرها وتميل نحوهما راقصة .. فغمغمت مليكة من وقفتها في ركن الحديقة "لا حول ولا قوة إلا بالله !"

داري مفرح ابتسامة شقية ارتسمت على ثغره وكسر نظراته عن تسونامي بحرج ثم لكز مليكة يشير لها بمقلتيه على ولديه اللذان وقفا يتابعان تسونامي بفاهين فاغرين ووجنتين حمراوين ..فهمت مليكة بزجرهما للكف عن التطلع فيها لكن مفرح أوقفها يطلب منها ألا تضخم الموضوع .

قالت بهمس" ألا ترى كيف يحدقان فيها؟!!"

قال مفرح مازحا "أتركيهما الآن فهما يتلقيان صدمة حضارية"

في التفاتها وشعرها الطويل يرقص معها في الهواء لمحت تسونامي مفرح وتذكرته فاقتربت منه بخطوات راقصة وتجاوزت ولديه ثم وقفت ترقص أمامه وتميل عليه .. فشعر مفرح بحرج شديد بينما اتسعت عيني ولديه وهما يلويان عنقيهما يتابعان ما يحدث في الوقت الذي اتسعت فيه عينا مليكة بصدمة ومررت

أنظارها بين تسونامي ومفرح الذي وقف محرجا وعيناه تختلسان النظر لمليكة التي ناظرت تسونامي باستهجان وغضب ..فتحركت الأخيرة تعود لمنتصف الحديقة بينما ظل مفرح محاصرا بنظرات مليكة وولديه فهتف باستنكار "لماذا تنظرون إلي هكذا والله لا أعرفها"

تخصرت مليكة تقول باستهجان "ولماذا قطعت تلك المسافة إليك أنت بالذات؟!!"

غمغم لها بلهجة متوارية عن ولديه" وسامتي جذبتها بالتأكيد .. هل أنت متزوجة من رجل عادي !"

ظلت تناظره بعينين تطلقان الشرر .. فتمنى لو استطاع أن يلتهم شفتيها المزمومتين الشهيتين أمامه في الوقت الذي سأل فيه إياد مستهبلا" لماذا تهتز هكذا بجسدها يا أبي!"

هدرت مليكة فيه موبخة" أخرس يا ولد وكف عن الوقاحة"

ضحكات مكتومة صدرت من مفرح وولديه ثم عاد الأخيران يراقبان تسونامي ورقصها ليميل إياد على أخيه ويقول بصوت وصل لمليكة ومفرح جيدا "رأينا راقصة حقيقية يا أدهم .. (وأخرج هاتفه يقول ضاحكا) سأخبر أصدقائي على الواتساب "

ناظرت مليكة مفرح تطلب منه التدخل فحاوطها بذراعه يلصقها به قائلا بهدوء "مرري الأمر الآن ولا تدققي عليه وسأتحدث معهما فيما بعد أعدك "

على بعد خطوات سحبت بانة انظارها عن رامز الذي وقف بجوار البوابة يدخن كعادته وعيناه تراقبان رقص تسونامي ثم نظرت حولها تسأل حماتها بجزع" أين شمس يا أمي؟"

ردت إلهام وهي تنظر إلى يمينها حيث الناحية الأخرى من الحديقة" لا تقلقي إنها أمامي أتابعها بأنظاري "

عادت بانة لأحمد الذي يتابع تسونامي بأنظاره وملامح غامضة على وجهه فسألته باستنكار" إلام تنظر ؟"

انتبه أحمد ورد ببراءة مصطنعة" أنا ؟؟"

أكدت له تهز رأسها "أجل أنت"

أختلس نظرة جانبية لتسونامي ثم عاد ينظر إليها قائلا بنفس البراءة "أنا كنت أنظر أمامي"

قالت باستهجان "تقصد كنت تنظر إلى تلك الراقصة"

رد مجادلا" لا .. أنا كنت أنظر أمامي وهي جاءت في مجال نظري "

قالت بتوبيخ "فكنت تنظر إليها!"

رد ببراءة مصطنعة " يا بنت الحلال كنت أنظر أمامي فحسب .. هل سأرفع أنظاري للسماء وأنا

جالس ..أم ناحية اليسار إلى حيث البوابة .. هي من جاءت أمامي"
أمسكت بذقنه لينظر ناحيتها وقالت بغيظ
"بل لليمين يا أحمد تنظر إلى اليمين"
غمغم بمغازلة " وهل هناك أحلى من اليمين وأهل اليمين !"
اقتربت تسونامي من شامل تميل عليه فعاد بجذعه للخلف في جلسته بجوار ونس التي تخصرت وناظرت الأخرى شذرا فغمزت لها تسونامي بتسلي وابتعدت إلى حيث يجلس كامل.
ناظرت ونس شامل بغيظ فقال بهدوء
"صدقيني لا نعرفها مجرد جارة تتطفل عليّ أنا وأخي وفوجئنا بحضورها اليوم "
ضيقت عينيها فلف ذراعه حولها يقول بمناغشة وهو ينظر ليديها" هذه أول مرة أرى في حياتي نقوش حناء ملونة "

رفعت ذقنها بكبرياء ثم مدت يدها لجيب سترته الداخلي وسحبت هاتفه تكتب عليه "أنا شجعت صاحبة الصالون على أن تجربها معي فبعض العرائس لم يكن لديهن الجرأة لتجربة الجديد "

أخذ منها شامل الهاتف ليقرأ ثم قال بإعجاب واضح "الحقيقة شكلها رائع جدا (ثم اقترب من أذنها حتى لا يضطر لتعلية صوته مع الموسيقى وسألها بشقاوة) وهل يدك فقط التي رسمتي عليها بهذه الحناء الملونة "

تابع مبتسما تدرج احمرار وجهها قبل أن تميل للأمام قليلا وتخبئ وجهها بكفيها فاتسعت ابتسامته وغمغم وهو يعيد الهاتف لجيب سترته الداخلي " هانت إن شاء الله وسأعرف الإجابة بنفسي (ونظر في ساعته مغمغما) لماذا طال هذا الحفل لا أعرف! "

أما العروسان الأخران فكانت بسمة تشيح بوجهها بعيدا عن تسونامي وهي تهز ساقها بعصبية بينما كامل يقابل ميوعة الأخيرة أمامه بوجه بارد متعالٍ جعلها تعود لأدراجها في وسط الحديقة بعد قليل .

على ناحية أخرى كانت أم هاشم تقف على بعد خطوتين من مليكة تترك لها بعض المساحة مع زوجها حينما اقترب منذ قليل ليقف بجانبها .. فوقفت أم هاشم تتطلع في تسونامي تارة وتختلس النظر لرامز تارة أخرى.. ليس فقط لأنه أوسم شاب في الحفل ولكن أيضا لأنها تستشعره وحيدا مهموما مثلها ..
كان الشعور بالوحدة يسيطر عليها بشدة .. فما أصعب أن تسافر أو تحضر مناسبة وحدك دون رفيق أو صاحب .. إنها ملتصقة بمليكة معظم

الوقت لكنها تضطر للابتعاد بمجرد أن يقترب زوجها فتلح عليها الوحدة بشدة .
عادت تنظر لتسونامي التي أوشكت على أن تنهي فقرتها الراقصة وغمغمت بصوت عال "والله لا أرى أي رقص لكنها كمن تمسك بسلك كهرباء عاري فترتعش "
ردت إلهام التي كانت تجلس في المقعد المجاور لوقفتها مؤمنة على كلامها" صدقت والله "
ابتسمت أم هاشم وأضافت وهي ترى تسونامي قد أنهت فقرتها وتحيي الحاضرين "انتهت فقرة المغص الكلوي الحمد لله "
ضحكت إلهام ورفعت أنظارها نحوها تقول "أسعدك الله أنت خفيفة الظل "
ابتسمت أم هاشم ولم تعقب فسألتها إلهام بفضول "من طرف أي عروس أنت ؟"
ردت أم هاشم بهدوء" صاحبة العروس بسمة "

ابتسمت إلهام وغمغمت" العقبى لك (وانتبهت لما قالت فدققت فيها تقول) أعتقد بأنك لست متزوجة أليس كذلك؟"
ردت أم هاشم باقتضاب" لا "
قالت إلهام بمحبة " رزقك الله بالزوج الصالح يا ..."
وصمتت فقالت الأخرى" أم هاشم .. اسمي أم هاشم (واسرعت بالقول) هذا اسم مركب"
ضحكت إلهام وردت "أعلم بأنه اسمك وحدك .. رزقك الله بالزوج الصالح يا أم هاشم "
أمنت أم هاشم خلفها ثم لمحت شمس سماحة تقع على الأرض فأسرعت كل من أم هاشم وإلهام إليها .. لكن الأولى كانت أسرع في الوصول فأوقفتها تنفض ثيابها ومالت تقبلها وهي تغمغم" بسم الله ما شاء الله ربي يبارك فيها "

قالت إلهام لأم هاشم وهي تأخذ منها شمس وتحضنها " رزقك الله ما تتمنين يا بنيتي (وتطلعت فيها تضيف) والله لقد ارتاح قلبي لك "

ربتت أم هاشم على ذراعها بدفء وعادت معها إلى حيث كانت تجلس إلهام التي قالت وهي تفسح الأريكة بجوارها "لماذا تقفين هكذا تعالي وأجلسي بجواري "

قالت أم هاشم بلطف" تعبت من الجلوس شكرا لك "

ثم عادت لتنظر إلى ما يحدث حينما أسرع شامل بعد انتهاء تسونامي من وصلتها الراقصة بالعودة بسرعة لفقرات الحفل خوفا من اقتراح الأخيرة لوصلة ثانية فشغل أغنية لصابر الرباعي ودعا الثنائيات للرقص على شرف العرسان .

سحب كامل بسمة من يدها لتقوم من جلستها وشدها خلفه وسط اعتراضها وهي تقول" ماذا تفعل ؟"

رد ببرود وهو يقف أمامها" اساعدك في خطتك ..ألا تريدين إغاظة أناس معينين هنا .. وإيصال رسالة بأنك تتقافزين من السعادة بزواجك مني!"

امتقع وجهها وهتفت بإنكار" ما الذي تقوله!!"

قال بلهجة صلبة وهو يلف ذراعيه حولها رغما عنها " أقول الحقيقة الواضحة وضوح الشمس منذ أن انقلب وجهك لترسمي عليه السعادة المتناهية بمجرد أن رأيتهم .. ثم انقلب للنقيض بمجرد أن ابتعدوا "

تلجم لسان بسمة وأخذت تتطلع فيه من هذا القرب الشديد وتستشعر ذراعيه القويين يحيطان بها في الوقت الذي تسللت بينهما

كلمات الأغنية تحاول السيطرة على تلك الهالة من الغضب والإحباط التي تحيط بالاثنين.

وأنا بين ايدك ..دوبت في مكاني
ونسيت معاك ...عمري و زماني
و الوقت فات وياك ثواني
قربني ليك سبني أعيش احساسي بيك

ارتبكت ونس وهي تقف أمام شامل الذي قال بهدوء" لا تقلقي اتركي نفسك لي "
لف ذراعيها حول عنقه وحضن جذعها يلصقها به بعد أن مال يقبل شعرها قائلا "تتبعي خطواتي "

بتحدى العالم كله وأنا وياك ..
وبقول للدنيا بحالها إن أنا بهواك
وإن انت حبيبي و قلبي و روحي معاك
قربني ليك سبني أعيش احساس هواك

سحب مفرح مليكة التي اتسعت عيناها تقول
بهمس مفرح "ماذا تفعل؟؟!!"
غمغم وهو يقف أمامها" سنرقص مثل
الثنائيات التي ملأت ساحة الرقص هل نحن
أقل منهم"
قالت بحرج وهي تحيط ذراعيها بعنقه "وهل
تعرف هذا النوع من الرقص !"
رد وهو يحيط ذراعيه بخصرها ويلصقها به
"أنا لا .. لكن قلبي يعرف كيف يراقص مليكته
وسيتولى الأمر"
ناظرته بحب فلصق جبينه بجبينها لتهمس
باعتراض أمام خضار عينيه "مفرح ..الناس "
رد دون أن يغير من وضعه" نحن خارج القرية
الآن دعينا نتنفس قليلا بالله عليك "
أنا عشقي ليك عشق القمر ..
للنجمة و الليل و السهر
والشوق إليك فوق الخيال ..

فوق احتمال كل البشر
من يوم لقاك حلوه الحياة

كان ذراع أحمد لا يزال فوق ظهر مقعد بانة وكأنه يعلن للجميع أنها ملكه بينما مد يده الأخرى ليتحسس بطنها ثم تعانقت العيون الساكنة بالعشق قبل أن يشبك أصابعه بأصابعها ويرفع يدها إلى فمه ليقبل ظاهرها وهو يقول "لولا أني متعمد عدم المشاركة في أي شيء في هذا الحفل كنت راقصت البونبون "

اتسعت ابتسامتها وضمت يدها في يده أكثر ثم عادا يتابعان في صمت رامز الذي يراقص شمس على أنغام الموسيقى يتحرك مع خطواتها الصغيرة ثم يمسك بيدها لتدور حول نفسها .

اتحدي بيك كل الوجود..

وياك أكون أو لا أكون
أنا مش هعيش من غير هواك ..
أنا قلبي عاشق للجنون
من يوم لقاك ...حلوه الحياة

سحبت أم هاشم أنظارها من ساحة الرقص ونظرت حولها تغمغم لنفسها" ألن يفتحوا موائد الطعام لنملأ بطوننا على الأقل " بينما ظلت مهجة تتبادل مع وليد النظرات عبر الحديقة فقد لازمت أمه وأخواتها منذ بداية الحفل وهو كان يتسامر مع من تعرف عليهم من الشباب لكن كل منهما كان يراقب الأخر خاصة مع كلمات الأغنية التي اخترقت قلبيهما بسهام من مرارة الخيبات .

بتحدى العالم كله وأنا وياك ..

وبقول للدنيا بحالها إن أنا بهواك
وأن انتا حبيبي و قلبي و روحي معاك
قربني ليك سيبني أعيش احساس هواك.

كانت بسمة بين ذراعي كامل تقاوم بشدة الاستسلام لذلك الشعور بالخدر الذي يتسلل إليها بقربه .. ترفض أن تكون بسمة القديمة .. أو ربما تذكرها للماضي بوجود آل سماحة جعلها لا تريد أن تضعف .. خاصة وهي تواجه أول تحدي لها في حياتها الجديدة ألا وهو أنها غير قادرة على التعامل مع خاطرة أن كامل يفعل كل ما يفعل ليظهر أمام بانة بأنه سعيد. تكلمت أخيرا ترد على جملته الأخيرة والتي تلجم لسانها حين لم تجد ردا عليه " لا تتحدث عن الاستعراض يا كامل فأنت أول المتهمين "

أبعد رأسه عنها يقاوم مشاعره التي اهتاجت من لمسها أخيرا ولأول مرة وقال بحشرجة "أنا استعرض !..لماذا؟!!"

ردت بتحدي " لتثبت لبانة التي حاولت التواصل معها من خلف ظهر زوجها بأنك لم تعد تفكر فيها "

لاحت الخطورة على وجهه وناظرها بغضب يقول بصوت هامس " أخفضي صوتك .. بم تهذين؟!! .. هل جننت!!"

قالت بلهجة متحدية هامسة رغم توترها من ملامحه الغاضبة" أليست هذه الحقيقة .. لقد تذكرت منذ قليل سبب المشاجرة ؟"

جز كامل على أسنانه يقاوم موجة غضب عارمة وهو يناظرها باستنكار ولم يدر بأنه قد ضغط على خصرها بقوة تحت أصابعه وهو يقول" أي جنون هذا الذي تقولينه !"

تأوهت بسمة ووقفت تنظر إليه بغضب بعد أن أفلتت من بين ذراعيه .. فناظرها كامل يحاول أن يقرأ ما تفكر فيه ..

نظرت بسمة نحو بوابة الفيلا تشعر بالاختناق لكنها لمحت والدها ووليد وهما يثرثران مع العدد القليل من أقاربها الذي حضر ..لكن شعورها بالاختناق كان يحاصرها .. يطبق على صدرها .. ومشاعر جمة متباينة ضاغطة متناقضة تحيط بها.. وبأنها بحاجة ماسة للتنفس.. بحاجة لمساحة وحدها.

أخذت تتلفت حولها من جديد ليسألها كامل بعبوس وهو يحاول سحبها إليه لاستكمال الرقص "بمَ تفكرين؟"

لم تسمح له بالإمساك بها وإنما تراجعت للخلف ثم استدارت فوجدت باب الفيلا الداخلي أمامها فأسرعت إليه مهرولة .

اسرع كامل خلفها بينما كانت عيون غنيم وسوسو متفاجئة بما يحدث ولاحظا أن البعض بدأ يتتبع العروسين الذين هرولا للداخل فقال غنيم بسرعة يسحب الانتباه عنهما "تفضلا يا جماعة العشاء جاهز " توقف الثنائيات عن الرقص وغمغم شامل مقتربا من والده "ماذا حدث ؟"
قال غنيم بغضب" لا أعرف ماذا يفعل هذان المجنونان .. يكفينا فضائح من أول اليوم "

الوضع كله كان ضاغطا .. ومشاعر جمة تلاحقها .. تضغط عليها .. ترعبها ..
وكأنها تقف على ميناء (الحاضر) تستعد لركوب مركب نحو (المستقبل) يجرجر خلفه ثقل خيبات (الماضي).
إلى إحدى الغرف في الطابق الأرضي لجأت بسمة لكن كامل لحق بها هاتفا بغضب "ماذا

تظنين بأنك فاعلة ؟...كيف تتركيني بهذا الشكل المحرج أمام الناس !!"
استدارت إليه في ثورة عارمة ليست من طباعها وهتفت "آسفة يا أستاذ كامل أني أفسدت مظهرك أمام من تريد أن ترسم أمامهم صورة رائعة "
رفع سبابته أمامها محذرا بغضب شديد "اسمعي يا بسمة هذا الامر الذي تخوضين فيه بعدم فهم حساس جدا ويمس أخلاقي.. كما أنه يمس امرأة متزوجة.. ولهذا أنا لن أقبل منك أبدا التحدث فيه بهذه الطريقة.. إن كنت تريدين تفسيرا للموقف القديم أطلبي مني بدون افتراضات وتكهنات منك وأنا سأفسره لك ..أما غير ذلك فهو غير مسموح "
حينما دعاها باسمها الحقيقي دون تدليل كما يفعل دائما حزنت وكأنه قد نزع عنها تميزا .. وساقتها ظنونها لأن تغيره بسبب وجود بانة

فتألمت بشدة .. ودعاها ذلك لأن تقاوم أي ضعف أمامه فرفعت ذقنها الجميل تقول بكبرياء مجروح "ومن قال بأني أريد تفسيرا؟.. أنا فقط لا أرغب في أن أكون جزء من كذبة تحاول رسمها ببراعة أمامها هي وزوجها " شعر كامل بأن غضبه أوشك على أن يكون خارج حدود سيطرته فمرر أصابع يديه في شعره يغمغم " اللهم طولك يا روح .. أنظر ماذا أقول أنا وبم ترد هي !..(وأنزل ذراعيه يسألها مضيقا عينيه) هل أعتبر هذا غيرة؟"

ارتبكت بسمة .. ولم ترغب أبدا في أن تكون مثيرة للشفقة .. فأولته وجها باردا وردت بلهجة أبرد " غيرة! .. مِن مَن وعلى من؟" آلمه لهجتها الحادة التي اصطدمت باعتداده بنفسه بينما أكملت هي مفسرة" أنا فقط أرفض أن أكون ...."

طرق بالعصا على الباب المفتوح أجفل بسمة وأخرسها وهي تتطلع في غنيم الذي وقف على باب الغرفة يقول بلهجة غاضبة" ماذا يحدث هنا بالضبط؟.. وكيف تتركان الحفل فجأة لتتشاجرا ؟!"

أطرقت بسمة برأسها معترفة لنفسها بأنها خرجت عن السيطرة بينما قال كامل مفسرا "إن بسمة مستاءة من وجود بانة وزوجها "

قال غنيم بلهجة حازمة "عليكما احترام الظرف الذي نحن فيه وتقدير موقفنا الحرج أنا وسوسو منذ بداية ارتباطكما لا أن تتصرفا كالأطفال بهذا الشكل "

شعرت بسمة بالخزي من تصرفها .. واعترفت بأن أهل كامل ليس لهم ذنبا فيما يحدث في حياتها من تعقيد .. ورغم شعورها بالغيرة إلا أنها اعترفت أيضا بأن كامل ليس له ذنبا هو الأخر.. يكفي مسايرته لها في الموقف الذي

وضعا فيه ..فصمتت مطرقة برأسها ولم تعقب بينما قال كامل مشفقا على شعور بسمة بالحرج الواضح بوقفتها أمام والده "لا بأس يا أبي نعتذر وسنخرج حالا "

نظر غنيم لكليهما ثم تحرك مغادرا للغرفة فسحب كامل نفسا عميقا وقال بهدوء "سأكرر ما قلته لك من قبل .. الموضوع الذي تتحدثين فيه ليس كما تتصورينه .. إن أردت معرفة التفاصيل اسأليني وسأجيب .. والآن هلا عدنا للحفل وأجلنا الشجار ؟"

هزت رأسها موافقة وقد هدأ بعض من غضبها فأشار لها بيده لأن تخرج أولا .. فتحركت تمسك بطرف فستانها الذي يحف ذيله في أرضية الفيلا مصدرا صوت حفيف ناعم مصاحبا لنقر كعبي حذائها داعب أذني كامل الذي لحق بها في صمت .

عند باب الفيلا اقترب كامل ولف خصرها بذراعه شاعرا بتشنج جسدها فقال وهو يتطلع في المدعوين الذين يحملون أطباق الطعام
"تحملي حتى تنتهي الليلة بسلام"
قالها وتحرك معها نحو الموائد يتقبل التهاني من هنا وهناك راسما ابتسامة ضعيفة على شفتيه لم تمس قلبه .

عند طرف أخر من الموائد اقتربت أم هاشم بصحنها من رامز المنهمك في اختيار ما يريد من الطعام بينما مليكة خلفها تقرصها بعد أن لحقت بها حتى لا تتمادى في شقاوتها.. لكن أم هاشم كانت تبعد يد مليكة من خلف ظهرها وهي تتطلع عن قرب في رامز الذي بدا متحيرا أمام الأصناف لا يعرف ماذا يختار .
تحرك رامز قليلا فتبعته أم هاشم تمسك بصحنها فارغا بينما وقف هو أمام صحن الأرز

الكبير وغرف لنفسه فظلت تحدق فيه متمتمة
بصوت خافت" اللهم صل على النبي!"
رد رامز تلقائيا دون أن يرفع أنظاره عما أمامه
"علية أفضل الصلاة والسلام .. الأكل يبدو
رائعا فعلا ..لكن لا عجب فالعريسان طباخان "
غمغمت بلهجة ذات مغزى" هو فعلا رائع جدا
رائع بطريقة لا يمكن تصورها "
رفع رامز أنظاره إليها ورد عليها متبسما
"المشكلة أن المرء يصاب بحيرة شديدة أمام
تعدد الأصناف (وقدم لها ملعقة كبيرة مملوءة
بالأرز بعد أن انتهى من ملء صحنه قائلا) هل
تريدين؟ "
مدت أم هاشم له طبقها تهز رأسها في خرس
فغرف لها فيه قليلا من الأرز ثم سألها إن كانت
تريد المزيد فردت برقة مصطنعة جعلت
مليكة الواقفة بجوارها من الناحية الثانية
تشيح بوجهها بعيدا تداري ضحكتها "لا شكرا

فأنا لا أكل الكثير من الأرز لأحافظ على رشاقتي
"

قال رامز بلطف" أما أنا فأعشق الأرز"
قالها وهز رأسه بتحية مودعة يهم بالابتعاد
فأسرعت أم هاشم تسأله" والباذنجان الأسود؟
.. هل تحب الباذنجان الأسود ؟"
تطلع فيها رامز عاقدا حاجبيه وهو يقول "نعم
"!!
عدلت أم هاشم من حجابها بحركتها المختالة
الفكاهية وقالت بصوت رقيق " أنا أعمل HR
لشركة تجهيز وتغليف الخضروات الطازجة ..
وكنا نجري استقصاءً لمعرفة عدد الناس الذين
يحبون الباذنجان الأسود لنرى جدوى طرحه
ضمن الخضروات التي نقدمها مغلفة "
حرك رامز مقلتيه بحيرة ثم رد بينما صوت
ضحكات مليكة يأتيها من الخلف " أجل أحب
الباذنجان الأسود"

اتسعت ابتسامتها حتى ظهرت غمازتيها المخبأتين تحت سمرة بشرتها وغمغمت "جبر الله بخاطرك يا أستاذ"

هز رامز رأسه وتحرك يغادرها وعلى وجهه علامات تعجب فقالت لها مليكة موبخة من بين ضحكاتها "ألن تكفي عن الشقاوة أبدا ..الرجل شعر بأنك غريبة الأطوار"

غمغمت بهيام" قال يحب الباذنجان الأسود يا مليكة"

ضربتها مليكة على ذراعها تقول" لا فائدة منك ولا مفر من شقاوتك .. افسحي حتى أعد طبقا لمفرح"

تحركت مليكة بجوار الطاولات تختار ما يحبه مفرح من أصناف بينما وقفت أم هاشم تتطلع في الطبق الذي يحتوي فقط الأرز وعادت لبؤسها تحدث نفسها "ليست شقاوة وإنما

مسكنات لأداري ألم جرح نازف .. كلهم مهما
بلغت وسامتهم مسكنات أمام الغالي"
سرحت بعين خيالها للحظات رأت فيها جابر
يدخل من بوابة الفيلا ليحضر الحفل .. ورأته
يقترب منها ليسألها ويطمئن إن كانت بخير ..
وتمنت بشدة أن تخبره بأنها ليست بخير ..
ليست بخير أبدا ..
وتمنت ..
أن تمسك بطرف جلبابه كطفلة صغيرة وتتبعه
أينما ذهب في الحفل حتى لو لم يلحظ وجودها
..
تمنت ..
أن تكون قطعة خيط زائدة في طرف ثوبه ..
مجرد قطعة خيط ..
لن يعيرها اهتماما ولن يلاحظها أحد..
قطعة خيط لن تفسد مظهره ..

ليتها تلك القطعة من الخيط حتى ترافقه دوما أينما ذهب .

ابتسمت لهذه التخيلات و نفضتها عنها بقوة ثم تحركت شاردة أمام الموائد تبحث فيها عن صنف من الطعام يسد جوعها .

سلم أحمد على غنيم بعد قليل ومالت شمس من فوق ذراع والدها لتطبع قبلة على وجنته مودعة ثم تحرك مغادرا ليلحق بالحاج إبراهيم وإلهام وبانة الذين سبقوه مع رامز وخرجوا من باب الفيلا .. وقد تعمد أحمد ألا يسلم إلا على شامل سلاما باردا عابرا اقتضته المجاملة حينما وصل أول الحفل ..

بمجرد أن وصل بالقرب من بوابة الفيلا سمع من يناديه " انتظر يا أحمد "

استدار ليجد كامل يقف واضعا يديه في جيبي بنطاله فأنزل شمس وقال لها " هيا إلى خالك"

ونظر لرامز الواقف عند البوابة ليستقبل شمس فقابلها الأخير ثم وقف يراقب من بعيد لقاء أحمد وكامل بترقب .

سأله كامل بهدوء " هل وصلتك الرسالة التي أرسلتها لك مع رامز ؟"

وقف أحمد مثله يديه في جيبي بنطاله بوضع لا يقل عنه عنجهية وقال ينافسه في الغرور " والمطلوب ؟"

جز كامل على أسنانه وشعر بالغيظ وبرغبة في ضربه لكنه يعترف في قرارة نفسه بأنه مخطئ في حقه فقال بلهجة متكبرة " أنا فقط أردت أن أكرر لك أسفي وأؤكد لك أن نيتي لم يكن فيها أي رغبة في التعدي على حرمة بيتك .. (وأضاف بضيق لاضطراره للاعتراف) وأعترف بأنه كان سوء تصرف مني"

سأله أحمد ببرود" هل انتهيت؟"

أدرك كامل بأن الأخر لن يلين فرفع ذقنه ولم يرد ..ليستدير أحمد مغادرا وهو يقول "وصلت المعلومة"

طحن كامل ضروسه ورفع قبضته أمامه وهو يشاهد ظهر أحمد المغادر ثم غمغم لنفسه " فعلت ما في استطاعتي فليذهب للجحيم هو وعنجهيته"

أمام بوابة الفيلا بعد قليل ودعت أم بسمة ابنتها بعينين دامعتين جعلت الأولى تتأثر بشدة ثم رفعت فاطمة عينان مترجيتان لكامل وقالت وهي تشدد على يده بكلتا يديها" ابنتي أمانة عندك يا كامل "

ربت كامل على يدها بمحبة وقال مطمئنا "لا تقلقي عليها يا حاجة فاطمة .. "

بعينين دامعتين تطلع عيد في ابنته التي بدت أمامه خاطفة للأنفاس بجمالها .. ثم اشاح

بوجهه واضعا يديه في جيبي جلبابه يقول لها بامتعاض " تحقق لك ما تمنيته يا بنت عيد .. وأكرمك الله وسترك وأكرم والدك.. أتمنى فقط ألا تنسي الرجل العجوز الذي رباك "

انهمرت دموع ونس وأسرعت بإلقاء نفسها عليه تحضنه متأثرة فاستمر عيد بالإشاحة بوجهه والدموع تصر على الفرار من عينيه الغائرتين الصغيرتين .. وأصر ألا يخرج يديه من جيبيه حتى لا يتشبث بها كالأطفال ويفضح مشاعره التي تعتمل في صدره .. لكنه غمغم قائلا بحشرجة " هيا عودي لباقي المدعوين عليّ أن ألحق بالطريق قبل أن تشتد ظلمة الليل"

ابتعدت ونس عنه تناظره بعينين باكيتين تقولان الكثير رغم خرس صاحبتهما .. فأبعد عيد نظراته عن ابنته بصعوبة وقال لشامل

الذي يقف بجوارها "هيا عد أنت الأخر للحفل
لا تقفا هكذا دون داعي "
تحركت قدما عيد بصعوبة وهو يتطلع في فلذة
كبده معترفا بأن الموقف أصعب مما توقع ..
وكأن قلبه المتمثل في هذه الجنية التي كانت
تجن جنونه ينتزع منه لحظتها فأسرع نحو
السيارة التي تنتظره ..
ناداه شامل وقد اشفق عليه" يا حاج عيد"
توقف للحظة يمسح دمعة فقد السيطرة عليها
فانهمرت واستدار إليه ليجد شامل خلفه
مباشرة .. والذي مال عليه وقبّل رأسه يقول
مطمئنا بلهجة متأثرة" لا تقلق عليها أبدا "
غمغم عيد وهو يشيح بيده مبتعدا " لست
قلقا ..لست قلقا هيا عد لضيوفك ..السلام
عليكم "
اسرع بالابتعاد ثم ألقى بنفسه في السيارة التي
تنتظره بينما اقتربت ونس من شامل وقد ازداد

نحيبها وهي تتطلع في والدها الذي يشيح بوجهه الناحية الثانية ليداري دموعه التي وجدت طريقها بين تجاعيد وجهه .. فلف شامل ذراعيه حولها يواسيها .

بعد أن سلمت مهجة ومفرح ومليكة على بسمة جاء دور أم هاشم التي حضنتها بقوة فتأثرت بسمة وهي تشعر بارتعاش جسد الأخيرة التي همست بتأثر "سأشتاق لك يا بنت الوديدي .. للمرة الثانية تتركيني وتذهبي للعاصمة لكني لست حزينة بل سعيدة من أجلك وأتمنى لك السعادة من كل قلبي"

ربتت بسمة على ظهرها وردت بعاطفة قوية " هذه المرة لن التهي بحياتي كالمرة السابقة بل سنظل على تواصل وسأراك كلما زرت البلدة ليس لأنك مديرة مشروعي ولكن لأنك صديقتي "

لم ترد أم هاشم بل شددت من احتضانها في الوقت الذي كانت فيه مليكة هي الأخرى متأثرة بوادع ونس .
بعد وداع حار للعروستين اسرعوا جميعا لركوب السيارات عازمين على العودة للبلدة .. وبعد أن جلس وليد أمام المقود لم يستطع الصمود وترجل مرة أخرى يتجه نحو بسمة التي كان يعلم بأنها لن تهتم بما يشعر به من مشاعر تأثر ومحبة تجاهها لكنه لم يستطع المغادرة دون أن يودعها .

تفاجأت بسمة بوليد القادم نحوها .. وقبل أن تستوعب كان يميل ويحضنها بقوة فارتعشت الدموع في مقلتيها وهي تنظر للمصابيح الضوئية التي تزين الشارع بينما همس وليد بلهجة صادقة دافئة بجوار أذنها" أعلم بأنك لم تسامحيني بعد .. لكني ويعلم الله سعيد من

أجلك جدا وسعيد أن الله قد جبر بخاطرك ..
وأعدك بأني سأتغير وأتمنى من الله أن أكون
يوما أخا تفتخرين به يا أختي "
لم تستطع بسمة الصمود فهذا الأحمق بمثابة
ابنها فربتت على ظهره تقول بصوت باك"
أتمنى أن أراك دوما في أحسن حال يا وليد "
ابتعد عنها يتطلع فيها أمام انظار كامل
الممتعضة والذي رفع حاجبا وهو يراه يمسك
بيديها الاثنتين ويقبل ظاهرهما ثم مال يقبل
جبينها فتدخل كامل يقول وهو يسحبها من
ذراعها من بين يديه "ينادونك يا وليد"
بعينين دامعتين تطلع وليد في بسمة ثم تحرك
للخلف خطوتين وهو لا يزال ينظر لها قبل أن
يستدير نحو سيارته أمام عيني مهجة التي كانت
سعيدة جدا من تصرفه .

بعد قليل أدخل كل عريس عروسه إلى حديقة الفيلا ليعودوا جميعا لباقي الضيوف في الحفل الذي لم ينتهي بعد .

بعد ساعة

شردت أم هاشم في كلمات الأغنية المنبعثة من مشغل الموسيقى في سيارة مفرح وهي تستند برأسها على النافذة تحدق في الطريق المظلم أمامها الذي ليس له أول من آخر .

ياريتك فاهمني بجد زي ما بفهمك
وتقرا اللي جوايا اما عيني تبصلك
يا حلمي اللي متأجل وانا هاموت و احلمك
يا عمري اللي ناقص عمر نفسي اكملك

في الوقت الذي مد مفرح من جلسته أمام المقود يده ليحضن يد مليكة التي شعرت بالحرج لربما أم هاشم تشاهدهما .. لكنه أصر على أن يشبك أصابعه بأصابعها ويسحب يدها ليضعها على فخذه يحرك إبهامه برفق على

ظاهرها مع كلمات الأغنية مستشعرا فقد السيطرة التام على زمام أمره .

يا كل الكلام اللي بشفايفي بهمسه
يا املي اللي بتمنى اطوله أو ألمسه
يا هوا من زمان عايشة عشان بتنفسه
ياريت ابقى اخرك في الحياه دي و اولك

لفت أم هاشم طرف أحد الخيوط التي انفرط منها الخزر الأسود الذي يزين كم عباءتها السوداء حول أصبعها وهي لا تزال تحدق في الظلام .

لو اختار ما بين نفسي وما بينك هاعترف
بإن انت أغلى و أولى وكمان أولا
بحبك سنين في السر وما حدش عرف
وانا ادفع سنين تانيين واحبك في العلن

بعد دقائق توقفت السيارات العائدة للبلدة على الطريق للتزود بالوقود وابتياع المشروبات أو دخول الحمامات فترجل مفرح من السيارة

بينما قالت أم هاشم لمليكة وهي تلمح سهم يعلن عن وجود مصلى للسيدات" سأتوضأ وأصلي العشاء يا مليكة اخشى أن أصل البيت متعبة فلا استطيع صلاتها "

هزت مليكة من المقعد الأمامي رأسها وهي تتفقد أدهم وإياد اللذان يجلسان بجوار أم هاشم فوجدت الأول يتابع شيئا على هاتفه بينما الثاني يسند رأسه للخلف على ظهر المقعد ويغط في نوم عميق .

ترجلت أم هاشم وتطلعت حولها في المكان الهادئ الساكن تحت جناح الليل الأسود وشكت في أن تجد المصلى مفتوحا لكنها حين اقتربت وجدت غرفة صغيرة مضاءة فأسرعت نحو الحمام الذي يبعد عنها بضعة أمتار لتتوضأ .

بعد دقائق سمت بسم الله وهي ترفع طرف عباءتها وتخطو من فوق الحاجز الخشبي أمام

الباب لتدخل الغرفة الصغيرة التي يشع منها
ضوء يميل للون الأخضر كلون السجاد
المفروش .. وشعرت أخيرا بالراحة والسكينة ..
بعد أن كانت تشعر بالاختناق الشديد ..
فتوجهت نحو القِبلة ووقفت تضع حقيبتها
أمامها ثم رفعت يديها تكبر وتبدأ في الصلاة .

حالتها النفسية سيئة عليها أن تعترف بذلك ..
حالة من الضعف والهوان ومن ضيق الصدر لم
تحدث لها من قبل .. وكأن قدرتها على المقاومة
قد ضعفت .. وكأن السقم قد احتل روحها..
نهرت نفسها تحاول أن تقاوم ما تشعر به ..
لكنها لم تستطع .. حين سلمت ناجت ربها
تقول" يا رب .. اشعر بضعف شديد فامدني
بالقوة .. يا رب أنا لا أحقد على أحد وأنت
وحدك تعلم.. لا أحقد على أحد وأتمنى
للجميع السعادة .. لكني تعبت يا رب .. تعبت

وأريد أن أرتاح .. أشعر بالوحدة الشديدة .. وها هي بسمة تركتني ورحلت هي الأخرى ..(انهمرت دموعها وأضافت باكية) يا رب أحاول ألا أقنط من رحمتك أحاول أن أصبر .. أدرب نفسي على الرضا لكن نفسي تعصاني أحيانا .. تخرج عن سيطرتي ..أحاول أن أهذبها لكنها تريد من مطامع الدنيا الكثير .. (واجهشت بالبكاء تتمتم) ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به.. ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به .. أشعر بأني لم أعد قادرة على التحمل يا الله .. لكني لا أريد أن اقنط من رحمتك .. لا أريد أن اقنط من رحمتك فماذا عليّ أن افعل .. ساعدني يا رب ونور بصيرتي وامنحني القوة"

" أنت قلتها بنفسك عليك ألا تقنطي من رحمة الله "

جاءها الصوت من خلفها فانتفضت تدير وجهها نحوه لتتفاجأ بامرأة عجوز تجلس

بالقرب منها وتستند برأسها إلى الحائط فقالت أم هاشم بفزع" بسم الله الرحمن الرحيم !من أنت؟ ومتى دخلت؟!"

ردت العجوز ببساطة " دخلت قبل دقائق وأنت تبكين"

ظلت أم هاشم ممسكة بقلبها تحاول أن تهدئ من ضرباته المفزوعة وهي تغمغم "أفزعتني سامحك الله "

غمغمت المرأة بهدوء وهي تحرك سبحتها وتنظر في الفراغ "سامحنا جميعا وغفر لنا "

تطلعت فيها أم هاشم بتدقيق .. ترتدي عباءة سوداء قديمة الطراز مما كانت النسوة ترتديها منذ سنوات طويلة جدا .. لم ترها إلا على من هن في عمر الجدات .. تجلس متربعة وفي حجرها صرة من قماش قديم مهترئ وفي يديها سبحة خضراء ..

دققت أم هاشم قليلا في السبحة التي بدت تحت انعكاس الإضاءة الصناعية للمكان تشع لونا أخضرا لامعا وكأنها حبات كهرمان يضيء باللون الأخضر .. فعادت أم هاشم تتطلع في ملامح المرأة ببعض الفضول ..

كانت كبيرة في العمر إلى درجة كانت فيها تجاعيد وجهها كالأخاديد وعيناها كانتا ذابلتين تكادان تختبئان خلف ملامحها .. أما شفتيها فغائرتان كما لو أن صاحبتهما لا تملك أسنانا ..

فسألتها وشعور بالتوجس ينتابها" وماذا تفعلين هنا في هذا المكان المقطوع وفي هذا الوقت من الليل ؟!!"

ردت المرأة بابتسامة هادئة "أبيع السِبَحْ .. حين لمحتك جئت خلفك لربما اشتريت مني فلم ابع سِبْحة واحدة منذ أيام"

عقدت أم هاشم جبينها وغمغمت" سِبح؟!"

قالت المرأة وقد دب فيها طاقة لا تتماشى مع هيئتها" أجل سبح "

وقامت بفتح السُرة القديمة وأخرجت منها أمام أم هاشم عددا كبيرا من السبح مختلفة الألوان والاحجام.. فتطلعت فيها الأخيرة لتقول المرأة باستعطاف" خذي مني واحدة يا ابنتي وسأدعو لك بما يريح قلبك "

لهجتها المترجية لمست قلب أم هاشم فسألتها وهي تتناول حقيبتها وتفتحها "كم ثمن الواحدة ؟"

ردت المرأة" ما ستدفعينه"

عقدت أم هاشم حاجبيها وسألتها" بكم تبيعين الواحدة يا حاجة ...."

صمتت قليلا وناظرتها بتساؤل فردت العجوز "أم جميل .. اسمي أم جميل .. وسأتركك تقدرين ثمن السبحة كما تريدين "

شاكستها أم هاشم وهي تعود لتنظر في حقيبتها تبحث عن النقود " يبدو أنك طامعة وماكرة يا أم جميل"

غمغمت أم جميل متبسمة بشفتيها الغائرتين " لا والله سأرضى بما ستجودين به حتى لو قطعة خبز .. أنا لا أرد رزق الله أبدا "

توقفت أم هاشم عن البحث في حقيبتها لثوان وقد أشفق قلبها على لهجة المرأة وكلامها وتساءلت في سرها كيف لامرأة مثلها أن تُترك لتسعى في طلب الرزق وهي في هذا العمر ..

فعادت لحقيبتها وأخرجت مبلغا كبيرا من المال وأعطته للمرأة وهي تقول "حسنا يا حاجة أم جميل فليرزقك الله ويرزقنا معك"

أخذت العجوز المبلغ وقربته من عينيها تتفحصه قبل أن تهتف بفرحة" عوضك الله يا ابنتي وجبر بخاطرك (ومدت يديها بالسبح تضيف) هيا اختاري واحدة"

ردت أم هاشم وهي تعود لتنظر أمامها استعدادا للصلاة " لا أريد يا حاجة لدي سبحا كثيرة "

أمسكت المرأة بذراعها تقول بإلحاح" خذي مني سبحة ولا تكسري بخاطري بنيتي"

عادت أم هاشم تنظر إليها ..ثم للسبح الكثيرة بحيرة وذهبت عيناها تلقائيا نحو تلك السبحة الخضراء التي لا تزال تعكس الضوء بشكل جميل فقالت" أريد هذه "

انقلب وجه المرأة عابسا فجأة وهي تبعد عنها السبحة قائلة "لاااا هذه سبحة أم جميل "

ناظرتها أم هاشم باستغراب لتغيرها المفاجئ ثم قالت" أريد هذه كم ثمنها وسأعطيك ما تريدين "

ردت المرأة بصلابة" ليست للبيع يا ابنتي .. اختاري من هؤلاء "

تطلعت أم هاشم من جديد في السبح ثم مدت يدها باستسلام نحو سبحة بيضاء جميلة الشكل متفحصة فقالت أم جميل بلهجة غامضة" إن أردت نصيحتي خذي السوداء"
عبست أم هاشم وهي تتطلع في السبحة السوداء ثم سألتها باستنكار "ولماذا السوداء بالذات؟!!.. ألأني سوداء ستعطيها لي ؟!!"
ناظرتها العجوز بنظرة غامضة لم تفهم أم هاشم معناها ثم قالت "اسمعي ما تقوله لك أم جميل .. خذيها ولن تندمي .."
بتردد أمسكت أم هاشم بالسبحة السوداء وجادلتها تقول "لكنها تبدو سبحة رجالية"
بابتسامة احستها أم هاشم غامضة قالت المرأة" لن تندمي"
هزت أم هاشم رأسها باستسلام وذكرت نفسها بأنها كانت تقصد أن تعطي المال للمرأة على

سبيل الصدقة فلن تدقق أي سبحة ستأخذها
فقالت بهدوء "لا بأس على بركة الله"
أسرعت العجوز بإخراج كيسا قماشيا صغيرا من
جيب عباءتها مربوطا على ما يبدو بشريط
قماشي بجيبها ثم قبّلت المبلغ الذي اعطته لها
أم هاشم ولمست به جبينها تشكر نعمة الله
ودسته في الكيس الذي اعادته إلى جيبها .
فسألتها أم هاشم بمشاكسة "أخذنا السبحة
أين الدعوة؟"
أمسكت المرأة بساعد أم هاشم بيدها ذات
العروق البارزة وقالت وهي تطالعها بعينيها
الصغيرتين الذابلتين " رفع الله من قدرك بنيتي
..ونصرك على من عادك ..وحقق لك ما تتمنين
.. قولي آمين "
غمغمت أم هاشم" اللهم آمين"

أبعدت المرأة يدها عن أم هاشم تعيد السبح للصرة وتغلقها وهي تقول" أبشري إن شاء الله .. والله لن يمر الأسبوع حتى تنالي ما تمنيتيه" رفعت أم هاشم حاجبيها وقالت بتهكم "هكذا ببساطة!"

عقدت المرأة حاجبيها وهتفت باستنكار وغضب " أتستكثرين شيئا على الله!!!"

أسرعت أم هاشم بالقول" استغفر الله لم أقصد هذا قصدت أنك حددت أسبوعا "

ابتسمت المرأة تقول بثقة ولهجة احستها أم هاشم غامضة "إن شاء الله كله مقدر ومكتوب .. وتذكري أم جميل"

ابتسمت أم هاشم باستهزاء ثم استقامت واقفة تنوي أن تصلي ركعتي السُنة فسمعت المرأة تقول" أبشري لك ما تمنيتيه يا بنت الشيخ (ثم أضافت وكأنها تحدث نفسها) كيف ستعبرين الشارع الآن في هذه الظلمة يا أم جميل!! "

غمغمت أم هاشم دون أن تستدير "انتظري لأفرغ من الصلاة وسأساعدك في عبور الشارع (ورفعت يديها) الله أكبر "

بمجرد أن بدأت في الصلاة جاءها صوت مليكة التي اقتربت من المصلى تناديها" أم هاشم ألم تنتهي بعد؟!"

حين وجدتها مليكة تصلي وقفت على باب المصلى تنتظرها حتى انتهت أم هاشم واستدارت ترد على مليكة وهي تحمل حقيبتها" أنا آتية حالا"

ثم تسمرت تبحث في أرجاء الغرفة الصغيرة وتسأل مليكة "أين العجوز ؟!!"

عقدت مليكة حاجبيها وسألتها باندهاش "أي عجوز تقصدين؟!"

قالت أم هاشم باندهاش " العجوز بائعة السبح (وأسرعت تبحث في حقيبتها ثم أخرجت السبحة السوداء وأضافت) سمعتك

دخلت بمجرد أن بدأت في الصلاة هل من المعقول خرجت المرأة دون أن تريها!!"
هزت مليكة كتفيها وردت نافية" لم أرى أحدا "

اقتربت منها أم هاشم وخرجت من المسجد ترتدي حذائها وهي تقول بحيرة" المرأة كانت تريد من يساعدها على عبور الطريق"
قالت مليكة وهما سائرتان تتطلعان حولهما "أي امرأة يا أم هاشم في هذا المكان المقطوع!"
تطلعت أم هاشم في هدوء الليل وظلمته حولها ثم سألت رجلا يرتدي زي العاملين في محطة البنزين" هل رأيت امرأة عجوز تسير من هنا منذ دقائق؟"
تطلع الرجل حوله ورد نافيا" لا لم أرى أحدا .. هل تاهت منكم !"
ناظرت مليكة أم هاشم التي سألت الرجل "هل تعرف امرأة عجوز تدعى أم جميل ؟!"

لاحت علامات النفي على وجه الرجل قبل أن يجيبها بهز رأسه بينما سُمع بوق إحدى السيارات يطلب منهما الاسراع فقالت مليكة تسحبها إلى حيث تنتظرهما سيارة مفرح مع الركب العائد للقرية" هيا يا أم هاشم تأخرنا" تركتها الأخيرة تقودها .. فسألتها مليكة وهي تدقق في وجهها "هل كنت تبكين يبدو على وجهك؟"

ردت أم هاشم بكآبة "أنا فقط اشتاق لبسمة من الآن وأشعر بالوحدة"

طمأنتها مليكة وهي تتعلق بذراعها قائلة بدفء" لا تقولي هذا وأين ذهبت أنا .. "

غمغمت أم هاشم بمحبة" بارك الله فيك يا مليكة "

ثم عادت للتطلع في السبحة السوداء في يدها لتسألها مليكة وقد اقتربتا من السيارة "ما هذه السبحة ؟! إنها تبدو رجالية "

ردت الأخرى وهي تفتح باب السيارة "اشتريتها من المرأة العجوز "
قالتها وركبت بينما ركبت مليكة في المقعد الأمامي وتحركت السيارة على الفور.. فتطلعت أم هاشم حولها في الطريق المظلم الخالي نسبيا من المباني تبحث عن المرأة العجوز التي لم يكن لها أي أثر ثم عقدت حاجبيها تدمدم برهبة واندهاش " هل نادتني ببنت الشيخ أم أنني كنت أهذي؟!!!"
سرت القشعريرة في جسد أم هاشم وعادت تتطلع للسبحة السوداء في يدها بحيرة شديدة

.

xxxx

"كامل نخلة ؟؟!! كيف حدث ذلك؟؟.. ومتى رآها ولماذا هي بالذات ؟!!"
قالها سيد منتفضا من جلسته على الأريكة في الخن فترك أحمد مقعده هو الأخر ووقف أمامه

يسأله بلهجة متحفزة "لماذا انتفضت بهذا الشكل ؟؟.. ولم أنت متأثرا بالخبر ؟"

هتف سيد باستنكار" إلام تلمح يا ابن سماحة بالضبط!!"

رد أحمد بتحدي وهو يقترب منه أكثر "أنا لا ألمح لشيء أنا اسألك سؤالا مباشرا.. لماذا أنت مهتم كل هذا الاهتمام بالخبر؟.. أنا أخبرتك لأنه من غير المنطقي أن أحضر حفل الزفاف وأراها ولا أخبرك بما حدث "

تكلم سيد بلهجة معترضة هاتفا بصوته الجهوري " ما تحاول قوله يا أحمد غير مقبول "

استمر أحمد في مواجهته بإصرار مكشرا عن أنيابه " إذن فسر لي رد فعلك هذا"

رد سيد بعناد وهو ينظر في عيني أحمد" أنا لست ملزما بالتفسير ما دمت لم تفهم بنفسك"

بنفس اللهجة المستفزة سأله الأخر " هل أصابك الحنين لزوجتك السابقة؟! "

ضرب سيد كفا بكف مشيحا بوجهه يغمغم " لا حول ولا قوة إلا بالله! ..(وعاد يمسك بكتف قميصه قائلا بلهجة خطرة) هل أنت غبي يا بني!.. أم ستعرفني وتعرف علاقتي بآية الآن!"

أبعد أحمد يد سيد عن قميصه بخشونة ورد بحمائية " أنا أتحقق من الأمر حتى لا تتعرض أختي لما يحزنها"

أطلق الثاني صوتا ساخرا من حنجرته وقال بتهكم "أنت بالفعل قد فقدت عقلك!"

"نهدأ يا شباب"

قالها وائل وهو يتحرك ليقف بينهما مهدئا بعد أن تبادل النظرات القلقة مع عمرو الذي تدخل هو الأخر يسحب أحمد من ذراعه قائلا "أحمد اهدأ وتعال اجلس من فضلك "

ظل أحمد متخشبا يتطلع في سيد بوجه مكفهر فقال وائل بالسيجارة الغير مشتعلة المعلقة بين شفتيه موضحا " يا بني افهم .. سيد لا يزال يشعر بالذنب تجاه طليقته .. وكونها ترتبط بشخص نعرفه ومن العاصمة أي من مكان بعيد عنها فالأمر يدعو للدهشة فعلا أن يكون الأمر محض صدفة"

قال أحمد مفسرا "ما فهمته من أمي وبانة أنه قد قابلها صدفة حينما زار قريبها في القرية وبأن قريبها هذا صديق التوأمين منذ عامين"

غمغم عمرو بلهجة متعجبة " سبحان الله على الأقدار والنصيب .. عموما أعتقد بأن عليك أن تطمئن عليها الآن يا سيد .. (وتحرك نحو وائل الذي أخرج الولاعة من جيبه وهم بإشعال السيجارة فسحبها من فمه وهو يضيف قائلا لسيد) فها هي قد تزوجت مرة أخرى وعوضها الله بعائلة غنيم بك رجل محترم ووقور"

قال وائل باعتراض " ماذا تفعل ؟؟؟"
رد عمرو ببرود وهو يفتت السيجارة بين
أصابعه " أبر بقسمي لأم ميري "
صرخ وائل وهو يرى السيجارة تتساقط مفتتة
على المنضدة " كشفت رأسي ودعيت عليك
أنت وأم ميري في ساعة واحدة .. "
لاحت الابتسامة على وجه عمرو وهو يراقب
وائل الذي جلس يجمع قطع التبغ ووضعه في
مطفأة السجائر ثم أشعل محتوياتها بالولاعة
وأخذ يسحب الدخان الذي يخرج من احتراقها
بانتشاء ويبخر به نفسه كالبخور .. فأسرع
عمرو بإخراج هاتفه من جيبه وشغل الكاميرا
يقول بلهجة لئيمة " من منكم يمتلك رقم
هاتف أم ميري يا شباب؟.. أعتقد بأن هذا
الفيديو يهمها "

رفع وائل أنظاره نحو الكاميرا وشحب وجهه
فقال له عمرو مغيظا " ابتسم للكاميرا يا
اكسلانس"
أما سيد فوقف صامتا مطرقا برأسه في حيرة
أمام أنظار أحمد المرتابة وغمغم في سره "كنت
أتمنى أن أشعر بالراحة عند سماعي بخبر
زواجها لكني لا أعرف لمَ اشعر بالقلق!"

××××

كانت المطارق كالمناشير تكاد تشطر رأسها إلى
نصفين فهي تعاني صداعا حادا منذ ليلة أمس
مصاحبا لبكائها بشكل متواصل .
كل شيء حولها خانق ضاغط .. وكلما تذكرت
أن بسمة كانت تحتفل يوم أمس بليلة حنتها
للمرة الثانية وبأنها الآن سعيدة منتصرة بزيجتها
الثانية في فيلا فخمة في العاصمة يتملكها
الحسرة الشديدة على نفسها وحظها.

جاءتها الضحكات من الطابق الأرضي وكأنها شماتة فيها وفي خيبتها الـ ثقيلة .. فتركت السرير وأسرعت ترتدي عباءتها بعصبية وهي تتذكر أن سبب استيقاظها من غفوتها هو صوت الضحكات العالي بالأسفل .

إن البيت أضحى منذ صباح أمس مزارا لاستقبال المهنئين والمباركين بعودة الحاجة نجف من العمرة بعد طول غياب.. ورغم أنها تحججت بذلك الصداع وادعت المرض تاركة لحماتها مهمة استقبال ضيوفها والتزمت هي غرفتها .. لكنها غير قادرة على تحمل المزيد من الضيوف .. خاصة وأن خالات جابر وعمته الوحيدة اللاتي قد أتين اليوم من القرية المجاورة التي هي مسقط رأس أمه وخالاته ومحل إقامة عمته حتى يهنئن الحاجة نجف قد أطلن في جلستهن .

لقد نادتها حماتها عصر اليوم لتسلم عليهن ..
فنزلت على مضض ترحب بهن ثم ادعت المرض كاليوم السابق وتحججت بالصداع وعادت لغرفتها ..
نظرت كاميليا لساعتها لتجدها التاسعة مساء فغمغمت وهي تنزل السلم بعصبية" كل هذا الوقت!! .. أليس لديهم أي إحساس ليقضين كل هذا الوقت وكأنهم في حفلة سمر!! .."
علت الأصوات من الصالة وسمعت كاميليا إحدى خالات جابر تقول ضاحكة" لا استطيع تصور الموقف يا نجف .. يبدو أنك أنت و زين قد قضيتما ذلك اليوم كله في الضحك"
ردت نجف ضاحكة "أجل وكلما تذكرنا الموقف انفجرنا ضاحكين"
قالت عمة جابر بلهجة متأثرة" والله اشتقت لهذا الولد ولخفة ظله"

فتكلمت إحداهما وهي تنظر لهاتفها" عابد ابني يستعجلني في العودة"
ردت نجف "جابر في الطريق .. أخبريه بما حدث ..قولي له جابر أقسم عليكن ألا تذهبن إلا حينما يحضر ليوصلكن بنفسه .. لقد اقترب "

حينما نزلت كاميليا تجز على أسنانها لمحت في الغرفة المجاورة للسلم ميس مع اسراء فتفاجأت بوجودها واندفعت تدخل الغرفة تقول بلهجة استهزاء" والله جميل جدا .. أخيرا حضرت سعادتك !"
رفعت إسراء أنظارها عن الكتاب في يدها تتطلع في كاميليا التي تقف أمامها يدها في خصرها وتناظرها بعصبية فاتسعت عيناها متفاجئة من حالتها وسألتها بهدوء" وعليكم السلام يا أم ميس أنا هنا منذ ساعتين هل حدث شيء؟"

ردت كاميليا بلهجة ساخرة "كل هذا ولم يحدث شيء؟!!.. ألم يكن موعدك اليوم عند العصر!"

لم يعجب اسراء طريقة كلامها .. لكنها تماسكت كعادتها أمام استفزاز هذه المرأة المستمر ..لشعورها بأنها حمقاء وردت " أنا أخبرت أبا ميس بأنني سأتأخر اليوم لحضوري حفل زفاف ونس ولم أرغب في تأجيل الحصة لأن ميس لديها اختبار نهاية العام غدا"

هتفت كاميليا باندفاع وقد استفزها هدوء اسراء وبرودها "أولا اسمه المعلم جابر وليس أبو ميس .. ثانيا أتمنى أن تحصل ميس هذه المرة على درجات جيدة بدلا من النتيجة السيئة التي حصلت عليها في الاختبار الذي خضعت له الأسبوع الماضي حتى نشعر بأن المبلغ الذي ندفعه لك له مقابل"

قاطعتها اسراء مدافعة بلهجة حازمة " أولا أنا لا اسمح لك بالحديث معي بهذه الطريقة .. ثانيا اختبار الأسبوع الماضي كان اختبار تجريبيا للتدرب على الامتحان.. ولقد سألت معلمة فصلها بما أني أصبحت أعمل في نفس المدرسة عما حدث لميس.. فأخبرتني بأنها كانت مريضة في هذا اليوم في الفصل .. فربما كان هذا هو السبب .. ولقد جعلت ميس تجيب عليه مرة أخرى هنا أمامي في الحصة وحصلت على درجة عالية والحمد لله.. ومجددا أقول لك لن أسمح لك بالحديث معي بهذه الطريقة"

نظرت نجف لضيفاتها بحرج شديد من صوت كاميليا العالي الآتي من إحدى الغرف الداخلية بينما تبادلت أخواتها تحريك شفاههن يمينا ويسارا في الوقت الذي ردت فيه كاميليا بخيلاء

" حبيبتي تسمحين أو لا تسمحين هذا شيء يخصك.. نحن ندفع لك مقابل نتيجة وليس

صدقة لذا سنرى ماذا ستفعل البنت في اختبار الغد "

انتفضت اسراء واقفة أمام عيني ميس المذعورة ولملمت حاجياتها تقول" وأنا سأغادر الآن ولي حديث مع أبا ميس"

استفزها ما قالته اسراء وقد كانت بحاجة لمن تفرغ فيه طاقة الغضب التي تفور في رأسها فهتفت بصوت عال دون مراعاة لوجود الضيفات" قلت لك اسمه المعلم جابر .. وأنا هنا من لها الكلمة العليا في هذا البيت .. حينما تريدين الاعتذار عن موعد تحدثيني أنا .. وحينما تريدين مناقشة أي شيء يخص البنت تتحدثين معي أنا"

أخذت اسراء حقيبتها وتحركت نحو الباب فناظرتها الأخرى بنظرة متعالية وشفتين مزمومتين في الوقت الذي دخلت فيه نجف تقول بلهجة موبخة "لماذا صوتك عال يا

كاميليا (ونظرت لإسراء التي قابلتها عند باب الغرفة تقول معتذرة) لا تؤاخذينا يا حبيبتي"
بضيق شديد غمغمت إسراء وهي تتجاوز كاميليا وحماتها "بل لا تؤاخذيني أنت يا حاجة أنا مغادرة السلام عليكم"
مرت اسراء في طريقها على الجالسات في الصالة اللاتي كن يناغشنها ويمازحنها حينما حضرت ويسألنها ماذا تعمل وهل هي مرتبطة أم لا
فهتفت إحداهن بحزن عندما رأتها مغادرة " انتظري يا بنيتي إلى أين أنت ذاهبة؟"
غمغمت اسراء باقتضاب وبوجه مكفهر تداري رغبة شديدة في البكاء شاعرة بجرح كرامتها
"عليّ أن أذهب السلام عليكم"
أخذت عمة جابر العجوز تهز ساقها بعصبية وتحاول التماسك وهي تسمع ما يدور بين نجف وكاميليا التي لا تزال تتحدث بصوت عال.

بينما قالت نجف بلهجة موبخة" لقد تعاملت مع البنت بقلة ذوق "
حاولت كاميليا التحكم في أعصابها حتى لا تنفجر في وجه حماتها لكنها كانت في حالة من فقد السيطرة على كل شيء حولها فهبت فيها "أنا أفعل في بيتي ما يعجبني ولن تعلميني ما يصح ومالا يصح يا خالتي"
لم تجد لديها من الطاقة النفسية ما يجعلها تتجمل في تعاملها مع حماتها كالسابق .. بل لم يعد لديها طاقة للتجمل مع أي شيء يخص حياتها .. فقد وصلت لقناعة بأنها لم تكسب أي شيء ذا قيمة بتجملها وتحملها.
أما نجف فحاولت التماسك كعادتها أمام حماقة زوجة ابنها وقالت بصوت خافت "أخفضي صوتك هذا إنه يصل للضيوف كفانا فضائح"

اندفعت كاميليا تقول بلهجة متهكمة مشيحة بيدها في وجه الأخرى فأصدرت أساورها صوتا متحديا "والله ما أعرفه عن الضيوف أنهم يغادرون بعد ساعة أو اثنين لكن هؤلاء من أهل البيت فهن يشرفوننا من قبل العصر فلا داعي للشعور بالحرج يا خالتي"

امتقع وجه نجف وهي تتطلع فيها بغير تصديق وللحظات خرس لسانها أمام وقاحتها في الوقت الذي هبت فيه عمة جابر تقول متجهة نحو باب البيت "أتعرفين يا نجف .. العيب ليس عليها .. العيب عليكِ أنت وابنك على صبركما على قليلة التربية هذه (وهتفت في أخوات نجف تقول بعصبية) هيا هل تنتظرن حتى تطردنا بنت العسال؟!"

أخرجت كاميليا رأسها من باب الغرفة تهتف باستنكار والجنون يتراقص في عينيها "من تقصدين بقليلة التربية يا حاجة ؟!"

رفعت عمة جابر انظارها عن حذائها الذي كانت ترتديه بعصبية وقالت" لن أرد عليك .. فأنت حتى لا تستحقين مغبة الرد"

تدخلت نجف تقول وهي تقترب من أخت زوجها" بالله عليك يا أم ياسين لا تغضبي هي لم تقصد أي شيء كنا نتحدث عن أمر أخر"

أشاحت المرأة بيدها وقالت بقرف" ستظلين تدارين وتدافعين كعادتك يا نجف .. تستحقين منها كل ما تتلقينه ..فهذه الأشكال من البشر لن يقدروا أبدا كرم أخلاقك"

خرجت عمة جابر من البيت بينما هتفت كاميليا من عند باب الغرفة وقد خرجت أعصابها عن السيطرة كليا" تقصد من بعبارة (هذه الأشكال) !!"

قالت إحدى خالات جابر بلهجة موبخة قبل أن تخرج" ألن تحجمي لسانك هذا أم أنك لم يعد يعجبك أحد !.. نحن ذاهبات يا نجف

وأخبري جابر بأن خالاته وعمته يخبروه بأنهن لن يدخلن بيت لا يُحترمن فيه ولا يُحترم فيه صاحبه"

كانت نجف تشعر بالغضب الشديد وبالضغط العصبي في هذا الموقف المحرج جدا في الوقت الذي دخل فيه جابر من بوابة البيت الخارجية يقول لعمته التي يرتسم على وجهها علامات الغضب" آسف يا عمتي بأني تأخرت"
قابلته في منتصف ساحة البيت في الخارج بإشاحة من يدها وهي تقول بقرف" ابتعد عني بلا عمتك بلا زفت"
تفاجأ جابر بمزاجها الناري لكنه تكلم بلطف معتادا على عصبيتها فقال مناغشا" ما بك يا أم ياسين ..والله كان لدي أمر هام في المحل وها أنا قد جئت لأوصلكن رغم أني لم أجد الفرصة لأجلس معكن"

تركته مغادرة بخطوات عصبية تخرج من البوابة وهي تقول "والله لن أركب سيارتك بعد الآن ولن أزور بيتك طالما قليلة التربية هذه في بيتك"

تطلع جابر في ظهرها المغادر متفاجئا ونظر لخالاته اللاتي يهرولن خلفها ثم اسرع بالخروج للشارع للحاق بعمته قائلا "ماذا حدث يا عمتي أخبريني؟! .. (وفتح باب السيارة) تعالي لأوصلك وأخبريني ماذا حدث"

تركته المرأة متجهة بعصبية نحو الشارع الرئيسي وهي تبرطم" لقد أقسمت بأني لن أركب سيارتك ولن أدخل بيتك مادامت بنت العسال فيه"

هتف جابر بعصبية والدم يغلي في عروقه "كاميليا حسابها معي عسير إن كانت قد تصرفت معكن بغير لباقة .. لكن يا عمتي لا يصح أن أترككن تغادرن وحدكن .. لقد أقسمت

بألا تذهبن إلا بعدما أوصلكن .. أتريدين إهانتي يا عمتي!"

استدارت تهتف بصوت عال موبخة" كن رجلا على أهل بيتك أولا ثم تعال وأقسم علينا كما تريد"

قالتها واستدارت تكمل طريقها إلى حيث الشارع الرئيسي بينما وقف جابر يتطلع حوله شاعرا بالإهانة ليرى إن كان هناك من يمر وسمع بكلامها غير خالاته قبل أن يتماسك ويتحرك خلفها يقول بصوت متحشرج" يا عمتي انتظري أين ستذهبين وحدك في هذا الوقت؟!! "

واستدار للخلف إلى حيث خالاته يهرولن للحاق بعمته وسألهم بلهجة خطرة" ماذا فعلت كاميليا؟"

قالت إحداهن وهي تسير بجانبه" اسمع يا جابر هذه ليست أول مرة نشعر فيها بأننا غير مرحب

بنا في بيتك .. وبصراحة لا يعجبنا طريقة
زوجتك في التعامل مع أمك "
اتسعت عيني جابر بغير تصديق بينما أكملت
خالته وهي تنهت "أكثر من موقف حدث أمامنا
لمعاملة غير لائقة من زوجتك لأمك ونحن
أكيدون بأنها تتلقى منها أسوأ من ذلك .. لكن
كما تعرفها نجف صموتة صبورة ودوما كانت
تخبرنا بأنها لا تريد أن تخرب بيتك وتشرد
ابنتك .. لكن يا بني الأمر فاق الحد وقلة الأدب
زادت .. يكفي بأننا كنا نقلل من الزيارات حتى لا
نلقى وجه زوجتك العكر هذا .. لكننا اضطررنا
للحضور اليوم لتهنئة اختنا (وأضافت حين
وصلوا جميعا للشارع الرئيسي) نحن كنا ننوي
المكوث ساعة واحدة لكنك أنت من اقسمت
علينا ألا نغادر إلا حينما تأتي لتوصلنا .. وابني
منذ ساعات يلح في السؤال هل يأتي ليأخذنا
بسيارته وأخبره بأنك ستأتي لتقلنا أي أننا لم

نرغب في الاثقال على زوجتك أو نسبب لك أي حرج"

كان ما يسمعه جابر صادما .. رغم عدم اندهاشه أن تصدر هذه التصرفات من كاميليا لكنه لم يكن يعلم أنها بهذه الجرأة لأن تتصرف بهذا الشكل الوقح مع عائلته وما قالته خالته للتو من أنها تعامل والدته بعدم احترام جعل شياطينه تصور له رد فعل شديد العنف والإجرام.

لمح عمته تحاول الإشارة لتوكتوك فأسرع بنفض ما يعتمل في صدره من غليان وغضب وتطلع حوله يبحث عن وسيلة آمنة لإيصال خالاته وعمته.

لمح سيارة أجرة جماعية فارغة فأشار لها لتتوقف وحين دقق في السائق حمد ربه بأنه يعرفه وخلال دقائق كانت عمته قد صعدت بعد إلحاح من خالاته إلى السيارة وصعدت

خلفها الباقيات وجابر يوصي السائق وهو ينقده مبلغا كبيرا "لن أوصيك يا شعبان كل واحدة توصلها إلى بيتها وتتصل بي لتعطيني التمام"

قال الشاب بثقة "لا تقلق يا معلم جابر إن لم تحملهن السيارة أحملهن فوق رأسي"

غمغم جابر رغم وجومه "عشت"

قالها وحاول التطلع في عمته فأشاحت الأخيرة بوجهها للناحية الثانية بغضب بينما السيارة تتحرك بهن .. ليندفع جابر عائدا لبيته والشياطين كلها تعربد حوله في غضب شديد.

حينما وصل سمع صوت كاميليا تصيح بجنون" ماذا تقولين أنت؟!!"

هتفت أمه ببحة صوت أوجعت قلبه واستنفرت حمائيته "أقول بأنك قليلة الأدب والتربية"

هتفت كاميليا والشياطين تتراقص حولها "أنت لن تعلميني الأدب والتربية .. احفظي لسانك واعلمي مع من تتحدثين"

كان المشهد أصعب من تحمل جابر فتصلب أمام الباب لثوان يتطلع في المشهد متسع العينين بذهول بينما هتفت أمه بغضب شديد " بل قليلة الادب والتربية .. لقد تحملتك كثيرا لعلك تتعقلين لكنك تماديت ظنا منك بأني هبلاء .. ألا يكفي ما فعلتيه اليوم بأنك قابلتيهن بوجه مقلوب وتركتيهن وصعدت لغرفتك!!"

تخصرت كاميليا وهتفت بلهجة متهكمة "وما الذي كان مطلوبا مني إن شاء الله! .. ألا يكفي تحملي على مدى يومين ضيوفا تدخل وضيوفا تخرج دون مراعاة لحالتي المرضية!!"

قالت نجف بسخرية مُرة " ألف سلامة .. كنا نطمع في جلوسك مع أهل زوجك ولو لربع ساعة كنوع من الترحيب .. لم نكن نطلب منك

أن تضيّفيهن لا سمح الله فقد قمت بالواجب بنفسي وأنا في أشد الحرج أمام أخواتي اللاتي سألنني أين ذهبت زوجة ابني وأنا أضيفهن بنفسي"

شهقت كاميليا باستنكار ووقفت متخصرة فرنت أسوارها الذهبية وهي تقول "وهل أحضرني ابنك إلى هذا البيت خادمة لك ولأهله إن شاء الله!"

"بل احضرتك لتكوني سيدة هذا البيت وأنت لا تستحقين أن تكوني كذلك"

استدارتا على صوت جابر فهتفت أمه بوجه ممتقع " جابر!"

بينما شحب وجه كاميليا وهي تراه يقترب منها في حالة من الغضب الشديد قائلا " لقد طفح الكيل وفاض يا كاميليا واليوم أنت وضعت نهايتك بنفسك فالبيت وصاحب البيت الذي اهنتيه خسارة في انسانة وضيعة مثلك"

انفجرت تصيح باستنكار " أنا وضيعة يا جابر!!"

تقبض بقوة هادرا فيها وهو يخرج الهاتف من جيبه " أجل وضيعة ولا تستحقين العيش في هذا البيت لحظة واحدة"

صرخت في وجهه بجنون " بيت !..بيت!.. بيت !.. أي بيت هذا الذي تتحدث عنه وكأنه لم يبني أحد بيتا غيرك .. أنظر لبيوت الأثرياء لتعلم كيف تكون البيوت على أصولها قبل أن تتحدث بلهجة محدثي النعمة هذه.."

خرست فجأة حينما صفعها جابر على وجهها بقوة جعلتها ترتطم بالمقعد بجوارها بعنف وتتمسك به حتى لا تقع شاعرة بألم شديد في أذنها وعلى خدها .. بينما أسرعت أمه نحو ميس التي خرجت من الغرفة التي كانت تقف فيها مختبئة من الخوف عند شجار جدتها وأمها وأخذتها ودخلت الغرفة ووقفت على

بابها لا تعرف ماذا تفعل هل تواسي الصغيرة أم تبقى مع ابنها حتى لا يتهور أكثر على زوجته خاصة وهي تراه في حالة من الغضب والانفعال لم تره عليها من قبل .

أما جابر فأمسك بشعر كاميليا يرفعها قائلا بغضب" ألم أقل لك بأنك لا يناسبك إلا الرجل الهمجي ؟.. أنت طاااالق يا كاميليا.. طالق"

شهقت أمه تضع يدها على فمها بينما اتسعت عينا كاميليا وتطلعت فيه لثوان تستوعب ما حدث للتو والطنين في أذنها يزداد وراقبته وهو يخرج هاتفه .

طلب جابر رقم بدير لكنه وجد هاتفه مغلق فأسرع بالاتصال بعماد وبادره قائلا بمجرد أن فتح الخط " لقد طلقت أختك فارسل أحدا ليأخذها فورا .. فلن تبق في هذا البيت لحظة واحدة بعد الآن "

قالها وأغلق الخط ..فاندفعت كاميليا تقول
"وهل سأنتظر لأن يأتي أحد ويوصلني .. تركت
لك جنتك لتشبع بها"
واندفعت نحو الباب فصرخت ميس بلوعة
"أمي"
تذكرت كاميليا ابنتها فعادت وأمسكت بذراعها
بخشونة تجرها خلفها .. فنظرت ميس لوالدها
تقول بنفس الصوت الملتاع "أبي"
وقف جابر مغمض العينين متقبضا بقوة
يطحن ضروسه في محاولة لتلجيم غضبه ..
فما كان يشعر به لحظتها كفيلا بأن يندفع
خلفها ويقتلها في التو واللحظة بينما نظرت له
نجف ثم أسرعت خلف كاميليا وميس لترى
كيف سيغادران في هذا الوقت من الليل خاصة
وأن كاميليا قد خرجت بعباءتها البيتية ودون
غطاء للرأس ..

حينما وصلت نجف بخطواتها البطيئة إلى البوابة لمحت كاميليا تركب توكتوك قد تحرك بها على الفور مغادرا فوقفت تلهث قليلا قبل أن تعود للبيت غير مصدقة لتطور الوضع وانفجاره بهذا الشكل وبهذه السرعة .

حين عادت كان جابر يجلس على السلم يحدق في الفراغ أمامه كالتمثال فاقتربت منه تقول "جابر"

التفت إليها قائلا بغضب بارد "لماذا اخفيت عني ما تفعله معك؟! .. لماذا يا أمي ساعدتها على أن تقلل مني وتستهين بي بما كانت تفعله معك ومع أهلي .. لماذا لم يخبرني أحد إلى أي مدى وصلت وقاحتها ؟!"

قالت أمه باكية " يا جابر أنا أعلم بأنك تتحملها من أجل ميس وكنت أشفق عليك بشدة وأنا أراك تعيسا فلم أحب أبدا أن أكون سببا في خراب البيت"

استقام واقفا يهتف باستنكار والغضب يتطاير من عينيه شررا " فارتضيت لك ولي ولأهلي الإهانة يا أمي؟!! .."

لم تجد نجف ما تقوله لابنها وهي تراه بهذه الحالة النادرة من الغضب بينما تحرك جابر يدمدم وهو يتجه نحو باب البيت " لديها كل الحق لتفعل هذا بي وبك وبأهلي .. كان عليّ أن أكون حيوانا معها منذ أول ليلة .. عمتي لها كل الحق أيضا فيما وصفتني بأني لست رجلا لتحترمه "

هتفت نجف بقلق شديد من حالته "يا بني لا تفعل بنفسك هذا .. اهدأ وما كسر يمكن إصلاحه أنت قرصت أذنها الآن وإن شاء الله ما حدث سيجعلها ...."

استدار يهتف بغضب مقاطعا " لا .. ما كُسر قد كُسر منذ زمن ولم يكن هناك فرصة لإصلاحه .. وهذا البيت لن تدخله بنت العسال مجددا ..

وسأريها جيدا الوجه الآخر من جابر دبور الذي استهانت به "

سألته بقلق "إلى أين أنت ذاهب الآن؟"

استدار إليها يقول بلهجة مخيفة" إلى المأذون فلن تبقي على ذمتي دقيقة واحدة "

××××

انفجر الجالسون بالضحك ثم قال يحيى وهو يضع يده على صدره ساعلا "يا الله !.. لم أضحك هكذا منذ زمن أسعدك الله يا محسن يا بني"

غمغمت صباح بلهجة معجبة" ما شاء الله عليك يا ولدي لديك خفة ظل لم أقابلها في حياتي"

ربت محسن على صدره شاكرا يشعر بالإطراء ثم نظر ليحيى نظرة محرجة ذات مغزى فقال الأخير لزوجته وبناته الأربعة الجالسات أمامه يشاركونهم السهرة" هلا تركتموني أنا والشاب

قليلا نريد أن نتحدث لكنكم تجثمون فوق
صدورنا منذ أن حضر"
اندفعت رباب تقول وهي تأكله بعينيها" هذا
لأن محسن حديثه لا يمل منه يا أبي"
لكزتها أمها في جانبها وهي تقول من بين
أسنانها" هيا يا بنات للداخل لنعد العشاء
لمحسن"
توردت وجنتا رباب وارتبكت بينما قال يحيى
بلهجة ساخرة "هذا العشاء نسمع عنه منذ
ساعتين منذ أن حضر الشاب"
غمغمت صباح وهي تتحرك للداخل" لا
تؤاخذوننا فالترحيب بمحسن قد ألهانا خاصة
وأنه تعلل حينما وصل بأنه قد أكل قبل
حضوره لكن الآن ليس له حجة"
قالتها وهي تسحب رباب للداخل بينما الأخيرة
تتطلع في محسن بهيام.

على باب المطبخ قالت لها صباح بهمس موبخ "ألن تكفي عن التطلع في الشاب بهذه الطريقة أبوك سيلاحظ"

أطرقت رباب برأسها قليلا بحرج .. ثم عادت لتسأل أمها بلهفة "أي موضوع تعتقدين بأنه يريد أبي فيه لدرجة أن يطلب أن يحدثه على انفراد"

قالت صباح بابتسامة واثقة " قلبي يخبرني أنه يخص زواجه .. فقد ذكر أكثر من مرة أنه انتهى من توضيب شقته وأنها جاهز لاستقبال العروس لذا أقطع ذراعي إن لم يكن سيتحدث في أمر الزواج"

أمسكت رباب بذراع أمها تقول بلهفة "صحيح يا أمّة وهل تعتقدين بأنه سيطلبني أنا؟"

قالت صباح بثقة" بالطبع فأنت الثانية بعد سامية .. وهو يعلم بأن سامية مخطوبة ولا أعتقد بأنه سيطلب هند ويتخطاك"

قالت هند من المطبخ بمناكفة" ولماذا لا يطلبني أنا ! هل عليه أن يختار بترتيب العمر بيننا"

قالت رباب بغيظ" ألم تتهكمي عليه لأنه أسمر !!"

ردت هند ببرود" إن كان في الأمر زواجا فلا بأس سأتغاضى عن سُمرته"

هتفت صباح بهمس موبخة" اخرسن وكفين عن الثرثرة وانتهين هيا من تحضير العشاء "

قالتها وتحركت حتى أخر الممر المؤدي للصالة بخفة ووقفت خلف الستارة لتسمع ما يدور بين زوجها وضيفه فتبعتها رباب .

قال محسن بحرج وهو ينظر أرضا "الحقيقة يا خالي أنت تعرف كم أنا سعيد بأني وجدتك فأنت عائلتي الوحيدة هنا وباقي أعمامي وأخوالي في الجنوب"

ربت يحيى على فخذ قريبه بمحبة ورد "يعلم الله كم اشعر أنا أيضا بالسعادة حينما أراك يا ولدي بارك الله فيك واسعدك"

صمت محسن قليلا ثم قال بنفس اللهجة المحرجة" أنا تعبت من الوحدة.. وأرغب في أن أكمل نصف ديني واتزوج"

تهللت أسارير يحيى وقال "مبارك مقدما يا ولدي ومن سعيدة الحظ إن شاء الله؟"

تطلع فيه محسن بنظرات حائرة لا يعرف كيف يخبره بأنه يريد أن يصاهره لكنه يشعر بالحيرة منذ أيام ما بين رباب التي عليها الدور في الزواج بعد سامية و أم هاشم التي يرى أنه من واجبه الارتباط بها لأنها لن تجد من يقدرها في هذه القرية التي تبدو بالنسبة لهم مختلفة وفي الوقت نفسه متردد قليلا بشأنها لأنهما في نفس العمر .. وكان يريد أن يسأله عن عمر رباب فهو يخشى أن يكون فارق العمر بينهما كبير فقرر أن

يسأل عن عمرها ليحسم أمره قبل الإعلان عن هوية عروسه فسأل سؤلا استهلاليا بحرج" هل تقبلني صهرا لك يا خالي؟"

أمسكت رباب بذراع أمها بحماس وكتمتا صيحات الفرح بينما اتسعت ابتسامة يحيى وقال بحبور" نحن نتشرف بك يا ولدي من من بناتي تقصد؟"

"ارحميني من تحقيقك يا وفاء"

قالتها أم هاشم بعصبية وهي تدخل من باب البيت بينما الأخرى التي كانت تنتظر وصولها منذ مدة مستمرة في سؤالها بلهفة "أخبريني يا أم هاشم بالتفصيل بالله عليك ..ماذا رأيت في فيلا العريس في العاصمة؟"

صمت يحيى ومحسن يتطلعان في الزوبعة السوداء التي دخلت تقول" السلام عليكم"

بابتسامة متسعة أظهرت بياض أسنانه اللؤلؤية
قال محسن "وعليكم والسلام ورحمة الله ..
من استفز شيكولاتة العائلة؟"
ردت أم هاشم بامتعاض مشيحة بيدها تشير
على وفاء التي لا تزال تتعقبها بإلحاح "استفزتني
(قلقاسة) العائلة"
انفجر يحيى ومحسن بالضحك بينما استمرت
وفاء في ملاحقتها تقول بإلحاح" لن أتركك حتى
تحكي كل ما رأيته بالتفصيل .. (وسألتها بهيام)
هل تحدثوا أمامك بلهجة بلدهم؟"
تجاهلتها أم هاشم وهمت بالذهاب إلى غرفتها
فقال محسن ممازحا بعد أن غمز بعينه ليحيى
"تأخرت يا هانم .. أين كنت وتركتيني بدون
عشاء حتى الآن وقد كنت أعشم بطني أني
سآكل محشي اليوم من يدك"
أشاحت بيدها وهي تتحرك للداخل قائلة
بنفس المزاج السيء الذي اعتاد عليه محسن

"مر علينا وقتا أخر يا كابتن فالمطعم مغلق الآن"

أتاها صوت ضحكته من الخارج بينما هتفت أم هاشم وهي تمر من جانب صباح وابنتها في أول الممر " علام تتلصصين يا صباح أنت وبنتك بوقفتك هذه؟!!"

اتسعت عينا صباح بحرج وهي تشير لها أن تخفض صوتها .. فتجاهلتها أم هاشم ذاهبة إلى غرفتها بينما وفاء لا تزال تلاحقها.

في الصالة قال محسن ضاحكا "سبحانك يا رب ..أم هاشم بكل تفاصيلها شكلها وعصبيتها وخفة ظلها حتى مهاراتها في الطبخ نسخة طبق الأصل من عمتي رِزْقَة رحمها الله.. والله يا خال كأني أراها بالضبط أمامي ولكن في صورة أصغر سنا"

غمغم يحيى قائلا" رحمها الله ورحم كل أمواتنا .. يقول المثل يخلق من الشبه أربعين (ثم سأله) لم تخبرني أي من بناتي تقصد؟"
جاء صوت أم هاشم تهتف من الداخل بلهجة مهددة نزقة "اسمعي يا وفاء أنا مجهدة ومتعبة ولا أرى أمامي حاليا .. فابتعدي عن طريقي والا سألصقك في الحائط كما أفعل مع الناموس أو اعلقك مكان النجفة في السقف حتى الصباح "

قهقه محسن بينما ابتسم يحيى على ما سمعاه فقال الأول وقد عقد العزم " أم هاشم .. أطلب يد تلك النزقة العصبية التي بالداخل على بركة الله "
تهللت أسارير يحيى بينما حبست رباب صرخة بكفها وضربت صباح على صدرها شاهقة تهمس باستنكار " أم هاشم !!!"

xxxx

الفصل الحادي والعشرون

وللليل وجوه عدة ..
وجه الوحدة .. وجه الخيبات .. وجه صراع الأفكار .. ووجوه كثيرة للفرح بعدد القلوب التي تتشارك فيه .
في فيلا غنيم وتحت الأضواء التي لا تزال تزين الحديقة كان صخب الحضور المتبقين لا يزال عاليا .. وبمجرد أن انتهى الجميع من أداء رقصة بلد آل غنيم التي شارك فيها غالبية الحضور توسط غنيم الساحة ليؤدي رقصة رجالية منفردة يعبر فيها عن فرحته بزواج نجليه سرعان ما شاركه فيها شامل ثم سحب كامل للانضمام إليهما .
كان منظر ثلاثتهم مبهجا جعل عيني سوسو تدمعان وهي تراقبهم وبجوارها ونس بينما

تطلعت بسمة في كامل متسائلة بحيرة هل حقا لم يكن قاصدا أي تظاهر منه أمام بانة؟.

حين انتهت الرقصة صاح شامل" وسوسو لم ترقص يا جماعة "
أيده كامل قائلا وهو يصفف شعره للخلف ويجفف عرقه "أجل يا سوسو "
اتسعت عينا الأخيرة باستنكار وانكمشت حينما وجدت كامل يقترب منها بينما أسرع شامل نحو السماعات .
ضربت سوسو كف كامل الممدود لها قبل أن تنساب موسيقى شاعرية ويقول كامل" هل تسمح لنا السيدة سهيلة بهذه الرقصة ؟"
تجمعت الدموع في عينيها فجأة ومنحته يدها فقادها إلى منتصف الحديقة وراقصها بنعومة في رقصة رقيقة بينما الفارق المضحك بين

طوليهما يجعل المراقبين غير مصدقين أن هذه السيدة قد أنجبت هذا الشاب وتوأمه .
بعد دقيقة تدخل شامل ليأخذها منه ويراقصها هو الأخر بينما وقف كامل بالقرب منهما وكأنه ينتظر دورا أخر له .
تسللت الدموع من عيني سوسو إلى وجنتيها وهي تتأمل وسامة شامل فباغتها الأخير بأن أمالها على ظهرها الذي يدعمه ذراعه بحركة من حركات رقصة التانجو الشهيرة فأطلقت سوسو ضحكة محرجة قبل أن يساعدها لتستقيم مرة أخرى .. فتدخل غنيم مقتربا منهما يقول" والله عيب هذا وأنا واقف ..ابتعدا عن زوجتي واذهبا لزوجتيكما"
افسح التوأمان له المجال فألقى غنيم بعصاه فالتقطها كامل من الهواء وسط ضحكات الجميع قبل أن يقترب كل توأم من زوجته ويشاهدوا مع الجميع رقصة غنيم وسوسو.

تطلعت سوسو في غنيم ودموعها لا تزال منهمرة فقال لها مناغشا "هل تذكرين ليلة عرسنا يا فاتنتي"

أومأت برأسها دون كلام وشبت على أطراف حذائها العالي لتلف ذراعيها بإحكام حول عنقه بعد أن مال نحوها غنيم .. ليغرقا في حضن قوي أطلقت من أجله صفارات الإعجاب من شفاه المتابعين بينما هتف شامل مناكفا" عيب يا غنيم نحن أمام الناس".

سكتت الموسيقى فافترق الزوجان لكن القلوب بقيت متعانقة في الوقت الذي علا تصفيق الواقفين وانهمرت دموعهم وكانت أولهم بسمة.

xxxxx

بخطوات متعجلة وأنفاس متلهفة أسرع مفرح بدخول غرفة نومه وقد وصلوا منذ قليل .. فسبقه الولدان إلى غرفتيهما مرهقين بينما هو

يصارع عذاباته الخاصة التي ظلت تقتات عليه اليوم بالذات وازدادت سطوتها عليه أثناء طريق العودة ..

عذاب الشوق وما أقساه من عذاب .

في الطريق الطويل إلى القرية كان يدرك مع مرور كل لحظة بأن صموده وتماسكه خلال الفترة الطويلة الماضية على وشك الانهيار ..

إنها أطول مرة منع نفسه عنها .. بعد أن وعد نفسه بأنه سيحاول أن يخفف عنها ضغط رغباته كزوج .. وكان يتمنى أن تطول المدة أكثر من هذا .. كان يتمنى أن يمنع عنها ما يضايقها .. لكنه هُزم .. اليوم وفي هذه اللحظة هُزم .. وأعلن استسلامه أخيرا لرغبات القلب قبل الجسد بعد حرب ضروس بينه وبين شوقه وحبه وحاجته إليها..

ضعفت قوته وعزيمته فتحول لكتلة من اللهب..

ولم تكن حالته هذه تخفى عليها ..
كانت تشعر به جيدا وتعلم بأنه قد وصل للذروة ..وكانت مستعدة ومشتاقة هي الأخرى .. لكن التجربة الأخيرة تخيفها من إعادتها ..
فهي لم تعد مثل السابق ..
تلك القشرة الجامدة التي كانت تتحصن بها تشعر بأنها فقدتها ..
ذلك الإنكار أو ادعاء عدم الرغبة لم تعد حيلة تنطلي على عقلها الباطن الذي انكشف له أنها كانت مجرد ادعاء وبأنها تريده وترغب فيه ..
إن التجربة الأخيرة بينهما كانت نقطة فاصلة أسقطت دفاعاتها وسحبت الغطاء عن جروحها فأصبحت لا تجد ما تتحصن به لتواصل .
التصق مفرح بها يحضنها من الخلف في وقفتها أمام طاولة الزينة تخلع عنها مصوغاتها الذهبية .. اشتم عطرها الذي يغازله منذ أن

رآها في صالون التجميل قبل العصر وسحب كمية كبيرة من رائحتها إلى صدره وكل خلية في جسده تتفاعل مع قربها باشتياق معذب..
وكأنه ظمآن وصل لنبع من الماء العذب .. تائه وصل إلى مرفأ .. سقيم وصل للترياق .
أغمضت عينيها تمسد على يده التي تداعب تفاصيلها بلهفة شديدة بينما همس مفرح يدفن وجهه في شلالات شعرها البني "مليكة .. أنا غير قادر على التحمل أكثر .. ما رأيك لو أعطيتني قدر قليل .. قليل جدا .. أنا.."
استدارت إليه مستاءة من نفسها ومتألمة من أجله وهي تراه يستجديها في حق من حقوقه ..
فالتصقت به تحيط ذراعيها بعنقه وهي تقول أمام شفتيه" أعرف والله.. أعرف بأنك مظلوم معي يا مفرح "
لم يصبر مفرح ولم يدقق فيما قالت .. كان اشتياقه يسيطر عليه إلى حد الجنون ..

وأعصابه في حالة تامة من الانفلات .. فانقض على شفتيها بجوع شديد واستنفرت كل خلاياه لوصالها وهو ينزع ملابسها وملابسه بقلة صبر ويمطرها بالقبلات الحارة الملتهبة على شفتيها ووجهها ورقبتها وأنحاء من جسدها .. ثم أطلق تأوها مشتاقا من بين شفتيه حينما تحسست مليكة صدره العاري .

حملها وارقدها على السرير وهمس بصوت أجش مليء بالمشاعر أوجع قلبها بشدة "أعدك ألا أطيل .. سأبذل قصارى جهدي أن أخلصك مني بسرعة يا مليكتي "

كلماته زادت من عذابها ومشاعرها المشتاقة إليه .. وفي الوقت نفسه كانت تقاوم بشدة تلك القوة السوداء التي بدأت هي الأخرى في التحرك بداخلها .. فكان الصراع عنيفا بينها وبين نفسها .. أفسد عليها الاستمتاع بحضوره وقربه..

أفسد حتى رغبتها في الارتواء من مشاعره بعد شوق ..
وكما خمنت ..
لم تعد مليكة السابقة القادرة على صنع حيلة نفسية حتى لا تشعر به ولا ترفض تلبيه حاجته في الوقت نفسه ..
الحيلة لم تعد تعمل معها .. لم تستطع حتى أن تعود لوضع التخشب والجمود السابق حتى تتخلص من ذلك التأنيب الذي يجلدها كلما تجاوبت هي وقلبها وجسدها ومشاعرها معه ..
قاومت نفسها كثيرا وحاولت أن تتجاوب معه .. وحاول هو أن يبر بوعده ..بقدر استطاعته ..
وعند نقطة ما .. نقطة الوصول لنهاية الطريق .. كان في استقبالها كالمرة السابقة نفس العقاب ونفس الشعور الكبير بالذنب .. ومن جديد انهارت في البكاء بشدة .. رغم أنها حاولت أن

تتماسك حتى تحميه من عذاباتها لكنها لم تستطع .. فأخذت تغمغم "أنا آسفة .. آسفة " هذه المرة كان متوقعا انهيارها .. وكان يعلم بأنه سيشعر بهذه المشاعر من الذنب تجاهها ..فاسرع باحتوائها بين ذراعيه وربت على شعرها وهو يقول بلهجة حانية معذبة من بين أنفاسه اللاهثة" بل أنا من عليه الاعتذار .. سامحيني .. حاولت الصمود أكثر وتمنيت أن أنجح لكني في لحظة ما فقدت السيطرة على كل شيء .. سامحيني "

غمغمت من بين دموعها" يا مفرح لا تزيد من عذابي بما تقول وبما تفعل .. أنا والله لا استحق ذرة واحدة من هذا الحب الذي تحبه لي (وأخذت تشهق فمزقت قلبه وهي تضيف) ماذا تفعل معي؟.. لماذا تتحملني .. بم أنا مفيدة لك في حياتك أنا .. أنا "

"اششششش .. "

قالها مفرح يسكتها وهو يدفن وجهها في صدره وأضاف بهمس " دعينا نقوم بما نفعله دوما .. لا مزيد من الحديث عن ما يؤلمنا .. هيا لننام" تشبثت به بقوة وهي تبكي على صدره .. فشدد من احتضانها يقبل رأسها .. وهو يؤنب نفسه على عدم صبره عليها أكثر !

xxxx

انتهى الحفل أخيرا وودع العرسان المدعوين ثم وقفوا في بهو الفيلا يتلقون الأمنيات بالسعادة من غنيم وزوجته التي كانت توزع القبلات على ولديها .. فابتسمت بسمة للجميع ابتسامة مصطنعة قبل أن تتحرك نحو سلم الطابق العلوي ليقول كامل بلهجة ذات مغزى "ألن تنتظريني ؟!!"

دارت شعورها بالضيق وتطلعت في وجهي غنيم وسوسو قبل أن تبتسم دون رد وهي تنتظره عند أول السلم ..وحين اقترب منها كامل

حدجته بنظرة من عينيها القاتلتين بزرقتهما
حتى لا يحاول فعل أي شيء استعراضي
يستفزها.. فلم يرغب كامل في الضغط عليها
خاصة وهو يجدها من أول اليوم متحفزة
فمنحها ذراعه قائلا "هيا يا عروسي"
بلعت بسمة ريقها وتأبطت ذراعه بينما يدها
الأخرى ترفع طرف الفستان عن الأرض وصعدا
نحو الطابق العلوي ..
كان السلم يتفرع عند المنتصف لسلمين
أخبرها كامل مشيرا على الناحية اليمنى "هنا
غرف إضافية نستخدمها للضيوف لأن والداي
يسكنان في الطابق الأرضي (ثم توجه بها ناحية
اليسار يقول) جناحي أنا وشامل هذه الناحية "
وتحرك بها ليصعدا مزيدا من درجات السلم
المؤدية للطابق العلوي ..
القسم الخاص بالتوأمين عبارة عن صالة
واسعة بها بعض الأرائك الأنيقة وشرفة في

الواجهة مزينة بستائر قماشية على أحدث موضة .. وجناح كامل وبسمة في واجهة السلم على يمين الصالة بينما جناح شامل وونس إلى يسارها بجواره غرفة الألعاب التي تحتوي على شاشة عملاقة لألعاب الفيديو ومكتبة موسيقية وورقية تخص التوأمين .

أشار لها كامل للأمام فأسرعت بالذهاب نحو الجناح وكأنها تريد أن ترتاح أخيرا بعد فترة من شد الأعصاب والتوتر والترقب و .. التمثيل .

بمجرد أن دخلا وقفت بسمة بتوتر تتطلع في الغرفة الواسعة حولها وبالأخص في السرير المفروش بمفرش مبهر من الأورجنزا بينما كامل كانت عيناه تتفحصان على مهل تفاصيلها بتدقيق وهي تقف أمامه في غرفته أخيرا .. بتلك الطلة التي تحبس أنفاسه .

أخيرا بسمة هنا في بيته ..

أخيرا زائرة أحلامه أضحت حقيقة أمامه .

أخيرا يا كامل .
استدارت إليه تقول بتوتر " هذا سرير واحد"
رد عليها بلهجة متهكمة" وهل كنتِ تتوقعين
مني أن أضع سريرين لأفضح نفسي أمام عائلتي
.. يكفي ما تحمله أبي وأمي حتى الآن "
غمغمت بحزن "أنا عالة عليكم أليس كذلك؟"
ماذا يقول ..
أيخبرها بأن الفرحة حينما تكون مميزة لا تأتي
إلا مع الألم؟
أيخبرها بأنه رغم كل ما يعانيه وسيعانيه معها
ليس نادما أبدا ؟
أم يخبرها بأنه لولا ذاك الحب الذي تملكه
أسيرا لما تكبد هو عناء كل هذا .
أيخبرها بأنه عالق بينها وبين كرامته ..
بين قلبه وكبريائه ..
بين ماضيها ومستقبله ..
ولا يعرف للسلام الداخلي طريقا منذ أن قابلها.

اضافت ببرود متعمد تنهر نفسها من أن تكون مثيرة للشفقة وتحاول السيطرة على رغبة ملحة للبكاء" لكنك أيضا تفعل ذلك من أجل إتمام زيجة توأمك"

ظل كامل واقفا بصمت يطالعها ويديه في جيبي بنطاله فنظرت بسمة للأريكة ثم سألته "وأين ستنام أنت؟"

تحرك يفك رابطة عنقه ويخلع سترته ويعلقها على المشجب قائلا ببرود " أنا سأنام على السرير بالطبع "

هتفت باستنكار "وأنا؟"

رد بنفس البرود ليداري اشتعالا داخليا " كما تريدين هذا يعود لك .. أمامك أن تشاركيني في السرير أو أن تنامي على الأريكة.. أو على الأرض"

قالها ببطء متعمدا استفزازها فالشجار ربما كان أفضل من ذلك الهدوء المشحون بالانفعالات المكبوتة ..

جزت بسمة على أسنانها ورفعت طارف ثوبها تتحرك نحو خزانة الملابس ثم تذكرت بأنها قد أرسلت حقائب ملابسها صباح اليوم ..فخلعت حذائها ذا الكعب العالي واسرعت نحو إحدى الحقائب تحاول حملها بعصبية.

راقبها كامل لثوان صامتا ثم تحرك يحمل الحقيبة عنها ويضعها على طرف السرير ..فغمغمت بسمة باضطراب "شكرا"

ثم بدأت في محاولة فتح الحقيبة بعصبية .. منحها كامل بضعة ثوان قبل أن يميل بجسده الضخم أمامها ليفتح الحقيبة فابتعدت للخلف قليلا حتى لا تحتك به .

فتح الحقيبة لها ثم ابتعد بسرعة يقف عند الخزانة ويخلع عنه ملابسه بخشونة وكأنه لم

يعد يطيقها عليه فأولته بسمة ظهرها وضربات قلبها تصم أذنيها .
بعد أن بدل ملابسه لملابس أكثر راحة تحرك نحو باب الغرفة قائلا " هذا الباب ممنوع اغلاقه من الداخل ما دمت أنا بالخارج .. الشيء الوحيد الذي سأسمح لك بإغلاقه هو الحمام (واردف بلهجة ذات مغزى حينما استدارت إليه) إن أردتِ ... غير ذلك فعلينا أن نتكيف مع وجودنا سويا في هذا الجناح والأهم (ورفع سبابته يضيف بلهجة محذرة) أبي وأمي لا أريدهما أن يشعرا بأي شيء غير طبيعي .." قالها وأغلق الباب خلفه تاركا بسمة متسمرة تتطلع فيه بمشاعر مرتبكة .

xxxx

أما العروسان الأخران فبعد أن انتهى غنيم من الاتصال بالحاج عيد للاطمئنان بأنه قد وصل سالما للبلدة وطمأن ونس التي قضيت الجزء

الثاني من الحفل تبكي تارة متأثرة بفراق والدها وتضحك وترقص تارة أخرى رغم عدم التقاط سماعتيها للنغمات والموسيقى بشكل سليم كالحاضرين ..

قالت سوسو بتأثر" مبروك يا حبيبي.. هيا اصعدا لجناحكما"

مال شامل ليقبّل رأس أمه ثم تحرك نحو ونس وحملها بغتة فوق ذراعيه .. فأطلقت صرخة متفاجئة قبل أن تغطي وجهها بكفيها بحرج بينما قال هو لوالديه الواقفان يتطلعان فيه بابتسامة متسعة" تصبحان على خير "

قالها وتحرك يصعد بعروسه للسلم فاقتربت سوسو من زوجها ووقفت بجواره يتابعان ابنهما وهو يحمل عروسه نحو الطابق العلوي ثم تبادلا النظرات المتأثرة قبل أن تغمغم سوسو" هل تعتقد أنه قد حان الوقت لنطمئن عليهما أخيرا يا غنيم ؟"

لف ذراعه حول ظهرها يقول" أتمنى ذلك يا سوسو .. اتمناه بشدة .. أن يستقرا ويؤسسا عائلة وبيت .. (ثم سحب نفسا عميقا وأضاف براحة) المهم أن اليوم انتهى ..والله للحظة شعرت صباح اليوم بأنه سيكون يوما صعبا لكن ربك كريم وسترها ويسرها معنا "

في جناح العروسين أنزل شامل عروسه التي لا تزال تخبئ وجهها وقال" عليكِ بفتح عينيك لتشاهدي جناحنا جنيتي"
انزلت ونس كفيها ووقفت تتطلع حولها بانبهار .. لقد صور لها شامل الجناح من قبل لكنه في الحقيقة كان مختلفا بألوانه المبهجة وورق حائط لورود مختلفة الألوان .. فدارت حول نفسها تحدق فيما حولها بينما اقترب شامل منها يقول خلف أذنها "يكفي تحديقا في الجناح سيكون عندك العمر كله للتدقيق فيه (ومرر

كفيه على أعلى ذراعيها ببطء يقول بلهجة حارة) دعينا أولا نرى هذا الفستان عليك بدون تلك البلوزة التي تحته حتى نراه على حقيقته" بارتباك شديد خلصت ونس نفسها منه مبتعدة لكن شامل اقترب مجددا ومال يدفن وجهه في عنقها ويطبع قبلة ملتهبة قائلا" أنا عندي لك اسرارا كثيرة جدا أريد أن أخبرك بها يا ونسي" دفعته ونس بعيدا بارتباك فتفاجأ شامل بحالتها ليقول باندهاش "ماذا حدث يا ونس؟؟"

أشارت له نحو الباب ثم على فستانها بما يعني أن يخرج لتبدل ملابسها .. فاتسعت ابتسامته وقال وهو يعود ليقترب منها ويتحسس خصرها بأصابعه " دعيني اساعدك في خلع ملابسك فلهاذا الأمر أيضا أسرار"

لاح التوتر الشديد على وجه ونس وبدأت تخرج همهمات معترضة مرتبكة من حنجرتها

وهي تبعده عنها بإصرار ثم أخذت تدفعه نحو باب الغرفة بقوة وكأنها تدفع شاحنة عملاقة بينما شامل عيناه متسعتان متفاجئا وهو يهتف "ونس .. ونس ماذا حدث ؟؟؟"

فتحت ونس الباب ودفعته وهو لا يزال مذهولا ليتفاجأ بأنه قد أضحى خارج الغرفة فقال وهو يهم بالدخول "حبيبتي أنا مدرك لخجلك لكن ..."

أغلقت ونس الباب بسرعة وسمع صوت اغلاقه من الداخل فأمسك بالمقبض يحاول فتحه قائلا" ونس .. افتحي يا ونس "

شعر بأن صوته عال فأخفض صوته يضيف بهمس" حسنا فلنجعله سرا واحدا فقط اليوم "

حينما لم يجد استجابة نفخ بغيظ وتمتم وهو يتحرك نحو الشرفة" ماذا حدث لها فجأة ؟!!"

عندما دخل إلى شرفة الصالة تسمر حين وجد كامل يوليه ظهره محدقا في الفراغ المزين بأنوار الحديقة يديه في جيبي بنطاله والذي بادره بالقول دون أن يستدير " شَرّف يا حبيبي بجوار أخيك شَرّف"

لملم شامل شفتيه حتى لا يضحك وقال مدافعا " تركتها لتبدل ملابسها بأريحية .. تعرف خجل العروس "

صوت ضحكة خافتة ساخرة خرجت من فم كامل دون أن يستدير إليه ثم تمتم يقلده بلهجة متهكمة " اشعر بالحماس الشديد .. يا ناس يا شر يكفي قر !"

ناظره شامل بغيظ .. فاستدار إليه كامل أخيرا وعلى وجهه ابتسامة واسعة قبل أن يمد ذراعه ويلفه حول عنق الأخر ويميل برأسه للأمام ضاغطا على عنقه وقائلا بغل ظاهري وسعادة داخلية " مبارك لك يا فلذة كبدي"

قال شامل متوجعا " أآآآه رقبتي يا حَلّوف ..
لازلت عريسا "
تركه كامل ضاحكا ثم أعاد يديه إلى جيبيه وعاد للتحديق في الفراغ.. فتأمله شامل للحظات يشعر جيدا بما يعتمل في صدر توأمه من مشاعر قوية ثم سأله" ألا يوجد أي أمل؟"
أجاب كامل باقتضاب" جاري البحث عنها"
عقد شامل حاجبيه وسأله" البحث عن من؟"
نظر إليه كامل ورد بابتسامة متهكمة" عن (أمل)"
اتسعت ابتسامة شامل وضرب كفه بكف أخيه الذي تطلع في الصالة وعاد ليسأله "وهل انتحرت (أمل) عندك الليلة ؟"
قال شامل بإصرار" لا إن شاء الله .. أنا عائد إلى (أمل) أقصد إلى ونس ..ولن أترك باب الغرفة حتى لو اضطررت لأن أنام أمامه"

قالها وغادره وهو يسمع صوت ضحكة توأمه الساخرة تطارده.

اقترب شامل من الباب وأمسك بالمقبض يقول بصوت هامس "ونس ألن تفتحي لجني المصباح؟"

انفتح الباب بسهولة في يده بمجرد أن ضغط على المقبض .. فأدرك بأنها قد عادت وفتحت القفل من الداخل ليسرع بالدخول ودارت عينيه في الجناح وهو يقول بترقب "ونس .. يا جنية"

في أحد الأركان بجوار الممر الصغير المؤدي للحمام لمحها .. ثم شهق وأسرع بإغلاق الباب وتأكد من غلق القفل جيدا وعيناه لا تحيدان عنها متمتما بحشرجة" ونس "

وبدأت يديه تلقائيا في فك أزارا قميصه وعيناه تمران عليها صعودا وهبوطا وهو يقترب منها ببطء .

كانت تقف أمامه تخبئ وجهها بكفيها في حرج شديد .. فقد تحمست بشدة لارتداء قميص نوم بعينه من بين ملابسها حتى تفاجئه متجاهلة نصائح مليكة بأن ترتدي القميص الأبيض الطويل .. لكن الآن.. وبمجرد دخوله للغرفة هربت منها شجاعتها وانتابها الخجل مما ترتديه وندمت على تهورها ... فدوما تتصرف بدون تفكير.

همس شامل اسمها بحشرجة وعيناه تدققان بذهول في القميص الشفاف ذو اللون (الفوشيا) الذي يصل بالكاد لمنتصف فخذيها ويكشف عما تحته دون أن يترك أي مجال للتخيل .. كان ضيقا عند مقدمة جذعها يحدد تفاصيلها الانثوية الرقيقة وينسدل بعد ذلك باتساع حتى نهايته ورسم الحناء الملونة رقيق أعلى ذراعيها وعلى ساقيها .. أما حمالات القميص فكانت من الدانتيل تظهر جمال كتيفها الأبيضين

وعنقها من تحت شعرها الكستنائي الطويل الذي تم فرده فتخلى عن موجاته الطبيعية والذي يغطي جزء من وجهها في وقفتها حافية القدمين تميل للأمام قليلا باهتزاز خفيف يدل على ارتباكها .. فخلع شامل القميص وألقى به أرضا وعيناه لا تزالان مأسورتين بما يراه .. كان اللون (الفوشيا) قويا مضيئا أمامه يجمع بين نقيضين فاللون أنثوي بامتياز .. وفي الوقت نفسه يذكره بحلوى غزل البنات الملونة .. وتفاصيل القميص الـ شفاف جدا الذي يوشك أن يصيبه بسكتة قلبية مع تفاصيل جسدها الأبيض الرقيق ..بينما وقفتها بهذا الشكل المرتبك تفرك قدميها ببعضهما وتخبئ وجهها عنه يمنحها نكهة طفولية وشهية في الوقت ذاته.

بلع ريقه الجاف بصعوبة وقال وهو يبعد يدها عن وجهها بحذر "جنيتي أريني وجهك ليكتمل جمالك "

بعد بضعة محاولات استجابت ونس لأصابعه التي تبعد كفيها فرفع ذقنها لتواجهه بخديها المتوردين وتشير له بأنها ترغب في أن تقول شيئا .

تماسك شامل يخبر نفسه أن يهذب تلك المشاعر الهمجية التي تلح عليه لحظتها وأخرج هاتفه من جيبه يعطيه لها .. فأخذته بيد مرتعشة وكتبت عليه بصعوبة من هول ارتباكها.. بينما رفع شامل يده ليرفع شلالات شعرها الكستنائية التي مالت معها ليبعدها عن وجهها ثم نظر لما تكتب " تحمست جدا للقميص منذ أن رأيته لكني الآن أشعر بالخجل الشديد"

لم يعطها شامل فرصة لأن تكتب المزيد بل مال بوجهه بوضع جانبي واقتنص شفتيها معلنا بأنه لا مزيد من الانتظار.
سقط الهاتف من يد ونس وقد أحاط بها لهيب مشاعره فداس شامل على الهاتف وهو يقترب منها أكثر ليلصقها به ويحيطها بذراعيه مقتنصا المزيد من القبلات من شفتيها الشهيتين.
بعد دقائق حرر شفتيها وكفه تندس داخل شعرها ليلمس مؤخرة عنقها قائلا بصوت مشحون بالمشاعر وعيناه تغزوان أعماق عينيها البنيتين "أخيرا يا جنيتي أصبحتِ ملكا لجني المصباح .. (وجال بنظراته على وجهها ثم أضاف) دعيني أخبرك ببعض الأسرار الليلة "
وعاد يلتهم شفتيها من جديد ثم يطبع قبلات حارة على ذقنها ورقبتها وجسده الملتصق بجسدها يستشعر ارتعاشها وخجلها ثم رفع

رأسه يسألها وهو يتحسس سماعتيها الكبيرتين نسبيا خلف أذنيها "ألن تخلعي السماعات ؟"
أحست بأنها ستكون فاقدة لحاسة مهمة من حواسها وهي مقبلة على لحظات فاصلة في حياتها فحركت رأسها برفض شديد ليقول شامل مطمئنا" لا بأس على راحتك "
تحركت كفه على تفاصيلها يرسل لها موجات كهربائية لذيذة في أعصابها قبل أن يبعد إحدى حمالات القميص عن كتفها ويميل ليطبع قبلاته الحارة عليه ثم على عنقها .
وخلال دقائق كان يحملها بين ذراعيه برفق ابعد ما يكون عما يجيش في صدره من انفعالات ويرقدها على السرير ثم قال وهو يخيم فوقها" هل تعلمين بأن مشاهد القبلات التي ترينها في الأفلام والمسلسلات لها بقية لكنهم لا يذيعونها ؟"

رمشت ونس بعينيها عدة مرات تائهة في بحر عاصف من المشاعر يحيط بها لحظتها فغمغم شامل بلهجة شقية قبل أن يطبق على شفتيها من جديد " أنا سأخبرك بالتفصيل عما لا يذاع للمتفرجين "

××××

جلست على طارف السرير ولم تتخل عنها شدة أعصابها بعد .. أو ربما هو الترقب .. أو القلق لوجودها في مكان جديد .. مكان يخصه هو .. رغم أن كل شيء فيه جديد .. أثاث الغرفة وورق الحائط الأنيق جدا ..كل شي..
لكنها تشعر بأن وجوده طاغي في المكان ..
المكان الذي يخلو منه الآن ..
كل شيء جديد في المكان إلا هي ..
فلا تعرف إن كانت لا تزال بسمة القديمة أم أضحت بسمة جديدة .

ولا تعرف سببا لتلك المشاعر المتناقضة بداخلها..
أنه حاضر رغم عدم وجوده ..
وأنها تشعر بالراحة لاحترامه لوعده وبالإحباط في نفس الوقت ..
تتنازعها رغبتان .. رغبة في ألا يحاول مغازلتها حتى لا تشعر بأنها أنثى للاستعمال السريري فقط .. ورغبة في أن تكون أنثاه .. رفيقته .. رفيقة كامل نخلة .
عادت للتفكير في بانة .. تلك الضيفة التي احتلت أفكارها اليوم لأول مرة .. وذلك الشعور بالاحتراق الذي صاحب ظهورها ..
اخترقت خاطرة أخرى مخيلتها كانت أشد إيلاما .. هل كان قبوله بالزواج الصوري منها ليرضي أهله حتى لا يضطر للزواج الفعلي من فتاة غير بانة؟! ..

ألهذه الدرجة يحبها فظل كل هذه السنين عازفا عن الزواج من بعدها؟! ..
نظرت لباب الغرفة وتساءلت لماذا تأخر ؟..
هل قرر أن يبيت الليلة بعيدا .. حتى يبقى وحيدا مع ذكرياته مع بانة!!..

حضنت بسمة نفسها شاعرة فجأة ببرودة شديدة وبوخز في قلبها .. لكن ما ادهشها ذلك الشعور الخبيث الذي تسلل إليها بالشفقة عليه .. الشفقة بأنه لم ينل الفتاة التي تمناها!!. ذلك الشعور (الغريب) استدعى استهجانها على الفور فغمغمت لنفسها بضيق" أنت فقدت عقلك يا بسمة .. بالتأكيد فقدت عقلك "

××××

من شرفة شقته وقف عماد يتطلع في سيارة بدير التي كان يقودها ابن عمهما بسطاويسي

والتي توقفت أمام البيت فترجل منها بدير ووقف قليلا ممسكا ببابها حتى لا يفقد توازنه.
لم يحتاج عماد لأي ذكاء ليفهم أن أخيه لم يكن في كامل وعيه .. ويؤكد هذا قيادة بسطاويسي للسيارة بدلا منه والذي خرج يقول له بهمس حتى لا يجرح سكون الليل "بدير يا ابن عمي سأركن السيارة هنا ..انتظر حتى أعطيك المفتاح .. (وهدر من بين أسنانه) تماسك قليلا واياك أن تقع "
قال بدير بصوت عال "أقع !!.. أقع !! أنا بدير العسال لا أقع أبدا "
ضرب بسطاويسي على فمه عدة مرات يقول موبخا" اششش أخفض صوتك يا بدير ليس من المفروض أن يراك أحد بهذه الحالة "
هتف بدير بانزعاج" ما بها حالتي... ها؟"
أسرع بسطاويسي بركن السيارة بسرعة ليعطيه المفتاح حتى يدخل الأخير قبل أن يفضح نفسه

فقد كان ملازما له طوال اليوم كي لا يتهور ويفعل ما يمكن أن يفسد حفل زفاف بنت الوديدي ويضر بنفسه وباسم العائلة .

من الشرفة المظلمة ظل عماد يتابع المشهد وابتسامة ساخرة معلقة فوق شفتيه وغمغم في سره "سعادة الباشا العاشق ليس في وعيه بسبب زواج حبيبة القلب .. بينما نحن نبحث عنه منذ ساعات ولا نستطيع أن نصل لهاتفه المغلق لنخبره بالمصيبة التي حلت على رأس آل العسال"

أعطى بسطاويسي المفتاح لبدير وادخله للبوابة ثم أغلق الباب وتحرك مغادرا نحو بيته القريب وهو يغمغم بامتعاض "شفاك الله من هَبَلك وتفاهتك يا ابن عمي قبل أن تدمر نفسك وعائلتك "

اقتربت هدى من زوجها تسأله "هل وصل بدير؟"

هز رأسه بصمت فأخبرته بقلق" هل ستنزل لتخبره بالمصيبة التي حدثت وطلاق أخته؟"
قال عماد وهو يدخل للغرفة ويغلق باب الشرفة" لا ..فهو لن يستوعب أي شيء الآن"
تكلمت قلقة على زوجها" إذن تعال لتنام يا عماد ..أنت تحرق دمك منذ أن جاءت مطرودة من بيت زوجها ..وكدت أن تؤذيها لولا أنها احتمت بغرفتها بسرعة وأغلقت على نفسها .. نام بالله عليك واهدأ"
جز عماد على أسنانه يقول بغيظ "عادت إلينا مطلقة بنت ال*** وانفضحنا بينما الباشا العاشق في ملكوت أخر"

أما كاميليا فتسمّعت من خلف باب غرفتها لخطوات بدير وانتابها القلق من ردة فعله .. لكنها تنفست الصعداء حينما سمعت خطواته تبتعد فشعرت ببعض الراحة وعادت لسريرها

الذي تنام عليه ميس تخبر نفسها لتهدئ من روعها "تماسكي يا كاميليا .. عليك بإقناع الجميع بمعاناتك وبأنك تستحقين فرصة أفضل من هذه .. فرصة ستختارين فيها هذه المرة بشكل أكثر نضوجا وذكاء وتعوضين فيها ما ضاع من عمرك في زيجة ليست من مقامك ولا من مستواك "

عادت بجذعها لتستند على ظهر السرير شاعرة بالتحرر ..وبأن كل شيء سيسير في صالحها من الآن فصاعدا .. يكفي بأنها عادت لمكانها في بيت العسال ..وبأن القرية قد خلت الآن من أي منافسة لها بعد رحيل بنت الوديدي عنها .. بنت الوديدي المحظوظة التي تنعم الآن في حضن ذلك الضخم مفتول العضلات تنتشي برجولته في فيلا فخمة..

لكنها لن تستسلم .. بل ستعتبر أن ما حدث هذا هو فرصة لها لتعدل من مسار حياتها ..

أغمضت عينيها واستدعت خيالاتها الخاصة التي تهرب فيها من واقعها .. خيالها الذي تحقق فيه ما لا تستطيع تحقيقه في الواقع .. تسرح مع ما يسعدها ويرضي جموحها .

رأت نفسها أمام رجل مفتول العضلات يخرج من سيارة ضخمة تدل على ثرائه وبأنه معجبا بها بشكل واضح بل ويتذلل إليها لتقبل به وبحبه وهي تتدلل وتتمنع .. ورأته يعدها بأنها لو تزوجت منه سيصنع منها نجمة سنيمائية واثقا بأن جمالها سيحكي عنه الجميع .. وحينما وافقت نظر إليها ذلك الرجل بامتنان لأنها تنازلت وقبلت به .

ارتسمت ابتسامة سعيدة منتشية على وجهها لذلك التخيل المريح للأعصاب ..لكنها قفزت فجأة من مكانها لتعتدل في جلستها على السرير متسعة العينين وهتفت بجزع وهي تلطم على

وجهها" ذهبي .. كيف تركت البيت بدون أن آخذ علبة مصوغاتي الذهبية !!"
في غرفة بدير أغلق بابها يدندن بخفوت فاستقامت وجدان بمجرد أن دخل..
لقد كانت في شدة القلق عليه منذ أن اختفى من أول اليوم مغلقا هاتفه .. خاصة وأنه ليس بحالة جيدة منذ أيام ويقضي كل وقته خارج البيت .
كانت تريد أن تطمئن عليه .. وخافت من أن يقوم بأي تصرف أهوج يضر به بسبب زواج تلك الساحرة التي سحرت له وربطته بها ..
وأرادت أيضا أن تخبره بما حدث لكاميليا لكنها أدركت بمجرد أن دخل وأغلق الباب خلفه بركلة من قدمه بأنه ليس في وعيه .. فهتفت بقلق "بدير"
اتسعت ابتسامته وفتح ذراعيه لها يقول "حياة بدير ..روح بدير .."

تطلعت فيه بارتباك وهو يقترب منها ثم تسمرت حين حضن وجهها بكفيه قائلا بلهجة حارة "أخيرا يا حياتي .. أخير تحقق الحلم وأصبحتِ لي"

اتسعت عينا وجدان ذاهلة بينما مال بدير يقبّل وجهها وعنقها ويديه تعبثان لتنزع عنها ملابسها وهو يقول" أين ذهبت زرقة عينيك يا روح بدير ؟.. أ تحرميني منها يا بسمة في ليلة زفافنا ؟!!"

قاومته وجدان هاتفة بغضب" ابتعد يا بدير ..ابتعد عني لا أطيقك .. ابتعد هيا واذهب وابحث عنها "

انقلب وجهه فجأة وشرست ملامحه فقيد حركتها بذراعيه يمنعها من الابتعاد وظل يناظرها بغضب شديد والشرر يتطاير من عينيه ..فتأملت حالته وهي تكتم بكائها

وغمغمت ببحة متوسلة " ابتعد يا بدير يكفيني ما أنا فيه"

هدر فيها بقوة" إياك يا بسمة .. إياك ومحاولة الهرب مني مرة أخرى .. لقد أصبحت ملكي .. ملك بدير العسال "

قالها وهو يسحبها ويميل بها ويرقدها على السرير بالقوة وسط مقاومتها.. إلا أنه خلع جلبابه يلقي به أرضا وانقض عليها قبل أن تستقيم بجذعها وتهرب قائلا وهو ينزع عنها ملابسها بعنف" أنت أصبحت ملكي للابد يا بسمتي .. فدعيني أخبرك كيف يكون العشق .. وكيف تكون لوعة الحب وناره ... دعيني أثبت لك كيف تكونين بين ذراعي رجل بحق ..رجل كبدير العسال"

أمطر وجدان بقبلات كانت كالوخز المؤلم على جسدها تلسع روحها وقلبها على السواء .. فهمدت مقاومتها بعد حين واستسلمت له ..

استسلمت لأن يستعملها كبديل لأخرى .. لأن يفضي فيها رغباته المكبوتة ..
ظلت تحته كالجثة الهامدة تبكي بدون صوت وتغرق الفراش تحتها بنزيف جراحها .. بينما بدير مستمر في بثها لوعة قلبه على حب نبت في أرض مريضة .. قلب مريض .. فأنبت زرعا شيطانيا .. طرحا مسموما .. يسمم به كل من حوله .

xxxx

كانت ممددة بجواره رأسها مرفوعا ومستندة على مرفقها وهي ترسم بأصبعها رسوما وهمية على صدره العضلي العاري .. بينما شامل يتأملها من تحت جفنيه المسترخيين ثم قال مناكفا" تتشاقين الآن بعد أن عذبتيني وكدتِ أن تزهقي روحي منذ قليل !"
كتمت ونس ضحكتها بكفها محرجة بشدة واستندت بمرفقيها لتقترب منه أكثر حتى

أصبحت تشرف برأسها عليه وهي تحكم من لف غطاء السرير الخفيف حول جسدها العاري ..ثم دققت عن قرب في جبهته ومدت أناملها ولمست أثرا لندبة عند بداية منابت شعره تشير له عليها مستفهمة.

تأمل هيئتها الحلوة الشهية وشعرها كشلالات كستنائية تضفي روعة لجمالها الرقيق المُسْكِر..ثم رفع كفه يبعد أطرافه إلى خلف كتفها وهو يرد عليها بلهجة مسترخية "هذا جرح قديم نتيجة شجار بيني وبين كامل" عبست ملامحها فأضاف "شجارنا دوما عنيفا منذ صغرنا.. وستجدين ندبات كثيرة عندي بسببها وهو أيضا لديه ندبات بسببي "

رسمت ملامح وجهه الرجولية الجذابة بأنظارها غير مستوعبة لأنها معه وحدهما دون أي حواجز أو قيود وبأنها زوجة هذا الجني الوسيم .. وغمغمت في سرها " أي خيال جميل

هذا ! ..يبدو أني قد عثرت بالفعل على المصباح السحري "
تمنت أن تخبره بهذه الخاطرة .. فتطلعت حولها تبحث عن هاتفه ليسألها شامل" عم تبحثين؟"
رفعت يدها على أذنها تشير بما يعني الهاتف .. فرد وهو يتأملها" أخر عهدي به أنه سقط على الأرض ولا أعرف مصيره بعد ذلك "
بحثت حولها في الأرض ثم أطلت برأسها على الناحية الأخرى من السرير مستندة على صدره فمد شامل كفه يتحسس كتفها وذراعها فوق خطوط الحناء الملونة .. لتنكمش ونس لأول وهلة بوجل العروس قبل أن تنظر إليه بنظرات مستعطفة تشير بذقنها على بقعة ما فوق السجادة الأنيقة حيث يكون الهاتف .

رد شامل ببرود "أنا غير مستعد لترك السرير ولو لثانية واحدة حاليا (وأضاف بلهجة شقية) اذهبي أنت إن أردت "

نظراته المشتعلة جعلتها تنظر تلقائيا لغطاء السرير الخفيف الذي تتدثر به فاحمرت وجنتيها وشددت من لفه حول جذعها ثم نظرت للقميص الفوشيا الملقى بعيدا على أرض الغرفة ..وعادت تنظر له بتساؤل.. ليومئ لها شامل بما يعني أنه لن يحضر القميص أيضا وأن عليها هي أن تذهب لإحضاره هو الأخر .

لملمت ونس الغطاء حول جسدها أكثر وهي تتطلع في جدية طلبه ثم انفجرت ضاحكة بحرج ومالت تخبئ وجهها في صدره فشاركها شامل الضحك وهو يمد يده من تحت الغطاء ويتحسس تفاصيلها بشقاوة .

رفعت ونس رأسها وشعرها يضفي هالة جميلة حول وجهها المخضب كله بحمرة الخجل

فناكفها قائلا "هيا .. لماذا لم تتحركي لتجلبي القميص !"
رفعت كتفيها بتدلل ترفض بدلع أنثوي فقال شامل بصوت أجش مناكفا " تتميّعين ثم تتشنجين بعد ذلك حينما أرغب في أن أخبرك بالأسرار"
عضت على شفتها تكتم ضحكة شقية وتناظره بنظراتها الثعلبية الماكرة اللذيذة مستعيدة في ذهنها كيف عذبته قبل قليل حتى مكنته من إتمام زواجه بها بينما قال شامل معاتبا بلطف "لماذا التشنج يا ونس ألا تثقين بشامل؟"
هزت رأسها بلا .. تقصد بأنها تثق به فقال باستنكار مناكفا رغم إدراكه لقصدها" تقولين لا؟ !! لا تثقين بي !!"
ضحكت تحرك سبابتها أمام وجهه نافية ..ثم أومأت موافقة .. فاستمر في مناكفتها هاتفا " تقولين نعم لا تثقين بي ؟!!"

انفجرا ضاحكين وضمها إلى صدره.. فرفعت رأسها تتأمله ثم ربتت على صدره بنظرات معتذرة .. فقال شامل بلهجة حانية متفهما لخجلها كعروس " لا بأس يا جنيتي .. صحيح عذبتي شامل معك بتشنجك لكني متفهم .. (وطبع قبلة على شفتيها هامسا) مبارك يا حرم شامل نخلة .. المرة القادمة عديني أن تكوني أقل تشنجا .. كما رأيتِ .. هذا السر جميل جدا .. (وتطلع في عينيها بتساؤل) أليس كذلك ؟"
انفجرت ونس بالضحك وغطت وجهها بكفيها فانسدل شعرها يحجب عنه هيئتها الشهية .. مسببة ارتجافا لقلبه كما فعلت بكيانه كله معها منذ قليل ..
إنها لحظة الرضا .. لحظة الشعور بالامتنان لرب الكون الذي جمع بين قلبيهما دون أي تعقيد ..

لحظة تطابق الشفرة السرية بينهما ليضاء بعدها ضوء داخلي دافئ معلنا توديع سنوات الوحدة والوصول للحظة الاكتمال .. الاكتمال بنصفه الأخر أو نصفه الضائع .. وهو أكثر من يشعر بالفارق .. فدوما كان يشعر بأن نصفه الأخر هو كامل بما أنه ولد مع توأم .. خاصة وأن علاقته بكامل علاقه ليست شبيهة بأي أحد .. علاقة اجبارية لمرافقة انعكاس صورتك في المرآة .. لكن بدخول ونس حياته أدرك بأنه كان يعاني من وحدة من نوع أخر .. يتوق لدفء من نوع خاص ليسكنه ..

رفع لها شعرها ثم أبعد كفيها عن وجهها الذي ازداد احمرارا وقال ضاحكا" ما الذي يُضحك يا ونس؟.. أنا اسألك هل أحببت السر ؟"

عادت لتخبئ وجهها بكفيها من جديد فضمها شامل إلى صدره بقوة مبتسما برضا.. رغم ذلك الشعور الدفين بالحزن على توأمه فقد كان

يتمنى أن يفرحا نفس الفرحة في يوم واحد ليس فقط لأن الفرحة تكون لها طعما خاصا .. ولكن لأنه يعلم جيدا كيف يتلهف كامل لنيل رضا بسمة .. ولنيل ما يتلهف إليه كرجل ..
تخلت ونس قليلا عن شعورها بالخجل ورفعت وجهها إليه تتأمله من جديد وكأنها تريد أن تتأكد كل فترة بأنه حقيقة .. فأنزل شامل أنظاره يتطلع فيها عن قرب قبل أن يرفع رأسه ويميل عليها قائلا " لن أتركك حتى تخبريني برأيك في السر الذي قلته لك "
واطبق على شفتيها بلهفة جديدة.

xxxx

أخذ كامل يضرب بقبضته يمينا ويسارا في كيس الملاكمة المعلق في غرفة الألعاب ..في محاولة للسيطرة على فورة المشاعر التي تحاصره وتضغط عليه كأي عريس في ليلة زفافه ..

مشاعر أضيف عليها مشاعر غضب وغيرة حارقة وظنونا وأفكارا سوداء تأكل في رأسه وقلبه وأعصابه وتجعله يفكر في ليلة زفاف بسمة من زوجها السابق.. وآلاف التساؤلات القديمة والمستجدة تتصارع في رأسه .
خلع القفازين وهو يلهث وتحرك يلتقط منشفة من الحمام الصغير الملحق بغرفة الألعاب وأخذ يجفف العرق من فوق جبينه وعنقه وذراعيه البارزين من فانلته الداخلية .. بعدها حاول أن يجلس على الأريكة ليستريح لكنه لم يقدر .. فعاد للوقوف وتحرك جيئة وذهابا في الغرفة يترك نفسه لأفكاره السوداء مقررا بأن ذلك أرحم من أن يضعف ويندفع نحو غرفته التي بها حبيبته لا يعلم بعدها كيف سيتحكم في أعصابه وهو في هذه الحالة .. ليس فقط خوفا من اخضاعها لما لا ترغب فيه.. و من مشاعره السلبية التي من الممكن أن

تؤذيها.. ولكن لعدم رغبته في كسر كلمته معها .. فلا يسمح لنفسه أبدا بأن يخلف وعدا قطعه على نفسه فذاك يمس رجولته ..
وربما كان تمسكه بالوعد هو منقذه مما تتوق إليه نفسه بإلحاح يصل إلى حد التعذيب .

xxxx

على سريرها كان يجلس منذ أن وصل إلى البيت .. يجلس ساكنا دون حركة ومقلتاه تتحركان في الغرفة ..
يتذكرها في مراحل عمرها بين قفزات الفرح وانكسارات الحزن والخيبات .. ويشعر بالسرير باردا تحت كفيه الموضوعين بجواره على الملاءة.. بل البيت كله بارد صامت ..
وكأنها رغم خرسها كانت تملأه صخبا بوجودها الصامت .
الشعور بفراقها صعب .. صعب لدرجة تشعره بألم شديد في صدره لكنه غمغم لنفسه "

سترت البنت يا عيد .. سترتها قبل موتك
وأكرمك الله وأكرمها.. عليك أن تشكر ربك
وتتحمل فراقها "
قالها ومال على جانبه مستلقيا على سريرها
ومتجاهلا تلك الدمعة التي انحدرت من عينيه
الغائرتين وسط تجاعيد وجهه وأخذ يردد
"اللهم لك الحمد والشكر "
ولم يكن عيد وحده من بات باكيا .. فقد
سمحت إسراء لدموعها بالانهمار بعد أن نامت
أختاها .. وبعد أن تماسكت حتى لا تشعر نصرة
بما يجيش في صدرها من مشاعر .. فما أصعب
الشعور بجرح الكرامة .. وما أصعب الاضطرار
لأن تخفي ما حدث عن أمها ولا تشتكي لأحد ..
فحتى طلال لو أخبرته قد يتشاجر معها لأنها
تعطي دروسا خاصة خارج إطار المدرسة وهي
بحاجة لأي قرش لجهازها ..

وما أقساه ذلك الشعور بالوحدة الذي يغلف روحها .
فدفنت إسراء وجهها في الوسادة تكتم صوتها حتى لا يسمعها أحد وانطلقت في البكاء .

xxxx

صباح اليوم التالي

"محسن!!! "

قالتها أم هاشم متسعة العينين متفاجئة ..فهز عمها رأسه مؤكدا بابتسامة .. لتبلع ريقها الذي جف من وقع المفاجأة بصعوبة وتسأله "هل قال أم هاشم صراحة؟"

رد يحيى بهدوء" أجل قال أريد الزواج من أم هاشم"

شعرت بارتباك شديد غير مفهوم سببه فأشاحت بأنظارها عن عمها وقد أصابها خواء ذهني للحظات ليقول عمها بنفس الابتسامة" أظن أن محسن ليس به عيبا .. شاب ومحترم

وقريبنا ولديه وظيفة وشقة في مركز المحافظة
وطلبك للزواج على سنة الله ورسوله"
اعترفت أم هاشم لنفسها بأنها متفاجئة
ومرتبكة فقالت لعمها وهي تعدل من حجابها
"هو بالفعل شاب محترم لكن هلا اعطيتني
فرصة لأفكر ؟"
عقد يحيى حاجبيه وسألها "لماذا .. ألست
تعرفينه ؟!!"
قالت بلهجة حزينة" هل تقول لي وافقي يا أم
هاشم لأنه فرصتك الوحيدة !!"
غمغم يحيى وقد شعر بالشفقة عليها" لا يا أم
هاشم لم أقصد هذا .. أنا نظرت للأمر من نظرة
أبوية أنه شاب جيد لم أقصد أي شيء أخر "
تكلمت أم هاشم بحشرجة وهي لا تزال
مذهولة" وأنا اعترفت بأنه شاب جيد ..لكن يا
عماه ألا يحق لي أن أفكر في مدى تقبلي له
كزوج ؟!"

عوجت صباح شفتيها يمينا ويسارا من خلف ستارة الممر وهي تستمع للحديث ثم غمغمت هامسة" تتشرط وتتمنع بنت زكريا وكأن الخاطبين طوابير أمام البيت !!"

هز يحيى رأسه معترفا وقال" هذا حقك طبعا كم تريدين من الوقت ؟"

اندفعت أم هاشم تقول بدون تفكير "أسبوعا؟؟"

اتسعت عيني يحيى وعلق" هل الأمر صعب لهذه الدرجة ويحتاج لأسبوع يا أم هاشم؟!!"

اعترفت أم هاشم في داخلها أن أسبوع مدة طويلة خاصة وأنها تعرفه مسبقا لكنها ردت مبررة " لأني لأول مرة سأعمل في المشروع بدون وجود بسمة .. وكونها ما زالت عروس لن استطيع التحدث معها عبر الهاتف كلما أردت أن اسألها عن شيء بخصوص العمل على الأقل في الأسبوع الأول لذا فسأكون منشغلة بشدة

حتى نهاية الأسبوع وعيني في وسط رأسي كما يقولون "

قالتها معترفة لنفسها بأن عذرها واهي لكن عمها هز رأسه وقال "لا بأس سأخبر محسن بأننا سنرد عليه بعد أسبوع "

ابتسمت أم هاشم وغمغمت وهي تستعد للمغادرة" أنا سأذهب حتى لا أتأخر على فتح البوابة لبنات المشروع .. السلام عليكم "

قال يحيى" أنا أيضا ذاهب لعملي (وعلا صوته) هل تريدين شيئا يا أم سامية ؟"

اجلت صباح صوتها وهتفت من الممر بارتباك" سلامتك يا أبا سامية"

قالتها ثم استدارت لرباب التي تنتحب بجوارها ودفعتها نحو إحدى الغرف تقول موبخة "أششش لا أريد لوالدك أن يلاحظ .. ولا أم هاشم أيضا .. حتى لا تشمت فينا وتشعر بأنها

قد أخذت منك ما كنت تتمنينه وقتها ستشعر بالانتصار "

قالت سامية التي جلست بجوار أختها على السرير تربت على ظهرها " كانت تتعشم يا أمي وصدمت"

قالت صباح بلهجة حازمة تداري شعورها بالشفقة على ابنتها "بلا صدمت بلا زفت .. أنا من الأساس لم أوافق إلا لأنها كانت معجبة به لولا ذلك لما وافقت أبدا لأنه أسمر وأولاده من الجائز جدا أن يولدوا بنفس سماره"

ازداد نحيب رباب فدخلت هند تمط شفتيها وتقول" لا تبالغي يا رباب وتكبري القصة "

قالت صباح موافقة" قولي لها .. (ونظرت لبناتها تضيف) انظرن للأمر من ناحية أخرى .. بالتأكيد أم هاشم ستوافق.. فهي ليست غبية وتعلم بأنها الفرصة الوحيدة لها ووقتها ستترك البيت وتغادرنا وسنرتاح من لسانها السليط

ومن مزاحمتها لنا في البيت .. (ونظرت لرباب تقول مشجعة) أما أنت يا رباب فألف من يتمنونك بجمالك وبشرتك البيضاء فلا تستعجلي النصيب ..أهم شيء إياك أن يلاحظ والدك أو أم هاشم شيئا "

ازداد نحيب رباب في الوقت الذي تقلبت فيه سميرة اختهم الرابعة من رقدتها على السرير المقابل وقالت بعبوس وهي ترفع الوسادة من فوق رأسها "الرحمة يا عالم .. الرحمة .. أريد أن أنام قليلا .. كنت سهرانة لأذاكر ألا يوجد لديكم أي تقدير!"

عوجت سامية فمها يمينا ويسارا بينما أمسكت هند بإحدى الوسائد وألقتها على اختها سميرة تقول" أسفين يا كونتيسة قلقنا منامك "

زفرت الأخيرة وعادت لتخبئ رأسها تحت الوسائد بينما وقفت صباح ساهمة تتطلع في رباب وغمغمت في سرها "سامحك الله يا أم

هاشم تزاحمينا في كل شيء .. متى سنتخلص من نحسها يا ربي لتتزوج باقي البنات "

xxxx

سارت أم هاشم في الطريق شاردة تفكر فيما تفاجأت به منذ قليل ولا تدري لماذا قفزت صورة العجوز أم جميل إلى رأسها فغمغمت لنفسها " أليست هذه البشارة يا أم هاشم؟ .. ليس لك حجة هذه المرة للرفض فالمنطق يجبرك على التمسك بهذه الفرصة التي لن تعوض "

انتابها الهم الشديد بدلا من الفرح كأي فتاة في محلها .. فأمامها مهمة شديدة الصعوبة هي ما جعلها تطلب من عمها مهلة للتفكير .. مهمة طرد جابر من قلبها ..

فكيف ستكون زوجة لرجل وفي قلبها أخر؟!! .. عليها أولا أن تنزع جابر من قلبها بأي شكل قبل

أن تعطي كلمتها لمحسن .. و يالها من مهمة صعبة ومؤلمة ..
أطرقت برأسها وهمست لنفسها" ارضي بما قسمه الله لك يا أم هاشم .. ولعلك تجدين السعادة مع محسن وتنسين جابر "
عند هذه الخاطرة .. خاطرة انتزاع جابر من قلبها .. شعرت بألم شديد في موضع القلب فحضنت نفسها بقوة حتى تحتمل الألم ..
وكادت أن تتعرقل في حجر كبير أمامها ..
وليتها سمعت من هتف بقلق على الناحية الأخرى من الترعة "حاذري !"

قبل دقائق

كان جابر على الناحية الأخرى من الترعة يقود سيارته ويقول في الهاتف بصوت مجهد ومرهق من عدم النوم" أنا بخير يا أبا حمزة لا تقلق"
قال مصطفى بلهجة قلقة" ولماذا لم تتصل بي ليلة أمس وتخبرني بما حدث أو تأتي إلى حتى

أكون بجوارك يا جابر! .. الحمد لله أن ألهمك الله قوة التحكم في أعصابك ولم تؤذها بأكثر من صفعة ولم تفضح نفسك وتفضحها أمام الجيران"

غمغم جابر" لم أرغب بأن أوقظك من النوم ..فلقد خرجت من عند المأذون في وقت متأخر نسبيا بعد أن رفضت اقتراحه بأن أؤجل إجراءات الطلاق للصباح بل أصريت عليه أن يسرع في إجراءاته لتصلهم ورقة رسمية "

قال مصطفى بحزن " لعله خير.. وكيف تشعر الآن؟ .."

رد جابر وهو يتطلع في مياه الترعة بجواره "قضيت ليلة سيئة من جلد الذات.. أشعر بأني فرطت في حق أهلي وتركت أمي تتعرض لسوء اخلاقها دون أن أعلم"

تكلم مصطفى مؤازرا " أنت قلتها يا جابر ..دون أن تعلم ..كيف كنت ستعرف بما يدور خاصة

وأن الحاجة كانت تتصرف بأصلها ولم تخبرك؟! "

قال جابر بإصرار " لكني أشعر بأني لم آخذ حق أمي بعد يا مصطفى .. الشيطان يوسوس لي بأفكار أقسم بالله لو طاوعت نفسي لجاءتني هي وعائلتها ليقبلوا قدمي .. أنا لست عبيطا ولا غبيا ولست ضعيفا أيضا يا مصطفى وأستطيع أن أفعل الكثير لأنتقم"

قال مصطفى مهدئا" لكنك لن تفعل يا جابر أنا أعلم .. لأنها ستظل أم ابنتك .. ولأنك تتقي الله حتى في مخاصمتك لهم "

غمغم جابر "استغفر الله وأتوب إليه .. أشعر بحزن شديد يا أبا حمزة رغم أن العلاقة بيني وبينها منتهية منذ مدة ورغم أني لم أكن انتظر منها أن تتحسن .. وكنت راضيا بما قسمه الله لي لكن الشعور بالفشل شعور مر .. ليلة أمس

ظللت أؤنب نفسي على سوء اختياري وعلى سذاجتي .."

تفهم مصطفى شعوره فقال مشجعا" قدر الله وما شاء فعل وربما أراد الله لك ذلك ويخبئ لك خيرا قادما .. نحن نُختبر لنصبر ثم نُكافأ بالعطايا ..وهنيئا لمن يكافئه رب العباد ..ربما تكون تلك الفتاة التي اخبرتني عنها من نصيبك إن لم تكن قد ارتبطت بعد"

غمغم جابر "لديك كل الحق .. رغم مرارة الشعور بالفشل لكني غير نادم على طلاقي لكاميليا أبدا"

قال مصطفى مشاكسا ليخرجه من حالته "إذن متى سنسمع اخبارا سعيدة ؟"

رد جابر مبتسما رغما عنه "لا أعتقد أنه من اللائق أن أتقدم لتلك الفتاة الآن حتى لا يتحدث عنها أهل البلدة ويدخلونها كطرف في

قصتي مع أم ميس .. تعلم الناس ومخيلتهم الواسعة "

اعترف مصطفى قائلا" اتفق معك ..أنا فقط لدي فضول لأعرف من تلك الفتاة التي تقدرها إلى هذه الدرجة المبالغة "

عقد جابر حاجبيه وتساءل بصوت مسموع مستغربا "هل أنا كذلك؟.. هل تراني مبالغا؟! "

قال مصطفى" لا أقصد شيئا سلبيا .. لكني استشعر اهتماما بها من نوع خاص ..

واحساسي يخبرني بأنها ستكون مميزة وليست شبيهة بأحد لهذا أنا متحمس لأعرف من تكون .. أهي من قريتنا ؟"

ابتسم جابر وقال مناكفا "عموما ليس من اللائق ذكر اسمها حاليا أو معلومات عنها ما دمتُ لم أتقدم لها رسميا.. لذا فلنؤجل فضولك لوقت أخر حتى تأتي الفرصة المناسبة لذلك "

ضحك مصطفى وقال " ألم أقل لك بأنك تبالغ فيما يخصها "

لمح جابر أم هاشم على الناحية الأخرى من الترعة بملابسها السوداء تمشي شاردة في الطريق فعقد حاجبيه متسائلا عن سبب مشيتها التائهة تلك ..وشرد لثوان عن محدثه وهو يهدئ من سرعة السيارة ليتحرك موازيا لها يتابعها حتى وجدها تتعرقل في حجر كبير فتمتم بقلق دون أن ينتبه وبصوت لم يتخط محيط سيارته "حاذري !"

سأله مصطفى "ماذا قلت ؟"

رد جابر وعيناه لا تزالان تتابعانها حتى انعطفت يسارا إلى حيث الشارع المؤدي للمشروع "لا شيء كنت أقول أن ابن الحلال عند ذكره يظهر*"

---

* مثل شعبي

غمغم مصطفى متهكما" يا سبحان الله !.. هل سنبدأ بحركات المراهقين من الآن.. ستقول قابلتها صدفة وما إلى ذلك !!"

هتف جابر ببراءة مدافعا عن نفسه "والله رأيتها أمامي وأنا في طريقي لعملي! "

ضحك مصطفى سعيدا أن استطاع شغل ذهنه عن همومه ثم قال" عموما اليوم لابد أن تمر عليّ بعد أن تنتهي من عملك لو لم تأتي سآتيك أنا هل فهمت ؟"

غمغم جابر وهو ينظر للطريق أمامه" حاضر .. بإذن الله .. للحديث بقية .. السلام عليكم" قالها وأغلق الخط وقد عاد له الشعور بالكآبة والغل.. يجاهد في السيطرة على رغبة قوية بداخله للانتقام.

xxxx

فتحت نجف باب البيت لتتفاجأ بكاميليا أمامها فاتسعت عيناها باندهاش ..بينما أزاحتها

الأخيرة عن طريقها تقول "جئت لأخذ حاجياتي ابتعدي من أمامي"
راقبتها نجف وهي تصعد السلم مهرولة ولم تصدق أن تصل بها الوقاحة إلى هذا الحد بينما أسرعت كاميليا إلى غرفتها وفتحت درفة الخزانة تلتقط منها صندوقا خشبيا فتفحصته بسرعة تتمم على مصوغاتها الذهبية التي تمتلكها سواء التي ابتاعها لها أهلها أو تلك الهدايا التي كان يهديها بهن جابر ..ثم أغلقت الصندوق وبدأت تفكر في بقية الأشياء الثمينة التي تخشى من ألا تحصل عليها حينما يحضر أهلها لاستلام حاجاتها خاصة تلك الأشياء التي جاءتها بعد الزواج وليست مدرجة في قائمة الأثاث المكتوبة ..
بعد قليل كانت نجف تقول لجابر المنفعل "اهدأ يا ولدي لن تحط من قدرك من أجلها .. لست متفاجئة أبدا مما فعلت .. "

سمعت نجف وقع خطوات عصبية آتية من الدور العلوي قبل أن ترى كاميليا تنزل مسرعة وفي يدها حقيبة سفر كبيرة تحملها بصعوبة فتساءلت نجف في سرها عما تحتوي بالضبط بينما قالت كاميليا بلهجة متعالية "سيرسل أخي من يأخذ باقي حاجياتي أنا فقط جئت لأخذ ما أخشى أن تنهبونه مني"

هتف جابر منفعلا" ما هذه الوقاحة وقلة الأدب.. اعطني إياها يا أمي وإلا سألحق بها إلى بيت أهلها وأريها ما تستحق"

آثرت أم جابر عدم تطور الأمر لمشاجرة بين جابر وعائلتها فقالت لكاميليا التي وصلت عند الباب "اذهبي بلا رجعة فأنت لا تستحقين حتى مغبة الرد"

ردت كاميليا بلهجة متهكمة" ذاهبة .. سأخرج من الجنة يا خالتي"

وأطلقت ضحكة عالية ساخرة جعلت جابر يستشيط غضبا فهتف قائلا "قسما بالله...."
قاطعته والدته تقول بحزم" لا تقسم بشيء يا جابر.. ولا تدعها تستدرجك لأن تتصرف بهمجية لا تليق بك فتكون هي أمام الناس الضحية ..إياك والتصرف تحت تأثير الغضب يا ولدي ستخسر الكثير .. أفضل رد هو التجاهل مع شاكلتها إياك والغضب يا ولدي"
غمغم جابر يحاول أن يهدئ نفسه" لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين"
قالت أمه " هيا اذهب وتوضأ وصلي صلاة الضحى حتى يزول عنك الغضب هيا يا حبيبي"
أغلقت نجف الخط بعد قليل ووقفت تقبض على الهاتف وعلى قلبها الحزين على ولدها الذي لم تره سعيدا منذ أن تزوج من تلك العقربة. .و نظرت نحو الباب الذي تركته كاميليا مفتوحا ..فتحركت ببطء لتغلقه ثم

رفعت طارف الوشاح الذي يغطي رأسها
ومسحت دموعا انهمرت على وجنتيها
وغمغمت" حرق الله دمك يا كاميليا يا بنت
العسال كما تحرقين دم ولدي دوما "
رن الهاتف في يدها فرفعته لتقربه من عينيها ثم
ردت" من معي ؟ ... زين .. أرأيت ما حدث
لأخيك يا زين "
قالتها وانفجرت باكية فكاد زين أن يصاب بنوبة
قلبية قبل أن توضح له ما حدث.

xxxxx

نزلت كاميليا من التوكتوك بعد قليل تحمل
الحقيبة وتدخلها للبوابة رافضة لأن يساعدها
السائق .. وبمجرد أن اقتربت من الباب الداخلي
للبيت حتى سمعت صوت عماد يصيح
بغضب" ولماذا لم تخبريني بخروجها من البيت
يا هدى؟؟"

قالت هدى لزوجها بارتباك "وما ذنبي أنا يا عماد لتصيح في وجهي هي خرجت توصل ميس لسيارة المدرسة ولم تعد"

هتفت كاميليا وهي تدخل البيت تخفي توترها من عماد الذي كاد أن يضربها ليلة أمس حينما وصلت لولا أنها أسرعت نحو غرفتها وأغلقت على نفسها" أنا ذهبت للبيت لأحضر ملابس ميس الخاصة بالمدرسة فلقد اضطررت لأن أرسلها اليوم للمدرسة بملابس عادية لأن لديها اختبارا مهما"

قبل أن تكمل جملتها كان عماد يستدير ويقترب منها ببطء ثم قال بلهجة هازئة "والحقيقة أنت أم تهتمين جدا ببنتك ومدرستها "

هتفت بعد أن ابتلعت ريقها الجاف "ماذا تقصد يا عماد بهذا الكلام ؟"

قبض على وشاحها ومن تحته شعرها ينكس رأسها للأمام ثم يرفعه عدة مرات مع كلماته

متجاهلا صرخاتها "تطلقت يا كاميليا .. خربت بيتك بيدك .. فضحتينا في البلدة ونكست رؤوسنا .. "

صاحت هدى " يا عماد بالله عليك كفانا فضائح"

هدر عماد وهو مستمر في تعنيف أخته "انفضحنا وحدث ما حدث"

خافت هدى على زوجها أن يتهور ويؤذيها فنظرت لوجدان التي تقف أعلى السلم تتطلع فيما يحدث بهدوء شديد ونظرة متشفية " ألا يزال أبو علاء نائما يا وجدان .. بالله عليك أيقظيه سيقتلها "

ظلت وجدان تتطلع فيها بعينين خاويتين من أي شيء ..ولم تتحرك من مكانها بينما عادت هدى لزوجها تحاول أن تبعده عن كاميليا التي كانت تصرخ .

في غرفة بدير اعتدل يجلس على السرير برأس ثقيلة وجسد مرهق بشدة .. تأتيه أصوات الصرخات من أسفل ممزوجة بصرخات مكتومة وبكاء يخص وجدان بين ذراعيه الليلة الماضية قبل أن تستسلم له تماما ثم تغادر السرير بعدما أفرغ حاجته فيها وتختفي .. أو هكذا خيل إليه ..

تحرك يبحث عن جلبابه بصعوبة وهو يتذكر بعضا مما قاله ليلة أمس لوجدان وهو يراها أمامه بسمة .. بل أنه عاش طوال الليل مصدقا بأنه مع بسمة ..ليفيق ويتذكر ما قاله لأم العيال فشعر بالخزي من نفسه وبالحرج من أن تخرج منه هذه الهلوسة التي كانت بسبب تلك الحبوب المخدرة التي تناولها ليلة أمس حتى يسيطر على انفعالاته كي لا يحرق البلدة بمن فيها .

بعد دقيقة كانت أصوات الصراخ تقترب وهو ينزل من السلم فتقابلت عيناه بعيني وجدان التي لا تزال واقفة في منتصفه تشاهد ما يحدث في صالة البيت ..

تقابلت عيناهما لثوان قبل أن يشيح بدير بعينيه متنحنحا لا يجد ما يقول فظلت هي تراقبه بنظرات خاوية وهو يتجاوزها وينزل ..

هتف بدير في عماد قبل أن يصل للطابق الأرضي" كفى يا عماد .. اتركها فورا "

لم يسمعه الأخير وسط صراعه للإبقاء عليها في قبضة يده وهي تقاومه حتى تهرب من أمامه ..حتى أنها لجأت لعضه وهي تصرخ "أتركني قلت"

تركها عماد ينظر للعضة في ساعده ثم رفع يده وصفعها بقوة في الوقت الذي وصل إليه بدير يصرخ فيه هادرا وهو يدفعه بعيدا عنها" قلت

توقف يا عماد وكف عن الفضائح بالتأكيد يسمعنا الجيران الآن"

قال عماد بلهجة ساخرة مستهزئة "استيقظت أخيرا يا كبير العائلة !.. أين كنت ونحن نتلقى الخبر السعيد ليلة أمس يا كبيرنا؟ .. أين كنت ونحن نقلب البلدة كلها عليك لنزف لك الخبر ؟!"

عقد بدير حاجبيه وسأله" أي خبر.. ماذا حدث ؟"

هتف عماد بلهجة ساخرة وهو يشير على أخته التي تقف منكمشة خلف أخيها الكبير "اختك يا كبيرنا تطلقت .. زوجها ألقى عليها اليمين واتصل بي لأحضر وآخذها وهي لم تصبر حتى.. فجاءتنا بنفسها"

اتسعت عيني بدير مصدوما ثم استدار بحدة لكاميليا التي استغلت تألم جسدها مما فعله بها عماد وقالت باكية بدموع غزيرة " أجل

تخلصت من العذاب .. أخيرا تخلصت من تلك العيشة التي تقصر العمر"
صفعة مفاجئة لم تكن تتوقعها هوت على وجهها جعلتها تناظر أخيها الأكبر برعب بينما أمسك الأخير بذراعيها يعتصرهما بيديه قائلا والنيران تشتعل في خضار عينيه "فعلتيها يا كاميليا !!!"

xxxxx

العاشرة صباحا

بالحلة الرياضية دخلت سوسو للمطبخ بعد أن انتهت من تمريناتها الصباحية تقول لزيلا بالإنجليزية "لماذا تأخرت في وضع الإفطار على السفرة لغنيم بك يا زيلا؟"
استدارت الأخيرة وردت "قال لي حينما تنتهين أنت فهو لا يحب أن يأكل بمفرده "
ابتسمت سوسو وقالت" ضعيه لنا في الحديقة ما دمنا أنا وهو فقط من سيفطر "

أومأت زيلا برأسها واستدارت فسألتها سوسو "هل ملأت الخزانة في جناح العرسان بشراشف السرير يا زيلا ؟!!"

استدارت إليها زيلا تحرك مقلتيها يمينا ويسارا تحاول التذكر فجزت سوسو على ضروسها وقالت باستنكار "ألم أطلب منك ذلك وأشدد عليك أمس!!"

ردت زيلا بارتباك "أمس كان يوما مزدحما وسقط مني ذلك"

تحركت تترك المطبخ لتهم بجلب الشراشف فقالت سوسو بلهجة موبخة "أين تحسبين نفسك ذاهبة الآن ؟ .. جناح العرسان ممنوع أن تصعديه وولداي فيه مع زوجاتهم .. هل فهمت ؟"

أومأت زيلا برأسها فأضافت سوسو بالعربية بيأس "لا فائدة منك"

قالتها زافرة وهي تغادر المطبخ بينما رفعت زيلا كتفيها بلا مبالاة وعادت لتكمل ما كانت تفعله.

بعد دقائق كانت سوسو تخرج من غرفة الغسيل تحمل عددا من الشراشف النظيفة المكوية وتصعد للدور العلوي وبمجرد أن دلفت للصالة شعرت بالحرج الشديد ولاحت ابتسامة فرحة على شفتيها فاقتربت من الخزانة الخشبية الموجودة أخر الصالة بجوار باب غرفة الألعاب والمخصصة للشراشف النظيفة .

في نفس اللحظة كان كامل قد قفز من رقدته المرهقة على الأريكة بغرفة الألعاب حينما شعر بصوت على السلم وأسرع بالاختباء بجوار الباب المفتوح فلمح والدته تمر من أمامه وتتوقف عند الخزانة .

كان يشعر بالتوتر والحرج من أن تقبض عليه والدته نائما في غرفة الألعاب فلم يترك مجالا لأن تكتشف هي وجوده فباب الغرفة مفتوحا وفاتت فرصة إغلاقه بل خرج إليها يقول"
صباح الخير يا سوسو"
قفزت الأخيرة مجفلة ثم هتفت "بسم الله الرحمن الرحيم .. أفزعتني يا كامل سامحك الله!"
أطلق كامل ضحكة شريرة وهو يناظرها يديه في جيبي بنطاله البيتي فسألته سوسو بتدقيق
"ماذا تفعل هنا؟"
هرش في مؤخرة رأسه وقال مشيرا على الغرفة"
كنت أبحث عن أسطوانة معينة أريد أن اسمعها لبسمة"
تطلعت فيه والدته عاقدة الحاجبين تتأمله بشعره المنكوش وفانلته ذات الحمالات مرددة
"موسيقى!!"

رد بلهجة ذات مغزى" موسيقى يا سوسو أريد أن أسمعها موسيقى شاعرية هل هناك مشكلة؟"

ربتت على صدره ترفع إليه أنظارها سائلة "هل أنت سعيد يا حبيبي ؟"

رد عليها بلهجة صادقة وبدون أي تردد رغم ما عاناه ليلة أمس"سعيد بانضمامها لبيتنا يا سوسو"

عادت تربت على صدره وهي تقول "أراح الله قلبك يا حبيبي "

أمّن على دعوتها فهو في أشد الحاجة إليها وسألها يتطلع في الخزانة" وأنت ماذا كنت تفعلين هنا؟"

قالت وهي تستدير لتغلق بابها" زيلا نسيت أن تضع الشراشف النظيفة في الخزانة (واستدارت إليه تقول) أخبر بسمة أن شراشف السرير تكون هنا في هذه الخزانة لقد وضعت عددا كبيرا

منها(وحدثت نفسها) أتمنى أن أتذكر حينما أرى شامل بأن يخبر ونس أيضا فبالتأكيد ستبحث عنها هي الأخرى"

مط كامل شفتيه وسألها بلهجة متسلية "ولماذا حرصت على ملء الخزانة بالشراشف وبإخبار عروسينا بهذا الموضوع؟.. أنا شخصيا أول مرة أعرف بأن هذه الخزانة تحتوي على شراشف السرير ظننتها فقط للديكور"

تأتأت سوسو بحرج وكامل يتطلع في عينيها بإصرار فأسرعت تزيحه عن طريقها قائلة بتوبيخ" ابتعد يا كامل وعد لعروسك وكف عن الوقاحة"

تجاوزته مبتعدة فقال متصنعا البراءة "أنا اسأل سؤالا بريئا يا سوسو وأريد إجابة"

استدارت إليه تضع سبابتها أمام فمها وتقول بهمس موبخ "اخفض صوتك ربما أخوك وزوجته نائمان"

همس كامل بدوره "أجيبيني على سؤالي إذن وسأخفض صوتي "

أشاحت بيدها ثم استدارت تنزل السلم وهي تقول" قلت كفاك وقاحة هيا اذهب لزوجتك هيا "

راقبها كامل مبتسما وهي تنزل مسرعة ثم تحركت عيناه إلى باب غرفة أخيه .. فمط شفتيه بامتعاض ثم مال يخلع خف البيت من قدمه وهم بإلقائه على باب الغرفة وهو يقول "غارق في العسل أنت يا ****"

تراجع عن إلقاء الخف وألقاه أمام قدمه ليعيد ارتدائه ثم استدار حيث باب غرفته التي فيها عروسه ولم يجد بدا من الدخول خوفا من أن تعود أمه للصعود .. أو هكذا برر لنفسه .

فتح الباب بعد أن سحب نفسا عميقا يتمنى فقط ألا يكون كالبركان الذي يوشك على الانفجار ..ووقعت عيناه عليها مستلقية على

طرف السرير مولية ظهرها للباب بينما شاشة التلفاز مفتوحة بدون صوت ..فعقد حاجبيه متسائلا إن كانت نائمة أم لا .. وإن كانت كذلك فلماذا لم تغلق التلفاز !. ..

اغلق الباب خلفه بهدوء واقترب من السرير يأخذ الريموت كنترول ليغلق الشاشة وحينما لم يصدر عنها أي حركة أيقن بأنها نائمة.

جلس على السرير خلفها وتأمل تفاصيلها في رقدتها منكمشة على نفسها ثم تطلع في شعرها الأسود المفرود خلفها على الوسادة ومد يده وتحسسه بظاهر أصابعه ببطء وقلبه يصدر ارتجافا نابضا ثم أمسك بأطرافه ومال ببطء يطبع قبلة عليه وهو يصارع نفسه بشدة حتى لا يستلقي خلفها ملتصقا بها لتنام على الأقل بين أحضانه.

تذكر لوعته ليلة أمس وعذابه وظنونه التي كادت أن تسوقه إلى الجنون .. وعادت إليه عذاباته وذلك الوسواس الخبيث جعله يفكر..
كيف كانت ليلة صباحيتها مع الأخر ؟..
هل استيقظت في حضنه ؟"..
تلك الخاطرة أشعلت النار في رأسه حتى أنه أخذ يضرب رأسه بيديه بدون صوت ليقاوم ذلك الجحيم الذي سقط فيه .. ثم سحب نفسا عميقا وعاد يتطلع فيها لدقائق في صمت قبل أن ينزل بجسده لأسفل ليستلقي بجانبه على طارف السرير ويضع رأسه الثقيلة على الوسادة بينما أنامله تتمسك بأطراف شعرها حتى غفى بجوارها.

بعد ساعة

فتحت بسمة عينيها تستوعب ما حولها قبل أن تتذكر بأنها قد نامت ليلة أمس من الإرهاق والتعب والتفكير .. وقبل أن تتساءل أين بات

ليلته أتاها صوت أنفاس منتظمة من خلفها فاستدارت بحدة وهي تعتدل جالسة حتى أنها شعرت بألم في شعرها لم تدري لماذا .. في الوقت الذي استيقظ كامل من نومه وكأن عقله كان متحفزا للاستيقاظ لأي حركة تبدر منها فغمغمت وهي تعدل فتحة بلوزتها" ماذا تفعل هنا ؟"

كان وجهها الخالي من مساحيق التجميل والذي تعلوه أثار النوم مع شعرها الأسود على جانبي عينيها الفيروزيتين أحلى صباح مر عليه في حياته ..

وكأن وجودها بكليتها هنا في غرفته قادرا على محو أي شعور معذب اقتات عليه ليلة أمس..

وكأن رؤيتها مسكنا لآلامه ..

وياليتها تكون ترياقا لعذاباته.

تنحنح يقول وهو يعتدل جالسا "كنت نائما هل هذا يحتاج لتفسير!"

تركت السرير فراقبت عيناه تفاصيلها وهي تتحرك وتلملم شعرها بعقدة فوق رأسها بإهمال مغمغمة" أقصد ..أقصد متى دخلت؟"
رد بهدوء وهو ينظر للساعة بجانبه "دخلت منذ ما يقرب من ساعة ..فقد صعدت أمي للجناح ورأتني أخرج من غرفة الألعاب فتعللت بأي حجة ودخلت .."
سألته وهي تفتح باب الخزانة لتأخذ من ملابسها التي سهرت الليل ترتبها فيها "وهل تصعد سوسو هانم إلى هنا كثيرا ؟..وماذا سنفعل مع الخادمات ..ومع شامل وونس لو لاحظا أي شيء ؟"
رد وهو شارد في تأملها وقد عاد ليستلقي على ظهره يتوسد ذراعيه " أمي لا تصعد إلى هنا إلا نادرا فعادة التي تصعد وتقوم بأمور الطابق زيلا الخادمة الوحيدة المقيمة معنا والخادمات اللاتي يأتين خلال الأسبوع من مكتب التنظيف

.. وسأطلب من زيلا ألا تصعد ما دمت أنا أو شامل موجودين بغرفنا .. أما شامل فهو الوحيد الذي يعلم بحقيقة زواجنا "

استدارت إليه تناظره بتساؤل فرد بهدوء

"عليكِ أن تتكيفي مع طبيعة علاقتي بشامل .. فكما تعلمين لها وضعا خاصا نحن لا نخفي شيئا عن بعضنا لأننا نستطيع تبادل قراءة الأفكار "

ضيقت عينيها ولاح في ذهنها سؤالا مفاجئا جعل وجهها يحمر لكنها أطبقت على شفتيها قبل أن تفصح به .. وكأن كامل قد قرأ أفكارها أو ربما بادر بالتفسير حتى لا يلتبس عليها الأمر فأضاف" التواصل الفكري بيننا أشبه بغرفة عامة فيها الأفكار ومرتبط بفهمنا الجيد لبعضنا البعض .. المهم أنه أمر يحدث بيننا فيستطيع كل منا اختراق عقل الأخر بوضوح .. وهناك أيضا غرفة سرية يحتفظ فيها كل واحد منا بما يريد أن يحجبه على الأخر .. مثلا علاقتنا

بزوجاتنا ..مشاعرنا الحسية تجاههما .. افكارنا الخاصة بهما ..هذا يكون معزولا تماما .. لكني أقدر أن استشف من هيئته وشعوري به حينما أراه إن كان سعيدا ..حزينا ..يشعر بالحماس .. يشعر بالتوتر وهكذا .. عموما الأمر بيننا معقد قليلا .. لكن خلاصته أني لا استطيع أن أشعر بمشاعره الخاصة بزوجته مثلا .. ولا استطيع أن أخمن ماذا يفعل هو الآن وهل هو نائم أم مستيقظ .. لو خرج في سهرة مع اصحابنا بدوني لن أعرف ماذا فعل هناك .. من الممكن أن تقولي أن التواصل بيننا يكون على أشده في المواقف الصعبة والمؤلمة والقوية أكثر من المواقف الحياتية العادية "

أومأت بسمة برأسها ثم سألته" هل تريد الحمام ؟"

رد وعيناه ترسلان لها نظرات غامضة تربكها "سأستخدمه بعدك "

هزت رأسها ودخلت للحمام ثم سمع كامل صوت اغلاق القفل من الداخل فأخذ يضرب برأسه في الوسادة عدة مرات بقوة .
بعد قليل خرجت بسمة ترتدي بنطالا أبيضا يحدد تقاسيم جسدها وبلوزة بكم من نفس اللون طويلة نسبيا تغطي وركيها فبلع كامل ريقه وهو يحدق في كلمة love اللامعة المكتوبة باللون الوردي على صدر البلوزة ..بينما قالت بسمة بارتباك أمام نظراته وهي تجفف شعرها بالمنشفة "الحمام فارغ الآن" هز رأسه وترك السرير يتجاوزها بينما تحركت هي نحو مرآة الزينة تجفف شعرها وتميل برأسها ناحية اليمين وهي تجففه.. فالتقطت عينا كامل قطرات الماء فوق عنقها وأسرع بالإشاحة بوجهه بسرعة يرغب في أن يهشم رأسه في الحائط..

فتح باب الخزانة بعنف وهو يحدث نفسه مبرطما "أين ذهب مشهد الخروج من الحمام وهي تلف نفسها بالمنشفة كما يحدث في الأفلام ثم تفلت منها فجأة على الأرض واساعدها على إعادة لفها !!.. "

سحب ملابس نظيفة وهو يضيف بنفس البرطمة "وهذا الحَلّوف الغارق في العسل الآن ظل يخبرني ..الحلال أجمل ..الحلال أجمل .. ماذا استفدت أنا الآن إلا التعذيب (وتفل على يساره يشتم) حَلّوف "

تطلعت فيه بسمة وقد التقطت بضع كلمات من حديثه مع نفسه بلهجة بلده لكنها لم تستطع فهم ما يقول فسألته باندهاش "تقول شيء ؟"

عاد ينظر إليها راسما ابتسامة صفراء تداري غيظا كبيرا ورد" لا شيء ..كل شيء رائع "

قالها ثم استدار يقلب وجهه للامتعاض ويدخل الحمام .. فظلت بسمة تحدق في أثره ثم شغلت مجفف الشعر وهي تشعر ببعض الراحة وكأن تغيير الأجواء قد منح لرئتيها بعضا من الهواء لتستنشقه أو ربما لأنها معه .. مع كامل .

بعد قليل خرج كامل من الحمام يرتدي بنطالا وفانلة داخلية وعضلات ذراعيه أول ما لفت انتباهها فأسرعت بالنظر في المرآة وتساءلت كيف يكون له هذا التأثير عليها رغم أن زوجها السابق كان بنفس الصفات الجسمانية تقريبا ضخامة وعضلات مفتولة .. لكن مع كامل النظر إلى جسده يشعرها بالانجذاب القوي.. هل تغيرت؟ .. أم نضجت أنوثتها ؟ .. أم أن ذلك هو ما يسمى بالحب الذي يضفي بريقا على كل ما يخص الأخر أمام أعيننا ؟!!.

شعرت به يتحرك ليعود ويستلقي على السرير ورائحة عطره الرجالي تعبئ المكان فأفلت منها سؤالا مفاجئا باندفاع دون أن تدري ودون أن تستدير له "هل .. كنت تحبها ؟"

عقد كامل حاجبيه الكثيفين وسألها بعدم فهم وتركيزه موجه لأمور أخرى تخصها تشغله لحظتها" من ؟"

ناظرته عبر المرآة بنظرات زرقاء وقالت "أنت قلت اسأليني هل ستدعي الإنكار الآن؟"

غمغم كامل " تقصدين بانة ؟"

بلعت ريقها تسبل أهدابها وهي لا تزال توليه ظهرها وتقبض على مجفف الشعر بقوة ولم ترد فاعترف كامل" كنت معجبا بها "

استدارت بحدة لتواجهه وسألته مضيقة عينيها" كنت ؟؟"

أجاب بهدوء" أجل حينما جاءت إلى بيتنا منذ خمس سنوات تقريبا اعجبت بها وانجذبت

إليها كأي شاب قد ينجذب لفتاة ..وأردت أن أرتبط بها ليس فقط لأنها جميلة ولكن لأنها ابنة بلدي "

عوجت بسمة شفتيها وكلمة (جميلة) تستفزها بينما أضاف كامل "وما مرت به من أهوال لا يزال يؤثر فينا جميعا أنا وأسرتي .. كنا متألمين بشدة لما حدث لها وكنت أريد أن أستر ابنة بلدي وأوفر لها حياة كريمة .. لكنها كانت تعرف ذلك الشاب الذي جاء خلفها ..

وبصراحة كنت أخشى عليها منه .. لقد سمعنا قصصا لفتيات من بلدنا تعرضن لمواقف مأساوية عند زواجهن من بعض رجال البلد هنا ..طبعا لا أعمم لكن ما سمعناه جعلني أشعر بالقلق أن يكون هذا المغرور منهم .. فحاولت اقناعها بي لكنها رفضت وانتهى الأمر "

ضيقت عينيها ورددت "كيف انتهى الأمر وتلك المشاجرة ..."

قاطعها بانفعال وقد ظهرت صورة زوجها السابق فجأة إلى مخيلته فقال موضحها "ما حدث كان سوء تصرف مني .. لقد انتهت مشاعري تجاهها بمجرد أن أخبرتني برفضها فذهبت في عطلة لعدة أسابيع جئت ناسيا كل ما يخصها "

علقت بسمة بتهكم "هكذا ببساطة نسيتها في عطلة!!"

قال بثقة " أجل .. فكما قلت لك الأمر كان مجرد اعجاب شاب بفتاة لم يكن قد وصل لمرحلة جدية ..المهم رغم ذلك كان ما يطغى على مشاعري هو الشعور بالخسارة أمام هذا الشاب .. وهذا لم استسيغه ..وحينما جاءتنا معلومة عن أهلها تسرعت وطلبت مقابلتها هنا في بيتنا وأخبرتها .. وأحببت أن أتيح لها الفرصة أن تتخذ قرارها بعيدا عن زوجها لربما ندمت على زواجها منه أو تغير بعد الزواج أو ربما

رفض هو سفرها .. فأحببت أن أمنحها فرصة كاملة للاختيار .. المهم أنه كان هناك عائلة من بلدنا قد قررت العودة للوطن بعد هدوء الأوضاع هناك نسبيا فوجدتها فرصة جيدة لأن تسافر معهم فبالطبع لم أكن لأشجعها على السفر وحدها (صمت قليلا ثم أضاف بامتعاض) واكتشف زوجها مراسلتي لها وحدثت المشاجرة "

ساد الصمت قليلا ثم أضاف كامل " وأنا بالفعل نادم على ما بدر مني لاندفاعي تحت وطأة شعوري بانتصار ابن سماحة عليّ "

ردت بسمة مهاجمة" شعورك بانتصاره عليك؟!!.. ألم تقل بأنه كان مجرد اعجابا؟!!"

رد كامل عابسا " الأمر لا يخص بانة أو غيرها .. هذه منافسة تحدث أحيانا بين الذكور وقد لا يكون الأمر له علاقة بالشيء أو الشخص الذي تنافس عليه"

شردت بسمة بتفكيرها قليلا تحلل ما قاله..
فأعطى لنفسه الفرصة لتأملها شاعرا رغم كل شيء بالراحة لوجودها.. لا يصدق حتى الآن أنها هنا معه في غرفة نومه .
رفعت إليه أنظارها فسألها" هل اقتنعتِ"
استدارت تقول ببرود مصطنع" الأمر لم يكن يهمني من الأساس أنا فقط كنت اسأل كنوع من الفضول لأنك طلبت مني أن أسأل "
شعرت بأنها تفوهت بمبررات غبية وبدت كالخرقاء أمامه بينما مط كامل شفتيه وقد أحزنه ردها البارد .

في الجناح الأخر وقفت ونس في الحمام تحاول استكشاف كيف يعمل الماء في المغطس ..
تفحصت مصدر الماء بعينيها بحيرة ثم تطلعت حولها لتجد روب الحمام فأسرعت بالتقاطه لتغطي جسدها العاري وفتحت باب

الحمام ببطء شديد تخرج رأسها بحذر تتطلع في شامل لتتأكد بأنه لا يزال نائما .. على أطراف أصابعها كسنجاب متسلل خلف الشجر قطعت الغرفة بسرعة قبل أن يستفيق ويجدها لا ترتدي إلا روب الحمام .. فهي لا تزال تتحرج منه بشدة .. خطفت هاتفها بسرعة وعادت للحمام .. ووقفت تبحث في صفحات الانترنت على شكل مقارب لمرش الماء في المغطس الذي ليس له أزرار أو أذرع للفتح .. لم تجد ما يشبه الموجود لكنها تذكرت أن ليلة أمس الصنبور الموجود بالحوض انفتح وحده بدون لمس فتركت الهاتف جانبا واقتربت ترفع يديها بالقرب من رأس المرش وصفقت فانهمر الماء فوقها لتطلق صرخة مفاجأة قصيرة قبل أن تكتمها ضاحكة وتخلع الروب.

بعد قليل كانت تقف أمام الخزانة في غرفتها تبحث عن شيء مناسب لتلبسه متذكرة تهورها ليلة أمس بارتداء ذلك القميص العاري جدا .. ففكرت بأن ترتدي قميص نوم أخر لكن أكثر حشمة قبل أن تلمح ذلك الثوب الملون الذي كانت تتوق لارتدائه فأسرعت بلبسه ووقفت أمام مرآة الخزانة تتطلع فيه..

إنه من الشيفون الناعم متدرج بين اللونين الأزرق والأخضر بحيث يبدأ بالأزرق من عند الكتفين وصولا إلى نصف فخذيها ثم الأخضر حتى نهاية الثوب عند كعبيها وبأكمام طويلة تنتهي بأساور ضيقة..

تأملت نفسها وقررت بأن هذا الثوب سيكون مع حذاء وحقيبة رائعا للخروج .. فتحت جارور داخلي في الخزانة التي رصتها قبل ساعتين بعد أن نام شامل وأخرجت حزاما

عريضا باللون الأخضر الذي تعشقه ووضعته على خصرها ..
أحبت مظهرها فقررت أن تبقى به حتى يستيقظ شامل لتريه إياه .. وتركت شعرها مسدلا ليجف وحده ثم اقتربت منه تتأمله وتذكرت تفاصيل ليلة أمس فاحمرت وجنتيها..
لقد استسلم للنوم بعد الشروق.. أما هي فظلت في حضنه تحاول النوم لكنها فشلت في ذلك ..
ربما شدة الأعصاب كأي عروس .. والحماس للحياة الجديدة منعاها من الاستسلام للنوم.
مالت تطبع قبلة رقيقة على خد شامل ...ثم أخذت تدور في الجناح تتفقده بفضول ..
فتحت الجوارير .. ثم عادت لطاولة الزينة لتتأكد من رصها وترتيبها لعطورها وأدوات التزيين الخاصة بها بشكل منمق على الطاولة
سعيدة بأنها باتت تملك كل هذه الأشياء النسائية الجميلة .. أخذت اصبع طلاء الشفاه

بلون وردي لامع وطلت به شفتيها وهي تتذكر قبلات شامل عليهما طوال ليلة أمس ..
عادت وجنتاها للاحمرار بحمرة طبيعية فتركت الطاولة وتحركت تكمل تفقدها لكل شبر في الجناح الذي سيضمها مع شامل للأبد .. ثم مالت نحو الثلاجة الصغيرة وأخرجت زجاجة عصير وتوجهت نحو الشرفة لتتطلع في الحديقة فوجدت غنيم يجلس مع سوسو على طاولة في الحديقة يشربون القهوة فابتسمت قبل أن تلمح غنيم يترك مقعده ليفتح البوابة وتجد والدها يقف يسلم على غنيم.
اتسعت عينا ونس وقفزت بفرحة شديدة يتملكها شوق كبير إليه فدخلت من الشرفة ووقفت مرتبكة هل توقظ شامل أم لا .. لكنها لم تعط لنفسها فرصة.. كان حماسها شديدا وكانت تتوق لرؤية والدها فأسرعت تلقي نظرة سريعة لنفسها في المرآة بالفستان الجديد

والشعر المسدل على ظهرها وفتحت باب الغرفة مغادرة تعدو على السلم.
في الحديقة وقفت سوسو مصدومة وهي تتطلع في عيد ونظرت في ساعتها لتجدها الحادية عشرة والنصف صباحا فنظرت لملابسها الرياضية يتملكها الحرج ثم زادت صدمتها حينما وجدت أن عيد ليس بمفرده و أن هناك عددا من الرجال وعددا من النسوة يطلقن الزغاريد يدخلن من البوابة .. فنبح شهبندر عدة مرات في الضيوف مما اضطر سوسو للتدخل وأبعاده في الوقت الذي سلم غنيم على الجميع بحرج غير متوقع أن تكون زيارة صباحية العروس مبكرة بهذا الشكل ..فدعا عيد وصحبته للدخول للفيلا لكن الأخير رفض بشدة وطلب الجلوس في الحديقة ..

حاول غنيم إثنائه عن ذلك لكنه فشل فطلب من ديمتري عبر الهاتف الذي كان قد وصل للتو بأن يحضر مقاعد وطاولات للضيوف بينما همت سوسو بالإسراع نحو الفيلا لتبديل ملابسها لكنها تسمرت مكانها حينما وجدت ونس تخرج مندفعة من باب الفيلا وحدها بدون شامل .

عند منتصف الحديقة تباطأت خطوات ونس حينما اكتشفت أن والدها ليس بمفرده كما شاهدت من الشرفة فشعرت بالارتباك والحرج الشديدين ولم تعلم ماذا تفعل والعيون كلها محدقة فيها .

فلم تجد بدا من الاقتراب من والدها بينما أطلقت نصرة واخواتها اللاتي رافقنها زغرودة طويلة .

تأملها عيد لثوان ثم أشاح بوجهه وكأنه يأخذ نفسا ليستوعب سحرها أمام عينيه وعاد

يتطلع فيها يتمتم بأدعية الحفظ من الحسد
فاقتربت منه بابتسامتها الواسعة وحضنته
بقوة .
في الوقت الذي كادت سوسو فيه أن تصاب
بنوبة قلبية فأسرعت مهرولة للداخل دون
مراعاة لأي اتيكيت .. ثم اخترقت بهو الفيلا
وهي تطلب هاتف شامل لكنه كان مغلقا
فأسرعت تهرول على السلم .
في الدور العلوي طرقت على الباب بقوة تنادي
" شامل .. شامل "
فانتفض كامل من غرفته عاقدا حاجبيه واسرع
بالخروج يسألها " ماذا هناك يا أمي؟ "
استدارت إليه سوسو تقول بارتباك "أنا ووالدك
في موقف محرج جدا .. أتى والد ونس ومعه
أقاربه وتفاجأنا بها تندفع لتقابلهم وحدها
ويبدو أن شامل لا يزال نائما"

أطلق كامل سُبة من بين شفتيه وهو يسرع بالنزول فأسرعت بسمة التي كانت تقف خلفه لتفهم ماذا يحدث بالهرولة خلفه وهي تقول " صباح الخير سوسو هانم"

ردت عليها سوسو تحية الصباح وهي تفتح الباب وتدخل لغرفة شامل بينما بسمة تنادي على كامل " كامل انتظر ماذا ستفعل؟؟! "

دخلت سوسو في الوقت الذي رفع شامل رأسه بمجرد دخولها يسألها من بين نومه "أمي .. ماذا حدث؟"

هتفت صارخة" قم والحق بزوجتك"

فاتسعت عينا شامل هاتفا بجزع وهو يتلفت حوله" ما بها ونس ؟؟"

لم تستطع بسمة اللحاق بكامل ولم تفهم علام ينوي وهو يندفع إلى الحديقة بعد أن صفف شعره الذي لا يزال رطبا بيده.. فما كانت

تخشى منه أن يتصرف بانفعال مع ونس وقد أشعرها ذلك بالحمائية تجاه بنت بلدتها .
اقتربت من باب الفيلا دون أن يراها أحد ووقفت تتطلع في خطواته المتعجلة نحو الضيوف .
كان عيد قبل دقيقة يتطلع في ابنته بتساؤل تحرج من التلفظ به أمام الحاضرين عن زوجها وينظر لغنيم الأشد منه حرجا ثم يتطلع في الرجال الحاضرين معه اثنين من أزواج أخوات نصرة واثنين أخرين تطفلا بالمجيء معه يتملكهما الفضول لرؤية أين تسكن ابنته وتحرج هو من منعهما .
أخذت نصرة تحضن ونس بقوة دامعة العينين وأختاها اللتان رافقنها تطلقان الزغاريد بينما كريم يتطلع في الفيلا بانبهار .
سألتها نصرة بتعجب "أين زوجك ؟.."

حاولت ونس أن تجد مبررا وقد شعرت بأنها قد أخطأت بتسرعها في النزول في الوقت الذي كان كامل قد وصل إليهما فاستدارت إليه ولأول وهلة تصورته شامل بتلك الابتسامة المتسعة المشرقة وتلك الحرارة والبساطة التي سلم بها على الحاضرين واحدا واحدا لكنها أدركت بسهولة بأنه كامل ولم تفهم للحظات ماذا يفعل.

أسرعت بسمة تبحث عن نافذة مطلة على الحديقة تسمح لها بالرؤية بشكل أفضل فوجدت واحدة واختبأت خلف الستائر تتابع من بعيد وفهمت رغم عدم سماعها لما يحدث ما يفعله كامل الذي سلم على الجميع قائلا" لا تؤاخذوننا فعروسي الشقية سبقتني من كثرة شوقها لوالدها (وتطلع في ونس التي تحدق فيه بذهول يقول من بين أسنانه الملتصقة فوق

بعضها بابتسامة مصطنعة) أليس كذلك يا حبيبتي ؟!"

هتفت نصرة بسعادة" ألف ألف مبروك يا أستاذ شامل"

نظر إليها كامل مبتسما ابتسامة واسعة فانفجرت زغاريد نصرة وأخوتها فجأة في وجهه فأجفل وعاد بجذعه للخلف يرمش بعينيه عدة مرات بينما تطلع فيه العم عيد بحيرة وعدم ارتياح لم يفهم له سببا.

نظر كامل لونس التي لا تزال تحدق فيه باتساع عينيها ثم منحها مرفقه قائلا بلهجة هادئة وابتسامة لم تصل إلى عينيه "هلا جئت معي يا حبيبتي للداخل .. أريدك دقيقة"

كادت أن تتوحش ملامحها لكن النظرة التي حدجها بها جعلتها تدرك أخيرا ما يحدث فبلعت ريقها ورفعت يدها لتتأبط ذراعه ليقول

كامل للواقفين بلطف ليس من شيمه "هلا عذرتمونا لبضع دقائق تفضلوا .. تفضلوا" قالها مشيرا لهم للجلوس ثم استدار بونس يتبادل النظرات مع والده الذي لا يعرف بم يعلق على ما يحدث وتحركا مبتعدان وهو يطحن ضروسه.

حدج عيد نصرة بنظرة نارية ثم مال عليها يقول هامسا "لماذا لم تذهبي معها .. ألم نتفق أن تطمئني عليها ؟!"

قالت نصرة بنفس الهمس "ذهبت مع زوجها يا عم عيد ماذا سأفعل ؟؟!"

قال عيد هامسا بإصرار" لابد أن نطمئن عليها يا نصرة قبل أن نعود.. لماذا جلبتك معي إذن؟"

هزت نصرة رأسها تقول مطمئنة" لا تقلق يا عم عيد"

بمجرد أن دخلا الفيلا انتحى بها كامل بعيدا عن الباب وانفجر فيها بغضب وكفيه معلقان في

الهواء بالقرب من رقبتها يريد خنقها وهو يقول بغيظ" ماذا أفعل فيك .. أهذا تصرف ناس عقلاء يا عالم !!!"

أسرعت بسمة بالتدخل تقف بينه وبينها لتواجه كامل قائلة "اهدأ يا كامل أرجوك تصرفت بحسن نية "

هدر كامل في بسمة" ألا ترين الحرج الذي كادت أن تسببه لنا كلنا ؟!!"

تقوست شفتي ونس تشعر بأنها فعلت خطأ كبيرا فتدخلت سوسو التي لم تجد الفرصة لأن تبدل ملابسها بعد وقد أشفق قلبها على هيئة ونس المذعورة فقالت لكامل وهي تسحبها بعيدا عنه " كفى يا كامل أرجوك واستعجل أخيك (وانتحت بونس جانبا وقالت بهمس هادئ رغم غيظها الشديد) ما فعلتيه سبب حرجا لنا جميعا هل هناك عروس تخرج للناس دون عريسها في صباحية عرسها!! "

تحرك لسان ونس في باطن خدها من الداخل
ولمعت عيناها بالدموع وهي ترفع نظراتها
للسلم حيث ينزل شامل مهرولا يصفف شعره
الرطب وعلامات الجدية على وجهه فأحست
بشعورين متناقضين الخوف من غضبه منها
والرغبة في الاحتماء به .
لمح شامل الذي لم يتخلص من وقع الموقف
بعد ونس التي شبكت يديها تقترب منه ببطء
وأدرك حالة الذعر التي ألمت بها بينما هب
كامل فيه" شرفت الآن يا عريس!"
تجاهل شامل عصبية أخيه وسأله بملامح
عابسة" هل تصرفت؟"
رد كامل وهو يفتح سحاب سترته الرياضية
"طبعا يا بيك تصرفت ..بَدْل السترة "
خلع كل منهما الحلة الرياضية التي كانت
بالصدفة بنطالها من نفس اللون وبدلاها
بسرعة قبل أن يمد شامل يده لونس دون أن

ينظر إليها فوضعت يدها بيده ليسرع للخروج معها بينما هي تتطلع فيه لتقرأ ملامحه الواجمة .

بينما هتفت بسمة في كامل بغيظ هامس "ألن تكف عن فظاظتك ؟!"

رد عليها بلهجة متهكمة "كامل الشرير وكلكم ملائكة لا تؤاخذوني "

عدة خطوات في الحديقة حاول فيها شامل السيطرة على مشاعره واستعاد التحكم في أعصابه ثم ترك يد ونس وفرد ذراعه على كتفيها يضمها إليه مطمئنا ونظراته مسلطة على الضيوف .

بمجرد أن وصلا قال شامل بابتسامة مغتصبة" لا تؤاخذوننا"

تطلع عيد فيه بشك وقد شعر بارتباك لكنه سرعان ما استرخى حينما ناكفه شامل وقد

استعاد بعضا من مرحه "اشتقت إليك يا حاج عيد والله ..سواد الليل الذي فرق بيننا كان طويلا"

اقتربت سوسو بعد قليل ترحب بالضيفات بعد أن بدلت ثيابها فقالت نصرة مشيرة للأسبتة الكبيرة واللفائف الكثيرة في أرض الحديقة "هذه صباحية العروس أين من الممكن أن نضعها؟"

فهمت سوسو بأنها تريد أن تختلي بونس فقالت "أتركيها سآمر بحملها للداخل وتفضلي أنت مع ونس (وقالت لونس) اذهبي مع الأخوات إلى الطابق العلوي يا ونس (وعادت لنصرة تقول) أنرتمونا"

قالت نصرة وهي تتحرك هي وأختيها مع ونس" بنورك يا هانم ..والله وجهك به سماحة تريح القلب"

ابتسمت لها سوسو بمجاملة بينما هم كريم بالتحرك مع أمه فزجرته قائلة بهمس" ابق هنا مع الرجال وأنا سأعود بعد قليل لا يصح أن تدخل مع النساء "

ارتبك كريم وهز رأسه مطيعا ثم عاد ليتطلع فيما حوله وتمنى أن يكون في العاصمة وحده لعله يستطيع الاتصال بعمه ويطلب منه مقابلة أبيه .. فشعور صعب أن يكون قريبا منه ولا يقابله ..

لقد اشتاق إليه كثيرا .. لكنه لا يعلم هل لو ذهب إليه سيقبل والده بأن يراه أم لا ؟!.

في الفيلا شهقت بسمة فجأة وهي تسمع صوت الزغاريد يقترب وراقبها كامل وهي تذهب يمينا ويسارا في نفس اللحظة بارتباك وتغمغم "يا إلهي ما هذا الحرج"

ثم اسرعت بدخول المطبخ واكتشفت بأنه بدون باب فاختبأت بجوار فتحة الباب ..

اسرع كامل يسألها "ماذا تفعلين؟"
ازاحته قليلا تنظر على باب الفيلا الذي دخلت منه نصرة تزغرد ثم عادت وشدته ليعود مكانه أمامها على باب المطبخ ليداريها وقالت" ليس من اللائق أن تراني نصرة هنا بالأسفل صباح يوم صباحيتي "
تراقصت الابتسامة على فمه وهو يراقب حجري عينيها المشعين بالأزرق يتطلعان من شق رفيع بين الحائط وذراعه الذي تمسك بكمه ثم سألها بلهجة متسلية هامسة "ولماذا ليس من اللائق أن تراك ؟!"
احتقن وجهها وغمغمت بارتباك لذيذ" هكذا فقط"
سألها كامل بإصرار" لا.. أريد أن أفهم لا تهربي كعادتك"
لمحته نصرة وهي تتجه مع ونس فقالت مهللة" ألف مبروك يا أستاذ كامل "

استدار كامل وقد انتقل الارتباك إليه بدون سبب فوقف يسد بضخامته باب المطبخ بوقفة استعراضية يضع يد في جيبه والأخرى يسندها على الحائط بجواره ليخفي من خلفه قائلا بابتسامة مجاملة" أشكرك "

قالت نصرة وهي تدقق فيه من بعيد بتساؤل "ومبارك للأبلة بسمة "

قال كامل بسرعة " نائمة (ثم أضاف مستدركا وهو يشعر ببسمة قد قبضت على سترته من الخلف بتوتر) بسمة نائمة... تعرفين .. عروس (وأضاف بصوت أخفت سمعته بسمة فقط) ولم تنم طوال الليل"

قرصته بسمة في ظهره فحانت منه حركة خفيفة متألما بينما ضحكت نصرة وهي تخبئ فمها بطرف حجابها وقالت" نوم العافية إن شاء الله.. أبلغها سلامي ومباركتي"

وتحركت هي وأختاها تصعدن السلم وهي تتطلع في الفيلا حولها متمتمة" بسم الله ما شاء الله"

قالت بسمة من بين أسنانها " لماذا صعدت للطابق العلوي ؟؟"

أدار إليها وجهه مستفهما لتقول موضحة بهمس مغتاظ "عَلِقت أنا هنا لن استطيع أن أعود للغرفة حتى تذهب نصرة ومن معها (ثم همست تقول) طمئني وقل لي بأنهن قد دخلن جناح شامل "

اتسعت ابتسامته وقال وهو لا يزال يوليها ظهره" للأسف الأصوات تأتي من صالة الطابق "

زفرت بسمة وابتعدت عنه وعن باب المطبخ لتستند بظهرها على إحدى الخزائن مكتفة ذراعيها تعلو ملامحها الحسناء الغيظ ..

فاستدار كامل يتطلع فيها بقلب سعيد وكأنها تشاركه هذه الفيلا منذ سنوات.
أدخل عدد من النُدل الحاجيات التي أحضرها عيد لصباحية ونس ودخلت خلفهم سوسو تقول آمرة "ضعوها في المطبخ "
قال كامل وهو يستقبل منهم الأسبتة واللفائف الواحد تلو الأخر "أنا سأدخلها "
ووضعهم في المطبخ فقالت سوسو بعدما ذهب النُدل" أشم رائحة بط يا كامل ولن أقترب من تلك الأشياء حتى لا أشم رائحتها .. فتصرفوا لأن زيلا لن تعرف التصرف وحدها "
خرجت بسمة من خلف كامل تقول لسوسو مطمئنة" لا تقلقي يا سوسو هانم أنا سأتصرف "

ضربت سوسو على جبينها تقول" يا إلهي ارتبك الوضع فجأة ولم أبارك لك يا بسمة سامحيني .. كما ترين ماذا حدث"

اختلست بسمة نظرة لكامل وقالت وهي تخطو ناحيتها حينما وجدت الأخرى تقترب منها "لا بأس لم يحدث شيء"

قبّلتها سوسو على وجنتيها ثم قالت وهي تتأملها" مبارك لك يا حبيبتي .. ما شاء الله هذا الولد محظوظ بهذا الجمال حفظك الله من شر العين "

غمغم كامل من بين أسنانه بلهجة متهكمة "الحقيقة محظوظ جدا سأنفجر من الحظ"

استدارت بسمة تحدجه بنظرة خاطفة قبل أن تعود لسوسو التي قالت "العيون كانت مسلطة عليك معظم الوقت ليلة أمس نسأل الله السلامة"

قال كامل بتوحش "عيون من؟؟ أخبريني"

ابتسمت سوسو بينما قالت بسمة بهدوء "لا تشغلي بالك يا سوسو هانم أنا سأفتح ما أحضروه وأقسمه وأضعه في الثلاجة أو في

الخزانات سأشغل وقتي حتى يغادر الضيوف فمن غير اللائق رؤيتي خارج غرفتي في هذا الوقت "

قالت سوسو بحرج" لا لا أنت عروس.. فقط أخبري زيلا ماذا تفعل (ونادت على زيلا التي كانت عائدة من تقديم الضيافة للضيوف بالحديقة وقالت لها بالإنجليزية) كوني مع بسمة وافعلي ما تخبرك به (وعادت لبسمة تقول) لا أحب دعوتي بسوسو هانم"

ارتبكت بسمة وتطلعت في كامل بتساؤل ثم سألتها" وبم أدعوك؟"

ردت الأخرى" فقط سوسو ..أنا لا أحب أي ألقاب من الممكن أن تشعرني بأني عجوز "

تدخل كامل مقلدا أمه بصوت رفيع وهو يهز رأسه يمينا ويسارا قائلا بتهكم" أنا لازلت في عز شبابي أرجوكم"

تفاجأت بسمة بطريقته ولملمت شفتيها حتى لا تضحك بينما أشاحت سوسو بيدها مبتعدة ..فقال كامل مستمرا في مناكفتها "لم تباركي لي بعد يا سوسو "

استدارت تقول "ألم أبارك لك صباحا أمام غرفة الألعاب!"

قال كامل بلهجة متسلية "تقصدين حينما وجدتيني أبحث عن أسطوانة جديدة لباسمة (وأخرج يده من جيبه ولفها حول جذع بسمة التي أجفلت من حركته مضيفا بنفس اللهجة المتسلية) باسمة تحب الموسيقى جدا يا سوسو .. طوال الليل وأنا اشغل لها الأسطوانات (ونظر لبسمة يسألها بلهجة متسلية استفزتها) هل أعجبتك الموسيقى يا باسمتي"

ابتسمت بسمة له ابتسامة صفراء وقد خرس لسانها ولم يسعفها عقلها للرد فأضاف كامل

وهو يحدق في عينيها الغاضبتين أمامه "لماذا الخجل يا حبيبتي هذه أمي ليست شخصا غريبا "

اشاحت سوسو بيدها بحرج وهي تبتعد قائلة "فليسعدكما الله .. سأذهب لأطلب من ديمتري أن يرسل أحد النُدل ليضيّف السيدات مادامت زيلا ستساعد بسمة"

بمجرد أن أولتهما ظهرها أفلتت بسمة من ذراعه الذي كان يثير فيها مشاعر كثيرة كلهجته التي يحدثها بها منذ أن استيقظت وهتفت بهمس "ماذا كنت تقول لوالدتك؟"

تصنع البراءة ورد" ماذا كنت أقول؟ .. كنت أتحدث عن الموسيقى .. (ومال برأسه قليلا يسألها بلهجة خبيثة) هل تخيلت أني كنت ألمح لشيء أخر ؟!"

شعرت بسمة بأنه يغلبها دوما بطريقته المستفزة وهي لا تجد ما ترد به .. فاستدارت

تعود للمطبخ لتجد زيلا واقفة تحاول فك اللفائف أمامها بعدم فهم فأعطتها بعض التعليمات بالعربية ثم فطنت لما تفعل فحاولت استجماع بعد الكلمات بالإنجليزية بصعوبة فهي تستطيع قراءة الانجليزية بعد ذلك الكورس الذي حصلت عليه قبل التسجيل للحصول على الماجستير.. لكن النطق لم يعتد لسانها عليه وما زاد من ارتباكها دخول كامل خلفها ووقوفه مستندا بظهره على إحدى الخزائن يتطلع فيها فالتفتت إليه تقول بحدة" ماذا تفعل هنا؟"

رد ببرود استفزها" وأين تتوقعين مني أن أكون ؟.. سأتحرج من الصعود أمام النسوة فبالتأكيد يتحدثن في أمور حساسة .. ولن أجلس مع الرجال بالخارج حيث من المفترض أني عريس أنا الأخر .. ولن أذهب للمطعم لنفس السبب "

انطلقت الزغاريد فجأة من الدور الأعلى بشكل عالي ومتواصل وكأنه اعلان عن شيء ما .. شيء احتقن له وجه بسمة بحرج خاصة وأن كامل يتطلع فيها بأنظاره وهو يهرش في أعلى أنفه فاستدارت توليه ظهرها لتتفحص الأسبتة.
كانت الزغاريد تأتي من شرفة الدور العلوي ويسمعها الجالسين في الحديقة فابتسم عيد بحرج وقد فهم الرسالة وحانت منه رفعة هامة غير مقصودة لأب اطمأن على إتمام زواج ابنته .. بينما شعر شامل بالحرج .
في المطبخ كان كامل يراقب بسمة بينما الأخيرة تتطلع كل دقيقة على ملابس زيلا الشابة الأفريقية السمراء التي ترتدي بنطالا من الجينز وبلوزة لا تغطي وركيها الممتلئين بشكل لافت للنظر ولم تشعر بالراحة من ذلك النوع من اللبس في بيت به رجال فقالت لها ببعض العصبية وبإنجليزية رديئة "من فضلك اتركي كل

شيء وأنا سأتصرف وحدي .. اذهبي للخالة سوسو ربما احتاجت لشيء"
ناظرت زيلا كامل بنظرة متسائلة فأشار لها بأن تنفذ .. لتسرع الأخيرة بالمغادرة .
انحنت بسمة نحو أحد الأسبتة تحاول فك الاربطة والشريط اللاصق فانساب معها شعرها بينما دقق كامل في تفاصيلها وانحناءاتها بتمعن ..لتعتدل وتقول " هلا ساعدتني في فك هذه الاربطة ؟"
اقترب كامل .. اقترب كثيرا ..فتحفزت خلايا جسدها والتصقت بالخزانة خلفها .. لتجده يمد يده بجانب خصرها فأجفلت ليقول بهدوء " أريد أن أفتح الجارور خلفك"
بارتباك ووجنتين مشتعلتين انزاحت قليلا ففتح الأخير الجارور وأخرج مقصا ثم مال يقص الأربطة .

بعد قليل كانت بسمة قد أخرجت من الاسبتة طعام الصباحية مما لذ وطاب .. فاقتربت سوسو لتتفحص الأصناف الشهيرة بأطعمة الريف وناظرت بالذات الطيور المحمرة وهتفت" بط وحمام !!"

رد كامل مصححا" وز يا أمي.. وز وحمام .. البط في سَبَت أخر"

غمغمت بسمة وهي تناظر كامل بنظرة متسلية "كامل يعشق الوز "

ابتسم لها ابتسامة صفراء مستخفة وأمسك بوزة محمرة في يده يفصل عنقها عن جسمها بغل وهو يقول "أمي تعرف بأني أحب كل الطعام"

أسعدها أن تجد ما يستفزه فأضافت بنظرات مغيظة ولهجة متشفية" لكنها بالتأكيد لم تعرف عشقك للوز بالذات .. حتى أني طلبت

من أهلي أن يكون طعام صباحيتي كله وز ..وز.. وز"
تماسك حتى لا يضحك وحتى لا يهجم عليها يعاقبها بقبلة عنيفة على مشاكستها له وقال ببرود" لا حرمني الله منك ولا من وز بلدكم يا باسمتي"
غمغمت سوسو وهي تغادر المطبخ" المزيد من البط والوز يا إلهي .. ضعوا هذه الأصناف بعيدا عني ولا تدعوني أراها حتى تنتهي"
رفعت بسمة ذقتها ذا طابع الحسن بكبرياء واستدارت لترتب بقية الأصناف في الوقت الذي سُمع صوت السيدات ينزلن من الدور العلوي فتحركا الاثنان كمن صعقتهما الكهرباء لتختفي بسمة بجوار فتحة الباب ويقف كامل مكان الباب يد في جيب بنطاله والأخرى على الحائط في نفس الوضع السابق وكأنه قد تجمد مكانه كل هذا الوقت .

ناظرته نصرة باندهاش لوقفته التي لم تتزحزح .. فمنحها ابتسامة مجاملة مفتعلة جعلتها تقول " لا تنسى أن تبلغ سلامي لأبلة بسمة "

هز رأسه يطمئنها فانفجرت الزغاريد في بهو الفيلا من جديد.

استرخى كامل بعد خروجهن مع ونس واستدار يقول لبسمة بغضب" ما هذا الجو المتوتر التي تضعينا فيه لا أفهم؟!!"

قالت له بهمس مغتاظ " هل كنت تريدها أن تراني هنا؟"

مال للأمام يتطلع في وجهها ورد بنفس الهمس " وهل وجودي كل هذا الوقت بالأسفل بعيدا عن عروسي التي من المفترض أنها نائمة في غرفتنا مظهرا لا يجلب الشكوك يا ذكية "

لم تجد ما ترد به خاصة وهو يتحدث معها من هذا القرب فهربت من عينيه العميقتين المحاصرتين واستدارت توليه ظهرها دون رد.

بعد قليل وعلى بوابة الفيلا كانت ونس تبكي وهي تحضن عيد الذي كان متماسكا بكل قوته ويربت على ظهرها قائلا بحشرجة "كفي عن النحيب وإلا سيعيدك معي العريس"

ابتعدت تحضن كلتا يديه بين كفيها فقال شامل "لا تقلق عليها يا حاج عيد .. وإن شاء الله سأطمئنك حينما نزور طبيبة السمعيات بعد أيام"

هز عيد رأسه .. وقال لونس" لقد قررت أن ابتاع هاتفا من تلك الهواتف الحديثة التي يتحدثون منها بالكتابة وسيعلمني كريم عليه(ونظر للأخير يقول) أليس كذلك يا كريم ؟"

رفع له كريم ابهامه ورد "أجل يا جدي لا تقلق"

ابتسمت ونس من بين دموعها وأصدرت إشارة تعني (رائع)

فتحرك عيد بظهره خطوتين ولا تزال عيناه معلقتان على فلذة كبده ثم استدار وهو يلقي

بسلام خرج متحشرجا بصعوبة من فمه وركب في السيارة الجماعية الكبيرة التي استأجرها للسفر والتي تنتظره يحمد ربه ويشكره على اطمئنانه عليها .. بينما لوحت نصرة لونس من النافذة مودعة بعينين دامعتين ثم غمغمت في سرها" أسعدك الله يا حبيبتي والعقبى لإسراء بنتي في القريب بإذن الله "

قالتها متمنية أن تكون في العاصمة وحدها .. صحيح لا تعرف كيف تتحرك فيها بل تشعر برهبة شديدة منها في الزيارات القليلة التي زارتها لها .. رغم أنها لا تكون وحدها لكنها تشعر بها وكأنها ستبتلعها .. ومع هذا تمنت أن تكون وحدها هذه المرة لربما اتصلت بعم الأولاد وطلبت منه أن يوصلها لهلال ..

عند هذه الخاطرة .. ورغم الشوق المعذب والحنين الجارف له ورغم أنه يرسل شهريا مبلغا جيدا من المال .. لكنها نهرت نفسها على

ذلك التفكير واشاحت بوجهها تتطلع في نافذة السيارة التي بدأت في التحرك مغمغمة في سرها "من ينسانا ننساه يا نصرة لا نهتم حتى بالسؤال عن أحواله "

سألها كريم "قلت شيئا يا أمي؟"

قالت بصوت أعلى وهي تتطلع من النوافذ حولها "كنت أقول هذه المدينة ما شاء الله لا قوة إلا بالله مكانا للأثرياء بالفعل "

في حديقة الفيلا وقف شامل مع ونس وحدهما يقول بلهجة هادئة عاتبة مصرا على مواجهة عينيها الرافضتين مواجهته يمينا ويسارا "اتفقنا أن نفكر يا ونس قبل القيام بأي تصرف "

حركت لسانها في باطن خدها فأضاف" اليوم أنت احرجت العائلة كلها باندفاعك .. بالله عليك كيف لا توقظيني!! .. ماذا لو لم يكن لي توأما يغطي على عدم وجودي؟!!. ماذا لو

اكتشف الأخرون أننا نخدعهم وأن كامل ليس هو شامل !"

كانت تشعر بحرج شديد وبتأنيب لنفسها كبير .. خاصة وأنها في أول يوم لها هنا مع شامل .. فعضت على شفتها السفلية تناظره بعينين لامعتين ترغبان في البكاء فقرر شامل التوقف عند هذا الحد رغم أن الموقف لا يزال يغضبه بشده ويسبب له حرجا مع عائلته وقربها منه يضمها إليه مضيفا "عديني بأنك ستعدين حتى عشرة قبل التصرف في أي موقف اندفاعي أرجوك يا ونس ..ولا تتصرفي في أي شيء دون أن تخبريني أولا حتى لو كنت غير موجود في محيطك "

هزت رأسها بإيماءة بجوار كتفه تشعر بالأمان في حضنه وبالحماية ..

ابتعد عنها شامل يقول بلهجة متسلية وقد عاد لمرحه "هيا بنا إلى غرفتنا لقد تركناها وقتا طويلا وحدها وهذا لا يصح"

رمشت ونس عدة مرات ولم تفهم الدعابة فسحبها شامل من معصمها خلفه يقول "تعالي لدينا وقتا طويلا لأشرح لك ماذا أقصد (ثم تساءل عابسا) أين الفطور .. ألن نفطر؟"

في المطبخ قالت بسمة باستنكار" ماذا تفعل يا كامل؟"

قضم الأخير من الوزة بين يديه وهو يقول ببرود" أفطر .. جائع ..افعل أي شيء مما يفعله العرسان"

تسلل إليها شعور بالشفقة عليه لكنه في الوقت نفسه يستفزها بما يفعل خاصة حينما قال" ألا يكفي بأن أهلك لم يرسلوا طعام صباحيتي حتى الآن ..(وأضاف مناكفا رغم جدية ملامحه) هذه استهانة لن أمررها لكم يا آل الوديدي"

قالها وهو يقضم من صدر الوزة ثم ملأ ملعقة
من طاجن الأرز المعمر وألقاها في فمه في
الوقت الذي لمحه شامل وهو في طريقه
لصعود السلم فاتسعت عيناه وغير وجهته
ليدخل عليهما المطبخ قائلا بعينين متسعتين"
ماذا تظن نفسك فاعلا هذا الطعام
يخصني؟؟!!"
رد الأخر بملامح عابسة ولهجة صبيانية
متصنعا المسكنة "وأنا جائع .. هل ستترك
أخاك جائعا (وأشار على بسمة مضيفا) لم
يحضروا لي طعاما حتى الآن"
ضربت بسمة كفا على كف لا تصدق ما يفعله
بينما أضاف كامل بلهجة تمثيلية معذبة"
أخوك جائع يا شامو"
تسمرت بسمة فاغرة الفاه تتطلع فيه غير
مصدقة هذا الجانب الصبياني الفكاهي في
شخصيته مسقطا عنه بروده وعنجهيته بينما

رد شامل يجاريه في المزاح "قطّعت قلبي يا مسكين ..لا بأس هيا لنأكل سويا "
قالها وهو يسحب طاجن الأرز الكبير خارجا من المطبخ بينما حمل كامل أمام عيني بسمة المتسعة اللفائف التي تحتوي على أصناف الطيور المطهية وذهب خلف أخيه فاتبعته وهي تتبادل النظرات مع ونس التي تضحك حتى استقرا على استراحة جانبية بجوار المطبخ وضعا الطعام على منضدة صغيرة وضما أريكتين صغيرتين لتواجها بعضهما ثم سأله شامل "هل هناك المزيد من الطعام ؟"
أومأ كامل برأسه فقال شامل "احضري لنا باقي الطعام يا ونس بالله عليك وتعالي اجلسي هنا بجانبي لنفطر سويا"
ضحكت ونس على هيئتهما المضحكة وتحركت مع بسمة التي سبقتها للمطبخ تداري ابتسامتها. . بينما تبادل شامل وكامل النظرات

فصدرت من الأول حركة متباهية وهو ينفض ذراعيه في الهواء بزهو ذكوري مصدرا نحنحة غليظة فهمها كامل الذي لوى شفتيه بامتعاض يناظره بحقد .

ربت شامل على ذراعه قائلا باستفزاز متعمد"

لا بأس يا بني أدرك معاناتك وسأدعو لك أن يفك الله كربك عن قريب"

نفض كامل يد شامل عن ذراعه بخشونة ورد قاصفا "بارك الله لك يا عريس ..أخيرا أصبحت رجلا بعد كل هذا العمر.. عموما إن أردت السؤال عن شيء فلا تتحرج من سؤال توأمك ليعطيك من خبراته"

ناظره شامل بنظره مستهزئة وقال ساخرا "مسكين ..أدرك أي جحيم تعيش فيه لذا لن أدقق على كلامك "

عادت الجدية لملامح كامل وهو يمد يده للطعام صامتا فانخرس شامل هو الأخر ولم يدر بما يواسي أخيه .

خرجت بسمة وونس من المطبخ عائدتان بالمزيد من الأصناف تضعانها أمام التوأمين فربت شامل على الأريكة لتقترب وتجلس بجواره بينما رفع كامل رأسه لبسمة قائلا "هيا اجلسي لتأكلي معنا"

احمرت وجنتيها وهي تجلس بجواره تبعد شعرها للخلف فناولها كامل ملعقة .. ثم نظر للناحية المقابلة يقول لونس بتهكم" أهلا بجالبة الفضائح"

مطت ونس شفتيها تناظره بنظرة من أعلى لأسفل بينما قالت بسمة "كفى يا كامل لننسى الأمر"

تجاهل كلامها واستمر في مناكفة الأخرى يقول متهكما "وأنا أعطيها ذراعي لندخل الفيلا كنت

أموت خوفا من ذكائها المتقد أن ترفض ولا تستوعب ماذا يحدث "

تدخل شامل بلهجة حازمة قائلا وهو يدفع بواحدة من الحمام ليضعها أمام توأمه وكأنه يخرسه" كفى يا كامل وركز في الطعام يا حبيبي "

غمغم كامل بامتعاض وهو يمرر عينيه بين شامل وونس "المرة القادمة لن أتدخل .. ولترياني ماذا ستفعلان بدوني "

بعد قليل اطلقت سوسو شهقة وهي تتطلع فيما يحدث أمامها .. توأماها يجلسان مع زوجتيهما وأمامهما الطعام الذي أحضره العم عيد ورأت شامل يمزق بطة بين يديه بمنظر بدا لها متوحشا فهتفت بغير تصديق "ما هذا!!.."

قال شامل مناكفا" تعالي يا سوسو الطعام لذيذ جدا "

اشفقت عليها بسمة ومررت أنظارها بينها وبين ولديها المنهمكان في الطعام قبل أن يدخل

غنيم من باب الفيلا فقالت سوسو صائحة "تعال يا غنيم .. هل رأيت في حياتك منظرا كهذا في صباحية عرسان "

ضحك غنيم بينما قال كامل لوالده" تعال يا حاج غنيم حماتك كانت تحبك.. يوجد حمام وبط ووز "

لاحت ملامح الغثيان على وجه سوسو وردت "اخرس.. ابوك لن يأكل هذه الأشياء حتى لا يرتفع الكوليسترول عنده "

قال غنيم يجاريها" بالطبع "

قالت سوسو بلهجة شاكية "تعبت يا غنيم أنظر إليهما هل هذا منظر يليق بعريسين في يوم صباحيتهما؟!"

استمر توأماها في مناكفتها فقال شامل وهو يفتح سحاب سترته الرياضية ويحاول خلعها "ساعديني على الخلع يا ونس السمن البلدي فجر الطاقة في جسدي "

شدت ونس طارف كم السترة وبسمة تراقب ما يحدث وسط ضحكات كامل المكتومة فانتابها الضحك هي الأخرى تمرر نظراتها بين الجميع بينما عاد شامل للأكل وقد أصبح بفانلته التحتية .. لتقول سوسو وهي تمسك جبهتها بإعياء "بالفانلة الداخلية يا غنيم "

ضحك غنيم وهو يضمها إليه قائلا بمواساة "حبيبتي أنا وأنت قطعنا الأمل فيهما منذ زمن واعتبرنا بأننا قد انجبنا ثورين بريين.. فلا تحرقي دمك..(وسألها) أين الهدايا التي جهزناها ؟"

قالت سوسو" في غرفتنا سأذهب لإحضارها" وتطلعت في المنظر البعيد بقرف ثم اتجهت لغرفتها .

بمجرد أن ابتعدت تحرك غنيم نحوهما فقال كامل "تعال يا حاج أعلم بأنك محروم من الطعام الدسم"

ترك شامل مقعده لوالده الذي قال وهو يختلس النظرات للناحية التي اختفت فيها سوسو" لا لا اعدوا لي طبقا صغيرا قبل أن يُقبض عليّ "

راقبت بسمة وونس الطبق الذي صنعه شامل لوالده الذي رفض الجلوس بينما قال غنيم لزوجتي ولديه وهو يأخذ الطبق" إياكما أن تخبراها ..هناك أمورا كثير تحصل في هذا البيت من خلف ظهر سوسو "

انفجر الجميع بالضحك ثم سألته بسمة بقلق " أخشى أن يكون هذا الطعام ممنوعا عنك "

رد غنيم بتأكيد" أنا صحتي جيدة لكن سوسو تبالغ .. لا تقدر على ولديها فتقدر عليّ أنا المسكين "

ضحكات مكتومة خبيثة صدرت من التوأمين فتأملت بسمة الجميع بسعادة متفاجئة من

هذا الشعور الذي يتسلل إليها ببطء .. شعور بالدفء .

هتفت سوسو من بعيد مصعوقة" غنيم!!!"

توقف غنيم عن المضغ وتسمر مكانه ولم يقدر على إدارة وجهه لمواجهتها وسط ضحكات ولديه المكتومة قبل أن يقول كامل متصنعا الجدية" ها ما رأيك يا أبي في هذه التتبيلة للطيور ؟"

قال غنيم يجاريه "جيدة جدا "

قال كامل وهو يأخذ منه الطبق ليعيده على الطاولة " إذن سنضعها على قائمة الأصناف الجديدة في المطعم "

ظلت سوسو مكانها تناظره من بعيد بنظرات نارية فهمس لهم غنيم قبل أن يعود إليها "حافظوا على طبقي وأخبروني أين ستخفونه"

بعد قليل وبعد أن انتهى حفل طعام الصباحية الجماعي نادى غنيم على بسمة فتفاجأت ولاح بعض التوتر على وجهها لم يغب على كامل الذي تابعها بعينيه تتوجه ناحية والده بينما أخرج غنيم من علبة مخملية تحملها سوسو سلسالا طويلا بدلاية ذهبية وقال" نبدأ بالأكبر عمرا "

شعرت بسمة بالحرج واشتعلت وجنتيها وغنيم يلبسها السلسال حول رقبتها ويقبل جبينها فقال كامل الذي انضم لهم وهو يساعدها على اخراج شعرها من السلسال "لا حرمنا الله منك يا أبي "

شكرته بسمة شاعرة بالامتنان فقالت سوسو موضحة "الحقيقة كنا نخطط أن نصعد لغرفتيكم في الصباحية ونهديكما هذه الهدايا .. لم نكن نعلم بأننا على موعد مع حفل صباحية جماعي "

ابتسم غنيم وقال لونس "والآن موعد الصغيرة الشقية "

اقتربت ونس بابتسامة متسعة فناكفها غنيم "كدت أن أصاب بنوبة قلبية بسببك اليوم "

رفعت شعرها خلف أذنها بحرج فألبسها غنيم السلسال الأخر وقبّل جينها ثم نظر لزوجتي ولديه قائلا بسعادة وهو يلف ذراعه حول جذع سوسو " هكذا المرء منا يصطبح بوجوه ناعمة جميلة وكائنات رقيقة تنضم لسوسو في هذا البيت وتضيف عليه توازنا وطراوة .. بدلا من الوجوه القبيحة العكرة"

غمغم شامل "جزاك الله خيرا يا حاج هيا بنا يا ونس لنعود لغرفتنا بدلا من هذا التقريع في يوم صباحيتنا "

قال كامل لبسمة هامسا " هيا لنصعد فأنا أريد أن أنام"

ناكفته ترد عليه ببرود هامس "وما المطلوب مني؟"
قال من بين أسنانه" هل رأيت من قبل عريسا يصعد لغرفته يوم صباحيته ويترك عروسه تتسامر مع أهله !.. كله إلا سمعتي هذا الأمر قد أرتكب من أجله الجرائم"
مطت شفتيها لتتحكم في ابتسامة ملحة وتحركت معه مشفقة عليه من الارهاق البادي تحت عينيه من عدم النوم ليصعدا لغرفتيهما
..
في جناحهما ألقى كامل بنفسه فوق السرير بمجرد دخولهما يخلع سترته الرياضية ويلقيها بجانبه في الأرض ثم قال من تحت الوسائد "باقي السرير متاح لك إن أردت الاستلقاء بجانبي"
ردت عليه بلهجة ساخرة" شكرا لك سأستعمل الأريكة"

لم يرد كامل ولم يمر وقتا طويلا حتى أحست بانتظام أنفاسه .. ففتحت التلفاز بصوت منخفض واستلقت على الأريكة ولم تجد شيئا لتفعله فقررت الاستسلام للنوم .

أما في الجناح الأخر قال شامل وهو يغلق قفل الباب من الداخل" أخيرا أصبحنا أنا وجنيتي وحدنا من جديد "
لعب لسان ونس في جدار خدها ..فسألها شامل وهو يقترب خطوة" ألا يوجد لديك قميصا بلون أخر كقميص ليلة أمس ؟"
رجعت خطوة للخلف مبتسمة بخجل وهي ترفع سبابتها أمامه نافية .. فسألها وهو يقترب خطوة أخرى "ولا نفس اللون ؟"
رجعت خطوة أخرى للخلف وحركت سبابتها نافية تهرب من نظراته الحسية التي تشعل ذراتها بمشاعر اختبرتها لأول مرة بين ذراعيه

أمس ..فقال شامل يجاريها" تؤتؤتؤ ألا يوجد أي قميص لديك يا مسكينة ؟"
هزت رأسها بشقاوة لذيذة نافية وهي ترجع خطوة أخرى للخلف.. فقال شامل وهو يقترب مرة أخرى" لا بأس لن أدقق على تفصيلة تافهة كهذا ..لندخل في ما هو مهم بشكل مباشر "
واقترب أكثر لينقض عليها لكنها قفزت هاربة وهي تطلق ضحكة فلم يمهلها شامل الفرصة للفرار بل تلقاها وهي تعبر من جانبه وحملها بذراع واحد مقهقها قبل أن يلقي بها على السرير

.

اطلقت ونس تأوها ضاحكا وغطت وجهها بكفيها فاحتلها بجسده الضخم يقول وهو يتفحص سماعتيها خلف أذنيها "هل ارتطمت السماعتين برأسك ؟"

هزت رأسها نافية من خلف كفيها فأزاح يديها عن وجهها وسألها هامسا "هل ننزع السماعات ؟"

هزت رأسها رافضة فقال متفهما" لا بأس أنا فقط أريدك مسترخية "

اشارت له تضم سبابتها مع إبهامها بما يعني (احتاج لوقت أطول قليلا).. فهز رأسه متفهما وهو يبعد شعرها عن وجهها وقال بلهجة حارة ولهفة فقدت الصبر" دعينا الآن نختبر مدى تحسنك في الاسترخاء .. ألا يكفي بأنني لم استطع اخبارك إلا بسر واحد فقط ليلة أمس "!

قالها وهو يهجم على شفتيها ..فلفت ونس ذراعيها حول رقبته وفطرتها الأنثوية تلح عليها لطلب المزيد رغم خجلها الشديد .

××××

قبيل الغروب

توقفت سيارات كثيرة أمام بوابة فيلا غنيم ونزل منها سليمان يلملم في عباءته بحركة مختالة أمام العيون التي نزل أصحابها يتطلعون في فيلا غنيم بانبهار بينما مط مفرح شفتيه بامتعاض وتمنى لو استطاع الاعتذار عن المجيئ غير راغب في الاجتماع مع خاله في أي شيء لكن صداقته بكامل تحتم عليه التواجد .

أما فاطمة فنزلت هي الأخرى وأخواتها وبعض النسوة أقاربها يطلقون الزغاريد ويحملون ما احضروه بينما وقف غنيم يستقبلهم في الحديقة متفاجئا بالعدد الكبير وسليمان يقول له بابتسامة لزجة "بعضا من أقاربنا وأحبابنا أصروا على المجيء للمباركة "

لم يعقب غنيم وإنما رفع هاتفه يهاتف ديمتري ويأمره بإحضار عددا كبيرا من الكراسي من

المطعم .. فاقترب مفرح يسلم عليه ويقول بحرج" أنا أسف حاولت أن أتصل بأحد التوأمين لأنبهكم بالعدد لكنهما على ما يبدو غارقان في العسل "

قال غنيم مجاملا" أهلا وسهلا بكم"

في الدور العلوي استيقظت بسمة على صوت الزغاريد بالأسفل ففهمت بأن أهلها قد حضروا بينما تململ كامل في سريره فأسرعت نحو الخزانة تخرج منها ملابس استقبال ثم اسرعت نحو الحمام .

بعد قليل كانت تهز كامل برفق قائلة" كامل انهض أهلي حضروا "

هز رأسه دون أن ينطق وأشفقت عليه لأنه لم يكمل نومه .

حين خرج كامل من الحمام وجد بسمة قد ارتدت جلباب أبيضا مطرزا من الأكمام وعلى أعلى الجذع ..ولبست أساور ذهبية أنيقة

وحلق ذهبي طويل بينما اللون النبيتي الذي تفضله تطلي به شفتيها .. فبلع ريقه أمام جمالها الأخاذ بشرقية ملامحه ..بشعرها الأسود كالليل مفرودا على ظهرها مع لون عينيها الفيروزي ..وومضت عيناه ببريق اعجاب التقطته بسمة فاحمرت وجنتيها وانفجرت دقات قلبها ثم أشاحت بأنظارها نحو المرآة .

بعد دقائق كانت الزغاريد تنفجر في بهو الفيلا حيث كان يجلس النسوة في انتظار نزول العروسين اللذين كانا متعانقي الكفين وهما يقتربان من الحاضرات قبل أن يستأذن كامل ليخرج للرجال ..بينما اتسعت عيني بسمة متفاجئة بالعدد الكبير من النسوة الذي يملأ المكان من القريبات ومن أهل البلدة المبهورات بالفيلا وبجمال بسمة الأخاذ الذي أطلت عليهن به .. فجزت على أسنانها بغيظ شاعرة

بالحرج من سوسو التي كانت تبتسم ابتسامة مجاملة ترحب بالحاضرات والإعياء يبدو واضحا عليها .. في الوقت الذي كانت فيه زيلا تبرطم بلغة غير مفهومة رغم أن ديمتري أدخل الضيافة للضيوف من المطعم مع النُدل لكن كان على الأخيرة مهمة تقديمها للضيفات.

بالخارج اقترب مفرح يقابل كامل في منتصف الحديقة والذي بادره ممازحا" لماذا تأخر طعام الصباحية يا مفرح هل هناك عريس يأكل قبيل الغروب؟!!"

ضرب مفرح كفه بكف صديقه ضاحكا ثم حضنه مباركا قبل أن يقول" أنا من منعتهم أن يحضروا إليك عند الظهيرة يا عريس هل هذا جزائي !"

قال كامل بلهجة ذات مغزى" العم عيد قام بالواجب يا حبيبي وحضر قبل الظهيرة "

رد مفرح ضاحكا" علمت بذلك .. (وشدد على يد كامل يقول بمحبة جمة) لا تتصور مدى سعادتي لارتباطك ببسمة .. ولا سعادتي بأنك ستتعقل أخيرا وتستقر "

ابتسم كامل بدفء ثم تطلع في العدد الكبير من الضيوف باندهاش فلم يجد مفرح ما يقوله لكنه رافق صديقه في رحلته للترحيب بالحاضرين..

بعد قليل قال سيلمان وهو يميل على كامل "أين بسمة لتسلم على أقاربنا لأنهم يريدون مجاملتها بالنقوط*"

رد كامل برفض بارد " آسف زوجتي لن تخرج لتسلم على الرجال "

قال سليمان "ولكن هؤلاء أقاربنا ومعارفنا و يريدون المجاملة كما أجاملهم أنا"

---

* مبالغ مالية تعطى في المناسبات وترد في مناسبات أخرى.

تدخل وليد قائلا بدبلوماسية "لا بأس يا أبي سأتصرف أنا (واستدار لكامل يقول) أريد أن اسلم عليها"

استدار كامل ليقوده إلى داخل الفيلا في الوقت الذي قال مفرح وهو يلحق بهما" وأنا أيضا"

ناظره كامل من فوق كتفه ثم قال" هذا أخوها لن أمنعه من رؤيتها ..أما أنت ..."

رد مفرح بسماجة وهو يدفعه أمامه بخشونة "وأنا أخوها رغما عنك .. أين العريس الأخر؟"

رد كامل متهكما" غارق في العسل يا سيدي "

فأطلق الثلاث رجال الضحكات .

بعد دقائق أمسك شامل بهاتفه متململا وهو يرد بصوت ناعس "ماذا هناك يا كامل لماذا تلح في الاتصال؟"

انفجر فيه الأخير قائلا بغيظ" كفى نوما ستنفجر من النوم"

غمغم شامل ببرود" يا ناس يا شر يكفي قر ..
ماذا تريد خلصني؟"
هتف كامل " ألم تسمع الجلبة التي في البيت
أيها البارد .. انزل مفرح يريد رؤيتك"
رد شامل ببرود وهو يتمطى" ما الذي أتى به ألا
يعلم بأني عريس جديد ولست متفرغا له؟!"
قال كامل وقد استفزه برود الأخر "جاء مع أهل
بسمة يا فلذة كبدي "
رد شامل بنفس البرود المتعمد" إذن جاء
لزيارتك أنت ولست أنا "
هتف كامل بلهجة خطرة مهددا" انزل يا شامل
وإلا سأصعد وأكسر الباب عليك"
قالها وأغلق الخط فقهقه شامل وهو يضع
الهاتف بجواره ثم التفت للناحية الأخرى
حيث ترقد ونس بجواره وشعرها الذي عاد
لموجاته يغطي وجهها وقد استسلمت أخيرا
للنوم .. فأبعد شعرها عن وجهها وأحكم الغطاء

الصيفي الخفيف على كتفيها العاريين ثم عدل درجة برودة المكيف حتى لا تمرض..
تأمل وجهها الصبوح كصفحة نهار جديد ولمس أذنيها الخاليتين من السماعات يتمنى من الله أن تكون الزيارة التي سيقومان بها لطبيبة السمعيات بعد ثلاثة أيام زيارة موفقة .. وأن يجد عندها ما يمكن أن يساعد ونس لتقترب من الحياة الطبيعية .. فمهما كان راضيا ومتفهما لحالتها .. كلما دقق في كونها غير قادرة على التواصل مع الأخرين بشكل طبيعي هذا يؤلم قلبه .. يؤلمه ألم سيبقى مرافقا له للأبد مهما تلقت من مساعدات جعلت حياتها أسهل.

في الدور الأرضي قال مفرح لبسمة بعد أن حضنها وليد" فاتنة المجرة ألف مبروك "

ابتسمت بسمة بينما ضغط كامل على ذراعه يقول بابتسامة صفراء" انرتنا باشمهندس مفرح"

توجع مفرح قليلا لكنه تجاهله وأضاف موجها الحديث لبسمة "مليكة لم تستطع الحضور ..يبدو أنها أرهقت نفسها الأيام الماضية فقضيت اليوم في السرير"

قالت بسمة متفهمة "لا بأس سأتصل بها أنا لأطمئن عليها "

غمغم مفرح باقتضاب "هي بالتأكيد ستتصل بك"

انتحت بسمة بعدها بوليد جانبا تقول له بغيظ "كيف تترك أبي يحضر كل هؤلاء البشر؟.. ألن يكف عن أسلوب المفاخرة هذا!"

رد وليد معترفا "صدقيني يا بسمة أنا ومفرح تفاجأنا بما فعل ولمناه حتى أن مفرح كاد أن يعلن عدم ذهابه معنا اعتراضا على ما يحدث

لكن المشكلة أنه كان قد وعد الناس فلم نجد مفرا "

شعرت بسمة بالعصبية والاختناق خاصة وهي تتأمل شكل سوسو التي ترحب بالحاضرات اللاتي لم يكن لأغلبهن أي داع للحضور ..وأشفقت على حماتها التي تحاول التصرف بلطف ولباقة .. ثم لمحت من النافذة المفتوحة على الحديقة المشهد المبالغ فيه من الحاضرين فقالت لوليد من بين أسنانها "أريد أن أرى أبي"

قال وليد مهدئا "لا بأس مرريها هذه المرة وأعدك لن أتركه يفعلها مرة أخرى"

أما مفرح فوقف في بهو الفيلا شاردا يفكر في حالة مليكة التي لم تقم من سريرها منذ الصباح .. بنفس الطريقة التي حدثت لها المرة السابقة التي انهارت فيها أول مرة .. فقضيت اليوم التالي كله في النوم وكأنها تهرب من مواجهة

شيء لا تريد مواجهته .. وهذا ما جعله يتصل بأخيها أكرم اليوم ويطلب منه بأن يقنعها بالذهاب لطبيب نفسي .. ورغم أنه لم يذكر له تفاصيل حياتهما الشخصية لكن أكرم أخبره بأنه هو أيضا يشعر بالقلق عليها خاصة مع لجوئها الكثير لحبوب النوم .. وأخبره أيضا بأنه حاول أكثر من مرة اقناعها بالذهاب لطبيب نفسي لكنها كانت ترفض بشدة واشفق عليها من الحاحه .. لكنه وعده بأنه سيستشير طبيب نفسي صديق له لربما نصحه بأي نصيحة .

خرج مفرح من شروده حينما لمح شامل ينزل السلم فهتف ممازحا ليشوش على ما يعتمل في صدره من هموم "أخيرا حضر العريس الأخر "

بعد دقائق انتحت فاطمة ببنتها تسألها بأمل كبير" ها طمئنيني "

سألتها بسمة ببرود" على أي شيء؟"
قالت أمها بغيظ "تعلمين عما أسأل"
اندفعت بسمة تقول بهمس "أمي لقد أخبرتك
أني اشترطت عليه زواجا صوريا"
تشكل الإحباط ببطء على وجه فاطمة
وأحست بسمة بخطئها الفادح في نفي حدوث
أي شيء بينهما لما تراه على وجه أمها من حزن
لكنها كانت لا تريد أن تعشمها فتكون الصدمة
كبيرة حينما تنفصل عن كامل .. أرادت أن
تخفف عنها هي بالذات الصدمة .
خاطرة الانفصال عن كامل أصابتها برعدة في
أوصالها وكأنها مقترنه به منذ مدة طويلة ..
مقترنة به من قبل أن يلتقيا .. تطلعت في ظهره
الذي يوليه لها وهو يقف في وسط البهو
يتحدث مع مفرح وشامل وقبض الحزن على
قلبها ..

ترى متى سيقول لها بأن التمثيلية انتهت وبأنه قد أطمأن على أخيه ويريد أن يهاجر ويترك كل شيء ؟..

هل سيقولها بسرعة ؟..

أم سيمنحها الفرصة لأن ترمم قلبها وتشبع منه؟! ..

العبارة الأخيرة كانت مفاجئة لها لكنها لم تجد الفرصة لأن تفكر فيها حينما سمعت أمها تحدث نفسها بحزن شديد "أيعقل !.. الرجل يبدو أمامي بصحة جيدة ما شاء الله "

اسرعت بسمة بدون تردد تنفي التهمة التي تفكر فيها والدتها عن كامل فقالت "بصراحة يا أمي لقد ألح عليّ طوال الليل لم يتركني لأنام لحظة واحدة وهو يحاول اقناعي بإتمام الزواج لكني عندت وأصريت على موقفي"

أضيء وجه فاطمة بالأمل وقالت هامسة "ولماذا؟ .. لماذا عاندت يا بنيتي ؟.. هل

تريدين جبر خاطر أكثر من هذا بسم الله ما شاء الله (قالتها مشيرة للمكان حولها ثم أضافت) وشاب والله أدعو له طوال الليل أن يحميه الله من شر العين ..طول وعرض ووسامة ومال وأدب.. أنت لا تعلمين كيف يتحدث أهل البلد عن زيجتك أنت وونس ما بين مبهورين وحاقدين "

كلمات أمها أطربتها لكنها لم ترغب في أن تبخ السواد والتشفي الذي بداخلها من أهل البلدة في وجه أمها فآثرت الصمت لتقول فاطمة بغيظ" كان عليه أن يجبرك على إتمام الزواج .. على الرجل أن يكون صاحب الكلمة العليا في مثل هذه الأمور "

تذكرت بسمة على الفور كيف كانت هي نفسها مشبعة بتلك الأفكار قبل سنوات تظن بأنها الطريقة المثلى لأن تكون سعيدة هانئة فهتفت

بعبوس "لا يا أمي لا أريد رجلا يجبرني على شيء .. أريد أن أختار ويحترم اختياري "
أطرقت فاطمة برأسها لا تفهم رأس ابنتها الذي بات معقدا .. كانت في الماضي ابسط وأهدأ وأكثر لينا .. لكنها الآن تزيد من قلقها بتلك الطريقة التي تفكر فيها .
اشفقت بسمة عليها فقالت لها مناغشة "لماذا لا تأتي معي لأريك الجناح بالأعلى "
قالت والدتها بمزاج عكر "لا .. فلا يصح أن أصعد أنا دون الباقيات .. لذا فلنفعلها مرة أخرى "

بعد ساعة وقفت بسمة على باب الفيلا الداخلي تودع أمها والضيفات اللاتي تحركن مبتعدات بينما ظل وليد حتى يأتي دوره ليحضن بسمة متمنيا لها السعادة .. فسألته

لأول مرة منذ شجاره مع مهجة يوم حادثة المشروع "كيف حالك مع مهجة ؟"
ابتأست ملامحه ورد متنهدا " لا تشغلي بالك .. بالتأكيد سأحتاج لاستشارتك في هذا الأمر لكن ليس الآن يا عروس .. بالمناسبة تبلغك سلامها فحينما اعتذرت زوجة مفرح عن السفر لم أرغب في أن تتكبد هي عناء الطريق مع النسوة الأكبر سنا .. إن احتجت أي شيء هاتفيني سلام"
هم وليد بالمغادر لكنهما تفاجآ باقتراب سليمان يقول بلهجة متفاخرة" أظن ما أنت فيه حاليا لم تكوني لتحلمي به لولا أنك سمعت كلامي وشغلت رأسك الصدئ قليلا يا بسمة .. لذا عليك باستمرار استخدام هذا الرأس لتحافظي على هذه الفرصة التي لن تتكرر "
ابتسامة ساخرة زينت شفتي بسمة ثم ردت "وأنت أيضا عليك بمساعدتي في الاحتفاظ

بهذه الفرصة التي لن تتكرر بأن تتوقف عن المفاخرة بالمصاهرة بإحضار الناس بهذا العدد يا أبي .. عليك مراعاة أنه بيت عائلة وليس بيتي وحدي حتى تدعوا كل هذا العدد"

رد سليمان ببرود" ماذا أفعل الناس يريدون مجاملتي"

هتفت بسمة بغيظ" اعتذر منهم يا ابي أصحاب البيت ليس لهم ذنب بتحمل كل هذا"

ابتسم سليمان ورد" لك كل الحق في القاء الشروط يا بنت سليمان بعدما سكنت الفلل ..عموما لا بأس أهم شيء حافظي على ما وصلت إليه (واقترب هامسا يضيف) وبالنسبة لموضوع الانجاب اذهبي إلى أشهر طبيب في هذا المجال دون أن يعلم زوجك وأي علاج أنا سأدفع.. إن أردت .. فأنت بسم الله ما شاء الله بت من أصحاب الأملاك أيضا .. عموما حين

تستقرين على العلاج أخبريني وأنا سأرتب معك كل شيء دون علم زوجك "

قال وليد بلهجة مستهجنة "كيف تتصرف بدون علم زوجها يا أبي؟!"

رد سليمان "اسكت أنت نحن نعالج شيئا قديما"

قال وليد بعبوس" صارحي زوجك يا بسمة بحالتك "

قال سليمان بغيظ "ماذا تقول أنت؟.. هل تريد أن تخرب عليها كما حدث في زيجتها الأولى؟!"

قطعت بسمة الحوار قائلة "شكرا .. أنا سأقرر ماذا سأفعل في حياتي فلا تحملا همي"

قال سليمان وهو يعدل من عباءته" أنا سأوهم نفسي بأنك قد استوعبت الدرس السابق وستتصرفين بذكاء من الآن فصاعدا "

ردت بسمة بتهكم" طبعا بالتأكيد لا تقلق"

قال وهو يغادر" أتمنى ذلك ..هيا يا وليد"

تحرك مبتعدا بينما وقف وليد مترددا حائرا لا يعرف بم ينصحها فقالت له بسمة "اطمئن ولا تقلق "

فمال يقبل رأسها ثم غادر مودعا .

راقبت بسمة ظهر والدها المبتعد شاعرة بغصة في قلبها خاصة حينما تذكرت قبلة غنيم على جبينها صباحا وذلك الدفء الذي كان يشع من عينيه.

بعد قليل تنفس غنيم وسوسو الصعداء بعد مغادرة الجميع .. فاقتربت بسمة من وقفتهما في الحديقة تقول بلهجة معتذرة" لا تؤاخذوني على الزحام اليوم إن شاء الله لن تتكرر مرة أخرى"

رد غنيم مجاملا وهو يشعر بالحرج "لا يا بنيتي أهلا وسهلا بهم في أي وقت"

ابتسمت بسمة شاعرة بالامتنان للباقة حمويها ثم تطلعت حولها تسأل" أين كامل؟"

رد غنيم ذهب ليباشر شيئا هاما في المطعم وسيعود سريعا ثم سأل سوسو" هل رأيت شامل؟"

ردت سوسو ضاحكة "أسرع بالصعود قبل قليل لأنه قد أغلق الباب من الخارج على ونس وأرسلت له على الهاتف حينما استيقظت"

هتف غنيم بغير تصديق" أغلق الباب!!"

ردت سوسو "أعتقد أنه خشي أن تقوم بموقف مشابه لما حدث صباحا "

قهقه غنيم وقال" لا تذكريني والله شعرت بأن قلبي قد توقف من الاحراج "

قالها وتحرك يفرد ذراعه على كتفي زوجته وذراعه الأخر على كتفي بسمة التي تفاجأت بما فعل.. فقال لها بدفء " هيا لننتظر كامل في الداخل "

وتحرك إلى داخل الفيلا يظلل بجناحيه على زوجته وعروس ابنه.

xxxx

في تلك الأثناء

قال جابر بلهجة جادة "لا تقلق يا زين أنا بخير "

قال زين مازحا ليواسيه" بصراحة كانت كالبومة يا جابر .. ودوما كانت كذلك حتى ونحن صغار في فصل واحد.. يا إلهي على كم الغرور والبرود الذي كانت عليه كانت تخنقني والله"

رد جابر ساخرا وهو ينعطف بسيارته لشارع قريب من معرضه" لم أسمع هذا الكلام منك حينما قررت أن أتزوجها"

قال زين مدافعا" أنت فاجأتني في اتصال هاتفي بأنك قد خطبتها بالفعل ولم تفصح عن نيتك حتى قبلها .. وساعتها قلت ربما انصلح حالها فكما تعلم تفرقنا في التعليم بعد الثانوية العامة هي لم تكمل وأنا ذهبت للجامعة وعندما كنت

أزوركم في إجازة الصيف لم أجدها إلا أسوأ لا تؤاخذني.. لكني لم أكن أملك قول شيء وهي زوجتك وأم ابنتك"

غمغم جابر بلهجة نادمة "كان تسرعا في الاختيار دفعت ثمنه من عمري وستدفع ابنتي ثمنه للأسف"

قال زين بمرح مقلدا النسوة الكبار "والله لأزوجك ممن هي أحسن منها ولنكيد الأعادي يا جابر يا ابن نجف "

توقف المرور في الطريق بسبب مشاجرة بين اثنين من راكبي السيارات فلمح جابر بدير في السيارة المجاورة له ذاهبا عكس اتجاهه .. والذي كان يتطلع أمامه دون مواربة.. ولم يعرف جابر بأن بدير قد تفاجأ به هو الأخر منذ لحظات فشتم نفسه أن اضطر للسير من هذا الشارع القريب من معرض جابر بعد أن وجد الشارع الرئيسي به زحاما مروريا .. وتنفس

الصعداء حينما مر من أمام معرض جابر بسرعة دون أن يلمحه في محيطه لكنه فوجئ بهذا الشجار الذي أوقف الطريق ثم بسيارة جابر التي تجاوره فتصنع عدم رؤيته متجنبا لأي احتكاك معه .. فلم يلملم أفكاره بعد بشأن الخبر الذي صدم به صباح اليوم ..ولا يعرف هل طلقها رسميا أم لا يزال هناك مجالا للصلح ..فآثر الصمت لحين تبين الأمر .. وشتم كاميليا في سره .. فلم تنطلي عليه أيا من الأسباب والمبررات والشكاوى التي قالتها .. يعرف بأن أخته متهورة وغبية وفي غاية الحماقة .

ترك جابر الهاتف وقال عبر النافذة "يا معلم بدير"

لم يجد الأخير بدا من الاستدارة إليه يناظره ببرود.. فقال جابر بتقريع مبطن" لم يكن هناك داع لأن تحضر أم ميس صباحا وتقتحم

البيت لتأخذ مصوغاتها الذهبية .. فليس جابر دبور الذي يأكل على امرأة ذهبها.."
طالعه بدير محتفظا ببروده فأضاف جابر بلهجة أبرد "عموما ابنتكم أخذت مصوغتها المثبتة في قائمة الأثاث وأخذت معها أضعافا مضاعفة مما حضرت به إلى بيتي .. المهم أرجو تسرعوا في نقل الأثاث من البيت بأقصى سرعة لأني أنوي تجديده "
قالها ونظر على الطريق الذي فتح أمامه وتحرك دون انتظار الرد منه ثم انعطف في أول شارع يمين بينما احتقن وجه بدير وطحن ضروسه بقوة فأتته الأبواق من الخلف تحثه على التحرك ..ليضغط على البنزين بغل مصدرا صوتا مزعجا ثم سحق عجلات السيارة وهو يتحرك قبل أن ينعطف يسارا.

في الهاتف الذي لا يزال مفتوحا هتف زين مهللا "وصل ..وصل ..وصل .. الوجه الأخر لشيخ الشباب وصل .."

قال جابر بعبوس" اذهب الآن يا زين لست متفرغا لمزاحك .. في حفظ الله "

قالها وهو يركن سيارته بجوار المعرض الكبير ثم ترجل منها يدخل معرضه ملقيا التحية على الموجودين قبل أن يقترب من ذلك المكتب في واجهة المحل الذي يجلس عليه كريم وأمامه كتبه المدرسية فمسح على رأسه وقال" كيف حال الدكتور الصغير؟"

ابتسم كريم ورد" بخير الحمد لله .. أنا انتهيت من ادخال البيانات كلها التي طلبتها على الكومبيوتر وقد راجع الأستاذ لطفي عليها بعد أن أدخلتها "

قال جابر مبتسما "ما شاء الله ..ما شاء الله على الهمة والنشاط .. لكني تصورت بأنك

ستستريح اليوم في البيت بعد عودتك من العاصمة "

رد كريم بلهجة رجولية "كيف استريح وأنا ملتزم بالعمل .. عموما لقد انتهيت وسأذاكر دروسي حتى يأتي موعد العودة للبيت "

قال جابر "وأنا سأتركك يا بطل لتركز في دروسك ونلتقي بعد انتهاء موعد العمل لأوصلك للبيت ككل ليوم "

اتسعت ابتسامة كريم .. فمسح جابر على رأسه وتركه ليدخل مكتبه..

بينما عينان من خارج المعرض مسمرتان تراقبان المشهد من أوله .

عينا هلال جمعة.

xxxxx

الفصل الثاني والعشرون

كما في العمر لحظات انتصار ولحظات هزيمة .. به أيضا لحظات نفقد فيها الاتزان وحكمنا على الأمور ..حينما نُسجن في لُجة مشاعر سلبية .. ونلف وندور حول انطباعات وهمية.. متشبثين بخرافات ليس لها أساس من الصحة . هذا ما فطن إليه هلال خلال الفترة التي ابتعد فيها .. بعد تلك الليلة المؤلمة التي عاشها يوم أن تهجم على نصرة أمام الناس ..
هذا الأمر وحده كان كفيلا بأن يشعره بالخزي من نفسه للأبد.. ليس فقط لأنها زوجته وأم أولاده ولكن لأنها نصرة (حبيبة القلب) ..
لكن تلك اللحظة التي انفجر فيها كريم في وجهه ورأى فيها ذلك الكره الممزوج بالخوف في عينيه ..

تلك اللحظة التي وعى أخيرا بعد ساعات من الغضب الأعمى على نظرات بناته إليه ونظرة نصرة خائبة الرجاء فيه ..
وتلك الحمائية التي ظهرت من ابنه تجاه أمه .. و الكلمات الجارحة التي تلفظ بها أصغر أبنائه في وجهه..
كل هذا كان بمثابة صفعة قوية أفقدته الرؤية .. أشعرته بأنه مجرم وبأنه قد دمر حياته وحياة عائلته.. فلم يجد مفرا من الهروب ..
كان يريد أن يلملم شتات نفسه .. ويقيّم أفعاله .. ويطبب جراحه ..
كان يرغب في التخلص من الإحساس بالذنب والاحساس بالألم ويفند ويقيم كل شيء حوله.
كان يشعر بالخزي من مواجهة أولاده ومواجهة صديقه ومواجهة نصرة .
ذهب لأخيه في العاصمة وتقوقع على نفسه بضعة أيام غير قادر على التواصل مع أحد ..

ليس عقابا لهم وإنما عقابا لنفسه .. وشعورا بالخزي منهم ..
لم يجد ما يقوله ولم يجد ما يبرر به ..
فالاعتذار لن يرمم ما تحطم .. ولن يمحو ما بدر منه .
أول شيء فعله هو البحث عن عمل .. وهذه المرة لم يكن اختياره ينحصر فيما يتقنه .. لقد استوعب الدرس .. وأجبر نفسه على القبول بأي عمل مهما كان ..
كان عليه أن يثبت لنفسه أولا قبل أن يثبت لعائلته بأنه رجل على قدر المسئولية .. فعمل مع أخيه في السوبر ماركت الخاص به .. وفي سمسرة العقارات المهنة الأخرى التي يمتهنها أخوه .. ومع الوقت فهم فكرتها وأسرارها التي لم يبخل عليه أخوه فيها .. واكتشف بأنه لا يزال قادرا على تعلم الجديد ..و أصر أن يرسل

لعائلته مبلغا شهريا رغم أنه لم يكن يتواصل مع أحد منهم ..
وحانت لحظة العودة ..
كان لابد أن يعود .. هو ذهب في الأساس حتى يستطيع العودة .. فلو بقى لما استطاع العودة إليهم هلال المعدل .. هلال الذي كان قبل سنوات قبل أن تطمس ملامحه الخيبات ..
المحنة على قدر صعوبتها فرضت عليه مواجهة صعبة ومؤلمة مع الذات .. ومن أجل الأحبة قرر أن يغير من تفكيره .. وجاهد في عمله ..
وحان وقت العودة .. لأنه يعلم بأن هناك ما عليه إصلاحه .. ولأنه يعلم بأن مدة الشهرين الخاصة بالتجهيز لزواج ابنته قد انتهت ..
ولأنه قد حصل على ذلك المبلغ من المال الذي سيساعده على شراء ما تبقى رغم أنه لا يعرف ما الذي تبقى بالضبط ..

حان وقت العودة لأن طلال أخبره في الهاتف بأن الوقت ينفد منه وبأن أخيه سيسافر خلال أسبوعين .. لذا عاد ..

لكن كان عليه أن يبدأ من حيث انتهى ليلة مغادرته للقرية .. كان عليه أن يبدأ بكريم الذي علم من طلال عن طريق الصدفة في احدى الاتصالات التي كان يحرص على الرد عليها حتى يحفظ ماء وجه عائلته مع اصهاره بأنه يعمل عند جابر دبور .
جابر الذي لا يعرف كيف يريه وجهه بعد كل ما حدث .. رحلته للعاصمة .. وذلك الوقت الطويل جدا الذي مر عليه بدون عائلته أعطاه الفرصة للتفكير واعادة تقييم أفكاره وتصرفاته ووجد نفسه قد أخطأ تجاهه .. وأخوه أيضا عاتبه فيما فعل مع جابر ومع أسرته ..

حان وقت مواجهة اخطاءك يا هلال .. وكم تحتاج من شجاعة لفعل ذلك ..
مسح كفيه المتعرقين بجانبي جلبابه واقترب ليدخل المعرض فاستقبله أحد العمال القدامى مرحبا "كيف حالك يا أبا كريم متى عدت ؟"
سقط القلم من يد كريم كما سقط قلبه .. ورفع رأسه يحدق في ذلك الذي يسلم على الرجل وعيناه مسلطتان عليه فاستقام من جلسته واقفا وتعرق جسده كله فجأة وانفجرت دقات قلبه لكنه عجز عن تصنيف شعوره أهو فرح أم خوف أم ترقب.
ظل الاثنان يحدقان في بعضهما من بعيد دون كلمة في الوقت الذي خرج جابر يقول لأحد عماله" الأجهزة الخاصة بالمعلم خيري الفكهاني لماذا لم تخرج من المخا ..."
توقف متفاجئا لثوان ثم هتف" هلال!!"

فك هلال تشابك عينيه مع ابنه ونظر لجابر
يقول مداريا توتره من المواجهة بابتسامة
محرجة " كيف حالك يا جابر ؟"
اتسعت ابتسامة الأخير بفرحة حقيقية واقترب
من هلال قائلا "أنا بخير .. المهم طمئني عنك
(واستدار يقول للعمال الذين يتطلعون بفضول
في المشهد) هلا عدتم لأشغالكم؟"
تحرك الواقفون بينما اقترب هلال ليقف أمامه
قائلا بصوت متحشرج وكأنه يطلب العون "أنا
عدت يا صاحبي فهل سأجد ترحيبا؟ "
حضنه جابر بمحبة وشوق قائلا "نورت
المحافظة وستنير بيتك يا أبا كريم ؟"
قال هلال وهو ينظر يمينا حيث لا يزال كريم
يقف مذهولا "سأنير البيت حينما يسمح لي
رجل البيت الصغير بدخوله "
قالها بصدق لكن كريم اعتقد أن والده يتهكم
..ولم يدرِ ما الذي حدث في اللحظة التالية ..

ليجد نفسه قد انفجر بالبكاء فجأة فالتاع قلب هلال واسرع إليه يضمه بينما ظل جابر مكانه متأثرا وغمغم "هلا دخلتما لمكتبي لتكونا على راحتكما ؟"

قال هلال وهو يربت على ظهر ابنه " لا.. سنذهب أنا وهذا البطل إلى مكان لنتحدث سويا (وأنزل أنظاره لكريم الذي يخبئ رأسه في صدر جلباب أبيه وقال) أليس كذلك يا كريم ستأتي معي ؟"

ابعد كريم رأسه قليلا ليرفع أنظاره نحو والده حتى يتأكد من أنه لا يحلم وأن هذين الذراعين اللذين يحضناه هما ذراعي والده هلال جمعة ..قبل أن يهز رأسه وسط فيضان من الدموع موافقا.. فقال هلال وهو ينظر لجابر بنظرات ممتنة" أنا لي عودة للجلوس معك يا جابر جلسة مطولة .. لكن دعني أجبر ما كسرته ثم آتيك يا صاحبي"

كلامه الهادئ وتلك النظرة الممتنة المعتذرة في عينيه وكلمة (صاحبي) طمأنت قلب جابر وأدخلت السرور عليه فقال بابتسامة يداري تأثره " في انتظارك يا صاحبي في انتظارك "

××××

في إحدى المقاهي كان كريم يجلس أمام والده مطأطئ الرأس عيناه لا تزالان نديتين بالدموع بينما النادل يضع أمامهما ما طلباه ثم ينسحب ليقول هلال مشيرا على كوب العصير "اشرب يا كريم"

لم يلمس كريم الكوب ولكن رفع أنظاره يقول لوالده" أنا أسف يا أبي عما بدر مني تلك الليلة كنت خائفا منك على أمي (وتلفظ بنشيج)و لم أكن ... "

تحشرجت العبرات في حلقه فقال هلال" لا بأس يا كريم ..أنا قبلت اعتذارك .. وأريدك أنت أيضا أن تقبل اعتذاري"

لاح سؤال في عيني الصغير ليضيف هلال "تقبل اعتذاري على كوني لم أكن أبا جيدا لك"
هتف كريم بعاطفة متأثرة صادقة "لا يا أبي أنا أحبك جدا"
مال هلال والتقط رأس ابنه يقبلها بعينين غائمتين ثم قال أمام وجهه الباكي الذي رفعه له" وأنا أحبك يا كريم وأعدك بأني سأصحح أخطائي لأني وجدت أنه ليس عيبا أن نخطئ دون قصد لكن العيب أن نتمادى في هذا الخطأ"
سأله كريم بنظرات مترجية "هل هذا يعني بأنك ستبقى معنا ولن تتركنا مجددا ؟"
ربت هلال على ظهر ولده يرد "بالطبع .."
اتسعت ابتسامة كريم من وسط دموعه وسأله وكأنه يريد أن يتأكد" هل هذا يعني بأنك ستذهب معي للبيت الآن؟"

قال هلال وهو يزيح كرسيه للخلف" أجل الآن وفورا"
استقام كريم واقفا ثم مال يسحب بعضا من العصير عبر الماصة على عجل فقال هلال "انتظر حتى تنهيه"
اسرع كريم يقول "لا لا فلنعد للبيت بسرعة (ثم تسمر مكانه يتمتم) لكن علينا بالاستئذان من عمي جابر أولا فلم تنتهي ساعات العمل بعد"
اتسعت ابتسامة هلال بإعجاب وسحب رأس ولده ليضمها إليه ومال ليطبع قبلة عليها بينما عيناه تلمعان بدموع التأثر من هذا الولد الذي يبدي رجولة والتزام مبكرين وغمغم "لا بأس سنتصل بالمعلم جابر ونخبره بأنك ستذهب معي (وغمغم في سره) وليساعدنا الله في المهمة الصعبة ..مهمة مواجهة نصرة"

xxxx

بعد قليل كان يحتضن بشوق ابنتيه همسة ونسمة للمرة التي فقد عدها في جلسته على الأريكة بينما أخذت اسراء تمسح دموعها المتأثرة بعودة والدها .

أما كريم فجلس بابتسامة سعيدة يتابع المشهد على مقعد بعيد ويتذكر كيف كان دخوله عليهن برفقة والده منذ قليل كمن عاد إليهم بنصر كبير .

قال هلال لأسراء مطمئنا" سأجلس مع طلال لنحدد موعد قريب لزفافك يا اسراء إن شاء الله "

أومأت الأخيرة برأسها بينما نظر هو لباب غرفة نومه المغلق منذ أن حضر.. فقد بادرت نصرة بمجرد أن تواجهت عيناهما بترك المكان والدخول لغرفتهما وأغلقت الباب عليها.

ترك ابنتيه اللتان لا تزالا ملتصقتان به واستقام واقفا يتحرك نحو غرفة النوم وهو يتبادل النظرات القلقة مع اسراء ..
هذه هي المواجهة الأصعب عليه .. والتي يعلم بأنها لن تكون سهلة ونصرة لن تسامحه بسهولة .
طرق على الباب قائلا" ألن تفتحي لنتحدث يا نصرة ؟"
من خلف الباب كانت تجلس على طارف السرير منكسة الرأس يديها الممتلئتان مضمومتان في حجرها تقبض على مشاعرها بقوة .
لقد وعدت نفسها ألا تضعف .. وألا تسامحه فما فعله كان خيانة للعهد .. عهد العشق الذي ربط بين قلبيهما على مدى ربع قرن ..
تعاهدا على تحمل الضراء قبل السراء الأحزان قبل الأفراح تعاهدا ألا يفترقا لكنه لم يلتزم بالعهد .

هل يحسب نفسه إذا ما جاء معتذرا ستسامحه بسهولة؟! .. هكذا حدثت نفسها وهي تقاوم تلك المشاعر التي خانتها هي الأخرى وتهتاج في صدرها الآن في شوق عارم إليه .

جاءها صوته الذي افتقدته بشدة يقول "نصرة بالله عليك اعطني فرصة لأن نتحدث سويا ..وأنا متقبل بعدها أي عقاب منك "

مسحت الدموع من عينيها بحركة حادة تشجع نفسها على مواجهته واستقامت واقفة .

سمع هلال الباب يفتح فتسارعت ضربات قلبه لتطل عليه نصرة بعينين ووجه حُمر من أثر البكاء لكن ملامحها كانت جامدة .

تأملها بشوق وهي معصوبة الرأس بوشاح صغير تقول له بوجوم "تعال لنتحدث في غرفة الجلوس "

قالتها وتجاوزته تسبقه للغرفة فقالت اسراء لأخواتها" اصعدوا هيا للسطح "

تحرك هلال يدخل خلفها غرفة الجلوس بينما تلكأ أولاده وأعناقهم تشرئب لباب الغرفة فشاهدوا هلال وهو يقترب من نصرة الجالسة على الأريكة ويقبّل رأسها فأبعدته بإشاحة من يدها وهي مستمرة على وجومها.

زجرت اسراء اخوتها لتنفيذ ما طلبت فتحركوا على مضض لكنهم لم يقدروا على الابتعاد لأكثر من الجلوس على السلم المؤدي للسطح يشعرون بالتوتر .. أما إسراء فجلست في الصالة بترقب لترى ماذا سيحدث مع والديها .

قال هلال بهدوء " أنا اعترف بأخطائي يا نصرة .. وجئتك لاعتذر وأطلب سماحك"

قالت تقبض على مشاعر الضعف التي تضغط عليها "ما الذي اعادك ؟"

تكلم بنفس الهدوء" جئت لأكون وسطكم "

أشاحت بوجهها تتمتم "أنت اخترت الهرب"

قال مدافعا عن نفسه "لم يكن هربا منكم يا نصرة ..كنت أهرب من نفسي ومن تصرفاتي ..كنت أريد هدنة من الجميع لأفكر وأتوازن نفسيا .. لأحاسب نفسي وأقيّم تصرفاتي.. كنت أريد هذا بشدة ..وفي نفس الوقت لم أكن قادرا على النظر في عينيك أنت والعيال بعد ما صدر مني آخر مرة .. شعرت بأني أؤذي الجميع بوجودي .. والآن جئت لأكون وسطكم فهل ستقبلين بي يا نصرة وتغفرين لي؟"

لان قلبها قليلا لكنها استمرت في الاشاحة بوجهها بعيدا عنه توبخ نفسها لتمنعها من أي محاولة للضعف أمامه ثم قالت دون أن تنظر إليه " لن أستطيع منعك عن بيتك وأولادك .. أما عن صفحي عنك فهذا ما لا أقدر عليه حاليا"

تطلع هلال فيها يتأملها ويتأمل جلباب البيت القطني فوق جسدها الأبيض المكتنز وعنقها

الملوي بعيدا عنه متحكما في شوقه إليها ومعترفا بأخطائه ..ثم قال لها بهدوء" وأنا متقبل أي عقاب يرضيك يا أم كريم وسأصبر حتى أنول الرضا "

تكتفت وهي لا تزال عازفة عن النظر إليه فبدت كطفلة غاضبة ثم قالت "ستنام مع كريم في غرفته"

أطرق برأسه وقال " قلت طلباتك مجابة يا أم كريم"

تغضنت ملامحها للحظة وقلبها يرتجف لنبرته المنكسرة لكنها نهرت نفسها عن أي محاولة لتمرير ما حدث بسهولة ليأتيها صوت هلال قائلا" أنا عدت معي مبلغا من المال وأريدك أن تخبريني ماذا ينقصنا بالضبط لنكمل الحد الأدنى من المطلوب "

أدارت وجهها إليه وسألته بعبوس "كم معك؟"

حينما رد على سؤالها اتسعت عيناها وهتفت صارخة "من أين حصلت على مبلغ كهذا يا هلال ؟؟؟!!"

تفاجأ هلال بثورتها .. لتضرب على وجهها صارخة "مددت يدك للحرام يا أبا كريم !!"

اتسعت عينا اسراء بالخارج بينما هتف هلال بحزم" اخفضي صوتك يا نصرة .. عن أي حرام تتحدثين يا امرأة!.. استغفر الله العظيم ..

(وأضاف بلهجة مصدومة)هل هذه نظرتك لي يا أم كريم .. يا خسارة العشرة والأيام !"

تأتأت نصرة تقول بحاجبين معقودين وبلهجة أهدأ "لم أقصد .. لكن هذا المبلغ الكبير في هذه الفترة القصيرة"

رد هلال موضحا بعبوس "أنا كنت أعمل مع أخي في السوبر ماركت وكما تعلمين فهو يعمل كسمسار للعقارات أيضا وقد علمني أسرار المهنة بارك الله له وكانت تأتينا مبالغ لا بأس

بها من سمسرة العقارات كنت أرسل لك منها شهريا .. حتى استطعنا أن نتوسط في بيع قطعة أرض كبيرة .. (وأضاف بفخر) والله يا نصرة كأن الله قد أرسلها لي في الوقت المناسب لنا .. كان رجل قد عاد للبلد بعد غياب سنوات ليبيع عمارة يمتلكها وقطعة أرض فضاء بجوارها ولم يكن يعلم أي شيء في البلد .. فأوقعنا الله في طريقه ليوكل لنا مهمة البحث له عن مشترٍ سريع لاستعجاله للعودة وتصفية ممتلكاته في البلد .. وقد وفقنا الله في البيعة وقبضنا مبلغ السمسرة .. والحقيقة أن أخي قد تنازل عن جزء من نصيبه لي محبة ليضاف على نصيبي .. وأعطاني الجزء الأخر على سبيل الدين المؤجل سأرده له فيما بعد إن شاء الله"

تغرغرت الدموع في عيني نصرة وغمغمت "هذا رزق ابنتنا الطيبة اسراء يا هلال"

أطرقت اسراء برأسها متأثرة بينما قال هلال معترفا" سبحان من يدبر الأمر .. المهم هل هذا المال سيكفي التزاماتنا؟"

قالت نصرة "سيكفي إن شاء الله لكننا لن نستطيع أن نشتري به إلا الأساسيات وكما تعلم أهل البلدة"

قاطعها منفعلا "يا نصرة ليس من المعقول أن نشتري لها أشياءً لن تستخدمها لمجرد المفاخرة!!"

ردت معترفة" أنا أتفق معك .. لكن أهل طلال سيعايروننا"

طرقة على الباب المفتوح تبعها دخول اسراء تقول" هلا سمحتما لي بالتدخل ؟"

ساد الصمت لثوان قبل أن تضيف إسراء "أرى أننا نقتل أنفسنا بدخولنا في منافسة مع أهل البلدة .. أنا سأتحدث مع طلال وأخبره بإمكانياتنا وبصراحة حتى أكبر العائلات تحتاج

لوقت للتجهيز وهم متعجلون لذا سأخبره
بظروفنا وعليه أن يقرر هو "
قال هلال بلهجة حازمة" بل أنا من سيتحدث
معه ومع والده .. ونخبره بوضعنا .. وبأننا لن
نستطيع أن نحضر إلا الأساسيات"
غمغمت نصرة شاعرة بالقلق على فسخ
الخطبة" ومن الممكن أن نتحجج بقصر المدة
ونعدهم بأننا سنحضر الباقي بعد الزواج "
حدجها هلال واسراء بنظرة حادة فغمغمت
على مضض" استرها معنا يا رب "

xxxxx

بعد ثلاثة أيام
عند صلاة الفجر

"هذه ستكون المرة الأخيرة يا أم هاشم"
قالتها لنفسها وهي تتطلع من شباك المطبخ
تترقب خطواته وتنتظر مروره من أمام بيتها .

تهكمت على نفسها تقول" مر ثلاثة أيام وأنت تقولين هذا الكلام .. وبأنها المرة الأخيرة التي ستقفين فيها لتنتظريه يا أم هاشم !"
فركت يديها في بعضهما لا تعرف ماذا تفعل .. تشعر بذنب كبير إذا ما وافقت على محسن وفي قلبها رجل أخر .. رجل ليس كأي رجل .. إنه الغالي .
ربما هي ليست قادرة على نسيانه لأنها قلقة عليه .. هكذا بررت لنفسها .. فلو كانت تراه سعيدا لاستطاعت أن تطمئن عليه ..
عادت لتقارع نفسها " طوال سبع سنوات هي عمر زواجه يا أم هاشم كل هذا وتتحججين بالقلق عليه !"
عادت من جديد تعطي لنفسها المبررات ..لأنه لم يكن سعيدا كما تمنت أن تراه .. تشعر به يزداد حزنا سنة بعد الأخرى منذ زواجه.
"هذا فقط ما يصوره لك عقلك يا بنت زكريا"

قالتها لنفسها موبخة وأضافت " أنت تتصورين هذا حتى تجدي لك مبررا للتفكير به"
رفعت أنظارها مجددا للنافذة وهمست "لا والله هو بالفعل حزين .. وازدادت همومه في الفترة الأخيرة"
راقبته يخرج من بوابة بيته الذي يقع على أول الشارع فتعالى صخب دقات قلبها كلما اقترب أكثر ..
كان يقترب بخطوات بطيئة ثقيلة .. السبحة في يده وشفتيه تتمتمان بهمس .. حتى مر من أمامها.
كل مرة تتمنى أن تجمد الصورة في تلك اللحظة التي يمر فيها من أمام النافذة .. تلك اللحظة التي يكون فيها في أقرب مسافة منها .. تجمد الصورة لتحتفظ بها أمام عينيها كلما اشتاقت لرؤيته .

نهرت نفسها باستنكار وهي تراه يبتعد نحو المسجد المجاور "ماذا تفعلين يا بنت زكريا ألم تعدي نفسك بأنك ستنسيه .. ستنزعينه من قلبك! .. أنت تزدادين تطرفا وجنونا"

ابتعدت عن النافذة واسرعت نحو غرفتها لتقف على سجادة الصلاة ووعدت نفسها بأن هذه المرة ستكون المرة الأخيرة التي ستصلي فيها خلفه ..

المرة الأخيرة التي ستفكر فيه .. وستقلق عليه .. وستهتم لأمره ..

المرة الأخيرة التي ستدعو له ..

"المرة الأخيرة يا أم هاشم"

قالتها لنفسها وهي تستعد للصلاة وأضافت بلهجة متهكمة "المرة الأخيرة بعد تلك المرات التي كانت أيضا الأخيرة!"

بعد دقائق رفعت يديها للسماء تدعو ربها .. وبصعوبة شديدة منعت نفسها ألا تدعو له ..

فقط غمغمت مناجية "يا رب أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين "
صمتت كثيرا .. وتلجم لسانها ويداها المرفوعتان نحو السماء وهي تحاول أن تجبر نفسها على النطق .. على الدعاء .. لتقول أخيرا بصعوبة " يا رب .. اخرجه من قلبي .. وساعدني في ألا أفكر فيه أو أُشغل به .. واسعده يا رب اسعده وفرح قلبه يا كريم ..(نبهت نفسها لأنها عادت لتدعو له فتوقفت عن الاسترسال ثم قالت بحشرجة والحروف تخرج بصعوبة من فمها) ساعدني يا رب أن أنسى جـ ا بـ ر "
قالتها واجهشت في البكاء وكأن قلبها يُنتزع منها.

xxxxx

في العاشرة صباحا

كانت أعين المارة تناظر المشهد باندهاش بينما الأفواه إما تتحرك يمينا ويسارا بتهكم أو فاغرة

متفاجئة ..غير مصدقة لهذا الخبر الذي انتشر كالنار في الهشيم منذ الصباح الباكر.
أن جابر دبور طلق بنت العسال!! .
وقف جابر في الشارع بجوار بيته يديه في جيبي جلبابه وتعبير جامد على ملامحه يتطلع في أثاث البيت الذي يحمله الرجال فوق سيارات النقل .
ورغم كل شيء مر به .. فالشعور بالفشل شعور مُر..
أما بدير فكان يقف بعيدا عن البيت يستند على سيارته الخاصة مرتديا نظارة الشمس السوداء ليحجب عن الجميع انفعالاته خاصة مع الشعور بالحرج الذي يشعر به من النظرات المارة .. ومن الفضوليين اللذين تعامل معهم باقتضاب .. فهذا هو أحد عيوب الحياة في مجتمع صغير كله يعرف بعضه .. وكل ما يحدث في حياتك يعلم به الجميع .. وطلاق

بنت العسال مهما حاول إعطاء المبررات للفضوليين أو إطلاق الشائعات بأكاذيب عن أسباب الانفصال سيظل طلاق الإناث أمرا غير مرحب به في أي عائلة .

وقف هلال بجوار جابر يشد من أزره قائلا "أتمنى من الله أن يعوض عليك يا صاحبي "

ربت جابر على ذراعه ثم قال" طمئنني عنك أنت"

رد هلال بهدوء" بخير الحمد لله سأجلس اليوم مع طلال ووالده لنحدد موعد الزواج (ونظر لجابر يقول ببعض الحرج) كنت أرغب في أن أجلس معك أيضا لأعتذر لك عما بدر مني من حماقات "

قال جابر بهدوء "لا داعي لتلك الرسميات يا هلال يكفيني أنك عدت لبيتك وأنك أزلت أي سوء فهم بيننا "

قال بدير بخشونة للرجال الذي يحملون الأشياء فوق السيارات" هل انتهيتم؟"
أومأ له أحدهم فأشار له بأن يبدؤا في التحرك بينما استدار هو ليقول لجابر من بعيد" في انتظارك يا معلم جابر يوم الجمعة لنتحدث في أمور النفقة وما إلى ذلك"
لم يرد جابر .. ناظره ببرود ولم يرد.. فاستدار الثاني يشمخ بذقنه بخيلاء مقصودة وركب سيارته مبتعدا .. وسيارات النقل بدأت هي الأخرى في التحرك أمام أنظار جابر معلنة نهاية مرحلة من حياته وبداية أخرى .
شكر جابر الواقفين المواسين له والذين حاول بعضهم التدخل لربما استطاع لم الشمل من جديد ..فاكتفى بالرد بكلمات قليلة مقتضبة بما يعني (قسمة ونصيب) ثم تحرك يربت على ذراع هلال قائلا "انتظرني سأطمئن على الحاجة نجف وأعود حتى نجلس في أي مكان..

أريد أن أطمئن عليك وأعرف احوالك وماذا فعلت في العاصمة"
قال هلال بحرج وهو يهرش في مؤخرة رأسه بحركة أعادت جابر لأكثر من ثلاثين سنة حينما كانا صغارا "أنا أيضا أريد أن أجلس معك لنتحدث في إجراءات التقسيط فيما يخص الأجهزة المنزلية الخاصة بإسراء فأنا أعلم بأنك لا تزال تحتفظ بها لنا "
اتسعت ابتسامة جابر وربت على ذراع هلال في صمت ثم استدار ليدخل من بوابة البيت يشعر وكأن وصول هلال كان هدية له من الله خاصة مع عودته أكثر هدوء وراحة عما كان عليه في السنوات الأخيرة .
دخل الصالة التي فرغت من الأثاث .. فكان الشعور محزنا ..

رحلت أخيرا .. رحلت بعد عذاب و كان يحسبها لن ترحل .. لكنها أخذت معها من عمره الكثير .. كما أخذت الغربة من عمره ..
فهل لا يزال في العمر بقية لتعويض ما فاته؟!.
بحثت عيناه عن والدته ليطمئن عليها فغرفتها الوحيدة التي بقيت من أثاث البيت .. اقترب من غرفتها ليجدها جالسة على السرير تبكي .
سحب جابر نفسا عميقا ثم قال يتصنع المرح" ما بك يا حاجة نجف من المفترض أن تكوني سعيدة الآن وقد تخلصت منها !"
رفعت إليه عينين باكيتين وغمغمت "ابكي على حظك يا حبيبي .. وابكي على ميس"

جلس جابر بجوارها على السرير وقال وهو يلف ذراعه ليحضن جسدها الضئيل "الحمد لله على كل شيء يا أمي وميس ربي يعلم كم صبرت من أجلها .. عموما لا تستبقي الأحداث .. فأنا لا

أتوقع أن كاميليا من ذلك النوع من النساء التي ستعيش راهبة من أجل تربية ابنتها .. ستتزوج يوما ما ووقتها وكما تقتضي العادات في بلدتنا ستترك ميس في بيت العسال ووقتها سأتدخل أنا لضمها .. إن شاء الله"

قالت نجف وهي ترفع له عينين باكيتين "وأنت يا بني هل ستبقى هكذا ؟"

رد جابر بلهجة هادئة مطمئنة " من قال هذا يا نجف؟!.. سأتزوج بإذن الله وسأملأ لك هذا البيت أطفالا"

قالت بفرحة عارمة" حقا يا جابر .."

رد جابر مؤيدا وهو يستقيم واقفا "بالطبع على الحياة أن تستمر وجابر دبور لا يكسره شيء (وأضاف في سره) المهم أن تقبل هي بي.."

قالت نجف بحماس وهي تمسح دموعها "والله لأبحث لك عن من هي أجمل منها وأصغر"

رد جابر مناكفا" لاااا .. المرة الماضية كانت من ترشيحك يا غالية وها هي النتيجة "
قالها مشيرا على خارج الغرفة حيث البيت الفارغ من الأثاث .. فتغضنت ملامح نجف شاعرة بالذنب ..ليسرع جابر قائلا "أنا اشاكسك فقط يا غالية .. أنتِ رشحتها وأنا وافقت عليها بإرادتي الكاملة .. وأتحمل المسؤولية .. عموما هناك فتاة بعينها أتمناها زوجة وأتمنى أن تقبل بي"
هتفت نجف بحمائية "ومن هذه التي لن تقبل بجابر دبور زينة شباب المحافظة كلها"
اتسعت ابتسامته على حمائيتها الأمومية ثم علق متهكما" زينة شباب البلدة مطلق ويعول يا حاجة"
هتفت باعتراض "لا يعيبك يا حبيبي ..والله لا يعيبك أبدا ..أنا لا أقول هذا الكلام لأنك ابني ولا كي أواسيك .. والله لا تُذكر سيرتك بين

الناس إلا وأرى التقدير والاحترام في عيونهم ..فأنت وأخيك كالأوسمة على صدري أشكر الله على نعمتكما في حياتي .. يا جابر أنا أكيدة أنه لن يتردد بيت من بيوت القرية أو خارجها في مصاهرتك"

هز جابر رأسه مبتسما ثم قال" اللهم لك الحمد والشكر .. عموما نتمنى أن يكون هذا رأي العروس أيضا .. سأذهب الآن لأن هلال ينتظرني "

قالت أمه بلهفة "متى سنتقدم لتلك العروس؟"

رد جابر مبتسما "ليس الآن يا نجف .. لقد طلقت أم ابنتي منذ أيام ولا أريد لأهل البلدة أن يسيئوا الظن"

قالت مدافعة " لا والله لا أحد يسيئ الظن بك أبدا.. وهل كنت تحتاج لأن تطلقها حتى تتزوج

ثانية إن كنت تريد! .. لكن لا بأس .. ألن
تخبرني من هي على الأقل ؟ "
زينت الابتسامة شفتيه ورد مناكفا وهو يتحرك
مغادرا" فيما بعد يا نجف لا تتسرعي"
لم تستطع الانتظار فأسرعت خلفه حتى
أمسكت بذراعه تقول والفضول يغلبها "أسعد
قلبي يا جابر وأخبرني لربما جسيت نبض
العروس "
قال جابر محذرا" ليس هذا وقته يا أمي تريثي
بالله عليك "
قالت بإصرار" اخبرني من هي إذن"
نظر في عمق عينيها وأجاب" أم هاشم"
فغرت نجف فاهها لثوان ثم قالت متفاجئة
"ابنة الشيخ !"
هز جابر رأسه يتطلع في رد فعل أمه ثم قال
بلهجة متوجسة" لا تصدميني يا حاجة بأفكار

غريبة فأنا دوما أراهن على رجاحة عقلك
وحكمتك وبأنك ..."
قاطعته تقول" أأقول لك على سر ؟"
أومأ جابر برأسه فقالت " كانت هي أول ترشيح
لي حينما طلبت مني أن ارشح لك فتيات
للزواج"
اتسعت عينا جابر متفاجئا بينما أضافت نجف
"لكني خشيت أن تقول أمي اختارت لي سمراء
البلدة ..فترددت قليلا وحينما جئت لاقترح
عليك كاميليا كنت أنوي أن أرشح الاثنتين معا
لكني على أخر لحظة شعرت بأني أظلم أم
هاشم حينما أضعها مع كاميليا أمام عينيك
فهما مختلفتان في الشكل وخشيت أن يكون
سمار بنت الشيخ هو ما يزين جمال بنت
العسال في عينيك أكثر دون أن تزن الأمور
بعقلك فرشحت كاميليا وقلت لنفسي إن لم

تكن النصيب سأعرض عليك أم هاشم لكنك قبلت ببنت العسال "

لم يدر جابر ماذا يقول سوى أن غمغم "النصيب يا حاجة نجف .. القسمة والنصيب .. ولعله خير لنا جميعا .. عموما لو كنتِ رشحت لي الاثنتين .. كنت اخترت أم هاشم .. لأني أعرف قدرها جيدا .. فلو الاثنتان كانتا قد وضعتا أمامي في الميزان وقتها لرجحت كفة أم هاشم عندي ببساطة ..ليس لشيء سوى أن كفة بنت الشيخ بشخصها ومقامها ومقام آبائها ترجح أمام جمال كاميليا الذي شد انتباهي وقتها لن أنكر .. لكني لا أعلم كيف لم أفكر في أم هاشم وقتها يا أمي! .. (وشرد وكأنه يحاول تذكر تلك الفترة وأضاف وهو يهز أكتافه بحيرة) لا أذكر أم هاشم في هذه الفترة ولا أذكر احتكاكها بي .. ربما سلاما عاديا حينما عدت من

السفر تعرفين بأنها بمجرد أن كبرت التزمت في علاقتها بي وأنا احترمت رغبتها .. وبعد عودتي من السفر شُغلت ببناء البيت ووضع الأساس لتجارتي في السوق وأمور كثيرة كانت تشغل رأسي في تلك الفترة ثم طلبت منك أن ترشحي لي زوجة بما أني كنت بعيدا عن البلدة لفترة طويلة ..(وتنهد منهيا حديثه) عموما هذا هو النصيب .."

غمغمت نجف "بارك الله لك يا ولدي وأدام عليك نعمة العقل إنها فتاة من ذهب "

قال جابر وهو يفتح باب البيت " أريد منك فقط أن تتريثي لبعض الوقت حتى لا يربطها الناس بانفصالي عن أم ميس .. (وأضاف متعجلا) سأذهب أنا لأن هلال ينتظر بالخارج منذ مدة السلام عليكم"

رددت نجف السلام وهي تتحرك خلفه وحين أختفى تطلعت في البيت الخالي حولها وعاد الأمل لينمو بداخلها لحياة أفضل قادمة ..
فرفعت عينيها لأعلى تهمس" عجل الله بجبر خاطرك يا جابر وكتب لك من الاقدار خيرها"

××××

قبيل الظهيرة

قالت بسمة في الهاتف متفاجئة " لا حول ولا قوة إلا بالله .. اللهم لا شماتة "
رددت مليكة معها " اللهم لا شماتة يقولون عادت لبيت أبيها في نفس يوم زفافك.. المهم طمئنيني عنك هل من جديد ؟"
غمغمت بسمة باقتضاب "لا جديد"
هتفت مليكة بغيظ "لماذا يا بسمة؟!"
ردت بسمة بعصبية " أرجوك يا مليكة يكفي عليّ توبيخ أمي .. أشعر بالندم أني أخبرتها لكني كنت أحاول تخفيف الصدمة المستقبلية عنها

(واضافت لتغير الموضوع) المهم طمئنيني
عنك أنت لا تعجبيني يا مليكة"
ردت الأخيرة تهرب من الإجابة" فيما بعد يا
بسمة اذهبي الآن لأن الحاجة نحمدو تنادي
سنتحدث فيما بعد"

زفرت بسمة بقوة وهي تلقي بالهاتف بجوارها
ورفعت شعرها لأعلى تشعر بالحر.. فأمسكت
بريموت المكيف وعدلت الدرجة في جلستها
على السرير..
السرير الذي تستعمله هي وكامل بنظام
المناوبة.. هو يسهر خارج الغرفة طوال الليل
ويدخلها بعد الفجر لينام على السرير بينما هي
تتخذ من الأريكة رغم عدم ارتياحها في النوم
مكانا لها ..
حاولت ليلة أمس أن تتسلل لتعرف أين يذهب
فتفاجأت بأنه في الغرفة الموجودة في آخر

الصالة .. غرفة لم تستكشف محتواها بعد نظرا لاضطرارها الالتزام بغرفتها كعروس جديدة ..

ومادامت ملتزمة غرفتها ولا تجد ما تفعله خاصة وأن كامل كان يقضي اليومين الماضيين إما نائما أو في تلك الغرفة ولا يجتمعا إلا وقت الطعام حينما يدخل إليها بتلك الطاولة ذات العجلات بطعام يرسل من المطعم إليهما..

فيستقبله كامل وشامل من زيلا عند أول الجناح من الخارج وذلك التزاما بالأوامر بألا تدخل للجناح في حالة وجود أحد التوأمين في الطابق .. فيأكلان الطعام إما في صمت أو في مناكفة يتقن هو استفزازها فيها .

لذا قررت بسمة أن تستغل الوقت وتبدأ في دراسة الماجستير .. خاصة وأن كامل اليوم لم يأت لينام .. دخل منذ قليل اغتسل وبدل ملابسه وطلب منها أن تفطر وحدها و نزل..

تطلعت في الكتب الضخمة أمامها وهي تشعر بخواء عقلي وحاولت البحث في الانترنت عن بعض المعلومات التي تحتاجها لبحثها لكنها شعرت بأنها مزدحمة بالأفكار ومرتبكة وبأنها لا تعلم من أين تبدأ ..

أمسكت بالهاتف تهم بالاتصال بمفرح لسؤاله عن بعض الأمور فيما يخص بحث الماجستير لكنها تذكرت بأنها عروس وسيكون اتصالها في هذا التوقيت غير مناسب فعادت وألقت الهاتف بجوارها .

طرقة على الباب تعجبت لها بسمة فكامل لا يطرق بل يقتحم الباب دون انذار فقالت "ادخل"

دخلت زيلا إلى الغرفة فعرفت بسمة بأن كامل وشامل ليسا في هذا الطابق بدليل صعود زيلا التي قالت بالإنجليزية "جئت لآخذ الملابس التي تحتاج للغسيل"

عقدت بسمة حاجبيها لأنها كانت تنوي أن تسأل سوسو أين توجد الغسالة لتغسل ملابسها فأومأت لزيلا التي تحركت على الفور ناحية الحمام حيث توجد سلة الغسيل
فسألتها بسمة بإنجليزية ركيكة "ألم تري كامل؟"
ردت زيلا من الداخل" كامل وشامل وونس في المطعم بالأسفل"
عقدت بسمة حاجبيها وغمغمت "أنا هنا وهم بالأسفل!"
خرجت زيلا تحمل سلة الملابس فسألتها بسمة وهي تشعر بعدم الراحة لاطلاع الخادمة على ملابسها الخاصة" أين توجد الغسالة ؟"
ردت زيلا" هناك غرفة مخصصة للغسيل والكي بالأسفل "
سألتها بسمة متفحصة "وأنت من تقومين بغسيل ملابس كل من في البيت؟"

ردت زيلا بوقفة متململة من التحقيق" أجل اغسلهم وأتركهم لسوسو هانم لتفرزهم بعد أن يجفوا لما يحتاج للكي وما يحتاج للطي تطويه وتوصله بنفسها للغرف أو معي"

قالت بسمة بعدم راحة "اتركي ملابسي أنا سأغسلها "

رفعت زيلا حاجبيها ثم أكتافها باستسلام ومالت تضع السلة على الأرض لتفرزها ..

فهبت بسمة تقول بضيق وقد شعرت بعدم راحة أيضا لاطلاع الخادمة على ملابس كامل الخاصة "اتركي السلة كلها"

تجمدت زيلا وعوجت رأسها تنظر لبسمة باستفهام فكررت الأخيرة شاعرة بضيق شديد "أتركي ملابسي وملابس كامل أنا من سأقوم من الآن فصاعدا بالاعتناء بهم (وحاولت أن تخفف من حدتها فأضافت) من فضلك"

استقامت زيلا تهز رأسها وتحركت لتخرج ببساطة في الوقت الذي بدأت أغنية تأتي من خارج الغرفة وهي ليست المرة الأولى التي تسمع أغاني تأتي من مكان ما فتركت السرير وتحركت لتخرج وتتفقد الجناح فوجدت الصوت ينبعث من غرفة الألعاب .

ابتديت عمري النهاردة
نفسي أعيش لك من جديد
نفسي قلبك بس يرضى
حبي ليك عمال يزيد
دنتا حبك عندي دنيا
قلبي من غيرك وحيد .

دخلت غرفة الألعاب الفارغة .. وتطلعت في الأركان لتجد الاغنية تصدر من سماعات موزعة في المكان.. فتفحصت ما حولها ثم اقتربت من المكتبة لتجد عشرات القصص الأدبية والروايات الأجنبية والعربية وكتب

ودواوين لأكثر من شاعر وكتب أخرى
بالإنجليزية لم تفهم محتواها .
كل ليلة وكل يوم.. تيجي على بالي
وأسهر وأعد النجوم.. حالي هو حالي
وأنام في سيرتك وأقوم .. وأسهر الليالي

أحست بحركة في الخارج فخرجت لتجد زيلا تخرج من غرفة شامل تمسك بسلة الغسيل فسألتها" بحدة هل سألت ونس قبل أن تأخذيها ؟"
هزت زيلا رأسها فتحركت خصل شعرها المضفرة لضفائر كثيرة رفيعة وردت" لا أحد بالغرفة وسوسو هانم طلبت مني أن أحضر الغسيل "
حركت بسمة رأسها باستسلام لكنها وعدت نفسها بأن تخبر ونس برأيها في هذا الموضوع لربما شعرت هي الأخرى بالغيرة على شامل.

(الغيرة)

الكلمة استوقفتها فحاولت الفرار من الخاطرة بسؤالها لزيلا التي تحركت مغادرة "من شغل هذه الأغاني؟.. أقصد أين ريموت كنترول السماعات ؟"

ردت زيلا "هذه الموسيقى تأتي من المطعم بالأسفل ..أحيانا يوصلون الموسيقى التي تشغل فيه للزبائن هنا في الطابق"

اندهشت بسمة وهزت رأسها لزيلا التي غادرت الجناح فهمت هي الأخرى بالنزول للطابق الأرضي لكنها وجدت نفسها بالمنامة فتحركت لتبدل ملابسها .

ابتديت عمري النهاردة
نفسي أعيش لك من جديد
نفسي قلبك بس يرضى
حبي ليك عمال يزيد
دانتا حبك عندي دنيا

قلبي من غيرك وحيد

حين نزلت بسمة بعد قليل لم تجد أحد في بهو الفيلا فتحركت لتخرج للحديقة لتجد غنيم وسوسو يحتسيان القهوة فألقت عليهما التحية ليرد غنيم بمناغشة "يا صباح الحلويات .. الشيء الجيد الوحيد الذي فعله هذان الثوران في حياتهما أن منحاني قطعتي حلوى تطيلان العمر بالنظر إليهما "

اشتعلت وجنتي بسمة على غير عادتها فهذا الرجل يشعرها بالدفء كلما نظرت إليه وغمغمت بكلمات متلعثمة بالشكر جعلت سوسو تقول لزوجها بتوبيخ" كف عن المغازلة يا غنيم احرجت البنت"

سألت بسمة وهي تحضن نفسها بحركة دفاعية لتداري ارتباكا داخليا لا يظهر على ملامحها الجادة "قيل لي أن الجميع في المطعم

(ونظرت حولها) هل أخرج إلى الشارع للوصول للمطعم أم..."

قطعت حديثها مطلقة صرخة صغيرة حينما اقترب منها شهبندر واسرعت بالاحتماء خلف مقعد سوسو ليتدخل غنيم لينادیه بلهجة حازمة ويشير له فاستجاب الأخير وذهب إليه ملبيا بينما قالت سوسو ترد على سؤالها " لا يا بسمة هناك باب داخلي في الفيلا بعد المطبخ وبجوار غرفة الغسيل .. "

شكرتها بسمة واسرعت بالعودة للفيلا بخطوات مسرعة .. بينما غمغم غنيم بهدوء "هذه البنت لم تتخل عن تحفظها معنا بعد كما فعلت الجنية الأخرى "

بعد دقيقة من البحث متتبعة مصدر الصوت المنبعث لأغنية أخرى لوائل جسار دلفت بسمة للمطعم .

بكل مشاعري حبيتها

مشيت وياها سِكتها
ومش ندمان

في المطعم الخالي من الزبائن في هذا الوقت قبيل الظهيرة .. وقفت بسمة تتطلع حولها في المكان الأنيق المريح الذي يشبه مقاهي العائلات الراقية ..

لمحت كامل يقف عند واجهة المطعم الزجاجية يتحدث في الهاتف بينما ونس وشامل يقفان عند احدى الطاولات يتذوقان شيئا ما في طبق .

فجأة وقف أمام بسمة رجل أربعيني أشقر بملامح أوروبية قال لها بعربية ركيكة ذكرتها بإنجليزيتها وهي تحادث زيلا "نورت المكان يا هانم (وأضاف بلهجة عفوية) واو !..يا الهي!.. أنت بكل صدق من أجمل النساء اللاتي رأيتهن في حياتي "

تفاجأت بسمة بما قال في الوقت الذي جاء صوت كامل هادرا مرعبا "ديمتري !"
أجفل الأخير واستدار لكامل باندهاش بينما تحرك شامل ليصل لدميتري قبل وصول كامل الذي اقترب هو الاخر ليقول شامل لديمتري بالإنجليزية بلباقة" ما قلته غير لائق يا ديمتري "

حرك ديمتري مقلتيه نحو كامل ورفع كفيه في الهواء باستسلام يقول معتذرا " أنا آسف أنا لم أقصد الإساءة "
ألجم كامل غضبه وهو يقترب من بسمة التي تعاطفت مع حرج الرجل ليسحبها كامل بعيدا بينما قال شامل بهدوء "تعرف بأن العادات الشرقية تختلف عن الغرب ومن غير اللائق مدح امرأة تخص رجل أخر "

غمغم ديمتري بهدوء" أعرف أعرف بأنكم متعصبون بشأن نسائكم ..أنا فقط تحدثت الحقيقة فهي جميلة جدا "

تنحنح شامل يناظره بنظرة توبيخ فوضع ديمتري كفه على فمه ليكتمه ضاحكا فربت شامل على ذراعه بينما قال كامل لبسمة بعبوس" لماذا نزلت؟"

همست باستنكار" وهل لابد أن استأذن قبل نزولي؟! .. أنا ظللت حبيسة الغرفة فوق لكني فوجئت بأن ونس بالأسفل "

قال كامل من بين أسنانه وهو يتأمل شعرها الأسود المعقوص على شكل ذيل حصان للخلف وعينيها الفيروزيتين الرائعتين " كان من الممكن أن تخبريني قبل النزول "

هتفت بنفس الهمس وهي ترفع إليه ذقنها المزين بطابع الحسن "لماذا؟.. هل خرجت من البيت حتى أحتاج لإخبارك!!"

تدخل شامل لينهي الخلاف العصبي الهامس قائلا وهو يأخذ طبقا من أحد الطباخين "صباح الخير يا بسمة"

بعد ثوان متجمدة تتطلع في كامل بغيظ وتحد في عناق عيون كالمغناطيس بينهما استدارت بسمة تنظر لشامل بابتسامة خطفت قلب كامل الذي شعر بالغيظ من تلك النبرة الهادئة التي قالت بها" صباح النور يا شامل (ونظرت لونس خلفه)صباح الخير يا ونس"

لوحت لها الأخيرة بيدها التي تمسك بالشوكة بينما في اليد الأخرى طبقا يشبه الطبق الذي قدمه لها شامل قائلا" تذوقي هذه الحلوى وأخبريني برأيك صنع خصيصا للعرسان"

بامتنان أخذت بسمة منه الطبق بينما رفع كامل زاوية شفته العليا بامتعاض واستدار ليدخل خلف منصة طويلة.

تطلعت بسمة في الطبق لتجد قطعة مثلثة من الحلوى الطرية تشبه الكريم كراميل بطبقات ملونة بين البيج والبني وعليها خيوط سائلة باللون الأحمر لصوص الفراولة.

عاد شامل لونس يسألها مشيرا على الطبق الذي رسم بصوص الفراولة عليه قلبين متداخلين

"ما رأيك؟"

رفعت إليه عينين لامعتين بملامحها الساحرة وابتسامتها التي تزين فمها الواسع بين صدغين عريضين وهزت رأسها بإعجاب شديد وهي تتذوق طبق الحلوى فرفع لها شامل شعرها المموج عن وجهها وتطلع فيها بحنان .

داعبت رائحة البن أنف بسمة وحواسها متزامنة مع الأغنية الجديدة التي انبعثت من السماعات الداخلية للمطعم فتطلعت تبحث حولها عن مصدر الرائحة ثم اقتربت من تلك المنصة التي يقف خلفها كامل يفعل شيئا ما في ماكينة

عملاقة فطنت من الرائحة الخاصة بالبن بأنها لصنع القهوة .

وضعت الطبق فوق المنصة الأفقية وجلست على أحد الكراسي العالية أمامها بينما كامل يستدير لها بكوب صغير من الفوم عليه اسم المطعم (مطعم أهل ....) اسم احدى المدن في بلد غنيم نخلة والتي هي مسقط رأسه هو وأجداده.

بامتنان أخذت منه الكوب الصغير الذي يحتوي على نوع قهوتها المفضل الذي اكتشفته منذ فترة وجيزة.. فقربته من أنفها لتشتم رائحته أولا ثم رفعته لشفتيها الجميلتين ترشف القهوة المركزة باستمتاع وامتنان لكامل الذي وقف يتأملها على أنغام وغناء عبد الوهاب في الأجواء

كل دة كان ليه
لما شفت عِنية
حن قلبي إليه
وانشغلت عليه

تحرك صدر كامل بأنفاس حارة تزدحم بزخم مشاعر كثيرة ومتناقضة ..تشعره بالارتباك ..
وبأنه لا يعرف من أين يبدأ معها..
هل يعترف لها بمشاعره ؟..
لكنه لا يزال يجهل مشاعرها تجاه زوجها السابق ..
ماذا لو كانت لا تزال تحبه؟ ..
ماذا لو أذل نفسه بالاعتراف ليجد صدا منها أو استهانة؟!..
ماذا لو لم تتقبله؟ ..
أسئلة كثيرة ليس لها أول من آخر ..أسئلة كالأسواط تجلده ليلا وهو يصارع وحوشه

ليحتفظ بكلمة رجل قطعها على نفسه ..
أسئلة كالجحيم تعذبه ..
لتتمثل أمامه في الصباح .. بكامل حسنها
وبهائها وتلك النظرة الحزينة في عينيها ..
يراها بكينونتها أمامه فتمحو كل عذابه ليلا.
استعاد في ذهنه الكلمات التي خطها بقلمه في
غرفة الألعاب ليلة أمس فوجدها تصف حالته

.

أتدرين !
في عتمة الليل
بينما أصارع الوقت ووحوشي الجائعة
أرى عينيك كوكبين منيرين من فضة
وأراني على مرفأ شفتيك لاجئا.

في عتمة الليل
أغفو ثائرا لكرامتي ..

متمردا على قلبي ..
وأصحو مع مولد يوم جديد..
لأستقبل من نورك نهاري
ومن بسمة شفتيك سُكر قهوتي

أتدرين !
ما عدت أعرفني
فمنذ التقيتك احترفت الصبر
وبحثت خلف أيامي السابقة لأمحو أثر الزلات
ووبخت نفسي ..كيف لم التقيك منذ بداية العمر

رفع أنظاره نحو أخيه الذي كان يتطلع فيه لحظتها بنظرة شاردة .. فخاطبه شامل من بعيد فكريا" أنا قلق عليك وأخشى من انهيارك "

ظل كامل يحدق فيه لثوان صامتا ثم رد بنفس الطريقة الصامتة "أنا عالق في متاهة مشاعر عجيبة وأكاد أجن ولا أعرف حتى بداية الطريق "

فجأة تغيرت النظرة البائسة الجادة في عيني كامل وهو ينظر لشيء ما عند واجهة المطعم الزجاجية وتحولت إلى نظرة متسعة جعلت شامل يدير وجهه بالتبعية لتتسع عينيه هو الأخر وتسونامي تدخل عليهم بشورت رياضي ساخن بلون فاقع ينتهي فوق ركبتيها وبلوزة فضفاضة تسقط عن أحد كتفيها حتى نصف ذراعها الأبيض ثم خلعت نظارة الشمس ذات الفصوص اللامعة على الجانبين وهتفت بسعادة" العرسان !!"

هرش شامل في مؤخرة رأسه واختلس نظرة لأخيه يتحكم مثله في ابتسامة شقية تريد البزوغ في الوقت الذي استدارت بسمة بحدة

تتطلع بقرف في تلك التي دخلت المطعم تقول بصوتها العالي وهي تتطلع في التوأمين "يا ما شاء الله! يا ما شاء الله .. ما هذه الوسامة والجمال"

ناظرتها ونس بمقلتين مقلوبتين من رأسها حتى أخمص قدميها فاستدركت تسونامي قائلة "وبالطبع العروستين كقمرين .. أتعرفون... أنا أتعمد أن اتناول فطوري هنا في المطعم لأصطبح بهذه الوجوه الوسيمة "

تقدم منها ديمتري يشير لها بكفه لأن تتقدمه نحو إحدى الطاولات ..فبادرته بالقول وهي تضربه على صدره" أما أنت يا دِمِثْرَة فبسبوسة بالقشطة "

وضع ديمتري يده موضع الضربة عابسا وغمغم باللغة الروسية "لماذا تبادرني دوما بالضرب؟.. وماذا تعني بالقشطة؟ ..فأنا أعرف البسبوسة فقط !"

تركته تسوماني واقتربت من التوأمين تتأملهما ثم قالت لونس وبسمة " هل تستطيعان التفريق بينهما يا بنات؟.. أنا شخصيا كنت أفرق بينهما بواحد مبتسم والثاني جاد عابس (ومنحت كامل نظرة خاصة خاطفة وهي تضيف ببطء ولؤم) لكني أفضل الخطرين" أكلت الغيرة قلب بسمة وشعرت بأنها توشك على فقد السيطرة على نفسها وهذا لا تحبه .. لا تحب أن تشعر أحد بأنه قد استطاع استفزازها حتى لو كانت هذه الوقحة بينما علقت تسونامي وهي تحدج بسمة بنظرة حاقدة لم تستطع التغلب عليها" لون العدسات جميل .. لكن لو جربتي لون أكثر دُكنة وهدوءً أتوقع سيكون مناسب لك أكثر (ونظرت لكامل تضيف) إلا إذا كانت هذه طلبات العريس"

أنزلت بسمة ساقيها عن الكرسي العالي وهي تتطلع فيها بنظره متعالية من رأسها حتى أخمص قدميها وتحركت بوجه بارد وذقن مرفوع تترك المكان وهي تمسك بكوب القهوة مترفعة عن الخوض في مهاترات نسائية ليست من مستواها .. فتطلع كامل في ظهرها المغادر حتى عبرت الباب الموصل إلى داخل الفيلا بضيق بينما قالت تسونامي بلؤم تتصنع الاندهاش" هل تضايقت مني العروس؟(ونظرت للواقفين تضيف) لم أقصد بشأن العدسات أي شيء جارح قصدت أن أنصحها والله ... عموما أعتذر لأي سوء فهم "

قطع كامل حديثها حينما تكلم بلهجة جافة "ديمتري .. رافق الزبونة إلى إحدى الطاولات"

تحرك ديمتري يشير لتسونامي أن تتقدمه فقالت الأخيرة وهي تتحرك بمشية استعراضية

متبخترة "أجل يا دِمِترة فأنا سأموت من الجوع"

حاولت الجلوس على طاولة في واجهة المطعم لتكون أمام التوأمين لكن ديميتري أشار لها بإصرار أن تدخل للقاعة الداخلية فتبعته وهي تقول لتداري حرجها "ماذا ستقترح على لأفطر اليوم من تلك الأكلات الغريبة التي عندك يا دِمترة ؟"

تطلع شامل في كامل ذو الوجه العابس الذي استدار يولي الجميع ظهره واستشعر مزاجه العكر بينما نقرت ونس بإصبعها على ذراع شامل ثم أشارت بعينيها على هاتفه فأخرجه الأخير من جيبه ليجدها قد كتبت له" من هذه المرأة المستفزة؟.. كيف لا تعرفانها وهي تتصرف بهذا الشكل الوقح ؟"

أعاد شامل الهاتف لجيبه ثم وضع كفه على ظهرها ليحثها على الحركة قائلا "هيا لنعود

للفيلا يا ونس ولا تشغلي نفسك بها ..هي مجرد زبونة تسكن في الفيلا المقابلة وعلينا التعامل مع كل أنواع الزبائن"

ناظرته بنظرة ممتعضة وهي تتحرك معه بينما قال شامل لكامل" أنا وونس سنخرج للتنزه ثم سنمر على المعهد الذي قدمت لها فيه لنعرف تفاصيل الدراسة أما موعد الطبيبة فقد تأجل إلى يوم الخميس .. هل تحب أن تأتي أنت وبسمة معنا ؟"

رد كامل باقتضاب دون أن يستدير إليه" في حفظ الله"

تطلع الأخر فيه لثوان لا يعرف كيف يساعده ثم زفر بضيق وأسرع ليلحق بونس .

××××

بخطوات متلكئة مرت من أمام بيته والحزن يعتصر قلبها .. لقد وقع عليها الخبر بصدمة

كبيرة .. ولم تستوعب ما يقوله الناس منذ الصباح ..
جابر طلق كاميليا !!.. وتم نقل كل حاجياتها من بيته !!.. تجاوزت البيت شاردة تفكر .. ألهذا كان حزينا بشدة وهو يخرج لصلاة الفجر !..
كتفت ذراعيها تطحن ضروسها وهي لا تزال تحدق في الأرض الترابية تحت خطواتها .
"حسبي الله فيك يا بنت العسال احزنتيه "..
دخلت أم هاشم من بوابة بيتها ووقفت بجوارها تقضم شفتيها وتقول لنفسها بغيظ"
ليتني أستطيع أن أذهب إليها لأضربها علقة ساخنة بنت العسال وأعيدها لتعتذر للغالي وتطلب منه السماح "
وضربت على جانبيها وعقلها يقارب على الشتات وغمغمت "والله لولا أنهم سيقولون ما دخلك أنت لكنت ذهبت إلى تلك الذبابة الخضراء ولقنتها درسا حتى تعود إليه"

تذكرت ما تناقلته ألسنة أهل البلدة طوال اليوم بأن جابر سيجلس مع آل العسال يوم الجمعة للاتفاق على مؤخر الصداق والنفقة ..ثم أمسكت ذقنها بأصابعها بوقفة معوجة تضع قبضة اليد الأخرى في ظهرها وقالت غاضبة "مؤكد سيرد بنت العسال يوم الجمعة ..بالتأكيد سيسعى أهلها للصلح بعد أن تكون قد قرصت من أذنها بطلاقها"

وغمغمت بحزن شديد وهي تتذكر وجهه الحزين اليوم عند الفجر " يا لهف قلبي عليك يا جابر وعلى حظك (نظرت للسماء) يا رب لا أعرف هل احسبن عليها لما فعلته في حقه أم أدعو لها بالهداية لتعود إليه فيفرح قلبه "

وعادت تفكر ثم قالت بحرقة قلب "هداك الله يا بنت العسال .. هداك الله له .. اسعد قلبه يا رب .. اسعد قلبه فأنت الحنان المنان .. لقد تعب وشقي في عمره فلا تشقيه بِبُعد تلك

الذبابة الخضراء عنه (وضربت على فمها)
استغفر الله العظيم .. سامحني يا رب لكنها
تذكرني بالذباب الأخضر المقرف لكن ماذا
نفعل ملكت قلب الغالي اهدها له يا كريم "
"هل تحدثين نفسك يا أم هاشم؟!!"
انتفضت الأخيرة مفزوعة وأمسكت بصدرها
وهي تقول "أفزعتني يا عماه!!"
قال يحي مستفسرا" ماذا تفعلين بوقفتك هذه
تحدثين نفسك!"
غمغمت تداري ضيقها "لا شيء كنت فقط
احسب حسبة تخص المشروع ..هل
ستخرج؟"
رد يحي بإيماءة من رأسه ثم أضاف" أنا أبلغت
محسن بأننا سنرد عليه يوم الجمعة القادم
بشأن طلبه"

بذهن شارد هزت أم هاشم رأسها تتجاوز عمها لتدخل فلحقها الأخير بصوته قائلا" لا نريد أن نتأخر عن الجمعة يا أم هاشم فلا يصح"
ردت أم هاشم وهي تدخل باب البيت الداخلي" الله المستعان (ثم غمغمت في سرها) ومن له ذهن للتفكير في الزواج الآن والغالي بهذا الحزن!
.. (وأضافت بغيظ) حرق الله دمك يا بنت العسال كما حرقت دمي "

xxxx

بعد العصر

تطلعت سوسو من بعيد من جلستها في إحدى الغرف المفتوحة على البهو إلى كامل الذي دخل للتو من المطعم ثم قالت لغنيم الذي يقرأ في كتاب" هذا الولد به شيء غريب"
رفع غنيم أنظاره فوق النظارة المعلقة على أنفه ثم نظر لكامل وسألها "ماذا تقصدين؟"

قالت سوسو بتدقيق "لا أعرف ..أشعر به قلقا وعصبيا أكثر من اللازم وأحسه تائها .. اليوم قضاه بالمطعم وزوجته بغرفتها لم تنزل إلا وقتا قصيرا في الصباح .. كيف لعريس أن يترك عروسه كل هذه الساعات وحدها في أول أسبوع من الزواج!"

رد غنيم بلهجة مطمئنة رغم احساسه بنفس مشاعر زوجته" أنت فقط من تفكرين كثيرا .. المطعم كان به أكثر من موضوع بحاجة لترتيب وشامل كما رأيت أخذ عروسه وخرج لذا كان على كامل أن يقوم بالأمر وحده"

لم تشعر سوسو بالراحة رغم ما قاله زوجها في الوقت الذي نزلت بسمة للدور الأرضي فتواجهت مع كامل الذي انتهى للتو من مكالمة هاتفية يتلقى التهاني من بعض المعارف ووقفت عند أخر درجة من درجات السلم تتأمله .

اقترب منها وسألها بهدوء" هل كل شيء تمام؟"
هزت رأسها ثم سألته" لماذا لم تصعد لتنام
تبدو مجهدا ؟"
كان يتمنى أن يجيب (حتى أنام كالصخرة حينما
أصعد فلا أشعر بوجودك) لكن كرامة الرجل
فيه أبت الاعتراف لها بتأثيرها عليه فقال
بهدوء" كان هناك بعض الأمور في المطعم عليّ
متابعتها بنفسي لأن شامل خرج مع ونس"
ساد الصمت وكلاهما يتطلع في الأخر فلم تجد
بسمة ما تقوله لتفتح مجالا للحديث وهي
تشعر به صامت بعكس يوم الصباحية فقالت
" أنا أريد أن أسجل في مدرسة لتعلم قيادة
السيارة "
عقد حاجبيه وهتف" قيادة السيارة!!
..لماذا؟!!"
هزت كتفيها وردت "أريد أن أتعلم"

رد مجادلا " وما الحاجة لذلك؟.. لدينا سائق نستدعيه عند الحاجة .. وأنا موجود وشامل"
عقدت ذراعيها أمام جذعها وردت بإصرار "لكني أريد بشدة أن أتعلم قيادة السيارة يا كامل .. أريد أن أنمي مهاراتي حتى لو لن استخدمها "
قال بحدة "وهل تتوقعين مني أن أوافق أن يعلمك رجل غريب قيادة السيارة ؟"
قالت بغير استيعاب "اعتقد بأنه هناك سيدات يعلمن القيادة وبالتأكيد هذه المدينة بها أكثر من مدرسة لتعليم القيادة "
زم شفتيه وقال وهو يضع يديه في جيبيه" ما دمت تريدين التعلم فأنا من سيعلمك "
رفعت حاجبا وردت ساخرة "أنت!"
انقلبت مقلتيه وقال مناكفا" هل لديك اعتراضا يا باشمهندسة باسمة !"
اشتعلت وجنتيها ..لكنها احتفظت بجدية ملامحها وهي تشيح بنظراتها بعيدا عنه بينما

قلبها يعاني انفجارا في ضربات القلب فقالت بلهجة متهكمة "أخشى فقط أن آخذك من معجباتك"

هرش في أرنبة أنفه ورد بنظرة متفحصة "وهل هذا يضايقك ؟"

عادت تنظر إليه لتسأله بعبوس" ماذا تقصد؟"

مال عليها واضعا يديه في جيبي بنطاله يتطلع في وجهها قائلا ببطء" هل .. يضايقك .. وجود المعجبات من حولي؟"

رمشت بعينيها الجميلتين عدة مرات تداري ارتباكا داخليا ثم ردت بعناد وهي ترفع له ذقنها الجميل" لا .. لا يضاقني .. عليك فقط أن تحافظ على شكلنا أمام الناس .. فكما تطلب مني أن أتقن الدور .. عليك أنت أيضا بعمل ذلك "

احتفظ بوجه بارد رغم مرارة الشعور وظل يحدق فيها وذلك الجحيم الذي يبيت فيه ليل نهار يشتد استعارا .

جحيم التفكير في تفاصيل علاقتها بزوجها السابق.. وأسباب الطلاق .. وتلك الأسئلة التي لا يجد لها إجابة ؟

لماذا لم يكن هو أول وآخر زوج لها؟ ..

لماذا أوقعه الله في حبها ليتلظى بنار الغيرة وهو يتخيل امرأته في أحضان رجل أخر حتى لو كان حلالها؟! ..

لماذا كتب الله عليه هذا الشقاء وهو وحده يعلم أي جحيم يعيشه ؟

من باب الفيلا دخل شامل وونس ففضا بدخولهما جمود تلك الوقفة عند نهاية السلم .

دخلت ونس تمسك ببالون كبير من الهليوم على هيئة قلب أحمر بينما شامل يحمل بعض

الأكياس الأخرى تحمل أسماء محلات شهيرة للأزياء والاكسسوار .. فبادرهما كامل قائلا بلهجة متهكمة " عدت بها من روضة الأطفال "؟

عبست ونس في وجهه ثم أخرجت هاتفها وبحثت عن رقمه الذي لم تستخدمه من قبل وكتبت له " الحقيقة اشفق على بسمة المسكينة فليس لديها من يدللها ويشتري لها قلب أحمر كبير كهذا "

أشار له شامل أن يتفحص هاتفه فقطب كامل وأخرجه من جيبه بينما حشرت بسمة رأسها معه لترى ماذا أرسلت له قبل أن تبتسم وترفع رأسها لكامل الذي ابتسم ابتسامة صفراء مستخفة لتضيف ونس "واشتريت أيضا.."

وفتحت أحد الأكياس وأخرجت علبة ضخمة جدا .. تحتوي على عدد كبير جدا من أقلام التلوين بتدرجات تفصيلية لكل لون ووقفت

تعرضها على الجميع بسعادة جمة فغمغم كامل بنفس اللهجة المتهكمة "لم أخطئ حين قلت أحضرها من روضة الأطفال ..هيا يا باسمة قبل أن يقيم لها أرجوحة في بهو الفيلا .. هيا أريد أن أنام"

ابتسمت بسمة وقالت لونس "رائع يا ونس ستبدعين بهذه الألوان "

قالتها وهي تصعد خلف كامل الذي نظر لونس من فوق السلم بإغاظة فتطلعت فيه بامتعاض .

سألها شامل "هل تضايقك مناكفة كامل لك؟"

هزت رأسها بلا ثم كتبت على هاتفها" لكني أخشى أن يكون لا يحبني "

قهقه شامل وقال موضحا "العكس تماما .. كامل أخي لو كنت شخصا عاديا لما أبدى نحوك أي اهتمام .. كامل يعامل من لا يعنونه بتجاهل وبرود تام .. لكن مشاكسته المتعمدة

لك دليلا على دفء مشاعره تجاهك وأنا لولم استشعر هذا جيدا لما تركته يناكفك ..(وأقترب منها يقول بصوت أخفت) كما أن جزءا من مشاكستك غيرة منك"

عقدت حاجبيها بعدم فهم فأوضح" كامل يغار منك لأنك تستحوذين على اهتمامي.. كامل متعلق بي بشدة ويغار منك على توأمه .. لكن كرامة الرجل فيه لن تعترف بصبيانية شعوره .. "

اتسعت عيني ونس ثم ضحكت فقال لها غامزا" هيا لنسلم على أبي وأمي ثم نصعد لنجرب ما اشتريناه "

قالها وهو يسحبها من يدها خلفه وهي تكتم الضحك .

xxxx

بعد يومين
ظهرا

قالت سوسو وهي تتطلع عبر النافذة" لا أفهم لماذا خرج شامل وونس في يوم كهذا كان من الممكن التأجيل"

رد غنيم بهدوء" كما قال لك الموعد تأجل أكثر من مرة مع طبيبة السمعيات ولم يجدا مفرا من الذهاب اليوم "

عادت لتتطلع عبر النافذة في الأجواء المصفرة بالخارج والتي تنذر بهبوب عاصفة رملية يحذر منها خبراء الطقس منذ أيام وقالت" حتى الرؤية متعذرة كيف سيقود السيارة بهذا الشكل ؟!"

قال غنيم مطمئنا "الطقس كما قيل في نشرات الأخبار لن يزداد سوءً إلا من بعد العصر فلا تقلقي يا سوسو واجلسي بالله عليك لأني بدأت أتوتر أنا الأخر"

غمغمت سوسو بقلق "سلم يا رب سلم"
نزلت بسمة من الدور العلوي وتطلعت في ظهر كامل الذي يقف أمام إحدى نوافذ الفيلا بصمت يديه في جيبي بنطاله..
إن الوضع بينهما يزداد صمتا .. تشعر به يتحاشى التعامل معها .. كالعادة يبيت في غرفة الألعاب ويدخل في الصباح ليلقي بنفسه على السرير مجهدا من السهر فينام حتى الظهيرة ثم يقضي وقته بالمطعم متعللا بانشغال شامل بعروسه .. لكنها تعرف بأنه يقلل فترات التواجد معها في مكان واحد .. فقط يصعد ليأكل معها بالغرفة فلا يزال الطعام يصل إلى العرسان في غرفهم .. فيتناولان الطعام في صمت أو يتشاكسان كعادتهما .
صمته وغموضه يصيبانها بالجنون على عكس ما كانت تتوقع .. بل إنها أحيانا تشعر بالحنق

حينما تفكر بأنه لا يحاول تحين أي فرصة لأي مغازلة من رجل لامرأة .

نهرت نفسها على هذا التفكير المنحرف فهي تعلم جيدا بأنه لو كان قد ألمح لذلك لأغضبها .. فعلى أي أساس سيرغب في علاقة جسدية بينهما بدون أي عاطفة أو حتى التزام منه بالعيش معها طوال العمر! .

قالت في سرها وهي تنظر حولها بنظرات حائرة" فيم تفكرين أنت الآن يا بسمة؟.. أهذا وقته أم أن هرموناتك تلعب في رأسك .. عليك بإيجاد حل لهذا الموقف السخيف الذي وضعت نفسك فيه "

أدار كامل وجهه وتطلع فيها وكأنه قد أحس بوجودها.. وراقبها من بعيد عند السلم تنظر حولها بشرود فعقد حاجبيه بينما تحركت بسمة نحو حمويها في غرفة الجلوس تلقي التحية .

رد غنيم مداعبا" هلت علينا جميلة الجميلات "

ابتسمت بحرج فقال مشاكسا وهو يتبادل النظرات مع سوسو" كيف تتركين هذا الولد يقضي نهاره بعيدا عنك ؟.. أم أنك تعاقبينه على شيء ما بطرده من الغرفة ؟"

تأتأت بسمة وهي تختلس نظرة سريعة لكامل الذي يقترب ثم قالت بابتسامة محرجة لتدافع عن نفسها" أنا .. أبدا .. بل هو المشغول عني في أمور المطعم "

أيدها كامل وهو يقف بجوارها ويلف ذراعه حول ظهرها" ألا يكفي بأني مشغول عن زوجتي في المطعم بينما ابنك الأخر غارق في العسل ويترك كل شيء فوق رأسي!"

رد غنيم موجها الحديث لبسمة" المطعم بالفعل كان به ضغطا كبيرا طوال الأسبوع لكني لم أتوقع أن يأخذها كامل على عاتقه.. ظننته

سيتحجج مثل أخيه بالزواج ويتركني أنا غارقا فيها "

غمغم كامل معترضا "سامحك الله يا أبي "

استمر غنيم في حديثه مضيفا بنظرة متفحصة للواقفيّن أمامه" لكن اليوم بالذات ومع هذه الأجواء العاصفة والمطعم مغلق ..ظننت بأنه لن ينزل من غرفته"

فهم كامل شكوك والده خاصة مع تلك النظرة المتفحصة التي يناظرهما بها ومن ملامح والدته أحس بأن هناك ما يدور بينهما من تساؤلات فشدد من ضم بسمة إليه وكأنه يثبت أن الأمر بينهما طبيعيا وقال "كلامك صحيح يا أبي وهذا ما كنت أظنه أنا الأخر لكن ماذا أفعل بابنك الذي أصر على الذهاب للطبيبة في هذا الجو الغريب فقلقي عليه أفسد عليّ ماكنت أخطط له مع باسمتي "

قالها وأنزل نظراته إليها يقول" أليس كذلك؟"

رفعت أنظارها نحوه ورأسها مسندا على صدره مجبورة ولم تجد ما تقوله.. فقط تشعر بدفء جسده الرجولي الملتصق بها.. في الوقت الذي هتفت سوسو بقلق وقد عادت لسيرة شامل

"لماذا تقلقونني عليكم دوما لا أفهم "

سأل كامل بسمة بهمس "هل أنت بخير ؟"

السؤال داعب هرموناتها المائلة للكأبة في هذا الوقت من الشهر فشعرت بأنها على وشك البكاء لكنها تماسكت حتى لا تبدو مجنونة أمامه وأومأت برأسها فقال وهو يقاوم مشاعره التي اهتاجت بضم جسدها الطري إليه "حسنا هيا لنصعد بالأعلى كما ترين أصبحنا مصدرا للشكوك "

تركها وأضاف "سأحاول أولا الاتصال بهذا الغبي لأطمئن بأنه قد وصل للعيادة "

ابتعد قليلا فنظرت بسمة لسوسو وشعرت بحرج شديد من سؤالها عما تريد ..ليس فقط

لأن العم غنيم موجود فتستطيع أن تنتحي بها جانبا ولكن لأنها تشعر بالحرج من سؤالها عن شيء كهذا ..فالعلاقة بينهما لا تزال جديدة ورسمية.

تركت الغرفة وتطلعت في كامل الواقف عند النافذة يوليها ظهره ويتحدث في الهاتف وسألت نفسها" ماذا سأفعل الآن في هذا الموقف المحرج ؟"

لقد فاجأتها عادتها الشهرية في غير موعدها و لم تحضر معها أيا من الفوط النسائية .. لم تجد سببا لذلك وهي ذاهبة للعاصمة التي تحتوي على كل شيء لكن لحظها التعس تفاجأت بها اليوم قبل موعدها.. وما زاد من موقفها تعقيدا أن ونس ليست موجودة لتستعير منها .

ماذا ستفعل الآن ..وماذا لو انتظرت حتى عادت ونس ثم تفاجأت بأنها الأخرى ليس معها منها وازداد الطقس سوءً بالخارج .

بدأ نشاط الرياح يزداد فازداد قلق سوسو لكن كامل قال لوالديه بصوت عال بعد أن اغلق الهاتف" شامل وونس بخير وينتظران الدور عند الطبيبة "

تطلعت فيه بسمة بحرج وهو يقترب منها متفحصا ثم سألها" ما بك تحومين في المكان بتوتر منذ أن نزلت؟"

تقبضت وسألته ببرود متعمد "هل لديك رقم صيدلية ؟"

عقد حاجبيه وسألها" لماذا ..ماذا تريدين .. هل أنت مريضة ؟"

بلعت ريقها وردت" لا لا مجرد صداع فكنت أريد أن ابتاع مسكنا هلا أعطيتني الرقم ؟"

رد كامل " أنا لدي حبوبا مسكنة بالأعلى تعالي لأعطيك واحدة "

أسرعت بالقول تداري شعورها بالحرج "لا أنا أريد نوعا معينا هو ما أنا معتادة عليه"

سألها بإصرار مماثل "ما اسمه أخبريني ..عندي أكثر من نوع"

قالت بغيظ وقد أغاظها إصراره "لا ..أريد رقم الصيدلية يا كامل وأنا سأطلبه بنفسي "

عقد حاجبيه في الوقت الذي سمع صوت الرياح بالخارج فقال وهو ينظر للنافذة "وهل تعتقدين بأن هناك من سيوصل لك مسكنا في هذه الأجواء ؟.. إن أقرب صيدلية على بعد كبير خارج منطقة الفلل "

قالت بإصرار وهي تخرج هاتفها "اعطني إياه لنجرب"

أخرج هاتفه وقال بعناد" أخبريني باسمه وأنا سأطلبه لك "

لم تجد ما تقوله سوى أن رفعت إليه وجها أحمرا تقول بلهجة حادة وهي تداري حرجها "اعطني الرقم يا كامل أنا أملك لسانا لطلب ما أريد "

راقبت تغير وجهه من العبوس للتسلي فاشتعلت وجنتاها تشتمه في سرها بغيظ بينما أملاها كامل الرقم وهو يناظرها بنظرة ماكرة وتلك الابتسامة المتسلية التي تستفزها تزين شفتيه .

أسرعت بالاستدارة توليه ظهرها بمجرد أن حصلت على الرقم وابتعدت عدة خطوات وهي تطلبه .. لكنها لم تجد ردا فعاودت الاتصال مرة أخرى لتجد الرقم قد اصبح غير متاح فزفرت بغيظ واستدارت لتتفاجأ بكامل خلفها مباشرة حتى كادت أن تصدم به .

سألها وتلك الابتسامة على زاوية شفتيه "اخبريني باسم النوع الذي تريدينه وأنا سأخرج لأحضره لك "

جزت بسمة على أسنانها وهمست لنفسها وهي تتطلع في ملامح وجهه المتسلية "ينتعش عند ذكر الوقاحة .. معنوياته ترتفع حينما تأتي سيرة قلة الحياء"

تكتفت أمامه تقول بلهجة متهكمة" وهل تخفى عليك الأنواع !"

لاحت نظرة مفاجئة في عينيه مختلطة بالصدمة قبل أن تنقلب ملامحه فجأة ليقبض على ذراعها قائلا بانزعاج شديد "حتى لو كنتُ كما تتصورين لي باعا مع النساء لست متبحرا في أمورهن الخاصة ولست متفرغا للحديث عن تلك الأمور مع إحداهن "

بلعت بسمة ريقها فترك ذراعها يقول وهو يوليها ظهره ويبتعد "سأبتاع لك ما سأجده أمامي في السوبر ماركت "

اسرعت لتلحق به قائلة "كامل"

استدار إليها لتقول شاعرة بالضيق لإزعاجه "أريد أن أذهب معك "

اتسعت عيناه ثم هتف" في هذا الجو الغريب!! .. ابقي مكانك ولن أغيب "

امسكت بذراعه تقول بإلحاح" أريد أن اذهب أنا لأشتري ما أريد بنفسي أرجوك .. ها هي ونس مع شامل بالخارج"

مط شفتيه وناظرها بتردد ثم قال وهو يتفحص ما ترتديه .. بنطال من الجينز وبلوزة طويلة نسبيا وشعر مربوط للخلف على شكل كعكة

ثم أشار لها لتتبعه متجها إلى داخل الفيلا وليس خارجها فتعجبت ولحقت به .

في طريقهما مرا بشهبندر الجالس في ركن ما في الفيلا فمال عليه كامل يربت عليه ثم قال له بتحذير" اجلس بأدب وإلا ستطردك سوسو هانم من الفيلا في هذا الجو .. لقد اقنعناها بصعوبة بمبيتك في الداخل اليوم "
ابتعدت بسمة عن شهبندر بتوجس بينما قال كامل له" أدب "
فأحنى الكلب رأسه ليقول كامل " هدوء "
فجلس الكلب على أربعة ليضيف كامل "مسْكَنَة "
فانقلب الكلب على ظهره .
ضحكت بسمة فاستدار لها كامل مبتسما ثم دخل من باب داخلي بجوار الباب الموصل للمطعم وتبعته لتجد نفسها في مرآب به سيارتين غير السيارة الضخمة التي كانا يسافران بها ..

غمغمت بسمة وهي تتبعه في المرآب المظلم نسبيا وصوت الرياح قوي بالخارج رغم سخونتها "لم أكن أعلم بأن هناك مرآبا للفيلا وله باب داخلي أيضا "

فتح لها كامل باب السيارة ثم ركب هو في مقعد السائق وخلال ثوان كانت تخرج على ممر معبد لخروج السيارات بين حديقة الفيلا والمطعم .

كان الجو حارا والرياح الساخنة المحملة بالرمال قد لونت الأجواء باللون الأصفر وجعلت الرؤية متعسرة بعض الشيء على بعد أمتار من السيارة بينما قوة الرياح واضحة للعين المجردة من حركة الشجر .

شعرت بسمة ببعض الرهبة وبرغبة في الانكماش وتطلعت فيه بجوارها تطمئن نفسها وهي تتأمل تفاصيله الرجولية خلف عجلة القيادة ثم سألته "هل المكان قريب؟"

رد دون أن ينظر إليها مركزا في الطريق أمامه
"الصيدلية بعيدة نسبيا لكن هناك سوبر ماركت قريب من هنا .. لقد ذهبنا بالسيارة بسبب الجو (وبحث في جيوبه قائلا) يبدو أني نسيت نظارتي "
تطلعت فيه بقلق وهو يدقق في الطريق مضيقا عينيه قبل أن يختلس لها نظرة سريعة قائلا بلهجة متسلية" هل تشعرين بالخوف ؟"
ردت بصدق وبدون تفكير" لا "
عاد يحدجها بنظرة سريعة ثم عاد للطريق وهو يقول" هل هذا ثقة فيّ أم عدم اعتراض على الموت معي؟"
أجفلهما كيس يطير في الهواء وقف قليلا على زجاج السيارة الأمامي قبل أن يطير مجددا فقالت بسمة "بعيد الشر ..ركز في الطريق يا كامل وكف عن المناكفة "
فاتسعت ابتسامته وغمغم" جبانة !"

××××

تأمل شامل ما يحدث بترقب شديد والطبيبة تختبر سمع ونس التي تقف في غرفة زجاجية وعلامات التركيز شديدة على وجهها وهي تشير للطبيبة أي من الأصوات سمعت وما الذي لم تسمعه .. بعدها طلبت منها الطبيبة ارتداء سماعاتها ثم أعادت الاختبار .. لكن ما كان يقلق شامل ذلك التعبير المتعجب الذي يلوح على وجه الطبيبة قبل أن تنتهي من الاختبار وتطلب من ونس الخروج ثم تعود لتجلس خلف مكتبها .

استقبل شامل زوجته بابتسامة مشجعة وأجلسها على الكرسي المواجه له أمام مكتب الطبيبة ثم سأل الأخيرة "طمئنينا يا دكتورة هبة"

قالت الطبية "قياس السمع عند ونس اظهر أن ضعف السمع لديها من النوع المتوسط..

والحقيقة أشك في أنه قد تم قياسه لها وهي صغيرة بشكل دقيق .. كما أنني أتوقع بأن السماعة التي ترتديها بعيدا عن كونها من طراز قديم أرى انها ليست مناسبة لها أو بمعنى أصح مضبوطة على مقياس سمعها "

اتسعت عيني ونس لتضيف الطبيبة وهي تخرج كتابا يبدو قديما نسبيا من مكتبها وتضيف" سأشرح هنا حتى لا نضطر أن نستعير سماعة ونس"

وبحثت عن صفحة معينة أظهرت صورة سماعات ونس وهي عبارة عن جهاز خارجي يثبت خلف الأذن كبير نسبيا وبه ما يشبه خرطوم مطاطي في نهايته سدادة كسدادة الأذن وأضافت" كما أني أرى أن الجزء المطاطي الذي يثبت في داخل الأذن والذي يؤخذ له مقاسا ثم يصمم على حسب قالب الأذن أراه غير مناسب

مع أذنها وهذا بالتأكيد أثر كثيرا على تلقيها
للأصوات حولها "
قاطعها شامل " لا تؤاخذيني يا دكتورة فأنا
أحاول الفهم ..هل تخبرينا بأن سماعتها طول
هذه السنين بها شيء غير دقيق في القياس وفي
قالب الأذن ؟!"
أومأت الطبيبة تقول" أجل بالإضافة لأن
السماعات وخاصة الأنواع القديمة تحتاج
لزيارة للطبيب بعد تركيبها أكثر من مرة
لضبطها على الأذن حتى يصل المستخدم لها
إلى درجة الراحة في سماع الأصوات وكما فهمت
من ونس قبل الكشف عليها بأنها لم تقم إلا
بزيارة واحدة لأول سماعة وضعتها ولم تعد
للطبيب لضبطها حينما لم تشعر بالراحة"
أخرجت ونس دفترها وكتبت " لأن الطبيب
كان بأحد المستشفيات المجانية بالعاصمة
وكان المشوار طويلا جدا ولم أرغب بأن أشق

على أبي ولم أكن أعلم بذلك ..فلم يخبرنا أحد بأن علينا ضبط السماعة ظننت بأني سأرتديها وأسمع فقط "

قرأت الطبيبة ما كتبته ونس وهزت رأسها متفهمة بينما سألها شامل" هل تعتقدين يا دكتورة هبة بأنها لو كانت ارتدت سماعات مضبوطة كانت تحسنت حالتها ؟!"

ردت الطبيبة وهي تنظر لونس" حالة أذنيها حالة مزمنة لن تتحسن بالعلاج.. لكن بالتأكيد هناك أمور كثيرة كان من الممكن أن تختلف في حياتها وفي استيعابها لما حولها لو كانت ترتدي السماعات الصحيحة وخصوصا فيما يخص الكلام فحالة ضعف السمع لديها متوسطة.. هناك أشخاص لديهم ضعف سمع شديد واستطاعوا بعد مجهود كبير من الأهل التواصل عبر الكلام صحيح ليس بإتقان

الأشخاص الطبيعيون أو حتى متوسطي السمع
لكنهم فعلوها "
تبادل شامل النظرات مع ونس المصدومة ثم
سألها "وماذا بشأن الكلام يا دكتورة هل
ستستطيع التحدث ؟ "
خلعت الطبيبة نظارتها ووضعتها على المكتب
وعادت بظهرها لتستند على المقعد خلفها ثم
قالت" موضوع الكلام هذا به بعض الغموض ..
من المفترض أن ضعف السمع عندها متوسط
وكما فهمت من ونس قبل الكشف بأنها كانت
طفلة طبيعية حتى سن الرابعة وبأنها كما
وصفت كانت قليلة الكلام ربما لعيشها في بيئة
أحادية مع والدها فقط لكن كانت تنطق ببعض
الكلمات البسيطة وبأنها بعد تلك الوعكة
الصحية التي أصابت أذنيها وفقدها القدرة على
السمع إلا للأصوات العالية توقفت عن النطق

لكن السؤال هو .. هل حاولت يا ونس النطق بعد وضع السماعات ؟"

ارتبكت ونس ثم كتبت "حاولت لكني فشلت .. فكل مخارج الحروف كانت صعبة ولساني كان ثقيلا كما أنني..."

توقفت عن الكتابة تشعر بالاستياء فعقدت الطبيبة حاجبيها ونظرت لشامل الذي أضاف موضحا" تعرضت للتنمر من زملائها في المدرسة "

هزت الطبيبة برأسها متفهمة ليسألها شامل بإصرار ولهفة "هل ستستطيع التحدث يا دكتورة؟"

تعلقت عيون ونس وشامل بالطبيبة التي صمتت قليلا تجمع المعلومات أمامها ثم قالت شارحة "مركز الكلام في المخ إذا لم يتم استعماله في السن الصغير يحدث له ضمور ..لكن ما دامت كانت طفلة طبيعية حتى سن

أربع سنوات أي استقبلت الكلمات وخزنتها ونطقت بضع كلمات فالأمل موجود ..لكن أعتقد بأنه يحتاج لإرادة قوية من الممكن أن أوصي لكما بأخصائية تخاطب لاستشارتها (وتوجهت لونس تقول) ألا تستطيعين نطق أي كلمة ؟"

اختلست ونس النظر لشامل ثم كتبت بعد تردد" بعض كلمات مبتورة الاحرف أبدو في نطقها كالبلهاء "

عقد شامل حاجبيه ثم تبادل نظرات مع الطبيبة وقد فطنا لأنها تشعر بالحرج من المحاولة فلم تعقب الطبيبة وقالت "على أية حال كما قلت الأمل موجود لكنه سيحتاج لإرادة قوية ..أعرف أطفالا ولدوا ضعاف السمع من النوع الشديد واستطاعوا بالتدريب وبإرادة والديهم أن يصلوا لمستوى لا بأس به من

النطق والتواصل مع الأخرين (ونظرت في عيني ونس تضيف) المهم الإرادة يا ونس"
سألها شامل" وماذا سنفعل بالنسبة للسماعات؟ .. بالتأكيد هناك أنواع أكثر تطورا من سماعتيها الحاليتين"
ردت الطبيبة " بالتأكيد هناك أنواع وماركات.. والأسعار تختلف من ماركة لأخرى حسب الإمكانيات بالطبع"
قال شامل بتأكيد "نريد الأحدث وبأي مبلغ"
وضحت الطبيبة وهي تفتح كتالوجا من فوق المكتب "إذن سأرشح لكما اسم ماركتين أو ثلاثة .. سأشرح لكما الإمكانيات ولتختاروا منهم ما يناسبكم (ونظرت لونس تضيف بابتسامة) أتوقع بأن حياتك ستتغير يا ونس .. أولا سنضبط لك ما يناسب ويحسن سمعك بنسبة كبيرة جدا ثانيا السماعات الحديثة أصبح لها تقنيات ممتازة تستطيعين التحكم

فيها .. وتستطيعين سماع الأغاني والموسيقى دون صعوبة والتحكم في الأصوات من حولك عما إذا كنت تريدين سماع محدثك فقط دون الأخرين أم سماع الجميع .. سيكون معك ما يشبه بريموت صغير للتحكم في كل شيء من حولك وتغيير وضع السماعة ليناسب ما تريدين سماعه .. وستلتقطين الأصوات الحقيقية دون تشويش أو مضايقة أو تقطع بإذن الله وستوصلين السماعة بالهاتف الذكي وتضبطيها منه .. لقد أصبح هناك طفرة حالية في هذا المجال وكل يوم هناك الأحدث"

اتسعت ابتسامة ونس ونظرت لشامل بتأثر فمد يده ليحضن كفها سعيدا جدا وقال للطبيبة" أبلغينا بالأنواع المرشحة وسنختار فورا "

تأملت ونس وقلبها يدق بعنف شرح الطبيبة في الكتالوج لتفاصيل كل نوع في سعادة غامرة

وانبهار حقيقي بالإمكانيات .. لكن المبلغ المخيف الذي ذكرته الطبيبة صدمها بشدة خاصة حينما اختار لها شامل السماعة الأغلى ثمنا والأكثر إمكانيات جعلها تشعر بأنها في حلم .. حلم كبير .. حلم صعب التصديق ..
لكنها اعترفت لنفسها بأنه بعد تحقق حلمها بالزواج من شامل لم يعد هناك صعبا للتحقيق أمام إرادة الله .

××××

في ذلك السوبر ماركت الشهير وصلت بسمة بعد اختيار بعض المستلزمات الأخرى للرفوف التي كانت تبحث عنها .. وقبل أن تقترب منها استدارت لكامل الذي يدفع خلفها عربة التسوق ويتتبعها خطوة بخطوة وقالت له بحرج" هل ستظل تتبعني هكذا؟"

تراقصت الابتسامة على شفتيه ورد "وهل من المفترض أن أذهب وأترك زوجتي وحدها بالمكان! "

غمغمت باعتراض وهي تعود للأرفف لتختار ما تريد" لا أقصد لكن أعطني مساحة .. أدر وجهك على الأقل"

رد متهكما بصوت خافت" لماذا ؟.. هل ستخلعين ملابسك ؟ .. أنا شخصيا لا أمانع لكن بالتأكيد ليس أمام الناس"

غمغمت بغيظ وهي تضع ما اختارته في عربة التسوق وتدفنه تحت المشتريات الأخرى "وقح!"

قال دون أن ينظر إليها وهو يدفع العربة بجوارها "سامحك الله"

حدجته بطارف عينيها وتراقصت ابتسامة على شفتيها وهمست في سرها" لماذا أصبح لا

يحادثني إلا بلهجة بلده .. وكأنه ينقصني أن يتحدث بلهجته !"

طحن كامل ضروسه يحاول تجاهل النظرات المختلسة لها من المارين وينهر نفسه حتى لا يصل إلى هذا الحد من التطرف ..

لم يكن غيورا من قبل على امرأة بهذا الشكل .. خاصة وأن أفكاره تصل إلى حد المبالغة والرغبة في حبسها وهذا مؤشر ليس بالجيد .. الأمر كما شرحه لشامل من قبل ليس عدم ثقة فيها أو في نفسه وإنما شعور غير مريح.. بل مغيظ ممن يتطلع فيها .

أما بسمة فكانت تشعر بالراحة وهي تتحرك بحرية في السوبر ماركت ورغم تلك العيون التي تتطلع فيها من وقت لأخر لكن الوضع في العاصمة أكثر راحة كونها ليست معروفة ..كما أن هذا الوسيم الضخم الذي يسير بجوارها

يمنحها شعورا بالسعادة رغم سماجته ووقاحته وتعمده لاستفزازها.

وصلت بسمة للكاشير ووقفت أمامه تضع المشتريات من العربة التي يمسك بها كامل والذي كان شاردا لثوان يتذكر ذلك اليوم قبل ثلاث سنوات حينما كان يسير خلفها يتمنى أن يعرف من تكون .. ثم ابتسم متعجبا من لعبة القدر..

قطع شروده وتصلبت ابتسامته وهو يحدق في ذلك الشاب الذي يقف خلف الكاشير يحدق بملء عينيه في بسمة مصدوما ثم أمسك بالبضاعة يمررها على الماكينة أمامه وعيناه لا تتزحزحان عنها ما بين الصدمة والوله .

ولم يكن كامل أقل منه صدمة وهو يراه مجددا .. إنه ذلك المراهق الذي كان يعمل في محل الحلاق والذي كان متولها بها .. لقد كبر قليلا

وأضحى شابا يافعا يلامس العشرين من العمر على أقصى تقدير .
ضربت الدماء في رأس كامل خاصة مع استمرار تطلع الشاب في بسمة بجرأة فقال لها بخشونة وهو يمنحها مفتاح السيارة "اسبقيني إلى السيارة"
نظرت له بسمة بعدم فهم لتتفاجأ بوجهه الغاضب وهو يقول بلهجة آمرة "إلى السيارة يا (كامل) فورا"
أنزل الشاب نظراته بسرعة وقد انتبه لما يفعل بينما أمسكت بسمة رغم اندهاشها بالمفتاح ونظرت عبر الباب الزجاجي هامسة بغيظ تداري شعورا بالخوف من الخروج في هذا الجو
"هل سأخرج في هذا الجو وحدي؟!.."
نظر كامل للباب الزجاجي ثم استدار يضرب على المنضدة بعدائية قائلا للشاب" هلا أسرعت

وركزت فيما تفعل لو سمحت .. لن نقف أمامك طوال اليوم"
ارتبك الشاب واسرع بالإنجاز بينما ناظرت بسمة كامل بعدم فهم واشفقت على الشاب الذي كان متلعثما بشكل واضح .

بعد قليل خرجا من السوبر ماركت لتستقبلهما الرياح الساخنة التي اشتدت سرعتها بينما ازدادت الأجواء اصفرارا فأسرع كامل وبسمة نحو السيارة وبمجرد أن وضعا فيها الأكياس وركبا هتفت بغيظ" ما الذي حدث؟! ولماذا أفزعت الشاب وتعاملت معه بهذه الفظاظة؟!!"
ابقى كامل على فمه مغلقا وهو يحرك السيارة عائدا للبيت فصرخت بسمة بعصبية" أنا اتحدث معك يا كامل"

أدار وجهه إليها قائلا" الشاب قليل الأدب ويحدق في الزبونات بجرأة ..ويحمد ربه أني أمسكت أعصابي"

تطلعت فيه بغير تصديق ولم تفهم سببا لردة فعله المبالغ فيها فهتفت بغيظ" وهل كل شخص سينظر لي ستخانقه .. ولماذا أنت منفعل هكذا ؟"

لم يرد عليها ورأته يضيق عينيه أكثر وهو يركز على شيء ما على يمين الطريق فأدارت وجهها تنظر إلى ما ينظر إليه ورأت سيدة ومعها طفلين على ما يبدو ينتظران سيارة أجرة وقبل أن تفطن لما يحدث كان كامل قد توقف على بعد أمتار من السيدة ثم رجع بالسيارة للخلف ووقف أمامها يفتح النافذة المجاورة لبسمة وقال لها "ادعها للركوب حتى نجد لها سيارة أجرة إن كانت متوجهة لخارج المدينة "

ارتبكت بسمة وكالعادة يأخذها كامل من شعور لشعور أخر دون تمهيد فقالت للمرأة عبر النافذة" تفضلي لنوصلك لأقرب نقطة "
غمغمت المرأة" شقتي على بعد بضعة شوارع وكنت أنتظر زوجي لكن سيارته تعطلت به"
قالت بسمة "تفضلي لنوصلك "
بعد بعض التردد دخلت المرأة ومعها طفلين ولد في الرابعة وبنت في الثانية تحملها على ذراعها وأخذت تتمتم بالشكر الكثير وتتحدث عن غرابة الطقس وانقلابه بهذا الشكل .
لاحظت بسمة أن كامل يختلس النظرات عبر المرآة الأمامية ثم يعود ليحدق في الطريق بعينين ضيقتين حتى يرى أمامه فشعرت بالغيظ خاصة حينما استدارت لتعقب ببرود على حديث السيدة وتفحصتها بنظرة أنثوية قبل أن تعود لتنظر أمامها بدم محروق وهي تعترف بأن السيدة أصغر سنا مما توقعت

وأحلى .. لكن كامل فاجأها حينما أشار لها
بإشارات مخفية على المقعد الخلفي.
لم تفهم لأول وهلة ما يريد فوضح لها
بالإشارات بما يعني (الطفلة الصغيرة) .
عقدت بسمة حاجبيها فجز على أسنانه يشير
لها حتى فهمت أخيرا بأنه يرغب في مداعبة
الطفلة الصغيرة فتعجبت بشدة ثم استدارت
تقول للمرأة "بسم الله ما شاء الله هلا اعطيتني
الحلوة ؟"
استشعرت بسمة بتوجس المرأة وترددها
فقالت بلطف" إن كانت تخاف من الأغراب فلا
بأس أتركيها على راحتها "
وعادت لتنظر أمامها فقالت المرأة بحرج" لا
بالطبع تفضلي"
أخذت بسمة منها الطفلة وأجلستها على
حجرها وهي تشعر بخوف المرأة من أن يكونا
لصيّن فشتمت في سرها ثم تطلعت في كامل

الذي أخذ يداعب الطفلة ويناغشها بلهجة بلده قائلا بلطف" ما هذا الجمال ؟ (وأمسك بيدها يطبع قبلة عليها وهو يقسم نظراته بينها وبين الطريق مضيفا) ما اسمك يا حلوة "

تطلعت فيه الطفلة بخجل بينما أشاحت بسمة بوجهها تغمغم من بين أسنانها" وما الداعي للتحدث بلهجة بلدك الآن وأنت تتقن لهجتنا جيدا "

ثم تطلعت في المرآة لتجد المرأة تراقب كامل لكنها لم تعرف هل تراقبه من أجل طفلتها أم لسبب أخر .

قال كامل للطفلة وهو يمسك بطرف فستانها "وما هذا الفستان الجميل .. أنا أريده من أجل زوجتي اعطيني إياه "

أمسكت الطفلة بفستانها بتملك وقد انقلب وجهها تناظر كامل بعبوس فضحك الأخير عليها .

ظلت بسمة تتأمله بينما استدار كامل للصبي الذي وقف خلف مقعديهما وكأنه يقول (أنا هنا) فأخذ كامل يناغشه ويسأله عن اسمه ..

لتقوم المرأة بسحب ابنها قبل أن يسترسل بالمعلومات عنهم توجسا من بسمة وكامل قبل أن تشير على إحدى البنايات وهي تأخذ الطفلة من بسمة" هنا .. شكرا لكما"

قالتها وفتحت الباب بسرعة تسحب ابنها خلفها .

قالت بسمة بعد قليل من بين أسنانها" المرأة ظنت أننا لصّان .. وقفنا لها بالسيارة ثم طلبنا أن نحمل الطفلة"

اتسعت عينا كامل متفاجئا ثم قهقه عاليا فانفجرت دقات قلب بسمة وغمغمت وهي تشيح بوجهها "كان ينقصني ضحكة الأستاذ كامل ليكتمل المشهد !"

قال الأخير وهو يقترب من الفيلا " أنا وشامل توقفنا عن اظهار اهتمامنا بالأطفال بعد أن كاد أن يقبض علينا في باريس "
سألته باندهاش "لماذا؟"
رد عليها وهو يضغط على بوابة المرآب "لأننا حاولنا مداعبة طفلين في الشارع فخافت أمهما وظنت بأننا متحرشان بالأطفال "
اتسعت عينا بسمة فأضاف" هناك يخافون من هذه الأمور جدا .. من وقتها أصبحنا نتحكم في انفسنا لكننا نشعر بالضيق "
قالها وهو يوقف السيارة ويفتح الباب فشردت بسمة للحظات تغمغم في سرها "إلى هذه الدرجة يحب الأطفال"
قطع كامل شرودها حينما قال وهو يحمل الأكياس من المقعد الخلفي" حمدا لله على السلامة باشمهندسة باسمة .. ولا تترددي

مجددا من اللجوء إلينا في أي ظرف شخصي طارئ"

xxxx

في المساء

كان صوت الرياح بالخارج وحفيف الشجر مخيفا.. هكذا شعرت بسمة وهي تنزل من غرفتها لتجد الأسرة في جلسة عائلية منتهزين اغلاق المطعم اليوم بسبب حالة الطقس فرصة للتجمع .

كانت ترتدي رداء منزليا مريحا من بنطال وبلوزة بينما تركت شعرها مسدلا على ظهرها بحرية غير قادرة في حالتها تلك على ربطه ..

ورغم شعورها بالإرهاق المصاحب لحالتها لم تحب أن تبقى في الغرفة وحدها خاصة بعد أن أرسل لها كامل يبلغها بأنهم مجتمعون بالأسفل بعد عودة شامل وونس من عند الطبيبة.

كانت الأسرة متجمعة في غرفة المعيشة المفتوحة على البهو .. غنيم وسوسو على مقعدين وثيرين في الواجهة بينما ونس وشامل يسارا على أريكة وشهبندر يجلس أرضا بين ونس وغنيم .. أما كامل فكان يمينا على أريكة أخرى .. وأمامهم المكسرات والمقرمشات وعلب المشروبات الغازية والعصائر.. وصوت أم كلثوم خافت ينشر السحر على الأجواء .

بدت الأجواء حميمية وبسمة تلقي التحية فربت لها كامل على الأريكة التي يجلس عليها لتجلس بجواره وهي تسأل شامل "اخبرني عن التفاصيل.. ماذا فعلتما عند الطبيبة ؟"

رد شامل قائلا بحماس " التفاصيل أننا قد طلبنا السماعة المناسبة وخلال أيام ستكون جاهزة .. إن السماعات كما فهمنا موديلات وماركات مثل أجهزة الهواتف ..(ونظر لونس التي تتربع على الأريكة بجواره تحاول كسر

البندق بالكسارة وأضاف) ونس متحمسة جدا وتقريبا حفظت الكتالوج الخاص بالسماعة الذي أخذناه من الطبيبة"

تركت ونس الكسارة وأخرجت دفترها تكتب" الأمر مثير جدا وأنا متحمسة للتجربة الجديدة "

قرأ شامل ما كتبته على الجميع بينما عادت ونس للكسارة المعدنية تضغط بقوة مصرة على كسر حبة البندق.

لم تشعر بسمة بالراحة في جلستها فرفعت ساقيها تثنيهما بجوارها محتفظة بمكان بسيط بينها وبين كامل في تلك الأريكة التي لا تتسع إلا لشخصين فسألها بهدوء" هل تشعرين بالتعب؟"

ردت بهمس "قليلا"

سألها "لماذا لم تحاولي النوم ؟"

ردت "حاولت ولم أفلح أريد أن أنام ولا أستطيع .. واشعر بالبرد "
نظر كامل للمكيف وسألها" هل ترغبين في أن نعدل درجة المكيف رغم أن الجو حار يا باسمة؟!"
قالت بسرعة" لا لا أعرف بأن الجو حار "
سألها "هل تشرين شيئا ساخنا؟"
هزت رأسها بلا ثم قالت" لا أشعر بالشهية لأي شيء "
تدخلت سوسو وقد لاحظت انكماشها فسألت" ما بها بسمة؟"
احمرت وجنتاها فأسرع كامل بالرد" يبدو أنها تعاني من نزلة برد "
سألت سوسو" هل أحضر لها دواءً لنزلات البرد؟"
رد كامل "أعطيتها حبة دواء يا أمي سلمت يديك"

فجأة أفلتت حبة البندق من الكسارة وطارت في الهواء نحو غنيم الذي التقطها بكفه بمهارة قبل أن تصيبه فشعرت ونس بالحرج الشديد وغطت وجهها بكفها واختبأت برأسها خلف ظهر شامل الذي تشارك مع الجميع في الضحك بينما قال كامل مناكفا "حاسبي.. كدت أن تؤذي أبي!"

أبعدها شامل من خلف ظهره وهو لا يزال يضحك بينما قال غنيم" لا بأس "

تكلم كامل بغيظ" لا أعرف لماذا تصرين على تكسير البندق بنفسك هناك مكسرات أخرى مقشرة جاهزة"

ناظرته بملامح ممتعضة بينما استقام كامل وتحرك مبتعدا فسأله شامل" إلى أين؟ "

رد وهو يصعد السلم "سأعود"

بعد قليل عاد كامل يمسك بشرشف وضعه على قدمي بسمة التي تفاجأت بينما صوت شامل في

الخلفية يقول بتهكم" حبيبي كيمو الحنون ما هذا الذي أراه! .. افرحي يا سوسو ابنك أثمرت فيه التربية أخيرا "

غمز غنيم لسوسو مبتسما بينما ترك كامل بسمة التي احمر وجهها وتحرك نحو شامل في صمت.. فناظره الأخير بترقب ليقول كامل حينما وصل إليه" طبعا حنون يا فلذة كبدي .. وسأثبت لك حنان قلبي حالا "

قالها وهو يلف ذراعه فجأة حول ذراع الأخر ليشل حركته فاتسعت عينا ونس وهي ترى كامل يخرج من جيبه جهازا صغيرا بينما شامل يعترض" لا يا كامل .. لست بحاجة إليه .. يا لسخافتك يا حلّوف!"

قال غنيم لونس مهدئا" إنه يقيس له مستوى السكر في الدم فلا تقلقي "

عقدت بسمة حاجبيها باستغراب بينما اشرأبت ونس بعنقها لتنظر فيما يفعل كامل وهو يأخذ

بعض نقاط الدم من اصبع شامل فوق جهاز
فقوست شفتيها شفقة عليه .
بعد أن انتهى أطلق كامل سراح أخيه فدفعه
شامل بغل قائلا "اذهب لا نريد منك حنانا"
سألت سوسو كامل بترقب" طمئننا"
رد الأخير وهو يعود للجلوس مكانه" كل شيء
تمام الحمد لله "
هتف شامل "قلت لك لست بحاجة للتحليل"
سألت بسمة كامل بخفوت "هل يعاني من
مرض السكري ؟"
رد كامل وهو يخطف منديلا مبللا من فوق
المنضدة ثم كسارة البندق من أمام والدته "لا
ولكنه معرض للإصابة به بنسبة كبيرة لهذا
قررنا تخفيض وزننا واتباع حمية غذائية"
شعرت بالقلق عليه فسألته "وأنت؟"

أدار وجهه نحوها يقول" أنا بخير .. حتى الآن
فمن المرجح أن أكون مثله فنحن عادة ما
نمرض بنفس الأمراض "
طارت واحدة من البندق مرة أخرى وضربت
كامل في صدره فانفجر الجميع بالضحك حتى
بسمة التي امسكت بالحبة لتعطيها لكامل الذي
التفت لونس والدخان يخرج من أذنيه فترك
مقعده متقدما نحوها ..
استقام شامل واعترض طريقه يقول من بين
ضحكاته مهدئا "ألف مبروك لقد أصابتك
البندقة إصابة صحيحة وكسبت معنا جائزة"
تجاهل كامل ما يقوله أخيه وقال من فوق كتفه
"هات الكسارة يا ونس "
قال شامل مهدئا "عيب أن تحدث زوجة أخيك
بهذه الطريقة هيا عد لمكانك فأنت أكبر منها"
أخرجت له ونس طرف لسانها بإغاظة فهتف
كامل "تغيظني يا شامل "

قال شامل دون أن يستدير إليها" عيب يا ونس
"
وربت على صدر أخيه يسترضيه بينما سوسو وغنيم وبسمة غارقون في الضحك .
هتف كامل بإصرار وهو يمد يده لها "هات الكسارة قلت يا ونس "
وضعتها في يده باستسلام ممتعض فأخذها وعاد لمقعده يقول بغير تصديق" ستفقأ أعيننا جميعا حتى تكسر حبة بندق واحدة !"
ابتأست ملامح ونس فقال شامل من بين ضحكاته" لا بأس يا حبيبتي إنه شرير"
استقام كامل مرة أخرى متجها ناحيتها فأسرع شامل يحميها بجسده بينما وضع الأخر أمامها على المنضدة كسارة بندق خشبية كانت أمامه وقال" استعملي هذه وارحمي أعيننا"
عاد ليجلس بجوار بسمة التي سألت مبتسمة" من منكما أكبر لم تخبرنا؟"

عاد التوأمان ينظران لبعضهما بتسلي ثم قال شامل" ونحن طلبنا منكما التخمين (وسأل ونس) ما رأيك يا ونس من الأكبر أنا أم كامل؟"
نظر كامل لأمه قائلا بتحذير" أمي ..إياك والتحدث ..أبي أنا أعلم بأنه لن يتفوه بشيء أما أنت فلا تكتمين سرا "
ضحكت سوسو بينما أشارت ونس بعد حيرة على كامل ..فسألها شامل" لماذا توقعت بأن كامل الأكبر؟ "
مثلت العبوس تعني لأنه عبوس دوما فرفع كامل زاوية شفته العليا ثم علق " هذا لأني لا أطيق الصغار (وسأل بسمة بجواره) وأنت يا باسمة من تتوقعين؟"
قالت بسمة بتردد "الحقيقة أشعر بالحيرة ولا أستطيع .. (ولمحت سوسو تشير لها بإشارة مخفية فهتفت متفاجئة) شامل! .. شامل الأكبر!"

صاح التوأمان باعتراض" يا أمي .. يا أمي كنا سنلاعبهما قليلا !!"
انفجر غنيم وسوسو بالضحك بينما تطلعت ونس في شامل تشير له (أنت الأكبر!)
رد شامل ضاحكا "أكبر منه بربع ساعة "
أمسك كامل بالكسارة وبدأ يكسر في البندق ويضعه في طبق صغير وهو يقول لونس مغيظا "أرأيت .. أنت تزوجت العجوز فينا بينما باسمة تزوجت الأكثر شبابا"
ابتسمت له ابتسامة صفراء فقال كامل لأخيه" إن لم تتعامل زوجتك معي بتوقير صدقني ستجدها يوما معلقة من شعرها في السقف فلن أتحمل كثيرا"
سألت بسمة سوسو وهي تلملم في ساقيها بجوارها حتى لا تخونها قدماها وتنزلقان لتلامس فخذ كامل "هل كان الحمل في توأمين متعبا؟"

ردت سوسو بسرعة" كان بشعا .. كانت تجربة بشعة تعذبت فيها كثيرا ولهذا لم أكررها أبدا"
فرضت الذكريات نفسها على الجلسة بدأتها سوسو وشاركها غنيم ثم شامل وكامل..
وتفاجأت بسمة بالأخير يضع لها طبقا صغيرا فوق ساقيها المضمومتين إلى جانبها به حبات البندق المقشرة .. مع نظرة سريعة نحوها وعاد لالتقاط أطراف الحديث وكأنه معتادا على تقشير البندق لها !.
ارتجف قلب بسمة وتأملت جانب وجهه الجاد الملامح وهو يتشارك مع عائلته الذكريات عن الوطن والحنين إليه ثم مدت اصابعها تلتقط البندق واحدة تلو الأخرى وتأكلها ببطء وقد شعرت بشهية مفاجئة .... للبندق .
رفعت ونس الدفتر بعد قليل لتري الجميع ماذا رسمت فتطلع شامل فيه بإعجاب ثم منح الدفتر لأبيه ليجدها قد رسمت بالقلم الرصاص

غنيم وسوسو في جلستهما متجاورين كل واحد منهما على مقعده .
انبهر غنيم بالرسم وأعطاه لسوسو التي غمغمت" ما شاء الله !"
أمسك شامل بوجهها وطبع قبل على خدها شاعرا بالفخر بها فأحمر وجه الأخيرة بخجل ..ليقول شامل "ارسمي الباقين "
تدخل كامل قائلا " ارسمينا أنا وشامل لأرى مدى تطابق الصورة التي سترسمينها "
قالها وهو يضع المزيد من البندق المقشر بشكل آلي في الطبق الصغير بجواره دون أن ينظر لبسمة بينما يده الأخرى تلقي بواحدة من البندق في فمه .
لكزت سوسو زوجها تشير له على ما يفعله كامل فابتسم الأخير بينما قبلت ونس التحدي وبدأت في الرسم .

شعور عظيم بالدفء والراحة يتسلل إلى بسمة .. تراقب الجميع وسيلا أخر من الذكريات ينساب بنعومة في هذه الأمسية الرائعة .. أخذت تسألهم بفضول وكانوا يجيبونها بينما صوت أم كلثوم يصدح في الخلفية ..

هواك هو اللي خلى العمر غالي
وبالثانية أحسبه مش بالليالي

ما يحدث من تضاد بين الخارج والداخل .. بين الطقس الثائر المخيف المشبع بالرمال والأجواء الأسرية الدافئة المشبعة بالمحبة أثر فيها ..

وأخاف أسرح يفوتني لمحة منك
ومن الدنيا اللي أجمل من خيالي

وكامل الذي يشاركها الأريكة كان الشعور بقربه مريحا للكثير من المشاعر السلبية التي تزورها في هذه الفترة من الشهر..

كلما ركزت مع الأصوات المرعبة طمسها صوت
الضحكات وغناء أم كلثوم وصوت كامل
ومشاكساته الصبيانية .

هواك نسى الزمان طبعه
وخد منه الأمان لينا
وداري عننا دمعه
وخلاه ما دري بينا
ونَوّر للأمل شمعه
وطمن بيه لياليناا

لاحظ كامل أن توأمه يراقب ما ترسمه ونس
وهو يكتم الضحك فارتاب وقفز واقفا يقول
"كيف رسمتني؟"
استقام شامل يمنعه من الاقتراب قائلا "من
فضلك الفنانة تحت تأثير الإلهام هذه اللحظة"
سأله كامل بتشكك" لماذا كنت تضحك؟"
لملم شامل شفتيه يمنع المزيد من الضحك
وقال بإنكار" أنا!! .. أنا لم أضحك "

ألقى كامل بجسده على أخيه يقول" دعني أرى يا شامل "
كانت ونس قد انتهت من رسمها فرفعته في وجهه ليخطف كامل منها الدفتر ووقف يتطلع فيما رسمت بعبوس بينما انفجر شامل بالضحك .
تملك الفضول من الباقين فهتف غنيم" أرونا ماذا رسمت"
خطف شامل الدفتر من أخيه وأعطاه لوالده الذي تشارك في الاطلاع فيه مع سوسو ضاحكين بينما وقف كامل متخصرا يقضم شفته السفلى متحكما في غضبه .
أعطى غنيم الدفتر لشامل حتى يريه لبسمة التي بمجرد أن رأته اتسعت عيناها ثم أصابتها عدوى الضحك .
كانت ونس قد رسمت كامل وشامل متطابقان في الشكل لكنها أضافت على وجه كامل بعض

الرتوش التي جعلته عابس الوجه منكوش الحاجبين شعيراتهما تقف مستقيمة لأعلى بمبالغة بينما كان شامل ضاحك الوجه.
قال كامل بلهجة هادئة خطرة" لماذا لم ترسمينا متطابقين؟"
حركت مقلتيها يمينا ويسارا تكتم الضحك ثم أخرجت هاتفها وفتحت الواتساب تكتب له" رسمتكما متطابقين"
استدار كامل يبحث عن هاتفه ثم التقطه من فوق المنضدة وقرأ ما كتبته مع شامل الذي حشر رأسه ليقرأ معه ليقول كامل" هذان الشكلان ليسا متطابقين "
كتبت له بإصرار "بل متطابقان في كل شيء الفرق أن شامل أوسم منك كيف سأغير هذه الحقيقة"
انفجر شامل بالضحك وهو يخبر الجميع بما قالته بينما ضرب كامل كفيه ببعضهما قائلا

لأخيه" يا عمي قلت لك لديها مشكلة كبيرة في النظر .. صدقني تحتاج لنظارة بشكل عاجل فحالتها مستعصية "

قال غنيم من بين ضحكاته "أجلس يا كامل أنت أكبر منها .. أجلس هداك الله"

قال كامل وهو يعود للأريكة "أنا سأترفع على تصرفات الأطفال هذه لأني أكبر من تلك الأمور .. (وقلدها بفم معووج متهكما) لأن شامل أوسم منك (ثم استدار لبسمة يسألها بلهجة صبيانية مغتاظة) وأنت جالسة دون أي رد فعل!! "

اتسعت ابتسامة بسمة فأنارت وجهها وهي تسأله" وما المطلوب مني أن أفعل ؟"

لملم شفتيه حتى لا يبتسم واستمر يقول بغيظ" دافعي عني افعلي أي شيء.. (ثم سألها بلهجة خطرة) من منا أوسم؟"

ردت ضاحكة وكأنها ترضي طفل صغير" أنت بالطبع الأوسم "

استدار كامل يقول لونس "أرأيتِ؟ .. لهذا أنا لن اتجاوب مع صبيانيتك"

عاد الجميع للضحك ثم سرقهم الحديث للذكريات من جديد.

بعد نصف ساعة تصلب جسد كامل حينما استشعر باطن قدم بسمة على جانب فخذه طريا دافئا جعله يدير وجهه ليجدها قد توسدت ذراعيها على يد الأريكة المبطن وذهبت في نوم عميق في نفس جلستها المتكورة .. فاتسعت ابتسامته ومد يده ليرفع خصلة بعيدا عن وجهها ثم عاد ليكمل مشاركته في الحديث الدائر لكنه لم يستطع منع يده من التسلل تحت الشرشف ليمسك بمشط قدمها الملتصق بفخذه ويتحسسه برفق ونعومة وكأنه يساعدها على الاستغراق في النوم !.

أقولك إيه عن الشوق يا حبيبي
أقولك إيه ومين غيرك داري بي

بعد قليل اعتذر كامل ليصعد لغرفته رغم أن الساعة لم تتجاوز التاسعة بعد .. وانحنى ليحمل بسمة فوق ذراعيه فأجفلت الأخيرة وفتحت عينيها فجأة تتطلع حولها لتجد نفسها فوق ذراعيه فهتفت بهمس" كامل"
أشار لها لينبهها بوجود الحاضرين في الوقت الذي وضع شامل اصبعيه في فمه وأطلق صفير اعجاب.. فتعلق ذراع بسمة حول عنق كامل وغطت عينيها بيدها محرجة قبل أن تضطر لأن تلف ذراعها الأخر حول عنقه مستشعره عضلات كتفيه تحت ذراعيها وشاعرة بالحرج الشديد .. فأغمضت عينيها حتى لا تتواجه معه بينما شامل لا يزال يصفر ثم لحقهما بصوته يقول متهكما "حبيبي يا حنون "

أخذ كامل يصعد الدرجات ببطء متمنيا ألا تنتهي لكنها ككل شيء حلو له نهاية فدخل الجناح الخاص بهما وركل الباب خلفه ليغلقه ثم مال برفق ليضعها فوق السرير .
غمغمت بضعف تحاول القيام "لا سأنام على الأريكة"
قال بهمس حاني "لا نامي على السرير"
سكنت وأغمضت عينيها بإرهاق تقول "اشعر بالنعاس الشديد "
جلس بجوارها وغمغم بهدوء وهو يتأملها "إذن نامي"
اعتدلت على جانبها ناحيته تتمرغ في الوسادة وهي تقول" المشكلة بأن جسدي مرهق لدرجة لا تجعلني استغرق في النوم "
قال بهمس أجش وهو يتأملها" حاولي النوم تبدين ناعسة جدا ..سأظل حتى تغفين"

قالت بلهجة ناعسة وهي مغمضة العينين "هل تحب الأطفال لهذه الدرجة ؟"
شعر ببعض الأسف لما يعتقده بأنها لا تستطيع الانجاب فقال بهدوء" أجل .. لكن إن لم يمنحني الله أطفالا فلا بأس"
همست وهي لا تزال مغمضة العينين "حقا!"
رد وهو يلمس أطراف شعرها بأنامله" ما دام هذا هو قدرنا فلا مفر منه "
صمتت قليلا حتى ظن أنها غفت فظل يتأملها بكليتها يقبض على مشاعره بقوة لتهمس دون أن تفتح عينيها "تفاجأت بأنك الصغير "
لاحت ابتسامة حانية على زاوية شفتيه وهو يتأملها كطفلة ناعسة ثم سألها" لماذا؟"
غاصت في الوسادة بنعومة وغمغمت "لا أعرف رغم أني كنت حائرة تارة أقول بأنك الأكبر وتارة أقول بأن شامل الأكبر "

صمت ولم يعقب فسألته ويدها ترتفع لأذنها تدلك صوانها بأناملها" هل تتضايق مما تفعله ونس؟"

تأمل حركتها وهو يرد" لا .. أنا اناكفها فقط (ثم سألها) هل تفعلين ذلك عندما تعجزين عن النوم ؟"

أصدرت همهمة بما يعني نعم ثم أضافت ببطء ناعس "كانت أمي تفعل ذلك حينما يجافيني النوم وأنا صغيرة"

مد يده إلى أذنها يدلكها بأنامله برفق فتركته يفعل ذلك وغاصت في النوم .

بعد أن انتظمت أنفاسها أبعد خصلة سقطت على وجهها ومال يطبع قبلة رقيقة على خدها الطري .. ثم أخرى أرق على جانب شفتيها .. وقاوم نفسه بصعوبة من الاسترسال.. فدفن وجهه في رقبتها ..

أصدرت بسمة همهمة غير مفهومة ..فأستغل شيطانه الفرصة ليزين له بأنها نطقت اسم زوجها السابق.

انفجرت قنابل الغيرة في رأسه وقبض بقوة على الفراش بجوارها وهو يجز على أسنانه متألما من الخاطرة .. ورفع رأسه ينكر لنفسه بأنه قد سمعها تتلفظ باسمه .. لكن الوسواس ظل يطارده بقوة مفجرا في رأسه تساؤلات مؤذية لمشاعره .

هل كانت تطلب منه أن يداعب أذنها لتنام؟..

وهل كانت تنام بجانبه بهذه الأريحية أم ...

تتدلل عليه وتحاول إغرائه ؟"

الاسترسال في تلك الأفكار كان الجحيم بعينه .. فانتفض واقفا وهو يمسك برأسه كمن يحاول وقف نزيف خيالاته المصرة على إفساد كل شيء ..

يشعر بالغيرة الشديدة ولا يجد إجابة على اسئلته.

لماذا لم يكن هو أول وأخر زوج لها ؟..

لماذا وقع في حبها هي بالذات؟ ..

لماذا تزوجت من غيره وهي له .. خلقت له؟..

لماذا تاه طريقاهما فلم يلتقيا إلا الآن ؟!..

لماذا لم يلتقيها قبله ؟..

لماذا وهل وكيف ..

علامات استفهام كثيرة ظلت تطارده ككل ليلة

..

فترك الغرفة هاربا من جحيمه إلى جحيمه .

xxxx

فجر الجمعة

كان صوت الرياح لا يزال مخيفا بالخارج .. لكن الشعور الذي يسيطر عليها كان أكثر خوفا ..

اليوم قررت أن تتخذ موقفا قويا تجاه نفسها بعد أن فرغت من صلاة الاستخارة للمرة الثالثة خلال الأيام الماضية بشأن ارتباطها بمحسن .. لا تشعر تجاهه سوى شعور عادي فاتر .. لكنها عاقلة وواقعية وتعلم أنه فرصتها الوحيدة للتخلص من الوحدة .. فأخذت خطوة حازمة مع قلبها العنيد وقررت ألا تقترب اليوم من نافذة المطبخ .. لن تبرح سجادة الصلاة .. ولن تراه اليوم .. رغم أن قلبها موجوع على ما يمر به جابر وليس لديها طاقة حتى للتفكير في أمر زواجها ..ولا تتخيل حياتها مع محسن .

اليوم لن تنتظره في النافذة وستحاول جاهدة ألا تدعو له .. ستحاول رغم أنه في أشد الحاجة للدعاء تشعر بذلك لكنها واثقة في أن الله لن يخذله وبأن دعواتها كل السنوات السابقة ستظل حية تحيط به حتى بعد أن تموت هي.. أو يموت قلبها حينما تكف عن حبه .

حان وقت خروجه من البيت .. فتقبضت بقوة فوق سجادتها وأغمضت عينيها فخيل لها بأنها تسمع خطواته الرزينة الوقورة على الأرض .. وكأنها سمعته يمر من أمام البيت .. لكنها تماسكت .. أقيمت الصلاة فحاولت أن تصلي دون أن تتخيل بأنها تصلي خلفه .. حاولت .

بمجرد أن فرغت من الصلاة لم تستطع التلفظ بأي شيء .. كان ما تشعر به أعظم وأكبر من صياغته في كلمات فهمست "يا الله .. اهد لي نفسي .. أنا راضية بما قسمته لي فاكتبلي السعادة في الدارين .. وساعدني على التوقف عن التفكير فيه .. أنت يا رب تعرف كل شيء ولا يعرف أحد سواك .. سأدعو له مرة أخيرة .. إن كانت بنت العسال خيرا له اهدها وإن لم تكن فارزقه بمن تجبر قلبه .."

تجمعت الدموع في عينيها وشعرت بأن الألم في قلبها لا يحتمل.. فأخذت تضرب بقبضتها على صدرها عدة مرات وكأنها تحاول السيطرة على الشعور بالألم .. أو لتنهر قلبها للكف عن الصراخ .. وهمست من جديد "ساعدني يا رب في أن أدفنه في قلبي إن لم أستطع إخراجه منه .. أخاف من أن ارتكب ذنبا بالارتباط برجل وأنا أفكر في الأخر .. ساعدني يا رب ساعدني "

ركنت ظهرها للحائط وأمسكت بالمصحف لتقرأ قليلا ثم تذكرت فجأة بأنها لم تتخلص من كل ما يخص جابر بعد .. كشفت الغطاء عن رأسها وتلمست فردة القرط الوحيدة التي ترتديها ..

قرط رخيص الثمن .. فردة وحيدة ترتديها . حينما لامست القرط واعترفت بأن عليها أن تنزعه من أذنها تألمت .. كيف ستنزعه وهو في

هذه الأذن منذ ثمانية عشرة سنة .. فمالت برأسها على الحائط خلفها وحاصرتها الذكريات.

قبل ثمانية عشر عاما

إنه يوم المولد**

وهذا اليوم كالعيد في البلدة .. ينتظره الصغار و الكبار .. يزورون الساحة الواسعة التي يقام فيها الاحتفال ليركب الصغار المراجيح ويلعبون بباقي الألعاب ..

الأنوار الكثيرة تزين الساحة والاناشيد والابتهالات الدينية تصدر من مكان ما من مكبرات الصوت يقطعها صوت طلقات الرصاص من البنادق المزيفة التي يستخدمها الشباب للنشان والمراهنة .. والباعة يملؤون المكان بكل شيء ..

---

* احتفال ديني في المناطق الشعبية والريفية

حالة عامة من السعادة تملأ القلوب إلا هي ..
إلا هي لم تكن مثلهم ..
كانت متحمسة لحضور المولد بشدة لكنهم كالعادة يضايقونها فيفسدون عليها فرحتها ..
مصرون على التنمر عليها .. مصرون على نعتها بالسوداء القبيحة .. مصرون على نعتها بالعفريتة .. ويتهكمون على شعرها المجعد وبشرتها السمراء ..
لكنها لا تسمح لهم بذلك .. لا تترك لهم الفرصة لأن يجلدوها بألسنتهم ويشعرون بالسعادة .. حتى لو كانوا صبيانا وليسوا بنات ستلقنهم درسا .
دفعت أم هاشم ذات الثانية عشرة عاما أحد الصبيان بيديها بقوة فوقع أرضا وهي تصرخ فيه " لا شأن لك بي ابتعد"

تحدث الثاني ضاحكا "مهما فعلت ستظلين سوداء عفريتة (وتصنع الخوف يقول مرعوبا) يامّة!"

تحرك الثالث ليساعد الأول على القيام الذي يناظرها بغل شاعرا بجرح كرامة ذكوري خاصة حينما ناكفه الثالث قائلا "قم يا سبع .. أرعبتك العفريتة وأوقعتك أرضا!"

قال الثاني بنفس التهكم" من حقه طبعا أن يخاف إنها عفريتة يا بني "

هتفت أم هاشم صارخة في وجه الثاني المتهكم تقول بوعيد" سأشكوك لأخيك يا زين .. وسأشكوك لوالدتك أيضا"

وقف زين المراهق في الثالثة عشرة من عمره يتراقص أمامها ويقلدها متهكما "سأشكوك لأخيك يا زين "

هم المراهق الأول بالثأر لكرامته فهجم عليها
ليتدخل زين ليقف أمامه قائلا بجدية" هل
ستضرب فتاة يا غبي كنا نناكفها فقط"
مد الصبي يده ليقبض على وشاح أم هاشم من
خلف زين فعضت ساعده ليضطر لترك يدها
متألما ..في الوقت الذي هدر صوت من
خلفهم" زين !"
شهق زين وابتعد عنهم قائلا "يا للمصيبة أخي
جابر أجري يا ولد أجري "
أسرع الأولاد بالابتعاد بسرعة بينما جابر يقول
مقتربا "حسابك معي عسير يا زين"
توقف زين عن العدو واستدار يتراقص أمام
أخيه ويقول ضاحكا "عفريتاااااة"
ثم استدار يكمل عدوه مع صاحبيه الهاربين .
وقفت أم هاشم دامعة العينين تزيح وشاحها
عن رأسها لتفك عقدته وتعيده لرأسها فاقترب
جابر منها ليقف أمامها بوجهه الذي كلما رأته

تذكرت البدر في ليلة تمامه .. كان وجها يشع بالنور تزينه ابتسامة سمحة رائقة سارقة لدقات القلب وقد كان وقتها في الرابعة والعشرين من عمره .

"هل أنت بخير يا أم هاشم؟"

انفرط عقد دقات قلبها الأخضر الذي يمارس حقه في الشعور بالمشاعر الأنثوية الوليدة حتى لو لم تظهر عليها علامات الأنوثة كأصحابها بعد .. وحتى لو كانت ترتدي عباءة سوداء لتداري نحافتها وافتقادها لذلك البروز الأنثوي الذي تتفاخر به الفتيات في فصلها ..وحتى لو لم تكن هي نفسها تستطيع تفسير هذه المشاعر التي تمتلكها تجاه هذا الشخص المهيب أمامها.

كل هذه الاعتبارات لم تقف حائلا أبدا أمام قلبها ليشعر به ويفرح لعودته للبلدة .. فرحة

ستدوم لشهر واحد هو مدة أجازته الصيفية ثم سيعود مرة أخرى للبلد التي يعمل بها .
أشاحت أم هاشم بنظراتها عنه تربط وشاحها للخلف وهزت رأسها إيجابا .. فسألها جابر" لماذا تشاجرت معهم ؟"
حدجته بنظرة شرسة وقالت " يتهكمون عليّ يصفونني بالعفريتة السوداء .. ويتهكمون على اسمي.. أخوك السخيف يسألني ..أين هاشم يا أم هاشم!! .. (ورفعت أصابعها تقول بوعيد) والله لأضربنه في الفصل"
قال جابر باستياء" زين أنا سأتصرف معه وأعدك لن يفعلها مرة أخرى (ومال أمامها يستند بكفيه على ركبتيه وأضاف) أما عن باقي الأولاد فلا تلتفتي لكلامهم .. ليس لأنك تمتلكين لون بشرة مختلف عنهم فهذا يعني أنك قبيحة.. عليك ألا تتأثري بتفاهتهم "

قالت بمزاج عكر "أنت تقول هذا لأن وجهك أبيض ووسيم "
"أنا وسيم !"
قالها وقهقه ضاحكا ..فخجلت أم هاشم واشاحت بنظراتها عن وجهه الأبيض الحليق بينما رائحة المِسك التي تفوح منه تداعب أنفها
.
عاد جابر يقول بجدية "يا أم هاشم ليس من الجيد أن تضربي الصبيان "
هتفت باستنكار "أتريدني أن اسكت لهم !"
رد بهدوء " تجاهليهم.. لا تشتبكي معهم فمهما كنت قوية وشديدة قد يؤذيك أحدهم يوما .. هذه المرة كانوا ثلاثة صبيان هل كنت تظنين أنك ستغلبينهم وأنت واحدة؟"
قالت باستهجان وهي تتخصر أمامه " هل تريدني جبانة ؟..هل تريدني أن اسمع حديثهم المتهكم وأسكت ؟؟"

ابتسم من وقفتها المضحكة والسخرية التي تعلو وجهها وقال " حاولي التجاهل يا أم هاشم ولا تنعتي نفسك بالعفريتة أما اسمك فأنت تعرفين لمن هذه الكنية الفريدة "
غمغمت باقتضاب" أعرف لكني لا أحبه لأنه يسبب لي تهكم الأولاد والبنات "
اعتدل واقفا وقال بعد تفكير " ما رأيك أن تختاري اسما مستعارا لينادوك به؟"
رفعت رأسها مضيقة عينيها تسأله "كيف؟"
عقد ذراعيه أمام صدره وأوضح " أليس هناك أناس لديهم اسمين .. اسم في شهادة الميلاد واسم ينادونهم به؟"
هزت أم هاشم رأسها فقال" أنت أيضا اختاري اسما على سبيل التدليل وأطلبي من الأخرين مناداتك به "
من خلفه قال هلال متململا" يا جابر سنتأخر"

هتف جابر بعبوس "انتظر يا بني أدم ألأنك قد حصلت على ساعتين سماح من أم اسراء ستتعبنا معك!"

سألته أم هاشم مفكرة" أي اسم سأختار ليناديني به؟"

رد بهدوء "اختاري اسم تحبينه"

قالت مناقضة لما تفوهت به منذ قليل "أنا لا أحب اسم سوى أم هاشم "

ابتسم جابر ثم قال مقترحا " إذن اختاري اسم تدليل لأم هاشم "

قالت بغيظ " هذا الاسم بالذات لا أعتقد أن له اسم تدليل.. (وهتفت بقرف) ماذا سأقول؟.. (أُم أُم) !!"

انفجر جابر ضاحكا ثم غمغم وهو يمسك بين عينيه " أنتِ مشكلة !.. "

حدجته بطارف عينيها بقلب سعيد لأنها استطاعت إضحاكه بينما قال جابر مقترحا

"ماذا عن مِشمِش ؟.. أم هاشم تدليله يكون مِشمِش "
بوجنتين حمراوين غمغمت برقة أنثوية غير متعمدة وهي تطالعه بعينين تتراقص فيها القلوب الحمراء " أحببت مِشمِش "
رفع إليها إبهاميه يقول " إذن هل أنت ذاهبة للمولد يا مِشمِش "
احمرت وجنتاها السمراوان وردت " أجل"
سألها جابر " أين صاحباتك ؟"
ردت " بسمة ومليكة تنتظراني هناك أتمنى أن الحق بهما قبل أن تغادرا"
قالتها وهي تتمم على جيب عباءتها حيث الورقة المالية التي أخذتها من والدها فلم تشعر بها.
شحب وجهها وأدخلت يدها في جيب عباءتها الصغير فلم تجد شيئا فلطمت على وجهها تقول" النقود .. مصروفي"

تطلع جابر فيها بحيرة وهي تبحث حولها في الأرض ثم سألها وهي تعود بخطواتها عكس الاتجاه تبحث في الأرض "هل ضاعت النقود؟"

هتف هلال بتململ" يا جابر"

قال جابر بغيظ "اسبقني أنت للشباب وأنا سألحق بك"

زفر الأخير وتحرك مبتعدا بينما استمرت أم هاشم تبحث في الشارع وتحدث نفسها مولولة "ادخار شهر كامل ضاع .. اليوم اعطاني أبي فوق مدخراتي مبلغا وجمد لي كل مدخراتي بورقة واحدة حتى لا تضيع النقود الفضة مني .. ضاع كل شيء"

سألها جابر بتعاطف" هل أخرجتها من جيبك في الطريق؟"

هزت رأسها وقالت "أجل أخرجتها أكثر من مرة لأتمم عليها"

كان يلحق بخطواتها وكانت تلحق بحلم ضاع للتو قبل أن تتوقف فجأة وتجلس على عقبيها تدفن وجهها في كفيها وتبكي .

تعاطف جابر معها وأشفق عليها بشدة فقال" لم البكاء يا مشمش لم يكن لك نصيبا فيها "

استجمعت زمام أمرها حتى لا تبدو أمامه مثيرة للشفقة فمسحت وجهها وقالت" قدر الله وما شاء فعل"

ابتسم وقال" بارك الله فيك يا بنت الشيخ"

استقامت وتحركت عائدة إلى البيت فسألها جابر "إلى أين ألن تذهبي لساحة المولد ؟!"

ردت وهي تحضن نفسها مبتعدة "لم يعد للذهاب أهمية"

اسرع جابر خلفها يقول "أخبريني ماذا كنت ستشترين من المولد بالنقود ؟"

اشاحت بوجهها تقول بحرج" أي شيء .. قرط .. سلسلة خاتم أي شيء يخص البنات"

ابتسم لها تلك الابتسامة المليحة التي تربكها
وقال "ما رأيك أن تكون هديتي لك؟"
سألته مضيقة عينيها "هديتك!"
قال ببساطة" أجل"
سألت "ما المناسبة؟"
هرش في رأسه ورد" لأنك بنت شيخي زكريا
الذي أحبه في الله"
عبست وسألته باستهجان "هل تشفق عليّ؟!..
أنا لا أحب أن يشفق عليّ أحد "
لملم جابر شفتيه حتى لا يضحك وقال وهو
يتصنع البؤس " هكذا إذن!.. تحرجيني!.. شكرا
لك على صد هديتي.. أنا ذاهب "
أطرق برأسه بطريقة تمثيلية واستدار مغادرا ..
فوقفت عابسة تتطلع فيه ثم ترددت قليلا قبل
أن تنادي عليه" جابر"

كان يسير ببطء وابتسامة شقية تزين شفتيه لكنه لم يستدر نحوها ..فأسرعت لتلحق به قائلة" هل أنت غاضب مني ؟"
مثل الحزن وقال وهو يطرق برأسه ويديه في جيب بنطاله "أجل احرجتني بشدة يا مشمش"
سارت بجانبه وهي تقول" ما دمت مصرا سأقبل هديتك .. هذا فقط حتى لا تغضب مني"
بعد قليل كانت تقف مع جابر أمام بائع الحلى المقلدة الخاصة بالفتيات الذي يعرض بضاعته على لوح خشبي كبير وهلال ينادي على جابر بنزق ليقول الأخير للبائع وهو يخرج ورقة مالية" بكم الأقراط؟.. ألست ستختارين من الأقراط يا أم هاشم أراك تتفحصينها ؟"
أومأت الأخيرة برأسها بتركيز فمنح جابر للبائع المبلغ الذي حدده ثم قال لها وهو يبتعد

ليلحق بصاحبه "أنا دفعت يا مشمش اختاري القرط الذي يعجبك هدية مني سلام"

راقبت ابتعاده بنظرة حزينة ثم عادت تتطلع في الأقراط رخيصة الثمن التي أمامها .. ليقول البائع بعد قليل بلهجة ممتعضة ليستعجلها "هيا اسرعي بالاختيار وابتعدي عن منصة البيع فالزبائن لن يقتربوا بسبب وجهك الأسود هذا وستقطعين علينا رزقنا "

رفعت أم هاشم إليه عينين ثابتتين وقالت وهي تداري تألمها من طريقته " هل تعلم يا عم لماذا أنا سوداء ؟.. لأني اتحول لعفريته في المساء !!"

اتسعت عيني الرجل البسيط وهرش في رأسه وهو يتطلع في السماء الداكنة ثم عاد ينظر لأم هاشم التي هزت رأسها ببطء تقول "أجل ..وأنا على وشك التحول أشعر بأني (وأمسكت برأسها تتمتم) بسم الله الرحمن الرحيم !"

بلع الرجل ريقه يقول بمهادنة "اختاري ما تريدين .. خذي ما تريدين من المنصة ولا تؤذيني "

اندهشت أم هاشم لسرعة تصديق الرجل لها وتألم قلبها.. ألهذه الدرجة هي قبيحة الشكل ومخيفة؟!!

ساورتها نفسها للحظة لأن تستغل هذه القوة التي تمتلكها.. قوة إرهاب الناس .. فقالت للرجل بعينين تتقدان بالذكاء وهي تتلمس المصوغات الكثيرة" ماذا أختار وكل شيء عندك يغريني لأخذ منه (وعادت لتمسك برأسها بحركة تمثيلية أرعبت الرجل فقال بارتباك) خذي ما تريدين وانصرفي ..انصرفي"

(انصرفي !)

الكلمة كانت جارحة ورغبتها في الانتقام كانت قوية فقررت أن تنتقم من هذا الجاهل التافه.. وأمسكت بعدة أساور تلبسها في يديها ثم

خاتمين براقين وهي تعلم بأن ثمنهم أكثر بكثير مما دفعه جابر.

كادت أن تفعلها .. وكاد شيطان الانتقام بداخلها أن يغلبها لكنها تذكرت تعاليم والدها .. وتذكرت ما تعرفه وتحفظه عن ظهر قلب عن تحريم السرقة وخداع الناس .. فخافت من الله .

تنازعت القوتان بداخلها البيضاء والسوداء لتكون الغلبة للبيضاء فخلعت أم هاشم ما في يدها لتضعه مكانه وقالت بهدوء" أنا سأسامحك هذه المرة وسآخذ فقط ما دفع جابر ثمنه .. لكن عدني بأنك لن تذم في جمال أي فتاة مرة أخرى"

هز الرجل رأسه وهو يتمتم بعبارات غير مفهومة بينما أمسكت أم هاشم لوحة عرض الأقراط واختارت قرطين غريبين .. قرطان على شكل قرنين حمراوين من الفلفل الحار وقالت

للرجل بهدوء" سآخذ هذا.. قرن الفلفل الأحمر"
بعد قليل كانت تبحث عنه حتى وجدته واقفا مع بعض الشباب فظلت تحوم حول المكان تتظاهر بأنها تشاهد فعاليات المولد من حولها.. حتى انتبه الأخير لوجودها فترك الواقفين واقترب منها يسألها "طمئنيني يا مشمش ماذا اشتريت ؟"
بفخر كشفت عن أذنيها وأشارت له على القرطين الغريبين الذين ترتديهما فوق قرطيها الذهبيين الصغيرين ..فرفع حاجبيه متسائلا" لماذا اخترت الفلفل الأحمر؟"
اشارت له ليقترب فمال برأسه نحوها لتقول له هامسة" ألا يصفونني بالعفريتة السوداء؟.. أنا سأخيفهم من الآن فصاعدا .. وكل من سيزعجني سأخبره بأن لدي سلاح الفلفل الأحمر .. وبخخخ! (وفتحت أصابع كفها فجأة

في وجه جابر الذي أجفل وابعد وجهه للخلف قليلا وهو يضحك لتضيف) سينفجر الفلفل في عينيه ليحرقهما "

هز جابر برأسه يجاريها وقال متصنعا الجدية " أعجبتني الخطة يا مشمش(ورفع ابهامه لها بإعجاب) لا تسمحي لأحد بالتهكم عليك أبدا "

رفعت أصابعها تقول بلهجة متوعدة "وأولهم سيكون أخوك التافه إن شاء الله"

كتم جابر الضحك بينما أضافت أم هاشم وهي تهز كتفيها "أنا فقط أحببت أن أخبرك حتى تكون على بينة مسبقة ولا تتفاجأ "

قهقه جابر ثم قال "إن كان أخي بهذه التفاهة كي يصدق قصة العفريتة السوداء والفلفل الأحمر هذه فيستحق عقابك"

لمعت عينيها البنيتين وهي تتطلع في وجهه الوسيم وعقدت ذراعيها تحت صدرها

مغمغمة بابتسامة أظهرت غمازتين غائرتين في خديها " إذن اتفقنا يا جابر"

عادت أم هاشم من ذكرياتها ووقفت أمام المرآة المشروخة المثبتة في باب الخزانة من الداخل .. ولمست قرن الفلفل الوحيد الذي بقي معها بعد أن ضاعت الفردة الأخرى .. وبأصابع مرتعشة بدأت في خلعه من أذنها ..
كان انتزاعه مؤلما وكأنه مغروس في قلبها ..
لكنها أصرت حتى خرج أخيرا ..
خرج مع روحها ..
فتطلعت في قرن الفلفل في كفها وانهمرت دموعها تبكي كما لم تبكي من قبل .. ثم دفنت يديها في كفيها تغمغم بنشيج عال "هونها يا رب وارزقنا نعمة الرضا بقضائك"

××××

بعد صلاة الجمعة

دخل بوجه عابس إلى بيت العسال وبالتحديد إلى تلك الغرفة التي لها بابان باب من داخل البيت وباب على ساحة البيت وهذه المرة دخل من الباب الخارجي .. كما سيحدث من الآن فصاعدا .

تمنى ألا يرى ميس حتى يستجمع أعصابه ويرتب مشاعره ليعرف كيف سيشرح لها الأمر .. تمنى ألا يراها رغم أنه اشتاق لها .. لقد مر أسبوعا منذ أن رآها ..

فلينتهي من هذا الأمر الأخير العالق ببنت العسال أولا .. يتحدث معهم في نفقتها ونفقة ميس ثم يتفق معهم على كيفية لقاءه بميس .

ألقى السلام وتفاجأ بوجود بسطاويسي مع بدير وعماد.. بينما استقام الرجال يرحبون به فمنحه بدير يده يسلم على مضض كذلك عماد

ثم قال بسطاويسي مرحبا "تفضل يا معلم جابر "

جلس جابر يتطلع في وجوههم يستند بظهره للمقعد وساد الصمت المترقب قبل أن يقول "طلباتكم"

اختلس بدير نظرة سريعة لبسطاويسي فطمأنه الأخير بما اتفقوا عليه ليقول بلهجة آسفة "والله يا جماعة أنا حزين أن يتطور الأمر إلى الطلاق .. فأنا مؤمن بأن لكل مشكلة حل .. ولا تؤاخذني يا معلم جابر أنا عاتب عليك"

ناظره جابر ورد بهدوء" لماذا يا حاج بسطاويسي ؟"

رد الأخير " إن كانت ابنتنا أخطأت في أي شيء كان عليك أن تخبرنا ونحن نتصرف .. المعلم بدير ابن عمي لا يقبل أبدا بأي اعوجاج وكان من الممكن أن..."

قاطعه بدير يقول بلهجة متمنعة مزيفة "انتهى الأمر يا أبا محمد ابنتنا يتمناها ألف رجل"
رد جابر متماسكا وتحذير مصطفى الزيني وهلال له بألا ينفعل يضعه نصب عينيه "أنا لست صغيرا يا حاج بسطاويسي وأعلم الأصول جيدا .. وقد حاولت على مدى سبع سنوات تقويم أم ميس لكنها للأسف بخلاف عدم توافقنا اكتشفت بأنها تتطاول على أمي وأهلي ولم يخبروني "
قال بسطاويسي بلهجة تمثيلية" لا لا هذا لا نرضى به أبدا ولو كان المعلم بدير يعلم لتدخل على الفور ولما وصل الموضوع للانفصال "
من خلف الباب المؤدي لداخل البيت وقفت كاميليا تتسمع لما يحدث وبجوارها هدى التي دعت هامسة" جعل الله في وجهك القبول يا حاج بسطاويسي لتقنعه بردها"

استدارت إليها كاميليا تقول باستنكار" بم تخرفين أنت؟!.. يرد من ؟"
قالت لها هدى بغيظ هامس "اسكتي يا كاميليا واشعري قليلا بمن حولك .. أخواك سيموتان من الخزي بسبب طلاقك .. وبدير اتفق مع بسطاويسي أن يحاول معه محاولة أخيرة "
شرست ملامح كاميليا ونظرت خلف هدى لتتأكد من المعلومة من وجدان التي تجلس على مقعد تتابع ما يحدث بصمت ونفس النظرة الخاوية من أي شعور كحالها منذ أسبوع بينما ابتسامة شامتة زينت وجهها جننت جنون كاميليا.
في الداخل قال جابر ببعض الغضب "لا أجد أن هناك داع لأحاديث اللوم والعتاب هذه يا حاج بسطاويسي .. اخبرني بطلباتكم لأني لدي أشغالي"

قال بدير "انتهى الأمر يا حاج بسطاويسي دعنا ندخل في المفيد "

قال بسطاويسي بإصرار" يا بدير أنت رجل لا تقبل بالاعوجاج فإن كانت أختك قد أخطأت في حق والدته عليك بدفعها لأن تعتذر وتقبل رأسها فهي في مقام والدتها والمعلم جابر رجل سمح وسيـ..."

قطع جابر الحديث قائلا "الأمر لن ينتهي عندما تعتذر لأمي يا حاج بسطاويسي .. لقد فاض الكيل ولولا أني رجل أصون العشرة وأحترم أسرار البيوت لحكيت لكم ما يندى له الجبين من قلة الأدب .."

انفعل عماد هاتفا ينوي الهجوم عليه" ماذا تقصد بقلة الأدب؟.. هل تشتمنا في بيتنا!! "

هتف بدير بحزم "اهدأ يا عماد ... وأنت لا داعي لهذا الكلام يا جابر "

استمر الأخير يقول بلهجة جافة " والله كل بيت يعرف كيف ربى بناته وبكل صراحة ابنتكم لم تعد تلزمني فكف عن محاولاتك يا حاج بسطاويسي "

اندفعت كاميليا تدخل عليهم من الباب صائحة في جابر "ومن قال بأني أنتظر لأن تردني .. من قال بأني أرغب بأن أعود للجحيم مرة أخرى !"

ناظرها جابر باستهجان وهي تشيح بيديها فتصدر أساورها الذهبية صوتا مع صوتها بينما تدلى فك بسطاويسي وهو يتطلع فيها .. كانت ترتدي عباءة كثيرة النقوش تفصل تقاسيم جسدها المائل للامتلاء بينما ذراعي العباءة مشمران فلاح من تحتهما لحمها الأبيض ولأول مرة يراها مكشوفة الشعر بدون وشاح .. أخر مرة رآها بدونه كانت مراهقة .. كان شعرها مصبوغا بالأصفر ينسدل على ظهرها وحلق ذهبي كبير يتحرك مع عصبيتها داعب أعصابه

هتف بدير فيها بحزم" ادخلي يا كاميليا"
استمرت الأخيرة تصيح في جابر "أنا الحمد لله
الكل يشهد بتربيتي وأخلاقي"
ناظرها جابر بقرف فأضافت بلهجة تمثيلية
لتثني أخويها عما يسعيان إليه" لولا ذلك
..(وشهقت بالبكاء) لولا تربيتي وأخلاقي لكنت
حكيت بالتفصيل ما الذي تحملته في ذلك
البيت الذي لا تكف عن الحديث عنه وكأنه
الشيء الوحيد الذي تملكه لتفتخر به.."
عقد جابر حاجبيه يشم رائحة معاني خبيثة في
كلامها في الوقت الذي أكملت فيه كاميليا بتأتأة
تمثيلية وهي تبكي بدموع التماسيح "لولا ذلك
.. لولا تربيتي وأخلاقي لكنت أخبرت أخوتي عن
السبب الذي ... السبب الذي ...لم يجعلني آتي
بأخ أو أخت لميس حتى الآن ..لكني صمتت
ورضيت بقدري وبأن أدفن جمالي في بيتك "

شحب وجه جابر بينما زينت شفاه الرجال الثلاثة ابتسامة خبيثة متسلية ورغم عدم تصديقه اعجب بدير بما فعلته أخته .. فناظر اخوه وابن عمه بنظرة خبيثة يعطيهما إشارة انتظار لانفلات أعصاب جابر ردا على ما قالته ليتطور الامر لمشاجرة كبيرة سيثبت فيها لأهل البلدة أن اخته ضحية وأن جابر ليس بالصورة الفاضلة التي يرونه فيها.. وانتظر جابر ليقع في الفخ .

لكن الأخير هب من مقعده قائلا بقرف والشرر يتطاير من عينيه وهو يلجم نفسه بقوة حتى لا يهشم رأسها في أقرب حائط "أتعلمين يا كاميليا .. أنا لن انزل لمستواك أبدا كرامة لابنتي التي ليس لها ذنبا أني أسأت الاختيار لكن ..(ورفع سبابته هادرا متوعدا فبدى مخيفا أمامهم جميعا) أقسم بعزة وجلال الله أن تعمر بيتي الذي تسخرين منه هذا من هي في مقام سيدتك

وتاج رأسك .. أجمل فتاة في نظري في القرية كلها وارفعهن مقاما ستكون ملكة لبيتي قبل أن تنتهي عدتك "

قالها وتحرك مغادرا وسط ذهول المتابعين ..فأمسك عماد بشعرها يقول" أعجبك ما حدث يا هانم"

خلص بدير يد أخيه من شعرها وقال بضيق " كفى ..أرحموني (وهدر في كاميليا بتهديد) انتهى أمرك يا كاميليا ظننتك لأول وهلة قد تخليت عن حماقتك.. لكن الرجل كان أذكى منك .. (ورفع سبابته محذرا) ممنوع الخروج من البيت بدون إذن من الآن فصاعدا حتى تنتهي عدتك .. ولنرى من هي التي سيتزوجها ليحرق دمنا بها قبل أن تنتهي عدتك يا غبية"

ناظرته كاميليا بوجه مكفهر وعقلها يحاول استيعاب .. من هذه التي يقصد بأنها أجمل منها؟..

ولم تدر بمن يقف يناظرها من بعيد ويتأمل كل تفاصيلها مغمغما في سره "كيف لم تلحظ هذا الفتنة الساحرة من قبل يا بسطاويسي!"

xxxxx

وقفت أمام المرآة ..ليس لتواجه نفسها فتلك المواجهة صعبة .. أصعب حتى مما قررت أن تفعل .. رغم أنه أبشع شيء من الممكن أن تفكر فيه ..

ما قررته اشبه بالانتحار بل هو كذلك بالنسبة لها .. لكنه الحل الوحيد .. الحل الوحيد حتى لا تظلمه معها .

لذا عليها أن تنفذ ما قررته فرفعت مليكة الهاتف على أذنها وقالت " مفرح أريد أن اتحدث معك في أمر عاجل"

xxxx

هدر جابر في الهاتف وهو يدخل الشارع الذي يسكن فيه" لا يا مصطفى.. بل قل أن الأمر

وصل لما هو أقذر من القذارة نفسها .. أنا لا أصدق .. والله الرد الوحيد كان خنقها وليكن ما يكون "

قال مصطفى مهدئا" أنا مدرك لخطورة وحساسية الافتراء الذي افترته عليك.. لكنك والحمد لله لم تعط لهم الفرصة لأن يظهروك كهمجي وابنتهم الضحية.. الحمد والشكر لك يا رب "

قال جابر بضيق " ما أخشاه أن يستغل أخويها وذلك السمج ابن عمهم ما افترت به عليّ لينشروا شائعات ستمس رجولتي يا مصطفى اشعر بأن دمي محروقا"

قال مصطفى قلقا عليه " اهدأ يا جابر ولا تتزلق لأي فخ قد ينصبوه لك "

رد جابر متوعدا" لا لن أهدأ ..وسأريهم من هو جابر دبور.. اذهب الآن يا مصطفى سأعاود الاتصال بك"

اندفع جابر متجاوزا بيته وهو يحدث نفسه
"وأنت يا جابر اقسمت بمنتهى الثقة أنك ستأتي بمن هي أجمل وأرفع شأنا إلى بيتك وأنت لا تعرف هل من تقصدها ستوافق عليك أم لا ..(وشعر بالحزن والخاطرة ترسخ في عقله)
ماذا لو رفضتك يا جابر !"

بخطوات ترفل بالغضب وعينان تشعان بالنار اقترب جابر من يحيى الذي كان يقف أمام منزله قائلا" السلام عليكم يا حاج يحيى"
ابتسم له الأخير مرحبا وهو يسلم عليه ثم سأله" هل أنت بخير يا جابر تبدو مكفهر الوجه وكأن ضغطك عالي"
قال جابر بهدوء" لا شيء أنا فقط كنت أريد أن أزورك الليلة أنا والحاجة "
عقد يحيى حاجبيه وسأله" أهلا وسهلا ..لكن ما الامر طمئنني تبدو في حالة غريبة؟"

حاول جابر بذل مجهود ليبدو طبيعيا وقال "لا شيء حمدا لله على كل شيء.. المهم هل استطيع زيارتكم اليوم؟"

شعر يحيى بالقلق من طلبه الغريب ماذا يريد ولماذا سيحضر والدته معه فسأله" طمئني يا جابر ما هو الموضوع لن أنتظر للمساء لأعرف "

قال جابر موضحا " أنت تعرف بأني قد انفصلت عن زوجتي.. وكنت إن لم يكن لديك مانع ..أريد أن أطلب يد أم هاشم على سنة الله ورسوله"

اتسعت عينا يحيى وهتف متفاجئا "تريد أن تتزوج أم هاشم !! "

"وأنا أوافق"

قالتها أم هاشم بصلابة وهي تخرج من بوابة البيت .

قبل دقائق

كانت تستعد لأن تخبر عمها بموافقتها على محسن .. رغم أنها لم تكن تشعر بأي انجذاب نحوه ليس عيبا في شخصه ولكنه فتور من ناحيته .. ولهذا قررت أن تخبر عمها بالقرار الذي اهتدت إليه ألا وهو أن تشترط خطبة طويلة ليس أقل من عام حتى تتأكد من أنها لن تخونه بالتفكير في جابر..

كانت بذلك تريد أن تعطي لنفسها فرصة مع محسن حتى تصل لأدنى درجات التقبل له كزوج قبل أن ترتبط به .. وكانت خائفة بشدة لكنها توكلت على ربها وقررت أن تطلب هذا الشرط من عمها .. فإن رفض محسن فلن تستطيع تحمل ذنب الزواج من رجل وقلبها لا يزال أسيرا لرجل أخر .

لمحت عمها يخرج فقررت أن تلحق به لتحدثه أمام البيت بعيدا عن تلصص صباح وبناتها لكنها بمجرد أن وصلت للبوابة لمحت جابر

آتيا وهالها منظره .. فتسمرت مكانها تراقب خطواته الغاضبة ووجهه المكفهر.. ورغما عنها لصقت أذنها بالبوابة لتسمع ماذا يقول لعلها تفهم ماذا يحدث معه .. فتفاجأت بطلبه .
الصدمة كانت شديدة .. شديدة لدرجة أن عقلها وقلبها لم يستوعباها ..فبحث عقلها عن تبرير .. ثم ربط بسرعة طلبه الغير متوقع هذا بحالته .. وبما قيل من أخبار بأنه كان عند أولاد العسال لينهي الأمور العالقة معهم .. ففهمت بأنه غاضب .. وفهمت من لهجته المندفعة التي ليست من شيمه بأن هناك ما يخطط له .. وفهمت بأنه يريد أن يذل كاميليا .. يريد أن يستخدمها هي أم هاشم ليحرق قلب كاميليا .. ربما يرغب في أن يوهمها بأنه سيرتبط بمن هي أقل منها جمالا حتى تعرف بأن جمالها هذا ليس له قيمة عنده..
هكذا استقبلت الخبر ..

وفهمت بأنه بحاجة إليها..
وهكذا لم تتردد لحظة واحدة.
الغالي يريد أن يؤدب بنت العسال بطريقة ما فيوهمها بأنه سيتزوج ويجرحها بمن هي أقل جمالا منها ..
وهي لا تمانع .. ولا تجد في الأمر أي غضاضة .. مادام الغالي يريدها أن تساعده لا تمانع.
وبدون تفكير .. اندفعت تخرج من بوابة البيت تقول بثقة وصلابة .
"وأنا أوافق"
قالتها أم هاشم..
قالتها بصوت واضح لكنها لم تكن موافقة من فتاة يتحقق لها حلمها المستحيل أخيرا ..بل موافقة من عاشقة صنديدة تعني (أنا معك أنا أؤازرك).
استدار إليها الرجلان متفاجئان فقال يحيى باستنكار" أم هاشم !!"

رغم وقفتها الجادة شعرت بالحرج من عمها وتنبهت لأنها فعلت ما لا يليق فقالت بلهجة معتذرة" هذا إن وافق عمي "

تلجم الأخير مصدوما مما يحدث بينما قال جابر بارتياح وقد استطاعت التخفيف عنه

"حقا يا أم هاشم .. هل توافقين على الزواج مني ؟!"

هزت رأسها بجدية ثم قالت "إن وافق عمي .. أنا معك في أي شيء تخطط له لتكيد من تريد"

لم يستوعب جابر ما قالته بينما قال يحيى بحرج "لكن يا جابر"

اسرع جابر بالقول "يا حاج يحيى أعلم بأني انفصلت عن زوجتي منذ أسبوع فقط لكني تعجلت حتى لا أجد نفسي بعد ذلك قد تأخرت

(ولام نفسه في سره على تعجله والزج بأم هاشم طرفا فأضاف) دعني أحضر اليوم مع أمي وأعدك بأن الأمر سيكون مجرد قراءة فاتحة

دون علم أحد حتى يتم الإعلان عنه في الوقت المناسب بعيدا عن الزج باسم أم هاشم في أي خلاف قد تخشاه"

تطلع يحيى في أم هاشم بحيرة ثم قال لجابر "الحقيقة يا جابر.."

ناظرته بترجي ألا يذكر أمر محسن فقال "حسنا يا جابر هذه الأمور لا يمكن البت فيها هنا في الشارع فبيتي هو بيتك والحاجة نجف نحملها فوق رؤوسنا ..فلنجلس في المساء وأسمع منك إن شاء الله "

اتسعت ابتسامة جابر .. ابتسامة أضاءت روح أم هاشم خاصة وأنه كان ينظر لها في عينيها وهو يقول "على بركة الله نلتقي في المساء السلام عليكم "

قالها وسلم على يحيى الذي لا يزال تحت تأثير الصدمة وتحرك مغادرا يشعر بالراحة الشديدة بينما قبض يحيى على ذراع أم هاشم وأدخلها

البوابة ثم سألها" ما هذا الذي فعلتيه يا أم هاشم ؟!!"
قالت الأخيرة بحرج" لا تؤاخذني يا عمي .. لم أقصد تخطيك أو التقليل منك اندفعت من الفرحة بدون شعور"
قال يحيى هامسا بتوبيخ "ومحسن .. لا يصح لجابر أن يخطب على خطبة محسن"
قالت أم هاشم تحرك كتفيها" جابر لا يعرف بأمر محسن كما أنني لم أخبرك بموافقتي بعد .. إذن الأمر بمثابة اثنان تقدما لخطبتي في نفس الوقت وافقت على واحد ورفضت الأخر"
فهم يحيى بميلها لجابر وترددها في القرار في أمر الزواج من محسن أفهمه بأنها لم تكن تريده لهذا تغاضى عما فعلت وقال "إذن محسن مرفوض"
ردت بصدق" هو انسان محترم لكني لا أشعر به إلا كأخي"

هز يحيى رأسه قليلا ثم قال لها بمخاوف أب "لكن يا أم هاشم فكري جيدا .. جابر ترك زوجته منذ أسبوع فقط أي أن أمر عودتها له وارد جدا وفي أية لحظة فهي لا تزال في شهور العدة .. لو أردت رأيي يا ابنتي لا تزجي نفسك في هذا الأمر خاصة وأنه (وتردد قليلا لا يعرف كيف يصيغ الأمر دون أن يجرحها ثم قال) خاصة وأن بنت العسال لها مواصفات معينة .."

"أجمل مني بكثير أعلم ذلك .. (ردت ببساطة ثم أضافت) لا بأس لا يهمني ما سيقولونه إن كان هذا هو الثمن لأرتبط بجابر (ثم عدلت كلامها بارتباك) اقصد للارتباط برجل مثل جابر دبور لا أعتقد بأنك قد تعترض على شخصه " قال يحيى " حاشا لله .. أكبر عائلات البلدة وأغناها ترحب به صهرا أنا فقط قلق من أمر طلاقه الحديث"

قالت بهدوء لتقنعه" هو بنفسه طلب أن يكون الأمر سرا لفترة أليس هذا يطمئنك يا عماه"
تأملها يحيي بعين متفحصة فهربت بنظراتها منه.. ليهز رأسه ويقول" أنا لست مقتنعا ليس لأني أريد لك محسن فأنا سأبلغه برفضك فورا.. حتى لو لم أوافق على جابر لظروفه مع طليقته.. لكن لنجلس مساء اليوم ونرى كيف سيكون الأمر (وتأملها مجددا فوجدها في حالة هدوء غريب .. حتى طريقتها الساخرة المعتادة كانت غائبة فقال وهو يفتح البوابة ليغادر) لنجلس في المساء ونرى ماذا سيحدث .. أنا ذاهب السلام عليكم "
اغلقت أم هاشم البوابة خلفه ثم استندت بساعدها عليها ودفنت وجهها فيه وانفجرت بالبكاء .

غير مصدقة أنها ستتمتع برؤية الغالي لبعض الوقت .. وبأنها ستساعده في أن يجد السعادة ..

صحيح لا تعرف إلى متى قد يطول الأمر وعند أي مرحلة سيقف .. لكنها لا تمانع في أي شيء من أجل الغالي ..لا تمانع بأن تضحي بأي شيء من أجله ..

تعلم بأنها قد جنت ..

لكنها لا تبالي ..

فمرحبا بالجنون حينما يتعلق بجابر دبور!

xxxxx

دخل مفرح إلى صالة البيت متعجبا من مكالمة مليكة قبل قليل واندهش أكثر حينما وجدها تنتظره في صالة البيت فسألها" أين الولدان" ردت بهدوء "نزلا للطابق الأرضي"

غمغم بهدوء "لم أرهم (وتفحصها يسألها متوجسا " ما هو الأمر الهام الذي أصريت لأن أحضر فورا حتى تخبريني به؟"
ضغطت كفيها المطبقين بقوة واستجمعت شجاعتها تقول
"أنا .. أطلب منك أن تتزوج يا مفرح"

xxxxx

الفصل الثالث والعشرون

ليس لأنك تتنفس فهذا يعني بأنك حي ..
فبعض الأوجاع تُميتنا ونحن أحياء .. وبعض الأحياء ربما ماتت أرواحهم منذ زمن..
وبعضهم .. قد اختاروا الموت ولا يزال بهم نفس .. فلا تفترض أبدا بأن كل من يتنفس .. حي .
قالت مليكة .. نطقت بها قبل أن تهرب منها شجاعتها .. نطقتها بدافع حبها الكبير لمفرح .. وبدافع رغبتها القوية التي دوما تخسر أمام إرادتها .. رغبتها في أن يكون سعيدا .. قالتها لحبيبها وعيناها تفيضان ألما " أنا .. أطلب منك أن تتزوج يا مفرح "
ساد صمت ثقيل .. بثقل شاحنة مرت ببطء من فوق قلبيهما ..
صمت موجع حاد النبرات رغم خرسه..

فتحاملت مليكة على نفسها لتضيف" أنت ليس لك ذنب .. وتحملت بما يكفي لسنوات .. تحملت بؤسي وشقائي .. من حقك أن تحصل على ما تريد كرجل .. وعليّ أنا ما دمت لست بقادرة على التحسن ألا أقف أمامك .. عليّ أن .. اشجعك على فعل ذلك .. فأنت تستحق السعادة .. لقد تحملتني كثيرا .. لذا آن الأوان لأن أتحملك أنا "

ظل مفرح صامتا ..

رغم الوجع ظل صامتا ..

يتنازعه شعوران .. شعور بالغضب الشديد منها وشعور آخر ..شعور مؤلم جدا .. بالشفقة عليها ..

شفقة وحسرة على مليكة صوالحة ملكة النساء التي قررت الاستسلام.. التي قررت أن تترك نفسها لأن تكون مثيرة للشفقة.. وهذا أيضا يزيد من شعوره بالغضب منها ..

بكرامة عاشق قد طعنت للتو قال بلهجة باردة ساخرة وهو يحتفظ بجمود ملامحه "الحقيقة لا أعرف كيف استقبل هذا الطلب .. أو ماذا تتوقعين أن تكون ردة فعلي عليه .. هل من المفروض أن أتأثر! .. أو أقول (رااائع يا حبيبتي المضحية) أم ماذا ؟... أم تريدين أن أصنع لك تمثالا للزوجة المضحية .. الزوجة التي تطلب من زوجها أن يتزوج بأخرى لأنها غير قادرة على تلبية رغباته .."

ساد بعض الصمت والعيون في مواجهة عاتبة ليضيف مفرح بغضب بارد " عموما يا مليكة هانم أعدك بأنني لن أثقل عليك بمطالبي بعد الآن .. أما بالنسبة لأمر الزواج فهذا يخصني أنا" قالها مشيرا بإبهامه على نفسه ببعض الكبرياء الذكوري الذي استُنفِر ليخفي جرح ذلك العاشق المتألم بداخله وأضاف بنفس اللهجة

الحادة " وأنا من أقرر.. وأقرره في الوقت الذي أراه ..وإن نويت عليه سأفعله يا مليكة لن أنتظر الإذن منك ..(وأضاف بلهجة ساخرة) ولن أتركك تعذبين نفسك بأنك الزوجة المضحية التي طلبت من زوجها الزواج من أخرى .. لا .. سأعزز عندك الإحساس بدور الضحية أكثر وأقوم أنا بدور الرجل النذل غير المراعٍ وأفعلها في الوقت الذي أحدده .. لأعطي لكِ مساحة أكبر لأن تغرقي في عذاباتك أكثر "

وكأنه قد نهش بأنيابه ومخالبه في قلبها المثخن بالجراح فنزفت بقوة وهي ترد بلهجة متألمة" بقدر ما أنت مراعي بشكل استثنائي لا أتوقع أن يكون لدى أي أنسان آخر .. بقدر ما لك لسانا لاذعا حين تغضب يا مفرح.. يجعل كلماتك وانفجاراتك الغاضبة مؤلمة بشدة وحادة كنصل السكين "

اندفع يقطع المسافة بينهما بسرعة هادرا بصوت عال أرسل رعدة في أوصالها "حتى تفيقي يا مليكة .. (وحفر بأظافره في ذراعيها واستمر صياحه في وجهها وهو يهزها بقوة) حتى تفيقي .. لأني لا أحب أن أراك بهذا الضعف .. دوما كنت أحب فيك صمودك أمام الفواجع .. كنت استمد منك القوة.. كنت افتخر بثباتك .. ماذا حدث لك؟ .. ماذا حدث؟ .. من المفترض أننا قد غادرنا الماضي .. باعدت بيننا وبينه السنون .. الذكريات السيئة تُدفن مع الوقت يا مليكة والحياة تستمر .. أنا تعبت .. تعبت .. ماذا حدث لك.. "

هتفت بانفعال تصرخ في وجهه لتنفس عن بعض من مشاعرها التي تبالغ في ضبطها "قدرتي على المقاومة ضعفت .. لا أدري ماذا حدث .. كنت أشعر حتى وقت قريب بأني اسيطر على الأمور .. فجأة شعرت بها تنفرط

كالعقد من بين يدي ولم استطع إعادة ضبطها كما كنت من قبل .. لم استطع اعادتها للوضع الحازم المتحكم "

قال مفرح بإصرار حازم " إذن نطلب المساعدة "

تخلصت من يديه وارتدت للخلف تقول برعب "لا أريد المساعدة من أحد .. ولا أريد التحدث مع أي شخص عن أي شيء ..(ثم هتفت متألمة بشدة) ارفقوا بحالي ولا تضغطوا علي أرجوكم"

شعر بالإحباط بعد ثوان زارته فيها بارقة أمل في اقناعها .. فعاد ليأسه من حدوث أي تحسن أو تغيير وغمغم بهدوء بائس متألم "حسنا يا مليكة ..كما تريدين ابق كما أنت .. أما عن عرضك السخي فلم أكن أنتظر منك السماح .. سأفعلها حينما أريد .. (وأضاف بقسوة متعمدة

لعلها تستفيق) وقد أفعلها قريبا جدا حتى أمنحك الفرصة للتلذذ بدور الضحية"
قالها وخرج يصفع الباب خلفه مرسلا رعدة في كيانها كله .. ولم تكن تعلم بأنها اختارت بإرادتها الموت بأبشع صورة لو كان ينوي التنفيذ بالفعل .

xxxx

في المساء

لم تمر عليها لحظة استثنائية كهذه أبدا .. وإن لم تمر عليها إلا هذه حتى تموت ستكتفي بها .. فمالم تجرؤ على أن تحلم به .. مالم تتمناه يوما .. قد حدث .

جابر يجلس في غرفة الضيوف هو وأمه يتحدثان عنها .. جابر يتحدث عنها .. التقطت أذناها اسمها منطوقا من بين شفتيه مرتين خلال بضع دقائق .

كانت تسترق السمع من المطبخ وتنفخ في كفيها المضمومين أمام فمها رغم حرارة الطقس .. لكن ما في صدرها من حرارة كان يحتاج للتنفيس .. خاصة وهي تنتظر أن ينادي عليها عمها وتدعو الله ألا يغلبه قلقه بشأن ارتباطها بجابر فلا يوافق.

جاءها النداء ..

أتى النداء يا أم هاشم لتدخلي وتجلسي مع الغالي ..

أتى النداء فارتبكت على غير عادتها .. وارتجفت كل ذرة فيها.. فأسرعت بحمل الصينية الكبيرة فوقها أكواب من العصير وأطباق من الحلوى وتحركت .. وبحركة انثوية غريزية حتى لو كانت تعتقد بأنه ليس ارتباطا حقيقيا اختلست نظرة سريعة في انعكاس صورتها في الصينية المعدنية اللامعة المعلقة فوق الرف ..

نظرة جعلتها تخفض نظراتها بإحباط .. إحباط أنثوي .. فرغم كل شيء ورغم معرفتها ورضاها بالارتباط المزيف كانت تتمنى أن تكون أنثى جميلة ..لكنها ليست كذلك.. هكذا ترى نفسها .. أو .. اعتادت أن ترى نفسها ..

لكن الشعور حين يكون متعلقا بالغالي تكون مرارته غير محتملة ..

لا .. لن تدع لأي شيء أن يفسد عليها فرحتها بهذا الحدث .. بهذه اللحظة الاستثنائية.. أنها ستجلس مع الغالي ..

مرت أم هاشم من الطرقة حيث بنات عمها يتسمعن ما يحدث في الغرفة الداخلية و دخلت تحمل الصينية الثقيلة بمهارة فعبس جابر وصمت لوهلة قلقا من ثقل الصينية في يدها ثم راقبها حتى وضعتها على الطاولة وهي تلقي سلاما خافتا .

بمجرد أن اطمأن لوضع الصينية رفع عينيه إليها يرد "وعليكم السلام ورحمة الله "
بحركة عفوية كسر عينه عن النظر كما هو معتاد بشكل عام مع النساء .. لكنه انتبه لأن الوضع أضحى مختلفا فرفع أنظاره مرة أخرى يرمقها بنظرة خاصة وهو يسألها" كيف حالك يا أم هاشم ؟"
جلست على طارف الاريكة المقابلة مستقيمة الظهر تضم ساقيها وقبضتيها في حجرها وترد بهدوء وثقة تداري بهما ذلك الخجل الأنثوي الذي يعتريها لأول مرة .. فجابر وحده القادر على إشعارها بهذا الشعور بأنوثتها وردت" حمدا لله (وأضافت في سرها) سلمت من كل شر يا رب (ثم بادرت الحاجة نجف بالقول) كيف حالك يا خالتي؟"
ردت نجف بابتسامة "بخير برؤية الطيبين"

قال جابر ليحيى وهو يشير لعلبة الشيكولاتة الكبيرة وعلبة الجاتوه " لا تؤاخذني يا حاج يحيى لم استطع أن أحمل معي أكثر من هذا حتى لا ألفت الانتباه لكن سأعوضها إن شاء الله "

قال يحيى بحرج " لا تقل هذا يا جابر البيت بيتك وخيرك سابق "

لم تستطع صباح أن تداري شعورها بالحقد على أم هاشم منذ أن علمت بالخبر خاصة حينما فكرت في أن محسن قد لا يفكر بمصاهرة يحيى مرة أخرى فقالت" ألا يوجد لديك إلا العباءة السوداء يا أم هاشم !"

تجعد جبين جابر من فظاظة المرأة ولم يعجبه أن تحرجها أمام الحاضرين بينما حدج يحيى زوجته بنظرة لائمة جعلتها تمرر أنظارها بين جابر ونجف وهي تقول بابتسامة محرجة "

دوما ألح عليها أن تخلع الأسود لكنها متشبثة به "

لم تسمح لها أم هاشم بأن تعكر عليها مزاجها السعيد بوجوده .. ولم تشغل بالها بتعمدها لإحراجها بل ردت بمزاح ويديها في حجرها تحك ابهامها في ظفر الابهام الأخر "ولمَ نغش البضاعة للرجل؟ .. عليه أن يراها على حقيقتها"

لمعت عيناها ببريق الحياة حينما أضاءت ابتسامة جابر وجهه .. ابتسامة كفيلة بمداواة الروح المثخنة بالجراح .. فقط لو تتمكن من أن تراها دوما .. بينما غمغم الأخير" لازلتِ مشاغبة يا أم هاشم "

ردت بابتسامة هادئة وهي لا تزال تحك ظفر ابهامها دون شعور "نوعا من التغلب على الملل"

ضحك الجالسون عدا صباح التي كانت تلوي فمها غير مستوعبة أن شخصا بهيبة جابر يقدم على الزواج من أم هاشم وهو يستطيع أن يتزوج ممن هي أجمل وأصغر منها ..في الوقت الذي اختلس جابر نظرة أخرى لأم هاشم ثم شعر بالحرج من نظراته المختلسة وبارتباك مراهق كان غريبا عليه .. الموقف كله كان غريبا عليه .

أما أم هاشم فكانت ترفع عينيها اللامعتين لتلتقط لمحات من وجهه ثم تعود لتكسر نظراتها .. رغم أنها لم تبدو في هيئة العروس الغارقة في خجلها بل كانت تجلس بثقة وأريحية تسرق ما تقدر عليه من النظرات الخاطفة بينما أذناها تدققان في صوته الرخيم وطريقة نطقه للكلمات ..

هل أخبره أحد أن له لهجة مختلفة بعض الشيء عن الجميع .. إنها متوسطة اللكنة بين

اللهجة الريفية ولهجة أهل المدينة وتخرج بلحن خفيف لا يلاحظه سوى المدقق مثلها .. لحن متأثر بلهجة أهل الخليج الذين عاشرهم لسنوات .. أو ربما هي وحدها من لاحظت ذلك .

قال جابر " كما أخبرتك يا حاج يحيى سنؤجل إعلان الخبر حتى أبعد أم هاشم عن أي شيء يخص زيجتي السابقة ولكي أطمئنك بشأن هذا الأمر "

تكلم يحيى وهو ينظر لأم هاشم" ما رأيك يا أم هاشم؟"

كانت الأخيرة تطفو فوق غيمة من السعادة فانتبهت لسؤال عمها ثم قالت بتلك الثقة التي أضفت لها هالة خاصة" الرأي رأيك يا عمي"

غمغم يحيى" على بركة الله"

أسرع جابر بالقول" لنقرأ الفاتحة إذن"

قال يحيى بابتسامة مستسلما "لنقرأ الفاتحة"

يا لبركة كلمات الله !
ويا لوقعها في النفوس من راحة ! .
قرأت أم هاشم في سرها وعيناها لا تكفان عن اختلاس النظر إليه ..
أخيرا تستطيع أن تتطلع فيه بأريحية دون الشعور بالذنب ..
قالت نجف "لولا أننا سنؤجل اعلان الخبر لكنت زغردت يا بنيتي "
ابتسمت أم هاشم بينما قال جابر "الحقيقة لقد نويت تجديد البيت بما يليق باستقبال العروس.. كما أني أريد أن أدخل بعض التعديلات عليه لذا أريد أن أعرف إن كان لأم هاشم أي طلبات خاصة "
ردت بعفوية" أنا؟!!"
رفع حاجبيه مندهشا ثم رد "ألست العروس أم أن هناك عروسا غيرك هنا ؟"

تمالكت نفسها المبعثرة في المكان حوله .. ثم ردت وهي تظن بأنها تجاريه في خطته "ليس لي أية طلبات افعل ما تراه مناسبا "

قال جابر "عموما قبل أن أجدد ألوان الحوائط سأسألك إن كان لك لونا مفضلا "

هزت أم هاشم برأسها توافقه ورغم اعتقادها بأنه يفعل ذلك ليوهم كاميليا بأنه مقبل على الزواج بالفعل لم تشعر بأي شعور سيء ..

بل كانت سعيدة .. سعيدة جدا .. ربما قد يتهمها البعض بالجنون لكنها بالفعل سعيدة!..

بعد قليل كانت لا تزال تجلس في نفس مكانها بنفس الهيئة على طرف الاريكة تضم..

قبضتيها في حجرها .. كانت وحدها في الغرفة بينما عمها قد خرج ليوصل جابر وأمه على الباب ..

وأخذت تتطلع في الهدية الملفوفة بالتل الأبيض والتي يظهر من تحتها طبقا لامعا من

الفضة وبه قطعا من الشيكولاتة هدية جابر لها
.
أحست بنظرات بنات عمها من خارج الغرفة فلملمت مشاعرها التي تركها مبعثرة خلفه ورحل .. واستقامت تلتقط الهدية ثم خرجت إلى الواقفات يناظرنها بنظرات تتباين بين الحقد والغبطة والانبهار .. لتبادرها صباح بلهجة لئيمة "أريد أن أقول لك شيئا يا أم هاشم حتى أخلص ضميري "
بهدوء شديد نظرت لها أم هاشم وهي تحضن الهدية فقالت صباح "أريد فقط أن أنبهك يا بنت الحلال لأنه قد يحن لطليقته وقد يردها في أي وقت ..بل أنني أشك بأنه يفعل كل ذلك لتعود إليه .. كما أنه لا تؤاخذيني من الممكن أن يكون قاصدا أن يكايد زوجته بالزواج منك .. فلا تؤاخذيني أنت .. لا تؤاخذيني ..."

ظلت أم هاشم تتطلع فيها لبضع ثوان ثم سألتها بنفس الهدوء الغريب الذي اعتراها طوال اليوم "هل هناك تكملة بعد كلمة (لا تؤاخذيني) أم أن الارسال انقطع؟!"
ناظرتها صباح بوجه محتقن بعد أن فشلت في استفزازها فتركتها أم هاشم وتحركت لتدخل الحمام .. المكان الوحيد الذي تكون فيه وحدها بعيدا عن العيون ..
راقبتها الواقفات باندهاش قبل أن تقول سامية باستنكار "هل دخلت الحمام بالهدية!!"
ردت صباح تعوج شفتيها يمينا ويسارا " لا حول ولا قوة إلا بالله !... الفرحة أذهبت عقلها .. فالغبية تصدق بأنه قد جاء من أجل شخصها .. طبعا وهل كانت تحلم بأن يأتيها جابر دبور بشخصه عريسا "
في الحمام وقفت أم هاشم خلف الباب تحضن الهدية بقوة وكأنها تحضن جائزة .. سيقولون

عنها مجنونة .. سيقولون ذهب عقلها .. لا تبالي ..
يحذرونها منه لا تبالي ..
فهي ممتنة لتلك الفرصة حتى لو كانت زائفة ..
ممتنة لجلسة معه .. ولحديث ترى فيه ابتسامته .. ممتنة لتلك الدقائق في حضرته ..
وستكون ممتنة لأي شيء قد تحصل عليه مقابل أن تساعده فيما يحقق له السعادة ..
أليست سعادتها مرهونة بسعادته ؟.. فما بال لو كانت هي التي ستساعده على الحصول عليها .. وما بال أن تحصل على تلك الفرصة المختلسة من الزمن ... طالت أو قصرت المدة ستكون ممتنة بشدة لكل لحظة فيها .. لكل مرة ستقدر على التطلع فيه بأريحية دون شعور بالذنب ..
تطلعت في طبق الشيكولاتة ثم قبلته قبلة بطيئة وهي تتخيل بأنها تقبل صاحبه .

xxxx

بعد قليل

"رحمك الله يا شيخ زكريا .. ونعم الاختيار يا جابر أصلا ونسبا ..والله كنت أشعر بأنك ستختار شخصا مميزا وهذه البنت يعجبني فيها كبريائها وعزة نفسها "

قالها مصطفى لجابر في الهاتف فرد الأخير

"كنت أخشى أن يكون الأوان قد فات .. ودوما كان يساورني القلق من أن ترضى بزيجة لا تحقق لها ما تتمناه مثل أي فتاة هربا من الوحدة أو العنوسة .. وكم كنت مستاء يا مصطفى لأني لم أفكر فيها حينما أردت الزواج لكن يعلم الله أنها لم تكن أمام عيني وقتها وأنا كنت ذهنيا مشغولا بأمور كثيرة ومع هذا لازلت ألوم نفسي على تركها حتى هذا العمر دون زواج وهي تستحق أفضل من هذا بكثير "

قال مصطفى بثقة " كله قسمة ونصيب وكل شيء بقدر يا جابر .. لعله خير .. عموما مبارك لك بإذن الله"

بعد قليل استلقى جابر على سرير نُصِب بشكل مؤقت في حجرته الفارغة إلا من متعلقاته الشخصية .. وأغمض عينيه بأريحية يشعر بالراحة .. وبأنه على الطريق الصحيح فقال" اكتب لي ولأم هاشم من الأقدار خيرا يا رب"

××××

في اليوم التالي

الشروق من جديد ..

لقد افتقدت استقباله الأيام الماضية حتى اكتشفت بأن فيلا غنيم بها سطح واسع يشبه الحديقة .. تمارس فيه سوسو زراعة الزهور .. وبه ركن لجلسة عائلية وركن أخر به أجهزة رياضية .. لكنها تركت كل هذا ووقفت أمام

السور المطل على حديقة الفيلا تستقبل الشروق .. تستقبل ظهور شمس النهار على رائحة القهوة .. صحيح ليست تلك القهوة المركزة التي يصنعها لها كامل قبيل الظهيرة في المطعم بل قهوة سريعة لأن الوقت لا يزال مبكرا لكنها تفي بالغرض .. وكافية برائحتها وطعمها أن تستقبل بها يوم جديد أمام قرص الشمس الذي لا يزال يثير فيها مشهد ظهوره لينير الكون شعورا بالشجن والتأثر لا تعرف له سببا .

على أخر درجات السلم المؤدي للسطح راقبها كامل تولي ظهرها تستقبل قرص الشروق .. وتذكر صبيحة اليوم التالي لعودته للقرية بعد أن قرر أن يستسلم لمشاعره .. تذكرها تقف فوق سطح البناية في المشروع تتطلع في الشروق .

كالعادة تكبله مشاعره التي تتعاظم وتتداخل بقوة في صدره .. ورغم مرور الوقت يعترف بأنه لم يحل شيئا من العقد المتشابكة بداخله .. بل إن المشاعر تزداد قوة وحدة وتعقيدا وهذا كله يجعله يتحاشى التواجد معها وحدهما بقدر الإمكان خوفا عليها منه..

الشعور قاسي .. الشعور بأنك لا تجد طرف الخيط لتبدأ .. وتخشى من نفسك على الأخر .. تتمنى التواصل معه وفي الوقت نفسه تريد أن تحميه من تعقيداتك .. خاصة وأن جحيم جنون الغيرة الذي تملك منه لو انفجر يعلم بأنه سيقضي على الأخضر واليابس ..

تركها تستمتع بخلوتها وتحرك ينزل على السلم ليستلم دوره على السرير بعد ليلة طويلة من الصراع مع جحيمه الخاص..

بعد قليل جلست بسمة على الارجوحة تشعر بهدوء وسكينة لم تشعر بهما منذ مدة طويلة

ورفعت هاتفها تتصل بأم هاشم.. ليس فقط
من أجل المشروع ولكن للاطمئنان عليها
فبادرتها الأخيرة قائلة بمزاج رائق" كيف حال
عروستنا مع الرجل الغامض؟"
ابتسمت بسمة وردت" أنا بخير كيف حالك
أنت يا مشمش"
تنهدت أم هاشم ترد "مشمش في نعمة والله"
تعجبت بسمة وقالت "عجيب أنك لم تتذمري
من (مشمش)"
قالت أم هاشم متصنعة الرقة في وقفتها في
وسط المشروع تتابع وصول الفتيات " ما دمتِ
مصرة على مناداتي بهذا فلن أدقق معك"
عقدت بسمة حاجبيها وسألتها" ماذا يحدث
معك هل هناك جديدا؟"
تنهدت أم هاشم وهي تتحرك لتدخل الغرفة
التي تمارس فيها عملها الإداري ثم قالت بقلب
انفرطت دقاته كما يحدث كلما فكرت في

الموضوع" بسمة أريد أن أخبرك بخبر لكن لابد أن يكون سرا لفترة مؤقتة "

بعد دقائق كانت بسمة تقول بانفعال" ماذا! .. جابر دبور !! .. ولماذا وافقت ؟ لماذا؟؟؟"

ردت أم هاشم بهدوء" لأنه يحتاج لتعليم بنت العسال الأدب "

بعدم استيعاب هتفت بسمة "لم أفهم .. لم أفهم وما شأنك أنت بذلك ؟.. كما أنني متأكدة بأنك لست من هذا النوع الشامت في الغير "

قالت أم هاشم بلهجة قاطعة " كاميليا ليست طرفا في الموضوع ولا تهمني إن كانت هي أو غيرها.. أنا أريد أن اساعد جابر في تحقيق ما يصبو إليه من السعادة"

دلكت بسمة جبينها وغمغمت بضيق " أنا لا أستوعب ما يحدث .. هناك أمر لا أفهمه (وسحبت نفسا عميقا ثم قالت) أنا أعرف بأن

جابر فرصة جيدة لك يا أم هاشم لكن الارتباط به ..."

قاطعتها الأخيرة بلهجة مراوغة لا ترغب في أن يعكر أي شخص مزاجها الرائق لحظتها.. فلن يفهمها أحد أبدا فقالت "سنتحدث فيما بعد يا بسمة .. حينما أراك عندما تزورين البلدة .. فالحديث على الهاتف لن ينفع ..عموما هذا الأمر لا يزال سريا ولا يعرف به أحد فقط أخبرتك أنت وسأخبر مليكة حينما أتصل بها.."

بعد قليل كانت بسمة تصرخ في مليكة باستنكار" ماذا؟؟؟ .. طلبت من مفرح ماذا يا مليكة !!... أنا اتصلت بك حتى أشكو لك المختلة أم هاشم لأجدك أشد منها جنونا واختلالا .. وتصفينني بالمجنونة فيما فعلت بحياتي!! .. ماذا تسمي ما فعلتيه أنت مع مفرح إذن !"

بصوت مبحوح حزين ردت مليكة" أنا أريد له السعادة يا بسمة ولست قادرة أن أوفرها له كاملة .. ولست قادرة على إيجاد حل للأمر بيني وبين نفسي ..ولا أريد الذهاب لطبيب نفسي لا أريد أن ...."

ارتعش صوتها ثم صمتت فقالت بسمة بهدوء مشفقة" لا أعرف ماذا أقول لك.. لكن هذا الأمر لو طاوعك فيه مفرح سيكون نهايتك يا مليكة "

غمغمت الأخيرة بصوت خافت لكنه مسموعا لصاحبتها "ليتها تكون النهاية .. ربما هذا سيريحني من كل شيء .. بشرط ألا يحزن مفرح لفراقي وأن يعيش سعيدا"

سحبت بسمة نفسا عميقا ثم أطلقته لتسيطر على الشعور العميق بالضيق في صدرها ثم غمغمت بأسف " لا حول ولا قوة إلا بالله لا أعرف ماذا أقول بصراحة "

سألتها مليكة ببعض القلق "هل تعتقدي من كلامه أنه سيفعلها أو أن هناك من يفكر فيها؟"
هتفت بسمة بغيظ " لا اله الا الله !.. ألم تكن سعادة مفرح في المقام الأول منذ عدة ثوان !!"
قالت مليكة تحدق في سقف الغرفة وهي ممددة على السرير "أجل وأنا صادقة لكن .. لكن الأمر ليس سهلا عليّ أنا أعطيته مباركتي لكنه لن يكون سهلا عليّ وسأظل من هذه اللحظة في حالة قلق وترقب وحرقة أعصاب خاصة بعد ما قاله"
أمسكت بسمة بين عينيها وسألتها " ماذا فعل حينما عاد بعد ذلك ؟"
ردت مليكة " لا شيء كلمات مقتضبة ونام في غرفة الولدين وطلب مني أن أنقل له ملابسه معهما في الغرفة"
شعرت بسمة بالحيرة الشديدة ولم تعرف مع أي طرف تتعاطف مليكة أم مفرح فقالت

باندهاش "الحقيقة لا أجد ما أقوله لكما فقصتكم معقدة .. عموما لا أتوقع أن مفرح قد يفعلها .. لكني في الوقت نفسه أقول بأنه رجل وله احتياجاته وقد صبر كثيرا وقد يضعف"
غمغمت مليكة" هذا ما كنت أقصده .. ولا أريده أن ينزلق للحرام في لحظة ضعف"
قالت بسمة شاعرة بقلة الحيلة " أسأل الله أن يهدي لك نفسك ويقومك عليها ويكتب لك السعادة يا مليكة .. سأطمئن عليك مرة أخرى .. وسأزوركم قريبا إن شاء الله"
ودعت صاحبتها وألقت بالهاتف بجوارها على الأرجوحة ثم زفرت بقوة تميل للأمام وتسند رأسها بكفيها بحيرة شديدة واندهاش من هذين الخبرين اللذين تلقتهما من أول اليوم ثم غمغمت بسخرية مرة " ويطلقون عليّ مجنونة "!

xxxxx

الحادية عشر صباحا

تركت بسمة مكانها على الأريكة فوق سطح فيلا غنيم ولملمت كتبها واللابتوب الخاص بها وهمت بالنزول وقد اشتدت حرارة الجو..

لقد اخذت كتبها إلى هذا المكان رغبة منها في إعطاء فرصة لكامل لأن ينام مرتاحا في سريره حينما نزلت بعد الشروق ووجدته نائما ..

تحركت ناحية سور السطح لترى إن كان غنيم وسوسو لا يزالان يجلسان في الحديقة فوجدت غنيم وحده يقرأ الجريدة فخمنت بأن سوسو ربما في تلك الغرفة التي تمارس فيها الرياضة كل صباح ..

ابتسمت وهي تفكر في شخصية حماتها فأحيانا تشعر بأنها حازمة تشعرها بالرهبة وأحيانا أخرى تجدها طفلة تطلب الاهتمام ممن حولها .

همت بالعودة لكتبها على الأريكة حينما لمحت من بعيد تسونامي بهيئتها المستفزة وملابسها الفاضحة تخرج من فيلاتها التي يقف على بابها رجل ضخم وتتوجه ناحية المطعم ..فمطت شفتيها بقرف وتحركت لتلتقط كتبها واللابتوب وهي تشعر بالراحة من أن كامل لا يزال نائما .. لكنها تساءلت إن شامل كذلك أيضا ؟.. لكنها حينما نزلت إلى غرفتها بعد دقائق تفاجأت بعدم وجود كامل في الغرفة .

xxxx

يا مالكاً قلبي
يا آسراً حبي
النهرُ ظمآنٌ
لثغركَ العذبِ
مِل بي له .. مِل بي
يا مالكاً قلبي

على الأنغام التي تتسلل بنعومة من السماعات في المطعم وقّع كامل على إحدى الفواتير يتسلم بعض الطلبات الخاصة بالمطعم .. وقع باسم (شامل نخلة) حينما ادعى أمام المندوب بأنه هو في الوقت الذي أضطر فيه شامل للخروج مبكرا لتخليص بعض الأوراق الرسمية الخاصة بالمعهد الذي ستلتحق به ونس ..

قال المندوب لكامل بأدب" باقي الطلبية ستكون جاهزة خلال يومين بالضبط على حسب الاتفاق .. شكرا مستر شامل "

هز كامل برأسه في الوقت الذي قال شامل متهكما وهو يدخل من باب المطعم بعد أن أرسل رسالة لونس يخبرها بأنه قد وصل

"صباح الخير كيف حالك مستر شامل؟"

قال كامل متهكما "انتهيت يا فلذة كبدي من إجراءات تسجيلها في جامعة كامبردج! "

ابتسم شامل ولم يعقب فأضاف كامل بنفس التهكم "نذر عليّ لأصنع لها بنفسي السندوتشات في أول يوم لها في الروضة "
انفجر التوأمان بالضحك يضربان كفيهما ببعض ثم لف شامل ذراعه حول رقبة توأمه يحاول أن يضغط عليها ليحنيها للأمام .. في الوقت الذي دفعت فيه تسونامي الباب الزجاجي للمطعم وتهللت أساريرها وهي تتطلع في التوأمين اللذين تجمدا بمجرد أن لمحاها لتقول بابتسامة سعيدة" صباح الخير أنتما الاثنان تضحكان كيف سأفرق بينكما الآن؟"
عاد التوأمان لجديتهما وقال شامل بلهجة رسمية" سيأتي ديمتري حالا تفضلي"
قالت ببعض الدلال وهي تقترب منهما بخطوات استعراضية "البركة فيكما أنتما موجودان وليأتي دمترة على مهله"

نظرة سريعة تبادلها التوأمان قبل أن يتحرك كامل ليتركها ببرود بينما ابتسم لها شامل ابتسامة صفراء وكلاهما يفهم بما تحاول أن تلمح له .. لكنها لا تعرف بأنهما حتى لو كانا لم يتزوجا بعد فأي شقاوة منهما مع الجنس الناعم تكون بعيدا عن محيط العمل تماما ... فهما لا يطلقان العنان لأي نوع من العبث إلا في محيط الأصدقاء وفي أوقات وأماكن المرح بعيدا عن أوقات ومكان العمل .

أشار لها شامل لتجلس فاختارت طاولة في واجهة المطعم .. لينادي شامل على أحد الندل ليلبي طلباتها ثم تركها فمطت شفتيها تشعر بالإحباط و قالت للنادل ببعض الغيظ" أين دمترة .. هو يعرف طلباتي .."

غمغم النادل بأدب" سيحضر حالا "

أشار شامل لكامل يخاطره فكريا " ما الأمر؟"

رد الأخر بابتسامة عابثة على زاوية ثغره
"جاءت في الوقت الضائع بعد أن تزوجنا ..ليتها كانت لحقت بنا في أيام الشقاوة كنا وجدنا لها حلا لمشكلتها "
قهقه شامل بضحكة عابثة متسلية وضرب كفه في كف كامل في الوقت الذي دخلت بسمة للمطعم بملامح باردة وخلفها ونس تقلب مقلتيها وتتطلع في تسونامي بملامح خطرة .
تفاجأ التوأمان بزوجتيهما وابتلعا باقي الضحكات بعد أن سقطت الشقاوة عن وجهيهما فوقفا يتطلعان فيهما بملامح متفاجئة..
اقتربت بسمة من كامل بينما سأل شامل ونس باندهاش "لماذا نزلت كنت سأصعد لك؟"
عوجت ونس شفتيها ووقفت متكتفة في منتصف المطعم تتطلع في تسونامي التي احست بغيرة الفتاتين منها فعادت بظهرها

لتستند على الكرسي واضعة ساقا فوق الأخرى
وذلك الشورت الساخن يكشف عن بياض
لحمها .. ثم أخرجت سيجارة من العلبة التي
وضعتها بجوار هاتفها وأشعلتها بحركة إغواء
تسحب منها الدخان وتطلقه عاليا باستمتاع
وهي تستند بمرفقها على ظهر المقعد.
قالت بسمة لكامل الذي كان يقف خلف طاولة
ركن القهوة "استيقظت ونزلت رغم أنك لم
تنم سوي ثلاث أو أربع ساعات تقريبا !"
رد عليها بهدوء " لأن شامل كان لديه مشوار
وكان لابد لأحد أن يوقع على استلام طلبية
تخص المطعم "
اختلست النظر لتسونامي التي هتفت بمجرد
خروج ديمتري من إحدى الغرف الداخلية
"دمترة أين أنت؟"
اتسعت عيني الأخير وتطلع في وجوه الجميع ثم
أرسل تحية لبسمة وونس بإيماءة مؤدبة من

رأسه وتحرك نحو تلك البلوى التي يبتلى بها كل صباح .
سأل كامل بسمة "ولماذا نزلت أنت الآن؟.. ألم تكوني على السطح تدرسين "
دون أن تنظر لتسونامي ردت بصوت عال "جئت لأشرب قهوتي رغم أني أعلم بأن المطعم يفتح للزبائن في الواحدة ظهرا "
قال كامل وهو يتحرك ليضع البن في الماكينة" من عينيّ الاثنتين باشمهندسة باسمة "
ردت عليه متهكمة وهي تربع ذراعيها أمام جذعها "الحقيقة أشفق على عينيك وأنت توزعهما على زبونات المطعم كلهن"
لم يعرف إن كانت هذه غيرة أم لا لكن عبارتها غازلت كبريائه الذكوري فرد غامزا والقهوة تتقطر من الماكينة في الكوب "عيني كامل نخلة فداء للغاليين فقط "

خطف قلبها بحركته تلك فبلعت ريقها وهو يقترب من المنصة عيناه في عينيها حتى وضع لها الكوب فبقيت العيون متعانقة رغم أنف أصحابها بينما عبد الحليم يغني بينهما بصوت عذب.

قل لي إلى أين المسير
في ظلمة الدرب العسير
طالت لياليه بنا
والعمر لو تدري قصير
يا فاتناً عمري
هل انتهى أمري
أخاف أن أمشي في غربتي وحدي

قال شامل لونس بهمس "ونس أنا اتحدث معك لماذا تقفين بهذا الشكل؟!"

ظلت الأخيرة عاقدة ذراعيها أمام جذعها تتطلع بمقلتين مقلوبتين في تسونامي التي تسند بذراعها على ظهر الكرسي ويديها مرفوعة لأعلى

بينما دخان السيجارة ينبعث في الهواء.. لتقول تسونامي لونس ببرود وعلى وجهها ابتسامة سعيدة " هل تريدين شيئا؟"
شعر شامل بالحرج من ونس وبرغبة في صفع تسونامي التي يوليها ظهره فقال ببعض الغيظ وهو يسحب زوجته" هيا يا ونس"
تحركت ونس معه لكن عيناها ظلتا مسلطتان على تسونامي لبضع ثوان وكأنها ترسل لها رسالة تحذير ..فتابع كامل المشهد ثم تفاجأ هو وبسمة بضحكة مستمتعة من تسونامي بعد أن أشاحت بوجهها للناحية الأخرى وكأن ضحكتها غير متعمدة ..ثم سحبت المزيد من الدخان من سيجارتها وأطلقته في الهواء وهي تؤرجح ساقها الموضوعة فوق الأخرى.
قبضت بسمة على كوب القهوة تكبح جماح أعصابها وتحتفظ ببرودها المعهود وهي تخبر نفسها بأن واحدة كهذه لن تخرج بسمة

الوديدي عن السيطرة بينما شعر كامل بالاستياء الشديد من تسونامي لاستخفافها بونس فأظلمت ملامحه وحدج الأخيرة بنظرة خطرة أرسلت رعدة في أوصالها ..لكنها أعجبتها

.

أسرعت بسمة تقول بغيظ "متى ستعلمني قيادة السيارة؟"

نظر إليها كامل يرد "كنت أنوي أن نبدأ اليوم بعد الظهر بعدما أستيقظ لكني اضطررت لأن انزل للمطعم دون نوم"

قالت بإصرار طفولي" اليوم"

تحركت ابتسامة على زاوية شفتيه وأومأ برأسه قائلا بطريقة أربكتها "من عيني "

××××

في بهو الفيلا قال شامل لونس مداعبا " هل جنيتي تغار؟"

ناظرته بمقلتين مقلوبتين متكتفة فقهقه قائلا
"أنا شامل وهذه النظرة تخص كامل"
لم تضحك فقال وهو يلف ذراعه حولها" لمَ
تغارين من امرأة لا تسوى شيء .. قلت لك
نحن علينا أن نتعامل مع كل أنواع الزبائن "
اقتربت سوسو بملابسها الرياضية تقول
"صباح الخير يا ونس"
أومأت ونس برأسها لسوسو التي أضافت "أريد
أن أتحدث معك في شيء ما تعالي معي"
سأل شامل بقلق" هل هناك شيئا يا أمي؟"
قالت سوسو بهدوء "لا موضوع عادي اذهب
وافعل شيئا واتركنا نتحدث قليلا "
قالتها وهي تسحب ونس إلى إحدى الغرف..
فتتبعهما شامل مقتربا من الغرفة يتسمّع بقلق
بينما قالت سوسو لونس بلهجة حانية " ونس
النزول من الغرفة لا يكون أبدا بملابس النوم "

نظرت ونس للملابس القطنية التي ترتديها ..بنطال رمادي وبلوزة من نفس اللون بكم طويل ومطبوع عليها صورة قلب أحمر كبير ثم أخرجت من جيبها الدفتر تكتب "هذا ليس رداء النوم كما أنه محتشما "

قالت سوسو" أنا أعلم يا حبيبتي لكن هذا اشبه بالمنامة ولا يصح أن تدخلي به المطعم

(ونظرت للخف المنزلي الذي ترتديه في قدميها وقالت) ولا هذا أيضا"

ابتسم شامل في الخارج ثم ابتعد وتركهما بعد أن اطمأن أن الأمر بسيط بينما وقفت ونس أمام سوسو تشعر بالحرج فقالت الأخيرة

"المطعم يعتبر مختلفا عن الفيلا والدخول إليه لابد أن يكون بملابس لائقة .. أما هنا في الفيلا فسأتركك تلبسين ما تشائين بشرط ألا يكون لدينا ضيوفا .. ما رأيك أن أساعدك في اقتراح الملابس المناسبة في حالة دخولك للمطعم؟"

هزت ونس رأسها موافقة فقالت سوسو وهي تربت على ذراعها بحنان" وما رأيك أن نخرج أنا وأنت وبسمة وحدنا ذات مرة لنشتري بعض الملابس والأشياء النسائية وندلل أنفسنا ؟"
اتسعت ابتسامة ونس بسعادة وهزت رأسها موافقة ثم كتبت لها في الدفتر" أنا أحبك جدا"
رغم شعورها بالسعادة لا تدري سوسو لمَ تأثرت .. هذه البنت تلمس وترا حساسا بداخلها دوما .. فغامت عيناها ورفعت يدها تربت على خدها قائلة" وأنا أحبك يا حبيبتي .. ألن تريني ما رسمتيه أو صممتيه مؤخرا أم أن شامل أصبح يشغلك ؟"
ابتسمت ونس وهزت رأسها في حرج ثم كتبت" سأريك ما رسمته إنه في الغرفة سأصعد لأحضره "
هزت سوسو رأسها موافقة فتحركت ونس لتعود وتنادي عليها سوسو " ونس "

استدارت الأخيرة فقالت سوسو" لماذا طلبت من زيلا ألا تأخذ سلة الغسيل من غرفتك ؟"
عبست ملامح ونس بشكل مضحك ثم أخرجت الدفتر وكتبت شيئا ورفعته أمام سوسو " بسمة أخبرتني بأنها لا تحب أن تتطلع زيلا على ملابس كامل وأنا أيدتها وطلبت أنا الأخرى من زيلا ألا تفعل ذلك سأغسل أنا الملابس لقد علمتني بسمة كيف استعمل الغسالة الأوتوماتيك "
ضحكت سوسو وقالت" لا بأس افعلا ما يريحكما ..لكن عليّ أن أخبركما أولا ببعض النصائح للتعامل مع الملابس حتى لا تتلف في الغسالة "

بعد قليل

أمام الفيلا كان كامل يقول بعصبية وهو يجلس بجوار بسمة التي تمسك بعجلة القيادة" أنا لست عصبيا يا باسمة "

هتفت في وجهه بغيظ "تقولها وأنت تصرخ في وجهي بأنك لست عصبيا !!"
جز على أسنانه ثم قال" يا بنت الحلال أنت تحركت بالسيارة جيدا منذ قليل دعست على البنزين وبدأت في التحرك ثم فقدت التركيز للسير في خط مستقيم وكدت أن تدخلي في عامود الإنارة"
صرخت في وجهه بغضب تداري احباطها من عدم استيعابها لكل التعليمات التي أخبرها بها" أنت تربكني بعصبيتك وتشعرني بأني أخطأت خطأ فادحا"
ضرب كامل كفيه ببعضهما وهتف "هل لأني افهمك الطريقة الصحيحة أكون مخطئا!"
قالت بعصبية "طريقتك يا كامل تثير أعصابي"
رد ساخرا " المرة القادمة حينما أراك سترتطمين بعامود الإنارة سأطلق زغرودة لأحذرك.. هل هذا جيد !"

اتسعت عيناها الفيروزيتان الغاضبتان أمامه وهي تقول من بين أسنانها "هل تتهكم عليّ؟ .. أنت .. (وبحثت عن وصف مناسب) أنت مدرب سيء"

قبل أن يرد كامل فتح توأمه الذي كان يتابع ما يحدث باب السيارة وسحب أخاه من ذراعه قائلا" افسح لي المجال وارحمنا من الفضائح ستفضحوننا في الشارع "

قال كامل بغيظ وهو يقاومه" اتركني يا شامل"

هتفت بسمة لتغيظه "أجل أريد شامل أن يعلمني "

أدار كامل وجهه نحوها يناظرها بغضب بينما سحبه شامل بإصرار ليترك المقعد ويترجل من السيارة ثم جلس مكانه يغلق الباب خلفه بالقفل من الداخل .

مال كامل ليناظرها من خلال النافذة بغيظ فبادلته بسمة النظرات المغتاظة .

بلهجة ظريفة منغمة مد شامل يده لبسمة قائلا" مساء الخير شامل نخلة مدرب عالمي على قيادة السيارات"

ابتسمت بسمة وهي تمد يدها لتسلم عليه بينما رفع كامل زاوية شفته العليا بامتعاض ليقول شامل "انسي ما فعله هذا الشخص.. إنه فاشل .. ودعينا نبدأ التدرب واحدة ..واحدة شغلي السيارة"

سحبت بسمة نفسا عميقا ثم نفذت فقال شامل مازحا" ما شاء الله ما هذه النباهة !"

قالت بسمة ضاحكة وقد هدأ توترها قليلا "شامل لا تتهكم عليّ"

قال الأخير مؤكدا" اطلاقا هيا دوسي على البنزين ببطء (وأبعد ذراع أخيه من فوق النافذة بخشونة قائلا) ابتعد يا بني ودعنا نقلب أرزاقنا "

ضحكت بسمة من جديد ثم توترت حينما بدأت السيارة في التحرك معها مبتعدة عن كامل الذي وقف بالقرب من الفيلا متخصرا على وجهه امتعاض شديد وهو يراقب السيارة تبتعد أمامه في الشارع .

في السيارة قال شامل بهدوء وهو يلمس المقود ليعدل اتجاهه قليلا" سيري في خط مستقيم يا بسمة خط مستقيم بقدر الإمكان"

تركت بسمة الطريق ونظرت إليه تقول "أحيانا لا يكون الطريق مستقيما و.."

قاطعها شامل بلهجة حازمة " انظري أمامك وركزي في الطريق وأنت تتحدثين مع من يجاورك"

أعادت عينيها للطريق تحاول التركيز مغمغمة " آسفة"

بعد نصف ساعة كانت بسمة تمر من أمام الفيلا للمرة الرابعة آتية من الشارع الخلفي ..

وقد تمكنت أكثر من التحكم في السيارة .. أما كامل فكان لا يزال واقفا يراقب بغيظ وعندما مرت من أمامه أخرج شامل رأسه من النافذة وضرب قبضته في كفه الأخر يغيظ توأمه مرقصا حاجبيه فشتمه كامل عن طريق التخاطر الفكري بينهما .

عاد شامل لبسمة وأعطاها المزيد من التعليمات قبل أن يقول وهو يعدل لها عجلة القيادة "لا لا .. ممنوع أخذ عواميد الإنارة بالحضن يكفي أن تحييها من بعيد فقط"

ضحكت بسمة بشدة فشاركها شامل الضحك بينما ذلك الذي يقف أمام الفيلا ظل متخصرا يتفتت من الغيظ .

xxxx

بعد عدة أيام

كعادتها خرجت من باب الفيلا مندفعة تكاد تطير وهي تهرول نحو والدها الذي يقف في حديقة الفيلا .

تأمل عيد فستانها الكحلي بنقوش بيضاء من الشيفون الناعم بكمين حتى مرفقيها وشعرها المعقوص للخلف يغطي نصف ظهرها وهي تقترب منه وتحيطه بذراعيها بسعادة .

ضمها يربت على ظهرها قائلا" افتقدتك بشدة يا الهي"

ابتعدت ونس تتأمله وتربت على صدره ..فقاوم عيد الدموع وتماسك يقول" تبدين في أحسن حال بعيدا عن والدك يا بنت الكلب "

ضحكت ونس وشدته ليدخل الفيلا فقال بإصرار " لا بل سأجلس هنا في الحديقة "

تدخل شهبندر مقتربا من الضيف الجديد بفضول فمالت ونس تحضنه وتربت على فرائه

بحنان وبدا الأخير مستمتعا بتدليلها له.. ثم تركت الكلب وشدت والدها لتجلسه على أحد المقاعد في الحديقة وجلست هي على الاريكة المتأرجحة أمامه تكتب في الدفتر بينما شهبندر يجلس في الأرض بجوارها " اشتقت إليك يا عيد"

قال وهو يناظرها بامتعاض وعيناه تقرآن عليها كل أدعية الحفظ من الحسد " تبدين في أحسن حال بعيدا عن عيد فلا تبادري بأسلوبك العاطفي المائع هذا الذي تسرقين به قلب والدك العجوز"

ضحكت بملء شدقيها ..فتأملها بسعادة قبل أن يسألها سؤالا كان جوابه واضحا أمام عينيه " هل يعاملك زوجك وأهله جيدا ؟.. أخبريني بأي شيء يضايقك "

هزت الأرجوحة لتقترب منه وأمسكت بيديه ولثمتهما بابتسامة ثم ابتعدت بالأرجوحة

تمسك بدفترها وتكتب " "أنا بخير الحمد لله
سعيدة جدا جدا لأن شامل معي "
تأملها شاعرا ببعض النضوج والهدوء في
ملامحها قبل أن ترفع له الدفتر مجددا بسؤال
"هل هناك جديدا فيما يخص موضوع البيت؟
"

رد عيد مطمئنا "يبدو أن صاحب التهديد قد
خاف من انفضاح أمره بعد الموقف الأخير
وبعد أن أفشل له مصطفى ومفرح ما كان
يحيكه باستخراج أمر بإزالة البيت .. صحيح لم
نكتشف من هو لكن لا يهمني غير أنه توقف
عما يفعل وأتمنى ألا يعود "
كتبت مجددا " الحمد لله .. أخبرني إذن كيف
هي حياتك بدون ونس "
اشاح بيده قائلا بامتعاض "الحمد لله لم يعد
هناك من كان يمنعني من النوم براحة قلقا
عليه"

ضحكة رائقة أطلقتها ونس دغدغت قلبه وهي تتأرجح بالأرجوحة أمامه فسألها "أين زوجك؟"

كتبت "سيأتي حالا طلب مني أن اسبقه لاستقبلك"

خرج غنيم من باب الفيلا يقول بترحيب "أهلا أهلا بالرجل الطيب لا تؤاخذني كنت أصلي الظهر "

استقام عيد واقفا ومد يده لغنيم يسلم عليه وهو يقول " لقد سبقتك وصليت في مسجد قريب "

نظر غنيم للأقفاص والأسبتة الموضوعة بجوار البوابة وقال بلهجة عاتبة "ما كل هذا يا حاج عيد؟.. لم يكن هناك لزوما للتكاليف"

رد عيد بحرج "لن يأتي من بعد خيرك شيئا يا بيك (ثم سأل ونس)متى سنذهب للطبيبة؟"

ردت في دفترها "بعد قليل إن شاء الله"

قال غنيم لونس بلهجة عاتبة " لمَ لم تضيفي والدك حتى الآن يا ونس هل هذا يصح !"
ابتسمت ثم اشارت لهما بما يعني (دقيقة واحدة) واسرعت للفيلا فراقبها الاثنان قبل أن يقول غنيم لعيد مشيرا على المقعد" تفضل يا حاج واسترح .. إنها متحمسة بشدة من أجل السماعات التي سترتديها اليوم أتمنى أن تشعر براحة بعدها "
ناظره عيد لا يعرف ماذا يقول له أو لابنه .. فالكلمات لا تكفي لوصف امتنانه لآل غنيم خاصة بعد أن علم من ونس المبلغ الكبير الذي دفع من أجل السماعة فجلس وهو يقول لغنيم بتأثر " أعزك الله يا بيك ورفع عنك وعن أولادك كل بلاء "
غمغم غنيم بحرج" ولك بالمثل يا حاج .. والله لا تعرف كيف أن بسمة وونس قد أدخلتا الحياة إلى بيتنا منذ أن أتيتا إليه"

لم يجد عيد ما يقوله مجددا فهز رأسه متأثرا ثم رفع كفه لفمه يقبل باطنها وظاهرها بشكر عميق لمن خلقه.

xxxx

"أبي"

قالتها ميس بسعادة وهي تتطلع في جابر الذي يترجل من سيارته أمام المدرسة بينما اتسعت ابتسامته وهو يستقبلها بين ذراعيه ثم قال للسائق التابع لبيت العمدة" أنا سأوصلها للبيت يا عم طه تفضل أنت بألف سلامة " قالها وهو يشير لأدهم الجالس بجوار مقعد السائق بتحية فردها له الأخير بابتسامة ثم وقف جابر يراقب السيارة تبتعد بأدهم وإياد ومنة الله .

قالت ميس وهي ترافق والدها لسيارته

"اشتقت إليك جدا جدا يا أبي"

رد وهو يساعدها على الركوب بجوار مقعد السائق ويغلق الباب جيدا" وأنا أيضا يا ميسة "
حين ركب أمام المقود سألها" اليوم أخر يوم لك في المدرسة أليس كذلك؟"
هزت رأسها فقال" إن شاء الله سنرتب أنا وأنت كيف نتقابل .. وسأشتري لك رقم هاتف يخصك تضعيه في التابلت حتى نتحدث سويا "
قالت ميس بحزن" ألن نعود لبيتنا أنا وأمي؟"
قال جابر وهو يتحرك بالسيارة وقلبه يعتصر ألما" بيت والدك هو بيتك يا ميسة وإن أردت أن تعيشي فيه سأكون سعيدا جدا لكنه لم يعد بيت والدتك "
قالت ميس بلهجة باكية "هل توقفت عن حبنا لهذا طردتنا من البيت؟"
كان يعلم بأنها لن تستوعب ما يحدث بشكل جيد وبأن الأمر سيكون صعبا على سنوات عمرها الست لكنه قال بحزن وهو يسحبها

ليضمها إلى صدره" يا ميسة.. أبوك يحبك كثيرا وحين تكبرين ستعرفين بأنه من أجلك تحمل كثيرا ..لكن الكبار أحيانا تحدث بينهم أمور تجعلهم يقررون الانفصال والابتعاد عن بعضهما (وحاول تبسيط الأمر لتفهمه فأضاف) ماذا لو كنت تملكين صديقة ثم تشاجرتما ألن تقرري أن تبتعدي عنها؟ .. هذا ما حدث بيني وبين أمك .. لكنك ابنتي وستظلين ابنتي لا يوجد بين الأب أو الأم وأبنائهم انفصالا "

قالت ميس بنفس اللهجة الباكية " أمي أخبرتني بأنك طردتني من البيت لأنك لم تعد تحبني ولأنك ... "

صمتت فسألها جابر وهو ينزل نظراته نحوها" ماذا قالت؟"

ابتعدت ميس عن صدره لتواجهه قائلة "وبأنك لست أبا جيدا "

تمالك جابر نفسه بقوة حتى لا ينفجر غضبا ثم سأل ابنته" وهل أنت تريني كذلك؟ "
هزت ميس رأسها نافية.. فمال يطبع قبلة على رأسها قبل أن يعود لينظر للطريق قائلا "أنا أحبك يا ميسة أحبك كثيرا لكن أنا وأمك نتشاجر كثيرا لهذا لم يعد هناك فرصة لأن نكون معا .. ستبقين في بيت العسال مع أمك لفترة وبعدها ربك كريم وسأجد طريقة لتأتي وتعيشي معي كالسابق إن شاء الله "
قالت ميس بإصرار "لكني لا أريد أن أترك أمي"
صمت جابر ولم يعقب .. صمت متألما رغم تفهمه لأنها صغيرة ولا تزال متعلقة بأمها ..
صمت وشرد في الطريق أمامه يداري وجعا سيصاحبه للأبد كلما نظر في عيني ميس..
يعلم بأنه سيشعر تجاهها بالذنب للأبد .. وبأنه سيتحسر على حظها لأنها لن تحظى بالحياة مع والديها معا .. سيتألم قلبه على كونها ليست في

بيته حتى يحين الوقت ويستطيع ضمها ..
وسيظل للابد يشعر بالذنب تجاهها بأنه قد جانبه التوفيق في اختيار أمها .
ربما يكون قد استراح من علاقة فاشلة لكنه سيظل متألما على قدر ابنته للأبد ..
وما يخيفه حقا ألا تتفهم ميس مستقبلا ما حدث وتلومه خاصة مع افتراءات والدتها المستمرة عليه ..
لم يجد جابر ما يقوله لنفسه إلا أن بلع طعما مرا في فمه وغمغم "لله الأمر من قبل ومن بعد"

××××

كم من لحظات فاصلة تمر علينا في الحياة ..
لحظات تغيير مسار كانعطاف مفاجئ في المسيرة.. يتغير بعدها كل شيء حولنا .
وما أصعب من أن تكون فاقدا لحاسة من الحواس أو تعاني من ضعف فيها وتحصل بعد

عمر على ما يساعدك لأن تكون شخصا طبيعيا أو أقرب للطبيعي .
كانت ونس ترتجف وحماسها على أشده وهي تتطلع في الجميع .. والدها وزوجها والطبيبة ومندوب الشركة المتخصص الذي أحضر لها السماعة المطلوبة.
أمسك شامل بيدها بتشجيع بينما عيد يراقبها من مقعد بعيد بجوار باب غرفة الكشف يتابع ما يحدث ويكاد قلبه يحطم صدره وهو ينتظر بترقب ..
ما أصعب أن يكون لديك طفلا من ذوي الهمم .. وما أصعب الشعور بالعجز وأنت تحاول أن تساعده كي يحيا حياة طبيعية ..
ما أصعب اللحظات التي تشاركه فيها احباطه ويأسه .. تتمنى أن تملك عصا سحرية لتغير بها حياته للأفضل .. تطبب.. تشجع ..تبحث له عن حلول بديلة ..

وأنت تداري ألمك وحرقة قلبك .. ولا يهونها عليك إلا الرضا بقضاء الله وقدره ..
نظرت ونس للسماعتين الصغيرتين جدا بحجم عقلة الإصبع في يد الطبيبة .
الجزء الخارجي منها أصغر بكثير من سماعتها القديمة بل إنه إذا ما وضع خلف صوان أذنها لن يكون ملاحظا .. كان باللون الوردي .. لون أنثوي بامتياز.. يخرج منه انبوبا رفيعا جدا وشفافا .. يكاد لا يرى .. في نهايته الجزء الداخلي الذي سيوضع بداخل أذنها والذي بدأت الطبيبة في تركيبه في أذني ونس تباعا ومندوب الشركة يشرح لشامل مميزات السماعة.
ارتجاف لحظي تملك من جسد ونس بمجرد أن ارتطم الصوت بأذنيها ..
نعم ضربت ذبذبات الصوت برأسها ..فهو لم يكن أبدا بهذه القوة .. لم تسمعه أبدا بهذا

الوضوح .. رغم احساسها بعدم اتزان مؤقت .. وكأن المخ يحاول أن يتعامل مع ما يستقبله من السماعة .

اتسعت عينا ونس وصوت المندوب يأتيها قويا .. صحيح هناك كلمات لم يستوعبها مخها بعد ولكن ليس لأنها لم تسمع .. بل سمعت .. سمعت بوضوح .. سمعت أفضل من أي مرة سابقة .. فقط مخها لم يتعود بعد على الالتقاط السريع للكلمات .. الواضحة .

نظر إليها شامل وسألها" هل تسمعين يا ونس أخبريني"

ضربات قلبها ازدادت جنونا وفغرت فاهها تتطلع في شامل بملامح مصدومة ..فعبس الأخير وتبادل النظرات مع الطبيبة التي تراقب بابتسامة ثم قال لونس وهو يحاول السيطرة على ارتباكه الشديد وحماسه كأنه هو الذي ينتظر ارتداء سماعة طوال عمره

"ونس أخبرينا كيف الحال هل تسمعين ؟"
كلما استرسل شامل في الكلام كان الشعور بالحماس بداخلها يزداد وبدأت تهز يديها في الهواء من الإثارة وهي تقترب منه عيناها تناظرانه باتساع فابتسم الأخير ولمعت عيناه بالدموع وهو يسألها بلهجة أكثر هدوءً
"تسمعين بشكل أفضل أليس كذلك؟"
مدت يدها تتلمس شفتيه وكأنها لم تكن تسمعه من قبل .. صوته واضح ..قوي ..رخيم ..وله ذبذبات تسريت إلى أذنيها فدغدغت أعصابها.
قال شامل مبتسما" طمئنينا يا ونوس ما الاخبار؟"
صوته خشن وجميل ..فضحكت بسعادة .. وألقت بنفسها عليه تحضنه بقوة .. حضنته تبكي وتصدر همهمات من حنجرتها فازدادت لمعة الدموع في عيني شامل وتغضنت ملامحه

متأثرا وهو يضمها قائلا وكأنه لا يصدق "
تسمعين بشكل جيد أليس كذلك؟"
ابتعدت بوجهها لتتأمله ثم أشارت له بإصبعها
حتى يتحدث فقال شامل مشاكسا "سألت
السؤال أكثر من مرة حتى أني بدأت أشك في
عمل السماعة ..هل تسمعيني الآن بشكل
أفضل من ذي قبل ؟"
وضعت يديها على حنجرته وهو يتحدث
لتشعر بذبذبات صوته كما تسمعها .. كانت
تسمع صوته قبل ذلك بعيدا مكتوما .. فعادت
لتحضن شامل بقوة باكية...
أتاها صوت عيد يقول بصرامة " تحشمي يا
بنت عيد وأجيبينا على السؤال ما هذه الميوعة
"!
تركت ونس شامل على الفور واستدارت ناحية
الصوت تبحث عنه وقد هالها أن تسمعه بهذا
الوضوح من هذا البعد ..فاقتربت من عيد ذي

العينين الحمراوين من الدموع والذي استقام واقفا قبل أن تندفع نحوه كالعاصفة المشبعة بالحماس تحضنه هو الأخر وتبكي .

مسحت الطبيبة عينيها من التأثر واستعادت لهجتها المهنية تقول" أعتقد بأن ونس حاليا في حالة من الحماس الشديد ولن تستقبل كل ما سنقوله من تعليمات .. لذا أرى أن نمنحها الفرصة لأن تتوازن شعوريا "

قال المندوب " ميزة هذه السماعة أنها لن تحتاج لضبط من متخصص بل يستطيع المستخدم أن يضبطها على أكثر من وضع بنفسه ..والكتالوج شارح لكل شيء ..ومع هذا رقمي مع الأستاذ شامل لأي استفسار أنا موجود"

قالت الطبيبة "ومع هذا أريد أن أرى ونس مرة أخرى لأطمئن عليها"

استدارت ونس للطبيبة وقد استجمعت بعضا من أعصابها لتشير لها بإبهامها مطمئنة ..
فأعطى المندوب جهازا صغيرا بحجم اصبع يشبه الريموت لشامل قائلا" هذا جهاز للتحكم عن بعد في ضبط السماعة "
اقتربت ونس من جديد تحدق في الرجل تارة منبهرة بوضوح صوته ..وتحدق في الجهاز في يده تارة أخرى وهو يضيف "ومع السماعة يوجد قطعة صغيرة كالميكروفون تستطيعين توجيهه لالتقاط صوت شخص معين دونا عن بقية المحيطين .. مثلا حينما تكونين في قاعة للدرس من الممكن أن تضعيه على الطاولة أمام المعلم "
امسكت ونس بملحقات السماعتين من العلبة الكرتون تتفحصها ليضيف المندوب وهو يغلق حقيبته" وبالطبع كما شرحنا من قبل ستوصلين السماعتين بهاتفك عبر تطبيق

خاص بها على الهواتف الذكية وتتحكمين بكل شيء فيها عن طريق الهاتف أيضا "
إن كانت ونس تستطيع الكلام لما وجدت هذه اللحظة ما تعبر به عما تشعر به .
إنها سعيدة بشكل استثنائي .. سعيدة إلى درجة تكاد تفقدها عقلها .
قال المندوب وهو يستأذن للمغادرة "رقم هاتفي مع الأستاذ شامل والشركة تقدم الدعم لعملائها في أي وقت .. مبارك يا فندم السلام عليكم "
غادر المندوب فقالت الطبيبة" ألف مبروك يا ونس سنتركك لفترة لتجربي السماعة وأريد أن أراك مجددا للاطمئنان عليك "
قال شامل بامتنان "نحن نشكرك بشدة يا دكتورة هبة على كل شيء"
ردت الطبيبة" لا شكر على واجب وأتمنى أن تتابعوا مع أخصائي تخاطب "

نظر شامل لونس التي عادت لتقف بجوار والدها تتأبط ذراعه وتشاكسه بميوعة بينما عيد يغطي عينيه بكفه ويبكي فقال شامل "الحمد والشكر لك يا رب "

xxxx

بعد ساعة

استقبل آل غنيم ونس وشامل بسعادة شديدة فوقفت بسمة في البهو تتطلع في سوسو التي تحضن ونس قائلة "أنا سعيدة جدا أنك تشعرين بتحسن كبير في التقاط الأصوات "
قال غنيم لشامل "لماذا لم تصر على الحاج عيد أن يعود معكما؟"
رد شامل بيأس "حاولنا يا أبي وألحينا عليه لكنه كالعادة رأسه يابس .. حتى أنه كان يصر أن نوصله للمحطة حتى يركب القطار لكنني طلبت من السائق أن يقابلنا بالسيارة الأخرى في الطريق وأخذه ليوصله للقرية "

ظلت ونس تتابع أصواتهم حولها بعينين متسعتين فاقتربت بسمة تقبلها على وجنتيها وقالت" ألف مبروك يا ونس .. علينا أن نتصل بمليكة في مكالمة مرئية حتى تراك لقد اتصلت مرتين اليوم لتطمئن عليك "

هزت ونس برأسها بحماس فقالت سوسو "نتجمع على الغداء سويا أولا (ونادت على الخادمة) زيلا جهزي الغداء على السفرة "

انتهز كامل انشغال الجميع بونس واقترب منها ثم مال على أذنها يقول "تووووت "

انتفضت الأخيرة تقفز من مكانها مجفلة تمسك بشامل بينما انفجر كامل ضاحكا وهو يبتعد يديه في جيبي بنطاله فناظره الجميع باستنكار ليقول بلهجة عابثة " كنت اساعدها في تجربة جودة السماعة"

هتف غنيم بتوبيخ "ألن تكبر على هذه التصرفات الصبيانية !"

أبعد شامل يدي ونس عن ملابسه وأسرع إليه
يقول" أنت تحتاج لتربية وأنا سأربيك "
راقبت بسمة بابتسامة محاولات كامل الإفلات
من توأمه يمينا ويسارا ويديه لا تزالان في جيبي
بنطاله ضاحكا قبل أن يهرب منه ويهرول
للوقوف خلفها .
اتسعت عيني شامل وهتف" تختبئ خلف
زوجتك !"
رد كامل مغيظا" لأنك لن تستطيع الاقتراب
أكثر .. "
ضحكت ونس فأشار كامل عليها قائلا" ها هي
تضحك لماذا انفعلتم جميعا!! "
كتبت ونس في الدفتر ورفعته لكامل" أنت
صوتك مثل صوت شامل بالضبط "
من خلف بسمة قرأ كامل ما كتبته مستندا
بكفيه على كتفي زوجته ثم علق بلهجة

متهكمة" ما شاء الله وازدادت نباهة أيضا بعد تركيب السماعات! "

على السفرة بعد قليل تفاجأت بسمة بنظام السفرة الذي تراه دوما في التلفاز أطباق فارغة فوق بعضها وشوك وملاعق وسكاكين مرصوصة حولها ..
كانت المرة الأولى منذ زواجها التي يجتمعون فيها على وجبة الغداء فالطعام كان يتشاركه العرسان في غرفتيهم .
جلست بجوار كامل تشعر ببعض الارتباك وتتذكر ما مر عليها من معلومات عن أن السكين في اليد اليمنى والشوكة في اليد اليسرى لكنها لا تعرف كيف ستكون مهارتها في الاستخدام .
أخذت زيلا تصب الحساء في الأطباق ثم ابتعدت .. فبدأت به بسمة وهي تشعر

بالانزعاج ولا تشعر بالراحة في جو مشحون بالتقيد وأخذت تشرب من الحساء على مهل وهي تستمع لحكايات شامل عما فعلت ونس في العيادة ورد فعلها .

أما كامل فكان مشغولا بالإنصات لتوأمه وهو يقطع شريحة لحم في طبقه فراقبته بسمة بنظرات مختلسة كيف يمسك بالسكين والشوكة بمهارة .. ثم غمغمت في سرها "المشكلة في أني سأبدو غير متمرسة "

ازداد ضيقها كما يحدث دوما حينما تجد نفسها تفتقر لمهارة ما .. شعور بات يحاصرها منذ مدة وكأنه نوعا من التوبيخ الذاتي .. وصعقت بشدة حينما راقبت ونس وهي تمسك بالشوكة والسكين وتقطع قطعة اللحم أمامها فرفعت زاوية شفتها العليا بطريقة كامل الشهيرة وهمست في سرها بامتعاض ذاهل " ونس بنت عيد !"

قال كامل لأخيه وهو يضع الطبق أمام بسمة بعد أن انتهى من تقطيع قطعة اللحم " كان عليك أن تصور تلك اللحظة وهي ترتدي السماعة وكيف كانت ردة فعلها "

تفاجأت بسمة بما فعل كامل وراقبته وهو يأخذ طبقها ليضعه أمامه في الوقت الذي رد شامل على أخيه "صدقني كنت أخطط لذلك لكن الحدث كان مربكا وحماسيا .. الشعور كان لا يوصف "

قال غنيم قبل أن يضع الشوكة في فمه" كلنا سعداء من أجل ونس "

مال شامل على ونس وهو يراها تتعامل بالشوكة والسكين وغمغم هامسا "جنيتي التي تتعلم من الانترنت جيدا "

ابتسمت في حرج وأشارت له وكأنها تسأله إن كانت تفعلها بشكل جيد ..فرفع لها إبهامه غامزا .

سألت سوسو "متى ستقابلون أخصائي التخاطب؟"

رد شامل" في أقرب وقت ممكن (ونظر لونس يتأملها مضيفا) أنا متحمس جدا .. وأنت يا ونس ؟"

هزت الأخيرة رأسها توافقه بينما ظلت بسمة تحدق في كامل الذي قطع رحلة الشوكة لفمه وناظرها باندهاش يسألها" لماذا لا تأكلين؟"

لملمت شفتيها تشعر بالحرج وهمست له بمشاكسة "هل كنت تخشى من أن احرجك؟ .. عموما أعترف بأني ارتبك من استخدام أدوات المائدة المتفزلكة هذه "

اتسعت ابتسامته فبدا وسيما بشكل مستفز .. ثم وضع الشوكة وفرد ذراعه على ظهر مقعدها مقتربا بوجهه منها يقول أمام عينيها" أعلم بهذه المعلومة من قبل "

كانت رائحة عطره اللاذعة تأتيها مختلطة بدفء جسده القريب جدا فأربكتها لتسأله بغباء" أية معلومة؟"

رسم وجهها بنظراته ثم حدق في طابع الحسن في ذقنها يقاوم رغبة متوحشة في عضه وهو يقول" أنك حورية من عصور ما قبل التاريخ كنت تهيمين على وجهك في الغابات وتعيشين على الجمع والالتقاط .. رأيت هذا بعيني "

ردت متهكمة ودائرة الدفء تحكم اغلاقها حولهما "غوريلا تقصد أو انسان الغابة؟"

اتسعت ابتسامته وقال" أنا شخص مهذب وقلت حورية .. أما إن كنت ترين نفسك غوريلا فهذا يخصك "

أشاحت بعينيها عنه لثوان فشعر وكأن حجريهما الفيروزتين يسحبان قلبه معهما قبل أن تعود للنظر إليه قائلة" عموما شكرا على

تقطيع اللحم أنا كنت سأقطعه لكني لم أكن لأشعر بالراحة "

وضع يده على صدره وقال بنفس الابتسامة الوسيمة التي تستفزها" على الرحب والسعة يا باشمهندسة "

تدخل غنيم قائلا بلهجة متهكمة" آسفين على المقاطعة هلا احترمتما الجلسة العائلية وأجلتما التسبيل حتى تصبحان وحدكما "

تلون وجه بسمة واعتدلت تدفن وجهها في طبقها بحرج بينما قال شامل لوالده باعتراض صبياني" لماذا يا أبي قاطعتهما .. كنت انتظر القبلة!!"

كتمت ونس ضحكتها بينما قال غنيم يتصنع الحزم وهو يلملم ابتسامة على شفتيه "أخرس وكُل (ونظر لكامل) وأنت كف عن التسبيل وكُل"

عاد كامل ينظر في طبقه ضاحكا بينما مال غنيم على سوسو يهمس "ما رأيك في هذا الحزم؟" فابتسمت سوسو ورفعت له يدها تشير بعلامة (تمام)

xxxx

بعد اسبوعين

خرجت بسمة للحديقة تسأل كامل" ألم يحضر مفرح بعد ؟"

استدار الأخير إليها يقول بامتعاض "على وشك الوصول وأتمنى أن تنتهي من كل أسئلتك له في زيارة واحدة"

عقدت حاجبيها الجميلين وسألته "لماذا ؟!"

رد بلهجة مستخفة " لأنه لا يعجبني"

سألته باندهاش "مفرح لا يعجبك؟!"

أجابها بامتعاض "مجيئه ليدرس لك لا يعجبني"

قالت مبررة " إنه سيساعدني في بعض الأمور العالقة معي في البحث "
قال بإصرار "لا يعجبني"
عقدت ذراعيها تقول ببرود " هل تمنعني من الدراسة؟ "
هز كتفيه ورد بهدوء " بالطبع لا ..ادرسي كما تريدين وتعلمي ما تريدين لكن بدون الاستعانة بمفرح"
سألته باندهاش " لماذا؟.. إنه ابن عمتي وصاحبك"
أجاب بإصرار " صاحبي أنا ..وليس أنت"
ضيقت عينيها وهتفت باستنكار "ما معنى هذا .. تحكم في حياتي !"
ببرود رد عليها وهو يتطلع أمامه يديه في جيبي بنطاله "سمها كما تريدين"
هتفت بتحدي " وأنا لن أقبل أن يتحكم أحد في حياتي"

أدار وجهه إليها يقول ببرود " يؤسفني أن
أخبرك بأني لدي ورقة تمنحني ذلك الحق"
جزت على أسنانها تقول بغضب "كامل"
استدار بكليته ليواجهها قائلا " نعم "
قالت بغيظ "أنا لا احب ذلك"
مال عليها يتأمل عينيها قائلا ببرود " اشربي من
اقرب بحر (ونزلت أنظاره إلى شفتيها حينما
عضتها بغيظ فبلع ريقه وأكمل بنفس البرود)
أو اضربي رأسك في أقرب حائط ..(وصمت
لثوان ثم اردف) لكن لا تجرحي رأسك حتى لا
اسمع (وقلدها بصوت رفيع متهكما) كامل دم
يا كامل"
أخذت ضربات القلوب بينهما تعزف لحنا
صاخبا فلملمت بسمة شفتيها ثم قالت
بمناكفة "لماذا تشعر بأنك شخص مهم ؟!!"
هز كتفيه ورد بثقة استفزتها "لأنني كذلك"

ضربت كفا بكف تضحك ثم قالت ساخرة "لم أرى شخصا في مثل غرورك !"
رد ببساطة "أمامي امرأة أكثر مني غرورا"
هتفت باستنكار " أنا مغرورة !!.. بل أنت المغرور وبصراحة لا أجد سببا لهذا الغرور (وأضافت بعد أن ناظرته بنظرة مقيمة ثم أشاحت بيدها تتصنع اللا مبالاة) فكل شيء بك عادي"
اتسعت ابتسامة واثقة مستفزة على وجهه في الوقت الذي اسرع شهبندر إليها ونبح فجأة بجوارها حينما وجدها تشيح بيدها .. فصرخت الأخيرة مفزوعة وهي تقفز في اتجاه كامل الذي فرد ذراعه يمسك بها مبتسما قبل أن تتجاوزه هاربة ..فالتصقت بصدره حينما اقترب الكلب . ضمها كامل إليه أكثر حتى التحمت به .. بينما وقف شهبندر على قدميه الخلفيتين أمامها

..فخبأت وجهها في صدره تقول برعب ابعده
"يا كامل أرجوك"
بابتسامة متسعة وبأنفاس ثقيلة قال وهو ينزل
أنظاره ليتطلع في رأسها المدفون في صدره
"يريد أن يسلم عليك"
قالت وهي على وشك البكاء" لا يا كامل أرجوك
بالله عليك"
نزل شهبندر على أربعة ثم عاد ووقف على
قدميه الخلفيتين مجددا يخرج لسانه من
جانب فمه منتظرا .. في الوقت الذي تمنى كامل
أن يضمها بقوة لكنه قال وكفه يتحسس ببطء
خصرها وظهرها دون إرادة منه" لن يفعل لك
شيئا يا باسمة أنا معك .. إنه يحبك ويريدك أن
تعيريه اهتماما"
غمغمت ووجهها مدفون في صدره وقبضتها
تمسك بملابسه "لا أريد .. ابعده"

مال برأسه يمس شعرها بشفتيه ثم قال "مسكين .. أنظري لا يزال ينتظر.. مدي يدك وسلمي عليه ولن يؤذيك ..ألا تثقين بي ؟!"

نظرت بعين واحدة ثم ابعدت وجهها عن صدر كامل ببطء بينما يدها التي خلف ظهره تمسك التيشيرت بقوة ..فمدت يدها الأخرى (اليسرى) لتسلم على شهبندر الذي عاد بعدها على أربع وحاول أن يتشممها فقالت بسمة بخوف" كامل أرجوك"

مال الأخير وربت على ساقه يطلب من شهبندر أن يأتي إليه على الجانب الأخر بعيدا عنها فلبى الكلب النداء ليمد كامل ذراعه ويمسح على رأسه الكلب الذي رفع قدميه الأماميتين يستند على ساق كامل .

انتبهت بسمة أخيرا لوقفتها الملتصقة به فاشتعل جسدها واسرعت بتخليص نفسها من ذراعه مبتعدة بتوتر .

شعر كامل بالإحباط لكنه لم يبدي أي ردة فعل بل تحاشى النظر إليها حتى لا تنفضح مشاعره ..ومال ليداعب كلبه ويفرك وجهه بين يديه هامسا "كف عن مغازلة زوجتي أم أنك تعلم بأنها تخصني لهذا تحبها مثلما تحبني ؟"
عدلت بسمة من ملابسها وشعرها وهي تحاول السيطرة على ما تشعر به من مشاعر انجذاب قوية نحو كامل .. فاحمرت وجنتيها في الوقت الذي رن جرس البوابة فقال كامل وهو يستقيم واقفا ويترك كلبه "هذا مفرح بالتأكيد "
بعد ثوان دخل مفرح يقول ضاحكا" العريس النذل الذي نساني هو وتوأمه بعد الزواج"
ضرب كامل كفه بكف مفرح في سلام رجولي ثم حضنه وهو يقول بمحبة واضحة "اشتقنا إليك والله يا ابن العمدة .."
قال مفرح وهو يرى بسمة تقترب منه" يا عمي أنا تركتكما قليلا لتنعما بالعسل لكن أكثر من

ذلك لن أسمح (ومد يده يسلم على بسمة قائلا)فاتنة المجرة بنت خالي كيف حالك؟"
سلمت عليه بسمة وابتسامة هادئة ترتسم على شفتيها لم يرها من سنوات بينما قال كامل من بين أسنانه" هلا توقفت عن مناداتها بهذا اللقب "
قال مستمتعا باستفزازه" لماذا؟ .. هل عميت ولا تراها كذلك! "
هتف كامل بتهديد" مفرح "
انفجر الأخير ضاحكا بينما تطلعت بسمة فيهما بتساؤل ظل معها حتى حينما تحركا للداخل.
سألها مفرح على باب الفيلا الداخلي بينما كامل يتصل بشامل في المطعم ليخبره بوصول صاحبهما " هل كل شيء بخير ؟"
ردت بسمة بابتسامة " الحمد لله "
غمغم مفرح براحة "لا تتصورين مدى سعادتي يا بنت خالي .. لك ولكامل .. ولأن ابنة خالي

ارتبطت بصاحبي .. أتمنى أن تنسي الماضي بكل ما فيه لتفكري في مستقبلك يا بسمة "
كلامه صنع تساؤلات كثيرة بداخل بسمة ولم يكن هناك فرصة لأن تسألها له لأن كامل انتهى من مهاتفة شامل وتطلع فيهما بتساؤل ..
فبلعت بسمة لسانها وتحركت نحو إحدى الغرف معهما .
في المطعم وضع شامل الهاتف ليرد على نظرات ونس المتسائلة "هذا كامل يخبرني بأن مفرح قد وصل "
قالها وهو يقترب منها في ركن من أركان مطبخ المطعم الواسع .. ركن يخص صنع الحلوى وتأمل تلك الشخصية الكرتونية الشهيرة التي صنعتها ونس من عجينة السكر فقال بإعجاب" رائع جنّيتي ..رائع جدا "
اتسعت ابتسامتها ومالت لتكمل ما تفعله فتحركت ملعقة معدنية بجوارها أجفلتها

لثانية قبل أن تنظر لها أولا ثم لشامل الذي سألها" لا زلت تتفاجئين بالأصوات التي لم تكوني تسمعينها من قبل ؟"
هزت رأسها بابتسامة فقال مقترحا "إن كان في هذه السماعات اختيارا لعزل هذه الأصوات فعّليه "
هزت ونس رأسها ولم تستطع اخراج هاتفها من جيبها لتكتب له ما تريد لكن شامل قال وكأنه بات يقرأ أفكارها" هل تريدين التعود عليها ؟"
هزت رأسها بنعم وعادت للتركيز ..فلف شامل ذراعا حول خصرها وأخذت يده تمارس بعضا من الشقاوة على جسدها من الناحية التي لا يراها باقي الطباخون المشغولون بشدة في تلبيه طلبات المطعم بالخارج .. فرمقته ونس بنظرات محرجة موبخة ليبتسم بشقاوة ويتوقف عما يفعل قائلا "متى سأسمعك وأنت تحاولين نطق اسمي؟"

تطلعت فيه للحظات ثم عادت لما تفعله .. فاستمر في محاولة اقناعها أن تحاول التحدث دون الحرج من كيفية النطق فقال "اخصائية التخاطب قالت بأن عليك التدرب أيضا في البيت.. وهذا نوع من التدريب هيا قولي (شامل) ولا تهتمي كيف ستخرج من فمك " هزت ونس كتفيها بعناد وعادت لتركز فيما تفعله بينما وقف شامل يتطلع فيها .. وتذكر كيف رفضت أن يحضر النصف الثاني من جلستها مع اخصائية التخاطب حتى لا يراها أو يسمعها كيف تحاول النطق .. فاضطر لأن يترك الغرفة لهما احتراما منه لرغبتها .. لكنها لا تزال تتحرج من محاولة النطق أمامه .. وتذكر مشاعرها المحبطة بعد جلستها مع الأخصائية التي اخبرتهما بصراحة أن تعلم النطق في هذا العمر سيواجه الكثير من الصعوبات ويحتاج لإرادة ونس لتساعدها على تحسن الوضع .

قال شامل بلهجة مازحة متوعدا "عموما لنا غرفة بالأعلى سأتصرف معك فيها (وقرصها من خصرها فنظرت له عابسة ليقول بهمس غامزا) إن لم تنطقيها سيكون لك عقابا شديدا" قالها وهو يتطلع في شفتيها فاحمرت وجنتاها وعادت لما تفعل سعيدة لأنها باتت تسمع همسه بجانبها بوضوح ليقول شامل "انتهي مما تفعلين بسرعة فعليّ أن أعد الغرفة التي سنجلس فيها أنا وكامل مع مفرح فلن نستطيع استقباله في غرفة الألعاب بعد الآن لذا سننقل جلستنا إلى غرفة أخرى في الدور الأرضي وعليّ اعدادها قبل أن ينتهي مفرح من المذاكرة مع بسمة "

في إحدى الغرف في الفيلا قال مفرح وهو يشير لشاشة اللابتوب الخاص ببسمة" هذه المواقع ستفيدك جدا وقد أرسلت إليك الروابط

الالكترونية الخاصة بها من قبل كيف لم تفتح معك ؟"

ردت وهي تهرش في مؤخرة رأسها محرجة "لم استطع نقل الروابط من الواتساب للابتوب "

رفع الأخير حاجبيه ثم قال "ألا تستطيعين فتح الواتساب من اللابتوب يا بسمة !؟"

نظرت له بملامح طفولية ترمش عدة مرات بعينيها الزرقاوين ولم ترد فضربها مفرح على رأسها بالقلم الذي كان يكتب به قائلا "كان من الممكن أن ترسلي الروابط لنفسك على البريد الالكتروني يا ذكية المهم أن تتصرفي"

نحنحة أتت من أمامهما فالتفت مفرح لكامل المرابط في الغرفة معهما يرمقهما بامتعاض فقال له مفرح متهكما " والله أنت تنير الجلسة بوجودك يا كامل بك .. ألا يوجد لديك عمل؟"

قال كامل ببرود " لا تتطاول على زوجتي يا مفرح وانتهي مما تفعل وخلصنا "

قال مفرح مستمتعا بإثارة غيرته " حبيبي..
زوجتك هذه ابنة خالي من واحد وثلاثين سنة
.. وأنا من كان تأتيه المصائب فوق رأسه بسببها
"

قال كامل بلهجة مستخفة "لقد أخذنا عنك
المصائب من الآن فصاعدا فوق رؤوسنا وانتهى
الأمر فخلصنا"

لم تفهم بسمة إن كان ما يقوله كامل يقصد به
المزاح أم الشكوى .. خاصة وأنه منذ بداية
الجلسة يصدر منه ردود أفعال تربكها وتدخلها
في حيرة .. أخرجها مفرح من شرودها حين علق
على كلام كامل قائلا "اشبع بها يا حبيبي"

قالت بسمة ببعض الغيظ "مفرح هلا انتهيت
من وصلة توبيخي هذه .. لا تشعرني بأني عالة
عليك"

ضربها بالقلم مجددا على رأسها قائلا" بل
غبية"

اعتدل كامل يهتف "يا عمي سأكسر يدك هذه .. (وانقض يمسك به قائلا) قم يا مفرح هيا انتهى الدرس "

حاول شده ليقوم فحاول مفرح المقاومة ضاحكا لكن الأخير أصر حتى أجبره على ترك مقعده وتحرك معه ..فصاحت بسمة باستنكار "لم انتهي من كل أسئلتي"

رد كامل وهو يسحبه للخارج " الباقي سجلي له على الواتساب وهو يرد عليك .. أو يرد عليّ وأنا سأرسل لك الرد "

قالها وهو يجر مفرح الذي تعلو ضحكاته يخرجه من الغرفة فغمغمت بسمة بغيظ وعدم فهم " يرسله لك فترسله لي !!"

بعد ساعة

دخلت بسمة إلى تلك الغرفة في الدور الأرضي التي تم نقل الشاشة الموجودة في غرفة

الألعاب إليها فوجدت الثلاثة شباب يلعبون لعبة كرة قدم الكترونية .
حدجها كامل بنظرة تمسح على تفاصيلها ببطء أربكها ثم أشار على طرف الأريكة التي يجلس هو أمامها على مقعد كي تجلس بجواره فأطاعت في صمت ..
تأملها في ذلك الجلباب الأنيق المطرز الذي ارتدته .. كان باللون الأخضر الفاتح به تطريز لؤلؤي صغير الحجم على هيئة شريط طولي من الرقبة حتى ذيل الجلباب وبأكمام طويلة لما بعد المرفقين حتى منتصف ساعديها ..وشعرها صففته كضفيرة سوداء نامت بارتخاء على أحد كتفيها.. فتطلع بنظرة سريعة أخرى عليها وعيناها الجميلتين تناظرانه بنظرات حائرة لم يفهم معناها ثم عاد للنظر في الشاشة أمامه يندمج في المنافسة مع شامل ومفرح وهو يشتمهما من بين أسنانه بصوت خافت يضيع

مع صوت المباراة العالي حتى لا تسمعه السيدتين .. لكن قلبه كان شاعرا بالدفء لتلك الجلسة المكتملة بوجودها بجواره ..
لو فقط يعرف فيما تفكر؟ .. ما هي انفعالاتها؟ .. هل تحب التواجد بجواره ؟.. هل لا تزال متعلقة بزوجها السابق ؟..
كاد أكثر من مرة أن يسأل مفرح عن علاقتها بزوجها السابق .. أو إن كان هناك سببا أخر للانفصال غير أنها لا تستطيع الانجاب لكنه تراجع وشعر بالحرج أن يتحدث عن زوجته مع أخر حتى لو كان ابن عمتها .. وليس هذا وحده السبب ولكنه وجد بأنه لن يتحمل معرفة أي تفاصيل عن زيجتها السابقة قد تزيد من جحيمه فيكفيه ما هو فيه .
أما ونس فكانت تجلس على الناحية الأخرى من الغرفة حيث يجلس شامل يركز على الشاشة بينما هي مشغولة باستكشاف سماعتيها

الجديدتين عن طريق الهاتف الذي تم توصيله بهما .. وأخذت تتطلع في الشاشة وفي الاصوات المنبعثة من اللعبة وصيحات الجماهير الافتراضية الآتية منها وصوت المعلق الذي يعلق باللهجة الإنجليزية كلها أصوات لم تكن تلتقط معظمها بهذا الوضوح..

جاءها صوت صفير من هاتفها يعلن عن وصول رسالة على الواتساب لتجده من رقم والدها الذي أصبح بمساعدة كريم يتلقى رسائل واتساب منها .. فضغطت على الرسالة الصوتية لتسمعها في سماعتيها دون المحيطين فوجدت عيد يقول بانفعال "اسمعي يا ونس هذا الزفت الذي ارسل لك عليه الرسائل الصوتية هذه يعصبني .. بل إن هذا الهاتف كله الذي يعمل باللمس يكاد يزهق روحي .. كريم علمني لكني أشعر بأني تائه فيه ولا زلت لا أفهم أي شيء إلا أن اضغط على العلامة الخضراء لتسجيل

رسالة صوتية لك .. على أية حالة أنا لن أتلق على هذا الزفت أي مكالمات عادية بعد الآن .. سأتلقاها على الهاتف القديم ذي الأزرار ..وهذا الزفت سيكون فقط للتواصل معك .. المهم طمئنيني عليك.. لم ترسلي لي شيئا منذ الصباح "

اتسعت ابتسامتها وكتبت له "أنا بخير والحمد لله يا عيد .. اليوم انشغلت في المطبخ مع شامل ..كان يعلمني عجينة اسمها عجينة السكر نشكل بها أشكالا ملونة تزين الكعكات ..سأرسل لك صورا مما صنعته"

أرسلت له الصور المخزنة على هاتفها ثم ضغطت على كاميرا الهاتف تصور نفسها في عدة وضعيات رأسها وشعرها المموج الذي يحيطها بهالة كستنائية جميلة وارسلتها لعيد .. فسحب شامل عينيه عما يفعل لينظر لها بنظرة متسائلة فوضعت السماعات الخارجية

في الهاتف واسمعته رسالة عيد الممتعضة ..فقهقه شامل ضاحكا.

أخذت بسمة تتطلع في مفرح الذي يجلس على مقعد في المنتصف بين كامل وشامل ومندمج مع اللعبة يصيح ..ويلعن ..ويغيّظ ..ويتهكم ..ويضحك ..ويتشاجر مع التوأمين كصبي صغير ..

كانت المرة الأولى التي ترى هذا الجانب منه .. جانب صبياني عابث مشاكس ..ولا تدري لمَ اشفقت عليه .. ارتباطه بالتوأمين رغم أنه فاجأ الجميع لكنها الآن تأكدت من عمق هذا الارتباط حينما رأت مفرح بهذا الانطلاق بينهما .. ذكرها بمفرح القديم قبل خمسة عشرة سنة قبل أن تهاجمه الهموم والبلايا .. لكن ما كانت تريد أن تعرفه رد فعله على العرض الذي عرضته مليكة عليه ..تلك المجنونة صاحبتها التي لا تعرف إن كانت تخنقها أم تشفق عليها ..

فتمنت لو تستطيع أن تطمئن منه بأنه لن يطاوعها في الجنون الذي قالته مليكة .. وفي الوقت نفسه كانت تشعر بالحرج من التدخل في الأمر ..فدوما هي ومليكة صديقتان حميمتان بعيدا عن قرابتها لمفرح ولم تتدخل يوما بينهما .

استغلت بسمة فرصة أن كامل جاءه اتصالا هاتفيا فأوقف اللعب واستقام ليقف خارج الغرفة بعيدا عن الصوت العالي لتسأل بسمة مفرح الذي كان يتمطى متضررا من جلسته الطويلة "كيف الحال يا مفرح طمئنني على الجميع؟"

انقلب وجهه ليصبح جديا وهو يرد بلهجة متهكمة" حال مَن بالضبط تريدين الاطمئنان عليه ؟"

قالت بمراوغة "الجميع (و ترددت قليلا ثم اضافت معترفة) مليكة "
رد بلهجة ساخرة "أنت أدرى بها مني ..أليست صاحبتك ..أنا مجرد شخص في حياتها"
قالها بصوت خافت ولهجة تقطر مرارة ..فقالت بسمة مدافعة "والله يا مفرح مليكة تحبك جدا.. تحبك لدرجة لا تتصورها "
قال باقتضاب ليغلق الموضوع " أعلم ذلك.. عموما أتركيني بالله عليك لا أريد التحدث في أي موضوع يخص القرية كلها.. أنا هنا مفرح صاحب زوجك فقط"
اقترب كامل يسأل "ما الأمر؟"
أسرعت بسمة بالقول" كنت أسأله عن أحوال القرية"
سأله كامل بدوره وهو يجلس على المقعد "هل هناك جديدا بشأن تلك الحرائق الغامضة يا مفرح ؟"

رد مفرح وهو يستأنف اللعبة "للأسف لا جديد ..لا زالت مستمرة ..لكننا لم ننجح في الوصول للجاني ..فمن الصعب تعيين حراس على كل الأراضي الزراعية في البلدة خاصة وأن هذا الفاعل يختار الحقول الموجودة على أطرافها البعيدة جدا عن البيوت وأنه غير منتظم.. تارة يفعلها كل أسبوع وتارة أخرى يغيب أسبوعين أو ثلاث ثم يعود .. الموضوع غريب "

علق شامل وهو ينظر للشاشة "ألا زلتم لا تريدون اللجوء للشرطة؟"

رد مفرح مفسرا" كما وضحت لكما من قبل .. لا نحب إدخال الشرطة فيما بيننا ونفضل أن نحل مشاكلنا بأنفسنا .. خاصة وأن التلفيات صغيرة يتم السيطرة عليها بسرعة قبل أن تتفاقم .. لكن لا تزال هوية الجاني محيرة وغير معروفة"

قال كامل باندهاش" شيء غريب جدا .. ماذا يستفيد الجاني إذا من هذه الأفعال؟"

رد مفرح مدققا في الشاشة أمامه " أتوقع بأنه شخص صغير السن .. شاب مراهق مثلا .. فلا أتوقع أن يفعلها رجل ناضج لأن الطريقة بدائية جدا وكأنها لعب أطفال وليس جريمة مخطط لها ..فمن يريد أن يحدث كارثة أو حريق قوي يستطيع أن يفعل أشياء أخرى غير ما يفعله هذا الغامض "

سألته بسمة بقلق" وهل سنظل هكذا للأبد ..حتى لو كانت الأجزاء المحروقة صغيرة قد يتطور الوضع لأكثر فيما بعد"

سحب مفرح نفسا عميقا ثم رد وقد عادت إليه اللهجة المهمومة "لا يزال لدينا أمل في أن نمسك به .. ونتمنى أن يكون ذلك قريبا .. فلنصبر قليلا وإن فشلنا في الإمساك به سنضطر لإخبار الشرطة "

××××

بعد منتصف الليل

ألقى الظل بقطعة القماش المشتعلة فوق أحد الحقول وتحرك بهدوء فوق دراجته مبتعدا.. لكن هذه المرة لمحه أحد الأشخاص من بعيد فأطلق العنان لساقيه ليلحق به صائحا "امسكوه .. هذا هو الجاني امسكوه.." كانت المسافة بينهما كبيرة .. وصوت الرجل يضيع في الظلام الممتد والمساحة الواسعة للحقول .. لكنه ظل يعدو في محاولة لتقليص المسافة بينهما ثم فشل بعد فترة من العدو والصراخ من اللحاق به ..فتوقف يلهث بقوة وهو يراقب ذلك الشخص الملثم يبتعد بالدراجة .. وما أدهشه أن هذا الملثم لم يبد عليه أي ذعر من صياح وعدو الرجل خلفه .. بل أنه لم يلتفت حتى وإنما أكمل سيره حتى أختفى في الظلام .

لم يستطع الرجل فعل شيء إلا أن يعود للحقل ليلحق بالنار قبل أن تلتهم المحصول كله مخبرا الجميع فيما بعد بأن الجاني ملثم ويركب دراجة.

××××

بعد يومين

نزلت ونس من سيارة التوأمين تفرد ذراعيها وهي تطلق صيحات فرح من حنجرتها مستقبلة والدها الذي يقف في استقبالها أمام البيت.. فألقت نفسها عليه بشوق تحضنه بينما عيد يحاول ألا يظهر تأثره مستنكرا أن تدمع عيناه كلما رآها أمامه .

أشار شامل لبسمة و كامل الذي يجلس خلف المقود فودعهما ليستكملا طريقهما داخل القرية ثم التفت يقول لعيد مهللا "حماي العزيز اشتقت لك فقررت أن أخطف ساعتين

لأطمئن عليه ..كيف حالك وكيف حال الفحم والدجاج المشوي ؟"
قال عيد مناكفا" الفحم والشواية موجودان والدجاج في انتظارك لتشويه "
أحاط شامل خصر ونس بذراعه وقال بلهجة غامضة لم يفهمها عيد " والله يا حاج أتمنى أن استعيد كل لحظات حفلة الشواء التي حدثت المرة الماضية "

الحلو حياتي وروحي وأقوله إيه
إيه إيه
أن قلت بحبه الحب شوية عليه
ليه ليه
دة حياتي وروحي .. وأقوله إيه

على الطريق وعلى صوت عبد الحليم تطلع كامل في بسمة وقد أصبحا وحدهما أخيرا ..
فقد كان مقررا أن يحضرها اليوم بسبب إلحاحها في الحضور لمتابعة أمور المشروع بعد

أن مر شهر وهي بعيدة عنه فقررا أن يزورا القرية في رحلة سريعة ويعودا قبل حلول الليل لكن شامل أصر على الذهاب معهما بعد أن طلبت ونس ذلك .

راقبها كعادة باتت ملازمة له شاردة طوال الطريق متعجبا أن مر شهر على زواجهما .. مر سريعا في أوقاته الحلوة وقاسيا مؤذيا في لحظاته السيئة .. وتذكر حديثه مع شامل ليلة أمس ولم يدري كيف سيساعد نفسه .

ليلة أمس

هتف شامل في ركن من المطعم وهو يراقب مغادرة أخر زبون بعد أن تأخر الوقت "بصراحة يا كامل رغم أنك توأمي لكني مندهش ولم أتوقع أن تصمد لشهر كامل أمام امرأة تشاركها الغرفة .. بعيدا عن كونها حلالك وأنك تحبها فصمودك هذا مفاجئا لي .. لقد كنت أحاصرك طوال الوقت لأذكرك بالحلال والحرام حتى لا

تتمادى في زلاتك ثم نقضي بقية الوقت نبعد عنك معجباتك "

أطرق كامل برأسه فسأله شامل" يا بني ماذا حدث لك؟.. هل من المعقول أنك لم تحاول مغازلة بسمة !.. لم تحاول جس نبضها .. أنا أراكما منسجمان حتى شجاركما أراه مناكفة بينكما.. وأنت خبير في تلك الأمور ونتعلم منك يا كيمو "

غمغم كامل بضيق "المشكلة عندي أنا يا شامل"

وضع شامل يده على موضع قلبه وقال بلهجة مسرحية متفاجئة" حبيبي يا فلذة كبدي !.. لا .. لا تقولها .. لا تصدمني .. كنت أحسبك مثلي الأعلى في ..."

قاطعه كامل قائلا بمزاج عكر" لا أقصد هذا الأمر يا **** فلا تمزح فيه لأني قنبلة ستنفجر في أي وقت"

قهقه شامل ثم سأله" ما الأمر إذن يا عبقري زمانك؟"

أجاب كامل ببؤس" أنا خائف من الاقتراب منها"

هتف شامل بغير تصديق " نعم !! .. قل مرة ثانية .. أنت ماذا ؟؟.. يا حبيبي أنا لولا تعقبي لك لحظة بلحظة لكنا نلملم أولادك من كل الجنسيات .. (ونظر حوله ليتأكد من خلو المكان وأضاف بصوت أخفت) كامل قل لي كلاما أفهمه "

هتف كامل بنفاذ صبر "أغلق فمك الثرثار هذا حتى أوضح "

وضع شامل كفه على فمه ليقول كامل" أنت تعرف تلك الأفكار السوداء التي تحاصرني .. الأمر يتفاقم معي كلما ازداد احتكاكي ببسمة .. كلما ضحكت يهاجمني السؤال هل كانت تضحك له بهذا الشكل ؟.. كيف كان يشعر

تجاه هذه الضحكة؟.. وقس على هذا كل شيء كل تفصيلة كل نظرة عين .. اتساءل كم مرة كان يتأمل تفاصيلها مثلي .. كيف كان يشعر بها .. ولماذا يمر هو مع امرأتي أنا بهذه المشاعر .. لماذا"

تطلع فيه شامل باتساع عينيه ذاهلا فأضاف كامل "لهذا أنا أخشى مما قد أفكر فيه حينما تكون بين ذراعيّ .. أظنك تفهم ماذا أقصد ..وتفهم حجم الكارثة التي أخشى من مواجهتها .. بصراحة يا شامل بكل صراحة أخاف عليها من لحظة يجن فيها شيطاني بسبب ما أفكر فيه .. أخاف أن أؤذيها.. هل تتصور الجحيم الذي أعيشه .. لا أعرف ماذا فعلت لأبتلى بما يحدث معي .. ولماذا أعذب معها.. لماذا أحبها وأتعلق بها رغما عني .. ثم تصبح حلالي فلا أقدر على الاقتراب منها .. أنا خائف بشدة من أن تزورني تلك الوساوس وهي في فراشي .. هل

تفهم ما أقصده .. بالتأكيد تفهم ومن سيفهمني غيرك"

ساد الصمت قليلا ليقول شامل بعده" أنت فقدت عقلك يا أخي وتحتاج لمساعدة"

عقد كامل حاجبيه وقال باستنكار" مساعدة!!.. هل سأحكي لشخص غريب عن علاقتي بزوجتي وعلاقتها بزوجها السابق "

قال شامل بجدية وحزم " أنت تحتاج طبيب نفسي أو ربما شيخ ليطرد هذه الشياطين من رأسك .. ما هذا الجنون !.. أفهم جيدا مدى حبك لها .. ولن أنكر بأني سأكون مستاء وأشعر بالغيرة لو كانت ونس قد سبق لها الزواج .. لكن أن يصل الأمر إلى هذا الحد فأنت وصلت لمرحلة الجنون .. شيطانك تغلب عليك يا أخي وعليك بمقاومته .."

أطرق كامل برأسه دون تعليق فأضاف شامل بلهجة موبخة "عليك بمجاهدة نفسك وطرد

هذا الوسواس .. ماذا حدث لك؟.. لم تكن بهذه الغيرة المرضية من قبل !.. ابدأ بمقاومة نفسك ولا تستسلم لتلك الأفكار حينما تزورك وأكثر من قراءة القرآن حتى يذهب عنك شيطانك يا كامل وإلا ستدمر نفسك .."

أخرج كامل نفسه من أفكاره وقال بلهجة ساخرة وكأنه مرشد سياحي "مرحبا بك في قريتكم باشمهندسة باسمة نتمنى أن كانت الرحلة مريحة ..(وأضاف مشير بيده للخلف) تركنا خلفنا بيت الحاج عيد القللي ..وما تجدينه على يسارك هي الأراضي الزراعية التي يملك مفرح الزيني نصفها على ما أعتقد "

ابتسمت وهي ترد مصححة "لا هذه لا تخص أولاد الزيني بل الناحية الأخرى من البلدة "

قال كامل من خلف نظارة الشمس وهو يتطلع في الطريق "آه نسيت بأن ابن عمتك قد جعلنا ندخل البلدة أول مرة من طريق أخر يضم

أرضهم .. المهم (واستمر شارحا) كما ترين حولك لا يوجد سوى بيت واحد خلفنا والباقي مناطق زراعية وسأريك بيوت القرية بعد قليل "

اتسعت ابتسامتها فأدار وجهه لها يتأمل ذلك الإشراق الذي يطل على وجهها وأضاف وهو يضع يده على صدره "وأنا يا فندم اسمي كامل نخلة زوجك"

الكلمة الأخيرة وتلك الطريقة التي نطقها بها وهيئته الجذابة بشدة فجرت الدقات القوية في قلبها فأشاحت بنظراتها بعيدا عنه تغمغم "تشرفنا يا فندم"

رمقها كامل بابتسامة سعيدة لتخليها عن ذلك الوجه البارد المقيت شاعرا بأن صبره عليها كل الأيام الماضية أتى بثماره وأشعرها بالراحة في محيطه ..

رمقها بابتسامة سعيدة ولم يلحظ هو ولا هي تلك السيارة التي مرت بجوارهما من الاتجاه المعاكس .. سيارة بدير العسال .
لم تخفى على بدير هيئة سيارة التوأمين المميزة وهو يراها آتية من بعيد .. وسقط قلبه بين قدميه شاعرا بخروج روحه من جسده وهو يقترب وتلتقط عيناه صورتها تجلس بجوار قائد السيارة ..
ولوهلة ساورته نفسه أن يصطدم بسيارتهما متمنيا أن يكون قائدا لشاحنة عملاقة لحظتها حتى يدهسهما معا .. لكنه تراجع وطلب من نفسه بقوة التعقل فاستمر في طريقه حتى مر بجوارهما ثم ابتعد والنار تشتعل في صدره خاصة بعد أن بديا أمامه سعيدان ..فضرب على المقود عدة مرات بغل شديد حتى كادت عجلة القيادة أن تختل في يده لكنه عاد وسيطر على السيارة ثم قال لاهثا والجنون يتراقص

كالشياطين في عينيه" لا .. أنا لن أتحمل رؤيتها من جديد تأتي إلى القرية سعيدة مع هذا ال ****.. لابد أن أقلل زيارتها لهذه القرية بأي ثمن.. أي ثمن "

xxxx

بعد ربع ساعة

نزلت بسمة من سيارة كامل تعدل من ذلك الوشاح الخفيف الذي غطت به رأسها ومن البلوزة الطويلة البيضاء التي ترتديها على البنطال الجينز والحذاء الرياضي ونظرت إليه عبر نافذة السيارة ليقول" انتهي مما تريدين بخصوص المشروع بسرعة فلا نريد أن نتأخر بينما أمر أنا على مفرح لأسلم عليه ثم أعود إليك "

قالت مطمئنة "لا لن اتأخر فأنا أريد أن أمر على أمي لأسلم عليها ثم على مليكة قبل أن نعود"

قال كامل بشقاوة وهو ينظر لبيت الجد صالح
خلفه" لولا أن لدي التزامات في العاصمة كنا
قضينا الليلة في بيت الجد صالح"
لهجته العابثة المغازلة أربكتها فأسرعت بالقول
بلهجة مغيظة "البيت مغلق "
رد وهو يهم بالمغادرة" سيفتح .. البيت
سيفتح أبوابه لي يوما أعدك بذلك "
قالها غامزا ثم تحرك بالسيارة مبتعدا فاشتعلت
وجنتا بسمة وتطلعت في تلك السيارة المغادرة
تتذكر يوما قد ودعها هنا في نفس المكان.
انقبض صدرها عند تلك الخاطرة .. خاطرة
وداعه وطردتها بسرعة من رأسها ثم عادت
لتفكر فيما قال منذ قليل ..
هل يلمح لشيء خاص بينهما؟ .. جزء منها
يريد .. بل عليها أن تعترف بأنها تريد بشدة ..
كما لم ترد هذا الشيء من قبل .. ربما نضجت
وأصبحت امرأة ولها احتياج وربما لأنها تحبه ..

لكن حتى لو كان يلمح لزواج حقيقي بينهما ..
على أي أساس يرغب في أن يتمما الزواج؟ ..
هل ستكون عنده كنزوة؟ .. فرصة للمتعة المؤقتة !.. معاشرتها كزوجة هدية له فوق البيعة!..
على أي أساس يمكن أن توافق وهو لم يخبرها
ماذا سيفعل في قرار الهجرة ؟.. كيف يشعر تجاهها؟ ..
هل يرغب في أن يكمل معها حياته؟ ..
في أن تكون هي أما لأولاده ؟
كلها تساؤلات لا تجد لها إجابة كلما فكرت في تلميحاته في الأيام الأخيرة .
"أي خدمة يا مدام .. تريدين خضراوات لدينا تشكيلة رائعة"
استدارت بسمة لأم هاشم تبتسم فاستمرت الأخيرة في مناكفتها قائلة" هل أنساك الوسيم

أين عنوان عملك يا بسمة فتقفين في وسط الشارع حائرة !"
اقتربت منها بسمة فقابلتها أم هاشم بالقبلات والأحضان تضمها بشوق قائلة بتأثر "اشتقت إليك يا عروس"
ربتت بسمة على ظهرها وقالت "وأنا أيضا اشتقت إليك "
ابعدتها أم هاشم عنها تتطلع فيها قائلة "بسم الله ما شاء الله تزدادين حلاوة وجمالا مع الزواج يا بنت الوديدي.. أرزقنا يا رب "
قالت بسمة وهي تسحبها من يدها للداخل "على سيرة الزواج تعالي فأنا جئت خصيصا من أجلك أنت بسبب تهربك مني في الهاتف .. تعالي لأحطم رأسك ولكني سأسلم على الفتيات أولا وأبارك لنصرة وأعطيها (نقوط) عقد قران ابنتها لأني لن استطيع الحضور "

بعد قليل كانت بسمة تقف أمام أم هاشم في تلك الغرفة الداخلية تواجه الأخيرة ولا تسمح لها بالمراوغة أو الإفلات.

فقالت أم هاشم بابتسامة تعجبت لها بسمة كما تعجبت من هدوئها ومزاجها الرائق منذ أن أخبرتها بأمر جابر" أنا لا اعرف مم أنت ومليكة متخوفتان؟!"

هتفت بسمة باستنكار " لا تعرفين أم تستهبلين يا أم هاشم؟.. الرجل طلق زوجته من شهر واحد وتقدم لخطبتك بعد أسبوع واحد من طلاقه وأنت بنفسك تظنين بأن هناك ما حدث واستفزه في بيت العسال حتى أتى ليطلب هذا الطلب ..كل هذا وتسألين مم نحن متخوفات؟! "

قالت أم هاشم بهدوء " يا بسمة قلت لكما هو يريد مساعدة وأنا وافقت أين المشكلة؟"

هتفت بسمة متسعة العينين " المشكلة أنه يستغلك يا أم هاشم .. لو جابر يقصد ما تظنينه ونظنه نحن فهو يستغلك"
قالت أم هاشم بحمائية مدافعة "لا ..هذه ليست أخلاق جابر أبدا "
ضربت بسمة كفيها ببعضهما تقول " لا حول ولا قوة إلا بالله! .. إذن فسري لي ما يحدث؟"
بنفس الهدوء قالت أم هاشم " الأمر ببساطة أنه لا يدري بما يفعل .. أراد مكايدة بنت العسال وإذلالها بالإعلان عن الزواج مني لترى بأنها لا تستحق وبأنه فضل عليها من هي أقل منها جمالا فيكسر شوكتها وترضخ له وتعود إليه بعد أن تكون قد تعلمت الدرس"
بعدم فهم غمغمت بسمة " لا يدري بما يفعل!!!"

ردت بثقة " أجل لا يدري .. جابر لا يتعمد الإساءة لأي أحد أو التقليل منه لكنه بشر وقد يتصرف أحيانا بشكل غير متعمد .. "

رمشت بسمة بعينيها تحاول بصعوبة استيعاب منطقها ثم سألتها باستنكار "وأنت توافقين على هذا ؟!"

ردت ببساطة "أجل ..قلت لك أريد أن اساعده"

قالت بسمة تحاول ابعاد صاحبتها عما تظن بأنه سيؤذيها " اسمعي يا أم هاشم .. أنا أعلم جيدا بأن شخصا في مكانة وأخلاق ورجولة جابر دبور لا يعوض ..وبأنه فرصة رائعة لك .. لكن يا بنت الحلال هذه فرصة محفوفة بالمخاطر وأنا أخشى عليك من التجربة .. أخشى عليك من كسرة القلب .. ماذا تتوقعين مصيرك بعد تلك الخطة العبقرية التي تقولينها ؟"

هزت أم هاشم كتفيها وردت بهدوء استفز بسمة بشدة " لا شيء ..على حسب في أي مرحلة سنكون.. هل سيصل الأمر لخطبة حقيقية أم سيتطور لعقد قران .. سننفصل"

هتفت بغير تصديق " سيطلقك بكل نذالة؟!!"

قالت بسرعة مدافعة " قلت لك جابر لا يفعل هذا .. حتى لو انتبه فيما بعد لأنه قد تورط معي لن يفعلها ويطلقني ويظلمني أبدا"

بدأت بسمة تشعر بالدوار بسبب عدم الاستيعاب فسألتها "إذن هل توافقين أن تكوني زوجة لرجل متزوج بأخرى .. فبالتأكيد لو كان ما يقصده جابر أن تعود له بنت العسال هل ستقبلين بهذه الحياة ؟"

ردت أم هاشم بلهجة قاطعة "لا طبعا لن أقبل بهذا ..لو كنا مخطوبين سأطلب فسخ الخطبة ..ولو كان قد عقد عليّ سأتحجج له برده زوجته واطلب الطلاق وأبتعد عن المشهد"

صرخت بسمة باستنكار "وتصبحين مطلقة!! .. تسعين لأن تكوني مطلقة يا أم هاشم؟!!!"
هزت كتفيها وردت بنفس الهدوء المستفز "ما المشكلة أفضل من لقب عانس "
بغير تصديق قالت بسمة " أنت لا تعرفين كيف هو الشعور أن تكوني مطلقة يا أم هاشم "

ردت الأخرى بجدية تقارعها " وأنت لا تعرفين كيف هو الشعور أن تكوني عانس يا بسمة .. "
بهتت الأخيرة وهي تتطلع فيها ذاهلة لتضيف أم هاشم " على الأقل المطلقة جربت وفشلت ونظرات وهمس الناس تحاسبها على فشلها في الزواج ..لكن العانس تحاسب على فشلها في أن تجد لها زوجا .. وكأن الأمر بيدها ..وكأنها اختارت أن تفشل في إيجاد عريس .. (وأضافت بسخرية لا تخلو من المرارة)كما أنني لست بسمة الوديدي فلا تقلقي عليّ.. كل ما سيحدث

أنني سأغير اللقب من عانس لمطلقة وسأبقى
عفريتة القرية في نظرهم كما أنا"
لم تجد بسمة ما تقوله فصمتت للحظات
تحك جبينها بأناملها ثم قالت باستماتة
لإقناعها بعدم الزج بنفسها في التهلكة "اسمعي
يا أم هاشم أنا متفهمة شعورك بالوحدة لكن لا
أريدك أن تزجي بنفسك في هذا الأمر وبالذات
مع كاميليا .. لا أريدك أن تختاريه لأنه الفرصة
الوحيدة فتبرري له ما يفعل كل .. "
قاطعتها أم هاشم تقول بلهجة جادة "بسمة أنا
وافقت على جابر بإرادتي الحرة وليس لأنني
يائسة من الزواج .. ما أخفيته عنك وعن مليكة
أن محسن أيضا تقدم للزواج مني علمت بذلك
يوم عودتي من حفل زفافك"
اتسعت عينا بسمة هاتفة "محسن
قريبك؟؟؟"
"أجل"

صاحت بغير تصديق "ولماذا لم توافقي عليه؟.. الشاب مناسب جدا"

تنهدت أم هاشم وردت " كدت أن أوافق عليه رغم أني لا أشعر نحوه بأي انجذاب هربا من وحدتي ..لكن ظهر جابر وطلب ما طلب فوافقت عليه ورفضت محسن "

صرخت بسمة مذهولة " هل أنت مجنونة لماذا فعلت ذلك؟"

تنهدت أم هاشم وقد بدأ صبرها ينفذ فضربت كفها فوق الأخر على بطنها تقول "حتى أساعد جابر ..هل أعلقها على صدري يا ناس!!"

شحب وجه بسمة فجأة من تلك الخاطرة التي ضربت برأسها فسألتها بسرعة "أم هاشم ..هل .. لديك مشاعر خاصة لجابر دبور ؟"

تسارعت دقات قلبها بعنف وصمتت هاربة بنظراتها عن بسمة ولم تستطع الإنكار .. تشعر بأن إنكار مشاعرها له خطيئة فلم تجب ولكن

أطرقت برأسها تستند بكفها على سطح المكتب .. فمدت بسمة يدها ورفعت لها ذقنها تواجهها وتعيد السؤال" هل هناك شيء في قلبك لجابر لهذا تفعلين هذا الجنون؟"

بصوت خرج مختنقا بالبكاء رغما عنها قالت أم هاشم "صدقيني السبب الأساسي هو مساعدته لكن ...(وصمتت قليلا ثم أضافت بحشرجة) لا بأس من بعض الهدايا المجانية بالتواجد معه بأي صورة "

سقط قلب بسمة بين قدميها وهي تستوعب هذا الخبر .. أم هاشم عاشقة !!..

بصوت متحشرج قالت بسمة " هذه المعلومة المفاجئة تجعلني أصر على اعتراضي على ما تفعلين .. (وأضافت بلهجة صادقة) يا بنت أنت لا تعرفين عذاب الشعور بالتواجد بجوار شخص لا يفكر فيك .. رجل يحب امرأة أخرى ..اقسم لك إنه الجحيم بذاته"

قالت أم هاشم بصوت مبحوح وابتسامة متألمة " هذا في حالة أن تكوني متوقعة منه اهتماما .. أما أنا فلا أتوقع شيء ولا أطالبه بشيء .. بالنسبة لي الجحيم في قربه جنة .. التواجد في محيطه وأمام عينيه نعمة كبيرة ..فرصة التحدث معه دون أن يعلق الناس أو يسيء هذا له أو لي أمنية لم أجرؤ بأن أحلم بها يوما يا بسمة "

تألم قلب الأخيرة شفقة على صاحبتها وهالها ما تراه من مشاعرها تجاه جابر فقالت وقد تملكها خوف شديد عليها " وكاميليا ؟.. وعلاقته بكاميليا؟.. وخطته التي لا تدخل عقلي بقرش ولا افهمها .. هل ستتحملين هذا حينما تعود له زوجته "

قالت أم هاشم بصوت متحشرج "قلت لك بمجرد أن تنتهي مهمتي سأرحل .."

سألتها بسمة مقارعة " وإن رفض بتلك الشهامة والأخلاق التي تتحدثين عنها أن يطلقك "

قالت بثقة "لا تقلقي هو لن يبقيني ضد رغبتي"

قالت بسمة محذرة "أنت تضحين بنفسك يا أم هاشم"

ردت الأخرى تقول مصححة بلهجة معذبة " لا أبدا .. أنا استغل فرصة أتتني للاقتراب منه ..للتحدث معه ..للتطلع فيه يا بسمة .. للتطلع فيه دون الشعور بالذنب .. أردت أن أسرق من الزمن بضعة أيام أو شهور لا أعرف متى ستنتهي حتى أشعر به قريبا "

وضعت بسمة يدها على قلبها تلقائيا وهي تتطلع في صاحبتها بذهول وقالت بصدق متألم "أنا خائفة عليك يا أم هاشم بل أنا مرعوبة"

اتسعت ابتسامة الأخيرة تقول بترجي" ادع لي فقط ألا ننفصل قبل عقد القران "

هتفت بسمة بذهول " تسعين لأن تكوني مطلقة يا مجنونة!!"

بابتسامة أذهلت بسمة قالت أم هاشم بلهجة عاشق يائس "لن أكون مطلقة عادية .. سأكون مطلقة جابر دبور.. أنت لا تعرفين كم أتمنى أن يقترن اسمي باسمه .. لذا لا أمانع أن يشار عليّ (هذه مطلقة جابر دبور).. سأظل في أذهانهم بهذا الاسم ..(وأمسكت بيد بسمة التي فغرت فاهها تحدق فيها بذهول وأضافت بتمني يائس) المهم ألا يرجع في كلمته قبل عقد القران .. فقط عقد قران هل هذا كثير عليّ .. أعلم بأن الأمر صعب بأن يتطور لبيت حقيقي وزفاف وما إلى ذلك .. كل ما أطلبه عقد قران ليقترن اسمي باسمه ..فأكون على ذمته ولو عدة ساعات ..صدقيني هذا أقصى ما أتمناه "

لمعت الدموع في عيني بسمة شفقة على صاحبتها التي اكتشفت للتو بأنها تخبئ في

صدرها عشقا يائسا إلى هذا الحد المعذب..
وأحست بدموعها ستنهمر من عينيها فأسرعت بالقول وهي تمسحها وتداري ما تشعر به " أنت مختلة عقليا وتحتاجين فورا لمصحة عقلية"
اتسعت ابتسامة أم هاشم .. ابتسامة سعيدة رائقة أضافت لذهول بسمة ذهولا ثم غمغمت "لو كان الجنون سيشعرني بالسعادة التي أشعر بها الآن فأهلا وسهلا به ومرحبا يا صديقتي "

xxxx

بعد منتصف الليل

جلست على السرير غير قادرة على النوم كحالها منذ أسبوع تقريبا وهي تعد وترتب كل ما يخص تجهيزات زفاف ابنتها بعد خمسة أيام .. أشياء كثيرة في رأسها وتفاصيل صغيرة دقيقة لأمور تراها بعين ومنطق الأنثى مهمة جدا ولابد أن تتم قبل يوم الزفاف..

وبرغم الفرحة الكبيرة لاقتراب زواج الغالية اسراء إلا أن القلق لا يريد أن يتركها دون أن ينغص عليها فرحتها .. تتمنى فقط أن ينتهي بسلام أمر نقل حاجيات العروس يوم عقد القران والفرش الذي تحدد له بعد غد ..ووقتها ستشعر ببعض الراحة .

أخذت نصرة تعيد في رأسها وتعد على أصابعها ما انتهت من تجهيزه ومالم ينتهي بعد ..

وقررت أن تناقش المتبقي غدا في الصباح مع أخواتها اللاتي لم يتركنها في مناسبة كهذه منذ أسبوع وهن يساعدنها .. فشعرت بداخلها بالامتنان لهن ولأم هاشم التي تخرج من عملها يوميا وتحضر إليها لتساعدها هي الأخرى في التجهيزات فغمغمت في سرها "رزقك الله يا أم هاشم بمن يقدرك يا حبيبتي (ونظرت للسماء تضيف) يا رب إنها ضعيفة وذات قلب من ذهب وأنت كرمك كبير "

"هل تحدثين نفسك يا نصرة؟!"
شهقت الأخيرة ثم تفلت في صدر عباءتها البيتية تهدئ من روعها وقالت لهلال بعبوس" افزعتني يا هلال"
اتسعت ابتسامته وهو يدخل للغرفة ويغلق الباب خلفه بهدوء قائلا" بم كنت تغمغمين؟"
ردت بانشغال" كنت أرتب ما كان ينقصنا .. هل اتفقت على الأنوار والزينة ليوم الحناء؟"
قال وهو يقترب منها " أجل اتفقت على كل ما طلبتيه فاهدئي قليلا تكادين تقعين من الاجهاد يا نصرة"
قالت بذهن مشغول "والله ظهري يؤلمني ولا أشعر بأطرافي من الوجع .. لكن لا بأس لينتهي عقد القران بعد يومين ونقل الأثاث .. ثم الزفاف بعدها بثلاثة أيام وأرتاح"
قال هلال بلهجة ساخنة وهو يدلك ظهرها بكفه "ما رأيك بأن أساعدك على الاسترخاء "

ارتجف جسدها للمسته وانتبهت لأنه يجلس بجوارها على السرير فقالت تحاول مقاومة مشاعرها المشتاقة إليه" أنت .. ماذا تفعل هنا ؟...ولماذا لم تنم حتى الآن؟.. هيا لدينا أمور كثيرة في الصباح علينا إنجازها "

مد يده يسحب ببطء الوشاح الذي تربط به رأسها فظهر من تحته شعرها البني وهو يقول بلهجة مغوية "لم أستطع النوم على تلك الأريكة الصلبة التي كسرت عظامي ووجدت نور الغرفة مضاءً فعلمت بأنك لازلت مستيقظة " قالت وهي تأخذ منه الوشاح وتتظاهر بالعبوس "اذهب للنوم يا هلال هيا"

كان وجهها الأحمر يفضح مشاعرها وتلك السنوات التي قاربت على الربع قرن بينهما منذ أن كانت صبية مراهقة أفشت له بسرها .. وبأنها لا تقل عنه اشتياقا فمال هلال يطبع قبلة على رقبتها البيضاء وهو يهمس بشوق

جارف" الشوق إليك يكاد يفتك بي يا أم العيال.. فهلا خففت العقاب قليلا"

بعد بعض الوقت

استند هلال بمرفقه على السرير وبرأسه على كفه ممددا بجانبها عاري الصدر يتطلع فيها وابتسامة تزين ثغره وهو يسترجع ذوبانها بين ذراعيه بدون مقاومة إلا من بعض الهمهمات المتمنعة لتحفظ بها كرامتها.. لكن شوقها له كان مفضوحا .

أما نصرة فحدقت في سقف الغرفة تحاول الهرب من نظراته التي لا تزال تحدق فيها وقالت وهي تعدل حمالة القميص الداخلي التي تقع كلما اعادتها لمكانها" إياك أن تعتقد بأني قد سامحتك .. أنا فقط لم أرغب في أن أرتكب ذنبا .. فإسراء أخبرتني بأني أرتكب ذنبا إن منعتك عن حقوقك ..لكن هذا لا يعني أني سامحتك "

تلاعبت الابتسامة على شفتيه وقال بهمس
"مفهوم ..مفهوم"
اختلست نظرة سريعة نحوه ثم عادت لتحدق في السقف تشبك أصابعها فوق جسدها البدين وقالت بمزيد من التبرير لتغطي على استسلامها له قبل قليل" أنا فقط أحببت أن أخبرك بالحقيقة حتى لا تتصور أني صفحت عنك ..لولا مخافة الله ما كنت سمحت لك بشيء بهذه السهولة "
دون أن ينطق مال على خدها يطبع قبلة عاشقة ثم على كتفها الذي وقعت من عليه حمالة القميص الداخلي مرة أخرى .. فقالت نصرة بتمنع وهي تدفعه بعيدا وتستدير لتوليه ظهرها لتنام على جنبها " نكتفي بهذا القدر ..علينا النوم لأن هناك الكثير ينتظرنا في الصباح"

قالتها وهي تتوسد كفها وتداري شعورا بالسعادة والرضا والدفء لوجوده ..فاقترب هلال منها حتى التصق بها يحيط خصرها بذراعه ..ثم دفن وجهه في عنقها واستكان ..فازداد احمرار وجه نصرة وأغمضت عينيها لتنام هي الأخرى بسعادة بعد وقت طويل من الشقاء النفسي والجسدي.

××××

بعد يومين

أيقظتها ساعتها البيولوجية كعادتها عند الفجر لتصلي وتنتظر ساعات الشروق فوق سطح الفيلا فاعتدلت جالسة تتمطى بألم من تيبس عضلات ظهرها من النوم فوق الأريكة .. لتتفاجأ بكامل فوق سريره مستغرقا في النوم فاندهشت قليلا لأنه لم يفعلها من قبل بل كان دوما ينتظر صعودها للسطح ليأتي وينام على السرير .

تركت مكانها وتحركت نحو الحمام بينما سعل كامل بخفوت أثناء نومه وتقلب بصعوبة شاعرا بالتعب ثم عاد ليغوص في النوم بإرهاق .

بعد عدة ساعات

كان الحر شديدا وكانت تتصبب عرقا ففتحت بسمة عينيها لتجد نفسها قد نامت على تلك الاريكة فوق سطح الفيلا الموجودة في ركن مظلل منه وبجوارها حاسوبها وقد فصل شحنه وكتاب وبعض الأوراق .

أمسكت بالهاتف لتعرف الساعة فوجدتها العاشرة والنصف صباحا فأسرعت بلملمة حاجياتها لتهرب من شدة الحرارة .. وتذكرت ذلك الحلم الغريب الذي حلمت به .. فقد رأت نفسها تجلس ظهرها بظهر كامل مقيدان بحبل واحد .. وطوال الحلم كان كل منهما يجاهد حتى يستدير ليتطلع في وجه الأخر .

حينما نزلت إلى الغرفة كان كامل لا يزال نائما فوضعت ما في يدها على الأريكة وأسرعت لتأخذ حماما منعشا ..في الوقت الذي كان كامل يتململ في رقدته شاعرا بالبرودة تزداد من حوله فتدثر بغطاء السرير الخفيف دون جدوى .

بعد قليل خرجت بسمة ترتدي ملابس بيتية مريحة .. بنطال وبلوزة ووقفت أمام المرآة تصفف شعرها وتلفه على هيئة كعكة حينما لاحظت كامل عبر المرآة قد اعتدل جالسا فقالت "من الجيد أنك استيقظت لأني كنت أريد أن اجفف شعري بالمجفف وخشيت أن يزعجك "

قبل أن تعيد فك الكعكة من خلف رأسها قال كامل بصوت أجش "باسمة"

استدارت إليه مستفهمة فقال "تعالي"

عقدت حاجبيها فسعل سعلة خفيفة وقال وهو يشير بكفه في الهواء" تعالي يا باسمة بسرعة"

تركت مكانها واقتربت تتأمله قائلة" هل أنت بخير ؟"

مد يده لها فوضعت يدها في كفه ليسحبها لتجلس بجواره على السرير ثم غمرها في حضنه قائلا" لا تبتعدي فالجو بارد جدا في الخارج "

تفاجأت بسمة بحرارة جسده الذي يرتجف بالقرب منها فهتفت بقلق وهي تحاول أن تخلص نفسها من ذراعيه "كامل أنت محموم "..

حضنها يهلوس قائلا "لا بأس ..أعرف بأنك بردانة ..سأدفئك بجسدي لا تقلقي"

اشفقت عليه .. فأخذت تدلك ظهره بحنان وهي تقول برفق" حسنا دعني أحضر لنا بطانية مادام الجو باردا"

شدد من ذراعيه حولها يغمرها بحضن قوي وهو يقول "لا ابقي هنا في حضني فالجو بارد عليك "

حاولت الفكاك من ذراعيه المحكمين حولها وهي تشعر بجسده الحار ينتفض في الوقت الذي عبس شامل في وقفته في المطعم وقال وهو يبلع ريقه بصعوبة" لماذا أشعر بألم في حلقي (واخرج هاتفه يغمغم) أنا المريض أم هذا الزفت؟"

رن هاتف كامل بجوار السرير فمدت بسمة ذراعها بصعوبة لتلتقطه من فوق الكومود وقد ميزت نغمة طبول الحرب وصيحات القبائل البدائية التي يخصصها لتوأمه فقالت بصعوبة من فوق كتف كامل "نعم شامل .. هلا أحضرت طبيب بالله عليك"

بعد ساعة

قال شامل من خلف الباب بعد أن طرق عليه"
بسمة أنا معي الطبيب "
تحركت بسمة تبعد ذراعه عن خصرها فأصدر
كامل بعض الهمهمات المعترضة لكنه كان
أضعف من ساعة مضت والتي اقنعته هي
وسوسو خلالها بصعوبة أن تغطياه ببطانية
ثقيلة مقابل أن تستلقي بسمة بجواره ليذهب
في النوم بعدها وهو يقبض بذراعه على خصرها
.
تركت بسمة السرير شاعرة بالحرج من سوسو
التي تجلس على الأريكة المقابلة تتطلع في ابنها
في قلق ..واسرعت بارتداء عباءة خفيفة
فضفاضة من الشيفون فوق ملابسها ثم
فتحت الباب ليدخل شامل مع الطبيب ..
ووقفت تراقبه وهو يكشف عليه قبل أن تسأله
سوسو بقلق" طمئننا يا دكتور"

قال الأخير "لديه التهابا في الحلق ..سأعطيه حقنة لتخفض من حرارته ثم يلتزم بالعلاج وسيتحسن إن شاء الله"

قال شامل عابسا" أنا أيضا قلت أنه التهاب في الحلق"

تطلع فيه الطبيب الذي يتعامل معهم منذ عشرة سنوات ليقول شامل وهو يفتح له فمه" هلا تفحصت حلقي أنا الآخر اشعر بأني متوعكا"

ضحك الطبيب وقال" أنتما دوما تتوهمان"

قال شامل بثقة "صدقني أنا أعلم أنه قد أمرضني معه"

أخرج الطبيب أدوات فحص جديدة وبدأ في فحص حلق شامل بينما قالت سوسو "إن شاء الله ليس بك شيء "

تكلم الطبيب "لا أرى أن حلقك ملتهبا "

قال شامل بإصرار "صدقني يا دكتور أشعر به متورما ويؤلمني وأشعر بأن عظامي تؤلمني أيضا"

قال الطبيب مستسلما "سأكتب لك على مسكن تستخدمه عند اللزوم "

بعد أن أعطى الطبيب حقنة خافضة للحرارة لكامل لملم أدواته وتحرك مغادرا وهو يعطي شامل ورقة بالوصفة العلاجية .. فخرج الطبيب أولا ثم استدار شامل يقول بقرف لتوأمه النائم "لا يأتي من خلفك إلا المصائب والأمراض أيها الزفت "

قالها وخرج يغلق الباب خلفه فقالت سوسو شاعرة بالحرج من بقائها أكثر في غرفة نوم ابنها "ستنتبهين عليه جيدا يا بسمة أليس كذلك؟"

قالت الأخيرة مطمئنة "لا تقلقي عليه سيكون بخير"

قالت سوسو وهي تغادر" بالله عليك طمئنيني
حينما تنزل درجة الحرارة"
أومأت لها بسمة وراقبتها تغادر وتغلق الباب
خلفها فخلعت عنها العباءة واقتربت منه
لتجلس بجواره وتتحسس جبينه الساخن .
كانت تشعر بالحزن الشديد وهي تسترجع
هلوسته مصرا على أنها هي التي تشعر بالبرد
وبأنه سيدفئها ..ورغم شعورها بالحرج
لاضطرارها للاستلقاء نصف جالسة بجواره
أمام حماتها التي لم تقدر على ترك ابنها مريضا
وتغادر إلا أن تشبثه بها أثر فيها بشدة.
ليته كان حقيقيا .. ليتها تكون حقيقة في حياته
إن حدث هذا لن تريد شيئا من الدنيا بعدها أبدا
..
فقط هو وكفى .
أصدر كامل همهمات غير مفهومة فجست
جبينه مرة أخرى ثم مالت تطبع قبلة فوقه

تشعر بشعور أمومي لم تشعر به إلا مع وليد حينما كان صغيرا ..
شعور بطاقة من دفء يشع منها لا إراديا ..وبشفقة قلب تشمله كله .. فتذكرت أم هاشم .. كيف رضيت بأن تضحي بنفسها من أجل من تحب حتى لو كان لا يشعر بها ..وتذكرت كلامها عن اقتناص الوقت معه .. فأشفقت على صاحبتها .. كيف ستستطيع أن ترحل وتتركه بعد أن تعتاد عليه وعلى تفاصيله وعاداته المزعجة قبل الحلوة ؟!.
مسدت بسمة على ظهر كامل بحنان وهمست في سرها" أنت مجنونة يا أم هاشم ولا تعرفين شيئا .. اسأليني أنا كيف يكون الشعور بأنك قد تفترقين عنه في يوم من الأيام .. اسأليني أنا يا بنت الشيخ أي شعور مؤلم هو .. لكن صدقت .. في أن مجاورة الحبيب هي السعادة كلها .. حتى لو كانت سعادة مؤقتة .

بعد ساعتين

من خلف رموشه أخذ يتطلع في ساقيها الممدودتين على السرير في جلستها بجواره تتابع فيلما قديما على التلفاز قبل أن يعتدل بصعوبة ليغير الوضع الجانبي ويستلقي على ظهره يتطلع فيها من خلف جفنين ثقيلين.

راقبته بسمة بقلق فغرق في الموج الأزرق الرائق في عينيها وهي تسأله وكفها يتحسس جبينه

"كيف تشعر الآن؟"

نبرتها القلقة أسعدته فغمغم بمسكنة "مريض جدا "

ابتسمت لطريقته الطفولية بينما سألها هو

"ماذا حدث أشعر بأن الغرفة كانت مليئة بالبشر وأنا نائم"

احمرت وجنتيها وهي تتذكر حضنه القوي لها وردت بمراوغة "ارتفعت حرارتك بشدة واستدعينا الطبيب"

تحركت مغادرة للسرير فقال معترضا "إلى أين ستتركينني وأنا مريض !"
ابتسمت وقالت وهي تتطلع في الأدوية "سأرسل رسالة لشامل لأنه طلب مني أن أخبره حينما تستيقظ حتى يرسل لك طعاما قبل أن تتناول أدويتك"
غمغم بعبوس "هو ذاك الزفت السبب بالتأكيد في مرضي "
ضحكت بسمة تهز رأسها بيأس فسألها باستنكار "لماذا تضحكين ؟!"
ردت بابتسامة لم يرى في مثل جمالها "لأنه قال نفس التعليق"
هتف بصوت متحشرج من المرض "كاذب ..هو كاذب .. دوما ما كان يمرض أولا ثم أمرض أنا بنفس المرض بسببه ولكن بصورة أشد اسألي أمي"

قالت وهي تستدير حول السرير لتجلس على الأريكة البعيدة " هذا حينما كنتما صغارا "
قال بعناد طفولي لا يتناسب مع طوله وعرضه الذي يشغل السرير أمامها " وحتى الآن صدقيني (ثم عبس يضيف باستنكار) لماذا ابتعدت؟..
هل ستتركينني وأنا مريض!!"
قالت بسمة بوجنتين مشتعلتين" الحمد لله نزلت حرارتك "
قال معترضا وهو يستند برأسه على الوسادة "لكني لازلت مريضا جدا .. "
ردت بلهجة حانية "ألف لا بأس عليك حفظك الله من كل شر"
تطلع فيها رغم شعوره بتشوش الرؤية .. قبل أن يطرق الباب فاستقامت بسرعة لتفتحه وتتناول صينية من زيلا وهي تشكرها ..ثم اقتربت من كامل الذي قال معترضا" لا أريد الطعام حلقي يؤلمني "

قالت وهي تجلس بجواره على السرير "شامل صنع لك حساء رائحته شهية عليك بالأكل حتى أعطيك الدواء"
قال بصبيانية "صدقيني لست بقادر على رفع ذراعي حتى "
راقب احمرار وجهها وتلك الطريقة التي تضغط بها على شفتيها حينما تشعر بالخجل والتي تتسبب في غوص طابع الحسن في ذقنها أكثر وهي تغمغم" أنت تتدلل يا كامل لكني سأتحملك لأني وعدت سوسو بأني سأهتم بك"
وضعت الصينية على ساقيها لكنه لم يرفع أنظاره عن وجهها شاكرا لأنه غير قادر على رفع إصبع وإلا لانقض عليها خاصة وهي بهذا القرب منه وهذه الفتنة والنعومة ولم يعرف إن كان عليه أن يشعر بالفخر من نفسه لنجاحه في الصمود كل هذا الوقت أمام امرأة في جمالها

الأخاذ أم يشعر بالشفقة على نفسه وعلى حظه التعس ..

مدت بسمة بالملعقة له مملوءة بالحساء الساخن فتطلع في الملعقة قليلا ثم أعتدل جالسا بصعوبة ومال برأسه يشرب فغمغمت بحرج تهرب بنظراتها من تحديقه " أنت تتدلل كالصغار اقسم بالله"

رد كامل بنفس المسكنة "أنا مريض "

فضحكت بسمة تهز رأسها في يأس وقالت "هيا كُل أيها المريض حتى تتناول الدواء لتتحسن حالتك "

xxxx

الزغاريد لها دوما وقع السحر على القلوب قبل الآذان .. تنشر الفرح كرفرفة الحمام لحظة خروجه وانطلاقه ..وتدغدغ المشاعر.

الزغاريد أدخلت البهجة على قلب عائلة هلال رغم التوتر .. توتر طبيعي لبيت ستعقد إحدى

بناته قرانها خلال دقائق .. وتوتر إضافي حتى ينتهي اليوم بسلام .. ينتهي بعقد قران اسراء على طلال ويليه إنزال حاجيات العروس لفرشها أمام البيت استعدادا لنقلها بالسيارات باحتفال صاخب إلى بيت العريس ..

هذا الأمر بالذات .. رغم أن هلال لم يبخل في شيء بشأن تجهيز ابنته .. وبالرغم من أن ما ابتاعه لها كاف لأي زوجين مقبلين على الحياة معا ..وبالرغم من أنه قد اخبر طلال ووالده بأنهم ما داموا متعجلين فلن يستطيعوا تجهيز أكثر مما تم شرائه وهو الأساسيات .. وموافقة طلال على ذلك رغم عدم رضا والدته وامتعاض والده ..

رغم كل شيء ..

الشعور بأنك قد تكون مثارا للحديث ..

قد توضع تحت المجهر فيأتي كل من هب ودب ليقيّم ما جهزته وأحضرته ويقارنه بالأخرين شعور غير مريح .. بل إنه مقيت .. وكأنك على عتبة امتحان سيقيّم الناس ما أنجزته ..ويمنحونك بعدها انبهارهم أو رضاهم أو مصمصة شفاههم..

هكذا كانت تشعر نصرة رغم وجهها الضاحك وهي تستقبل المهنئين الذين بدأوا في التجمع أمام المسجد حينما حضر الشيخ منذ دقائق خاصة مع وجه أم طلال الممتعض هي وأختها اللتان ظلتا واقفتان مع باقي النسوة خارج مسجد الشيخ تيمور ورفضتا الذهاب لبيت والد العروس الذي لا يبعد إلا أمتارا في انتظار عقد القران ..

لمحت أم هاشم جابر يقبل مسرعا بعد أن تأخر عن الحضور وهو شاهد العروس فانفجرت دقات قلبها بقوة ..خاصة وهي تراه يرتدي

ملابس عصرية من بنطال كلاسيكي أسود وتيشيرت رمادي بنصف كم فربطت بين هذا الملبس وما سمعته من نصرة بأنه كان خارج المحافظة منذ الصباح الباكر وسيأتي على مراسم عقد القران ..

لقد مر ثلاثة أسابيع منذ ذلك اليوم في بيتهم .. ورغم تحية الصباح التي تلقيها على عجل يوميا وهي تمر من أمام البيت بينما هو يجهز سيارته للذهاب لعمله ..

تحية صباح بخطوات سريعة ترفل فيها خجلا أنثويا قد لا يظهر على ملامحها الجادة.. وترفل فيها قلبا يتمنى أن تكون التحية أكثر قربا ودفئا ..

تحية صباح لا تعرف لما باتت تهدى إليها كل يوم وكأنه بات يضبط مواعيد خروجه للعمل على مواعيد خروجها من المنزل صباحا ..

تحية صباح سريعة تعقبها عبارة (صباح النور يا أم هاشم) أضحت هي قوت يومها ..
تحية صباح قد تبدو للجميع عادية .. إلا أنها تعني لها الكثير..
نحنحة صدرت من جابر لينبه المتجمعات أمام المسجد بمروره فتفرقن لتفسحن له مجالا ليسرع بالمرور ويدخل المسجد
ولاحظت أم هاشم غمز البنات وتنهداتهم وأعينهم التي أكلته وهو يمر فتقبضت ووقفت تراقب بصمت .
قالت إحداهن لمن تقف بجوارها "يبدو أصغر في الملابس العصرية وأنيق جدا ..ووجهه بدون اللحية ذات الشيب لا يعطيه أكثر من ثلاثين سنة ليته يحلقها ليظهر أصغر عمرا "
ردت الأخرى بهمس "أختلف معك .. فهذه اللحية تعطيه وسامة وجاذبية رائعة أن يكون

صغيرا بالعمر وبلحية يخالطها الشيب.. هل رأيتيه في الملابس العصرية ..يا ويلي !"
تكلمت إحدى النساء على جانب أخر تقول للأخرى "هل تعتقدين بأنه سيسرع في الزواج أم أنه سيعيد بنت العسال لعصمته ؟ .. فرجل مثله في عز شبابه لن يبقى بدون زواج كثيرا "
ردت صاحبتها " ها هي الحجة نجف آتية .. تعالي لنجس نبضها .. وأريدك أن تتحدثي عن ابنتي بشكل غير مباشر أمامها .. وإن حدث النصيب لك الحلوان "
في ثوب وردي رقيق كانت إسراء تقف في المسجد وحدها بينما باقي النساء في الخارج ونصرة تقف على بابه تتابع المراسم بترقب .
كانت اسراء تشعر بالرهبة الممزوجة بالفرح لكن الرهبة كانت طاغية .. كانت كطعم مالح يصر على أن يفسد طعما حلوا ..

نظرت لطلال فوجدته يتطلع فيها بابتسامة وفرحة فحاولت طمأنة نفسها .. بعد قليل ستتغير حياتها للأبد .. ستقترن بشاب و ستترك المركب الذي ولدت وعاشت فيه لتركب أخر مع طلال .

حين جاءها الدفتر أمسكت بالقلم لتوقع بيد مرتعشة ثم انطلقت الزغاريد بعد دقائق بمجرد أن انتهت المراسم .. فخرجت هي بحرج من المسجد لتتلقى التهاني من النساء وأولهن نصرة التي انفجرت بالبكاء وهي تحضنها مغمغمة "مبارك يا نور عيني ..مبارك يا غاليتي وبنت عمري "

قالتها وانفجرت بالمزيد من البكاء فهمست اسراء" كفى بكاء يا أمي أرجوك "

ابعدتها أم هاشم قائلة بتهكم" ابتعدي يا نصرة لنهنئها .. بقي ثلاثة أيام قبل أن تغادر حضنك دعيني أبارك لها "

قالتها وهي تقبل اسراء قائلة" ألف ألف مبروك يا أستاذة"
غمغمت اسراء بابتسامة خجلة" العقبى لك يا أم هاشم"
قالت الأخرى بمزاج رائق "يا رب يا حبيبتي يا رب (ثم هتفت في الباقيات) أين الزغاريد يا جماعة لا أسمع شيئا"
انطلقت الزغاريد وشاركتهن أم هاشم فيها لتتلقى اسراء من الواقفات من النسوة وصاحباتها التهاني بينما كريمة وأختها ومن معها يقفن بفم ملوي بعيدا يتلقين التهاني من الأخريات لكنهن تجاهلن عن عمد المباركة لإسراء أو نصرة وهذا ما لاحظته أم هاشم فرمقتهن بنظرة ممتعضة وغمغمت وهي تعدل من حجابها الأسود فوق عباءتها الأسود منها" اللهم طولك يا روح "

خرج طلال من المسجد يبحث عن اسراء بين البنات .. واتسعت ابتسامته وهو يغمغم مقتربا يشتاق لضمها "مبارك يا عروس "
قبل أن يصل إليها كانت أمه واختها وقريباتها قد اقتربن وقطعن عليه الطريق يزغردن بحماس بينما كريمة تضم ابنها وتبكي بحرقة.
أخذ طلال يربت على أمه بابتسامة لكن الأخيرة كانت في حالة انهيار وكأنها جنازته وليست زيجته مرددة" يا قرة عين أمك .. يا أخر العنقود .. لم أشبع منك والله "
تهكمت الباقيات عليها لتقول إحداهن "وكأنه سيهاجر يا كريمة إنه سيسكن معك في نفس البيت يا امرأة !"
ردت بلهجة باكية" لا أحد يشعر بشعوري أبدا .. اخوته في جانب وطلال حبيبي في جانب أخر"

قالت نصرة بابتسامة هادئة وهي تكتم الغيظ "أنت تقولين هذا وهو سيسكن معك .. فماذا أقول أنا إذن وابنتي ستتركني !"

تجاهلتها كريمة وأخذت تربت على صدر ابنها ببكاء شديد.. وعينا طلال معلقتان على إسراء ..فأطل أحد أصدقائه من المسجد يقول" أين ذهبت يا عريس يريدونك حتى توقع على القائمة "

قال طلال وهو يرمق اسراء التي تقف وحولها الفتيات على بعد بينما أمه تمسك بسترته وكأنه سيهرب منها" حاضر قادم حالا "

استدار شاعرا بالإحباط ليعود للمسجد فقالت أمه بهمس "إياك أن توقع قبل أن تقرأ ما كتبوه جيدا وكما أخبرتك بالأشياء التي ليس لها قيمة في قائمة الأثاث إن وجدت منها ارفض التوقيع حتى يحذفونها و..."

قال طلال وهو يبعد يدها برفق عن سترته "لا تقلقي يا أمي أهم شيء ننتهي من هذه الإجراءات سريعا "

قالها وعاد للمسجد محبطا بعد أن كان يتمنى ضم اسراء لكنه وعد نفسه بأن يحاول الانفراد بها بعد انتهاء هذا اليوم الذي هو نفسه يشعر فيه بالتوتر .

قالت نصرة للنساء" تعالين إلى البيت حتى ينتهي الرجال .."

بعد قليل كانت كريمة التي رفضت دخول بيت هلال هي وأختها وقريباتها يقفن في الشارع يتطلعن في جهاز العروس المرصوص على جانبي البيت استعدادا لوضعه فوق السيارات أجهزة منزلية وكهربائية ومفروشات وسجاد وستائر ونجف وكراتين كثيرة تحمل أدوات المطبخ من كل نوع وشكل .

هتف زوج احدى اخوات نصرة يقول لابنه
"هل هناك المزيد عندك يا زيد؟"
جاءه الرد بأن هذا كل شيء فأخبره بأنه سيخرج
إلى أول الشارع ليرتب أمر دخول السيارات
واحدة تلو الأخرى ..
وقفت كريمة تحدق في الموجود في الشارع
بذهول وهي تحاول أن تتماسك لكن ما تتلقاه
من نظرات ساخرة من قريباتها كان كالسوط
يجلدها ..وما زاد من الطين بلة وصول سيدتان
هما حماتي اثنين من أولادها الأكبر المتزوجين
فتلقت تهنئتهما بابتسامة عصبية بينما عيناها
تلاحظان مصمصة الشفاه الجانبية وهما
تتطلعان في المعروض.
قالت أخت كريمة بلهجة مازحة لزيد ابن أخت
نصرة المراهق "أنظر يا حبيبي في الداخل لربما
نسيت الباقي في غرفة أخرى أو غرفتين "

ضحكات مخفية وصلت لكريمة من خلفها في الوقت الذي رد الشاب بتهذيب" لا والله يا خالة أخرجنا كل شيء "

كانت اسراء تقف مع بعض صاحبتها على بعد أمتار وقد لاحظت الهمس واللمز لكنها حاولت التجاهل فهي من الأساس كانت ترغب في أن تحضر الأساسيات الكافية لبدء حياة جديدة دون مبالغة أو تطرف لكن ما كان يقلقها هو والدتها التي تقف على الناحية الأخرى تدير ظهرها للنسوة وعلى وجهها ابتسامة واسعة.. مبالغ فيها .. وهي تعيد رص بعض الأشياء فوق بعضها لتصنفها بشكل لا يعرضها للتلف أو الكسر ومعها أم هاشم ..فكانت تشعر بأن أمها متأثرة بما يقال لكنها تحاول تعمد البرود والتجاهل كما طلبت منها اسراء.

قالت أخت كريمة" بصراحة أنا مصدومة ولم أتخيل طلال حبيبي أخر العنقود تكون شقته أقل من اخوته بهذا الشكل الصادم "
تماسكت كريمة ودمها يغلي في رأسها فلم تحب أن تتعرض لهذا الموقف أمام أختها بالذات .. أختها التي كانت تتمنى أن يتزوج طلال من ابنتها.. والتي صدمت حينما ارتبط بإسراء..
بينما استمرت اختها تقول لإحدى قريباتها معلقة على المعروض أمامها "أتصدقين يا أم أيمن لم يحضروا من كل جهاز منزلي سوى قطعة واحدة .. (واستدارت لكريمة تقول)
كيف توافقون على هذا يا كريمة؟! .. إنكم صرفتم في شقة طلال بالذات أكثر من أخوته بكثير بسم الله ما شاء الله إنها كالقصر"
قالت كريمة لأختها بغيظ " اسكتي يا ثريا بالله عليك"

ضربت ثريا كفا بكف تتصنع التعاطف "لا حول ولا قوة إلا بالله! .. (واستدارت) لقريبتها انظري يا أم أيمن هل ترين أكثر من أربعة بطاطين ؟.. أنا لا أرى أي لحاف هل شاهدت لحافا مع البطاطين؟"

قالت أم هاشم بصوت عال وهي تحاول تلجيم عصبيتها ورغبتها في جر الواقفات من شعورهن وسحلهن في الشارع " ما شاء الله يا نصرة ذوقكم عالي في كل شيء "

ردت أخت نصرة عليها تحاول هي الأخرى الوقوف بجانب أختها "صدقت يا أم هاشم ما شاء الله ذوق أستاذة بالفعل"

غمغمت ثريا بصوت خافت لكنه مسموعا تعوج فمها "عم يتحدثن .. ألم يروا جهاز عروسة من قبل!! .. "

قالت كريمة تشعر بالقهر "حين قال لي طلال وأبوه بأنهم لم يجدوا وقتا إلا لتجهيز

الأساسيات.. لم أتوقع أن يكون الأمر بهذا السوء"

ردت ثريا بلهجة متعاطفة تنفخ في النار " لا حول ولا قوة إلا بالله!.. (واستدارت لقريبتها تقول) والله يا أم أيمن (ونظرت لحماتي ابني كريمة تشركهما في الحديث) والله هناء ابنتي رغم أنها لا تزال تدرس في المعهد لكني لم أتركها هكذا .. أجهزها منذ أن كانت في الاعدادية.."

أمسكت أم هاشم برأسها تقول بصوت أعلى " اللهم لا تعذبنا بما فعل السفهاء منا "

استمرت ثريا في الحديث بمفاخرة فأضافت تدعي المزاح وهي تناظر ابنتها المتابعة للحديث من بعيد" هناء تقول دوما(يا أمي يكفي مائة شرشف سرير) .. (يا أمي كفى) .. صدقيني يا أم أيمن والدها اشترى الأجهزة الكهربائية من الآن .. ثلاجتين كبار وهذا المبرد الكبير المستقل

وحده (واستدارت لابنتها تسألها بصوت عال)
ما اسمه يا هناء؟"
غمغمت أم هاشم وهي تنظر حولها تبحث عن شيء يهدئها " بدأ برنامج لك ولأسرتك وأنا أخشى من انفلات أعصابي وتعكير السلم العام"

أمسكت بذراعها نصرة التي لا تزال تولي ظهرها للنسوة تتصنع التجاهل بينما التهكم يأتيها كالرصاص يضرب في ظهرها وقالت مهدئة "لا بأس يا أم هاشم دعي اليوم ينتهي بسلام ..كلمتان محشورتان في حلوقهن سيقولونهم وننتهي "
ردت هناء على سؤال أمها "ديب فريزر يا أمي" أكملت ثريا ثرثرتها المتباهية فقالت" أجل ديب فريزر.. واشترى ثلاث غسالات قسما بربي .. واحدة فول أتوماتيك والأخرى نصف أتوماتيك وغسالة أطفال.. أقول له(يا رجل أنت لا تعرف

متى سيأتيها النصيب ربما كان وقتها ما هو أحدث من هذه الماركات) ..يقول لي (ساعتها نبدلهم لها) كله من أجل عيني هناء ... إنه يحب ابنته جدا"

انفلتت أعصاب أم هاشم فاستدارت تقول بابتسامة صفراء تتصنع الهدوء " نحن هنا نحتفل بيوم الفرش الخاص بالأستاذة إسراء وليس هناء يا أم هناء"

امتقع وجه المرأة وشعرت بالحرج بينما هتفت أم هاشم في الواقفات "أين الزغاريد لا أسمعها لدينا عروس هنا"

انطلقت الزغاريد من جانب العروس وبعض المجاملات من جهة العريس بينما وقفت كريمة تتمنى لو أن تنشق الأرض وتبتلعها خاصة مع نظرات حماتي ولديها اللتين كانتا لا تزالان تتطلعان في الجهاز المرصوص خارج البيت بسخرية .. بينما سألت ثريا قريبتها "هل

رأيت ديب فريزر يا أم أيمن ؟..أنا لا أرى في الأجهزة المنزلية إلا ثلاجة واحدة متوسطة الحجم "

تدخلت نجف التي خرجت من بيت نصرة بعد أن التقطت أطراف الحديث لتقول بلهجة حكيمة " الليلة ليلة فرح يا حبيباتي.. العقبى لبناتكن جميعا.. أين الشربات يا نصرة ألن توزعي شربات ؟"

قالت نصرة بصوت مبحوح من كثرة انفعالاتها المكبوتة فلولا خوفها من افساد الليلة لما سمحت لأي امرأة من الواقفات الحديث بهذه الطريقة " طبعا ..طبعا لدينا شربات .. وكل شيء حلو من أجل عيون عريسنا وأهله"

مصمصت كريمة وأختها شفتيهما بينما قالت إحدى أخوات نصرة "أنا سأحضر الشربات يا أم كريم "

واطلقت زغرودة وهي تدخل البيت بينما تبادلت اسراء وأمها النظرات كل واحدة ترسم ابتسامة مزيفة على وجهها حتى لا تتأثر الأخرى بما يحدث فرفعت نصرة ذقنها لأبنتها بما يعني (كوني باردة) رغم أنها لم تكن كذلك.. فردت عليها اسراء بتعبير على وجهها بما يعني (أنا متجاهلة تماما) رغم كونها لم تكن كذلك أيضا.

مالت أم هاشم تقول لنصرة "هذه المرأة ستذل ابنتك يا نصرة .. لا تؤاخذيني .. لكني أعرف بأنك تدركين جيدا بأني لست خرابة للبيوت وأحب اسراء كأختي الصغيرة لذا دعيني أخبرك بأن هذه المرأة ستذلها على أتفه الأشياء إن لم تجدها في جهازها .. أعرف حماة مفترية كانت تعاير زوجة ابنتها لأنها لم تحضر في جهازها الهون الألومينيوم لهذا أنا قلقة على إسراء من هذه الحيزبون واختها "

قالت نصرة بتماسك" أتمنى من الله أن يسترها معنا ومع المسكينة اسراء"

في المسجد ساد بعض التوتر لاعتراض والد طلال على إضافة بعض الأشياء لقائمة الأثاث التي سيوقع عليها العريس كأمانة لحفظ حق العروس كما تقتضي العادات .. فوقف طلال بقلق يحاول التوسط بين الفريقين بينما قال هلال" يا أبا حمدي بالله عليك ألم يوقع ابنك حمدي على قائمة مشابهة لزوجته"

رد أبو حمدي مراوغا "لا لم يحدث .. لماذا يمضي ابني على كل هذا !"

تدخل جابر يقول بهدوء" يا أبا حمدي بالله عليك هل سنتناقش في أشياء تافهة كهذه!.. ما لا ترضى به لابنتك لا ترضى به لبنات الناس"

رد أبو طلال ممتعضا "الحمد لله ليس عندي بناتا "

تدخل طلال لإنهاء الموضوع قائلا بدبلوماسية وهو يلتقط الورقة ويميل ليوقع عليها" من بعد اذنك يا حاج دعنا نتخطى تلك الأمور "
شعر هلال بالراحة بعد توقيع طلال على الورقة وناظر أخيه الذي حضر من العاصمة لحضور عقد القران بسعادة فبادله الأخير الشعور ..
بينما تطلع والد طلال في ولده بنظرة عاتبة اشعرت طلال بالذنب تجاه والده وبأنه قد كسر كلمته أمام الجميع ..
قال جابر وهو يساعد المأذون على الوقوف "هيا لنلحق بصلاة الظهر قبل أن نخرج لنقل الأثاث"
اقترب طلال من والده يحاول أن يعتذر فنفض الأخير جلبابه يشيح بوجهه عنه واصطف بجوار الرجال استعدادا للصلاة تاركا ابنه يشعر بذنب كبير بينما ناظره أخوته بتوبيخ .

عند بيت هلال كانت كريمة قد وصلت لذروة التحمل حينما تساءلت ثريا " أين المكروف؟ .. هل هناك عروس تتزوج هذه الأيام بدون مكروف!! "

رددت أم هاشم ساخرة " مكروووووف! .. (وأضافت بصوت خافت من بين أسنانها) بنت بائعة الحليب تسأل عن الميكرويف !"

كتمت نجف ضحكتها فابتسمت أم هاشم لها ابتسامة أظهرت الغمازتين وسألتها بصوت خافت " أمها كانت بائعة حليب أم لا؟"

ردت كريمة بسخرية مرة " عم تتحدثين يا ثريا .. انظري لأسطوانة الغاز الوحيدة الموجودة قبل أن تسألي عن الميكرويف "

أمنت ثريا على كلامها تقول بحسرة" صدقت يا أختي وقلبي معك "

قالت كريمة بلهجة متهكمة غير قادرة على التحكم في أعصابها أكثر " ويقال الأستاذة

ذهبت ..والأستاذة جاءت .. والأستاذة تعمل في مدرسة لغات في المدينة !"

لم تستطع اسراء الصمت أكثر فقالت بلهجة عاتبة من وقفتها بين صاحباتها اللاتي يتطلعن في كريمة بغيظ" لماذا هذا الكلام يا حماتي "

قالت كريمة "بصراحة لا تؤاخذيني ما أراه لا يليق بأستاذة أبدا .. ولا يليق حتى بفتاة جاهلة لم تتعلم"

تدخلت أم هاشم صائحة باستنكار" وما دخل هذا بذاك؟!!"

قالت كريمة بغيظ " دخلها أنها تعمل في مدرسة لغات ..وأنها تعطي دروسا خصوصية أيضا .. (وأكملت بتقريع واستهزاء) ألا يكفي بأنها كانت تتردد على البيوت لتعطي الدروس ولم يفتح ابني فمه ولم يعترض .. "

اندفعت نصرة تقول بانفعال حينما وصل الأمر لذم في شخص إسراء " ما معنى كلامك هذا يا أم طلال؟"

هتفت كريمة بغيظ مكبوت "معناه أنكم فضحتمونا واحرجتمونا أمام الناس بهذا الجهاز يا نصرة"

تدخلت بعض الواقفات لتهدئة كريمة لتقول احداهن "ليس له لزوم هذا الكلام لقد اصبحتم أهل "

ردت كريمة بانفعال "ألا ترون الفضيحة أمام أعينكن (وأضافت بدم محروق) هل يستقلون بابني .. ابني الذي كلف بناء شقته وتوضيبها مبلغا وقدره .. ابني صاحب الشهادة الجامعية يا ناس "

لم تتحمل أعصاب أم هاشم الاستفزاز فردت بغيظ " وهل هي تحمل الشهادة الإعدادية!!.. إنها جامعية مثله .. وكانت حاصلة على مجموع

يدخلها كلية الطب ..(وأضافت في سرها متهكمة وهي تضرب كفا بكف) تتحدث وكأن ابنها ملك اسبانيا !"

شعرت كريمة بالحرج فصرخت في أم هاشم مهاجمة "لماذا تتدخلين أنت يا سوداء .. أتريدين افساد الزيجة !"

هتفت أم هاشم بغير تصديق " أنا التي أريد افسادها الآن !!!!"

تدخلت نجف تقول بحمائية " هي لم تفعل شيئا .. كانت ترد على كلامك الغريب "

امتقع وجه كريمة وخرست أمام تدخل نجف فتدخلت ثريا تقول بلهجة متهكمة "يا جماعة قدروا ظروفها وتعاطفوا مع حالتها .. فهي ترى من هي أصغر منها بكثير ستتزوج ..طبيعي أن تكون عصبية وتحاول إفساد الأمر"

قلبت أم هاشم مقلتيها مزمجرة .. فشعرت الأخرى بالتوجس خاصة حينما استشعرت بأن أم هاشم على وشك الهجوم عليها .
بينما اسرعت نصرة تمسك بيد الأخيرة ترفع إليها انظارها قائلة بحشرجة متوسلة "حلفتك بالله يا أم هاشم مرريها من أجل خاطري إنها تحاول خلق شجارا .. من أجل خاطر نصرة حبيبتك"
نظرات نصرة المتوسلة جعلت أم هاشم تسحب معصمها من يديها وتقول بحشرجة "أنا ذاهبة من هنا حتى لا يفور دمي وافسد كل شيء .. مبارك يا نصرة (ونظرة لإسراء التي تلجم مشاعرها بقوة ترغب في الثورة والصياح في وجه الموجودات وقالت) مبارك يا اسراء"
قالتها وهي تتحرك مبتعدة فهتفت نجف "انتظري يا أم هاشم "

ابتعدت الأخيرة مسرعة بدون رد فنظرت نجف لثريا قائلة " أنت قليلة الذوق ما لزوم هذا الكلام الذي قلتيه ؟"

تدخلت قريبة كريمة تقول " لماذا تحامين لها يا حاجة؟ .. صدقيني واحدة مثلها بالتأكيد تشعر بالغل والحقد لأنها لا تجد من يرضى بسنها ولا بسمارها وتعرف تماما اللقب الذي يطلقونه عليها "

تألم قلب نجف على أم هاشم فصرخت بحمائية "اخرسي يا قليلة الحياء "

تدخلت نصرة التي تحاول تهدئة الوضع فقالت "اهدئي يا خالة نجف "

لكن قريبة كريمة لم تستطع السكوت فهتفت تدافع عن نفسها " أنا لست قليلة حياء أنا فقط كنت أنبه الجميع لأنها بغيرتها وحقدها ربما تكون السبب في هذا التوتر الذي نحن فيه .. اعوذ بالله من شر حاسد إذا حسد "

أمسكت ثريا بطرف الحديث وزادت عليه "بالطبع حاقدة لأنها لم تتزوج شاب كطلال ما شاء الله عليه (واستدارت لكريمة تقول بلهجة مرتعبة) ارقيه يا كريمة بالله عليك العين فلقت الحجر "

أمسكت كريمة برأسها تغمغم بخوف" من شر حاسد اذا حسد سلم يا رب سلم من عينيها" تدخلت اسراء تقول بحمائية" لماذا كل هذا الكلام عنها ماذا فعلت أم هاشم لكن ؟" تكلمت إحدى الواقفات " والله أنا اتشاءم من حضورها أي مناسبة .. انظروا كيف توترت الأجواء"

اندفعت نجف ترد بانفعال" حبيبتي هي ليست بحاجة لأن تحقد على أحد .. إن كانت لم تفعلها من قبل .. هل ستفعلها الآن وهي مخطوبة لابني!! .. إنها كنة بيت دبور القادمة"

خرجت شهقات من بعض الحلوق تلتها الغمغمات الغير مصدقة قبل أن تسأل إحداهن مصعوقة" من؟؟؟ .. خطبت لابنك؟؟! أيهما .. زين؟"

اشاحت نجف بيدها بقرف وهتفت " أنا سأغادر قبل أن يحرق دمي أنا الأخرى .. نساء تافهات "

تحركت مغادرة فنادت عليها نصرة رغم تفاجؤها بالخبر لكن نجف لم ترد في الوقت الذي شغلت الواقفات بالخبر الصاعق لتقول احداهن "ولماذا ليس جابر .. لقد طلق زوجته للتو "

قالت أخرى بغير تصديق "يا الهي الاثنين أفضل من بعضهما سواء زين أو جابر كيف حدث هذا .. أم هاشم !!.. لا أصدق"

هتفت نصرة في محاولة منها للسيطرة على الوضع "أين السيارات (وقالت لكريم الذي

وصل منذ دقائق ووقف يراقب الوضع بمقلتين مقلوبتين) اذهب واسأل زوج خالتك هل جاءت السيارات"

خرجت أخت نصرة تعرض على الواقفات أكواب من الشربات وتزغرد لتغطي على صخب التوتر الحاصل .. فرفضت كريمة أن تمد يدها وتأخذ منها ..

قالت أخت نصرة بدبلوماسية رغم شعورها بالغيظ" خذي من يدي الشربات يا أم حمدي " ناظرتها المرأة بمزاج عكر تضع يدا فوق الأخر لتتدخل نصرة وتمسك بالكوب من فوق الصينية قائلة "ستأخذ من يدي أنا ولن تخذلني أليس كذلك يا كريمة؟ .. أنا اسامحك على ما قلتيه منذ قليل لأننا أصبحنا أهلا يا حبيبتي" راقبت اسراء محايلة أمها للمرأة ولم يعجبها .. كل ما يحدث لم يعجبها .. حديث حماتها وقريباتها .. ونظرتهن المتعالية لأمها .. لم

يعجبها أن تتحامل أمها على نفسها وتبتلع جرح كرامتها لتمرر لحماتها سخافاتها ..
شعرت اسراء الغيظ .. بالحنق .. بالقهر ..
شعرت برغبة في صفع حماتها وكل الواقفات اللاتي نصبن جلسة تهكم وتقليل ونقد لما جلبته لها اسرتها بعد عذاب .. آلمها كسرة قلب أمها التي كانت تنتظر هذا اليوم ..وتألمت من أجل أم هاشم .. فما ذنبها أن تُلقى بهذه الكلمات الجارحة .
راقبت إسراء يد أمها الممدودة لكريمة التي تناظرها بتعال وتكبر عاقدة يديها أمامها .. بينما تماسكت نصرة بقوة تبلع شعورا بالقهر وتقاوم رغبة في أن تحطم فوق رأسها الكوب كما تستحق لكنها للأسف لا تريد افساد الزيجة فبنتها عقد قرانها وانتهى الأمر .. فابتلعت طعما مرا في حلقها وقالت بابتسامة متسعة"

هل ستردين يدي وتحرجينني يا كريمة أمام الواقفات ؟"

تطلعت الواقفات في الاثنتين بترقب بينما انفجرت كريمة ولم تعد تتحمل " وأنتم... ألم تحرجوننا بما أحضرتم .. أهذا جهاز يليق بابني .. (ورفعت سبابتها نحو السماء تضيف بصوت باك) حسبي الله .. حسبي الله فيكم .. قتلتم فرحتي بابني ..سيعيش منكس الرأس شاعرا بالخزي بين أخوته بهذا الجهاز.. "

صرخت إسراء بحدة " كفى .. من فضلك يكفي هذا الكلام أنا لن أسمح لك "

صرخت كريمة بدورها "هل ترفعين صوتك عليّ!! "

أسرعت نصرة بالتدخل "اسراء بالله عليك اصمتي أرجوك "

ظلت اسراء متجمدة تحدق في حماتها بنظرات غاضبة بينما استدارت نصرة تقول لكريمة" أنا لن أعاتبك الآن يا أم طلال"

ردت الأخرى بقرف " لأنك لا تجدي الجرأة لترفعي عينك في عيني يا نصرة (وأضافت متهكمة بغل) من يراك وأنت ذاهبة للعمل يتصور أنك ستجلبين لها جهاز (السفيرة عزيزة) .. ماذا كنت تفعلين بذهابك للعمل واهانتك لنفسك وتركك لبيتك إذن ؟.. ألا يكفي بأننا كنا نسمع ما يقوله الناس على عملك وتركك لبيتك وأولادك وتحملنا .. لنجد في النهاية هذه المهزلة "

تدخل كريم يقف أمام أمه ويصرخ في كريمة " لا تتحدثي مع أمي بهذه الطريقة "

شهقت كريمة وضربت على صدرها تقول باستنكار "هذه آخرة من يعمل مع العمال والشغيلة .. لك الحق يا بني ما دمت مضطرا

للعمل في سنك هذا وما دامت أمك كانت مشغولة عنك بالبحث عن رزقكم ولم تجد الفرصة لتربيك "

صاحت إسراء وقد جن جنونها "حتى هنا وكفى من فضلك .. إياك أن تذمي في أمي أنا لن اسمح لك "

صرخت كريمة في وجهها مهددة "لا ترفعين صوتك عليّ"

اقتربت منها اسراء تقول بتهديد وقد اكفهر وجهها من الغضب "وأنت لا تتحدثين مع أمي بهذه الطريقة ولا مع أخي "

تدخلت إحدى الواقفات تقول " يا جماعة لقد أصبحتن أهل وهذا الكلام ليس له لزوم"

تماسكت نصرة أكثر وقالت لكريم تربت على ظهره ببعض العصبية المكبوتة رغما عنها "اذهب يا كريم أنت من هنا (واستدارت لإسراء

تحاول احتواء الوضع الذي وصل لمرحلة خطيرة) بالله يا اسراء اغلقي فمك"
عضت اسراء على نواجذها بقوة تحاول تلجيم نفسها بشدة وهي تتطلع في المرأة التي تناظرها بتعال فتجمعت الدموع في عينيها .. بينما تدخلت واحدة من حماتي ولدي كريمة تقول بدبلوماسية "صلوا على النبي يا جماعة وأنت يا كريمة اهدئي ودعي اليوم يمر "
ربتت ثريا على ظهر أختها تقول بمواساة "قلبي عندك يا أختي اشعر بك لكن ماذا سنفعل إنه النصيب "
قالت أخت نصرة بلهجة عاتبة "لا داعي لهذا الكلام يا أم هناء "
بينما تدخلت نصرة تقول وهي تمد لكريمة بالكوب الذي لا يزال في يدها" دعينا لا نتشاجر في يوم كهذا يا كريمة خذي مني شربات عقد قران ابنك "

ضربت كريمة الكوب بعصبية قائلة " أتركيني في مصيبتي واذهبي من وجهي في هذه الساعة يا نصرة ..بلا شربات بلا زفت !"

انسكب الكوب على وجه نصرة وصدرها بينما أكملت كريمة وهي تدفعها عنها بعصبية "

ابتعدي عن طريقي دعيني أغادر هذه المهزلة"

صرخت اسراء بجزع وأسرعت لأمها التي كادت أن تقع للخلف بجسدها البدين لولا أن دعمتها إحدى الواقفات واسرعت إليها همسة ونسمة .

ساعدتها اسراء على الاستقامة واقفة ومسحت بطرف كم فستانها الوردي وجه أمها من الشربات وهي تسألها" أأنت بخير يا أمي ؟"

هزت نصرة رأسها تطمئن اسراء فاستدارت الأخيرة تصيح في كريمة التي ابتعدت مغادرة " هل أنت مجنونة؟"

استدارت إليها كريمة بعينين متسعتين بينما شهقت ثريا تقول "هل تشتمين حماتك ؟"

فجأة انطلق صراخ كريمة مولولة حينما لاحظت خروج الرجال من المسجد من بعيد .. فأسرع الجميع إليها أولهم طلال الذي كان قلقا على أمه والتي استقبلته قائلة" أهذه آخرة تربيتي لك يا طلال! .. أهذه آخرة تربيتي تحضر لي كنة تشتمني أمام الناس !!"

استدار طلال بعينين متسعتين ينظر لإسراء التي لم تكن تنظر إليه بل بقيت تحدق في المرأة تلجم اندفاع المزيد من الكلام الذي يلح لأن يخرج من فمها رداً عليها بينما وقفت نصرة بجمود وقد هربت دمائها تراقب الدقائق التالية وكأنها تمثالا من الشمع وهي تتوقع القادم .

اقترب الرجال يستفهمون عما حدث بينما صرخ طلال في اسراء التي تحدق في حماتها "إسراء ماذا حدث "

وقفت ثريا تمسك بأختها المنهارة في البكاء والولولة بينما أبو طلال أقترب من زوجته ليفهم ..

أما هلال فاقترب من نصرة المتخشبة بينما وقف جابر وعم العروس والبقية يراقبون بذهول.

صرخت كريمة في زوجها "شتمتني ..زوجة ابنك يا أبو طلال وصفتني بالمجنونة واسأل الواقفات كلهن"

أمسك طلال بذراعه اسراء يهزها قائلا بلهجة خطرة " تشتمين أمي يا إسراء !"

رفعت أنظارها إليه وردت بغضب "أمك لم تترك أحد من عائلتي لم تشتمه أمام الجميع .. (وصرخت بقهر) أمك سكبت الشربات في وجه أمي"

إهانة أمه أمام أهل البلدة والتي ستبقى سبة في جبينه للأبد جعلته يصيح في وجه اسراء باستنكار وهو يهزها بقوة " تشتمين أمي !!"

تدخل هلال بسرعة يدفع طلال بعيدا عن ابنته قائلا بغضب "اترك ابنتي هل ستضربها أمامي!!"

تدخل جابر بسرعة يمسك بطلال مهدئا وهو يقول" تعال يا طلال تعال"

أبعده طلال بخشونة قائلا "ابتعد أنت ولا تتدخل"

تحلى جابر بالهدوء ورد "ما تفعله هذا سيأزم الأمر"

صاح طلال في جابر بغضب شديد " قلت لك لا تتدخل"

ظلت اسراء تحدق فيه وهو يقترب منها بملامح مخيفة فوقف هلال أمامه قائلا "ماذا تحسب نفسك فاعلا! "

صاح طلال باستنكار " لقد شتمت أمي أمام الناس"
هتفت أخت نصرة بانفعال "والحاجة والدتك لم تترك أحدا لم تشتمه"
تجاهل طلال ما يقال ونظر لإسراء خلف والدها وقال بلهجة آمرة بينما عم العروس يحاول تهدئته " عليك بالاعتذار لأمي فورا"
رفعت اسراء ذقتها وردت" حينما تعتذر هي أولا على الاهانات التي وجهتها لعائلتي "
قال هلال صائحا " لا تتحدث معها بهذه الطريقة ابنتي لن تعتذر لأحد"
نظر له طلال قائلا بتحدٍ " إنها زوجتي وسأتحدث معها بالطريقة التي تعجبني ..(ونظر لإسراء خلفه يقول) هيا يا اسراء اعتذري لأمي فورا "

حاول اخوة طلال التدخل وابعاده بعيدا لتهدئة الوضع لكنه أفلت منهم قائلا بعصبية" اتركوني"
واستدار من خلف هلال ليقبض على ذراعها يقول وهو يجرها بخشونة "اعتذري لأمي يا إسراء"
هم هلال بالهجوم عليه .. فلجمه جابر بسرعة في الوقت الذي أفلتت إسراء معصمها من يد زوجها ورفعت ذقنها بكبرياء تقول بإصرار "قلت لن اعتذر إلا حينما تعتذر هي أولا"

أسرع كريم بحمائية يبحث في الأرض عن حجر ليضرب به طلال بينما أمسك الأخير بذراعي إسراء وضغط عليهما بقوة يهزها وكأنه يطلب منها أن تتنازل لتخرجه من هذا المأزق الذي وضع فيه أمام الناس .. ثم صرخ في وجهها قائلا" قلت اعتذري فورا "

لم تتحمل إسراء كم الإهانات التي حدثت لها ولعائلتها فصرخت في وجهه باستنكار "أتحاول أن تكون رجلا أمام الجميع على حساب كرامة عائلتي"

لطمها على وجهها بغضب فهجم عليه هلال يدفعه بعيدا وهو يقول " قطعت يدك .. أتضرب ابنتي!"

قالها وهو يوجه لطلال لكمة في وجهه فتدخل جابر وعم العروس ليبعدوا هلال .. بينما اندفع طلال وقد بلغ به الشعور بالإهانة مبلغه ليرد له اللكمة في قلبه هاتفا "ابنتك طالق"

شهقات وصرخات وذهول بعض الواقفين اختلطت بمشاعر تشفي من البعض الأخر ..

بينما اثنتان كانتا مسمرتين في وضع متخشب تتطلعان في طلال الذي صاح في الشيخ الواقف

من بعيد يتابع ما يحدث بأسف قائلا "انتظر يا شيخ أريد أن أطلق فورا"

اثنتان كانتا مسمرتين في وضع متخشب .

إسراء التي انقطع الصوت من حولها فجأة ..
أصبح بعيدا جدا .. كل شيء أصبح بعيدا..
الأصوات .. والناس الواقفون حولها..

ونصرة التي توقف قلبها ..
وكأن كلمة (طالق) طلقة مدفع .. أصابت إسراء في أذنيها ثم اخترقت قلب نصرة ..
فسقطت الأخيرة غائبة عن الوعي.

xxxxx

بعد العصر

راقبته بسمة وهو نائم على جانبه عاقدا ذراعيه أمام صدره .. وتذكرت مشاكساته الصبيانية لها مستغلا مرضه .

تأملت وجهه الوسيم واقتربت تمشط له شعره للخلف بأصابعها ثم مالت تطبع قبلة على خده الخشن .. ثم تركته وذهبت نحو الخزانة لتبدل ملابسها وتنزل للدور الأرضي لبعض الوقت حتى تطمئن سوسو وترى إن كان الغداء جاهزا فهي تشعر بالجوع .

ارتدت فستانا من الكتان البيج به بعض النقوش الخفيفة باللون الأرجواني حول فتحة الرقبة والأكمام ورفعت شعرها فوق رأسها بدبابيس في عقدة فضفاضة تتدلى منها بعض الخصل على وجهها .

حين نزلت للدور الأرضي استقبلتها سوسو بملامح متسائلة فطمأنتها بسمة بأن حرارته

طبيعية ثم سألتها عن الجميع فأجابت سوسو" كلهم في المطعم غنيم وشامل حتى ونس"

من التعبير على وجه سوسو أحست بسمة بأن هناك شيئا فسألتها" هل حدث شيء ؟"

ردت سوسو وهي تعود لتجلس على مقعدها" لا شيء ولكن المطعم ممتلئ بالزبائن اليوم وديمتري معتذر عن الحضور منذ يوم أمس لأمر يخصه والشاب الذي يجلس على الكاشير لم يحضر فهناك عجز لتغطية هذا وذاك مع مرض كامل .. لذا شامل عصبي ومشدود اليوم"

هزت بسمة رأسها متفهمة واستأذنتها للذهاب للمطعم لتفقد الوضع ..

في المطعم وجدت شامل يقف في الصالة يتلقى طلبات الزبائن بنفسه بدلا من ديمتري ويدير حركة الطلبات والندل بينما ونس على باب المطبخ ولم تفهم ماذا تفعل بالضبط لكنها

على ما يبدو تراجع تنفيذ الطلبات على الشاشة الداخلية المعلقة في المطبخ أمام الطباخين.
عدلت بسمة من ملابسها وقطعت المطعم نحو الكاشير حيث يقف غنيم بنظارة معلقة على أنفه يضغط على الشاشة الصغيرة أمامه..
لفتت بسمة بدخولها انتباه بعض الموجودين بحسنها وزرقة عينيها .. فتتبعتها نظرات بعض الشباب الجالسين على منضدة قريبة من باب المطعم الداخلي حتى وصلت إلى غنيم .
ابتسم لها الأخير مرحبا وهو منهمك في التعامل مع الشاشة فسألته "هل أساعد في شيء؟"
سألها من فوق نظارته" هل أنت ماهرة في الحساب أم مثل الثورين البريين اللذين انجبتهما؟"
ردت بسمة ضاحكة" اعتقد لا بأس بي ..أخبرني ماذا يمكنني أن أفعل "

قال غنيم وهو يفسح لها مجالا لتقف بجواره خلف شاشة الكاشير " ساعديني في إيجاد أسماء الأصناف التي سأقولها لك وقومي بالضغط عليها ..ولا تقلقي سأقوم أنا بالحساب "

قالها وهو يشير لها على الشاشة الصغيرة أمامه التي تعمل باللمس وبدأ في إعطائها التعليمات وفقا للفواتير التي في يده وذلك لمحاسبة الزبائن.

سألته وهي تضغط على الشاشة "هل التوأمان لديهما مشكلة مع الحساب ؟"

ابتسم غنيم ورد" في العمليات المعقدة والكسور لابد أن يخطئا بشيء .. وخاصة مع الطرق اليدوية القديمة في الحساب .. أما الطرق الحديثة المبرمجة آليا كالشاشة التي أمامك فهي تقوم بدلا منهما بالحساب .. المشكلة أن شامل مكان ديمتري اليوم

فاضطررت أنا لتغطية مكان الكاشير الغائب
لكني بطيء في التعامل مع هذه الشاشة"
قالت بسمة وهي تنفذ ما يمليه عليها "يسعدني
أن أتعلم شيئا جديدا "
سألها غنيم" هل كامل أفضل الآن؟"
ردت مطمئنة "أجل لا تقلق عليه ..لقد تركته
وحرارته عادية .. وهو نائم منذ أكثر من ساعة
ونصف .. سأنتهي من مساعدتك في انجاز هذه
الفواتير وأصعد له"

بعد نصف ساعة

كان الألم ينتشر في كل جسده ويشعر بالجفاف
في حلقه وبالبرودة ... فتطلع حوله يبحث عنها
لكنه لم يجدها.
تحامل على نفسه واعتدل ينزل ساقيه
الطويلتين على الأرض ثم أمسك بكوب الماء
بجواره وشربه دفعه واحدة .. بعدها أمسك

بالهاتف ليتصل بها .. فأسرعت بسمة بالرد
"نعم كامل "
سألها بحشرجة" أين أنت؟"
قالت بسرعة" أنا في الدور الأرضي سأصعد بعد قليل هل أنت بخير ؟"
أغلق الخط في وجهها ..فأبعدت بسمة الهاتف عن أذنها تتطلع فيه بعبوس ليقول غنيم"
اصعدي يا بسمة إليه"
قالت بضيق " حسنا لننتهي من هذه الفاتورة أولا وسأترك لك الباقي "
خلال دقائق كان كامل ينزل من الدور العلوي يشعر بالغضب بعد أن التقطت أذناه من صوت الموسيقى والأصوات المحيطة بها أنها في المطعم .. ولم يعرف بالضبط ماذا تفعل هناك .
سألته أمه بلهفة "كامل هل أنت بخير؟"

لم يرد وإنما اتجه فورا بخطوات واسعة نحو المطعم ووقف على بابه يشعر بالدوار وهو يتطلع فيها تقف بجوار غنيم وتبتسم في الوقت الذي اقترب أحد الزبائن منهما ليحاسب فاختفت ابتسامتها وعلت الجدية على وجهها وهي تستلم منه النقود بينما غنيم يتحدث مع الرجل ..

عبس كامل وأكلت الغيرة قلبه فهم بأن يشير لها لأن تأتيه فورا .. لكن ما سمعه من الطاولة المجاورة جن جنونه وأخرج شياطينه كلها دفعة واحدة .

قال أحد الشباب معلقا وهو يتطلع فيها "يا ويلي على تلك العيون يا ويلي .. والله خسارة أن تعمل في مطعم.. ألا يوجد منتج ليكتشف هذا الجمال الصارخ! "

رد آخر " لديها شفتان تحفزان أي رجل لتقطيعها تقبيلا سأقترب لأسأل عن أي شيء لأراها عن قرب "

قبل أن يتحرك من مكانه ضربت قبضة كالمطرقة على الطاولة بقوة محدثة صوتا قويا أفزع كل الحاضرين خاصة مع سقوط أحد الأطباق وتهشمها وصوت كامل يصيح "ارحل من هنا فورا قبل أن أقتلك "

سادت الهمهمات في المكان بينما أسرع شامل لأخيه خارجا من المطبخ فالتفت كامل لبسمة يقول بعينين حمراوين وصوت مبحوح من المرض " كامل.. إلى الداخل فورا"

ارتبكت بسمة متفاجئة وبدأت في التحرك في الوقت الذي كان غنيم على وشك الإصابة بنوبة قلبية.

قال شامل لأخيه بوجه مكفهر يتطلع في زبائن المطعم الهلعين "ماذا حدث؟؟؟"

هتف الشاب الذي كان يتحدث بعد أن استعاد رباطة جأشه "ما هذه المعاملة؟!!.. ألا يوجد احترام للزبائن!"

رد كامل وهو يمسك بكتفيه "أنا سأريك الاحترام على أصوله .."

وضربه برأسه قبل أن يستطيع شامل بالإمساك به ومحاولة ابعاده .. فوقع الشاب على المقعد خلفه .

دفعه شامل لإدخاله للفيلا ببعض الحزم فنظر كامل خلفه لبسمة الواقفة بنظرات غاضبة جعلتها رغم ذهولها ورعبها تسرع في اللحاق به وشامل يدفعه بحزم من باب المطعم الموصل للفيلا ثم عاد للشباب يقول ببعض الهدوء الخطر "نحن لا نقبل بأي تجاوز في الأدب في مطعمنا (وأشار على الموجودين الذين يتابعون ما يحدث بين الرعب أو الترقب وتابع) هذا مطعم للعائلات المحترمة تفضلوا من هنا"

هتف واحد منهم رغم شعوره بالرعب من شامل "أنتم لا تعرفون أنا ابن من .. وهذا الامر لن يمر على خير"

قال شامل بلهجة حازمة وهو يتماسك حتى لا يضربه" افعل ما تريد (وأشار لسقف المطعم) المكان كله محاط بالكاميرات فإن كنت متأكدا بأنك لم تقم بشيء يستحق تفضل وأرنا ماذا ستفعل .. "

صمت الشباب وانتابهم بعض الغباء وكأن الكاميرات قد سجلت ما قالوه فبدا عليهم التردد ليضيف شامل بحزم "تفضل من هنا لأننا نحافظ على سمعة هذا المكان حرصا على زبائننا من العائلات المحترمة .. هيا بدون مطرود"

تحرك الشباب على مضض شاعرين بالغضب والحرج ومتوعدين .. فرافقهم شامل حتى خرجوا من المكان وعقله يحاول إيجاد كلمات

مناسبة تغطي على هذه الفضيحة التي تسبب فيها كامل .. ثم استدار يقول بابتسامة مغتصبة "نعتذر بشدة على ما حدث .. بالتأكيد أنتم مثلنا حريصون على عدم التعرض لنسائكم بالقول أو الفعل .. لذا لن نقبل بأي تجاوز يحدث في مطعمنا حتى يظل دوما مطعم العائلات الراقية التي تشعرون فيه بالراحة والأمان"

تقبل غالبية الموجودين ما حدث بتفهم ليتدخل غنيم يقول بلهجة هادئة" نحن نعتذر عن التسبب في أي ازعاج وسنقدم الأصناف الحلوة اليوم كلها مجانا لكل الموجودين فاطلبوا ما تشاءون (وتطلع في الأطفال الموجودين يقول بابتسامة) وللأطفال المثلجات والعصائر الرائعة جاهزة لهم "

سرت همهمات سعيدة بعض الشيء ليضيف غنيم "تفضلوا أكملوا طعامكم "

تحرك شامل بعد أن أمر الندل بمتابعة تنظيف موضع الطاولة ورفع الأطباق المكسورة ليدخل للفيلا بخطوات غاضبة .

في الوقت الذي كان كامل يقف في بهو الفيلا يمسك بذراع بسمة يصيح بغضب " من سمح لك بدخول المطعم؟"

صرخت في وجهه باعتراض رغم شعورها بالرعب وبالألم من قبضته التي تحكم على ذراعيها" وهل ستتحكم في كل خطوة أفعلها .. أنا لم أخرج من البيت حتى تفعل كل هذا "

تدخلت سوسو تقول موبخة "أتركها يا كامل ما الذي تفعله؟!"

وقفت ونس تراقب بتوتر شديد بينما هدر كامل في بسمة "أجل أنا اتحكم في كل شيء يخصك شئت أم أبيت"

قبل أن تجيب بسمة التي شعرت بإهانة شديدة رغم تيقنها من هذيانه الواضح واحمرار وجهه

وعينيه اللتين كانتا تخبرانها بأنه يعاني من الحمى كانت قبضة شامل تنفجر في وجه كامل بغيظ.. فأطلقت سوسو وبسمة معا صرخة مفزوعة خاصة حينما فقد كامل توازنه وسقط أرضا ..فركله شامل في بطنه صائحا بغضب "ألن تكف عن رعونتك أبدا"

أسرعت سوسو بالجلوس على أقرب مقعد تشيح بوجهها حتى لا ترى المنظر فهرعت ونس إليها لتهدئها بينما صرخت بسمة وهي ترى كامل يتقوس على نفسه أرضا ويسعل ممسكا ببطنه في تألم واسرعت بالوقوف بينه وبين توأمه تقول بترجي" شامل إنه محموم ويهذي ماذا تفعل بالله عليك !"

حاول الأخير السيطرة على غضبه الذي خرج عن السيطرة بينما ربتت ونس على سوسو فقالت الأخيرة" لا أتحمل شجارهما العنيف يكون محطما لأعصابي"

نزلت بسمة على ركبتها لتتفحص كامل بقلب متألم فمال شامل هو الأخر نحوه لتسرع هي بإلقاء جسدها على كامل تقول بحمائية "شامل حلفتك بالله"

قال شامل لاهثا وقد استعاد السيطرة على نفسه "سأساعده على الصعود إلى غرفته"

ابتعدت وشده شامل من ذراعه ليعتدل فاستجاب كامل شاعرا بالدوار الشديد وبألم في عضلات بطنه وبمجرد أن اعتدل جالسا ..

نفض يد توأمه عنه بخشونة قائلا بصوت مبحوح" دعني"

استقام واقفا بصعوبة فأمسكت بسمة بذراعه لكنه خلصه منها قائلا" وأنت أيضا ابتعدي عني "

قالها وهو يتحامل على نفسه ويتحرك صاعدا السلم يمسك بسوره الخشبي ويده الأخرى على

بطنه فهتفت سوسو بغضب "أنا تعبت من شجاركما العنيف تعبت "

شعر شامل بالألم في بطنه وبالشفقة على توأمه لكنه كان لا يزال غاضبا منه بشدة فاستدار ليعود للمطعم ..بينما وقفت بسمة تراقبه وهو يصعد ببطء تحاول السيطرة على ارتجافها من الموقف كله من أول صدمتها بصراخه في المطعم وما تلا ذلك من صياحه في وجهها ثم ما فعله شامل به فخلع قلبها عليه .

حينما اختفت صورته أعلى السلم أسرعت باللحاق به قائلة "بقي على موعد خافض الحرارة ساعتين سأضع له كمادات باردة"

قالت سوسو بلهجة باكية" أنا لا أعرف ماذا أصاب هذا الولد .. لم يكن أبدا غيورا بهذه الطريقة المجنونة .. حتى مع زوجته السابقة لم يكن هكذا أبدا "

شهقت ونس وناظرتها متسعة العينين وقد ظنت بأن سماعتيها تخرفان بينما تجمدت بسمة على أول السلم لثوان ثم استدارت لسوسو بحدة تقول بذهول" حتى مع من؟؟؟!!!!!"

رد فعل ونس وبسمة المتسعة العينين ذاهلة أربك سوسو فمررت أنظارها بينهما ثم قالت بارتباك" زو ... زوجته السابقة .. ألم يخبرك كامل بأنه قد سبق له الزواج ؟"

xxxxx

الفصل الرابع والعشرون

بعد قليل فتحت بسمة باب الغرفة ووقفت تشعر بعدم اتزان وكأنها قد ضربت بحجر .. لقد تماسكت أمام حماتها رغم المفاجأة ولم تعقب بل ظلت صامتة لدقائق تستوعب الخبر الصاعق ثم استدارت لتصعد معقودة اللسان . وقفت تحدق في كامل المتكوم على جانبه فوق السرير وهي لا تزال مصدومة ..

كامل سبق له الزواج ؟!!

متى؟ ومن هي؟ وما الذي حدث ؟؟؟

تأججت الغيرة في صدرها وقفزت تساؤلات كثيرة إلى رأسها منها سؤال مرعب ..

ترى هل تلك القصيدة التي تركها في بيت الجد صالح تخص زوجته السابقة؟! ..

أخاف أن تُمطِر الدنيا ولستِ معي
فمنذ رحت وعندي عقدة المطرِ

تذكرت تلك الكلمات من القصيدة التي كان يقرأها في ذلك الكتاب.. القصيدة التي حفظتها عن ظهر قلب .. والتي رغم تيقنها بأنها ليست المعنية بها إلا أن عدم معرفتها بصاحبتها الحقيقية أعطاها الفرصة لأن تحلم بأنها لها ..فشعرت بجرح عميق في القلب .

أمن الممكن أن تكون هي من يقصدها ؟!!

تطلعت فيه .. ورغم شعورها بالغيرة والغضب والألم إلا أن قدميها ساقتاها إليه ببطء ..

فجلست بجواره تنظر إليه وهو مستلقٍ على جانبه مغمض العينين عاقدا ذراعيه أمام صدره وكأنه يشعر بالبرد .. فغلبت شفقة قلبها عليه ونحت مشاعرها الغاضبة جانبا لتمد يدها

لتتحسس جبينه بينما كلمات القصيدة تتردد في رأسها وتنخر في قلبها.

أنا أحبك يا من تسكنين دمي
إن كنت في الصين أو كنت في القمر
فيك شيء من المجهول أدخله
وفيك شيء من التاريـخ والقدر

أبعد كامل يدها عن جبينه بخشونة فعبست بغيظ لكنه حينما بحث خلفه دون أن يفتح عينيه عن البطانية الثقيلة وشدها على أكتافه عاد إليها شعورها بالشفقة عليه فأسرعت بوضع كمادة له على جبينه.

أبعد كامل الكمادة بعند صبياني دون أن يفتح عينيه فجزت على أسنانها وأعادت الكمادة مرة أخرى بتصميم ليستسلم لها بإعياء ويتدثر بالبطانية حول كتفيه العريضين.

بعد قليل ذهب في النوم بعد أن نزلت حرارته فتركته بسمة وذهبت إلى الخزانة تخرج منها صندوقا يخصها .. فتحته بالأرقام السرية واخرجت منه ذلك الكتاب الخاص بالشعر الذي لا تزال تحتفظ به وأعادت قراءة العبارة التي كان قد خطها بيده من قبل في أول صفحة.

إلى أولئك الذين نهجرهم اختيارا
فيحتلون قلوبنا اجبارا
سلام من أعماق الروح والقلب
سلام ليس بعده سلام

قرأتها والغيرة تأكلها أكلا .. شعور لم تمر به بهذه القوة من قبل.. فسقطت دمعة ساخنة على الحروف وهمست "يا رب لماذا عليّ أن أعيش نفس الألم مرتين وأنت وحدك تعرف بأن هذه المرة ليست كالسابقة أبدا .. القوة من عندك يا رب "

xxxx

"سأموت .. أشعر برغبة قوية في الذهاب
لأولئك النسوة الهمج وسحلهن في الشارع.."

قالتها أم هاشم بغيظ وعصبية في وقفتها في
ممر المستشفى عيناها حمراوان من البكاء
وأضافت" ليتني بقيت ولم أتركهن .. أنا رحلت
من الأساس لأني خفت أن أفسد الزيجة .. لكن
ما دمن كن يبيتن النية لإفسادها كنت أنا
أخذت بثأر نصرة واسراء على كل ما قلنه من
استفزازات"
ازداد نحيب اسراء الواقفة بجوارها تنتظر
خروج الطبيب من عند والدتها فأكملت أم
هاشم مواسية وهي تربت على كتفها " لا تبكي
يا حبيبتي .. ستكون بخير بإذن الله ..
(وأضافت بانفعال وغيظ) وإياك أن تبكي على
شبيه الرجال هذا .. أهذا رجل ؟!!.. هذا...."
"أم هاشم"

الصوت الرخيم الهادئ أصابها بصعقة كهرباء رغم ما كانت تشعر به من حزن شديد فرفعت أنظارها نحو جابر الواقف على بعد أمتار بجوار هلال وباقي أولاده ليبادرها جابر قائلا بهدوء حازم " يكفي هذا"

غلبها طبعها العصبي فهتفت والغيظ يكاد يفتك بها" سأموت يا جابر إن لم أشف غليلي من أولئك النسوة "

رمقها بنظرة جادة وهو يرفع سبابته أمام شفتيه قائلا بهمس حازم "اششششش .. هذا ليس وقته .. لنطمئن على أم كريم أولا "

بلعت لسانها وخرست تشيح بوجهها عنه بسرعة لتؤدب عينيها اللتين لا تحترمان الظرف الصعب فيتأملنه بتدقيق ومغازلة بينما كلمة (أششش) هذه تدغدغ أذنها كالوشوشة .

خرج الطبيب من غرفة نصرة .. فاستقبله الجميع بلهفة ليقول " حدث لها هبوط شديد في ضغط الدم .. قمنا بإسعافها والحمد لله "
سأله هلال بلوعة "هل ستخرج معنا يا دكتور؟"
رد الطبيب "ستبقى تحت الملاحظة حتى يستقر الضغط .. ومن الواضح أنها تعاني من صدمة عصبية .."
ضرب هلال قبضته في كفه يشعر بالقهر الشديد والألم فأضاف الطبيب قبل أن يغادر"
لا أفضل إجهادها حاليا بالزيارة هي طلبت أن ترى ابنتها إسراء فقط "
اسرعت إسراء بالدخول إليها .. واقتربت منها ببطء تتطلع في وجهها الشاحب كالأموات .
عن أي طلاق يتحدثون وفجيعتها في أمها فاقت كل مصيبة؟؟ ..

هل سيصدقونها إن قالت أنها متألمة من أجل والدتها وصدمتها أكثر مما هي متألمة لما حدث لها؟! ..

هل سيستوعبون بأنها تشعر بالقهر من أجل ما اقترفوه في حق والدتها أكثر من تلك الصفعة وذلك اليمين الذي ألقي كماء النار في وجهها أمام الجميع؟! .

هل أخطأت في شيء ؟

أكان عليها أن ترى الإهانات الموجهة لأهلها وتبتلعها في صمت ؟!..

أكان عليها أن ترى أمها تُهان ويسكب على ووجهها الشربات ثم تضبط أعصابها وتصمت؟!! .

أكان عليها أن تعتذر لحماتها عما قالته لها دون أن تطالب برد اعتبار لأهلها أولا؟!!

أكان عليها أن تفعل ذلك حتى لا تصبح مطلقة
بعد نصف ساعة من زواجها فتنقذ أمها من
حسرة القلب و الانهيار؟!! .

نزلت على ركبتيها بجوار السرير بذلك الفستان
الوردي المنحوس الذي لم تتح لها فرصة
الاحتفال به .. فأحست نصرة بوجودها
وفتحت عينيها بصعوبة تتطلع فيها من تحت
جفنين ثقيلين وقلب مفجوع.
همست اسراء بلوعة وهي تدلك بحركة لا
إرادية موضع قلب أمها وكأنها تعلم بأن العلة
فيه " أمي"
بصعوبة أمسكت نصرة بكف ابنتها ورفعته إلى
فمها ببطء وقبلت ظاهره مغمضة العينين تبكي
بقهر .. فأسرعت اسراء بشد يد أمها إليها
وقبّلتها ثم مالت على رأسها تقبلها عدة مرات ..
قبل أن تدفن وجهها بين رقبتها وكتفها

وتشاركها البكاء فلم تكن هناك كلمات مناسبة يمكن أن تقال .

في الخارج امتقع وجه هلال وهو يغلق الهاتف فتطلع فيه جابر بوجه شاحب ليقول الأول" طلقها رسميا يا جابر .. ابنتي أضحت مطلقة قبل أن تبدأ حياتها "
قال جابر بانفعال " أنا أدرك حجم مصابك يا هلال لكن بعد ما حدث لم يكن هناك أي فرصة للصلح أو الاعتذار من أجل تجنب الانفصال .. أنا شخصيا لم أكن لأرضاها لك أو لإسراء أبدا "
رغم كل شيء كان مصاب هلال في طلاق ابنته عظيما جعله يقول والدم يفور في رأسه" طلقها ابن ال**** .. حسبي الله ونعم الوكيل .. حسبي الله من فوق سبع سماوات ونعم الوكيل .. حسبي الله ونعم الوكيل"

xxxx

في المساء

قال جابر بانفعال من خلف عجلة القيادة وهو يقترب من الشارع الذي يسكن فيه عائدا من المستشفى " بصراحة إن ما يحدث هذا مهزلة بكل المقاييس .."

رد يحيي الجالس بجواره مؤيدا" وأي مهزلة ..اسألني أنا أبو البنات كيف أن الأمر وصل لذبح وسلخ الأهل في تجهيز بناتهم .. ورغم رغبتك في التمرد على ما يحدث تخشى على بناتك من أن يعايرن من أهالي أزواجهن للأبد .. لم تكن عاداتنا في تجهيز البنات بهذا الشكل المبالغ فيه قبل عدة سنوات .. لا أعرف ماذا حدث!"

تكلم جابر وهو يركز في الطريق أمامه "الحقيقة أنا مذهول مما أراه وكأنها مباراة في المباهاة وإلا تكون وصمة عار في جبين الفتاة وأهلها .. أي جنون هذا !.. لابد أن يتحدث فيها

أهل الدين .. إن مصطفى الزيني مستاء بشدة وحزن حزنا شديدا لما حدث ..وأخبرني بأنه سيطلب من شيخ المسجد الكبير أن تكون خطبة الجمعة القادم عن المغالاة في تجهيز الفتيات"

قال يحيى بلهجة حزينة "أتمنى أن يستجيب الناس وأن يتعظوا فما يحدث هذا لا يرضي الله أبدا "

ساد الصمت فتحركت أنظار جابر يتطلع في أم هاشم في المرآة الأمامية للسيارة .. والتي تستند برأسها في المقعد الخلفي على زجاج النافذة المجاورة لها شاردة في صمت حزين .. فتألم من أجلها .. خاصة حينما علم من والدته على الهاتف ما قيل لها في وجهها ..وما قيل عنها بعدما تركت بيت هلال.. فتملكته الحمية والرغبة الشديدة في الأخذ بثأرها .. وتساءل في نفسه فيم هي شاردة وتفكر .. هل هي مستاءة

مما قيل لها؟.. أم مستاءة من أجل ما حدث لعائلة هلال ؟..

إنها تركيبة غريبة من العاطفة والقوة .. تلك هي الفكرة التي انطبعت بداخله اليوم وهو يراقبها خلال الاحداث ..وابتسم في نفسه وصورتها بعباءتها السوداء تقف حمراء العينين من البكاء تتوعد بغيظ وانفعال لأمر يخص شخص آخر غيرها .. ثم أخذ يستعيد تفاصيل شخصيتها خلال سنوات عمرها كطفلة ومراهقة قبل أن تتحفظ في علاقتها معه .

انعطف يدخل الشارع الذي يسكن أوله وهم بمواصلة القيادة حتى نهايته حيث يقع بيت يحيى لكن الأخير قال بإصرار وعتب "ما الذي تفعله يا جابر بالله عليك!"

رد جابر "سأوصلكما حتى باب البيت"

اعترض يحيى قائلا "حلفتك بالله لا تفعل..
صف سيارتك مكانها على أول الشارع وسنكمل
الخطوتين الباقيتين على أرجلنا "
قال جابر بلهجة عاتبة وهو يوقف السيارة أمام
بيته "لماذا حلفت يا أبا سامية !"
رد الأخير وهو يفتح الباب " أكثر الله من خيرك
على توصيلنا معك "
فتحت أم هاشم الباب في صمت ونزلت
..فأقلق سكوتها جابرا ..خاصة حينما تحركت
مبتعدة بخطوات بطيئة وهي تعقد ذراعيها أمام
جذعها وتتطلع في الأرض بشرود.
كانت تشعر بأنها منهكة الروح .. ترغب في أن
تبتعد عن جابر في هذه اللحظة بالذات .. لأنها
.. في أشد الحاجة إليه .. وجوده في هذه
اللحظة التي هي ضعيفة فيها وحزينة يخيفها
من لحظة انفلات لسيطرتها على نفسها ..

خافت أن تطلب اللجوء إليه .. أن تقوم بأفعال مجنونة جريئة فتتوسل منه احتواءً..
عليها أن تكون قوية السيطرة على نفسها حتى تنعم بالبقاء في محيطه دون انفلات منها قد يفضح أمرها عنده وقد يزعجه ويشعره بالثقل .. وهي لن تقبل أبدا أن تكون شخصا ثقيل التواجد حول أي شخص فما بال الغالي .. حتى يكون حضورها حوله خفيفا كخفة ريشة فوق كتفه .. أو كخيط في طرف ثوبه .
راقبها جابر تبتعد وازداد شعوره بالقلق والشفقة وشعور مجهول أخر في قلبه لم يستطع ترجمته فقال ليحيى الذي ألقى عليه تحية المساء مغادرا" حاج يحيى"
استدار إليه الأخير ليقول جابر" أنت تعلم بأن الوالدة قد اضطرت لإعلان أمر الخطبة على الملأ ..وبالتأكيد الأمر قد وصل للكل الآن فأنت تعلم بلدتنا .. ورغم أن أمي شعرت بالذنب لأنها

تهورت بالإعلان قبل أن نعلن في وقت مناسب ..لكني بصراحة حينما علمت منها بتفاصيل ما حدث .. وجدت أن الله قد دبرها بأحسن تدبير لأن أهل طلال قد يحاولون استغلال أم هاشم لإخراج أنفسهم من أي تحفز ضدهم بإلقاء اللوم عليها بشكل يوحي بأنها السبب في افساد الخطبة "

قال يحيى بحمائية " لماذا .. لقد غادرت المكان قبل المشاجرة ؟!"

رد جابر بضيق شديد بعد ما سمعه من والدته ومن هنا وهناك طوال اليوم " النسوة تصرفن بجهل وبعضهن ربط ما حدث مع اسراء بأفكار خرافية عن كون أم هاشم ..."

صمت متألما وشعور داخلي بالحمائية والغضب الشديد يتعاظم في صدره فأكمل له يحيى بضيق" تقصد تشاءموا منها !!!"

قال جابر بلهجة آسفة" ووصفوها بأنها حاقدة على ابنة هلال وهذا هو السبب الذي جعل أمي تتحدث وتدافع عنها .. المهم ما أقصد أن أقوله أن ما قالته أمي في لحظة غضب أنقذ أم هاشم من أن تكون كبش الفداء لعائلة طلال ليلقوا عليها اللوم ويوهمون الناس بتلك الخرافات عن أمر التشاؤم منها أو أنها حسدت ابنة هلال"

غمغم يحيى باستياء" هذه البنت تحزنني على نصيبها .. حتى أنني كانت تأتيني أفكار أن أرسلها عند أهل جدتي في الجنوب حتى تعيش في محيط ممن يشبهونها فلا تشعر بأنها منبوذة .. لكني لست على تواصل مع أي منهم وقلبي لن يطاوعني للتخلي عنها وتركها لأناس لا تعرفهم رغم صلة القرابة "

قال جابر عابسا" عهد عليّ أمام الله أن أرد لها اعتبارها أمام أهل البلدة كلهم وأن أضعها بإذن الله في المكانة التي تستحقها "

ابتسم يحيى وقال ممتنا " أنت رجل وسيد الرجال يا جابر.. وشهادتي فيك مجروحة "

ابتسم جابر وقال" لهذا أرغب أن نسرع في اعلان خبر الخطبة حتى لا نعطي لأهل طلال الفرصة لاستخدام أم هاشم ككبش فداء كما أخبرتك .. يكفي فقط أن نعلنها دون احتفال احتراما للظروف المأسوية لدى أبي كريم ..فلو تسمح لي أن نجلس خلال اليومين القادمين لنحدد التفاصيل والمواعيد وأرجو ألا نطيل الأمر "

قال يحيى وهو يربت على ذراع جابر بمحبة "لا بأس يا جابر فلنحدد موعدا لنتفق على التفاصيل .. سأتركك الآن فلابد أنك متعب بعد هذا اليوم الطويل الشاق "

تحرك يحيى فأسرع جابر بالقول" حاج يحيى"
ناظره الأخير متسائلا فتنحنح جابر وقال
ببعض الحرج "هل تسمح لي بالاتصال بأم
هاشم حتى أطمئن عليها فقد بدت متعبة
وحزينة ؟"
راقب جابر علامات التفكير والتردد على وجه
يحيى قبل أن يقول الأخير " لا بأس "
فقال جابر مبتسما "إذن هلا منحتني رقم
هاتفها؟"

xxxx

بعد ساعة

باسدال الصلاة جلست على السجادة بعد أن
فرغت من صلاة العشاء واستندت برأسها على
الحائط تشعر بالحزن.
رن هاتفها فبحثت عنه ببطء وكادت أن
تتجاهله لكنها تحاملت على نفسها ومدت

يدها لتلتقطه من فوق السرير لتجد رقما غير مسجل فردت بصوت مجهد" السلام عليكم"
ابتسامة تلقائية زينت شفتيه دون أن يدرك وهو يقول "وعليكم السلام ورحمة الله كيف حالك يا أم هاشم؟"
صوته ولكنته المميزة التقطها قلبها قبل عقلها فبلعت ريقها ليبادر بالقول" أنا جابر "
لو كانت في ظروف نفسية أفضل من هذه اللحظة لقامت ورقصت .. أو صرخت .. أو زغردت .. أو ربما ضربت رأسها في الوسادة عدة مرات حتى تكتم فرحتها .. لكنها ردت بحشرجة وقلبها يضرب بعنف "أنا بخير الحمد لله"
قال وهو يشعر بتوتر لذيذ يسري في أعصابه لم يحدث له من قبل " صليت العشاء واسرعت بالاتصال بك قبل أن يتأخر الوقت .. أريد أن أطمئن عليك بعد ما حدث اليوم"
بعفوية نطقت" سلمت من كل شر يا رب"

ربت الدعاء على قلبه فغمغم "ولك بالمثل (ثم أضاف) كلنا قد حزنا من أجل ابنة هلال ..والحقيقة أنا الأخر لا أعرف كيف أواسي صديقي.. فالأمر لا يصدق .. واسراء لا تستحق ما حدث "

لم يكن ينوي بأن يتحدث معها عما يشعر به بل كانت نيته أن يواسيها هي لكنه وجد نفسه يشاركها مشاعره فعاد ليقول "المهم لا أريدك أن تتأثري بما قالته النسوة لك"

لم تستطع أم هاشم التماسك .. كان ما تشعر به أقوى من تحملها .. كانت ضعيفة بشدة وقد سقطت عنها قشرتها الصلبة التي تداري خلفها رهافتها .. كانت ضعيفة فكان سؤاله عنها وصوته الرخيم الذي يأتيها فيعانق روحها يشجعانها على أن تبكي .. على أن تتوسل تعاطفا أو مؤازرة لم تطلبها من مخلوق من قبل

.. لكنه الغالي الذي يرخص له كل غالي ويذل له كل عزيز .

لم تستطع أم هاشم التماسك وانفجرت ببكاء مكتوم آلم قلب جابر .. فقال بسرعة" لا تشغلي بالك بما قالوه اليوم عنك إنهم جهلة و..."

قاطعته بعدما أفاقتها كرامتها بألا تكون مثيرة للشفقة فاستعادت رباطة جأشها من جديد وهي تقول" أنا لا أبكي بسبب ما قالوه .. فهذا ليس جديدا .. أنا مشفقة على إسراء ونصرة (وأكملت بلهجة باكية) لماذا الناس بهذه القسوة يا جابر ؟ لماذا لا يراعون المشاعر ؟.. لمَ نظرتهم مادية بحتة بهذه الطريقة المقرفة ؟!!"

تأثر بأنها في هذه الحالة من أجل شخص أخر .. وازداد احترامه لها واشفاق قلبه عليها من أن تحمل هموم غيرها فقال بلطف " لا تحملي

هم الأخرين يا أم هاشم .. لكل منا ابتلاءاته ..
أعلم بأن ما حدث أحزننا جميعا لكني لا أريدك
أن تحزني بهذا الشكل "
غمغمت وهي تمسح بقايا الدموع" حاضر .. لا
تشغل بالك بي "
قال بلهجة جادة " أنا طلبت من الحاج يحيى
أن نجلس خلال اليومين القادمين لنتفق على
تفاصيل وتوقيت الزفاف فلا أجد سببا لأن
نستمر في إخفاء الأمر بعدما أعلنته أمي"
قالت بلهجة جادة لا تناسب عروس وكأنها
تتفق على موعد عمل " لا بأس يا جابر أنا معك
في أي شيء افعل ما يناسبك"
شعر بالحيرة من ردة فعلها لكنه قال "على بركة
الله سأتركك الآن ولنتحدث فيما بعد "
تمنت أن تطلب منه ألا يذهب بهذه السرعة
لكنها غمغمت بحشرجة "في حفظ الله"
قال جابر "تصبحين على خير "

غمغمت بعد أن أغلق الخط "وأنت من أهل الخير"

قالتها وهي تقرب الهاتف من فمها وتقبله بقبلة بطيئة بينما وضع جابر الهاتف بجواره يفكر في رد فعلها العملي ودار سؤال محير في ذهنه ..

لماذا لم يشعر بها سعيدة ؟..

هل قبلت به لأنه زيجة جيدة بالنسبة لها دون أي نوع من الراحة لشخصه !

xxxx

اليوم التالي

صباحا

تحركت الحاجة نجف في سوق القرية تجر عربة صغيرة خلفها ذات عجلات تضع فيها الخضار ..فقالت إحدى السيدات للأخرى وهي تتابع نجف بنظراتها " لا أصدق بأن أم هاشم السوداء ستكون كنة بيت دبور .. فإن كان زين

أو جابر الاثنان بسم الله ما شاء الله مال
ووسامة وأدب وشهامة .. ما الذي يجبر
أحدهما على أن يتزوج من عانس سوداء وهو
يستطيع أن يتزوج من أجمل بنات البلدة
وأكثرهن ثراءً !!"
ردت الأخرى وهي تشاركها في متابعة نجف
"هذا الأمر عجيب فعلا ولا يدخل رأسي
(ونظرت لصاحبتها تسألها) هل تعتقدي بأن أم
هاشم قد ذهبت لشيخ ما فأعطاها عملا
سحريا لتتزوج ؟!"
ضربتها الأخرى على ذراعها تقول باستنكار "ما
هذا التخريف يا امرأة هل تصدقين في مثل هذه
الخرافات!"
قالت الأخرى باعتقاد قوي "أجل ولم لا
..خاصة وأنها من سلالة شيوخ .. ربما تعرف
شيخا ماهرا بالسحر .. (ثم عقدت حاجبيها

تقول مفكرة) ترى من فيهما العريس زين أم
جابر يقتلني الفضول لأعرف"
قالت الأخرى وهي تلكزها بكوعها" اصمتي
فالحاجة آتية نحونا "
استدارت السيدتان لتعودا لما كانتا تفعلانه قبل
دقائق وهو انتقاء حبات الطماطم الطازجة من
فوق العربة الخشبية التي يقف خلفها البائع ..
فانضمت إليهم نجف تلقي السلام ليبادرها
البائع بالقول بمحبة" صباح الخير يا حاجة
نجف لم نرك منذ مدة؟"
ردت نجف وهي تنتقي الطماطم" صباح النور يا
عوضين يا ولدي .. كنت أرسل إحداهن
فتشتري ما أريد من السوق لكنها مريضة هذه
الأيام"
رد البائع " أنرت السوق والله"
غمغمت بابتسامة أمومية " بنورك يا بني كيف
حال أولادك؟"

رن هاتفها في جيب عباءتها فأخرجته في الوقت الذي همست إحدى السيدتين للأخرى" هل أسألها مَن مِن ولديها خطب أم هاشم ؟"
لكزتها الأخرى موبخة ..فقالت الأولى بتبرم "الفضول سيقتلني "
ردت نجف على الهاتف تقول" صباح الخير يا زين"
أتاها صوت زين قائلا "كيف حالك يا نجف أين أنت في هذا الوقت المبكر تبدين خارج البيت؟"
ردت نجف "أنا في السوق لكن لا تخبر أخاك لأنه يخاف عليّ من الخروج وحدي (وأكملت بعبوس) يقول بأني قد أصبحت عجوزا "
هتف زين ضاحكا "من هي العجوز!.. أنت في عز شبابك يا نوجا .. هو فقط يخشى عليك من عيون الرجال"

قهقهت نجف ضاحكة ليضيف زين بمداعبة" لماذا تضحكين .. ألا تصدقينني؟.. لازالت تأتينا طلبات من الرجال للزواج منك يا أم جابر لهذا يبدو أننا سنسرع في تزويجك حتى ننتهي من وجع الرأس "

قالت نجف ناهرة " اخرس .. بل أنت الذي سنسرع في تزويجه إن شاء الله بمجرد عودتك هذا الصيف .. عهد عليّ لن أتركك تعود إلا وأنت متزوج يا زين وليس مجرد خطبة "

غمغم زين مستهبلا" ألو ألو الصوت يتقطع .. كنت أريد أن أطمئن عليك فقط .. سأحدث مرة أخرى يا غالية سلام"

ابتسمت نجف وهي تعيد الهاتف لجيبها ثم أعطت الطماطم التي انتقتها للبائع الذي وضعها فوق الميزان .

بعد دقائق وبمجرد ابتعاد نجف همست احدى السيدتان للأخرى" هل سمعت؟ .. إنه زين ..

أم هاشم بنت المحظوظة ستتزوج من زين بمجرد أن يعود من السفر ..ولكن أليست أكبر منه ؟!"

عبست الأخرى وردت "أتذكر بأنهما كانا في صف دراسي واحد "

مصمصت الأخرى شفتيها تهمس بحسرة "إن كان زين أم جابر صبرت حتى نالت بنت الشيخ"

xxxx

ظل كامل يتتبعها بعينيه وهو مستلقي على السرير هامد الجسد يراقب حركاتها العصبية في الغرفة منذ أن استيقظ .. اغتسلت وخرجت تجفف شعرها بالمجفف دون أن تبالي إن كان قد استيقظ أم لا .. وبعدها فعلت أشياءً غير مفهومة في الغرفة حوله .. فتحت الخزانة أكثر من مرة وأغلقتها .. وكذلك الأدراج .. وتحركت

جيئة وذهابا وكأنها تبحث عن شيء أو تريد تحطيم شيء لم يستطع التحديد بالضبط .. إنها تتجاهله منذ أن استيقظ .. حتى الإفطار لم تفطر ولم تحاول إجباره على الفطور بل وضعت الصينية بجواره في صمت وعادت لما تفعل .. والذي هو غير واضح بالضبط ما هو .

الغريب أنها تزداد عصبية مع مرور الوقت وليس العكس.. وهو رغم شعوره بأنه لم يخطئ فيما صدر منه يوم أمس حينما انفعل عليها لأنها نزلت بدون علمه .. وبالرغم من أنه لا يزال يشعر بالغضب حينما يتذكر ما قاله ذلك الشاب الوقح .. إلا أنه مستاء لأنها تتجاهله .

قطعت مراقبته لها حينما استدارت إليه تقول بوجه بارد "ألن تفطر حتى تأخذ أدويتك؟!"

رد باقتضاب" ليس لدي شهية.. وأنت؟"

ردت بجفاء "لا أريد "

رفع حاجبا شاعرا بالغيظ فاقتربت منه تقول
بحدة" إذن انهض من السرير "
رد عليها باستنكار " لماذا ؟.. أنا مريض"
قالت بنفس الجفاء "انتقل للأريكة أريد أن
ابدل شرشف السرير "
قال عابسا "ولماذا لم تبدليه حينما كنت
أستحم منذ قليل !"
قالت ببرود استفزه" نسيت .. هيا انهض "
قالتها وهي تشد الشرشف من تحته .. فاستقام
واقفا وتحرك نحو الأريكة وهو يطحن ضروسه
.
حملت بسمة صينية الفطور ووضعتها أمامه
على المنضدة المجاورة للأريكة بعنف ثم
عادت للسرير تنفضه بعصبية مبالغ فيها لم
يفهم لها سببا ..
هل كان حادا معها يوم أمس ؟!..
هل قال شيئا لا يذكره؟! .

التهى عن أفكاره بمراقبة انحناءاتها وتفاصيل جسدها في ذلك البنطال القطني الضيق والبلوزة ذات النصف كم وهي تبدل الشرشف وأكياس الوسائد وشعرها الذي انفرط عقده فانسدل يتراقص حولها مع حركاتها العصبية وبدأت حرارة جسده في الارتفاع .

استدارت إليه فجأة وقبضت عليه وهو يتطلع فيها فاستفزها ذلك لتقول بغيظ "السرير جاهز يا بيك "

سألها بهدوء" هل من الممكن أن أعرف سبب لحالتك المنفعلة هذه ؟"

صاحت فيه بغيظ "لا تعرف !!"

قال بغيظ مماثل " وهل كنت تريدين مني أن أكون هادئا وأنا أرى الشباب يتحدثون عن زوجتي!!"

سألته بلهجة ساخرة "أية واحدة؟"

رمش بعينيه يسألها شاعرا بالتشويش في رأسه "لم أفهم"

رفعت حاجبا وقالت ساخرة وهي تعقد ذراعيها أمام جذعها "أنا أقصد أي واحدة من زوجاتك؟ "

حرك كامل ناظريه يمينا ويسارا ثم رد " على حد علمي قبل أن أمرض.. أنني متزوج من واحدة تقف أمامي الآن .. (وأضاف مازحا) هل فقدت الذاكرة أثناء المرض! ..اخبريني الحقيقة من فضلك فهذا خبر سعيد جدا أن لدي أكثر من زوجة"

صرخت فيه بغيظ " انهض يا كامل من فوق الأريكة وعد لسريرك"

انكمش للخلف مفزوعا يحاول تحاشيها وهو يتطلع فيها وكأنه يتطلع في مجنونة .. وحين وجدها تناظره والشرر يتطاير من عينيها استقام واقفا وتحرك نحو السرير وهو يبرطم

"انهض يا كامل ..انهض يا كامل ..دون أي شفقة علي أو مراعاة لحالتي الصحية ؟"
لم تستطع الصمت أكثر من ذلك ولم يؤثر فيها مزاحه فاستدارت إليه تسأله باستنكار "هل سبق لك الزواج يا كامل؟"
علت الجدية وجهه فجأة ورد وهو يجلس على السرير "أجل لماذا ؟"
هتفت بغيظ " تقولها ببساطة.. وتسأل لماذا ؟!!"
حرك مقلتيه يمينا ويسارا ثم أجاب " وهل هناك جوابا أكثر تعقيدا من المفترض أن أجيب به.. من أين علمت بهذا الموضوع ؟"
سألته باستنكار" هل كنت تريدني ألا أعلم؟!!"
رد بهدوء " لا .. أنا فقط متفاجئ من معرفتك به "
سألته وهي لا تزال عاقدة ذراعيها " لماذا لم تخبرني؟!!"

رد بهدوء " لأنه لم تأت فرصة لذلك"
صرخت باستنكار " ما معنى لم تأت فرصة!!..
هل يتزوج المرء دون أن يخبر زوجته بأنه قد
سبق له الزواج؟!!.. هل تجد بأن هذه
المعلومة لا تستحق أن تعرفها من
ستتزوجها؟!!!"
شعر بانفعالها ولم يعجبه الطريقة التي تتحدث
بها معه فانقلب وجهه ورد بلهجة غاضبة "
أولا هذا موضوع قديم.. ثانيا لا أجد له تأثيرا في
أي شيء حتى يكون من ضمن أولوياتي لأخبرك
به .. ثالثا وهذا الأهم أنا وأنت لم نتزوج
بالطريقة العادية مثل أي اثنين حتى تكون
هناك فرصة أو سببا لذكر شيء كهذا "
احبطها بالسبب الأخير وذكرها بالسبب الذي
تزوجها من أجله .. فابتأست ملامحها
وانكمشت بعد أن كانت تمارس دور الزوجة
الغيور بكل تسلطها .. فانسحبت لتجلس على

الأريكة في صمت تتفحص هاتفها دون سبب وجيه .
أحس كامل بإحباطها المفاجئ وآلمه أن تشعر بالضيق فسألها "من أخبرك؟"
لم ترد فصاح بعبوس " باسمة أنا اتحدث معك "

ردت بضيق "سوسو قالت ذلك ليلة أمس بالصدفة .. لكنها اكتشفت بأني لم أكن أعرف فشعرت بالذنب "
قال بهدوء مفسرا " الموضوع قديم يا باسمة" عادت تناظره وتسأل عاقدة حاجبيها والفضول والغيرة تقتلانها " منذ متى؟"
تحركت عيناه ليتذكر ثم رد "من حوالي اثتني عشرة سنة تقريبا"
عبست فأضاف" كنت في الثانية والعشرين من عمري وكنا لا زلنا في الوطن .. عرضت أمي علينا أنا وشامل اختين للزواج فرفض شامل ولم

تعجبه أيا منهما .. وأنا تزوجت احداهما ولم نتفق وطلقتها"
سألته عابسة " كم مكثت معها؟"
أجابها " حوالي ستة أشهر"
قالت بتعجب" فقط ستة أشهر!"
هز رأسه وأجاب " أجل "
استمرت في استجوابه تسأله " ولماذا انفصلتما؟"
هز كتفيه ورد بلا مبالاة " لم تتوافق الطباع بيننا"
استمرت دون هوادة " كيف؟"
رد بامتعاض "كانت لديها هرمونات النكد عالية .. وأنا كنت صغير السن .. طباعنا كانت مختلفة في كل شيء ولم يكن عندي طاقة للصبر عليها "
ساد الصمت لبرهة ثم سألته " كم كان عمرها؟"

رد مفكرا " تسعة عشرة سنة تقريبا .. أعتقد أنها في مثل عمرك الآن "

شعرت بالراحة لأنها لم تكن أصغر منها وسألته "هل أنجبت منها ؟"

"لا"

"وأين هي الآن؟"

هز كتفيه وهو يرد " هاجرت بعد الحرب لأوروبا"

ضيقت عينيها تسأله "وهل لا زلت تتواصل معها ؟"

رد بهدوء " بشكل عابر فهي متزوجة الآن ولديها أطفال "

بلهجة متهكمة علقت " أنت متتبع لأخبارها إذن! "

مط شفتيه ورد بدون اهتمام " أرى منشوراتها بشكل عرضي على الفيسبوك "

قالت بسخرية " ما شاء الله !.. وأصدقاء على الفيسبوك أيضا !"

حرك عينيه يمينا ويسارا لا يعرف بما يرد فسألته سؤالا مباشرا لم تكن لتهدأ لو لم تسأله إياه " هل كنت تحبها؟!"

رد بهدوء " في البداية اعجبت بجمالها ..لكن بعد ذلك اكتشفت بأن طباعنا مختلفة كما قلت لك.. واعترف بأني لم يكن لدي الحكمة والصبر لعلاقة الزواج وإقامة عائلة وغير ذلك"

غمغمت متهكمة " ما شاء الله أنت تعجب بالكثيرات!!"

قهقه ضاحكا بشكل مفاجئ فشعرت بالاستفزاز لأن كل ما فيها قد تفاعل مع ضحكته بينما قال كامل "لا ليس بالدرجة التي تتصورينها .. (ثم رمقها بنظرة رجولية ساحرة مضيفا بلهجة ذات مغزى) لكن عينيّ بالتأكيد تقدر الجمال"

قالها بطريقة غزت صميم أنوثتها وأشعرتها بأنه يمدح جمالها لكنها .. ويا للدهشة شعرت بالضيق !..

لم ترغب في أن تكون لوحة جميلة فقط في عينيه .. بسمة التي كانت تعتمد على جمالها كسلاح وحيد لتلقي نظرات الاعجاب ممن حولها شعرت في هذه اللحظة بأنها لا تريده أن يراها جميلة فقط .. أرادت أن يراها بسمة .. أن يراها من الداخل .. أن يتقبل نواقصها قبل محاسنها .. فقالت ساخرة وهي تضع ساقا فوق الأخرى بكبرياء " يبدو أن عينيك تتحكمان دوما في علاقاتك مع الجنس الأخر .. تنجذب للجميلات ثم تفقد الشغف بعد ذلك ..وهذا يعني أن الزواج منك سيظلم من تتزوجك "

صمت قليلا يفكر ثم رد بجدية "لن أجادل في هذا الرأي .. ولهذا السبب لم أكرر فكرة الزواج

مرة أخرى .. بل كنت أهرب منه خوفا من أن أظلم فتاة معي بطبيعة شخصيتي"
رفعت حاجبا وسألته متهكمة "وبانة كانت استثناءً!"
رد بلهجة جادة" أم شمس (نطقها متعمدا).. كانت حالة استثنائية نظرا لظروفها التي ابلغتك بها من قبل "
صمتت تتطلع فيه شاردة .. لديها أسئلة تخصها هي بسمة .. تخصهما معا ..لكنها تخشى من الإجابة .. خاصة وأنه صريح وواضح ..
إنه ذلك الشعور المقيت بالخوف من المواجهة حتى لا تصدم بالحقائق ..
ذات يوم واجهت شريكها .. وما عرفته يومها كان قاسيا .. وهذه المرة تعلم بأنها ستتألم بشدة .. ستتألم أكثر من المرة السابقة ملايين المرات .. وسيتوجب عليها أن يتبع مواجهتها

معه أن تأخذ القرار .. القرار بالانفصال .. فلن تقبل على كرامتها أن يخبرها بصراحة بأن علاقتهما لن تخرج عن علاقة زواج مؤقتة لأسباب فرضت عليه أو فرضتها عليه الشهامة.. ثم تبقى بعدها معه..

شعر كامل بأن الصورة التي ظهر بها أمامها صورة ليست دقيقة عنه .. أو ربما أراد أن يدافع عن نفسه أمامها فقال مضيفا " الحل الأمثل أن تخترقني المرأة عبر هذا (وأشار على عقله) أو هذا (أشار على قلبه) .. فالتي ستنجح في عبور أيا منهما إلى كامل .. أنا متأكد بأني لن أفقد الشغف بها أبدا.. ويا لحظها .. ويا وليها .. من ستأسر الثلاثة .. عيناي وعقلي وقلبي .. (وقبض يده أمام ناظريها مردفا) ستملك في يدها كامل نخلة بكل جوارحه .. ولن تقدر بعدها على أن تتخلص مني أبدا .. لأني سأرافقها حتى القبر"

كلماته هزتها بشدة وحقدت على تلك التي قد تصل إلى هذه المكانة عنده إن كانت موجودة ..
فصمتت وعادت تتطلع في الهاتف في يدها والأفكار تعصف بها .. فصمت كامل هو الأخر بحيرة لا يعرف فيما تفكر .
رفعت رأسها فجأة تسأله بحدة " ماذا كان اسمها ؟"
عاد إليه التشوش الذهني مرة أخرى وسألها بعدم فهم "من؟"
قالت بامتعاض " زوجتك الأولى"
رد بتلقائية " ري ري "
هتفت باستنكار " نعم !! .. أهلها سموها هذا الاسم المستفز .. (ونطقت بقرف) ري ري !!"
رمش بعينيه ورد " أقصد رولا .. اسمها رولا"

هتفت بغيظ " ما شاء الله !.. ومن أين جاء ري ري مادام اسمها رولا وقد انفصلتما منذ وقت طويل !"

رد ببراءة استفزتها " هي تدعى ري ري بين كل الناس "

حدجته بعصبية فهم بأن يسألها (هل تغارين ؟) لكن هاتف بسمة رن في يدها فنظرت فيه ثم عبست بشدة مغمغمة "ونس !!"

عبس كامل هو الأخر وسألها مندهشا "من!!"

ردت وهي تتطلع في الهاتف الذي يرن" ونس ترن عليّ ..هل تعتقد بأنها ضغطت عليه بالخطأ؟"

صمت الهاتف فرفعت أنظارها لكامل بحيرة تسأله" هل تعرف إن كان شامل موجودا بالبيت أم لا ؟"

رد وقد بدأ يشعر بالقلق " شامل أعتقد بأنه قد خرج منذ الصباح .. كان هناك مشاوير تخص المطعم وبالتأكيد سيقوم بها بدلا مني"
عاد هاتف بسمة للرن فنظرت لكامل بتوجس وقالت" ونس من جديد .. ما معنى هذا ؟.. "
فتحت الخط تضعه على أذنها ليأتيها صوت صراخ شديد ممزوجا بالألم فهبت واقفة تقول بهلع" ونس ماذا حدث ؟؟.. أين أنت؟"
انتفض كامل من رقدته وأسرع نحو باب الغرفة مفزوعا فأسرعت بسمة تعدو خلفه .

قبل دقائق

انتهت ونس من أخذ حمامها والتقطت ملابسها المعلقة فوق المشجب ترتديها ووقفت أمام المرآة برداء بيتي بنصف كم يصل إلى ما بعد ركبتيها لتمشط شعرها ..

حين لمحت نور الهاتف فلم تكن ترتدي سماعتيها أسرعت إليه لترى إن كان المرسل هو شامل أم والدها .. وفي اندفاعها كعادتها في الحركة انزلقت في أرض الحمام الرطبة واختل توازنها فسقطت .. لكنها حاولت بغريزة البقاء أن تخفف من أثر السقطة وأمسكت بسرعة بجانب المغطس جيدا فارتطم جانبها بجانب المغطس بقوة تسببت لها في ألم شديد لكنه كان أخف بكثير بالنسبة لما حدث لها بعد ذلك

.

حاولت القيام بصعوبة والألم ينتقل إلى ظهرها وأسفل بطنها فتحاملت على نفسها واستقامت تمسك ببطنها بقوة تحاول تحمل ذلك الألم الذي يزداد مع كل حركة لها حتى وصل لمرحلة كان من الصعب تحمله ..فأمسكت بالحوض بقوة وببطنها باليد الأخرى وهي تميل بجذعها للأمام وبدأت في التأوه والنحيب غير قادرة على

الحركة أكثر وذلك الألم يزداد حتى بات لا يحتمل ..
فكرت بأن ترسل لشامل على الواتساب لكنها تعرف بأنه خارج البيت .. فبدأت تفكر بمن تستنجد فهي لا تعرف هل سيلاحظون رسالتها بسرعة أم لا ..
أصابها الهلع حينما وجدت خيط من دماء ينزل على ساقها ففهمت بأنه قد أصابها شيئا خطيرا خاصة مع ذلك الألم الرهيب في بطنها وظهرها
فأسرعت بالضغط على اسم بسمة للاتصال وأعادته مرة أخرى لأنها الأقرب مسافة منها وهي تدعو في سرها أن تكون مستيقظة ففتحت بسمة الخط تسألها في هلع " ونس ماذا حدث ؟؟.. أين أنت ؟"
لسانها .. لسانها المقطوع كما تصفه خانها كالعادة فاستنجدت بالصراخ المتألم لتنقذها.

فتحت بسمة باب غرفة شامل بسرعة بينما وقف كامل على الباب من الخارج بقلق وقبل أن يتأكد إن كانت ونس بالداخل أم في مكان أخر أسرع للسلم ينادي أمه في الطابق الأرضي" أمي .. أمي هل ونس عندك أم في غرفتها ؟"

فتحت بسمة باب الحمام وفزعت من شكل ونس وهي تميل للأمام تمسك ببطنها وتتألم بشدة فاقتربت منها لكنها وجدت قطرات الدم في الأرض لتشهق بقوة وتقول "دم .. دم .. أأأنت تنزفين .. تنزفين "

كانت تشعر بجسدها يقاومها لعدم الاقتراب وبدأ نفسها يضيق بينما صرخ كامل من الخارج "هل أدخل يا بسمة ؟!!"

ابتعدت للخلف في الوقت الذي اقتحمت فيه سوسو بعد دقيقة الغرفة والحمام لتجد كنتيها في وضع مزري واحدة تمسك ببطنها وتطلق صرخات تألم وهلع والأخرى منكمشة عند باب

الحمام تعاني من صعوبة في التنفس فأسرعت إلى ونس وهي تصيح "الحقني يا كامل بالله عليك ونس تنزف لابد من نقلها للمستشفى " دخل الأخير وتطلع في بسمة التي قالت له وهي تتنفس بصعوبة" إنها... تنزف يا كامل"

وقف على باب الحمام ونظر لونس وأمه ثم تراجع للخلف يسحب الشرشف من فوق السرير بعنف ودخل للحمام يلفه حول ونس فقالت أمه" بلطف .. بلطف يا بني لا نعرف أين الإصابة بالضبط"

حملها كامل فأطلقت صرخة قوية فقال وهو يسرع بها للخارج "آسف.. آسف تحملي قليلا"

أخذ يهرول بها على السلم وهو يقول لأمه "هات مفاتيح السيارة يا أمي وتعالي معي "

هرولت سوسو خلفه مسرعة نحو باب المرآب وغنيم يقف ذاهلا وهو يقول" سترك يا رب"

استدار كامل يهتف" أبي بسمة بالطابق العلوي تفقدها أرجوك فهي تعاني من رهاب رؤية الدماء "

عند باب الحمام ظلت لدقائق متجمدة .. مغمضة العينين بقوة تحاول تنظيم نفسها ومحاربة تلك الصور التي تتدفق في رأسها لذكرى مؤذية بشدة تركت ندبة واضحة في روحها .. فطرق غنيم بعد دقائق بعصاه على الباب المفتوح ينادي باسمها ثم دخل .

حاولت بسمة التماسك حينما تفاجأت بوجوده بينما سألها غنيم بقلق "هل أنت بخير؟"

ردت لاهثة وهي تحاول سحب المزيد من الهواء لصدرها بصعوبة" أنا بخير "

قال لها مطمئنا "إن شاء الله ستكون هي الأخرى بخير تعالي لنجلس بالأسفل "

اقتربت منه تحاول بكل قوتها أن تخرج من حالتها وخرجت معه من الغرفة وهي تسأله "هل صعدت على السلم بالرغم من ألم مفصل قدمك؟"

رد عليها " بل بالمصعد"

عبست تسأله " أهناك مصعد بالفيلا؟!"

أومأ برأسه وتحرك نحو ممر بجوار السلم يوصل للناحية الأخرى من الغرف وجدت في آخره مصعدا صغيرا .. فرافقت غنيم فيه ليهبطا للدور الأرضي.

قال غنيم في بهو الفيلا "زيلا .. أعدي لنا كوبين من عصير الليمون "

تحركت الأخيرة لتنفذ بينما رافقت بسمة حماها إلى إحدى أركان البهو الواسع فجلس غنيم على الأريكة واضعا عصاه بجواره بينما اتخذت بسمة المقعد المجاور ومالت بجذعها تخبي وجهها في كفيها ثم أجهشت بالبكاء .

قال غنيم مهدئا" لماذا تبكين .. إن شاء الله ونس ستكون بخير "

ظلت بسمة تبكي دون قدرة على التوقف فربت غنيم على الأريكة بجواره قائلا" تعالي هنا بجانبي "

حينما لم تستجب قال بلهجة أبوية آمرة "تعالي يا بنت"

رفعت بسمة وجهها تمسح عينيها وهي تقول بلهجة متحفظة "أنا بخير غنيم بك"

قال بعبوس" لا أحب غنيم بك هذه "

ناظرته بحيرة فأردف" ممكن أبي .. والدي .. حاج غنيم كما يقول الثورين .. أو أي لقب أخر أقل رسمية "

ابتسمت بسمة فربت على الأريكة بجواره فتحركت ببطء وجلست منكمشة فسألها

"أخبريني عن سبب رهابك من رؤية الدماء .. هل هناك قصة؟"

اغمضت بسمة عينيها بقوة ليقول غنيم بلهجة تمثيلية متمسكنة ذكرتها بابنه" أنا أشعر بتوتر شديد وقلق على ونس لذا دعينا نلتهي بشيء أخر حتى يطمئنوننا"

فتحت بسمة عينيها تتطلع فيه بنظرة متألمة ولم تدر أهي قادرة على التحدث عن هذا الأمر أم لا .

xxxx

بعد ساعة

هرول شامل في ممر المستشفى يبحث عن رقم الغرفة .. وبمجرد أن لمح توأمه في آخر الممر أسرع إليه يحاول أن يقرأ أفكاره قبل أن يسأله" كيف هي الآن؟"

كان كامل يستند بكتفه على الجدار يديه في جيبي بنطاله فرد عليه بهدوء "لم يخرج الطبيب بعد"

سأله شامل" هل أمي معها بالداخل؟"

أومأ كامل برأسه وأضاف" ظلت متشبثة بسوسو ترفض تركها .. غالبا كانت خائفة لأنها بدون السماعات ولم تفهم ماذا يحدث معها ولم نستطع أن نجعلها تفهم"

ازداد شعور شامل بالألم وتلفت يمينا ويسارا لا يعرف كيف ينفس عن قلقه الشديد ثم سأل كامل" هل نزفت كثيرا؟"

حرك كامل رأسه ورد نافيا "ليس بشكل كبير لم أر إلا بضع قطرات في الحمام وعلى الشرشف لكن ليس بالشكل المخيف "

أمسك شامل برأسه بعصبية وهتف بقلة صبر" كل هذا الوقت والطبيب لم يخرج لماذا ؟؟!"

رد كامل " أمي تخمن بأنها حامل أو كانت حامل "..

قالها بأسف وهو يتطلع في وجه توأمه الذي تغضنت ملامحه بألم .. فربت كامل على كتفه

يقول مشجعا" المهم أن تكون هي بخير أليس كذلك ؟"

هز شامل رأسه يرد بتأكيد" أجل المهم هي أتمنى من الله أن يلطف بنا "..

رن هاتف شامل فنظر فيه بعبوس قبل أن يعطيه لكامل قائلا" هذا حماي طلبني أكثر من مرة وأنا في الطريق إلى هنا ولم استطع الرد عليه لأني قلق على ونس ولا أريد أن أقلقه معي .. رد عليه كأنك أنا"

قال كامل باعتراض "ماذا سأقول له؟!!"

قال شامل وهو يعطيه الهاتف " أي شيء يا كامل .. قل أي شيء بالتأكيد أرسل لها على هاتفها ولم ترد عليه فشعر بالقلق "

نظر كامل للهاتف في يده بامتعاض ثم أجاب بلهجة عادية "نعم حماي العزيز .. (ونظر لشامل وأضاف) لا لا ونس بخير إنها نائمة فقد سهرنا أنا وهي خارج البيت حتى الفجر .. (هز

رأسه وأضاف) حاضر حاضر بمجرد أن
تستيقظ سأجعلها ترسل لك سلام "
أعاد الهاتف لأخيه في الوقت الذي فُتح باب
الغرفة فتطلع شامل بلهفة للطبيب قائلا
"طمئنني أرجوك"
عبس الطبيب وهو يرى التوأمين المتطابقين
أمامه ثم سأل "من زوجها؟"
رد شامل بقلة صبر" أنا زوجها شامل نخلة
كيف حالها؟"
قال الطبيب " هي بخير أخبرتنا كتابيا بأنها
انزلقت في الحمام ونزفت ..لكن كيس الحمل لا
يزال موجودا .. ستحتاج لراحة تامة وبعض
الادوية المثبتة للحمل ومتابعة دقيقة ونتمنى
أن تتحسن الأمور "
سأله شامل " هل هناك أثر أخر للسقطة على
أي شيء غير الحمل ؟"

رد الطبيب "لديها كدمة في جانبها فقط ..
وسنقوم بعمل أشعة لها للتأكد من أن كل شيء بخير"
تركه شامل بدون أي رد ودخل الغرفة فشكر كامل الطبيب بالنيابة عن أخيه .
قابلته سوسو بابتسامة مشجعة وهي تراقب ذلك القلق الذي يطل من عينيه ..وربتت على صدره بمجرد أن اقترب منها ثم تجاوزته لتغادر الغرفة .
اقترب من ونس النائمة على جنبها توليه ظهرها في الوقت الذي كانت هي تشعر بسكون العالم حولها بدون سماعتيها..
كم كانت بحاجة لحواسها مكتملة في محنة كهذه .. حينما سألوها في المستشفى ماذا حدث لم تفهم ماذا يقولون ويبدو أن سوسو قد أخبرتهم بأنها لا تسمع جيدا لهذا كتب لها الطبيب اسئلته وردت عليها كتابيا بصعوبة ..

لكن ما أفزعها هو سؤاله إن كانت حامل فردت بلا أعرف .. ثم خضعت بعده لفحص نسائي ورأت تلك الشاشة السوداء التي تراها في الافلام عند فحص الأجنة لكنها لم تفهم بعدها هل هي حامل ؟.. وهل تضرر هذا الحمل أم ماذا حدث ؟.. لا تفهم شيئا .. وتشعر بخوف شديد رغم وجود حماتها التي أصرت على بقاءها في الغرفة معها .

لمسته الحانية على وجهها ورائحة عطره ميزتها قبل أن تفتح عينيها لتجده بجوارها يتمتم بكلمات لم تلتقطها جيدا .

مال شامل وقبّل جبينها وهو يتحسس صدغها مطمئنا ثم جلس بجوارها وهي لا تزال مستلقية على جانبها غير قادرة على الاعتدال.. فمدت يدها تتحسس جيب بنطاله تبحث عن هاتفه فأخرجه لها لتكتب" هل كنت حامل؟"

كتب لها ثم قرب الهاتف أمام عينيها "بل أنت حامل بالفعل يا ونوس ..لكن سنراقب الوضع بعد ما حدث"

نظرت فيما كتب ثم اجهشت بالبكاء فجأة..

فمال عليها يحضنها ويقول بجوار أذنها "أنت بخير يا ونس هذا هو المهم ..والأطفال نستطيع أن ننجب منهم الكثير بإذن الله في المستقبل "

قبّلها على جبينها مجددا بحنان فأمسكت بالهاتف من جديد وكتبت من بين شهقاتها بأصابع مرتعشة "أنا لم أفعل شيئا والله العظيم لكني انزلقت "

مال عليها شامل من جديد يطمئنها قائلا بحنان " لا بأس حبيبتي لا بأس .. انه النصيب والقدر .. المهم أنك بخير الحمد والشكر لله "

xxxx

قال غنيم " قصة مؤلمة جدا الحقيقة "

غمغمت بسمة وهي تمسح دموعها "بعدها تمنيت أن أترك القرية .. تمنيت ألا أعيش باقي حياتي فيها .. "

رد غنيم بلهجة حكيمة " كل مجتمع في كل الدنيا له عيوبه .. وله قوانينه وعاداته المجحفة حتى في البلاد التي يسمونها بالمتحضرة .. فلا يوجد هذا المكان المسمى بالمدينة الفاضلة .. هذا طبعا لا يعني أن نتقبل الأعراف أو القوانين الجائرة أو نتقبل الظلم لكن ما أقصده أن البحث عن تلك المدينة الفاضلة على الخريطة خرافة ليس لها وجود ومضيعة للوقت "

ردت بسمة موافقة" هذا ما أدركته حينما جئت للعاصمة أول مرة .. كنت أظن بأنها المكان الأفضل .. كنت ساذجة جدا وقليلة الخبرة ..وبعيدا عن التجربة المؤلمة التي مررت بها فيها .. إلا أني رغم حبي للحياة هنا في

العاصمة اكتشفت أيضا أن لها عيوب ..وهذا جعلني أعيد التفكير في رأيي في قريتي الصغيرة.. صحيح لا تزال هناك أمور أكرهها في القرية لكني استطعت أن أقيمها بنظرة موضوعية وليست سطحية "

قال غنيم وهو يشرب القهوة التي أعدتها زيلا بعد العصير " هذا جيد .. أنا احترم الشخص الذي ينضج ويعترف بأخطائه بشجاعة .. "

قالت بسمة وهي تحضن نفسها شاردة بنظراتها في خطوط السجادة المفروشة في الأرض" لكن هناك عُقَد وجُروح تظل عالقة بروح الانسان وأفكاره لا تنمحي"

رد غنيم بهدوء " أنت قلت عُقد وجُروح وهذا يعني بأن العقد قد يأتي عليها يوم وتُحل .. والجُروح قد نجد لها دواءً يطيبها .. المهم أن نكون في بحث دائم للتخلص منها.. لا أن نولول كلما لاحظناها ونعيش في دور الضحية"

رفعت بسمة نظراتها إليه تسأله "وماذا عن النديات التي لن تنمحي أبدا ؟"
رشف رشفة أخرى من الفنجان وأجاب "أنت قلتِها .. ندبة .. أي أنها لم تعد مؤلمة هي فقط علامة"
قالت بسمة ببطء "علامة على الفشل"
مط شفتيه ورد مقارعا " ولماذا الفشل بالذات ..قد تكون علامة على محاولة فعل شيء ما ..
قد تكون علامة لتذكرنا بشيء ما .. (ووضع الفنجان على المنضدة الصغيرة أمامه ثم استند بظهره للأريكة مضيفا) أتعلمين تذكرت الآن قصة .. وأنا مراهق كنت أهرب كثيرا من المدرسة واتسكع في الشوارع وأقابل أصدقاء السوء "
ابتسمت بسمة فأضاف غنيم ضاحكا " كنت دوما أقفز من فوق سور المدرسة ..حتى جاء اليوم الذي وقعت والتوت ساقي وكسرت ..

ومكثت في الجبيرة وقتا طويلا جعلني حبيسا في البيت .. أتعلمين ماذا حدث أثناء حبستي تلك؟!"

تطلعت فيه بسمة بتساؤل فأكمل" أولا قويت علاقتي بأبي جدا .. كنت مشغولا دوما بأصحابي وعالمي الخاص كمراهق.. لكن تلك الفترة قضيتها مع أبي وقربنا وجهات النظر ..اكتشفته .. اكتشفت أبي صدقا أقول .. اكتشفت كيف أنه رجل رائع كثير الخبرة بالحياة .. اكتشفت أشياء كثيرة عنه كنت أجهلها .. وثانيا كنت على موعد مع شغفي .. الطبخ .. أبي كان طباخا ولدينا مطعم توارثناه أبا عن جد .. لكني كنت متمردا على فكرة أن امتهن بمهنة أبي وأجدادي .. تعرفين أفكار المراهقين تلك .. المهم بقائي في المنزل لمدة طويلة والقرب الذي حدث بيني وبين أبي جعلني اسمع حكاياته وأراه وهو يجرب كل وصفة جديدة ويسألني عن رأيي فيها .. ومع

مرور الوقت شاركته هذا الشغف في صناعة الطعام .. وأصبحت مهنتي التي استمتع بممارستها .. أصبحت أشعر بالسعادة حينما يخرج الزبائن من مطعمي وهم سعداء بعد تناولهم لوجبة ممتعة شهية .. ولهذا أقول .. لولا ما حدث لما كنت اكتشفت شغفي أو تأخرت في اكتشافه .. (ورفع سبابته يضيف) والأهم من ذلك أني توقفت عن الهرب من المدرسة .. ليس لأني تعقلت ولكن كلما راودتني نفسي كنت اتذكر تلك السقطة المؤلمة التي بقي لها أثرا في ساقي فأتراجع فورا .. ولا أعلم ربما كان كسر ساقي قضاء أخف من أي مصيبة كنت سأقع فيها بمرافقتي لأصدقاء السوء .. هذا ما كنت أريد أن أقوله يا بسمة.. أن الندبات قد تكون علامة لتنبهنا للحذر من شيء ما ..أو لنتذكر حينما نراها كيف كان الألم عظيما

ساعتها فنحمد الله على أننا قد تجاوزناه بسلام ونقدر نعمة الراحة "

ابتسمت بسمة ممتنة لهذا الحديث الشيق مع حماها بينما رن هاتف الأخير فأسرع بالرد "طمئننا يا كامل"

قال كامل باقتضاب " هي بخير .. لم تكن تعرف بأنها حامل .. ووضع الحمل ليس مستقرا وسيخضع للمتابعة "

غمغم غنيم " لا حول ولا قوة إلا بالله .. وهل هي بخير الآن؟ "

رد كامل " أجل بخير لا شيء سوى موضوع الحمل .. كيف حال بسمة ؟"

نظر غنيم لها وهو يجيب "بخير وتجلس معي الآن "

قال كامل " هلا اعطيتها الهاتف يا أبي؟"

ناولها غنيم الهاتف فسألت كامل بلهفة" هل هي بخير؟"

لم يعرف إن كان خبر حمل ونس سيضايقها أم لا وشعر بالضيق أنه لا يعلم شيئا عن مشاعرها نحو هذا الأمر فأجاب بنفس الإجابة التي ذكرها لوالده ..

لترد بسمة" بعيد الشر عليها ..إن شاء الله ستكون هي والجنين بخير .. (ثم سألته) متى ستعود؟ أنت لم تأخذ دواءك "

لم يستطع التكهن بمشاعرها فرد على سؤالها "سأعود بعد قليل لأوصل سوسو للبيت وآخذ دوائي فأنا أشعر بالتعب غالبا بدأت حرارتي ترتفع من جديد.. فقط جهزي لي سماعات ونس لأخذها لشامل"

هزت بسمة رأسها بالموافقة ثم قالت "سأعود معك لعندها (ثم غلبها البكاء وهي تضيف) أشعر بأني قد خذلتها .. لقد اتصلت بي أول شخص لتستنجد به لكني تسمرت في مكاني كالحجر "

أشفق عليها فقال بهدوء" هي استنجدت بك وأنتِ ابلغتِنا لنتصرف .. فلا تشقي على نفسك يا باسمة "

مسحت دموعها تحاول السيطرة على أعصابها فأضاف كامل" استعدي إذن حتى آخذك لعندها.. سلام "

xxxx

في المساء

قهقه مصطفى في الهاتف فقال جابر على الناحية الأخرى بغيظ "ما الذي يضحكك؟!!"

رد مصطفى من بين ضحكاته "حالتك الغاضبة هذه تضحك "

هتف جابر باستنكار" هل كنت تريدني أن اسمع هذا الكلام ولا أشعر بالضيق .. لا أعرف من أين أتت تلك الشائعة التي تدور في البلدة

منذ الصباح بأن أم هاشم مخطوبة لزين .. هل يلمحون لأني أصبحت عجوزا أم ماذا؟! "
انفجر مصطفى ضاحكا فقال جابر وقد اشتد غيظه" لازلت تضحك !!"
أجاب مصطفى وهو يتماسك "لأن ردود افعالك فيما يخص بنت الشيخ أضحت صبيانية جدا (وغمغم يمسك بين عينيه) اللهم اجعل هذا الضحك خيرا "
استعاد مصطفى هدوءه بعد ثوان ليسأل جابر المتذمر على الناحية الأخرى" المهم ماذا أنت فاعل يا أخي بشأن هذه الاشاعات "
قال جابر بضيق "سأقابل عمها بعد صلاة العشاء وسنتفق على إعلان الخطبة للجميع وأريد أن اتفق معه على كل التفاصيل الأخرى"
هز مصطفى رأسه وقال " على بركة الله طمئنني حينما تنتهي السلام عليكم"

بعد أن أغلق جابر الخط تطلع في والدته التي قالت" اهدأ يا جابر لا داعي لانفعالك "
قال بنفس الغيظ "سأجن لأعرف لماذا ربطوها بزين وليس بي أنا ؟!"
رن الهاتف في يده فأسرع جابر بالرد "كيف حالك يا زين؟"
هتف زين بلهجة مصدومة "هل خطبتم لي أم هاشم وأنا لا أدري ؟!!"
مط جابر شفتيه وقال بغيظ" حتى أنت وصلك الخبر؟!!"
رد زين " أجل ..أكثر من صديق اتصل بي ليتأكد من الخبر.. ماذا يحدث (وصرخ بلهجة صبيانية) هل خطبتم لي من خلف ظهري .. خطبتم لي السوداء "
هتف جابر بجدية فاجأت أخيه" لا تقل سوداء يا زين وكف عن المزح بهذه الطريقة أنا أعلم

بأنك لا تعني ما تقوله لكن كف عن هذا الكلام لأنها ستصبح زوجة أخيك"

هتف زين مصعوقا" من؟؟ .. ستصبح ماذا؟!! ..هل ستتزوج أم هاشم ؟؟!"

رد جابر ببرود " أجل هل لديك اعتراض؟!"

غمغم زين بلهجة باكية "لماذا أنت مصر على اختيار زوجاتك من زميلاتي في المدرسة؟!! .. لماذا تختار من فصلي أنا بالذات .. ثم ماذا فعلت لك أنا لتختار أم هاشم التي كانت تضربني فتتخذها زوجة لك .. ألا يوجد لديك شفقة بأخيك! .. ولا حرص على كرامته التي انسحقت أمامها! "

لاحت ابتسامة على شفتي جابر ورد بهدوء "كان هذا في المرحلة الابتدائية يا حبيبي فلا تبالغ .. ثم أنك كنت من يستفزها أولا"

هتف زين معترضا " ولو .. حتى لو كنت في الروضة كرامتي انسحقت أمامها كيف سأعيش

معها في نفس البيت؟.. (وأكمل بلهجة بائسة)
حرام عليك أخوك سيعيش شريدا في الشوارع
بسببك .. أخبرني يا جابر بصراحة هل لديك
عقدة ما من زميلات دراستي فلا تختار إلا
منهن!"
ابتسم جابر وقال" كف عن الولولة كالحريم
وأخبرني متى ستكون اجازتك فأنا متعجل على
إتمام الزواج وأريد أن اضبط الموعد على تاريخ
عودتك حتى تحضر الزفاف"
رد زين وقد عاد لجديته "الحقيقة أنني علمت
صباح اليوم بأنهم قد علقوا الاجازات لمدة
شهرين على الأقل .. هناك مناقصة ضخمة قد
رست على الشركة ويريدون السرعة في تنفيذها
"

قال جابر بضيق "شهرين !!"
رد زين بأسف " هذا ما تفاجأت به اليوم
..المهم أنا لا اريدك أن تتقيد بي لأني لست

متأكدا إن كانوا سيلتزمون بمدة الشهرين أم سيجد جديد (وأضاف بلهجة عابثة) خاصة وأنك رجل قد تعودت على ..احم !.. أقصد يعني وجود أنثى في حياتك وبالتأكيد لن تستطيع البقاء عازبا لفترة طويلة بدون .. احم !.. تفهم ما أقصد طبعا .. وإن كنت لا أعرف ما علاقة هذا الـ احم والنساء بأم هاشم لكن هي في النهاية أذواق"

قال جابر بلهجة صارمة " زين أنت تتخطى حدودك في المزاح"

أسرع زين بالقول ضاحكا " آسف ..آسف لكن أنت تعلم بأني أكن لأم هاشم كل ود ومحبة "

قالها متهكما فرد جابر بهدوء" اذهب الآن يا طويل اللسان وسنتحدث فيما بعد "

سأله زين بلهجة صبيانية باكية قبل أن يغلق الخط "جابر هل هناك مجال لأن تغير رأيك؟ .. كرامة أخوك أهم يا جابر من أي شيء"

xxxx

تطلع فيها شاردة واجمة ثم عاد ينظر في الطريق أمامه وسألها في جلسته خلف المقود"
لماذا هذا الوجه البائس أهناك ما يحزنك؟"
نظرت إليه تقول" لا شيء لازلت أشعر بالذنب تجاه ونس "
سألها وهو يختلس نظرة تجاهها" أهذا هو السبب فقط ؟"
هزت رأسها مؤكدة وأضافت" لازلت غير قادرة على الإفلات من هذا الشعور "
قال باقتضاب وهو يتطلع في الطريق" أعرف هذا الشعور المر جيدا "
نظرت إليه تتأمله وهو يرتدي النظارة الطبية
ثم سألته "كيف تعرفه ؟"
قال بغموض "مررت بتجربة مماثلة"
"كيف؟"

رمقها بنظرة جانبية وصمت ولم يجيب لفترة فازداد فضولها .. ثم تكلم دون أن ينظر نحوها "أخر سنة لنا في الوطن كانت الحرب على أشدها ومع هذا كان الناس يحاولون المقاومة بممارسة حياتهم الطبيعية خاصة في العاصمة التي لم تكن الحرب قد وصلت إليها بعد .. المهم أنا وشامل كان لنا شلة أصدقاء منذ الطفولة كبرنا معا وظللنا على اتصال .. أحد أصدقائنا قرر الزواج وأقام حفل عرس ضخم في فندق ضم كل اصحابه بما فيهم أنا وشامل .." صمت قليلا يتطلع في الطريق فشعرت بسمة بأنه يصارع ذكريات سيئة فآثرت الصمت والتطلع فيه حتى قال بعد برهة "أثناء الحفل تفاجأنا بهجوم انتحاري تم في ذلك الفندق الذي أقيم فيه العرس بسبب إقامة أحد الدبلوماسيين الذين يزورون البلاد فيه" شهقت بسمة وسألته" وماذا حدث ؟"

صمت مجددا ولاحظته يطحن فكيه بقوة فأحست به يتألم قبل أن تلاحظ تفاحة أدم التي تحركت في عنقه وهو يبلع ريقه ثم يقول" تحول الحفل لكارثة حقيقية .. دمار شامل .. كل شيء إنهار فوق رؤوسنا فجأة .. تجربة كانت الأصعب في حياتي .. رأيت من أصحابي من تحول لأشلاء أمام عيني .. حتى العريس .. العريس الذي كنا نناكفه ونتواقح عليه قبل دقائق حول ليلة دخلته تحول إلى جثة هامدة .. أصوات الصراخ والاستغاثات .. وأناس تحت الأنقاض .."

صمت مجددا فظلت بسمة تحدق فيه بملامح متألمة شفقة عليه وكادت أن تطلب منه أن يتوقف إن أراد لكنه أكمل بصوت سكنه الحزن "حينما حدث ما حدث بحثت عن شامل حولي ولم أجده .. كنت منبطحا على الأرض من أثر الانفجار .. فأخذت أزحف تحت الأنقاض على

بطني تارة وعلى ركبتيّ تارة .. واستقيم واقفا تارة أخرى حينما استطيع الوقوف فكل شيء كان متهدما .. طبعا لن أستطيع أن أنقل لك بشاعة المشهد ولا شكل الأشلاء ..حينما وجدت شامل كان منكفئ على بطنه ولا ينطق وبعض الدماء حول جسده لم تتح لي الفرصة لتفحصها .. وبكل صدق لم أكن متأكدا إن كان حيا أم ميتا .. فسحبته وبدأت رحلتي في البحث عن وسيلة للخروج .. كانت أصعب دقائق مررت بها .. خاصة وأنا أسمع أصوات استغاثات لكني لم أكن قادرا على التوقف .. كل ما كان يشغل ذهني وقتها أن أخرج بشامل من المكان لأسعفه .. بعد نصف ساعة تمكنت أنا وبعض الناجين من الخروج بمساعدة فرق الإنقاذ .. وسجدت شكرا حينما تأكدت بأن شامل حي وبأنه كان مغشيا عليه لسقوط شيء ما على رأسه أثناء الانفجار .. بعد أن اطمأننت

على شامل بدأ ذلك الشعور بالذنب الذي تتحدثين عنه .. وحاولت صدقيني العودة للأنقاض لأساعد من أستطيع .. لكن الشرطة منعتني بقوة .. شعور صعب ألا تقدمين المساعدة لمن يطلبها منك ..والحقيقة أني بعد هذه التجربة الصعبة كرهت كل شيء واصابني الاكتئاب لوقت طويل "

سألته بحشرجة "واصحابك؟"

رمقها بنظرة سريعة ثم عاد للطريق" لم ينج منهم أحد.. لم ينج من الشلة إلا أنا وشامل "

شهقت بسمة ولاحظت الألم الشديد على جانب وجهه ولم تعرف بما ترد فأضاف كامل" أمي أصابتها صدمة شديدة رغم أننا خرجنا بخير .. لكن التجربة كانت صعبة عليها وكون اصحابنا اللذين كانت تعرفهم جيدا منذ طفولتهم قد لقوا حتفهم جميعا كان الأمر صعبا عليها تحمله .. ولم تستطع بسهولة

تجاوزه ليأتي خبر موت شقيقها في السجن بعد أن كان مسجونا لأسباب سياسية فتنهار تماما .. ولم يجد أبي بدا من ترك البلاد رغم أنه كان أكبر معارض لذلك .. لكن الحالة السيئة التي وصلت إليها أمي أجبرته على أن يترك البلد كما تركه أشقاء أمي الأخرين وعوائلهم .. لكنه رفض أن يسافر معهم لأوروبا بل أصر على أن نأتي إلى هنا فجئنا وبدأنا حياتنا من جديد ..أما أنا فظللت أكره كل ما هو عربي بسبب تلك التجربة "

استحضرت كلمات غنيم فقالت" لكن كل مكان به عيوبه حتى الدول الكبرى"

رد باقتضاب "أعلم ذلك لكني لم أتجاوز الأمر بعد رغم مرور أكثر من عشر سنوات على الحادثة "

سألته "لذا قررت الهجرة؟"

هز رأسه وأجاب " أجل .. (وحدجها بنظرة بطارف عينيه بنظرة أربكتها وهو يقول) مالم يكن هناك ما سيجبرني على البقاء "
قالها وهو يركن السيارة في مرآب المستشفى ثم استدار إليها يميل نحوها مرتكنا بذراعه على ظهر مقعدها وأضاف بصوت متهدج وهو يتطلع في عينيها الزرقاوين " أو من أضحي من أجله لأبقى بجانبه.. هيا يا باشمهندسة وصلنا "

(أو من أضحي من أجله لأبقى بجانبه)
ارتجف جسدها من عبارته .. ثم تأملته وهو يستدير ويترجل من السيارة فأجبرت نفسها على الترجل وهي تلملم اشلاءها التي بعثرتها عبارته .
ولم تعرف .. إن كانت تلك العبارة والطريقة التي نطقها بها قد قتلتها أم أحيت بداخلها الأمل!.

xxxx

بعد عدة أيام

ألقت إسراء نظرة على أمها الراقدة على جنبها في صمت كعادتها منذ ما حدث ثم خرجت وهي تحمل صينية الإفطار .. فنظر إليها الجميع بترقب لتقول بحزن" لم تأكل سوى لقيمات بعد إلحاح "

أطرق الجميع في حزن فقالت لأخوتها" هيا إلى مدرستكم بسرعة وركزوا في حصص المراجعة جيدا فالامتحانات على الأبواب "

تحرك همسة ونسمة وكريم ببطء مطرقين الرأس بحزن على والدتهم فقال هلال لإسراء وهو يأخذ منها الصينية" وأنت أيضا هيا لتلحقي بعملك يكفي الأيام التي استقطعت من اجازاتك هيا"

نظرت إليه بتردد فقال مطمئنا" أنا سأبقى معها حتى تعودي من المدرسة هيا"

أومأت له باستسلام وتحركت نحو غرفتها بينما وضع هلال الصينية جانبا وفتح الباب على زوجته التي لا تزال تعاني من صدمة نفسية .. وآلمه قلبه وهو يراها على حالتها تنام على جانبها تتوسد كفها محدقة في الفراغ.

اقترب منها وجلس على السرير يقول بهدوء "وحدي الله يا نصرة ..لن نغير النصيب .. قضاء افضل من قضاء ..بدلا من أن تعود لنا مطلقة ومعها أطفال ..فهذه المرأة لم تكن لتتركها في حالها هي وتلك الأفعى أختها"

لم يبد على نصرة أي رد فعل فقال" أنا انتهيت من بيع كل شيء يخص هذا الجهاز اللعين حتى مصوغاتها الذهبية التي اشتراها لها بعتها "

بدأت الدموع تنهمر من عيني نصرة في صمت فأضاف مطيبا خاطرها " كل أهل البلدة مصدومون ومتعاطفون معنا ومقتنعون بأن ابنتنا قد ظُلِمت .. والله لو تري كيف كان

الشيخ في صلاة الجمعة الماضية منفعلا وهو يتحدث عن تلك المغالاة التي بات الناس يتبعونها لعلمت بأننا لم نقصر في شيء"
ظلت نصرة تبكي في صمت دون حركة فقال هلال " هل تعرفين بأني بدأت أتلق طلبات للزواج من اسراء.. لكني منتظر أن تتحسني حتى أخبرك عن التفاصيل "
قالها دون أن يخبرها بالحقيقة كاملة .. بأن الطلبات التي اتته حتى الآن من رجلين متزوجين بالفعل ويرغبان في التعدد ورجل أرمل يرغب في زوجة لتربية أطفاله ..
ولم يعرف كيف سيخبرها بأن ابنتها التي لم تبدأ حياتها بعد باتوا يحسبونها على ذمة المطلقات بعد زواج دام نصف ساعة فقط!!.
فجأة أجهشت نصرة ببكاء مسموع فمال عليها هلال يحيطها بذراعيها وقبل رأسها عدة مرات هامسا بعينين دامعتين "حقك فوق رأسي يا

غالية .. حقك فوق رأسي إن كنت قد قصرت في شيء يا نصرة ..حقك فوق رأسي أنا لكن لا تفعلي في نفسك هذا بالله عليك "

بعد قليل خرجت اسراء من باب البيت بوجه بلاستيكي تسحب نفسا عميقا واستعدت لمواجهة نظرات الناس إليها .. كمطلقة .

xxxx

خرج جابر من باب البيت ليجد والدته تغلق البوابة الخارجية بعد أن ودعت احداهن لتعود للداخل بوجه عابس فسألها" ماذا هناك يا أمي لماذا أنت عابسة هكذا ؟"

قالت بقرف " الناس جنت والله .. النساء لا يكفن منذ أن أعلنت خطبتك لأم هاشم عن الحديث معي سواء بشكل مباشر أو غير مباشر عن أسماء فتيات كعرائس مرشحات .. مدعين بأن عليّ أن اتدخل كأم لأثنيك عن الزواج منها"

هتف جابر باستنكار" نعم؟؟؟ .. لماذا؟؟!!"

قالت نجف بعبوس "لأنك في نظرهم شباب ومال ووسامة ولا يليق بك إلا الزواج من فتاة بيضاء وأصغر سنا ومن عائلة من العائلات الكبيرة في البلدة "

ضرب جابر كفا بكف قائلا بانفعال "لا حول ولا قوة إلا بالله !.. ما هذا الجنون!!.. هل وصل الأمر لأن يتدخلوا فيمن سأتزوج! ..أنا لا أعرف لماذا يتنمرون على المسكينة ؟!.. هذا الأمر كان يحزنني دوما لكنه مؤخرا بات يغضبني بشدة ويؤلمني .. (ورفع سبابته يقول بلهجة حمائية) قسما بربي لأرفع لها رأسها أمام أهل البلدة كلهم.. وليساعدني الله لأن أكون العوض لها على كل ما واجهته في هذا المكان "

قالت نجف بمزاج عكر " المهم أسرع بالزواج لأتخلص أنا من هذا الصداع .. الأمر وصل لأن أتلقى مكالمات من سيدات لم أتحدث معهن

من قبل واقابل بمصمصة شفاه .. ونصائح عظيمة في اختيار الكنائن"
قال جابر بغضب "هذا ما سيحدث إن شاء الله.. الله المستعان"
غمغمت نجف مبرطمة وهي تعود للبيت "قريتكم هذه غريبة والله !"
استدار إليها يقول مناكفا "يا نجف قرية أهلك تجاور قريتنا وليست ببعيدة ولا تختلف عن هذه القرية فلا تشعريني بأنك قادمة من كوكب أخر "
قالت بعبوس" تتحدث مثل المرحوم .. اذهب إلى عملك هيا"
ابتسم متذكرا كيف كانت دوما تقول تلك العبارة لوالده رحمه الله حينما لا يعجبها شيئا في القرية فكان المرحوم يرد بنفس الرد الذي قاله هو للتو .

لحقها بصوته قائلا" هلال سيأتي بعد قليل ومعه عمال ليباشر بعض الأمور في البيت طلبتها منه "

قالها واستدار مغادرا ليلحق بما ينتظر الإنجاز

بعدما تأخر اليوم في النوم بسبب ذلك الاجهاد الذي يعانيه من كثرة ما يقوم به من أمور هنا وهناك لتعجله في تسريع إجراءات الزواج .. لكنه قرر أن يمر على شخص معين أولا .

xxxx

انطلقت صفارة المدرب ليتوقف اللعب ثم رفع يده بعلامة تعني (خطأ يحتسب للفريق الأخر) وتوجه لأدهم الذي ينهت وقال له منبها" أنت تلعب بخشونة يا أدهم انتبه"

قال أدهم متصنعا البراءة" أنا كنت ألعب على الكرة "

تركه المدرب وذهب لتفحص زميله مهند في الفريق الأخر الذي سقط أرضا وذلك في المباراة

التي تقام بين فصل من الصف الخامس وفصل من الصف السادس بينما اقترب إياد الذي يلعب ضده يقول له بهمس "أنت تتعمد الاحتكاك بمهند بخشونة يا أدهم ليتني لم أخبرك"

قال أدهم بغيظ "وهل كنت تريدني أن أعرف بأن هذا الغبي يخبر التلاميذ في فصلك بأنه يحب منة وأسكت له!"

غمغم إياد بندم " ليتني لم أخبرك.. ستوقع نفسك في مشكلة "

طالعه أخوه بوجه مقلوب فقال إياد" أمي قالت بأن هذا يحدث بين الطلبة وأن علينا أن نخبر المعلمة إن حدث "

قال أدهم بقرف "المعلمة ستتعامل مع الأمر بشكل دبلوماسي وأنا ..."

قاطعته صفارة المدرب للعودة للعب فتفرقا ليلعبا ضد بعضهما من جديد بينما أدهم يحدج مهند شزرا.

xxxx

لماذا لم يكن أمام البيت وقت خروجها صباح اليوم كما اعتاد أن يفعل في الفترة الأخيرة؟ .. هل هو مريض ؟

أسرعت بالقول لنفسها هامسة "بعيد الشر عليه .. إذن .. هل عادت علاقته مع كاميليا؟"

عند هذه الخاطرة توقف قلبها لكنها قالت لنفسها بسرعة "حتى لو حدث يا أم هاشم ألم يكن هذا ما سعيت إليه! .."

تغاضت عن النواح الذي يصدر من قلبها وسحبت نفسا عميقا تحدث نفسها "انظري للجانب الممتلئ من الكوب .. عادت الأمور لمجاريها معها وبالتأكيد سيكون سعيدا"

اعتدلت في وقفتها على باب غرفة الإدارة في ساحة المشروع لتسند ظهرها بقبضتها وتمد قدمها خطوة في وقفة معووجة تريح بها قامتها الطويلة وعادت لتفكر ..

لقد تهيأ لها أنه اصبح يلقي نظرة على باب بيت عمها في رحلته لصلاة الفجر كل يوم .. حتى اليوم فعلها أو خيل إليها بأنه فعلها .. أم أنها متوهمة وتخرف؟!! .

خرجت أم هاشم من شرودها عندما سمعت إحدى الفتيات العاملات تقول لزميلتها "سأخبر أم هاشم أنك يا رضوى تقولين كيف يتزوج جابر دبور من امرأة سوداء .."

ضربتها رضوى على كتفها بغيظ بينما أضافت الأخرى ضاحكة " و أنك قلت بأنها ستخيفه في الظلام"

تكلمت رضوى بإنكار" لا لم يحدث يا كاذبة"

قالت صاحبتها تغيظها" والله قلت ذلك بصوت خافت والبنات سمعنك وضحكن "
قالت فتاة على الناحية الأخرى من الطاولة التي يتجمعن حولها للعمل "يقولون يا بنات أن بنت العسال قد اذهبت الرجل عقله فقرر المسكين أن يختار فتاة سمراء بعد أن أضحت لديه عُقدة من الجميلات"
كتمت الباقيات الضحك بينما تدخلت فتاة رابعة في الحديث فشبكت أم هاشم يديها فوق بطنها المسطح ترفع حاجبيها بسخرية وهي تتابع الحوار دون أن تنتبهن لأنها تتابعهن من الداخل لتقول الفتاة "لمَ لا تقولين بأنه يريد أن يهين بنت العسال بزواجه من سمراء فهي تعرف مثل الجميع أنه بإمكانه أن يتزوج من أجمل فتيات المحافظة"
خرجت أم هاشم من الغرفة واقتربت منهن ببطء فلمحتها إحداهن وأشارت لصاحبتها

فبلعن ألسنتهن وأسرعن بدفن وجوههن فيما يفعلن ..لتقول أم هاشم بلهجة متهكمة "هل تسمحن لي بأن أقول رأيي أنا الأخرى أم سيكون ذلك تطفلا مني على جلسة الاستجمام والراحة تحت الشمس هذه؟"

ناظرتها الفتيات بترقب ينتظرن رأيها في القضية الجدلية التي باتت حديث البلدة فهدرت أم هاشم فيهم بحزم أجفلهن " رأيي أنكن ستعملن ساعة إضافية اليوم حتى لا تضيعن أوقات العمل مرة ثانية في الثرثرة (ونظرت لرضوى تضيف متهكمة بابتسامة صفراء زينت ثغرها) أنا لا أخيف في الظلام سوى من تقصر في العمل وتضيع الوقت في الثرثرة الهبلاء يا حبيبتي .. فإن كنت لا تريدين أن أظهر لك بعفاريتي في الظلام انجزي في عملك"

أسرعن الفتيات بالعودة للعمل وبعضهن تتوسل أم هاشم الصفح لكن الأخيرة ظلت تهز

رأسها برفض وهي متحصرة أمامهن في الوقت الذي جاء صوت من عند البوابة يقول" السلام عليكم ورحمة الله"

لوهلة لم تنتبه أم هاشم وهي تقول بلهجة حازمة" لا أريد حرفا واحدا ولن أقبل الاعتراضات"

أشارت لها الفتيات لتنظر عند البوابة وبعضهن بدأن في كتم أفواههن ضاحكات في الوقت الذي قال جابر بصوته الرخيم" أم هاشم"

استدارت الأخيرة وقد أصابتها المفاجئة بارتفاع مفاجئ في ضربات القلب مصاحب لانفجار القلوب الحمراء في عينيها .. فتقبضت بقوة تحافظ على هيبتها أمام الفتيات بقدر الإمكان.. إلا أن المشية ذات الخطوات الواسعة كادت أن تفضح لهفتها وهي تتجه إليه .

كان جابر يرتدي بنطالا كلاسيكيا أسودا وقميصا رملي اللون فبدا أنيقا بشكل خاص ..

وبادرها قائلا" كيف حالك لم ألحق بك صباح اليوم فجئت لألقي أنا الصباح"
قالت وهي تتقبض إلى جانبيها بقوة" صباح النور (وأكملت في سرها) صباح الرضا من الرحمن"
تكلم جابر مشيرا على الفتيات خلفها يقول مداعبا "هل تتجبرين على الفتيات يا أم هاشم!"
قالت بعفوية تدافع عن نفسها " أبدا والله بل هن من يمارسن المرقعة بطريقة لا يمكن لك أن تتخيلها خاصة وأن أم كريم ليست موجودة لهذا مضطرة أن أقف فوق رؤوسهن أثناء العمل"
ابتسم ورد بهدوء" كان الله في عونك .."
سألته بفضول "هل أنت مسافر خارج المحافظة؟ ..(وأشارت على ملابسه توضح) لأنك ترتدي هذه الملابس "

هز رأسه ورد "أجل سأذهب سريعا للعاصمة لأشتري الشبكة وبعدها سأعود لأن فوق رأسي الكثير من المهام سواء في العمل أو في توضيب البيت "

قالت مشفقة" وما لزومه السفر لأمر الشبكة من الممكن أن تختارها من أي محل هنا"

وضح لها قائلا " لأنني أحب أن أتعامل مع محل معين في العاصمة ما دمت قد وكلتني بالاختيار .. فهناك محلات أولاد موريس ينفذون لي طلباتي الخاصة في الهدايا الذهبية التي أختارها"

تكلمت بلهجة حانية" لكنك تبدو مرهقا جدا يا جابر"

رد معترفا " هذا صحيح ولهذا تأخرت اليوم في الاستيقاظ لكنها فترة وستنتهي سريعا (واستدار نحو السيارة وهو يضيف) قبل أن أنسى أريدك أن تتصفحي هذا"

أحضر من السيارة كتالوجا ليناولها إياه قائلا "أريدك أن تختاري من هذا الكتالوج ما تريدين من الأثاث"

نظرت للكتالوج في يده وقالت "فلتختار أنت ما تريد "

تفاجأ بردها وتحير قليلا ثم قال" أنت العروس يا أم هاشم أريدك أن تختاري على ذوقك "

ردت بلهجة صادقة "لكني أريده على ذوقك أنت"

جملتها داعبت شيئا بداخله .. وعيناه انتبهتا في نفس اللحظة إلى أن لون عينيها بني درجة دكنته تلمع بشكل مميز .. مجرد خاطرة مرت في ذهنه بسرعة .. قبل أن يقول وهو يقلب في الكتالوج "حسنا دعينا نقرب وجهات النظر ..هل تفضلين لون الخشب داكن أم فاتح ؟"

حركت عينيها وردت متفكهة "داكن حتى أستطيع الاختباء بجواره دون أن يلاحظني أحد "

عقد حاجبيه متفاجئا ثم قهقه ضاحكا .. فابتسمت أم هاشم تتأمله وقلبها يطلق زغرودة عالية متمتمة في سرها" اللهم صل على النبي .. نهارنا أبيض كالحليب بإذن الله"

قال جابر بعد أن هدأت ضحكاته "أنا أيضا أحب الألوان الداكنة"

غمغمت بهمس "جبر الله خاطرك"

ترك التطلع في الكتالوج وسألها" هل قلت شيء؟"

قالت وهي تهز رأسها" لا "

من ذلك القرب تأملته وهو يعود للنظر في الكتالوج بينما رائحة المسك التي تميزه والتي تشعر بأنها ليست كأي رائحة مسك قد قابلتها في حياتها .. تتسلل إلى أوردتها .

سألها جابر " هل تحبين الطراز الكلاسيكي أم العصري؟"
أفاقت من تأملاتها وقالت وهي تلقي نظرة على الكتالوج" لا أفهم"
قال شارحا وهو يقلب الصفحات "اقصد في التصميم .. انظري هذا مثلا كلاسيكي به تفاصيل وزخارف كثيرة لكن هذا التصميم عصري بسيط "
قالت بهدوء "لا أحب الزخارف الكثيرة وأفضل البسيط لكن .. (وتطلعت في وجهه فدقق مجددا في عينيها لتضيف ببطء) لو تفضل أنت الكلاسيكي فلا بأس ليس لدي مشكلة"
قال جابر وهو يغلق الكتالوج "بل أنا مثلك أميل للبساطة إذن نحن متفقان في الذوق .. لون قماش المقاعد والأرائك سآخذ رأيك فيه من هناك .. سأصوره وارسله لك على هاتفك .. لأني أنوي أن أذهب لأكثر من مكان خارج

المحافظة لأنجز أكثر من مهمة تخص ترتيبات الزواج في مشوار واحد حتى نختصر الوقت ..لولا هذا كنت اتفقت مع الحاج يحيى وذهبنا أنا وأنت وهو.. أم أنك تريدين الاختيار على الطبيعة ؟"

أسرعت تقول نافية" أبدا افعل ما تراه مناسبا أنا ليس لدي أي مشكلة

قال وهو يعود بظهره للسيارة" اتفقنا أنا سأذهب السلام عليكم"

قالها وركب السيارة أمامها فظلت تراقبه وهو يبتعد وقلبها يعدو خلفه كالأولاد الصغار فهمست لنفسها "ربما طالت المدة قليلا يا أم هاشم تفاءلي يا بنت زكريا"

××××

بعد الظهر

"منة"

ناداها مهند قبل أن تصل لبوابة المدرسة وتظهر الكارنيه الخاص بتصريح خروجها وحدها بدون ولي أمرها حتى تلحق بسيارة آل الزيني التي تنتظرها بالخارج فاستدارت منة ووقفت تنظر لزميلها في الفصل الذي أسرع إليها قائلا وهو يقدم لها قطعة شيكولاتة كبيرة الحجم" نسيتِ أن تأخذي الشيكولاتة وجدتها على طاولتك "

شعرت منة بالتوتر ..فهذا الصبي نظراته نحوها تربكها.. وتشعرها بالضيق في الغدوة والروحة ..كما أنها تعجبت من هذا اللوح الكبير من الشيكولاتة حينما عادت من الفسحة لتجده على طاولتها ملصقا به ورقة لا تحتوي إلا على قلب مرسوم باللون الأحمر وعلى جانبيه حرف

الميم بالإنجليزية فتركتها جانبا بتجاهل .. لذا قالت لمهند" شكرا ليست لي "
قال مهند بإصرار "لكنها كانت على طاولتك"
ردت منة بلهجة حازمة" قلت ليست لي "
استدارت لكن مهند كان مصرا على ما عزم على تنفيذه فناداها" منة "
عادت لتنظر إليه قائلة بانزعاج "من فضلك السيارة تنتظرني بالخارج وتأخرت"
قال مهند بسرعة معترفا " بصراحة أنا من احضرتها من أجلك وأرجو ألا ترديني خائبا"
اقترب إياد من البوابة من الخارج ينظر فيها ليستعجل منة فوجد مهند يتحدث معها فنظر نحو أدهم المتأفف بجوار السائق ثم دخل بوابة المدرسة .. في الوقت الذي كانت منة تشعر بالتوتر .. وانعقد لسانها لم تدري كيف تتصرف في موقف كهذا .. تشعر برغبة في الهرب وتشعر بالحرج وبالخجل ..

حاول عقلها استعادة تعليمات أمها وأخوتها بشأن علاقتها بزملائها بالمدرسة وما يجوز وما لا يجوز ولم تعرف كيف تتصرف .. فتحركت لتتركه ..

أسرع مهند ليقف أمام منة الله يعترض طريقها قائلا "أرجوك يا منة خذي هذه الشيكولاتة لقد طلبت من أمي أن تشتريها لك "

قالت بوجه مقلوب "لا أريد"

أصر عليها " خذيها يا منة أرجوك"

أمسكه إياد من كتفه يبعده قائلا" ماذا تفعل يا مهند عيب عليك !"

قال مهند بعبوس "لا تتدخل أنت"

رد إياد باستنكار "إنها قريبتي كيف لا أتدخل!!"

تجاهله مهند وعاد لمنة المتوترة وقال "سأتركها لك وأرحل"

قالها وهو يضعها في جيب الحقيبة الجانبي فأمسك إياد بالشيكولاتة شاعرا بالغضب ونظر

في الورقة المرسوم فيها قلب الملصقة عليها ..
وقبل أن يقوم بأي شيء كان أدهم يمسك بتلابيب مهند ويدفعه بعيدا وهو يقول بغيظ"
ابتعد عنها ولا تعترض طريقها مرة أخرى"
ارتطم مهند بالحائط خلفه ثم أعتدل يلقي بحقيبته أرضا وهجم على أدهم .. فصرخت منة بهلع واجهشت بالبكاء خاصة حينما انضم إليهما إياد وزميلين أخرين لمهند كانا ينتظرانه بعيدا ..

××××

قالت بسمة في الهاتف "مسكينة نصرة قلبي مشفق عليها بشدة .. والله لو كانت ستقبل مني مبلغ من المال لكنت أعطيتها لكني خفت بشدة أن أجرحها لهذا أدخلت موضوع الأكل البيتي الجاهز على التسوية مثل المحشي والممبار وغيره من أجل مساعدتها هي فقط وكنت أتركها تقوم بهم في بيتها وتحضره كل

صباح حتى نعبئه ونغلفه ..لكني ألوم نفسي الآن ربما كان عليّ أن أعرض عليها مبلغا من المال"

ردت مليكة بصوت مرهق "لم تقصري في شيء يا بسمة مهما أعطيتها لم يكن ليكفي ..فما يتبارون في شرائه مخيفا بالنسبة لأسرة متوسطة الدخل"

غمغمت بسمة وهي تتطلع في الحديقة أمامها من شرفة غرفتها "وضع مؤسف .. كيف حالها الآن؟"

ردت مليكة " لا جديد يوم أمس اتصلت بإسراء وأخبرتني بأنها لا تزال تحت تأثير الصدمة"

قالت بسمة متألمة " مسكينة البنت أضحت مطلقة وهي لم تبدأ حياتها بعد ..هل تعتقدين بأنه قد يردها دون أن تعرف؟"

أجابت مليكة نافية " لا طبعا لا يستطيع ردها إلا بعقد جديد فهو لم يدخل بها "

غمغمت بسمة تدعك جبينها بأناملها" لم أكن أعرف بهذه المعلومة .. وأنت كيف حالك هل من جديد؟"

تكلمت مليكة بلهجة يائسة " لا جديد تحت الشمس كما هو يعاملني برسمية مقيتة وينام في حجرة الولدين"

سحبت بسمة نفسا عميقا وغمغمت" لا أعرف ماذا أقول أتمنى أن تعود الأمور كما كانت"

"لا أتوقع"

قالتها مليكة بحسرة فردت بسمة مشجعة "تفاءلي مفرح يحبك جدا .."

قالت مليكة بتردد " هل أقول لك على شيء دون أن تشتميني ؟"

بغيظ ردت بسمة " سأحاول قولي يا مليكة"

ساد الصمت قليلا ثم تكلمت بتردد " عندما حدثت مشكلة اسراء قلبي آلمني بشدة عليها ولوهلة .. لوهلة فكرت أن .. "

قالت بسمة بغضب "مليكة لا تكملي"
دافعت الأخرى عن نفسها " قلت ربما سبحانه وتعالى فعل ذلك من أجل تدبير أخر"
هتفت بسمة بغيظ " والله يا مليكة سأؤجر شخصا ليقتلك ما دمتُ غير قادرة على المجيء إليك وقتلك بيدي إن لم تكفي عما تفكرين فيه "

غمغمت مليكة " حسنا كانت مجرد فكرة وردت على رأسي .. وصدقيني كانت مؤلمة بشدة أكثر مما تتصورين وهي مجرد خاطرة فما بالك بالتنفيذ .. ومع هذا لو أضمن بأنه سيقبل وبأن أهلها سيقبلون"
صاحت بسمة بانفعال "مليكة"
"نعم"
"اخرسي"
"حاضر"

قالت بسمة بلهجة متهكمة" طبعا لن أسأل عن مجنونتنا الثالثة أم هاشم التي تستفزني ببرودها وتشبثها بجابر ولا أعرف إن كنت أشفق عليها أم أحطم رأسها "

قالت مليكة "ها هي أم هاشم تتصل بي ما رأيك أن أدخلها معنا على الخط ؟"

قالت بسمة وهي تستند على سور الشرفة المعدني "ادخليها أنا لا أفهم في تلك الأمور "

قالت مليكة" كيف حالك يا أم هاشم؟"

وقالت بسمة" كيف حالك يا أم هاشم؟"

تكلمت الأخيرة متفاجئة "بسم الله الرحمن الرحيم !.. هل ضربت ماسورة الهاتف فأدخلت الخطين معا!!"

ضحكت بسمة بينما قالت مليكة" هذه مكالمة جماعية يا مشمش "

ردت أم هاشم " أعرف يا حبيبة مشمش أنا فقط تفاجأت .. أنا بخير وفي نعمة الحمد لله "

قالت بسمة متهكمة " أرأيت كيف تقولها بتنهيدة حارة !"

بمزاج رائق غمغمت أم هاشم " وكيف لا أقولها وقد هل عليّ القمر منذ قليل"

قالت بسمة متهكمة " يا عيني يا عيني .. ألا يزوركم مثل أي خاطب؟!"

ردت أم هاشم مدافعة " لم يمض إلا عدة أيام على إعلان الخطبة كما أنه غير متفرغ كان الله في عونه يدور كالمكوك هنا وهناك لتسريع أمور الزواج"

علقت بسمة "إذن هو جاد"

ردت أم هاشم مؤكدة "طبعا .. وهل كنت تتوقعين بأنه يمثل؟"

قالت بسمة موضحة" أقصد يرغب في أن يبدأ حياة جديدة معك"

وضحت أم هاشم بصبر " يا حبيبتي قلت لك هو حاليا مصدق لتلك الفكرة لكن بمجرد أن تحن الذبابة الخضراء سأختار أنا الوقت المناسب للابتعاد"

غمغمت مليكة " لا حول ولا قوة الا بالله!"

قالت أم هاشم بغيظ "لماذا لستما سعيدات من أجل ما أشعر به من سعادة ؟"

ردت مليكة "لأننا نخاف عليك يا مشمش "

علقت أم هاشم معترفة "أعلم ذلك لكن أنا سعيدة ..والله سعيدة جدا .. وكلما مرت لحظة عليّ أفوز بها بأي شيء منه تزداد سعادتي"

قالت مليكة بلهجة متألمة "لكن الفراق صعب اسأليني أنا "

غمغمت بسمة بلهجة ساخرة " أجل اسأليها هي!"

هتفت مليكة بغيظ "اخرسي يا بسمة"
"خرست"
سألت مليكة أم هاشم " أخبرينا عم اتفقتم بالضبط؟"
ردت أم هاشم " لا شيء سوى أن الزواج سيتم في اسرع ما يمكن بمجرد انتهاءه من تجهيز كل شيء والحقيقة أنه أصر أن يجهز كل شيء يخص الأثاث والأجهزة الكهربائية والسجاد والنجف .. وألا احضر معي إلا ما يخص مستلزمات المطبخ والمفروشات على أساس أنه ذوق العروس وهو لا يفقه في تفاصيله "
علقت مليكة معترفة " الحقيقة موقف محترم منه "
قالت أم هاشم بلهجة ولهة بعد أن تنهدت
"إنه جابر القلوب يا ناس "
قالت بسمة مازحة " يا عيني يا عيني .. (ثم سألتها) وهل ما تحتاجينه جاهزا؟ "

ردت أم هاشم " أنا عندي أشياء كثيرة كنت أخزنها لنفسي منذ سنين طويلة .. سأحتاج فقط لبعض الأشياء الحديثة على الموضة"
قالت بسمة بصدق " هل تحتاجين أي شيء يا أم هاشم بالله عليك لا تتحرجي منا "
ردت الأخيرة بامتنان " الحمد لله الحالة مستورة .. عمي كان يدخر لي ما كنت أحصل عليه من نصيبي في القيراطين الذين نملكهما .. صحيح المبلغ بسيط لكن لا بأسه به وقد رفع جابر عن كاهلنا الكثير بصراحة بارك الله له"
قالت مليكة بلهجة صادقة "تمم الله لك يا مشمش وأتمنى أن تكون ثقتك فيه في محلها لأنه لو كان كما تصفينه فلن يفرط فيك أبدا لأنه سيدرك معدنك جيدا .. وأتمنى أن يخلصك الله من المتنمرين وضعاف العقول"
سألت بسمة باندهاش " هل حدث شيء جديد؟"

ردت مليكة "منذ أن أعلنت خطبتها والنساء لا يتركنها في حالها إما بالسخرية أو التهكم هذا بخلاف القر والحسد أعوذ بالله "

قطعت أم هاشم الحديث لتسأل " هل تتوقعا يا بنات بأني قد أعيش معه تحت سقف واحد ولو عدة أيام ؟.. أنا لا أعرف كيف سأتحمل فرحة كهذه.. وكيف سأتحمل أنه قد .. قد يقترب مني "

ساد الصمت لبرهة لتضيف بحرج " أنا أعرف بأنه سيقربني من أجل الواجب .. على الأقل أول ليلة فهذه الأمور حساسة على سمعة الرجال ... لكن لا بأس حتى لو كانت من أجل الواجب فقط .. ولا بأس لو كانت مرة واحد فقط أنا متفهمة ذلك الشيء "

قالت مليكة بلهجة عاتبة " لماذا هذا الكلام يا مشمش ؟!..إن كان رجلا رائعا كما تصفينه فبالتأكيد له نظرة خاصة في هذه الأمور "

ردت أم هاشم بجدية " دعينا نكون واقعيين يا مليكة .. أنا سمراء ونحيفة وافتقر للمؤهلات الانثوية البارزة ماذا سيفعل الرجل بي ؟"
شردت بسمة في كلامها تتعجب كيف أنها راضية به حتى لو فعلها من أجل الواجب فقط .. بينما هي رفضت شيئا كهذا يوما ما .. ولم تعرف إن كانت تفرح لأنها لم تكن عاشقة لزوجها السابق بهذا الشكل المتيم أم تحزن من أجل صاحبتها العاشقة حد اليأس .. فقالت "أريد أن أؤكد لك يا أم هاشم أن الجمال وحده لا يكفي لأن يحب الرجل زوجته ..أنا عندك كمثال .. وكذلك كاميليا ..وفي حياتي خارج بلدتنا المشهورة بجمال بناتهن مر عليّ بعض الثنائيات لم تكن العروس باهرة الجمال ومع هذا كان ازواجهن يحبوهن .. طبعا هذا ما حللته وأدركته مؤخرا.. "

قالت أم هاشم بصدق " لكني أريده أن يتمتع في هذا الجانب كأي رجل فهو يستحق ذلك .. يستحق أن يتزوج أحلى امرأة في الكون "
صمتت مليكة متألمة تفهم جيدا شعورها ولم تجد بسمة ما تقوله سوى أن غمغمت باستسلام " على أية حال سأدعو لك كثيرا أن يعطيك الله أكثر مما تتمنين بإذن الله"
غمغمت أم هاشم " اللهم آمين ..المهم طمئنيني يا عروس على حياتك مع الرجل الغامض"
قالت مليكة مناكفة " هو غامض بالفعل"
سألت أم هاشم " لماذا ماذا حدث؟"
ردت مليكة " اكتشفت بأنه قد سبق له الزواج ولم تكن تعرف "
قالت أم هاشم متفاجئة " ها؟؟ .. طبعا كان لابد أن يخبرك"

قالت بسمة بلهجة ممتعضة " يقول بأنها قصة قديمة من اثنتي عشرة سنة في بلده"
علقت أم هاشم " أووووف!.. قديمة فعلا لا أتوقع بأنها قد تضايقك المعرفة بها "
هزت بسمة كتفيها وردت " لا طبعا ..لا تضايقني لكن يقتلني الفضول لأرى شكلها "
ضحكت الفتاتان لتضيف بسمة بكبرياء "لكن الحقيقة هكذا أفضل "
سألتها مليكة " ما معنى هكذا أفضل؟"
ردت بسمة ببساطة " تساوت الرؤوس فلم يكن يعجبني أن أكون أنا التي مررت بتجربة وهو الذي لم يسبق له الزواج"
سألتها مليكة "لماذا؟!!"
ردت بسمة " هكذا فقط أشعر بارتياح أكبر"
تدخلت أم هاشم مفسرة بشقاوة " تقصد من الجانب الخاص لا تريد أن تشعر بأنها قد سبق لها التجربة وهو لا .. تريد خبرة في الأداء"

شهقت مليكة وهتفت "اخرسي يا أم هاشم"
أكملت أم هاشم بنفس اللهجة المازحة " أو
ربما خافت من فرق السرعات "
انفجرت الثلاث بالضحك لتقول بسمة من بين
ضحكاتها "سأراك حينما تتزوجين يا وقحة"
قالت مليكة مخمنة "اعتقد بأنها من النوع
طويل اللسان فقط دون فعل "
قالت أم هاشم متهكمة " حبيبتي .. أنا مجرد
وجودي معه في نفس البيت قد يصبني بأزمة
قلبية .. فتقولين سنرى ماذا ستفعلين يا أم
هاشم !!"
قالت بسمة بصدق "إن شاء الله ستفرحين
وتسعدين سعادة دائمة "
"باسمة"
صوت كامل اجفلها فاستدارت له حيث يقف
على باب الشرفة فعبس وقال" لماذا تفاجأت؟"
غمغمت بحرج "لا أبدا هل تريد شيء "

قال بهدوء" انتهي من المكالمة أولا"
قالها وتحرك مبتعدا فقالت مليكة "سأتركك لزوجك يا بسمة فأنا أيضا تأخرت جدا في النزول للطابق الأرضي"
أسرعت أم هاشم بالقول "وأنا أيضا سأغلق لأن الفتيات انتهت استراحتهن ولازلن يتمرقعن سلام "
انهت بسمة مكالمتها ثم دخلت الغرفة فوجدت كامل عاري الجذع وقد ارتدى بنطالا من الجينز الأزرق .. فبدت هيئته حابسة للأنفاس .. فاحمرت وجنتاها وهي تبتعد ناحية الأريكة مولية له ظهرها .
تابعها كامل بنظرة جانبية وهو يرتدي تيشيرت أسود بنصف كم ثم قال" أنا سأخرج لمشوار قريب ثم سأعود بعدها وأترك شامل ليتابع المطعم اليوم حتى المساء لأني أرغب في

الخروج وتغيير الجو هل تريدين الخروج معي حينها ؟"

سألته متفاجئة "إلى أين؟"

أنكر بأنه يرغب في الاساس الخروج معها وقال "فقط لأغير جو كما قلت لك لقد بقيت في البيت مدة مرضي ومدة انشغال شامل بزوجته وملت ..إن أردت الخروج معي نستطيع أن نذهب لنتناول الغداء أو ندخل السينما أي شيء تريدين "

هزت رأسها وقالت "سأكون سعيدة بذلك طبعا"

هز رأسه وهو يمسك بكفيه على جانبيه ويتطلع فيها بتلك النظرة التي تزيد من حرارة الطقس حولها فتحركت بسمة هاربة منه وتجاوزته .. ليستدير ويتابعها بأنظاره حتى دخلت الحمام.

بمجرد أن أغلقت الباب خلفها رفع رأسه للخلف مغمضا عينيه وأذنه تترقب صوت اغلاق الباب من الداخل بتوسل حتى يساعده ذلك على التحكم في أعصابه ..وبمجرد أن سمع ذلك سحب نفسا عميقا يهدئ من احتراقه الداخلي ثم اقترب من طاولة الزينة ليمشط شعره .. وهو يفكر في قراره الذي اتخذه لكسر ذلك الشعور بداخله وأنه لابد أن يخرج بها للشارع كأي زوج وزوجة طبيعيين لابد أن يعرف عنها الناس ويتعود بأن تكون بجواره بدلا من السجن معها في بيت واحد ينتظر عقده أن تحل .. فعليه هو بالسعي لحلها .

××××

بعد قليل

خرج مفرح من بوابة بيت العمدة يتحدث في الهاتف بعد أن انتهى من جلسته مع العمدة لتفقد أحوال الرعية كما يحب أن يطلق على

الأمر فقال الغفير " السيارة جاهزة يا باشمهندس مفرح "
فأومأ الأخير له برأسه وعاد ليكمل المكالمة متجها نحو سيارته وهو يقول لمحدثه "حسنا يا عادل بك سأرسل لك الطلبات خلال يومين على أقصى تقدير في سلامة الله"
اغلق الخط فلاحظ رقما غير مسجل قد اتصل به أثناء مكالمته ثم وجد اتصالا من مليكة فأسرع بالرد بتلك اللهجة المحايدة التي باتا يتعاملان بها" نعم مليكة "
جاءه صوتها قلقا وهي تقول" مفرح أين أنت؟ .. مديرة المدرسة اتصلت بي .. يريدونك في الإدارة حالا .. تقول أن أدهم وإياد قد تشاجرا وعليك الحضور ..وحاولوا الاتصال بك ولم ترد فاتصلوا بي "
عبس مفرح وقال لها مهدئا" حسنا سأذهب فورا "

قالت بقلق "مفرح بالله عليك طمئنني أن الولدين بخير ولم يصبهما شيء "
رد يطمئنها " لا تقلقي يا مليكة لو كان بهما شيء كانت المديرة أبلغتك واضح أن الموضوع مجرد مشاجرة عموما أنا ذاهب الآن للمدرسة وسأطمئنك"
أغلق الخط فوجد مصطفى الزيني يخرج من بوابة بيته مسرعا ليركب سيارته هو الأخر وبمجرد أن رآه أسرع إليه قائلا بقلق "ما الذي حدث يا مفرح منة اتصلت بي تبكي وتخبرني عن مشاجرة ولم افهم شيئا .. والسائق عم طه لا يعرف ماذا حدث في المدرسة "
قال مفرح "إدارة المدرسة طلبتني ولا أفهم أنا الآخر"
غمغم مصطفى وهو يتحرك ليركب في المقعد المجاور للسائق "إذن خذني معك فلا داعي للذهاب بسيارتين ما دام طريقنا واحد "

xxxx

بعد نصف ساعة

تطلع مفرح في ولديه اللذين يقفان ممزقي الملابس أمامه ثم قال للمديرة بغضب "حتى لو كان ولداي قد بدآ الشجار أين كان أمن المدرسة والمشرفين؟"

ردت المديرة بلهجة عملية" أمن المدرسة تدخلوا يا فندم وفرقوا الأولاد"

قال ساخرا "واضح فعلا بأنهم قد تدخلوا بسرعة بدليل الحالة التي عليها ولداي الآن "

وضحت المديرة" يا فندم ولداك استخدما العنف مع زميلهم بشكل زائد"

سألها مفرح " وأين زميلهم ووالده لماذا استدعيتموني أنا فقط "

قالت المديرة متنحنحة" والدة مهند كانت مرتبطة بموعد هام فأخذته ورحلت "

قال إياد بالإنجليزية بلهجة مؤدبة" أعتذر عن المقاطعة لكن والدته قد رحلت حينما علمت بسبب المشاجرة وبأن ابنها هو المخطئ "

لملم مفرح ابتسامة تريد البزوغ على شفتيه وهمس لمصطفى الجالس بجواره " أنظر للأدب ..للحظة شكيت بأنه ابني الذي أعيش معه في المنزل "

ابتسم مصطفى وهو يتابع حديث المديرة بالإنجليزية مع إياد بينما أضاف مفرح بنفس الهمس واللهجة المازحة " لا أعرف لماذا وأنا أسمعه يتحدث بلغة أجنبية أشعر بأن جيبي يؤلمني ربما لأنه يذكرني بالمبالغ الضخمة التي ندفعها كل عام "

غمغم مصطفى هامسا "صلي على النبي يا رجل لا يحسد المال إلا أصحابه"

تحكم مفرح في ابتسامة وعاد ليتابع الحديث بينما قال مصطفى بلهجة هادئة "هلا تحدثتما

بالعربية حتى أفهم الحوار من فضلكما فأنا رجل من الجيل القديم وانجليزيتي ليست بهذه القوة لأتابع ما يقال"

امتقع وجه المديرة ليتدخل مفرح قائلا "أنت استاذنا جهبذ اللغة العربية "

ابتسم مصطفى وعاد للمديرة يقول "حضرتك تركزين على كون الولدان قد تشاجرا مع زميلهما لكنك حتى الآن لم تتحدثي عن سبب المشاجرة فلكل فعل رد فعل"

قالت المديرة بلهجة مهنية" يا حاج مصطفى هذا السن من الوارد أن تحدث مثل هذه الأشياء وزميلها كان يهديها قطعة شيكولاتة عادية "

رد أدهم منفعلا" قطعة شيكولاتة ملصق عليها قلب احمر وحرف ميم بالإنجليزية!!"

انعقد لسان المديرة بينما هتفت منة الله التي تجلس بجوار والدها لتقول بلهجة باكية "رفضتها يا أبي والله العظيم"

ربت مصطفى على ظهرها مطمئنا بينما قالت المديرة لأدهم "كان من الممكن أن تشتكيه يا أدهم لا أن تتشاجر معه"

قال أدهم بنفس اللهجة المنفعلة" قلنا لحضرتك أنه كان يضغط عليها ويلح حتى تأخذها وكانت تشعر بحصاره"

ليتدخل إياد مضيفا "هل من المفروض أن أراه يلح بالشيكولاتة وعليها ذلك القلب واصفق له!"

هرش مفرح في لحيته عدة مرات وهمس لمصطفى يتحكم في ابتسامة "هذان ولداي" كتم مصطفى الضحك وغمغم "اللهم بارك اللهم بارك"..

قالت المديرة لولدي مفرح بإصرار" لابد أن تحترما قوانين المدرسة وأي مشكلة عليكما اللجوء لأحد المشرفين ..ثم إنك يا أدهم من الواضح أنك تتقصد مهند لأنه اشتكى اليوم لمدرب التربية الرياضية بأنك كنت تتعمد اللعب معه بخشونة ..وتسببت له في إصابة أكثر من مرة.. كما أنه أبلغ إحدى المشرفات قبل يومين بأنك تتبعه في كل مكان بشكل غريب أخبرني هل لديك مشكلة معه ؟"

صمت أدهم قليلا وتبادل النظرات مع أخيه فتدخل مفرح ليعطي ولده دعما معنويا وقال "تكلم يا أدهم ولا تخش شيئا حتى لو كنت مخطئا ستتعلم من الخطأ"

قالت المديرة بإلحاح "تكلم يا أدهم لماذا تتعمد مضايقة هذا الولد بالذات؟"

احمرت وجنتا الأخير ثم قال بلهجة جادة
جعلت والده يريد أن ينفجر في الضحك
"سأقول ولكن في عدم وجود منة الله"
عقدت المديرة حاجبيها ثم قالت لمنة "هلا
انتظرت خارجا يا منة من فضلك ؟"
انفجرت منة بالبكاء ترفع رأسها لوالدها قائلة"
أنا لم افعل شيئا يا أبي والله "
ربت مصطفى على ظهرها قائلا بهدوء" لا بأس
أنا أعرف بأنك لم تفعلي شيئا "
تدخل أدهم قائلا لها بلهجة مطمئنة " لا أنت
لم تفعلي شيئا يا منة "
طريقته التي قال بها العبارة وحمائيته جعلت
مفرح يرفع حاجبا وهو يتحكم بقوة في رغبة
للانفجار في الضحك فتبادل النظرات مع
مصطفى الذي يتحكم هو الأخر في نفس الرغبة
بينما تحركت منة لتغادر الغرفة.

بعد أن خرجت قال مفرح بهدوء وجدية "تكلم يا أدهم وأخبرنا "

قال أدهم بعبوس" مهند يتحدث مع زملائه في الفصل بأنه يحب منة الله .. وقد علم إياد بذلك وأخبرني .. ومن منطلق أنها قريبتنا فطبيعي ألا يعجبنا ما يحدث أنا أو إياد .. واليوم صباحا أطلق مهند شائعة أن أمه وأمها صديقتان وتتقابلان بشكل دائم .. أي عبث هذا .. لابد أن يتوقف عن مثل هذه الأحاديث غير اللائقة"

قالت المديرة لأدهم " كان من الممكن لمنة أن تشتكي"

رد إياد موضحا "لا أتوقع أن منة تعرف بما يقوله مهند للصبية في فصلنا ..ولقد أحرجته أمام الجميع اليوم حينما كذبت حديثه عن كون أمه وأمها صديقتان وتتقابلان"

ظل مفرح يراقب ما يقال باندهاش كبير ثم غمغم" لم أتوقع أن هذه الأمور تبدأ في هذا السن المبكر جدا"

ردت المديرة بلهجة علمية" سن المراهقة تختلف بدايته من طفل لأخر يا فندم ووارد جدا أن يحدث ما حدث في هذا السن لكن كان على ولديك أن يسلكا الطريق المتحضر في التعامل مع الأمر "

انقلب وجه مفرح يناظر المديرة بعبوس على ما قالت وقبل يعلق قال مصطفى بلهجة غاضبة" حضرتك تحدثت عما يجب أن يفعله الولدان وفي الوقت نفسه أرجعت ما فعله مهند هذا لسن المراهقة! .. لا يا فندم هذا لا يعجبني .. ولا يتناسب مع تقاليدنا أبدا ولا أقبل به .. هذا الأمر عليكم بإيقافه فورا"

قالت المديرة بهدوء "يا فندم هذا لعب أطفال"

هدر مصطفى غاضبا " أي أطفال هؤلاء الذين يجهرون بهذه الأمور بكل أريحية بين زملائهم دون خجل أو تحفظ !!.. أنا لست جاهلا فلا أعرف بأنه لعب أطفال وسلوك مراهقين .. لكن أنا أتحدث عن دور المدرسة في الوعي .. أتحدث عن جو عام يشاع فيه البوح بمثل هذه الأمور ..أتحدث عن الجرأة في التصرف وأن يصل الأمر لأطلاق شائعات عن كون أميهما تتقابلان وتباركان العلاقة وهذا الكلام الذي لا أقبله على ابنتي .. ثم يتطور الموضوع لهدايا وقلوب ما هذا السخف !.. إن كان هذا الجو العام الذي يسود في المدرسة وبمباركة الإدارة فيؤسفني بأن أقول بأني سأسحب أوراق ابنتي منها فورا"

امتقع وجه المديرة وشعرت بالرهبة من لهجة مصطفى الزيني وشخصه فأسرعت بالقول بارتباك "لا يا حاج مصطفى نحن بالطبع لا

نقبل بأي تجاوز أخلاقي في المدرسة .. أنا كنت فقط أشرح بأن هذه مرحلة طبيعية يمر بها الأولاد حتى سن الجامعة .. وكنت أتمنى لو أدهم وإياد أخبرانا بما يحدث بدلا من التعامل الخشن مع الموضوع "

رد مصطفى بنفس الغضب" وأنا قلت لك بأنني متفهم للمرحلة السنية لكني أتحدث عن دور المدرسة في التوعية أنا أوعي ابنتي والباشمهندس مفرح يوعي أولاده لكن هناك أهال غير منتبهين أو ربما لا يعلمون بما يفعله أولادهم بالمدرسة وهنا دور إدارة المدرسة لنشر الوعي الأخلاقي بين الطلبة .. أما بالنسبة لأدهم وإياد لا أتوقع بأنك تطلبين منهما التحضر فيما يخص قريبتهما ..نحن نربي أولادنا على النخوة يا أستاذة هذا إن ربطنا بين ما فعله إياد وأدهم بمفهوم التخلف الذي هو عكس التحضر الذي تقصدينه لأنني أراه أيضا

سلوكا عاديا من أولاد في سنهم ..فلماذا كان لهذا الولد التبرير بأنه يسلك بسلوك مراهقين ولأحفاد الزيني يتطلب الأمر استدعاء لولي أمرهم!!"

شعرت المديرة بأنها تكاد أن تبكي من حرجها أمامه فأسرعت بالقول" بالطبع يا فندم المدرسة تقوم بحصص توعية تربوية للطلبة في هذه المرحلة العمرية"

رد مفرح بلهجة متهكمة" أتوقع أنكم تحتاجون لزيادة عدد هذه الحصص "

بعد قليل كانوا يخرجون من مكتب المديرة التي أوصلتهم حتى الباب وهي تقول بلهجة متوددة " المدرسة تشرفت بوجودكما اليوم .. وأرجو أن نكون قد أزلنا أي سوء فهم كما أن أولاد الزيني أدهم وإياد ومنة من أفضل الطلاب لدينا خلقا وعلما ما شاء الله "

شكرها مفرح ومصطفى وتحركا مع الأولاد مغادرين فتطلع الأول في أحفاد الزيني الذين يسبقوهما يتحدثون وغمغم بتهكم "أكثر مقطع أعجبني الجملة الدفاعية (لا يا منة أنت لم تفعلي شيئا)"

ضحك مصطفى وقال" بسم الله ما شاء الله رجال صغار "

غمغم مفرح بصدق" لا يقلا رجولة عن أولادك يا أبا حمزة"

قال مصطفى شاكرا "عشت يا أبا أدهم .. أسأل الله أن يحمي أولاد الزيني جميعا فالزمن أضحى صعبا"

استدار إليه مفرح يسأله "قلت لي ما لون السيراميك الذي تريده العروس؟!!"

قالها وانفجر هو ومصطفى الزيني ضاحكين .

××××

صرخت كاميليا بعصبية في أولاد العسال الصغار وطلبت منهم أن يخرجوا للعب في ساحة البيت فأسرعت ميس وأولاد عمها بالخروج بينما قالت هدى باعتراض "كفي عن الصراخ في الأولاد يا كاميليا "

ناظرتها بغيظ فقالت وجدان بلهجة متهكمة" أتركيها فهي على هذا الوضع منذ أن علمت بأن جابر سيتزوج من أم هاشم "

استدارت إليها كاميليا تقول بكبرياء "من هذه التي تتحدثين عنها؟.. أنا !! .. أنا التي رفضت أن أعود إليه سأتضايق لأنه اختار تلك العفريتة ليتزوجها !!.. فكري قليلا في هذا الكلام الذي تقولينه ستعرفين بأنك غبية ولا يوجد وجه مقارنة بيني وبين هذه السوداء العانس تجعلني اتضايق يا حبيبتي "

قالت هدى بلؤم" ألم يقل بأنه سيتزوج بمن هي في مقام سيدتك وتاج رأسك قبل أن تنتهي عدتك؟"

قالت وجدان بلهجة متشفية" أنت لا تفهمين يا هدى لقد أراد أن يخبرها بأنها في نظره أقل جمالا من تلك السمراء .. أراد أن يحرق دمها ليس بالأجمل منها بل بمن هي في نفس سنها وسمراء ليخبرها بأن جمالها الذي كانت تفتخر به لا يمثل عنده أي شيء "

أطلقت كاميليا ضحكة عالية مستفزة ثم قالت وهي تغادرهما" إن كان قد فعل ذلك كما تظنان ليغيظني فليشبع بعفريتته التي ستنحسه بسوادها إن شاء الله "

قالتها وصعدت السلم بخطوات متبخترة متعمدة وهي ترفع طرف عباءتها اللامعة لتغيظهما لكنها بمجرد أن وصلت للطابق

العلوي سقط عنها قناعها ووقفت تفكر في غيظ ..
لقد تلقت خبر خطبة جابر لأم هاشم بنوبة ضحك هستيرية لأول وهلة لكنها لا تعرف لماذا بدأت تشعر بعد ذلك بالغيظ وبالإهانة .. أن يرفع السوداء لنفس مقامها ويحضرها لتعيش في البيت الذي كانت تعيش فيه أمر أغضبها بشدة .. ليته قد أحضر فتاة أكثر جمالا أو أصغر سنا كانت وقتها ستشعر بأنه يعترف بأنها جميلة ولهذا بحث عمن يظنها أجمل منها لكن أن يحط من قدرها بهذا الشكل ويعلن خطبته لعانس سوداء الخبر حرق دمها بشدة .. بل واحرجها أمام أهل البلدة كلهم اللذين يقولون بأنه قد زهد الجمال بسببها فاختار السوداء ليهين بنت العسال ويخبرها بأن السوداء أحسن منها .

وقفت كاميليا تقضم ظفر ابهامها ثم قالت لنفسها "هذا الأمر أنا لن أمرره لك يا جابر .. ولن أسمح لك بأن تدخل تلك السمراء بيتا كانت سيدته كاميليا العسال ..لن أسمح لك بإهانتي بهذا الشكل أمام أهل البلدة"

وصمتت قليلا تفكر ثم قالت" ماذا ستفعلين يا كاميليا فكري .. هيا فكري جيدا"

xxxx

"كل شيء بخير لا تقلقي يا مليكة"

قالها مفرح في الهاتف فسألته "ماذا حدث؟ لماذا تشاجرا؟"

رد بلهجة عملية "سأخبرك فيما بعد .. أنا اقترب من بيت العمدة .. سأنزلهما وأذهب لموعد تأخرت عليه ثم أعود سلام"

ألقت مليكة بالهاتف على الأريكة بجوارها وحمدت الله على سلامة ابنيها .. ثم امسكت

برأسها من ذلك الصداع الذي لا يريد أن يتركها منذ أن استيقظت والذي يتكرر كثيرا.
همت بأن تأخذ حبة دواء للصداع ثم تنزل للطابق الأرضي فقد تأخرت في النزول اليوم وبالتأكيد ستُقابل بوصلة تقريع قوية من حماتها ..
فتحت أحد الأدراج لتخرج الدواء فانتبهت لتلك البقعة الزرقاء في ساعدها ودققت فيها مجددا تحاول أن تتذكر إن كانت قد ارتطمت بشيء أم أنها ظهرت وحدها .. لقد مرت عدة أيام ولم تستطع حتى الآن أن تحدد سببها .
طرقات على الباب جعلتها تترك شريط الدواء وتغادر غرفة النوم لتفتح متسائلة لماذا لم يفتح أدهم بالمفتاح لكنها حينما فتحت باب الشقة وجدت أم سعيد تقول بارتباك "الحاجة نحمدو تريد طبق التقديم الكبير الموجود في النيش"

بعدم فهم سألت مليكة "نيش من؟.. وعن أي طبق تتحدثين؟! "

ردت أم سعيد بارتباك واضح " الـ النيش (وأشارت خلف مليكة) تريد طبق السفرة الكبير الموجود في واجهة النيش عندك"

هتفت مليكة باستهجان "نعم !!"

أسرعت أم سعيد بالقول " هي من طلبت؟"

أظلمت ملامح مليكة وقالت بلهجة صارمة "اذهبي يا أم سعيد من هنا "

غمغمت المرأة تسأل بارتباك "ماذا أقول لها؟"

قالت مليكة بلهجة غاضبة " قولي لها أنا سأنزل الآن"

ابتعدت المرأة مرتبكة بينما أغلقت مليكة الباب بغضب شديد ونظرت للطبق الفخم الذي يزين النيش خاصتها ضمن طقم غالي الثمن وطحنت ضروسها تطلب من نفسها ضبط النفس كالعادة .

بعد دقائق كانت أم سعيد تقول للحاجة نحمده" ما ذنبي أنا يا حاجة نحمدو هي طلبت مني أن أنزل"

هتفت نحمده بصوت متجبر " أنا قلت تحضرين الطبق معناها تحضرين الطبق"

همست لها فايزة التي وصلت منذ قليل "قلت لك لن تتخلى عن شيء من هذا النيش .. وهذا الطقم بالذات لم أكن أصدق المبلغ الضخم الذي ذكرته عندما سألتها عن ثمنه حينما تزوجت إلا بعد أن رأيت مثله بعيني في محل فاخر"

سمعت نحمده باب شقة مفرح يفتح ويغلق فقالت لأم سعيد باقتضاب "اذهبي من وجهي الآن ..وانتهيا سريعا مما طلبته أريد كل شيء جاهز قبل الغروب"

اسرعت المرأة بالدخول للغرفة الجانبية بينما قالت فايزة لأمها هامسة" أنت عصبية يا أمي

ولا نريد أن نصعد الأمر بأخطاء قد يعرف بها مفرح"

خلصت نحمده ذراعها الذي تمسكه ابنتها وقالت بقرف "اسكتي.. أنا دمي يغلي منذ أن قابلت صفاء هذا الصباح .. المرأة وجهها منير من الحمل كأنها بنت السابعة عشر وأنا أبني حسرتي عليه"

لمحت مليكة تنزل فارغة اليدين فسألتها متخصرة " أين الطبق؟"

ببرودها المعهود ردت مليكة بكبرياء "أي طبق؟"

هتفت نحمده بغيظ " الطبق الذي طلبته من النيش خاصتك"

ردت مليكة بهدوء كاد أن يجلط حماتها "أنت قلتها النيش خاصتي وأنا لا أسمح باستعماله خارج شقتي"

صاحت نحمده بلهجة متسلطة "هذا بيت ابني
وكل ما يخصه يخصني أنا أيضا "
حاولت مليكة التماسك بقوة وقالت "لا شيء
سيخرج من شقتي اعتذر جدا"
تدخلت فايزة بغيظ " ما هذا الأسلوب الذي
تتحدثين به مع أمي !"
قبل أن تجد مليكة ردا منضبطا ترد به قالت
نحمده لابنتها " أتركيها يا فايزة (ونظرت
لمليكة تقول) تمام يا ست الهانم حينما يأتي
ابني الذي يأويك في بيته لي معه حديثا مطولا
ليجد لي حلا في قلة أدبك هذه"
وقف أدهم وإياد متسمران على الباب وهما
يشاهدان المشاجرة بينما هتفت مليكة بغضب
" أنا لست قليلة الأدب يا حاجة نحمدو .. وأنا
من ستخبر مفرح حينما يأتي"
ضربت نحمده بكفيها ثم فردتهما في الهواء
تقول بتحدي "اخبريه يا حبيبتي وهل سأخاف

منه!! .. اخبريه ليعرف بأنك ترفضين اعطائي طبقا حتى أضع فيه الحلويات التي سأرسلها لمهجة أخته .. وأنا سأخبره أيضا بأنك نزلت اليوم بعد الظهر وكأنك تعيشين في فندق وليس في بيت عائلة وعليك التزامات وواجبات"

شعرت مليكة بالتقصير فقالت "كنت مريضة قليلا"

ردت نحمده بقرف " أنت دوما مريضة ونحن متحملون .. انظري للكنائن حولك .. الواحدة منهن بطنها منتفخة أمامها وتعمل في الحقل بينما أنت (ومصمصة شفتيها)"

قالت مليكة مقاطعة شاعرة بالألم والإهانة "لا داعي لهذا الحديث من فضلك"

انفجرت نحمده فيها وكأنها تبحث عن مبرر لتنفس فيه غضبها "أنا أتحدث كيفما أشاء .. هذا بيتي والكل يسمع الكلام (واشاحت بيدها

تضيف بتعال) هيا إلى الداخل يا ست الهوانم لدينا عملا كثيرا"

"ما مشكلتك معها بالضبط ولماذا تحدثينها بهذه الطريقة المهينة ؟!!!"

قالها أدهم عابسا بعد أن ترك حقيبته المدرسية على الباب ووقف أمام مليكة يواجه جدته بعينين تشعان بالغضب فهتفت نحمده بلهجة صارمة "اخرس ولا تدخل نفسك في أحاديث الكبار"

قال أدهم بإصرار وغضب "بل سأتدخل فليس من حقك أن تحديثها بهذه الطريقة"

خشيت مليكة من تأزم الوضع فربتت على ظهره تقول بهدوء "اسكت يا أدهم واصعد للأعلى"

أطلقت نحمده صوتا ساخرا من حنجرتها وقالت بلهجة متهكمة " لماذا؟ .. اتركيه ليريني تربيتك الرائعة المحترمة له .. (وأكملت بتقريع

وغل) ما فائدتك في حياة ابني لا أفهم؟.. حتى الولدين لست بقادرة على تربيتهما تربية سليمة"

(ما فائدتك)

سؤال ألقى بالملح فوق جرحها فقالت باعتراض "أنا لا أسمح لك بالذم في أخلاق أبنائي أبدا" قالتها بصوت خرج متحشرجا مرتجفا آلم قلب أدهم و إياد فأسرع الأخير بالابتعاد عن الباب وقد انهمرت دموعه لا يفهم لماذا تتصرف جدته دوما بهذه الطريقة البشعة مع أمه فأخرج الهاتف من جيبه واسرع بالاتصال بمفرح الذي رد عليه قائلا" نعم إياد هل نسيت شيئا في السيارة؟"

انفجر إياد بالبكاء رغما عنه .. كان مشحونا بمشاعر سلبية متراكمة تخص هذا الموضوع بالذات وقد وصل لنقطة انفجار فقال مفرح بفزع "إياد ماذا هناك .. إياد"

غمغم إياد غير قادر على التوقف عن البكاء "لماذا تتركها تتلقى الإهانات من جدتي .. لماذا لا تدافع عنها .. ألم تقل لنا منذ قليل أننا ندافع عمن يخصوننا .. أليست تخصك .. أليست تخصك "

قالها وأغلق الخط ثم جلس على عقبيه يبكي ..فأسرع مفرح يترجل من السيارة التي لم تكن قد تحركت بعدما وقف يسلم على أحدهم.

في الداخل هتف أدهم يقول لجدته وهو مصر على عدم التقهقر من أمامها "أمي تربينا أحسن تربية"

قالت مليكة ببعض التوسل لا تحب أن يتواجه ابنها مع جدته بسببها " اذهب يا أدهم بالله عليك عيب هذا الكلام"

استدار إليها يقول بغضب "إن كان أبي يقبل بهذه المعاملة لك فأنا لن أقبل بها أبدا"

صوت ساخر أخر خرج من حنجرة نحمده ثم قالت لمليكة "مَثّلي يا حبيبتي .. تصنعي الترفع والتحضر .. هذا اللؤم وهذه المسكنة أعرفها جيدا"

تدخلت فايزة بعد أن شعرت بأن الأمر يخرج عن السيطرة فأمسكت بذراع أمها تقول بصوت خافت "أمي يكفي هذا الولد واقف وقد يصل الأمر لمفرح "

نزعت ذراعها من يد ابنتها وهتفت بضيق شديد "اتركيني يا فايزة .. اتركيني في حالي المائل من دون الحموات"

في تلك الأثناء دخل مفرح لساحة بيت العمدة مسرعا فوجد إياد يقف في الشرفة العالية فتوجه إليه فورا يصعد الدرجات القليلة ويسأله بهلع "ماذا هناك يا إياد؟"

قبل أن يجيب كان صوت الشجار من الداخل يأتيه فاستدار عابسا وتحرك نحو الباب

الداخلي للشرفة يقطع غرفة داخلية ثم ممرا حتى وصل لباب إحدى الغرفة وتسمر مكانه وهو يسمع مليكة تقول بصوت مجهد " لماذا كل هذا لا أفهم؟"

ضربت نحمده كفيها ببعضهما ثم فردتهما في الهواء تصيح بغضب " بسبب الحال المائل الذي نحن فيه .. بسبب الخيبة الثقيلة التي بلانا الله بها حينما ابتلانا بك في حياة ابني "

الجملة ضربت في صدر مفرح كالرصاصة فتجمد مصدوما ولسبب ما لا يعرفه وقف يتابع الأمر وكلمة ولده ترن في أذنه (لماذا تتركها تتلقى الإهانات من جدتي .. لماذا لا تدافع عنها) فتقبض ووقف يراقب من بعيد ليفهم ما هو غائب عنه .

كان بينه وبين المشهد غرفة يستعملونها كمطبخ كبير .. غرفة لها بابان يقف هو على باب بينما يرى أمام الباب الأخر أمه واخته في

مواجهة زوجته وابنه الذي أطلق الرصاصة التالية في صدر مفرح حينما هتف بعصبية في جدته "لو سمحت يا جدتي أنا لن أقبل بأن تعاملينها بهذه الطريقة المهينة ..لماذا تفعلين ذلك دوما؟؟.. ماذا فعلت لك لتستحق التقريع والتوبيخ ومصمصة الشفاه في الغدوة والروحة ...ألا يكفي بأنها تقبل أن تعمل بيديها ولديها في السرايا خدما لا يتركونها تحمل كوبا من فوق منضدة !"

هتفت نحمده بلهجة غاضبة وهي تغلق قبضتها في الهواء حتى تلجم رغبة بداخلها لصفعه "قلت لك لا تتدخل في كلام الكبار يا أدهم "

صرخ أدهم بغضب ممزوج بالقهر والرغبة في البكاء وهو يطلق رصاصة ثالثة في صدر مفرح " الكبار ظالمون وأنت ظالمة"

همت نحمده بالانقضاض عليه والشرر يتطاير في عينيها فأسرعت مليكة بسحبه من أمامها وابعاده وهي تقول بلهجة حازمة "اسكت يا أدهم ..هيا إلى أعلى"

دفعته نحو السلم وقالت بحزم أكبر "إلى أعلى قلت"

وقف أدهم جانب السلم يحدج جدته بغضب شديد بينما قالت نحمده بلهجة ساخرة متهكمة "اتركيه يا حبيبتي ليريني التربية المحترمة التي ربيتيها له"

قالت مليكة بلهجة باردة ولكنها حادة "من فضلك يا حاجة نحمدو دعينا ننهي هذا الأمر ماذا تريدين.. إلا أن أخرج طبقا من النيش خاصتي كما طلبت فهذا الطقم غالي عليّ لأنه هدية من أخي "

قالت أم سعيد من الغرفة بصوت خافت سمعه مفرح" لا حول ولا قوة إلا بالله !..

أخبري الحاجة بشأن الطيور يا تماضر لعلها ترحمنا من تعب الأعصاب هذا"
تحرك مفرح خطوة واحدة جانبا حتى لا تراه تماضر وهي تتحرك نحو الباب الأخر ثم عاد يشاهد طريقة أمه ووقوف اخته وعلى وجهها تعبيرا متسليا صدمه صدمة شديدة بينما قالت تماضر بارتباك " لا تؤاخذيني يا حاجة .. لقد ذبحت الطيور وتركتها كما طلبت وأخشى أن رائحتها ..."
قاطعتها نحمده تقول " اتركيها عندك ..
(ونظرت لمليكة تضيف بلهجة مستهزئة)
الست هانم ستنتف ريشها وتنظفها"
غمغمت تماضر باندهاش" من؟!!!"
بينما بهتت مليكة وناظرت حماتها متسعة العينين لتقول الأخيرة بتسلط "اذهبي قلت واتركيها .. (وقالت لمليكة تشيح بيدها بلهجة

متعالية) وأنت هيا أمامنا يوم طويل أريد أن أرسل الموسم* لمهجة اليوم"
أدارت تماضر وجهها فابتعد مفرح عن الباب الأخر قليلا حتى لا تلمحه وكأنه لم يكتفي بعد من المشاهدة ..ورآها تمسح دمعة وترفع سبابتها إلى السماء وكأنها تدعوا على والدته ..
ثم اختفت في الغرفة لتفسح مجال الرؤية له وسؤال واحد يلح في ذهنه ويجبره على التماسك في محاولة لإيجاد إجابة له .
إن كانت أمه تتنمر على مليكة منذ مدة كما فهم من كلام ولديه.. فلمَ ترضى هي بذلك؟.. ولماذا لم تخبره؟!!
قالت مليكة بعدم استيعاب "لم أفهم"
ردت نحمده بلهجة ساخرة" ما الذي لم تفهميه يا حبة عيني.. الطيور ذُبحت .. نظفيها

* الموسم : عادة في بعض مناطق الريف بإرسال الأهل هدايا من الطعام أو الحلوى لبناتهم المتزوجات وعادة ما ترتبط بمناسبات دينية مثل بداية شهر رمضان و ليلة الاسراء والمعراج وغيرها.

من الريش وأخرجي أحشائها.. أم أنهم لم يعلموك ذلك في بيت بباه الباشا !!"
قالت مليكة باستنكار شديد " ماذا ؟! ألا توجد خادمات ؟!!"
رفعت نحمده ذقنها وقالت وهي تعقد كفيها تحت صدرها "لا .. أنا لا أريد لشخص غريب عن البيت أن يلمس الطيور التي سأرسلها لابنتي ..هيا الطيور ستصبح رائحتها كريهة .."
هتف أدهم من جديد مستنكرا " ولماذا لا تفعلها عمتي فايزة أليست من أهل البيت؟
..(واستدار لأمه يقول) إياك أن تفعلي هذا يا أمي"
هتفت نحمده" قلت أخرس أنت .. عمتك فايزة موظفة كبيرة وخرجت من شغلها بعد يوم طويل (ونظرت لمليكة الواقفة تحدق فيها بجمود) هيا أرينا همتك وافعلي شيئا مفيدا في هذا البيت"

ساد صمت ثقيل بينما مليكة تتطلع في نحمده وعلى وجهها تعبيرا غير مفهوم .. فشعرت الأخيرة بأنها قد بالغت هذه المرة .. ولوهلة خافت من أن يصل الأمر لمفرح لكنها لم ترغب في التراجع .. وجاءها شعور بأن مليكة ستخضع ككل مرة .. بينما وقفت فايزة تراقب .. واستعد مفرح للحصول على إجابة على سؤاله.

أما مليكة فكان صوت بداخلها يخبرها بتقريع (أنت تستحقين هذا الاذلال .. وأكثر .. لعله يكفر عن ذنبك).

سيطرت عليها القوة السوداء وملأت رأسها برغبة في تحقير الذات .. فتحركت أمام ملامح نحمده السعيدة المنتصرة ونظرات أدهم وفايزة وقبلهم مفرح المذهولة لتدخل الغرفة بهدوء شديد.

دخولها الهادئ للغرفة وانصياعها كان كرصاصة أخرى ضربت في قلبه .. رصاصة حارقة مؤلمة

بشدة.. تلقاها وهوي ينتحى جانبا ويستند على الجدار بعينين متسعتين متشبثا بالجدار وكأن ما يحدث أقوى من تحمله ..

لا يصدق أبدا ما رآه.

إن كان مصدوما في أمه وفيما بدر منها فما رآه من خضوع مليكة لها يكاد أن يذهب عقله.

مليكة !!

المرأة القوية حتى في أسوا لحظات ضعفها !

مليكة !!

المرأة التي تعلم منها الصبر والجلد مع الابتلاءات!

مليكة !!

ذات الكبرياء والكرامة ..بنت الحسب والنسب!

مليكة !!

زوجة ابن العمدة وحفيدة الباشا!

لماذا تفعل ذلك ؟

لماذا ترضى بذلك ؟

ما الذي يجبرها ؟
هل فقدت عقلها ؟؟!
وصل الغضب إلى ذروته في صدره وانفجر كالبراكين في رأسه فتحرك نحو الباب ليتفاجأ بالرصاصة ألتي أصابته في مقتل ..أصابته في صميم كرامته حينما وجدها تجلس على كرسي خشبي منخفض على الأرض تلملم عباءتها ..الفاخرة .. بين ساقيها وبجوارها وعاء به ماء ساخن وإناء أخر بلاستيكي به ماء بارد بينما أمامها (طِشْت) من الألومينيوم يحتوي على الطيور المذبوحة .. ورأى تغضُن ملامحها واشمئزازها من رائحة الدجاجة التي انتهت من نزع ريشها وهمت بفتح بطنها لإخراج الأحشاء.
لمحه أدهم الذي اقترب من الغرفة بينما جدته وعمته خلفه مباشرة تتبادلان الهمس المتهكم فشهق أدهم قائلا" أبي!!!!"

لم يشح مفرح نظراته عن مليكة التي رفعت رأسها لتتفاجأ به وشحب لونها في الوقت الذي صدرت شهقات متتابعة من المساعدتين ثم من فايزة على باب الغرفة.

ظل مفرح متسمرا يناظر مليكة بصدمة..

ما يحدث أكبر من استيعابه ..

أكبر من قدرته على التصديق ...

أكبر من الذهول نفسه .

فأحست مليكة بالخزي .. وكأن دلوا من الماء قد سُكب فوق رأسها لتفيق مما تفعل بنفسها ..

أن يراها مفرح بهذا الشكل المزري كان أكبر من قدرتها على التحمل فشعرت بهبوط مفاجئ في القلب جعلها لم تقدر حتى على النهوض من جلستها ..

تمنت أن تنشق الأرض وتبتلعها ..

وتمنت أن تطلق ساقيها للريح وتهرب بعيدا
..بعيدا إلى أرض لا يعرفها فيها أحد ..
تمنت أي شيء إلا أن ترى تلك النظرة المرتعبة
على وجه مفرح ..وصدره الذي يعلو ويهبط
بسرعة قبل أن يسألها بصوت مبحوح خطر
وكأنه يخرج من الجحيم "ماذا تفعلين؟"
لم تجد ما ترد به بل ظلت تحدق فيه بذهول
..فصرخ فجأة بصوت جهوري أرعب الواقفين
"ماذا تفعلين يا بنت الصوالحة؟؟؟"
بصوت هارب منها حاولت التبرير ..لم يكن
تبريرا لنفسها بقدر ما كان شفقة على حالته
فقالت بحشرجة "م م مهجة .. والموسم ..
وتريد أن أطبخ لها بنفسي ....آآآآآآآآه"
أطلقت صرخة مرتعبة حينما ضرب وعاء الماء
البارد من أمامها بقدمه فاصطدم بالطشت
وانسكب ما فيه محدثا هرجا ومرجا ثم مال

يقبض على ذراعها هادرا بلهجة مخيفة
"انهضي"
انتحى أدهم برعب شديد وابتعد عن باب الغرفة بينما مفرح يجر مليكة ليخرجها من الباب المؤدي لبهو البيت مارا بوالدته وأخته الواقفتين في ذهول وقد انعقد لسانهما من المفاجأة وعقل كل منهما يعمل بسرعة ليجد مخرجا .
دفعها مفرح بقوة ناحية السلم فكادت أن تقع وهو يقول "إلى الأعلى فورا"
اسرع أدهم وإياد الذي دخل على صوت أبيه من باب البيت الرئيسي بالإمساك بها بينما ظلت مليكة تتطلع فيه لا تجد ما تقوله ليهدر مفرح وهو يميل برأسه للأمام فلاحت عروقه المنتفخة على جانبي رقبته "قلت إلى أعلى يا مليكة ..لن أزيد حرفا أخر ..هذا أمر"

ثم نظر لولديه يمسك بملابس أدهم الواقف على يسارها ويدفعه بخشونة قائلا "وأنت وأخاك اصعدا فورا"

تحرك إياد يسحب أدهم وأسرعا يصعدان السلم خلف مليكة التي تصعد ببطء فاقترب مفرح من باب البيت وضربه بعنف يغلقه ثم استدار ليواجه أمه وأخته .

كانت الاثنتان مرعوبتين بشدة لكن نحمده أولته وجها جامدا وهي تهرب بنظراتها بعيدا حتى لا تواجه.. فساد الصمت لثوان ومفرح يتطلع في وجه الاثنتين والدماء تغلي في رأسه بينما الشياطين تتراقص حوله في رقصة تسخر منه.

فجأة هدر بصوت جهوري رج أركان المكان فانتفضتا "تماضر"

اسرعت إليه الأخيرة مهرولة تقفز كأرنب مذعور لتخرج من الغرفة تقول بتأتأة وقلبها على وشك التوقف" أمـ أمرك يا مفرح بيك "

دون أن ينظر نحوها قال وعيناه مثبتتان على وجه أمه" ما وظيفتك هنا ؟"

تأتأت الأخيرة وقالت " أأأأأنا ؟ .. (ونظرت نظرة سريعة لنحمده ثم عادت إليه تقول) أأأأأنا اساعد في شغل البيت"

حرك نظراته إليها يسألها بلهجة خطرة "تساعدين من؟ .. لماذا أنت هنا؟.. انطقي؟"

نطقت بتلعثم "أساعد الست مليكة"

في لمح البصر كان قد قطع المسافة الصغيرة بينه وبينها ليقبض على ذراعها هادرا بزئير مرعب في وجهها "وهل كنت تساعدينها منذ لحظات !!"

ردت وهي تنتفض من الخوف " الحا .. الحاجة والست مليكة هما من توجهاني ماذا أفعل "

ترك ذراعها وقال بلهجة صارمة " اذهبي من أمامي ...لا أريد مخلوقا في هذا المنزل من الخادمات "

نظرت لنحمده بنظرة مستنجدة وعادت إليه تقول باستعطاف باكٍ " يا بيك ليس لي ذنبا والله العظيم "

هدر بقوة " اذهبيييييي"

تحركت المرأة بسرعة وخرجت هي وأم سعيد من الباب الأخر المؤدي للشرفة بينما عاد مفرح بأنظاره لأمه وأخته بوجهه المخيف .

كان ما يحاول السيطرة عليه عظيم ..ومؤلم بشدة .. بينما عقله يحاول التحكم في انفعالاته بقوة جبارة.. يحذره من ارتكاب جرائم أخلاقية ودينية .. فرفع يديه إلى رأسه يمسك بشعره للخلف بقوة وظل على هذه الهيئة لثوان يحدق في أمه التي تهيأ لها بأنه يعاني من أعراض ذبحة صدرية .

قطع مفرح الصمت قائلا بلهجة متألمة متحشرجة" ذبحت ولدك يا أمي ! .. تطعنينه طوال هذه السنين في ظهره .. تهدرين كرامته وكرامة أهل بيته دون علمه .. تؤذينه في أعز من يملك "

خرج العمدة من إحدى الغرف الداخلية يتطلع في الجميع باندهاش فبلعت نحمده ريقها وقد ازداد شعورها بالرعب بينما فايزة التي كانت تنكمش بجوار أمها ازدادت انكماشا.

أجلت نحمده صوتها تقول بتأتأة" أأأأنا لا أفهم مم ما الذي تقصده بالضبط .. هي .. هي من أصرت .. أليس كذلك يا فايزة؟ هي من قالت بأنها لا تثق في نظافة الخادمات وقامت بذلك من نفسها اممم .. لقد حاولنا إثنائها .. لكنها أصرت (ولكزت ابنتها لتتدخل وتنقذها) أليس كذلك يا فايزة؟"

ردت فايزة وهي تمرر النظرات بين أخيها ووالدها" أأأأأأجل يا أمي هي من طلبت " "اخرسيييييييي"

قالها وهو يضرب بيده ظهر المقعد الذي يقف بجواره فتحرك المقعد في اتجاه أخته وتوقف على بعد خطوات منها لتطلق فايزة صرخة مفزوعة وهي تمسك في أمها .. بينما أكمل مفرح قائلا وصدره يعلو ويهبط بانفعال شديد "أنا أتابع المشهد من أوله (وواجه والدته قائلا) ماذا تريدين؟ .. أو .. ماذا تتوقعين مني أن أفعل حينما أعلم بأنك تستغفليني وتعاملين زوجتي بهذه الطريقة!.. (وصاح بقهر شديد) لماذا أنت مصرة على اتعاسي وكسر هامتي"

ظل العمدة يتطلع في الجميع في محاولة للفهم بينما أكمل مفرح بتساؤل خرج بحسرة شديدة "أهذا وعدك لي يا حاجة؟ ..أهذا ما اتفقنا عليه؟.. ألم تعديني بأنك ستحترمين من أحب

؟..(ونظر لوالديه قائلا) ألا يكفيكما ما قدمته من أجل أن أحصل على مليكة ؟.. (وعاد لأمه يقول بمرارة) هل كثير عليّ في نظرك أن أعيش مع زوجتي وأولادي في سلام فتحاولين تخريب حياتي باستماتة ؟.. هل كثير على ابنك أن يعيش مع المرأة التي يحبها ؟!! "

هدر العمدة بعبوس" ماذا فعلت يا نحمدو ما الذي حدث ؟"

علا صوت مفرح وصاح بانفعال مجيبا "الذي حدث يا حضرة العمدة أن أمي (وضرب على صدره بقوة) أمي تهدر كرامتي وكرامة أهل بيتي يوميا من خلف ظهري .. أمي تستغل صبر مليكة لتوكل لها مهاما لا تليق بها .. لا تليق ببنت الصوالحة يا أبي.. بنت الصوالحة التي وعدت أهلها بأن أحملها فوق رأسي"

انفجرت نحمده باستفزاز مرددة " بنت الصوالحة بنت الصوالحة .. كلما تتحدث تقول

بنت الصوالحة !.. هل سيأكلوننا الصوالحة ..
لا يا حبيب أمك نحن لا نخاف من أحد "
رد مفرح بلهجة صارمة أخرستها " أجل بنت
الصوالحة .. زوجتي .. زوجة ابن العمدة
..(وأضاف يتحدث بلهجة تفهمها) أنا لن أقول
لك بأنك قد أهدرت كرامتي .. لن أقول بأنك
فضحتني أمام الخدم يا حاجة نحمدو .. لن
أقول صغرتني أمام أولادي ..ولن أقول بأنك
دعست على قلبي بقدمك وأنت تعلمين مكانة
مليكة بالنسبة لي وتدركينها جيدا .. لكني
سأقول لك الناس .. أهل البلدة الذين يهمونك
(قالها وهو يضغط على كل حرف) حينما
يعرفون أن كنة بيت العمدة .. وزوجة العمدة
المستقبلي تعامل بما لا يليق بها ولا بمكانة
(الخروف) الذي تزوجت منه ستكون
الفضيحة لنا جميعا .. وإن وصل الخبر
للصوالحة .. ستعود الحروب بين العائلتين من

جديد .. ووقتها لن نستطيع أن نرفع أعيننا في أعين أهل البلدة ونحن المخطئون ..(وأضاف وهو ينظر لوالده) هذا بالإضافة لأنها سبة في حق عمدة البلدة المستقبلي يا حاج أليس كذلك ؟.. حينما يكتشفون بأنه (خروف) وليس رجلا له كرامة في بيته"

انفعل العمدة وصاح في زوجته بغضب "ما هذا الكلام يا نحمدو؟"

أسرعت الأخيرة تدافع عن نفسها قائلة "وماذا طلبت منها أكثر مما يطلب من كنة أي بيت؟؟!"

هدر مفرح يرفع سبابته في وجهها قائلا "بنت الصوالحة تأمر الخدم فتطاع يا أمي .. بنت الصوالحة التي تُخدَم في بيت أهلها "

ساد صمت مترقب من الجميع ليضيف مفرح وهو يهز رأسه يقول بعزم " عموما منذ هذه اللحظة أمور كثيرة ستتغير "

سأله والده بقلق " ماذا تعني؟"
رد مفرح بلهجة قاطعة " أعني بأني لن أبقى في هذا البيت بعد الآن .. والليلة سنبيت أنا وزوجتي وأولادي في شقتي بالعاصمة "
قالها واستدار نحو السلم فراقبه العمدة بوجه شاحب وهو يصعد ثم استدار لزوجته يصيح فيها بغضب شديد وهو يشيح بعصاه التي يتوكأ عليها يضربها بها "ماذا فعلت يا بنت **** هل رأيت إلى أين أوصلتنا غيرة الحريم .. الولد الذي لا نملك غيره سيتركنا ويرحل"
تلقت نحمده الضربات بالعصا على جسدها متألمة تحاول الابتعاد عنه بينما فايزة تحاول التدخل لتبعد العصا عن والدتها قبل أن يسمع مفرح صرخة أمه وأخته في آن واحد فتجمد لثوان ثم استدار ينزل مهرولا على السلم ليجد والده قد مال للأمام يمسك بصدره أحمر الوجه .

لتصرخ فايزة بعد ثوان" أبيييييي"

بعد ساعة

سلم الطبيب على مفرح وهو يطمئنه قائلا "أرجو الالتزام بالأدوية وعدم تعريضه للانفعال (واستدار لعبد الرحيم قائلا) سلامتك يا حضرة العمدة"

نادى العمدة على ولده بصوت واهن "مفرح"

رد باقتضاب وهو يتحرك مع الطبيب "سأعود إليك يا عمدة"

أوصل مفرح الطبيب حتى الباب ثم عاد للغرفة بملامح متجهمة .. يطحن ضروسه .

لقد وصل تحمله لأقصى مدى.. ويشعر بأنه يبتز عاطفيا من الجميع .. ولا أحد يشعر به.

تطلع عند دخوله في والدته التي تتطلع فيه بملامح جامدة وتجاهل وجود فايزة في ركن من الغرفة ثم اقترب من والده يقول بصوت مبحوح" ألف لا بأس عليك يا حضرة العمدة"

أمسك عبد الرحيم بيد ولده بكلتا يديه يقول بلهجة مترجية ضغطت على أعصاب مفرح أكثر من قدرته على الاحتمال "حلفتك بالله يا ولدي لا تغادر بزوجتك وأولادك إلى العاصمة "

قال مفرح بانفعال "يا أبي سأكون هنا أعدك عدة أيام كل الأسبوع .. إن أردت سأتفق معك على أيام معينة من كل أسبوع أكون فيها هنا وسأفعل .. لا تقلق "

قال العمدة متشبثا به بشكل محزن " لا لا .. إن أخذت زوجتك وأولادك لن تعود .. ستتحجج بأشياء كثيرة وستبلعك العاصمة في جوفها "

قال مفرح بلهجة صادقة " يا حاج صدقني وعد شرف مني "

قاطعه العمدة يقول بلهجة مترجية "حلفتك بالله يا ولدي .. لا أريد لأهل البلدة أن يشعروا بأنك تعيش بعيدا عنهم بينما مصطفى ..."

غمغم مفرح يوشك على الانهيار " لا حول ولا قوة الا بالله!"
بلع العمدة ما كان سيقوله وقال لولده بإلحاح " ابق ولك ما تريد"
زفر مفرح يغمض عينيه يهرب من نظرات والده المتوسلة لثوان ورغم أن مشاعره لحظتها كانت كارهة لكل شيء إلا أن أخلاقه وعقيدته ظلوا يحذرونه من ذنب العقوق .. فتقبض بقوة لعدة ثوان بينما العيون معلقة عليه ليفتح عينيه بعدها ويقول مرغما وكأنه يصارع الموت مع كل حرف ينطقه "سأبقى بشرط واحد ولن اتنازل عنه"
قال العمدة بلهفة " لك ما تشاء"
قال مفرح بلهجة قاطعة " الانفصال التام بين شقتي وبيت العمدة .. باب الشقة الحالي سيغلق .. وسأفتح الباب الأخر الذي يطل على

السلم الخلفي الذي ينزل على ساحة البيت الخارجية "

أسرع العمدة بالقول" موافق "

نظر مفرح لأمه يقول بلهجة قاطعة "زوجتي لن تنزل لبيت العمدة إلا في المناسبات .. وذلك فقط للحفاظ على شكلنا أمام أهل البلدة وستدخل من باب البيت الخارجي .."

ناظرته نحمده بغضب ممزوج بالحسرة والشعور بالقهر .. حسرة على ولدها الوحيد الذي ضاع منها بسبب ما تعتقده بأنه قد عُقد له عملا سحريا سفليا جعله خاضع لبنت الصوالحة .. وفي تلك اللحظة بالذات أدركت بأنها قد فقدته للأبد بينما سألها مفرح " كم خادمة تريدين يا أمي؟ .. هل سيكفيك أربع خادمات أخريات مع أم سعيد؟؟ عشر ؟.. عشرون؟؟... أطلبي وأنا سآتيك بكل ما تريدين ..(و سحب نفسا عميقا يهدئ من النار التي

تتقد في صدره كجمرة ضخمة متوهجة من الانفعال المكبوت وأضاف) تماضر ستصعد للدور العلوي تخدم مليكة ..سيدة بيت العمدة .. تماضر .. ستتلقى الأوامر من مليكة فقط ..وأنت يا أمي سأحضر لك أربع خادمات بشكل مبدئي ..وإن أردت المزيد أمرك مطاع (وسأل بلهجة مرة) هل لك أوامر أخرى يا حاجة نحمدو ؟"

ردت بقرف وهي تطالعه بغيظ شديد "وهل بعد ما قلته.. لي أمر مطاع ؟!"

تقبض بقوة ورد بهدوء بقدر استطاعته "أمرك يا حاجة نحمده فوق رأسي أنا وحدي .. ولا يسري على زوجتي .. وفيما هو بعيد عن خصوصية بيتي ..(ثم نظر لأخته يشير بإصبعه قائلا بقرف) أما أنت .. فما بيني وبينك هو ما يحافظ على صلة الرحم فقط .. غير ذلك فأنت انتهيت بالنسبة لي "

هتفت فايزة بانفعال" وماذا فعلت أنا؟؟!!"
هجم عليها يمسك بذراعها بقوة وكأنه يبحث عمن يصلح لأن ينفس فيه غضبه وقال من بين أسنانه "لا تعرفين ماذا فعلت يا كبيرة يا بنت المدراس؟! .. لا تعرفين ماذا فعلت أيتها الموظفة ذات الشأن!.. لم أجد منك أي تدخل وأنت ترين ما يحدث مع زوجة أخيك .. لم أرك إلا مستمتعة بما يحدث .. يا خيبة أملي فيك يا فايزة يا خيبة أملي فيكم كلكم.."
ترك ذراعها فأمسكته متألمة وهي تناظره بغيظ ثم هتفت بعد أن خرج وصفع الباب خلفه بقوة "هل سيقاطع أخته من أجل السنيورة خاصته!!"
بقهر وحسرة شديدة غمغمت نحمده بولولة وهي تضرب على فخذيها" حسبي الله فيك يا بنت الصوالحة .. حسبي الله فيك يا من سرقت

عقل ابني وحيدي وحرقت دمي .. فليريني الله فيك يوما أسودا حتى نتخلص منك "
هتف العمدة بصوت أوشك أن تخرج معه روحه "اخرسي يا امرأة وارحمينا من غيرة النساء هذه.. وإلا قسما عظما لن يشفع لك عندي سنك وسأضربك حتى تكفي عن حماقاتك "

xxxx

في الدور العلوي بعد دقائق فتح مفرح الباب فتوترت مليكة في جلستها في الصالة في انتظاره ..

تعلم بأن المواجهة بينهما حتمية وبأنها أغضبته وخذلته وبأنها مثيرة للشفقة .. أما أدهم وإياد فأسرعا بحركة حمائية عفوية للجلوس بجوار أمهما بترقب ونظرات متخوفة مما سيفعل والدهما ليأتيهما صوت مفرح

الغاضب رغم هدوءه" انزلا إلى الطابق الأرضي
"

ظل أدهم مكانه يفكر بينما وقف إياد ثم عاد وجلس بسرعة بتردد فهدر مفرح فيهما "قلت إلى الطابق الأرضي"

انتفض الولدان يقفان وغلبهما الخوف فتحركا يتركان مليكة لكن قلبيهما كانا متشبثان بأمهما بقوة فتابعهما مفرح يتحركان نحو الباب وعنقيهما عكس اتجاه جسديهما ثم أغلق الباب خلفهما بنفسه فوقفا بجوار الباب غير قادريّن على الابتعاد .

أما مفرح فعاد إليها يقف أمامها بينما وقفت هي تتطلع فيه برهبة فسألها بغضب وعيناه كجمرتين من نار " لماذا؟.. اخبريني لماذا قبلت بذلك ؟.. (وعلا صوته هادرا) عن أي ذنب تكفرين بقبولك مالا يليق بك ؟.. (وضرب على صدره بقوة فتألم صدر مليكة) عن ذنب

زواجك بي؟!! .. تكفرين عن ذنب زواجك بي يا مليكة ؟!!"

اسرعت تقول بلهجة باكية وهي تشعر بقلق شديد عليه "مفرح أرجوك .. أتوسل إليك اهدأ"

هدر فيها باستنكار " اهدأ كيف وأنت قد قبلت على نفسك وعليّ الإهانة؟!! .. اهدأ كيف وأنا لم أحظ عندك بقيمة طبق من أطباقك الغالية في هذا النيش "

قالها مشيرا على النيش بجواره فاتسعت عيناها ليضيف بلهجة مُرة " لقد دافعت عن الطبق يا مليكة وأنا ..(ضرب على صدره) أنا قبلت لي بالإهانة"

أسرعت تقول بلهجة صادقة " أنا فعلت كل هذا من أجلك أنت .. رضيت بكل هذا من أجلك .. لم أرغب في أن أدخلك في دائرة شكاوى (عالم الحريم) ومشاكلهن .. أردت

دوما أن استحق ما ضحيت به أنت من أجل الارتباط بي .. أردت أن يتحدث الجميع حتى والدتك التي تكرهني بأني أليق بأن أكون كنة بيت العمدة .. (وأضافت بلهجة باكية) أنت أولا وأخيرا نقطة ضعفي يا مفرح .. أنت .. "

هدر فيها بقوة "لا تحاولي التبرير وخلق الأعذار الواهية"

قالت بلهجة باكية "هذه هي الحقيقة "

رد يقارعها " حقيقة مشوهة معوجة تبررينها لنفسك .. وتعلمين جيدا ما الذي أقصده "

كانت عروق رقبته نافرة بشكل أخافها عليه بشدة ووجهه كان مكفهرا بينما صدره يعلو ويهبط بانفعال فقالت بلهجة متوسلة

"أرجوك اهدأ أرجوك"

طريقتها أثارت عاطفته واستفز هذا الشعور كرامته المجروحة ليهدر بانفعال شديد " لا تطلبي مني أن اهدأ .. "

قالها وهو يمسك بمقعد السفرة ويضرب به النيش بجواره بقوة فصرخت برعب شديد بينما أضاف مفرح مع ضربات أخرى بالكرسي الموجهة للنيش " ولا تبرري .. ولا تختلقي الأعذار يا مليكة "

فزع الولدان من صوت التكسير .. فانهار إياد في البكاء بينما أخذ أدهم يطرق الباب بقوة صائحا" أبي أرجوك"

تماسكت مليكة بقوة حتى لا تفقد وعيها .. فما تمر به كان صعبا.. وحالته الغاضبة أمامها وخوفها عليه وصوت طرقات الولدين على الباب .. كل هذا جاهدت بشدة لتحمله بينما أضاف مفرح وهو يلقي بالكرسي بجوار الأطباق والأكواب التي تهشمت وملأت الأرضية أمام النيش "لقد أذيتني بشدة مثلهم.. تشاركت معهم في أذيتي يا زوجتي العزيزة .. "

صوت بكاء إياد وطرقات أدهم على الباب حرك عاطفة الأبوة بداخله فتحرك وهو يحاول تهدئة نفسه ليفتح قفل الباب ثم وقف بجواره يناظرها وصدره يعلو ويهبط بانفعال.
فُتح الباب ببطء شديد ودخل منه ولداه بحذر ثم وقفا يحدقان في الفوضى العارمة وإياد يكتم شهقات البكاء بيده حتى لا يصدر صوتا فيغضب والده ليقول مفرح بنبرة هادئة مجهدة بشدة مزقت قلبها عليه "هذا الباب لن يفتح مجددا (وأغلقه وأضاف) لن يفتح .. وسندخل ونخرج من الباب الخلفي الموصل لساحة البيت مباشرة .. حياتنا من هذه اللحظة منفصلة تماما عن الطابق الأرضي .. أنت ممنوعة من النزول للأسفل أو مشاركة أي شيء يحدث في بيت العمدة ويكتفى بحضورك للمناسبات التي تخص بيت العمدة وبعد تصريح مني أنا شخصيا ..(صمت قليلا يتنفس

بصوت عال وعيناه مسلطتان عليها من بعيد ثم أضاف) تماضر خادمتك في هذا البيت .. بيت مفرح الزيني وزوجته .. ولن تتلق أوامرها من أي فرد أخر .. هذا الكلام لا رجعة فيه وسينفذ بدقة وإلا العواقب ستكون وخيمة عليكم كلكم.."

قالها وتحرك للناحية الأخرى فمر في طريقه فوق قطع من الأطباق المتكسرة التي أصدرت صوت تحطيم تحت حذائه جعله يستدير نحوها قائلا بتهكم" آسف مليكة هانم على تحطيم نيشك الثمين ..(وظهرت ابتسامة مرة على زاوية شفتيه وأضاف) كنت فقط انتقم من ذلك الطبق الذي اكتشفت بأنه كان أعز مني عندك .. سأرسل لك تماضر لتلملم الفوضى .. يا ... سيدة بيت مفرح الزيني "

قالها وتحرك نحو باب أخر لا يفتح عادة ..
ففتح القفل وأخرج مفاتيحه ليفتحه ثم خرج وصفعه ..
سقطت مليكة على ركبتيها وقد انتهت كل قدرتها على التماسك وانهارت في البكاء ليقترب منها أدهم وإياد الأول يتطلع فيها بألم بينما الثاني يشاركها الانهيار الباكي .. فمدت ذراعها تقرب إياد وتحضنه ثم رفعت رأسها لأدهم تقول بارتعاش من بين دموعها "لا بأس أبوكما غاضب مني .. لكنه لم يؤذني هو فقط عبّر عن غضبه بالتحطيم"
بعد قليل كان مفرح يمسك لجام حصانه بقوة ويحثه على الإسراع وهو ينطلق به بين الحقول الشاسعة لعله يفرغ شحنة الغضب العظيمة المتأججة في داخله ..
وشيء واحد قد عزم عليه ..

مليكة لابد أن تخضع لاستشارة نفسية فورا ..لكن كيف سيجبرها على ذلك وأكرم شقيقها يؤكد له بأنه إن لم يكن لدى المريض رغبة في العلاج فلن يفيد أي شيء.. هذه هي المشكلة التي لابد أن يجد لها حلا.

××××

خرجت بسمة من غرفتها تبحث عنه بعدما أخبرها بأنه قد عاد وينتظرها وتساءلت هل هو في الطابق الأرضي فأتاها الجواب حينما خرج إليها من غرفة الألعاب .

تأملها كامل وقد ارتدت بنطالا من الجينز أزرق اللون مثله.. على قميص حرير من درجات الأزرق الفاتح طويل حتى منتصف فخذيها شعرها مفرود على ظهرها وسواده يجعل لون عينيها المكحلتين مع لون القميص أكثر زرقة وابهارا فسألها "مستعدة؟"

ردت وهي تعلق حقيبتها على كتفها "نعم"

خرج شامل من جناحه يقول" كامل تعال ونس تريد أن تشكرك على الهدايا"
مط كامل شفتيه فقال شامل" هيا يا بني "
أشار كامل لبسمة أن ترافقه فدخلت لغرفة شامل الذي سبقهما إلى الداخل وتطلعت في الغرفة المزينة ببالونات كثيرة من الهليوم بلوني الفضي والوردي الفاتح ملتصقة بالسقف فقالت بسمة لونس الجالسة على السرير يغطي الغطاء الصيفي نصف جسدها" كيف حالك اليوم يا ونس؟"
اتسعت ابتسامة ونس وهزت رأسها ثم نظرت لكامل الواقف على باب الغرفة يرتكن بكتفه على الباب وأشارت للبالونات بفرحة ثم لعروس قماش ضخمة على حجرها شعرها من الخيوط الخضراء فحضنتها بسعادة وهي ترسل له بسبابتيها وابهاميها قلب.

تفاجأت بسمة ومررت عينيها بين الهدايا وبين كامل بينما قال الأخير بامتعاض" هذا القلب ترسليه لشامل وليس لي .. ثم أني قلت لهذا الزفت بأن الهدايا ليست لك وإنما لابن أخي القادم في الطريق "

اتسعت ابتسامة ونس وهي تعرف بأنه يكذب بينما ابتسمت بسمة تتطلع فيه وهو يتصنع الفظاظة ..ليعتدل الأخير في وقفته ويقول "هيا يا باسمة تأخرنا "

قالها وتحرك مغادرا فحيتهما بسمة واسرعت بالهرولة خلفه كطفلة صغيرة متحمسة.

أغلق شامل الباب خلفهما ثم اقترب منها ليجلس بجوارها على السرير وسألها" هل عاودك المغص اليوم؟"

هزت رأسها نافية فغمغم" الحمد لله..(ثم سألها)هل أرسلت لوالدك اليوم؟ .. لا أريده أن يقلق فيفكر بالمجيئ فلا نريد أن نقلقه كما

اتفقنا .. سنخبره بالخبر حينما نتأكد من ثبوت الحمل"

هزت ونس رأسها وأمسكت بهاتفها تكتب له" لا تقلق رغم أنه يشعر بشيء غريب لأنه سألني أكثر من مرة هل أنت بخير .. هل أنت مريضة وحينما سألته لماذا تسأل فيرد فقط أحس بذلك "

ابتسم شامل فكتبت تسأله "هل تعتقد بأن الحمل سيكتمل؟"

فرد ذراعه على كتفيها وضمها إليه لتنام على صدره قائلا" كل شيء نصيب ونوس "

عادت تكتب على الهاتف ثم رفعت وجهها إليه " لكني أعرف بأنك تحب الأطفال"

أنزل نظراته نحوها يقرأ ورد بصوت أجش "أحبك أنت أكثر .. وكما قالت أمي العمر أمامنا طويل بإذن الله"

اتسعت ابتسامتها ثم ناظرته بتردد قبل أن تنزل نظراتها للهاتف في حجرها .
شعر شامل بأنها مترددة فصمت مترقبا قبل أن تكتب "شامل أنا أشعر بالخوف .. لا أعرف كيف أكون أما جيدة"
كتبتها ثم رفعت رأسها لتتطلع فيه تنتظر اجابة مطمئنة منه فشعر شامل بالتأثر وقال بلهجة حانية مشجعا " حبيبتي كلنا بجوارك .. أنا موجود وأمي .. ومعنا في البيت بسمة وكامل وأبي .. كلنا معك وسنساعدك .."
بدأ الاطمئنان يتسلل إلى ملامحها فأضاف شامل "كما أن جنيتي الشقية تتعلم جيدا .. ما رأيك أنا وأنت نسلي وقتنا خلال فترة الحمل بمشاهدة أفلام عن تربية الأطفال؟"
هزت رأسها موافقة وقد زينت الابتسامة شفتيها وعينيها .. فمال شامل يقول بصوت

متهدج "السؤال المهم متى سنعود للبوح بالأسرار جنيتي فأنا مشتاق بشدة"
امسكت بصدر قميصه تعض على شفتها وملامح الخجل تعلو وجهها فمال شامل يطبق على شفتيها بقبلة مشتاقة تجاوبت معها ونس بكل حواسها .. ليقول هو بمجرد أن أطلق سراح شفتيها" ضروري جدا أن نسأل الطبيبة في الزيارة القادمة لأني لن أتحمل هذا كثيرا " قالها وهو يميل بها على السرير هامسا وهو يعبث في ملابسها" فلنجعله نصف سر مؤقتا" قالها وهو يطبع قبلات حارة على عنقها تخبرها بمدى شوقه إليها .

xxxx

في السيارة تطلعت بسمة لكامل الذي تملأ رائحة عطره المكان حولها وسألته "إلى أين سنذهب؟ "

قال وهو يرمقها بطارف عينه "هناك مول كبير هنا في المدينة يضم مطاعم ومقاهي ومحلات ودور سينما أرى أنه سيكون مناسبا ما رأيك ؟"
هزت بسمة رأسها وقالت" لا بأس "
مسدت على ذراعيها بالتبادل تنظر من النافذة خلفها وقلبها يخفق بشدة وكأنها مراهقة تخرج مع حبيبها لأول مرة .
شعور لذيذ مدغدغ للأعصاب كرفرفة أجنحة الفراشات في أعصابها .. مصاحبا لارتجافة قلب لا إرادية وشعور عجيب وغير مسبوق بالاسترخاء الممزوج بالتوتر .
عادت تختلس إليه النظر من جديد ..
فتفاجأت به يراقبها لتسرع بالإشاحة بنظراتها للناحية الأخرى.
زينت الابتسامة شفتيه وتعبأ المكان حولهما بشحنات كهربية لذيذة فمد كامل يده إلى شاشة مشغل الموسيقى وبدأ بالبحث فيها

فتابعته بسمة بقلق وهي تقول " أين نظارتك يا كامل ؟"

عبس كامل ورد معاندا " موجودة لكني لا أحتاجها"

حركت رأسها بابتسامة ساخرة ثم سألته "لماذا لا ترتدي عدسات طبية ما دمت تكسل في ارتداء النظارة ؟"

رد عليها باستهجان "نظري ليس ضعيفا إلى هذه الدرجة!"

ابتسمت فرمقها بكبرياء صبياني وتابع الطريق أمامه .. بينما بدأت الموسيقى وتلاها غناء كاظم.

حدثيني .. عن حديث المُقَلِ
وعن الشوق.. وليل الغزلِ
لك ثغرٌ حُسنه يذهلني
وحديثٌ فيه طعم العسلِ

لك خَدٌ لونه من خجلٍ
آه ما أجمل لون الخجلِ

تطلعت بسمة فيه وكلمات الأغنية تداعب مشاعرها فوجدته كالعادة يرمقها بنظرة جانبيه فعادت للنظر أمامها تسحب نفسا عميقا وكأنها غير قادرة على التنفس ..

هل من الممكن أن يكون يقصدها بهذا الكلام؟

.. ارتفع مؤشر الأمل بداخلها وهي تفكر .

حديثه معها اهتمامه بها .. حنانه.. أجل حنانه الذي اكتشفته خلف واجهته المتكبرة ..

اكتشفت بأنه مراع بشكل كبير ..

عاد إليها شكها وتذبذبها ..(لا تصدقي تلك المراعاة يا بسمة فأنت عاشرت الحنون المراعي من قبل لكن قلبه لم يكن ملكك أبدا).. عاد المؤشر للهبوط بينما كامل يردد مع الأغنية..

عَجلي بالوصل يا مؤنستي
فأنا المقتول إن لم تصلِ

قالها وهو يتطلع أمامه فنظرت إليه مبتسمة لينظر إليها يغني مع كاظم بنظرات رجولية مغازلة .

حُلوتـــــــــــي

لن تغيب الشمس عن ليلتنا

إن حرقناها بنار القُبَلِ

اشتعلت وجنتاها وارتبكت كمراهقة وقد تذكرت عبارة حماتها (لم يكن يغار بهذه الصورة على زوجته السابقة)

أمن الممكن أن تكون غيرة حقيقية عليها ..وأن يكون ما قاله مفرح حقيقيا وأنه كان ينوي الارتباط بها فعلا قبل حدوث حادثة بدير؟ ..

ارتفع مؤشر الأمل من جديد فعاد عقلها يقارعها..

إن كان كذلك فلماذا لم يخبرها بأي شيء حتى الآن ؟ .. فليس منطقيا أن يظل كل هذا الوقت

بدون أن يصارحها.. لو كان بالفعل يحمل أي مشاعر لها ..
أجهدها التفكير فحاولت التشويش على أفكارها المرتبكة وسألته" هل أنت رائق المزاج لأنك خرجت من البيت ؟"
لم يرد كامل وإنما مرر نظراته بينها وبين الطريق أمامه يقول بنفس النظرة المغازلة مرددا مع الأغنية.

حلوتـــــــــي
افعلي المعروف تُجزي مثله
والنوايا هي مثل العملِ
أنت لي دنيا على علاتها
وأنا أهواكي يا عمري رغم العللِ

ضحكت على شكله واندماجه وازداد اشتعال وجنتيها فهربت من نظراته المربكة إلى نافذة السيارة .

بعد ساعة كانا يتحركان في المول فأخذت بسمة تتطلع في المحلات حولها بتركيز فتابعها كامل يحشر يديه في جيبي بنطاله الأماميين وهو يحاول بقدر المستطاع عدم التركيز في النظرات الموجهة إليها من وقت لأخر مقتنعا بكلام شامل بأن لديه بعض الهوس عليه أن يكسره فزوجته ليست محور الكون .. انشغل بها وبجمالها وبالتطلع معها فيما تنظر إليه عبر واجهات المحلات وتدريجيا بدأ ينسى أمر من حوله .

أخذ بعض الشباب يتمازحون بالقرب منهما فوضع ذراعه على كتفيها يسحبها لتسير الناحية الأخرى فاحمرت وجنتاها وهي ترفع نظراتها إليه ليسألها وهو يعيد يديه لجيبي بنطاله الأماميين" هل أعجبك المكان؟"

قالت بابتسامة سعيدة اشرقت على قلبه

"أحببت المكان جدا "

توقفت أمام محل يبيع الأحذية والحقائب النسائية وبالتحديد وقفت تحدق في حذاء ذي كعب عال وحقيبة بجواره فعلق كامل وهو يقف بجوارها" أنت تحبين هذا اللون الكحلي " غمغمت وهي تدقق في الحذاء "هذا ليس كحليا (وأشارت على حقيبة بعيدة وقالت) هذا هو الكحلي .."

سألها عاقدا حاجبيه " ما هذا اللون إذن ؟"

غمغمت وهي تميل لتتأمل الحقيبة "بترولي"

قال كامل مصححا " إذن أنت تحبين البترولي"

حركت رأسها تنظر له وسألته" كيف عرفت؟"

بحركة لا إرادية أمسك بشحمة أذنه يهرش فيها وهو يقول "هكذا لاحظت .. ترتدين هذا اللون.. هو واللون الكحلي كثيرا ..(وأضاف ببطء وهو يتطلع في لون طلاء شفتيها) كما أنك تفضلين اللون النبيتي في طلاء شفتيك"

ارتفعت دقات قلبها وازاد اشتعال وجنتيها فعادت لتتطلع في الحذاء والحقيبة وهي تقول " يبدو أنك قوي الملاحظة أستاذ كامل .. أرى أن تطمئن بشأن عينيك إنهما تعملان بكفاءة عالية "

ضحكة خافتة ساخرة صدرت منه بجوارها فعلت كوارثا في مشاعرها فانشغلت عما يدور بصدرها بالبحث عن سعر الحذاء والحقيبة ثم أطلقت صافرة خافته من شفتيها الجميلتين ألهبت أعصابه قبل أن تقول "مبلغ مبالغ فيه جدا "

رد بهدوء وهو يتطلع في اسم المحل" أعتقد لأن هذه الماركة مشهورة "

قالت وهي تهم بمواصلة السير "مليكة هي المتخصصة في الماركات أنا لست ضليعة فيها .. أشتري طبعا أشياء قيمة وغالية الثمن لكن لست ضليعة في أسماء الماركات ولا أهتم بها "

قال مندهشا "لماذا لم ندخل المحل ؟"
ردت بحرج "المبلغ كبير"
أشار لها بيده ودفع الباب الزجاجي فاحمرت وجنتاها واقتربت منه ثم عبرت من الباب تدخل المحل .
بعد قليل وقفت مرتدية الحذاء ذو الكعب العالي تجربه ثم اقتربت من المرآة الطولية أمامها لتتطلع فيه وهي تمسك بالحقيبة في يدها ثم استدارت بعدها لكامل الواقف يراقبها وسألته "ما رأيك؟"
رسمها بعينيه من رأسها حتى أخمص قدميها في ذلك الحذاء الذي أضفى عليها أنوثة طاغية ..
هي بكليتها أمامه كانت تخطف الانفاس فقال بلهجة مغازلة بعثرت مشاعرها التي تحاول ضبطها "مبهرة"
سألته بمكر" من؟"
رد بنظرة لئيمة مغيظا" الحقيبة"

اتسعت ابتسامتها تعض على شفتها بغيظ
تعرف بأنه يلاعبها بينما استدار كامل يناول
البائع البطاقة البنكية قائلا "سنأخذ الحذاء
والحقيبة من فضلك"
بعد ساعتين كانا يخرجان من المول التجاري
يحملان أكياسا كثيرة فقالت بسمة بتذمر
طفولي" كامل قلت لك أريد أن أشرب تلك
القهوة المركزة التي أحبها"
رد وهو يتجه نحو السيارة المركونة أمام ساحة
المول" وأنا قلت لك حاضر "
قالت بغيظ "لقد مررنا على أكثر من محل يبيع
قهوة بالداخل "
وضع الأكياس في مقعد السيارة الخلفي ثم
استدار يقول وهو يأخذ منها باقي الأكياس
"اصبري على رزقك .. هناك مقهى قريب
يصنعها بشكل مميز"

احمرت وجنتاها وصمتت فأغلق السيارة ثم قال وهو يتحرك" هيا"
رمشت بعينيها ثم اسرعت لتلحق به تسأله باندهاش" ألن نذهب بالسيارة؟! "
رد وهو يضع يديه في جيبيه الأماميين "لا سنذهب مشيا فهو على الناحية الأخرى من الشارع ولن نجد مكانا بسهولة لصف السيارة أمامه "
كانت تتحرك بجواره بخفة .. تشعر لأول مرة بأنها خفيفة الوزن .. وكأنها لا تلمس الأرض وهي تسير على قدميها معه ..فحاولت تحذير نفسها (اضبطي نفسك يا بسمة أنه بارع في اسقاط النساء في هواه .. كل ما يفعله معك ينبع من شخصيته اللعوب فعليك ألا تنجرفي معه في التيار دون أن تسمعي منه كلاما صريحا عن رغبته الجادة لتمضية حياته الآتية معك .. قد يكون منجذبا لك كما ينجذب لكل النساء

لكن عليك أن تتأكدي أولا قبل التورط معه أكثر بأنك قد عبرت إحدى البوابتين إلى كامل نخلة .. عقله أو قلبه ويا ليته ذلك الأخير أو الاثنان معا ..أو الثلاثة.

عادت تغمغم لنفسها بتهكم "كل هذا ولم تتورطي معه بعد !..بل تورطت يا حزينة وستصدمين حينما يمل من اللعبة ويرحل "

وقفا خارج ساحة المول على الطريق الرئيسي .. فمد يده دون أن ينظر إليها ليطبق على كفها قائلا وهو يتطلع في السيارات المارة "هل أنت مستعدة لعبور الطريق يا باشمهندسة ؟"

تطلعت لكفه التي تحضن كفها وقبل أن ترد كان كامل يقودها ليقطعا الطريق بمجرد أن توقف المرور لعبور المشاة .. فهرولت خلف خطواته الواسعة حتى توقفا أمام مقهى له اسما أجنبيا قبل أن يرفع كامل شعره بمشط يده الأخرى ويصعد الدرجات القليلة أمام المقهى

ويقترب من بابه الزجاجي يدفعه وكفه لا يزال يحضن يدها.

لفحتهما برودة المكيف العالية بعد تلك الدقائق في الشمس الحارقة وتطلعت في كامل الذي يبحث عن طاولة شاغرة.. فاقترب منهما أحد الندل محييا بأدب قبل أن يتقدمهما مشيرا على إحدى الطاولات .

سحب كامل لها الكرسي فجلست تشعر بأن حرارة مشاعرها لم يقدر مكيف الهواء البارد على تلطيفها وراقبته وهو يجلس أمامها فوضعت يديها في حجرها تحت الطاولة ليقول لها" ليتنا أكلنا في المول أولا قبل القهوة"

قالت بإصرار" ليس لدي شهية للأكل (وتطلعت في المكان الفاخر حولها وقالت) أريد القهوة (ثم عادت تنظر إليه بنظرات ماكرة وهي تضيف بلهجة متسلية) وهذه المرة سأسمعك

وأنت تطلبها من النادل وسأعرف اسمها الذي لا تريد إخباري به "

زينت الابتسامة زاوية شفتيه ورد بثقة مغيظا " إذا سأهمس للنادل باسمها حتى لا تسمعين" ضيقت عينيها تناظره بغيظ فأضاف بلهجة متسلية" ثم من قال بأنني لا أريد إخبارك !.. أنت التي لا تريدين أن تدفعي مقابل إخبارك" أشاحت بوجهها وقالت بمراوغة " أنت لم تحدد المقابل"

صمت ولم يرد فعادت تنظر إليه لتجده يطالعها بنظرة مشتعلة ثم قال "سأخبرك حينما تعديني بالتنفيذ أيا كان ما سأطلبه " رغم أن عقلها كان يخبرها بأنه يلعب ويتسلى حتى بمغازلته هذه لكنها اعترفت بأنه استطاع أن يخترق حصون دفاعاتها ثلجية الواجهة ليشعل حواسها كلها ..

وهو كرجل لم يكن خافيا عليه بأنه قد استطاع اختراق حصونها ودفاعاتها واليوم بالذات وهي منطلقة بجواره في المول فيخونها تحفظها للحظات وتتصرف بنعومة وطفولية ثم تعود للوضع المتحفظ .. وهذه اللحظة الآن وهو يتابع احمرار وجهها وارتباكها من محاصرة نظراته وشعرها الذي أعادت ترتيبه بخيلاء تتحصن بها وهي تشيح بوجهها بعيدا عن حصار عينيه .

غمغم في سره وهو يتأملها" يا إلهي أنا لو تركت نفسي على سجيتها لحبستك في قصر فوق كوكب بعيد حتى لا تراك عينان غير عيناي .. "

اقترب أحد الأشخاص يقول لكامل مهللا "كامل نخلة .. كيف حالك يا رجل؟ .. أين أنت وأين أراضيك (وتطلع فيه مجددا وكامل يستقيم واقفا وأضاف) أنت كامل ولست شامل أنا متأكد.. دوما ما كنت أنجح في التفريق بينكما "

ضرب كامل كفه بكف الرجل وحضنا بعضهما وهو يرد "انشغلنا أنا وشامل قليلا .. كيف حالك؟"

قال الشاب بلهجة ذات مغزى " انشغلت بتلك الشلة التي كنتما تسافران معهم للساحل الشمالي والسهرات الشقية .. كل أخبارك أنت وتوأمك عندي يا نذل "

تنحنح كامل يناظره بنظرة موبخة ثم أشار على بسمة وكأنه ينبهه حتى لا يسترسل بعبارات غير لائقة قائلا " أبدا أنا وشامل تزوجنا وتعرف المرء بعد الزواج يقضي معظم أيامه بالحبس الجبري هذه زوجتي بسمة الوديدي"

التفت الشاب خلفه يقول لبسمة بحرج "أهلا يا هانم ألف مبروك "

تدخل كامل قائلا" هذا منذر صديقي"

حركت بسمة رأسها وقد فهمت من لهجته بأنه من بلد كامل بينما استدار منذر يقول لكامل"

أجل سمعت بأنك وتوأمك قد تزوجتما يا أنذال لكنكما لم تدعوننا "

رد كامل بحرج " الحقيقة كان الحفل مقتصرا على العائلتين فقط "

تكلم منذر يقول بحبور " المهم .. اليوم عيد ميلادي والشلة كلها مجتمعة "

قالها وأشار على طاولة بعيدة تقع في مواجهة باب المطعم فتعجب كامل لأنه لم يلاحظهم عند دخوله ورفع حاجبيه حينما ميز أكثر من شاب وفتاة يعرفهم من جاليته بينما لوح له الموجودين يطلبون منه مشاركتهم .

أضاف منذر "لم لا تنضم إلينا أنت والهانم الشلة كلها ستفرح "

نظر كامل لبسمة بتردد وفكر للحظات بأنها فرصة جيدة لأن يمرن نفسه على ما يريد أن يهزمه بداخله .. بألا يكون زوج بسمة السابق هو محور أفكاره بهذا الهوس وبأن مشاركة

محترمة له ولزوجته في مناسبة بسيطة راقية تضم معارف من الجنسين قد تخرجه بعض الشيء من هوس أفكاره .

أضاف منذر بتأكيد" سأغضب منك بشدة يا ابن بلادي إن لم تنضم أنت وزوجتك لنا "

عاد كامل للتطلع في عيني بسمة التي حركت كتفيها بما يعني (كما تريد) فقال كامل لصاحبه "فقط لبعض الوقت لأننا مرتبطان بموعد "

تحرك كامل يضع يده على ظهر بسمة التي تتقدمه ممسكة بحقيبتها ثم وقف أمام الطاولة الأخرى يسلم على الجميع ويتلقى كلمات الترحيب والمباركة له ولبسمة بالزواج وعيناه تراقبان نظرات الرجال المعجبة بجمالها لأول وهلة قبل أن يشيح كل منهم نظراته عنها احتراما لصاحبهم .

جلست بسمة بجوار كامل بعد تبادل بعض كلمات المجاملة من الشابات الجالسات

وفهمت أن بعضهن زوجات مع أزواجهن .. وأن اثنتين عازبتان من بينهما واحدة ذات شعر أسود حالك كانت تناظرها بنظرات مدققة لم تريحها قبل أن تقول لكامل ببعض الدلال الأنثوي "تزوجت يا نذل ولم نعد نراك"

عاد كامل بظهره للكرسي وقال بعنجهية ذكورية "أنت لم تريني من قبل أن أتزوج بفترة يا دعاء"

مطت الأخيرة شفتيها وهي تنظر لبسمة ثم قالت" ومع هذا أتى الزواج ليأخذك منا أكثر (ثم سألت بسمة) أنا رأيتك من قبل لكني لا أذكر أين ؟"

رفعت بسمة حاجبا مستغربا بينما استدارت دعاء للشاب الذي يجلس بجوارها تسأله "أليس كذلك يا ايوان؟"

لم يرد إيوان وإنما رمق بسمة بنظرة خاصة جعلتها تضيق عينيها وتدقق فيه تشعر بأن وجهه مألوفا.

قال منذر لبسمة باعتبارها الفرد الجديد بينهم
" إيوان مطرب مشهور بالتأكيد رأيته في التلفاز"
قال كامل بامتعاض مناكفا "وماذا إن رأته في التلفاز .. هل سنخاف!"
ضحك الجميع بينما تبادلت بسمة النظرات مع إيوان وتذكرته على الفور .. واستشعرت بأنه قد تذكرها أيضا قبل أن يشيح بعينيه عنها ليندمج مع حديث الأخرين في صمت لا يريد أن يجيب على سؤال دعاء الملح مصرة بأنها قد رأت بسمة من قبل ..
تذكرت بسمة بأن إيوان هذا يعرف زوجها السابق الملحن سيد صبرة وبأنها قد حضرت معه من قبل حفلا أقامته شركة الإنتاج للاحتفال بأول ألبوم صدر لإيوان ولاقى رواجا كبيرا وقتها ..وكان سيد هو من لحن له أغنية الألبوم الرئيسية التي اشتهرت كثيرا .. وخمنت

بأن دعاء هذه كانت ترافق ايوان في ذلك الحفل
.

أما خارج المقهى وعلى بعد أمتار صف سيد صبرة سيارته وترجل منها يرتدي بذلة أنيقة من الجينز الأسود وحذاء ضخما .. وتحرك مسرعا وهو يتحدث في الهاتف قائلا بصوته الخشن " شريف باشا أنا آسف إن كنت تأخرت فالطريق كان مغلقا جزئيا لوقوع حادثة "
جاءه صوت محدثه يقول" أنا أيضا لم أصل بعد فالطريق كما تقول مغلق جزئيا وهناك بطء في مرور السيارات .. أنا أعتذر جدا لازلت بعيدا عن المكان "

صعد سيد درجات المقهى برشاقة ينافس بها سنوات عمره التي لامست الأربعين وقال وهو يدفع الباب الزجاجي بكتفه ويمسد على لحيته

البنية الأنيقة "حسنا لا بأس أنا سأنتظرك في المقهى "

دخل سيد صبرة المقهى بخطوات واثقة ووقف يتطلع في الطاولات أمامه والهاتف لا يزال على أذنه .

xxxxx

الفصل الخامس والعشرون

صعد سيد درجات المقهى برشاقة ينافس بها سنوات عمره التي لامست الأربعين وقال وهو يدفع الباب الزجاجي بكتفه ويمسد على لحيته البنية الأنيقة "حسنا لا بأس أنا سأنتظرك في المقهى "

دخل المقهى بخطوات واثقة ووقف يتطلع في الطاولات أمامه والهاتف لا يزال على أذنه .. في الوقت الذي أوقعت بسمة فجأة ملعقة من فوق الطاولة لا تعرف كيف اصطدم بها مرفقها فأصدرت رنينا بارتطامها بالأرض جعل بعض الموجودين يحركون أنظارهم نحو الطاولة قبل أن يعودوا للاندماج مع مرافقيهم منهم سيد الذي تجمد مكانه وهو يرى جانبا من وجه كامل نخلة بوضوح والذي مال يلتقط الملعقة

ويعيدها للطاولة ويعود للناحية الأخرى حيث يقف النادل الذي يتلقى منه طلباته .
لم يكن سيد متأكدا إن كان هذا هو كامل أم شامل ..فقط كان على يقين بأنه أحد توأميّ غنيم .. لكن تلك الشابة التي تجلس بجواره بشعر أسود حالك تولي ظهرها له وهيئتها التي استشعر بأنه يعرفها جيدا أكدوا له بأنها بسمة وبأنه كامل نخلة .
قال محدثه على الهاتف "سيد باشا هل أنت معي؟"
غمغم سيد بصوت أجش مرتبك" أجل شريف باشا سأنتظرك سلام "
قالها وهو يخطو خطوتين حذرتين للأمام ليتطلع في المرآة التي تزين حائط المطعم الذي تجلس عنده بسمة مع مجموعة من الناس وبمجرد أن لمح عينيها الزرقاوين في انعكاس

المرآة وهي تتطلع في كامل عاد نفس الخطوتين للخلف ليقف عند باب المطعم .

كان لا يزال واضعا الهاتف على أذنه وقد أغلق محدثه الخط فاقترب النادل من سيد يقول بأدب" طاولة لكم فرد؟"
أشار له سيد على الهاتف بما يعني أنه ينصت لمستمعه فرفع النادل يده معتذرا وابتعد بظهره للخلف عدة خطوات ثم وقف يراقب الوضع في المطعم بينما ظل سيد على وضعه يتأمل الثنائي الجالس على بعد أمتار .
كان كامل وبسمة يوليان ظهريهما لباب المطعم وبمجرد أن انتهى النادل من أخذ الطلبات من كامل وابتعد عدلت بسمة مقعدها قليلا لتكون في وضع جانبي من الطاولة ظهرها لا يزال لباب المطعم تكتف ذراعيها وتنظر لكامل بحنق .

بابتسامة ماكرة استدار كامل قليلا لينظر لها
فقالت بهمس من بين أسنانها جعله يميل
عليها بأذنه ليسمع "لماذا لم تحدثه بصوت
عال .. لا تريدني أن أعرف اسم القهوة؟؟"
مال كامل عليها يقول بجوار أذنها مستهبلا "أه
!.. نسيت أن أعلي صوتي ..آسف لكني أشرت
له على الاسم وانتهى الأمر "
ابتعد عنها وتطلع فيها متسليا وهي تتفتت من
الغيظ و تناظره بعينين زرقاوين خطرتين قبل
أن تجز على أسنانها وتتكلم من جديد فمال
برأسه ناحيتها " هات كتيب الأصناف"
حركة جانبية سريعة من عيني كامل ناحية
أصدقائه ليتأكد من أنهم لا يراقبونهما ثم ابعد
رأسه عن بسمة قائلا وهو يضع الكتيب أمامها"
تفضلي يا باشمهندسة كوني على راحتك واطلبي
ما تشائين "

كان سيد لا يسمع ما يقولانه لبعضهما .. لكنه ركز جيدا على لغة الجسد بينهما ورغم أن بسمة لا تزال تجلس بوضع جانبي تولي ظهرها له وكامل لا يظهر منه إلا جانب وجهه حين ينظر إليها .. إلا أن سيد كان يتمنى أن يجد إجابة تريحه .

نظرت بسمة في الكتيب فوجدته مجرد أسماء وأسعار بالإنجليزية دون معرفة أيهم ما تحبه فنظرت لكامل بغيظ فتجاهلها متعمدا ليركز على ما يقولونه على الطاولة وللمرة الثانية يشعر بأن إيوان يختلس النظر لها هو ودعاء .

قبل أن يبدي أية ردة فعل كانت بسمة تمد يدا مختلسة إلى جانب كامل وتقرصه من تحت الطاولة بغيظ في ظهره انتقاما وهي تتصنع متابعة الحوار بين الجالسين فتلوى كامل قليلا لكنه احتفظ بملامحه عادية رغم سعادته بمشاكستها وحدجها بنظرة جانبية ثم مد يده

وأمسك بيدها من خلف ظهره واحتفظ بها في يده قليلا مع بعض الضغط الخفيف جعلها تشعر بالألم وتنظر له ببعض الحدة وهو يرمقها بنظرة جانبية متسلية قبل أن يترك يدها ففركتها تجز على أسنانها متوعدة.

كل هذا كان يشاهده سيد وهو يستقرئ لغة جسديهما وقبل أن يتأكد من الانطباع الذي وصل إليه لمح إيوان في الواجهة حينما ترك من كان يغطي عليه بجلسته أمامه مقعده ليذهب إلى الحمام.

بمجرد أن تعرف سيد على إيوان أسرع بالتحرك للخلف وخرج من المطعم وسط اندهاش النادل لكن سيد ظل يراقب الوضع من خلف الباب الزجاجي لبعض الوقت.

في الوقت الذي قال كامل بنظرة موبخة لبسمة وهدير قلبه يعلو على صوت الحاضرين "الناس جالسة لا يصح أن أكسر يدك أمامهم "

اتسعت عيناها فزينت البسمة شفتيه والتفت نحو أحد الندل الذي اقترب يضع أمام بسمة قهوتها وكامل قهوته وبمجرد أن تحرك مبتعدا عدل كامل الفنجان أمام بسمة التي تناظره بغيظ قبل أن تعبس ملامحه وهو ينظر لنقطة ما على شعرها .

نظرته جعلتها تتوجس فمال قليلا نحوها ومد يده إلى رأسها من الخلف وأمسك بورقة شجر صغيرة كانت عالقة بشعرها ووضعها في يدها قائلا بسخرية" ألم أقل لك أنك حورية تعيش بين الشجر !"

دققت بسمة في ورقة الشجر الصغيرة في كفها بذهول بينما حانت من كامل حركة لا ارادية وهو يبعد بعض الخصلات الثائرة عن كتفها ليصطفوا بجوار الاخريات ثم فرد ذراعه على ظهر مقعد بسمة بتملك وهو يعود ليرد على

منذر الذي قال بتهكم "يا عرسان هذا عيد ميلادي أنا "

ابتسم كامل ورد وهو يجلس جلسة عنجهية وذراعه لا يزال على ظهر مقعد بسمة "ونحن قلنا عيد ميلاد سعيد يا عم هل تريدنا أن نغنيها .. لديك المغني أمامك "

قالت زوجة منذر" بالطبع سيغني إيوان وهل سنتركه دون أن يغني لنا اليوم "

ليقول إيوان مجاملا " وهل لدينا أعز من منذر "

همست بسمة لكامل بحرج مبررة فمال عليها ليسمعها "بالتأكيد هذه من الشجرة التي مررنا عليها على رصيف المقهى أنا مررت من تحتها "

قال كامل بلهجة متهكمة" مفهوم مفهوم .. (وتطلع في شعرها مضيفا بمشاكسة) المهم ألا يكون هناك المزيد فيظنون بأني تزوجت من حورية الشجر "

عند هذه العبارة توجست بسمة من أن يكون هناك المزيد على شعرها فلمته على جانب واحد تتفحص أطرافه ثم استدارت لتمنح كامل قفاها ليتفحص شعرها ولولا أنهما أمام الناس لاستغل كامل الفرصة جيدا لكنه لمس بكفه أعلى رأسها لمسة حانية سريعة ليطمئنها وهو يدير وجهه ليرد على سؤال أحد الجالسين .

إنها لحظة التحرر من الأسر .. أو ربما الأمل في الحصول على صك الغفران .

ففي الخارج تحرك سيد مبتعدا .. تحرك بسرعة .. وكأنه يطير .. وأخذ يبحث عن سيارته التي ركنها للتو تائها ..فوقف على الرصيف يمسك بجبهته ويحاول السيطرة على مشاعره ..

إنه سعيد .. سعيد بشدة .. ما استشعره من علاقة الاثنين طمأنه .. فلم يكن يحتاج للكلام ولا الاثباتات ولا التصريحات ..يكفيه أن يحلل لغة جسد الاثنين اللذين بدا بينهما الانجذاب

واضحا .. بسمة كانت عفوية بشكل يختلف عن شخصيتها المتحفظة التي يعرفها ..أما كامل الذي كان يرى جانبا من وجهه بوضوح والذي لو كان أدار رأسه قليلا لكان رآه وتقابلت العيون .. كامل كانت كل حركة صغيرة منه تتحدث توشي برجل يهتم بتلك المرأة التي تجاوره .. وهل هناك من ينافس سيد في فهم لغة العشاق !.. فكامل بدا أمامه مهتما بها .. متملكا لها .. كل هذا وصله من تلك الدقائق وأشعره بالابتهاج .. وأراحه .. أراحه من ذنب ثقيل كان جاثما على صدره .

تمالك سيد فرحته وتحرك بتركيز أكثر يبحث عن سيارته وهو يرفع الهاتف على أذنه ويقول بصوت أكثر ابتهاجا من المكالمة السابقة " شريف باشا يبدو أننا ليس لنا نصيب في أن نرى بعضنا اليوم فالمقهى مزدحم لآخره ... أنت أيضا لازلت عالقا في الطريق ؟ .. لا بأس ما

رأيك أن نؤجلها للغد فلنجعلها في الاستوديو ..
تمام .. ليس هناك مشكلة في حفظ الله "
قالها وهو يركب سيارته ويغلق بابها ثم ظل
ساكنا لثوان يستعيد ما رآه ليتأكد من شعوره
قبل أن يرفع أنظاره لأعلى يقول بصوت متهدج
"اللهم لك الحمد والشكر لأنك استجبت
لدعائي ورزقتها بمن يحبها ويهتم بها .. يا رب
أغدق عليها من فضلك يا كريم كما رزقتني من
أوسع الأبواب"
وحرك السيارة بحماس وهو يغمغم" في
انتظارك يا بسمة أن تخبريني بأنك قد وجدت
السعادة كما وعدتني.. في انتظارك لأطوي
صفحتك تماما بعدها "
في المقهى بعد قليل شعرت بسمة بالضيق ولم
تكن قادرة على التجاهل أكثر لأن إيوان ودعاء لا
يكفان عن التحديق فيها كل منهما على حدة ..
لكن دعاء هذه كانت نظراتها أكثر جرأة وتحديقا

فبدأت تتوتر.. أما كامل فما كان يحاول تجاهله دون جدوى هو نظرات إيوان المختلسة لبسمة.. صحيح لم تكن نظرة مغازلة لكنها بدت غريبة وكأنه يعرفها من قبل .. وحين أدار وجهه ليخبر بسمة برغبته في المغادرة لأن جرعة اليوم كانت قوية على أعصابه وجدها هي الأخرى تختلس نظرة سريعة مرتبكة لإيوان ثم أشاحت بنظراتها فقال بخشونة وهو يحاول ضبط اعصابه" هيا لنرحل"

تفاجأت بسمة بانقلاب وجهه المفاجئ .. ولم تفهم ماذا حدث لكنها هزت رأسها موافقة وكامل يقول للجميع " مضطرون للاستئذان لارتباطنا بموعد و .. "

اندفعت دعاء تصيح فجأة بانتصار "تذكرتك .. أنت زوجة الملحن سيد صبرة .. قابلناك قبل أربع سنوات في أول حفل أقامته شركة الإنتاج لإيوان (واستدارت لإيوان الذي امتقع وجهه

تقول بحماس وكأنها قد اكتشفت اكتشافا خطيرا) أليس كذلك يا إيوان؟"

ساد الصمت الذاهل وامتقع وجه بسمة بينما ناظر إيوان صديقته بتوبيخ كما ناظرها بعض الجالسين فانتبهت الأخيرة لما قالت وأضافت بارتباك " أقصد .. كنتِ ..زوجته فبالتأكيد لست زوجته الآن"

رجع كامل بالمقعد للخلف بحركة حادة ووقف طويلا ضخما يقول بنظرات مقلوبة وبلهجة خطرة وهو يناظر دعاء "بسمة الوديدي زوجة كامل غنيم نخلة .. حرم .. كامل نخلة"

ارتبك الحاضرون فأسرع منذر بالقول بحرج شديد "كامل .. أرجوك لا تغضب نحن نعتذر بالنيابة عنها .."

ونظر باعتذار لبسمة التي وقفت بارتباك بمجرد وقوف كامل تتطلع في الجميع بحرج من دعاء ومن رد فعل كامل .. وتملكها الضيق حينما

شعرت بأنها بزواجها السابق كمن ارتكبت فعلا مشينا.

قال كامل لمنذر بتجهم وهو يحاول أن يسيطر على ضيقه وشعوره بالغيرة لذكر سيرة زوجها السابق " كل عام وأنت بخير يا منذر .. سنلتقي مرة أخرى إن شاء الله "

ونظر لدعاء وايوان شذرا ثم أمسك بمعصم بسمة يشدها نحو الخارج بتشنج ..بينما نظرت دعاء لأصحابها وقالت شاعرة بالحرج "ماذا حدث؟.. لماذا تنظرون إليّ هكذا؟ .. هل كذبت ؟.. إنها كانت زوجته ورد فعل كامل يؤكد ذلك"

قالت إحدى الحاضرات" حتى لو كانت كذلك لقد احرجتهما"

أضاف إيوان بغضب شديد " وأحرجتني أنا أيضا .. أنا تذكرتها منذ أول دقيقة لكن لا يصح ما فعلتيه "

غمغمت دعاء ببرود قبل أن ترفع الفنجان لفمها" حدث ما حدث لم أقصد "
على قارعة الطريق سحبت بسمة معصمها من يد كامل باعتراض تقول بانفعال "كفى اترك يدي"
استدار إليها وقد انقلب لنقيض ما كان عليه قبل نصف ساعة فقال والشياطين تتراقص أمامه" اسمعي يا بسمة ..أنا حاليا في مزاج سيء جدا فلا تستفزيني أكثر "
وأمسك بمعصمها وتحرك بخطوات واسعة يسحبها خلفه وهو يعبر الطريق بمجرد أن توقفت السيارات لعبور المشاة.
بعد بضع دقائق كانت سيارة كامل تخرج على الطريق وهو في حالة من حالات الغضب لم تفهم لها بسمة سببا وجيها .. فازداد شعورها بالاستياء واسترجعت الدقائق التي مرت عليها

في المقهى وهي تشعر بعدم الراحة لتلميح دعاء بأنها قد سبق ورأتها مع زوجها السابق ..
هذا الشعور جعلها تعنف نفسها لما تشعر به لحظتها .. فهي ليست بخاطئة لتشعر بهذا الحرج .. لقد كانت متزوجة على سنة الله ورسوله .
قطع كامل شجارها مع نفسها حينما سألها بصوت خافت يخرج من الجحيم وهو يتطلع في الطريق أمامه "هل تعرفينه ؟"
تطلعت في جانب وجهه المكفهر وسألت بعبوس "من؟"
بكلمة مقتضبة أجاب" إيوان"
سؤاله وحالته أضافا لشعورها بالاستياء والضيق المزيد بل وأشعراها بالإهانة فسألته بحدة" ما معنى هذا السؤال؟"
أدار لها وجهه يقول باستنكار" ما معنى السؤال في رأيك؟!"

اتسعت عيناها الزرقاوان وهي تسأله باستنكار مماثل" لماذا تسأل عنه هو بالذات؟؟!"
رد بعصبية واستهجان لسؤالها" رأيته يختلس النظر إليك أكثر من مرة وكأنه يعرفك"
صرخت باستنكار" دعاء أيضا كانت تنظر إليّ"
وزع كامل نظراته الغاضبة بينها وبين الطريق
هاتفا "وأنت كنت تنظرين إليه "
عبارته جننت جنونها وزادت من شعورها سوءا فقالت بغير تصديق "هل تشك في أخلاقي؟!!!"
هتف بعصبية وهو يضرب على المقود" أنا لو كنت أشك في أخلاقك لم أكن لأسألك الآن "
صرخت بجنون وقد وصلت لذروة الشعور بجرح الكرامة "ماذا كنت ستفعل إذن؟!!"
نظر إليها كامل يرفع قبضته يحاول تلجيم تدافع الكلمات والأفكار المؤذية في رأسه ثم قال من بين أسنانه" ردي على السؤال .. انطقي يا بسمة "

مجددا نطقه لاسمها دون لفظ التدليل
يشعرها بالضيق فزاد ذلك من جنونها وصاحت
فيه " لماذا تصرخ في وجهي؟!!.. ماذا فعلت أنا
!!.. هو كان ينظر لي ونظراته هو وهذه المرأة
اربكتني واشعرتني بالحصار "
بدأ صدر كامل يعلو ويهبط بتوتر واضح مما
يكابده اللحظة من السيطرة على موجة غضب
عارمة معترفا بينه وبين نفسه بأنها ليس لها ذنبا
..فسألها بصوت بذل فيه مجهودا ليهدأ وهو
يدخل بالسيارة مرآب الفيلا " هل ما قالته دعاء
صحيحا .. شاهداك في حفل يخص إيوان؟"
ردت بعصبية "أجل ولهذا كنت مرتبكة من
تلميحاتها ..لمَ هذا الاستجواب لا أفهم؟"
أوقف السيارة في المرآب ونظر إليها يقول بحدة
مماثلة وهو يشير على نفسه" من حقي أن
أعرف .. أنا زوجك "

قالت باعتراض وقد نجح في استفزازها كليا فأخرجت درع الكبرياء تتسلح به أمامه "كامل أنا لا أحب هذه الطريقة التي تكلمني بها.. ولم أحب الطريقة التي سحبتني بها أمام الجميع (ورفعت سبابتها تقول والجنون يتراقص في زرقة عينيها) وإياك أن تكررها مرة أخرى"

كلماتها ضربت كبرياؤه المجروح كما كان صوتها العالي يضرب بجدران المرآب حولهما فقال كامل باستهجان" ما معنى (إياك) ..هل تهددينني ؟!!"

كانت تشعر بالأسف على نفسها لأن ينتهي اليوم بهذه الطريقة لمجرد أن أحدهما أشار بأنها قد سبق لها الزواج.. وآلمتها (عقدة المطلقة) التي لم تبرأ منها بعد فهتفت وهي لا زالت ترفع سبابتها " أرفض هذه اللهجة المتشككة في سلوكي ..وأرفض أن تكون حياتي

السابقة فرصة للاستجواب والتشكيك يا كامل
أنا لا أقبل بهذا"
ما كان يرزح تحته من انفعالات قوية كان عظيما فمال بجذعه نحوها يواجه عينيها قائلا وهو يصارع انفعالاته "أنا لا أشك بك يا غبية .. (وتطلع في وجهها القريب واتساع حدقتيها الزرقاوين وأضاف بصوت متقطع مشحون بالانفعالات) ألا تستطيعين الفهم .. (حاول البحث عن كلمات تصف متاهة المشاعر التي يدور فيها فقال بصوت مخنوق) ألا .. ألا ..."
في ثانية كان يمسك بوجهها ويطبق على شفتيها بقبلة عنيفة مؤلمة كمشاعره .. فتفاجأت بسمة وحاولت ابعاده مصدرة همهمات معترضة وقد شعرت بالإهانة فضربته بقبضتها على صدره.. لكنها لم تنجح في زحزحته.
افلت كامل شفتيها لكنه لم يتركها لتفلت منه بل ظل يناظرها بغضب ممزوج برغبة توشك

على الخروج من عقالها .. فتعانقت الأنفاس اللاهثة للحظات ثم قالت بسمة بهمس غاضب وهي تتجاهل الحاح قلبها وجسدها للاستسلام له" ماذا فعلت؟!! .. ابتعد عني فورا"

همس أمام وجهها الذي يمسكه بيديه فيجبرها على أن تنظر إليه" أنت زوجتي .. هل تفهمين زوجتي أنا كامل نخلة"

قالها ثم هاجم شفتيها من جديد وهذه المرة كان يضغط عليها بكامل جسده ويطوقها بذراعيه بقوة وكأنه يختم على ممتلكاته بخاتم (كامل نخلة) .. خاتم مؤلم كالجمر متقد بنار الحب والغيرة والرغبة والحرمان .. بنار شوق يتفنن في تعذيب صاحبه .

للحظات همدت مقاومتها لكن غضبها لم يهمد وكرامتها ازدادت أنينا خاصة حينما استشعرت استسلام صاحبتها وجنوحها للذوبان بين

ذراعيه .. وبمجرد أن أطلق سراح شفتيها طلبا للهواء وفك تشابك ذراعيه حولها .. أبعدته بسمة بحدة لم تكن موجهة له وحده ولكن لنفسها أيضا لتنفض عنها استسلامها اللحظي وأسرعت بفتح الباب وترجلت بسرعة فراقبها كامل وهي تهرول نحو باب المرآب الموصل للفيلا .

ظل لدقائق مشلولا يلهث بقوة وانفعالات عدة تتلاعب به قبل أن ينزل بغضب ويلتقط الأكياس وحقيبتها من السيارة ويذهب خلفها لا يعرف بالضبط إلى أين ستقوده اللحظة التالية وهو في حالة من حالات عدم السيطرة .

بمجرد أن انتهت بسمة من صعود السلم أمام أنظار سوسو المندهشة كان كامل يقتحم الفيلا من باب المرآب وشاهدته الأخيرة وهو يهرول حاملا أكياسا في يده بشكل غير مرتب وحقيبة

بسمة فسألته بقلق وهو يصعد السلم" ماذا حدث يا كامل هل تشاجرتما؟"
غمغم الأخير وهو يصعد درجات السلم بسرعة متخطيا بعض الدرجات" لا شيء يا أمي"
كانت بسمة تقف في الغرفة والغضب وجرح الكبرياء يسيطران عليها .. الحدث كله منذ تعقده في المطعم حتى اللحظة كان يشحنها بمشاعر سلبية جعلها تستدير بحدة بمجرد أن اقتحم كامل الغرفة وأطل عليها بطوله وعرضه يغلق الباب خلفه بعنف وناظرها بتحفز فقالت بغضب " كيف تجرؤ على فعلها !!.. أنا لا أسمح لك ...(وصرخت بجنون) أنا لا اسمح لأحد أن يعاملني بهذه الطريقة "
رمى ما في يده في الأرض يباريها في الغضب وفي الكبرياء المجروح وهتف باستنكار وهو يشير إلى نفسه " لا تسمحين لي!! .. لا تسمحين لي !!..

(وضرب على صدره يصيح والشرر يتطاير من عينيه) أنا زوجك وهذا من ضمن حقوقي "
قالت باعتراض "هذا لم يكن اتفاقنا"
رد باستفزاز "لنعدل الاتفاق إذن "
كل شيء أمامها كان مشوشا وكبريائها ينزف بشدة فهتفت بتحدي "وأنا أرفض تعديله
(ورفعت أصبعها تهتف بتحذير) وإياك والاقتراب مني مرة أخرى واهانتي بهذه الطريقة يا كامل .. (وأضافت بصوت مرتعش تقاوم البكاء) أنا اتغاضى عن أي شيء إلا الإهانة"
جن جنونه وهتف باستنكار "إهانة!! .. تقبيلي لك إهانة !!"
رفعت ذقنها ذا طابع الحسن تقول والموج الأزرق في عينيها عاليا " ما دمت لم تستأذن مني فهي إهانة .. "
كان وجهه أمامها مخيفا بشكل أرسل رعدة في أوصالها فقاومت ذلك الخوف بالقول الغاضب

" اسمع أنا وأنت لدينا اتفاق وأنا لن أقبل بأي تجاوز منك فيه .. (وأضافت بكبرياء مجروح) أنا لست وسيلة للتسلية ترفه بها عن نفسك "

ركل كامل الأكياس وهتف بغير تصديق والجنون يعصف به " بعد كل هذا تقولين أتسلى بك!!.. بعد قضائي الليالي بعيدا عن غرفة نومي !!.. بعد احترامي لك !!..(وأشار بسبابته عليها يقول من بين أسنانه غاضبا) أنت بالفعل غبية يا بسمة .. غبية ولا تفهمين أبدا ما افعله لضبط نفسي معك"

لم يصلها ما قاله بشكل صحيح فالغضب يعميها وشعورها بالإهانة كان يؤلمها فهتفت " وهل كنت تتوقع بأني سأتركك لتتجاوز معي بما يخالف اتفاقنا .. لا أنا .."

قطعت حديثها حينما اندفع نحوها وقد وصل الجنون إلى مداه فأمسك بذراعيها بقوة يقول

بعنجهية ذكورية " أنا آخذ ما أريده حينما أريد ..."
قبل أن تستوعب كان كامل يدفعها بخشونة لتقع على السرير خلفها وخيم فوقها بضخامته.. فأسرعت بسمة بمقاومته وهي تصرخ وقد تملكها الخوف "ابتعد يا كامل"
أبعد يديها التي تضرب في صدره و ثبت معصميها بجوار كتفيها وهو يحتلها بجسده قائلا والشرر يتطاير من عينيه " قلت لك أنا أفعل ما أريد وقتما أريد .. "
كانت عيناها الزرقاوان متسعتين أمامه وهو يصارع الموج العالي فيهما فأضاف " وما مر بيننا طول هذه المدة كان بسبب كرم أخلاقي وليس لأنك المرأة المنيعة التي ستستطيع ردعي إن أردت أن آخذ حقي فيك .. (وخرج صوته صلبا يضيف بلهجة خطرة مردفا) أفيقي يا بسمة فأنا كامل نخلة .. ومن الواضح أن دلالي

لك وصبري عليك قد منحاك صورة خاطئة عني .."

إن كان الغضب يسيطر على رأسه فكل ما فيها كان يسيطر على كل ما فيه .. وهو يشعر بجسدها الطري يرتجف من تحته فأضاف بصوت أكثر هدوءً وخطورة " وبقائي بعيدا حتى الآن دون أن اشاركك هذا الفراش ليس لأني لست بقادر على اخضاعك .. ولكن لأسباب أخرى تخصني أنا ملخصها أني أحترم نفسي .. ولم ولن أجبر امرأة على أن تشاركني الفراش دون رغبة منها.. ولأني أحترم وعدا وعدتك به يوما ولن أقبل على رجولتي بأن أخالفه.. حتى ..."

حاولت مقاومته مرة أخرى لكنه كان مطبقا على معصميها بقوة في الوقت الذي تجولت نظراته على وجهها البهي الحسن رغم ملامح الغضب فيه وأردف بأنفاس ثقيلة وأنظاره تنزل

إلى قميصها الحريري الذي انفتحت أزراره "
حتى لو كنت أعيش في جحيم رجل يتشارك مع
حليلته غرفة النوم .. (ورفع أنظاره إلى عينيها
فهالها ما رأته فيهما من نار الرغبة بينما كامل
يضيف وهو ينهت) رجل يبذل قوة خارقة
لضبط النفس في شيء هو من أشد الأمور
الحاحا عليه .. رجل يتوق بشدة لعلاقة كاملة
مع امرأة خاصة وأنه قد سبق له الزواج..
وبرغم هذا يعيش مع حليلته المكتملة الأنوثة
دون أن يشعرها بمعاناته.. أفيقي يا بسمة أنا
كامل نخلة وعدم تعرضك لأي امتهان لكرامتك
ليس لأنك المرأة الخارقة بل لأني رجل يحفظ
كلمته"

كانت ساكنة تماما تتطلع فيه بذهول .. بينما
هو يبذل مجهودا جبارا للتقهقر بدلا من التقدم
والغزو .. فانتزع نفسه انتزاعا من فوقها واستقام
واقفا وهو ينهت ..

لتسحب بسمة نفسا عميقا أخيرا ثم انكمشت على نفسها فوق السرير تتابعه ولا يزال الذهول يسيطر عليها بينما فتح كامل الثلاجة الصغيرة وأخرج زجاجة بها ماء مثلج وسكبها على مؤخرة رقبته وعلى ظهره وفوق رأسه ثم ألقى بها فارغة فارتطمت بالكومود وهو يغادر ويغلق الباب خلفه بقوة .

أخذت ترتجف بشدة وقد هربت منها أعصابها فتكومت على نفسها غير قادرة على ترجمة مشاعرها لتحدد بالضبط ما الذي تشعر به فلم تجد إلا البكاء لتنفس به عن عاصفة المشاعر والأفكار التي عصفت بها عصفا لتبعثر كل مشاعرها وأفكارها وكأنها تطلب منها (إعادة ترتيب).

××××

وضعت مهجة علبة فوق طاولة الزينة بارتباك واسرعت بالخروج من الغرفة مارة بالحمام

الذي تسمع صوت الماء فيه .. فأسرعت بالدخول للمطبخ هاربة وهي مكبلة بمشاعر مختلطة كما يحدث معها طيلة الفترة الماضية وبالتحديد منذ يوم زفاف بسمة .. تلك الليلة التي تغير الوضع بينها وبين وليد وأضحى غريبا .

ليلة زفاف بسمة

دخلت مهجة إلى شقتها منهكة بعد اليوم الطويل واسرعت نحو غرفتها تخلع الحذاء ذي الكعب العالي وأخذت تمسد ظهرها وقدميها قليلا .. ثم قامت بخلع فستانها ووضعته على مشجب وتحركت تخرج من الغرفة قبل صعود وليد لتذهب للغرفة الأخرى التي تنام فيها منذ شهر ..

وقفت بالقميص الداخلي أمام المرآة في الغرفة الأخرى تنظف وجهها بالكريم المخصص لإزالة مساحيق الزينة ..وحين سمعت باب الشقة

يفتح علمت بأنه قد وصل فأسرعت نحو الخزانة الصغيرة التي نقلت فيها بعضا من ملابسها البيتية وبحثت عن منامة مريحة فاليوم بالذات لا تريد إلا أن ترتدي ملابس فضفاضة وتنام لثلاثة أيام .. حتى أنها فكرت في أن تخبر حماتها في الصباح بأنها غير قادرة على النزول .. لكنها عادت ووبخت نفسها من هذا التفكير فبالتأكيد حماتها ستعد الصباحية التي ستذهب بها إلى بسمة .

ورغم أن حماتها شديدة الطيبة والبساطة ولا تزعجها بأي شيء كما يحدث من غالبية الحموات في القرية إلا أن مهجة شعرت بأن عليها أن تكون في الطابق الأرضي في وقت مبكر للإشراف على ما ستقوم به الخادمات ككنة البيت..

فُتح الباب فجأة فانتفضت مهجة تستدير بينما وليد يقول "أنت يا ست الهانم أنا أنادي"

ردت باقتضاب وهي تلمح تلك اللمعة في عينيه التي تحركت ببطء فوق جسدها "ماذا تريد؟"

بلع وليد ريقه وقال " أريد أن أحاسبك على وجهك المقلوب طول الحفل.. وطوال الطريق ..الجميع لاحظوا وسألوني إن كنا متخاصمين"

ردت ببرود وهي تلتقط منامة من الخزانة "جميل جدا حتى نمهد لهم ما سيحدث بعد ذلك "

هتف بغيظ والشرر يتطاير من عينيه "اسمعي يا مهجة أنا اليوم في أسوأ حالاتي المزاجية "

ردت بلهجة متهكمة باردة " حقا !.. غريب!.. رغم أنك طول حفل الزفاف كنت سعيدا وترقص وتضحك "

سألها باستنكار "وهل تريدينني ألا أفرح من أجل أختي؟!! "

غمغمت موضحة "لم اقصد .."

تحرك نحوها ببطء ففهمت ما تبوح به عيناه وأسرعت بالقول وهي تسرع في ارتداء ملابسها" من فضلك أخرج أريد أن أنام"

جذب من يدها المنامة وألقى بها أرضا وأمسك بخصرها يقول بصوت متهدج " لن أخرج وما تفعلينه لا يرضي الله بأن تمنعين نفسك عني" قالها ثم قبّل عنقها فحركت عيناها في سقف الغرفة تشعر بالحيرة.. في قلبها غصة وفي كرامتها جرح ومعرفتها بأنها تغضب الله بمنع نفسها عنه تشعرها بالذنب .

لم يقدر وليد على كبح جماح نفسه.. إنه مشتاق والشوق ذباح فطوقها بذراعيه يحضنها بحنان رغم غضبه منها فسألته بصوت يائس مجهد بالمشاعر" ماذا تريد يا وليد؟"

همس بحرارة " أريدك الآن ..لن استطيع السيطرة على نفسي لحظة واحدة إضافية وإلا سأقتل نفسي أمامك حتى ترتاحين مني ومن

بلاياي"
رغم وجع الكرامة استسلمت وتركته يقترب بقبلاته صعودا على عنقها ثم وجهها حتى أطبق على شفتيها بقبلة مشتاقة ملتهبة ..
ستكون غبية لو لم تدرك هي وعقلها وقلبها وجسدها بأنه يحبها حبا كبيرا.
وستكون غبية أيضا لو استمرت حياتهما معا وهو على حاله دون تغير وكأن ما كان لم يكن ..فقد انكسر شيء بينهما.
لكن الغباء الأعظم يكمن في عدم ايجادهما للمخرج من المتاهة التي افترقا فيها .. تلك المتاهة التي بات كل واحد منهما يبحث فيها عن طريق الوصول وحده . . الطريق إلى الآخر!
.
حين نزع وليد عنها ملابسها وهو يبث لها شوقه ولهفته ورغبته المتأججة .. كانت مهجة قد بدأت تنسى شيئا فشيئا كرامتها المتورمة

وأفكارها المعقدة .. وذابت بين ذراعيه مستسلمة تماما لحريق اللهفة والحب .
وبعد بعض الوقت .. وحين انطفأ الحريق عاد كل شيء كما كان.. فغادرت السرير تبحث عن ملابسها في صمت .. وتركت له الغرفة ونامت يومها على الأريكة في الصالة .
عادت من شرودها حين شعرت بباب الحمام يفتح وبوليد يعود لغرفة النوم .. وتذكرت كيف أن نفس الموقف قد تكرر بينهما على مدى أكثر من شهر.. فأصبحا يتحدثان برسمية ..
يتشاجران أحيانا .. يصمتان كثيرا وكل منهما يبحث عن شيء يقوله للأخر .. لم يعد بينهما مواضيع مشتركة .. ولا ثرثرة تافهة ولا أي شيء ..حياة ليس لها لون وكلاهما يشعر بغصة من الأخر وبجرح من وليفه..
كلاهما لا يزال تائها في تلك المتاهة يبحث عن الأخر دون أن يعرف بأن الثاني يبحث عنه أيضا

.. الجدران التي أقيمت بينهما لا تتلاشى إلا لبعض الوقت .. ذلك الوقت الذي يفقد فيه وليد أعصابه ويأتيها مشتعلا فيصيبها بعدوى الاشتعال لتستسلم وهي توهم نفسها بأنها مضطرة لكنها في قرارة نفسها تعلم بأنها مشتاقة متلهفة وتريده .. تريد تلك اللحظات التي يكونا فيها معا الأقرب مسافة من بعضهما والأكثر اتفاقا على مستوى المشاعر .. لحظات يذهب فيها العقل في إجازة وتنام فيها الكرامة ولا تعلو إلا كلمة الحب .

اليوم عيد ميلاده .. وتعرف بأنه سيكون أحد تلك الأيام التي سيشتعل فيها ليلهما فيغطي برودة نهارهما .. وقد سمعت بكلام بسمة ومليكة رغم أن كلا منهما تحدثها على حدة لكن الاثنتين أكدا عليها ضرورة أن تشتري له هدية في عيد ميلاده كمحاولة لرأب الصدع.. ومليكة أعطتها بعض النصائح بعد أن وبختها أكثر من

مرة وهي تصفها بالمثالية الزائدة وبأن عليها أن تكون أكثر لينا وصبرا عليه .. لكن مهجة لا تزال في تلك المتاهة لا تعرف كيف تصل له .

انتهى وليد من ارتداء ملابسه ينوي بأن يقضي السهرة مع أصحابه بمناسبة عيد ميلاده عنادا منه مع مهجة .. فهو بات يتعمد معاندتها ومناكفتها وفعل كل ما يستفزها كما لو كان يخبرها بأنها على حق وأن لا فائدة منه لأنه تعب ومل من البحث عن مخرج من المتاهة التي يدور بها منذ ذلك اليوم المشئوم يوم حادثة بدير .

اقترب من طاولة الزينة فلاحظ العلبة المستطيلة الملفوفة بالتل وانتابه الفضول ليفتحها بسرعة ويجد زجاجة من عطره المفضل غالي الثمن .

انفجرت دقات قلبه وشعر بسعادة كبيرة لأنها تذكرت يوم مولده فهو أول عيد ميلاد لهما

وهما متزوجان فأسرع نحو باب الغرفة ليبحث عنها .

دخل المطبخ فتصنعت مهجة الانشغال وقلبها اللعين الأحمق قد انفجرت دقاته بينما قال وليد بلهجة سعيدة "مهجة ما هذه المفاجأة !"

تبا لقلبها الذي يحبه

وتبا لكرامتها التي تئن

وتبا لها وهي العالقة بينهما .

مال وليد يحضن قامتها القصيرة من الخلف وقال بهمس بجوار أذنها "ظننتك قد نسيت أو تناسيت يا عمري"

تبا لقلبها مرة أخرى .. هذا ما فكرت فيه وهي تغمض عينيها بينما كلماته الممتنة تتدفق بجوار أذنها بتلك الطريقة الطفولية التي يفعلها دون قصده فتلمس الجانب الأمومي فيها قبل الأنثوي .

همس وليد "وأنت طيبة يا عمري"

استدارت مهجة ترفع إليه وجهها وتقول "وليد
أما من طريق للخلاص؟ "
تغضنت ملامحه وهو يسألها " الخلاص مني أم
مما نحن فيه ؟"
قالت بصوت مبحوح وهي تتطلع في وجهه
"أنت تعرف "
رد بعاطفة يائسة " لم أعد أعرف "
قالت "أنا تعبت"
رد "وأنا أكثر "
تكلمت بلهجة عاتبة " لكنك لا تساعدني"
قال وليد بترجي " دليني ماذا أفعل ..أنا عالق
..تائه ..حائر"
أخذت تفرك يديها بحيرة وهي تقول " ماذا لو
كنت أنا أيضا مثلك لا أعرف أين الطريق لأدلك
؟!"
همس بلهجة متألمة " إذن اصبري حتى أجد
شعلة من نور لتهدينا نحن الاثنين "

لم تجد ما تقوله ..فمال عليها يحضنها ..فهمست معترفة وهي تستند بذقنها على صدره" وليد أنا في قلبي غصة كبيرة .. وبيني وبينك جدار شاهق الارتفاع لا أعرف متى بني.. أشعر بأني استيقظت فجأة فوجدته بيننا " تغضنت ملامحه متألما بشدة لكنه همس "أعدك بأني سأفعل كل ما أقدر عليه لأمحو تلك الغصة وأهد ذلك الجدار .. فقط اصبري عليّ"

قالت وخدها يستقر على صدره " هل ستفهمني حين أقول لك بأني أشعر كمن تقف على أرض غير مستقرة تهتز من تحت قدميها وكلما تحركت شعرت بأنها ستبتلعها هوة سحيقة مخيفة ؟"

ازداد الوجع في قلبه فشدد من احتضانها وقال" سأتحملك في كل شيء حتى في عزوفك عني ..

سأتحملك حتى أفوز بك من جديد.. لكن لا تتركيني يا مهجة "

تحركت عينا مهجة الخضراوان على الأشكال التي تزين الثلاجة أمام انظارها والحيرة تسيطر عليها حتى ابتعد وليد يقول بلهجة ذات مغزى"ما رأيك في أن أعتذر لأصدقائي ثم نخرج لنشتري كعكة لعيد ميلادي؟ "

غمغمت بحرج" لقد ..لقد صنعت واحدة صغيرة بهذه المناسبة "

اتسعت عيناه ذهولا ثم صفق بيديه بخشونة يقول مداعبا "الله الله عليك يا مهجتي "

احمرت وجنتاها بينما قال وليد" أين هاتفي لأتصل واعتذر لأصحابي"

غادر المطبخ بسرعة بينما رن هاتف مهجة فالتقطته من فوق المنضدة الرخامية وأسرعت بالرد" نعم أخي"

جاءها صوت مفرح مخيفا رغم خفوته وهو يسألها "منذ متى ؟"
شعرت بالقلق وسألته" ماذا تقصد؟ ما بك يا مفرح؟!!"
هتف بصوت أعلى " منذ متى وأمِك تتصرف مع مليكة بهذا الامتهان ومليكة تخضع لها؟"
شهقت مهجة ووضعت يدها على فمها فلمحها وليد وهو يتحرك في الصالة والهاتف على أذنه يحدث أحد أصدقائه فعقد حاجبيه بينما هدر مفرح بقوة "انطقي يا مهجة "
انتفضت الأخيرة وسقط قلبها في قدميها وهي ترد" منذ البداية يا مفرح "
هتف باستنكار متألم " وكنت تعرفين .. كنت تعرفين ولم تخبريني يا مهجة !"
قالت بسرعة " والله العظيم ربي يعلم كم تكلمت مع أمي وكم أخذت من تقريع بسبب ذلك"

صاح بغير تصديق " لم تخبريني .. أنت لم تخبريني يا مهجة والست الهانم بسمة لا ترد على هاتفها وبالتأكيد كانت تعرف ولم تخبرني (وصرخ من وقفته في اسطبل الخيل فأزعج الأحصنة) وربما القرية كلها تعرف إلا أنا .. أنا الوحيد الذي يستغفله الجميع .. ويضحكون عليه من خلف ظهره"

قالت بلهجة باكية وقد آلمها غضبه منها " يا مفرح صدقني مليكة أقسمت علينا أنا وبسمة ألا نخبرك ..هي طلبت ذلك وكانت ترد دوما بأن هذا من أجلك ولا تريدك أن تقف أمام أمي بسببها .. ولم ترغب في أن تخسر أنت والدتك أو أن تضعك في موضع خيار بينهما .. أو لا تكون على مستوى ما ضحيت به من أجلها "

صرخ مفرح وكل ما يسمعه يزيد من شعوره بالألم" اسكتي .. اسكتوا كلكم .. لا أريد أن أسمع تبريرات غبية سخيفة لا معنى لها ..

وأنت حسابك معي كبير يا مهجة .. حسابك
معي كبير لأن صدمتي فيك أنت وبسمة هي
التالية بعد صدمتي في أمي ومليكة "
قالت تحاول الشرح " مفرح أنا..."
أغلق مفرح الخط فنظرت للهاتف وقد انهمرت
دموعها فسألها وليد الذي دخل للمطبخ بعد أن
أنهى مكالمته "ما الأمر؟"
رفعت إليه عينيها الخضراوين باكية وردت
"مفرح غاضب مني؟"
عبس وهو يسألها " لماذا؟"
أخذت تبكي وهي تجيب " لأني لم أخبره بشيء
يخص مليكة وأمي .. لكني كنت عالقة بينهما
ومليكة اقسمت عليّ ألا أخبره "
لم يعرف وليد ماذا يقول بينما وضعت مهجة
الهاتف على المنضدة الرخام ودفنت وجهها في
كفيها وأخذت تبكي.. فاقترب وليد ليحضنها
..وقبّل رأسها قائلا" إهدئي يا مهجة أرجوك"

غمغمت في صدره " لا أحب أن يغضب مني مفرح .. لا أتحمل أن يغضب مني لا أتحمل يا وليد "

حضنها وليد ومط شفتيه ممتعضا وهو يقول بلهجة ساخرة " أعرف هذه المعلومة .. أعرف .. (وهمس في سره) ضاعت الليلة ..وضاع الاحتفال بعيد الميلاد وكالعادة بسبب (كامل الأوصاف) مفرح! "

xxxx

جلست على الأريكة في شقتها شاعرة بالإجهاد ورشفت قليلا من كوب النيسكافيه الذي استطاعت أن تحصل عليه أخيرا .

إن اليوم كان مجهدا كالعادة مع التوأمين رغم أنها ليست بمفردها .. فرحمة لا تتركها وتتناوب معها في مباشرتهما خاصة مع ظروف عملها في الإذاعة الذي يتطلب منها أن تغادر بعد الفجر لتلحق بتقديم برنامجها الصباحي مع فادي

ورد.. وهناك مربية خاصة بالتوأمين تلازمهما .. هذا بالإضافة لسيدة تأتي لتباشر الشقتين يوميا شقتها وشقة أخوات سيد .. ومع هذا تشعر دوما بالإجهاد.. فمسئولياتها كزوجة ومذيعة وأم لتوأمين شقيين ليس سهلا .

استمتعت بالهدوء بعد أن أرسلت المربية بالتوأمين لجديهما إبراهيم وإلهام وقررت أن ترتاح قليلا .

تركت الأريكة وتحركت متبخترة بشورت جينز يصل بالكاد لأعلى فخذيها والتقطت المتحكم الالكتروني وشغلت بعض الأغاني لعلها تسترخي قليلا .. ولولا أن سيد غير موجود لقامت بالرقص قليلا لكنها لم تعد تستمتع بالرقص إلا أمامه .

عادت لتجلس على الأريكة فرن هاتفها فأوقفت الموسيقى وردت" نعم سيد"

قال بصوته الرخيم " أخرجي للشرفة"

عقدت حاجبيها وسألته بغباء" شرفة شقتنا؟!
.. ألم يكن لديك موعد !!"
قال سيد" قلت أخرجي للشرفة يويا"
أسرعت بوضع الهاتف والتقطت اسدال الصلاة لبسته بسرعة ثم التقطت الهاتف مجددا وخرجت للشرفة تنظر في الحارة لتجد سيد يقف مستندا على حائط بيت سماحة المواجه للبناية التي تقع فيها شقتها فعقدت حاجبيها بتساؤل .
قرب سيد يده الحرة ليخبئ فمه الذي قربه من الهاتف وهو يغني بهمس وصوت أبح تلك القصيدة التي ألقتها عليه يوما حينما اعترفت له بالحب .

متى ستعرف كم أهواك يا رجلا
أبيع من أجله الدنيا وما فيها

ارتج قلب آية وهمست بتأثر "سدسد ..ما الذي فكرك بهذه القصيدة !"

استمر سيد في الغناء وقد لمعت عيناه بدموع التأثر فما يشعر به من راحة كان كبيرا

لو تطلب البحر في عينيكَ اسكبه

أو تطلب الشمس في كفيكَ أرميها

سألته آية مبتسمة "ما بك؟.. هل حدث شيء سعيد ؟"

رد وعيناه معلقتان بهيئتها المطلة عليه من الشرفة " لا جديد سوى أني أحبك .. مريض بحبك أنا يويا .. واليوم بالذات أشعر بأني أريد أن أعيد ما قلته لك يوما في نفس هذا الشارع ولكن بصيغة أخرى "

يا آيتي ..

أحبك جدا وجدا وجدا

وما عاد الطريق إلى عينيك مستحيلا

اقترب أحمد بسيارته عائدا من عمله ولمح سيد يقف في نفس المكان الذي يصف فيه سيارته تحت بيت والده وكاد أن يناكفه بمحاولة ضربه

بالسيارة لكنه لاحظ وقفته فركن بعيدا عن البيت وترجل يتطلع في سيد وأخته التي تقف في شرفتها تتحدث معه في الهاتف .
سألها بابتسامة " هل زوجي النسانيس نائمان؟"
ردت آية ضاحكة " إنهما عند أمي طلبتهما فأرسلتهما مع المربية "
جحظت عينا سيد وقال "وتتركيني أقف في الشارع يويا دون أن تبلغيني بأن الشقة خالية!!"
ضحكت وردت بدلال "كان لديك موعد هام" قالتها ثم صمتت فجأة وهي تلمح أحمد يقترب ببطء من سيد .
قال سيد مفسرا " الموعد تم تأجيله من حسن حظي (وأكمل بلهجة حارة) من حسن حظي جدا جدا "

انتبه فجأة لمن يميل ليقرب أذنه من الهاتف فالتفت باستنكار ووجد أحمد الذي اعتدل يتطلع فيه بتدقيق.. فعقد سيد حاجبيه وسأله بعبوس" ماذا تفعل؟؟!"

رفع أحمد أنظاره نحو آية في الشرفة ثم عاد لسيد يقول "أشاهد ماذا يحدث كما سيشاهده كل المارين في الشارع "

قال سيد بعبوس " مالك أنت .. أنا أتحدث مع زوجتي في الهاتف!!"

أطلق أحمد ضحكة ساخرة ورد " زوجتك هذه في بيتكما لا أن تفضحانا في الشارع فتقف تحت الشرفة تغازلها في الهاتف عيب على ضخامتك وسنك (واحاط رقبته بذراعه يقول) تعالى يا حبيبي أريدك"

أفلت منه سيد بعنف يقول بعبوس" ماذا تريد مني؟"

قال أحمد مستهبلا "تعال أريد أن أتحدث معك اشتقت إليك يا رجل "
سبه سيد فتجاهل أحمد ذلك وحاول شده في الوقت الذي خرج فيه وائل ليوصل جابر دبور إلى سيارته وسلم عليه قائلا" أنرتنا يا أستاذ جابر وأنرت العاصمة كلها .. ولا تحمل هم تلك القطعة المميزة التي تريدها فقط حينما يأتي إلى ذهنك التصميم أبلغني في الهاتف وأنا سأعدها لك بنفسي أما الشبكة فأنا أكيد بأن ذوقك سيعجب العروس بارك الله لكما "
شكره جابر بامتنان" أنا شاكر جدا أستاذ وائل (وركب سيارته يضع علبة مخملية كبيرة بجواره ثم قال لوائل) السلام عليكم"
رد وائل السلام وشاهده وهو يتحرك بسيارته مغادرا قبل أن يستدير فيلمح صاحبيه اللذين يتشاكسان في الشارع فرفع حاجبيه ينظر حوله على المارة ثم هتف "عيب يا ولد أنت وهو "

أسرع أحمد بالقول وهو يجاهد ليمسك بسيد
"ألم تكن تريد سيد يا وائل؟! "
غمغم وائل بتردد وهو يفكر" آمممممم ..أجل بالطبع أريده"
دفع سيد أحمد وقال بلهجة خطرة" ابتعد عني يا أحمد"
اقترب وائل يقول بمداعبة " سدسد حبيبي روح قلبي اشتقت إليك "
قالها وهو يقبض على سيد من الناحية الأخرى
فألقى سيد سبة وقحة ..ليرد وائل ببرود وهو يسير بجواره مع أحمد "سامحك الله ..أنا لن أرد عليك لأن أهلي قد ربوني"
ثم مال من خلف ظهر سيد ينظر لأحمد ويغمز بعينه بما يعني (ما الامر؟) ..فأشار له أحمد بأنها مجرد مناكفة .
طاوعهما سيد مستسلما حتى اقتربوا من المقهى ثم قال "أتركاني وسأسير معكما بدلا من

أن أضربكما في الشارع .. أتركاني وسأعطيكما ربع ساعة بالضبط لتقولا ما تريدان "
نظر وائل لأحمد بتردد ثم تركاه بعد أن اقتربا من المقهى وأصبحت العيون عليهم ليقول سيد" ما الامر ؟..ألسنا سنتقابل في العاشرة مساء؟"
قال أحمد بإصرار " أريدك في أمر هام هيا اصعد أمامي"
وضع سيد قدمه على سلم المقهى وقبل أن يضع الثانية كان يعود للخلف ويعدو عائدا إلى حيث كان مهرولا كصبي ضخم وهو ينظر للشرفة فوجد آية قد دخلت ..ليسرع نحو البناية التي يقطن فيها بينما وقف أحمد ووائل يضحكان وقد منعهما الحرج والسن من العدو خلفه فلحقه أحمد بصوته قائلا "عيب على طولك وضخامتك أن تهرول بهذه الطريقة يا هولاكو (وغمغم ساخرا بصوت خافت سمعه

وائل) يا للفضيحة فتوة الحي يجري في الشارع كحرامي الغسيل!"
وضرب كفه في كف وائل وانفجرا بالضحك.

فتح سيد باب شقته ودخل فوجد آية تقف في الصالة وقد خلعت الاسدال تستقبله بابتسامة .. فغمغم وعيناه تأكلانها في الشورت الجينز والتيشيرت البصلي الذي تزينه (قُبّلة حمراء كبيرة) من الأمام بينما شعرها ذو اللفائف الناعمة كذيل حصان خلف ظهرها " أوباش يريدان أن يفسدا عليّ الفرصة "
غمغمت آية بدلال " من يسمعك قد يقول بأنك محروم يا مسكين"

تأكد من اغلاق الباب ثم قال بلهجة مغازلة وهو يبتسم "طبعا محروم .. (وتصنع المسكنة كالعادة) هل نسيت بأني يتيم يويا!"

ضحكت وهي تقترب منه فلف ذراعه حول خصرها ليلصقها بجسده العضلي وسألها بصوت أجش " أين كنا قبل أن يقاطعنا هذا الثقيل... آه تذكرت "

وأكمل غنائه لها يميل بها جانبا على ذراعه فغمغمت معه تشاركه الغناء .

أنا أحبك فوق الغيم أكتبها
وللعصافير والأشجار أحكيها
أنا أحبك فوق الماء انقشها
وللعناقيد والأقداح أسقيها
أنا أحبك حاول
حاول
حاول
أن تساعدني .

أطبق على شفتيها بقبلة نهمة ملتهبة الأنفاس فتحسست آية ذراعه الضخم قبل أن يفلت

شفتيها ويكمل غناءه بصوت متهدج وهو يعبث بملابسها .

فإن من بدأ المأساة ينهيها
وإن من فتح الأبواب يغلقها
وأن من أشعل النيران يطفيها

عاد لالتهام شفتيها في الوقت الذي رن جرس الباب .

بنفس الوضع المائل فضا اشتباك شفتيهما وأدارا وجهيهما بنظرات محبطة للباب خاصة حينما سمعا دقات كفوف صغيرة عليه ..فعادا ينظران لبعضهما وسألها سيد بصوت هامس" قلت متى سيحضر زوجي النسانيس خاصتنا؟"

ردت بنفس الهمس "أمي أخبرتني بأنها لن تتركهما إلا عندما ارسل إليها لأنني أخبرتها بأني قد أغفو قليلا"

ظل طرق الكفوف الصغيرة على الباب مصاحبا لرن الجرس مرة أخرى فترك سيد خصر أية التي

أسرعت بتعديل ملابسها بينما ذهب هو للباب وفتحه ينظر للمربية قائلا بلهجة خطرة" ماذا حدث لماذا عدت الآن؟"

تأتأت المربية وهي تحمل نغم ذات العامين التي تمد يديها لوالدها بينما أفلت باسل من بين ساقي والده الذي يقف أمام الباب متحفزا يسده بضخامته وأسرع نحو والدته التي استقبلته بالأحضان.

ردت المربية بارتباك" أستاذ أحمد أخبرنا بأنك قد عدت وتريد الطفلين ..فطلبت مني الحاجة إلهام أن أعود "

أطلقت آية ضحكة مجلجلة من خلفه بينما ألقت نغم بنفسها عليه فالتقطها سيد بسرعة وهو يشتم أحمد في سره ويتوعده ثم استدار لآية يناظرها بغيظ .

قالت آية للمربية" أدخلي وأغلقي الباب "

دخلت المرأة بقامتها القصيرة وتحركت تتحاشى سيد إلى الداخل بينما شدت نغم وجه والدها بكفها الصغير إليه تغمغم بسعادة "بابا" التقط سيد كفها من فوق خده وقبّله وهو يقول بحنان" روح بابا والله ..لكن خالك هذا يحتاج لإعادة تأديب "

قربت نغم وجهها منه وطبعت قبلة على لحيته وكأنها تواسيه .. فقهقه سيد وهو يتطلع في عينيها العسليتين كعيني والدتها وشعرها القصير ذو اللفائف الناعمة .

طلب باسل من آية أن ينزل وأسرع لوالده يرفع يديه الاثنين يطلب منه أن يؤرجحه فوضع سيد ابنته فوق كتفيه يطلب منها أن تمسك برأسه بينما أمسك هو بيدي باسل ورفعه في الهواء يهزه إلى الأمام والخلف لتقول آية بقلق "سيد قلت لك أنا أخاف على ذراعيه من هذه اللعبة "

قال سيد وضحكات ابنه تداعب قلبه" قلت لك لا تقلقي أنا أتصرف بحرص (ثم أضاف وهو يداعب ابنه) لا مفر من تسريبكما عند رحمة لبعض الوقت "

قالها وهو يغمز لآية وعيناه مسمرتان على الشورت الجينز.

xxxxx

"يا الهي !.. وأنا الذي كنت أشعر بالسعادة لخروجكما للنزهة !"

قالها شامل فأطرق كامل برأسه في وقفته أمام باب المطعم يديه في جيبي بنطاله .. فأضاف شامل" هذا ما كنت أخشاه أن تنفلت أعصابك فترعبها"

قال كامل باختناق" تعبت يا شامل ..تعبت ..أنت تشعر بي أليس كذلك ؟"

هز شامل رأسه وقال بأسف " أشعر بك ومتألم لأني غير قادر على مساعدتك بأي شيء لكن يا

كامل لا تستسلم لوساوسك .. لا تجعلها تنغص عليك حياتك.. أنت تحبها ..وتتوق لإتمام زواجك بها ..يصعب عليّ أن أجدك عطشان والماء زلال أمامك لكنك تحرم نفسك منه"

فرك كامل رأسه بأصابعه بقوة وهو يقول "أشعر بأني على حافة الجنون وأشعر بأني لو انفلتت أعصابي معها ستكرهني بشدة .. لأني سأكون معها لحظتها بكل وساوسي وجروحي وعقدي الشخصية "

صمت شامل يشعر بالأسف والخوف في الوقت نفسه على توأمه بينما أردف كامل "أشعر برغبة في الابتعاد لابد أن أعيد ترتيب أفكاري "

قال شامل وكأنه قد تذكر شيئا "نسيت أن أخبرك .. متى تفقدت بريدك الالكتروني آخر مرة ؟"

رد كامل عابسا" آخر مرة منذ أسبوع لأني التهيت بمرضي وبالأمور الأخرى التي حدثت بعد ذلك"

قال شامل " أنا مثلك و اكتشفت اليوم بأن هناك دعوة للاشتراك في الدورة التدريبية للطباخين بأمريكا يا كامل قد أرسلت لي.. الدورة التي كنا نتمنى أن يقبلونا بها"

اتسعت عينا كامل بمفاجأة وأسرع بإخراج هاتفه ليكمل شامل مضيفا " بعثوا لي موافقة للاشتراك وتسهيلات للحصول على تأشيرة سريعة من السفارة وأتوقع بأنهم قد ارسلوا لك أنت أيضا "

قلب كامل في بريده الالكتروني بسرعة ليقول بعد دقيقة "لقد أرسلوا لي أنا الأخر(ورفع رأسه لأخيه يسأله) ماذا سنفعل ؟"

رد شامل بوجوم "أنا طبعا لن أستطيع أن أترك ونس في هذه الفترة تعرف بأنها مندفعة

والحمل لم يستقر وضعه بعد كما أننا لن
نستطيع أن نترك البيت والمطعم نحن الاثنان
في نفس الوقت لفترة طويلة "
دقق كامل في البريد الالكتروني يقرأه بتمعن
وسأله" كم مدة الدورة التدريبية ؟"
رد شامل "أسبوعان "
هز كامل رأسه وقال" أنا سأسافر"
تطلع فيه شامل بتساؤل إن كان متأكدا مما
يقول ..فأجاب كامل السؤال الذي برأس أخيه
قائلا " بعيدا عن أن هذه الدورة كنا نتمنى أن
نلتحق بها أنا وأنت ..وأن الشهادة الخاصة بها
شهادة معتمدة وعالمية وستضيف لنا بالتأكيد
.. فأنا أرغب في هدنة أشعر بأني أوشك على أن
أفعل شيئا بشعا يا شامل وأنت تفهم ما الذي
أعنيه ووقتها سأكره نفسي ..سأموت إن أذيتها
"

قال شامل متفهما " ربما يكون هذا هو الحل حاليا لكن عدني بشيء "

نظر له أخيه ليردف "عدني بأنك حينما تعود ستتحدث مع بسمة بشكل مباشر وستصارحها بكل شيء"

تطلع فيه كامل بنظرات استهجان جعلت شامل يقول "الصراحة والوضوح يا كامل وهذا ما قلته لك منذ أن عزمت على الزواج منها ما تفعله هو الغباء بعينه"

قال كامل متألما "وماذا لو كانت لا تزال تحب زوجها السابق قلبي سيؤلمني بشدة"

هتف شامل بعصبية " المشكلة ليست في قلبك يا كامل وأنا وأنت نعرف .. إن كان الأمر سيقتصر على القلب فالقلب دوما يصفح ..يتخذ اعذارا ..يرضى بقليل القليل .. القلوب عندما تحب تبرر ..وتصبر ..وتستسلم خاصة وأنها الآن زوجتك ولم تعد زوجته ..وبالطبع

هي ليست غبية لتصرح لك بكل فجاجة بأنها تحب زوجها السابق حتى لو كانت هذه هي الحقيقة .. ستعيش معك بما يرضي الله وأنا أكيد بأنك قادر على جعلها تحبك "

هتف بعذاب عاشق غيور يشعر بالظلم "ولماذا لا تحبني من أول لحظة! .. من أول نظرة !..ولماذا عليّ أن أقنعها بحبي؟!"

قال شامل يواجه توأمه .. كضميره .. كمرآته " هذه هي مشكلتك يا كامل عنجهيتك .. غرورك .. الاثنان يقفان ضدك يفسدان عليك كل شيء .. الحب ليس أنانية يا كامل بل تضحية من أجل الأخر "

هتف بكبرياء ذكوري متضخم " لكني أريد أن أكون أناني معها .. أريدها لي أنا .. لا قبلي ولا بعدي لأني أنا الأخر..."

قاطعه شامل بلهجة موبخة حازمة " أنت الأخر كانت لك زيجة سابقة وعلاقات سابقة أيضا "

رد بصوت متألم يدافع عن نفسه وعن مشاعره " لكني لم أحب أيا منهن كما أحبها .. (واختنق صوته بالمشاعر يضيف) بل انني لم أحب سواها وأنت تعرف"

رغم شعوره بكل ما يجيش في صدر توأمه لكن شامل كان متماسكا ومصرا على أن يواجهه " وما أدراك بأنها ليست مثلك لم تحب زوجها السابق وتحبك أو ستحبك ولن تحب غيرك "

غمغم كامل بضيق "لكن.."

قاطعه شامل بنفس اللهجة الحازمة "اسمع يا كامل هذا الوسواس الذي تملك منك قلت لك من قبل عليك بهزيمته .. أمامك حلّان .. إما أن تخسرها للأبد أو تقبل بها بكل ما فيها من علل بالنسبة لك ..كحقيقة زيجتها السابقة التي

تزعجك وإمكانية أنها قد تكون قد سبق وعشقت زوجها السابق .. (ونظر في عينيه يدقق على كل حرف) إما أن تحصل على جزء منها .. أو تخسرها يا أخي .. ليس هناك حل ثالث .. فهي لن تمحو ما مرت به قبلك من تاريخها "

فرك كامل رأسه بيديه فأشفق عليه شامل وهو يسمعه يقول " أنا فقط كنت أحاول الانتصار على وساوسي أولا "

قال شامل بهدوء مؤكدا "الانتصار على وساوسك سيكون بتقبلها بكل ما فيها "

شعر كامل بأنه محاصر من جميع الجهات فغمغم وهو مستمر في فرك رأسه بأصابعه "أنا مرهق جدا .. لهذا سأسافر لهذه الدورة لأرتب أفكاري .. ادع لي أن اتخلص من جحيمي يا شامل .. ادع لي فأنا في حاجة ماسة للدعاء"

كانت كلماته المتوسلة وما يشعر به شامل بالنيابة عن أخيه تؤكد له بأن توأمه في حالة سيئة أقلقته عليه فغمغم وهو يربت على كتفه" أسأل الله أن يهدي لك نفسك وييسر أمورك ويسعدك إن شاء الله "

xxxx

خرجت المرأة التي تساعد في بيت العسال من إحدى الغرف الأرضية ممتقعة الوجه فسألتها وجدان" هل حدث شيء؟"

أجابت وهي تحاول أن تداري ضيقها" تريد عصيرا للحاضرات"

هتفت وجدان بهمس مغتاظ "عصير مرة أخرى بخلاف الشاي والحلويات والغداء !! "

أضافت هدى بتهكم وهي تتطلع في سواد الليل "والعشاء قادم أيضا "

أشارت وجدان للمرأة بأن تنصرف لتنفذ بينما عادت لتجلس على أحد المقاعد في صالة

البيت تتفتت من الغيظ ونظرت لهدى تقول "لن نتحمل هذا كثيرا يا هدى .. لقد حولت البيت لصديقات تدخل وتخرج وكأننا في فندق لا ينقص إلا أن يبتن عندنا "

صمتت هدى تشاركها الشعور بالغضب بينما اعتدلت كاميليا في الداخل بخيلاء في جلستها على الأريكة وبحركة متباهية حركت ذراعها فرنت أساورها التي ترتديها في كل يد لتقول صديقتها أماني" هل هذه الأساور جديدة يا كاميليا؟"

ردت الأخيرة تتصنع عدم الاهتمام" لا هذه كانت إحدى هدايا أبو ميس "

غمزت صديقتها الأخرى سناء تقول بمكر "هل لا تزالين تلبسينها لأنك تشتاقين له"

أصدرت كاميليا صوتا ساخرا من حنجرتها وردت باستهجان "من التي اشتاقت إليه !.. لقد

تخلصت منه أخيرا بعد أن كان يخنقني وها نحن عدنا للتجمع مرة أخرى يا بنات"
قالت صاحبتها الثالثة منى "أجل يا كاميليا لقد افتقدناك بشدة ..مر وقت طويل لم نلتقي إلا في المناسبات أو بالصدفة ولا يربطنا إلا الهاتف"
قالت كاميليا بضيق "كما تعلمن لم يعجبه أن تأتيّن لعندي وتقضيّن النهار ومنعني كما كان يمنعني من أشياء كثيرة لكن كل هذا كان في الماضي "
قالت منى "ربما لو تزوجت مرة أخرى يفعل زوجك مثله ويمنعك عنا وعن رغبتنا في مصاحبتك "
بابتسامة واثقة قالت كاميليا " لا ..هذه المرة سأنتقي بدقة أكثر وأضع شروطي .. لن أكون ساذجة في اختياري كالمرة السابقة"

بحركة مخفية عوجت أماني فمها تغمغم في سرها" إنها تتوقع بأنها ستتشرط وهي أضحت مطلقة "

تكلمت منى بلهجة ماكرة " البلدة ليس لها حديث إلا زواج جابر وأم هاشم ومنهم من يشيع بأنها قد عقدت له عملا عند أحد الشيوخ"

مطت كاميليا شفتيها تداري غلا وغيرة وردت بذقن مرفوع متصنعة عدم الاهتمام" بلا عمل بلا زفت ..كانت نفعت نفسها قبل أن تصل لهذا العمر دون زواج .. كل ما في الأمر أنه يحاول أن يهيننني بزواجه من السوداء لأنني رفضت تذلله لي كي أعود له "

رفعت منى حاجبيها تتهمها في سرها بالكذب بينما أضافت كاميليا "لكنه يغيب عنه أن الجميع يعرفون جيدا من هي كاميليا العسال"

قالت أماني بغيظ "وهل ستسكتين يا كاميليا على محاولته لإهانتك ؟"
بنفس اللهجة اللامبالية المزيفة ردت بهدوء "حبيبتي دعي السحر ينقلب على الساحر .. هذه السوداء منحوسة أنسيتم أيام المدرسة .. ألم نكن كلنا في فصل واحد وتعلمون الاشاعات التي كانت تطلق عليها بأنها وجه شؤم (وبرقت لمعة شيطانية في عينيها وهي تحدق في الفراغ مضيفة) سترون ماذا سيحدث له وكيف سيصيبه نحسها حتى يعرف كيف يحترم كاميليا العسال "
نظرت منى لصاحبتيها بحماس ثم قالت بلهفة" يبدو أن لديك خطة لرد تلك الإهانة التي وجهها لك يا كاميليا"
زينت ابتسامة غامضة فم كاميليا وردت "سنرى.. لا تستعجلن الأحداث .. هذا بالطبع لو أكمل الزيجة ولم يعد لرشده ويفيق من هذا

الجنون الذي يفعله فليس لأني رفضت أن أعود إليه ينتحر بزيجة كهذه"
بعد قليل ودعت كاميليا صاحباتها الثلاث أمام بيت العسال لتقول أماني" والله يا كاميليا لا تعلمي مدى سعادتنا برجوعنا للتجمع عندك من جديد "
ضحكت كاميليا وردت بمفاخرة" لا تقلقن دوما جلسة كاميليا العسال ستستقبل الجميع"
ودعت الفتيات كاميليا وتحركن مغادرات بينما سمعت هي صوت بوق سيارة ينبهها قبل أن تغلق البوابة خلفهن فاشرأبت بعنقها لترى ابن عمها الحاج بسطاويسي يغادر سيارته بجسده البدين وهو يتطلع فيها .. ثم عدل من موضع عباءته على كتفيه بخيلاء واقترب منها فوقفت تناظره بتساؤل قبل أن تبادره بالقول" أخي بدير ليس موجودا الآن"

قال بسطاويسي" السلام عليكم يا بنت عمي ..
أنا أعلم مكان بدير جيدا.. كنت فقط أمر من
هنا فلمحتك وأردت أن ألقي السلام "
هزت كاميليا رأسها بينما أكلها بسطاويسي
بعينيه .. هذه المرة الثانية التي يراها دون
حجاب شعرها مصبوغ بالأصفر وتلك العباءة
الناعمة تصف جسدها الأبيض الممتلئ ..
ولاحظ لون طلاء أظافرها الملفت .. وزينة
وجهها وهو يؤكد لنفسه بأنها تضع مساحيق
تجميل رغم أنه ليس واضحا منها غير الكحل ..
الكحل الذي يزين عينيها الخضراوين الواسعتين
.
يا إلهي كيف لهذا الغبي أن يطلق سراح هذه
الفاتنة من بين يديه !
لم تكن كاميليا غبية حتى لا تلتقط نظرة
الإعجاب في عينيه ورغم أنها تفاجأت من
نظرته .. لكن داعب هذا غرورها أن يشتهيها

رجل قد أتم الخمسين .. بل إن هذا الشعور يمتعها بشدة .. أن يشتهيها الرجال من حولها وهي صعبة المنال .

قالت بميوعة وهي ترفع ذقنها "هل تريد شيئا يا أبا محمد؟"

ابتسم بسطاويسي ابتسامة لزجة وأجاب" أنا فقط أريد أن أخبرك بألا تقلقي من أي شيء .. وإن احتجت لأي شيء (وربت على صدره) اتصلي بي .. ما تريدينه أيا كان (وربت على جانب رقبته) رقبة ابن عمك سدادة "

اعجبتها اللعبة .. لم تتجاوب منذ مدة مع نظرات الرجال المعجبة بها .. بل إنها تشعر اللحظة بأنها أكثر تحررا من قبل زواجها .. هي الآن أجرأ وأكثر تطلبا وخبرة في التعامل مع الجنس الأخر فقالت بلهجة مائعة "عشت يا أبا محمد"

قال بسطاويسي بلهجة مغازلة" نريد أن ننول
رضا جميلة جميلات البلدة"
أطربها اللقب .. غازل غرورها فقالت بدلال
وهي تهم بالابتعاد" شكرا يا أبا محمد"
أردف بسطاويسي وهو يبلع ريقه" وحين تنتهي
عدتك لنا كلام أخر كي ننول الرضا "
أطلقت ضحكة عابثة ساخرة وقالت بتهكم
"من الذي يريد أن ينول رضاي فابنك أصغر
مني ببضع سنوات (وغمزت بعينها المكحلة
وأضافت) وأنا لا أتزوج ممن هم أصغر مني ..
بعد أذنك اغلق البوابة حين تغادر "
قالتها مبتعدة للداخل بمشية متبخترة ترفع
طرف عباءتها رغم أنها ليست طويلة إلى الأرض
فلاح خلخال ذهبي أسر عين بسطاويسي وهو
يتابعها يزين تلك الساق البيضاء التي تظهر من
طرف العباءة حتى استدارت بمجرد دخولها

لباب البيت ترمقه بنظرة ساخرة أخرى وتغلق الباب .
سحب بسطاويسي البوابة ليغلقها ونار الرغبة التي تشتعل في صدره قد وصلت لرأسه فقال بابتسامة باردة" يحق لك الدلال .. لكنك لا تعرفين من هو بسطاويسي بعد يا بنت العم "

xxxx

سمعت صوت باب الشقة (الجديد) يغلق فعلمت بأنه قد عاد أخيرا .. فانتفضت واقفة من جلستها على السرير ثم ترددت وعادت لتجلس من جديد وأخذت تفرك يديها في بعضهما وافكارها ما بين مد وجزر كما قضت الساعات الماضية وهي تنتظر عودته .
سمعته يدخل غرفة الأولاد .. المكان الذي لا يزال يبيت فيه ولم تعرف ماذا تفعل .. هل تذهب إليه أم تتركه حتى يهدأ .. المشكلة بأنها لا تعرف ماذا تقول له .. كيف تفسر له تلك

المشاعر التي تسيطر عليها .. كيف تشرح له ماذا تفعل بها القوة السوداء .. وكيف تنتقم منها أشد انتقام كلما حاولت المقاومة ..
بعد قليل خرج مفرح من الحمام بعد أن اغتسل وعاد لغرفة الأولاد في صمت كئيب وروح منهكة .. واتخذ مكانه بجوار إياد يشعر بإجهاد شديد وكأنه كان يجر شاحنة خلف ظهره لمسافة طويلة .
أغمض عينيه يسأل نفسه بقلق ..هل عليه أن يذهب ليطمئن على أنها بخير ؟ .. لقد لاحظ اضاءة غرفتها مشتعلة..

أكله القلق فهم بالقيام من رقدته لكنه سمع صوت باب غرفتها يفتح فاطمئن قلبه بأنها بخير وعاد للاستلقاء و تابع صوت خطواتها التي اقتربت حتى وقفت أمام باب غرفة الأولاد

للحظات .. قبل أن تعود لأدراجها وتبتعد ويسمع صوت باب الغرفة يغلق من جديد.
شعر بالراحة لأنها لم تدخل .. فهو غير قادر على مواجهتها الآن .. لا يزال غاضبا متألما مقهورا منها وعليها ويخشى من انفعالاته أن تؤذيها .
أغمض عينيه وتذكر كيف اتصل بأخيها الدكتور أكرم منذ قليل وأكد ضرورة اقناعها بالخضوع لاستشارة نفسية .. صحيح لم يستطع أن يحكي له تفاصيل ما حدث من والدته .. فكيف سيخبره بأمر مخزٍ كهذا كما لم يستطع أن يخبره من قبل بما يحدث بينهما في علاقتهما الخاصة ..لكن أكرم كان متفهما ووعده بأنه سيكون أكثر حسما معها .. أما هو ..مفرح ..فقرر أن يضغط عليها بالخصام لعل ذلك يأتي بنتيجة .

بعد قليل سمع صوت باب الغرفة يفتح لكنه ظل مغمض العينين فاقتربت مليكة حافية القدمين منه وهي تظنه قد نام وتأملت ذراعيه المعقودين تحت صدره في نومته على جانبه .. اقتربت أكثر ومدت يدها تمسح على شعره بحنان ثم مالت تطبع قبلة على خده وأسرعت تغادر الغرفة وهي تكتم شهقاتها الباكية بعد أن عدلت رأس إياد المتدلية من الناحية الأخرى من السرير وعدلت ملابس أدهم لتغطي ظهره الذي كان عاريا .

بمجرد أن أغلقت الباب غرس مفرح رأسه في الوسادة بقوة وكأنه يريد أن يلصقه بها حتى لا يضعف ويندفع خلفها .. قلبه يؤلمه وكرامته تؤلمه ورأسه وكل شيء فيه يتألم فغمغم متأوها وهو يكتم صوته في الوسادة "يا رب .. رحمتك بنا يا رب "

xxxx

بعد عدة أيام
صباحا

وقفت تحضن نفسها تنظر لسوسو وهي توصي كامل بأن يهتم بنفسه أثناء سفره قبل أن يسلم الأخير على والده ثم وقف أمام ونس يقول بامتعاض" أنت يا صغيرة اهتمي بأخي وإياك أن تحزنيه وفي المقابل اعدك بأن احضر لك شيكولاتة "

قالها متهكما فضيقت ونس عينيها تناظره وهي تداري شعورها بالتأثر لسفره فتركها وتحرك يغادر الفيلا بعد أن تقابلت عيناه بعيني بسمة بنظرة خاطفة لكنها حملت الكثير من الكلام الغامض .

تحرك مغادرا فتحركت بسمة وونس خلفه إلى الحديقة ومنها للباب الجانبي المؤدي للمرآب فاستدار كامل يقول لبسمة " كما أخبرتك تركت لك نقودا في الدرج وإن احتجت لشيء اطلبيه

من شامل وهو لن يتأخر .. ولو سمحت أي خروج خارج البيت أعلم به قبلها "
قالها وتحرك بوجه واجم كحالته معها الأيام الماضية ودخل من الباب المؤدي للمرآب .
أطرقت بسمة برأسها تبتلع غصة في حلقها رغم الشعور بالغضب الذي لا يزال يلازمها منذ أخر شجار بينهما ومن بروده معها بعد ذلك حتى أنه لم يعد يبيت على السرير بل اتخذ من غرفة الألعاب مقرا دائما .. كمن يتحاشى البقاء معها .. قضى الأيام الماضية كلها في تجهيز أوراق السفر أو هكذا كان يتحجج حتى يقضي اليوم كله خارج البيت ويومين منهم قضى السهرة مع مفرح الذي لم تكن تعلم ما به حتى حكت لها مليكة ما حدث ..
ورغم شعورها بالغيظ منه وبالغضب وبالرغبة في خناق ذلك البارد الذي عاد متعجرفا متعاليا

أسوأ من ذي قبل .. رغم كل هذا تشعر بحزن شديد لسفره ..
ربتت عليها ونس بمواساة وكأنها تشعر بما يدور بخلدها فابتسمت لها بسمة ابتسامة حزينة وعادت لتحضن نفسها وتحدق في السور الفاصل بين الحديقة والمطعم والذي تخرج السيارات من المرآب بمحاذاته إلى الشارع وشاهدت السيارة تغادر .
شعور بالفقد فائق السرعة بدأ يجتاحها ..

آه يا كامل ..
يامن أضحيت لغزا في حياتها ..
طاقة نور ونار غامضة لا تعرف إن اقتربت منها ستدفئها أم ستحرقها.
رن جرس البوابة الخارجية فعبست ونس وأسرعت مهرولة كالعادة لتهتف فيها بسمة بتوبيخ" ألن تكفي عن الهرولة يا ونس!"

خرج غنيم من الفيلا وتبادل مع بسمة النظرات اليائسة من توقف ونس عن الاندفاع بينما صاحت الأخيرة بفرحة حين وجدت والدها على البوابة فطوقت رقبته بذراعيها بفرحة عارمة بينما عيد يحضنها ويربت على ظهرها متأثرا .

اقترب غنيم يرحب به قائلا" أهلا بالرجل الطيب"

أبعد عيد ذراعي ونس عنه ومد يده في سلام حار لغنيم قبل أن يستدير ويقول للسائق الذي أوصله" ضع الأشياء في الحديقة يا أبا سالم "

نفذ الرجل أمام انظار غنيم العاتبة فوضع أسبته وأقفاص ولفائف في الحديقة نقلها من السيارة قبل أن يحييهم ويغادر بينما اقتربت بسمة تحي عيد بابتسامة مرحبة" كيف حالك يا عم عيد؟ "

ابتسم عيد قائلا "بخير يا باشمهندسة أرجو أن تكوني بخير"
هزت بسمة رأسها ليقول عيد لونس بعبوس" أين زوجك أريد أن اخانقه "
اتسعت عينا ونس بينما قال غنيم بهدوء وقد خمن ردة فعله بعد أن أخبره شامل بأنه قد اخبره ليلة أمس بحمل ونس بعدما انزلقت الأخيرة في الحديث مع والدها وذكرت له أنها كانت بالمستشفى .. فأسرع عندها شامل بإخباره بما حدث وتوقع بأن يحضر من باكورة الصبح" ماذا فعل شامل يا حاج عيد ؟"
قال عيد لغنيم منفعلا "أيرضيك أن يخفي عني أمر دخول ابنتي المستشفى"
وقفت ونس شاعرة بالتوتر وبالذنب أن ذكرت أمر المستشفى دون أن تعي في حديثها معه على الواتساب أمس وحاولت مسح كلامها بعد ارساله لكنه كان قد قرأه.

رد غنيم وهو يسحب عيد من يده "يا حاج عيد كلنا اشفقنا عليك من القلق قلنا سنخبرك بعدما يستقر الوضع تعال لنجلس بالداخل "
قال عيد بإصرار" أنا أرتاح هنا في الحديقة على هذه المقاعد"
قالها وهو يشير إلى المقاعد أمامه فاستسلم غنيم لرغبته وقاده إليها بينما قال عيد لغنيم بانفعال" لكن كان على شامل أن يخبرني لأكون بجوارها بالمستشفى"
قال غنيم معاتبا "وهل نحن سنقصر مع ابنتنا "

وأشار لها لتقترب ففعلت وعلى وجهها ملامح شقية فأحاط الأخير ذراعه بجذعها بينما ونس تضحك .
قال عيد بهدوء" حاشا لله أنتم أهل الأصول كله .. مبارك لكم على الحفيد يا غنيم بك ليتممها الله على خير"

رد غنيم" ولك يا حاج عيد"
سألته بسمة" ماذا تشرب يا عم عيد؟"
أجاب غنيم "بل سيفطر .. أنا لم أفطر بعد وأنوي أن أطلب منهم أن يعدو لنا فطورا دسما"
قال عيد بحرج" لقد فطرت قبل أن أتحرك من البيت"
رد غنيم بإصرار" ستفطر معي ليس هناك فرصة للإفلات هذه المرة (وأخفض صوته يضيف) سأفطر معك حتى لا تعترض سوسو على أكلي فطور دسم"
قالت بسمة " إذن دعني أنا أعد لكما الفطور"
ابتسم غنيم وقال " خذيني معك لأساعدك فيه ولنترك هذا الرجل مع جنيته قليلا (ونظر لعيد مضيفا) خذ راحتك يا حاج عيد البيت بيتك "
غمغم عيد بالشكر بينما تحرك غنيم يمنح بسمة مرفقه لترافقه فابتسمت الأخيرة رغم

عيناها الحزينتان وتعلقت بذراعه نحو الداخل
وغنيم يناغشها قائلا" سيمر الأسبوعان بسرعة
وسيعود بإذن الله "
وكأن عبارته قد ضغطت على زر الدموع فقالت
بحشرجة "إن شاء الله"
قالتها وهي تتشبث بذراع غنيم وذلك الشعور
بالفقد تتسع رقعته بداخلها .
أما عيد فجلس ينظر لونس التي وقفت أمامه
تشبك يديها خلف ظهرها وتتأرجح يمينا ويسارا
بوجنتين مشتعلتين فغامت عيناه لكنه قال"
أجلسي يا ست الهانم وأخبريني كيف انزلقت في
الحمام "
اقتربت ونس وجلست على حجره تلف ذراعيها
حول عنقه بدلال فقال شاعرا بالحرج وهو
ينظر لباب الفيلا "بنت تحشمي واجلسي
كالعقلاء "

ضحكت ونس وتركت حجره لتجلس على المقعد المجاور له وتطلعت فيه بسعادة ..
فسألها بلهفة "هل أنت بخير ؟هل وضع الجنين مستقر ؟"
أمسكت بدفترها من جيبها القماشي الذي تعلقه في كل ملابسها وكتبت" كنا عند الطبيبة أمس وأخبرتنا أن الوضع أكثر استقرارا لكن هناك بعض التحذيرات حتى لا اؤذي نفسي "
غامت عيناه وتطلع فيها لا يصدق بأن ابنته الصغيرة ستصبح أما ..فضربها بمشط يده على خدها بخفة يقول مناكفا" ستصبحين أما يا بنت الكلب!"
ضحكت ونس فرحة ..فتأملتها عيناه وهي تكتب له" صوتك جميل يا عيد"
قال بابتسامة خجول على وجهه "وأنت تزدادين ميوعة وقلة أدب يوما عن يوم يا بنت عيد"

عادت ونس لتضحك ثم مالت برأسها على صدره كقطة صغيرة فلف عيد ذراعه حول جذعها يحضنها بينما وسواس شيطاني أخذ يذكره بولادة أمها المتعسرة التي تسببت في موتها .. لكنه أسرع بالاستعاذة من الشيطان الرجيم وأخذ يمسح على رأسها ويقرأ ما تيسر له من آيات القرآن يدعو بأن يحفظها الله هي وجنينها .

xxxx

بعد الظهر

وقفت أم هاشم تحدق في منامة عروس من قطعتين صغيرتين قطعة علوية صفراء من قماش مكشكش لن تغطي إلا نصف الجذع بربع كم .. والأخرى سفلية عبارة عن شورت أسود قصير مطبوع عليه وردات كبيرة من زهرة دوار الشمس الصفراء فغمغمت بصوت خافت

بانبهار" يا إله العالمين! .. هذا الطقم يدعو صراحة للانحراف .. وأنا أتمنى أن أنحرف"

كتمت مليكة الضحك بصعوبة وهي تغطي فمها بكفها وتتطلع حولها ثم قالت لأم هاشم بهمس موبخ" أخرسي وكفي عن الوقاحة فأنت لسان فقط "

قالت أم هاشم وهي تتفحص القطعتين في يديها" وما ذنبي أنا أن القطعتين تحفزان المخيلة للوقاحة !"

سألتها مليكة "هل نشتريهما إذن؟ "

غمغمت أم هاشم "نشتريها لما لا (وأشارت للبائعة تطلب منها أن تضعها مع باقي حاجياتها ثم أضافت بصوت خافت) رغم أني أتوقع بأنه سيكون بشعا عليّ وسيفسد لون بشرتي شكله لكن لا بأس من الممكن أن ارتديه بيني وبين نفسي في بعض الأحيان "

قالت مليكة بلهجة موبخة" ألن تكفي عن التقليل من نفسك؟ "

ردت أم هاشم بهدوء ولهجة عاقلة " أبدا والله أنا لا أعترض على شيء لكني اتحدث عن حقيقة "

قالت مليكة بتقريع " عن أية حقيقة تتحدثين يا غبية!.. هذا كله ما أدخله الناس في رأسك.. انتظري"

وأخرجت هاتفها تكتب شيئا على محركات البحث ثم قالت "انظري هؤلاء عارضات أزياء سمراوات أجرهن بالدولار"

دققت أم هاشم لتضيف مليكة "وهذه فتاة افريقية سمراء انظري إليها دققي في ملامحها أليست جميلة جدا"

غمغمت أم هاشم معترفة "بصراحة مبهرة"

نظرت لها مليكة تقول" أنت حينما تغيرين هذا السواد وتتزينين ستصبحين مثلهن "

قالت أم هاشم بحزن" ربما لأني أريد لجابر أفضل شيء أشعر بذلك "

تكلمت مليكة بيقين" أنت الأفضل يا أم هاشم .. ولو كان انسانا بهذه القيمة التي تختصينه بها.. وأنا أعلم بأنك لن تضعي أحدا في مكانة كهذه إلا من يستحقها فأنا أؤكد لك بأنه سيراك الأفضل على الاطلاق "

غمغمت أم هاشم بمحبة "لا حرمني الله منك يا مليكة أعلم ما تريدين أن تقوليه وصدقيني أفهمه.. لكن كما تعلمين لن أستطع أن أضغط على زر لأغير صورتي عن نفسي التي تكونت على مدى ثلاثين عام من تعليقات الناس"

ربتت مليكة على ذراعها وتحركتا نحو الكاشير للمحاسبة فحاولت الدفع إلا أن أم هاشم زمجرت ورفضت بشدة لتقول مليكة "لا بأس لك هدية زواج عندي سأشتريها على ذوقي ما دمت لا تريدين أن تخبريني ماذا أحضر لك"

بعد قليل دخلتا محلا للعباءات في ذلك المول الكبير بمركز المحافظة فقالت أم هاشم بامتنان" اتعبتك معي يا مليكة فيبدو الاجهاد عليك واضحا "

قالت مليكة وهي تتأبط ذراعها" وهل عندنا أعز من مشمش .. بسمة كانت تريد أن تحضر لتساعد .. لكن كما قالت لك زوجها سيسافر اليوم ولن تقدر على السفر في غيابه"

قالت أم هاشم مغمغمة بتأثر "لا حرمني الله منكما يا بنات(وتطلعت في مليكة مدققة تسأل) هل أنت بخير تبدين مرهقة بشدة؟"

أخفت مليكة خلف ابتسامة مطمئنة ما تمر به من حال صعب فمنذ ذلك اليوم الذي غضب منها مفرح لا يزال يخاصمها يخرج صباحا ويعود عند النوم فقالت" لا شيء يا حبيبتي ربما أنا مقبلة على نزلة برد .. (واتسعت عيناها

فجأة ثم اشاحت بوجهها تقول) يا إلهي من أين أتت هذه الآن!"

أدارت أم هاشم وجهها لتجد كاميليا تدخل المحل بعباءة لامعة من عند الأكمام والذيل تضع مساحيق الزينة على وجهها بمبالغة والغرة الصفراء على جانب واحد من نصف رأسها المكشوف تحت الطرحة ومعها ثلاث من النساء تعرفهن جيدا فهن زميلات الدراسة ومن شلة كاميليا .. فأدارت وجهها وقالت "أعوذ بالله !"

سألتها مليكة" هل نغادر؟"

ردت أم هاشم بكبرياء " لماذا؟ .. لا أريدها أن تشعر بأني أهرب منها .. لابد أن تراني وأنا اشتري مثل أي عروس لتعتقد بأن الأمر حقيقي وبأنها تضيع من يدها شيئا ثمينا"

تنهدت مليكة وقالت" رأسك يابس كالعادة ومصرة على تنفيذ خطتك"

قالت أم هاشم لمليكة وهي تتطلع في العباءات" اختاري لي يا مليكة أنت ذوقك راقي "

قالت الأخيرة وهي تتطلع في القصات والانواع أمامها" بالطبع سأختار لك لماذا أنا هنا إن لم يكن لذلك "

على الناحية الأخرى وقفت كاميليا تدقق في عباءة مطرزة من أولها لأخرها على دمية العرض ولم تعجبها فقط العباءة ولكن أطربها أن ترى العيون المبهورة بالعباءة من صاحباتها خاصة حينما سألتها أماني "هل ستشترينها بهذا المبلغ الكبير؟؟"

ردت كاميليا بمباهاة واستعراض" حبيبتي أنا معتادة على شراء كل شيء يخصني بهذه المبالغ"

تكلمت منى تداري حقدها "بصراحة لن أنسى تلك العباءة الخضراء التي رأيتها عندك ذات التطريز المبهر"

لكزت سناء كاميليا تقول بسرعة" أنظري يا كاميليا انظري من موجود بالمحل "
استدارت الأخيرة لتتفاجأ بأم هاشم فلبستها الشياطين خاصة حينما قالت أماني متهكمة " تعيش في دور العروس وتشتري مع بنت الصوالحة ثيابها "
رفعت كاميليا ذقنها بكبرياء وتحركت متبخترة تطقطق بكعبها العالي في اتجاههما .. لتتبادل صاحباتها النظرات ويسرعن باللحاق بها وقد أصابهن الحماس لعرض شيق على وشك الحدوث .
وقفت كاميليا بالقرب من أم هاشم ومليكة وقالت لصاحباتها بتهكم "يقولون في الأمثال .. (القالب غالب) أي أنه مهما لبست المرأة من ثياب جميلة إن لم تكن هي كذلك فلن تغير الملابس منها شيئا"

ردت أم هاشم بصوت مسموع دون أن تستدير" ما الذي أتى بالذباب في محل محترم كهذا !"

تدخلت أماني تقول بنفس التهكم" صدقت يا كاميليا فأمي دوما تقول (وماذا قد تفعل الماشطة في الوجه العكر !)"

أطلقت كاميليا ضحكة متشفية وقالت "صدق المثل فما بالك لو كان الوجه اسودا كسواد العفاريت"

ردت أم هاشم " الذباب ملأ المحل يا جماعة" قالتها للبائعة التي تقف قبالتها فنظرت الأخيرة حولها تبحث عن الذباب بينما استدارت أم هاشم تقول لهن بابتسامة باردة من فوق كتفها "هل هناك من ينادي؟.. سمعت من تتحدث عن العفاريت (ونظرت لصاحبات المدرسة تضيف بتهكم) أنتن هنا أيضا ما شاء الله الصحبة اكتملت "

بلعت الفتيات الثلاث ريقهن يشعرن كالعادة بالرهبة من أم هاشم بينما ناظرتها كاميليا من رأسها حتى أخمص قدميها بنظرة محتقرة .
قالت مليكة وهي تسحب ذراع صاحبتها "هيا نخرج من هنا يا أم هاشم "
تكلمت الأخيرة ببرود" لم اشتري ما أريد بعد!"
قالتها واستدارت للبائعة تقول "هيا ساعديني يا مليكة لأختار فأمامنا أشياء كثيرة لننجزها اليوم "

لم تستطع كاميليا تصنع البرود أكثر .. فالغل يوغل صدرها والغيرة تأكلها .. وهذا ما لا تريد أن تعترف به حتى لنفسها .. فهناك شعور خفي بداخلها يشعرها بالغيرة من زواج جابر فقالت بهجوم مباشر" مهما فعلتِ قلنا القالب غالب .. وسيفيق هو عاجلا أو أجلا لغبائه ويدرك بأنه لن يستطيع إهانة كاميليا العسال بك "

قالت مليكة بلهجة حازمة " لا داعي لهذا الكلام يا كاميليا عيب "

غمغمت الأخيرة ببرود" لماذا؟.. ألا أقول الحقيقة !.. إنه غبي ويعتقد بأنه يهينني بالزواج من فتاة مثلها "

همت مليكة بالرد بغضب لكن أم هاشم أمسكت بذراعها ورغم شعورها بالألم مما قالت لكنها ردت بابتسامة باردة تقول لمليكة"

اتركيها يا مليكة .. طبيعي أن تقول هذا الكلام .. وهل هناك امرأة عاقلة لن تشعر بخسارتها الفادحة حينما يتركها سيد الرجال .. من الطبيعي أن تشعر بالغيرة مني سأدعو الله لها بأن يهون عليها مصابها "

شهقت كاميليا وردت " غيرة منك !! "

واطلقت ضحكة مجلجلة فابتسمت أم هاشم ابتسامة باردة مخيفة وهي تناظرها وتغمغم "هداك الله يا مسكينة"

تدخلت سناء تقول بحقد "بل أنت المسكينة بالفعل قلبنا معك "

أضافت كاميليا باحتقار "هذا ما يليق بك فعلا .. أن تحصلي على فضلات كاميليا العسال فتصبح لك أملا لم تكوني لتبلغيه أبدا لولا أنها ألقت بها "

انقلب وجه أم هاشم فجأة وخلال ثانية كانت قد اندفعت نحوها تهم بالقبض على شعرها لكن مليكة أسرعت بالوقوف بينهما تحضن أم هاشم التي هتفت من فوق كتفها في وجه كاميليا بتهديد" أي كلمة أخرى في حق جابر سأمسح بك أرضية المكان"

تطلع الزبائن في المشهد بينما وقفت صاحبات كاميليا منكمشات بجبن ..بينما ناظرت كاميليا أم هاشم وهي تجز على أسنانها وتداري خوفها منها خلف نظرات مغلولة .

دفعت مليكة أم هاشم وهي تقول" صل على النبي يا أم هاشم ودعينا نغادر حلفتك بالله "
قالت الأخيرة وهي تحاول التحكم في أعصابها
"اللهم صلي وسلم وبارك عليه .. من أجل خاطرك أنت يا مليكة.. لولا ذلك لكنت أطلقت عفاريتي على من يستحقها "
قالتها ومليكة تسحبها من ذراعها لتغادرا المحل أمام نظرات الجميع بينما أم هاشم لا تزال تحدق في عيني كاميليا بنظرات تحذيرية مخيفة
.
بمجرد أن غادرت أم هاشم مع مليكة تطلع الجميع في كاميليا التي قالت وهي تضرب كفا بكف "امرأة مجنونة شفاها الله تهجمت علينا دون سبب"
عاد الجميع لما كانوا يفعلونه قبل دقائق بينما قالت كاميليا من بين أسنانها متوعدة "حسابك

سيكون معي أيتها العفريتة السوداء وسأعلمك من هي كاميليا "

xxxx

بعد أسبوع

في المساء

"إذن هل ستفعلين ذلك؟.. ستذهبين لطبيب نفسي ؟"

صمتت مليكة لبرهة ثم ردت بصوت يخنقه البكاء " أنا لا أريد لكني مضطرة أن أفعلها من أجل مفرح "

شعرت بسمة بالألم الشديد تعاطفا مع صديقتها وأشفقت عليها بشدة أن تضطر لفعل ما يصعب عليها من أجل من تحب .. ورغم أنها تمنت لو أن تناقشها لماذا فعلت ما فعلت في ذلك اليوم الذي تشاجر معها مفرح ومع أمه لكنها خشيت أن تجرحها .

أضافت مليكة بضعف لا تظهره إلا أمامها
"لكني أخبرته بأن نؤجلها لما بعد زواج أم هاشم
فأنا مشغولة معها حاليا"
سألتها بسمة " وماذا قال؟"
ردت مليكة بصوت مهزوز متألم " لم يقل شيئا
..ما فهمته أنه اتفق مع أخي أكرم بل إن أخوتي
كلهم يبدو أن الأمر قد وصلهم "
سألتها بسمة باستنكار "هل أخبرهم بما حدث
مع عمتي؟"
ردت مليكة بسرعة " لا لا .. ولا الأمر الخاص
بيننا ..ما فهمته من أكرم أنه أبلغهم بأني أعاني
من الاكتئاب واحتاج لاستشارة نفسية "
شعرت بسمة بالحيرة فقالت بصدق لتشجعها
"أنا أيضا أشعر بأني بحاجة لاستشارة نفسية ..
وبعد أزمة طلاقي تمنيت بأن نكون في العاصمة
حتى ألجأ لمرشد نفسي يساعدني على تخطي
الأزمة لكن كما تعلمين لن استطع أن أفعلها في

بلدتنا فزيارة أي طبيب نفسي في مركز المحافظة كان سيُعرف لا محالة .. المهم أتمنى أن تتحسن حالتك من أجلك أنت أولا قبل مفرح"

ساد الصمت قليلا قبل أن تضيف بسمة " يا الهي .. لقد كان غاضبا مني بشدة حينما اتصل بي يوبخني لأني لم أخبره عما تفعله عمتي معك"

قالت مليكة " غضب من مهجة أيضا (صمتت قليلا ثم سألتها بصوت مرهق) وكيف حالك مع كامل؟"

ردت ببرود تبلع رغبة في البكاء " لا جديد يتعمد التجاهل .. منذ أن سافر يتصل بي كل مساء دقيقة واحدة يسأل عن احوالي باقتضاب وعن إن كنت احتاج لشيء ويغلق متعللا بانشغاله وفي المقابل يتحدث بالساعات مع أخيه "

سألتها مليكة "وأنت كيف تشعرين؟"
غمغمت بسمة بضيق وهي تتطلع في الغرفة الفارغة حولها " زفت "
قالت مليكة لصاحبتها تحاول التقليل من حيرتها "يا بسمة هو أخبرك في أخر مشاجرة أنه يهتم بك وأنت اعترفت بأنك شعرت بانجذابه الشديد لك ورغبته فيك كأي زوج وزوجة "
هتفت بسمة بانفعال "لا تقولي زوج وزوجة ..قولي كأي رجل وامرأة .. وأنا لا أحب هذا الشعور ..ولست محرومة من وجود رجال حولي يرغبون بي لأطير من السعادة حينما أرى الرغبة في عيني كامل بك نخلة.."
جادلتها مليكة بهدوء " لكنك تحبينه وتريدينه"
قالت بسمة بانفعال باك يخالف الجمود الذي اعتادت أن تتعامل به دوما مع الأمور حولها " هذا يزيد الأمر سوءا لا يحسنه .. لا أريده أن

يرغب بي فقط يا مليكة ..لا أريد أن أكون لوحة جميلة يمل منها بعد قليل .. أريده أن يحبني .. يحبني"

قالت مليكة مواسية "اهدئي يا بسمة"

هتفت بسمة بحنق " ما يزيد الوضع سوءا أني اشتاق إليه جدا "

شاركتها مليكة الشعور وردت " حبيبتي أنا أدرك ذلك جيدا وأفهم شعورك"

رن هاتف بسمة بمكالمة أخرى فنظرت فيه عابسة ثم قالت وهي تمسح دموعها "لقد حضر على السيرة"

قالت مليكة بسرعة "سأتركك أنا ..سلام "

مسحت بسمة بقايا دموعها وأجلت صوتها تفتح المكاملة الأخرى وردت بصوت بارد "ألو"

جاءها صوته هادئا "مع من تتحدثين أعتقد أن الوقت عندكم متأخر الآن ؟"

" مليكة "

سأل السؤال الروتيني" كيف الحال؟"
ردت وسألت بروتينية " بخير .. وأنت كيف هي الدورة التدريبية اليوم ؟"
أجاب بنفس الرتابة " تمام الحمد لله (ثم سألها ببعض الاهتمام لم يقدر على إخفائه خلف قناع البرود) ما به صوتك هل كنت تبكين ؟"
غمغمت بإنكار " لا أبدا ولماذا ابكي !.."
ساد الصمت لتقول بعد برهة " كامل أنا لابد أن أحضر ليلة حنة أم هاشم وحفل زفافها هذا الأمر لا يمكن ألا أحضره "
رد ببرود استفزها "إن شاء الله سأذهب الآن لأن وقت الراحة انتهى سلام "
نظرت بسمة في الهاتف بغيظ ثم غمغمت بعصبية "لم يكمل حتى الدقيقة "
ألقت بالهاتف على السرير وتركت مكانها وبدأت في التحرك جيئة وذهابا في الغرفة تقول بغيظ

شديد تحدث نفسها "ولماذا يتعب نفسه بالاتصال إذن !!.. هل يحاول أن يثبت بأنه الرجل المراعي .. أم تشغله الجميلات هناك .. بالطبع عيناه لن تفوتا فرصة كهذه (وأضافت متوعدة) المرة القادمة لن أرد عليه .. لا أريدها هذه الدقيقة التي يتعطف عليّ بها (ورقصت كتفيها تقلده بتهكم) كيف حالك هل تحتاجين لشيء ..سلام (عادت وجزت على أسنانها تؤكد لنفسها) لن أرد عليه .. لن أرد "

xxxx

قال يحيى باندهاش "كيف لا تريدين حفل زفاف يا أم هاشم ؟..هل هناك فتاة لا ترغب في إقامة حفل زفاف لها؟!!"

ردت أم هاشم على عمها بإصرار "أنا .. أنا من لا تريد حفلا أجلس فيه في الشارع أمام الرائح والغادي"

شرح لها يحيى " يا بنيتي جابر يريد أن يقيم صوانا كبيرا ..ولكن إن أردت من الممكن أن أطلب منه أن يؤجر قاعة للحفلات في مركز المحافظة لكن بصراحة لن يليق ذلك بمقام جابر دبور .. الصوان أفضل وأكثر وجاهة"

هتفت بضيق " ولماذا كل هذه التكلفة؟.. صوان ..وقاعة وتحضر الناس ..وتنم وتمصمص شفتيها!"

غمغم يحيى " لا حول ولا قوة إلا بالله!..كيف سيكون حفل زفاف إذن بدون احتفال يا أم هاشم !!"

قالت أم هاشم بترجي " من فضلك يا عمي أنا سأكتفي بحفل حناء يضم السيدات .. الحنانة السودانية لديها فرقة بنات وستحيي لي ليلة الحناء وكفى .. ونكتفي بزفة من صالون التجميل للبيت (وأضافت في سرها) هذا إن وصلنا لمرحلة حفل الزفاف "

قال يحيى بعبوس " اسمعي يا أم هاشم لا تريدين أن تجلسي في صوان بجوار عريسك كباقي العرائس لن أضغط عليك .. لكن لابد أن يقام لك حفل زفاف.. وجابر أيضا له معارف كثيرون من خارج البلدة وبالطبع سيرغبون في مجاملته .. هذا بالإضافة لأهل البلدة كلهم يترقبون هذا الحدث .. لذا سيتم الأمر كما كنا نفعل قديما سيحضرك العريس بزفة حتى هنا لتجلسي في داخل البيت مع من ترغب من النسوة لمباركتك.. أما في الخارج سيقام صوانا لاستقبال ضيوف العريس وفي أخر الحفل سيأخذك العريس للبيت والحمد لله أن بيت العريس أخر الشارع "

صمتت أم هاشم تناظره بغير رضا فقال يحيى بهدوء حازم "هذا آخر ما يمكن أن نفعله يا ابنة أخي "

في المطبخ غمغمت صباح معلقة على ما سمعت" وهل كانت تحلم بنت زكريا بذلك حتى تتبطر على النعمة ! ..صحيح (يعطي الحلق لمن ليس له آذان)"

قالت هند لأمها لائمة " لقد نهاك أبي عن هذا المثل لأنه حرام يا أمي"

غمغمت صباح بارتباك وهي تغادر المطبخ "استغفر الله العظيم ..هي السبب.. تخرج المرء عن شعوره "

قالت سامية بقلق "المشكلة الآن أن مزاجها قد تعكر وأخشى أن ترفض الطهي للغد وخلف سيأتي غدا "

ردت هند عليها "هذا إن كانت متفرغة لكم فهي تخرج كل يوم بعد الانتهاء من عملها لشراء ما يلزمها.. فالأشرف لك أن تطبخي أنت له حتى يعتاد من الآن على طبيخك السيء "

هفت سامية بغيظ "اخرسي أنت"

مطت هند شفتيها وقالت وهي تغادر المطبخ
"خرست .. ليتها تُخرج عليك عفاريتها وتأكلك
يا باردة "

xxxx

بعد أسبوع أخر
قبيل الظهيرة

قالت المشرفة في صالون التجميل الشهير
لسوسو بمجرد أن رأتها تدخل من باب المركز"
يا أهلا يا سوسو هانم أنرت المكان "
ردت سوسو بابتسامة أنيقة " أهلا بك.. كنت
قد حجزت موعدي معكم من الأسبوع الماضي
لفردين إضافيين معي"
قالت المرأة مرحبة" طبعا ..طبعا يا هانم أهلا
بك وبضيفاتك (وتطلعت في بسمة وونس
وقالت بمجاملة)هل هما اختيك ؟"
ابتسمت سوسو وقد شعرت بالإطراء ثم
قالت" في الحقيقة هما زوجتي ولديّ "

قالت المرأة بابتسامة " ما شاء الله لا يبدو
عليك أبدا أن لديك أبناء متزوجون"
ابتسمت بسمة على طفولية حماتها التي تحب
الاطراء بينما قالت المشرفة وهي تقودهن
لغرفة الانتظار "تفضلوا يا هوانم"
دخلت سوسو للغرفة وهي تقول "هل سننتظر
كثيرا لدينا مشاويرا بعد ذلك ولا نريد أن نتأخر
"
غمغمت المشرفة "لا يا فندم فورا ستدخلن ..(
ومررت انظارها بين سوسو وبسمة وونس
وسألت) ماذا تشرين؟"
ردت سوسو "ليس الآن"
طالعتهن بتدقيق سيدة تجلس في الغرفة تنتظر
دورها بينما استأذنت المشرفة مغادرة
..فسألتها السيدة حين مرت من أمامها "وأنا؟"
ردت المشرفة بلباقة" حاضر يا فندم"

جلست سوسو بأناقتها المعهودة تضع ساقا فوق الأخرى وهي تقول للفتاتين" هذا هو الصالون الذي أتعامل معه دوما .. لكني في الحقيقة أحضر بمفردي غالبا دون رفقة "

تأملت ونس المكان بانبهار ثم اقتربت من صورة كبيرة على الحائط بها درجات لألوان الصبغات وطلاء الأظافر ووقفت تتأملها بينما سألت بسمة سوسو "أليس لك صاحبات تذهبين معهن ؟"

أجابت سوسو " لي صديقات لكن في بعض الأحيان لا نتفق في الوقت (ثم نادت على ونس) ونس تعالي هنا من فضلك "

استدارت الأخيرة تعود إليها لتجلس بجوارها فقالت سوسو وهي تعدل لها ضفيرتها الكستنائية الطويلة" لا تلمسي الحوائط أو اللوحات هذا سلوك غير مهذب أبدا"

أومأت ونس برأسها مبتسمة ثم كتبت لهما في دفترها" هذا المكان جميل جدا وراقي "
ابتسمت سوسو بينما تطلعت بسمة في المكان حولها لتسألها سوسو "هل تريدين أن تغيري لون شعرك يا بسمة؟"
قالت بسمة بحيرة "لا أرغب حاليا"
ردت سوسو "لا بأس أنت يليق بك الأسود ويبرز لون عينيك جيدا "
سألتها بسمة فجأة" كيف كان لون شعرها؟"
عبست سوسو بعدم فهم وسألت" من؟"
شتمت بسمة نفسها أن تهورت بالسؤال بالتأكيد ستلاحظ حماتها بأنها مهتمة فردت وهي ترسم اللامبالاة على وجهها "أقصد زوجة كامل السابقة"
قالت سوسو" ري ري ؟ .. كانت تصبغ شعرها باستمرار لكن لون شعرها الأساسي أعتقد بني"

لوت بسمة شفتيها دون إرادة منها فابتسمت سوسو وقالت "كان هذا منذ زمن بعيد .. بعدها عزف كامل عن الزواج حتى التقى بك "
قالت بسمة بمكر "هل لازلتِ أنت أيضا على اتصال بها؟"
شرحت سوسو موضحة "نتواصل أنا وأمها من وقت لأخر فالعلاقات بين العائلتين جيدة حتى برغم الانفصال"
شعرت بسمة بالإحباط لأنها لم تتلق الإجابة التي تريدها فسألتها بشكل حاولت أن يكون عاديا" على الفيسبوك؟"
ردت سوسو " لا عبر الهاتف .. لكن ري ري عندي على الفيسبوك "
أخرجت بسمة هاتفها وقالت" اعطني حسابك على الفيسبوك فقد أنشأت حسابا جديدا "
قالتها ولم تخبرها بأنها قد انشأته ليلة أمس وأضافت شامل الذي وافق على طلبها بينما

أرسلت لكامل طلبا للصداقة ولم يوافق عليه حتى الآن .. ولم تخبرها أيضا بأنها حاولت الدخول على صفحة الأصدقاء عند كامل لكنه كان مفعلا لخاصية عدم مشاهدة أصدقائه .

أعطتها سوسو حسابها أمام نظرات ونس الفضولية فأضافتها بسمة وهي تنوي بأن تتسلى بفحص أصدقاء سوسو حتى تصل لتلك المدعوة ري ري لكن سوسو التقطت فضولها نحو زوجة كامل السابقة وقالت بهدوء" لم يكن بينهما تفاهما من اللحظة الأولى .. وكانا كثيرا الشجار وبصراحة أحمل ابني جزءا كبيرا من فشل العلاقة "

علقت بسمة "كامل أخبرني بأنها تزوجت ولديها أولاد الآن"

ردت سوسو " أجل تزوجت بعد عدتها مباشرة ولديها أطفالا لو كانت بقيت مع كامل لكان لدينا أحفاد الآن.. انتظري سأريك إياها"

لمعت عينا بسمة بانتصار ومرت الثواني عليها ببطء قبل أن تريها سوسو في هاتفها "هذه هي صورتها مع أولادها"

أخذت بسمة الهاتف ودققت في امرأة في مثل عمرها بيضاء لها شعر بني طويل واعترفت في سرها بأنها جميلة .. فأكلتها الغيرة وهي تتخيلها مع كامل ..

في نفس الوقت دخلت المشرفة تقول لسوسو" خمس دقائق بالضبط ويحين دورك سوسو هانم أنت وضيفاتك"

هبت السيدة الجالسة في الغرفة تهتف فجأة "ما هذا التهريج !!. أنا وصلت قبلها "

استدارت إليها المشرفة تقول "يا فندم سوسو هانم حجزت هذا الموعد منذ أسبوع"

قالت السيدة "وأنا أيضا حجزت موعدا "

ردت المشرفة "لكنك لم تحضري فيه ولم تلغيه وأتيت اليوم بدون موعد "

قالت المرأة باستنكار " هل تعاقبينني!.. أين مدام لولا صاحبة المركز ؟"
ردت المشرفة بأدب " المدام لم تصل بعد وأنا لا أعاقب حضرتك أنا فقط ابحث لك عن مكان بين المواعيد المحجوزة مسبقا"
امتقع وجه المرأة تشعر بالحرج فقالت بعناد "أنا سأتصل بمدام لولا لأخبرها بهذه المعاملة ..ألا تعرفون من أنا !"
صمتت المشرفة وغادرت تكتم الغيظ بينما تطلعت ونس في المرأة التي تبدو ثرية ترتدي بلوزة بألوان جلد النمر فوق تنورة سوداء قصيرة وضيقة وتلف وشاحا ناعما حول رقبتها وراقبت بريق الخاتم اللامع في يدها فهمست لها سوسو "لا يصح التحديق في الأخرين بهذا الشكل"

هزت ونس رأسها بحرج ثم كتبت لسوسو "هل استطيع أن ألون خصلات شعري.. لم تسأليني مثل بسمة"

ابتسمت سوسو وردت "لا يستحب صبغ الشعر للحامل خاصة في الشهور الأولى"

مطت ونس شفتيها بتبرم طفولي فابتسمت سوسو وأضافت "لكن سأجعلهن يطلين لك أظافرك برسوم رائعة متداخلة الألوان ستعجبك جدا"

ألقت السيدة الجالسة الهاتف في حقيبتها بعصبية بعد أن فشلت في الوصول لصاحبة مركز التجميل وبرطمت وقد حددت جنسية سوسو منذ أن دخلت عليها من لهجتها الواضحة "استغفر الله العظيم .. يزاحموننا في بلدنا في كل مكان فيه "

اتسعت عينا بسمة بينما ناظرت ونس المرأة بصدمة فهمست سوسو لهما " تجاهلاها"

أخرجت المرأة هاتفها من جديد وأخذت تحاول الاتصال مرة أخرى وهي تقول بغيظ وتهز ساقها بعصبية" لم يبق لنا إلا أن نفتح الصنبور فنجدهم ينزلون إلينا منه .. لم يتركوا مكانا لم يزاحمونا فيه حتى مراكز التجميل "

جزت بسمة على أسنانها بينما زمجرت ونس بعصبية فربتت سوسو على يدها تقول بصوت مسموع وهي ترفع ذقنها بكبرياء" لن ننزل لهذا المستوى "

اغتاظت المرأة أكثر وصرخت في فتيات الاستقبال بالخارج من جلستها بالقرب من باب الغرفة " أنا إن لم أدخل خلال ثلاث دقائق ستندمون كثيرا ألا تعلمون من أنا "

جاءتها إحدى فتيات الاستقبال تقول بأدب "سأنادي المشرفة حالا يا فندم"

تركتها ورحلت فهبت المرأة واقفة وقد غلبتها العصبية وغمغمت بسخرية وهي تهز ساقها

وتقلب في هاتفها " تركوا الحرب في بلدهم وجاءوا ليدللوا أنفسهم في مراكز التجميل عندنا "!

تطلعت بسمة في وجه سوسو فلمحت تغضن ملامحها ولمعان الدموع في عينيها وقد رشقتها كلمات المرأة في صدرها كالسهام المسمومة ..واستحضرت بسرعة تلك القصة التي حكاها لها كامل عن سبب مغادرتهم للبلد فهبت واقفة في نفس اللحظة التي لم تستطع ونس السيطرة على هرمونات الحمل التي ضربت في رأسها وتقدمتا نحو السيدة .

وقفت بسمة أمامها تقول بعصبية ليست من شيمتها "احترمي نفسك واحفظي لسانك ..مالك أنت بهم ؟..هل يشاركونك في بيتك أو يخطفون اللقمة من فمك؟"

تفاجأت المرأة بلهجة بسمة المحلية وقد حسبتها من نفس جنسيتها بينما أمسكت ونس

بوشاح المرأة الحريري الذي كانت تلفه حول رقبتها وأشاحت بطرفه في الهواء وهي تطلق صيحة مهددة من حنجرتها أفزعت المرأة التي قالت باستنكار " ما هذه الوقاحة؟!!.. كيف تتكلمين معي بهذه الطريقة !"

هتفت بسمة بانفعال "أتكلم معك بالطريقة التي تستحقينها ما دمت تتواقحين "

رغم عدم ميلها للشجار شعرت سوسو بالتأثر الشديد لحمائية زوجتي ابنيها ودفاعهما عنها في الوقت الذي هتفت فيه المرأة في وجه بسمة " عيب عليك أن تقفي في وجه بنت بلدك من أجل الأغراب "

اقتربت بسمة منها أكثر تشيح بيدها في وجهها وهي تقول ساخرة "ما شاء الله على وطنيتك !.. إنها حماتنا يا نور عيني.. واقصري الشر واحفظي لسانك حتى لا أقطعه لك"

كادت المرأة أن تنفجر في وجه بسمة لكن زمجرة أخرى خرجت من ونس وهي تناظرها بمقلتين مقلوبتين جعلت المرأة تشعر ببعض الخوف غير قادرة على تفسير ما تفعله ونس وأحستها غريبة الأطوار بينما قالت سوسو بتأثر" يكفي يا بنات لن ننزل لهذا المستوى "

هبت المرأة وقد استفزتها من جديد لهجة سوسو المختلفة عن أهل البلد فصاحت "عن أي مستوى تتحدثين يا لاجئة يا مشردة .. أنت ألا تعلمين من أكون !!"

دخلت المشرفة مفزوعة في الوقت الذي هتفت فيه بسمة وهي تقف أمام المرأة "من الواضح أنك لن تحفظي لسانك .. ومن الواضح أنك لا تعرفين من نحن بالضبط .. "

قالت المشرفة تحاول فض الاشتباك " أرجو أن نهدأ يا هوانم .. (وأشارت لسوسو) تفضلي يا مدام سوسو للداخل"

صرخت المرأة بانفعال" قلت أريد أن أدخل حالا وإلا لا تعرفون ماذا سأفعل بكم "
أسرعت بسمة في التقاط حقيبتها وقد خرجت أعصابها عن السيطرة فأمسكت بالهاتف تدعي اجرائها لاتصال هاتفي وقالت " حالا سأريك من نحن بالضبط .. سأتصل بخالي اللواء عبد الرحيم الزيني في الأمن الوطني لأن ما حدث هذا إهانة لنا ولضيوف البلد "
وقفت ونس بجوار بسمة أمام المرأة متخصرة ترفع ذقنها بكبرياء وكأنها تؤيد بسمة فيما قالت قبل أن تعقد حاجبيها بارتباك تحاول أن تفهم معنى الكلام الغريب الذي قالته بسمة .. بينما امتقع وجه المرأة حينما سمعت باسم (الأمن الوطني) وأوهمتها طريقة بسمة بأنها صادقة فشعرت بالخوف .
رفعت بسمة الهاتف على أذنها .. لتقول لها المشرفة بسرعة "أرجوك يا هانم لا داعي

لتصعيد الأمر وتعقيده (والتفتت للمرأة تقول) وأنت يا فندم أرجوك لا داعي للمشاكل نحن بالفعل نحاول أن نجد لك غرفة فارغة اعطينا فقط عشر دقائق أخرى نعدك أن نحل الأمر(واستدارت لسوسو) تفضلي سوسو هانم " قالت سوسو وهي تتحرك "هيا يا بنات يكفي هذا"

وضعت بسمة الهاتف في حقيبتها وناظرت المرأة بنظرة متعالية ثم شمخت بذقنها ذي طابع الحسن ومرت من أمامها وهي تعدل من شعرها .. وتبعتها ونس تنظر للمرأة بنفس النظرة المتعالية ثم أبعدت ضفيرتها الطويلة إلى خلف كتفها بخيلاء ولحقت ببسمة في الوقت الذي وقفت المرأة تراقب مغادرتهن وهي تتفتت من الغيظ .

بالداخل وبمجرد أن جلست الثلاث سيدات كل واحدة على مقعد مالت سوسو على بسمة

فتركت ونس مكانها مسرعة تولي لهما أذنها لتسأل الأولى" من هو عبد الرحيم الزيني؟ "
ردت بسمة تلملم ابتسامتها" إنه عمدة بلدنا وزوج عمتي لم يسعفني رأسي بأي اسم أخر "
اتسعت عينا سوسو وقالت باندهاش "هل مثلت أمام المرأة؟!"
هزت بسمة رأسها تعض على شفتها ثم تبادلت النظرات معها ومع ونس التي اتسعت عيناها بدهشة قبل أن تنفجر الثلاث في الضحك .

xxxx

بعد الظهر

اللحظة المستحيلة جاءت .. والحلم الذي لم تجرؤ يوما على تمنيه أوشك على أن يتحقق ..
الزغاريد التي حلمت بها..
تلك الوقفة على باب مسجد جدها الشيخ تيمور تمنتها ..

وأن تكون هي العروس .. هي أم هاشم العفريتة السوداء عروس .. كان أعظم حلم ..
لكن كل هذا لا يضاهي أبدا ذلك الشعور بتحقق حلم كان خرافي التمني .. وهو أن تحمل اسم جابر دبور حتى ولو لعدة دقائق فقط .
كانت عيناها البنيتان تتحركان ببعض الذهول على الجالسين في المسجد.. المأذون يدون البيانات في دفتره وعددا من الرجال من بينهم مصطفى الزيني الشاهد على العقد من طرف العريس يجلسون .. حتى محسن الذي بارك لها بصفاء نية كان حاضرا ..
تطلعت أم هاشم في مليكة التي تقف معها على باب المسجد تناظرها بابتسامة سعيدة ..
طالعتها بنظرة مذهولة وكأنها تقول (أتصدقين ما يحدث !)

قالت صباح بترحيب وهي تخترق الواقفات ومعها مقعد خشبي "شرفنا مجيئك والله يا أم أدهم أجلسي ..تفضلي"

شعرت مليكة بالحرج من النسوة الواقفات ومن أم العريس الحاجة نجف الواقفة من بعيد وقالت لها وهي تعيد المقعد "شكرا لك لا أريد"

قالت صباح بلهجة عاتبة "لا يصح أن تقفي هكذا"

قالت مليكة بابتسامة بعد أن نظرت لأم هاشم "شكرا لك أنا بخير "

في المسجد قال يحيى لجابر بحرج وهو يخرج ورقة من جيبه" أنت أكبر مقاما من قائمة أثاث يا جابر ..ولكن أم هاشم أمانة في عنقي لابد أن أوفيها حقها كاملا "

قال جابر وهو يأخذ القائمة من يحيى "لا حرج في الأصول يا حاج يحيى "

وأمسك بالقلم يوقع أسفلها ليقول يحيى متعجبا "ألن تقرأ ما فيها يا جابر قبل أن توقع؟! "

طواها جابر وأعادها ليحيى يقول " مبارك علينا المصاهرة يا حاج يحيى "

أخذها يحيى ليعيدها إلى جيبه بامتنان بينما تدخل هلال يقول "بارك الله لكما وجمعكما دوما على الخير"

سأل المأذون" أين العروس لتوقع ؟"

استقام هلال الشاهد من طرف العروس ينادي على أم هاشم التي رفعت طرف عباءتها وخطت المسجد تسمي باسم الله بعد أن خلعت حذائها ..

تحركت بخطوات بطيئة ولم تر أمامها إلا هو يرفع رأسه ليتطلع فيها وابتسامة وسيمة هادئة ترتسم على شفتيه .. كانت الصورة أمامها

مشوشة .. حتى الأصوات كانت متداخلة وكأنها تسمعها من بعيد ..
فقط وجهه وهو جالس بجلبابه الأبيض يبدو أصغر سنا يتطلع فيها ..
فقط صورته هي الواضحة وكأنها تراها عبر عدسة لا تظهر إلا حضوره الطاغي من وسط كل الموجودين.
تأملها جابر لثوان ترتدي عباءة رمادية اللون بها خرزات لامعة رقيقة من عند أطراف الأكمام الواسعة وقد كانت المرة الأولى التي يراها بدون الأسود .. قبل أن يقطع عليه هلال الرؤية حينما وقف أمامها يمنحها الدفتر لتوقع ثم طلب منها أن تغمس اصبعها في الحبر وتبصم على الأوراق .
دققت أم هاشم في اسم العريس واسم العروس وتساءلت في سرها .. ألن يسمحوا لقلبها أيضا أن يترك بصمته على الورقة هو الأخر؟ أو ربما

يتركون لها الفرصة أن تقبل تلك الورقة التي تحمل اسميهما معا.
سحب منها هلال الدفتر عائدا للمأذون الذي وضع يد جابر في يد يحيى وبدأ في قول كلماته الرتيبة المبروكة لعقد القران .
انتابها شعور بالدوار وكانت الرؤية لا تزال مشوشة إلا من تلك العدسة التي لا تظهر إلا هو من بين الحاضرين .. فتحركت مستندة على حائط المسجد مغادرة لتقف بالخارج ..
فعبست مليكة تسألها بهمس "لماذا خرجت قبل أن ينتهوا؟! "
تأبطت أم هاشم ذراع مليكة بصمت ..فشعرت الأخيرة بأنها تستند عليها وتطلعت في وجهها تسألها هامسة" هل أنت بخير ؟"
شفتاها كانتا مطويتان إلى داخل فمها وهي تومئ برأسها في خرس .. ثم عادت عيناها لتتابع المشهد في المسجد.. تحفظه .. تحفره في

ذاكرتها .. تخلده في قلبها للأبد .. لحظة أن أصبحت زوجة جابر .. بينما أخذت مليكة تراقبها بقلق .

بعد قليل علت زغاريد الحاضرات من بعض نساء الشارع بالإضافة لبنات عمها وبعض فتيات المشروع اللاتي أردن مجاملتها بالحضور بينما تلقى جابر التهاني والمباركات بالداخل .

حضنتها مليكة تقول بتأثر "مبارك يا مشمش فليتمم لك الله على خير"

ربتت عليها أم هاشم بخرس فحضنتها مليكة أكثر وهي تمسد على ظهرها لتهدئ من ارتعاش جسدها الواضح ثم تكالبت الحاضرات على تهنئة أم هاشم رغم أن منهن من كانت تمصمص شفتيها باندهاش وتعجب قبل قليل .. في الوقت الذي ذهبت صباح لتهنئة الحاجة نجف أولا والتي تلقت منها ومن غيرها التهاني ثم اقتربت من أم هاشم فقالت مليكة وهي

تلمحها "حماتك آتية اذهبي إليها أنت لا يصح "

انتبهت أم هاشم فاستدارت لحماتها وتحركت بضع خطوات كانت مليكة تسندها فيها بحركة مخفية وهي تدعي تأبطها لذراعها لتميل أم هاشم بقامتها الطويلة على حماتها دون أن تستطيع الكلام فغمغمت نجف وقد لاحظت ارتعاشها وهي تحضنها" مبارك لك يا أصيلة يا بنت الأصول"

ابتعدت أم هاشم تناظرها بعينين دامعتين لتطلق نجف زغرودة عالية جعلت الباقيات يقلدنها .

ناظرت مليكة أم هاشم الصامتة بقلق وراقبتها وهي تتلقى التهاني والقبلات والزغاريد قبل أن تستدير لمليكة وتمسك بمعصمها تضغط عليه بنظرة معتذرة ثم تحركت تترك الواقفات

وتهرول نحو البيت وهي تلملم طرف عباءتها في يدها.

لاحظ الجميع تأثرها وليس مليكة فقط فغمغمت صباح تداري امتعاضها "يبدو أنها قد خجلت "

قالت احداهن بشفقة "المسكينة لا تصدق أنها تزوجت أخيرا "

ردت مليكة فورا "كل شيء بقدر الله وكله مكتوب من قبل أن نولد "

اسرعت المرأة تقول بحرج" طبعا ..طبعا يا أم أدهم وهل قلنا شيء (واختلست نظرة للحاجة نجف وأضافت) فليبارك لها الله "

قالت إحداهن بلهجة محبطة " كنت أنتظر أن أرى جهاز العروس لكني علمت بأنكم قد نقلتموه بدون احتفال"

ردت صباح" العريس رفض فكما تعلمن لا يزال ما حدث لبنت نصرة حاضرا في الأذهان"

غمغمت أخرى بتعاطف "حبيبتي نصرة وابنتها كان الله في عونهما لازالت نصرة غير ظاهرة ولا تقابل أحدا"

قالت مليكة بتعاطف "فليعوضهم الله بأحسن منه (ثم ربتت على الحاجة نجف تقول معتذرة بهمس) سأعود بعد قليل "

تحركت بضع خطوات فقالت صباح باعتراض" لا يصح يا ست مليكة أن تغادري هكذا "

قالت مليكة" أنا سأذهب لأسلم على الخالة نصرة ثم أعود لأنضم لأم هاشم وهي تفرش شقتها بإذن الله "

قالتها وتحركت وهي تنظر في الهاتف الذي يرن في يدها ففتحته ترد "نعم يا بسمة أجل حبيبتي كُتب الكتاب"

راقبتها النسوة وهي تبتعد بتلك العباءة الفاخرة التي كالعادة لم يروا مثلها من قبل ..ثم سألت

إحداهن" وهل ستفرش الشقة قبل يومين من الزفاف !"
قالت صباح موضحة "الشقة تقريبا جاهزة أم هاشم ستضع اللمسات الأخيرة فقط اليوم بمساعدة البنات"
قالت أخرى بصوت خافت بعد أن تأكدت من أن الحاجة نجف مشغولة مع الباقيات
"سمعت بأن البيت بعد التجديد أضحى رائعا وأن الأثاث غالي الثمن .. صبرت ثم نالت بنت الشيخ "
بعد قليل انتهى جابر من مكالمة زين الذي هنأه على عقد القران وتحرك مع الرجال لمغادرة المسجد فخرج لوالدته التي استقبلته بالزغاريد هي والواقفات ثم مال يلثم ظاهر يدها فقالت وهي تحضن قامته الطويلة" بارك الله لك بني وعوضك كل الخير على صبر السنين "
سأل يحيى زوجته" أين أم هاشم ؟"

قالت صباح "تركتنا ودخلت البيت "
عقد حاجبيه وقال "ألن تتلق مباركة زوجها فلينادي عليها أحد "
ردت سامية "حاولنا يا أبي ورفضت الخروج"
ابتسم جابر فقال يحيى "تعال يا جابر معي لا يصح هذا"
حين مر محسن مع الرجال قالت صباح بلهجة حارة" العقبى لك يا محسن يا ولدي "
حانت منه نظرة خاطفة سريعة نحو رباب التي تقف خلف أمها تختلس النظرات إليه كالعادة
وقال بابتسامته البيضاء "العقبي لباقي بناتك يا خالتي"
وقف جابر في صالة بيت يحيى بينما صباح توزع أكواب الشربات في الخارج على النسوة اللاتي منهن من تشرئب هي وبنات يحيى بفضول تتطلع في العريس الذي ينتظر خروج عروسته ليبارك لها.. في الوقت الذي كان يحيى

يقف خلف باب غرفة أم هاشم يقول باستنكار" أخرجي لعريسك يا أم هاشم لا يصح هذا"

كانت تجلس القرفصاء خلف الباب المغلق تبكي بانهيار وتكتم شهقاتها بصعوبة لكنها أجلت حنجرتها وردت بصوت عادي "لا أريد الآن يا عمي فأنا محرجة بشدة"

رفع يحيى حاجبيه باندهاش ثم عاد لجابر يقول "يبدو أنها محرجة بعض الشيء "

اتسعت ابتسامة جابر وقال بهدوء" لا بأس اتركها على راحتها أنا سأذهب لأن معي بعض الرجال من خارج القرية أريد أن أقوم معهم بالواجب ثم أودعهم "

أما في الداخل فأكملت أم هاشم انهيارها الباكي وهي تكتم فمها بيدها حتى لا يسمعها أحد .. وتحاول لملمة اعصابها ومشاعرها التي لم تعد تعرف لها أول من أخر.. ثم نظرت لأصبعها

الملون بالحبر وأخذت تطبع عليه قبلاتها قبل أن تخر ساجدة في شكر ليس له حدود لربها .

xxxx

بعد ساعتين دخلت أم هاشم لبيت جابر مع مليكة المصرة على اصطحابها في أخر محطة لها قبل يوم حنتها لوضع اللمسات الأخيرة على بيتها الجديد.. فاستقبلتها نجف هي ومليكة وصباح وبناتها وبعض فتيات المشروع اللاتي جئن للمساعدة وبعض الفضوليات اللاتي أتين لمشاهدة البيت بعد تجديده ولرؤية الأثاث الفخم الذي كان ينزل من فوق السيارات قبل يومين .

علت الزغاريد والنسوة تنتشرن في البيت المرتب نسبيا في الوقت الذي تنحنح جابر وهو ينزل من الدور العلوي بعد أن بدل جلبابه الأبيض لواحد أخر ينافسه البياض .

تفاجأت أم هاشم بوجوده فاصفر وجهها وأمسكت بذراع مليكة ووقفت بوقفة جانبية لا تريد النظر نحوه.. فالإحساس الذي تشعر به كان أكبر من احتمالها أو سيطرتها على نفسها.. أما قلبها فكان كالكرة المطاط في صدرها يقفز بسرعة شديدة .

وقف جابر على بعد أمتار يمسك بميدالية مفاتيحه بين يديه وعيناه مركزتان عليها وهو يقول بهدوء وقد استشعر ارتباكها" كيف حالك يا أم هاشم؟"

انعقد لسانها للحظات لكنها قاومت حتى لا تظهر هبلاء أمام الواقفات بينما أضاف جابر" أم هاشم أنا أتحدث معك"

غمغمت وهي مصرة على الاشاحة بأنظارها بعيدا عنه "سلمت من كل شر"

قال بمناكفة رغم شعوره بالحرج لتحديق الحاضرات فيه" أنا اشتكيتك لعمك لأنك لم تخرجي لتسلمي عليّ "

لاحظ تحرك طرف عينيها نحوه بنظرة سريعة ثم عادت للإشاحة بهما وردت مغمغمة "الشكوى لغير الله مذلة"

اتسعت عيني صباح تناظرها مصدومة بينما ضحك جابر وقد تأكد له بأنها تشعر بالخجل وليس ما خمنه قبل قليل بأنها قد تكون غير متحمسة للزواج منه فقال وهو يهز رأسه وينظر في المفاتيح في يديه " تمام ..تمام تدللي علينا على راحتك يا بنت الشيخ زكريا "

اندفعت صباح تقول" تكلمي يا أم هاشم" شعر جابر بالضيق لتدخل صباح وازداد شعوره بالحرج من تحديق النسوة فيهما فقال بلهجة عملية "هل تريدين شيئا يا أم جابر ؟"

قالت أمه" سلمت يا ولدي (ونظرت لأم هاشم تقول بلهجة ذات مغزى) ألن توصلي زوجك للباب يا أم هاشم؟"

ازداد تشبث الأخيرة بذراع مليكة وردت بلهجة متعجبة رغم فهمها لما تلمح له حماتها " وهل سيتوه لا يعرف مكان الباب!"

ضحك جابر من جديد .. ثم غادر بعد أن ألقى السلام لتقول صباح موبخة "هل هناك عروس تفعل ما فعلت؟"

تدخلت مليكة تدافع عنها " ماذا فعلت إنها محرجة كأي عروس مكانها "

قالت نجف ضاحكة " اتركيها يا صباح على راحتها (ونظرت لأم هاشم) هيا أنا سأتركك في البيت وأذهب للغرفة الخارجية لتأخذي راحتك أنت والأخريات "

قالت أم هاشم باندهاش" لماذا ستتركيننا؟!"

ردت نجف بابتسامة "حتى ترتبين كل شيء على ذوقك ..وبعد أن تنتهي من غرفة النوم اغلقي بابها بالمفتاح.. فجابر منذ عدة أيام ينام في الغرفة الخارجية "

قالت إحداهن وهي تتأمل كل شيء حولها "بسم الله ما شاء الله غيرتم النظام هنا "

ردت نجف "ليس كثيرا .. غيرنا ألوان الحوائط وركبنا مطبخ جديد وفتح جابر إحدى الغرف الأرضية ليكون لها بابان واحد إلى داخل البيت والثاني للخارج سيستخدمها للضيوف.

دخلت تماضر ومعها امرأة أخرى يحملان كرتونتين كبيرتين فقالت مليكة "ضعيهما هنا يا تماضر وادخلي أنت وأم محمود لتساعدا في الترتيبات"

سألتها أم هاشم" ما هذا؟"

مالت مليكة لفتح الكراتين فساعدتها بعض الفتيات يتملكهن الفضول حتى أخرجت لها

طقم حلل للطعام غالي الثمن جعل أم هاشم تشهق وهي تنظر إليه ثم قالت وهي تلتقط إحدى القطع وتنظر لها ككنز ثمين "مليكة !" ابتسمت مليكة وفتحت الكرتونة الأخرى واخرجت منها ثوبا معلقا على شماعة ومغطى بكيس بلاستيكي وقالت وهي تفتح سحاب الكيس وهذا الثوب هدية بسمة أوصتني لأشتريه لك (وهمست) من الممكن أن تستخدميه في حفل الحناء سيكون رائعا عليك "

لم تكن أم هاشم وحدها من شهقت وهي تنظر للثوب ولكن غالبية الواقفات .. فدمعت عينا أم هاشم وحضنت مليكة تقول "أنتم مصرون على أن تروني أبكي اليوم .. لا حرمني الله منك ولا من بسمة يا رب"

زغرودة أتت من ناحية الباب قبل أن تدخل امرأة تقول بصخب" ألف ألف مبروك يا حاجة نجف "

قالت الأخيرة تداري اندهاشها" بارك الله فيك .. كيف حالك يا أم عصفور؟"

قالت أم عصفور وهي تدور بعينيها في المكان بنظرات فضولية " الحمد لله جئت لأهنئ وأساعد في ترتيب البيت"

قالت نجف " بارك الله فيك ولكن لا تتعبي نفسك فأم هاشم معها الكثيرات والحمد لله"

قالت أم عصفور بإصرار " أبدا ..اقسم بالله لن أتركك يا حاجة نجف من الآن حتى يتم الزفاف إن شاء الله (وغمغمت وهي تطوي كميها استعدادا للتحرك في الشقة) وهل عندنا أعز ولا أغلى من المعلم جابر .. والله خيره يغرقنا "

غمغمت نجف باستسلام" بارك الله لك والعقبة لأولادك"

قالت أم هاشم وقد استعادت شخصيتها القيادية "هيا يا جماعة حتى ننتهي سريعا.. أنا سأصعد للدور العلوي لأنتهي من رص الملابس مع مليكة ثم سأعود"

قالت إحدى الفتيات" أنا سأصعد معك"

ردت أم هاشم بنظرة حازمة وقد استعادت قشرتها الصلبة "لا داعي حبيبتي من الممكن مساعدة الفتيات هنا "

أشارت مليكة وهي تصعد السلم لتماضر وأم محمود ليصعدا معهما بينما قالت أم هاشم للفتيات بلهجة تحذيرية بعد أن صعدت عدة درجات "إياكن أن تقتربن من أطباق النيش "

ردت حماتها "لا تقلقي الكراتين القابلة للكسر التي قالوا لي عليها جعلتهم يضعونها عندك في الدور العلوي"

ابتسمت أم هاشم لحماتها بامتنان حتى ظهرت غمازتيها ثم عادت تنزل الدرجات وحضنتها

تقول بعاطفة جياشة" لا حرمنا الله منك ولا بركتك في المكان يا حاجة نجف"

ابتسمت لها نجف بحنان فسألتها أم هاشم بلهجة ذات مغزى "غرفة النوم هي التي على اليمين ذات الشرفة الأولى ناحية أول الشارع أليس كذلك ؟"

ردت نجف بصوت خافت وقد فهمت سبب السؤال" لا حبيبتي غرفة نومكما ناحية اليسار ذات الشرفة التي تطل على الحارة من الداخل .. الأخرى جعلها جابر غرفة معيشة"

تراقصت السعادة في عيني أم هاشم بينما نادت عليها مليكة من الدور العلوي فاستدارت تقول "قادمة حالا "

وهرولت كالطفلة فوق السلم سعيدة بأنها لن تنام في غرفة كان يشارك جابر فيها امرأة أخرى.

بعد دقيقة دخلت أم هاشم ومليكة غرفة النوم لتقول الأخيرة "ما شاء الله ذوقكما جميل في الأثاث"

تطلعت أم هاشم في الخزانة الفارغة أمامها والتي ستقوم بعد قليل برص ملابسها فيها ثم استدارت تمسك بذراعي مليكة وتقول بسعادة جمة "هل تصدقين ما يحدث معي يا مليكة هل تصدقين .. تزوجت من جابر .. صرت زوجته على اسمه .. هل مر عليك يوم شعرت فيه بما أشعر؟ .. شعرت بأنك تملكين الكون كله في قبضة يدك؟"

ابتسمت مليكة لفرحتها وتذكرت لحظة عقد قرانها على مفرح .

لمحة سريعة مرت في ذاكرتها ومفرح يترك المأذون بمجرد أن انتهى من إجراءات العقد ويترك الحاضرين من حوله في سرايا الصوالحة ويندفع نحوها يضمها أمام الجميع بقوة .

غمغمت مليكة بصوت متأثر وابتسامة سعيدة" نعم مررت بيوم كهذا وأشعر بمشاعرك جيدا "
وجمت أم هاشم فجأة وقالت لمليكة "اقرصيني "
رفعت الأخيرة حاجبيها لتكرر أم هاشم "اقرصيني لأتأكد من أنى مستيقظة وواعية ولا أهلوس اقرصيني يا مليكة"
قرصتها صاحبتها في ذراعها ثم قالت بمحبة " أنت واعية يا حبيبتي ..وأنا مستبشرة خيرا .. والله حين نظرت في وجهه وهو ينظر إليك منذ قليل شعرت بالراحة ..أتمنى من الله ألا يخيب ظني "
انفجرت أم هاشم فجأة بالبكاء ..ومالت للأمام قليلا تدفن وجهها في كفيها أمام نظرات مليكة المتفاجئة والتي قالت " هل سنبكي مجددا!
(ومسدت على ظهرها تقول بحنان) هيا يا بنت

لننتهي من كل شيء اليوم لأن غدا ستكون
حنتك وستأتيك الحنانة منذ الصباح "
رفعت أم هاشم رأسها ومسحت دموعها ثم
قالت باعتراض "ماذا ستفعل الخالة شهاليل
الحنانة أكثر من ذلك حتى تأتي منذ الصباح؟!!
.. المرأة منذ أسبوع تستلمني بالبخار والبخور
والزيوت والعطور .. أخشى أن يصل بها الأمر
لأن تشعل النار في جسدي المرة القادمة !"
ضحكت مليكة وقالت" إنها الخالة شهاليل
أشهر حنانة سودانية في البلد كلها .. قلت لك
دعي نفسك لها وستنبهرين بالنتيجة"
غمغمت أم هاشم معترفة " منبهرة والله
..والمرأة خفيفة الظل .. يكفي أني لا اشعر بأني
غريبة بلوني معها ومع مساعداتها السمراوات ..
المهم أن ننتهي قبل يوم الزفاف لارتباطنا
بموعد مع صالون التجميل"

قالت مليكة وهي تتأبط ذراعها" ستكون ليلة حناء مخصوصة ولن تنسيها أبدا "
قالت أم هاشم بتأثر شديد " والله يا مليكة لا أعرف ماذا أقول لك يكفي بأنك أصريت على ألا تخبريني بالمبلغ الذي ستأخذه هذه المرأة وأنا أعرف بأن المبلغ كبير والله أنا معي نقود ..فقد اعطاني جابر مبلغا كبيرا كما تعرفين من أجل الفستان وصالون التجميل وتلك الأمور"
قالت مليكة بمحبة خالصة" تمم الله لك على خير ورزقك بأكثر مما تتمنين "
غمغمت أم هاشم وقد عادت لتأثرها" أنت وبسمة والله العوض الجميل من الله"
رن هاتف مليكة فقالت وهي تنظر إليه" ها هي بسمة تتصل مرة أخرى لقد اتصلت وأنا ذاهبة عند نصرة لتبارك لك .. كلميها وأنا سأخبر تماضر وأم محمود بما سنفعله"

xxxxx

عند الغروب

دخلت سوسو مع بسمة وونس من باب الفيلا يحملن الكثير من الأكياس فاستقبلهن غنيم قائلا "هل كنتن تنوين على ألا تعدن إلى البيت يا هوانم (وعبس يتصنع الحزم وهو يسأل) كم الساعة الآن ؟"

قالت سوسو وهي تضع ما في يدها على إحدى الطاولات "يكفي ابنك شامل يا غنيم الذي لم يتركنا في حالنا كل ساعة اتصال متى ستعدن؟ .. هل ونس بخير ؟.. هل اجهدت نفسها ؟.. هل آتي لأخذكن؟"

قال غنيم وهو لا يزال يتصنع الحزم" لديه كل الحق فقد تأخرتن وحجزتن السائق معكن طوال اليوم وكنت أريده أن يقضي لي مشوارا"

ردت سوسو بكبرياء" قلنا لكم نزهة نسائية للاستجمام والتبضع "

نظر غنيم لزوجتي ولديه الصامتين وقد بدا عليهما التغير في تسريحة شعريهما وقال بمداعبة "واضح الاستجمام فقد ازدادت قطع الحلوى حلاوة"

اقتربت منه ونس تريه أظافرها الملونة بفرحة فضحك وقربها منه يقبل رأسها قائلا" رائع يا جنية كيف حال حفيدي في بطنك؟"

أخرجت ونس الدفتر وقالت" يجعلني أبكي كثيرا بدون سبب"

قهقه غنيم بينما جاء صوت يدخل من باب المطعم يقول "هل شرفتن!"

استدارت بسمة وسوسو ولأول وهلة ظنوه شامل قبل أن ينفجر قلب بسمة بدقاته بينما تصيح سوسو متفاجئة" كامل متى عدت ؟!"

اقترب كامل من أمه ومال عليها يحضنها وهو يقول "عدت منذ ساعتين كيف حالك يا سوسو ..وإلى أين أخذتِ البنات ؟"

حانت منه نظرة سريعة تجاه بسمة ثم عاد ينظر لأمه التي قالت "لو كنت أعرف بأنك ستعود اليوم لما خرجنا أنت قلت ستحضر غدا "

قال وهو ينظر لبسمة والشوق يذبحه بنصل حاد" وجدت مكانا خاليا في موعد أبكر فبدلت تذكرتي حتى أتجنب الفم الملوي والنكد "

غمغمت بسمة بوجوم وقد تذكرت مشاجرتهما على الهاتف قبل يومين حينما أخبرها بأنه لن يستطيع المجيء إلا مساء الغد ومنعها من السفر بمفردها أو حتى مع السائق لحضور حفل الحناء" أنت تعرف أهمية حضوري لهذه المناسبة"

تحرك نحوها بخطوات بطيئة ومع كل خطوة كان قلبه يقفز ملايين المرات قبل أن يميل ويحضنها في صمت أبلغ من أي كلام ..لمن يفهمه ..

فرفعت بسمة ذراعيها وطوقت جذعه العضلي بشوق كبير لم تستطع أن تداريه ..
شعر كامل بالسعادة الشديدة لهذا الترحيب منها .. ونما في قلبه أمل بأن ما اعتزم فعله بأن يصارحها حينما يسافران غدا لتحضر حنة صاحبتها قد ينتهي بنتيجة جيدة .. فقد عزم على تنحية كبريائه جانبا والاعتراف لها بمشاعره ..
ابتعد عنها يسألها بصوته الرخيم الذي اشتاقت إليه" هل أنت بخير ؟"
هزت رأسها فتطلع فيها ولاحظ شعرها المفرود على ظهرها بتصفيفة عالية قليلا من فوق رأسها وتموجات من عند الأطراف
وسألها" هل ذهبتن إلى صالون التجميل ؟"
هزت رأسها بخجل وقد اشتعلت وجنتاها من تلك النظرة المشتعلة في عينيه في الوقت الذي دخل فيه شامل صائحا بلهجة متهكمة

"الحمد لله أنكن وصلتن أخيرا .. أنا شاكر جدا
لهذه اللفتة الكريمة منكن والله "
اسرعت ونس نحو شامل بينما قالت بسمة
وهي تحمل الاكياس التي تخصها من الأرض "أنا
سأصعد لأغتسل وأبدل ملابسي"
فقالت سوسو " وأنا سآمر بإعداد الطعام
سنجتمع كلنا على العشاء بعد قليل"
اسرعت بسمة بالهرب من نظرات كامل وهي
تقبض على الأكياس وتهرول على السلم بينما
الأخير يراقب صعودها ونفسه تهفو لأن يفعل
أفعالا مجنونة ..لكنه طلب منها التريث قليلا
حتى مساء الغد منتهزا الفرصة لمبيتها في القرية
لأن يبيتا معا في بيت الجد صالح ويخبرها بكل
شيء قبل أي تصرف منفلت الأعصاب منه قد
يجعلها تخطئ الفهم كما حدث عندما قبّلها في
السيارة.

ذكرى تلك القبلة وطعم شفتيها الحلو المغري فجرا الدماء في عروقه لكنها كالعادة متعة لحظية تنتهي دوما بذلك الكابوس حينما تسيطر عليه وساوسه وهي تصور له مشاعر زوجها السابق وهو يقبّلها.

هز رأسه بقوة وكأنه ينفض عنها السوس وتحرك يصعد الدرجات أمام أنظار شامل القلقة يشعر به لا يزال يعاني من صراعاته .

في الغرفة وجد كامل بسمة في الحمام فأمسك الأكياس من فوق السرير يفتحها بفضول قبل أن يخرج قميص نوم قصير باللون البرونزي من قماش الشيفون الشفاف بإطار من الدانتيل المخرم عند الذيل وعند منطقة البروز في الجذع .. في الوقت الذي شهقت بسمة حينما خرجت من الحمام وهي تراه كتمثال من الشمع يفرد القميص أمامه في الهواء ويحدق فيه باتساع عينيه .

كل انفجارات مشاعر الحب والرغبة كانت تضرب في رأس كامل لحظتها قبل أن تسرع بسمة بخطف القميص من يده وتكوره خلف ظهرها وهي تصيح بحرج" ماذا تفعل؟! كيف تتفحص الأكياس بدون إذن؟"

سألها وهو يبلع ريقه الذي جف" ما هذا؟ لماذا اشتريته؟!!!"

غمغمت بوجنتين مشتعلتين" أنا لم أشتريه والدتك مرت على محل ملابس حريمي واختارت لنا أنا وونس منامات وأشياء مثل هذه وتحرجت من أن أرفض"

قال بنظرة ذاهلة وصوت متحشرج "أمي اشترت لك هذا ؟!!"

قالت بسمة وهي تلملم الأكياس بعصبية "من فضلك أريد أن أبدل ملابسي "

سألها بسرعة" تبدليها بهذا القميص ؟!!!"

استدارت إليه تقول "أخرج يا كامل أرجوك"

سألها وهو يتقبض بقوة والفكرة وعكسها تلح عليه فكرة الهجوم عليها وبث شوقه كاملا لها بدون حتى اللجوء لهذا القميص البرونزي " ألن تريني على الأقل باقي الأشياء التي اشترتها لك أمي؟! "

رفعت إليه ذقنها تهتف بعصبية لتداري شعورها بالحرج "لماذا؟"

رد بنفس العينين المتسعتين المصدومتين "لأن أمي حبيبتي اشترت هذه الأشياء من أجلي أنا "

وصمت فجأة يحدق في طابع الحسن في ذقنها الذي يستفزه ولا تزال فكرة الهجوم تضغط عليه فأسرعت بسمة بارتباك وقد رأت في عينيه ما أربكها بأن دفعته بيديها تقول" من فضلك غادر أريد أن أبدل ملابسي"

هتف كامل معترضا" بدليها في الحمام ككل مرة "

زفرت بسمة بقوة وأسرعت بلملمة الأكياس ودخلت بها الحمام ثم أغلقت بالقفل من الداخل تقول بهمس لنفسها وهي تربت على ضربات قلبها العالية" اهدئي يا غبية هو منجذب لك لن ننكر وأنت أيضا لكن اتفقنا أنك لن تكوني متعة مؤقتة في حياته .. على أي أساس يريدك هل وعدك بشيء ؟"

أما كامل فأسرع بمغادرة الغرفة فارا من رغباته الملحة التي توشك على أن تفسد كل شيء وغمغم لنفسه وهو يهرول نازلا من السلم" اصبر يا كامل حتى مساء غد اصبر وتحدث بهدوء معها أولا .. (وتذكر القميص وقال بلهجة معذبة) سامحك الله يا سوسو .. سامحك الله "

بعد قليل نزلت بسمة ترتدي جلبابا مطرزا أنيقا وشعرها في تصفيفته الجديدة يضفي عليها جمالا فوق فتنتها الطبيعية .. وخرجت إلى الحديقة لتجد حماها وولديه وونس يجلسون على المقاعد الخشبية في انتظار تجهيز المطعم للعشاء بينما سوسو لا تزال في غرفتها لم تخرج بعد .

راقبها كامل وهي تقترب وأنوار الحديقة الساطعة من حولها تزينها بهالة تمحو ظلمة داخلية وخارجية في الوقت الذي قال شامل لونس بلهجة قلقة "بمجرد أن ينتهي العشاء تصعدين للراحة فورا وأنا سأنتهي من المطعم وسأصعد لأطمئن عليك "
رفعت يدها إلى رأسها بتحية عسكرية فابتسم وقال "مفرح وصل اليوم من القرية وقد أذهب له بعد انتهاء العمل في المطعم لأسهر معه

قليلا ..فكما قلت لك إنه يمر ببعض المشاكل تخصه "

قوست ونس فمها بحزن فقال شامل "أعدك لن أتأخر المهم عديني أن ترتاحي "

هزت ونس رأسها فتركها واقترب من كامل وبسمة التي سرعان ما تركته مع أخيه وذهبت لتجلس على أحد المقاعد هاربة من نظراته التي تحاصرها .

قال شامل لتوأمه" أنا ذاهب لمفرح اليوم هل ستأتي معي سنسهر عنده قليلا "

رد كامل وهو يتطلع في بسمة من بعيد" أنا أحتاج بالفعل للهرب اليوم "

سأله شامل "هل ستفاتحها حينما تسافران؟"

هز كامل رأسه وقال "ومن الجيد أنك لن تأتي معنا أنت وونس لأني احتاج لأن أكون وحدي معها "

سأله شامل" ولماذا لا تفاتحها اليوم؟"

بلع كامل ريقه وقال" اليوم أنا أعصابي منفلتة ولن اتفاهم في أي شيء "
علق شامل بتهكم "وهل ستكون اعصابك أكثر تماسكا مساء الغد أشك في ذلك.. عموما أتمنى لك التوفيق"
سأله كامل باهتمام" هل مفرح لا يزال على حالة الاكتئاب لقد اتصلت به أثناء سفري ولم يعجبني صوته ؟"
هز شامل رأسه بالإيجاب فسأله كامل "هل علمت أي تفاصيل غير مشاجرته مع والديه بسبب زوجته ؟"
هز شامل رأسه نافيا قبل أن يُسمع صراخا مفاجئا انتفض له الجميع .
بسرعة حدد التوأمان أن الصراخ يأتي من خارج الفيلا ففتحا البوابة ليسمعا الصراخ قادما من الفيلا المقابلة فأسرع الاثنان بالطرق بقوة على

بوابة الفيلا وخلفهما زوجتيهما بينما بقي غنيم يتابع من بوابة فيلته.

غمغم شامل وهو يبحث عن طريقة للولوج للفيلا" أين ذهب ذلك الحارس جنزير !"

فتحت الخادمة البوابة وقالت لهم بارتباك "لا أعرف المدام تصرخ بقوة ولم أفهم شيئا"

اقتحم الجميع الحديقة مهرولين قبل أن يدخلوا من باب فيلا تسونامي ثم وقفوا متسمرين في البهو فجأة .

شهقت ونس وهي ترى تسونامي ترتدي روب النوم الشيفون غير المغلق إلا من عند الخصر وباقي الروب مفتوح يظهر قميص النوم الطويل تحته .. ويظهر لحمها منه بسخاء .. بينما صرخت تسونامي الجالسة على الأريكة في البهو باكية "الحقوني هناك فأر ..فأر كبير جدا في غرفتي"

اقترب كامل ببطء وهو يتبادل النظرات مع توأمه الذي سألها بغير استيعاب "وجدت ماذا ؟!"

قالت تسونامي بلهجة باكية متمسكنة لا تخلو من الميوعة "وجدت فأر كبير .. ابحث عنه وأمسك به أرجوك"

سأل شامل أخيه بتهكم" أمسك ماذا يا كامل؟!!"

رد الأخير بلهجة ذات مغزى يلملم ابتسامة وقحة تريد الظهور على شفتيه " الفأر .. هل تريد أن تبحث عن ...الفأر.. وتمسك به؟"

منع شامل نفس الابتسامة الوقحة من الظهور بينما رفعت تسونامي ساقها وقالت بمسكنة وميوعة "قدمي ارتطمت بقوة وأنا أجري أنظر "

تنحنح التوأمان بعد أن انحسر القميص المفتوح من الأسفل ليكشف عن بياض ساقها أمامهما فهرش كامل في مؤخرة عنقه واختلس

نظرة لبسمة التي تقف من بعيد تراقب ما يحدث بوجوم ثم قال لأخيه بلهجة متهكمة " إن الوضع متأزم جدا "
فأيده شامل وهو يرفع حاجبيه يبحث عن تصرف مناسب مع تلك المخلوقة الماثلة أمامهم "جدا جدا يا أخي "
الغيرة والغضب أخذا يصارعان بسمة ..وانتابتها رغبة قوية في سحل تسونامي ونتف شعرها وصفع كامل الوقح الذي تفضحه نظراته .. لكن كبريائها منعها .. منع العاشقة بداخلها عن التعبير عن تأثرها فاستدارت بوجه بارد وغادرت ترفع رأسها بغرور مزيف .
تغضنت ملامح كامل لثوان وقد ألمه انسحابها وعدم اهتمامها أو ثورتها .. في الوقت الذي نظر شامل لونس التي تناظر تسونامي متقبضة واسرع نحوها.

دخلت بسمة من بوابة الفيلا بخطوات عصبية تبرطم" ماذا يظن؟ .. أني سأغار! .. سأغار من قذرة مبتذلة كهذه !!..أنا بسمة الوديدي .. فليشبع بها وبفأرها"

وجزت على أسنانها تشعر برغبة في قتلها بينما جاءها صوت غنيم من خلفها يقول "الحب والغرور لا يجتمعان "

استدارت وقد نسيت بأنه يجلس في الحديقة فعادت إليه تصيح بغيظ" ابنك هذا .. ابنك هذا وقح ويملك عينين زائغتين ولا يستحق إلا رصاصة في كل عين حتى يرتجع "

سألها غنيم بهدوء "وماذا فعلت أنت؟.. تركتيه لها ورحلت!.. انسحبت !"

هتفت باستنكار " أنا انسحبت !.. أنا بسمة الوديدي لن أتنافس مع ساقطة كهذه "

قال غنيم موضحا " ما فهمته أن هذه المرأة هي التي تلقي بلاها على ولديّ وواضح أنها بالداخل

فعلت شيئا مماثلا .. ونس بقيت مع زوجها وأنت هربت"
صاحت تدافع عن نفسها " أنا لم أهرب ..أنا فقط لن انزل إلى مستواها .. ولن انافس امرأة على رجل أبدا.. حتى لو كان .. (وتحشرج صوتها) حتى لو كان هذا الرجل هو روحي"

أشفق عليها غنيم لما قصته عليه قبل عدة أيام عن قصة زواجها في جلساتهما التي باتت تتكرر للدردشة لكنه قال بلهجة أبوية حازمة" هذه المرة ليست كالمرة السابقة يا بسمة .. أطراف المعادلة مختلفة تماما .. ودعيني أخبرك بأن الرجل الذي يرغب في العبث لن يقوم بذلك أمام زوجته أبدا بل سيكون أكثر حيطة وحذر " اشاحت بيدها تقول بعصبية" لن يفرق هذا الكلام معي لن يفرق"

قالتها وهي تهرب للداخل بخطوات متعجلة عصبية فأطرق غنيم برأسه بضيق من انسحابها .. ليتفاجأ بعد دقائق بها تخرج من باب الفيلا تقطع الحديقة بخطوات واسعة نحو البوابة وهي تشتم وتبرطم وتتوعد بكلمات غير مفهومة.

في الفيلا سأل كامل تسونامي التي لا تزال على وضعها" أين حارسك ؟"

ردت عليه باكية "جنزير أرسلته لمشوار يخصني"

قال ببرود " عموما حينما يأتي دعيه يبحث لك عن ذلك الفأر"

قالت بغنج وهي تمسك بقدمها المكشوفة "قدمي تؤلمني ساعدني أرجوك لست بقادرة على المشي"

عند باب الفيلا زمجرت ونس فقال شامل يهدئها وهو يسحبها للمغادرة" ونس من فضلك اهدئي سنرحل فورا هيا يا كامل"
كررت تسونامي عبارتها بغنج مرة أخرى "هل ستتركوني هكذا ؟.. أرجوك تفحص قدمي تؤلمني بشدة "
كاد أن يتحرك مغادرا حينما لمح بسمة تندفع لتدخل الفيلا كالطلقة تتجاوز شامل وونس فأسرع بالجلوس بجوار تسونامي ليغيظ بسمة لعله يجد خلف وجهها البارد بعضا من نار الغيرة عليه .. لكن الأخيرة فاجأته عندما اندفعت نحوهما وسحبته من ذراعه تقول بلهجة عصبية" انهض .. انهض فورا "
استجاب كامل بتثاقل وهو يشعر بالسعادة أخيرا فأبعدته وجلست بجوار تسونامي التي انكمشت فسألتها بسمة وهي تغطي لها ساقها بالروب بينما يدها الأخرى تمسك بزجاجة" ما

هي شكوتك يا حلوة؟ (ونظرت لقدمها التي بها سجحة كبيرة فوق ظاهر قدمها منزوعة الجلد تقريبا وقالت) هذه مشكلتك .. لا بأس"
أمسكت بقدم تسونامي وسط ذهول الجميع وفتحت زجاجة مطهر الجروح وسكبتها عليها كلها ..فتغضنت ملامح كامل بشفقة على تسونامي التي أطلقت صرخة قوية من الألم بينما تركت ونس شامل يتطلع في المشهد ويتبادل النظرات الضاحكة المشفقة مع توأمه وبحثت عن المطبخ أمام ذهول الخادمة التي تقف من بعيد منكمشة .
وضعت بسمة الزجاجة الفارغة على الطاولة بعصبية ثم تركت الأريكة وأمسكت بذراع كامل تقول "وأنت هيا إلى البيت "
ناظرها الأخير بعينين لامعتين مبتسما ابتسامة استفزتها فدفعته صارخة "هيا يا كامل أمامي ولا تستفزني"

انتبه شامل لعدم وجود ونس فبحث حوله قبل أن يجدها تخرج من الداخل تحمل سلة القمامة الكبيرة في يدها فاسرع إليها يقول "ونس ماذا ستفعلين ؟!!.. ونس"

زمجرت الأخيرة تحاول الافلات منه تريد أن تصل لتسونامي فطوق خصرها .. فما كان منها إلى أن ألقت ما في السلة بأقصى مدى لعله يطال تسونامي فنشرت القمامة في بهو الفيلا .

خلص شامل من يدها السلة الفارغة ورماها بعصبية ثم شد ونس للخارج بحزم بينما دفعت بسمة كامل الذي يتحرك بخطوات متثاقلة ويدير وجهه إليها كل دقيقة بتلك الابتسامة المستفزة.

عند باب الفيلا استدارت بسمة تقول لتسونامي التي لا تزال تمسك بقدمها وتبكي مولولة من الألم " إن خطت قدمك عتبة المطعم تأكدي

أن المرة القادمة سأسكب هذا المطهر في عينيك "

قالتها وتحركت بعصبية لتكمل دفعها لكامل.

بعد دقائق كانت ونس قد اتجهت لغرفتها غاضبة من شامل فذهب الأخير خلفها ليسترضيها بينما وقفت بسمة في وسط حديقة فيلا غنيم تصرخ في وجه كامل "ماذا كنت تنوي أن تفعل حينما جلست بجوارها على الأريكة؟"

كانت السعادة تلجم كامل وتمنعه عن الكلام وهو يراها غاضبة غيورة بهذا الشكل .. أخيرا سقط عنها الوجه الجليدي وحرارة الغيرة والوجه الجديد لها يلهبان مشاعره .. فصرخت بسمة بعصبية" لا تبتسم هذه الابتسامة وأجبني"

راقب غنيم ما يحدث من جلسته على المقعد في الحديقة بابتسامة بينما خرجت سوسو تنظر باندهاش لبسمة التي تصرخ في وجه كامل

الذي يضع يديه في جيبي بنطاله ويتحاشى عصبيتها وجنونها بالرجوع للخلف وهي مصرة على مواجهته .. فيلفان في دائرة تتقدم فيتقهقر ونفس الابتسامة تزين شفتيه.

قالت بسمة صارخة بجنون "أجب يا كامل"

هز كتفيه ورد ببرود مستفز" كنت سأتفحص قدمها المصابة المرأة كانت تتألم"

أصدرت بسمة من حنجرتها صوتا ساخرا وغمغمت بتهكم "يا لك من حنون !"

بنفس الابتسامة السعيدة قال "وهل تنكرين بأني حنون !"

كانت قد فقدت السيطرة تماما على اعصابها وابتسامته وبريق عينيه وتلك الحركة الصبيانية التي يفعلها للهرب منها بالتحرك للخلف كلما اقتربت منه تزيد من وسامته ومن استفزازه لها فتوقفت تسأله متخصرة والدم يغلي في رأسها

"وما قصة الفأر يا كامل؟؟؟ .. أي فأر بالضبط الذي كنت ستمسك به؟!! "

لم يستطع كامل التماسك فانفجر ضاحكا بقوة ارتج لها قلبها بعنف شديد .. وأصبح الوضع كله عبثيا هستيريا بداخلها ..وخارجا عن السيطرة .

كل شيء انفرط عقده وباتت لا تعرف كيف تسطير على ما تشعر به وهذا الوقح الماثل أمامها يقهقه عاليا ويستحق صفعة أو .. قبّلة لتوقفه .

اقترب منها كامل يمسك بذراعيها وهو لا يزال في موجة ضحك هستيري فصرخت في وجهه بعد أن أفلتت منه " إياك أن تلمسني (وأضافت وهي تنسحب من المعركة تداري جبنها خلف عصبيتها) والله لن تدخل الغرفة اليوم يا كامل وسأغلقها بالمفتاح من الداخل "

قالتها واسرعت تهرول مبتعدة إلى داخل الفيلا
..
حينما هدأت ضحكاته استدار ينظر لوالديه
فقال له غنيم" مرحبا بك على الأريكة في البهو
بني"
عاد كامل للضحك هو يسرع نحو الفيلا ..
سعيدا جدا .. يتقافز من السعادة ..
عند غرفتهما بعد دقائق قال وهو يطرق الباب
"افتحي يا باسمة قلت لا تغلقي الباب من
الداخل"
كانت لا تعرف كيف تلملم أعصابها فقالت من
جلستها على السرير ترفع إليها ركبتيها وتحضن
ساقيها "قلت لن أفتح وستنام اليوم رسميا أمام
الجميع في الخارج "
قال من خلف الباب "افتحي لأبدل ملابسي لأني
سأذهب لمفرح اليوم اسهر معه قليلا "

ردت بعناد فلم تكن قادرة على مواجهته بعد"
أنا اقسمت ولن اتراجع في قسمي ...اذهب كما
أنت أو ارتدي ملابس من عند شامل "
قال لها مهددا بلهجة عابثة " سأذهب لأمسك
الفأر لتسونامي "
قالت بوعيد "افعلها يا كامل واقترب من فيلتها
إن كنت مستغنيا عن عمرك "
صدرت منه ضحكة خافتة ثم قال باستنكار من
خلف الباب "أنت تهددين بقتلي!.. عموما أنا
ذاهب وحينما أعود سأحاسبك كيف تقسمين
على كامل نخلة يا باسمة يا بنت الوديدي"

xxxxx

تطلعت أم هاشم في النيش الذي انتهت من
ترتيبه بنفسها ..
أخيرا النيش الذي حلمت بأن يكون لها مثله في
كل مرة رتبت فيها نيشا لعروس خلال حياتها ..

أخيرا النيش خاصتها .. انتهت من تنسيقه للتو
..
أخيرا النيش في بيتها هي .. وليس أي بيت وإنما بيت جابر دبور ..
نظرت إليها مليكة التي بدا عليها الإرهاق واضحا وقالت "مبارك يا مشمش "
قبل أن ترد قالت سامية "هيا يا أم هاشم تعبنا وعمك يسأل لماذا تأخرنا "
قالت الأخيرة "اسبقنني وأنا آتية بعد دقائق"
خرجت الفتيات إلا مليكة فقالت لها أم هاشم"
مليكة قبل أن نغادر هلا صورتني بجانبه"
سألتها الأخيرة باندهاش "بجانب ماذا ؟"
ردت بابتسامة متسعة أظهرت بياض أسنانها اللؤلؤية "بجانب النيش .. كان دوما في مخيلتي رمزا لشقة العروس وللحياة الجديدة"
أومأت مليكة برأسها بابتسامة وأخرجت هاتفها من جيبها وذكرى النيش المهشم على الأرض

قد آلمت قلبها فأسرعت بنفض الذكرى عنها كما تهرب دوما من الذكريات المؤلمة ..بينما اسرعت أم هاشم بالوقوف عاقدة ذراعيها أمام جذعها بجوار النيش ترفع ذقنها بشموخ ..
وكأنها تتباهي بالنيش الذي يخصها ..
لتسجل في صورة تذكارية تلك اللحظة التي قد تمر مرور الكرام على الكثيرات .. لكنها كانت لها لحظة استثنائية.. لحظة تحقيق الحلم بامتلاك ..
نيش !

xxxx

قبل الزفاف بيوم
صباحا

كان عاقدا ذراعيه تحت صدره وهو جالس على الأريكة يتطلع فيه على المقعد المقابل بعينين مدققتين متفحصا هيئته القلقة وهزره منذ أن دخل عليه قبل قليل .. ثم نظر لساعة الحائط

ليتأكد من أن الساعة العاشرة صباحا وتساءل إن كان هذا الشخص القلق الماثل أمامه يهذي قد نام الليل أم لا .. ثم اعتدل في جلسته ليستند بكوعه على مقعد الأريكة وقال حينما صمت الأخر للحظات شاردا في الأرض "هل انتهيت يا جابر ؟"

رفع إليه الأخير انظاره وأجاب " أجل ..هل فهمت شيئا ؟"

رد مصطفى بلهجة ماكرة " نعم .. فهمت بأنك ندمت على الزواج من بنت الشيخ لأنك لست مستعدا بعد للزواج منها"

هتف جابر بانفعال " هل هذا ما فهتمه يا أبا حمزة ؟!.. (واستقام واقفا يهم بالمغادرة وهو يضيف) حسنا أنا آسف أني ازعجتك في هذا الوقت المبكر من الصباح "

أسرع مصطفى بالإمساك بيد جابر يكتم الضحك حين مر من أمامه يهم بالمغادرة فهتف الثاني بغيظ" تضحك من جديد !!" أشار له ليجلس وقال وهو يغالب ضحكاته "سامحني .. لكن كلما تعلق الأمر ببنت الشيخ تنقلب لشاب حانق في العشرين من العمر " سأله جابر باستنكار "ما علاقة هذا الكلام بالذي قلته لك منذ قليل؟!"

شد مصطفى يد صاحبه وأشار له ليجلس وهو يقول " اجلس .. اجلس هداك الله "

حين جلس الأخير اعتدل مصطفى وقال بلهجة جادة " أنا فهمت بأنك مرتبك .. لذا دعنا نفند المشكلة لنضع يدنا على الجزئية التي تريد الحديث عنها بالضبط لنفض هذا الاشتباك بداخلك .. أولا سأسألك هل أنت نادم على زواجك من بنت الشيخ ؟"

اسرع جابر بالقول " بالطبع لا .. (واعتدل يقول) يا مصطفى أنا لست نادما ..(وحاول صياغة أفكاره يقول شاردا) كيف اشرح الأمر؟ .. أنا أشعر بأني من المفروض أن أكن لها مشاعر أكبر من التي أحملها لها .. أنا أحترمها جدا واقدرها كإنسانة .. سأكون أكثر تحديدا ولا تؤاخذني فيما سأقول فأنت صاحبي وأتمنى أن تفهمني .. العلاقة الخاصة عندي مرتبطة بمشاعري أي أنني لست ذلك الرجل وقد تتعجب من ذلك الذي تكون تلك الأمور عنده حسية فقط .. (وعاد يصحح بعبوس) بالطبع عندي مشاعر حسية تجاه كل النساء كأي ذكر طبيعي فلا تفهمني خطأ "

لملم مصطفى شفتيه حتى لا يضحك ويقطع استرسال أفكار صاحبه بينما أضاف جابر شارحا لدواخله "لكن ما قصدته أن علاقتي بحليلتي أتمنى دوما أن تكون مصاحبة لمشاعري .. "

سأله مصطفى ليساعده على وضع يده على ما يريد "هل ارتباكك هذا لأنها مختلفة في لون البشرة؟!"

اسرع جابر بالنفي مؤكدا " بالطبع لا .. أبدا .. أنا لا أجد في لون بشرتها أي عيب فكلنا خلق الله سبحانه وتعالى خلقنا في أحسن تقويم.. ولا أنظر لها نظرة أقل من باقي النساء وإلا لما كنت عاهدت نفسي أمام الله أن تكون على ذمتي أمام الناس كلها "

بحكمة كان مصطفى يطرح عليه الأسئلة الفارقة المفرقة لتشابك أفكاره مع مشاعره فعقب على إجابته ليقتنص منه اعترافا "هناك فرق بين الشهامة والرغبة في اكرامها كرامة لقيمة والدها عندك أو التعاطف معها .. وبين أن تكون حليلة ترغب فيها بتلك الشروط التي تتحدث عنها "

أسرع جابر بالقول " لا لا أنت فهمتني خطأ تماما .. ما قلته قبل قليل عن قلقي ليس له علاقة بأني لا أريدها زوجة وبالتأكيد ما قلته عن مميزاتها يضيف لرصيدها عندي لكني..."

وصمت يحدق في الأرض يحاول فض اشتباك مرتبك بداخله فقال مصطفى بهدوء "أنا أفهمك يا جابر منذ أن بدأت في الحديث وأنا أفهم ما تتحدث عنه .. لكني أردت بأسئلتي أن أساعدك على فض الاشتباك لديك"

قال جابر موضحا دواخله " أنا لست نادما على الزواج منها يا مصطفى فالعكس هو الصحيح أنا اشعر بالراحة وبأني أفعل الشيء الصحيح لكني كما قلت لك أشعر بأن عليّ أن أمتلك لها مشاعر أقوى من ذلك لأنها تستحق أن أكن لها مشاعر مميزة مثل تميزها .. وتستحق ما دمت عاهدت نفسي على أن أكون عوضها عن

الانتظار أن يكون هذا العوض ليس فقط عوضا ماديا أو اعتباريا أمام الناس ولكن على مستوى المشاعر أيضا ..(ووضع يده على صدره مضيفا) أنا أرى أن عليّ أن أحبها أكثر مما أشعر به الآن"

ساد الصمت بين نظرات جابر الحائرة ونظرات مصطفى المتفهمة قبل أن يقول الأخير " دعني أقول لك رأيي.. أنت منفصل عن زوجتك منذ شهرين تقريبا .. وبعد أسبوع واحد فقط طلبت فتاة أخرى للزواج .. لم تعطي لنفسك فترة لتستعيد فيها توازنك تودع القديم وتستقبل الجديد هذه نقطة .. ضف عليها أن فترة خطبتك لأم هاشم قصيرة جدا لاعتبارات كثيرة وجيهة طبعا لن ننكر ذلك لكن هذا ما حدث بالفعل .. كما أنك بحكم سنك .."

انقلبت عينا جابر وقاطعه يقول باستنكار "ما به سني !!"

ابتسم مصطفى ورد " والله لا أقصد شيء ..
اقصد أنك في مرحلة النضوج ولن تتصرف معها
تصرفات شاب صغير فتتحايل لتلمس الأيادي
في الزيارة الأسبوعية وما إلى ذلك .. الوقار
والالتزام الديني سيفرضان عليك سلوكا معينا..
كما أنك بالكاد تزورها كأي خاطب عادي
لانشغالك في تجهيز كل شيء بشكل سريع .. لذا
بعد كل هذا أرى أنه من الطبيعي ألا يكون لديك
ذلك الشعور المتأجج بداخلك لانتظارها "
قال جابر بسرعة " أجل .. هذا ما أقصده
(الشعور المتأجج)"
هز مصطفى رأسه وأكمل " أنت تحترمها
شخصا وأصلا ونسبا ومعجب بها كأنثى ولا
يشكل لك اختلاف لون بشرتها عن الشائع
حولها أي حاجز نفسي .. ولديك رغبة صادقة
في أن تكمل معها حياتك وأن تكون أما لأولادك
القادمين كل هذا يا جابر كفيل بأن يخلق لك

حياة سعيدة مستقرة .. حتى لو لا قدر الله لم تجد في قلبك ذلك الشعور المتأجج لها فستكون سعيدا أؤكد لك "

قال جابر وقد بدأ يتتبع طرف الخيط صاحب العقدة " المشكلة ليست في سعادتي أنا يا مصطفى .. المشكلة أني متألم من أجلها .. لأني لا أحمل لها شعور متأجج وهي تستحق ذلك "

لم يستطع مصطفى التماسك هذه المرة فعاد للضحك وهو يضرب كفا بكف فهتف جابر بغيظ "عدت للضحك من جديد !!"

قاوم الثاني الضحك ورد بهدوء شارحا " أنت متألم لأنك لا تحبها بالقدر الذي تستحق !! .. تألمك هذا وشعورك بالحزن من أجلها أراه قمة المشاعر الجميلة التي قد تكنها لأي انسان.. يا جابر من خلال معرفتي بك والحمد لله نظرتي في الناس لا تخيب أنت تحمل مشاعر مميزة

لبنت الشيخ .. وتتصرف فيما يخصها بشكل خاص جدا .."

طالعه جابر باهتمام فأضاف مصطفى "صدقني حينما يتقابل التقدير والاحترام مع الحب في قلبك تجاه امرأة فالمحصلة تكون حالة استثنائية .. ما أراه الآن أنك تقدرها بشدة ولهذا ترى أن مشاعرك لها حاليا قليلة فهي تستحق أكثر وفي رأيي ستظل تشعر بذلك مهما منحتها .. فعقلك وقلبك يتباريان عليها فيتهم الأول الثاني بالتقاعس عن حبها .. لكني سأقول لك ما يريح قلبك يا صديقي.. أساسيات الزواج الناجح متوفرة في هذه الزيجة بإذن الله وحتى لو توقف الأمر منك لها عند مجرد الاعجاب فهو كاف.. أما أمر القلب فهو بيد صاحب الأمر .. ومع هذا ما أشعر به يجعلني أقول لك أبشر يا صديقي "

ساد الصمت لبرهة قبل أن يسحب جابر نفسا ويخرجه في راحة فقد قضى الليل يشعر ببعض الارتباك غير المفهوم بشأن زواجه من أم هاشم وهو يتخيلها حليلته وخشي من نفسه أن يكون قد ظلمها بالتسريع في الزواج منها وآلمت قلبه هذه الأفكار فغمغم بامتنان" أراح الله قلبك يا مصطفى "

سأله مصطفى مشجعا " هل أنت جاهز لليلة الحناء يا عريس؟"
رد جابر بابتسامة متهكما "وماذا سأفعل هل سأحني يديّ!"
ضحك مصطفى وقال " ولمَ لا .. كان اجدادنا يفعلونها مع العرسان .. وندور بك في أحياء القرية بالزفة والصينية التي بها الشمع"

قال جابر وقد علت الجدية وجهه فجأة
"تذكرت حلما غريبا رأيته قبل مدة "
قال مصطفى باهتمام " خير إن شاء الله"
اقشعر بدن جابر وهو يستعيد الحلم في ذهنه
ويقول" حلمت بالشيخ تيمور "
غمغم مصطفى باندهاش " الشيخ تيمور !!"
هز جابر رأسه وأضاف " أجل ..هو والشيخ
زكريا"
قال مصطفى مستبشرا " خير إن شاء الله"
أضاف جابر وهو يحدق في أرض الغرفة باتساع
عينيه شاردا في تفاصيل الحلم "كنت قد
انتهيت من صلاة الفجر في المسجد فوجدت
نفسي بجوار الشيخ زكريا .. كنا وحدنا
بالمسجد.. سلم عليّ فتأثرت بشدة وسألته
(هل أنت غاضب مني؟) .. لأني في هذه الفترة
كنت ألوم نفسي لعدم زواجي ببنت الشيخ فأنا
أولى بها خاصة حينما حاولوا الضغط على عمها

لتتزوج من ذلك العجوز .. المهم أن شيخي زكريا قال لي بأن الشيخ تيمور أرسل لي هدية تنتظرني خارج المسجد ثم اختفى"
غمغم مصطفى بانشراح " ما شاء الله ما شاء الله وعرفت الهدية ؟"
رفع جابر إليه أنظاره يقول باندفاع " أسرعت لخارج المسجد فوجدت فرس يا أبا حمزة ..فرس سمراء بديعة .. (وتقطع صوته وأضاف ببطء)كانت تقول لي .. كلاما ..بعينيها.. "

صمت فجأة وهو ينظر لمصطفى ثم اتسعت عيناه وشحب وجهه .. بعدها تعرق جسده فأخذ يتنحنح في حرج والرؤية تتضح أمامه..
بينما كتم مصطفى الضحك لعدة ثوان وهو يتابع تطور الانفعالات على وجه صاحبه وهيئته الذاهلة المصدومة المحرجة وهو

يحدق فيه بذهول جعلته لا يقدر على التماسك وينفجر في الضحك..
فلملم جابر شفتيه محرجا حتى لا يجاريه في الضحك على نفسه بينما قال مصطفى" هذه بشرى بصلاح حالك وبخير كثير يا جابر .. هيا انهض يا عريس انهض هداك الله يا حبيبي واستعد لليلة الكبيرة "

xxxx

تقلبت في السرير الذي تنعم به طوال الليل لمعرفتها بأنه لن يدخل الغرفة .. ورغم ذلك بقيت حتى الفجر قلقة لم تقدر على النوم مترقبة عودته من عند مفرح حتى وجدت رسالة منه يقول فيها " أنت بالتأكيد نائمة الآن لكني أرسلت لك ولأبي أخبركما بأني وشامل سنبيت عند مفرح الليلة .. "

وأضاف في رسالة أخرى " وقد نرسل لتسونامي لتأتي لتحيي سهرتنا وتحكي لنا بشكل مستفيض عن مشكلتها مع (الفأر) (وجه يغيظ) "

تركت بسمة السرير شاعرة بالضيق لأنها لم تشاهد الشروق اليوم .. فقد نامت مجهدة بعد الفجر مباشرة ..

توجهت نحو الحمام وهي تتساءل إن كان قد عاد من عند مفرح أم لا.

جاءها الرد على سؤالها بأغنية عبر الإذاعة الداخلية كما تحب أن تسميها للمطعم ولأن هذه العادة قد قطعت طيلة أسبوعين هما مدة سفره فهي تعلم بأنه موجود بالمطعم الآن ..

وتساءلت هل جرؤت تسونامي على الحضور؟

عند هذه الخاطرة أسرعت نحو الحمام متوعدة .

بعد قليل نزلت بسمة بسرعة متجهة نحو المطعم ترتدي بنطالا من الجينز وتيشيرت

رمادي تعقص شعرها خلف ظهرها وأنغام أغنية لفريد الأطرش تملأ المكان..
في الوقت الذي كان كامل يتطلع بابتسامة في ونس التي تقف أمام شامل تحاول تقليد رقصة بلدهم على أنغام الاغنية سعيدة جدا بأنها قادرة على سماع الإيقاع بشكل شبه طبيعي .. وارتبكت قليلا رغم حفظها للحركات لكنها كانت ترقص عليها بإيقاع الضربات على يديها والعد كما علمها شامل أول مرة في حفل زفافهما.

ساعدها شامل لتتقن الرقصة مع الإيقاع فتدخل ديمتري هو الاخر يريد أن يتعلم .. وحاول شامل تعليمه ليتحول الأمر لرقصة جماعية على أنغام الأغنية انضم إليهم فيها كامل الذي كان يعيش في حالة خاصة منذ ليلة أمس .. حالة استثنائية ينتظر بفارغ الصبر أن

يسافرا معا اليوم حتى يعترف لها بكل شيء ..
ويدعو أن يكون لديه الصبر والتحكم في الذات
حتى لا تغلبه رغبته فتخطئ في تفسيرها كما
حدث المرة الماضية.

حبينا .. حبينا .. حبيناكي حبينا
لو ما حبينا عيونك
لا اتعذبنا ولا جينا

تسمرت بسمة تتابع ما يحدث ..ونس وشامل
وكامل وديمتري يصطفون ويرقصون رقصتهم
على أنغام الأغنية.. فرفع كامل انظاره يتطلع في
حسنها الذي اشرق على المكان .. وظلت عيناه
تتابعان حركتها حتى اقتربت من الطاولة
المستطيلة الخاصة بركن القهوة وجلست على
الكرسي العالي وهي ترفع ذقنها بكبرياء لكنه
يشعر بها مختلفة .. الهالة التي حولها كانت
مختلفة لينة .. أنثوية .. حارة وليست قطبية
.. ولم يكن حدسه مزيفا فبسمة نفسها اعترفت

وهي تتعانق بعينيها مع عينيه وهو يرقص بجوارهم بأنها تشعر بنفسها في تلك اللحظة بالذات كالحلوى التي تذوب أمام الحرارة القادمة من عينيه .

وقعنا بالحب وقعنا
وعلى درب الهوى ضعنا
وياما وياما اتلوعنا
وياما وراكي مشينا

كانت ضحكات ونس سعيدة بينما ديمتري يحاول بجدية التقليد.. أما كامل فرفع شعره للخلف بمشط يده وأشار لها لتنضم وتشاركهم لكنها شعرت بالحرج فهزت كتفها بدلال أنثوي تلقائي رافضة .

وحياتك منضحي الروح
ومش ممكن بالسر نبوح
مطرح ما بدك منروح
وين ما بدك ودينا

تفرقوا مع الموال لتسرع ونس بحمل كيس لبسمة ومعها شخصية كرتونية كبيرة الحجم من الفراء لتريها بسعادة ثم أخرجت من الكيس ملابس أطفال ففهمت بأن كامل من احضرها لها فابتسمت تقول لونس "رائعة الهدايا ".
حضنت ونس اللعب وأشارت لشامل بأنها تشعر بالدوار فرافقها لتجلس بجوار إحدى الطاولات..
أما كامل فكانت عيناه تعانقان عيني بسمة على أنغام الاغنية التي تخبرها بكل شيء وهو يتحرك نحو ركن صناعة القهوة .

يا ليل غني .. بعدو الحب بأوله
خلي الحبايب يتقلوا ويدللوا
يا حلوة الحلوين حِبي واسهري
دا الحب بين الناس الله محلله

مال نحوها يستند على الطاولة بينهما وقال وعيناه ترسمان حسنها وتُقبِّلان كل انش في ملامح وجهها" طلباتك يا هانم مُريني "

أضحت ضربات قلبها أعلى من الأغنية لا تعرف ماذا حدث .. إنها في حالة من فقد السيطرة الكلي على كل شيء فيها وتشعر بأنه بات يتحكم فيها من بعيد فقالت بكبرياء أنثوي لتغطي عن حالتها الشبيهة بحلوى الهلام" أريد قهوتي من فضلك "

قال بلهجة مغازلة " من عينيّ كامل نخلة " قبل أن تتوازن بعد عبارته التي أرجحتها في الهواء فرد ذراعه فوق الطاولة وأشار لها بيده لكنها لم تفهم فقال موضحا "ألا تريدين أن تتعلمي كيف تصنعين القهوة تعالي"

نزلت ببطء وبوجنتين مشتعلتين من فوق الكرسي وتحركت لتلتف حول المنضدة وتقف بجواره .

ناظرها لثوان بتلك النظرات المشتعلة قبل أن يبتعد نحو ماكينة متوسطة الحجم ثم قال" اقتربي"

نفذت بسمة ووقفت بجواره محاصرة بين رائحة حبات البن الزكية التي تغازل أنفها مختلطة برائحة عطره اللاذعة القوية .. وبين تلك الحرارة التي تشعر بها لا تعرف إن كان مصدرها جسده العضلي أم جسدها الهلامي في تلك اللحظة ..

شرح لها كامل وهو يضع حبات البن المحمصة في المطحنة " هنا تطحنين البن فيكون طازجا" عيناه العميقتان كالمحيط كانتا تحدقان في زرقة عينيها المبهرة من مسافة قصيرة قبل أن تهز بسمة رأسها لتخبره بأنها فهمت .. فأجبر كامل عينيه على النظر فيما يفعل ثم أخرج الحبات بعد طحنها ففاحت رائحتها لتقول بسمة "رائعة ..الرائحة رائعة"

قرب كامل من أنفها البن لتشتمه وهو يغمغم بلهجة ذات مغزى "إنها بالفعل .. رائعة"
بلعت بسمة ريقها وابتعدت للخلف قليلا وهي تمسد على مؤخرة رقبتها بتوتر .. فمر كامل من جوارها متجها للماكينة التي تصنع القهوة .
اقتربت منه لتجده قد وضع البن في كوب يخص الآلة الكبيرة أمامه وبحركة جريئة سحبها من ذراعها لتقف أمامه وطوق ذراعيه حولها دون أن يلمسها وأخذ يشرح وهو يضغط على البن في الكوب بقطعة خارجية ليساوي سطحه.
لم تكن بسمة أكيدة بأنها قد ركزت كثيرا في كلماته الشارحة أكثر من تركيزها على حركة جسده وذراعيه العضليين وعطره وصوته الأجش بجوار أذنها ..وبدون سيطرة على نفسها أدارت رأسها ورفعت أنظارها تختلس نظرة إليه فلمس جبينها لحيته الخفيفة

لتصدر شرارة كالكهرباء بينهما بتردد عالي جعلهما متسمران في ذلك الوضع الحميمي تتعانق الأعين بينما الشفاه تتعذب من أجل اللقاء .

أسرعت بسمة بسحب عينيها بحرج واستدارت تنظر للماكينة وهي تقول بارتباك" ألن تخبرني عن اسم قهوتي المفضلة؟"

قال بجوار أذنها بلهجة حارة" قلنا ماذا ستدفعين في المقابل ؟"

أدارت وجهها من جديد ورفعت أنظارها نحوه تقول بصوت هارب منها وقد سلمت دفاعاتها كلها" ما تريده "

ابتسامة ذكورية لا تزال تستفزها زينت زاوية شفتيه فأشاحت بوجهها من جديد وهي ترفع يدها لتلمس جانب رقبتها بتوتر .. وفي رحلة صعود وهبوط كفها لمست ذراعه العضلي فازدادت توترا.

الأمر بينهما يخرج عن السيطرة ..
التحفظ يسقط أرضا وتدوسه الأقدام ..
والخوف من الأخر يتلاشى في حضرة الانجذاب
اللا إرادي بينهما ..
أما القلوب فكانت تهفو لعناق طال انتظاره ..
بينما الروح لا تزال معذبة بين جروح الماضي
وحواجز الحاضر وتكهنات المستقبل.. تتوق
للراحة والنعيم في حضن الحبيب .
جعلها كامل تمسك بذلك الكوب وحضن كفيها
بكفيه الممسكين به يساعدها على وضعه في
مكانه بالماكينة وهو يستشعر ارتجاف جسدها
بالقرب منه ردا على لمسته الدافئة .. فضغط
على الزر واضطر للابتعاد خطوة للخلف ليقف
بجوار الماكينة يتطلع فيها .
بخبرته وبإحساسه كرجل كان مدركا بأنه قد
التقط شيفرة جسدها وبات متحكما فيه أو
على الأقل جسدها أضحى مستجيبا له .. لكنها

أبدا لم تكن مشكلته فدوما كان واثقا من أنه قادر على فرض سيطرته الذكورية على أنوثتها .. لكن ما هو عصي عليه .. وما هو أهم وأكثر تحديا له هو قلبها ..

حاصرها بنظراته وبأنفاسه الثائرة في صدره التي لو أدركتها لعلمت إلى أي مدى هو يجاهد بعذاب ليقف أمام حضورها الأنثوي الطاغي بهذا الانضباط بينما الأغنية لا تزال تضرب على الأوتار الحساسة .

حبيناكي من زمان

يا زهرة على غصن البان

حني ع القلب الغلبان

ويا حلوة اتوصي فينا

قال لها شارحا وعيناها تتهربان منه لتدقق في تفاصيله السارقة للقلب قبل النظرات " هنا تصنع القهوة بالتقطير فتحصلي على مشروب القهوة الخام لهذا يكون فقط ربع الكوب لأنه

مركز جدا في حالته الخام بدون أي إضافات
ويسمى(اسبرسو)"
نطقها ببطء فخرج الاسم مختلطا بعاطفته..
لمعت عيناها واتسعت ابتسامتها النادرة
لتضيء وجهها أمامه فأصابت قلبه بصعقة
كهرباء ذات تردد عالي وهي تنطق ببطء
"اسبريسو "
أ يرد عليها بقُبلة يردع بها الوحوش الضارية في
صدره؟! .. لكن تلك الوحوش لن يرضيها قُبلة
.. إنها في حاجة ماسة وملحة لوليمة مشبعة
بعد طول الصيام ..

وحياة الطير الشادي
الروح باسمك بتنادي
حني يا غزال الوادي
وجوة قلبك خبينا

تنحنح يحاول التخلص من وقع الابتسامة الحلوة وأكمل "بعد ذلك تأتي الإضافات إما إضافة الماء فتسمى (امريكانو) أو إضافة اللبن والرغوة فتصبح (لاتيه) وهكذا هناك الكثير من الأنواع لكن أساسها هو الاسبرسو"

قالها مشيرا للكوب الذي تقطرت فيه القهوة ثم ناوله لها فاستنشقت الرائحة بهيام .
انتهت الأغنية وبدأت الأغنية التي تليها في القائمة التي أعدها كامل ..فتحركت بسمة عدة خطوات للخلف تستند بظهرها على الطاولة خلفها لكن كامل اقترب من جديد وعيناه تفضحانه بينما بسمة واقعة تحت حصارهما فقالت وهي تشيح بنظراتها عنه لعلها تستطيع الإفلات "اكتشفت للتو بأن الأمر كبير وليس فقط طحن البن فيصبح قهوة "

رد كامل وهو يقف أمامها طويلا عريض المنكبين يديه في جيبي بنطاله" هناك تخصص في علم الفندقة يخص صنع القهوة ومن يتقنها يسمى (باريستا) وأفضل المدارس لكي يصبح المتعلم (باريستا) توجد في إيطاليا وتمنح شهادات معتمدة بذلك "

قالت بمشاكسة "أنا أريد أن أكون باريستا وأصنع القهوة للناس "

رد ببرود" آسف لا يمكن "

عبست تسأله" لماذا؟!"

حرك كتفيه ورد بنفس البرود" زوجتي لا تقف خلف الطاولة ليتغزل في جمالها الرائح والغادي "

انحشر الهواء فجأة في صدرها وتوقف قلبها عن النبض بذلك التصريح الذي قد تكون قد سمعته كثيرا منذ صغرها بأنها جميلة لكنه اللحظة كان له وقعا آخر .. فرفعت الكوب نحو

شفتيها بارتباك وهي تشيح بنظراتها بعيدا عنه لتهرب من عينيه المحدقتين في شفتيها .
حين طال الصمت المرتبك ذو الأنفاس العالية قالت بسمة وقالب الحلوى المتمثل فيها يزداد ذوبانا أمام حرارة عينيه "الاسبرسو مركز بشده أعشقه "
قال وعيناه العميقتان تمارسان سحرهما عليها" لأنه روح القهوة .. بلا أي إضافات .. لهذا هو قوى الرائحة والطعم لاذع المرارة (ورفع حاجبه يضيف بنظرة خاصة) ويحتاج لقلب شجاع قوي يتحمل طعمه .. لذا ستجدينهم إما يحبونه بشدة أو يكرهونه بشدة ولا وسط بينهما .. ومن يدمنه لن يقتنع بغيره ابدا"
كلماته زادت من ارتباكها فأشاحت بوجهها ترفع الكوب إلي شفتيها وتتطلع من خلف طاولة صنع القهوة على المطعم الذي لم يفتح أبوابه

بعد ..ونس وشامل يتشاكسان .. وديمتري يتابع عمال النظافة في عملهم ..
سألها" متى تريدين أن نتحرك؟"
عادت لتنظر إليه قائلة "فورا يا كامل أرجوك .. سأنتهي من قهوتي وأصعد للاستعداد فلا أريد أن أغيب عن أم هاشم .. يكفي بأني لم استطع أن اشاركها في الاستعدادات للزواج .. ومليكة بارك الله لها قامت بكل شيء رغم ظروف معينة كانت تمر بها .. فعلى الأقل أكون مع أم هاشم اليوم وغدا إنها فرحة لنا جميعا "
تنهد يقول بلهجة ذات مغزى" لا بأس أنا شخصيا مشتاق لبيت الجد صالح"
احمرت وجنتاها من جديد وأشاحت بنظراتها عنه تحتسي قهوتها وهي تغمغم "ومن قال لك بأنك ستبيت فيه"
سألها يرفع حاجبه" وأين سأبيت إن شاء الله!"

رمقته بطرف عينيها الزرقاوين تقول ببرود متعمد "من الممكن أن تعود للعاصمة لتبيت هنا في الغرفة وحدك"

انقلبت مقلتيه ورد "لا.. لن أترك زوجتي لتبيت خارج البيت وحدها "

تطلعت فيه تقول بنفس البرود" أنا سأبيت في بيت أهلي"

رد بعناد "بل في بيت الجد صالح أنا وأنت"

غمغمت وهي تعيد ابعاد نظراتها لتتابع أي شيء بعيدا عن حصاره "قلنا البيت مغلق"

رد عليها بثقة وإصرار " وأنا قلت لك سيفتح لي أبوابه حينما أريد في الوقت الذي أريده"

غمغمت وهي تشيح بنظراتها عنه "مغرور !"

تراقصت الابتسامة على شفتيه وسألها بلهجة ماكرة" لم تسأليني بعد عن المقابل الذي سأطلبه منك "

أدارت وجهها نحوه وردت بكبرياء أنثوي "لن أسأل لأني لن أنفذ "
وناظرته بزرقة عينيها بتحدي .. فتدخل كاظم الساهر بصوته بينهما ليزيد من حرارة اللحظة .. لتضطر بسمة للإشاحة بنظراتها عنه من جديد حتى تهرب من تحديقه المستمر في شفتيها ورفعت الكوب إلى فمها.

اتحدى من إلى عينيك يا سيدتي
قد سبقوني
يحملون الشمس في راحاتهم
وعقود الياسمين
اتحدى كل من عاشرتهم
من مجانين وأطفال
ومفقودين في بحر الحنين
أن يحبوكي بإسلوبي
وطيشي وجنوني
أتحداكي أنا ..

أن تجدي وطنا مثل فمي
وسريرا دافئا مثل عيوني .

وكأن أغنية كاظم كانت كحجر الدومينو الذي سقط فوق ما قبله فانهار كل شيء .. لتتفاجأ به بسمة يخطف الكوب من يدها ليضعه على الطاولة ويسحبها من معصمها ليخرجها من خلف الطاولة ويدخل بها حيث الباب المجاور ..باب المطبخ الخالي من الطباخين الذين لم يصلوا بعد.

قالت بسمة مصعوقة وهو يسحبها خلفه

"كامل .. كامل ماذا تفعل .. كامل "

كان كامل قد وصل للحظة اللا عودة .. مراجل الرغبة والشوق تغلي في رأسه وتقذف به إلى حافة الجنون ..

في غرفة التبريد .. تلك الغرفة التي تشبه المبرد الكبير دخل كامل فاستقبلهما الهواء المثلج

يرسل رعشة في جسديهما .. لكنه لم يقدر على السيطرة على حرارة الخلايا والمشاعر .
أغلق كامل الباب بيده وبالأخرى كان يدفعها حتى لصقها بالحائط وقبل أن تستوعب بسمة بركان المشاعر المتأججة في عينيه كان كامل يميل ليرتشف القهوة من شفتيها ..
قبّلها كامل بعنفوان ذكوري محروم وهو يلف ذراعيه حول جسدها الذي خانها بالاستسلام دون مقاومة ولو بسيطة لحفظ ماء الوجه ..
اعتصرها بين ذراعيه وقد فقد السيطرة على كل شيء .. وانمحى من ذاكرته كل شيء إلا هي.. واسمها ..وعينيها .. وشفتيها.. و جسدها الانثوي الذي يختض بين ذراعيه لحظتها .
حرر شفتيها لكن حصار ذراعيه كان قويا ففتحت بسمة عينيها تصارع حالة انصهار تامة بين ذراعيه .. فلم تقو إلا على القول بأنفاس متلاحقة "ألا تعرف بأن تستأذن أبدا؟!"

لم يكمل كامل التقاط أنفاسه بل عاد ليطبق على شفتيها من جديد ..يلتهمهما بحرمان وحرر أحد ذراعيه بينما الاخر شدد من اعتصارها ليدخل يده بلهفة تحت بلوزتها.. باستكشاف لحوح .. نزق .. جائع .. ينكر صبرا كان رفيقه لوقت طويل .

صوت الهاتف في جيبه بتلك النغمة المرعبة لطبول الحرب وصيحات القبائل البدائية بدد بعضا من ذرات المشاعر الساخنة حولهما والتي لم يستطع الجو البارد التأثير فيها .. فحاولت بسمة التملص .. ليطلق كامل سراح شفتيها وظل يلهث وهو يوشك على الغرق في البحر الأزرق أمام عينيه فهمست " كامل ..هذا شامل يتصل بك"

كمن فقد حاسة السمع مال يمرر شفتيه على خدها وجانب رقبتها وشحمة أذنها وكأنه يتذوقها .. فجاهدت بسمة رغم قواها الخائرة

أن تبعده لكنها لم تقدر إلا عن ابعاد يده التي تعبث تحت ملابسها وهي تقول "كامل أرجوك نحن في غرفة التبريد واسمع أصواتا في المطبخ "

لم تعرف بأن الأخير كان بالفعل يجاهد ليخرج من دوامة البحر الأزرق .. يحاول أن يستعيد سيطرته لكن الوضع كان كارثيا.. فدفن وجهه في تجويف رقبتها يضمها إليه بقوة متأوها غير قادر حتى على النطق بشيء.

إنه يتعذب .. يتعذب بشدة .

فأخذ يذكر نفسه بضرورة الحفاظ على ما اكتسبه حتى الآن .. لتأتي طرقات حازمة على الباب وصوت شامل ينادي باسمه ليساعده شيئا فشيئا على اجبار نفسه عن الابتعاد عنها ببطء بينما بسمة تقول بحرج شديد "يا إلهي ما هذا الموقف المحرج ماذا سيقول علينا أخوك الآن"

انفصل عنها مبتعدا خطوة للخلف ..وتقبض وهو يشاهدها تعدل من ملابسها وشعرها وتناشد قدميها الثبات على الأرض ..قبل أن تفتح الباب لتجد شامل يقف على بعد أمتار والذي أسرع بالاستدارة يوليها ظهره بينما هي رفعت كفها إلى جانب وجهها لتتشاحى النظر لشامل وتمر من بين الطباخين الذين تفاجأوا بوجودها في المطبخ لكنهم لم يفهموا ماذا يحدث .

وقف شامل أمام غرفة التبريد متخصرا ينتظر خروج توأمه الذي أخذ بضع دقائق ليهدأ ويعيد سيطرته جزئيا على مشاعره قبل أن يخرج من الغرفة ..

فقال شامل بهمس موبخ" هل جننت؟.. هل فقدت عقلك؟ ..ماذا لو رآك أحد الطباخين ؟"

تركه كامل دون رد وتحرك يقطع المطبخ الواسع بخطوات متعجلة ثم خرج يبحث عنها متجها نحو غرفته ..

في الفيلا ناداه والده حينما رآه فوقف كامل في حالة من التشوش وعدم التركيز ثم قال لوالده" هلا أعطيتني قليلا من الوقت يا أبي أرجوك (وأسرع نحو السلم يضيف)سأعود إليك"

راقبه غنيم يصعد السلم بينما كامل يهرول .. غير قادر على الصمود .. لن ينتظر حتى يعترف لها .. لن يستطيع أن يصبر أكثر من ذلك .. هذا عذاب لم يعد قادرا على تحمله .
باندفاع وقلبه يسبقه .. يقفز أمامه .. يعدو .. يريد الوصول والوصال بلهفة .. وصل لباب الغرفة وفتحه فجأة .. لكنه صعق من المشهد الذي رآه ..

فسقط قلبه بين قدميه مرتطما بالأرض بقوة وتفتت لأشلاء.. وكأن شاحنة عملاقة سحقته تحت عجلاتها ..
فوقف في مكانه مشلولا كمن سقط فوق رأسه حجرا!.

الفصل السادس والعشرون
قبل قليل

دخلت بسمة الغرفة مقطوعة الأنفاس .. في حالة من الطفو لم تمر بها في حياتها من قبل .. شعور من البهجة والسعادة والدفء وانفراط في عقد الأمنيات التي تحولت لفراشات تطير من حولها طوال رحلة صعودها .. أو هروبها إلى غرفتها .

ما هذا الشعور .. وما هذه اللحظة التي عاشتها منذ دقيقة .. هل ما وصلها صحيح ؟.. هل المشاعر التي أخبرها بها كامل من خلال قبلته حقيقية أم أنها تتوهم؟ ..
القُبلة في حد ذاتها كانت من عالم أخر وهي بعد تجربتها السابقة تدرك الآن أن قبلة كامل بها شغف كبير وليست مجرد شهوة لامرأة يقال بأنها جميلة .

أهذا هو الاختلاف .. أهذا هو السبب الذي يجعلها تشعر بأنها أعظم قُبلة وأحلى تجربة مرت بها ؟

شغف !.. عاطفة !

أم لأنها هذه المرة تُحب ؟.. تحب ذلك الحب القدري الذي يتحدثون عنه في الروايات .. ليس حب العشرة والاعجاب أو حب العقل ..

هذه المرة هي عاشقة .. عاشقة لرجل لم تختره بالعقل وبالإعجاب .. بل دخل حياتها قدرا وجبرا .. مطرا سخيا فوق صحراء قلبها..

هل تفتح قلبها للأمنيات ؟

هل تتعشم في أن ما شعرت به مع كامل منذ قليل ينم حتى عن اعجاب .. مجرد إعجاب؟..

أم أن كل ذلك ما هو إلا وهم يوهمها به قلبها وعقلها من خيالات عاشق .

دخلت بسمة لغرفتها تمسك بقلبها المتخم بالمشاعر .. وجلست على السرير تحاول أن

تهدئ من مشاعرها التي تفجرت في هرج ومرج منذ قليل بسبب قُبلة واحدة ..قبلة مليئة بالشغف تحرض على التمني .. فغمغمت لنفسها "اهدئي يا بسمة اهدئي حتى لا تخطئي الفهم ..كامل خبير في سرقة قلوب النساء ..احذري من أن تكوني قد عبرت فقط من بوابة عينيه نحو الطريق إلى جحيمه يا بنت الوديدي"

تحت الإلحاح الشديد لقلبها قررت ألا تغلق الباب بينها وبينه بل ستحاول أن تبقي عقلها يقظ معه لترى علام ينوي .

هكذا قررت وطعم القُبلة واحساسها بها يهيمن على أفكارها فحاولت التشويش على ذلك الشعور مؤقتا لتفكر في الخطوة القادمة..

امسكت بريموت مكيف الهواء وفتحته ليخفف من حرارة مشاعرها وتحركت بسرعة

نحو الخزانة تفتحها لتضب حقيبة صغيرة للسفر تكفي للمبيت في القرية يومين ..
(المبيت مع كامل في بيت الجد صالح وحدهما)
انفجرت دقات قلبها من جديد .. وأحست بأنها ستصاب بنوبة قلبية لا محالة بهذا الشكل ..
خاصة حينما تذكرت القميص البرونزي وتلك الملابس التي اختارتها حماتها والتي تعترف بأن لها ذوق رفيع جدا وفي الوقت نفسه غير مبتذل .. فاختياراتها كانت شديدة الأناقة والرقة رغم أن منها ما هو فاضح مثل ذلك القميص البرونزي الذي تسمر امامه كامل.
حركت يدها أمام وجهها تحاول التلطيف من الجو الملتهب ومن حرارة وجنتيها اللتين تحترقان اللحظة .. وقررت أن تضع القميص بين ملابسها الليلة .
وقفت تسحب نفسا لتهدئ من روعها وترتب افكارها ثم قررت بأنها ستأخذ القميص وترقب

ماذا سيفعل كامل في بيت الجد صالح .. تخبر نفسها بأنه إن حاول مغازلتها ستطلب منه بدلال الانثى أن تعرف أولا على أي أساس يطلب منها أن يتمما الزواج ..ستواجهه هي وتسأله سؤالا مباشرا.. لكن عليها أن تكون لطيفة وأنثوية .. هكذا حدثت نفسها .. ثم ضربت على جبهتها بتوتر معترفة بأنها لا تعرف أمور الدلال والميوعة ..هذا ما تعلمه عن نفسها ..ففي زيجتها السابقة لم تكن كذلك أبدا ولم تتقن هذا الدور .

وضعت بعض الملابس في الحقيبة وشعرت بأن الجو يزداد سخونة .. فعقدت حاجبيها متسائلة لماذا لا تشعر بأي تأثير للمكيف ؟!! اغلقت باب الخزانة لتنظر للمكيف فوجدته مغلقا ووجدت أن التلفاز مفتوح بينما صوته مكتوما كما كان طوال الليل .. فضربت على رأسها تشتم غبائها الذي جعلها تفتح التلفاز

بدلا من المكيف وتحركت نحو السرير لتلتقط ريموت التكييف ثم وقفت متسمرة لثوان تحدق في الشاشة أمامها بمفاجأة وهي ترى صورة زوجها السابق سيد صبرة في لقاء تلفزيوني.

لم تعرف إن كان التوقيت قدري أم مجرد صدفة ..لكنها لا إراديا اسرعت بفتح الصوت .. وكل ما سيطر عليها لحظتها أن تختبر مشاعرها .. أن ترى ما هو شعورها تجاهه الآن بعد هذه السنوات وبعد أن وجدت الحب وتزوجت .. أرادت أن تعرف كيف هو الشعور نحو شخص كانت تشاركه أيامه وسريره ..

قالت المذيعة لسيد بدلال" أنت معروف في الوسط الفني بأن لديك صوت رائع ..لماذا لم تسع لأن تكون مطربا ؟"

ابتسم سيد وقال وهو يجلس بكل ثقة في المقعد الوثير وذراعاه مستقرين على يدي

المقعد" بعيدا عن أني لست مستسيغا لفكرة أن أقف أمام الجمهور لأغني .. فأنا أرى أن مواصفات المطرب لابد أن يكون وسيما وساحرا وليس بهيئة مخيفة مثل هيئتي .. (وابتسم مضيفا بتفكه) أنا شخصيا إن رأيت مطربا على خشبة المسرح في مثل ضخامتي سأخاف أن يَقبض عليّ "

ضحك الجمهور وشاركتهم المذيعة ثم قالت" لكنك تجمع بين الوسامة والجاذبية والجسد الرياضي"

وضع سيد يده على صدره وهز رأسه يرد بحرج" جبر الله بخاطرك "

اعتدلت المذيعة في جلستها الأنيقة وقالت ببعض الدلع " سمعت أن زوجتك (ونظرت للشاشة) وهي بالمناسبة زميلة لنا في التقديم الإذاعي ..(وعادت لسيد) سمعت بأنها تغار عليك من المعجبات هل هذا يضايقك؟"

رد سيد يهز كتفيه " من الطبيعي أن تغار على زوجها "

أصرت المذيعة على أن تخرج بتصريح معين منه فقالت "لكني سمعت بأنها عصبية في هذا الشأن مع معجباتك "

لاحت ابتسامة ونظرة عاشقة على وجه سيد وهو يرد " زوجتي تحاول جاهدة أن تتأقلم مع هذا الأمر (وغامت عيناه بتأثر واضح مضيفا) وأرى بأنها تبلي بلاء حسنا في ترويض نفسها .. دوما أنا فخور بها وبسعيها الدائم لأن تكون على قدر الثقة"

انفتح باب الغرفة .. لكن بسمة احتاجت لبضع ثوان حتى تنتبه .. فكل تركيزها كان منصبا على اختبار مشاعرها.. وحينما ادارت وجهها ..بإدراك متأخر .. ورأت ملامح كامل أدركت المصيبة التي أوقعت فيها نفسها .. فشحب

وجهها وتجمدت وهي تراقب ملامح كامل التي لا تعرف من أي جحيم جاءت.
وقف كامل يحدق في وجهها وفي وجه ذلك الشخص الذي يزوره في كوابيسه .. وساد صمت قاتل لا يقطعه إلا صوت ضربات القلوب العالية المتوترة وصوت رخيم يأتي عبر الشاشة ..
صوت تحول فجأة لضحكة عالية مستمتعة تخرج من الشاشة لتزيد من استعار الجحيم الذي انفجر في وجه كامل ..
ضحكة مجلجلة كانت كموسيقى تصويرية لمشهد شديد الحزن .. شديد الألم .. ولمحة سريعة تمر أمام عينيه المحدقتين في وجه بسمة المشلولة لا تجد ما تبرر به .. لمحة خاطفة .. رأى فيها قلبه المنحوس كأشلاء دامية على الأرض وصوت ضحكة ..غريمه ..في الخلفية .

فأهلا بالجنون لربما يخفف عنه ذلك الشعور المميت الذي يشعر به لحظتها .

استعادت بسمة صوتها بصعوبة وهي تراه يقترب منها ببطء فقالت بحشرجة وقد أدركت بأنه يتذكر شكل زوجها السابق " أناااااا..."

"هل اشتقت إليه؟!"

قالها بلهجة خطرة فجحظت عينا بسمة وقبل أن ترد عليه أطلقت صرخة مفزوعة حينما تحرك كامل وشد سلك الكهرباء الخاص بالشاشة فأصدرت طرقعة قوية .. لتنظر لبقية السلك الذي لا يزال موصلا بمصدر الكهرباء في الحائط وشعرت بالخوف على كامل من أن يقترب منه فقالت بسرعة في ذهول" كامل ما الذي تقوله؟!!"

حمل كامل الشاشة المعلقة على الحائط وضربها في الأرض وهو يهدر بعروق منتفخة

"أقول هل اشتقت إليه فتتلمسين رؤيته على الشاشة؟"

صرخت بسمة وهي ترى الشاشة انكسرت وارتعبت من هيئة كامل فقالت وصدرها يعلو ويهبط وانفاسها تتسارع "كامل ..ما تقوله هذا خطير اعطني فرصة"

هجم عليها يمسك بذراعها بقوة آلمتها وهو يهدر في وجهها حتى كاد أن يصم أذنيها بصوته "فرصة لماذا؟.. لتصفين لي كيف تشتاقين إليه .. لتصفي لي مدى عشقك له؟!!"

اتسعت عيناها وصرخت بصوت مبحوح بمزيج من الغضب والخوف "كامل أنا لا اسمح لك"

كان ما يشعر به من ألم في كرامته وإحباط وغيرة كفيلا بأن يقتلها عقابا لها على ما يمر به لحظتها من عذاب .. وكان مدركا بأنه في حالة غير مسبوقة من الانفعال فحاول بقوة الالتجاء

لعقله ليتدخل وهو يرفع قبضتيه أمامه ويهزهما ويجز على أسنانه بقوة ليحجم مشاعره المؤذية المحرضة على الإيذاء وهو يقول "مم أنت مصنوعة ؟.. أخبريني ..من الحجر ؟.. من الغباء؟ .. (وفرك رأسه بأصابعه بقوة وهو يقول بصوت معذب وصدر لاهث) لقد ... لقد .. بالله عليك لقد كنتِ بين ذراعيّ قبل ربع ساعة!!!.. كيف؟!! .. كيف..."

تقطعت الكلمات فوق لسانه بسياط الألم بينما هتفت بسمة بغضب شاعرة بالإهانة"

كامل!!!"

طرقات قوية على الباب مصحوبة بصوت شامل الذي قاده حدسه لغرفة أخيه قبل أن يسمع صوته العالي "افتح يا كامل .. بسمة أنا سأدخل يا بسمة "

كان الاثنان بالداخل يحدقان في بعضهما بترقب وكلاهما يرزح تحت أفكار ومشاعر تهدد

بإحداث كارثة في الوقت الذي فتح فيه شامل الباب مواربا قبل أن يستدير كامل نحوه بتحفز وكأنه قد عثر على خصم يليق به لينفس فيه غضبه فصرخ بعنف وهو يقترب من الباب بسرعة "اخرج من هنا "

قال شامل بهدوء مدركا لخطورة حالة أخيه الغريبة" تعال معي "

كان جنون الغضب يبرق في عيني كامل كومضات كهربية متقطعة وهو يدفعه بقوة" قلت أخرج من هنا وإلا سأقتلك بدلا منها .. "

فقد شامل توازنه لثوان وارتطم بالباب كمن نطحه ثور بينما استدار كامل لبسمة يقول وقد فقد كل ذرة سيطرة على ذاته الجريحة" ألا يكفي بأني تزوجتك رغم كل شيء ..ألا يعني لك هذا شيئا ؟! "

ضغط على العقدة .. عُقدتها .. دهسها تحت قدميه بما قال كما دهس قلبها ..فصاحت

بانفعال " آسفة كامل بك لأنك اضطررت للتورط معي ..آسفة لك بشدة ..وسأصحح هذا الخطأ حالا "

هدر شامل فيها بقوة " اسكتي يا بسمة .. (ثم سحب أخيه من ذراعه يقول) وأنت تعال معي"

دفعه كامل مجددا وهو يصيح" قلت ابتعد واخرج من هنا (وضرب على صدره عدة مرات بقوة يصيح بجنون) إنها زوجتي أنا .. لا أحد يتدخل بيني وبينها"

كانت ونس تقف بالخارج ترتجف بشدة ونازعتها الفكرة وعكسها .. فهي ترغب في الاندفاع للدفاع عن شامل وفي نفس الوقت عقلها يحذرها من التدخل .. في نفس الوقت وصلت سوسو مقطوعة الانفاس وبمجرد أن شاهدت الموقف على باب الغرفة سحبت ونس بسرعة وقالت "تعالي بعيدا فهما كثورين

في شجارهما ..استر يا رب .. (وأضافت وهي تدخل بها غرفة الألعاب) يا رب لم أعد احتمل تعب الاعصاب هذا "

تجمدت بسمة مكانها وقد نالت منها كلمات كامل ما نالت.. فانهمرت دموعها في الوقت الذي كان شامل يحاول السيطرة على ذلك الثور الهائج المنفلت الأعصاب الذي يقاومه ويرفض التحرك معه فانفعل هو الأخر يشعر بالخوف على توأمه وهدر فيه" قلت تعال معي وكف عن المقاومة"

قالها بعصبية شديدة وهو يطوق رقبته بذراعه كمن يلجم وحش ثائر ويقوده مطأطئ الرأس إلى خارج الغرفة .

بمجرد أن وصلا لصالة الجناح استطاع كامل التخلص منه بدفعه بقوة وهو يزمجر فارتطم شامل بالحائط وانطلقت صرخة من فم ونس التي كانت تقف على باب غرفة الألعاب..

فأسرعت سوسو بسحبها وهي تبكي بينما ونس تقاومها .

من وسط لهاث كامل وصدره الذي يعلو ويهبط وهو ينظر لتوأمه بتحفز ليستعد للهجوم التقطت أذنه نحيب أمه وبكاء ونس .. فتحركت عيناه بنظرة خاطفة لكلتيهما قبل أن يتحرك شامل ويدفعه نحو السلم في الوقت الذي كان غنيم قد وصل آتيا من جهة المصعد فهدر في كليهما" أخرجا إلى الشارع وأكملا شجاركما (وأشار بعصاه بحزم) هيا خذ هذا الثور خارج بيتي يا شامل "

استجاب كامل هذه المرة لدفعة أخيه على درجات السلم وأخذ يناظره شذرا كلما دفعه حتى نزل الطابق الأرضي فقال شامل وهو يطوق رقبته بذراعه" هيا لنخرج ونتحدث كالعقلاء "

ابعد كامل ذراع توأمه عن رقبته وهو يصيح بقنوط ممسكا بصدر التيشيرت وكأنه سيمزقه
" اتركني يا شامل بالله عليك أريد أن أموت الآن "

فعاد الأخير ليطوق عنقه بذراعه وسحبه لخارج الفيلا.

في الدور العلوي تحرك غنيم نحو غرفة كامل يقول لبسمة "ماذا حدث؟"

انهارت في البكاء وقالت من بين شهقاتها"
أرجوكم أتركوني وحدي أستحلفكم بالله..
أرجوكم"

صمت غنيم يتطلع في الشاشة المحطمة ثم أمسك بالباب يغلقه بهدوء والحزن يعتصر قلبه وتحرك نحو غرفة الألعاب التي يأتي منها بكاء بصوت عال كان هو بكاء ونس التي هيمنت هرمونات الحمل عليها فوجدها على الأريكة تبكي وبجوارها سوسو تشاركها البكاء في صمت

فقال لزوجته موبخا ومحاولا للتخفيف عنها"
هل جديد عليك! .. بُلينا بثورين حينما يثور
أحدهما ينطحه الأخر ليهدأ !"
غطت سوسو عينيها بكفها بنشيج متقطع
فأشفق غنيم عليها وقال مطمئنا بعد أن تقدم
وجلس بين الاثنتين ثم فرد ذراعه عليهما "إن
شاء الله شامل سيهدئه .. دوما ما يستطيعا
تهدئة بعضهما .. أتذكرين يا سوسو كيف كانا
يربتان على بعضهما في صغرهما حينما يبكي
أحدهما ؟"
قالها وقلبه يأكله على كامل فحاولت سوسو
التماسك بينما اجهشت ونس بمزيد من البكاء..
فسحب غنيم رأسها لتنام على صدره وهو
يقول" اهدئي يا ونس إنهما بخير"
في الغرفة كانت بسمة غير قادرة على التوقف
عن البكاء فما قاله كامل كان جارحا بشدة ..
فادركت بأن لحظة النهاية قد حانت .. نهاية

قصتها مع كامل .. وعلى القطار أن يتوقف في هذه المحطة..

لكن ..

أتملك الشجاعة لأن تفعلها مرة أخرى؟!

كان الألم في قلبها عظيما لكن جرح كرامتها كان أعظم فقالت لنفسها وهي تمسح دموعها

"كوني قوية يا بسمة .. لقد وعدت نفسك بألا تسمحي لشيء أن يهزمك .. لا شيء سيكسر ظهرك أو سيحني هامتك .. حتى لو كان الثمن تفتت قلبك إلى أشلاء "

اندفعت ناحية الخزانة وأسرعت بوضع بعض الملابس في الحقيبة الصغيرة بشكل عشوائي مقررة الرحيل فورا .

بعد قليل فتحت باب غرفتها وخرجت بالحقيبة الصغيرة وقد ارتدت بنطالا من الجينز وحذاء رياضيا .. فوقهما قميصا طويلا بينما

شعرها مشدود إلى الخلف بقوة في كعكة أسفل رأسها .. وتحركت نحو السلم ..
ناداها غنيم قائلا بلهجة صارمة" إلى أين؟"
ارتعشت وتملكتها الرهبة منه فصمتت لثوان قبل أن تدير إليه وجهها المتورم من البكاء وترفع أنظارها الزرقاء من بين جفونها المنتفخة تقول بتصميم من وقفتها في منتصف السلم وهي تجز على أسنانها "سأغادر .. لابد أن أغادر الآن وفورا"
صمت غنيم قليلا ثم قال من وقفته في الدور العلوي " هكذا دون استئذان زوجك"
هتفت بحدة" ليس زوجي .. لن يبق زوجي"
صمت غنيم وأرخى أهدابه لثوان ثم أعاد صياغة كلامه "بدون اخبار من تعيشين معهم؟"
شعرت بالحرج وازداد الألم في قلبها فانفجرت بالبكاء تقول "أرجوك أنا أعرف بأنك غاضب

مني الآن لكني أريد أن أغادر فورا من هنا
...فورا"
تحركت توليه ظهرها فقال بلهجة صارمة
"انتظري "
وقفت بسمة دون أن تستدير إليه ومسحت دموعها تطلب من نفسها أن تتماسك بينما رفع غنيم الهاتف وقال "عكاشة حضر السيارة الصغيرة ..ستوصل بسمة هانم للقرية حالا"
تغضنت ملامح بسمة شاعرة بمزيد من الألم في قلبها وادارت وجهها إليه ترفع أنظارها لأعلى بامتنان من خلف دموعها المصرة على الانهمار .. لكن ملامح غنيم كانت صلبة أمامها فأسرعت بالهرولة على السلم مبتعدة تشعر بالحزن لأنها اغضبته منها .
أما غنيم فتغضنت ملامحه تأثرا برحيلها لتقترب منه سوسو وتقول" كيف سمحت لها بالذهاب وحدها يا غنيم؟"

رد عليها باستنكار" وهل سنحبس بنات الناس عندنا ؟!"

غمغمت سوسو "اقصد كامل"

هتف بحزم " لقد تشاجرا وهي قررت السفر لأهلها .. فلن نحبسها عندنا .. عليهما أن يهدآ بعيدا عن بعضهما "

من خلفهما عادت ونس للنحيب تشعر بالحزن لما آلت إليه الأمور فاستدار غنيم وسوسو إليها قبل أن يشير لها والد زوجها لتقترب .. ثم أخذها تحت جناحه يقول" لا تنزعجي إنه مجرد خلاف بسيط وسيحل سريعا"

xxxx

بعد ساعة

"كيف سمحت لها يا أبي ؟؟.. كيف سمحت لها بالخروج دون إذني"

قالها كامل صارخا فصاح غنيم وهو يشير بعصاه نحوه "صوتك لا يعلو أمامي هذا أولا ..

أما ثانيا فهي أرادت الذهاب لأهلها وهذا من حقها ..لن نمنعها عنهم .. ومن الأفضل أن يهدأ كل منكما بعيدا عن الأخر"

استدار كامل بعنف يصعد لأعلى .. فنظر غنيم لشامل الذي يضم ونس إلى صدره في الوقت الذي تذكر الأخير حواره مع توأمه منذ قليل.. وكيف أنه وبخه لثورته وكلامه الجارح لها دون أن يفهم أو يتعقل ..رغم أنه يعترف بداخله أن الموقف صعب على توأمه وجارح لكرامته ومشاعره .. لكنه لم يرغب في أن يعطيه الفرصة للتمادي في هياجه حتى يجنح للمنطق والعقل قليلا .. ليأتي سفر بسمة ليحير شامل في تحديد ما هو الأفضل لكليهما .

تأكد أن حدسه في محله حينما نزل كامل بسرعة بعد أن بدل ملابسه وتحرك نحو الخارج فسأله والده" إلى أين؟"

استدار كامل إليه يقول بتصميم وتحدي وبعينين تطلقان قذائفا من الشرر "ذاهب لإعادة زوجتي"
قالها واندفع خارجا فناظر غنيم شامل يأخذ رأيه بينما قالت سوسو بقلق "شامل اذهب خلفه ..أخشى أن يوقع نفسه في مشكلة "
أطرق الأخير قليلا يفكر ويوازن الأمر في رأسه ويحلل رد فعل توأمه منذ قليل وأفكاره واعتمد على ذلك الحدس العالي بينهما ثم قال بهدوء وهو يرفع أنظاره لوالديه" بسمة ستكون بين أهلها وعليه أن يتحكم في نفسه حتى يكسبها .. فكامل يطلق العنان لنفسه حينما يعلم بأني موجود سأتدخل إن خرج هو عن السيطرة .. لكن طالما يشعر بأني بعيد فذلك يجبره على السيطرة على نفسه حتى لا يقع بالمشاكل .."
سأله غنيم بقلق "ماذا لو أذاها؟"

تذكر شامل خطة توأمه الأساسية في أن يبيتا في بيت الجد صالح وبالرغم من قلقه طمأن والده "كامل لن يفعلها أنا متأكد"

قالها وهو يدعو في سره بأن يكون حدسه صحيحا ككل مرة وأن يسيطر كامل على نفسه كما يفعل دائما حينما لا يكون هو في المحيط

xxxx

وقفت صباح ذاهلة وهي تتطلع في العِجل الذي يقف أمام الباب بينما قال يحيى في الهاتف" ما هذا يا جابر؟ .. (وصمت قليلا ثم رد بحرج) عشت .. وتمم الله لك على خير .. حسنا لا بأس ..السلام عليكم"

أغلق الخط وغمغم لصباح يقول" هديته للعروس في ليلة الحناء "

همست صباح بانزعاج "وأين سنطبخ هذا العجل يا يحيى ومن سيقوم بذلك ؟"

رد عليها هامسا" لا تقلقي يقول بأنه سيرسل طباخا بعد قليل ليطبخ لحفل المساء "
اشتعلت الغيرة في صدرها فهتفت بصوت عال باستنكار "يطبخ أين؟... في مطبخنا الذي مساحته شبرا ونصف !!"
امتقع وجه يحيى وناظرها بعبوس يقول وهو يتحاشى النظر للرجل الواقف ممسكا بالعِجل على بعد خطوات "اخفضي صوتك يا امرأة ..سأفتح لهم غرفة الكُتّاب القديمة ليطبخوا فيها "
قالت بشفتين معووجتين" الغرفة لا تكبر عن مطبخنا كثيرا"
رد عليها بعبوس "لا تشغلي بالك أنت فالطباخ سيتصرف(ثم استدار للرجل الذي يمسك بالعجل بينما تجمع بعض الجيران وخاصة الأطفال لمشاهدة ما يحدث بفضول وقال) لا أعرف أين ستذبحه (والتفت حوله ثم قال) لا

مفر من أن يذبح هنا في الشارع أمام البيت حتى ننتهي منه باكرا ثم ننظف مكانه استعدادا لحفل الليلة (وسأله) أنت لست من قريتنا أليس كذلك؟"

رد الرجل يخبره بأنه من القرية المجاورة قرية الحاجة نجف وبأن جابر زبون دائم عند محل جزارتهم ليقول يحيى مرحبا "بارك الله لكم"

سأل الرجل" أين العروس؟"

عقد يحيى حاجبيه وسأله" لماذا؟"

قال الرجل مبتسما "المعلم جابر أوصاني أن يذبح العِجل أمامها "

بدأت أعراض الذبحة الصدرية على صباح التي لوت عنقها وفمها تغمغم بصوت خافت" لقد جن جابر وذهب عقله بالتأكيد"

في الوقت الذي رفع يحيى حاجبيه لثوان ثم ابتسم وهو ينادي عبر بوابة البيت خلفه" يا وفاء .. نادي على أم هاشم"

بعد دقائق خرجت أم هاشم على البوابة فقال يحيى للرجل "ها قد جاءت العروس "
لأول وهلة تفاجأ الرجل بسمارها وقد ظهر ذلك على ملامحه قبل أن يتدارك الأمر بسرعة لكن أم هاشم الخبيرة بنظرات العيون كانت قد التقطت نظرته وتجاهلتها بتعمد وهي تنظر لعمها الذي قال مشيرا على العجل" هدية جابر لك يا عروس واشترط أن يذبح أمامك "
تطلعت في عيون الجيران التي تراقب بانبهار وكالعادة حصنت نفسها من (الموت من السعادة) بذلك الاعتقاد الذي لا يزال عقلها يتمسك به أنه يفعل ذلك متماديا في خطته فقالت وهي تعدل من حجابها بتلك الحركة المتباهية" أجل أنا العروس يا أخي تفضل .."
غمغم الرجل بتوجس "سأذبح لكن بدون تقيؤات واغماءات نسائية "

ابتسمت متخصرة فظهرت أسنانها اللؤلؤية وهي ترد بلهجة متحدية" هل تحب أن أذبحه أنا"

اتسعت عينا الرجل ثم ضحك قائلا" صدق ما قاله المعلم جابر "

سألته وقلبها يعزف معزوفة حب عذبة "وماذا قال المعلم جابر ؟"

رد الرجل وهو يجهز عدته "قلت له هل أنت متأكد أن أذبحه أمام العروس .. فبالتأكيد لا تريد انهيارات عصبية تعرف بنات اليوم .. قال لي بثقة أن العروس ستذبحه معك "

رفعت أم هاشم ذقنها بكبرياء في وقفتها المتخصرة ولمعت عيناها بدموع السعادة .. وقد أطربها ما سمعت فهذا الكلام عنها وهذه الثقة كانت أكثر تأثيرا عليها من ذبح عِجل تحت قدميها .

بعد قليل دخلت أم هاشم من بوابة البيت بعد أن شاهدت ذبح العجل لتستعد ليوم حنتها فجاءها من يناديها من عند البوابة فاستدارت تقول بنزق "من الذي يريد العروس مجددا ..ارحموني"

حين التفتت وجدت اسراء تقف في ساحة البيت مبتسمة فتفاجأت وقالت وهي تعود إليها مرحبة" أهلا يا إسراء ما هذا النور "

ردت اسراء بابتسامة هادئة وهي تقبل وجنتيها "حبيبتي يا أم هاشم جئت لأبارك لك وأتمنى لك كل السعادة التي تستحقينها "

لمعت الدموع في عيني الأخيرة وقالت بلهجة مستنكرة" لا تقولي بأنك لن تحضري في المساء "

قالت اسراء بلهجة معتذرة" سامحيني فكما تعلمين أمي لا ترغب في الخروج من البيت .. صحيح تركت غرفتها وبدأت تمارس طقوسها

اليومية لكنها ترفض الخروج أو مقابلة أحد حتى الآن وأنا (وبلعت غصة مرة في حلقها وقالت بابتسامة لم تمس قلبها) أنا لا أرغب أيضا في الاختلاط ..سامحيني بالله عليك ..الله يعلم بمحبتك في قلوبنا وسأزورك إن شاء الله في بيتك"

قالت أم هاشم بلهجة متفهمة وهي تربت على ذراعها" لا بأس يا اسراء أسأل الله أن يعوضك خيرا منه "

وقفت سيارة أمام البيت وترجل منها عدد من الفتيات السمراوات بابتسامات ساحرة وعيون لامعة قبل أن يساعدن امرأة بدينة على النزول ترتدي زيا مميزا فقالت أم هاشم مازحة" ها قد جاءت مُعذبتي"

ضحكت الأخيرة بابتسامة حلوة وقالت ترد لها المزاح" وها هي العروس ذات اللسان الطويل ..مسكين هذا العريس اشفق عليه من الآن

(وقالت لمساعداتها) لا تنسوا أي شيء في السيارة يا بنات "

ضحكت أم هاشم بينما ابتسمت اسراء وربتت على ذراعها تقول" سأتركك أنا مع ضيوفك "

قالتها وهي تغادر فراقبت أم هاشم مشيتها الوقورة الحزينة وآلمها قلبها لتهمس في سرها " جبر الله بخاطرك يا بنت نصرة ورزقك من أوسع الأبواب "

xxxxx

بعد العصر

هذه المرة أصعب .. أصعب بكثير من المرة الماضية .. ولهذا كانت لا تريد الاقتراب .. التورط .. التمني .

إن القلب حينما يدخل في المعادلة يكون حل المسألة مؤلم والنتيجة كاسر أو مكسور جبرا أو اختيارا.

فتحت بسمة بوابة بيت الجد صالح فأصدرت أنينا يماثل ما تشعر به لحظتها ..
كان الشارع هادئا والجو حارا كحرارة القلب المريض الذي يتأوه طوال الطريق .
سألها السائق بأدب إن كانت تريد شيئا فأشارت له برأسها نافية وتحركت لتدخل البوابة .
إن المشروع مغلق لفترة لانشغال أم هاشم وانقطاع نصرة عن العمل .. ولم تستقر بسمة بعد على من سيديره في حالة أن رفض جابر أن تعمل أم هاشم فهذا الامر لم تناقشه فيه الأخيرة بعد.
فتحت بسمة الباب الداخلي للبيت ودخلت وهي تغمغم لنفسها "ستعودين لإدارة المشروع بنفسك مرة أخرى يا بسمة"
تطلعت في البيت حولها الذي يستقبلها بخيباتها وتذكرت بأن كامل قد حاول الاتصال بها في الطريق لكنها لم ترد فاتصل بالسائق

..وما فهمته من المكالمة أنه سأله أين هو بالضبط ثم أمره أن يكمل طريقه .. فخمنت بأنه سيأتي خلفها لهذا قررت أن تحضر إلى هنا وليس بيت أهلها فلا تريد أي جنون من كامل قد يفضحهما .. تريد أن تتكلم معه عن انفصال هادئ بدون مشاكل .. وستذكره باتفاقهما .

صعدت درجات السلم وكلمة (الانفصال) كنصل سكين حاد فوق رقبتها ..لكنها قاومت بشدة ذلك الشعور المؤلم بالفقد المبكر قبل أن يحدث .. عليها أن تكون قوية حتى لو انكسر قلبها وتفتت إلى أشلاء .. وغمغمت لنفسها بمجرد أن صعدت للدور الثاني" ألم تكن هذه خطتك يا بسمة؟ .. ألم يكن هذا ما أردته ..أن يتم الانفصال لتعودي مطلقة للمرة الثانية وتنتقمي من الجميع !"

وقفت حائرة أمام أبواب الغرف المغلقة وهي تسأل نفسها باستنكار "أي خطة ساذجة هذه

التي وضعتها !.. أي جنون هذا !.. لقد اخترت الحب يا بسمة .. أنت لم تضعي أية خطط سوى أنك أردت أن تخرجي من القرية وأن تبقي بجانبه قليلا .. أتنكرين على أم هاشم ما فعلته وقد فعلت مثلها !"

عادت بنفس النظرة الحائرة تنظر للغرف أمامها ..أيهما تختار؟.. غرفته القديمة أم غرفة أخرى؟ .. وترددت خطواتها قليلا قبل أن تسوقها قدماها رغما عنها نحو تلك الغرفة التي كان يسكنها يوما .

لوهلة بعد قُبلة اليوم تخيلت نفسها هنا معه في هذه الغرفة لكنها لم تتخيل أبدا أن ينقلب الأمر خلال دقائق بهذا الشكل .

رن هاتفها فوجدتها مليكة التي كانت تلح في الاتصال طوال الطريق فبالتأكيد تريد أن تعرف لماذا تأخرت ولم تأت من أول اليوم فرفعت

الهاتف لأذنها وردت بحشرجة وهي تفتح باب الغرفة وتدخل" نعم مليكة "
صاحت الثانية بتوبيخ" أين أنت يا ست الهانم (وأضافت بتهكم تقلدها) من أول النهار سأكون عندك يا مليكة .. نحن العصر يا ست بسمة "
انفجرت بسمة بالبكاء وكأن كل ما ذرفته من دموع أثناء الطريق لم يكن كافيا فقالت مليكة بهلع "بسمة ماذا حدث ؟؟"
غمغمت الأخرى من بين دموعها" انتهى كل شيء يا مليكة وأنا لن أعود للعاصمة "
التاع قلب مليكة وقالت بلهفة" ما بك يا بسمة ماذا حدث؟"
استدارت أم هاشم من وقفتها في غرفتها ومعها الحنانة ترسم لها يدها بالحناء وتطلعت في مليكة التي ارتبكت وقالت لأم هاشم مفسرة حتى لا تزعجها بالخبر " السيارة تعطلت بها

لهذا تأخرت .. سأخرج لأتحدث بالخارج لان الشبكة ضعيفة "

تحركت مليكة في البيت الضيق الممتلئ بالسيدات واسرعت للخروج لساحته وهي تنادي على بسمة التي تبكي بحرقة على الهاتف"

يا بسمة أخبريني ماذا حدث؟ وأين أنت؟"

ردت الأخيرة " أنا وصلت إلى بيت الجد صالح"

سألتها بقلق "ماذا حدث"

من بين دموعها أجابت بسمة " كامل رآني أشاهد سيد على التلفاز .. كانت صدفة وكنت أريد أن أختبر مشاعري .. فالأمر كان غريبا عليّ ..كيف أن أكون مقترنة بشخص وتركته ثم أشعر بذلك الشعور الذي شعرته به لحظتها وأنا أشاهده .. شعور بالغربة .. شعور كمن كنت أرافقه يوما في رحلة قطار وافترقنا فصرنا غريبين هذا ما تأكدت منه.. لكن دخول كامل كان هستيريا .. غضب بشدة (و عادت للنحيب

لبضع ثوان ثم قالت) أخذ يكسر ويحطم ويسألني أن كنت اشتقت له "
سألتها مليكة مصعوقة " اشتقت لمن؟!!"
"لسيد"
هتفت بغير استيعاب "يا الهي !"
أضافت الأخرى من بين دموعها " وقال كلاما جارحا بما يعني(ألا يكفي بأني ارتضيت بك) .. (وشهقت باكية) قلبي انكسر يا مليكة وأنا أرى الاحتقار في عينيه .. كنت أظنني أؤثر فيه ولو قليلا لكني كنت عبئا عليه .. زواجه مني كان شهامة "
قالت مليكة مهدئة " اهدئي يا بسمة .. لو كان الأمر كما تقولين لماذا ثار بهذا الشكل ربما ...."
صرخت بسمة فجأة تقاطعها " لا لا .. أرجوك كفاني افتراضات وتخمينات .. كفاني تمني .. التمني مؤلم يا مليكة مؤلم بشدة .. أنت لم تري نظرة الاحتقار في عينيه .. لم تريها .."

سألتها مليكة "وكيف حضرت؟ "
في نفس الوقت دخل فيه كامل الشارع بسيارته الضخمة بعد أن أكد له السائق بأنه قد أوصلها لبيت الجد صالح فشعر بالراحة لأنهما سيكونان وحدهما .
لقد فكر طوال الطريق الذي كان يطير على اسفلته دون أن يدري بسرعته .. فكر وبعض منه يريد أن يصدق ما قاله له شامل بأنه لم يسمع منها بعد فربما إن سمع تفسيرها وجد ما يقنعه .
ضرب على المقود يشعر بأنه على وشك الجنون .. أي كلام مقنع سيدخل عقله بعد الذي رآه ..صورتها وهي أمام الشاشة تحدق بتدقيق لا تريد أن تنمحي من مخيلته .. تقتله .. تكويه بنار الغيرة القاتلة .. لقد فتحت أبواب الجحيم عليه وهو يتعذب ولا يعرف كيف يتصرف ..

هل يطلقها ؟.
تغضنت ملامحه بشدة والخاطرة تمر بعقله بل بكيانه كله كسم زعاف يميته بالبطيء .. بمجرد أن اقترب من البيت وجد شاحنة كبيرة تحمل الرمل آتية من بعيد .. فزفر بعصبية وعاد بالسيارة للخلف ليفسح لها الطريق وانعطف يمينا ليصف السيارة في الشارع الجانبي بجوار بيت الجد صالح بدون صبر لأن ينتظر مرور الشاحنة .. ثم ترجل يسرع نحو البيت يبحث عن نسخة المفتاح التي لديه بين مفاتيحه وهو لا يعرف ما الذي سيقوله أو يفعله معها بالضبط .
في الدور العلوي قالت بسمة باكية" أنا تعبت من هذه المتاهة التي أدور فيها منذ أن التقيته .. تعبت من التقاط الإشارات والخوف من التفسيرات والجبن من اتخاذ الخطوات .. كلامه اليوم كان صريحا وواضحا وأنا وعدت

نفسي أني لن أقبل بالإهانة أبدا ..أبدا يا مليكة
حتى لو كان قلبي هو الضحية"
انفتح باب الغرفة فجأة فاتسعت عيني بسمة
من هيئته المخيفة والغضب الذي يطل من
عينيه ..وبرغم من توقعها لقدومه لكنها
أحست الآن بالخوف من مواجهته وحدها ..
فحاولت شحذ همتها فمسحت دموعها
ورفعت ذقنها تقول بكبرياء زائف" ماذا تريد
؟لماذا أتيت ؟"
شعرت مليكة بالتوتر وسألتها" هل أتى
خلفك؟"
ضرب كامل الباب في الحائط بقوة فأحدث
صوتا قويا أتبعه هدير صوته الغاضب" لماذا لا
تردي على الهاتف ها؟ .. وكيف تجرؤين على
الخروج بدون إذني؟.. ماذا تحسبين نفسك ؟"
كان يلقي بالكلمات الغاضبة من فمه وهو
يقترب بخطوات متحفزة وازدادت انفعالاته

حينما انتبه من وسط موجات الغضب لوجهها المتورم من البكاء ..
بأي حق تبكي! .. وبأي عين تزيد من عذابه ببكائها !.
رغم محاولتها تصنع الشجاعة لمواجهته تحركت لا إراديا للخلف وهي تقبض يدها الحرة بقوة فتقدم منها وهو يقول بنظرات خطرة"
ومع من تتحدثين وتتجاهلين مكالماتي؟"
قالها وهو يخطف الهاتف من يدها بحركة عنيفة فصرخت بسمة باعتراض "أعطني هاتفي يا كامل"
نظر الأخير في اسم مليكة على الشاشة ثم ألقى بالهاتف فوق السرير وانقطع الخط فهتفت بسمة باستنكار " لماذا تعاملني بهذه الطريقة وأي ذنب اقترفت أنا لكل هذا ؟"

هدر وقد استفزه السؤال " ألا تعرفين؟!! .. تقفين أمام الشاشة تتابعين زوجك السابق ثم ..."

"طلقني يا كامل"

قالتها صارخة في وجهه فضربت العبارة في صدره كالقذيفة وردت لصدرها بنفس القوة الموجعة ..ليسود بينهما صمت كالموت وهو يحدق فيها بمقلتين مرتعشتين بالغضب وعدم الاستيعاب لتضيف بسمة بعد وهلة وبصوت مبحوح رغم ذقنها المرفوع بكبرياء "طلقني .. (وصرخت في وجهه) يكفي إهانة وطلقني "

قلبه كان يؤلمه بشدة والخاطرة في حد ذاتها مرعبه فلاح الاستنكار الشديد على وجهه وهو يهتف بذهول" بهذه البساطة !"

هتفت باستنكار مماثل " ولماذا التعقيد عقدنا اتفاقا وحان وقت الغائه !"

كان لا يزال مصدوما فكرر كلامه بنفس الذهول
" بهذه البساطة ؟"
قالت بقلب موجوع بشدة وهي تقاوم البكاء
"بل قل بخيبة أمل ..بحسرة .. (ثم عادت لتتماسك وهي تضيف بلهجة عاتبة) أعلم بأن الذي يربطنا هو مجرد اتفاق .. لكن بالله عليك كيف تشك في امرأة منحتها اسمك؟! .. عموما أنا أدرك بأنك قد تورطت معي واضطررت لأن تتزوج مني لتنقذ زيجة اخيك وتحافظ على صداقتك مع مفرح .. وأعتقد أن الوقت مناسب للانفصال الآن دون أن تؤذي أحدا .. لقد فعلت ما عليك وأكثر وعلى شامل ومفرح أن يشعرا بالامتنان .. ليس فقط لما فعلته من أجلهما ولكن لتنازلك وارتباطك بامرأة لا تثق بها "
هتف بغيظ يدافع عن نفسه "أنا لم أقل بأني لا أثق بك "

صرخت بكرامة مجروحة " والكلام الجارح الذي قلته صباح اليوم؟!! .. (تشتاقين إليه) ..(مم أنت مصنوعة) أنت اهنتني يا كامل " أمسك بذراعيها يهزها وهو يقول بانفعال مقاوما رغبة قوية في استخدام العنف للتنفيس عن غضبه " وأنتِ .. ألم تهينيني حين وقفت أمام صورة زوجك السابق تحدقين فيها .. " أفلتت ذراعيها من يديه تهتف بعصبية مدافعة عن نفسها " أحببت أن أراه وأحدد مشاعري تجاهه بعد هذه السنوات .. أحببت أن أعرف ما هو شعوري تجاهه والأمر ليس له علاقة بالحب والغرام والشوق .. والحمد لله أنه لم يكن كذلك وإلا لكان ألم الفشل والفراق أصعب .. والحمد لله أني وجدتني قد تخطيت التجربة .. أنا رأيته على التلفاز بالصدفة وأردت أن اختبر نفسي هذا كل ما في الأمر أنت من أخطأت التفسير"

أراد أن يصدق ..أراد أن يتشبث بالأمل ..
فالشعور صعب .. ليسرع بالقول مدافعا عن نفسه هو الأخر " أي شخص مكاني كان سيفعل ذلك سيخطئ الفهم والتفسير "
هتفت بصوت خذلها حين خرج باكيا " ومع هذا ليس لك الحق في اهانتي والشك بسلوكي يا كامل "
شعر بضغط شديد على أعصابه والأفكار والمشاعر تحاصره بقوة فأمسك بذراعيها مجددا يقول بعصبية " أنا لا أشك في سلوكك يا غبية .. ألا تفهمين.. ألا تفهمين !"
رفعت إليه عينيها تقذفه بأمواج زرقاء غاضبة وهي تقول "وهل هناك تفسير غير هذا!! .. أنا حللت وراجعت كل شيء في طريقي إلى هنا ولا أجد تفسيرا غير هذا ..فتى السوبر ماركت الذي عنفته .. الشباب في المطعم .. موقفك من إيوان ونظراته وأخيرا ما حدث صباح اليوم ..أنا

لن أقبل أبدا بالبقاء على ذمة رجل يشك
بسلوكي رغم أني لا أعرف ما الذي أفعله
بالضبط لتتهمني بذلك"
صرخ بعينين تبرقان بالشرر "هل هذا ما وصل
إليه عقلك الألمعي ؟!!!"
سألته باستنكار غاضب وهي تبعد يديه مجددا
عن ذراعيها" وهل هناك تفسير أخر؟!!"
تدفقت المشاعر كلها إلى رأسه فصرخ في وجهها
" أنا أغار.. أغار عليك أغار"
اتسعت عينا بسمة بصدمة وساد الصمت
لبرهة وكامل يناظرها بعينين لا تزالان تقذفان
بالشرر وصدره يعلو ويهبط بقوة ثم قال من
بين لهاثه بعد برهة "هذه هي الحقيقة ..أغار
عليك ..ولا أطيق أن ينظر إليك أحد ..ولا
أطيق سيرة زوجك السابق ..ولولا أني لازلت
أحتفظ ببعض العقل في رأسي لذهبت إليه
وقتلته ومحيت اسمه من بين الأحياء"

ما كان يقوله كان مباغتا وصادما وصعب الاستيعاب في ظل التناقض الذي عاشته فكررت ما قاله "تغار عليّ!"

هتف باستنكار " كيف لم تفهمي طوال هذا الوقت؟.. كيف لعقلك الناضج ألا يفهم طوال هذا الوقت بأني أغار عليك؟!"

عادت للقول بنفس الذهول " تغار عليّ!"

استفزه حالتها فهتف مؤكدا "أجل أغار عليك لدرجة تكاد أن تذهب عقلي ..لأني .. لأني أحبك "

قال الكلمة الأخيرة بصوت متهدج وظل يتطلع في وجهها وهو يلهث ينتظر أي تلميح منها يريحه بينما وقفت أمامه بسمة مصدومة فما يقوله يناقض أشياء كثيرة عاشتها معه ولم تستوعب لمَ لم يخبرها من قبل .. فسيطرت على الأمور بداخلها مجددا عقدة المطلقة فقالت بارتباك " أنا لا أعرف هل أضحك أم

أبكي ..أفرح أم أقتل نفسي .. أنا .. أنت .. نحن متزوجان منذ شهرين وخطبنا شهرا قبلهما ولم تخبرني أبدا بشيء كهذا .. (ورمشت بعينيها عدة مرات وهي تحلل ما يحدث ثم أضافت باستنكار) ولأنك تحبني تقول لي (تزوجتك رغم كل شيء)!! .. ما معنى (رغم كل شيء) إن كنت تحبني كما تدعي .. هل تكبرتَ على الاعتراف لي يا كامل .. ما هذا الكلام غير المنطقي!"

كالعادة الجسور بينهما مغلقة ويحتاج الطريق لأن يُعَبّد ليصل كل منهما للأخر .. وزاد عدم تصديقها لمشاعره من ألمه فوقف كامل أمامها متخصرا يقول " اسمعي يا بسمة أنا سأتحدث معك بصراحة وأرجو ألا أكون فظا فيما سأقول .. لكن ما سأخبرك به هذا لأفسر لك لماذا تأخرت في الاعتراف وأثبت لك بأني أحبك جدا .. (وصمت قليلا يسحب نفسا ثم أردف أمام

عينيها المتسعتين أمامه) أنا لم أتخيل يوما بأني قد اقترن بامرأة سبق لها الزواج من أخر .."
قذف بالعبارة في وجهها كماء النار دون أن يدر ثم أردف" حين التقيتك وشعرت بانجذابي الشديد نحوك حاولت المقاومة.. حاولت إخراجك من عقلي ومن قلبي ولم استطع .. ودعتك وقررت المضي قدما في قراري بالهجرة هربا من مشاعري .. ولم استطع أيضا ..فعدت لأعطي لنفسي فرصة لأهزم مشاعري السلبية ببطء وتروي .. ولكن حدث ما حدث مع هذا الزفت المدعو بدير وتزوجنا بسرعة .. ولهذا اعطيت نفسي فرصة لأن أتعامل مع مشكلتي قبل أن أعترف لك حتى لا أوذيك بما أشعر "
ما قاله كان جارحا .. مؤلما بشدة .. ربما تحملته وستتحمله من أي شخص أخر .. إلا هو ..
فهتفت صارخة باستنكار وكرامة مجروحة " لم تتخيل نفسك تقترن بامرأة سبق لها الزواج

!!..أنا لست بضاعة تالفة كامل بيك .. لست مناديلا مستعملا تم التمخط فيه .. لست سيارة قديمة تباع في سوق المستعمل وفخامتك لا تشتري المستعمل ..كما أنك أنت أيضا كنت متزوجا"

هتف يدافع عن نفسه وقد شعر بالحصار "أعلم ذلك لكن الرجل غير المرأة الأمر مختلف كليا"

استفزتها عنجهيته وغروره جرحها بشدة فصرخت " مختلِف .. كيف؟ .. (وضربت على صدرها تضيف بثورة وصوت مبحوح من كثرة الصراخ) أنا إنسان ..إنسان من لحم ودم .. وكنت متزوجة على سنة الله ورسوله ولست عاهرة لتنظر لي بهذا الاحتقار"

صرخ أمامها يدافع عن نفسه وقد ندم على التصريح بأفكاره " أنا لا أحتقرك يا بسمة .. أنا أحبك كيف احتقرك .. افهميني أرجوك الأمر

ليس له علاقة بالتقليل من شأنك أو من شأن أي امرأة سبق لها الزواج.. الأمر له علاقة بي أنا ..بتركيبتي .. أنا كنت أعلم بأني إن وقعت في الحب سأكون متملكا غيورا بشدة هذه هي طبيعتي .. أنا لا احتقرك ولكني أشعر بغيرة شديدة وهذه الغيرة تعذبني في الجحيم أن اتخيل المرأة التي تزوجتها كانت .. كانت يوما .. في أحضان رجل .. كانت متعة لرجل .. (وأمسك برأسه وكأن ما يشعر به يكاد أن يفجر رأسه وأضاف) هذا أمر لم أكن أقبله فما بالك أن تكون هذه المرأة هي التي أحبها"

هتفت بدفاع عن نفسها وعن أدميتها "أنا كنت متزوجة على سنة الله ورسوله أتحاسبني على ما فعلته في الحلال !!"

الحصار يطبق عليه .. يجثم على صدره فقال صارخا يدافع عن نفسه من جديد "الأمر ليس له علاقة بالحلال والحرام أنا أتحدث عن

الفعل نفسه .. أنا تمنيت أن أحب امرأة لم تعرف رجلا قبلي ولن تعرف رجلا بعدي .. أنا بداخلي مشاعر من أجلك لو تعلمين قوتها لأشفقت عليّ"

سألته باستنكار وهي لا تزال تتطلع فيه باتساع عينيها " ولماذا لا أطالبك أنا بأن تكون أنت أيضا لم تمس امرأة قبلي؟ لماذا ليس لي الحق في طلب هذا ؟!"

قال بإصرار وبلهجة معذبة "قلت لك طبيعة الرجل غير طبيعة المرأة "

فتحت فمها وأغلقته عدة مرات تبحث عن وصف مناسب له يشفي ما تشعر به لحظتها من مشاعر سلبية ثم قالت "أنت ...."

أكمل لها ما تريد أن تقوله باعتراف وإقرار استفزها " أنا رجعي ومتخلف وأفكاري ذكورية قذرة ومتعفنة اعترف بكل هذا .. لكني لست بقادر على تغيير هذه المعتقدات .. لا أملك

عصا سحرية لمحو هذه الأفكار المتعفنة والتي أعترف بأنها كذلك.. لا أملك عصا سحرية لذلك ولن تتغير بضغطة زر"

كان الشعور بالإهانة قد بلغ معها مبلغه فهتفت بعصبية مهاجمة غروره " ماذا تظن نفسك .. شخصا لم يأتي الزمان بمثله فتريد امرأة لم يمسها رجل! .. وكيف تتأكد من أنك لو تزوجت ممن لم يسبق لها الزواج بأنها لم تمس من غيرك؟.. هل أنت أكيد من هذا الشيء ؟.. هل راقبتها لحظة بلحظة قبل أن تلتقي بك؟.. هل راقبتها في طفولتها ومتأكد أنه لم يستغلها أحد يوما من الأيام؟ .. هل أنت مطلع على ماضيها كله.. بالمناسبة دعني أخبرك من وجهة نظر امرأة يا سلطان زمانك بما تستطيع أن تفعله النساء لإقناع شخص ذا فكر متعفن مثلك بأنها الراهبة التي كانت تتعبد قبله ومثل

هذه الأمور.. واعتقد بأنك كرجل خبير تعلم ألاعيب النساء جيدا "

رد معترفا بلهجة لم تخل من العنجهية " كل هذا أعلمه ولا أجد له علاقة بي أنا وأنت "

قالت مصححة ومدافعة عن نفسها " أنا لم أكن أناقشك لأقنعك بي كامل بيك .. أنا كنت أناقش منطقك المغلوط .. (وهتفت بإصرار) طلقني يا كامل"

عاد الشرر يبرق في عينيه وهو يضيف باستنكار "أهذا ما تقولينه لي بعد كل ما قلته!!"

ردت ولا يزال غروره يستفزها " وهل كنت تعتقد بأني سأطير من الفرح حينما تقول لي (أحبك مع الأسف)!!"

رد بلهجة معذبة مدافعا " بل أحبك يا بسمة فقط دون أي أسف "

كان قلبها يحتضر في صدرها بعد كل هذه الصدمات المتتالية فقالت بقهر شديد وبلهجة

خرجت باكية رغم محاولتها التماسك " حب !!.. عن أي مشاعر تتكلم وأنت تتحدث عن حبك لي وكأنه مرض معدي قد أصابك .. تتحدث عنه ولسان حالك يقول (يا ليتني لم أقابلك ولم أحبك) الحب ليس كلاما يا كامل بل أفعال"

صرخ بقوة يقول بلهجة عصبية يدافع عن قلبه " وهل كل ما قلته وفعلته ليس دليلا على مشاعري لك يا بسمة ؟!.. عدم قدرتي على البعد عنك أليس هذا حبا !.. ارتباطي بك رغم أني لم أكن ارغب في الزواج من مطلقة أليس هذا حبا ؟!.. قوة تحملي أمامك وأنا أكتم رغباتي بتحكم شديد حتى لا أعرضك لغروري كرجل فأؤذيك أليس هذا حبا؟! .. منحتك اسمي وادخلتك لتعيشي بين عائلتي أليس هذا حبا؟! .. (وأضاف بصوت متهدج بالمشاعر) أنا .. أنا من أجلك ..من أجل انقاذك مما حدث في

القرية ساومت أبي ليأتي معي حتى يعطي لك ولي قيمة ويرفع رأسك أمام القرية .. أتعلمين يا بسمة بم ساومته ؟.. بتأشيرة سفري .. مزقت أمامه تأشيرة سفري حلمي بالفرار إلى أقصى الأرض من أجلك أليس هذا حبا؟! .. تزوجتك يا بسمة وأنا أعلم بأنك لن تستطيعي الانجاب وربطت حياتي بك للأبد أليس هذا حبا؟! .. وبعد كل هذا تقولين أهنتني! .. تحاسبينني على أفكار أحاول أن أهزمها .. تقولين أن أفكاري آذتك .. (وضرب على صدره) إنها تعذبني فهل هناك شخص يحب العذاب لنفسه !"

صدمها أنه يعتقد بأنها لا تنجب وفهمت بأنه عرف من أحاديث أهل البلدة .. وهذه الصدمة كانت قوية .. قوية أن يقبل بها رغم هذا .. ومع هذا لم تعرف كيف تستقبل ما يقوله لها .. كيف له أن يقدم لها حبا قويا اسطوريا لم تكن

تحلم به وفي نفس الوقت ينظر إليها بانتقاص ..!

أخذت تتساءل في سرها .. لماذا كتب عليها أن تتلقى حبه كجائزة ضخمة لكن على هيئة شيك ممنوع من الصرف .. كيف يكون هذا حظها مع الحب ..

(أحبك لكنك لا تليقين بي!)

هتفت بسمة بقهر شديد باكية " كل هذا العذاب الذي أنت فيه لأني مطلقة! .. كل هذا لأنه قد سبق لي الزواج! .. كل هذا لأني فشلت في تجربة في حياتي .. لأني لم أرغب في أن أعيش تعيسة فجئت أنت يا كامل لتختم على قلبي بالتعاسة الأبدية بهذا الكلام .. لتكسر قلبي ..لتسحقه تحت قدميك بهذه القسوة لأني قد سبق لي الزواج! .. تخبرني بكل هذا الحب الذي تكنه لي وبكل التضحيات التي ضحيتها من أجلي وأنا في نظرك لا استحق .. في نظرك لو

كنت لم اتزوج لو لم يلمسني رجل قبلك حتى لو في الحلال سأكون في مرتبة أعلى عندك ؟"
شعر كامل بأن الأمر يخرج عن السيطرة خاصة وهو يراها بهذا الانهيار الشديد وهي تشيح بيدها أمامه وتبكي بحرقة مضيفة " ماذا تتوقع مني؟! .. ماذا تريد مني بعد تصريحك هذا؟! ..(وصرخت بقهر تسترجع كل ما مرت به وواجهته من الجميع وليس كامل وحده) ماذا تريدون مني؟! .. هل تريدون أن أضرم في نفسي النار لترتاحوا؟! .. هل أصبح فشلي في تجربة واحدة في حياتي ينتقص مني؟! .. هل أقتل نفسي حتى يستريح الجميع ؟.. أهلي وقريتي وأنت حتى أخلصك من ذلك العار ؟!.. من عار ارتباطك بمطلقة أقل قيمة من المستوى الرفيع الذي يليق بكامل بك نخلة وعنجهيته "
اقترب منها يقول مهدئا وهو يمسك بها " اهدئي يا بسمة "

صرخت تدفعه بعيدا عنها " ابتعد عني .. ابتعد عني لا تلمسني .. "
وتطلعت فيه وهي تتحدى ذلك الشعور الملح بداخلها للاستسلام له فقالت بكل قوة حبها له لتثأر لنفسها منه " أنا أكرهك .. أكرهك يا كامل"
اقترب منها مهدئا فدفعته من جديد ورجعت للخلف تصيح " ابتعد عني قلت"
قال كامل ببعض الحزم يحاول السيطرة على انهيارها " بسمة أرجوك ..أرجوك اهدئي"
ابتعدت أكثر وهتفت فيه بتحدي وهي تطالعه بعاصفة زرقاء "لا تلمسني قلت ..لن أسمح لك بلمسي فهمت "
صرخ في وجهها بعصبية وهو يقترب من جديد " بسمة لا تجنينني واهدئي لنتحدث"
سمع طرقات قوية على الباب بالأسفل وجاء صوت مفرح ينادي " كامل ... كامل افتح "

كانا لا يزالا يتطلعان في بعضهما فقالت بسمة "قلت ابتعد عني "

اقترب كامل يحاول حضنها ليهدئ من حالتها الهستيرية وهو يرى وجهها المحتقن المنتفخ فقاومته بقوة ليقول كامل بعصبية " قلت اهدئي ستمرضين بهذا الشكل "

أبعدته بعناد تصيح" إياك أن تلمسني وستطلقني فورا"

قال بتحدي بإصرار وهو يحاول ضمها "لن اطلقك فأنت زوجتي"

نجح في لف ذراعيه حولها فقاومته بشراسة تقول "ابتعد "

الطرقات زادت حدتها على الباب بالأسفل وجاء صوت مفرح ينادي " كامل ... كامل افتح "

وقعا على السرير وخيم كامل فوقها .. وبعد عدة محاولات للسيطرة على هسترتها وبعد أن تركها تضرب فيه بيديها بكل قوتها على صدره

وذراعيه لتنفس فيه عن غضبها قيد كامل معصميها فوق رأسها وساد صمت لاهث متحدي النظرات بينهما ثم قطعه كامل بعد برهة ليقول بأنفاس عالية " إياك أن تتوقعي أني قد اتركك أبدا ..ابدا .. (وتطلع في عينيها الشرستين وأضاف بعد أن بلع ريقه الجاف بينما هاتفه لا يزال يرن منذ فترة) قلت لك من قبل من ستمتلك كامل نخلة بالثلاث .. عيني وقلبي وعقلي .. لن اتركها حتى القبر"

من جديد جاء صوت مفرح أكثر إصرارا وغضبا لكنهما ظلا على نفس الوضع ثم ترك كامل معصميها لكنه لم يتحرك من فوقها فعادت بسمة تضربه على ذراعه وهي تقول بصوت خافت غاضب مقهور "كلامك هذا يؤلمني .. يفطر قلبي يا كامل ولم يسعدني .. كلامك عن كوني دون المستوى الذي يرضيك .."

قال بإصرار " كل ما قلته وضايقك أنا كنت أفسر لك لا أكثر .. عموما أنسيه ولا تتذكري منه سوى أنني أحبك"

سيطرت كرامتها عليها مجددا فقالت بهمس شرس في وجهه تتحدى قلبها "وأنا أكرهك يا كامل ..أكرهك من كل قلبي .. أتعلم أنا لم أكره في حياتي أحد حتى من آذوني.. لكني الآن أكرهك بشدة "

كان تصريحها كطلقات الرصاص التي اخترقت قلبه فورا لكنه قال بلهجة معذبة " وأنا أحبك بشدة"

ومال بوجهه يحاول تقبيلها فأبعدت وجهها بعناد وهي تقول " ابتعد ..قلت أكرهك .."

أمسك بصدغيها بكفه يعيد وجهها إليه وهو يجز على أسنانه ويناظرها بغضب فقالت بسمة بنفس التحدي "ولو فعلتها سأكرهك أكثر وأكثر يا كامل .. "

مال كامل يقبل رقبتها بقبلات حارة محرقة فزاد تجاوب جسدها معه من غضبها فقالت وهي تحدق في السقف " أتمنى من الله أن أموت هذه اللحظة ولا أكون بين ذراعيك .. طلقني" كلماتها أصابته بالمزيد من النزيف في قلبه فصمت قليلا يستند بجبهته على كتفها ثم انسحب بيأس عاشق مهزوم في معركة عشق ضارية .. انسحب من فوقها يمسح بجبهته على طول جسدها غير قادر على الاستقامة .. فالضربات كانت موجعة ..

انسحب كامل حتى نزل على ركبتيه أمامها في الأرض بينما ذراعاه لا يزالان بجوارها على السرير وسقط وجهه في حجرها ينهت بقوة.

اعتدلت بسمة لوضع الجلوس وتطلعت متألمة في رأسه المخبأ في حجرها وللحظة مدت يدها تهم بأن تمسح على شعره معترفة لنفسها بأنها ذبحته بكلماتها كما ذبحها .. ليأتي

صوت مفرح غاضبا متوعدا ومهددا بالأسفل
فضمت يدها في الهواء قبل أن تصل إلى رأسه
وأخذت تبكي في صمت فرفع كامل إليها وجهه
يقول بعنجهية وإصرار يغطي بهما شعوره
بالعجز والانهزام "لن أطلقك "
همست وهي تتطلع فيه " استطيع أن أرفع
عليك قضية خلع "
ناظرها بنظراته المتألمة يهمس " بهذه
البساطة "
كادت أن تضعف لكن صوت مفرح أعادها
للواقع المر وفرض عليها هيمنة كرامتها من
جديد فقالت هامسة بإصرار أنثى مجروحة"
قلت أكرهك من كل قلبي.. ولن أسامحك على
ما قلته أبدا .. أنا تحملته من كل الناس حتى من
أهلي لكن منك لن اسامحك .. لأنك لا تعرف
كيف حطمتني "

عادت لهجته الغاضبة وهو يقول وقد علا صوته " هذا هو سبب احجامي عن اخبارك قبل أن اتخلص من كل أفكاري المخزية .. هذا هو السبب أني أجلت إتمام زواجنا لأني خفت أن أؤذيك ..خفت أن تؤذيك شياطيني التي لا تسمح لي بأن أهنا بوجودك في حياتي .. أنت تقولين أفكاري عفنة وآذتك وأنا أقول لك وأنا اتعذب بها أكثر منك .. لو كنت قادرا على تخطيها هل كنت سأترك نفسي لأتعذب!.. "

ساد الصمت بينهما وتبادلا النظرات ليضيف كامل بلهجة معذبة لربما أصلح ما أفسده بتصريحه بمكنونات صدره "حينما قبّلتك عشت في جحيم أفكاري وأنا .. وأنا (قبض على ملاءة السرير بقوة وكأنه ينازع الألم وأضاف) وأنا أتخيل ذلك الـ**** يقبلك "

عاد لبسمة جنونها فقالت " أنت مريض لقد كان زوجي"

ضرب كامل على السرير بجوارها بقبضته عدة مرات بعنف وهو يصرخ لا تقولي زوجي .. ولا تنطقي بسيرته أبدا .. عذبيني بأي طريقة أخرى إلا هذه .. (وطالعها بعنفوان عاشق عنيد وهو يوجه هذه المرة الضربات لصدره قائلا) أنت لي .. خُلقت من أجلي أنا .. خلقتي زوجتي أنا .. من ضلعي أنا .. لا أعرف لماذا أخطأت الطريق ووصلتِ إليه .. ولماذا لم أقابلك قبله .. بسمة خلقت من ضلع كامل .. لكن لا أعرف لماذا عاقبني الله بزواجك منه ..لماذا "

عباراته نجحت في هزيمة كرامتها .. وجنون العشق الذي رأته في عينيه انعش قلبها المثخن بالجروح بينما عاد الطرق على الباب من جديد فاستقام كامل واقفا .. وتطلعت فيه بسمة وهو يبتعد بظهره عدة خطوات حتى باب الغرفة ثم

وقف أمامها متخصرا ينهت بقوة وهو يضيف بهدوء متألم "اكرهيني يا بسمة .. اكرهيني .. إن لم تقدري على أن تحبيني فاكرهيني من كل قلبك .. لكن لا تجعليني شخصا عاديا يمر عليك في حياتك مرور الكرام .. ليس لأني مغرور ..ولا من أجل عنجهيتي .. ولكن حتى أشعر بأن هناك شعور ما تختصينني به .. حتى لو كان هذا الشعور هو ....الكره "

اعتصر الألم صدرها وهي تحدق فيه بذهول مبهوتة بهذا القدر من العشق الذي يفاجئها به بينما أضاف كامل" سأنزل لمفرح فمن الواضح أن زوجته أخبرته بشجارنا .. (ورفع سبابته يقول بتهديد هادئ) لا تتحركي من المكان حتى أعود .. هذا أمر وعليك التنفيذ إن لم ترغبي في التسبب بفضيحة علنية أمام أهل بلدتك .. سأعود بعد قليل لنحدد شكل خطواتنا القادمة

التي سأحرص بالتأكيد على أن أحظى فيها بكرهك لي عن جدارة"
قالها بلهجة ساخرة ثم استدار يغادر الغرفة ويتركها كتمثال ذاهل .
بعد دقيقة كان طرق مفرح مستمرا وصوته يبدو منفعلا كطرقاته ففتح كامل الباب ليقول مفرح بلهجة منزعجة" ماذا يحدث هل تتشاجران ؟"
كان وجه كامل لا يزال مكفهرا فقال بصوت مبحوح "ماذا تريد يا مفرح ؟"
رد الأخير بلهجة غاضبة " أريد أن اطمئن على ابنة خالي"
قال كامل بغضب " لا تتدخل يا مفرح "
هتف مفرح " كامل أنا لا أتدخل في أموركم الشخصية لكن من حقي أن اطمئن على ابنة خالي وأنها بخير لو سمحت "

وقف كامل أمامه يديه في جيبي بنطاله يتنفس بصوت عال دون إجابة .. فأعاد مفرح الهاتف إلى أذنه وطلب بسمة .

مضى بعض الوقت قبل أن ترد الأخيرة بصوت مبحوح "نعم مفرح "

سألها وعيناه تناظران صديقه بتحدي "هل أنت بخير يا بنت خالي "

ردت الأخيرة بهمس مجهد" بخير يا مفرح"

سألها مرة أخرى "بسمة هل أنت بخير .. لا تخشي شيئا أنا موجود تكلمي "

لم يكن مفرح وحده من ينتظر الرد بل كامل أيضا الذي تقبض بقوة ومرت الثواني قاتلة وهو ينتظر اجابتها بينما قالت بسمة لمفرح بتأكيد" أنا بخير يا مفرح صدقني كنا نتشاجر لا أكثر "

قال مفرح بارتياح لاح على وجهه وكان له صداه ومعناه المؤثر في قلب كامل" تمام يا بسمة .. سأخذ منك كامل قليلا "

قالها ثم أغلق الخط ووقف ينظر لكامل الذي أطرق برأسه يغالب المشاعر والأفكار والانفعالات ورغم كل المشاعر السيئة تأثر بأنها لم تخبر مفرح بشيء ولم تطلب منه أن تغادر لبيت أهلها .

بينما شعر مفرح بأن الأمر كبير وخاصة بعد ما قالته له مليكة بتلك الطريقة المتوترة على الهاتف أن يتدخل بسرعة لوجود مشكلة ما بين بسمة وزوجها جعلتها تحضر وحدها ويلحق الثاني بها .. فأمسك بذراع صاحبه وهو يقول "تعال لنتحدث قليلا "

ظل كامل يناظره فأصر مفرح عليه حتى استسلم وتحرك معه يقطع ساحة البيت نحو البوابة .

كان بحاجة للحديث .. للبوح .. كان بحاجة لترتيب أفكاره بعدما تأكد بأنها لا تحب زوجها

السابق .. وكان بحاجة لمعرفة خطوته القادمة
بعدما صرحت له بكل قسوة بأنها تكرهه .
تحرك مع مفرح يخرج من البوابة وصدى
كلماتها يلاحقه (أنا أكرهك)
أي شخص بائس هو .
وأي حظ تعس يملكه.
المرأة الوحيدة التي أحبها .. وعشقها إلى حد
الجنون تكرهه بشدة .
أمن الممكن أن يكون هو السبب؟ .. تصريحه
بأفكاره عن المطلقات السبب؟ ..
قال مفرح بهدوء" تعال معي لنتحدث أنا وأنت
..أين سيارتك لم أرها حين وصلت ؟"
تركه كامل يقوده نحو سيارته المصفوفة أمام
بيت الجد صالح وهو يقول" ركنتها في الشارع
الجانبي حين حضرت لأن شاحنة كانت تريد أن
تمر (ثم سأله) إلى أين سنذهب ؟)

أجاب مفرح وهو يركب سيارته" سنجلس قليلا لنتحدث بهدوء "

قالها وتحرك بالسيارة مبتعدا فتعلقت عينا كامل بالبيت وبالتحديد بنافذة الغرفة لكنها لم تكن تقف فيها .

××××

كانت لا تزال الصدمة والذهول يسيطران عليها ..

أتصريح بالحب هذا أم جلد بالسياط؟ .

استعادت بسمة ما قاله وصرح به كامل منذ قليل .. وبرغم الألم الذي شعرت به لنظرته لها إلا أن كلماته الأخيرة قبل أن يغادر نالت من قلبها ما نالت .. ونجحت في أن تخترق دفاعاتها وحصونها وتصل لقلبها ..

كامل يحبها .. يحبها هي .. تزوجها من الأساس لأنه يحبها .

كانت مستلقية على السرير بإنهاك شديد تشعر بأنها مستنزفة .. كفارسة سقطت في أرض المعركة بعد حروب طويلة خاضتها على مدى أربع سنوات ..

لكنها لم تكن تعرف أهو النصر الذي تعيشه اللحظة أم الهزيمة .. العوض أم الخذلان .

لماذا كتب عليها أن تلقى الحب متبوعا بغصة في القلب .. انكمشت وحضنت نفسها بقوة ترتجف من فورة المشاعر التي مرت بها اليوم ..حزن.. غضب ..ثورة .. جرح كرامة ..ثم تصريح مذهل بحب كبير .. حب قوي لها لم تكن تتوقعه.. ومِن مَن ؟.. من الرجل الذي لم تحب غيره ..

ماذا ستفعل الآن؟ .. هل ستتركه بعدما وجدته أخيرا؟ .. هل ستتحمل نظرته لها ولتجربتها السابقة؟ ..

لكنه يحبها .. عادت وجادلت نفسها .. وهي أيضا تحبه وتريده.. لماذا لا تحاول أن تغير من قناعته أو أن تتحاشى الخوض في هذا الموضوع ..

لماذا فرحتها منقوصة ؟..

لماذا كتب عليها ذلك ؟

كلها أسئلة تدفقت إلى عقلها لكنها في تلك اللحظة لم تكن قادرة على فعل أي شيء سوى النوم ..

إنها منهكة ..متعبة .. تريد أن تنام نوما طويلا؟

تقوست على نفسها أكثر ثم أغمضت عينيها بإجهاد شديد .. فكفاها عراكا مع الحياة .. ومع نفسها .. ومع رغباتها .. ومعه .. مع كامل !

كامل الذي اكتشفت منذ قليل بأنه ... يحبها .

××××

نظر مفرح للحقول الخضراء أمامه على طول الترعة التي يجلس هو فوق سور الجسر الذي يقطعها ويجلس كامل بجواره .. ظهريهما للطريق بينما سيارة مفرح تقف خلفهما .
الشمس توشك على الغروب .. توشك على إعلان نهاية يوم أو حياة أو ربما حقبة من الزمن .. تتوارى خلف الحقول وهي تلقي وداعا ..
لكنه وداع مبشر بيوم جديد ..
صباح جديد ..
أمل جديد .
كان الصمت سيد الموقف لفترة تعمد مفرح فيها أن يترك صاحبه ليهدأ فلم يجده من قبل في هذه الحالة من الانفعال المكبوت .. بينما أخذ كامل يستعيد ما حدث بينهما ويلوم نفسه على ما باح به من أفكار أضحت تخجله بعدما كانت مصدرا من مصادر عنجهيته طوال عمره .

ليته لم يجرحها بما قال لربما تقبلت حبه الآن .. لربما استطاع أن يصل معها لاتفاق جديد .. اتفاق زواج حقيقي ..

قطع مفرح الصمت أخيرا يقول" لم أتوقع أن تبدآ الخناق الزوجي بهذه السرعة "

حرك كامل انظاره إليه فرأى فيهما مفرح الألم مما جعله يقول " أنا بالطبع ليس لي الحق في أن أسأل عن سبب الشجار .. ولا أن اتدخل مادامت ابنة خالي لم تشتكي ..لكني صديقك وأشعر بأن الأمر أكبر من مجرد شجار عادي بين زوجين .. صوت مليكة التي كانت مع بسمة على الهاتف لحظة وصولك كان يوحي بأن هناك حدث جلل رغم أن زوجتي لم تذكر لي السبب حفاظا على سر صاحبتها .. ومكالمة شامل لي وأنا في طريقي لبيت الجد صالح يسأل عنك ويطلب مني أن أطمئنه عنك لأنك لا ترد على هاتفك جعلني أدرك بأن الموضوع كبير ..(

ووضع يده على صدره يقول بمحبة) وأنا
صاحبك فإن وثقت بي ..."
قاطعه كامل قائلا بصوت مجهد " أنا متعب
جدا يا مفرح وأدور في متاهة مشاعر تعذبني في
الجحيم وتقودني في جنون .. العلة عندي لكني
غير قادر على حلها حتى أصل إلى بسمة"
تطلع فيه مفرح في صمت ينتظر المزيد من
التوضيح ليضيف كامل مردفا "أنا لست قادرا
على تخطي أمر زواج بسمة السابق"
جحظت عينا مفرح بمفاجأة ليسرع كامل
بالقول" أنا اخبرتك حين اعترفت لك بمشاعري
نحوها عن رأيي في الأمر.. ولهذا كنت أفضل
خطبة طويلة حتى أهزم فيها وساوسي.. لكنك
تعلم بما حدث ودخلت أنا في دوامة مشاعر
تحبسني في الجحيم .. كل نظرة ..كل حركة
أجد طيف زوجها السابق بيننا (وتقطع صوته
فيقول بلهجة معذبة) وأجدني أفكر في أفكار

مؤلمة تثير غيرتي عليها وتعذبني .. أفكر ..هل كانت تضحك له بهذا الشكل؟ ..هل كانت تفعل ذلك معه ؟ (وتطلع في عيني مفرح يدافع عن نفسه) لا تقول لي انسى .. أنا لا أملك زرا لأضغط عليه فأمحو كل هذا من عقلي .. صدقني أنا أحبها أنا .. أحبها .. وأرغب في أن أنسى "

هز مفرح رأسه وهو يرخي نظراته ثم قال بلهجة حزينة متعاطفة "أفهمك جيدا وأفهم شعورك "

ثار كامل يقول بحنق " لا يا مفرح لا أحد يفهم شعوري .. صدقني مهما وضحت .. ومهما قلت لا أحد يفهم شعوري.. لا أنت ولا شامل .. لأنه لم يكن أحد منكما في موقفي أبدا"

اتسعت ابتسامة ساخرة شيئا فشيئا على وجه مفرح وقال" لا تتحدث بهذه الثقة يا نخلة .. ولا تفتي فيما لا تعرف .. (وناظره بنظرة

غامضة وهو يقول مربتا على كتفه) قلت لك أنا أعرف عما تتحدث ..أعرف شعورك جيدا يا صديقي وأعرف في أي منزلة من الجحيم تقبع الآن"

ناظره كامل بعدم فهم ليقول مفرح بتصريح صادم "أنا لست الزوج الأول في حياة زوجتي مليكة "

اتسعت عينا كامل بمفاجأة ..فلاح الألم على وجه مفرح وأداره لينظر أمامه يتطلع في الغروب الذي أثار في نفسه الشجن وهو يقول "عمر صداقتنا لم تزد عن الثلاث سنوات .. ولم أجد الفرصة للحديث عن أمر غير مستحب البوح به.. لكني أعتقد بأنني مضطر لأن أخبرك لأثبت لك بأني مررت بنفس الجحيم الذي تعيش فيه حاليا"

ساد الصمت قليلا فلاح الألم على جانب وجه مفرح وراقب كامل صدغه وهو يطحن ضروسه

قبل أن يكمل" العلاقة بين أولاد الزيني والصوالحة لها تاريخ غير مشرف من المنافسة والحروب بين العائلتين ..كانت ذروتها عندما نجح جدي الكبير في الحصول على العمودية .. فرد عليه عبد القادر صوالحة بحصوله على لقب الباشوية من الملك .. وهكذا توارثت الأجيال هذا الصراع والحقد بين العائلتين وخاصة على مستوى زعمائها وذلك للمحافظة على ماء وجه العائلة أمام الناس .. وكالعادة كان بين عبد الرحيم الزيني الذي هو أبي وعبد الغني صوالحة والد مليكة نفس الصراعات والأمر وصل لبعض الاحتكاكات العنيفة بين العائلتين ... (وسحب نفسا عميقا وأضاف) قصتي أنا مع مليكة بدأت حينما كنت صبيا في الخامسة عشر معجبا بتلك الصبية من بيت الصوالحة ذات الحادية عشر مليكة صوالحة "

شرد مفرح في صورتها وهي صغيرة ومشيتها المتكبرة الوقورة وضفيرتها وفساتينها التي لم تشبه ما ترتديه فتيات البلدة ..ثم نظر لكامل بعينين غائمتين وابتسامة يضيف "لا تندهش فهذا السن قبل عشرين سنة كانت الفتيات فيه انضج من الآن ..أو ربما هكذا شعرت أنا ..المهم أني ظللت أحاول أن أناغشها من وقت لأخر واستفزها وأضايقها بأي شيء يجعلني بالقرب منها .. أي شيء منطقي بالنسبة لعمري وقتها .. كنت أتحجج بصداقتها لبسمة بنت خالي لأكون في المحيط بأي حجة .. أقف أمام المدرسة أنتظر خروجهما بدعوى حماية بنت خالي (وقطع حديثه يقول بلهجة جادة) بالمناسبة بسمة كانت طوال الوقت تحتاج لحماية ..فجمالها كان ملفتا في قرية صغيرة جعلني أقوم بدور الأخ المرافق دوما لها خاصة وأن وليد أصغر منها بثماني سنوات أي كان قبل

عشرين سنة وقت بداية علاقتي بمليكة في الثالثة من عمره"
شعر كامل بالغيرة على بسمة من مفرح ومن كل الأنظار التي كانت تحوم حولها في الماضي لكنه أجبر نفسه على التخلي عن سخافة أفكاره ليركز مع مفرح الذي أردف " كما قلت لك كنت انتهز صداقتها ببسمة وقرابتي لها لأن أكون موجودا على الدوام "
صمت قليلا يتذكر شجاره ومشاكساته لمليكة ونظراتها الباردة المتعالية العابسة في وجهه دوما .. وابتسم في حنين ثم أضاف" أول تصريح بالحب مني لها كان حين كنت بالجامعة.. كنت تقريبا في سن العشرين .. وكانت هي في السادسة عشرة وعمرينا وفقا لتقاليد القرية في ذلك الوقت ووفقا لظروفي المادية الجيدة يؤهلنا للزواج لكن طبعا كانت هناك عقبة كبيرة .. صدقني أنا حاولت نسيانها

حاولت بالفعل لأني أعرف بأن الأمر بيننا مستحيل ولكني لم استطع .. فأرسلت لها عن طريق بسمة أول خطاب حب أعترف لها بمشاعري "

وصمت قليلا وهو يحدق في صفحة الماء تحته ثم قال بابتسامة دافئة بدفء الذكريات"

وكانت بسمة تأخذ مني الرشاوي وتبتزني من أجل أن تكون وسيطا بيننا.. المهم أن المفاجأة كانت بأن اعترفت مليكة لبسمة بأنها أيضا تحمل لي مشاعر حب لكنها يائسة من أي نجاح لعلاقتنا نظرا للوضع بين العائلتين .. ولم أكن أنا أقل منها خوفا لكني كنت غير قادر على الكف عن حبها .. وبدأ العرسان يترددون على سرايا الصوالحة وبدأت أنا وهي نتوتر .. مليكة الأصغر بين إخوتها الذكور وكانت مدللة العائلة كلها .. تربت بطريقة تختلف عن بنات القرية ولها رأي مسموع في عائلتها .. (وعاد ينظر

لكامل ويقول بابتسامة وعينين غائمتين)كانت أميرة بحق.. حفيدة باشا حقيقي .. رغم أن أصولهم ريفية .. تركب الخيل ..مثقفة ..تتحدث الإنجليزية .. وتقضي الصيف في المصايف .. مليكة دوما شخصا استثنائيا ليس له شبيه عندي"

قالها بمشاعر فياضة وصوت متهدج ثم أضاف وهو يعود ليتطلع في صفحة الماء" حتى جاءت اللحظة التي شعرت فيها بأني غير قادر على تحمل المزيد .. فقررت مفاتحة أبي وفي نفس الوقت تهورت وذهبت لوالدها وطلبتها منه بكل تهور .. لم انتظر أن أعرف رأي أبي الذي بالطبع كنت أتوقع رأيه ولكن قلت لنفسي لربما استطعت أن أقنع والدها فأتخذه حليفا لي في حربي مع أبي ..لكن كان والدها لا يقل عنادا عن والدي ..صدني بقوة واتهمني بأني لعبة جديدة من ألاعيب أولاد الزيني فأسرعت لأبي لربما

وجدت عنده أي مؤازرة لكنه هاج وماج وبدأ يتحدث عن خطة أولاد الصوالحة للإيقاع بي في شباكهم عن طريق ابنتهم ..(وصمت قليلا يشعر بغصة في صدره ثم أضاف) تأزم الأمر بين العائلتين ومنع عبد الغني صوالحة مليكة من الخروج خاصة حينما وقفت أمامه وصرحت بأنها تريدني وهذا أمر لم يستسغه والدها فقرر أن تلتزم البيت وتدرس فيه وأن تنقطع عن المدرسة .. فوقفت أنا أيضا في وجه أبي .. ترجيته .. تذللت إليه .. هددته بترك البلدة والعيش في العاصمة .. فعلت كل شيء لكنه لم يوافق وبدأ الأمر تتناقله الألسنة في البلدة "

صمت مفرح وقد اشتد الألم على وجهه فسأله كامل بصوت رخيم هادئ" كيف انتشر الخبر وقد كان بين العائلتين ؟"

أدار له مفرح انظاره ورد بحشرجة "أمي كانت السبب (نطقها بلهجة متألمة وأضاف) أمي أرادت أن تفضح مليكة.. فسربت الخبر بأن بنت الصوالحة تحاول إغواء ابن الزيني والإيقاع به بمساندة من عائلتها "

تغضنت ملامح كامل وهو يستمع وناظر مفرح بشفقة من تلك الطعنة بينما أردف الأخير" أمي وأبي السلطة والمال والجاه الأهم دوما عندهما .. وبمنطق مغلوط يعتقدان أن أي شيء غيرهم يهون .. لا يؤمنون بالمشاعر ولا بالقلوب .. ويرون أن هذا لمصلحتنا .. فحينما يحافظان على المال والجاه والسلطان فهذا في مصلحة أبناءهما (وأجلى صوته وأضاف متخطيا ذلك الشعور بالمرارة الذي يصاحبه كلما تذكر صلف أمه وقسوة قلبها) الشائعات وحالة مليكة المتمردة كمراهقة في السادسة عشر تدافع عن حبها ورغبتها في أن تختار من

تتزوجه جعل والدها يقرر تزويجها لأول زيجة مناسبة خوفا من أن يتطور الأمر .. وخوفا من أن أُكيد لها أنا باعتباري أمثل الجانب الشرير فأسيئ لسمعتها فقرر تزويجها تحت الابتزاز العاطفي كأب بأنه مريض وسيموت وتلك الأفعال التي يمارسها الآباء لابتزاز أولادهم .. وبالفعل جاءها الشخص الذي رآه والدها بأنه مناسب (وصمت قليلا ثم قال) خالد الباجوري"

عقد كامل حاجبيه يتابع استرسال مفرح الذي أضاف بعد تنهيدة طويلة مؤلمة" خالد الباجوري من أثرياء إحدى القرى المجاورة (وأدار رأسه يقول لكامل بابتسامة ساخرة مُرة وهو يضع يده على صدره) صديقي الصدوق " اتسعت عينا كامل فتطلع مفرح في صدمته لثوان ثم أضاف "وجد أهل مليكة أن خالد مناسب جدا .. خاصة أنه من بلدة مجاورة أي

أن مليكة ستترك بلدتنا وتبتعد عني لتعيش مع زوجها .. ولا داعي طبعا لأن أخبرك بالابتزاز العاطفي الذي مارسه والدها عليها فاضطرت للموافقة بعد أن تعبت أعصابها من تلك الفترة العصيبة خاصة أن الأمر تزامن مع نزاع بين العائلتين على قطعة أرض حدث فيها قتال أسفر عن إصابات كان سيمر بدونها لولا الاحتقان الموجود بين العائلتين فحملت مليكة نفسها الدم الذي سال وكأنها المرة الأولى التي تتنازع فيها بين العائلتين "

قاطعه كامل يقول بعبوس "انتظر .. انتظر .. هل صاحبك هذا كان يعلم بما بينك وبين أم أدهم ؟"

هز مفرح رأسه ورد بحشرجة متألمة" كان شاهدا على علاقتنا منذ بدايتها .. لقد كان صاحب عمري كنا نذهب سويا لمدرسة المتميزين في مركز المحافظة ..وكنت أحكي له

على كل شيء يخص مشاعري ..وكان أحيانا يكون معي وأنا أنتظرها هي وبسمة أمام مدرستها "

أسرع كامل بافتراض النية الطيبة فقال" بالتأكيد أجبره أهله"

صمت مفرح يتطلع في كامل يحاول النطق بينما تغضنت ملامح الأخير وقد وصلته الإجابة قبل أن يقول مفرح بحشرجة" بل كان ذلك باختياره .. كان يحبها هو الأخر ولم أكن أعرف وانتهز الفرصة واستحالة زواجي بها وتقدم هو وعائلته للزواج منها مضحيا بصداقتنا (وعاد ينظر لصفحة الماء مضيفا) كانت صدمة عمري .. مهما وصفت لك لن استطيع أن أعبر عما حدث لي وقتها .. لقد كان صاحبي منذ أن كنا صغارا ..لازلت أحمل تفاصيل ذكرياتنا معا أنا وهو .. (وتنهد بعمق مضيفا) بعدها مفرح لم يعد مفرح .. أضحى شخصا أخر .. كبرت

وشخت واسودت الدنيا أمامي وأنا أرى حبيبتي تزف لصاحب عمري وتغادر البلدة .. "
صمت قليلا يحدق في الفراغ ..فانتظر كامل بصبر رغم فضوله الشديد لمعرفة بقية الحكاية حتى أضاف مفرح "عشت في سواد ومرضت وفقدت الاهتمام بكل شيء .. بعدها تحاملت على نفسي لأواصل حياتي التي لم يعد لها أي معنى بعد أن فقدت الصديق وفقدت روحي مع زواج مليكة .. تقوقعت على نفسي وانغلقت وتركت مسافة بيني وبين الجميع "
قاطعه كامل" فهمت الآن لماذا كان رد فعلك مبالغا فيه وقت أن عرفت أمر بسمة وأخبرت شامل بعدها بأن هناك ما قد تخبرنا به يوما"
نظر إليه مفرح شارحا "لم أتخذ صديقا لي على مدى سبعة عشر سنة حتى التقيت بكما ووثقت فيكما بدون أسباب وتلاقت أرواحنا"

ابتسم كامل بمحبة رغم المشاعر المؤلمة التي تحيط بهما ثم سأله" وماذا بعد ؟"
سحب مفرح نفسا عميقا وقال "أنا كنت أعيش في الجحيم .. وكنت غير قادر على التوقف عن التفكير في مليكة .. وبالطبع كان هذا أمرا لا أقبله على نفسي فقد أضحت زوجة لرجل أخر.. فرضخت لإلحاح أمي بعد عام وتزوجت"
اتسعت عينا كامل فهز مفرح رأسه ورد"
تزوجت من ميسرة .. إحدى قريباتي من ناحية أبي كانت تعيش مع أهلها في محافظة أخرى بعيدة .. كانت فتاة بسيطة طيبة وهادئة جدا ..وكنت أنا مستعدا لأن أفعل أي شيء لأنسى مليكة"
سأله كامل متنحنحا" لا تؤاخذني ولكن لماذا تسرعت في الزواج كنت في الواحدة والعشرين من عمرك ؟"

رد مفرح " كما قلت لك ..كنت أريد أن أنسى بالإضافة لأن خاطرة أن تطلق مليكة وأتزوجها لم تكن واردة .. أنا لم أكن أعرف عن مليكة شيئا رغم أني استطيع أن أصل إليها فهي على بعد دقائق من قريتها لكنها أضحت امرأة متزوجة حتى حين كنت انزلق بلساني ويغلبني الشوق فأسأل بسمة التي ظلت على علاقة بها عن أحوال مليكة كانت تكتفي بالرد بأنها بخير ولم أجرؤ على سؤال المزيد .. أما التفكير في أمر الطلاق فلم يكن هذا حدثا سهلا في قريتنا أو وقتها في تلك الأيام لم يكن كذلك ..هذا بالإضافة لنفس السبب الأساسي الذي منع زواجنا هو الصراع بين العائلتين ..فإن كانوا قد رفضوها وهي عذراء هل سيقبلون بها مطلقة! .. كل الأبواب أغلقت في وجهي فتزوجت من ميسرة.. كانت ونعم الزوجة لكني أنا لم أكن حيا ..(ونظر لصاحبه يضيف بلهجة متألمة) كنت

ميتا يا كامل .. مت بزواج مليكة .. أخذت روحي معها حينما غادرت القرية فكنت مع ميسرة بلا روح بلا عقل بلا مشاعر سوى المودة والرحمة وحياة رتيبة ليس لها أي معنى أو طعم ..لكني يعلم الله كنت أبذل كل جهدي لأسعدها ولأبعد عنها أي شيء يحزنها واعتقد بأني نجحت في ذلك على حسب علمي ..المهم حملت ميسرة في أدهم"

شهق كامل وقال" أدهم ليس ابن السيدة مليكة؟"

ابتسم مفرح وأكمل "حملت ميسرة وكان حملها غير مستقر فقد كانت تعاني من ارتفاع شديد في ضغط الدم مما اضطر الطبيب عند مرحلة ما التدخل لتوليدها بعملية قيصرية مع التحذير من الحمل مرة أخرى خوفا من مرض يسمى (متلازمة هيلب Hellp) فشدد علينا منع الحمل لفترة طويلة وأن تلجأ للطبيب قبل

التفكير في الانجاب مرة أخرى .. المهم أنه بمجرد أن جاء أدهم للدنيا علمت بطلاق مليكة "

ساد الصمت لبضع دقائق ومفرح مطأطئ الرأس وعلامات الحزن والألم على وجهه أقوى من ذي قبل حتى ظن كامل بأنه لن يكمل لكن مفرح أردف بعد قليل وبعد أن أجلى صوته يغالب شعور شديد الإيلام لاح على وجهه ولم يفهم كامل سببه "ما علمته من بسمة بعد أن انفصلت بأنها في خلال العامين اللذين تزوجت فيهما جاءت لبيت والدها عشرات المرات تطلب الطلاق ..وكانوا يردونها مع زوجها خوفا من فضيحة طلاقها بعد فترة صغيرة من الزواج لكن آخر مرة مرضت بشدة فرضخ والدها الذي كان متعنتا وتدخل أكرم أخوها الأكبر والذي يعيش في العاصمة وأجبر خالد على طلاقها "

سأله كامل بلهفة "وماذا حدث؟ "

رد مفرح بلهجة متألمة " بدأت مرحلة أخرى من العذاب في حياتي ..مرحلة أن مليكة حرة من جديد وأنني لم أنسها أبدا وشعوري بالذنب الذي تعاظم تجاه ميسرة التي ليس لها ذنب في أنها اقترنت بشخص منحوس مثلي .. ويعلم الله أني لم أشعرها بأي شيء مما يتأجج في صدري ..و بعد طلاق مليكة حاولت أن أزيد من دلالي واهتمامي بميسرة لشعوري بذنب شديد تجاهها لأني أعرف في قرارة نفسي أني عاشق وأفكر في امرأة أخرى .. حاولت التماسك .. حاولت تجاهل وجود مليكة.. حاولت وحاولت ولم أقدر .. فبدأت في البحث عن حل لأن علاقتي بميسرة بدأت تتوتر "

سأله كامل " هل شعرت بشيء ؟"

رد مفرح نافيا " لا أعتقد ..فميسرة (وصمت قليلا) ميسرة كانت شديدة الطيبة وعقلها كان بسيطا جدا .. أمي كانت تحبها لأنها مطيعة إلى

أقصى حد .. المهم أني شعرت أن حتى علاقتي بميسرة رغم ما أبذله للحفاظ عليها تخرج عن سيطرتي .. اصبحت عصبيا نزقا أدقق على كل شيء وكنت أسب نفسي وألومها وأعنفها كثيرا .. المهم أني ولأول مرة في حياتي أفكر في التعدد "

ساد الصمت مرة أخرى فنظر مفرح لكامل يقول" لم يكن أمامي غير هذا الحل حتى أهدأ .. فميسرة لم يكن لها ذنب في شيء .. وكنت غير قادر على تحمل فكرة أن مليكة حرة واستطيع أن استعيدها .. رغم أني لم اتواصل معها أبدا خلال تلك الفترة .. كنت اكتفي بسؤال بسمة عنها فترد الرد الروتيني فقط .. المهم عزمت على الأمر بيني وبين نفسي ولم أخبر به أحدا .. أردت فقط أن أعرف رأي مليكة أولا إن كانت ستقبل بي متزوجا أم لا .. وبعدها استعد

لخوض الحرب من جديد ..حرب الفوز بمليكة.. حتى جاء ما هدم كل شيء أمام عيني " صمت فسأله كامل بلهفة" ماذا حدث هل زوجوها مرة أخرى ؟"

رد مفرح " لا .. فمليكة عزفت عن الزواج بعد طلاقها والتحقت بالجامعة .. كنت انتظرها لأراها من بعيد وهي تخرج من الجامعة دون أن أقترب منها أو أحاول الاحتكاك بها "

سأل كامل بدون صبر "إذن ماذا حدث؟"

نظر له مفرح وقال بمرارة" حملت ميسرة مرة أخرى"

اتسعت عينا كامل فأضاف مفرح "حملت مباشرة بعد ولادة أدهم "

سأله كامل " ألم تكن تعرف بأن الأطباء...."

قاطعه مفرح يرد " كانت تعرف بالطبع وكانت تستخدم وسيلة والله وحده يشهد عليّ وسيحاسبني يوم القيامة بأني كنت اسألها دوما

بهذا الشأن وحين حدث الحمل أخبرتني بأنه حدث لخطأ ما في الوسيلة التي تستخدمها ..لكن قلبي يخبرني بأن هناك من أدخل الأمر في رأسها أو هون عليها مرضها "

بعينين متسائلتين ناظره كامل دون أن يتفوه بالسؤال الذي يدور في ذهنه فأجابه مفرح " لا أعرف .. صدقني لا أريد أن أظلم أمي .. لكني لا استبعد .. لقد أنكرت أي تدخل منها في هذا الموضوع .. المهم أن هذا الخبر تلاه تدهور في حالتها وكان الإجهاض خطرا عليها خاصة وأنها لم تكتشف الحمل إلا بعد أربعة أشهر تقريبا فتعقد وضعها الصحي واضطررنا لنقلها لمستشفى تخصصي في العاصمة ..وانتقلت أنا إلى هناك بينما ظل أدهم هنا تتلقاه الأيادي بين نساء العائلة .. عشت في العاصمة بجوار ميسرة التي قضت معظم أيام الحمل في المستشفى تعاني من ذلك المرض الذي يدعى (متلازمة

هيلب) .. كنت فقط أختلس ساعتين لنفسي يوم واحد كل أسبوع أسافر لأرى مليكة من بعيد وهي تخرج من الجامعة وأملأ عيني بصورتها وأعود لميسرة .. ولم أكن أعلم الخطوة التالية .. وكنت أموت من الخوف من أن تتزوج مليكة في أي وقت لكن الوضع وقتها وأخلاقي لم يسمحا لي بمفاتحة مليكة في أي شيء أو حتى الاقتراب منها .. ورغم أن الله يشهد عليّ بأني لم أقصر في حق ميسرة فقلبي ليس لي عليه سلطان .. لكن كانت عقدة الذنب تجاهها تزداد .. استمر الوضع عدة شهور حتى اضطروا كالمرة السابقة التدخل بولادة قيصرية وجاء إياد إلى الدنيا ثم ماتت بعدها ميسرة "

ساد الصمت وشعر كامل بتأثر مفرح الشديد خاصة حين أردف "عاشت ميسرة كنسمة رقيقة مسالمة ورحلت في هدوء وكأنها كانت رفيقا لفترة قصيرة من حياتي.. واخبرتني قبل أن

ترحل .. (ابحث عن أم جيدة لأبنائي يا مفرح لا أريدهما أن يعيشا أيتام) .. أتعلم أني حين اتأمل الأمر أجد أن الله قد لطف بي حينما حدث ذلك قبل أن افاتحها في رغبتي في الزواج .. كنت أعلم بأنها لن تعارضني .. نعم سينكسر قلبها لكنها لن تعارضني .. كانت تحبني وترغب في اسعادي دوما .. على أية حال رحلت وتركت الولدين وعدت أنا للقرية .. وبقيت بعدها لعام أربط على قلبي دون أن افاتح مليكة في أي شيء احتراما لموت ميسرة .. بعد الذكرى السنوية الأولى لوفاتها كنت قد تعبت من الانتظار واستبد بي الشوق والرعب من أن أتفاجأ بخبر زواج مليكة ولم أكن أعلم بأنها كانت عازفة عن الزواج للأبد وبأنها وعدت نفسها إن لم يكن هناك مفرح فلن تتزوج .. وبما أن مفرح قد تزوج فقررت أن تلتفت لدراستها فقط ثم عاد إليها الأمل بعد أن أصبحت أرملا.. أرسلت لها

مع بسمة لأعرض عليها الوصال من جديد
وبأني هذه المرة سأخوض الحرب حتى النهاية
وليكن ما يكون ولا أستطيع أن اخبرك كيف
كانت سعادتي حينما جاءني الرد بعبارة لن
انساها ما حييت .. عبارة أحيت مفرح الذي
مات برحيلها (سأنتظرك حتى آخر العمر) "
صمت مفرح ليلتقط أنفاسه فغمغم كامل
متفاجئا بكل ما سمعه "لم أتوقع أبدا أن أدهم
وإياد ليسا أولاد السيدة مليكة إنها تكنى بأم
أدهم بين الناس"
هز مفرح رأسه ورد بابتسامة" هذا شيء عادي
أن تكنى بابن زوجها فهي أمه التي ربته"
سأله كامل "وهل الولدان يعلمان بأنها ليست
والدتهما الحقيقية ؟"
هز مفرح رأسه وقال" بالطبع "
سأله كامل" وكيف تزوجتها؟"

بلع مفرح ريقه وقال" حاربت الجميع ..وقفت في وجه أبي وأمي .. تذللت لعبد الغني صوالحة ولعبت على أمر الصلح بين العائلتين وإيقاف النزاع ..وكان أكبر داعم لي أكرم صوالحة"
"أخوها ؟"
رد مفرح " أجل إنه طبيب مشهور في العاصمة وقد حزن بشدة لما حدث لأخته لكنه لم يستطع الوقوف في وجه والده أول مرة .. خاصة وأن الأمر كان معقدا بتلك الشائعات التي اطلقتها أمي سامحها الله حول علاقتي بمليكة .. كان أكرم هذه المرة مساندا لي خاصة حينما تأكد من مليكة بأنها لا تزال تحبني وتريدني وهو من استطاع اقناع إخوته بأن يؤازروه في اقناع والده .. وبصراحة حماي كان قد ندم على فعلته حينما جاءت مليكة بعد شهر واحد هو أقصى ما استطاعت تحمله مع زوجها تطلب الطلاق وكل مرة كان يخبر نفسه بأنها ستنساني

وستتكيف مع حياتها الجديدة .. لكنها كانت تأتيه في كل مرة أسوأ من المرة التي قبلها .. راقبها وهي تنطفئ وتذبل وتموت ببطء أمام عينه فكسر هذا عناده وسعى مع إخوتها لطلاقها .. وعاش بعدها نادما على ما فعله بها .. مليكة كانت ولازالت مدللته ولا يزال هو وأخوتها يشعرون بالذنب تجاهها .. المهم أني خضت حربا ضروسا للسعي لإبرام صلح مكتوب بين العائلتين لإيقاف صراع دام لأجيال ..وكنت أتوج هذا الصلح بزواجي من مليكة .. وكي أقنع أبي ساومته على أن أقبل بأن أرث العمودية من بعده في مقابل زواجي منها وبقائي للأبد في القرية "

عقد كامل حاجبيه بعدم فهم فقال مفرح موضحا "العمودية لم تعد وراثة كمبدأ عام لكنها تكون بالاتفاق مع الاجهزة المعنية في الدولة .. وغالبا ما يتركونها للعائلات التي لها

خبرة فيها من قبل إن لم يكن هناك ما يمنع ذلك .. وعائلة الزيني تستحوذ على المنصب منذ أجيال .. أنا طوال عمري كنت أرفض أن أكون امتدادا لوالدي فيها .. مهمة لا تتماشى مع طبيعتي ومع رغبتي في أن أعيش في العاصمة معظم الوقت .. وظللت أقاوم هذا الطلب من أبي حتى جاء ذلك اليوم الذي قبلت فيه بأن اتخلى عن كل أحلامي مقابل أن أحقق حلم واحد وهو الزواج من مليكة.. ولأني كنت عنيدا متعنتا في هذا الأمر لم يجد أبي مفرا إلا أن يوافق على مضض خاصة حينما لجأت للمحافظ ليتدخل في اجبار أبي على الصلح وإتمام الزواج .. وبعد مداولات كثيرة أخيرا عقد الصلح بين العائلتين وتوج بزواجي من مليكة بعد خمسة أعوام من طلاقها .. كان أدهم في الخامسة من عمره وإياد في الرابعة"

قال كامل بذهول "يااااه خمسة أعوام حتى تتزوجها"
هز مفرح رأسه بتأثر وقال " كانت رحلة شاقة جدا ومؤلمة .. سبع سنوات من المعاناة حتى اجتمعنا .. وفي هذه الفترة عشت مثلك في ذلك الصراع الذي تتحدث عنه.. وأعلم عن أي جحيم تتحدث .. أنت موقفك أفضل مني قليلا فأنت لا تعرف زوجها إلا من بعيد لكن أنا (وضرب على صدره) أنا أعرفه جيدا وتشاركت معه أياما جميلة أحاول أن أنساها ..أنا عشت ذلك الشعور قبل وبعد زواجي بها وأنا اتصورها (وصمت يناظره بألم ثم بلع بقية العبارة يضيف متنحنحا) أتعرف حينما عرفت بمشكلة بسمة مع زوجها تألمت بشدة "
قال كامل بلهجة عدائية" وماذا كانت مشكلتها بالضبط؟"

رد مفرح "كانت له حبيبة سابقة لم يستطع نسيانها واكتشفت بسمة ذلك واضطرت أن تطلب الطلاق "

عقد كامل حاجبيه مستاء وهو يفكر في بسمة بشفقة فقال مفرح" بعيدا عن أن بسمة في مكانة مهجة وارتباطي بها منذ صغرنا كبيرا ..لكن جزء مني كان يساعدها لأني كنت أرى فيها ميسرة رحمها الله "

زفر كامل يقول" الحقيقة أنا لازلت متفاجئا مما قلته كله(ثم رفع أنظاره إليه يسأله) وكيف استطعت أن تخرج من هذا الجحيم "

تنهد مفرح وقال "أولا الزمن يداوي مثل هذه الذكريات أنت تزوجت بسمة قبل شهرين فقط ..هذا بالإضافة لما مررنا به أنا ومليكة من محن حتى التقينا كان كفيلا بأن يضع هذا الموضوع آخر أولوياتي.. كما أنه (وصمت قليلا وكأنه يصارع آلامه ثم قال) هناك أيام مرت بي أنا

وهي أصعب من ذلك بكثير و.. (صمت مجددا يصارع ألما غامضا ثم أضاف بصوت متهدج) لا داعي لذكرها الآن .. كل هذه الأمور الصعبة حينما تمر عليك تنسيك ما تفكر فيه .. تشعرك بأن هناك في الحياة ما هو أهم من وساوس في رأسك تضيع فيها حياتك مع من تحب.. أحيانا تأتيك المحن لتخبرك كم كنت مدللا في جحيمك الخاص.. وكم كنت متشبثا بأفكار كنت تحسبها محورا لعذابك فتكتشف في لحظة أنك كنت تافها.. صدقني يا كامل أنا لا أقلل من حجم ما أنت تعانيه.. لكن هناك لحظات تمر عليك من هولها ومن صعوبتها تشعر بأن هذا العذاب لا شيء أمامها .. وتشعرك بالندم على كل لحظة توقفت فيها لتفكر في شيء يخص الماضي .. هي كما هي ..تقبلها كما هي .. واطرح الماضي وعذابات الحاضر خلف ظهرك وعش معها .. إنها ابنة

الحاضر وذلك الشيء كان ابن الماضي ومات ..
مات ولم يعد له وجود "
أطرق كامل برأسه وساد صمت طويل بينهما حتى تطلع مفرح حوله يقول" الليل دخل ..هيا لنعود عندي مشوار سأنتهي منه وأعود لك في بيت الجد صالح لنتسامر حتى تنتهي بسمة ومليكة من حفل حناء صاحبتهما"
قالها وهو يستدير بكليته ويقفز من فوق السور ثم ينفض عن ملابسه الغبار فقال كامل دون أن يستدير إليه" اذهب أنت يا مفرح وأنا سأعود سيرا على الأقدام أو أستقل تلك العربات الصغيرة ذات الثلاث عجلات "
قال مفرح مربتا على كتفه بعد أن نظر في ساعته" ستقدر على النسيان يا كامل .. ما دمت تحبها ستحاول أن تجد سعادتك معها .. لا تنكر بأننا نحن الذكور لدينا أفكار ملتوية

ومتعنتة في بعض الأمور التي نحللها لأنفسنا ونحرمها على النساء "

هز كامل رأسه فقال مفرح "هل أنت متأكد بأنك تريد أن تعود وحدك ؟"

هز كامل رأسه مجددا فتحرك مفرح ليستدير كامل ويقول " مفرح .. بالمناسبة أنا أيضا سبق لي الزواج قبل بسمة لكن لم تأت الفرصة لإخبارك"

رفع الأخير حاجبيه بمفاجأة ليضيف كامل "كان هذا في الوطن قبل وقت طويل .. بالتأكيد سأخبرك بالتفاصيل فيما بعد "

قالها وعاد يحدق في صفحة الماء أمامه ليقول مفرح بمزاح لينفض ذلك الانقباض الذي يضغط على صدره "هل أنت متأكد أنك لا تريد حراسة في هذا المكان الهادئ وقد حل الليل ؟.. إن هناك أشياء غريبة مريبة تظهر في ليل بلدتنا"

حدجه كامل بطرف عينيه شذرا ..فأطلق الأخر ضحكة خافتة من حنجرته هي أقصى ما استطاع أن يفعل ثم قال" أنا سأذهب وسأمر عليك في بيت الجد صالح بعد قليل .. واحذر من (الندّاهة) التي تخرج من الترع ليلا" قالها وركب سيارته ثم تحرك بعد دقائق فغمغم كامل بعبوس وعدم فهم" ماذا يعني بالندّاهة !"

ثم انتبه لهاتف مفرح الموضوع فوق السور ونظر ناحية سيارة الأخير التي ابتعدت ثم "قال لا حول ولا قوة إلا بالله قلنا له اربطه بسلسلة !"

قالها وهو يلتقط الهاتف ويضعه في جيبه ويعود ليشرد في كل ما مر به في هذا اليوم الحافل .

في نفس الوقت كان بدير في منزله يقول لأحدهم في الهاتف بلهجة غامضة "نفذ اليوم

ما اتفقنا عليه .. الآن .. فالناس ملهاة بليلة حناء ابن دبور .. لذا دعنا نقدم له ولأهل البلدة هدية تليق بالحدث "

xxxxx

في المساء

كانت الأنوار تزين بيت يحيى .. والساحة أمامه وأمام المسجد تزدحم بالحضور من أهل البلدة من المهنئين الذين تم ضيافتهم بالشربات وبالعشاء الذي أعده الطباخ بذلك العِجل الهدية من العريس لعروسه ..

بينما في داخل البيت حضرت النساء منهن من جاءت بنية صافية لتقديم التهاني ومنهن من حضرت على سبيل الفضول لترى كيف ستكون العفريتة عروسا ..

أما أم هاشم فكانت في حالة نادرة من السعادة .. كل همساتهن ومصمصاتهن لم تؤثر فيها .. كانت تلتقط فقط السعادة من الوجوه

السعيدة حولها وقد تفاجأت أنها كثيرة .. مليكة معها منذ الظهيرة رغم حالة الاجهاد التي تحاول أن تخفيها عنها .. مهجة موجودة وبنات المشروع حتى بنات عمها لم يكن كلهن حاقدات عليها .. اكتشفت بأن هناك من يحبها حقا وأتى لتهنئتها بصفاء نية يتمنى لها السعادة.. بسمة أيضا تعلم بأنها وصلت للبلدة منذ العصر لكنها لم تعلم لماذا تأخرت في المجيء .. يكفي بأنها أتت من العاصمة خصيصا من أجلها.. محسن سلم عليها وبارك لها ومنحها ظرفا به (نقوطها)..

كل هذا كان كالحلم ..

أما ثوبها .. الثوب الذي اهدته لها بسمة فكان شيئا أخر .. كان باللون الجملي الداكن من قطعتين.. قطعة عبارة عن فستان طويل حتى الأرض ملفوفا حول جسدها ومطرزا بالكامل بخيوط ذهبية لامعة ..وفوقه رداء أخر من

نفس اللون من قماش الشيفون الناعم مفتوح من الأمام حتى الأرض لم يكن لامعا إلا من أطراف الأكمام الواسعة والذيل.. بينما الحجاب والحذاء ذو الكعب المتوسط الرفيع كان من نفس لون القطعة الفوقية ..

اللون انعكس مع سمارها فأعطى له لونا ذهبيا لامعا مع زينة وجهها البسيطة..

لم يخف عليها انبهار كل من رآها .. هي نفسها انبهرت حينما رأت نفسها فيه.. صحيح لا تزال سُمرة بشرتها حاجزا بينها وبين نفسها لكنها أحست بأنها مختلفة ..

كانت تجلس بجوار مليكة على مقعد في الواجهة بينما الخالة شهاليل وفرقتها من البنات كن يحيين الحفل بالطبل والغناء والضحكات .

أما مليكة فكانت ينازعها شعوران شعور بالفرحة العارمة من أجل أم هاشم وشعور

بالقلق الشديد على بسمة التي ردت بعد إلحاح منها في الاتصال بها لتخبرها بصوت خافت مجهد بأنها مرهقة وترغب في النوم وستعيد الاتصال بها .

تفاجأت أم هاشم والجميع بدخول نصرة تتأبط ذراع اسراء وقد لاح الذبول على وجه الاثنتين رغم الابتسامة التي تزين شفتيهما فصاحت أم هاشم بسعادة وهي تتحرك لاستقبالها بذراعين مفتوحين "أم كريم .. ما هذا النور"
قالت نصرة وهي تداري ما بقي من غصة في القلب الموجوع "وهل من المعقول أن تمر هذه المناسبة دون أن أهنئ وأبارك ..لقد عقدت نذرا من قبل أن أطبل وأغني يوم زفافك يا أم هاشم "

بتأثر شديد تكرر كثيرا هذه الليلة حضنتها أم هاشم بقوة وهي تقول "لا حرمني الله منك يا حبيبتي"

ربتت نصرة على ظهرها وهمست "صبرتِ وجبر الله بخاطرك برجل ونعم الرجال"

ابتعدت عنها أم هاشم ثم حضنت اسراء مرحبة قبل أن تقول وهي تمسح دموعها "لماذا أنتن مصرات على إبكائي اليوم ؟(ثم نظرت خلفها لتناكف الخالة شهاليل قائلة) جاءت من ستنافسك يا خالتي (وربتت على ظهر نصرة تقول) هذه مطربة القرية"

قالت شهاليل في جلستها مفترشة الأرض" أريني يا حبيبتي من التي ستفوق شهاليل في غنائها"

نظرت أم هاشم لنصرة تهمس بصوت مسموع "تتحداكِ يا أم كريم يبدو أنها لم تسمع عنك "

ابتسمت نصرة وردت وهي تتحرك نحو شهاليل "نجعلها تسمع هاتِ يا بنت الطبلة"

ناولتها إحدى بنات شهاليل واحدة فاقتربت نصرة من الحنانة وقالت وهي تنزل لتنحشر بجوارها وتفترش الأرض " افسحي قليلا لماذا أنت بدينة بهذا الشكل !"

ناظرتها شهاليل وردت بنفس المشاكسة "اسم الله عليك يا عود القصب !"

ابتسمت نصرة وقالت متفكهة وهي تشير على اسراء التي انضمت لمهجة وبعض الفتيات في ركن "لا .. أنا أُم عود القصب المسكرة هذه "

غمغمت الأخرى بابتسامة وهي تطالع اسراء من بعيد "تبارك الرحمن (وتفحصتها بتدقيق ثم قالت) لا تبدو متزوجة فليرزقها الله بمن يجبر بخاطرها وخاطرك"

بلعت نصرة الرغبة في البكاء وقالت بلهجة مشاكسة وهي تمسح على وجه الطبلة لإحمائها " وهل الست تغني بلغتنا"

ضحكت شهاليل فلاح لؤلؤ سنها وهي ترد بترقيص حاجبيها بإغاظة" أغني بكل اللغات يا روحي"

قالت نصرة بابتسامة "سنرى"

في ركن من الصالة الضيقة الحارة شردت مهجة في وقفتها مع الفتيات تفكر في ردة فعل وليد حينما تخبره بأنها قد قامت بتحليل وتأكدت من أنها حامل ..لقد انتهزت فرصة قيامها بتحاليل دورية تخص الأنيميا التي عانت منها لفترة وقامت بعمل التحليل بعد أن شكت حينما لم تأتيها عادتها الشهرية لشهرين متتاليين ..

إنها تشعر بالارتباك المختلط بالفرحة .. لن تنكر ذلك ..لن تنكر بأنها شعرت بالفرحة لأنها ستصبح أما لكنها لم تستطع أن تخبر وليد بعد ..فأجلت إخباره لما بعد الحفل وطلبت منه أن

يوصلها لبيت أم هاشم فأخبرها بأنه سينتظرها مع الرجال بالخارج حتى تنتهي سهرتها .
لمست بطنها بارتباك ونظرت لمليكة التي تضع الهاتف على أذنها ثم قالت" لا .. لا يصح أن أخبر أحدا قبل وليد .. حتى مفرح لا يصح أن أخبره قبله رغم أني أتلهف لإخباره "

بدأت نصرة في الطبل فرفعت شهاليل حاجبها بإعجاب ومفاجأة ثم تحمست وأخذت هي الأخرى طبلة من إحدى البنات وبدأتا في المنافسة في الطبل بينما رقصت الفتيات .
كانت الاثنتان متناقضتين في اللون متوافقتين في البدانة ..وإن كانت شهاليل أكثر بدانة وأكبر سنا من نصرة لكن كلتاهما كانتا متشابهتين حتى في الضحكة الصافية التي تقهر الأحزان وخيبات العمر.

تأملت اسراء أمها بسعادة أن قررت الخروج اليوم ورغم أنها لم يكن لديها الرغبة في الاختلاط بأحد لكن قررت مصاحبة أمها لتشجيعها .. فكلتاهما تعتمد على الأخرى .. تؤازرها .. تدعمها .. لهذا قررت مصاحبتها .

قالت مليكة بصوت عال" العروس لم ترقص بعد"
لكزتها أم هاشم موبخة فقالت مليكة بإصرار ومناكفة" وهل هناك عروس لا تعرف الرقص "!
قالت أم هاشم بحرج" أنا لا أعرف"
تدخلت وفاء بنت عمها والتي تربط وشاحا أسفل خصرها بلهجة مغيظة "أم هاشم لا تعرف الرقص "
أمنت أم هاشم على كلامها موافقة لكن مليكة قالت بإصرار "تعرف"

حدجتها أم هاشم بنظرة موبخة .. فدفعتها مليكة لتقوم من جلستها بينما شدتها بقية البنات الواقفات ..فاستقامت أم هاشم ووقفت في وسط المكان تداري حرجها بأن وضعت كفا فوق الأخر على بطنها تقول بامتعاض" اللهم طولك يا روح!"

رقّصت وفاء حاجبيها تقول بإغاظة" قلت لكن لا تعرف"

هتفت بها أم هاشم بغيظ "انصرفي من أمامي يا بنت بدلا من أن أطلق عليك عفاريتي"

قهقهت وفاء وقالت وهي تهز كتفيها وتترقص أمامها بإغاظة "اجعليهم يعلمونك الرقص يا حبيبتي فهذا أولى"

ضيقت أم هاشم عينيها بنظرة متوعدة ثم قالت لها" لا يا حبيبتي إنهم سيرقصون حولي أيضا "

يا ليلة ما جاني الغالي ..ودق عليا الباب

اتبسمت أنا زي العادة.. وقلت يا باب كداب
بدأت نصرة بالغناء على طبلتها ففاجأت أم هاشم الجميع إلا مليكة برقصها .. وحاولت الفتيات أن يقنعنها بربط وشاح على خصرها لكنها رفضت وأخذت تتمايل بخفة وحرج ونعومة أنثوية هادئة ..

أتاري حبيبي .. بيقول يا حبيبي
يا مطفي لهيبي افتح دوبني الغياب

قامتها الطويلة النحيلة في ذلك الثوب الرائع مع خجلها وهي تسبل أهدابها في الأرض وتتمايل بجسدها بانسيابية ورقة سرق أنظار النسوة حولها بانبهار ..
لم تكن محترفة مثل الباقيات ..لكنها كانت أنثوية جدا مميزة في كل ما يخصها حتى رقصها..

في الوقت الذي أكملت شهاليل لنصرة الأغنية تنافسها بمزاج رائق .

دق الباب وجاني ..أبو عيون أغاني
نساني كل حاجة .. علمني أحبه تاني
عجايب عجايب .. رجعت يالي غايب
رجعت كل حاجة ولكل شيء سبايب

راقبت بعض النسوة أم هاشم وهن يمصمصن شفاههن وقالت إحداهما للأخرى "أنظري كيف تحولت لأنثى .."

ردت الأخرى "لا تنسي أن الحنانة ماهرة .. إن الرسم على يديها وقدميها رائع .. يقولون بأن الحنانة هدية بنت الصوالحة لها "

تكلمت الأولى بنظرة حقد وحسد " والثوب يا أختي الثوب .. كم دفعت فيه ؟"

أصدرت ثالثة صوتا ساخرا من حنجرتها وقالت "وهل هي لديها ما تدفعه في ثوب غال الثمن كهذا؟.. بالتأكيد اشتراه لها المعلم جابر"

قالت الأولى بحسرة "قلت لكم سحرت له لم يصدقني أحد .. الرجل دفع مبلغا خرافيا من أجل ثوب سيلبس لساعات "
ناظرتها الاثنتان الأخريان بحيرة لتضيف هي بثقة وتأكيد "صدقاني .. فكرا ما الذي يجعل رجل يدفع كل هذه المبالغ لفتاة سوداء عانس.. ستقولون زهد الجمال بعد بنت العسال ..سأقول لكما ما فعله لها من ذلك الأثاث الغالي الذي ابتاعه والبيت الذي جدده .. العِجل الذي أرسله هدية وذلك الثوب .. ويقولون بأنه سيقدم لها شبكة غدا بمبلغ كبير جدا.. كل هذا لأنه زهد الجمال !!.. هذه شائعة أطلقتها بنت العسال من حقدها ..لكن الحقيقة أن أم هاشم استغلت طلاق جابر وعقدت له عملا سحريا ليتزوجها ..الرجل يفعل كل هذا لأنه مسحور"

سألتها الثانية " إن كانت كذلك لماذا انتظرت حتى يطلق زوجته ولم تستخدمه ليطلقها"
تكلمت الأولى تؤمن على كلامها " أجل كلامك صحيح ربما كانت السبب أيضا في أن يطلق بنت العسال بجمالها ويتزوج هذه النحيفة السمراء ..الأمر كله سحر "
تكلمت الثالثة وهي تتطلع في أم هاشم التي ترقص بسعادة وقالت "الأمر غريب فعلا وهي تبدو مختلفة "
قالت الأولى لتعزز تصورها لدي صاحبتيها" انظرا كيف أضحت أنثوية أكثر.. لقد كانت كجذع الشجر الداكن اللون في تلك العباءة السوداء التي كانت ترتديها على الدوام "
فتكلمت الثانية" أجل لقد تفتحت سمرتها قليلا واضحت لامعة "
اقشعر بدن الأولى بشكل واضح وقالت لصاحبتها وهي تفتل في صدر عباءتها" أنا

أتشاءم من هذه البنت طوال عمرها..
وليسامحني الله لكني متشائمة من هذا اليوم
خاصة وهي ترقص بهذا الشكل "
سألتها الثالثة بغباء" وما علاقة رقصها
بالتشاؤم؟!!"
ردت الأولى لتثبت نظريتها" ألم تسمعيها
بنفسك تقول لبنت عمها ..عفاريتي سيرقصون
معي .. وهل ترقص الشياطين إلا في عمل
السحر !!"
شهقت الثانية برعب بينما ناظرتهما الثالثة
بغباء وعادت لتنظر لأم هاشم غير واثقة من
منطقية ما تقول .
فجأة علت همهمات بين الرجال في الخارج ..ثم
أطلقت إحدى النساء الموجودات على الباب
صراخا أوقف الطبل والغناء لتقول المرأة الأولى
بقلب مقبوض لصاحبتيها "ألم أقل لكما
متشائمة .. استر يا رب "

بينما التفتت أم هاشم تنظر نحو الباب وهي تمسك بقلبها هاتفة بصوت خافت مرتعب "جابر"

xxxxx

قبل قليل

انتصار! أم هزيمة! أم خيبة أمل !..

سؤال يدور في رأسها في نومتها على السرير طول الساعات الماضية التي لم تدر عددها .. رن هاتفها فتحاملت على نفسها بإنهاك وبحثت عن مصدر الصوت في ضوء الغرفة الخافت من ضوء المصباح الجانبي .. فوجدت الهاتف في الأرض بجوار السرير ومدت ذراعها تلتقطه وهي تنوي أن ترد على مليكة التي اتصلت بها كثيرا بعد تلك المكالمة التي أخبرتها فيها بأنها تريد أن تنام لكنها لم تقوى على الرد .

حين رفعت الهاتف وجدته كامل ..فأغمضت عينيها لثوان ثم رفعت الهاتف على أذنها تقول بصوت مجهد" نعم"

قال كامل وهو يسير في الطريق المظلم نسبيا عائدا للبيت "هل أنت نائمة؟"

"ميتة"

قالتها بحزن فقال كامل بلهجة متألمة عاشقة " بعيد الشر عنك ..فداك روحي يا باسمة "

كلماته هزت كيانها وارعشت قلبها فأجهشت بالبكاء ليقول كامل بلهجة معذبة وهو يتطلع في الهدوء المظلم حوله "يكفي بكاء أنا .. أنا لا أتحمل بكاءك .. اكرهيني كما تريدين لكن لا تبكي "

غمغمت بضعف وهي تحدق في سقف الغرفة مستلقية بعرض السرير " أبكي على حظي العاثر الذي جعلني قليلة القيمة أمام الرجل الذي أحبني "

قال بلهجة نادمة " يا باسمة ..انسي ما قلته ..الغضب دفعني لقول أشياء لم يكن يصح أن أقولها "

ردت بلهجة بائسة أوجعت قلبه "لكنها حقيقية"

عاد للشرح والتفسير من جديد " يا باسمة لم أقلها لانتقص منك ..ولا لأني أشعر بك أقل قيمة ..أنا قلتها لأشرح لك مدى عذابي .. والله العظيم أنا لا أنتقص ممن سبق لهن الزواج .. قلت لك الأمر فقط له علاقة مباشرة بالغيرة ..أنا أغار عليك بشدة يا بنت الوديدي"

قالت بلهجة باكية "كامل"

"فداك روح كامل "

قالها بصوت متهدج فعلا نشيجها وقالت من بين دموعها "أنت كسرت قلبي يا كامل .. كان أهون عليّ أن تتركني وترحل من أن تقدم لي هدية عظيمة بحبك لي مغلفة بالسم"

أسرع ليقول بتأثر شديد " بعيد الشر عنك..
دعي السم لي وانعمي أنت بالهدية "
غمغمت ببكاء أوجع قلبه " وهل إن أخذت
أنت السم ستكون للهدية معنى ؟!"
قال بلهجة عاتبة " ألا تكرهينني؟! .. سأتجرع
أفكاري المسمومة وأموت لتستريحي مني"
غمغمت بخفوت باك "لا تتكلم عن الموت
أرجوك يا كامل "
أحس بلينها وبضعفها وآلمه بكائها فأسرع
الخطى وقد زاره الأمل من جديد فقال " حاضر
..لكن وقتها عليك أن تتحملي من تكرهينه
..لأنه كما قلت لك من قبل ..من تملك كامل
نخلة في قبضة يدها يا لحظها ويا ويلها ..لن
أتركها إلا في القبر "
قالت بقلب موجوع " لا تتحدث عن الموت
قلت"

تكلم بلهجة مترجية دون أن يشعر " لنتحدث عن الحياة إذا .. حياتنا معا"
سمعت بسمة صوت طقطقة خشب .. فاستقامت بجذعها من فوق السرير تنظر حولها وقبل أن يستوعب عقلها الرائحة التي تشمها انتفضت فجأة حينما سمعت صوت زجاج يتكسر فصرخت .
توقف كامل عن السير وهو يقول بعينين متسعتين "ماذا حدث ؟"
تركت بسمة سريرها والتفتت ناحية الشباك المطل على المشروع فهالها ما رأته أمامها .. رأت ضوء يشبه النار وقد حسبته ضوء مصباح السرير الخافت .. فأسرعت نحو الشباك ثم أطلقت صرخة وهي تجد نارا عظيمة تأكل المبنى الموجود بساحة المشروع فقالت صارخة لكامل الذي كان يهدر" ماذا هناك يا بسمة؟"

"نار يا كامل ...نار في ساحة المشروع"
تجمد كامل لثوان ثم بدأ في العدو ينظر حوله ليبحث عن أي وسيلة لتنقله .. لكنه كان في شارع هادئ والمسافة بينه وبين البيت كبيرة فقال وهو يطلق ساقيه للريح "نار؟!.. أي نار !!.. ابق مكانك لا تتحركي .. بسمة .. بسمة"
عاد صوت تكسير الزجاج وفهمت الأخيرة بأنه زجاج النوافذ فأسرعت بالخروج من الغرفة ثم أطلقت صرخة حينما قابلتها زجاجة مشتعلة كسرت زجاج النافذة المطلة على ساحة البيت وخلال دقيقة كانت النار تمسك بالستائر ..فقالت بسمة في الهاتف "النار يا كامل ..البيت يحترق "
شعر كامل بالعجز وهو يقيّم المسافة المتبقية في عقله فوجدها بعيدة .. لكنه ظل يجري ويجري وهو يجرجر قلبه بين قدميه بينما

صراخ بسمة وبكائها المستغيث يمزق نياط قلبه.

فكر في الاتصال بمفرح ليسبقه لكنه تذكر بأن الأخير قد نسي هاتفه فقال لبسمة وهو يلهث من الجري "لا تخافي أنا قادم ..قادم حالا "

صرخت بقوة حين نزلت على السلم "يا الهي النار تمسك في الدور الأرضي كله"

صاح بقوة من بين لهاثه ولم يعد يشعر بقدميه من كثرة العدو "ابق في الدور العلوي"

استدارت بسمة ولم تصدق ما رأت .. لقد انتشرت النار بسرعة شديدة فحاصرتها أيضا في الدور العلوي فقالت " لن استطيع العودة للدور العلوي.. أنا عالقة على السلم .. كامل أنا سأموت .. سأموت "

قال كامل صارخا" بسمة بسمااااااة ابقي معي لا تذهبي .."

واسرع بوضعها على الانتظار ثم اتصل بوليد الذي لم يرد فعاد لبسمة وهو لا يزال يعدو ويبحث حوله في الطريق الفارغ من المارة المشغولين غالبيتهم في ليلة حناء جابر دبور فهتف كامل" بسمة هل أنت معي... بسمة بسمااااااه أجيبيني "

كانت الأخيرة تقاوم شعورا بالاختناق ونظرت في الهاتف الذي انطفأ فجأة ولم تعرف إن كان قد فرغ شحنه أم لا .. لكنه لم يستجب لإعادة التشغيل .. فتطلعت حولها تارة برعب وتارة أخرى تصرخ بقوة ..وسجنت في مكانها على السلم .

بعد قليل تنامى إلى مسامعها أصوات وصراخ وعويل يأتي من الخارج فصرخت بقوة تقول "انجدوني أنا هنااااا "

صراخها تاه وسط صراخ النسوة اللاتي تجمعن في الخارج من الشوارع الخلفية مع الرجال

يشاهدون البيت الذي يحترق أمامهم وساحة المشروع الملحقة به.

صاح مصطفى الزيني في الرجل حينما وصل "هل ستنتظرون حتى تأتي سيارات الإطفاء؟ ...تحركوا وحاولوا إطفاء البيت "

اسرع عمال المزرعة بفتح بواباتها ..وامتدت الخراطيم منها للخارج لكنها لم تكن لتصل أبدا للبيت .. فأخذ الناس يملؤون الدلاء والأواني التي استطاعوا الحصول عليها وأخذوا يناولونها لبعضهم مصطفين حتى يلقون بها فوق النار لكن النار كانت عظيمة ومخيفة وهي تنير الظلام وترهب القلوب .

هتف جابر في الناس" أسرعوا قبل أن تلتهم النار كل البيت" قال أحدهم "الحمد لله أنه فارغ ومغلق"

وصل سليمان الوديدي يحدق في البيت بحسرة فواساه الناس "عوض الله عليكم يا حاج سليمان "

في الوقت الذي انعطف كامل بقوة يدخل الشارع يجري بأقصى سرعته متأملا أن يكون الناس قد تدخلوا خاصة وأن بسمة لم تعد ترد عليه لكن قلبه انسحق تحت خطواته وتعثر به أكثر من مرة حينما احس بأن بسمة ليست وسطهم ..ليتفاجأ به الجميع خاصة سليمان الذي قال بذهول وهو يراه آتيا" كامل!! .. هل أنت هنا؟!(ثم نظر للبيت وعاد إليه يقول برعب) متى حضرت من العاصمة ؟"

لم يرد كامل على أحد .. ولم يتوقف لثانية .. بل دفع من رآه في طريقه عند البوابة المفتوحة على مصراعيها حتى أنه أوقع أحدهم في طريقه وهو يهرول ناحية البيت ..ثم وقف يتطلع في

النار التي تحيط به وأمسك برأسه صارخا بصرخة خرجت معها روحه" بسمااااااااه"
اندفع بعدها نحو البيت وأخذ يضرب الباب الذي لم تصل إليه النار بعد فهي تطل عليهم من النوافذ فقط.
ضرب الباب عدة مرات بكتفه وقدمه فتقدم بعض الرجل وساعدوه حتى انفح الباب ليجد الجحيم أمامه ..
هل كان يصف عذابه بالجحيم؟!! ..
ها هو قد رأى جحيما أسوأ وأكثر خطورة؟!
هل كان يتلوى داخل جحيمه الداخلي؟! ..
ها هي حبيبته تتلوى في جحيم حقيقي ؟!
الخطوات التي شقها وسط ذهول المتابعين وهو يدخل البيت كان مع كل خطوة فيها يفكر في كل لحظة أضاعها من عمر زواجه ببسمة ..
وتذكر كلمة مفرح حين قال (أحيانا تأتيك المحن لتخبرك كم كنت مدللا في جحيمك

الخاص.. وكم كنت متشبثا بأفكار كنت تحسبها محورا لعذابك فتكتشف في لحظة أنك كنت تافها).

من جلستها فوق .. عند منتصف السلم والنار تقترب منها شيئا فشيئا نطقت بسمة بالشهادتين بهمس فصوتها لا يريد أن يخرج .. وهي تعاني من صعوبة في التنفس والحرارة تخبرها بما هي مقدمة عليه ..فعادت واغمضت عينيها في رعب وساقيها لم تعد تشعر بهما .

استسلمت لمصيرها بنحيب واستعرضت وجوه من تحبهم تحت جفونها " أمها وكامل. وكامل مرة أخرى ..وكامل مرات أخرى ..ووليد ..ومليكة ..وأم هاشم ..ومهجة ..وغنيم وسوسو ..وونس ..وشامل .

جاءها صوت كامل صارخا "بسمااااه "

فتحت عينيها وتحاملت على ساقيها تمسك بالحائط خلفها حتى وقفت بصعوبة .. ففتح كامل فمه بمجرد أن رآها يسحب جرعة كبيرة من الهواء ليتنفس بقوة وكأنه يساعد قلبه على الإفاقة حين تأكد بأنها بخير .. ثم أخذ يبحث حوله عن طريقة لإنقاذها فالنار تمسك بستائر ومقاعد المكان من حوله ووصلت لجانب من السقف وسرعان ما ستلتهم كل الأثاث ..أما بسمة فعالقة في وسط السلم المصنوع من الخشب وسوره الخشبي مشتعل وبعض درجات في الأعلى والأسفل بينما تطلعت بسمة حولها وتذكرت الحلم ..

ذلك الحلم الذي ظل يراودها كل فترة .. نفس الحلم نفس المشاهد ..فقط وجه كامل هو المختلف ..فقد كانت تراه هو بهيئته كلها لكنها لم تر وجهه أبدا ..والمرعب أنها لا تعرف نهاية

للحلم فصرخت فيه تخرج صوتها بصعوبة " ابتعد يا كامل ..ستمسك بك النار"
قال وهو يبحث عن أي شيء يحطم به سور السلم المشتعل "قلت لك لن اتركك إلا في القبر"
في الخارج نزل وليد من أحد التكاتك التي كانت تسير بسرعة جنونية بعدما علم من مليكة بأن بسمة في البيت وبسرعة اقتحم التجمع ..فقال سليمان الذي كان يمسك بصدره صارخا "وليد عد يا وليد"
دخل وليد كالطلقة فحاول البعض اثنائه عن المحاولة لكنه ابعدهم بخشونة ثم وقف على باب البيت يحاول أن ينظر بداخله .. فلمح أن النار تحيط بالجدران بينما البهو فارغ فاقتحم بسرعة الباب المفتوح يتحاشى النار المشتعلة التي كانت تستقبله والآتية من أحد المقاعد

فدفعه بقدمه عدة مرات حتى أخرج المقعد المشتعل للخارج فأخذ الرجال يطفئونه .
تطلع كامل في وليد الذي يصرخ من وسط الدخان" بسمة أين بسمة ؟"
سعال أتى من فوق السلم قبل أن يجيبه كامل ..
ثم صوتا يقول بصعوبة " أخرجا ..أخرجا واتركوني لا أمل النار تقترب مني "
قال كامل لوليد وهو يمسك بستارة مشتعلة وينزلها أرضا ويضربها بقدمه قبل أن تأكلها النار" نريد شيئا لنحطم به السياج.. النار أكلت أول السلم ولن تأخذ وقتا طويلا حتى تصل إلى بسمة"
انحنى وليد يمسك بمقعد أخر مشتعل ويدفعه ليخرجه حتى لا تمسك النار في باقي المقاعد .

في الخارج وقف عدد من التكاتك متتالية تحمل البقية ممن كان في حفل الحناء.. فنزلت فاطمة من التوكتوك وجلست في الأرض دون قدرة على الحراك وهي تصرخ وتلطم خاصة حينما أخبرها النسوة الواقفات أن وليد أيضا دخل خلف أخته.. بينما ظلت مليكة متخشبة تشاهد النار بذهول ومشاهد كثيرة تتدافع أمامها تعرف بعضها بينما البعض الأخر لم تعرف ما هي ..ومتى حدثت ..صور كثيرة متتابعة أمامها خلفيتها البيت الذي يحترق الآن .. وفيه صاحبة عمرها ..

لماذا لا تشعر بجسدها؟ .. لماذا هي ليست قادرة على الحركة ؟... ليست قادرة على الصراخ مثلهم؟ .

تحاملت وحاولت الترجل من التوكتوك فسقطت هي الأخرى أرضا وتجمع النسوة حولها في الوقت الذي وقف توكتوك أخر يحمل

أم هاشم ومهجة التي سألت بمجرد أن نزلت"
أين وليد؟"
أجابتها واحدة "دخل البيت خلف أخته
وزوجها "
اندفعت مهجة صارخة "ولييد "
فتجمعت النسوة يمنعنها من الاقتراب أو
الدخول لبوابة البيت .
في نفس الوقت الذي وصلت فيه سيارة مفرح
من الناحية الأخرى وخرج منها يعدو نحو
البيت بعد أن علم في الطريق من الناس بما
حدث لكنه لم يجد هاتفه ليهاتف أي شخص
..
لمح مفرح مليكة المغشي عليها ومهجة التي
يمسكنها النسوة حتى لا تدخل من البوابة بينما
الأخيرة تصرخ بانهيار "ولييييييييد "

فاسرع لمليكة بهلع بينما قلبه يتمزق على أخته وعلى صاحبه وأبناء خاله بالداخل ولم يعرف ماذا يفعل .

في نفس الوقت كان جابر يقف بجوار مصطفى الزيني داخل ساحة البيت يوجه الرجال الذين لا يزالون يحاولون إطفاء جزء من النار التي التهمت الدور العلوي تقريبا .. فتفاجأ الأخير بأم هاشم التي أفلتت من أيدي النسوة اللاتي حاولن منعها وشاهدها تدخل من البوابة وعيناها مسلطتان بذهول نحو البيت المحترق ..ثم سقط قلبه بين قدميه وصاح وهو يشاهدها تندفع نحو البيت" أم هاشم" لم تكن الأخيرة تسمع أو تعي شيئا.. كانت تحدق في النار والذهول يعميها عن كل ما حولها.. وقبل أن تصل لباب البيت كان جابر قد أسرع بتطويقها من الخلف وهو يصيح فيها بحزم" ماذا تفعلين؟"

هتفت أم هاشم بقوة "أتركني يا جابر البيت يحترق وبسمة بالداخل "
أمسك جابر بها بقوة وقد تفاجأ بقوة عصبها رغم نحافتها فطوق خصرها بذراعيه يحاول منعها بينما الأخيرة تقاومه بكل قوتها وعيناها تنظران للبيت برعب شديد.
لم تكن تبكي .. بل كانت في حالة من الذهول والتصميم لتدخل البيت.. فهدر جابر فيها وهو لا يزال يطوق خصرها من الخلف بقوة" أم هاشم ..أفيقي ..الإطفاء ستأتي حالا وزوجها وأخوها بالداخل "
ظلت تناظر البيت المحترق بينما جابر يسحبها بعيدا عن حركة الرجال وهي لا تزال تقاومه .
على بعد كان بدير يجلس في سيارته ويشاهد بتسلي وتشفي البيت الذي ينير بنيرانه ظلمة الليل فرن هاتفه ورد قائلا "نعم بسطاويسي"
قال الأخير بلهجة خطرة" أنت الفاعل ؟"

ضحك الأخير وقال وهو يتطلع في البيت "عليّ أن اتخلص منك يا بسطاويسي ..لأنك الوحيد الذي يفهمني"

قال الأخير بتوبيخ "ما الذي فعلته يا مجنون ..ماذا لو علموا بأنك الفاعل!"

رد الأخير بهدوء" بل سيقولون بأن صاحب الدراجة الخفي هو من فعلها "

مر بعض الرجال بجوار نافذة سيارته يضربون كفا بكف وسمع أحدهم يقول "مسكينة بنت الوديدي أن تموت محروقة ..إنها لا تزال عروس .."

توقف قلب بدير واسرع بفتح الباب ينادي على الرجل قائلا "أنت يا هذا .. هل هناك أحد في البيت ؟!"

عاد الرجل له ليقول بلهجة آسفة "اكتشفوا أن بنت الوديدي كانت بداخله ولم يكن أحد يعرف "

سقط قلب بدير مع هاتفه أرضا ..ودون تفكير أسرع بالعدو نحو البيت يخترق الأجساد وهو لا يصدق .. لا يصدق بأن بسمة بداخل البيت .. ماذا فعل؟ ..ماذا فعل بها؟ .. إن كل ما كان يريده أن يقطع سبب ترددها على القرية .. ماذا فعل بمالكة قلبه؟.

بالداخل كان وليد وكامل يحطمون السور الخشبي بضربات متتالية من كراسي معدنية صغيرة ..ثم قال وليد لكامل بعد أن نجحا في إزالة جزء من السور المشتعل "احملني لأصعد فأنا أخف وزنا"

نظر كامل للجزء المشتعل من الدرجات السفلية من السلم وقد أمسكت النار في لوحة عملاقة وبعض الأرفف في الحائط المجاور وأدرك أن أمامهم دقائق قليلة فجلس القرفصاء ليعطي وليد مجالا لأن يقف على كتفيه ثم

شيئا فشيئا استقام يساعده حتى صعد فوق السلم .

حين صعد وليد أسرع نحو بسمة الملتصقة بالحائط والتي بدأت في النحيب غير مصدقة لوصوله لها فأمسك بها ليساعدها على المشي ثم تعاون هو وكامل بالأسفل على سحبها .. فتلقاها كامل بين ذراعيه يحضنها بقوة وظل يحملها بينما تتشبث هي بذراعيه بقوة وغير تصديق.

قبل أن يقفز وليد سقط لوح خشبي مشتعل من جزء من السور فصرخ وليد" حاذر يا كامل " ليسرع الأخر بالاستدارة حتى لا يسقط على رأس بسمة فنزل على أعلى ذراعه واشتعلت النار فيه ..ليسرع وليد بضربه بقدمه بعيدا عن كتف كامل ليسقط أرضا ثم ضرب على ذراعه عدة ضربات متتالية ليطفئ النار التي امسكت في ملابس كامل .

في نفس اللحظة سقط صحن كان بيد شامل الذي كان يقف في مطبخ المطعم يتذوق منه شيئا .. ثم أمسك بذراعه بقوة متألما فسأله الطباخ الذي كان يقف أمامه" شامل بك .. شامل بك هل أنت بخير؟"

في ساحة بيت الجد صالح ووسط ذهول الناس واندهاشهم وعدم استيعابهم اقتحم بدير البيت المشتعل ثم تسمر واقفا يتطلع في المشهد بذهول ..

كامل يحمل بسمة المنكمشة في صدره ووليد يقفز من فوق السلم العالي ويتبع كامل فمر الأخير على بدير في طريقه نحو الخارج يتبعه وليد.

كاد بدير أن يسقط بعد أن انهارت أعصابه لا يعرف هل يسعد لأنها لم تصب بشيء.. أم يحزن لأن زوجها أنقذها مما فعله هو .. يحزن لأنه كالعادة وصل إليها متأخرا.. فاسرع وليد

بالإمساك به قبل أن يسقط وساعده على إخراجه من الباب .

أما في العاصمة فتحرك شامل مهرولا ليخرج من المطبخ وهو لا يزال يمسك بأعلى ذراعه متألما وقطع صالة المطعم بسرعة ثم قال لوالده" أنا ذاهب يا أبي تولى أنت الأمر هنا" سقط قلب غنيم في قدميه وقد علم بأن كامل حدث له شيء.. فهو لا يرد على هاتفه وشامل لم يكن طبيعيا طوال الوقت ..أما الأخير فقد ألقى بنفسه في السيارة الصغيرة بسرعة وهو لا يزال يشعر بألم في ذراعه وقد صدق حدسه بأن توأمه الذي لا يرد على الهاتف به شيء خاصة بعدما تعرض للتوتر وزادت ضربات قلبه قبل نصف ساعة .

حين خرج كامل ببسمة ووليد يسند بدير كانت خراطيم الإطفاء قد بدأت في عملها .. فانهارت

أم هاشم بمجرد أن رأت بسمة تخرج يحملها زوجها وسط تهليل الموجودين ..فأسرع جابر بالإمساك بها قبل أن تسقط ..فأجهشت بالبكاء أخيرا ..بينما وقف الناس يحدقون في بدير باندهاش والأخير يتطلع فيهم منكمشا يبحث عن مبرر لما فعله.

التهى وليد عند خروجه بوالدته وزوجته المنهارتين ووالده الذي يمسك بصدره ..

فأخذت مهجة تمسك بملابس وليد وتبكي على صدره بحرقة وهي تقول " كنت ستتركني يا وليد .. كنت ستترك مهجة "

في نفس الوقت حمل مفرح مليكة ليضعها في سيارة بشر الصوالحة الذي وصل هو وأخيه من أجل أختهما بعد أن تناقلت الأخبار ما حدث ..

أجلسها في المقعد الخلفي وهمس في أذنها من تحت جفنيها المرتعشين بعد أن أفاقت منذ

دقائق "سأذهب مع كامل واطمئني على بسمة ولا تقلقي لقد خرجت سالمة والحمد لله"
أجهشت مليكة بالبكاء دون أن تفتح عينيها فقبل مفرح رأسها ثم أخرج جذعه من السيارة ينظر لأخويها وكأنه يوصيهما عليها وأسرع نحو كامل الذي كان قد ابتعد ببسمة ينوي بأن يدخلها سيارته التي تركن في الشارع الجانبي والناس يتطلعون فيه فصاح مفرح ينادي عليه ليستدير الأخير فأشار مفرح له على سيارته .
عاد كامل بخطى سريعة نحو سيارة مفرح فلم يكن فيه أية أعصاب باقية لقيادة السيارة ..فادخل بسمة في المقعد الخلفي بحرص ثم حشر نفسه بجوارها وهو يقول لمفرح بهلع" أسرع بالله عليك يا مفرح لأقرب مستشفى لقد فقدت الوعي واصفر لونها وكأنها تعاني ضيقا في التنفس "

xxxxx

بعد ساعة

صاح كامل في ممر المستشفى يقول بانفعال أرعب الممرضات "لماذا لم يأتي الطبيب حتى الآن ؟!"

قالت الممرضة بارتباك" يا فندم لقد تم عمل الإسعافات الأولية لها وهي بخير .. وزيارة الاستشاري لها ستكون للاطمئنان على حالتها .. وبالنسبة لك الطبيب ينتظرك في أخر الممر حتى يتفحص ذراعك "

ناظرها كامل بنظرة خطرة وكأنه سيأكلها فتدخل مفرح بينهما يقول للممرضة ببعض الهدوء الحازم" من فضلك استعجلي الطبيب حتى نطمئن عليها "

هزت الممرضة رأسها ونظرت لكامل ثم تحركت وهي تبرطم بهمس "صدقا الحلو لا يكتمل .. وسيم جدا ورجولي لكنه مخيف"

قال مفرح لكامل وهو يتطلع في أثر الحرق في أعلى ذراعه وعلى ملابسه " اذهب يا كامل للطبيب ليسعفك "

قال الأخر والألم يشتد في ذراعه" أنا لن اذهب في أي مكان قبل أن اطمئن عليها تماما"

قالها وهو يتحرك نحو غرفتها بينما وقف مفرح مذهولا لا يصدق ما حدث .. وأخذ يفكر في مليكة بقلق وهو يتطلع في الناس المتجمعة أخر الممر من أهل البلدة الذين حضروا للاطمئنان .. خاصة وأن سليمان وفاطمة تم اسعافهم بعد وصولهم خلف بسمة .. فراقب سليمان الذي يجلس على أحد المقاعد في حالة اعياء ويثرثر الناس من حوله عن أنهم لم يكونوا يعلمون بأن بسمة في البيت ويعبرون عن اعجابهم بشجاعة وجسارة زوجها وأخيها اللذين دخلا خلفها .. ثم دار الهمس حول بدير الذي دخل هو الآخر للبيت المشتعل .. وبدأت

النظرات الساخرة والضرب على الكفوف وقد ادركوا بأنه يحمل مشاعر غرام لبنت الوديدي .
فتح كامل باب الغرفة ودخل ليجد بسمة على حالها وقناع الاكسجين يغطي فمها وأنفها بينما فاطمة تبكي على مقعد في ركن الغرفة و بعض المحاليل متصلة بذراعها.
اقترب كامل من بسمة بلهفة ونزل على عقبيه يبعد شعرها عن وجهها وهمس" باسمة"
حركت مقلتيها تحت جفنيها ثم فتحتهما أخيرا .. كانت تسمع كل شيء حولها بدءا من دخولها المستشفى محمولة على ذراعي كامل ..
وصراخه في الجميع لإسعافها حتى أرقدوها في هذه الغرفة ثم تأكدوا من أنها لم تطل النار جسدها .. فوضعوا لها المحاليل وقناع الاكسجين على أنفها.
حين تكشفت الصورة أمامها شيئا فشيئا ظهر وجهه أمامها مغبرا ببعض الرماد ..وشعره كان

مشعثا ..فرفعت ذراعها المثبت به خرطوم رفيع وببطء مسحت بأناملها وجنته وهي تهمس من خلف القناع" كامل "

أمسك كامل بيدها وأدار وجهه ليدفنه فيه لثوان ..ثم طبع قبلة بطيئة قوية صامتة على باطن كفها فانفجرت بسمة بالبكاء الشديد .. هدأها كامل مربتا على رأسها .. ثم مال يطبع قبلة على شعرها هامسا "أنت بخير .. وأي شيء يهون بعدها ..حمدا لله .. حمدا لله "

أزاحت القناع تقول" وليد .. وليد"

طمأنها كامل بإيماءة من رأسه فسألته" وذراعك ماذا حدث لذراعك ؟"

قبل أن يجيبها انفتح الباب فشرست ملامح كامل ونظر متحفزا ليجد وليد يدخل الغرفة بلهفة بعد أن وصل متأخرا لأنه أوصل مهجة لبيت العمدة أولا ولم يتركها حتى هدأت .

صاحت فاطمة بولولة" وليد ..كنت سأفقدكما .. يا ويلي كنت سأفقد أولادي .. ماذا كنت سأفعل بعدها"

أسرع وليد نحوها يقبل رأسها قائلا" الله كريم يا غالية ونحن بخير أمامك "

ثم استدار واقترب من بسمة التي ازداد بكائها وهي تدير أنظارها نحوه فخيم عليها الأخير وأحاط جذعها بذراعيه وحضنها بقوة وهو يبكي ..لتنهار بسمة في المزيد من البكاء وهي تتمتم باسم أخيها ..

قال وليد بصوت خافت" ألف حمدا لله على سلامتك يا بسمة .. كلما فكرت كيف كنت سأفقدك في لحظة لا تعرفين كيف أشعر ..

(وقبّل جبينها عدة مرات وهو يضيف بمشاعر فياضة) كيف كنت سأعيش بدونك .. الحمد لله الحمد لله "

غلبتها مشاعر التأثر فعلا نشيجها بانهيار ..
بينما أخذت كلمات وليد تدور في رأس كامل
الذي لم يستوعب بعد كل ما حدث .
(كيف كنت سأعيش بدونك ؟)
قال كامل لوليد "أبق هنا ولا تترك الغرفة ولا
تسمح لأحد بأن يدخلها .. وأنا سأذهب لأعالج
ذراعي ثم نغادر إلى العاصمة أنا لن أبقى هنا
دقيقة واحدة بعد ذلك"
عند خروجه من الغرفة وجد أم هاشم أمامه
بملابس الحفل والتي بادرته بالقول بقلق
"كيف حالها؟"
بدون كلام فتح لها كامل الباب فرفعت أم
هاشم ثوبها عن الأرض ودخلت ليغلق الباب
خلفها ويتطلع في جابر الذي قال له مواسيا "
ألف لا بأس عليها .. قدر الله ولطف بكم
وأكرمكم "

العبارة أثرت في كامل فهز رأسه عدة مرات
موافقا ثم قال "الحمد والشكر لله"
اقترب مفرح من كامل فقال له الأخير "سأذهب
لأعالج ذراعي وبعدها سنغادر فورا"
في الغرفة قبّلت أم هاشم رأس بسمة التي كان
مفعول المهدئ قد بدأ يشعرها بالدوار لكنها
همست ببطء" ماذا تفعلين هنا يا عروس
اذهبي للحفل .. اذهبي أنا بخير"
لم تعرف أم هاشم بم ترد عليها وكيف تخبرها
بأنه ليس الحفل وحده ما فسد ولكن كل شيء
حولها .. يكفي همسات الناس التي سمعتها
وهي تقف بالمستشفى ..ونظراتهم التي ناظرها
بها البعض بتشاؤم لم تفهم هي سببه أو
علاقتها به .. فغمغمت بلهجة متألمة"
سلامتك أهم يا بسمة .. سلامتك أهم "

بعد ساعة أخرى

دخل شامل المستشفى بوجه شاحب فاستقبله أهل البلدة المتجمعين في الاستراحة قبل أن يشيروا له على الممر الذي يؤدي لغرفة بسمة ..فأسرع يبحث عن أخيه الذي استطاع أخيرا أن يصل إليه بعدما رد عليه أحد الأشخاص يخبره بأن هاتف كامل قد وقع منه في ساحة بيت الجد صالح وأنه جاري ايصاله لكامل .. بعدها اتصل به كامل بعدما اعادوا له هاتفه في المستشفى يخبره باختصار وبإنهاك شديد ما حدث ..

اسرع شامل نحو أخيه الذي كان جالسا على مقعد بجوار غرفة بسمة ورغم المشاعر المؤلمة الذاهلة التي يشعر بها شامل انعكاسا لمشاعر أخيه إلا أن تلك النظرة الخاطفة التي رمقه بها كامل حينما رفع عينيه ينظر له ثم

أسبل أهدابه بعدها مزقت نياط قلبه على توأمه ..
نظرة خاطفة اشتكى فيها كامل لتوأمه هول ما حدث .. أخبره فيها بأنه كاد أن يفقدها..
أخبره فيها عن نصف ساعة من الزمن مات في كل دقيقة منها ألف مرة ..
أخبره فيها بأن وجع الفقد لا يزال يطارده وهذه المرة كاد أن يأخذ منه أعز من يملك.
كل هذا في نظرة خاطفة جعلت شامل يميل بمجرد أن وصل إليه ويقبل رأس أخيه مؤازرا ومواسيا ومشجعا فأسند كامل جبينه على جذع أخيه يقبض على قميصه من الخلف .. فحضن شامل رأسه وهو يقول مشجعا" الحمد لله ربك كريم .. أنا فخور بك .. فخور بك يا وحش"
لم يكمل كامل الدقيقة في هذا الوضع حتى رفع وجهه لأخيه بعينين لامعتين بالدموع يغمغم "

أخرجني من هنا يا أخي .. أخرجني أنا وزوجتي من هنا حالا فأنا غير قادر على القيادة "

xxxx

بعد نصف ساعة كان شامل يقف أمام المستشفى بالسيارة الكبيرة التي أخذها من الشارع الجانبي لبيت الجد صالح وقد انخلع قلبه وهو يرى ما حل به .. بينما اعطى لوليد مفتاح السيارة الصغيرة التي وصل بها فوعده الأخير بأنه سيرسلها له غدا ..

أما كامل فكان يحمل بسمة فوق ذراعيه ملفوفة في احدى ملاءات المستشفى وخرج بها مصرا على السفر فورا للعاصمة رغم تأخر الوقت .. فقالت فاطمة بلوعة لزوجها "حلفتك بالله يا سليمان دعني أسافر معها "

هدر الأخير فيها قائلا بعصبية "اسكتي يا فاطمة ..ماذا ستفعلين معها؟ .. هي مع زوجها وأهله .. هل ستتركين المصائب التي حلت

علينا وتتركيني وأنا مريض وتذهبين خلف ابنتك ؟!"

امسكت فاطمة بطرف وشاحها تبكي بقلة حيلة وأسرعت خلف كامل لتودع بسمة قبل أن تغادر السيارة وخلفها الحاضرين من أهل البلدة في المستشفى .

بعد دقائق كان كامل قد أدخل بسمة في المقعد الخلفي وجلس بجوارها .. فلوحت لها فاطمة باكية ووليد يحيطها بذراعه مواسيا وهو يحدج والده بضيق تعاطفا مع أمه التي كانت ترغب في السفر مع ابنتها .

ربت مفرح على السيارة يتمنى لهم السلامة ثم تابعها بأنظاره وهي تغادر .. فازداد نحيب فاطمة مما جعل وليد يقبل رأسها وهو يهمس قائلا "سآخذك لعندها لتطمئني عليها بنفسك هذا وعد مني .. اعطني فقط يوم أو اثنين "

أما مفرح فأسرع نحو سيارته يركبها وينطلق بها ليطمئن على مليكة التي استطاع أخيرا أن يطمئن عليها من خلال أخيها حينما عثر أحد الموجودين أمام البيت على هاتفه وهاتف كامل وتم التعرف على رقم هاتفه المسجل لدى أحد الواقفين فأسرعوا بإيصاله له ولكامل .

xxxx

أوقف جابر السيارة أمام بيت الحاج يحيى بعد أن أصر أن يدخل بها حتى هناك لأنه لا يعتقد أن أم هاشم قادرة على السير ..

تطلع فيها عبر مرآة السيارة الأمامية صامتة ذاهلة لم تقل الكثير منذ تلك الحالة الهستيرية التي أصابتها أمام البيت .

نزل يحيى من المقعد المجاور للسائق ونظر للأنوار التي لا تزال مضاءة بينما أهل الحفل قد هجروه حينما اسرع الجميع نحو البيت المشتعل .. وتطلع في الكراسي الخشبية

الفارغة إلا من بعض المتجمعين من الجيران يتحدثون ويثرثرون يستعيدون تفاصيل ما حدث فاستقبله هلال الذي سبقهم بالعودة قبل قليل وعلى وجهه ملامح آسفة .

قال جابر وهو يستدير لأم هاشم المطرقة برأسها تفكر وكفيها في حجرها تضغط بظفر إبهامها في الأخر" هل أنت بخير يا أم هاشم؟" انتبهت أخيرا فرفعت رأسها له تحدق فيه ثم حولها وأسرعت بالنزول .

ترجل جابر خلفها ليلحق بها قبل أن تدخل البيت ..فاقتربت منه والدته تسأله" هل كل شيء بخير ؟.. حكى الناس لي عما حدث "

ربت جابر على كتف والدته ثم اقترب من أم هاشم يقول بصوت مسموع "أم هاشم أريد أن اتحدث معك "

استدارت الأخيرة تقول له بوجه جاد" وأنا أيضا"

تدخل يحيى قائلا وهو يمرر نظراته بين الاثنين بقلق" إذن تعاليا لنجلس بالداخل "
قالها وهو يتقدمهما .. فدخلت أم هاشم خلف عمها وتبعها جابر بينما صباح تتحدث مع جارتها بصوت هامس تقول بلهجة مشفقة على نفسها " تقولين نحس؟... آاااه اسأليني أنا .. نحن نعيش معها في نفس البيت"
دخل يحيى غرفة الضيوف يشعل ضوءها وقال لجابر "تفضل يا جابر تعال"
فوقف جابر يتطلع في أم هاشم التي وقفت تسبل بأهدابها متقبضة وكأنها عازمة على فعل شيء ..وساد صمت غريب شعر فيه يحيى بأنهما يرغبان في الحديث وحدهما ..في الوقت الذي نادت وفاء من عند باب البيت" أبي .. الرجل صاحب أفرع الزينة المضاءة يريدك ..جاء قبل قليل حينما كنت غير موجود"

تنحنح يحيى وقال " سأعود يا جابر تفضل استرح لماذا لم تجلس "
قالها وهو يغادر الغرفة بينما الأثنان على وضعهما يقفان كتمثالين ..هي متقبضة مسبلة أهدابها عنه فلم يعرف ما بها بالضبط وهو يتطلع فيها ..
إنها الآن بهذه الوقفة الغامضة تختلف عن تلك الهستيرية التي كانت سترمي بنفسها في النار من أجل من تحب.. وتختلف عن تلك التي كانت ترتجف بعدها تلتصق بأحد حوائط المستشفى تسبل أهدابها في صمت غريب ..
أمن الممكن أن تكون قد سمعت تلك الهمهمات المتخلفة من بعض الجهلاء ..والتي كانت كخناجر في قلبه وهم يحمّلونها المسئولية متشائمين !..
أشفق عليها وعلى مشاعرها وأدرك بأنها بالتأكيد تشعر بأكثر منه فهي المعنية بالأمر..

مسحت عيناه على هيئتها المفاجئة له والتي لم يدركها إلا في المستشفى .. إن هذا الفستان اللامع مميز بشكل غريب .. كان يليق بها وبالمناسبة .. لو فقط تغلق القطعة الفوقية المفتوحة هذه لتداري الفستان الذي تحتها والذي رغم أنه ليس ضيقا لكنه يشعر بأنه يقسم تفاصيل جسدها النحيف بشكل ضايقه جدا في المستشفى حتى أنه طلب منها أكثر من مرة أن تغلقه.

تكلم جابر ببعض الجدية ليفض الصمت الغريب بينهما "أنا لم أحاسبك بعد على تهورك بإلقاء نفسك في التهلكة بهذا الشكل"

واقشعر بدنه وهو يتذكر بأنها كانت توشك على أن تلقي بنفسها في النار .. الخاطرة آلمته بشدة فقال" يا أم هاشم أنت آذيتني بتلك المحاولة حينما قررت أن تؤذي نفسك من أجل صاحبتك "

رفعت أهدابها فجأة تقول بلهجة جادة "اسمع يا جابر .. الله وحده يعلم سريرتي .. وعلى قدر علمي بنفسي الحمد لله لا أحمل ذرة ضغينة أو شر لأحد .. لكنك ليس لك ذنبا في أن تتحمل معي قدري في نظرة الناس لي .. لهذا أرى أنه يكفي عند هذا الحد .. طـلـ (ولم تقدر على نطقها فقالت) علينا أن ننفصل ولن يلومك أحد "

كان يدرك بأنها غاضبة ومجروحة خلف ذلك الوجه الجاد وهي تناظره بكبرياء يحترمه فيها لكنه شعر بالغضب .. وبشعور أخر يؤلم قلبه.. شعور مشابه لذلك الذي أحس به لحظة اندفاعها نحو البيت المحترق .. فعبس بشدة يقول بغضب واستنكار" نعم !! ماذا قلت؟" كررت أم هاشم وهي تقبض قبضتيها بجوارها بقوة لكن صوتها خانها هذه المرة وخرج مبحوحا" قلت علينا أن ننفصل .. فليس لك

ذنب في أن الناس تتشاءم مني (وأضافت في سرها بقلب يستجديها لأن تشفق عليه) لكنك ستظل بالنسبة لي زوجي للأبد "

قال بنفس اللهجة الغاضبة" أنت بالتأكيد لا تدركين ما تقولينه لهذا أنا لن أحاسبك عليه الآن "

حركت يديها بجوار جسدها وهي تقول بلهجة تحاول أن تكون عادية لا مبالية لكنها فشلت في ذلك أو ربما هو الذي أضحى يرى جزءا من اعماقها خلف طبقات كثيرة يشعر بأنها تتحصن بها "ما المشكلة .. ها هي بنت نصرة وهلال طلقت بعد نصف ساعة ولا تزال حية ترزق ولم تمت"

لم يعلم هو بأنها أكملت في سرها (رغم أني أصارع الموت حاليا وأنا أطلب منك ذلك).

ولم تعلم هي بأن صوتها خرج متألما مؤلما لقلبه.

ولم يعلم كلاهما ماذا حدث بعد ذلك .. فقد
مد جابر ذراعه وخطفها إلى حضنه فجأة
يغمرها بين ذراعيه برغبة قوية في حمايتها .
انفجرت أم هاشم بالبكاء مذهولة وهي تدفن
وجهها في صدره وتقبض على ملابسه بقوة
وغمغمت من بين شهقاتها" كنت أريد أن أكون
مفيدة لك في أي شيء .. لكن للأسف قدري
يطاردني وعليّ أن أتحمله عليّ أن أصبر عليه ..
أما أنت فليس لك ذنب أبدا ولا أريد أن تطالك
ألسنة الناس بسوء"
ذاب قلبه لها فشدد من احتضانها يقول بصوت
رجولي أجش بجوار أذنها "القدر جمعنا يا بنت
شيخي ..وما يجمعه القدر لا يفرقه بشر .. أما
عن ألسنة الناس فبعون الله سأخرسها
وسأقطع من يستحق القطع "
ازداد نحيبها فوق صدره تشعر بأنها في حلم ..
حلم غير قابل للتصديق .. أتراها تهلوس

وتتخيل بأنها في حضنه! .. لكن كيف يكون الحلم بهذا التجسيد الرائع وكأنه حقيقة ؟..كيف يكون دافئا ..قويا ..صلبا ..رائحته كالمسك ..به خشونة تذيب صلابتها وتؤثر في أنوثتها التي تخبئها تحت الطبقات الصلبة.. أما جابر فبدأ عقله يستفيق من خدر العاطفة وأدرك أين هو بالضبط وماذا يفعل .. كما أن تلك الحرارة التي ضربت في جسده فجأة وضربات قلبه الذي جن في صدره بدون مقدمات كلها جعلته يتنحنح بارتباك وهو يبعدها عنه بحزم رقيق.. فأسبلت أم هاشم أهدابها المبللة تشعر بالحرج من مواجهته .. ولم تقدر على الاستمرار بالوقوف أمامه وإلا ستسقط مغشيا عليها لا محالة لو واجهت عينيه فأسرعت تلملم طرفي فستانها على جسدها وتهرول من أمامه تغادر الغرفة ..فتابعها جابر بعينين متسعتين ثم تنحنح مرة

أخرى ينفض عنه تلك الحالة التي ألمت به ورفع يده إلى مؤخرة رقبته يمسح عنها قطرات العرق .

بعد قليل وقف جابر أمام بيت يحيى يقول في الهاتف باستياء شديد "ما ذنبها لا أفهم؟ .. لماذا يصرون على ربطها بكل شيء يحدث في البلدة" .. بيت واحترق .. ما ذنب المسكينة في ذلك !!"

رد مصطفى بصوت حزين" أنت تعلم أن هناك من يؤمن بالخرافات يا جابر بكل أسف ..والكلمة التي يقولها شخص جاهل تجد عشرة أذان تسمعها"

جز جابر على أسنانه يقول" أنا غاضب بشدة وقلبي يؤلمني كلما فكرت فيما يقولونه .. ويا ويله من سأمسك به يقول كلمة في حقها .. أشعر برغبة في أن أدور في البلدة وأقول بمكبر

صوت (اتركوها في حالها إنها لا تؤذي بعوضة والتفتوا لألسنتكم التي تؤذي كالسياط)"
قال مصطفى مهدئا "أتفهم شعورك"
غمغم جابر بغيظ" ألم يشفع لها عندهم أنها كانت ستلقي بنفسها بالنار من أجل صاحبتها!.."
قال مصطفى وهو يسترجع المشهد "الحقيقة كان مشهدا مؤثرا ولوهلة خفت ألا تستطيع الإمساك بها"
غمغم جابر" أأخبرك بشيء؟ .. كلما تذكرت بأنها كانت على وشك أن تموت يؤلمني قلبي يا مصطفى"
غمغم مصطفى مشفقا "حمدا لله على سلامتها .. عليك بالذبح والتوزيع على أهل البلد شكرا لله "

عقد جابر حاجبيه ثم قال "صدقت والله .. سأفعل ذلك .. سأفعله الآن وحالا .. وسيكون ذلك أبلغ رد مني على كلامهم في حقها "

xxxx

بعد ساعتين

كانت لا تزال منكمشة في حضنه .. وجهها مدفونا في صدره تتمسك به .. ومفعول ذلك المهدئ الذي أعطي لها بالمستشفى على ما يبدو قد انتهى فقد أخذت تبكي في صمت حتى أغرقت قميصه .

شدد كامل ذراعيه حولها وجذعها في حضنه وباقي جسدها ملفوف بالملاءة .. ثم أنزل نظراته يمسح الدموع الصامتة على وجهها كما كان يفعل طوال الطريق وقّبل جبينها بمواساة صامتة .

الصمت كان سيد الموقف طوال الطريق فلا هو ولا هي قد استوعبا بعد ما حدث وكأنه كابوس مخيف استيقظا منه غير مصدقين لأنهما نجيا من الموت .. حتى شامل كان صامتا هو الأخر يتابعها عبر المرآة الأمامية ولم يقطع هذا الصمت الكئيب إلا ردود شامل على هاتفه من أسرته القلقة وأسرة بسمة التي تطمئن على رحلتهما .

استعاد كامل كلمات مفرح حينما قال له أن هناك أمور في الحياة أكثر أهمية وخطورة من مجرد أفكار ووساوس قد يتركها لتعذبه وتسرق منه أياما كان من الممكن أن يعيش فيها سعيدا بجوارها ..

واعترف لنفسه بأنه قد ترك لأفكاره الرجعية وشيطانه أن يمنعاه عن الفرح والسعادة بوجودها في حياته .

غيرة عمياء .. زواج سابق .. شخص ما وصل إليها قبله .. هل أحبت زوجها السابق؟.. هل تكرهه هو أم تحبه ؟

كلها أمور بدت أمام عينيه لحظتها شديدة الصغر والتفاهة بعد ما مرت به من دقائق فاصلة بين الحياة والموت؟

ولكننا لا ندرك قيمة ما في يدينا إلا حينما نكتشف بأننا كنا على وشك فقده ..

أي تعقيد هذا الذي كان يعذب به نفسه والحياة والفرصة أعطيت له ليكتب معها تاريخا جديدا لكليهما ؟..

كيف لم يشكر ربه حينما أهداها له بعد أن ظن أن اللقاء بينهما مستحيلا؟ ..

كيف ترك لأفكاره أن تسيطر عليه حتى جرحها ؟..

غيرته عليها لن تنتهي بالتأكيد لكن أفكاره السوداء حول زواجها السابق عليه حين

تهاجمه مرة أخرى أن يذكر نفسه بتلك الدقائق الفاصلة في حياته ليردع شياطينه ويسلسلها .
علا نحيب بسمة في صدره وقد عادت لتتذكر ما حدث .. فأنزل وجهه وأمطر وجهها بالقبلات المبللة بدموعها ليقول شامل بلهجة حازمة "كامل نحن على وشك العبور من بوابة العاصمة والشرطة والناس حولنا ..فاعتدلا بالله عليك قبل أن تقبض علينا شرطة الآداب أو تتهمنا بخطفها وأنتما تجلسان بهذا الشكل وهي ملفوفة بملاءة "
ساعدها كامل على القيام فاعتدلت بسمة وأرخت رأسها على ظهر المقعد خلفها بينما حضن كامل كفها في كفه وشبك أصابعها في أصابعه يضغط عليها بقوة وكأنه يخبرها بصمت بأنه لن يتركها.. فلا يزال لسانه معقودا غير قادر على التعبير .. فعادت بسمة للنحيب

الصامت .. ليرفع كامل يدها المشبكة في يده ويقبل ظاهرها بقبلة تغني عن أي كلام.

xxxx

انتهى مفرح من طابور طويل من المهام كان عليه أن ينجزها قبل أن يطمئن على مليكة.. تخص البيت المحروق والتحقيق الأولي حول الحادث ثم طمأن والده ..وها هو في سرايا الصوالحة قد انتهى من الاطمئنان على حماه عبد الغني الصوالحة الذي لم يتحمل أن يرى مليكة تدخل عليه محمولة على ذراع اخيها وارتفع سكره من الحزن عليها وتم اسعافه .. فوقف مفرح في غرفة حماه يقول" حمدا لله على سلامتك يا حاج عبد الغني "

قال عبد الغني" سلمت يا مفرح .. اصعد يا ولدي لمليكة فبالتأكيد تحتاجك الآن (ثم دمعت عيناه وغلبه احساسه بالذنب تجاهها

وهو يقول) إلى متى ستظل هذه البنت اعصابها خفيفة بهذا الشكل "

تبادل بشر وعلي ومفرح النظرات الحزينة قبل أن يقول بشر" هيا يا مفرح اصعد لها وبيتوا معنا هذه الليلة فلا أتوقع أن مليكة ستقدر على الخروج اليوم"

أطرق مفرح برأسه وتحرك خلف بشر بحرج الذي قاده للدور العلوي .. فصعد مفرح على سلم السرايا الفخمة ذات الأثاث الكلاسيكي والتحف والثريات .

في الدور العلوي رمق باب غرفة مغلقة على يمينه بنظرة سريعة قبل أن يسرع الخطى نحو اليسار وكأنه يهرب من شيء حتى وصل لغرفة نوم مليكة الجديدة .

فتح الباب ليجدها متكومة بجوار النافذة تحضن ركبتيها إلى صدرها فوق مقعد ..

بمجرد أن دلف إلى الغرفة انتبهت مليكة
وهمست" مفرح"
أغلق الباب والتقيا في منتصف الغرفة ليغرقا في
حضن كبير فمسد على رأسها وظهرها يسألها"
هل أنت بخير ؟"
هزت رأسها .. فابعدها عنه يتطلع في هيئتها
ويغالب شوقا يذبحه بنصل سكين بارد لتسأله
مليكة" هل وصلت بسمة للعاصمة؟"
رد مفرح بلهجة حزينة "ليس بعد فالطريق كان
مغلقا عند أحد الكمائن "
قالت وهي ترتعش "لازلت لا أصدق ما حدث يا
مفرح أنا .."
قاطعها مفرح حين أخذها إلى حضنه وهو
يغمغم " أنا أيضا لازلت مصدوما .. لقد لطف
بنا الله "
سألته "من فعلها .. إنها بالتأكيد بفعل فاعل"

قال مفرح بجدية " إنها كذلك بالفعل فأحد عمال المزرعة وجد رجالا ملثمين حول البيت يرمونه بزجاجات مشتعلة وحين حاول الاستنجاد بالناس اوسعوه ضربا وهربوا ولم يستطع تحديد هويتهم "

قالت مليكة "يا لطيف !.. من من الممكن أن يفعل ذلك ولماذا ؟"

تنهد بقوة ثم أجاب" لا نعرف حتى الآن وجاري التحقيق لكن أصابع الاتهام تشير إلى ذلك الرجل الغامض الذي يشعل النار في الحقول "

قبل أن تعلق مليكة لمح مفرح بطرف عينه سريرها الذي يحتله ولديه نائمين فسألها يرفع حاجبا متفاجأ "متى حضرا؟"

ابتعدت عن حضنه وابتسمت في حنان وهي تجيب" جاءا حينما علما بما حدث لي"

قال باستنكار وهو يتطلع في نومتهما يحتلان معظم السرير "ولماذا لم يناما في غرفة أخرى كما يفعلان كل مرة؟!"

قالت بهدوء "رفضا ..وإياد وعدني بأنه سيسهر بجواري طوال الليل ليمرضني "

ابتسم مفرح وهو يتطلع في ابنه المستغرق في النوم وغمغم ساخرا وهو يتحرك ليجلس على أحد المقاعد ويخلع حذائه " ونعم التمريض !"

سألته بفرحة "هل ستبيت معي الليلة؟"

رفع لها أنظاره وقال بشفتين ممطوطتين "أنت تعلمين بأني اختنق من سرايتكم ..ومن البهرجة التي أراها فيها (وأكمل متهكما) ثريات وتحف وسجاد وديكورات وخدم تشعرني بأني (علي ابن الجنايني) في فيلم رُد قلبي"

اتسعت ابتسامتها فبدت رغم أنفها الأحمر وجفونها المنتفخة من أثر البكاء أجمل ما يكون أمام عينيه وهي ترتدي منامة وشعرها مضفرا

في ضفيرة طويلها تلفها حول رأسها فبدت كالمراهقات فأكمل هامسا بشوق حار "وأنت الأميرة إنجي صعبة المنال"

كانت تشتاق إليه بشدة .. شوق لا يقل عن شوقه بل ويزيد فهي بحاجة لدعمه في محنتها مع نفسها فاقتربت منه ومالت عليه تحضن وجهه بكفيها وقربت وجهها منه تحدق في عينيه باشتياق .. فالشهر المنصرم كان من أسوأ ما مر عليهما وكلاهما يتجنب الأخر حتى لا يزيد من جرحه.

همست أمام واحتيه الخضراوين اللتين تستجديانها بالنظرات " أعرف بأنك مبتلى بي وبحبي"

أحاط مفرح ذراعيه بخصرها وسحبها لتجلس على ساقيه .. فجلست تواجهه ساقيها إلى جانبيه .. ليدفن مفرح رأسه في حضنها وهو يحضنها بقوة ..

تسللت أصابعها في شعره ثم مالت وقبّلت رأسه تقول بهمس "اشتقت إليك يا مفرح ..اشتقت حتى لسماع اسمي منطوقا من شفتيك "

رفع وجهه إليها يقول بهمس حار وتوسل "قوليها يا مليكة .. قوليها مرارا وتكرارا ..بأنك تشتاقين إليّ.. وسأكتفي بها قولا لا فعلا ..فأنا بحاجة ماسة لأسمعها منك على الأقل "

ابتسمت ابتسامة متألمة وهي تمسد على لحيته السوداء ثم مالت تتطبع قبلة على شفتيه المشتاقتين .. فردها لها مفرح بقبلة أكثر عمقا ولهفة .. في الوقت الذي بدأت يداه تعصيانه وتتحسسان جسدها بجرأة.

أفلتت مليكة شفتيها ورفعت وجهها عنه تقول بهمس موبخ "الولدين يا مفرح"

قال الأخير بلهجة معذبة رغم أنه قد وعد نفسه ألا يتحدث في هذا الأمر معها " وهل لو كان الولدان ليسا هنا كنت تركتني لأفعلها؟"
قالت متألمة وشاعرة بالذنب " أجل .. كنت سأتحمل ما ينتابني من انهيار بعدها من أجل شوقي إليك ..وستتحمل أنت ككل مرة امرأة عديمة النفع مثلي"
أشفق عليها من معاناتها فقال بلهجة صبيانية باكية" ألم أقل لك بأني منحوس .. فليس الولدين فقط المعضلة الآن ولكني لا أملك ملابس لأبدل فيها إذا أردت الاغتسال في سرايتكم ..(وأكمل بلهجة ذات مغزى مولولا) ويبدو أني سأضطر للاغتسال لا محالة سواء فعلناها أم لم نفعلها يا بنت الصوالحة "
قالت بتلقائية " أعتقد بأن لك بعض الملابس القديمة في خزانتي ذلك البنطال الرملي و.."

كتمت صرخة متفاجئة حينما استقام مفرح
وهو يحملها بين ذراعيه فتشبثت هي برقبته
ولفت ساقيها حول جذعه وهي تقول متفاجئة
"مفرح إلى أين؟؟؟!"
قال بهمس حار وهو يلصق شفتيه بشفتيها
ويتحرك بها " اخفضي صوتك الولدان نائمان ..
سنذهب سويا لزيارة ذلك الحمام الداخلي
الفخم الذي لديكم الملحق بالغرفة "
قالها وأسرع نحو حمام الغرفة يغلق بابه خلفه
وكلاهما يعلم بأن الشوق قد هزمهما .. كما
يدركان بأنهما على موعد مع جرعة قوية من
الألم بعد أن يغترفا قدرا من السعادة !.

xxxxx

وصلت السيارة لفيلا غنيم وخرج كامل من باب
المرآب يحمل بسمة وخلفه شامل ..
فاستقبلهم غنيم وسوسو وونس.. لتسرع

سوسو نحو ابنها تقول باكية" حمدا لله على سلامتك يا حبيبي "

نظر كامل لوالده ليفهم إن كانت قد علمت بأنه دخل خلف بسمة لينقذها ..فأشار له غنيم بالنفي فالجميع يعلم بأن أعصابها لن تتحمل خبرا كهذا ولولا أنها سمعت غنيم يتحدث مع شامل لما أخبرها أحد بما حدث فقال كامل "أنا كنت خارج البيت بينما بسمة هي من كانت بالداخل"

اسرعت سوسو بالقول" حمدا لله على سلامتها"

كانت بسمة تلف ذراعيها حول عنق كامل وتدفن وجهها في صدره غير قادرة على التعامل مع أحد لحظتها بينما نظر كامل لشامل نظرة جعلته يسرع باتجاه والدته يأخذها في حضنه ويدفن رأسها في صدره قائلا" لا تبكي يا سوسو نحن بخير "

في تلك الأثناء مر كامل من أمامهم مسرعا وهو يقول" لا تؤاخذونا فنحن متعبان بشدة ..سأصعد بها لتستريح" فتابعه غنيم مدققا قبل أن يلاحظ أعلى ذراعه الأخر الكم المحترق والذي تظهر من تحته ضمادة تلف ذراعه فشهقت ونس ليناظرها شامل محذرا ..فأسرعت بوضع يدها على فمها .

بمجرد أن صعد كامل أجلس شامل والدته على أقرب مقعد فقالت "يا إلهي لست قادرة على السيطرة على أعصابي منذ أن علمت " ربت غنيم عليها وهو يقول" قدر الله ولطف بنا "

بينما اقترب شامل من ونس يحضنها بعد أن لاحظ وجهها المنتفخ من البكاء.

في غرفتهما وضعها كامل على السرير ..فأمسكت بسمة بذراعه تقول وهي تحاول الوقوف" احتاج لاستعمال الحمام "

دعم جذعها بذراعه حول ظهرها لتقف ثم سألها" أتريدين أن أحملك ؟"
هزت رأسها بالنفي وهي تمشي ببطء ممسكة بملابسه فرافقها حتى الحمام واستشعر عدم رغبتها في أن يرافقها إلى الداخل فأغلق الباب عليها بعد أن قال" أنا موجود هنا ..إن احتجت لشيء نادني ولا تغلقي الباب من الداخل ولا تتأخري وإلا سأدخل عليك "
أغلق الباب ثم وقف يحدق حوله غير مصدق أنه عاد لبيته ..لغرفته سالما دون أن يفقدها ..
وأغمض عينيه قليلا فرأى النار التي كانت تحيط بها ليسرع بفتح عينيه مشفقا عليها فإن كان هو يحدث معه ذلك فما بال هي من تعرضت للموقف كله.
في نفس اللحظة كانت بسمة تتطلع في جدران الحمام حولها ولا تزال صور النار تظهر أمام عينيها المفتوحتين .

سمع كامل صوت الماء ففهم بأنها تغتسل فتوجه نحو الخزانة وأخذ يبحث في ملابسها والتقط منامة قطنية مريحة وملابس داخلية من أحد الأدراج ثم فتح الباب ومد يده ليعلق لها الملابس على المقبض من الداخل وعاد وأغلقه .. وانتظر حتى توقف الماء .

مرت خمس دقائق وسمع بعدها نحيبا فأسرع بالدخول ليجد بسمة قد ارتدت ملابسها لكنها تقف وسط الحمام شعرها يقطر الماء وعيناها تقطران الدموع .. فأسرع بلف المنشة حول شعرها وحملها ليخرجها إلى الغرفة .

حين وضعها في السرير قال لها "سأجعلهم يعدون لك شيئا لتأكليه حتى تتناولي المهدئ الذي صرفه لك الطبيب "

حركت رأسها بلا فقال كامل وهو يلتقط الكيس الصغير الذي يحتوي على الأدوية" إذن تناولي المهدئ وحاولي النوم"

سألته وهو يمنحها القرص وزجاجة الماء
"كيف حال ذراعك ؟"
قال وهو يترك السرير ويخلع ملابسه متألما من ذراعه "سيكون بخير لا تقلقي"
قالها ثم دخل الحمام .
بعد قليل كانت بسمة منكمشة في السرير غير قادرة على التوقف عن البكاء .. فخرج كامل عاري الجذع يلف خصره بمنشفة وراقبته من خلف دموعها وهو يرتدي ملابسه قبل أن يقترب منها ويتمدد جوارها يمسح دموعها قائلا وهو يرسم ملامحها بعينيه ويتطلع في عينيها الزرقاوين المحاطتين بحمرة باكية "لا يزال لنا أنا وأنت عمرا يا بنت الوديدي .. فدعينا لا نضيعه في البكاء"
ازداد نحيبها فاستلقى على الوسادة بجوارها وسحبها إلى صدره يقول "حسنا لا بأس ..ابكي

كما تريدين ولكن على صدري .. صدر زوجك كامل "
قالها وشدد من احتضانها يضمها بقوة هامسا وهو يستمتع بالشعور بنعمة البيت والأمان والحياة " الحمد لك والشكر لك يا رب .. الحمد لك والشكر لك "

xxxx

اشتدت حلكة الليل سوادا فزادت من سواد القلوب المظلمة.. لكنها أبدا لن تظلم قلبا مضاءً بالحب ..فالقلوب حين تحب تضاء ..
وقف جابر أمام بيت الحاج يحيى يشاهد العِجل الذي يُذبح ويتطلع في عدد من أهالي القرية البسطاء المنتظرين اكتمال ذبح العجل ليأخذوا منه نصيبهم .. فقد انتشر خبر ذبح جابر دبور عجلا لوجه الله فداء لعروسه التي كادت أن تلقي بنفسها في النار خلف صاحبتها ..

أنتشر الخبر ككل الأخبار في مجتمع صغير كالنار في الهشيم ..

شعر بالراحة لأنه ذبح العجل .. ولا تزال صورتها وهي تندفع نحو البيت تزعجه من آن لآخر بينما صورة أخرى لم تتركه وشأنه منذ أن حضنها .. صورة ثوبها الجميل الذي كان يبرز سمرتها وكأنها تلمع كالذهب وشكل خطوط الحناء فوق يدها والتي كانت رقيقة وأنثوية .. أما احساسه بها وهي بين ذراعيه فكان مفاجئا له .. فلأول مرة تنتابه مشاعر حسية تجاهها ورغم أنه كان مجرد حضن عادي .. إلا أن حرارة جسده لم تخمد منذ تلك اللحظة..

شيء ما اشتعل بداخله لكنه لم يكن شيئا حسيا معتادا له كرجل .. إنه شيء أخر ..شيء اشتعل في أعماقه ..

تذكر في وقفته رائحتها .. هناك شيئا مختلفا في رائحتها أو ربما هي تضع عطرا ليس شائعا ..

ودون أن يدري رفع جابر ذراعه ليشتم كم جلبابه وكأنه يبحث عن بقايا ذلك العطر قبل أن ينتبه لما يفعل ولوقفته في الشارع .. فأسرع بإنزال ذراعه واعتدل في وقفته يتنحنح ثم قال بابتسامة متهكمة يسخر من نفسه وهو يشعر بجسده الذي تعرق " ماذا يحدث معك يا جابر "!

أما صباح فكانت تراقب العجل الذي يذبح وهي تمصمص شفتيها بتعجب.. بينما يحيى يتطلع بسعادة في المشهد لجبر خاطر ابنة أخيه .. في الوقت الذي كانت أم هاشم مستلقية في سريرها تحضن الوسادة وتحرك مقلتيها من تحت جفنيها وتبكي وهي تستعيد اللحظة التي كانت فيها بين أحضانه لتلهي نفسها عن التفكير في مشهد البيت المحترق..

في نفس الوقت كان وليد في بيته يصرخ بفرح" حامل .. أنت حامل يا مهجة"

تطلعت في وجهه باكية فلا تزال لا تصدق بأنها كادت أن تفقده اليوم ثم هزت رأسها بالإيجاب فرفعها وليد بين ذراعيه لأعلى ودار حول نفسه بفرحة .. لتصرخ مهجة ضاحكة "وليد أشعر بالدوار"

أنزلها برفق لتقف أمامه وجلس على السرير يحتضن كفيها ويرفع مقلتيه الزرقاوين يناظرها بعينين دامعتين يقول" هذا أسعد خبر سمعته في حياتي ..سيربط بيننا طفل يا مهجتي .. سيربط بيننا للأبد.. حتى لو قررت يوما أن تهجريني سيظل بيننا نقطة التقاء "

تألم قلبها من حديثه فألقت نفسها عليه تلف ذراعيها حول عنقه ثم قالت بعاطفة قوية لم تعد قادرة على كتمانها "ومن قال بأني استطيع أن أهجرك يا وليد .. كما أخطأت أنت أنا أيضا أخطأت .. لكني لن أقدر أبدا على هجرك .. لن أقدر على البعد عنك أبدا"

طالعها وليد بعينين ذاهلتين يقول بتأثر "مهجة !"

هجمت عليه الأخيرة وأمطرت وجهه بالقبلات وهي تقول "أحبك ..أحبك ..أحبك"

قالتها فاستلقى هو على السرير خلفه فأصبحت ممددة فوقه .. وظلت تمطر وجهه بالقبلات في هيستيريا.

xxxx

سمع كامل أذان الفجر ففتح عينيه بعد أن فشل في النوم رغم أنه مجهد إلى حد الإعياء..

كانت تصارعه الأفكار .. يحاسب نفسه .. ويعلن ندمه .. ويفكر فيما كان على وشك أن يفقد ..

تطلع في جسدها المسترخي بين ذراعيه .. ورغم أن كل خليه فيه كانت تعترض إلا أنه أبعدها بلطف عن صدره وتركها لتنام على الوسادة ثم غادر السرير ..

بعد دقائق كان ينزل إلى بهو الفيلا واقترب من غرفة والديه في الدور الأرضي وتحرج قليلا قبل أن يطرق طرقة خفيفة ..وحينما لم يأتيه رد تحرك مبتعدا قبل أن يُفتح الباب ويقول غنيم بقلق "كامل هل كنت تريد شيئا؟"

عاد إلى والده بخطوات بطيئة منكس الرأس كولد صغير وهو يقول بهدوء" كنت أرى إن كنت مستيقظا لصلاة الفجر أقصد ..أقصد ..أنا أعلم بأنك تستيقظ لصلاة الفجر فقلت.."

سأله غنيم" هل نصليه معا؟"

هز كامل رأسه في صمت فقال غنيم" سأحضر السجادة وآتيك لنصلي سويا"

بعد دقائق كان كامل يقف بجوار والده مستقبلا القبلة في خشوع ..وحينما سجد كان يردد كلمات الشكر بامتنان عظيم .. وبمجرد أن فرغ من الصلاة جلس صامتا يحدق في السجادة .. فتطلع فيه غنيم بصمت يشفق على ابنه من

التجربة ويحمد الله على نجاته وعودته إليه سالما .

سأله بهدوء" كانت تجربة صعبة أليس كذلك؟"

فرفع إليه كامل عينين دامعتين وهز رأسه عدة مرات وهو يغمغم بصوت مبحوح" جدا يا أبي جدا .. وللحظة اعتقدت بأني سأفقدها كما فقدت أصحابي من قبل .. لكن هذه المرة شعرت بأني ميت لا محالة .. ميت بفقدها أو بالموت معها "

ربت غنيم على ظهر ولده وقال" حمدا لله على سلامتكما .. حمدا لله.. عليك أن تخرج شيئا شكرا لله على سلامتها "

فقال كامل " أخبرني وسأفعل أي شيء "

××××

فتح بدير باب إحدى الغرف فوجد وجدان تنام فيها بعد أن عاد ليجد غرفة نومه خالية ..

ففهم بأن أخبار ما حدث قد وصلت إليها ..
ليعود ويغلق الباب مرة أخرى ..فحبست
وجدان دموعها وصوت بكائها بينما عاد بدير
لغرفته يشعر بالضيق وبالحرج لا يعرف كيف
سيواجه نظرات الناس التي بدأت تهمس
وتتساءل عن سبب دخوله خلف بسمة للبيت
المحترق .
بسمة التي كاد أن يتسبب في موتها .. والتي لا
يعرف إن كان يفرح لسلامتها أم يشعر بالغل
لأن زوجها قد ظهر أمامه وأمام أهل البلدة
كحامي الحمى الذي انقذ زوجته من النار .. أم
يشعر بالحزن لأنه كالعادة وصل إليها متأخرا ..
كل ما كان يعرفه أن مواجهته لأهل البلدة
ستكون محرجة له وعليه أن يختلق سببا
مقنعا يبرر به ما فعل ..
أما كامل نخلة .. لابد أن ينتقم منه عاجلا أم
أجلا .

في نفس الوقت كانت كاميليا في غرفتها تقول في الهاتف باستنكار "عِجل!! .. عِجل فداء لسلامتها!! .. هل جن عقله!!"

قالت صاحبتها أماني" يبدو أن ما يقولونه أهل البلدة صحيحا وأنها سحرت له .. ابنة خالي حضرت حفل الحناء تقول لي كانت تجذب الأنظار رغم سمرتها وفستانها كان..."

قاطعتها كاميليا تقول بغيرة "وها هو الحفل قد انقلب وبالا على القرية كلها .. ألم أقل لكم إنها شؤم .. يا ليت البيت كان تفحم ببنت الوديدي هي الأخرى "

أضافت أماني وكأنها تتعمد حرق دمها "أهل البلدة لم يكفوا منذ ساعات عن وصف المشهد الذي ألقى فيه زوجها بنفسه في النار خلفها ثم أخوها ..يا الله يحكون الحكايات والروايات ويتغنون بالمشهد الذي اقشعرت له الأبدان"

شعرت كاميليا بأن الدماء تفور في رأسها في الوقت الذي قالت فيه أماني" ما لا أفهمه يا كاميليا لماذا تدخل أخوك المعلم بدير في الموضوع ودخل خلفها ؟!.. هل ما يقوله أهل البلدة حقيقي وأنه يعشق بنت الوديدي؟ "
صرخت كاميليا بغيظ " اذهبي يا أماني اذهبي لزوجك فالوقت متأخر"
قالت الثانية تمصمص شفتيها" زوجي نائم يا حبيبتي ..جاء بعد أن أطفأوا الحريق وانقلب يعطيني ظهره ويشخر الآن في غرفة النوم "
قالت كاميليا بعصبية" قلت اذهبي يا أماني سلام"
أغلقت الهاتف ووقفت تأكل في نفسها تشعر بحقد شديد وغيرة لا تريد أن تعترف لنفسها بها .. فغمغمت في سرها متوعدة " حسنا .. إن لم أقلبها زيجة شؤم فوق رأسك يا جابر لن أكون أنا كاميليا (ثم رفعت الهاتف على أذنها

مرة أخرى وقالت بعد برهة) استيقظي يا أم عصفور لا وقت للنوم وطمئنيني هل جهزت كل شيء كما طلبت منك ؟"

الفصل السابع والعشرون
في اليوم التالي

يوم جديد ..مشمس .. رائق ..صيفي بامتياز .. ذو حرارة معتدلة .. ونور يسطع على القلوب . وأمنيات بالتحرر تعلو كطائرات ورقية في سماء صافية .

قبيل الظهيرة

جلست أم هاشم على طرف سريرها تضع يديها المرسومتين بالحناء في حجرها وتتطلع في رسم الحنانة الرقيق.. ورغم شعورها بعدم الثقة بسبب لون بشرتها لكنها تمنت أن يعجب جابر برسم يديها ..

ترى هل سينتبه له ؟.. كيف سيراها الليلة؟ .. أم أنه سيتراجع عن الزيجة ؟

عادت وردت على نفسها بأن جابر لن يفعلها حتى لو كان قد راجع نفسه فهي تعلم بأنه سيتحمل نتيجة أفعاله.. وثقتها فيه تجعلها

تشعر بأنه حتى لو لم تعجبه كامرأة .. وهي على يقين بذلك .. يقين خلفته السنين وشكلته آراء مَن حولها .. فلن يظلمها ولن يجرحها .. وهذا كفيل بأن يمنعها من القلق لكنها كانت تتمنى لو أنها ترى نفسها أنثى في عينيه ولو لمرة واحدة .. أن ترى فيهما رغبة رجل في امرأة .

عادت تنهر نفسها على طمعها .. فقد أكرمها جابر أمام أهل البلدة ورفع من شأنها وفعل الكثير لذلك .. تمسك بها رغم ما قالوه .. واعترفت بأنه لن يجرحها حتى إن لم تعجبه ..كل هذا وتطمع في المزيد ؟!..

(الرضا يا أم هاشم .. الرضا .. قلبك أصبح طامعا ولا يصدق في أبجديات المنطق).

أخذت تعدد لنفسها النعم التي تشملها حاليا .. أو ربما تعدد أمام قلبها الطامع في المزيد حتى دخلت عليها وفاء تقول بحماس "المعلم جابر بالخارج وينتظر لنقلك إلى صالون التجميل يا

عروس (وأضافت بهيام المراهقات) رغم أني لا أعرف من أين أتيتم بلقب (معلم) هذا .. إنه شاب وسيم وأنيق وفي ريعان شبابه لقد قررت أن أناديه بالأستاذ جابر "
قالت أم هاشم وقد قفز قلبها كالكرة المطاط بحركات سريعة في صدرها " جابر ؟.. ظننته سيرسل أحدا بالسيارة لا أن يحضر بنفسه !"
ردت وفاء تهز كتفيها" إنه في سيارته بالخارج"

بعد قليل خرجت أم هاشم تحمل فستان العرس مغلف بحافظته الجلدية .. فستان اختارته مع مليكة كان من ضمن النعم التي عددتها لنفسها منذ قليل ..بينما هند وسميرة يحملن أكياس أخرى تخصها وتخصهن يتبعهما باقي اخواتهما.. فالخمس سيرافقن أم هاشم إلى صالون التجميل باعتبارهن الأقرب للعروس .. وسيتزينن هناك على نفقة العريس .

جلست أم هاشم في المقدمة بجوار مقعد السائق تشعر بأن روحها قد هربت منها وتطفو حول جابر الذي يجلس بجوار المقود .. حتى أنها همست بالسلام بصوت خافت وتعمدت أن تشيح بنظراتها عنه وذكرى حضن الأمس يجعل الحرارة تشع من جسدها .. فجاءها صوته الرجولي يقول" وعليكم السلام ورحمة الله "

ارتفعت حرارة الطقس في السيارة وكل منهما يتصور بأنه وحده من يشعر بذلك ولا يشاركه إلا قلبه .. فنظر جابر لبنات عمها المنشغلات بإدخال الاكياس في السيارة والجدل حول من ستدخل أولا ومن تريد أن تجلس بجوار النافذة ثم سألها "كيف حالك يا أم هاشم؟"

أشاحت بوجهها أكثر نحو النافذة وهي ترد "الحمد لله"

تحركت عيناه تتابعان الفتيات بجوار باب المقعد الخلفي ثم عاد ينظر لأم هاشم التي توليه قفاها وسألها مشاكسا" أرجو ألا تكوني قد رفعتِ عليّ قضية خُلع خلال ساعات الليل الماضية"

ظفري ابهاميها اخذا يحتكان ببعضهما وهي تغمغم لنفسها بخفوت "ومن هي تلك المجنونة التي تفكر في خلع سيد الرجال !"

قال جابر عاقدا حاجبيه "أنا اتحدث معك يا أم هاشم هل تحدثين نفسك ؟!"

عدلت رأسها لتنظر أمامها بعد أن خطفت نظرة سريعة نحوه ثم عادت تقول وهي تعدل حجابها بتلك الحركة المختالة " ما دمت مصرا على الاستمرار لن أمنعك لكن تذكر أني حذرتك "

اتسعت ابتسامته تلقائيا مصدرا قهقهة خافتة من حنجرته أجبرت عينيها على خطف نظرة

أخرى نحوه .. نظرة كانت كفيلة بإذابتها كليا كشمعة تحترق أمام النار .. فرفعت كفها أمام وجهها تحركه بحركة عصبية تطلب مزيدا من الهواء وهي تغمغم "الجو حار جدا "

رد جابر وعيناه مسلطتان على نقوش الحناء المرسومة على ظاهر يدها معترفا بأنها مع لون بشرتها الأسمر تبدو أحلى بكثير من رسمها على بشرة بيضاء بينما بنات عمها بدأن في الجلوس في المقعد الخلفي فقال "سأشغل مكيف السيارة حينما يدخلن البنات "

انحشرت الفتيات الخمس في المقعد الخلفي فتطلع جابر في مرآة السيارة الأمامية يسأل" هل أنتن مستريحات أم نؤجر سيارة أخرى؟"

اندفعت وفاء تقول" أنا محشورة "

فلكزتها رباب بينما ردت سامية بحرج "سلمت .. نجلس براحة والمسافة ليست طويلة"

فغمغمت وفاء بتلعثم "أقصد شكرا نجلس براحة .. يا أستاذ جابر "

شغل جابر السيارة وتحرك بها وقد لاحظ أن أم هاشم عادت لتنظر ناحية النافذة بينما ذكرى ذلك الحضن تداعب خياله .. بل إنه نام الساعات القليلة بعد الفجر يعيد في ذلك المشهد بعد أن أضافت إليه مخيلته الذكورية دون إرادة منه المزيد من التفاصيل التي جعلته يضحك على نفسه حينما استيقظ .

تنحنح ينفض عنه ما يفكر فيه وسألها" هل هناك من ستصاحبك طوال اليوم غير بنات عمك ؟"

استدارت إليه أم هاشم تقول" كانت مليكة قد وعدتني أن تكون موجودة .. لكني لا أعرف بعد ما حدث ليلة أمس هل ستحضر أم لا .. وخجلت من الاتصال بها صباحا للاطمئنان

عليها حتى لا أكون باتصالي أضغط عليها لتحضر"

في هذه اللحظة كانت على سجيتها .. رقيقة ..مراعية ..دون قناعها الساخر .. هذا ما لاحظه جابر مثلما انتبه لأن عينيها البنيتين تتوهجان بلمعة دافئة .. ملاحظة سابقة تتجدد الآن لتصبح حقيقة في ذهنه .

رد جابر وهو ينظر أمامه على الطريق "لا بأس إن لم تحضر فأنت تعلمين أن الموقف كله كان صعبا على الجميع"

ردت أم هاشم تهز رأسها متفهمة " أجل بالطبع جزاها الله خيرا تعبت معي بشكل لن انساه لها "

غمغم جابر بلهجة ممتنة" أولاد الأصول يظهرون في مثل هذه المواقف (ورمقها بنظرة مضيفا) ولا يفعلونها إلا لمن يستحق"

اشتعلت وجنتاها وحكت ابهاميها ببعضهما في حجرها ثم ردت بصوت متأثر" وبسمة أيضا جاءت من أجلي خصيصا "

تحشرج صوتها فقال جابر بهدوء ليهون عليها " كله مقدر مكتوب .. باليوم والساعة والمكان .. ولو لم تأت بسببك كانت ستأتي لألف سبب أخر لأنه قدرها أن تمر بهذه المحنة والحمد لله كان الله بها رحيما ولم تتأذ "

هزت أم هاشم رأسها بينما اندفعت وفاء من المقعد الخلفي تقول "هل تتوقعين يا أم هاشم أن يحضر أهل البلدة اليوم حفل الزفاف؟ ..فالجميع قالوا أمس ...."

خرست فجأة بعد قرصة من رباب في جنبها ونظرة موبخة من سامية حرجا من جابر بينما رد الأخير ببعض الحدة وهو يناظرهن في المرآة" من لا يريد أن يحضر فهذا شأنه .. حفلنا كما هو ..وفرحتنا لن يؤثر عليها أحد "

كان كلامه موجها ضمنيا لأم هاشم حتى لا تتأثر بهذا الكلام فهزت الفتيات في المقعد الخلفي رؤوسهن ليعود جابر للطريق وعيناه تختلسان النظر للجالسة بجواره لا تزال تحك ظفريها ببعضهما بتوتر ونظرات ساهمة مسلطة على الطريق .

أما هو فتحركت عيناه بعد قليل تشملها بكليتها بنظرة ذكورية مقيمة في تلك العباءة السوداء قبل أن يسحب عينيه نحو النافذة بجواره ويرفع يده الحرة إلى مؤخرة رقبته وهو يضحك على ما يحدث معه من مشاعر منفلتة كالمراهقين .

xxxx

تطلعت مليكة من نومتها على جانبها تولي ظهرها لابنيها في مفرح الذي ينام على الأريكة المقابلة وعادت للبكاء مرة أخرى ..

ليلة أمس كانت ككل الليالي المخيبة لآمالهما في نهاية رحلة وصالهما .. صحيح كلاهما كان متوقعا ما سيحدث.. وكلاهما حاول التمسك بالذكريات الحلوة الممتعة والشقية أثناء الرحلة .. لكنها كالعادة ذبحها الندم والشعور بالذنب من جديد .. وها هي بعد أن ادعت أمامه بأنها نامت فاستسلم هو للنوم على الأريكة مجهدا ظلت تبكي طوال الليل على حالها وحالهما وتلك العقد المتشعبة التي تزداد كل يوم تغلغلا في حياتها.. ومع ذلك لا تزال ليس لديها رغبة في زيارة طبيب نفسي .. فليس لديها ما تستطيع البوح به كما يعتقدون ..

بعد ساعة راقبت بسعادة تجمع عائلتها الكبيرة حول مائدة السفرة الطويلة على رأسها والدها بينما مقعد والدتها فارغا منذ وفاتها .. وأخويها علي وبشر وزوجتيهما وأبناءهم بالإضافة لأبنيها أدهم وإياد ومفرح الذي مر وقتا طويلا على

اجتماعه مع عائلتها وتمنت أن يكون عامر وأكرم واسرتيهما موجودين أيضا .. فوجودها بجوار من تحبهم يشحنها بطاقة إيجابية للمواصلة وعدم الاستسلام .. لو فقط تحل مشكلة مفرح واحتياجاته كزوج حياتها ستكون أفضل ..

أما هي .. احتياجاتها هي .. وشوقها إليه .. عليها أن تتحمله فهي تستحق ذلك .. كما عليها أن تتحمل عذاب الغيرة لو استسلم مفرح يوما وقرر الزواج .

xxxx

في بيت الوديدي جلس وليد على منضدة طعام الإفطار بجوار مهجة بينما والده وأمه يجلسان على الناحية الأخرى فمد يده يقرصها في خدها قرصة شقية لتحمر وجنتا الأخيرة وتناظره موبخة بينما استدار وليد لوالديه يزف إليهم خبر انتظار الحفيد الأول لعائلة الوديدي ..

فاتسعت ابتسامة سليمان شاعرا بالفخر بينما انشرح قلب فاطمة كثيرا وهنأت مهجة قبل أن تبلع غصة في حلقها وتفكر في بسمة .. ثم حدجت زوجها الذي يجلس بخيلاء بعد أن سمع بالخبر بنظرة حزينة لأنه منعها من السفر مع ابنتها.

xxxx

في حديقة الفيلا جلس غنيم وسوسو يتحدثان كيف سيجهزون الطعام الذي سيوزعانه على الفقراء شكرا لله على سلامة ولدهما وزوجته بينما شامل يشاركهما ترتيب ما يخص المطعم في التجهيز وأوقات التنفيذ خارج أوقات العمل في الوقت الذي كانت فيه ونس تجري في الحديقة وشهبندر يجري خلفها يلعبان سويا بسعادة فترك شامل والديه وأسرع بالعدو خلفها يقول موبخا "أنت مصرة على ايذاء نفسك"

توقفت فجأة متجمدة كتمثال تضغط شفتيها لداخل فمها بحرج وقد نسيت أن تحذر في حركتها ..فاقترب منها شامل يضربها بأطراف كفه بخفة على جانب رأسها قائلا بتوبيخ "ألن نهدأ أبدا"

حركت لسانها داخل فمها فلف ذراعه حول كتفيها يقربها منه وسألها بهمس" لماذا ألغيت موعد اخصائية التخاطب اليوم ؟"

أخرجت الدفتر من جيبها وكتبت" ألا ترى الظرف الذي نحن فيه ؟"

ضيق شامل عينيه يناظرها بشك فاحمرت وجنتيها ليقول شامل" لا تيأسي يا ونس .. كما قالت لك الاخصائية أنت تخجلين من التحدث لأنك تشعرين بأنك لا تنطقين الحروف كما ينطقها الأخرون لكن عليك بتقبل نفسك بهذا الشكل ونحن سنتقبلك أيضا "

حدجته بنظرة غير راضية ثم كتبت "تتقبلوني بنصف لسان وأنا لا أتقن نطق نصف الحروف !"

لف ذراعه حول خصرها موليا ظهره لوالديه وقال متفحصا وهو يلصقها به" إذن أنت تستطيعين النطق .. بدليل أنك تعرفين ما الذي لا تقدرين على نطقه .."

أطرقت ونس برأسها فقال بمناغشة " ألا تريدين نطق اسمي (وحاصرتها نظراته المشتعلة وهو يضيف مائلا بجوار أذنها) شامل جني المصباح"

تسارعت دقات قلبها وهي تتطلع فيه بوجنتين مشتعلتين ثم أطرقت برأسها تكتب شيئا وترفعه في وجهه بانفعال حتى كادت أن تلصقه به مما اضطره للعودة برأسه للخلف ليقرأ" لن أنطقه أبدا لأنه يخرج من فمي بشعا (فعلق

بتصميم) أريد أن اسمع اسمي بشعا ..فأنا أعشق البشاعة "

اقترب شهبندر يمسك بطبق بلاستيكي في فمه ووقف على قدميه الخلفيتين ليعطيه لونس..

فأبعد شامل رأس الكلب بيده وهو يحدق في ونس غارقا في ملامحها الطفولية قبل أن يقول غنيم من فوق نظارة القراءة" يا أستاذ شامل هلا تركت المغازلة واحترمت نفسك واحترمتنا وعدت لننتهي مما كنا نفعله بالله عليك ؟"

احمرت وجنتي ونس وأطرقت أرضا بينما تنحنح شامل يقول بلهجة عسكرية

"حاضاااار"

واستدار يعود لوالديه وعلى شفتيه ابتسامة شقية بينما مالت ونس وأمسكت رأس شهبندر الذي لا يزال يقف أمامها وأخذت الطوق من فمه وهي تفكر هل ستأتيها الشجاعة يوما

وتتحدث بنصف لسان فهذا أقصى طموح قد تصل إليه بصعوبة ؟
طوحت الطوق في الهواء بعيدا وكأنها ترمي معه هذا الموضوع الذي يؤرقها فأسرع شهبندر خلف الطوق حتى يعيده إليها من جديد .

××××

كانت تجري بسرعة وهي تلهث بشدة بينما كرة كبيرة من النار تلاحقها .. حاولت أن تزيد من سرعتها لكن الكرة كانت أسرع منها فرأتها تقترب وتقترب ..قبل أن يحملها أحدهم فوق ذراعيه ويعدو بها بعيدا عن مجال تدحرج الكرة فنظرت للشخص الذي يحملها ووجدته وليد ثم تحول شكله لوجه كامل قبل أن ترتطم بهما كرة النار .
شهقت بسمة وفتحت عينيها الزرقاوين ككشافين منيرين تحدق في سقف الغرفة ثم نطقت بالشهادتين حينما تأكدت بأنها في

غرفتها وفي بيتها ..موضع أمانها حتى من قبل الحريق .. ذلك الجناح الذي يشبه غرفة واسعة ملحق بها حمام كان أمانها قبل يوم أمس واضحى الآن جنتها بعد تلك التجربة الصعبة.

صوت أنفاس منتظمة بجوارها جعلها تعتدل لتتفاجأ بأنها تنام على صدر كامل الذي غير جهة نومه ليجعلها ناحية الباب حتى تنام على ذراعه السليم .

تذكرت ذراعه وانتابتها رغبة في البكاء وهي تسترجع أحداث يوم أمس البشعة ومدت يدها تتحسس وجهه ولحيته الخفيفة ثم انهمرت دموعها فكم الصدمات التي قابلتها كان يضغط على أعصابها بشدة .

تحركت لتغادر السرير تشعر بأن كل عظمة في جسدها تؤلمها وتوجهت نحو الحمام ولاتزال ذكريات الليلة الماضية تطاردها ..

كانت تشعر بانهيار عصبي ممزوج بشعور بالامتنان لكنها تحمد الله وتشكر فضله على نجاتها وقد حسبتها النهاية.

تذكرت أم هاشم المسكينة التي فسدت ليلة حنتها وشعرت بالحزن من أجلها وفكرت في مليكة التي أخبرتها أم هاشم بأنها قد نُقلت بعد الحادث لبيت أهلها في حالة من الإعياء وقررت أن تتصل بهما لتبارك لأم هاشم وتعتذر لها عن عدم الحضور وتطمئن على مليكة لكن عليها أن تحصل على رقمي هاتفيهما بطريقة ما بعد أن فقدت هاتفها المحمول .

لماذا تشعر بأنها على أعتاب مرحلة جديدة من حياتها؟

أم انها متأثرة بما حدث ليلة أمس وممتنة لأنه قد كتب لها عمر جديد ؟

أم أن اعتراف كامل لها الذي رغم كونه مؤلما قد زلزل كيانها ليأتي مشهد اقتحامه البيت

المحترق والتضحية بحياته من أجلها ليمحو
كل أثر لذلك الألم الذي تركه تصريحه لها ؟..
صحيح لا تزال تشعر بالجرح في قلبها وكرامتها
لكن ما فعله كامل ليثبت حبه الاسطوري لها
وذلك القدر الرهيب من المشاعر الذي يحمله
لها في قلبه كان مذهلا لدرجة تجعلها قادرة على
أن تتغافل عما قاله من آراء صادمة .
متى أحبها كل هذا الحب ؟.. إنها لا تعرفه إلا
من ستة أشهر فقط ..
أمن الممكن أن يتدفق كل هذا الحب في قلبه
لها خلال ستة أشهر !!
لن تنكر بأنها هي الأخرى تتفاجأ يوما عن يوم
بمقدار حبها له .. لكنها استشعرت من حديث
كامل يوم أمس عذابا يفوق الستة أشهر ..
عليها أن تواجهه وتتحدث معه بهدوء .. ما دام
يحبها .. ومادامت تثق فيه ..

وهل من الممكن ألا تثق به بعد كل ما فعل !!..
ما دامت تثق به فأي شيء بينهما من الممكن التغلب عليه أو التغاضي عنه .. وهي لا تحتاج في حياتها إلا الأمان في كنف رجل يحبها .. وأي شيء قد يهون بعدها..
أي شيء .
قطعت بسمة استرسال أفكارها حينما اقتربت من الحوض لتغسل وجهها لكنها بمجرد أن نظرت لوجهها في المرآة أطلقت صرخة مرتعبة ..فقفز كامل من السرير قبل أن يستيقظ كليا وتلفت حوله بعدم استيعاب يهتف بفزع "بسمة " قبل أن يجري ليقتحم الحمام .
بمجرد دخوله اسرع إليها وهي تصرخ في هلع وهيستريا مشيرة على وجهها وذراعيها" انظر يا كامل .. انظر يا كامل ماذا حدث لي؟ .. ماذا حدث؟"

××××

انتهى من صلاة الجمعة وسلم عليه الجالسون بجواره يهنئونه بيوم زفافه ..منهم مصطفى الزيني وهلال جمعة .. لكنه كان مشغولا بما تنامى إلى مسامعه من أحاديث جانبية قبل خطبة الجمعة تتحدث عما حدث ليلة أمس ويشيرون بعبارات مخفية عن ارتباط هذا الحدث بحفل حنة أم هاشم.

تحرك مصطفى الزيني ليسلم على شيخ المسجد بينما سأله هلال " ما بك يا جابر؟.. لماذا أنت ساهم هل أنت بخير؟ "

قال أحدهم بصوت خافت لصاحبه" فليسترها الله على قريتنا فاليوم يوم زفافها وأنظر ماذا فعلت بالبلدة في حنتها أنا شخصيا لن أحضر العرس"

التقطت أذنا جابر العبارة فاندفع يمر من بين الواقفين نحو الرجل وقال بلهجة خطرة"

سمعت من يتحدث عن يوم زفافي ويلوك في سيرة زوجتي"
امتقع وجه الرجل وتلجلج قائلا "أنا لم.. لم أتحدث عنك يا معلم جابر ..كنت أتحدث عن حفل زفاف خارج قريتنا "
لحق به هلال وتنبه الواقفون لما يحدث بينما رد جابر ساخرا بنفس النظرة المخيفة" حفل زفاف خارج القرية تخشى على قريتنا منه !!"
تدخل آخر يقول لجابر بلهجة الناصح" لا تؤاخذه فهو يخاف عليك "
هتف جابر بانفعال" ممن؟ .. أتتجرؤون وتتحدثون في شيء يخص زوجتي؟!"
امسك به هلال يمنعه من الانفعال بينما اقترب عيد يناظر الواقفين بعبوس متضامنا مع جابر فهو يعلم جيدا كيف لا يتقبلون المختلف عنهم فتدخل يقول للرجل غاضبا" المرأة التي تتحدث عنها هذه ..ظفرها أغلى من شواربكم

.. ماذا تركتم للنساء الجاهلات حتى تتحدثوا بهذه الأفكار العقيمة"
قال الأول متراجعا عما قال بجبن" لا تغضب منا يا معلم جابر أردنا أن ننصحك لا أكثر"
ازداد انفعال جابر بينما هلال يمنعه قائلا بهدوء" جابر اهدأ أنت في بيت الله "
تقبض جابر بقوة يناظر الرجلين بغضب بينما تدخل الأخرون يلومون الرجلين في الوقت الذي اقترب مصطفى الزيني وشيخ المسجد .. ليقول الأول موجها حديثه للرجلين" أنتما أخطئتما في حق جابر حينما تحدثتما عن أهل بيته وهذا لا يصح أبدا وعليكما الاعتذار له"
أطرق الرجلان وتمتما بحرج الواحد تلو الأخر" لا تؤاخذنا لم نقصد الإساءة أبدا "
تدخل شيخ المسجد قائلا " يا اخواني .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطِّيَرَةُ شِركْ ، الطِّيَرَةُ شِركْ ، الطِّيَرَةُ شِركْ ..ثلاثا) .. والطيرة

هي التشاؤم بالشيء .. وهذا ينهى عنه الدين فاستغفروا ربكم وتوبوا إليه .. كل شيء بأمر الله"

غمغم الحاضرون بالاستغفار بينما ظل جابر مكفهر الوجه متألم القلب فقال بصوت عال يحدث الجميع" اليوم يوم زفافي على ابنة الشيخ زكريا ..من يريد أن يحضر أهلا وسهلا به ومن لا يريد فقد وصلت تهنئته "

قالها وتحرك مغادرا فأسرع هلال باللحاق به بينما وقف مصطفى يناظر ابتعاده مشفقا على صاحبه فأهل البلدة لم يكفوا منذ ليلة أمس عن الحديث عن أم هاشم حتى بعد ما فعله بذبح عجل وتوزيعه على فقراء البلدة فداء لها..

أما عيد فحدج الرجلين بقرف وتحرك مغادرا وهو يتمتم "دوما ما أقول أن البعد عن الناس غنيمة .. خاصة حينما يكونوا بهذا الجهل ..

اللهم لا تعذبنا بما فعل السفهاء منا فلا حول ولا قوة إلا بك "

xxxx

تطلع الطبيب متفحصا في وجه بسمة وذراعها وهو ينظر للبقع الحمراء أمامه بحجم العملة المعدنية تقريبا ثم تفحص رقبتها وهو يقول" جسدك كله بهذا الشكل؟"

أجاب كامل بلهجة عدائية شاعرا بالغيرة" أجل كل جسدها "

هز الطبيب رأسه فسحب كامل كُم بسمة قبل أن تعدله هي ثم وقف يتطلع في الطبيب بترقب ليقول الأخير وهو يكتب في دفتر" الحقيقة التهيج الموجود على جسدها غريب.. سنحتاج لعمل بعض التحاليل لنتأكد من عدم وجود مرض جلدي معدي"

قالت سوسو بقلق وهي تعود بخطواتها للخلف" هل تشك في مرض معدي يا دكتور؟"

رفع الطبيب إليها أنظاره في نظرة خاطفة ثم عاد يقول وهو يكتب في دفتره "كل شيء وارد لدي اشتباه في ذلك"

قال كامل مدافعا" لقد تعرضت لحادث صعب ليلة أمس .. فقد نشب حريق في بيتنا في القرية وكانت بالداخل هل من الممكن أن يكون لهذه الحادثة علاقة ؟"

طالع الطبيب بسمة ثم قال بنظرة مشفقة وهو يعود لدفتره" حمدا لله على سلامتها .. من الوارد طبعا ..لكن علينا أولا استبعاد الجزء المرضي بعمل التحاليل (وسأل بسمة) هل هناك شعور بالألم أو الحكة؟"

رفعت إليه عينيها الدامعتين وهزت رأسها بلا فقال وهو يقطع الورقة التي كتب فيها أسماء التحاليل ويعطيها لكامل " إذن لن نصرف أي نوع من الأدوية حتى تظهر نتائج التحاليل .. ألف سلامة "

قالها وهو يتحرك نحو الخارج فتبعه كامل بعبوس وخلفه سوسو التي نظرت لبسمة نظرة مشفقة قبل مغادرتها .

في صالة الجناح كان غنيم وونس وشامل في انتظار الطبيب بملامح حزينة وقد سمعوا ما قاله فتحرك شامل يقول للطبيب شاكرا وهو يشير له ليتقدمه "شكرا لك يا دكتور"

قال الأخير وهو يتحرك نحو السلم "حينما تظهر نتائج التحاليل ابلغوني "

وقف كامل مطرق الرأس يديه في جيبي بنطاله يشعر بالحزن فقال غنيم مواسيا "ستكون بخير إن شاء الله"

اندفعت سوسو تقول لونس محذرة" إياك والاقتراب من غرفتها ..وأنتم جميعا حتى نتأكد من أمر المرض المعدي"

طالعها كامل بنظرة حزينة متألمة وتحرك عائدا لغرفته بصمت فقال غنيم لزوجته بلهجة عاتبة" سوسو !"

غمغمت سوسو تدافع عن نفسها بارتباك" أنا لا أقصد أن أكون فظة يا غنيم شفاها الله وعفاها لكن مثلا ونس حامل و ..."

قاطعها غنيم وهو يعلم بأنها لا تقصد الفظاظة فقال" تعالوا لننزل ونتركهما وحدهما "

تطلعت ونس في غرفة بسمة بشفتين مقلوبتين تشعر بالحزن من أجلها في الوقت الذي سحبتها سوسو بحزم نحو السلم .

في الغرفة أغلق كامل الباب واقترب منها في صمت ينظر إليها فطالعته بسمة بذهول قبل أن تنفجر في البكاء.

أسرع كامل إليها وجلس بجوارها على السرير يشدها إلى صدره فقاومته تقول من بين دموعها" ابتعد يا كامل ربما أكون معدية"

اصر كامل على سحبها لحضنه فأمسكت بملابسه وأخذت تبكي بحرقة .
إنها تشعر بالرعب .. وكأنها فقدت حاسة من حواسها أو طرفا من أطرافها .. جمالها كان جزءا من تركيبة بسمة وكان لوقت طويل هو ميزتها الوحيدة التي تفتخر بها والتي تعتمد عليها في الحصول على إعجاب الناس وحبهم .. وحتى بعد أن تغيرت نظرتها هذه واكتشفت بأن جمالها لا يكفي لأن يحبها الناس .. لا يكفي لأن تثق في نفسها وترضى عنها .. بقي جمالها هذا جزءً هاما في شخصيتها .. داعما لها لتثق في نفسها حتى بعد أن توقفت عن الاعتماد عليه ..وحتى بعد أن تمنت أن يراها كامل من جوانب أخرى غير أنها جميلة .
الآن .. وفي هذا التوقيت بالذات .. وبعد أحداث أمس التي لم تتوازن نفسيا بعد منها .. كان الخبر صادما ومؤلما لها .. لقد رأت نفسها

مشوهة في المرآة .. بقع حمراء كبيرة في وجهها وجسدها .. بينما مقدمة شعرها الناعم مشعثة لانكماش بعض الخصل من الحريق .
همس كامل يقول بمواساة "باسمة الأمر بسيط إن شاء الله حتى لو كان مرضا معديا كل الأمراض حاليا لها علاج"
غمغمت وهي تتشبث به وقد أطاح هذا الخبر بما تبقى لها من توازن نفسي "لماذا يحدث لي هذا يا كامل؟.. لماذا؟ .. (ورفعت انظارها إليه تقول بلهجة باكية) أنا لم أؤذ أحدا صدقني ..حتى في أسوأ حالاتي لم أؤذ أحدا "
انفطر قلب كامل من حالتها المنهارة فلم يتوقع أبدا أن يرى بسمة المغرورة الباردة بهذا الانهيار والضعف فأمسك بذقنها ومال يقبل شفتيها بقبلة مواسية.. فاعترضت بسمة وقالت بعد أن أطلق سراح شفتيها " قد أكون معدية "

حضنها كامل بقوة وغمغم بصوت رجولي بجوار أذنها وهو يمسد على رأسها "تماسكي يا باسمة وفكري أين كنتِ ليلة أمس ستشعرين بأن أي شيء يهون ما دمنا لازلنا أحياءً ولم نفقد من نحبهم "

اعترفت لنفسها بأنه محق .. وحاولت التماسك .. لكن رغبتها في البكاء كانت شديدة .. بكت بقوة تشعر بالخوف .. فشدد كامل من احتضانها لتقول من بين بكائها وهي تدفعه بعيدا بضعف "كامل أرجوك ابتعد حتى نتأكد من أمر العدوى "

لم يطلق سراحها بل مال يدفن وجهه بين كتفها ورأسها هامسا بسخرية" أنا دخلت خلفك النار يا غبية فهل تعتقدين بأني سأخاف من أية عدوى .. قلت لك من قبل أنا معك حتى القبر" كلماته كانت مزلزلة لقلبها المفطور .. فانفجرت بالمزيد من البكاء والتشبث به ولم

تعرف إن كان بكائها هذا انهيارا أم حزنا أم سعادة وامتنان.

xxxx

دخلت مليكة إلى صالون التجميل تحمل حقيبة بها ملابسها التي سترتديها في حفل زفاف أم هاشم وألقت السلام على الحاضرات فهتفت أم هاشم بسعادة وهي تترك مقعدها أمام المرآة وتجري لتحضنها" مليكة " حضنتها الأخيرة وغمغمت "كيف حالك يا عروس ؟"

قالت أم هاشم بخفوت" ظننتك لن تستطيعي الحضور بسبب ما حدث ليلة أمس"

أبعدتها مليكة لتنظر لوجهها وقالت وهي تداري حزنها واكتئابها خلف ابتسامة جميلة "وكيف سأتركك في يوم كهذا يا أم هاشم !"

أمسكت الأخيرة بيديها تقول بامتنان وتأثر "لا حرمني الله منك يا رب .. الله وحده يعلم كم أنا ممتنة لوجودك أنت وبسمة في حياتي.."
ربتت مليكة على خدها بحنان لتسألها أم هاشم" هل اطمأننت على بسمة؟.. أنا لا استطيع أن أصل لهاتفها إنه مغلق على ما يبدو فقدته أثناء الحريق "
ردت مليكة "مفرح اتصل بزوجها فطمأنه وأبلغه بأنها ستتصل بي إن شاء الله .. المهم هيا عودي لمكانك حتى لا تتأخرين "
عادت أم هاشم مكانها فاطمأنت مليكة من صاحبة الصالون بأن كل شيء على ما يرام قبل أن تتخذ مقعدا جانبيا تشعر بإنهاك نفسي شديد ولولا أهمية حضورها لما تحركت إلى أي مكان.

××××

بعد العصر

قالت مليكة في الهاتف" لا حول ولا قوة إلا بالله!.. بالتأكيد من الصدمة يا بسمة فما مررت به ليلة أمس لم يكن هينا أبدا كان الله في عونك "

قالت بسمة تحاول التماسك "الحمد لله على كل شيء .. مهما أحكي لك لن استطيع وصف شعور الاقتراب من حافة الموت "

ابتسامة مُرة زينت ثغر مليكة ثم قالت بخفوت متألم" أعرف هذا الشعور جيدا .. شعور الاقتراب من الموت لكن كل منا له فجيعته "

أسرعت بسمة بتغيير الموضوع لاستشعارها بألم صاحبتها فقالت ببعض المزاح" صدق تفسيرك للحلم يا بنت الصوالحة واكتشفنا بأنك لست قليلة أبدا "

عقدت مليكة حاجبيها وسألتها باندهاش" أي حلم؟"

دخل كامل من باب الشرفة يشير لها بأن زيلا قد أحضرت الغداء فهزت رأسها وعادت لتتحدث في هاتفه بعد أن حصلت على رقم مليكة من مفرح وقالت مفسرة "ذلك الحلم الذي كان يراودني كثيرا عن النار وعن الرجل الغامض الذي سينقذني "

قالتها وهي تختلس النظرات المحرجة المرتبكة لكامل الذي وقف يرفع حاجبا ويناظرها بفضول ..فمدت كفها نحو صدره ودفعته للخلف ليدخل الغرفة ثم سحبت بابها الجرار في الوقت الذي ارتفع فيه حاجبا مليكة وهتفت "تذكرت الحلم... يا الله! .. سبحانك يا رب"

قالت بسمة بخفوت " رُب ضارة نافعة .. أعتقد بأن هناك هدف ورسالة لخوضي هذه التجارب سأحاول أن أفكر فيها واستخلصها إن شاء الله "

التفتت أم هاشم لها بينما صاحبة الصالون تضع لها اللمسات الأخيرة وسألت" هل هذه بسمة ؟"

قالت مليكة وهي تترك مقعدها" أجل إنها بسمة اتصلت لتبارك لك لكني كنت أطمئن عليها أولا"

أخذت أم هاشم الهاتف منها تقول بتأثر" حمدا لله على سلامتك يا بسمة "

بذلت بسمة مجهودا حتى تظل متماسكة بدون بكاء وقالت لأم هاشم بتأثر هي الأخرى "كنت ستلقين بنفسك في النار يا مجنونة!.. ومتى؟ ... ليلة حنتك!"

سألتها أم هاشم" كيف حالك يا بسمة طمئنيني عليك"

قالت الأخيرة مطمئنة "أنا بخير .. انني فقط لم أتوازن نفسيا بعد هذه التجربة ..لهذا لم استطع العودة إليك"

قالت أم هاشم بتفهم " إلى أين تحضرين؟ .. يكفيك ما حدث"

قالت بسمة بمناغشة "لأراك يا عروس بفستان الزفاف"

غمغمت الأخيرة بلهجة ساخرة وهي تنظر لنفسها في المرآة" الوضع بالضبط كباذنجانة سوداء ملفوفة بالأبيض "

من خلف دخان سيجارتها نظرت صاحبة صالون التجميل بيأس لمليكة بعد أن فشلتا في تغيير نظرتها عن نفسها رغم انبهار العروس بشكلها النهائي لكن ما تركه الزمن من أثار لن ينمحي في بضعة أيام .. بينما قالت بسمة بلهجة صادقة "أتمنى من الله أن يتمم لك على خير .. وأنا أوصيت مليكة أن تصور لي الصور وترسل لي بثا مباشرا من بعض تفاصيل الحفل"

ناظرت أم هاشم الواقفات بنظرة مختلسة ثم مالت برأسها تهمس بخفوت "بسمة إياك أن تتشاءمي مني .. أنا لست كما يقولون "

هتفت بسمة بانفعال "وما ذنبك أنت ..ما هذا التخلف الذي يقولونه!"

غمغمت أم هاشم بامتنان" أنا أعلم بأنك مؤمنة ومثقفة لكن أحببت أن ..."

قاطعتها بسمة تقول "اتركي هذا الهراء جانبا واستمتعي بكل لحظة قادمة يا أم هاشم ..هذه نصيحتي لك لا تفكري فيما بعد .. عيشي اللحظة الحلوة.. وأنا أكيدة بأن الله سيرزقك خيرا مما تتمنين"

زغاريد جاءت من خارج الصالون بينما دخلت وفاء تقول بحماس "جاء العريس .. جاء العريس"

ارتباك أصاب أم هاشم حتى أنها نسيت للحظات أن بسمة معها على الخط لتقول

الأخيرة" اذهبي الآن وسيكلف مفرح أحدا
لأرسال بثا مباشرا لنا على هاتف
كامل..(وأضافت بلهجة صادقة) مبارك لك يا
مشمش هذا يوم سعد وهناء لنا"
وقفت أم هاشم تشعر بأنها على وشك الإغماء
.. فاقتربت منها مليكة تقول مهدئة وهي تأخذ
منها الهاتف "اسحبي نفسا عميقا واخرجيه
بهدوء "
نفذت الاولى وهي تحاول السيطرة على ضربات
قلبها العالية وخرجت من الغرفة التي حجزت
لها خصيصا بالصالون إلى صالة متسعة كبيرة
تضم عرائس أخريات بفساتين الزفاف .
لو كانت أم هاشم في حالة طبيعية للمحت في
عيون الموجودات الفضول أو الإعجاب أو
السخرية والتهكم أو الامتعاض لكنها لم تكن
منتبهة لشيء إلا لأنها تقترب من لحظة فارقة
من حياتها .. لحظة لا تتمثل فقط في قربها من

الغالي .. ولكنها ستودع حياة .. وتستقبل حياة أخرى .. لها وحدها .. تخصها .. ترسي قواعدها بنفسها دون أن يشارك فيها أحد إلا هو .. حتى أنها نسيت ..أو تناست .. ما تعتقد في سبب زيجة جابر منها..

أرادت أن تستمتع باللحظة .. لحظة أن تقترب منه .. لحظة أن تتمتع بكل ثانية لها معه بالحلال ..

ستحسب حياتها معه بالثانية ..فلربما الساعات أو الأيام معه أمنية صعبة التصديق أو التحقيق .

انفتح الباب ووقف جابر متوترا .. إنه يشعر بالحرج الشديد خاصة مع ارتدائه الحُلة الرسمية ..فقد أصر على ارتدائها حتى لا ينتقص من حلم أم هاشم شيئا .. وأحضر زفة تقف على بعد أمتار منتظرة خروج العروس .. كل هذا يشعره بالحرج الشديد لكنه غير نادم فقد

عاهد نفسه على أن يحقق لها ما تأخرت في تحقيقه.

اشرأب بعنقه للباب المفتوح فلم ير إلا طرف فستان بينما خرجت إليه هند بنت عمها تقول بابتسامة ماكرة" إنها محرجة من الخروج "

ظهرت من خلفها مليكة بأناقتها المعهودة تقول لجابر "أعتقد عليك أن تدخل لاصطحابها أفضل "

كان لا يزال الحرج يسيطر عليه خاصة وهو يدخل صالون تجميل يمتلئ بالنساء والعرائس في مواجهته فدخل خطوتين يخفض نظراته بحرج ثم استدار يرفعهما لينظر إلى أم هاشم التي غطت وجهها بيديها ذات رسوم الحناء.

لم تكن خجلانة فقط بل كانت تشعر بالضيق من وجهها الأسمر .. إن سمارها يتناقض بشدة مع اللون الأبيض الذي يحيط بها من رأسها حتى أخمص قدميها ..

ما الذي يحدث لها؟..
لم باتت غير راضية؟ ..
ربما لأنها تمنت .. وبعض التمني يضني صاحبه
.. تمنت أن تكون حلوة مثل الباقيات .
ولم تعرف بأن جابر تطلع فيها يشملها بنظرة كلية مدققة وخفق قلبه بعدها خفقة قوية..
لم تعرف بأنه رآها مميزة .. صحيح لم يكن لديه مشكلة مع سمارها قبل ذلك لكنه في تلك اللحظة ..رآها مميزة عن باقي العرائس الواقفات خلفه يتطلعن فيه بعيون مصدومة.
اقترب جابر يزيح كفيها عن وجهها فنهرت نفسها عن تصرفاتها التي وصفتها بالمراهقة أمام الواقفات وابعدت كفيها وحدقت فيه لثوان بالحلة .. حلة العريس ..
كان كالبدر المنير أمامها .. من يراه لن يصدق أبدا أنه قد تخطى الأربعين بعامين .. بل لن يعطيه أكثر من ثلاثين عاما.. حتى لحيته التي

خالطها الشيب المبكر والتي شذبها وخففها ..
تجعله مميزا ووقورا ورجوليا وصاحب أجمل
ابتسامة ساحرة رأتها في حياتها.
قال جابر لها بخفوت مصاحب لابتسامة
ستقتلع قلبها من مكانه "هل تشعرين
بالخجل؟"
ردت باسلوبها الساخر وهي تهز كتفيها وتشيح
بنظراتها عنه" لا .. ولمَ سأشعر بذلك؟..
فاللحظة عادية "
اتسعت ابتسامته وقال مشاكسا" إذن لماذا
كنت تختبئين خلف كفيك وتحجبين عني
وجهك؟"
سحبت نفسا عميقا وغمغمت وهي تشيح
بنظراتها بعيدا عن طلته الساحرة " أردت أن
أمهد لك الشكل.. فلربما كنتَ متوترا"
سألها ضاحكا" وهل أنت متوترة؟"

حركت نظراتها يمينا ويسارا ثم لأسفل تتطلع في أصابع يدها وهي ترد بلا مبالاة مصطنعة" لا .. لست متوترة .. أبدا أبدا "
بحركة عفوية لم يكن ينويها بسبب شخصيته المتحفظة اقترب أكثر ثم مال يطبع قبلة خاطفة على خدها فلم يقدر على تقبيل جبينها بسبب ذلك التاج الذي يزين جبهتها.. فذابت أم هاشم من قبلته الحانية.
كان يراها كائنا شديد النورانية بهذا الثوب الأبيض ..ضيق من الذراعين والجذع حتى خصرها النحيف ..بياقة مرتفعة مقفولة تماما .. ثم ينزل الفستان منفوشا بشكل مستقيم .. قماش الفستان كان سميكا من طبقتين طبقة سادة فوقها طبقة من رسوم مفرغة اضفى عليه ملمسا خشنا كطبيعتها التي توحي بذلك .. وكان بدون أي لمعة ينزل بصلابة واستقامة حتى الأرض .. تلف حول وجهها حجابا أبيضا بسيطا

وناعما من الشيفون بينما تاج من خرزات اللؤلؤ يزين مقدمة رأسها .. وطرحة عالية مثبتة أعلى رأسها منسدلة على جانبي رأسها .

كل هذا البياض يحيط بوجهها الأسمر الذي اكتسب لمعة مميزة جعلته كلون الشيكولاتة الساخنة الذائبة .. عيناها مكحلتان من فوق الجفن بالأسود بينما خط من اللون الفيروزي يخط جفنها السفلي أبرز حجري عينيها مع لمعة ذهبيه خفيفة جدا فوق الجفنين العريضين والوجنتين.. أما شفتاها فمطليتان بحمرة داكنة.

منحها جابر مرفقه فتطلعت في مرفقه لثوان ودون أن ترفع إليه أنظارها أدخلت أصابع يدها لتتعلق بذراعه .. تلمسه .. بينما يدها الأخرى أمسكت بقماش الفستان ليخرجا بخطوات هادئة رزينة من باب الصالون ويبدأ عزف فرقة الزفة بالطبل والمزامير .

خرجت مليكة خلفها فكان مفرح في استقبالها لتقترب منه تقول" لم أتوقع بأنك ستحضر أين تركت الولدين؟"

رد عليها وهو يتأملها " إنهما في بيت جدهما العمدة أما أنا فجئت من أجل زوجتي ..

(وأضاف بلهجة موبخة) هل كنت سأتركك يا ست الهانم لتعاكسك نظرات الرجال(وتطلع فيها من رأسها حتى أخمص قدميها وهو يدقق في ذلك الفستان قائلا) خاصة مع هذا الفستان الرائع"

تأبطت مليكة ذراعه وهو يأكلها بعينيه..

فستانها أسود فوقه طبقة سوداء أيضا مشغولة كلها بخيوط باللون الزيتي اللامع كتطريز السيرما مفتوحة حتى الذيل إلا من عند الخصر مربوطة بشريط رفيع بينما حجابها باللون الأسود يبرز بياض بشرة وجهها ذي الزينة الرقيقة .

اقتربت مهجة تقول لمفرح بعتاب "تركتني يا مفرح من أجل مليكة "

رد الأخير ضاحكا" وهل تركتك في الصحراء أنت على بعد خطوات مني "

تأبطت مهجة ذراعه الأخر فقال مفرح لمليكة" هل تصدقين بأن عقلة الاصبع هذه حامل .. أنا لا اصدق "

ابتسمت مليكة تقول بصدق رغم الغصة في حلقها" تمم الله لها على خير "

لاحظ مفرح الألم في عينيها قبل أن تشيح بنظراتها نحو أم هاشم الممسكة في ذراع جابر بكلتا يديها تتطلع في الحاضرين بخفر .

كانت في هيئة غريبة عن أم هاشم التي يعرفونها .. بل كانت في هيئتها الحقيقية .. واعترفت مليكة بأن وجود صاحبتها في محيط جابر يجعل منها شخصا أخر .. تسقط عنها

قشرتها الصلبة الخشنة وتتحول لأنثى حقيقية
.
مالت مليكة على أذن مفرح تقول من وسط صوت الطبول والمزامير" ألم توصيك بسمة بأن ترسل لها بثا حيا على هاتف زوجها؟"
رد مفرح بجانب أذنها وهو يشير على أحدهم "لا تقلقي كلفت أحد الشباب بذلك"
في غرفتها في العاصمة كانت بسمة تتطلع في أم هاشم على شاشة التلفاز التي جلبت من غرفة الألعاب ووضعت بغرفتها بدلا من الأخرى التي تحطمت .. بينما هاتف كامل موصل بالشاشة ما يرسل له من مقاطع مصورة أو بثا حيا لزفة أم هاشم في المول الذي يقع فيه صالون التجميل .
أما كامل فكان يجلس بجوارها على الأريكة يوزع نظراته بين الشاشة وزوجته التي تبدو ضعيفة مثيرة لينة ..وحارة أكثر من أي وقت مضى.

حارة جدا رغم تلك البقع الغريبة التي تنتشر على وجهها ورقبتها وذراعيها .. لكنها لم تغير شيئا من احساسه بها .. حتى عيناها الذابلتان من كثرة البكاء كانتا لا تزالان تمارسان عليه سحرهما بزرقة لم يرى في مثلها جمالا .. وكما يفعل منذ أن استيقظ اليوم .. حاول أن يهذب جانبا همجيا غير صابر فيه.. لكنه لا يعلم إلى متى بالضبط سيستطيع الصمود .. دقيقة ..أم ساعة .. أم يوم.

xxxx

بعد ساعة

في السيارة المزينة التي لفت شوارع القرية كان جابر يتطلع في أم هاشم كل عدة دقائق يحاول أن يستشف من تعبيراتها الصامتة الهادئة إن كانت سعيدة أم لا.. فكما أصر على عمل زفة أمام صالون التجميل رغم شعوره بالحرج هناك زفة أخرى كانت من تدبير مصطفى الزيني

استقبلتهما عند مدخل القرية وتتحرك أمام سيارة العروسين الآن بالخيول الراقصة .. لكن العروس كانت مسبلة الاهداب تحك ابهاميها بحجرها ولم يستطع فهم انطباعها فهي لم ترفع عينيها المسبلتين حتى للمارة الذين يتطلعون من نافذة السيارة والذي يعترف بأنه قد لمح منهم من ضايقه من نظرات متهكمة لذا حمد الله أنها لم تكن تتطلع في وجوههم بينما نظرات أخرى رأى فيها محبة أو انبهار .
وعلى سيرة الانبهار فهو الأخر كان منبهرا جدا .. فهي بكليتها رآها ليس لها شبيهة وهذا الإحساس أشعره بالرضا فمد يده ليرحم ظفر ابهامها وحضن كفها بكفه في صمت مستندا بيده على فخذها تحت طبقات قماش الفستان الخشنة ثم سألها بعد لحظات" هل أعجبتك الزفة؟"

كانت دقاتها تتسابق في القفز بشكل هستيري وهي تتطلع في كفه ودون أن تنظر إليه هزت رأسها بهدوء وتماسك فسألها بلهجة بدت لها متسلية" ألن تنظري إليّ؟"

احتاجت بضع ثوان ليصدر منها رد فعل لكنها لم ترفع أجفانها المسبلة بل هزت رأسها رافضة فقال جابر بنفس اللهجة المتسلية "هل شكلي بشع إلي هذه الدرجة"

حاولت بقوة أن تقاوم حالتها المشلولة وشعورها المتناقض بالضيق لنظرات تحفظها من أهل البلدة وسعادة لدرجة البله فهزت رأسها مجيبة بالإيجاب ..لتسمع ضحكة رائقة منه قبل أن يقول " جزاك الله خيرا على صراحتك هذه"

ابتسمت أخيرا رغما عنها دون أن ترفع وجهها فأسعدته ابتسامتها .. في الوقت الذي قاطعهما رجل اقتحم النافذة برأسه من ناحية جابر

منتهزا توقف السيارة بعد سيرها البطيء خلف الزفة ليسلم الرجل على جابر الذي اضطر لترك يد أم هاشم والترحيب به وتقبل مباركته .
بعد دقائق كانت الزفة تمر من أمام الشارع الذي يقع فيه بيت آل العسال ورغم بُعد المسافة إلا أن صوت الزفة كان واضحا فكان أخوان العسال بدير وعماد وكاميليا كل على حدة يتميز من الغيظ ظانين بأن جابر يقصد أن يغيظهم بعد أن نفذ ما أقسم به بأن يتزوج قبل انتهاء عدة ابنتهم .. ولم يعلموا بأنه لم يكن يفكر فيهم من الأساس تلك اللحظة بل كان يتملكه فضول شديد للتعرف أكثر على تلك المخلوقة التي تجلس بجواره .. في الوقت الذي كانت كاميليا تعاني من أعراض ذبحة صدرية وأسواط من الغيرة تجلدها لحظتها .. غيرة لا تعترف بها لنفسها أبدا .

xxxx

بعد ساعتين

أمسى الليل وتلألأت الأنوار فأبهجت القلوب الصافية بالفرحة وأدارت رؤوس الحاسدين والحاقدين بالغل .

كان جابر يجلس بجوار مصطفى بينما الرجال مجتمعون في الصوان الكبير الممتد بطول الشارع من بيته حتى بيت العروس بحضور غالبية أهل البلدة حتى مفرح الزيني حضر جانبا من الاحتفال ثم استأذن لانجاز بعض من اشغاله واعدا مليكة بأن يحضر مرة أخرى للعودة بها بعد نهاية الحفل .. بينما الطباخون يغرفون الأكل للحاضرين وواحد من أشهر المنشدين يحيي الليلة بالغناء .

اقترب هلال من العريس يخبره بأن الحاجة نجف أرسلت له تقول أن عليه أن يذهب

ليلبس عروسه شبكتها فاستأذن جابر الموجودين وتحرك إلى آخر الصوان حيث يقع بيت العروس .

في بيت آل تيمور كانت العروس أم هاشم تتوسط صالة البيت تجلس على أريكة بهيئتها المبهرة وبجوارها تجلس مليكة صوالحة فتعطي بهيئتها الوقورة الأنيقة شكلا أخر للاحتفال البسيط في البيت بينما الحاجة نجف وأخواتها وعمة العريس على المقاعد المجاورة ..

كان الزحام شديدا في المكان على عكس ما توقعته أم هاشم وأهلها ..وكانت الفتيات يرقصن على أنغام طبلة نصرة الساخنة من كثرة الطرق عليها منذ بداية الحفل وصوتها الذي يصدح بانطلاق وفرحة صادقة ورغبة في التحرر من الأحزان التي تغرق القلب .. فهذا ما

شعرت به إسراء وهي تراقبها من بعيد ..ثم عادت للانخراط في احاديث البنات وثرثرتهن.
أحست إسراء باهتزاز الهاتف في حقيبتها فأسرعت بإخراجه ليسقط قلبها بين قدميها وتتسع عيناها وهي تنظر لاسم المتصل (طلال)
فأعادت الهاتف مرة أخرى لحقيبتها دون رد وأخذ عقلها يعمل في محاولة لإيجاد سبب يجعله يظهر الآن .
لقد اختفى تماما منذ ذلك اليوم المشئوم من البلدة كلها وعلمت من أحاديث الناس أنه سافر للعاصمة .
اهتزاز قصير في حقيبتها جعلها تفتحها من جديد والتقطت الهاتف لتجد رسالة من طلال
ترددت قليلا ثم فتحتها لتجده يقول (مساء الخير إسراء .. أنا أعلم بأنك لا تريدين سماع صوتي ولا النظر في وجهي وأعلم فداحة الجرم الذي قمت به لكني كنت في موقف صعب

وسيطر عليّ غضبي وأنا الآن نادم أشد الندم ..
أموت ببطء يا اسراء صدقيني ولا أجد لنفسي
أي فرصة للخلاص بعد أن فقدتك)
أسرعت بحذف الرسالة وحظر الرقم قبل أن
يكمل إرسال بقية حديثه .. ولم تعرف لماذا لم
تحظره من قبل .. هل نسيت أم تناست أم
كانت تنتظر لحظة كهذه ترد إليها كرامتها ولو
في السر حينما يعلن لها عن ندمه وبأنها لم تكن
بخسة الثمن عنده .
أعادت الهاتف للحقيبة ووقفت مطرقة الرأس
تتحاشى بعض العيون التي لا تكف عن التحدث
والنميمة على هذه وتلك ومصمصة الشفاه ..
في نفس اللحظة لاحظت نصرة بطرف عينيها
ذلك التعبير الحزين على وجه ابنتها رغم بعد
المسافة لكن قلبها كان كالرادار لها فصدح
صوتها بإحدى أغانيها ذات المعاني الوقحة
الجريئة التي تحفظها من التراث وتخص

حفلات الزفاف لتشاكسها .. فناظرتها اسراء بحرج .. لتُرَقِّص لها الأخرى حاجبيها مغيظة وهي مستمرة في غنائها ..فنظرت اسراء لمن حولها من المتفاعلات مع الأغنية بحماس ثم رفعت طرف حجابها لتغطي وجهها بحرج.
دخل جابر مع هلال ويحيى فعلت الزغاريد بينما تركت مليكة مكانها على الأريكة الصغيرة بجوار أم هاشم و أسرعت الحاجة نجف بإخراج علبة مخملية جعلت الأعناق تشرئب لمعرفة ماذا يوجد بداخل العلبة التي تبدو كبيرة بشكل ملفت وكعادة الريفيين في السماح للحاضرات بمشاهدة هدية العريس للعروس أخذت الحاجة أم ياسين عمة العريس العلبة من نجف وفتحتها ومرت بها على الحاضرات لتريهن بفخر ماذا جلب العريس للعروس ..فانبهرت العيون وصَلّت على النبي قبل أن تعود العلبة ليد الحاجة نجف في الوقت الذي

استقر فيه جابر بجوار أم هاشم التي هربت منها روحها لاستقباله والرفرفة حوله حتى وصل إليها فأسرعت بإسبال اهدابها السوداء الكثيفة من جديد .

ناولته أمه دبلة ومحبس بينما مدت أم هاشم يدها المنقوشة بالحناء تحافظ على عدم اظهار ارتعاشها ليدس جابر الخاتم في اصبعها .. ثم أخرج عقدا طويلا من الذهب لمعت من أجله العيون وخرجت بسببه بعض الشهقات رغم أنه في مستوى ما يجلبه العرسان القادرون ماديا في البلدة فالبسها إياه يحيط عنقها بذراعيه ومال عليها قليلا وكلاهما مرتبك لغلق القفل .. كان العقد كحلقات متداخلة تتوسطه قلوب ذهبية كبيرة وينتهي بحلقة دائرية ثم دلاية ضخمة مشغولة بالذهب ويتدلى منها بعض السلاسل الرفيعة القصيرة .

بعد أن انتهي جابر من اغلاق العقد ناولته أمه اسورة من نفس تفاصيل العقد بها قلوب مختلفة النقوش ثم خاتم على شكل قلب كبير منقوش وأشار لأمه أن تبقي الحلق لصعوبة أن يلبسه لها حتى لا يفسد لفة الحجاب حول وجهها . .

علا صوت نصرة مصاحبا للتصفيق على الإيقاع على وقع دقاتها على الطبلة..

يا حسود ارجع ورا
خلي الشمعة منورة
يا حسود حصوة في عينك
ابعد دحنا عارفينك

كانت صباح تقف فاغرة الفاه هي وبعض النسوة صاحباتها وتطلعت في الأساور الأربعة اللاتي التقطهن جابر وألبسهن لأم هاشم في اليد الأخرى .. وسمعت إحداهن تقول بانبهار "ألم يكتفي بالطقم الذهبي الثمين بملحقاته فاشترى

أربعة أساور كبار ما شاء الله !.. إن هذه الشبكة بمبلغ كبير جدا"
ردت الأخرى باندهاش " من كان يتوقع أن تتزوج أم هاشم زيجة كهذه سبحان الله "

يا عزول ابعد قوام
الليلة ماشية وفي التمام
طب بخروهم م الحاسدين
حلوة العروسة صلاة الزين

انتهى جابر مما يفعل وبقى دبلته الفضية التي أعطاها لها فأمسكتها بأصابع مرتعشة وجاهدت لأن تضعها في اصبعه وسط اهتزاز الصورة أمام عينيها حتى نجحت أخيرا .

رشوا الكولونيا عليهم
يكفينا شر عنيهم
يا جيراننا عقبال عندكوا
ونهيص في يوم فرحكوا

كانت لحظات دافئة بينهما انتهت بأن طبع جابر قبلة على جبينها بجوار تاج اللؤلؤ وعلت المزيد من الزغاريد فازداد حرج جابر من العيون المحدقة فيه واستقام مغادرا يتركها وحدها على الأريكة مسبلة الجفنين مقطوعة الانفاس مبهورة.. ليس بالشبكة والفستان والحفل رغم كونهم أمنية تمنتها لسنوات طوال .. بل به وبحضوره الطاغي ..لتعود مليكة لمكانها بجوارها على الأريكة وتخرج علبة مخملية صغيرة بها خاتم من الذهب هو هديتها لها .

آه يا بنات يلا ارقصوا

والعَشا لما تخلصوا

عادت عمة جابر لتجلس مكانها فقالت إحدى خالاته" لازلت غير راضية على هذه الزيجة جابر ليس قليلا حتى يتزوج بسوداء "

نهرتها العمة بنظرة ثم قالت بلهجة موبخة" ما بها البنت هل خلقت نفسها والله جميلة"

قالت الخالة وهي تنظر لأخواتها المحايدات في رأيهن" لن أنكر بأنها جميلة .. لكنها سمراء وهمس الناس كثير من حولنا .. ألم يجد في هذه القرية المشتهرة ببناتها البيضاوات أي فتاة مناسبة غير هذه !.. كنا رشحنا له من قريتنا "

قالت العمة بلهجة متحسرة "وماذا أخذ من البيضاء يا حبة عيني غير التعاسة وقلة التربية وضياع شبابه .. كما أنه حرام عليك السخرية من خلقة الله يا أم محمد "

اسرعت الأخرى بالقول مدافعة عن نفسها" والله لا أقصد أي إساءة .. على عكس ذلك أنا أراها أصيلة ومن بيت طيب .. ولا أنكر بأنها جميلة الملامح (ثم مالت عليها أكثر تهمس) مشكلتها الحقيقة أنها نحيفة أكثر من اللازم ماذا سيتزوج فيها"

كتمت باقي أخواتها الضحك بينما نهرتها الحاجة أم ياسين بنظرة حادة وقالت بلهجة

متهكمة "اسم الله على ابنتك التي لا تدخل من الباب من بدانتها "
قالتها وهي تنظر إلى إحدى الشابات النحيفات الواقفات من بعيد مع باقي من في سنها فردت الخالة بوجه ممتقع "حسنا سأخرس يا أم ياسين .. ألأنك حماة ابنتي تعايرينني بنحافتها!!"
ردت إحدى أخواتها تقول ضاحكة" وهل فتحت الحاجة فمها !.. أنت من تسخرين من بنات الناس"
ردت الأخرى وهي تضع يدها فوق فمها "خرست وأغلقت فمي تمم الله له على خير"
ناظرت اسراء أمها التي كان وجهها الأبيض الممتلئ قد تحول للون الأحمر من الحر الشديد وتصببت عرقا .. واتسعت ابتسامتها وهي ترى حماسها في الغناء وكأنها ترسل رسائل مبطنة لبعض الحاضرات اللاتي تعرف بخبرتها

ما يدور في أذهانهن وفي همساتهن فتركت اسراء البنات وتزاحمت مع الموجودات حتى وصلت إليها .. ثم أخرجت من حقيبتها منديلا ورقيا تمسح لأمها العرق ثم أخذت تهوي عليها بمنديل أخر لتلطف من احمرار وجهها لكن نصرة كانت مندمجة ومصرة على اشعال الليلة بالغناء وبالرسائل المبطنة فاستمر صوتها الجميل منطلقا.

يا سَتّار ويا سَتّار

خلّي عزولنا يولع نار

إوعى الجادار (الحائط) إوعى الجادار

عين العزول بِطُق شرار

xxxx

عيناها الزرقاوان المتسعتان وهي تناظر مندوب معمل التحاليل حين دخل الغرفة ثم تطلعها فيه بتوجس جعل كامل يجلس بجوارها على السرير بينما نظرت هي للإبرة وقبضت على

ملابسه فلاحت ابتسامة على زاوية فم كامل ..
تلك الابتسامة المتهكمة التي تستفزها فناظرته
بسمة وهمست بغيظ "لماذا تبتسم؟"
هز كتفيه ورد هامسا" لم ابتسم"
كانت نفس الابتسامة لا تزال على شفتيه
فقالت بغيظ هامس وهي تضع سبابتها على
زاوية فمه "وماذا تسمى هذه؟.. أتريد أن
أصورك لترى نفسك !"
لمستها لشفتيه اصدرت شحنة كهربائية بينهما
جعلتها تسرع بسحب اصبعها وتلتفت
للمندوب هاربة من نظرات عينيه المشتعلة
التي تحاصرها من أول اليوم .. لكنها بمجرد أن
ربط المندوب أعلى ذراعها استعدادا لسحب
الدم بدأت تتوتر .. فقال كامل بخفوت وهو
يضع كفه على عينيها "اغمضي عينيك"
قبضت بسمة على كُمه بقوة وهو لا يزال يغطي
لها عينيها ويسمعها تدمدم بخفوت بعبارات

غير مفهومة على سبيل الولولة ..فاتسعت ابتسامته رغم غيظه من ذلك الشاب البطيء الذي يمسك بذراعها وراودته فكرة تحطيم اسنانه بعد أن ينتهي من سحب العينة.

بعد ساعة

وقف في الغرفة يشاهد التلفاز بدون تركيز وكل حواسه تترقب خروجها من الحمام .. لقد غابت كثيرا ولا يعرف إن كانت تبكي أم لا .. فقد فعلتها وبكت أكثر من مرة اليوم وقلبه يشعر بشفقة كبيرة عليها فما مرت به يوم أمس لم يكن سهلا ..

انفتح باب الحمام وخرجت منه بسمة فقال كامل متهكما "كنت على وشك اقتحام الحمام "

وتطلع في الرداء البيتي الذي بدلت ملابسها إليه مدققا وهبت عليه موجة حارة رغم أن المكيف

يعمل فسألها "لماذا غبت بالداخل كل هذا الوقت؟ لم أسمع صوت الماء"
كانت عيناها محمرتان من البكاء لكنها قالت بإنكار تحاول التماسك "حاولت أن أدهن جسدي بكريم ملطف لربما غيّر شيئاً "
راقبتها عيناه وهي تمر من أمامه بذلك الرداء الصيفي من قماش طري أملس به لمعة خفيفة بربع كُم يظهر ذراعيها المبقعان بالأحمر وفتحة رقبة عريضة تظهر جزءا من كتفيها .. وينزل فضفاضا على جسدها بنعومة ..راقبها حتى جلست على السرير بينما رائحة عطرة تفوح منها فردد خلفها بسؤال ضمني "كنتِ تفعلين ماذا؟!"
لم تستطع بسمة ادعاء القوة والتماسك أكثر من ذلك.. إنها تشعر بالضعف وبرغبة شديد للاحتواء والدعم .. فغمغمت تعيد ما قالته وهي تناظره بنظرة بائسة مسكينة أثارت

شفقته ومشاعر أخرى وقحة بداخله" كنت أدهن جسدي بكريم مرطب "
اقترب وهو يقول ساخرا" أجل أشم رائحة الكريم جيدا ..(ثم سألها وهو يجلس أمامها على السرير) وهل وجدت نتيجة ؟"
ردت ببؤس طفولي" لا لم اشعر بشيء وأشعر بأن البقع تزداد "
تطلع في وجهها المرقط بالأحمر وشكلها الذي أضحى عجيبا وبدت أمامه بعينيها الفيروزيتين ولهجتها المتمسكنة كقطة صغيرة بائسة في الشارع في يوم ممطر فسألها بلؤم "وهل انتشر في كافة جسدك ؟"
هزت رأسها بنعم واستمرت في استدرار عاطفته دون تعمد إلا من شعور أنثوي يسيطر عليها اللحظة أمام حضوره الرجولي القوي فقالت ببؤس" كل جسدي يا كامل (وفتحت بعفوية أول زر من الرداء تريه جزء من أسفل رقبتها

وهي تضيف شارحة مشكلتها بتركيز) لا أعرف إن كنت اتخيل ازدياد العدد أم أني محقة لكن ..."

قطعت كلامها وشهقت حينما انقض كامل يطبع قبلة على أسفل رقبتها .. قبلة حارة مشتعلة متلهفة وبطيئة ..ثم رفع رأسه يتطلع في وجهها القريب جدا فهمست "كامل ماذا تفعل؟"

مال مرة أخرى يطبع قبلة ساخنة كمشاعره على عظمة الترقوة ارتعش لها جسدها ثم رفع وجهه لتدور عيناه على صفحة وجهها وهو يقول بهمس حار كالدماء التي تضرب في رأسه "اساعدك في عد البقع الحمراء حتى نستطيع أن نحدد إن كانت تزيد أم لا "

كانت أنفاسه العطرة تلهب بشرتها فهمست بتمنع وهي تدفعه بكفها في صدره" كامل قد أكون معدية أرجوك"

هاجم شفتيها بشفتيه بقوة وهو يلف ذراعيه حولها ليشل أي مقاومة منها .. لا يعلم بأنها لم يكن لديها ذرة مقاومة.. كانت بحاجة ماسة إليه إلى حضنه إلى ذراعيه القويين وصدره العضلي .. كانت بحاجة للتدليل .. لأن ترى في عينيه هو بالذات ما كانت تتوق إليه من إحساس أنثى في عيني زوجها وبين أحضانه .. كانت تتوق لفيضٍ من مشاعر قوية جامحة تخصها وحدها .. تُبث إليها وحدها .. وكانت تريد أن تشعر باحتياجه لها .. احتياج قلبي شعوري وجداني قبل أن يكون احتياجا جسديا .

أطلق كامل سراح شفتيها وقال لاهثا" قوليها .. قولي نعم حليني من وعدي لك "

بخجل أنثوي يمارس التمنع بتلقائية غير مفتعلة هزت كتفا واحدا بـ(لا) مائعة افقدته ما تبقى من ذرات عقل فأمسك بوجهها وهجم على شفتيها من جديد بقبلة أكثر عمقا يودع

فيها ارهاصات شوق مكبوت كفيل بأن
يحرقهما معا لو ترك له العنان دون سيطرة ثم
تحركت يده بلهفة لتستكشف تفاصيل
جسدها .
حين أطلق سراح شفتيها أخذ يطبع قبلات على
وجهها وعنقها ويداه تتعاملان مع أزرار ثوبها
بقلة صبر فغمغمت بسمة بمحاولة أخيرة
واهية للمقاومة" أشفق على ذراعك يا كامل "
ابتعد بجذعه قليلا ثم خلع التيشيرت القطني
الذي يرتديه متحاملا على ذراعه المصابة و قال
وهو يميل بها لتستلقي على السرير مخيما
فوقها" قلبي أولى بالشفقة يا باسمة لو تعلمين
عذابه لما يهفو إليه بجنون"
قالت بهمس بائس وهي تتطلع في قسمات
وجهه الوسيمة "لم أتخيل أن تكون أول مرة
بيننا وجسدي مرقط بالبقع الحمراء "

تحركت يديه بجرأة أكثر على تفاصيلها وهو يميل ليطبع قبلة أسفل أذنها وعاد إليها يقول بهمس عاشق " الله يشفق بحالي ويعلم بأني قد أموت بنوبة قلبية إن كنتِ بكامل جمالك أمام عيني في أول مرة بيننا يا فاتنة المجرة "
ترقرقت الدموع في عينيها فالتهم كامل شفتيها وكلاهما يصدر أنينا متوجعا وهو ينهل من الآخر ويخبره كيف كانت أيام عذابه ويأسه.. كلاهما كان يروي عطشا مميتا بعد متاهة طويلة في صحراء العمر القاحلة .
بعد بعض الوقت أبعد كامل شعرها عن وجهها وطبع قبلة لاهثة فوق جفنيها المغمضين يطلب هبوطا على شواطئ الموج الأزرق الذي غرق فيه حتى الثمالة ثم ارتفع بعده نحو السحاب.. وتحركت شفتيه على وجهها يداعب ملامحها الجميلة وبدل من أن يعود لشفتيها

قبّل طابع الحسن شديد الإغراء بأسنانه ثم عاد يغوص في حضنها باسترخاء .
كان مذاق وصالها غير كل النساء .. وكان يعلم أن شعوره كرجل بها سيكون مختلفا عن تجربته السابقة في الزواج .. فلم تكن بالنسبة له مجرد جسد بل روح وقلب يتوق لاحتلالهما .. لوضع بصماته عليهما .. لختمهما بختمه .. ختم كامل نخلة ..
ورغم أن وساوسه وشياطينه لم يدعوه لينعم باللحظة الكاملة بخلو بال لكنه كان مستعدا لهم .. لمقاومتهم .. حاولوا اللعب برأسه في أكثر اللحظات خصوصية بينه وبينها ليستفزوه ليتخيلها بنفس الوضع ورد الفعل مع زوجها السابق لكنه رغم ألم مشاعره وجرح قلبه كان قويا في مواجهتهم.. في نفضهم بسرعة عن رأسه ..

وهي ساعدته في ذلك .. ساعدته حينما أخذت تردد اسمه طوال الوقت وكأن ذكرها لاسمه كان بمثابة تعويذة لطرد وساوسه...
لقد تعلم من التجربة فأضحى أكثر سيطرة على شياطينه ولم يسمح لهم بإفساد اللقاء الذي كان حلوا مزلزلا لكيانه .. لقاء أعاد ترتيب شظاياه المتناثرة .. رغم أنه لم يعلم متى تفتت إلى شظايا .. قبل اليوم !.
رفع رأسه فأشرقت عليه السماء الصافية بزرقتها .. شروق خجول ثقيل الجفون متمنعا قبل أن ترسم قسمات وجهه الوسيمة رغم خشونتها بعينيها معقودة اللسان .
كيف تخبره ..
كيف تصيغها له في كلمات ..
كيف تجعله يصدق أن بكارة الأنثى الحقيقة ليست في نقطة ما في جسدها وإنما في نقطة مجهولة بين الروح والقلب ..لن يقدر أن يصل

إليها ويزيل عنها خاتم الشمع الأحمر .. لن يستطيع أن يوشمها باسمه إلا من يمتلكها بكليتها .. يمتلك روحها وعقلها وقلبها وليس فقط جسدها..

كيف تخبره بأن الأمر ليس بالوسامة ولا بضخامة العضلات ولا بالفحولة .. بل بالمشاعر .. بلغة الجسد التي تقول الكثير دون زيف أو تصنع أو أنانية أو رغبة تقف عند حدود الغريزة .. بطاقة من عطاء وعشق ورغبة في المنح والإيثار .. بعلاقة حب متبادلة بين طرفين وليس طرف واحد ..

كيف تخبره بأنها حين كانت متزوجة قبله لم يكن ينقصها شيء من الجانب الجسدي كأنثى فالجسد كان مرضيا واحتياجاتها في هذا الجانب كانت ملباة .. لكنها كانت يتيمة الروح والقلب ..

كيف تخبره بأنها عاشت بين ذراعيه منذ قليل أجمل تجربة وأجمل شعور مر عليها في حياتها وأحست بأنها ملكة متوجة على عرش قلبه .. كيف تخبره بأنه قد فض بكارة روحها لأول مرة قبل قليل ..

لم تجد بسمة ما تعبر به عما تشعر به ..فرفعت يدها وأخذت تمشط له شعره بحنان جارف تدفق في قلبها يهزم قشرتها الثلجية التي تحتمي بها ..فطالعها كامل بعينين عميقتين رأت فيهما قبل قليل ما أذهلها من العشق والغرام والشوق والرغبة .

حاولت البوح بشيء .. أي شيء ..لترد به على ما قاله وما لم يقله فلم تقدر إلا على الهمس

"بسمة خُلقت من ضلع كامل غنيم نخلة "

ادخل كامل ذراعيه تحتها وضمها بقوة حتى كاد أن يحطم عظامها وهو يردد بهمس متهدج

بجوار أذنها "بسمة سليمان الوديدي خُلقت من ضلع كامل غنيم نخلة"

xxxxx

وقف جابر في صالة بيته يتلقى التهاني من خالاته وعمته وأمه بعد أن دخلن مع العروسين إلى البيت مهنئين ثم توجهت نجف لتبارك لأم هاشم فمالت عليها الأخيرة تقبل وجنتيها بابتسامة لؤلؤية واسعة تخفي ارتباكها.. جعلت جابر يرفع حاجبه حين اكتشف خيالا لغمازة في خدها الأيسر لكنه اضطر للعودة للانتباه لما تقوله له عمته .

بعد قليل خرج جابر معهن حتى بوابة البيت الخارجية حتى يطمئن بنفسه بأن أمه ركبت سيارة من سيارات أبناء عمته وخالاته الذكور الذين هنئوه مرة أخرى وودعه الجميع مغادرين ..

في داخل الشقة نظرت أم هاشم حولها في حالة عدم تصديق أنها وصلت للحظة التي ستقف فيها في هذا البيت وحدها مع جابر وقد أقنعت نفسها لتتفادى الصدمة بأنه ربما سينتهي الحلم قبل أن تصل إليها ..

بعينين دامعتين تطلعت في الأثاث والستائر في كل شيء حولها بسعادة واستدارت تنظر للنيش الكبير في الواجهة .. النيش الذي رتبته بنفسها .. فلفت انتباهها انعكاس صورتها عليه بذلك الفستان الرائع .

عليها حين تحين لحظات الألم أو الفراق أن تتذكر بأنها ارتدت أحلى فستان زفاف وذهبت لأكبر صالون تجميل ورصت النيش الذي تمنت أن ترصه .

كان الفستان الأبيض مضيئا ببياضه رغم أنه لم يكن لامعا .. فقط وجهها الذي كان داكنا بشدة يتناقض مع اللون الأبيض الذي يحيط

بجسدها وكأنه يصر على أن يخبرها بأنها سوداء .

سمعت بوابة البيت الخارجية تغلق فارتبكت وبحثت حولها لا تعرف كيف سيتحمل قلبها سعادة وجودهما وحدهما فلملمت فستانها وأسرعت تهرول فوق السلم إلى الطابق الأعلى بينما دخل جابر من باب البيت يعقد حاجبيه وهو يبحث عنها في المكان قبل أن يغلق باب الشقة .. ثم وقف للحظات يلعب بميدالية المفاتيح في يديه وابتسامة تزين شفتيه .. ابتسامة ساخرة من نفسه حين اعترف بأنه مرتبك.

بعد دقائق كانت أم هاشم تقف في غرفة النوم وقد ازداد شعورها بالارتباك والهلع .. أجل الهلع.. فمؤشر ثقتها في أنوثتها هبط إلى تحت الصفر .. لقد انتصرت شخصية أم هاشم الأنثى

في أن تسيطر عليها بعد أن هزمت أم هاشم الإنسانة بداخلها .. هزمت أم هاشم الواثقة في نفسها الصلبة من الخارج حادة الطباع .. حينما ظهرت أم هاشم الأنثى التي تتواجد في محيط جابر ..

تصورت نفسها بملابس تكشف عن جسدها الأسمر ورفعت ظاهر يدها الداكن تنظر إليه بإحباط شديد ولم تدر ماذا تفعل .. بل إنها تمنت للحظة ألا يقترب منها .. أن ينبذها من أول ليلة ..

أفكار مجنونة بدأت تسيطر عليها وهي تسمع خطواته على السلم تزيد من توترها وارتباكها بينما المؤشر لا يزال يهبط لما أقل من الصفر..

فتح جابر الباب فاستدارت لتواجهه تطوي شفتيها للداخل وتتقبض إلى جانب جسدها وبمجرد أن أطل عليها في تلك الحلة التي تظهره أمامها طويلا وسيما لا يزيد عمره عن ثلاثين

سيطرت عليها رغبة في البكاء من هذه الجرعة الكبيرة دفعة واحدة على قلبها .
سألها جابر "هل أنت بخير ؟"
ردت بحشرجة " نعم .. أقصد لا .. لست بخير .. أشعر بالحرج وبالارتباك ولست معتادة على أن أبدل ملابسي أمام أحد "
قالتها بكلمات سريعة متلعثمة فاتسعت ابتسامته وهز رأسه متفهما وقال" لا بأس سأتركك قليلا لتبدلي ملابسك (ثم دقق في وجهها الشاحب وترك الباب ليخطو إليها خطوات قلقة وهو يقول بعبوس) أم هاشم ما بك لا تبدين على ما يرام"
قبل أن يقترب ابتعدت خطوتين للخلف وهي ترفع سبابتها أمامه محذرة تهتف بنظرة شرسة "أريد بعض الوقت وحدي "
رفع جابر يديه أمامه بابتسامة هادئة حلوة هدأت من روعها فضغطت شفتيها ببعضهما

تمنع ابتسامة ترغب في البزوغ فظهرت غمازتيها الغائرتين أمام عينيه قبل أن تضيف بلهجة هادئة" أرجوك "

شراستها الأنثوية مع خجلها الواضح داعب واستفز شيئا بداخله .. فقال بهدوء وثقة" أنا فقط كنت سأقترب لأطمئن عليك "

تسلحت بالمزاح هاتفة باستنكار "وهل الأمور بهذه البساطة والسهولة تقترب حينما تريد الاقتراب !!"

اتسعت عينا جابر لثوان قبل أن يقهقه عاليا فخرج تأوه خافت من حنجرة أم هاشم تاه وسط صوت ضحكاته وغمغمت في سرها "اللهم صل على النبي .. ليتني أنجح في اضحاكك دوما فلا يحمل قلبك هما أبدا "

سيطر جابر على ضحكاته وهز رأسه يقول بابتسامة " لا بأس يا بنت الشيخ زكريا .. أنا جائع ولم آكل في الحفل سأنزل لأحضر الطعام

الذي أخبرتني أمي بأنه بالمطبخ .. وأتركك تبدلين ملابسك .. (ورفع سبابته يقول بلهجة متوعدة) وحينما أعود لنا حديث آخر "
راقبته يتحرك نحو الباب قبل أن يستدير ليضيف بابتسامة وبنفس اللهجة المتوعدة"
تدللي على راحتك يا بنت شيخي "
قالها وأغلق الباب خلفه ثم وقف قليلا يشرد بنظراته في الأرض وهرش بعدها في مؤخرة رأسه مبتسما يشعر بالحرج .. فأسرع بفك ربطة العنق وألقى بها على أحد المقاعد وتبعها بسترة الحلة قبل أن يتحرك بخطوات رشيقة لينزل للطابق الأرضي في الوقت الذي وقفت أم هاشم تدمدم ساخرة" عن أي دلال يتحدث !..
هل هذه هيئة أنثى تعرف كيف تتميع وتتدلل!
.. بل هل هذه أنثى من الأساس؟!"
أسرعت بفتح باب الخزانة فتفاجأت بأنها فتحت الجانب الخاص به ووقفت متسمرة

تتطلع بنظرات متأثرة في ملابسه المعلقة أمامها .. ثم مدت يدها لتلمسها .. لتمرر يدها فوقها .. ثم اقتربت وحضنت بعضا منها مصدرة تأوها عاليا من قلب يائس معذب وهمست "يا رب أنا لا أعترض على خلقتك ولا على قدري أنا فقط تمنيت أن يراني أنثى كاملة ولو للحظات .. (وأضافت بلهجة باكية) يا رب أنت وحدك تعلم بأن قلبي سينفطر إن رأيت نفورا في عينيه هو بالذات"

أما في الدور الأرضي فوقف جابر يكشف عن الصينية التي تحتوي على الطعام ثم أمسك بدورق العصير سكب منه في كوب كبير وشربه ليروي ريقه الجاف دفعه واحدة ثم نظر في ساعته يقول لنفسه "نعطيها عشر دقائق أخرى ثم نصعد لنرى هل الاقتراب صعب أم سهل يا بنت الشيخ"

قال العبارة الأخيرة بتحدي ذكوري مستمتع لم يحدث معه من قبل ثم وقف يلتقط لقيمات من الطعام ويصب المزيد من العصير وهو لا يعرف لماذا يشعر بجفاف حلقه .. أهو التوتر والشعور بالحرج أم الفضول والترقب ؟!.

بعد دقائق ألقى جابر بالكوب على المنضدة الرخامية وأمسك ببطنه عابس الوجه وهو يشعر بمغص شديد يمزق احشائه أتبعه شعور بالقيء لم يعطه الفرصة لأن يستوعبه بل أسرع مهرولا نحو الحمام ليلقي ما في جوفه .

xxxx

قبيل الفجر

رنين الهاتف أيقظها فرفعت رأسها من فوق الوسادة تبحث حولها وهي تحاول استيعاب مصدر الصوت قبل أن تنتبه لأنه من الهاتف الأرضي الموضوع بجوار السرير .

صمت الرنين فنظرت لنفسها لتجدها عارية تحت أغطية السرير وبسرعة قفزت ذكرى ما حدث بينها وبين كامل قبل ساعات إلى ذاكرتها فاحمرت وجنتاها وهي تنظر بجوارها فلم تجده .

عقدت حاجبيها بتساؤل ونظرت نحو الحمام المظلم قبل أن يعود الهاتف للرنين فمدت ذراعها والتقطت السماعة تقول بهمس أجش "آلو"

جاءها صوته مصاحبا لأغنية خافتة في الخلفية يقول" أنا في المطعم انزلي "

رمشت بعينيها عدة مرات ونظرت للساعة الجانبية ثم قالت باندهاش" الآن؟!"

قال بصوت لم تتبين كنهه" الآن"

قالها وأغلق الخط فعادت برأسها للوسادة تشعر بالإجهاد ثم اعتدلت تبحث عن شيء

على ضوء المصباح الجانبي لترتديه قبل أن تلتقط تيشيرت كامل وتلبسه .
بعد نصف ساعة نزلت إلى بهو الفيلا المظلمة إلا من أضواء مصابيح جانبية خافتة باتجاه الباب المؤدي للمطعم فعدلت من بلوزتها السوداء فوق البنطال القماشي الرياضي وتممت على شعرها المبلل المعقوص للخلف بكعكة منخفضة ثم تحركت نحو المطعم وهي مشغولة بالتطلع في ساعديها المرقطين بالبقع الحمراء.
دخلت المطعم الخالي من الزبائن والذي أُسدل ستارا بلاستيكيا على هيئة شرائط ليغطي واجهته الزجاجية بينما الأضواء خافتة فاستقبلها صوت عبد الحليم الخافت هو الأخر .
حركة سمعتها في المطبخ المشعل ضوءه بشكل كامل فدخلته بخطوات مترقبة لتجد كامل

يقف أمام موقد كبير وبيده مقلاة يضعها على النار.. فأدار لها وجهه يتطلع فيها بنظرة رسمتها من رأسها حتى اخمص قدميها أصابت وجنتيها بالاشتعال قبل أن يشير لها في صمت أن تجلس على مقعد عند طاولة طولية جانبية تفصل بينهما .

اقتربت بسمة في صمت وجلست بينما الصوت الخافت يغني ..

عاشق ليالي الصبر مداح القمر
عشق العيون السمر غواني السهر
لولا النهار في جبينك..
لولا الورود في خدودك ..
لولا الأمان في وجودك ..
ما كنت هويت ..
ولا حبيت ..
ولا حسيت بطعم الحب يا عمري

رمقها كامل بنظرة جانبية أخبرتها بما لا يحمل مجالا للشك (هذا الكلام لك) فارتجف قلبها بقوة وتأملته وهو يقف أمام الموقد بفانلة كحلية ذات حمالات تبرز عضلات ذراعيه القويين وأعلى ذراعه اليمين مغطى بضمادة وبنطال رياضي أسود وحذاء رياضي بينما شعره الندي مصففا للخلف ..وانبهرت بطريقته المحترفة لمسك المقلاة وهو يقلب ما فيها بدون ملعقة وإنما عن طريق رفع محتوياتها في الهواء عدة مرات فينقلب ما فيها ويعود مرة أخرى للمقلاة .. هيئته أشعرتها بأنها أمام أحد الطباخين المشهورين الذين تراهم على التلفاز .

ترك كامل المقلاة وأمسك بيد مقلاة أخرى بجوارها وبالشوكة قلب شريحتين كبيرتين من اللحم ثم سكب سائلا من زجاجة فوقها فهبت نارا لثانية جعلت بسمة تطلق صرخة مرتبكة قصيرة وتغطي وجهها بكفيها للحظات ..

تطلع فيها كامل بقلق وأخفض النار ثم تحرك
نحوها يسأل "باسمة هل أنت بخير؟"
قالت بسمة بارتباك تحاول طرد ذكرى قريبة
من مخيلتها" أنا بخير "
عبر المنضدة أمسك بيدها يقول معانقا عينيها
بعينيه "آسف"
قدك المياس يا عمري
أيقظ الإحساس في صدري
أنت أحلى الناس في نظري
جل من سواك يا عمري
تطلع في وجهها المرقط بالأحمر وفي حجري
عينيها المذهلين بزرقتهما فقالت بسمة بخجل
"اذهب أيها الشيف حتى لا تحرق لنا طعام
الفجر"
لاحت ابتسامة على زاوية شفتيه وعاد لما
يفعل فراقبت بسمة تفاصيله الرجولية
وتذكرت لقاءهما المشتعل قبل ساعات بينما

قال كامل بلهجة متفاخرة" عليك أن تكوني ممتنة لأن كامل نخلة يطبخ لك"
اتسعت ابتسامتها .. ابتسامة مضيئة سعيدة .. وما أحلى الابتسامات الحلوة حينما تأتي بعد وقت عصيب ..وقالت بلهجة مشاكسة" أرى شخصا مغرورا أمامي"
أحضر صحنين مسطحين كبيرين ووضعهما أمامه ورد وهو يضع كل شريحة من اللحم في طبق "هذه حقيقة باشمهندسة باسمة .. فأنا لا أقف في المطبخ إلا نادرا حينما أكون في مسابقة للطهي أو دورة تدريبية أو مزاجي رائق فأقرر أن أطبخ شيئا بنفسي"
قالت معترفة "الحقيقة تفاجأت حينما شاهدتك رغم أني رأيت شامل أكثر من مرة في المطبخ يطبخ بيديه"
رد كامل" شامل متخصص في صناعة الحلويات وأنا متخصص في صناعة الطعام العادي"

قالها واقترب يحمل الصحنين فقالت بسمة بلهجة متهكمة " أفهم من ذلك أن عليّ أن أشعر بالفخر وليس فقط الامتنان لأن كامل بك نخلة يطبخ لي ؟"

وضع الصحنين واحدا أمامها والثاني أمامه وحرك عينه بعيدا عنها مفكرا ثم عاد إليها يقول ببرود مستفز" بالطبع"

ابتسمت مرة أخرى ساخرة من غروره ثم نظرت لقطعة اللحم وبجوارها خضراوات مشكلة وأمسكت بالشوكة والسكين وبدأت في التقطيع وهي تقول بغرور مماثل "سنرى كامل بك مستوى طبخك "

تأملها من خلف المنضدة بابتسامة وهي تحاول تقطيع اللحم ورغم أنها كانت تستعملهما جيدا لكنه استشعر عدم راحتها في التعامل معهما فاستدار يخرج إليها من خلف الطاولة وراقبته بسمة وهو يقترب منها حتى وقف خلفها ثم

مال عليها يحيطها بذراعيه ممسكا بيديها
الممسكتين بالشوكة والسكين.
كان جسده دافئا ورائحة عطره قوية اصابتها
بالانتعاش في الوقت الذي قال كامل بخفوت
بجوار أذنها وهو يساعدها على تقطيع قطعة
اللحم "لا تجعلي سبابتك متشنجة بهذا الشكل
على السكين .. وتستطيعين تبديل الشوكة
لتكون باليمين بعد الانتهاء من التقطيع"
دمدمت بحرج تبوح به لأول مرة أمامه" أشعر
بأني خرقاء حين أفعل هذا "
ترك التقطيع لكنه لم يترك يديها وقال متأملا
جانب وجهها "هذا غير صحيح أنت تبلين بلاء
حسنا وتتعاملين بالشوكة والسكين بشكل جيد
أنا فقط الذي يستشعر تشنجك"
أدارت وجهها ورفعته إليه فتعانقت الانفاس
والعيون على صوت عبد الحليم العذب
ليهمس كامل وهو يتأمل سحر عينيها" كل

الأغاني موجهة إليك لكن استبدلي(العيون السود) بالعيون الفيروزية"

يا شعر ليل .. يا ليل يا ليل
وفارد ضفايرك ع القمر
يا بو ضحكة حلوة منورة ليل السهر
يا ليل يا ليل
يا للي حسنك خللى دقات القلوب بتقول آهات
يا ما قالوا فيك أشعار كتيرة وحكايات
وليلاتي بيحكوا في هواهم
وكلام ع الرمش اللي رماهم
والليل بيطول وياهم
ويقرب لي فرحة عمري

ارتجفت شفتاها أمامه لا إراديا ومشاعر قوية تجتاحها فمال كامل بوجهه وأطبق على شفتيها بقبلة حارة مفجرة لكل مكامن الأنوثة فيها قبل أن تفلت شفتيها منه وتقول بحياء أنثوي

ستظل محتفظة به حتى لو تزوجت عشر مرات
"الطعام سيبرد "
طبع قبلة أخرى على رقبتها وهو يلجم نفسه عن التمادي ويلجم مشاعر أخرى ترغب في افساد اللحظات الحلوة معها ثم تحرك يعود إلى حيث كان خلف الطاولة .
أخذت بسمة قطعة من اللحم في فمها وبدأت في مضغها وهي ترفع حاجبا معجبا وتنظر إليه واللحم يذوب في فمها بطعم رائع بينما ناظرها كامل بثقة مستفزة فقالت بغيظ لا تريد الاعتراف بمهارته" تواضع لله يا كامل بك"
ابتسم وقال وهو يمسك بالشوكة والسكين "انتهي من طبقك سريعا حتى نصلي الفجر ثم نذهب مشوارا"
اتسعت عيني بسمة وقالت باندهاش" مشوار في هذا الوقت ؟!!!"..!

xxxx

بعد ساعة

ازاحت بسمة الوشاح الذي كان يغطي رأسها وهي تصلي مع كامل لأول مرة .. صليا الفجر في المطعم بعد أن رفض الأخير الصعود للغرفة متعللا بلهجة ذات مغزى بأنه إن صعد لن ينزل منها.. ثم نظرت له بترقب وهي تسأله" هل سنذهب لهذا المكان الغامض بهذه الملابس ؟"

تطلع كامل فيها ثم أجاب" أجل ولكن غطي شعرك المبلل بالوشاح حتى لا تبردين من نسمة الصبح"

عقدت بسمة حاجبيها باستغراب فتحرك كامل يدخل إلى الفيلا وخلفه بسمة ثم إلى باب المرآب .. ممسكا بكوبين حافظين للحرارة يحتويان على قهوة وقبل أن يدخله أخرج من الخزانة الخشبية سترتين متشابهتين من الجلد

أعطاها واحدة فنظرت في مقاسها الكبير وقالت
"هل أصعد لأحضر سترة لي؟ "
رد وهو يتفحص السترة في يده" ليس لدينا
وقت علينا التحرك الآن "
عقدت حاجبيها باندهاش وأخذت تفكر وهي
ترتدي السترة تحاول تخمين المكان الذي يريد
أن يأخذها إليه في هذا الوقت المبكر.. بينما
قال كامل وهو يعطيها السترة التي في يده ويأخذ
منها الأخرى" البسي هذه لأنها سترتي أما
الأخرى (وارتداها) تخص شامل"
لبست السترة وتبعته للمرآب وهي تتذكر
تصريحه في بيت الجد صالح (أنا أغار أغار
عليك) فاتسعت ابتسامتها بفرحة ثم سألته
وهي تتبعه بخطوات خفيفة على الأرض أشبه
بخطى طفلة رائقة البال" كيف تفرق بين
سترتك وسترة شامل ولماذا تشتريان نفس
الملابس تقريبا؟"

رد عليها وهو يترك السيارات المركونة بالمرآب ويتجه نحو ركن مغطى فيه شيء لم تدرك كنهه "نحن نميل لاختيار ملابس متطابقة .. وأحيانا لو اشترينا من نفس المكان كل منا على حدة نتفاجأ بتطابق الكثير من اختياراتنا .. أما بالنسبة للتفريق بين ملابسنا فقد تعودنا على أن نضع علامة بداخل القطعة تلصق بالكي أو خيط رفيع كانت تفعله أمي ونحن صغار الخيط الأحمر لي والأزرق لشامل والغريب أنها تستطيع أن تفرق بين ملابسنا المتطابقة بدون أن ترى العلامة "

طالعته بسمة باندهاش قبل أن يزيح الغطاء عن دراجة نارية فتحولت دهشتها للدراجة بينما سألها كامل السؤال المهم "وأنت كيف تستطيعين التفرقة بيننا؟"

هزت بسمة كتفيها وردت بمراوغة" هكذا كما تفعل ونس"

سحب خوذتين كانا فوق أحد الرفوف بعد أن وضع كوبي القهوة وعاد إليها يقول بلهجة ذات مغزى "لكن ونس تحب شامل "

احمرت وجنتاها وردت وهي تشيح بنظراتها عن حصار عينيه "ومفرح أيضا يستطيع وبعض من أصدقائك"

قال وهو يتطلع في عينيها" لكنهم يحبونني أيضا وأنت تكرهينني "

حركت عينيها بعيدا عنه مجددا وردت تتصنع البرود" الكره أيضا نوع من المشاعر القوية "

هذه المرة لم يحزنه التعبير عن الكره ربما لشعوره بكذبها المفضوح وربما لما لمسه منها وهي بين ذراعيه .. فلم تكن فقط امرأة مشتاقة لعلاقة جسدية وقد كانت المرة الأولى التي ينتبه فيها لكونها هي الأخرى لديها احتياج جسدي باعتبارها قد سبق لها الزواج ورغم شعوره الحارق كلما تذكر أمر زواجها السابق

لكنه أرغم نفسه على تقبل الفكرة .. لكنه اكتشفها بين ذراعيه .. اكتشف حقيقتها كامرأة متعطشة للحب ..للشعور بالحماية .. وتأكد من شعوره بأنها خلقت له ومنه .. خلقت لتكمله .. ولدهشته لم يبد عليها بأن لديها خبرة بعلاقة الفراش .. كانت مرتبكة خجولة تحتاج للتوجيه والقيادة ..

نفض الخاطرة مرة أخرى لتداخلها مع أخرى مؤلمة تريد أن تنغص عليه فرحته بلقائهما وألبسها الخوذة على رأسها دون تعليق ..وارتدى الخوذة الأخرى ثم وضع الكوبين في صندوق صغير في مؤخرة الدراجة وركبها وشغلها وهو يقول لها من بين صوتها العالي" هيا اركبي وتمسكي بي جيدا"

ترددت بسمة قليلا فلم تكن من هواة ركوب الدراجات البخارية أو ما يشبهها قبل أن تقترب وتركب خلفه ثم طوقت جذعه بذراعيها من

الخلف فشدد كامل من يديها حوله ثم تحرك منطلقا يغادر المرآب.

××××

بعد قليل

كان كامل ينطلق بها على طريق سريع يربط بين المحافظات بينما نور الصبح بدأ في الانبلاج على استحياء ليمحو الظلمة أمام العيون وفي الأرواح .. وتطلعت بسمة في الصحراء على جانبي الطريق وهي تحضن كامل بكل قوتها مستغلة الفرصة .

بعد دقائق توقف على الطريق وسط صحراء شاسعة على مرمى البصر على الجانبين فنزلت بسمة تشعر بأنها تقف على وسائد هوائية وخلعت الخوذة تنظر حولها باندهاش ثم رفعت عينين متسائلتين لكامل الذي وضع الخوذتين فوق الدراجة وقال بلهجة شريرة" قررت أن أقتلك وأتخلص منك في الصحراء

لأنك تكرهينني ما رأيك في هذه النهاية الرومانسية؟ "

غمغمت بابتسامة "ولماذا تتعب نفسك كنت تركتني في النار "

وضع كامل هاتفه على الدراجة ومنه عبد الحليم يستأنف غنائه ثم اخرج الكوبين من الصندوق وناولها قهوتها وهو يقول بخفوت متألم " لا تتحدثي عن هذا الأمر علينا أن ننساه "

داعبت رائحة القهوة أنفها وراقبته وهو يقترب ليقف خلفها فوضع ذراعه فوق كفها ليضمها إليه بذراع واحد بينما الأخر ممسكا بكوب القهوة .

أدارت بسمة وجهها نحوه فقال وهو يمس شفتيها بشفتيه "أنظري أمامك لقد حانت اللحظة"

عادت بسمة بوجهها لتنظر أمامها ثم شهقت متفاجئة وهي ترى قرص الشمس أمامها يصعد للسماء ببطء فينير الدنيا وينشر الدفء .. ارتعشت بشكل ملحوظ بينما رفع كامل كوب القهوة الذي يخصه وارتشف منه .. وأصداء الأغنية تدغدغ مشاعرهما.

عيني يا عيني عيني عليكي
كل القلوب بتدوب حوالكي
أما أنا ..وحدي أنا
بشوفك بس بعيون غير عيون الناس
واحبك بكل ما في القلب من إحساس

وقفت تتأمل المشهد المهيب بعينين دامعتين وهي ترى الشروق بوضوح وكالعادة يصيبها المشهد بالشجن وبرغبة في البكاء لكن هذه المرة كانت اللحظة الأروع في حياتها .. كان شروقا مميزا بوجوده معها يشاركها اللحظة التي

تمنح الأمل وتعد بالتغيير للأفضل بينما هي محاصرة برائحة القهوة وعطر كامل ودفئه ..

أما أنا ..وحدي أنا

باشوف الحزن متداري

ورا الضحكة اللي في عنيكي

وبسمع في رنين صوتك شجن مالي لياليكي

غمغمت بعينين دامعتين "يا الله!.. لا أصدق (ونظرت لكامل تقول) أرأيت جمال الشروق يا كامل ؟"

داعبها يحك أنفه في خدها وهو يهمس" أنا أرى الشروق كلما رأيت عينيك يا فاتنة المجرة"

همست بلهجة عاشقة" كامل"

طوقها بذراعيه ملتصقا بها وهو يهمس" ليلة أمس كانت مذهلة يا باسمة "

قالت بلهجة بائسة "وأنا مرقطة بالأحمر!"

وياريت اللي كتير وصفوكي

كانوا يخدوا عنيا يشوفوكي

كانوا بقلوبهم حبوكي
زي ما حبيتك أنا وقلبي

شدد من ذراعيه حولها وهو يتطلع في عينيها عن قرب ثم همس" قلت لك كان هذا لطفا بي أنا من رب العالمين حتى لا أموت من أول مرة بجرعة زائدة من جمالك ومن شوقي إليك"

كانت لحظة كاملة لم تتوقع أن تعيشها يوما.. إنه يحبها حتى بدون جمالها المعهود فهمست "كامل"

"فداك روح كامل "

"هل كل ما يحدث لي حقيقيا ؟؟..أنت وأنا والشروق والقهوة"

لم يستطع الصمود أكثر فاقتنص قبلة من شفتيها .. قبلة حارة بعشق متجمر وبدأت يده الحرة في تحسس جسدها بشوق حتى انسكبت قطرات من القهوة من يده الأخرى.

أفلتت بسمة شفتيها تقول لاهثة" كامل نحن
في الشارع وقد تمر سيارة"
ألقى كامل الكوب من يده وخطف كوبها
وألحقه بصاحبه ثم طوقها بذراعيه من فوق
السترة الجلدية التي يغرق فيها جذعها وعاد
ليلتهم شفتيها وقد فقد صبره .
بعد قليل أبعدته بسمة بحزم ورجعت للخلف
تتعثر في خطواتها شاعرة بالدوار وقالت وهي
تعدل من ملابسها بعد الفوضى التي أحدثتها
يداه "كامل هيا لنعود"
رد بأنفاس متسارعة" أجل هيا قبل أن يقبض
عليّ بجريمة اغتصاب أنثى في الصحراء "

xxxx

على باب الحمام الملحق بغرفة النوم وقفت أم
هاشم بفستان زفافها وقد خلعت طرحتها
وحجابها وبقلب مقبوض تابعت جابر وهو

يغسل وجهه بعد أن تقيأ للمرة التي فقدوا عدها.

راقبت ظهره المتشنج في بنطال العرس الأسود والقميص الأبيض وهو يمسك بالحوض منكس الرأس صدره يعلو ويهبط وقد شحب وجهه فقالت بصوت متهدج" لماذا لا نستدعي طبيبا يا جابر "

رد بخفوت من بين لهاثه المتسارع" قلت لك ليس هناك داع سأكون بخير إن شاء الله "

قالت بصوت باكٍ " أنت على هذه الحالة منذ ساعات لم يبق في جوفك ما تتقيأه حتى الماء أصبحت تشربها وتتقيأ "

كان يشعر بإعياء شديد وبحزن من أجل فساد ليلة العرس لكنه قال دون أن يستدير نحوها "اصنعي لي أي مشروب دافئ أخر "

ردت بقلق" غير الذي شربته وتقيأت!"

قال جابر بقلة صبر" افعلي ما قلت يا أم هاشم
وإياك والاقتراب من الطعام بالأسفل أو دورق
العصير هذا بالذات احتفظي به في الثلاجة
لأنظر في أمره فيما بعد"
قالت أم هاشم " لقد تفحصت الأكل والعصير
ولم أجد شيئا غريبا "
قال بحزم وهو يمسك بمعدته التي تؤلمه
بشدة "نفذي يا أم هاشم دون جدال بالله
عليك ولا تحاولي أن تتذوقي أي شيء منهم "
أسرعت تحمل طرف فستانها وتهرول حافية
القدمين تغادر غرفة النوم وهي تسترجع باكية
كيف أنها شعرت بغيابه فظنت بأنها ربما
أغضبته بكلامها قبل أن يدخل عليها شاحبا
صامتا .. وقبل أن يحاول الشرح أسرع نحو
الحمام ليتقيأ .. وعلى مدى ساعات قضاها بين
المقعد في الغرفة والحمام لم تفهم ماذا حدث

إلا أنه قد شرب من العصير وتناول بعض اللقيمات من الطعام .

دخلت المطبخ بسرعة تصنع له شراب النعناع وهي تدعو أن تتقبله معدته وغمغمت في سرها" لا حول ولا قوة إلا بالله .. اللهم الطف به واشفه"

حين صعدت بعد قليل كان جابر يجلس على المقعد يميل بجذعه للأمام وهو يسند بمرفقيه على فخذيه بينما رأسه فوق قبضتيه المضمومتين .

سمعها تفتح الباب ثم سمع حفيف فستانها على الأرض قبل أن تدخل مجال رؤيته فشعر بالحزن من أجلها أكثر من أي شيء أخر ثم انتابته موجة ألم قوية تمزق أحشائه بشكل صعب التحمل بينما وضعت أم هاشم الكوب بجوار مقعده على الأرض ونزلت على ركبتيها ترفع وجهها إليه وهي تقول "ما رأيك أن تضع

غطاء على بطنك ربما الدفء يشعرك بالتحسن ؟"

تماسك بقوة حتى يخفف من ملامح الألم التي يظهرها أمامها ورد وهو يكتم أنفاسه" أي شيء يا أم هاشم أي شيء تعرفيه من الوصفات المنزلية افعليه"

قالت وهي تمسك بذراعه "عليك بالاستلقاء على السرير "

شعر بالإهانة لرجولته كعريس سيرقد في السرير في ليلة عرسه فقال يعاند نفسه" لا لا سأكون بخير بعد قليل هاتي الغطاء هنا "

أسرعت نحو الخزانة تخرج منها منشفة كبيرة سميكة فقال جابر وهو يسمح لها بأن تضعها على بطنه" لقد اشرقت الشمس ولم نصل الفجر لا حول ولا قوة إلا بالله!"

اسرعت أم هاشم بالقول وهي تناوله كوب النعناع الساخن "ستتحسن إن شاء الله وستصليه قضاء "

قبل أن تكمل جملتها كان جابر يقفز واقفا ويسرع نحو الحمام ليفرغ المزيد مما في جوفه الفارغ فأجهشت أم هاشم بالبكاء لا تعرف كيف تتصرف لتخفف عنه.

xxxx

أوقف كامل الدراجة البخارية في المرآب فنزلت بسمة تخلع عنها خوذتها بينما الهاتف لا يزال يصدح بالأغنية التي أعادها للمرة الثانية .

موال

عاشق أنا موال

وقصتي بتنقال للناس وللعاشقين

قالو في الموال قالوا

عللي صبر ونال قالوا

من بعد صبر سنين قالوا

ركن الدراجة واستدار ينظر إليها بنظرات مشتعلة بالرغبة فحاولت بسمة الهرب من أمامه وهي تشعر بأن قلبها يقفز من السعادة في صدرها كأرنب صغير .

لحق بها كامل وأمسك بها قبل أن تدخل من الباب المؤدي لداخل الفيلا فهمست تتلوي بين ذراعيه اللذين أطبقا عليها "كامل ماذا تفعل؟"

رد وهو يطبع قبلة على طابع الحسن في ذقنها" أعبر أن أشواقي "

أفلتت منه وهي تقول بغرور أنثوي مصطنع" ألن تتعلم الاستئذان! "

رفع زاوية شفته العليا باستنكار ثم عاد ليمسك بها قائلا "كامل نخلة لا يستأذن "

وقبل شفتيها بقبلة حارة أخرى.

وأنا اللي قلبي خلاص ارتاح ..أنا

وبقيت في دنيا من الأفراح ..أنا
ومشيت يا ليل مشوار طويل
ولا قلت مرة دة مستحيل

سكنت بسمة بين ذراعيه لثوان متجاوبة مع القبلة فلم تستطع مقاومتها تشعر وكأنه يقبلها بقلبه لا بشفتيه ثم ابتعدت عنه تقول بلهجة مشاكسة مغرورة وابتسامتها السعيدة تنير ظلمة المرآب الجزئية " وأنا بسمة الوديدي يا كامل بك وليس لأني ضعفت ليلة أمس يعني بأن تتمادى"

هتف كامل باستنكار" نعم!!!!"

اسرعت بسمة بالهرب من أمامه تدخل من الباب فأسرع كامل خلفها بخفة وقلبه يرقص طربا وفرحا وسعادة .

في البهو وقفت بسمة بحرج أمام الحاضرين تخلع السترة الجلدية وتعيدها للخزانة وأدخلت بعض الشعيرات المشعثة في مقدمة

رأسها بسبب الحريق ولحق بها كامل دون أن يخلع سترته.. ليقفا أمام آل غنيم .. فتفحصتها سوسو بأنظارها من بعيد وهتفت "يا إلهي البقع تزداد في وجهك !"

وقفت بسمة تناظر الجميع بعينيها الزرقاوين بينما قال غنيم بابتسامة حانية" كيف حالك اليوم يا بسمة؟"

هزت رأسها وقالت بحشرجة وقد عادت كل الذكريات المرعبة لرأسها "أنا أفضل الحمد لله"

قالت سوسو محذرة "غنيم إياك أن تقترب منها"

ناظر غنيم الأخيرة بنظرة عاتبة لكنها اسرعت بسحب ونس التي همت بالفعل من الاقتراب منها وهي تقول "ماذا فيها؟.. بسمة لن تغضب مني ..لو كانت مكاني لفعلت ذلك هي الأخرى خوفا من انتشار العدوى "

قال غنيم " لم نتأكد بعد بأنها معدية يا سوسو"
ردت تجادله " لهذا الحرص واجب أليس كذلك يا بسمة ؟"
غمغمت الأخيرة بتفهم "كلامك صحيح "
قالت سوسو لكامل بلهجة موبخة " وأنت لماذا بت معها في نفس الغرفة؟.. ألم أطلب منك ألا تخالطها حتى نتأكد"
أحاط كامل جذع بسمة بذراعه وقال بلهجة متسلية " كيف أفعل ذلك يا سوسو لقد كانت في حضني طوال الليل بالطبع"
شعرت بسمة بالحرج الشديد فرفعت ذراعها خلف ظهره وقرصته بغيظ بينما قالت سوسو بوجه متورد " إذن أنت أيضا سنحبسك معها حتى تظهر نتيجة التحاليل هيا لا تتركا الغرفة ولا تخرجا منها حتى نطمئن "

لمعت عينا كامل وقال وهو يمسك بكف بسمة" علم وينفذ يا سوسو .. أنت محقة لابد أن نلتزم بالحجر الصحي للحفاظ على سلامة الباقين"

قالها وهو يسحب بسمة التي تلون وجهها بالأحمر خلفه فمرت على ونس التي رفعت أمامها دفترها كيافطة لتقول بسمة "انتظر يا كامل لأرى ماذا كتبت ونس"

تدخل شامل يقول بالنيابة عن زوجته" إنها تقول حمدا لله على سلامتك لقد قضيت وقتا طويلا في البكاء من أجلك .. وسترسم لك صورة وأنت مبقعة بالأحمر "

ردت بسمة وكامل لا يزال يشدها على السلم" شكرا يا ونس (ثم هتفت) كامل سأنكفئ على وجهي"

توقف الأخير وجعلها تصعد أمامه ثم قال لأخيه مغيظا من فوق السلم وهو يُرَقِّص حاجبا

واحدا " تول أنت الأمر يا شامل فأنا سأكون في الحجر الصحي بالأعلى ولا أريد ازعاجا"
قالها وأسرع بالصعود ليلحق ببسمة بينما غمغم شامل من بين أسنانه بغيظ يداري فرحة شديدة في قلبه لما التقطه من سعادة توأمه"
ال**** نال المراد"
أمام الغرفة قال كامل بلهجة خطرة من خلف الباب" بسمة افتحي وإلا أقسم بالله سأفتعل فضيحة"
نطقه اسمها دون لفظ التدليل جعلها تدرك بأنه غاضب فأسرعت تفتح قفل الباب وتقف أمامه متخصرة ترفع ذقنها أمامه بكبرياء وتقول" ماذا تريد ؟"
أغلق الباب خلفه وتأمل شكلها المبقع بالأحمر وقد حلت شعرها الأسود فبدت مغرية أكثر من تحمل أعصابه فقال بلهجة خطرة وهو يقترب

منها" حذرتك من قبل من إغلاق بالباب من الداخل أليس كذلك! "
قالت بوجنتين مشتعلتين وتلك الرغبة المشتعلة في عينيه خاصة في حالتها الحالية تسعدها" وأنا قلت ماذا تريد يا كامل "
أمسك بخصرها ليمنعها من الابتعاد وألصقها به يقول بلهجة حارة "أريد أن اتمادى وأحطم كل الحدود وما بعد الحدود "
افلتت منها ضحكة رغم تأثرها بذلك الاحتياج والجوع لها .. احتياج أدركت بعد ليلة أمس بأنه عاطفيا لا يقف عند حدود الجسد وقالت وهي تبتعد بجذعها عنه" ومن سيسمح لك بالتمادي!"
أخرج المفاتيح والهاتف من جيبه وألقى بهم على السرير ورد بعنجهية وهو يعقد ذراعيه حولها "ومن قال بأني سأستأذن .. ثم أنا لم أتمادى بعد .. أنا لم أفعل شيئا بعد"

صدح صوت عبد الحليم ليكمل الأغنية بمجرد ارتطام الهاتف بالسرير والمفاتيح بينما تعانقت نظراتهما وهي بين أحضانه .

ومشيت ع الشوك ما رجعني
لحد الحب ما طاوعني

همس بصوت أجش وهو يمس شفتيها بشفتيه اسمعي عبد الحليم سيخبرك بكل شيء.

وبقيت أنا والحلوة حكاية
عمره ما هيبقالها نهاية
طول ما انتي يا حبيبتي معايا
هتنورلي أيام عمري

التهم كامل شفتيها فاستسلمت له وكل حركة ولمسة منه تستقبلها بامتنان عاشقة لرجل يعشقها كما تحب أن تعشق.. قبل أن يسمعا طرقا على الباب جعل كامل يزمجر بعصبية.. فحاولت الإفلات منه خاصة حينما عاد الطرق

فعادت زمجرة كامل باعتراض غاضب وهو لا يزال يلتهم شفتيها .
تركها أخيرا مع الالحاح خاصة حينما قالت زيلا بعربية ركيكة" باسما .. أمك هنا "
اتسعت عيني بسمة وأسرعت بتعديل ملابسها وتمشيط شعرها بيدها سريعا وهي تنظر لكامل الذي فتح الباب لزيلا يقول "ماذا تريدين؟"
قالت الأخيرة بالإنجليزية "والدة بسمة وصلت وأخوها وامرأة شابة معهما ..ويبدو أنها ستصعد لأن سوسو أخبرتها بأن بسمة في حجر صحي حتى تظهر نتيجة التحليل لكن والدتها أصرت على الصعود"
قالت بسمة لزيلا " ناوليني شرشف من الخزانة بالخارج يا زيلا بسرعة "
ناظرتها زيلا بغباء فأشارت بسمة بعصبية تقول بالإنجليزية "شرشف للسرير "

اسرعت الأخرى في تلبية الطلب بينما وقف كامل يراقب ما تفعله بسمة بتغيير شرشف السرير وتعديل الغرفة وقال باستهجان" هل ستستقبلينها في غرفة النوم!"

ردت وهي تداري ضحكة متسلية "وهل لديك مكانا أخر لاستقبلها فيه ؟..فسوسو لن تسمح لي بالنزول قبل أن تظهر نتيجة التحليل وأنا بصراحة لا أريد أن أشعر أحد بالخوف من العدوى"

قال باستهجان" ألن تخشى والدتك من العدوى؟"

رمقته بجانب عينيها وهي تفرغ الوسائد من أكياسها ثم قالت " وهل منعك أنت الخوف من العدوى! .. أنا أعرف أمي لن تهتم بهذا الأمر حتى لو أصيبت لا قدر الله لكن أنا سأحاول أن اقنعها بأن تكون بعيدة"

هتف كامل بصبيانية " عليك بإقناعها أن تبقى بالأسفل"
رمقته بسمة بابتسامة فقال بغيظ صبياني "كان من الممكن أن تتأخر قليلا هل هناك أحد يزور الناس في هذا الوقت المبكر من الصباح !!"
استقامت ووقفت أمامه متخصرة تقول بكبرياء" أمي كامل بك هل ستمنعها من زيارتي .. المرأة لم تفعل معي كما تفعل باقي الأمهات بزيارة بناتها من حين لأخر بسبب بُعد المسافة"
دخلت زيلا بالشرشف وحاولت إعطائه لبسمة من بعيد بتحفظ وخوف من العدوى فأعطتها بسمة الأخر لتضعه في الغسيل وراقبتها وهي تمسك الشرشف بأطراف أصابعها بقرف وتغادر الغرفة وشعرت بالحزن لكنها حينما نظرت لكامل الذي يتطلع فيها بغيظ وإحباط وحاولت بصعوبة كتم ضحكتها .

اقترب كامل منها وهو يشعر بأنها مختلفة تماما عن بسمة الحائرة أول مرة رآها قبل ثلاث سنوات وبسمة الباردة المتعالية حينما قابلها في القرية وبسمة المجروحة الثلجية التي تزوجها ..

رآها بسمة أخرى ..

بسمة مشرقة دافئة سعيدة ومرقطة بالأحمر.

ابتعدت بسمة خطوتين للخلف محذرة بهمس "كامل أمي ستصعد في أي وقت والباب مفتوح"

قلب مقلتيه وهو يقترب أكثر فوصلت حتى المقعد ثم همست من جديد وهو يمسك بذراعيها "الباب مفتوح يا كامل "

صوت خطوات ثقيلة وصوت أمها المتلهف في الخارج وهي تنادي "يا بسمة "

جعله يفلتها فأسرعت الأخيرة نحو الباب وقالت" أنا هنا يا أمي لكن بدون لمس قد أكون معدية"

ضربت فاطمة على صدرها وهي تتطلع في وجه ابنتها وهتفت بجزع "بسمة ماذا حدث لك؟"
قالت بسمة بحزن وقد عادت للتفكير فيما حدث" الحمد لله على كل شيء "
اندفعت فاطمة بعاطفة الأمومة تضمها باكية فقالت بسمة متأثرة "قلت لك بدون لمس يا أمي حتى نتأكد" شددت فاطمة من احتضانها وهي تغمغم" لماذا يحدث لك كل هذا لماذا يا ربي .. والله قلبك أبيض ولا تحملين ضغينة ولا غل لأحد"
همست بسمة بلهجة باكية وقد تأثرت بما قالته أمها" أقدار يا أمي "
ابتعدت فاطمة تتطلع فيها بعينين دامعتين ثم انتبهت لوجود كامل خلفها بالغرفة فقالت له مرحبة "لا تؤاخذني يا بني لم انتبه لوجودك (واقتربت منه ترفع إليه رأسها وتقول) اقترب لأقبلك واشكرك على شهامتك ورجولتك "

شعرت بسمة بحرج كامل وهو يميل بقامته الطويلة نحو أمها فطبعت على خده عدة قبلات متتالية سريعة قصيرة تعبيرا عن الامتنان .. فرفع رأسه وابتسامة تزين ثغره وهي تربت على صدره مضيفة " والله لن أنسى لك هذا يا كامل .. أنت انقذت ابنتي من..."

وأطرقت برأسها تمسك بطرف وشاحها باكية فربت عليها كامل بتعاطف وهو يقول" الحمد لله يا حاجة فاطمة كان الله بنا رحيما"

اسرعت إليها بسمة تقول "أنا بخير يا أمي لا داعي للبكاء ..هل جئت مع وليد؟"

غمغمت من بين دموعها "أجل إنه بالأسفل مع مهجة متحرجان من الصعود "

غمغمت بسمة " لا داعي سأسلم عليهما من بعيد وأنت يا أمي أخشى عليك من العدوى "

قالت فاطمة " لا أنا لن أتركك طوال وجودي هنا سواء كنت معدية أم لا متى ستظهر نتيجة التحليل؟"

ردت بسمة وهي تراقب فم كامل الملوي لقرار حماته بالبقاء في الغرفة" أعتقد سيظهر اليوم"

نظرت فاطمة لكامل تقول بلهجة ممتنة" وأنت يا حبيبي تجلس معها ولم تخش من العدوى"

هز كامل رأسه في وقفته بملامح مبتئسة يديه في جيبي بنطاله ورد" أجل .. وكنت أتمنى أن أتمادى أكثر من ذلك لكن حظي نحس كالعادة"

رمشت فاطمة بعينيها عدة مرات بعدم فهم خاصة وهو يحدثها بلهجة بلده بينما ناظرته بسمة بنظرة موبخة وهي تمنع نفسها من الانفجار في الضحك ثم قالت لوالدتها" تعالي يا أمي استريحي "

راقبها كامل بامتعاض وهي تسحب أمها وتجلس معها على الأريكة قبل أن تأخذ فاطمة رأس

ابنتها إلى صدرها وهي تقول "لابد أن ارقيك من شر العين والحسد .. متى سيتركونك في حالك .. متى ؟"

تأثرت بسمة ودمعت عيناها وذكرى اللحظات الصعبة تعود إليها من جديد فقال كامل وهو يجز على أسنانه" سأذهب لأنام في إحدى الغرف الفارغة لأني لم أنم طوال الليل"

كانت فاطمة لا تزال على اعتقادها بأنهما لم يتمما الزواج بعد فقالت بتعاطف "بالتأكيد كنت بجوارها طوال الليل أسعدك الله في الدنيا والآخرة "

غمغم كامل وهو ينظر لبسمة بغيظ "أجل فكما قلت كنت أتمادى"

عضت بسمة على شفتها تطالعه بتوبيخ فردها لها ببرطمة غير مفهومة قبل أن يستدير ليترك الغرفة قائلا" سأسلم على وليد أولا .. هذا إن

سمحت لي أمي بالنزول للطابق الأرضي ...
وبعدها سأنام لبعض الوقت "
راقبت الحاجة فاطمة خروجه وكالعادة حيرها ذلك السؤال الذي لا تجد له إجابة تقنعها ..
كيف لرجل في مثل طوله وعرضه وصحته أن يعيش مع ابنتها الجميلة كالأخوات .. هذا أمر عجيب لا تفهمه.. لكنها تركت التفكير وعادت لبسمة تتفحص وجهها وعنقها وهي تقول بولولة "ماذا حدث لك يا بسمة!"

××××

احمر قرص شمس الظهيرة في السماء وازدادت درجة حرارة الجو كما ازدادت درجة حرارة جابر فتطلعت فيه أم هاشم وهو مصر على ألا يستلقي على السرير ملازما للمقعد الأقرب للحمام يسند برأسه للخلف على ظهر الكرسي مغمض العينين وأم هاشم التي لا تزال بفستان زفافها تعصر كمّادة بين يديها وتضعها على

جبهته وهي تشعر بألم كبير في قلبها .. لكن ثقتها به وبرجاحة عقله كانت تطمئنها بأنه لن يتشاءم منها .. وتعلم جيدا بأنه لو علم أحدهم سيربط فورا بينها وبين ما حدث لجابر وسيتأكدون بأنها شؤم عليه .. ومع هذا حاولت اقناع جابر بأن تتصل بأي أحد لجلب طبيب أو حتى تتصل بصيدلية لربما صرف لها الصيدلي أي دواء لحالته الغريبة لكنه رفض بشدة وأخبرها بأن أي شخص سيقترب من البيت خاصة في أول يومين سيعرف بخبره الجميع وقد يبدأوا في نشر الإشاعات .. ففهمت أم هاشم بأنه قد يسيء الأمر له كرجل أيضا فلربما طعن البعض في رجولته .. لكن حالته تؤلم قلبها خاصة مع ارتفاع درجة حرارته وعناده ألا يتمدد على السرير .. ولا تعرف ماذا تفعل حينما تحضر صباح ونصرة وبعض الجارات لإحضار صباحية العروس .

لم تكد الخاطرة تمر برأسها حتى سمعت صوت زغاريد بالخارج وتصفيق وغناء ثم الجرس يرن .. فاتسعت عيناها ولطمت على وجهها لا تعرف ماذا تفعل ..

نظرت لفستان عرسها الذي لم تجد فرصة لتبديله بينما عدل جابر رأسه يقول بوهن" هل سمعت صوت الجرس أم أنني أخرف ؟"

هزت رأسها وردت" أجل بالتأكيد زيارة الصباحية (ثم استقامت واقفة تقول بصلابة وهي تمسح دمعة فرت من عينها رغما عنها) لا تقلق سأبدل ملابسي وأنزل لهن وأخبرهن بأنك في الحمام "

قال جابر رافضا "كلا .. كيف تفتحين أنت الباب يوم صباحيتك ؟!"

قالت مجادلة "بالتأكيد عمي لن يكون معهن .. إنهن نصرة وصباح وبعض الجارات "

تحامل على نفسه للاعتدال يشعر بألم عظيم في عظامه يضاف لألم أمعائه وقال "حتى لو كان كذلك عيب أن تفتحي الباب يوم صباحيتك ماذا يقول الناس عني وعنك (واستقام واقفا بصعوبة والجرس يرن من جديد يقول) عليّ أن ابدل ملابسي بسرعة "

أسرعت أم هاشم نحو الخزانة لتخرج له جلبابا ليبدل فيه ملابسه .

بعد دقائق كان جابر يمسك بسور السلم بقوة محتفظا بظهره مفرودا وهو يتحامل على آلامه التي تشتد ساعة بعد الأخرى بينما درجات السلم تتراقص أمامه والدوار والصداع شديدين ..

على البوابة سألت إحدى الجارات "لماذا تأخروا حتى الآن؟"

فردت نصرة بسعادة" أليسا عريسين... كان من الممكن أن نتأخر قليلا "

كتمت الباقيات الضحك بينما خرج جابر إلى ساحة البيت يبذل جهدا ليسير معتدلا وهو يشعر بأن حرارته آخذه في الارتفاع ثم فتح البوابة وهو يرسم ابتسامة ضعيفة.. وأحشاؤه تتمزق .. فانفجرت الزغاريد في وجهه وتحرك مبتعدا للخلف ليسمح لهن بالمرور وهو يحاول التجاوب مع كلمات التهاني التي امطرنه بها بهز رأسه تارة وبعض الكلمات تارة أخرى لكنه لم يكن قادرا على التركيز فيما يقلن جيدا .. فأشار لهن بيده للدخول ثم سار أمامهن يتعذب من الألم وهو يحاول ألا يظهر ما به .

همست إحداهن للباقيات" ما به؟.. الرجل يبدو شاحبا"

غمغمت صباح وهي تعوج شفتيها " العروس مشتاقة للزواج ويبدو أنها لم تتركه طوال الليل"

غمغمت أخرى بهمس متهكمة" يبدو أن أم هاشم ستقضي على صحته "
انفجرن بضحك مكتوم فهتفت نصرة بتوبيخ هامس" احترمي نفسك يا امرأة أنت وهي .."
ونظرت لصباح شذرا فجبنت الأخيرة واشاحت بوجهها بحرج.. بينما قالت ثالثة بلهجة أوقح "وماذا قلنا نحن يا نصرة! .. كنا نتحدث عن أنها مشتاقة وحصلت أخيرا على رجل "
احتقن وجه نصرة فاسرعن باللحاق بجابر وخلفهن نصرة التي تحمل فوق رأسها صينية طعام الصباحية.
دخل جابر ليتفاجأ بأم هاشم تقف في الصالة مرتدية روب أبيض من الدانتيل ياقته من الريش الأبيض وشعرها مفرودا على كتفيها ترتدي مصوغاتها الذهبية .. وقبل أن يقول شيء قالت هي بهمس "سأستقبلهن هنا لا

داعي لأن يصعدن لغرفة النوم (وأضافت بلهجة مشفقة) اصعد أنت "

لم يستطع جابر قول أي شيء فالأرض تتحرك من تحته والمغص يشتد وعادت إليه الرغبة في التقيؤ واستخدام الحمام فتماسك وصعد على السلم يحافظ على استقامة ظهره وهو يسمع دخول النسوة بالزغاريد والتهاني.. يشعر بالمرارة والألم من أن اضطرا للكذب وادعاء أن كل شيء على ما يرام.

ورغم ما يعانيه شعر بالشفقة على أم هاشم أن فسدت ليلة عرسها بهذا الشكل .. ويكاد يجزم بأن ما حدث هو بفعل فاعل.. لكنه كان في حالة لا تسمح له بالتحليل المنطقي ليحدد ابعاد الموقف والجاني .

انتهت الحاضرات من التهاني والتبريكات والزغاريد وجلسن على الأرائك في بهو البيت يتطلعن في الأثاث حولهن وهن يصلين على

النبي بينما خرجت نصرة من المطبخ تقول باندهاش " لم تلمسوا الطعام يا أم هاشم إلا بعض اللقيمات ؟!"
غمغمت الأخيرة بارتباك " لم يكن لدينا شهية للطعام "
انفجرت الموجودات بالضحك فناظرتهن أم هاشم ترسم ضحكة صفراء وكأنها تؤكد لهن ما يقصدن بضحكهن .. فسألتها صباح بفضول " المهم طمئنينا يا أم هاشم"
في جلستها مستقيمة الظهر على طرف المقعد شبكت أم هاشم أصابع كفيها على ركبة من ركبتيها وقالت بابتسامة "عم أطمئنك بالضبط يا زوجة عمي؟"
قالت إحدى الجارات تغمز بعينها" طمئنينا كيف هو الزواج؟"
ردت أم هاشم بابتسامة صفراء أخرى وهي تقسم في سرها أنه لولا سمعة جابر لزجرت

هذه المرأة الوقحة لكن الظرف يحتم عليها
تأكيد ما يقلنه حفاظا على سمعته كرجل
..فمجتمع صغير كقريتها هذه الأمور حساسة
فيه جدا وأي شائعة قد تطالها لن تنمحي
بسهولة فقالت بنفس الابتسامة المصطنعة
"رأيي في الزواج كرأيك بالضبط مع أبو عيالك "
شعرت المرأة بالحرج بينما قالت أخرى" وهل
أعجب جابر بالسمار "
ردت أم هاشم بنفس الابتسامة الباردة " هل
انادي لك عليه لتسأليه بنفسك عن انطباعه؟"
خرست المرأة بينما هتفت أخرى" كنا نريد أن
نعرف منك التفاصيل ورد فعله لنفرح لك"
قالت أم هاشم" لا بأس ولكن حينما تحكي لنا
أنت أيضا عن تفاصيل ليلة زفافك "
هتفت صباح "ما بك يا أم هاشم تتعاملين معنا
بتعال فالنسوة يسألنك ليطمئنن عليك"

تدخلت نصرة تقول " الحقيقة أنكن تتدخلن في أمور عيب التحدث فيها"
فأضافت أم هاشم بنفس الابتسامة المرسومة" وحرام .. إفشاء الاسرار بين الزوجين حرام .. عموما طمئنوا أنفسكن فكل شيء على ما يرام "
ورنت أساورها وهي تستقيم واقفة وتقول متجهة نحو المطبخ "لم أضيفكن بعد لا تؤاخذونني"
قالت نصرة وهي تذهب خلفها" لا داعي يا أم هاشم نحن سنغادر بسرعة"
همست إحداهن" إنها ليست نحيفة للدرجة التي توقعتها لكن من أين حصلت على هذا البروز؟"
قالت صباح موضحة "بالتأكيد ترتدي صدرية مبطنة رأيت منها في جهازها "

ردت الاخرى بوقاحة" لكنها ممتلئة في منطقة أخرى من جسدها بشكل ملحوظ وهذا يعجب الرجال جدا "

انفجرن بضحك مكتوم لتقول صباح بعد أن تغلبت على ضحكاتها" مهما يكن لست مصدقة حتى الآن أن رجلا في عز شباب وصحة ووسامة جابر يتزوج من سمراء نحيفة لا تملك إمكانيات أنثوية .. هناك شيء لا أفهمه في الأمر"

ردت عليها إحدى الجارات "المهم أنها خرجت من البيت أخيرا .. ألم تشتكي مرارا من وجودها تزاحمكم فيه"

علقت صباح متنهدة" هذا ما يقلقني .. أن يكون هناك غرض لجابر من هذه الزيجة مثل ما قيل في البلدة بأنه يريد كسر عين بنت العسال .. فتعود أم هاشم لنا مرة أخرى.. وهذه المرة لن تخرج منه فمن سيرغب في

الزواج من مطلقة سوداء لا تملك مؤهلات أنثوية ؟!"

في الداخل قالت نصرة لأم هاشم بقلق "هل أنت بخير تبدين شاحبة وجفناك متورمان.. هل كنت تبكين؟"

تمنت أم هاشم أن تبوح لنصرة .. وتمنت أن تستعين بهلال ليحضر له الطبيب لكنها خشيت من أن تسيء لسمعة جابر ولحساسية موقفه كعريس .. كما أنها لا تثق هل سيتصرف هلال بحرص أم لا .. وحتى لو تصرف كيف سيحضر الطبيب أمام أهل البلدة .. ولو طلبت منها احضار شيء من الصيدلية كيف ستفسر لنصرة هذا الطلب فقالت" أنا بخير كنت أبكي من السعادة فكما تعلمين لازلت لا أصدق ما يحدث معي "

قالت نصرة بمحبة" ربك كريم وكرمه واسع (وغامت عيناها تضيف) العقبى لإسراء حينما يأتيها العوض هي الأخرى"

ربتت أم هاشم على ذراعها بمحبة ثم حملت صينية عليها بعض الحلوى وعلب بها هدية العروس من الحلويات لزائريها لتقول نصرة باعتراض "قلت لك ليس هناك داع "

ردت أم هاشم" لا يصح إنهن في بيتي لأول مرة (ثم قالت بتردد) أم كريم أنا نسيت أن احضر بعض الأدوية للطوارئ لأضعها عندي في الخزانة"

سألتها نصرة" أي أدوية؟"

ردت أم هاشم" أدوية مثلا لخفض الحرارة ومسكنات وأدوية للقيء أو المغص المعوي "

قالت نصرة تهز رأسها "لا بأس سأحضره لك في وقت أخر"

أرادت أم هاشم أن تتوسل إليها أن تسرع بجلبها لكنها قالت متماسكة" لو أن ترسليها مع كريم سأكون شاكرة"
قالت نصرة" بالتأكيد لا تقلقي سأحضرها لك أنا بنفسي غدا حينما أحضر "
قالتها وهي تترك المطبخ فأطرقت أم هاشم برأسها لثوان لا تعرف ماذا تفعل وأكلها قلبها على جابر تريد أن تسرع إليه لتطمئن ..
فخرجت من المطبخ وهي تغمغم" يا رب فوضت أمري إليك واستودعت جابر ابن نجف في حفظك المتين "
بعد دقائق وبعد أن أصرت نصرة على أن يغادرن جميعا لترك العرسان .. وبعد بعض الأسئلة الوقحة من الباقيات لأم هاشم ظاهرها مزاح وباطنها سخرية غادر النسوة مودعات على صوت زغاريد نصرة فأغلقت أم هاشم خلفهن الباب واسرعت بلملمة ذيل ذلك الروب الذي

ترتديه وهرولت على السلم بقلب مفجوع على زوجها الغالي .

xxxx

"أنت يا أم الزفت هل ضحكت عليّ وأخذت المبلغ الكبير الذي طلبتيه دون أن تنفذي ما طلبته ؟.."

هتفت أم عصفور في الهاتف "لماذا هذا الكلام يا ست كاميليا أنا خادمتك والمبلغ أخذه العطار ولست أنا "

سألتها كاميليا بعصبية " هل أنت متأكدة من ذلك العطار؟"

ردت الأخرى بثقة " يا ست الكل هذا رجل مشهور في إحدى القرى المجاورة كما سبق وأخبرتك .. ويأتيه الناس من المحافظات الأخرى لوصفاته التي تعالج الأمراض بالأعشاب"

صاحت كاميليا " أنا لم أطلب علاجا .. أنا طلبت سم هاري على بدنك .. أ من الممكن أن يكون قد نصب عليك؟"

قالت أم عصفور بثقة " أبدا والله .. الرجل صدقني وتعاطف معي بشدة حينما ذهبت له باكية وأخبرته بأن زوجي قد طردني من البيت أنا والعيال واستولى على ميراثي من أهلي ليتزوج بأخرى وبأنني أريد أن أفضحه هو والسنيورة التي تزوجها فأعطاني خلطة الأعشاب هذه وأخبرني بأنها تذوب في السوائل دون أن تترك أثرا أو تؤثر على الطعم وبأنها ستصيب من يتناولها بقيء مستمر وارتفاع في درجة الحرارة خلال ساعات ولن يتم الحل إلا بالتدخل الطبي السريع وإلا ستسوء الحالة .. وأنا بنفسي وضعتها في العصير وفي الشوربة وفي الملوخية ومسحت بها على الطيور وكأنها توابل .. أي أنه

أيا من كان سيأكل أو سيشرب لابد أن يمرض فورا"
سألتها كاميليا مفكرة " أمن الممكن أن تكون الحاجة نجف قد لمحتك وبدلت الطعام ؟"
ردت الأخرى نافية " لا لا أنا كنت حريصة واستغليت انشغال الجميع بالحفل "
قالت كاميليا بغيظ " حتى الآن لم يحدث أي شيء ولم يظهر شيء غريب حول البيت والصباحية ذهبت إليهما وليس هناك أي تحركات غير عادية"
قالت أم عصفور وكأنها تتعمد حرق دمها " من الممكن أن يكونا قد انشغلا لم يجدا فرصة للطعام .. فهما عروسان"
صرخت فيها بغل " اذهبي يا امرأة وادع ربك أن يكون هذا الرجل صادقا وإلا يا ويلك أنت وأولادك مني .. اذهبي"

وقفت كاميليا تقضم ظفر ابهامها وهي تفكر بتوتر في الوقت الذي دخلت فيه ميس تقول باكية " أمي.. زيد ابن خالي ضربني "
صرخت كاميليا فيها " اذهبي الآن من أمامي .. اشتكي لأمه واتركيني في حالي "
أسرعت ميس بالخروج تبكي بينما رفعت أمها الهاتف على أذنها مرة أخرى وقالت بعد برهة " أنت يا عصفور الزفت ما الأخبار؟"
رد عصفور بإنهاك " لا جديد أخي يقول لا جديد"
صرخت فيه " هل أنت متأكد؟.. ألم يطلبا طبيبا أو يزورهما أحد غير طعام الصباحية؟"
"لا جديد يا ست كاميليا"
سألته بغيظ " هل أنت متأكد من أن أخوك يراقب البيت؟"
رد الأخر بإجهاد " أتصل به كل نصف ساعة اقسم لك "

سألته باستنكار " ولماذا لم تراقب البيت بنفسك؟"

هتف عصفور قائلا " يا ست كاميليا أنا وجهي معروف وهلال جمعة يعرفني جيدا .. لقد سهرت طوال الليل بالقرب من البيت لكن حينما طلع الضوء تركت أخي هناك ونخشى أن نلفت انتباه أحد"

قالت آمرة " لا تجعله يتحرك من هناك وإذا شعر بأي زيارة غريبة عليه أن يخبرني فورا (وأكملت في سرها) وأنا سأرسل من يشاهد ويستخدم الأمر لإطلاق الشائعات المهم أن نأتي بدليل"

بامتعاض حرك عصفور رأسه بطاعة وهو يقف في الشارع قائلا " حاضر يا ست كاميليا حاضر"

اغلق عصفور الخط ونظر في الهاتف يريد أن يبصق عليه بقهر بينما وقفت كاميليا تحدث نفسها" ترى من منهما الذي أكل الطعام؟.. أم

إنهما الاثنين قد مرضا ؟ المشكلة أن طعام الصباحية قد ذهب إليهما .. أمن المعقول أن فاتت الفرصة يا كاميليا .. كانت الضربة الأقوى التي ستجعل الجميع يتشاءمون منها.."
سحبت نفسا عميقا وقررت ألا تفقد الأمل فغمغمت " الصبر يا كاميليا الصبر وستنالين مرادك.. وستشفين غليلك "

xxxx

عند الغروب

علت ضحكة وليد بسعادة في جلسته بجوار بسمة ظهره لظهر السرير بينما قالت الأخيرة مشاكسة" لا أصدق أنك ستصبح أبا "
عدل الأخير من ياقة قميصه بفخر فضربته بسمة على ذراعه في الوقت الذي دخل فيه كامل وقد استيقظ للتو مسرعا لبسمة بعد أن أخبره شامل بنتيجة التحليل السلبية وخلوها من أي أمراض معدية أو حساسية لأي شيء

وبأنه قد تحدث مع الطبيب بالنيابة عنه فأخبره بأن التفسير المنطقي هو نتيجة لما تعرضت له من صدمة بسبب الحادث ولا يوجد علاج أكيد ولكنه سيزول بالتدريج .. تطلع كامل في جلسة وليد بامتعاض وقال " أنت هنا؟.. ألا تخاف من العدوى ؟"

رد وليد بابتسامة "لقد طمأننا شامل من نتيجة التحليل كما أنني لا أهتم من أمر العدوى أنا فقط اضطررت لاتخاذ الحيطة والحذر بسبب زوجتي (وأضاف بحرج) فنحن ننتظر وديدي صغير "

نظر كامل لبسمة ليرى ردة فعلها إن كانت متأثرة أم لا بالخبر فوجد ملامحها عادية فقال مهنئا" مبارك لكم (ونظر لبسمة يقول) الحمد لله أن اطمأننا على النتيجة"

هزت رأسها بسعادة وغمغمت بحشرجة
"الحمد لله لكن كون الأمر ليس له حلا طبيا
يشعرني بالحزن والخوف"
علق كامل بلهجة جادة" ستتحسن حالتك إن
شاء الله "
ونظر لحماته المتربعة على الأريكة تشاهد
حلقة من مسلسل ما على التلفاز بتركيز وشعر
بالضيق فهم بترك الغرفة لكنه لا يزال غير
مستسيغ لوجود وليد بهذا الشكل في غرفته
وفوق سريره وملتصقا بزوجته فقال له" لماذا
لا تأتي معنا للمطعم بالأسفل؟ "
رد وليد" اذهب وسألحق بك بعد قليل"
ابتسم كامل ابتسامة ممتعضة ثم تبادل مع
بسمة النظرات ذات المغزى .. فهزت له كتفيها
وكأنها تخبره بأن الأمر خارج عن إرادتها ليغادر
الغرفة وهو يدمدم بغيظ.. فقالت فاطمة

لوليد" أين زوجتك يا وليد لا يصح أن نتركها كلنا ونجلس في الغرفة مع بسمة "
رد وليد موضحا " إنها مع ونس منذ أن حضرت يا أمي تثرثران بشكل مستمر .. عموما أنا سأنزل لها بعد قليل ..ماذا عنك أنت ؟"
قالت فاطمة " أنا لن أغادر غرفة ابنتي واتركها وحدها لم اشبع منها بعد .. ليتني استطيع المبيت معها "
قال وليد بجدية" ما المشكلة سنغادر أنا ومهجة بعد قليل وأتركك هنا معها "
ردت فاطمة بتوجس " وأبوك ؟"
قال وليد بلهجة حازمة " لا تقلقي أنا سأتصرف معه وأخبره بأني من أصريت عليك(ونظر لبسمة مستدركا) هذا بالطبع إن لم يسبب لبسمة حرجا مع عائلة زوجها "
أسرعت بسمة بالرد "بالطبع لا ..إنهم أناس كرماء وأصحاب واجب .. والفيلا بها أكثر من

غرفة فارغة .. إن أردت أنت المبيت أنت ومهجة أيضا "
قال وليد" لا لا .. أنا لابد أن أعود الليلة لأن مهجة لابد أن تذهب للكلية صباح الغد لتحصل على كتب مهمة لامتحاناتها الأسبوع القادم"
سألته بسمة بهمس" كيف حالك معها؟"
رد بهمس " الحادث أثر في مهجة كثيرا ..وهذا أثر فيّ أنا بشدة .. ووعدت نفسي بحتمية أن أكسب ثقتها واحترامها من جديد"
عادت لبسمة ذاكرتها بشأن ما فعله وليد من أجلها فهبت عليها نوبة بكاء وهي تقول بمحبة خالصة" لا أصدق أنك عرضت نفسك للموت من أجلي"
قالتها وهي ترفع يديها وتحضن وجهه بكفيها فابتسم الأخير وسحبها لحضنه يقول"
سامحيني يا بسمة عما فعلته وأحزنك سابقا..

أعدك بأني سأكون لك أفضل مما تتمنين وتأكدي من أني أحبك جدا حتى وإن تصرفت بغباء يوما أو ببعض الأنانية لكني أحبك يا أختي"

تطلعت فيه بسمة بعينين دامعتين فأكد لها وليد بتأثر" هذا وعد مني لن أخذلك ثانية "

تأثرت بسمة بشدة وشعرت بأن تلك المنح والعطايا التي تنهال عليها منذ يومين هي عوض من رب العالمين لصبرها عما تعرضت له في حياتها فغمغمت وهي تبكي في صدر أخيها" لا حرمني الله منك يا وليد"

xxxx

قال حمزة بابتسامة سعيدة من أمام المقود" حسنا سأتحدث معك حينما نصل بإذن الله ..لقد أوشكنا على الوصول للقرية .. (ثم أضاف وهو ينظر للمقعد الخلفي حيث تجلس أمه ومنة) أمي ؟ .. إنها بخير الحمد لله .. سلام"

اغلق الخط فقال مصطفى وهو يتطلع في ولده"
مادامت تلك الابتسامة البلهاء والتي تصاحبك
منذ أن تحركنا ظهر اليوم لا تزال على وجهك
فهذا يعني أن أهل زميلتك لديهم انطباعا جيدا
عنا بعد زيارتنا لهم "
قال حمزة بابتسامة وهو يتابع السيارة الأخرى
التي تتقدمه والتي تحمل باقي أخوته الذكور" لم
يكن عندي شك في أن آل الزيني سيتركون
انطباعا ممتازا عند أهل هَنا "
قال مصطفى بجدية وهو يحرك سبحته بين
يديه" بصراحة أنا كنت قلق من الزيارة لأن
مستواهم الاجتماعي وطريقة حياتهم المدنية
قد تجعلهم لا يقدروننا ونحن ندخل عليهم أنا
بالجلباب وأمك بالعباءة"
قال حمزة بثقة" وأنا كنت متأكد أننا سنحوز
على اعجابهم .. يكفي وجودك يا حاج

وشخصيتك وثقافتك التي تفرض نفسها في أي مكان "

شاكسه مصطفى رغم شعوره بالإطراء" مهما قلت ستدفع تكاليف زواجك من حصتك في الأرباح السنوية يا حمزة ولن أساعد بأكثر مما وعدتك به فعليك أن تعلم بأن الزواج مسئولية وليست فقط تلك الأمور التي في عقلك"

قهقه حمزة ورد وهو ينظر في المرآه الامامية" سأتحفظ عن الرد مؤقتا لوجود النساء (ثم سأل أمه) كيف حالك يا أم حمزة ألا يزال الدوار مستمرا؟"

ردت الاخيرة بوهن ورأسها مسند على كتف منه التي تتابع شيئا ما في هاتفها" لازلت أشعر بالدوار وبالقيئ"

ناظرها مصطفى بنظرات مشفقة بينما قال حمزة متفهما "حسنا كما قلت لك أي وقت

تريدينا أن نتوقف اخبريني عموما لقد اقتربنا من الوصول"

قال مصطفى وهو ينظر في ساعته" عليّ بالإسراع لزيارة جابر قبل أن يتأخر الوقت فلا يصح ألا أزوره"

هز حمزة رأسه متفهما وساد الصمت بعض الوقت قبل أن يسأل مصطفى يختبر ابنه "وماذا لو لم يتقبلنا والد عروسك وكان من اولئك الأثرياء المتعجرفون من أهل المدينة الذين يحكمون على الناس بالمظاهر ماذا كنت ستفعل ؟"

رد حمزة بجدية "بالطبع كنت سأتألم بشدة لأني أحب هنا كثيرا "

"ثم؟"

رد حمزة" لا شيء .. لن أفعل شيئا إما أن يحترم أهلها أهلي ويقدروهم أو سأضطر للانفصال عنها فمن لا يحترم أهلي لا يحترمني"

اتسعت ابتسامة على وجه مصطفى وهو ينظر لولده برضا واعجاب .. فرمقه حمزة بنظرة سريعة وعاد للطريق وهو يقول بابتسامة " إن كنت قد أثرت اعجابك بما قلت فعليك مكافأتي بعدم المساس بأرباحي السنوية التي تأتيني من الأرض الزراعية والتجارة يا حاج "

قهقه مصطفى ولم يرد فقال حمزة بتدلل ابن على أبيه "العيادة يا حاج .. لا أريد أن افرط في ثمن العيادة المستقبلية .. تعلم بأني أدخر لها من الآن"

رن هاتف مصطفى فتحكم في ضحكاته ورد على محدثه قبل أن يغمغم بحزن" لا حول ولا قوة إلا بالله .. متى الدفن والعزاء؟ .. لا بأس انتظروني أنا سأكون معكم بعد قليل لقد أوشكنا على الوصول "

أغلق الخط فناظره حمزة بتوجس بينما هتفت صفاء بهلع "من مات ؟"

قال مصطفى مهدئا" إنه الحاج حافظ بدران"
غمغم حمزة "الدوام لله"
قال مصطفى" عليّ أن اذهب له أولا ثم بعدها أرى إن كنت سأستطيع أن أزور جابر أم أؤجلها لوقت أخر ..(وتنهد يقول) إنا لله وإنا إليه راجعون "

xxxx

قرأت بسمة على الواتساب " لقد حل المساء يا بسمة ألن تنام والدتك؟! (وجه بائس) "
لم تعرف بسمة ماذا تقول له فوالدتها تلمح لرغبتها في أن تنام بجوارها .. وباءت كل المحاولات التي بذلتها سوسو لأن تنزل الأخيرة للدور الأرضي بعد ظهور نتيجة التحليل مستشعرة الحرج من رد فعلها السابق حينما خشيت من العدوى.. لكن فاطمة كانت متمسكة بالجلوس مع ابنتها في غرفتها لأنها

تشتاق إليها حتى أنها ودعت وليد ومهجة من على باب غرفة بسمة ..
كتبت له بسمة " أمي تشتاق إليّ يا كامل ووليد تركها لهذا السبب"
كتب كامل " وأنا؟!! .. ألست مشتاقا لك أنا الآخر (وجه غاضب)"
ابتسمت واختلست النظر لوالدتها التي تجلس بجوارها على السرير تشاهد فيلما قديما وتقطع لها التفاح وتحشره في فم بسمة بالإكراه مستعرضة فوائده العظيمة للبشرة ثم كتبت
"من الممكن أن تبيت أنت في غرفة الألعاب اليوم أو في إحدى الغرف فأنا أشعر بأنها تريد أن تبيت بجواري الليلة"
كتب كامل "ألا يوجد لديكم حق للزوج في غرفته ..لا أفهم كيف تقرر المبيت في غرفة نومي وعلى سريري؟!"

حكت بسمة جبينها بأناملها لا تعرف كيف تفسر له بأن أمها تعرف باتفاق الزواج السابق بينهما وفي نفس الوقت تفكر في طريقة لتمهيد الخبر لأمها التي تخشى من أن تكون ردة فعلها مبالغا فيها فتسبب لها الحرج مع كامل فكتبت تحاول التبرير " لا تؤاخذها يا كامل .. فهي تعرضت لصدمة قوية لما حدث لي وشعورها بأنها ستغادر بعد يومين أو ثلاثة يجعلها ملتصقة بي "

" يومين أو ثلاثة !!!!!!"

ابتسمت مشفقة عليه لكنها كتبت " هل تمنع أمي من البقاء معي (وجه غاضب) "

"يا سيدتي ليس لدي أي مانع أحملها فوق رأسي لكن تبتعد عن غرفتي وسريري وزوجتي"

صمتت قليلا وترقرقت الدموع في عينيها وكتبت "كامل"

"نعم"

"لازلت أشعر بعدم توازن ..وبكيت بدون سبب
بعد أن غادر وليد "
"لماذا البكاء؟"
"هذا ما يشعرني بالضيق من نفسي لأني لازلت
أبكي .. خاصة حينما رأيت نفسي في المرآة ..
رغم أني ممتنة لله سبحانه وتعالى أن كتب لي
عمرا جديدا وأن أعاد لي أخي ووهبني حبك لي ..
أنت لا تعرف شيئا .. لا تعرف كيف أن حبك لي
أعظم عوض لي يا كامل"
من وقفته في وسط المطعم تطلع كامل في
الهاتف وقلبه يدق بسرعة ثم قرأ ما أرسلته
بسمة " رغم أن قلبي لا يزال مجروحا مما قلته
قبل الحادث"
رفع وجهه عن الهاتف يغمض عينيه نادما على
ما تفوه به من قبل ..كان عليه ألا يشاركها فيه
ثم عاد للهاتف يكتب " سلامة قلبك (قبلة)"

بشعور مراهقة متأخر تسارعت دقات قلب بسمة ولمعت عيناها بالمزيد من الدموع التي لا تريد أن تتركها ولم تجد ما ترسله له إلا وجها مخبأ خلف كفين خجلا .

اتسعت ابتسامة كامل .. في الوقت الذي حشر شامل رأسه ليتطلع في هاتف أخيه الذي أسرع بوضعه في جيبه ..ليقول شامل مغيظا وهو ينفض غبارا وهميا من فوق صدر قميص أخيه" سأصعد لغرفتي اليوم مبكرا وأتركك يا عريسنا لتغلق المطعم وتتمم على الأمور فيه "

قال كامل بلهجة متحفزة "ولماذا لا تفعل أنت ذلك؟"

رد شامل بتنهيدة مصطنعة" أريد ان اقضي بعض الوقت مع زوجتي .. أما أنت فحماتك تحتل الغرفة وكل مخططاتك الوقحة يا عريس قد تأجلت "

قالها وتحرك مبتعدا فشتمه كامل من بين أسنانه بصوت خافت .

بعد قليل دخلت زيلا بعد أن طرقت على الباب تحمل صينية فيها بعض الحلوى وكوبا ورقيا من أكواب المطعم فيه قهوة ناغشت أنف بسمة قبل أن تراها .. فشكرتها بسمة ووضعت الحلوى أمام والدتها ثم التقطت هي قهوتها المفضلة فهتفت فاطمة" قهوة في المساء يا بسمة ستسهرين طوال الليل"

ردت الأخيرة" لا بأس يا أمي فهذا المهدئ الذي أخذته عند الظهيرة يشعرني بالدوار كما أنها جاءت في وقتها كنت اشتهيها بالفعل (وغمغمت في سرها) وكأنه يشعر بي"

علا صوت الأغاني من غرفة الألعاب فجأة فاتسعت عيناها بينما اجفلت فاطمة وتفلت في صدرها وهي تقول "بسم الله الرحمن الرحيم ما هذا؟"

رشفت بسمة من القهوة وهي تتساءل عن اسم الاغنية ذات اللحن الحديث الصاخب التي لم تتعرف عليها قبل أن يبدأ المغني بالغناء .

شيلي هالدمعة من عينك شيلي
واللي يبكيكي تاني مرة قوليلي
شو ماصار عليكي أنا حدك موجود
كِل الأيام الصعبة أنا قدها وقدود

سألتها أمها باندهاش " من أين تأتي هذه الأغاني؟"

ردت بسمة بحشرجة وقد غلبها البكاء" من المطعم .. أغاني المطعم موصلة بسماعات هنا (وأضافت بمراوغة) ويبدو أن أحدهم قد ضغط على زر الطابق العلوي بالخطأ"

سألتها فاطمة" هل عدت للبكاء مجددا يا بسمة؟"

لم تستطع الأخيرة الرد وإنما تحركت تغادر السرير وهي تمسك بكوب القهوة وتذكرت على رائحتها الأغاني التي كان يبثها لها من قبل.

لَكْ.. إيه بحبك إيه

دخلك يا ربي

تحميلي إياها .. أنا معاها

وشو ما صار عليها أنا قدها وقدود

اهتزاز صدر من هاتفها فأسرعت لالتقاطه من فوق الكومود لتجد كامل يسألها" هل وصلتك القهوة ؟"

"أجل"

"والأغنية؟"

"أجل"

"وقلبي؟"

انفجرت بسمة باكية ولم تقدر على الرد .

هيدي عيون قلبي بالله لا تبكيها

وهيدي خدود ما بيلبقلها إلا اضحكيها

إيه بحبك إيه
دخلك يا ربي
تحميلي إياها .. وأنا معاها
وشو ماصار عليها أنا قدها وقدود

xxxx

بعد العشاء انتهى مصطفى من واجب العزاء وهم بالمغادرة بعد أن سلم على الحاج عيد الذي قابله مثل غالبية أهل البلدة في صوان العزاء في أحد رجال البلدة من ذوي السمعة الطيبة .. فلمح يحيى وهلال يغادران فنادى على يحيى الذي قابله بابتسامة وهو يقول "عظم الله أجرك يا أبا حمزة"
سأله مصطفى "هل زرت جابر اليوم؟"
قال يحيى بحرج" الحقيقة أخرت نفسي أنا وأبا كريم للمغرب حرجا .. لكن جاءنا خبر الوفاة فاضطررنا للحاق بالدفنة ثم العزاء"

رد مصطفى "أنا أيضا كنت في العاصمة طوال النهار ما رأيك هل الوقت متأخر على الزيارة؟"
ناظره يحيى بتردد فقال هلال" نتصل به ونستأذنه أولا"
أخرج يحيى هاتفه من جيب العباءة وطلب الرقم قبل أن يناظرهما بنظرة ذات مغزى ويقول " مغلق .. هل أتصل بأم هاشم ؟"
تبادلوا الضحك ثم قال مصطفى "لا داعي لأن نحرجه لنترك العريس اليوم ونزوره في وقت أخر "
عادوا للضحك فقال هلال "هنيئا له لن أرحمه من التهكم حينما أراه "
في نفس الوقت كانت أم هاشم تجلس أرضا بجوار السرير بينما جابر قد استسلم أخيرا للرقاد بعد أن اشتدت عليه الحمى .
بشعور بقلة الحيلة واليأس أخذت أم هاشم تضرب على رأسها بولولة صامتة بينما كان جابر

مغمض العينين يعاني من الحمى الشديدة لكنه كان يخبر نفسه بأن عليه أن يتحمل حتى مساء الغد على أقل تقدير فهو يعلم بأن أي خبر عن مرضه في هذا الظرف الخاص بالذات لن يتوان أهل البلدة عن تداوله والتندر به متشائمين من أم هاشم .. أي خبر سيثبت على المسكينة خرافاتهم .. ومهما حاول بعد ذلك إخراج هذه الترهات من عقولهم لن يستطيع .. هذا بالإضافة لأنه قد يعطي فرصة لآل العسال للنيل من سمعته كرجل وسيثبت لهم صحة ما ادعته كاميليا فالناس لن تصلهم المعلومة صحيحة بأنه يعاني من شيء ما في معدته بل سيضيفون من مخيلتهم ما قد يسيء له لكن يشهد الله عليه بأنه لا يهتم بما يخصه وأن جل اهتمامه منصب على عدم تعرض أم هاشم لأي إساءة فيكفيها ليلة زفافها التي خربت .. عليه أن يتحمل قليلا من أجلها ..

عليه أن يتحمل آلامه المبرحة وضعف جسده الذي يعاني الجفاف ..
عليه أن يتحمل من أجلها ولا يعرف من أين أتى بهذا العزم القوى ليتحمل العذاب الذي يرزح تحته منذ ليلة أمس .
أما أم هاشم فلأول مرة تشعر بأنها مكبلة .. لأول مرة تحجم جموحها ورغبتها في أن تتصرف.. في أن تنقذه لكنها تخشى عليه من أن يكون تصرفها هذا سيسيء له .. وضعهما كعروسين في بلدة صغيرة يعرف أهلها كل شاردة وواردة تحدث لأي أحد فيها يلجمها من التصرف .. حتى أمه حينما اتصلت لتطمئن عليهما منعها جابر من أن تبدي لها أي شيء ..وأكتفى هو بتبادل كلمتين معها ليعطي أم هاشم الهاتف ..
كم تمنت أن تخبرها بحالته .. لكنها تراجعت فماذا ستفعل حماتها العجوز سوى أن تلجأ

لأحد أزواج خالاته أو لزوج عمته ولا تعلم إن كانوا سيحسنون التصرف أم سيلفتون الانتباه بزيارتهم لهما في يوم الصباحية .. كما أنها لا تعرف من الأساس طبيعة علاقتهم بجابر وهل سيحافظون على الأمر بعيدا عن إثارة اللغط أم ماذا .. لا تعرف ماذا تفعل فجابر يلجمها بأمره لها بالا تتصرف بشيء دون علمه ..وألا تخبر أحدا .. حتى أنه أغلق هاتفه وطلب منها إغلاق هاتفها هي الأخرى.

فكرت في أن تتصل بنصرة لتطلب منها تلك الأدوية التي أخبرتها عنها لكن خشيت من أن إلحاحها قد يثير شكها .. صحيح هي تثق في نصرة لكن عيون الجيران تعلم بأنها مسلطة على بيت جابر خاصة مع زيجته العجيبة وتلك الشائعات التي أطلقوها عليها .

سيتشاءمون منها ؟..

سيثبتون عليها صفة الشؤم إن تسرب إليهم الخبر ؟!..

لا يهم .. لا يهمها لو كان هذا فداء لجابر .

بدلت الكمادة فوق جبينه وهي لا تشعر إلا بانخفاض طفيف جدا في حرارته .. لقد كان يهذي قبل قليل بعبارات غير مفهومة .. كان يدمدم(سامحيني .. الأمر خارج عن إرادتي فسامحيني).

لحظتها انقبض قلبها وخشيت أن يكون قد ندم على زواجه منها وأن ما يحدث معه ليس إلا حزنا على كاميليا.

أيحبها لهذه الدرجة؟ ..

كيف لرجل برجاحة عقله أن يحب امرأة قميئة ككاميليا؟!! .. أم أن الحب كما يقولون أعمى؟!.

عادت والتمست له العذر فالقلب ليس عليه سلطان .. لو كان بيد الإنسان لأخرجته هي من قلبها .

ماذا تفعل؟.. هل ستتركه يموت أمام عينيها؟!..
على سيرة الموت أسرعت بحضن كفه المرتخية على السرير بجواره بين كفيها ففتح جابر عينيه وحرك رأسه قليلا يناظرها فقالت أم هاشم بحشرجة "بالله عليك دعنا نطلب المساعدة من أحد أنا لأول مرة أخشى من التصرف خوفا من أن أسيء لك.. يبدو أنني لم أخلق لأكون تحت إمرة رجل "
قال بصوت رخيم واهن " إياك أن تفعلي شيئا دون إذني هذا أمر يا أم هاشم "
قالت بلهجة متألمة " يا جابر لقد مر يوم كامل على زواجنا والأمر عادي ..من الممكن أن نقول أنك انزلقت في الحمام لا قدر الله ..أي سبب ؟؟ولا أرى أنه قد يسيء لك"

تحامل على شعوره بالألم المنتشر في كامل جسده ورد من بين أسنانه "الأمر لا يخصني وحدي يا أم هاشم فاصمتي "
قالت بشجاعة " تقصد سيتشاءمون مني؟! .. لا يهمني إن كان هذا ما يمنعك لا يهمني (وهمت بالنهوض وهي تقول) سأتصل بـ "
أمسك بيدها التي كانت تحتضن يده وقال من بين أسنانه متألما "قلت لا تفعلي أي شيء "
عادت لتفترش الأرض بجوار سريره وغلبتها مشاعرها القوية التي تكبتها احتراما لكلمته فأجهشت بالبكاء قائلة" أنت لا تصدق في أمور التشاؤم أليس كذلك يا جابر؟"
تألم قلبه فرفع يده يمسد على رأسها قائلا بحنان ومؤكدا "أنتِ ليس لك أي ذنب يا أم هاشم فلا تبتئسي لعله خير "
أمسكت بكفه من فوق رأسها لتحضنها بين كفيها ..فتطلع جابر لثوان في يديها متعجبا من

ذلك الشعور بالراحة الذي يعتريه وهي ممسكة بكفه قبل أن يعود للتطلع فيها وهي تقول بلهجة جادة "اسمع يا جابر أنا لا أريدك أن تحزن لأي شيء .. أي شيء .. (ومسحت دموعها تضيف بنفس اللهجة الجادة) صدقني لم يفت الأوان .. لا زلت تستطيع أن تحصل على ما تريد .. وإياك أن تتخيل بأنك قد تورطت معي أبدا .. استرد صحتك ونتحدث" تطلع فيها جابر يشعر بالتشوش ولا يفهم بالضبط عما تتحدث بينما أكملت أم هاشم باندفاع وهي تصر على طمأنته" كل شيء لا يزال في يدك صدقني .. أنا متأكدة أن الذبابة الخضراء قد تعلمت الدرس جيدا .. أنت لم ترها حينما قابلتني وكيف كانت ستموت من الغيرة ...إنها تغار عليك وتشعر بالقهر لقرارك بالزواج مني .. خطتك نجحت يا جابر وأنا اكيدة من أنها تنتظر منك إشارة"

شعر جابر بأنه قد عاد للهلوسة فما تقوله لا يستطيع استيعابه خاصة وهو لا يعرف ما علاقة الذباب الأخضر بما تقول!! .. وكيف يشعر الذباب بالقهر بسبب زواجه منها!!. بينما استمرت أم هاشم بقلب العاشقة في الشحذ من همته بما كانت تعتقد بأنه حزين من أجل زوجته السابقة فقالت" أنا سأخبرك ماذا سنفعل.. أنت بمجرد أن تسترد صحتك.. ستطلقني لأي سبب .. الأسباب كثيرة .. من الممكن أن نبدأ فيها من الآن نحضر الطبيب والناس ستبدأ في اطلاق الشائعات بأنني شؤم ولهذا السبب تستطيع أن تطلقني دون أن يلومك أحد "

دارت رأس جابر بعدم استيعاب فرفع رأسه عن الوسادة بصعوبة يهتف باستنكار" نعم! .. أطلقك !! هل أنت مجنونة أم أن الحمى أصابتني بشيء في رأسي!!"

أسرعت أم هاشم تقول وهي تحضن كفه التي تقبض على أصابعها دون وعي منه " لا بأس هذا ما كنت انويه من الأساس .. صدقني بمجرد أن نتأكد من أن الذبابة الخضـ (وانتبهت أخيرا لما تتفوه به فقالت باستدراك وهي تضرب على فمها) لا تؤاخذني اقصد كاميليا"

كان رأس جابر يطن ولم يفهم علاقة كاميليا بالذباب الأخضر ولم يسأل متوقعا أن تكون المشكلة عنده بسبب حالة جسده المحمومة فقال مقاوما موجة جديدة من الألم في معدته "هل أنت تهذين أم أنا يا أم هاشم ؟..عن أي طلاق تتحدثين .. لقد تزوجنا الليلة الماضية !"

قالت أم هاشم بهدوء وإصرار " أنا أعلم اخلاقك جيدا يا جابر وبأنك لن تسمح بأن تتسبب لي بخسارة سمعتي بسبب طلاق سريع لذا سأقترح عليك حلا أخر .. سأبقى في بيتك لمدة شهر مثلا .. تحمّلني فيها ..وبعدها يحدث

الطلاق ومن الممكن أن تخبر كاميليا بذلك..
أخبرها بأنك ستطلقني بعد شهر وبعدها عد إليها (وأضافت بلهجة عاشقة أمام عينيه اللتين تحدقان فيها بذهول وارتباك وعدم الاستيعاب) كل شيء سهل تنفيذه يا جابر فلا تحزن أبدا ولا تشعر بأنك قد تورطت معي .. اعتبرني ضيفة وأعدك أن أكون خفيفة .. المهم ألا تحزن ..أبدا.. أبدا .. أنا أحتمل أي شيء إلا أن يصيبك مكروه"

كان لا يزال لا يستطيع ربط عباراتها ببعضها حتى يخرج بشيء منطقي لكن قلبه أوجعه وجعا ليس له علاقة بحالة جسده المرضية .. ولم يستوعب السبب في ذلك .. أهي دموعها التي يراها أمامه الآن السبب ؟.. أم أن شيئا أخر في كلماتها يؤلم قلبه فقال وهو يضغط على يدها التي تحضن يده "لا تبكي .. بكاءك يؤلم قلبي يا بنت الشيخ .. يكفي حسرتي على

اضطرارك بأن تمري معي بهذه التجربة السيئة .. سامحيني "

فهمت أم هاشم ما يقوله على نحو غير الذي يقصده جابر فأسرعت بالقول " لا لا .. إياك أن تشعر بالذنب تجاهي أنا تزوجتك وأنا أعرف كل شيء .. وأردت مساعدتك (وعادت لتصحح ما تقوله حتى لا يشعر بالمسئولية تجاهها) أقصد أقصد لا تشعر بأي ذنب تجاهي (واضافت بتهكم) فطبيعي أن أقبل بعرضك حتى أفعل ما يسمونه بتحسين الأوضاع .. أردت أن أغير اللقب من عانس لمطلقة ..أي أن خطتنا مفيدة للطرفين .. وأنا استفدت منها .. غيرت لقبي كما قلت لك وعشت مشاعر العروس وارتديت أحلى فستان زفاف رأته عيناي(وأضافت بتهكم) وبالطبع سأخذ منك هدياك الثمينة لي فسأكون مستغلة ولن أتركها لك خاصة تلك الشبكة التي كانت الأفواه فاغرة من أجلها ليلة

أمس .. (وانهمرت دموعها وهي تضيف بحشرجة) والاهم من ذلك أني حملت اسم سيد الرجال .. حملته حتى ولو لوقت قصير" عقله ظل لا يستوعب أي مما تهذي به أو يخرف به هو لكن قلبه ازداد تألما فقال لها بضعف "تعالي.. اقتربي"

تحركت أم هاشم على ركبتيها لتقترب منه ليسحب جابر رأسها لتنام على صدره قائلا "أنا لست مستوعبا الآن ما تقولينه ..لكن دموعك هذه تفطر قلبي فهلا توقفت عن البكاء فيكفيني ما أشعر به من ألم .."

قبضت أم هاشم على ملابسه بقوة وسحبت من رائحته إلى صدرها وهي تغمغم باكية "حاضر.. سأفعل كل ما تريد المهم أن تسترد صحتك ولا تحزن .. عهد عليّ أن أفعل ما أقدر عليه حتى لا يحزن قلبك أبدا"

مسد جابر على شعرها وقال" لا أدري لماذا تذكرت الآن حينما كنتِ صغيرة وكان الشيخ زكريا عندما يريد أن يوبخ أحدا من الطلبة الأكبر منكِ سنا يقول (تعالي يا أم هاشم واقرئي أمامهم القرآن حتى يشعروا بالخزي كيف أنت بسنوات عمرك العشر تحفظين التجويد والأحكام) (وابتسم يقول) كان هذا في أول زيارة لي للبلدة بعد سفري .. ذهبت لأسلم عليه ورأيت هذا المشهد ولم أدرك إلا الآن أني حفظته في ذاكرتي "

ساد الصمت لبعض الوقت وجابر يحدق في سقف الغرفة قبل أن يحرك رأسه ويقول "هلا قرأت لي قليلا من القرآن يا أم هاشم لربما أدركتنا رحمة الله "

xxxx

"هل نامت؟"

"لا"

"إنها الثانية عشر مساء يا بسمة !!"
"تقاوم النوم تريد أن تبقى معي"
"بسمة اسمعي أنا سأصعد إلى غرفة من غرف الجانب الأخر من الفيلا.. وأنت بمجرد أن تنام والدتك تتسللين وتأتي إلي سأظل ساهرا طوال الليل في انتظارك"
"لكني أشعر بالنعاس (وجه يخرج لسانه مغيظا)"
"بسمااااااه !!!(وجه غاضب) صدقيني اتقي شري"
ضحكت فسألتها والدتها وهي جالسة بجوارها تغالب النعاس "مع من تكتبين وتضحكين في الهاتف؟"
قالت بسمة" مع كامل"
سألتها بفضول" وهل ينام هو على الأريكة؟"

أعادت بسمة بعض الخصل من شعرها إلى خلف أذنها ووجدتها فرصة جيدة لتخبر أمها متمنية أن تتلقى الأخيرة الخبر بهدوء فأجابت بحرج " الحقيقة ينام على السرير"
عبست أمها وعلقت باستنكار " هل يتركك لتنامين على الأريكة !!"
احمرت وجنتي بسمة وردت " أممم.. لا .. أصبحت أنام أنا أيضا بجواره على السرير "
بعد استيعاب قالت أمها" بسمة ما تقولينه معناه خطير .. رجل تنام بجواره امرأة تحل له ويتحكم في نفسه .. هذا ليس له إلا معنى واحد "
أسرعت بسمة بالقول" يا أمي نحن نعيش كأي زوج وزوجة طبيعيين "
اتسعت عينا فاطمة واعتدلت من جلستها تسألها باندهاش "حقا يا بسمة؟!.. اقسمي بالله "

بحرج هزت كتفيها وردت "اقسم لك لقد أصبحنا زوج وزوجة حقيقيين"
هتفت فاطمة غير مصدقة والفرحة ستوقف قلبها " هل تمم زواجه بك ؟"
ردت بسمة بدلال تحاولا اختلاق قصة ترضي أمها " لقد ظل يلح ويلح فلم أجد مفرا سوى بالقبول"
دمعت عينا والدتها وأمسكت بيدها تقول" لماذا لم تبلغيني حتى افرح؟"
قبل أن تجد بسمة ردا مناسبا لطمت فاطمة على وجهها فجأة تقول" يا للحرج ..يا للخزي" قالتها وهي تترك السرير .. فتطلعت فيها بسمة بعينين متسعتين باندهاش بينما تقول الأخرى بولولة "سامحك الله يا بسمة .. وتتركيني احتل غرفة الرجل حتى هذا الوقت"..
بحثت على شبشب البيت الذي استعارته من بسمة ثم لطمت على وجهها مرة أخرى وهي

تقول" يا لحرجي من الرجل .. كيف سأريه وجهي"

اتسعت ابتسامة بسمة .. فانفعلت أمها وقالت بتوبيخ وهي تلبس الشبشب " تضحكين! .. تضحكين على خيبتك وخيبة أمك يا بنت فاطمة !"

راقبت بسمة أمها وهي تتجه نحو الباب مسرعة حتى كادت أن تنكفئ على وجهها .. فأسرعت خلفها تقول ضاحكة "اهدئ يا أمي لم يحدث شيء "

ناظرتها أمها تقول " سامحك الله يا بسمة " قالتها وهي تفتح الباب فتفاجأتا بكامل الذي طل عليها بضخامته قائلا بارتباك "هلا ناولتني منامة يا بسمة "

اشفقت بسمة على أمها التي أحستها توشك على البكاء والتي نكست وجهها تغطيه بطرف وشاحها بحرج شديد

بينما اسرع كامل بالقول" أنا فقط أريد منامة"
رفعت إليه فاطمة وجهها تقول وهي تربت على
صدره "لا تؤاخذني يا بني كنت اشتاق لبسمة
وكان قلبي موجوعا عليها (ونظرت لبسمة
تسألها) أين غرفتي التي سأنام فيها ؟"
نظرت بسمة لكامل الذي أسرع بالرد "هناك في
الناحية الأخرى تفضلي لأوصلك"
استدارت فاطمة لابنتها تقول" سأراك في
الصباح "
وتحركت مغادرة وشعورها بالخزي والحرج
يسيطران عليها بينما ناظر كامل بسمة بانتعاش
وقد تبدل الوجه الواجم الذي كان عليه منذ
دقيقة وأسرع ليلحق بحماته.
في الطريق إلى الغرفة أخذت فاطمة تكرر
اعتذارها لكامل الذي لم يفهم سببا لتغيرها بعد
أن كانت مرابطة في الغرفة طوال اليوم حتى أنها
تناولت الغداء مع بسمة في الغرفة قبل أن

تظهر نتيجة التحليل بينما تناول وليد ومهجة الغداء مع باقي أفراد العائلة في الدور الأرضي بينما كان هو نائما .

عند باب الغرفة قال كامل "هذه هي الغرفة يا حاجة لو احتجت شيء اخبري بسمة أو اطلبيه مني "

ناظرته المرأة بامتنان ثم ربتت على صدره تقول بعينين دامعتين "بارك الله لك في صحتك وشبابك يا ولدي ورزقك من وسع وأكرمك في الدنيا والآخرة كما أكرمت ابنتي"

ابتسم كامل لها بمحبة فربتت على صدره مره أخرى ثم قالت" هيا اذهب ولا تؤاخذني أني مكثت في الغرفة اليوم"

بعد دقائق دخل كامل للغرفة مسرعا وأغلق الباب من الداخل ثم بحثت عيناه عن بسمة

قبل أن يقترب من الحمام قائلا " باسمة اخرجي
فلا صبر لدي لغيابك في الحمام أيضا"
لم يأتيه رد فأضاف بلهجة شقية" إن كنت
تدهنين ذلك الكريم ذا الرائحة الرائعة الذي
دهنتيه ليلة أمس فمن الممكن أن اساعدك أنا
"

انفتح الباب وخرجت بسمة بوجنتين
مشتعلتين وقلب يرقص على وقع دقاته
السريعة وتطلعت فيه ترتدي منامة من الحرير
من بنطال وبلوزة بنصف كم هي اقصى ما
استطاعت أن تبدل إليه ملابسها بسبب حالة
جسدها بينما شعرها كان مسدلا على ظهرها
والشعيرات المكرمشة رفعتها للخلف بدبوس ..
فأمسك كامل بخصرها يلصقها به وقال بلهجة
حارة "اشتقت إليك بشدة "

غمغمت بتمنع لم تعرف من أين تعلمته فلم تكن تفعل ذلك في حياتها الزوجية السابقة "سنعود للتمادي"

قال بلهجة متوعدة " أقسم لك أنت لم تر تماديا بعد"

سألت وهي تتطلع في ملامحه "هل وصلت أمي حتى باب الغرفة فهي ستتوه في المكان؟"

همس بجوار شفتيها " لا تقلقي أوصلتها حتى باب الغرفة .. وبصراحة لا أعرف ما الذي غيرها فجأة لتقرر أن تنام في غرفة أخرى "

اندفعت بسمة تقول لتصحح صورة (الحماة الثقيلة) أمام زوجها" أمي تراعي الأصول عادة لكنها لم تكن تعرف بأننا قد تممنا الزواج "

انقلبت ملامح كامل وابعد رأسه عنها يناظرها باتساع عينيه قائلا بلهجة أرعبتها "هل كانت أمك تعرف باتفاقنا يا بسمة؟؟!!"

شعرت بسمة بالندم فأسرعت توضح" أمي لم تخبر أحدا لقد اضطررت لأخبارها لأني كنت أريد أن أمهد لها انفصالنا إن حدث في أي لحظة .. لقد حزنت بشدة المرة الماضية وأردت ..."
صمتت تتطلع في كامل الذي يبادلها النظرات في صمت فقالت "آسفة يا كامل صدقني أمي لم تتفوه بأي شيء وأفهمتها بأنك كنت تحاول معي لإقناعي بإتمام الزواج وأنا من كنت أرفض "
لطم كامل على وجهه يقول بلهجة عاتبة "فضحتني يا بسمة أمام والدتك !!"
قالت بسرعة "صدقني قلت لها أنني من يرفض"
وقف كامل يتطلع فيها يداه مثبتتان على جانبيه يحاول أن يتعامل بهدوء مع الموضوع فقالت بسمة شاعرة بالذنب "سامحني "
ضرب كفا بكف وهو يقول باستنكار " لهذا كانت كلما رأتني تناظرني بنظرات متسائلة وكأنها

تريد أن تسألني إن كنت أشكو من علة ما ..
(وجز على أسنانه يرفع يديه ويهم بخنقها قائلا
) سامحك الله يا بسمة"
تحركت مبتعدة عنه نحو السرير فهتف فيها
قائلا" إلى أين؟؟"
ردت ببرود لتستفزه "لأنام"
هتف باستنكار " نعاااام بهذه البساطة! ..
تفعلين المصيبة وتذهبين للنوم ببرود !.. (ورفع
سبابته مضيفا بلهجة آمرة) اسمعي .. أريدك
في الصباح أن تعيدي تأكيد الخبر عليها بأن
زواجنا قد تم"
هزت بسمة برأسها بطاعة ليقول كامل مؤكدا
وهو يقترب منها" هذا الموضوع خطير يا بسمة
وأخشى أن تكون قد أخبرت به أي أحدا"
قالت مؤكدة "صدقني لا أحد .. إنها تتفاخر بك
أمام الجميع فكيف ستذكر أمرا كهذا !"

أمسك كامل بذراعها يضيف "وأريدك أن تصوري لها الأمر بيننا بكثير من التهويل"
اتسعت عيناها الفيروزيتان ليضيف كامل "كل شيء.. كل تفصيلة تخصني في هذا الأمر الخاص اضربيه في عشرة اضعاف وأنت تخبريها عني.. هل فهمت عشرة أضعاف"
أسرعت بسمة بغلق فمه بكفها لتمنعه عن الاسترسال وهي تقول بحرج "كامل كف عن الوقاحة "
ازاح كفها وقال وهو يلصقها به" حاضر دعينا من القول ولنجعله فعلا .. اخبريني ما أخبار البقع الحمراء؟"
قوست فمها لأسفل وقالت بمسكنة" ألا ترى وجهي أمامك؟!"
غمغم أمام شفتيها وهو يفتح أزرار بلوزتها "لا أنا أريد أن اطمئن على الوضع كاملا وبالتفصيل "

ضحكت بخجل ثم همست باسمه باعتراض ..فأخرسها بقبلة حارة مشتاقة يعتصرها بين ذراعيه قبل أن يطلق سراحها من شفتيه ومن البلوزة التي ألقى بها أرضا ثم مال بها على السرير يقول بلهجة مازحة وهو يخيم فوقها "
صدقيني ما أفعله هذا من أجل علاجك هكذا أخبرني الطبيب"
غمغمت وهي ترتجف من قبلاته الحارة التي بدأ يدلل بها تفاصيلها" ومن هذا الطبيب الوقح الذي أفتى لك بهذه الفتوى !!"
رفع رأسه وقال بابتسامة شقية قبل أن يغرق في موج عينيها "دكتور كامل نخلة "

xxxx

لن تتحمل .. فليحدث ما يحدث لكنها لن تستطيع التحمل أكثر من ذلك .. لن تقدر على استمرار رؤيته وهو يتعذب دون أن تتصرف

..دون أن تنقذه .. حتى لو ستضحي بروحها ..
حتى لو ستقدم نفسها قربانا .
إن كانت أحشاؤه تتمزق فنياط قلبها تتمزق هي الأخرى .. إنها تموت بالبطيء خوفا وحزنا وقهرا على حالته .
تحاملت على جسدها الذي وهن من عدم الأكل وعدم النوم .. وعقدت شعرها بربطة حازمة خلف رأسها وعيناها تبرقان بالعزم والتصميم .. ثم أخرجت عباءة سوداء لترتديها .. ووشاحا طويلا أكثر سوادا لفته حول رأسها وكتفيها ثم التقطت هاتفها وحافظة نقوده والمفاتيح..
استدارت تنظر إليه وهو ينام على جانبه ينتفض ويهذي وقد اشتدت عليه الحمى .. واقتربت منه تطبع قبلة على جبهته المشتعلة تنافس سخونة دموعها وهي تهمس "سامحني

يا جابر .. أيا كانت النتيجة سأتحملها أنا وحدي
.. في سبيل أن أحضر لك طبيبا"
بعد دقائق كانت تفتح بوابة البيت بخفة
وتتطلع في الشارع الصامت يمينا ويسارا وسمت
بسم الله وهي تلف الوشاح حول وجهها فلم
تظهر إلا عينيها وخرجت من البوابة مقررة في
تصرف يائس .. لا يعرف أبجديات المنطق .. لا
يعرف سوى تهور العشاق .. أن تجلب لجابر
بنفسها طبيبا متخفية تحت جناح الليل .

الفصل الثامن والعشرون

يا أملاً كنتُ لا أنشده
ويا حلماً ورديا خُرافيّ التَمَنِّي
أنا المذنبةُ بالعشق
الموشومةُ بالنحس
الزاهدةُ فيكَ إلى حد التخلّي
ليتني خيط في طرف ثوبك
أو ضوعة مِسْك فوق نبضك
لكن بعض الأمنيات يا سيدي
هذيٌ
وبعضها .. يضني !

لن تتحمل .. فليحدث ما يحدث لكنها لن تستطيع التحمل أكثر من ذلك .. لن تقدر على رؤيته وهو يتعذب دون أن تتصرف ..دون أن تنقذه ..

حتى لو ستضحي بروحها .. حتى لو ستقدم نفسها قربانا .
إن كانت أحشاؤه تتمزق فنياط قلبها تتمزق هي الأخرى .. إنها تموت بالبطيء خوفا وحزنا وقهرا على حالته .
تحاملت أم هاشم على جسدها الذي وهن من عدم الأكل وعدم النوم .. وعقدت شعرها بربطة حازمة خلف رأسها وعيناها تبرقان بالعزم والتصميم .. ثم أخرجت عباءة سوداء لترتديها .. ووشاحا طويلا أكثر سوادا لفته حول رأسها وكتفيها و التقطت هاتفها وحافظة نقوده والمفاتيح..
استدارت تنظر إليه وهو ينام على جانبه ينتفض ويهذي وقد اشتدت عليه الحمى .. واقتربت منه تطبع قبلة على جبهته المشتعلة تنافس سخونة دموعها وهي تهمس "سامحني

يا جابر .. أيا كانت النتيجة سأتحملها أنا وحدي
.. في سبيل أن أحضر لك طبيبا"
بعد دقائق كانت تفتح بوابة البيت بخفة وتتطلع في الشارع الصامت يمينا ويسارا وسمت بسم الله وهي تلف الوشاح حول وجهها فلم تظهر إلا عينيها وخرجت مقررة في تصرف يائس .. لا يعرف أبجديات المنطق .. لا يعرف سوى تهور العشاق .. أن تجلب لجابر بنفسها طبيبا متخفية تحت جناح الليل .

قبل قليل

شعر شعبان أخو عصفور الشاب ذو الثامنة عشرة سنة بالتعب والملل خاصة وهو يواصل ورديته بالوقوف على الناحية الأخرى من الشارع الرئيسي وبالتحديد أمام الشارع الذي يقع بيت جابر دبور أول بيت فيه.
لقد كان مقررا أن يستلم أخوه عصفور الوردية منه بحلول الظلام لكن الأخير اضطر للذهاب

للبيت لنقل والده طريح الفراش لاحد المستشفيات المجانية بعدما فاجأته أزمة أخرى من أزمات مرضه الذي يسجنه دوما طريحا للفراش .. وها هو عصفور قد اتصل به منذ ساعتين يخبره بحجز والده واضطراره للمبيت معه بالمستشفى .

هاجمه الجوع والرغبة في دخول الحمام فقرر ترك مكانه لبعض الوقت ليذهب إلى مقهى قريب على بعد شارعين يستعمل فيه الحمام ويشرب كوبا من الشاي ثم يعود .. وتمم في طريقه على المبلغ الصغير الذي منحه إياه اخوه حتى يبقى في تلك المهمة بعد أن أخبره بأنهما لو نجحا في رصد أي تحرك غريب عند بيت جابر دبور فإن لهما مكافأة كبيرة سيمنحه منها مبلغا جيدا يفكر منذ أن عرف بذلك فيما سيصرفه وينسج الأحلام..

لم يعرف عن أي شيء من المفترض أن يبحث ولصالح من ..وما الغرض .. خاصة وأن جابر دبور عريس جديد فما الذي سيحدث من تحرك غريب أمام بيت عريس جديد؟! .. لكنه لم يشغل نفسه في التفكير في أمور لا تهمه .. ما يهمه الآن وهو يتحرك ويترك مكانه هو أن يعرف هل عربة سندوتشات الكبدة والسجق التي تقف بجوار المقهى لا تزال تعمل حتى هذه الساعة أم لا ؟.

xxxx

مرهقة .. تحمل قلبا مفطورا .. جافة الفم والشفتين لم تنم منذ ليلتين ليلة حنتها وليلة عرسها ولم تأكل منذ ليلتين أيضا ... فقد جسدها طاقة الزاد وجف مما ذرفته من الدموع .. لكن قوة قلبها ووقود عشقها اللا محدود كافيان لأن تعبر الصعاب وتصارع الظلام وزبانيته من أجله.

داكنة البشرة متشحة بالسواء متخفية تحت سواد تحركت بخفة وهي تلتفت يمينا ويسارا لتتأكد من خلو الشارع من الناس .. وأسرعت الخطى نحو الشارع الرئيسي تنظر بحذر فلم تجد أحدا .. فانعطفت يمينا تهرول بسرعة جل همها أن تبتعد عن محيط البيت بمسافة حتى لا تلفت الانتباه لها .

بعد دقائق ابطأت خطواتها تلهث وسرت قشعريرة في جسدها لا تعرف إن كانت بفعل نسمات الليل أم أنه الخوف والرهبة.

لن تنكر بأنها تشعر بالخوف خاصة وأنها المرة الأولى التي تخرج وحدها عند منتصف الليل .. لكنها تملك من الجسارة ولوعة القلب ما يدفعها دفعا للقيام بذلك ..فهي لا تعرف أحدا تلجأ إليه .. فكرت في مليكة لكن الأمر لا يخصها هي بل يخص جابر في توقيت حساس توقيت من الممكن أن يسبب حرجا لرَجُلها أمام

صاحبتها بالإضافة لأن مليكة حينما تتصرف ستلجأ بالتأكيد لزوجها أو لأحد إخوانها الذكور ولا تعرف كيف من الممكن أن يتصرفون..
لا لن تسيء لجابر مادامت هي قادرة على التصرف .. هكذا حدثت نفسها واقنعتها يدفعها دمها الحار ..
استدارت حينما سمعت صوتا لتجد توكتوك فأشارت له وكأنها غريق يبحث عن قشة لإنقاذه ليتوقف الرجل وهو يطالع ذلك الخيال الاسود أمامه بتوجس فقالت أم هاشم"
السلام عليكم.. هلا أخذتني لمركز المحافظة يا عم الحاج؟"
كانت هيئتها غريبة ومريبة فهي ليست منتقبة ولكنها ملثمة فسألها بتوجس" أين بالضبط في مركز المحافظة ؟"
قالت بسرعة وهي تلقي بنفسها في المقعد الخلفي من التوكتوك "عند تلك البناية الخاصة

بالأطباء لكن لو لم يكن في طريقك من الممكن
أن توصلني لأي مكان اقرب للمدينة"
شعر الرجل بالخوف لكنه تحرك بالتوكتوك
وباله مشغول ليس بالطريق الخالي المظلم
جزئيا في ممرات القرية ولكن بتلك المرأة
الملثمة خلفه.. يحاول أن يرصد أي تحرك
مريب منها حتى أنه بحث بقدمه تحته على
مفك كبير ومال يلتقطه ثم وضعه في حجره
وهو يسألها بريبة" هل هناك شخص مريض؟"
ردت أم هاشم وهي تتمم على سكين المطبخ
الصغير في جيب عباءتها والذي التقطته قبل
خروجها كنوع من الحماية" أجل أمي مريضة
بشدة"
سألها "ألا يوجد أطباء في قريتكم"
(قريتكم) الكلمة أكدت لها شعورها بأن الرجل
ليس من القرية فسألته" أنت لست من عندنا
أليس كذلك ؟"

رد الرجل بتحفظ "أجل ..جئت قبل قليل من مركز المحافظة لأوصل أحدهم"

شردت أم هاشم تفكر في ابن مصطفى الزيني الطالب بالسنة النهائية بالطب لكنها استبعدت وجوده فهي تعلم بأن جامعته بالعاصمة ولا يتواجد إلا يوم أو اثنين كل اسبوع .. كما أنها لا تريد لأي شخص من البلدة أن يعرف فردت بتحفظ على سؤاله السابق " لا ..لا يوجد أطباء بالقرية (وأضافت بلهجة متوسلة استشعرها الرجل صادقة) هلا اسرعت بالله عليك فأمي في حالة خطرة"

أخذ الرجل رغم توجسه واتخاذه للحيطة والحذر بالإسراع معتمدا على شعور قلبي بأن تلك المتشحة بالسواد صادقة ..فطار التوكتوك الصغير الاسود يخترق طرقات القرية المظلمة يحمل بداخلة امرأة داكنة البشرة ذات قلب أبيض يضيء عتمة الليل.

xxxx

بعد نصف ساعة

انتهى الطبيب من مكالمة أجّلها لما بعد انتهاء مغادرة آخر مريض لديه .. وأخذ يلملم أغراضه الشخصية استعدادا لمغادرة عيادته الكائنة بالدور الأرضي لبناية تحتوي على أكثر من عيادة طبية غالبيتها بالتأكيد قد اغلقت أبوابها بعد انتصاف الليل .. فقرر أن يغلق هو أيضا عيادته بعد أن صرف موظف العيادة .. شعر بحركة في الخارج فقطب جبينه وهو يسمع صوت امرأة تقول بنبرات متلهفة واضحة" السلام عليكم أما من أحد هنا؟" اعتقد الطبيب بأنها أم ملتاعة تحمل طفلا محموما على ذراعها طالبة العون فاستقام من خلف مكتبه قبل أن تتسع عيناه هلعا حينما اقتحمت شابة سمراء متشحة بالسواد الغرفة

وقالت" السلام عليكم ارجوك يا دكتور تعال معي حالا فورا فزوجي مريض جدا"
قال الطبيب بتوجس "كيف تقتحمين المكان بهذا الشكل!"
قالت أم هاشم بلهجة متهكمة رغما عنها "اعتذر.. أعدك المرة القادمة أن أطلق صراخا ملتاعا على الباب قبل أن أدخل .. المهم أرجوك أتوسل إليك تعال معي فزوجي..."
قاطعها الطبيب يشعر بالغيظ " ألم تقرئي اليافطة بالخارج أنا طبيب أطفال !"
هتفت أم هاشم باستنكار " وما المشكلة هل صدقت النكتة الشهيرة بأنك لم تكمل تعليمك بعد! أنا لا أجد غيرك أمامي "
أسلوبها الساخر زاد من غيظه بالإضافة لشعوره بالتوجس والخوف فقال وهو يكمل التقاط حاجياته "اعتذر أنا لا أذهب في زيارات منزلية"

اندفعت نحو المكتب فالتصق الطبيب
بالحائط خلفه يناظرها برعب بينما هي تقول
بتوسل " أرجوك زوجي مريض جدا بالبيت"
انتابه شعورين متناقضين لكن اتخاذ الحذر
غلبه فقال بإصرار" أنا لا أزور البيوت يا أخت"
صرخت بعصبية في وجهه "والمرضى ماذا
يفعلون؟"
بلع ريقه وقال " هاتيه لأي عيادة قريبة"
صرخت فيه من جديد فازداد التصاقه بالحائط
"هل هو طفل في الرابعة!!.. أقول لك زوجي
..رجل طويل عريض وطريح الفراش"
بلع ريقه ونظر خلفها يسب ذلك البواب الذي
تركها تدخل وهو يعرف بأن العيادة خالية من
الممرضين ثم سألها وعيناه تلتقطان طرف
مقبض السكين الخشبي البارز من جيب العباءة
"أين منزلك؟"
ردت أم هاشم "قرية ***"

أدرك بُعد القرية نسبيا عن المكان فقال "آسف أنا اعتذر بشدة فأنا لا أقوم بزيارات منزلية كما قلت لك "

قالت بلهجة متوسلة بعد أن أخرجت حافظة النقود من جيب العباءة وادخلت طرف مقبض السكين بحركة تلقائية ثم أخرجت مبلغا كبيرا من المال تضعه على المكتب أمامه " أرجوك سأعطيك أي مبلغ تريده .. فأنا لا اعرف إن تركتك سأجد غيرك أم لا .. ولن استطيع أن أجرب بإعطائه دواء من الصيدلية فحالته لن تتحمل التجربة"

كان الطبيب قد وصل لأقصى حالات الخوف منها فقال بحزم " ارفعي نقودك واذهبي من فضلك واستدعي له الإسعاف إن كانت حالته بهذا السوء .."

ناظرته أم هاشم بنظرات مغتاظة فأضاف
"تفضلي وإلا سأنادي على البواب للتعامل
معك بعنف قلت لك لا أقوم بزيا...."
ضربت أم هاشم على المكتب تقول صارخة
بتهديد " إن لم تأت معي الآن سأصرخ واجمع
الناس واخبرهم بأنك استدرجتني بالعيادة
لتغرر بي"
اتسعت عينا الطبيب وهو يتطلع فيها قائلا
"أغرر بمن؟!!"
شعرت أم هاشم أنها تسلك مسلكا خاطئا
وخاصة وهي ترى نظرة الرجل المرتابة منها
فحاولت الهدوء وعادت لتقول ببعض
الدبلوماسية المغتصبة " هل تعرف أحد من
قريتنا؟.. (ونظرت حولها) أنت تبدو مشهور
وبالتأكيد يأتيك بعض من أهالي قريتي بأبنائهم
اخبرني من تتابعه وأنا سأخبرك باسم كل عائلته

فردا ..فردا لتعرف أني من القرية بالفعل وأريدك
من أجل زوجي المريض ..."
أمسك الطبيب بهاتفه بوجه مكفهر فسألته
بسرعة "هل تعرف مفرح الزيني؟.. إن لديه
ولدين أدهم وإياد"
الاسم كان يعرفه جيدا فنظر لها بعينين
ضيقتين لتسرع هي بالتقاط الخيط وتقول
"مفرح الزيني ابن عمدة البلدة وولداه أدهم
وإياد وأمهما مليكة صوالحة ..أنا أعرفهم هل
هذا يثبت لك بأني من قرية ***"
قال الطبيب " أنا سأتصل بالشرطة (ونظر في
هاتفه وهو يضيف) .. ما هذا السخف!"
وقفت أم هاشم دامعة العينين تفكر.. حتى
الشجار واجبار الطبيب لن ينفع .. والوقت
يداهمها .. فتحركت تطرق برأسها بخطوات
بطيئة نحو الخارج ..ليتابعها الطبيب وشعوران
ينازعاه فمن جهة ضمير الطبيب ومن جهة

هيئتها الغريبة خاصة وهي تذكر اسم قرية مشهورة بجمال بناتها وبياض بشرتهم .. أتكون نصابة تسعى لاستدراجه؟

حين اختفت من أمامه تنفس الصعداء وقرر أن يجمع حاجياته ويغلق العيادة بسرعة ..أما أم هاشم فخرجت للبواب الناعس أمام بوابة المبنى تسأله "أي طبيب لا يزال موجودا بالمبنى؟ "

فأشار لها على عيادتين بالطوابق الاعلى بعد أن سألها أي تخصص تريد واخبرته بأنها حالة طارئة .. لكن اليأس تملك منها و شعرت بأنها ستفشل بإقناع أحدهم بالذهاب معها ..

فغمغمت لنفسها وهي ترتجف من التوتر "من سيأتي معك يا أم هاشم في هذا الوقت من الليل والى قريتك!.. هذا ما لم تحسبيه وأنت تخرجين من البيت"

ضربت على خدها برعب شديد بادراك متأخر تفكر في حجم المصيبة التي قامت بها .. إنها في الشارع بعد منتصف الليل في مركز المحافظة وياليتها نجحت في جلب طبيب لزوجها المحموم ..

اسرعت بالتقاط هاتفها وفعلت ما كانت تتحاشاه .. لكن الوضع بعد خروجها وفشلها في اقناع الطبيب يتأزم فلم تجد بدا من الاتصال بمليكة وهي تغمغم في سرها" يا رب استرها مع عبدتك ..استرنا ولا تفضحنا (لتقول بعد برهة بلهفة) مليكة"

هتفت الأخرى بجزع وهي تنظر في ساعتها "أم هاشم هل أنت بخير؟"

هتفت أم هاشم بلهجة باكية " مليكة أنا تهورت وفعلت مصيبة .. لكنني لا اعبأ بنفسي المهم أن أنقذ جابر"

قالت مليكة وقد قفزت من السرير" ما الأمر يا أم هاشم ؟"
ارتجف صوت الاخيرة وقالت" هلا اعطيتني باشمهندس مفرح؟"
تحركت مليكة تخرج من غرفتها نحو غرفة الاولاد فلا يزال مفرح ينام فيها ليس غضبا منها كالمرة السابقة لكنه من طلب ذلك رفقا به وبها آملا أن تؤتي زيارتهما للطبيبة النفسية في العاصمة أي نتيجة .. فأسرعت باقتحام الغرفة الأخرى وهي تحاول فهم عبارات أم هاشم المتقطعة وكأنها تهذي بصوت باك قبل أن تعطي الهاتف لمفرح الذي استيقظ من نومه مفزوعا بمجرد اقتحامها للغرفة وأخذ برهة يناظر مليكة بتساؤل قبل أن تعطية الهاتف بارتجاف "إنها أم هاشم يا مفرح أرجوك تصرف"

قال مفرح بصوت رخيم من أثر النوم" ما الامر يا أم هاشم"
هتفت الاخيرة بقلة حيلة " ألست ابن عمدة بلدنا ؟ .. بالله عليك اقنع الطبيب أن يأت معي .."
خرج الطبيب يهم بغلق العيادة لكنه انتفض مرعوبا حين تفاجأ بأم هاشم تندفع نحوه وتمنحه الهاتف حتى كادت أن تدخله في عينه قائلة" تفضل تحدث مع مفرح الزيني"
كاد الطبيب أن يرفض بعناد لكن دموعها أثرت فيه رغم عقله الذي يحذره من أن تكون لصة فتناول منها الهاتف يقول" نعم"

xxxx

بعد نصف ساعة كان مفرح يترجل مسرعا من سيارته بملابس بيتية وخف ويسلم على الطبيب الذي طلب منه أن ينتظره ليقله بنفسه للقرية رغم أن الأخير لديه سيارة لكنه

بعيدا عن توجس الطبيب من الذهاب وحده مع أم هاشم لم يقبل مفرح على بنت قريته العروس المتهورة التي خرجت بعد منتصف الليل تبحث عن طبيب لزوجها أن تركب السيارة مع شخص غريب في هذا الوقت وفي هذا الوضع الحساس جدا ففضل أن يتم الأمر تحت سيطرته وبتأمينه الخاص لإعادة أم هاشم لبيتها دون أن يراها أحد نظرا لحساسية الموقف في مجتمع صغير لا تفوته شاردة أو واردة حتى لو حدثت في جوف الليل.

سلم مفرح على الطبيب بسرعة الذي سبق وأن زاره في عيادته بالولدين .. ودعاه للركوب بجواره ثم حدج بنظرة لائمة غاضبة أم هاشم التي تقف بملامح جامدة وأنف مرفوع بشموخ ثم فتح لها باب المقعد الخلفي .. فشعرت الأخيرة بالحرج واسرعت بالركوب بينما مليكة التي لم تتركه طوال الطريق مذعورة من جنون

تصرف صاحبتها تدعو الله أن يسترها ولا يفضح جنونها ترن على الهاتف لتطمئن .

xxxx

بعد عشرين دقيقة

عاد شعبان أخو عصفور بعد أن ملأ معدته بساندويتشات الكبدة والسجق واتبعها بكوب شاي ساخن فبدد ذلك من تعب وقفته التي لا يعرف لها هدفا أو غاية أو حتى نهاية وتمنى ألا يغلبه النعاس .. فأخرج سيجارة يتيمة حصل عليها بالشحاذة من أحد أصدقائه الذي قابله بالصدفة عند المقهى وهم بإشعالها وهو يفكر فيما سيفعل بالمبلغ الذي وعده أخوه أن يكون من نصيبه إذا ما تم الحصول على أي خبر يخص بيت جابر دبور ..

عند وصوله لمكانه أمام الشارع الذي يقع بيت دبور في أوله لاحظ سيارة تقترب منه لكنه لم يعرها اهتماما فالسيارات تمر من هذا الشارع

عادة لكنها توقفت عنده وأطل منها رأس يقول بصوت مهيب جمد الدم في عروقه" من أنت؟"
سعل شعبان من دخان السيجارة وبحركة تلقائية أخفاها خلف ظهره ورد " أنا ..أنا شعبان ابن حامد عباس يا حاج مصطفى"
قال مصطفى الزيني بلهجة أكثر لينا لكنها لاتزال تحمل في طياتها شيئا من الصرامة "كيف حال والدك؟"
رد شعبان " إنه يبيت في المستشفى اليوم وسيخرج غدا "
غمغم مصطفى بأسف " لا حول ولا قوة إلا بالله! .. ابلغ أخاك عصفور أن يمر عليّ غداً .. ماذا تفعل أنت هنا؟"
عاد الشاب للتشنج وقال بتأتأة" لا ..لا شيء.. كنت ..كنت انتظر أحد أصدقائي"
قال مصطفى بريبة " هنا؟.. وفي هذا الوقت من الليل؟"

اسرع شعبان بالقول " لا لا ..أنا كنت فقط ابحث عن شيء قد وقع مني قبل أن أستأنف السير"

سأله مصطفى "وهل وجدته؟"

رد الأخر بصوت مبحوح " أجل وجدته"

فقال مصطفى " إذن هيا عد الى بيتك حفظك الله من أصدقاء السوء"

"حاضر"

قالها وهو يهم بالتحرك ليقول مصطفى بحزم " إياك أن أراك متسكعا في الشوارع في وقت متأخر"

أطرق شعبان برأسه يقول "حاضر"

وأسرع الخطى في البداية قبل أن تتحول حركته لشبه هرولة فراقبه مصطفى يبتعد ثم ينعطف لشارع جانبي فتنفس الصعداء لكنه لايزال متوترا وغير مصدق.

لقد اتصل به مفرح وايقظه من النوم ليخبره باتصال أم هاشم وذلك لمعرفة مفرح بعلاقته الوثيقة بجابر بل إن البلدة كلها صارت تعرف بتقاربهما في الفترة الأخيرة واستشاره فيما سيفعل حين يعود بالطبيب مع أم هاشم خشية من أن يلفتوا انتباه أي شخص .. فأفجع خبر خروج بنت الشيخ زكريا من بيتها في هذا الوقت قلب مصطفى وزاد من قلقه على صاحبه .. وها هو قد حضر بسيارته ليراقب بيت جابر من بعيد تأمينا لدخول الطبيب وهو يدعو الله أن يتم الأمر على خير وأن يكون صديقه بخير فلولا سكون الليل ومعرفته بأنه وحده وعلى حسب ما فهم غير واعي لكان قد ترجل من سيارته واسرع إليه ..

مرت الدقائق ببطء شديد على مصطفى وهو يستغفر ويحوقل ويدعو الله من قلبه أن يحفظ صاحبه وزوجته حتى اقتربت سيارة

مفرح واعطت من بعيد إشارة بكشافيها فرد مصطفى بإشارة مثلها تخبره بأن الشارع خال ..فركن مفرح سيارته بعيدا في الشارع الرئيسي وترجل منها بينما ترجل مصطفى الزيني من سيارته يسبقهما ليتفحص الشارع الجانبي الذي يقع فيه بيت جابر .

قبل دقائق كان جابر يحاول القيام من السرير بصعوبة بعد أن بحث حوله عن أم هاشم وناداها كثيرا.. حتى خيل له للحظات أنه لم يتزوجها بعد وبأنه كان يهذي بالأحلام.. لكنه حين استقام واقفا بصعوبة بجسد يرتجف من الحمى لمح ذلك الروب الأبيض الذي كانت ترتديه ظهر اليوم أمام ضيفاتها فتحرك يبحث عنها في المكان وهو يُكَذِّب ذلك الحدس اللعين الذي يحاول أن يعذبه بخاطرة أنها قد تهورت وخرجت لطلب المساعدة ..

لكنه بعد دقائق من البحث ومناداتها من فوق سلم الدور العلوي أسرع رغم الدوار والصداع يجرجر قلبه خلف قدميه نحو الغرفة يبحث عن مفاتيح سيارته وحافظة نقوده فوجد الاولى ولم يجد الثانية لكنه أسرع مستندا على الحائط ليذهب للبحث عن تلك المجنونة يشعر بأن روحه تغادر جسده وتسبقه في البحث عنها.

أما أم هاشم فعلى الرغم من هول الموقف واستشعارها الحرج من الرجال مما صدر منها من تصرف قد يروه في عرفهم تهورا لكنها كانت مقتنعة بأنه بالنسبة لها حياة أو موت وأنه لولا رفض الطبيب للذهاب معها لما شعر أحد بشيء .

ترجلت من السيارة.. وقد اخفت وجهها بطرف الوشاح ليشير لها مفرح بأن تسبقه وتدخل وحدها أولاً فأشارت له على من يقف على أول

الشارع.. ليشير لها مفرح مطمئنا بينما وقف الطبيب يناظر ما يحدث بحيرة وذهول فقام مفرح بشرح حساسية الموقف له .

بمجرد أن اقتربت من الشارع مهرولة تعرفت على وجه مصطفى الزيني الذي أشار لها بصرامة وهو ينظر بداخل الشارع أن تدخل بسرعة فأسرعت هي نحو البيت تفتح البوابة بهدوء وتدخل ..ليتنفس مصطفى الصعداء لانتهاء الجزء الاول من المهمة السرية بنجاح ثم أشار لمفرح ليتقدم هو والطبيب.. واستقبل الأخير مرحبا بهمس ثم تحركا بخفة نحو البيت بينما ظل مفرح للمراقبة متحرجا من الدخول.

كان جابر قد وصل بصعوبة لنهاية السلم دون أن ينكفئ على وجهه فالأرض كانت تتأرجح من تحت قدمه .. وكل الأفكار السيئة المخيفة تتصارع في رأسه المحموم فتخلع قلبه على زوجته ليتفاجأ بباب البيت يُفتح وتدخل منه

أم هاشم تقول "تفضلا (ثم هتفت بجزع وهي تسرع نحوه) جابر"
وقف الأخير مصدوما مبهوتا وهو يتطلع فيها وهي تربت على صدره .. وقبل أن يسألها أين كانت سمع نحنحة ودخول مصطفى الزيني يقول" بسم الله الرحمن الرحيم"
نقل جابر نظراته الغاضبة من أم هاشم لمصطفى ثم للطبيب فقال أبو حمزة " جابر ..ألف لا بأس عليك طمئنني .. زوجتك تقول بأنك مريض"
بصعوبة شديدة تماسك جابر وحانت منه حركة تلقائية بسحب أم هاشم خلفه قائلا بتألم "هل هذا طبيب ؟"
بعد قليل كان جابر يجلس على أحد مقاعد البهو وقد رفض أن يستلقي حتى على الأريكة أو حتى يصعد لغرفة النوم .. وقد أمر أم هاشم أن تبقى بالداخل ولا تقف مع الرجال .. فوقفت

تراقب بقلق ما يحدث من بعيد ليقول الطبيب وهو يكتب في دفتره" من الواضح أنك قد أصبت بالتهاب معوي حاد و من الجيد أنني قد أحضرت معي حقنة خافضة للحرارة التي اعطيتها لك الآن حينما علمت بأن المريض محموم.. و ستنزل من درجة حرارتك إن شاء الله .. لكني مندهش من ذلك الطعام والعصير الذي تقول بأنك قد شربته"

لم يجب جابر كان متعبا متألما نفسيا وجسديا وغاضبا بشدة ويشعر بالحرج بينما قال مصطفى بانفعال مما سمع" أين هذا العصير؟"

أدار جابر وجهه ليجد أم هاشم تقف عند الممر صامتة وبدون أن يتفوه كانت قد فهمت وتحركت نحو المطبخ ثم عادت بعد دقيقة تحمل دورق العصير الذي التقطه مصطفى منها وأخذ يشتمه ويتفحصه قائلا بعبوس" لا يبدو

له أي رائحة غريبة سوى أنه قد فسد (وتطلع فيه مضيفا) لكن هناك اخضرارا غريبا فيه "
رد جابر بوهن وهو يمسد على ذراعيه بالتبادل ليحتوي رعدة في بدنه من أثر الحمى" كان طعمه ورائحته طبيعيين أنا متأكد"
وضعه مصطفى على الطاولة المنخفضة وأخذ من الطبيب ورقة الأدوية المطلوبة وهو يقول" عموما سنرجئ البحث في هذا الأمر مؤقتا ولنسرع بإحضار الدواء لك"
بلع جابر ريقه الجاف وعقله مشغول بسؤال (هل اتصلت أم هاشم بمصطفى أم أنها خرجت؟) لكن محفظته التي لم يجدها بالأعلى تخبره بأنها قد تكون قد خرجت فتألم بشدة رغم غضبه منها.
قطع أفكاره قول مصطفى على الهاتف" مفرح نحن سنغادر الآن هل الطريق أمان؟"
(مفرح الزيني أيضا)!.

قالها جابر في سره واستدار نحو أم هاشم التي
هربت بعينيها من مواجهته ليضيف مصطفى
وهو يعيد الهاتف لجيبه" هيا يا دكتور
فالباشمهندس مفرح سيوصلك للمركز .. أما أنا
(ونظر نظرة غاضبة رغما عنه لجابر الذي
استقام واقفا بصعوبة وبدأ في التحرك معهم
نحو الباب) سأحضر الأدوية واتصل بك يا جابر
لتفتح البوابة وتأخذها مني أو سألقي بالكيس
من فوق سور الساحة الخارجي .. لا داعي
لخروجك أو للفت الانتباه لوجودي "
التفت الطبيب من عند الباب يقول لأم هاشم
بلهجة معتذرة " لا تؤاخذيني يا أختي فالحرص
واجب خاصة وأني غريب عن قريتكم"
نظرت نظرة سريعة مختلسة نحو جابر ثم
قالت "الحمد لله على كل شيء"
وهمت بالتحرك خلف الرجال فحدجها جابر
بنظرة جعلتها تتجمد مكانها .. ليحتمل جابر

على نفسه ويخرج خلفهما لإغلاق البوابة وهو يتلمس طريقه على الارض التي تميد به بصعوبة مما جعل مصطفى يشعر بالشفقة على صاحبه.

كانت ساحة البيت أطول مما يعرف جابر بمسافة كبيرة وشاهد مصطفى الذي سبقه هو والطبيب نحو البوابة البعيدة يخرج رأسه منها بحذر والهاتف على أذنه قبل أن يشير للطبيب الذي خرج مسرعا وبعد برهة هم بالخروج فلحق به جابر أخيرا وهو يقول" أبا حمزة هل أنت غاضب مني ؟"

استدارة غير كاملة من عنق مصطفى قال فيها بصوت جاد " فيما بعد يا جابر عد لفراشك ..ألف لا بأس عليك.. شفاك الله وعافاك ..سأحضر أنا الدواء لا تشغل بالك (ونظر لسور البيت العالي الذي يحيط بالساحة وأضاف)

وسألقي به من هنا.. فاعتقد بأنه لن يكون به ما سينكسر"
قالها وخرج من البوابة وهو يتلفت حوله فأغلقها جابر خلفه بصعوبة.
بعد دقائق كان القلق يأكل قلب أم هاشم فعاد جابر أخيرا وهو يستند على الحائط ..وبمجرد أن رأته هتفت بلوعة "الحمد لله الطبيب يقول..."
حدجها بنظرة غاضبة اخرستها ثم رفع سبابته أمام فمه يقول بصوت متحشرج" أنا غاضب الآن يا أم هاشم ..غاضب لدرجة لا احبها ولهذا دعيني هذه اللحظة"
طوت شفتيها داخل فمها وراقبته وهو يصعد لأعلى ولم تعرف بأنه يبذل مجهودا حتى يبقى مستقيم الظهر .. فأسرعت بلملمة ذيل عباءتها في يدها واقتفاء أثره على درجات السلم.

بعد قليل كانت أم هاشم تجلس صامتة تراقب جابر الجالس على السرير قدماه على الارض يميل بجذعه للأمام مرفقيه على فخذيه صامتا محدقا في السجادة بملامح شديدة العبوس..
كانت تعرف بأنها تهورت وفعلت شيئا مجنونا لكنها لم تعترف لنفسها بأنها أخطأت فحدثت نفسها بصوت خافت مبرطمة "فليغضب مني إن أراد المهم أن الطبيب قد حضر وسيكون بخير"
سألها بصوت واهن" أين ذهبت بالضبط؟"
أسرعت بالقول بمراوغة " اسمع يا جابر لا يهم الآن المهم.."
"أين ذهبت بالضبط؟"
قالها بخفوت صارم فردت " مركز المحافظة لأحضر الطبيب لكنه رفض الذهاب معي فلم أجد إلا أن أتصل بمليكة واطلب منها أن أتحدث مع الباشمهندس مفرح الذي طلب مني

ومن الطبيب أن نبقى مكاننا وجاء لينقلنا بسيارته"
رد ساخرا من بين أسنانه " طبعا ..حتى لا تركبين وحدك مع الرجل الغريب في هذا الوقت"
قالت باندفاع " لا تقلق يا جابر مفرح والحاج مصطفى بارك الله فيهما أَمّنا المكان ..ولا اعتقد أن هناك من لمح خروجي أو عودتي وأعتقد بأنهما اولاد اصول ولن يسيئا لسمعتك"
قال من بين أسنانه "وأنت؟ وسمعتك؟"
قالت بتلقائية " أنا لا يهم"
هتف وهو يطالعها بعدم تصديق " كيف وأنت جزء مني وسمعتك من سمعتي وما سيحدث لك أو لسمعتك يخصني؟!"
قالت تدافع عن نفسها "كنت تحتاج لطبيب يا جابر "

هتف غاضبا " كنت اتركيني لأموت ولا تعرضي نفسك للخطر "
تركت الأريكة وهرولت إليه تقول بلهجة ملتاعة" "بعيد الشر عليك"
بمجرد أن اقتربت أمسك بمعصمها يضغط عليه بغضب ورفع إليها أنظاره يقول بلهجة موبخة "ألم أنهك من التواصل مع أحد!"
قالت بلهجة باكية وهي تتطلع في عينيه الحمراوين "لم أتواصل أنا خرجت بنفسي لإحضار الطبيب.. واضطررت للاتصال بمليكة حينما فشلت"
لم يعرف جابر إن كان عليه أن يضربها أم يحضنها .. كانت أمامه مجهدة منهكة وحزينة فظل يحدق فيها بحيرة ومشاعر متناقضة .
قطع تحديقهما في بعضهما صوت هاتفه الذي فتحه منذ دقائق في انتظار مصطفى الزيني فأسرع جابر بالرد "نعم أبا حمزة (ثم استند

بكفه على السرير يقول وهو يهم بالنهوض)
ألقيت بكيس الدواء في الساحة؟"
أسرعت أم هاشم تقول" أنا سأحضره "
ولم تعطه الفرصة بل انطلقت تترك الغرفة
فراقب مغادرتها وهو يعود للجلوس مستسلما
ومتألما ثم قال لمصطفى "جزاك الله خيرا يا أبا
حمزة .."
لم يرد مصطفى فعاود جابر سؤاله السابق
"هل أنت غاضب مني؟"
"ماذا تعتقد أنت ؟"
قال جابر مبررا " الأمر كان في توقيت حساس"
قال مصطفى بلهجة متألمة حزينة " كنت
اعتقد بأنك تثق فيّ وستلجأ لي في هذا التوقيت
الحساس الذي تتحدث عنه"
أسرع جابر بالقول " أنا أثق بك ثقة عمياء يا
مصطفى .. الأمر حدث خلال سواد الليل
وكنت أقول لنفسي وعكة بسيطة وسأتحسن

في الصباح ثم بدأت حرارتي في الارتفاع ..
وبصراحة كنت أحاول التحمل حتى مساء الغد فالأمر كان محرجا وكنت أخشى من أن يتسرب الخبر بطريقة أو بأخرى فتثبت الشائعات على أم هاشم في عقول الناس وكان لدي أمل في التحسن ثم فقدت القدرة على التفكير بشكل عقلاني بعد ذلك "

علق مصطفى موبخا " وها هو عنادك مع نفسك ومبالغتك في حماية زوجتك اضطر بنت الشيخ لأن تتصرف بنفسها بهذا التهور..

اقسم بالله كلما أتذكر ما قامت به بمنتهى الشجاعة اشعر بالرغبة في ضربك يا جابر"

تعالت انفاس جابر معترفا لنفسه بأنه المُلام ليأتي حديث مصطفى ليؤكد له ذلك فقال بلهجة نادمة" اعترف بأني السبب يا مصطفى لكني والله كنت خائفا عليها"

تنهد مصطفى قائلا " الحمد لله أن سترها الله معكما سأطمئن عليك في الصباح"
قبل أن يغلق ناداه جابر " مصطفى"
"نعم "
قال جابر " ارغب في إخراج صدقة بنية الشفاء والشكر لله أن حفظ تلك المتهورة التي تزوجتها من السوء"
رد مصطفى مطمئنا " لا تحمل هما اعتبرها قد خرجت والتفت لصحتك .."
فقال جابر بوهن" اخبرني بالمبلغ بعد أن يذهب لمستحقيه"
قالها وهو يرى أم هاشم تدخل لاهثة تحمل كيس الدواء فغمغم قبل أن يغلق الخط "بارك الله لك"
تطلع فيها وهي تقترب متفحصة علامات الصيدلي وتعليماته على الأدوية ثم أخرجت حبات الدواء وناولتها إياه مع كوب الماء

فابتلعها جابر وهو لايزال لا يصدق ما قامت به وكلما فكر في أنها كانت في طرقات البلدة وحدها تحت ظلام الليل يشعر بالألم الشديد في قلبه .. ألم سرعان ما انتشر في كامل جسده بشكل مضاعف فنام على ظهره ورفع ذراعه ليغطي عينيه يستغفر ويحوقل حتى لا يقنط من رحمة الله ..

حين غلبه النعاس بعد قليل.. اقتربت أم هاشم وتحسست الحرارة فوق جبينه ثم زفرت براحة حينما وجدتها قد انخفضت وأن انفاسه انتظمت في نوم عميق .. فتحركت تعود إلى حيث كانت .. إلى الأريكة المقابلة ورقدت على جانبها .. ولم تحتاج لدقائق حتى تذهب في نوم عميق بعد أربع وعشرون ساعة من الإجهاد وضغط الاعصاب.

xxxx

صباح اليوم التالي

تململت بدلال فوق ذراعه ولمحت من تحت جفونها صدره العضلي العاري فأخذت تتحسسه بأصابعها وتمرر يدها فوق عنقه .. ليتململ كامل في نومته .. فابتسمت وتذكرت لحظاتهما الخاصة ليلة أمس وتذكرت ذلك الكلام الجميل الذي أخبرها به .. وكيف كانت قبلها لا تتصور أبدا أن يخبر رجل حبيبته بخواطر وأشعار أثناء لحظاتهما الخاصة .. فقفز قلبها من السعادة واحمرت وجنتاها من ذكرى التفاصيل .

وبمناسبة الاحمرار تساءلت هل تحسنت حالتها أم ساءت ؟.

همت بالقيام من السرير فتشبث بها ذراع كامل يمنعها عن الحركة وسمعت صوته الأجش يقول "إلى أين؟"

قالت بخفوت "ظننتك نائم"

قال وهو يعتدل في نومته "استيقظت للتو"
قالت له بتوجس " طمئني كيف حال وجهي؟"
رفع رأسه عن الوسادة يتطلع فيها ثم رفع حاجبه وسألها" ماذا كان لونك الأساسي بالضبط؟ "
تشكل الجزع ببطء على ملامحها حتى كادت أن تطلق صرخة مولولة.. لكن كامل قتل ولولتها في مهدها حينما مال برأسه فوقها وأطبق على شفتيها بقبلة أخرستها وهدأت من روعها .

××××

خرجت أم هاشم من الحمام تجفف شعرها بمنشفة واقتربت من المرآة تتطلع في شعرها الذي عاد لهيئته الحقيقية مجعدا بشدة بعد أن فقد شكله المفرود الذي حصلت عليه في صالون التجميل ..فشعرت بالحسرة الشديدة لأن جابر لن يرها لأول مرة بشكلها المعدل ..

استدارت تتطلع فيه وهو مستغرق في النوم وشعرت بالشفقة عليه فاقتربت منه تلمس جبينه بحنان وأحست بالراحة لأن حرارته طبيعية فعادت تنظر لشكلها في المرآة وغمغمت بلهجة ساخرة "نصيبك أن ترى الشعر المجعد يا جابر.. كنت أود أن اسعدك ولو لليلة والله بالشعر المفرود لكنه قدرك يا حبيبي.. فتحمله حتى يحلها ربك من عنده "

اهتز هاتف جابر بجواره فأسرعت بالتقاطه لتجد اسم حماتها فأسرعت بالخروج من الغرفة وهي ترد " كيف حالك يا خالتي "

قالت نجف " أنا بخير الحمد لله هل جابر لا يزال نائما ؟"

قالت أم هاشم وهي تمسك بلسانها حتى لا تخبرها بما حدث له " أجل لا يزال نائما "

شعرت نجف بالتوتر أكثر.. إنها منذ أن تركت البيت وقلبها مقبوض واتصالها أمس بجابر وأم

هاشم لم يطمئنها والآن صوت زوجة ابنها فقالت تجس نبضها "اخواتي يتمسكن بأن أظل لآخر الأسبوع عندهن .. لكني أقول بأن عليّ أن أكون في استقبال أهلك غدا باعتباره اليوم الثالث للزفاف"

قالت أم هاشم بلهجة متوسلة " ولماذا لا تأتين اليوم وتنيرين البيت يا خالتي لتحل فيه البركة؟! "

قالت نجف" لا أريد أن أثقل على العرسان "

ردت أم هاشم باندفاع" أبدا سنفرح كثيرا .. (وأضافت بلهجة محرجة نبهت نجف لأن هناك شيئا ما غير طبيعي) ليتك تحضرين وحدك "

سألتها حماتها عاقدة الحاجبين " هل هناك شيء يا أم هاشم ؟"

صمتت الأخيرة لا تعرف هل تكذب فيؤخذ عليها هذا الكذب حينما تعرف حماتها فيما بعد

أو تقول الصدق .. لكنها تتمناها أن تحضر ..
تشعر برغبة في مشاركة أحد يهمه أمر جابر ما
تمر به خاصة وأنها لا تعرف ماذا سيكون حاله
حين يستيقظ فقالت بلهجة مقتضبة " ليتك
تحضرين اليوم وتنيرين بيتك"
قالت نجف وهي تحافظ على ملامحها أمام
أختها "حسنا يا ابنتي "
أغلقت نجف الخط واستدارت لأختها تقول
"أنا سأعود .. اطلبي أحد من أولادك ليوصلني"
قالت أختها مشاكسة " هل ستمارسين على
البنت دور الحماة من الآن يا نجف .. أنت لم
تفعليها مع العقربة زوجته الأولى "
قالت نجف بمراوغة " لا ولكني غير مرتاحة في
النوم هنا .. وأنتن مشغولات بترقب ولادة
ابنتك في أي لحظة.. ولن يفرق اليوم من غدا
فأنا كنت عازمة على العودة في الغد "
ردت أختها باستسلام" حسنا ما دمت تصرين "

بينما غمغمت نجف في سرها " استرها يا رب"

xxxx

انتظرت صباح حتى ينتهي زوجها من مكالمة هاتفية وقالت بغيظ" كل هذا ستطلبه بالديّن يا يحيى؟!"

رد يحيى مهموما "وماذا سنفعل غير ذلك يا صباح ؟.. غدا اليوم الثالث للزفاف ولابد أن نجبر بخاطرها ونشرفها أمام أهل زوجها وأمام الجيران"

قالت باعتراض " وما المفروض أن تفعل أكثر مما فعلت؟ .. ألا يكفي بأنها تزوجت من رجل مقتدر ماديا ؟!.. ماذا ستريد هي أكثر من ذلك !"

قال يحيى بغضب "وهذا أدعى وأوجب لأن نفعل ذلك يا صباح .. ولا تنكري بأنها قد تكفلت بنفسها في أغلب حاجياتها بل أني أشعر بأنني مقصر معها بسبب ضيق اليد"

طالعته بغيظ ثم هتفت " ها قد تزوجت وانتهى الأمر وها أنا كل يوم استيقظ من الفجر لأعد لها طعام الصباحية "

ناظرها بنظرة ذات معنى يقول "يا صباح!.. إن أم كريم هي من ترسل لك معظم الطعام جاهزا "

قالت بارتباك " هي من طلبت أن تساعد فأرسلت لها الطيور والخضار والأرز وخلافه"

تنهد دون تعقيب وهم بمغادرة البيت يقول " المهم أننا قد دبرنا زيارة اليوم الثالث .. أما زيارة اليوم السابع فأعدي لنا قفصا من الطيور من فوق السطح مع ما سأدبره لنذهب به إليها إن شاء الله "

ضربت صباح على صدرها تقول باستنكار "هل تأخذ من طيوري التي أربيها من أجل زواج بنتي يا يحيى !"

قال يحيى " ننتهي من أم هاشم أولا "

صاحت بانفعال " إن زفاف سامية بعد أقل من شهرين"
رد مطمئنا رغم شعوره بالهم " فليدبرها الله من عنده أنا ذاهب "
هتفت قبل أن يفتح الباب " ألم تكن من قبل غير راض عما يتكبده الأهل في زواج البنات؟.. لماذا تنفذ ذلك الآن وتتمسك بعادات اليوم الثالث واليوم السابع لتشرفها أمام أهل زوجها "!
توقف يحيى عند الباب لبرهة ثم استدار إليها قائلا بلهجة ذات مغزى" موافق لكن بشرط .. سأفعل ذلك مع كل بناتي ما رأيك ؟"
جاءه الجواب عبر امتقاع وجهها فزفر بيأس وتحرك مغادرا وهو يقول " السلام عليكم "
ردت صباح السلام وغمغمت في سرها" متى سنتخلص من هذه البلوى يا رب .. ذهبت وستأخذ كل شيء معها "

xxxx

هتف كامل باعتراض هامس وهو يلحق ببسمة التي تتحرك بسرعة في ممر الطابق العلوي المؤدي للناحية الأخرى من الغرف قاصدة غرفة والدتها "كيف لن تخبريها!!"

استدارت ترفع نظراتها الزرقاء إليه بوجه ازدادت البقع الحمراء فيه وقالت هامسة باستنكار "كيف تطلب مني أن أخبر أمي بمنتهى الجرأة أننا .... كنا .. ليلة أمس .. كنا..."

قلب كامل مقلتيه ورد ببرود "مثلما تجرأتِ وأخبرتِها بأنه كان بيننا اتفاقا بعدم إتمام الزواج"

ردت مجادلة " وعدت وأخبرتها أمس بأننا بتنا نعيش زوج وزوجة عاديين"

وضع يديه في جيبي بنطاله الرياضي ورد " لا يكفي"

ناظرته بغيظ .. فأضاف وهو يتأملها في رداء بيتي بنطال رمادي يلتصق بتفاصيلها وتيشيرت

باللون الوردي بربع كم وعلى صدره حروف لامعة بفتحة رقبة عريضة تبرز جزءا من الكتفين " لا يكفي لابد من تأكيد هذه المعلومة"

قالت عابسة وهي تتركه وتكمل طريقها "أمي فهمت الأمر وسأتحرج من التحدث معها في شيء كهذا مجددا .. لكن إن سألت سأؤكد لها أعدك بذلك"

سحبها من ذراعها لتلتفت إليه فتوقفت متخصرة تناظره بتحفز ليقول كامل مهادنا "حسنا ..لدي فكرة .. ما رأيك أن أقبِّلك قُبّلة خاصة تترك على كتفك علامة مثلا ؟"

تابعته بحاجبين معقودين وهو يضيف بلهجة متسلية " ثم تدخلين عليها وتكشفي عن كتفك بشكل وكأنك غير متعمدة ثم تقولين (وكشف عن كتفه العريض وقال يقلدها بصوت رقيق) يا الهي إنه كامل المتوحش الـ ... "

أسرعت بكتم فمه بيدها فتراقصت ضحكة متسلية في عينيه لتقول هي بوجه أحمر "أغلق فمك يا كامل وكف عن هذه التخيلات الوقحة (ثم أدارته للخلف وقالت وهي تدفعه بعيدا بصعوبة) هيا اذهب "

استدار يقول بغيظ "لابد من حل إن سمعتي في خطر "

ضربت كفا بكف وهي تقول "لا حول ولا قوة إلا بالله .. وهل سننقذ سمعتك بهذه الطريقة الوقحة"

هز كتفيه ورد ببرود " النساء يفعلن ذلك"

راقب احمرار وجهها كليا وداعب خجلها الواضح مشاعر الرجل الشرقي فيه بينما هتفت بسمة قبل أن تستدير وتغادر "النساء يفعلن ذلك في الأفلام الرخيصة التي شاهدتها .. اذهب هداك الله"

كان مقتنعا بكل ما تقول لكنه استمر في
مشاكستها فأسرع بالذهاب خلفها مجددا
ينادى عليها" باسمة انتظري عندي اقتراح
أخر"
تطلعت بسمة في الغرف بحيرة ثم استدارت
تسأله" أي غرفة هي غرفة أمي ؟"
رد عليها" الثانية على اليمين"
همت بفتحها فقال مهددا " إن لم تسمعيها
سأدخل بنفسي أخبرها بها"
زفرت واستدارت إليه ثم عقدت ذراعيها أمام
جذعها تقول بفم ملوي" تفضل كامل بك"
وضع يديه في جيبي بنطاله وقال ببرود" أنت
ستدخلين عليها وتمثلين التعب والإجهاد ..
بالطبع ستسألك (ما بك) فستخبرينها بأن كامل
لم يتركك في حالك طوال الليل وأن....."
غطت بسمة وجهها بكفيها فقال مستمتعا
باستفزازها شاكرا للحظة كهذه بينهما بعد أن

أضحى يقدر كل لحظة معها " ما بها هذه الطريقة إنها مؤدبة؟ "
كشفت عن وجهها تقول باستنكار " هذه مؤدبة!!"
رد بغيظ من بين أسنانه " لابد من طريقة تؤكد الموضوع وتثبت لها اتمام الزواج "
اقتربت منه تدفعه في صدره بكفيها بينما هو يرفض الحركة فقالت بغيظ" اذهب كل من بالفيلا سيسمعنا وما أخفيناه سيعرفه الجميع "

"هل هناك شيئا يا بسمة؟ "
قالتها فاطمة وهي تقف على باب غرفتها
فاستدارت بسمة بارتباك ليسرع كامل بلف ذراعه حول رقبة بسمة وألصق ظهرها به يقول لفاطمة "صباح الخير يا حاجة فاطمة"
ابتسمت فاطمة ترد بسعادة جمة "صباح الرضا يا بني "

قال كامل بابتسامة " لا تؤاخذينا تأخرنا في الاستيقاظ اليوم لأننا لم ننم إلا بعد شروق الشمس "

جزت بسمة على أسنانها ولفت ذراعها للخلف وقرصته في بطنه فتلوى كامل قليلا وأطبق ذراعه حول عنقها وكأنه سيخنقها بينما رفعت الحاجة فاطمة طرف وشاحها تغطي فمها وعلقت بحرج" أسعدكما الله يا بني "

ابعدت بسمة ذراعه عن رقبتها واستدارت ترفع أنظارها له بغيظ مولية ظهرها لأمها فرقص لها كامل حاجبا مغيظا وتحرك مبتعدا بعد أن مسح على صدر التيشيرت بكفه بما يعني (لقد ارتحت الآن) .

قالت الحاجة فاطمة " أنا أستعد للمغادرة يا بسمة"

عادت الأخيرة تنظر لها باندهاش وهي تقول "لماذا؟.. ألم تقولي بأنك ستبقين ليومين أو ثلاثة ؟"

أجابت الحاجة فاطمة "لقد اطمأننت عليك والحمد لله "

قال كامل بلباقة "ولماذا لا تبقين معنا عدة أيام؟"

ردت فاطمة " بارك الله فيك يا ولدي.. الحاج سليمان اتصل بي وأخبرني بأنه قادم في الطريق "

هز كامل رأسه وقال "على راحتك (ثم قال لبسمة) سأنزل للطابق الأرضي وأطلب من زيلا إعداد الفطور "

راقبته وهو يوليهما ظهره ويبتعد يديه في جيبي بنطاله يتحرك بعنجهية فابتسمت واستدارت لتجد أمها قد دخلت الغرفة .

حين دخلت خلفها قالت بعبوس" ولماذا لا يتركك أبي لتبقي معي بضعة أيام؟!"
قالت فاطمة مبررة " تعلمين والدك يا بسمة حين يصر على شيء يفعله (وأمسكت بذراعيها تتأمل وجهها وأضافت) يا الهي لقد ازدادت البقع في وجهك !"
ابتسمت بسمة وردت" الحمد لله على كل شيء"
تحركت أمها لتجلس على طرف السرير وهي تقول " والله يا بسمة لم أنم طوال الليل من فرحتي"
وكادت أن تفصح لها عن مخاوفها من أن يلجأ كامل يوما للزواج بأخرى من أجل الانجاب لكنها أحجمت عن ذكر ما قد ينكد على ابنتها التي تراها سعيدة أمامها فأضافت "أدعو الله طوال الليل أن يكفيك شر العين ويهدي لك زوجك (وأمسكت بطرف وشاحها تمسح

الدموع من عينيها وأضافت) رزقك الله
السعادة يا بسمة يا بنت بطني "
أسرعت الأخيرة بالجلوس بجوارها واحاطتها
بذراعها وهي تقاوم البكاء قائلة" كفي عن البكاء
يا أمي أنا بخير بفضل الله ..ووعدت نفسي بعد
الحادثة الأخيرة ألا أنظر للماضي سأنظر
للمستقبل واستمتع بالحاضر .. "
جاءها صوت من جيبها فأخرجت هاتفها
الجديد لتجد كامل يقول لها في رسالة نصية "
لو كانت والدتك ستغادر اليوم فعلا أكدي عليّ
الخبر لأن هناك شيئا أدبره "
ضيقت بسمة عينيها وحاولت تخمين ما
يقصده في الوقت الذي سألتها والدتها "وماذا
ستفعلين بالمشروع وبالبيت الذي احترق ؟"
عاودها الشعور بالحزن فردت وهي تعيد
الهاتف لجيبها " سأعيد بناء المشروع من
جديد بإذن الله"

قالت أمها باندهاش " ألن تسكني هنا في العاصمة مع زوجك ؟!"

ابتسمت بسمة وردت بتلقائية " سأعيش معه في أي مكان إن شاء الله .. لكن هذا المشروع ليس فقط رمزا لنضوجي واستقلاليتي ولكنه مصدر رزق لكثير من الفتيات اللاتي يحتجن للعمل ولا يستطعن الخروج من القرية "

ربتت فاطمة على ظهرها تقول " جبر الله بخاطرك يا ابنتي "

مالت بسمة لتنام على صدر أمها تتأمل أشعة شمس الصيف التي تنير الغرفة وهي تتمتم "يا رب "

xxxx

سمع جابر صوت جرس الباب بإلحاح فاعتدل بصعوبة ينظر في ساعة الحائط وتفاجأ بأنها الثانية عشر ظهرا وفهم بأن الزائرين هم أهل أم

هاشم الذين يحضرون طعام العروس فاسرع بالقيام .
خلال بضع دقائق كان ينزل من على السلم مرتديا جلبابه الابيض يعدل من شعره بعجلة وهو يشعر ببعض التحسن عن الليلة الماضية لتقابله أم هاشم عند طرف السلم وهي تقول" كنت سأصعد لإيقاظك "
فتمتم ساخرا وهو يسرع نحو الباب" أنا شاكر لك جدا يا أم هاشم اعتباري رجل البيت"
قالها وخرج من باب البيت فغمغمت خلفه بابتسامة " فليبارك الله لنا في صحتك وتبقى رجل البيت حتى لو ستلقي من فمك الزلط لا يهم"
بعد دقائق دخلت نصرة وصباح وسامية وهند خلف جابر الذي استأذنهن بعد الترحيب بهن ليصعد للدور العلوي فقالت نصرة وهي تتجه للمطبخ لتضع ما تحمله من طعام " لقد

احضرت لك الادوية التي طلبتها يا أم هاشم لتكون عندك للطوارئ"

ذهبت أم هاشم خلفها في الوقت الذي تطلعت فيها صباح وهي ترتدي عباءة مطرزة باللون الرمادي ووشاح حول رأسها ثم قالت هامسة بسخرية لابنتيها " هل تجلس أمام الرجل بهذا الشكل؟!"

ردت سامية ضاحكة " غالبا لم يعجبه شكلها بالملابس المكشوفة"

طالعتهما هند بشفتين ممتعضتين ثم تركتهما لتجلس على الأريكة تتطلع في الشقة حولها ..

بينما عادت أم هاشم من المطبخ هي ونصرة فغمزت لها سامية قائلة " لقد تأخرتما في فتح الباب يا أم هاشم .. يبدو انكما غارقان في العسل"

ردت أم هاشم بهدوء " العقبى لك حينما تغرقين أنت الأخرى في العسل مع خلف"

قالت صباح "لقد اخبرت زوجك بأن عمك يحيى سيحضر بعد قليل للزيارة والمباركة"
هزت أم هاشم رأسها تقول" بارك الله لعمي وأطال لنا في عمره"
غمغمت صباح بفم ملوي " أتمنى فقط أن تتذكري ما فعله عمك من أجلك وأنه قد كلف نفسه فوق طاقته ليشرفك أمام عريسك رغم أن لديه خمس بنات في رقبته من بينهن واحدة ستتزوج خلال شهرين"
هتفت نصرة باستنكار" ما لزومه هذا الكلام يا صباح !"
ردت أم هاشم بهدوء" اتركيها يا أم كريم فغالبا هي اخطأت في العد .. فعمي لديه ست بنات ما شاء الله.. والحمد لله انه قد تخلص من الكبيرة ليتفرغ للأصغر منها"

ابتسمت كلا من نصرة وهند بينما امتقع وجه صباح وهتفت "ألن يتوب الله علينا من سلاطة لسانك هذا!"

ابتسمت أم هاشم وردت" ما دمت على قيد الحياة .. إذن لساني موجود "

بعد قليل فتحت أم هاشم باب غرفة النوم بحرج فلا تزال غير مصدقة أنها مع جابر في بيت واحد بل وتدخل عليه غرفة النوم..

فأدخلت رأسها من الباب تبحث عنه قبل أن تلمحه يجلس على كرسي يصلي .. تأملت شعره الندي المصفف للخلف والجلباب الأبيض الذي يرتديه ولحيته المنمقة الأنيقة .. ووقفت تتطلع فيه بملء عينيها دون حواجز ودون شعور بالذنب .. تأملت ملامحه الخاشعة ودعت له بأن يتمم الله شفاءه حتى يستطيع السجود..

يقولون بأنه كلما اقتربنا من الصورة ووضحت تفاصيلها ظهرت عيوبها.. لكنها كلما اقتربت منه ازدادت حبا وتعلقا وعشقا لهذا الرجل .. كلما اقتربت تضخم قلبها بالعاطفة وسرق منها عقلها .. فادركت أن لحظة الفراق عندما تحين ستكون الموت بالنسبة لها ..

وهل بعد فراق الحياة إلا الموت !..

فهمست في سرها" الله المستعان"

سلم جابر فأجلت صوتها تقول بارتباك هو وحده القادر على إصابتها به" ألن تأكل ..أنت لم يدخل جوفك الطعام منذ يومين"

قال لها بضيق" لا أريد أيا من الطعام الذي يحضرونه "

قالت مدافعة "إن نصرة هي من طبخت"

رد بنفس الضيق " لا اريد.. ولا اعتقد بأن معدتي ستتحمل هذا النوع من الطعام"

قالت بسرعة "سأعد لك طعاما سريعا حالا"

سألها " هل صليت الظهر؟"
هزت رأسها تقول "توضأت لكني لم أصل بعد"
أشار لها بيده وهو يستقيم واقفا" هيا لنصليه معا"
تسمرت مكانها وانفجرت دقات قلبها بعنف
فنظر إليها جابر متفحصا ثم قال" نحن لم نصل معا حتى الآن يا أم هاشم .. هيا أسرعي"
ظلت تحدق فيه ليقول "هيا يا بنت فعمك سيصل بعد قليل"
بخطوات بطيئة .. وكأنها تمشي فوق السحاب .. اقتربت من حلمها ..فراقبها جابر مندهشا من حالتها حتى وقفت خلفه فسألها بقلق " هل أنت بخير؟"
هزت رأسها بتأكيد دون كلام فلا توجد عبارات قد تصف شعورها اللحظة .. حلمها الذي سيتحقق بعد ثوان .. حلمها بالصلاة خلف جابر ...مرافقته أمام رب العالمين ..

هل حقا ستصلي خلفه ؟
توجه جابر بوجهه نحو القبلة ورفع يده مكبرا فوقفت أم هاشم بخشوع وجسدها كله يرتجف .. وبعينين مثقلتين بالدمع كانت تؤدي خلفه وروحها تطفو فوقهما .. تسجل هذه اللحظة .. لحظة الصلاة لأول مرة معه.
حين انتهيا سجدت أم هاشم سجدة شكر .. سجدة سكبت فيها دموع الفرح وأطالت في السجود فوضع جابر يده على كتفها يقول بقلق "أم هاشم"
لم تستطع الاعتدال فجذبها جابر من ذراعها ليساعدها على الاعتدال ثم سحبها إليه لتقف على ركبتيها بجوار كرسيه وحضنها مهدئا .. فأجهشت بالمزيد من البكاء ويدها تقبض على ملابسه.
كانت محاصرة بمختلف المشاعر لكن ما كان يشغل عقلها ويدغدغ قلبها هو تلك الصلاة التي

فازت بها أخيرا معه .. صلاة متبوعة بحضن ..
وليس أي حضن وإنما حضنه هو..
لحظتها شعرت بأنه قد جُبِر بخاطرها.
إنها لحظة جبر الخاطر ..
بصلاة .. وحضن.
قال جابر بحنان وهو يمسح على رأسها وظهرها بعد أن فرغ من الدعاء " أعرف بأننا قد مررنا بمحنة .. وأن فرحتك قد سُرقت منك.. لكنه ابتلاء من رب العالمين ليس علينا فيه إلا الصبر والاحتساب .. وأنا اخطأت في التعامل مع الموقف واتحمل كامل مسؤولية ما حدث بعد ذلك ..واعدك بأني سأعوضك "
غمغمت في حضنه" أنا لا أريد شيئا إلا أن يتمم شفاءك على خير "
قالتها واجهشت بالمزيد من البكاء .. فشدد جابر من ذراعيه حولها ولهجتها الصادقة ربتت على قلبه لكن دموعها كانت تعذبه ..وتدر

حنان قلبه في نفس الوقت .. بينما رائحتها وعظامها الرقيقة بين ذراعيه استهدفا مكامن الرجل فيه فغمغم بجوار أذنها بهمس دافئ " قلت لك دموعك تؤلم قلبي يا بنت شيخي" رن هاتف جابر فأسرعت أم هاشم بالابتعاد تمسح دموعها في محاولة للسيطرة على انهيارها فهي لا تحب أن تبوح بما يجعلها مثيرة للشفقة .. ليستقيم جابر واقفا ليحضر الهاتف ثم قال" هذا عمك لابد انه سيبلغني بحضوره" اسرعت بمغادرة الغرفة بعد أن قالت "سأعد لك أي طعام خفيف قبل أن يحضروا" قبل أن يفتح الخط تأمل مغادرتها في عباءتها الرمادية الفضفاضة وغمغم لنفسه محرجا من مشاعره التي اهتاجت بقربها" اصبر يا جابر حتى تستعيد صحتك كاملة"

××××

أخذ كامل يتحرك في الحديقة وهو يتحدث في الهاتف .. ولمح بعينيه في جانب الحديقة الخلفية بجوار الفيلا ونس وهي تحمل اصيصا كبيرا نسبيا من الزرع وتختفي في نقطة ما خلف الفيلا ..فعبس وهو يتابعها بأنظاره.. وبمجرد أن انتهى من المكالمة شتم من بين أسنانه وتحرك يبحث عنها حتى وجدها في أحد أركان الحديقة الخلفية تحمل المزيد من أصص الزرع الأقل حجما واحد في كل يد وثالث تسنده بساعدها على جانبها فنهرها قائلا بعبوس "ماذا تفعلين؟"

اتسعت ابتسامتها وعلامات الحماس على وجهها فمد يده يقول بغضب "هات ما تحملين "

عبست ونس واضطرت تحت نظرته الغاضبة أن تعطي له أصص الزرع الثلاث وأشارت له أن يضعها بجوار عدد من الأصص التي رتبتها

بعناية فناظرها بامتعاض ثم وضعها ببعض الخشونة بجوار الأصص الأخرى وهو يقول" بالله عليك هل حملت كل هذه ؟! .. إن منها ما هو ثقيل يا ونس أنت مصرة على أذية نفسك"
وقفت تشبك أصابعها خلف ظهرها بذلك البنطال الرياضي المريح والبلوزة الفضفاضة فنظر كامل باستهجان لما تفعل وقال بلهجة موبخة " ماذا تفعلين تحت حرارة الشمس؟!"
أسرعت بحماس تخرج الدفتر وتكتب "سأزرع هذه الأصص .. أحضرت البذور والطين وكل شيء"
سألها بامتعاض وهو يتطلع في الأشياء" وهل سوسو تعرف بأنك ستخربين الحديقة"
طالعته بملامح مغتاظة ثم كتبت" أولا أنا لا أخرب فأنا لست صغيرة "
رد بتهكم" هذا بالذات أنا أشهد لك به"

فأضافت في الدفتر " ثانيا أجل سمحت لي سوسو ما دام في أصص وليس في أرض الحديقة"

نظر في الدفتر ثم رد بشفتين ممتعضتين "وهل سوسو وشامل يعرفان بأنك ستحملين الأصص وخاصة الكبيرة منها بنفسك ؟"

حدجته بنظرة نارية ثم كتبت" أريد أن انتهي من هذه الفكرة من رأسي لأني سأنشغل من بداية الاسبوع القادم بالدراسة في المعهد"

سألها كامل" ستبدئين الأسبوع المقبل؟"

هزت رأسها وأسرعت بالجلوس أرضا أمام الأصص فقال لها" ألا يمكن أن تؤجليها لأخر اليوم فالشمس اشتدت "

كتبت ونس في دفترها ورفعته" لا ..أريد أن أنتهي من الأمر .. بداخلي حماس شديد ولن استريح حتى اخرجه "

مط كامل شفتيه ممتعضا وهم بالإرسال
لشامل حتى يتصرف فيما تفعل هذه المجنونة
قبل أن تطلق ونس تأوها وهي تسحب اصبعها
من كيس الطميّ الذي ستضعه في الأصص ..
فاقترب كامل يرى اصبعها الذي جُرح وبدأ ينزف
وقال بعصبية وهو يسحبها من معصمها
لتستقيم واقفة "هل أنت مجنونة لابد من
قفاز مطاطي ومغرفة لوضع الطميّ في الأصص
(وأشار لها على صنبور أرضي يستخدم لري
حشائش الحديقة لتغسل يدها وهو يقول)
اغسليها واذهبي لتعقيم إصبعك"
قوست ونس شفتيها ببؤس فأشهر قبضته في
وجهها وقال بغيظ وقد أشفق قلبه عليها
"اذهبي واغسلي يدك يا ونس "
تحركت نحو الصنبور فبرطم يحدث نفسه
وهو يجلس القرفصاء "ونس وما نبتلى به
بسبب ونس"

غسلت يدها وأخرجت منديلا ورقيا من جيبها
لفت به اصبعها ثم عادت بإصرار للمواصلة
حينما وجدت كامل يجلس على عقبيه يغرف
بمغرفة خاصة بالطين ويضعه في الأصص
فاقتربت منه مبتسمة.. ليقول لها بامتعاض
"ناوليني البذور يا مدللة البيت (وبرطم بتذمر)
أصص وزرع وشيء في رأسها لابد أن تفعله
وكأننا في روضة للأطفال !"
قهقهت ونس فرفع لها أنظاره يقول بعصبية
"ناوليني الكيس وإلا سأحطم هذه الأصص
فوق رأسك ورأس زوجك .. خلصيني"
التقطت الكيس وناولته إياه وهي تشير له أن
يضع في كل أصيص ثلاث بذرات فقط ..فبرطم
مجددا وهو يدفن البذور بينما أسرعت هي
بالتقاط صور له بالهاتف وأرسلتها لشامل .
خرجت بسمة تبحث عن كامل وقد بدلت
ملابسها لبنطال قماشي أبيض وبلوزة سوداء

ذات خصر ضيق وقد تركت شعرها مسدلا على كتفيها .

وحين لم تجده رنت على هاتفه مرارا ثم لاحظت بأن جرس الهاتف قريب فأخذت تتبعه حتى وصلت للحديقة الخلفية ووقفت تتطلع في المشهد مبتسمة وهي تسأل" ماذا تفعلان؟"

رد بتذمر " أفعل هذا لست الهانم مدللة العائلة التي بلانا بها أخي"

ضحكت ونس وشاركتها بسمة وهي تتطلع فيه ليقول كامل بغيظ للأولى "هل هناك أصص أخرى غير هذه ؟"

هزت رأسها ضاحكة ..فأدار وجهه لبسمة يسألها بغيظ "علام تضحكين؟ .. ابتعدي قليلا بهذا البنطال الأبيض .. الـ (بلع الكلمة ثم أضاف) ابتعدي حتى لا يتسخ "

اقترب شامل بعد دقائق يقول متهكما وهو يمسك بقلبه" ما شاء الله!.. عشت ووجدت لك فائدة في هذا البيت غير الأكل والنوم "
رفع له كامل مقلتين مقلوبتين ناريتين بينما اقتربت ونس ترفع اصبعها لشامل بملامح بائسة فسألها بقلق" ماذا حدث لك؟"
اشارت له على الأصص فرفع كامل وجهه ينظر لها بنظرة ذات مغزى قائلا بتهديد "هل أخبره ماذا كنت تفعلين بالضبط؟"
مطت شفتيها .. فأحاط شامل جذعها بذراعه يقول" ماذا فعلت يا شقية ؟"
احمرت وجنتاها وهزت كتفيها ببراءة مدعية اللا شيء بينما استقام كامل واقفا ينفض يديه وينظر لونس قائلا "خدامك كامل انتهى يا سيدتي"

ضحكت بسمة بينما رفعت له ونس إبهامها بامتنان فقال شامل بلهجة هازئة "عشت يا أخي .. نعم الأخ والسند"

حدجه كامل بنظرة ممتعضة.. فقال شامل وهو يضيق عينيه "لماذا ينتابني شعور بأنك تدبر شيئا ما من خلف ظهري ؟"

تحولت نظرات كامل الممتعضة لأخرى متسلية فنظر شامل لبسمة التي هزت كتفيها تقول" أقسم لك لا أعرف شيئا "

عاد شامل لأخيه يقول " وما يؤكد ذلك أنني غير قادر على قراءة أفكارك "

جاء صوت جلبة من أمام الفيلا فقال كامل "يبدو أن الحاج سليمان قد وصل .. سأذهب لأغسل يديّ ولا تنس أن تعقم الجرح لمدللة العائلة"

قالها فوقف شامل يرمقه بشك بينما أسرعت بسمة باللحاق بزوجها .

بعد قليل كان غنيم يقول" لم يكن هناك داع لكل هذا يا حاج سليمان"
اعتدل سليمان في جلسته المختالة وقال "ليس من مقامكم والله يا غنيم بك .. "
خرج كامل وبسمة للترحيب بسليمان ومعهما الحاجة فاطمة فرحب به كامل ليقول سليمان مهللا" أهلا بالبطل الهمام والله البلدة ليس لها حديثا إلا عنك وعن بسالتك وشجاعتك"
ابتسم كامل بمجاملة ولاحظ السلام البارد بين سليمان وابنته وتلك النظرة الباردة المتألمة التي تطالع بها بسمة والدها الذي تطلع في وجهها المرقط بعبوس ثم قال وهو يدس يده في جيبه ويخرج من حافظة نقوده شيئا" هذا خط هاتفك القديم لقد استعاده لك وليد لأنه كان باسمه "
اخذته بسمة وهي تقول " شكرا لقد ابتاع لي كامل هاتفا وخطا جديدا ..لكن بالتأكيد

سأحتاجه للتواصل مع حسابي على الانترنت
لأحصل على المعلومات المخزنة عليه ..
(ونظرت لكامل تسأله) أليس كذلك فأنا لا أفهم
في تلك الأمور"
هز كامل رأسه وقال" سنرى هذا الأمر لاحقا"
نظر سليمان لفاطمة يقول" هل أنت مستعدة
يا أم وليد ؟"
قال غنيم " لمَ العجلة .. لنتناول الغداء أولا"
عدل سليمان عباءته المعلقة على كتفيه وقال
"عامر دائما يا غنيم بك ..لكن أمامي أشغال
كثيرة.. تعرف أنا رجل مهم في القرية وهناك
أمور لا تتم إلا في وجودي"
قال غنيم مجاملا" كان الله في العون يا حاج
سليمان"
تحركت بسمة تسحب أمها وهي تقول "تعالي
معي يا أمي لتستعدي للسفر "

ناداها كامل قبل أن تبتعد ثم اقترب منها يقول هامسا "ونفذي ما قلته لك أيضا "
طالعته بعينيها الزرقاوين تقول بتساؤل "علام تنوي بالضبط يا كامل ؟"
رفع سبابته أمام شفتيه يقول هامسا" نفذي ما أقوله لك وإياك أن يعرف أحد"
تركها وتحرك عائدا لحميه يقول "حاج سليمان كنت أريد أن اتحدث معك بشأن إعادة بناء البيت المحترق "

xxxx

نزل جابر وهو لا يزال يشعر بدوار فقالت أم هاشم وهي تغرف طبقا من قدر فوق النار "هل وصل؟"
دخل المطبخ يقول" على وشك الوصول فقط أخبرني الحاج يحيى انه منتظر مصطفى الزيني فهو متواعد معه أن يحضر معه هو وهلال "

قالت وهي تضع طبقا أمامه على رخامة المطبخ
"هذا حساء الخضروات صنعته سريعا كل
ملعقتين قبل أن يحضروا"
أمسك جابر بالملعقة يضعها في الحساء
الساخن وقال والجوع يقتله "وأنت لم تأكلي"
ردت وهي تتجه لتغرف طبقا أخر" أنا أيضا
سأكل"
سألها وهو يمضغ الطعام" لماذا لا تأكلين من
الطعام الذي احضرنه؟"
قالت بعبوس "نفسي عافت كل طعام سيأتي
من الخارج ما دمت لم اطبخه بيدي"
ابتسم جابر وتابعها وهي تضع طبقا على رخامة
المطبخ أمامه وتبدأ في الأكل ليقول "على الأقل
كلي قطعة من اللحم "
قالها وهو يعود لينظر في طبقه فتأملته
والملعقة تهتز في يدها متأثرة .. إنه يأكل من
صنع يديها لأول مرة ..

هل ستكون مبالغة لو دعت له مع كل ملعقة طعام تدخل جوفه بالهناء !..
هل سينعتونها بالهوس إن خلدت هذه اللحظة في ذاكرتها للأبد !..
إنها المرة الأولى التي يأكل فيها من صنع يديها..
هل سيصدقونها إن قالت أن قلبها الآن يتفجر فيه الحنان كينابيع وهي تراه يأكل من طعامها وكأنها أم تطعم ولدها !
رفع جابر أنظاره يسألها باندهاش "لماذا لا تأكلين؟"
أسرعت بخفض نظراتها وقد اشتعلت وجنتاها.. فقال جابر ساخرا " تشعرين بالغرابة لحالنا هذا أليس كذلك؟.. عريسان في اليوم الثاني لهما .. يقفان بالمطبخ يحتسيان الحساء على عجل "
قالت أم هاشم بحماس" والله لأصنع لك طعاما خفيفا على المعدة بعد قليل "

قال جابر وهو يشرب الحساء بالملعقة
"يؤسفني أن تضطري للوقوف بالمطبخ وأنت عروس"
قالت مطمئنة " لا بأس ..(وطالعته تضيف مازحة) ألم أقل لك أن الاقتران بي ليس سهلا .. ها أنت قد جربت"
رفع حاجبه وقال بلهجة متحدية فبدى أمام ناظريها ساحرا" وهل هذا أخر ما تستطيعين فعله؟! تؤتؤتؤ ظننت قواك الخارقة أقوى من ذلك .. (وأضاف مناغشا) عموما إن كنت أنت أم هاشم فأنا جابر "
انفجرت دقات قلبها بما يشبه المفرقعات في صدرها وهي تتطلع في حلو كلامه وحلو طلته فاتسعت ابتسامتها وأخفضت أنظارها للطبق بخجل أنثوي داعب مشاعره بينما تسمرت عيناه على الغمازتين اللتين ظهرتا مع الابتسامة.

لم ير ابتسامتها منذ زمن طويل جدا .. ولم يكن يعرف بأنها جذابة بهذا الشكل وأن شفتيها ممتلئتان خاصة الشفة العليا .. أما غمازتيها فكانتا اكتشافا بالنسبة له .. اكتشاف أسر عينيه للحظات فقال بلهجة معجبة "لم أكن أعرف بأنك تملكين غمازتين يا بنت شيخي .. يبدو أنهما لا تظهران لكل الناس "

ازداد اشتعال وجهها وارتجافها وهي تسمع كلماته الحلوة بينما عقد جابر حاجبيه مندهشا وهو ينتبه لأول مرة بأنها تغطي رأسها بوشاح .. هل تشعر بالخجل إلى هذه الدرجة ؟ أم أنه لم يشعرها حتى الآن بأنه الرجل الذي يحل لها؟ ..

هم بالتعليق حينما رن جرس البيت.. فمط جابر شفتيه وهو يقول مغادرا المطبخ" ها قد حضروا "

أسرع نحو باب البيت وابتسامة زينت ثغره وهو يحدث نفسه" لماذا شعرت بالإحباط من وصول الضيوف في هذه اللحظة يا جابر .. قلنا تماسك حتى تسترد صحتك كاملة يكفيك هيئتك الكارثية أمامها ليلة زفافك "

بعد قليل كانت أم هاشم تناول جابر صينية عليها أكواب من العصير من باب الغرفة التي لها بابان باب على صالة البيت وباب أخر على ساحته فقال "بفزع ما هذا؟"

قالت تداري ابتسامتها" هم سيشربون العصير أما أنت فسأصنع لك الشاي "

غمغم بقرف وهو يأخذ الصينية " أي شيء إلا العصير (ثم تردد قليلا يسألها مازحا) ماذا لو كان هذا مسمما أيضا ؟"

ابتسمت أم هاشم تلك الابتسامة ذات الغمازات وقالت "لا تقلق الزجاجة فتحتها لأول مرة بيدي(ثم اشارت على صينية أخرى

تحتوي على أطباق من الحلوى والجاتوه
وقالت) وأدخل هذه أيضا "
دخل جابر بالصينية فقال هلال بمرح مناكفا
بعد أن أدخل الصينية الثانية " العقبى لك
حينما نهنئك بقدوم جابر الصغير يا عريس "
تطلع جابر في مصطفى الزيني الذي تنحنح
بحرج يداري ابتسامة صبيانية تزين جانبا من
ثغره بينما عض جابر على شفته السفلي بغيظ
يقول لهلال الذي يناظره بنظرة خاصة " هذا
القر والحسد هو ما سيعجِّل بآخرتي"
قهقه هلال بمحبة فابتسم جابر بينما قال
يحيى "بارك الله فيك ورزقك الصحة وطول
العمر"
رد جابر بلهجة مازحة وهو يناظر مصطفى
مجددا" نعم أهم شيء الصحة "
قال يحيى بعد قليل "أريد أن أبارك لأم هاشم"
فقال جابر وهو يستقيم واقفا" طبعا تفضل"

قالها وهو يقوده للباب الداخلي للغرفة ثم نادى على أم هاشم التي خرجت لعمها بابتسامة محرجة وهي تقول" ما كل هذه الأشياء التي جلبتها معك يا عماه"

عاد جابر لضيوفه بينما رد عمها وهو يضمها " مبارك لك يا أم هاشم والله فرحتي بزواجك ومن رجل محترم مثل جابر اسعدتني سعادة لا توصف فليعمر الله بيتكما بالمودة والرحمة والستر "

كلماته أثرت فيها فقالت بقلب مرتجف "آمين يا رب العالمين "

قال يحيى وهو يخرج ظرفا من جيب جلبابه " هذا نقوطك يا عروس"

شعرت بالتأثر ومدت يدها في حرج لتلتقط الظرف وهي تقول "لا حرمني الله منك يا عمي"

فربت يحيى على ظهرها في الوقت الذي سمع جابر جرس الباب فعقد حاجبيه واستأذن من

ضيفيه ليخرج من الباب المؤدي للساحة الخارجية ثم ابتسم متفاجئا حينما وجد والدته قد أوصلها أحد أبناء خالته ..فقد كان يعلم بأنها ستأتي يوم غد اليوم الثالث للزفاف كما أخبرته .

سلم على ابن خالته مرحبا وهو يدعوه لغرفة الضيوف بينما أخذت والدته تتفحصه بعين الأم وسألته" هل أنت بخير؟"

غمغم جابر مراوغا" الحمد لله"

بعد ساعة خرج جابر من غرفة الضيوف بعد أن ودع ضيوفه ليجد أمه تقول بلوعة" ألف بعيد الشر عليك يا جابر .. أنا لا أصدق ما سمعته حتى الآن "

ناظر جابر أم هاشم بنظرة لائمة ثم قال" ألم أقل لك لا تخبري أمي "

هتفت نجف مدافعة " هي لم تخبرني أنا اتصلت لأعرف أخباركما فشعرت بأن صوتها

ليس على ما يرام فحضرت وألحيت عليها لأعرف ما بكما "

تدخلت أم هاشم يسيطر عليها الحرج وهي تهرب من نظرته اللائمة فقالت " جزاك الله خيرا لدفاعك عني يا خالتي (وأضافت بشجاعة) بصراحة أنا أقلقتها بصوتي وطلبت منها المجيء"

رفع جابر حاجبا متحفزا ثم رفع اصبعيه السبابة والوسطى في وجهها يقول محذرا "هذه هي المرة الثانية التي تخالفين فيها أوامري خلال يومين فقط من الزواج "

ناظرتهما نجف خاصة أم هاشم التي انكمشت تناظره بحرج قبل أن تندفع لتقول مجادلة بذقن مرفوع" هذا عادي يا جابر ..للعروس عشرة أخطاء تغتفر في بداية الزواج.."

ابتسمت نجف بينما حافظ جابر على عبوسه بصعوبة ورد باستنكار "عشرة أخطاء!.."

غمغمت أم هاشم مؤكدة بثقة " نعم "
مط شفتيه وسألها متهكما " وبعد ذلك ماذا
يفعل الزوج فيها حينما تخطيء؟"
أجابت وهي تحرك يدها في الهواء فرنت
أساورها الذهبية " بعدها لا تحاسب على
أخطائها أيضا .. لأن الزوجة دائما على حق"
ضحكت نجف بصوت عال بينما وقفت أم
هاشم أمامه تتصنع الجدية حتى لا تضحك
فازدادت غمازتاها عمقا .
أما جابر فشعر بالغيظ وبرغبة في أن يسحبها
من تلابيبها ويقبلها بقبلة تخرس فمها ذو
اللسان الطويل هذا.. فناظر أمه التي تضحك
وحافظ على عبوسه لتربت أمه على صدره
وتقول "لا أنكر بأنها قد تهورت بخروجها ليلة
أمس ..والله قلبي توقف وهي تحكي .. ولمتها
ووبختها يا جابر ..لكن أعذرها كانت في موقف
صعب وتصرفت بتهور لتنقذك "

نظر جابر لأم هاشم يسألها بلهجة متهكمة ذات مغزى "وهل اخبرتها بشيء آخر يا بنت شيخي!"

سؤاله ونظرة عينيه فهمتهما على الفور فاشتعل وجهها وغمغمت وهي تتحرك نحو غرفة الضيوف هاربة من سؤاله المحرج "قلنا أخطأت خطأين غير مقصودين وانتهى الأمر .. بقى لي ثمانية في الرصيد"

رفع حاجبا يراقب ابتعادها وشعور عجيب يسيطر عليه ..

إنه غاضب وليس بغاضب..

مستفز منها ولكن بطريقة خاصة ..

تسيطر عليه رغبة في مصارعتها ثم السيطرة عليها ومطارحتها الغرام .

حزمة من مشاعر عجيبة وغير مفهومة بالنسبة له يشعر بها لأول مرة ..

لكنه ولدهشته يشعر مع هذه المشاعر بأنه حي يتنفس .. وكأنه قد استيقظ من سبات طويل على رياح دافئة تدغدغ كل خلية فيه .
قاطعت أمه شروده حينما قالت "أنا لا أفهم موضوع الطعام هذا يا جابر هل تشك بشيء أو بأحد ؟"
أجاب وقد عاد يشعر بالإنهاك" فيم بعد يا أمي .. سنتحدث ونفند هذا الأمر فيما بعد.. أنا متعب الآن وأشعر بأن ارتفاع الحرارة يعاودني .. سأصعد لآخذ أدويتي واستريح قليلا "

xxxx

وقف شامل على بوابة الفيلا يناظر توأمه وهو يتفتت من الغيظ بينما كامل يضع الحقائب في حقيبة السيارة ..فقالت بسمة لسوسو وغنيم الواقفين في الحديقة "والله العظيم لم أكن أعرف أي شيء سوى أنه طلب مني أن أعد

حقائب للسفر لعدة أيام وذلك منذ ساعتين فقط"

ابتسمت سوسو بتفهم وتطلعوا جميعا في شامل الذي يناظر أخيه متخصرا وونس تقف بجواره ليقول كامل بصوت عال "هيا يا باسمة علينا الوصول قبل حلول الليل"

بارتباك اسرعت بسمة بتقبيل وجنتي حماتها وحماها مودعة واسرعت بالهرولة تشعر بالحرج من شامل وونس ..

عند اقترابها من السيارة فُتِحت البوابة المقابلة وخرج منها جنزير وتلاه تسونامي التي تخشبت لثوان حينما تطلعت في التوأمين ثم زوجتيهما اللتين وقفتا تناظرنها بنظرات متحفزة

..فشحب وجهها وبلعت ريقها ثم أسرعت نحو سيارة ذات زجاج داكن تنتظرها بعيدا وهي تقول بلهجة استعراضية مغناج وخطوات مائعة" هيا يا جنزير حتى لا نتأخر عن حفلنا"

تحرك جنزير خلفها فتابعتها نظرات بسمة وونس اللتان تقفان متخصرتان حتى تحركت السيارة بتسونامي.

قال كامل لبسمة وهو يفتح لها باب السيارة "هيا يا باسمة "

استدارت إليه تقول بعبوس" هل كنت تنظر إليها ؟"

أسرع برفع يديه في الهواء قائلا" أنا زوج يرتعب من غضب زوجته جدا "

جلست في مقعدها بكبرياء بينما استدار كامل أمام السيارة وهو لا يزال يناظر توأمه مغيظا ثم اقترب منه ينفض له عن صدر قميصه قائلا "المطعم ومستقبل العائلة في يدك يا فلذة كبدي ..سأترك لك المجد لتصنعه وأذهب أنا لألهو قليلا مع زوجتي"

نفض شامل يد أخيه عن ملابسه وأمسك في خناقه يقول "أنا لم أخرج مع زوجتي خارج

العاصمة أبدا ولم نذهب لأي مكان لماذا تخرج أنت؟"

نفض كامل عنه يد شامل وقال بلهجة متسلية مغيظة "وهل منعك أحد !.. عموما لا تبكي يا مسكين (ونظر لونس المقلوب وجهها وأكمل) ولا تبكي أنت أيضا من الممكن أن تذهبوا حينما تنتهي الصغيرة من الفصل الدراسي ... (وهز رأسه بأسف مضيفا) تؤتؤتؤ أنتما لديكما دراسة يا مساكين .. أما أنا وبسمة فقد كبرنا وانتهينا من الدراسة وتفرغنا للهو "

وتحرك خطوتين للخلف ثم وضع نظارة الشمس على عينيه وهو يقول لونس محذرا" لا تُحزني أخي ولا تُؤذي ابن أخي يا صغيرة وأعدك أن اجلب لك قليلا من رمل الشاطئ حتى تلعبين به "

هتف شامل "اقسم بالله هذا ظلم"

فتح كامل كفه يُخَمِّس في وجه أخيه ثم قال لونس بلهجة آسفة وهو يفتح باب السيارة يقلد ما قالته له يوما " مسكينة ونس ليس لديها (كامل) ليأخذها للمنتجعات وحمامات السباحة والشمس والرمل والبحر"

قالها وركب السيارة بعد أن رفع شعره عن جبهته بمشط يده بحركة مختالة.. فراقبته بسمة وهي تكتم الضحك في الوقت الذي شغل كامل السيارة ثم أخرج رأسه منها يتطلع في التمثالين المغتاظين أمامه وأنزل النظارة قليلا يناظر ونس من فوقها قائلا بلهجة مغيظة "كامل ليس له في البالونات والقلوب الحمراء المقززة .. كامل يهدي الفنادق والمنتجعات والنزهات .. (وعدل نظارته ملوحا) استودعكم الله "

تحرك بالسيارة فنظر شامل لونس التي تقوس شفتيها لأسفل ثم استدار لوالديه يقول بحنق

وغضب "وأنت تركته يا أبي .. كل شيء على شامل وهو يعيش مدللا في هذا البيت !"
تصنع غنيم الجدية وقال "لقد فاجأنا كما رأيت بحجز كل شيء ودفع مبلغا تحت الحساب..
عموما حينما يعود اذهب انت وزوجتك فكما يقول ليس هناك أي حجز أخر "
هتف شامل بغيظ" بل هو الذي يتحجج حتى يذهب مع زوجته وحدهما.. لكن أنا لن اسكت على هذا الأمر ..(وتحرك يدخل الفيلا متوعدا) .. سترى يا كامل إما أنا أو أنت في هذا البيت .. "
وقفت ونس تشعر بالتوتر غير قادرة على تحديد إن كان غضب شامل جديا أم لا ..خاصة وهي ترى حمويها يكتمان الضحك حتى أشار لها غنيم لتسرع خلف زوجها فأسرعت بالهرولة خلفه وهي تسمعه يبرطم من بعيد" كل شيء فوق رأس الزفت شامل"

في السيارة ضحكت بسمة قائلة" يا إلهي إنكما طفلان صغيران .. متى قمت بهذا الحجز؟"
تطلع فيها كامل وقد غطت وجهها بكريم أساس لتداري البقع الحمراء ثم عاد ينظر للطريق قائلا "كان من المفترض أن يكون الحجز بعد ثلاثة أيام بسبب وجود والدتك لكن حينما علمت بأنها ستغادر اليوم حاولت مع الفندق حتى استطعت تقديم الحجز لليوم .. كان عليّ أن أخطف فاتنة المجرة واذهب بها بعيدا عن العيون (ونظر لها يغمز بعينه مضيفا) لنكون على راحتنا"
احمر وجهها وأدارته نحو النافذة فشغل كامل الأغاني لينبعث منها صوت عبد الحليم.

قولوله .. قلوله .. قولوله
قولوله الحقيقة
قولوله بحبه .. بحبه
أبو عيون جريئة

قولوله بحبه .. ومدوبني حبه
في بحوره الغريقة ابو عيون جريئة
استدارت تتطلع فيه وقد خفق قلبها فسحبها كامل يضمها إليه .. لتنام بسمة على صدره تستمتع بتلك اللحظات الاستثنائية من الدفء والسعادة التي تحياها هذه الأيام.
كان مالي .. ماكنت في حالي ..
متهني بقلبي الخالي
فات رمشه الجرئ وندهني ..
وفي أجمل عيون توهني
قولوله ندهني ليه ..
حيرني وشغلني عليه
بالحب الذي زايد .. والشوق اللي قايد
من أول دقيقة .. أبو عيون جريئة
ناظرته بسمة بعينيها اللتين تتلألآن بالفيروز فطبع كامل قبلة على جبينها وعاد ينظر أمامه حيث الطريق السريع والصحراء تحده من

الجانبين وهو يغمغم " اللهم لك الحمد حتى يبلغ الحمد منتهاه"
فرددت بسمة خلفه الحمد بتأثر وامتنان "اللهم لك الحمد حتى يبلغ الحمد منتهاه "

xxxx

قبيل المغرب

نزل جابر من الطابق العلوي يرتدي ملابس بيتية رياضية مريحة ويبدو على وجهه آثار النوم فلمحته أم هاشم من وقفتها في المطبخ وهو ينزل وهمست في سرها بينما مليكة معها على الهاتف" اللهم صل على النبي "
كان بملابسه البيتية يبدو أصغر عمرا بكثير وكان عرض كتفيه وبنية جسده الرياضية تضيفان سحرا على وسامته وجاذبيته فغازلته أم هاشم بعينيها حتى أنها شردت للحظات عن محدثتها بينما قالت نجف من جلستها على الأريكة في الصالة" أخرجها يا بني من المطبخ ..

حاولت معها أن تخرج لم ترضى وأصرت على
طبخ الطعام لك بنفسها ..أيصح أن تقف
وتطبخ وهي عروس !"
اتسعت ابتسامة جابر ورائحة الطعام الآتية من
المطبخ يمين السلم مع جلسة والدته
المستريحة على تلك الأرائك الجديدة الملونة
أمامه بينما صوت التلفاز في الخلفية يبث أحد
المسلسلات كل هذا يشعره بالدفء
والحميمية.. يشعره بالسكن والسكينة ..
فتحرك يمينا نحو المطبخ وشعور إضافي
بالسعادة يضاف لسعادته وهو يفكر في أمه التي
تدافع بتلك الحمائية عن أم هاشم في الوقت
الذي كانت فيه علاقتها بكاميليا علاقة باردة
ككل شيء كان يحيط به في البيت طوال السبع
سنوات التي قضاها معها "
حينما اقترب من باب المطبخ رفع حاجبيه
متفاجئا وهو يتطلع في أم هاشم التي تخلت

أخيرا عن وشاحها رغم احتفاظها بالعباءة فوقف على باب المطبخ يديه في جيبي بنطاله يدقق فيها .

لا يذكر أنه قد رآها من قبل بشعرها فتفاجأ بشكلها بدون الحجاب.. ولم يكن منتبها لأن الشكل يتغير غالبا بدونه .

كان شعرها أسودا مجعدا طويل نسبيا حتى قبل منتصف ظهرها بقليل ترفعه من الجانبين بدبوسين أعلى رأسها من الخلف بينما تترك خصلاته المجعدة المتشابكة حرة .. فلاحت الابتسامة على وجهه وهو يعترف بأن شعرها يناسبها جدا ..يناسب سمرتها وملامح وجهها الذي ازداد جمالا بدون حجاب .. يناسب شخصية أم هاشم المتفردة المختلفة عن كل النساء .. لكنه تعجب بشدة من ذلك القرط الذي ترتدي فردة واحدة منه .. شكله أحمر ويبدو رخيص الثمن .

لاحظت أم هاشم تدقيقه في شعرها فارتبكت بشدة ورفعت أناملها المرتعشة نحو جبينها تدلكه وهي تنظر أرضا في خفر وتغمغم لمليكة بخفوت "سأغلق الآن وأعيد الاتصال بك فيما بعد يا مليكة"

أغلقت الخط وناظرته بترقب تداري ارتجافها وذلك الشعور في عدم الثقة في أنوثتها يسيطر عليها .

الأنثى فيها تُهزم بنظرة من عينيه ..

ألا يحق لها أن تشعر بأنها كاملة غير منقوصة؟..

أن لديها ما يميزها ويجذبه ؟..

أنها تمتلك ما يمدحه في شكلها؟ .

قال جابر وهو يدقق فيها بنظرة خاصة" لم أرك من قبل بدون الحجاب "

هزت رأسها وشعرت بأن يديها ليس لهما مكانا فرفعتهما لشعرها ثم انزلتهما بسرعة شبكتهما

أمامها ثم أسرعت بدفعهما خلف ظهرها بينما
أضاف جابر بصوته الرجولي الذي يدغدغ
حواسها "تبدين مختلفة .. أصغر عمرا بل
تبدين وكأنك مراهقة في السابعة عشرة "
لم تعرف إن كان كلامه مدحا أم تهكما لكن
نظرتها لنفسها جعلتها تصدق بأنه عدم رضا
فغمغمت بطريقتها الساخرة" ليس لك نصيبا
لأن تراه مفرودا .. فتشاء الأقدار أن تراه أول مرة
على طبيعته"
رد جابر بهدوء" لكنه يليق بك"
أجابت ساخرة "أعرف بالطبع"
كانت الشحنات الكهربية بينهما قوية وعيناه
ترسمانها فقالت أم هاشم بارتباك" بدأت أشك
في أن حظك قليل يا جابر "
ضحك مقهقها ثم رد بصدق" بل نعم الله عليّ
لا تحصى يا بنت شيخي"

تجولت عيناها عليه بكليته بافتتان وردت بصوت متهدج "زادك الله من نعمه وفضله يا جابر وأسعد قلبك "

دعواتها دوما تربت على قلبه هذا ما أقره أخيرا .. بل هي كلها بكليتها تشعره بحالة من الهدوء النفسي غير المسبوقة .. رغم اعترافه بأنها تصيبه أحيانا برغبة في خناقها لكن ليس بغل أو كره وإنما بمحبة.

(محبة)

كلمة ومضت في قلبه فأصابته برجفة وتحركت عيناه نزولا على عباءتها الفضفاضة وشعر بالغيظ مما ترتديه لكنه تحرج أن يطلب منها أن تبدلها حتى لا يحرجها بينما جاء صوت نجف يسأله "ألن تأكل شيئا يا ولدي حتى تسرع في التعافي"

خرجت أم هاشم من حصار عينيه الذي يصيبها بالتوتر كأنها في جلسة تقييم لا تثق بأنها

ستجتازها بنجاح وهتفت معقبة " ربع ساعة والطعام سيكون جاهزا لنا كلنا (ثم قالت لجابر بلهجة محرجة وهي تضع يدها على فمها) جابر هلا سألتك سؤالا دون أن تضحك عليّ" هز رأسه وهو يتأملها في صمت حينما اقتربت منه وعضت على شفتها السفلى .. شفتها المكتنزة فأشعلت نارا في أعصابه ثم اطلقت سراحها من بين أسنانها وقالت "هلا علمتني كيف استخدم الغسالة الاوتوماتيكية؟ .. أنا لم استعملها من قبل فالتي عند عمي نصف اتوماتيك .. وحاولت أن اقرأ الكتالوج لم أفهم شيئا ومليكة فشلت في افهامي فما تقوله غير موجود أمامي "

ابتسم ورد بهدوء "لأن هذا النوع جديد في السوق .. (ورد بمباهاة) أحدث نوع نزل .. فنظامها يبدو مختلفا لكنه في الحقيقة هو نفسه تعالي معي"

تحرك يخرج من المطبخ ويدخل للباب المجاور له حيث الحمام الكبير فدخلت أم هاشم خلفه .

ليسألها "هل صنفت الغسيل الأبيض وحده والألوان وحدها والأسود والغامق وحدهم" هزت رأسها وقالت" أجل وضعت فيها الآن الألوان"

أشار لها جابر على المؤشرات والعلامات على الغسالة وأخذ يشرح لها ..فلملمت أم هاشم ذيل عباءتها في يدها ورفعته قليلا ثم مالت بجذعها تقرب وجهها من العلامات على الغسالة حتى تحفظها .

بدأت عينا جابر تحيدان عما يشرحه وتذهبان للتجول فوق مناطق من جسدها ثم نزلت إلى ساقها التي ترفع عنها ذيل العباءة.. كانت ساق نحيفة لكنها منحوتة بشكل ملفت جدا سمرتها محببة وانعكاس الضوء عليها كان..

يضيء كلمعان الذهب .. وبشرتها تبدو ملساء دهنية إلى حد غريب.. إلى حد مغري بشدة للمس .. بينما فرع شجر بورود صغيرة رقيقة مرسوم بالحناء اصابه بالفضول ليعرف إلى أين ينتهي بالضبط .. أما ظاهر القدم فمنقوش برسمة رقيقة وجوانب القدم مزخرفة .

أخذت أم هاشم تسأله أسئلة وكان يجيبها بشكل آلي وعقله شارد في تفاصيل أخرى .. تفاصيل يشعر بأنها توشك على أن تفقده تحكمه في نفسه وهو أبدا لم يكن كذلك .. فقد عوده التزامه الديني وحياة الغربة على التحكم في رغباته وفي زمام نفسه بحزم قوي .. لكنه أضحى زماما ضعيفا .. بل منفلتا اللحظة .. ليس فقط لأنها حلاله .. ولا لفضول الرجل بداخله الذي جُبل على أن تحتل الغريزة جزءا قويا من تكوينه .. ولكن لانجذاب حقيقي يشعر به تجاهها .. انجذاب لأنثى مميزة في تفاصيلها ..

اعتدلت أم هاشم فجأة واقفة وهتفت وهي تسرع بالهرولة من أمامه "يا إلهي الأرز سيحترق"

خرج جابر خلفها وهو يخبر نفسه بتوبيخ "تريث يا جابر حتى مساء الغد على الأقل .. لتكون قد استرددت صحتك كاملة .. عليك أن تكون بكامل لياقتك حين تعود للملاعب"

قالها وهو يضحك من نفسه وعلى نفسه مما ينتابه من مشاعر ملحة كالمراهقين .

خرجت أم هاشم لتعدل المفرش على طاولة السفرة بينما تحرك جابر ليجلس على الأريكة وعيناه لا تزالان تختلسان النظر نحوها لتقول نجف "يبدو أنكِ تشعرين بالحرج من وجودي يا أم هاشم "

عقدت الأخيرة حاجبيها وقالت" لماذا تقولين هذا الكلام يا خالتي وهل سيكون للبيت بركة بدونك؟ "

ردت نجف بعفوية "لأني أشعر بأني أقيدك..
فعلى ما يبدو تتحرجين من تخفيف الملابس
والجلوس بحرية في وجودي "
اشتعل وجه أم هاشم واختلست النظر لجابر
الذي تظاهر بالانشغال في متابعة نشرة الأخبار
ثم قالت بارتباك تداري حرجها " لا أنا فقط
كنت استقبل الضيوف بهذه العباءة وانشغلت
بالمطبخ"
قالت نجف بإصرار " حسنا ألا يكفي أنك
وقفت في المطبخ ولم يمر يومين على زواجك
هيا قبل أن تغرقي الطعام بدلي هذه الملابس
ولا تكسري فرحة العروس بداخلك .. هيا يا
ابنتي "
ازداد ارتباك أم هاشم لكنها لم تجد عذرا تقوله
لحماتها .. هل تخبرها بأنها تشعر بالحرج من
شكلها .. ليس من حماتها ولا من أي أحد فهذا

الأمر تدربت على تجاهله منذ زمن ولكن يبدو
أنها فشلت في ذلك فيما يخصه هو .
هزت رأسها وتحركت صاعدة للطابق العلوي
وهي تقول لنفسها "تشجعي يا أم هاشم .. على
الأقل مهدي للرجل حتى لا يصدم .."
حين اختفت عن الأعين قال جابر لأمه بلهجة
لائمة "أحرجتِها أمامي يا أم جابر "
رمشت نجف بعينيها ثم قالت بصدق " لم
أقصد إلا أن أخرجها من خجلها وأشعرها
بفرحة العروس .. البنت قُتِلت فرحتها في
مهدها ولم تشتكي حتى"
ابتسم جابر وقلبه يذوب من الحنان لتضيف
نجف "أقسم بالله كلما فكرت كيف خرجت في
منتصف الليل وحدها تبحث لك عن طبيب
يقشعر بدني وكأن المثل الشعبي قد فصل عليها
حين قال (بنت الرجال عانت واستعانت
..وبنت الأنذال حطت رأسها ونامت).

قهقه جابر وقال" دعينا من بنت الأنذال يا حاجة ولندعو الله أن يحفظ لنا بنت الرجال" قالها وشرد في مشاعره التي يختبر جانبا كبيرا منها لأول مرة في الوقت الذي رن هاتفه فأخرجه من جيبه يرد "كيف حالك يا زين؟" هتف زين بلهفة مرحة" أخي ..حبيبي .. هل أنت بخير؟ .. اتصلت بك أمس ووجدت هاتفك مغلقا يا عريس"

أما أم هاشم فكانت تمر بلحظات مربكة في الدور العلوي وهي تختار ما ستلبسه .. عليها أن ترتدي شيئا مكشوفا فمن غير اللائق أن تنزل بثوب محتشم بعد ملاحظة حماتها .. وبعيدا عما تشعر به من عدم ثقة زُرعت فيها رغما عنها ..وقررت أن تواجهها بشجاعة وأن تواجه نفسها قبل جابر وحماتها بما هي عليه ..كان شعورها بالخجل قويا .

اختارت فستان بلون هادئ من درجات المستردة مطبوع عليه ورود بيضاء صغيرة بفتحة رقبة على شكل رقم سبعة واسعة إلى حد ما بدون أكمام إلا من كورنيش رفيع يزين أعلى الذراع .. كان الفستان ملفوفا على جذعها خاصة من عند الخصر يوضح نحافتها وطولها ومسدلا حتى بعد ركبتيها بقليل .. باتساع متوسط وفتحة من عند الركبة حتى نهايته .. واحتارت هل ترتدي الصدرية المبطنة أم العادية فاختارت الأخيرة وهي تحدث نفسها "كوني كما أنت يا أم هاشم بدون تدليس وعليه أن يتقبلك أو لا يتقبلك (وأضافت بلهجة يائسة معترفة لنفسها) وهو لن يتقبلك بالتأكيد .."

سحبت نفسا عميقا ونظرت لنفسها في المرآة ولشعرها الذي إن استعملت مجفف الشعر معه سيهيش ويجف فاكتفت بشكله بهذه

الهيئة الطبيعية بالزيوت التي أعطتها لها الحنانة .. ثم قالت لتشجع نفسها " الحمد لله على كل شيء يا بنت زكريا .. انظري حولك أين أنت واسألي عينيك اللتين تكحلتا برؤيته ليومين متواصلين .. واسألي قلبك كم مرة ابتهج لوجوده"

بعد دقائق كانت تتعثر على درجات السلم وقد ارتدت حذاءً مريحا بدون كعب مكشوفا من الأمام إلا من سير رفيع رقيق فوق ظاهر القدم واحتفظت بأساورها الذهبية وارتدت معها القرط الذهبي.

اتسعت عينا جابر ونسي فمه مفتوحا لثانية وهو يتطلع فيها تنزل من فوق السلم تشيح بنظراتها بعيدا عنه فقال زين "جابر هل لازلت معي؟"

تنحنح الأخير وغمغم "معك وعلام انتهى الأمر بعد الاجتماع ؟"

أخذ زين يثرثر بكلمات غير مفهومة لجابر الذي أسر شكل أم هاشم الجديد ناظريه فتطلع فيها مصدوما بينما ابتسمت الحاجة نجف وقالت" ما شاء الله تبدين كالفتيات اللاتي أراهن في المسلسلات الاجنبية "

غمغمت أم هاشم بكلام غير مفهوم واسرعت نحو المطبخ وضربات قلبها تكاد تحطم صدرها تشعر بخجل شديد خاصة في وجود حماتها .

قال جابر بعد برهة" تمام يا زين"

قال الأخير ينهي المكالمة " ألف لا بأس عليك يا وحش.. حسدوك يا جبورتي ..أو ربما أحزنت العفريتة فأصابتك بلعنتها"

قال جابر بلهجة موبخة " قلنا احترم نفسك يا زين"

ضحك الأخير ثم قال" حسنا ..حسنا أعتذر ..بارك لها "

قال جابر وهو يرى أم هاشم تخرج من المطبخ
وتضع شيئا على السفرة" بارك لها أنت"
قالها وهو يترك مكانه ويقترب منها قائلا "زين
يريد أن يبارك لك "
كانت عيناه تأكلانها أكلا وهو يتطلع في
تفاصيلها عن قرب بينما هربت أم هاشم من
نظراته وقد أحست بالحر رغم أن الفستان
أخف من العباءة وأجلت صوتها تقول في
الهاتف "السلام عليكم "
رد زين بصوت هادئ "وعليكم السلام ورحمة
الله.. (وصمت لبرهة ثم اضاف) أريد أن
أخبرك بأني قد قبلت اعتذارك "
عبست أم هاشم وسألته" عن أي اعتذار
تتحدث؟"
جاءها صوت زين يقول بنفس الهدوء" عما
فعلتِه بي ونحن في المرحلة الابتدائية "

راقب جابر حاجبها الذي ارتفع باستنكار وقبضتها التي اسندتها خلف ظهرها بوقفة متحفزة قبل أن تقول وهي تنظر لجابر "جابر ابلغك باعتذاري !!"

ابتسم جابر وأمسك منها الهاتف يفتح مكبر الصوت فجاءهم صوت زين يقول" أجل أخبرني بأنك نادمة وطلبت منه أن يتوسط لك عندي حتى اصفح عنك وأنا تواضعت وقبلت اعتذارك"

اتسعت ابتسامة جابر وهي ترد بمقارعة "غريب هذا الكلام فيبدو أنك قد فهمت كلام جابر بالخطأ بل هو من طلب مني أن اصفح عنك وانسى لك سخافتك وتفاهتك

(واستدارت لحماتها تقول بسرعة) لا تؤاخذيني يا خالتي (وعادت تكمل في الهاتف بنفس السرعة) وأنا قررت أن اتغاضى بروح طيبة وقلب من ذهب عن أفعالك الماضية "

هتف زين بصبيانية" عيب عليك أن تكوني في هذا العمر وتكذبين فجابر أبدا لم يقل لك هذا الكلام أنا متأكد "

ردت عليه باستنكار" هذا على أساس أنك تتفوه الصدق وجابر اخبرك باعتذاري !!"

كان جابر وأمه يضحكان والأول يعجبه شراستها وعنفوانها ولسانها الحاد بدون تواقح.. ولم يكن يعلم بأن تلك الشرسة المعتدة بنفسها أمامه تذوب في حضرته إلى حد التلاشي .. لم يكن يعلم بأنها تستجدي نظرة رضا منه .

قال زين بلهجة جادة "اسمعي يا أم هاشم علينا أن نفتح صفحة جديدة "

هتفت الأخيرة باستنكار "وهل كانت هناك واحدة قديمة يا ابن الحلال إن ما تتحدث عنه كان قبل عشرين سنة تقريبا "

قال زين مؤكدا " لهذا أقول لك الأمور تغيرت الآن وأصبحت أنا أخا لزوجك .. بَعْلِك .. ولهذا

عليك باحترامي بشدة .. ولا تناديني إلا بـ(الأستاذ زين) نظرا لأنني الاكبر بعام كامل "
فقدت أم هاشم صبرها فقالت بعبوس "بارك الله لك يا زين (وقالتها وهي تضغط على نطق حروف اسمه بدون ألقاب ثم أكملت) العقبى لك "
قهقه جابر وأمه ضاحكين بينما تركت أم هاشم الهاتف تدمدم وهي تتجه للمطبخ بعبارات مستنكرة وغير مفهومة ليقول جابر لأخيه"
أنت من تضع نفسك في مواقف سخيفة .. سأعطي الهاتف لأمك فهي تريد أن تحادثك"
ناول أمه الهاتف وأسرع خلف أم هاشم متعللا بمساعدتها بينما عيناه ترسمان قدها النحيف وأمور شتى تحدث في رأسه وتوشك على الانفجار

xxxx

العاشرة مساء

انفجار في الضحك بصوت عال تبعه صوت نجف وهي تمسك بصدرها وتقول " اسعدك الله يا أم هاشم ..لم أضحك بهذا الشكل منذ زمن طويل "

كانوا يجلسون في الصالة وقد كُتِمَ صوت التلفاز .. جابر على أريكة وأمه على أريكة أخرى على يمينه بينما أم هاشم تجلس على مقعد وثير على يساره في جلسة حميمية مقربة لا يفصلهم سوى منضدة صغيرة عليها طبقا من الفاكهة .. فانتهت أم هاشم من تقطيع التفاحة وناولتها لحماتها وهي مستمرة في اكمال قصتها بكل حماس تقول ضاحكة بابتسامة متلألئة أبرزت الغمازتين بشكل أضحى معذبا لجابر ونفسه تهفو للاقتراب " المهم أن الرجل اصفر لونه وقد صدق بالفعل أني لي كرامات وأستطيع

أذيته فأسرع بإنهاء الورقة بدون تأجيل حتى لا أعود له بعد عدة أيام كما طلب مني أول الأمر" قالت نجف " والله الناس باتت عقولها صغيرة لا أفهم لماذا يصنفون البشر على حسب لون بشرتهم .. أتعلمين وأنا صغيرة جاءت إلى قريتنا ممرضة سمراء من أهل الجنوب كان الناس يتحدثون عن مهارتها وطيبة قلبها ودماثة خلقها وكانت لها ابنة في مثل عمري تصادقنا وارتبطنا ببعض جدا وكانت تقضي اليوم كله معي لأن الممرضة أصبحت صديقة أمي رحمها الله ولهذا كانت تترك ابنتها عندنا حينما تذهب للعمل .. ولا استطيع أن أخبرك كيف بكيت حينما اضطرت الممرضة لمغادرة البلدة بعدما نقلت لمحافظة أخرى .. بكيت وحزنت بشدة .. وكانت صديقتي تبكي هي الأخرى.. ليتني كنت أملك هاتفا وقتها مثلكم لكنت تواصلت معها

وعرفت أخبارها ..هل لازالت حية أم واراها الثرى "

ابتسمت أم هاشم بشفقة وهي تقشر الموزة وتعطيها لجابر الذي ناظرها باعتراض فقالت "واحدة أخيرة (ثم عادت لحماتها تسألها) ماذا كان اسم صاحبتك يا خالتي؟"

ردت نجف بحنين شديد للماضي "نرجس .. ترى أين أراضيها الآن ؟..وكم تملك من الأحفاد ؟"

سأل جابر أم هاشم بتحفز "من هذا الموظف الذي تنمر عليك هل تعرفين اسمه؟"

أجابت أم هاشم" لا أذكره لكني أعرف شكله جيدا فهو من بلدتنا ولهذا صدق حينما اخبرته بقصة العفاريت لماذا تسأل ؟"

اسبل جابر جفنيه يحاول أن يقاوم شعور بالحمائية تعاظم في صدره وهو يسمع قصتها

التي تبدو مضحكة لكنها رغم ذلك أوجعته
فقال "استفزني ما فعله معك "
ابتسمت وردت بهدوء" لا تشغل بالك كان هذا
منذ عامين أو أكثر وأنا أتعرض لهذه الأمور كثيرا
ولم أعد التفت لها "
قبل أن يرد قالت نجف وهي تستقيم واقفة "يا
إلهي لقد سهرت اليوم وأصبحت الساعة
العاشرة ..كله بسببك يا أم هاشم فحديثك لا
يمل منه أسعدك الله يا ابنتي "
قال جابر بلهجة مجاملة "لماذا ستنامين الآن يا
نجف"
قالت وهي تتحرك ببطء وتشيح بيدها "والله
لو قلت لأحدهم أني سهرت مع العروسين في
اليوم الثاني لزواجهما حتى العاشرة مساء
لوبخوني ونعتوني بالحماة الثقيلة"
قالت أم هاشم بصدق "ما الذي تقولينه يا
خالتي أنت بركة هذا البيت"

غمغمت نجف وهي تبتعد نحو غرفتها الأرضية
"بارك الله فيك يا حبيبتي .. وسلمت يداك على
الطعام الجميل .. تصبحون على خير"
عادت أم هاشم بنظراتها نحو جابر الذي كان
يحدق فيها كما كان يفعل طول السهرة بنظرات
تربكها لكنها أضحت أكثر ارباكا الآن فقالت وهي
تشير لكيس الأدوية" أنت لم تأخذ دواءك"
رد بهدوء" سآخذه فيما بعد"
أمسكت بطبق الفاكهة تهم بوضعه في المطبخ
فأمسك بمعصمها يقول" إلى أين؟"
أخفضت نظراتها بعيدا عن عينيه المربكتين
وردت "سأضعه في المطبخ"
ترك معصمها وقال آمرا "فيما بعد"
تحدثت مع نفسها بصوت مسموع "كله فيما
بعد ..فيما بعد.. وماذا بعد ؟"
ساد الصمت فرفعت عينيها نحوه ليقول جابر
بجدية وعيناه تحدقان في عينيها" منذ هذه

اللحظة إن نظر لك أحدهم مجرد نظرة لم تعجبك ابلغيني "
ردت بتلقائية" أنا لا أسمح لأحد بالتجاوز معي "

مال بجذعه نحوها واقترب برأسه منها يقول بنظرة جادة " أنت بنت رجال أعترف بذلك لكن منذ هذه اللحظة أنا في ظهرك .. ولستِ مضطرة للاشتباك مع أحد ..ولا أحب أن تشتبكي مع أحد ..فقط ابلغيني وأنا سأتصرف"
اشتعلت وجنتاها وضغطت على شفتيها تهز رأسها بتأثر .. فظهرت الغمازتين قبل أن تقول بحشرجة وهي تخفض نظراتها هربا من حضوره الطاغي وهو بهذا القرب " أعرف بأنك سيد الرجال"
التقط أنفه رائحتها الهادئة التي كان يلتقطها كلما حضنها .. رائحة يحاول أن يصنف أهي عطر صناعي أم مركب طبيعي فمد ذراعه يريحه

فوق ظهر مقعدها واقترب بجذعه منها أكثر وهو يقول "وما دمت كما تصفينني بسيد الرجال من وجهة نظرك فإياك أن تكرريها مرة أخرى"

رفعت عيناها لتتقابل مع سحر عينيه متسائلة وضربات قلبها تتسارع بجنون وهي تشتم رائحة نفسه المختلطة برائحة عطره ليوضح جابر "إياك أن تخرجي من البيت دون علمي وتعرضي نفسك للخطر يا أم هاشم حتى لو كنت أموت "

هتفت بسرعة" بعيد الشر"

لهفتها خطفت قلبه فتسارعت نبضاته وهو يحدق في عينيها البنيتين الدافئتين .

إن رسمة عينيها جميلة فيها سحر لمن يدقق فيهما عن قرب .. ونظراتها تمنحه راحة نفسية وصفاء ذهني .. لديها وجنتين عاليتين أما شفتاها فمكتنزتان بشكل مغرٍ ..فقال بصوت

رجولي وهو يحدق فيهما" حتى لو كان الشر قريب يا أم هاشم .. فلا تفعلي ..والله كلما تذكرت فعلتك قلبي ينقبض وأنا أتخيل ماذا كان من الممكن أن يحدث لك لولا ستر الله "

كانت تنصهر أمام حضوره وقربه كما تنصهر الشيكولاتة أمام النار .. فقالت بحشرجة وهي مبهوتة بالنظر لوجهه الرجولي من هذا القرب وهذه المسافة الحميمية "عدني أولا ألا تمرض مجددا .. أو تحزن .. لا شيء يستحق الحزن يا جابر ..صدقني كل شيء تريده ستناله بإذن الله تعالى .. "

سألها هامسا وعيناه مسلطتان على شفتيها "كل شيء؟"

لم تلتقط ما يقصده .. ربما لقلة خبرتها وربما لصعوبة تصديقها بأنه يرغب فيها كأنثى فاندفعت تقول بكل حماس وبلهجة تعتقد بأنها تشجعه وتشد من أزره" كل شيء صدقني

مهما غلا سيرخص لك .. فأنت قلبك طيب
وربك لا يترك عباده الطيبين "
كلماتها عبرت في رأسه لتذكره بحديث سابق مشابه لكنه لم يكن في حالة ذهنية مناسبة للبحث في أي شيء ..كان منشغلا بتتبع ملامح وجهها وهي تتحدث في هذه الهيئة الجديدة الشهية جدا ونحافتها الرشيقة وفتحة الفستان التي انحسرت قليلا لتكشف عن ركبة الساق المطوية تحتها على المقعد.
هل وعد نفسه بالصبر والتريث؟!!
متى كان هذا الوعد لم يكن يتذكر لحظتها أي شيء ؟!
أكملت أم هاشم ثرثرتها التي اكتشف بأنها محببة إلى قلبه فقالت بنفس الطريقة التي لا يعرف لماذا تؤلمه رغم أنها لا تتحدث عن شيء مؤلم" أعدك بأني سأفعل أي شيء لتنال ما يتمناه قلبك "

عبس جابر حين شعر بأن قلبه يئن فجأة رغم أن عقله كان مشغولا بأشياء أخرى أكثر جرأة ووقاحة فشعر بارتباك بينما أضافت أم هاشم " ألم تصفني بأنني بنت رجال؟.. قل لي كيف أساعدك ليسعد قلبك وأنا ..."

شهقت متفاجئة حينما مال جابر بوجهه وأخرسها بتقبيل شفتيها بقبلة بطيئة هادئة مستكشفة في أول ثانيتين ثم أضحت أكثر اقبالا وفضولا بعد ذلك.. فأغمضت عينيها بعد ثوان وكأنها قد طارت بأرجوحة عاليا في الهواء بينما استقر كفها ..الذي ظل مرفوعا أمامها في الهواء لبضع لحظات.. استقر على صدره تقبض به على ملابسه بقوة وكأنها تتمسك بحبل الأرجوحة حتى لا تقع.

شفتاها كانتا طريتين مكتنزتين حلوتين و ماكرتين تستفزانه للمزيد من القبلات .. هذا ما تفاجأ به جابر .

أطلق سراح شفتيها وتطلع في جفنيها المرتعشين .. ثم ابتعد قليلا مأخوذا بذلك الشعور الذي سيطر عليه .. شعور يفوق الرغبة الحسية التي كانت تفور في رأسه كحمم بركانية لحظتها ..

ففتحت أم هاشم عينيها وأنزلت كفيها ليحضنا بعضهما بقوة في حجرها لعلها توقف انتفاضها ..

يا رب العالمين !.. لقد قبّلها جابر .. قبّلها !!.

ألا يزال قلبها حيا؟! .. ألا يزال ينبض ؟!..

لماذا تشعر به وقد توقف عن النبض ؟!.

عضت على شفتها السفلى وهي لا تزال مسبلة الأهداب فزادت من شعور جابر بالاستفزاز تجاه شفتيها ثم قبضت على قماش فستانها وأخذت تفركه بقوة وهي ترفع أنظارها نحوه وتقول بصوت خافت متهدج" شكرا "

بهت جابر من ردة فعلها ..فقد كان يخبر نفسه بالتمهل في خطواته حتى يسيطر على حالة فقد السيطرة التي أصابته لأول مرة .. يخبر نفسه أنها كعذراء لم تمر بهذا من قبل وعليه ألا يطلق العنان لرغباته دفعة واحدة .. لكنه لم يستوعب ردة فعلها فسألها عاقدا حاجبيه"
علام تشكريني؟!!"
استمرت في فرك قماش فستانها ونظراتها تتراقص فوق وجهه بافتتان وقالت بصوت خافت مرتعش وعينين لامعتين بالدموع "لأنك قَبَّلت عفريتة القرية السوداء .. شكرا"
عبارتها كانت كخنجر ضرب قلبه بقوة فتدفقت دماؤه دموعا لمعت في عينيه فجأة وقد وضحت الصورة أمامه كاملة ..
لقد شَوَّه الناس بكلامهم صورتها عن نفسها..
لقد أذوها بألسنتهم حتى ذبحوا الأنثى فيها ..

سحبها جابر بسرعة إلى حضنه وهو يردد بصوت متهدج "ماذا فعلوا بك؟ .. كيف دفعوك لأن تريّ نفسك بهذا الشكل ؟.. بل .. (وازداد تأنيبا لنفسه وشدد من ذراعيه حولها) بل ماذا فعلت أنا بك! .. كيف تركتك وانشغلت بنفسي .. لن اسامح نفسي أبدا على تقصيري معك "

قُبلة ..وحضن دافئ قوي ..وعضلات صدره تكاد تحطم عظامها ..

لابد أن ساعة حظها قد حانت .. وقد حسبت أنها لن تأتي أبدا.

ردت أم هاشم بحمائية وذقنها يستقر على صدره تتطلع بأنظارها لأعلى " لا .. أنت لا تفعل أي شيء سيء أبدا .. وليس لك ذنب .. لماذا تحمل نفسك الذنب؟"

رد عليها بإجابة تلقائية وقلبه يتألم شاعرا بالتقصير" لأنه كان عليّ أن أرعاك بعد وفاة شيخي"

تجمعت الدموع في عينيها وقالت مبتسمة بصوت متهدج تغلفه المشاعر" أنت .. أنت يا جابر .. أنت لا تفعل إلا كل شيء جميل"

شدد من احتضانها قائلا" يا أم هاشم.. أنت جميلة .. ولون بشرتك رائع ومميز صدقيني"

سقطت دمعة ساخنة من جانب عينها واتسعت ابتسامتها اللؤلؤية وهي تقول بحشرجة وهي لا تزال تحدق لأعلى " بل أنت من تملك لسانا حلوا كأخلاقك ..ولا تجرح أحدا أبدا .. فشكرا لك على هذا الكلام أيضا"

ابعدها قليلا يتأملها لبرهة ثم هجم على شفتيها مرة أخرى يشعر بأن المشاعر القوية التي تتدفق في صدره تمنعه عن قول أي شيء فقرر أن يترجم مشاعره المتأججة والمتألمة بالأفعال

.. فبدأ بالشفتين اللتين تتفوهان بكلام طعمه حلو لكنه يؤلم قلبه.

خرج آنين متألم من حنجرتها وعاد كفها ليتشبث بملابسه وهو يغزو شفتيها بقوة أكبر وأكثر سخونة من المرة السابقة .. وتسللت يده من تحت فستانها تتحسس فخذها وتشعل في جسدها النار ..

بعد دقائق حرر شفتيها فحاولت الابتعاد بنظرات متوسلة خائفة وكأنه يشدها لتقع في بئر سحيق .. ما يحدث معها لحظتها كان أكبر من استيعابها .. أكبر من تحمل اعصابها .. وقلبها المسكين الذي انفجرت دقاته مع القبلة الثانية فك عقال أنوثتها العطشى ..

أنوثة مغلفة بالسلوفان مربوطة بألف رباط ورباط طال انتظارها لمالكها ومستكشفها وأستاذها الذي سيعلمها كيف تتعامل بها .. أنوثة عطشى للتقدير والدلال ..

أنوثة عطشى لرجل فما بال لو كان هذا الرجل .. هو جابر ..
لكن سؤال خبيث كان يراودها ليفسد عليها اللحظة .. هل ما تشعر به من مشاعر أنثوية سيراه جابر كذلك؟ .. فما تشعر به قد يتناقض مع الواقع الحسي الملموس لإمكانيات جسدها الأنثوية كما ترى نفسها .
راودها السؤال وهي تشعر بيد جابر التي تتجول على جسدها بجرأة وحسية تتحسس خصرها وذراعها العاري بينما شفتيه الحارقتين توزعان القبل على وجنتها وفكها قبل أن ترتفع يده لتتحسس مؤخرة رقبتها ثم عنقها وتنتقل شفتيه لذقنها ..
يا ويلك يا أم هاشم .. أنت بين ذراعي جابر .. تحت شفتيه وملمس يديه .
عاد جابر لتقبيل تلك الشفتين الماكرتين اللتين كلما شعر بالشبع وابتعد عاد للشوق لهما من

جديد .. بينما دس يده بجرأة في فتحة رقبة الفستان الواسعة وقد انفجرت الحمم السائلة في أعصابه .

إن الامر يفوق الرغبة الحسية وكأنما قد أضيف لها طعما حلوا .. أو حارا .. لم يدرك أيهما بعد .. كأنما أضيف للرغبة ألوان ونكهات تدغدغ المشاعر والقلب ..

انتبهت أم هاشم وأصيب قلبها بالشلل التام بعد دقائق من الرقص الهستيري ..وبدأت تتوتر أكثر حينما نزلت شفتي جابر على نحرها في الطريق إلى .. (عُقدَتها).

لمَ لا تحافظ على ما حصلت عليه من مكاسب وتنسحب ؟.. فلا داعي لان تنتظر حتى ترى نظرة عدم الرضا في عينيه فهو رجل في النهاية وتحركه الغريزة والأمور الحسية .

حاولت بذراعين من الهلام أن تبعده لكن جابر استمر في توزيع قبلاته على نحرها قبل أن

يفتح فتحة الثوب أكثر ويلقي نظرة خاصة رجولية بداخلها جعلت أم هاشم تنتفض واقفة بسرعة .

تفاجأ جابر فرفع إليها رأسه يسألها من بين لهاثه "ماذا حدث ؟"

أطبقت على فتحة الثوب العلوية بقوة وتحركت خطوتين مبتعدة أمام عينيه الذاهلتين فناداها بعدم فهم" أم هاشم!!"

تحصنت بالمزاح وقالت بطريقة مسرحية "عُذراً لهذا المنظر "

رمش بعينيه لثوان ثم سألها بعدم فهم" ماذا تعنين؟"

شددت من اغلاق فتحت الفستان حتى عنقها وكررت بنفس اللهجة المسرحية "عذرا لهذا المنظر الأليم "

حين أدرك ما تعنيه اتسعت عيناه لثانيتين ثم انفجر ضاحكا بقوة وهو يهتف "ماذا تقولين يا مجنونة !"

كانت تستعيد أنفاسها في وقفتها أمامه وتستعيد قواها فقالت بصوت خافت وابتسامة رغم شعورها المتألم "على الأقل أضحكناك .. هذا جيد "

ابتعدت للخلف خطوتين أخريين فقال من وسط ضحكاته" إلى أين؟"

رفعت كفها أمامه في الهواء بينما الأخر لا يزال يقبض على ملابسها وقالت بلهجة جادة حازمة "نكتفي بهذا القدر وتصبح على خير"

قالتها وتحركت نحو السلم فناداها جابر "أم هاشم"

فأسرعت الخطى على السلم .

استقام جابر واقفا ومد يده للريموت ليغلق التلفاز على عجل ويدس قدميه في خف البيت

قائلا وهو يضحك "ما أجواء موجز الأنباء هذه!"

وأسرع يهرول خلفها على السلم وهو ينادي "أنت يا بنت توقفي أنا أتحدث معك "

كان يطير على الدرجات .. قلبه وروحه يسبقانه .. وما يختبره من مشاعر كان غير مسبوق يشعره بأنه قد بُعث من جديد بعد سبات طويل .. يذكره بجابر القديم الشاب المنطلق قبل أن تثقل روحه سنوات الغربة والوحدة .

عند أخر درجة من درجات السلم أمسك بها فأطلقت صرخة صغيرة معترضة قبل أن تكتمها بيدها .. أما هو فسحبها من ذراعها وألصقها بالحائط المجاور للسلم فقالت بأنفاس عالية" ماذا تريد يا جابر ؟"

أسند كفه بجوار رأسها على الحائط وبيده الأخرى أنزل يدها التي لاتزال تقبض على

الفستان ثم قال بابتسامة صبيانية لاهثا "أنت تعلمين جيدا ماذا أريد"
هزت رأسها تقول بعناد " لا ..لا أعرف"
مال بوجهه ليواجه وجهها قائلا بلهجة متهكمة وابتسامة صافية شقية " لا تصدميني بأن معلوماتك تقتصر على أن الزواج يكون بتبادل القبلات فقط "
اشاحت بنظراتها أكثر وابتسامة محرجة تتحكم فيها فازدادت غمازتيها عمقا ثم غمغمت" لا أعرف ..اقصد لست مهتمة "
قال بحنق فبدى مراهقا "ولكن أنا مهتم"
كانت تشعر بأنها على وشك الإغماء فما ترزح تحته من انفعالات ومشاعر كان قويا ما اختبرته بين ذراعيه قبل لحظات كان رهيبا ولا يصدق .. وما يطلبه الآن كان أقوى تأثيرا عليها مما كانت تعتقده خاصة وهو بهذه الحرارة وهذه الجاذبية والرجولة.. بالإضافة لخوفها الشديد

من كسر قلبها إن لم يجد ما يمتعه ويشبع رغبته وخوفها الطبيعي كأنثى لم يسبق لها الزواج ..

كانت بحاجة ماسة لهدنة لتلتقط أنفاسها وتهدئ من روع قلبها الذي قارب على الانفجار من كثرة الانفعالات فعادت تنظر إليه تقول بترجي وجبن "جابر أنت لازلت مريضا .. تذكر كيف كنت ليلة أمس"

كشرت ملامحه وقال بكرامة رجل مجروحة وهو يمسك بخصرها الرشيق ويسحبها لتلتصق به" ما لك أنت بهذا الأمر أنا أدرى بنفسي جيدا "

حاولت الفرار تحت غطاء المزاح فقالت وهي تشيح بوجهها بعيدا" قلنا نكتفي بهذا القدر " مد يده لصدغها ليعيدها للنظر إليه ثم قال وهو يمرر ابهامه على شفتيها" أنا أكره موجز الأنباء ..واعشق النشرة التفصيلية "

ابتسمت بارتجاف فشاركها الابتسام .
كانت ممشوقة القوام قامتها هيفاء هذا ما فكر فيه وهو يلصقها به وفي هذا الفستان تشعره بأنها عارضة من عارضات الأزياء .. فأطبق على شفتيها بقبلة حارة ويده ترفع الفستان لتتحسس فخذها الأملس .. ثم أبعد وجهه عنها يقول بهمس حار أمام عينيها المتوسلتين" أنت قلت أنك ستساعديني لأنال ما أريد .. وأنا أريد .. أريدك الآن"
تفوهت بما يدور بخلدها ولم تكن تريد أن تفصح به" أخشى من ألا أملك مطلبك يا جابر"
رفع وركها إلى خصره وازداد اشتعال الرغبة في عينيه وهو يهمس بصدق فاجأه هو شخصيا "الروح تهفو لوصالك يا بنت شيخي .. فلا تتدللي على جابر المسكين "

قالها ومال يقبل نحرها وعند فتحة الرقبة فشهقت أم هاشم قبل أن يعتدل جابر ويميل ليرفعها فوق ذراعيه فأطلقت صرخة متفاجئة كتمتها بيدها.. انتهى بعدها إلمامها بالواقع الحسي الملموس حولها .

بعد بعض الوقت كانا لا يزالان يطفوان فوق غيمة وردية ومن تحت جفونها احست بشفتيه تقبل جانب وجهها فوق مسار الدموع التي تسربت رغما عنها من جانبي عينيها ..ثم مد جابر كفه ومسح على شعرها المجعد بحنان ومسح بإبهامه خيط الدموع التي تصورها أول الأمر بأنها نفور منه .. لكن خبرة الرجل فيه أكدت له بأنها تأثر وحرمان فهمس بجوار أذنها لاهث الأنفاس "مبارك يا عروسي"

حين فتحت عينيها ببطء تأملت وجهه الذي يطل عليها ورفعت أصابعها تلمس لحيته التي كانت تدغدغها طوال الوقت .. فقال جابر

مداعبا وهو يرى المزيد من خيط الدموع ينهمر من جانبي عينيها " حسنا .. وصلني انطباعك يا بنت الناس شكرا لصراحتك"

ابتسمت معقودة اللسان .. لا تعرف بما ترد ..وكيف تصيغ ما مرت به وتمر به لحظتها ..فبادلها جابر الابتسام قبل أن يراها ترفع رأسها عن الوسادة وتقترب من صدره العاري لتطبع قبلة فوق موضع قلبه في صمت .. فأصابت جسده برجفة قوية زادت من تدفق المشاعر التي يحس بها .. مشاعر ليس لها أول من أخر .. لا يعرف منبعها ولا مصدرها ولا حجمها .. ولا نهايتها .. شيء مهول حدث له اللحظات الماضية.. شيء سيحتاج منه لوقت طويل لتحليله .

حررها مبتعدا ليسترخي على ظهره بجوارها يشعر بحالة من الصدمة .. إن ما مر به قبل قليل تخطى حدود العلاقة الجسدية رغم أن

هذا الجانب كان مذهلا بحق .. فقد كانت توقعاته عادية .. وكان مكتفيا بذلك لكن الأمر تخطى توقعاته وأحلامه .

تفاجأ بها تعتدل جالسة تلف جسدها بغطاء السرير وتبحث حولها فسألها" إلى أين؟"

ردت بخفوت متحاشية النظر إليه بخجل "أحتاج للذهاب للحمام "

ومالت تلتقط الفستان الأصفر من طرف السرير فتأمل ظهرها الاسمر العاري تحت شعرها المجعد واستعاد اللحظات الماضية وهو يراقبها وهي ترتديه ..ثم استقامت واقفة وأسرعت نحو الحمام تغلقه على نفسها من الداخل .

خلف باب الحمام وقفت تمسك بقلبها وتحاول التقاط الانفاس وكل لحظة مضت تستعيدها في رأسها وبإحساسها ثم جلست

على عقبيها خلف الحمام تبكي وهي تكتم أنفاسها.
أما جابر فاسترخى جسده وأخذ يتطلع في سقف الغرفة .
شعور بالسكينة يعتريه .. وكأنه يطفو فوق نبع دافئ وشمس مضيئة تشرق عليه .. يسمع خرير الماء بجواره وزقزقة العصافير .
ما هذه الحالة من السكون والدفء و الاكتمال ..!؟
وعلى الرغم من أنه كان يعرف بأنه قد أجهد جسده لكنه كان سعيدا حد الثمالة ولم يرغب حتى في أن يحلل ذلك الشعور غير المسبوق الذي يشعر به ..
حين خرجت أم هاشم بعد قليل تفاجأت به ينام عاري الجذع بوضع مائل بعرض السرير .. فابتسمت من نومته وخمنت بأنه قد أرهق نفسه وجسده غير مستعد بعد فتطلعت في

مكيف الهواء البارد ثم اقتربت تغطيه بمفرش السرير و عادت لتجلس فوق الأريكة .. الأريكة التي استضافتها اليومين الماضيين .. والتي منحتها القدرة على مراقبته وهو نائم لأول مرة .. مراقبته بكل أريحية دون حواجز .. دون خوف من أن يقبض عليها متلبسة بجريمة النظر إليه ..

رفعت ساقيها فوق الأريكة تحضنهما واستندت بذقنها فوق ركبتيها وانهمرت دموعها من جديد وهي ترفع ذراعها لتشتم جلدها الذي غمره بعطره..فعادت ضربات قلبها للانفجار وهي تستعيد مذهولة لحظاتها بين ذراعيه حين كان يدلل تفاصيلها .. حين رأت نفسها أنثى في عينيه .. رأت رغبة متأججة وشعرت بجسده وهو يتفاعل مع جسدها .. لم يكن لقاءا روتينيا كما تخيلت في أقصى أحلامها ..كان لقاءا حميميا مذهلا .

أي حلم هذا الذي تعيشه!
وإلى أي حالة من التتيم به قد وصلت إليها ..
بلعت أم هاشم ريقها الذي لا يزال يحمل طعم شفتيه ومالت إلى يمينها فوق يد الأريكة المبطنة وأغمضت عينيها على صورته تستعيد من جديد الحلم الذي عاشته وكيف أضحت زوجة جابر .

بعد ساعة

فتح جابر عينيه منزعجا وقد أدرك بأنه قد غفي فاعتدل ينظر لنومته وتطلع حوله يبحث عنها قبل أن يعبس وهو يراها نائمة فوق الاريكة تحضن ساقيها فترك السرير وأسرع نحوها مستاء من نفسه وقد آلمه قلبه بشدة.. فمال عليها يمسح على شعرها قائلا" أم هاشم .. أم هاشم "
فتحت عينيها وانتفضت جالسة تسأله بفزع " هل أنت بخير ؟"

هدأ من روعها قائلا" أنا بخير"
قاطعته ترفع كفها لجبينه قائلة "هل عادت الحمى؟"
حضن وجهها بكفيه يقول بهدوء" أنا بخير والحمد لله لماذا تنامين على الأريكة؟"
صمتت لبرهة لتستوعب ثم قالت "أنا .. أنت كنت تنام بعرض السرير ولم ارغب في إيقاظك"
مجددا تتفوه بما يؤلم قلبه فقال وهو ينظر في عمق عينيها" حتى لو حدث إياك بالنوم على الاريكة مرة أخرى ايقظيني يا أم هاشم .. هيا"
قالها وهو يرفعها فوق ذراعيه فشهقت ثم كتمت فمها بارتباك ليقول مشاكسا" فهمنا انطباعك صراحة يا بنت الناس لكن هلا حافظت على مشاعري قليلا فليس هناك داع لتلك الشهقة المتفاجئة كلما حملتك "
لملمت ابتسامتها مطرقة برأسها بخجل فتحرك جابر ليضعها على السرير برفق ثم قال

محذرا "إياك أن أعود فأجدك قد تحركت من هنا "
قالها وتحرك نحو الحمام ..فأسرعت أم هاشم بتغيير شرشف السرير ثم استرخت فوقه وهي تتحسس أثر جابر في الفراش قبل أن يخرج بعد قليل فانتفضت جالسة بتوتر .
استدار جابر حول السرير واقترب يستلقي بجانبها ثم فتح الضوء الجانبي الخافت وأغلق ضوء الغرفة .. لتعود أم هاشم للاستلقاء يعتريها الارتباك.. وحدقت في السقف تضع يدها فوق الأخرى على بطنها فقال جابر "هل أنت مرتاحة بهذا الشكل وأنت بعيدة؟!"
أدارت وجهها نحوه ثم عادت تحدق في السقف وهزت رأسها بالإيجاب.. فقال جابر "لكني لست مرتاحا (وربت على السرير بجواره قائلا) هلا اقتربت"

تحركت انشا واحدا .. فرفع أنظاره لأعلى بيأس مبتسما ثم عاد إليها يقول" قلنا حافظي على مشاعري ولا تظهري نفورك مني هيا اقتربي" بخجل وقد عاد جسدها للاشتعال زحزحت جسدها قليلا .. فتحرك جابر ليمحو المسافة بينهما وألقى برأسه على الوسادة بالقرب منها يلمس أطراف شعرها المجعدة فأدارت له أم هاشم وجهها تتأمله بتلك النظرة اللامعة التي تفيض بالحنان التي شملته بها طوال لحظاتهما معا ..ليدخل جابر ذراعه من تحتها ويسحبها إلى صدره ويضمها إليه مدركا بأن أمامه وقتا طويلا حتى يشبع جوعها للعاطفة ويمحو شعورها باليتم ويصحح صورتها عن نفسها لصورة حقيقية مميزة كما رآها اليوم .. وراودته نفسه على اعادة ما مرا به قبل قليل لكنه اشفق عليها كعروس في أول ليلة حميمية .

بينما أخذت أم هاشم تحبس دموعها بقوة وهي تستند على صدره وقالت بخفوت" أنت لم تتناول دواءك يا جابر"

قال من خلف جفونه الناعسة" سأتناوله في الصباح "

سألته " ألابد أن تذهب للعمل غدا لازلت لم تسترد عافيتك بعد "

رد بخفوت " لقد تركت المحال بدون متابعة على مدى أربعة أيام قبل وبعد العرس وغدا هناك طلبيتين كبيرتين عليّ بالتواجد اثناء استلامهما والتوقيع بنفسي على الفواتير للأسف .. هيا لننام ساعتين أو ثلاث قبل أن يؤذن الفجر "

قالت له بهمس ناعس " هلا ايقظتني لأصلي الفجر معك؟"

رد بخفوت مغمض العينين " تأمريني"

ابتسمت ونادته هامسة مغمضة العينين
"جابر "
"همم"
غمغمت " لا تغادر في الصباح قبل أن اصنع لك الفطور "
اتسعت ابتسامته ..يشعر بالسكينة وذكرى لحظات استثنائية لم يمر بها من قبل ...يستعيدها في ذاكرته..
لحظات من التجمر انتهت بقبلة على موضع القلب.

xxxx

صباح اليوم التالي

نظرت لنفسها في المرآة تشعر بالخجل الشديد .. ليس بسبب تلك البقع الحمراء المنتشرة بجسدها ولكن بسبب ثوب السباحة الذي ترتديه ..

لقد اختارت الأكثر حشمة من الأربعة الذين اشتراهم لها كامل .

إنه من قطعة واحدة نصفه العلوي باللون الأسود ينزل على شكل مثلث يغطي البطن حتى يلتقي بالنصف السفلي عالي الخصر بلون أسود مطبوع عليه ورود كبيرة الحجم باللون الوردي الهادئ .. مكشوف من الظهر ومقسوم لنصفين قطعة علوية وأخرى سفلية بخصر عالي ..

غطت بسمة وجهها بحرج فهذه هي المرة الأولى التي ترتدي فيها ثوبا للبحر بل إنها أول مرة تسبح في حمام سباحة .

على مر حياتها لم ترى البحر إلا بضع مرات ولم تنزل المياه قط .. لم تكن لدى والدها ثقافة الذهاب للمصايف رغم أن الكثير من العائلات الريفية الغنية والمتوسطة كانت تفعل ذلك لكن ذلك لم يكن أبدا في خطة الحاج سليمان.. وحده وليد باعتباره الذكر من ذهب هنا وهناك

مع اصدقائه وكان يعود ليتحدث عن الفنادق والمنتجعات التي كان يذهب إليها مع أصحابه .. والمرة الوحيدة التي ذهبت فيها مع زوجها السابق حاول اقناعها بنزول البحر معه لكنها لم تكن وقتها في مزاج يسمح لها بذلك وانتهت الزيارة بذلك الاعتراف منه الذي وضع كلمة النهاية لشكوكها .

نفضت عنها الذكريات وعادت تفكر في كامل الذي ينتظرها الآن في المسبح الداخلي التابع للشاليه الذي استأجره .. شاليه يتمتع بالخصوصية لم يغادراه منذ ليلة أمس يطلب الطعام ليصل إليهما بالشاليه .. واليوم أخبرته بعد الشروق حينما طلب منها أن يسبحا في حمام السباحة الخاص بأنها لا تستطيع السباحة بل وتهاب الماء فشجعها على أن يعلمها وهي قبلت لرغبتها في تعلم كل شيء فاتها .. لكنها الآن تشعر بالجبن من التنفيذ

خاصة مع أثواب السباحة التي طلبها من تطبيق خاص بسوق الفندق على الهاتف فجاءهما حتى باب الشاليه .. وما يغيظها أنه كسب الرهان وأن الثوب على مقاسها وقد جادلته في البداية بأنه سيكون أصغر من مقاسها حينما رأتهم وتفاجأت بالموديلات الفاضحة التي اختارها.

عادت لإضافة المزيد من واقي الشمس على جسدها فهي لا تريد أن تحصل على لون برونزي كما يحاول أن يقنعها كامل ولا تحب أن يتغير لون بشرتها القمحية .. يكفيها تلك البقع الحمراء التي لا تريد أن تغادر بشرتها .

نام كامل على سطح الماء في استرخاء وشمس الصباح تسطع فوق جسده العضلي اللامع في ذلك المسبح الصغير في الباحة الخلفية من الشاليه وسرعان ما اعتدل بمجرد أن سمع باب شرفة الشاليه الأرضية يفتح وتخرج منه بسمة

فاتسعت ابتسامته وهو يتطلع فيها تقترب مرتبكة في ذلك الثوب الخاص بالسباحة الذي يبرز تفاصيل جسدها وانحناءاته شديدة الإغراء

.

وقفت بسمة بوضع جانبي بالقرب من المنضدة تشرب بعضا من العصير حينما أطلق كامل صفير اعجاب ثم سألها" لماذا لم ترتدي ذلك المخطط بالأبيض والأسود كان سيبدو رائعا مع البقع الحمراء"

قالت بوجنتين مشتعلتين" إنه من قطعتين رفيعتين يا كامل"

اتسعت ابتسامته وسألها وهو ينظر حوله "ما المشكلة وهل سترتدينه أمام شخص غريب!"

لم ترد ودارت بعينيها في الجدران العالية للمكان والتي تعطي له خصوصية رغم أنها تعلم بأن كامل لن يختار مكان إلا بهذه المواصفات .

قال كامل" ألن تنزلي؟"

نظرت للماء بخوف وهزت رأسها برفض وهي تقول "سأغرق"
قهقه كامل وعلق "وهل ستغرقين في مسبح متوسط الحجم كهذا ..ها أنا أقف والماء حتى صدري"
قالت بجبن" ولكنه يبدو عميقا عند آخره"
هتف كامل "لن نذهب للعمق كما أنك تثقين بي أليس كذلك ؟"
تطلعت فيه بتردد ثم قالت" أثق بك لكن أخشى من عصبيتك كما كنت تفعل في دروس القيادة"
رد كامل بصبر " تعلم القيادة فيه أخطاء خطرة أما هنا فالأمر أبسط بكثير (وأضاف بلهجة ذات مغزى) ومع هذا الثوب سيكون التعلم ممتعا"
احمرت وجنتاها فرفع لها ذراعيه يقول" هيا .. هل ستقفزين في الماء ؟"

غطت بسمة وجهها بكفيها بسرعة ورعب فقال كامل ببعض العصبية" انزلي من السلم إذن" كشفت وجهها تقول" ها أنت تصرخ في وجهي "

رسم كامل ابتسامة صفراء وقال بلهجة منغمة بطيئة يتصنع فيها الهدوء" هيا يا بسمتي .. أنا سأكون في انتظارك عند السلم .. لا تخشي شيئا وثقي بي فالسباحة شيء ممتع"

شجعت نفسها وهي تحثها على ضرورة تعلم السباحة ..فعيب عليها أن تكون بهذا العمر ولا تعرف كيف تسبح .. فتحركت نحو السلم وشكل الماء يبدو مخيفا وكأنها ستسقط في بئر عميق .. أمسكت بسور السلم المعدني ونزلت بظهرها ببطء حتى غطى الماء وركيها قبل أن يلتقطها كامل بين ذراعيه وتجد نفسها محاطة بالماء البارد فشهقت واستدارت تلف ذراعيها حول عنق كامل الذي ضحك .

أحاط خصرها بذراعيه وتحرك بها إلى جزء أعمق من المسبح فنظرت في الماء حولها وكأنها ستبتلعها وشددت من التصاقها به كطفلة تلتصق بوالدها .

حاول كامل ابعادها بصعوبة وهو يقول" أنت واقفة فوق الأرض يا باسمة والماء لا تغمر كامل جسدك"

حاولت الابتعاد ووقفت وهي تمسك بذراعه فقال "عليك أولا تعلم الغطس بوجهك تحت الماء حتى تكسري هذه الرهبة .. فكما ترين المساحة ليست كبيرة ولا حتى العمق "

طالعته بعينين زرقاوين جميلتين مرتعبتين فأمسك بأنفه بعد أن قال" ستسدين أنفك وتنزلين تحت الماء وتعدي حتى خمس ثم ترفعين رأسك "

قالها ثم نزل تحت الماء وغاب فقلقت
وأسرعت برفعه تقول بهلع" كامل لا تفعل
أشياء خطرة تجعلني أخاف عليك"
رفع شعره ومسح الماء عن وجهه ثم وقف
متخصرا يقول بلهجة ساخرة "أين الخطر بالله
عليك"
زمت شفتيها الجميلتين وقالت "ها أنت تسخر
مني"
ضحك وسحبها إلى حضنه فأبعدت وجهها
لتنظر في وجهه وتقول ببؤس طفولي
"وتضحك عليّ"
مال كامل بوجهه والتهم شفتيها المزمومتين
وحين حررهما قال بلهجة حارة "ركزي في
الدرس وإلا سنقلب المحاضرة لموضوع أخر
أحبه كثيراً ويناسب هذا الثوب الساخن جدا"

قالها وهو يتحسس تفاصيلها فابتعدت للخلف قليلا حتى خيل لها بأنها ستنقلب في الماء فأسرعت تعود لتمسك به.

بعد قليل كانت تحاول الغطس لبضع ثوان ثم ترفع رأسها وقد نجحت في ذلك وهي تمسك بذراع كامل حتى سحب يده أخر مرة وهي تحت الماء .. وابتعد خطوة ليعطيها فرصة للاعتماد على نفسها لكنها بمجرد أن شعرت به قد ابتعد حاولت مد يدها للامساك به فاختل توازنها وانزلقت قدماها المثبتتان في قاع المسبح فارتعبت وتحركت بارتباك حتى وقعت للخلف تقاوم بذراعيها بشكل عشوائي.

أسرع كامل بالإمساك بها وسحبها لتعتدل .. فأسرعت بالتعلق بعنقه وهي تسعل .

مسد كامل على ظهرها مطمئنا وقال" اهدئي أنا موجود.. عليك بالثقة بي "

غمغمت وهي تشدد ذراعيها حوله وتلتصق به"
أنا أثق بك لكني لا أثق في الماء"
قال مهدئا "ما دمت تثقين بي فلن تخافي من أي شيء مهما كان (ثم ابعد وجهه لينظر في وجهها يسألها) الماء أم النار أيهما أخطر؟"
سحبت نفسا ثم ردت "النار"
تقابلت عيناهما يتبادلان ذكرى حادثة لن تنمحي من الذاكرة أبدا ثم عادت بسمة تحضنه بقوة وكأنها تشكره على وجوده في حياتها.
عادت يديه للتصرف بجرأة ثم أبعد وجهه عنها يتطلع في وجهها المبلل بالماء وملامحها الجميلة ثم عض طابع الحسن في ذقنها وقال بصوت أجش " ما رأيك أن نكتفي بهذا القدر اليوم ونبدأ في المحاضرة الأخرى فهي أكثر امتاعا"
قالت بدلال "أية محاضرة؟ ..أنا لم أحجز مع المدرب سوى تعلم السباحة فقط "

قال أمام شفتيها بهمس حار "المدرب يقدم خدمات أخرى بجانب دروس السباحة كهدية تشجيعية "

ضحكت بصوت عال .. ضحكة لا يعتقد بأنه قد رآها بهذه السعادة من قبل .. ولا تعتقد هي أيضا بأنها قد فعلتها ثم سألته "هل تقصد هدية تشجيعية للمدرب ؟"

رد مؤيدا " بالطبع تشجيعية له حتى يتحمل بلادة المتدربة "

ضربته على صدره تقول بتوبيخ" أنا بليدة!!"

همس وهو يميل يقبل رقبتها "بل جميلة جدا ..جميلة إلى حد يجن جنوني"

ليس فقط الإطراء هو ما شعرت به بل مديحه وكلامه يعيدون لها الثقة في أنوثتها .

قال كامل بجوار شفتيها ويده لا تزال تتصرف بجرأة "لكن المدرب كان سيشعر بالامتنان أكثر لو كان الثوب من قطعتين"

كتمت بسمة فمه بيدها حتى لا يسترسل فأبعد يدها عن فمه ومال يطبق على شفتيها بقبلة حارة غير قادر على الصبر لأكثر من ذلك ..
فذابت بسمة بين ذراعيه تطير إلى عالم أخر لم تذهب إليه من قبل إلا معه ..

xxxx

بعد الظهر

وقفت أم هاشم في المطبخ في حيرة من أمرها أين ستضع كل أقفاص الفاكهة والخضروات التي أحضرها عمها وزوجته كتقليد في القرية لهدية أهل بيت العروس لابنتهم في اليوم الثالث من الزواج ..
لقد زاراها مع نصرة وبنات عمها زيارة سريعة صباح اليوم بعد خروج جابر للعمل .. وتذكرت كلام صباح المتهكم عن العريس الذي ترك عروسه في اليوم الثالث للزفاف تلمح لأنه قد

هرب منها رغم أن الحاجة نجف ظلت تبرر طوال الوقت بأن لديه طلبية مهمة استدعت نزوله للعمل وبأن ابنها لا يستطيع أن يترك عمله أبدا ..

خرجت على باب المطبخ تقول لحماتها" أنا لا أعرف حتى الآن أين سأخزن هذه الأشياء وهذا الطعام الذي يأتينا كل يوم وجابر لا يقربه وأنا وأنت نأكل منه بالكاد "

قالت نجف "ما يمكن أن يبقى لوقت طويل ضعيه على جنب وسنضعه فوق في شقة زين مؤقتا والباقي سنحاول تخزينه بالثلاجة أما الطعام فلا مفر من حفظه بالثلاجة "

قالت أم هاشم ببعض الضيق "الثلاجة فيها طعام الصباحية المشئوم وفيها دورق العصير الذي فسد وجابر مصر على الابقاء عليه ..لكني لن أتحمل وجود طعام فاسد في الثلاجة ..أريد أن أخرج ما فيها فورا واغسلها كلها حتى أرتاح "

ابتسمت الحاجة نجف فقالت أم هاشم بضيق شديد "صدقيني أنا أتحدث بصراحة ..أنا أجن إن كان هناك شيء غير نظيف بالمطبخ.. في بيت عمي كانوا يسمونني بالمجنونة "
قهقهت نجف ثم قالت "لننتظر أن يأتي جابر في المساء واخبريه برغبتك في القاء هذا الطعام (وأضافت بحسرة) وحسبي الله ونعم الوكيل فيمن دبر لهذا "
سألتها أم هاشم بفضول "هل هناك من دخل البيت أثناء حفل الزفاف يا خالتي؟"
ردت نجف "بعض النسوة دخلن خلفي وأنا أضع الهدايا التي جاءتنا في الحفل ..وبعضهن دخلن مع أخوتي وأخت زوجي وأنا آخذهن في جولة في الشقة فلم يكن قد شاهدنها بعد التجديد ..وجابر أخذ اسماء كل من تذكرتهن لكني لا أعتقد بأنه قد يصل لشيء فالأمر صعب تحديده الله أعلم بالنوايا وبالنفوس السوداء ..

سأحاول أن أقنعه أن يترك الأمر لصاحب الأمر
الذي لا يغفل ولا ينام "
لم تكن تعرف أم هاشم بأن نجف تفكر في شخصية معينة .. فأطرقت برأسها وعادت للمطبخ لتقرر كيف ستحفظ الطعام الكثير الذي لديها .. ثم سرحت بخيالها في أحداث وتفاصيل ليلة أمس التي لا تريد أن تخرج من رأسها بكل المشاعر والأحاسيس التي مرت بها ..
إنه كما تخيلته دوما رجل شديد الجاذبية والرجولة التي كادت أن توقف قلبها .. ويكفي نظرته لها ورغبته فيها كأنثى .
فتح باب البيت وسمعت صوت جابر الرخيم يقول "السلام عليكم "
فأسرعت بالخروج لباب المطبخ بينما والدته تسأله بقلق" هل أنت بخير يا ولدي؟!"

رد جابر وعيناه تنظران لأم هاشم" بخير يا أمي الحمد لله لماذا فزعت هكذا ؟!"

قالت موضحة " لأنك قلت بأن اليوم مشحون بالعمل ولم أتوقع أن تأتي مبكرا ..أنرت البيت"

اشتعلت وجنتا أم هاشم واسرعت بارتباك تختبئ في المطبخ بينما رد جابر على أمه مراوغا" انتهيت من استلام الطلبية الأولى والأخرى ستأتي بعد عدة ساعات فقررت أن أحضر لأتناول الغداء معكما وأستريح قليلا ثم أعود للعمل"

قالت أمه مؤيدة" خير ما فعلت..(ثم اضافت) لقد حضر أهل أم هاشم وأحضروا أقفاصا من الفاكهة والخضراوات "

رد جابر يهز رأسه وهو يلعب في مفاتيحه "أجل يا حاجة لقد اتصلت بالحاج يحيى وشكرته وأعتذرت له على عدم وجودي في استقباله "

قالت نجف " بصراحة الرجل كان متفهما وقال عمله أهم "

تحرك نحو السلم ثم نظر يسارا عبر باب المطبخ وتفحص أم هاشم بذلك الفستان الفضفاض الأشبه بالعباءة باللون الفيروزي المنقوش بنقوش صغيرة متداخلة بخصر واسع وكورنيش عريض من عند الذيل بنفس قماش الفستان يزين اللون الأزرق حواف الكورنيش العلوية والسفلية .. كان فستانا بدون أكمام يظهر سمرة ذراعيها النحيلين الناعمين ونقوش الحناء عليهما متزينة بأساورها الذهبية ..

أما شعرها فكان مرفوعا من الجانبين بمشبك خلف رأسها بينما خصلاته المجعدة المتشابكة حرة على ظهرها.

قال جابر "كيف حالك يا أم هاشم؟ "

هزت رأسها عدة مرات بارتباك وردت بخفوت "سلمت من كل شر "

هز رأسه يداري لهفة تتأجج في صدره هي ما أحضرته هذه الساعة غير قادر على الصبر حتى وصول الطلبية الأخرى ونهاية يوم العمل فغمغم "الحمد لله (ثم أدار وجه يقول لأمه) أنا سأصعد لأستريح قليلا يا حاجة ثم نتناول الغداء سويا "

قالت نجف "أراح الله قلبك يا حبيبي"

تنحنح يصعد بخطوات واثقة رزينة نحو الطابق العلوي بينما وقفت أم هاشم مرتبكة لا تعرف ماذا تفعل .. تريد أن تهرول خلفه لكنها تشعر بالحرج من ترك حماتها والصعود .. ومن اظهار لهفتها لعودته .. كبرياؤها يمنعها من أن تبدو مثيرة للشفقة .. كما أنه ربما أراد أن يبقى وحده .

قطع أفكارها نداء هامس من حماتها جعلها تخرج إليها من المطبخ .. لتشير لها نجف

وتقول بصوت خافت "ماذا تفعلين في المطبخ .. اصعدي لزوجك لا يصح أن تتركيه"
لم تكد أم هاشم ترى إشارتها حتى هزت رأسها بارتباك وأسرعت للحمام تعدل من هيئتها وهرولت بعدها على السلم كطفلة صغيرة..
فابتسمت نجف بسعادة ثم غمغمت" سبحان الله امرأة تجعل زوجها لا يقترب من البيت إلا في ساعة متأخرة من الليل وأخرى تحضره ملهوفا في وسط النهار .. لم يفعلها حتى في أول اسبوع من زواجه السابق ..اسعدك الله يا جابر يا ابن نجف ورزقك بالمزيد من الأولاد والبنات"
عند هذه الخاطرة تذكرت ميس فدمعت عيناها شوقا لحفيدتها .
أما أم هاشم ففتحت باب الغرفة بحذر وأطلت برأسها من الباب قبل أن تطلق صرخة قصيرة حينما تم سحبها فجأة لتدخل.

وضعت يدها على قلبها بينما لصقها جابر بالحائط فقالت بأنفاس متسارعة" سامحك الله يا جابر أفزعتني"

أبعد خصلة خلف أذنها ورد "وليسامحك الله أنت أيضا "

سألته لاهثة ونظراته تصيبها بالارتباك "أنا!.. لماذا؟"

أسند كفه على الحائط بجوار رأسها وأجاب " لأني لم استطع استكمال عملي اليوم وانتهزت الفرصة لآتي لبعض الوقت ثم أعود ..لأنني ..(ونظر لشفتيها) كنت أفكر فيهما طول الوقت "

ارتعشت شفتاها واسبلت أهدابها بخفر فرفع ذقنها ثم مرر ابهامه عليهما يقول بعبوس وغيظ "ألا يكفي بأنهما تستفزاني لتقبيلها فتطليهما باللون الأحمر!! ..ما هذا الأحمر الغريب!"

أطبقت شفتيها على ابتسامة اظهرت غمازتيها
ثم ردت "هذا دم الغزال"
رفع حاجبه يقول" نعم !"
تطلعت في عينيه بافتتان تقول "هذا اللون
اسمه دم الغزال "
سألها واللون على شفتيها المعذبتين يشعل
حواسه كلها " ولماذا تضعينه في غير وجودي
إن شاء الله !"
اسبلت جفنيها فوق عينيها الدافئتين وأجابت"
لأن أهل بيت عمي جاءوا صباح اليوم وكان عليّ
أن أتزين كأي عروس "
قال وهو يقرب وجهه منها " لا تضعيه في عدم
وجودي مرة أخرى "
قالها ولم ينتظر ردا بل أطبق على شفتيها
بشوق غريب.. شوق لها ولتلك الشفتين
الحارتين ... فلم يكن يعلم من قبل بأن العسل

والتوابل الحارة من الممكن أن يختلطان
فيصبحا خمرا على شفتين .
ذابت أم هاشم بين ذراعيه وكلما فكر كيف
تكون طبيعتها بشكل عام وكيف تتحول لقطعة
شيكولاتة ذائبة شهية بين ذراعيه يؤجج ذلك
من ناره أكثر ..
ابتعد عنها فسحبت أم هاشم نفسا عميقا
وأمسكت به تخشى السقوط فساقيها أصبحتا
كالهلام ليقول جابر بصوت أجش وعيناه
مثبتتان على فتحة عنق ثوبها " أنا أرى أن
ننتهي أولا من موجز الأنباء بلون دم الغزال هذا
ثم نبدأ في النشرة التفصيلية "
قالها ثم تطلع في ملامح وجهها مأخوذا بها
كالمسحور بينما غامت عينا أم هاشم بدموع
السعادة وقالت بابتسامة تتصنع الاستنكار
"هل تتهكم عليّ يا جابر !!"

قال بابتسامة جذابة زادت من ضربات قلبها الذي يعاني من هول ما يحدث "اطلاقا أنا أحاول أن اصنع جسرا للتواصل بين موجز الأنباء والنشرة التفصيلية "

ومال عليها يلتهم شفتيها مرة أخرى فحارت أم هاشم أين تضع يديها وهي تشعر بالخجل والرهبة .. ليطلق جابر سراح شفتيها ويمسك بذراعيها ليرفعهما حول عنقه ويعود لشفتيها بعد أن قال "وإياك أن أسمع منك عبارة (نكتفي بهذا القدر مجددا) فيبدو أن مسألة الاكتفاء ستكون معك غاية في الصعوبة .. بل معذبة"

xxxx

قالت بسمة بغيظ " قم يا كامل.. قم حتى نخرج قليلا "

تململ في نومته ثم قال "لماذا نخرج ؟"

غمغمت باستنكار "لماذا نخرج!(ثم هتفت بغيظ) نحن لم نخرج من الشاليه منذ أن

وصلنا أريد أن أرى الناس آكل في المطعم ..
أتمشى على البحر نحن لم نفعل سوى الأكل
والسباحة و .."
رفع رأسه عن الوسادة يسألها بابتسامة متسلية
"وماذا؟"
احمرت وجنتاها وصمتت فغطى عينيه بذراعه
يعود للنوم لتقول بغيظ وهي تضربه على فخذه
"هل ستعود للنوم مرة أخرى!"
قال بلهجة ناعسة" ليس اليوم يا باسمة فكما
أخبرتك هناك مفاجأة في المساء فدعيني أنام
قليلا "
قالت بحنق "هذا في المساء ماذا عن الآن؟"
تقلب يوليها ظهره فسمعت طرق على الباب
فعبست بسمة بينما ترك كامل السرير على
مضض وتوجه نحو باب الشاليه ..
أسرعت بسمة تقف على باب الغرفة تتابعه
وهو يتحدث مع أحدهم قبل أن يعود بعد

قليل يحمل في يده ثوبا مغطى بغطاء بلاستيكي غير شفاف ..فعقدت حاجبيها بتساؤل ليعطيه لها كامل قائلا" هذا الثوب سترتدينه اليوم في المساء ..وستأتيك بعد قليل خبيرة تجميل لتساعدك على الاستعداد للمفاجأة"
أخذت بسمة منه الفستان بذهول بينما تثاءب كامل وألقى بنفسه على السرير وهو يقول "والآن دعيني أنام حتى يأتي الموعد "
احمرت وجنتاها ورفعت خصلة من شعرها الأسود خلف أذنها ثم أسرعت بفتح سحاب الغطاء حتى ترى الفستان قبل أن تطلق شهقة قوية .

××××

كان مستلقيا باسترخاء يتوسد ذراعيه عاري الجذع تحت أغطية السرير يراقبها وهي تقف أمام الخزانة بقميصها الداخلي الأبيض الذي يصل حتى منتصف فخذيها الأسمرين الأملسين

تلملم شعرها المجعد الذي أصبح في حالة من الفوضى .
أخذ يتأمل جسدها وقد ذكره بإحدى العرائس الشهيرة عند ابنته ميس رفيعة القوام ونحيفة مثلها.. وبلع غصة في قلبه عندما خطرت ابنته على ذهنه فوعد نفسه بأن يمر عليها اليوم مساء عند عودته من العمل .
عاد للشرود في تلك الغارقة في خجلها أمامه والتي قفزت فورا بعدما قامت بتلك الحركة التي تفجر الحنان في قلبه وتداعب رجولته .. قبّلت موضع قلبه .
حينما قيّمها بنظرة ذكورية ودقق فيها أول مرة في يوم قراءة الفاتحة كان ما يجذبه فيها شخصيتها واخلاقها ومقام والدها وجدها وشعوره بالأسف عليها من أن تبقى حتى هذا العمر بدون زواج فلو كانوا يعرفون كيف تُقيّم النساء لكانت أول البنات واسبقهن في الزواج

..كما أن شعوره بالمسئولية تجاهها وشعوره بالتقصير معها كلها أمور استند عليها حينما ندم على عدم الزواج منها وتمناها بمجرد أن انفصل عن زوجته الأولى .. هذا بالإضافة لشعور خفي بالانجذاب كان لا يدركه لكن مصطفى لمح له به أكثر من مرة أخذ يتضاعف خلال فترة الخطبة القصيرة ..

كل هذا يبدو منطقيا ومفهوما له ..

لكن ما حدث معه منذ أن أبصرها في هيئة الأنثى بمجرد أن أضحت تحل له كان أمر مفاجئا ومربكا له ..

وكأن بركانا خامدا انفجر في قلبه...

لأول مرة يشعر بقلبه يدق كالمراهقين .. ولأول مرة تحتله مشاعر قوية جامحة بهذا الشكل .. ناغشها قائلا وخجل العروس يثير جنون مشاعره الخاصة "هل من الممكن أن أعرف لماذا تقفزين من السرير بسرعة "

أولته ظهرها بضلعيها البارزين تغمغم بخفوت
"حفاظا على سلامة قلبي"
لم يسمع جابر سوى همهمتها لكنه ابتسم
وقال مشاكسا "ألم نتفق على أنك ستحافظين
أكثر على مشاعري ؟"
وقفت بوضع جانبي تفتح الخزانة وتداري
ضحكة وهي تخرج لها ملابس حتى تغتسل
بينما شرد جابر في سمرتها ..
إن تلك الغبية التي شوه الناس صورتها عن
نفسها تملك أنوثة طاغية هو نفسه مذهول
من هذا الشيء .. فبعيدا عن جسدها الرشيق
الذي يعجبه .. والذي لا ينكر نحافته لكنه
يعجبه .. يريد أن يعرف مصدر هذا الانجذاب
إلى حد الانفلات الذي يعانيه منذ زفافهما ..
أهو لون بشرتها المميز أمام عينيه؟.. أم نعومة
بشرتها .. إنها ملساء كالحرير وكأنها لا تحتوي
على مسام كما أن لها رائحة مميزة .. رائحة

غريبة تشع من جلدها .. لا يشعر بأنها لعطر متداول .. وكأنها رائحة زهور مختلطة بالتوابل الحارة الحارقة .. عطر عجيب .

اعتدل في نومته المسترخية وهو يفكر في أنه لم يشعر بهذا الشعور بالرضا والسكينة والشبع من قبل .

لمحت عيناه صدريتها المبطنة ملقاة على الأرض فقال لها بلهجة مشاكسة في ظاهرها ذات مغزى وهدف في باطنها " عم كنت تعتذرين ليلة أمس حينما قلتِ بتلك اللهجة المسرحية (وقلدها) عذرا لهذا المنظر "

صمتت أم هاشم وضغطت شفتيها ببعضهما فقال جابر" أنا أتحدث معك يا أم هاشم"

رمقته بطرف عينيها وقالت" أنت تعرف"

قال بعناد" لا .. لا أعرف "

كررت بإصرار " لا بل تعرف "

قال جابر موضحا " الأمر ليس بهذا السوء الذي تتحدثين عنه "
أدارت وجهها له تناظره بامتنان للباقته فقال بصدق مؤكدا" صدقيني أنت توهمين نفسك بشيء غير حقيقي .. من يسمعك يعتقد بأنك لا تملكين تفاصيل أنثوية .. أنت فقط تبدين بتفاصيل المراهقات ..لكنك مكتملة الأنوثة"
غمغمت بحرج "لا تحاول أن تجمل الوضع فأنا أعرف بأني لست مثل الأخريات"
قال بإصرار " أنت تذكرينني بعروس لعبة طويلة رفيعة عند ميس نفس تفاصيلك .. الأمر كله أن المزاج العام للرجال في الشرق يميل للامتلاء .. أتعرفين أن مواصفات جسدك هذه مواصفات الأوروبيات؟ ..ولو كنت تعيشين هناك لكنت شخصا عاديا وسطهم لأن تفاصيل جسدك كالأجنبيات"

تطلعت فيه من بعيد تتحرى صدق مشاعره لا يهمها الشرقيين أو الأوروبيين من يهمها هو جابر فقط فقال الأخير "أتصدقين لولا تدينك لكنت امتهنت مهنة عرض الأزياء أنت تملكين كل المواصفات.. طول ..وقَد ممشوق ونحافة محببة "

أطرقت برأسها وكلماته ترمم بداخلها انكسارات عميقة بعدد سنين عمرها لكن صورتها الذهنية عن نفسها التي تكونت تحتاج لوقت أطول للتغيير فسقطت دمعة من عينها رغما عنها آلمت قلب جابر لكنه لم يكن يحب أن يشعرها بأنها مثيرة للشفقة وأم هاشم كذلك ولهذا مسحتها بسرعة ترفع رأسها بكبرياء وتقول بمزاحها المعهود "ومع هذا إن رزقت بالمال سأقوم بعملية تجميل وأنفخهما لأكبر حجم ممكن "

اتسعت عيناه ثم رد بعبوس " بعيدا عن جواز ذلك دينيا أم لا من قال بأني سأوافق !"
رفعت يدها تمسح على عنقها وهي تقول بخجل "وما دخلك أنت؟"
هتف باستنكار " نعم!! .. دخلي أن كل شيء فيك ملكي يخصني"
غمغمت في سرها "وسيبقى ملكك للأبد حتى لو فرقنا الزمن (ثم قالت لجابر) أنا قلت من قبل أن كلامك حلو "
أغاظه أنها لا تصدقه فسألها "هل أنت رجل يا أم هاشم ؟"
ردت مازحة "أحيانا"
تحكم في رغبة في الضحك وسألها بصوت أكثر صرامة" هل أنت رجل يا بنت الشيخ زكريا؟"
أطرقت برأسها وهي تهزها بالنفي فأضاف "إذا لا تتحدثي عن الرجال وما يفضله الرجال .. من

نظرة ومنظور رجل أؤكد لك بأنك لا ينقصك شيء البتة "

رغم غرابة الحديث لكنه كان تلقائيا طبيعيا معه فأخرجت مكنونات قلبها أكثر والتي لم تناقشها مع أحد أبدا.. فوالدتها ماتت وهي صغيرة جدا ولم تجد من تتحدث معه عن أوجاعها "ولكن النسوة يقلن .."

هتف جابر مقاطعا بغضب "مالهن النسوة بهذا الموضوع !.. ولماذا يتحدثن بهذه الجرأة والوقاحة عن هذه الأمور! ..إياك أن تخوضي معهن في مثل هذه الأحاديث التي لا تنفع "

قالت أم هاشم مدافعة" أنا لا أسمح لأحد بالحديث معي في هذا الأمر لكني أسمعهن يتحدثن من خلف ظهري "

قال باستياء " لا تلتفتي لهذا الكلام ها أنت قد تزوجتِ وزوجك يخبرك بأن كل شيء فيك يعجبه"

اطرقت برأسها بخجل ثم استدارت تقول وهي تغلق باب الخزانة "أنا سأغتسل أولا حتى أسرع في تسخين الغداء لدينا باقي طعام البارحة "
تطلع جابر في تفاصيل جسدها ثم قال بلهجة شقية" كما أنك تمتلكين امكانيات أنثوية مميزة جدا في أماكن أخرى في جسدك يجعله أنثويا ومغريا بشدة"
شعرت أم هاشم بجسدها كله يتعرق دفعة واحدة من عبارته فرفعت يدها تلمس عنقها بخجل ورمقته بطارف عينها تواجه نظرته الشقية ثم قالت "لم أكن أعرف بأنك قليل الحياء يا جابر"
انفجر ضاحكا ثم سألها من بين ضحكاته "وهل علمت الآن ؟"
أطرقت برأسها تقول مؤكدة " أجل علمت حين تزوجتك "

كان غير قادر على إيقاف ضحكاته لكنه سألها
"وما رأيك أنت في هذا الأمر ؟"
وضعت يدها على فمها تناظره بحرج وهي
تهمس في سرها "أنا أعشق قلة الحياء "
لم يعرف بما قالته لكنه سيطر على ضحكاته
وهو يشير لها بالاقتراب فقضمت شفتها
السفلى .. ليصر جابر على أن تقترب فتحركت
نحوه.
أمسك بمعصمها لتجلس على السرير في
مواجهته بينما اعتدل هو جالسا وسألها بلهجة
مغازلة "أخبريني بسرك ولن أخبر أحد"
سألته ببراءة" أي سر؟"
مرر ظاهر يده على وجنتها وقال "مثلا رائحتك
.. إن جلدك له رائحة رائعة ولا أشعر بأنه عطر
بل أشعر بأن مسام جسمك تفرزه"
ردت أم هاشم" هذا من عمل تلك الحنانة بعد
رحلة عذاب وضعت لي شيئا ذا رائحة حلوة في

المبخرة وقالت أن طبيعة جلدي تحتفظ
بالعطور أكثر من الأخريات "
ابتسم جابر وهو يتأمل ملامحها التي صارت
محببة مأخوذا بتفاصيلها بينما أضافت أم
هاشم بطريقتها الكوميدية وهي تشير بيديها
"المرأة عذبتني صدقني كادت أن تسلخني والله
..وحين دخلت عليّ وهي تحمل الفحم
المشتغل توقعت بأن الخطوة القادمة
ستكويني بالنار وتختم على جسدي بختم مثل
فيلم (واسلاماه) ..ثم تنفست الصعداء حين
وجدتها تضع ذلك الشيء ذو الرائحة الجميلة..
وقالت بأنها ستلتصق بجسدي لبعض الوقت"
قهقه جابر من جديد وسحبها إلى حضنه هذه
المرة يحضنها بقوة وهو يضحك ..ويمسح على
شعرها ..
كيف يصف شعوره بها .. إنها تجعل ينابيع
العاطفة تتدفق من قلبه بلا حساب كابنة ..

ويشعر بالراحة معها كرفيق ..
وبالأمان معها كصاحب أو خل ..
كيف يصف كل هذا ..
إنها شخص يمس روحه ..
إنها توأم روحه !.
كان تعبيرا مذهلا جعل ضحكاته تهدأ .. وضمها إليه أكثر فنامت أم هاشم على صدره بخدها تستمتع بدفئه مبهورة بما يحدث معها ..
أبعدها بعد قليل لكنه أمالها لتستند بظهرها على فخذيه المرتفعين ثم حدق في عينيها الدافئتين وقال وهو يمرر ظهر يده على ذراعها العاري" هذا بشأن الرائحة ماذا عن تلك النعومة كالحرير"
ردت بكبرياء وهي تزيح خصلة مجعدة عن وجهها وتضعها خلف أذنها" هذه طبيعة بشرتي الحمد لله أني أملك شيئا جميلا "

ضربها على رأسها برفق يقول موبخا "لازال الرأس يابس ولم يقتنع .. لكني سأظل خلفه حتى يقتنع (وتطلع في شفتيها مضيفا) وسأظل خلفهما أيضا لأعرف ما سرهما " قالها ثم مال يطبق على تلك الشفتين اللتين يصفهما .. بالماكرتين .

xxxx

"ماذا تعني يا زفت بأنه لا يوجد شيء غير طبيعي"

قالتها كاميليا بعصبية في الهاتف فرد عصفور مؤكدا " كما قلت لك يا ست كاميليا لا يوجد شيء غير طبيعي والمعلم جابر خرج اليوم من البيت "

عقدت حاجبيها وسألته "خرج ..أين ذهب؟"

"ذهب لعمله"

سألته " وكان عاديا؟"

أكد لها عصفور " عادي جدا"

سألته وهي تجز على أسنانها " والعروس؟"
رد يداري غيظه " لا أعرف يا ست كاميليا لم يرها أحد منا .. فأمي كما أخبرتك تمرض أبي .. لكن ما علمته أنهم يزورونها بالزغاريد كل يوم واليوم بالذات ذهب إليها عمها محملا بأقفاص الفاكهة والخضر فلو بها شيء لكان ظهر "
سألته بضيق شديد " هل أنت متأكد أنك وأخوك قد راقبتما البيت الثلاث أيام الماضية جيدا؟"
بلع ريقه وأخفى عنها تلك الليلة التي خاف فيها أخوه من مصطفى الزيني وعاد للبيت فقال" بالطبع يا ست كاميليا وبصراحة لن نستطيع أن نستمر في المراقبة فالمعلم دبور قد خرج للعمل ويعرفني بالطبع ويعرف عائلتي كلها"
اغلقت الخط بعنف فنظر عصفور في الهاتف بقرف بينما جلست كاميليا فوق السرير تمسك برأسها والصداع لا يريد أن يتركها منذ ثلاثة أيام

.. تشعر بأنها ستموت وتلك السوداء تعيش في مكانها..

رن هاتفها فوجدت اسم احدى صديقاتها .. فتجاهلته وعادت تمسك برأسها من جديد فبالتأكيد تريد أن تعرف منها ماذا كانت تدبر لجابر وأم هاشم ..

إنها تشعر بالهزيمة وبالغيظ والغضب الشديد .. الأمور لا تمشي معها كما تريد .. وغضبها من جابر وحقدها على أم هاشم يتعاظم ..

لماذا الجميع حظوظهم أفضل منها ؟..

بسمة تعيش حياة سعيدة في زواج للمرة الثانية وجابر أهانها بزواجه من تلك العانس السوداء .. ومليكة تزوجت من ابن العمدة .. حتى الصماء الهبلاء تزوجت من شاب ثري .. أما هي .. كاميليا العسال .. بكل جمالها وفتنتها لم تحقق شيئا مما تمنت ..

أين العدل في الحياة حينما يتمتع كل من حولها بكل هذه المميزات وهي لم تحظ بأي شيء مثلهم ..

إن حظها عاثر .. فالكل يحسدها على جمالها..

أمسكت برأسها الذي سينفجر ومالت لتنام على السرير وهي تبكي بقهر وشعور كبير بالظلم ..

لكنها لن تستسلم وستنتقم من الجميع .. وخاصة أم هاشم .. ستؤكد لها بأن الرؤوس أبدا لن تتساوى .. لن تتساوى .

xxxx

كان الصمت قاتلا بينهما لأكثر من ساعة .. وبالتحديد منذ أن ركبا السيارة ليعودا من العاصمة إلى القرية .. حتى مخططاته في أن يبيتا في شقته في العاصمة باءت بالفشل بعد أن خرجت بتلك الحالة من عند الطبيبة النفسية .

إنها تبكي في صمت وترفض الحديث معه .. وما فهمه من الدكتور أكرم أخيها عبر الرسالة النصية التي أرسلها له بأنه قد تواصل مع الطبيبة ليفهم سبب حالتها وعلم بأنها لم تنطق بشيء .. حتى اسئلة الطبيبة العادية للتعارف لم تنطق بشيء وظلت في حالة جمود لبعض الوقت ثم انفجرت بالبكاء بشكل صعب على الطبيبة فعل أي شيء سوى أن سمحت لها بالمغادرة إن أرادت فأسرعت مليكة بالتنفيذ .

لا ينكر بأنه يشعر بإحباط شديد .. صحيح لم يتوقع أن تتحدث مليكة عما يؤلمها بسهولة من أول جلسة لكنه كان متأملا أن تتجاوب مع الطبيبة بشكل قد يعطي للأخيرة الفرصة لاستدراجها في الحديث فيما بعد .

عاد للتطلع في مليكة التي عادت للبكاء الصامت بينما نظرت الأخيرة للنافذة تشعر بالإحباط ..

أرادت أن تتحدث لكنها بمجرد أن دخلت عند الطبيبة خانتها شجاعتها وتلجم لسانها .. بل إنها أصيبت بحالة من التخشب وفقدت الإحساس بجسدها .. وها هو الشعور بأنها عديمة الفائدة يسيطر عليها من جديد خاصة وهي تقارن حالة مفرح السعيدة في رحلة الذهاب بحالته الصامتة الواجمة الآن .

قطع مفرح ذلك الوضع الكئيب بأن قال" ألن تكفي عن البكاء يا مليكة إنها الجلسة الأولى ولن نتوقف أليس كذلك "

رغم رغبتها في التوقف وعدم تكرار التجربة هزت رأسها موافقة دون أن تدير وجهها إليه فقال بلهجة حانية "إذن توقفي عن البكاء أرجوك ..أنا تركتك تبكين حتى الآن لعل البكاء يكون مريحا لك "

استدارت إليه تقول من بين دموعها" مفرح لماذا لا نفعل ما قالته الطبيبة النسائية .. لماذا

لا نقوم بتلقيح صناعي ما دمنا قد فشلنا في الانجاب (وأطرقت برأسها تضيف بحزن) أقصد قد فشلت أنا في الانجاب "

جاءت السيرة التي تستفزه فقال بعصبية "هل سنعود لتلك السيرة يا مليكة وقد أغلقناها منذ أكثر من عامين "

قالت مليكة باكية" أنت لا تساعدني بهذه الطريقة "

هتف باستنكار " كيف لا أساعد ؟...الطبيبة النسائية أكدت لنا مرارا بأننا طبيعيان وأنك تعانين من عقم نفسي "

هتفت مليكة بانفعال" واقترحت عمل زراعة أجنة أين المشكلة ؟"

هتف بانفعال مماثل وهو يوزع نظراته بينها وبين الطريق " قلت لك لا أشعر بالراحة مع هذا الموضوع .. ولا أثق في المعمل الذي سيقوم بذلك "

قالت مليكة تعيد عليه ما كانت تقوله من قبل "وأنا قلت لك أكرم أخي يستطيع أن يرشح لنا مركزا ذا سمعة ممتازة في هذا المجال وسيكون ذلك في العاصمة ولن نخبر أحدا فقط عائلتي"

أدار مفرح رأسه نحو النافذة يستغفر ربه ويطحن ضروسه فأمسكت مليكة بذراعه تقول بتوسل "استحلفك بالله يا مفرح أن توافق ربما يكون هذا هو المخرج لي ..(وأكملت بلهجة مزقت نياط قلبه) أمنيتي ان أحمل طفلك في رحمي يا مفرح .. أنت قلت نصبر وها نحن قد صبرنا .. إننا متزوجان منذ ثماني سنوات إلى متى سنصبر أكثر من ذلك؟!"

ساد الصمت ومفرح يحدق في الطريق اللانهائي أمامه بينما مليكة تتطلع في قسمات وجهه المتشنجة قبل أن تضيف بلهجة أكثر توسلا وهي تمسد على ذراعه "امنحني طفلا منك يا مفرح "

رمقها بنظرة جانبية تلمع بالدموع وقال بلهجة متألمة "أنا أمنحك كل أطفالي يا مليكة في كل مرة أطارحك فيها الغرام على أمل أن يحتضن رحمك أحدهم بشكل طبيعي"

قالت معترفة " أعلم بأنك تعاني معي وطلبت منك الزواج بأخرى حتى تعيش حياة طبيعية لكنك متمسك بي راضي بقدرك فدعنا نطرق هذا الباب فأنا أريده بشدة "

صمت يفكر .. ورغم عدم استساغته للفكرة وشعوره بالضيق الشديد لكنه قال مستسلما "حسنا اسألي أكرم على طبيبة ثقة في العاصمة لنقوم بهذا الأمر"

هتفت بفرحة "حقا يا مفرح"

نظر لها وللفرحة على وجهها وابتسم قائلا في استسلام "لله الأمر من قبل ومن بعد "

قبلت ذراعه ثم قبلت وجنته بامتنان فرفع ذراعه ليحط جذعها ويضمها إليه ثم قبل رأسها

وهو يقنع نفسه بأنه ربما كان هذا الطفل منقذا لهما .. ولمليكة بالتحديد .

xxxx

وضع كامل السماعة وقال بصوت عال "باسمة خبيرة التجميل ستحضر بعد نصف ساعة "
أتاه صوتها من الحمام تقول" تمام "
سألها بفضول " ماذا تفعلين كل هذا الوقت في الحمام إياك أن تكوني تدهنين ذلك الكريم على جسدك قلت لك هذه مهمتي من الآن فصاعدا"
لم ترد عليه فضحك وأخذ يتفحص بسعادة الصور على هاتفه التي التقطها لهما معا فقالت بسمة بعد برهة " كامل لقد وضعت لك خط الهاتف القديم الخاص بي على الكومود بجوار السرير هلا وضعته لي في الهاتف لنرى إن كان سيتصل بحسابي على الانترنت ويمنحني قائمة الارقام الخاصة بي أم لا ؟"

رد كامل "تمام "
وعاد للتقليب في الصور حتى وجد الصورة التي يبحث عنها .. صورة جعل بسمة تصورها له وهو يضجع على جانبه بجوار المسبح عار الجذع يرتدي نظارة الشمس ويستند على مرفقه وفي يده كوب من العصير معلق على حافته شريحتين من الليمون ومظلة صغيرة ملونة من الورق ..وينظر للكاميرا بخيلاء .. لقد طلب منها التقاط هذه الصورة خصيصا من أجل شامل حتى يغيظه ..فأسرع بإرسالها له على الواتساب وابتسامة صبيانية تتراقص على شفتيه باستمتاع .. ليأتيه الرد فورا على هيئة سيل من العبارات الوقحة والبذيئة جعلته ينفجر ضاحكا .
ترك هاتفه والتقط خط بسمة القديم يضعه في هاتفها الحديث ثم حاول اللجوء لحسابها على الانترنت قبل أن يسألها" كلمة السر يا باسمة

الخاصة بحسابك في شركة الخطوط على الانترنت"
جاءه صوتها" اعتقد أنه تاريخ ميلادي"
بمجرد أن أدخله وبدأ الحساب في تحميل البيانات واستعادة جهات الاتصال اهتز الهاتف بوصول عدة رسائل نصية على الخط القديم أغلبها اعلانات واشعارات لكن من بينها اسم أظلم وجه كامل حينما قرأه وفار الغضب في رأسه فضغط على الرسالة ليقرأ "حمدا لله على سلامتك من الحريق .. أسأل الله أن يحفظك دوما من كل شر "

xxxx

الفصل التاسع والعشرون

ترك كامل هاتفه والتقط خط بسمة القديم يضعه في هاتفها الحديث ثم حاول اللجوء لحسابها على الانترنت قبل أن يسألها" كلمة السر يا باسمة الخاصة بحسابك في شركة الخطوط على الانترنت"

جاءه صوتها" اعتقد أنه تاريخ ميلادي"

بمجرد أن أدخله وبدأ الحساب في تحميل البيانات واستعادة جهات الاتصال اهتز الهاتف بوصول عدة رسائل نصية على الخط القديم أغلبها إعلانات وإشعارات لكن من بينها اسم أظلم وجه كامل حينما قرأه وفار الغضب في رأسه فضغط على الرسالة ليقرأ " حمدا لله على سلامتك من الحريق يا باشمهندسة .. أسأل الله أن يحفظك دوما من كل شر "

اشتعلت مراجل الغضب و الغيرة في رأس كامل ..فظل يحدق في الهاتف ليمنع رغبة تتعاظم في قتل أحدهم .

خرجت بسمة بعد قليل لتجده متسمرا يحدق في هاتفها فسألته بتوجس" ما الأمر .. لم تستطع استعادة الارقام المسجلة؟ عموما لا بأس هناك جزء كان على حساب جوجل استعدت ما كان مسجلا عليه "

رفع إليها عينين مقلوبتين يسألها بصوت خافت مخيف " هل هو معتاد على مراسلتك ؟

عقدت بسمة حاجبيها وسألته باندهاش "من ؟؟"

رد بوجه مخيف " ذلك الطبيب البيطري في مزرعتكم"

اتسعت عيناها بعدم فهم ورددت " دكتور مهاب؟!!"

علا صوته قليلا يقول بلهجة غاضبة " أجل دكتور زفت .. هل هو معتاد على مراسلتك؟"
تحركت نحوه وخطفت الهاتف من يده تقول بعبوس وقد شعرت بالارتباك " أرني"
أمسك بذراعها يصيح بغضب " ردي يا بسمة على السؤال"
كانت مرتبكة أكثر مما يتحمله الموقف بسبب خوفها من غضب كامل فهتفت بلهجة متألمة " ذراعي يا كامل "
تطلع في يده التي تقبض على ذراعها ثم تركها بخشونة وهو يحدجها بنظرة نارية فتأملت حالته وقالت بضيق شديد " أنا لا أحب هذا الجانب فيك يا كامل "
رد بلهجة متعالية " هذا أنا .. (ثم قبض على ذراعيها معا يهزها قائلا) ردي على السؤال لماذا تراوغين؟"

رفعت ذقنها بكبرياء تقول بانفعال " أنا لا أراوغ.. لكن يراودني سؤال ملح في ذهني حاليا أبحث له عن إجابة .. هل إجابتي على سؤالك ستصدقها أم لا ؟.. لأني لا أنوي أن أجيب على سؤال ستكون إجابتي عليه غير معتد بها"

عبس وجهه وعقد حاجبيه لبرهة ثم رد بهدوء وتلقائية فاجأتها " أنا أصدق كل ما قلتِه وستقولينه يا باسمة "

رده التلقائي أراح قلبها وحدد لها إطار وشكل ما ستعانيه مع كامل ألا وهو الغيرة لكن خروج الأمر عن دائرة الشك فيها كان بمثابة حياة أو موت بالنسبة لها فبلعت ريقها وردت بثقة " الإجابة لا .. فهو ليس معتادا على مراسلتي بشكل عام ولم يراسلني أبدا منذ أن تزوجت "

ترك كامل ذراعيها وأشاح بوجهه يلقي سبة من بين أسنانه المطبقة ثم حدق في الفراغ يرفع قبضته يعض عليها بقوة والغضب يتراقص من

عينيه قبل أن يلتقط الهاتف من يدها بخشونة ويسرع بالإمساك بهاتفه فسألته بعبوس "ماذا تفعل؟"

قال بأنفاس لاهثة منفعلة " أسجل رقمه لأتصل به وأتصرف معه "

عقدت حاجبيها وهتفت باعتراض "كامل....."

قبل أن تسترسل قال بوعيد وهو يحدث نفسه" لا لا هذا الـ **** يحتاج لأن أذهب له وألقنه درسا"

لم تفهم معنى السبة التي قالها وهو يتحدث بلهجة بلده لكنها هتفت بغيظ " كامل!"

صرخ فيها قائلا " ماذا تريدين من زفت ؟"

قالت تحاول أن تهدئ من روعه "ماذا تنوي أن تفعل؟"

رد باستهجان لسؤالها " سأضع حدودا للأخرين في التعامل معك أنا لا أقبل بهذا أبدا"

حاولت التعامل مع انفعاله وتهوره بهدوء
فقالت "كامل أنت تعقد الأمور"
هتف قائلا باستهجان وقد استفزه كلامها " أنا أعقدها؟!!! .. أنا؟!! .. وهل هناك زوج سيقبل بأن يراسل رجل زوجته ؟!"
قالت معترفة " أنا لا أنكر بأنه تصرف جرئ منه لكن "
صرخ محتدا " وهل من المفترض أن أمرر هذا التصرف الذي تصفينه (بالجريء) بينما هو وقح ويحتاج للرد عليه بقسوة ؟!!"
سحبت نفسا عميقا واخرجته بزفرة تقول مهدئة " دعنا منه يا كامل وها أنا غيرت رقمي وسأكسر هذه الشريحة رغم أني كنت أنوي الاحتفاظ بالخطين "
قال بتصميم ولهجة غاضبة " لا هذه إهانة لي ولك ولن أمررها أبدا لابد أن يعرف كل شخص حدوده "

هتفت وقد ازداد توترها فلم تكن قد استقرت أعصابها بعد " كامل أرجوك كف عن العصبية أنت توترني"

شعر بأنه يضغط عليها بانفعالاته ونظراتها المتوسلة له استدرت عطفه لكن غضبه كان على اشده فلم يجد حلا إلا بمغادرة المكان فتحرك من أمامها دون رد وانصرف من الشاليه غاضبا بعد أن صفع الباب خلفه ..

زفرت بسمة تحاول أن تهدئ من روعها فلم تكن مستعدة بعد لمواجهة أي نوع من الانفعال .. وجلست على السرير تلتقط هاتفها وتحدق في رسالة مهاب وهي تشعر بالغيظ منه ومن كامل .. لكنها أخبرت نفسها بأن عليها أن تتقبل كامل بغيرته المبالغة وأن تتعامل معها .. وفكرت في حيرة هل انفعاله وغضبه يعني بأنه سيتم الغاء ما يرتب له الليلة أم أن عليها أن

تستعد وترتدي ذلك الفستان المبهر الذي أحضره لها ؟.

xxxx

قبيل الغروب

وقفت بسمة في غرفتها تشعر بالحماس والتوتر وهي ترتدي ذلك الفستان المبهر بعد أن غادرت خبيرة التجميل الشاليه قبل قليل..

لقد تفاجأت بالمرأة تدق على باب الشاليه بعد مغادرة كامل فأرسلت له رسالة على الواتساب تسأله إن كان ما رتب له في المساء قد ألغي أم لا يزال قائما.. فرد عليها باقتضاب بأن الخطة لا تزال كما هي .. فساعدتها خبيرة التجميل في وضع كريمات على كتفيها وذراعيها في ذلك الفستان المكشوف الذي اختاره لها كامل.

أما الأخير فقد وصل قبل قليل لكنه دخل فورا للباحة الخلفية مع بعض العاملين في الفندق يجهز شيئا ما وانشغلت هي مع خبيرة التجميل

في غرفتها وها هي محبوسة في الغرفة حتى يعطيها كامل الاذن بالخروج .
تأملت شكلها بذلك الفستان الفضي المبهر الذي لم تصدق بأنها سترتديه.. إنه باللون الفضي من قماش الساتان الناعم الأملس عاري الكتفين والذراعين ملفوف على جسدها بتصميم عروس البحر .. القماش مطوي بثنيات عريضة مائلة تلف الجذع وتحدده مع شريط مائل أعلى الصدر بفصوص لامعة بارزة ومثله في جانب من جوانب الفستان عند الخصر وتستمر الثنيات المائلة المطوية لما بعد الخصر بالتبادل فيما بينها كالضفيرة حتى أسفل الردفين .. لينسدل بعدها الفستان بنعومة حتى الأرض ملفوفا حول ساقيها من الأمام ومسدلا بما يشبه الذيل الطويل قليلا من الخلف وقد دهنت وجهها وكتفيها وذراعيها العاريين المرقطين بكريم لإخفاء العلامات

وارتدت صندلا مكشوفا بكعب عال من فصوص فضية تشبه الموجودة بشريط الفستان .

أما شعرها فقد صففته خبيرة التجميل مرفوعا للأعلى على شكل (شينيون) منتفخ يغطي رأسها كله من الخلف وارتدت قرطين ماسيين رقيقين في أذنيها .

سمعت باب الشاليه الخارجي يفتح وفهمت بأن العمال الموجودون قد رحلوا قبل أن يرسل لها كامل على الواتساب لتخرج إلى منطقة حمام السباحة في الباحة الخلفية للشاليه.

رفعت بسمة ذيل الفستان في يديها وتركت غرفتها تقطع الشاليه حتى باب الشرفة الأرضية التي تطل على حمام السباحة وسحبت نفسا عميقا تشعر بالتوتر قبل أن تخرج ليلفت انتباهها حمام السباحة المغطى بالبالونات الحمراء بشكل مبهر لكن ما كان أكثر إبهارا هو

كامل نفسه .. ذلك الرجل الذي أحبته وتزوجته والذي يقف بجوار الطاولة مرتديا حلة رسمية وكأنه عريس ..يقف بانتظارها شامخا واثقا من نفسه يضع يدا في جيبه والأخرى بجواره ..

بنظرة سريعة نظرت حولها للبالونات المعلقة على الشجر العالي والقلب الكبير الذي صنع من الورود البيضاء والوردية خلف الطاولة مكتوب بداخله بالورود (بسمة وكامل) أما الطاولة نفسها فكان عليها عشاء رومانسي ويتوسطها شمعدان رقيق به بعض الشموع التي لم تشعل بعد.

ورغم المفاجأة وكل هذا الإبهار حولها لكن عيناها عادتا بسرعة لتأمل كامل ووسامته وحضوره الذي يملأ فراغ قلبها فلا يترك فيه ذرة شاغرة للانبهار بشيء غيره ..بل يملأ عليها كيانها كله ..

كان وسيما أنيقا شامخا وكان متوترا ..هكذا أحست وهي تتحرك نحوه ببطء وثقة وتتأمل عينيه اللتين تتراقصان طربا فوق تفاصيلها .
أما هو فكاد قلبه أن يتوقف وهو يتأمل جمالها المبهر .. وقوامها الرائع المغري وزينة وجهها الهادئة الراقية التي تبرز زرقة عينيها بلون سماوي رائق لم يره بهذه اللمعة من قبل .
وقفت بسمة أمامه يفصلهما متر واحد ولاحظت بطرف عينيها على يمينها ناحية حمام السباحة كاميرا مثبتة على بُعد مسلطة على وقفتهما فابتسمت لكامل بارتباك ووقفت صامتة تنتظر الخطوة القادمة .
تنحنح كامل يقول بصوت هادئ يسيطر عليه ارتباك شديد لم يتوقعه " قبل أي شيء أريد أن أحكي لك عن قصة .. قصة شاب جاء إلى هذا البلد قبل عشر سنوات .. كان في الرابعة والعشرين من عمره فارا هو وأسرته من الحرب

في بلده ..و لم يكن راضيا عن وجوده هنا وسعى بشتى الطرق للحصول على تأشيرة هجرة لأي بلد أجنبي .."

ضيقت بسمة عينيها المكحلتين الجميلتين تحت رموشها السوداء الطويلة بينما سحب كامل نفسا وأكمل" هذا الشاب تعرف على عدد كبير من الفتيات كأي شاب عابث .. فتيات من مختلف الطبقات والجنسيات .. وبعد ست سنوات أي قبل أربع سنوات من الآن كان موعده مع قدره "

سقط قلب بسمة بين قدميها وهي تحاول استيعاب ما علاقتها هي بموعده مع القدر قبل أربع سنوات .. وطردت بسرعة فكرة خبيثة تحاول أن تصور لها أن المقصودة بانة وعادت لتركز في استرساله وهو يقول " فاتنة .. كانت تقف في شرفتها وأوقعت كوبا من القهوة على سيارة كان يمر بجوارها صدفة ليتطور الأمر

لمشاجرة مع مالكة السيارة المتصابية وزوجها الشاب"

رمشت بسمة بعينيها وبدأت تشعر بالتشوش .. ما يقوله يذكرها بذكرى قديمة حدثت لها لكنها لا تفهم علاقة كامل بها.. بل لا تفهم كيف عرف كامل بها فحدقت فيه باتساع عينيها وكأن مقلتيها الزرقاوين يساعدان عقلها على الاستيعاب ليكمل هو" وقف الشاب يشاهد تلك الفاتنة التي أسرت عينيه من أول لحظة ولم يكن يعلم بأنها قد أسرت قلبه أيضا .. بعدها أخذ يتردد مرارا وتكرارا على صالون الحلاقة المواجه للبناية التي تسكن فيها فقط ليراها .."

هذه المرة لم يسقط قلبها بين قدميها وإنما أغشي عليه وتوقف عن النبض فبلعت ريقها وتقبضت بقوة وهي تسمع " ولأنه يعلم نفسه ويعلم أن عينيه قد تنبهران بإحداهن ثم يفقد

الاهتمام بعدها تريث كثيرا في أي خطوة للتعرف عليها .. حتى جاء يوم كان يزور فيه الشارع الذي تسكن فيه ولمحها في الشارع .. وبالرغم من سنوات عمره الثلاثين وبالرغم من كبرياءه وعنجهيته تتبعها كالمراهقين بل إنه لم يفعلها من قبل حتى وهو مراهق .. (وأضاف بغصة) ولم يخف عليه حزنها وشرودها .. حين وصلت لأحد المولات وبالتحديد لأحد مراكز التسوق الكبيرة فيه تتبعها يتمنى أن يتحدث معها ليعرف إن كانت مرتبطة أم لا حتى أنه ساعدها حينما أوقعت ما على أحد الأرفف "

راقب كامل اتساع عينا بسمة وجحوظهما وهو يضيف " وبعدها تتبعها حتى المقهى الذي دخلته وطلبت قهوة سريعة .. يومها أخذ يتأملها عن قرب وشعر بأن شعوره يتطور معه لأكثر من مجرد إعجاب بجمالها .. كان

يستشعرها حزينة يائسة حائرة .. والتقط لها صورا على هاتفه وهي شاردة في فنجانها .. "
بدأ قلب بسمة بالتسارع في صدمة وهي تحاول فهم واستيعاب ما يقوله .. إن كل ما يقصه يثبت بأنه كان موجودا ذلك اليوم في المول لكن لا تذكره .. بل الآن تذكره .. وشردت عيناها قليلا في الأرض تتذكر وجهه كطيف خاطف في الذاكرة في ذلك المتجر بجوار الرف .. لمحة سريعة من وجهه وهيئته الضخمة قبل أن يخفض وزنه ثم أسرعت برفع أنظارها المصدومة لكامل الذي لا يريد التوقف عن اعترافه ليقول" بعدها وقبل أن يتخذ خطوة تجاهها للتعرف عليها بعد أن وصل لحالة من الفضول تجاهها غير مسبوقة حدث شجار بينه وبين أحد المعارف بخصوص بنت من بلده تهور وتواصل معها بدون علم زوجها ورغم نيته

السليمة كان سوء تصرف منه سبب له حرجا شديدا أمام الجميع .. "

وضعت بسمة يدها على شفتيها المطليتين باللون الوردي وشهقت متسعة العينين وهي تربط خيوط القصة ببعضها بصدمة كبيرة .. يوم المشاجرة كان كامل يعرفها .. حين حدق فيها وظنت بأنه سيؤذيها كان يعرفها .. كامل كان معجبا بها !!!..

ركزت في حديث كامل لتفهم أكثر فقال الاخير " في هذه المشاجرة تلقى صدمة عمره .. وجد تلك الفاتنة تقف على باب فيلاتهم تشاهد ما يحدث وفهم بأنها تقرب لأحد الشابين الذين كان يتشاجر معهما .. وبالرغم من المفاجأة إلا أنه ظل يمني نفسه بأنها ربما أخت سيد صبره أحد الشابين اللذين تشاجرا معه المهم أنه في نفس اليوم أسرع نحو الشارع الذي تسكن فيه وسأل عنها ليتفاجأ بأنها متزوجة .."

ساد الصمت لثوان ومقلتا بسمة ترتعشان بذهول فوق وجه كامل لا تعرف بما ترد بل لا تعرف كيف تصدق ما يقال ليضيف كامل " كانت صدمته شديدة لكنه حذف صورها فورا من هاتفه وقرر ألا يفكر فيها مرة أخرى .. ونجح في ذلك بعد أن انغمس أكثر في الحياة الصاخبة مع الفتيات لكنها ظلت تزوره في أحلامه بعينيها الحزينتين وكلما زارته كان يخبر نفسه بأن الأمر مجرد تخريف ذكوري .."

أسرعت بسمة بقطع المسافة بينهما بسرعة وألقت بنفسها عليه تحيط عنقه بذراعيها بقوة وهي تهمس بغير تصديق " كامل .. كامل ما الذي تقوله!! .. كامل!! "

ابتسم كامل وضمها إليه يقبل كتفها العاري ثم قال بعد برهة وهو يبعدها برفق مستشعرا ارتجاف جسدها " لا تقاطعي الاعتراف من فضلك وقفي مكانك (قالها وهو يمسح دمعة

من تحت عينيها بإبهامه ثم أردف) ظل الحال على هذا المنوال حتى بعد أن علم صدفة بطلاقها ..كان الأمر منتهيا بالنسبة لعقله .. لكن يبدو أن قلبه كان له رأي أخر .. والقدر أيضا كان له تدبيرا أخر .. فقد تعرف هو وتوأمه ..قدريا .. على شاب هو ابن عمدة بلدهم ونشأت بينهم صداقة قوية حتى أن هذا الشاب دعاهما لحضور زفاف أخته في نفس الوقت كان صاحب الحكاية قد تلقى أخيرا تأشيرة هجرة لأمريكا .. المهم أنه لم يكن ينوي أن يذهب لحفل زواج أخت صديقه وكلف أخوه بالذهاب بالنيابة عنهما لكنه بمجرد أن سمع باسم القرية التي كان يعلم مسبقا بأن هذه الفاتنة منها انتابه الفضول لأن يعرف حالها بعد ثلاث سنوات من طلاقها .. وكأنه كان يريد أن يراها مرة أخيرة قبل وداع هذا البلد للأبد .. لكنه لم يكن يعرف بأنه كان على موعد مع

قدره .. كان على موعد معها .. مع أجمل عينين رآهما في حياته.. "

بدأت الدموع تنهمر بغزارة من عيني بسمة دون استيعاب وقلبها ينافس قلبه في النبض ليكمل كامل " حاول أن يعاند نفسه بأنه لم يقع في هواها .. استأجر البيت الذي تملكه وهو لا يعلم بأنه ملكها ..فقط ليكون بجوارها .. تحجج بحجج كثيرة ليحضر للقرية ليراها .. حتى واجه نفسه وما يفعل وعلم بأنه لا يريد أن يؤذيها بأفكاره عمن سبق لهن الزواج .. خاف عليها من نفسه فقرر أن يودعها ليسافر للأبد فهو يعلم بأن وضعها لن يكون قابلا للتجربة .. "

أسرعت بسمة بالتعلق بعنقه وتقبيل شفتيه وكأنها تطلب منه الرأفة بقلبها المصدوم فحاوط كامل خصرها الرشيق وقبّلها بعمق بقبلة طويلة ثم أبعدها لكنه لم يترك خصرها

بل أردف أمام عينيها بصوت متهدج ومشاعر جياشة " لكنه لم يستطع أن يفعلها.. لم يستطع السفر ..قلبه انتزع منه حين حاول .. فعاد إليها .. عاد وهو على أمل أن يمنح نفسه فرصة معها .. عاد ليعترف لصاحبه بمشاعره ويطلب منه التوسط له ليرتبط بها.."

شهقت بسمة حين تذكرت ما قاله لها مفرح ولم تصدقه بينما أضاف كامل " كان ينوي أن تكون خطبة طويلة حتى يهزم فيها أفكاره وبعدها حدث ما حدث واضطر لأن يختار بينها وبين الهجرة فاختارها هي مقابل أن يحضر والده ليطلب يدها رسميا أمام أهل بلدتها "

مسحت شفتيه الملطختين بطلاء شفتيها بإبهامها وهي تقول بارتجاف وبصوت باك "لماذا لم تخبرني حينما تزوجنا بكل هذا؟"

رد كامل وهو يتحسس خصرها "لأنك لم تكوني على استعداد لسماع أو استيعاب أي شيء ..

ولأني كنت أخشى إن أتممت زواجي بك بدون أن أنجح في السيطرة على أفكاري فأؤذيك بها "
غمغمت بسمة باكية وهي لا تزال ترتجف
"كامل أنا .. أنا غير قادرة على الاستيعاب أنا .. أنت .. (ثم هتفت بصوت متهدج بالعاطفة)
كامل أنت جائزتي .. هذا ما أشعر به الآن .. أنت جائزتي بعد كل ما مررت به .. (ونظرت لعمق عينيه تقول بلهجة عاشقة) أنت أروع جائزة .. جائزة لا تقدر بثمن "
اتسعت ابتسامته وقال " هل تعلمين أني عدت لأكتب الخواطر بعد انقطاع دام خمس عشرة سنة بسببك؟ .. كنت أنظم بعض الخواطر أيام المراهقة وعدت حينما رأيتك (وتنحنح يقول بحرج بعد أن اختلس نظرة سريعة للكاميرا)
دعيني أخبرك ببعض مما كتبته لك "
دارت عيناها الجميلة ترسمان وجهه بانبهار بينما تنحنح كامل يقول بصوت رجولي عذب :

بسمتي أنتِ..
ووجعي..
وجنوني ..
والصاعقة التي شطرت قلبي إلى نصفين.
بُليت بعشقك ..
فانصهرت..
واحترقت ..
وهزمني الموج الأزرق في عينيك مرتين.
فاقبليني قدرا..
ووطنا ..
ومطرا ..
يُنبِت نُوّار العشق في قلبين.
واشرقي بشمسك على حياتي.
يا حياتي ..
فلن تهربي من قدرنا .. كعاشقين.

بعينين مغشيتين بالدموع راقبته وهو يخرج من جيبه علبة مخملية صغيرة ويلتقط منها خاتما من الألماس وضعه في بنصرها بجوار حلقة الزواج الذهبية ثم رفع يدها لشفتيه يقبلها .. فتعلقت بسمة بعنقه من جديد ولم يعرف من منهما بدأ بتقبيل الأخر .. في قبلة طويلة تعانق الروح تخللها بعض همهمات لبسمة تقول " لا أجد حاليا ما أقوله .. أنا مصدومة وسعيدة وعلى وشك الإغماء ومن الجيد أنك تصور هذا الاعتراف لأني سأحتاج لأسمعه آلاف المرات بل ملايين المرات "

xxxx

بعد عدة ساعات

انسحبت بسمة تترك كامل مستغرقا في النوم والتقطت قميصه من على طرف السرير لترتديه على جسدها العاري ثم أسرعت للخارج وهي تمسك بهاتفها بعد أن أرسلت لمليكة على

الواتساب تسألها إن كانت مستيقظة فأجابتها الأخيرة بالإيجاب .

في طريقها لمغادرة الغرفة بخطوات متسللة لمحت الفستان الفضي الذي قضت به أحلى سهرة في حياتها والذي سمعت به أروع اعتراف في الكون لمحته ملقى على الكرسي ..

واستعادت تفاصيل السهرة التي بكت في أغلبها غير قادرة على الاستيعاب .. فقد رقصت معه بعد العشاء الرائع على أنغام الموسيقى رقصة هادئة بين أحضان كامل الذي ألقى على مسامعها المزيد من كلمات الغزل ..

كانت سهرة استثنائية .. انتهت بلحظات حميمية مشتعلة تفيض بالمشاعر.. ليلة لن تنساها أبدا وستحفظ تاريخها .. تاريخ أهم يوم في حياتها .

خرجت من الغرفة وهي تطلب رقم مليكة وجلست على أول أريكة وجدتها على يمينها

تقول بصوت متحشرج خافت "كيف حالك يا مليكة"

قالت الأخيرة بقلق "ماذا حدث هل أنتِ بخير ؟.. فلست معتادة على مهاتفتي في هذا الوقت المتأخر "

حاولت بسمة التماسك وأخذت تمسح في الدموع التي تتدفق دون إرادة منها فقالت مليكة مذعورة وقد وصل إليها نحيبها الخافت "تكلمي يا بسمة"

قالت الأخيرة بسرعة "لا تقلقي أنا بخير ..لكن ما يحدث معي هذا الأسبوع من صدمات قوي ومرهق لأعصابي حتى الأخبار السعيدة"

"خير إن شاء الله"

أوضحت بسمة بصوت متهدج " كامل يا مليكة .. كامل اعترف لي بحبه .. كامل كان يعرفني قبل طلاقي أتصدقين! .. (واضافت باكية بخفوت

رغما عنها) وحين حضر للقرية حضر لرؤيتي قبل سفره "

رفع كامل رأسه من فوق الوسادة يبحث عن بسمة ثم سمع همسا يأتي من الصالة فتساءل عمن تحدثه في هذا الوقت المتأخر .

ترك السرير وتحرك نحو باب الغرفة المفتوح ليسمع بسمة وهي تقول " أنا لا أصدق يا مليكة حتى الآن بأنه يحبني كل هذه السنين .. أنا من الصدمة لم أخبره حتى كم أحبه .. لساني عاجز عن الكلام ..عن التعبير فما قاله أروع من أن يقال عنه شيء "

ابتسم كامل بسعادة جمة وتراجع عائدا للسرير يتركها لتثرثر مع صاحبتها وعبارتها (لم أخبره كم أحبه) ترن في أذنه فاستلقى على السرير يهدئ من تراقص قلبه في صدره قلبه الذي يعاني من تخمة المشاعر .. في الوقت الذي قالت مليكة بتأثر "يا الهي لا أصدق ..أنا سعيدة جدا ..

سعيدة جدا يا بسمة لهذا الخبر .. كنت أكيدة بأن الله سيجبر بخاطرك كنت أكيدة من عدله .. حين خرجت من تجربتك السابقة كنت دوما أقول لك لعله خير فإن لم يعوضك في الدنيا فسيكتب لك الكثير من الحسنات في الآخرة والحمد لله أن جبر الله بخاطرك "

مسحت بسمة دموعها وسألت مليكة" وأنت ماذا فعلت عند الطبيبة؟.. سامحيني لم أستطع الاتصال بك"

ردت مليكة وقد عاد لها وجومها" كان لقاء كارثيا "

"لماذا؟!!"

أجابت بلهجة متألمة " لم أستطع التفوه بشيء ..وانفجرتُ بالبكاء الشديد ولم تفلح الطبيبة في تهدئتي فسمحت لي بالمغادرة "

شعرت بسمة بالأسف الشديد لكنها قالت مشجعة "لا بأس إنها أول جلسة فقط "

عادت بعض الحياة لصوت مليكة وهي تقول "
لكن هناك خبر حلو اسعدني بشدة "
"خيرا؟!"
أوضحت بتأثر " مفرح وافق أخيرا على أن نقوم
بعملية تلقيح صناعي "
اتسعت عينا بسمة وقالت متفاجئة "حقا يا
مليكة!!!"
بعد قليل تسللت بسمة لتعود بجوار كامل
الذي افاق من غفوة حين شعر بعودتها فضمها
إليه لتغرق في صدره ولسانها عاجز عن الشكر
لله .. وكل ما تفكر فيه أنها قد نالت جائزة تلقي
كل هذا الحب من الرجل ..الذي أحبته بشدة .

xxxx

بعد ثلاثة أيام
صباحا

نزل جابر من الدور العلوي وتطلع إلى يمينه أثناء نزوله على المطبخ حيث تقف أم هاشم منذ الفجر ومط شفتيه .

إن خالاته وعمته سيزورونهم اليوم لأول مرة بعد العرس وقد أصرت أم هاشم على إعداد مأدبة على شرفهن ..

لا ينكر أنه يشعر بالامتنان والفخر لكنه كان يرى أنها لا تزال عروس ومن الممكن الاعتماد على الطعام الموجود بالثلاجة كطعام للمأدبة لكنها أصرت برأس يابس أن تعد الطعام بنفسها ..وعلى ما يبدو ستكون مأدبة ضخمة لأنها منذ مساء أمس وهي مختفية في المطبخ ولم تنم إلا ساعتين قبل الفجر استيقظت بعدها لاستكمال ما تفعل .

ألقى تحية الصباح على أمه فردتها له مع ابتسامة ليتحرك ناحية المطبخ ويقول متصنعا العبوس" صباح الخير يا أم هاشم "

كان قلبها قد قام بعروض راقصة في صدرها منذ أن سمعت خطواته على السلم فردت وهي تلف المحشي "صباح الرضا "

داعبت تحيتها قلبه كالعادة لكنه تجاهل ذلك وهو ينظر لحلة المحشي بحاجب مرفوع وشعور صبياني يتملكه بافتقادها فقال بلهجة متحفزة" هل سأفطر أم سأذهب لعملي بدون فطور؟"

قالت وهي تلف إصبع محشي الكرنب "طبعا الافطار سيكون جاهزا حالا "

قال معاندا "لن آكل المزيد من (النواشف) والجبن لقد أصبحت معدتي بخير أريد إفطارا حقيقيا "

ردت بهدوء وهي تغسل يدها جيدا على الحوض وتجففها بمنشفة نظيفة" طبعا .. لقد أخبرتني بذلك ليلة أمس .. وأعددت لك وليمة فطور بالهناء والشفاء على بدنك"

لم يجد ما يشاكسها به .. يريد أن يخانقها ويشعر بالغيظ فقال بلهجة متحفزة " واليوم سآكل من هذا الطعام الذي تطبخينه منذ أمس لا مزيد من الأكل المسلوق في هذا البيت يكفينا أن البيت كله يأكل طعاما مسلوقا كل الأيام الماضية"

وضعت طبقا ساخنا فوق صينية بجوار أطباق أخرى واستدارت إليه ترفع سبابتها إلى عينيها الواحدة تلو الأخرى وتقول بهدوء "من عينيّ " راقبها وهي تولي له ظهرها وتكسر البيض في المقلاة ..ترتدي ثوبا قطنيا بدون أكمام باللون الأبيض المصفر كالتيشيرت لكنه طويل وواسع حتى ركبتيها منقوش برسمة لشخصية كرتونية

لبطة لديها فيونكة وردية .. وتلف مريلة مطبخ حمراء مرقطة بالأسود على خصرها النحيف بينما شعرها الذي جاءت فتاة يوم أمس للبيت لفرده مرفوعا بعقدة فضفاضة فوق رأسها بمشبك .

انتهت من وضع بعض الأطباق على صينية كبيرة وهمت بحملها فاقترب منها يحملها لتقول بإصرار" أنا سأحملها "

رد بلهجة جادة وهو يأخذ منها الصينية" هل ستصلبين رأسك في هذا أيضا !"

اتسعت ابتسامتها اللؤلؤية تتوسط الغمازتين ثم قالت بتلك الطريقة التي تشعره بأن عليه قص جزءا زائدا في لسانها" يا جابر لا يصح .. كيف سأضع لهن طعاما بائتا من الثلاجة عيب والله في حقي وحقك "

رغم تفهمه لما تقول لكنه مط شفتيه وتحرك بالصينية للخارج يضحك على نفسه وهو

يعترف في سره بأنه افتقدها الساعات الماضية وبأنه يشفق عليها من المجهود.. إنها متفانية بشكل يغيظه .

وضع الطعام على منضدة السفرة وشعر فجأة بالوحدة فهتف باستنكار" هل سأفطر وحدي يا هانم !"

جاء صوتها من الداخل تقول "أنا قادمة ..اصب الشاي"

ابتسمت نجف وهي تتأمل ابنها الذي جلس يسألها" وأنت يا أمي ألن تفطري ؟"

ردت بهدوء" أفطرت والحمد لله قبلكما .. بالهناء والشفاء"

قال وهو يشمر ذراعيه " كنا طلبنا من الفتاة التي كانت تأتينا لتساعد في عمل البيت أن تحضر لتساعد أم هاشم أشعر بأنها أجهدت نفسها"

قالت أمه تؤيده" عرضت عليها يا بني والله لكنها رفضت "

خرجت أم هاشم من المطبخ تحمل صينية عليها كوبين من الشاي فقال لها بغيظ" هل صلبت رأسك في هذا الأمر أيضا ؟.. لماذا لم تحضري الفتاة لتساعدك لا أعتقد بأن هذا سينتقص منك أن يساعدك أحد "

قالت بنفس الابتسامة وهي تجلس "أبدا والله .. الأمر وما فيه أني لا أطيق أن يدخل أحد المطبخ معي اسأل بيت عمي سيؤكدون لك هذا الكلام ولا أثق إلا فيما تفعله يدي وخصوصا في النظافة فما الداعي لأن تحضر الفتاة ولا تفعل شيئا .. سأطلبها حينما أرغب في المساعدة في تنظيف الشقة "

قالتها وهي تناوله الرغيف فأخذه منها مغتاظا من رأسها اليابس يداري اعجابا بقوة شخصيتها والتي تناقض حالتها حينما تكون بين ذراعيه ..

فشعر بالاشتعال في جسده كحاله منذ أن زفت إليه .
قطع الرغيف وهو يقطع عن رأسه أفكاره التي باتت قليلة الحياء فيما يخصها ومنحها نصفه ثم بدأ في الأكل .
بعد قليل سألته" متى سيحضرن بالضبط ؟"
رد وهو يمضغ الطعام وقلبه سعيد بتلك الجلسة الدافئة رغم بساطتها "بعد الظهر إن شاء الله .. وأنا سأذهب لأنهي بعض الأمور السريعة في المحل ثم أمر لإحضار ميسة بعد صلاة الظهر لتحضر معهن هي الأخرى"
بلعت ما في فمها بصعوبة وغمغمت وهي تحافظ على ملامحها عادية" إن شاء الله"
أسبلت أهدابها تقلب اللقمة في يدها تداري شعورا بالغيرة عليه .. شعور كانت تروضه قديما وتواجه نفسها كلما شعرت به بأن كاميليا زوجته وبأنه يستحق التمتع بامرأة جميلة ..

لكنه بات شعورا قاتلا يذبحها وهي تتخيل أنه سيرى زوجته السابقة وربما بثتها نظراته شوقه إليها فهي لا تزال في فترة العدة..

أسرعت بتوبيخ نفسها وطلبت منها التماسك .. فإن كان مشتاقا لكاميليا فليكتب له الله ما يهون عليه ويريح قلبه حتى لو كان ذلك عذابا لها .. المهم كما وعدت نفسها إن حدث وشعرت بأنه يقترب من صلح الذبابة الخضراء عليها بالانفصال فورا فهي لن تقبل أبدا بأن تكون لديها ضرة ..

سحبت نفسا عميقا وحشرت اللقمة في فمها حشرا وتبعتها برشفة من كوب الشاي الساخن لتبتلع ما تفكر وتشعر به .

××××

كانت تشده شدا في بهو الفندق بعد أن أوصلتهم إحدى عربات نقل النزلاء من الشاليه إلى مبنى الفندق في ذلك المنتجع الشهير ..

وكان هو يضع يديه في جيبي بنطاله يتحرك معها بتثاقل وبرود مرتديا ملابس رياضية سوداء ورمادية مريحة وحذاءً رياضيا ابيض اللون ترتدي هي الأخرى واحدا مثله ولكن أصغر مقاسا منه بكثير وفوقه ملابس رياضية بنطال قطني رمادي اللون بخطين ورديين من الجانبين وقميص طويل نسبيا يغطي فخذيها وفوقه ستره قصيرة مفتوحة بدون أكمام بنفس قماش ولون البنطال وكل منهما يضع قبعة رياضية سوداء فوق رأسه فبديا كثنائي .

استمرت في سحبه تمسك بساعده وهو يجاريها بخطوات ثقيلة ثم نظرت حولها تسأله "أين المطعم؟"

فأشار لها يمينا لتشده ناحية اليمين .

على باب المطعم وقفت بسمة تتطلع في الجالسين على الموائد وبدأ حماسها يقل .. فقد اعتراها ارتباكا مفاجئا استشعره كامل فأخرج يده

من جيب بنطاله ووضعها على ظهرها يقول"
ألن ندخل؟"
غمغمت بارتباك "آه طبعا"
قال بلهجة متهكمة "ما دمتِ مترددة في التواجد مع الناس لماذا اخرجتنا من خلوتنا في الشاليه!"
استدارت إليه ترفع عينين ناريتين وهي تقول بهمس من بين أسنانها" كامل اسكت ولا تتحدث.. نحن محبوسان منذ خمسة أيام تقريبا ولم نر أحدا "
رفع كتفيه يرد ببرود "أين المشكلة ما دمنا مستمتعيّن (ومال بجذعه ينظر لعينيها قائلا بابتسامة عابثة تزين ثغره) ألست مستمتعة معي يا باشمهندسة .. أخبريني إن قصرت في شيء"
اشتعل وجهها الذي تغطي البقع فيه بكريم مخصص لإخفاء عيوب البشرة فاستشعر

حرجها قبل أن تولي له ظهرها قائلة وهي تداري ابتسامة خجلة تداعب شرقيته "هيا يا كامل"

وضع يده على ظهرها يقودها نحو موائد الطعام المصطفة وسحب طبقا كبيرا ناولها إياه ثم سحب أخر لنفسه وتحرك يضعها في مقدمة المسيرة للمرور على الطاولات لاختيار من اصناف طعام الفطور الشرقية منها والغربية والتي توقفت عند بعضها باستفسار فكان يميل عليها ليخبرها باسم الصنف وكلما اختار صنفا ووضع منه في طبقه حشرت رأسها بينه وبين طبقه لتنظر إليه عن قرب ثم تطلب منه أن يضع لها مثله.

بعد قليل بحثا عن طاولة شاغرة وبالقرب من الواجهة الزجاجية التي تطل على الحديقة في الخارج وضعا طبقيهما ليختار لها كامل المقعد المواجه للزجاج حتى يكون ظهرها لغالبية الجالسين فزفرت في سرها ولم تعترض بل

جلست في صمت ليقول كامل وهو يعدل لها بحركة خاطفة شعرها الذي يخرج من مؤخرة القبعة الرياضية على هيئة ذيل حصان

"سأذهب لأحضر الخبز "

اعتدلت في مقعدها لعدة ثوان تتطلع في الطبقين ثم قررت أن تترك الطاولة وتلحق بكامل لتحضر كوبين من العصير في الوقت الذي كانت فيه عينان تتابعانها بفضول .

بعد قليل كانا قد انتهيا من الإفطار وانتقلا لطاولة في حديقة المطعم فلم تكن حرارة الطقس قد اشتدت بعد فتطلع كامل عبر الزجاج للمطعم ثم قال وهو يستقيم واقفا

"سألحق بالمطعم قبل أن يرفع موائد الإفطار لأحضر صنفا حلوا رأيتهم يضعونه .. سيعجبك جدا "

هزت رأسها بموافقة وراقبته بعينين غائمتين وهو يدخل للمطعم فلا تزال تحلق فوق تلك

الغيمة الوردية التي تطفو فوقها منذ إتمام زواجهما وخصوصا بعد ذلك الاعتراف الأسطوري الذي قام به قبل أيام .. ثم أسرعت بفتح هاتفها لتستعيد تسجيل ذلك الاعتراف للمرة التي فقدت عدها حتى أنها حفظت كل حرف وخلجة وحركة فيه في الوقت الذي اقترب منها أحدهم يقول بلهجة مهذبة "
صباح الخير يا هانم "
رفعت إليه عينيها الزرقاوين بتساؤل وردت التحية بلباقة وهي تتطلع في رجل خمسيني قصير القامة يرتدي شورت ملون وقميص فوقه ونظارة شمس غالية الثمن قدم نفسه لها وهو يرفع النظارة عن عينيه قائلا" مدحت الساكت المنتج السنيمائي ..أتمنى أن تكوني قد سمعت عني "

ابتسمت بسمة بمجاملة واستقامت واقفة
حينما أحست بأنه ينوي سحب المقعد
للجلوس وقالت له "تشرفنا أي خدمة "
قال مدحت وهو يعطيها بطاقة تعريف ويتطلع
فيها بنظرات منبهرة "الحقيقة أن الهانم فائقة
الجمال وأرى أنه ليس من العدل ألا يتوج هذا
الجمال بالظهور على شاشة السينما"
رفعت بسمة حاجبيها بمفاجأة واندهاش ثم
نظرت في البطاقة وعادت إليه تقول بابتسامة
مصدومة "السينما !!"
قال بحماس وهو يدقق في ملامح وجهها "من
حسن حظك أن الفنان أحمد حلمي يبحث عن
وجه جديد لبطولة فيلمه القادم وأنا أرى أن
جمالك سيكون مبهرا ولا تقلقي ستخضعين
لدروس في التمثيل إن لم تكوني تجيدينه"
افلتت ضحكة عصبية منها وهي تقول باعتذار"
شكرا لست مهتمة بهذا العرض "

قال الرجل بإصرار وحماس " هذه فرصة جيدة جدا فكثير من الفتيات يتمنين أن يحظين بدور صغير في أي فيلم كبداية لكنك بإمكانك أن تبدئي كبطلة لو نجحت في اختبارات التمثيل هل ذلك الضخم الطويل هو زوجك؟"

قبل أن تجيبه لمحت كامل قادما بتحفز وهو يتطلع في ظهر الرجل فاتسعت عيناها وقالت بسرعة" أرجوك أنا غير مهتمة بهذا الأمر فهلا غادرت"

قال مدحت بإصرار وهو يسحب المقعد ويهم بالجلوس مشيرا لها على مقعدها" تفضلي واعطني فرصة لأقنعك لن تخسري شيئا"

صمتت تهرش في مؤخرة رأسها بينما قبض كامل على كتف الرجل يقول "تتفضل أين وبما ستقنعها إن شاء الله!"

استدار الرجل يرفع رأسه لكامل ويقول رغم شعوره بالخوف من عدائيته الواضحة على

وجهه" اهدأ أنا لا اقصد شيئا سيئا (ومد يده لجيب قميصه يخرج بطاقة العمل وقال وهو يناولها له) مدحت الساكت المنتج السنيمائي"
هدر كامل بغضب وهو يأخذ البطاقة ويتطلع فيها "ساكت أم متكلم ماذا تريد منها تكلم قبل أن افقد اعصابي "
اشفقت بسمة على الرجل الذي بدا مرتبكا وفارق الطول بينهما واضح لكن الأخير بدا خبيرا في التعامل مع الناس فقال بابتسامة مهدئا "أنت زوجها أليس كذلك ؟"
ومد يده لكامل مهادنا فتطلع الأخير في يد الرجل بوقفته المتخصرة المتحفزة وقال بتهديد" ماذا تريد منها ومن سمح لك بالجلوس !"
أعاد مدحت يده لجيبه وقال بسرعة" أنا كنت احاول أن اقنعها بالعمل في السينما فالهانم وجهها ..."

قاطعه كامل مرددا باستهجان" نعم !.. سينما !! (ثم اشار له بيده للمغادرة وهو يقول بلهجة حاول كثيرا أن يجعلها لبقة) تفضل بالمغادرة من فضلك "

قال مدحت بمحاولة أخيرة للإقناع متعجبا من رد فعله المبالغ فيه " ستكون ملازما لها في كل لحظة صدقني "

دفعه كامل من كتفه يقول وقد وصل لذروة العصبية "لا تستفزني "

شهقت بسمة وقالت وهي تخشى أن يتهور كامل فيعقد الأمر "هيا يا كامل لنعود"

ناظره مدحت باستهجان وغضب لكنه ابتعد للخلف وهو يواجهه بنظراته فزمجر كامل بتهديد جعل سكرتيرة الفندق التي اقتربت منه تنكمش للخلف قليلا برعب ثم نادت عليه" كامل بك "

بنفس النظرة المتحفزة حرك عينيه نحوها فقالت بارتباك "أنا جاكلين سكرتيرة المدير وعلمت بأنك طلبت مقابلته لكنه لم يحضر للمكتب بعد هل هناك أي مشكلة استطيع حلها ؟"

تنحنح كامل وحاول أن يقلل من تحفز ملامحه وأخرج بطاقة عمله ويقول لها بهدوء "لا بأس أنا كامل نخلة من مطعم **** كنت أود أن أتحدث معه بشيء يخص العمل عموما أنا سأكون هنا لبضع ساعات قبل أن أغادر إن حضر وكان وقته يسمح أبلغيني من فضلك "

ابتسمت بمجاملة وحيته مغادرة بعد أن نظرت في البطاقة ووعدته بالرد .. فتتبعتها عينا بسمة تتطلع بامتعاض في تنورتها السوداء الضيقة القصيرة جدا بينما نظر كامل لمدحت الذي اتخذ إحدى الطاولات في الحديقة مكانا له فقال لبسمة "هيا لنعود للشاليه"

آثرت الأخيرة السلامة ولم تعترض بل تحركت معه نحو إحدى سيارات الجولف الصغيرة التي ركباها.

بمجرد أن تحرك السيارة التفتت إليه وقالت متخصرة وهي ترفع ذقنها ذا طابع الحسن بكبرياء" لماذا لم تأخذ رأيي قبل أن ترفض عرض الرجل ماذا لو ..."

أشهر قبضته في وجهها وسألها بلهجة خطرة "ماذا لو ماذا؟"

شهقت وهتفت بلهجة استنكارية تمثيلية" هل تنوي أن تضربني يا كامل !"

رد من بين أسنانه" لا ..سأضع لك علامة على وجهك بقبضتي حتى لا ينظر لك أحد مرة أخرى "

عدلت من وضع القبعة على رأسها بحركة مختالة وهي تنظر أمامها ثم قالت بمباهاة

لتغيظه أمام مقلتيه اللتين تتابعانها من طرف عينيه "فكرة العمل في السينما أعجبتني لم لا" مد يده وأمسك بفكها ليدير وجهها إليه قائلا" على جثتي يا باشمهندسة .. (ثم تطلع إلى شفتيها وأضاف هامسا بلهجة خاصة) لكن إن كان لديك رغبة في التمثيل فدعيني أكتب لك سيناريوهات ونمثلها سويا فيما بيننا "
أفلتت فكها من يده ورفعت سبابتها في وجهه قائلة" أنت بالذات لا .. فكل أفكارك وسيناريوهاتك ستكون وقحة"
تحركت عينا كامل يمينا حيث يجلس سائق السيارة في المقعد الأمامي فانتبهت بسمة لوجوده واحمر وجهها ولم تعرف إن كان قد سمع ما قالت أم لا لكنها أسرعت بدفن وجهها في كفيها بحرج شديد بينما ضحك كامل مقهقها ولم يخبرها بأن السائق يضع سماعات لا سلكية في أذنه بل طوق ذراعه حول عنقها كأنه

سيخنقها وأخذ رأسها المنكس إلى صدره مستمرا في استفزازها بضحكاته الساخرة .

xxxx

بعد الظهر

قالت نجف وهي تحضن ميس وتقبلها بعاطفة قوية "جدتك اشتاقت لك يا نور عيني"

قالت أم ياسين وهي تسحبها من حضنها "اتركي لنا فرصة لنرحب بالبنت يا نجف فنحن اشتقنا إليها مثلك"

في نفس الوقت كانت عينا جابر تتبعان أم هاشم التي تدخل المطبخ وهي تقول لإحدى خالاته التي عرضت المساعدة "والله أبدا لا أحتاج للمساعدة سلمت يدك"

فاقترب يقول لخالته" أتركيها إن رأسها يابس وسأحطمه لها قريبا "

ابتسمت خالته وربتت على صدره تقول بمحبة" لا والله فهي مثل العسل ما شاء الله بارك الله لكما يا حبيبي"

تركته خالته لتعود لمقعدها بينما تأمل جابر تلك العباءة الأنيقة جدا التي ترتديها أم هاشم من اللون الوردي الهادئ من قماش الشيفون بينما الأكتاف التي تنزل باتساع بكمين قصيرين من التل العسلي الشفاف المطعم ببعض الخرز المذهب .. وهو نفس التل بالخرز الذي يغطي جوانب العباءة البارزة كالزعانف الصغيرة على الجانبين بطولها حتى الأرض وسمرة كتفيها وذراعيها واضحة من تحت القماش الشفاف .. أما شعرها المفرود فكان مسدلا على ظهرها فبدا أطول من هيئته الطبيعية ترفع جانبيه إلى مؤخرة رأسها بمشبك بسيط وعيناها مكحلتان بالأسود فزادت من دفء مقلتيها في الوقت

الذي كانت شفتاها المكتنزتان ملونتين بلون وردي أنيق .
خرجت أم هاشم بعد قليل تحمل صينية ضخمة فأسرع جابر إليها يحملها منها لتناظرهما ميس بحقد بعد أن دارت بعينيها في الشقة التي تغيرت كليا في الوقت الذي غمزت خالات جابر وعمته لبعضهن يضحكن بهمس وهن يرينه يحمل الصينية عنها ليضعها فوق المنضدة ..
تطلع جابر في الطعام يتمتم بـ(ما شاء الله) وشعوره بالامتنان والفخر كبير بتلك المائدة العامرة التي أعدتها أم هاشم لكنه في الوقت نفسه كان يشعر بشفقة شديدة عليها فقال لها هامسا وهي ترص الأطباق فوق المائدة "
سلمت يديك مقدما .. تبدين مرهقة "
طالعته بعينيها الدافئتين وقالت بابتسامة "مرهقة لكن سعيدة أتمنى أن يعجبهن طعامي(

وأسبلت أهدابها تلملم ابتسامة خجلة مضيفة وهي لاتزال ترتب الأصناف فوق المنضدة) وأن يعجبك فهذه هي المرة الأولى التي ستأكل منه بعد الطعام المسلوق"

زينت الابتسامة شفتيه ورد هامسا " يقولون (الخطاب يتضح من عنوانه) والمسلوق كان رائعا رغم أنه مسلوق كما أن الرائحة شهية جدا (وأضاف بلهجة أكثر خفوتا منتهزا فرصة أنه يولي ظهره للحاضرات) يبدو أن كل شيء متعلق بك سيكون شهيا يا بنت الشيخ زكريا "

شعر بارتباكها وهي ترمقه بنظرة جانبيه وتقول " قلت لك كلامك حلو "

شاكسها قائلا " كنت تكملين العبارة بـ (كأخلاقك) ولكن يبدو أنك قد غيرت رأيك بعدما تزوجتني فعليا ووصفتني بقلة الحياء (ووضع يده على صدره يقول ممازحا بلهجة

تمثيلية) عموما أنا أسف لصدمتِك فيّ لكن
عليك تحمل قدرك معي يا بنت الناس "
كتمت ضحكتها بصعوبة وأدارت وجهها الذي
أحمر بعيدا عن الجميع بينما تنحنح جابر
واستدار للحاضرات لكنه لم يستطع أن يمحو
تلك الابتسامة السعيدة المتراقصة على وجهه
وعينيه والتي لاحظتها قريباته بوضوح
ليسمعنه يقول "تفضلن للطعام "
قالت إحدى خالاته لميس" لم تسلمي على أم
هاشم يا ميس"
قالت أم هاشم من أمام السفرة " سألتها عن
حالها عندما وصلت ولم ترد فلم أرغب في
الضغط عليها "
قالت نجف " سلمي على أم هاشم يا ميس "
ردت الأخيرة بعدائية" لا أريد "

قال جابر الذي تعمد عدم اجبارها على تحية أم هاشم عند وصولهما حتى تعتاد وجودها أولا" لماذا يا ميس؟"

ردت الأخيرة بحاجبين معقودين " لأنها سوداء قبيحة وأنا لا أحبها "

هتف جابر بلهجة غاضبة" ميسة ما هذا الكلام؟!!"

ناظرته الأخيرة بمقلتين مقلوبتين بتحدي بينما تحركت أم هاشم نحو المطبخ تقول " سامحك الله يا بنت الغالي "

قالت نجف وهي تغمز لجابر وتأخذها في حضنها" لماذا هذا الكلام يا ميس؟!"

ردت الأخيرة بشفتين مقوستين للأسفل وهي على وشك البكاء " أنا لا أحبها (ونظرت لوالدها وأضافت) لأنها سرقت أبي "

قال جابر باستنكار " من أين أتيت بهذا الكلام السخيف؟! "

أجابت ميس " أمي"
عوجت أم ياسين شفتيها يمينا ويسارا
وغمغمت" أسكت يا لساني "
أسبل جابر جفنيه يشعر بالضيق وفي الوقت
نفسه يحدث نفسه بأنها صغيرة ومن الطبيعي
أن ترى الامور من وجهة نظر طفلة بالإضافة
لما تبثه أمها في رأسها من سموم بينما شعرت
الجالسات بالحرج من أم هاشم حتى أنهن لم
يقمن من مكانهن لتخرج الأخيرة من المطبخ
قائلة" تفضلن (ونظرت لجابر الشارد تقول
باستنكار) لماذا لم تدعوهن للجلوس على
السفرة يا جابر !"
نفض جابر عنه الشرود بينما قالت إحدى
خالاته وهي تستقيم واقفة" والله لم يكن
هناك داع لتعبك يا أم هاشم جئنا للمباركة
فقط"

قالت أم هاشم بمحبة وهي تضع صينية الرقاق باللحم الساخنة على المنضدة " وهل هذا يصح أن تزرن بيت جابر دبور ولا نضيفكن "
جلست نجف على المائدة تشعر بالفخر وبسعادة لم تشعر بها من قبل أمام قريباتها وهي ترى المائدة التي تضم ما لذ وطاب من اصناف الطعام من صنع زوجة ابنها بينما قالت أم ياسين بلهجة مجاملة" نحن من تأخرن عليك في الزيارة لكن كما تعلمين كانت ابنة صفية على وشك الولادة وكنا مشغولات بها العقبى لك إن شاء الله "
اشتعل وجه أم هاشم وتقافز قلبها في صدرها وهي تسمع تلك الدعوة فغمغمت بعينين غائمتين من وقفتها توزع الطعام" مبارك لكم جعله الله ذرية صالحة (ونظرت لجابر الذي اتخذ مقعده على السفرة تسأله) متى سنذهب للزيارة يا جابر ؟"

رد جابر بابتسامة "إن شاء الله سأرتب موعدا
(ثم نظر لميس التي تلتصق بجدتها نجف
وقال) ميسة ستجلس بجوار أبيها "
فردت أم هاشم مؤيدة "طبعا وأنا سأعد لها
أفضل طبق هل تحبين المعكرونة بالباشاميل
أم الرقاق؟"
قالت ميس بلهجة عدائية وهي تتخذ مقعدها
بجوار جابر" لا أريد منك شيئا"
جز جابر على أسنانه وتقبض يحاول التماسك
بينما قالت نجف لها بلهجة عاتبة "لا لا هذه
ليست أخلاق ميس المؤدبة التي أعرفها"
شعرت ميس بالحرج ونظرت لوالدها المسبل
أهدابه لتتدخل أم هاشم قائلة وهي تجلس
بجوار جابر من الناحية الأخرى "حسنا أعدي
لها أنت طبقها يا خالتي "

ناولت نجف طبقا لميس فأكلت بصمت بينما أعدت أم هاشم طبقا لجابر الذي قال لها بخفوت " أرجو ألا تحزني من كلام ميسة"
ردت بخفوت مماثل " بالطبع لا فهي لا تزال طفلة (ووضعت أمامه عدة أطباق وهي تقول بصوت عال ولهجة ممازحة لتعيد الأجواء المتعكرة لصفائها) كما اتفقنا يا جابر مع كل لقمة تقول أمامهن (رائع بديع ممتاز)"
ناظرها بطرف عينه ثم قال مشاكسا "جابر دبور لا يكذب"
ردت بابتسامة وغمازتين حلوتين "هذا ليس كذبا هذه مجاملة لزوجتك أمام أهلك"
جادلها يقول متحكما في ابتسامة " وماذا أقول لو لم يعجبني؟!"
ردت بهدوء "رائع بديع ممتاز"
رفع حاجبيه وهتف باستنكار "نفس الكلمات!!"

هزت رأسها مؤكدة .. فابتسمت الجالسات وهن يتابعنهما ليقول جابر "حاضر .. (واضاف بلهجة تمثيلية منبهرة) طعام رائع بديع ممتاز "

قالت بلهجتها الساخرة وهي تربت على كتفه فخشخشت أساورها " هكذا بدون أن تتذوق !.. ما شاء الله على الثقة "

رد عليها مناكفا " ليست ثقة بل دبلوماسية تحاشيا للنكد "

ضحكت الموجودات وشاركتهن أم هاشم التي قالت " جبر الله بخاطرك والله (ثم عقدت حاجبيها تقول وهي تتطلع في السفرة أمامها) نسيت المخلل "

استقامت واقفة فقالت نجف " اجلسي يا بنيتي "

بينما قال جابر متذمرا" لا يهم يا أم هاشم اجلسي وكلي"

قالت وهي تتجه نحو المطبخ "لا طبعا كيف سنأكل الطعام بدونه"

غمغمت واحدة من خالاته " والله الطعام ما شاء الله رائع ولا يحتاج للمخلل .. أنا لم أتذوق محشي بهذه الروعة من قبل "

غمغمت أم ياسين وهي تراقب جابر الذي يلعب بملعقته بالطعام ولم يبدأ بعد في انتظار زوجته "سبحان الله امرأة تُميت البيت وأخرى تُحييه "

رفع جابر انظاره عن الطعام واختلس نظرة سريعة لميس ثم قال لعمته عبر المائدة" لا داعي لهذا الكلام يا عمتي الآن"

صمتت عمته بامتعاض بينما ربت جابر على ابنته يهمس لها " لم يعجبني اسلوبك أبدا فالبنت المؤدبة لا تتصرف أبدا بدون تهذيب"

احمرت وجنتا ميس فأضاف جابر وهو يمسد على ظهرها بحنان "لنا حديث معا إن شاء الله "

عادت أم هاشم من المطبخ فقال جابر متهكما" هل أحضرت المخلل وارتاحت نفسيتك ؟!"

هزت رأسها بالإيجاب وهي توزع أطباق المخلل على السفرة ثم جلست بجواره تسأله بهمس "لماذا لم تأكل؟"

قال بخفوت "منتظر الست أم هاشم ترحمنا وتجلس لآكل"

ابتسمت شاعرة بالإطراء وتراقصت دقات قلبها فهمست وهي تضع المزيد من الطعام أمامه "سلمت يا رب"

ثم تأملت بفرحة كبيرة السفرة التي أعدتها وشكل الأطباق التي أخرجتها من النيش

وغمغمت في سرها بسعادة
"الحمد لك والشكر لك يا الله"
بعد قليل قالت أم ياسين بصدق وهي تهم بالقيام من مقعدها "ما شاء الله عليك طبيخك رائع سلمت يدك"
ردت أخرى "صدقت يا أم ياسين ما شاء الله لم نأكل ألذ منه والله "
تطلع جابر في أم هاشم بإعجاب وتابعها وهي تحاول هي وأمه الالحاح على عمته لتأكل المزيد ثم راقبها وهي تقود عمته للحمام لتغسل يدها وعاد للطعام أمامه معترفا بأنه ألذ طعام أكله في حياته .
ما هذه المخلوقة التي تزداد حلاوة وغلاوة يوما بعد يوم.
لقد خطفت عقله وأسرت قلبه وعينيه
وألهبت مشاعره إلى حد لم يحدث معه أبدا ..

بل إنها باتت تشعره بأنه لا يزال مراهقا وكل ما يصدر منها أو يخصها يتوله به .
وكلما زادت السعادة والشعور بأنه على قيد الحياة شعر بالندم على كل لحظة تأخر فيها عن الارتباط بها .. لكنه رغم ذلك الشعور المُر بسنوات عمره التي ضاعت .. إلا أنه سيظل حامدا شاكرا لله أن رزقه إياها فما أجمل من أن تكون هدية الله له.. زوجة .

xxxx

بعد ساعة

قالت أم هاشم في المطبخ بارتباك " تحرجت منها يا جابر .. تعرف بأن بسمة لا تسكن هنا وحين اتصلت تخبرني بأنها ستمر على البلدة لعدة ساعات وتستأذني لأن تمر عليّ هي ومليكة لبعض الوقت لم أملك فرصة للاعتذار "
قال جابر يهدئها" لا بأس ما المشكلة"

قالت مفسرة " أشعر بالحرج من أهلك أن أتركهن لأستقبل صاحباتي"
قال بهدوء " طبيعي أن العروس تأتيها الكثير من الزيارات بدون ترتيب .. كما أن بسمة كما قلت لا تسكن في البلدة .. لا تقلقي سأشرح لهن ..
(وتحرك مغادرا للمطبخ وهو يقول) أنا سأذهب لأعيد ميس هل ينقصك شيء؟"
دارت الشعور الحارق بالغيرة في صدرها وأجابت" هات طبقا من الحلويات الشرقية أو الجاتوه فما عندنا قارب على الانتهاء "
عند باب المطبخ أدار وجهه لها يتطلع فيها قائلا بلهجة مغازلة" حاضر نحضر الحلو للحلو "

xxxx

بعد ساعة أخرى

ترجل كامل من سيارته الضخمة بملامح مغلقة أمام مزرعة الوديدي فبعد أن أوصل بسمة لبيت صاحبتها العروس وسلم على جابر مباركا واعتذر من عدم استطاعته للدخول.. ترك بسمة عند أم هاشم وتوجه هو لينفذ المهمة التي جاء بسببها إلى البلدة اليوم ..

ففي طريقهما للعودة للعاصمة اقترحت بسمة أن يمرا على البلدة مادامت في طريق عودتهما .. وذلك حتى تزور صاحبتها العروس وتسلم على أمها ..فلاقى هذا الاقتراح الترحيب منه حتى ينفذ ما كان ينوي على أن يقوم به في زيارة خاصة للبلدة غدا أو بعد غد.

دخل كامل مزرعة الوديدي فحياه بعض العمال وقبل أن يسأل عن الحاج سليمان لمح الدكتور مهاب أمامه آتيا من بعيد يتحدث في الهاتف .. فذهبت كل وعوده لنفسه بالتعقل والهدوء

والتصرف بدون عصبية أدراج الرياح واندفع نحوه وقد أعماه الغضب من أن ينتبه لوقوف الحاج سليمان يمينا على باب إحدى الغرف ومعه وليد وبعض الرجال من أهل البلدة كانوا يتفقون معهما على شراء بعض العجول .
بمجرد أن لمحه سليمان تهللت اساريره وقال للواقفين بمفاخرة وهو يعدل العباءة المعلقة على كتفيه " لا تؤاخذوني لقد جاء صهري كامل نخلة تعرفونه طبعا"
قبل أن يتحرك سليمان للترحيب بكامل عقد حاجبيه حينما رآه هو والواقفون متجها باندفاع نحو نقطة ما بداخل المزرعة ثم جحظت عيناه وهو يراه يعاجل الطبيب البيطري بلكمة قوية في وجهه جعلته يرتطم بالحائط بقوة ويقع منه الهاتف هاتفا بصوت مخيف "إياك أن تتجرأ مرة أخرى وترسل رسالة على الهاتف لزوجتي"

تبادل سليمان ووليد النظرات المحرجة من الواقفين والغير مصدقة لما سمعوه ثم أسرعا إليهما وأمسكا بكامل الذي هم بلكم مهاب مرة ثانية بينما الأخر يناظره بارتباك وتفاجؤ ليقول سليمان مهدئا "ماذا يحدث هنا ؟؟ ماذا تعني بهذا الكلام يا كامل؟!!"

ناظر الطبيب الناس بتوتر وهو يمسح أنفه التي بدأت بالنزف بينما اقترب وليد من مهاب يقول باستهجان " يراسل من؟ ما المناسبة؟!!"

أسرع أحد الواقفين وساعده عامل من عمال المزرعة بالإمساك بوليد الذي يناظر مهاب باستهجان وتحفز بينما هتف سليمان "هل جننت يا دكتور؟!!"

شعر كامل بالضيق الشديد حينما وجد حوله الرجال المرافقين لوليد وسليمان فلم يكن يحب أن يعرف أحد بما حدث بينما أحس مهاب بالحرج وبالندم على ما فعل لكنه لم

يستطع كبح جماح نفسه لحظة أن أرسل الرسالة في صباح اليوم التالي للحريق حينما سمع بالخبر فقال مدافعا عن نفسه ومبررا "أنا كنت فقط أطمئن عليها مثل باقي أهل البلدة ألم يطمئن عليها أهل البلدة أيضا!"

أكلت الغيرة قلب كامل إلى حد كان يشعر فيها بفقد السيطرة على أعصابه وهو يرى الاهتمام الواضح ببسمة في عيني الطبيب فعاد إليه جنونه وهدر فيه قائلا والناس يلجمونه " ومن طلب منك أن تطمئن عليها هل أنت مختل عقليا !"

أسرع مهاب بالقول وهو يشعر بأن وليد وسليمان ربما سيطردانه من العمل "الرسالة كانت كبرقية تهنئة على نجاتها لا أكثر .. عموما أنا أعتذر لم أقصد أي إساءة فالباشمهندسة مثال للاحترام والأدب ..أنا فقط كنت أطمئن

عليها بعد الحادث وأتمنى لها السلامة لكنها لم ترد عليّ أبدا ولم تراسلني من قبل أبدا أبدا"
انفعل كامل وحاول الإفلات ممن يمسكونه لكنهم تمسكوا به جيدا فهدر قائلا بصوت مخيف "أنا لست منتظرا منك لأن تعرفني من هي بسمة الوديدي .. وأهل البلدة لم يطلبوا منك شهادة في حقها فهم يعرفونها جيدا"
تدخل أحدهم مهدئا" اهدأ يا كامل باشا الدكتور من خارج البلدة وعلى ما يبدو لا يعرف عاداتنا وتصرف بحسن نية "
ناظره كامل بنظرة مخيفة وهتف" بحسن نية بسوء نية كله عندي سواء (ونظر لمهاب المنكمش على نفسه ومد يده يقبض على ملابسه هادرا بتحذير) بسمة الوديدي خط أحمر هل فهمت ؟.. إن مرت من أمامك لا ترفع عينك حتى ولا تلقي بالسلام .. ولو تجرأت مرة أخرى بمحاولة التواصل معها سأقتلك .. هل

تسمعني.. سأقتلك (وأضاف بلهجة ذات مغزى وكأنه يوصل رسالة ما .. ما دام الأمر قد أصبح على مرأى ومسمع من الواقفين) هذا الكلام ليس لك وحدك ولكن لكل من تسول له نفسه محاولة التعرض لها في أي وقت "

قال وليد بلهجة غاضبة منتهزا الفرصة للتشديد على رسالة كامل بعد أن وصله همس أهل البلدة عن بدير العسال المغرم ببسمة والذي دخل خلفها للنار "لست وحدك من سيقوم بقتله يا كامل فأنا أيضا سأقتل من يتجرأ على أختي وسألقي بجثته للكلاب"

تدخل الحاضرون مهدئين وموضحين بأن الطبيب لا يقصد وبأنه لا يوجد من يمكن أن يتطاول على الباشمهندسة بينما غمز البعض لبعضهم وتبادلوا النظرات مفسرين بكل ثقة بأن رسالة كامل موجهة لبدير العسال بالذات فبالتأكيد قد رآه يدخل النار خلفها ولهذا يريد

أن يحذره .. أما سليمان فجز على أسنانه يشعر بالغيظ من كامل الذي تسبب في فضيحة ومن مهاب الذي تجرأ بما فعل وناظره بنظرة مخيفة متوعدا.. قبل أن يدعو كامل للذهاب للبيت للضيافة .

××××

نظرت إحدى خالات جابر على باب غرفة الضيوف المفتوح على الصالة وقالت هامسة للأخريات" ما شاء الله صاحبتيها واحدة حفيدة الباشا.. والثانية بنت الوديدي التي تزوجت من الشاب الغريب عن البلد"

ردت نجف بفخر" الحقيقة هي تستحق كل خير والثلاثة كن زميلات زين بالمدرسة أيضا"

سألت أم ياسين باندهاش" حقا "

هزت نجف رأسها مؤكدة في الوقت الذي قالت بسمة في الغرفة وهي تحضن أم هاشم للمرة

الخامسة منذ أن حضرت" الف مبروك يا مشمش "
قالت أم هاشم متفحصة وجهها" لا أرى أي شيء في وجهك "
عادت بسمة لمقعدها وقالت بامتعاض" أنا أخبئهم بالكريمات (ورفعت كمها تريها المنظر فتركت مليكة التي سبقت بسمة في الحضور حينما علمت بمجيئها مقعدها واقتربت لتشاهد هي الأخرى ثم غمغمت وهي تعود لمقعدها" لا تقلقي مادامت بسبب الصدمة إن شاء الله ستختفي مع الأيام (وأضافت مهمومة) اتمنى أنا أيضا أن تكون الكدمات الزرقاء في جسدي لسبب أخر ليس عضويا "
سألتها بسمة باهتمام " هل لا زالت تظهر تلك العلامات في جسدك"
هزت مليكة رأسها وأضافت" أعتقد بأن الطبيبة النسائية التي سنذهب إليها من أجل

الأمر الذي أخبرتكن عنه ستطلب بعض التحاليل لتطمئن على سبب هذه العلامات"
ساد الصمت لدقائق ثم ناظرت بسمة أم هاشم وقالت لتغير الموضوع المقلق" ما هذا الجمال يا مشمش (ونظرت لمليكة غامزة ثم عادت وقالت لأم هاشم) انظري يا مليكة كيف أن الزواج يزدها حلاوة وجمالا"
ضحكت أم هاشم وردت "والله أنت من تملكين عينين حلوتين تريا كل شيء حلوا "
غمزتها بسمة وسألتها بصوت خافت "ما أخبار الزواج؟"
نظرت أم هاشم لمليكة ثم غمغمت ضاحكة قبل أن تكتم فمها بيدها" لا تحرجاني يا بنات عيب"
ضحكت بسمة وقالت بإصرار" لا لا أنت بالذات أريد أن أعرف رأيك ..علمت من مليكة بأن الأمور بينكما طبيعية والحمد لله"

حاولت أم هاشم التماسك ومناظرتها بجدية لكنها لم تستطع فانفجرت ضاحكة تحاول أن تكتم صوت ضحكتها حتى لا يصل للضيفات في الصالة فأصابت صاحبتيها بعدوى الضحك قبل أن تقول بخفوت خجل " الزواج رائع جدا جدا بصراحة (ومررت أنظارها بينهما تقول) أنا سعيدة جدا يا بنات ..لم أتوقع أن أعيش أيام كهذه من السعادة (وازداد خفوت صوتها وهي تضيف) أروع لحظة أمر بها حينما أراني في عينيه أنثى مرغوب فيها .. والله بعد تلك الأيام التي مررت بها مع جابر أنا راضية بكل شيء .. وقانعة بكل شيء يأتي بعد ذلك "

غمغمت بسمة بفرحة كبيرة في قلبها " ما شاء الله أدام الله عليك السعادة يا مشمش"

اختلست مليكة نظرة نحو الباب الداخلي للغرفة ثم قالت بلهجة متهكمة تقلدها بصوت خافت "أشعر بأنه لن يقترب مني أبدا يا بنات "

ردت أم هاشم بنفس الخفوت تجادلها "قلت لكما الرجل أخلاقه عالية ويشفق على فتاة مثلي محرومة من قلة الحياء "
قالتها وقهقهت ضاحكة فناظرتها مليكة بغيظ لتسرع بسمة بالقول "اتركيها لي أنا يا مليكة .. فأنا من سأخنقها وأتخلص منها "
وتركت مقعدها تنقض على أم هاشم تحاول خنقها بينما الأخرى تضحك فقالت مليكة وهي تنظر نحو الباب بتوبيخ "اششش ستفضحانا"
عادت بسمة لمكانها بعد أن عدلت من قميصها الذي ترتديه فوق البنطال الجينز وقالت"
أنقذك مني الضيوف بالداخل (ثم قالت بجدية وبلهجة معتذرة) أشعر بالحرج منهم بصراحة أن حضرت فجأة وأخذتك منهن"
ردت أم هاشم "ليس هناك مشكلة جابر شرح لهن الموقف (ثم نظرت لأكياس الهدايا التي جلبتها معها بسمة ومليكة في أول زيارة لهما

لصاحبتهما بعد زواجها وقالت بلهجة لائمة)
والله يا بنات أنتما تحرجاني بهذه الهدايا لم يكن
هناك داع فخيركما يغرقني والله "
قالت بسمة بمحبة " هذه هدايا بسيطة
فالمنتجع الذي كنا فيه كان السوق فيه محدود
وغالبية المنتجات سياحية (ثم أضافت
مشاكسة وهي تتأمل عباءتها المميزة) ولكن ما
هذه الأناقة يا مشمش من أين حصلت على
هذه العباءة المميزة (وقبل أن تجيبها استدارت
لمليكة تقول بلهجة بائسة) لماذا لم تشتري لي
واحدة مثلها يا ست مليكة "
ابتسمت الأخيرة وردت "شعرت بأن هذا الطراز
يليق بها هي أكثر "
ردت بسمة مشاكسة تقول بلهجة متفاخرة"
كل شيء يليق ببسمة الوديدي حبيبتي "
اتسعت ابتسامة مليكة وهي تتأملها .. تشعر
بأنها قد عادت كما كانت قبل أعوام كثيرة

مضت .. عادت بسمة المنطلقة الطفولية الدافئة .. في الوقت الذي قالت فيه أم هاشم لتناكفها" يبدو أن الوضع مع الرجل الغامض على أعلى مستوى اللهم صل على النبي "
وضعت بسمة يدها على فمها تقلدها مغمغمة " لا تحرجاني يا بنات عيب "
انفجرن ضاحكات ثم أسرعن بكتم ضحكهن بصعوبة لتقول أم هاشم لبسمة بهمس "هل علمت بالمصيبة التي فعلتها في اليوم التالي من زواجي؟"
عقدت بسمة حاجبيها ومررت النظرات بينها وبين مليكة ثم أجابت نافية ..فنظرت أم هاشم لمليكة تسألها" ألم تخبريها ؟"
هزت مليكة رأسها نافية ..لتقول أم هاشم بخفوت" سأحكي لك في الهاتف عن مغامراتي"
لترد بسمة ضاحكة "استرها يا رب"

ناظرتهما مليكة بغبطة وشعرت بالشفقة على مفرح .. فلم تستطع هي اسعاده مثلما تسعد باقي النساء أزواجهن .. ووعدت نفسها أن تحاول أن تتحدث مع الطبيبة النفسية المرة القادمة .. رغم أنها لا تريد والأمر صعب ولا ترغب في استعادته .. لكن يكفي على مفرح هذا الحد من المعاناة ..فلم يهنأ مثل باقي الرجال بزوجاتهن .

خرجت مليكة من شرودها على قول بسمة بخفوت" هل علمتن بأنني قد تلقيت عرضا للعمل بالسينما ؟"

ناظرتها صاحبتيها بعيون متسعة وشهقات خافتة لتقول بسمة ضاحكة بسعادة مشرقة "سأحكي لكما"

قبل أن تسترسل رن هاتفها فأسرعت بالرد" نعم أمي .. أنا منتظرة كامل حتى يأتي ليأخذني لعندك .. (واتسعت عيناها تقول بجزع) ماذا

.. تشاجر مع الدكتور مهاب !!"

xxxx

في المساء

قولي حاجة أي حاجة

قول بحبك قول كرهتك

قول قول

قول وما يهمكش حاجة

قولي عايزك .. قولي بعتك

بس قولي أي حاجة

أي حاجة يا حبيبي

حرك كامل مقلتيه نحو بسمة التي تتطلع في نافذة السيارة بوجه عابس ترفض التحدث معه .. فقد تركت صاحبتيها واستقلت أحد التكاتك لتذهب لبيت والدها حينما علمت بخبر مشاجرته في الوقت الذي كان هو يتلقى توبيخا من مفرح الذي كان يصف ما فعله بالتهور والتسبب في فضيحة لكنه لم يكن مقتنعا بأنه

قد أخطأ .. كان عليه أن يضع حدا لمهاب هذا حتى لا يكررها وأن يوصل رسالة شديدة اللهجة لبدير فلم ينس أبدا تلك اللحظة التي تفاجأ به يدخل فيها البيت المحترق ورأى اللهفة في عينيه ولولا أنه لم يكن في حالة نفسية تسمح لكان ألقى به هو في النار.. وها هي بسمة تخاصمه منذ أن ركبا السيارة ولا تتحدث معه..

مد يده يعلي الصوت أكثر وعبد الحليم مستمر في غنائه

لو في قلبك شكوى مني
اشكي مني لوم عليا
وإن لقيت الحق عندي
اديهولك من عنيا

ادارت بسمة وجهها بحدة ومدت يدها تخفض الصوت فقال كامل بعبوس" لماذا اخفضته؟"
هتفت بعصبية "اسكت يا كامل "

هدر بانفعال " اسكت يا كامل.. اسكت يا كامل .. هل كنت تريدينني أن أمرر الموضوع وأترك له الأمر ليتمادى؟.. هذه المرة أرسل لك رسالة للاطمئنان المرة القادمة سيتصل ليدردش معك .. هل تعتقدين بأني سأقبل بهذه المهزلة ؟"

صرخت باستهجان " بهذه الطريقة يا كامل؟!.. فضحت الأمر بهذه الطريقة وأعطيت الفرصة لمن لا يسوى بأن يتحدث عني "

قال بحدة وحمائية " سأقطع لسان أي شخص قد يتحدث عنك .. أنا قصدت أن أفعل هذا حتى أوصل رسالة للجميع "

ناظرته بغضب تسأله وهي تكتف ذراعيها "هل سنعيش مع غيرتك المبالغ فيها هذه كثيرا ؟"

"أمسك بذقنها يقول بلهجة مغازلة ليهدئ من انفعالها "معذور والله معذور.. فمن يرى هذه الفتنة لابد أن يجن حينما ينظر إليها غيره"

أفلتت ذقنها من بين أصابعه بخشونة وهي تداري ابتسامة تريد البزوغ على وجهها ووجنتين حمراوين وتتطلع في النافذة بجوارها بينما عاد كامل ينظر للطريق قائلا بانتصار "ضحكتِ ..ها قد ضحكتِ معناها تصالحنا"

عادت تنظر إليه وهتفت تحافظ على عبوسها "من قال بأني صالحتك ؟!.. لن أصالحك حتى تعدني أن تتوقف عن غيرتك هذه "

رد بلهجة جدية" هذا الأمر خارج عن إرادتي صدقيني فليس هناك رجل يريد أن يحرق دمه يا باسمة .. وأنا قلت لك من قبل أعرف نفسي جيدا وبأني إن وقعت في الحب ستحرقني الغيرة على من أحب"

تطلعت فيه وقد أحست في صوته بالألم وتذكرت اعترافه الناري لها ليلة الحريق ومشاعره تجاه زوجها السابق ووساوسه التي تعذبه في علاقته معها .. ورغم شعورها بالمرارة

التي ستظل مصاحبة لها لفترة لا يعلمها إلا الله لمشاعره هذه ..لكنها بعدما تأكدت من قوة مشاعره نحوها .. وبعدما وصلت لنقطة الثقة المطلقة فيه وفي حبه ومشاعره ودعمه ..

بدأت ترى الأمور من وجهة نظر إضافية ..وجهة نظره هو .. وشعرت بالألم والتعاطف معه رغم رغبتها في أن تحطم رأسه .. لكن أي شعور بالانتقاص لم يعد موجودا .. فقد استطاع هو أن يثبت لها في أيام قليلة وبيراهين لا تحمل معها الشك أنه يحبها ولا يراها ناقصة وبأن عذابه ينبع من غيرته الشديدة عليها فقررت بينها وبين نفسها أن تتحمل غيرته هذه مهما كانت خانقة ومعصبة فكامل يستحق منها ذلك بعد كل ما قدمه لها .

مد كامل يده وعلا صوت الأغنية من جديد وأخذ يغني مع عبد الحليم وهو يمرر نظراته بينها وبين الطريق .

كل كلمة كل همسة
روحي دايما شايلهالك
كل دمعة كل فرحة
أجري دايما وأحكيهالك

كان يبدو وسيما وخفيف الظل .. ومختلفا عن كامل المتعجرف البارد الذي قابلته قبل عدة شهور .. هي أيضا اختلفت .. تشعر بأنها تحررت من شرنقة سُجنت فيها وقتا طويلا ثم خرجت منها بسمة أخرى .. بسمة مختلفة عن تلك التي كانت قبل سنوات ..

غريبة هي الحياة .. كيف تغير قناعتنا لأمور كنا نراها دربا من المستحيل .. وكيف تقذف بنا من جهة لجهة أخرى .. وتبدل أحوالنا من حال إلى حال أخر.

تحكمت في ابتسامة حانية مصرة على احتلال شفتيها وهي تشاهد لحظة من لحظات تخليه عن قشرته الباردة وقالت بمناكفة "لا تتوقع

بأننا قد تصالحنا .. فاليوم ستبيت في غرفة الألعاب عقابا لك على تهورك "

عبس وجهه وقال بلهجة استنكارية "نعم ماذا قلت؟!!"

بتدلل أنثوي رفعت ذقنها الجميل وقالت بكبرياء "ما سمعته"

هتف وهو يوزع نظراته بينها وبين الطريق "اسمعي يا باشمهندسة .. أيام الدلال وصبري عليك انتهت.. ومن الآن فصاعدا مهما كنا متخاصمين لن يبيت أحد منا بعيدا عن الأخر"

عقدت حاجبيها الجميلين تناظره بعبوس فأضاف بعد أن تطلع في الطريق ثم عاد إليها" والموضوع الخاص ليس له أي علاقة إن كنا متخاصمين أم متصالحين"

تخصرت بسمة وهتفت باستهجان "نعم .. ماذا قلت؟!!"

xxxx

في نفس الوقت كان الشرر يتطاير من عيني بدير الذي قال في الهاتف بلهجة خطرة "يهددني بالقتل! .. أنا بدير العسال يهددني بالقتل! "

قال بسطاويسي على الناحية الأخرى بملل "هو لم يذكرك بالاسم يا بدير لكن أهل البلدة هم من يقولون بأنه يقصدك (وأضاف بلهجة موبخة) وهذا بالطبع لأنهم لم ينسوا بعد ما حدث من سيادة العاشق قبل أسبوع "

تجاهل بدير لهجته الموبخة وشعوره بالضيق مما يصله من همس أهل البلدة رغم أنه حاول التبرير أكثر من مرة بأن ما فعله هو شهامة منه وقال لابن عمه" أنا أعرف بأنه يرسل لي هذه الرسالة .. هل يتوقع بأني سأخاف؟.. أنا سأريه ما هو ثمن الوقوف في وجه بدير العسال وتحديه "

سأله بسطاويسي بقلق " علامَ تنوي يا مجنون؟"

غمغم بدير بضيق " فيما بعد .. أنا لا أنسى أبدا .. لكني أصبر .. أصبر حتى تحين اللحظة المناسبة للانتقام .. ووقتها سيندم على تحدي بدير العسال "

زفر ابن عمه ثم سأله بملل "هل فعلت شيئا في الموضوع الذي فاتحتك فيه؟"

هتف الأخر بغيظ " ماذا سأفعل يا بسطاويسي بالله عليك .. لم تنتهي عدتها بعد يا أخي .. أصبر"

تنحنح بسطاويسي وقال شاعرا بالحرج "أنا أعرف .. كنت أقول أن نحصل على موافقتها المبدئية ..عموما لا بأس"

دخل عماد الغرفة على بدير يناظره بنظرة أحس الأخير منها بأنه كان يتنصت عليه فقال لابن عمه "اذهب الآن وسنتحدث فيما بعد " أغلق الخط وقال لعماد بوجوم" ألن تكف عن التلصص"

قال عماد ببراءة مزيفة "سامحك الله أنا أتلصص !"

ناظره بدير بريبة وهو يخمن ما سيطلبه في الوقت الذي قال فيه عماد "أريد أي نقود ..لقد خسرت في البورصة اليوم وأريد أن أعوض خسارتي"

قال بدير بحنق" قلت لك مليون مرة المضاربة في البورصة غير مضمونة ها أنت قد خسرت مبلغا كبيرا"

قال عماد بإصرار "أريد نقودا لتعويضها"

رد بدير ببرود وهو يضع الهاتف في جلبابه " أسف لقد حصلت على نصيبك من أرباح الزراعة هذا الشهر"

قال عماد بحدة "أريد سلفة من الشهر القادم"

تحرك يهم بترك الغرفة قائلا " لم يأت الشهر القادم ولم نبع أي شيء منه بعد لنحصل على النقود"

تطلع عماد في ظهره هاتفا "اعطني من أموالك
من تلك التجارة التي أنا وأنت نعلمها"
رد الأخر " لا أملك سيولة حاليا"
قال عماد باستنكار " أتدير ظهرك لي يا بدير!"
رد بدير وقد وصل لباب الغرفة " حتى تتعلم
من أخطائك وتكف عن المضاربة في البورصة
وخسارة أموالك "
صرخ عماد " بدير أنا أحتاج للمال"
ألقى بدير برأسه للخلف بصمت في وقفته عند
الباب ثم قال بعد برهة دون أن يلتفت إليه "لا
بأس ولكن ستكتب لي إيصالات أمانة"
عقد عماد حاجبيه وهتف باستنكار " ستأخذ
على أخيك إيصالات أمانة!!"
أدار له وجهه يقول من فوق كتفه " لا تؤاخذني
فالإنسان منا لا يعرف الموت من الحياة ..إن
وافقت أخبرني حتى أجهز لك الإيصالات
والنقود "

قالها وتحرك مغادرا بينما جز عماد على ضروسه ثم ألقى بسبة من بين أسنانه يشتمه.

xxxx

كان يتملكها الخجل الشديد وهي تخرج من الحمام بقميص نوم قصير إلى منتصف فخذيها من الحرير باللون البيج مطبوع عليه وردات حمراء .. كان بحمالات رفيعة حمراء مكشكش من على الجذع بخصر مرتفع.

خلعت خف الحمام المبلل وخطت حافية القدمين على سجاد الغرفة بعد أن اغتسلت لكنها حافظت على شعرها المفرود جافا لليلة أخرى قبل أن تغسله ويعود لتجعيده .

رفع جابر عينيه عن المصحف وهو يمد يده بالريموت بطريقة آلية ليغلق مكيف الهواء حينما شعر بخروجها من الحمام خوفا عليها من أن تمرض لكنه بمجرد أن أغلقه ووقعت عيناه عليها تجمد في جلسته وارتسمت

ابتسامة من نوع خاص على وجهه ثم سحب عينيه بصعوبة عنها وحاول التركيز فيما يقرأ.
لقد توقع بأنها مجهدة بعد إجهاد أمس واليوم في التحضير للمأدبة لذا قرر أن يتحكم في لهفته عليها كرجل ويتركها لتنام الليلة لكنه لم يكن يعلم بأنها ترغب في شيء أخر والحقيقة أن تلك الرغبة تسعده بشدة .. هي بكليتها قادرة على أن تسعده وتؤلمه بسهولة ودون افتعال ..
حين وقفت أم هاشم أمام المرآة توليه ظهرها رفع عينيه مجددا فوجد أن القميص عاري من عند الظهر إلا من أربطة رفيعة باللون الأحمر مربوطة عكس بعضها كرباط الحذاء تنعكس سمرتها اللامعة منه .. هذا قبل أن تفرد شعرها الذي يصل إلى منتصف ظهرها فيغطيه.. بينما ساقاها المنحوتتان بدقة مزينتان بالحناء ..
فأطرق جابر يحاول أن ينتهي من القراءة أولا ويعطيها الفرصة لأن تستعد كما تريد.

أما هي فكانت تختلس له النظر في المرآة وقلبها يدق بشدة .. لن تكذب على نفسها ولن تنكر .. إنها تريده .. وتريد تلك اللحظات التي يشعرها فيها بأنها أنثى .. تحب أن ترى انعكاس صورتها في عينيه مؤطرة بإطار من الرغبة المشتعلة .. وتنوي ألا تمرر أية لحظة معه إلا وهي مستمتعة برفقته تنهل من حنانه ودلاله وانسانيته ومن رجولته الطاغية .. لذا ارتدت هذا القميص الذي تمنت منذ أن اشترته أن ترتديه أمامه مشجعة نفسها بذلك القدر الهين من الثقة في أنوثتها الذي بثه فيها الأيام الماضية.. رغم ذلك الخوف من الرفض الذي لا يزال يسكن كالفزاعة بداخلها.

أخذت تدهن ساعديها بكريم ذي رائحة فواحة فصدق جابر وأغلق المصحف بعد أن أيقن بأنه قد فقد تركيزه واستقام واقفا يترك مقعده ويقترب منها أمام المرآة.. ثم قال وهو يقف

بجوارها بمنامته الصيفية الجديدة ككل شيء فيه "ظننتك مجهدة و ستنامين بسرعة" اسبلت أهدابها وقالت بصوت خافت دون أن تنظر إليه وهي مستمرة في دهن الكريم على يديها" سأنام بالتأكيد .. هل من المعقول أن أبقى مستيقظة.. لكني كنت اغتسل قبل النوم " ابتسم وهو يبعد شعرها ليضعه على كتفها ثم تحسس بكفه ظهرها قائلا بمداعبة حانية" هل أخبرتك بأن الطعام اليوم كان أحلى طعام أكلته في حياتي؟"

ابقت على أنظارها مسبلة وحافظت على تنفسها طبيعيا ثم هزت رأسها نافية .. فعقد حاجبيه وسألها بشك "هل أنت متأكدة أني لم أخبرك بذلك ؟"

تلاعبت ابتسامة شقية على شفتيها المحرضتين على انفلات أعصابه وهزت رأسها مؤكدة.. ففرد ذراعه خلف ظهرها ليدنيها منه

ثم قال بلهجة حانية وكفه يتحرك بخفة على ذراعها" أنت تحبين الاطراء إذن.. وتريدين مني أن أعيدها على مسامعك "

أفلتت منها ضحكة فأشاحت بوجهها بعيدا عنه فضحك جابر بدوره ثم قال لها وهو يتأمل قدها في القميص الحرير" ستنامين بهذا الشكل؟"

غمغمت بلهجتها الساخرة" كل واحد ينام بالهيئة التي تعجبه يا جابر"

ضحك مرة أخرى وتحرك يحيط ذراعيه حول خصرها ويحتضنها من الخلف ثم مال ليطبع قبلة على كتفها الناعم فدغدغ دفئه مشاعرها قبل أن تسمعه يقول بجوار أذنها وهو يناظرها في المرآة "لا يوجد نوم الآن فقد سبق السيف العذل "

تراقص قلبها في صدرها وهي تشعر بيده تتجول على قدها بمغازلة حسية تفعل فيها الأفاعيل

قبل أن يرفع اصابعه ليسحب وجهها ناحيته قائلا "أتعلمين ما هو السيف الذي سبق العذل؟"

هزت رأسها نافية وهي تغوص في عينيه وحضنه بوقفة جانبيه فهمس أمام شفتيها " السيف هو قدك النحيف هذا .. لامع .. قاطع .. حاد .. فيغري العين ويقطع الأمور من عقالها فلا أستطيع أمامه التحكم في نفسي و.. يذبح .. يذبحني ويهدر دمي يا بنت الشيخ "

عبارته الأخيرة قبضت قلبها فاستدارت بكليتها تحيط ذراعيها بعنقه وعانقته قائلة بلهفة" بعيد الشر عنك من الذبح والدماء .. (وهمست بتوسل رقيق) أرجوك لا تقول هذا الكلام مرة أخرى"

حضنها مستمتعا بدفئها ثم أبعد وجهها عن كتفه وحضن صدغها بكفه ينوي أن يتمتع ببعض الدفء المشع من عينيها لكن شفتيها

الماكرتان أفلتتا زمام صبره فمال يطبق عليهما بلهفة .
استسلمت أم هاشم لقبلته باشتياق وحرمان..
تلك القبلة التي تدخلها في عالم موازي لا تفكر إلا فيه ولا تتنفس إلا به.
حين اطلق جابر سراح شفتيها ابتعد قليلا يتطلع في تفاصيل القميص ثم قال بلهجة آمرة " لا ترتدي الأسود بعد اليوم فالألوان تليق بك "

ردت بلهجة ساخرة " تقصد تبرز السواد"
رفع حاجبه يقارعها " بل تميزه وتوضح كم هو مختلف ..كما أنك لست بسوداء رغم أنها كلها خلقة الله ..أنت سمراء وسمرتك محببة حلوة ومسكرة كالخمر(ورفع عينيه عنها مفكرا) إن أردتُ أن أشبهك بشيء ماذا أقول؟"
اسرعت بالقول "الباذنجان "
عقد حاجبيه وسألها بتشوش "ما به؟"

أجابت بابتسامة شقية " أنا أشبه الباذنجان"
هتف باستنكار " نعم ؟!!"
ثم تطلع فيها لبرهة عاقدا حاجبيه قبل أن ينفجر ضاحكا فشاركته الضحك ليقول بعد قليل وهو ينظر في عينيها مليا "رغم أني لا اجد اتفاقا في اللون بينك وبين الباذنجان فهذا أسود وأنت سمراء كالشكولاتة الفاتحة المخلوطة بالحليب"
قالها ببطء يضغط على الحروف فتأملت العبارة ببطء من بين شفتيه ليضيف جابر بعدها "لكني سأتجاوز عن اللون وأقول ملساء ناعمة كالحرير مثله .. قشرة داكنة تخفي لُبا ناصع البياض .. أنا كنت أحب الباذنجان أما الآن أحببته بشدة فهو مشبع ولذيذ "
كان أمام عينيها بكل ما فيه يعزف على أوتار قلبها فيدغدغها فعادت لتعانقه مرة أخرى

وتقول وهي ترفرف فوق السحاب "ألم أقل لك بأن كلامك حلو !"
تحسست يديه ظهرها برغبة قوية في الوصال وشفتاه تطبعان قبلات على عنقها ثم أبعد وجهها وقال "الحلو لا يخرج إلا للحلو "
قالها وعاد يطبق على شفتيها الشهيتين من جديد فاستسلمت لقبلاته ولشقاوته قبل أن يحملها جابر فوق ذراعيه فتعيش تلك اللحظة التي تشعر فيها بأنها لا تزن إلا وزن ريشة على الأرض ليرقدها على السرير ثم يخيم فوقها كخيمة مشتعلة يدلل تفاصيلها بشفتيه ويديه.
أما هي فكعادتها في تلك اللحظات بينهما أخذت تتأمل ملامحه عن قرب كلما حانت لها الفرصة ممسكة على رغبات بداخلها لأن تكون فاعلا مشاركا وليس مفعولا به فقط ..
وكأن جابر يقرأ أفكارها حين رفع رأسه بعد قليل يتطلع في عينيها قائلا بأنفاس ثقيلة "لماذا

أشعر بأنك لا زلت متحفظة خائفة رغم شعوري بأنك لست من هذا النوع؟"
سألته ببراءة" ماذا تعني .. هل .. أفعل شيئا خاطئا؟.. (وتضخمت عقدت النقص عندها لتضيف بلهجة متألمة) أنا لا أعرف ما الذي يرضيك ربما لو شرحت..."
أطبق على شفتيها يخرس هذرها بقبلة أخرى ثم افلتهما يقول بأنفاس متسارعة وعيناه تتجولان على صفحة وجهها حلو القسمات"
أنت أنثى رائعة يا أم هاشم (ومال يهمس في أذنها) وساخنة جدا (ثم عاد يتطلع في عينيها مضيفا) لكني أشعر بأنك امرأة معطاءة في هذا الجانب ومتطلبة أيضا لكنك متحفظة وتحاولين الالتزام بحدود معينة ..بينما لغة جسدك تخبرني بكل شيء"

رفعت أصابعها تتحسس لحيته التي خالطها الشيب مبكرا وقالت مفسرة "أنا أحب كل ما تمنحه لي .. فهو جميل ومبهر جدا"

قرب وجهه من وجهها يقول أمام عينيها بصوت متهدج من عاطفة فياضة ما عاد يعرف لها أولا من آخر "لكنك ترغبين في المزيد طلبا ومنحا "

أخذت أنفاسه العطرة إلى صدرها وهي ترد هامسة " ربما لا أريد أن أزعجك بهذا (المزيد).. أنا يكفيني فقط لمحة رضا وكفاية في عينيك في كل مرة نلتقي فيها ..(وأضافت بلهجة دغدغت قلبه من صدقها) أريدك سعيدا يا جابر ربما لن أكون كالأخريات لكن يكفيني أن أحقق لك قدرا بسيطا من الرضا والاكتفاء "

رفع رأسه عنها يتأملها من علو ..

لماذا تؤلم قلبه بكلماتها .. لماذا ؟..

أهو ما تعرضت له من انتقاص وتنمر ؟..أم تأخرها في الزواج؟ ..أم أن هناك شيئا أخر يجهله؟ ..

قال بلهجة حارة الانفاس" كوني معي على سجيتك ولا تتحفظي ..فأنا لست ذلك الرجل الذي ينكر على زوجته التعبير عن مشاعرها ورغباتها"

تطلعت في عينيه تسأله بتردد "حتى لو كنت طامعة ؟"

رد ببساطة انفجر بسببها قلبها "من طمع فيما يملك فما ظلم "

عبارته أفقدتها عقلها .. وشجعتها على القفز فوق الحواجز بجسارة فرفعت رأسها وهي لا تزال تتحسس لحيته وأطبقت على شفتيه بعنفوان وتملك تعلن عن نفسها .. عن مطالبها .. عن رغباتها .. عن حقها المسلوب .. فيه .

جنت جنون مشاعره بما فعلت فطوقها جابر بذراعيه بقوة وهو يبادلها قبلة بأخرى أكثر جموحا أضحى بعدها التريث بينهما ضربا من الخيال ..والصبر نوعا من الجنون ..واللهفة كالنار تأكل الأعصاب أكلا .. فكان اللقاء بينهما أكثر تأججا وحميمية وافتتانا ..

لقاء كطوفان هادر سيستكين بعده كل شيء منعما بالهدوء والدفء والشعور بالشبع .. لقاء .. سينتهي كالعادة بقبلة على موضع القلب .

xxxx

بعد عدة أيام

في منتصف الليل

كان مفرح لا يزال يسب ويلعن ويشتم كحاله طوال طريق العودة للقرية .. لقد اكتشف بأنه أضاع هاتفه بمجرد وصوله للعاصمة .. ولا يعرف أين بالضبط ..

هل أضاعه في الاستراحة التي مر عليها في طريق الذهاب ليبتاع كوبا من الشاي ويدخل الحمام؟.. أم أضاعه في السوبر ماركت الكبير الذي مر عليه قبل صعوده لمنزله في العاصمة ليبتاع بعض المشتريات المطلوبة للمبيت؟ .. كل ما يعلمه أنه قد اكتشف قبل صعوده للشقة بأنه لا يملك هاتفه .. بحث في المشتريات في المقعد الخلفي للسيارة وقلب في سيارته وجيوبه وعاد يسأل في السوبر ماركت ولم يعثر عليه وكلما اتصل به من هواتف عامة يجده مغلقا ..

المشكلة أن رقم المستورد الأجنبي الذي كان سيقابله صباح الغد مسجل على الهاتف والوقت قد تأخر به وهو يبحث عن هاتفه فلم يستطع أن يستعيد خطه فلن يجد أيا من منافذ بيع خطوط الهاتف تعمل في طريق عودته وفكر في أنه وحتى لو استعاده لن يجد عليه

الارقام المسجلة فلابد من أن تستعيدها له مليكة عبر الانترنت فهي الأكثر علما منه في تلك الأمور .. المشكلة الأكبر أنه يخشى ألا تكون قد قامت بتحديث لرفع جهات اتصاله على الانترنت صباح اليوم كعادتها معه قبل أن يغادر للعاصمة .

زفر في حنق وهو يقترب من مدخل البلدة شاعرا بالغيظ من أن مليكة والولدين لا يبيتون في البيت الليلة بل في سرايا الصوالحة وقد تأخر الوقت وليس أمامه إلا أن يقضي الليلة في بيت العمدة ثم يستيقظ مبكرا ليذهب لمليكة ويستعير خط أحد الولدين بشكل مؤقت ويطلب منها أن تستعيد من حسابه على الانترنت أرقامه حتى يتصل بذلك المستورد ويطلب تأخير الموعد لبضع ساعات .. وشرد قليلا فيما ستفعله مليكة فيه فهرش في مؤخرة

عنقه قائلا من بين أسنانه" ستقتلني مليكة هذه المرة ..يا منجي من المهالك يا رب "

xxxx

في وسط الحقول ..حيث الليل يتشح بملابس الحداد .. تحرك الملثم فوق دراجته بسرعة رتيبة هادئة يقطع ممرات الحقول نحو وجهة معينة على أطراف البلدة .. فلمحه من بعيد رجل عجوز كان قد أخذ على عاتقه كبعض الأفراد مؤخرا حراسة حقله الصغير بالتناوب مع ولديه خوفا من ذلك الملثم ..

فبعد ما حدث في حريق بيت الجد صالح وتداول الشائعات عن أن أصابع الاتهام تشير لهذا الملثم معتبرين ما حدث للبيت تحذيرا منه لتصعيد مستوى الحرائق بدأ الخوف يزداد وأصاب أهالي البلدة نوعا من التحفز والاستنفار ..حتى العمدة أوصى أهل البلد أن يبلغوا عن أي شخص مشكوك في أمره فورا .

لهذا حين لمحه العجوز من بعيد ضيق عينيه ليتأكد مما يراه تحت الأضواء الخافتة ثم قفز من جلسته أمام كومة من النار بجوار حقله تاركا (الجوزة)* التي كان يدخنها وتسارعت أنفاسه هاتفا " هو ..هو الملثم "

شمر جلبابه يهم بالجري خلفه لكنه تراجع بتوجس خاصة وأنه بعيد جدا وبالتأكيد لن يسمح له سنه بالعدو كل هذه المسافة فشعر بالارتباك وأخذ ينظر حوله لا يعرف ماذا يفعل قبل أن يسرع بإخراج هاتفه من جيب جلبابه ويبحث عن رقم معين ثم يهتف بأنفاس متسارعة " ألو .. حاج عويس .. معك الحاج مندور أبو صبيح "

xxxx

قال مصطفى الزيني بلهجة ساخرة لجابر الجالس أمامه على الأريكة " اشتقنا لك والله يا

---

* أرجيلة (شيشة) صغيرة الحجم

جابر .. فلا أصدق بأنك تسهر معي اليوم حتى منتصف الليل"
تراقصت ابتسامة على شفتي جابر وقال وهو يضرب كفا بكف "ألن ننتهي من لهجتك المتهكمة هذه؟.. تشعرني بأني انقطعت عنك بعد زواجي وهذا غير صحيح ألم أكن أتصل بك وأراك في صلاة الجمعة وفي بعض اللقاءات السريعة"
استمر مصطفى في مناكفته فقال " أنت قلتها لقاءات سريعة .. لم نحظ منذ زواجك بهذه السهرة (ونظر في ساعته يقول بلهجة تمثيلية جزعة) يا إلهي لقد تجاوزت الساعة منتصف الليل وأنت أصبحت تدخل بيتك كالدجاج من المغرب ولا تخرج منه إلا صباح اليوم التالي"
اتسعت ابتسامة جابر وغمغم بحرج "يبدو أنني لن اتخلص من تهكمك هذه الليلة"

ابتسم مصطفى واعتدل في جلسته المستريحة في مقعده الوثير يشعر بالفرح لتلك السعادة التي تشع من عيني صاحبه .. بل يشعر به مختلفا .. أخف روحا .. وأصغر سنا فقال بلهجة متهكمة" لا إطلاقا أنا فقط أعبر عن سعادتي أنك لا زلت تذكرني وتذكر جلساتنا حتى بعد أن تزوجت وعدت شابا ما شاء الله لا قوة إلا بالله (وأضاف بلهجة ماكرة) لا أقصد طبعا بأنك كنت عجوزا"

تراقصت الابتسامة مجددا على شفتي جابر وغمغم بلهجة راضية "الحمد لله رب العالمين"

تنحنح حمزة في الدخول وسلم على جابر الذي رحب به بمحبة قبل أن ينتحي بوالده على باب الغرفة ليهمس له بشيء في الوقت الذي فتح جابر هاتفه ليتأكد من أن أم هاشم قد استلمت الرسالة التي أرسلها لها قبل ساعتين بأنه سيبقى

قليلا مع مصطفى وعليها أن تنام إن أرادت فوجدها قد ردت عليه قائلة (بل سأنتظرك أنا أشاهد التلفاز مع خالتي فهي لم تنم بعد).
ابتسم وهم بإعادة الهاتف لمكانه لكنه لمح رسالة من ميس قد أرسلتها له على الواتساب قبل ساعتين ولم يفتحها فضغط عليها واتسعت عيناه حينما وجدها قد ارسلت له صورة لها تقول (أحببت أن أرسل لك صورتي بالفستان الذي اشتريته لي) ..
كانت ميس في الصورة تقف أمام المرآة فيظهر انعكاس شكلها فيه بينما انعكاسا أكبر يحتل غالبية مساحة الصورة بالمقارنة بمساحة صورة ابنته لكاميليا ترتدي فيها قميص بيتي بحمالات ويبدو جسدها الأبيض المكتنز ظاهرا فيه بينما شعرها المصبوغ بالأصفر ترفعه بعقدة فوق رأسها وشفتاها مطليتان بلون فاقع هي من تمسك بالهاتف وتصور ميس.. فشعر

جابر بالانزعاج وأسرع بمسح الصورة وهو يفترض حسن النية وأن أمها لم تكن تعرف بأنها قد أرسلت صورة كهذه .. لكن عقله أخذ يقارعه بأن كاميليا هي من التقطت لها الصورة بالإضافة لأن وضعية الصورة غريبة .. لماذا تصورها عبر المرآة؟.. و لماذا لم تصور صورة عادية للبنت؟ .. بالتأكيد تقصد ارسال الصورة بهذه الطريقة ..

شعر جابر بالاشمئزاز وعدم الفهم وهو يعيد وضع الهاتف أمامه على الطاولة بينما قال مصطفى متهكما وهو يعود لمكانه" ماذا؟.. هل انتهى الوقت المسموح لك به في التأخير؟"

عاد جابر للابتسام ليقول مصطفى بابتسامة هادئة" كان حمزة يطمئنني على تحاليل أمه"

سأله جابر بقلق "أهي بخير؟"

هز مصطفى رأسه وأجاب " الحمد لله التحاليل كلها بخير"

قال جابر مبتسما " أنت هو القلِق يا مصطفى"
رد الأخر معترفا " هذا حقيقي ..أتمنى أن تنتهي فترة الحمل على خير"
قال جابر مشجعا " إن شاء الله لا تقلق"
غمغم مصطفى بلهجة ذات مغزى " والعقبى لك يا عريس"
ابتسم جابر ثم قال بعد برهة" أريدك أن تضيف لذلك المبلغ الشهري الذي تعطيه لذلك الولد عصفور المبلغ الذي أخبرتك به بدون أن تخبره عني فيعلم الله أني سأفعل ذلك فقط من أجل والده المريض وأنه لولا ما اقترفه من أخطاء في المحل والدلائل التي تشير لتورط أمه فيما حدث لي ليلة زواجي لأبقيت عليه يعمل عندي لكني لا أسمح بالخطأ مرتين وهو شاب غير أمين"
سأله مصطفى عاقدا حاجبيه " هل طردته كما كنت تنوي؟"

هز جابر رأسه وقال بوجوم " أجل فأخطائه كثرت وأخرها كان أنه يؤخر ارسال الطلبات للزبائن متحججا بضغط العمل حتى يحصل على إكرامية إضافية لسعيه في الإسراع بتسليم البضاعة"

هز مصطفى رأسه باستهجان ثم قال "لا تقلق سأضيف المبلغ الخاص بك على الشهرية كما اتفقنا من قبل وليجعله الله في ميزان حسناتنا "

غمغم جابر "اللهم أمين"

××××

في نفس الوقت في البيت الملاصق كان العمدة يتفتت من الغيظ بسبب محاولته للاتصال بمفرح رغم أنه يعلم بأنه يبيت في العاصمة الليلة لكن هاتف الأخير كان مغلقا بينما وقف أمامه عويس شيخ الغفر ينتظر تعليماته بعدما هرع إليه منذ قليل ليخبره بذلك الاتصال الذي تلقاه من الحاج مندور.

ورغم أن العمدة كان يعلم بأن مفرح بعيد المسافة لكنه أراد أن يخبره بما حدث ويستشيره فيما سيفعل وحين لم يرد قال لشيخ الغفر " هل استدعيت كل الغفراء عندنا؟ "
قال عويس مؤكدا "بالطبع .. ولابد أنهم قد انضموا لمن كان عليه الدور في وردية الليلة وينتظرون من عمدتنا التعليمات في الخارج "
تكلم العمدة آمرا "أسرع إذن بمن هو موجود حاليا إلى تلك المنطقة التي قال عنها مندور وليلحق بك الباقين .. مشطوا المنطقة لا أريده أن يفلت منكم .. واحذروا أن يكون خطيرا أو مسلحا هيا لا نريده أن يفر هذه المرة "
أسرع عويس بالقول "أوامرك حضرة العمدة"
بعد دقائق اقترب مفرح من بيت العمدة ولاحظ استنفارا من الغفر أمام بوابة البيت فأوقف السيارة في الشارع وترجل منها بنظرات متسائلة في الوقت الذي هرول عويس إليه

يقول بحماس "جئت في وقتك يا باشمهندس مفرح لقد كان العمدة يحاول الاتصال بك"
سأله بحاجبين معقودين " ماذا حدث؟"
هتف عويس بحماس لاهثا " الرجل الملثم ظهر الليلة فقد أخبرني واحد من أهل البلدة منذ قليل "
قال مفرح باهتمام " هل أنت متأكد أنه هو؟"
أجاب عويس بسرعة " لا أعرف .. إن الرجل يقول بأنه شاهد شخصا يشبهه في الحقول لكنه لم يحرق شيئا بعد .. فطلب منا العمدة أن نمشط المكان لنمسك به متلبسا بالجرم المشهود "
رد عليه مفرح متهكما "الرجل اخبرك وأنت أخبرت العمدة وتقف تتلكأ هنا.. وتنتظر بعد ذلك أن تمسك بالرجل بالجرم المشهود !!"
قال عويس مدافعا "كنت أنتظر باقي الغفر فلا نعرف مدى خطورته "

خرج مصطفى الزيني يودع جابر ووقف يثرثر معه حينما لمح وقوف مفرح مع الغفر فحياه متفحصا بعينين متسائلتين ليقترب مفرح منه ويقول لمصطفى حتى قبل أن يحيي جابر "يقولون بأن هناك مكالمة بشأن العثور على الملثم (ونظر في ساعته قائلا) ولا أعلم إن كان لا يزال موجودا أم لا.. فبحسب حديث شيخ الغفر مرت نصف ساعة لكن لم تأتنا أي بلاغات عن حرائق حتى الآن .."

عقد مصطفى حاجبيه بينما تطلع جابر فيهما باهتمام ليتحرك مفرح خطوتين نحو سيارته ويفتح بابها فيخرج منه مسدسه ويعود لمصطفى قائلا وهو يربط حزام المسدس ويضعه فيه" أنا أرى أنه لا داعي لإخافة الأهالي وسأخذ أنا عويس فقط ولنبحث عنه"

قال مصطفى وقد لاح الاهتمام والتفكير على وجهه" أتفق معك فلا داعي لإثارة الخوف

والبلبلة بين الأهالي باستنفار الغفر .. كما أن الناس إن أمسكوا به قبلنا سيفتكون به (وعدل من عباءته مضيفا) اسمع أنا آت معك (ونظر لجابر قائلا) لا تؤاخذني يا جابر"
قال الأخير بلهجة جادة عازمة " وأنا أيضا سأذهب معكما .. أعتقد أن ثلاثتنا كافين لاحتواء الأمر خاصة وأن الشائعات تخمن بأنه زهير عبد النبي فلا داعي لأن يتدخل الأهالي ويؤذوه بسبب غضبهم من الحرائق"
قال مفرح بسرعة وهو يتحرك نحو سيارته "عويس اخبر الغفر بأن يبقوا مكانهم لحين اعطائهم الأوامر وتعال أنت معي في السيارة" قالها وتوجه ليركب سيارته بينما أسرع مصطفى بركوب سيارته هو الأخر ومعه جابر دبور وانطلقت السيارتان نحو منطقة الحقول المظلمة على الأطراف الشمالية في البلدة

بعد دقائق خرج العمدة يهدر في الغفر قائلا "لماذا لا زلتم هنا وأين عويس ؟"
رد أحدهم بارتباك" لقد طلب الباشمهندس مفرح من عويس أن يذهب معه للامساك بالملثم على أن نبقى نحن هنا استعدادا لأي أوامر "
عقد العمدة حاجبيه وغمغم بتفاجؤ "مفرح عاد؟"
رد الغفير " أجل عاد وذهب بنفسه مع عويس بينما ذهب خلفه الحاج مصطفى وجابر دبور في سيارة أخرى "
غمغم العمدة في سره بغيظ " مصطفى الزيني كالعادة يحشر نفسه في كل شيء .. وبالطبع إن أمسكوا به يريد أن يظهر في الصورة مع مفرح .. لا وألف لا لن أسمح له .. (وقال بصوت آمر) تحرك يا غفير أنت وهو فورا وابحثوا عن الملثم هيا "

اسرع الغفر بالحركة بينما قال العمدة متوعدا" لن أسمح لك يا مصطفى بسرقة المشهد من ولدي .. لابد أن يعرف أهل البلدة بأن لهم عمدة يحفظ الأمن والأمان"

xxxx

في تلك الأثناء لم يهدأ الحاج مندور رغم أنه قد ابلغ عويس شيخ الغفر لكنه لم يهدأ أبدا.. بل أخذ ولديه وعاد لمنطقة الحقول يبحث تحت الأضواء الخافتة عن ذلك الملثم ذو الدراجة فقال له أحد أولاده بملل"يا أبي ألم تبلغ شيخ الغفر ؟..لمَ علينا البحث بأنفسنا ؟"

قال ابنه الأخر بقلق "ماذا لو كان مسلحا؟"

أشار لهما مندور بالمنجل في يده قائلا بتصميم "لنمسك به أولا وسأقطعه بنفسي"

نظر ولداه لبعضهما ليقول الأول" ماذا لو كان معه سلاحا ناريا يا أبي هل ترضى بأن يتيتم أحفادك؟ "

قال مندور بعناد "سنجده ثم نراقبه من بعيد حتى يأتي الغفر (وأخرج هاتفه من جيب جلبابه الداخلي يقول) سأتصل بعمك الحاج بسيوني ليخبر الجميع ليحضروا معنا"

بعد قليل كان بعض الرجال قد تجمعوا للبحث بين الحقول المترامية الأطراف .. وقد تعذرت الرؤية الواضحة بسبب خفوت الضوء إلا من بعض الأنوار الآتية من بعيد.. فدقق أحدهم على الناحية الأخرى من الترعة ليجد خيالا يسير في الظلام وسط الحقول ويبدو من بعيد أنه يركب دراجة فصاح يقول للرجال" ها هو الملثم"

استدار الحاج مندور قائلا بحماس " إنه في نفس الطريق الذي رأيته فيه .. يبدو أنه قد ذهب لمكان ما وعاد.. أمسكوا به "

قال أخر" أقطع ذراعي إن لم يكن زهير.. "

كانت صيحات الرجال عالية لكنهم كانوا يبعدون عن هذا الملثم بمسافة كبيرة جدا ويفصله عنهم الترعة وبعض الحقول فحاول بعضهم اختصار الطريق عن طريق اختراق الترعة لكنهم تراجعوا بسبب زيادة منسوبها فأسرعوا للبحث عن أقرب جسر للناحية الأخرى .

صيحاتهم العالية أخرجت الملثم من سباته فزاد من سرعة دراجته بشكل واضح مما جن جنونهم وهو يبتعد في ممر بين الحقول بدلا من الطريق الموازي للترعة لكنهم ظلوا يصيحون ويلقون بالسباب وعبارات التهديد والوعيد بينما أطلق أحدهم طلقة مدوية في اتجاهه .

خلع صوت الطلقة قلب الملثم من الفزع واسقطه على الأرض من فوق الدراجة لكنه أسرع بالاستقامة مرتعبا وتركها مطلقا ساقيه

للريح .. في الوقت الذي أسرع الرجال على الناحية الثانية بمنع صاحب البندقية من اطلاق المزيد من الطلقات وقال أحدهم "حرام عليك ستقتل الرجل "

قال صاحب البندقية بحدة " وحلال له حرق حقولنا!!"

قال مندور وهو يشعر بالزعامة "الرجل كان يسبب حرائق صغيرة .. وإن كان هو زهير بالفعل علينا أن نمسك به حيا ونسلمه للعمدة ليقرر مصيره ..بدلا من أن نحمل ذنب أولاده المساكين يكفيه ما حدث له من بدير "

صرخ أحدهم يتقدمهم بمسافة نحو أقرب جسر "هل ستثرثرون وتتركون الرجل لقد هرب واختفى من أمامنا ولم أعد أراه "

صاح مندور بسرعة " يا عتمان أحضر المشاعل لنستطيع الرؤية "

تدخل ابنه قائلا بتهكم" أية مشاعل التي ستحضرها يا حاج .. أضواء الهواتف موجودة " صاح رجل أخر كبير بالعمر " وهل أضواء الهواتف الضعيفة هذه ستضيئ الظلام الدامس الذي أمامنا هناك في الحقول!!"

صرخ أحدهم يقف بعيدا " هل ستقضون الليل في الجدال أيهما أفضل المشاعل أم أضواء الهواتف؟! ... الرجل هرب منا واختفى ولابد أن نكون جماعة حتى نستطيع الفتك به فلا نعرف على أي درجة من الخطورة هو"

أسرع الباقون خلفه نحو أقرب جسر للعبور للناحية الأخرى من الترعة عازمون ألا يتركوا الملثم يفلت منهم .

××××

كان الظلام يحيط بالمكان كأغلال من حديد صدئ .. بينما الأنفاس عالية جدا تكاد تمزق الرئتين ..

لكن غريزة البقاء تحث بقوة على الجري ..
فالخطر حتى لو غير معلوم يظل يرعب القلوب
..
الطريق ضيق .. بل إنه مجرد ممر صغير بين الزروع .. والمحيط غير واضح ..
إنه لإحساس مرعب أن تُطارَد مما تجهله .. وألا ترى القادم أمامك بوضوح ..
الأنفاس لا تزال تتسارع بألم.. والعرق غزير ..
ودورة كاملة حول الذات للبحث بتيه في ظلام خانق موحش وفكرة واحدة تسيطر على العقل
(أين أنا ؟!)
توقفت عن الدوران حول نفسها وبدأت تهرول من جديد مخترقة أعواد الذرة الخضراء العالية التي كانت تُجرّح في جسدها فسقط ذلك الوشاح الذكوري الخشن من على وجهها ثم اشتبك مع أعواد الذرة وهي تجري بأنفاس حارقة فعلق بالزرع وانكشف رأسها .. لكنها لم

تكن تعي لما يحدث معها .. كانت تجري مدفوعة بغريزة البقاء وهي تسمع خيالات لأصوات آتية من بعيد .. تطاردها .. دون أن تعرف السبب .

خرجت لطريق آخر على أطراف القرية الخارجية بمحاذاة ترعة أخرى فلمحت ابنتها تعدو أمامها ..

تملكها الجزع والخوف الشديد .. وتساءلت من بين لهاثها كيف استطاعت أن تخرج من البيت؟!! .. وماذا تفعل وحدها في الظلام الموحش هذا ؟!..

أما ابنتها ..

فكانت تتبختر أمامها تحت الأضواء الخافتة بثوب أبيض ..مضيء ..يلمع ذاتيا بإضاءة بيضاء تنير الظلمة من حولها فنادت عليها بصوت لم يخرج من حنجرتها " نجمة .. نجمة "

لم تنتبه لها نجمة .. بل بدأت في العدو والقفز خلف فراشة بيضاء مضيئة هي الأخرى..
شعرت بالجزع وأخذت تناديها وهي تراها تنعطف لممر ضيق على جانب الترعة وصوتها لا يريد أن يخرج من حنجرتها "نجمة .. نجمة انتظري "
في نفس الوقت كانت السيارتان قد اقتربتا من الجهة المقابلة.. بعد أن حددتا مكان الشخص المريب .. سيارة مفرح ومعه عويس كبير الغفر وسيارة مصطفى ومعه جابر.. فأسرع مصطفى الزيني بإغلاق الممر الضيق الطويل من أوله بسيارته بينما أسرع مفرح بالالتفاف للناحية الأخرى من الممر ليغلق طريق العودة .. في الوقت الذي رأت هي نجمة التي تبعد عنها بأمتار كثيرة تجري خلف فراشتها وقد طارت فوق الترعة فأسرعت الصغيرة بالاقتراب من الترعة تهم بالنزول خلف فراشتها.

صرخت صرخة لا تريد أن تخرج من حنجرتها وهرولت بقلب الأم الذي يخرق الطبيعة تمحو المسافة بينهما بسرعة وهي تنادي بصوت متحشرج مبحوح " ناجمااااه"
في الوقت الذي ترجل جابر ومصطفى فيه بسرعة وهرولا نحوها والأخير يقول بلهجته الحازمة وهو يحاول اختراق الظلام بأنظاره مشعلا ضوء هاتفه " قف عندك "
توقف مصطفى فجأة على بعد أمتار هو وجابر حينما شاهد شعرا طويلا يطير حول تلك التي تهرول في اتجاههما مشغولة عن النظر عنهما بالتحديق في الترعة على يمينها وكأنها تلاحق شيئا ما .. حتى أنها لم تلتفت لمصدر الضوء..
بينما ترجل مفرح من الناحية الاخرى للممر من سيارته وارتفع الادرينالين في دمه وتسارعت دقات قلبه وهو يشهر مسدسه في الهواء يطلق

طلقة تشق ظلام الليل ليوقف ذلك الكائن الذي يوليه ظهره ويهرول على أطراف الترعة . الطلقة أجفلتها وأرعبتها فتعثرت وانكفأت على وجهها عند حافة الترعة فأسرع الرجال الثلاثة إليها.

هتف جابر بذهول وهو يراها تعتدل جالسة "إنها امرأة !..من هذه؟"

تباطأت خطوات مفرح .. خطوة .. بعد خطوة بينما اقترب مصطفى محدقا فيها بعينين متسعتين ثم أدار وجهه نحو مفرح الذي كان على ما يبدو قد أصيب بطلقة نارية حارقة شلت أطرافه ..

طلقة لم تخرج من فوهة أي مسدس .. بل خرجت له من الجحيم .. فتوقف به الزمن وشك للحظة بأنه يهلوس .. ثم بذل مجهودا ليتحرك بصعوبة شديدة وكأن قدميه قد انفصلتا عن جسده وأعلنتا العصيان ..

تحرك نحوها وهو يكافح ليستيقظ من ذلك الكابوس اللعين ..
ما هذا التخريف !!.. إن هذا الكابوس سيقتله ..
لو استمر فيه دقيقة أخرى سيقتله حتما..
فليس لأنها ترتدي جلبابا رجاليا من جلابيب الفلاحين البسطاء ..
وليس لأن الضوء خافت نسبيا..
وليس لأن شعرها المكشوف المنكوش المحرر من عقدته يغطي وجهها وهي منكسة الرأس تنظر لذراعيها تضمهما إلي صدرها وكأنها تحمل فوقهما شيئا ..
ليس بسبب كل هذا .. لن يعرفها ..
كانت ترتجف بشدة ..بل تنتفض من الرعب ..وتحاول أن تفهم ما الذي تفعله في هذا المكان الموحش المظلم .. ولماذا تلهث ورئتيها تكادان تتمزقان؟! .. ولماذا هي غارقة في عرقها

المختلط برائحة عرق غريبة وقوية تفوح من جلباب رجالي خشن هي ترتديه..
تطلعت في ذراعيها المضمومين إلى صدرها إلى حيث نجمة التي أصبحت رضيعة وليست في عمر خمس سنوات كما كانت تجري خلفها قبل قليل .. فتمسكت بها بقوة وقلبها يصم أذنيها من النبض بصخب في صدرها بينما يمنعها الخوف الشديد من أن ترفع رأسها للرجال الذين يقفون على بعد خطوات منها .. فأخذت تتمتم بآية الكرسي في سرها وهي تنتفض بشكل ملحوظ من الرعب.. حتى جاءها صوته الذي تعرفه .. فحتى لو كانت في كابوس مخيف .. حتى لو كانت في قاع المحيط .. حتى لو كانت في منطقة ما مجهولة ما بين النوم والاستيقاظ .. تستطيع التعرف عليه وهو يهمس رغم عدم تصديق عقله لما يحدث
"مليكة!!!!!"

شهقة خرجت من فم مصطفى الزيني الذي ارتعش ضوء الهاتف في يده وقد صدقت عيناه رغم أنه كان يكذبهما قبل ثوان بينما انعقد لسان جابر وسقط قلبه في قدميه مذهولا.
أما مليكة فرفعت رأسها ببطء إلى مفرح فلاح نصف وجهها من بين شعرها الذي يغطيه ملطخا بالتراب تنظر له بتوجس لتتأكد من أنه هو.. في نفس اللحظة التي سقط فيها مفرح على ركبتيه بجوارها كمن يعاني من سكرات الموت وهو لا يزال يقنع نفسه بأنه يهلوس .. أمسك مصطفى برأسه يتمتم مصعوقا "لا حول ولا قوة إلا بالله .. لا حول ولا قوة إلا بالله"
حينما تأكدت مليكة من أنه مفرح قالت بصوت مبحوح ولسان ثقيل تتأتئ بارتجاف " مفففففرح .. أنا... أنقذت نجمة .. (وسقطت دمعة فوق خدها) أنقذتها قبل أننن تغرق في الترعة ... أنقذت ابنتنا نجمة يا مفرح"

كان النصل الذي يُذبح به قلبه لحظتها حادا ..
حادا جدا .. مؤلما .. حارقا .. وهو يقف عالقا في
منطقة ما بين العقل والجنون .. لكنه مد يدا
مرتجفة إلى وجهها يمسح عنه التراب ويرفع
شعرها عنه ببطء ليحضن وجهها بكفيه
محدقا فيها ومرددا بخفوت ذاهل "مليكة!!...
مليكة!! .. ماذا حدث لك .. ماذا تفعلين في
الشارع في ذلك الوقت ؟!!"
إن هذا لكابوس ..
كابوس بشع ..
وهو يهذي .. يهلوس .. ويتمنى الاستيقاظ فورا
قبل أن يتوقف قلبه ويموت .
تطلعت مليكة بطرف عينيها بانكماش لأقدام
رجلين بالجوار ثم همست له بارتجاف مبحوح
وكأنها تسر إليه سرا " أنا انقذت نجمة ابنتنا
(وحركت نحوه ذراعيها الفارغين بحرص فترك

مفرح وجهها لينظر فيهما بذهول وهي تقول)
خذها .. احملها يا مفرح"
كان لا يزال عالقا في منطقة تماس العقل مع الجنون لكنه كان يتصرف بالغريزة .. أو ربما كان قلبه يتصرف تاركا لعقله مهمة الاستيعاب والفهم والتحليل ..فحل أزرار قميصه وخلعه عنه بسرعة ثم لفه حول رأسها يغطي شعرها وهي مستمرة في التحديق فيه بنظرات غريبة وقد بدت له بشكل ما غير واعية لكنها قالت"
ألن تحمل ابنتنا نجمة يا مفرح؟"
سقطت دموع ساخنة صامتة ثقيلة بثقل سنين العذاب والوجع على وجهه وفوق لحيته السوداء رغم أنه لم يكن يبكي .. بل كان ينهي ستر لحمه بقوة أعصاب وتحمل حتى لا ينهار .. فرفعت مليكة يدها الملطخة بالطين بتلقائية تمسح دموعه فلطخت لحيته دون أن

تعي وهي تقول " لا تبك يا مفرح أنا وجدتها وحميتها "

تماسك ونجح في أن يقول بارتجاف وحشرجة مهادنا" طبعا سأحملها (وأدار وجهه عنها وعن الواقفين بجواره لينظر للترعة وتغضنت ملامحه لثوان قبل أن تعود للتجلد ثم عاد ينظر إليها قائلا بتماسك) هيا معي أولا"

نفض جابر عنه الذهول حينما لاحظ ظهور بعض الأضواء من بعيد فقال بارتباك وهو يسرع لسيارة مصطفى ليطفئ كشافاتها "الناس يا أبا حمزة .. (ونظر إلي يمين الطريق مضيفا بجزع خافت الصوت) والغفر يا إلهي الغفر قادمون من بعيد "

نفض عويس الواقف على بعد بجوار سيارة مفرح ذهوله وأطفأ بسرعة اضاءة سيارة مفرح ثم استدار خلفه وتحرك ناحية الغفر الآتين من بعيد صائحا يداري ارتجافه وصدمته وهو يشير

على جهة معاكسة" اذهب يا غفير أنت وهو
وابحث عن المجرم في هذه الناحية لقد افلت
منا .. هيا أنا آت معكم "
بينما ناول مصطفى عباءته المعلقة على كتفيه
بسرعة لمفرح يقول لاهثا " خذ هذه واسرع
فالناس تقترب .. علينا بإخفائها عن العيون
فورا.. فالأمر شديد الحساسية والخطورة "
رفع مفرح إليه عينيه الحمراوين بالدموع يقول
له ذاهلا بغير استيعاب "هل ما يحدث حقيقي
؟.. هل أنا مستيقظ أم أنني في كابوس؟!! "
اعترف مصطفى لنفسه بأن الصدمة شديدة
عليه فمال يمسك بكتفيه وهدر فيه بصرامة
وهو يهزه" تماسك يا مفرح وخذها من هنا فورا
قبل أن يحضر الناس وأنا سألهيهم هيا بسرعة"
صوت مصطفى أرعب مليكة فشهقت
وتطلعت في ذراعيها تقول بذهول بعد أن

وجدتهما فارغين " نجمة .. (ثم تطلعت حولها تبحث) أين نجمة؟ .."
استقامت واقفة بسرعة فاستقام مفرح لكنها اسرعت تهرول وتلطم على وجهها قائلة بصوت مبحوح " نجمة .. نجمة اختفت يا مفرح "
اسرع مفرح خلفها بينما أخذ مصطفى يتطلع في الأضواء التي لا تزال بعيدة وحاول أن يقدر إن كانوا يستطيعون رؤية ما يحدث بوضوح من هذه المسافة ..ليطوقها مفرح من الخلف فقاومته مليكة بقوة وهي تقول بصوت مبحوح معذب لأم ثكلى "بنتنا ضاعت ..بنتنا ضاعت "
تطلع مفرح خلفه برعب ليرى أين وصل الناس لكنهم كانوا لا يزالون اشباحا بعيدة فأسرع بلفها بإحكام حتى رأسها بعباءة مصطفى وكأنه يخفيها عن العيون وحملها رغم أن ساقيه كانتا لا تحملانه لكنها تلك القوة الغامضة بداخلنا التي نعتمد عليها في الكوارث والمصائب .. وأسرع

بها نحو سيارته وهي تقاومه بشراسة فهتف جابر خلفه " هل تريدني أن أقود لك السيارة ؟"

رد مفرح وهو يحاول السيطرة على تشنجاتها " أرجوك "

نظر جابر لمصطفى ثم أسرع نحو سيارة مفرح الذي حاول إدخال مليكة في المقعد الخلفي لكنها كانت تقاوم بشراسة أذهلت مفرح نفسه هاتفة بصوت مبحوح "لن أمشي بدون ابنتي (وأخذت تنادي ببحة وهي تنظر حولها) نجمة نجمة "..

شعر جابر بالشفقة الشديدة عليها وتذكر حكايتها التي قصوها عليه قبل ثماني سنوات بينما وصل مفرح لمرحلة الانهيار فقال بخفوت متألم من بين أسنانه وهو يهزها " نجمة ماتت يا مليكة لكن لديك أدهم وإياد .. ألا تريدين الذهاب لأدهم وإياد؟"

(أدهم وإياد)

الكلمة كانت سحرية .. سحرية لدرجة أنها أفاقت فجأة.. وتطلعت حولها بذهول .. لم يفهم مفرح ماذا حدث ولماذا تغيرت فجأة لكنه لم يكن لديه الوقت للتحليل بل انتهز فرصة هدوئها واستدار يلتقط بعصبية قميصه وعباءة مصطفى اللذان وقعا على الأرض .. بينما نظرت مليكة حولها ونظرت لنفسها وشعرت بالرعب الشديد.

ما الذي يحدث ؟

.. أين هي ؟؟!!!

ما هذا الذي ترتديه؟؟!!!

ولماذا تقف في وسط الحقول ؟؟!!

ولماذا مفرح يقف أمامها بفانلته الداخلية؟؟!!

يا إلهي جلباب من هذا الغريب الذي ترتديه؟؟

شهقت بسرعة وهي تتحسس شعرها المكشوف وتطلعت في جابر الذي كان يقف

مشيحا بوجهه فغطت رأسها بذراعيها بخزي شديد ونظرت لمفرح تقول بتأتأة وذهول " مفرح .. أين أنا ؟؟؟"

فكانت نظرة مفرح المتألمة آخر ما استوعبته قبل أن تسقط فجأة مغشيا عليها.

أسرع مفرح بالتقاطها قبل أن تقع على الأرض ووضعها في المقعد الخلفي وركب بجوارها يغطيها بكليتها ليخبئها بينما تولى جابر بسرعة قيادة السيارة يبعد بها بعيدا محاولا بقدر المستطاع تلمس طريقه دون اضاءة كشافات السيارة حتى لا يلفت الانتباه فأخذ يحدق ويتلمس طريقه في الظلام حتى يبتعد عن الأعين وقلبه يدق بعنف يشعر بالشفقة والصدمة ويدعو لمفرح بالثبات في مصابه بينما عقله لا يجد تفسيرا منطقيا لكل ما رآه.

أما مصطفى الزيني فأسرع نحو القادمين متمنيا أن يكون بُعد المسافة ستارا لما يمكن أن يُرى وهو لا يزال يرتجف من الصدمة والذهول ..وتطلع في عويس الذي كان على بعد يقود رجاله إلى ناحية أخرى ففهم بأنه يلهيهم لذا ركز هو في طريقه ليقابل الناس التي تقترب متمنيا لو يستدير ليرى إن كانت سيارة مفرح قد ابتعدت أم لا .. لكنه لم يرغب في لفت الانتباه.

بمجرد أن اقترب الناس هدر مصطفى بصوته الحازم فيهم " ليس من هذه الناحية فأنا عائد منها ولم أجد شيئا "
قال أحدهم "لقد ظنناكم أمسكتموه سمعنا طلقة رصاص "
قال مصطفى بثبات انفعالي " لا .. لقد شكينا في شيء ما عند الترعة لكنه كان كلبا .. بينما لمح أحد الغفر من يتحرك ناحية الشرق فذهبوا

خلفه (وأشارا نحو الغفر البعيدين بقيادة عويس ثم أردف) أما مفرح فذهب ناحية الغرب يبحث هو الأخر "

قالها مشيرا لاتجاه مغاير للذي ذهب إليه الأخير فقال الحاج مندور بتصميم وهو لا يزال يعيش في دور الزعامة " إذن نقسم أنفسنا نصفين نصف يذهب للشرق والأخر للغرب ما رأيك يا أبا حمزة ؟"

اقترب أحد الرجال في يديه الدراجة التي كانت تركبها مليكة قائلا "انظر يا حاج مصطفى ..ها هي دراجة الرجل المتخفي كيف سنعرف لمن هي؟ .. إنها مجرد دراجة عتيقة الطراز متهالكة تشبه المئات مثلها "

نظر مصطفى للدراجة يحاول الاستيعاب وربط الخيوط ببعضها .. ليناوله أحدهم خرقة بالية تفوح منها رائحة البنزين قائلا" هكذا إذا يشعل النار الملثم يرمي خرقة مشتعلة على الحقول

ويجري .. (وتساءل بصوت عال) هل من الممكن أن ترفع البصمات من فوق القماش ؟"
هتف أحدهم بتصميم " إنه زهير عبد النبي لسنا نحتاج لبصمات يريد أن ينتقم من بدير لكن مالنا نحن ليشعل النار في حقولنا؟!!"
تدخل أخر يقول بلهجة متحسرة " لأنه يخاف من بدير فينتقم منا نحن.. و ليس لنا ناقة ولا جمل في الأمر "
أسرع مصطفى بالقول" إن بعض الظن إثم يا جماعة فلا نتسرع بالشك في أحد دون التأكد (وقال مشيرا على الدراجة والخرقة البالية) هذه تعتبر دلائل لكني لا أعرف مدى قوتها لذا سنعطيها للعمدة وهو يبحث في الامر المهم علينا بالإسراع بالبحث "
افترق الناس .. الآخذون في التزايد إلى الجهة الشرقية والغربية مصرين على البحث عن الملثم بينما تحركت عينا مصطفى خلسة نحو

الجهة الجنوبية حيث اتجه جابر بسيارة مفرح وأخذ يردد في سره "استرها على عبيدك يا رب استرها يا ستار"

xxxx

بعد ساعة

ترجل علي وبشر صوالحة بملابس البيت من سيارة أحدهما شاحبي الوجه زائغي العينين من الصدمة فتلقاهم مفرح مستغيثا وهو يخرج إليهما من السيارة التي ركنت في منطقة ما على الطريق السريع خارج البلدة بعيدا تماما عن الأعين وقام بحمل مليكة الغائبة عن الوعي إلا من بعض الهذيان الخافت الغير مفهوم من شفتيها وقد خلع عنها الجلباب الرجالي الغريب الذي كانت ترتديه فوق منامتها وألبسها قميصه ثم لفها بعباءة مصطفى الزيني .. وأسرع بوضعها في المقعد الخلفي للسيارة الأخرى .

لقد حاول إفاقتها طوال الطريق دون جدوى فاتصل عن طريق هاتف جابر دبور بأخيها بعد أن اتصل بمصطفى ليمليه رقمه وذلك حتى يستنجد به فهو لن يستطيع أن يعود بها للبلدة.

كان كاللص الذي يتحسس الريشة فوق رأسه كما تقول القصة القديمة ولم يشعر بالأمان في العودة بها .. خاصة وأن الوضع في البلدة غير مفهوم.. وغير واضح إن كان قد شك أحدهم في أي شيء أم لا .. وخشي من أن يدخل بها بهذا الشكل سرايا الصوالحة ويلمحهما أحد .. كما أن ما شرحه بلهجة متألمة مصدومة لأخيها عليّ جعله يصر على ألا يقترب من السرايا وهي بهذا الشكل خوفا على والده الذي لا يزال يعيش بعقدة الذنب تجاهها .. بالإضافة لأنها تحتاج لفحص طبي عاجل وخشي من أن يلجأ لأي مستشفى حتى في مركز المحافظة فيتعرف أي

شخص عليه باعتباره ابن عمدة ولديه معارف كثيرين .. بالإضافة لكونه غير قادر على الغياب عن البلدة أكثر من ذلك .. لقد حذره مصطفى من عويس الذي بالتأكيد قد أخبر العمدة و لم يعرف هل تسرب الخبر لأحدهم أم لا ..

كل هذا كان يعصف في رأسه خلال الساعة المنصرمة ليتأكد من أن الأمر خطير .. خطير بشدة ويمس عائلة العمدة وعائلة الصوالحة إن تسرب .. بل إنه مصيبة كبيرة في مجتمع صغير كبلدته .

هتف علي وهو يتفحص أخته في المقعد الخلفي بلوعة "مليكة .. مليكة ردي عليّ يا مليكة أنا علي أخوك"

هدر مفرح بأعصاب منفلتة" قلت لك لا تتجاوب مع أحد عليكما بعرضها على أقرب طبيب بسرعة .. بل استدعوا أكرم.. أكرم عليه

أن يحضر من العاصمة فورا"

وقف جابر بجوار سيارة مفرح يراقبهم من بعيد بشفقة كبيرة وحزن بينما قال بشر بذهول "أنا غير قادر على تصديق ما قلته على الهاتف يا مفرح "

قال الأخير بارتجاف " لقد حكيت لعلي ما حدث بالتفصيل وأنا بصراحة مثلكم لا أفهم ولا أستوعب ما يحدث (وأمسك برأسه بأصابع مرتجفة يقول) أشعر بأن رأسي سينفجر وبأني في كابوس فظيع (ثم نظر لبشر يقول بلهجة مستعطفة) اسرع بعرضها على طبيب يا بِشر .. للأسف عليّ العودة فورا قبل أن يصل الأمر لأبي .. أو يصل لأهل البلدة أنت تفهم بالتأكيد حجم المصيبة الكبيرة التي نحن فيها "

قال بشر وهو يتحرك بسرعة نحو مقعد القيادة" اذهب أنت وتعامل مع تلك المصيبة

وسنذهب نحن بها ونطمئنك (واستدار لجابر دبور يناظره بنظرة توسل سريعة بأن يبقي ما رآه سرا ثم قال له بلهجة متألمة وهو يركب سيارته) لن ننسى لك هذا المعروف أبدا يا جابر "

فرد جابر بهدوء" استغفر الله يا بشر إن شاء الله ستكون بخير "

هتف مفرح وهو يرى السيارة تتحرك مغادرة ويسمع لوعة علي من المقعد الخلفي مناديا باسم أخته" أنا هاتفي ليس معي ..هاتفني .. (وارتبك لا يعرف ماذا يقول ثم أكمل) هاتفني على رقم مصطفى الزيني (ونظر لجابر وأضاف) أو جابر دبور حتى أجد هاتفا "

راقب السيارة تغادر بها .. بمليكته .. تأخذ روحه معها .. وشعر بالعجز الشديد .. وبرغبة في أن يترك البلدة وأهلها وأبوه وأمه وكل شيء خلف ظهره ويسرع خلفها .. لكنه مضطر

للعودة فورا .. مضطر لأن يخلع قلبه بيده ويتركها مع إخوتها ويعود لينقذ اسم عائلته وعائلتها من الدمار ..فالأمر لا يخصه هو وهي فقط .. الأمر يخص عائلتين كبيرتين في السمعة والعدد .. يخص سمعة أجيال لاحقة ستلتصق بها الفضيحة يتوارثها جيل بعد جيل .
مال بجذعه للأمام في وقفته في الشارع ليستند بكفيه على ركبتيه قبل أن ينهار جسده وظل يناظر السيارة التي تصغر وتصغر صورتها أمام عينيه مبتعدة .. فاقترب منه جابر يقول بلهجة مواسية مشجعة " إن شاء الله ستطمئن عليها.. لكني أرى أن عليك اللحاق بالبلدة لمعرفة كيف استقر الأمر .. مصطفى يقول بأن الأجواء قد هدأت نسيبا بعد أن فشلوا بالعثور على أحد لكنه لا يعرف موقف الغفر بعد هل تسرب إليهم الخبر أم لا "

اعتدل مفرح واقفا ثم أولاه ظهره يغرز أصابعه في شعره وانهمرت دموعه يبكي رغما عنه وهو يسترجع ما حدث .

(يا رب .. ماذا يحدث لي ولها يا رب ..)

(لماذا مليكة .. لماذا مليكة)

تماسك بعد برهة وفرك وجهه بكفيه بقوة يطلب من نفسه التجلد واستدار لجابر يقول بصوت مجهد" هلا أعطيتني هاتفك يا جابر من فضلك ؟"

ناوله جابر إياه بسرعة قائلا" بالطبع"

وقف مفرح لثوان يحاول تذكر رقم بسمة حتى أنه ضرب أخر رقمين دون أن يكون متأكدا وانتظر قليلا على الهاتف في الوقت الذي نظرت بسمة في الهاتف بعبوس فخطفه منها كامل رغم اعتراضها وهو يغمغم "من هذا الرقم غير المسجل الذي يتصل بك"

قبل قليل

كان كامل وبسمة يتبادلان الضحكات الخافتة في مطبخ الفيلا بعد أن تسللا من جناحهما شاعران بالجوع فقررا أن يعدا طعاما سريعا .. فوضع كامل طبقا كبيرا أمامهما على إحدى طاولات المطبخ لتقول بسمة" سيزداد وزني بسببك وبسبب جوعك في انصاف الليالي" رد كامل بلهجة بائسة معترفا" أنا أيضا لم أمارس الرياضة منذ مدة وسيعود وزني للزيادة (وأضاف من بين اسنانه) وما دمت لم أفعل فذلك الزفت شامل لم يفعل هو الأخر وهذا خطر على صحته "

في نفس اللحظة كان توأمه ينزل على السلم فوجد ونس تهرول خلفه فاستدار إليها قائلا بهمس" لماذا أتيت خلفي سأحضر الطعام وأصعد إليك"

أصرت على موقفها فسحبها من يدها خلفه
وهو يرفع سبابته أمام شفتيه قائلا " اششش
لا نريد إيقاظ أحد "
بمجرد أن نزل إلي بهو الفيلا ووجد نور المطبخ
مضاء اتسعت عيناه وأسرع لاقتحام المطبخ
قائلا " ماذا تفعلان؟ "
انتفضت بسمة بينما قال كامل ببرود " وما
الذي تفعلاه أنتما في هذا الوقت؟ "
هتف شامل وهو ينظر للطعام "زوجتي جاعت
وتريد الطعام وانتما تلهوان من خلف ظهرينا
(وسحب ونس يجلسها بجوار بسمة ويسحب
من أمامها الطبق ليضعه أمام زوجته قائلا)
آسف إنها حامل ومسكينة وجائعة "
قبل أن تعترض بسمة نظر شامل لأخيه حينما
شعر بأنه يريده .. ليناظره الأخير بنظرة عاتبة
جعلت شامل يشعر بالحرج ويخاطبه فكريا "
تحدثت بتلقائية لم أقصد"

بينما رن هاتف بسمة فعقدت حاجبيها ليسرع كامل قائلا وهو يخطفه منها " من هذا الذي يتصل بك في هذا الوقت ومن رقم غير مسجل ؟!"

حين جاء صوت كامل لمفرح قال بسرعة" كامل أنا مفرح اعطني بسمة"

غمغم الأخير باندهاش" مفرح .. لمن هذا الرقم فبالتأكيد بسمة تسجل رقمك !!"

هدر مفرح بعصبية " أريد بسمة بنت خالي يا كامل "

شعر الأخير بأن هناك مصيبة ما قد حدثت فناول الهاتف لبسمة التي أمسكت بقلبها ليقول مفرح بلهجة باكية " بسمة .. مليكة يا بسمة .. كوني بجوار صاحبة عمرك يا بسمة فزوجها عليه أن يتركها لعدة ساعات .. إنها في طريقها للعاصمة فلا أعتقد بأن أحدا من أخوتها قد يغامر بعرضها على أي مستشفى في

المحافظة كلها .. اتصلي بعلي أو بشر .. كوني معها ولا تتركيها "

رغم عدم فهمها لما حدث تجمعت الدموع في عيني بسمة وهتفت بجزع "ما بها مليكة؟؟؟!!!"

xxxxx

بعد نصف ساعة

ركن مفرح سيارته أمام بيت العمدة وترجل منها متحفزا جامد الملامح .. متجهم الوجه .. فأغلق الباب بعنف وعدل من حزام المسدس الذي لا يزال في جانبه وعيناه تحاولان استقراء وجوه الغفر المجتمعين أمام البوابة .. وترجل معه جابر الذي رفض أن يتركه ..

في نفس الوقت خرج مصطفى الزيني من بوابة بيته وكأنه كان ينتظره فتبادل مفرح النظرات مع مصطفى قبل أن يقترب منه ليهمس الأخير

له بأن الغفر لا يعرفون شيئا لكن عويس عند العمدة منذ أخذ الغفر الأوامر بالعودة .
ترك مفرح الرجلين مصطفى وجابر ودخل لبيت أبيه ليواجه مصيره .. وهو لا يعرف كيف سيتصرف أو يبرر تلك الكارثة .. فقابل عويس يخرج من باب البيت نظراته أرضا فأدرك بأنه قد أخبر العمدة بكل شيء فاستمر في طريقه نحو المواجهة التي ستكون الأصعب في حياته والتي يعلم جيدا بأنه سيخرج منها فاقدا لجزء منه .
أما مصطفى فأقنع جابر بالعودة إلى بيته فالأمن قد استتب في البلدة وأضحى ما بعد ذلك عائليا.
كان قلب مفرح يدق بسرعة رغم ظنه بأنه كان يحتضر بعد تلك الصدمة التي تلقاها قبل ساعتين لكنه على ما يبدو كان يعاني من سكرة الموت .

دخل إلى الغرفة بخطوات ثقيلة .. يستعد لمواجهة غاية في الثقل .. يستعد لمواجهة أكثر اثنين آذوه في حياته ..

هذه هي الحقيقة التي يدركها جيدا ولا يستطيع التصرف حيالها أبدا حتى لا يخسر نفسه ودينه.. وحتى لا يجلب عارا لعائلته ..عار سيظل موشوما على هامات كل من يحمل اسم الزيني إن قرر تركهما وترك البلدة بأكملها ومغادرتها للأبد .

دخل وهو يعلم مسبقا ما سيحدث ويعلم بأنه سيرفض ما سيحاولان فعله للضغط عليه لكنه لم يكن يعلم كيف سيحل هذه المشكلة العويصة .

دخل ووقف يسد الباب بطوله فوجد والده يقف عند النافذة ينظر إليها بينما أمه تجلس فوق أريكة جانبية متربعة تضرب على فخذيها

وتولول بصوت خافت قبل أن ترفع إليه رأسها بمجرد أن شعرت بدخوله وتقول بلهجة باكية" جئت .. جئت يا سبب عذابنا وفضيحتنا .. جئت يا جلاب الفضائح .. كنتُ دوما ضدها .. كنتُ رافضة لأن تتزوج بها .. وها هي النتيجة .. زوجتك مجنونة ...مجرمة .. مجرمة تحرق البيوت في الليل .. إنها تحتاج لمصحة عقلية ..(وهتفت تحدث نفسها بعينين باكيتين) يا إلهي كلما أتصور بأنها اشعلت النار في بيت بسمة وهي فيه جسدي يقشعر .. يا إلهي كانت تريد أن تشعل في صاحبتها النار !!.. إنها حتما مجنونة وتحتاج لمصحة عقلية "

قال العمدة لزوجته بارتجاف وصدمة مما سمع منذ قليل " كفاك ولولة يا نحمدو ..علينا التفكير في كيفية التغطية على هذه المصيبة"

هتفت نحمده بشراسة " وهل هناك تغطية إلا بأن يطلقها ويتخلص منها فورا "
قال العمدة بعصبية " الطلاق أمر مفروغ منه لكنه ليس كافيا .. علينا بحصر عدد من يعرفون بالموضوع والتصرف معهم .. والمصيبة الأكبر (وتطلع في مفرح الذي يقف متجهم الملامح يناظرهما وأردف) المصيبة الأكبر أن الباشمهندس سمح لمصطفى بأن يذهب معه .. كم مرة حذرتك من مشاركة مصطفى في أي شيء .. ها قد وقعت في مصيبة على مرأى ومسمع منه .. وبالطبع ستخرج الشائعات قبل أن يأتي الصباح لننفضح كلنا ونخسر مقعد العمودية .. كم حذرتك أنا من مصطفى (وهدر فيه بانفعال) هل رأيت كيف أن تشبثك برأيك وعدم طاعتي قد ألقوا بنا جميعا في التهلكة "
تدخلت نحمده تقول بإصرار " المهم أن يطلقها فورا وألا تبقى على ذمته لحظة واحدة

حتى نستطيع إن خرجت أي شائعة أن نبرئ ذمتنا منها.. يا ربي لا أصدق لقد جنت .. كان من الممكن أن تشعل النار في البيت وتحرقنا كلنا (وضربت على صدرها وهي تنزل ساقيها من فوق الأريكة وتقف على قدميها صارخة) .. يا إلهي الولدان .. قد تشعل النار في الولدين .. أين هما يا مفرح؟"

تكلم مفرح بحشرجة قائلا" هل انتهيتما من تقرير مصير ابنكما العاجز ؟.. وهل يا ترى فكرتما للحظة وأنتما تقرران هذه القرارات كيف هو شعوري حاليا وأنا أتمنى الموت حرفيا ؟.. هل فكرتما قبل أن تفكرا في أهل البلدة والسمعة والطلاق في مدى صدمتي وكيف أشعر الآن؟... هل سأل أحدكما (ونظر لأمه) هل سألتِ يا أمي عني ؟..عن حالتي .. كيف أشعر ؟.. هل أنا بخير أم لا؟ .. كيف تلقيت الخبر؟.. هل شغل بالك كل هذا ولو للحظة؟ ..

كل ما فكرتم فيه وضعنا الاجتماعي وشكلنا أمام أهل البلدة ..والعمودية ذلك الكابوس الذي يجثم على صدري ويكبلني .. (وترقرقت عيناه بالدموع مردفا) هل فكر أحدكما في مليكة ؟.. هل حاول أحد منكما تفسير لماذا فعلت ذلك ومما تعاني؟ .. (وسحب نفسا عميقا وقال يحاول التماسك) عموما دعوني اخبركما أنا ما الذي سيحدث .. أنا لن أطلق مليكة .. انفصالي عنها سيكون على جثتي .."

صرخت أمه بانفعال " ما الذي تقوله؟.. هل ستبقيها على ذمتك بعد كل هذا؟.. إنها مجنونة "

هتف مفرح قائلا بصرامة ونظرات نارية "حتى لو كانت مجنونة .. حتى لو كانت سفاحة لن أتخلى عن مليكة أبدا .. الأمر تم السيطرة عليه وأصبح بين ثلاثة أنا رابعهم .. مصطفى الزيني وجابر دبور وعويس .. والثلاثة أنا سأتصرف

معهم .. لكن بعد أن أعود من العاصمة فعليّ أن أسرع خلف زوجتي لأطمئن عليها .. وأرجو أن تحفظا هذا السر عن الولدين أيضا ولا تخبراهما لماذا اضطررت أنا وهي للسفر "

هدر العمدة بغير تصديق غاضبا " ما هذا الذي تهذي به ؟؟.. هل ستترك كل شيء وتذهب خلف الهانم!! .. وهل ستتركها على ذمتك بعدما حدث!! .. والله لولا أن ما حدث يمس عائلتنا أيضا لكنت فضحت أولاد الصوالحة وكسرت عين عبد الغني هذا الذي يرفع أنفه للسماء .. (وأضاف بلهجة متوعدة وقد تأجج العداء القديم في صدره) لكن سيحدث إن شاء الله .. فحتى لو لم يعرف أهل البلدة يكفي بأن تطلقها وبأن أكسر عينه بأني أعرف ما فعلته ابنته وأهدده بذلك "

أستدار مفرح صارخا " كفى كفى كفى ..أنا تعبت .. تعبت من نظريات المؤامرة .. تعبت من

الحديث عن المكائد والدسائس .. تعبت من كل شيء .. (واستدار لأمه) مليكة لم تحرق بيت الجد صالح يا أمي لأنها ببساطة كانت أمام كل أهل البلدة مع أم هاشم في حنتها .. وما صدر منها أنا لا أفهمه حتى الآن ولا أجد الوقت لتفسيره أو تحليله كل ما أنا متيقن منه أنها لم تكن واعية لما تفعل وأنها قد صدمت حينما علمت .. وبأنها تعاني اللحظة من صدمة ما ولا أعرف كيف سيؤثر عليها هذا مستقبلا .. التفسير الوحيد الذي أفهمه والذي استوعبته الآن بعد أن استرجعت أماكن الحريق السابقة أن هذه الحقول على الطريق المؤدي للمقابر .. الطريق لمقبرة ابنتها .. أنا لا أعرف إن كانت هي من كانت تشعل تلك الحرائق أم لا .. أنا لا أعرف شيئا ..وغير قادر على فهم شيء حاليا .. أنا متعب ..مصدوم .. مذبوح .. ولدكما مذبوح

.. يريد أن يذهب خلف زوجته .. وأعدكما أني سأعود بمجرد أن اطمئن عليها "
هم بالتحرك فهتف العمدة فيه " أنا لا يهمني كل الهذر الذي قلته للتو ولا يهمني مما تعاني بنت الصوالحة وهل هي مدانة أم لا .. ما يهمني..."
"السلام عليكم "
قالها مصطفى من خارج باب الغرفة المفتوح فهبت نحمده الأقرب للباب واقفة وقالت لمصطفى ساخرة " طبعا ..جاءتك الفرصة على طبق من الفضة "
تطلع مفرح في أمه بعينين غاضبتين بينما اقترب مصطفى ودخل يكرر "السلام عليكم آسف لاقتحامي البيت لكن صوتكم عالي فطلبت من عويس أن يفرق الغفر حاليا ويبعدهما عن البيت بأي حجة "

هدر العمدة فيه وقد جن جنونه " مالك أنت بعويس ..هل جئت لتبتزنا بما عرفت؟.. (ورفع سبابته أمامه بكبرياء محذرا) لا يا ابن فاضل .. لست أنا عبد الرحيم الذي يخضع للابتزاز (وأضاف من بين أسنانه بغل) سأقتلك قبل أن تفعلها "

قال مفرح وهو يشعر بأنه على وشك الانهيار " يا أبي أرجوك ليس له لزوم هذا الكلام .. والله لولا مصطفى لانفضحنا كلنا"

ضربت أمه كفيها ببعضهما وفردتهما في الهواء تقول صارخة" بالطبع لابد أن يفعل ذلك .. لابد أن يوهمك بأنه يخاف على مصلحتك لأنه يعلم بأن الفضيحة ستطيح بآل الزيني كلهم ولن ينال ما يريد ..لكنه سيبتزك بهذا السر"

قال مصطفى لنحمده بلهجة صارمة " يكفي ما تقوليه يا حاجة ومن فضلك اتركي الحديث للرجال"

ضربت على صدرها وقالت بعينين متسعتين مستنكرة " هل تطردني من بيتي؟.. أرأيت يا مفرح"

غمغم مصطفى يحافظ على هدوئه" لا حول ولا قوة إلا بالله ! "

كانت عينا مفرح زائغتين وهو يتطلع في الجميع بشكل لاحظه مصطفى واشفق عليه بشدة .. فما سمعه من صوتهم العالي حينما دخل البيت فهم منه كيف يضغطان على ولدهما بما لا يطيقه فقال مهادنا" أنا جئت حتى أطمئنكم بنفسي بأن الله كان كريما معنا وسترنا ولم يفضح ما حدث لأهل البلدة .. لذا علينا أن نفكر بهدوء كيف سنتعامل مع الأمر"

تطلع فيه العمدة بغل واضح .. إن هدوءه وقوة شخصيته يستفزانه .. وحب الناس له و شخصيته القيادية التي تمنى لو كان مفرح مثله يشعرانه بالحقد فقال بلهجة غاضبة "مالك

أنت ولماذا تتدخل .. إياك أن تتوقع أن ما تعرفه سيلوي ذراعنا .. طلقة واحدة في رأسك سينتهي كل شيء"

قال مفرح صارخا وقد بدا أنه قد فقد كل ما عنده من قوة تحمل " أبي أرجوك كفى.. أرجوكم كفى .. ارحموني .. اشعروا بي ولو لمرة واحدة .. (وحاول التماسك من جديد فقال بلهجة أهدأ وهو يلهث) أنا سأغادر للعاصمة الآن وحينما سأعود أعدكما أن نتحدث بهدوء لإيجاد حل يرضي جميع الأطراف .. (وأضاف وهو يشهق كمن يعاني من ضيق تنفس) رغم أني تعبت من إيجاد الحلول .. وتعبت من المساومات من أجل أن أحصل على حقوقي .. (وهدر بهيستريا) تعبت من كل شيء أقسم بالله .. وكأن الله غاضب عليّ فأتى بي لهذه الحياة لأتعذب .. وكأنني قد كتب عليّ أن أحمل الجميع فوق

رأسي .. لماذا يحدث معي هذا؟ .. لماذا لا أحيا حياة بسيطة "

اقترب منه مصطفى يقول مشفقا " اهدأ يا مفرح"

قال بلهجة متألمة وهو يتحرك مغادرا "اتركني يا مصطفى اتركني لألحق بزوجتي"

تملك الرعب من العمدة .. وسيطر عليه ذلك الخوف من أن يذهب ولا يعود فهتف قائلا بلهجة متوعدة " لو خرجت من هذا الباب سأكون غاضبا عليك ليوم الدين .. اقسم بالله يا مفرح إن لم تلق يمين الطلاق غيابيا الآن فورا وتتركها لأهلها وتعود لرشدك لأكون غاضبا عليك ليوم الدين حتى عزائي سأوصي بألا تحضره "

تجمد ظهر مفرح الذي يوليه لأبيه وتقبض بقوة شديدة يشعر بأنه يتفتت لشظايا في تلك اللحظة .. إنه يُخيّر إما أن يخذل عائلته أو

يتخلى عن زوجته .. فتمنى الموت .. تمناه من كل قلبه ليتخلص مما هو فيه بينما ولولت نحمده تلطم على وجها قائلة" يا لبختك المائل يا نحمده .. ابنك الوحيد سرقته المجنونة .. خطفت عقله من ليس لها عقل .. يا لبختك المائل يا عبد الرحيم ابنك الوحيد سيختارها وسيتركك تموت وحدك ويسبب لنا الفضيحة "

ناظرها مصطفى بغضب شديد ولولا أخلاقه للطمها على وجهها حتى تخرس فقال بلهجة غاضبة " لماذا لا تتركاه ليذهب لزوجته ليطمئن عليها ثم يعود وتناقشوا الموضوع بشكل أهدأ ؟!!"

صرخت نحمدو فيه "أخرس أنت لا تتدخل" بينما قال عبد الرحيم هادرا" أخرج هيا وارحمنا من تدخلاتك "

لم يتحرك مصطفى من مكانه وهو يناظرهما بغضب قبل أن يشهق الثلاثة فجأة ويتجمد المشهد .

كان مفرح قد وصل لنقطة اللا عودة .. كان مشوشا متألما مصدوما غير قادر على تحمل المزيد مما يحدث له فما كان منه إلا أن أخرج مسدسه من حزاما ورفعه إلى رأسه .

صرخت نحمده تقول" ماذا تفعل يا مفرح؟"

كان الأخير يتنفس بصوت عالي وصدره يعلو و يهبط أمامهم وهو يقول " مفرح سيخلصكم منه فورا ..سيخلص البشرية منه .. (ونظر لوالده) وبدلا من أن تحرمني يا أبي من أن أتلقى عزاءك سأعطيك الفرصة لأن تتلقى أنت عزائي .. (ونظر لأمه) مفرح سيخلصك من ابنك المجنون يا أمي الذي ضحكت عليه بنت الصوالحة وأكلت عقله .. سيخلصك من ذلك الإحباط الذي تعيشين فيه على مدى خمسة

عشرة سنة فلن تري مليكة مجددا لأنك ببساطة لن تري مفرح فهو ومليكة بكل أسف كيانا واحدا (واستدار لمصطفى المتسع العينين) مفرح سيخلصك من المنافس على العمودية يا مصطفى .. فبرغم من أني على يقين بأنك لا تسعى إليها لكن حقك في العمودية سيعود لك وسينتقم لك الله من هذا الرجل الذي أخذ منك المنصب وقرر أن يمرره لولده من بعده ويتخطاك (وأضاف بلهجة يائسة) مفرح سيخلص مليكة أيضا من الرجل الذي خذلها قديما وخذلها اليوم حينما تركها تسافر بدونه والذي قرر أن ينهي حياته لأنه ببساطة لم يتحمل .. فهذا كثير كثير جدا عليه ليتحمله (وتطلع في الوجوه حوله بتردد وعينين زائغتين ثم استقر نظره على مصطفى يقول) أنت الوحيد الذي أتيقن بأنك ستحمل الأمانة .. أبلغ مليكة بأني آسف "

علا صياح نحمده مولولة فهدر فيها مصطفى قائلا" كفي عن الصراخ واسكتي أنت تزيدين الضغط على أعصابه (ثم استدار لمفرح مهادنا وهو يقترب منه بهدوء) استغفر ربك يا مفرح واعطني المسدس .. أنا أدرك جيدا حجم ما تعيشه اللحظة لكن ما تفعله (واقترب أكثر) ما تفعله ليس حلا "

تراقص الجنون في عيني الأخير وقال بلهجة خطرة مهددة "لا تقترب .. إياك أن تقترب "

سحب زر الأمان فاتسعت عينا مصطفى بتوتر بينما أمسك عبد الرحيم بقلبه يقول بلهجة مرتعشة "مفرح .. ماذا ستفعل يا ولدي ؟"

استدار إليه مفرح وهو لا يزال يرفع فوهة المسدس لرأسه وقال وهو ينتفض والجنون لا يزال يتراقص في مقلتيه متطلعا في والده الذي يمسك بصدره" لا بأس يا أبي كنت دوما تخشى من أن أذهب للعاصمة وأعيش فيها خوفا من

أن تبتلعني فلا أعود لك فكنت تقسم عليّ دوما ألا أفعل وكنت أنا أبر بقسمك .. لكن الموت لن تستطيع أن تقسم عليّ فيه يا حاج عبد ..."
انقطع حديثه فجأة حينما ضربه مصطفى بسيف يده على مؤخرة رأسه حينما لمح أن اصبعه ارتخى للحظات عن الزناد فسقط مفرح مغشيا عليه ووقع المسدس منه أرضا.
شهقت نحمده وأخذت تتنفس بعمق بعد أن وجدت مصطفى يرفعه من تحت ابطيه ويجلسه على أحد المقاعد ثم مال ليلتقط المسدس ويضعه في جيبه بينما صرخت نحمده هاتفة "عبد الرحيم "
تطلع مصطفى في عمه الذي أمسك بصدره ومال بجذعه يستند على طرف الأريكة بجواره قبل أن تفقد قدماه تماسكهما ويسقط ..
فأسرع مصطفى إليه بينما أخذت نحمده تصرخ عاليا بشكل هستيري .

خلال دقائق كان أولاد مصطفى وزوجته والغفر وبعض الجيران يملؤون البيت من الداخل فهدر مصطفى في وقفته بجوار عمه الممدد على إحدى الأرائك "أين حمزة .. أين حمزة؟" دخل حمزة يحشر نفسه بين الواقفين في الوقت الذي بدأ مفرح يستعيد الوعي ببطء وهو يسمع أصوات عالية وميز منها صوت أمه التي صرخت تمسك بحمزة هاتفة "هل تنوي بأن تقتل العمدة؟ .. (ونظرت لمصطفى الذي أخذ يطالعها بعنين متسعتين وقالت صارخة)هل تفعل كل هذا لتقتل العمدة يا مصطفى؟ " ابعدها حمزة عن ملابسه بخشونة واقترب من الرجل المستلقي على الأريكة يتفحصه فوجده يتنفس بصعوبة فقال لوالده "لابد من أن تحضر الاسعاف فورا سأتصل بهم" صرخت نحمده في الواقفين بالخارج بشكل هستيري وكل ذنوبها قد تشكلت أمامها لحظتها

لترعبها من القادم "سيقتلان العمدة .. مصطفى وولده سيقتلان العمدة يا ناس "
ترك مصطفى جوار عمه واقترب منها يهدر فيها بصرامة "اسكتي يا حاجة ما تفعليه يرعب الرجل في رقدته"
أمسكت نحمده التي كانت لا تزال في حالة هستيرية بجلبابه تهزه قائلة وهي تناظره بعينين تبرقان بالغل " لن تنال مرادك منا ..لن تنال مرادك منا الكل سيشهد بما فعلتماه "
ناظر حمزة ما يحدث بعينين غاضبتين مليئتين بالغل وابتعد فورا عن العمدة بينما هدر مصطفى في زوجة عمه وهو يبعد يدها عن جلبابه بخشونة" عن أي مراد تتحدثين يا حاجة كفي عن الفضائح واستغفري ربك "
كان مفرح يجاهد للاعتدال لكن الصورة كانت لا تزال مهزوزة ويشعر بالدوار مستعيدا كل ما مر به بينما أمسكت صفاء في الخارج ببطنها من

التوتر وأسرعت تجلس على السلم فتجمع
حولها أولادها وبعض النسوة .
تحامل مفرح على نفسه ونهض يترنح قائلا
بضعف " أبي"
استدار مصطفى ليرى مفرح يتحرك نحو والده
بينما حمزة يقف يولي ظهره للجميع ينظر
للنافذة بملامح جامدة فهدر فيه "لماذا تقف
عندك يا حمزة وتتركه؟"
استدار إليه الأخير قائلا بجمود "طلبت له
الإسعاف وأوصيت عليه جيدا لأني أعرف
شخصا فيها ستكون السيارة هنا خلال دقائق ..
أما أنا فلن ألمسه مهما حدث له .. لن ألمسه
حتى لا يلصقون بنا تهمة لم نقترفها "
كان عبد الرحيم الزيني يعاني من صعوبة
شديدة في التنفس وبدأ لونه يشحب بشكل
ملحوظ فأخذ مفرح يقول بقلق "أبي .. أبي
تماسك أرجوك الإسعاف قادمة"

هدر مصطفى في ولده وهو ينظر للرجل الذي يبدو عليه الاختناق "افعل أي شيء"
رد حمزة ببرود "صدقني ليس في يدي أي شيء لأفعله "
قال مفرح وهو يحاول أن يحمل والده "سأذهب به لأقرب مستشفى "
قالها لكنه لم يستطع أن يحمله فلا يزال الدوار يلف رأسه بينما تكلم حمزة وهو ينظر في ساعته "ربما لو نقلتموه بالسيارة وقابلتم الاسعاف بالطريق سيكون أفضل .. أهم شيء أن تقابلوا الاسعاف في أسرع وقت لأنه سيحتاج لإسعاف عاجل"
نظر مفرح عبر باب الغرفة لعويس الذي لاح له من بين الواقفين بالخارج قائلا "نادي الغفر ليحملوا العمدة بسرعة يا عويس "

حاول عبد الله ومحمد أبناء مصطفى الشباب دخول الغرفة تدفعهما النخوة فصرخت نحمده تعترض طريقهما" ابني قال الغفر فقط " هدر مفرح بقوة" كفى يا أمييييي.. ألا تتعظين!!"

أحس مفرح أن رأس والده قد ثقلت على يده التي ترفعها فنظر إليه ليجده مغمض العينين أزرق الوجه فنظر لحمزة باتساع عينيه ثم عاد ينظر إليه هادرا بفزع " أبي .. رد عليّ يا أبي " اقترب حمزة يتفحصه ثم أبعد مفرح وبسرعة قام بإمالة رأسه لأعلى ونفخ في فمه وعاد ليراقب النبض .. كررها مرتين بدون جدوى فضغط على عظمة الصدر بكفيه عدة مرات ثم توقف ومال ليقيس النبض أو يقوم بالنفخ في فمه .. في الوقت الذي وقف فيه مفرح مشلولا يمسك برأسه لا يعرف ماذا يفعل .

أما نحمده فازداد رعبها وأخذت تصرخ وشاركتها بعد الجارات حتى هدر فيهن مصطفى قائلا بصوت مخيف" لا أريد أن أسمع صوتا هنا .. اخرج الجميع بالخارج يا عويس فورا "
استندت صفاء بصعوبة على أذرع أولادها الشباب وهي تدعو الله ألا يتورط ابنها أو زوجها في أي شيء يخص عمه فلو حدث شيء الناس لن ترحمهما ..بينما ظلت نحمدو تصرخ وحدها وتندب حظها " عبد الرحيم .. إلى أين تنوي أن تتركني وترحل يا عبد الرحيم .. قتلوك .. قتلوك"
مرت دقائق ومصطفى يراقب بقلق ابنه الذي تعرق بشكل واضح وبدا الإجهاد عليه مليا فأشفق عليه وهو مستمر في الضغط على صدر العمدة بإصرار ثم التوقف وقياس النبض أو اعطائه تنفسا صناعيا.. حتى خذله ذراعاه من التعب للحظات لكنه عاد وتماسك واستمر في

تدليك عضلة القلب قائلا من بين أسنانه" هيا أفق أيها العجوز ولا تفعلها .. هيا"
توقف بعد ثوان يلهث فتدخل مفرح يحاول بمحاولة يائسة أن يقلد ما كان يفعله حمزة وهو يقول بلوعة" أفق يا أبي .. افق يا حاج عبد الرحيم ..فيكفيني الذنوب التي أعيش احملها فوق ظهري"
كانت أنفاس حمزة تتلاحق من المجهود البدني الكبير الذي قام به خلال الدقائق الماضية لكنه أبعد مفرح الذي لم يكن متقنا لما يفعل وعاد لمواصلة ما يفعل مما أذهل مصطفى الذي ظنه قد استسلم وأن الرجل قد انتهى .. وأخذ يراقب ولده وتصميمه وهو يدلك قلب جده العمدة والعرق يتصبب منه حتى سمع صوت الاسعاف بالخارج فأسرع مفرح إليهم ليدخل معهم بعد دقيقة .

أخيرا انتحى حمزة جانبا يترك لهم المهمة وجلس على عقبيه يلهث بقوة ويمسح عرقه بملابسه قبل أن يرفع نظراته لوالده في الوقت الذي استجاب قلب العمدة لجهاز الصدمات وأعلن المسعفون بأنه قد عاد للنبض .

××××

كانت بسمة تبكي بحرقة وهي تقف أمام إحدى الغرف في مستشفى استثماري كبير نقلت إليه مليكة .. وكانت صدمتها شديدة فيما سمعته من أخوي صاحبتها علي وبشر ولم تفهم مثلهم ماذا يحدث حتى أكرم لم يفهم .. أخذ يحلل كل ما أخبره به أخوته وما أخبره به مصطفى الزيني الذي اتصل به يسأله عن مفرح فأخبره بأن العمدة نقل للمستشفى وأن حالة مفرح حاليا غير مؤهلة للحديث وقص عليه هو الأخر ما حدث ..

حاولت بسمة أن تفهم من أكرم أي تفسير منطقي فأخبرها بأن كل ما يفهمه أنها تتصرف بدون وعي .. لكن الطبيب النفسي وحده من سيستطيع تفسير الحالة فهو غير قادر على التفكير فيه حاليا فكل ما كان يشغله أن يخرج الطبيب من عندها ويطمئنهم على حالتها .

ربت كامل على ظهر بسمة المنهارة في البكاء بعد أن انتهى من مكالمة هاتفية مع شامل الذي يقود سيارته على الطريق حاليا ذاهبا لمفرح ليكون بجواره .. وأخبر في المكالمة شامل بما علمه وتبادل الاثنان الصدمة وعلامات الاستفهام.

تطلع كامل في اخوة مليكة الأربعة وزوجاتهم وحالة الوجوم والبكاء المسيطرة عليهم وشعر بالشفقة الشديدة حتى أخوتها الذكور علي وعمار كانا يبكيان .

إن الصدمة كبيرة وهزت الجميع .. وأولهم مفرح الذي لا يستطيع أن يتواصل معه حاليا لفقده هاتفه لهذا انقسما هو وتوأمه نصفين واحد يذهب لمفرح والأخر يبقى مع بسمة ومع اخوة مليكة.

قال كامل لبسمة مشفقا وهو يسحبها ليجلسا على مقعدين بعيدين في ممر المستشفى

"تماسكي يا باسمة إن شاء الله سيطمئننا الطبيب "

رفعت إليه وجهها المنهار وقالت "لا أصدق يا كامل .. أنا في كابوس بشع .. مليكة! .. مليكة صديقتي! .. مليكة رمز العقل والحكمة .. كيف أصدق أنها من كان يحرق الحقول ليلا ؟؟ولماذا؟!! .. وكيف كانت غير واعية لهذا؟ ..لا استوعب هناك شيء غير مفهوم"

كان صوتها عاليا وصل لمسامع اخوتها فتغضنت ملامحهم بمزيد من الألم والصدمة

بينما أخذ كامل يربت عليها مهدئا وهمس لها مستفهما" أنا لم أفهم حين قص أخوها لك ما حدث من هي نجمة؟ .. هل كان لمفرح أولاد غير أدهم وإياد ؟"

مسحت عينيها الحمراوين بالمنديل ورفعت وجهها الأحمر إليه وتقول بصوت خافت "مليكة ليست أم أدهم وإياد وكانت متزوجة قبل مفرح"

قال كامل بصوت خافت "أعرف هذه القصة .. لقد قصها عليّ مفرح من قبل لكنه لم يذكر أي شيء عن وجود طفلة صغيرة"

ردت عليه وهي تمسح دموعها" نجمة هي وجعنا كلنا لهذا لن تجد أحد منا يتحدث عنها .. كلنا نحاول أن ننساها لنعيش الحاضر فقلوبنا جميعا انفطرت من أجلها لكن مليكة.. "

وعادت للبكاء فربت كامل على ظهرها لا يزال يشعر بالحيرة وعدم الفهم لكنه لم يرغب في

الضغط عليها لتقول بسمة بعد فترة من النحيب " حينما تزوجت مليكة حاولت أن تعيش وتتعايش مع زوجها وتنسى مفرح ..لكنها لم تقدر .. حتى أنها طلبت الطلاق بعد شهر واحد هو أقصى ما استطاعت تحمله "

سألها كامل" هل كان زوجها السابق يعاملها بقسوة؟"

هزت بسمة رأسها نافية ثم قالت" أبدا .. خالد كان يحبها كثيرا .. كان مجنونا بها.. هذا ما فهمته منها لكنها لم تكن تطيقه لم تحبه ورغم أن أهلها أعادوها له بعد أن حاولوا اقناعها بأن طلاقها بعد شهر واحد سيضر بسمعتها وسمعة العائلة وبعد أن حاولت هي الأخرى الحياة معه وتقبله وأنا شخصيا أشهد على ذلك كيف حاولت كثيرا أن تتعايش معه لكنها لم تستطع .. كان مفرح بينهما وكانت تشعر بذنب شديد لأنها تفكر في مفرح وهي زوجة لأخر

وكلما غلبها الشعور بالذنب عادت لأهلها تطلب الطلاق حتى حملت "
عبس كامل وقال بسرعة "إذن نجمة ابنة خالد هذا"
أومأت بسمة بالإيجاب وقالت "أجل واستمرت معه من أجل طفلها القادم .. لكن الذنب ظل يقتلها ومفرح يسيطر على كل أفكارها .. حاولت كثيرا طرده من رأسها .. حاولت التعايش مع خالد الذي يحبها لكنها فشلت فشلا ذريعا حتى مرضت مرضا شديدا وطلبت أن تنقل لبيت أهلها .. وهناك لم يجد الدكتور أكرم بدا من أن يتدخل .. كان أكرم وقت زواجها من خالد وما أثير قبلها من شائعات في بعثة بالخارج وحين عاد بعد زواجها تفاجأ بالوضع وتفاجأ بتشبث والده بالموضوع لكن بعد أن مرضت بهذا الشكل وكادت أن تلقى حتفها تدخل الدكتور أكرم وضغط على والده الذي

كان يشعر بذنب شديد لما آلت إليه حالة ابنته وبدأ الصوالحة في الضغط على خالد لطلاقها والذي رفض بشدة .. فرفعت مليكة قضية خُلع وانفصلت عنه ونجمة في عمر شهور .. (وصمتت قليلا والذكريات تطبق على صدرها فسحبت نفسا كبيرا ثم أضافت) لهذا ولدت نجمة في السرايا وعاشت في كنف مليكة وكان أبوها يزورها بمواعيد متفق عليها مع بشر وعلي .. وكانت مليكة تنوي بأن تعيش لتربيتها فقط حتى ماتت زوجة مفرح الأولى وعادت علاقتها به وبعد معاناة تزوج مفرح من مليكة ..(وشردت في نجمة فزينت ابتسامة حزينة شفتيها وهي تضيف) كانت نجمة وقتها في عمر خمس سنوات تقريبا وكنا متعلقتان بها أنا وأم هاشم كانت كالملاك الصغير البريء المهم أنه حينما تزوجت مليكة بمفرح وعدها بأنه

سيحضرها لتعيش في بيت العمدة مع ولديه
لكن طلب منها أن تمنحه وقتا لينفذ ذلك "
عبس كامل وناظرها بعدم استيعاب فأوضحت
بسمة باكية "للاسف من عادات البلدة
المجحفة في حق النساء ألا يسمح لمن لديها
أطفالا من رجل أخر بأن تأخذهم معها إلى بيت
زوجها الثاني .. للأسف المطلقة أو الأرملة عليها
أن تختار إما نفسها أو أولادها .. أما انسانيتها أو
التضحية بأولادها .. لهذا من تتزوج تترك
أطفالها في بيت أهلها "
عقد كامل حاجبيه لكنه لم يعلق شاعرا
بالاستياء لتضيف بسمة بأسف " هذه هي
العادات للأسف فمن يتزوجها يرفض بأن يربي
طفل رجل أخر والمحزن أنها في الغالب ستربي
أولاد زوجها الجديد فالذي تزوجها سيكون
بالطبع إما مطلق أو أرمل ولديه أطفالا يبحث
لهم عن أم فلو كان لم يسبق له الزواج أو ليس

لديه أطفالا فلن يفكر في الزواج بمطلقة أبدا (وناظرت كامل تضيف بمرارة) نفس نظريتك بالضبط "

شعر كامل بالضيق وأراد أن يدافع عن نفسه بأن موقفه مختلف لكنه آثر الصمت شفقة بحالتها المنهارة وتركها تكمل " طبعا مفرح لم يكن من هذا النوع لكنه أخبرها بأنه قد ضغط على والديه كثيرا ليتم الزواج فطلب منها أن تعطيه مهلة ليمهد الأمر مع والديه .. لكن لم يمهلهما القدر"

سألها كامل بعبوس "ماذا حدث ؟"

عادت بسمة للنحيب من جديد ثم تكلمت مفسرة " نجمة كانت تعيش في فيلا الصوالحة مع جدها وجدتها وأخوالها علي وبشر واسرتيهما وكانت تنام معها جدتها أم مليكة رحمها الله .. ويبدو أنها اشتاقت لوالدتها رغم أن مليكة زارتها عدة مرات بعد زواجها مباشرة

لكن يبدو أن نجمة اشتاقت لها ذات ليلة مشؤومة فتركت جدتها نائمة وفتحت نافذة غرفتها المطلة على الحديقة بعد أن فشلت في فتح الباب وتسلقت النافذة ترغب في أن تقفز فوق شجرة عالية كانت اغصانها ملتصقة بنافذتها"

وتوقفت قليلا تضع يدا مرتعشة على فمها تنتحب فقبل كامل رأسها وقال مشفقا "كفى" لكن بسمة أكملت بعد برهة " أرادت أن تقفز على الشجرة ظنا منها أنها تستطيع بعد ذلك النزول من الشجرة والذهاب لأمها لكن"

اجهشت بسمة بالبكاء الشديد فلمعت الدموع في عيني كامل وسألها بحشرجة "وقعت من النافذة ؟"

هزت بسمة رأسها عدة مرات وبدأت بالنحيب

.

قبل ثماني سنوات

خرجت بسمة تهرول في طرقات القرية مفجوعة غير مصدقة لما سمعت .. حتى أنها لم تنتبه لأن وشاحها قد سقط عن رأسها وأن شعرها يطير خلفها ..

كانت الطرقات خالية تماما ليس فقط لأن الساعة متأخرة من الليل .. ولكن لأن الجميع قد تجمعوا هناك يتابعون الكارثة .
ظل صوت الصرخات المفجوعة يقترب ويقترب حتى ظهر أمامها المشهد من بعيد .. حيث معظم أهالي القرية مجتمعون أمام سرايا الصوالحة وسيارة إسعاف تقف بالخارج ..
اخترقت الأجساد بصعوبة ثم دخلت من البوابة تلهث بشدة وتوقف الوقت بعدها للحظات..

تطلعت بغير تصديق في الجسد الصغير الممدد على الأرض والمسجى تحت الأغطية وتحجرت الدموع في عينيها الزرقاوين .

الألم يعتصر قلبها .. وأصوات البكاء والنواح تصم أذنيها ولم تستوعب مما يحدث لحظتها سوى أن علي أخو مليكة يمسك بتلابيب أحد المسعفين صارخا غير مصدق بأنها ماتت .
شعرت لحظتها بأنها تموت ببطء..
بالتأكيد هذا كابوس .. مجرد كابوس وستصحو منه بعد قليل ..
في الخارج تطلعت وَنَسْ في مَليكة صَوالحة التي ترتدي اسدال صلاة منزلي وهي تترجل بصعوبة من سيارة مفرح ثم خانتها ساقاها فسقطت أرضا..

هرولت ونس مبتعدة عن الجميع في حالة صدمة وهي تهمس في سرها " هذا كذب .. كذب !.. " .

بينما حاول مفرح الذي يرتجف مفجوعا من الخبر أن يرفع مليكة من تحت ابطيها لتقف على قدميها بينما هي محدقة في نقطة ما في الفراغ بنظرات مذهولة .

في الداخل رفعت بسمة مقلتيها الفيروزيتين الذاهلتين تدقق في الواقفين فلمحت أم هاشم تدفع المتجمعين عند البوابة بخشونة وعصبية ليفسحوا لها الطريق حتى تدخل .. ثم تسمرت أمام الجسد المسجى على الأرض.. ورفعت أنظارها الذاهلة نحو بسمة تحرك شفتيها ببطء (ماتت !).

وسقطت تفترش الأرض بانهيار وهي تضرب رأسها بيدها تصرخ بلوعة .

أما بسمة فتسمّرت على حالة الجمود والشلل
وعدم التصديق هذه ..
أو ربما هي الصدمة ..
تتطلع فيما حولها .. تحاول استيعاب ما
يحدث ..
وتمنت أن تهرب ..
تهرب بعيدا .. بعيدا عن هذا المكان .
لتسمع أحدهم يقول وهو يضرب كفا بكف
"هذا ما جناه الحُب يا أخي !"
فرد الآخر بأسف " لديك كل الحق ..لا حول
ولا قوة إلا بالله !"
وكأن حديثهما طلقات أطلقت في صميم قلبها
فرفعت يديها تمسك برأسها وصرخت فيهما
بهستيريا "بل هي عاداتكم المقيتة .. بل هي
أعرافكم الظالمة .. دمها في رقبتكم جميعا .. أنا
أكرهكم وأكره هذا المكان .. أكرهكم .. حسبي

الله .. أعرافكم السبب .. حسبي الله .. حسبي الله "

أما مليكة فدخلت بعد أن أفسح لهما الواقفون الطريق مستندة على ذراعي مفرح بل تكاد تكون محمولة بهما رغم أن ساقيها اللتان لا تشعر بهما تلمسان الأرض .

وبمجرد أن خطت إلى حديقة سرايا الصوالحة تسمرت تتطلع في الجسد المغطى بمفرش مخطبا بالدماء ..

كانت ذاهلة النظرات تنتفض بقوة وسكين حاد حارق يفتت كل خلية فيها ببطء وتعذيب ..

بينما أشاح مفرح بوجهه بعيدا عن المشهد ولم يستطع التماسك فبكى .. لتسقط بعدها مليكة مغشيا عليها بين ذراعيه.

قالت بسمة لكامل بحشرجة باكية "سقطت في أرض الحديقة ميتة (وأدارت وجهها إليه تضيف من بين دموعها) كانت صدمة كبيرة ..

صدمة أثرت فينا جميعا .. لازلت أتذكرها وهي ملقاة في الأرض ومغطاة ..لازلت أذكر انهيار خالاها علي وبشر والله كانا يبكيان كالأطفال .. "

دفنت وجهها في كفيها تبكي فسألها كامل بعد قليل" أهذا هو سبب عقدتك من رؤية الدماء ؟"

هزت بسمة رأسها بالإيجاب ثم أضافت "وسبب قراري بأن أتزوج خارج البلدة .. كنت أريد أن أهرب منها ومن كل شيء فيها .. كانت صدمتي كبيرة وصدمة أم هاشم أيضا كنا متعلقتان بنجمة كابنتنا .. حتى أم مليكة مرضت بشدة بعدها وتوفت بعد فترة قصيرة" أطرق كامل برأسه يشعر بضيق شديد في صدره يفكر في مفرح وموقفه وفي مليكة ثم رفع رأسه يسألها "متى حدثت الحادثة أقصد بعد كم من زواج مفرح ومليكة؟"

رفعت بسمة رأسها له تناظره لبرهة بنظرات متألمة ثم نطقت "أسبوعان"
اتسعت عينا كامل بصدمة وانفطر قلبه فهزت بسمة رأسها وقالت مؤكدة" كانت مليكة لا تزال عروسا .. لم يمضي على زواجها سوى اسبوعين .. لم تجد فرصة لتفرح .. قُتلت فرحتها بمفرح بعد اسبوعين فقط من الزواج .. وظلت فترة في حالة نفسية سيئة حتى حينما خُطِبتُ وتزوجتُ لم تكن حاضرة معي .. رغم تماسكها الذي كانت تحسد عليه .. لم تكن تخرج أو تتواصل اجتماعيا لفترة.. فقط أنا وعائلتها.. احتضنت أولاد مفرح وكانت تربيهم ..(واجهشت بالبكاء تغمغم) والله أشهد لها أنها ربتهم كنجمة بالضبط .. كانت رغم مصابها متماسكة أكثر منا.. وبعد فترة بدأت تضغط على نفسها للعودة للحياة العادية .. كنت أعلم بأنها تضغط على نفسها للمواصلة .. (وازداد

نحيبها مضيفة) مليكة يا كامل بالنسبة لي مثل أعلى في الصبر على المصائب .. بعد فشلي في تجربتي الأولى كانت هي من شجعني ووقف بجانبي .. كلما كنت أوشك على الانهيار أنظر إليها كيف هي شامخة صابرة محتسبة واشجع نفسي.. كنت اسميها أيقونة الصبر .. وكنت اتعجب من تماسكها فكانت تقول لي (من أجل أدهم وإياد حتى لا يختبرا اليتم مرتين ..(من أجل مفرح الذي ليس له ذنب فيما حدث) .. وكانت تتحاشى الحديث عن نجمة .. مشكلتها مع الطبيبة النفسية هي أنها كانت ستضطر للحديث عنها وهي متألمة لدرجة لم تكن قادرة على فعل ذلك قالت لي يوما حينما كنت أقنعها بالذهاب للطبيب (أنا لو فتحت الصندوق الأسود وتذكرت ما أريد أن أنساه سأنهار كليا ..سأتفتت وأتلاشى في الهواء وتنتهي مليكة من

فوق الأرض .. لكن علي أن أتماسك من أجل الولدين ومفرح) "

عادت بسمة لنحيبها ثم أضافت بعد برهة" لكن يبدو أن عقلها الباطن كان يفكر في ابنتها رغما عنها .. كانت ابنتها في قلبها رغما عنها .. (وأمسكت بذراع كامل تقول) أنا خائفة يا كامل خائفة من أن أكون قد فقدت صديقتي للأبد "

فُتح باب الغرفة البعيد فوقفت بسمة بتحفز واسرعت للانضمام للباقين ليقول الطبيب" لديها صدمة شديدة سنضعها تحت المراقبة" سأل أكرم " هل نستطيع أن نراها يا دكتور حسام؟"

قال حسام لصديقه بلهجة آسفة وهو يربت على ذراعه "اتركوها الآن فهي غير واعية ..ستخضع للمهدئات لفترة ولنرى ما سيحدث "

أطرق أكرم برأسه ولمعت الدموع في عينيه بينما قال بشر وهو يمسك برأسه "يا الهي ماذا سأقول لأبي؟ .. كيف سأخبره بهذا الخبر؟!"

xxxxx

وقف مفرح منكس الرأس يولي ظهره للجميع في ممر إحدى المستشفيات الكبيرة التي نقل إليها العمدة .. وكان هاتف مصطفى الزيني فوق أذنه يستمع لما يقوله أكرم عن حالة مليكة .. ويشعر وكأن قنبلة قد انفجرت في جوفه فحولته لشظايا متألمة فقال بحشرجة وهو يحاول التماسك بصعوبة " حسنا يا أكرم أنا سأطمئن على أبي وسآتي إليها فورا "

أتاه صوت أكرم يقول بلهجة متألمة " خذ وقتك فصدمتها شديدة وستبقى لفترة تحت تأثير المهدئات "

غمغم مفرح " أكرم ماذا حدث لها ؟.. سأموت والله أشعر بأني سأموت "

رد أكرم بحزن شديد " لا أعرف ماذا أقول كلنا حالتنا سيئة جدا .. وبشر اضطر لأن يعود للبلدة وسيحاول تمهيد الخبر لأبي "

هتف مفرح" يا الهي ..الولدان!.. كيف سنبرر لهما اختفائها

المفاجئ؟!! "

رد أكرم بحشرجة " سأتصل ببشر ليختلق لهما قصة "

خرج الطبيب فقال مفرح بسرعة" علي أن أغلق الآن سأعاود الاتصال بك (وأضاف بقلب مفطور) لن أوصيك عليها يا أكرم "

أغلق الخط واقترب هو ومصطفى وسليمان الوديدي وعدد من أهل البلدة من الطبيب الذي قال" العمدة سيحتاج لعملية جراحية عاجلة .."

قال مفرح متفاجئا "عملية جراحية"

رد الطبيب "أجل .. حالة القلب سيئة ..
والحقيقة أن وجوده على قيد الحياة بعد ما
حدث له الفضل فيه بعد الله سبحانه وتعالى
هو لدكتور حمزة فما فعله كان مجهودا جبارا
حتى وصلت الإسعاف "
نظر الواقفين لحمزة الواقف بعيدا يديه في
جيبي بنطاله يطالعهم من خلف نظارته الطبية
بجدية بينما سأل مفرح بصوت مجهد" هل
استطيع أن أراه؟"

هز الطبيب رأسه وقال "ولكن بدون أن
تجهدوه من فضلكم وسأخبرهم بإعداد غرفة
العمليات واستدعاء الطبيب الاستشاري "
دخل مفرح لغرفة والده بينما تحرك الواقفين
يضربون كفا بكف أسفين على حالة العمدة
ويناظرون حمزة بإعجاب وعبارات من نوع
(أنقذ ابن مصطفى الزيني العمدة) .. (لولا

الدكتور حمزة لمات العمدة) .. (أنظروا ماذا كانت تقول الحاجة نحمدو ..في الوقت الذي كان ابن مصطفى ينقذ العمدة) .. فشعر سليمان بالغيظ من أخته لما فعلت وتحرك ليجلس في الاستراحة حتى لا يتواجد مع مصطفى شاعرا بالخزي من نظرات الناس إليه بسبب أخته .

كانت عبارات الناس تبتعد عن مصطفى الذي كان لا يزال واقفا أمام غرفة عمه يناظر ابنه الذي يسبل اهدابه شاردا في نقطة ما في الأرض وقد خلا الممر إلا منهما .. فاعتدل حمزة في وقفته وقال بلهجة مجهدة" هل ستعود معي للبيت أم ستبقى يا حاج؟"

رد مصطفى بهدوء "بل سأبقى"

هز حمزة رأسه وقال وهو يتحرك " إذن سأذهب أنا السلام عليكم "

استدار مغادرا فناداه مصطفى "حمزة "
توقف الأخير دون أن يلتفت ليقول مصطفى"
جزاك الله خير يا بني "
أدار له وجهه يقول من فوق كتفه "وإياكم
ولكن علام يا حاج ؟"
رد مصطفى بصوت متأثر " على أنك لم تخذلني
ولم تتقاعس في إنقاذ جدك "
رد حمزة بهدوء معاندا " لكني لم أفعلها من
أجله يا أبي ولا من أجلك ولكن من أجل شرف
المهنة"
كان مصطفى يعلم بأنه يكابر على الاعتراف بأن
عاطفته قد غلبته فقال بابتسامة" شكرا لأن
ضميرك المهني لم يتأثر بالمشاكل العائلية "
هز حمزة رأسه عدة مرات وأدار وجهه يهم
بالمغادرة لكنه عاد واستدار بكليته لوالده
مضيفا "لكني مازلت أختلف معك يا أبا حمزة
وأرانا أصحاب حق علينا المطالبة به"

قال مصطفى بابتسامة سعيدة "وأنا أحترم وجهة نظرك حتى لو كنت مختلفا معك فيها لكن يكفيني ضميرك الحي لأطمئن عليك من بعدي "

هز حمزة كتفيه ورد ببساطة غامت لها عينا مصطفى تأثرا "تربية مصطفى الزيني "

قالها وتحرك مغادرا تتابعه عينا والده بفخر وهو يتوقف ليسلم كل خطوتين على بعض الأهالي الذين على ما يبدو كانوا يشكرونه فغمغم في سره " اللهم لك الحمد ولا حول ولا قوة إلا بك"

xxxx

قبيل الفجر

راقبته أم هاشم مدققة في جلسته ساهما على السرير يتطلع في شاشة التلفاز أمامه بشرود وازداد قلقها .. فمنذ أن عاد من الخارج بعد تأخير كبير أقلقها عليه بشدة وجعلها تقضي

الساعات في انتظاره وهي تطرد وساوسها التي تشككها بأنه ربما أعاد كاميليا إلى ذمته لكنها وبخت نفسها على هذا التفكير فأمر كهذا إن حدث لابد أن يعرف به أهل البلدة كلها كما أن أخلاق جابر لن تسمح بأن يخفي شيئا كاللصوص.

لقد عاد في حالة من الاجهاد الواضح فاغتسل وصلى ثم قرأ ما تيسر له من القرآن ولم ينم . اقتربت منه تكرر عليه السؤال "لماذا أنت شارد يا جابر؟"
تطلع فيها جابر في تلك المنامة القطنية الرقيقة التي ترتديها بلوزة بحمالات وشورت وحسم أمره بشأن ما حدث الليلة لصاحبتها بأن قرر بأنه لن يخبرها .. فلم ينسى بعد هيئتها المنهارة في حادثة بسمة وتهورها .. ولم يرغب في أن ينكد عليها وبالتأكيد ما حدث لمليكة سيحرص

أولاد الزيني والصوالحة في ألا يعرف أحد من أهل البلدة عنه شيئا ..إذن أم هاشم لن تعرف من أحدهم .. الشخص الوحيد الذي من الممكن أن تعرف من خلاله هو بنت الوديدي صديقتهم الثالثة لكنه سيترك الأمر لربما أخفت عنها بسمة كنوع من التكتم على الخبر.. كما أن الأمر سر وهو لن يستطيع أن يفشي السر .

تطلع مليا في ملامحها المحببة ولفت انتباهه القرط الغريب الذي ترتديه في أذن واحدة فقال مضيقا عينيه " هذا القرط رأيته عليك في أول مرة رأيتك فيها بدون حجاب وتعجبت لشكله ثم لم تلبسيه بعدها إلا الآن"
اشتعلت وجنتا أم هاشم وردت" كنت أرتدي القرط الذهبي لأن الزيارات كانت كثيرة لكني عدت لارتدائه لأني أحبه"

قرب جابر رأسه منه يمسك به مدققا ثم هتف باندهاش "هذه فليفلة حمراء!"
فهمت أم هاشم بأنه لا يذكره فابتسمت له بإحباط وجلست بجواره على السرير فعقد جابر حاجبيه من جديد يقول شاردا في القرط "أشعر بأني رأيته من قبل .. ليس المرة التي رأيتك فيها بدون حجاب .. لا قبل ذلك لكني لا أذكر كيف وأين !"
تطلع فيها بعينين متسائلتين ينتظر ردها فراوغته قائلة" ليس هذا وقته .. (وقالت بإسلوب المحققين) كف عن المراوغة يا جابر وأجبني ماذا بك"

شرد في القرط لبرهة لكن ذهنه لم يكن صافيا لأن يفكر في شيء فسحبها إليه لتنام على صدره ورد "قلت ليس بي شيء"

رفعت رأسها عن صدره وناظرته وهي تقول بلهجتها المازحة "أتتهمني بالغباء يا جابر!!"
ابتسم ابتسامة ضعيفة ورد" صدقيني هناك مشكلة بالعمل"
عبست وقالت مجادلة "أي مشكلة وأنت كنت مع مصطفى الزيني كما أخبرتني !"
رد عليها وهو يسحبها لتعود لصدره" مشكلة علمتها بالهاتف يا ذكية كفي عن الاستجواب"
مسدت على صدره بحنان وهي تقول بلهجة ساخرة" إن لم أستجوبك حتى تستغيث مثل أي زوجة أصيلة ماذا سأفعل في حياتي يا جابر؟!"
ابتسم جابر ابتسامة متسعة فرفعت رأسها تناظره وقالت" أخيرا ضحكت الحمد لله تمت المهمة بنجاح "
سألها عاقدا حاجبيه "أية مهمة؟"

ردت بسرعة " مهمة محو المئة وإحدى عشر من فوق جبهتك "

عقد جابر حاجبيه ولمس جبهته بحركة تلقائية وهو يقول "ماذا تعني بـ (مئة وإحدى عشر)! "

أشارت له بين حاجبيه المعقودين على شكل رقم مائة وإحدى عشر التي يشكلها الجلد عند العبوس وقالت تمرر عليها سبابتها" ها هي مائة واحدى عشر جديدة.. فشلت المهمة وحدث انتكاس علينا البدء من جديد"

ابتسم جابر من طريقتها وسحبها إلى صدره قائلا" اخرسي يا أم هاشم "

قالت من فوق صدره مستمرة في مناكفته لتخرجه من مزاجه السيء "هل لو خرست ستمحو المئة وإحدى عشر عن وجهك؟"

قبل أن يرد رن جرس الباب فاتسعت عيناهما معا وابتعدت أم هاشم عنه تناظره باندهاش

وهو يترك السرير فقالت بقلق "من سيأتينا في هذا الوقت؟ لقد أوشك الفجر على البزوغ !!"
قال وهو يرتدي خف البيت في عجلة" وكيف لي أن أعرف "
اسرعت تهرول خلفه ثم شهقت حينما وجدت طرقات متسارعة على باب البيت وليس البوابة الخارجية فغمغمت وهي تمسك بقلبها "أستر يا رب "
نزل جابر على السلم مسرعا في الوقت الذي خرجت فيه نجف من غرفتها مفزوعة تقول" ألم تغلق البوابة بالمفتاح خلفك يا جابر؟!"
غمغم الأخير بعبوس والطرق العالي لا يزال مستمرا بإلحاح "بل أغلقتها يا أمي"
أسرع بفتح الباب ثم اتسعت عيناه في الوقت الذي شهقت فيه نجف شهقة قوية .

الفصل الثلاثون

نزل جابر على السلم مسرعا في الوقت الذي خرجت فيه نجف من غرفتها مفزوعة تقول" ألم تغلق البوابة بالمفتاح خلفك يا جابر؟!" غمغم الأخير بعبوس والطرق العالي لا يزال مستمرا بإلحاح "بل أغلقتها يا أمي" أسرع بفتح الباب ثم اتسعت عيناه في الوقت الذي شهقت فيه نجف شهقة قوية وصاحت بمفاجأة " زين !!"

قال زين من أمام باب الشقة بلهجة مازحة موبخة" أجل زين .. كل هذا ولم تفتحي يا نجف ..من المفروض أن يكون قلبك دليلك (ونظر لجابر الذي اتسعت ابتسامته بفرحة عارمة يقول) وأنت يا عريس غارق في العسل وتارك أخاك على الباب كل هذا الوقت!"

اسرعت أم هاشم بالعودة لغرفتها لترتدي شيئا محتشما بينما تعانق الأخان وجابر يقول" لو كان أخي قد أخبرني بأنه قادم كنا فرشنا الأرض بالرمل لاستقباله (وربت على ظهره بمحبة مضيفا) حمدا لله على سلامتك"

تشبث به زين للحظة ثم قبّل بعدها كتف أخيه الذي يكبره بإحدى عشر سنة والذي رباه بعد وفاة والده وعلمه وأنفق عليه من أموال الغربة حتى يتخرج من الجامعة ويلتحق بدورات تدريبية منحته شهادات دولية هي ما سهلت له الحصول على وظيفته الحالية في أحد الشركات الكبرى في إحدى دول الخليج والتي كان لأخيه الفضل في أن يلتحق بها.. ثم تحرك نحو نجف التي تقف تمسح دموعها فقبل رأسها ثم مال يحضن قامتها القصيرة وهو يغمغم" اشتقت إليك يا أم جابر"

سأله جابر بعد أن اختلس نظرة سريعة للطابق العلوي ليتأكد من أن أم هاشم قد علمت بوجوده واسرعت بالدخول إلى الغرفة "لماذا لم تخبرني بموعد عودتك كنت استقبلتك في المطار ؟"

ابتعد زين عن أمه وأحاط ذراعه بكتفيها يضمها إليه وهو يقول" الحقيقة أن الموضوع جاء بسرعة .. سمحوا للقسم المالي بالشركة بأن يتفق الموظفون فيما بينهم على التناوب في الحصول على الاجازة السنوية لانتهائهم من أعمال المناقصة المطلوبة.. وكان حظي سعيدا أن استطعت الحصول على اجازتي على أول القائمة (وغمز بعينه) كما أنني لم أرغب في أن أقلقك في شهر العسل يا جبورتي (وقال بلهجة ذات مغزى وهو يقترب منه ويعدل له ياقة منامته) يااااه تبدو مختلفا يا جبورتي .. وكأنك عدت عشر سنوات للوراء ..مادام الأمر كذلك

سنشجعك على تغيير الزوجة كل بضع سنوات"

قالها وانفجر ضاحكا فضربته نجف على ذراعه تقول بتوبيخ وهي تلملم ضحكتها "كف عن اللسان الطويل إن شاء الله زيجة العمر"

مد جابر يده ليغلق الباب وهو يناظره ضاحكا بينما صفق زين بيديه قائلا بتسلي" ما هذا يا الهي !.. الحاجة نجف تدافع عنها !!.. بنت الشيخ أكلت عقل حماتها .. بركاتك يا أخت أم هاشم (وصرخ فجأة حانقا وهو ينظر للباب المغلق) الحقائب لقد أغلقت الباب على الحقائب يا جابر "

طالعه جابر بامتعاض ليسرع الأخير ويفتح الباب فقالت أمه "ولماذا تصرخ بهذا الشكل ألم تغلق خلفك البوابة بالمفتاح ؟"

رد زين وهو يحمل حقائب كبيرة ويدخلها في مدخل البيت "أغلقتها يا حاجة ..لكن الانسان

لابد أن يعامل شقاءه وتعبه بحرص (وابتسم يقول مشاكسا) أحضرت لكم هدايا ستحبونها جدا لأني دفعت فيها مبلغا وقدره"
قالت نجف وهي تشده ليجلس على الأريكة" تعال اجلس أولا ودعك من الهدايا ..لماذا فقدت وزنك بهذا الشكل "
قبل أن يجيبها غمغم جابر بتهكم وهو يتحرك ليجلس على الأريكة المقابلة" سنبدأ في وصلة المفاخرة بعنوان (اشتريت لكم هدايا)"
ضحك زين ورد" أنت بالذات اشتريت لك هدايا رائعة يا عريس "
ناكفه جابر متهكما" وبالطبع الفواتير مرفقة مع كل هدية"
انفجر زين ضاحكا ثم رد بنفس المناكفة" بالطبع حتى أريك كيف أني أقدرك وكيف ابتعت لك هدية بملغ وقدره"
"السلام عليكم "

قالتها أم هاشم وهي تنزل من فوق السلم ترتدي عباءة وتلف وشاحا حول رأسها فنظر إليها زين ورد" وعليكم السلام ورحمة الله الف مبروك يا بنت الشيخ .."

ردت أم هاشم عليه بحرج "بارك الله فيك يا زين العقبى لك"

غمغم زين وهو يتأملها " لازلتِ كما أنتِ لم يتغير فيكِ شيء"

ردت عليه "ولازلت أنتَ أيضا كما أنت "

رد بسرعة وهو يرفع ذراعا ويشير لعضلاته " بل تغيرت وأصبحت طويلا قويا مفتول العضلات"

لوت أم هاشم شفتيها وقالت بتهكم بعد أن ضربت باطن كفها بظاهر الأخر فوق بطنها "أنرتنا أنت وعضلاتك"

هتف زين محذرا " أشعر بالتهكم في كلامك يا بنت الشيخ !"

قالت نجف باندهاش " لا حول ولا قوة إلا بالله هل فعلت لك البنت شيئا !"

رد زين "أجل يا أمي (وأطرق برأسه يدعي المسكنة مضيفا) دفعتني ذات يوم فارتطمت بالحائط وضحك عليّ الأولاد وجعلوني مسخرة المدرسة"

ضحكت نجف بينما رفع جابر رأسه إليها مبتسما فبادلته الابتسام ليربت لها على الأريكة حتى تقترب وتجلس بجواره لكنها نظرت لزين تقول "هل أكلت بالمطار أم أنك جائع؟"

رفع زين رأسه المحني فجأة يقول بملامح جادة" هكذا بدأنا نتفاهم وقد أفكر بالعفو عنك بالطبع أنا جائع "..

xxxx

تطلع مصطفى بشفقة كبيرة في مفرح الجالس يفترش أرض المسجد منكس الرأس يقرأ في مصحف بعد أن انتهى المصلون من أداء صلاة

الفجر ويجلس بجواره شامل نخلة الذي وصل منذ قليل .

لقد حضر هو ومفرح ورافقهم شامل وكل من كان لا يزال موجودا من أهل البلدة في المستشفى إلى المسجد الملاصق ليصلوا وقرر مصطفى أن يبقى معه مادام قد قرر أن يبقى مع والده حتى الصباح حيث تحدد موعد عمليته الجراحية .

اقترب سليمان من مفرح يقول" لماذا لا تذهب للبيت وتستريح يا مفرح ثم تعود في الصباح ؟"

صدق مفرح ورفع عينيه لخاله يجيب بصوت منهك يخرج بصعوبة "لا أنا سأعود للمستشفى وسأبقى حتى يأتي موعد العملية "

هز سليمان رأسه وقال وهو يلملم عباءته" وأنا سأذهب لأطمئن على نحمده وأطمئنها وإن شاء الله سأكون موجودا في الصباح (ونظر لوليد يسأله) هل ستأتي معي يا وليد؟"

استقام وليد واقفا ثم اقترب من مفرح ومال عليه يقول بصوت خافت" أنا سأذهب لبيت العمدة لبضع ساعات لأطمئن على مهجة لأنها لا تزال منهارة "

تذكر مفرح والدته وتساءل في سره إن كانت ستبقي فمها مغلقا فيما يخص مليكة أم أنها ستكرر ما فعلته قديما ؟..فبلع غصة مُرة يائسة في حلقه وقرر بأنه لن يسكت هذه المرة فمليكة زوجته ولو قامت أمه بتسريب الخبر سيأخذ أولاده ويرحل بلا رجعة .

هز رأسه يقول لوليد "أجل اذهب إلى مهجة فلا داع للبقاء"

ربت وليد على كتفه وهو يقول" لقد علمت بأنك قد أضعت هاتفك .. سأبتاع لك هاتفا محمولا وخطا جديدا صباح الغد إن شاء الله"

هز مفرح رأسه مجددا فتحرك وليد حافي القدمين فوق سجاد المسجد يغادر مع أهالي

البلدة .. بينما عاد مفرح للمصحف قبل أن يدير رأسه بعد برهة لمصطفى يسأله فجأة سؤالا وجوديا حائرا جعل شامل الجالس بصمت يفكر فيما سمعه من كامل" لماذا يحدث معي كل هذا ؟"

شعر مصطفى بأنه يمر بحالة من الضعف والانهيار فرد عليه " ليس كل ما نمر به من محن في حياتنا نكون على بينة من المغزى منه لكن الثقة في الله وفي عدله وفي حكمته تساعدنا على أن نحتفظ بعقولنا حتى لا يعصف بها الجنون .. ربما يكون ذنبا لا تعلمه فيبتليك ليطهرك منه قبل أن تغادر الدنيا .. وربما هو امتحان .. وكلما اشتد إيمانك صعب امتحانك يا ابن عمي أي انه خير في الحالتين بإذن الله.. فاصبر واحتسب"

قال مفرح بصوت مبحوح" أنا صابر والله صابر لكن (ودمعت عيناه مضيفا) لكن يصعب عليّ تحمل معاناة من أحبهم "

سرت رجفة في قلبه وهو يتذكر مليكة والخوف الشديد يسيطر عليه..

هل ضاعت منه للأبد؟ ..

هل وصل بها حزنها على بنتها .. الحزن الذي كان يأمل في أن تتخلص منه مع مرور الوقت ..

هل وصل بها لمرحلة اللا عودة؟

إنه يتألم بشدة .. يتألم لأنها لا تزال تتألم ..

لقد مرت عليه أوقات ظن فيها أنها استطاعت أن تخفف من شعورها بالحزن لكن مؤخرا وبعدما حدث يوم أن اكتشف خضوعها لإذلال والدته أدرك بأنها لم تتخط الحادث بعد ..وبأنها تعاقب نفسها بطريقة أو بأخرى .. لهذا أصر على أخيها أكرم حتى يقنعها بالذهاب لطبيب نفسي ذلك الطلب الذي طلبه منها

مرارا من قبل لكنه بات منذ تلك اللحظة حتميا ..لكن هل الضغط عليها بالخضوع للاستشارة النفسية هو ما أوصلها إلى هذه الحالة ؟

حدق في سجاد المسجد يحلل الامر وعاد يجادل نفسه .. لكن الملثم والحرائق ظهروا قبل عدة شهور.. فعاد يرفع رأسه وتلفت حوله ليتأكد من خلو المسجد إلا من مصطفى وشامل الذي قال بهدوء ليفسح له المجال للحديث مع ابن عمه "سأنتظر بالخارج "

أسرع مفرح بالقول" لا أبق معي .. أنا أحتاجك بجواري .. احتاجكما أنتما الاثنين حتى أظل محتفظا بعقلي ولا أنزلق نحو الجنون (وأدار وجهه يسأل مصطفى بذهول) هل هي من كانت تحرق ؟"

أطرق مصطفى برأسه وقال "لا نريد أن نتسرع في إلقاء الأحكام خاصة وأن تقصي الحقيقة والبحث خلف هذا الأمر لابد أن يتم بسرية

تامة .. (ثم رفع إليه أنظاره يقول) لكن مبدئيا الجلباب الرجالي الذي كان في سيارتك أنا أخذته عندما وصلت خشية من أن يحصل عليه أحد ويكون دليلا .. هذا الجلباب كانت به رائحة بنزين قوية .."

تطلع فيه مفرح باتساع عينيه غير مصدق ليضيف مصطفى "تحفظت أيضا على الدراجة وعلى قطعة قماش بها بنزين وجدهما الناس في الحقول و ..."

صمت مصطفى وتطلعت عيون مفرح وشامل به وهو يخرج من جيب جلبابه كيسا شفافا به قداحة وأضاف " لقد فتشت جيوب الجلباب لعلي أجد شيئا.. فلم أجد إلا هذه القداحة ولهذا كنت قادما إليك في بيت العمدة حينما تفاجأت بصوتكم العالي .. كنت أريد أن أسألك إن كنت تعرف لمن هذه القداحة فيخيل لي بأنها ليست رخيصة الثمن ولا أتوقع بأنها

تخص صاحب الجلباب القديم الذي يبدو لرجل فقير وعلى حد علمي أنت لا تدخن "
أمسك مفرح بالكيس من يد مصطفى وأخرج منه القداحة يتفحصها وهو يقول "أشعر بأني قد رأيتها من قبل"
مد شامل يده ليأخذ القداحة من مفرح ثم تفحصها وقرأ المكتوب عليها قائلا" هذه القداحة من ماركة *** الشهيرة وهي بالفعل ليست رخيصة الثمن "
كان مفرح مجهدا بشدة .. يشعر وكأن سماءه قد أطبقت فوق أرضه فلم يقل شيئا بينما أضاف شامل "ربما هناك شخص مدخن من اخوتها مثلا "
رد مصطفى مؤيدا "هذا بالضبط ما كنت أفكر فيه "

رفع مفرح إليهما رأسه يقول" هل هذا يؤكد بأنها هي الفاعلة؟!.. لا أصدق! .. إنها غير قادرة على قتل نملة إنها .."

خنقته رغبة قوية في البكاء فانتفض واقفا حتى لا ينهار .. وتحرك ليضع المصحف في مكانه على الرف ليتبادل شامل ومصطفى النظرات قبل أن يقول مفرح" أنا سأذهب لوالدي"

استقام الاثنان ثم ربت مصطفى على كتف مفرح قائلا" أنا أدرك حجم ما تمر به من فاجعة يا ابن عمي ..لكن تماسك .. فلنطمئن أولا على أم أدهم وعلى العمدة .. أما باقي الأمور فلا تحمل لها هما سندبرها بإذن الله "

هز مفرح رأسه باستسلام بينما أعاد شامل القداحة لمصطفى فوضعها الأخير في جيبه وهو يقول" لابد أن نسأل أحد أولاد الصوالحة على هذه القداحة .. حتى نتأكد "

xxxx

كان زين قد خلع عنه سترته الأنيقة وعلقها على ظهر أحد كراسي السفرة وشمر ذراعي القميص وجلس يلتهم الطعام بنهم فقالت نجف التي تجلس بجواره على السفرة بعد أن أصر عليها أن تفعل ذلك" كُل بتروي وأمضغ الطعام ببطء يا زين "

قال الأخير وهو يضع اللقمة في طبق الملوخية ويرفعها إلى فمه ثم أمسك بملعقة من الفاصوليا البيضاء بالصلصة ووضعها فوق الأرز" مشتاق لطبيخ البيت يا نجف بطني تعفنت من الأكل الجاهز "

سألت أم هاشم التي شدها جابر قبل قليل لتجلس بجواره على الأريكة ثم فرد ذراعه بحركة تلقائية وغير متعمدة على ظهر الأريكة خلفها " ألا تطبخون لأنفسكم بالغربة؟"

رد جابر بالنيابة عن أخيه الذي حشر ملعقة الأرز بالفاصوليا في فمه وبدأ في تقطيع صدر

الدجاجة الذي كان متبقيا من طعام الغداء
"بعض الرجال في الغربة يطبخون أكلات
بسيطة وليست معقدة لكن مع ضغط العمل
وعدم وجود من يشجعك على الأكل معه
تصبح معظم أيام الأسبوع وجبات جاهزة "
هزت أم هاشم رأسها متفهمة وأبعدت عينيها
عن جابر وشعور بالسعادة والدفء يسيطر
عليها خاصة في هذه الجلسة الدافئة .. فمن
كان يصدق بأنها يوما ستجلس في بيت جابر
ترحب بعودة أخيه زين وتطعمه من طعام
الغداء التي صنعته بيدها .
رفع زين ابهامه إليها في الهواء فبدا لحظتها
شديد الشبه بجابر ولكن أصغر سنا وقال
"الطعام عالمي يا أم هاشم والملوخية معجزة "
اشتعلت وجنتاها وشعرت بالإطراء قبل أن
يضيف" لقد عفوت عنك .. وكلما اطعمتني

بمثل هذه الأصناف كلما ساعدتني على محو ماضيك المخزي من ذاكرتي "
تممت أم هاشم على حجابها بحركة مختالة وهي تغمغم بصوت مسموع دون أن تنظر إليه
" لقد أُغلق المطبخ من الآن فصاعدا مادام الأمر (خيرا تفعل شرا تلقى)"
صاح من مكانه" هل ستمنعينني من الأكل في بيت أخي؟..
(وضرب على المنضدة) .. أنا في بيت أخي .. أخي الذي هو زوجك وابن هذه السيدة التي هي حماتك يا أخت أم هاشم"
ردت بوجه جاد كعادتها في المزاح" طبعا بيت أخيك وهو وأمه فوق رأسي ..لكن المطبخ مطبخي ومفتاحه في يدي (ومررت أنظارها سريعا بين زوجها وحماتها المبتسمين وأضافت) لا تؤاخذني يا جابر لا تؤاخذيني يا خالتي "

اتسعت عينا زين واستمر في مناكفتها قائلا لأخيه وأمه "أرأيتما المعاملة؟"

كتم جابر ونجف الضحك ليقول زين" لماذا تصمتان(و تطلع في أمه قائلا)هل أكلت عقلك بنت الشيخ يا نجف ؟ (ونظر لأخيه) ألن تدافع عن أخيك يا جابر ؟"

تدخل جابر في مزاحهما قائلا بهدوء" بصراحة لن نستطيع أن نتحدث حتى لا نُحرم نحن أيضا من خيرات المطبخ"

شهق زين وضرب على صدره مقلدا طريقة ولكنة النسوة الفلاحات وهو يقول " هل سحرت لكما بنت الشيخ زكريا؟!.. هل عقدت لكما عملا سحريا على ورك نملة عذراء!"

قهقه جابر وأمه بينما غمغمت أم هاشم وهي تلملم ضحكة تريد البزوغ على شفتيها" سامحك الله لن أرد عليك"

قالت أمه "أترك المزاح وكُل (وغمغمت بعينين دامعتين) اشتقت إليك يا ولدي"
أمسك زين بيدها ولثمها ثم علت الجدية على وجهه وهو يسأل جابر" لقد توقعت أن أجد البلدة نائمة لكني أشعر بأن هناك شيئا غريب يحدث فيها لا أفهمه"
رد جابر بهدوء" كانوا يحاولون الامساك بالملثم"
أدارت أم هاشم إليه وجهها تسأل بتفاجؤ "وهل أمسكوا به؟"
غمغم جابر بهدوء" لا لم يستطيعوا الامساك به "
فسألهم زين بعبوس وعدم فهم "من هو الملثم ؟!!"

xxxx

"كفى بكاء يا ونس إن شاء الله مليكة ستكون بخير"

قالتها سوسو وهي تربت على ونس التي تجلس بجوارها على الأريكة في غرفة المعيشة
ويناظرهما غنيم بوجوم من فوق مقعد بجوار النافذة وهو يتذكر القصة الموجعة التي سبق وأن حكت له بسمة عنها.
كان ثلاثتهما يرتدون ملابس النوم وقد استيقظ غنيم وسوسو بعد المكالمة التي أتت لبسمة وجعلت الأربعة في حالة استنفار فاتصلت بسمة بعلي أخو مليكة وحمدت ربها أنها لا تزال تحتفظ برقم قديم له كان مسجلا عندها وعلمت منه بأنهما يتوجهان بها لمستشفى ما ..طلب أكرم منهما أن ينقلاها إليه فأسرع كامل وبسمة بالذهاب لها حيث لم تستطع الأولى الصبر حتى الصباح بينما قرر شامل أن يسافر لمفرح بعدما استشعر من كلمات بسمة بأن هناك أمرا ما يحدث معه منعه من أن يرافق زوجته .

أما ونس التي رفض شامل أن تذهب مع بسمة وكامل في ذلك الوقت المتأخر من الليل فظلت تبكي بحرقة خاصة بعدما اتصل غنيم بكامل قبل قليل وفهم منه بدون تفاصيل بأن مليكة تعاني من صدمة عصبية.

كتبت ونس في دفترها لسوسو" أشعر بالخوف الشديد عليها فما هو هذا المرض الذي تعاني منه فجأة لتنقل في هذا الوقت المتأخر من الليل للعاصمة دون اللجوء لمستشفى في المحافظة .. وأن يتصل مفرح يطلب من بسمة مرافقتها لأنه لا يستطيع.. أمر غريب كهذا يوحي بأن هناك خطب ما مقلق "

تبادلت سوسو النظرات مع غنيم ثم قالت وهي تربت عليها مواسية "الأمر بالفعل غريب لكن نسأل الله أن يكون وضع صحي بسيط ليس له علاج في مستشفيات المحافظة لذا توجب نقلها للعاصمة "

رغم شعور سوسو بعدم منطقية تفسيرها لكنها آثرت أن تخفف على زوجة ابنها التي كتبت في دفترها وهي تبكي " إن حدث شيئا لمليكة سأحزن بشدة .. لا أحد يعرف مليكة مثلي ..لا أحد يعرف كيف هي شخص كريم معطاء بلا حدود .. كيف أنها حنون إلى أبعد مدى .. أحيانا رغم أنها لا تكبرني إلا بثماني سنوات فقط كنت أشعر بأنها تعاملني مثل الأم .. تعلمت منها أمور كثيرة .. ولا زلت أتعلم .. تسأل عني دوما وعن احوالي .. وإن أردت أن أسأل عن أمر أتحرج فيه من سؤال أحد ألجأ لها هي .. كانت تحدثني صباح أمس على الواتساب كعادتها يوميا وكانت تشجعني على ألا أيأس بشأن دروس التخاطب كيف مرضت فجأة بدون مقدمات؟"

عادت ونس تدفن وجهها في كفيها وتبكي فناظرت سوسو زوجها وهي تربت على ظهرها

ثم قالت" ونس أرجوك تماسكي هذا يضر بك وبالجنين "

سُمع صوت حركة في المرآب فخمنوا بأن كامل وبسمة قد عادا فتنبهوا جميعا يتطلعون في الباب الداخلي للمرآب قبل أن تدخل بسمة بوجه شديد الاحمرار من أثر البكاء تبعها كامل يلقيان السلام.. فنظرت بسمة لونس التي تتطلع فيهما بترقب لتقول الأولى "تم حجزها بالمستشفى حتى تستقر حالتها "

سألها غنيم باهتمام "ماذا حدث؟ ما بها ؟"

تطلعت بسمة في ونس ثم ردت على غنيم باقتضاب فهم منه بأنها لا تريد الاسترسال أمام ونس حتى لا تزيد من حالتها المنهارة "لديها صدمة عصبية ولا يعرف اسبابها"

عقدت ونس حاجبيها بعدم فهم ثم كتبت في دفترها وتركت مقعدها لتقترب من بسمة

تسألها" ما السبب الذي يجعلها تعاني من الصدمة ؟..بالتأكيد هناك ما حدث لتنهار" تطلع فيها كامل بقلق فقد بدت منهارة بشكل أسوأ من بسمة التي ردت بدبلوماسية" يبدو أنها تراكمات موضوع ابنتها التي فقدتها منذ سنوات ..بالطبع سمعت بهذا الموضوع " اتسعت عينا ونس وتطلعت في بسمة بنظرات حائرة وغمغمت في سرها" بشأن الطفلة !" قال كامل باقتضاب "أنا سأصعد لغرفتي لارتاح قليلا ..شامل حدثته منذ قليل وأخبرني بأنه مع مفرح بالمستشفى لأن والده مريض .. سأنام قليلا ثم نقرر بعدها ماذا سنفعل غدا" قالها وهو ينظر لبسمة التي قالت له بهدوء" اصعد أنت وأنا سألحق بك بعد قليل (وقالت لحميها) عودا للنوم أنا سأبقى مع ونس " قالتها وهي تمسك بذراعها بمواساة فتحرك غنيم وسوسو لغرفتيهما بينما تطلعت بسمة في

ونس التي وقفت ساهمة وكأن على رأسها الطير فشعرت بالشفقة عليها وبشعور أخر لا تعلم من أين ظهر فجأة بأن عليها أن تملأ الفراغ الذي ستتركه مليكة بشكل مؤقت بغيابها .. كتمت رغبة ملحة أخرى للبكاء ولفت ذارعها حول كتفي ونس وقالت وهي تشاهد كامل ينسحب ليصعد السلم في حالة من الحزن الشديد" تعالي يا ونس لنصعد إلى غرفتك لا أريدك أن تنهاري فيضر ذلك بالجنين .. مليكة ستكون بخير إن شاء الله (وتأملت الفراغ تكرر وكأنها تطمئن نفسها بعد ذلك الشعور بالفراغ المؤلم بداخلها باختفاء مليكة من حولها) إن شاء الله ستكون بخير فهي قوية .. حتى لو مرت بلحظات انهيار أعلمها قوية ولديها قوة داخلية للتحمل والمواصلة "

أما ونس فشردت تحدق في الفراغ بعينين تحجرت فيهما الدموع.

xxxx

تأمل مفرح والده الممدد على السرير مغمض العينين على أنفه وفمه جهاز التنفس فازداد حزنه ..

رغم أنه يثقل على عاتقه بما لا يطيق لكنه والده .. الجذع الذي نبت منه الفرع .. صحيح كان جذعا يميل بكل ثقله على الفرع حتى سحقه لكنه يبقى ..والده.

أمسك بيده بارزة العروق الممددة على السرير بجواره .. واحتضنها بين كفيه وللحظة تمنى أن تربت تلك اليد على رأسه ..تواسيه .. تخفف عنه .. تطيب جرحه ..

تمنى أن يكون والده هو الملجأ له في محنته مع مليكة .. تمنى أن يجده عضدا وسندا .. تمناه أن يكون كمصطفى الزيني ... فمهما كبر وازداد خبرة وحصل على الشهادات تأتيه لحظات يتمنى فيها أن يتكور كطفل في حجر والده ..

يطلب منه الدعم النفسي .. النصيحة ..
المؤازرة أو ربما .. الطبطبة .
مال يسند جبينه على يد والده فوق السرير
بإنهاك شديد وشعور يائس قاتم جاثم كصخرة
عملاقة على صدره ثم غمغم بلهجة متألمة"
تمنيت دوما أن تفهمني يا أبي .. رغم أنك أب
كريم ولم تبخل علي بالمال لكنك لم تلتفت
لمشاعري أبدا .. دوما ما كنتَ تعاملني وكأنني
إنسان آلي مهمته أن يتلقى الأوامر ويحقق
رغباتك وأحلامك ومشروعاتك .. الأخرون
ممن هم من عائلات كبيرة مثلي يحملون اسم
عائلاتهم وتاريخها نيشانا فوق صدورهم ..
يحملونه فخرا وافتخارا ..يشعرون بالامتنان
لكونهم قد ولدوا وهم ينتمون لهذه العائلة ..
أما أنا .. (وتحشرج صوته) أنا يا أبي .. ولدت
لأحمل اسم عائلتي حملا ثقيلا فوق ظهري ..
وأفكر في كل حركة ونفس حتى لا أسيء لاسم

العائلة .. ليس فقط عائلتنا الصغيرة عائلة عبد الرحيم الزيني ..ولكن لكل أولاد الزيني ..دوما ما كنت أشعر بأني أحمل أولاد الزيني كلهم بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم فوق ظهري .. تخيل أن يحمل إنسان عائلة كاملة قديمها وحديثها فوق ظهره .. دوما ما كنت أشعر بأنني مسجون بين قضبان هذه القرية .. ومع هذا لم يكن عندي أبدا رغبة في الابتعاد كليا عن أصولي كما تشعرني دوما ولكني أفضل حياة المدينة على أن أزور البلدة بشكل منتظم فعملي وأرضي فيها وباقي أهلي بها .. "

ساد الصمت قليلا ثم أردف مفرح بصوت شديد الحزن "أضف على هذا ما حدث لي منذ أن ظهرت مليكة في حياتي.. تحولت حياتي إلى جحيم .. ليس بسببها .. ليس بسببها أبدا .. فهي والله جنة مفرح .. فروحي تعلقت بروحها .. زرع الله الحب في قلبينا من فوق سبع

سماوات .. أنا أعرف بأنك وأمي لا تعترفان بمثل هذه الأمور وتعتبرانها نوعا من الضعف والسخف لكنها للأسف الحقيقة .. هكذا خلقني الله .. خلقني لأحب امرأة واحدة .. هي مليكة .."

بلع ريقه الجاف ثم أضاف بعد برهة بلهجة تقطر ألما" حينما كنت أصغر وجئتك مستعطفا مترجيا أن تحقق لي أمنيتي بالزواج منها أخبرتني بكل استهانة بأن مشاعري لها هي مشاعر مؤقتة .. وما حدث بعد ذلك وأضاعها مني ذبحني يا أبي .. أنت وأمي ذبحتماني بيديكما بكل قسوة وبدون أن يرف لكما جفن.. كل هذا من أجل المناصب والوجاهة الاجتماعية .. ومن أجل غل وأحقاد قديمة ليس لي فيها ذنب لأرثها وتُمرر حياتي وتحولها لمأساة .. ومع هذا احتسبت وجعي وألمي .. احتسبت قلبي المذبوح عند الله وحاولت أن ألا أخذلك رغم

أنك خذلتني .. كان من الممكن أن أترك البلدة للأبد وأن أعاقبك أنت وأمي على ما فعلتماه بي بألا تريا وجهي مرة أخرى .. كان من الممكن أن أنزلق وتزل قدمي لأفعال مخزية كانت ستفضح العائلة كلها حتى أنتقم لقلبي الذي احترق وأنا أرى الفتاة التي أحبها تتزوج من صاحبي بعد أن تآمر الجميع عليّ .. كل هذا كانت نفسي تراودني لفعله وأنا ابن العشرين .. لكني رغم الطعنات التي تلقيتها منكم جميعا .. ورغم أني لم أجد وقتها من يقف في ظهري .. من يؤازرني .. يطبب جروحي .. حتى مصطفى كنت تسمم أفكاري نحوه فكنت وقتها اتحاشى التعامل معه .. فوقفت وحيدا مهزوما في معركة كان الجميع فيها ضدي ..رغم كل هذا وقفت ألعق جراحي وحدي .. وأشجع نفسي على التماسك .. استحضرت ضميري وحبي لك وخجلت من أن أرد لك الصاع صاعين كابن عاق.. خجلت

ومنعتني مبادئ وعقيدتي .. ووثقت فيك رغم تخليك عني وثقت في كلامك .. وقلت ربما أنا الساذج ..ولابد أن أنساها فقد فقدتها للأبد.. فتزوجت وانجبت لكني لم استطع نسيانها لم أستطع أن أمحوها من أفكاري ومن قلبي لحظة واحدة .. حتى تجدد الأمل واصبحت حرة .. فعدت للحياة .. للتنفس .. وتعبت حتى أصل لها .. ضيعت من عمري سنوات فقط لأصل إليها لتكون في بيتي .. ومن أجلها قبلت بالعمودية التي لا أريدها ولا أرى نفسي فيها ولا اراني قادرا على مسئوليتها .. من أجل مليكة قبلت بما لا أريد .. من أجلها تحملت الكثير .. من أجلها عشت مسجونا هنا .. من أجلها فعلت ورغم كل هذا .. وكل ما تكبدته وما مررت به لازلت أنت غير قادر على استيعاب من هي بالنسبة لابنك .. وبدلا من أن تواسيني

في فجيعتي .. تؤازرني في مصابي .. تخيرني بينك وبينها .."

صمت يبلع ريقه وصور لما مر به ليلة أمس تمر من أمامه .. فتذكر مليكة وهي مغبرة الوجه منكوشة الشعر مذعورة النظرات تدفع له بابنتها بين ذراعيها .. وتأثر بشدة وهو يسترجع جملتها (ابنتنا نجمة) .. الجملة أوجعت قلبه ..فعاد يقول بقلب ينزف دما" رغم كل هذا لم تستوعب بعد أن مليكة تمتلك قلبي تمتلكني بكليتي يا أبي.. فهي التي أشعر معها بأني مفرح .. مع أي امرأة أخرى أنا مجرد ذكر دون شكل أو لون أو مشاعر .. شخص بدون ملامح .. مع مليكة وحدها أكون مفرح .. مليكة ..(وتقطع صوته) مليكة التي لا أعرف حالتها الآن .. هل رأيت رجلا بلحية وشارب .. رجلا محسوبا على الذكور يترك زوجته بعد مصيبة كالتي حدثت فلا يستطيع أن يكون معها!."

صمت قليلا ففتح العمدة عينيه يحدق في السقف وكل كلمة قالها ابنه كانت كأسهم حارقة رشقت في قلبه فضغط بأصابعه على يد مفرح الذي أجفل ورفع رأسه يتطلع إليه قائلا بحشرجة "هل أنت بخير يا حاج ؟.. هل أستدعي الممرضة؟"

حرك عبد الرحيم رأسه ببطء ونظر إليه وبيده الأخرى رفع قناع الاكسجين قليلا يهمس " أكمل"

طالعه مفرح وقد فهم بأنه سمع ما قاله ليضيف عبد الرحيم "أكمل ما كنت تقوله أخبرني بكل ما تريد أن تقوله وما أنت عازم عليه"

نظرة والده كانت لائمة جعلت مفرح يقول متألما" آسف يا أبي .. آسف يا حاج عبد الرحيم .. أسف يا حضرة العمدة .. آسف لأني لم أكن ذلك الابن المصنوع من الفولاذ الذي لا

يملك قلبا حتى لا تسرقه بنت الصوالحة ..
آسف لأن لي أحلامي وطموحاتي الخاصة التي تختلف كليا عما تريده أنت .. آسف لأني لم أكن ذلك الابن الذي يعوضك عن عدم انجابك لذكر غيره .. أنا آسف لأن قلبي ملكها وحدها .. ولكن مليكة ستظل زوجتي لا يفرقنا إلا الموت .. وتأكد من أنه لو حدث لها شيئا أكثر مما حدث لها قديما لن اسامح نفسي ولن اسامحكما .. لو حدث لمليكة شيء انتهى مفرح .. ولا تقلق لن ألجأ للانتحار فقد كانت لحظة ضعف ويأس مررت بها وأتمنى من الله أن يسامحني عليها وأن يجازي مصطفى لأنه لولاه لكنت تتلقى عزائي الآن يا حاج أو أخرون يتلقون عزاءنا نحن الاثنان ..مصطفى يا حاج الذي تصر على أنه يريد العمودية أثبت لك هو وابنه اليوم أنهما من أشرف الناس وفخر عائلة الزيني .. عائلة الزيني التي فرقتها أنت إلى حزبين بما

فعلته قديما وتريد أن تواصل فعله الآن ..
مصطفى الذي كان من الممكن أن يتركني لأفعلها
ويقضي على منافسه في المنصب وابنه الذي تم
الذم فيه علنا أمام الجميع واتهامه هو وأباه
بأنهما يسعيان لقتلك "
طالعه العمدة بعدم فهم فأضاف مفرح" لن
احكي لك ما فعلته الحاجة والفضيحة التي
فضحتنا بها مع الجيران سأترك للأخرين أن
يخبروك .. المهم أن ابنه فعل مالا يفعله أي
طبيب إلا من غلبته عاطفة رابطة الدم وشرف
مهنته وإن لم تصدقني .. كالعادة .. فاسأل
الأطباء ماذا فعل .. اسأل الأخرين الذين حضروا
ماذا فعل حمزة الزيني لإنقاذك .. رغم أنه وأباه
كان بإمكانهما استغلال الفرصة للتخلص منا
نحن الاثنين خلال نصف ساعة فقط .. فكل ما
كان عليهما هو أن يشاهدا ما يحدث دون
تدخل ولم يكن ليلومهما أحد خاصة بعد ما

فعلته أمي أمام الناس وما تفعله الآن .. تخيل أن تجلس مثلي هنا تقضي الدقائق مرتعبا من أن تفضحك أمك أمام الجميع .. تخيل أي شعور هو .. تفضحني لأنها ستفضح مليكة مثلما فضحتها قديما وتسببت في الاسراع بتزويجها من رجل غيري وتسببت في كل هذا التعقيد الذي ألم بحياتنا .. ستفضحني لأني ببساطة أنا ومليكة كيان واحد ..على أية حال ما أريد أن أقوله يا أبي أني لن أتركها.. وإن حدث لها شيء لن تريا وجهي مجددا .. سآخذ أولادي وأغادر ولن أعود.. ولا أريد أي شيء من آل الزيني .. ولو خرج سر مليكة يا أبي قسما بالله لآخذها هي والولدين وأسافر خارج البلد إلى أي دولة أخرى فلن نستطيع العيش ومواجهة أحد بعدها .."

همس العمدة بلهجة عاتبة متألمة "أتهددني يا مفرح !"

قال الأخير بلهجة يائسة تقطر حزنا مزقت قلب والده "أنا لا أهدد يا أبي ..اقسم بالله هذا ليس بتهديد ..أنا أخبرك بأني لن استطيع العيش في القرية بدون مليكة ..وبأني لن أتحمل أن أسمع شيئا سيئا يخصها .. لن أتحمل يا أبي وسأضطر للهرب بها بعيدا .. يا حاج عبد الرحيم أنا في هذه اللحظة أحاول أن احافظ على قواي العقلية سليمة .. أحاول أن أجد مخرجا من الجحيم الذي أعيشه .. أنت وأمي لا تريدان مليكة في حياتي لكن للاسف الشديد لا يوجد مفرح بدون مليكة .. (وصمت قليلا يتطلع في عيني والده الواهنتين المتألمتين فازداد تألما وهو يضيف) آسف بشدة لأنني خذلتك فوالله ربي وحده يعلم كم حاولت ..وبما ضحيت ..وكيف صبرت حتى أكون ذلك الابن الذي تتمناه والذي سيرفع رأسك .. للأسف حاولت وفشلت "

ساد الصمت فشعر مفرح بالمزيد من الألم رغم أنه من المفترض أن يشعر بالتحسن لأنه باح بما يجيش في صدره منذ سنوات لكن شعوره بالألم ازداد وهو يشعر بأنه قد خذل والده .. احساس قاتل بالفشل يسيطر عليه .

طُرق الباب ودخلت الممرضة لتفحص المريض وتضع حقنة ما في السائل الموصل بخرطوم رفيع بيد الحاج عبد الرحيم وهي تقول لمفرح "يطلبونك في الاستقبال يا باشمهندس لاستكمال بعض الاجراءات التي تخص العملية الجراحية "

بصعوبة .. كمن طعن في السن استقام مفرح وهو يقول بإنهاك" حاضر"

راقب عبد الرحيم من رقدته ظهر ولده وهو يبتعد ويخرج قبل أن تلحق به الممرضة فتتركه وحيدا يحدق في سقف الغرفة والكثير من المشاعر تثقل قلبه الضعيف .

استعاد كلمات ابنه فسالت دمعة من عينيه شقت طريقها في الأخاديد على جانبي وجهه كالماء حينما تخترق أرضا شديدة الجفاف وهمس لنفسه " ماذا فعلت بابنك الوحيد يا عبد الرحيم ؟.. بدلا من أن ينعم في جنتك وأنت حي جعلت موتك بالنسبة له الخلاص!"

xxxx

زفرت نحمده بغيظ وألقت بالهاتف تقول" أين هذه الزفتة فايزة .. هاتفها مغلق وهاتف زوجها لا يرد عليه "

قالت مهجة بوجه منتفخ من البكاء" نائمان يا أمي.. الساعة لا تزال الخامسة صباحا "

تحركت نحمده في الغرفة ومشاعر مختلطة تسيطر عليها ما بين خوف من أن يموت زوجها الذي سيخضع لعملية جراحية بعد ساعات وقد رفض مفرح أن يحضر النساء للمستشفى فصرفت هي النسوة اللاتي جئنها مواسيات ..

صرفتهن بطريقة شبه فظة.. فلم يكن في عقلها مساحة للمجاملات .. وبين مشاعر أخرى تخص ما فعله مفرح ليلة أمس وكيف كاد أن يقتل نفسه من أجل بنت الصوالحة التي اكتشفت بأنها مجنونة ..

تطلعت في مهجة التي تبكي بكاء حارا قلقا على والدها وقهرا على مليكة فشعرت بالغيظ خاصة حينما قالت "حبيبي يا أبي .. حبيبتي يا مليكة ماذا حدث لك ؟.. أنت دوما مثالا للصبر والعقل "

هتفت بغيظ شديد " عن أي عقل تتحدثين؟.. قلت لك إنها من يحرق الحقول إنها مجنونة وخطر علينا جميعا "

قالت مهجة من بين بكائها" نحن نعرفها منذ ثماني سنوات هذا الكلام غريب وغير قابل للتصديق يا أمي "

ضربت نحمده على جانبيها تقول بعصبية " أنا لا أعرف ماذا فعلت لك أنت وأخيك .. متى نتخلص منها .. متى يا ربي (وحدثت نفسها بصوت عال متوعدة) عموما فلتصبر عليّ بنت الصوالحة وسترى .. مادامت سيطرت على ابني بهذه الطريقة حتى كاد أن يقتل نفسه من أجلها .. أنا سأدمرها تماما .. لن أترك لها مجالا حتى لأن ترى البلدة مجددا وسأدمر الصوالحة كلهم .. (ولمعت عيناها بالتصميم مضيفة) كلمة واحدة مني عما حدث الليلة.."

هبت مهجة واقفة تمسك بأسفل بطنها التي لا تزال مسطحة وقالت بقهر " أمي حرام عليك يا أمي ..ألا يوجد شفقة أو رحمة في قلبك !.. مفرح كاد أن يموت قبل ساعات .. ألم يؤثر فيك ما حدث لمليكة ولو للحظة !.. أتعرفين يا أمي حينما تأخر حملي هذه الشهور القليلة

خفت أن أكون عقيما ردا من الله لك على ما فعلتيه وتفعلينه مع مليكة"
امتقع وجه نحمده ونظرت لابنتها بنظرات مخيفة ترغب في صفعها لكن حينما لمحتها تتحسس أسفل بطنها بملامح متألمة أسرعت بالقول من بين أسنانها بمهادنة" حسنا اهدئي فهذا البكاء وهذه العصبية ليست جيدة على الحمل اجلسي واهدئي ولن اتحدث عنها .. علينا بتكثيف الدعاء حتى يخرج والدك سليما"
غمغمت مهجة وهي تعود للجلوس والبكاء" يا رب "
كتمت نحمده غيظها بقوة وشعور قوي بالخوف يسيطر عليها .. رغم أنها في العادة لا تخاف من شيء .. دوما ما كان قلبها قوي لا يهزه شيء لكن خوف مجهول المصدر كان يسيطر عليها اللحظة .. الخوف من القادم ..

فهي على يقين بأن الأيام القادمة سيتغير فيها شيء .

عادت لالتقاط الهاتف لتتصل بفايزة بكريتها التي تتفق معها في أفكارها وتفهمها وتفهم مشاعرها .. تريد أن تخبرها بما حدث .. تخبرها بما حل بوالدها بسبب خبر مليكة الصادم .. إنه خبر الموسم .. خبر لن يتكرر أبدا ولا تملك من الصبر ما يجعلها أن تصبر لتخبرها به وترى وقعه عليها ..

غمغمت من بين أسنانها وهي تنظر لشاشة الهاتف" أين أنت يا فايزة ؟"

رن هاتفها فتجعدت ملامحها وضيقت عينيها تناظر رقما غريبا ثم ردت بتحفز "نعم"

جاءها الصوت واهنا وهو يقول "إنه أنا يا نحمدو .."

قبل دقائق

دخل مفرح على والده بعد أن أنهى بعض الاجراءات في المستشفى وأخبره بموعد العملية
ليقول العمدة بصوت خافت" اعطني هاتفك"
رد مفرح "لقد فقدته يا أبي أضعته وهذا ما أعادني ليلة أمس وكأن القدر قد دبر عودتي "
سأل العمدة" من بالخارج يعيرنا هاتفا؟"
رد مفرح وهو يمسك بسماعة الهاتف الأرضي بجوار السرير " بالخارج مصطفى الزيني الذي رفض تركي وترك عمه لحظة واحدة (قالها بلهجة ذات معنى وأضاف) وشامل نخلة حضر من العاصمة .. عموما الهاتف الأرضي موجود بمن تريد أن تتصل الآن إنها الخامسة والنصف صباحا؟"
رد عبد الرحيم" اتصل بنحمدو"
أعطاه مفرح السماعة ليقول العمدة" إنه أنا يا نحمدو"

هتفت الأخيرة بلهفة" عبد الرحيم هل أنت بخير؟.. مفرح رفض أن أذهب معك إلى المستشفى .. "

من بين أنفاس تؤخذ بصعوبة قال عبد الرحيم" اصمتي يا امرأة واسمعيني جيدا.. من أخبرت بشأن مليكة ؟"

أظلم وجهها وسألته "ماذا تعني؟"

هتف رغم وهن صوته "ردي على سؤالي بإجابة وليس بسؤال"

شعرت به غاضبا فناظرت مهجة التي وقفت بترقب بمجرد أن سمعت اسم والدها ثم ردت "لم أخبر سوى مهجة أليست أخت مفرح ولابد أن تعرف ماذا حدث ؟!"

سألها عبد الرحيم" وفايزة؟"

أجابت باقتضاب "لم أخبرها"

قال ليتأكد " قولي الصدق يا نحمده"

هتفت بغيظ " لم أخبرها والله العظيم فهي لا تعرف بأنك في المستشفى حتى الآن هاتفها مغلق وهاتف زوجها لا يرد عليه "
بلع عبد الرحيم ريقه بصعوبة وقال " اسمعي إذن ما سأقوله لك وافهميه جيدا .. ما حدث ليلة أمس بما فيه الامر الذي يخص مليكة سيظل سرا وسيدفن مع من يعرفونه أنا وأنت وابنك ومهجة ومصطفى وجابر دبور وعويس "
امتقع وجهها لكنها ظلت تسمع وغضب بارد يطل من عينيها بينما أضاف العمدة" جميعهم أنا قادر على اغلاق أفواههم للابد بعون الله ..أما أنت فاقسم بالله لو خرج هذا السر من فمك بدءا من هذه اللحظة حتى لنفسك لتكونين طالق بالثلاثة يا نحمدو "
هتفت باستنكار " هل تحلف عليّ بالطلاق يا عبد الرحيم !!"

كرر الأخير بتصميم ولهجة أكثر صرامة
"ستكونين طالق بالثلاثة يا نحمدو إن تفوهت بشيء من هذه اللحظة ..وابنك يقف بجواري وشاهد على هذا الكلام.. ولو لم أخرج من العمليات وتوفاني الله فاعلمي بأنه لو عرف السر وانفضح آل الزيني"
قاطعته بغضب "وما علاقة آل الزيني بالموضوع "
قاطعها يجز على أسنانه " ابنك لن يطلقها يا نحمدو أي أنه لو تسرب الخبر سننفضح مع الصوالحة .. ابنك أقسم بأنه لو عُرف الخبر في أي وقت سيبيع كل شيء ويهاجر لبلد أخر فإن كنت تريدين اغضابي في قبري واغضابه والحرمان منه فافعلي ولا تلومين إلا نفسك بعدها .. كما أن آل الزيني لن ينسوها لك لو فعلتها وفضحتيهم هل سمعت ؟"

طحنت نحمده ضروسها ليقول عبد الرحيم"
لم أسمع ردك"
غمغمت والغضب يكاد يفتتها لأشلاء" حسنا يا
أبا مفرح كما تريد عد إلينا بالسلامة "
قال عبد الرحيم "أعطني مهجة"
اسبلت جفنيها تسيطر على أعصابها وأعطت
الهاتف لمهجة في صمت فتلقته الثانية تقول
بلهفة" ألف بعيد الشر عليك يا أبي "
وقف مفرح يشعر ببعض الراحة مما فعله والده
..فلم يصدق أبدا بأنه قد يفهمه أو يقتنع
..وراقبه وهو يحذر مهجة من النطق بما
سمعت حتى لوليد زوجها قبل أن يعيد سماعة
الهاتف لمفرح الذي اعادها بجوار السرير
ووقف يراقبه وقد أغمض عينيه بإنهاك ..
فربت على يده يقول بامتنان " أشكرك يا أبي"

كلمته أوجعت قلب عبد الرحيم.. ألهذه الدرجة كان يعذبه حتى يشكره حينما يفعل له شيئا يريده وكأنه يشكر غريبا !..

فتح عبد الرحيم عينيه وتأمل مفرح وصورة ما منذ أن استيقظ لا تريد أن تتركه .. صورته وهو يرفع المسدس إلى رأسه عازما على التخلص من حياته ..

كم كانت لحظة صادمة ومؤلمة له .. صدمة أقوى من صدمة خبر مليكة ..

كيف لم يلتفت من قبل لما يريده ابنه؟ .. أم أنه كان يتجاهل معرفته بحقيقة شعوره من أجل لهاثه خلف الوجاهة والمنافسة على المناصب والمفاخرة ..

قبل ساعات كان سيفقد ولده وسيفقد حياته معه وسيغادران هذه الحياة خاليان الوفاض .. كانا سيغادران الحياة في لفة بيضاء كما جاءاها في مثلها ..

هذه الحقيقة أفزعته .. سحقت قلبه على ولده الذي لم يعش من الحياة ما يكفي بعد حتى يغادرها هكذا في لحظة يأس .

همس عبد الرحيم بضعف " لا تكره والدك يا مفرح ..لا تكره والدك يا ولدي وتذكرني بالخير إن رحلت "

لم يكن قد بقي لدى مفرح أعصابا لتحمل المزيد من الضغط العاطفي فمال يقبل رأس والده قائلا بحشرجة "بل أنا الذي عليه طلب السماح منك لأني لا اشبه الابن الذي تريده" ناظره عبد الرحيم بمقلتين تغشيهما الدموع قائلا" لا والله أنت فخر الرجال وأشرفهم .. ابني المتعلم ابن المدارس الذي أتشرف به في كل مجلس وأمام كل الناس .. أنزع من رأسك ما قد أشعرتك به يوما من أنك لم تكن فخري .. فوالله أنا راض عنك يا ولدي ها أنا أقولها لك قبل أن أموت "

قبّل مفرح رأس والده وهو يبذل جهدا كبيرا حتى لا ينهار وهمس وهو يرفع يده إلى فمه ليلثمها "كفى بالله عليك يا أبي .. كفى ارجوك فما تقوله يؤلم قلبي أكثر مما هو متألم"

أغمض عبد الرحيم عينيه بإنهاك مغمغما "لو في العمر بقية أعدك أن أفعل ما يرضيك حتى لا تتألم أكثر .. المهم اشعر الآن بالنعاس .. حينما استيقظ أريد أن أتحدث مع ابن فاضل "

xxxx

العاشرة صباحا

"من قلت ؟..بسطاويسي؟.. أنا اتزوج من بسطاويسي؟!!"

قالتها كاميليا باندهاش ثم انفجرت ضاحكة فقلب عماد مقلتيه قائلا "ما به بسطاويسي؟!"

ناظرت أخويها بعدم تصديق ثم ردت وهي تتحكم في المزيد من الضحك " أتسأل ما به؟..

إنه أكبر مني بعشرين سنة ومتزوج من ثلاث نساء"

رد بدير ببساطة "الرجل مقتدر ماليا وصحيا وابن عمك وسيحفظك وستكونين الرابعة "

هتف عماد مصححا لأخيه " قل سيتحملك ولن يفكر في تطليقك مهما صدر منك "

كشرت عن أنيابها حينما أحست بأن اخويها جادان وهتفت " ما تقولانه مستحيل .. مستحيل أبدا "

أغمض بدير عينيه يحاول التماسك أمام اسلوبها المستفز ثم فتحهما قائلا " حسنا اختاري من الذين اخبرتك بأنهم لمّحوا لي برغبتهم في الزواج منك بعد انتهاء عدتك"

هتفت باستنكار وغير تصديق " كلهم متزوجون ويرغبون في التعدد"

رد بدير ببرود " شرع الله يسمح لهم بذلك "

كتفت ذراعيها وقالت بلهجة متهكمة ذات معنى " آه بالطبع فأنت أدرى بهذا الأمر وبشرع الله جيدا"

هدر بدير فجأة فانتفضت مرتعبة " كاميليا لا تحاولي استفزازي "

تدخل عماد قائلا " سامح ابن عبد الجليل أبو مبارك أرمل"

ردت باستنكار " لديه طفلين ويبحث لهما عن أم "

قال عماد باندهاش " ما المشكلة في ذلك ربي له أولاده تكسبين ثوابا "

لوت عنقها تجيب بتعالي " أنا لا أقبل بذلك"

سألها عماد بلهجة متهكمة "وبمن ستقبلين إن شاء الله"

ردت بإصرار " لن أقبل إلا برجل ليس لديه زوجة أو أولاد"

ضحكات مكتومة جاءتها من خارج الغرفة من زوجتيّ أخويها زادت من عصبيتها بينما رد بدير بلهجة مستخفة أغضبتها" ولماذا إن شاء الله سيرغب من هو بدون زوجة وولد أن يتزوج منك وأنت مطلقة ولديك ابنة !!"

قال عماد مضيفا " قل الابنة ستبقى هنا في بيت أخوالها لتتربى مع أولادنا لأنه لن يرغب أحد في تربية ابنة غيره لكنها لا تدرك حتى الآن بأنها مطلقة ولن يقبل بها إلا مطلق أو أرمل أو راغب في التعدد "

حديثهما أفاقها من سذاجتها وكأن ما يحدث في المجتمع حولها كان يخفى عليها .. أو ربما غرورها ما منعها لأن ترى أو تدرك تلك الحقيقة لكنها استمرت في أن تقول بإنكار " ما هذا الكلام ؟!.. أنا لا أقبل بهذا أبدا ولن اتزوج إلا زيجة يتحدث عنها الجميع "

هتف عماد بغير تصديق " من أين تأتين بهذه الخزعبلات تشعرينني بأنك تعيشين في كوكب أخر !!"

زاد شعورها بالانقباض في صدرها لكنها رفعت ذقنها تقول بكبرياء " قلت لن أتزوج إلا زيجة تشرفني أمام الناس"

سحب بدير نفسا عميقا وهو لا يزال يحاول التعامل مع شخصيتها المتعبة وقال بهدوء يتناقض مع الغضب الذي يطل من عينيه " على راحتك لكن اعلمي أنك حين تنتهين من عدتك ستظل الأمور كما هي ممنوع الخروج إلا بسبب وبإذن مسبق "

ناظرته كاميليا بضيق شديد بينما قال عماد الواقف خلفه " وماذا عن صاحباتها المقيمات لدينا يوميا يا بدير هل سنتحمل هذا الوضع كثيرا ؟!"

رفع بدير سبابته ورد دون أن ينظر لأخيه " ذكرتني .. (ونظر لكاميليا يشير قائلا) اسمعي هذا الوضع غير مقبول ولابد أن يتوقف .. انهن يحضرن منذ الصباح ولا يغادرن إلا قبيل المغرب وطعام وشراب وضيافة وأمور كهذه ليست مريحة بالمرة"

شرست ملامحها واختلست نظرة غاضبة نحو باب الغرفة حيث تكون زوجتي أخويها ثم عادت تقول بغيظ شديد "هل اشتكت زوجتيكما من ضيفاتي؟!!"

رد بدير باستهجان "من حقهما الشكوى فهما غير مرتاحتان في بيتهما"

صرخت باستنكار " هذا بيت أبي!!"

ناظرها بدير بنظرة مخيفة قائلا بلهجة باردة " هذا بيت أولاد العسال .. وأنت حصلت على نصيبك فيه بالأرض الزراعية التي تدر عليك دخلا اعطيه لك كل فترة .. ومع هذا إن قررت

أن تبقي هنا .. سنحملك فوق رؤوسنا ولكن كضيفة خفيفة .. وعليك بمعرفة أن خروجك ودخولك سيكون بحساب لأنك مطلقة ولا نريد أن يتحدث عنك الناس هل سمعت ؟"

نظرت كاميليا لأخويها بغير تصديق ومزيج من الغضب والصدمة يسيطران عليها ثم انسحبت في حنق مغادرة للغرفة بعصبية ترشقها نظرات وجدان وهدى الساخرة بينما قال عماد لبدير بانفعال " اسمع يا بدير ..أختك لن تنصاع لما نقول وستسبب لنا فضائح .. أنا أعرفها جيدا "

وافقه بدير ضمنيا وقال " عدتها ستنتهي خلال أيام وبعدها سنرى ماذا سنفعل معها ... (وزفر بغيظ مضيفا من بين أسنانه) كان جابر دبور يحمل عنا الكثير والغبية اضاعته من بين يديها بكل سذاجة .. عموما إن لم تسر وفقا لما أخبرناها به سترى وجها أخر من بدير فأنا حتى الآن أتصرف معها بصبر شديد"

صعدت كاميليا إلى غرفتها بالطابق العلوي تأكل في نفسها .. وأخذت تتحرك جيئة وذهابا وهي تتفتت من الغضب .. ماذا ستفعل؟ .. هل خرجت من سجن جابر لسجن أخويها؟؟ .. وهل ستتحمل عيشة كهذه في انتظار العريس المنتظر الذي سيحقق لها كل ما ترغب؟ .. تذكرت بسمة وبمن تزوجت رغم أنها كانت مطلقة وازاد احساسها بأنها قليلة الحظ .. وتساءلت لماذا لا تسير الأمور معها كما تريد .. لماذا ؟!!

xxxx

"هل تثق في جابر دبور وفي أنه سيحفظ السر؟ "

سؤال سأله العمدة بوهن فأجابه مصطفى بلهجة قاطعة "أثق فيه كما أثق في نفسي يا عمدة لا تقلق "

قال العمدة بصيغة أخرى " ألا يوجد مصلحة نحتاج لأن نؤديها له حتى نتأكد من أنه سيغلق فمه للأبد؟"

رد مصطفى بحمائية مدافعا "جابر دبور ليس من هذا النوع يا حاج عبد الرحيم بل إن عرضا كهذا عليه قد يثير غضبه وحفيظته .. جابر تحكمه أخلاقه والتزامه الديني ومن هو من هذا النوع تأكد من حفظه لأي سر .. أنا أضمنه برقبتي"

ناظره العمدة متفحصا ولوهلة رأى فاضل أخوه أمامه ..إنه ليس فقط يشبهه شكلا ولكن كل شيء فيه يشبه فاضل .. ورغم ما يشعر به من امتنان له لأنه أنقذ مفرح من الموت وبالرغم مما سمعه من مفرح ومن الطبيب عما فعله حمزة معه لكن كره السنين كان لا يزال يغلف القلب بغلاف من سواد سيحتاج لبعض الوقت لينجلي فقال بهدوء" ما دمت تثق فيه فأنا

سأثق في كلمتك نتمنى أن يدفن هذا الحادث معه للأبد "

تفاجأ مصطفى بأن العمدة قد وثق فيه بهذه السرعة في أمر خطير كهذا فتبادل النظرات المندهشة مع مفرح ثم قال لعمه" أعتقد بأن عليك التصرف مع عويس .. أنا أعلم بأنه قد تربى في بيت الزيني ولا أشك في ولائه ولا ذمته لكن علينا التشديد عليه فهو رجل بسيط العقل"

غمغم العمدة بعينين مغلقتين " لديك حق سأتحدث معه" وسعل بضعف ليقول مفرح مشفقا" لنؤجل الحديث معه حتى تخرج من غرفة العمليات يا أبي "

رد العمدة وهو يلهث " لا .. أريد أن اغلق هذا الأمر قبل أن أدخلها فلا أحد يعلم الموت من الحياة "

فتح عينيه وعاد لينظر لمصطفى مجددا.. يريد أن ينهي معه أمرا .. أمر لا يطيقه ابنه .. أمر سرقه من مصطفى قديما.. لكنه لم يقدر .. لم يستطع .. لم يستطع أن يفعلها .. كان شيئا ثقيلا عليه زاد الحسرة في قلبه .. فتراجع وفضل الصمت وقرر أن يترك الأمر برمته للمستقبل سواء كان في عمره بقية أو لم يكن.

××××

شعور كبير بالخواء العقلي وإجهاد بدني غير مسبوق أو مبرر مع شعور بالخدر في كل جسدها كانوا يسيطرون عليها .. بعد وقت طويل لا تدري كم هو لكنه طويل مليء بأحلام كثيرة متداخلة أغلبها تخاريف كما تصفها دائما

.

فتحت مليكة عينيها وظلت تحدق في سقف مكان غريب لبعض الوقت تحاول الاستيعاب

..تحاول تحديد إن كانت مستيقظة أم لا تزال تحلم .

صوت قطع تجولها في طرقات عقلها الخاوي كبيت فارغ هجره ساكنيه جعلها تنتبه وتحرك عينيها ثم تقول بإجهاد "علي!"

تفاجأت به يجلس بجوارها ويرفع جذعها ليضمها إلى صدره وخيل إليها بأن صوته خرج باكيا وهو يقول" أجل علي يا مليكة أخوك علي"

بعينين ذاهلتين تطلعت في الغرفة الغريبة من فوق كتفه قبل أن تقع عيناها على أكرم فسقط قلبها بين قدميها مغمغمة" أكرم!!. ماذا تفعل هنا؟.. وأين أنا؟!!"

قال أكرم لأصغر اخوته الذكور بلهجة آمرة "اتركها من فضلك يا علي "

أبعدها علي عنه فنظرت مليكة بذهول في وجهه الملتاع قبل أن يسحبه أكرم ليبتعد عن

سريرها فتطلعت في منامة غريبة ترتديها توحي لها هي والغرفة بأنها في مستشفى.. لترفع عينيها لأكرم تسأله باندهاش" ماذا حدث؟.. أين أنا؟"
سألها أكرم بهدوء" ألا تذكرين شيئا؟"
حركت مقلتيها يمينا ويسارا فلاحظت وجود عمار أيضا عند الباب ثم عادت إلى أكرم تقول "أذكر ماذا؟.. أين أنا ؟..وأين الأولاد؟.. ومفرح .. أين مفرح ؟"
بدأت بعض الصور تتدافع في رأسها ببطء في الوقت الذي سألها أكرم متماسكا وقلبه ينفطر عليها" ما هو أخر شيء تذكرينه ؟"
تغضنت ملامحها تشعر ببعض الصداع وردت " أذكر .. أذكر بأنني كنت في سرايا الصوالحة انتهيت من الجلوس مع أبي وتأكدت من أنه قد نام ثم اطمأننت بأن أدهم وإياد قد ناما بغرفتهما ودخلت لغرفتي .. ونمت"

صمتت قليلا تشعر بالصداع يزداد وكثير من الصور تتدافع لرأسها دفعة واحدة .. صور من أحلام وهلوسات وشعور غريب بفقدان الزمن يسيطر عليها ليقول أكرم بصوت متهدج "ألا تذكرين شيئا أخر بعد ذلك؟"

هتفت بوهن وقد أفقدها الخوف قدرتها على الصبر "ماذا حدث لي؟.. أين أنا ؟"

رد عمار بوجوم " أنت في مستشفى **** في العاصمة يا مليكة"

"مستشفى!!"

وضح علي بلهجة متأثرة " ليلة أمس عاد مفرح للقرية فوجد بلاغا برؤية الملثم الذي يحرق الأراضي الزراعية فذهب هو ومصطفى الزيني للبحث عنه (وصمت للحظة ثم أكمل بصعوبة) فوجدوك عند إحدى الترع عند الاطراف الشمالية للقرية بعد منتصف الليل ترتدين جلبابا رجاليا"

تطلعت فيهم بذهول وسألت بتشوش "من؟!!"

قال علي بصوت متهدج " أنت يا مليكة ..أنت ..وظللت تصرخين باسم نجمة قبل أن يغشى عليك ويخرجك مفرح خارج البلدة لأن الأهالي كانوا في حالة استنفار للبحث عن الملثم"

ارتبكت وازداد شعورها بالتشوش والاضطراب فغمغمت عابسة الوجه "ماذا تقول؟.. أنا لا أفهم شيئا!.. هل تهلوسون أم أنا التي تهلوس؟.. ماذا كنت أفعل أنا خارج السرايا؟!! "

قال أكرم وهو يتأملها مليا ويحلل كل ما يصدر عنها "هذا هو السؤال الذي نريد أن نعرف له إجابة"

قالت بانفعال وعدم فهم " ما هذا الكلام أنا لا أفهم شيئا "

اقترب أكرم ليجلس على طرف السرير وحضن خدها بكفه قائلا بلهجة حانية ونظرات متألمة

" مليكة نحن أيضا لا نفهم .. لذا أرجوك تعاوني معنا لنفهم "

أبعدت يد أكرم تقول ببعض العصبية التي ليست من شيمها " تفهمون ماذا ؟.. (وأضافت بارتباك) أنا .. أنا أشعر بأني أهلوس "

قال أكرم ببعض الحزم ليواجهها " مليكة ..علي أخذك من مفرح في الشارع بعد منتصف الليل.. كنت في حالة من الانهيار وأحضرك إلى هنا بينما أسرع مفرح إلى والديه الذين علما بالأمر "

سألته وهي لا تزال غير مستوعبة "أي أمر؟!!"

أجاب عمار " أنك كنتِ في الشارع بلبس رجالي... من أين حصلت على الدراجة؟"

ناظرت عمار وهتفت بانزعاج " أية دراجة عم تتحدثون أو بما أهلوس أنا"

واجهها أكرم يقول بهدوء" مليكة نحن مثلك مصدومون لكن علينا أن نفهم .. هناك دلائل تشير بأنك ذلك الملثم"

اتسعت عيناها في صدمة وهتفت بذهول
"الذي يحرق الحقول؟... أنا !!!"
تدخل عمار مقتربا وقال بلهجة هادئة " دعينا
لا نستبق الأحداث أخبرينا مثلا هل تذكرين
كيف خرجت من السرايا .. وكيف كنت ترتدين
ثياب رجل ؟.. من أين أتيت بها؟"
تسارعت أنفاسها تشعر بأنها محاصرة بينهم
وبين بعض المشاعر الغامضة والصور الأكثر
غموضا التي تندفع في رأسها فقالت بانفعال
"عم تتحدثون أنا لا أفهم شيئا؟!!"
قال أكرم وهو ينظر في عينيها " لولا أن مفرح
كان معه مصطفى واثنين أخرين ..ولولا أنكِ
كنت في حالة غريبة ليلة أمس حينما أحضرك
علي وبشر قبل ساعات لقلت بأن مفرح يهلوس
"

تطلعت في وجوه اخوتها وبدت لها رغم
صدمتها صادقة فقالت بذهول تشير على

نفسها وتحاول الاستيعاب" أنا ؟!!.. هل تتحدثون عني أنا؟؟ .. أنا مليكة .. أخرج في الليل!! .. أرتدي لبس رجالي!! ..(وناظرتهم بنظرات هلعة) أنا مليكة وجدتموني في الحقول!! .. أحرق الزرع!!!"

تبادل علي وعمار النظرات المتألمة بينما لام أكرم نفسه على تسرعه في مواجهتها بما حدث دون استشارة طبية .. فيبدو أن الصدمة قد أثرت عليه هو الأخر لكنه لم يدر كيف يعالج الأمر الآن.

أما مليكة فأخفضت نظراتها تتطلع في يديها تقلبهما عدة مرات لتتأكد من أنها هي .. مليكة ولم تنتقل لجسد أخر كما خيل إليها لوهلة ثم رفعت يديها لوجهها تتحسسه قبل أن تقول" أريد مرآة "

اتسعت عينا أكرم وسألها " لماذا؟"

قالت بانفعال تشعر بأنها على حافة الجنون "
أريد مرآة حالا أرجوك يا أكرم "
أخرج علي هاتفه من جيبه وفتح الكاميرا
الأمامية وهو يناوله لأخته بيد مرتعشة
فالتقطته منه تتطلع وتتحسس وجهها المجهد
المتورم من بكاء تشعر ببقايا دموعه لا تزال
مالحة تملأ صدرها .. لكنها وجدت نفسها
لازالت مليكة التي تعرفها .. هي مليكة .. مليكة
في مستشفى بملابس غريبة .. رفعت أنظارها
تتطلع في وجوه أخوتها وتنتظر بأمل أخير أن
تسمع جملة تراها في برامج التلفاز الهزلية تعني
(كنا نمزح معك) لكن الوجوه كانت أمامها
جادة ..والنظرات مصدومة ملتاعة تناظرها
بشفقة .
ما هذا الكابوس؟ ..
هل ضاعت في فجوة زمنية ؟!..

أيهما حقيقة حياتها السابقة أم وجودها الحالي؟!! ..
إنها مليكة .. مليكة عبد الغني صوالحة زوجة مفرح عبد الرحيم الزيني ..
إنها حقيقة بالتأكيد ..
أم هم الحقيقيون وهي مزيفة ؟!!
لا هي مليكة .
إذن عم يتحدثون ؟.. من خرج في الليل؟ .. ومن ارتدى جلبابا رجاليا؟ .. ومن وجده مفرح بجوار الترعة ينادي على نجمة؟.
صور كالحلم أو شيء مشابه للرؤية مرت في رأسها .. مرت من بعيد كشريط فيلم قديم لمشاهد تشبه ما يتحدثون عنه .. قبل أن تصدمها صورة واضحة بالألوان الطبيعية ..
رأت فيها مفرح يقف في مكان مظلم بفانلته ذات الحمالات يناظرها وكأنه يصارع الموت

وجانب من وجه جابر دبور .. وجلباب ذكوري كانت ترتديه.

رفعت مليكة ذراعيها لتغطي شعرها بحركة تلقائية في خزي وحرج وهي ترى نفسها في الصورة بشعرها مكشوفا .. وعادت تناظر أكرم والخوف كغول بدأ يهاجمها بشراسة فتسارعت أنفاسها وجنت دقات قلبها وهي تسأل أخيها بهلع "ماذا يحدث يا أكرم؟.. ماذا يحدث معي ؟"

لم يجد أكرم ما يجيب به ثم أجفل حينما بدأت مليكة تحضن نفسها وهي تنظر إليه وترتجف بشكل غريب .. كانت تنتفض بقوة وتشهق شهقات عالية وكأن حازوقة قوية قد أمسكت بها .. فهتف أكرم وهو يمسك بكتفيها "استدعي الطبيبة يا علي بسرعة (ونظر إليها) يقول مليكة .. مليكة ما بك يا مليكة .. مليكة ردي علي "

لكن الأخيرة قررت أن تهرب من كل ما تواجهه من صدمة وجنون وسقطت مغشيا عليها .

xxxx

خرج بشر من باب السرايا متحفزا يعرف بأن الكذبة التي كذبها على والده العجوز غير مقنعة ولن تدوم طويلا ..لكن عقله منذ ليلة أمس يدور كموتور في مصنع يحاول أن يفهم كيف خرجت مليكة من السرايا دون أن يراها الحارس

.

اقترب من حارس البوابة الذي قفز واقفا عندما رآه فسأله "هل هناك أي حركة غريبة حدثت ليلة أمس؟"

عقد الحارس حاجبيه وقال" حركة من أي نوع يا باشا"

قال بشر مراوغا" أقصد أي حركة خارج السرايا.. فكما تعرف أهل البلدة كانوا مستنفرين ليلة أمس"

قال الحارس مؤكدا" لا يا باشا ..هذا حدث في النواحي الشمالية عند الحقول وليس هنا .. ويا ليتهم استطاعوا أن يمسكوا به بل فر منهم هذه المرة.. لكنه لن يجرؤ على الاقتراب من هنا أبدا"

غمغم بشر وهو يشيح بنظراته عن الرجل "بالطبع هذا ما كنت أقوله بأنه لو كان هذا الملثم يمر من أمام البوابة كنت أمسكت به"

قال الحارس بزهو "بالطبع يا باشا أنا أجلس أمام البوابة حتى وقت متأخر من الليل وغرفتي الملاصقة للبوابة الرئيسية للسرايا تجعلني أشعر بأي شيء يحدث في الشارع أمامها ..حتى أنني استيقظت حينما شعرت بسيارتك تخرج بعد منتصف الليل ليلة أمس"

هز بشر رأسه عدة مرات وعبارة (البوابة الرئيسية) للسرايا توحي له بشيء ما فقال" أحسنت يا عم غريب أريدك أن تفتح عينيك

جيدا فلربما غيّر هذا الملثم من أماكن تواجده ومر من أمام البوابة "
قال غريب بتهديد ووعيد " لو كان رجلا من ظهر رجل فليقترب من هنا "
ربت بشر على كتفه وعاد يدخل السرايا يعبر حديقتها الواسعة جدا بخطوات سريعة ..ثم دخل لممر جانبي يؤدي لحديقة خلفية .. مر فيها من أمام اسطبل صغير به ثلاثة خيول وتعداهم ليستمر في السير لمسافة قبل أن تقع عيناه على البوابة الخلفية للسرايا .. بوابة قديمة مغلقة لم تفتح منذ سنوات طويلة ..تطل على شارع ضيق كان في الماضي وعلى حسب الحكايات مساحة شاسعة من الحقول يخترقها ترعة صغيرة لكن زحف العمران حول المكان أمام بوابة السرايا لشارع صغير ضيق يضم بعض البيوت ولهذا اهملت هذه البوابة

ولم تفتح منذ زمن أو هكذا كان يعتقد حتى وقف أمامها يحدق فيها مصدوما.
سقط قلب بشر وهو يتطلع في البوابة التي كان مزلاجها مفتوحا لكنها مغلقة بشكل غير تام ..فابتأست ملامحه وهو يحل أول جزء من اللغز .. إن مليكة خرجت من هذه البوابة ليلة أمس وطبيعي لمساحة السرايا الواسعة ألا يسمعها الحارس ..
أسرع بإغلاقها بسرعة بالمزلاج لكنه لم يشعر بالراحة فتطلع حوله في المكان يتفقده قبل أن يذهب نحو غرفة قريبة في أخر سور السرايا .. غرفة تستخدم كمخزن لوضع أشياء قديمة متفرقة فوجد بابها هي الأخرى مفتوحا .. دخلها ووقف متخصرا يلهث من الانفعال ويتفحصها بتدقيق فزكمت أنفه رائحة بنزين قوية.

تطلع في جالونات البنزين التي يخزنون بعضا منها ليجد أحدهما مفتوحا ومسكوب حوله بعض البنزين على الأرض .. فازدادت دقات قلبه بعنف والصور والأدلة تثبت واحدة بعد الأخرى بأن مليكة هي من تقوم بأعمال الحرق .. ورغم أن هذه الفكرة كانت غير قابلة للتصديق لكن نزعة الحمائية تجاه أخته جعلته يسرع بحمل الجالون المفتوح ويخرج به نحو أحد السيارات القديمة الخاصة بأولاد الصوالحة المركونة في جانب من الحديقة وأفرغه في خزانها ثم عاد لاهثا نحو الغرفة يدقق فيها من جديد قبل أن يأخذ منها ما جعله يدخلها من الأساس ..

لمح بجوار الجالونات قطع ملابس قديمة بعضها لعمال كانوا يتركون ملابس العمل في السرايا في حالة ترددهم عليها لوقت طويل.. ولاحظ من بينها ثوبا باليا ممزقا فاسرع بالتقاط

ما بقى منه وأخذ الجالون الفارغ ثم بحث فوق الأرفف ليخرج سلسلة حديدية كبيرة بها قفل وأسرع يغادر الغرفة إلى الناحية الأخرى من الحديقة الخلفية ..

سكب بضع قطرات من البنزين كانت باقية في الجالون على قطعة القماش وأخرج قداحته وأشعل فيها النار ثم وقف يراقب احتراق قطعة القماش وسؤال قاتل يدور في رأسه كيف تكون مليكة .. رمز العقل والاتزان هي الملثم الذي يحرق الزرع ؟..وما هو تشخيص مرضها بالضبط؟؟ ..إن ما يحدث يكاد يصيبه بذبحة صدرية .

تماسك بقوة ورأسه تكاد تنفجر لنصفين من هول ما يحدث وتوجه ناحية البوابة الخلفية يغلق الباب بالسلسلة والقفل وكأنه يداري أثار الجريمة .

بعد دقائق وبعدما تأكد من أن الثوب قد تحول إلى رماد عاد من جديد للغرفة ليتأكد من شيء ما .. ووقف يدقق فيها جيدا قبل أن يرفع سماعة الهاتف ويسأل أخوه بعد برهة "عليّ هل تصرفت في الدراجة القديمة التي تركها سعد الجنايني رحمه الله وكانت بغرفة المخزن ؟ "

رد عليه علي ليؤكد له توقعاته "لا أنت قلت بأنك ستجددها وتعطيها لأحد المحتاجين ..لماذا تسأل؟"

هز بشر رأسه عدة مرات بحزن ودمعت عيناه فجأة وهو يرفع يده لرأسه قائلا بحشرجة " لأنها غير موجودة يا علي .. الدراجة غير موجودة.. وما اكتشفته (وتهدج صوته يكمل بصوت باك) وما اكتشفته صادم يا علي ..صادم ومفجع يا أخي "

xxxx

"أنت تعمل معي يا عويس منذ سنوات طويلة وأعرف مدى أمانتك وولاءك لآل الزيني "
قالها عبد الرحيم بوهن فقال الأخير بعاطفة صادقة" أنا لحم أكتافي أنا وأولادي من خيرك يا عمدتنا "
قال عبد الرحيم بابتسامة ضعيفة وهو ينهت " لهذا أنا أثق بك دوما في كل شيء .. وأعرف بأن فمك لن يفتح ولن يتكلم بشأن ما رأيته الليلة الماضية في الحقول"
هتف عويس باندفاع " فليبتليني الله في عيني وعافيتي إن فعلتها يا عمدتنا .. (وضرب على صدره يقول بثقة) عويس لا يخون الأمانة أبدا ولا يبيع حتى لو كان السيف فوق رقبته"
تكلم عبد الرحيم ممتنا " أعرف هذا يا عويس ومتأكد منه .. فحتى لو لم يعد في عمري بقية أعلم بأنك ستحفظ السر طوال العمر"

قال عويس بسرعة " بعيد الشر عنك يا حاج عبد الرحيم أطال الله لنا في عمرك "
حدق العمدة في السقف للحظات فشعر عويس بالارتباك هل سيأمره بشيء أم يغادر .. ليسأل بعد برهة" هل تأمرني بشيء يا عمدتنا ؟"
عاد عبد الرحيم ينظر إليه وسأله" ما أخبار ابنك؟.. هل لا يزال يرغب في السفر ؟"
قال عويس متنهدا" أجل يا حاج الوظيفة المتاحة هناك ممتازة "
سأله العمدة " وماذا فعلت بشأن ذلك المبلغ الكبير الذي طُلب منه من أجل الحصول على التأشيرة؟"
رد عويس موضحا " يقولون لي بأنه من الممكن أن أحصل على قرض بضمان قطعة الأرض الصغيرة التي أملكها لهذا هو سيسأل عن

إجراءات القرض وسيرسل لي بعد أن يسافر اقساط البنك "

قال عبد الرحيم بلهجة ذات مغزى "ثمن التأشيرة عندي أنا يا عويس هدية لك على أمانتك "

اتسعت عينا عويس متفاجئا وشعر بالحرج الشديد فغمغم بحياء "هذا مبلغ كبير يا عمدتنا"

تكلم العمدة بلهجة قاطعة " كما قلت لك إنه هدية مني على سنوات خدمتك لي .. لقد أوصيت مفرح بأن يدفع لك المبلغ حتى لو لم أخرج حيا من غرفة العمليات"

قال عويس بعينين دامعتين ممتنا" أطال الله لنا في عمرك وأكثر من خيرك وكرمك يا عمدة والله لا أجد ما أقوله"

أغمض العمدة عينيه وهز رأسه مبتسما شاعرا بالراحة أن أغلق كل الأبواب التي من الممكن أن

تفتح الجحيم على آل الزيني وخاصة على مفرح .. في الوقت الذي دخلت فيه الممرضة تطلب من عويس أن يخرج حتى تجهز المريض لغرفة العمليات.

xxxx

بعد ساعة

أغلق مفرح هاتفه الجديد الذي احضره له وليد منذ قليل بعد أن أجرى مكالمة سريعة مع أكرم علم فيها بما تعرضت له مليكة بعد أن أفاقت و واجهوها بما حدث فتمنى لو كان موجودا أمامها لحظة إفاقتها .. تمنى أن تكون في حضنه وهم يواجهونها بما حدث .. وشعر بأن الأمر يتعقد أكثر وبأن قلبه سيتوقف من الألم.. وأن هذه اللحظات التي يعيشها ثقيلة بطيئة لا تريد أن تنتهي ..

لمح بشر الصوالحة يسلم على من يمر عليه من أهل البلدة الذين يملؤون الاستراحة بالخارج

يتنظروا خروج العمدة من غرفة العمليات فعلم بأنه قد حضر للمستشفى حتى لا يلاحظ أحد عدم وجود أي من أولاد الصوالحة حاضرا في حدث كهذا.

سلم بشر على وليد وزوج فايزة الزيني وحيا شامل مجاملا ثم تقدم نحو مصطفى ليسلم عليه بحرارة ونظرات ممتنة قبل أن ينتحي بمفرح جانبا .. فقال له الأخير وهو يتطلع في وجهه وكأنه يبحث عن نظرة واحدة تطمئنه على مليكة" هل اتصلت بأكرم وعلمت بما حدث ؟"

هز بشر رأسه بأسف وحافظ على ملامحه حتى لا يلاحظ أحد ..فسأله مفرح بلوعة" كيف كانت يا بشر أخبرني؟.. ماذا فعلت طوال الطريق؟.. وهل استيقظت في أي لحظة ؟"

تطلع بشر حوله ليتأكد من أنه ليس هناك من يتسمع ثم قال بخفوت "لا .. بل أخذت تتمتم

ببعض العبارات وتبكي بدون وعي ثم نامت
وحين وصلنا للمستشفى حقنوها بمهدئ ولم
تفق إلا قبيل الظهيرة كما حكى لك أكرم
وصُدِمت حينما علمت بما حدث "
أشفق مفرح عليها بشدة وأطرق برأسه والألم
يعتصر قلبه يتمنى أن يترك كل شيء ويسافر
إليها .. ثم رفع رأسه بعد برهة يسأله "ماذا قال
الاطباء؟ لم استطع الحديث باستفاضة مع
أكرم "
وضع بشر يديه في جيبي بنطاله ورد بلهجة
بائسة " لم يخبرنا أحد بشيء .. أكرم نفسه لا
يزال يحلل مع الطبيبة أبعاد ما حدث لكنهم
يحتاجون لبعض المعلومات"
رد مفرح بخفوت " أعلم ذلك ..سألني أكرم عن
بعض الأشياء (وسأله بسرعة) كيف تلقى
الحاج عبد الغني الخبر؟"

قال بشر بإجهاد " الحقيقة أني أخبرته بكذبة هبلاء بأنها شعرت بتوعك بسيط ولم ترغب في إيقاظ كل البيت فأيقظتني أنا و علي وذهبت معنا للمستشفى ليخبرونا بانفجار في الزائدة الدودية واضطررت لإخباره بأن فصيلة دمها نادرة وكان علينا نقلها بسرعة للعاصمة وبأنها أجرت عملية زائدة دودية بسيطة تحت اشراف أكرم .."

ناظره مفرح بعبوس فأضاف بشر "أعلم بأن الكذبة لم تنطلي عليه وبأني سأضطر لإخباره قريبا ببعض الحقيقة لكني أمهد له الأمر .. وفي الوقت نفسه لا أفضل مغادرته فجأة للعاصمة في توقيت دخول الحاج عبد الرحيم للمستشفى في اليوم التالي من حادثة الملثم .. فلا أريد لأحد أن يربط الأمور ببعض حتى لا ننفضح كلنا"

أطرق مفرح برأسه بحزن ثم سأله بلوعة قلب" والولدان ؟..يا إلهي بم سأخبرهما؟! .. أنا لم أتواصل معهما بعد .."

رد بشير مطمئنا "إنهما بخير لا تقلق ..اخبرتهما بنفس ما قلته للحاج عبد الغني وقبل أن أغادر السرايا إلى هنا رأيت مهجة الزيني قد حضرت لتأخذهما إلى بيت العمدة"

هز مفرح برأسه وقال" أجل أنا طلبت منها أن تفعل ذلك"

ساد الصمت قبل أن ينادي مفرح على مصطفى قائلا" أبا حمزة هلا اقتربت لدقيقة"

ترك مصطفى شامل واقترب ليسأله مفرح "أين القداحة؟"

أخرجها مصطفى من جيبه ليعطيها لبشر قائلا" هل رأيت هذه القداحة من قبل ؟"

قال بشر عاقدا حاجبيه "إنها قداحة عليّ هو من يشتري قداحات من هذه الماركة "

تطلع مصطفى في مفرح الذي اتسعت عيناه وقد كان على أمل ألا تكون مليكة على علاقة بالحرائق بينما سألهما بشر "هل كانت معها؟" رد مصطفى بهدوء" كانت في جيب الجلباب" نظر بشر حوله ثم قال بهمس" قبل أن أخبركما بما وجدت أريد أن تفكرا معنا كيف سنعوض أهل البلدة الذين تضررت مزارعهم دون أن نشعرهم بالأمر ..أعلم بأن الخسائر بسيطة لكن أبي بمجرد أن يعرف سيصر على تعويض الناس عما حدث من ضرر وحتى لو أخفينا هذه الحقيقة عليه أنا وإخوتي نريد أن نبرئ ذمتنا من هذا الأمر .. لهذا إن كانت لدى أحد منكما فكرة تجعلنا نعوضهم دون أن يكشف الأمر لا تبخلا علينا بها "

اتسعت عينا مفرح وعاد للخلف ليرتطم ظهره في الحائط وقد تأكد من حديث بشر بأن مليكة هي الملثم بينما قال مصطفى ما كان ينوي مفرح

لأن يقوله " ما دمت تسأل هذا السؤال يا بشر
فهذا يعني بأنك قد تأكدت بأنها الفاعلة "
تطلع فيهما الأخير بوجه ممتقع قبل أن
يجيبهما بجسد يرتعش من الصدمة" أجل
للأسف ..وسأحكي لكما كل شيء"

xxxx

قبيل المغرب

دخل جابر يلقي السلام على والدته فرحبت به
قائلة" سألت أم هاشم لماذا لم تأت في وسط
النهار كما بت تفعل فأخبرتني بأنك صائم "
تطلعت عيناه في أم هاشم الجالسة بجوار
منضدة السفرة ترتدي خمارا وفي يدها مصحفا
ثم رد مبررا "أجل لم أرغب في أن أرهق نفسي
مع الشمس والحر وقلت أحضر قبيل المغرب"
قالها وعاد للنظر في أم هاشم التي أغلقت
المصحف الصغير ووضعته على الطاولة ثم

خلعت الخمار .. فتطلع في ردائها المنزلي من بنطال رمادي وبلوزة صفراء مرقطة بالرمادي بدون أكمام ترفع شعرها المجعد فوق رأسها بينما أطرافه المشعثة تخرج من مشبك الشعر وسألها "كيف الحال ؟"

ردت بابتسامة مزينة بغمازتين" في نعمة وفضل من الله ..كيف حالك مع الصيام؟ ..اشفق عليك من الحر بالخارج هل المحل به مكيف هواء ؟"

هز رأسه يجيب "مكتبي به مكيف الحمد لله"

داعبت رائحة طعام شهية تفوح من المطبخ أنفه ودغدغت معدته تشعره بدفء من نوع خاص بينما سأل هو "أين زين؟"

ردت والدته "نزل من شقته قبل بضع ساعات وحينما علم بأنك صائم تناول إفطارا خفيفا ثم أخبرني بأنه سيذهب لأحد أصدقائه وسيعود عند أذان المغرب ليأكل معنا"

هز رأسه يلعب في مفاتيحه بين يديه وعاد يتطلع في أم هاشم مجددا بنظرة خاصة ثم شتت انظاره بعيدا عن تلك الشفتين الماكرتين المحرضتين حتى من بعيد فوقعت عيناه على المصحف الصغير على منضدة السفرة وابتسم ..

إن التزامها الديني يزيد من اعجابه بها ومن قدرها عنده بشكل كبير .. وكم شعر بالسعادة حينما أخبرها ليلة أمس بأنه ينوي بأن يصوم تطوعا فأخبرته بأنها ستصوم معه.

قال لها ببعض المفاخرة الصبيانية" انتهيت من قراءة جزء اليوم الحمد لله "

ردت بهدوء "ما شاء الله .. أنا انتهيت للتو من الثالث"

قال عابسا "تقصدين وصلت للجزء الثالث في المصحف؟"

ردت أم هاشم مصححة " بل للجزء الثالث اليوم فأنا في منتصفه تقريبا"
انتابه شعور صبياني منافس فقال باستهجان" الثالث اليوم؟!!.. كيف؟.. هل تأكلين الأحرف !!...القراءة لها قواعد يا بنت الشيخ "
شعرت بغيرته منها فضربت باطن يدها فوق ظاهرها وردت بعد أن التقطت منه طرف خيط المناكفة "الحمد لله بنت الشيخ تلتزم بالقواعد .. نسأل الله أن يتقبل مني ومنك"
ظل الشعور الصبياني مسيطرا عليه وهو يشعر بالخسارة أمامها فقال بشفتين ممطوطتين" أنا سأصعد لأبدل ملابسي (وتحرك نحو السلم يبرطم) ثلاثة أجزاء خلال بضع ساعات!"
اتسعت عينا أم هاشم وهي تراقبه يصعد حانقا ثم تبادلت النظرات مع حماتها التي كانت تراقبهما مبتسمة قبل أن تلاحقه أم هاشم بصوتها وتقول بنفس المباهاة الصبيانية" لن

أخبرك إذن كم مرة اختم القرآن في رمضان
بفضل الله حتى لا يغشى عليك "
توقف وأدار وجهه يناظرها من فوق السلم
ومن فوق كتفه بنظرات مستخفة فتحكمت في
ابتسامة صبيانية تريد البزوغ على وجهها
وأضافت بهدوء تشعر بسعادة لمشاكسته
"المهم أن يتقبل الله منا قليلنا "
لم يرد بل عاد للصعود شاعرا بالغيظ وأخذ
يحدث نفسه "وأنت متفاخر بالجزء اليتيم
الذي قرأته يا جابر! .. عليك بألا تسمح لها بأن
تهزمك مرة أخرى "
بعد قليل نزل بعد أن اغتسل وبدل ملابسه
لرداء بيتي شبابي مريح وانعطف يمينا يدخل
خلفها المطبخ قائلا وهو يتأمل البنطال القطني
الضيق" موعد الإفطار خلال دقائق وبالتأكيد
زين على وصول ألن تصعدي لتبدلي
ملابسك؟"

ردت وهي ترفع إحدى الحِلل من فوق النار وتضعها فوق المنضدة الرخام "الاسدال معلق خلف باب المطبخ "
هز رأسه وراقبها وهي تفتح الخزانة وتخرج منها كيسا أخرجت منه بضع تمرات وضعتهن في طبق صغير ثم اقتربت منه تضع الطبق على الرخامة وهي تقول "أوشك الأذان أن يرفع فكل بضع تمرات بمجرد أن يؤذن"
قالتها وهي تتحرك نحو الثلاجة لتخرج منها زجاجة ماء بارد وتضعها بجوار الطبق فدقق جابر في ذلك القرط الوحيد في أذنها وقال عاقدا حاجبيه "هذا القرط أنا أعرفه أنا متأكد"
وقفت أمامه تتطلع فيه متمنية أن يتذكره ..فمد جابر يده يتفصحه بأصابعه وسألها "لماذا تحبين أن ترتديه رغم أنه رخيص الثمن وفردة واحدة ؟.. أين الثانية؟"
ردت ببؤس "فقدتها منذ سنوات"

كرر السؤال عليها بإصرار وأصابعه تلعب بالفليفلة الحمراء " لماذا ترتديه إذن ؟"
هزت كتفيها وردت ببساطة "لأنه عزيز عليّ"
شعر بالضيق فجأة وعبارة (عزيز عليّ) تتردد في رأسه فسألها "مِن مَن هو؟"
كالعادة تكون في أعلى حالتها الأنثوية في محيطه فردت بمكر أنثوي وهي تهم بالابتعاد نحو الموقد" من شخص عزيز عليّ قلت لك "
أمسك بساعدها وأعادها مكانها لتلتصق بالحائط أمامه وقد زاد ردها من ضيقه فسألها بصرامة" أنا سألتك سؤالا مِن مَن هذا القرط الذي تعتزين به فأجيبيني يا أم هاشم"
كانت مستمتعة بالمراوغة وبذلك الشعور المدغدغ وهو بهذا القرب منها فقالت "جاءني كهدية .. أليس من حق الانسان أن يتلقى هدايا.. أم لأنني عفريتة سوداء تستكثر عليّ الهدايا!"

لم يستطع مجاراتها في المزاح.. فأمسك بصدغها لتنظر إليه وقد بدأ يشعر بالغضب لكنه قال بهدوء وهو يحدق في عينيها اللامعتين أمامه "مِن مَن هذا القرط يا أم هاشم؟"
ضغطت شفتيها ببعضهما تتطلع فيه فازدادت غمازتيها عمقا قبل أن تجيب "اشتريته من المولد وأنا صغيرة"
ضيق عينيه وكلمة (المولد) ترن في رأسه بينما أضافت هي بلهجة خرجت مستجدية لأن ينشط ذاكرته" كنت أنوي أن أذهب للمولد مثل باقي الفتيات لكن ضاعت نقودي في الطريق .. فأعطاني شخص ما المال لأشتري ما أريد .. فاخترت هذا القرط "
اتسعت عينا جابر يقول بسرعة "هذا أنا .. لقد تذكرت .. حين خانقتِ الصبية ووقعت نقودك"

وتأملها للحظات متفاجئا وسعيدا ثم اتسعت ابتسامته وهو يتذكر المشهد القديم قائلا وهو يلمس القرط بأصابعه" تذكرته .. إنه القرن الأحمر الحارق الذي كنت تنوين بأن تخيفي به من يتنمر عليك يا .. (ومال يحدق في عينيها بنفس الطريقة التي فعلها قبل ثمانية عشر سنة قائلا) يا مِشمِش"

انفجرت دقات قلبها من السعادة حينما وجدت نفسها تحتل جزءا من ذكرياته حتى لو كان بسيطا وأصابتها ابتسامته الوضاءة أمام عينيها وهي تسمع ذلك الاسم الذي تحبه يخرج من بين شفتيه بفيض من العاطفة فرفعت أصابعها تلمس لحيته بخفة وهمست بلهجة متأثرة " جابر "

لم تدر بأنها بتلك اللمسة وبذلك النداء تشعل نارا لم يختبرها إلا معها فقال بلهجة حازمة وهو يضرب أصابعها بخفة" انزلي يدك"

ابتسامة مسكرة من شفتيها الماكرتين جعلته يبتعد قليلا ويرفع رأسه لينظر في ساعة المطبخ قائلا" متى سيؤذن المغرب سيضيع صيام اليوم كله بسبب الست مشمش"
طرق على الباب تزامن مع صوت الأذان فأسرع جابر بموازبة باب المطبخ بينما استقامت نجف تترك مقعدها وتقول" أنا سأفتح"
راقب جابر أم هاشم وهي ترتدي الاسدال بعد أن التقط تمرة يأكلها وبمجرد أن انتهت ناولها واحدة وقال بسعادة مفكرا" إذن أنت تحتفظين بهذا القرط منذ ذلك اليوم؟..شيء غريب !"
قضمت أم هاشم من التمرة وصوت زين يأتي من الخارج مناكفا لوالدته ثم قالت وهي تهز كتفيها" كل انسان له مطلق الحرية أن يحتفظ بما يريد من هدايا يا جابر"

بلعت التمرة ومدت يدها والتقطت زجاجة المياه لتسمي بالله وتدعي ثم تشرب بينما فكر هو في شيء لم يخطر على ذهنه من قبل .. بل تمنى .. تمنى ألا يكون مجرد زوج فقط بالنسبة لأم هاشم .. تمنى أن يكون حبيبا .. تمنى ألا يكون مجرد رجل اختارته لأنه الأنسب والأصلح بل لأنها تريده هو بالاسم .. تريد جابر ..بكل ما فيه .. حتى عيوبه ونقاط ضعفه .

لأول مرة يفكر بهذه الطريقة التي اعتبرها صبيانية ومراهقة .. لكن شعورا بالطمع أخذ يتسلل إليه من حيث لا يدري .. الطمع في المزيد منها .. والطمع في أن يكون مميزا .. ومميزا جدا عندها ..

هذا الشعور بالطمع قاده لسؤال أكثر تطرفا ألا وهو .. هل لو كانت أم هاشم قد تزوجت من شخص أخر ستكون بنفس الشغف والحرارة معه ..

السؤال أشعل نارا خفية في أعماقه .. فوبخ نفسه ينفض عن رأسه جنون ما يفكر فيه .. إنها زوجته حلاله فلماذا يجنح للتخريف؟!! .. من أين نشأ هذا الشعور بالطمع في المزيد فيصبح بهذا التطرف والابتذال ؟!".

ناولته أم هاشم الزجاجة تقول "لم ترو جوفك بعد "

تطلع فيها عابسا وذلك التساؤل المؤذي لا يزال في رأسه .. هل ستكون مع غيره بهذا الشغف وتلك الحرارة؟! .. إنها امرأة حارة في الفراش ..معطاءة ..ذكية ..ولماحة تحفز بداخله مشاعر ذكورية غير مسبوقة ويصل معها للحظات من الجنون لم يصل إليها أبدا من قبل .

مد يده يأخذ منها الزجاجة ويضعها على الرخامة بينما اليد الأخرى تغلق باب المطبخ بهدوء ولصقها بجسده في الحائط وبدون

مقدمات وكأنه يخرس ما يدور في رأسه من تساؤل أثار غيرته مال عليها يلتهم شفتيها المحرضتين على التقبيل .. فشهقت أم هاشم متفاجئة وشعرت بالارتباك من وجود زين بالخارج لكنها سرعان ما انصهرت بين شفتيه ودغدغتها لحيته فتمسكت به تحضنه بقوة .

ابتعد جابر عنها بعد قليل وتركها كقطعة شيكولاتة ذائبة ملتصقة بالحائط فهمست بتوبيخ "جابر ..أمك وأخوك بالخارج!"

تطلع في شفتيها بغيظ وهو يقول بعبوس "قولي لنفسك هذا الكلام ولهاتين الماكرتين واصرفيهما من أمام عيناي (وأعاد فتح الباب قليلا لكنه ظل ممسكا به وهو عاقد الحاجبين مضيفا) ألم أقل لك بأن الأمور تخرج من عقالها معي بسببك !"

اتسعت ابتسامتها وعيناها تتجولان على صفحة وجهه ثم همست" وأنت لا ينافسك أحد أبدا في كلامك الحلو"
رفع حاجبا ورد متحفزا وأثار تلك النار لا تزال تشتعل في صدره "وهل كنتِ تريدين أن ينافسني أحد في كلامي الحلو لكِ!"
حركت رأسها نافية بابتسامة مُسْكِرة .. بينما جاء صوت زين من الخارج يقول" لقد أذن للمغرب وأنا جائع يا عالم أين الطعام يا بشر؟"
علّا جابر صوته قائلا" اخفض صوتك وسيكون الطعام جاهزا حالا (ثم فتح الباب وهو يهمس لها) للحديث بقية يا (وتراقصت ابتسامة شقية على شفتيه وهمس).. مشمش "
تركها وخرج من المطبخ فأمسكت أم هاشم بقلبها ويدها الأخرى تحركها أمام وجهها المشتعل وهي تغمغم " يا ويلك يا أم هاشم

ثلاثة من (مِشمِش) من بين شفتيه خلال دقائق !!"

xxxx

دخل مفرح من باب بيت العمدة فخرجت إليه أمه من إحدى الغرف وتبعتها فايزة وقد تركتا باقي النسوة من عائلة الزيني بالداخل فألقى السلام باقتضاب وصعد للسلم لتسأله أمه"

هل عبد الرحيم بخير؟"

رد مفرح " كما أخبرتك في الهاتف خرج من العمليات على العناية المركزة وحالته لم تستقر بعد"

رشقته فايزة في ظهره بكلماتها حين قالت بحقد "ست الهانم بنت البشوات فضلت أخوها المريض وذهبت للعاصمة ولم تحترم حماها المريض"

بلعت نحمده ريقها بينما استدار مفرح وقد فهم بأن هذه هي الحجة التي قيلت لها

وللنسوة عن غياب مليكة عن التواجد في موقف مثل هذا فقال لأخته بصرامة من علو "ليس لك شأن بها ..تذهب ..تجيء ..تحضر ..أو لا تحضر لا يخصك "

نظرت نحمده للغرفة بالداخل في قلق أن يسمع النسوة صوته العالي بينما امتقع وجه فايزة ليستدير مفرح صاعدا يشعر الإجهاد الشديد وبرغبة قوية في النوم لكنه حضر ليستحم ويبدل ملابسه ثم يعود لوالده .. ولا يعرف إن كان سيستطيع أن يختلس بضع ساعات ليذهب ليطل على مليكة أم لا.. فالناس متواجدون بشكل دائم في المستشفى وأي اختفاء له سيؤخذ عليه ..كما أن حالة والده ستظل تحت الملاحظة الدقيقة لثلاثة أيام.

قالت فايزة بغيظ بعد أن سمعت صوت شقته يفتح ويغلق "أقطع ذراعي إن لم يكونا متخاصمين وهي غاضبة منه عند أخيها في

العاصمة (ونظرت لأمها تقول) ألا تشعرين بذلك أنت أيضا يا أمي ؟"
كانت نحمده تشعر بأنها ستموت لتشارك ابنتها ذلك الخبر الصادم عن مليكة لكن قسم زوجها عليها وخوفها من مفرح جعلها تبلع لسانها بصعوبة وتهز رأسها لابنتها بإيجاب .
حين دخل مفرح شقته وجد ولديه ومهجة في استقباله وعلامات تساؤل كثيرة على وجهي ولديه لكنه مال يقبل رأس كل واحد منهما في صمت وناظر مهجة بألا تنطق بحرف فهو غير قادر على التفوه بشيء ودخل إلى غرفته.
تطلع في الغرفة الفارغة حوله وشعر بأنه قد فقد نصف جسده .. وكل عقله وكل قلبه بغيابها .. فاقترب من عرائس الأميجرومي الملقاة فوق المقعد وتحسسها بعينين دامعتين وقلب مفطور ثم أسرع لالتقاط ملابس نظيفة من الخزانة وتوجه نحو الحمام.

بعد قليل خرج وهو يمسك بقميص يرتديه على عجل فأسرع إليه ولداه ليقول إياد" أريد أن أزور أمي في المستشفى"
قال مفرح باقتضاب" ليس الآن يا إياد فأنت تعرف بأن جدك عبد الرحيم هو الأخر مريض "

سأله أدهم بشك "خالي بشر قال أن أمي خضعت لعملية صغيرة في العاصمة ..وعمتي مهجة قالت للنسوة أنها عند خالي أكرم بالعاصمة لأنه خضع لعملية كبيرة وأنا لا أفهم"
نظر مفرح لأخته ثم قال يحاول إيجاد تبرير "نحن لا نرغب في أن نخبر أهل البلدة بأنها هي الاخرى مريضة لأن الموضوع بسيط ..وفي الوقت نفسه لا نريد أن يلومها أحد على عدم وجودها أثناء العملية الجراحية التي خضع لها حماها "

تبادل النظرات مع مهجة يشعر بأن كذبهما مفضوح وليس متقنا لكنه لم يكن فيه عقل ليلفق الأكاذيب ..واستشعر ارتباك ولديه واحسهما يشعران باليتم فسألهما بلهجة مراوغة "ألم تشعرا بأي شيء غريب ليلة أمس ؟"

سأله أدهم مضيقا عينيه "ماذا تعني بشيء غريب؟"

أراد مفرح أن يعرف هل لمحها الولدان من قبل وهي تخرج أم لا فسأله " أقصد لقد كانت متوعكة فهل شعر بها أحد منكما وهي تلجأ لغرفة علي وتوقظه بعد منتصف الليل؟"

هز إياد كتفيه بينما قال أدهم بلهجة نادمة "بصراحة شعرت بها حينما غادرت غرفتها سمعت باب الغرفة يفتح لكني توقعت بأنها ستفعل ما تفعله كل مرة نحضر فيها إلى السرايا ليتني خرجت للاطمئنان عليها "

بدا الاهتمام على وجه مفرح وبلع ريقه يسأله"
ماذا تعني بـ(تفعل ما تفعله كل مرة)؟"
قال أدهم معترفا " لاحظت بأنها دوما تترك
غرفتها لتنام في الغرفة القديمة وذات مرة
لمحتها تنزل للطابق الأرضي وتخرج من السرايا
ففهمت بأنها ذهبت لتطعم نجمة "
تحفزت حواس مفرح وسأله بعدم استيعاب
"نجمة من؟؟!"
رد أدهم "الفرس نجمة في اسطبل الخيول "
أغمض مفرح عينيه لثوان ليلتقط أنفاسه بينما
سألت مهجة "وكيف عرفت بأنها ذاهبة
للفرس هل سألتها ؟"
رد أدهم ببساطة" لإنها ذكرت ذات يوم حين
دخلت معنا الغرفة لننام بأنها لم تطل عليها
ذلك اليوم وبأن الفرس تنتظرها لتأكل من يدها
السكر وبعد أن تركتنا بحوالي ثلاثة ساعات
شعرت بباب غرفتها يفتح فظننت بأنها ستنام

في غرفتها القديمة ككل مرة لكني حينما لم
اسمع صوت باب الغرفة الأخرى تسحبت
بهدوء لخارج غرفتي ووجدتها تنزل وتتجه نحو
باب السرايا ليس الرئيسي المطل على الحديقة
الأمامية ولكن ذلك الباب الأخر الجانبي الأقرب
للاسطبل ففهمت بأنها ذهبت إليها "
بلع مفرح ريقه بقوة مصدوما بما سمعه ثم
سأل ابنه" وهل كنت مستيقظا عندما عادت؟"
هز أدهم رأسه وقال" عادت بعد حوالي
ساعتين أو أكثر قليلا "
سأله " ولم تسألها لماذا تأخرت كل هذا الوقت
"!
احمرت وجنتا أدهم وأطرق برأسه يقول
"بصراحة كنت أنظر من خلال باب الغرفة
الموارب لأني كنت سهرانا ألعب مع أصحابي
على الانترنت ولو كانت علمت بأني مازلت
مستيقظا كانت ستوبخني بالتأكيد"

"متى كان هذا؟"
قالها مفرح فرد أدهم يحرك كتفيه "لا أعرف منذ عدة أسابيع مضت لمَ كل هذه الأسئلة؟ وما علاقتها بالتوعك الذي شعرت به ؟"
أجاب مفرح وهو يهم بالمغادرة " لا شيء أنا أحاول أن أفهم إن كان خروجها لإطعام الفرس ليلا قد أصابها بالبرد أو له علاقة بتوعكها (وعاد ليسأله) هل تكرر هذا الموضوع أقصد خروجها لإطعام نجمة ؟"
أجاب أدهم نافيا " لا أعرف فهذه هي المرة الوحيدة التي خالفت فيها أمرها وسهرت مع أصحابي على الانترنت"
هز مفرح رأسه وتحرك مغادرا بملامح متجهمة فأسرع إياد بالقول" أبي هاتفي به مشكلة .. لا يفتح .. وأدهم يقول بأنه يحتاج لسوفت وير " رد مفرح بإنهاك" فيما بعد يا إياد أليس لديك تابلت استخدم التابلت حاليا "

رد إياد" حسنا لكن لن استطيع أن أنقل إليه خط الهاتف .. فحجمه مختلف .. لهذا إن أردت أن تهاتفني أتصل بي على خط أدهم "
قال مفرح وهو يفتح الباب" اذهبا مع عمتكما مهجة إلى بيتها لبعض الوقت حتى نرى كيف ستستقر الأمور السلام عليكم "
نادت عليه مهجة تقول بقلق " مفرح هل أنت بخير؟"
توقف مفرح موليا ظهره لهم للحظات ثم أغلق الباب خلفه دون رد .. فنظر الولدان لبعضهما يشعران بعدم الراحة ..وبأن هناك حدثا كبيرا لا يعلماه ..فتساءل كل منهما في سره إن كانت تلميحات جدته نحمده التي تشعرهما بأن أمهما ستغيب لفترة طويلة صحيح أم لا .
قاطعت مهجة التي تصنعت الابتسام شرودهما حين قالت "هيا يا كباتن لنعد حقيبة صغيرة

لكل منكما ..أنا في غاية السعادة أنكما ستبيتان عندي لبضعة أيام "
قالتها وهي تتوجه ناحية غرفتهما في الوقت الذي شعر الولدان بشعور قوي بالخوف من القادم .

xxxxx

وضعت أم هاشم الكوب أمام جابر الذي يجلس بجوار منضدة السفرة مع زين يتحدثان عن بعض الأمور التي تخص العمل .. فربت على يدها بحركة تلقائية وهو يركز فيما يقوله زين الذي لمح ما فعله ورفع حاجبا مندهشا في الوقت الذي قطعت أم هاشم تركيز جابر حينما أشارت أمامه بالسبابة والوسطى .
رفع جابر رأسه إليها بتساؤل فقالت" هذا هو الكوب الثاني من الشاي خلال ثلاث ساعات"
سألها ببرود متعمد "والمطلوب؟"

كانت تميل عليه تستند بكفها على المنضدة
بينما تدعم بقبضتها الأخرى ظهرها فردت
بلهجتها المتهكمة" المطلوب أن ترحم تموين
الشاي عندنا "
رفع حاجبيه وسألها " هل تذليني من أجل
كوبين شاي يا أم هاشم؟!!"
قالت مصححة " كوبين شاي وفنجان قهوة
خلال ثلاث ساعات يا جابر"
قال مبررا " هذا لأني لم أشرب طوال النهار"
سألته بتحقيق " وكم تشرب طوال النهار من
الشاي والقهوة؟"
رمش بعينيه عدة مرات وتحرك لسانه بداخل
فمه يتحكم في ابتسامة تتلاعب على شفتيه
وأحجم عن ذكر العدد الذي يعرف بأنه كبير
فرد باستهجان "وما دخلك أنت ؟"
عدلت من حجابها بحركة مختالة في ذلك
الاسدال ذي اللونين الكحلي والزهري وردت

"أنا مسؤول تموين الشاي والقهوة على كوكب الأرض "

انفجر زين وجابر وأمه ضاحكين بينما ظلت هي تناظره بابتسامة وسؤال لا تجد له إجابه يشغلها .. هل سيبقى قلبها يرفرف بهذا الشكل كلما ضحك أو ابتسم ؟.

بعد لحظات مد جابر يده يربت على ذراعها يقول وقد عاد لجديته" اذهبي يا أم هاشم واتركينا هداك الله ولا تتدخلي في معدتي"

تحركت لتجلس على الأريكة التي هي الأقرب من كرسيه فتابعها جابر بنظراته بينما تأملهما زين كما كان يتأمل كل شيء في البيت منذ أن عاد .. معترفا لنفسه بأن البيت قد دبت فيه حياة جديدة مليئة بالدفء.. بل إن جابر نفسه دبت فيه الحياة .. رآه أصغر سنا وأكثر انطلاقا وتبسما ..ولم يخف عليه ذلك الانجذاب القوي بينه وبين وأم هاشم والذي فاجأه بشدة

ولم يتوقعه .. إن بينهما حالة خاصة جدا ومميزة من التوافق .. كل هذا غمره بسعادة جمة من أجل أخيه .. فدوما ما تمنى أن يراه هانئا قرير العين بعد رحلة شقاء هو نفسه يشفق عليه بسببها .

وحين جرب الغربة مثله أشفق عليه أكثر خاصة وأن جابر لم يكن مدللا مثله فعمل بوظيفة في شركة كبيرة وإنما كافح وحيدا وبدأ من الصفر ..

لا يزال كلما مر على جراج للسيارات يتذكر ما قصه أخوه بأن كان ينام فيه متلحفا بالكراتين في الشهور الأولى من وصوله لتلك الدولة الخليجية .. كل هذا كان يزيد احترامه لأخيه وشفقته عليه وعلى سنوات عمره التي ضاعت في جمع المال الحلال .. المال الذي تربى هو به وتعلم ليكون زين الدين دبور الحالي ..

لكنه لم يشعر به سعيدا أبدا في زيجته مع كاميليا .. صحيح جابر لم يشتكي له أبدا ..فهو كالعادة جاد ومسئول وعاقل يجنح لتحمل المسئولية أكثر من الاستمتاع بالحياة .. وربما لهذا السبب يتعمد هو لأن يكون عكسه .. ألا يترك فرصة للغربة بأن تأكل سنين عمره دون أن يستمتع بشبابه .. قرأ المعوذتين في سره بأن يحفظ الله أخاه من شر العين وتطلع في أم هاشم يناكفها قائلا "أنا أريد أن اشرب شيئا "
ردت بغيظ "ألم أسألك وأنا أعد في كل مرة لجابر إن كنت تريد ولكنك كنت ترفض بعد المرة الأولى"
قال ببرود" لكني أريد الآن"
رفعت ذقنها وردت وهي تشد الاسدال على ساقيها وترتكن بكوعها على يد الأريكة "آسفة والله فات الميعاد لقد جلست ولن أقوم مرة أخرى"

هتف باستنكار "هل تقومين بمواعيد؟!"
ردت وهي تتطلع في الفيلم أمامها في شاشة التلفاز "أجل والمطبخ أيضا بمواعيد"
سألها بلهجة ساخرة " وهل هذا يسري على جابر أيضا "
ردت ببرود أغاظه "بالطبع لا"
عبس وسألها مغتاظا "لماذا؟؟"
تابع جابر ما بينهما بعينين متسعتين بينما ردت أم هاشم "لأني زوجته يطلب مني وقتما يشاء "
هتف زين بحنق صبياني" هل تذليني لأني ليس لدي زوجة تدللني وتحاسبني على عدد أكواب الشاي والقهوة التي شربتها !"
نظرت إليه تقول بجدية " أجل .. جد لك زوجة تدللك وتفعل ذلك "
تدخلت نجف تقول مؤيدة " صدقت يا ابنتي هذا ما أريد أن اتحدث فيه لكني كنت أنتظر أن يستريح من السفر "

نظر زين لجابر يقول "زوجتك تذلني أمامك وأنت ساكت"
رد جابر بابتسامة " بصراحة أنا معها في أن عليك أن تتزوج يا زين وتستقر "
قال الأخير بعبوس " ومن قال بأني أريد الزواج أنا سعيد بحياتي هكذا "
هتفت أمه باستنكار " هل هناك أحد يكون سعيدا بالوحدة؟!"
رد زين ببساطة "أنا يا نجف .. لماذا أدفع ما جنيته بشقاء عمري في زيجة؟ .. لماذا أدفع مدخراتي على أجهزة كهربائية وخشب وذهب للعروس وهدايا؟ .. لماذا أفعل في نفسي ذلك وبعدها مصاريف للبيت وعلاج وولادة وأطباء .. ما الذي يدفعني لكل هذا التبذير؟! "
رفع جابر حاجبيه وعلق باستنكار " تبذير !!. وماذا تنوي أن تفعل إن شاء الله؟.. هل

ستذهب مع أصحابك الشباب وتقضي معظم الاجازة في المنتجعات الساحلية ككل مرة؟!"
رد زين بابتسامة باردة "بل أنوي أن أشتري سيارة"
قال جابر من بين أسنانه بغيظ "مثل سيارة العام الماضي التي بعتها بعد شهر !"
بنفس الابتسامة الباردة قال زين "سيارة هذه السنة ستكون أغلى بكثير "
ضربت نجف كفيها ببعضهما وقال " لا حول ولا قوة إلا بالله!.. هل السيارة أهم من الزواج؟"
هز زين كتفيه قائلا " طبعا فالسيارة ستعطيني الفرصة للخروج مع أصحابي والتنزه .. أنا أحب أن أعيش ملك نفسي ..لماذا أحضر فتاة من بيتها لأصرف عليها أموالي التي شقيت لأجمعها "!

اتسعت عينا أم هاشم وقالت "هذا أغرب رأي سمعته في حياتي !"

غمغم جابر من بين أسنانه لأخيه بخفوت" لولا أني أثق في تربيتي لك كنت قلت بأنك تلعب بذيلك في هذه السفرات التي تذهب فيها مع أصحابك"

هرش زين في مؤخرة رأسه وقال بنفس الخفوت "لو وجدت فرصة لألعب بذيلي في الحلال ولكن بدون أن أدفع أي شيء فسيكون هذا شيء جميل جدا جدا"

انتبها من همسهما حينما قالت أم هاشم بصوت عال "والله يا خالتي كنت أتوقع بأنك أكثر حزما وسيطرة على ولديك "

صمت جابر ورفع حاجبيه في جلسته موليا ظهره لها بينما ضحكت نجف وزين الذي يجلس في مواجهتها عند طرف السفرة لتكمل أم هاشم" بصراحة لا تؤاخذيني ..واحد منهما

يشرب القهوة والشاي في اليوم بعدد شعرات لحيته والأخر عازف عن الزواج لأنه بخيل "
صرخ زين وضرب على المنضدة يقول باعتراض "أنا بخيل!!"
ردت ببرود "ما تقوله يدل على أنك بخيل"
استدار جابر إليها يخبرها بنظراته بأن زين ليس كذلك فردت عليه بنظراتها بأنها تناكفه بينما قال زين مدافعا عن نفسه " هل لأني أحافظ على النقود التي اشقى واتعب فيها أكون بخيلا؟
.. لا يا أخت أم هاشم أنا فقط أحب أن أصرف هذه النقود لأدلل بها نفسي فما الذي سأستفيده حينما أرتبط بفتاة أصرف عليها تعبي وشقائي لا أفهم !!.. أتحسبونني مغفل!!"
ردت متهكمة" حاشا لله .. عموما الحل في يدي سأغلق المطبخ بميعاد فمن يدمن القهوة والشاي سيخفف منهما ومن يعزف عن الزواج سيضطر للزواج"

ضرب جابر بيده فوق المنضدة عدة مرات يقول ليفض الاشتباك" لنعود لما كنا نقوله يا زين لأني أريد أن أصعد لأنام .. هذا البرنامج فيه بعض الاختيارات التي لا أفهمها .. أحب طريقة عرضه للحسابات والحقيقة يقوم بعمليات حسابية ممتازة ويسهل عليّ الكثير من الأمور الحسابية لكني أحتاج لمعرفة باقي الخصائص فيه"

رد زين بهدوء وقد عاد لجديته "إن شاء الله سأشرحه لك كاملا"

سألت أم هاشم بفضول "أي برنامج حسابي هذا ؟"

أدار لها جابر وجهه وأجاب" برنامج عندي بالمحلات ندخل عليه الحسابات"

قالت بحماس" أريد أن أراه وآخذ فكرة كيف يعمل"

عقد جابر حاجبيه باندهاش فقالت موضحة "هل نسيت أنا تخرجت من معهد تجاري للمحاسبة "

قال زين بشفتين ممطوطتين" كانت دوما تنافسني في مادة الرياضيات "

نظر إليه جابر متفاجئا ثم عاد إليها يقول "حقا!"

فأضاف زين بمفاخرة "لكني بالطبع من كنت أفوز "

هتفت أم هاشم بغير تصديق" أنت !!"

قال لها مغيظا" انظري لمجموعي في الثانوية ولمجموعك وأنت تعرفين "

ردت بتهكم "هذا لأنك كنت تحصل على دروس خصوصية أما أنا فلا لو كنت قد أخذت مثلك كنت حققت أمنيتي ودخلت الجامعة "

سألها جابر مبتسما" هل كنت ترغبين في دخول الجامعة؟"

رد وقد ظهرت غمازتيها" أجل لكنه نصيب"
رن هاتف جابر فتطلع فيه عاقد الحاجبين قبل أن ترتسم الجدية على ملامحه ويقول وهو يستقيم واقفا "سأعود حالا"
وتحرك يخرج من باب البيت مما أثار دهشة أم هاشم وتوجسها .
في ساحة البيت رد جابر "نعم أم ميس هل البنت بخير؟"
ساد الصمت للحظات قبل أن يأتيه صوت كاميليا باكيا تقول "هل هانت عليك عشرة ثماني سنوات بهذه البساطة يا جابر فأسرعت بالزواج! "
تفاجأ جابر بما تقول فسألها بلهجة صارمة "هل ميس بخير يا أم ميس ؟"
مسحت دموعها من رقدتها على جانبها فوق سريرها وردت "ميس حالتها النفسية سيئة ودوما تسألني لماذا أنت وأبي انفصلتما "

عقد حاجبيه ورد وقد صدق ما قالته عن ميس وتألم قلبه على ابنته" لا داعي لهذا الكلام يا كاميليا ..أما ميس سأتحدث معها بإذن الله هل هناك شيئا أخر؟"

قالت بدلال وبلهجة ترتعش بالبكاء "لم تكن يوما قاسيا بهذا الشكل يا جابر ..حتى حينما كنت تحرمني منك بهجري والنوم في غرفة منفصلة لم يكن قلبك حجر بهذا الشكل"

كلماتها فاجأته ولم يفهم ما حدث لتفعل ذلك لكنها لم تؤثر فيه فسألها بعبوس " ما لزومه هذا الكلام الآن ؟"

قالت بلهجة متمسكنة صدمته "لزومه أني أعاني عليّ أن أعترف بهذا .. أعاني بدونك وقد تعلمت الدرس"

نفض عنه الصدمة ورد بهدوء يشعر بالأسف "فات الأوان يا كاميليا وكل شيء قسمة ونصيب "

قالت بلهجة متمسكنة "لم يفت .. بإمكانك أن تطلقها وسأسامحك ونعود لبعضنا"
هتف بانفعال "أطلق من هل جننت؟؟!!!"
استمرت في ضغطها تقول " أنا أعلم بأنك كنت تفعل هذا حتى تغيظني .. حتى تشعرني بالغيرة .. وقد نجحت وأنا .."
شعر بالاشمئزاز فقال بقرف مقاطعا " لا يصح ما تقوليه يا كاميليا عيب عليك "
تكلمت بميوعة " أنا لازلت في فترة العدة ومن الممكن أن تردني إن شئت في أي وقت ..لهذا أحببت أن أخبرك بأنك لو طلقتها..."
قاطعها يقول بصرامة " لا تتصلي مجددا يا كاميليا إلا فيما يخص ميس .. أما غير ذلك فليس لدي أي وقت لسماع ترهاتك"
قالها وأغلق الخط يشعر بالغضب والقرف ..أما كاميليا فألقت بالهاتف بجوارها وحدقت في السقف لا تعرف لماذا فعلت ذلك ؟..

كانت تبكي على حظها العاثر وقررت فجأة أن تتصل به .. ربما أرادت أن تشعر بأنها تمسك بعصفور في يدها إذا ما أجبرها أخوتها على زيجة لا تعجبها تفكر في العودة لجابر .. وربما أرادت أن تلعب لعبة ..إن نجحت فيها وأقنعته بتطليق أم هاشم من أجلها أشعرها ذلك بالانتصار ..فلو طلقها وعاد إليها سيكون ذلك أكبر رد اعتبار لها في البلدة .. وربما هي تائهة ...لا تعرف ماذا فعلت بنفسها ...وإلى أين هي ذاهبة .. كل ما تعرفه أنها لم تحصل أبدا على ما تستحق في هذه الحياة كغيرها.

xxxx

العاشرة مساء

نظر مفرح في ساعته وهو لا يزال يشعر بحيرة شديدة.. إنه ممزق بين والده وبين رغبته في السفر لمليكة .. وقد شجعه عودة شامل للعاصمة في هذا الوقت من المساء بأن يفكر في

أن يختلس بضع ساعات إلى مليكة خاصة وأنه لن يضطر للقيادة فهو مجهد ولم ينم منذ ليلتين وفكر بأن يعود بعد ذلك بأي مركبة خاصة .

إنه يريد أن يطل عليها ولو لدقائق .. أن يضمها إلى حضنه .. رغم أنهم أبلغوه بأنها نائمة منذ ظهر اليوم تعاني من صدمة عصبية وتعالج بالمهدئات.

وقف شامل بسيارته أمام المستشفى ينتظر ركوبه ففتح مفرح الباب واستقر في المقعد المجاور للسائق بإجهاد ليقول شامل مشفقا "نم لبعض الوقت حتى نصل بإذن الله"

قبل أن يتحرك بالسيارة رن هاتف مفرح فأسرع بالرد ثم قال بجزع وهو يترجل منها مسرعا" ماذا ؟؟..ما به أبي؟!!"

××××

بعد ساعتين

دخل شامل بإنهاك فاستقبله الجميع بترقب
ليقول بلهجة مرهقة تركت مفرح في البلدة
فوالده كان في حالة غير مستقرة فبقي
بجواره..الحقيقة أشفق عليه بشدة إنه ممزق
بين والده وزوجته "
قالت بسمة بحزن "قلبي يتمزق عليه وعلى
مليكة"
سأل شامل وهو يبحث حوله "هل نامت ونس
؟"
ردت والدته "لقد صعدت لغرفتها مبكرا .. هل
تريد أن تأكل؟"
قال شامل وهو يتحرك نحو السلم " ليس لدي
أي شهية ..أنا مرهق ..فما بال مفرح الذي لم
ينم منذ يومين"

قال غنيم بحزن" أسأل رب العرش العظيم أن ييسر له كل عسير ولا يريه مكروها في عزيز لديه "

أمن الواقفون ثم توقف شامل على السلم ونظر لكامل يسأل "هل هناك أي جديد بشأن أم أدهم ؟"

ردت بسمة باكية" زرناها اليوم ومنعونا من رؤيتها .. أخوتها الثلاثة يتناوبون عليها أكرم وعمار وعلي بينما عاد بشر للبلدة ليكون بجوار والده "

قال شامل بلهجة مهمومة وهو يكمل صعوده "أجل قابلت بشر في المستشفى كان الله في عونهم جميعا"

سألته بسمة" هل كانت هي مليكة من يفعل ذلك يا شامل؟"

أدار الأخير وجهه ينظر لأخيه بسؤال (ألم تخبرها؟)

فخاطره الأخر (لا)
فرد شامل" سأترك إجابة هذا السؤال ليجيبك عليه مفرح"
قالها وتحرك صاعدا فنظرت بسمة لكامل تقول "أنتما تعلمان شيئا ولا تخبراني "
لف كامل ذراعه يسحبها إليه ويضمها إلى صدره يقول مهدئا "لا تحرجينا مع صديقنا يا بسمة "
أبعدته تقول بعصبية" إنه ابن عمتي وهي صديقة عمري "
حضن وجهها بكفيه ومال يقول بهدوء" إذن فسيخبرك ابن عمتك إن شاء الله "
قالت باكية " أريد أن أطمئن على مليكة يا كامل"
عاد ليحضنها فبكت في صدره ليتطلع كامل في والديه الذين يراقبانهما بتعاطف وأغمض عينيه مشفقا عليها .

فتح شامل باب جناحه فقفزت ونس من سريرها وتركت خلفها دفترها وقلم رصاص كانت ترسم به وأسرعت إليه تحضنه بقوة.
ابتسم شامل لأول وهلة لكنه سرعان ما استشعرها متوترة بالإضافة لحزنها فأبعدها عنه يرغب في أن ينظر إلى وجهها لكنها تشبثت به بقوة.
مسد شامل على شعرها الكستنائي المموج الذي تركته مسدلا على ظهرها يقول بلهجة حانية "ونس ما بك؟"
شددت من ذراعيها حوله تغوص في حضنه أكثر فمنحها من الشعور بالأمان حتى اكتفت وارتخى ذارعاها قليلا ليبعدها متجولا بنظراته على وجهها وهو يقول "مليكة ستكون بخير لا تقلقي ونوس "
قوست فمها لأسفل بنظرات بائسة فربت على خدها برفق ثم قال "أحتاج لحمام دافئ وبعدها

(ومال يلصق جبينه بجبينها يتطلع في عينيها قائلا وقد شعر ببعض الخوف من أن يفقدها فجأة كما فقد مفرح زوجته فجأة فأضاف) وبعدها أحتاج لأن ننام أنت والجنين في حضني وتحسس بطنها يسألها "طمئنيني كيف حاله اليوم؟"

xxxx

بعد منتصف الليل

غادرت السرير ثم توجهت ناحية الباب ببطء لكنها قبل أن تصل إليه بحثت حولها .. ثم اقتربت من خزانة صغيرة وفتحتها .. ففتح أكرم الممدد على كرسي في غرفتها في المستشفى عينيه ثم اعتدل جالسا بسرعة وهو يمد يده ليضرب على قدم علي المتكوم فوق سرير إضافي لا يساع إلا لفرد واحد كانا يتناوبان على النوم عليه .. بعد أن غادر عمار إلى منزله بعد إلحاح.

قفز علي جالسا وتطلع بصدمة في مليكة التي تحركت تبتعد عن الخزانة حينما وجدتها فارغة واقتربت من سريرها وسحبت الشرشف من عليه ولفته حول رأسها وكتفيها كوشاح ثم اقتربت من حذاء أكرم الموضوع بجوار الحائط ومالت لترتديه .

قال علي بلهجة مفزوعة "مليكة"

ضغط أكرم على يده ليهدأ بينما ردت الأخرى بتلقائية ودون أن تلتفت نحوه "نعم"

بلع أكرم ريقه وشعر ببعض الاطمئنان من أنها قد استجابت لاسمها وهذا يجعل عقله يذهب لتخمين معين .. فأسرع نحو الباب وأغلقه بالقفل من الداخل بهدوء شديد وهو يسألها "إلى أين أنت ذاهبة يا مليكة ؟"

انتهت من ارتداء الحذاء واستقامت ترد وهي متجهة نحو الباب" سأذهب لنجمة"

كاد علي أن ينفعل لكن أكرم أشار له أن يصمت
ووقف بجوارها يتحدث بصوت هادئ ..
وعقله يسترجع التعليمات التي أخبرته بها
طبيبتها في حالة صدر منها أي سلوك غريب
فقال لها" ألا يمكن تأجيل هذه الزيارة يا
مليكة؟"
حاولت الأخيرة فتح الباب لكنه لم يستجب
معها فناداها أكرم" مليكة "
"نعم"
أعاد عليها السؤال "ألا نستطيع تأجيل الذهاب
لنجمة؟"
استدارت وتطلعت في الغرفة ثم تحركت نحو
النافذة وهي تقول ببطء" لا أستطيع أن أتأخر
على نجمة إنها وحدها والظلام دامس.. "
أسرع أكرم خلفها وراقبها وهي تفتح النافذة
فقال لها " إذن أنا سأوصلك "

ردت بطريقة آلية وهي تتحسس ذلك السلك الذي يغلق النافذة جيدا "مفرح سيوصلني إنه ينتظرني لنذهب سويا إلى نجمة"

نظر أكرم لعلي المتغضن الملامح بصدمة ثم عاد لأخته التي تحاول أن تدفع السلك بيديها فوجدته قويا وقال "مفرح اتصل بي منذ قليل وأخبرني بأن السيارة قد تعطلت به وسيتأخر بعض الوقت"

استدارت تنظر له فبدت عيونها المفتوحة وكأنها زجاجية أمامه وغير واعية قبل أن تقول" حقا!"

ربت أكرم على ذراعها وقال بهدوء "ما رأيك في أن تذهبي للنوم قليلا وأنا سأوقظك حينما يصل مفرح"

ساد الصمت للحظات طويلة ثم استدارت بعدها بطاعة .. فراقباها وهي تعود وتخلع الشرشف عنها وتخلع حذاء أكرم ثم تتكوم على

السرير قائلة" المهم ألا يتأخر فالظلام دامس عليها.. (وأغمضت عينيها تتوسد كفيها وتضيف بهمهمة) لا تنس أن توقظني يا أكرم حينما يصل مفرح "

راقبها علي وهي تعود للنوم بهدوء والدموع تتحجر في مقلتيه بينما أطرق أكرم برأسه يشعر بأسف وقد خمن تقريبا حالتها .

xxxx

في اليوم التالي

تطلعت الدكتورة أمنية الطبيبة النفسية في الثلاثة رجال الجالسين أمامها وسألت" أين الباشمهندس مفرح؟.. فهو من كان يتابع معي حالتها من قبل الحادث مع الدكتور أكرم"

رد أكرم وهو يشير إلى علي "سيكون معنا على الهاتف .. فوالده في العناية المركزة ولم يستطع القدوم"

رفعت الطبيبة نظارتها على عينيها وغمغمت"
ألف لا بأس عليه"
قال علي في الهاتف "سنفتح مكبر الصوت يا
مفرح حتى تسأل أي سؤال تريده "
تنحنحت الطبيبة وقالت وهي تتفحص ملفا
أمامها على المكتب " الحقيقة أن السيدة
مليكة حينما جاءتني في العيادة دوّنت بعض
الملاحظات المتفرقة عنها و بعدها احضرتموها
بعد تلك الحادثة وفهمت منكم ما حدث
وتفاصيل الماضي .. كما أنكم تقريبا تأكدتم من
أنها السبب فيما كان يحدث من حرائق صغيرة
في البلدة .. وقد كان لدي تصورا معينا في البداية
بعد تحليل كل المعلومات التي علمتها منكم ..
لكني كنت أحتاج لدليل قاطع يؤيد تصوري
المبدئي بأنها لا تعاني من اضطراب الهوية
التفارقي أو ما يسمى بتعدد الشخصيات حتى
حدث ما حدث مع الدكتور أكرم ليلة أمس "

صمتت قليلا فازداد الترقب حتى من الدكتور أكرم الذي كان شبه متأكد مما ستقول لتكمل الطبيبة بهدوء " إنها تعاني من اضطراب السير أثناء النوم"
تطلع مفرح حوله في جدران حمام المستشفى بعدم فهم فهو المكان الوحيد الذي وجد فيه بعض الخصوصية والهدوء .. بينما عقد عمار حاجبيه وقال للطبيبة أمامه "تسير وهي نائمة!! .. لقد بدا لنا الأمر أخطر من ذلك! "

ابتسمت الطبيبة وردت "مرض السير أثناء النوم مرض موجود وتختلف درجاته من مريض لأخر .. منهم من يقتصر على القيام والحركة في البيت أو فتح الثلاجة وتناول الطعام ومنهم من يصل الأمر معه للخروج من

البيت وقيادة السيارة .. من أهم مسبباته
الضغط النفسي ومن الواضح أنها تفعل ذلك"
قال أكرم بهدوء" هذا ما خمنته بعدما حدث
ليلة أمس ويفسر أمورا كثيرة "
هتف مفرح عبر الهاتف وما سمعه لم يستوعبه
بعد "وهل هذا يجعلها عنيفة ؟.. أنا لا أصدق
أبدا أن مليكة من الممكن أن تحاول أن تؤذي
أحدا..(وجاء صوته متهدجا عبر الهاتف وهو
يضيف) إنها أرق من أن تؤذي نملة"
ردت الطبيبة بتعاطف " ما حدث تلك الليلة
وسببه سنحاول أن نعرفه أثناء الجلسات
المستقبلية .. إن شاء الله أنا شخصيا من خلال
المعلومات التي حصلت عليها منكم لا أتوقع
بأنها شخص مؤذي لكني سأضعها تحت
المراقبة لبعض الوقت لأتأكد من هذا الامر"
سأل علي " هل هذا يعني بأنها لا تتذكر ما
فعلته؟"

عادت الطبيبة بظهرها إلى ظهر المقعد خلفها وشبكت أصابعها تجيب " لا تتذكر أو ربما تتذكر ولكن على هيئة رؤى بعد حدوث الأمر .. بعض المرضى عندي كانوا يرون ما فعلوه على شكل ذكرى أو حلم لشيء لم يمروا به من قبل اثناء يقظتهم "

هتف مفرح بعصبية دون أن يدري " لكنها كانت في حالة من الهذيان يوم الحادث وكانت تخلط الأمور ببعضها حتى أنها كانت تقاومني بقوة هل يحدث هذا في السير أثناء النوم أيضا؟"

اعتدلت الطبيبة لتمسك بالقلم بين يديها وردت " أريد أن أوضح شيئا .. مليكة تسير وهي نائمة في الهيئة التي ظهرت عليها أمام الدكتور أكرم .. وفي هيئة ذلك الملثم الذي يمشي بهدوء يذهب إلى مكان ما .. كما خمنتموه هو

قبر ابنتها ..ثم تلقي تلك القماشة المشتعلة على أحد الحقول وتعود للبيت في هدوء لكن ..."
قاطعها عمار يسألها "عفوا للمقاطعة هل من الممكن أن يفعل الشخص وهو نائم كل هذا؟"
ردت الطبيبة " في الحالات المعقدة كما شرحت أول حديثي يحدث بالفعل .. هناك من يخرج من بيته ويقود السيارة .. وهناك حالات ارتكبت جرائم قتل أثناء النوم (واعتدلت في جلستها تضيف) طبعا هذه حالات نادرة لكني فقط أدلل بها لأن كل شيء وارد .. ومن الواضح أن عقلها الباطن كان يتصرف معها لتتخذ احتياطاتها .. فلا يزال العقل الباطن لغز كبير لنا.. المهم أنه كان يجعلها تخرج من بوابة الفيلا الخلفية وليست الأمامية وترتدي الجلباب القديم وتتخفى وتستخدم الدراجة وكأنها مدركة لأن المسافة طويلة.. على أية حال سنرى ماذا سنكتشف اثناء جلسات العلاج"

جلس مفرح على عقبيه شاعرا بأن قدميه لا تحملانه وبشعور قوي من الارتباك وعدم الفهم بينما جاءه صوت الطبيبة تضيف" نعود للنقطة التي سأل عنها الباشمهندس مفرح بشأن حالتها تلك الليلة .. الحقيقة أنه لا ينصح عموما بمحاولة إيقاظ الشخص السائر وهو نائم فهو أمر يحدث ازعاجا شديدا له وربما اضطرابا أو نوعا من الخوف والارتباك الذهني ويؤثر في بعض الحالات في ضربات القلب وضغط الدم .. وأتوقع من خلال تحليلي لما سمعته منكم (وعدلت النظارة تتطلع في الملف وتمشي بسبابتها على بعض الملاحظات وهي تقول) طلقة الرصاص غالبا نبهتها وساعدتها على الدخول في حالة من الهلوسة.. رأسها كان لم يستيقظ بعد أو لم يكن قادرا على الاستيقاظ لتلبية نداء العقل ..بينما شعور شديد بالخوف انتابها ..ربما يكون هذا سبب

أنها قالت للباشمهندس مفرح بأنها ستنقذ ابنتها بل وكما أخبرني كانت تتخيل بأنها تحملها بين ذراعيها .. كل هذا كان نوعا من الاضطراب والارتباك العقلي حدث لها من الخوف والرعب.. فعقلها الباطن تدخل ليحفزها للاستيقاظ فارتبكت الأمور معها وبدأت تهلوس (ورفعت إليهم أنظارها تضيف) وهذه الهلوسة أراها كثيرا في حكايات بعض المرضى أثناء سيرهم نياما .. مواقف مضحكة تحدث وأخرى محزنة وردود غاية في التخريف تدل غالبا على شيء ما يقلقهم وطبعا نجمة هي محور مشكلة مليكة"

ساد الصمت فتطلعت في الوجوه التي تحاول الاستيعاب وأضافت" باختصار ما حدث لها يوم الحادث أتوقع أنه حدث عرضي نتيجة لما حدث ليلتها خاصة محاولة ايقاظها من النوم بالإضافة لشعورها بالخوف والارتباك

والصدمة العقلية التي ربما ادركها عقلها حتى
قبل أن تستيقظ بشكل كامل "
سألها مفرح عبر الهاتف " هل هذا يعني أنها
استيقظت في أخر لحظة حينما سألتني عما
حدث وأين هي ؟"
أجابت الطبيبة بثقة " هذا ما حدث على
الأغلب ربما قلت شيئا فأفاقها ببساطة "
دلك مفرح جبينه بأنامله يعتصر ذهنه قائلا
"أخر جملة قلتها لها (نجمة ماتت ولكن لديك
أدهم وأياد)"
دونت الطبيبة في دفترها الملاحظة ثم قالت"
ربما كانت في هذه الجملة (كلمة الإفاقة) التي
تخصها"
سأل علي مستفهما " ما معنى كلمة الإفاقة؟"
أجابت الطبيبة شارحة " كلمة الأمان أو كلمة
الإفاقة أو الـ Save Word كلمة بمجرد أن
يسمعها السائر وهو نائم يستيقظ .. مع العلم

بأنه لا ينصح بإيقاظه لكننا نستخدمها في الحالات القصوى حين يوشك أن يتعرض المريض للخطر .. حينما نكتشف ما هي كلمة الإفاقة الخاصة بالمريض نقويها لديه حتى تكون مؤثرة ويكون المريض على علم بها هو والمحيطين به ليستخدموها في حالة الخطر ... وتختلف من مريض لأخر وقد تدل على شيء ذي دلالة عند المريض أو لا تدل على شيء .. (وابتسمت تقول) عندي مريض كلمة إفاقته هو (اسم حماته) .. وأعتقد أن السيدة مليكة (وخطت بيدها تحت الجملة أمامها تكمل) كلمة إفاقتها غالبا إما (نجمة ماتت) أو (أدهم وإياد) واتوقع بأنها الثانية عموما سنرى " سألها عمار بعدم صبر " السؤال الهام هل هذا المرض له علاج ؟"

وضعت الملف أمامها وردت " هذا المرض يحدث بشكل شائع عند بعض الأطفال ويختفي تدريجيا بدون أية مشاكل عند بلوغهم لكنه يحدث بشكل نادر مع البالغين وحينما يصاب به أحدهم يكون علاجه صعب لكن يمكن تحجيمه والسيطرة عليه والتعايش معه والتقليل من خطورته إن شاء الله .. أتوقع أن مليكة الآن تعاني من صدمة اكتشافها لما تفعله دون أن تدري .. أتمنى أن تتخطى هذه الصدمة بسرعة وأن تكون حافزا لها لأن تتجاوب مع العلاج "

سألها أكرم بلهجة حزينة" وما نوعية الأدوية التي ستخضع لها ؟"

ردت الطبيبة بلهجة عملية " سنلجأ لبعض الأدوية المضادة للاكتئاب .. ولكن الشق الأساسي في العلاج هو جلسات التفريغ النفسي

التي ستساعدها على الاسترخاء والتعامل مع حالتها ومحاولة التحكم فيها بقدر الإمكان "

ران الصمت على الغرفة ..صمت كئيب قاتم .. ولم يجد أحد ما يقال فقالت الطبيبة بلهجة مطمئنة" لتتخطى الصدمة أولا ثم نبدأ فورا إن شاء الله في العلاج "
سألها أكرم بقلق " كم من الوقت ستبقى في المستشفى؟"

ردت الطبيبة وهي تكتب شيئا في الملف "بمجرد أن تتخطى مرحلة الصدمة ونتأكد من أنها ليست مؤذية لنفسها أو لغيرها ستخرج معكم وتشرفني بعدها في العيادة حسب الجدول الذي سنضعه إن شاء الله "

xxxx

قال كامل في وقفته في المطعم مع بسمة يديه في جيبي بنطاله" اتصلنا بالمستشفى وأخبرونا بأن الزيارة لا تزال ممنوعة يا بسمة ماذا سنفعل بذهابنا ؟!"

قالت بحزن" أريد أن أطمئن عليها يا كامل"

رد بهدوء "إن شاء الله ستكون بخير"

رفعت إليه عينيها الزرقاوين حزينتين وسألته "هل استطاع مفرح أن يزورها ؟"

رد كامل وهو ينظر في هاتفه الذي يرن عاقدا حاجبيه" لا فوالده لا يزال في حالة حرجة .. وهو غير قادر على مغادرة المستشفى (ورفع الهاتف على اذنه يقول باندهاش) نعم يا أبي هل أنت بخير "

جاءه صوت غنيم يقول بلهجة صارمة " تعال أنت وأخوك إلى غرفة مكتبي فورا "

قال كامل مجادلا" هلا أجلنا ...."

قال غنيم بلهجة صارمة " قلت تعاليا فورا"
تطلع كامل باندهاش في الهاتف بعد أن أغلق والده الخط فنظرت إليه بسمة تسأله "ماذا حدث؟"
أدار وجهه ناحية اليمين حيث يقف شامل الذي استدار إليه فورا دون أن يناديه وتطلعا لبعضهما بتوجس .
بعد دقائق تطلع التوأمان في بعضهما وهما يسمعان صوت بعض الضيوف يأتي من داخل مكتب والده فسأل شامل والدته" من بالداخل؟"
هزت الأخيرة كتفيها وردت" لا أعرف رجل يبدو عليه الوجاهة ومعه شابة حامل "
تبادل التوأمان النظرات ودخلا بينما وقفت بسمة بجوار سوسو وونس بترقب .

بمجرد أن خطى التوأمان لغرفة المكتب
اتسعت عينيهما باندهاش فهتف شامل
بصدمة " شيرويت !.."
تبعه كامل قائلا بلهجة متحفزة" ما الذي أتى
بك إلى هنا ؟!"
ارتبكت الأخيرة ومررت أنظارها بينهما وبين
رجل كبير بالعمر ليقول غنيم بلهجة عابسة
"صديقتكما ووالدها يسألان عنك يا كامل ويبدو
أن الأمر خطير فالبيك متحفز منذ دخوله ولا
يرغب حتى في الجلوس "
تكلم الرجل قائلا بلهجة خطرة وهو يتطلع في
التوأمين "من منكما ذلك الحقير كامل؟"

xxxx

الفصل الحادي والثلاثون

بعد دقائق تطلع التوأمان في بعضهما وهما يسمعان صوت ضيوف يأتي من داخل مكتب والدهما فسأل شامل والدته" من بالداخل؟"
هزت الأخيرة كتفيها وردت" لا أعرف رجل يبدو عليه الوجاهة ومعه شابة حامل "
تبادل التوأمان النظرات المتعجبة ودخلا بينما وقفت بسمة بجوار سوسو وونس بترقب .
بمجرد أن خطى التوأمان لغرفة المكتب اتسعت عيناهما باندهاش فهتف شامل بصدمة " شيرويت !.."
تبعه كامل قائلا بلهجة متحفزة" ما الذي أتى بك إلى هنا ؟!"
ارتبكت الأخيرة ومررت أنظارها بينهما وبين رجل كبير بالعمر ليقول غنيم بلهجة عابسة "صديقتكما ووالدها يسألان عنك يا كامل ويبدو

أن الأمر خطير فالبيك متحفز منذ دخوله ولا يرغب حتى في الجلوس "

تكلم الرجل قائلا بلهجة خطرة وهو يتطلع في التوأمين "من منكما ذلك الحقير كامل؟"

تفاجأ كامل بلهجته العدائية فانقلب وجهه ورد بتعالي وهجوم " أنا كامل ولست حقيرا ولا أسمح لك "

بينما تدخل غنيم يقول بانفعال " هل جئت لتشتم ابني في بيتي يا هذا ؟.. أنا لا أسمح لك قل ما تريد بدون مقدمات"

أخرج الرجل مسدسا فجأة من جيبه ووجهه ناحية كامل فشهقت شيرويت بينما اتسعت عيون الواقفين بصدمة ليتحرك شامل ليقف أمام توأمه بحركة تلقائية في نفس الوقت الذي قال كامل للرجل هادرا" ماذا تفعل؟؟"

كان الشرر يتطاير من عيني والد شيرويت وهو يرد بغل "أفعل ما سيفعله أي أب ليغسل عاره أيها الواطي الحقير"

هتفت شيرويت باكية" أبي أرجوك تمالك أعصابك "

هدر كامل بانفعال وهو يحاول أن يبعد شامل من أمامه " اسمع.. أنت رجل كبير وفي بيتي فلا تضطرني لإلقائك بالخارج "

هتف غنيم في ابنه "اسكت يا كامل دعنا نفهم ماذا يحدث"

لم يستجب الأخير بل نظر لشيرويت هادرا " ماذا يحدث يا شيرويت انطقي ؟!"

تدخل شامل ليهدئ والد شيرويت بينما شعر كامل بمن يدخل من باب الغرفة فالتفت ليتفاجأ ببسمة قد دخلت تتطلع في الجميع بعينين ضبابيتين فهتف بلهجة خطرة وقد

شعر بالتوتر من الموقف الغريب برمته
"اخرجي من هنا"
كانت بسمة تشعر بارتجاف في ساقيها بل إن كلها ينتفض من التوتر وقرون استشعار الأنثى لديها تعمل في اتجاه معين فرفعت ذقنها نحوه تجيب " لا ..لن أخرج فالأمر يخصك ولابد أن أكون موجودة "
تراشقا بالنظرات بينما استمر شامل في تهدئة الرجل قائلا "هلا هدأت وابعدت هذا المسدس وأفهمتنا ماذا حدث فأنت بالتأكيد لم تأت لتقتل شخصا في عقر داره"
أمسك كامل بذراع بسمة بخشونة فهتفت " الموضوع يخصك وأنا لابد أن أعرف يا كامل"
قال من بين أسنانه بخفوت أخرجي يا بسمة وسأخبرك فيما بعد حينما أفهم .. هيا فالرجل في يده مسدسا "

قال غنيم للرجل بلهجة غاضبة مشيرا بعصاه "
تفضل يا هذا اجلس وأفهمنا ما تريده قبل أن
أطلب لك الشرطة"
دخلت ونس مندفعة من الباب تطلق همهمات
صارخة وأسرعت بحضن زوجها وخلفها سوسو
فاستدار شامل بحركة دفاعية يولي ظهره
للرجل ليبعد ونس عن تهورها ..بينما استدار
كامل يقول للرجل بعصبية "ابعد هذا المسدس
بيننا نساء وحوامل وتعال في أي مكان في الخارج
تريده لنتحدث أنا معك "
لم يكن والد شيرويت غبيا حتى يقتل شخصا في
داره مهما كان منفعلا حتى لو كان يريد فعل
ذلك .. فتطلع في وجوه النساء المذعورة
واخفض مسدسه بينما قال شامل لونس
بحزم" اخرجي يا ونس أرجوك "

ظلت متشبثة بعنقه تبكي برفض في الوقت الذي قال غنيم "تكلم من فضلك بسرعة ماذا فعل كامل أنت توتر الجميع بهذا الشكل"

تحرك كامل يسحب ونس من ساعدها بخشونة يبعدها عن شامل نحو باب الغرفة هادرا "النساء تخرج فورا هيا يا بسمة هيا يا أمي.. لا أريد واحدة منكن هنا حتى لا يسوء الوضع "

تبادل النظرات مع بسمة لبضع ثوان سحبت ونس بعدها وخرجت هي وحماتها التي غادرت الغرفة وهي على وشك الانهيار .. فأغلق كامل الباب من الداخل واستدار يقطع المسافة بينه وبين الرجل يهم بالهجوم عليه قائلا "تفضل أنا معك كامل نخلة ماذا تريد بالضبط ؟"

أسرع شامل بمنعه والوقوف حائلا بينه وبين الرجل الذي رفع أنظاره إليه واستشعر شراسته وشعر بالرهبة من طوله فوضع اصبعه على

الزناد مستعدا لأي لحظة هجوم رغم أنه قد أخفض المسدس بجانبه .
خارج الباب وقفت الثلاث نساء يسمعن ما يدور من حديث وقد كان الصوت واضحا في الوقت الذي قال الرجل "أنا جمال الراوي وهذه ابنتي شيرويت تعرفها بالطبع وما في بطنها هو ابنك أيها الخسيس "
اتسعت عينا التوأمين في صدمة بينما قال غنيم باستنكار "نعم!!"
اندفع كامل يهم بالانقضاض عليه وقد جن جنونه ليس فقط من خطورة ما يقول لكن وجود والده وبسمة يسمعان ما يحدث أربكه فهدر فيه باستنكار "بم تخرف أنت !!"
وقف شامل أمامه يحجمه من التهور بينما شعرت بسمة في الخارج بتنميل في أطرافها وانفجار في قلبها وتبادلت النظرات المتسعة مع حماتها وونس .

نظر جمال لابنته التي كانت تمسك ببطنها بألم
وقال آمرا "تكلمي يا شيرويت "
انفجرت الأخيرة ببكاء حار تشعر بالارتباك
والحرج الشديد ليهدر كامل وهو يحاول
التخلص من أخيه "انطقي يا شيرويت ما هذا
الهراء الذي أسمعه !!"
قالت الأخيرة دون أن تواجه نظرات عينيه
"للاسف هذه هي الحقيقة"
كلماتها كانت كالبنزين فوق النار فهدر كامل وهو
يحاول دفع شامل يشعر برغبة في ضربها وقد
فقد القدرة على التمييز "أية حقيقة !..هل
جننت كيف يكون ابني؟!!"
قال جمال بعصبية " كيف تسأل هذا السؤال
أيها النذل؟" استدار إليه كامل هاتفا بعدائية
"أنا لست نذلا وابنتك تكذب "
قال غنيم لجمال وصدره يعلو ويهبط من
الانفعال "اهدأ أرجوك ودعنا نتفاهم "

صرخت شيرويت في كامل بلهجة متألمة " أنا لست كاذبة يا كامل ولا داعي لإذلالي أكثر من ذلك"

تدخل شامل قائلا بعد أن حاول البحث في عقله على كلام يقال ردا على صدمة كهذه "ما هذا الكلام يا شيرويت !! (ونظر لبطنها) نحن لم نرك منذ مدة وتبدين في مرحلة متقدمة من الحمل"

ردت الأخيرة بلهجة باكية وهي تنزل نظراتها بخزي "حدث في تلك الليلة في الشاليه منذ شهور "

صرخ كامل مذهولا " ما هذا التخريف!.. أنا لم ألمسك (وقلب مقلتيه يضيف باستهجان) هل ستحملين من قبلة !!!"

عبارته كانت كطعنة في قلب غنيم فتطلع في ابنه بعبوس وكطعنة أخرى أشد إيلاما وإذلالا في قلب جمال الواقف يشعر بخزي شديد وهو

يستمع لأمر بشع كهذا .. أما بسمة فوضعت يدها على فمها تكتم صرخة.
شعرت سوسو بالدوار فأسندتها ونس إلى مقعد قريب من الباب بينما جاء صوت كامل مضيفا بتأكيد " كل ما كان بيننا هو قبلة واحدة "
ردت شيرويت من بين دموعها تدافع عن نفسها " كامل أنت كنت سكران"
رد الأخير مدافعا عن نفسه " من قال هذا؟!! .. ليس لأني شربت بعض الكؤوس فيعني أني كنت مغيبا.. أنا أعرف ماذا أقول بالضبط"
لم تستطع ساقا غنيم أن تحملاه أكثر من ذلك والألم يزداد في رأسه فجلس على أقرب مقعد بينما تدخل شامل قائلا وهو يمارس أقصى درجات ضبط النفس "اسمعي يا شيرويت ..ما تقولينه غريب جدا ..أنا وبقية الشلة كنا معكما كيف حدث ذلك؟!! "

ردت شيرويت " حدث بعد أن نام الجميع جاءني في غرفتي وبعد عدة ساعات استيقظت ولم أجده"

صرخ كامل بانفعال " هذا الكلام لم يحدث أنا نمت ليلتها مع شامل في نفس الغرفة "

رد شامل مؤيدا " هذا بالفعل ما حدث ويومها تشاجرنا أنا وهو على السرير لأنه كان لا يكفي إلا لفرد واحد وانتهى بنا الأمر كل منا أدار ظهره للأخر ونام على طرف السرير "

شعرت شيرويت بالغيظ فردت بإصرار "قلت لكم جاءني الغرفة بعد أن خلد الجميع للنوم"

استمر كامل على كلامه يقول بإصرار مماثل " وأنا قلت هذا كذب ولم يحدث أبدا"

هتف جمال بعصبية " ألم تكن مخمورا ؟..كيف تجزم بأنه كذب !!"

استدار إليه كامل قائلا بمقارعة " ابنتك أيضا كانت مخمورة لماذا تصدقها حينما تقول أني

من فعل بها هذا .. أنا شربت بضع كؤوس ولكني لم أصل لمرحلة السُكر وأعرف ما أقوله بالضبط "

دفنت شيرويت وجهها في كفيها بخزي بعد أن قالت "بل كنت أنت يا كامل أنا لا أكذب "

تدخل شامل قائلا وقد شعر بالشفقة عليها "أنت لا تكذبين يا شيرويت لكنك كنت في حالة غريبة ليلتها ..أنا رأيتك أكثر من مرة قبلها تحتسين الخمر لكن يومها كنتِ في حالة غريبة من الانتشاء والجنون وعلى ما أذكر احداهن ذكرت ضاحكة بأنها قد اعطتك حبة من تلك الحبوب الخاصة بالهلوسة"

وقف كامل يطالع شيرويت وصدره يعلو ويهبط من الانفعال بينما رفعت شيرويت رأسها إلى شامل تجيب "لكني متأكدة أن كامل من جاءني بالغرفة"

هتف فيها شامل مغتاظا من إصرارها " ولماذا لست أنا ؟!!.. لماذا شككت في كامل بالذات وليس أنا ؟!"

ردت شيرويت " لأنني أستطيع التفريق بينكما"

قال شامل مقارعا " هذا وأنتِ في وعيك وحينما ترينا بجوار بعضنا ..أنا أذكر كلام سابق لك عن هذا الامر أمام الشلة ..لكن تلك الليلة أنت كنت فاقدة للتركيز حتى أنك .. (ونظر لوالدها وتنحنح يضيف ببعض المواربة) حتى أنك حاولت معي في الشرفة فعل أشياء أنت تعرفينها جيدا لن أذكرها أمام الجميع هل تذكرين هذا الأمر؟"

ردت شيرويت معترفة بخزي وهي تشيح بنظراتها عن الواقفين " أجل أذكر أني أخطأت واعتقدتك لوهلة كامل ثم نبهتني أنت لكن هذا لا يعني بأني لن أستطيع أن افرق كامل عن شخص أخر "

ضرب كامل كفا بكف يحاول أن يلجم رغبة في داخله لخنقها وقال " لا حول ولا قوة إلا بالله"

تدخل غنيم يسألها " ومادام ابني قد فعل ما فعل فلماذا سكتِّ كل هذا الوقت؟"
أسرع كامل بالقول " انها تتبلى عليّ يا أبي ..ربما والد الطفل لم يعترف به فتحاول الصاقه بي "
ردت شيرويت بانفعال " هذا غير صحيح أبدا ..أنا لم أكتشف أني حامل إلا بعد فترة فحاولت الاتصال بك فلم ترد عليّ ثم حظرت رقمي "
قال كامل بشراسة " هذا حدث منذ ثلاثة شهور تقريبا كنت قد خطبت وأنت كنت تلحين في الاتصال وقد أخبرتك قبلها بأربعة أشهر بعد آخر سفرة لي أنا وأخي مع الشلة بأنني لا أنوي الزواج منك"
ردت شيرويت موضحة " حين حظرت رقمي لم أعرف ماذا أفعل حاولت أن أقوم بعملية

اجهاض لكني خفت أن يكتشف والدي الأمر أو يقوم بها طبيب غير مهني فسافرت لتركيا لأن هناك يقومون بعمليات الاجهاض بشكل قانوني وأخبرت أبي أني في رحلة مع صديقاتي.. وهناك في تركيا اكتشفت بأني في الشهر الرابع ورفضوا أن يقوموا بإجهاضي"

قال كامل باستهجان " هل تريدين أن تفهميني أنك كامرأة كنت حامل حتى الشهر الرابع بدون أن تعرفي أو تشكي .. هناك علامات لذلك أنت تعرفينها جيدا "

أجابت شيرويت من بين دموعها " لا لم أشك صدقني .. كنت أتبع وقتها حمية غذائية واستخدم نوعا جديدا من أقراص إنقاص الوزن فظننت بأنها هي السبب في ألا تأتيني عادتي الشهرية لأن صديقة لي كانت قد أخبرتني بالأثار الجانبية للدواء (وبدأت النحيب مضيفة)

حينما ذهبت لتركيا ورفضوا الاجهاض حاولت أن اتصل بك من هناك لكنك لم ترد " عبس مفكرا ولم يعترف أمامهم بأنه قد تلقى بالفعل مكالمتين فائتتين من رقمين مختلفين من تركيا لكنه لم يلحق للرد وتجاهل الأمر بعدها بينما أكملت شيرويت" ثم علمت من صديقاتي هنا بعدها بأنك قد تزوجت فلم أعرف ماذا أفعل .. كنت وحيدة ولا أعرف أحد وظللت أهرب من كل من أعرفهم في تركيا .. (وصمتت لحظة تتطلع في وجهه ثم قالت بألم شديد) أنا لست ساقطة يا كامل ..ولا أخطط لأن أخطفك من زوجتك .. أنا قررت أن أعرض ابني للتبني في تركيا بمجرد أن ألده لهذا كنت أتحجج لأبي حتى لا أعود الحجة تلو الأخرى حتى فاجأني بزيارته لي في تركيا .. (وتطلعت في وجه والدها المسود من العار والألم ثم أضافت قبل أن تعود لدفن وجهها في كفيها) أنا آسفة

للجميع.. آسفة يا أبي أني وضعتك في هذا الموقف ..أنا لست ساقطة صدقوني هذه كانت المرة الأولى التي خرجت فيها عن السيطرة على نفسي ربما بسبب مفعول تلك الحبة مع الخمر"

ساد صمت كئيب حائر وتطلع شامل وكامل في بعضهما ولم يعرف كامل ماذا يقول ليهتف جمال قاطعا ذلك الصمت بلهجة مهددة " اسمع أنا سمعتي ستتدمر بين الناس وفضيحتي ستكون مدوية وهذا الموضوع لابد أن نتصرف فيه "

سحب كامل نفسا عميقا يحاول أن يتفهم وضع والدها حتى لا يهجم عليه فغضب عظيم كان يسيطر عليه اللحظة ليتقبض بقوة إلى جانبيه ويقول بصوت بذل مجهودا حتى يكون أقل حدة " اسمعي يا شيرويت اسمع يا بيك أنا

لست والد هذا الطفل.. ولست صغيرا حتى
أعاشر امرأة دون أن أعي"
قاطعته بإصرار" صدقني كنت أنت "
أكمل كامل حديثه بلهجة أشد حدة وهو
يطالعها بعينين تقذفان الشرر" ومع هذا سأقوم
بتحليل DNA يا شيرويت رغم ثقتي فيما
أقوله"
هتف شامل "وأنا أيضا"
تطلع الجميع فيه بذهول بينما وضعت ونس
يدها على فمها تنظر لحماتها باتساع عينيها
ليوضح شامل في الداخل للواقفين " أجل
سأفعله فشيرويت مصرة على أنها رأت كامل
معها في غرفتها وأخطأت قبلها بيننا وبصراحة
لست مستعدا لأن يتم الشك فيّ بعد تبرئة كامل
لهذا علينا أن ننتهي من هذا الأمر مرة واحدة "
تكلم جمال مضيفا بإصرار" وحينما تظهر
النتيجة إن شاء الله هذا الموضوع لابد أن يتم

احتواءه بسرعة وبسرية تامة حتى لا تتعقد الأمور (وأضاف بلهجة مهددة) أنتم لا تعرفون ما الذي استطيع أن أفعله إن فضح أمرنا"
هتف غنيم بلهجة محذرة " لا تهددنا يا حضرة في بيتنا نحن لسنا أولاد شوارع"
تكلم كامل بلهجة خطرة موجها حديثه لجمال "إن كان ما في بطن ابنتك من صلبي فسأفعل ما يمليه عليّ ضميري يا بك بدون تهديد ..
وأكررها للمرة الألف .. لم أفعلها "
أطرقت شيرويت برأسها تشعر بالذل والإهانة ولم تعرف كيف وصل بها الأمر إلى هذا الحال .. صحيح كانت تعيش حياة منفتحة منذ طلاقها لكنها لم تقم أبدا بعلاقة غير شرعية مع أي رجل .. حتى دخل كامل حياتها وانجذبت له فقررت أن ترمي شباكها عليه وأخذت تنفذ وصايا صاحباتها فأغوته حتى قبلها في يوم سابق لتلك السهرة رغم أنه كان صريحا معها بأنه لا

يفكر بالارتباط ومع هذا كانت تأمل في أن تنجح في تغيير رأيه ..

أما تلك الليلة فالأمور خرجت عن سيطرتها تماما خاصة حينما شعرت بالحزن لتجنبه لها طوال السهرة فشربت الكثير من الخمر وجربت لأول مرة حبة أعطتها لها صديقتها أخبرتها بأنها ستزيل عنها شعورها بالحزن وتشعرها بالسعادة .. وحينما دخل عليها كامل في تلك الليلة في غرفتها استسلمت بفرحة له تحت تأثير حالتها.

تطلعت في والدها الذي تشعر بقهره وهامته التي عفرتها بالتراب وأيقنت بأن ما وصلت إليه لحظتها هو عقابها بعد أن تركت البيت وقررت الاستقلال بحياتها في وقت سابق تعاقب والدها على اجبارها على زيجة سابقة رأت فيها العذاب وتمنت الموت كما تتمناه منذ اللحظة

التي علمت فيها بأنها حامل وبأن كامل يتنصل منها .
سأل جمال كامل "متى ستقوم بهذا التحليل؟"
رد كامل باقتضاب "غدا صباحا سأتصل بك"
أخرج جمال بطاقة عمل يعطيها لغنيم قائلا "لقاءنا القادم سيكون في حضور المحامي الخاص بي"
رد غنيم الذي يعاني صداعا شديدا بسبب الانفعال " وسيكون محامينا حاضرا أيضا إن شاء الله"
تحرك جمال مغادرا وهو يقول "هيا شيرويت"
كفكفت دموعها وأحنت رأسها شاعرة بالصغر وتحركت من أمام أنظار كامل الناريتين التي تقذفها بالشرر وخرجت .. فوقفت بسمة مكتفة ذراعيها تنظر لشيرويت بوجه جامد وهي تخرج من باب غرفة المكتب ..لتسرع الأخرى باختراق بهو الفيلا هاربة تلاها والدها

الذي مر من أمام سوسو وونس الملتصقتين ببعضهما وغادر في صمت .
وقفت بسمة على باب الغرفة المفتوح تتطلع في الرجال الثلاثة .. كامل ينظر لوالده متقبضا بينما غنيم يقف مستندا على عصاه مطرق الرأس في حزن في الوقت الذي كان شامل يراقب المشهد بتوجس .. لم تجرؤ على الدخول ووقفت تتطلع في المشهد من بعيد وهي ترتجف من الصدمة .
تكلم غنيم بعد فترة من الصمت بلهجة آسفة "يا خيبة أملي فيكما يا خيبة أملي .. كنت معتقدا بأني على الأقل ربيتكما على تجنب الحرام كنت صابرا على لهوكما وعدم زواجكما حتى سن الرابعة والثلاثون مقدرا للفترة الصعبة التي عشناها كلنا أثناء الحرب .. دوما كنت أخبر نفسي (لا تخاف عليهما يا غنيم لقد ربيتهما على عدم ارتكاب المعاصي)"

تدخل شامل قائلا "يا أبي كامل لم يفعلها أنا متأكد"

نظر غنيم لشامل يقول بلهجة غاضبة "أنت تصمت ولا تتحدث .. لم أتوقع أبدا أن يصل بكما الحال لشرب الخمر ومعاشرة النساء "

تكلم كامل بسرعة " أبي من فضلك أخرج شامل من القصة فهو أبدا لم يتجاوز الخطوط الحمراء مع النساء وقصة الخمر كانت مرة وحيدة وأنا من ألحيت عليه يومها على سبيل التجربة ولم نكررها أقسم لك بالله أننا كنا فقط نجربه .. أما أنا فلن أنكر بأني كنت أتجاوز في بعض الحدود بقبلة أو لمسة لكن أقسم بالله العظيم لم أتخط أبدا هذا الحد مع أي امرأة ..ولم اصحب انثى إلى فراشي إلا في الحلال "

رفع غنيم عصاه ولكزه بها في صدره وهو يقول من بين أسنانه" لكنك كنت سكرانا يا بيك

والبنت أكيدة من أنه أنت كيف لا تشك في نفسك "

هدر كامل بانفعال " أنا لست طفلا يا أبي فبعيدا عن كوني لم أكن سكرانا لدرجة غياب العقل وأني متأكد أني نمت بجوار شامل تلك الليلة حتى الصباح فلست غرا حتى لا أعرف إن كنت قد عاشرت امرأة تلك اللية أم لا"

قال غنيم وهو يحدجه شذرا " لا تحاول التبرير ..عموما هذا التحليل اللعين سيوضح كل شيء ..وحتى يظهر لا تريني وجهك "

أعاد العصا للأرض بعصبية واستند عليها فخانته أعصابه وكاد أن يسقط .. ليسرع ولداه بالإمساك به بينما شامل يهتف مذعورا "أبي!"

xxxx

بعد ساعتين

خرج شامل من غرفة والديه يفسح الطريق للطبيب قائلا تفضل يا دكتور شكرا لك (وقال

لبسمة وونس الواقفتين بترقب قبل أن يتحرك ليوصله للخارج) ضغطه ارتفع "
بينما قال غنيم في الغرفة بضيق حينما لمح كامل بالقرب من الباب "أخرج من الغرفة لا أريد أن أرى وجهك"
قالت سوسو بعينين دامعتين وهي تجلس بجواره وتربت على صدره "أرجوك يا غنيم لا تنفعل واسترح كما قال الطبيب "
رد الأخير وهو يغمض عينيه "أخرجيه من الغرفة إذن "
تحرك كامل مغادرا يشعر بالغضب فلمح بسمة تصعد للطابق العلوي بخطوات عصبية لكنه لم يلحق بها بل خرج مغادرا للفيلا يرغب في الاختلاء بنفسه لبعض الوقت ليستوعب ما حدث .. بينما وقفت ونس وحيدة تعاني من الصدمة .

في الدور العلوي دخلت بسمة غرفتها واقتربت لتجلس على السرير .. فاستندت بمرفقيها على فخذيها وأمسكت برأسها وجسدها لا يزال ينتفض وكأن هزة أرضية قد اصابت حياتها فجأة ..

هل من الممكن أن يكون كامل قد فعلها تحت تأثير الخمر؟..

ماذا يعني هذا؟ .. أن لديه طفلا قادما؟ .. طفل من امرأة أخرى ؟!!.

تذكرت فجأة بأنها لم تصحح له تلك المعلومة الخاطئة عنها بأنها لا تنجب .. لقد حدثت الكثير من الأمور بعدها ونسيت أن تخبره بالحقيقة ربما لأنها ليست حقيقة .

ماذا سيحدث الآن؟ .. هل سيتزوج من تلك المرأة حتى ينسب الطفل له ؟..

وهل ستعيش هذه التجربة مرة أخرى ؟!..

انتفضت واقفة برفض شديد فهي لا تقبل بأن يكون لها ضرة .. ولن تكرر الخوض في تجربة مُرة كهذه مرة أخرى ..
فانخلع قلبها وهي تفكر فيما يعنيه كلامها هذا ..
هل ستترك كامل ؟؟!!
انهار جسدها على السرير لتجلس من جديد وتقارع نفسها ؟؟ ..(الوضع هذه المرة مختلف يا بسمة ..) صحيح وجعه أصعب ونار الغيرة ستنهشها لكن الوضع هذه المرة مختلف .. فكامل يحبها هذا ما هي متأكدة منه وهي تحبه ..وتلك المرأة دخيلة هي وابنها على حياتهما .. عادت لتأخذها الأفكار لناحية أخرى .. هل من الممكن أن تميل مشاعر كامل لتلك المرأة إذا ما كان الطفل ابنه فعلا لاعتقاده بأنها لا تنجب وهو يحب الأطفال ؟..

إن حدث ذلك لن تتحمل هذا الألم أبدا .. مُر الخذلان من كامل بالذات لن تتحمله.
تطلعت حولها في الغرفة بنظرات ذاهلة .. ماذا تفعل في هذه المصيبة؟ ..
أسرعت بالإمساك بهاتفها لتتصل بمليكة قبل أن تتجمد أصابعها وهي تفكر في أن مليكة خارج نطاق حياتها الآن فانتابها شعور قوي بالخوف من القادم لتضع الهاتف في حجرها وتجهش بالبكاء .

xxxx

وقف كامل بجوار سيارته على الطريق يشاهد الصحراء المترامية الأطراف أمامه .. تسيطر عليه حالة من الغضب الشديد .. ليس فقط من شيرويت ولكن من نفسه أيضا ..
لأول مرة يشعر بهذا الغضب من نفسه .. رغم إصراره على أنه لم يفعلها لكن احتساءه للخمر

تلك الليلة يشعره ببعض الارتباك والشك حتى لو كان ضعيفا فهو يظل شكا ..
كان الأمر لحظتها مجرد مغامرة .. رغبة في تجربة شيء ممنوع .. أو رغبة في شعور سيرضي غروره الذكوري بأنه قد فعلها .. ووعد نفسه بتأنيب من ضميره ألا يكررها رغم إعجابه بالتجربة لكنه اتفق مع شامل بأنها كانت مغامرة وانتهت .. ولم يكن يدري بأنها ستطارده يوما .
ما يسيطر عليه هو الصدمة .. الذهول .. أو شيء أقوى من ذلك بكثير.. فخاطرة أن يأتيه طفل من الحرام خاطرة ضربته في مقتل .. أمر يشعره بالاشمئزاز من نفسه رغم أن الله وحده يعلم كم قاوم هو حتى لا يستسلم خاصة وهو يعيش في مجتمع مفتوح في علاقاته .
شعر بالخزي الشديد فلو كان قد فعلها حقا وأتى هذا الولد إلى الدنيا من الحرام لن يسامح نفسه

أبدا .. الأمر عظيم .. أمر فاق كل صدمة ألمت به في حياته.. فاق حتى فجيعة فقدانه لأصحابه في الحرب وفراقه لبلده .

رن هاتفه فأخرجه من جيبه يتطلع فيه ثم رد بعد أن أجلى صوته" نعم مفرح"

جاءه صوت الأخير قائلا" صدمت بما سمعته بصراحة.. هل أنت بخير؟ "

غمغم كامل وهو يمسك بين عينيه بإجهاد شعر به فجأة وكأن الذنب أثقل كاهله" هل أخبرك شامل؟"

أجاب مفرح موضحا " اتصل بي ليعتذر بأنه لن يستطيع القدوم الليلة لمرض والدك وحين قلقت من نبرة صوته أخبرني لكنه متأكد من أنك لم تفعلها "

نظر كامل في الصحراء أمامه وغمغم "الحقيقة أنا أيضا متأكد لكني .."

صمت فأكمل له مفرح " تخشى أن تكون قد فعلتها بدون أن تدري "

بلع كامل ريقه واعترف قائلا " نعم للأسف "

سحب مفرح نفسا عميقا ولم يعرف ماذا يقول فغمغم "خيرا إن شاء الله (ثم سأله) وكيف حال بسمة طمئنني عليها ؟..لا أريد أن اتحدث معها في هذا الأمر فالأمر حساس"

حين سماعه لاسمها انتابه شعور بالخوف من أن يفقدها فقال لصاحبه" لا أعرف بعد.. فقد تركت البيت لأختلي بنفسي قليلا واستوعب الصدمة "

ساد بعض الصمت قبل أن يسأله كامل" كيف حال والدك ؟"

رد مفرح وقد بدا صوته شديد الإرهاق" لا يزال تحت الملاحظة أتمنى أن يتحسن غدا "

سأل كامل " وأم أدهم ؟.. لقد حاولنا زيارتها اليوم فعلمنا بأن الزيارة ممنوعة "

رد مفرح موضحا " طبيبتها تقول بأنها تعاني من الصدمة لمعرفتها بما فعلت (وتحشرج صوته مضيفا) إنها تسير وهي نائمة بدون أن تعي "
اتسعت عينا كامل وقال " يا إلهي هل تفعل ذلك وهي نائمة!"
أجاب مفرح بلهجة متألمة " للأسف نعم ..لازلتُ غير مستوعب لكن هذا ما فهمته بعد شرح طويل من الطبيبة عن الحالة "
سأله كامل بعدم تصديق " وهل تأكدتم من أنها هي ذلك الملثم ؟"
زفر مفرح بقوة ورد " نعم .. كل الدلائل تشير لأنها هي الفاعلة.. فبعيدا عن الدلائل الملموسة التي وجدناها وقت الحادث لقد راجعنا الأيام التي كنتُ فيها في العاصمة وتواقيت ظهور الملثم ووجدناها متطابقة لمبيتها في بيت أهلها .. ويبدو أن وجودها في غرفة ابنتها كان يضغط عليها نفسيا.. المهم أننا تكتمنا على الخبر ..

أهلها يرغبون في تعويض أهل البلدة بطريقة غير مباشرة وأنا أيضا أنوي أن أشارك معهم فيما سيستقرون على فعله فهي زوجتي "

شعر كامل بالأسف الشديد وتكلم مواسيا" لا أعرف ما هذا الذي نحن نعانيه .. لكن اسأل الله أن يرفع عنا البلاء .."

قال مفرح " اللهم آمين .. إذا استقرت حالة أبي غدا سأزور مليكة إن شاء الله ادع لي فأنا أشعر بارتباك شديد وكلما خطرت لي فكرة أني سأقابلها وهي على هذه الحالة ينفطر قلبي وأشعر بأني سأنهار "

قال كامل مشجعا " كان الله في عونك يا مفرح .. أنت انسان طيب وخلوق ومستقيم وربك لن يخذلك أبدا "

قال الأخر بمحبة خالصة " أنت أيضا يا كامل ربك لن يخذلك "

شعر كامل بوخز في ضميره فأشاح بأنظاره وهو يقول " الآن أشعر بأنه يعاقبني "
قال مفرح مشجعا " لا تقل هذا .. صحيح عليك بالتوبة والاستغفار لكني أثق بأن الله رحيم بعباده إن شاء الله سنمر من هذه المحنة كلنا .. إن شاء الله "
قالها وكأنه يخبر بها نفسه فأحس كامل بالتأثر خاصة وهو يعلم بمصاب مفرح الكبير فقال بحشرجة" ونعم بالله"
قال مفرح مودعا "من منا يجد لديه جديدا يتصل بالأخر سلام "
قالها وأغلق الخط فتطلع كامل في الصحراء الممتدة أمامه وألح عليه سؤال أرعبه..
ما سيكون رد فعل بسمة على ما حدث ؟

xxxx

دخل شامل غرفته ليجد ونس تجلس على السرير وتبكي بانهيار فتعجب من حالتها ..

اقترب من السرير يقول بجزع" ما بك يا ونس
لماذا هذه الحالة ؟!!"
نامت على جنبها وأولته ظهرها مستمرة في
نحيبها فتمدد شامل يحضنها من الخلف قائلا
بحنان "لماذا تبكين ونوس أجيبيني ؟"
استدارت إليه واعتدلت لتجلس وببعض
الإشارات التي بات يفهمها سألته" ماذا فعلت
مع هذه المرأة بالضبط ؟"
رد بلهجة هادئة صريحة" هي حاولت تقبيلي
ظنا منها بأني كامل ونبهتها وانتهى الأمر "
عادت لنحيبها من جديد فتأمل شامل حالتها
التي يعتقد بأنها بدأت منذ أن علمت بموضوع
مليكة ربما لهشاشتها الداخلية التي يعرفها رغم
اللامبالاة التي تظهرها دوما والتي توحي لمن
حولها بأنها لا تعبأ بشيء إلا أنه يستطيع أن
يخترق تلك القشرة ليرى لبا شديد الحساسية
والتطرف في أمور الحب والكره .. والحقيقة

رغم أنه لاحظ ارتباطها بمليكة منذ البداية ولاحظ تواصلهما على الواتساب صباح كل يوم .. لكنه لم يتوقع أن تنهار ونس بهذه الطريقة ..

قال مواسيا وهو يأخذ رأسها لتنام على صدره" كل شيء سيكون بخير ونوس "

رفعت رأسها بعصبية وأخرجت الدفتر من جيبها تكتب" ماذا لو كان هذا الطفل ابنك ؟" اتسعت عينا شامل ..فأسرعت بالكتابة" أنا لن أسمح لأحد بأخذك مني حتى لو كنت أم غير كفء وفاشلة في النطق وهبلاء "

كتبت ذلك ثم انفجرت بالبكاء فأسرع شامل باحتوائها بين ذراعيه مصدوما وأخذ يردد "ونس ..ما بك جنيتي؟.. من أين أتيت بهذا الكلام الغريب؟!! .. أولا أنا ليس لي أية علاقة بموضوع شيرويت لكني أردت أن أقطع الشك باليقين فمادامت مصرة على ما يخيل لها ربما

حاولت اتهامي بشيء بعد ظهور نتيجة كامل ..
ثانيا موضوع أن امرأة أخرى ستأخذني منك
وبأنك أم غير كفء وهذا التخريف الذي قلتيه
فلن أحاسبك عليه الآن"
ابتعدت عنه فجأة والتقطت الدفتر من حجرها
تكتب "أريد أن أزور أبي .. أشتاق لغرفتي
القديمة ..أريد أن أكون وحدي "
قرأ شامل ما كتبت ثم قال مهدئا "حاضر إن
شاء الله سنزوره "
اسرعت بالكتابة ثم رفعت الدفتر أمام وجهه
كيافطة فاتسعت عينا شامل وهتف باستنكار"
نعم .. تريدين السفر الآن !!"

xxxx

بعد ساعة

بعد أن اطمأن على والده من سوسو أسرع كامل
يصعد درجات السلم نحو جناحه ليطمئن على
بسمة التي اتصل بها أكثر من مرة ولم ترد .

لم يكن يعرف ماذا سيقول لها ولا كيف استقبلت هي الخبر .. فانتابه ذلك الشعور الذي وصفه له مفرح حينما أخبره بأنه لا يعرف كيف يواجه زوجته وماذا يفعل معها .. ورغم اختلاف الحالتين لكنه تفهم لحظتها شعور صديقه جيدا.

فتح باب الجناح فلم يجدها .. دخل بضع خطوات ينادي عليها فوجد الحمام خاليا .. فسقط قلبه بين قدميه وجف حلقه ليخرج نحو السلم ينادي من الدور العلوي" زيلا زيلا" خرجت إليه الأخيرة من المطبخ ترفع إليه رأسها بتساؤل فسألها بالإنجليزية" هل رأيت بسمة ؟"

هزت رأسها نافية قبل أن تقترب سوسو تسأله باندهاش "لماذا تصيح يا كامل؟"

سألها كامل "هل رأيت بسمة يا أمي؟"

ردت الأخيرة "لا لم تنزل منذ أن صعدت للدور العلوي"
عقد حاجبيه وبدأت الأفكار المرعبة تأكل في رأسه متسائلا .. هل من الممكن أن تكون قد ذهبت لأي مكان !!.. أو تهورت وقررت العودة لبلدتها ؟؟
الخوف بداخله تحول لحالة من الغضب وقد اصابت الخاطرة غروره وقلبه في مقتل ..
فتحرك يبحث كالمجنون في غرفة الألعاب واتصل بشامل يسأله إن كانت بسمة مع ونس فأخبره بأنه مع ونس في جناحهما ولم يريا بسمة .. ليهرول كامل نحو الغرف في الناحية الأخرى وهو يتصل بهاتفها فانتبه لصوته يرن.
عند الغرفة التي باتت فيها والدتها فتح بابها بسرعة فوجد الهاتف يرن على السرير وبسمة تقف في الشرفة تولي ظهرها للباب محدقة في شمس الغروب أمامها .

تنفس الصعداء وسحب نفسا عميقا إلى صدره
ليهدئ من ضربات قلبه المجنونة ثم تحرك
يقطع الغرفة بساقيه الطويلين وفتح باب
الشرفة الزجاجي الجرار بعنف فانتفضت بسمة
واستدارت وهي تمسح عنها دموعها قائلة
ببعض الحدة" ماذا هناك؟ افزعتني"
سألها بلهجة منزعجة يداري شعوره السابق
بالخوف " لماذا تقفين هنا في هذه الغرفة ؟"
قالت بحشرجة " أريد أن أكون وحدي يا كامل
من فضلك ؟"
سحبها من ذراعها لتدخل الغرفة وأغلق الباب
فوقفت أمامه تداري شعورها بالألم الشديد
وترفع إليه ذقنها بكبرياء مجروح .
ساد الصمت بينهما لبرهة من الوقت وكلاهما
يحدق في الأخر .. يبحث عن عبارات مناسبة
وسط زخم من المشاعر المربكة .. يستجدي

منه الدعم والمواساة .. ويفكر في نفس الوقت
كيف يدعمه ويؤازره .
كانت العيون تدقق
والقلوب تتفاهم
والعقول تتحاور..
بينما الكرامة تحاول أن تقيم حائطا صدا .
سألها كامل وهو يقف أمامها متحفزا وقد عاوده
الشعور بالخوف من أن تقرر مغادرة البيت"
هل تصدقين ما أقوله؟"
راوغت تقول بلهجة متألمة وهي تضع يدها
على قلبها" لماذا عليّ أن أعيش هذا الوجع
مرتين "
عقد حاجبيه وسألها متحفزا "أي وجع؟"
هتفت بعصبية " وجع المنافسة مع أخرى ..
وجع أني لست الأولى وهناك من سبقتني
وخطفت مني من أملكه"

صرخ فيها يقول " أنت الأولى بالنسبة لي الأولى والأخيرة .. وأنا الوحيد الذي تملكيه.. لهذا أرفض أن تقارني علاقتك بي بعلاقتك السابقة "
ردت عليه بصلابة " رفضت أو وافقت هذا جزء من تاريخ بسمة "
قال بشراسة وهو يقبض على ذراعها " هذا التاريخ عليك أن تمحيه تماما "
أفلتت ذراعها منه وابتعدت خطوة للخلف تقول بلهجة باكية " ليتني استطيع أن أفعلها .. ليتني أستطيع أن أمحو ذاكرتي القديمة .. أتظن الأمر قابل للتنفيذ؟.. (وصمتت قليلا تتطلع في ملامحه المتحفزة بعينيها الزرقاوين ثم أضافت) أتعرف ..بعد تجربتي السابقة وبعد ما مررت به دخلت في فترة مخاض .. تقوقعت على نفسي في شرنقة .. مدفوعة برغبة قوية في البحث عن ذاتي.. عن هويتي.. وبدخولك أنت في حياتي سرّعت من خروجي من هذه الشرنقة

.. عجلت من ولادتي فولدت من جديد .. بسمة التي تراها أمامك .. ولدت من جديد حينما عرفتك يا كامل .. لكني لازلت أحمل في مؤخرة رأسي حياتي السابقة ..هذا أمر لن استطيع أن أفعل فيه شيئا.. ولهذا الألم حينما يتكرر يكون أشد .. وهذه المرة ليست كالمرة السابقة "

كان قبل أن تضيف عبارتها الأخيرة قد بدأ يهدأ ويطمئن لكن حينما سمع العبارة استشاط غضبا فصاح بعصبية " المرة السابقة.. المرة السابقة ..أنت مصرة على أن تقارنيني بغيري ..لماذا لا أقارنك أنا أيضا بزوجتي السابقة؟"

ردت بصلابة " لأنك ببساطة لم تخرج من العلاقة متألما محسورا مقهورا ..وحينما يتكرر الوجع يكون ..."

هجم عليها يمسك بكلا ذراعيها قائلا بلهجة غاضبة معذبة " أنت تريدين قتلي.. تصرين

على ذلك حينما تفصحين عن معاناتك السابقة ..وحينما تتحدثين عن رجل أخر أمامي .. أقسم بالله تنتابني أحيانا رغبة قوية في قتله"
حاولت أن تحرر ذراعيها منه لكنها فشلت فرفعت وجهها إليه تقول صارخة " هلا خرجت من دائرة غرورك وغيرتك قليلا يا كامل وشعرت بي ..(وأضافت بصوت يخنقه البكاء) فللأسف مليكة ليست متاحة حتى أتحدث معها "
تألُمها يؤلم قلبه خاصة حينما يكون هو السبب حتى لو لم يكن متعمدا لذلك.. فمال بوجهه يلصق جبينه بجبينها ويحدق في عينيها قائلا بحرارة وشراسة وألم "ما تطلبيه مني صعب .. بل شديد الصعوبة.. لا أتحمل أن اسمعك تتحدثين عن وجعك من علاقة سابقة .. الأمر شديد الصعوبة عليّ يا باسمة أنا بالكاد أحارب شياطيني .. وما تقوليه يزيد من فوران الدم في

رأسي.. ومع هذا أكررها لك هذه المرة الوضع مختلف تماما"

تقافز قلبها في صدرها مصرا على أن يسيطر على الأمور بينهما .. وشعرت بنفسها ستضيع في مدار كامل نخلة كالعادة فقاومت ذلك بقوة وتملصت منه حتى تحررت ثم قالت بلهجة متألمة " صدقت أن الوضع هذه المرة مختلف فعلا .. فالألم أقوى وأشد وأنت السبب ..(وأضافت بحرقة قلب) أنت من سمحت لي بامتلاكك يا كامل .. كنتُ فاقدة للأمل في ذلك .. لكنك .. وعدتني بـ(كامل نخلة) لي وحدي"

رد بخفوت متأثر "هو لك ..في قبضة يدك"

أشاحت بوجهها حتى لا يضعفها بطريقته وقالت " منذ عدة ساعات اكتشفت غير ذلك "

سألها بلهجة عاتبة معذبة "باسمة ..هل تثقين بي وبما أقول بأنني لم أفعلها ؟.. ردي على السؤال بصراحة"

مسحت بخشونة دمعة انهمرت على خدها ووقفت تحضن نفسها وهي ترد مشيحة بوجهها عنه "أصدق بأنك لم تفعلها في وعيك "

أطرق كامل برأسه في صمت ووقف متخصرا يشعر بالراحة لتصديقها له ويشعر بالألم لحالتها .. وبالخوف مما قد تتخذه من قرارات .. ثم عاد يرفع رأسه فوجدها تتأمله بعينين زرقاوين متألمتين .

سألها بخفوت "والآن فيم تفكرين ؟"

ردت بكبرياء مزيف تخفي خلفه ارتجافها " لا أعرف أنا مرتبكة وأشعر برغبة في الجلوس وحدي"

قال متعجبا " ما الداعي ..ما دمت تصدقيني يا باسمة"

ردت بهدوء وهي لا تنظر إليه "هذا لا ينفي بأن هناك نسبة ولو ضعيفة أن يكون الطفل ابنك لو حدث ذلك ماذا سأفعل أنا؟"

سألها متحفزا للإجابة "ماذا ستفعلين؟"

نظرت إليه تقول باستنكار " هل تتوقع أنني سأقبل بأن تكون لي ضرة؟.. أن تشاركني فيك امرأة أخرى؟! .. لم أقبلها من قبل ومعك أنت بالذات لن أطيقها"

اقترب منها وعاد ليقبض على ذراعيها من جديد ويميل عليها بوجهه قائلا بلهجة حارة " من قال بأن هناك من قد تشاركك فيّ.. كل شيء في كامل أنت تملكينه "

كان يبتلعها في مداره بقوة أكبر هذه المرة فحاولت التملص بينما هو يضيف بحشرجة عاطفية " وستظلين تملكين كل ما في كامل .. عقله ..وقلبه ..وجسده كل شيء ملك لك"

غمغمت بضعف "ابتعد يا كامل"

قال بلهجة أكثر عملية " يا غبية لو حدث وعاقبني الله بأن كان هذا الطفل ابني ستكون الإجراءات شكلية فقط من أجل الطفل .. هي لا تعنيني في شيء .. بل إن ما حدث يشعرني بالقرف منها .. "

ضيقت عينيها تسأله " ماذا تعني بـ(إجراءات شكلية) ستتزوجها من أجل أن يعيش الطفل بين أبوين؟!"

رد موضحا وهو يتأمل حسنها " بل سأتزوجها وأطلقها في نفس اليوم .. سيكون اجراء شكلي كما قلت لك من أجل نسب الطفل لي (

وارتجف جسده فأغمض عينيه يضيف)

الصدمة كبيرة عليّ .. لازلت غير قادر على استيعاب احتمالية أن يكون لي ولد من الحرام .. الأمر ضربة قوية لي .. ضربتني في مقتل يا باسمة صدقيني"

أشفقت عليه فابتعدت عنه حينما شعرت بارتخاء أصابعه على ذراعيها وقالت بلهجة صادقة" أشعر بك ..وأدعو الله ألا يكون ابنك.. من أجلي ومن أجلك .. متى ستقوم بالتحليل ؟"

رد بإنهاك " صباح الغد .. لقد تحدثت مع محامي العائلة وهو سيتواصل مع جمال الراوي وعلى الأغلب سنقوم بعمل التحليل في معملين مختلفين حتى لا يتهم أحدنا الأخر بالتلاعب في النتيجة أنا بالفعل أريد أن أغلق هذا الباب تماما "

"ومتى ستظهر النتيجة؟"

"اعتقد خلال أسبوع لا أعرف بعد"

ردت بإصرار تقاوم اعتراض قلبها "أنا أريد أن أبقى في هذه الغرفة "

عقد حاجبيه وقال بانفعال " ألا زلت مصرة على هجر جناحنا !!..ألم تقولي بأنك تصدقينني؟!! "

هتفت موضحة وهي تشيح بيديها في كل الاتجاهات بانفعال " أصدقك يا كامل لكني لم أتقبل الأمر بعد.. أنا مرتبكة ومصدومة وأحتاج لأن أتوازن شعوريا أولا .. وأريد أن أفعل ذلك بعيدا عن تأثيرك عليّ .. لا أريد أن أتقبل الأمر تحت تأثير مشاعري وانجذابي لك .. أريد أن يستوعب عقلي ما يحدث بعيدا عن مشاعري "

قال بعصبية " أنت مصرة إذن على العناد!"

ردت بعصبية مماثلة " أنا لا أعاند أنا أطلب مساحة لأكون وحدي أرتب أفكاري"

عاد له الشعور بالخوف من جديد وشعور أخر بعدم الثقة في قراراتها تحت وطأة تجربتها السابقة وهذا يربكه فقال بانفعال وغضب" كما تريدين.. أنا أيضا لن أبيت في جناحنا سأبيت في

غرفة الألعاب أو في أي غرفة أخرى وسأترك لك
كل المساحة التي تريدينها بسمة هانم"
قالها واندفع يغادر الغرفة صافعا الباب خلفه ..
فحدقت في أثره لبعض الوقت قبل أن تتحرك
وتجلس على السرير تبكي في حيرة من أمرها ..
ما هذا الكابوس؟ .. وبأي حال ستخرج منه؟..
لا تعلم .
كل ما تعلمه أنها واثقة من أنه صادق ولم
يفعلها في وعيه وبأنها لن تستطيع أن تتركه إلا
إذا قرر إبقاء الأخرى على ذمته .

xxxx

لا تزال الصدمة كبيرة ..
وكأن السماء قد وقعت فوق رأسها ..
إنه لأمر مخيف أن تكتشف بأنك شخص أخر
غير الذي تعرفه .. أو أن هناك (أخر) يسكنك
.. يسلبك الإرادة ويفعل ما لا تعلم عنه شيئا ..

هكذا كانت ترى الأمر.. فما تثرثر به الطبيبة منذ ربع ساعة لم تفهم منه شيئا سوى هذا أو ربما لا تريد أن تقتنع بغيره..
أكُل هذا لأنها ترفض الحديث عن نجمة؟؟!..
كل هذا لأنها كتمت وجعها عن الجميع؟ ..
كانت مقتنعة بأنها بذلك ترحم من حولها من بؤسها وشقائها .. ترحمهم من عذاباتها وآلامها .. احتفظت بكل هذا لها وحدها .. تجرعت الحزن وحدها .. فإذا بها تكتشف بعد كل هذا الوقت بأنها تؤذيهم جميعا أثناء نومها ..
لقد سمعت عن موضوع السير أثناء النوم لكنها لم تتوقع أبدا بأنها قد تكون واحدة من ضحاياه .. كان كالسمع عن شيء بعيد .. يحدث في عوالم أخرى ليس له علاقة بها ..
لقد نامت طوال الوقت منذ تلك المواجهة بينها وبين أخوتها ولم تستيقظ إلا لفترات قصيرة متقطعة وتعود للنوم بعدها .. كل هذا

يشعرها بأنها كالتي تسبح في فجوة زمنية ..فهي غير قادرة على تحديد كم مر من الوقت ..ولا تريد ..فلم يعد للأيام معنى ..

لقد ضاعت نجمة .. وهي على وشك الضياع..

منذ وفاة ابنتها وهي تشعر بأنها كبالون مملوء بغاز الهيليوم يريد أن يرتفع ويرتفع ويترك سطح الأرض .. فكانت تتشبث بمن حولها .. وتمارس ألعابا عقلية لتخدع نفسها بأنها قد نسيت أو بأنها قوية ومتماسكة ..لكن يبدو أن كل هذا كان زيفا .. وها هي قد أذت من تحبهم .. أضرت بسمعتهم وفضحتهم في مجتمع صغير يعرف بعضه البعض .

عليها الآن أن تترك تشبثها بهم .. وتختار الضياع كالبالون في الفضاء السرمدي المظلم .. حتى تبتعد هي وأحزانها وأوجاعها بعيدا عن الجميع ..

ويا ليتهم ينسونها ولا يتذكرون لها إلا أنها كانت تحبهم بالفعل .. وأنها كتمت كل شيء عنهم حتى لا تُمرِر حياتهم فما تحمله بين جنباتها من الوجع يهد جبالا .

"أنا أعرف بأنك تسمعينني يا مليكة"

قالتها الدكتورة أمنية وهي تتطلع فيها راقدة على جنبها تثبت نظراتها في الفراغ ..

لم تنطق بشيء منذ تلك اللحظة التي واجهها فيها أخوتها بما صدر منها .. لم تنظر حتى للطبيبة حين دخلت ..ولا تريد أن تنظر ولا تريد أحدا فليتركوها لتضيع في الفضاء السرمدي المظلم.

أضافت الطبيبة بعد أن شرحت لها حالتها وأخبرتها بما فعلته مع أخويها ليلة أمس حين استيقظت تريد الذهاب لنجمة "أنا أعرف بأنك لا زلت مصدومة لكني على ثقة من أنك ستتغلبين على صدمتك في أسرع وقت فما

علمته عنك ممن يهتمون بك وما لمسته أنا بنفسي في تلك الزيارة التي زرتني فيها في العيادة بأنك امرأة قوية وحمولة .. صدقيني يا مليكة حالتك هذه نستطيع أن نحجمها ونسيطر عليها وتتعلمين كيف تتعايشين معها ..الأمر فقط يحتاج منك تقبل الحالة والتعاون معي في فتح جروح الماضي وتطهيرها حتى تتماثلين للشفاء .. أنت بذلك لا تنسين نجمة أبدا ..فهي ستظل ندبة مؤلمة في قلبك كلما لمستها احسست بالوجع .. تفريغك لشحنة ضغط المشاعر التي تعيشين بها سيساعدك على أن تستمري في حياتك .. سيساعدك على التطلع للأمام.."

طُرق باب الغرفة ودخلت الممرضة تقول "الدكتور أكرم بالخارج "

هزت الدكتورة أمنية رأسها بالموافقة ثم نظرت لمليكة التي تبدو أمامها كصنم مفتوح العينين

وقالت" هل سترفضين مقابلته هو الأخر؟.. إن اخوتك لم يتركوك منذ أن جئتِ إلى هنا"
دخل أكرم يتطلع في مليكة بعد أن منعت عنها الزيارة منذ صباح أمس حتى تستريح تماما من أي ضغوط .. فقال وهو يقترب ويتطلع في أخته بقلب مفطور "كيف حالك يا مليكة؟ (وحين لم يجد منها ردا أضاف) ألن تردي على أخيك أكرم ؟"
مدت مليكة يدها ببطء وشدت الغطاء عليها حتى غطت رأسها بصمت وشعور كبير بالخزي من نفسها يسيطر عليها فأغمض أكرم عينيه لثوان متألما بينما قالت الطبيبة بهدوء وهي تترك مقعدها بجوار السرير "لنعطيها المزيد من الوقت حتى تستعيد سيطرتها على نفسها واستيعاب الأمر .. (ونظرت لمليكة المختبئة تحت الغطاء وأضافت) أنا سأنتظر منك إشارة لنبدأ العلاج يا مليكة وكلي ثقة في قوتك"

تحركت الطبيبة مغادرة بينما وقف أكرم يشعر بالعجز وهو غير قادر على مساعدتها على تخطي هذه المحنة.. نفس الشعور الذي كان يشعر به بعد وفاة ابنتها ..

كان قد اطمئن عليها حينما استطاع أن يزوجها من الرجل الذي أحبته ولم يكن يعلم بأن القدر سيقول كلمته وأن الله سيمتحن صبرها بما حدث .. ورغم معرفته بأن أي علاج نفسي لابد من تعاون المريض فيه حتى يؤتي ثماره لكنه لا يزال يلوم نفسه على أنه لم ينتبه لحالتها .

لقد كانت تبدو أمامه عادية .. حزينة وتعاني من بعض الاضطرابات في النوم لكنها بدت عادية وكان هو متفهما لحزنها ويعلم بأن التجربة صعبة عليها لكنه لم يكن يتصور أبدا بأن حالتها سيئة إلى هذه الدرجة ..

تألم قلبه وهو يجدها مستمرة في الاختباء منه ولم يعرف من ناحية أخرى ماذا سيفعل مع

والده الذي يصر على الحضور لزيارتها .. يشك في تلك الكذبة التي أخبروه بها ..
قال بحشرجة" حسنا أنا سأتركك كما تشائين ..فخذي وقتك.. لكن عودي لنا أقوى من ذي قبل .. واعلمي بأننا كلنا معك وفي ظهرك ومستعدون لأي شيء مهما كان حتى تتخطين كبوتك .. فمن منا ليس له كبوة .. أو لحظات ضعف .. أو أخطاء ..وأنت لم تتعمدي أي شيء .. بل كنت تحبسين أوجاعك بداخلك .. كلنا مقدرون حجم مصابك يا مليكة لكني سأقول لك ما سبق وقلته بعد الحادث الأليم .. إنها أقدار وأعمار .. ومكتوب لها أن تغادر في تلك اللحظة لا أنت ولا أمي التي حملت نفسها الذنب هي الأخرى ولم تتحمل الصدمة ورحلت ولا أي منا قصر في شيء "
قالها ثم مال عليها يربت عليها و يقبل رأسها من فوق غطاء السرير قبل أن يسرع بمغادرة

الغرفة .. ليطالعه عمار في الخارج ويحاول أن يلتقط من ملامحه المتجهمة أي إشارة تريحه لكنه لم يجد بينما أخرج أكرم الهاتف من جيبه وتحرك في طرقات المستشفى بخطوات عصبية وهو يضعه على أذنه قبل أن يأتيه صوت مفرح يسأله بلهفة" هل حدث شيء يا دكتور أكرم ؟طمئنني "

هدر أكرم فيه بعصبية" متى ستأتي لتراها ها ؟.. أنت تتركها منذ يومين وأنا لا أعرف هل عليّ أن أخبرها بأمر والدك فتشعر بالثقل أكثر وبأنها السبب أم ماذا .. كيف تتركها بهذا الشكل يا مفرح فهي بالتأكيد تنتظرك "

قال مفرح بصوت متألم " اقسم بالله أني اتقطع في كل دقيقة منذ أن سلمتها لكم .. لكني غير قادر على ترك المكان هنا .. اسأل بنفسك بشر سيخبرك بأن حالة أبي لا تزال غير مستقرة وقد تعرض لبعض المضاعفات..(وأمسك برأسه

وحدق لأعلى في جلسته فوق مقعد في استراحة المستشفى يقول بخفوت متألم) ليلة أمس قررت بعد منتصف الليل أن أسرق بضع ساعات إلى العاصمة لكني تساءلت من سيسمح لي بالزيارة قبيل الفجر .. ما يمنعني عنها شديد يا أكرم والله شديد"

أطرق الأخير برأسه وقال بلهجة أقل حدة" أعلم ذلك يا مفرح لا تؤاخذني أخرجت ما أشعر به من عجز على مساعدتها فيك "

سأله مفرح بلهفة لأن يسمع خبرا مطمئنا " كيف حالها الآن؟.. أنا فكرت أن أتحدث معها على الهاتف لكني شعرت بأني سأنهار لو فعلت ولن أقدر على الصمود بعيدا عنها ..وكما فكرت أنت فكرت أنا بأنها لو علمت عبر الهاتف بأن والدي في المستشفى قد يزيد هذا من سوء حالتها أعرفها لا تتحمل الأذية لأحد ..خاصة وأني غير موجود معها لذا فضلت أن تراني أمامها

أولا ثم أخبرها بحالته وبأنه قد عبر مرحلة الخطر .. ولن أخفيك سرا أنا أشعر بصعوبة رؤيتها في هذه الحالة لا أعرف كيف ستكون حالتي حينما أراها"

غمغم أكرم "الحقيقة لا أعرف إن جئت هل سترفض مقابلتك أم لا فهي ترفض التحدث مع الجميع "

تماسك مفرح بصعوبة وأشاح بنظراته هنا وهناك ثم قال بحشرجة "ادع لوالدي أن يطمئننا الطبيب بأنه قد عبر مرحلة الخطر حتى أستطيع أن أتركه لبضع ساعات فأنت تعلم بأنه ليس له سواي "

قال أكرم بلهجة صادقة " أتمنى من الله أن يشفيه ويشفي مليكة ويلطف بنا في مصابنا إن شاء الله .. اذهب الآن يا مفرح "

أغلق مفرح المكالمة وتطلع حوله بغير هدى يشجع نفسه حتى لا يسقط وينهار تحت وطأة

الضغوط والآلام .. فاعتصر الهاتف في يده بقوة حتى كاد أن يسحقه في قبضته ورفع أنظاره للسماء مرددا " القوة من عندك يا رب .. اللهم لا تحملنا مالا طاقة لنا به "

xxxx

الثامنة مساء

توقفت السيارة أمام بيت العم عيد وقال شامل لونس بلهجة محذرة "كما اتفقنا إياك أن تتحدثي عن مرض مليكة فلا نعرف بعد ماذا قيل لأهل البلدة عنها .. وإياك والحديث عن موضوع كامل فهو أمر خاص بالعائلة وأنت بالتأكيد لن تفضحي عائلة زوجك سأغضب منك بشدة لو تحدثت في هذا الأمر مع والدك" لم يبد عليها أي ردة فعل كحالتها الغريبة طوال الطريق بعد أن أصرت بانهيار شديد أن تسافر مما اضطر شامل لأن ينفذ لها رغبتها ويسافرا في هذا الوقت من المساء ..

يتملكه الحيرة والتعجب والحزن ولا يفهم ماذا يحدث معها بالضبط ..وهل كل هذا بضغط من هرمونات الحمل أم لا ..

فتحت ونس باب السيارة وترجلت منها مسرعة حينما خرج عيد ليتفقد الوضع خارج المنزل بعد أن سمع صوتا ليتفاجأ بونس التي هرولت إليه وتعلقت برقبته تحضنه فتمتم عيد بعينين متسعتين "ونس! .. ما الذي أتى بك فجأة هل حدث شيء؟!"

شددت من احتضانها له فتطلع عيد في شامل الذي ترجل من السيارة واقترب منه مسلما فبادره بالسؤال" ماذا حدث ماذا فعلت لها ؟"

الجدية التي تعلو وجه شامل أصابت عيد بالقلق أكثر وهو يرد "لا أعلم ..لقد أصرت فجأة على أن تأتي إلى هنا وتبيت في غرفتها القديمة فاضطررت لإحضارها بسبب إلحاحها "

ابعدها عيد عنه يسألها" ما بك؟.. من أحزنك؟"
هزت ونس رأسها بلا شيء وعادت لحضنه
فقال عيد لشامل "تفضل إلى الداخل"
قال شامل معتذرا" لا .. لابد أن أعود فورا فأبي ضغطه عالي وقد أحضرنا له الطبيب اليوم كما أن لدي مشوار هاما في الصباح أنا مضطر للمغادرة فورا "
قال عبارته الأخيرة وهو يضغط على حروفها ويحدج ظهر ونس شذرا لربما غيرت رأيها
..بينما غمغم عيد " ألف لا بأس عليه .. سأتصل به في الصباح لأطمئن "
استدارت ونس إلى شامل تناظره بنظرات معتذرة فتحرك بوجوم يلف حول سيارته ويركبها أمام ذهول عيد الذي لم يستوعب بعد ما يحدث .

اشار لهما شامل وتحرك بالسيارة مغادرا يشعر بضيق شديد وباختناق وحيرة .. وأخذ يدعو في سره أن تحفظ ونس الأسرار ولا تتحدث بما تعرفه .

أما ونس فسألها عيد مدققا" هل تشاجرتما؟"

هزت رأسها نافية فعاد عيد يسأل" هل أحزنك أحد ؟"

ترقرقت عيناها بالدموع لكنها هزت رأسها نافية ثم عادت وتعلقت بعنقه تحضنه مجددا فقال عيد وهو ينظر حوله في المكان المظلم الهادئ

"تحشمي يا بنت عيد ماذا تفعلين في الشارع !!.. هيا ادخلي .. (وأبعدها يسألها) هل أنت جائعة ؟"

هزت رأسها بالإيجاب فعبس عيد ونظر في أثر السيارة التي اختفت وعاد يقول لها باستنكار" هل يتركك ابن نخلة بدون طعام!!"

ابتسمت ورفعت سبابتها تحركها في الهواء نافية ثم فتحت حقيبة يدها لتريه بداخلها سندويشات مغلفة ومخبوزات وعلبة عصير وزجاجة مياه وأنواع من الشيكولاتة فقال عيد متسع العينين "ما شاء الله وتطلبين الطعام !" عوجت رأسها تطالعه بتدلل وتربت على بطنها بميوعة فعبس عيد وهو يتطلع فيها ثم سألها" هل أنت متأكدة بأنك حامل؟.. أنا لا أرى على بطنك أي علامة على الحمل !"

xxxx

طرقت بسمة على غرفة حمويها فجاءها الإذن بالدخول .. فلملمت شتات نفسها بعد بضع ساعات قضتهن وحدها في تلك الغرفة ثم قررت أن تتحلى ببعض المسئولية وتنزل للطابق الأرضي للاطمئنان على حمويها خاصة بعد أن علمت من زيلا بأن شامل سافر بونس

إلى القرية فراسلتها على الواتساب منذ قليل
واطمأنت على وصولها.
دخلت الغرفة ترسم ابتسامة ضعيفة مواسية
لحميها الذي يجلس على السرير صامتا أمام
التلفاز فسألته" كيف حالك الآن يا عمي ؟"
هز غنيم رأسه بدون كلام فعادت لتسأله" أين
سوسو؟"
أشار لها نحو الشرفة فقطعت الغرفة نحوها
وهي تقول "سأطمئن عليها"
في الشرفة الأرضية المطلة على جانب من
جوانب الحديقة كانت سوسو تجلس ساهمة
حزينة تحدق في الأضواء الخافتة فاقتربت
بسمة وقالت "كيف حالك يا سوسو؟"
أدارت الأخيرة رأسها ورفعت إليها أنظارها
تتمتم بابتسامة ضعيفة دون رد ثم سألتها" هل
تواصلت مع ونس أو شامل؟"

ردت بسمة "تواصلت مع ونس وأخبرتني بأن شامل قد تركها في بيت والدها "
عادت سوسو تنظر أمامها وتقول متنهدة "لا أعرف ماذا أصابها بل ماذا أصابنا كلنا فجأة"
بلعت بسمة طعما مرا في حلقها وردت" هي بخير لا تقلقي أتوقع ما حدث لمليكة بالإضافة لضغط هرمونات الحمل يؤثر عليها (ثم سألت حماتها) هل آمر بإعداد العشاء؟"
تنهدت سوسو بحزن وردت " افعلي ما تريدين ليس لدي شهية مادام غنيم لن يأكل فأنا أيضا لن أأكل"
تأملتها بسمة كيف تجنح للصمت كلما شعرت بالحزن وكأن الصدمات تجبرها على اجترار الأحزان الماضية كلها .. وفكرت بإعجاب في ذلك الارتباط القوي بينها وبين زوجها وتمنت أن تكون هي وكامل مثلهما ..

لكن السؤال الذي ألح عليها .. ماذا كانت
ستفعل سوسو لو كانت مكانها ؟.. وما هي
حدود التضحية مع زوج تحبه ؟.. ترعبها فكرة
أن يكون تلقيها الخبر بهذا الثبات بسبب
مشاعرها وحبها لكامل دون الانتباه لكرامتها ..
وضعت بسمة يدها على كتف سوسو قائلة" أنا
سأقنع عمي غنيم حتى يأكل .. "
ربتت سوسو على يدها فتحركت بسمة تخرج
الهاتف من جيبها ووقفت على باب الشرفة
تطلب كامل في المطعم والذي بادرها بالرد
بسرعة لكن صوته كان واجما "نعم"
نازعها شعوران ..شعور بالغضب منه وشعور
بالشفقة عليه فقالت بلهجة محايدة "هلا
أمرت الطباخين بإرسال طعام العشاء
لوالديك؟"
رد باقتضاب" تمام"
سألته باهتمام" وأنت ..هل تناولت عشاءك؟"

أجاب بنفس الاقتضاب "ليس لدي شهية كلي
أنت مع والداي وأنا سأنتظر شامل حتى يعود "
"تمام"
أغلق الخط دون كلمة أخرى فمطت شفتيها
وهمست لنفسها "عدنا لعنجهية ابن نخلة
وغروره "
تقدمت في الغرفة نحو غنيم الذي يدعي
متابعته لنشرة الأخبار لكنه كان لاه عنها شاردا
فيما حدث صباح اليوم ..فجلست بسمة
بجواره على السرير تقول" ألا تثق في كلامه
وبأنه لم يفعلها في وعيه على الأقل ؟"
صمت غنيم قليلا ثم أومأ برأسه قائلا دون أن
ينظر نحوها "بلى أثق فيما قال لكنني غير قادر
على تقبل أمر شربه للخمر وما قد يكون قد
فعله في لحظة غياب لعقله "
شعرت بسمة بالوخز المؤلم في قلبها لكنها
قالت مدافعة "بالنسبة لموضوع الخمر كانت

مغامرة كما قال أما الأمر الأخر فالحقيقة لا أعرف بم أرد "

غمغم غنيم بحزن "لو كان ابنه لن أتحمل والله قلبي لن يتحمل هذا الأمر"..

ربتت بسمة على صدره تقول بمواساة صامتة" أشعر بك ولا أعرف كيف أتصرف أنا الأخرى "

نكست رأسها تفكر فتأملها غنيم ثم قال بلهجة متفهمة "أعتقد بأن الخبر قلّبَ عليك بعض الأوجاع القديمة"

رفعت إليه عينين دامعتين ولم تمر ثوان حتى انفجرت ببكاء غريب رغم أنها كانت متماسكة منذ تلقيها الخبر حتى لحظتها من ألا تنهار ..

فربت عليها غنيم ثم أخذ رأسها ليسندها على صدره ويضمها إليه في حضن أبوي دافئ وداعم

شجعها على إفراغ المزيد من الدموع وجعلها تغمغم فوق صدره "أنا آسفة ولكني اشعر بالارتباك الشديد .. لو كان نفس الموقف

حدث بدون أن تتدخل مشاعري في الأمر كنت سأكون أقوى وردود أفعالي أعمق"
سألها غنيم متفهما "والآن ؟"
ردت من بين بكائها " الآن مشاعري متورطة في الأمر وهذا يرعبني يا أبي "
قالت الكلمة الأخيرة بدون أن تعي أو تنتبه تحت وطأة المشاعر التي ترزح تحتها لكن غنيم سمعها جيدا .. وأبهجته الكلمة العفوية بشكل لا يوصف .. خاصة وهو يعلم كيف كانت متحفظة بشدة في علاقتها مع الجميع .. تتقنع بقناع بارد جاد لا يبدي أية مشاعر ظنا منها بأنها بذلك ستبدو صلبة ..فابتسم وسألها"
ولماذا ترعبك هذه المشاعر؟"
رفعت رأسها تناظره قائلة بلهجة أقل انهيارا " لا أعرف .. أخاف من أن تجعلني ضعيفة غير قادرة على اتخاذ قرار حاسم في حياتي .. أخشى من أن أرضى بوضع يقلل من كرامتي"

شاكسها غنيم قائلا" لابد أن هذه المشاعر
قوية جدا حتى أنها أرعبتك وخفتي إلى هذه
الدرجة من أن تؤثر على قراراتك"
ازداد نحيب بسمة فربت على كتفها مبتسما ثم
قال" أتعلمين كيف تعرفين إن كانت هذه
المشاعر معك أو ضدك؟ "
ناظرته بترقب وهي تمسح دموعها فرد غنيم"
من قدر ثقتك في الأخر وفي حبه لك ومن قدر
احترامك له ولمبادئه كانسان .. "
أطرقت بسمة برأسها شاردة فيما قال ليضيف
غنيم" مشاعر وثقة واحترام متبادلون بين اثنين
اعتقد بأنه رباط متين بينهما مهما كانت
العواصف التي ستعصف بحياتهما معا
..سيظلان متشبثين ببعضهما بقوة"
صمتت تفكر ثم رفعت أنظارها تقول بحنق
"وماذا إن كان هذا (الأخر) عينيه زائغتين؟!! ..
فإن كانت هذه المرأة على حق.. فبالطبع

ستحتك به في المستقبل من أجل الطفل
..فماذا يكون الوضع؟.. إن كان قد قبّلها من
قبل أن يكون بينهما رباط فما بالك بعلاقة
ستمتد العمر كله حتى لو كانت أم لابنه فقط"
ضحك غنيم رغم الألم في صدره ورد عليها
بلهجة ذات مغزى "هذا الامر يعود لشخصيتك
كزوجة أنا لا استطيع أن أفيدك فيه لكن كما
يقول المثل (قصي ريش طيرك قبل أن يذهب
لغيرك)"
شرست ملامح بسمة وقالت بوعيد وتشفي من
بين أسنانها "أنا لن أقص ريشه فقط.. أنا
سأنزعه منه نزعا.. سأعذبه"
ضحك غنيم مجددا وقال" أنا شخصيا
سأشجعك على هذا الأمر حتى تقتصي لنا
جميعا منه "
ابتسمت له بسمة بامتنان تشعر ببعض الراحة
ثم سألته "وماذا عن موقفك أنت منه؟"

عاد غنيم لوجومه وقال موضحا" أنا موقفي مختلف عنك ..فأنا حزين على استهتاره وتهوره .. أتمنى من الله أن يلطف بنا في النتيجة وتكون مجرد شدة أذن له .. فأنا أملي في الله كبير أن يرحمنا من هذا الابتلاء "

ربتت بسمة على صدره تؤمن على ما يقول بتذلل شديد لله .. ليس فقط من أجلها .. ولكن من أجل كامل وأسرته الذين لن يتحملوا أمرا كهذا .

xxxx

قبيل الفجر

هتف شامل بانتصار ونظر لأخيه الواجم مغيظا ومرقصا حاجبيه .. فألقى كامل بمتحكم الألعاب الإلكتروني على الطاولة المنخفضة أمامه بعصبية وعاد بظهره يستند على ظهر الأريكة بمزاج عكر .

قال شامل وهو يتصنع المرح للتخفيف على توأمه بعدما قرر أن يسهر معه الليل فكلاهما يشعر بالتوتر" هذه الجلسة ينقصها ابن الزيني "

رد كامل بوجوم "مسكين.. اشفقت عليه حينما حدثناه منذ بضع ساعات للاطمئنان عليه.. إنه لم ينم منذ ثلاثة أيام تقريبا"

أطرق شامل برأسه في حزن ثم عاد يتطلع في أخيه الذي ألقى برأسه للخلف مغمض العينين فقال له" إن شاء الله ستكون النتيجة سلبية أنا أتذكر جيدا أنك كنت تعذبني طوال الليل بسبب نومتك خلف ظهري وكدت أن توقعني من فوق السرير مرتين "

رد كامل بنفس العبوس" يا رب يا شامل يا رب "

قال له شامل بلهجة ذات مغزى وقد استشعر ضيق توأمه من موقف بسمة المتعنت معه"

ما دامت قد رجعت في كلامها وعادت لتنام في غرفتكما ربما هذه إشارة لتدعوك للعودة للغرفة أيضا "

عدل كامل رأسه ورد بنفس الوجوم " لا فهي سألتني بعد العشاء إن كنت لازلت مصرا على أن أترك الجناح وأنام في مكان أخر أم سأنام في الجناح فتبيت هي في غرفة أخرى ففهمت الرسالة وأخبرتها بأني لن أنام في الجناح الليلة (ثم أضاف ساخرا يقلدها مداريا شعورا بالضيق لقرارها هذا) من فضلك يا كامل أنا أعصابي متعبة وأريد أن استريح (وأضاف باستنكار) أنا اتعب أعصابها؟!! .. أنا ؟!!. عموما كما تريد فالأمر لا يفرق معي "

طالعه شامل بطارف عينيه بما يعني(الكذب حرام) .. فاستمر كامل على انكاره فقال وهو يهز كتفيه" صدقني أنا أيضا أعصابي متعبة وأحتاج لأن أبتعد عنها لبعض الوقت"

قال شامل بابتسامة ممتعضة " أحيانا تنسى ما بيننا يا حلوف ..(وأضاف بلهجة وقحة) بل تقصد أن أعصابك متعبة وتحتاج جدا لأن تقترب يا ***"

لم يجاريه كامل في مزاحه بل ظل على وجومه يسيطر الامتعاض على ملامح وجهه فقال شامل بلهجة تمثيلية واضعا يده على صدره" ألا يكفيك وجودي معك يا أخي !.. وجود أخاك .. توأمك .. الذي قرر أن يقضي معك الليل بطوله ليؤنس وحدتك .. ويشعرك بالعضد والسند والمؤازرة "

تحركت مقلتا كامل ليناظره بقرف بينما استمر شامل في مناكفته قائلا بنفس اللهجة المسرحية المبالغة " لقد حرمت على نفسي النوم اليوم من أجلك يا توأمي .. حتى لا تكون وحدك في هذا الليل الموحش حولك "

تطلع كامل حوله في غرفة الألعاب .. ثم عاد إليه بنظراته ليضيف الأخير "أخوك الذي يقول لك لا تبتأس يا أخي فأنا معك .. "

اهتزاز صدر من هاتفه فالتقطه شامل من فوق المنضدة أمامه وهو يضيف " أخوك الذي يقول لك (ونظر في الهاتف ثم استقام فجأة واقفا يقول بسرعة) يقول لك اسهر وحدك يا كامل فقد أرسلت لي ونس"

اتسعت عينا الأخير وهو يراقبه مغادرا بسرعة فضرب كفا بكف بعدم تصديق ثم استلقى على الأريكة رافضا حتى أن يذهب لأي غرفة أخرى للمبيت فيها وكأنه يعاقب بسمة أو ربما يعاقب نفسه ..فانتظر أن يؤذن للفجر ليصليه ثم ينام.

أما شامل فأسرع بإلقاء نفسه على سريره ورد على ونس .

قبل دقيقة

تململت في سريرها القديم الذي اشتاقت إليه رغم بساطته .. الغرفة كلها اشتاقت إليها .
لقد كانت ليلة مؤرقة لم تنم فيها إلا قليلا تشعر بأنها محاطة بالكثير من الضغوط ..ففتحت الهاتف وأرسلت لشامل عبارة" صباح الخير"
كان لا يزال الوقت فجرا لكنها لم تصبر حتى يأتي الصباح وترسل له بعد أن وبخت نفسها على ما فعلته معه وذلك الانهيار الذي كانت عليه بل وعلى إصرارها أن يحضرها إلى هنا رغم معرفتها بالوضع الذي كان فيه بيت غنيم ..لكنها بالفعل كانت على شفا الانهيار وبحاجة ماسة للانفراد بنفسها.
تفاجأت باهتزاز الهاتف فأسرعت بفتحه لتجد شامل يرد "صباح النور (وجه حزين)"

كتبت تسأله "لماذا أنت حزين ؟ولماذا أنت مستيقظ في هذا الوقت ؟"

رد عليها " لأني وحيد بائس .. جنيتي تركتني وذهبت لأنها لم تعد تحبني (وجه حزين)"

"ولكنها تحبك جدا (عينان تترقرقان بالدموع تأثرا) "

"لو كانت تحبني لم تكن لتتركني وحيدا .. أنا أشعر بالخوف (وجه يبكي) "

ابتسمت وكتبت تسأله" مم تخاف؟"

كتب مجيبا "قلت لك وحيد وليس معي جنية لتدافع عني ضد الأشرار (وجه يبكي)"

اتسعت ابتسامتها واعتدلت على ظهرها تحدق في الهاتف بعينين غائمتين .. فكتب يسألها بجدية" هل تشعرين بأنك أفضل ؟"

"أجل "

"الحمد لله "

"شامل"

"شبيك لبيك"
تسارعت دقات قلبها تشعر بالحنين فكتبت
وقد انهمرت دموعها فجأة "أنا آسفة لتلك
الحالة التي كنت عليها أمس لكني كنت أشعر
بضغط شديد على أعصابي"
سألها باندهاش "لماذا يا ونس؟.. لقد كدتُ أن
أتصل بطبيبتك واحجز موعدا للزيارة لنرى حلا
في هذا الانهيار "
صمتت ونس ولم ترد ..فسألها" هل هذا
بسبب ما حدث لمليكة؟"
"بالتأكيد له جزء كبير"
انتظر شامل لبرهة ثم سألها" والجزء الباقي؟"
صمتت قليلا تشعر بالحيرة .. هناك ما يلح على
رأسها لتتحدث عنه لكن هناك ما يمنعها أيضا .

"ونس هل لازلت موجودة ؟"
"أجل"

"أخبريني ما الذي يضغط عليك بالإضافة
لموضوع مليكة ؟"
صمتت ولم يتلق منها ردا فسألها "هل موضوع
جلسات التخاطب له دخل في الأمر؟"
ردت بصدق" أجل"
"لماذا؟!"
"لأنها تشعرني بأني فاشلة"
زفر شامل واستلقى على السرير يكتب " أنت
لست فاشلة يا ونس .. والاخصائية أخبرتني
بأنك تستطيعين الآن نطق بضع كلمات لكنك
تبخلين علينا بفرحة سماعها"
"لأني بنصف لسان "
كتب بصبر " يا ونس قلت لك أكثر من مرة
عليك بتقبل نفسك كما هي .. كما نتقبلك نحن
كما أنت .."

مسحت دمعة من فوق خدها وكتبت " لو كنتم تتقبلوني كما أنا لماذا تصرون على تلك الدروس الخاصة بالتخاطب؟! "

"لأنك بحقيقتك تستطيعين التحدث ببعض الكلمات هذه هي حقيقتك ونحن نتقبلك بها حتى لو كانت بضع كلمات ليست متقنة النطق"

غلبها بمنطقه ولم تجد ردا مناسبا فكتبت "لا أعرف أشعر بالضغط الشديد "

سألها شامل " حسنا ..ما رأيك أن نوقف دروس التخاطب؟"

سألته بفرحة " حقا! (وجه يصدر قلوبا حمراء)"

رد شامل مؤكدا " بالطبع فأنت لست مجبرة أبدا ..كان ذلك من أجلك أنت لتحققي حلم عزيز بعد ارتدائك للسماعات الجديدة "

شعرت بالتردد والحيرة فكتبت" من الممكن أن نوقفها لبعض الوقت "
كتب بسرعة " لك هذا وإن لم تريدي أن تستأنفيها فلا بأس الجنية تأمر والجني ينفذ (وجه يغمز)"
أرسلت له قبلة حمراء وقلب .. فسألها" هل هناك شيئا أخر يزعجك ؟"
ردت بمراوغة تنفي ثم سألته "متى ستذهب لذلك التحليل؟"
"قبيل الظهيرة"
"حين تنتهي هل ستستطيع أن تحضر لتأخذني؟"
سألها بشقاوة "هل اشتقت لي؟"
"جداااا .. لم أنم طوال الليل بسبب افتقادي لوجودك معي "
تراقصت ابتسامة عابثة على شفتيه وسألها" هل افتقدت لجانب معين فيّ؟ (وجه يغمز)"

اتسعت ابتسامتها في خجل ثم كتبت" نم قليلا وسأحاول أنا أيضا أن أنام وسأنتظرك بعدما تنتهي من ذلك التحليل"

بعد قليل تحركت تغادر الغرفة حينما لمحت والدها قبل دقائق يستعد للصلاة فوضعت الهاتف في جيبها وخرجت للبحث عنه .
كان عيد قد فرغ من الصلاة حينما دخلت عليه الغرفة فاستقبلها مبتسما وهو يشعر بدفء البيت من جديد بوجودها .
اقتربت وجلست على الأريكة أمامه بينما ارتكن هو بظهره للحائط المقابل مفترشا الأرض فوق سجادة الصلاة يفرد ذراعه فوق إحدى ركبتيه المرفوعة أمامه ويمسك بالسبحة.. فابتسمت له بهدوء .
تأملها عيد في صمت .. لقد تغيرت ابنته .. هذا ما لاحظه منذ أن تزوجت .. صارت أكثر هدوءً

ونضجا ..لكنها رغم ذلك لا تزال بالمقارنة بقريناتها شقية ومتهورة ومندفعة .
سألها للمرة العاشرة" هل أنت متأكدة بأن كل شيء بينك وبين زوجك بخير ؟"
هزت رأسها بتأكيد ثم شكلت له بسبابتيها وابهاميها شكل قلب فغمغم متبرما وقد اشتاق لها ولحركاتها المائعة" كفي عن الميوعة التي أصابتك بها الحياة في العاصمة يا بنت عيد"
ابتسمت فتأملها من جديد تستند بكفيها إلى جانبيها فوق الاريكة العالية وتهز جذعها للأمام والخلف بحركة بطيئة قلقة فقال مدققا "لماذا أشعر بأنك تريدين قول شيء؟"
كانت تتمنى أن تتحدث في أمر معين .. لكنها تراجعت وعبارة ما تمر في رأسها .. عبارة لوالدها عمرها ثمان سنوات يقول ناهرا بصوت مرعب (اخرسي تماما ولا تتفوهي بتلك الترهات ..فما تقولينه من هذيان سيقلب

البلدة كلها فوق رأسي ورأسك وسنصير مسخرة الناس حين يتأكدون من أنها إحدى تخيلاتك المراهقة .. إياك والتحدث في هذا .. ولا شأن لنا بما يخص أكابر البلدة)

هزت ونس رأسها بقوة تنكر ثم مالت على جنبها على الاريكة تتوسد كفيها تحت خدها فسألها عيد "هل ستنامين هنا ؟"

هزت رأسها بالإيجاب مغمضة العينين فقال لها "ولماذا لا تنامين في سريرك ؟!"

حركت كتفها رافضة فقال لها" حسنا نامي لبعض الوقت ثم أوقظك لتفطري .. (وأضاف متهكما) ألا تزال معدتك تهضم الفول والطعمية؟.. أم أنها تعودت على أكل العاصمة المائع "

اتسعت ابتسامة ونس ولم ترد .. فتأملها حتى ذهبت في النوم ثم استقام واقفا وأحضر غطاءً

يضعه فوقها ومسد على رأسها يقاوم شيطانه الذي يرعبه من اللحظة التي ستلد فيها طفلها.

xxxx

السابعة صباحا

عبس عيد وهو يسمع طرقا على الباب فترك المطبخ قائلا لونس "ضعي طبق الفول على الصينية واغسلي الجرجير جيدا"

ثم خرج مسرعا ليفتح الباب قبل أن تتسع عيناه ويقول متفاجئا" شامل !"

بابتسامة واسعة لا تمت لحالته العابسة الليلة الماضية بصلة قال شامل بلهجة منغمة "صباح الخير يا حمايا العزيز"

تطلع عيد فيه وقال "كيف جئت في هذا الوقت المبكر جدا من الصباح؟.. بل متى خرجت من منزلك ؟"

أجاب شامل وهو يدخل من الباب" لقد صليت الفجر ثم ركبت السيارة.. قلت لابد أن ألحق

الإفطار(واستدار إليه يقول بابتسامة عريضة أثارت غيظ عيد) افتقدت الإفطار معك يا حمايا العزيز "

خرجت ونس من المطبخ تصدر صيحة فرح متفاجئة قبل أن تسرع نحو شامل الذي استقبلها بين ذراعيه فتعانقا يرفعها من فوق الأرض أمام نظرات عيد المغتاظ والذي هدر فيهما "تحشما أنا أقف أمامكما ألا يوجد أي احترام لوجودي !!"

ابعدها شامل قائلا لحماه ببرود" لا تؤاخذنا يا حاج فقد اشتقنا لبعضنا "

عوج عيد شفتيه وطالعه بنظرات ممتعضة قبل أن يشيح بيده قائلا لونس التي أنارت الابتسامة وجهها" هيا يا مدللة أمامي لنكمل إعداد الإفطار "

تعلقت عينا ونس بشامل سعيدة بقدومه وتحركت بظهرها مبتعدة بينما هو يقف أمامها

يديه في جيبي بنطاله بوقفة متباهية وقال مجيبا على السؤال الذي يطل من عينيها "قلت فلآتي وأعيد جنيتي مبكرا قبل الذهاب لذلك المشوار "

قال عيد بعصبية "هيا يا ونس وتحدثا فيما بعد"

تنحنح شامل يقول " ما رأيك أن تستريح أنت يا حماي العزيز وأعد أنا معها الفطور؟"

قال عيد مغيظا وهو يربط على ذراعه " لا يا حبيب حماك .. تفضل اسبقنا أنت إلى الغرفة وسنعود إليك بالفطور بعد قليل (وتحرك يقول لونس بعصبية) هيا أمامي"

تبادلت الأخيرة النظرات التي تتفجر منها القلوب مع شامل الذي غمز لها بعينه ثم دخلت .. ليدخل عيد خلفها وهو يبرطم لنفسه بخفوت " لم يتركها سوى بضع ساعات ثم يقول مشتاقان لبعضهما.. ما هذا الجنون!"

xxxx

بعد يومين
العاشرة صباحا

تبادل مفرح ومصطفى النظرات السعيدة بشأن ما أخبرهما به الطبيب للتو من استقرار حالة العمدة .. فتنفس مفرح الصعداء وقبل ظاهر كفه وباطنه شكرا لله .. ليقول مصطفى وهو يتطلع في هيئته شديد الإجهاد "أنت لم تنم سوى سويعات يا مفرح خلال الخمسة أيام الماضية ..هيا اذهب وأنا سأبقى مع العمدة " قال مفرح بعزم " بل أحتاج لزيارة مليكة فهلا ساعدتني في الاعتناء بالحاج يا أبا حمزة ؟" قال مصطفى مؤكدا " لا تقل هذا الكلام يا ابن عمي .. طبعا .. لكن نم لبضع ساعات أولا " تحرك مفرح بعض الخطوات المسرعة للخلف وقال" لا ليس هناك وقت للنوم سأسافر فورا "

قالها وأسرع مهرولا.. فلحقه مصطفى بصوته يقول بقلق "انتظر وسأرسل معك أحد الأولاد ليقود لك السيارة"
أشار له مفرح بالرفض وأسرع بالركض عبر ممر المستشفى فغمغم مصطفى بقلق" حفظك الله وأوصلك بالسلامة"

xxxx

بعد ثلاث ساعات

دخلت الممرضة تقترب من مليكة التي تنام على جنبها محدقة في الفراغ قائلة بصوت هادئ" سيدة مليكة.. زوجك مفرح الزيني بالخارج .. وأخبرتني الطبيبة المعالجة أن أسألك إن كنت توافقين على مقابلته أم لا"
أدارت مليكة عينيها نحو الممرضة وبدا عليها انتباها جعل الممرضة تميل عليها قليلا وتكرر" مفرح الزيني زوجك بالخارج هل يدخل؟"

رفعت مليكة يدها في الهواء وتكلمت بحشرجة" هلا ساعدتني على النهوض من فضلك ؟"

ابتسمت الممرضة مندهشة من ذلك البصيص من الطاقة الذي دب فيها .. فعدلتها لتجلس وتنزل ساقيها من فوق السرير .

تكلمت مليكة ببطء وخفوت وهي ترفع يدها الثقيلة نحو شعرها" أريد مشطا"

في الخارج كان مفرح يقف في حالة غريبة ومرتبكة ..لقد قطع الطريق كله إلى هنا في أسرع وقت ممكن له .. لكنه بمجرد أن تحدث مع الاستقبال واتصل بالطبيبة التي طلبت منهم أن يسألوا مليكة إن كانت توافق على الزيارة أم لا سيطر عليه الارتباك .. ولم يعرف كيف سيقابلها..

هل يجري عليها بلهفة حينما يراها ؟.. أم يتعامل ببساطة كأن شيئا لم يكن حتى لا

يشعرها بالحرج؟.. أم يتكلم بتهكم وممازحة حتى تشعر بأن الأمر بسيط وأنه ليس عليها أن تشعر بأي إحساس بالذنب أو شعور بالحرج؟..

لم يعرف.
وضع كفه على الحائط بالقرب من غرفتها وكأنه يتحسس وجودها قبل أن يدخل .. وتساءل في سره.. ماذا لو رفضت أن يدخل إليها؟! .. من حقها أن تفعل ذلك فهو لم يستطع زيارتها طوال خمسة أيام ولم يقدر على التحدث معها في الهاتف حتى .. لم يطاوعه قلبه ..بالإضافة لأنها كانت ترفض الحديث والزيارات .
تطلع في مقبض الباب وهو يتحرك وتسارعت دقات قلبه بشكل هستيري وهو يرفع نظراته للممرضة التي خرجت تفسح له الطريق بالدخول ثم تحركت مغادرة .

بحركة تلقائية رفع يديه يمشط شعره ونظر إلى تلك الملابس التي ارتداها على عجل حينما ذهب للبيت ليغتسل ويبدل ملابسه..
وبخطوات مرتبكة وأنفاس ثقيلة دلف إلى غرفتها وتطلع فيها ..
أخيرا رآها بعينيه شاخصة أمامه بعد أن مرت عليه لحظات رعب خلال الأيام الماضية بأنه ربما قد فقدها للأبد .
كانت شاحبة الوجه جالسة على طرف السرير ترتدي منامة أنيقة يجزم بأنها جديدة فلم يرها عليها من قبل .. شعرها العسلي الناعم ينام على كتفها الأيمن كضفيرة واسعة .. وكانت تضم كفيها إلى حجرها وتتطلع فيه بصمت وترقب..
تأوه باسمها بخفوت وهو يسرع الخطى نحوها حتى دون أن يدرك ذلك " مليكة "

تطلعت فيه بابتسامة ضعيفة فسقط أمامها على ركبتيه يتطلع فيها مدققا وكأنه يطمئن على كل جزء فيها لكنه كان متحفظا من المبادرة بلمسها فقد أعطته الطبيبة توجيهات بأن يتعامل معها بحذر شديد ويستقرئ منها ما الذي ستسمح به .

ردد مجددا بهمس وهو يرفع أنظاره لها" مليكتي"

كانت أطرافها مخدرة بل هي بكليتها في حالة من حالات الارتخاء الشديد بفعل المهدئات القوية التي تتناولها فرفعت ذراعها ببطء وعيناها تتجولان على صفحة وجهه المرهق والهالات الداكنة تحت عينيه وتحسست خده ولحيته وهي تقول بخفوت "هل أنت حقيقة .. أم .. هلوسة"

ترقرقت الدموع في عينيه ووضع يده فوق كفها على خده ثم أغمض عينيه بقوة وحرك وجهه

ليقبل باطن كفها بقبلة بطيئة فهمست
"ظننت بأني لن أراك مجددا"
فتح عينيه وناظرها قائلا بحشرجة" هل هذا ما
تظنينه في مفرح؟"
ردت بخفوت مبررة" قصدت بأنهم
سيضغطون عليك لتطلقني بعدما اكتشفوا
الأمر.. سمعت عمار يتحدث مع أكرم بأن
والدك في المستشفى ففهمت"
عاد ليقبل باطن كفها الذي يحضنه بين كفه و
خده وهو يلجم نفسه من الانقضاض عليها
وسحقها بين ذراعيه .. فقالت مليكة وهي
تتأمله بعينين دامعتين "إن اضطررت لتطليقي
يا مفرح ..أنا سأتفهم موقفك ..فأنا أعلم جيدا
حجم المصيبة التي تسببت فيها وحجم
الضغط الذي يمارس عليك"
"هل استطيع أن أحضنك؟"

سألها مفرح باستجداء مرتعش الصوت فردت بترجي "أرجوك"
قبل أن تتم كلمتها كان قد استقام واقفا ورفع جسدها بين يديه وحضنها بقوة يدعم جسدها المرتخي من السقوط.
لم تقدر مليكة على رفع ذراعيها لاحتضانه لكنها قالت ببطء "آسفة جلبت لكم الفضيحة"
حضنها بقوة قائلا بجوار أذنها "الحمد لله لم تتسببي في أية فضيحة ..لقد تم احتواء الأمر فلا تشغلي بالك.. كما أنك لم تفعلي أي شيء في وعيك"
قالت بخفوت متألم" لقد أحرقت الزرع يا مفرح وكان من الممكن أن احرق الناس "
أبعدها قليلا يمسك بكتفيها قائلا "لا أنت لا تقدرين على أذية نملة صغيرة.. و هناك بالتأكيد تفسير نفسي ستخبرنا به الطبيبة عن

سبب فعلك لذلك لكني أكيد بأنك لم تتعمدي أذية أحد ..كما أن ما أحترق كانت أجزاء صغيرة فالأمر كان منذ اللحظة الأولى واضحا بأن من يقوم به يفتقر للخبرة أو صغير السن (وابتسم ابتسامة ضعيفة مضيفا) أو امرأة حلوة "
لم تستجب لمزاحه وخانتها ساقاها وشعرت بارتخاء جسدها فساعدها مفرح لأن تعود للجلوس على طرف السرير وعاد يجلس أمامها على ركبة واحدة لتقول ببطء وكأن لسانها مخدر هو الأخر" إنهم يعطونني مهدئات هذه الفترة ..لهذا أبدو هكذا بلهاء أمامك غير .. غير قادرة على .. تكوين جملة"
تألم قلبه بشدة على حال حبيبته فحضن كفيها بين كفيه وقال بلهجة عاشقة "بل أنت رائعة اقسم بالله رائعة.. وهذه مجرد فترة بسيطة ستخرجين منها أقوى من ذي قبل أنا متأكد من ذلك .. أتمنى فقط أن تتعاوني معهم"

قالت بخفوت وتقطيع " ولكني أخشى من أن ..يعطونني شيئا لأنسى الماضي ..فأنساك .. أنا لا أريد ..أن يمحوك ..من ذاكرتي يا مفرح "
لم يستطع مفرح التماسك .. لم يقدر أمام كلماتها المعذبة له والمؤلمة لقلبه .. فاستقام واقفا من جديد وأمسك بوجهها ينقض على شفتيها بقبلة قوية تحمل كل عنفوان مشاعره نحوها .. وكأنه يمنحها قبلة الحياة.. فتلقتها مليكة باستسلام وامتنان وانحدرت الدموع من جانبي عينيها .
حرر شفتيها يلهث لكنه أبقى وجهها مرفوعا إليه يحضنه بين كفيه وهمس ببحة أمام عينيها والدموع تتساقط من عينيه دون أن يدري "لو كان هذا هو المقابل حتى تتخلصي من كل آلامك وأوجاعك السابقة وتعيشي حياة سعيدة فانسي مفرح يا مليكة.. انسيه لو كان هذا هو ثمن سعادتك.. (وأضاف بصوت

متهدج) لكني متأكد بأنك ستحبيني من جديد ..فعشقنا لبعض هو قدرنا "

قالها ثم مال عليها يقبلها من جديد بقبلة مصاحبة لأنين متألم قبل أن يطلق سراحها ويتبادل معها النظرات المشتاقة.. ثم عاد لينزل على ركبة أمامها فقالت مليكة بخفوت مرتجفة كقلبها "لكني لا أريد أن أنساك .. من سأكون إن محيتك من ذاكرتي .. فأنت والولدان الجزء الحلو من الماضي والحاضر "

"والمستقبل يا مليكة والمستقبل .. (قالها مفرح وأضاف بتأكيد وهو يحضن وجهها ويحدق في عينيها) لهذا إياك أن تستسلمي إياك .. إن كنت تحبينني أنا والولدين فإياك أن تستسلمي فنحن في انتظار خروجك .. في انتظار انتصارك على الوجع والألم كما كنت دوما"

قالت يائسة " لا .. لقد اكتشفت بأني أكبر كاذبة ..كنت أدعي أمامكم ما لست أنا عليه"
تكلم مفرح بإصرار "لا تقولي هذا.. فما مررت به قادر على أن يذهب عقل الكثير من الناس لكنك كنت لكل من حولك طاقة النور التي يلتف حولها الجميع .. أتدرين أن ونس وبسمة منهارتان بسببك .. بسمة اتصلت بي وأنا في الطريق وحين علمت بأنني ذاهب إليك بكت وحملتني رسالة لك بأنها تنتظر سماحك لها بالزيارة وبأن لديها الكثير لتخبرك به"
سألته بشوق أمومي "كيف حال أدهم وإياد؟"
أجاب مفرح "إنهما بخير عند مهجة (وفتش في جيوبه يقول) لقد أحضرت لك هاتفا جديدا .. لا أعرف إن كان القديم في السرايا أم لا ولم أجد الوقت لأمر عليها كما لم أرغب في مقابلة والدك فهو لا يزال لا يعرف بحالتك كاملة .. المهم أني

أحضرت لك هاتفا وخطا جديدا حتى تتحدثي مع الولدين"

تطلعت في الهاتفين الذين أخرجهما ومدت يدها ببطء تأخذ الهاتف الذي أعطاها إياه قبل أن تسأله بخفوت "هل أضعت هاتفك مجددا ؟"

اتسعت ابتسامة على وجهه ثم هرش في مؤخرة رأسه بحرج فمدت يدها تتحسس لحيته قائلة بعينين غائمتين بالعشق "لا فائدة بك "

قال لها بسرعة " هل اتصل لك بالولدين لقد أخبرناهما بـ..."

"لا "

قالتها بلهجة قاطعة رغم خفوتها فناظرها مفرح بتساؤل لتضيف بتألم " لن استطيع .. سأنهار إن تحدثت مع أحدهما .. ولا أعتقد بأن لساني وذهني قادران على التجاوب أو اختلاق أي كذبة .. ولا أحبهما أن يعلما بما أصابني ..

كما أنني (وصمتت قليلا ثم نطقت بارتعاش)
بت غير كفء لمصاحبة الأطفال"
هتف مفرح بعبوس "من قال هذا؟؟"
قالت بلهجة مُرة " امرأة تسير وهي نائمة
وتحرق الأشياء ماذا تعتقد بأنها قد تفعل دون
إدراك"
رد مقارعا " لكنك أمهما ولم تؤذيهما أبدا"
تكلمت بعقلانية وباعتراف ضمني لنفسها
بحالتها " كان هذا قبل أن يتفاقم الأمر ..فما
فهمته أني كنت أسير أثناء النوم حينما أذهب
للسرايا وأنام في غرفتي القديمة لكن منذ
الحادثة أصبحت أسير هنا في الغرفة كل ليلة"
قال مفرح مشجعا "لا بأس سنستشير الطبيبة
في هذا الأمر هل تريدين أن أتصل بهما وأفتح
مكبر الصوت ؟"
ناظرته بتردد ثم قالت بخفوت" لا .. أشعر بأني
قد أنهار وهذه المرة سأتلاشى في الهواء بلا

رجعة ..ارسل لي مقاطع مصورة لهما فيما بعد .. (ولمست لحيته تقول بتوسل) وأرجوك يا مفرح .. مهما حدث .. لا تجعلهما يكرهاني ..قل لهما أي حجة لاختفائي المفاجئ من حياتهما " قالتها بلهجة مترجية أوجعت قلبه فتطلع في عينيها اللتين تنضحان بالألم وقال بإيمان قوي وهو يمسح بقايا دموع من تحت عينيه " ستعودين لهما أنا أكيد"

غمغمت يخنق البكاء صوتها " أشعر بأني سأحرم منك ومنهم للابد فحينما افكر فيما سمعته من الطبيبة أشعر بالخوف .. فمرض السير أثناء النوم ليس له علاج نهائي "

رد عليها بثقة " لكنك ستتعلمين كيف تحجميه وسنتعلم معك كيف سنتعايش معه .. نحن معا في السراء والضراء يا مليكة .. (وحدق في عينيها يقول بإصرار وهو يمسك

بيديها) أنا معك ..أنا وأنت لن يفرقنا إلا الموت
أنسيت عهدنا !"
سألته " هل عرف والداك بما فعلت ولهذا
دخل العمدة المستشفى؟"
رد عليها بهدوء " دعك من هذا الأمر .. أنا
وأنت في محنة كبيرة ولن ننجو منها إلا
بالعزيمة والصبر والدعاء الكثير .. أتعلمين ..
رغم قسوة ما حدث .. ربما كان ذلك من أجل
الخلاص.. من أجل أن أحررك من أسوار القرية
.. وبإذن الله حين تتحسنين سآتيك بالولدين
وسأقسم وقتي بين القرية والعاصمة ربما أقسم
الأسبوع بين الاثنين"
باحت بما يؤلمها منذ دهر فقالت " لا أحب أن
يعاني أحد بسببنا .. وفي نفس الوقت لا أفهم بم
نحن أذيناهم بحبنا لبعض !"

وقف وحضن وجهها ثم مال عليها يقول" هل تذكرين تلك الأغنية التي أرسلتها لك يوما مع بسمة لأخبرك بأني لازلت أحبك رغم الفراق؟ "
هزت رأسها ببطء وتطلعت فيه والأمل يحاول أن يتلمس طريقه بداخلها بين ظلام دامس يسيطر على روحها ليضيف مفرح مدندنا الأغنية ببحة صوته "لو حبنا غلطة ..أتركنا غلطانين ..ما زال عشقانين .. مع بعض مرتاحين .. مين اللي قلك مين .. عن حبنا غلطة "
داهمتها الذكريات بحلوها ومرها فانهمرت دموعها ليجلس مفرح بجوارها ويسحبها لصدره فيضمها بقوة ثم يقبل رأسها عدة مرات ..قبل أن يستند بذقنه فوق رأسها ويرفع عينين دامعتين للسماء مرددا " الحمد لله .. الحمد لله على كل شيء ..الحمد لله أنك لا زلت معي "

xxxx

بعد ساعة

طرقت الممرضة على باب الغرفة طرقة خفيفة وانتظرت لثوان ثم فتحتها لتدخل قبل أن تتجمد خطواتها وتتطلع في المشهد أمامها بذهول ..

بجوار النافذة كان يجلس مفرح على المقعد يحمل مليكة متقوقعة على حجره ورأسها مستندا على صدره بينما هو رأسه ملقاة إلي يمينه يستند بها على الحائط وكلاهما يغطان في نوم عميق .

ارتبكت الممرضة ولم تعرف ماذا تفعل فانسحبت للخلف وأغلقت الباب مقررة أن تتصل بالطبيبة لتسألها هل توقظهما لتأخذ مليكة جرعة الدواء أم لا .

بمجرد أن أغلقت الباب قابلها أكرم يسألها" هل غادر الباشمهندس مفرح من عندها ؟"

بلعت الممرضة ريقها واحمرت وجنتاها وهي تقول بحشرجة" لا يزال موجودا "
تطلع أكرم في الدواء في يدها وعبس يناظرها بتساؤل وهو يقول "هل رفضت أخذ الدواء؟"
بنفس الوجنتين الحمراوين أجابت" بل .. أردت أن أسأل الطبيبة كيف اتصرف ..أقصد.."
رفع أكرم حاجبيه مندهشا وتقدم خطوتين يفتح الباب ويدور بعينه في الغرفة حتى توقفت أنظاره على تلك الزاوية بالقرب من النافذة ثم رفع حاجبا ووقف يناظرهما لا يعرف كيف يتصرف هل يصيح فيهما حتى يتحشما ويعتدلا أم يرأف بحاليهما ويسعد بتمسك زوج أخته الشديد بها .. فهو الأكثر دراية بقوانين القرية التي لا تغفر للمرأة بالذات أية غلطة.. ولا تتقبل فيها أي عيب .. وتمارس ضغوطا على الزوج للتخلص منها إن لم يكن هو المبادر بفعل ذلك ..

وهو الأكثر دراية بقوانين العائلات الكبيرة التي لا تسمح أبدا بالمساس بسمعتها حتى لو من أجل ذلك ستسحق قلوب تحت الأقدام ..
ويعرف حساسية وضع مفرح كابن عمدة وتفاصيل علاقته بأهله .. كل هذا جعله يهيئ نفسه لقرار قد يضطر مفرح لأن يتخذه مجبرا خاصة بعد معرفة والديه بما فعلت مليكة وبعد دخول العمدة المستشفى .. وهذا كان يرعبه من أن تنتكس حالة أخته .. لكن مفرح كبر في عينه أكثر وأكثر رغم أنه كان كبيرا قبل ذلك .. وشعر بالفخر لأن زوج أخته رجل شجاع وعاشق لها حتى النخاع..
مط شفتيه وهو يعيد غلق الباب بهدوء فوجد الممرضة قد اختفت .. ليقف مطرق الرأس مفكرا يديه في جيبي بنطاله .
رن هاتفه فأسرع بالرد" أهلا عمار .. مليكة ؟..
إنها بخير .. مفرح؟ بخير أيضا .. لا لم يغادر

بعد .. (وأضاف بلهجة متهكمة) يخضعان لجلسة تعافي من الصدمة حاليا "

××××

قبيل المغرب

فتح مفرح عينيه وعدل رقبته شاعرا بألم شديد فيها وتتطلع في الغرفة المظلمة بعض الشيء ثم تطلع في النافذة ليجد الشمس قد غادرت ..فاعتدل وقد أدرك بأنه قد نام لعدة ساعات دون أن يحس بشيء ..

أنزل أنظاره يتطلع فيها بعينين غائمتين بالحنان وهي مستقرة بملامح مستكينة آمنة على صدره فاعتدل في جلسته ثم استقام يحملها فوق ذراعيه بحرص حتى وضعها على السرير .

بعد قليل فرغ من الصلوات التي فاتته ونظر نحوها فوجدها تتوسد كفها وتتطلع فيه بسكون فابتسم ابتسامة ضعيفة وكلاهما

يعرف أن لحظة الفراق قد حانت .. فاستقام واقفا ومال عليها يقول بخفوت أبح "تعلمين بأن عليّ أن أعود فأبي لا يزال في المستشفى "
هزت رأسها بضعف وقاومت رغبة بداخلها للتشبث به كالأطفال ..مستحضرة إرادة امرأة قوية كانت تشبهها يوما .. فمال مفرح على رأسها يقبلها بقبلة حارة يمنع نفسه من الاستسلام لمشاعر أكثر حسية تقديرا للمكان والزمان ولحالتها النفسية وقال بهمس "لابد أن أطير فورا "
قالت بضعف آلم قلبه "كُل شيئا في الطريق"
قال وهو يضع هاتفه في جيبه" حاضر "
"ولا تنس أن ترسل لي مقاطع مصورة للأولاد"
"حاضر .. وأنتِ ابقي هاتفك بجوارك دوما .. وعديني بأني سأجدك المرة القادمة افضل "
"حاضر .."

تحرك بخطوات ثقيلة نحو الباب متمنيا أن يأخذها معه لتبقى في حضنه .. لا يصدق بأنه سيقدر على تركها هنا في مكان غريب ويغادر .. اقترب من الباب واستدار يناظرها قائلا" هل أشعل ضوء الغرفة "

"لا"

"هل أنت متأكدة؟"

"أجل "

"سأراسلك منذ اللحظة التي ستأتي بعد لحظة"

"سأنتظر"

أسرع الخطوات عائدا إليها ومال عليها يرفع رأسها بين كفيه يودعها بقبلة حارة على شفتيها .. ثم أعادها بحرص وغادر قائلا دون أن يستدير حتى لا يضعف "السلام عليكم" بمجرد أن أغلق الباب خلفه انفجرت مليكة ببكاء حار وتمنت لو يبقى لساعة أخرى .

أما مفرح فمسح من طرف عينيه دمعة باغتته وفرت وارتدى قناع الوجوم وهو يسير بخطوات عصبية في ممر قصير حتى خرج على مكان أوسع به مقاعد للاستراحة قابل فيه علي وعمار اللذين وقفا يرحبان به وعمار يقول بلهجة متهكمة "صح النوم"

ابتسم مفرح ابتسامة ضعيفة محرجة وفهم بأنهما قد علما بأنه قد استسلم للنوم بإرهاق فسألهما "ستبيتان معها أليس كذلك ؟"

هز عليّ رأسه قائلا" أنا من عليّ الدور"

ربت مفرح على كتفه وهو يقول "أنا لابد أن أغادر فورا فقد تأخرت كثيرا .. سأتصل بك حينما أصل لأطمئن عليها .."

سلم عليهما وتحرك في عجلة من أمره يشعر بالثقل في قدميه اللتين لا تريدان التحرك من المكان ويشعر بألم عظيم جدا في قلبه لمفارقتها .

xxxx

بعد ساعة

اهتز الهاتف بجوارها فدفعت مليكة صينية الطعام تقول لعلي بضعف" يكفي هذا لست بقادرة على أكل المزيد "

تطلع أخوها في الصينية التي لم تأكل منها بشكل مرضي لكنه أعترف بأنها قد أكلت أكثر بكثير من اليومين الماضيين فقال مهادنا وهو يرفع الصينية من فوق السرير ويضعها جانبا "حسنا عديني أن تأكلي المزيد غدا "

التقطت الهاتف وفتحته ببطء لتجد إشارة لرسالة جديدة على الواتساب ففتحتها وقرأت ما كتبه مفرح (هذه هي الأغنية .. أتذكرينها ؟ .. أرسلتها لك قبل عشر سنوات حينما نزلت في الأسواق .. وأصبحت بعدها أغنيتنا المفضلة .. سأسمعها أنا الآن في السيارة وإن كنت مستيقظة اسمعيها).

سألت مليكة أخيها "هلا أعرتني سماعات هاتفك فباقي ملحقات الهاتف في كيس وضعته الممرضة في الخزانة ؟"
هز علي رأسه وتحرك يلتقطها من على منضدة جانبية صغيرة بجوار هاتفه ثم سألها "هل أرسل لك مفرح شيئا؟"
هزت رأسها بالإيجاب فابتسم لتورد وجنتيها ومال يطبع على رأسها قبلة حانية ثم همس" سأنزل للكافيتريا لعدة دقائق "
في السيارة كان صوت وائل كافوري صادحا بالأغنية والذكريات تداهمه عن أول مرة اتصل فيها بمليكة بعد مرور عام من وفاة زوجته الأولى وبعدما استبد به الشوق .

لو حبنا غلطة
اتركنا غلطانين
مازال عشقانين
مع بعض مرتاحين

مين اللي قالك مين
عن حبنا غلطة ؟!

قبل إحدى عشر سنة

كان مرتبكا وجسده يرتجف وهو يتصل برقمها بعد أن سأل بسمة إن كانت لا تزال تحتفظ برقمها القديم الذي يحفظه أم لا .. ووقف في انتظار الرد وهو يتطلع حوله في شقته الفارغة في الوقت الذي كان ولداه الصغيران جدا يبيتان بغرفة بالأسفل لتتابعهما نسوة البيت .

أسئلة كثيرة كانت تنهال على رأسه لحظتها ..ومخاوف من الصد والرفض تسيطر على قلبه ..ولهفة عاشق على مشارف الجنون يتوق للتواصل مع حبيبه ليسأله (ألا زلت على عهد الهوى !).

جاءه صوتها رقيقا هادئا رزينا يخفي شوقا ولهفة ورغبة في البكاء وهي تقول" نعم مفرح"

انفجرت دقات قلبه لحظتها لتعلن عن عودته للحياة من جديد .. ودبت في جسده حرارة عشق كادت أن تحرق الروح فبلع ريقه وسألها بحشرجة" أما زلت تحتفظين برقمي؟"
عبارة واحدة قالتها كاد بعدها أن يفقد زمام أمره ويجهش بالبكاء " احفظه في رأسي كاسمي"

مش هاممني الدنيا كلها ..انت حدي
مش همي هِنِّي شو بدُن بعرف شو بَدي
بدي حبك أكتر بعد
بدي أعطي عيونك وعد
لولا بكرة تركنا بعض
هاي أكبر غلطة

انهمرت الدموع من عيني مليكة والسماعات في أذنيها تستمع للأغنية وتستعيد الذكريات .. وتذكرت تلك الأسطوانة التي أرسلها لها مع بسمة مربوطة بشريط من الساتان وعليها ورقة

مكتوبة عليها بخطه الأنيق (تقولين أن حبنا غلطة وعلينا الاستسلام .. لتعرفي ردي على كلامك اسمعي هذه الأغنية جيدا) .. ثم قفزت ذاكرتها للحظة عقد قرانهما بعد ثلاث سنوات من الصراع للتأليف بين العائلتين .. ربما أهلها كانوا الأكثر لينا فوالدها كان يشعر بالذنب لما فعله بها بسبب ذلك الصراع وحين تقدم له مفرح للمرة الثانية وعلم منها بأنها لا تزال تحبه وتريده خاصة وأنها بعد طلاقها كانت ترفض الزواج رفضا تاما استسلم والدها لرغبتها وقد وعى الدرس جيدا تاركا لمفرح الفرصة الكافية لإقناع والده حتى تم الاتفاق على عقد القران بحضور المحافظ ومدير الأمن بالمحافظة كضيوف .

قبل ثماني سنوات

مط عبد الرحيم الذي يجلس بجوار ابنه في سرايا الصوالحة الضخمة شفتيه يحاول ألا

يظهر عليه مشاعره الغير راضية ثم مال يرحب بالمحافظ الذي يراقب مراسم عقد القران ومفرح يضع يده في يد عبد الغني صوالحة وفوق يديهما منديلا أبيضا ..

في الوقت الذي جالت فيه نحمده بأنظارها بحقد في السرايا ذات الأثاث الفخم والتحف والثريات الكريستالية اللامعة حتى انتهت من تفحصها للمكان بتطلعها في الحاجة كوكب بنت العاصمة التي تزوجها وأتى بها عبد الغني الصوالحة للقرية قبل ذلك التاريخ بأربعين سنة .. ولم تقدر نحمده على أن تتحكم في وجهها المقلوب طوال الجلسة أو تخفي مشاعرها كزوجها فتطلعت في تلك الطفلة نجمة التي ترتدي فستانا منفوشا من التل الأبيض بدون أكمام أو أكتاف وتعلق على ظهرها جناحي فراشة من التل الأبيض أيضا تجلس على حجر جدتها .. فلوت عنقها تشيح

بوجهها للناحية الأخرى حين لكزتها بكريتها فايزة التي تجلس بجوارها متأنقة ثم مالت عليها تهمس بشيء بعد أن اختلست نظرة لمليكة التي تجلس على كرسي بعيد ترتدي ثوبا باللون العاجي مزين بخرزات لؤلؤية وبجوارها بسمة وأم هاشم سعيدتان.

أما مهجة ذات الاثنتي عشرة سنة فكانت تمنع أدهم ذا الخمس سنوات وإياد ذا الأربع سنوات من التهام المزيد من الشيكولاتة من فوق الطاولة .

علت الزغاريد فملأت بهو السرايا معلنة انتهاء مراسم عقد القران ليسلم مفرح على حماه عبد الغني الصوالحة بحرارة شديدة ثم المحافظ ومدير الأمن قبل أن ينتفض واقفا ليجد في طريقه أخوة مليكة فسلم عليهم ثم يندفع مختزلا المسافة بينه وبين مليكة التي اتسعت عيناها بحرج حينما وجدته مقبلا عليها بهذا

الاندفاع أمام الجميع .. فاستقامت واقفة بخجل ليسحبها مفرح إلى حضن قوي ملهوف كاد أن يحطم ضلوعها به.

تقبضت مليكة إلى جانبي جسدها بحرج شديد رغم فرحتها العارمة وانهمار دموعهما بينما همس مفرح" أخيرا .. أخيرا .. يا الله أخيرا "

اقترب أكرم منهما متنحنحا .. فلملم مفرح أعصابه واستعاد تحكمه في نفسه وتركها يستدير لأكرم الذي حدجه بنظرة لائمة قبل أن يقترب ويحضن أخته مباركا ..

بعد دقائق كانت مليكة تقبل ابنتها التي يحملها خالها علي على وجنتيها ثم قالت لها" هيا قولي مبروك للعم مفرح يا نجمة "

استدارت نجمة إليه فتطلع فيها مفرح يشعر بوخز في الندبة التي في قلبه وهو ينظر لذلك الكائن الملائكي الرقيق وأجبر نفسه على أن يركز فقط في عينيها اللتين تشبهان أمها بينما باقي

ملامحها للاسف تذكره بصاحبه وكأنها قد تخلقت لتكون خيانة صاحبه له شاخصة أمام عينيه .. لكنه من أجل مليكة سيتحمل كل شيء حتى لو كان عذاب تعايشه للأبد مع ابنة صديقه الخائن ..

أخفى مشاعره عن الجميع بينما قالت نجمة وهي تشير بأصابع كفيها الصغيرين" سأعد حتى رقم ثلاثين من الأيام حتى تكون قد انتهيت من تجهيز غرفتي في بيتك الجديد أنت وأمي "

ابتسم مفرح وقال لها واعدا" كما وعدتك ثلاثون يوما يا نجمة "

قالت متخصرة "لكني أريد غرفتي بعيدة عن ولديك الفظين أدهم وإياد "

قالت مليكة موبخة "عيب يا نجمة ..(ثم ابتسمت مضيفة)عموما لا تقلقي لقد اخترت لك غرفة بعيدة عنهما وكل الأثاث الذي اخترتيه سنرسل لطلبه .. كما أن مفرح ينوي بأن

يبني في المستقبل شقة من دورين سنجعل لك غرفة معنا بالطابق العلوي بينما أدهم وإياد ستكون غرفتهما بالطابق السفلي إن شاء الله ..
(وغامت عيناها وقالت لها بحشرجة بكاء وهي تحضنها) وأنا سأزورك خلال هذه الأيام الثلاثين يا حبيبتي كما أنك تستطيعين الاتصال بي في أي وقت"
قالتها وقبلتها ليقول علي وهو يناغش ابنة أخته ويهزها فوق ذراعه" اذهبي أنتِ يا مليكة فأنا ونجمتي والقرود أولادي سنلعب كثيرا في غيابك أليس كذلك يا نجمة؟"
هزت الأخيرة رأسها ثم عادت لمفرح تسأله "هل سأعد الثلاثين بداية من اليوم أم من الغد؟"
ابتسم مفرح ورد " من اليوم إن شاء الله"
وصمت يفكر في الحروب الكبيرة مع أكثر من جهة التي سيواجهها ليحقق لمليكة طلبها

ورغم شعوره بالإجهاد الشديد بعد الفترة الصعبة التي مرت به لنيل مليكة أخيرا لكنه كان عازما على تحقيق رغبتها فهمس" في سره الله المستعان "

كانت الأغنية لا تزال تملأ الفراغ في السيارة حول مفرح كما تملأ الذكريات رأسه وفكر فيما مر به هو ومليكة منذ أن أحبا بعضهما .. فانفطر قلبه كيف وصل به الحال بعد كل هذه الرحلة الصعبة وبعد كل هذه المعاناة وحرب طواحين الهواء لأن يضطر لتركها في مستشفى للحالات النفسية والعصبية في العاصمة ويعود بدونها .. فدمعت عيناه وهو يتطلع في الظلام الدامس أمامه على الطريق وشعور بالرجفة يسيطر على قلبه المتألم .

مكتوب علينا نشتاق للحب الهني
تا يخلص عمر الأشواق تا تفنى الدني
بدي حبك أكتر بعد

بدي أعطي عيونك وعد
راح نبقى دايما لبعض
لولا بكرة تركنا بعض
هاي أكبر غلطة

xxxx

بعد يومين

قالت بسمة في الهاتف بمراوغة "يا أم هاشم
قلت لك أخوها أكرم مريض وهي موجودة معه
"

سألتها الأخيرة "وهاتفها؟!"
ارتبكت بسمة وردت " علمت بأن به مشكلة؟"
كان كلامها غير مقنع لأم هاشم التي قالت "هل
تريدين أن تقنعيني بأنها لم تتحدث معك يا
بسمة كل هذا الوقت !!"
قالت بسمة بتلعثم وهي تنظر لكامل الصامت
بجوارها يصف السيارة بهما بالقرب من
المستشفى " اطمأننت عليها من مفرح

وسمعت بأنها ستسافر مع أخيها أو سافرت معه لعلاجه خارج البلد لست متأكدة "
كان ما تقوله غريبا وغير مقنع فسألتها أم هاشم "وتركت الولدين ؟!!"
ردت بسمة بثبات " هذا ما فهمته"
قالت أم هاشم باندهاش " لماذا أشعر بأنك لا تقولين الصدق وبأن هناك شيئا غامضا يخص مليكة قد حدث "
قالت بسمة مطمئنة "لا شيء يا عروس انتبهي أنت لحياتك .. كيف حال الزواج معك ؟"
ردت أم هاشم بعبوس في وقفتها في الصالة تضع قبضتها في ظهرها "في نعمة كبيرة والحمد لله.. إذا توصلت لشي يخص مليكة من مفرح اخبريني أرجوك فقلبي غير مرتاح "
قالت بسمة مطمئنة "حاضر .. عموما اطمئني عليها"

صمتت أم هاشم عابسة غير مقتنعة ثم قالت "وأنت كيف حالك ألن تزوري البلدة قريبا سمعت بأن هناك عمل ناحية بيت الجد صالح ؟"

احمرت وجنتا بسمة وردت وهي تختلس النظرات لكامل "أجل فكامل مصر على إعادة بناء البيت"

غمغمت أم هاشم "حفظه الله لك ..إن علمت شيئا عن مليكة أخبريني لا تنسي وإن كانت غيرت رقمها أعطني الجديد "

عادت بسمة لتؤكد على كذبتها " أعتقد بأنها سافرت مع أخوها كما قلت لك سأتأكد من الخبر وأبلغك (وأضافت بسرعة) سأعاود الاتصال بك فيما بعد لأني سأدخل مكان سلام "

نظرت أم هاشم في الهاتف بعبوس وظلت شاردة فيه لتسألها حماتها بتوجس "ما بك يا أم هاشم؟"

انتبهت الأخيرة وردت" لا شيء لا شيء "

وتحركت ترفع أطباق الإفطار بعد مغادرة جابر وزين ..فرن جرس الباب لتسرع لفتحه وهي تسأل "من ؟"

جاءها صوت نصرة تقول" أنا أم كريم يا أم هاشم افتحي "

اتسعت ابتسامة الأخيرة وهي تفتح لتجد نصرة ومعها اسراء التي قالت بابتسامة دافئة" السلام عليكم يا عروس "

أما بسمة فتطلعت بعد دقائق في كامل الذي يسير بجوارها في بهو المستشفى يحمل سلة صغيرة في يده بها بعض الورد التي ابتاعها من

محل صغير بجوار المستشفى واتجها في صمت نحو المصعد.

لا تزال علاقتهما متأثرة منذ ذلك اليوم الذي ظهر فيه أمر شيرويت رغم أنهما يتعاملان بشكل عادي طوال النهار لكنهما يتجنبان الحديث في ذلك الموضوع بالذات في انتظار ظهور النتيجة ..أما في الليل فلا تزال بسمة تطلب مزيدا من الوقت وحدها ولا يزال هو يعزف بغرور ذكوري عن محاولة الالحاح عليها للمبيت في الغرفة معها ..يشغله كثيرا أمر تلك النتيجة التي كلما اقترب موعد استلامها توتر أكثر .

خرجا من المصعد في الدور المقصود وتحركا نحو غرفة مليكة ليقول كامل وهو يعطيها سلة الورد "سأنتظر في الكافيتريا بالأسفل اتصلي بي حين تقررين المغادرة"

أخذت السلة فتحرك كامل يهم بالمغادرة
لتنادي عليه بسمة" كامل "
استدار إليها فقالت محذرة "تجلس في
الكافيتريا ظهرك لغالبية الجالسين "
رفع حاجبيه وسألها باستنكار" نعم !!"
رفعت ذقنها الذي يشتاق لتقبيل طابع الحسن
فيه وقالت ببرود وهي تتطلع إليه بعينيها
الزرقاوين الجميلتين " كما تفعل معي يا كامل
..هل تظنني لا انتبه لما تفعله حين نكون في
مطعم فتختار لي المقعد الذي يكون فيه
ظهري لغالبية الجالسين (وابتسمت ابتسامة
صفراء تضيف) وما دمت ستجلس وحدك
بدوني فلا أريد للأخريات التحديق بك "
تغيرت ملامحه الواجمة لملامح أكثر لينا
وتسلي فرفع حاجبا مستهجنا بينما أضافت
بسمة بلهجة متهكمة ذات مغزى "خاصة وأن

عينيك زائغتين وقدراتك مضروبة في عشرة أضعاف جعلت امرأة تحمل بقبلة"
لو كان في مزاج ونفسية غير التي كان عليها لانفجر ضاحكا وانتفخت أوداجه بغرور ذكوري لكنه في تلك اللحظة شعر بالوخز في قلبه فاكتفى بالابتسام ثم رفع يده وضربها بخفة على رأسها قائلا وهو يغادر" بت خفيفة الظل بشكل لزج"
تطلعت في ظهره المغادر ورغم مشاعرها المجروحة شعرت بالشفقة عليه .
بعد دقيقة كانت تسحب نفسا عميقا بعد أن طرقت باب غرفة مليكة التي وافقت أخيرا على زيارتها ودخلت لتجد الأخيرة تجلس فوق السرير .
استقبلتها مليكة بابتسامة دافئة رغم ضعفها فأسرعت بسمة نحوها تلقي بالسلة بإهمال

بجوار السرير وتميل عليها لتحضنها وهي تقول باكية "مليكة .. حبيبتي مليكة .. حبيبتي"
ابتسمت مليكة شاعرة بالسعادة لمشاعر صديقتها .. فتظاهرة الحب التي تستقبلها من كل المحيطين بها تؤثر فيها وتمنحها وقودا للمواصلة ..في الوقت الذي ابتعدت بسمة عنها تتطلع فيها عبر دموعها .
تأملتها مليكة ترتدي بنطالا من الجينز الأزرق فوقه فستانا أبيضا من الكتان فوق الركبة وسترة قصيرة من الجينز الأزرق بينما شعرها معقوصا خلف رأسها في كعكة أنيقة فقالت بخفوت "تبدين في حال جيد يا بنت الوديدي"
قبلتها بسمة على وجنتيها بحرارة وقالت بلهجة باكية أثرت في مليكة" بل أنا افتقدك بشدة يا بنت الصوالحة .. "

قالت الأخيرة بسخرية مُرة وابتسامة باهتة ترتسم على شفتيها "هل رأيت مغامرات صاحبتك المجنونة!"

أسرعت بسمة بالقول بحمائية" لا بأس الحمد لله أن توقف الأمر عند هذا الحد وأنت ستخرجين قريبا وستخضعين للعلاج ..(وأمسكت بيديها تقول بمحبة) علمت من مفرح بأنه يفكر في شراء فيلا صغيرة أو شقة بجوار فيلا الدكتور أكرم حتى تكون بيتكم في العاصمة أي أننا سنكون مع بعضنا في نفس المحافظة .. صحيح كنت أتمنى أن تكوني في نفس المدينة السكنية التي أسكن فيها لكني أعلم بصعوبة تنفيذ ذلك لضرورة أن تكوني أنت والولدين في المستقبل بجوار أخويك في الأيام التي سيكون فيها مفرح في القرية"

قالت مليكة بلهجة متأثرة "أشفق على مفرح إنه مجهد جدا وممزق بيني وبين أهله"

ردت بسمة "لكنه يحبك .. دوما ما كنت أتمنى أن يحبني رجل مثلما يحبك مفرح "

ابتسمت مليكة وسألتها بلهجة ذات مغزى" وهل وجدت هذا الرجل ؟"

أطرقت بسمة برأسها وأجابت" وجدته للأسف"

عقدت مليكة حاجبيها وسألتها "لماذا تقولين ذلك؟!"

ردت بسمة بلهجة بائسة " لأنني بعد أن وعدت نفسي ألا اتنازل.. تعلمت بسببه أن من يحب يتنازل عن بعض الأشياء من أجل الأخر "

سألتها مليكة بقلق "هل تشاجرتما؟"

قالت بسمة بلهجة غامضة لم تفهمها مليكة "سأحكي لك كل شيء في وقته لا أريد أن أضغط على أعصابك"

ازداد قلق مليكة وسألتها "هل الأمر بهذه الخطورة؟"

تنهدت بسمة وأجابت " لا أعرف ..كل ما أعرفه بأني لن استطيع أن أرحل هذه المرة حتى لو اضطررت لتقبل بعض التنازلات من أجله "

"شوقتني لمعرفة الحكاية"

قالت بسمة وقد عادت للابتسام " دعك من هذا الآن .. بالمناسبة ونس ترسل لك السلام .. وستزورك خصيصا مع شامل قريبا أما أم هاشم فتلح لتعرف أين اختفيت ولا أعرف بما أخبرها فأنا لا أرغب في أن احزنها وهي لا تزال عروس تعلمين كيف تكون عاطفية بشدة إذا حدث لأحدنا مكروها "

غمغمت مليكة مطرقة برأسها شاعرة بالخزي" زوجها كان واقفا تلك الليلة التي استيقظت فيها ووجدت نفسي عارية الرأس وسط الظلام .. يبدو أنه قد حفظ السر ولم يخبرها "

قالت بسمة تحاول أن تنفض عن مليكة الذكري المؤلمة " اسمعي عليك بمعرفة أنها لن

تتركني في حالي وستظل تستجوبني وتلح وسأخبرها في النهاية لكني أحاول تأجيل الأمر بقدر المستطاع "

ابتسمت مليكة ولم تعقب بل مدت يدها لهاتفها الذي أصدر اهتزازا لتلتقطه ثم تطلعت في الورود الجميلة تقول بابتسامة" جميل هذا الورد سلمت يداك "

ابتسمت بسمة بينما نظرت مليكة في هاتفها تقرأ رسالة من مفرح "هل وصل الورد ؟"

قبل أن تجيب سمعت طرقا على الباب ودخلت الممرضة تحمل باقة كبيرة من ورود حمراء ملفوفة بلفة أنيقة فأعطتها لمليكة بابتسامة ثم تحركت مغادرة ..فكتبت مليكة" هل تحسب وقت صعود الورد للغرفة؟!"

رد عليها بمفاخرة "بالطبع سيدتي (ثم ارسل رسالة أخرى تقول) واسمعي أيضا هذه الأغنية .. هل وصل والدك؟"

ردت مليكة بتوتر " لا .. بسمة عندي وأنا متوترة جدا لاستقبال أبي "
كتب مفرح " بشر يقول بأنه لم يقدر على المراوغة أكثر واضطر لإخباره والحمد لله أنه كان أكثر صلابة مما توقعنا لكنه أصر على أن يأخذوه إليك فورا"
كتبت مليكة بحزن " كنت أتمنى أن يراني في بيت أكرم بعدما أخرج من هنا"
قال مفرح مشجعا " لا تقلقي ولا تتوتري الكل يحبك ويدعمك .. سأذهب الآن لأن الطبيب يخرج من عند أبي وسأحدثك فيما بعد سلام "
تأملت مليكة باقة الورد فوق حجرها بابتسامة لتقول بسمة بلهجة ذات مغزى " يا عيني يا عيني هل هذه الباقة من مفرح؟"
هزت مليكة رأسها بالإيجاب لتقول الأخرى" سآخذ سلتي المتواضعة في يدي وأنا مغادرة

فهي لا تقارن بفخامة وجمال باقة
الباشمهندس مفرح"
غمغمت مليكة بعينين غائمتين "المجنون
يرسل واحدة كل يوم "
بعد قليل
طرق قوي على الباب تبعه دخول أخوتها
الثلاث واحدا تلو الأخر ليملؤوا غرفتها الصغيرة
فاستقامت بسمة واقفة ترحب بهم بابتسامة
مترقبة في الوقت الذي دخل فيه الحاج عبد
الغني صوالحة يستند على ذراع بشر وهو يقول
بلهفة" مليكة "
تحركت بسمة بسرعة تلتقط حقيبة يدها
وهمست "أنا سأغادر لأتركك سلام "
افسحت الطريق للحاج عبد الغني في الوقت
الذي نزلت مليكة من فوق السرير ووقفت
لاستقباله تقاوم رغبة ملحة في البكاء يسيطر
عليها شعور كبير بالخزي والخجل أمام والدها

فالتقطها الأخير بين ذراعيه ودمعت عيناه مغمغما" أنا السبب .. كل ما يحدث لك بسببي أنا .. لأني انجرفت في منافسة سخيفة مع عبد الرحيم الزيني .. ولأني أجبرتك على الزواج ممن لا تريدين .. أنا السبب والله يعاقبني بكل ما تمرين به من شقاء "

انفجرت مليكة بالبكاء في حضن والدها وأخذت تهمهم ببعض الكلمات الغير مفهومة تحاول أن تخفف عنه جلده لذاته الذي لا ينفك بالقيام به منذ وفاة نجمة بتلك الطريقة البشعة .

أما بسمة فتحركت مودعة لأولاد صوالحة المتابعين لما يحدث بتأثر .. فقال لها علي" هل أنت وحدك هل أطلب لك سيارة أجرة؟"

ردت بسمة بابتسامة" لا شكرا فزوجي ينتظرني في الطابق الأرضي السلام عليكم "

قالتها وتحركت تمسح دموعها متأثرة وهي تدعو أن تمر تلك الأيام الثقيلة على الجميع على خير.

xxxx

بعد الظهر

قالت ميس في الهاتف " لكني يا أبي أريد أن أخرج للنزهة معك أنت وأمي سويا "

ابتسامة متلاعبة تراقصت على شفتي كاميليا وهي تجلس أمام المرآة تمشط شعرها ثم قربت وجهها من المرآة لتدقق فيه جيدا بينما قال جابر ببعض الحزم في جلسته خلف مكتبه بالمعرض " يا ميسة لقد تحدثنا في هذا الامر أكثر من مرة وأخبرتك بأن هذا الأمر بات صعب التحقيق .. عموما سأمر عليك لآخذك في نزهة أنا وعمك زين الذي جلب لك أشياء رائعة من السفر وسنخرج لنتنزه في كل الأماكن التي

تحبينها وإن أردت أن نحضر جدتك وأم هاشم أيضا معنا لا مانع "
قالت ميس بعصبية "أنا لا أريد أم هاشم أكرهها"..
لاح الغضب على وجه كاميليا وتركت المرآة لتدير وجهها لابنتها وتجز على أسنانها مما سمعته بينما قال جابر ببعض الحزم وهو يتبادل النظرات مع هلال الجالس أمامه" حسنا يا ميسة لن يذهب معنا إلا من تريدين لكن كما قلت لك لن نستطيع أن نخرج أنا وأمك سويا "
زفرت الأخيرة بغيظ وقالت "حسنا شكرا يا أبي لا أريد شيئا "
وتحركت نحو أمها بعصبية تعطيها الهاتف رغم أنه هاتفها وليس هاتف أمها ثم غادرت الغرفة
فانتهزت كاميليا الفرصة وتنحنحت تقول بصوت متمسكن "ألهذه الدرجة لازلت غاضبا مني يا جابر حتى تتجاهل مكالماتي لك "

ازداد غضب جابر وعبوسه أكثر وقال لها بلهجة صلبة " أي شيء يخص ميسة أخبريها بأن تتصل بي من رقمها أو ترسل لي رسالة واتساب يا أم ميسة (وتذكر ما باتت ترسله له كاميليا من رسائل جاهزة متداولة على الانترنت تتحدث عن القسوة وغدر القلوب وهجر الأحبة وقال بلهجة قاطعة) أو اجعلي أحد أخوالها يتصل بي إن كان هناك شيئا عاجلا .. السلام عليكم "

قالها وأغلق الخط فعادت كاميليا للجز على أسنانها تشعر بالغيظ من أنه لا يستجيب لأي مما تمارسه عليه فألقت بالهاتف على طاولة الزينة وعادت تنظر لنفسها في المرآة في إعجاب وحسرة وهي تغمغم" هل جنوا حينما فكروا في أن أكون زوجة لبسطاويسي .. أنا وبسطاويسي ذو الكرش !!"

على تلك السيرة رفعت ظفر ابهامها لأسنانها تقضمه مفكرة .. لقد انتهت عدتها يوم أمس فماذا ستفعل؟!.

أما جابر فألقى الهاتف على المكتب أمامه بعصبية ليسأله هلال "هل حدث شيء ؟"

رد جابر باقتضاب" لا شيء سوى أن ميسة تضغط بشدة بشأن رغبتها في أن نعود أنا وأمها لبعضنا وقلبي يؤلمني عليها ..(ثم تطلع في هلال مدققا وقال مغيرا للحديث) دعنا من هذا الأمر وأخبرني عنك .. ما بك ولماذا هذا الوجه المتجهم الذي دخلت عليّ به منذ قليل؟"

عاد هلال لوجومه ونظر أمامه وهو يقول" نصرة عادت للضغط من جديد في موضوع تزويج إسراء .."

سأله جابر مستفهما" هل جاءها عريس مناسب ؟"

رد معترفا "بصراحة هناك شاب تقدم لها من عائلة الدكروري ..جامعي ولم يسبق له الزواج"
هلل جابر قائلا "رائع .. إن أولاد الدكروري ذوي سمعة طيبة "
قال هلال بامتعاض "لكن البنت غير موافقة وأنا أيضا"
عقد جابر حاجبيه وقال " عدم موافقتها هي مفهوم.. فطبيعي أن تعزف عن الفكرة لبعض الوقت بعد ما حدث لها .. أما أنت فما هو سبب رفضك هل هناك شيء يعيب الشاب؟"
هز هلال ساقه بعصبية وقال معاندا "أنا رافض للفكرة من أساسها"
سأله جابر باستنكار "أية فكرة؟"
نظر إليه هلال وأجاب بعصبية " فكرة زواجها .. غيرت رأيي ولن أزوجها"
قال جابر باستهجان " نعم!! .. وهل ستبقيها بجوارك!"

ضرب هلال على المكتب يقول معاندا " أجل سأبقيها بجواري معززة مكرمة تنعم في بيت والدها بدلا من أن ألقي بها عند أناس لا تعرفهم تظل تصارع عادات تقيّمها بما جلبت معها من أشياء وبما هي ماهرة فيه"

سحب جابر نفسا عميقا يشعر بالتعاطف مع صاحبه ثم قال" اسمع يا هلال ..أنا مقدر جدا لشعورك ..خاصة وأن الأمر لم يمر عليه وقت كبير .. لكن عليك بعدم الاستسلام لهذا التفكير .. وأن تحاول اقناع ابنتك أن تجتاز هذه المرحلة سريعا خاصة مع وجود فرصة جيدة لها"

تألم قلب هلال على ابنته التي أضحت مطلقة قبل أن تبدأ حياتها فقال بعصبية "تقول ذلك لأنها مطلقة لذا عليّ أن أجري لأستقبل ذلك الشاب وأفرش له الأرض بالورد لأنه تكرم

وتنازل وسيرتبط بابنتي المطلقة رغم أنه لم يسبق له الزواج !!"

غمغم جابر بأسف " لا حول ولا قوة إلا بالله!

.. أنت تتصرف بعاطفية وحماية زائدة يا هلال وهذا خطأ "

دخل أحد العمال يمسك بصينية عليها فنجانين من القهوة وضعها أمامهما فمرت أم هاشم في ذهن جابر سريعا وتلاعبت ابتسامة صبيانية معاندة على شفتيه وهو يفكر في أنه يشرب الفنجان الثاني له اليوم من القهوة من خلف ظهرها وتذكر جملتها التي قالتها بحركاتها خفيفة الظل التي تقطر عسلا (أنا مسؤول تموين القهوة والشاي على كوكب الأرض) .

أفاق من شروده اللحظي حينما سأله العامل إن كان يأمر بشيء أخر فشكره بينما مد هلال يده يلتقط هاتفه ويغمغم بضيق ردا على ما قاله جابر " خطأ أو صواب المهم أن تكون ابنتي

بجواري معززة مكرمة مرفوعة الرأس في بيت أبيها .. بلا زواج بلا ذل حماة بلا قرف "
ناظره جابر ثم قال له بغيظ" اشرب قهوتك يا هلال هداك الله "
ورفع فنجانه إلى فمه يهمس في سره" لو يهديك الله يا زين ستأخذ جوهرة لكن ماذا نفعل في العقل الغبي"

رن هاتف هلال فأسرع بالرد " نعم اسراء (ثم هتف بجزع) كريم ما به كريم !!"

xxxx

اليوم التالي بعد الفجر

دخل جابر لبيته عائدا من صلاة الفجر وقبل أن يصعد لغرفته دخل المطبخ وهو يضع السبحة في جيب جلبابه الأبيض يقول لنفسه" لأصنع لها شيئا ساخنا ليدفئ معدتها"

بعد دقائق كانت أم هاشم تنام على طرف السرير ترتدي اسدال الصلاة وتشعر ببعض المغص في بطنها منذ أن استيقظت مع جابر لصلاة الفجر .

فتح جابر الباب فاعتدلت لتجده يحمل كوبا ساخنا ويدخل قائلا" لم أجد سوى يانسون فصنعت لك كوبا ..كنت أتمنى أن أجد بعض النعناع الجاف كان أفضل لمعدتك"

غمغمت أم هاشم بابتسامة ممتنة "يوجد نعناع لكنك لن تعرف مكانه لا بأس سأشرب اليانسون (وغامت عيناها وهو يضعه فوق الكومود وأضافت) سلمت يدك"

سألها جابر وهو يخلع جلبابه ويبقى ببنطال صيفي رياضي وفانلة داخلية" هل صليت الفجر ؟"

ردت بخفوت "ليس بعد"

قال بشفقة " لا بأس صليه وأنت جالسة"

استقامت تقول " ليس لهذه الدرجة "
فردت السجادة ووقفت عليها تكبر وتبدأ في الصلاة التي فاتتها معه .. فهي رغم حرصه على صلاة الفجر في المسجد كانت تصليها في نفس التوقيت في البيت وهي لا تزال تتخيل بأنها تصلي خلفه .. ثم تروي عطشها للصلاة معه فعلا في صلوات أخرى خلال اليوم.
تحرك جابر والتقط وسادتين كبيرتين وضعهما أرضا ثم جلس أرضا فوق سجاد الغرفة بين سجادتها ومقعده الذي يواجه حامل المصحف.. فوضع إحدى الوسادتين خلف ظهره ثم سحب المصحف من فوق الحامل .
انتهت أم هاشم من الصلاة ونظرت إليه وهو يجلس على الأرض بأريحية ممددا ساقيه واحدة فوق الأخرى فابتسمت وهي تكشف غطاء رأسها للخلف ثم افترشت الأرض بجواره

تضع الوسادة الأخرى خلف ظهرها والتقطت الكوب الساخن من فوق الكومود.
صدق جابر وقال دون أن ينظر إليها" ربما بردت من مكيف الهواء في تلك المنامة التي ارتديتها أول أمس من قطعتين قطعة فوقية وشورت قصير بينهما مساحة كبيرة عارية "
تلاعبت ابتسامة شقية على شفتيها ورشفت بعضا من المشروب ثم أدارت وجهها إليه قائلة "كانت تعجبني المنامة يا جابر وكنت سأموت لأجربها هل تريدني أن أموت دون أن أرتديها !"
رد الأخير ضاحكا " بعيد الشر على المشمش.. وأنا أعجبتني بشدة ألم تري كيف احتفيت بها بطريقة مميزة "
نظرت أمامها تضغط شفتيها ببعضهما في حرج فازدادت غمازتها عمقا بينما قلبها يتقافز في صدرها بجنون كلما دعاها بمشمش تشعر وكأنها في حلم لا تريد أن تستفيق منه ليضيف

جابر بلهجة ذات مغزى" هذا الموديل يليق بك جدا يتماشى مع نحافتك وسمرتك"
وجمت ملامحها فجأة وادارت وجهها إليه تقول "لا إله إلا الله!.. كان كلامك حلوا منذ ثانية.. من أين جاءت سيرة النحافة والسمرة الآن!!"
قهقه جابر وضربها على رأسها قائلا بيأس "لا فائدة لا زلت تصدقين في تلك الخرافات "
وضعت أم هاشم يدها على بطنها فعبس جابر وقال مشفقا "اشربي اليانسون وهو ساخن "
هزت رأسها بطاعة فعاد للقراءة .. لتقول بعد رشفتين أخريين وهي تضع الكوب بجوارها على الكومود "هذا يكفي لا أريد المزيد"
وتحسست بطنها بتوجع فمد جابر يده يسحبها إليه لتستقر تحت ذراعه وعلى صدره ثم صدق بعد قليل ليسألها مازحا "هل شربت عصير ؟"

ضحكت ورفعت سبابتها نافية ..فابتسم جابر وعاد للقراءة .. لتنكمش أم هاشم وتلتصق به في سعادة جمة ممتنة لعاطفته ودفئه واحتوائه الأبوي لها ..

أحيانا يتسلل إليها أمل ماكر ليخيل لها بأنهما قد يبقيا معا للابد ..لكنها سرعان ما تطرده من رأسها حتى لا تتعلق أكثر فيكون الألم أكبر .. فيكفيها ذلك الشعور القاتل الذي يعتريها كلما فكرت كيف ستغادر هذا البيت يوما ؟.. وكيف ستنزع نفسها من حضنه ؟ ..

هل سيتحمل قلبها ذلك الألم؟ ..

وهل ستبقى حية بعد هذا اليوم؟ .

إنها كالكويكب الذي إن فقد مداره احترق ذاتيا .. رفعت رأسها عن صدره ثم مالت لتنام برأسها على فخذه وتتقوقع في اسدالها كالجنين بجواره يعتريها خوف لم يزرها من قبل .. خوف من الاستيقاظ يوما لتجد نفسها مضطرة

للانسحاب .. للمغادرة .. للابتعاد .. لفراقه ..
وتشعر بأن ذلك اليوم قد اقترب منذ تلك المكالمة التي خرج ليتحدث فيها في ساحة البيت .. لقد قامت خلفه لتغلق باب الشقة حتى لا يدخل الناموس فالتقطت أذنها صوته وهو ينطق باسم كاميليا ففهمت سبب خروجه ليتحدث بالخارج فهو لا يفعلها حتى في مكالمات العمل ..

يومها أغلقت الباب بهدوء على حلم يوشك على الانتهاء وعادت لمقعدها تجرجر قلبها خلف قدميها مع أذيال الخيبة .

مد جابر يده يمسح على شعرها المجعد الخشن بحركة رتيبة حانية وهو لا يزال يقرأ فغمغمت أم هاشم في سرها "القوة من عندك يا رب"

بعد قليل انتهى جابر من وِرْده فصدق وأغلق المصحف ليضعه على المقعد بجواره وعدل

الوسادة خلف أم هاشم التي كانت قد ذهبت في النوم ثم رفع رأسها برفق من فوق فخذه لتنام على الوسادة قبل أن يتمدد بجوارها على الأرض متوسدا الوسادة الأخرى بجوارها..

أخذ يتأملها لبرهة ورفع بأصابعه خصلة مجعدة من على جبينها وهو لا يزال متعجبا كيف تسربت هذه المخلوقة في هذا الوقت الوجيز إلى داخله حتى احتلت كل ذرة فيه؟!..

إن كل يوم يمر عليه معها يتأكد أكثر من ذلك الشعور الذي أحسه حين أتم زواجه منها ..

شعور بأنها شريكة بمرتبة توأم لروحه.

عاد يمسح على شعرها بحنان ودعا الله ألا تمرض أبدا فقلبه يتألم حينما هي تتألم .. يتألم بنفس الطريقة التي تفعلها فيه بعض العبارات والنظرات التي تصدر منها .

اقترب يطبع قبلة على مقدمة رأسها ثم
استسلم للنوم بجوارها في هذا الركن من الغرفة
الذي يشع منه دفؤهما ..
ولم يعرفا بأن لحظتها كان هناك كائن يتخلق في
رحمها ..
كائن حمل بعضا منه وبعضا منها ..
لن يُكتشف وجوده إلا بعد بعض الوقت .

xxxx

في صباح اليوم التالي

نزل جابر من الدور العلوي يقول لنجف
"صباح الخير يا أم جابر "
ردت أمه الصباح بابتسامة ثم سألته" هل
سيأتي زين اليوم من العاصمة ؟"
مط جابر شفتيه ورد" إنه على وشك الوصول
لقد هاتفني منذ قليل"
سألته والدته" وكيف حال ابن هلال؟"

أجاب جابر "بخير الحمد لله لقد اطمأننت عليه في المساء .. مجرد كسر في ذراعه بسبب لعب الكرة ووضعوا له جبيرة"

غمغمت نجف "حفظه الله من كل شر"

نظر جابر نحو المطبخ ليتأكد من أن أم هاشم ترتدي زيا مناسبا لاستقبال زين فوجدها ترتدي عباءة مطرزة وترفع شعرها في عقدة فوضوية مجعدة فوق رأسها فوقف على باب المطبخ يقول" صباح الخير "

ردت أم هاشم بابتسامة "صباح الرضا من الرحمن"

قال لها منبها "زين على وشك الحضور "

هزت رأسها وردت "لا بأس وشاحي خلف باب المطبخ"

سألها متفحصا "كيف حال المغص ؟"

استدارت إليه تقول بابتسامة متسعة"

استيقظت بخير والحمد لله(واخفضت صوتها

تضيف) لم يكن عليك النوم على الأرض بجواري "
بادلها الابتسام قائلا" فضلت عدم ايقاظك من النوم إن حملتك إلى السرير بعد أن نمت أخيرا .. لذا استلقيت أنا بجانبك "
تلاقت العيون اللامعة فأضاف جابر " أنا لم أنس أنك تريدين الاطلاع على البرنامج المحاسبي الذي لدي بالمعرض .. أنا فقط أنتظر يوما هادئا لآخذك لتري المعرض "
اتسعت ابتسامتها بسعادة وغمغمت " لا حرمني الله منك "
رد بلهجة مناغشة " ليأمر الحلو الأسمر "
كانت ضربات قلبها تصم أذنيها الفرحة.. فابتسمت وقالت "لحظات وسيكون الفطور جاهزا"
رن هاتف جابر فأخرجه من جيب جلبابه وتطلع في الاسم بامتعاض ثم رد "نعم "

قال زين " أنا وصلت للشارع هلا خرجتم جميعا أنت وأمي وأم هاشم؟ "
قال جابر متنهدا بيأس وهو يتوقع السبب" تمام"
بعد دقائق كان الثلاثة يقفون على البوابة يتطلعون في زين الذي يقف بوقفة استعراضية بجوار سيارته الجديدة والذي سألهم بفرحة عارمة" ما رأيكم؟"
ساد الصمت لبرهة ثم قطعته أم هاشم بعد أن مررت ناظريها بسرعة بين زوجها وأمه ثم قالت" ما شاء الله لا قوة إلا بالله رزقك الله خيرها وحفظك من شرها"
ربت زين على صدره بزهو فقال جابر بامتعاض" مبروك .. هذه السيارة غالية الثمن"
رد زين بفخر "بالطبع وهل كنت تتوقع أن أشتري واحدة بنفس قيمة العام الماضي (ونظر لأمه الصامتة وسألها) ما رأيك يا نجف ؟"

قالت الأخيرة متنهدة "مبروك يا بني .. بارك الله لك فيها"
قالتها وعادت للداخل فتطلعت أم هاشم في الوجوه ثم قالت "سأذهب لأكمل رص الفطور على السفرة مبروك مرة أخرى يا زين"
تركت جابر وزين وحدهما ودخلت .. فقال الأخير وهو يقترب من أخيه" ما بها أمي ؟"
رد جابر من بين أسنانه" تحتسب احباطها عند الله"
رفع زين حاجبين وسأل بعدم فهم " لماذا؟!!"
أجاب جابر بعبوس " هل أنت غبي! .. لأنها كانت متأملة في أن تخطب لك هذه الإجازة يا بارد بدلا من أن تشتري سيارة "
قال زين بحنق " وأنا قلت لا نية لي في الزواج (ومال برأسه يقول لأخيه مغيظا) سأجرب السيارة الجديدة يوم الجمعة في الذهاب للساحل مع أصدقائي .. هذه المرة سنذهب

لمكان جديد ما رأيك أن أحجز لكم معي شاليه بجوار شاليه أصدقائي ؟"

غمغم جابر " ليس الآن يا زين .. أنا بالفعل أريد أن آخذ أم هاشم لأكثر من مكان لكن ليس الآن .. المهم ادخل وطيب خاطر والدتك الذي كسرته "

أطرق زين برأسه لثوان ثم قال ببؤس "لا أفهم لماذا تلحون على زواجي هذه المرة بهذه القوة !"

قال جابر من بين أسنانه" حتى تستقر وتكون عائلة كباقي البشر "

رد عليه زين بلهجة ساخرة " أنا مستقر بالفعل ..هل تراني أمامك أتقافز على ساق واحدة !"

رفع جابر مقلتيه للسماء بيأس ثم عاد ينظر إليه قائلا" يا غبي تزوج فالزواج حلو "

اتسعت ابتسامة وقحة على شفتي زين وربت على صدر أخيه قائلا " أها !.. ومن غيرك قد

يفتينا في الزواج يا جبورتي .. فقد تزوجت البيضاء والسمراء وأصبحت خبيرا "
قالها وانفجر ضاحكا فقال جابر بلهجة صارمة "احترم نفسك وكف عن الوقاحة .. (وتحرك عائدا للمنزل وهو يقول مشيحا بيده) عموما افعل ما تشاء إنها حياتك"
لحق به زين قائلا وهو لا يزال يضحك "هل كسرت بخاطرك أنت أيضا بعدم زواجي يا جبورتي"
دخل جابر من باب البيت فقالت أم هاشم" هيا إلى الفطور يا جماعة"
اقترب زين من أمه يقول مناغشا "لماذا لم تفرحي لي يا نجف "
ردت الأخيرة بهدوء" أنا سعيدة من أجلك يا ولدي "
شد زين شعره ثم قال بغيظ " يا نجف ..ليس لي رغبة في الزواج ..لماذا تلحين هذه المرة

..(ثم ضيق عينيه) هل هناك فتاة معينة في رأسك ؟"

صمتت نجف قليلا ثم واجهته ترفع أنظارها إليه قائلة" أجل"

وضع زين يده على صدره يقول" استر يا رب .. من في رأسك يا نجف يجعلك تصرين هذه المرة.. هيا اخبريني "

قالت نجف موضحة " كل مرة تأتي فيها في إجازة أنتظر منك أن تريح قلبي وتتزوج لكنك لا تفعلها والعمر يهرب من بين أصابعك عام بعد عام يا بني "

رد زين بابتسامة واسعة متفكها "لا تقلقي أمسك به جيدا"

سألته بعدم فهم " تمسك بماذا ؟

رد عليها " بالعمر"

قهقه ضاحكا ثم قطع ضحكاته فجأة حينما لم يجد تجاوبا معه من الأخرين .. فكتف ذراعيه

وأطرق برأسه يقول بامتعاض "تفضلي يا أم جابر أكملي .. من هي المرشحة ربة الصون والعفاف ؟!"

قالت نجف" يا بني أنا أريدك أن تتزوج ليس بالضرورة من من أتمنى فأنا لا أتدخل أبدا في اختيارك أنت أو أخوك"

قال زين بعدم صبر " قولي يا نجف واتحفيني باختيارك "

ضيق جابر عينيه يتطلع في أمه بنظرات متسائلة لتضع نجف يدها فوق الأخرى على بطنها بطريقة أم هاشم وتقول "اسراء"

اتسعت ابتسامة جابر براحة بينما قالت أم هاشم بسرعة "اللهم صل على النبي !"

حرك زين أنظاره بين ثلاثتهما بسرعة ثم قال مستفهما "اسراء من يا حاجة؟.. هل هناك في عائلتنا من تدعى إسراء؟"

رد جابر بسعادة كبيرة " سلمت يا حاجة نجف وسلم اختيارك والله إنها امنية تمنيتها منذ فترة له لكن لكل شيء نصيب "

تدخلت أم هاشم من خلف زين في جلستها على طرف السفرة فاستدار لها نصف استدارة يرفع حاجبا وهي تقول "وهل هناك أفضل منها ولا أنسب منها"

أمسك زين ملابسه يقول بغيظ "إسراء من يا عالم أفهموني"

ردت أمه" إسراء بنت هلال"

عقد زين حاجبيه ينظر لأخيه وقال مستفهما" هلال جمعة جارنا !!"

هزت أمه رأسها فرفع حاجبا يقول باعتراض شديد "تلك الرفيعة كعود القصب الممصوص!"

وهم بالاسترسال لكنه بلع بعض الكلمات الجريئة التي كان ينوي أن يقولها لتصف

نحافتها بينما جاءه رد أم هاشم من خلفه" لا إله إلا الله! ..لماذا اللسان الطويل ؟.. ما لك أنت وأعواد القصب إنها خلقة ربنا..والله"
نظر إليها من فوق كتفه ورد ببرود "اسكتي أنت"
هتفت بمناكفة" لا والله لن اسكت فمن حق أعواد القصب أن تعيش "
ضحك جابر وأمه بينما مط زين شفتيه ثم عاد لأمه يقول باستنكار " إنها مطلقة !.. هل تريديني أن أتزوج من مطلقة يا حاجة لتفعلي الخير في جيرانك! .. هل قال لك أحد بأني مدير صندوق الإغاثة الإنسانية "
غمغم جابر قائلا بضيق "لا حول ولا قوة إلا بالله!"
بينما تدخلت أم هاشم تقول "أنت لا تعرف قصتها "

رد زين من فوق كتفه " بل أعرف ..لقد أخبرني جابر يومها بما حدث وحكي لي أحد أصدقائي التفاصيل .. (وأضاف بفخر صبياني) أنا أصدقائي في البلدة يقدمون لي تقاريرا مفصلة عما يدور بها أولا بأول"

قالت نجف موضحة " يا بني أنا لا أجبرك ..هذه فقط تمنيتها كنة لي لكن إن لم تعجبك فاختار من تناسبك وأرح قلبي "

أغمض زين عينيه يجز على أسنانه قائلا بصوت مسموع "سنبدأ في وصلة الابتزاز العاطفي الأمومي (ثم فتح عينيه يقول لأمه) بعيدا عن كونها مطلقة يا أمي وأني لا أجد سببا لأتزوجها هي بالذات دونا عن باقي الفتيات كيف بالله عليك وأنا في عمري هذا أتزوج فتاة في الإعدادية!"

تطلعت فيه أمه بذهول ثم نظرت لأم هاشم الجالسة على يسارها وإلى جابر الواقف على

يمينها باندهاش بينما سأله جابر بعبوس وعدم فهم "من التي في الإعدادية؟!"
أجاب زين بثقة" اسراء بنت هلال جمعة أتظنني لا أعرفها .."
قال جابر بغيظ من بين أسنانه "كانت في الإعدادية .. كانت .. حينما سافرت أول مرة .. هل توقف الزمن عندك "
هرش زين في رأسه معترفا بغبائه لتقول أم هاشم من خلفه "ثم هل هناك من سيُعقد قرانها وتطلق في نفس الساعة وهي في الإعدادية يا ذكي !"
رد عليها متهكما "وهل أنت لم تري من قبل في قريتنا من هي في الإعدادية وأصغر منها وتزوجت يا ذكية!.. تشعرينني بأنك من أمريكا "
ردت عليه بنفس التهكم "ليس زواجا على يد مأذون شرعي في هذا السن يا أبا الاذكياء "

جز زين على أسنانه وقال بغيظ "اسكتي يا أم هاشم"
ردت مقارعة بدون هوادة "أنا لا أخذ أوامر منك ثم أن زوجي يقف إن أمرني بالسكوت سأسكت "
ناظر زين أخيه بعينين تقذفان الشرر فابتسم جابر يقول ببرود وهو يلعب بمفاتيحه بين يديه" أنا مغتاظ منك هذه اللحظة ولا أطيقك فلا تطلب مني شيئا "
زفر زين وعاد يقول موجها الحديث لأمه "حسنا يا أمي لقد اخطأت التقدير .. في أي سنة دراسية أصبحت الآن ؟..في الثانوية ؟"
ضربت أمه كفيها ببعضها بينما رد جابر "يا بني لقد توقف الزمن عندك بالفعل .. إنها تخرجت من كلية التربية قسم اللغة الإنجليزية بعد أن كانت من أوائل الثانوية العامة على مستوى المحافظة كلها ولولا ظروف اسرتها لدخلت

كلية الطب .. إنها معلمة في مدرسة ميسة للغات "

تدخلت أمه تضيف "وعمرها ثلاثة وعشرون عاما"

ضرب زين يده فوق الأخرى على بطنه بطريقة أم هاشم وقال بامتعاض "تشرفنا أهلا وسهلا" غمغم جابر متهكما" وتدعي بأن أصحابك يقدمون لك تقاريرا عن كل ما يدور في البلدة! .. كيف تكون جارتك وابنة صديق أخيك ولا تعرفها !"

هرش زين في مؤخرة رأسه قائلا "أنا أعرف كل المعلومات التي قلتها لكني لم أربطها بالشخصية في رأسي .. كل جزء كان على حدة .. ربما لأني لم ألمحها منذ زمن .. (وأضاف بابتسامة عابثة) كما أن أصدقائي يخبرونني عن أخبار بعض الفتيات بالذات وليس كلهن"

قالت نجف لتنهي الموضوع" عموما لا تهتم يا زين افعل ما تريد يا بني أنا فقط كنت أريدك أن تفكر في الأمر لا أكثر"

قال بغيظ "كيف أفكر فيها وأنا لا أعرفها بعد أن كبرت وكنت أظنها في الإعدادية .. كما أنني لا أرغب في الزواج يا نجف "

قالت الأخيرة بإحباط" افعل كما تريد يا بني هيا لنفطر سويا حتى لا يتأخر جابر عن عمله"

أطرق زين برأسه أرضا ووقف صامتا لبرهة يديه في جيبي بنطاله يفكر .. فناظره جابر بغير رضا .

تركت أم هاشم مكانها وقالت لحماتها بجزع من خلف زين وهي تقترب منها غامزة " ما بك يا خالتي كفاك الله الشر!"

اسرعت بالإمساك بحماتها فناظرتها نجف ببعض الارتباك وعدم الفهم لثوان قبل أن تلتقط الإشارة وتمسك برأسها وتقول" أشعر بالدوار لا أدري ماذا حدث لي "

زينت ابتسامة مخفية شفتي جابر وهو يقول من مكانه منضما للتمثيلية" ما بك يا حاجة؟" ساعدتها أم هاشم لتجلس على كرسي السفرة وهي تقول "هل أصنع لك ماء بسكر؟"
رفع زين رأسه وقال من خلف كتفه" كفا عن التمثيل لست طفلا لتفعلا هذا أمامي"
هتفت أم هاشم فيه بغيظ "ما دمت لست طفلا قم بإسعاد والدتك"
استدار إليها قائلا" ارحمينا أنت من نصائحك (ثم نظر لأمه يقول هاربا) حسنا يا حاجة أنت قلت فكر وأعدك أن أفكر"
قالت أمه " لكنك لا تعرف شكلها حتى كيف ستفكر ؟"
أغمض زين عينيه وقال "وما المطلوب مني؟.. "

رد جابر بهدوء وابتسامة منتصرة على شفتيه" أن نذهب لزيارة تعارف لا أكثر "

فتح زين عينيه وقال بانزعاج "زيارة تعارف !!
قلت سأفكر فقط ..لماذا نحرج الناس في حالة
إن لم تعجبني!.. وأنا متأكد أنها لن تعجبني
..لكني أريد فقط أن اريح أمي"
قال جابر ببرود متعمدا استفزازه " لا تقلق
سنذهب بحجة معينة لزيارتهم فكريم ابن
هلال (وسأله متهكما) هل تعرفه أم لا تزال
تعتقده كما هو قبل تسعة سنوات عندما
سافرت أول مرة ؟"
أجاب زين بامتعاض "أعرف كريم جيدا .. قل
خلصني فغربان بطني جائعة"
أكمل جابر فكرته" كريم قد وقع يوم أمس وجبر
ذراعه سنذهب يوم الجمعة في زيارة عادية بين
الجيران لنطمئن عليه وهناك تراها"
هتف زين " الجمعة !!.. الجمعة قلت لك
سأسافر مع اصحابي "

رد جابر بلهجة صارمة وقد فقد صبره "الجمعة مناسب للجميع وأجِّل اصحابك أو الحق بهم بعد ذلك "

تنهد زين وأطرق برأسه يفكر فقال جابر وهو يمر من جواره ويربت على كتفه "يوم الخميس احضر لنا دستة من الجاتوه وبعض الفاكهة للزيارة"

هتف زين قائلا "ناعاااام .. لاااا .. أنا لن أدفع مليما في هذه الزيارة .. يكفي بأني تنازلت وقبلت أن أؤجل مشواري يوم الجمعة لآتي معكم ارضاء لأمي(ووضع يده على صدره يقول لأخيه بلغة التجار) أكثر من ذلك ستكون خسارة كبيرة عليّ يا معلم جابر"

رفع جابر قبضته في الهواء يجز على أسنانه متمنيا أن يلكمه في ابتسامته السمجة المستفزة التي يراها أمامه لكنه قال من بين أسنانه "هات الأشياء وسأحاسبك أنا عليها"

هز زين رأسه وقال ببرود متعمد لربما أفسد الزيارة " اتفقنا إذن على بركة الله .. أعتقد أنكم لن تجدوا من هو أكثر تعاونا ومرونة مثلي .. لا حرمكم الله مني (وأضاف وهو يستدير ليقترب من السفرة) هيا للإفطار فغربان بطني تنعق "
ناظر جابر أمه بغيظ فمطت نجف شفتيها ولسان حالها يقول (أنا غير متفائلة)

xxxx

العاشرة صباحا

نزلت بسمة للطابق الارضي تقول في الهاتف بابتسامة سعيدة " انا سعيدة لأنك قد غادرت المستشفى يا مليكة هل مفرح معك؟"
قالت الأخيرة وهي تتطلع في مفرح الذي يقف يتحدث في بهو فيلا أكرم مع اخوها بشر "أجل .. حين علم من الطبيبة ليلة أمس اني أستطيع المغادرة جاء مبكرا ليأخذني إلى فيلا أخي "

مرت بسمة على غرفة تستخدمها سوسو للتمارين الرياضية وفتحتها تقول" صباح الخير يا سوسو "

فردت الأخرى عليها من فوق جهاز المشي ..لتعيد بسمة اغلاق الباب وهي تسأل مليكة " هل ستبقين في فيلا الدكتور أكرم ؟"

ردت مليكة متنهدة " أجل حتى تستقر حالتي وينتهي مفرح من شراء مكان يخصنا أنا وهو والأولاد"

تحركت بسمة ناحية المطعم وهي تسألها "عندي تساؤل هل لاحظ الاولاد عليك أي شيء أثناء تواجدهما معك في السرايا فما فهمته أن غرفتهما في الناحية الأخرى بجوار غرفتك الجديدة التي اتخذتِها في جناح الضيوف بينما غالبية ساكني الفيلا في الجانب الاخر"

ردت مليكة بحزن فلا تزال تشعر بالخزي مما تعاني منه "أدهم وإياد كان يعلمان بأني اترك

الغرفة لأنام في غرفتي القديمة لكن أدهم لمحني مرة أخرج من الفيلا وظن بأني اذهب لإطعام الفرسة .. لذا اعتقد بأنه لو كان قد رآني مرة أخرى كان سيظن أنني أخرج لنفس السبب ..(وصمتت قليلا ثم قالت بخفوت حزين) لقد اشتقت للأولاد بشدة وتلك المقاطع التي يطلب مفرح منهما ليرسلوها له بحجة انه لايزال يقضي وقته كله بالمستشفى بجوار والده ومباشرة بعض الأمور الأخرى ..تلك المقاطع لا تروي شوقي إليهما وفي الوقت نفسه لست مؤهلة بعد لرعايتهما ولا للرد على أسئلتهما فلا يكفان عن سؤاله كلما اتصل بهما سألا عني ولماذا لا اتصل بهما وهو يراوغ ويراوغ ولم يعد لديه حجج مقنعة"

قالت بسمة بلهجة صريحة " اعتقد أن عليكما اخبارهما بحقيقة مرضك فهما ليسا صغارا .. واعتقد أنهما قادران على الاستيعاب والتفهم "

زفرت مليكة وقالت " لا أعرف سأسأل الطبيبة إن كان هناك طريقة لإخبارهما بدون أن يصدما فيّ أو يخافا مني يتملكني الرعب من ذلك"
أشارت بسمة عند دخولها للمطعم لشامل وونس محيية بينما اقتربت ابتسام زوجة أكرم ومعها إحدى الخادمات تقول "هيا يا مليكة غرفتك جاهزة بالأعلى"
قالت الاخيرة لبسمة مودعة "سأعاود الاتصال بك يا بسمة سلام"
اقتربت الاخيرة من شامل وونس وهي تتطلع حولها قائلة "صباح الخير ألم ينزل كامل بعد؟ "

رد شامل بعبوس "لا لم ينزل ..ويا ليته لا ينزل اليوم حتى يرحمنا من عصبيته هذه الأيام .. ليلة أمس وتر الطباخين كلهم فاخطأ بعضهم في إعداد الطلبات بسبب عصبيته معهم ومع الندل متصيدا للأخطاء "

صمتت بسمة ولم تعقب فهو كلما اقترب موعد النتيجة ازداد توتره .
اقترب ديمتري يقول بعربية ركيكة ولهجة مهذبة "صباح الخير سيدة باسمة "

قبل أن ترد الصباح قال شامل "بسمة ..انطقها بسمة بالله عليك ..وليس باسمة كما ينطقها كامل .. لا نريد أية إصابات بين العاملين لدينا فلدينا شخص مجنون هذه الأيام"
عقد ديمتري حاجبيه وقال" أنا اقولها مثلكم باسمة"
ابتسمت بسمة بينما قال شامل مصححا "بسـ مة وليس باا سمة"
حاول ديمتري نطق الاسم في الوقت الذي وقفت ونس خلف شامل تحاول تحريك لسانها وشفتيها لتجربة الاسم دون صوت .

بعد دقيقة قال شامل بعصبية حين استمر ديمتري على نطقه للاسم بطريقة كامل "ادعوها (بالسيدة) وخلصني"
ابتسم ديمتري وسأل" هل أعد لك قهوتك السيدة كامل"
ابتسمت بسمة وردت" بل سأعدها لنفسي يا ديمتري شكرا"
حياها الأخير وابتعد ليباشر عمل عمال النظافة
بينما تطلعت بسمة في ونس وقالت "مليكة خرجت من المستشفى حمدا لله"

لاحت السعادة على وجه ونس واخرجت دفترها لتكتب "هذا خبر سعيد .. لقد أخبرتني حينما أرسلت لي ليلة أمس على الواتساب من رقمها الجديد أنها ستخرج قريبا"
قالت بسمة وهي تتحرك نحو ركن القهوة" الحمد لله"

فكتبت ونس لشامل في الدفتر" متى سنزورها؟"

فكرت بسمة في أن تصنع القهوة لها ولكامل وتصعد لترى لماذا تأخر في النزول فلا يزالا منفصلين في غرف النوم ..في الوقت الذي دخل أحدهم من باب المطعم فتطلع فيه شامل عاقدا حاجبيه بينما لمحته بسمة بطارف عينها ثم استدارت كليا تتطلع فيه بعينين متسعتين وقالت شاهقة" يا الهي !.. ماذا يفعل هذا هنا !!.. وفي هذا التوقيت بالذات !!"

الفصل الثاني والثلاثين

فكرت بسمة في أن تصنع القهوة لها ولكامل وتصعد لترى لماذا تأخر في النزول فلا يزالا منفصلين في غرف النوم ..في الوقت الذي دخل أحدهم من باب المطعم فتطلع فيه شامل عاقدا حاجبيه بينما لمحته بسمة بطارف عينيها ثم استدارت كليا تتطلع فيه بعينين متسعتين وقالت شاهقة" يا الهي !.. ماذا يفعل هذا هنا !!.. وفي هذا التوقيت بالذات !!"

قبل أن يقوم شامل بتنبيه ديمتري لدخول الزبون في وقت أبكر بكثير من فتح المطعم لاحظ عيني الرجل اللتين استقرتا على بسمة باهتمام وابتسامة متسعة جعلت شامل يرفع حاجبا متحفزا وينظر خلفه لبسمة التي خرجت من ركن القهوة واتجهت نحو شامل الذي كان يقترب منها هو الأخر.

اسرعت بسمة بالقول هامسة بانزعاج " يا إلهي إنه ذلك المنتج الذي عرض عليّ العمل في السينما في المنتجع "

اتسعت عينا شامل ونظر للرجل الذي لوح لبسمة وشامل بيده وكأنه صديقهما فانقلب وجه الأخير في الوقت الذي قالت بسمة وهي تنظر نحو باب المطعم الموصل للفيلا بقلق" لو رآه كامل سيفرغ فيه كل طاقته السلبية "

قال شامل وهو يهم بالتوجه إليه "اذهبا وراقبا الطريق وحاولا تعطيل كامل "

لم تفهم ونس تفاصيل الموضوع لكنها فهمت ما يكفي ليجعلها تسرع نحو باب المطعم بينما وقفت بسمة متجمدة عن بعد تشعر بالتوتر..

في الوقت الذي اقترب شامل من الرجل الذي مد يده يقول ببشاشة" مدحت الساكت هل تذكرني كامل بك؟"

سلم عليه شامل ببرود .. فتحركت عينا مدحت نحو بسمة الواقفة عن بعد قائلا وهو يهز رأسه بتحية "صباح الخير يا هانم "
قال شامل بلهجة حازمة " تحدث معي أنا هنا"
قال مدحت لشامل بابتسامة استفزت الأخير"أنا فضلت أن آتي لك بعد مدة حتى تكون اهدأ من المرة الماضية"
سأله شامل باستهجان" من أين علمت بالعنوان؟"
رد مدحت بلهجة متباهية" لي علاقات قوية بالفندق واستطعت أن أحصل على العنوان .. لنتحدث كامل بك "
عند باب المطعم لمحت ونس كامل ينزل من الطابق العلوي فشهقت وارتبكت ثم نظرت لظهر بسمة الواقفة في منتصف صالة المطعم متكتفة ولشامل الذي يبدو متجهما أمام الرجل قبل أن تسرع بالدخول إلى الفيلا.

حرك كامل عضلاته المتألمة من النوم على الأريكة واستمر في نزوله البطيء يديه في جيبي بنطاله فتفاجأ بونس تستقبله عند نهاية السلم ..

عقد حاجبيه باندهاش قبل أن تتسع عيناه حينما وجدها تفرد ذراعيها في الهواء بمحاذاة جسمها فوقف عند الدرجة الأخيرة يطالعها بعدم فهم ثم سألها باستهجان" ماذا تفعلين بالضبط ؟"

حركت ونس مقلتيها يمينا ويسارا ولم تجد ما تقوله فأبعد كامل ذراعها المفرود أمامه قائلا" العبي بعيدا هيا ابتعدي"

خطا خطوتين في بهو الفيلا فشهقت ونس وأسرعت باللحاق به والوقوف أمامه مجددا تفرد ذراعيها لتمنعه فقال كامل بغيظ "ما بك اليوم؟!.. أنا لست متفرغا للعبة الغميضة "

أشارت له على الحديقة فسألها بمزاج عكر" ماذا تريدين يا ونس اتركيني في حالي هذه الساعة "

أصرت على أن تشير نحو الحديقة فقال بعصبية" اكتبي ما تريدين وخلصيني "

لم تستجب لأنها لم تجد ما تكتبه فأمسكت بساعده بكلتا يديها وشدته بصعوبة وكأنها تجر شاحنة ليتحرك كامل معها بخطوات ثقيلة يجز على أسنانه ويستغفر.

في الحديقة بعد دقيقة وقف كامل وألقى تحية الصباح على والديه اللذيّن يحتسيان قهوة الصباح في ركن بعيد ..فردت سوسو بينما لم يرد غنيم .. ليعود كامل لونس التي تحاول أن تعصف ذهنها لإخباره بحجة مقنعة وقال بقلة صبر " خلصيني ماذا تريدين فلست في مزاج يسمح باللعب "

انقلبت مقلتاها ولم يعجبها معاملته لها كالأطفال لكنها أسرعت بالإشارة على شهبندر الذي ترك جوار غنيم وسوسو وأسرع نحوهما ثم أخرجت الدفتر لتكتب" أظن أن شهبندر مريض "

عبس كامل وبدا على وجهه الاهتمام فانحنى ليستقبل كلبه متفحصا وهو يسأل" ما به؟"

كتبت ونس بما جاء على ذهنها من توعك لا تزال تقابله كل صباح "شعرت بأنه يريد أن يتقيأ"

في المطعم قاطع شامل مدحت قائلا وهو يتحكم في أعصابه " يا مدحت بك أنا أعطيتك الفرصة التي طلبتها لتشرح ما تريد لكن هذا لم يغير أي شيء فالمبدأ نفسه مرفوض "

قال مدحت مستمرا في المحاولة في إقناعه " صدقني أنا لم أعرض هذا على أحد مرتين لكن (ونظر لبسمة) وجهها معبر جدا "

أدار شامل وجه مدحت إليه بحركة خشنة
وقال بلهجة صارمة "أنظر وتحدث معي أنا ..
(وأضاف بانفعال) ودعنا ننهي اللقاء بشكل
متحضر "
قال مدحت بتوتر" لماذا عدت للعصبية؟..
لقد سعدت جدا لأنك استقبلتني بشكل أهدأ
من المرة الماضية كامل بك"
قال شامل بلهجة حازمة " وأنا تشرفت بك
مدحت بك .. وأعتذر فطلبك ليس عندنا
وأرجو ألا تكررها وإلا سأعتبره عدم احترام
لرغبتنا ووقتها رد الفعل لن يعجبك"
شعر مدحت بالضيق وقال بحرج " خسارة
فقد كانت بالفعل فرصة ذهبية لن تتكرر
(وأخرج من جيبه بطاقة العمل يقول) هذه هي
بطاقة العمل في حالة أن غيرتما رأيكما..."
ناظره شامل بنظرة نارية ثم مد يده يأخذ
البطاقة قائلا "أنرتنا مدحت بك"

مط مدحت شفتيه وتحرك مغادرا بعد أن هز كتفيه بلا مبالاة فاصطحبه شامل للخارج حتى يتأكد من مغادرته تماما للمنطقة.

أما توأمه على الناحية الأخرى كان يستقيم واقفا ويقول لونس بامتعاض" الكلب ليس به أي شيء أ تهلوسين؟!"

ادعت ونس التفاجؤ والاندهاش .. فتحرك كامل يوليها ظهره عائدا للفيلا لتسرع هي وتقف معترضة طريقه من جديد.

شرست ملامح كامل قائلا" صدقيني ابتعدي عني فأنا خطر هذه الأيام وإن لم أقدر على ضربك سأفعلها مع زوجك وستندمين"

أخرجت الدفتر تكتب" أريد أن آخذ رأيك في أمر ما؟"

رد وهو يتجاوزها ليدخل الفيلا "آسف لست متفرغا أو مهتما "

أسرعت بكتابة شيء واللحاق به فهدر كامل فيها" كفي عن العدو بهذا الشكل قد تقعي أو ترتطمي بشيء "

رفعت ونس الدفتر في وجهه ليقرأ "نحن أسرة واحدة وعليك أن تتعاون حينما أطلب منك شيئا "

رفع كامل حاجبا فأسرعت بالكتابة بعصبية ورفعت الدفتر تلصقه في وجهه فأبعد رأسه للخلف قليلا ليقرأ" إنه لأمر مخزٍ أن تتصرف بهذه الصبيانية معي "

هتف كامل باستنكار وغير تصديق "أنا مخزي!!"

تكتفت أمامه ووقفت وقفة جانبية تناظره بحاجب مرفوع فمال كامل نحوها بجذعه ويديه لاتزال في جيبي بنطاله يقول "تمام .. أعدك بأن أتجاوب معك فيما تريدين ولكن بشرط .. إن نطقت باسمي "

قالها وزينت شفتيه ابتسامة صبيانية متشفية بينما فكت ونس تشابك ذراعيها وناظرته بوجه مقلوب ليضيف كامل بلهجة صبيانية مغيظة

" أنا لا انتبه إلا حين أسمع اسمي فإن أردتني نادني لأرد عليك "

تركها كصنم يتميز غيظا وتحرك نحو باب المطعم لتفيق الأخرى بسرعة وتجري لتلحق به لكنه كان قد تجاوز الباب ودخل يحدق في شامل الذي يتحدث مع بسمة بأمر يبدو جديا .. فعقد حاجبيه بينما دخلت ونس خلفه ليقول شامل لبسمة "كامل يقترب انسي الأمر"

استدارت بسمة لكامل بطريقة أشعرته بأن هناك شيئا ما جديا فاقترب يسأل" ما الخطب؟"

هزت كتفيها وقالت وهي تهرب نحو ركن القهوة "لا شيء كنت اسأله عن شيء يخص المطعم "

راقبها تبتعد ثم عاد ينظر لأخيه الذي بادره قائلا بلهجة متهكمة " أهلا بمن سيفلسنا قريبا وسيمنع العمال والطباخين من العمل لدينا"
طالعه كامل من رأسه حتى أخمص قدميه بامتعاض وتوجه ناحية ركن القهوة .. فأشارت ونس لشامل بأصابعها بأن كل شيء على ما يرام ليقربها شامل إليه وهو يقول" ماذا فعلت يا شقية ؟"
أما عند ركن القهوة فاقترب كامل ليقف خلف بسمة ومد يده نحو أحد الرفوف فوقها يسحب كوبا بينما جسده يلامس جسدها ..فارتجفت بسمة وكل ذرة فيها تشتاق إليه لكنها استدارت ترفع ذقنها الجميل وتقول ببرود مزيف "ماذا تفعل؟"
انزل نظراته إليها يشير للكوب في يده قائلا "احضر لنفسي كوبا "

وقفا يتطلعان في بعضهما من تلك المسافة القصيرة جدا.. فسألها بلهجة متهكمة" هل أنت مرتاحة في السرير وحدك؟"
هزت رأسها بادعاء كاذب ليضيف كامل "وهل نفسية الباشمهندسة أفضل بدون كامل ؟"
ردت بنفس الادعاء" جدا"
كانت دواخلها أمامه مكشوفة فمهما ستفعل سيظل يراها شفافة دون حواجز كالسابق ودون أقنعة أو دروع ..
لقد احتلها .. تمكن من كل شبر فيها في قبضة يده.. فأصبحت أمامه شفافة .
لم يعلق كامل بل تحرك نحو ماكينة القهوة فأخذ الدفء معه ليرتجف جسدها وتسرع للحاق به ثم نحته جانبا وهي تقول" أنا من سيصنع القهوة "
ابتعد للخلف خطوتين ووقف مستندا بجذعه على الطاولة الرخامية خلفه متكتفا يراقبها قبل

أن يمد يده ليزيح شعرها من فوق كتفها ليضعه كله على الكتف الأخر فارتعش جسدها من جديد واستدارت إليه تقول بذلك البرود المزيف" ماذا تفعل؟"

رد بنفس برودها" ابعد شعرك لأنه يمنعني من رؤية ما تفعلين "

احمرت وجنتاها أمامه وهي تتصنع الجدية ليقول كامل بلهجة غاضبة " ألم أطلب منك ألا تفردي شعرك إلا في حدود الفيلا فقط"

استدارت تصب القهوة في كوبين ثم ناولته خاصته وهي تقول "أنا في المطعم وهو لا يزال مغلقا في هذا الوقت من الصباح "

رد بإصرار " حتى في المطعم وهو لم يبدأ ساعات عمله بعد لا تفرديه .. أين ذلك الوشاح الذي كنتي تضعينه في البلدة؟.. صحيح كان ينزلق كل دقيقة فيترك أثرا في النفس أكثر من شعرك المكشوف الآن لكن كان أفضل "

مطت شفتيها وتطلعت فيه.. ثم تحركت لتقف إلى جواره تستند بجذعها على الطاولة الرخامية وردت وهي تشيح بوجهها نحو صالة المطعم وترفع الكوب إلى شفتيها "إذن كنت تركز مع وشاحي الذي ينزلق كل دقيقة!"

غازلت ابتسامة ثغره ورد" أجل ..وتمنيت أن اثبِّت الوشاح فوق رأسك بمسمار"

حركت مقلتيها البراقتين باللون الأزرق إليه فأصابت قلبه برجفة ثم عادت تنظر أمامها وتقول بعد رشفة قهوة "هل تذكر يوم أن دخل المسمار في قدمي ؟"

رد بلهجة مستخفة " طبعا أذكر خاصة حينما قلت (ورقق صوته يقلدها) كامل دم يا كامل"

استدارت إليه تهتف باستنكار "أنا قلت كامل؟؟!!"

عبس ورد بعناد صبياني "أجل قلتها"

ردت بذقن مرفوع " كاذب أنا قلت دم ..دم "

استمر على قوله " قلت دم يا كامل وليس
شامل أو ذلك الزفت البيطري "
قالت معاندة "لم يحدث"
رد بصبيانية " حدث وربي حدث هل تريدين
أن نسأل شامل ليؤكد لك ؟"
احمرت وجنتاها وغمغمت وهي تشيح بوجهها
بعيدا عنه" لم يحدث (ثم عادت تنظر إليه
قائلة) وهل تذكر أنت حينما كنت تهلوس
باسمي عندما اصبت بالحمى وظللت مصرا على
حضني حتى تدفئني من البرد؟"
كانت تتحدث وقلبها يغرد بالنبضات كعصفور
بينما ضيق كامل عينيه وسألها "هل فعلت
ذلك فعلا ؟"
ردت مؤكدة " اسأل سوسو .. بل أصريت على
أن استلقي بجوارك فأحرجتني أمام والدتك"
رفع الكوب إلى شفتيه واشاح بوجهه ناحية
ماكينة القهوة قائلا بعد أن رشف رشفة "هذا

لأني حساس.. رقيق القلب ..مفعم بالعطاء ..
ولست مثل أُناس .. قساة ..متحجري القلب
..بخلاء في مشاعرهم "
ردت متهكمة " أجل بالذات (مفعم بالعطاء)"
عبارتها سكبت الملح فوق جرح ضميره
فوجمت ملامحه وسحق الكوب الورقي الفارغ
في قبضته ثم ألقاه في سلة المهملات بعنف
وتحرك ليخرج من خلف الطاولة قائلا بصوت
خشن "هيا يا شامل لنراجع الجَرد الذي كنا
ننوي أن نقوم به "
شعرت بسمة بالارتباك ولامت نفسها على ما
قالت .. فاحمرت وجنتاها وتحركت تغادر
المطعم وهي تشعر بالحيرة والتمزق بينما عينا
كامل تراقبانها ولسانه يلهج بالدعاء متوسلا "
لطفك بي يا رب "

××××

بعد ساعتين

اجهشت مليكة بالبكاء الصامت وهي تسمع أصوات أدهم وإياد عبر مكبر الصوت خاصة حينما قال إياد" أبي أنا اشتقت لبيتنا ولك ولأمي كثيرا متى سيتحسن جدي عبد الرحيم وخالي أكرم "

راقب مفرح مليكة التي تحركت تجلس على السرير تكتم صوت بكائها ثم قال له بلهجة خرجت مرهقة وهو يداري حيرته عن ابنه "قريبا جدا ستتحسن الأمور يا إياد أنا أعلم بأنكما تتحملان كرجلين قويين "

سأله أدهم بحشرجة حتى لا يظهر تأثره العاطفي "كيف لا تستطيع أمي التحدث معنا كل هذا الوقت؟!!"

دفنت مليكة وجهها في كفيها تشعر بألم شديد في قلبها فأحس مفرح بأن الغرض الذي اتصل بسببه من الأساس لم يفلح وهو أن يدعم

نفسية مليكة فقال لأبنه بشفقة أب في وضع صعب "مليكة مع خالك أكرم لأنه سيخضع لعملية جراحية وقد سافرت معه خارج البلاد .. وغالبا هي مشغولة بشدة معه علينا أن ندعو له بالشفاء (ثم أسرع بإنهاء المكالمة قائلا) سأمر عليكما اليوم عند عمتكما لأجلس معكما قليلا هيا سلام "

أغلق الخط يشعر بالثقل في قلبه مشفقا على ولديه اللذين أصبحا بسبب ما يحدث في أخر القائمة ..ويشعر بالشفقة على مليكة أيضا .. فاقترب منها وهي لا تزال تسكب الدموع في كفيها وضمها إليه قائلا" أعرف بأن الأمر صعب لكني على ثقة بأننا سنجتازه بإذن الله ..فقط كوني بجانبي يا مليكة من أجلي ومن أجل الولدين ولا تستسلمي"

مسحت دموعها تقول بيأس " وبم سأفيد أنا في حياتكم ؟.. لقد سقطتُ منكم في الطريق بدلا

من أن أحمل الولدين فوق أكتافي وأسير معك ..
لقد تيتما مرة أخرى بسببي "
زفر مفرح وأحاطها بذارعيه يضمها إلى صدره
وهو يقول" يا مليكة هذا التفكير غير صحيح ..
علينا فقط إيجاد حجة مقنعة لهما حتى
تستطيعي التحدث معهما في الهاتف (ثم ابعدها
يقول) أعتقد أن علينا استشارة الطبيبة في
كيفية توضيح الأمر لهما "
هزت مليكة رأسها بالإيجاب فتطلع فيها مفرح
وفي وجهها المغرق بالدموع ..
لم يرها منذ زمن طويل تبكي بهذا الضعف .. بل
إنها ربما منذ وفاة ابنتها لم تبك .. لكنه شعر
رغم ضعفها اللحظي أنها بحاجة للتفريغ فقط
.. بحاجة لأن تعبر عن مشاعرها .
وكأن مليكة قد قرأت أفكاره فهمست" أنا
أصبحت مثيرة للشفقة يا مفرح "

قال بيقين مدافعا " لا مليكتي فالبكاء ليس عيبا أبدا ولا ينم عن شخصية ضعيفة .. فأنتِ دوما قوية وشامخة لكن لا بأس من لحظات ضعف نمر بها .. أنا بكيت أمامك منذ عدة أيام مضت"

قالت والمزاج السوداوي يسيطر عليها "بكيت بسببي بكل أسف"

قال بلهجة عاشقة وهو يمسك بذقنها "وهل عندي أغلى منك "

حضنها من جديد لربما شبع منها قبل أن يغادر فتشبثت به بقوة وكأنها تطلب اللجوء إليه ..الاختباء في قلبه .. فضمها أكثر متمنيا لو يحملها بين ضلوعه .. و يحجبها عن كل الناس

.

بعد قليل قال لها مازحا وهو يبعدها " هيا دعيني انزل لأهلك بالأسفل ..فلا يصح أن أتركهم كل هذا الوقت ..أشعر بحرج شديد "

ابتعدت عنه وقد شعرت ببعض التحسن والقوة فسألته هامسة "هل سترحل بسرعة؟" مسح على شعرها قائلا "لولا الملامة لبقيت معك بالغرفة حتى موعد عودتي للقرية .. لكن كما تعلمين لا يصح أن أبقى هنا في الغرفة وأتركهم بالأسفل (وتطلع في عينيها بلهجة متعاطفة وأضاف) أعلم بأن عليّ أن أتواجد معك أكثر من ذلك لكن .."

وضعت أصابعها على فمه لتسكته وقالت بخفوت" أعانك الله .. فأنت ممزق بين القرية والعاصمة .. حلفتك بالله يا مفرح أن تنام .. لا تأتيني مرة أخرى إلا بعد أن تنام جيدا .. انتهز الوقت الذي ستأتيني فيه المرة القادمة ونم بملء عينيك ها أنا وسط أخوتي ولست بالمستشفى فلا تقلق عليّ"

نظر حوله بسرعة ليتأكد من أن النافذة تم تركيب سلك مخرم قوي لها كنوافذ المستشفى

حفاظا عليها ثم تطلع في الغرفة حوله فقالت مليكة "لا تقلق عليّ (وأكملت بحرج) أكرم سيضع احتياطات كثيرة حتى لا أفعلها وأخرج وأنا نائمة "

مال يقبّل جبينها ثم استقام واقفاً يداري ثقل شديد لديه يمنعه من تركها .. لكنه ضغط على نفسه كالعادة فالواجب يدفع رغباته لآخر الصف وتحرك مغادرا ..لتلحقه مليكة بصوتها وهي تبلع غصة وارتجافة قلب "عدني بأنك ستنام يا مفرح "

استدار إليها مبتسما يقول بصوت مجهد لم يقدر على إخفائه" سآتي لأنام جوارك المرة القادمة .. أنتظر فقط أن يخرج أبي من المستشفى ويعود للبيت حتى أنام هنا في هذا السرير الذي جلبه أخوك صغيرا ليفهمني بطريقة مهذبة بأنه غير مرحب بي "

ابتسمت مليكة وردت مدافعة" لم يجد وقتا لذلك إنها غرفة للضيوف"

هز رأسه ثم غمز بعينه قائلا " عموما إن لم استطع العثور على شقة أو فيلا بجوار أخيك بسرعة .. سأبيت هنا ملتصقا بك في هذا السرير الصغير .. ولا تقلقي سأكون مؤدبا بجوارك وسأحافظ على شرفكم يا صوالحة "

ابتسمت مليكة فابتهجت روح مفرح وودعها يغلق الباب خلفه وهو يطلب من نفسه المزيد من الصبر حتى يجمع الله شمله بها وشملهما بابنيهما من جديد.

xxxx

بعد يومين

راقب جابر ميس وهي جالسة في إحدى عربات الملاهي المعلقة في الهواء التي تلف بشكل دائري وكلما وصلت العربة ناحيته أخرجت ميس يدها من نافذتها وأخذت تلوح وترسل له

قبلات في الهواء فكان يرفع لها يده الحرة التي لا تمسك بكاميرا الهاتف وتصورها ليلوح لها هو الأخر .

بعد قليل نزلت ميس سعيدة لكنها كانت تشعر بالدوار فأمسك بها جابر قائلا بلهجة متهكمة" قلنا ستدوخين"

تمسكت بوالدها تضحك وردت بعناد طفولي" بل أنا بخير (ثم أشارت بحماس على إحدى اللعبات تقول) ما رأيك أن أركب هذه التي في الواجهة ؟"

قال جابر بلهجة حازمة "لا هذه كبيرة عليك تعالي لنجلس قليلا فوجهك يبدو شاحبا ولكنك تعاندين "

عند إحدى الطاولات أمام مطعم يقع في نفس الحديقة التي تحتوي على ألعاب الملاهي جلسا ووضع جابر كوب مخفوق الحليب بالشكولاتة الذي ابتاعه لها أمامها ثم وضع كوب الشاي

الخاص به أمامه وسألها وهو يجلس "ما رأيك في هذه النزهة؟"

ابتسمت ميس ليضيف جابر "ذات يوم سنذهب أنا وأنت العاصمة إلى مدينة الملاهي الكبيرة التي زرناها منذ فترة وسنقضي اليوم كله هناك إن شاء الله "

صفقت ميس بيديها وقالت بحماس" أتمنى وقتها أن تكون أمي معنا حتى تكتمل أسرتنا "

بلع جابر غصة مرة في حلقه ثم قال بهدوء "يا ميسة أنا أخبرتك بأني أنا ووالدتك قد انفصلنا ولن نعود سويا مرة أخرى لكنا سنظل نحبك وبدلا من أن يكون لك بيتا واحدا أصبح لك بيتين"

لاح الحزن جليا على وجه الصغيرة .. حزن يشعره بالذنب لكن ضميره مستريح لأنه يعلم جيدا كيف تحمل من أجلها علاقة فاشلة

استمرت لسنوات .. ورغم هذا كان حزنها يفسد عليه طعم السعادة التي يعيشها منذ فترة .. يا ليته لم يتزوج كاميليا أبدا .. يا ليته تزوج أم هاشم من البداية لكانت ميس الآن قد خرجت من رحم أم هاشم ولاستطاع أن يحقق لها السعادة التي تنشدها .

نفض عنه أفكاره مستغفرا ربه ثم أضاف بلهجة هادئة "يا ميسة أنا أعلم بأنك كنت تتمنين أن نظل أنا وأمك متزوجين لكن الكبار يحدث معهم أحيانا أن يضطروا للانفصال لأنهما لا يستطيعان الاستمرار سويا .. أتريدين أن ترينا نتشاجر طوال الوقت؟ .. أتريدي لوالدك أن يكون حزينا ولأمك أن تبكي؟"

كان ما يقوله لا يستوعبه عقلها الصغير فرفعت إليه عينين مغرغرتين بالدموع وردت ببراءة أوجعت قلبه " أنا سأطلب من أمي ألا تتشاجر معك مرة أخرى "

تنهد وقال لعلها تستوعب " يا حبيبتي هذا الأمر منتهٍ وعودتنا أنا وأمك لبعضنا أضحت مستحيلة .. لكني سأظل أحبك لأنك ابنتي قطعة مني أنا"

أطرقت ميس برأسها وأجهشت بالبكاء .. كانت تشعر بخوف شديد من الفقد .. من فقد أحدهما أو كليهما .. وبشعور كبير بالارتباك والتيه في بيت أخوالها .. فربت جابر على ظهرها وقد انخلع قلبه لبكائها .

غمغمت ميس بعد برهة من الصمت " أولاد خالي عماد يستضعفونني ويغيظونني بأن والدهم موجود .. واشعر بالحزن لأنني ليس لي أبا انتظره أخر اليوم مثلهم"

انفطر قلب جابر فسحبها من معصمها لتترك مقعدها ثم قربها منه ليحضنها قائلا بصوت أبوي متأثر "يا حبيبة أبيك أنا دوما موجود .. اتصلي بي في أي وقت أحضر إليك .. (ثم ابعدها

ينظر في وجهها الباكي ورفع كفه يمسح الدموع وهو يسألها) ما رأيك في أن تأتي لتعيشي معي ؟..قولي نعم وسأقف في وجه الجميع حتى تكونين معي .. إن غرفتك كما هي وسنشتري لها أثاثا جديدا أحلى من القديم"

شهقت ميس من بين دموعها وردت" أريد أمي معي"

قال ببعض العصبية ليداري وجع قلبه عليها "قلت لا مجال لعودتي لأمك يا ميسة عليك بتقبل هذا الأمر"

صرخت بعصبية " أنت تعيش سعيدا وأنا أنام كل ليلة ابكي "

قالتها وانفجرت بالمزيد من البكاء فضمها لصدره مذهولا من عبارتها .. من أين أتت بهذه الجملة التي تفوق عمرها بسنوات ؟؟!.. ومن أين جاءها هذا الانطباع بأنه سعيد وهي حزينة .. كيف لطفلة في السادسة أن تقول هذا

الكلام؟! .. هل تسبب لها في أن تشيخ مبكرا ؟!..

أوجعه قلبه بشدة فضمها إلى صدره وهو يرفع عينيه للسماء هامسا "ألطف بي وبها يا رب واجمعنا على خير"

xxxx

"أنا؟ .. أنا شخص بلا فائدة "

قالتها مليكة باقتضاب وهي تحدق في الفراغ أمامها في جلستها في مقعد وثير في العيادة ردا على سؤال الطبيبة (حدثيني عن مليكة) .

قالتها وصمتت دون اضافة فقالت الطبيبة في جلستها على مقعد وثير أخر إلى يمينها قليلا

"فاشلة .. في أي شيء فشلت ؟"

حركت مليكة مقلتيها قليلا لتواجه الطبيبة قائلة بهدوء وبشعور سوداوي يسيطر عليها

"فشلت في كل شيء أوله حين أحببت شابا من عائلة معادية لعائلتي "

"هل تظنين أن ذلك نوعا من التقصير منك تجاه عائلتك؟"

"أجل"

"لماذا؟"

صمتت قليلا وعادت تحدق في الفراغ ثم أجابت بهدوء " لأني كنت فخر عائلتي .. وقلب والداي .. لم يبخلا عليّ بشيء ..فخذلتهما.. خذلت كل عائلتي "

"خذلتيهم!"

" نعم"

ساد الصمت لبرهة ثم سألت الطبيبة بصوت هادئ " هل هذا كل شيء فشلت به؟"

ظلت الأخرى محدقة في الفراغ لفترة ثم تكلمت " فشلت أيضا في أن أظل على عهدي مع مفرح"

"أي عهد؟"

"بأني لن أكون لغيره"

"هل اخلفت وعدك له "
"أجل"
"ماذا حدث لتخلفي وعدك؟"
وكأن مقلتيها قد تحولتا لشاشة لعرض أحداث ماضية مرت المشاهد سريعة أمام مليكة وهي تقول " حين علم أبي بتمسكي بمفرح .. مرض بشدة ..واشتبكت العائلتان في نزاع فيما بينهما افضى لإصابات وكاد أن يحصد أروح "
سألتها الطبيبة " هل هذا النزاع حديث؟ ..أعني بسبب رغبة مفرح بالزواج منك ؟"
تطلعت فيها مليكة تفكر في الإجابة ثم قالت
"لا.. ولكن وقعت إصابات فيه "
أعادت السؤال بصيغة أخرى "هل كانت المرة الأولى التي وقع فيها إصابات في مشاجرة بين العائلتين ؟"
"لا"

"أكملي هل هناك أشياء أخرى جعلتك تشعرين بأنك فاشلة؟"

ردت مليكة معترفة "لم استطع أن أحب زوجي السابق"

"تزوجت إذن "

"أجل"

"كم كان عمرك؟"

"سبعة عشر"

ساد صمت أخر قالت مليكة بعده وقد باغتتها الذكريات "فشلت في أن أحبه .. وظللت أرتكب ذنوبا بسبب التفكير في رجل أخر وأنا معه .. حاولت تقبل حياتي .. وفشلت رغم أني حاولت أن أعطي لنفسي فرصة لنسيان مفرح وتقبل زوجي مثل كثير من الفتيات اللاتي تعرضن لمواقف مشابهة لكني فشلت .. فشلت حتى في أن أكون كالأخريات ..وظللت ممزقة بين إلصاق

العار بعائلتي بطلاقي أو الحياة مع زوج وأنا في قلبي وعقلي رجل أخر"

"كيف كان شعورك تجاه زوجك السابق ؟"

"أكرهه (قالتها بسرعة ثم أضافت) في بداية الامر كنت لا أشعر بشيء .. وقت الخطبة التي كانت قصيرة جدا لم أشعر بأي شيء لم يكن هو أصلا مدرجا في قائمة اهتماماتي "

"لماذا شعرت هكذا وقتها؟"

هزت مليكة كتفيها وردت " ربما لأني كنت حزينة جدا .. وكنت مشغولة بمحاولة نسيان مفرح و بالتفكير فيه في نفس الوقت ..كيف كان يشعر وقتها وأعز أصحابه قد خانه وتقدم لخطبتي"

"ولماذا وافقت عليه هو بالذات مادام هو صديق مفرح "

واجهتها هذه المرة بأنظارها ترد " لأن والدي أصر عليه فهو من خارج القرية وزواجي منه كان

سيخرجني منها بعد أن خرجت الشائعات بأني أحاول غواية ابن الزيني وهذه الشائعات كانت كفيلة بأن يعزف شباب القرية عن الزواج مني على الأقل لفترة كبيرة حتى تخرس الألسنة ..فأراد أبي تزويجي وإخراجي خارج القرية ووجد في خالد الشخص المناسب بالإضافة لأن عائلته من أثرياء المحافظة فكان ذلك بالنسبة لعائلتنا ردا على تلك الشائعات "

"اكملي بشأن شعورك تجاه زوجك السابق "

"أنا لم أطقه من أول لحظة لي معه كزوجة.."

"كيف كان يعاملك؟"

شردت مليكة في الفراغ وردت بلهجة متألمة "كان يحبني ولهذا خان صاحبه .. لكني منذ اللحظة الأولى كنت امقته .. رغم أني ضغطت على نفسي في البداية كثيرا حتى لا يشعر بذلك ..فيكفيني ذنوبا بأني كنت مشغولة بأخر .. لكن كلما مرت الأيام بيننا فشلت في أن أتقبله ..

وزادت مشاعر الرفض بداخلي رغم أني ضغطت على نفسي كثيرا حتى لا أبدي مشاعري تجاهه وكل مرة كنت أعود فيها من بيت أبي لبيته كنت اضغط على نفسي أكثر لإعطائها الفرصة في تقبله .. لكن هذا كان يأتي بنتيجة عكسية "

"كيف انفصلتما ؟"

"حينما مرضت مرضا شعرت فيه بأني أقترب من الموت وطلبت أن ينقلوني لأموت ببيت أبي فتدخل أخي أكرم لإنهاء الزيجة "

سألتها الطبيبة سؤالا أرادت أن تساعدها به لأن تضع الأمور في نصابها الصحيح " وهل كان بإمكانك تجنب تعلقك بمفرح ولم تفعلي ؟"

أجابت مليكة بلهجة مدافعة اختلفت فيها نبرة صوتها عن الطريقة التي تحدثت بها قبل ثوان"

أبدا ..يشهد الله أني فعلت الكثير حتى أنساه ولم استطع ..ورغم مجهودي الكبير فشلت وخذلتهم جميعا"

أعادت عليها الطبيبة الجملة ليستوعبها ذهن مليكة "أي أنك ترين نفسك قد بذلت مجهودا كبيرا في محاولة نسيان مفرح بل وكررت هذه الجملة أكثر من مرة في حديثك الآن "
ناظرتها مليكة بنظرة فارغة وردت "أجل حاولت كثيرا "
أضافت الطبيبة "والسبب في هذا الفشل هو أن هذا حدث رغما عنك أليس كذلك "
كررت الطبيبة ما قالته مليكة سابقا لتؤكد على المعلومة بداخلها " إذن أنت حاولت إقصائه عن أفكارك وبذلت مجهودا كبيرا لكنك لم تنجحي لأن هذا الأمر كان يحدث دون إرادة منك"
"أجل"
عادت الطبيبة للسؤال " أهذه كل أسباب فشلك من وجهة نظرك؟"

صمتت قليلا ثم مدت يدها تلتقط زجاجة المياه الصغيرة من على طاولة بجوارها وشربت منها رشفتين تبعها بضع ثوان من الصمت ثم أجابت "بعدما تزوجت مفرح اكتشفت بعد ثماني سنوات بأني لم أكن زوجة مُرضية له في الفراش وفشلت في أن أنجب له المزيد من الأولاد (وارتعش صوتها تضيف بتأثر) وها أنا قد تسببت في أن يعاني أدهم وإياد من اليتم "
أحست الطبيبة بمراوغتها فقالت "قبل أن نتحدث عن أدهم وإياد .. هل هناك أسباب أخرى تشعرين بسببها بالفشل ؟"
ساد صمت لم ترغب الطبيبة في فضه وتمنت مليكة ألا تجيب .. لكن صوتا بداخلها نبهها لأن عليها أن تتحدث وبأن ما حدث لها مؤخرا بسبب عدم قدرتها على التحدث فالتقطت الزجاجة مرة أخرى ورشفت من الماء رشفة

بلعتها بصعوبة ثم قالت بصوت أجوف بمجرد أن وضعتها "فشلت في الحفاظ على ابنتي "

"ابنتك من؟"

رفعت إليها عينين خاليتين من التعبير وهي تقاوم بقوة ألا تفتح قفلا من فولاذ أغلقت به قلبها منذ سنوات وقالت باختصار" كانت لي ابنة من زوجي السابق وماتت "

"هل تريدين الحديث عن هذا الأمر؟"

ردت بلهجة قاطعة "لا"

قالت الطبيبة بهدوء " إذن نعود لأدهم وإياد كيف خذلتيهما ؟"

"لأني فشلت في أن أبقي قوية وفعلت ما فعلت وهما الآن يعانيان اليتم للمرة الثانية"

"أنتِ لست أمهما البيولوجية كما فهمت منك "

ردت بحمائية "أجل لكني أمهما الحقيقية"

سحبت الطبيبة نفسا وسألتها " أنت ترين نفسك قد خذلت الكثيرين فماذا عمن خذلوك ؟"

"لا أحد"

قالتها بلهجة مؤكدة فكررت الطبيبة اجابتها "لا أحد!"

هزت مليكة رأسها ترد بثقة " أجل لا أحد ممن هم حولي ويهمونني خذلني ..بل إنهم لا يزالون حتى بعدما حدث مني ذلك اليوم الذي رحلت فيه عن القرية ..لا يزالون يدعمونني "

"وكيف تشعرين حيال ما يفعلوه من أجلك؟"

ردت بشرود "الامتنان الشديد والمزيد من الخزي من نفسي (واردفت بلهجة متألمة) هلا أكتفينا بهذا القدر اليوم من فضلك؟"

اعتدلت الطبيبة في جلستها في المقعد الوثير وكتبت شيئا في اللابتوب الخاص بها قبل أن تقول " طبعا .. دعيني إذن ألخص ما دار بيننا

اليوم .. أنت ترين نفسك فاشلة وأنك قد
خذلت من حولك بينما هم مستمرون في
دعمك حتى بعد الحادثة الأخيرة "
أكدت مليكة شعورها قائلة "هذا صحيح "
فأضافت الطبيبة تسترجع ما قالته "لكن في
الوقت نفسه اعترفتِ بأنك قد بذلت مجهودا
كبيرا حتى لا تؤذين من حولك أي أن ما حدث
بشكل عام لم يكن متعمدا منك "
ببعض التردد قالت مليكة "ربما "
اتسعت ابتسامة الطبيبة وقالت " تمام يا
مليكة لننهي جلستنا اليوم "
زفرت مليكة براحة وغمغمت تشعر بالخلاص
"أشكرك"

××××

وقفت سيارة جابر أمام بيت العسال فنظر
لميس الواجمة ثم سحبها ليضمها إلى صدره
قائلا " أنا أعلم أنك تشعرين بالحزن لكن

تأكدي أن والدك قد تحمل الكثير من أجلك ..
وبأنني سأكون موجودا في حياتك دائما إن شاء
الله ..وسأنتظر اليوم الذي ستحضرين فيه
لتعيشي معي في بيتي وستظل غرفتك مغلقة لن
يقترب منها أحد .. وربما جئت من الآن لتبيتي
معي لعدة أيام في الأسبوع إن أردت "
ابتعدت ميس عنه دون رد وفتحت باب
السيارة لتترجل في الوقت الذي قال جابر وهو
يترجل هو الأخر "انتظري لتأخذي الهدايا التي
جلبها لك عمك "
أخرج حقيبة سفر صغيرة وهو يقول متصنعا
الحماس لربما غيّر تلك النظرة الحزينة التي
تطالعه بها" عمك جلب لك أشياءً رائعة ..ما
شاء الله ..فساتين وعروس معها اشياءها
الصغيرة ..وبعض العقود والسلاسل اللامعة
(ومال عليها يقول هامسا) لا تنسي بأن تحكي
لأولاد أخوالك عن نزهتنا اليوم ولا تدعيهم

يأخذون منك ما اشتراه لك عمك فهذا لك وحدك "

هزت ميس رأسها فرافقها للبوابة وأعطاها يد الحقيبة لتجرها .. وقبل أن يدق الجرس وجد البوابة تفتح وطلت منها كاميليا تقول بلهجة رقيقة مصطنعة" تأخرت يا ميس وقلقت عليك يا حبيبتي "

غض جابر بصره بسرعة بعدما تفاجأ بوقوفها لاستقباله بعباءة لامعة تلتصق بجسدها وشعرها الأصفر مكشوفا فغمغم باقتضاب "السلام عليكم يا أم ميس "

ابتسامة لعوب تراقصت على شفتيها وعيناها تدققان فيه وفي ملامحه وترسمان تفاصيل جسده فسرت رعشة في جسدها تخبرها بأنها تشتاق للعلاقة الحميمة معه .. والتي لا تنكر بأنها كانت تحسن كثيرا من مزاجها .. وفي لمحة سريعة مر عليها أسماء المرشحين للزواج منها

فلم تجد فيهم من ينافس جابر في جاذبيته وشبابه.

دخلت ميس من البوابة تجر الحقيبة خلفها فتحرك جابر مبتعدا يقول" اتصلي بي يا ميس وأخبريني برأيك في الهدايا "

"جابر "

قالتها كاميليا برقة فتوقف دون أن يستدير إليها لتقول هي" لماذا تسرع بالرحيل.. كنت أريد أن اتناقش معك في أمر يخص ميس"

أدار وجهه لها يقول من فوق كتفه" سأحدد موعدا مع أحد أخوتك حتى ازوركم وتتحدثين فيما تريدين إن شاء الله "

همست بلهجة رقيقة" لكني كنت أتمنى أن نتحدث وحدنا (ثم أضافت بلهجة مغناج) أم أنك لم تعد قادرا على البقاء معي وحدنا لأنك تخشى من ارتكاب الذنوب ..أعرف كيف كان جسدي مغريا لك "

استدار إليها بعينين ناريتين ورفع سبابته في وجهها بتحذير قائلا بهجة خطرة" أحذرك من التجاوز معي يا كاميليا أنا حتى الآن أحافظ على العيش والملح بيننا "

كانت متعطشة لأن ترى أي استجابة منه ترضي غرورها بأنها تؤثر فيه وبأنه يدرك الفرق الكبير بينها وبين أم هاشم من الناحية الأنثوية كما كان يصور لها غرورها .. فابتسمت ابتسامة متسلية وردت بوقاحة "أكان ما بيننا عيش وملح فقط!"

استدار وعاد إليها وعيناه تطلقان الشرر فتفاجأ بأن ميس لا تزال واقفة خلف أمها تراقب ما يحدث ..فهدر في ابنته قائلا" ادخلي يا ميس ولا تتابعي كلام الكبار"

قوست الأخيرة فمها للأسفل واستدارت تجر الحقيبة خلفها بعد أن حدجته بنظرة متألمة فنظر جابر لكاميليا قائلا بهمس من بين أسنانه

" لا تجبريني على أن أقول لك ما قد يجرحك .. وأتمنى أن تتخلي عن غبائك ولو للحظة لتدركي بأنني حين أفقد صبري يكون غضبي أسودا ويحرق الأخضر واليابس فلا تجعليني أصل معك لهذه المرحلة "

ارتعدت مفاصلها وأدركت اللعبة الخطرة التي تلعبها .. بينما استدار جابر عائدا إلى سيارته يركبها مستغفرا وهو يحاول أن يهدئ من غضبه وشغل السيارة مبتعدا .

وقفت كاميليا تراقب ابتعاده وهي تشعر بالغيظ وبالحيرة الشديدة.. إن شعورا مربكا ينتابها تجاهه .. أحيانا تشتاق له وأحيانا أخرى تتذكر رغبتها في أن تحظى بأحسن منه كما ترى بأنها تستحق .. وأحيانا ثالثة تعترف لنفسها بغبائها فمن أين ستحظى بذلك الرجل المميز الذي تحلم به فالمحافظة كلها لن تجد فيها من يملأ عينيها .. فهي ليست محظوظة كبسمة

التي استطاعت اصطياد صيد ثمين كالرجل الثري الذي تزوجته ..
لو كانت حرة وقتها لفازت هي به بدلا من بنت الوديدي لكنها ليست محظوظة مثلها .. بل هي أقل الإناث حظا ومن هن أقل منها بكثير .. أكثر سعادة منها .
تنهدت بحسرة على نفسها وأغلقت البوابة بغيظ لتعود لأفكارها الحائرة..
ماذا ستفعل في الحاح أخوتها عليها بشأن تزويجها ؟.. وكيف ستتحمل تحكماتهما في حياتها؟.. لقد خرجت من سجن جابر دبور لتدخل سجن أخر أسوأ منه.

xxxx

قالت نحمده بلهجة غاضبة في الهاتف "يكفي هذا الوقت لأدهم وإياد عندك ماذا سيقول الناس .. لفظهم بيت جدهم !"

تنهدت مهجة وقالت " لماذا هذا الكلام يا أمي!!.. إن الكل يعلم بأن مليكة مع أخيها بالعاصمة كما أن الولدين مرتاحان عندي "
قالت نحمده بإصرار "ومع هذا لابد أن يزورا بيت جدهم ويكونا في استقباله حينما يخرج بعد أيام بإذن الله "
هرشت مهجة في رأسها تحاول ألا تغضبها فقالت "حسنا اسمعي يا أمي ..أنا مضطرة لأن أذهب لعمل بعض التحاليل بعد غدٍ.. فسأمر لأترك الصبيين عندكم وأذهب لمعمل التحاليل ثم أعود إليكم وفي آخر اليوم سآخذهما معي إن شاء الله"
هتفت نحمده باستنكار " ولماذا لا يبقيان عندنا ليستقبلا خروج جدهما .. هل سيظلان عندك للأبد؟!.. لابد أن زوجك يشعر بالضيق "

قالت مهجة تطمئنها " لا تقلقي بشأن وليد يا أمي ..كما أنهما ليسا رضيعين فيحتاجان لمجهود كبير .. عموما حينما آتي بعد غد سنتناقش في أمر المبيت ونخيرهما سلام الآن فيبدو أن وليد قد حضر "

أغلقت مهجة الهاتف بعد السلام ثم ابتسمت في استقبال وليد الذي دخل من باب الشقة يسألها بعد التحية " أين الولدين؟"

ردت مهجة" في غرفتهما"

مال يطبع قبلة على خدها فوبخته بنظرة وهي تقول هامسة "كف عن الشقاوة وبدل ملابسك وسأنتهي من إعداد العشاء بسرعة "

قالتها واسرعت نحو المطبخ فمط وليد شفتيه مغمغما " انتهينا من مرحلة (كامل الاوصاف مفرح) .. ودخلنا على مرحلة (أولاد مفرح) .. (وأضاف بلهجة ساخرة) غالبا أنا معقود لي عملا سحريا اسمه (مفرح)"

xxxx

كتب مفرح لمليكة على الواتساب بعدما قصت عليه ما دار في جلستها مع الطبيبة رغم أنه لم يحاول سؤالها عن التفاصيل لكنها تبرعت بإخباره" أنا أرى يا مليكة أننا لو اطلقنا العنان لشعورنا بالذنب فأنا أيضا سأمر بنفس مشاعر الذنب بنفس المراحل التي ذكرتها أنت .."

ردت مليكة في جلستها فوق سريرها في بيت أكرم" لا أعرف يا مفرح عموما ما حدث في جلسة اليوم أنار أشياء في عقلي ربما لم انتبه لها أو لم تتوان لي الفرصة لأن أجمعها كلها في حزمة واحدة وأقارنها ببعضها (وزفرت تكتب بعد قليل) لكنها البداية كما قلت لنفسي"

كتب مفرح " صدقتِ يا مليكتي إنها فقط البداية"

كتبت تسأله " كيف حال الولدين؟"

رد عليها " إنهما بخير ..مررت عليهما اليوم سريعا عند مهجة واضطررت للعودة لأبي كان سيخضع لبعض الفحوصات "

" ألا زلت تنام على سرير إضافي في غرفة والدك بالمستشفى؟"

ابتسم مفرح وتطلع في والده النائم وكتب "أنا موجود الآن بها "

"مفرح "

"نعم"

"هل تعتقد بأننا سنتجمع مرة أخرى أنا وأنت والولدين في يوم من الأيام في مكان ما؟"

كتب بسرعة "قريبا يا مليكة .. قريبا جدا .. إن هذا هو الأمل الذي يجعلني لا أزال واقفا على قدميّ حتى الآن رغم كل ما مر بنا"

صمتت تحاول التشبث بالأمل ثم كتبت بعد برهة تسأل "هل ستنام الآن؟"

"لا لا .. لا يزال الوقت مبكرا على النوم فعندي بعض الأمور العالقة بالعمل أحضرتها معي لأنتهي منها وأنت؟"

"لا أعرف إن كنت سأنام أم لا"

كتب مفرح "حسنا سنكون على اتصال إذن"

"حاول أن تنام أرجوك"

ابتسم مفرح ولم يرد بل وضع الهاتف بجواره فوق كومة من الأوراق والفواتير .. وامسك بين عينيه بإرهاق ..ثم حاول العودة للأوراق والتركيز لكنه لم يستطع ..

كان ذهنه مرهقا ومشغولا وحالته النفسية تحت الصفر رغم تماسكه أمام الجميع .. فشرد في مليكة التي تصارع هي الأخرى وحدها في العاصمة .. صحيح إخوتها كما عهدهم يقفون بجوارها ويمنحونها كل الدعم لكنه يعلم بأنه بالنسبة لها الداعم الأكثر أهمية .

تطلع في والده النائم ثم التقط هاتفه وترك الغرفة لبعض الوقت متجها للحمام .. ليس الحمام الصغير الخاص بالغرفة وإنما أحد الحمامات الكبيرة في المستشفى حتى يكون على راحته ..

بعد قليل عاد ليجد عبد الرحيم ينادي بصوت خافت" مفرح هل أنت هنا ؟"

أرسل مفرح شيئا على الواتساب لمليكة وهو يقترب منه قائلا" أجل يا حاج أنا موجود مُرني"

رد عبد الرحيم براحة وهو مغمض العينين "لا شيء يا ولدي سلمت .. أنا فقط كنت أتأكد من أنك هنا"

رغم شعور مفرح بالضيق أحيانا لارتباط والده الخانق به لكنه اقترب منه يقول بمحبة وهو يربت على صدره "أنا بجوارك يا أبي ولن اذهب لأي مكان "

قالها ومال يقبل رأس العجوز الذي غمغم"
الحمد لله .. بارك الله لك يا ولدي "
في غرفة مليكة طرق الباب ودخلت ابتسام
وخلفها ابنتها ملك لتقول الأولى بمودة" لماذا
صعدت لغرفتك قبل تحضير العشاء يا
مليكة؟"
قالت مليكة بابتسامة "ليس لي شهية يا ابتسام
صدقيني "
ردت ملك الشابة ذات التاسعة عشرة " لماذا يا
عمتي سنسهر سهرة عائلية كلنا "
ردت مليكة باعتذار مهذب "سامحيني يا ملك
أنا لست قادرة على التفاعل حاليا تحملوني
قليلا "
قالت ابتسام لابنتها "اتركيها على راحتها يا ملك
(ونظرت لمليكة تضيف) إن أردت أي شيء
ابلغي الخادمة ستكون مستيقظة لوقت
متأخر"

ابتسمت مليكة وردت بتهكم "لا تقلقي ربما أنزل أنا لها بالأسفل كما فعلت ليلة أمس وحاولت فتح باب الفيلا والخروج ليلا "
قالت ابتسام بتعاطف "لا تقلقي أكرم يأخذ احتياطاته جيدا "
ابتسمت مليكة وابتلعت غصة مرة ولم ترد فحيتها زوجة وابنة أخيها وغادرتا بينما شردت مليكة في مخاوفها من أن تضر أحدا أثناء نومها .. حتى أنها تفكر في أن تطلب من أكرم أن يغلق عليها باب الغرفة من الخارج حتى لا تفعل ما فعلته ليلة أمس حينما نزلت وظلت تحاول فتح الباب الرئيسي للفيلا كما أخبروها .. لولا أن أكرم كان قد أغلقه جيدا وقيل لها بأنه وأهل البيت قد استيقظوا جميعا وحاول أكرم بهدوء اقناعها بالعودة للنوم فأطاعته بعد مدة ..
إنه لأمر مخزٍ أن تظهر بهذا المظهر أمام الجميع .. كما أنها تخشى من أن يراها ابناها

أدهم وإياد في هذه الصورة ..والأكثر رعبا أن تحاول هي أن تؤذيهما دون أن تدري .. وهذا ما يجعلها تشعر باليأس من أنها ستجتمع معهما قريبا .

لم تستطع مليكة الصمود ..

إنها تحاول منذ خروجها من المستشفى لكنها أصبحت غير قادرة فأسرعت بالتقاط هاتفها وطلبت رقم مهجة .

بعد ثوان جاءها صوت الأخيرة التي تطمئن منها يوميا على الولدين تقول بعد أن انتحت إلى غرفتها "أهلا مليكة كيف حالك ؟"

ردت الأخيرة " أنا بخير (وأضافت بصوت مرتعش) هلا أعطيتني أدهم وإياد لأتحدث معهما "

تفاجأت الأخيرة لكنها شعرت بالسعادة فأسرعت تقول وهي تغادر الغرفة" طبعا طبعا"..

بعد ثوان دخلت مهجة على إياد وأدهم في
إحدى الغرف تقول "مليكة تريد محادثتكما"
قفز الاثنان من مكانهما فكان إياد هو الأسرع
بخطف الهاتف من يد عمته ووضعه على أذنه
يقول بصوت متأثر "أمي"
كتمت مليكة فمها ونداءه يعذب قلبها لكنها
سرعان ما تماسكت وقالت بصوت خرج
مرتعشا "كيف حالك يا حبيب أمك ؟"
اجهش إياد بالبكاء فدمعت عينا مهجة بينما
أسرع أدهم بخطف الهاتف من فوق أذنه
قائلا" هل ستقضي الوقت في البكاء كالأطفال!"
صرخ إياد فيه" اعطني الهاتف "
تدخلت مهجة تقول "افتحا مكبر الصوت "
نفذ أدهم ذلك ليخرج صوت مليكة قائلا" لا
تتشاجرا "
سألها أدهم بلهجة عابسة يداري مشاعره "أين
أنت يا أمي ولماذا اختفيت فجأة؟"

قالت مليكة بارتباك "ألم يخبركما أبوكما .. أنا مع أكرم أخي و.. (صمتت قليلا تقاوم رغبة قوية في البكاء ثم أضافت) لقد سافرت لخارج البلاد لأن أكرم يحتاج شخصا لمصاحبته واعتذر لكما فالأمر حدث فجأة ولم أتمكن من إخباركما "

قال إياد باكيا "لكني افتقدك كثيرا يا أمي"

قالت بحشرجة باكية أوجعت قلب مهجة وأدمعت عينيها "وأنا أيضا يا إياد .. أفتقدكما بشدة"

قال أدهم يشعر بشيء ما غريب في حديثها لا يريد أن يدخل عقله" اعطني رقم هاتفك الدولي"

ردت مليكة بارتباك " لم اشترِ رقما بعد ..هذا هاتف عمومي الذي أتحدث منه "

ضيق أدهم عينيه والشك يزيد في داخله بأن هناك شيئا ما يحدث ونظر لأسم (مليكة)

المسجل على شاشة الهاتف أمامه بينما سأل إياد "متى تعودين يا أمي اشتقت لك بشدة؟"
تفرقت نظرات مليكة هنا وهناك في الغرفة وكأنها تشتت نفسها حتى لا تنهار وردت" الأمر قد يطول لبعض الوقت يا إياد لكني سأتصل بكما دوما "
أسرع إياد بالقول" أنا هاتفي لا يعمل واستخدم التابلت بدون خط اتصلي على هاتف أدهم"
أسرعت مليكة بالقول خوفا من أن يكتشف أدهم أنها تتحدث من رقم جديد محلي قد يعاود الاتصال به أو يثير شكه " حاضر إن شاء الله سأتصل به أو بمهجة (وأسرعت بإنهاء المكالمة قائلة) اعتنيا بنفسيكما من أجلي (واختنق صوتها تضيف) واعلما أني أحبكما جدا جدا ولم يبعدني عنكما إلا ظرف شديد الصعوبة "

أسرعت بإغلاق الخط .. فحدق الولدان في الهاتف الذي صمت فجأة وتجلت ملامح البؤس على وجهيهما لتقول مهجة بمرح وهي تداري شفقتها " لماذا لم تخبرني يا إياد بأمر هاتفك؟! .. اعطني إياه وسأطلب من وليد أن يرسله للصيانة "

رد إياد بحشرجة باكية " الهاتف في البيت لم أجلبه معي وقد وعدني أبي أنه سيرسله للصيانة في أقرب فرصة "

ردت مهجة بابتسامة " إنه مشغول مع جدكما كما تعلمان عموما سنحضره من البيت إن شاء الله .. (وأضافت بمرح) سأذهب لأنتهي من إعداد العشاء فلابد أنكما جائعان"

قالتها وأسرعت بالمغادرة بينما جلس إياد يبكي ..فهدر فيه أدهم بغيظ" كف عن البكاء وفكر معي "

نظر إليه إياد قائلا من بين دموعه" أفكر في ماذا؟"

ضيق أدهم عينيه مغمغما بشرود" هناك أمر ما يحدث وأخشى أن يكون أبي وأمي متشاجران "

في نفس الوقت كانت مليكة تضع يدها على قلبها تشعر بألم شديد ..

ماذا عليها أن تخبرهما ؟.. كيف سيتقبلان حقيقة مرضها؟ .. وكيف سيؤثر هذا المرض عليهما وما مدى خطورته؟ خاصة وأن مفرح لن يكون متواجدا معها ومع والولدين طوال الوقت..

غلبها اليأس من جديد .. وشعور كبير بالذنب والفراغ القلبي .. خاصة وهي تستعيد كلمات أدهم وإياد البائسة فانهمرت دموعها وهي تفتح الهاتف من جديد لتتحدث مع مفرح فهو الملجأ دوما إن أرادت أن تستمد قوتها لتكتشف بأنه قد أرسل لها على الواتساب " وأنا أبحث

عن مفردات تعبر عن كلام كثير أنا غير قادر على صياغته .. تذكرت هذه القصيدة لنزار قباني .. وقررت أن أسجلها لك بصوتي كما كنت أفعل قديما .. لتعبر لك عما أريد أن أقوله فاسمعيها يا مليكتي "

اسرعت بفتح الرسالة الصوتية وانصتت باكية:

لو لم تكوني أنتِ في حياتي
كنت اخترعت امرأة مثلك يا حبيبتي
قامتها طويلة كالسيف
وعينها صافية مثل سماء الصيف
كنت رسمت وجهها على الورق
كنت حفرت صوتها على الورق
كنت جعلت صدرها حمامة شامية
وشرفة بحرية تلامس الماء
ولا تخشى الغرق
كنت جعلت شعرها مزرعة من الحَبَق
وخصرها قصيدة ،

وثغرها كأس عرق
كنت اشتغلت ليلة بطولها
أصور ارتعاشة العِقد ،
وموسيقى الحلق

اجهشت مليكة بالبكاء وحضنت الهاتف إلى قلبها بعد أن منحتها كلماته لها بصيصا من القوة حتى تتجاوز تلك الفترة الصعبة وتعود من كبوتها كما كانت امرأة قوية واثقة من نفسها .. فأسرعت بالكتابة له " الحقيقة الوحيدة التي لن تتزحزح من يقيني مهما حدث يا مفرح .. أني أحبك وسأظل أحبك حتى لو جاء يوم ونسيت فيه اسمي ومن أكون "

××××

إنها الليلة الأخيرة قبل إعلان النتيجة والتي ستضع حدا لمخاوف استمرت لأكثر من أسبوع منذ أن حضر والد شيرويت وفجر قنبلة في وجوه الجميع ...

النتيجة التي ستضع حدا فاصلا وتعلن عن وشم كامل بذنب كبير للأبد أو عن عتق رقبته .
تحركت بسمة في غرفتها جيئة وذهابا غير قادرة على النوم .. إنها تحبس نفسها في غرفتها منذ العصر .. وتحبس قلقها وأفكارها عن الجميع .. تفتقد مليكة بشدة لكنها تمنع نفسها من التحدث معها فيما يخص هذا الموضوع حتى لا توترها ..
ستخبرها لاحقا .. أيا كانت النتيجة ستخبرها.
زفرت بحيرة والقلق ينهشها نهشا وكل أفكارها منصبه على سؤال وحيد ..
ماذا لو كانت النتيجة إيجابية .. كيف ستتصرف ؟..
لو كانت بسمة القديمة .. قبل اكتشاف حب كامل لها وقبل أن تسلم كل ذرة فيها له ..
لو كانت بسمة القديمة حينما جاءت هنا إلى هذا البيت تنوي بأن تبقى لفترة مؤقتة وهي

تنفذ خطة حمقاء ترغب بعدها أن تعود لبلدتها مطلقة ..
لو كانت بسمة القديمة قبل حادثة بيت الجد صالح وذلك الحريق الذي تعرضت له .. وقبل مخاطرة كامل بحياته من أجل انقاذها .
لو كانت بسمة القديمة .. لكانت الآن في بيت والدها في القرية تطلب الطلاق بإصرار .. لكنها تبدلت وتغيرت ولم تعد بسمة التي كانت قبل عدة شهور ..ولا بسمة قبل ثلاث سنوات حينما عادت إلى قريتها تجر أذيال الخيبة ..ولا حتى بسمة قبل ثماني سنوات تلك الساذجة النمطية محدودة التفكير.
لذا فليس أمامها إلا تقبل الأمر الواقع .. لكن ليس لضعف هذه المرة ولكن لرغبة شجاعة منها في التمسك بكامل .. بالتشبث به .. بالدفاع عن امتلاكها له ..

ومع هذا تشعر بالتوتر والقلق .. وتشعر بالشفقة عليه .. فاليوم كان عصبيا أكثر من الأيام الماضية وانهمك في مهام تخص المطعم حتى أنه قد هرب من مواجهة الجميع ولم يجتمع معهم على طاولة الغداء.

وهي أيضا صعدت إلى غرفتها متمادية في ذلك العند معه وكأنها تداري به مشاعرها الضعيفة تجاهه ..

لم تعتد على البوح بمشاعرها .. على إظهار احتياجاتها .. ولم تقم من قبل بالتعبير عن ضعفها .

لم تفعلها أبدا ولم تترك نفسها على سجيتها من قبل .. دوما ما كانت متحفظة منذ صغرها تغلف مشاعرها بقشرة سميكة.. حتى صدقت بأنها ليست شخصية رومانسية كباقي البنات لكن كل هذا أثبت عدم صحته حينما قابلت كامل .

قطع أفكارها صوت أتاها من الخارج لأغنية تحفظها عن ظهر قلب .. أغنية لها من الذكريات الحلوة عندها ما جعل قلبها يقفز قفزة عالية من مكانه ليرتطم بسقف حلقها ثم يهبط وتتوالى قفزاته المجنونة.

تقول انسى وأقول آهين لو أقدر
بعد طول النوى أنسى
تقول اقسى وأقول اللي شرب من عينك
الإحساس ما يقسى
أحبك يا بعد هالقلب
أحبك احبك أحبك

كان الصوت لا يخرج من السماعات الداخلية بل كان يبدو خافتا يخرج من هاتف خلف باب الغرفة فدمعت عيناها تتذكر تلك الأغنية.

أبا أتأسف وأنا ما خطيت
لأني بالفعل حبيت
أنا سمعتني الأيام

يا ليتك تسمعي ياليت

دفنت بسمة وجهها في كفيها تبكي على طرف السرير بعد أن خارت قواها .. ولأول مرة تربط الأغنية بمشاعر كامل .. كانت الأغنية دوما ذكرى لظهوره مجددا في بيت الجد صالح بعد أن ودعها وترك البيت .. لكنها الآن ربطت بين مشاعره وما أعترف به لها سابقا عن عدم قدرته على السفر بسببها .

صعب أقدر على الحرمان

صعب أنسى ولو لحظة

لأني عاشق وانسان

لم تستطع الصمود فاندفعت نحو الباب تفتحه لتجد كامل يقف خلفه يتطلع إليها بملامح حزينة وعيناه تقولان كلاما كثيرا يضاف لما تقوله الأغنية فألقت بنفسها عليه تتعلق بعنقه ليحضنها كامل بقوة وارتجاف وأخذت يده تتحسس ظهرها بشوق كبير لكنه همس

بجوار أذنها بصوت خافت ولهجة متوسلة "
دعيني أنام بجوارك الليلة فأنا بحاجة ماسة
إليك وأعدك أن أكون مؤدبا إن كنت لا ترغبين
في أن ..."
قاطعته بسمة حينما أبعدت رأسها ووقفت
على أطراف أصابعها تطبق على شفتيه بسرعة
.. فبادلها كامل القبلات المشتاقة وهو يدفعها
للداخل ويغلق الباب بقدمه ..
أبعدها بعد قليل يرسم ملامحها بمقلتيه
فقالت بسمة بتهديد وهي تمسك بتلابيبه"
اسمع أنت لي .. لي أنا .. ملكي .. ملك بسمة هل
تفهم هذا الكلام؟ .."
لمعت عيناه ووضع الهاتف الذي لايزال يصدح
بالأغنية في جيبه ومال يلفح عنقها بأنفاسه
اللاهبة وقبلاته الأكثر لهيبا بينما بسمة تضيف
بصوت باك وهي تتشبث بذراعيه" والله يا
كامل سأعذبك ثم اقطعك قطعا صغيرة "

افلتت ضحكة من بين شفتيه ورفع رأسه إليها يسألها بصوت خافت "وماذا ستفعلين بقطعي الصغيرة بعد ذلك سترميني للكلاب؟"
تحسست صدغيه بأصابعها وهمست بقلب يتألم" بل سأحتفظ بها معي بجواري في حوزتي"

هجم على شفتيها يقبلها بقوة مشاعرهما معا فتعلقت بسمة بعنقه ليتبادلا قبلات ملتهبة قبل أن يطلق كامل سراح شفتيها قائلا من بين لهاثه" أحببت الأفكار المتوحشة يا باسمتي "
كفاية قسوة العالم تعالي
أنا محتاج لك دايم قبالي
تعالي من ورا حزني
تعالي من خيالي
كانت لا تزال متعلقة بعنقه فنزل بجذعه قليلا ليرفعها من خصرها لأعلى لتلف ساقيها حول

خصره ويتحرك كامل بها نحو السرير وهو يقبل عنقها بينما هي تغرز أصابعها في خصلات شعره قبل أن ينزل بها على السرير قائلا" يا إلهي لقد اشتقت لك حد الموت .."

قالها وابتعد واقفا يخلع عنه قميصه ويعود ليخيم فوقها ليغرق في بحور عينيها الزرقاوين اللتين باتتا متوحشتين.

أنا لفيت حتى تعبت الدنيا من أسفاري
ولا لقيت في عز الشتا مثلك
دفا وإخلاص يا ناري
نهاري والسفر انت
واحلام العمر انت
ولو بان لي صوتك ،
عرفت السر بسكوتك
أنا عشقك .. وأنا موتك ولا داري

بعد بعض الوقت كانا يجلسان تحت غطاء السرير يستند كامل بظهره إلى ظهر السرير بينما بسمة تنام فوق صدره العاري .. وكلاهما يتشبث بالأخر .. ويفكر بقلق فيما سيحدث بالغد .

رفعت إليه بسمة رأسها تقول بهمس "هلا أخذتني معك غدا "

رفع يدها المشبكة الأصابع مع أصابعه ليطبع قبلة عليها ثم قال هامسا "ليس هناك داع سنقابل والدها في مكتب محاميهما أنا وأبي وشامل ومحامينا وكل منا معه نتيجة تحليل معمله "

قالت بغيرة حارقة "وهي بالطبع ستكون حاضرة"

تطلع في عينيها ثم مال يطبع قبلة على جبينها ويرد بنفس الهدوء "لأن الأمر يخصها"

ابتعدت عنه تقول غاضبة وهي تلملم غطاء السرير حول جذعها" وأنا ؟.. أليس الأمر يخصني أيضا"

مد يده يمشط خصلة من شعرها طوليا إلى أسفل ثم تحسس خدها يقول" لا تقلقي بشأنها"

هتفت بشراسة لم يرها عليها من قبل "أنا لست قلقة لأني لن أترك مجالا للقلق هل تفهم .. إن حدث لا قدر الله وكان ابنك ستتزوجها وتطلقها أليس كذلك ؟"

أومأ برأسه بعبوس لتقول بسمة "ستطلقها في نفس الساعة في نفس اللحظة هل سمعت ؟"

هز رأسه موافقا فأضافت تملي شروطها" وأي شيء تريده منك بعد ذلك يكون عن طريقي أنا .. لا تتحدث معك مباشرة هل فهمت "

اتسعت ابتسامته لحماقتها فهتفت بغيظ "لماذا تضحك .. ستنفذ هذا يا كامل .. أنا لن

أسمح لها بأن تتحجج بالطفل حتى تتسلل إليك سآكلها أقسم بالله"

راقبها بعينين ناعستين ونزلت أنظاره إلي يدها التي تتشبث بالغطاء حول جسدها ثم سحبها لتعود إلى صدره وقال بصوته الرخيم "لا يزال أملي كبير في الله أنه لن يعاقبني هذا العقاب القاسي .. وبأني على صواب ولم ألمسها تلك الليلة"

قالت بسمة بحشرجة باكية" يا رب يا كامل (وصمتت قليلا ثم سألت) لماذا أصر شامل على عمل التحليل رغم تأكيد دكتور المعمل له بأن الأمر يحتاج لواحد فقط من التوأمين؟ "

رد كامل موضحا "لأنه لم يرغب في أن ندخل في مهاترات وجدل مع والد شيرويت .. الرجل في مصيبة كبيرة ويريد أن يجد حلا لفضيحته ففعلها شامل ليرتاح الرجل حين تخرج النتيجة سلبية إن شاء الله .. "

رفعت بسمة رأسها تقول له بحماس "أتعلم لو تمت تبرئتك من هذه التهمة سأخبرك بشيء سيسعدك"

عقد حاجبيه وسألها" ما هو؟"

هزت كتفها وردت بدلال وهو يلف ذراعه حول جذعها ويقربها لتعود للاستلقاء على صدره "ليس الآن"

سألها كامل وقد عادت إليه نبرته اليائسة "وإن حدث عكس ما نتمنى هل ستتراجعين عن إخباري ؟"

شردت قليلا تفكر ثم ردت " بل سأخبرك به أيضا حتى تفرح لأني أعلم بأنك ستحزن كثيرا إن حدث عكس ما تتمنى "

رفع كامل رأسها فنامت بخدها على كتفه ولفت ذراعها حول عنقه بينما لف هو ذراعيه حولها يتحسس ظهرها ويدفن وجهه بين كتفها

وعنقها هامسا "أحبك يا بسمتي .. أحبك ولن أحب امرأة سواك .. "

xxxx

ماذا يفعل مع هذه الانسانة التي باتت تثير اشمئزازه؟

هل يحظر رقمها؟ ..

حتى لو فعل فهي تستطيع الوصول إليه عن طريق هاتف ابنته.. كما أنه يخشى من أن يحدث لميس شيئا ولا تستطيع الاستنجاد به وقتها إن كان يحظر رقمها .

تطلع في الهاتف في يده بغيظ في جلسته على السرير يفكر .. هل جنت هذه المرأة؟!! .. أم تعتمد على أخلاقه وبأنه لن يخبر أحدا بما تفعل من سخافات ؟.. إن الوضع محرج جدا يخجل من أن يوصله لأخويها حتى لا يؤذيانها فتتأذى ابنته.

كان لا يزال وقع ذلك السهم الناري الذي حرقت به ميس قلبه بعبارتها له يؤلمه بشدة .. بينما العبارة نفسها لا تريد أن تخرج من رأسه (أنت سعيد وأنا أنام كل يوم باكية اشتاق لك) نعم هو سعيد .. سعيد جدا ولا ينقصه سوى أن تكون ميس بجواره تنام تحت سقف بيته .. نعم هو سعيد .. سعادة لم يعتقد يوما بأنها موجودة وبأنه قد يحظى بها .. سعيد لدرجة كانت تشعره بالذنب تجاه ابنته والآن تذبحه .

قالت أم هاشم بمرح تداري شعورها بالضيق لشروده وتحديقه في الهاتف منذ أن عاد من نزهته مع ابنته" ما رأيك أختار أيهما ؟"

رفع أنظاره إلى مصدر سعادته وابتسم ابتسامة غافلت أوجاعه وزينت شفتيه لكنه لم يعرف أن عينيه المتحيرتين وعقله المشتت

يفضحونه ..ليجد أم هاشم ترفع له قميصي نوم فقال" كلاهما سيكونان رائعين عليك "
لم يخف عليها نظرته الفارغة الفاترة ..فتجاهلت شعور مباغت بالألم في قلبها يخبرها بأن اللحظة التي تخشاها قد اقتربت وقالت بتهكم متصنعة المرح "أتعرف أنا غيرت رأيي سأنام الليلة بكل أدب واحتشام كنوع من التغيير "
ابتسم لها مجددا ابتسامة ضعيفة لا تتماشى مع مزحتها وعاد ذهنه للتشتت والحيرة .. في الوقت الذي اعادت فيه أم هاشم القميصين للخزانة واقتربت من السرير وسألته" هل تريد الضوء؟"
هز رأسه بلا صامتة دون أن ينظر إليها فأغلقت هي الضوء بعد أن اشعلت المصباح الجانبي ثم نامت على طرف السرير بتحفظ تولي ظهرها له

وتطلب من نفسها تركه وشأنه فهو يبدو مهموما أكثر من الأيام الماضية .
شعر جابر بارتباكها رغم أنه كان يجلس موليا ظهره لها .. و لم يعرف ماذا يقول لها .. وكيف يشرح لها مع يدور في عقله ..
هل لو أخبرها بأنه يشعر بالذنب لأنه سعيد معها ستفهمه؟ ..
هل ستتفهم حينما يخبرها بأن أسعد لحظاته تكون وهي بين ذراعيه أنثى كما خلقت الأنثى لأن تكون توأم روح لأدم؟ ..
هل سيجرحها إن أخبرها بأنه يفكر في معاقبة نفسه على ذنبه في حق ابنته بالحرمان من مطارحتها الغرام حتى يحل مشكلة ابنته ؟..
هل ستتفهم بأن كل ما يصدر منها يبهج قلبه لدرجة جعلته يفكر بمنع نفسه عنها وبأن هذا عقاب له وليس لها ؟..

مال على جانبه مهموما يضع رأسه على الوسادة وهو لا يزال يوليها ظهره ..وعم صمت متألم في أجواء الغرفة وكلاهما ينام على طرف السرير يولي ظهره للأخر .. كلاهما يتوق لمعانقة الأخر .. مجرد معانقة ورغبة في الالتحام ليس بالضرورة أن تنتهي بشيء حسي .

ضعفت أم هاشم .. وغلبتها مشاعرها رغم عدم رغبتها في فرض نفسها عليه فهمست في سرها تشجعها " إنه أمر عادي يا أم هاشم.. من الطبيعي أن تفتر لهفته عليك كرجل .. كان عريسا وكان يريد أن يسعدك .. ومن الممكن أن يكون في حيرة من أمره حاليا .. يبحث كيف يخبرك بأنه يريد أن يرد الذبابة الخضراء إلى عصمته وسيخيرك ما بين البقاء أو الرحيل لأنه لا يريد أن يظلمك "

حرقت الغيرة قلبها وذبحها الشوق من الآن فتحركت بخفة لتقترب منه ثم انكمشت على

نفسها خلفه دون أن تلمسه.. تتلمس دفء جسده.. فلم يقدر جابر على الصمود هو الأخر فإن كانت ميس ابنة قلبه فهي .. (أم قلبه) .
استدار بكليته إليها .. فابتسمت له تلك الابتسامة اللؤلؤية المؤطرة بشفتين ماكرتين وغمازتين جميلتين .. واعتدلت برأسها على الوسادة بجواره تتأمله .. ثم رفعت يدها تمسد على صدغه ولحيته بحنان وهي تقول هامسة"
لا تحمل هم شيء يا جابر صدقني كل مشكلة ولها حل"
رفع كفه ووضعه فوق كفها على صدغه وحدق في عينيها يقول بهمس أجش "هلا تحملتني لفترة يا بنت شيخي .. أشعر بالألم من أجل ميس فهي متأثرة جدا بانفصالي عن أمها وهذا يفطر قلبي"
هتفت بلوعة " بعيد الشر عليك وعلى قلبك .. أخبرني ماذا أفعل لأساعدك "

حرك كفها ليطبع قبلة في باطن يدها ثم قال بصوت أجش هامس" تحمليني فقط لبعض الوقت "

أومأت برأسها تبلع غصة منعتها من قول المزيد .. فشدها جابر إلى حضنه ..لتسحب أم هاشم نفسا عميقا من رائحته المختلطة بعطره إلى صدرها واغمضت عينيها متشبثة به بينما رفع جابر أنظاره للسماء وذلك الشعور بالذنب يسيطر على مشاعره.. يبتزه كلما شعر بالسعادة .. شعر بالحياة .. كهذه اللحظة التي تنام فيها أم قلبه بين ذراعيه فهمس يناجي ربه "يا رب هونها والهمني بحسن التصرف "

xxxx

يوم الجمعة

صباحا

نادى وليد من وقفته عند باب الغرفة قائلا "مهجة تعالي أريني أين القميص المكوي "

ردت من المطبخ باندهاش" ماذا تعني أين القميص؟ أنت تعرف مكان القمصان !"
قال بعصبية "يا مهجة لا أجده وأنا في عجلة من أمري "
أغلقت الأخيرة الثلاجة بغيظ وأسرعت إليه تدخل من الباب الموارب لتتفاجأ به يسحبها ويغلق الباب فقالت حانقة وهي تنظر له " لقد ارتديت القميص بالفعل يا وليد "
لصقها في الحائط بجسده وقال بشقاوة "ومستعد أن أخلعه لو يرغب القمر "
احمرت وجنتاها وقالت بلهجة عاتبة" وليد الولدان بالخارج"
قال بحنق " وليد يشعر بالغيرة لأنهما يأخذانك منه"
ابتسمت تقول " هذا لتتدرب حتى يشرفنا ولي العهد .. ثم أن الولدين هادئان لكنك أنت

الأناني المدلل الذي يريد أن يستحوذ على الاهتمام كل الوقت "
قال بصبيانية وهو يتحسس خصرها" لأني أريدك لي وحدي "
ضحكت على حالته وهمت بالتحرك لكنه منعها بذراعه المفرود بجانبها مستندا بكفه على الحائط لتقول مهجة موبخة "وليد دعني أكمل ما كنت أفعله فعلي أن أنزل لاساعد والدتك بالأسفل "
قال الأخير بابتسامة عابثة وعيناه الزرقاوان تتطلعان فيها بنظرة ذات مغزى " ليس قبل أن أخذ رشوة .. وإياك أن تتحججي بالوحام سآخذ رشوة يعني سآخذها "
قالها وأطبق على شفتيها يقبلها ..
في نفس الوقت وقف كريم أمام بيت الوديدي وذراعه المربوط معلق فوق شريط يتدلى من

رقبته فنادى بصوت عال يرفع رأسه للشرفة" يا أدهاااام .. إياااد "
بدأ في إطلاق صافرة في الوقت الذي كان فيه إياد يرمي التابلت الخاص به بملل ويزفر وهو يقول "تعبت ومللت وأشعر بالضيق"
سمع النداء عبر الشرفة فقال لأدهم المنهمك في فحص شيء ما على الفيسبوك "كريم ينادي"
حين لم يرد أدهم قال إياد وهو يتجاوزه ويضربه على مؤخرة رأسه" كريم بالخارج قلت "
التفت إليه أدهم والشرر يتطاير من عينيه وقال من بين أسنانه" أنزل له أنت وسألحق بكما فأنا أريد الانترنت "
التقط إياد التابلت مرة أخرى وقال" هو حضر من الأساس لنلعب على الانترنت .. سنجلس على السلم (وعلا صوته يقول) سأكون على

السلم بالأسفل يا عمتي فصاحبي كريم قد حضر "

حين لم يأته ردا نظر لأدهم قائلا وهو يغادر "تعال يا بني سنكون على السلم "

قالها وتحرك لينزل لكريم الذي كانت فاطمة على الباب تحاول إقناعه بالدخول وهو يعتذر لها بحياء.

قال إياد من خلف فاطمة" أدخل يا بني حتى نلتقط إشارة الانترنت "

احمرت وجنتا كريم ودخل لتكرر فاطمة ما قالته حينما رأته "ألف سلامة على ذراعك يا حبيبي "

غمغم كريم بالشكر ثم سلم على إياد سلاما رجوليا خشنا وتبعه بحرج ليصعدا ويجلسا في منتصف السلم فسأله إياد وهو يفتح هاتفه بعد أن لقنه كلمة السر الخاصة بالإنترنت "ألم يعد والدك لماذا تصر على العمل حتى الآن ؟"

رد كريم " أنا أحب العمل عند المعلم جابر ..كما أنني أدخر لأشتري هاتف أحدث "
في الطابق العلوي دخل أدهم على حسابات الدكتور أكرم وزوجته الدكتورة ابتسام وابناءهما على فيسبوك واحدا تلو الأخر ليرى إن كان هناك أي شيء غريب .. فلم يجد إلا أن الدكتور أكرم قد شارك منشورا عاديا على صفحته قبل يومين يخص خبر يهم الأطباء .. فتعجب أدهم أن يكون مريضا كما يقولون ومع هذا قادر على مشاركة المنشورات على فيسبوك ..
حين لم يجد ما يجيب على اسئلته الحائرة فكر في أن يبحث عن حسابات عمار صوالحة وأفراد عائلته على فيسبوك لكنه لم يكن يعرف منها إلا حساب ابنته سجى التي تكبره بثلاث سنوات .. فأسرع بالدخول عليه وقبل أن يبحث في قائمة اصدقائها عن باقي أفراد العائلة

وجد منشورا على صفحتها نشر قبل عدة ساعات كتبت فيه (ادعو لعمتي أن يتم شفاءها على خير).

عقد أدهم حاجبيه وتطلع فيه بعبوس ثم انتفض واقفا يخرج من باب الشقة إلى إياد قائلا" إياد أنظر لهذا المنشور"

نظر إياد في الهاتف ثم سأله" من هذه؟"

قال أدهم من بين أسنانه بخفوت" هذه سجى ابنه خالي عمار "

هرش إياد في مؤخرة رأسه وقال متسائلا بغباء" وهل لها عمة غير أمي ؟"

قال أدهم " هذا ما قصدته؟؟ ما معنى هذا الكلام؟ .. ألم أقل لك أن هناك شيئا يرفضون اخبارنا به؟"

سأل كريم بعدم فهم" ماذا يحدث ؟"

رد إياد بلهجة حزينة " لا نعرف شئيا عن سبب سفر أمي فجأة ونشعر بأن هناك أمرا يخبئونه عنا .. بصراحة نخشى أن يكونا متشاجرين "
كان أدهم قد عاد للهاتف يتطلع في التعليقات ليجد تعليقها من أحد زملاء سجى يسأل عن نوع مرضها فردت عليه بأنها تمر بوعكة صحية ولم تحدد .. فأسرع أدهم بإرسال رسالة خاصة لها (كيف حالك).
وتمنى أن تراها سريعا ثم جلس على درجة السلم شاردا يقضم أظافره حتى أنه رفض أن يشارك أخاه وصاحبه اللعب .
بعد قليل جاءه ردها تقول" أهلا أدهم أنا بخير"
تردد قليلا ثم كتب " كيف حال أمي طمئنيني؟"
ردت تقول" أنا لا أعرف .. فهي في فيلا عمي أكرم .. ورغم أن شقتنا في نفس الشارع إلا أن

أبي وأمي هما من يذهبا لزيارتها منذ أن جاءت إلى الفيلا "

ازدادت ضربات قلب أدهم وسألها "أنا لا أفهم ما بها بالضبط ولا أحد يشرح لي "

ردت عليه" أنا أيضا لا أعرف إلا أنها كانت في المستشفى ولا أفهم مثلك التفاصيل.. لكني اشعر بالتعاطف الشديد معها وأتمنى أن يسمح لنا أبي بزيارتها قريبا "

فكر أدهم قليلا فناظره إياد بذهن مشغول عن اللعب لكن أدهم عاد يكتب "ومعاذ ابن خالي أكرم ألم يخبرك بشيء؟"

ردت سجى" لا لم يقل شيئا فهو الأخر لا يعرف أكثر مما أعرفه.. وأخبرني بأنها تمكث في غرفتها غالبية الوقت وحين يراها تكون مجهدة وشاردة وكأنها حزينة ..يشعر بأن بها شيئا ما مختلفا عن شخصية عمتنا التي يعرفها "

غمغم أدهم في سره بعبوس "مريضة وحزينة !!!.. إذن الأمر كما قال خالي بشر بأنها شعرت بالتوعك في تلك الليلة .. لكن لماذا كذب أبي وقال بأنها مع خالي أكرم وبأن أكرم هو المريض؟ ولماذا كذبت هي علينا وأخبرتنا بأنها خارج البلاد؟!! ..والسؤال الأهم لماذا هي حزينة (وناظر إياد الذي عاد يناظره بقلق وأضاف في سره) هل من الممكن أن تكون هي وأبي غاضبان من بعضهما .. وهل الأمر بهذا السوء بينهما حتى يكذبان علينا !!"

إن الخاطرة واحدها جعلت قلبه ينقبض في صدره بقوة وهو يناظر أخيه بعينين هلعتين.

xxxx

تطلعت سوسو في ظهر بسمة التي تقف متكتفة أمام إحدى النوافذ الكبيرة في بهو الفيلا وعادت تزفر وتقول بحنق "أين هؤلاء الرجال كل هذا الوقت !.. "

عادت للاتصال بغنيم فكان هاتفه مغلقا كما هو لتقول بعصبية" لماذا تغلق هاتفك يا غنيم هل هذا وقته!"

ونظرت لونس التي تجلس أمامها تسألها "هل رد شامل على الواتساب ؟"

هزت الأخيرة رأسها فاستندت سوسو بمرفقها على يد المقعد وأسندت جبينها على يدها تقول بإعياء" هذا التأخير يؤكد شيئا ما لكن كان عليهم أن يبلغونا .. لم يكن ليأخذ من شامل دقيقة .. (وشعرت بغصة في قلبها وغمغمت) لا حول ولا قوة إلا بالله! .. أتمنى أن يتحمل غنيم الخبر .. (ليسقط قلبها بين قدميها وتقول لونس بصوت مسموع) أمن الممكن أن يكون قد حدث شيئا لغنيم لهذا لا يردوا علينا !!"

اتسعت عينا ونس بهلع بينما التفتت بسمة لحماتها بقلب مقبوض أكثر من انقباضه السابق وهي تتخيل أن شيئا سيئا قد حدث

لحميها .. بينما أخذت أعصاب سوسو تنهار رغم تماسكها منذ بداية اليوم إلا أنها لم تقدر على تحمل المزيد فبدأت في البكاء.

أسرعت إليها كنتاها فأمسكت ونس بيدها بتعاطف بينما مسدت بسمة على ظهرها لتقول سوسو "أخاف على غنيم وهذا التأخير لا ينبئ بالخير"

رغم توصل بسمة لنفس الاعتقاد بأن هذا التأخير لا يعني إلا شيئا واحدا وهو أن النتيجة إيجابية لكنها قالت لتطمئن حماتها على زوجها" إن شاء الله عمي غنيم سيكون بخير إنه رجل قوي رغم كل شيء "

صوت سيارة آت من المرآب جعلهن متحفزات .. لتقفز سوسو من مقعدها وتقول وكأنها تحدث نفسها" على الأقل ثلاثتهم بخير"

دخل غنيم بعد دقائق وتبعه توأماه فتعلقت العيون بهم ليقول غنيم بسرعة "آسف يا سوسو آسف جدا ذلك الكلب صادر هاتفي " قالها مشيرا على كامل فتحركت المُقل النسائية بين ثلاثتهم ثم أسرعت سوسو نحو زوجها قائلة" هل أنت بخير؟"

ضمها إليه يرد بلهجة مشفقة "لا تقلقي كان الله بنا لطيفا والنتيجة سلبية والحمد والشكر لله "

صرخت سوسو صرخة فرح شاركتها فيها كنتيها لتغمغم بعدها الأولى "الحمد لله رب العالمين.. سأخرج شيئا لله "

رد شامل وهو يضع كفه على كتف ونس التي اقتربت منه هي الأخرى "والله يا أمي لا تتصوري فرحتنا عندما جاءت النتائج سلبية .. لقد سجد ثلاثتنا شاكرين لله فضله "

ظل كامل وبسمة يتناظران وهي تقف بعيدا تحضن نفسها وكأنها تمنعها من القيام برد فعل مجنون أمام الجميع تعبر به عن سعادتها .. كالهرولة إليه والتعلق بعنقه وإمطاره بالقبلات .. فاكتفت بما يفعله قلبها من اطلاق ضربات قوية كطلقات الرصاص الذي يخرج من فوهات البنادق في أفراح القرية تعبيرا عن الفرحة بينما انهمرت الدموع من عينيها .. فتحرك كامل مقتربا منها بينما سألت سوسو "ولماذا تغلقون هواتفكم؟؟"

قال غنيم مشيرا على كامل "ابنك هو من صادر هاتفي واتفق مع توأمه لإرعابكن "

هتف شامل وهو يضع كفه على صدره متصنعا البراءة" أنا !!.. أنا لم أفعل شيئا كامل من فعل كل شيء "

تأملته بسمة وهو يقف أمامها يفتح ذراعيه قائلا بابتسامة متسعة "عدت إليك وحدي باسمتي "

امسكت بملابسه ترفع وجهها إليه وتقول بغيظ مقاومة مشاعرها المجنونة "كيف تتركنا كل هذا الوقت في هذه الحالة دون أن تطمئنا يا كامل ؟؟!!كدنا أن نموت والله من القلق.. "

لم تستطع المقاومة بعدها فتعلقت بعنقه تعانقه بقوة وقد انفجرت دموعها لتعبر عما يجيش في صدرها من انفعالات هامسة "أنا سعيدة من أجلك ومن أجل اسرتك أكثر من سعادتي لنفسي أقسم بالله "

مسد على ظهرها مستسلما لعناقها وهمس بخفوت وهو مغمض العينين "ألف حمد وشكر لله .. أشعر براحة كبيرة .. وكأن جبلا كان جاثما فوق صدري وانزاح"

تحركت سوسو لتجلس هي وغنيم فتبعهما شامل وونس تسأل سوسو "ولماذا تأخرتما كل هذا الوقت؟"

رد شامل بلهجة آسفة "الحقيقة أن شيرويت انهارت بعد معرفة النتيجة ونقلها والدها للمستشفى فرافقناه حتى اطمأننا عليها ثم تركناهما"

كتبت ونس في دفترها تسأل "من الأب إذن؟"

رد شامل "والد شيرويت أخذ مني أنا وكامل أسماء الشباب الذين كانوا حاضرين معنا ذلك اليوم في تلك السهرة وسيبحث في الأمر"

قوست ونس فمها للأسفل باستياء بينما قالت سوسو بحزن "بصراحة أنا لا أعرف هل اتعاطف مع هذه البنت أم أشعر بالغضب منها ..كيف يصل بها الاستهتار إلى هذا الحد ؟!"

قال غنيم باستياء هو الأخر" الحقيقة أن والدها في موقف صعب كان الله في عونه"

قالت بسمة بتعاطف صادق وهي تقبض على ملابس كامل بتشبث في وقفتهما ملتصقان"
أتمنى أن تعرف والد طفلها فما أقسى أن تتعرض امرأة لموقف بشع كذلك"
غمغمت سوسو بأسف "سترها الله معنا جميعا"
قال كامل وهو يضم بسمة إليه أكثر "ما رأيكم أن نخرج اليوم لنتناول العشاء بالخارج شهيتي مفتوحة وأرغب في الاحتفال"
رد غنيم بعبوس" اذهب أنت أنا لن أذهب"
قال كامل لوالده" اعتذرت لك يا حاج فأرجو أن تصفح عني"
قال غنيم بجدية مشيرا بسبابته " احذر أن ينفذ رصيدك من ستر الله يا كامل فلا تضيع هذا الرصيد في أخطاء قد تؤدي لكوارث .. وتتهاون مرة أخرى"

شعر كامل بالحرج من توبيخ والده له أمام الموجودين في الوقت الذي اسرعت سوسو تقول لتغير الحديث "أين تفكرون أن تذهبوا؟"
رفع شامل انظاره لكامل وأخذا يتبادلان الأفكار ثم قال "لنا صديق لديه مركب كبير في النهر من الممكن أن نسهر عليه سهرة جميلة"
قالت سوسو لغنيم "أريد أن أذهب يا غنيم تبدو سهرة جميلة "
قال غنيم بحنان " نذهب يا عينا غنيم إلى أي مكان تريدينه"
صفق شامل بيديه بخشونة قائلا بلهجة عابثة" الله الله .. لدينا عصفوري كناريا في بيتنا يا ولد يا كامل "
قالت سوسو بحرج" أخرس يا ولد"
أشارت ونس وهي تمسك بيد شامل بأنها متحمسة جدا للذهاب بينما قال كامل" إذن متفقين (وأنزل أنظاره لبسمة التي لا تزال

تقبض على ملابسه وترتكن برأسها على صدره وسألها بخفوت) ما رأي فاتنة المجرة؟"
رفعت بسمة وجهها إليه تقول بلهجة متأثرة" أنا سأذهب معك في أي مكان يا كامل ..أي مكان"

××××

وقف جابر أمام بيت هلال جمعة يقول بصوت هامس لزين الذي يركز في هاتفه "كما اتفقنا إن أعجبتك ستعطي لنا إشارة "
رفع زين رأسه يقول بلا مبالاة "طبعا طبعا"
عاد لهاتفه فقالت نجف " ما هي الإشارة ؟ هذا الولد يراوغ ؟"
رفع زين رأسه لأمه منتبها وقال ببراءة مصطنعة" أنا !.. سامحك الله يا حاجة
(والتفت لأخيه يقول بنزق وهو يرفع ساعده لينظر للساعة) هيا يا جابر لننتهي من هذه

الزيارة سريعا بالله عليك لابد أن ألحق بأصحابي"
قال جابر بغيظ "ستسافر في المساء!"
رد الأخير ببرود" أين المشكلة؟"
تدخلت أم هاشم تقول" أنا عندي فكرة ..إن أعجبتك إسراء افتح طوق ساعتك واغلقه عدة مرات وسنفهم"
ابتسم لها زين ابتسامة صفراء وسألها" وإن لم تعجبني "
قال جابر بامتعاض "إن لم تعجبك لا تفعل شيئا وسنفهم يا خفيف"
هز زين رأسه وقال" اتفقنا هلا خلصتموني "
زفر جابر بغيظ ثم ضغط جرس الباب ليخرج له هلال مرحبا ومتفاجئا بوجود الحاجة وزين ..فقد تصور أن جابر سيزورهم هو وأم هاشم فقط لكنه قال بسعادة مرحبا "تفضلوا ما هذا النور؟.. كيف حالك يا حاجة نجف؟"

ردت نجف وهلال يقودهم لجلسة في ساحة البيت معرشة بالخوص وبها أرائك خشبية مفروشة بالإسفنج "بارك الله فيك يا ولدي ..في نعمة كبيرة الحمد لله"

قال هلال وهو يرحب بهم" تفضلوا هنا في الهواء الطلق مع نسمة العصرية"

كان النهار على وشك المغادرة والجلسة دافئة فجلست نجف وأم هاشم وجابر على أريكة بينما جلس زين على أريكة أخرى وحده وهلال على الأريكة الأقرب للباب .

قال هلال لزين مرحبا "أنرتنا يا زين"

رد زين بمحبة "بنورك يا أبا كريم .. ألف لا بأس على كريم "

سألت نجف" كيف هو الآن؟"

رد هلال مطمئنا" الحمد لله أنت تعرفين شقاوة الصبيان "

غمغم جابر "بارك الله فيه وحفظه"

خرجت نصرة من الدار ترحب بالجميع بتهليل
قائلة" والله يا جماعة مجيئكم الليلة أسعدنا
..كيف حالك يا أم هاشم؟"
غمغمت الأخيرة" نحمد لله "
حياها زين بدوره" كيف حالك يا أم كريم"
غمغمت في ترحيب "سلمت من كل شر يا رب"
نظرت نصرة في علبة الجاتوه وأكياس الفاكهة
ولزين والحاجة نجف .. وقرون استشعار الأم
وفراسة الأنثى جعلوا قلبها يقفز من مكانه
فهتفت بحشرجة سعيدة "لم يكن هناك داع
لهذه التكلفة يا جماعة نحن أهل"
غمغمت أم هاشم بلباقة" طبعا يا حبيبتي أدام
الله علينا المحبة "
سأل جابر "أين كريم لنسلم عليه ؟"
ردت نصرة" سيأتي حالا "
ولملمت الأكياس وعلبة الجاتوه وانسحبت
للداخل مهرولة بسعادة كطفلة صغيرة .

ترك زين الانشغال بهاتفه وسأل هلال بلباقة"
كيف حال العمل يا أبا كريم؟ .. سمعت بأنك
تعمل الآن سمسارا للعقارات (وأضاف غامزا)
وأن الحياة ازدهرت معك حتى أن جابر يقول
بأنك جمعت المليون الأول"
كتم جابر ضحكة تريد الظهور على شفتيه
بينما رد هلال بامتعاض بعد أن مرر نظراته بين
جابر الذي يجلس هو وأم هاشم على الأريكة
يمينه وزين الذي يواجهه في الجلسة "أعوذ
بالله من القر والحسد ..عموما لقد تركنا لك
أنت وأخوك الملايين يا حبيبي نحن أناس على
باب الله"
انفجر زين ضحكا وهو يغمز لجابر الذي شاركه
في الضحك بينما تبادلت أم هاشم النظرات
المبتسمة مع حماتها في الوقت الذي دخل فيه
كريم يقول بصوت خشن "السلام عليكم "

رد الجميع السلام مبتسمين فسلم على نجف التي أخذت تلاطفه قائلة" ألف لا بأس عليك " احمرت وجنتاه وغمغم بالشكر ثم تحرك يسلم على الجميع..

حين وصل لزين ناكفه قائلا وهو يسحبه ليجلس بجواره "ما هذا يا عم كريم لماذا لا تحافظ على نفسك وأنت تلقن الأشرار درسا"

ابتسم كريم ورد بحرج "بل وقعت كشوال البطاطس على ذراعي وأنا أجري خلف الكرة"

ضحك زين وربت على ظهره قائلا" لا تقل هذا يا كابتن أين تلعبون ؟"

رد كريم بحماس "فتحوا ملعبا صغيرا به نجيلة صناعية نؤجره في الساعة بـ(...) "

رفع زين حاجبيه يقول" وأين الساحات الفارغة في الشوارع .. طوال عمرنا نلعب في الساحات ونزعج الساكنين حولها حتى يرشوننا بالماء لنرحل ونلعب بعيدا "

رد هلال بابتسامة "كانت أحلى أيام والله"
في الداخل هتفت اسراء قائلة" نعم! .. زين دبور !"
قالت نصرة لاهثة من الانفعال" قلبي يخبرني بذلك فوجودهم كلهم مرة واحدة يشعرني بأنها زيارة خاصة ليراك"
عقدت إسراء حاجبيها تداري ارتباكها كأي أنثى في موقف مشابه وقالت باستهجان "وهل هو لا يعرفني !!"
ردت نصرة تقول بلهجة ذات مغزى "معرفة عن معرفة تفرق .. فربما لم يكن ينتبه لك إلا كجارة .. لكن الآن يبدو أنه يفكر في الزواج وأمه رشحتك له"
كتفت اسراء ذراعيها وقالت بعبوس "وما المطلوب مني الآن ؟.. أن أخرج ليعاين الأستاذ زين البضاعة ويرى إن كنت أليق به أم لا ؟"

قالت أمها بلهجة عاتبة "لماذا هذا الكلام يا اسراء؟!!. الناس جاءوا لزيارة كريم وأنا شعرت بأن هناك غرضا أخر للزيارة .."

قالت إسراء بغيظ " ليس من المعقول أن سيادته لا يعرفني؟!!"

قالت نصرة باندهاش " شيء عادي ربما لم يكن منتبها لك خاصة وأنك لا تخرجين كثيرا وهو لا يقضي إلا شهر أو اثنين هنا أغلبهم يكون فيهما خارج القرية كما سمعت "

زفرت اسراء وقالت" أمي أنا لابد أن أذهب لحفل خطبة صاحبتي كما تعلمين "

قالت نصرة مهادنة " أنا أقول لو تجلسين لبعض الوقت مع الضيوف خاصة وأن كريم سيكون منشغلا مع الموجودين وأبوك طلب أن يصاحبك إلى هناك"

قالت باعتراض "لكني أرتدي ملابس الخروج يا أمي وهذا يشعرني بالحرج الشديد وكأني أفعل

ذلك متعمدة وأعرض نفسي على ابنهم .. أنا أشعر بالإهانة"

هتفت نصرة بغيظ " أية إهانة !!.. بل قولي من الجيد أنك متأنقة بالصدفة لحضور خطبة صاحبتك وكأن الله قد دبرها بهذا الشكل "

خرجت همسة من المطبخ تقول "رتبت كل شيء على الصينية يا أمي "

قالت نصرة "أتركيها ستدخل بها إسراء"

هتفت الأخيرة معترضة" أبدا على جثتي لن أدخل بالصينية يا نصرة "

في الخارج قال زين لهلال بلهجة جادة" لكن وجود مكتب لك في مركز المحافظة ولو مكتب صغير كمقر لك كسمسار سيعطيك مصداقية مع زبائنك يا أبا كريم"

رد هلال متنهدا" أنا بالفعل أفكر في استئجار مقر في مركز المحافظة وأفكر أيضا في أن أقيم مشروعا بسيطا يدر عليّ دخلا بجوار السمسرة"

قال زين "سأفكر لك في بعض المشاريع المناسبة إن شاء الله "

دخلت نصرة تبتسم بحرج فقالت أم هاشم" أين أنت يا أم كريم "

قالت الأخيرة "أنا هنا .. (وجلست بجوار هلال تقول) سعداء والله بزيارتكم "

دخلت همسة ذات السادسة عشرة تحمل الصينية بارتباك بعد أن كانت قبل دقائق متحمسة بشدة لأن اسراء طلبت منها إدخال الصينية للضيوف حتى أنها أسرعت بتعديل الغرة البارزة من حجابها على ناحية واحدة ودخلت بوجنتين مشتعلتين رغم أنها سمعت هي ونسمة ما تخمنه والدتها من سبب للزيارة .. لكن روح المغامرة لديها كمراهقة جعلتها تشعر بالحرج عند دخولها..

قالت أم هاشم بلهجة مجاملة "ما شاء الله على العرائس الحلوة "

انحنت همسة ببطء بقامتها الطويلة نسبيا لتضع الصينية على المنضدة في الوقت الذي كان حاجبا زين يرتفعان بعدم فهم تلا ذلك التواءً في شفتيه يشعر باختراق فيروسي لأساسيات المنطق في رأسه فقال بجرأة "هل هذه إسراء؟!!"

نظرت أم هاشم للسماء تحسبن عليه بينما ناظره جابر بنظرة لائمة على جرأة سؤاله في الوقت الذي ضحكت فيه نصرة وردت وهي تعتدل بجسدها البدين على الأريكة بجوار زوجها "أضحكتني والله يا زين .. إنها همسة"

ابتسم زين وقال ملاطفا "كيف حالك يا همسة ما شاء الله أخر عهدي بك كنت صغيرة جدا في أي صف أنت؟"..

ردت برقة مصطنعة" في الصف الأول الثانوي"

غمغم بمودة "ما شاء الله"

اسرعت همسة بالانسحاب بسرعة وبمجرد أن دخلت البيت قابلت نسمة عند باب المطبخ فارتمت عليها وقد لانت مفاصلها وارتخت أعصابها فقالت" امسكي بي يا أختاه إنه وسيم جدا ..(وأضافت بمبالغة المراهقات) هو وعيناه الواسعتان وكتفاه العريضان ..وبنطاله الجينز وشعره الناعم شيء يفوق الوصف "
دخلت اسراء تقول بهمس موبخ" تحشمي أنت وهي فصوتكما عال "
استدارت إليها همسة تقول بهيام " اقبلي به يا إسراء اقبلي بهذا الوسيم ذي العينين الواسعتين"
ناظرتهما بنظرة متوعدة ثم عضت على شفتيها بغيظ واسرعت تخرج إلى الضيوف حتى لا تحزن والدتها.

أما هلال فضيق أنظاره وبدأ يشك في الغرض من الزيارة فنظر لجابر الذي ادعى اللا شيء بينما هو يشعر بالحرج والغيظ من أخيه .

اقتربت إسراء بوجه واجم جاد تقول" السلام عليكم"

رد الجميع السلام بما فيهم زين الذي كان منشغلا بالحديث مع أصحابه على الواتساب فقال جابر مرحبا" كيف حالك يا أستاذة؟ "

رفع زين أنظاره إليها بينما وقفت هي متقبضة إلى جانبيها ومشدودة الأعصاب بوقفه جانبية أمامه تواجه جابر وردت "الحمد لله يا أبا ميس"

تسمرت أنظار زين عليها مصدوما وهو يراها تختلف تماما عن تلك المراهقة التي يتذكرها ..

لقد أضحت كائنا أنثويا ناضجا.. ورشيقا .

قالت إسراء وكأنها تبرر تأنقها الواضح متعمدة عدم النظر نحوه "لا تؤاخذوني تأخرت عليكم

.. فكنت استعد للذهاب لخطبة صديقتي قبل أن أعرف بمجيئكم"
تدلى فك زين شيئا فشيئا دون أن ينتبه بأنه نسي فمه مفتوحا وأنه أخذ يتطلع فيها كتمثال من الشمع .. وبنظرة مقيمة سريعة مرت نظراته عليها من رأسها حتى أخمص قدميها .. فأوقعت أم هاشم الشوكة أرضا لتجذب الانتباه بعيدا عن هذا الذي سيفضحهم ثم قالت "لا تؤاخذوني "
في نفس الوقت تنحنح جابر بحرج لينبه أخاه وهو يتمنى أن يلكمه في فمه المفتوح حتى يكف عن التحديق بهذه الطريقة .
أنزل زين نظراته وأغلق فمه بينما أشار جابر لأم هاشم ثم مال يلتقط الشوكة ويضعها على المنضدة .

هتفت نصرة بقلب يتراقص فرحا تكمل حديث ابنتها "ومع هذا ستجلس اسراء معنا قليلا فلا يصح طبعا "

شعرت اسراء بالحرج واختلست نظرة سريعة ناحية اليمين حيث تجلس أمها ثم غمغمت "طبعا بالتأكيد"

ثم عادت للخلف لتجلس على الأريكة المواجهة لجابر وقد تحولت وجنتاها لحبتي طماطم رغم محافظتها على جدية ملامحها تشعر بالرغبة في لكم ذلك الذي يجلس على يسارها يختلس النظر نحوها بشكل واضح.

قال جابر" نريد أن نعود لمذاكرة اللغة الإنجليزية لميسة قبل بداية العام الدراسي يا إسراء "

ردت اسراء بلهجة مهنية" إن أردت رأيي أنا أفضل أن تتركها في الإجازة الصيفية كلها بدون

ضغط دراسي ونبدأ قبل بداية الدراسة بأسبوعين "

كانت تجلس على طرف الأريكة ترتدي جلبابا باللون الرمادي الفاتح يميل للون الفضي مطرزا من الرقبة حتى الخصر بخيوط باللون البيج على شكل ورود صغيرة بارزة وأساور الجلباب بنفس التطريز هي وشريط طولي من العنق حتى الأسفل بينما حجاب باللون البيج يغطي رأسها ملفوفا حول كتفيها .. أما خصرها فيزينه حبل مربوط على جانب واحد ذكر زين بالقفاطين .

كانت تحرك يديها في الهواء وهي تشرح لجابر شيئا ما لم يركز فيه زين .. كل ما لاحظه هو حركة يديها في التعبير بينما صوتها يحمل جدية وحزم أثارا اعجابه .

لا ليس اعجابه .. فهذه الكلمة تبدو باهتة عما شعر به من توهج مفاجئ ..وتضخم في عضلة القلب ..

صوتها..

صوتها وهي تشرح لجابر تقسيم المنهج الدراسي لميس وما يجب عليها أن تكون قد اكتسبته من حصيلة لغوية .. كان كذبذبات كهربائية مدغدغة للقلب كالصدمات التي تستخدم في الانعاش.

صوتها ..كان يحمل جدية من النوع القاطع الواثق من نفسه ..

صوتها .. كان يحمل لمسة حزن ..

وعباراتها لم تكن سطحية .. بل أوشت بشخص عميق واعٍ لديه رأي ووجهة نظر ..

وفي الوقت نفسه لم تكن تتفلسف أو تستعرض .. حتى إنها لفظت كلمة انجليزية سهوا فأسرعت بحرج بترجمتها .. ولم تتعمد المفاخرة بإتقانها للإنجليزية ولو على سبيل الشعور بالتفوق عمن حولها .

شعر بطوق الساعة في يده وكأنه ينبهه لوجوده بينما جابر يتعمد إطالة الحديث معها حتى لا تغادر فأخذ يسألها بعقلية التاجر أسئلة تحثها على الاسترسال في الحديث والشرح فيما يخص نظام مناهج مدارس اللغات والفرق بينها وبين المدارس الحكومية .

كان زين يميل بجذعه للأمام يستند بمرفقيه على فخذيه وفي يده الهاتف الذي يصدر اهتزازات صامتة لمحادثات بين أصدقائه .. لكنه كان غائبا عنهم جسديا وذهنيا ومعزولا عن مرافقيه بالجلسة ..

بنظرة مختلسة مدروسة من شاب ليس ساذجا أو قليل الخبرة بالحياة فهو فالحادية والثلاثين من عمره تطلع في وجهها الذي يواجهه بوضع جانبي ولاحظ أن عينيها ليستا بنيتين وأن أنفها واضحا في وجهها رغم أنه ليس كبيرا أو منفرا ..

تلصق ركبتيها ببعضهما بجلسة رغم شموخها تفضح توتر الأنثى بداخلها .
طوق الساعة هذه المرة أصبح يدغدغ معصمه في الوقت الذي استغلت نصرة صمتا وجيزا في الجلسة لتسرع بالقول "لم تسلمي على زين يا اسراء"
تلون وجه الأخيرة بينما رمق هلال زوجته بنظرة نارية لكن نصرة كانت لحظتها تطير فوق السحاب واحساسها يتأكد لها كل لحظة غير عابئة بنظرات زوجها وابنتها الموبخة .. أما جابر فنظر لأم هاشم بجانبه وأمه بجانبها باستفهام إن كانت واحدة منهما استطاعت التقاط انطباع زين لكن كلتيهما بادلتاه النظرات الحائرة .
تكلم زين مبادرا بلهجة جادة" كيف حالك يا إسراء؟"

نظرة جانبية سريعة لم ترو فضوله لرؤية تفاصيل وجهها ردت بصوت واضح النبرات رغم تقبض قبضتها إلى جوارها "الحمد لله كيف حالك أنت ؟"

أعجبته ثقتها في نفسها وبدأ عقله يسترجع ما سمعه عن قصة طلاقها التي اشعرته بالأسف عليها وقت سماعها كجارة له وابنة لصديق أخيه وكفتاة في قرية لها احكامها القاسية .. فأعجبه أنها لا تتعامل من موضع انكسار في نفس الوقت الذي أضحى طوق الساعة في معصمه معصبا له في يده لكنه تجاهل ذلك و قال بلهجة مشاكسة كعادته "ما شاء الله كبرتِ"

بنظرة سريعة نحوه ردت بتحفظ" كلنا نكبر لا أحد يبقى على حاله"

اسرعت بالإشاحة بأنظارها عنه وهي تشتم في سرها همسة التي بسببها دققت في عينيه

الواسعتين اللتين احستهما قويتي النظرات كما لاحظت بنطاله الجينز الأزرق في تلك الجلسة الواثقة وهو يميل بجذعه للأمام فبرز عرض كتفيه كما قالت تلك المستفزة .

أما زين فأخذ بسرعة يبحث عن سؤال مفتوح يتطلب منها استرسالا في الحديث فقال بسرعة أول سؤال تبادر إلى ذهنه "بمناسبة حديثكما عن التعليم الخاص ما رأيك في ميل بعض الأسر الريفية القادرة ماديا لإرسال أولادها لمدارس اللغات رغم أنهم قد لا يكونوا متقنين للإنجليزية أو قادرين على متابعتهم دراسيا " شتم نفسه وهو يعترف بأن السؤال لا يتمشى مع بساطة الجلسة والجالسين .. وتعجب من جنوحه لهذه الجدية ولهذا الترقب لرأيها بنفس درجة الفضول لرؤية وجهها الذي استدار إليه ليواجهه كليا .

صعقة كهرباء مفاجئة أصابت قلبه وهي تناظره بعينين تحير في التحديد من هذه المسافة إن كانتا عسليتين أم بنيتين وهي تقول بجدية وبعض الجمود "الحقيقة أن هذا الأمر به ميزة وعيب .. بعض الأسر طموحة لتعليم أولادها بشكل يجعلهم ينافسون أقرانهم في المستقبل وهذا بالطبع شيء رائع وفي المقابل هناك من يتخذه كنوع من ركوب الموجة دون الاهتمام بالمتابعة مع الطفل في المنزل .."

صعقة كهرباء أخرى قوية أصابته وهو يواجهها بكليتها شكلا وموضوعا .. ويستقبلها بحواسه ويدركها بعقله ..

صعقة سببت ارتجافا قويا بعضلة القلب سجل بعدها نبضا متمردا غير مسبوق في صدره مصاحبا لحالة من البله جعلته ينسى للمرة الثانية أن يغلق فمه وهو يتطلع فيها بملء

عينيه.. بينما يده تلقائيا امسكت بطوق الساعة
.
اتسعت عينا أم هاشم التي تراقب هي وحماتها ردود افعاله وقد ملأهما الحماس بينما بلع جابر ريقه ولاحت ابتسامة على وجهه وانتظر ثلاثتهم الإشارة المتفق عليها .. انتظروا أن يفك قفل الساعة ويغلقه عدة مرات .. لكنهم أصيبوا بعد ثوان بالارتباك الممزوج بالإحباط والصدمة .
كانت اسراء لا تزال تتحدث رغم أن عقلها نبهها لأنها ثرثرت كثيرا في إجابة كان من الممكن اختصارها خاصة وأن عينيه الواسعتين المحدقتين فيها تربكانها .. أما زين ففك قفل طوق الساعة ليس ليعيد اغلاقه كما هو متفق عليه بل خلع الساعة تماما من يده ووضعها بهدوء على الطاولة الخشبية الصغيرة أمامه

وهو لا يزال يتطلع فيها ..فنظر جابر لأم هاشم يسألها هامسا "ما معنى هذا ؟؟!!"
تطلعت فيه بارتباك مماثل تقول" لا أعرف لم نتفق على هذه الإشارة .. قلنا يفك قفل الساعة إن أعجبته .. هل يسخر منا مثلا بتلك الحركة !!(ثم رفعت يدها تضيف بهمس مغتاظ)
أتعرف يا جابر اخوك هذا يحتاج لأن أشده من شعره (وانخرست فجأة ونظرت لحماتها المتابعة على الناحية الأخرى وقالت بحرج) لا تؤاخذيني يا خالتي لكنه مستفز بصراحة "
زفر جابر وتطلع في أمه فتبادلا النظرات المحبطة ثم عادا لإسراء التي قالت للجميع شاعرة بالحرج من ثرثرتها" أنا آسفة مضطرة لأن أنسحب حتى ألحق بخطبة صديقتي لا تؤاخذوني والبيت بيتكم "
قال هلال بسرعة "خذي كريم معك كما اتفقنا ..هيا يا كريم مع اختك "

رفع كريم الطبق من فوق حجره بيده السليمة ليضعه فوق المنضدة واستقام واقفا بفم مملوء بالطعام فقالت اسراء وهي تتحرك" أنا أعتذر بشدة "

قال جابر متفهما " لا داعي للاعتذار فنحن أهل .. عموما لا تنسي موضوع الدرس الخاص بميسة لأني مهتم بأن تجد من يتابعها فيه "

ابتسمت ابتسامة دبلوماسية وودعت الجميع ولم يخف عليها ضيق والدتها من مغادرتها بهذا الشكل .

حين غادرت شعر زين بأنه لم يكتف منها بعد .. وهذا الشعور مع ما اختبره من أحاسيس خلال الدقائق الماضية جعل عقله الحسابي يسرع في تحليل كل ما حدث ووصل لنتيجة يقسم لو كان قد فكر مجرد التفكير فيها قبل ساعة لاتهم نفسه بالجنون ..

انخرط جابر في حديث جانبي مع هلال بينما أخذت نصرة تضغط على أم هاشم والحاجة نجف بإصرار لأكل المزيد من الجاتوه..

أما زين فكان يشغله أمران متى سيتحدث جابر مع هلال في أمر الخطبة ؟ ومن هي صاحبتها التي ذهبت لحفل خطبتها؟.

قال جابر بعد برهة وهو يستقيم واقفا "علينا الذهاب حتى ألحق بصلاة المغرب فقد أذن لها منذ مدة"

استقامت نجف هي الأخرى وأم هاشم التي اخذت تبرطم وتحسبن بصوت خافت ..

أما زين فاتسعت عيناه بحيرة وعدم فهم وهتف في جابر باعتراض" ما هذا هل سنغادر بدون أن نتحدث فيما جئنا من أجله ؟!"

تطلع فيه جابر باتساع عينيه بعدم فهم ليلتقط زين الساعة من فوق المنضدة ويعيد ارتدائها وكأنه يذكره قائلا" ألم نتفق على أن

نتحدث في أمر أخر بمجيئنا وساعتي تشهد على ذلك "

وبخه جابر بنظرة محتقنة فارتبكت الأجواء خاصة ونظرات هلال ونصرة المحتارة تراقبهما ليقول جابر وقد تحير فيما يقصده فخشي من التحدث حتى لا يسبب له ولأخيه حرجا فقال له بلهجة ذات مغزى "تركتك لتتحدث أنت لكنك لم تفتح الموضوع فقلت لابد أنك قررت أن تختار وقتا أخر مناسبا"

قال زين بجدية "وهل هناك أنسب من هذا الوقت ..إن خير البر عاجله (ونظر لهلال بينما نصرة تمسك بقلبها والأمل يخيم كغمامة محملة بالفرح فوق رأسها) يا أبا كريم جئتك لأطلب يد كريمتك إسراء على سنة الله ورسوله"

تصرفه الجريء الواثق ألجم أهله وتَبُدل حاله صعقهم وأخرسهم .. بينما أمطرت الغمامة

فرحا فوق رأس نصرة التي منعت نفسها من إطلاق زغرودة كالهبلاء فمصاهرة بيت دبور وأن يكون العريس هو زين الشباب زين دبور أصابها بالتأثر الشديد.

تنحنح هلال وعاودته أفكاره السابقة عن شهامة جابر فأوحت له احتمالية طلبه من أخيه الزواج من اسراء فقال بعبوس وحيرة "الحقيقة نحن نتشرف بهذا الطلب يا زين فنحن أهل وجيرة منذ سنوات طويلة لكنك بالتأكيد تعلم المحنة التي تعرضنا لها قبل أكثر من شهرين مما جعلنا جميعا نؤجل فكرة تكرار التجربة لبعض الوقت"

ابتسم زين وقال متفهما "دعنا نجلس ونتحدث وسأقنعك بي"

جلس هلال يقول بحرج "حاشا لله أنت لا تحتاج لأن تقنع أحدا بك بارك الله فيك من خيرة الشباب"

تخطى جابر صدمته أخيرا وتدخل قائلا
"ومادام هو من خيرة الشباب فلم التردد ؟"
غمغمت نصرة ولم تعد قادرة على لجم لسانها
"وهل سنجد أحسن منكم"
قال هلال بلهجة ذات مغزى ليلجم فرحتها
"رأي اسراء أهم من رأينا يا نصرة .. وأنا وأنت
نعلم بأنها رفضت كل من تقدموا لها (ثم نظر
لزين يقول ببعض اللباقة) أنا أقول لك هذا
حتى لا تؤاخذنا إن أبلغناك بالرفض بعد إخبارها
وألا تشعر بأن هذا الرفض موجها لشخصك
ولكن لأن ابنتي أخبرتني بعدم رغبتها في الزواج"
تدخلت نجف قائلة بلهجة موبخة" وهل
ستطاوعها يا هلال في أمر كهذا !"
غمغم هلال قائلا باحترام "أبدا يا حاجة لكن أنا
أحترم رغبتها "
قالت نجف بلهجة حازمة" المهم ألا تعينها
على تلك الرغبة يا هلال يا ولدي ولا تشجعها

على أن تبقى بجوارك ..أما هي فلها مطلق الحرية في قبول أو رفض الارتباط بابني"
قال زين بلهجة هادئة" عموما سنترك لها الوقت الكافي لتفكر جيدا .. أنا عندي شقتي في البيت لن تحتاج إلا للأثاث وكل طلباتكم مجابة"
اتسعت ابتسامة نصرة بينما قال هلال "ليفعل الله ما يريد "
استقام زين واقفا يقول بابتسامة واثقة" أهم شيء سنحتاج لجهودك معنا يا أبا كريم "
رد هلال بحرج وهو يعترف لنفسه بذكاء زين في المناورة "ليفعل الله ما يريد "
تحرك الجميع بعد قليل يتبادلون عبارات المحبة قبل أن يودع آل دبور نصرة وهلال ويغادروا سيرا على الأقدام إلى بيتهم .
حين خرجوا من الشارع الفرعي للشارع الذي يقع فيه بيت دبور قال جابر بلهجة متهكمة

وهو يضرب كفا بكف" أنا لا أريد أن أتزوج .. لماذا اتزوج فتاة لا أعرفها لأصرف عليها نقودي "

كان زين يسير شاردا بجوارهم لكنه رمق جابر بنظرة جانبية وابتسامة محرجة تزين شفتيه لتقول أم هاشم بنفس التهكم" لا تحرجه يا جابر فيبدو أن العيون قد لمعت والقلب دق ثم انفجر "

ناظرها زين بهدوء غريب دون أن يعلق بل توقف فجأة وأخرج من جيبه بعض النقود كان قد أصر على أخذها من جابر ثمنا للجاتوه والفاكهة فأعادها له قائلا " هذه الزيارة على حسابي أنا "

طالعه جابر باتساع عينيه مندهشا ثم رفع كفه يجس جبينه قائلا بلهجة ساخرة" هل أنت محموم يا حبيبي!"

أمسك زين بيد جابر من فوق جبينه ووضع فيها النقود وهو يقول" لست بذهن صافٍ حاليا لمناكفتك ..حينما أعود بعد قليل سأترك لك المساحة لإقامة حفلا للتهكم على شرفي"
سأله جابر بمزيد من الاندهاش "تعود بعد قليل!!. لا تخبرني بأنك قد أجلت سفرك!!!"
طالعه زين بنظرة تائهة .. فهو لأول مرة في حياته يتصرف بهذا التسرع .. دوما خطواته عملية مدروسة .. وقال "سألحق بأصحابي فيما بعد ولكن ليس اليوم فعندي مشوار مهم "
هم بالتحرك فأسرعت نجف بسؤاله "صحيح أعجبتك يا زين ؟"
ردت أم هاشم بلهجة متهكمة" كل هذا ولم تعجبه يا خالتي ؟..ألم تري ماذا حدث له؟ .. المسكين اصفر واحمر واخضر حينما رآها حتى أنه نسي الإشارة وأربكنا جميعا .. بل كاد أن يقبل يد هلال ليوافق "

نظر إليها زين قائلا وابتسامة بلهاء على وجهه"
اششش صوتك يشوش على أفكاري"
قالها وتحرك مبتعدا فسأله جابر ضاحكا على
حالته" إلى أين ؟"
رفع الأخر يده بحركة غير مفهومة دون أن
يستدير واستمر في طريقه بينما قالت نجف
بذهول" هل أحلم أم أهلوس يا جابر .. أخوك
تقدم لخطبة فتاة "
غمغم جابر بلهجة ذات مغزى وهو ينظر لأم
هاشم " يبدو أنها قد سحرت له مثلما سحرت
لي إحداهن يا أمي"
غمغمت أم هاشم بصوت خافت " لا تتحدث
عن السحر فأنت لا تعرف كيف تكون مسحورا
لسنوات لا ترى إلا شخص واحد"
هدر جابر " بم تبرطمين يا أم هاشم ! تستفزني
هذه العادة "

اسرعت الأخيرة بالقول" أقول ألف ألف مبروك
تمم الله على خير "

أما زين فانتهى من اتصال هاتفي بعد أن قال "يا بني قلت لك لدينا جنازة وعزاء ومضطر أن أبقى الليلة فالمرحوم كان صاحبي .. حسنا حسنا سألحق بكما غدا إن شاء الله سلام "
قالها وأغلق الخط ثم وقف في الشارع الرئيسي يحدق في الفراغ..
أفكار ومشاعر كثيرة ومربكة تسيطر عليه ..
هل خطب فتاة للتو!! ..
يا إلهي ماذا فعل؟؟!! .. بل ماذا حدث له؟..
لقد خطب فتاة دون أن يرتب لذلك ..دون حتى أن يفكر .. والأكثر غرابة أنه مقتنع أنه لا يحتاج للتفكير .. وكأن الارتباط بها شيئا بديهيا مسلما به ..

شعر بأنه قد أصيب برصاصة في القلب أحدثت ثقبا فيه .. ثقب لن يملأه إلا هي ..تلك التي كانت في الإعدادية على حسب اعتقاده منذ أيام قبل أن تتحول لكائن أنثوي شديد الجاذبية ..

أفكار كثيرة تدفقت في رأسه التي يشعر بها وكأنها قد ضربت بحجر .. ضربة لم تؤذه وإنما جعلته ينتبه لوجودها .. فتساءل بغير تصديق ..كيف كان غافلا عن وجودها ؟!! .

وقف زين في الشارع تائها يمسك برأسه ثم قال" يا إلهي هل اصبت بالحمى فعلا ؟"

لم يعط لنفسه فرصة للبحث عن إجابة بل رفع الهاتف على أذنه وقال بعد برهة" حازم كيف حالك .. أخبرني هل هناك حفل خطبة في القرية اليوم .. لا شيء فأمي قد طلبت مني أن أعيدها من حفل خطبة إحداهن ونسيت الاسم ومن بيت من (لتتسع ابتسامته قائلا)

عاش يا وحش أتمنى أن تكون هي المعنية سلام
"

أغلق الخط ووقف ساهما للحظات قبل أن ينفجر ضاحكا ويغمغم لنفسه متهكما وهو يضرب كفا بكف " أنت بالتأكيد قد جننت يا ابن دبور وندهتك النداهة "

قالها ثم أشار لأحد التكاتك وألقى بنفسه فيه مقررا أن يذهب خلف تلك النداهة التي أكلت عقله وأصابته برصاصة خلفت ثقبا في القلب.

xxxx

في اليوم التالي

نزلت بسمة من الدور العلوي وتطلعت في المشهد الغريب حيث يقف شامل وونس متجاوران أمام غنيم الذي يناظرهما بغيظ بينما كامل يقف يرتكن بمرفقه على إحدى الطاولات العالية وعلى وجهه علامات التسلي واضحة ..فاقتربت من كامل الذي مد يده ليقربها منه

وأشار لها لأن تتابع ما يحدث لتسأله بهمس "ماذا حدث ماذا فعلا؟"

ابتسم ولم يرد بينما قال شامل وهو ينكس رأسه" آسفين والله يا حاج (ثم لكز ونس التي تتراقص على شفتيها ابتسامة وقال بلهجة موبخة) قفي بانكسار وندم أمام الحاج"

أسرعت ونس بتنكيس رأسها مثله فهتف غنيم بغيظ "تمزح يا شامل .. تمزح !!"

ظل شامل على طريقته قائلا" آسفين يا حاج أعدك بأني سأركز المرة القادمة"

كتمت سوسو ضحكتها وقالت "إنه نصيب يا غنيم"

أدارت بسمة وجهها لكامل تسأله بهمس "ماذا فعلا ؟"

قبل أن يجيبها هتف غنيم بغيظ " أكثير عليّ أن تفرحا قلبي بقطعة لينة رقيقة .. أريد حفيدة حفيدة يا عالم لتفرح قلبي "..

اتسعت عينا بسمة وادارت وجهها تسأل كامل
بعدم فهم "هل ونس حامل في ذكر "
هز كامل رأسه مبتسما فسألته باندهاش
"ولماذا عمي منفعلا ألا تحبون انجاب الذكور
!!.. نحن عندنا تُعَيّر المرأة إن لم تنجب ذكرا"
اتسعت ابتسامة كامل ورد" الوضع عندنا مثلكم
لكن عائلتنا بالذات لها وضع خاص "
عقدت حاجبيها وسألته" ماذا تعني بوضع
خاص ؟"
تنحنح قائلا والابتسامة تتراقص على شفتيه
"عائلة أبي لم تنجب إلا ذكور منذ خمسة
أجيال "
ارتفع حاجبا بسمة متفاجئة فهز كامل رأسه
مؤكدا وأضاف "لهذا أبي كان يتمنى أن تكون له
ابنة من صلبه وحين لم يتحقق ذلك تمنى في
أن يرزق بحفيدة أنثى"

ابتسمت بسمة بينما قال شامل بلهجة مناغشة" يا حاج لقد أمنت لك من سيحمل اسم عائلة نخلة للجيل القادم ألن تشكرني على جهودي؟"

قال له غنيم بغيظ" أنا أريد حفيدة أنثى أدللها قبل أن أموت .. فأنا أعلم بأن هذه العائلة ستأتي بالذكور عاجلا أم آجلا"

نكس شامل رأسه يقول" أعدك أن أجتهد أكثر المرة القادمة"

قالت سوسو بحرج "أخرس يا ولد وكف عن الوقاحة (ومررت أنظارها بينه وبين ونس مضيفة) مبارك لكما "

استقام غنيم واقفا فسألته سوسو" إلى أين يا غنيم ؟"

رد الأخير بقرف "سأجلس في مكتبي لا أريد أن أرى وجهي هذان الثوران"

سأله كامل متعجبا" وماذا فعلت أنا؟"

قال غنيم موبخا " ما دمت لم تأتي لي بحفيد حتى الآن .. وبالذات أنثى فلا تريني وجهك مثله "

امتقع وجه كامل وانتابه حزن مفاجئ شفقة على بسمة وحزنا على أنه لن يستطيع أن ينجب طفلا من صلبه فغمغم بلهجة جادة "كله قسمة ونصيب يا أبي"

أشاح غنيم بيده وتحرك مبتعدا فقال شامل وهو يتنفس الصعداء معتدلا في وقفته "الحمد لله مرت على خير "

لتقول بسمة "مبارك لكما ظننت بأنكما ستنجبان توأمين"

ردت سوسو "أعتقد أن انجاب التوائم له علاقة بالأم على ما أذكر .. فأنا أمي أنجبت توأمين ذكور"

وقف شامل يلف ذراعه حول جذع ونس وهو يقول "بصراحة حينما أخبرتنا الطبيبة بأنه ذكر

حملت هم أبي ..لكني بصراحة كنت سعيد جدا فهو ابني (ونظر لونس يناغشها قائلا) ألست سعيدة أنت أيضا "

هزت رأسها مؤكدة بابتسامة واسعة .. فقال كامل بمشاعر صادقة " بارك الله لكما ورزقكما به سليما معافى"

ناظره شامل بنظرة مشفقة فابتسم له كامل ونظر لبسمة ليتأكد من وقع كلمات والده عليها واستراح حينما وجدها لا يبدو عليها التأثر .. لكنه شعر بأن عليه أن يتخير الفرصة المناسبة لمعرفة تفاصيل حالتها بالضبط وهل سينفع معهما تلقيح صناعي أم أن الأمل معدوم كليا .. ابتسم للفكرة وهو يتصور أن يحمل رحم بسمة طفلا منه .

أما هي فشردت مبتسمة في اللحظة التي تنوي بأن تخبره فيها أنها تستطيع الانجاب .. لقد كانت تتمنى أن يحدث الحمل أولا ثم تفاجئه

بالخبر لكنها غير قادرة على كتمان الموضوع أكثر من ذلك ..لقد وعدت نفسها أن تخبره بعد ظهور النتيجة الخاصة بطفل شيرويت ثم أجلت إخباره إلى موعد تلك المناسبة التي ستأتي خلال أيام حتى تعترف له وتصحح له المعلومة لتكون ذكرى جميلة .. وتتحرق شوقا لأن ترى وقع الخبر عليه .

قاطع كامل أفكارها قائلا "ألم تعديني بأنك ستخبريني بشيء سيسعدني بعد أن تظهر نتيجة التحاليل ؟"

هزت كتفيها وردت بلا مبالاة مستمتعة باستفزازه" أجل لكني غيرت رأيي"

رفع حاجبا وقال باستنكار" نعم"

هزت كتفيها بتدلل وكبرياء أنثوي ..فقال كامل بصبيانية" بل ستقولينه الآن "

تحركت للخلف خطوتين ورقصت حاجبيها مغيظة ليقول كامل " باسمة أنا شخص فضولي وما تفعلينه يعصبني"
مطت شفتيها وقالت بتعاطف مزيف " تؤتؤتؤ قطعت قلبي يا مسكين "
ناظرهما الجالسون بابتسامة بينما قال كامل بلهجة مهددة "باسمة سأعذبك صدقيني حتى تخبريني"

رقّصت حاجبيها الجميلين مرة أخرى وعيناها الفيروزيتان كانتا أمام عينيه صافيتين كسماء صيفية بينما ابتسامة حلوة كحلاوة الأيام بجوارها تزين ثغرها الجميل.. ثم ابتعدت تصعد على السلم ..ليجز كامل على أسنانه ويهرول خلفها لكنها كانت سريعة في صعودها ليقول محذرا بوعيد "قسما بالله إن أغلقت باب الجناح من الداخل لأكسره "

xxxx

دخل مفرح" يقول السلام عليكم"
قالت أمه من جلستها في الغرفة بجوار فايزة"
وعليكم السلام ورحمة الله .. طمئني على
الحاج عبد الرحيم يا مفرح"
رد عليها وهو يهم بالتحرك "إنه بخير الحمد
لله سأذهب لمكتب أبي هناك بعض الأوراق
التي جئت لآخذها "
قالت نحمده " إن كنت ستعود له خذني
لأزوره أنا والولدين وفايزة "
رد مفرح " ليس هناك داع يا أمي لقد زرته أكثر
من مرة خلال الأيام الماضية وهو سيخرج
خلال أيام بإذن الله كما أنني لدي بعض
المشاوير قبل أن اعود إليه .. أين أدهم وإياد ؟"
ردت فايزة" صعدا للدور العلوي بمجرد أن
أحضرتهما مهجة "
نادى مفرح "يا تماضر "

خرجت تماضر من الداخل ليقول لها مفرح
"أعدي لي فنجانا من القهوة ونادي على
الولدين.. سأكون في غرفة أبي "
هزت الأخيرة رأسها في طاعة بينما دخل مفرح
لغرفة والده التي يدير منها شؤون القرية ..
لتقول فايزة لأمها " ألا ترينه كيف هو حزين
؟.. صدقيني تفسيري صحيح إن شاء الله "

بعد نصف ساعة دخلت تماضر فهتف بها
مفرح بغضب "كل هذا من أجل فنجان من
القهوة !!..(ونظر في يديها الفارغتين ثم سألها)
أين القهوة ؟؟"
قالت تماضر بارتباك "بصراحة يا باشمهندس
نحن مشغولون بالبحث عن أدهم وإياد "
سألها بعدم فهم " ماذا تقصدين؟؟ "

قالت تماضر مرعوبة من ردة فعله" صعدت لأناديهما فلم أجد لهما أي أثر في الدور العلوي .. ولم نجدهما في بيت العمدة كله "
اتسعت عينا مفرح وهتف بهلع "ماذا قلت!!"

xxxx

الفصل الثالث والثلاثون

بعد ساعة

وقف مفرح أمام بيت العمدة يمسك برأسه يسيطر عليه الشلل التام ويشعر بهبوط في عضلة القلب .. إن الولدين مختفيان منذ فترة هو غير قادر على تحديدها بالضبط فحسب ما قالته والدته أنهما صعدا للشقة قبل ساعتين ولا يعرف متى بالضبط خرجا ...وإلى أين ذهبا ؟.. كل ما يعرفه أنه فتش القرية كلها هو والغفر وأولاد مصطفى وبعض أهل البلدة ولم يجدوهما ..

في الوقت نفسه كان صوت ولولة نحمده يأتي من الداخل كنواح يشعره بالانقباض ويمزق نياط قلبه .. فهدر صائحا في عويس الذي عاد خالي الوفاض "أنا غير مستوعب حتى الآن كيف خرجا دون أن تعرفا وجهتيهما !"

رد عويس بنفس الإجابة التي قالها قبل ساعة"
يا باشمهندس دوما ما كانا يخرجان وحدهما
إنهما بسم الله ما شاء الله يتحركان بمفردهما
في البلدة وإن كان المشوار بعيدا كان أحدهما
يطلب من أحد الغفر أن يوقف له توكتوك لكن
هذه المرة لم يفعلا فظننا أنهما ذاهبان للعب
الكرة في الساحة آخر الشارع "
هم مفرح بالعودة لسيارته للبحث مجددا
وهذه المرة ينوي بأن يبحث خارج القرية رغم
أنه غير مستوعب احتمالية أن يغامرا بالخروج
خارجها وحدهما .. والسؤال المهم ..لماذا؟ ..
فرفع هاتفه على أذنه يحاول الاتصال بأدهم
للمرة التي فقد عدها لكنه وجده لا يزال مغلقا
أو خارج نطاق التغطية.
أوقفه قول مصطفى الذي يقف أمام البوابة
ويجري اتصالاته منذ أن أكتشف اختفاءهما

"هل ظهر أحد من السائقين المختفين ؟.. من يظهر منهم يأتيني فورا"

عاد مفرح إليه يسأله" لم يظهر سائقي التوكتوك الذين لم يتم سؤالهما حتى الآن؟ "

حرك مصطفى رأسه مع سبحته شاردا وعقله يعمل بسرعة لوضع احتمالات أخرى .. فقد تم سؤال سائقي سيارات الأجرة الجماعية كلهم وسؤال سائقي التوكتوك في القرية إن كانوا قد شاهدوا الولدين فأنكروا كلهم وبقي حوالي ستة منهم ذهبوا لنقل بعض الأهالي لحضور حفل زفاف في قرية مجاورة .

قال مفرح وهو يتحرك عائدا لسيارته" سأذهب للبحث هذه المرة في مركز المحافظة رغم أني لا أعلم أين بالضبط سأبحث ونحن لم نحدد بعد إن كانا قد خرجا من القرية أم لا .. (وتوقف قليلا ثم قال) بل سأذهب أولا لمزرعة العمدة

وأخذ ألفونس وأمر على الحقول حقل ..حقل
"..
قالها بصوت خرج مرتعشا من الخوف والكثير
من الأفكار السوداء والحوادث المفجعة
تعصف برأسه .
راقبه مصطفى مشفقا وهو يهرول نحو سيارته
ليركبها ثم يدوس على البنزين بقوة مبتعدا بينما
صوت نحمده التي جمعت حولها الجيران في
ولولة كئيبة يخرج من بيت العمدة فنظر
مصطفى نحو البيت بضيق مستهجنا أسلوبها
هذا في قلب أي حدث لوسيلة لجذب الانتباه ..
هدر في الغفر " اذهبوا وابحثوا من جديد لا
أريد أن أرى أحدكم يقف هكذا بقلة حيلة "

xxxx

تطلع إياد متسع العينين من نافذة القطار الذي
يجري بين الحقول يتملكه الرعب وهو يضم
التابلت الخاص به إلى صدره بينما أخذ أدهم

يؤنب نفسه على تهوره في اتخاذ ذلك القرار المفاجئ بدون التخطيط الجيد له.. فكان عليه أن يعطي لنفسه فرصة ليفكر فيه ويرتب للأمر .. وكان من الممكن أن يتواصل مع من يعتبرهم أخواله ليفهم منهم حقيقة ما حدث رغم شكه من أن يقوم أحد منهم بالرد عليه بصدق .

قبل ساعتين

قالت مهجة على باب بيت العمدة مودعة "هل تريدون شيئا أجلبه لكما معي ؟"

هز الصبيان رأسيهما لترفع مهجة نظراتها لأمها تقول" سأقوم بعمل التحاليل وأنتهي من بعض المشاوير ثم أعود يا أمي "

هزت نحمده رأسها فغادرت مهجة التي ينتظرها وليد بالسيارة في الخارج بينما وقف ولدا مفرح بائسان في بهو البيت يشعران بغصة لاقتراب صعودهما لشقتهما بدون وجود مليكة

لتقول فايزة وهي تتفحصهما بعينيها "هل تشعران بالراحة عند مهجة؟ "
هز إياد رأسه بالإيجاب فقالت فايزة "ولماذا لا تأتيان معي لتتسليا مع أولادي بدلا من اللعب معهم عبر الانترنت ؟"
قال أدهم باقتضاب "شكرا نحن مرتاحان عند عمتي مهجة "
لوت فايزة شفتيها لتقول نحمده "عليكما ألا تثقلا على كاهل عمتكما مهجة فهي حامل وقد يشعر زوجها بالضيق من وجودكما لوقت طويل عندهما ..لهذا عليكما توزيع الأيام بين عمتيكما أو تبقيا هنا في بيت جدكما"
قال أدهم وهو يهم بالخروج من باب البيت" سنبقى هنا في شقتنا فلسنا صغيرين "
سألته جدته" إلى أين أنت ذاهب ؟"
رد عليها إياد الذي هم باللحاق به" سنصعد للشقة يا جدتي"

قالت بابتسامة متشفية أقلقت الولدين "الباب من هنا يا حبيب جدتك لقد أعاد والدك فتح هذا الباب وكان يدخل ويخرج منه طوال الأيام الماضية "

تفاجأ الولدان وانقبض قلباهما متسائلين عما يعنيه هذا التصرف ..وإن كان أمرا مؤقتا أم أنه يؤكد شيئا يشكان فيه..

لم يعلقا بشيء بل تحركا نحو السلم الداخلي ليصعدا بينما مصمصت نحمده شفتيها وقالت قبل أن تعود هي وفايزة للغرفة الداخلية

"اغتسلا وانزلا لتجلسا معنا فأولاد عمتكما فايزة سيحضرون بعد قليل "

هز أدهم رأسه وتحرك الاثنان ليصعدا بينما دخلت نحمده الغرفة مع ابنتها في الوقت الذي توقف إياد على السلم قائلا بنزق " هذا التابلت اللعين لا يقبل كلمة السر الخاصة بالإنترنت

هنا.. لا أعرف ماذا حدث كان يلتقطها وحده ..
هل فقد الذاكرة !"
التقط أدهم التابلت زافرا مغتاظا وهو يقول
"لن ننتهي من دلالك أبدا "
جاء صوت فايزة من الغرفة يقول" أقطع ذراعي
إن لم يكن مفرح قد طلقها"
اتسعت عينا الولدين ونظرا لبعضهما بينما
لاذت نحمده بالصمت المعذِب لها ..فالسر
الذي تعرفه يرقد تحت لسانها كالموس الحاد
يؤلمها لتبوح به لكنها ممنوعة من البوح
فغمغمت باقتضاب "قلت لك لا أعرف أنت
تعلمين بأنه لا يتحدث عن شيء يخصها معي"
قالت فايزة مصرة على إثبات صحة اعتقادها "
يا أمي الأمر لا يحتاج لذكاء أنت قلت أنه جمع
معظم ملابسها وحاجياتها في حقائب وسافر
بهم للعاصمة منذ أيام ما معنى هذا؟!.."

لاح الهلع على وجه إياد فأسرع مهرولا للدور العلوي بينما ظل أدهم متسمرا في وقفته على السلم ليسمع المزيد لعله يجد جوابا على اسئلته بينما ضربات قلبه تضرب في صدره بعنف في الوقت الذي استمرت فيه فايزة تقول بإسهاب "أتعلمين .. قصة أن أخاها مريض هذه لا أصدقها خاصة أن زوجي قد سأل مفرح عن التفاصيل حتى يزوره لكنه راوغ وادعى بأن أخاها سافر للعلاج خارج البلاد .. الأمر غير منطقي ..لماذا تسافر هي معه فزوجته طبيبة مثله ؟ .. وما الداعي لأن يأخذ غالبية ملابسها وأشيائها إن كانت مسافرة لعدة أيام فقط وستعود .. ولو افترضنا بأنه قد قرر التحايل وادعى مرض أخيها حتى تسكن الهانم في العاصمة كما تحرضه في الخفاء دوما هذه الفرضية أيضا لا تقنعني لأنها تركت الأولاد ..وكلانا يعرف كيف هي تتخذ من مراعاتها

لولدي مفرح وسيلة لأن تربطه بها فمن غير
المعقول أن تتركهما خلفها فهي ذكية ولن
تفعلها.. كل هذا يجعلني أصدق ظني لقد طلقها
واسترحنا منها"
غمغمت نحمده بعصبية وذلك الموس تحت
لسانها يؤلمها" أنا لا أعرف إلا أنها لن تعود
مجددا لهذه القرية "
أمسكت فايزة بذراع أمها تقول باتساع عينيها
"أمي أنت تعرفين شيئا وتخفينه عني !"
ردت نحمده بعصبية أكثر " قلت لك لا أعرف
شيئا كل ما في الموضوع أني أشعر بذلك وأنا
حدسي لا يخيب أبدا اغلقي هذه السيرة
وأخبريني أخر التطورات مع حماتك العقربة"

بخطوات ثقيلة وقلب يرتجف من الخوف
صعد أدهم وعقله الصغير يحلل ما سمعه مع
ما جمعه من معلومات سابقة ..ثم فتح باب

الشقة الموارب وتطلع في المكان الذي بدا مهجورا موحشا .. وللحظة خيل إليه بأنه يعيش في كابوس وبأن كل هذا وكل ما مر به هو وأخوه في الفترة الماضية ما هي إلا هلاوس .. وللحظة خيل إليه بأن مليكة ستخرج إليه الآن لتستقبله كعادتها عند عودته .. وستطلب منه بابتسامتها الدافئة أن يحضنها أو يطبع قبلة على خدها لكنه سيراوغها بخجل المراهقين وقد ينجح في الإفلات منها ضاحكا أو قد تغلبه هي ضاحكة..

لكن التخيل ظل وهماً .. وبدلا من أن تخرج إليه هي .. جاءه صوت نحيب آتيا من الداخل فأسرع الخطى نحو غرفة نوم والديه ووقف أمام المشهد مفجوعا ..

كان إياد يجلس على عقبيه يبكي ويحضن ركبتيه أمام الجانب الخاص بمليكة في الخزانة الخالي من ملابسها والمفتوح على مصراعيه..

فاستدار أدهم ليجد أن تلك الزجاجات البراقة والعلب التي كانت تزين طاولة الزينة غير موجودة فأسرع نحو خزانة والده وفتحها ليجد ملابسه كما هي فغمغم بعبوس "ما معنى هذا ؟"

رد إياد باكيا "معناه أنهما ليسا متشاجرين بل انفصلا كما قالت عمتي منذ قليل "

هز أدهم رأسه يقول" مستحيل .. مستحيل أن تتركنا أمي مليكة أبدا"

استقام إياد واقفا وقال من بين دموعه" أدهم أنا خائف أنا أريد أمي .. لا أريدها أن تتركنا حتى لو كنا لسنا أولادها هي تحبنا أنا متأكد من ذلك .. متأكد جدا .. كيف تتركنا هكذا أم .. أم (وتقطع صوته وأمسك برأسه يقول وعيناه الدامعتان تتحركان في المكان بغير هدى) أم أنها أجبرت على تركنا ..فإن كانا قد انفصلا لن يتركانا لنبقى معها لأنها ليست أمنا الحقيقية "

قال أدهم بعصبية يقاوم رغبة ملحة في البكاء"
اخرس وكف عن النحيب كالبنات "
قال إياد مستمرا في نحيبه متوسلا "أنا أريد أمي
يا أدهم ..أريدها ..إن كان أبي قد وافق على
تطليقها فعليه أن يعرف بأننا لن نقبل
بالانفصال عنها ..لن نستطيع الابتعاد عنها ..
زميلي في الفصل والداه منفصلان ويعيش مع
أمه نحن أيضا لابد أن نطالب بذلك "
تجاهله أدهم وأسرع إلى هاتفه وفتح صفحة
سجى ابنة عمار يرسل لها رسالة خاصة " كيف
حالك؟ "
ازداد نحيب إياد بانهيار فصرخ فيه أدهم
مغتاظا "اخرس يا إياد ودعنا نفكر "
طالعه إياد بمقلتين مرتعشتين ووجه أحمر ثم
بدأت أعراض (نوبة هلع) تظهر عليه .. وهي
نوبة يعرف أدهم بأنها تنتابه كلما ضغطت
أعصابه فهرع إليه في الوقت الذي التصق الثاني

بالحائط يحضن نفسه يرتجف ويشهق بقوة للحصول على الهواء .. فقال أدهم مهدئا وهو يمسد على ذراعي أخيه "إياد أرجوك اهدأ حتى نفكر ماذا سنفعل "

قال له إياد من بين شهقاته " أريد أمي يا أدهم أريدها حالا ..أنت كنت على صواب.. أبي يراوغ ويكذب علينا ..كل من حولنا يكذب علينا ..وما قالته سجى بأن أمي مريضة غريب وما قالته عمتي منذ دقائق يؤكد بأنهما قد انفصلا .. وأخشى إن سألنا أبي أن يمنعها حتى من أن تتصل بنا"

نظر أدهم للهاتف ليتفحص إن كانت سجى قد ردت أم لا ثم عاد لأخيه قائلا" لا أتوقع بأن أبي بهذه القسوة حتى لو .. لو انفصلا لن يحرمنا منها "

قال إياد لاهثا " ما أدراك؟.. ربما فعل هذا إرضاء لجدي بعد دخوله للمستشفى .. ربما

خشي من أن يموت حزينا أنت تعرف جدي وجدتي لا يحبان أمي ويضغطان على أبي كثيرا"
رغم شكوكه التي تحاصره غمغم أدهم نافيا وهو يعود للتطلع للهاتف "اهدأ يا إياد ودعني أفكر "
جاءه رد سجى تقول" الحمد لله يا أدهم كيف حالك أنت؟"
كتب بسرعة "الحمد لله ..كنت أريد أن أطمئن على أمي هل من جديد لأني غير قادر على التواصل معها"
كتبت الأخرى " لا جديد لا يزال أبي يزورها حتى أنه لم يأخذ أمي معه اليوم ككل مرة "
صمت أدهم يفكر قليلا ثم ذهب إلى صفحتها يبحث في بياناتها وعاد إليها يقول محاولا استدراجها" أنتم في مدينة (...) على ما أذكر "
ردت سجى "أجل "

كتب أدهم " سمعت بأنها مدينة جميلة تضم فقط الطبقة الثرية "

ردت سجى " ليتك تأتي لزيارتنا ستحب المدينة جدا .. أنا كنت غير متحمسة حينما قرر أبي أن ننتقل في شقة بجوار فيلا عمي أكرم لأني كنت مرتبطة بأصحابي في العنوان القديم لكن بمجرد أن انتقلنا هنا وأنا سعيدة جدا أنت تعرف المدينة بالطبع فإعلاناتها كثيرة في التلفاز "

شرد أدهم قليلا ثم سألها" وشقتكم مجاورة لفيلا خالي أكرم؟"

أجابت سجى "في الشارع الموازي يبعد بيننا بضع بنايات فقط "

كتب إليها أدهم بذهن مشغول" أمم "

قضم أظافره عدة دقائق وفكرة ما تلمع في عينيه فذهب بسرعة للبحث باسم تلك المدينة السكنية الشهيرة على الانترنت وقرأ سريعا إعلانات عنها وعن مميزاتها ثم كتب في

محرك البحث يسأل عن المسافة بين محطة القطارات في العاصمة وتلك المدينة ليجد بأن المسافة بينهما كبيرة لكنه استمر في البحث ليجد سؤالا من أحد الاشخاص يطلب من الأخرين المساعدة (أرجو المساعدة فعندي مقابلة عمل في مدينة (***) وسأحضر من خارج العاصمة ..هل هناك مواصلات عامة من محطة القطار إليها مباشرة ؟)

ركز أدهم في الردود ليجد أكثرها وضوحا ردا يقول (من أمام المحطة اركب سيارة أجرة جماعية ذاهبة إلى منطقة (.....) ستوصلك للمنطقة التي تقع فيها المدينة ومن هناك سهل الوصول)

رفع أدهم أنظاره نحو أخيه الذي لا يزال ينتحب وظل يناظره بشرود بينما الأخر لا يفهم .

كانت نفسه تراوده بقوة لأن يغامر .. وخوف الطفل فيه .. وتهور المراهق .. وحزن الابن على فراق أمه .. والرعب من القادم .. وضعوه بين المطرقة والسندان .. وكان الوقت يداهمه أيضا وما علمه وتأكد منه للتو يربكه .. وعناد المراهقة فيه يدفعه دفعا للتمرد فقال لأخيه بلهجة يملأها العزم والإصرار "أ تريد أن ترى أمك ؟"

تتطلع فيه إياد بعينين متسعتين بترقب ..ليضيف أدهم "دعنا إذن نذهب إليها فورا.. ونضع الجميع أمام الأمر الواقع .. ونعرف بالضبط ما بها "

جحظت عينا إياد بينما أسرع أدهم بمغادرة الغرفة فهرول خلفه أخوه ليجده قد دخل إلى غرفتيهما وفتح أحد الأدراج ليخرج منها صندوقا أصدر موسيقى عند فتحه .. أخرج منه نقودا كان يدخرها .. فأسرع إياد بتقليده وأخرج

صندوقه ومدخراته هو الأخر ليقول أدهم بعينين لامعتين" معنا مبلغا كبيرا من المال (ووضعه في جيبه ثم أضاف) علينا بالتحرك فورا وجدتي مشغولة مع عمتي قبل أن تعود عمتي مهجة (وتحرك يسحبه مضيفا) وفكر معي في الحجة التي سنقولها للغفر إن سألونا إلى أين نحن ذاهبان"

خرج الولدان من بيت العمدة وحمدا ربهما أن الغفيرين الواقفان بجوار البوابة لم يسألاهما .. فهما بالعادة لا يسألان خاصة وهما يعرفان بأنهما يذهبان للعب الكرة في الساحة الواسعة آخر الشارع .. وبمجرد أن خرجا لشارع أكبر أوقفا توكتوكا وطلبا منه أن يوصلهما لموقف سيارات الأجرة الجماعية ومن هناك ركبا حتى وصلا لمركز المحافظة إلى حيث موقف سيارات الأجرة بجوار محطة القطار.

حين دخلا محطة القطار كانا متوتريّن ويلهثان من الانفعال ليقول أدهم لإياد "انتظر هنا سأبتاع تذكرتين"

أمسك إياد بملابس أخيه يقول بخوف "لا سآتي معك"

وقفا أمام نافذة صغيرة يظهر منها رأس أدهم بالكاد وهو يقول لبائع التذاكر" تذكرتين من فضلك "

دقق الرجل فيه عبر الواجهة الزجاجية التي تفصلهما وسأله عبر الفتحة الموجودة بالزجاج" مع من ستذهب يا بني ؟"

دفع أدهم أخاه الذي يقف بالقرب منه بعيدا عن النافذة حتى كاد أن يرتطم الأخير بامرأة تقف خلفه تحمل طفلة رضيعة وتتحدث في الهاتف ثم قال " أمي تقف هناك مع أختي الرضيعة وطلبت مني أن اشتري تذكرتين"

هز العامل رأسه وناوله التذكرتين ليتحرك أدهم متنفسا الصعداء وتبعه أخوه ثم وقفا بعدها حائران.. ماذا يفعلان بعد ذلك ؟..
ليسمعا رجل يسأل أخر عن القطار المغادر للعاصمة فأشار له بأن يقف في مكان ما في انتظار القطار.

عاد أدهم من شروده حينما لكزه إياد قائلا بخفوت "ها هو مفتش التذاكر قادم ما رأيك أن نسأله عن شاحن لهاتفك ؟"
قال أدهم متقبضا يحاول التماسك " لا نرغب في أن نثير ريبته ولا أن ينتبه من حولنا بأننا وحدنا.. ألم تر في الأفلام وعلى الفيسبوك حكايات عن الخطف "
ابتلع إياد ريقه بصعوبة وهو يطالعه بعينين جاحظتين ليعود أدهم لطمأنته قائلا "أنا فقط أقول أن الحرص مهم"

قالها وتابع اقتراب مفتش التذاكر وهو يفكر في المشكلة التي أضيفت لفكرته المتهورة بترك المنزل بدون إخبار أي أحد .. فبمجرد أن تحرك القطار اكتشفا بأن هاتفه نفذ شحنه وهو لم ينتبه لهذه الجزئية حينما خرج من البيت بأنه كان ينوي شحن الهاتف حين يصل لبيت العمدة لكنه كان متعجلا لتنفيذ ما قرره قبل أن تعود عمتهما مهجة ثم أكتشف هذا الاكتشاف المرعب بمجرد أن تحرك القطار .. وها هو الهاتف لا ينطق وتابلت إياد بدون شريحة تليفونية وبدون انترنت وجحم شريحة هاتفه لا تناسب التابلت .

ازداد شعور أدهم بالخوف واعترف بأنه وضع نفسه وأخيه في موقف صعب وأخذ يفكر في رد فعل والده حين يعلم باختفائهما وفي تابعات قراره وهو لا يملك هاتفا ولا يحفظ رقما واحدا للاتصال به ..

بدأ صدره يعلو ويهبط من الانفعال وآلاف الأفكار تربكه .. لكنه بذل مجهودا حتى لا يركز إلا في كيفية اخراج نفسه وأخيه سالمين من هذا الموقف ..وحاول الهرب من نظرات الأسرة الجالسة على الناحية الأخرى من المقاعد والذين على ما يبدو ينتابهم الفضول لمعرفة إن كانا وحدهما أم لا فالأم لا تكف عن التطلع فيهما بفضول هي وابنها وزوجها .

اقترب مفتش التذاكر منهما فرفع أدهم له التذكرتين بثبات انفعالي ظاهري ليعقد الرجل حاجبيه ويسألهما "هل أنتما وحدكما؟"

أسرع إياد بالرد "أبي ينتظرنا في المحطة"

صمت الرجل للحظات يتفحصهما .. لحظات من الرعب بالنسبة لصغر سنيهما هز بعدها رأسه وأعاد لهما التذكرتين واستمر في طريقه.. ليتنفس الاثنان الصعداء ثم يهمس إياد من بين

أسنانه "كنا طلبنا منه المساعدة ألا ترى في الأفلام أن يطلب من شخص مثله المساعدة" رد أدهم مقارعا " ورأيت أيضا أفلام أخرى أن من تحسبه طيبا يكون له وجه أخر فلا نريد إلا أن نخرج من هذه الورطة بسلام "

قال إياد بانفعال هامس "أنت من ورطتنا" فتح أدهم فمه يهم بأن يصيح في وجهه لكنه نظر حوله خاصة للأسرة الجالسة على يمينه والتي لا تزال تحدق فيهما بشكل مغيظ ثم عاد ليهمس من بين أسنانه بوجه محتقن "هذا لأنك يا مدلل ظللت تبكي أريد أمي أريد أمي "

بدأت أنفاس إياد تضيق بشكل واضح وهو ينظر لأخيه بهلع فأشفق قلب الأخر عليه وأسرع يقول" اهدأ كل شيء سيكون على ما يرام خذ نفساً عميقاً .."

أشاح إياد بأنظاره يتطلع من نافذة القطار يحاول تهدئة نفسه وألا يستسلم لنوبة الهلع

فهذه المرة لن يجد أمه ولا أباه ولا أي شخص كبير يثق به لينقذه منها .. فتقبض بقوة يسحب نفسا عميقا وتذكر كلمات مليكة له بأن يحاول التفكير في شيء سعيد حين يشعر بأنه على وشك الدخول في نوبة هلع .. وهذه المرة لابد أن ينفذ نصائحها ولا يستسلم .. هذه المرة لابد أن ينجح لأنه ببساطة لن يجد من يخرجه منها ..

لكن المشكلة أن هذه الخاطرة وحدها (بأنه لن يجد من يخرجه منها) كانت كفيلة بأن تصيبه بنوبة هلع !

تطلع أدهم في يد أخيه المتقبضة فوق فخذه فوضع كفه عليها وضغط عليها بقوة .. هذا ما استطاع أن يفعله ..فلا يعرف كيف يحتوي خوفه.. ولا يعرف كيف سيتصرف لو انتابته نوبة هلع .. ولا يعرف سوى أنه وأخاه في مأزق فرفع عينيه لأعلى يقول" يا رب "

في الوقت الذي أخذ إياد يدندن أغنيه بصوت خافت .. أغنية تدندنها مليكة دوما .. فبدأ يرددها وكأنه يستحضر مليكة في ذهنه .. يفكر فيها .. حتى يشعر نفسه بالطمأنينة .

كان يا ما كان
كان في عصفور
قلبه صغير.. ريشه قصيّر
حلمه يرفرف برة السور
كان إنسان .. من طين من نور
كان بيدوّر عللي يخضّر
قلب الناس القاسي البور

همهم أدهم معه يدندن بخفوت مثله وكأنهما يستحضران شيئا من مليكة ليطمئنا..

كان يا ما كان ..
قلب الحدوتة رق وحن
على البنوتة في زمن اتجن
بنوتة بحدوتة تنام

وبتجري وراها الأيام
هي وكل بنات الحور
كان يا ما كان

xxxx

بعد ساعة

نزل الولدان من القطار في تلك المحطة الكبيرة المزدحمة بالناس .. وتملكهما الخوف وكأنهما قد خرجا من بحر إلى محيط شاسع .. فقال إياد لأخيه بتردد" ما رأيك أن نقطع تذكرة للعودة؟"

نظر أدهم تلقائيا في هاتفه ليعرف الساعة لكنه تذكر بأنه لا ينطق فنظر في تابلت أخيه الذي يحضنه وقال "لقد مر على خروجنا من البيت ثلاث ساعات تقريبا أي أنه قد تم اكتشاف اختفاءنا بالتأكيد فهل سنعود نجر أذيال الخيبة ونتلقى العقاب أم نكمل مهمتنا ونتلقى نفس العقاب لكن بعد أن نجد أمي ؟"

تطلع فيه إياد بحيرة في وقفته على رصيف المحطة ثم سأله "وهل أنت متأكد كيف سنذهب من هنا؟"

وصف له أدهم ما يتذكره " قالوا من أمام المحطة نركب سيارات أجرة جماعية لمنطقة (****)"

ارتطم شخص مار بإياد فسحب أدهم أخاه يتطلع بغضب في ظهر الشاب الذي أكمل طريقه دون أي التفاف لتتقابل عينا أدهم مع نفس الأسرة الفضولية التي تدقق فيهما يقفون على بعد أمتار بجوار حقائبهم على الرصيف فقال أدهم وهو يسحب أخاه " تعال نخرج من المحطة بسرعة وسأخبرك فيما أفكر فيه لكن علينا الابتعاد عن عيون تلك الأسرة الخانقة التي قد تكتشف بأننا وحدنا "

قالها وسحب أخاه من ملابسه مبتعدا.

في خارج المحطة وقف أدهم يقول لأخيه شارحا "دعنا نحاول إيجاد تلك السيارات التي تذهب هناك إن وجدناها بسهولة نكمل الطريق .. إن لم نستطع إيجادها فالمحطة بالقرب منا سنقطع تذكرتي عودة ونعود أدراجنا لتلقي العقاب "

سأله إياد "ولماذا لا نركب تاكسي؟.. نحن نملك المال "

قالها وهو يخرج ورقات مالية ملفوفة ليقول له أدهم وهو ينزل له ذراعه" اخفها عن العيون يا بني أدم!"

وضعها إياد في جيبه بسرعة ليقول أدهم" أنا لا أحبذ التاكسي لأننا لا نعرف الطريق وليس لدينا (GPS) أو خريطة الكترونية فالهاتف اللعين مغلق وأخشى أن يؤذنا سائق التاكسي إن علم بأننا وحدنا لكن سيارة الأجرة الجماعية ملتزمة بخط سير محدد وسيكون معنا أناس أخرون"

هرش إياد في رأسه ورد معترفا" أعتقد بأنك على حق "
تطلع أدهم أمامه في الميدان الواسع جدا أمام عينيهما الصغيرتين وانتابه نفس الخوف الذي انتاب أخيه فابتلع ريقه وغمغم وكأنه يهدئ نفسه " سنسأل وإن لم نجد ما نريد نقطع تذكرتين للعودة "
قالها وهو يسحب أخاه نحو رجل عجوز يبحث عن شيء في حافظة نقوده " فقال له من فضلك يا عم أين سيارات الأجرة لمنطقة (****) "
بطريقة آلية وبدون أن ينظر إليهما رد الرجل بعد أن أشار لجهة معينة " اذهب ناحية اليمين بعد ذلك المطعم هناك ساحة سيارات الأجرة (وانتبه أخيرا للصبيين أمامه فسألهما بفضول) هل أنتما بمفردكما؟"

رد أدهم وهو يسحب أخاه" لا والدتنا تقف عند المحطة"

قالها وهو يبحث في اتجاه المحطة مخفيا ارتباكه ثم أسرع بالإشارة نحو إحدى السيدات الواقفات تثرثر مع فتاتين وشكره مبتعدا في اتجاه السيدة المذكورة فتابعهما الرجل بعينيه لثانيتين وعاد للتركيز فيما يفعل بينما غير أدهم مسارهما للاتجاه نحو تلك الساحة المشار إليها.

في ساحة تضج بعدد كبير من سيارات الأجرة شعر الصبيان بالدوار ووقفا يتطلعان في المكان والتردد سيدهما فقال إياد لأخيه" أنا عطشان تعال لنبتاع زجاجة مياه قبل أن نبحث عما نريد "

بعد دقائق وفي ركن من الساحة اندفع السائقون لفض اشتباك بين اثنين منهم ليقول أحد المتشاجرين بشراسة" اسمع ..لا تجعلني

افقد أعصابي معك ..قلت لك هذا دوري
فأغرب عن وجهي الساعة"
أفلت الأخر ممن يمسكون به وقال له وهو يهم
بالانقضاض عليه "هل ضربتني يا برنس!!"
أسرع الأخرون بالإمساك به قبل أن يقترب من
ذلك الشاب المدعو بالبرنس والذي وقف
متخصرا تطل نظرة غاضبة من عينيه نحو
الأخر في الوقت الذي تدخل فيه أحد الرجال
الأكبر سنا يصيح في السائق الثاني" قلنا البرنس
هو من عليه الدور فلا تقرفنا وانتظر دورك
بعده"
وقف أدهم وإياد يتابعان المشاجرة وهما
يداريان خوفهما قبل أن يسألهما أحد السائقين"
لماذا تقفان هكذا ابتعدا فالسيارة ستعود
للخلف؟ "

انتبه الاثنان لسيارة قد امتلأت بالزبائن تهم بالانطلاق فابتعدا قليلا بينما سألهما نفس الرجل" مع من أنتما ؟"
تجاهل أدهم سؤاله وقال" نريد أن نذهب لمنطقة (××××) "
صاح الرجل "يا برنس هناك زبائن لك هيا املأ سيارتك وانطلق ودع هذا اليوم يمر على خير"
تطلع أدهم وإياد في الشاب ذو السمرة اللامعة تحت اشعة الشمس الحارقة والذي اقترب منهما بمزاج عكر يسألهما" إلى أين أنتما ذاهبان؟"

شعرا بالخوف من عدائيته فأمسك أدهم في ذراع أخيه بحركة عفوية لم تخف على الشاب وقال" نريد أن نذهب لمنطقة (××××)"
ضيق الشاب عينيه وسأله "أين بالتحديد في منطقة (××××)؟"

رد إياد بالنيابة عن أخيه" مدينة (***)"
صمت الشاب قليلا يتفحصهما ثم سأل" هل ستذهبان وحدكما ؟"
بلع أدهم ريقه يشعر بالارتباك من نظرات الشاب وقال وهو يرفع ذقنه بثقة مزيفة" أجل فنحن معتادان على ذلك "
رفع الشاب حاجبه ووقف متخصرا يطالعهما بنظرة مقيمة لملابسهما التي تبدو غالية الثمن وحذاءيهما من ماركة شهيرة .. وجيب بنطال إياد المنتفخ ويخرج من طرفه ورقة مالية .
كاد أدهم أن يحجم عن الفكرة ويسحب أخاه للخلف في الوقت الذي قالت فيه سيدة من الخلف "هل هذه السيارة ذاهبة لمنطقة (××××)؟"
رد البرنس قائلا وهو يمسك بالباب" اركبي يا حاجة (ثم قال للصبيين) وأنتما أيضا اركبا"

قالت المرأة قبل أن تصعد" تعاليا أركبا أولا فأنا أريد أن أجلس ناحية الخارج ..(ودققت فيهما) هل أنتما وحدكما؟"

انتبه الموجودون بالسيارة للصبيين ليقول البرنس وهو يفتح باب السيارة الامامي للمقعد الذي يجاور السائق" بل سيجلسان بجواري هيا "

بلع الولدان ريقهما وصعدا بينما قال البرنس للسيدة" اجلسي يا حاجة على الطرف وحين يأتي زبون أخر سنجعله يدخل"

قال أحد الركاب بالخلف عبر النافذة" هيا يا عمنا فالشمس حارقة "

رد البرنس بمزاج عكر وهو يربت على السيارة بخشونة " السيارة ناقصة راكب يا أستاذ والشمس حارقة هنا وعلى الطريق فسعادتك لا تركب أتوبيسا مكيفا "

قال الرجل باستفزاز "التقط الزبون الباقي من على الطريق "
مال البرنس برأسه يمينا ويسارا يطقطق رقبته ثم ضرب بقبضته في كفه الأخر يقول من بين أسنانه "الصبر من عندك يا رب "
بعد دقائق جاء الراكب المنتظر فاستدار البرنس حول مقدمة السيارة ليركب أمام عجلة القيادة لينكمش إياد يمسك بذارع أدهم الذي أبعد يده يحدجه بنظرة تعني ألا يظهر توتره.
تحركت السيارة وبدأ الركاب في دفع الأجرة فأخرج أدهم من جيبه الأوراق المالية الملفوفة عبارة عن فئات مالية صغيرة ثم أخرج منها ورقة من فئة العشرة ومنحها للسائق الذي يتابع حركاتهما بطرف عينه .
بعد قليل سألهما البرنس" أهناك من ينتظركما؟"

قال أدهم مطمئنا "أجل أنزلنا على أول المدينة ونحن سنتصرف نحن معتادان على الذهاب "
ضحك البرنس ساخرا وتطلع في زجاجة المياه المعدنية بيد أدهم وفي تابلت إياد الذي كان يحضنه طوال الوقت ومن نظرة واحدة للماركة ولنقاء الصورة لتلك اللعبة التي بدأ في لعبها ليهزم توتره أدرك البرنس بأن هذا التابلت بمبلغ كبير .. وفهم بأن هذين الولدين ربما تائهان أو هاربان من بيتهما.

xxxx

سأل وليد في الهاتف " لا جديد يا مفرح؟ "
رد الأخير باقتضاب " لا "
قال وليد وهو ينظر من نافذة أحد المطاعم في مركز المحافظة " أنا أشعر بالشلل التام منذ أن علمت بالخبر .. فمن ناحية أريد أن أساعد في

البحث ومن ناحية أخرى أحاول أن ألهي مهجة عن العودة حتى لا تعرف الخبر وتنهار .. "
رد مفرح باقتضاب" الجميع هنا يبحث يا وليد .. انتبه أنت لمهجة ولا تخبرها بشيء "
قال وليد بتعاطف" أنا أبلغت أصحابي كلهم ويبحثون الآن والله يا مفرح "
رد الأخر متفهما" عشت يا وليد"
لم يجد وليد ما يقوله فأدار وجهه لمهجة التي تعطي النادل بعض التعليمات ثم قال لمفرح "إن شاء الله سنجدهما .. عموما لو لم نصل لجديد خلال ساعة سأضطر لإخبارها وليسترها الله سلام "
أغلق الخط ثم رسم ابتسامة وهو يعود لمهجة التي بادرته بالقول "الطعام برد يا وليد .. هل حدث شيء؟"
ابتسم ابتسامة مغتصبة ورد" لا شيء هيا لنأكل"

قالها ونظر للطعام بدون شهية .
في نفس الوقت كان مفرح فوق حصانه يقترب من بيت العمدة بعد أن جاب الحقول الساعة الماضية مدققا وسائلا الفلاحين دون أن يصل لشيء ..
اقترب من مصطفى الذي لا يزال على وقفته خارج بيت العمدة والذي استقبله يقول مشفقا" سنجدهما إن شاء الله .. لقد ظهر أحد السائقين المختفين سنسأله فور وصوله "
قال مفرح من فوق حصانه "لقد مر أكثر من ساعتين على اكتشافنا اختفاءهما سأذهب للمزرعة لأعيد ألفونس وآخذ سيارتي للبحث خارج القرية وأبلغ الشرطة "
على أول الشارع وقفت سيارة أجرة جماعية وترجل منها السائق الذي هرول بسرعة في اتجاه بيت العمدة فترجل مفرح من فوق حصانه مترقبا ليقول الرجل" السلام عليكم يا

حاج مصطفى.. السلام عليكم يا باشمهندس..
أنا عدت وعلمت من السائقين بأنكما تبحثا عن الصبيين وتسألان عن باقي السائقين ..بصراحة أنا من أوصلتهما لمركز المحافظة "
أمسك مفرح في تلابيبه قائلا بلهجة غاضبة"
ماذا قلت؟ مركز المحافظة كيف ومتى؟ "
امتقع وجه الرجل وأجاب" منذ ثلاثة ساعات تقريبا "
خلص مصطفى الرجل من يد مفرح وسأله بعبوس" وكيف توصل صبيين وحدهما ؟!"
قال الرجل مفسرا "الحقيقة أني لم انتبه لهويتهما جيدا لقد ركبا في المقعد الأخير .. أنا فقط سألتهما إلى أين ذاهبان فأخبراني بأن هناك من ينتظرهما عند موقف السيارات ولم أركز في هويتهما جيدا"

هم مفرح بالانقضاض على الرجل يفرغ فيه مشاعره المرتعبة فتدخل مصطفى يمنعه ويسأل الرجل" هل تعرف أي شيء أخر؟ "
رد الرجل وهو يبلع ريقه" لا والله يا حاج مصطفى هذا ما حدث ونسيت أمرهما حتى عدت لموقف السيارات ووجدت الدنيا مقلوبة هناك بحثا عن صبيين"
هدر مفرح في الرجل" ما هذا الاستهتار توصل صبيين وسط الركاب وحدهما هكذا ببساطة!!"
قال الرجل مدافعا "صدقني يا باشمهندس حين ركبا ظننتهما تابعان لإحدى الأسر التي ركبت ولكن في منتصف الطريق وعند جمع الأجرة لاحظت بأنهما وحدهما ولكن لم أنتبه لهويتهما "
قال مصطفى ليصرف الرجل" اذهب أنت الآن"

اسرع مفرح يهم بركوب الحصان قائلا" لماذا سيذهبان لمركز المحافظة ماذا يعرفان فيه بالضبط .. ؟"

رن هاتف مصطفى فأسرع بالرد" نعم جابر" استدار مفرح ليرى إن كان هناك جديدا فقد تم الاتصال بجابر حتى يسأل كريم ابن هلال جمعة صديق ولديه الذي يعمل معه إن كان يعرف عن مكان الصبيين لكن الأخير أنكر .. فتح مصطفى مكبر الصوت بينما قال جابر عبر الهاتف وهو ينظر لكريم الواقف أمامه في مكتبه ويده معلقة فوق شريط في رقبته" أنا تحدثت مع كريم يا مصطفى وأخبرني بأن الصبيين كانا مشغولين الفترة الماضية بالبحث عن سر اختفاء أمهما وأنهما يعتقدان بأن أبويهما متشاجران ويكذبان عليهما .."

اتسعت عينا مفرح بفزع بينما أضاف جابر" وأخبرني بأن أدهم قد تواصل مع أحد أقارب

السيدة مليكة منذ أيام وعلم بأنها ليست مسافرة خارج البلاد كما أخبرهما الجميع"
امتقع وجه مصطفى وغمغم وهو ينهي المكالمة" حسنا يا جابر لو علمت أي شيء أخر من الصبي أبلغنا "
قالها وأغلق الخط ينظر لمفرح الذي بدا أمامه يعاني من أعراض ذبحة صدرية وشيكة والذي رفع يده يمسك برأسه قائلا بصوت متهدج "يا رب سترك .. ذهبا لمليكة !!"

xxxx

نزل آخر راكب من سيارة الأجرة بالخلف ولم يعد إلاهما مع السائق فأمسك إياد بذراع أخيه وقد بدأ شعورهما بالارتياب يزداد ليهمس أدهم فيه " اهدأ "
وبدأ يفكر في وسيلة للدفاع عن نفسه وأخيه فالطريق أمامهما هادئ خال في هذه المنطقة السكنية الجديدة في وسط الصحراء .. وعاد

ليلوم نفسه على تهوره .. بدأ في جلد ذاته وتقريعها بأنه قد تهور وابتعد عن البيت وهو لا يملك إلا هاتفا مغلقا .. وهو وأخاه تائهان مع أحدهما .

سأل أدهم السائق " متى سنصل ؟.. لقد قالت إحدى السيدات للأخرى وهي تنزل أنه آخر الخط "

رد الأخير بهدوء " لا تقلق لقد اقتربنا "

بطارف عينيه أخذ يتأمل السائق الشاب الذي يرتدي بنطال من الجينز القديم المصفر وتيشيرت قديم هو الأخر وبدا له قويا بعضلات ذراعيه الواضحين من كم التيشيرت القصير .. والذي كان يدندن باسترخاء .. فقاوم أدهم رغبة ملحة في البكاء وتقبض بقوة يسيطر على ارتجاف جسده وهو يفكر .. ماذا لو كان هذا السائق سيخطفهما؟ .. كيف سيدافع عن نفسه وعن أخيه ؟.. إنه لا يملك شيئا يدافع به

حتى دروس الدفاع عن النفس التي تذكر بعضا منها لا يعتقد بأنه واخاه سيقدران على أن يغلبا شابا قويا مثل هذا السائق.. فبدأ في قضم أظافره بينما ازداد إياد الذي يجلس ناحية السائق انكماشا في أخيه .. ليهمس له أدهم " تذكر .. لو حدث أي شيء نضرب بين ساقيه ونعضه .. نحن اثنان وهو واحد "

××××

قال كامل في الهاتف وهو يلتقط مفاتيحه بعجلة" اهدأ يا مفرح وأفهمني متى يصل هذا القطار ؟"

قال مفرح وهو لا يزال واقفا في محطة القطار في المحافظة "هناك قطاران خرجا من المحافظة خلال المدة التي حددنا فيها اختفاءهما واحد وصل قبل نصف ساعة والثاني سيصل خلال أربعين دقيقة من الآن .. (وتهدج

صوته مضيفا) اذهب لربما كانا في القطار الثاني أو لا يزالان في محيط محطة القطار .. "
قال كامل وهو ينظر لشامل الذي توتر لتوتر توأمه واستشعر أنه هناك مصيبة "حسنا يا مفرح لا تقلق أنا سأكون على الطريق خلال دقائق "
قال مفرح بلهجة متوسلة" أرجوك يا كامل ابحث جيدا"
سألت سوسو بتوجس "ماذا حدث؟.. ما به مفرح ؟"
رد كامل باقتضاب وهو يهم بإنهاء المكالمة" لا شيء يا أمي (وتحرك نحو باب المرآب وأضاف) لا تقلق يا مفرح إن شاء الله سنجدهما ..إن شاء الله "
أسرع شامل بالقول" أنا ذاهب معك (ونظر لأمه مضيفا) أخبري أبي بأن يباشر المطعم لأننا خرجنا لشيء عاجل يا أمي"

غمغمت سوسو وقد شعرت بالانقباض"
أسترها يا رب"

xxxx

سأل عمار الذي انتهى من صلاة العصر وانضم لمائدة الغداء في بيت أكرم " هل رفضت مليكة النزول للغداء اليوم أيضا؟ .. أنا جئت خصيصا كي آكل معها "

قال أكرم وهو يشير له بالجلوس بينما ابتسام زوجته تعطي تعليماتها للخادمة " أخبرتني بأنها ستنزل بعد قليل "

غمغم عمار براحة وهو يتطلع في الجالسين على المائدة أخيه وزوجته وابنائهما الثلاثة" أتمنى أن تخرج من حالة الاكتئاب هذه سريعا بصراحة لست معتادا عليها بهذه الحالة "..

قالت ابتسام بلهجة متعاطفة" لقد كبتت كثيرا المسكينة وآن الأوان لأن تأخذ وقتها في التعافي ولا تضغط على نفسها من أجل الأخرين "

غمغم أكرم مؤيدا "من الجيد أن أبي اقتنع وعاد للبلد لأنه هو أكبر ضاغط عليها.. فمن أجل أن تثبت له أنها بخير حتى لا يتأثر تضطر دوما للتمثيل والضغط على نفسها لادعاء ذلك "

قال عمار مؤيدا " ولهذا السبب لم أحضر زوجتي والأولاد .. أريدها أن تشعر بأنها ليست مضطرة للمجاملة أو المضايفة"

رن هاتف أكرم فأسرع بالرد " كيف حالك يا مفرح ؟"

سأله مفرح بحشرجة "هل مليكة بجوارك؟"

رد الأخر عاقدا حاجبيه "لا.. أتريدها؟"

قال مفرح رافضا" لا لا أرجوك ..لا أريدها أن تعرف شيئا "

سأله أكرم وقد استشعر وجود أمر ما "ماذا حدث ؟"

هتف مفرح بالْتياع" الولدان يا أكرم "

قال أكرم مفزوعا "أدهم وإياد ما بهما؟؟"

تجمدت مليكة خلفه على السلم البعيد بينما قال مفرح في الهاتف "خرجا من القرية منذ ثلاث ساعات تقريبا يرغبان في الذهاب لمليكة على الأرجح "

استقام أكرم واقفا يقول مفزوعا " ماذا قلت؟؟"

سأله عمار عابسا وقد وقف هو الأخر "ماذا حدث ؟"

قال له أكرم بسرعة قبل أن يعود ليسمع مفرح "يبحث عن الولدين "

شهقت ابتسام بينما قال مفرح موضحا بلهجة مرتبكة " الولدان خرجا وعلمنا بأنهما قد ذهبا لمركز المحافظة ولم نجدهما حتى الآن وهناك احتمال وارد أن يكونا قد تهورا وذهبا للعاصمة "

هتف أكرم عابسا " كيف ذلك ؟؟.. كيف سيذهبان وحدهما ؟؟"

قال عمار بقلة صبر" أين ذهب أدهم وإياد يا أكرم؟"

هرولت مليكة تنزل السلم بينما قال مفرح وهو ينظر حوله في المحطة " لا أدري .. أنا لا أدري .. أنا أقف مشلولا لا أعرف أين أبحث .. أبلغت الشرطة .. والجميع يبحثون في كل مكان ..

ووضعت تخمينا أن يكونا قد ذهبا للعاصمة .. فأحد أصدقائهما أخبرنا بأنهما كانا مهتمان بالبحث خلف أمر اختفاء مليكة .. لذا اتصلت بكامل زوج بسمة الوديدي وسيذهب لمحطة القطار وأنت .. (وأمسك برأسه مرتبكا وأكمل) لا أعرف إن علمت أي شيء أخبرني أنا لا أعرف أي شيء"

هتفت مليكة "ما بهما أولادي؟؟؟؟"

انتبه الجميع لوجودها فاستدار أكرم بوجه أصفر ليجدها قد أصبحت خلفه تقول بوجه

هارب منه الدماء" ماذا حدث لأولادي يا أكرم ؟!!"

قبض مفرح على شعره وتحركت عيناه هنا وهناك بارتباك ثم استقرتا على مصطفى قائلا " يا للمصيبة ..مليكة علمت بالخبر"

أمسكت مليكة بملابس أكرم تحاول خطف الهاتف منه صارخة "ماذا حدث لأدهم وإياد .. (وصرخت تعلي صوتها حينما رفع أكرم منها الهاتف) ماذا فعلت في أولادي يا مفرح؟!"

أغلق مفرح الخط بسرعة ولم يستطع مواجهتها .. كان الأمر أصعب من مواجهته .. ثم مال بجذعه للأمام يستند بيديه على ركبتيه يحاول تنظيم أنفاسه فأنهى مصطفى اتصاله بسرعة مع من يتابعهم ممن لا يزالوا يبحثون هنا وهناك ومسد على ظهر مفرح مواسيا" تماسك إن شاء الله سنجدهما فالشرطة تبحث والجميع في حالة استنفار "

أما مليكة فنظرت لأكرم بعينين متسعتين ملتاعتين تقول ذاهلة" هل ضاع أولادي !!"
حاول أكرم الكذب فقال بسرعة "لا لا .. إنه يقول بأنهما خرجا منذ نصف ساعة أي أنهما في القرية ربما يلعبان هنا أو هناك "
تسارعت أنفاسها وأمسكت بقلبها وهي تتطلع في وجهه بغير تصديق.. فما الذي يجعل مفرح يتصل به ليخبره بأن الولدين تائهان في داخل القرية.
ابتعدت للخلف خطوتين ثم استدارت تبحث حولها وأسرعت نحو أحد الطاولات الجانبية تخطف مفتاح سيارة لا تعرف لأي من الجالسين .. فسألها عمار" إلى أين يا مليكة؟"
انتبهت لأنها ترتدي رداء بيتيا من بنطال وبلوزة فهمت بالصعود للأعلى عندنا لمحت اسدال صلاة على أحد المقاعد فأسرعت بارتدائه بينما أكرم يقول" مليكة إلى أين أنت ذاهبة؟ "

قالت بتصميم وقد انتهت على عجل من وضع الاسدال على جسدها" ذاهبة للبحث عن أدهم وإياد "

قال أكرم باعتراض "أين ستبحثين يا مليكة؟"

تحركت نحو الباب فأسرع عمار باعتراض طريقها قائلا "أخبرينا أين ستذهبين وسنبحث معك"

حاولت ابعاده عن طريقها بينما قال أكرم بلهجة حازمة "مليكة انتظري ..أين ستبحثين بالله عليك!"

صرخت مليكة في عمار "ابتعد عن طريقي" كانت لأول مرة تنفعل بهذا الشكل منذ مدة طويلة جدا فأمسك بها عمار قائلا "اهدئي وسنذهب معك في أي مكان تريدين اصعدي أولا لتبديل ملابسك "

صرخت فيه تبعده "قلت ابتعد سأبحث عن أولادي "

دفعتها كانت قوية فزحزحت عمار قليلا عن مكانه وانحشرت تمر من جانبه ليسرع بالإمساك بها قائلا" حسنا اهدئي وسأذهب بك إلى حيث تريدين (ونادى على ابن أخيه قائلا) ناولني مفتاح سيارتي من فوق الطاولة في غرفة المعيشة يا معاذ "

كانت مليكة في حالة من الهلع ولم تقدر على الانتظار لثانية واحدة ولم يكن لديها ذرة صبر تشعر بأنها على وشك الموت فلن تتحمل المزيد من فقد الابناء فأخذت تقاومه لتتحرر منه وتنطلق للبحث عنهما .. فأمسك بها عمار وهو يتبادل النظرات مع أكرم الذي أسرع بالقول" أنا ذاهب معك يا مليكة هيا "

قالها واسرع بالرد على هاتفه بعد أن تطلع في الرقم الذي يعود للأمن الخاص ببوابات المدينة فقال "نعم .. أجل أنا الدكتور أكرم

(واتسعت عيناه يقول بذهول) ماذا .. صبيان على البوابة يسألان عني !!!"

قبل قليل

اقتربت سيارة الأجرة لتقف أمام مدخل إحدى بوابات مدينة (***) وقال البرنس لأدهم وإياد اللذين لا يزالا مرتعبين "هذه هي المدينة التي تسألان عنها أليس كذلك؟"

تفاجأ أدهم واستدار حوله يسأل بارتباك "أين؟؟"

غمز له البرنس وضحك قائلا " ألم تقل بأنك تعرف المكان ومعتادا على الذهاب وحدك يا عمنا !!..عموما المدينة التي تسأل عنها على يمينك "

تعرق جبين أدهم والتفت ينظر إلى اسم المدينة عند المدخل ثم غمغم بتلعثم" أشكرك "

بينما زفر إياد بطريقة تفضح دواخله وقال "الحمد لله"

أسند البرنس ذراعه على مقعد السيارة خلفه وقال" أريد أن أعرف قبل أن تغادرا السيارة حكايتكما فلن أستطيع أن أترككما وحدكما وأرحل "

قال أدهم وهو يهم بفتح باب السيارة "سنزور أقاربنا"

أغلق البرنس أبواب السيارة من عنده أوتوماتيكيا وقال "نتحدث أولا وأفهم الموضوع"

تطلع فيه أدهم يقول بعبوس "ماذا تريد؟"

قال البرنس بإصرار " أريد أن أعرف من أين أتيتما؟.. ولماذا أنتما وحدكما ؟.. ولمن أنتما ذاهبان؟"

قال أدهم "هذا ليس من شأنك"

تكلم البرنس مهادنا " على الأقل أخبرني لمن أنت ذاهب حتى اطمئن على وصولكما له .. فلن استطيع أن أترككما هنا على بوابة المدينة وأرحل دون أن أطمئن عليكما (ومال بجذعه ناحيتهما قائلا بإصرار ومحاصرة) عمن تبحثان؟"

تدخل إياد قائلا باندفاع " نحن ذاهبان لخالنا هنا الدكتور أكرم صوالحة "

قال البرنس متنهدا " حلو هذا الكلام ..بدأنا نتفق هيا لأسلمكما له"

ترجل ثلاثتهم ..ووقف أدهم وإياد يشعران ببعض الراحة ويقاومان شعورا بالدوار والغثيان بينما تقدم البرنس من أمن البوابة يقول بلهجة لطيفة وهو يمد يده للسلام "هذان الصبيان أنا مكلف بتسليمهما لخالهما الدكتور أكرم صوالحة"

قالها وغمز للصبيين اللذين ابتسما فقال أحد أفراد الأمن لزملائه "من منكما معه رقم هاتف دكتور أكرم صوالحة ؟"
سأل الأخر "أليس هذا من يسكن في فيلا رقم سبعة في شارع الزهور؟"
هز الأول برأسه بينما بدأ الثاني بالبحث عن الرقم.

xxxx

خرجت مليكة من فيلا أكرم مهرولة تتعثر في اسدالها فأسرع عمار بإسنادها مهرولين نحو سيارة أكرم الذي قال في الهاتف وهو يركب سيارته وينطلق بها " أجل يا مفرح .. لا أعرف أبلغوني بأن هناك شخص يسأل عني ليسلمني صبيين "
ونظر عبر المرآة الخلفية لعمار الذي جلس في المقعد الخلفي بجوار مليكة حتى لا تتهور وتقوم بأي حركة خطرة فقد كانت في حالة

خارجة عن السيطرة تضرب بقبضتها برتابة على صدرها مغمغمة بعبارات هامسة وأضاف"
إن شاء الله سأطمئنك ابق معي على الخط فكدنا أن نصل للبوابة"
تطلع مفرح بنظرات يملأها الأمل لمصطفى وهما يقفان أمام محطة القطار في مركز المحافظة في الوقت الذي مال البرنس بجذعه على أدهم وإياد أمام البوابة يقول غامزا
"أنا لا أعرف سبب خروجكما وحدكما ..لكن لو كنت مكانكما وفي سنكما لما فعلتها ..(ووضع يده على صدره يقول بلباقة) ليس لأنكما صغيران لا سمح الله ولكن لأن الخطر يحيط بكما من كل جانب (وأشار لإياد قائلا) وإياك أن تضع النقود في جيبك بهذا الشكل المغري لأي شخص تسول له نفسه أن يؤذيك"
تطلع إياد في جيبه فأضاف البرنس" ولا تمشي وأنت تحضن التابلت الخاص بك خاصة وهو

غالي الثمن وسيغري أي شخص لخطفه منك إن لم يحاول أذيتك "

احمر وجها الصبيين بحرج فمد الشاب يده يمسح على شعر إياد واعتدل واقفا في الوقت الذي أوقف أكرم سيارته فصاحت مليكة عبر النافذة" أولادي"

انتبه الصبيان فأسرع إياد باختراق البوابة مسرعا وهو يهتف "أمي"

كانت لا تصدق وهي ترى الولدين أمامها .. جاءا من أجلها ..

تحديا خوفهما وعمرهما الصغير وبحثا عنها.. اشتاقا إليها كما اشتاقت إليهما .

أرسلهما إليها الله سالمين ليجبر بخاطرها .

خرجت مليكة من السيارة وتعثرت في اسدالها فنزلت على ركبتيها أرضا ولم تقدر ساقاها على طاعتها والحركة بعدها فأسرع عمار ليقف بجوارها بينما ارتمى إياد عليها ليحضنها .

وقف أكرم صامتا للحظات مأخوذا بالمنظر فصاح مفرح بغير تصديق "احلف بالله أنك ترى أولادي أمامك "

أغلق أكرم المكالمة وأعاد الاتصال بمكالمة مرئية نقل فيها ما يحدث لمفرح الذي أخذ هو ومصطفى يتابعان المشهد بتأثر شديد .. في الوقت الذي تقدم أدهم من أمه ببطء وهو يقاوم رغبة في البكاء .. وشعور بالراحة والأمان بدأ أخيرا يتسلل إليه بعد أيام كثيرة من اختفائها.

انتهت مليكة من تقبيل وجه إياد بهيستريا وهي لا تزال على ركبتيها رغم محاولات عمار لأن تقف على قدميها ثم رفعت ذراعها لأدهم تشير له ليقترب فنزل الأخير أمامها ثم أحاطها بذراعيه وانفجر باكيا .

كان المشهد مهيبا ومؤثرا ومليكة في حالة انهيار وتأثر وهي تحضن الاثنين.. فترك مفرح الهاتف

وسجد في الشارع يشكر ربه بينما أغلق أكرم الاتصال وتوجه نحو السائق يسلم عليه بامتنان وعيناه تحملان تساؤلات كثيرة ليبادر البرنس بالقول "لقد وجدتهما في موقف سيارات الأجرة في محطة القطار يطلبان الذهاب لمدينة (×××).. ولاحظت بأنهما وحدهما فقلقت لذا انتهيت من إنزال ركابي وجئت إلى هنا لأن هذا الطريق ليس طريق سيارة الأجرة .. ولو كنت سأنزلهما لأقرب نقطة كان ذلك سيكون في عرض الطريق ويلزم عليهما استقلال تاكسي للوصول للمدينة لذا قررت أن أوصلهما بنفسي وأطمئن بأنهما سيصلان لمن يبحثان عنه "

ربت أكرم على ذراع الشاب يقول بامتنان" لا أعرف كيف أشكرك لقد أنقذتهما من مصير مرعب بما فعلت .. أنا دكتور أكرم خالهما (وأشار على مليكة التي يحاول عمار مساعدتها

على القيام من الأرض) وهذه أمهما بالتأكيد خمنت ذلك "

ابتسم السائق وقال "الحمد لله رب العالمين" أشار له أكرم بحرج لأن ينتظر ثم ذهب لعمار الذي نجح في إدخال مليكة في المقعد الخلفي وهي لا تزال متشبثة بالولدين فدس أكرم يده في جيب أخيه يخرج حافظة نقوده وعاد للسائق وهو يخرج منها مبلغا كبيرا من المال قائلا "أنا آسف جدا لكن .."

"أعد النقود "

قالها الشاب بصرامة جعلت أكرم يرفع نظراته إليه متفاجئا ليقابل ملامح الانزعاج على وجه الأخر فقال له مبررا" هذا فقط جزء من التعبير عن امتناننا بشهامتك والله لا يساوي نقطة في بحر ما تستحقه "

رد الشاب قائلا وقد أظلم وجهه "عيب يا دكتور أنت تشتمني بما تفعل أنا لست متسولا"

قال أكرم بسرعة" أبدا أنا فقط..."

قاطعه الشاب قائلا بلهجة جادة " أنا لم أفعل سوى الواجب ومع هذا أنت مصر على إهانتي"

تطلع فيه أكرم مدققا فبدا من هيئته ولهجته التي لا تشبه لهجة الطبقة المتعاملة مع فئة سائقي الأجرة.. بأنه متعلم فقال له" لم أتعرف عليك بعد "

رد الشاب بثقة " عصام عارف .. الشهير بين السائقين باسم عصام البرنس .. أنا جامعي يا دكتور لكن أكل العيش مر "

ابتسم أكرم وسأله "تشرفنا يا عصام .. ما هي دراستك؟"

ابتسم عصام ابتسامة وسيمة تناقض وجهه الجاد قبل قليل ورد وهو يضع يده على صدره" تخرجت من كلية الفنون التطبيقية بلا فخر " اتسعت عينا أكرم متفاجئا وقال" وما دخل الفن والنحت والديكور بقيادة سيارات الأجرة!"

رد عصام ضاحكا "دخله ضيق الحال يا دكتور .. لا يوجد عمل يجلب رزقا حلالا حتى الآن بهذه الشهادة .. ولن أجلس في بيتي كالنساء انتظر أن تأتيني الفرصة الجيدة من إحدى الشركات ..لذا أنا أعمل على هذه السيارة سائقا حتى يفرجها الله ونعود للفنون والعمارة (ثم أضاف مازحا) الغلطة غلطتي منذ البداية .. كان عليّ أن أسمع كلام الحاج وأدخل كلية الهندسة بدلا من الفنون التطبيقية لربما وجدت فرصة عمل في شركة محترمة .. لكن أعود وأقول لنفسي بأن هناك مثلي الكثيرين ممن هم

جامعيون ومضطرون للعمل في أي شيء من أجل لقمة العيش(وتنهد قائلا) كانت هذه قصة قصيرة حزينة"

ضحك أكرم وربت على ذراعه قائلا بلهجة معجبة" بارك الله فيك وفي أمثالك من الشباب الذين لا يتحرجون أبدا من العمل الحلال (ثم أضاف) لا تؤاخذني أنا خرجت على عجل فلا أحمل بطاقة العمل لكن سجل رقمي وعنوان العيادة والمستشفى التي أعمل بها .. (وأملاه البيانات مضيفا) أنا الدكتور أكرم صوالحة إن احتجت لأي شيء أو أي مساعدة أنا لن أتردد فجميلك عليّ وعلى عائلتي كبير "

شعر عصام بالحرج فغمغم" حاشا لله ..والله أنت تحرجني بهذا الكلام يا دكتور أنا لم أفعل إلا ما أملاه عليّ ضميري إنهما في عمر أخي الصغير "

قال أكرم ممسكا بهاتفه " أعطني رقم هاتفك لأسجله"

ابتسم عصام وأملاه الرقم بينما اقترب عمار يسلم على عصام فقال الأخير " عصام عارف الشهير بالبرنس في عالم الإسفلت "

أضاف أكرم بلهجة معجبة" ما شاء الله عليه خريج فنون تطبيقية يا عمار "

رحب به عمار ليقول عصام وهو يهم بالمغادرة" أنا مضطر للمغادرة (ونظر للسيارة التي ركب فيها الولدين بجوار مليكة وقال مبتسما) ابلغا سلامي للشابين الصغيرين حفظهما الله السلام عليكم"

قالها وتحرك بخطوات واثقة يخرج من البوابة العملاقة للمدينة فعاد الاخوان للسيارة التي لا تزال فيها مليكة تحضن الولدين وتبكي دون توقف غير مصدقة لأنهما جاءا إليها .. خرجا وغامرا من أجلها هي .. من أجل الوصول لها ..

أما عصام فتطلع في سور المدينة من الخارج ..
وفي بعض الأبنية الفخمة التي تظهر من البوابات وقال متنهدا" أرزقنا يا رب .. افرجها من وسع فأنت تعلم بالحال "
قالها وصعد ليركب السيارة ويتحرك مغادرا ..
وانتهز خلو السيارة من الركاب ليستمع لإحدى أغانيه المفضلة التي لا تتماشى مع ذوق سائقي السيارات وغالبية راكبيها من الطبقة البسيطة .. فأخذ يدندن معها .

أوقات بحس إننا
شمس وقمر
طريقين سفر ما بيتلاقوش
وأهرب ما بين كل الوشوش
وساعات بحس إنك أنا
فاهمة حروفي والسكات
سامعة غنايا وكل الآهات

xxxx

قال جابر في الهاتف "السلام عليكم"
ردت أم هاشم" وعليكم السلام ورحمة الله "
سألها مناغشا " كيف حالك يا ست مشمش"
اتسعت ابتسامتها وردت بلهجة ربتت على
قلبه" في نعمة كبيرة "
قال بهدوء "أدام الله علينا النعمة وحفظها من
الزوال .. كنت أريد أن أخذ رأيك في موضوع "
ارتجف قلبها وردت "خيرا إن شاء الله"
قال جابر " ما رأيك ما دامت ميس في إجازة من
المدرسة أن أمر عليها وأنا عائد وقت الغداء أو
في أخر اليوم لأحضرها لتتغدى عندنا ثم
أعيدها"
هزت رأسها وقالت" فكرة جميلة جدا "
غمغم جابر متنهدا " أتمنى أن يساعدني هذا
على احتوائها ويخفف من على كاهلي شعوري
بالذنب تجاهها "

أشفق قلبها عليه وقالت مشجعة " أنا معك في أي شيء يحقق لك ذلك "

رد بامتنان وإدراك بأنه ليس على طبيعته معها منذ ثلاثة أيام حتى أنه تحجج بالعمل اليوم ولم يحضر كعادته بعد صلاة الظهر ليستريح "بارك الله فيك "

ساد صمت مرتبك لتقول أم هاشم بعده " أنت تعلم بأن زواج سامية أخر الأسبوع وبأنهم مشغولون في بيت عمي بالتحضيرات وأرى أني لابد أن أكون متواجدة بشكل يومي معهم .. (وأسرعت بالإضافة) سأخرج في الصباح وأعود قبل عودتك من العمل "

قال جابر بإشفاق "لكن هذا سيكون إجهادا لك فما لاحظته أنك تتفاني فيما تقومين به "

ابتسمت ابتسامة واسعة وردت مطمئنة "لا تقلق عليّ"

ساد صمت آخر وكل منهما يريد أن يخبر الأخر بالكثير لكنه يخشى بأن يثقل كاهله لتقطع أم هاشم الصمت قائلة" جابر"
ارتجف قلبه كمراهق صغير .. وكأنها بتلفظ اسمه تعزف على أوتار مشاعره .. كيف يكون لاسمه مفهوما أخرا غير الذي يعرفه؟! ..
رد بهدوء متقد بالمشاعر "مُري جابر "
خطف روحها دون إنذار بعبارته فقالت بتلك اللهجة التي تؤلم قلبه دون سبب يعرفه" ما أمر عليك عدو ولا ظالم .. كنت أريد أن استأذنك في شيء (واشتعلت وجنتاها تكمل بحرج) النقود التي جاءتني من النقوط بالإضافة للمصروف الشخصي الذي أعطيتني إياه كنت أريد أن أساعد به عمي بطريقة غير مباشرة دون أن أحرجه .. فكما تعلم لم يمض على زواجي إلا وقت قليل وتعرف تكاليف تزويج البنات "

قال جابر بلهجة جادة "هذه نقودك يا أم هاشم تصرفي فيها كما تشائين .. ولا تحملي هم عمك سأرى أنا أيضا كيف يمكنني مجاملته بما يرفع عن كاهله عبء التكاليف"
غمغمت بامتنان" لا حرمني الله منك .. سأذهب منذ الغد لبيت عمي إن شاء الله"
قال جابر وهو ينهي المكالمة "بإذن الله.. سأحاول اليوم احضار ميس معي ما دمنا سنتغدى متأخرا السلام عليكم "
أغلق جابر الخط واتصل ببدير الذي بادره بالقول بلهجة جافة "نعم"
قال جابر" السلام عليكم يا أبا علاء .. كنت أريد أن أمر اليوم لآخذ ميسة في حدود الساعة الخامسة لتتناول الغداء عندي وأعيدها .. وسيتكرر ذلك كل يوم بإذن الله "
قال بدير ببرود " لا بأس سأخبر كاميليا"

قال جابر منهيا المكالمة " تمام ..السلام عليكم"
أغلق الخط وزفر يشجع نفسه قائلا" على الأقل ستتأكد من أني أهتم بها وتشعر بأنها لم تبعد كثيرا عن البيت"

في بيت العسال بعد دقائق صرخت كاميليا تقول في الهاتف" نعم !!.. يأخذها لتتناول الغداء علام ينوي بالضبط؟! .. اخبره بأن البنت متوعكة "
قال بدير بقلة صبر" يا كاميليا أنا لا أريد أية مشاكل مع جابر ولست متفرغا لذلك "
قالت كاميليا وهي تنظر لابنتها التي تلعب مع أبناء خالها وهي تكح "صدقني إنها تعاني من السعال"
قال بدير بامتعاض" حسنا سأخبره سلام"

أغلقت كاميليا الخط وقالت من بين أسنانها وهي تهز ساقها بغيظ" إلام يخطط جابر بالضبط ؟؟.. هل يحاول أن يجعل ابنتي تعتاد على وجود السوداء معه؟ .. لا والف لا .."

رن هاتف ميس فنظرت كاميليا لابنتها الملهية في اللعب ثم أسرعت بخطف الهاتف ودخلت الغرفة ترد" نعم"

مط جابر شفتيه وقال "السلام عليكم ما بها ميس ؟"

ردت بلهجة تمثيلية رقيقة "لا تقلق عليها إن لديها بعض الكحة ولا أريد أن أجهدها "

قال جابر بلهجة جافة "سأمر عليها لأعرضها على الطبيب"

ردت بهدوء " هذا الدور يأتيها كل فترة وحالتها لا تحتاج لطبيب لقد كررت لها العلاج السابق ..هي فقط تحتاج لبعض الراحة "

صمت جابر قليلا ثم قال" اعطني إياها "

ردت ببرود" نائمة الآن"
غمغم جابر بضيق " حسنا سأتصل بأحد أخوالها لأرى متى استطيع زيارتها اليوم .."
غمغمت بلهجة متسلية" البيت مفتوح تعال في أي وقت يا أبا ميس "
قال باقتضاب" السلام عليكم"
أغلق الخط فنظرت كاميليا في الهاتف بشفتين ممطوطتين وزفرت تتطلع حولها .. إنها تشعر بالملل الشديد ولا تعرف كيف تقضي وقتها خلال اليوم ...فأخويها منعاها من احضار صاحباتها التي كانت تتسلى معهن وأصبحت تشعر بالفراغ والخواء والوحدة ..
أحيانا تلوم نفسها على تركها لجابر دون أن تفكر في حياتها بعد ذلك .. لكنها لم تعترف أبدا لنفسها بأنها كانت ساذجة حين فكرت بأنها بطلاقها منه ستجد فرصة أفضل .. بل أوعزت

ما يحدث لها بما تعتقد فيه من أنها قليلة الحظ ومظلومة ..
وأحيانا أخرى تنهر نفسها على هذا التفكير وتذكرها بتعقيده ومثاليته المقيتة وعدم تقديره لقيمة موافقتها على الزواج منه .. بل إن هذه هي المشكلة.. أنه لا يوجد في هذه القرية من يقدر جمالها حق تقدير ..
شعرت برغبة ملحة لرؤية نفسها في المرآة فلم تجد حولها واحدة في تلك الغرفة الأرضية التي تقف فيها ففتحت هاتفها وفتحت الكاميرا تتأمل وجهها .. وأحست بالملل من شعرها الأصفر .. لماذا لا تغير لونه للون أخر أكثر جرأة يجعل أعين الجميع تدور في محاجرها ..
عادت لتزفر وهي تفكر في أنها لو كانت خارج أسوار هذه القرية لكان حظها مختلفا تماما ..
فكرت في ذلك وهي تغلق الكاميرا وتفتح فيسبوك الذي دخلت إلى عالمه مؤخرا كنوع

من الفضول حينما وجدت علاء ابن بدير واخوته يتحدثون عنه .. واكتشفت بأن هدى لديها حسابا عليه تنقل أخبار المسلسلات والشائعات عن الأطفال المخطوفة والحوادث لوجدان من خلاله .. فجعلت علاء ينشئ لها حسابا .

ورغم أنها لا تزال تتعرف على طبيعته لكنه بدا مسليا خاصة فيما يخص صفحات الفنانات اللاتي لو اتيحت لها الفرصة لنافستهن بل وتفوقت عليهن بجمالها ..

مطت شفتيها تتطلع في إحدى الممثلات وغمغمت بقرف "خمرية ورفيعة جدا وكل ما فيها مصطنعا .. (وكبرت الصورة بأصابعها تضيف) شفتيها تم نفخهما وتم حقن وجهها أيضا ورغم منظرها المقرف لها متابعين بالآلاف .."

نظرت في التعليقات المبهورة وأحست بالحقد .. متمنية لو تكون مثلها لديها متابعين .. ويؤخذ لها صورا على يد محترفين وتتلقى عبارات الإعجاب ..

إن هذا هو ما يسعدها .. المدح والإطراء .. وأن تكون محط إعجاب الجميع ..

سمعت وصول بدير فلم تهتم لكن حينما قال بصوت عال " معي أبا محمد يا أم علاء "

اعتدلت ولاحت ابتسامة متسلية على وجهها فاستقامت وقد دب فيها النشاط.

بعد دقائق قال بدير لبسطاويسي" سأعود بعد دقائق .." وتحرك مغادرا للغرفة فراقبت كاميليا دخوله للحمام وأسرعت هي بالاقتراب من غرفة الضيوف في الوقت الذي كانت عينا بسطاويسي مسلطتان على الباب يتمنى أن يراها .. فعلى الرغم من رفضها لطلبه لكنه لا يزال

غير قادر على نزعها من رأسه ..بل إنه رغم نسائه الثلاثة بات يحلم بها ..
ظهرت كاميليا أمامه على الباب فلمعت عيناه لتقول بلهجة مغناج "لا تؤاخذني ظننت بدير معك كنت أريده "
اتسعت ابتسامته وازدادت سرعة أنفاسه وهو يراها بتلك العباءة اللامعة التي تبرز قوامها الممتلئ بشكل مبهر تشمر كميها عن ساعديها الأبيضين المزينين بالمصوغات الذهبية وشعرها الأصفر ترفعه بمشبك تتدلى منه الأطراف الناعمة فقال بابتسامة رأتها لزجة "مُرينا ونحن في الخدمة"
قالت بدلال وتلك النظرات التي ستأكلها أكلا قد رفعت معنوياتها "شكرا يا أبا محمد سلمت سأتحدث معه فيما بعد .."

استدارت بحركة استعراضية فأسرع بسطاويسي يقول" ألن ننول الرضا .. إن طلبات ست البنات مجابة "

عادت تستدير إليه وقالت "كنت أود تلبية طلبك يا أبا محمد لكني لن أتزوج أبدا من رجل متزوج ليس امرأة واحدة وإنما ثلاث "

رد بسطاويسي بهدوء "ما دمت قادرا على فتح بيت واثنين فلا أرى في ذلك مشكلة كما أني لا أطلق من أتزوجها لأتزوج أخرى .. أنا عندي ثلاث زوجات وأرغب في الرابعة على سنة الله ورسوله ولو كانت في مثل جمالك وفتنتك فسيكون ختامها مسك وعنبر .. وكما قلت لك طلباتك كلها مجابة"

انساقت خلف اللعبة لتحقيق المزيد من التسلي فقالت بلهجة مغناج " إن كنت تريدني بهذه القوة فكن لي وحدي فلا أطيق أن يشاركني أحد في الرجل الذي سأهبه نفسي"

عبس قائلا بانزعاج" ماذا تعنين ؟.. أتريدين مني أن أطلق زوجاتي وأخرب ثلاثة بيوت!! .. هذا لن يحدث أبدا"

اتسعت ابتسامتها وقالت ببرود" إذن كما قلتها بنفسك (هذا لن يحدث أبدا) .."

قالتها وأطلقت ضحكة ساخرة وهي تستدير مغادرة للغرفة فانقلبت عينا بسطاويسي بغضب بينما أسرعت كاميليا بالصعود لغرفتها مشحونة بالطاقة بعد ما تلقته من نظرات معجبة وانبهار بجمالها وفتنتها .

xxxx

استقبله أكرم وعمار وهما متفهمان جيدا لحالته التي تظهر على ملامحه الشاحبة المجهدة وهيئته الغير مرتبة فبادره أكرم بالقول" أنا مدرك تماما لصعوبة ما مررت به يا مفرح لكني أنصحك بالتماسك في ردة فعلك وألا تحطم ثقتهما بنفسهيما .. لا أطالبك

بالتهاون ولكن بعدم تفريغ شحنة خوفك عليهما وغضبك منهما بطريقة قد تجعل من التجربة ذكرى مؤلمة "

هز مفرح رأسه موافقا فهذا ما كان يحدث به نفسه طوال الطريق خاصة بعدما أعطاه مصطفى نصيحة مشابهة لذلك قبل أن يتركه ليسافر للعاصمة ..

كان يقف في بهو فيلا أكرم صوالحة في حرج فأشار له أكرم قائلا "مليكة مع الأولاد في غرفتها بالطابق العلوي .. فمنذ أن جاءا وهي تغلق عليها الباب معهما"

ابتسم عمار يقول متفكها" الحقيقة ذكرتني بالقطة الشرسة التي ستعض أي شخص قد يفكر بالاقتراب من أولادها"

كان ما يقوله مؤثرا للجميع رغم اللهجة المازحة فغامت عينا مفرح وهو يتذكر مشهد لقاءها بالولدين .. ليقاطع أكرم أفكاره حينما

قال لأصغر أبنائه ذو السادسة عشر "أوصل
زوج عمتك لغرفتها يا معاذ "
في نفس الوقت كان أدهم يقف في ركن الغرفة
يقضم أظافره متوترا بينما إياد لا يزال يثرثر كما
لو كان لم ير مليكة منذ عام فأخذ يحكي لها عن
تفاصيل الرحلة بينما هي جالسة على طرف
السرير تتطلع فيه بعينين غائمتين وابتسامة
حانية وهي تعلم بأنه يداري على توتره من
اقتراب وصول مفرح بهذه الثرثرة ..
ومن يلومهما فهي نفسها متوترة رغم أنها
أقسمت عليه في الهاتف بأن يتصرف معهما
بحكمة لكنها لن تلوم مفرح أيضا فهي اختبرت
أقل من نصف ساعة من التوتر والقلق عليهما
فما بال هو الذي عاش في هذا الجحيم لثلاث
ساعات والأفكار تتلاعب به بأسوأ ما يكون .
فتح مفرح الباب ودخل طويلا مهيبا غاضبا
ومجهدا وفي حالة مزرية.. فبلع إياد باقي كلماته

وأسرع بالوقوف بجوار أدهم الذي شحب لونه
بينما تركت مليكة مكانها ووقفت أمام مفرح
تقول بصوت خافت متوسل وهي ترفع رأسها
إليه" حلفتك بالله يا مفرح أن تسامحهما"
ظلت نظرات مفرح الغاضبة تتطلع في ولديه
اللذين كانا يرتجفان ثم قال بفحيح مرعب "هل
أنتما راضيان عما فعلتماه بنا؟ .. ألم تفكرا
للحظة كيف سأشعر وأنا لا أجدكما ولا أعرف
أين مكانكما؟ .. ألم تفكرا في أني كان من الممكن
أن أموت من الخوف عليكما ؟"
تكلم أدهم بتلعثم" أنت كذبت علينا "
ضرب مفرح على الحائط بجواره بقبضته يقول
هادرا بصوت أرعب ثلاثتهم" كان من الممكن
أن تواجهني .. تناقشني .. تسألني لماذا لم تقل
الحقيقة يا أبي ..لا أن تتصرف بتهور أنت وهو"
كان إياد يشعر بالخوف وتمنى أن يدافع عن
أدهم لكن خوفه غلبه فظل صامتا بينما قال

أدهم بحشرجة باكية مفسرا "ربما لأني كنت أعرف بأن معي الهاتف وبأنك ستصل لي في أية لحظة عن طريقه وبأني إن وقعت في مشكلة سأتصل بك كل هذا جعلني أفعل ما فعلت بدون تفكير .. لكني اكتشفت بأني لم أشحن الهاتف كما كنت أنوي حين خرجت من بيت عمتي إلى بيت جدي .. كنا مصدومين مستاءين وحزينين فتصرفت بدون تخطيط .."

رغم ارتجافه الشديد اندفع إياد يضيف" وأنا بكيت وداهمتني نوبة هلع وهو حاول طمأنتي بأننا سنذهب لأمي"

أشفق قلب مليكة على أبناءها فأمسكت بملابس مفرح تقول بتوسل "مفرح أنا مدركة صعوبة ما مررت به وأنت تبحث عنهما لكن.."

أنزل أنظاره ليواجهها هادرا بقوة "اسكتي يا مليكة "

لم يكن يعنفها ولكنه لم يستطع تحمل ألمه وألمها في نفس الوقت فطوال الطريق وخاطرة واحدة تسيطر عليه .. إن كان هذا هو شعوره خلال ثلاث ساعات فقط مرت عليه وهو يتوقع أن الأسوأ قد حدث لولديه وأنه لن يراهما مجددا .. فكيف هو شعورها وقد ماتت ابنتها بهذه الطريقة المؤلمة .. كان يعتبر نفسه في الماضي متفهما لآلامها لكنه حين اقترب من فقدان ولديه وجد أن ما كان يتخيله في الماضي .. رغم بشاعته .. لم يكن سوى نقطة في بحر واسع مظلم من الآلام .. فازدادت شفقته عليها .

تطلعت فيه مليكة بهدوء متفهمة لحالته .. فتجاوزها يدخل للغرفة ثم اقترب من السرير يجلس على طرفه ويدفن رأسه في كفيه.. فابتسمت مليكة للولدين ليسترخيا ثم اقتربت من مفرح تجلس بجواره ومسدت على ظهره

عدة مرات مهدئة قبل أن تشير بعينيها للولدين
فبادر إياد بالقول "آسف يا أبي "
تقبض أدهم وظل صامتا لبرهة ثم قال" أنا
آسف تصرفت بشكل مخزٍ ولم أفكر"
ساد صمت ثقيل على الغرفة لعدة دقائق قبل
أن يرفع مفرح رأسه قائلا بصوت مهزوم أمام
عاطفته تجاه ثلاثتهما" سنتحدث في هذا الأمر
فيما بعد حتى لا أتصرف معكما وأنا غاضب ..
(واستقام واقفا يقول لمليكة بلهجة آمرة) بدلي
ملابسك "
سألته باندهاش" لماذا؟"
رد عليها وهو يتجه نحو الباب" سنذهب
لشقتي لبضع ساعات وبعدها سأعيدك إلى هنا
قبل عودتي للقرية"
قالها ولم يلتفت أو يترك مجالا للمناقشة بل
خرج وصفع الباب خلفه.

xxxx

ماذا يحدث معه ؟!!
يشعر وكأن فيروس قد تسلل إلى رأسه فغير إعداداته .. منذ متى أصبح الزواج ملحا؟ .. ومتى أكتشف بأنه وحيد؟ ..
هو وحيد !! .. إنه محاط بالعديد من الأصدقاء .. وعلى علاقة قوية بهم أثناء سفره .. وحين يعود يقضي غالبية الإجازة معهم .. صحيح عدد الشلة قد تضاءل نظرا لزواج عدد منهم والتزامهم بالبيت والأسرة لكن منهم من يخطف يومين أو ثلاثة لينضم إليهم في سفراتهم للمناطق الساحلية .. هذا بالإضافة لعدد الأصدقاء الذين يرتبط بهم في بلد الغربة ومن أكثر من جنسية .. إذن .. من أين جاءه هذا الشعور المفاجئ.. بالوحدة ! ..
تأمل السماء الصيفية الصافية من خلف نظارة الشمس التي يرتديها ثم أغمض عينيه مسترخيا فوق صفحة الماء .. لكنه بمجرد أن أغمض

عينيه رأى وجهها .. وتذكر ذهابه خلفها ليلة أمس إلى ذلك الحفل الذي انتهز فرصة وجود بعض معارفه فيه لينضم إليهم للسلام والثرثرة بينما عيناه كانتا مشغولتان بالبحث عنها وسط الفتيات .. حتى وجدها .. وظل يتابعها من بعيد .. يتأمل كل ما فيها .. حركاتها ..خاصة حركة يديها عند الحديث كعادة اكتسبتها على ما يبدو من عملها كمعلمة .. وتأمل قوامها الرشيق ولبسها المحتشم جدا وتلك الهالة من الجدية والرزانة التي تحيط بها .. ولم يخف عليه الأحاديث الجانبية عنها وعن غيرها .. لكنه اهتم بالجزء الذي يخصها من الاحاديث .. كانت النسوة مشفقات على حالتها .. ولمح في عيون الشباب نظرات احترام لها وهو مستوى لا يصل إليه في عالم الذكور إلا عددا قليلا من الفتيات.. تذكر كيف تقابلت عيناه مع عيني كريم قرب نهاية الحفل فتصنع التفاجؤ وقضى

معه بقية السهرة قبل أن يعتذر له كريم ليلحق بأخته التي قررت العودة .. ولن ينسى اللحظة التي تقابلت فيها عينيهما ..

اتسعت ابتسامته وهو يستمتع بأشعة الشمس فوق وجهه ويستعيد شعوره تلك اللحظة .. كهرباء عالية الفولت صعقت قلبه قبل أن تسحب عينيها الجادتين وتتحرك مبتعدة .. اضطر بعدها لأن يودع أصحابه وأن يمشي خلفها .. صحيح كان يحافظ على مسافة كبيرة بينه وبينها هي وأخيها لكنه ظل خلفها شاردا فيها حتى وصلت البيت ..

تذكر أيضا سؤالا ألقاه عرضيا على الشباب الواقفين عن طلال بعد أن استعرض أخبار عدد من الشباب قبلها ..وعلم بأنه منذ ما حدث لم يأت إلى القرية إلا أياما قليلة وكأنه قد انتقل للعيش عند أقاربه في العاصمة .. وانتابه الضيق

.. ضيق من ذلك المدعو طلال بدأ يتسلل بخبث إليه..

اعتدل زين في البحر وزفر بحنق.. وعاد ليسأل نفسه نفس السؤال .. ماذا حدث له؟ .. إنها تحاصره وتسيطر على أفكاره منذ أن رآها أمس .. حتى أنه ليخرج من تلك الدائرة التي حاصرته سافر فجر اليوم ليلحق بأصحابه لكنها سافرت معه في أفكاره .. بل باتت كالمتطفلة تسيطر عليه وتفسد عليه متعته ..

حرك ذراعيه عائما ليعود للشاطئ فنظر إليه أصحابه الذين يلعبون بالقرب منه الكرة في الماء قبل أن يسأله أحدهم "إلى أين؟"

رد باقتضاب دون أن يلتفت لأحد "عائد للشاليه أشعر بالنعاس فلم أنم منذ أمس ..حين تعودون وتطلبون الطعام أيقظوني"

قالها وحرك ذراعيه بشكل أسرع وأعنف لعله يستيقظ من حالته الغريبة !.

xxxx

العاشرة مساء

تأملته مليكة بشفقة وهو مستغرق في النوم .. إنه لم يتحرك منذ أن ارتمى على السرير منهك القوى .. لقد التزم الصمت منذ وصولهم قبل ساعات فطلب لهم طعاما جاهزا أكل منه القليل وتوجه لينام ساعتين كما أخبرها لكنه لم يستيقظ منذ ساعات ..وكلما دخلت لتوقظه غلبتها شفقتها عليه فتركته وعادت لابنيها اللذين تكيفا بسرعة مع الشقة الصغيرة وبدآ في استعمال الانترنت والتلفاز وكأنهما يسكنان فيها منذ مدة ..رغم ذلك التوتر الذي لا يزال يسيطر عليهما .. أما هي فقضت الوقت في تنظيف بسيط للشقة التي لم يعجبها أبدا حالتها وقررت أن تخبره باستيائها من الرجل الذي يحضر لينظف الشقة كل فترة .

حركت كفها على عضلات ذراعه الأسمر بحنان ثم رفعته نحو لحيته تمسد عليها قبل أن تقرب وجهها منها تتطلع في بضع شعيرات بيضاء أعلى فكه ..فغامت عيناها بالتأثر معترفة بأنه تحمل ويتحمل الكثير ..

مالت عليه تقبل شعرة بيضاء فوق فكه لعلها تعيد إليها لونها المسلوب .. وتمنت أن تخبر تلك الشعرة بأن ترحل ولا تعود إلا بعد سنوات طويلة .. فهو لم يعش شبابه بعد حتى يشيخ في هذا العمر !..

سقطت دمعة ساخنة فوق خده جعلته يحرك مقلتيه تحت جفنيه قبل أن يفتحهما يتطلع في وجهها الذي يطل عليه ..

أهي حقيقة ؟.. لقد أوشك على أن يصدق بأنه لن يرى ذلك الوجه أمام عينيه لفترة كبيرة مستقبلا ..

ابتسمت له من بين دموعها فسألها بخفوت "كم الساعة؟"

مسدت على شعره وردت" العاشرة مساء"

قال بعبوس وصوت مبحوح وهو يتحرك بصعوبة "يا إلهي لقد نمت كثيرا جدا وتركت أبي (ثم اعتدل جالسا وكل عضلة في جسده تؤلمه تذمرا من ترك السرير وسألها) لماذا لم توقظيني"

قالت وهي تعتدل لتجلس بجواره" لم يطعني قلبي ..كنتَ مرهقا جدا "

سألها "لماذا كنتِ تبكين؟.. هل حدث شيء؟"

هزت رأسها نافية وردت "لا شيء ..فقط اشفق عليك من المجهود "

ربت على ذراعها وبحث حوله عن هاتفه فأسرع بالتقاطه ليتصل بوالده الذي بادره بالقول" نعم مفرح"

قال مفرح بصوت أجش من أثر النوم" لا تؤاخذني يا أبي تأخرت عليك ..لقد نمت ولم أشعر بنفسي إلا الآن"

قال عبد الرحيم بصوت ضعيف " لا بأس .. هل الأولاد بخير؟.. لقد أخبرني عويس بما حدث كله وسبب سفرك للعاصمة ..أنت لم تخبرني حين هاتفتني بأنك ستغيب لبضع ساعات "

رد مفرح وهو يمسك بين عينيه بسبابته وابهامه" لم أرغب في أن أزعجك بما حدث يا أبي "

غمغم عبد الرحيم " الحمد لله أن حفظهما الله ..والله لولا أن عويس قد بدأ حديثه بأنهما بخير حين قص عليّ لمت من الجزع "

قال مفرح وهو يحرك عضلاته متألما "بعيد الشر عليك يا حاج .. الحمد لله كان الله بنا

رحيما .. أنا سأكون عندك خلال ساعتين أو ثلاث بإذن الله "

قال عبد الرحيم مشفقا "اقضي الليلة مع زوجتك وأولادك ولا داعي للقيادة في الليل فوليد لا يزال هنا ومصطفى وعبد الله ابنه موجودان بالخارج أيضا .. ووليد وعبد الله يتشاجران من منهما سيبيت معي .. لكني أخبرتهما بأني لا أريد لأحد أن يبيت معي"

غمغم مفرح بإصرار" لا لا أنا سأخبرهما بأني قادم وسأبيت معك "

نظر عبد الرحيم في الفراغ وقال يداري ضيقه "قلت لا داعي للعودة الليلة يا ولدي "

رد مفرح بإصرار" بل أنا قادم إن شاء الله سلام"

قالها وأغلق الخط فاستقامت مليكة واقفة تقول له بإشفاق "نم الليلة حتى تعوض الأيام الماضية بدون راحة ..وسافر عند الفجر "

سحبها لتقف بين ساقيه ثم دفن وجهه في بطنها ولف خصرها بذراعيه صامتا لعدة لحظات فمشطت مليكة شعره الأسود بأصابعها ..قبل أن يرفع لها وجهه قائلا بصوت شديد الانهاك" أنا بالفعل بحاجة ماسة للنوم .. إلى جوارك .. أشتاق لأن آخذك إلى حضني وأنام بملء جفنيّ لكني لن أستطيع أن أترك أبي وحده بالمستشفى"

قالت بخفوت وابهاميها يداعبان شعرات لحيته" ألا يوجد من ينوب عنك لبضع ساعات ؟"

أجابها موضحا " أبي يقول أن وليد الوديدي وعبد الله الزيني يرغبان في المبيت معه وأنا أكيد بأنه سيرفض .. لهذا لابد أن أذهب.. لقد أضحى أبي عجوزا ويخاف من المبيت بدوني في المستشفى لكن كبريائه وعناده يمنعاه من الاعتراف بذلك "

هزت رأسها ثم قالت" أعطاك الله الصحة وبارك لك وجزاك كل الخير "
ابتسم لها فمالت تطبع قبلة على خده ثم على رقبته فقال ضاحكا وهو يبعدها "لو سمحت ..أرجوك ..أنا رجل شريف فلا تحاولي إغوائي فأضعف أمام أغراضك المنحرفة"
اتسعت ابتسامتها رغم شعورها بوخزة حارقة آلمت قلبها ثم قالت" ماذا سنقول للأولاد؟.. أعتقد بأن علينا أن نجيب على تساؤلاتهما بشأن سبب رحيلي للعاصمة"
هز رأسه لتضيف مليكة" هل ستتركهما معي؟"
أجاب مفرح" لا أفضل ذلك ..فلا يوجد مكان لهما"
قالت بحماس " أكرم لديه غرفة أخرى يمكن أن يبيتا فيها مؤقتا.. لقد فكرت في أن وجودهما معي في بيت أخي سيكون آمنا لهما مع حالتي الحالية"

غمغم مفرح بتردد" الحقيقة لا أعرف أنا متحرج جدا من أكرم "
قالت مليكة تطمئنه " أنا أخبرته منذ قليل حينما هاتفني ليطمئن عليّ بأن الأولاد سيبقيان معي ورحب جدا "
قال مفرح باقتضاب "لا أعرف .. تعالي لنتحدث معهما أولا ثم نرى انطباعهما ونقرر"
شردت مليكة ساهمة وهي تغمغم "أجل علينا أن نرى ردة فعلهما حينما نخبرهما عن حالتي لربما شعرا بالخوف مني"
قالتها وانقبض قلباهما معا من هذه الخاطرة.
اندفع إياد يدخل الغرفة يقول بتوتر " أبي .. جدتي على الهاتف تتحدث مع أدهم وهي غاضبة بشدة "
عقد مفرح حاجبيه واستقام واقفا يلحق بإياد إلى الصالة فوجد أدهم يقف ممتقع الوجه يلهث بانفعال بينما صوت والدته وهي تصرخ

في الهاتف واضحا وهي تقول "هل هذه المرأة سحرت لكما لتفعل ما فعلت أنت وأخوك وتعرضا نفسيكما للخطر وتفضحانا في كل البلدة؟!! .. إنها ليست أمكما الحقيقية .. هل سمعت ليست أمكما .. أمكما هي ميسرة فقط ..وما دامت قد نالت مرادها بالبقاء في العاصمة فلن تهتم بكما بعد الآن .. عودا فورا مع أبيكما .. الليلة .. وإلا لن أسمح بدخولكما لبيت العمدة للأبد "

خطف مفرح الهاتف من ابنه وهو يحاول التماسك وقال بلهجة صارمة " معك مفرح يا حاجة نحمدو فإن كان لديك ما تقولينه تحدثي معي أنا ولا تدخلي أولادي في الأمر "

قالت مليكة للولدين بلهجة حازمة" أدخلا للغرفة هيا"

تحرك الولدان يشعران بالتوتر بينما قالت نحمده لمفرح بلهجة غاضبة مهددة " اسمع ..

أولاد الزيني سيعيشون هنا في البلدة في بيت جدهما فإياك أن تتركهما لبنت الصوالحة هل فهمت "

رد مفرح بلهجة قاطعة " أولاد مفرح الزيني سيعيشون في المكان الذي يقرره هو يا حاجة نحمدو .. أنا أبوهما ومن له حق القرار أين يعيش ولديّ ومع من .. "

هتفت صارخة " هل ستأمنها على الأولاد بعد ما حدث منها ؟؟"

قاطع مفرح استرسالها قائلا " اتفقنا بأننا لن نتحدث في هذا الموضوع يا حاجة ومضطر لأن أذكرك بكلام أبي واليمين الذي أقسمه عليك "

وقفت نحمده مشلولة اللسان تتفتت من الغيظ والدم يفور في رأسها منذ أن علمت بأن الولدين وصلا لمليكة في العاصمة .. واستفزها حديث النسوة اللاتي تعاطفن مع الولدين وشكرن في مليكة وتربيتها لهما فلو لم تكن لهما

أما حقيقية لما غامر الولدان بتهور وفعل ما فعلاه كما قالت النسوة .

أتاها صوت مفرح حازما " أكرر ما قلته يا حاجة نحمده أنا فقط من سيقرر أين يعيش ولديّ ومع من .. ومن فضلك لا تحاولي الاتصال بهما مرة أخرى ما دمت مصرة على تسميم أفكارهما بهذا الكلام الذي تقولينه (وأضاف بلهجة متألمة) ألا يوجد لديك شفقة عليهما مما مرا به من تجربة صعبة اليوم حتى تنفعلي عليهما بهذا الشكل !"

أغلقت نحمده الخط وألقت بالهاتف فوق الأريكة بعنف فقالت مهجة بلهجة باكية " أنا سأغادر .. أعصابي تعبت .. أعصابي تعبت"

هتفت فايزة تلحق بها بصوتها" انتظري يا مهجة إلى أين أنت ذاهبة !"

حين لم يأتيها ردا عادت لوالدتها تسألها" ماذا سنفعل يا أمي؟"

كانت نحمده تغلي من الغضب فلا تحب أبدا أن تفقد سيطرتها على شيء وبوجود الأولاد مع مليكة تشعر بأن الأخرى قد نجحت في الإفلات منها كليا .. فهتفت صارخة في بكريتها " أتركيني في حالي .. أتركوني كلكم "

بعد قليل كانت مليكة تجلس في الصالة بجوار مفرح على الأريكة بينما الولدان يجلسان على مقعدين وثيرين جانبيين وعلامات الترقب تسيطر على وجهيهما وهما يستشعران بأن هناك أمرا خطيرا سيعلنه والداهما بعد ثوان .. وكلاهما يتمنى ألا يكون هذا الخبر هو انفصالهما ..

بدأت مليكة بالكلام فقالت بشجاعة وهي تتقبض في حجرها" الحقيقة أن سبب ما حدث أن هناك أمرا قد جد سبب لنا جميعا

ارتباكا فلم نعرف كيف نفسر لكما الأمر .. هذا الأمر يخصني أنا "
سحبت نفسا مرتبكا فمد مفرح يده يمسك بكفها في حجرها ويشبك أصابعه بأصابعها فرمقته بنظرة سريعة تستمد منه المزيد من القوة ثم عادت للولدين تقول بصوت متهدج " تلك الليلة التي اختفيت فيها فجأة وجدني أخي علي أحاول فتح باب الفيلا والخروج ليلا بمنامتي وحين منعني انهرت عصبيا ولم يفهموا ماذا حدث فاسرعوا بي للطبيب حتى لا يعرف أبي ..فكما تعرفون هو رجل عجوز ويتأثر بسرعة لهذا نقلوني للمستشفى فأخبرهم الطبيب بأني أعاني من صدمة عصبية بسبب اكتشافي لما فعلته دون أن أعي .. فقرر مفرح وإخوتي أن ينقلوني للعاصمة لأكون بجوار أخي أكرم باعتباره طبيبا وسيتابع حالتي "

قاطعها أدهم قائلا" لم أفهم حالتك بالضبط
ماذا حدث لك؟"
قالت مليكة بثبات" اكتشفت بأني أعاني من
مرض السير أثناء النوم "
اتسعت عينيّ الصغيرين فأضافت مليكة" تلك
الليلة كنت أمشي وأنا نائمة وحين حاولوا منعي
واستيقظت بعدها صدمت بما كنت أحاول
فعله وهذه الحقيقة سببت لي انهيارا عصبيا
لعدة أيام ولأن القرية مكان صغير وتنتشر فيه
الشائعات بسرعة قررنا اختلاق تلك القصة
حتى نبرر سبب اختفائي"
قال إياد بعدم فهم "هل تسيرين وأنت
نائمة؟..(ومد ذراعيه أمامه وأغمض عينيه
مضيفا) تسيرين هكذا مثل الرسوم المتحركة؟"
ابتسمت مليكة ونظرت لمفرح الذي بادلها
الابتسام ثم عادت لإياد تقول" شيء كهذا لكن

ما أخبروني به أني أكون مفتوحة العينين وأهلوس ببعض الأمور غير المنطقية"
سألها أدهم باهتمام" ولماذا الآن؟.. أقصد ما فهمته أن هذا بدأ يحدث معك مؤخرا أليس كذلك ؟"
ردت بعد أن ابتلعت ريقها بصعوبة "حتى الآن غير معروف سبب حدوث ذلك معي فجأة .. هناك شيء أثار الأمر بداخلي وهذا ما نحاول أن نصل له مع الطبيبة النفسية .. لكن سببه هو الضغط العصبي (وصمتت قليلا ثم أضافت) تعلمون أني كان لي ابنة صغيرة من زواج سابق وماتت في حادث .. يبدو أنني لم أتخط الحادث بعد وتراكمت المشاعر بداخلي"
ساد صمت غريب والصبيان يحاولان الاستيعاب ليسأل أدهم بعد برهة "وما المانع في أن نبقى معك ما دمت قد خرجت من المستشفى ؟"

نظرت مليكة لمفرح ثم عادت إليه لتجيبه" أنا اكتشفت هذا الأمر حديثا ولا أعرف حدوده .. ما فهمناه أو حللناه أنه كان يحدث لي في سرايا أبي لأني أكون بجوار غرفتي القديمة مكان الحادث "

هتف إياد مقاطعا "أنت تنامين فيها كل مرة نذهب فيها إلى هناك"

ردت مؤيدة " أجل هذا حقيقي (وأضافت) الوضع الآن أن هذه النوبات باتت متكررة ولا أعرف بالضبط ماذا أفعل أثناء نومي لهذا أخاف عليكما مما يمكن أن أفعله وأنا غير واعية "

اندفع إياد يقول "من الممكن أن نبق معك ونغلق علينا الغرفة من الداخل أثناء النوم "

غامت عيناها تأثرا من إصراره على البقاء معها .. فتدخل مفرح قائلا" إذن أنتما مصران على البقاء معها (وأطرق برأسه يقول بخفوت) أنا محرج جدا من الدكتور أكرم "

قالت مليكة مطمئنة "صدقني يا مفرح لو الأمر به أي ثقل كنت أخبرتك"
رفع رأسه وقال "ولماذا لا يعودان معي وحينما انتهي من شراء شقة لنا بجوار أخويك يبقيان معك "
نظرت مليكة للولدين فبدا عليهما التأثر فعادت إليه بعينين دامعتين وقالت بحشرجة "لو كانا يريدان العودة بعد ما سمعاه كنت قوّيت قلبي ووافقت ..لكني احتاجهما معي يا مفرح (ومالت عليه تهمس) مجيئهما بهذا الشكل اليوم رغم بشاعة التجربة لك لكنها عنت لي الكثير ..الكثير جدا وحرصي عليهما سيعطيني دفعة للقيام من هذه الكبوة"
شدد على عناق كفيهما قبل أن يرفع يدها إلى شفتيه ويقبلها ثم قال لولديه "أسرتنا تعيش فترة مربكة هذه الأيام خاصة مع مرض جدكما وملازمتي له .. لذا علينا أن نتكاتف جميعا من

أجل أن تمر هذه الأيام ونحن معا .. ما قالته أمكما منذ دقائق هو سر أسرتنا الصغيرة لا يخرج لأحد حتى لعائلة الصوالحة الذين يعرفون بالأمر .. ليس لأننا نشعر بالخزي لا سمح الله فلا أحد فوق المرض .. أنا وأنتم لا نعرف ما الذي يمكن أن يصيبنا غدا لكن ليس كل الناس يستقبلون هذه الأمور بشكل ناضج وقد يسيئون لأمكما .."

هز الولدان رأسيهما ليقول مفرح "هيا خذا معكما أي ملابس قديمة لكما هنا لتبدلا فيها حين أعيدكما لفيلا الدكتور أكرم ..واعلما أنكما هناك ضيوف لذا كونا ضيفين خفيفين"

ظهرت الفرحة جلية على وجهيّ الصبيين قبل أن يهتف أدهم باعتراض" رداء البيت الموجود هنا صغير عليّ بشكل مضحك "

رد عليه مفرح بلهجة متشفية" تحمل ذلك أيها البطل الذي وضع خطة ونفذها دون أن يفكر في تفاصيلها جيدا"

امتقع وجها أدهم وإياد فاستقام مفرح واقفا مردفا بلهجة احستها مليكة عنادا صبيانيا منه" تحملا ليوم أو يومين أو أكثر حتى أجد وقتا لأحضر لكما ملابسكما من البلدة"

أطرق الصبيان برأسيهما لتنظر له مليكة بنظرة عاتبة ثم قالت لهما "اذهبا لتحضرا أي شيء تلبسونه"

حينما تحركا لغرفتهما همست له بتوبيخ "مفرح أنت تصرفت مع الموضوع بحكمة لماذا تفتحه من جديد؟!!"

قال لها بقرف " احمدي ربك أني لم أعاقبهما كما تربينا نحن.. فما فعلاه يستحقان عليه علقة ساخنة ثم يعلقان بعدها على باب البيت ليومين كالجديان .. (وتحرك مبرطما) بلا تربية

حديثة بلا زفت .. هيا اسرعوا حتى لا يتأخر الوقت "

xxxx

بعد أسبوع
قبيل الفجر

لفت بسمة شعرها الرطب في عقده فوق رأسها ثم أغلقت سحاب رداء منزلي من بنطال وبلوزة وتسللت على أطراف أصابعها تترك كامل غارقا في النوم ..

بعد دقائق كانت قد نزلت إلى بهو الفيلا المعتم إلا من أضواء خافتة جانبية لمصابيح صغيرة في الأركان .. وتحركت بشبشب البيت إلى الباب المؤدي للمطعم .

حين دخلت المطعم كانت صالته الواسعة ليست مضاء بشكل كامل لكن الإضاءة الآتية من المطبخ والاصوات الصادرة منه أخبرتها بما

يحدث في الداخل فأسرعت نحو المطبخ
لتجدهم قد سبقوها .
كان غنيم يقف خلف طاولة كبيرة يرتدي مريلة
مطبخ وبجواره كانت ونس منهمكة في عجن
وتشكيل شيء ما بعجينة السكر بينما سوسو
تقف بمريلة مطبخ أنيقة تساعد غنيم فيما
يفعل في قالب من كيك والتي بادرتها بالقول
"أهلا بسمة"
قالت بسمة بحرج" آسفة تأخرت في النزول
(وتحرجت من اخبارهما بأن كامل لم يتركها
وينام إلا في وقت متأخر فأردفت) غفيت
لبضع ساعات دون أن أدري"
قال لها غنيم "لم يكن هناك داعي لنزولك
عودي إلى نومك بنيتي "
قالت بسمة وهي تقترب وتتفحص ما يفعلون"
كنت أريد أن أساعد في عمل كعكة عيد الميلاد
(ونظرت لونس التي تشكل شيء ما بعجينة

السكر وقالت) أحقد عليك ستساعدين في صنع الكعكة ليتني كنت ماهرة في صنع شيء ما"

ابتسمت ونس ورقصت حاجبيها لها بإغاظة طفولية بينما قالت سوسو "أنا أيضا لست بمهارتهما لكني أقف لأناول غنيم أي شيء "

فرد غنيم طبقة من عجينة السكر على قالب الكيك فراقبت بسمة مهارة يديه وهو يتعامل باحترافية فغمغمت بما شاء الله قبل أن يقول غنيم مشيرا لها "هيا اقتربي ولا تقفي هكذا تعالي وساعديني"

رمشت بسمة بعينيها الجميلتين عدة مرات ثم اقتربت فأفسحت سوسو لها المجال ..ليعطيها غنيم آلة حادة كالسكين يطلب منها إزالة الزوائد من طبقة عجينة السكر حول الكيك .

في الوقت الذي قالت فيه سوسو وهي تستند بظهرها على أحد الخزائن" لا أطيق صبرا لأرى

وجهيهما حينما يستيقظا صباحا ويتفاجآ
بالكعكة .. إنهما يرفضان منذ سنوات طويلة
الاحتفال بيوم ميلادهما بحجة أنهما ليسا
صغيرين لكني هذه السنة أريد أن أحتفل بهما
فهي أول سنة لهما مع زوجتيهما "
قالت بسمة وهي منكبة على الكعكة" كامل
يلمح لي منذ أمس ليرى إن كنت منتبهة
لاقتراب عيد ميلاده لكني تصنعت عدم الفهم "
أصدرت ونس صوتا من حنجرتها للفت الانتباه
ثم أشارت بأن شامل أيضا فعل ذلك
..فابتسمت سوسو وقالت شاردة "في مثل هذه
اللحظة منذ خمسة وثلاثين عاما وبالتحديد
عند الفجر كنت أتألم بشدة وكان غنيم يشعر
بالارتباك ولا يعرف ماذا يفعل "
ناظرها الأخير بعينين غائمتين فتعانقت
أنظارهما وهي تضيف بابتسامة يملأها الحنين
"كنت قد مررت بفترة حمل صعبة جدا وكما

ترونني قصيرة فكان منظر بطني غريبا (وأفلتت ضحكة متوترة مضيفة) كنت أشبه الكرة"
قهقه غنيم وشاركه زوجتي ولديه فأضافت سوسو بحرج "صدقوني كنت منتفخة من كل اتجاه وأشبه الكرة"
أخرجت ونس دفترها وكتبت" أريد أن أرى لك صورة"
نقلت بسمة ما قالته فردت سوسو مشيحة بيدها" لا لا ..مزقت كل الصور .. كان منظري بشعا ولم أكن أعلم بأني حامل في توأم .. المهم ولدت شامل بعد معاناة وظننت بأني قد استرحت أخيرا من العذاب لكن الطبيب أخبرني بأن هناك طفلا أخرا .. فصدمت لدرجة أني كدت أن أغيب عن الوعي فأخذوا يحاولون افاقتي لأدفع الطفل الثاني للخروج .. ليخرج كامل بعد ربع ساعة صعبة جدا فقد كانت ولادته متعسرة وأكثر صعوبة من شامل"

اتسعت ابتسامة غنيم وهو لايزال يعانقها بنظراته بينما توقفتا بسمة وونس عما تفعلان وانصتتا لحديث الذكريات لتضيف سوسو بتأثر "كان شامل هادئا رائقا لكنه حين يغضب يكون خارج السيطرة أما كامل فدوما عصبيا نزقا متهورا وفضوليا إلى حد مثير للمشاكل"

غمغمت بسمة بابتسامة" يبدو أن كامل مفتعل المشاكل دوما"

ردت سوسو "الحقيقة من الصعب تحديد من منهما القائد فالأدوار بينهما تتبدل بشكل غريب لكن ما كان يميزهما هو ذلك الارتباط الذي يفوق التوائم المتماثلة بشكل عام .. أذكر بأنهما كانت لهما لغة خاصة بهما حتى سن الثالثة "

شعرت بسمة بحنين كبير لأن يكون لها طفل .. هذه الأمنية لم تكن أبدا بهذا الإلحاح عندها .. ففي زيجتها السابقة كانت تبحث عنها كنتيجة طبيعية للزواج خاصة مع شعورها بالوحدة

ومع إلحاح والدتها في السؤال عن هذا الموضوع لتثبيت علاقتها بزوجها .. ولم تكن هي كبسمة من النوع العاطفي الذي ينجذب لكل ما هو صغير مثل الكثير من الفتيات .. لكنها منذ مدة تشتهي لأن تكون أما .. تتمنى أن تحمل قطعة من كامل في رحمها .. شعور قوي يتملكها لأول مرة .

أما ونس فشردت في طفلها القادم وتمنت أن تكون له أما كفئا كسوسو ووعدت نفسها بأنها ستتعلم الكثير حتى تكون أما مثلها .

وضعت سوسو يدها على صدرها متنهدة وأضافت " يا إلهي لا أصدق أن مر على هذه الذكريات أكثر من ثلاثين سنة .. أحيانا الإنسان ينظر للحظة التي يعيشها بحلوها أو مرها ويتوقع أنها ستدوم للأبد.. لا يعرف بأن دوام الحال من المحال ..انظروا كيف كان مقدرا لنا أن نترك بلدنا ونعيش في بلد أخرى ويتزوج

ولداي من فتاتين من جنسية أخرى سبحان الله "

قال غنيم مناغشا "لكن لا تنكري بأنه أحلى قدر انظري لزوجتي ولديك أرأيت أجمل منهما؟"

قالت سوسو بمودة " بارك الله لنا فيهما وأبعد عنا المصائب (ثم قوست شفتيها وقالت بلهجة طفولية) لقد مر خمس وثلاثون عاما على ذلك يا غنيم وأصبحت عجوزا وقريبا سأصبح جدة "

قهقه غنيم فطالعته ببؤس طفولي ليقترب منها ويضمها إليه قائلا" من قال هذا !.. فمن يراك لا يصدق أبدا بأنك والدة هذين الثورين أنا فقط العجوز بينكم "

رفعت أنظارها إليه وربتت على صدره تقول" ماذا نكون نحن بدونك أنت عماد هذا البيت يا غنيم لا حرمنا الله منك "

أكلت بسمة قطعة زائدة من عجينة السكر ولعقت اصبعها ثم قالت بمشاكسة "وفي هذا الصدد سأتقمص دور شامل وأقول (ونظرت لونس ثم بدأتا في تحريك أيديهم في الهواء كالمايسترو) تاراراراار !"
قالتها وانفجروا ضاحكين قبل أن يكتموا صوت ضحكاتهم بسرعة حتى لا يكتشف التوأمان ما يعدون لهما من مفاجأة.

xxxx

التاسعة صباحا

هذا الأمر فاق عن الحد .. بل أصبح مهزلة .
إنه غير قادر على ممارسة حياته الطبيعية ..
والإجازة ستنتهي دون أن يستفيد منها بشيء.
نزل زين من شقته بالطابق الثاني ببيت دبور مسرعا في الوقت الذي كانت أم هاشم تخرج من

شقتها قائلة" أنا سأذهب لبيت عمي يا خالتي
إن احتجت لشيء رني على هاتفي"
بمجرد أن استدارت شهقت مفزوعة وهي تراه
يمر من أمامها يحدث نفسه فهتفت" بسم الله
الرحمن الرحيم!.. قل أي شيء أفزعتني "
"اششششش "
قالها زين بمزاج عكر مشيحا بيده دون أن
يستدير نحوها مبتعدا فقالت أم هاشم لنجف
"أبشري يا خالة ابنك جن ويحدث نفسه"
خرج زين من بوابة البيت وانعطف يسارا
بخطوات عصبية إلى داخل الشارع الذي يسكن
أوله ثم يمينا لشارع أضيق وهو لا يزال يحدث
نفسه .
الإجازة ضاعت .. ضاعت .. حتى الرحلة التي
دفع فيها مبلغاً وقدره لم يستطع البقاء فيها
حتى نهايتها بل عاد ليلة أمس وترك أصحابه
متحججا بحجج يعرف بينه وبين نفسه أنها

واهية بعد أن فقد استمتاعه بالرحلة بسبب بنت هلال جمعة .. كل هذا ولم يأتيه الرد حتى الآن ..

ما كل هذا الوقت !!.. ولماذا هو متوتر بهذه الطريقة وكأنه ينتظر نتيجة الثانوية العامة التي ستحدد مصيره!! .. وما يغيظه أكثر أنه غير قادر على ممارسة حياته بشكل عادي وينتظر ليأتيه الرد في أي وقت .. وما يستفزه بشدة أنه لم يكن يفكر في الزواج قبل ذلك أصلا.

ماذا يحسبونه بتأخرهم في الرد هذا !! ..

إنه زين دبور .

عليهم أن يعرفوا هذه الحقيقة المهمة .

اقترب من بيت هلال جمعة يديه في جيبي سترة زي رياضي قديم باللون النبيتي بخطين أبيضين على طول الكمين وعلى جانبي الساقين ..

وبمجرد أن وجد نصرة أمام الباب اتسعت ابتسامته وقال "صباح الخير يا أم كريم"

تهللت أساريرها وقالت بفرحة" صباح النور يا حبيبي"
وقف يبحث عن شيء يقوله فسألها وعيناه تكادان تخترقان بوابة البيت لربما لمحها " كيف حالكم؟"
ردت بنفس الابتسامة المتسعة وقلبها يزغرد من الفرحة "بخير والحمد لله"
هرش في مؤخرة رأسه وغمغم" كنت مارا من هنا بالصدفة فقلت لألقي السلام وأطمئن عليكم"
ردت بمحبة وهي تتأمل طوله وعرضه بانشراح "سلمت من كل شر يا رب "
سألها " وكيف حال همسة ونسمة أهما بخير؟"
ضحكت نصرة وزغاريد قلبها تتعالى لتجيب "بخير وفي نعمة"

انفلتت ضحكة محرجة من بين شفتي زين وهو يواجه عيني نصرة وقد فهم بأنها قد كشفت سبب مجيئه فسألها بوجه أحمر "وكريم كيف حال ذراعه ؟"

ردت بسعادة "كريم بخير وكلنا بخير والله.. إنه في المحل مع المعلم جابر "

هز رأسه ورد" أجل رأيته هناك أكثر من مرة .. (وتنهد قائلا) عموما إن احتجتم لأي شيء أنا موجود .. كنت في الساحل وعدت ليلة أمس .. (وتحرك خطوتين يهم بالمغادرة ثم أضاف بعد أن خانته عيناه ونظرتا نحو بوابة البيت) أقصد إن أردتم الذهاب مثلا لأي مكان فسيارتي موجودة (ثم سألها) هل رأيت سيارتي الجديدة "؟

قالت بحبور " رأيتها يا حبيبي بسم الله ما شاء الله ليحفظك الله من شر العين "

تدخلت جارة عجوز تجلس على عتبة البيت المجاور تقول "وهل هناك من لم يرَ سيارتك يا بني!"

حوقلت نصرة وقرأت المعوذتين في سرها بينما قال زين بابتسامة" كيف حالك يا خالة أم مجاهد ؟"

ردت العجوز" بخير يا حبيبي"

شعر زين بأن عليه المغادرة فقال "سلمي لي على أبي كريم حينما يعود "

قبل أن يبتعد اقتربت فتاة تحضن كتابا وكراسة فقالت لها نصرة "أبلة إسراء ليست هنا يا حبيبتي ذهبت للمدرسة .. تعالي عند المغرب "

هزت الفتاة رأسها مغادرة لتوضح نصرة وهي تشيعها بنظرات مشفقة " إنها يتيمة ولديها ملحق في اللغة الإنجليزية فتعطيها إسراء درسا مجانيا "

لاح تساؤل على وجه زين قبل أن يقول مستفهما "أليست المدارس في إجازة!"

ردت نصرة وهي تخفض صوتها حتى لا يصل لجارتها التي تسترق السمع" أجل إجازة لكنهم يذهبون قبل بداية الدراسة بفترة للإعداد للعام الدراسي الجديد لكنها لن تغيب ساعتين وستعود إن شاء الله "

تحرك زين خطوتين للخلف ثم قال بلهجة متعجلة" تمام .. تمام.. سلمي لي على أبي كريم السلام عليكم"

قالها واستدار مسرعا فراقبته نصرة بعينيها وهمست في سرها "هداك الله يا اسراء وألهمك الصواب "

قالت أم مجاهد مستفهمة " ما به ابن دبور؟.. كان يزوركم منذ أسبوع والآن يطمئن عليكم "

قالت نصرة مراوغة "يسأل عن أبي كريم أخبرته أنه بالعمل"

سألتها أم مجاهد فجأة "ألم تحمل أم هاشم بعد؟"

حركت نصرة أنظارها لترى أم هاشم تدخل بيت عمها الذي سيزوج ابنته اليوم فغمغمت بما شاء الله على عيني أم مجاهد القوية التي التقطتها عن بعد وردت" لا أعرف يا خالتي لم تخبرني بشيء .. كما أنها لا تزال لم تكمل شهرين متزوجة "

قالتها وأسرعت بالدخول للبيت في الوقت الذي أسرع زين نحو سيارته الراكنة أمام البيت وهو يتحسس جيوبه ليتأكد من أنه قد نزل بالمفاتيح.. وتوقف للحظات ينظر لما يرتديه قبل أن يقول على عجل وهو يضع نفسه في السيارة "فلتراني بهذه الهيئة لربما أدركت فداحة ما فعلته بي هذه (الأبلة) من أول نظرة"

××××

العاشرة صباحا

اعتدل كامل جالسا على السرير وهو يرفع شعره المنكوش فوق رأسه يمشطه بأصابعه ونظر لبسمة التي تجلس أمام المرآة يقول بصوت أجش من أثر النوم "صباح الخير"

ردت بابتسامة وهي تمشط شعرها "صباح النور"

تأملها ترتدي بنطالا من الجينز الأزرق فوقه بلوزة من الحرير باللون الأصفر الباهت وسألها "أتعلمين تاريخ اليوم؟ "

أغلقت فمها على ابتسامة تريد الظهور وردت" أجل"

هز رأسه وقال" ألا يذكرك هذا التاريخ بشيء؟"

حركت مقلتيها يمينا ويسارا ثم ردت ببرود" لا .. ماذا تقصد؟"

استقام واقفا وقال بامتعاض" لا شيء انسي الأمر"
قالها وتحرك نحو الحمام فقالت له بلهجة متسلية "سأنتظرك حتى ننزل للطابق الأرضي معا"
لم يرد بل صفع باب الحمام فضحكت بسمة وعادت للمرآة تتأمل وجهها الذي اقترب لأن يكون طبيعيا فقد اختفت غالبية البقع عنه وعن جسدها ولم يبق منها إلا القليل فتزينت وارتدت قرطا ذهبيا طويلا على شكل حلقة دائرية تنتهي بسلسال وطلت شفتيها بملمع شفاه يميل للون النحاسي ثم مسحت الكحل الزائد من تحت عينيها اللتين ازدادتا زرقة قبل أن تقرر لف شعرها في عقدة خلف رأسها كشينيون بسيط فقد باتت تعرف رفضه لفرد شعرها خارج حدود الفيلا أو في وجود أغراب .

بعد قليل خرج كامل عاري الجذع وأخذ يجفف شعره بالمنشفة وهو يتأملها قبل أن يلقيها بها فالتقطتها بسمة مطلقة صرخة ليستدير كامل ليفتح خزانته وهو يسألها" لماذا هذا التأنق في هذا الصباح الباكر؟ "

رفعت حاجبا وردت بغرور "أنا دوما متأنقة يا أستاذ كامل"

تراقصت ابتسامة على زاوية شفتيه وقال" اليوم أكثر قليلا هل هناك سبب؟"

هزت رأسها وقالت "ليس هناك أي سبب .. (وتحركت نحو الباب قائلة لتهرب من اسئلته) سأسبقك للأسفل لآمر بإعداد الفطور "

قالتها وخرجت بسرعة فغمغم بعبوس" ألم تقل بأنها ستنتظرني حتى ننزل سويا؟ .. عموما حسابها معي عسير إن انتهى اليوم ولم تتذكر .. كل النساء يهتممن بالتفاصيل وبالتواريخ ..لماذا هي ليست مثلهن!"

بعد قليل خرج كامل من جناحه فقابل شامل يخرج من جناحه هو الأخر فبادره بالسؤال"
هل تذكرت زوجتك يوم ميلادك ؟"
ناظره شامل بنظرة بائسة وقال بامتعاض "لا ..
واستيقظتُ ولم أجدها في الجناح وأنت؟"
مط كامل شفتيه ثم قال متهكما" كنتَ تخبرني دوما بأن الزواج أحلى ..الزواج أحلى .. وهذه هي النتيجة .. كنا نتلقى في مثل هذا اليوم التهاني والهدايا من الكثيرات من الجنس اللطيف كل عام "
أطرق شامل برأسه وقال ببؤس طفولي" لا عليك يا كيمو علينا أن نرضى بنصيبنا من الحياة فلنكتفي بتهنئة أمي وأبي .. (ورفع أنظاره قائلا) كل عام وأنت بخير يا (××××) لا حرمني الله من أنفك المحشورة في رأسي ولا من تطفلك على حياتي يا حشريّ"

أشاح كامل بيده وقال بامتعاض وهو ينزل السلم "وأنت بخير يا (××××) "
نزل التوأمان للطابق الأرضي فلم يجدا فيه أحدا فخرجا للحديقة حيث كان غنيم وسوسو وبسمة وونس جالسين حول المنضدة بينما استقبلهما شهبندر بسعادة .
قال كامل لأمه بلهجة ذات مغزى "صباح الخير يا سوسو "
ردت الأخيرة بتجاهل متعمد "صباح النور يا حبيبي" ورفعت فنجان القهوة على شفتيها
فقال شامل بنفس اللهجة" صباح الخير يا أمي"
وضعت سوسو الفنجان في الطبق وهي تقول دون أن تستدير له "صباح النور يا حبيبي"
نظر التوأمان لبعضهما قبل أن يقول شامل" صباح الخير يا حاج "
قال غنيم" صباح النور عليكما"

غمغم كامل لأخيه" ما هذه العائلة الباردة يا شامو ؟!!"

رد شامل وهو يتأمل عدم اهتمام الجميع بهما "يبدو أننا من أصبحنا عاطفيين كالنساء يا كيمو ..لم نكن نهتم من قبل بيوم مولدنا ماذا حدث لنا ؟"

أجاب كامل بعبوس "حدث عدم تقدير يا بني "

ونظر لبسمة مغتاظا فبادرته بابتسامة مبهرة

استفزته أكثر وهي تسألهما ببرود" ماذا تفعلان عندكما إن زيلا تعد الإفطار"

قال كامل بامتعاض "لا أريد إفطارا سأذهب للمطعم"

رن جرس الفيلا فتقدم شامل ليفتح البوابة

وتفاجأ بمفرح يقول" السلام عليكم "

ثم أدخل مليكة والولدين فصاح شامل متفاجئا "مفرح !!"

قال له الأخير ضاحكا "لماذا هذا الاندهاش؟..
أجل مفرح ومدعوين على الإفطار عندكم هل
عندك مانع ؟"
اندفعت بسمة لتحضن مليكة وتبعتها ونس
بينما سلم كامل وشامل على مفرح متفاجئين
فقال الأخير وهو يضرب كفه بكف كامل
ويحضنه" لماذا هذه الصدمة على وجهيكما
هل آخذ عائلتي وأرحل يا عالم "
غمغم شامل بسعادة" لا إطلاقا نحن فقط
متفاجئان "
دخل مفرح يسلم على غنيم بينما رحبت
سوسو بمليكة وأظهرت لها محبة واضحة
أحست منها مليكة بأنها تدعمها .. بينما تحرك
الصبيان ناحية شهبندر لتفقده بحرص
وفضول .
جلس الجميع حول المائدة ولا يزال التوأمان
متفاجئين ليقول مفرح ضاحكا" المساكين لا

يزالا مصدومين .. (ونظر إليهما قائلا بمزاح) يا بني أين الترحيب بي لقد خرجت من بلدتي بعد الفجر ومررت لآخذ زوجتي وولديّ من عند أخيها ثم جئتكم لألحق بالحفل"

اتسعت ابتسامة شامل ونظر لأخيه ثم تطلع في الجميع يقول متهكما " جاء اليوم الذي يُصنع بنا مقلبا يا كيمو "

ضحكت ونس وأشارت له بإبهامها مؤيدة فناظر كامل بسمة بطرف عينه متوعدا لترقص له حاجبها مغيظة .

تكلمت سوسو بسعادة "هذه السنة كان لابد أن نقيم حفلا لعيد ميلادكما "

قال كامل لأمه مشاكسا "وهل هناك حفلا يقام في الصباح يا سوسو !"

رد غنيم عليه " أمك أصرت أن يكون في الصباح حتى لا تكتشفا وجود الكعكة التي أعددناها "

قال شامل متفاجئا" وصنعت كعكة بنفسك يا حاج!"
تكلمت سوسو وهي تستقيم واقفة" سأذهب لأباشر تحضير المائدة "
استقامت بسمة واقفة خلف حماتها فتركت مليكة هي الأخرى مقعدها وقالت" وأنا خذوني معكما "
لينتهي الامر بتوجه السيدات كلهن للداخل بينما بقي الرجال في الحديقة .
قال غنيم لمفرح" حمدا لله على خروج والدك من المستشفى إن شاء الله سأزوره لتهنئته بخروجه سالما "
علق مفرح بامتنان "لا داعي لإرهاق نفسك يا غنيم بك يكفي أنك زرته في المستشفى قبل أيام"
قال غنيم بلهجة عاتبة "كيف ذلك نحن أهل إن شاء الله سأزوره "

سأله كامل "متى ستنتقل للشقة الجديدة ؟"
تنهد مفرح وأجاب " الحقيقة لن يتم ذلك قبل فترة فأبي لا يزال في فترة النقاهة وعندي أمور متراكمة في البلدة .. دعواتكم لأن تنتهي هذه الفترة الصعبة على خير "
قال شامل بمحبة "عموما لا تقلق بشأن أي تجهيزات تخص الشقة نحن سننوب عنك في أي شيء"
تكلم مفرح بامتنان "لا حرمني الله منكما الحقيقة أولاد الصوالحة أيضا لا يتركونني وأشعر بالحرج الشديد من وجود الأولاد عند الدكتور أكرم"
حاول شامل تغيير الموضوع فقال بحماس " اليوم سنهزم ابن العمدة في الألعاب الإلكترونية أليس كذلك يا كيمو ؟"
رد الأخر بثقة " بالتأكيد سنهزمه شر هزيمة يا شامو "

قال مفرح متوعدا " صحيح أنا ليس لدي وقت للعب معكما لكن لا بأس من هزيمة أو اثنين ألقنها لكما فأنا معي اثنين من المحترفين"
قالها مشيرا على ولديه اللذين كانا يلعبان مع شهبندر .
في الداخل أخذت مليكة تساعد في ترتيب المائدة فاقتربت منها بسمة تسألها "كيف الحال؟"
ابتسمت مليكة وردت" الحمد لله الأمور مستقرة .. الولدان معي عند أكرم وقد نجح مفرح في شراء شقة بجوار فيلا أكرم وشُغلت الأسبوع الماضي باختيار الأثاث وخلافه كما أخبرتك على الهاتف"
قالت بسمة بعاطفة جارفة وهي تتعلق بذراع صاحبتها" متشوقة جدا لأن أزورك في الشقة .. وكنت أتمنى أن تكون شقتك قريبة مني لكن لا بأس أعرف بأنك لابد أن تبقي بجوار أخيك "

هزت مليكة رأسها مؤيدة فاقتربت منها ونس تحضنها بدفء لتربت مليكة على ظهرها ممتنة ..فابتعدت عنها مشيرة بإصبعها بما يعني (ثانية واحدة) وصعدت مهرولة على السلم .
تأملتها مليكة ترتدي فستانا من الجينز قصير حتى الركبة بكورنيش وتحته بنطال قماشي ضيق وتربط شعرها كذيل حصان خلف رأسها فبدت أمام عينيّ مليكة ناضجة راقية واعترفت لنفسها بأنها أضحت أكثر رزانة بعد زواجها وارتدائها للسماعات الجديدة ..
عادت بسمة لتمسك بيدي مليكة وهي تقول بمحبة "اشتقت إليك يا مليكة .. "
غمغمت الأخيرة بتأثر" أنا بخير .. وإن شاء الله سأكون أفضل .. من أشفق عليه بشدة هو مفرح الحقيقة يبذل مجهودا كبيرا وأنا غير قادرة على التخفيف عنه "

قالت بسمة مشجعة " أيام قليلة وينتهي زوج عمتي من فترة النقاهة ويرتاح مفرح إن شاء الله"

غمغمت مليكة غير متفائلة وهي تفكر في أنه سيكون ممزقا بين العاصمة والبلدة " أتمنى ذلك "

قالت بسمة بلهجة مستغيثة" أم هاشم ستقتلني يا مليكة .. أنا متأكدة من أنها ستأتي بنفسها لي وتقتلني لأني لم أخبرها شيئا عنك حتى الآن "

قالت مليكة بابتسامة حانية" اشتقت لها هي الأخرى .. سأتصل بها إن شاء الله وأطمئنها عليّ"

قالت بسمة بترجي بائس " أرجوكِ ..حتى أتخلص من زنها وطول لسانها "

اتسعت ابتسامة مليكة وسألتها "كيف حالها أهي سعيدة؟"

هزت بسمة رأسها بالإيجاب وردت شاردة "الحمد لله أراها سعيدة لكني أشعر بها قلقة من شيء ما لم تفصح به (وعقدت حاجبيها تتساءل) أ من الممكن أن تكون تلك الأفكار الخارقة للمنطق التي كانت تقولها عن جابر حقيقية !"

قالت مليكة بانزعاج " لا أتوقع .. الأمر غير منطقي ..والرجل مشهود له برجاحة العقل لن يفعل شيئا كالذي تفكر فيه .. هي المهووسة به ولا تصدق حتى الآن أنه اختارها هي "

رددت بسمة بقلق " أتمنى ذلك"

نزلت ونس مسرعة واقتربت من مليكة لاهثة فوبختها الأخيرة وهي تمسد على بطنها التي بدأت بالظهور "ألن تترفقي بنفسك بشأن الحمل؟.. لماذا تهرولين بهذا الشكل؟"

اتسعت ابتسامة ونس بينما قالت بسمة متنهدة " أخبريها تعبنا والله "

قالتها وهي تنسحب لتعود لمساعدة حماتها التي تضع اللمسات الأخيرة مع زيلا بينما أخرجت ونس دفترا صغيرا كثير الصفحات ناولته لمليكة ثم كتبت في دفترها" هذه هدية صنعتها لك"

ابتسمت مليكة وتفحصت الدفتر بفضول لتجدها قد رسمت في كل صفحاته رسمة تكاد تكون متكررة لعصفور يقف يغرد فوق نافذة عالية ورغم جمال الرسم حاولت مليكة أن تفهم سبب تكرار نفس الصورة في الصفحة التي تليها.. فابتسمت ونس وأمسكت منها الدفتر وأمام عينيها بدأت في اطلاق سراح الصفحات بسرعة من تحت إبهامها ليتحول الرسم إلى قصة متحركة مع حركة الصفحات..

اتسعت عينا مليكة وشاهدت القصة مبهورة بالرسم فرأت العصفور يغرد فوق نافذة عالية ثم اقترب شاب صغير وتسلق شجرة حتى وصل

للعصفور وأمسك به و حاول النزول فسقط العصفور من يده على الأرض .. وسقط قلب مليكة معه بشفقة عليه .. لتكمل ونس تتابع الصفحات لتجد العصفور يفرد جناحيه ويطير صاعدا لأعلى قبل أن يختفي في السماء .

قالت مليكة مبهورة "رائع جدا يا ونس .. يبدو أنك تتعلمين الكثير في ذلك المعهد وتنمين مهاراتك "

هزت ونس رأسها موافقة ثم كتبت في دفترها " رأيتها على الانترنت وفهمت فكرتها فقررت أن أصنع قصة "

بلمسة حانية على وجنتها قالت مليكة بدفء " أنت رائعة وأنا فخورة بك وأعلم المجهود الذي تبذلينه في صمت حتى لا تخذلي من وثقوا فيك ومنحوك دعمهم ومشاعرهم "

ابتسمت ونس وتطلعت فيها بنظرات مترددة حائرة قبل أن يدخل الرجال آتيين من الحديقة

.

بعد قليل التف الجميع حول المائدة الصباحية التي كانت عامرة بأطباق الحلوى وقطع البيتزا والفطائر الحلوة والحادقة وأطباق من الفواكه والخضراوات المقطعة وأنواع مختلفة من الجبن المقطع .. هذا بالإضافة للعصائر..

وتتوسط المائدة كعكة فوقها شكل كرة قدم ورمز النادي الأوروبي الذي يشجعه التوأمان اللذان وقفا يتطلعا في الكعكة بانبهار ليهتف إياد سعيدا " فريق (...) يا أدهم "

قال غنيم بفخر "هذا التنفيذ الرائع من صنع ابنتي الموهوبة ونس "

غطت ونس وجهها بكفيها بحرج فلف شامل ذراعه حولها ومال يقبل رأسها بفخر وعشق

بينما قال مفرح" الحقيقة تنفيذ مبهر جدا ..ما شاء الله "
تكلم أدهم يقول لونس " أنت موهوبة جدا .. سأصور هذه الكعكة وأضعها على فيسبوك "
قالها وأخرج هاتفه بينما التقط كامل قطعة من زينة الكعكة يهم بإلقائها في فمه فصاحت بسمة بهلع "لم نصور الكعكة بعد"
وقفت القطعة في يده في الهواء بينما قال شامل بغيظ "أفسدت الكعكة يا غبي"
قال كامل ببرود وهو يعيدها مكانها" كانت شارة الفريق لا أكثر .. "
ضربته بسمة في ذراعه تقول بغيظ "كف عن المناكفة .. أنت تتصرف كطفل صغير .. لقد ظلت والدتك طوال الليل تحكي لنا كيف كنت متعبا "
هتف باستنكار " أنا !!!"
ردت بسمة ساخرة" لا أنا"

وقف خلفها ولف ذراعه حول عنقها بتلك الطريقة التي توحي بأنه سيخنقها وهو يقول "سامحك الله ..أنا شخص لطيف واليوم عيد ميلادي ولهذا لن أرد عليك "

تطلع مفرح فيهما سعيدا خاصة مع تلك الابتسامة المتسعة الرائقة التي تزين ثغر ابنة خاله وأحس براحة وفرحة كبيرة من أجلها .

بدأت مراسم الاحتفال بعيد الميلاد بعدها اقتربت سوسو بقامتها القصيرة لتقبل ابنيها وتهدي كل منهما سترة جلدية أنيقة أعجبتهما

بينما نظرت مليكة بحرج لمفرح الذي ملأ الأطباق له ولولديه فقال لها بصوت عال"

لماذا تنظرين إليّ هكذا ؟!.. لم اشترِ هدية ولست متفرغا لشراء شيء جئت لأفطر وأغادر فليحمدا ربهما أني جئت من الأساس "

ضحك الجميع بينما غطت مليكة عينيها بكفها بحرج

فغمز شامل لتوأمه واقتربا من مفرح الذي كان يهم بوضع قطعة جاتوه صغيرة في فمه ..
فناظرهما بنظرة محذرة قائلا" لسنا بمفردنا فاحترم نفسك أنت وهو "
نظر التوأمان للصبيين المراقبين ثم تنحنحا وناظرا مفرح بوعيد .. فضحك الأخير ضحكة مغيظة ودس قطعة الجاتوه في فمه.
أخرجت ونس من خزانة خشبية أنيقة في ركن من البهو شيئا كبيرا مستطيلا ملفوفا بالورق ثم اقتربت من شامل بوجنتين حمراوين تعطيها له .. فوضع الطبق فوق المنضدة وأسرع بفتحها ليخرج لوحة بيضاء كبيرة مؤطرة بإطار خشبي أنيق وقف يتطلع فيها بعينين لامعتين قبل أن يديرها للجميع بابتسامة متسعة وسعادة جمة
.

كانت لوحة رسمت ونس فيها بخطوط ملونة شامل مبتسما وبجواره ونس وحولهما غنيم وسوسو وبسمة وكامل .

كانت صورة عائلية تشع بالدفء الأسري انبهر بها الجميع وأثنوا على جمالها .. فترقرقت الدموع في عيني سوسو تقول بتأثر "صورة رائعة ..صدقا رائعة تشع بالبهجة.. إن لم يكن لديكما مانع أريد أن أعلقها في الطابق الأرضي "

مال شامل يحضن ونس وأطال في حضنه ثم قبل جانب رأسها قائلا" لا حرمني الله منك أبدا يا جنيتي"

تدخل كامل يقول بامتعاض "لماذا تتعمدين رسمي قبيحا وعابسا !"

هزت ونس كتفيها بلا مبالاة فاستدار لبسمة يسألها بغيظ "وأنت ماذا رسمتِ؟ .. أريد لوحة كهذه أنا وأنت فيها وهما حولنا "

احمرت وجنتا بسمة وقالت مبتسمة " آسفة لإحباطك يا أستاذ كامل أنا لست موهوبة مثلها"

ثم تحركت خطوتين واستدارت نحو إحدى الطاولات الجانبية تحضر علبة صغيرة ملفوفة بشريط ساتان وأعطتها له بحرج من مراقبة الجميع لهما.. وتمنت أن يكونا وحدهما حتى تخبره كيف تحبه .

رغم شعور كامل بالسعادة والترقب وهو يلتقط منها الهدية .. تدخلت وساوسه لوهلة تضرب رأسه بسؤال ..ماذا أهدت زوجها السابق؟.. وماذا كان شعوره لحظتها؟ ..لكنه نفض بسرعة ذلك السؤال الخبيث عن رأسه وأمسك بالعلبة يفتحها بفضول ثم اتسعت ابتسامته وهو يرى ساعة رجالية من ماركة شهيرة.. فخلع ساعته يضعها في جيب بنطاله وارتدى هدية بسمة

مبتسما ثم تحرك يلف ذراعه من الخلف حول عنقها ومال يطبق قبلة سعيدة على خدها..
بعد قليل رن هاتف كامل فنظر فيه ثم رفع حاجبا وتطلع في شامل الذي ترك حديثه مع مفرح فجأة ونظر لأخيه ثم ارتفع حاجباه ..ليغلق كامل صوت الهاتف ويعيده إلى جيبه
في نفس الوقت كانت بسمة تناكف أولاد مفرح ..
رن هاتف كامل مرة أخرى فالتفت شامل له من جديد لتترك بسمة مكانها بجوار مليكة على أحد الأرائك الجانبية وتقترب من كامل الواقف قائلة "من الذي لا تريد أن ترد عليه؟"
لاحت نظرة مستهبلة في عينيه قبل أن يقول" صديق لا أريد الرد عليه "
قالت وهي تحاول دس يدها في جيب بنطاله لخطف الهاتف الذي يرن "أرني"
قال كامل موبخا "بسمة !"

تكلمت بإصرار "مثلما تفعل معي"
تشاجرا على الإمساك بالهاتف وكامل يناظرها بنظرات متوعدة ليتفاجأ بأن الخط فُتح بالخطأ
وخرج منه صوتا نسائيا يقول" آلو .. كامل"
قلبت بسمة مقلتيها بينما شعر كامل بالحرج ورفع الهاتف على أذنه مبتعدا إلى أحد الأركان
فلحقت به بسمة ووقفت أمامه تتطلع فيه عاقدة ذراعيها ليقول كامل بصوته الرخيم"
أهلا سوهي "
هتفت بسمة بصوت خافت ونبرة مستهجنة" سوهي !!"
أشاح كامل بنظراته يتحكم في ابتسامة متراقصة على زاوية شفتيه وقال" اشكرك على المعايدة سوهي .. وأنت بخير"
ضربت بسمة كفيها ببعضهما تقول "سوهي!!"
قال كامل بسرعة "شامل .. آه طبعا موجود"

اتسعت عينا الأخير وخطف نظرة جانبية لونس التي قلبت مقلتيها ثم ناظر كامل الذي قاله له بلهجة متسلية وهو يقترب ويعطيه الهاتف "سوهي تريد معايدتك يا شامل"

ناظره بغيظ وخطف الهاتف من يده يقول بلهجة جادة " أهلا سوهي كيف حالك ؟"

راقب الجميع المشهد حتى غنيم وسوسو الجالسين بعيدا بينما مفرح يضحك ضحكات متشفية قبل أن يغمغم شامل بلهجة محرجة"

شكرا .. شكرا لك وأنت بخير .. شكرا "

قالها وأغلق الخط يعطيه لأخيه بنظرات متوعدة ليقول كامل باستهجان " لماذا تنظرون إلينا هكذا؟.. من الطبيعي أن يتصل بنا أصحابنا للمعايدة "

لوت بسمة شفتيها وقالت "أصحابكم البنات فقط!"

رد كامل ببساطة " لأن الشباب غالبا لا يذكرون تواريخ أعياد الميلاد "

رن هاتف شامل هذه المرة فاتجهت أنظار الجميع نحوه ليقول مفرح ساخرا" سوهي مرة أخرى؟!"

أخرج الهاتف من جيبه فحشرت ونس رأسها بين شامل وهاتفه قبل أن ترفع أنظارها له فقال كامل بلهجة متشفية "رد يا عبقري زمانك "

أجلى شامل صوته وهو يتطلع في الجميع من حوله وقال بلهجة جادة "أهلا نينا "

خرج صوت ساخر من حنجرة ونس يشبه الشهقة المعترضة ليضيف شامل بمزيد من الجدية" وأنتِ بخير يا نينا.. شكرا لكِ .. نحمد الله شكرا لك (ونظر لكامل الذي حرك رأسه رافضا ليكمل شامل) تريدين معايدة كامل؟ .. طبعا ..طبعا "

قهقه مفرح بتسلٍ بينما أعطى شامل الهاتف لأخيه بابتسامة متشفية فقالت بسمة بالنيابة عن شامل بلهجة ساخرة " رد يا عبقري زمانك"

تراقصت ابتسامة على شفتي كامل وأمسك الهاتف يقول متنحنحا" أهلا نينا .. كيف حالك .. وأنت طيبة شكرا"

اقتربت مليكة من مفرح بعبوس وقالت بصوت خافت "وأنت ..لديك سوهي أم نينا؟"

رد عليها ساخرا " الحقيقة بسبب كثرة علاقاتي النسائية لا أحفظ اسماءهن "

طالعته شاعرة بالذنب وتعلقت بذراعه تقول بصوت هامس "تحملني قليلا أعدك أني سأتحسن إن شاء الله .."

ابتسم ومال برأسه يقول بعشق كبير " قليلا أو كثيرا لا تحملي همي نحن معا للأبد "

مالت بخدها على ذراعه فأضاف" الأسبوع القادم سأكون مشغولا جدا وربما لن استطيع زيارتكم"

رفعت رأسها تنظر له قائلة" لا تحمل همي كان الله في عونك .. (وصمتت قليلا ثم سألته بهدوء) هل ستقيم الذكري السنوية لوفاة ميسرة الأسبوع القادم أيضا ؟"

هز رأسه بالإيجاب وأضاف "لهذا سأمر وأخذ الأولاد في منتصف الأسبوع ليحضرا الحدث ثم أعيدهما في اليوم التالي .. لقد كبرا وعليهما الاهتمام بهذه الأمور والمشاركة في ختم القرآن على روح والدتهما"

هزت مليكة رأسها متفهمة وقالت بأسف" كنت أود أن أكون حاضرة وأشارك في إعداد الطعام ككل عام "

ربت بامتنان على كفها التي يتشبث بذراعه فقالت "سأختم على روحها القرآن ككل عام إن شاء الله .."

ساد بعض الصمت ووقفا يراقبا بسمة التي تقف متخصرة أمام كامل تحقق معه بينما هو يراوغ قبل أن تقول مليكة بقلق "أخشى من معاملة والدتك للولدين حين يسافرا معك للبلدة "

رغم الغصة التي لن تترك قلبه أبدا .. ربت على يدها يقول " قلت لك لا تشغلي بالك بشيء .. هي جدتهم وعليهما تحملها كما هي .. إنها قدر .. ولا مفر من القدر .. ولا تقلقي جدهما عبد الرحيم سيفرح بهما ولن تقدر على تعنيفهما أمامه .. أبي أصبح أكثر تقبلا لأشياء كثيرة عن الماضي .. التجربة التي مررنا بها كانت مرعبة بالنسبة له وجعلته يعيد التفكير في أمور كثيرة"

صمتت مليكة وانكمشت تحضن ذراعه وهي تتطلع في أدهم وإياد اللذين يتحدثان مع غنيم وسوسو بينما وقف كامل على الناحية الأخرى من البهو يقول لبسمة وهو يهز كتفيه ببرود ويديه في جيبي بنطاله" ماذا نفعل هل سنمنع أصدقائنا من معايدتنا !"

تدخل شامل قائلا "اغلق الهاتف يا كامل وخلصنا "

رد الثاني باعتراض "ولماذا أغلقه !"

تقدم شامل وسحب من جيبه الهاتف ثم أغلقه تماما ووضعه بجوار هاتفه المغلق قائلا "هذا أكثر راحة للجميع .. دعونا نعود لأجواء الاحتفال ..(ثم نظر لمفرح يقول بلهجة ساخرة) مفرح باشا .. هيا وقت هزيمتك قد حان"

رد مفرح وقد استعاد بعضا من حيويته وتلقائيته التي لا يجدها إلا معهما "حبيبي ..

جاهز ..أنا وفريقي (وصفر بشفتيه يقول لولديه) فريق أولاد الزيني .. جاهزون ؟"

xxxxx

حيت إسراء الخالة أم فُلة العاملة من بلدتها التي تعمل بالمدرسة وهي تمر من أمامها في الفناء فردت لها الأخيرة التحية ثم قالت لزميلاتها وهي تراقب ابتعادها" رزقك الله بالعوض يا حبيبتي .. إن البلدة كلها مشفقة عليها مما حدث لها"

قالت إحداهن بغيظ "مشفقين من بعيد لبعيد لكن لا أحد يتقدم لطلبها للزواج ممن لم يسبق لهم الزواج"

غمغمت أم فُلة معترفة" لا أنكر ذلك لكني سمعت بأنه قد تقدم لها شاب عازب ومتعلم من البلدة ولم توافق عليه"

قالت ثالثة بامتعاض" بلا زواج بلا زفت فلتبقى في بيت أهلها معززة مكرمة أفضل .. ماذا أخذنا من الزواج غير النكد والهم "

خرجت إسراء من بوابة المدرسة شاردة حائرة كحالتها منذ أسبوع .. وبالتحديد منذ زيارة ذلك المدعو زين .

هذه المرة القرار صعب .. رغم أنها رفضت الكثيرين ومنهم ذلك الشاب الجامعي الذي لم يسبق له الزواج ..لكن بعيدا عن ميل والدتها لهذا الارتباط فهي كأي أم تريد السعادة لابنتها لكنها هي إسراء تجد صعوبة في حسم الأمر.

عقلها يجد في زين إيجابيات كثيرة منها أنه متعلم و عائلته عائلة معروف عنها الاحترام وأن حماتها امرأة طيبة .. العائلة كلها مجرد التفكير في مصاهرتها يبعث في النفس الراحة .. كما أنه هو ..زين ..شاب محترم وسمعته طيبة في البلدة كأهل البيت الذي ينتمي إليه.

وفي الوقت نفسه لا تعرف إن كانت تتسرع في الخوض في علاقة أخرى دون أن تعرف مدى ارتياحها له ومدى تفاهمهما المبدئي .. ومتفهمة أن قصر مدة إجازته قد يجعله متعجلا في اتخاذ قرار حاسم ..وتخاف أن تظلمه معها .

الحقيقة أنها شعرت بالإطراء حينما طلبها بنفسه من والدها في نفس الجلسة .. وتفاجأت ذلك اليوم بأنه قد حضر حفل الخطبة ولم تعلم إن كانت صدفة أم أنه قد ذهب خلفها .. لكنها لا تريد لمشاعر الأنثى بداخلها أن تتدخل في قرار صعب كهذا .. فظروفها لن تتحمل فشل تجربة أخرى هذا سيقضي على سمعتها في البلدة ..

لمحها زين أخيرا تخرج من المدرسة .. فترجل من سيارته وعبر الطريق يديه في جيبي سترته النبيتية وبمجرد أن اقترب من الرصيف الذي

تسير عليه اتسعت عينا اسراء متفاجئة به قبل أن تشيح بنظراتها وتكمل طريقها متجاهلة إياه.. فراقبها زين وهي تمر من أمامه وتحكم في ابتسامة شقية تراقصت على شفتيه وتلك الدغدغة اللذيذة في قلبه تعود إليه من جديد.

سار خلفها.. فاحمرت وجنتا إسراء بحرج وغمغمت هامسة" ما أسلوب المراهقين هذا! ظننته أعقل من ذلك "

ناداها زين بلهجة صبيانية متسلية "أبلة سراء .. أبلة سراء"

ازداد حرجها فتوقفت واستدارت إليه تقول بحدة "نعم "

ارتجف قلبه وهو ينظر في عينيها من هذا القرب فقال بنبرة رائقة "جارك زين الدين دبور"

قالها بثقة أغاظتها فبرطمت في سرها (لماذا يحدثني وكأنه زين الدين زيدان !) ثم قالت له بوجه جامد "تفضل أي خدمة "

سألها بابتسامة متسعة "كيف حالك؟"

هتفت باستنكار " هل أوقفتني في الطريق لتسألني عن حالي!! "

رغم حدتها وعصبيتها إلا أنه كان يزداد افتتانا بها كل ثانية وخاصة وهو يحدثها من هذا القرب وكل حواسه متأثرة بها فقال بهدوء "أممم .. ما رأيك في سؤال أخر .. مثلا.. كم الساعة ؟"

راقب عبوس وجهها قبل أن تستدير وتبتعد بخطوات عصبية فأكمل طريقه خلفها ينادي " أبلة سراء .. أبلة سراء"

عقدت حاجبيها تغمغم "لماذا يأكل حرف الألف في اسمي!!(واستدارت إليه تقول) أستاذ زين"

رد بابتسامة وسيمة استفزتها " نعم .. (وأخرج يده من جيبه ينظر في ساعته قائلا) أ تريدين أن تسأليني عن الساعة ؟"
كادت أن تضحك فلم تكن تعرف بأنه خفيف الظل وبدا لحظتها أصغر بكثير من سنه الحقيقي خاصة في هذه الحُلة الغريبة ذات الطراز القديم بهذا اللون العجيب فلملمت شفتيها تتصنع الصرامة وقالت "من فضلك أستاذ زين نحن في الشارع "
نظر حوله وقال مستهبلا "هذه حقيقة فعلا .. نحن في الشارع ولسنا في مكان خاص فلماذا أنت منزعجة إلى هذه الدرجة !!"
جزت على أسنانها وسألته "ماذا تريد؟"
رد بجدية " أعتقد أن علينا أن نتحدث سويا"
احمر وجهها وسألته باستنكار " بخصوص أي شيء؟"

لاحت ابتسامة محرجة على زاوية شفتيه
وأجاب "الشيء الذي تعرفينه "
عقدت ذراعيها أمام جذعها وقالت بلهجة جادة
"أظن يا أستاذ زين أنك قد دخلت البيت من
بابه وتنتظر منا ردا على طلبك "
هتف بحنق صبياني فاجأها وجعل شعورا
بالألفة يتسلل إليها بخبث " لماذا كل هذا
الوقت؟.. هل القرار صعب إلى هذه
الدرجة؟؟.. أ تقومين بدراسة جدوى يا أستاذة
؟.. أم أن هناك ما يعيبني ؟"
عبارته الأخيرة أشعرتها بالإطراء أن يقف
شخص مثله يتصرف بتواضع وتلقائية أمام
فتاة في مثل ظروفها .. ويبدي لها اهتمامه
وترقبه بل ولهفته للحصول على رد منها لهو
أمر يعني لها الكثير .. ويجبر بخاطرها..
عبس زين وقال بإلحاح" أخبريني هل هناك ما
يعيبني !"

حافظت على أنظارها الجادة فشدتها الحُلة التي يرتديها لتأملها هي والشبشب الرجالي الأسود وهو يقف أمامها يديه في جيبي سترته .. فالتقط زين نظراتها قائلا وهو يخرج يده من جيبه ويرفع أمامها سبابته محذرا "لاااااا إياكِ والذم في أناقتي .. الكل يعلم بأناقة زين دبور جيدا .. وإياكِ والتحدث عن هذه الحُلة بالذات ..إنها عزيزة عليّ جدا .. أمتلكها منذ ثلاثة عشر سنة كاملة ..(وأخرج يده الأخرى من جيبه وأخذ يعد على أصابعه) شاهدة معي على مذاكرة وأيام سوداء في الثانوية حتى حصلت على مجموع كبير وأيام سوداء أخرى في الجامعة وأنا أدرس وأعمل واشترك في دورات تدريبية ولا أجد وقتا للنوم .. وأيام أسود منها بعد أن تخرجت وسافرت لأعمل بالخارج .. حتى أنها كانت المرشحة الأولى لأن تسافر معي في الحقيبة .. إنها حُلة بيتية واجهت معي أيام

السواد كلها يا أستاذة لذا أحترمها بشدة وسأورثها لأولادي وأحفادي .. ومن يتعامل معي عليه أن يحترمها هو الأخر .. وما دمتِ تجديني أرتديها اليوم فهذا يعني أني أمُر بحالة من القلق والسبب هو الأستاذة سراء "

استفزها مجددا بنطقه لاسمها بهذه الطريقة أما هو فكان يشعر بلذة في مشاكستها واستفزازها .. يشعر برغبة في بذل مجهود لإخراجها من قالب الأستاذة المعلمة .. وتولد لديه شعور غريب بأنها بهذه الشخصية الجادة المتحفظة التي تفكر كثيرا قبل أن تتصرف تحرم نفسها من التصرف بتلقائية .

قالت وهي تتحرك مغادرة "حسنا سأخبر أبي بقراري اليوم "

أسرع باللحاق بها والوقوف أمامها قائلا " لا لا لا اسمعي .. إياك والتسرع في اتخاذ القرار إن كان

الجواب بالرفض عليك بالتفكير مرة واثنين
وثلاثة حتى تحسمي قرارك بالقبول"
اتسعت عيناها وهتفت باستنكار " هل سأقبل
بالزواج منك غصبا عني"
أجابها بهدوء " لا ستقبلين بي تكفيرا عن ذنبك"
عقدت حاجبيها وقالت بعبوس "أي ذنب؟!!"
هتف بغيظ طفولي وهو يشير بيديه على نفسه
بانفعال "ذنب الحالة التي أنا عليها حاليا ..
شاب رائع كالورد مثلي لم يكن يفكر بالزواج أبدا
..يعيش حياته دون هموم .. وزار بيتكم فقط
ليتخلص من زن أمه فانتهى به الامر بطلبك
للزواج بنفسه .. شاب رائع مثلي كان يخطط أن
يمضي الإجازة كلها يستمتع مع أصدقائه
فأفسدتِ عليه المتعة بل والنقود .. النقووود
(قالها بحرقة جعلت عينيها تتسعان ثم أضاف
) النقود التي دفعتها من أجل السفرة ضاعت
عليّ وأنت لا تعلمين كيف يحترم زين النقود ..

وأخيرا يا استاذة سراء أنت السبب في هذا المنظر الذي ترينه .. فقد أعدتني لارتداء هذه الحُلة"

اشتعلت وجنتاها وبدأت تشعر بتسارع في ضربات قلبها لكنها قالت بوجه جامد ذكره بناظرة مدرسته في المرحلة الإعدادية "وما المطلوب مني الآن؟"

رد بلهجة هادئة " تحمل المسئولية والقبول بالزواج مني"

هتفت باستنكار " هل أنت مجنون؟"

حرك مقلتيه يمينا ويسارا ووضع يديه في جيبي السترة قائلا" ضيفي هذا أيضا على قائمة التلفيات التي سببتها لي يا أبلة سراء .. أصبحت مجنونا بفضلك .. والعينة أمامك .. بالحلة النبيتي والشبشب في أكبر ميادين المحافظة "

افلتت منها ابتسامة رغما عنها فانفجرت دقات قلبه بينما أسرعت إسراء بالإشاحة بوجهها والمغادرة بخطوات واسعة.

وقف زين يتأمل مشيتها العسكرية العصبية التي تخلو من أي ميوعة أنثوية وصاح خلفها " سيحدث .. إن شاء الله سيحدث ..أنا قررت بالنيابة عنك وانتهى الأمر "

راقبها وهي توقف سيارة أجرة جماعية وتركبها بسرعة فعادت ملامحه للجدية ونظر حوله يشعر بالحرج من بعض المارة المحدقين فيه بفضول ثم قطع الطريق عائدا إلى سيارته ..

بينما انطلقت سيارة الأجرة بإسراء التي أخذت تحرك يدها أمام وجهها لتخفف من حرارة وجنتيها في الوقت الذي كان زين يضرب كفا على كف من أمام المقود ويقول لنفسه ضاحكا " جاء اليوم الذي تقع فيه في المصيدة يا زين الشباب .. (وأضاف وهو ينظر في المرآة

الأمامية ويمشط شعره) يا إلهي حتى شعري كان مشعثا وأبدو فعلا كمجنون ."
شغل السيارة وحركها مغمغما" لا بأس يا زين الشباب .. ستقبل بك يعني ستقبل بك"

xxxx

قال يحيى في الهاتف بحرج " لماذا هذه التكاليف يا جابر؟ "
أتاه صوت جابر يقول " هذا مساهمة مني في عشاء العروس .. تمم الله لها على خير يا حاج يحيى"
نظر يحيى للخروف أمامه ولم يعرف بم يرد بينما قالت إحدى النسوة في داخل البيت لصباح" أكثر الله من أفراحكم يا أم سامية ما شاء الله زوجتم أم هاشم واليوم زفاف سامية أتم لها الله على خير ..وقرأتم فاتحة رباب على قريبكم هذا "

غمغمت صباح بعد أن تمتمت بـ(من شر حاسد إذا حسد) في سرها "الحمد لله .. ليرزقنا الله برزقهن يا رب "

قالت أم مجاهد مضيقة عينيها" الحمد لله أن تقدم محسن لإحدى بناتك ولم يتضايق لأن أم هاشم رفضت الزواج منه قبل ذلك"

شعرت صباح بالحرج أمام النسوة وخاصة الحاجة نجف التي تطلعت في أم مجاهد باهتمام .. فقالت "ما هذا الكلام يا خالة أم مجاهد !"

قالت العجوز بإصرار" سمعتك تقولين لأم عبد الله وتخبريها بشعورك بالحزن لرفض أم هاشم الزواج من قريبكم وبأنه شاب ممتاز وتمنيت لو كان قد تقدم لواحدة من بناتك بدلا من أم هاشم "

قالت الحاجة نجف وهي تستقيم واقفة " سأذهب لأصلي الظهر في البيت وأعود بعد

قليل إن شاء الله .. مبارك لرباب الخطبة يا أم سامية "
قالت صباح بحرج" بارك الله لك يا حاجة نجف "
واستدارت تتبادل النظرات مع أم عبد الله التي هزت كتفيها بما يعني (ليس لي ذنبا).
خرجت أم هاشم من المطبخ تقول لصباح "أين الحَلة الكبيرة التي طلبتها يا أم سامية "
قالت صباح بسرعة " حاضر .. حاضر (وأشارت لإحدى الفتيات الصغيرات تقول) ناوليها الحَلة من الغرفة التي على اليمين يا عسل"
تحركت الفتاة بطاعة بينما قالت إحداهن لصباح " ألم يكن على أم هاشم أن تكون مع بناتك في صالون التجميل الآن بدلا من الوقوف في المطبخ لازالت عروسا "
قالت صباح مبررة "هي من أصرت على أن تطبخ للعروس"

غمغمت أخرى "بارك الله لها في صحتها "
دخل يحيى يلقي السلام على الجالسات
فتمتمن بالتهاني والمباركات قبل أن يدخل
المطبخ خلف أم هاشم.. فتبعته صباح
بفضول ليقول الأخير" أتعبناك والله طوال
الأسبوع يا أم هاشم "
ردت الأخيرة وهي تنقل حلة كبيرة من فوق
النار "لا تقل هذا يا عماه .. أكررها إن شاء الله
يوم خطبة رباب والله فرحت لها فمحسن
شاب ممتاز "

عوجت صباح شفتيها في الخفاء بينما قال
يحيى" والله لا يتخير عن زوجك الذي أغرقنا
بجمائله .. لقد ارسل خروفا يقول لعشاء
العروس "
تأثرت أم هاشم بكرم جابر وغمغمت بمحبة
"لا شيء يأتي بعد كرمك يا عمي .. عموما لو

ستذبحونه اليوم أسرعوا حتى انتهي من طهي
جزء منه مع عشاء العروس "
ربت يحيى على ذراعها فاستدارت تقول له
"أريد أن أطلب منك طلبا يا عماه وأرجو ألا
تخجلني"
قال يحيى باهتمام "طبعا بنيتي "
قالت أم هاشم "دع هدايا سبوع العروس كله
عليّ.. كهدية مني لسامية "

قال يحيى عابسا" كيف هذا !.. ألا يكفي مفرش
السرير الغالي الذي اشتريتِه لها.. البنت منذ
يومين مهووسة به"
قالت أم هاشم" والله ليس من مقامك يا
عماه"
تكلم يحيى وهو يهم بالمغادرة" يكفي ما فعلتيه
وجلبتيه يا أم هاشم وما جلبه زوجك .. ويكفي

تركك لبيتك لأسبوع كامل وأنت لازلت عروسا ..وقفتك اليوم منذ الصباح في المطبخ "

قالت أم هاشم بإصرار" والله العظيم لن يشتري هدايا سبوع العروس إلا أنا يا عمي" ناظرها يحيى يتصنع العبوس .. يداري تأثره الشديد .. فقد كان يحمل هم عشاء العروس المكلف .. وما يرسل لها من هدايا تتكلف مبلغا كبيرا بعد أسبوع من زفافها ..خاصة وأنه قد صرف أخر مليم معه بعد الاستدانة ولم يبق معه شيء.

بينما أسرعت صباح بالتدخل منتهزة الفرصة بعد أن كانت تولول لمدة يومين خوفا من فضيحة ابنتهم أمام أهل زوجها " ما دامت قد أقسمت يا يحيى .. لماذا تصنع فارقا بينك وبين ابنتك أم هاشم "

لم يكن يحيى يملك رفاهية الرفض خاصة بعد قسمها فاقترب منها يربت على ظهرها بامتنان شديد ثم طبع قبلة على رأسها قائلا" بارك الله لك ورزقك من أوسع الأبواب يا بنيتي"

ربتت أم هاشم على صدر عمها بمحبة فأسرع بمغادرة المطبخ متأثرا وهو يتمتم بالحمد والشكر أن سترهم ولم يفضحهم أمام الناس ..

أما صباح فخافت من أن تغير أم هاشم رأيها فقالت لها" أنا أعتقد بأن زوجك بعد هذا الأسبوع الذي انشغلت فيه معنا لن يسمح لك بالخروج من البيت لفترة .. لذا سأقترح عليك اقتراحا "

قالت أم هاشم وهي تخرج البط من الحَلة " قولي ما عندك يا صباح دون مقدمات "

فركت الأخيرة كفيها ببعضهما وقالت " كنت أقول بدلا من أن تتعبي نفسك أو يشعر زوجك بالضيق إن طلبت أن تخرجي لتشتري حاجيات

هدايا السبوع وهي كثيرة ..لماذا لا تعطيني أنا المبلغ وأشتري بدلا منك .. (وأسرعت بالقول) أنا فقط لا أريد أن أتعبك"
على الرغم من شعور أم هاشم بالضيق لوقاحة وجرأة زوجة عمها إلا أنها حدثت نفسها بأن ما كانت تريد تحقيقه هو مساعدة عمها فلا يهم إن كانت هي التي ستشتري بنفسها أم شخص أخر المهم أنه سيكون على حسابها فقالت لصباح تداري ضيقها" لا بأس يا أم سامية "

وتحركت نحو إحدى الخزائن العلوية تفتحها وتخرج منها حقيبة نقودها الصغيرة ثم أخرجت منها مبلغا من المال اعطته لصباح التي لمعت عيناها عند رؤية المبلغ الكبير وبلعت ريقها وهي تأخذه بلهفة ثم أخذت تعد النقود فقالت أم هاشم "إن شاء الله سيكون

كافيا ليشتري عمي هدايا سبوع لسامية تشرفها أمام بيت زوجها "
غمغمت صباح متنهدة تحاول أن تقلل من المبلغ حتى لا تشعر أم هاشم بالفضل" المبلغ يكاد يكفي الأساسيات لكن لا بأس"

كانت أم هاشم على دراية جيدة بأن المبلغ سيغطي التكاليف ويكفي لشراء هدايا تشرف عمها فعبست ومدت يدها لتسحب المبلغ من يد الأخرى وهي تقول بمكر" هاته وسأشتري أنا ما سيشرف عمي ويرفع رأسه أمام أصهاره "
أسرعت صباح بالقول ضاحكة وهي تخطف منها النقود وتحشرها في صدريتها" تمام ..تمام إن شاء الله يكفي المبلغ "
قالتها واستدارت تغادر المطبخ بسرعة بينما زفرت أم هاشم وقالت بامتعاض "ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا"

قالتها وعادت لتكمل ما تفعله وتكمل شرودها تفكر في جابر.. لقد مر أكثر من أسبوع وهو يتجنبها بدعوى أنه يشعر بالذنب تجاه ابنته ..حتى أنه حينما لم يقدر على أن يحضرها على الغداء خلال الأسبوع الماضي كما كان يرغب بسبب مرض ميس ..كان يتحجج بوجودها في بيت عمها تساعد في تحضيرات العرس ولا يأتي بعد صلاة الظهر كما كان يفعل منذ أن تزوجها .

لقد حاولت تدريب نفسها خلال الأسبوع الماضي على التعود على عدم وجوده في حياتها.. لكنها أدركت بأن الامر لم يعد كالسابق .. لم يعد كما كان قبل زواجها منه .. بعد أن عاشرته وتقاسمت معه اللقمة والنفس .. تقاسمت معه روحها..

لقد وضعت نفسها في مأزق كبير .. بل أذت نفسها بهذا الاقتراب منه .. ومع هذا .. ورغم

كل شيء ليست نادمة أبدا .. ولو رجعت بها الأيام للخلف ستفعل ما فعلت مرة أخرى .. يكفي تلك اللحظات التي عاشتها في حضنه ..
لو تكف عن الطمع ..
لو تكف عن الشعور بالألم ..
بالوحشة .. بالشوق .. بالافتقاد .. بتمزق القلب حين تتركه وترحل..
لو تستطيع تحقيق ذلك لعاشت سعيدة جدا على ذكريات حياتها معه .. لعاشت على ذكرى ستضيء لها وحشة الوحدة .. لأنها ستبقى وحيدة من بعده ..فمن تتزوج بجابر لن يملأ رجل أخر عينها أبدا.

xxxx

بعد العصر

دخل جابر الغرفة متعجلا يلقي السلام فوجد أم هاشم أمام طاولة الزينة تستعد لحضور حفل الزفاف ليقول وهو يخلع ملابسه ويتوجه

ناحية الحمام" أعلم بأني تأخرت ..أمي توبخني بالأسفل .. سأغتسل وارتدي ملابسي بسرعة "
قالت له بهدوء " لا بأس كان الله في عونك "
ثم تركت المرآة واسرعت بالتقاط جلبابه من فوق السرير وحضنته ثم علقته على المشجب بجوار الخزانة بحرص .. وعادت لتنتهي من استعداداتها لحضور حفل زفاف ابنة عمها .
بعد قليل خرج جابر من الحمام فلم يجدها فقام بارتداء ملابسه على عجل وذهنه مشغول بميس التي لم يتواصل معها إلا في الصباح وقد عاودتها الكحة من جديد فقرر بأنه سيغير ذلك الطبيب الذي أخبرته كاميليا بأنها قد ذهبت بها إليه وأن يذهب بها لطبيب أخر في الغد .
تأمل نفسه بجلبابه الأبيض المكوي ثم ارتدى ساعة يده و التقط هاتفه ومفاتيحه يضعهم في جيبه وأخذ يمسح على لحيته بيده مقرا بأنها استطالت وعليه بتشذيبها بعض الشيء.

أسرع بالخروج من الغرفة ..فقابل أم هاشم التي كانت تهم بدخولها والتي بادرته بالقول" نسيت هاتفي "

وقف على الباب يعترض طريقها وتحركت عيناه ببطء على ثوبها الذي ترتديه ثم قال عاقدا حاجبيه" أهذا فستان أم عباءة؟!"

ردت أم هاشم بلهجتها المازحة "في الحقيقة أنا لا أعرف.. أحس هذا الثوب غير مستقر على حال (ثم سألته بتوجس) أهو سيء عليّ"

غمغم قائلا " لا ولكن أخشى أن يكون واصفا لتفاصيل جسدك استديري "

استدارت أم هاشم وهي تقول" لا يا جابر ليس ضيقا "

مط شفتيه وهو يقاوم بصعوبة اشتياقه لها .. اشتياق يدفعه إلى حافة الجنون.. وكلما زاد شوقه .. زاد شعوره بالذنب تجاه ابنته فرد

عليها وهي تعود لتواجهه" ليس ضيقا لكنه يلفت الانتباه "

تطلعت في الثوب تقول" لونه هادئ جدا لقد كانت والدتك تفضل أن أرتدي شيئا لامعا بما أني لازلت عروسا لكني لا أميل لذلك "

غمغم بعبوس "نعم!.. ألا يكفي هذا الثوب الملون للفت الانتباه إليك! .. لماذا توقفت عن ارتداء اللون الأسود ؟!"

اتسعت عيناها ثم ضربت كفا فوق الأخر على بطنها وهي تقول ساخرة " ألا تعرف من طلب مني أن أتوقف عن لبس الأسود ؟"

كانت مقاومته تضعف والدماء الساخنة في أعصابه تزداد اشتعالا فسحبها من يدها إليه بخشونة ثم أدارها لتلتصق في الحائط وهو يقول بعبوس" وما به الأسود يا ست مشمش ها ؟.. جميل الأسود ولا يلفت الانتباه ولا يفصل تفاصيلك"

بدأت أنفاسها تتسارع فرسمته بعينيها ولسانها المتهكم يداري على شعورها بالضعف أمام حضوره القوي فقالت" عن أية تفاصيل تتحدث يا جابر ..من يسمعك سيظن بأنك مجنونا لا سمح الله "

استفزته بكلامها .. ذلك الاستفزاز اللذيذ الذي يجعله يرغب في خناقها ثم مطارحتها الغرام فقرصها في وجنتها قائلا بلهجة موبخة" قلنا لستِ ذكرا لتقرري ما الذي يغري الذكور يا ست مشمش .. (وازداد عبوسه وهو يمرر ابهامه على شفتيها قائلا) ومن سمح لك بطلاء شفتيك .. ألا يكفي الكحل !"

غمغمت بوجنتين مشتعلتين" ألست عروسا .. أم أنك لا تعتبرني كذلك"

رد بنفس العبوس والشفتان المكتنزتان الماكرتان تمارسان كالعادة سحرهما عليه

والتفنن في تعذيبه " ما دخل هذا بكونك عروسا !!.. أنت عروسي أنا يا ست مشمش وطلاء هاتين الماكرتين الشهيتين خارج البيت يلفت لهما الانتباه .. خاصة وأن سمرتك تجعلك مختلفة فتدقق فيك العيون وهذا يشعرني بالغضب "

قالها ومال يلتهم شفتيها رافعا راية الاستسلام بعد أكثر من أسبوع من المقاومة .. فالمقاومة لم تجلب له إلا المزيد من العذاب ..

أصدرت أم هاشم رغما عنها تأوها مشتاقا من حنجرتها وهي تلف ذراعها حول عنقه .. تأوهاً انفجر كقنبلة في قلبه فأفلت زمام مشاعره ..واعترف لنفسه بأنه يظلمها بمنع نفسه عنها..

لف جابر ذراعيه حول خصرها النحيف يلصقها به أكثر وازدادت قبلته عمقا وعنفا قبل أن

يسمعا صوت الحاجة نجف تقول من الدور الأرضي بعصبية "يا جابر تأخرنا وهذا لا يصح يا ولدي "
أفلت جابر شفتيها فاستندت أم هاشم بجبينها على كتفه بحرج بينما أجلى جابر صوته وقال من بين لهاثه" حالا يا أمي حالا سننزل "
وعاد لأم هاشم يحضن جانب وجهها بكفه ليرفعه إليه قائلا أمام عينيها "كوني على استعداد لأن نعود مبكرا الليلة .. فالشوق لوصالك يا بنت شيخي يذبحني ذبحا وأوشك على الموت واحتاج لإغاثة عاجلة"

رفعت إليه أم هاشم عينين دامعتين ولولا الحياء لأخبرته بأجرأ الكلمات التي تصف شوق زوجة لزوجها .. فلم تجد إلا أن تطوق ذراعيها حول عنقه وتحضنه بقوة وهي تهمس بلهجة

عاشقة " لا حرمني الله منك أبدا يا جابر ولا من نعمة رؤيتك أمام عيني"
شدد جابر هو الأخر على ذراعيه حولها وهو يقول باستسلام تام لمشاعر جارفة يكبتها بصعوبة منذ أيام" ولا منك ولا من رؤيتك يا أم قلبي"

xxxx

في المساء

تطلعت بسمة في القميص البرونزي الذي ارتدته أخيرا بعد أن تحسنت بشرتها وتأملت مفاتنها التي يبرزها ذلك القميص القصير بفتحه أمامية واسعة وحمالات رفيعة وتمنت أن يعجب كامل .. فقد اسرعت بالصعود مبكرا لتستعد لاحتفالها الخاص به..
فردت شعرها الأسود الناعم أمام المرآة وتممت على طلاء شفتيها ثم ارتدت روبا قصيرا برونزيا فوق القميص ووقفت تنتظر صعوده

بتوتر شديد وهي لا تعرف كيف سيكون وقع مفاجأتها له الليلة حين تخبره بأنها ليست عقيم وبأنها تستطيع الانجاب بل وتشتاق لأن تحمل طفلا يخصه في رحمها وتتمنى أن يحدث ذلك في القريب العاجل.

أما في الجناح المجاور فوقف شامل أمام ونس يغطي عينيه بكفيه كما طلبت منه وقال بابتسامة متسعة وأعصاب محترقة "ترى بما ستفاجئينني في يوم عيد ميلادي؟ .. قميص باللون الفوشيا؟ .. أم باللون الأزرق المائي؟ .."

وتزحزح كفه عن وجهه قليلا فأصدرت ونس اعتراضا فقال شامل" حاضر ..حاضر لن أنظر حتى تسمحي لي .. أتعرفين؟ .. أنا أحب اللون الأحمر ارتدي لي قميص أحمر .. ولو بدون أي

شيء ستكون مفاجأة عظيمة جدا تليق بعيد ميلادي بصراحة .."

ساد الصمت لبرهة ثم حدث بعدها ما جعل قلب شامل يقفز بعنف في صدره وهو يبعد كفيه عن وجهه في صدمة شديدة محدقا فيها بعينين جاحظتين ذاهلتين .

xxxx

الفصل الرابع والثلاثون

أرسلت بسمة لكامل على الواتساب تسأله "ألم تنته بعد؟"

أسرع بالرد عليها" هل تشتاقين لي إلى هذه الدرجة ؟.. قوليها وسأطرد الزبائن المتبقين وأسرع إليك"

لم ترد بسمة وإنما أرسلت له وجها يختبئ خلف كفين فكتب كامل بسرعة" ليلتنا ممتدة حتى الصباح بعون الله (وجه يغمز)"

xxxx

وقف شامل أمام ونس يغطي عينيه بكفيه كما طلبت منه وقال بابتسامة متسعة وأعصاب محترقة "ترى بم ستفاجئينني في يوم عيد ميلادي؟ .. قميص باللون الفوشيا؟ .. أم باللون الأزرق المائي؟ .."

وتزحزح كفه عن وجهه قليلا فأصدرت ونس اعتراضا ليقول شامل" حاضر ..حاضر لن أنظر حتى تسمحين لي .. أتعرفين؟ .. أنا أحب اللون الأحمر ارتدي لي قميصا أحمرا .. ولو بدون أي شيء ستكون مفاجأة عظيمة جدا تليق بعيد ميلادي بصراحة .."

ساد الصمت لبرهة ارتبكت فيها ونس وهربت منها شجاعتها التي كانت تدخرها منذ مدة لهذه اللحظة ولوهلة قررت العدول عن الفكرة .. لكنها كانت مدفوعة برغبة قوية لأن تهدي شامل شيئا مميزا في عيد ميلاده.. شيئا يعبر عن مشاعرها له ..فبلعت ريقها بصعوبة وكل ما تدربت عليه في الفترة الماضية أحست بأنه ذهب هباءً.. لكنها جاهدت باستماتة .

"أنننا ... أحبـ ..كـ .. شاميّ"

قفز قلب شامل بعنف في صدره وهو يبعد كفيه عن وجهه في صدمة شديدة محدقا فيها بعينين جاحظتين ذاهلتين .. وللحظة ظن أنه يهلوس لولا احمرار وجهها الذي أسرعت بدفنه في كفيها فلاحت الجدية على وجهه واقترب منها بخطوات لا يذكر كيف مشاها ثم وقف أمامها يرمش بعينيه عدة مرات وهو يقول بصوت مبحوح" ونس هل قلت شيئا؟ .. هل نطقت يا ونس؟ .. أم .. أنني أهلوس؟!"

كانت تشعر بارتباك شديد والنتيجة التي خرجت بها الحروف لم تكن ترضيها فظلت للحظات لا تريد الكشف عن وجهها ثم استجابت بعدها ليد شامل التي أبعدت كفيها ببطء وهو يقول بصوت أجش "ونس"

رفعت له عينين مغرغرتين بالدموع تطالعه بوجه بائس

فحضن شامل وجهها بين كفيه وقال أمام شفتيها" أنت نطقت يا جنيتي.. أريد أن أسمعك مرة أخرى .. أريد أن أراك وأسمعك وأنت تنطقين"

هزت رأسها بين كفيه يمينا ويسارا رافضة فقال وهو يميل على وجهها المرفوع إليه" لماذا؟"

قالها وطبع قبلة على أنفها المنتفخ من هرمونات الحمل والذي لا يزال يراه يشبه أنوف الدمى فمدت ونس يدها تتحسس جيب فستانها تنوي البحث عن الدفتر لكن شامل احتفظ بوجهها مرفوعا بين كفيه وقال رافضا "لا .. أخبريني بلسانك لماذا لا تريدين إعادة ما قلتِ؟

استجمعت قواها ونطقت" فاشية"

(فاشلة)

صوتها كان غليظا بعض الشيء وكأنه يخرج من حنجرتها بصعوبة لكنه عبر أذنه كأجمل صوت

سمعه في حياته .. فتأمل اللحظة واستعادها حين حركت شفتيها فكانت كريمة معه وكررت العبارة" ونث فاشية"

(ونس فاشلة)

تدفقت الدموع من عيني شامل ومال عليها يحضنها قائلا" لا والله .. ونس ليست فاشلة ..ونس قلبي .. أنت قلبي .. قلب الجني .. هل تتوقعين أن الجني يحب فتاة فاشلة .. بل يحب مناضلة .. مكافحة .. شجاعة"

تشبثت به ..ذراعاها يخرجان من تحت إبطيه تتعلق بظهره لكن شامل أبعدها ليقول " قولي (ونس قلبي) .. اليوم عيد ميلادي وأنت اخترت أن تكون هذه هديتي قولي ونس قلبي"

في محيط حضنه .. ذلك الواسع كفضاء فسيح ..أحست ببعض الثقة ..

وكأنها عصفور مكسور الجناح سيحلق بأمان..

وكأنها بين ذارعيه مربوطة بخيط ..

مربوطة به ..
إن سقطت أمسك بها.
تكلمت بما تخجل من أن تبوح به" ونث كـايي"
(ونس قلبي)
ازدادت ابتسامته اتساعا ودموعه تتدفق على وجنتيه وهو يقول "لا .. قلبي أنا .. قولي (ونس قلب شامل)"
"ونث كيبب ششاميّ"
مال يلثم شفتيها ..يكافئها على كل حرف نطقته ..بينما دموعه جرت على وجهه بتأثر شديد
فمال يحضنها لبرهة ثم وضع ذراعه تحت ركبتيها ورفعها يدور بها حول نفسه بسعادة..
سعيد سعادة الأب بالخطوة الأولى لابنته ..
سعيد سعادة العاشق المبهور بإنجاز حبيبته ..
سعيد سعادة الصديق الذي يحترم ما بذله صديقه من إنجاز يستحق الإشادة .

ضحكت ونس وشاركها الضحك وهو مستمر بالدوران بها وكأنه يرقص طربا .. قبل أن ينزلها ببطء ويمسح على بطنها التي بدأت في الظهور
ثم قال " قولي ونس جنية شامل"
بثقة وليدة لم تتخط مهدها بعد نطقت "ونث جننت شاميّ"
عاد ليحضن وجهها بين كفيه قائلا " يا حبيبة شامل ..يا قلب شامل .. هذه أغلى هدية يا ونس صدقيني .. (ومسح وجهه من الدموع يقول بجدية) ألم تطلبي منا أن نتقبلك كما أنت ؟. إذن عليك أن تكونين أنت .. هكذا بدون خجل"
قالت بصعوبة "الححيوف كيها دائع"
(الحروف كلها ضائعة)
غمغم شامل وهو غير مصدق لأنها تحرك شفتيها وتتحدث "لا بأس جنيتي.. كما قلنا هذا

أنت .. كوني كما أنت بشجاعة ..ونحن سنتقبلك بحب"

حملها مرة أخرى فوق ذراعيه وذهب إلى مقعد وثير فجلس وهي فوق حجره ثم قال وهو يبعد شعرها المموج عن وجهها "سنسهر الليلة كلها نثرثر أنا وأنت .. لن أتركك إلا بعد أن أشبع من ثرثرتك (وغلبته مشاعره فقال بصوت متهدج) ونس أنا سعيد لدرجة تجعلني أريد أن أحملك فوق كتفيّ كأنك قد فزتِ بالمارثون وأدور وألف بك الشوارع لأخبر الجميع كيف أن حبيبتي جنيتي مميزة ولديها إرادة فولاذية"

تطلعت ونس في ملامح وجهه وكل كلماته التي تسمعها بوضوح بذلك الصوت الرخيم الجميل الذي يخرج من حنجرته .. كل كلماته تشعل فيها طاقة من الحماس .. كل كلمة تتلقاها منه كوسام لها ..

ماذا يعنيها من العالم إن كان هو شامل.. النجم العملاق المتوهج الذي تدور في فلكه يحبها بهذا العطاء .. يقدرها بهذا التقدير .. ماذا تريد من الأخرين .. إن كان هو فخورا بها كما ترى في عينيه .

لاحت الجدية على وجهه فجأة وحملها واستقام واقفا ثم وضعها على المقعد يقول "لحظة واحدة.. فأنا لن أتحمل أكثر من ذلك بدون أن أخبره"

راقبته وهو يسرع إلى هاتفه وشاهدت اتساع ابتسامته حينما وجد اتصالا من كامل فرد قائلا" أيها المتطفل على حياتي مرحبا بك"

سأله كامل بعبوس "ماذا يحدث؟"

نظر شامل لونس وأجاب بتأثر" نطقت يا كامل .. ونس نطقت اسمي .. سمعته أخيرا من بين شفتيها"

غطت ونس وجهها بكفيها بينما ارتفع حاجبي كامل يقول متفاجئا "حقا فعلت !.. نطقت!"
قال شامل بحشرجة" فعلتها يا كيمو.. فعلتها ولن تصمت بعدها إن شاء الله .. سأحرص على ألا تصمت بعدها"
داهم كامل شعور بالتأثر .. لا يدري إن كان فرحا من أجل توأمه أو من أجلها هي فقال بلهجة صادقة " مبارك لها يا شامو مجهود منها يستحق الإشادة"
ابتسم شامل وتطلع فيها من جديد ثم قال "اذهب الآن سنتحدث في الصباح ..هل انتهى العمل في المطعم؟"
رد كامل " لا ..بقي عدد قليل من الزبائن أراك في الصباح "
قالها وأغلق الخط .. فترك شامل الهاتف وذهب لونس يشدها إليه لتقف ثم فك الدبوس المعلق في ثوبها والذي تشبك به جيبا

إضافيا في كل ملابسها ويحتوي على الدفتر والقلم..
طالعته ونس باعتراض فقال شامل" انتهى عصر الدفاتر يا ونس"
هزت رأسها برعب يداهمها كشعورها بدون سماعة .. إن دفترها هو وسيطها بين الناس للتواصل.. أما شامل فألقى الجيب بما فيه أرضا وقال بلهجة مطمئنة" لا تقلقي ..دعينا نحاول بدونه .. لكنه موجود متى احتجته "
وتحرك ليعود إلى المقعد ويسحبها لتجلس على حجره من جديد قائلا بأنفاس ساخنة لفحت وجهها وهو يتخلل شعرها المفرود بأصابعه "دعينا نلعب لعبة ستسعدني جدا في يوم عيد ميلادي .. كلمة منك مقابل قبلة مني"
اتسعت ابتسامتها وغطت فمها بيدها بحرج..
ليضيف شامل بلهجة أكثر شقاوة "ولنرى سأمسك أعصابي حتى كم كلمة"

انفجرا ضاحكين وهو يضمها إليه بقوة وسعادة وفخر بما حققته جنيته الصغيرة التي كان نطقها يوما أمرا مستحيلا.

xxxx

تحركت أم هاشم تخرج من وسط الزحام المتجمع أمام مقعدي العريس والعروس ووقفت بعيدا عنه مع حماتها التي تثرثر مع نصرة وإسراء في ركن ..فراقبتها عينا جابر من جلسته بين الرجال .

كان الحفل قد أقامه العريس في صوان بالقرب من بيته مقسوما لجهة تضم النساء يتوسطها مقعدا العروسين المزينين ..وجهة خارجية تخص الرجال .. ولم يدر جابر لمَ أصبح متابعا لحركة أم هاشم .. ماذا تفعل وسط النسوة ؟.. كيف تقف؟ .. مع من تتحدث ؟.. وكأنها قطعة منه تتحرك منفصلة .. وتساءل في سره ألا تزال النسوة يتحدثن عنها؟! ..

ضايقه هذا الشعور ..فأنزل نظراته عن متابعتها وعاد للحديث مع الرجال بينما استمرت عينا زين في مراقبة إسراء .. حتى أنه ترك المجلس وتحرك يقف في أول الصوان حينما جاءه اتصالا هاتفيا فكان على نفس الجانب الذي تقف عليه.

ورغم المسافة لمح منها نظرة مختلسة فاتسعت ابتسامته لها لتسرع إسراء بإدارة ظهرها كاملا له بعد أن اشتعلت وجنتاها..

ليدير زين هو الأخر ظهره لها والابتسامة تزداد اتساعا على وجهه بينما نصرة تلهج بالدعاء في سرها بالهداية لابنتها التي لم يخف عليها اختلاسها النظرات لزين منذ بداية الحفل ..

أنهى زين مكالمته وعاد لمكانه على مضض فهو لم يكن مهتما بحضور الحفل رغم دعوة يحيى له إلا ليراها .. في الوقت الذي تحرك فيه جابر يترك مقعده وكأنهما يتبادلان الأدوار ووقف

بعيدا عند أول الصوان.. فانتبهت أم هاشم له
وأحست بأنه يريدها فتحركت نحوه .
تطلع في خطواتها بذلك الفستان الداكن الملون
بورود باللون النبيتي وأوراق شجر بالأخضر
والأزرق مع حزام وحجاب باللون النبيتي.. من
المفترض أنه فستان بسيط بدون بهرجة لكنه
كان يراه مميزا على قَدٍ نحيف أهيف أكثر تميزا .
قال جابر بصوت عال من وسط السماعات
العالية بمجرد أن اقتربت منه "ألا يكفي هذا
القدر ونعود لبيتنا؟"
غمغمت تداري لهفتها وعبارة (أم قلبي)
تداعب قلبها طوال السهرة فحاولت أن تقلل
من سقف أمنياتها حتى لا تؤذي نفسها "أعتقد
أن والدتك تريد البقاء لوقت أطول"
قال وعيناه مثبتتان على صفحة وجهها الأسمر
المؤطر بالحجاب النبيتي " فلندع أمي على
راحتها زين موجود ليعيدها"

وضعت كفيها فوق بعضهما على بطنها
وتنهدت تقول بطريقة مسرحية دون أن تنظر
إليه "لا بأس ما دمتَ مصرا .. فلا تملك المرأة
إلا طاعة زوجها"
ضحك يطالعها متأملا والسعادة تتسلل إليه
كلما وقعت عيناه عليها .. إنها قادرة على أن
تجعله يتنفس .. قادرة على انعاشه بكل حركة
ولفتة منها .. فغمغم بلهجة ساخرة "بارك الله
فيك وفي طاعتك العمياء لزوجك بدون رأس
عنيد يحتاج لكسره يا أم هاشم "
من بعيد تطلع فيها بعض النسوة مذهولات
وهن يراقبن ذلك التناغم الذي يبدو عليهما
فقالت إحداهن" انظري الضحكة التي تملأ
وجهه لم نرها عليه من قبل"
ردت أخرى "بدأت أصدق في أنها سحرت له
عن طريق شيخ"
قالت ثالثة " اتقي الله ..ربما أحبها "

تكلمت الأولى " ولماذا لا تقولين بأنه قد عاش مع بنت العسال أياما صعبة جعلته يشعر بالفرق الكبير مع أي زوجة غيرها حتى لو كانت سمراء"

تكلمت إحداهن " بمناسبة لون بشرتها هل تشعرن مثلي بأن بشرتها فتحت قليلا ؟ أم ماذا حدث لها؟ .. أحس بها مختلفة .. وكأنها تشع ضوءا رغم سمار بشرتها"

ردت الثانية متنهدة " الزواج يا اختي .. فمن يعززها زوجها تزداد حلاوة .."

تساءلت أخرى " سبحان الله رغم أنها مختلفة عن ذي قبل وازدادت أناقة وأنوثة لكن لا تزال نحيفة .. لا أعرف ماذا يرى فيها ليكون بهذه السعادة؟!.. الرجل أضحى أصغر سنا"

عادت الثانية لتضيف مؤيدة لوجهة نظرها " هذا يعيدنا لنفس النقطة ...لقد سحرت له ليس هناك تفسير أخر "

على الناحية الأخرى عند طرف الصوان قال جابر بصوت عال "يا أيتها الزوجة المطيعة هل سنقف طويلا بهذا الشكل؟"

قالت بجوار أذنه "ربما أريد أن يراني الناس معك ..ولولا الملامة لكنت تعلقت بذراعك"

اختلست عيناهما نظرة تلاق خاطفة فعلت ما فعلت في القلوب ثم اتسعت ابتسامته ورد " إن كنت تريدين فلك ذلك لكن ليس هنا فالناس لا يتركون لا شاردة ولا واردة تمر بدون تعليق.. سآخذك للعاصمة بمجرد أن تستقر حالة ميس أو ربما أخذتكما معا .. ولحظتها ستتعلقين بذراعي كما تشائين"

ردت بامتنان" أكثر الله من خيرك"

رد بابتسامة " المشمش يأمر أمر "

اشتعلت وجنتاها بحديثه المسكر الذي يدغدغ أعصابها فعدلت الحجاب حول وجهها تشيح بنظراتها بحرج ليقول جابر "اذهبي وابلغي أمي

بأننا سنعود للبيت ..وأخبريها إن أرادت البقاء فسيعيدها زين .. هيا قبل أن أفقد اعصابي واضرب أحدهم بسبب هذا الفستان الملفت الذي ترتدينه"

تطلعت في الفستان وقالت باستنكار " هذا ملفت ؟!.. ومن حولنا في الفتيات اللاتي يلمعن كثريات سرايا صوالحة ماذا يكن ؟!!"

رفع عينيه للسماء بيأس ثم عاد ينظر إليها قائلا "أنت مميزة وسطهم يا ست مشمش بسمارك تلفتين الانتباه ..أقولها بأي لغة لتستوعبيها ؟"

قالت مجادلة كعادتها " باذنجانة سوداء وسط قفص من الباذنجان الأبيض ماذا سيفعلون بها؟!"

رد بغيظ وهو ينظر أمامه " قلنا ستلفت الانتباه لأنها مميزة وسطهم"

غمغمت باستهجان " ما تقوله هذا يا سيدي يعاقب عليه القانون"

انفلتت ضحكة منه فاستدار ينظر إليها قائلا"
أنا يا سيدتي أعشق الباذنجان الأسود ..وانتقيه
من وسط الأبيض ألم تلحظي هذا؟"
نظرت أمامها وهي ترد " لاحظته وأنت تأكل
..لكني قلت ربما كان هذا ذوقا منك لدعم وضع
الباذنجان الأسود في حلة المحشي"
هذه المرة قهقه جابر وقال وهو يضرب كفا
بكف " لا أعرف لماذا قلبتِها حلقة للطبيخ!! ..
ألأنك طباخة ماهرة تتبنين هذه النظريات ؟..
عموما إن كنتِ تريدين أن أشبهك بشيء من
الطعام والشراب فلا أرى الباذنجان يشبهك..
تعالي لنعود للبيت وسأخبرك بما تشبهين
بالضبط ..هيا اخبري أمي .. وأنا سأبحث عن
الحاج يحيى لأخبره برحيلنا"
هزت رأسها وتحركت نحو حماتها وهي تخرج
هاتفها الذي يرن في حقيبتها ثم وقفت تحدق
في الرقم غير المسجل وردت "السلام عليكم"

أتاها صوت نسائي ضعيف لم تتبينه لأول وهلة ثم قالت متفاجئة" مليكة ؟!!"

لم تسمع بوضوح فأسرعت راكضة خارج الصوان لتبتعد عن الأصوات وهي تقول بلهفة باكية" مليكة كيف حالك يا مليكة ؟ قلقت عليك بشدة"

لمح جابر ومحسن أم هاشم وهي تخرج من الصوان وتبتعد قليلا وعلى أذنها الهاتف فشعر الأول بالقلق وترك هلال الذي كان يخبره بمغادرته بينما تحرك الثاني خلفها والذي كان عائدا من توصيل أحد معارف الحاج يحيى من خارج القرية إلى موقف سيارات الأجرة .

قالت مليكة مطمئنة" لا تؤاخذيني يا أم هاشم حدثت أشياء كثيرة منعتني من التواصل معك"

قالت أم هاشم " اخبريني يا مليكة ماذا يحدث وما الذي تخفيانه عني أنت وبسمة .. لقد أخبرتني أنك مسافرة لأتفاجأ بما حدث من

أدهم وإياد وما رواه أهل البلدة عما حدث لهما
..لتعود بسمة وتخبرني بأنك قد عدت"
وقف محسن على بعد أمتار منها يقول "هل
هناك شيء يا أم هاشم؟"
استدارت الأخيرة نصف استدارة وأشارت له
بسبابتها بلا شيء ثم عادت لتنصت لمليكة التي
قالت لها "سأخبرك بكل شيء ولكن فيما بعد
فيبدو أنك في حفل زفاف"
قالت أم هاشم بإصرار "لا ..أريد أن أعرف الآن"
اقترب جابر من أم هاشم وعيناه ترمقان محسن
بضيق شديد وهو يراه عائدا حتى التقيا في
نقطة ما فحياه محسن بمحبة وابتسامته
المليحة تزين وجهه.. ليرسم جابر ابتسامة
صفراء على وجهه وهو يوبخ نفسه على ما
يشعر به من ضيق ..فالشاب لم يفعل شيئا
سوى أنه سألها إن كانت تريد المساعدة كما
خمن جابر من بعيد ..لكنه لا يدري لم يشعر

بالضيق من تباسط أم هاشم معه رغم اعترافه بأن الطرفين لا يتخطيان أي حدود وهذا يغيظه من نفسه.

حين ابتعد محسن عائدا للصوان ركز جابر نظراته على أم هاشم بقلق قبل أن يقترب ويرى وجهها المتأثر فسألها "ماذا هناك يا أم هاشم ؟.. مع من تتحدثين ولماذا تقفين بهذه الطريقة؟"

استدارت إليه تشير له بيدها ليعطيها بعض الوقت ثم قالت على الهاتف" أنا لا أفهم بالضبط ماذا حدث لك يا مليكة وضحي أكثر"

ازداد قلق جابر عليها حينما سمع اسم مليكة فمنذ اختفائها وهي تدور حول نفسها قلقا بشأن صاحبتها لكنه لم يجد ما يقوله لها ليطمئنها .. فوقف بالقرب منها وراقب انفعالاتها متأثرا بتأثرها.

بعد قليل كان جابر يفتح باب البيت ثم أدخل أم هاشم الصامتة طوال الطريق والتي أسرعت بالصعود للطابق العلوي فأغلق الباب وصعد خلفها .

حين دخل الغرفة ولم يجدها ذهب لباب الحمام المغلق يقول من خلفه" أم هاشم هل أنت بخير؟"

حين لم يتلق منها ردا قال وهو يحاول فتح الباب المغلق من الداخل "أم هاشم ..افتحي" كانت ملتصقة بالجدار تبكي مصدومة وتشعر بالشفقة لما سمعته من صاحبتها .. لا تصدق ما حدث وكأنه ضرب من الخيال.. بينما ضرب جابر على الباب ينادي عليها بغضب فانفعلت بفعل هرموناتها الأنثوية تقول" أنت اخفيت عني .. كلكم أخفيتم عني"

قال بلهجة هادئة آمرة "افتحي الباب وسنتحدث فليس مستحبا تحدثك في الحمام"

سمع صوت قفل الباب ثم خرجت له بعينين منتفختين بعد أن مسحت دموعها وخلعت حجابها ووقفت أمامه تعقد ذراعيها تحاول التماسك.

اشفق قلب جابر عليها .. ولم يحتمل رؤيتها تبكي فمد كفه يحضن جانب وجهها قائلا بحنو" لمَ البكاء؟.. ألم تطمئنك عليها بنفسها؟"

لم تستطع التماسك .. كانت أعصابها منهارة فأجهشت بالبكاء مغمغمة " لا أصدق ما حدث لها ..لقد قصت لي ما حدث معها بالتفصيل (وناظرته تضيف بلهجة عاتبة) لماذا خبأت عني يا جابر ؟.. إنها الليلة التي تأخرت فيها مع مصطفى الزيني أليس كذلك؟"

صمت جابر ولم يرد فأجهشت بالمزيد من البكاء ليسحبها إلى حضنه مواسيا فغمغمت بعتاب" لماذا لم تخبرني؟"

رد بهدوء " لأنه أمر يخص أصحابه ليس مسموحا لي بالبوح به"
رفعت إليه وجها باكيا تقول" لكنها صديقتي"
أحس جابر أن بها شيئا غريبا .. ضعفا ولينا أكثر من طبيعتها .. أو ربما بسبب شفقتها على صديقتها فدفن وجهها بين رقبته وكتفه يضمها قائلا وهو يمسد على ظهرها "ألم تطمئنك عليها!"
هزت رأسها بالإيجاب فشدد من ذراعيه حولها يتأكد من احتوائه لها كليا وهو يقول " وأخبرتكِ ماذا فسر الاطباء ما حدث معها؟"
هزت رأسها بالإيجاب فقال جابر" أنا أيضا علمت من مصطفى .. إن شاء الله أمر بسيط وسيتم احتواءه"
أبعدت رأسها تقول " لم أتخيل أن هناك شخصا يفعل كل ما فعلته وهو نائم .. لا أصدق بأنها الملثم فمليكة لا تضمر شرا لأحد"

قال بثقة " هناك بالتأكيد تفسير للأمر ..
أتعلمين ..كان معي رجل في الغربة من دولة أخرى ..وكنت أعيش مع مجموعة من الرجال في سكن مشترك .. فكان هذا الرجل يستيقظ ليلا ويأكل أغلب ما كنا نخزنه في الثلاجة ..
لكننا لم نكن نعرف من يفعلها ..حتى قررنا أن نقوم بمناوبات ويبقى أحدنا ساهرا ليفهم ماذا يحدث ..و تفاجأنا بصاحبنا هذا وبما يفعل ..
ولأول وهلة ظنناه يمزح فأيقظ من كان في المناوبة أهل البيت كلهم لكننا اكتشفنا بأنه غير واع .. وحين حاولنا تنبيهه واستيقظ تفاجأ مثلنا وكان عصبيا جدا وعنيفا مع الجميع تلك الليلة"

سألته باندهاش" وماذا فعلتم بعد ذلك؟"
دفع خصله مشعثة مجعدة إلى خلف أذنها هاربة من الكعكة خلف رأسها وقال بابتسامة"
وضعنا قفلا على الثلاجة"

أنارت ابتسامتها اللؤلؤية وجهها .. فقرصها جابر في ذقنها .. ثم عاد يحضنها من جديد قائلا" ها قد أنارت ضحكتك .. لا تبك مرة أخرى فبكائك يؤذيني"

تشبثت به تتحسس عضلات ظهره فأضاف مداعبا" يبدو أن عفاريتك حقيقيون ويؤذونني كلما بكيتِ أمامي"

اتسعت ابتسامتها فأضاف مبتسما وهو يغمرها في حضنه ليشعر هو براحة أكثر" أنا أعترف لك بقدراتك يا أم هاشم فلا أحد أسر جابر مثلما أسرتِه"

غمغمت وهي تتمرغ في حضنه كقطة ناعمة "لا يغلبك أحد أبدا في حلو الكلام وجبر الخواطر"

تحسس كفه خصرها النحيف وقدها الممشوق وقال بلهجة مغازلة " لا يزال عندي كلام أريد أن أقوله .. ولكني سأتوضأ أولا وأصلي العشاء .. (وسألها) هل صليتِها؟"

رفعت رأسها وهزتها بالإيجاب ثم قالت "صليتها في شقة سامية حينما صعدنا لنضع عشاء العروس"

حرك إبهامه على شفتيها وقال مقربا أنفاسه الممزوجة بعطره منها" لم تسأليني بما أشبهك"

سألته وقوة جاذبيته تأسرها " بما تشبهني "

سألها بشقاوة "كم ستدفعين؟"

كانت ساقاها ترتخيان شيئا فشيئا فاستندت بساعديها على صدره وهي تهمس بارتجاف" كل ما تريده وتتمناه هو لك"

تعانقت العيون عناقا ملتهبا يتلهف لوصال لا ينقطع أبدا ..ثم قال جابر بصوت متهدج وكفه يتحسس خصرها "أنا أريد منك الكثير ..الكثير جدا لدرجة أحيانا تفاجئني"

لم يعطها فرصة للرد بل مال على تلك الماكرتين يستسلم لإغوائهما المسكر وندائهما المُلِح وهو

يتحسس قدها ثم أفلت شفتيها بعد لحظات مبتعدا .. فسألته لاهثة وهي تقاوم الترنح" لم تخبرني بم تشبهني"

قال لها غامزا قبل أن يخلع جلبابه ويذهب للحمام "أصلي العشاء ثم نتحدث على راحتنا"

خرج جابر بعد قليل يجفف رأسه وذراعيه وهو يتطلع فيها جالسة على طرف السرير ساهمة شاردة تقلب في الهاتف بين يديها وهي لاتزال بفستان الحفل بينما شعرها المجعد قد خرج من عقاله وشكل هالة حولها .

كان يراها بعيون قلبه جميلة ومحببة إليه ..فوضع المنشفة على كتفه واقترب منها يرفع ذقنها إليه قائلا" أين شردت؟"

ضغطت شفتيها ببعضهما بقوة فلاحت الغمازتين ..قبل أن ترد بحشرجة "لازلت مصدومة مما حدث لمليكة ..لقد حاولت

تخمين أسوأ الاحتمالات خلال الفترة الماضية
..لكن الحقيقة آلمتني جدا"
رد بنبرة حانية" أنا متفهم لشعورك لكن ربك
لطيف بعباده وما دامت قد تحدثت معك بهذه
الشجاعة فهذا يعني بأنها بخير"
قالها وهو يحضن جانب وجهها فخورا بها أن
تكشف لها بنت الصوالحة سرا خطيرا كهذا
..فإن دل ذلك على شيء فيدل على ثقتها فيها
وفي أخلاقها وفي أنها لن تتفوه بالسر ..فابتسم
ومال يطبع قبلة على جبينها ثم قال ليخفف
عنها "هوني على نفسك وتذكري بأن الوضع
كان من الممكن أن يكون أسوأ "
قالت له بلهجة مترجية" أريد أن أزورها يا جابر
..أرجوك أريد أن أراها بعينيّ واطمئن"
عبس وجهه وهو يسألها" تزورينها أين؟..
أليست عند أخيها في العاصمة؟"

ردت أم هاشم موضحة "لقد اشترى زوجها شقة بالقرب من فيلا أخيها ..ودعتني لزيارتها في شقتها.. لماذا لا أذهب إليها خلال هذا الاسبوع ..يوم من أول النهار وأعود آخره لقد كانت تقترح المبيت لعدة أيام "

قال بعبوس " أول النهار وآخره!.. كيف ذلك؟!

..سأشعر بالحرج من مفرح الزيني"

أسرعت أم هاشم بالرد " لا .. لقد أخبرتني بأن مفرح لن يكون متواجدا خلال الأسبوع كله ..واقترحت أن أزورها وأن ترسل لبسمة ونقضي اليوم كله هناك عندها ..والحقيقة ألحت عليّ بالحضور ..وقطّعت قلبي حين قالت بأنها لن تقدر على زيارة القرية إلا بعد وقت طويل"

أنزل جابر أنظاره أرضا يفكر فقالت بلهجة متوسلة" إنها فرصة جيدة أن زوجها غير موجود لتجتمع ثلاثتنا بحرية"

هز رأسه وقال "دعيني أفكر في الأمر"

عادت للهجتها المترجية تقول " ليتك توافق سيستريح قلبي حينما أراها بأم عيني"
سألها باستفهام "هل تبيت وحدها بالشقة مع الولدين؟"
أجابته موضحة " لا ..فهي لم تنتقل للعيش فيها بعد ..لا تزال عند أخيها.. سنجتمع في شقتها الجديدة في حالة أن استطعت زيارتها ..
(وأضافت بتأثر) أخبرتني بأنها تتمنى أن أرتب لها النيش في شقتها الجديدة"
هز رأسه وقال " حسنا ليفعل الله ما فيه الخير ..أعطني فرصة لأفكر وأرى أي الأيام سأكون فيها متفرغا للذهاب للعاصمة (وتطلع في فستانها وقال بلهجة شقية) هل تواجهين صعوبة في خلع هذا الفستان وتنتظرين مساعدتي؟"
كانت تشعر بالكسل وبرغبة قوية في الدلال فرفعت إليه عينين عابثتي النظرات تحاول منع

ابتسامة شقية لم تجد لها فرصة على شفتيها فتراقصت في عينيها ليقول جابر مبتسما وهو يمسك بذقنها "حسنا يا قليلة الحياء سأصلي العشاء وأعود إليك لأرى ما مشكلة الفستان معك "

قالها وتحرك من أمامها يشحذ قواه لضبط أعصابه لبضع دقائق أخرى بينما غمغمت أم هاشم تدعي البراءة "وهل فعلت شيء!"

قال وهو يلتقط سجادة الصلاة "لم تفعلي شيئا!! حسنا سأخبرك بعد قليل بما فعلت"

دارت ابتسامة شقية والخدر يتسلل إلى أوصالها فقالت قبل أن يبدأ في الصلاة " أعد لي الصور الخاصة بليلة الحناء .. لقد حذفت جزءا كبيرا من الملفات على هاتفي وأريد أن أضعها مع الصور التي صورتها اليوم وأرسلها مرة واحدة لهند فهي تجمع الصور من هواتف الجميع"

عبس وسألها "أية صور؟!"

اتسعت عيناها وقالت" الصور التي أرسلتها لك على الواتساب صباح اليوم وأخبرتك بأني أريد أن أفرغ مساحة على الهاتف لالتقاط صور في حفل الزفاف"

رد جابر وهو يقف على سجادة الصلاة "لا أعرف عما تتحدثين لم يصلني شيء"

ناظرته باندهاش فأضاف "الهاتف عندك"

قالها ورفع يديه مكبرا بينما امسكت هي بالهاتف تفتح الواتساب فلم تجد شيئا منها إليه ..فتفحصت الهاتف ثم قالت بعبوس "أنت تغلق استقبال الانترنت المفتوح يا جابر ويبدو أن باقة الانترنت على الهاتف قد نفدت.."

ضغطت على زر فتح التقاط الانترنت المفتوح ثم فتحت الرسائل الخاصة لتتأكد من وصول أية رسالة من شركة الاتصالات عن انتهاء باقة الاتصالات الخاصة به قبل أن تقول "كما قلت

لك ..لقد راسلوك ليلة أمس لتجديد باقة الاشتراك .."

بدأ الهاتف يستقبل رسائل عن طريق الانترنت في الوقت الذي ضغطت فيه أم هاشم بالخطأ على أيقونة معرض الصور بدلا من الواتساب ثم همت بإغلاقها قبل أن تلفت انتباهها صور لميس فتحتها تتأمل وجهها وتدقق في ملامحها التي لا تعرف إن كانت تشبه جابر أم كاميليا .. كانت تقف بفستان جديد قد رأته ضمن الهدايا التي أحضرها زين .. فقلبت في الصور لتجد صورة لها بنفس الفستان و بجوارها كاميليا فاشتعلت الغيرة في قلبها .. الغيرة والغضب فكاميليا كانت مكشوفة الشعر تسدله على ظهرها وترتدي رداء بيتيا بنصف كم وفتحة رقبة كبيرة تظهر لحمها الأبيض.. فتسارعت أنفاس أم هاشم وقلبت في الصور التي كان جزء منها لميس والجزء الأخر صورا جاهزة تتداول

عبر وسائل التواصل تتحدث عن الحب والاشتياق وذكريات المحبين.. قبل أن تتفاجأ بصورة لميس في المرآة بينما كاميليا تصورها والأخيرة تحتل كل مساحة الصورة تقريبا.
كان قلبها يدق بعنف .. فالأمر لم يقف عند حد الغيرة لكنه تخطى ذلك ووصل للغضب الشديد من أن يحتفظ بصور لامرأة لم تعد تحل له ..
سلم جابر بعد قليل وسألها "هل انتهت فعلا باقة الانترنت؟ .. لم أنتبه لذلك "
لم ترد .. كانت تحاول أن تتعامل مع الكثير من الانفعالات التي لو كان المعني بها شخصا غير جابر لانفجرت فيه بثورة.. ولأنه جابر كانت السيطرة على شخصها حار الدماء صعبا ومؤلما.. فأسرعت بالخروج من معرض الصور وهي تستحضر له بداخلها كل المبررات ..وضغطت على تطبيق الواتساب لتفتحه

فوجدت بأنه قد استلم منها صورا تحت حساب باسم (مشمش) بينما رقم أخر غير مسجل قد أرسل له شيئا فضغطت عليه والغضب يسيطر على ملامحها .

عقد جابر حاجبيه مندهشا من صمتها المكتوم قبل أن يقفز واقفا وخاطرة اخترقت رأسه فجأة من أن تكون كاميليا قد أرسلت شيئا سخيفا له كما تفعل .. ليقول وهو يقترب منها" لماذا لا تجيبيني يا أم هاشم؟"

بملامح جامدة ظلت الأخيرة تتطلع في الهاتف ..فخطف جابر الهاتف منها ونظر فيه قبل أن تتسع عيناه.

كانت كاميليا قد أرسلت له صورة لها بشعر أحمر متوهج وكتبت له تحتها" كنتَ تقول لي دوما أن وجهي يليق به كل الألوان .. لهذا أتحرق شوقاً لأعرف رأيك في اللون الجديد لشعري .. لو لم يعجبك سأطلب من مزينة

الشعر بأن تعيد لي اللون الأصفر الذي تحبه يا جابر"
قبل أن يقول أي شيء استقبل الهاتف صورة أخرى منها.. فيها كتف كاميليا عاريا وتظهر فيه كدمة زرقاء كبيرة ثم تسجيلا صوتيا ..
فاستغفر ربه وحذف كل شيء دون حتى أن يسمع ما في التسجيل ولم يجد مفرا هذه المرة من حظر الرقم.
لم يدر ماذا يقول ..فبادرت أم هاشم بالقول بحشرجة وهي ترفع له نظراتها" قل لي بأنك قد أعدتها إلى عصمتك"
اتسعت عيناه وقال باستنكار "ماذا تقولين؟!!"
قالت بترجي صدمه "قلها يا جابر"
رد بغيظ " كيف سأفعل ذلك دون إخبارك ..هل هذا تصورك عني؟!"
طالعته بمقلتين ناريتين تنزفان ألما وقالت مفسرة " هذا التصور أهون عليّ من أن تحتفظ

بصور امرأة لم تعد تحل لك.. هذا شيء لا أرضاه لك أبدا .. فليس جابر من تزل قدمه في الحرام "

هدر فيها شاعرا بالإهانة " ما هذا التخريف الذي تقولينه؟!.. كيف سأحتفظ بصور امرأة لم تعد تحل لي!! .. أنت فتحت الإنترنت للتو والصور استقبلها الهاتف حالا فكيف تقولين هذا عني !!!"

واجهته بصلابة " لا تبرر يا جابر ..أنا أتحدث عن الصور التي تحتفظ بها لها على هاتفك.."

تطلع فيها بعدم فهم ثم فتح الهاتف يبحث في معرض الصور وتفاجأ بالعديد من الصور التي قد حذفها من على الواتساب حين وصلته بينما استقامت أم هاشم واقفة وواجهته قائلة بما جعله يرفع نظراته إليها بذهول " لا يمنعك أحد من العودة إليها .. حتى هي .. فمن الواضح

أنها تلمح لك برغبتها في العودة .. عد إليها ولا تحمل همي أعرفك مراعي لأقصى درجة"
سألها بحشرجة ذاهلة " ما معنى هذا؟!!.. هل الأمر عادي بالنسبة لك أن أتزوجها من جديد؟!!"
تحركت من أمامه وردت بصلابة تحسد عليها "أجل فهذا يعني أننا قد نجحنا في المهمة"
راقب ابتعادها وسألها بعدم فهم "أيه مهمة؟.. (وهتف باستنكار) ماذا تفعلين؟؟"
كانت قد فتحت الخزانة واخرجت منها حقيبة سفر ألقتها في الأرض بعصبية فهدر فيها يكرر سؤاله "ماذا تفعلين يا أم هاشم؟؟"

ردت بصلابة دون أن تنظر إليه" أعد نفسي وأشيائي للرحيل في أقرب وقت ممكن"
انفجر الغضب في رأسه كقنابل فتاكة و أغضبه رد فعلها وأشعره بالارتباك والذهول فصاح بغير

تصديق "ما هذا الجنون !! (وانقض عليها يمسك بذراعها ليوقف تحركها من وإلى الخزانة الذي يستفزه هادرا) أنا أتحدث معك توقفي .."

توقفت بجمود .. فأخذا يلهثان .. هو يناظرها باستغراب وهي تقف بوقفة جانبية تنظر أمامها ليقول بضيق شديد " أنت لم تعطني حتى فرصة للتبرير ..اتهمتني في أخلاقي بسرعة .. (وأضاف بحسرة شديدة) وهذا صدقا شيء محزن"

كان لا يزال يمسك بذراعها فتطلعت في وجهه ترد بحشرجة رغم احتفاظها بجمود وجهها " أنا لا اتهمك بشيء ..وأعلم جيدا كم أنت مراع لحدود الله ..لكني أدرك في نفس الوقت بأنك بشر وقد تضعف في أية لحظة فلست معصوما من الخطأ خاصة لو كان الأمر يتعلق بالقلب ..(قالتها تغالب غصة وأضافت) لهذا أنا أعينك

على تصحيح هذا الخطأ ..إن كنتما متفقين وأنا العقبة بينكما فلا داعي لحمل همي"
استفزته بالسهولة التي نطقت بها فقال بعينين متسعتين ولهجة متحسرة " هكذا ببساطة ستتخلين عني يا أم هاشم!!"
كانت تتمنى أن تصرخ بأنها لا تسمح بذلك .. بأنها الأحق به لأنها الأكثر حبا وتتيما به .. كانت تتمنى أن تستعطفه .. تسترضيه .. تتذلل إليه ألا يكسر قلبها ..
لكن الأمر ليس له علاقة بها هي .. بل بجابر بسعادته.. وبكبريائها اللعين الذي يقبل بأي شيء إلا أن تشاركها أخرى فيه..
أما الغيرة .. الغيرة الحارقة التي خرجت من القمقم ..فهذا حديث أخر لا تملك رفاهية الخوض فيه .
ادعت أم هاشم اللامبالاة وردت بهدوء " لا بأس أنا مستعدة لذلك منذ بداية اتفاقنا"

عقد حاجبيه وسألها بعدم فهم " أي اتفاق؟"
مسحت على ذراعها بكفها الأخر وهي تقول بتماسك وجدية " اتفاقي أنا وأنت لمساعدتك في استعادة كاميليا ..والحمد لله قد نجحنا"
شعر بالتشوش للحظات ثم اتسعت عيناه بعدم استيعاب يقول باستنكار " أنا اتفقت معك على أن تساعديني على استعادة كاميليا؟!!"
اعترفت بكبرياء " ربما لم نتصارح لكني فهمتك بسرعة وعلمت بأنك ترغب في مساعدتي لاستعادة كاميليا"
صمت لثوان يتطلع فيها يحاول تقدير مدى اتزانها العقلي لحظتها ثم سألها يستدرجها لمحاولة فهم ما يخفى عليه " ولماذا أنت بالذات؟!"

ردت ببساطة وهدوء استفزاه " لأني في عيون أهل القرية العفريتة السوداء فأردتَ أن تكيدها بأن منحتني مكانها"

اتسعت عيناه بخطورة وغمغم بفحيح مصدوم " هل هذه نظرتك عني؟!! .. حقير وغير مسؤول!!"

اندفعت تقول بحمائية " لا ..فأنت لم يكن في نيتك أي شر أنا أعلم بأنك لم تكن تعي بما تفعل حينما تقدمت للزواج مني .. كنت تحت تأثير الغضب .. رأيتك ذلك اليوم وأحسست بك جيدا حتى لم تقدر على الانتظار لتزور بيت عمي .. شعرت بك يومها ورأيت في عينيك كرامة مجروحة وغضب كبير .. ففهمت بأنك تنتقم .. لكنك لم تتعمد أذيتي أبدا .. وكنتُ على يقين بأنك حين تعي لما فعلته ستعاملني بأخلاقك لذا أعددت نفسي لخطوة الانفصال حينما ألمح الإشارة (ونظرت في عينيه تضيف

بلهجة مطمئنة) لن أكون عقبة أمام سعادتك أبدا"

الأمر يفوق الغضب .. يفوق الإحباط .. يفوق الصدمة .. فما كان يخصه فيما تفوهت به من تخريف لم يكن الملح في ذهنه رغم قساوته .. بل ما فعلته هي بنفسها هو ما استفز حمائيته تجاهها واستدعى استهجانه فقبض على ذراعيها يقول باستنكار شديد "هل تزوجتني فقط لأجل ما تعتقدينه هذا؟؟!... (وهزها يناظرها بغضب) كيف تفعلين بنفسك هذا؟!!.. كيف؟!! .. هل أنت مجنونة؟ .. أجيبيني .. هل أنت مجنونة.. كيف تقبلين الزواج من رجل تعتقدين بأنه يستغلك من أجل استعادة امرأة أخرى !!"

كانت تنتفض ظاهريا بفعل هزه لها وداخليا من نظراته الغاضبة لكنها قالت بتلك اللهجة التي

تؤلم قلبه وهي تطالعه بصدق "أنت لست أي شخص أنت جابر دبور"
كان لا تزال حمائيته وشخصية (ولي الأمر) فيه هي المسيطرة عليه فهدر فيها غاضبا "جابر دبور أو أي رجل أخر ..كيف تلقين بنفسك في شيء كهذا ..؟!"
ظلت على نظراتها الشاخصة إليه تقول بحمائية وصدق" أنت لست مثل أي رجل يا جابر"
نظراتها التي لم يستطع فهم معناها لحظتها وذلك الألم الذي ينخر في قلبه زادا من عصبيته فهدر فيها وهو لا يزال يهزها " أنا أو غيري هل أنت مجنونة!! .. (وتركها يقرر بلهجة ذاهلة) بل أنت مجنونة بالفعل وتحتاجين لمصحة نفسية يا بنت الشيخ "

شعرت بالإهانة كسهم حارق يخترق كرامتها ..
فجمدت ملامحها وبلعت غصة باكية ثم
رفعت ذقنها ترد بكبرياء وهي تتحرك نحو
الحقيبة " سامحك الله ..عموما دعنا نقف
عند هذا الحد لأني لن أسمح لك بإهانتي أكثر
من ذلك"
هدر فيها والجنون يتراقص في عينيه " قفي
أمامي ولا تتحركين ودعيني أفهم .. (وعاد
يسألها ليستوعب الهذيان الذي سمعه منذ
لحظات) هل ما فهمته صحيح ؟.. قبلتِ
بالزواج مني كي أنتقم أنا من كاميليا؟! .. وماذا
ستستفيدين أنت؟"
استدارت إليه ترد بتلقائية " قلت لك من قبل
..تصحيح أوضاع ..من عانس لمطلقة"
لم يدر هل يضربها حتى يكسر كل عظمة فيها
أم يأخذها إلى حضنه يوقف نزيف قلبه تألما لما

يعتقده رأسها الغبي فقال بذهول " لماذا فعلت بنفسك ذلك ؟..لماذا؟؟"
رفعت ذقنها إليه تقول بكبرياء مجروح تمنع نفسها من أن تكون مثيرة للشفقة .. ترفض الرثاء لحالتها .. ترفض أن يذلها قلبها الذي يحتضر "ماذا فعلت؟.. تزوجت وتخلصت من لقب عانس فهو لقب نحس ..وعشت بضعة أيام كعروس مدللة ..وسأخرج بقائمة أثاث ومصوغات ذهبية ..وفوق كل هذا تزوجت من سيد الرجال.. "

قبض قبضته بجواره بقوة حتى لا يلطمها على وجهها فيخرسها وتكف عن تمزيق قلبه بما تتفوه به بينما أضافت أم هاشم ببساطة "صدقني لقب مطلقة أفضل قليلا من لقب عانس أنا مستفيدة جدا من الاتفاق"
ردد خلفها مستنكرا " اتفاق!!"

قالها ثم أطرق برأسه مصدوما يفكر في هذه القنبلة التي انفجرت في وجهه ففتتت قلبه إلى شظايا ..بينما تحركت أم هاشم لوضع بعض الملابس في الحقيبة وهي تدعي اللا شيء .. ورغم صدمته الشديدة وعدم استيعابه كان منظر وضعها للملابس في الحقيبة مؤذيا له فدفع الحقيبة بقدمه وهدر بغضب "توقفي عما تفعلين"

كانت ترتعب من الخوف .. وتريد أن تنهار باكية في حضنه .. تريد أن تستسلم لتلك الحالة التي ستظهرها مثيرة للشفقة .. لكنها تماسكت بقوة ووقفت أمامه صامتة تمسك بذراعها وتشيح بوجهها عنه .. وتجمد المشهد بينهما للحظات فضها رنين هاتفه لكن عينيه ظلتا تناظرانها بذهول .

انتهى الرنين ثم عاد من جديد فسحب جابر نظراته عنها وبحث خلفه ليجد أنه قد تركه على السرير .. فتحرك لخطوتين ثقيلتين والتقطه ينظر في اسم بدير ثم رفعه لأذنه وعيناه عادتا للتحديق في أم هاشم يقول بحشرجة "نعم بدير.. (ثم هتف بجزع) ما بها ميس ..أي مستشفى ؟!!!"

xxxx

قبل ساعتين

هدر عماد في الهاتف يقول لابن أخيه" أين وصلت يا علاء؟.. (وصمت قليلا ثم قال بضيق) حسنا اسرع "

أغلق الهاتف ووقف يتفتت من الغضب بينما وجدان وهدى تناظرانه من بعيد بقلق..

لقد خرجت كاميليا منذ الصباح بعد أن أوصلها علاء هي وصديقاتها لأحد المراكز التجارية

الشهيرة بمركز المحافظة.. على اتفاق بأن يعود لإعادتها بعد ثلاث ساعات .. لكنها ابقته في السيارة أمام المركز التجاري حتى الساعة السابعة حتى نزلت له رغم اتصالات عماد وبدير المتكررة لها لكنها أغلقت هاتفها بعد أن أخبرت علاء بأن ينتظرها حتى تنتهي مما تفعله في المول .

ظل عماد يدور كالذئب في صالة البيت وهو يجز على أسنانه حتى سمعوا بعد قليل صوت سيارة بالخارج .
كانت كاميليا تعرف بأن أخويها سيثوران بسبب تأخرها لكنها لم تقدر على مقاومة إغراء قضاء اليوم كله في المركز التجاري مع صديقاتها .. غيرت لون شعرها ودفعت لصديقاتها ثمن كي شعورهن .. واشترت ملابس جديدة تأكدت من أن عيون صديقاتها قد لمعت حين اختارتها ..

ثم دعتهن للغداء في مطعم شهير في نفس المول.. استمتعت بالوقت جدا وشحنتها نظرات الرجال المعجبة بها من حولها بالطاقة .. ونظرات الاعجاب من صديقاتها بجمالها خاصة مع لون شعرها الجديد الذي أضفى عليها فتنة فوق فتنتها .

حين رأت نفسها في المرآة لم تستطع التماسك وصورت نفسها عدة صور وأرسلت واحدة منها لجابر وتمنت أن تراه مبهورا .. أو ربما أرادت أن تشعره بالحسرة أنه خسرها .. لا تعلم لماذا فعلت ذلك ولا يشغلها تحليل سببه فالأمر مسل كما كانت نظرات الرجال المختلسة لها بالمول مسلية وممتعة .

عدلت من الوشاح الذي كان يكشف عن شعرها أثناء تجولها بالمول وأدخلت الغرة الحمراء الطويلة على جانب واحد التي كانت

تخرجها منه ثم ترجلت من السيارة تغطي فتحة العباءة الجديدة التي ارتدتها في محل الملابس وشجعت نفسها بأن تتحمل توبيخا وصياحا من بدير أو عماد عما فعلت اليوم في مقابل المتعة التي عاشتها طوال النهار .

حين دخلت هي وعلاء المتأفف طوال الطريق لأنها أبقته ساعات طويلة في الانتظار تفاجأت بعدم وجود بدير فقد حسبته موجودا لأنه هاتفها موبخا منذ قليل حينما فتحت هاتفها وأخبرها بأنه سينتظرها بالمنزل .. بلعت ريقها وهي ترى عماد يستقبلها فادعت البرود والقت السلام ليصيح فيها عماد بلهجة ساخرة" لماذا أتيت مبكرا ؟.. فالساعة لاتزال الثامنة كنت بقيت لمنتصف الليل"

تجاهلته وتحركت خطوتين تسأل زوجتي أخويها المتفحصتين لعباءتها الجديدة " هل نامت ميس؟"

ردت وجدان بامتعاض" أجل نامت قبل ساعتين بعد أن تشاجرت مع أولاد خالها ثم اكتشفت بأنها صعدت لغرفتك ونامت فلم أشأ أن أوقظها للعشاء حتى لا تقضي الليل كله ساهرة"

اقترب عماد يمسك بذراعها ويديرها لتواجهه قائلا" أنا اتحدث معك يا ست الهانم"

قالت بعبوس " ماذا تريد يا عماد؟.. كنت في المول وكان ابن أخيك معي ..أوصلني وأعادني"

قال بلهجة خطرة " قلنا ستعودين قبل العصر وها قد أذن للعشاء"

ردت بلا مبالاة " تأخرت في صالون التجميل وكنت أشتري بعض الأشياء التي احتاجها ..هل سأدفن وأنا على قيد الحياة؟!"

لوت هدى فمها وهي تلاحظ خصلات شعرها الأحمر من تحت الوشاح بينما ضربت وجدان

على صدرها وهتفت باستنكار "هل بدلت ملابسك بالخارج يا كاميليا ما هذه العباءة؟!"
دقق عماد في عباءتها بعبوس بينما صاحت كاميليا في وجدان" ما دخلك أنت يا حرباء!"
قبل أن تتم عبارتها تفاجأت بكف عماد يلطمها على وجهها فاتسعت عيناها ووضعت يدها على خدها تناظره باستنكار ليقبض عماد على شعرها من تحت الوشاح ويجرها إلى إحدى الغرف متجاهلا صراخها ثم أغلق الباب عليهما قائلا وهو يدفعها " بدلت العباءة التي خرجت بها في الصباح خارج البيت؟! .."
كانت تشعر بالرعب لكن شيطانها كان عنيدا فهتفت بغل "ما شانك أنت ؟.. أنا لم أعد صغيرة لتتحكم فيما أفعل "
لطمها مرة أخرى وهو يصيح بغضب" أتريدين فضحنا؟ .. أتريدين فضحنا يا بنت العسال .."

تدخلت المرأتان الأخريان تطرقان على الباب مرعوبتان من أن يتهور عليها عماد أكثر قبل أن يدخل بدير مسرعا فانكمشت وجدان وهدى وتركتاه ليتصرف .

على صوت صراخ كاميليا وصياح عماد اقترب بدير من الباب هادرا وهو يحاول فتحه "افتح يا عماد.. اتركها وكف عن الفضائح صوتنا سيسمعه الجيران"

في الغرفة صرخت كاميليا بقهر "لا تمد يدك عليّ"

دفعها بيده فوقعت على الأريكة وانحسرت فتحت العباءة من عند الذيل تكشف عن ساقها فاتسعت عينا عماد وغلى الغضب في رأسه وأسرع بالبحث حوله قبل أن يلتقط اليد الخشبية للمكنسة .. في الوقت الذي كان بدير يصيح فيه في الخارج ويحاول هو وأولاده كسر الباب ..

ضرب عماد ساقها المكشوف ثم كتفها ووجهها بالعصا وهو يصيح "ستفضحيننا يا بنت ال***"

انكسر قفل الباب ودخل بدير مسرعا يقف أمام عماد ويلجمه فهدر الأخير فيه من بين لهاثه" أختك فضحتنا .. أختك بدلت العباءة التي خرجت بها في الصباح .. ماذا سيقول الناس لو لمحها أحد وهي كمطلقة أصبحت تحت أنظار الجميع .. (وأشار على ساقها المكشوفة في جلستها على الاريكة تبكي بقهر وقال) انظر لعباءتها المفتوحة يا سيد الرجال ثم أطلب مني الهدوء "

أسرعت كاميليا بتغطية ساقها ولملمت شعرها الأحمر الذي انسدل على كتفيها فطالعها بدير بعينين مخيفتين ثم أخرج أخاه وعاونه أولاده الشباب قبل أن يعود لكاميليا يقبض على ذراعها لتستقيم واقفة ويقول بفحيح مرعب"

اسمعيني جيدا .. أنا لن اتحمل اعوجاجك كثيرا .. أمامك خياران لا ثالث لهما ..إما أن تقبلي بأحد المتقدمين للزواج منك فورا .. أو تُحبسين في هذا البيت فلا تري الشارع أبدا إلا في المناسبات العائلية وفي وجود أحد منا ..أما الخروج وحدك لم يعد مسموحا من الآن فصاعدا (ودفعها بقوة قائلا) والآن أغربي عن وجهي قبل أن أكمل ما كان يفعله أخوك بك.."

ناظرته صارخة من بين دموعها" ماذا تريدون مني؟؟ .. لماذا تتحكمون في حياتي؟؟ .. أليس من حقي الخروج والتمتع بالدنيا؟! .. ألم تكن حبيبة القلب مطلقة وتتحرك وتخرج هنا وهناك"

اندفع نحوها وقبض على رقبتها بيده يقول بلهجة مخيفة" اذهبي من أمامي قبل أن أقتلك يا كاميليا وأدفنك في هذا البيت .. وأنصحك أن

تجدي شيئا مفيدا لتفعليه في حياتك بدلا من هذا الفراغ الذي يسيطر على رأسك"
ارتعدت مفاصلها ..فدفعها خارج الغرفة هادرا"
هيا من أمامي أنت مصرة على دفعي لقتلك"
حين وجدت نفسها أصبحت أمام وجدان
وهدى خارج الغرفة تماسكت ومسحت دموعها بكبرياء مزيف ثم مالت لتلتقط الأكياس التي وقعت منها وأسرعت بخطوات عصبية تصعد على السلم.. بينما تحركت هدى لترى هل غادر زوجها البيت أم لايزال بالخارج مع أولاد بدير .
أما وجدان فناظرت زوجها الذي كان يشعر بالاختناق وراقبته وهو يبتعد عن نظراتها ويدخل لإحدى الغرف ويغلق الباب على نفسه ..
رغم زواج بسمة وابتعادها عن البلدة لا تزال تشعر بأن شبحها يقف حائلا بينهما .. هي أيضا

تحولت لشبح .. لم تعد كما كانت بل أضحت كائنا خاليا من الروح .. مكسور القلب .. فلم يبق إلا جسدها الذي تمنحه له كمهمة باتت واجبا ثقيلا عليها .. تنفذها بدون شغف أو عاطفة .. وهي تخبر نفسها بأن الكثيرات ممن تعرفهن أو تسمع عنهن مثلها ..

تختلف الأسباب لكن الواقع واحد .. مهمة ثقيلة تؤدى على مضض لتستمر الحياة وتحافظ على البيت والأولاد .. مهمة ثقيلة تؤدى حتى لا تتهم بالفشل في الاحتفاظ بزوج !.

أما كاميليا فدخلت غرفتها تبكي بحرقة .. تشعر بمحاصرة الجميع لها .. تشعر بأنها مسجونة.. كل حركاتها وسكناتها مراقبة سواء في البيت أو خارجه ..

لقد كانت ساذجة حينما فكرت في أنها ستتحرر من سجن جابر لحياة أكثر براحا.. أو ربما هي من أضحت أكثر جموحا وتطلبا وعندا ..
ألقت بالأكياس بعصبية فهمهمت ميس من رقدتها فوق السرير تناديها بصوت ضعيف لكن كاميليا لم تسمعها بل اتجهت نحو المرآة تتفحص وجهها الذي يؤلمها قبل أن يسقط قلبها في قدميها ..

لقد كان وجهها يحمل كدمة زرقاء كبيرة .. فشعرت بالضيق الشديد .. إلا وجهها .. إنها لا تتحمل أن يصيبه بثرة واحدة فما بال كدمة واضحة بهذا الشكل.. فسيطر عليها الخوف .. أن تفقد جمالها لهو أمر مخيف بالنسبة لها .. آلمها كتفها فكشفت عنه لتجد كدمة أخرى فازداد ضيقها .. وأحست بالشفقة على نفسها ..

لماذا يحدث معها كل هذا؟.. لماذا لا تنال ما يليق بها وتستحقه ؟.. كيف لشخص بجمالها أن يلقى هذه المعاملة من أناس لا يقدرونها حق تقدير؟ .. ولماذا تجبر على الزواج كزوجة ثانية أو أن تكون أما لأبناء لا يخصونها ؟!..
رغبتها في الحصول على الدعم والمؤازرة من أي شخص جعلها تسرع بتصوير وجهها وكتفها .. وترسل لجابر .. وحين لم تجد منه ردا عادت لتتفقد وجهها في المرآة بحسرة شديدة ثم أسرعت بالخروج من غرفتها لصالة الطابق العلوي واتجهت نحو الثلاجة تخرج منها زجاجة مثلجة وضعتها ككمادة على وجنتها وهي تسرع بالعودة للغرفة فلم ترغب في أن يراها أحد خاصة زوجتا أخويها حتى لا تشمتا بها ..
بعد قليل عادت للبكاء وهي تشعر بالوحدة الشديدة ولا تجد من تلجأ إليه ..حتى صاحباتها

تعرفهم يغارون منها .. كما أن كبريائها لن يسمح
لها بأن تخبرهن بما حدث لها قبل قليل ..
فاستلقت على السرير تبكي بحرقة .
صدرت حركة خفيفة من ميس جعلت كاميليا
تزيحها قليلا للداخل قبل أن تتسع عيناها
وتجس ساعد ابنتها ثم جبينها وتشهق وهي
تتفحصها .. ثم سحبت ميس التي تعاني من
الحمى وتحسست ملابسها الرطبة ولم تفهم
سببا لهذا البلل حتى شعرها كان رطبا ..
فحاولت إفاقتها لكن الاخيرة كانت تنتفض
وتهمهم بخفوت ..
بعد دقائق كانت تهرول على السلم وهي تصيح
"يا بدير يا بدير ..الحقوني"
خرجت إليها وجدان من المطبخ وبدير من
الغرفة التي كان يحبس نفسه بها لتقول كاميليا"
البنت تعاني من الحمى وتبدو في حالة غريبة

(ونظرت لوجدان تصرخ في وجهها) كيف تركتم البنت دون مراقبة؟!"

قالت وجدان مدافعة "أنت لم تتركي لنا دواء لخفض الحرارة ولم تخبرينا باحتمالية أن ترتفع حرارتها كانت تكح فقط .. بل أنت لم تخبرينا بأي شيء حينما تركتها وخرجت"

قالت كاميليا غاضبة" البنت مبللة بالماء"

عقدت وجدان حاجبيها وقالت" ربما تبولت على نفسها"

صرخت كاميليا بشراسة" كلها مبلل حتى شعرها"

نزلت هدى من الطابق العلوي على صياحها وقالت" كانت تلعب مع الاولاد ولم يكن بها شيء غير أنها تكح وصنعت لها ينسونا رفضت أن تشربه .."

تدخل ابن عماد الصغير هاتفا "لقد تشاجرت مع رنا فسكبت أختي فوق رأسها ماء الزجاجة فتركتنا ميس باكية وصعدت لتنام"

اكفهر وجه هدى وقالت" اذهب ونادي رنا "

قالت كاميليا بغضب "ابنتك تسببت في مرض ابنتي"

هتفت هدى مدافعة "ابنتي طفلة وسأعاقبها بالتأكيد لكنك السبب في مرض ابنتك وليس رنا ابنتي .. لو تهتمين بها لما ألقيتِها لنا وخرجت لتدللي نفسك"

شعورها بالذنب جعلها تسرع بليّ ذراع الحقيقة وتقول صارخة "هل تتهميني بأني لا أهتم بابنتي يا هدى ؟!"

صاح بدير ليوقفهما وهو يمسك برأسه من الصداع "كفى .. (ونظر لوجدان قائلا) افعلي شيئا لخفض حرارة البنت"

قالت كاميليا وهي تتطلع في ميس المرتخية فوق ذراعيها "أشعر بها في حالة غريبة ليست حمى عادية"

بدأت ميس في التشنج بين ذراعيها فهلعت ملامح كاميليا بينما قالت وجدان بلهجة جادة وهي تتفحص ميس "هذه البنت تحتاج لمستشفى فورا إنها تتشنج ووجهها أزرق ويبدو عليها الاختناق(ونظرت لبدير الذي يعقد حاجبيه وقالت بتصميم) اسرع يا بدير حالة البنت ليست مطمئنة أبدا"

xxxx

دخل كامل للغرفة ملهوفا قبل أن تتسع عيناه بانبهار وهو يرى بسمة تقف عند طاولة الزينة ترتدي روبا قصيرا باللون البرونزي يصل إلى منتصف فخذيها بالكاد ذكره بذلك القميص البرونزي الذي ابتاعته والدته لها وخمن بأنها ترتديه تحته فاتسعت ابتسامته وهو يغلق

الباب بالقفل من الداخل ويقول " أحببت يوم ميلادي .. أحببته جدا .. (وتأمل بشرتها التي اقتربت من أن تكون طبيعية وأضاف وهو يمسك بقلبه) المهم أن يتحمل قلبي ما تراه عيناي "

اتسعت ابتسامتها وهي تتطلع فيه يقترب بلهفة ويمد يده ليفك شريط الروب فمنعت يده برفق وهي ترفع له أنظارها وتقول بلهجة جادة "أريد أن أقول شيئا أولا "

عاد لمحاولة فك الشريط وهو يقول بأنفاس ساخنة" ماذا يمكن أن يقال في حضور هذا الجمال الصارخ "

أسرعت بسمة بالقول وهي تمنع يده مجددا "لدي اعترافان"

عقد كامل حاجبيه وردد باندهاش "اعترافان!!"

دفعته لتبعده بضع خطوات للخلف ثم ابتلعت ريقها وقالت" أجل .. الاعتراف الأول

هو أنني حين مررت بتجربتي الأولى جئت للعاصمة محملة بالأمنيات الكبيرة شاعرة بالفخر لأني سأسكن في العاصمة لكني ابتليت بواقع لم يكن لي فيه ذنب "

كشرت ملامح كامل وقال باستنكار " ما الداعي لهذا الكلام الآن؟!"

ابتسمت بسمة وردت " الحقيقة هم ثلاثة اعترافات .. سأخبرك بالثالث أولا .. هل تعلم بأني لازلت أتعامل معك ببعض التحفظ ولا أطلق العنان لمشاعري خاصة في اللحظات الخاصة.. حتى لا تقول هل كانت تفعل ذلك في تجربتها السابقة؟"

عبس وجه كامل وتألم قلبه من اعترافها فبلع ريقه وقال بلهجة جادة " تعاملي معي على طبيعتك ولا تحملي هما لأفكاري السوداء فليس لك ذنب فيها "

ردت بهدوء " لن أستطيع ..فهذا لن يأتي بضغطة زر .. سيحدث تدريجيا حينما أشعر ضمنيا أنك تيقنت أن بسمة القديمة ليست هي بسمة التي تزوجتها ..ليس لأني أنكر أن تتزوج المرأة مرتين وفي المرتين تكون صادقة في مشاعرها فلازلت كوني مررت بالتجربة أدافع عن المرأة التي تمر بنفس الظروف .. ولكن لأن لي ظروفا خاصة .. المهم كان هذا هو الاعتراف الثالث .. لنعود للاعتراف الأول (وسألته مدققة في عينيه) هل تريد أن تسمعه؟.. أم أتوقف وأبدأ في الثاني ؟"

ساد بعض الصمت قبل أن يجيب كامل على مضض "مادام الأول يهمك أن تخبريني به فأكملي"

اتسعت ابتسامتها وهي تعرف أنه يتحامل على نفسه ليسمعها فقالت مؤكدة " يهمني جدا"

هز رأسه فأكملت" كما وصفت لك .. في تجربتي الأولى كنت شخصا أخرا .. شخصا باهتا.. نسخة مقلدة مصنوعة لأكون زوجة جميلة ومطيعة فقط .. وكنت سأنجح لو عشت حياة عادية ..لكني اكتشفت بأن قلبه مشغول بفتاة أخرى .. ورغم تصديقي لما قاله بأنه حين تزوجني لم يكن مدركا لحقيقة مشاعره نحو الأخرى لكن الأمر كان أبشع تجربة قد تخوضها امرأة .. ولم أعرف كيف أتصرف .. حتى قررت بعد تفكير عميق أن أعوم ضد التيار .. أن أرفض كل النصائح بأن أصبر معه لربما يأتيني نادما في يوم من الأيام .. الحقيقة لم أقبل على نفسي أن أحظى ببقايا قلب عشق غيري ثم قرر أن يأتيني نادما .. قلت لنفسي (أنا غالية وأستحق الأفضل) حتى أنني لم أحاول الدفاع عن حقي فيه.. بل وقفت في وجه الجميع مطالبة

بالطلاق رغم معرفتي بما سأواجه ومع هذا لم
أقبل بالخضوع والاستمرار في زيجة فاشلة"
ساد الصمت فتكتفت بسمة وشردت بأنظارها
أرضا فانسدل شعرها الأسود الناعم ليغطي
جانبا من ملامحها بينما وقف كامل متقبضا
يطحن ضروسه .. لتقول هي بعد لحظات
"حين واجهت ذلك كانت مليكة أكبر داعمة لي
واستعدتها من جديد بعد أن كنت فقدتها لفترة
كبيرة في أول فترة زواجي بسبب حادثة موت
ابنتها.. ساعتها سألتها لماذا حدث ذلك
معي؟.. فأخبرتني بأن كل شيء بقدر ومادام
ضميري مستريحا بأني لم أؤذي أحدا
فسيعوضني الله .."
بلعت ريقها ورفعت رأسها إليه مضيفة "حينما
أعود بذاكرتي أجد أن هذه المحنة رغم
صعوبتها كانت تحمل بعض الخير لي .. لأني
بدأت بعدها في البحث عن بسمة الحقيقية ..

ومررت بمرحلة مخاض حتى ولدت شخصا أخر .. بحثت عن نقاط قوتي واعتمدت عليها.. ولأول مرة أهتم بشهادتي ودراستي واستعيد معلومات درستها فقط من أجل الحصول على الشهادة.. اتخذت من العلم سلاح وكأني أهزم به بسمة الساذجة .. اهتممت بما حولي ومن حولي بعد أن اكتشفت بأني كنت أدور في فلك ذاتي وأعتمد على جمالي فقط كميزة كانت تسهل لي الكثير .. وامتلكت الشجاعة لأن أطالب بحقي في العمل وبالفعل حققت لنفسي الاستقلال المادي وذقت طعم الشعور بإنتاج شيء مفيد ..فأضحى الزواج آخر شيء أفكر به بعد أن كان الشيء الوحيد الذي تدور حوله حياتي وأفكاري .. فعلت كل هذا .. وشعرت بالفخر من نفسي .. لكني لم أتوقع أبدا أني سأتزوج بهذه السرعة وليس هذا فقط ولكن أن أحب ذلك الحب الذي أسمع عنه في الروايات

.. أن أحب رجلا كما تحب مليكة مفرح .. كانت هذه الفكرة قبل ذلك ضربا من الخيال"
لانت ملامح كامل وأشار لها بإشارة (وقت مستقطع) فصمتت تتطلع فيه ليقترب بسرعة ويحضن وجهها بين كفيه وينقض على شفتيها بقبلة حارة فتشبثت بسمة بملابسه باستسلام قبل أن يطلق سراح شفتيها ويتطلع فيها بنظرات عاشقة .
قالت بصوت مبحوح "عد إلى مكانك من فضلك لم انته من اعترافي بعد"
طبع قبلة سريعة على شفتيها وتحرك للخلف عائدا إلى مكانه فقالت بسمة تكمل اعترافاتها " أنا أعرف بأن قصة اعترافي ربما ليست في مثل رومانسية اعترافك لكنها تهمني جدا وقصدت أن أحكيها حتى أثبت لك أني لست ذلك الشخص القديم .. المهم أني عندما قابلتك في

القرية استفززت شيئا بداخلي رغم جلافتك وغرورك.."
اتسعت ابتسامة كامل ووقف يناظرها بعينين غائمتين بينما قلبه كهدير الآلات في المصانع فأكملت بسمة وهي تغلق شفتيها على ابتسامة تلقائية ردا على ابتسامته " ورغم عدم تخطيطي للزواج إلا أني كنت رغما عني منجذبة لك حتى لو لم اعترف بذلك إلا متأخرا وكنت أتعجب كيف أقدر على التفريق بينك وبين توأمك!"
أشار لها مجددا بإشارة طلب وقت مستقطع فصمتت ليقترب كامل ويقول بلهجة متأثرة بعد أن حضن وجهها بين كفيه "لن أستطيع أن أصف لك مدى سعادتي حينما لاحظت بأنك قادرة على التفريق بيننا ..هذا الأمر بالنسبة لنا أنا وشامل شيء مهم جدا .."

اتسعت ابتسامتها تتطلع فيه ببحريّ عينيها الرائقين ثم قالت وهي تراه عازما على تقبيلها " عد لمكانك يا كامل بك "

تنهد كامل وتركها مجددا يعود بخطواته للخلف على مضض بينما أكملت بسمة " أين كنا؟ .. المهم أني لم أدرك مشاعري أو انجذابي لك إلا متأخرا وهذا أصابني بالهلع حينما اكتشفته ..ليس فقط لشعوري وقتها بأني قد انجذبت للشخص الخطأ.."

عبس كامل وضيق عينيه فضحكت وقالت بلهجة ساخرة "بالضبط كما شعرت أنت بأنك انجذبت للمرأة التي لديها ظروفا لا تقبلها .. أصابني الهلع لأنها المرة الأولى التي أشعر فيها بتلك المشاعر القوية المختلفة الجارفة تجاه رجل .. فخفت من الشعور بالألم ..فهذه المرة لن تكون كالمرة السابقة أبدا ..وحينما ودعتني وسافرت حزنت جدا لكني اعترفت لنفسي بأن

هذا أفضل حتى لا أتعلق بك أكثر ومع هذا احتفظت بشيء يخصك .. "
قالتها وهي تخرج من جارور طاولة الزينة كتيب الأشعار وعادت تتطلع فيه لتلتقط من ملامحه تأكيدا على أن الكتيب يخصه ليقول كامل بخفوت شديد التأثر" كانت أمنيتي أن يصل ليدك"
تغضنت ملامحها وقالت بحشرجة خافتة "وأنا رغم يقيني وقتها أنه موجه لامرأة أخرى غيري ..وشكي في أن يكون هذا الكتاب لشامل وليس لك ..لكني لم أقدر على التفريط فيه .. تشبثت به سعيدة بأوهامي أنه يخصك أنت"
اندفع كامل يهجم عليها ويقبلها غير قادر على التحلي بالصبر فحضنت الكتاب بين كفيها تتلقى منه جرعة من العشق ثم أضافت بعد أن أطلق سراحها " ورغم ألمي من أنك ربما تقصد بهذا الكلام امرأة أخرى .. امرأة حقدت عليها

وغرت منها .. أنا التي تمت خيانتها قديما كنت أعيش مع هذا الكتاب أصعب لحظات الغيرة التي لم أعشها من قبل .. ومع هذا لم أستطع التفريط فيه "

قبلها من جديد .. قبلها أكثر عنفا وسخونة .. ثم حرر شفتيها يطالع وجهها المرفوع إليه لاهثا بينما أكملت بسمة من بين لهاثها والدموع تنهمر من جانبي عينيها بعد أن مدت يدها لتضع الكتيب على طاولة الزينة " وتعلقت بهذه الأشعار ..رغم أنني لم أكن أهتم بها من قبل ..وتمنيت أن أكون من تلقي عليها السلام بما خطته يدك أول الكتاب"

وبدأت بإلقاء ما كتبه لها "إلى أولئك الذين نهجرهم اختيارا"

فأكمل كامل بلهجة متأثرة " فيحتلون قلوبنا إجبارا "

وأضافا معا "سلام من أعماق الروح والقلب..
سلام ليس بعده سلام "
مال من جديد يقبلها قبلة طويلة وذراعاه
تسحقانها ووهج الذكرى يشعل قلبيهما ثم
أفلت كامل شفتيها وقال هامسا "كان لك ..
الكتاب كله كان لك .. والقصيدة التي طويتها
كانت لك .. والكلمات لك"
تغضنت ملامحها بالبكاء وانهمر المزيد من
الدموع من جانبي عينيها وهي تقول بلهجة
عاشقة " أنا أحبك يا كامل .. أحببتك رغما عني
.. وحين تزوجتك كنت أفكر في خطة انتقام
ساذجة أن أُطَلّق للمرة الثانية وأعود لأهلي
لأعاقبهم حتى لو كنت أؤذي نفسي بذلك
..لكني اعترفت لنفسي بعدها بأني أردت أن
أكون معك ..بجوارك ..رغم ظني بأنك لا تهتم
بي .. ورغم ظني بأنك ربما تحب امرأة أخرى
..فتخيل أنني بهذا الماضي الذي عشته أكرر

التجربة مرة أخرى ..وادخل نفسي في علاقة خاسرة ستكون أشد ألما من سابقتها .. هل كل هذا يثبت لك أني معك أصبحت بسمة أخرى ؟"

كان رده هو قبلة جديدة أشد حرارة من سابقاتها لتضيف بسمة حين أطلق سراحها وحضنها وكأنها ترغب في البوح بكل شيء " سألت نفسي مرة .. لماذا كان قدري أن أحب رجلا له توأم يشبهه .. وبعد تفكير عميق وجدت تفسيرا مقنعا .. ألا وهو .. كي أثبت لك بأني لا أحبك لأنك وسيم ورجولي بشكل يفجر كل الأنوثة بداخلي ويحولني لقطعة من الهلام تذوب أمام نار جاذبيتك .. ولا لأنك شخص لطيف حلو المعشر كشامل الذي كان من الأولى أن أقع في غرامه لو كان انجذابي للشكل الخارجي أو لأسباب عقلانية .. ولكني أحبك أنت "

أبعد وجهه لينظر في وجهها فأضافت " أنا أحبك يا كامل غنيم نخلة .. أحبك لأنك قدري .. ولأني خلقت من ضلعك .. ولأنك من فض بكارة روحي.. ولأنك أروع عوض لي"

هذه المرة كانت قبلته أعنف وكأنه يأخذ روحها كي تقابل روحه .. نفسها كي يختلط بنفسه ثم أطلق سراحها يمنحها برهة من التقاط الأنفاس وهو يقول بصوت متهدج " القلب ملكك وروحه ..

يا عقل كامل وجنونه

ورغم وحوشه وشياطينه..

حبك محفور في يقينه

اتسعت ابتسامتها ونشجت باكية وهي تضيف " أصبحت على استعداد لنسيان الماضي بعد أن أهديت بك"

أطبق على شفتيها وقد فاض معين الصبر فتحركت يديه فوق تفاصيلها بتلك الطريقة

التي تذيبها وتذهب عقلها فتستسلم وتترك نفسها كمعزوفة لقيادة المايسترو لكنها هذه اللحظة لم تكن قد انتهت من اعترافاتها بعد فقالت بمجرد أن أفلت شفتيها وهي تحاول مقاومة هجومه على معاقل أنوثتها وتقاوم رغبة كل جزء فيها للاستجابة لتعليمات المايسترو "كامل ..كامل لم أخبرك بالاعتراف الثاني بعد .. أقصد الثالث ..أو أيا كان الترتيب.. أنسيت؟"

كانت شفتاه تطبعان قبلات محمومة على نحرها بينما يداه تعبثان بحزام الروب فقال بهمس لاهث بجوار أذنها" وهل بعد هذا الجمال الخرافي وتلك الاعترافات المحرقة للأعصاب سيكون لي الصبر لسماع الثالث (وأضاف وهو يخلع الروب عن كتفيها ويتركه ليقع أرضا) دعينا نأخذ هدنة بين الاعترافات" قالت باعتراض خافت "كامل"

اتسعت عيناه وابتعد لخطوتين ليس بسبب اعتراضها ولكن من أجل أن يتطلع في القميص البرونزي بملء عينيه ثم أطلق صفيرا منبهرا يقول" عرفت الآن ما هو الاعتراف الثالث .. أنت تخططين لقتلي بأزمة قلبية واخترت يوم عيد ميلادي لتنفيذ ذلك"

اتسعت ابتسامتها وغمغمت "بعيد الشر عنك" رفع يديه لرأسه قائلا وهو يتأملها " يا إلهي .. ما هذا يا أمي؟! .. ألم تخافي على ابنك من الجنون حينما اخترت هذا القميص !"

ضحكت بسمة وهي تمسد على ذارعها العاري بحرج و قالت "ارجوك يا كامل اسمعني"

انقض عليها يعتصرها بين ذراعيه ويميل لطبع قبلات تحت أذنها قائلا بتوسل "أرجوكِ أنت .. هذا القميص لا يمكن الانصات لأي شيء معه ولا يمكن السكوت عليه"

أسرعت بالقول ضاحكة وهي تبعد يده التي رفعت القميص "الاعتراف الباقي يهمني أن أقوله يا كامل حتى أكون معك بكليتي أرجوك أرجوك "

بعد بضع ثوان احتاجها عقله ليستوعب كلماتها وسط فورة مشاعره رفع رأسه عنها وابتعد عدة خطوات للخلف ثم قال وهو يلوي شفتيه ممتعضا " تفضلي هاتِ ما عندك وخلصينا"

ضحكت قائلة بمناكفة "أبعد هذا الاعتراف الطويل مني ..وبعد الجملتين الشعر الرائعتين اللتين اخبرتني بهما قبل قليل ..تقول خلصينا!"

قال من بين أسنانه بغيظ " لو رأيت نفسك بعيني وشعرت بمشاعر الرجل بداخلي ستدركين أي عذاب أتعذب تلك اللحظة فخلصيني بسرعة "

غمغمت ساخرة بابتسامة متسعة زادت من لهيبه فبدت أجمل امرأة وقعت عليها عيناه "ما

أروع رومانسيتك يا كيمو .. (ثم خفت ابتسامتها تدريجيا وهي تضيف) في تجربتي السابقة.."

غمغم كامل زافرا بغضب " عدنا للسيرة التي تغضبني!"

أكملت رغم اشاحته بوجهه عنها" تأخرت في الحمل وكما تعلم كانت أمي تتبنى مدرسة أن الانجاب وسيلة لربط الزوج بزوجته ..وكنت بالفعل أسعى لذلك وخضعت لعلاجات كثيرة لكني عند نقطة ما وعندما تيقنت من أني لست مالكة قلبه توقفت عن التفكير في الانجاب"

نظر كامل إليها يقول غاضبا " الحقيقة قد أبدو فظا فيما سأقول وأفسد أجواء هذه الليلة الرائعة .. لكني رغم تلك التجربة المؤلمة لك ..سعيد جدا أنه لم يرك بقلبه ولم يحبك .. وكنت أتمنى أن يراك قردة أمام عينيه فلا يقترب منك أبدا ..(وهدر بعصبية ولم يعد قادرا على

تحمل الخوض في تلك السيرة) هل هذا اعترافك يا بسمة .. أنك كنت تتمنين الانجاب منه .."

بلعت ريقها وهي تتطلع في جنونه الذي اشتعل فجأة بينما هدر كامل بأعصاب منفلتة " لماذا افسدت الليلة بهذا الحديث (وضرب كرسي طاولة الزينة بقدمه يقول غاضبا) لماذا هذه السيرة !"

اسرعت بسمة بالقول" كامل اهدأ ..أنا اردت أن أخبرك بأني لم أكن أعاني من مشكلة خطيرة منعتني من الانجاب وحين طلبت الطلاق فهم أهلي بأن السبب فشلي في الإنجاب خاصة حينما كذبت عليهم بأنه قرر الزواج بأخرى ولهذا أريد الطلاق والحقيقة لحظتها لم أصحح لأحد هذه المعلومة .. شعرت بأني أعاقبهم بأن أخفيت عليهم هذا الأمر ..حتى أمي لم أصحح

لها اعتقادها خوفا من أن تلح عليّ في أمر الزواج وتسرب الأمر لأهل البلدة كلها"
كانت تتحدث بسرعة لتوضح ما تريد أن تقوله حتى يهدأ فعبس كامل وقال بعدم فهم " لم أفهم ماذا تريدين أن تقولي؟"
قالت بلهجة واضحة " أريد أن أقول بأني لست عاقرا يا كامل ..وعلى حد علمي قبل خمس سنوات مضت أن لدي بعض المشاكل البسيطة التي ستحتاج لاستشارة طبيبة لا أكثر"
اتسعت عيناه للحظات يتطلع فيها ثم اقترب يمسك بذراعيها بعنف قائلا "ماذا تقولين أنت؟؟!!"
قالت مؤكدة بلهجة أهدأ وقلبها يضرب في صدرها من الانفعال " أنا لست عقيما يا كامل"
تراقصت عيناه الذاهلتان على صفحة وجهها ليستشف صدقها ثم تركها وأمسك برأسه

مستمرا في التطلع فيها بذهول فأضافت بسمة " كانت كذبة وتركتهم يصدقونها لكني لست كذلك.. أردت أن يروني ويتقبلوني بسمة الإنسانة حتى لو كنت مطلقة وعقيم كما يظنون"

تملك الغضب منه فانقض على ذراعيها يمسك بهما صائحا " لماذا لم تخبريني؟.. لماذا تركتني اتعذب لأجلك؟"

أجابت موضحة " لم أكن أعرف بأن المعلومة قد وصلتك .. وتفاجأت بما تقول ليلة الحريق .. لكن ما حدث بعدها من أحداث متتالية أنساني أن أصحح لك تلك المعلومة "

دفعها باعتراض غاضب يقول عابسا" أنساكِ!"

قالت مدافعة عن نفسها " ربما لأنها كذبة لم أعير لها اهتماما"

عاد ليمسك برأسه وكأنه يحاول الاستيعاب
فأضافت "وحينما أردت أن أخبرك فضلت أن
أفاجئك بالحمل لكن.."
سألها بعبوس "لكن ماذا"
أوضحت وهي ترفع شعرها خلف أذنها بحرج "
حين تأخر الحمل وجدت أني لن أتحمل أكثر
بدون أن أخبرك بحقيقة أني ليس لدي موانع
خطيرة من الإنجاب وبأني أحتاج لزيارة
الطبيبة"
صمت يتطلع فيها ذاهلا يشعر بأنه يحلم ..ثم
قال" قولي ما قلت مرة أخرى "
اتسعت ابتسامتها مشفقة عليه وقالت " أنا
ليس لدي مشكلة في الإنجاب .. وحين علمت
بأنك تزوجتني وأنت تعلم بأني قد لا أنجب
خاصة حينما لاحظت تعلقك بالأطفال تأثرت
بشدة (وتهدج صوتها مضيفة) لا أستطيع أن
أصف لك كيف هو احساسي .. والله لوكان هذا

هو السبب الوحيد لأحبتك من أجله طوال العمر .. أنا أحبك يا كامل "

اقترب ليميل عليها ويلصق جبينه بجبينها قائلا " قوليها مجددا "

قالت بخفوت متأثر "أحبك جدا ولم أحب رجلا قبلك ولن أحب بعدك"

تطلع في بحري عينيها وتحسس عنقها بكفه يقول بصوت خافت " لا .. قولي الأمر الأخر .. قوليه مجددا"

قالت بنفس اللهجة المتأثرة الخافتة " أنا أشتهي للحمل بطفل منك يا كامل .. إنها أمنية باتت ملحة جدا"

قبلها بعنف مرة أخرى فغلبتها مشاعرها وبكت وهي تتلقى قوة مشاعره .. كظمآن لن يشبع منه أبدا.. ليترك كامل شفتيها دامع العينين ويمد يده لتحسس بطنها قائلا بخفوت غير مصدق"

أمن المعقول أن يحمل هذا الرحم طفلي يوما ما"

"هذا ما صرت أتمناه بشدة (وتأثرت بلمعة الدموع في عينيه فسألته) إلى هذه الدرجة كنت تتمنى طفلا؟"

رد باعتراف خافت " كنت أتمناه منك .. من رحمك أنت .. وكنت أتألم من أجلك ونويت أن أسألك بشأن حالتك لربما وجدنا حلولا طبية أو حتى حقن مجهري .. كنت مستعدا لدفع أي مبلغ من أجل تحقيق تلك الأمنية لك ولي "

تحسست عضلات صدره بكفيها هامسة بتأثر "لا حرمني الله منك أبدا يا كامل"

مال ليقبلها من جديد ثم وضع ذراعه تحت ركبتيها وحملها فتعلقت بعنقه في لحظة كاملة من السعادة ليس بها نقصان ليقول كامل وهو يتجه بها نحو السرير" هل لديك اعترافات أخرى باشمهندسة باسمة؟ "

هزت رأسها بلا فقال وهو يرميها على السرير ببعض الخشونة " إذن علينا منذ هذه اللحظة التركيز في مهمة إنجاب نخلة صغير"
قالت ضاحكة وهي تعتدل" نحتاج لزيارة الطبيبة في أسرع وقت لتنفيذ ذلك كامل بك"
تطلع في القميص القصير المهلك الذي انحسر عن جسدها فكشف عن الكثير ثم خلع قميصه وألقاه أرضا يقول وهو يخيم فوقها " أعرفك بنفسي .. الدكتور كامل نخلة"
انفجرا ضاحكين وأخذت تضربه على ذراعيه عدة مرات فأمسك بمعصميها وقيدها فوق رأسها وقال بلهجة مشتعلة "هذا القميص المهلك سيأتي بنتيجة إن شاء الله ..لكن دعواتك أن يتحمل قلبي هذا الجمال المبهر"
بعد بعض الوقت أمسك بنطاله الملقى بجوار السرير وأخرج منه هاتفه ليكتب لشامل رسالة يعلم بأنه لن يراها إلا في الصباح لكنه لم

يستطع النوم قبل أن يخبره .. ليجد الثاني قد أرسل له رسالة على الواتساب يسأل بعبارتهما الشهيرة" ماذا يحدث معك؟"

فاتسعت ابتسامة كامل وكتب " بسمة ليست عقيم يا شامو .. كانت كذبة كذبتها على الجميع .. أي أنه يوما ما سأصبح أبا"

كان شامل لا يزال مستيقظا وذلك الشعور بأن هناك شيئا ما غير عادي يحدث مع توأمه يسيطر عليه فأرسل له وجها مذهولا ليكتب كامل "سأخبرك التفاصيل في الصباح"

قالها وألقى الهاتف بجواره واستلقى يحضن بسمة التي استسلمت للنوم قبل قليل ..

فسحب رأسها لينام على صدره لتتمتم الأخيرة باسمه كما تفعل أثناء لحظاتهما الخاصة وكأنها تنطق به كتعويذة لتبعد عنه شياطينه ..

فمسد بحنان على ذراعها العاري وهو لا يزال غير مصدق لكن التأثر لاح في عينيه فلمعت

بالدموع فيهما وهو ينظر لأعلى متمتما" الحمد لك والشكر لك يا الله"

xxxx

أسرع جابر بين العنابر الكبيرة في ذلك المستشفى العام وخلفه زين يبحثان عن رقم الغرفة التي بها ميس قبل أن يلمحا عماد وبدير يقفان آخر الممر فأسرعا إليهما ثم سأل جابر بلهفة "ما بها؟"

قال بدير بلهجة باردة" ارتفعت حرارتها بعض الشيء"

سأل زين بعد أن سلم على كليهما "وماذا قال الطبيب؟"

رد بدير موضحا "الممرضة أعطتها حقنة لخفض الحرارة ونحن في انتظار الطبيب ليراها "

نظر جابر في ساعته وقال" لقد مر ساعة على وصولكما ولم يراها الطبيب !"

قال عماد بامتعاض" سألنا عنه أكثر من مرة" تركهم جابر وأسرع لأحد الأَسِرّة الموجودة في غرفة كبيرة تضم أكثر من مريض ليجد ميس ممددة على السرير شاحبة الوجه بينما كاميليا تجلس بجوارها تبكي.. فجلس على الناحية الأخرى من السرير وناداها" ميسة ..ميسة ردي عليّ"

قالت كاميليا من بين دموعها" ارتفعت حرارتها جدا وبدأت بالتشنج والهذيان تتمتم أبي أبي"

تألم قلب جابر بينما وقف زين بالقرب من السرير متخصرا يطالع كاميليا بحاجب مرفوع.. لا يطيقها .. يعرفها منذ صغره حتى المرحلة الثانوية إنسانة نرجسية مغرورة.. في الوقت الذي تنبهت فيه كاميليا لوجوده فقالت بمسكنة لم يصدقها" زين حمدا لله على سلامتك "

قالتها وهي تداري بالوشاح خدها ذا الكدمة الزرقاء فرد عليها بكلمات مقتضبة بينما سألها جابر" من هو الطبيب الذي ذهبتِ إليه قبل أيام حتى نفهم منه الحالة؟"

ارتبكت كاميليا وتأتأت وهي تقول" الطبيب.. الطبيب نسيت اسمه"

قال جابر بغضب" كيف نسيتِ اسمه؟!! .. صفي لنا مكانه وزين سيحصل على هاتفه ويتصل به"

اقترب بدير وعماد ليقول الأخير عاقدا حاجبيه "عن أي طبيب تتحدثون؟"

امتقع وجه كاميليا بينما هب جابر واقفا يقول "عن الطبيب الذي قالت لي أختك بأنها قد كشفت لميس عنده"

لاح الارتباك على وجه كاميليا خاصة أمام أنظار أخويها المندهشة قبل أن يقول بدير مراوغا"

هل هذا وقته فلنرى أولا أين طبيب المستشفى"

قال جابر بانفعال وهو يرفع يده مهددا "هذا الأمر لن أسكت عليه وإن حدث مكروها لابنتي أقسم بالله ستندمون كلكم"

قال عماد بانفعال "هل تهددنا؟"

تدخل زين مهدئا يقول لجابر وهو يجز على أسنانه " ليس هذا وقته يا جابر لنطمئن عليها أولا "

اقتربت إحدى الممرضات تقول بصوت عالٍ" من فضلكم تفضلوا بالخارج غير مسموح بدخول سوى مرافق واحد"

سألها زين عابسا" أين الطبيب؟.. البنت هنا منذ ساعة تقريبا"

قالت الممرضة ببرود" لديه حالات في الطابق العلوي وسيأتي بعد قليل"

سألها باستهجان" ألا يوجد غيره؟"
ردت الممرضة بسماجة" نحن اقتربنا من منتصف الليل وهو طبيب المناوبة الوحيد الموجود وقد أعطيناها خافضا للحرارة"
تطلع جابر في ابنته التي تبدو أنها تعاني من صعوبة في التنفس ثم مال عليها يحملها فوق ذراعيه وهو يقول" أنا لن أنتظر أن يتعطف علينا ذلك الطبيب هيا زين"

تحرك الأخير خلف أخيه الذي هرول مغادرا
وقال مؤيدا "هذا هو التصرف السليم"
تطلع ولدا العسال في بعضهما قبل أن يهتف بدير باستنكار "إلى أين أنت ذاهب بالبنت؟ .. انتظر "

xxxx

اليوم التالي
السادسة صباحا

تطلع عيد في ابنته وزوجها بعينين ذاهلتين قلقتين قبل أن تلقي ونس بنفسها عليه لتحضنه فسأل بصوت مبحوح" هل حدث شيء؟(وربت على ظهر ونس) هل أنتِ بخير؟"

قال شامل بلهجة مرحة" لا تقلق يا حاج نحن بخير ..ونس اشتاقت لطبق الفول الذي تعده أنت فقررنا أن نسافر بعد الفجر لنلحق الفطور عندك "

قال عيد ينفض عنه المفاجأة ويفسح لهما الطريق للدخول" أهلا وسهلا"

ابتعدت عنه ونس ودخلت مع شامل أمام أنظار والدها القلقة ليستقر بهم الحال في غرفة

المعيشة فسألهما عيد مرة أخرى" هل تشاجرتما؟"

قال شامل ضاحكا "أي مشاجرة يا حاج عيد !..قلت لك هي اشتاقت لطبق الفول من يدك فخفت أن يخرج ولدي وبه شامة على شكل حبة فول أريده وسيما كوالده"

هز عيد رأسه وقال مبتسما "ليخرج إلى الدنيا بألف سلامة سأذهب لابتاع الفول"

قال شامل بسرعة " لا تتعب نفسك مررنا نحن على البائع واشترينا منه كل شيء ..ولم يبقى إلا أن تعده بطريقتك الخاصة .. (وأضاف ببطء) وأن نحتفل سويا"

عقد عيد حاجبيه في وقفته أمامهما وسأل "نحتفل بماذا؟"

نظر شامل لونس التي خبأت وجهها بكفيها فقال لها" لا ...اتفقنا على الشجاعة وعدم

الشعور الحرج ..كما وعدتك لن يكون إلا أمام عائلتي ووالدك حتى تتجرئين"
طالعهما عيد بعدم استيعاب قبل أن تكشف له ونس عن وجه أحمر فسأل بإلحاح " ماذا يحدث؟"
استندت ونس بيديها على الأريكة بجوارها ولاح منها اهتزازا بسيطا متوترا لجذعها للأمام والخلف ثم نطقت وهي تتطلع في عيني والدها" أننا ..أحبك ..يا عييد"
شهق عيد بقوة واتسعت عيناه ذاهلا ثم تخشب للحظات مأخوذا بما سمع ..قبل أن تميد به الأرض ويترنح فأسرع شامل نحوه يمسك به بينما وقفت ونس تطالعه بجزع .
قال شامل وهو يساعده على الجلوس على الأريكة" لهذا جئنا لتسمعها بنفسك ..خفنا أن نرسل بها لك في رسالة مصورة فتأتينا مسرعا لذا فضلنا أن نأتي نحن "

أمسك عيد بقلبه وهو يطالع ونس فقال شامل
وقد أحس بأن الرجل العجوز ليس على ما يرام"
اصنعي له كوب ماء بسكر بسرعة يا ونس"
هرولت الأخيرة للمطبخ بينما قال شامل
لحميه" اجمد يا رجل يا طيب .. جئنا لنبشرك"

سأله عيد لاهثا" هل نطقت ونس أم أني
أهلوس؟"
أجاب شامل مؤكدا "نطقت أخيرا ..قلت لك
اخصائية التخاطب أخبرتني بأنها تستطيع نطق
غالبية الحروف بشكل جيد وبأنها تبذل
مجهودا كبيرا لكنها كانت تفتقر للشجاعة"

دخلت ونس بكوب الماء بسكر فناوله له
شامل ليشربه عيد بيد مرتعشة حتى أتى على
نصفه ثم قال لها "هل نطقت يا ونس؟"

تبادلت الأخيرة النظرات مع شامل ثم شجعت نفسها وقالت ببطء "ككيف ..تششعي ..يا أبي؟"

(كيف تشعر يا أبي)

تدفقت الدموع في عيني عيد وقال" بخير .. غارق في نعم الله (ثم تمتم بتأثر) أنت تتكلمين يا ونس .. لا أصدق أني رأيتك تنطقين قبل أن أموت.. (وصمت يطالعها ذاهلا ثم أضاف بسعادة) يا بنت الكلب"

اغرورقت عينا ونس بالدموع ورددت خلفه ضاحكة "يا بنتا ككايب"

قالتها وانفجروا جميعا ضاحكين .. ضحكات مبللة بدموع الفرح .

××××

العاشرة صباحا

تطلعت في حقيبة الملابس المفتوحة الملقاة أرضا على نفس وضعها منذ أن ضربها جابر بقدمه ليلة أمس ..

كل شيء في الغرفة كان على وضعه كما تركه جابر الليلة الماضية.. حتى هي لا تزال بذلك الفستان الملون تجلس على السرير تحضن ركبتيها بين ذراعيها وكأن المشهد كله قد تجمد برحيله.

لم تنم .. طوال الليل وهي جالسة هذه الجلسة .. ولم تتحرك إلا لصلاة الفجر ثم عادت لمكانها .

حانت لحظة الرحيل .. فلماذا هي بهذا الضعف ؟.. أين شجاعتها السابقة؟.. أين لا مبالاتها بكل شيء؟ .. أين زهدها فيه؟ .. أين الرضا يا أم هاشم؟!.

أهو غاضب منها؟ ..لماذا أحسته مصدوم؟ .. أيكون مصدوما لأنه اكتشف بأنه قد ورطها معه دون قصد؟ .. لكنه كان يطالعها بإحباط شديد .. ماذا كان يتوقع منها أكثر مما فعلته وستفعل من أجله؟!.. أكان يعتقد بأنها ستقبل بضرة؟!. هذا هو الأمر المستحيل الذي لن تقدر عليه أبدا.. عليها أن ترتب أمورها معه ويتفقا على الانفصال.

انخلع قلبها عند تلك الخاطرة وتملكها الشوق الجارف إليه.. فالتقطت هاتفها واتصلت به.. فكل كلمة أو دقيقة معه منذ الآن أثمن من ذي قبل.

جاءها صوته مرهقا يقول" نعم يا أم هاشم" طالعته كاميليا بنظرات نارية وهي تسمع اسمها وتابعته مقلتاها الخضراوان وهو يتجه إلى خارج الغرفة ..ثم اختلست نظرة سريعة إلى بدير الذي يجلس على مقعد بمزاج عكر من عدم

النوم وتمنت أن يغادر أخواها ويتركاها لتتصرف معه بأريحية .. لكنها تعلم جيدا أن أخويها رغم تأففهما من اضطرارهما للمبيت معها في المستشفى لن يسمحا بتركها مع جابر وحدهما.

لقد حاولت طوال الليل أن تلفت انتباه جابر لتلك الكدمة في وجهها .. لكنه لم ينظر إليها منذ أن حضروا خلفه هو وأخوه إلى هذا المستشفى الخاص والتي حجز لابنته فيها غرفة خاصة وفحصها الطبيب .

في الخارج جلس جابر على المقعد بجوار زين الذي انتبه من نومته وهو جالس مستندا برأسه للخلف على الحائط ثم عاد لإلقاء رأسه والاستسلام لغفوة.

قال جابر بصوت منهك " لا تزال في وضع غير مستقر يتابعون الحرارة ووضعوا لها قناع أكسجين يقولون أنها تعاني من التهاب رئوي"

غمغمت أم هاشم بتعاطف" شفاها الله وعفاها إن شاء الله ستكون بخير فلا تحزن يا جابر"

اختلس جابر نظرة لزين النائم وحانت منه جلسة بوضع جانبي يوليه ظهره وهو يبوح لها بما يشعر " قلبي يؤلمني عليها يا بنت شيخي ..لو تريها سيتمزق قلبك .. وأؤنب نفسي أني صدقت أمها بأنها قد عرضتها على طبيب كانت بحالة سيئة في حجري وأنا أنقلها إلى هذه المستشفى"

كان صوته متألما فزاد من ألمها فلم تعلق على ما قاله بشأن كاميليا.. ولم ترغب في أن تدخلها بينهما في تلك الدقائق المسروقة فسألته بحنو" هل أكلت يا جابر؟"

رد بصوته المجهد "لا أريد ليس لدي رغبة في أي شيء"

قالت باعتراض هامس "لكنك لم تأكل منذ أمس ..لقد تذكرت ذلك قبل قليل .. اخبرتني بأنك لم تأكل من العشاء الذي قدمه أهل العريس أي أن معدتك فارغة منذ عصر أمس تقريبا"

قال بعبوس" قلت لك لا أريد يا أم هاشم"

لمح الطبيب آتيا فقال بسرعة" الطبيب يمر اذهبي الآن"

قالت بعفوية" حاضر"

تكلم بسرعة قبل أن يغلق الاتصال" ادع لها يا بنت شيخي فهي بحاجة للدعاء"

غمغمت أم هاشم بعد أن أغلق الاتصال" اللهم اشفها وعافها واحفظها سالمة من أجل جابر .. وهون عليه يا رب واسعده .. وارزقني الصبر والقوة من عندك"

xxxx

بعد الظهر

تحركت نجف بلهفة تقترب من غرفة ميس فألقت السلام على ابن بدير الواقف بالخارج وأسرعت بالدخول بينما تباطأت خطوات أم هاشم عند اقترابها من الغرفة وخلفها زين الذي ذهب ليحضرها هي وأمه التي ألحت على زيارة ميس.

كانت خطوات أم هاشم نحو الغرفة ثقيلة وهي تستعد لأن ترى كاميليا وجابر معا في غرفة واحدة ومعهما ابنتهما في مشهد أسري سيعظم لديها الشعور بالنبذ.. ولم ترغب في الحضور لكنها أحست من حماتها استياء حين أعطت زين كيس الغداء الذي اعدته له ولجابر .. وسألتها إن كان عدم ذهابها لأن ميس ليست ابنتها فأنكرت أم هاشم لتقول لها نجف عبارة آلمتها بشدة (إذن لا تتركي لبنت العسال أن تنعم بعدم وجودك في المشهد .. فلا نعلم ماذا

تخفي النفوس المريضة) لهذا شعرت أم هاشم بالحرج من حماتها ولم ترغب في أن تظهر أمامها بمظهر (قليلة الأصل) كما خافت من أن يندفع جابر بفورة شعوره بالذنب تجاه ابنته ويعقد على كاميليا من جديد .. فأرادت أن تراه وهو لا يزال لها وحدها .. وأرادت أن تثبت لقلبها اللعين أن الأيام الحلوة قد انتهت.

ألقت السلام على ابن بدير ثم دخلت الغرفة ترفع ذقنها وتقول بصوت واضح النبرات "السلام عليكم"

رد الموجودون السلام وتفاجأت ببدير الذي يقف بجوار الباب على وجهه علامات الامتعاض وبوجود وجدان زوجته ونصرة وإسراء وهلال الذي قال لجابر ليفسح مجالا في الغرفة "سأنتظرك بالخارج يا جابر (ونظر لزوجته قائلا) أنا بالخارج يا أم كريم لا تتأخري"

قالت أم هاشم " أنت هنا يا نصرة؟"
غمغمت نصرة "جئنا لنطمئن في زيارة سريعة"
حيت أم هاشم إسراء بابتسامة دافئة ثم
تبادلت مع وجدان تحية باردة وذكرى ذلك
اليوم الذي جاءت فيه الأخيرة لبسمة لاحت في
رأسيهما بينما تجاهلت أم هاشم وجود كاميليا
على الناحية الأخرى من السرير .. الناحية التي
كان جابر يقف فيها عند النافذة والذي أسرع
باستقبالها وهو يتطلع بنظرات كالرصاص في
بدير الملتصق بالباب من الداخل يريد أن يلكمه
ليفسح مجالا لها لتمر بأريحية دون الوقوف
هكذا في الطريق كالفزاعة قبل أن يتحرك الأخير
ليقف على الباب ويقول شيئا لابنه ..
ابتسمت أم هاشم لجابر تداري قلبا متألما
وناولته كيسا كبيرا تقول "هذا هو الغداء"

عبس جابر وهو يأخذ منها الكيس فقالت أم هاشم بترجي خافت وهي تربت على صدره "حلفتك بالله أن تأكل"

تدخلت كاميليا تقول باندفاع " الغداء موجود لكنه لا يريد فأم علاء أحضرت لنا الطعام أكثر الله من خيرها"

رفعت الأخيرة حاجبا وحانت منها التفاتة نحو كاميليا متعجبة من لهجتها المؤدبة الغريبة عليها ثم عادت لتتحدث مع نصرة ونجف بينما قالت كاميليا لأم هاشم " وفري يا حبيبتي مجهودك فنحن لسنا بخلاء والغداء جاهز من قبل أن تحضري"

بنظرة جانبية ردت أم هاشم بلهجة باردة "أنا أقوم بواجبي وأكره بشدة من يتدخل فيما لا يعنيه"

قضمت كاميليا لسانها عندما عاد بدير لوقفته بجوار الباب بينما تجاهل جابر ما قالته كاميليا

وقال لأم هاشم وهو يضع الكيس على طاولة جانبية "سلمت يداك .. (ثم انتحى بها ناحية النافذة يسألها بعبوس خافت) لم يكن هناك داع لحضورك"

ردت بابتسامة لم تصل إلى عينيها اللتان تتأملاه " هناك شكليات علينا الحفاظ عليها حتى آخر لحظة"

كان يشعر بالغضب وذكرى صدمة ليلة أمس قد عاودته فقال بلهجة آمرة و شعور بالشفقة عليها أن تعتقد بأنها مجرد أداة لإعادة كاميليا يؤلم قلبه "لا تبق كثيرا عودي مع نصرة للبيت"

قالت بشموخ ولهجة ذات مغزى" لا تقلق لن ابق كثيرا"

تألم قلبه فازداد عبوسه وتمنى ألا تقوم كاميليا بشيء لتحرق دمها فقال وهو يهم بمغادرة الغرفة" لنا حديث مطول بعد أن تستقر حالة

ميس يا بنت الشيخ .. فترقبيه من الآن لأنه سيكون غاية في الأهمية وسيضع النقاط فوق الحروف "

قالها وغادر الغرفة وتبعه بدير فبقيت الغرفة للنساء .

تأملتها كاميليا بحقد ..فتلك العباءة التي ترتديها لم تر شبيهتها في المحافظة كلها ..كانت بلون أزرق سماوي فاتح منقوش عليها باللون الاسود وفوقها طبقة أخرى من قماش الشيفون الشفاف الأسود مع حجاب أسود .. ورغم قناعتها بأن أم هاشم لن تصل لجزء ضئيل من جمالها لكن شيئا في هيئتها ونظرة عينيها وذلك التغير الأكثر أنثوية الذي حدث لها أشعل حريقا في صدرها فقالت بفم ملوي "لم يكن هناك داع لحضورك"

طالعتها أم هاشم بنظرة فوقية وردت ببرود " أنا أحضر وقتما أشاء ..ولا أحد له كلمة عليّ إلا

زوجي (وأضافت ساخرة وهي تتطلع في وجهها)
ألف لا بأس عليك"
انتبهت كاميليا لأن الكدمة في جانب وجهها قد انكشفت فأسرعت بالقول وهي تعدل وشاحها"
حادثة بسيطة ففزعي على ابنتي جعلني أهرول على السلم فكدت أن انزلق وارتطمت بالحائط"
لم ترد أم هاشم بل تأملتها بتدقيق مندهشة من تعلق قلب جابر بها كما تعتقد .. حتى جمالها لم تستطع أن تراه سببا مقنعا عن جابر الذي تعرفه .. ولم تجد تفسيرا منطقيا لأن يقع جابر في هوى تلك القميئة إلا القلب وما يريد .. ومن الأكثر دراية منها .. بأحكام القلب العاشق

.

تابعت إسراء من جلستها بجوار أمها المنشغلة مع الأخريات بالحديث ما يحدث بين الاثنتين من حرب باردة بينما أضافت كاميليا بلهجة

تمثيلية مبالغة " لا تتصوري فزع جابر حين رأى وجهي .. ظن أن أحد إخوتي قد أذاني ..فانفعل وكاد أن يتشاجر معهما ..لكني أسرعت بطمأنته .. (وأضافت بلهجة استعراضية) لا حرمني الله من خوفه عليّ ولا من قلبه الحاني"

بنظرة غاضبة ناظرت إسراء كاميليا من بعيد بينما ردت أم هاشم والغيرة تحرق قلبها " أجل .. أعرف جيدا قلبه الحاني حتى على الكلاب في الشوارع"

ناظرتها كاميليا بغيظ شديد بينما تطلعت أم هاشم في الطفلة النائمة على السرير ودعت لها في سرها أن تتحسن من أجل جابر.

استقامت اسراء تقول لأمها" هيا يا أمي أبي يرن على الهاتف (ثم تحركت تقول لكاميليا بامتعاض) ألف لا بأس على ميس"

ردت كاميليا بتعالٍ" شكرا لك"

قالت إسراء لأم هاشم تربت على ذراعها" أنا سأغادر هل تريدين شيئا؟"
ردت أم هاشم" انتظريني سأعود معك"
همت بالتحرك فقالت كاميليا" انتظري أريد ان أقول لك شيئا "
رمقتها أم هاشم بنظرة متعالية من فوق كتفها وسألتها ببرود "أنا؟"
هزت كاميليا رأسها مؤكدة فقالت لها إسراء" سأنتظرك بالخارج (وقالت لامها بصوت عال) أنا سأسبقك للخارج يا أمي"
حين خرجت إسراء من الغرفة تفاجأت بزين بالخارج يقول لهلال بإصرار "لقد أقسمت بأني سأوصلك أنت وأم كريم يعني سأوصلك فلا تتعب قلبي"
اخفضت اسراء أنظارها فقد كانت تسأل نفسها عنه حينما حضرت ولم تجده بينما قال جابر

لزين" انتظر لتأخذ أم هاشم أيضا لتعيدها للبيت"

في الغرفة وقفت أم هاشم بوقفة جانبية يديها فوق بعضهما على بطنها فتركت كاميليا مكانها واقتربت منها تقول هامسة بلهجة مدروسة "لا تقلقي .. لقد اتفقت مع جابر على كل شيء .. طلب أن يردني لكنه اشترط أن يبقى عليكِ فكلامه صحيح كيف سيطلقك بعد شهرين من الزواج ستكون فضيحة مدوية لك وهو كما تعرفين قلبه عطوف .. لهذا أردت أن اطمئنك أني تنازلت وقبلت بهذا الوضع لأنفذ لجابر رغبته"

حافظت أم هاشم على ملامحها ولم تظهر على وجهها أيا مما يحدث في رأسها وصدرها من حرائق وتراقصت ابتسامة ساخرة على شفتيها بينما أضافت كاميليا بلهجة مغناج" لكن الميل

القلبي لن نستطيع أن نفعل فيه شيئا ..فالفرق بيننا واضح وضوح الشمس"
تكلمت أم هاشم ببرود استفز الأخرى " جابر يفعل ما يريد .. وكل ما يتمناه يناله فهو يستحق ذلك .. يستحق أن يأمر فيطاع .. حتى لو كان ما يريده الغرض منه العطف على كلاب الشوارع .. واتفق معك فعلا بأن الفرق بيننا كبير .. فأنا أم هاشم بنت الشيخ زكريا التي لا تقبل بأن تشارك امرأة في رجل "
قالتها وتحركت مغادرة بشموخ أغاظ كاميليا وفتتها من الغضب وهي لا تفهم معنى كلامها.
في الخارج كانت إسراء تختلس النظرات لزين الذي كان بشخصيته التي تسمع عنها دوما جاد هادئ رزين .. وقبضت على نفسها وهي تدقق في ملابسه فلا يزال يرتدي الملابس التي كان يرتديها ليلة أمس في حفل الزفاف بنطالا من الجينز الازرق وحذاء رياضيا وتيشيرت أسود

بنصف كم .. ورغم بساطة مظهره لكنه كان أنيقا وجذابا في عيون الفتيات اللاتي لمحنه في الحفل ..

أشاحت بنظراتها بسرعة بينما قال جابر لأم هاشم التي خرجت للتو" هل ستغادرين؟"

بملامح صلبة أقلقته ردت "نعم .. حان وقت المغادرة"

فقال هلال لإسراء بنزق "أين أمك لدي موعدا هاما"

خرجت نصرة تعدل حجابها حول وجهها الممتلئ وردت" أنا هنا هيا بنا"

خرجت خلفها نجف تقول "وأنا أيضا خذوني معكم"

قال هلال لزين " أنا أرى أن توصل أنت الحاجة وأم هاشم وأنا وعائلتي سنستقل المواصلات العادية فالسيارة لن تتسع لنا كلنا"

أجابه زين بإرهاق" ستأخذنا كلنا إن شاء الله (واستدار لجابر يقول) سأوصلهم ثم أعود يا جابر"

فتطلع الأخير في ظهر أم هاشم المغادر ورغم ما يشعر به كان قلبه قلقا عليها .

بعد نصف ساعة كان زين يركن السيارة على أول الشارع الذي يسكن فيه بعد أن أقسم عليه هلال الذي يجلس بجواره أن يتوقف عند هذا الحد .. فترجلت نصرة من المقعد الخلفي تشكر زين بمبالغة وتدعي له بأن يريح الله قلبه .. وتبعها نجف وإسراء وأم هاشم ..فأسرعت إسراء بالمغادرة دون أن تنتظر أمها التي وقفت تودع نجف .. حتى تهرب من نظرات زين المحاصرة لها والذي كان رغم جديته وعبوسه والاجهاد البادي عليه يختلس النظرات لها عبر المرآة الأمامية طوال الطريق ..

أما أم هاشم فقالت لحماتها" سأذهب لبيت عمي لأطمئن على سامية يا خالتي"
هزت نجف رأسها بينما تحرك زين عائدا بالسيارة وهلال لايزال بجواره والذي بادره بالقول محرجا" كنت تركتني لاستقل سيارة أجرة"
قال زين باستهجان "لماذا فأنا عائد لجابر "
ساد الصمت بينهما فقال هلال بعد قليل " أنا أعرف بأنك تنتظر منا ردا لكني أعطي لأسراء فرصتها في اتخاذ القرار"
رد زين بلهجة جادة متفهمة وهو يتطلع في الطريق أمامه "لا بأس أعطها الوقت الذي تريده .. (وغير الموضوع قائلا) المهم دعني أخبرك ببعض المشاريع التي من الممكن أن تقوم بأحدهم بجوار مهنة السمسرة "

××××

بعد العصر

دخل كامل مع بسمة عائدان من الخارج
فطالعته بزرقة عينيها وابتسامتها الساحرة
وكلاهما يكاد يقفز بخطواته من الحماس
فغمغم كامل مناكفا " من يرى ابتسامتك الآن لا
يصدق حالة الهلع التي كنت عليها ونحن نقوم
بالتحاليل التي طلبتها الطبيبة النسائية"
قالت بإنكار " أنا كنت أشعر بالهلع!!"
رد كامل ساخرا " أقسم بالله الطفلة التي كانت
قبلك تنتظر التحليل كانت أشجع منك
..فضحتينا"
قالت مدافعة "أناس كثيرون يقلقون من شكل
الحقن ومنظر سحب عينات الدم لست
وحدي"
وضع يديه في جيبي بنطاله وأشاح بوجهه
للناحية الأخرى يقلدها هازئا" لا أحب الحقن
يا كامل"

تطلعت فيه بغيظ ثم قالت "أسرع وقم بالتحليل الخاص بك "
طالعها يقول بكبرياء "أنا لم أرغب في احراج الطبيبة بسبب هذا التحليل الذي طلبته مني وأخبرها بحقيقة أني ..."
قاطعته بسمة تكمل له كلامه " كامل نخلة وكل شيء يخصني مئة بالمئة ولا غبار عليه"
ناظرها بحاجب مرفوع فكتمت ضحكة محرجة بين شفتيها الجميلتين وضربته على كتفه بقبضتها بغيظ فضحك كامل وتحرك يقف خلفها ويميل بقامته الطويلة عليها يحيط عنقها بذراعه ويطبع قبلة على خدها من وسط ضحكاته ..
إنهما يحلقان من السعادة بعد أن طمأنتهما الطبيبة عن حالة بسمة وطلبت منهما بعض التحاليل.. ورغم أنه لا يوجد حمل لكن وجود الأمل وحده كان كافيا لأن يشعرا بالحماس ..

خاصة كامل الذي أثرت حالته ببسمة .. كيف كان يخفي عنها أمنية عزيزة لديه حتى لا يجرحها.

قال غنيم مقتربا مع سوسو "ماذا تفعلان؟"

لم يتحرك كامل بل ناظر والديه بنظرات سعيدة من خلف بسمة ومال برأسه يسند ذقنه على كتفها يقول" كنت أخبر زوجتي بأني أحبها"

احمرت وجنتا بسمة وحاولت التخلص منه لكنها لم تستطع بينما سألت سوسو" هل تعرف متى سيعود شامل من البلدة"

رد كامل "على وشك الوصول"

لم يكد يكمل الجملة حتى سمعوا صوت سيارة فقالت سوسو " ها قد وصلا .. لا أعرف ما الذي جعلهما يسافران فجأة عند الفجر"

بعد قليل دخل شامل وونس .. فتبادل التوأمان النظرات بينما قالت سوسو "هل كل شيء بخير يا شامل؟.. هل الحاج عيد بخير؟"
قال شامل مطمئنا" الحمد لله كل شيء بخير (ثم أمسك بيد ونس يشبك أصابعه بأصابعها مضيفا) ولدينا مفاجأة تخص ونس"
تطلع الجميع فيها بينما لاحت ابتسامة على جانب شفتي كامل .. لترفع ونس سبابتها وتشير على كل شخص قبل أن تنطق اسمه "ثوثو .. غغغنيييم .. باااثما"
شهق ثلاثتهم باتساع عيونهم فأضافت ونس وهي تشكل قلبا بسبابتيها وإبهاميها" أحبك"
وضعت سوسو يدها على فمها وناظرت غنيم بتأثر بينما قالت بسمة بذهول" يا إلهي لا أصدق أنت نطقت ما شاء الله "
هتف كامل باعتراض" ما هذا ؟.. أين اسمي و(أحبك) والقلب؟!!"

زمت ونس شفتيها فقال شامل مهدئا" هذا ما قدرت عليه إن شاء الله ستتدرب أكثر في الأيام القادمة "

هتف كامل بإصرار" لا .. أريد أن أسمع (كامل) و(أحبك) وأرى القلب هذه شخصنة .. زوجتك تتعمد تجاهلي.. ثم من سمح لها بأن تنطق اسم زوجتي بالطريقة التي أناديها بها!!"

وقفت بسمة أمامه تربت على صدره ضاحكة وهي تقول "دعها على راحتها يا كامل"

هتف والجنون يتراقص في عينيه" لاااا .هذه إهانة لشخصي أن تتعمد فعل هذا معي"

كان غنيم وسوسو يضحكان بينما وقفت ونس تطالع كامل متخصرة ثم قالت بامتعاض" أنا .. حييية"

(أنا حرة)

وضح شامل الذي ذاكر معها طوال الليل
الحروف التي تستطيع نطقها والأخرى التي
تجد صعوبة فيها "تقول أنها حرة .. وبصراحة
من حقها يا كامل أن تنطق بما تريده"
هتف كامل باستنكار " ما شاء الله ..من أول
لحظة نطقت فيها أضحى لسانها طويلا .. ماذا
ستفعل فينا بعد أن تتمرن أكثر"
اقتربت بسمة من ونس تحضنها بمباركة وتلاها
غنيم وسوسو لتقول الأخيرة بسعادة جمة
"علينا الاحتفال بهذه المناسبة فما فعلته ونس
قوة إرادة تستحق عليها الثناء"
خاطر شامل توأمه فكريا " إنها متحرجة من
نطق اسمك بشكل غير سليم أعتقد بأنها
تخشى من أن تنال تعليقا سلبيا منك "
هز كامل رأسه لأخيه متفهما بينما أحاط شامل
ونس بذراعه وقال" أنا فخور بجنيتي الشقية
المحاربة"

طالعت ونس الجميع بتأثر شديد وهي تلتقط السعادة من أجلها في عيونهم وفي وجوههم وتعترف لنفسها بأنه لولا تشجيعهم وتقبلهم لها بدون تنمر ..بدون إذلال ..بدون سخرية لما استطاعت تحدي نفسها وتحدي ما قاله المتخصصون عن صعوبة استطاعتها التحدث

..

بينما قال كامل بإصرار صبياني" آسف أنا لن أشارك في هذا الاحتفال قبل أن أسمع اسمي وأحبك وأرى القلب "

ضربته بسمة على كتفه تقول" كف عن الفظاظة ماذا أفعل فيك "

بينما عبست ونس وناظرته بمقلتين مقلوبتين تزمجر قبل أن تمسك ببطنها فجأة مطلقة توجعا أفزع الواقفون فقال شامل بقلق "ماذا حدث؟.. ما بك؟ "

اتسعت ابتسامتها ثم توجعت مرة أخرى
فوضع شامل يده على بطنها واتسعت عيناه
يهتف بانبهار" يركل ..ابني يركل يا جماعة
..سأنجب لاعب كرة"
اتسعت ابتسامة بسمة ورفعت أنظارها لكامل
فتبادلا النظرات المتأثرة قبل أن يقف خلفها
يحيط عنقها بذراعه ثم يطبع قبلة سعيدة على
وجنتها قرصته بسببها موبخة بحرج من
الواقفين بينما قال شامل" يبدو أن ابني لم
يعجبه كلامك يا كامل ويركل معترضا"
انقلبت مقلتا الأخير وأطبق شفتيه على سبة
وقحة لكنه أخبرها لأخيه فكريا .. فرد شامل
قائلا ببرود" سامحك الله يا أخي المؤدب "

××××

"هل تمثل الترعة لك أية ذكريات؟"

قالتها الدكتورة أمنية فسألتها مليكة من جلستها على المقعد الوثير "تسألين لتفسري سبب ما حدث تلك الليلة؟"

هزت الطبيبة رأسها بابتسامة معجبة بذكائها وردت "أجل"

سحبت مليكة نفسا عميقا وأجابت بهدوء "الحقيقة سألت نفسي هذا السؤال أكثر من مرة لأحاول تفسير ما حدث ..بل أنا في تفكير دائم بشأن هذا الموضوع"

"وهل وصلت لشيء؟"

حركت كتفيها وأجابت " لا أعتقد أن الترعة تحمل معي أية ذكريات تستحق الذكر ..لكني توقفت عند حادثة حدثت بالقرية قبل حوالي ستة أشهر تقريبا "

"اخبريني عنها"

بلعت مليكة غصة مرة في حلقها وقالت " خرج طفل ليبحث عن والده بدراجته الصغيرة ووقع

في الترعة لكن حمدا لله لا يزال على قيد الحياة
"

"هل كنتِ هناك أثناء انتشال الطفل من الترعة
؟"

ردت مليكة والمشهد يتشخص أمامها بوضوح
" أجل"

"وكيف كان شعورك؟"

ساد الصمت وراقبت الطبيبة تسارع أنفاس
مليكة فسألتها بعد برهة "هل تريدين الحديث
عن شعورك لحظتها؟"

تكلمت بلهجة مترجية " هلا أجلنا التحدث عن
هذه النقطة فمازلت غير قادرة على الخوض
فيها أو التعبير عنها "

قالت الطبيبة بهدوء " لا بأس.. هل حدث
شيء لك بسبب تلك الحادثة ؟"

ردت بسرعة "فقدت الوعي ونقلوني لبيت أبي"

"وبعدها؟"

هزت كتفيها وردت " لا شيء إلا أني نمت وقتا طويلا وحلمت بهلوسات كثيرة"
سألتها الطبيبة مستفهمة " وهل تذكرين تلك الهلوسات "
هزت رأسها وتكلمت " سأخبرك بما أذكره عن هلاوس تلك الليلة فقد كانت غريبة ولم أنسها حتى الآن وحين فكرت فيها مؤخرا شعرت بأن لها دلالة ما "

قبل عدة شهور
ليلة وقوع ابن زهير في الترعة
استقامت مليكة تترك سريرها في غرفتها القديمة واتجهت نحو تلك الشرفة المطلة على الحديقة الأمامية لكنها كانت مغلقة بالأقفال ..
ورغم وجود الأقفال أمامها حاولت فتحها ولم تفتح .. فتحركت نحو نافذة جانبية تطل على جانب من ساحة السرايا وأمامها كان الظلام

دامسا ..فهذا الجانب يطل على حقول زراعية
..
كان الظلام مخيفا يبعث في النفس رعدة إلا من ضوء آت من بعيد لكومة من النار تضيء ما حولها وقفت أمامها لبعض الوقت ثم تحركت بعدها ترتدي حذاء قديما لها كان موجودا في خزانة الأحذية ثم فتحت الباب ونزلت لبهو السرايا الهادئ المظلم إلا من بعض الأضواء الجانبية.. واتجهت ببطء وبحركة رتيبة نحو باب السرايا الرئيسي تفتحه لكنها تراجعت وتركته لتعود لداخل السرايا إلى باب جانبي وخرجت منه بهدوء ..
كان الممر الجانبي مظلما قطعته وهي تمر على اسطبل الخيل لكنها لم تتوقف عنده بل أكملت طريقها للبوابة الجانبية التي فتحتها بسهولة وخرجت .. ثم توقفت لبعض الوقت .. وعادت من جديد تدخل باحة السرايا

الخلفية نحو سيارة قديمة مصطفة في الفناء الخلفي فتوقفت عندها قليلا في صمت وجمود .. ثم تحركت نحو غرفة المخزن فتحتها ووقفت تتطلع في جالونات البنزين.

حاولت بعد دقائق أن تحمل أحدهم نحو السيارة لكنه كان ثقيلا فتركته وانتبهت لوجود دراجة قديمة فأخرجتها ورفعت من عليها جلبابا قديما ألقته أرضا وقبل أن تسحب الدراجة للخارج تطلعت في قطرات البنزين على الأرض ثم توجهت لتبحث بين الأرفف على ثقاب فلم تجد ..

تركت الغرفة وعادت للسرايا من الباب الجانبي تقصد المطبخ لتجلب علبة ثقاب لكنها توقفت في طريقها عند طاولة جانبية عليها قداحة أخيها علي فأخذتها وعادت لنفس النقطة بنفس الحركة الرتيبة الهادئة دون أي انفعال..

في غرفة المخزن التقطت الجلباب الذي يخص الجنايني السابق ولبسته ولفت الكوفية العريضة الخاصة به كما كانت ترى الرجل يفعل حينما يأتي للسرايا بعد أذان الفجر مباشرة .. ثم قطعت قطعة من القماش من ثوب مهترئ وغمستها بالبنزين وكورتها تضعها في جيب الجلباب مع القداحة وسحبت الدراجة للخارج تعبر من البوابة الخلفية ..

بعد قليل كانت تسير فوق الدراجة بين الحقول في الظلام حتى وصلت للمقابر .. فركنت الدراجة أمام بوابة حديدية عليها اسم (مقابر آل صوالحة) وحاولت الدخول لكن البوابة كانت مغلقة بجنازير كبيرة وأقفال .

بعد بعض الوقت وقفت تلمس الجدار وتتمتم بتهويدة كانت تغنيها لنجمة قبل النوم ثم عادت لتركب الدراجة بعد قليل وتعود أدراجها ..وفي طريق العودة بين الحقول المظلمة

توقفت تخرج القماشة وبالقداحة أشعلتها وألقتها على أحد الحقول وظلت تتطلع في النار لبعض الوقت ثم أكملت طريقها للسرايا لتعيد كل شيء كما كان.

انتهت مليكة من قص ذلك الحلم على الطبيبة التي سألتها "منذ متى وأنت تذكرين هذا الحلم؟"

"منذ ذلك اليوم"

"ألم تربطي بينه وبين ما سمعتيه بعدها من الحكايات عن الملثم؟"

ابتسمت مليكة بسخرية وردت " ذات يوم ربطت بين الاثنين وفسرت الأمر بشكل مضحك"

"كيف فسرتيه؟"

أجابت بحرج "أني قد رأيت رؤية مستقبلية لما سيحدث بالقرية"

ابتسمت الطبيبة وسألتها" وهل رأيت أحلاما كهذه مرة أخرى؟"

تنهدت مليكة وأجابت "الحقيقة تكرر رؤية حلم مشابه لهذا النمط لنفس الرحلة .. لكني كنت أفسرها بأني متأثرة بذلك الملثم ككل أهل القرية بالإضافة لتأثري بموت ابنتي .. لكني أذكر أنني يوم أن وقفت أمام بيت صديقتي بسمة الذي كان يحترق لاح أمام عينيّ صورا متتابعة لمشاهد الحريق في الحقول ولم أفهم لحظتها ما هذا ولماذا تذكرت ما كنت أحلم به "

ساد الصمت فسألت مليكة" هل أسترجع ما فعلته أثناء نومي معتقدة بأنها أحلام؟"

ردت الطبيبة " بعض مرضى السير أثناء النوم سجلوا رؤيتهم لما فعلوه كحلم رأوه أثناء النوم أو كذكرى لأحداث كانوا فيها لكنهم لم يمروا بها

في يقظتهم ولم يستطيعوا تفسير ذلك إلا بعد أن اكتشفوا حقيقة مرضهم"
قالت مليكة شاردة " تفاصيل ليلة الحادث التي خرجت بعدها من القرية جاءتني بعد ذلك كحلم وأنا نائمة وكل ما حكوه رأيته من جديد كشخص يشاهد فيلما مسجلا أنا بطلته "
بعد بعض الصمت أضافت مليكة "أتعلمين .. علمت من مفرح أن ذلك الملثم اختفى بعد تلك الحادثة .. (واتسعت عيناها وقالت باندهاش) تذكرت شيئا الآن ..تذكرت أني كنت دوما أشعر برائحة غريبة بجسدي في اليوم التالي لنومي في بيت أبي لدرجة أني طلبت تغيير المراتب وابتعت شراشف جديدة .. ومع هذا كنت أستيقظ بنفس الرائحة الغريبة ..الآن فهمت .. بسبب رائحة الجلباب والبنزين .."
هزت الطبيبة رأسها فسألتها مليكة" هل لديك تفسيرا للكدمات الزرقاء على جسدي؟"

ردت الطبيبة مفسرة " عدد كبير من مرضى السير أثناء النوم يتعرضون لكدمات متفرقة في جسدهم لأنهم يرتطمون بالأشياء دون أن يعوا لذلك "

هزت مليكة رأسها .. فقالت الطبيبة" أنا اشعر بالراحة لأنك تتعاملين مع الأمر بجدية كما أنك شخصية ذكية وهذا سيساعدنا في الاسراع للوصول لحالة من التعايش مع الموضوع"

رفعت مليكة إليها مقلتين مرتعشتين يطل منهما ضعفا دوما ما تداريه وقالت " أنا أحاول بجدية أن أخرج من النفق المظلم ..فمفرح والولدان وكل من حولي يستحقون ذلك"

"وأنت ألا تستحقين ذلك أيضا؟"

سألتها الطبيبة فصمتت مليكة ولم ترد ثم قالت بعد قليل "مالا أستطيع تقبله أني كنت أحرق .. كيف أفعل ذلك ولماذا؟"

سألتها الطبيبة " هل تذكرين تلك القماشة المشتعلة التي كنت تلقينها على الحقول .. "
طالعتها مليكة فقالت الطبيبة " ركزي فيها كما رأيتها في الحلم وأخبريني ماذا ترين؟"
ساد الصمت لبرهة ومليكة تحدق في الفراغ ثم قالت " أرى شعلة ضوء تنير ظلاما دامسا"
كررت لها الطبيبة ما قالته لتستوعبه " ترين شعلة ضوء تنير ظلاما دامسا"
هزت مليكة رأسها وهي لا تزال تحدق في الفراغ ورددت " أجل .. أرى شعلة ضوء تنير ظلاما دامسا"

xxxx

بعد المغرب

اختلست كاميليا النظرات لوجدان التي تقف بجوار النافذة تتحدث في الهاتف ثم قالت لعاملة النظافة التي تفرغ سلة المهملات "من فضلك خذي معك هذا الكيس"

وأشارت لها على الكيس الذي لا يزال مكانه كما وضعه جابر فالتقطته المرأة ثم تحسست العلب البلاستيكية فيه وقالت "يبدو أن به طعاما"

قالت كاميليا وهي تختلس النظرات من جديد لوجدان لتتأكد من أنها مشغولة بالحديث "جاءنا هدية والطعام لدينا كثير تصرفي فيه أنت بمعرفتك .. حلال عليك "

ابتسمت المرأة لكاميليا وشكرتها ثم أسرعت بالمغادرة بعد أن انتهت من مهامها بينما تراقصت ابتسامة متشفية على شفتي كاميليا.

بعد قليل طرق جابر على باب الغرفة فترك بدير الطعام وتحرك يفتح ليقول له جابر الذي عاد للتو هو وزين من صلاة المغرب " ناولني كيس الطعام الموضوع على الطاولة"

عبس بدير وبحث حوله ثم نظر لوجدان باستفهام فقالت بحاجبين معقودين " كان هنا منذ قليل"

ضربت كاميليا على صدرها تقول" يا إلهي أمن الممكن أن تكون عاملة النظافة قد حسبته كيس قمامة وأخذته بالخطأ !"

عبس زين الواقف خلف جابر على الباب وقال باستهجان "كيف هذا؟"

قال بدير بلهجة باردة "تفضلا للأكل معنا فلا يصح"

رد جابر بلهجة أبرد" لا شكرا"

أسرعت كاميليا بملء طبق من الطعام وقالت" كيف هذا .. عيب والله الأكل كثير "

رفعت وجدان حاجبها تتابعها وهي تسرع نحو الباب فناظرها بدير بنظرة مخيفة بينما قال جابر بلهجة قاطعة "لا أريد الطعام شكرا "

قالها وتحرك وهو يضيف" سنعود أنا وزين بعد قليل "

أغلق بدير الباب وقال لكاميليا من بين أسنانه بفحيح مرعب "توقفي عما تفعلين فأنت لم تعودي على ذمته ولا تضطريني لإهانتك أمام الجميع "

امتقع وجه كاميليا فأعادت الطبق لمكانه على الأريكة التي تجلس عليها وجدان وعادت لمكانها بجوار ميس بينما ضرب بدير كفا بكف وقال بلهجة ساخرة وهو يعود لمكانه على الأريكة " الآن تغرفين له الطعام!! .. بعد أن تبطرت على النعمة وتسببت في طلاقك ..(وناظرها مهددا) ما قلته ليلة أمس سينفذ بمجرد خروج ابنتك من المستشفى.. إما الزواج أو البقاء في البيت إلى أن يكون لك زوج"

هزت كاميليا ساقها بعصبية وشردت تفكر وهي تقضم ظفر إبهامها .. هل تتنازل وتنفذ ما قالته

لأم هاشم ظهر اليوم؟... فهذه الحياة التي يريد أخواها أن تعيشها ستقضي عليها .. ومادامت مضطرة لأن تكون زوجة ثانية لماذا لا تعود لجابر فإن كان سيبقي على أم هاشم فهي تعلم جيدا كيف تجعله يشعر بفارق الجمال والامكانيات الأنثوية بينهما .. فأم هاشم ليست ندا لها أبدا من هذه الناحية.. كما أن نجف ليست حماة متسلطة كغالبية الحموات .. بل إنها من الممكن أن تضغط بورقة ميس وتطلب منه أن يبني لها ولابنتها بيتا مستقلا بعيدا عن حماتها وعن أم هاشم وتترك الأخيرة لتخدم أمه وتطلب رضاها .. بينما هي يكون لها بيتا وحدها وفي نفس الوقت تثبت لكل من شك في أن جابر قد تزوج أم هاشم لأنه زهد الجمال بسببها أنها أعادته إليها .

اتسعت ابتسامتها عند هذه النقطة ..وأخبرت نفسها بأن فرصة وجود جابر معها هنا في

المستشفى الأيام القادمة عليها باستغلالها في اقناعه بما تخطط له .

××××

قال زين لجابر أمام المستشفى "أعرف مطعما في الشارع المقابل تعال لنأكل به"

رد الأخير بإنهاك "أي شيء يا زين أية لقمة لتبقي الجسد على قيد الحياة ..ولا نريد أن نتأخر حتى نلحق بموعد مرور الطبيب على ميس لنطمئن منه على حالتها"

ربت زين على كتفه يقول بلهجة مواسية" إن شاء الله ستكون بخير يا جابر"

هز الأخير برأسه ثم سأله فجأة " هل لو جاءتني صورا على هذا التطبيق المسمى بالواتساب ومسحتها .. سيحتفظ الهاتف بنسخة منها؟"

رد زين عاقدا حاجبيه " لو لم تكن تمنع نزول الصور على الهاتف سيحتفظ بها في معرض الصور حتى بعد مسحها من الواتساب .. هناك

اختيار لمنع نزول الصور على الهاتف لابد أن تفعله .. لماذا تسأل ؟.. هل حدث شيء ؟"

هز جابر رأسه عدة مرات ولم يرد بل وقف شاردا فيما يشغل أفكاره منذ الصباح ويصارعه في قلقه على ابنته .. يفكر في تلك الغبية التي لا يفهم لماذا فعلت ما فعلت بنفسها ؟.. وما معنى كلامها بأنها تزوجته لتساعده؟ ..

إنه يشعر بالغضب الشديد منها وبالغيظ والإحباط .. كما يشعر بالألم في قلبه .. وتساءل .. أهذا يعني بأنها لا تريد الاستمرار معه ؟؟..

أكل هذا الذي تمنحه له كان مزيفا؟!.. كيف هذا؟!.. لا يصدق أبدا..

لم يكن يوما رومانسيا من قبل .. فهو شخص واقعي لكنه في هذه اللحظة كان يشعر بألم كبير في قلبه .. ألم لم يسبق أن أحس به .. ألم لا يحتمل .

قال زين منبها" جابر ..فيما شردت؟.. هل سنذهب للمطعم ؟.. أم تريدني أن أحضر لك الطعام ونأكل في أي مكان أو فوق السيارة حتى؟"

تطلع جابر حوله فوجد نفسه لا يزال واقفا أمام المستشفى فقال وهو يخرج هاتفه الذي يرن" لا تؤاخذني شردت قليلا (ثم أجاب على الهاتف) نعم يا أمي (وغمغم بعبوس) ماذا تعنين بـ أين أم هاشم؟!"

جاءه صوت نجف تقول "تركتنا حين وصلنا البيت حتى تذهب لبيت عمها ولم أشأ أن أتصل بها حتى حين تأخرت لكن إحدى بنات عمها جاءت منذ قليل تعيد بعض الحلل التي كانت تطبخ فيها أم هاشم عندهم وطلبت مني أن أناديها لتقترض منها مجفف الشعر ففهمت بأنها ليست عندهم وحاولت استدراجها في الحديث ففهمت بأنها لم تمر عليهم اليوم من

الأساس ولم أشأ أن أخبرها بأنني لا أعرف عنها شيئا .. فأخبرتها بأنها معك بالمستشفى وبعدها حاولت الاتصال بها وجدت هاتفها مغلقا " سقط قلب جابر في قدميه وهدر عابسا " ما هذا الكلام يا أمي؟!!.. أين ذهبت وقد أمسى الليل؟!!"

الفصل الخامس والثلاثون

بعد ساعة

القلق والأفكار السوداء وحوش تنهش القلوب خاصة عند اختفاء أحد ممن يملكون محبة قلوبنا.. فحتى لو كنا ممن يتمتعون بالثبات الانفعالي عند المواقف الصعبة.. هناك شخص أو أكثر هم نقطة ضعفنا هم من يفقدوننا صلابتنا حين يتعلق الأمر .. بهم.

وقف جابر في أحد شوارع القرية حائرا .. لقد مرت أكثر من ساعة منذ أن تلقى من أمه ذلك الاتصال الذي تخبره فيه باختفاء أم هاشم. وهو اختفاء بالفعل لأنه لا أحد يدري أين يمكن أن تكون .. لقد ذهب مسرعا إلى بيت هلال فقابل في طريقه الحاج يحيى ووقف يتبادل معه بضع كلمات في ظاهرها عادية في جوهرها

استطلاعية فَهِم في نهاية ذلك الحديث السريع أن أم هاشم ليست عنده ..كما أنه لم يجدها في بيت هلال أيضا فقد ذهب إلى بيته يسأل عنه رغم معرفته بأن هذا ليس موعد عودته ..
فخرجت إليه نصرة وانتهى الحديث القصير معها بعبارة (سلم لي على أم هاشم).
يسلم على أم هاشم ؟.. فلتعد سالمة أولا حتى يبلغها السلام !.
ماذا يفعل ؟.. أين يذهب ؟.. إن فكرة عدم معرفته بمكان زوجته أمر يسيء له ولها .. خبر ستلوكه الألسنة لفترة كبيرة إن انتشر .. ولولا هذا .. لأوقف المارة فردا فردا وسألهم عنها .. ولطرق على بيوت القرية بيتا بيتا ..وبحث عنها.

هل يشعر بالعجز؟ .. أم بالخوف؟ .. أم كليهما معا .. أم أن غضبه منها يطغى على تلك المشاعر !!.

أين من الممكن أن تكون قد ذهبت هذه المختلة عقليا ؟!!.. إن عقله يحاول السيطرة على انفعالاته حتى لا يتسبب في فضيحة لبيت دبور بسؤاله للرائح والغادي عنها .. عقله يخبره بأن يتريث .. بأن يؤجل حدوث الفضيحة إن كان مقدرا لها أن تحدث.. بأن يترك هذا الأمر كحل أخير .. حل غير متأكد حتى من منفعته ..

رن هاتفه فأسرع بالرد" نعم زين"

جاءه صوت أخيه يسأل باهتمام" هل من جديد؟"

" لا جديد ..وأكاد أن أجن يا زين "قالها وهو ينظر حوله بنظرات تائهة ليقول الثاني" دعني آتي لأبحث معك .."

قال باستنكار " ماذا ستفعل غير الذي فعلته؟..
لقد تأكدت من أنها ليست عند من نعرفهم ..
لو عندك أي تخمين أخر أخبرني"
زفر زين بضيق واجهاد وسأله" هل حدث شيء بينكما؟.. أقصد هل تشاجرتما بسبب ميس أو كاميليا أو أي شيء يجعلها تختفي بهذا الشكل ..
وتغلق هاتفها ؟..هذا إن استبعدنا الاختفاء بفعل فاعل"
(الاختفاء بفعل فاعل)!
رغم غرابة الفكرة لكنها غرست مسمارا في أعصاب جابر الهشة لحظتها .. غرسته بقوة مؤلمة جعلته يصيح بعصبية "هل هذا وقت الاستجواب يا زين؟؟"
أدرك الأخر أن أخيه الأكبر في حالة انهيار حتى لو كان مبديا تماسكا مزيفا فأسرع بالقول" لا بأس أنا فقط أشعر بالشلل وأريد المساعدة"

قال جابر مترجيا " لا تتحرك من مكانك بالله عليك حتى ترى الطبيب وتعرف منه تطور حالة ميس فأنا فقدت الثقة تماما في آل العسال كلهم"

تكلم زين مطمئنا " لا تقلق ..ماذا ستفعل الآن؟"

رد جابر باقتضاب " لا أعرف دعني الآن.. سلام"

قالها وأغلق الخط فعادت إليه حيرته ..أين من الممكن أن تكون قد ذهبت؟ .. إن معارفها قليلون .. وإن كانت غاضبة لسبب لا يعرفه فبالتأكيد هي في مكان ما .

كان ذلك المسمار المؤلم في أعصابه الذي دقه زين قبل دقائق قد بدأ يوجعه ويسيطر على تفكيره المنطقي بطبعه فبدأ يصور له أن مكروها قد حدث لها ... لكنه عاد يجادل نفسه بأنها ليست صغيرة ويعرفها شجاعة ..كما أنهم

في القرية فماذا يمكن أن يحدث لها والكل يعرف بعضه؟!..
أخذ المسمار يوسع مساحة الوجع فاعترف جابر لنفسه بعد ثوان بأن كل شيء وارد بينما عقله جاهد للحفاظ على منطقية أفكاره كعادته ..
عاد للتفكير في المكان الذي من الممكن أن تكون به فصاحبتيها في العاصمة واستبعد أن تكون قد ذهبت لمليكة صوالحة.. صحيح تبدو وقد أصيبت باختلال عقلي منذ ليلة أمس بما قالته له لكنه لا يصدق أبداً أن تفعل شيئا كهذا فهي بنت أصول ولن تقترف خطأ كهذا حتى لو كانت تريد الانفصال ..
الكلمة ذبحته .. لكنه لم يكن في حال يسمح له بالترنح تحت سكينها فأسرع بطلب رقم مقررا التنازل عن كرامته والسؤال عنها بشكل صريح

فقال " السلام عليكم باشمهندس مفرح كيف حالك؟"
جاءه صوت الأخير مرحبا" وعليكم السلام يا أبا ميس كيف حالك أنت؟"
"نحمد الله (قالها باقتضاب ثم أضاف بحرج)كنت أريد أن أطلب منك طلبا.. وأرجو أن لا تؤاخذني فيه فلا أجد سواك لطلبه "
قال مفرح باهتمام "تفضل يا جابر"
غمغم الأخير متنحنحا " الحقيقة أن بنت الشيخ زكريا مختفية منذ عدة ساعات (وأضاف بحرج شديد شاعر بالإهانة) لقد تشاجرنا كأي زوجين ..وتعرف النساء وحساسيتهن المفرطة.. المهم أني غير قادر على تحديد مكانها فقلت لو واحدة من صاحبتيها ..زوجتك أو ابنة خالك قد تساعدني في تخمين أين من الممكن أن تكون سأكون ممتنا لكم "

قال مفرح بلهجة جادة "خيرا إن شاء الله.. أنا سأسأل بسمة أولا لو لم أجد عندها معلومة سأسأل مليكة فالحقيقة لا أريد أن أوترها فأنت تعلم وضعها لا يزال حساسا"

أسرع جابر بالقول" بارك الله فيكم ولا تؤاخذني على طلبي"

قال مفرح بلهجة صادقة " لا تقل هذا يا أبا ميس إن شاء الله ستطمئن عليها وإن لم نصل لشيء سآتيك لنبحث عنها سويا"

"جزاك الله خيرا السلام عليكم"

أغلق جابر الخط وأشار لتوكتوك ليعيده للشارع الذي يسكن به حيث ترك سيارته بعد أن جاب بها الشوارع الرئيسية للبلدة ..

بعد دقائق دخل جابر مسجد الشيخ تيمور حائرا ليؤدي صلاة العشاء .. دخل بذهن مشغول عمن حوله يرغب في أن يقف أمام ربه لاجئا لعله يلهمه ..

بمجرد أن انتهى لم يكن في حال يسمح له بالثرثرة مع الباقين واكتفى بردود سريعة مقتضبة عن سؤالهم عن ابنته وأسرع بترك المكان بوجوم فسره الموجودون وعلى رأسهم يحيى بحزنه على ابنته ولم يعرفوا بأن حزنه وقلقه على أم قلبه كان لا يقل عنه .

في خارج المسجد رن الهاتف في جيب جابر وهو في طريقه للبحث من جديد ليجد رقم غير مسجل فأسرع بالرد ليأتيه صوت أنثوي يقول " ألو ..السلام عليكم أبا ميس أنا بسمة الوديدي"

رد جابر بحرج "وعليكم السلام أهلا وسهلا يا باشمهندسة"

قالت بسمة بسرعة" أنا فضلت أن أتحدث معك بدون وسيط .. الحقيقة أنا فكرت كثيرا حينما أخبرني مفرح وأعرف بأن أم هاشم ليس

لديها مكان تذهب إليه لكني أتوقع أن تكون في المقابر عند قبر والديها فما دمتما متشاجرين فهي تلجأ لهذا المكان كلما أحست بالضيق "
عقد جابر حاجبيه وقال وهو ينظر في ساعته" المقابر!"
قالت بسمة وكامل يناظرها بامتعاض وهي منتحية في ركن من البهو بينما هو وباقي العائلة يجلسون حول مائدة السفرة يتناولون طعام العشاء" ابحث هناك وأنا إن تذكرت مكانا أخر سأخبرك به .. وأرجو أن يطمئنني أحدكما حينما تصل إليها"
قال جابر وهو يهرول نحو سيارته ويلقي بنفسه بداخلها" إن شاء الله شكرا جزيلا يا باشمهندسة"

xxxx

على ضوء الهاتف دخل جابر منطقة المقابر يبسمل تستقبله رهبة المكان وتتعاون مع قلقه ولهفته لفرز المزيد من الضيق في صدره .
كان الليل معتما وتفكيره بأنها هنا وحدها يقبض قلبه .. ماذا تفعل تلك المجنونة في هذا المكان في هذا الوقت ؟!
تحرك ناحية مقابر آل تيمور والتي هي بالقرب من مقابر آل دبور وتوغل في العتمة أكثر يهتدي بضوء مصباح هاتفه ويلهج بالذِكْر .
أطل عليه من بعيد خيال أسود لجسد يتحرك في العتمة وسمع صوتها عصبيا متوترا قبل أن يوجه ضوء الهاتف نحوها تقول" السلام عليكم .. تنحى يا هذا جانبا أيا كنت كي أمر"
ردت الروح إلى صدره وهو يوجه الضوء نحوها بينما هي تضع كفها حائلا بين عينيها والضوء وهي تقول بلهجة تدعي فيها الحزم لكنه كان يشعر بها خائفة وهي مستمرة في هرولتها في

اتجاهه بحثا عن طريق الخروج "ماذا تفعل يا هذا ابتعد عن طريقي قلت .."
اشتعلت مراجل الغضب في رأسه وهو يتصور بأنها كان من الممكن أن تقابل شخصا غيره في مكان كهذا في وقت كهذا وتتعرض للخطر وانتابته رغبة في خنقها لكن شفقة قلبه كانت الغالبة حينما نطق بصوت جاف غاضب يطمئنها "إنه أنا جابر يا أم هاشم"

سقط قلبها بين قدميها حينما سمعت صوته فشعرت بالراحة والأمان لأنه موجود وشعرت بالرهبة منه في نفس الوقت.. لقد استيقظت قبل دقائق من النوم فزعة بعد أن ظلت تبكي حتى آخر النهار بجوار قبر والديها وأصرت في حالة من العناد أن تنتهي من ختم القرآن قبل رحيلها رغم عدد الأجزاء الكبير الذي كان متبقيا .. لكنها تعبت من البكاء وغفت فوق قبر والدها

لتستيقظ فتجد الظلام دامسا حولها وهاتفها قد فرغ شحنه .. ففزعت وانتابها الخوف من المكان والخوف من أن يكون جابر قد اكتشف غيابها فقفزت تلملم حاجاتها وتهرول للبيت.

راقبها جابر وهي تقترب أكثر فأكثر وقضم لسانه عن العبارة التي كادت تفلت منه (تمهلي وحاذري أن تقعي) فظل يتابعها من مكانه حتى اقتربت ووقفت أمامه لاهثة .. ثم ساد الصمت لبرهة قطعته أم هاشم حين قالت بحرج مبررة "نمت وأنا أقرأ القرآن واستيقظت قبل دقائق"

لم يرد .. ظل يتطلع فيها على الضوء الضعيف من الهاتف المسلط على الأرض في يده .. وهو يسأل نفسه ..كيف يمكن للغضب الشديد أن يختلط بالراحة في نفس اللحظة بداخله ؟.. تمتم عفويا بالشكر لله في سره ثم قبض على

ذراعها يقول بخفوت أرعبها أكثر من رعبها عند استيقاظها في المقابر تحت عتمة الليل "تحركي أمامي .."

باستسلام تحركت معه شاعرة بالضيق من أنها قد وضعت نفسها في هذا الموقف السيئ .. ورغم ذلك أخذت تحت فورة العناد التي تسيطر عليها منذ الصباح تتمتم لنفسها بصوت خافت" ما المشكلة أن يكون غاضبا؟ ..ربما سهل ذلك المهمة في أن يطلقك يا أم هاشم.. أنت اعطيته الفرصة الجيدة"

لم يفهم جابر بما كانت تبرطم بخفوت فقال بصوت غاضب وهو يفتح باب سيارته بعصبية ويدخلها فيها واضعا كفه فوق رأسها بحركة تلقائية حتى لا ترتطم بسقف الباب" كفي عن الحديث بصوت خافت فأنا تستفزني هذه العادة .."

ازداد شعورها بالرهبة منه وراقبته مبرطمة وهو يستدير حول مقدمة السيارة " ألا يحق للإنسان أن ينام عند قبر والديه !.. إنه حق مكفول للجميع!"

بلعت لسانها وهو يتخذ مقعده أمام المقود يملأ بهيبته وحالته الغاضبة حيزا ضخما من الفراغ في السيارة وهالها احتقان وجهه فأحست بالشفقة عليه ..لتسرع بالقول" لم انتبه للوقت يا جابر وغفيت"

استدار إليها ينوي الانفجار في وجهها لكنه بلع لسانه وتحكم في أعصابه بقوة كبيرة حينما رأى وجهها المنتفخ وجفونها المتورمة من البكاء بشكل مزق قلبه فرفع سبابته أمامها يقول بلهجة آمرة من بين أسنانه" أشششش لا تنطقي بحرف حتى نصل للبيت بدلا من أن أدفنك هنا بجوار والديك"

أدارت وجهها ناحية النافذة تغمغم بخفوت مبرطمة "ولا حرف ولا كلمة .. من قال بأني أريد الحديث أصلا"

ضرب جابر على المقود ضربة محذرة غاضبة جعلتها تبلع لسانها وتلصق وجهها بالنافذة أكثر.

xxxx

بعد قليل دخل جابر بعد أن ركن سيارته وأجرى مكالمتين سريعتين لمفرح حتى يطمئنه ويطمئن بسمة وأخرى لزين .. فوجد أم هاشم التي أسرعت بالهرولة للبيت بمجرد أن أوقف السيارة تميل وتقبل رأس أمه الجالسة على كرسي السفرة تضع يدها على صدرها وتقول وهي تمنحها كوب الماء بسكر "حقك عليّ اشربي هذا"..

طالعتها نجف بنظرات عاتبة لتقول أم هاشم وهي تقرب الكوب من فم حماتها" سامحيني غفيت ولم أدر بنفسي"

حانت منها نظرة خاطفة نحو جابر بينما أخذت حماتها تشرب الماء بسكر .. ليسأل جابر بهدوء مرعب "هل أنت بخير يا أمي هل تحتاجين لطبيب؟

قالت نجف وهي تنهت "بخير يا ولدي ..شعرت بهبوط حين رأيتها تدخل سالمة ..لكني الحمد لله بخير الآن"
ربتت أم هاشم على ظهر حماتها بتأثر.. ثم مالت تقبل رأسها من جديد مغمغمة "لا حرمني الله منك يا خالتي"
توجه جابر نحو السلم يصعد وهو يقول بلهجة آمرة" أريدك بالأعلى يا أم هاشم"

راقبته يصعد ثم عادت لحماتها تسألها" هل أنت متأكدة أنك بخير؟"
ربتت نجف على يد أم هاشم الموضوعة على كتفها وقالت "حمدا لله.. أخبريني ماذا يحدث معك؟.. لماذا كنت تبكين؟.. فوجهك منتفخ .. هل حرقت كاميليا دمك بأي شكل ؟ أعرفها إنسانة مستفزة"
قالت أم هاشم بلهجة واثقة" تلك الذبابة الخضراء لا تهمني بشيء"
ابتسمت نجف تقول بصدمة "ذبابة خضراء!"
ردت أم هاشم بامتعاض وهي تشيح بيدها "لا تؤاخذيني .. أعلم بأنها أم ميس لكنه لقب أطلقته عليها منذ صغرنا"
ضحكت نجف وسألتها "ولماذا خضراء بالذات وليست ذبابة بأي لون أخر ؟"
جاء صوت جابر غاضبا من الطابق العلوي" أم هاشم"

انتقضت الأخيرة وصاحت" قادمة (ثم نظرت لحماتها تجيب بسرعة على سؤالها) لأنها كانت تفتخر وهي صغيرة بخضار عينيها .. سأصعد قبل أن يهد البيت فوق رأسي"

أمسكت بها نجف تقول قبل أن تبتعد "لا تعاندي خاصة وهو غاضب ..كوني لينة ولا تستفزيه .."

هزت لها أم هاشم رأسها بتفهم ثم أسرعت برفع ذيل عباءتها بضع انشات عن الأرض وهرولت على السلم وهي تحمل مشاعر متضاربة بداخلها.

حين فتحت الباب ودخلت كان يقف عريض الكتفين يوليها ظهره فدخلت وأغلقت الباب خلفها بهدوء ليس لديها خطة أو تصور للحظة التالية .

استدار إليها والغضب يشتعل في عينيه ولم تعرف بأنه يبذل مجهودا مضنيا حتى لا يعمي

الغضب قلبه ..فبادرته بالقول بلهجة حاولت أن تكون عادية "كما قلت لك ذهبت لزيارة قبر والديّ.. وكنت أريد أن أختم القرآن هناك وأدعي لهما فغلبني النوم ولم أدر بنفسي"
قال جابر بلهجة غاضبة "وهل من الأصول يا بنت الأصول الذهاب لأي مكان بدون علم زوجك؟"
كانت تعترف في قرارة نفسها بأنها أخطأت لكنها أرادت أن تداري على شعورها بالضعف بعنادها.. فرفعت ذقنها تقول "لم أرغب في أن اشغلك بي وقلت سأذهب في زيارة سريعة"
أصر جابر على الحصول على إجابة فكرر السؤال "هل ما فعلتيه صحيحا يا أم هاشم؟ اجيبيني بدون مبررات"
ردت معترفة وعنادها يزداد "حسنا لم يكن صحيحا لكن لا تكبر الأمر لم ابتعد عن محيط القرية"

نجحت في استفزازه فرفع قبضته في الهواء
يقول من بين أسنانه "لا أضخم الأمر!! .. هل
لديك تصور كيف كانت حالتي وأنا أبحث عنك
ولا أعرف مكانك؟ .. هل لديك فكرة كيف
شعرت وأنا أطرق على أبواب من نعرفهم
وأكذب حتى أعرف أين زوجتي؟ .. هل لديك
فكرة عن مدى حرجي وشعوري بالإهانة وأنا
اتصل بمفرح الزيني ليسأل صاحبتيك أين من
الممكن أن تكوني لأنني لا أعرف أين زوجتي؟"
ازداد شعورها بالذنب والحرج فقالت بوجه
مكفهر "أنا أعتذر"
"أين تحسبين نفسك ذاهبة؟ (قالها جابر
حينما تحركت من أمامه تنوي دخول الحمام
ثم أضاف بغضب) أنا لم انته من حديثي بعد"
استدارت إليه بهرمونات منفجرة تقول بعصبية
" أنا اعترفت بأني أخطأت يا جابر ..لكني كنت
بحاجة للبقاء مع نفسي قليلا ولم أجد مكانا

غير هذا المكان لألجأ له .. لم أقدر على الذهاب لبيت عمي .. فبعيدا عن افتقادي للخصوصية فيه فلديهم صباحية سامية ومشغولون ولم أكن في مزاج يسمح لي بالمشاركة"

هدر فيها يناظرها بذهول " وهنا؟!!.. وهذا البيت ؟..أليس مكانا لتلجئي إليه مما لا أفهم كنهه حتى اللحظة؟!"

وقفت أمامه متقبضة إلى جانبيها تهز ساقها بعصبية وظهرها للخزانة مشيحة بوجهها عنه بينما كل الوحوش تتعاون في استفزازها لحظتها فأخذ جابر يتطلع فيها ثم قال مصرا على الحصول على إجابة "أخبريني أليس هذا البيت ملجأ لك؟"

خنقتها الرغبة في البكاء فردت بصوت خافت مرتعش دون أن تنظر إليه "كنت أشعر بالاختناق"

هذا الضعف اللحظي الذي أصابها وتلك الدموع التي ترقرقت في عينيها نالوا من قلبه ما نالوا فسألها ببعض الهدوء "من أي شيء أخبريني؟" أشاحت بوجهها عنه أكثر والسؤال يجلب عليها المزيد من الألم في قلبها والدموع حتى أن دمعة فرت منها وسقطت لكنها أسرعت بمسحها وهي تقول بعناد وكبرياؤها يشعر بالإهانة "لا شيء"

انتفض مستفزا بعد أن كَوَت دموعها قلبه وألحت عليه الرغبة في ضمها وهو يدقق في وجهها المنتفخ من بكاء لا يعرف سببا منطقيا له .. لكن الضعف والشفقة عليها كانتا تغضباه من نفسه فاقترب يمسك بذراعيها ويهزها قائلا " ماذا يحدث معك ؟.. ولماذا وجهك بهذا الشكل "..ما الذي يحزنك؟"

توقف عن هزها ينتظر الإجابة فثارت تصيح بهستيريا " لا شيء ..تذكرت أهلي ...ألا يحق لي

تذكرهما ؟ .. ألا يحق لي الشعور بافتقادهما؟..
(وازدادت نبرة البكاء في صوتها وهي مستمرة في ثورتها) ألا يحق لي البكاء قليلا؟ .. هل كثير علي أن أبكي؟.. أنا لست مصنوعة من فولاذ ولست قادرة على المزاح طوال الوقت وادعاء أن كل شيء على ما يرام.. ومهما كنت عفريتة سوداء مخيفة للبعض لكني في النهاية بشر ولي لحظات ضعف ولحظات طيش .."
كانت تعذبه بحالتها وتشعره بفشله كرجل هي أضحت مسؤولة منه ولم يسعدها فهدر يهزها قائلا "كفي عن البكاء وتحدثي معي كالعقلاء"
لم تستطع التحمل كان كل شيء بداخلها ينهار .. كل شيء تحالف مع هرموناتها وكبريائها ضدها.. فانهارت تدفن وجهها في كفيها وتبكي .
ترك جابر ذراعيها ووقف يدقق فيها مذهولا يرفض لعاطفته أن تتدخل قبل أن يفهم بعقله سببا منطقيا لما يحدث فقال لها "بمَ قصرت أنا

معك لتشعري بهذا الشعور؟.. أخبريني متى خذلتك؟.. تكلمي"

أسرعت برفع وجهها المتنفخ من البكاء إليه تقول مدافعة بنظرات قتلته قتلا "أنت لا يخرج منك العيب أبدا"

العاطفة في قلبه كانت تزداد والشفقة .. الشفقة التي لم يحب أن يشعر بها أبدا تجاهها فهدر يقاوم مشاعره قائلا "اتركي هذا الكلام واجيبيني متى خذلتك؟"

استمرت في دفاعها عنه باستماتة قائلة " أنت لم تخذلني أبدا يا جابر .. بل أنا من خذلتك.. كنت أريد أن أكون أكثر صلابة في تنفيذ باقي اتفاقنا"

صرخ فيها غاضبا " أي اتفاق هذا يا مختلة!!.. لم يكن هناك اتفاق بيني وبينك ..أأنت مجنونة؟!!"

كلامه وتأنيبه أفاقوها من لحظة الضعف
فأسرع كبريائها بتولي مقاليد الأمور .. لتمسح دموعها وتقول بتماسك وهي ترفع إليه ذقنها
"حسنا لم يكن هناك اتفاق ..أنا من أردت أن أساعدك لتصل لما تريد"
ظل يحدق فيها باتساع عينيه يبحث عن معنى أو منطق لما تصر على أن تخبره به منذ الليلة الماضية .. وكل ما كان يصله هو أنها تزوجته صفقة .. تزوجته لأغراض لا يستوعبها عقله
فقال لها بعد برهة بلهجة متألمة مصدومة
"هل تعين معنى ما تقولينه الآن؟! .. هل تزوجتني فقط لتنفذي هذا الغباء الذي برأسك؟!"
رفعت ذقنها ترد بكبرياء " أجل"
هدر من جديد " أمجنونة أنت !..إنه زواج ...زواج..ليس صفقة تجارية!!"

نظراته لها أشعرتها بالإهانة أو ربما كانت تنتظر منه تعاطفا أو امتنانا لشيء هي غير مدركة لأنه لا يفهمه فقالت مؤكدة " أعرف بأنه زواج قلت لك (تصحيح أوضاع)"

انفعل بشدة .. وصل لذروة انفعالاته في لحظة لا تحدث له كثيرا فرفع قبضته وضرب في الخزانة الخشبية بجوارها بقوة ليلجم نفسه من الرغبة في ضربها هادرا " كيف تفعلين هذا بنفسك ؟... كيف؟"

نظراته المستهجنة لها مع كلماته الموبخة رفعت من مستوى عنادها فصاحت " حسنا أنا أعتذر عما فعلت ..وأريد أن أصحح الخطأ الذي اقترفته"

"الخطأ"

قالها كمن تلقى صفعة فأسرعت بالقول باندفاع "طلقني يا جابر"

تلقى عبارتها هذه المرة كرصاصة في قلبه ..
لكنه كان من الصلابة ألا يهتز .. ظاهريا .. وأن
يستعيد توازنه بسرعة فقال لها هادرا
باستهجان متألم " أهي لعبة!! .. هل تتصورين
الأمر لعبة؟.. أتزوجك وأطلقك!!"
صاحت فيه بعناد مستغلة الفرصة كمريض
عذبه انتظار الموت فقرر أن ينهي حياته
بنفسه " أنا أريد هذا .. ألا توبخني لما فعلته
بنفسي؟!.. حسنا أنا أريد الطلاق"
هدر فيها وهو يلجم قوة كبيرة بداخله لضربها
علقة ساخنة كي تعود لرشدها "اخرسي .. هذا
الموضوع لا تفتحيه ثانية"
قالت تحاول طمأنته " لا تحمل همي ..صدقني
أنا متفهمة لوضعك ..ومتفهمة لشعورك
بالذنب تجاه ابنتك ..وأعلم بأن ردك لزوجتك
الأولى بات ملحا ..فلمَ نعقد الأمر؟.. أوضحت
لك منذ البداية..."

"اششششش ..(قالها بصرامة رافعا سبابته يناظرها بنظرات خطرة مردفا) اسمعي ..أنا أشعر بالغضب الشديد ..ولا أحب أبدا أن أصل لهذه المرحلة لأني غالبا يكون رد فعلي خارج عن السيطرة .. لهذا اصمتي الآن ولا تقولي أي شيء حتى استوعب ما تفوهتِ به من هراء"

بلعت أم هاشم لسانها وهي تتطلع فيه بنظرات متحدية في ظاهرها تخفي ارتجافا داخليا ..فتحرك يوليها ظهره مغادرا لتندفع بالقول بدون تفكير" أريد أن أذهب لمليكة وأبقى عندها عدة أيام"

تصلب ظهره لثوان .. ثم استدار إليها يقول باستهجان" نعم!!.. ماذا قلت؟!"

وقفت وقفة متحدية وعنادها مصر على تولي الأمر فقالت "قلت أني أشعر بالاختناق وأريد الابتعاد قليلا"

ردد خلفها باستنكار " الابتعاد؟ .. عني؟! .. عن وجهي ؟.. (وظهر الألم في لهجته رغما عنه مضيفا)هل صرت فجأة ثقيلا عليك؟!"
عادت لضعفها تقول مدافعة بمسكنة كادت أن تطير له عقله من تبدلها بين الدقيقة والأخرى"
لا والله ..لكن رؤيتك أضحت لي عذابا"
لم يفهم عبارتها بشكل صحيح .. فاستقبلها كخنجر غرس في قلبه ليهتف متألما "أنا؟؟؟ .. لقد كنا حتى ليلة أمس..."
أسرعت بمقاطعته وكأنها لا تريد أن تتذكر شيئا قد يضعفها اللحظة فقالت " كان هذا بالأمس قبل أن أرى ما رأيت ..وأسمع ما سمعت "
ظن أنه قد وضع يده على شيء منطقي ملموس ليرد عليه فقال موضحا " إن كان هذا بسبب تلك الصور.."
قاطعته ثانية "لا بأس لست مطالبا بالتبرير لي .."

اتسعت عيناه وقال بصدمة جديدة "حتى التفسير لست مهتمة به!!"
ساد الصمت المتألم بينهما لبرهة حتى قطعه رنين هاتفه فدس يده في جلبابه وأخرجه ليضعه على أذنه وهو مستمر في التحديق فيها قائلا "نعم زين كنت قادما"
أتاه صوت زين يقول "لا داعي لقدومك ..لقد قابلت الطبيب وطمأنني بأن الحالة تتحسن .. وأوشك موعد الزيارة على الانتهاء فتركت المستشفى.. فأمها وابن اخيها سيبيتون معها .. لذا أنا قادم .."
هز جابر رأسه وقال "تمام "
ثم أغلق الخط فسألته" كيف حالها؟"
شعر بأنه إن استمر بمجاراتها في الحديث وهي تتبدل بين الدقيقة والأخرى بين الضعف والتحدي وأحيانا الهذيان سيتصرف معها بما يندم عليه لاحقا وما سيمزق قلبه فتجاهل

السؤال وقال لها " اسمعي يا أم هاشم .. أنا مرهق ومنهك وذهني حاليا مشغول بميس ..فالأسلم حتى لا أرتكب جريمة أن نؤجل الحديث بيننا .. فلا أنا في حالة ذهنية تسمح لي باستيعاب تخاريفك .. ولا أنت في حالة نفسية تسمح لك باستيعاب ما تهذين به"

اشفقت عليه فأسرعت بالقول " سامحك الله .. عموما إن كنت أنا مجنونة كما تقول فدع المجنونة تذهب لحال سبيلها وأبعد جنونها عنك"

انفلتت أعصابه فهدر فيها غاضبا " اسمعي لا تثيري غضبي أكثر من ذلك .. هذا البيت لن تخرجي منه ..وهذا أمر يا أم هاشم"

فتح الباب وخرج ثم سمعته يقول بصوت عال" هلا أعددت لنا لقمة سريعة يا أمي؟.. فزين قادم في الطريق ولا أعتقد بأنه قد أكل مثلي طوال اليوم"

عاد ليدخل الغرفة فسألته أم هاشم بعبوس " لماذا لم تأكل من الطعام الذي أعطيته لك في المستشفى؟ "

لم يرد بل توجه نحو الخزانة وفتحها ثم أخرج منها ثيابا نظيفة فغمغمت وهي تهم بالتحرك" سأعد لك لقمة سريعة "

أوقفها قائلا بلهجة صارمة "قلت أمي ستفعل" امتقع وجهها وكأنه قد طعنها في قلبها فأضاف جابر بلهجة ساخرة "لا أريد أن أثقل عليك بطلباتي"

هذه المرة انخلع قلبها .. فتابعته وهو يستدير نحو الحمام ويغلقه خلفه ثم أجهشت بالبكاء ..

هذه ليست الصورة التي تريد أن تتركها له عنها في نهاية أيامهما معا .. وفي نفس الوقت بداخلها فوضى من المشاعر العاصفة .. ضعف ..

غضب .. عناد .. و ثورة لكرامتها.. تفقدها اتزانها النفسي وثباتها الانفعالي ..
إنه غاضب منها .. وهي تدرك بأنها تتفوه بما يزيد من غضبه لكنها في حالة غير قادرة فيها على التحمل أو التحلي بالثبات الانفعالي .. إنها متخبطة وتتألم .
حينما خرج من الحمام بعد أن اغتسل وارتدى ملابس بيتية مريحة تطلعت في وجهه المكفهر الغاضب وازداد تورطها في فوضى مشاعرها فقالت بإصرار وهو يتجه للباب وكأنها تريد أن تخلصه من جنونها "لماذا لا نخرج بالمعروف كما دخلنا بالمعروف كما يقولون في الأمثال ..فأنا لن أتحمل غضبك مني"
استدار يقول هادرا "قلت اصمتي يا أم هاشم.."
استمرت المشاعر والانفعالات والظنون في التورط مع هرموناتها لتضخم لها الأمور قالت"

حسنا اتركني أذهب إلى مليكة حتى نهدأ ونتفاهم .."

قال ناهرا "لن تذهبي إلى أي مكان"

صرخت بهستيريا "قلت لك أشعر بالاختناق.. ألا يحق لي أن أزور صاحبتيّ؟!.. ألا يحق لي أن أذهب لأي مكان لأريح فيه أعصابي.."

استدار جابر وتركها يصفع الباب خلفه والصدمة والشعور بالإرهاق الذهني والنفسي يسيطرون لدرجة تشعره بأنه غير قادر على استيعاب ما يحدث وتفسيره ..

حين نزل كان زين يقف في المطبخ يستفهم من والدته ما يحدث ثم صمت حينما سمع بنزوله .. والتزم المزيد من الصمت حينما خرج ليجلس معه على السفرة ..فخرجت نجف تضع طبقا أخيرا على المنضدة ثم ربتت على كتفه تقول" ربما تشعر بالغيرة من كاميليا ..

أشعر بالذنب لأني نصحتها بأن تذهب للمستشفى "

لاح شبح ابتسامة ساخرة على وجهه وهو يكرر كلمة الغيرة في ذهنه ثم قال لها بصوت مبحوح" نادِها ...فبالتأكيد لم تأكل هي الأخرى طوال اليوم"

اتجهت نجف نحو السلم تنادي عليها بينما ظل زين يراقب ملامح أخيه المكفهرة التي انقلبت إلى بائسة حينما جاء صوت أم هاشم من الطابق العلوي تعتذر لحماتها وتخبرها بافتقادها للشهية .. فأطرق يلعب بالملعقة في طبقه يشعر بالعجز أمام حالة أخيه الأكبر الذي لم يكد يأكل بعض اللقيمات حتى ترك السفرة معلنا رغبته في النوم.

دخل جابر الغرفة بعد دقائق فوجد أم هاشم قد بدلت ملابسها لرداء بيتي من بنطال وبلوزة

وتكومت على الأريكة في هيئة آلمت قلبه
واستفزته فسألها" لماذا تنامين على الأريكة؟"
ردت بعناد "لأني أريد ذلك"
"على راحتك "
قالها وخرج من الغرفة غاضبا يصفع الباب
خلفه فتقوقعت أم هاشم على نفسها أكثر
..بينما اتخذ جابر من غرفة ميس مكانا للنوم
..فألقى بجسده المجهد على السرير بعنف
وأخذ يستغفر ويحوقل وألم قلبه يزداد ..
وتلوى في السرير لبعض الوقت مستنزف
المشاعر قبل أن يقفز واقفا لا يشعر بالراحة
خارج غرفة نومه فترك الغرفة عائدا بخطوات
عصبية إلى حيث تكون .
أجفلت أم هاشم حينما دخل الغرفة مرة أخرى
وقد حسبته قد قرر ترك المكان لها لكن الأخير
دخل واستلقى على ظهره على السرير زافرا يلقي
بهاتفه على الكومود بجواره والشعور بإهانة

كبريائه الذكوري يتعاظم في صدره .. فهم بأن يأمرها بأن تنام على السرير بدلا من الأريكة لكنه نهر نفسه على مراهقته وفي الوقت نفسه استفزه عنادها وصلابة رأسها فنظر للسقف يفكر بأنفاس عالية ..

بعد دقائق اعتدل وخطف الهاتف وهو يغمغم لنفسه بغيظ مبررا لما سيفعله" لن أنام الليلة بهذا الشكل (ثم قال في الهاتف بعد ثوان بلهجة قاطعة) اسمع يا زين جهز نفسك حتى توصل أم هاشم في الصباح لبيت مفرح الزيني في العاصمة هي ستعطيك العنوان"
تسارعت دقات قلب أم هاشم بينما صرخ زين من شقته في الطابق الثاني " نعم!!.. العاصمة!!.. وهل هذا وقته؟!!"
قال بلهجة آمرة "نفذ ما أقوله يا زين من فضلك دون اعتراض"

أسرع زين بالقول باستسلام دون مناقشة"
حاضر"
قالها وأغلق الهاتف يبرطم بغيظ مكبوت ثم وضع رأسه على الوسادة في الغرفة الوحيدة التي بها أثاث في شقته وأغمض عينيه زافرا يهدئ من أعصابه وهو يستعيد عينا إسراء بنظراتها المختلسة إليه ظهر اليوم.
أما جابر فألقى الهاتف بجواره وقال باقتضاب دون أن يلتفت لها" جهزي نفسك للذهاب للعاصمة صباح الغد بناء على رغبتك"
قالت أم هاشم بامتنان "شكرا"
طريقتها التي تؤلم قلبه زادت من غضبه ..هي كلها تزيد من غضبه .. كلامها وصمتها ..قوتها وضعفها عنادها وطاعتها كلها تستفزه الليلة ..فأولاها ظهره يكبت ما يتأجج في صدره من نار ونام مكمودا.

أما أم هاشم فلم تعرف أعليها أن تفرح أم تحزن .. فهي لاتزال غارقة في فوضى مشاعرها .

xxxx

اليوم التالي صباحا

وقف جابر أمام باب الغرفة مترددا في الدخول والغضب لا يزال يسيطر عليه خاصة مع عدم تراجعها عن قرارها ..فهي منذ الصباح الباكر وهي تعد نفسها للسفر .

ربما لا يكون راضيا عن سفرها لكنه أدرك ليلة أمس أنها في حالة نفسية غير طبيعية وهو أيضا مجهد وممزق بينها وبين ميس التي تأخر عنها في الذهاب حتى يطمئن على أم قلبه أولا.

وخزه الألم في قلبه وهو يستعيد صدمته وشعوره بالإحباط وعاد إلى عقله حيرته لمحاولة فهم ما قالته وهدم فوق رأسه قصرا بناه لهما فوق السحاب .

أما أم هاشم فكانت تقول في الهاتف وهي تقف في الحمام الصغير الملحق بالغرفة "حسنا يا مليكة أنا شاكرة لك تفهمك للوضع"
قالت الأخيرة بلهجة موبخة" لماذا هذه الرسميات يا بنيتي ..أنا أشعر بسعادة شديدة لأنك ستأتين اليوم وتبقين عندي بضعة أيام .. وأشعر بالحماس الشديد ..لذا سأتصل ببسمة وأخبرها حتى تأتي هي وونس .. سأسبقكما أنا والأولاد إلى الشقة"
غمغمت أم هاشم بتأثر" لا حرمني الله منك يا مليكة"
قالت الأخيرة" ألن تخبريني ماذا حدث بينك وبين جابر؟"
أجابت أم هاشم بلهجة باكية "حين أراك سأخبرك بكل شيء سلام"

أغلقت الخط وتطلعت لوجهها الأسمر في المرآة ولشعرها الهائش فتدخلت حالتها النفسية في رؤيتها لذاتها لحظتها.. لتغمض عينيها لثوان تستجمع فيهن شجاعتها وتقول لنفسها" تحلي بالشجاعة يا أم هاشم ..اعتبريه كخلع ضرس مؤلم بدون مخدر .. مرة واحدة قوية ربما ترتاحين بعدها وتشعرين بالتحسن"
أسرعت بلملمة فوضى شعرها ومشاعرها بعقدة حازمة مؤلمة خلف رأسها ثم ارتدت حجابها .. .
حين خرجت للغرفة تطلعت في حقيبة السفر الصغيرة التي تنتظرها على السرير ..فتحركت بسرعة نحوها تلتقطها هي وحقيبة يدها وهي تغمغم" استعاننا على الألم بالله"

همت بمغادرة الغرفة حين لمحت سبحته على الكومود بجوار السرير فاقتربت منها ببطء ثم

التقطتها بين كفيها تتطلع فيها قبل أن تميل برأسها وتقبلها لكنها لم تقدر على أن تعيدها مكانها ..فأسرعت بفتح حقيبتها وأخرجت من جيبها الداخلي السبحة السوداء ووضعتها مكان سبحة جابر على الكومود ثم احتفظت بالأخرى في حقيبتها وأسرعت بترك الغرفة بعد أن دارت بمقلتيها في المكان حولها وكأنها تودعه للمرة الأخيرة.

حين خرجت من الغرفة وجدته واقف خارجها فأجفلت وانعقد لسانها ثم أشاحت بأنظارها عنه حتى لا تضعف لتسمع صوته من بين صوت دقات قلبها العالي يسألها بوجوم" هل أنت مستعدة؟"

هزت رأسها مستمرة في عدم النظر إليه فأخرج مبلغا من المال من جيبه ومد يده لها..

نظرت في المبلغ الكبير وهمت بالاعتراض لكنه هدر قائلا " خذيها وإلا لن تذهبي إلى أي مكان "

أخذتها في صمت ووضعتها في حقيبتها ليقول لها بحشرجة وهو يثبت أنظاره أمامه ويشير بيده "اسبقيني لأسفل"

أسرعت بالابتعاد رغم رغبتها في التشبث به .. وأصرت على العناد رغم إلحاح قلبها للتوسل إليه .. فراقب جابر ظهرها المبتعد واعتصرت قلبه غصة .

في الطابق الأرضي بعد دقائق اقتربت أم هاشم تقبل رأس نجف التي تطالعها بنظرات ذاهلة كحالتها منذ أن علمت من زين قبل قليل بأنه سيوصل أم هاشم للعاصمة .. فتطلعت في حقيبة سفر أم هاشم الصغيرة وقالت بصوت هارب منها "هل حدث شيء؟"

قالت أم هاشم مطمئنة "فضلت أن أزور مليكة في العاصمة لعدة أيام مستغلة انشغال جابر مع ميس"

كان قلب نجف غير مرتاح فقالت بلهجة مستنكرة" عدة أيام !!..والآن!"
لم تستطع أم هاشم تحمل نظرة حماتها فمالت عليها تحضنها وقالت بخفوت متأثر" لا تغضبي مني يا خالتي أرجوك مهما حدث .. يعلم الله كم أكن لك من المحبة في قلبي ..لكن سعادة جابر هي الأهم عندي ..تذكري هذا الكلام جيدا كلما شعرت بالغضب مني "
قال جابر بصوت جاف وهو ينزل من السلم" هيا حتى لا تتأخري.. فزين ليس متفرغا"
تركت حماتها وتحركت ناحية الباب ثم استدارت تلقي نظرة سريعة لانعكاس وجهها في زجاج النيش وأسرعت بعدها بالخروج .. فقال جابر لأمه الذاهلة متخفيا خلف صلابة مزيفة" أنا سأمر سريعا على المحل ثم أذهب لميس يا أمي ولن أعود إلا بعد انتهاء موعد الزيارة إن احتجت لشيء هاتفيني"

بعد دقائق وقف جابر على بوابة البيت يتطلع في السيارة التي بدأ زين في تشغيلها والتحرك بها مختلسا النظرات لجابر عبر المرآة الأمامية في وقفته الغريبة يلعب في مفاتيحه بين يديه ..ثم اختلس النظرات لأم هاشم التي تقبض على حقيبة يدها بقوة وتتمتم بشيء من بين شفتيها.

بعد عدة أمتار وصلت السيارة لنهاية الشارع وقبل أن تنعطف يمينا إلى الشارع العام وتنضم لباقي السيارات حانت التفاتة سريعة من أم هاشم للخلف تتطلع في جابر.. وهي توبخ نفسها بأنها لو بقيت لبضع ساعات أخرى ..لبضع أيام أو سنوات أخرى ربما شبعت منه .. لكنها أرادت أن تبتعد عزيزة.. أرادت ألا تكون ثقيلة عليه .. أرادت أن تعطيه فرصة لأن يفكر

ويقرر ماذا سيفعل في القادم دون أن تبتزه عاطفيا.. أرادت أن تعطيه الحجة ..العذر المبرر ليطلقها..

بمجرد أن انعطفت السيارة واختفى جابر عادت تنظر للأمام وتضرب على قلبها بقبضتها ببطء هامسة لنفسها" إنه كخلع الضرس يا بنت زكريا .. مرة واحدة لربما جاءت بعدها الراحة .." لكنها لم تكن تعرف بأن الأمر كان أشبه بخلع القلب دون رحمة.

xxxx

بعد ساعة

كان زين المتأفف يتطلع بنظرات مختلسة لأم هاشم الجالسة بجواره صامتة واجمة تلصق وجهها في النافذة وبالرغم من غيظه من هذا المشوار المفاجئ الذي وقع فوق رأسه لكنه كان

ملتزم الصمت منذ بداية الرحلة لشعوره بأن هناك شيئا غريبا يحدث بين أخيه وزوجته .. حتى أنه لم يشغل الموسيقى في السيارة حين شعر بالملل بل وضع سماعة الهاتف الخارجية في أذنه ليسمع بعض الأغاني.. فلا أحد من أصحابه سيكون مستيقظا في هذا الوقت المبكر ليثرثر معه ومن هو مستيقظ فهو بالتأكيد في عمله .

عاد لينظر لأم هاشم التي تُسَبِّح على سبحة تشبه سبحة جابر ووصل لذروة مللة فقال لها وقد غلبه الفضول والقلق "هل هناك ما يحدث بينك وبين جابر؟"
رمقته بنظرة جانبية وعادت لشرودها بعد أن قالت" لا شيء"
سألها بإصرار "هل قالت لك كاميليا شيئا ليلة أمس؟.. أنا وأنت نعرفها لسنوات طويلة فهي

لم تتغير ..ظننت حين تزوجها جابر بأنها قد نضجت وتغيرت كما تغيرنا جميعا لكنها بقيت على حالها بل ..ويسامحني الله على هذا الشعور الذي لن استطيع أن أبوح به لجابر تحرجا ..أشعر بها باتت أسوأ بل أضحت شخصا ثقيلا غير مريح"

لم ترد أم هاشم واستمرت في صمتها تنظر أمامها فأضاف زين قائلا بما يفكر فيه" اسمعي يا أم هاشم ..أنا لا أعرف ما هي المشكلة بالضبط ..لكن نصيحة من أخ يكبرك بسنة كاملة أي أكثر حكمة منك بما يعادل ثلاثمائة وخمس وستون يوما .. أقول لك .. لو كان هناك أي منافسة بينك وبين تلك العقربة خضراء العينين التي كانت تتباهى بخضار عينيها ونحن صغار وكأنها فرجينيا الشرق التي لم تلد مثلها أنثى ..وقررت الهرب وإخلاء الساحة لها مع جابر فأقول لك أنت مخطئة .. فما أعرفه

عنك أنك محاربة شجاعة كيف تتركين لها حقك ؟!.. كما أنني لا أصدق أن أخي بعدما عاد للحياة معك .. وعاد له شبابه الذي سرقته الغربة وأضاعته بنت العسال سيفكر فيها مرة أخرى فلا تعطها الفرصة لأن تضغط بورقة ميس عليكما .."

غمغمت أم هاشم باقتضاب "الدفاع عن الحق يكون عما تملك.. أما مالا تملكه فلا حق لك فيه"

قال زين بسرعة "إذن كما خمنت ..هناك شيء بينك وبين جابر هو سبب هذه السفرة المفاجئة التي حلت فوق رأسي بدون إحم ولا دستور.."

لم ترد أم هاشم وعادت لصمتها فصاح زين بغيظ "تحدثي معي وإلا سأتوقف وألقي بك في عرض الطريق"

غمغمت الأخرى بلهجة مكتئبة" ربما كان هذا أفضل حتى أتوه وسط الصحراء واختفي"

غمغم ساخرا يحاول أن يبدد الجو المشبع بالكآبة في لهجتها "ما أجواء عنترة ابن شداد هذه !!.ما بك يا بنت الشيخ؟.. تكلمي .. هل أكلت القطة لسانك ؟!!..لقد كنتِ مثل المذياع الذي يثرثر بدون توقف"

لم تلتف أم هاشم ولم تقل شيئا بل استمرت في تسبيحها ليغمغم زين مناكفا" الحقيقة الحمد لله والشكر لله لتلك القطة التي أكلت لسانك وخلصتنا منه ..بل أتوقع أنهم مجموعة من القطط فلسانك كان طويلا لن تقدر على أكله قطة واحدة"

ردت عليه باقتضاب "العقبى لك حينما يأكل نِمْر لسانك فنتخلص من ثرثرتك التي تجلب الصداع ..فقطة واحدة لن تقدر على التهام لسانك كله"

انفجر زين ضاحكا فلاح شبح ابتسامة ضعيفة
على شفتي أم هاشم ليقول الأخر "حسنا
لنشغل الموسيقى في السيارة لنبدد هذا الجو
الكئيب خاصة بعد أن اطمأننا على أن لسانك
الحاد لا يزال طويلا "
ابتسامة أخرى ضعيفة زينت ثغر أم هاشم
بينما انبعث صوت الأغاني في السيارة .

شكله مش موضوع بسيط
فيه غدر وفيه حوارات
أنا بسهر بالساعات
كل دة بيحصل أوام
حاسس اني كدة ابتديت
ابقى رومانسي وضعيف
ليه نومي بقي خفيف ..
كنت لما بنام بنام

رمقته أم هاشم بنظرة جانبية وأخذت تراقبه
وهو يطبل مع إيقاع الاغنية على عجلة القيادة

بينما عيناه مختبئتان تحت نظارة الشمس
فتسللت ابتسامة ضعيفة إلى شفتيها وفرحة
من أجله تخفف عن قلبها الذي يعاني من
سكرات الموت.

الجمال عدي الكلام ..
تضحكيلي و تاخدي كام؟
أدفع العمر اللي جاي ..
بس و تردي السلام.
مش بأفوَر صدقيني ..
حس بيا كلميني
حتي لو موضوع غريب ..
اللي طالبه تفهميني
ده أنا و الله إبن ناس ..
مش بعاكس م الأساس.

xxxx

في المساء

ارتسمت السعادة على وجه مليكة وهي تستقبل بسمة وونس في شقتها الجديدة .. كانت مفعمة بالطاقة والحماس رغم أن الشقة لم تكن مرتبة ترتيبا كاملا فوقفت بين الكراتين والأشياء التي لاتزال ملفوفة في تغليفها في بهو شقتها الواسع .. وقفت ترتدي شورتا حتى الركبة وبلوزة خفيفة بدون أكمام ترفع شعرها فوق رأسها بأناقة ترحب بهما .. فقالت بسمة وهي تغلق الباب خلفها " أخيرا سنجتمع يا بنات .."

انتهت مليكة من عناق ونس وربتت بحنو على بطنها الظاهر ثم سألت بسمة بلهجة ذات مغزى "ظننت بأنه لن يتركك لتبيتي خارج البيت"

احمرت وجنتا بسمة وردت ضاحكة" طوال اليوم وأنا أحاول اقناعه بشتى الطرق وونس

كذلك تحاول إقناع شامل .. فلم يملك أمام اصراري الشديد إلا الموافقة .. الحقيقة أنا متحمسة جدا لتجمعنا معا وسعيدة بشدة " حضنتها مليكة بمحبة .. فقد كانت مفاجأة حضور أم هاشم واقتناع بسمة وونس بأن يحضرا للمبيت عندها يومين أو ثلاثة في جلسة نسائية سينسحب منها أولاد مفرح بعد يومين للذهاب للبلدة لزيارة جدهم الذي لم يزوراه بعد خروجه من المستشفى ولحضور الذكرى السنوية لوفاة أمهما ..كانت مفاجأة جيدة أنعشتها وشحنتها بالطاقة الإيجابية خاصة وأن البنات قد تطوعن لمساعدتها في ترتيب الشقة ووضع اللمسات الأخيرة لفرشها.

سألتها بسمة وهي تحمل حقيبة سفر صغيرة" أين أم هاشم؟"

قبل أن تجيب جاء صوت الأخيرة نزقا من الداخل تقول لأحدهم "بالله عليكِ أنا أريد

فقط أن تمسحي الأطباق جيدا أشعر بأنها لا تلمع.. أين الصعوبة في ذلك ؟"

ردت مليكة ضاحكة "منطلقة أمام النيش ترصه وتعذب الخادمة فهي باردة وبطيئة التنفيذ فتثير عصبية بنت الشيخ"
سألتها بسمة بقلق" هل علمت تفاصيل ما حدث بينها وبين جابر؟"
ردت مليكة بأسف " لا.. لم تتحدث منذ أن حضرت ..ولم تخبرني إلا بالخطوط العريضة التي أخبرتني بها في الهاتف صباحا ..وأنا لم أرغب في الضغط عليها بالسؤال فتبدو في حالة نفسية غير جيدة"
حضنت بسمة نفسها تفكر قائلة "الحقيقة لا أعرف التفاصيل أنا الأخرى لكن جابر بدا قلقا جدا حينما اتصلت به لأخبره عن توقعي لمكانها"

تحركت ونس نحو بعض اللوحات الموضوعة بعناية أرضا بجوار الحائط لتتفحصها بتدقيق ..فاقتربت منها مليكة تقول" سأنتظر رأيك الفني أيتها الفنانة لنعلق هذه اللوحات بشكل مميز"

اتسعت ابتسامة ونس ورفعت شعرها الكستنائي المموج خلف أذنها وهي تهز رأسها بتأكيد .. فقادتهما مليكة لغرفة السفرة حيث تجلس أم هاشم على مقعد أمام النيش وبجوارها خادمة شابة تمسح الأطباق بملل بينما أدهم وإياد يناولان أم هاشم بعض الأكواب من فوق السفرة لترصها.

دخلت بسمة تقول بلهجة مداعبة" نورت العاصمة يا بنت الشيخ زكريا "

استدارت الأخيرة وانتفضت واقفة لتسرع في معانقة بسمة بتأثر وهي تقول" اشتقت لك يا بسمة ولا أصدق بأننا سنجتمع سويا .. "

عانقتها الأخيرة بمحبة ثم ابتعدت تقول "كنت أخبر مليكة قبل دقائق بنفس الشيء"

سلمت بسمة على ولدي مفرح بينما نظرت أم هاشم لونس التي تقف بجوار الباب وتضع يدها على بطنها فسألتها "كيف حالك يا ونس؟"
هزت الأخيرة رأسها بابتسامة بينما وقعت عينا أم هاشم على بطنها وأصابها الحنين للإنجاب ..فتمنت لو حملت بطفل جابر قبل أن تتركه ..
يالها من هدية مدهشة لو كانت قد حملت بقطعة من جابر في رحمها..
أصابها وخز وتقلص مفاجئ في رحمها وأخر في ثدييها والكثير من العاطفة تدفقت من قلبها السقيم فأسرعت بالإشاحة بأنظارها خوفا من أن تحسدها دون أن تدري ثم ثبتت ناظريها على وجه ونس تقول بلهجة صادقة" ما شاء

الله لا قوة الا بالله ..ليتم الله لك على خير
ويرزقك بطفل سليم معافى"
قالت بسمة بلهجة متهكمة وهي تتطلع في
فوضى الأطباق والأكواب والكؤوس الفاخرة
على منضدة السفرة "لماذا بدأت بهذه السرعة
يا مشمش"
ردت مليكة" قلت لها والله أن تستريح اليوم"
قالت أم هاشم وهي تلتقط أحد الأطباق
البورسلين من فوق المنضدة " ولمَ التأجيل؟
..فلننتهي من ترتيب الشقة حتى نستطيع أن
نجلس باستمتاع (ونظرت للخادمة التي تمسح
الأطباق ببطء مستفز وقالت) المهم أن نتلقى
المساعدة السريعة لأني أكره البطء والميوعة
والبرود وإن فقدت أعصابي لن تستطعن
السيطرة عليّ"
أسرعت بسمة بالتدخل قائلة" دعيني أساعدك
أنا ولتذهب هي لتساعد مليكة في شيء أخر"

قالت مليكة للخادمة" تعالي أنت معي واتركي بسمة مع أم هاشم"
راقبت الأخيرة الولدين اللذين يتسحبا للهروب فقالت بلهجة متسلطة" إلى أين؟!!"
تخشبا لثوان ثم استدارا إليها ليقول أدهم" لقد قدمنا لك المساعدة بما يكفي"
هتفت بحاجب مرفوع" هل العشر دقائق هذه تسمى مساعدة؟!!"
رد إياد مجادلا" بل ثلاثة عشرة دقيقة ..أرجوك احسبي الوقت جيدا"
كتم الولدان ضحكاتهما أمام نظرات أم هاشم المستهجنة ثم قال أدهم" لدينا مباراة أونلاين الآن مع أصدقائنا ولن نستطيع أن نتخلف عن الموعد"
بينما صاح إياد وهو ينظر في هاتفه سيبدؤون حالا

أسرع أدهم بالهرب من الغرفة فلحق به إياد بعد أن لوح بيده لأم هاشم قائلا بلهجة مغيظة وابتسامة عريضة "good luck babe"
ضحكت الواقفات بما فيهن أم هاشم التي قالت له بلهجتها الساخرة" أكثر الله من خيرك يا حبيبي لم يدعني أحدهم بـ (بيبي) من قبل"
أسرعت ونس بالكتابة في دفترها ثم رفعته أمامهن" سأعود بعد قليل"
هتفت أم هاشم معترضة "ومن سيعطيني رأيه في اللمسات الفنية النهائية"
لم ترد ونس وإنما اندفعت لخارج الغرفة تلحق بالولدين في الممر مطلقة صوتا كالنداء من حنجرتها حتى ينتبها ثم لجأت لدفترها فليست معتادة بعد على التعبير اللفظي وكتبت "هل من الممكن أن ألعب معكما؟ .. أنا أعرف هذه اللعبة وألعبها مع شامل أونلاين كما أن معي هاتف حديث"

ناظرها أدهم بتردد وقال" لا نريد لاعبا ضعيفا معنا"
حركت له سبابتها نافية بينما قال إياد وهو ينظر في شاشة هاتفه" دعها تدخل فها هي منة الله قد أدخلها ياسر"
هز أدهم رأسه لونس موافقا فلحقت بهما بسعادة بينما نظر أدهم للهاتف بامتعاض متمتما "ما لزوم أن تدخلها يا ياسر الفريق به أولاد من مدرستنا ومن أصدقائك"

خرجت مليكة مع الخادمة لبهو الشقة بينما خلعت بسمة سترة صيفية خفيفة وجلست ببنطالها الجينز البسيط وبلوزتها الخفيفة بدون أكمام على أحد المقاعد تمسك بالقماشة وأحد الأطباق .
أما أم هاشم فعادت لشرودها تعاني من لوعة قلبها الذي يحتضر بينما ذهنها كله مع جابر

الذي هاتفها فور وصولها يسألها بكلمات مقتضبة ليطمئن على وصولها ويستفسر عن طبيعة المكان الذي ستمكث فيه ومن بالضبط معها وطلب منها ألا تتحرك إلى أي مكان إلا بعد أن تخبره ...فنظرت في ساعة هاتفها التي أشارت للعاشرة والنصف ليلا وقالت في سرها "انتهت الزيارة في المستشفى فهل يا ترى قد عاد إلى البيت؟؟ .."

xxxx

في بيت جابر دخل الأخير ومعه زين الذي عاد من العاصمة إليه بالمستشفى فاستقبلتهما نجف تسأل" كيف حال ميس؟"
رد جابر باقتضاب" تتحسن الحمد لله لكن لا تزال حرارتها ترتفع"
غمغمت نجف" شفاها الله و عافاها"
قال زين مرهقا" أنا جائع يا أمي أكلنا سندويتشات سريعة عند الغداء قلبت بطني

بعد أن رفض جابر أن نأكل مما دعانا إليه عماد العسال من طعام "
قالت نجف وهي تستقيم واقفة" حاضر بني سأضع لكما الطعام حالا (ثم نظرت لجابر الذي ألقى تحية المساء وتحرك يصعد السلم وقالت) إلى أين؟.. ألن تأكل؟"
غمغم جابر قائلا بإنهاك" ليس لي شهية يا أمي سأنام"

ولاحت منه نظرة سريعة على المطبخ الخالي منها وأكمل صعوده بينما اعتصر الألم قلب نجف مغمغمة "لو أفهم ماذا يحدث ؟..هو لا يتكلم ..وهي كذلك مدعين أن كل شيء بخير"
أما جابر فدخل للغرفة .. يتلمس أثرها في المكان مع بحثه عن سبحته التي لا يعرف أين نسيها .. ..

جالت أنظاره في كل ركن يحمل ذكرى لوجودها ثم اقترب من الكومود يتطلع في السبحة السوداء التي لم يرها من قبل فمد يده يلتقطها متفحصا وهو يجلس على السرير ..وبالرغم من دهشته من تلك السبحة لكنه أحبها.. فاستلقى على ظهره يفكر في تلك المجنونة التي ذبحت قلبه بتصريحها الصادم ومنع نفسه تحت وطأة جرح الكرامة والغضب من أن يتصل بها .
يحتاج لهدنة ..يحتاج لوقت لترتيب أفكاره ..يحتاج للنوم .. فاعتدل على جانبه بدون أن يبدل ملابسه وأغمض عينيه ليستسلم للنوم وكفه يقبض على السبحة السوداء التي هي بالتأكيد تخصها .

xxxx

بعد ثلاثة أيام
في المساء

قالت بسمة بنزق" متى سنغسل هذا القناع من على وجوهنا يا مليكة"

ردت الأخيرة وهي مستلقية بجوارها على المقعد أمام شاشة التلفاز تتابع فيلما رومانسيا" لابد أن يجف تماما لنفركه"

قالت بسمة بقلة صبر" جف على وجهي"

استدارت نحوها مليكة تتفحصها ثم قالت" لم يجف بعد يا بسمة"

تكلمت أم هاشم الجالسة متربعة على مقعد أخر" أشعر بأني بهذا القناع وهذه الجلسة المتخشبة أشبه مومياء في المتحف

..وتهاجمني الآن ذكريات تعذيب الخالة شهاليل لي"

قالت مليكة موبخة" إنه قناع الزبادي بالعسل أين التعذيب في ذلك؟!"

تطلعت أم هاشم فيهن الأربعة يجلسن باسترخاء على المقاعد الوثيرة وعلى وجوههن قناع للوجه من الزبادي بالعسل وقد اخترن فيلما رومانسيا أجنبيا للسهرة ثم قالت لبسمة وهي تتطلع في العباءة التي أخذتها من مليكة وارتدتها" العباءة رائعة يا بسمة عليك ما شاء الله"

غمغمت الأخيرة بخيلاء وهي تلقي ببعض المكسرات في فمها

"يا بنتي أنا بسمة الوديدي أي شيء يليق عليّ"

ضحكت أم هاشم وقالت" ذكرتني هذه العبارة بأيام المدرسة ..(أنا بسمة الوديدي)"

أضافت بسمة بلهجة مشاكسة" كما أنه من الممتع أن آخذ العباءة عنوة من خزانة بنت الصوالحة"

قالت الأخيرة بوجه متخشب من القناع" لا تؤثر تلك الأشياء الصغيرة على مليكة حبيبتي

فالخزانة مليئة بالملابس.. كما أنها منذ أن جاءتني هدية وهي ليست على ذوقي "
أنزلت بسمة وجهها تتطلع في العباءة الطريفة ثم قالت مبتسمة " بل هي غريبة .. والصور التي التقطتها لي ونس بها رائعة أتشوق لأن أريها لكامل "
ونظرت للهاتف الذي لا يكف عن الصفير واحمرت وجنتاها بينما ضحكت أم هاشم ثم أدارت وجهها ورفعت حاجبيها وهي تقول لونس "ماذا تفعلين؟؟"
كانت الأخيرة تلحس بإصبعها الزبادي من فوق وجهها.. فضحكت معهن ثم اعتدلت واقفة تقول بتلعثم "ثأغثيه إنه يعثبني"
(سأغسله إنه يعصبني)
قالتها وأسرعت نحو الحمام لتغسل وجهها بينما قالت مليكة بتأثر" كلما حاولت الكلام تغمرني بالسعادة"

عاد هاتف بسمة يصدر تنبيها بورود رسالة جديدة فقالت أم هاشم بعصبية "اغلقي صوت هذا الهاتف الذي يصدر صفيرا كل خمس دقائق يا بسمة"

ضحكت الأخيرة وقالت وهي تلتقطه" إنه كامل معترض كالعادة ويبحث عن شيء للخناق ليعاقبني على فعلتي بالمبيت خارج البيت "

غمغمت مليكة بلهجة متهكمة "زوجك سيكرهني لهذا السبب يا بسمة"

ردت الأخرى ضاحكة "هو كرهك بالفعل يا حبيبتي"

ضحكت مليكة ثم سألت أم هاشم" ماذا قلت يا مشمش؟.. هل ستفردين شعرك أم ستكتفين بكيه بالطريقة العادية؟.. أحتاج لأن أخبر مصففة الشعر التي ستأتينا غدا حتى تجهز أدواتها .."

قالت أم هاشم" رغم أنه مبلغ كبير لكنه ليس خسارة في شعري المهم أن يبقى شهرين أو ثلاثة كما قلت .."

قالتها ثم شردت تفكر.. لماذا ستدفع كل هذا المبلغ ومن تريده أن يرى النتيجة لم يعد متاحا!! ..

تماسكت وهي تخبر نفسها" لنفسك .. ستفعلينه لنفسك حتى تشعري بالثقة وتجددي طاقتك"

قالتها وهي تقاوم شعورها بالشوق الجارف لجابر.. فاختلست نظرة سريعة لهاتفها الصامت منذ ثلاثة أيام ثم قالت وهي تستقيم واقفة ببنطال بيتي مريح وبلوزة بنصف كم ومالت تجمع الأكواب التي شربوا فيها العصير وهي تقول "سأصنع فشارا .. أريد أن أجرب ذلك الإناء الذي يوضع فيه الفشار في الميكرويف"

قالت مليكة معترضة" اتركي الأكواب سترفعها الخادمة"

قالت أم هاشم وعلامات الامتعاض على وجهها "بالله عليك ارحميني من فقئ المرارة ..الأكواب أمامنا منذ أكثر من ساعة.. وهي لا تفعل شيئا سوى الانزواء في المطبخ والثرثرة في الهاتف.. من أين تأتي بالطاقة للثرثرة بالساعات وفيما تتحدث أصلا !"

ردت مليكة "إنها مؤقتة ..تأتي تحت الطلب ..لكني أنوي أن أحضر أخرى في حالة إن استقريت في هذه الشقة إن شاء الله ..(وتطلعت في المكان حولها الذي تم فرشه وترتيبه بشكل رائع وقالت) لا حرمني الله منكن يا بنات ..بصراحة لولاكن ما استطعت انجاز فرش الشقة بهذه السرعة"

غمغمت أم هاشم وهي تحمل الصينية نحو المطبخ" سنعود لهذا الكلام المعصب ..

(وأضافت وهي تبتعد) اوقفي الفيلم ولا أحد يمد يده على المكسرات حتى أعود .. كلن اللب إن أردتن"

في المطبخ ضحكت أم هاشم حين وجدت ونس تقف بجوار الثلاجة وفي يدها علبة من الزبادي تأكل منها فقالت لها ونس "وضعت عليه عثل"

مسدت أم هاشم على بطن ونس وقالت بحنان" الصغير يشتهي ما يريد (ثم مطت شفتيها وهي تلمح الخادمة الشابة تقف في شرفة المطبخ تتحدث في الهاتف بالهمس الضاحك فجزت على أسنانها تبرطم قائلة) اللهم ألهمني الصبر حتى لا أرتكب جريمة في بيوت الأخرين !"

××××

جلس العجوزان اللدودان في غرفة الضيافة في بيت العمدة على مقعدين متواجهين وشحنات

التوتر والعداء رغم الصمت القاتل تعبئ المكان حولهما .. بينما ذكريات وأحداث من منافسات طويلة أطول من عمريهما بدأها الأجداد تقف حائلا بين قلبيهما.

قال عبد الرحيم ممتعضا وهو يمسك بعصاه " أنرتنا يا حاج عبد الغني"

رد الأخر وهو يضع كفه فوق الأخر فوق عصاه بنفس الجلسة " بنورك يا عمدة حمدا لله على سلامتك"

رد الأخر باقتضاب " أشكرك"

ساد الصمت مجددا قبل أن يقطعه عبد الغني قائلا بحرج "أردت أن أشكرك على تكتمك على الخبر الذي يخص عائلتنا"

قال عبد الرحيم بقرف لم يستطع أن يخفيه "نحن عالقان سويا بهذه المصاهرة التي حدثت بيننا قبل ثماني سنوات يا حاج عبد الغني ..لذا ما يحدث لأحدنا يحدث للآخر للأسف "

تغاضى الأخر عن لهجة الأول العدائية وقال بلهجة صادقة "هذا ما أردت أن أقوله يا عبد الرحيم .. أولادنا اختاروا السلام.. ابنك وابنتي اختارا أن يكونا معا للأبد ..ومن أجل تمسكهما ببعضهما تعذبا كثيرا وأوشكنا على أن نفقدهما في لحظة ما .. أنا وأنت عشنا حياة طويلة تمتعنا بها ونفذنا ما أردناه من المنافسة فيما بيننا.. انتصرنا وذقنا مر الهزيمة مرات ومرات ..لكن ولدينا يا عبد الرحيم لا يزالا شابين وما حملاه من هموم وفواجع أغلبها كان بسببنا وبسبب ذلك الصراع الذي ورثناه"

غمغم عبد الرحيم في سره "يقول هذا الكلام الآن لأن ابنته هي المخطئة ونحن من تورطنا بسببها (وتكلم بصوت عال وبلهجة ممتعضة) وما المطلوب الآن؟ .. ها قد قبلنا بهما معا منذ سنوات وانتهى الأمر"

قال عبد الغني يحاول أن يسيطر على أعصابه أمام استفزاز الأخر وتلميحاته "عموما شكرا لك لأنك ستأخذ منا الأموال التي سندفعها لتعويض أهل البلدة وستتبنى توزيعها تحت اسمك كهدايا بمناسبة خروجك من المستشفى"

رد عبد الرحيم بزهو "ابني مفرح من سيقوم بذلك أمام الناس احتفالا بخروجي من المستشفى ..(ورفع سبابته منبها) كما أنه سيدفع من مالنا الخاص ثمن عجلين سيوزع لحمهما على الفقراء في البلدة بمناسبة شفائي.. أخبرك بهذا بوضوح حتى لا تعتقد أن مال العجلين من تلك الأموال"

قال عبد الغني بلهجة اعجاب ومحبة "مادام الأمر يقوم به مفرح فأنا واثق فيه تماما"

استفز عبد الرحيم الكلام فقال متحفزا "ماذا تعني بهذا الكلام يا عبد الغني؟ .. طبيعي أن هذا الشبل من ذاك الأسد"

عوج عبد الغني فمه وسيطرت عليه أحقاد الماضي فغمغم "وهل قلت أنا شيئا يستدعي تحفزك ..(وأضاف بمكر) لماذا شعرت بأني ألمح لشيء يخصك ؟..أم أنك كما يقول المثل(من على رأسه بطحة) !"

انفعل عبد الرحيم قائلا "كلامك لا يعجبني يا عبد الغني"

صاح الأخر مستهجنا "وماذا قلت أنا لكل هذا؟!!"

في الخارج نادى بشر على مفرح الذي يقف على مقربة يعطي بعض التعليمات لمضايفة ضيوف بيت العمدة في الذكرى السنوية لوفاة ميسرة فالتفت الأخير واقترب منه ليقول بشر من بين

أسنانه "يكفي عليهما هذا القدر وحدهما يبدو أنهما سيتشاجران"

أسرع مفرح بالدخول وخلفه بشر ليقول الأول "أنرتنا يا حاج عبد الغني (ونظر لوالده الممتعض قائلا) هيا يا حاج الناس تسأل عليكما"

مد بشر يده لوالده يساعده على الوقوف فتطلع فيه عبد الرحيم ثم نفض يد مفرح الممدودة نحوه يقول "أنا لازلت بصحتي "

تركه مفرح وهو يرفع حاجبيه فأستقام عبد الرحيم واقفا باستعراض وتحرك لخطوتين قبل أن يلحق به مفرح حين شعر به يحتاج للمساندة فقال عبد الرحيم بنزق "أين مصطفى؟.. لقد طلبت منه أن يباشر أمرا ولم يخبرني ماذا فعل"

ابتسم مفرح فوالده بات يسند بعض المهام لمصطفى الزيني وكأنه يعده ضمنيا لخلافته

رغم أنه لم يفصح عن ذلك لأي مخلوق لكن هذا ما خمنه من هذا التغير الجديد في معاملة العمدة لابن أخيه رغم أنه يفعل ذلك على مضض.. حتى أهل البلدة باتوا يلاحظون ذلك التغير ويلاحظون تعمده الجلوس بينهما مفرح على يمينه ومصطفى على يساره في أي جلسة تخص مجلس العمدة .. فرد مفرح" مصطفى بالخارج يستقبل الناس"

خرج العجوزان من الباب منحنيين الظهر يستندان على ساعدي ولديهما ..بينما الأحقاد القديمة أحمالا ثقيلة يجاهد أولادهما للتحرر منها و نفضها عن أكتاف الجميع .

xxxx

منتصف الليل

جلس جابر على السرير يشعر بالوحدة كذئب عجوز .. لقد مرت ثلاثة أيام على سفرها

ويشعر بأنهم ثلاث سنوات .. بالرغم من أنه يقضي اليوم كله بالخارج ويتبادل هو وزين مباشرة المحال التجارية والبقاء مع ميس في المستشفى ثم يعود بعد العشاء لينزوي في الغرفة وحده يصلي ويقرأ القرآن .. حتى الطعام لم يعد لديه شهية له ..

ارتكن بجذعه للخلف يحاول التمدد جالسا فوق السرير بينما رائحتها التي تستقبله بدلا منها كل ليلة بمجرد دخوله للغرفة لا تزال تطارده ..تحاصره ..تدغدغ حواسه كلها ..وتهيمن على مستقبلات الرجل فيه.

عليه أن يعترف بأنه قد اشتاق إليها جدا ..رغم غضبه وصدمته ..لكنه اشتاق إليها.

نظر للهاتف يفكر في الاستسلام والاكتفاء بمعاقبتها والاتصال بها .. فهو يمنع نفسه عن ذلك منذ أن اطمأن منها ومن زين على وصولها وفهم طبيعة وشكل المكان الذي ذهبت إليه

..ومنذ ساعتها وكبريائه يعاند في الاتصال بها
..أو .. ربما يعاقبها لأنها تركته وسافرت.. أو
..يعاقبها عما بدر منها منذ أن صدم بما علمه منها ..
إن مشاعره قد تورطت معها .. هذا ما عليه أن يعترف به وهذا ما يجعل الصدمة أكثر إيلاما ..
وربما هذا الذي يجعله غير قادر على فهم واستيعاب ما علم به ..
إنه مرتبك وغير قادر على تفسير ما حدث بشكل منطقي يفهمه ..فهو من الأساس شخص واقعي عقلاني ليس له في أمور العشق والغرام
..ليس تعاليا على هذه المشاعر أو استصغارا لها
..لكنه يعلم بأنها لا توجد إلا في الروايات والأفلام ونسبة حدوثها في الواقع قليل جدا
..ولم يتخيل أن يمر هو يوما بهذه المشاعر.

أجل إنه يحبها .. يحب بنت الشيخ زكريا ..
يحبها قلبا وقالبا .. شكلا وجوهرا .. يحبها رغم
صدمته وعدم فهمه لما فعلت ..
ولكن ماذا سيفعل معها الآن؟ ..
اعتدل مستقيما مقررا بأنه لن يفعل شيئا..لن
يتغير في وضعهما شيء.. حتى لو لم تكن تحبه
.. حتى لو كانت قد تزوجته لأسباب غريبة لا
يفهمها.. حتى لو كان مجرد رجل اختارته
لتتخلى عن حياة العنوسة ..لن يفعل شيئا ولن
يتركها .. إنها على ذمته .. مسؤوليته .. قبل أن
تكون أم قلبه ولن يقدر على تركها .. ولن
يتحمل فراقها .
ابتأست ملامحه وغمغم "حتى لو كنت نذلا
وصغير العقل يا جابر وترغب في الثأر لقلبك
..فأنت لن تقدر على تطليقها .. حتى وإن كانت
هذه المجنونة تريد ذلك ..فأنت تحبها يا غبي"

شعر بأنه قد رتب بعضا من أفكاره ..ربما لم يفهم بعد ما حدث وأسبابه ..لكن على الأقل قرر ما سيحدث بعد ذلك وما سيفعله ..فنظر للهاتف من جديد وعلى ضوء اعترافه لنفسه قبل قليل أحس بالمزيد من الوحشة والفراغ في قلبه ..وبرغم الغصة وجرح كبريائه التقط الهاتف ورفعه على أذنه .

يا (جابر) بص في عنيا
وشوف إيه انكتب فيها
دي نظرة شوق وحنية
ودي دمعة بداريها
ودة خيال بين الأجفان
فضل معايا الليل كله
سهرني بين فكر وأشجان
وفاتلي جوة العين ضله

كانت أم هاشم تدندن بصوت خافت مع أم كلثوم وهي تجلس وحدها أمام التلفاز في غرفة المعيشة .

لقد صلت وقرأت القرآن وجافاها النوم ككل ليلة فخرجت تقلب في التلفاز وتوقفت عند هذه الأغنية التي اخترقت قلبها ..
رغم الشوق المعذب ..ورغم لومها لنفسها من أنها كان من الممكن أن تبقى قليلا وتملأ عينيها منه لأخر لحظة مقدرة بينهما .. ورغم اشتياقها لسماع صوته.. لكن كبريائها اللعين منعها من الاتصال به .. خافت من أن تبدو مثيرة للشفقة خافت من قلبها .. ذلك العصي العنيد الذي لا يتوب أبدا عن حبه لجابر .. خافت من قلبها أن يجبرها على فعل ما يجرح كبريائها .. ما يضعفها .. أو بمعنى أدق ما يظهر ضعفها..

حين أضاءت أنوار الهاتف أمامها في الغرفة شبه المعتمة إلا من ضوء التلفاز وأضواء خافتة جانبية قفزت من جلستها المتكومة على الأريكة وأسرعت بالرد وهي تكتم صوت التلفاز

"نعم جابر"

بعد ثانيتين من الصمت أتاها صوته الرخيم هادئا غامض النبرات يقول "السلام عليكم ورحمة الله"

ردت بابتسامة مشتاقة لصوته وضربات قلبها تكاد تحطم قفصها الصدري "وعليكم السلام والرحمة"

سألها باقتضاب "كيف حالك يا أم هاشم؟"

ردت بحنو اخترق قلبه فتدفق منه الكثير من المحبة "بخير ..نحمد الله.. كيف حال ميس طمئني"

قال بلهجة لائمة "لو كنت تريدين المعرفة كنت اتصلتِ"

تجمعت الدموع في عينيها وردت بحشرجة خافتة "كنت أعلم بأنك مشغول معها ولم أرغب في أن أثقل عليك باتصالاتي ..أهي بخير؟"
أجاب باقتضاب "أجل حمدا لله ..لكنها لا تزال بالمستشفى ..أريدها أن تتعافى تماما قبل أن تخرج "
ضربت على قلبها بقبضتها بحركة لا إرادية وصورة كاميليا الملازمة لابنته في المستشفى تحرق قلبها بالغيرة وهي تغمغم "حمدا لله على سلامتها"
سألها مباغتا "هل يعجبك المكان عندك؟"
أجابت أم هاشم بصدق" جدا .. المكان جميل رغم أنني لم أغادره لكننا أمضينا وقتا رائعا في ترتيب الشقة ..ما شاء الله لا قوة الا بالله رائعة وراقية جدا ..كما أن فرصة تجمعنا نحن الأربعة فرصة نتمنى أن تتكرر"

عقد حاجبيه وسألها "من الأربعة؟ هل معك أحد غير بنت الصوالحة؟"
ردت بابتسامة "بسمة وونس بنت العم عيد حضرتا مساء اليوم الذي وصلت فيه ..ونبيت نحن الأربعة في الشقة وعمار صوالحة يسكن كما أخبرتك في الطابق الأرضي بمدخل مختلف.. والوحدة السكنية كلها عبارة عن شقتين فوق بعضهما لعمار ومفرح بحديقة صغيرة وبوابة .. وزوجة عمار تصعد لتجلس معنا بعض الوقت .. إنها سيدة لطيفة .. وأولادها ظرفاء كانوا يصعدون عندما كان أدهم وإياد هنا لكنهما الآن في البلدة عند جدهم لبضعة أيام.."

كانت تريد أن تثرثر لإطالة الوقت ولسماع صوت أنفاسه العالية على الهاتف والتي لم

تفهم سببا لها ..فهو لا يتنفس بهذا الصوت العالي في العادة .
قال جابر بلهجة مقتضبة وقد أغاظه ما فهمه منها بأنها مستمتعة ولا تتألم ولا تتعذب مثله
"حسنا من الجيد أنك سعيدة عندك ..عموما استمتعي جيدا لأني حين أطمئن على ميسة لنا جلسة أنا وأنت .. مواجهة صريحة سنضع فيها النقاط على الحروف وسنحدد فيها شكل القادم بيننا.. وأتمنى ألا تخذليني "
أسرعت بالقول بلهجة مطمئنة "لا تقلق ..صدقني يا جابر أنا لست عقبة أبدا ..ولا أريدك أن تعبأ بي أبدا ..أبدا ..أعدك بأن كل ما تتمناه سيتحقق ..كل شيء"
غمغم بابتسامة ساخرة وبلهجة مرة "كنت دوما أعي بأنه ليس كل ما يتمناه المرء يدركه واتقبل هذه الحقيقة وأجدها منطقية جدا وواقعية ..لكني لأول مرة تصيبني تلك العبارة

بالحسرة على شيء كنت أتمناه بشدة .. فياله من شعور صعب أن تتبخر أماني عزيزة ..وتذهب أدراج الرياح أمام عينيك في لمح البصر!"

سقطت دمعة ساخنة مفاجئة على وجنتها ولم تفهم شيئا مما قال سوى أنه يتألم فأسرعت بالرد وهي تمسح الدمعة" لا تقل هذا يا جابر كل شيء إن شاء الله في طريقه للإصلاح وكما قلت لك أنا لست عقبة في طريق سعادتك"

أحزنه ما فهمه بأنها ستتخلى عنه بهذه السهولة فغمغم بلهجة متألمة خافتة" بل أنت العقبة نفسها"

لم تفهم أم هاشم فسألته "ماذا قلت؟"

أجاب وهو ينهي المكالمة" لا شيء فالحديث في الهاتف لن يجدي .. إن احتجت لشيء أخبريني"

"جابر"

قالتها بتلك البحة التي يرتج لها قلبه فرد بخفوت "نعم"
تكلمت بحرج "كنت أريد أن أفرد شعري وسأصرف من النقود التي أعطيتها لي مبلغا كبيرا"
عبس وسألها "وأين ستذهبين لتفعلي ذلك"
ردت بسرعة "لن أذهب لمكان ستأتي سيدة من صالون التجميل تعرفها مليكة"
هز رأسه وقال بسرعة"لا بأس افعلي ما تريدين تصبحين على خير"..
أغلق جابر الخط وألقى بالهاتف على السرير ثم استلقى يوليه ظهره مغمغما لنفسه "هدئ من روعك يا جابر ..إن كان الله لم يزرع حبك في قلبها كما زرع حبها في قلبك فهذا قدرك وعليك الرضا بذلك .. يكفي بأنها في حياتك وعلى ذمتك) ثم سيطر عليه نزق العشاق فعاد يقول

لنفسه متوعدا) وهذا لا يعني ألا تكسر رأسها الغبي لربما أدركت كم هي غبية "
أما أم هاشم فكانت تحضن الهاتف مغمضة العينين متكومة على الأريكة وصوت أم كلثوم يعزف على وتر الألم في قلبها.

وبين شوقي وحرماني
وحيرتي ويا كتماني
بدي اشكيلك من نار حبي
بدي احكيلك ع اللي في قلبي
وأقولك ع اللي سهرني
وأقولك ع اللي بكاني
واصورلك ضنا روحي
وعزة نفسي منعاني

xxxx

خرج مفرح من الحمام بعد أن أغتسل والتقط هاتفه يتصل بمليكة وهو يجفف شعره بالمنشفة فجاءه صوتها قلقا تقول" ما كل هذا

الوقت يا مفرح؟ ..حتى الولدان لا يجيبان على هاتفيهما منذ عدة ساعات.."
رد عليها موضحا" الولدان ناما مبكرا ..كان اليوم مرهقا لهما في الختمة فسمحت لهما بالصعود للشقة حين تأخر الوقت"
سألته بقلق" هل مررت عليهما حين صعدت واطمأننت بأنهما بخير؟"
أجاب مطمئنا "لا تقلقي يا مليكة اطمأننت عليهما قبل دقائق"
غمغمت براحة "الحمد لله (ثم عادت تسأله بتحفز) هل أنت متأكد أن والدتك لا تعاملهما بفظاظة ؟"
رد عليها مطمئنا من جديد " قلت لك إنها تتحاشى التحدث معهما بعد أن حذرها أبي .. وحتى لو عاملتهما بفظاظة هي جدتهما وعليهما تحملها كما أقول لك دوما "
صمتت قليلا ثم سألته "وكيف سار اليوم؟"

ألقى بالمنشفة واستلقى على السرير عار الجذع مجيبا "سار بشكل جيد الحمد لله .. النسوة سألن عنك ووصلهن أنك ملازمة لأخيك المريض ..كذبة قلناها لأهل البلد ولا أعرف سيصدقونها أم لا لكني لن أشغل رأسي بهذا الأمر .. فبه ما يكفي ويزيد "

"والتعويضات؟"

سألته مليكة باهتمام فرد مفرح موضحا "التعويضات الخاصة بالمتضررين من حرق الحقول كما اتفقنا أخبرت أنا أهل البلدة بأن أولاد الزيني سيتكفلون بتعويض أهل البلدة الذين تضرروا ..وطبعا كما اتفقنا مع الصوالحة لن نخبر أحدا بأن تلك الأموال من الأساس أموال الصوالحة"

قالت بلهجة قلقة " أخشى أن يشك الناس في أولاد الزيني يا مفرح فأنتم حددتم بالذات تعويض من تضرروا من تلك الحرائق"

قال مصححا" لا بالطبع لسنا أغبياء لنفعل ذلك ..فأنا ومصطفى رتبناها جيدا .. لقد أخبرناهم بأننا سنعوض من تضرر من أي شيء خلال هذا العام ولم نحدد فقط من أصاب الحريق حقولهم .. بل كل من تضرر من البسطاء ..مثلا من ماتت له جاموسة أو هدم له جدارا أو سقط له سقفا ..أي شيء من هذا القبيل ..ومعهم من حرقت حقولهم والحمد لله الناس استقبلت الخبر بالتهليل والفرح"

شعرت مليكة ببعض الراحة فسألت "وكيف كان لقاء أبي بالحاج عبد الرحيم؟"

تنهد مفرح بصوت عال ورد "لم يكفا عن المناكفة المبطنة كطفلين صغيرين في الروضة.. المهم أن اليوم انتهى على خير وأستراح ضميرنا بشأن المتضررين"

غمغمت شاعرة بالذنب "سامحني يا مفرح فأنا أزيد من همومك بل أنا سببها كلها"

أغمض عينيه بإرهاق قائلا "لو كانت الهموم هي مليكة فمرحبا بها ..ليس حبا في الهموم ..ولكن لأن الحياة بدونها ..مليكة طبعا وليس الهموم ..فاقدة للمعنى"

اتسعت ابتسامتها واستلقت على جانبها فوق سريرها ببعض الاسترخاء وهي تقول "أصبحت شاعرا"

فتح عينيه يحدق في سقف الغرفة قائلا بلهجة ساخرة "أجل ..وهذا أقصى مراحل العذاب ..حين تفقد الأمل والرؤية ..فتصبح شاعرا تغني على الربابة"

انفجرا ضاحكين بعدها بضحكات مقهقهة ثم سألته مليكة "متى ستأتي اشتقت لك"

رد بابتسامة "آتيك الآن إن أردت ..لكن الشقة مملوءة بالنساء.. هل تقضين وقتا ممتعا؟"

ردت بسعادة "أجل.. الحقيقة أحببت الصحبة وشعرت بالدعم.. ودللنا أنفسنا"

قال مغازلا "من حق الحلو أن يتدلل"
ساد الصمت فسألها "هل جاءتك نوبة السير أثناء النوم مرة أخرى في هذه الشقة؟ "
ردت بخفوت " لا هي مرة واحدة في الليلة التي غادر فيها الولدان كما حكيت لك .. وجدتني أم هاشم الساهرة أمام التلفاز في غرفة المعيشة أحاول أن أفتح الباب وحين سألتني إلى أين أخبرتها بأني سأذهب لأولادي لأعيدهم من عند الحاجة نحمده .. فأقنعتني كما فهمت هي من التعليمات أن أعود للنوم فعدت "
قال بقلق " هل عمار يغلق كل شيء جيدا قبل النوم؟ "
قالت مطمئنة" لا تقلق إنه يحضر كل ليلة رغم حرجه من اختراق خلوة النساء ليتأكد بنفسه من الأقفال على النوافذ ويؤكد علينا غلق الباب .. كما أنه يغلق البوابة بالأسفل بالجنزير كل

ليلة بنفسه.. وأم هاشم وبسمة الحقيقة
تنفذان التعليمات بدقة "
غمغم مفرح براحة " الحمد لله "
قالت بلهجة متألمة " أعدك بأن ألملم أشلاء
مليكة بسرعة وأن أعوضك يا مفرح عن كل
هذا"
رد مشاكسا بلهجة ساخرة " خذي وقتك ولا
تشقي على نفسك ..فأنا زهدت الدنيا وما فيها
..ولم أعد أفكر في تلك الأمور الدنيوية الفانية
المبتذلة الرخيصة التي تشبع الغرائز الجائعة ..
لم أعد أفكر في تلك الأمور أبدا ..أبدا ..(وأضاف
بلهجة مسرحية منغمة) فالحياة فانية
والإنسان آخرته مساحة متر في متر سيتكوم
فيها"
انفجرت مليكة بالضحك فشاركها مفرح
لتغمغم هي من بين ضحكاتها "ما شاء الله
عليك وعلى زهدك!"

ساد الصمت لبرهة فاعتدل مفرح لينام على جانبه والهاتف تحت أذنه وقال بصوت متهدج
خافت "مليكة"
"نعم"
قال بهمس " هل أستطيع أن أخبرك بشيء دون أن أشعرك بالذنب أو أثقل على كاهلك؟"
قالت بلهجة صادقة " قل ولا تهتم بي ..أنا أحاول أن أتعامل مع حالتي بنضوج"
سحب نفسا عميقا ثم قال بصوت متهدج خافت " أشتاق إليك مليكتي ..وأشتاق لأن أدفن رأسي في حضنك و ****"
استمر مفرح في البوح مغمض العينين.. تكلم بجرأة ووصف مشاعر حسية لزوج يشتاق لحليلته فأنصتت مليكة لغزله الصريح بصمت ودموع وجسدها يتجاوب مع كلماته الحسية الجريئة التي داعبت مكامن أنوثتها .. حتى غفيا

ولم يعرفا من منهما قد استسلم للنوم قبل الأخر .

xxxx

"كيف حال الكابتن ميسي المحترف؟"
سؤال سأله شامل لونس على الواتساب فكتبت بتأفف" يركل ويركل طوال الوقت "
"اتركيه يركل يا ونس إنه يتمرن حتى يولد محترفا في كرة القدم (ابتسامة سعيدة)"
"أنت تمزح وأنا أعاني يا شامل (وجه غاضب)"
"لا بأس عليكِ حبيبتي سأعاقبه حينما يولد إن شاء الله لأنه يعذب جنيتي (قلب أحمر)"
مطت ونس شفتيها وهي تستلقي على سرير إياد ثم كتبت "ويجعلني أجوع كثيرا حتى أني بت أشعر بالحرج من البنات أجوع وآكل وأجوع مرة أخرى"
ضحك شامل وهو يدخل من الباب الموصل بين المطعم والفيلا بعد أن انتهى العمل

واطفأت الأنوار وكتب "بالتأكيد هم متفهمون لأنك حامل يا ونسي"

"وجه بائس"

"أو ربما يكون هذا الجوع رغبة في سد احتياجا عاطفيا معينا (وجه يغمز)"

عبست وكتبت "لا أفهم"

توقف شامل في بهو الفيلا المظلم جزئيا وابتسم من سذاجتها وكتب موضحا "أقصد احتياجا لشامل .. أي أنك اشتقت لشامل"

قوست شفتيها لأسفل وكتبت "هذا صحيح اشتقت لك (وجه بائس)"

"ما دمت قد اشتقت لي يكفي هذا القدر وآتي لآخذك .."

كتبت بتردد " لا أريد أن تحزن مليكة .. لقد قالت بسمة أننا ندعمها بتجمعنا حولها ..كما أنني أحببت الأجواء هنا ولأول مرة يكون لي صاحبات ونقضي الوقت سويا (وجه يصدر

قلوبا حمراء) لقد شاهدنا العديد من الأفلام الرومانسية ودللنا أنفسنا واهتممنا بجمالنا وضحكنا كثيرا انهن يغظن بعضهن بطرق صبيانية جدا (وجه يقهقه)"

كتب يشعر بالغيظ "والطعام الذي نرسله من مطعمنا كل يوم على الغداء أليس هذا تدليلا لكن أيضا ؟! (وجه يرفع حاجبا متحفزا)"

اتسعت ابتسامتها وردت " أجل ..الحقيقة الكل يشيد بالطعام .. بالمناسبة نسيت أن أخبرك بألا ترسل أي طعام للغداء غدا ..لأن أم هاشم ستطبخ لنا محشي"

"أفهم من ذلك أنني لن أراك (وجه بائس)"

ابتسمت وهي تكتب "بسمة قالت بأننا سنبقى حتى تعود أم هاشم فلا يصح أن نتركها ونرحل"

"وماذا بشأني أنا (وجه حزين)"

سألته بقلق "ما بك؟"

"خائف يا ونس.. بدون جنيتي أنام وأنا خائف (وجه يبكي)"
ضحكت ونس وكتبت "أنت تمزح معي كي أعود بسرعة"
لمعت عينيه بالمكر وكتب لها " اسمعيني يا ونس عندي فكرة جهنمية .. ما رأيك في أن نقوم بمغامرة؟"

××××

في نفس الوقت قالت بسمة في الهاتف وهي تتثاءب ناعسة "هل تريد الشجار يا كامل؟"
قال بغيظ "وهل عندي غيره وأنت تصلبين رأسك!"
قالت بلهجة رتيبة "يا حبيبي تعبت من اخبارك بأنني لابد أن ابقى حتى ترحل أم هاشم وحتى أدعم مليكة .. لا تتصور كم هي فرحة بلمتنا"

تكلم بحنق صبياني وهو يخلع ملابسه " وما ذنبي أنا لأتحمل ذلك ؟!!..أنا زوجك ولي حقوق عليك"

قالت باستنكار "كامل لم ابتعد إلا ثلاثة أيام!!"

استفزه برودها وازداد غيظه فقال منهيا الاتصال "حسنا أنا الشخص التافه وأنت لا يفرق الأمر معك ..تمام ..فهمت"

أغلق الخط وألقى بالهاتف على السرير ثم دخل الحمام فجزت بسمة على أسنانها واعتدلت على السرير في إحدى الغرف بالشقة واتصلت به ..وبعد مرات دون رد جاءها صوته أخيرا يقول بتحفز "نعم ..ماذا تريدين؟"

هتفت بغيظ "هل أغلقت الهاتف في وجهي يا كامل !!..ولماذا لا ترد؟"

رد بعنجهية "أنا حر ..ليس لدي مزاج للرد عليك"

قالت متوعدة "هكذا!"

رد مؤكدا لها بعناد صبياني " نعم بالضبط مثلما أنت حرة في قراراتك بالابتعاد عني كل هذا الوقت"

حاولت تجنب الصدام رغم تكرار تلك المحادثة أكثر من مرة بينهما فقالت بلهجة هادئة " يا كامل ألا يحق لي زيارة صاحبتي؟!"

قال بغيظ "زيارة وليس المبيت"

ردت بغيظ مماثل "أنت أيضا كنت عند مفرح اليومين الماضيين أنت وشامل ..وقضيتما الوقت في الألعاب الالكترونية ومشاهدة المباريات ولم تتركاه إلا ليلة أمس بسبب المطعم"

مط شفتيه وقال وهو يقف في وسط الغرفة يده في جيبه "ماذا تريدين الآن؟.. ألست مستمتعة عندك اتركيني في حالي"

ابتسمت وقالت بلهجة شقية "عليّ أن أعترف بأني اشتقت إليك يا كيمو"

لانت ملامحه وسألها "حقا؟"
ردت بدلال "امممممم"
قال بلهجة متسلية "إذن ما دمت اشتقت لي
..ما رأيك أن أمر عليكِ الآن وآخذك ثم أعيدك
إليهن في الصباح"
ردت بدلال تلقائي لا يخرج إلا له " لا يصح يا
كيمو ماذا سيقلن عنا!"
قال ببساطة "أخبريهن بالحقيقة"
عبس وجهها وسألته باستهجان "أية حقيقة
بالضبط؟!"
رد بتسل "بأننا نحاول إنجاب نخلة صغير"
ضحكت وقالت مقارعة "على حسب ما
افهمتنا الطبيبة فالأوقات ذات الاحتمالية
العالية لحدوث الحمل في هذا الشهر انتهت يا
كامل"
هدر فجأة بغيظ "باسمة ..."
انتفضت مجفلة وقالت "نعم"

صمت قليلا ثم قال بامتعاض "حسنا ..اذهبي"
"كامل"
قالتها بلهجة مغناج جعلته يصمت لثوان وهو يمسك بين عينيه ثم قال "نعم"
ارتجف قلبها كعصفور ينفض ريشه بسعادة
وقالت بلهجة عاشقة "الحقيقة أني برغم استمتاعي برفقتهن لكني اشتقت إليك بشدة"
مسح على مؤخرة عنقه بيده وقد ارتجف قلبه لتصريحها فقال بلهجة حارة "اثبتي لي"
"كيف؟"
أضاف بلهجة ساحرة مغوية تخصه " سآتي لآخذك ونسهر سويا في مكان أو نعود لبيتنا إن أردت.. ثم أعيدك في الصباح"
ترددت بسمة قليلا وقلبت الأمر في رأسها ثم ردت بأسف شديد " سامحني يا كامل ..من أجل مليكة ..فلا أريدها أن تشعر بأنني متضررة

من وجودي معها ..ولا أريد لأم هاشم أن تشعر
بالحرج لأنها باقية لبضع أيام أخرى"
صرخ معترضا "وما ذنبي أنا!!"
صرخت مجيبة وهي تعتدل على السرير "ذنبك
أنك حبيبي وعليك أن تتحمل "
كانت تجن جنونه بمغازلتها له فنكش شعره
حانقا ينفخ بغيظ طفولي" اووووف!"
عادت للتدلل الأنثوي الذي لم تعرف كيف
اكتشفته بداخلها فقالت بلهجة مداعبة "
حبيبي الوسيم"
قال محذرا "لا تحاولي التأثير عليّ من فضلك"
حاولت أن تغير الموضوع فقالت "هل رأيت
صورتي بالعباءة التي سرقتها من مليكة؟ ..
اعجبتني فصادرتها ..انتظر"
أبعدت الهاتف وأرسلت له صورتها وهي ترتدي
عباءة بقصة الفراشة من الحرير الاسود بنصف
كم ..مطبوع عليها بطول العباءة صورة لوجه

امرأة زرقاء العينين بغطاء رأس شعبي على الطراز القديم وترتدي (بُرقُع) تغطي به وجهها عبارة عن شبكة من الخيوط الذهبية والدلايات الذهبية البارزة التي تتدلى من العباءة "

هتف كامل مبهورا " واااااو .. العباءة رائعة جدا ... وهذا البرقع رهيب لو ارتديت مثله يوما سيبرز زرقة عينيك الاجمل من زرقة عيني هذه الموديل المطبوعة على العباءة"

أطلقت بسمة ضحكة عالية فقال كامل بحنق" لا تضحكي بهذا الشكل وتستفزيني"

استلقت على جنبها تستند بمرفقها على الوسادة وقالت بلهجة ذات مغزى "أعدك بأني حين أعود سأعوضك بأي طريقة تريدها"

صمت قليلا ثم سألها وهو يعود بظهره ويجلس على طرف السرير "أي طريقة؟"

"اممم"

قال بصوت أجش "أريدك أن ترقصي لي بتلك العباءة ذات البرقع الذهبي البارز"
اعتدلت في جلستها تطلق صيحة استنكارية "ها!!"
قال ببرود وثقة "هذه أمنيتي"
هتفت بغيظ " كامل أنت وأمنياتك غاية في الابتذال"
رد ببرود "شكرا .. ها ماذا قلت؟"
جلست معتدلة على السرير وردت بلهجة جادة "الحقيقة يؤسفني أن أخبرك بأني فاشلة في هذا الموضوع ولا أتخيل نفسي أفعل شيئا كهذا"
رفع حاجبا وقال "كل النسوة ترقص لأزواجهن"
تكلمت مقارعة " هذا التعميم غير دقيق كامل بك"
جز على أسنانه وقال بغيظ "اذهبي يا باسمة حتى لا ترفعي ضغطي"

أسرعت بالقول في محاولة لإيجاد حل وسط في لحظات الصدام .. شيء تعلمته في رحلة نضوجها " حسنا ..اسمعني أنا بالطبع أريد أن أحقق لك كل أمنياتك وأنت تعلم كم أتمنى إسعادك ..لكني يا كامل أنا لا أعرف ولست موهوبة مثل الأخريات ولا أشعر بالراحة بالقيام به صدقني ..كيف أفعل شيئا لا أشعر بالراحة فيه!"

قال باستهجان "ألست زوجك؟"

دلكت جبينها حائرة في التصرف ثم قالت " الأمر ليس كذلك .. القصة وما فيها أني أشعر بالتفاهة إن فعلت ذلك.. لا أعرف أشعر بأنني سأكون هبلاء خاصة وأني فاشلة فيه.."

رد باقتضاب " تمام فهمت .. هيا اذهبي لتنامي .. تصبحين على خير "

"كامل"

زفر مغتاظا "نعمممم"

سألته شاعرة بالذنب " هل هذا الموضوع مهم بالنسبة لك؟"
عبس يسألها " لماذا تسألين؟"
"أريد أن أعرف مدى أهميته لك"
سألها بجدية "ماذا لو كان غاية في الأهمية لي"
صمتت قليلا ثم قالت تداري ضيقها "مادام كذلك إذن سأفعله من أجلك"
رفع حاجبا وسألها بهدوء "حتى لو لم تحبيه؟"
هزت رأسها وردت بصدق " حتى لو لم أكن أحبه ..سأفعله مادام إلى هذا الحد مهما لك .. (وأضافت بسرعة) لكن ليس كثيرا .. فلنجعلها مرة كل فترة كبيرة .. من أجلك فقط "
صمت طويلا يداري تأثره لما تنوي أن تفعل من أجله ثم قال بلهجة جادة "حسنا لستِ مضطرة لفعل ذلك يا باسمة ..الأمر ليس مهما إلى هذا الحد"
قالت مؤكدة "صدقا يا كامل سأفعله"

رد بإصرار "قلت لك ليس شيئا مهما صدقيني..
كنت أناغشك وأتدلل عليك بطلباتي لا أكثر"
"حقا يا كامل؟"
أجاب بجدية " حقا يا روح كامل ..الأمر فعلا
ليس بهذه الأهمية عندي .. (وأضاف بغيظ
شاعرا بالإهانة) كما أنني لست تافها إلى هذه
الدرجة التي تجعل أمرا كهذا حلم سأتحرق
لتحقيقه!"
قالت بلهجة لعوب " لم أقصد بأنك تافه ربما
قصدت بأنك وقح"
تنحنح وقال بلهجة متسلية "بدأ الحديث يأخذ
منحنى يعجبني استمري"
رفعت حاجبيها وسألته "استمر في ماذا؟"
رد بابتسامة شقية" في وصف وقاحتي"
عبست فجأة وقالت "انتظر ثواني يا كامل"
لهجتها أقلقته فسألها "ماذا حدث؟"

قفزت بسمة من سريرها تخشى من أن تكون مليكة قد تحركت وهي نائمة مجددا ..ففتحت الباب بهدوء وتحركت في الظلام خلف الجسد الذي يتسحب ببطء لا تريد افزاعها حسب التعليمات .. حتى خرجت للصالة الداخلية فسمعت صوت أم هاشم الحازم يقول "إلى أين"

قبل أن يسلط ضوء هاتف أم هاشم على ونس التي استدارت إليهما وغطت وجهها بحرج.

قبل دقائق

قال شامل لونس على الواتساب "جنيتي هل نمت؟"

"لا"

"هل استعديت؟"

قضمت ونس شفتها وكتبت بقلق " أجل لكني أشعر بالحرج منهن حين يكتشفن اختفائي"

رد يقنعها "بالعكس ستكون لعبة ممتعة لكلينا ..أن ننفذ خطة هروبك من السجن ..ونرسل لهما رسالة بعد تحريرك بأنك قد هربت مع حبيبك شامل ومعها ضحكة شريرة"

قالت مبتسمة "حسنا سأفعلها لأني تحمست للفكرة ولم أفعل شيئا حماسيا مغامرا منذ فترة"

كتب شامل "رائع جنيتي ..الجني وصل أمام البوابة بالأسفل علينا بتنفيذ الخطة دون إيقاظ أحد"

جهزت ونس حقيبة ملابسها الصغيرة وعقدت شعرها خلف رأسها كذيل حصان منخفض ..ثم فتحت باب الغرفة وتسللت على أطراف أصابعها.

في الصالة هتفت بسمة باعتراض بعد أن اشعلت أم هاشم الضوء ووقفت أمامها متخصرة "خيانة أنت خائنة"

كشفت ونس عن وجهها محمرا وهي تقول بحرج" شامي بالاثفي"

(شامل بالأسفل)

على الهاتف الذي لايزال مفتوحا سمعت بسمة صوت كامل صارخا غاضبا "شامل !!.. تقولين شامل !!.."

أغمضت بسمة عينيها وهي تسمع صياحه بينما خرجت مليكة تقول ضاحكة" لا بأس يا ونوس انزلي له"

عضت الأخيرة على شفتها ثم تقدمت لتحضن مليكة مودعة وهي تقول" آثفة آثفة "

(آسفة .. آسفة)

وكذلك فعلت مع أم هاشم ثم لوحت لبسمة وهي تقول للجميع "آثفة فهو مُثي"

(آشفى فهو مصر)

قالت بسمة "لا بأس يا ونس أراك في البيت"

صاح كامل على الهاتف "لا تتركيها تنزل له
..امنعيها"
أغمضت بسمة عينيها ثم عادت تنظر
لصاحبتيها تشير لهما بعد أن غادرت ونس بما
يعني (سيقتلني) ثم أسرعت بالعودة للغرفة
وهي تقول" كيف سأمنعها يا كامل!!"
جاءها صوته حانقا يقول بغضب "تركتيه
ينتصر عليّ يا باسمة تركتيه ينتصر عليّ"

في الصالة قالت أم هاشم لمليكة "كنت جالسة
في الظلام أقلب في التلفاز فتفاجأت بالتي
تتسحب على أطراف أصابعها ولوهلة ظننتها"
أنت"
ابتسمت مليكة بحرج بينما أكملت أم هاشم
"حتى تيقنت بعد ثوان من أنها ونس"
سألتها مليكة بلهجة مشفقة" لماذا لم تنامي
حتى الآن؟"

ردت تدعي اللا مبالاة" لم يكن لي رغبة في النوم وسهرت أشاهد التلفاز"
سألتها بهدوء "ألم يتصل بعد؟"
هزت رأسها معترفة "بل اتصل "
لاح الاهتمام على وجه مليكة وقالت "حقا!.. وماذا قال؟"
تكلمت أم هاشم وهي تشيح بنظراتها هنا وهناك "قال بأننا سنجلس سويا لنضع النقاط على الحروف لكني أخبرته بأن كل الأمور محلولة بإذن الله "
اقتربت منها مليكة وهي تقول" لا أعرف ماذا أقول لك ..لكني برغم كل ما حكيتيه لازلت غير مقتنعة باعتقادك في هذا الرجل وما ينوي أن يفعل "

ترقرقت الدموع في عيني أم هاشم .. الدموع التي تمنعها من التدفق منذ أن خرجت من

البيت حتى صاحبتيها حينما قصت عليهما ما حدث منعت نفسها من أن تبكي .. كبريائها منعها من أن تكون مثيرة للشفقة ..فاستدارت قبل أن تقترب منها مليكة التي همت باحتضانها ..وكأنها لا تريد ذلك الحضن الذي سيجعلها تنهار ..ثم تنحنحت تقول وهي تمسح بحزم دمعة سقطت لم تخف على صاحبتها" أبحث عن فيلم بالذات في تلك الشاشة الذكية لكني لا أتذكر اسمه ..تعرفينه ذلك الفيلم الذي كنا مجنونات به في الثانوية عن الفتاة التي تعاني من الوحدة وتعمل في المترو وتتصور بأنها تحب الرجل الوسيم الذي كان في غيبوبة لكنها اكتشفت الحب الحقيقي مع أخيه"

ابتسمت مليكة وقالت" أجل أذكره تعالي لنشاهده معا فأنا ما دمت قد استيقظت فسأعاني في العودة للنوم لنشاهد الفيلم ونصلي الفجر ثم ننام"

غمغمت أم هاشم وهي تجلس بجوارها على الأريكة في منامة صيفية مريحة وتطوي ساقا تحتها "لا تؤخذيني قضيت على المكسرات كلها .. أنا أحبها لكن لا أعرف ماذا يحدث معي تعجبني بشدة هذه المرة .. أشعر بالحرج الشديد منك والله"
غمغمت مليكة ضاحكة "بالهناء والشفاء يا ست مشمش"

في الشارع كان شامل يقول لعمار صوالحة شاعرا بالحرج الشديد "أنا اعتذر بشدة على الازعاج ..سامحني .. ظننت بأنها ستستطيع الخروج من البوابة بهدوء دون إيقاظ أحد"
قال عمار بلباقة" لا بأس لم يحدث شيء"
عبرت ونس البوابة فاستقبلها شامل بابتسامة وعاد ينظر لعمار قائلا بنفس الحرج "أعتذر مرة أخرى عن الازعاج"

ابتسم له عمار فأخرج شامل بطاقة عمله يقول" أنا صديق مفرح الزيني بالمناسبة .. ويشرفني أن نضايفك أنت والأسرة الكريمة في مطعمنا المتواضع في أي وقت "

أخذ عمار منه البطاقة مبتسما بينما تحرك شامل يسحب ونس لتركب السيارة وهو لا يزال يشعر بالحرج من أنه قد أيقظ أخا مليكة .. فلوح له مودعا ثم ركب سيارته متجاهلا رنين الهاتف المستمر بتلك النغمة المخيفة لطبول الحرب وصيحات إحدى القبائل البدائية وتحرك مبتعدا ..ثم استدار لونس مبتسما يقول" اشتقت إليك جنيتي (وضربها على رأسها بخفة قائلا) قلنا خطة هروب نظيفة من السجن وليس فضيحة علنية"

ابتسمت ومالت تحضن ذراعه وتنام على كتفه
ثم سألته والهاتف مستمر بالرنين.." هذا كامي؟"
قال شامل بتشفٍ طفولي" أجل كامل ..لابد أنه سينفجر من الغيظ"
سكت الرنين ثم جاءت صافرة استلام رسالة
ففتحها شامل بحرص بعيدا عن عيني ونس
حينما وجدها من كامل ثم أسرع بحذفها لتسأله الأخيرة "ماذا كاي؟"
(ماذا قال ؟)
غمغم وهو يتطلع في الطريق أمامه" لا تشغلي بالك إنه قليل الأدب والتربية"
رن الهاتف مجددا وهذه المرة بنغمة الهاتف العادية فأسرع شامل بفتح مكبر الصوت يقول
"نعم بسمة"

جاءهما صوت الأخيرة حانقا ساخطا وهي تهتف بغيظ" حسبي الله ونعم الوكيل فيك أنت وهي إنه سيقتلني"

انفجرت ضحكة شامل .. ضحكة شريرة مجلجلة اخترقت صمت الليل وربما وصلت لكامل قبله لتغيظه .

xxxx

بعد يومين

ظهرا

تحركت نجف في رواق المستشفى متعلقة بذراع ابنها زين الذي قال لها "كنت ارتحت يا أمي ومررنا عليك بالبنت لتسلمي عليها ونحن ننقلها لبيت أخوالها غدا إن شاء الله"

غمغمت قائلة" كيف ستمرون بها عليّ وأمها ملتصقة بها كالعلقة ..لا أريد لبنت العسال أن تأخذها حجة للحضور للبيت في غياب أم هاشم ..خاصة وأن قلبي لا يشعر بالراحة

..هناك شيء يخص كاميليا هو سبب ما يحدث بين جابر وزوجته"
قال زين "ولماذا لا تسألية مباشرة؟"
قالت معترفة "انتظر فقط أن تخرج ابنته بالسلامة ويطمئن عليها"
جاءه اتصالا فأسرع زين بالرد " نعم جابر.. ماذا ؟ .. تركت المستشفى ؟ .. لقد أصرت أمك على الحضور لرؤية ميس قبل أن تغادر غدا...حسنا لا بأس كان الله في عونك سأعيد الحاجة وأتي إليك"
أغلق الخط وقال لنجف "جابر اضطر للمغادرة والعودة للمحل فهناك طلبية كبيرة ستأتي وعليه أن يكون موجودا عند الاستلام"
غمغمت نجف" لا بأس أطمئن على ميس ونغادر بسرعة"
حين وصلا لغرفة ميس استقبلهما علاء ابن بدير الجالس على مقعد بالخارج والذي بادرهما

بالقول بعد أن تبادلوا التحية "أبي غادر منذ قليل بعدما غادر المعلم جابر مباشرة"
قالت نجف بلطف "لا بأس يا ولدي البركة فيك"
ابتسم علاء بينما طرقت نجف الباب ودخلت .. في الوقت الذي ظل زين واقفا على الباب يلوح من بعيد لميس التي ألقت عليه القبلات الطائرة.. ثم أغلق الباب .

بعد دقائق قالت كاميليا برقة مصطنعة وهي تقدم علبة مياه غازية لحماتها الجالسة على السرير تحضن ميس وتمطرها بالقبلات" أنرتنا يا خالتي ..ميس كانت تسأل عنك"
ربتت نجف على ميس ثم سألتها مشيرة على الدمى الموضوعة على سريرها "ما هذه الدمى الرائعة؟"

ردت ميس ثم سعلت" أبي أحضرها لي ..وعمي أيضا"
قالت نجف "ما شاء الله هذا لأنهما يحبانك كثيرا"
عبست ميس وقالت "لكن أبي ذهب للعمل مبكرا اليوم وغضبت منه"
تدخلت كاميليا تقول بسرعة" البنت متعلقة بأبيها بشكل صعب .. بل أن من أسباب تفاقم حالتها المرضية هو اشتياقها له"
حدجتها الحاجة نجف بنظرة موبخة وقالت "ليس هناك داع لتكرار هذا الكلام على مسامع البنت"
تدخلت ميس تقول "أجل أنا أشتاق لأبي كل الوقت"
ربتت نجف على ظهرها قائلة" ما رأيك في أن تخرجي من هنا على بيت والدك وتبقي معنا يومين أو ثلاثة كما تريدين؟"

قالت ميس بسعادة "موافقة"
فأسرعت كاميليا بالقول " لكني لن أستطيع أن أترك ابنتي وهي لا زالت مريضة"
قالت ميس مؤكدة "بل ستأتين معي يا أمي أليس كذلك يا جدتي "
ربتت نجف على ظهرها تقول "لم يعد مناسبا يا حبيبتي كما شرح لك والدك"
عبست ميس وكتفت ذراعيها بحزن ثم حاولت النزول من السرير فسألتها نجف "إلى أين؟"
قالت الصغيرة "أريد عمي زين"
استقامت كاميليا واقفة وتحركت نحو الباب تفتحه و تنادي على زين قائلة بلطف مبالغ فيه "زين ميس تريدك"
استدار الأخير وتطلع في ميس التي تركت سريرها فأنهى المكالمة التي كانت معه بسرعة واستقبلها بين ذراعيه يحملها فقالت له

بابتسامة حلوة" أين الحلوى التي احضرتها لي؟"
هرش زين في رأسه ثم قال" أبلغوني أن الحلوى والشوكولاتة ممنوعة عنك هذه الأيام"
قوست شفتيها ببؤس فسأل زين كاميليا "أي من الحلوى مسموح لها به؟"
ردت كاميليا" العصائر والبسكويت السادة"
قال زين لابنة أخيه بابتسامة "إذن سنذهب أنا وحبيبة عمها للكافيتريا بالأسفل لنشتري لها عصير وبسكويت"
غمغمت نجف بقلق "لا تجهدها يا زين"
رد الأخير مطمئنا "لا تقلقي أنا أحملها وسنعود بسرعة"
قالت نجف لكاميليا بعد مغادرتهما "اهتمي بها جيدا واطعميها جيدا لقد نقص وزنها"
تكلمت كاميليا مدافعة "هذا بسبب المرض وتلك الأيام بالمستشفى"

قارعتها نجف قائلة "هذا لاحظته من قبل المرض يا كاميليا"

تنهدت الأخيرة بطريقة تمثيلية وقالت" ماذا أفعل إن كانت مرتبطة بوالدها بهذا الشكل فترفض الطعام.. حتى أنني.. حتي أنني .. قررت بأنه مادامت متعلقة به بهذا الشكل فأنا مضطرة للتنازل والقبول بوضع لم أتصور أبدا أن أقبل به من قبل من أجلها .. سأوافق للعودة لجابر من أجلها حتى لو كان متزوجا"

عبست نجف وقد زاد استفزازها فسألت بلهجة مستهجنة "جابر من الذي ستعودين له ؟!!..هل طلب ابني منك العودة؟!"

ردت بدلال "يلمح لذلك"

ازداد عبوس نجف وقالت "اسمعي يا كاميليا ..تلك التخاريف التي في رأسك عن عودة جابر لك تخلصي منها ..وحججك بأن البنت متعلقة به ولا تأكل إلا في حضوره وهذا الكلام المائع

توقفي عنه وابحثي عن حيلة أخرى أكثر منطقية ..أنا عاشرتك ثماني سنوات وأعلم جيدا أي نوع من الأمهات أنت بل أي نوع من النساء تكونين"

امتقع وجه كاميليا بينما أضافت نجف بانفعال نادر" كما أن ابني متزوج الآن ويعيش أجمل أيام حياته وكأنني قد استعدت جابر ابني ذا العشرين عاما قبل أن تسرق الغربة عمره وشبابه فكفي عن محاولاتك لاستعادته ..انسيه"

هتفت كاميليا شاعرة بالإهانة "أنا أحاول استعادته؟!!"

قالت نجف بإصرار وقد سيطر عليها الخوف من أن تضغط على جابر بابنته " أجل تحاولين .. هل أصبح مغريا في عينك الآن وترمين شباكك حوله !!.. كان أمامك لثماني سنوات أهملته فيها بينما اتقى ابني ربه فيك واحتسب

مصابه ورضي بنصيبه معك لكنك خربت البيت بقلة أدبك"

استقامت كاميليا واقفة تقول باستنكار "أنا قليلة الأدب يا ... خالتي"

أمسكت لسانها عن الشتيمة على أخر لحظة حتى لا تمسك عليها الأخرى الخطأ بينما قالت نجف بلهجة صارمة "أجل من تحاول استعادة رجل متزوج ماذا تكون؟!"

أسرعت كاميليا بالتبرير بغيظ "قلت لك أنا مضطرة للقبول من أجل ابنتي وهذه تضحية مني و..."

قاطعتها الأخرى قائلة "لا تقولي لي ميس ولا بطيخ .. ولا أصدق بأن ابني سيرضى بأن يعود إليك حتى لو من أجل ابنته فهذا لن توافق عليه أم هاشم"

أمسكت كاميليا لسانها على أخر لحظة قبل أن تشتم أم هاشم بينما اكفهر وجهها واشتعلت

عيناها الخضراوان من الغضب غير مصدقة ..
ألهذه الدرجة حماتها التي لم تكن تفقد أعصابها
أبدا تثور من أجل بنت زكريا..!!
طرق على الباب ثم فتح علاء لينزل زين ميس
من فوق ذراعه تحمل كيسا من العصائر
والبسكويت فقالت نجف بعبوس وهي تترك
السرير "هيا يا زين أعدني للبيت"
مرر الأخير أنظاره بين أمه التي يلوح على وجهها
الغضب وطليقة أخيه مكفهرة الوجه بينما
مالت نجف تربت على حفيدتها وودعتها ثم
خرجت تعدل وشاحها فسألها زين" هل حدث
شيء يا أمي؟"
غمغمت الأخيرة باقتضاب" لا شيء (ودعت في
سرها) اللهم ابعد عنا هذه الحية واحفظنا منها
ومن شرها"

xxxx

قبيل المغرب

قال علاء العسال في الهاتف من جلسته متأففا على مقعد أمام غرفة ميس "يا بني قلت لك لن استطيع أن آتي إليكم للأسف ..فأنا مع عمتي وابنتها في المستشفى كما قلت لكم"

قال محدثه باستنكار "ألا يوجد في عائلتكم سواك ؟!..أنت في هذا الوضع منذ خمسة أيام" تنهد علاء وقال "لا تزيد من حسرتي بالله عليك يا صاحبي.. فأبي أو عمي يكون في وردية الصباح لأن طليق عمتي يزور ابنته ولا يصح ألا يكون أحد منا متواجدا أثناء وجوده وأنا أتولى وردية ما بعد أن يغادر طليق عمتي وأبيت معهما " قال صاحبه "لكنك اليوم موجود من قبل الظهر تقريبا"

رد علاء باقتضاب "هذا لأن طليق عمتي مر مرورا سريعا عليها في الصباح وأضطر للاستئذان

لأن لديه شيئا هاما اليوم ..فأضررت أنا من حظي التعس أن أنزل منذ الظهر وأكاد انفجر وأقتل الجميع"

ضحك صاحبه ثم قال "لا بأس ..لكن بصراحة أشعر بالخسارة لعدم حضورك لافتتاح محل الألعاب الالكترونية .. فأبو صديقي يضع شاشات كبيرة للعب وأحدث الأجهزة للألعاب على الإنترنت ..وسمعت بأن سرعة الانترنت ستكون رائعة .. هذا بخلاف أن اليوم كله مجانا بمناسبة الافتتاح فتصور الوضع سنقتل أنفسنا في اللعب مجانا"

قال علاء بغيظ من بين أسنانه "يا أولاد ال *****"

انفجر صاحبه ضاحكا وقال" لهذا أقول لك تعال يا بني .."

لاح التردد على وجه علاء ونظر لباب الغرفة المفتوح بينما أضاف صاحبه" قل لي بأي مستشفى بالمركز أنت؟"

"أنا في مستشفى ***"

صاح صاحبه " يا ابن(×××) أنت على بعد ثلاثة شوارع منا يا غبي!"

اتسعت عينا علاء وقال "حقا.. أين أنتم؟"

رد الأخر "خلف مبنى المديرية مباشرة"

ضرب علاء على رأسه يقول بلهجة متحسرة "يا إلهي!"

قال صاحبه "أرأيت .. تعال يا غبي ساعة واحدة وشاركنا المرح.. فلن يشعر أحد بغيابك "

هرش علاء في رأسه قليلا ثم قال "حسنا ساعة واحدة فقط ..لن أستطيع أن أترك مكاني أكثر من ذلك وإلا سيكتشف أمري"

من الداخل لمعت عينا كاميليا التي اقتربت من الباب لتغلقه ففهمت من الحوار بأن ابن أخيها

سيتركها لبعض الوقت في الوقت الذي قال فيه علاء لصاحبه" حسنا دعني أدبر الأمر وليسترها الله ولا يكتشف أمري"

أسرعت كاميليا بالابتعاد ووقفت أمام النافذة تولي ظهرها للباب فدخل علاء بعد دقائق يهرش في رأسه قائلا" عمتي"

استدارت كاميليا إليه بملامح هادئة فقال" سأنزل عشر دقائق لأشحن هاتفي فقد نفد رصيدي"

تصنعت كاميليا اللا مبالاة وهزت رأسها عاقدة ذراعيها ..ليضيف علاء " لن أغيب إن اتصل أبي أو عمي أخبريهما بأني سأغيب عشر دقائق فقط لأشحن رصيدا أو لا داع لإخبارهما إن لم يسألا عني "

هزت كاميليا رأسها ثم قالت بهدوء" لا بأس فأنا مشفقة عليك من جلستك كحارس العقار أمام باب الغرفة"

ابتسم علاء بحرج ثم سألها" هل تريدين شيئا لأحضره معي؟"
ردت بهدوء وقلبها يكاد ينفجر من الحماس "لا شكرا"
لوح لها علاء وهو يعود بضع خطوات للخلف ثم أغلق الباب وأسرع بالهرولة وهو ينظر في ساعته ليحسب الساعة التي منحها لنفسه.
أما كاميليا فزفرت براحة بعد خمس أيام من الاختناق يتناوبون عليها حتى في المبيت ..
فوقفت تأكل في ظفر إبهامها تفكر ماذا ستفعل في هذه الساعة من الحرية؟.. راقبت ميس النائمة بشرود ثم تحركت نحو الحمام الصغير الملحق بالغرفة فغسلت وجهها وصففت شعرها الأحمر وهي تشعر بالحسرة على نفسها فلم تتح لها الفرصة لتفرح به .. لمته في عقدة عالية بارزة ووضعت الوشاح حول رأسها

ورقبتها ولم تنس أن تخرج خصلة حمراء من الوشاح وكأنها شاردة وغير مقصودة ..
بعدها التقطت كيس النقود وترددت قليلا وهي تتطلع في العباءة التي ترتديها وتمنت أن تكون بعباءة أكثر أناقة ..
بعدها نظرت لميس لتتأكد من أنها غارقة في النوم وخرجت لتتمشى في المستشفى قليلا فهي لن تغامر بالخروج منها يكفي أن تنزل للكافيتريا التي سمعت من علاء بأنها راقية جدا .. ستنزل لتبتاع شيئا منها وتصعد .. أي شيء قد يشعرها بالتحرر فهي مسجونة بجوار ابنتها منذ عدة أيام حتى كادت أن يصيبها الكساح.
بعد قليل كانت تقف في الكافيتريا تطلب ما تريد وابتسامة لعوب تتراقص على شفتيها وهي تراقب نظرات الشاب الواقف خلف الكاشير وصاحبه الذي يسلم الطلبات.. فزادت من حركاتها المصطنعة وهي تحمل بعد دقائق

صينية بها سندوتش ملفوف وكوب مياه غازية مغطى وبه شفاطة كبيرة .. وقررت أن تجلس على الطاولات قليلا بدلا من الصعود بسرعة .. يعجبها بشدة أن تكون محطا للأنظار خاصة حينما يكون رجل مع زوجته ..لا تدري لماذا تشعر بهذا الانتشاء ربما لشعورها لحظتها بأن ذلك الرجل رغم أنه متزوج ورغم حرصه كأي رجل على ألا تقبض عليه زوجته متلبسا بالنظر لأخرى لكن جمالها يجبره على النظر إليها .

بعد قليل عادت شاردة تفكر فيما هي فيه من وضع صعب الاحتمال.

إنه اليوم الأخير لها في هذه المستشفى وبعدها ستعود لسجن أخويها .. وبدير هددها أكثر من مرة إما الزواج أو الحبس في البيت.. وما يغيظها أن فرص انفرادها بجابر انتهت .. فقد انتظرت وتحينت الفرصة طوال الأيام الماضية لأن

تنفرد به حتى تستطيع التأثير عليه لكن أخويها لم يتركاها لحظة في وجوده..
جزت على أسنانها بغيظ وتحول هذا الغيظ بعد ثوان لغضب وهي تتذكر ما قالته لها أم هاشم أول الأسبوع.

من تحسب نفسها بنت زكريا السوداء !!..
ستريها كيف ستعود لجابر ولتنفصل عنه هي إن أرادت .. بل سيكون هذا في مصلحتها أيضا ورد اعتبار لها أمام الجميع أن تأخذ بنت زكريا الكرامة وتطلب الانفصال حينما يقرر جابر إعادتها فيفهم الناس أن جابر طلق السوداء وجاءها نادما ..كما أن تلك المرأة نجف أغاظتها واستفزتها بما وجهته لها من إهانات .. لابد أن تنتقم منها هي الأخرى .. تحرق دمها بالعودة لجابر حتى لو لم تكن مقتنعة تماما به ..لكن ماذا تفعل في حظها العاثر وهي مضطرة لأن

تعود له وترضى بالقليل بدلا من أن تتعذب أكثر من ذلك في بيت أخويها أو أن تجبر على الزواج من رجل متزوج فيشمت فيها الناس .. على الأقل عودتها لجابر ستثبت بأنه لم ينسها . المشكلة الآن في أمرين الأول نفاد الوقت ..فأين ستلتقي بجابر بعد الآن؟ ..والثاني كيف ستقنعه؟ .. لم يعد لديها إلا ورقة ميس للضغط عليه بها .

اصطدمت فجأة بأحد الأطباء الشبان الذي كان يخرج من أحد الممرات الجانبية والذي أخذ يعتذر فمنحته نظرة خاصة وابتسامة مدروسة قبل أن تتركه لتكمل طريقها ثم حانت منها التفاتة أخرى لتتأمل الطبيب ومعطفه الأبيض و عادت تنظر أمامها وتقول متنهدة" هؤلاء هم الرجال وإلا فلا!"

اقتربت كاميليا من باب الغرفة وفتحته ثم تجمدت فجأة وهي تتطلع في جابر الذي كان

يقف موليا وجهه نحو القبلة يصلي في غرفة ميس.

قبل قليل

اقترب جابر من غرفة ميس وهو ينظر في ساعته.. لقد أوشكت الشمس على الغروب وتمنى ألا تكون ميس نائمة فقد أسرع بالعودة إليها بعد أن انتهى من بعض الأعمال المهمة حتى لا تحزن بعد أن ودعها صباح اليوم غاضبة .. حتى انه في خضم انشغاله اليوم لم يصل العصر وقد اقترب وقت أذان المغرب.. فقرر أن يكون متواجدا بالمستشفى في موعد مرور طبيبها الذي سيقرر خروجها ويصلي العصر هناك.

حين لم يجد أحدا من أولاد العسال أمام الغرفة عقد حاجبيه وطرق على الباب .. لكنه لم يجد ردا بعد عدة مرات من الطرق ففتحه قليلا وقال "السلام عليكم .. السلام عليكم"

مرت إحدى عاملات النظافة وتطوعت بالقول "السيدة خرجت منذ قليل"
عقد حاجبيه وهز رأسه شاكرا فابتعدت المرأة بينما فتح جابر الباب فتحة أكبر مستمرا في القول "السلام عليكم"
لم ير إلا جسد ابنته ممددا على السرير وفهم بأنها نائمة فنظر نحو الحمام فوجده مفتوحا ومظلما فتحرك خطوتين ينظر خلف الباب حيث الأريكة الموجودة هناك فلم يجد أحدا.
اكفهر وجهه من الغضب ودخل الغرفة يتطلع في ابنته النائمة متمتما "كيف يتركون البنت في الغرفة وحدها في مكان غريب ؟..ما هذا الاستهتار!! .. "
وفتح هاتفه يهم بالاتصال ببدير أو عماد فوجد أن وقت المغرب قد اقترب فاستغفر ربه وأسرع بالذهاب للحمام للوضوء بسرعة واللحاق بصلاة العصر وبعدها سيتصرف.

بعد دقيقة كان يترك الحوض ويخرج للغرفة يجفف وجه بمناديل ورقية ثم بحث حوله عن شيء ليصلي عليه ففتح الخزانة والتقط ثوبا يخص ابنته فوضعه أمامه موضع السجود وبدأ في الصلاة.

على باب الغرفة لمعت عينا كاميليا ودخلت بهدوء ثم اغلقت الباب خلفها وابتسامة سعيدة تتراقص على شفتيها.

لقد جاءتها الفرصة على طبق من ذهب ..وكأن الأقدار أرادت أن تعطف عليها أخيرا.. فوقفت في وسط الغرفة متكتفة الذراعين تتأمله وشيطانها يداعب مخيلتها ويحمسها..

إنها فرصتها الأخيرة لاستعادته .. فرصتها الأخيرة للتأثير عليه لتثبت لنفسها بأنها لم تخسر شيئا.. وبأنها إن أرادت استعادة ما لفظته ليس صعبا عليها ..

فرصتها لتنتقم من البعض ..ولتنجو من تعذيب البعض الأخر لها .. فرصتها لاستعادة ما لن تعترف أبدا بأنها قد ندمت على خسارته .. فخلعت الوشاح عن رأسها واقتربت منه.

كان جابر قد شعر بدخولها فاستاء وأسرع في صلاته لينهيها ثم تنحنح قائلا بحرج وهو يستقيم واقفا و يلتقط ثوب ميس من الأرض"

لا تؤاخذيني كنت ألحق بصلاة العصر ولم أجد أحدا بالغرفة"

قالها وهو يخفض أنظاره ويسرع نحو الباب قائلا بلهجة غاضبة "ولكن كيف تتركون البنت وحدها !!..من معك هنا؟؟!"

أسرعت بالارتكان على الباب بكتفها تقول بلهجة متمسكنة "جابر ..ألن يشفق قلبك على ابنتك؟"

تجمدت يده على المقبض ونظر إليها قائلا"

ماذا تعنين بهذا الكلام؟!"

قالت مفسرة وهي تتعمد التأثير عليه بلهجتها المتمسكنة "البنت حالتها النفسية سيئة بشدة بسبب انفصالنا ..ألم تلاحظ كيف انخفض وزنها مؤخرا؟ .. إنها تقوم أثناء الليل مفزوعة ..تقول أين أبي أريده ..ألا يؤثر ذلك فيك؟!"

تأثر قلب جابر بكلامها عن ابنته وشعر بالاستياء فأضافت كاميليا "أنا شخصيا من أجل ابنتي التي يتمزق قلبي من أجلها مستعدة لأن أضحي وأقبل بما لم أتخيل بأني سأقبل به يوما .. (وحدجته بنظرة مسبلة وأضافت ببعض الميوعة غير الصريحة) وهو أن أرضى ..كارهة ..بالعودة إلى والدها وهو على ذمته امرأة أخرى.. "

رفع جابر حاجبيه فأضافت بنفس النبرة "من أجل ابنتي سأقبل بهذا ..لأني أعرف أخلاقك ..وأعرف بأنك لن ترضى الظلم لبنت الشيخ

وتطلقها بعد شهرين من الزواج ..أفهم ذلك جيدا ..ورغم جرح قلبي وكرامتي سأقبل من أجل ابنتي حتى لا تضيع مني أو تكبر معقدة نفسيا .. هذا ما سأفعله من أجلها ..فماذا ستفعل أنت يا جابر من أجلها؟.. هل ستتركها تضيع من بين يدينا؟.. هل ستتحمل ذنب ضياع ابنتك؟"

لوهلة شغلت الفكرة رأسه .. كمجرد فكرة .. بدون تفاصيلها .. كعنوان كبير (أن يعيد لميس البيت الذي فقدته) دون التدقيق فيما سيندرج تحت هذا العنوان ..فربما يكون هذا حلا يخلصه من شعوره بالذنب تجاه ابنته ..لكنه سرعان ما شعر بالرفض الشديد .. فهذا سيؤكد لأم هاشم ما تعتقده فيه.. وسيؤلمها ويجرح مشاعرها ..فلم يقبل لبنت الشيخ من قبل أن تكون زوجة ثانية له فكيف سينفذ ذلك الآن! .. قال جابر لها بعبوس "سأحاول

تعويض ميس إن شاء الله فلا تضحي من أجلها بشيء"
لم تيأس .. لأنها بالفعل في وضع يائس وعليها المحاولة باستماتة فبدأت في البكاء مغمغمة "هل ستشعر بالانتصار إن اعترفت لك بهزيمتي أمامك (ورفعت عينيها المغرغرتين بالدموع) ها أنا أعترف لك بهزيمتي وبندمي عما بدر مني ..كنت طائشة ولم أقدر النعمة في يدي"
قال بعبوس " لا داعي لهذا الكلام يا كاميليا الآن"
هم بفتح الباب فالتصقت بالباب أكثر تمنعه من فتحه وهي تضيف بسرعة وبنفس اللهجة المتذللة "لماذا لا ترحمني وتحافظ على كبريائي فلا تضطرني لأن أخبرك بما أعانيه في بيت اخوتي ..ضرب ..إهانة ..حبس ..سيجبرونني على الزواج من رجل متزوج ..هل ترضاها لي"

نجحت في استدرار عطفه فقال بلهجة قاطعة شاعرا بالأسف من أجلها" اسمعي يا كاميليا ..الأمر بيننا انتهى ..ويؤسفني طبعا أن تعيشي هذه الحياة البائسة بعد الطلاق ..لكني الآن رجل متزوج ومستقر مع زوجتي ..فانفضي عنك أوهامك بأن هناك فرصة لنا للرجوع"

رفضه كان كسكين يذبح في كرامتها لكنها لم تستسلم بل أضافت ببعض الجرأة "هل سيرضيك أن كاميليا ..الفتاة التي تزوجتها وملكتها ..تكون في حضن رجل أخر؟.. كاميليا أم ابنتك!"

أثارت غضبه بكلامها فصاح قائلا "ما هذا الكلام الذي تتحدثين فيه يا كاميليا.. ابتعدي عن الباب ولا تجعليني استخدم معك أسلوبا غير لائق"

كان الوقت ينفد فأمسكت بذيل الفرصة التي أوشكت على الفرار منها تخفي غضبا شديدا أن

اضطرت للتنازل والتحدث بتلك الطريقة المتذللة معه ومع هذا يرفضها.. وتدخل كبريائها المجروح متحالفا مع شيطانها لاستغلال أخر لحظة وزيادة الجرعة بأي ثمن فأسرعت بالقول "لماذا انفعلت عليّ بهذا الشكل؟ .. لأني لا استطيع نسيانك؟ .. لأنني لا أتصور أن رجل غيرك قد يلمسني"

صدم جابر .. صدم لدرجة جعلته يتسمر متخشبا للحظات وهو يتطلع فيها بذهول .. يدقق في أسلوبها الوقح .. يتطلع في تلونها المفاجئ..

أكانت كذلك منذ البداية؟!... أم إنها ازدادت مع الوقت خبثا وجرأة؟! ..

بعد أن كان قلبه يشعر بالأسف عليها قبل لحظات شعر بالرغبة في التقيؤ في وجهها الذي يطالعه اللحظة بنظرات وقحة ..ثم تابع

مذهولا يدها التي استقرت بجرأة على صدره وتحركت بحركات مغوية تتحسسه فقال بفحيح مرعب" ماذا تفعلين؟؟؟؟!"

لم ترد للحظات بينما سؤال صادم يضرب في رأسه أهذه من اختارها أما لابنته؟!! .. كيف تحولت لهذه المرأة اللعوب أمامه التي لا تخاف الحرام ؟!!..هو أكيد بأنها لم تكن كذلك حين تزوجها ..كيف رفعت عنها برقع الحياء و واتتها الجرأة لتفعل ما تفعله الآن ..حتى لو كانت يائسة.

تمادت كاميليا وشجعها شيطانها على ذلك يعدها بانتصار وشيك فحركت يدها تحت أنظاره الذاهلة يرغب في أن يعرف إلى أي مدى ستصل بها وقاحتها .. فأخذت تتحسس صدره وهي تقول بخفوت " تسأل ماذا أفعل؟ ..أنا أذكرك بالذي مضى بيننا"

شعرت بانقباض عضلات صدره فلم تعطه فرصة للاعتراض وأسرعت بزيادة الجرعة ..فتحركت يدها نزولا إلى بطنه ثم نزولا أكثر .. ثم ..

أطلقت صرخت ألم مفاجئة حينما قبض جابر على معصمها بعنف ولواه بيده ضاغطا عليه بقسوة وهو يقول من بين أسنانه وعينيه تختلسان النظر إلى سرير ميس رغم صراخ أمها" اتقي الله.. اتقي الله يا كاميليا فآخرتك ستكون سيئة ..اتق الله واتعظي من أخطائك السابقة معي وتجنبيها في حياتك القادمة ..اتق الله وفكري في ابنتك ومصلحتها وسمعتها"

أخذت كاميليا تتوجع وتتلوى من الألم أمامه وتتفوه باسمه ليرحمها غير قادرة حتى على القيام بأي شيء للدفاع عن نفسها من صعوبة الألم بينما جابر يقول مستمرا في ليّ معصمها حتى بعد أن سمع صوت طرقعة قوية تحت

يده" اتق الله ولا تتركي الفرصة لشيطانك بأن يسيطر عليك .. اتق الله واستغفري ربك على الرسائل والصور التي أرسلتها لي وعلى تلك الوقاحة التي فعلتها للتو .. اتقي الله وتوبي إلى ربك ..واعلمي بأن أي شيء سيمس سمعة ابنتي قسما بالله لا تعرفين ماذا سأفعل بك وبعائلتك كلها"

كان الألم غير محتمل فقالت كاميليا بتوسل باك" يدي يا جابر يدي آآآآآه"

ترك جابر يدها فسقطت على الأرض تمسك بمعصمها من شدة الألم بينما أضاف جابر مهددا "هذه هي آخر مرة تتمادي فيها معي .. هل تفهمين؟ .. لو عدت لإرسال أي شيء لي أو تصرفت معي بهذه الوقاحة مرة أخرى لن أتوانى عن فضحك ..فإياك أن تعوّلي على أخلاقي حتى تتمادي في غيك .. أنت أصبحت بالنسبة لي أم

ابنتي لا أكثر من ذلك.. هل سمعت يا كاميليا؟
.. أنت انتهيت كامرأة بالنسبة لي.. ولا تضغطي
عليّ أكثر حتى لا أسمعك رأيي فيك كامرأة
وكزوجة وكأم .. صدقيني رأيي فيك سيكون
مهينا لك بشدة فلا تجبريني على فعل ذلك لأني
سأفعل .. فلا تظنيني لأني أترفع عن أمور كثيرة
بأني ضعيف ..أو أن التزامي الديني قد حولني إلى
ملاك .. فعودي إلى رشدك واستغفري ربك
وإياك والاحتكاك بي بأي طريقة مرة أخرى"

خرج وأغلق الباب خلفه فمالت كاميليا بجذعها
وكأنها ستعض الأرض من الألم قبل أن تطلق
صراخا باكيا عاليا حين أصبح الألم غير محتمل
جعل ميس تنتفض جالسة وتسألها ما بك يا
أمي؟ لماذا تصرخين ؟"

××××

اليوم التالي
قبيل الظهيرة

تمسكت ميس بعنق جابر باكية بينما خرجت كاميليا من سيارة بدير مكفهرة الوجه ساعدها ملفوف بجبيرة ومعلق بشريط على رقبتها وأسرعت إلى الداخل بخطوات غاضبة تحت أنظار زوجتي أخويها المتسائلة مثلها مثل الجميع عما حدث لها .. لكنها ستستمر في إخبار الكل بنفس الكذبة التي تقولها منذ ليلة أمس بأنها قد انزلقت في حمام الغرفة بالمستشفى ووقعت على يدها..

أما جابر فودع ابنته على وعد بأن يأخذها إلى بيته في وسط الأسبوع وشعر بالغصة وهو يراها متعلقة به وبزين الذي أعطاها كيسا كبيرا من الحلوى وتركها تدخل في يد وجدان بعد أن تركتها أمها ودخلت .

حيا جابر أولاد العسال بنفس ذلك البرود الذي يتبادلونه بينهم ثم سأل أخوه " هل ستذهب للبيت ؟"

رد زين وهو يعود لسيارة جابر ناظرا في ساعة يده" أجل أوصلني للبيت بسرعة حتى آخذ سيارتي فعلي أن ألحق بموعد مهم جدا جدا جدا "

بعد نصف ساعة كان جابر ينزل من الطابق العلوي في بيته يرتدي ملابس عصرية .. بنطالا قماشيا باللون الرمادي وتيشيرت أسود بنصف كم يبرز عرض كتفيه وفي يده مفاتيحه وتلك السبحة السوداء .. فتطلعت فيه نجف من جلستها صامتة ساكنة كحالها من أول الأسبوع ولاحظت لحيته التي شذبها وقصرها وشعره المصفف بعناية لكنها لم تتفاءل .. ما دامت لا

تجد إجابات صريحة على اسئلتها الحائرة فلا تريد أن تتفاءل حتى لا تصدم .
سألها جابر "هل تريدين شيئا من العاصمة يا أمي؟"
ردت بهدوء" لا يا ولدي سلم الله طريقك"
توقف جابر قليلا ثم أقترب من أمه يسألها" ما بك يا أمي ألم يسعدك أني سأذهب لأعيد بنت الشيخ ؟ فيكفيها تدللا بعيدا عن البيت "
رفعت أمه أنظارها إليه تقول "سأسعد حينما أفهم يا جابر .. حينما يطمئن قلبي من ناحيتك"
قال مندهشا" سلي ما تريدين يا أمي.. وهل تحتاجين للاستئذان؟!"
قالت نجف موضحة "كنت أنتظر أن يروق بالك وتطمئن على ابنتك "
وقف أمامها مشبكا يديه فبدا وسيما لم يتخط الثلاثين من العمر فسألته سؤالا مباشرا " هل تخطط لإعادة كاميليا؟ "

اكفهر وجهه وعادت له ذكرى ليلة أمس التي أصابته طوال الليل بالغثيان فأضافت نجف

"اسمع يا بني.. أنا لم أعترض على أي شيء تختاره بنفسك وكذلك فعلت مع أخيك .. ولن أعترض إن فعلتها من أجل ابنتك يا جابر لكن دعني أقول لك أمرين يا بني وبعدها لن أتحدث في الموضوع .. الأول .. كاميليا لم ولن تكون أما كفئا لميس .. والثاني .. حرام عليك أن تجرح أم هاشم ليس لها ذنب"

ضرب جابر كفيه ببعضهما وسألها باستنكار

"من أوحى لك بهذه الفكرة الغريبة يا أمي؟.. بأني أخطط لأعيد كاميليا ..من أين أتيتم جميعا بهذه التخمينات !!"

ردت نجف بلهجة صريحة " كاميليا بنفسها أخبرتني بأنك تلمح لرجوعكما سويا"

هتف باستنكار "أنا ألمح لها؟؟! "

قالت نجف "هذا ما قالته ..ورغم أني لم أصدق ..لكني خفت بأن تضغط عليك بميس "
قال جابر من بين أسنانه بغيظ "بنت الـ ...(بلع السبة وقال موضحا) هذا الكلام لم يحدث يا أمي فلا تعيريها اهتماما .. فكاميليا لن تجرؤ على التفوه بهذا الكلام مجددا "
علت الفرحة وجه نجف ثم قالت له بتأثر "مادام لن يحدث فعليك أن توضح هذا صراحة لأم هاشم يا جابر "
عقد حاجبيه وسألها " وما دخل أم هاشم في هذا الموضوع؟!"
قالت بسرعة " أشعر بأن كاميليا قد أخبرتها يوم الزيارة في المستشفى بذلك .. كما أخبرتني بهذا الكلام المريض"
اتسعت عينا جابر ..فأضافت نجف "وأشعر بها متأثرة ..حتى أنها قالت لي وهي مسافرة (لا

تغضبي مني مهما حدث فأنا سأفعل أي شيء
من أجل سعادة جابر)"
عقد جابر حاجبيه وسألها باندهاش " ما معنى
أن تفعل أي شيء من أجل سعادة جابر .. ماذا
تقصد بالضبط هذه المختلة ؟!!"

xxxx

الجمال عدى الكلام
تضحكيلي وتاخدي كام
أدفع العمر الي جاي
بس وتردي السلام

على أنغام الأغنية التي بات يدمنها .. اقترب زين
من المدرسة التي تعمل بها إسراء مشتاقا
لرؤيتها .. لقد فشل خلال الأيام الماضية من أن
يجد وقتا ليحضر حتى يراها وهي تخرج من
المدرسة .. فما حدث لميس وانشغاله مع جابر
منعاه .. وها هو سيعود للمرح .. سيعود لرؤية
تلك (الأبلة) من جديد.

كان حماسه شديدا .. رغم أنه لم يكن ينوي الاحتكاك بها .. سيراها من بعيد .. وسيتأكد من أنها قد رأته .. ولن يفعل أكثر من ذلك فهو لا يرغب في مضايقتها .. وفي الوقت نفسه لا يريد أن يسيء إليها .

ورغم تأخرهم في الرد على طلبه لكنه مازال متفائلا ومتمسكا بالأمل بأنهم كانوا مراعين الظرف الذي يمر به جابر مع ابنته .. هكذا كان زين متمسكا بالأمل .. لكنه لم يكن يعرف ماذا سيفعل لو رفضته .. فالخاطرة وحدها بدت كئيبة جدا ومحبطة .

اقترب من المدرسة وهو ينظر في ساعته ويدعو بألا تكون قد خرجت بالفعل .. ولم يخيب ظنه فقد خرجت أمامه من بوابة المدرسة فأخذ يدقق في ظهرها عبر الشارع الموازي .. ثم قرر أن يصف السيارة ويترجل منها عابرا للطريق ..

فلن يضايقها أن يراها عن قرب ..لكنه بمجرد أن أوقف السيارة .. أوقف الموسيقى وأظلم وجهه وهو يلمح طلال يوقفها في الشارع على بعد أمتار من المدرسة .. فتسمر مصدوما يتابع من بعيد ما يحدث ويتابع اشتعال قلبه وهو يراهما معا .

ظل على هذا الحال لدقيقتين ثم غلت الدماء في رأسه وهو يلمح طلال يمسك بمرفق إسراء وكأنه يحاول إجبارها على الذهاب لمكان ما بينما هي تنفض ذراعها من يده بقوة وحزم.. فأسرع زين بالترجل من السيارة يصفع بابها بعنف ويطلق سبة وقحة من بين شفتيه .. ثم طقطق رقبته يمينا ويسارا قبل أن يسرع بعبور الشارع متوعدا والدماء الحارة تزداد غليانا في رأسه .

الفصل السادس والثلاثون

قبل دقائق

الحيرة كبندول الساعة الذي يتحرك يمينا ويسارا ..بين الفكرة وعكسها .. بين القبول والرفض .. بين الأمل والخوف.

خرجت إسراء من بوابة المدرسة شاردة تفكر .. لقد مر أكثر من أسبوعين وهي لم تحسم قرارها بعد بشأن زين.. فمن ناحية تراه زوجا مناسبا من كل الجوانب ..ومن ناحية أخرى تخشى من الدخول في تجربة أخرى دون أن تكون مستعدة بعد .. فليس لزين ذنب أن لها تجربة سابقة لاتزال عالقة كغصة مرة في الحلق .. المشكلة أن وقته بالتأكيد محدود وإجازته ستنتهي بسرعة وعليه تحديد مصيره .. هذا إن

كان لا يزال ينتظر هو وأهله منهم الرد.. فلقد تأخروا كثيرا وربما كانوا قد صرفوا نظر عن الطلب وشعروا بالإهانة من التأخر في تلقي الرد.

بحركة تلقائية تطلعت في الرصيف القريب والرصيف المقابل وكأنها تبحث عنه وبحركة أخرى مسيطرة حازمة أشاحت بأنظارها بسرعة لتكمل طريقها وهي توبخ نفسها على أسلوب المراهقين هذا ..

لن تنكر بأن زين لمس شيئا بداخلها..

ولن تنكر أنه بكينونته وبكل تفاصيله يعد رد اعتبار لكرامتها وكرامة أسرتها أمام أهل القرية .. وهذا ما يشعرها بالارتباك في تحديد انطباعاتها الحقيقية عنه ..

إنها شخصية واقعية عقلانية .. صحيح بداخلها مثل أي فتاة جانبا رومانسيا مراهقا لكنها تخبئه .. تتحكم فيه .. لأنها تفضل أن

توازن الأمور بعقلها ..فالقلب إن تورط بكامله
تحطم وتجربتها السابقة خير دليل ..
"إسراء"
نداء أوقف خطواتها الشاردة ولم تكن قد
ابتعدت عن المدرسة إلا أمتارا ..
نداء جاءها من خلف ماض قريب أضحى من
أسوأ الذكريات التي تريد أن تنساها.
نداء سمعته ووعته قبل أن يتشخص طلال
أمامها يعترض طريقها .
تطلعت فيه متفاجئة وهي تقول بذهول"
طلال!!"
كان قد فقد وزنا بشكل ملحوظ وبدا مرهقا
بعض الشيء وهو يقف أمامها يأكلها بعينيه
فسألته بدهشة" ماذا تريد؟!!"
قال والشوق يذبحه وما فعله معها عارا يطارده
وما اقترفه أهله يُصعِّب عليه مهمته "علينا أن
نتحدث يا إسراء"

هتفت باستنكار " نتحدث في أي شيء ؟!!"
قالتها وتحركت فخطا خطوتين للخلف وعاد ليعترض طريقها قائلا "إسراء أرجوك أنت حظرت رقمي وكلما اتصلت بك من رقم اغلقت في وجهي.. وأرسلت إليك تسجيلا صوتيا على الواتساب قبل أيام ولا أعرف هل سمعتيه أم لا"
واجهته تقول " سمعته يا طلال ..سمعته لأعرف ماذا تريد مني"
"وما رأيك فيما قلت ؟"
تكتفت تقول بلهجة حازمة "رأيي في ماذا ؟..الموضوع بيننا انتهى"
قال بإصرار " لا لم ينته صدقيني"
قالت بلهجة عابسة " طلال أرجوك ما تفعله لا يصح"
وقف أمامها يقول بترجٍ" أرجوك ..أريد أن أتحدث معك ربع ساعة فقط وسأقنعك "

لوهلة شردت تنظر إليه بعين جديدة.. بنظرة جديدة بينما قال طلال " كما أخبرتك في التسجيل أخي حصل لي على عقد عمل معه بالخارج نستطيع أن نتزوج ونسافر"
قالت بلهجة غاضبة " وما حدث لي ولأهلي أمام أهل البلدة؟!!"
قال موضحا" كان رغما عني ..إنها أمي وأهينت أمام الجميع" كادت أن تقاطعه إسراء فأسرع بالقول " علمت ما حدث.. ولن أنكر خطأها لكنها أمي ..وأنا كنت في وضع صعب ..ربما كان عليّ التعامل بطريقة أكثر حكمة وهدوء ..وربما لم يكن عليّ تطليقك لكني تلقيت إهانة منك ومن والدك أيضا ومع هذا لم يكن على التسرع في تطليقك"
هتفت تقول باستنكار " ومن قال بأني كنت سأبقى على ذمتك بعد ما حدث منك ومن أهلك؟"

قال بلهجة مستعطفة " إسراء أرجوك ..عودتنا لبعض أكبر رد اعتبار لك أمام البلدة كلها .. صحيح لن أستطيع أن أجبر أمي على الاعتذار لك ..لكني بزواجي منك وبإجبار أهلي بالقبول بك أكبر اعتذار لك أمام الجميع.. بسفري معك للخارج أكبر اعتذار ..أنت تعلمين مدى تعلق أمي بي فأكبر رد اعتبار لك أن أضطر لتركها والسفر معك للخارج"

نظرتها له اختلفت .. هذا ما تيقنت منه .. ربما استشعرت صدق مشاعره لحظتها لكن احساسها به .. تقبلها له كشريك لم يعد كالسابق .. بل إنه ابتعد كثيراً عن دائرة المهمين لديها ..وكأنه قطعة بالية من قماشة مهترئة باقية من الماضي .. لكن المدهش .. والمثير.. والعجيب أن هذا الماضي كان قريبا جدا.. كيف بلى من الذاكرة وخرج عن دائرة القلب بهذه

السرعة؟.. كيف انتهت صلاحيته ك (شخص عزيز) .. أو حتى كإنسان بهذه السرعة ؟..
أم أنه لم يكن بهذا القدر من الأهمية والقيمة لديها ؟!.
قالت بلهجة قاطعة وهي تنظر في عينيه "طلال لسنا مقدرين لبعضنا "
تحركت لتواصل طريقها فأمسك بساعدها يقول بتذلل "إسراء"
نفضت يده بسرعة وناظرته بتحذير ثم تحركت تتجاوزه فجن جنونه وأسرع مجددا بالوقوف أمامها وأمسك بساعدها يقول بعصبية" إسراء لا تيبسي رأسك واسمعي الكلام ماذا تريدين أكثر من هذا ؟.. سيرد لك اعتبارك وستسافرين للخارج وسأرحمك من أن تضطري للزواج من أخر ينتقص منك لأنك مطلقة"
توقفت وناظرته بذهول لثوان ثم قالت بلهجة غاضبة" شكرا أستاذ طلال على تضحياتك

العظيمة لتصحيح وضع كنت أنت وأهلك السبب فيه ..لكني أرفض عرضك العظيم..
والآن توقف عن ملاحقتي وإلا اقسم بالله سأصرخ وأفضحك في الشارع"
عاد يمسك بساعدها والجنون يسيطر عليه..
إن وقته ضيق وهي لا تعطيه الفرصة للحديث ..ويعلم بأنه لن يجد فرصة مناسبة أكثر من هذه للكلام معها بعيدا عن القرية ..فحاولت إسراء نفض يده عن ساعدها بينما قال طلال منفجرا في وجهها "لماذا لا تقدرين ما فعلته من أجلك وكيف حاربت أهلي طوال فترة خطوبتنا من أجلك"
ناظرته بعينيها العسليتين بغضب وقبل أن تنجح في نفض كفه القوية عن ساعدها كان هناك كفا أخر قد قبض على معصم طلال بقوة وصاحبه يقول بلهجة عدائية "ولماذا لا تقدر أنت بأن ما تفعله هذا عيبا!"

تألم طلال وترك ساعد إسراء مذهولا مثلها وهي تتأمل ملامح زين الخطرة.. وشاهدته يقول لطلال بلهجة صارمة" ابتعد من هنا وإياك أن تكررها وإلا.."

هتف طلال متفاجئا" زين؟!! ..(ثم تمالك نفسه قائلا) من فضلك لا تتدخل هذا أمر لا يخصك"

حاول زين التحكم بأعصابه فهو ليس صغيرا لينفعل ويعقد الأمر حتى لو كان ما يشعر به في هذه اللحظة رغبة في تقطيع هذا الذي يقف أمامه إربا فهدر فيه بصرامة "قلت ابتعد عن طريقها فورا وإياك أن تكررها ثانية"

كان طلال لديه طاقة من الغضب يريد أن يفجرها في أحدهم فدفع زين في كتفه قائلا" وما شأنك أنت لتتدخل!"

تماسك زين واستدار لإسراء المتخشبة يقول بلهجة هادئة تحمل حزما في طياتها" تفضلي

أنت إلى طريقك يا أستاذة (واستدار لطلال يقول وهو يرد لطلال الدفعة بأقوى منها في كتفه) شأني أنها جارتي (ودفعه مره أخرى) وأنها بنت قريتي (وأخرى) وأن ما تفعله ليس من أخلاق الرجال ولا يسكت عنه الرجال"

تحرك طلال نحوه يناظره بعينين ناريتين قائلا وهو يدفعه "اسمع ..لا تتدخل فيما لا يعنيك .. كنت أتحدث معها وهي لم تعترض وأنت قاطعتنا "

هتفت إسراء بتلقائية وغضب تدفع عنها التهمة وكأنها لا تريد لزين أن يعتقد بأنها تقف في الشارع تتسامر معه" أنت من اعترضت طريقي وفرضت نفسك عليّ"

ناظرها طلال بعينين ناريتين فأكلت النار قلب زين دون أن يعي السبب لكنه لم يحب أن ينظر إليها طلال فأسرع بالالتفات وقال بلهجة

صارمة رغم تحليها بالأدب" قلنا تفضلي أكملي طريقك يا أستاذة"

(يا أستاذة)

لا تدري لماذا أثر فيها ذلك النداء .. منه بالذات .. في هذه اللحظة .. في هذا الموقف .. لكنها أخفت تأثرها وتحركت مبتعدة بينما عاد زين لطلال الذي ازداد جنونه لرحيلها وقال وهو يدفعه بقوة ليلصقه في الحائط ممسكا بعنقه" هذا آخر تحذير لك ..وقسما بربي أنا أمسك أعصابي حتى لا ألقنك درسا قاسيا لن يترك فيك عظمة سليمة"

كانت اسراء تمشي عكس اتجاهها المعتاد ..فكل انتباهها وهي تبتعد كان منصبا على المشاجرة ..فأوقفتها العاملة أم فلة أمام بوابة المدرسة ومعها بعض العاملات تسألها بانزعاج "أليس هذا طلال طليقك والأخر زين دبور ؟!!"

لم ترد عليها إسراء بل استمرت في طريقها تلتفت خلفها بين الثانية والأخرى تخبر نفسها بأنه ليس عليها الوقوف في الشارع لكنها استسلمت وتوقفت على بعد تتابع ما يدور بقلق ..فالشجار قد زاد عنفا حتى وصل للتشابك بالأيدي.. وزين بدا غاضبا جدا لا يقل في غضبه عن طلال .. ولوهلة شعرت بطلال صغيرا في كل شيء ليس فقط لأنه يصغر زين بخمس سنوات .

تجمع الناس لمحاولة فض الاشتباك فألقى طلال سبة جعلت زين ينفض من يمسكون به وينقض عليه بلكمة بجوار عينه قائلا "أنا حذرتك أكثر من مرة وأعطيتك الفرصة لأن تتوقف عن رعونتك لكنك مصر على تصعيد الأمر فلا تبكي على تشويه وجهك "

دفعه طلال بغضب وقد أحس بأن هذه الحمائية منه تتعدى الشهامة ليرتطم الأخير بالحائط .

شهقت إسراء واتسعت عيناها خاصة حينما وجدت ضابطا يقترب من المشاجرة مع أمين شرطة ..وتدخل لفض الاشتباك بين الشابين .. فحانت التفاتة سريعة تلقائية من زين إلى الاتجاه الذي سارت فيه ليتأكد من ابتعادها عن المشهد وعن الشرطة وشعر بالغيظ منها عندما لمحها تقف من بعيد ..لكنه عاد ليولي اهتمامه بضابط الشرطة في الوقت الذي قال طلال بغل "أنا مصر على تحرير محضر لأنه تعدى عليّ بالضرب"

بعد دقائق شعرت إسراء بالرغبة في البكاء وهي ترى زين وطلال يتحركان مع الضابط بعد أن

تفحص هويتيهما .. فأسرعت بالتقاط هاتفها وهتفت من بين لهاثها " أبي .. زين يا أبي"

xxxx

بعد ساعة

تفحص الضابط هويتي الشابين الواقفين أمامه وفهم من بين السطور في مشاجرتهما أنهما يتقاتلان من أجل فتاة.. فاعتدل في مقعده وقال" لابد أن نعرف هوية تلك الفتاة سبب الشجار ونستدعيها "

أسرع زين بالقول بلهجة قاطعة" ليس هناك داع لإدخالها في الموضوع أو حتى الزج باسمها في المحضر فكما قلت لك كنت مارا بالصدفة ورأيته يعترض طريقها وطبيعي أن أتدخل عموما اسمح لي بالاتصال بمحامي مادام طلال مصر على المحضر"

نظر الضابط لطلال على أمل أن يتنازل ففي نظره الموضوع لا يتعدى مشاجرة عادية بين

شابين وبعض اللكمات هنا وهناك أبرزها تلك الكدمة الزرقاء في وجه طلال .. خاصة وأنهما يبدوان أمامه (أولاد ناس) ولا يحملان أي ملامح إجرامية .. لكن الأخير كان يشعر بالغيظ وحرص زين على عدم البوح باسم اسراء في المحضر يؤكد له بأن الأمر أكبر من الشهامة وهذا يسكب البنزين فوق النار في قلبه وهو يتطلع في زين ويشعر بالغيرة والحقد عليه فقال بإصرار "أنا مصر على المحضر"

طُرق الباب ودخل العسكري يقول" شخص بالباب يدعى هلال جمعة يا سعادة الباشا ..ويقول بأنه جاء من أجل هذين الشابين"

لاحت المفاجأة على وجهي الشابين بينما أشار الضابط للعسكري بأن يسمح له بالدخول بعد أن أخذ منه بطاقة الهوية الخاصة بهلال .

دخل هلال تبدو على وجهه علامات القلق فقال الضابط "ماذا لديك يا هلال بخصوص الشجار "

تطلع هلال في وجه طلال وانفلتت أعصابه لتخرجه عن السبب الذي جاء من أجله ..وفي لحظة كان قد اندفع نحو طلال يريد أن يهجم عليه قائلا بانفعال "ماذا تريد منها ؟ ماذا تريد من ابنتي بعد ما فعلت بها واهنتها أمام الجميع؟.. ماذا تريد منها بعد أن طلقتها بعد نصف ساعة من عقد القران يا خسيس بسبب أمك التي أهانتنا من أجل عدد الغسالات والثلاجات "

أسرع زين بتلجيم هلال من الخلف بذراعيه قبل أن يلمس طلال الذي تفاجأ برد الفعل بينما ضرب الضابط على سطح المكتب هادرا" هل ستضربه في قسم الشرطة؟!!"

كان هلال لا يزال خارج السيطرة فبمجرد أن رأى وجهه تذكر كل شيء وكل شعور فهدر وزين يقيده" أجل سأضربه هنا وخذوني واحبسوني لا يهم.. المهم أن آخذ بثأر ابنتي منه"
نظر زين للضابط يقول معتذرا "أرجو ان تكون متفهما فهو منفعل من أجل ابنته"
أما طلال فكان يواجه اللحظة الأصعب ..لحظة التقاء الأعين بينه وبين حميه السابق ..وكم شعر بالخزي من نفسه رغم اقتناعه بأنه لم يكن هناك مفر من اضطراره للأخذ بحق أمه أمام أهل البلدة ..وإلا لوُشِم بالعار طوال عمره ..ربما تصرف ببعض التهور ..وبعدم حكمة وهذا ما يحاسب نفسه عليه لكن لا أحد يعلم بأنه قد أخذ حق أمه من نفسه حين طعن قلبه وهو يطعن إسراء في كرامتها.

قال الضابط بحزم وهو يرى زين يحاول إقناع هلال بخفوت أن يتحكم في أعصابه "كفى يا هلال وأخبرني ما الذي أتى بك إلى هنا"
وقف هلال يلهث من الانفعال ورد "جئت لأقول أن زين من الطبيعي أن ينفعل ويتدخل .. لقد أخبرتني ابنتي بما حدث .. فهذا (وأشار على طلال) اعترض طريقها عند خروجها من المدرسة وكان مصرا على أن تذهب معه إلى مكان ليتحدثا سويا ليقنعها بالزواج منه مرة أخرى والسفر معه للخارج لكنها رفضت الحديث في أي شيء وحين حاولت المضي في طريقها اعترض طريقها وتجرأ وأمسك بساعدها .. ومن البديهي أن يتدخل زين ويقطعه تقطيعا فأي شخص مكانه يجد الفتاة التي تقدم للزواج منها يعترض طريقها شاب طبيعي أن يتدخل"

جحظت عينا طلال وسقط قلبه بين قدميه وهو يتطلع في زين .. فحدجه الأخير بنظرة نارية متحدية ..
لقد صدق حدسه .. فزين لم يكن مجرد شهم يدافع عن جارته بل هو يريدها للزواج..

ضربته خيبة الأمل في مقتل وشعر بأن الأمر بينه وبين اسراء قد انتهى تماما .. فتقدم شاب مثل زين لخطبتها لن يستطيع منافسته أحد .. شعوره باليأس جعله يقول بانفعال" أنا مصر على عمل محضر (وأشار لوجهه المتورم وأضاف) وأثار الضرب شاهدة على تعديه عليّ"
قبل أن يتفوه زين الذي تأجج الغضب في مقلتيه تدخل الضابط قائلا بلهجة ذات مغزى بعد أن فهم أبعاد القصة" لا بأس يا طلال سنفتح محضر ونسجل الواقعة وفي هذه الحالة سنستدعي كل الأطراف بمن فيهم ابنة

هلال للإدلاء بأقوالها فيه كطرف في هذا الخلاف "

اتسعت عينا زين وهم بالاعتراض بينما شعر طلال بالضيق لأن يجر إسراء إلى أقسام الشرطة لكن الضابط أضاف بنفس اللهجة " وإن أقرت ابنة هلال في المحضر بأنك حاولت إجبارها على التحرك معك يا طلال سنوجه لك تهمة التحرش بأنثى كما سنوجه لزين تهمة التعدي عليك بالضرب .. (وناظره بنظرة ماكرة قائلا) هل تعلم ماهي عقوبة التحرش بأنثى يا طلال؟" قالها الضابط وتطلع في طلال الممتقع الوجه ينتظر منه ردا.

xxxx

"مداااام .. بوز جزمتك يدل على أنوثة طاغية " قالتها أم هاشم تقلد أحد الأفلام القديمة وهي تقف أمام صاحبتيها ترتدي بنطالا ضيقا من الجينز الكحلي على بلوزة قصيرة بنصف كم

وحذاء باللون الكريمي بكعب عالٍ جدا ... وقد قلبت شعرها الطويل الذي أضحى ناعما كله للأمام ..فتلا هذه العبارة انفجار في الضحك من بسمة ومليكة اللتين مالتا للأمام من كثرة الضحك في جلستهما على الأريكة.

رفعت أم هاشم شعرها من الأمام للخلف بحركة استعراضية كفتيات الإعلانات لمنتجات الشعر ثم وقفت أمامهما بوقفة جانبية مغرية تضع يديها في جيبي البنطال الأماميين وناظرتهما بنظرة متكبرة .. فمسحت مليكة دموع الضحك من طارف عينيها وقالت "يا الله يا أم هاشم أسعدك الله في الدارين .. أنا لم أضحك بهذا الشكل منذ مدة طويلة جدا" بحركة تحية الجمهور المسرحية قالت أم هاشم بلهجة مسرحية "ولك بالمثل هذه الدعوة.. يسعدني اضحاكك سيدتي"

تأملتها بسمة وتأملت سعادتها فمنذ أمس وهي في حالة غريبة من الفرح.. منذ أن خضعت لإحدى طرق فرد الشعر التي تدوم لعدد من الأشهر وشعرت بالسعادة من أجل سعادتها وتمنت من صميم قلبها ألا يخذلها زوجها وأن تكتشف صاحبتها أنها كانت أكبر غبية ومختلة عقليا بما تعتقده فيه وفي الوقت نفسه أشفقت عليها أن أدخلت نفسها في هذه العلاقة المعقدة بسبب الحب.

خلعت أم هاشم الحذاء العالي وقالت بتذمر" يا إلهي!.. لقد آلمني ظهري كيف ترتدينه يا مليكة؟"

ضحكت الأخيرة بينما قالت بسمة وهي تنظر في ساعة هاتفها " يا إلهي أخرتماني ولم أعد حقيبتي بعد .. فالأستاذ كامل سيصل في أي وقت ولا أريده أن يتصيد لي الأخطاء"

قالت أم هاشم بعد أن استعادت وقفتها الاستعراضية حافية القدمين " اذهبي يا حبيبتي وأعدي ما تريدين ..أما أنا فلقد فردت شعري وسيبقى ناعما لفترة ولم أعد أبالي بمن يذهب ومن يجيئ"

رن هاتفها الموضوع أمام مليكة على المنضدة لتصيح الأخيرة" ولا حتى جابر الذي يتصل الآن "

انتفضت أم هاشم وأسرعت بالعدو لالتقاط الهاتف بسرعة بشكل بدا مضحكا.. فكتمت صاحبتاها ضحكاتهما وهما يرقبانها تبتعد وهي ترفع شعرها عن وجهها إلى خلف أذنها بحركة أنثوية مرتبكة وتقول" نعم جابر"

"السلام عليكم"

سحبت نفسا واخرجته تهدئ من ضربات قلبها وهي ترد "وعليكم السلام"

سألها بعبوس "لماذا تلهثين؟!!"

وضعت يدها على صدرها وغمغمت "لا شيء"
جاءها صوته يقول "حسنا أنا بالأسفل
انتظرك... كم تحتاجين للنزول؟"
اتسعت عيناها وناظرت صاحبتيها تسأله
"أسفل أين؟؟!"
رد جابر بهدوء "أسفل البناية التي وصفها لي
زين"
صاحت باندهاش" أسفل البناية!!"
اتسعت عينا صاحبتيها باندهاش وتبادلتا
النظرات بينما اسرعت أم هاشم بالبحث حولها
عن شيء لتغطي به رأسها فسحبت مفرش
مطوي على يد الأريكة ووضعته على رأسها
وخرجت للشرفة.
في الشرفة ازداد لهاثها وهي تلوح له قائلة" رأيت
سيارتك"
تطلع جابر في شرفات الطابق الثاني فوجدها
متشحة بوشاح طويل غريب يغطي نصفها

الأعلى الظاهر من الشرفة فقال "هل لديك مانع سيدة أم هاشم في جمع حاجياتك والنزول .. أم أن لديك مواعيدا مهمة؟"
أسرعت بالقول بارتباك " آه طبعا ..طبعا.. خلال نصف ساعة .. أقصد ربع ساعة ..
(وعادت تدخل من
الشرفة تقول مستدركة) عشر دقائق بالضبط إن شاء الله"

قالتها وأغلقت الخط ثم وقفت واجمة تتطلع في الهاتف حتى أنها تركت المفرش لينزلق من فوق رأسها أرضا فسألتها مليكة "ماذا قال يا مشمش؟"
انتبهت الأخيرة وقالت "لا شيء ..لا شيء يريدني أن أجمع حاجياتي"
سألتها بسمة بقلق "هل قال شيئا أخر؟"
هزت أم هاشم رأسها وغمغمت "لا .. لا "

سألتها بسمة مجددا "إذن ما بك؟"
لم ترغب في أن تفصح لصاحبتيها بما تفكر فيه وتقلقهما .. لكن ما كان يسيطر عليها لحظتها سؤال مصيري : هل جاء ليخبرها بأنه قد عاد لزوجته ؟.. أو جاء ليخبرها بأنه قد طلقها ؟.

××××

كانوا جميعا في حالة استنفار.. البيت كله ..إسراء ونصرة وهمسة ونسمة وكريم .. في انتظار عودة هلال الذي دخل عليهم أخيرا فقالت نصرة بانفعال" لماذا لا ترد على هاتفك يا هلال!!"
هتف الأخير بغيظ "كنت مع زين طوال الوقت حتى أنه أوصلني إلى هنا ..كيف كنت سأرد عليكم والوضع كان محرجا .. لهذا كنت أغلق عليكم المكالمة لربما فهمتم (وأضاف بغيظ وهو ينظر لكريم) لكنك كنت مستمرا بدون انقطاع أغلق عليك وتعيد الاتصال !"

قال كريم وهو يهرش في رأسه "أمي من كانت تطلب مني أن أستمر"
ضرب هلال كفه فوق الأخر يقول بعصبية وهو ينظر لنصرة "ماذا هناك يا نصرة؟.. لماذا الإلحاح في الاتصال ؟"
قالت الأخيرة باهتمام "نريد أن نطمئن يا هلال ماذا حدث لزين ..فالخبر وصل للبلدة لا أعرف كيف وسألتني أكثر من جارة لماذا كان طلال يحاول اعتراض طريق إسراء؟"

حول هلال نظراته لإسراء الواقفة بتوتر عند باب غرفتها ثم قال من بين أسنانه "هل انتشر الخبر بهذه السرعة ؟!.. (وتحرك ليجلس على الأريكة وتبعته نصرة مضيفا) عموما تم إنهاء الأمر بطريقة غير رسمية.. فطلال بعد أن كان مصرا على تسجيل محضر بالواقعة تراجع بكل

جبن حينما ألمح له الضابط أن إسراء من الممكن أن تسجل ضده محضر تحرش"
قالت همسة بغيظ" ليته كان أصر حتى تشتكي عليه إسراء وتعرف كل البلدة أنه كان يتحرش بها وزين أوقفه عند حده"
قالت نصرة تشعر بغصة" اللهم لا شماتة بالتأكيد وصل لكريمة ما حدث وكل كلام أهل البلدة عن أنه مازال يريدها ويتتبعها"
ردت نسمة بهيام "وأكيد وصلها أن زين دبور (قالتها بفخر وتعالٍ) قد طلب إسراء للزواج (وصرخت سعيدة) وتشعر بالقهر الآن"
شاركتها همسة تقول بنفس السعادة المفرطة "وأي قهر يا اختاه ..إنه زين دبووووور"
تدخل كريم قائلا بعبوس "بالمناسبة اختكما لم توافق عليه بعد"
ظلت إسراء تراقب ما يحدث في صمت وشعور بالطبطبة على قلبها وبالتطبيب لجرح كرامتها

قد تسلل إليها رغما عنها .. فقطع هلال شرودها حين قال " اسمعي يا إسراء اليوم أريد أن أعطي لزين ردنا.. أخذنا وقتا طويلا وهذا عيب في حقنا .. هذا بالإضافة لأن انتشار خبر تقدمه لخطبتك في البلدة لابد أن نجد ما نرد به على الناس هل وافقنا أم رفضنا"

هتفت نصرة بجزع وهي تضرب على صدرها" رفضنا!"

نظر إليها هلال قائلا" اسكتي يا نصرة لا تنسي اتفاقنا"

وضعت يدها تكتم فمها بعد أن قالت "صمتت " لكن عينيها كادتا أن تدمعان وهي تنظر لإسراء نظرة عذبتها لخوفها من أن يكون رأيها متأثرا بحالة والدتها بينما برطمت همسة بصوت خافت لكنه مسموع" وهل هناك من يرفض زين !"

حدج هلال ابنته همسة بينما تقبضت إسراء الى جانبيها تقول بشجاعة " قبل أن أقول رأيي النهائي احتاج لأن أجلس معه .. مع .. زين "

xxxx

وقفت مليكة وبسمة تودعان أم هاشم على باب الشقة فحضنت الأخيرة بسمة ثم مليكة وقالت لهما بامتنان" شكرا على كل شيء يا بنات.. هذه الأيام لن أنساها ..شكرا يا مليكة على كل شيء"

قالت مليكة بتأثر " أنا من عليها أن تشكرك فوالله هذه الأيام فرقت معي كثيرا.."

تحركت أم هاشم دامعة العينين وقبل أن تغلق الباب خلفها نظرت إليهما تقول" ادعوا لي يا بنات"

سألتها مليكة بتوجس " هل هناك شيء يا أم هاشم؟"

قالت الأخيرة بحشرجة "فقط ادعوا لي"

قالتها وأغلقت الباب خلفها فتبادلت صاحبتاها النظرات القلقة قبل أن تقول بسمة " يسر الله أمورك يا أم هاشم وهدى لك زوجك "
في الخارج أمام سور البناية تطلع جابر في المرآة الأمامية وعدل من شعره للخلف بمشط يده وتطلع في لحيته ثم فتح باب السيارة وترجل منها قلبه قلب مراهق يدق بعنف في انتظار حبيبته فركن بجذعه على السيارة يتطلع في المباني الفخمة حوله ثم في ساعته .
صوت البوابة يفتح تلاها خروج أم قلبه بعد أن شكرت ابنة عمار صوالحة التي أغلقت البوابة بعد خروجها بينما وقف الاثنان يتطلعان في بعضهما وكل منهما يداري لهفة واشتياقا وقلبا صاخبا بالنبضات والمشاعر.

وقف أمامها رجوليا أنيقا بملابس عصرية أسر أنظارها فنسيت أن تتنفس لبضع ثوان ..

ووقفت أمامه كإحدى أميرات الأساطير ترتدي عباءة سوداء فضفاضة بكم طويل مطوي عند نهايته بطيّة عريضة باللون الأبيض وإطار العباءة ذات الأزرار البيضاء حتى الاسفل هو والذيل بالأبيض ..يغطي رأسها وشاح باللون الأسود بإطار أبيض كموديل العباءة.

كانت رؤيته غيثا

وكانت رؤيتها شمسا وهّاجة

وبينهما بهجة العشق تلجم الألسنة

ونبضات القلوب كسباق المارثون

أما العيون ، فتغزل قصيدة أولها لهفة ..

وليس لها آخر.

تقدم منها بخطوات واثقة وهو يتطلع فيها بهدوء وابتسامة حانية افلتت منه قبل أن يمحوها متصنعا الجدية بينما الشوق لها يفتك به فتكا .. ولولا الملامة لحضنها في الشارع

والتهم تلكما الماكرتين اللتين وقعت أنظاره عليهما منذ اللحظة الأولى ..
مال يأخذ منها حقيبتها الصغيرة ويضعها في المقعد الخلفي من السيارة بينما تحركت أم هاشم التي تكاد أن تصاب بنوبة قلبية من حضوره الطاغي كوهج شمس حارقة لتلف حول مقدمة السيارة وتتخذ مقعدها بجوار السائق وسرعان ما استقر جابر أمام المقود وهو يقول "كيف حالك يا ست مشمش؟"
ازداد نبضها جنونا وتحاشت النظر إليه حتى لا تنفلت أعصابها وتتعلق بعنقه كالأطفال وتمطره بالقبلات .. وهمهمت "الحقيقة لا أعرف إن كانت رؤيتك رحمة لقلبي المسكين أم صاعقة له!"
لم يسمع جابر ما قالت فقال متصنعا الحزم"
ماذا تقولين يا بنت الشيخ لا أسمع شيئا!!"

أجلت صوتها وقالت" أقول نحمد الله ونشكر فضله"

شغل السيارة وتحرك بها يقول بلهجة متهكمة" يبدو أن حياة العاصمة قد أعجبتك"

غمغمت تبرطم بصوت خافت "ما هذا الحظ يا ربي .. هل أتاني بهذه الهيئة الساحرة ليودعني؟ .. ألا يوجد في قلبه شفقة؟"

صاح جابر فأجفلها" أم هاشم قلت لك هذه العادة تستفزني أخبريني بما تبرطمين؟!!"

نظرت إليه تقول باستنكار "لا شيء يا جابر من حق الإنسان أن يحدث نفسه"

تطلع في عينيها البنيتين الدافئتين ذواتيّ اللمعة وقال بغيظ "حدثيها في غيابي يا ست مشمش "

سألته باهتمام "كيف حال ميس؟"

رد وهو يتطلع في الطريق أمامه" الحمد لله عادت للبيت صباح اليوم"

قالت براحة "الحمد الله وأنت؟"

تطلع فيها بنظرة خاطفة ثم عاد للطريق قائلا"
أنا في نعمة والحمد لله لكني متعب ومرهق ..
كان أسبوعا عصيبا"
غمغمت بصدق "كنت ارتحت اليوم في البيت
وأخبرتني لأعود بالمواصلات العادية أنا لست
صغيرة "
رفع حاجبيه باستنكار ثم قال "أتركك لتعودي
بالمواصلات !!.. ألم يكن لديك رغبة في
رؤيتي؟!"
أسرعت بالرد "لا والله ..يعلم الله بأني لم أقصد
إلا راحتك"
ناظرها بنظرة جانبية متفحصة ثم عاد ينظر
أمامه قائلا " عموما أنا وأنت لابد أن نتحدث في
أمور عاجلة لا تحتمل التأجيل يا بنت الشيخ
وأرجو أن تكون أعصابك قد ارتاحت حتى
نستطيع التحدث بتعقل"

سقط قلبها بين قدميها فقالت بحشرجة "أنا معك في أي شيء ..لا تحمل هما أبدا يا جابر إن شاء الله أيامك القادمة ستكون أفضل مما مضى "

ساد الصمت ولم يعلق بل عاد ذلك السؤال الحائر يطن كالنحلة في رأسه : ما معنى عبارتها التي قالتها لوالدته بأن سعادته أولا؟!"

أما هي فما كان يشغلها لحظتها : هل طلقها أم لا تزال على ذمته ؟..فهي تريد بشدة أن تريه شعرها .

كانت نظرات جابر تتأملها بتدقيق وبنظرات خاطفة ليعود للطريق لكنه عبس ودقق النظر في عباءتها المفتوحة من الأسفل والتي ظهر من تحتها البنطال الجينز الكحلي الذي انحصر عنه طرفي العباءة حتى الركبة فاتسعت عيناه وقال

بعبوس "ما هذا الذي ترتدينه تحت العباءة؟!..
بنطال من الجينز!"
اشتعلت وجنتاها وردت بحرج" كنت أرتديه
حين اتصلت بي فلم أجد الوقت لخلعه وضعت
فوقه العباءة بسرعة"
أصابت موجة ساخنة جسده وهو يسمع كلمة
(خلعه) من بين شفتيها فسألها "ومن أين
حصلت عليه إن شاء الله؟!"
ردت مفسرة "مليكة كانت تشتري بعض
الأشياء من الإنترنت فرأيت هذا البنطال
وأعجبني ..وطلبت منها شراءه ودفعت لها ثمنه
.. هو وهذه العباءة ما رأيك فيها؟"
تطلع في العباءة ثم عاد بأنظاره للبنطال الجينز
وقال" جميل ما شاء الله"
غمغمت بحرج " ونحب أن نعلمك بأني قد
صرفت النقود كلها"

وضع يده على قلبه يمثل الصدمة ثم اتسعت ابتسامته فأصابتها بأزمة قلبية لتهمس في سرها "رفقا بقلبي الذي يحتضر"

عادت نظرات جابر لساقيها يتطلع في البنطال بينما قالت أم هاشم "بصراحة كنت متخوفة جدا من المقاس ..تعرفني نحيفة ..لكن مليكة أخبرتني بأن المقاسات أوروبية وبالفعل كان مضبوطا عليّ"

ازداد شعوره بالاشتعال وهو يرسل نظرات مختلسة لساقيها ويقتله الفضول ليرى باقي جسدها في ذلك البنطال الضيق .. لكنه أوصى نفسه بالتريث فهناك أولويات عليه أن يتحدث فيها معها أولا قبل أي شيء حتى لو كان شوقه واحتياجه لوصالها وصل حد الجنون .

تبادلا أطراف الحديث كل منهما يحكي للأخر ما مر به خلال ذلك الاسبوع الذي افترقا فيه عن

بعضهما.. تحدثا دون ملل كصديقين حميمين بينهما عشق سري و شوق حارق وكثير من الانجذاب .

بعد ساعة كانت أم هاشم تتطلع حولها باستغراب في السيارة الواقفة عند إحدى محطات تزويد الوقود بينما عاد جابر من السوبر ماركت يحمل كيسا كبيرا به زجاجات مياه وعصائر ومقرمشات فناوله لها من نافذة السيارة ثم استدار حول مقدمتها ليجلس أمام المقود وهو يقول "لم أجد لديهم مكسرات للأسف"

قالت أم هاشم وهي تفتح زجاجة مياه صغيرة وتناولها له" لا بأس هيا اشرب كنت عطشانا"

التقط منها الزجاجة فتلامست يداهما وازدادت الشحنات الكهربائية بينهما وتساءل جابر وهو يلقي بالماء في جوفه: كيف سيضبط أعصابه ويتحدث معها أولا ليعرف ما الذي

تخفيه عنه .. فطوال الطريق وهو يعصف ذهنه يحلل تصرفاتها وسلوكها ويشعر بالتخبط ..

التقطت أم هاشم منه الزجاجة وشربت خلفه ثم سألته وهي تُحكم اغلاقها" أين نحن يا جابر؟.. أشعر بأنه ليس الطريق المعتاد للمحافظة"

رد بغموض وهو يعيد تشغيل السيارة ويتحرك" لسنا ذاهبين للقرية"

عبست وسألته "إلى أين إذن؟"

رد بلهجة أكثر غموضا" إلى مكان نتحدث فيه سويا دون أن يقاطعنا أحد"

xxxx

بعد ساعتين

على نصل حاد يفصل بين اليأس والأمل دلفا لتلك الشقة المطلة على البحر في إحدى المدن

الساحلية كل منهما مشغول بالأخر .. ومترقب
.
تحرك جابر يتطلع في المكان حوله.. كانت شقة صغيرة أنيقة ونظيفة فقال وهو يضع مفاتيحه وحافظة نقوده على المنضدة "زين هو من توسط لي عند أحد أصدقائه لأحجزها .. أتعلمين بأن هذا المختل تشاجر مع طلال طليق إسراء وذهبا إلى قسم الشرطة ؟.. لكن الحمد لله مرت على خير "
"ألا زلت على ذمتك؟"
سألته أم هاشم فجأة فاستدار إليها مصعوقا يقول باستهجان "نعم!!!!"
شعرت بسخافتها لكنها ردت بهدوء "أتأكد فقط لأعرف حدود تصرفي .."
اشتعل الغضب في رأسه وصاح باستهجان "تتأكدين من ماذا أيتها المختلة؟!!.. كيف تتصورين أني من الممكن أن أفعل هذا بك ؟ ..

(وأضاف باستنكار) ثم هل كنت سآتي بك إلى مكان كهذا وحدنا إن لم تكوني على ذمتي؟!..(ثم صاح بعصبية) أم هاشم هل سنعود للجنون!!"

تحركت بهدوء تفك الوشاح عن رأسها فكشفت عن شعرها الذي تلفه بعقدة ثم فكت أمام نظراته الذاهلة أزرار العباءة وخلعتها ووضعتها فوق ظهر المقعد بحرص فانفجرت الدماء الساخنة في أعصابه وهو يتطلع في قدها الممشوق الرفيع ذي المناطق المتفجرة الأنوثة في البنطال الجينز كإحدى عارضات الأزياء النحيفات على بلوزة تكشف ذراعيها الأسمرين الأملسين .

اقتربت أم هاشم منه بخطوات ثابتة ثم وقفت أمامه لا يفصل بينهما إلا شبرا تتأمله .. تملأ ناظريها بكل إنش منه .. ولم تعبأ بملامحه

الغاضبة بل قالت بخفوت "لم أقصد إلا التأكد فقط "

هب عطرها المغوي يستفز أعصابه بينما شفتيها الماكرتين تقومان بمهمتهما في إغوائه لكنه كان غاضبا .. رغم كل هذا كان غاضبا منها بشدة فقال بعبوس "تعالي اجلسي لنتحدث"

هم بالتحرك فأسرعت بالوقوف أمامه مرة أخرى تقول بخفوت "لا تحتاج لأن تقول شيئا"

ناظرها بعدم فهم متقبضا إلى جانبيه يأمر نفسه بالتماسك أمام نظرتها المتوسلة التي يعرفها.. نظرة مغوية لم ير لها شبيهة تمنحها له في لحظاتهما الخاصة.. نظرة امرأة يعرفها شامخة تنهار أمام رجولته تطلب العطف فترديه قتيلا ..نظرة ساحرة يعرف جيدا أنها تدك حصونه بأنوثتها الناعمة الحادة كنصل السيف ..

ألقت أم هاشم بنفسها عليه تحاوط عنقه بذراعيها وهي تقول بخفوت" لا داع لإضاعة الوقت في الثرثرة"

حاوطها بذراعيه فأضافت بنفس الخفوت وهي تشدد من ذراعيها حول عنقه "كل ما تريده أوافق عليه ..(ومسدت بكفيها مؤخرة رأسه وعنقه وقبلت عضلات كتفه ثم أضافت) هذا الوقت ثمين جدا دعنا لا نضيعه"

لم يقدر على المقاومة فسحقها جابر بين ذراعيه القويين مشتاقا لذلك الحضن الذي لا يعرف كيف عاش بدونه قبل أن تصبح زوجته فأصدرت أم هاشم تأوها عاليا صعّب عليه مهمته في البقاء خارج دائرة الجنون وأخذت تتحسس كتفيه ورأسه بلهفة وتشتم عطره وهي لا تعرف كيف قد تحرم من لمسه يوما فتمتمت بلهجة معذبة" يا معين يا رب"

الكلمة انتقلت إلى شفتيه فقال ويديه تخرجان عن سيطرته فوق تفاصيلها" يا معين يا رب على جنونك!"

أبعدت وجهها لتتطلع في وجهه من ذلك القرب وتحسست لحيته التي خالطها الشيب المبكر هامسة بعشق " ومن الذي يحتفظ بعقله في وجودك يا جابر "

قالتها واستطالت تطبق على شفتيه فانفجر كل شيء بعدها ولم يعد جابر قادرا على السيطرة على نفسه فرد لها قبلتها بهجوم ضارٍ على شفتيها الماكرتين لعله ينجح في وقف اغوائهما بينما يداه تثيران الفوضى على قدها الرشيق في البنطال الجينز .

بعد دقائق كانا قد تحركا عدة خطوات وألصقها بالحائط فابتعد جابر عنها مغمغما من بين أنفاسه السريعة" نحن غير مؤهلين للتحدث كالعقلاء حاليا "

قالها ومال يرفعها فوق ذراعيه فتعلقت أم هاشم بعنقه تقبل رقبته ليتحرك بها إلى غرفة النوم تاركا خلفهما نصف ملابسهما على الأرض.
خيم فوقها على السرير وهو يقول" دعينا نترك حكايتك جانبا الآن ونركز فيما تريدينه بالضبط يا ست مشمش"
لمست لحيته تقول بضعف أنثى عاشقة "كل ما تجود به ويخرج من ذمتك"
اتسعت ابتسامته ومال يقبل جانبا من وجهها وعنقها ويلفحها بأنفاسه الساخنة ثم قال مشاكسا "وهل ستحتملين كل ما سيخرج من ذمتي؟"
نهضت ودفعته فجأة ليستلقي على ظهره ثم تحسست بكفها صدره العاري وهي ترد "أتلهف له كلهفة الصحراء للغيث .."
اتسعت ابتسامته وتركها مستسلما لقبلاتها المغوية التي تدلل بها تفاصيله قبل أن يفقد

صبره بعد قليل ويهجم عليها هو مهيمنا على كل ذرة فيها يمارس سلطاته بغطرسة رجولية جبلت لتتلذذ بالسيطرة ..

كان النزال قويا متأججا بين عاشقين يحفظ كل منهما خريطة الأخر .. يجزل له العطاء ويستعطفه للمزيد .

لقاء والتقاء يُهزم فيه الشريك بإرادته أمام شريكه .. ويخرج كلاهما منه ثملا منتصرا يطفو فوق غيمة وردية.

لحظات مسروقة من الزمن تُقدم فيها قرابين العشق .. وتسوى فيها النزاعات .. وتُراضى فيها القلوب في غياب العقول ..بعيدا عن ترهات الشك والتقويل ..

بعد بعض الوقت ساد الهدوء الذي يلي العواصف .. سكون كالطفو فوق غيمة وردية حيث الشبع والأمان والسكينة .. فطبع جابر قبلة على عظمة الترقوة البارزة لديها وأخرى على نحرها الأسمر اللامع وأطلق سراحها يعتدل ليستقر بجوارها فهمست أم هاشم بلهجة مترجية والدموع تنساب من جانبي عينيها "لا تبتعد الآن"

عاد ليطبع قبلة تحت أذنها ثم همس" وكأني قادر على الابتعاد يا بنت شيخي "

رفع رأسه يمسح بإبهامه دموعها فتحسست صدره وعضلات ذراعه ثم رفعت رأسها ومالت تطبع قبلة موضع قلبه كعادتها نهاية كل لقاء بينهما ..قبلة بالنسبة له كالحلوى التي تأتي بعد وجبة لذيذة مشبعة فأبتسم برضا وأبقى رأسها فوق صدره بينما كفه أخذت تمسح على

شعرها فأبعدت أم هاشم رأسها عنه تسأله
"هل أعجبك شعري؟"
تطلع فيها ومشط بأصابعه شعرها قائلا بلهجة صادقة" أنت جميلة في كل الحالات"
عاودت السؤال بإصرار "لكن هل أحببته في هذه الهيئة؟"
رد عليها بابتسامة صافية كيوم مشمس رائق
"رائع"
اتسعت ابتسامتها برضا وظلت تتأمل وجهه وكأنها تحفظ انعكاس صورتها في عينيه .. تتمنى لو أن تلتقط لتلك اللحظة صورة تحتفظ بها للابد .. لحظة أن كان لها انعكاسا في عينيه.

تركها تداعب لحيته مستمتعا متطلعا فيها بتردد .. أيتحدث معها الآن؟.. أم يحتفظ بسحر اللحظة وسكينتها وهدوئها؟

أما هي فاختلطت السعادة بالألم في صدرها...
فرحة الامتلاء مع خوف من جوع قادم.. متعة المؤانسة برهاب الوحشة
.. والرعب من لوعة الشوق وعذابه.
حضنته بقوة فبادلها الحضن يسألها" ما بك؟"
فكت أسره وعادت لتستقر برأسها على الوسادة
تتطلع في وجهه المشرف عليها وأجابت بخفوت" لا شيء ..كنت أتساءل بما كنت تريد أن تشبهني"
اتسعت ابتسامته وأمسك بكفها التي تداعب لحيته بحنو فطبع قبلة في باطنه وصمت لبضع لحظات قبل أن يقول "دعيني أولا أدلل تلك الماكرتين المغويتين اللتين لا تشبعان من التدليل أبدا"
مال يقبل شفتيها فحضنته أم هاشم بقوة ثم أطلقت سراحه فاطلق سراح شفتيها ويده تتحسس نعومة جسدها بينما عيناه تغازلان

كل ما تقعان عليه منها بدءا من منابت شعرها وجبينها اللامع ثم قال "سمعتهم يقولون أن الأشياء السمراء فاتنة دوما ..كالقهوة والشكولاتة"

سألته تداعب لحيته "وأنا أشبه القهوة أم الشكولاتة؟"

مرر أنظاره على صفحة وجهها ثم أسفل قليلا وأجاب" كنت سأقول هذا لو كنتِ أكثر سمارا لكنك كالقهوة بالحليب أو شوكولاتة بالحليب"

عضت على شفتها المكتنزة فأضاف جابر "لكنه ليس التشبيه المضبوط .. أنت يا مشمش كعود القرفة ..حارق المذاق.. مميز الرائحة .. يشعل الحواس كلها .. عود قرفة غُمس في العسل حتى صار مسكرا يذهب العقل !"

حضنته أم هاشم بقوة وانفجرت بالبكاء تغمغم وهي تتحسس مؤخرة رأسه وظهره "لن يغلبك أحد أبدا في حلو الكلام"

مشط شعرها بأصابعه قائلا "ولن يغلبك أحد في الفتنة ..أنت مغوية يا بنت شيخي "
ما ترسخ في يقينها من ترهات طوال عمرها لم يكن ليمحوه كلمات ككلماته حتى لو قررت أن تحتفظ بها في ذاكرتها إلى الأبد لتعلقها كالنياشين فوق صدرها .. فصورتها الذهنية عن نفسها كانت متأصلة في وجدانها .. ولم يستطع قلبها الواعي إلا أن يخضع لعقلها الباطن ويفسر كلماته بتحريف ..وبأنه جبر لخاطرها ..فحضنته من جديد تقول "جبر الله بخاطرك يا جابر .. جبر الله بخاطرك وأسعدك في الدارين"
غمغم في حضنها باعتراف تلقائي "أنا سعيد .. رغم كل شيء ورغم بعض الحزن الذي أصابني الأيام الماضية لكني سعيد"

وكأن كلماته هذه كانت الإشارة لها لتستجمع شجاعتها فأبعدته وطبعت قبلة على شفتيه ثم انسحبت فجأة وبدون مقدمات..
راقبها بعدم فهم تلتقط قميصها الداخلي من نهاية السرير ولبسته فدلك جابر ظهرها العاري يسألها "إلى أين؟"
كانت الدموع تخنقها .. فلم ترد .. وأجبرت نفسها بإرادة فولاذية على ترك السرير ..

الغيمة الوردية انقشعت وظهرت خلفها الحقيقة المؤلمة أو ما تتوهم بأنها .. حقيقة..
عقلها لا يزال متمسكا بادعاءاته غير قادر على الاستيعاب
كيف يستوعب هول ما يحدث؟!
كيف بعد سنوات من التنمر شوه أفكارها!
كيف بعد سنوات من حب يائس بائس متيم!

كيف وهو سيد الرجال الذي لا يستحق إلا ست النساء.. أو أميرة من عصر ماضٍ أو عصر قادم .. حتى تليق به .

كيف !

قال جابر بعبوس" أنا أتحدث معك يا أم هاشم"

اقتربت من الخزانة وردت على سؤاله" يكفي هذا القدر فليس هناك داع للبقاء هنا ..ليس له معنى ..فلا أريد منك أي شفقة"

علت الجدية وجهه واعتدل يلتقط بنطاله من الأرض ويرتديه وهو يتطلع فيها تغادر الغرفة ثم تعود بعد دقيقة تحمل حقيبتين صغيرتين واحدة تخصه والأخرى تخصها .. فمالت على الأخيرة تخرج منها قطعا من الملابس بينما قال جابر بلهجة آمرة " دعي كل شيء وتعالي (وأضاف بعد ثانية بلهجة صارمة) فورا "

استقامت وتسمرت لبضع ثوان ثم اقتربت أمام نظراته الصارمة ووقفت أمامه بقميصها الداخلي القصير تضع كفا فوق الأخر على بطنها وتناظره متصنعة البرود فرفع أنظاره لها في جلسته على طرف السرير يسألها "أخبريني مجددا لماذا وافقت على الزواج مني؟"

ردت بهدوء "لأنك تريد ذلك "

عبس وسألها " وأنت؟"

أجابت ببساطة كادت أن تجلطه " أريد طبعا"

سألها مستفهما " تريدين ماذا؟"

"أن أساعدك"

باستنكار سألها بعينين خطرتين "في عقاب كاميليا؟"

هزت رأسها بالإيجاب فصمت قليلا يتأملها مصدوما يحاول الاستيعاب .. التفسير .. إعطاء المبررات .. يحاول أن يتصرف بنضج مع خيبة الأمل .. مع الحسرة .. مع الصدمة.

أما هي فلم تقدر على التماسك أمامه دون أن تضعف.. أن تستعطف.. أن تترجى ..فتحركت مبتعدة .. هاربة ليأتيها صوته يقول بحشرجة "أنا مصدوم وأشعر بالحسرة"

استدارت إليه تقول بلوعة " بعيد الشر عليك" وقف.. واقترب منها يتطلع فيها بحزن قائلا "أنا مصدوم لأني في نظرك بهذه الخسة والوضاعة.. أنت ترينني نذلا يا أم هاشم ..والله لو طعنتني بخنجر لكان أهون عليّ"

ردت بسرعة مدافعة "بعيد الشر عليك .. لم أقصد ما فهمته .. أنت.. أنت (وتطلعت في عمق عينيه) لم تكن تعي ما يريده عقلك الباطن ..أردت الزواج مني لمعاقبتها وكنت أعلم بأنك ستستوعب الأمر بمجرد أن تلين كاميليا ..والدليل على ثقتي في حسن نيتك أني قررت أن أبادر أنا بالانسحاب بمجرد أن أشعر بوصولك لهدفك "

طالعها مدققا وعقله يحلل الماضي والحاضر ..فإما هي مختلة عقليا أو عاشقة الى حد اليأس .. ويا لعذاب قلبه لو كانت الأخيرة .. وتزوجته وعاشت معه كل هذا الوقت وهي ترزح تحت تلك الأفكار المعذبة.

هدأ غضبه قليلا واستند بكفه على الخزانة خلفها في مشهد يعاد بعد أسبوع من المعاناة ليستكمل حوارا لم يكتمل ساعتها فسألها يحاول هذه المرة ألا يستفز ميلها للعناد "إذن أنت ترين بأني لم أكن أضمر سوء النية؟"

مسحت دمعة من طارف عينها كادت أن تفر ووقفت أمامه تحضن نفسها وهي تهز رأسها بالإيجاب .. تهز رأسها الذي تمنى أن يكسره لحظتها لكنه قال مدعيا الهدوء "وحان الآن وقت الانسحاب من حياتي؟"

هزت رأسها مرة أخرى بالإيجاب فعض على لسانه وتقبضت يده بقوة قائلا "أتعلمين ..أنا

أمسك أعصابي في هذه اللحظة حتى لا أضربك علقة ساخنة يا أم هاشم "
ابتسمت .. فاستفزته أكثر ..فاقترب أكثر ..فالتصقت بالخزانة أكثر .. فضرب على الخشب بجوارها بقوة وهو يقضم شفته السفلى يتطلع في عمق عينيها ثم سألها هادرا "لماذا تضحكين؟.. أتظنيني أمزح!"

لم ترد وإنما تطلعت في وجهه صامتة فسألها متهكما وهو يستند بساعده على خشب الخزانة ويميل بوجه عليها "وماذا ستستفيدين يا ست مشمش من هذه المساعدة العظيمة التي قدمتها لي"

همت بالرد فابتعد قليلا يشير لها بأصبعه قائلا بلهجة تحذيرية خطرة "إياك أن أسمع خزعبلاتك عن (تصحيح الأوضاع) وما إلى

ذلك ..فلو كان هذا هو هدفك كنتِ تزوجت من الرجل العجوز وحصلت على لقب أرملة مع الكثير من المال"

حاصرها بما قال واغلق عليها باب الحجج فلم تجد مبررا تخبره به فأشاحت بوجهها تقول بكبرياء "كل إنسان له أسبابه"

أمسك بفكها يعيدها للنظر إليه قائلا "أريد أن أعرف أسبابك"

ردت بشموخ استفزه "وأنا لا أريد ان أقول أنا حرة"

قال بلهجة خطرة " اعترفي بالحقيقة يا أم هاشم "

تحركت هاربة من حصاره وهي تقول "لا توجد حقيقة سوى أني أرغب في الرحيل"

أمسك بذراعها يعيدها لمكانها لتلتصق بالخزانة قائلا وقد تأكد بأنها تخفي شيئا "ومن سيسمح لك"

رفعت ذقنها وقالت " أنا سمحت لنفسي"
قال بلهجة خطرة فبدا أمامها جذابا بشكل
مهلك " اشربي من البحر أنت ونفسك"
هتفت بعصبية تحاول الفكاك من دائرة
سحره" أريد أن أرحل يا جابر"
مراوغتها في الرد زاد من جرعة الأمل في قلبه
..وعقله لا يزال يركب قطع الأحجية بجوار
بعضها فقال بلهجة ذات مغزى "وهل من تريد
أن ترحل ..تفعل ما فعلتِ منذ قليل؟!!"
تعرق جسدها واشتعلت وجنتاها بحرج لكنها
ردت بثقة وجرأة غازلت رجولته "حقي وأريد
أن آخذه لآخر لحظة"
اتسعت عيناه ثم انفجر ضاحكا فانفجرت
دقات قلبها .. ليقول جابر بعد برهة وكأنه
يتعامل مع شخص مجنون "إذن لمَ لا تبقين
وتأخذين حقوقك مني كلما رغبت (ووضع يده
على صدره يقول بلهجة مغوية) أنا رجل

متعاون جدا في هذه الأمور ولا أتأخر أبدا في اعطاء الحقوق لأصحاب الحقوق (وأضاف بلهجة أكثر شقاوة) وأحب أن أقوم بواجباتي على أكمل وجه "

طالعته وهو يطبق على شفتيه حتى لا ينفلت منه المزيد من الضحك فبدا أمام ناظريها رجوليا جذابا إلى حد أوشك على إصابة قلبها المسكين بسكتة فقالت وهي تحاول الإفلات من دائرة حصاره" علينا أن نضع لهذا الأمر حدا "

وضع كفه على الخزانة فمنعها من التحرك فأضافت أم هاشم ببعض التوسل "اتركني لأرحل صدقني أنا راضية بما حصلت عليه (وافلتت منها عبارة لم تكن تريد أن تظهر جانبها الضعيف) فهو مالم أحلم به أبدا"

اقترب من الامساك بطرف الخيط .. وتمنى بشدة أن يجد في نهايته (قلبها) ..فمال عليها يسألها" ما هو الذي لم تحلمي به "
كان حصاره يربكها .. يشعرها بأن الأرض تتكسر من تحتها ..فقاومت بقوة ..تشبثت بشراسة .. لا تريده أن يعلم شيئا عن مشاعرها .. كبريائها لن يسمح بأن تبدو أمامه كمستعطفة مثيرة للشفقة وكأنها تتذلل له ليبقيها فقالت بترجٍ
"اتركني يا جابر"
تحركت خطوة فأمسكها من ذراعها وأعادها لمكانها يقول من بين أسنانه " لن تتحركي من مكانك قبل أن أفهم كل شيء"
قالت بعناد "لا يوجد ما يستدعي اهتمامك"
رد بصرامة "أنا من أقرر"
قالت بانفعال وعناد "ليس عندي ما أقوله"
تقبض بقوة يتحكم في أعصابه قبل أن يكسر رأسها العنيد ليعرف ما به .. ثم ابتعد خطوتين

للخلف يستجمع أعصابه وعاد إليها يقول بلهجة مغتاظة " أنا مندهش .. كيف تتحدثين عن حقك قبل دقائق .. ثم تتركيني لامرأة أخرى .. كيف تتركين حقك فيّ لأخرى!!"
ردت عليه بلهجة متألمة أوجعت قلبه وقربته من اليقين بأنها تحمل له مشاعر قوية " المطالبة بالحق تكون لمن يملك هذا الحق .. أما من يطلب ما ليس حقه لا يكون إلا مغتصبا"
قال بنبرة مستعطفة "وهل أهون عليك يا بنت شيخي؟ .. (وتطلع في عينيها مضيفا بصدق) أنا لن أقدر على تحمل ابتعادك عني يا أم هاشم"

نجح في عبور قشرتها الصلبة العنيدة والوصول إلى لب مشاعرها فلانت ملامحها ولاح العذاب في عينيها وهي ترفع يدها لتتحسس صدره

العاري وتقول بضعف دون أن تعي "وأنا أيضا لن أقدر على تحمل ذلك .. لن أقدر على التحمل يا جابر .. عذاب البعد أهون عليّ من النار التي ستأكلني إن بقيت "

تطلع فيها عاقدا حاجبيه بينما اعتصرت كلماتها قلبه خاصة حينما أضافت " أعلم بأني قد أبدو أمام الجميع مجنونة فمن هي في مثل ظروفي عليها أن تقبل بأي وضع راضية .. لكن هذا صعب عليّ يا جابر صدقني أنا الأكثر احتياجا للبقاء والأكثر عذابا بالرحيل لكني لن أطيق أن تشاركني أخرى فيك.. لم أوافق من قبل أن أشارك امرأة في رجلها.. فكيف سأتحمل أن أتشارك فيك مع أخرى؟.. أنت بالذات .. كيف ؟.. كيف أتحمل أن تلمسك أخرى؟.. أن أشتم رائحتها في ثوبك ..أن أتخيلك معها ثم معي!! .. "

وقف مذهولا وهو يقرأ مشاعرها أخيرا بوضوح بينما مسحت أم هاشم دمعة سقطت من طارف عينها وأضافت بتفهم "أعرف أنه حلال لك ولو رغبت في الزواج من أربعة.. لكني بالتأكيد لن أكون منهم يا جابر ..ليس لقلة ثقة في نفسي ولكن ببساطة شديدة .. لأني لن أطيق هذا.. "

أخيرا وصل إلى بقعة ضوء بعد السير في نفق مظلم شديد السواد حبس به لمدة أسبوع فسحبها إليه وحضنها بقوة مغمغما "يا فرج الله!.. يا فرج الله! .. الحمد الله لم يكسر الله بخاطري.. لم يكسر بخاطري"

أبعدها يحضن وجهها بين كفيه وقال أمام عينيها بعد أن فهم العلة .. بعد أن فك تشابك العقدة حتى وصل لآخر الخيط فوجد قلبها " يا بنت شيخي لا يوجد على ذمتي امرأة غيرك

..ولن يكون على ذمتي غيرك ..ولا توجد في حياتي غيرك"
ساد الصمت للحظات وهو يتطلع في وجهها بينما هي ترمش بجمود وعقلها يستعيد ما قاله ويحاول فهمه ثم همهمت "جابر!"

قال بتأكيد أمام عينيها " هل أكرر ما قلته؟..حاضر.. لا يوجد على ذمتي امرأة غيرك ..ولن يكون على ذمتي غيرك ..ولا توجد في حياتي غيرك "
كان جفناها يرتعشان حتى بدت له أنها تقاوم الإغماء وهي تقول بتأتأة "لكن ..لكن"
حضن كفها وقال وهو يتحرك " لا يوجد لكن ..تعالي لنجلس "
سحبها وجلس على طارف السرير وربت بجانبه لتجلس لكنها ظلت واقفة.. فسألها "ألن تجلسي؟"

هزت رأسها تقول بذهول" لا أريد"
وقفت أمامه فرفع أنظاره لها وأمسك
بمعصميها قائلا " كل ما في رأسك خبال يا أم
هاشم .. جنون .. من أول السبب الذي
تخيلتيه لزواجي منك حتى تلك الترهات التي
تفوهت بها في وجهي الأسبوع الماضي"
قلبها كان متوقفا عن النبض .. كان ساكنا في
صدرها وهي تسأله بذهول "ما معنى هذا
الكلام؟!!"
رد موضحا " معناه أني تزوجتك بكامل وعيي
وادراكي يا غبية .. تزوجتك لأني أريد أن أتزوج
من أم هاشم وليس نكاية في كاميليا ..فلست
تافها ولا غرا لأفعل أفعال الصبيان المراهقين
التي في رأسك!"
كانت عيناها متسعتين وسقطت عبرتان
ثقيلتان منهما دون أن يرمش لها جفنا ثم قالت

مجادلة "أنت كنت غاضبا يا جابر حين طلبتني من عمي .. شعرت بك وقلبي لا يكذب عليّ .."
قال معترفا " لن أنكر ذلك لقد خرجت من عندها بدم محروق لأني أمسكت أعصابي عن التهور والتصرف معها كما تستحق .. وتوجهت لعند عمك لأطلبك منه لأني أقسمت لها بأني قبل أن تنتهي عدتها سأكون متزوجا ممن هي في مقام تاج رأسها (وتطلع في عينيها مضيفا بلهجة أكثر رقة) من كنت أتمنى أن أتزوجها وشغلت عنها بأمور كثيرة ..لقد تمنيتك زوجة لي يوم رأيتهم يرغبون في تزويجك من ذلك العجوز ..فارت دمائي حينها وأدركت أي خطأ اقترفته بعدم التفكير بك واعترفت لنفسي بغبائي "
سحبت يديها من يديه ووضعت كفها على قلبها تقول بخفوت ذاهل "جابر ماذا تقول؟!!"

أكمل جابر اعترافه " وقتها فكرت للحظة في أن أتزوجك على كاميليا خاصة وأن الأمر بيني وبينها يومها كان قد انتهى .. و خيرتها إن أرادت الانفصال فلها ذلك.. لكني لم أرضى لك أن أتزوجك على ضرة .. فهذا لم يكن يليق بك يا بنت الشيخ زكريا "

وكأن زلزالا قد ضرب بعالمها .. كسر الأرض التي تقف عليها .. نقلها عبر الزمن إلى بقعة أخرى مع جابر .. إلى عالم أخر معه .. حياة أخرى ..أرض أخرى .. فلم تقدر أم هاشم على التحمل وسقطت على ركبتيها بين ساقيه باكية بانهيار تغطي وجهها بكفيها.. فأمسك جابر بذراعيها مستمرا في اعترافه الصادم " لكني ظللت أدعو لك بعد كل صلاة أن يرسل لك من يستحقك .. من يراك بعقله وقلبه .. وكم أنا سعيد لأني كنت هذا الشخص المحظوظ"

رفعت يدها وأغلقت فمه بكفها تقول بترجٍ "كفى يا جابر ارحمني سأموت (وأمسكت بقلبها تقول بتقطع) والله قلبي .. قلبي .. قلبي.."

لم تستطع اكمال العبارة وانهارت بالبكاء فرفعها من ذراعيها إلى حضنه .

دفنت أم هاشم وجهها في صدره وهي لا تزال تغطيه بكفيها تبكي بانهيار بينما جابر يمسد على ظهرها هامسا" بعيد الشر على قلبك يا أم قلب جابر"

استمرت في انهيارها ..

ماذا يقول؟ .. ماذا يحدث معها ؟.. أهو يهذي أم هي التي تهلوس ..

ابتعدت عنه بوجهها تسأله " أنت لا تكذب عليّ أليس كذلك!"

رفع حاجبيه يسألها بابتسامة "وما الداعي لأن أكذب؟"

ردت باكية "شفقة عليّ .. علمت بحالي وتشفق عليّ"
قال يمسح على شعرها بحنو " اعتقد بأني أشفق على حالي أنا أكثر"
مسحت دموعها بقوة ثم قالت بملامح جادة "جابر قل الحقيقة"
سألها باندهاش "أية حقيقة؟!"
استقامت واقفة فراقبتها عيناه مبتعدة ثم تحركت أمامه جيئة وذهابا بقميصها الداخلي القصير باللون الكريمي يبرز سمرتها اللامعة وساقيها الطويلين وبعض المناطق الشديدة الإغراء في جسدها فبلع جابر لسانه عن حدس معين اخترق شعوره وهو يراقبها لكنه لم يكن وقته ليصرح به بينما قالت أم هاشم موضحة "حقيقة أنك تهذي.. أو أني أهلوس .. أو أنك تشفق عليّ .. (ووقفت تقول بلهجة مترجية

كأن الحقيقة صعبة الاستيعاب) قلها .. أنت تشفق عليّ"
تألم قلبه وسألها " هل تعانين لدرجة أن عليّ أن أشفق عليك يا أم هاشم؟ .. أخبريني بكل..."
اندفعت نحوه تقول بعصبية "أششش ..توقف عن الحديث حتى أستوعب ما قلته للتو "
اتسعت عيناه ورد عليها بهدوء حذر"أنت سألتني وكنت أجيب"
عادت لتتحرك أمامه جيئة وذهابا وهي لا تزال تبكي وتمسح دموعها وتبكي مجددا ..ثم توقفت تسأله" أنت لم تكن تكايد كاميليا بزواجك مني؟"
لاح شبح ابتسامة على وجهه وهو يرى حالتها وكأنها قد مسها الجنون فرد موضحا "كنت قد أقسمت فقط بأني سأتزوج بأحسن منها ..واندفعت لأنفذ ما كنت أنويه بمجرد أن

طلقتها ..لكني كنت انتظر بعض الوقت حتى لا يزج باسمك في قصة طلاقي من كاميليا"
اقتربت منه تسأله بغير تصديق باكية" كنت تريدني أنا ؟"
"أجل؟"
"لماذا؟"
رد موضحا مرة أخرى " قلت لك لأني كنت معجبا بك دون أن أعي ذلك .. ولا أعلم أين كنتِ حين عدت أخر مرة من السفر وقررت الاستقرار والزواج .. لم أرك أمامي ربما لو رأيتك لكنت..."
"كنت في حالة حداد" قالتها مقاطعة فعقد حاجبيه وقال "حداد!"
وقفت أمامه قبضتها في ظهرها وهزت رأسها بالإيجاب قائلة " أجل حداد على بنت مليكة ..ظللت مدة طويلة بعدها لا أخرج من البيت"

قال جابر بسرعة " آه فعلا .. تذكرت أني علمت بالخبر المفجع حين وصلت كان مثار حديث الناس وقتها"

مالت عليه تحيط وجهه بكفيها وتقول بترجٍ باك "احلف بالله"

رفع أنظاره لها وقال " أقسم بالله أني كنت معجبا بك ..وكنت أدعو الله أن تتزوجي من يستحقك"

هزت رأسها برفض ثم قالت " لا ..لا.. قل أنك تزوجتني لأني (أم هاشم)"

قال مشاكسا " بالطبع تزوجتك لأنك أم هاشم ..هل تزوجتك لأنك عفريت؟!"

طالعته بذهول من اعترافه لكنه أسرع بالقول معتذرا "لم أقصد"

لم تكن كلمته ولا أسفه يشغلانها فقالت بترجٍ "قل يا جابر"

سألها بدهشة "ماذا أقول يا قلب جابر؟"

نشجت باكية تتطلع في وجهه بين كفيها ثم قالت بعد برهة "قل ..تزوجتك لأنك أم هاشم زكريا جاد الله تيمور"

قهقه ضاحكا ...فتركت وجهه وهزت كتفيه قائلة" قل .. هيا قل "

قال من بين ضحكاته" أقسم بالله تزوجتك لأنك أم هاشم زكريا جاد الله تيمور ..المجنونة والمختلة عقليا "

انفجرت بالبكاء وسقطت مجددا بين ساقيه بانهيار ..فحاول رفعها من كتفيها لتقف على ركبتيها ثم ضمها إلى صدره مضيفا "وبعد أن صرتِ حلالي اكتشفت بأنك أم قلبي"

هتفت بتوسل وهي تضربه بقبضتها في ظهره "جابر ..جابر ..جابر"

"نعم.. نعم ..نعم "

قالت بترجٍ" كفى بالله عليك ..سأموت ..قلبي سينفجر والله العظيم "

شدد من احتضانها قائلا بحنو "بعيد الشر عليك ..حاضر"

بعد برهة ابتعدت عنه ترفع إليه وجهها المغرق بالدموع قائلة بجدية "أصدقني القول ..هل أنا مت ودخلت الجنة؟!"

اتسعت عيناه وابتسامته معا ثم رد وهو يحضن وجهها بين كفيه "الجنة دخلتها أنا حين دخلت أنتِ حياتي يا بنت شيخي "

قالها ثم مال يلتهم شفتيها فظلت تبكي بحرقة.. قلبها في حالة شلل ..وعقلها يحاول جاهدا ألا يشت منها .

xxxx

دخل الولدان الشقة فمالت مليكة لتحضنهما وتطبع قبلة على وجنة كل واحد منهما ثم قالت " هيا بدلا ثيابكما واغتسلا"

قال إياد" جائع جائع.. بسرعة الغداء أرجوك يا أمي "

ابتسمت وهي تتابع دخولهما ثم أغلقت الباب حين تأخر مفرح في الصعود وتوجهت للمطبخ تقول للخادمة "أعدي الطعام على السفرة من فضلك"

فُتح الباب فأسرعت إليه ليقول مفرح وهو يتطلع في الشقة التي يراها مفروشة أمامه لأول مرة" السلام عليكم"

قابلته بابتسامة واسعة جميلة تقول " وعليكم السلام ورحمة الله"

قال متهكما وهو يخلع حذاءه عند باب الشقة " الحقيقة أنا سعيد أن ضيفاتك قد غادرن أخيرا يا مليكة هانم .. فكنت أخطط لأن أوصل لك الولدين وأذهب لأتناول الغداء في مطعم أولاد نخلة "

اتسعت ابتسامتها فدقق مفرح فيها وهي تقترب ببنطال (بورمودا) قصير إلى تحت الركبة بلون وردي وبلوزة بيضاء بكم قصير ترفع شعرها البني للأعلى بمشبك فبادلها الابتسام ودون أي كلام إضافي مال عليها يحضنها بقوة. غمغمت من فوق كتفه" اشتقت إليك"

لم يرد .. يفضل ألا يرد .. فالكلام سيجر خلفه أفعال وهو وعد نفسه ألا يحاول الضغط عليها واستدعاء إحساسها العالي بالتقصير .. لم يفعل سوى أن شدد من احتضانها يتحسس ظهرها بحنان ويطبع قبلات على رقبتها.

خرج إياد مندفعا يقول "أبي تعالى لترى غرفتي بعد أن اكتمل فرشها (ثم أضاف) ماذا تفعلان؟!!"

لم يتحرك مفرح ولم يرد فخرج أدهم وانضم لأخيه يتطلع فيهما بوجنتين حمراوين وقال

متهكما" هل نحضر كأسين من العصير وشجرة لتظلل هذا المشهد العاطفي؟! "
قالت مليكة ضاحكة "مفرح رد على ولديك"

أبعدها يقول ممتعضا "نعم ..ماذا أقول؟ (ونظر لإياد قائلا) ماذا تراني أفعل؟.. ألم تحظ بحضن مثله قبل دقائق ؟..أم أن كل شيء يأتي عند مفرح ويقف!"
قالت مليكة بخفوت موبخة "مفرح الخادمة بالمطبخ"
مط شفتيه بمزيد من الامتعاض فأسرع إياد بالاقتراب من والده وشده من يده قائلا "تعالى لترى الغرفة واترك الأحضان والقبلات لوقت آخر"
ارتفع حاجبا مليكة وهتفت وهي ترى مفرح يتحرك معه بتثاقل " احترم نفسك يا ولد! "

بعد قليل اقتربت مليكة من الحمام الرئيسي للشقة فوجدت بابه مواربا ومفرح يقف عند الحوض يغسل وجهه فتملكتها الحيرة الشديدة وذلك السؤال الحائر بشأنه منذ سنين طويلة ازداد إلحاحا: ماذا ستفعل مع مفرح؟

إنه قد طلب بأن توضع ملابسه في غرفة نوم ثالثة ..والحقيقة أنها لم تعترض .. لقد وعدت نفسها أنها لن تدع شيئا يضغط على أعصابها كما اتفقت مع الطبيبة ..وبأنها ستضع نفسها في المقام الأول ..واقتنعت بأنها بذلك ليست أنانية إن فعلت ذلك لفترة ..فهي وصلت لمرحلة كادت فيها أن تؤذي من تحبهم بسبب تضحيتها المستمرة من أجلهم دون الالتفات لآدميتها .. اقتنعت بأن قليلا من الأنانية لن يضير في سبيل أن تستعيد قوتها .. استوعبت أنها بشر وليست امرأة خارقة وأنها بحاجة للاهتمام بنفسها من وقت لأخر لتشحن

طاقتها حتى تبقى محور ارتكاز لمن حولها..
وبأنها إن فعلت ذلك ليس عليها الشعور
بالذنب فهي تستحق هذا .. وإن سقطت
سيؤثر سقوطها على جميع من حولها لكن ..
ستبقى شاعرة بالذنب تجاه مفرح .. من ناحية
تعلم بأنه قد صبر كثيرا .. صبر صبرا لن يفعله
رجل غيره ومن ناحية أخرى تخبر نفسها بأنها
بدأت في مرحلة العلاج فلماذا تفسد الطبخة
من أجل (ذرة ملح) كما يقال في المثل.

فتحت الباب فحانت منه التفاتة وهو يغلق
الصنبور وينفض يده من الماء ثم نفضه في
وجهها بمناكفة فعبست بينما التقط هو
المنشفة وجفف وجهه .
وقفت أمامه تسأله" هل أعجبتك الشقة؟"
أبعد المنشفة يتطلع فيها وقرأها بسرعة ..قرأ
نظرة عينيها وأفكارها وارتجاف شفتيها ..

فاقترب بلهفة وشوق مكشوفين لها مهما حاول إخفائهما وقال بصوت متهدج وهو يغلق الباب خلفها " الشقة وصاحبة الشقة شيء مبهر بصراحة"

رفعت إليه وجهها بابتسامة متسعة ..ابتسامة تستحق أن يصبر أكثر ليحصل عليها بشكل دائم .. فلم يرها على وجهها منذ سنوات طويلة.. وبالرغم من أنه يعلم بأنها لحظة منح صغيرة لكنه كان راضيا بها ..فمن يعرف الحرمان ويجربه سيقدِّر جيدا حتى أصغر المنح..

تحسس جسدها بيده وهو يقول هامسا "خاصة صاحبة الشقة "

أطبق على شفتيها بجوع المحرومين .. جوع لم يقدر على تهذيبه ..فتلاشت مليكة بين ذراعيه ونفخت فيها شفتاه الجائعتان النار .. فهي تشتاق إليه كما يشتاق إليها لكن المشكلة تكمن

في ذلك الشعور القاتل الذي ينتظرها أخر كل مرة .
فتحت زرا من قميصه وتسللت يدها إلى بطنه فتقلصت عضلاته فجأة وأفلت شفتيها وهو يخرج يدها قائلا من بين لهاثه "لا أرجوك ..فبهذا الشكل سيخرج الأمر من يدي وأنا لابد أن أحافظ عليك يا خطيبتي العزيزة"
ابتسمت رغم شعورها بالألم وقالت "خطيبتك!"
أجاب وهو يطبع قبلة على رقبتها" هذه القبلات المختلسة تشعرني بأننا مخطوبان ..الفارق هو أننا لم تتح لنا الفرصة للشقاوة قبل زواجنا لكن الفرصة مواتية الآن لكثير منها معك يا خطيبتي (ورفع رأسه يقول لها واضعا يده على صدره) وأقسم لك بشرفي بأني سأحافظ على شرف الصوالحة حتى ليلة الزفاف ولا أغمره في التراب"

ضربته على صدره ضاحكة فمال يقتنص قبلة أخرى جائعة من شفتيها حتى سمعا صوت أدهم في الخارج يقول " أين أبي وأمي؟"
صاح إياد" جاااائع"
أفلتت مليكة شفتيها وقالت بسرعة" فضحنا أمام الأولاد كيف سنخرج الآن !"
جز مفرح على أسنانه بغيظ بينما قالت مليكة وهي تعدل من هيئتها" أنا سأخرج وألهيهما وأنت أخرج بعد قليل"..
تحركت نحو الباب ثم حانت منها نظرة اعتذار صامتة لمفرح الذي يقف متخصرا مغلق الملامح وأسرعت بالخروج .. فسحب هو نفسا عميقا وأخرجه بضيق قبل أن يستند بظهره على الحائط ويضرب رأسه للخلف في الحائط بحركة رتيبة عدة مرات يطلب من نفسه المزيد من الصبر ..آملا في أن تبادر هي قريبا بأي مبادرة للعودة لحياتهما.. كزوجين طبيعيين

××××

سلم جابر في الصلاة .. فسلمت أم هاشم بعده ليرفع يديه بالدعاء وتنفجر هي باكية من جديد ..

إنها على هذه الحالة منذ ساعتين وقد أقنعها بصعوبة أن تغتسل ليصليا لربما هدأت لكنها دخلت الحمام وخرجت لتصلي وهي لا تزال تبكي.

سحبها جابر إلى صدره وأخذ يقرأ بعض الأدعية والآيات ثم قبّل رأسها يقول" ما كل هذا يا بنت شيخي .. والله لم أقل كل شيء بعد ..والله لم أقل ما أشعر به و ما تستحقينه"

قالت بانهيار فوق صدره "اسكت يا جابر أرجوك"

قال بحنو وهو يدلك ظهرها " حاضر ..أنا فقط أردت أن أخبرك بما أشعر به .. وبأنني صدمت بشدة حينما أخبرتني قبل أيام بأنك تزوجتني

من أجل أسباب غريبة.. صدمت وأصابتني الحسرة وألم شديد ..ألم عظيم في قلبي"
رفعت رأسها تنظر إليه قائلة "بعيد الشر عنك من الألم .. (ووضعت يدها على لحيته مضيفة) دعه لي أنا لأتحمله عنك"
مسح دموعها بإبهامه وسألها بتأثر شديد بحالتها "ماذا في قلبك لجابر يا عود القرفة المسُكر؟"
"فيه .. (واعتدلت جالسة أمامه تكشف الغطاء عن شعرها ومسحت دموعها تضيف) فيه حب يهيمن على كل ذرة في كياني .. لكنه لا يكفي .. ليتني أملك قلبا أكبر لأحبك أكثر.. حتى لو مت من أجل هذا الحب "
اتسعت ابتسامته بفرحة غمرت قلبه كالغيث بعد طول القحط فدمعت عيناه بينما قالت أم هاشم " تقول: مجنونة تزوجتني وأنت تعتقدين بأني أريد أن أكيد لكاميليا !.. أقول لك:

وأفعل أي شيء من أجلك .. أي شيء ..
(وطالعته بعينين أذهلته قوة العشق فيهما وأضافت بخفوت) كم تمنيت أن يربطني بك أي شيء يا جابر ولو حتى علاقة عمل .. كم تمنيت ألا أكبر أبدا حتى لا تباعد بيننا الأيام والحواجز فأبقى في محيط رعايتك طفلة صغيرة.. تقول : مجنونة قبلت بصفقة زواج؟.. أقول لك : ولو كنت أقدر على أن أكون خيطا في ثوبك لقبلت .. "
أوجعت قلبه بكلماتها واستمر يناظرها بانشداه وهي تضيف بعاطفة حارة وأصابعها تلمس لحيته "أنت يا جابر .. أنت في كفة ..والناس كلهم في كفة .. لو طلبت روحي أقدمها لك .. أتلومني لأني قبلت بأن أحظى بالحديث معك! .. أتلومني لأني أردت أنا أراك عن قرب!.. أتلومني لأني منحت فرصة للبقاء تحت سقف بيتك ولو لأيام فقبلت! .. أتلومني لأني حظيت

بفرصة لأصلي خلفك بعد أن كنت أصلي فجر كل يوم معك في خيالي!"
حضنها جابر بقوة .. فلم يقدر قلبه على تحمل هذا القدر من العشق الهائل اللا محدود واللا مشروط .. حضنها مغمغما بارتجاف وهو يدفن وجهه في شعرها " يا ويلك يا جابر كيف كنت أعمى عن كل هذا يا أبا الأغبياء "

ابتعدت أم هاشم عنه ورفعت إليه أنظارها تكمل وكأن لسانها لا يريد أن يتوقف عن البوح وقلبها واتته الفرصة أخيرا ليتحدث ويستفيض
" كان الله كريما معي أن رأيتني بعينيك أنثى.. وعاملتني كأنثى وعاشرتني كأنثى .. أنا .. عفريتة القرية السوداء .. كان كرم ربي عليّ كبيرا حين منحت ولو بضعة أيام معك في الحلال "

أمسك بوجهها ومال على شفتيها يقتنص قُبلة من صميم القلب إلى صميم الروح.. ثم قال بخفوت لاهث بعد قليل

"كرم الله كان كبيرا على كلينا يا أم هاشم .. جمعنا ببعضنا وقد ظننا أن ذلك مستحيلا .. فأنا كنت سقيما يا بنت شيخي ..والله سقيما ..ولم أشف إلا بك "

همست بترجٍ ليشفق عليها "جابر !"

حضنها يقول مبتسما دامع العينين" حاضر ..لن أقول المزيد لكني أريد أن أسمع المزيد ..لن أتركك الليلة إلا بعد أن أعرف كل شيء.. كل لحظة .. كل شعور فاتني وعميت عنه .. يا أم قلبي "

××××

"لماذا فضحتنا بهذا الشكل ؟..لماذا فضحتنا يا طلال"

قالتها كريمة صارخة وهي تستقبل ولدها في المساء ثم ضربت على صدرها شاهقة وهي ترى الكدمة الزرقاء المتورمة في وجهه فهتفت "يا إلهي ماذا فعل بك ابن دبور؟ كسرت يده"

تركها طلال دون رد وتجاوزها صاعدا للطابق الأعلى فصاحت خلفه" لماذا لا ترد ..ألا يكفي بأنك فضحتنا .. خبر شجارك مع ابن دبور من أجل بنت نصرة يملأ القرية منذ ساعات والكل يمصمص شفتيه بأنك تريدها باستماتة وتتذلل إليها كي توافق على العودة لك .. وبأن ابن دبور قد خطبها"

استدار طلال صارخا " كفى كفى كفانا يا أمي من هذه السيرة لا أريد أن أسمعها"

هتفت فيه بقرف " قل ذلك لنفسك ..هل من خلقها لم يخلق غيرها ! ..هناك عشرات الفتيات يتمنين أن تتقدم لخطبتهن أولهما هناء ابنة أختي"

هتف من فوق السلم "أنا لا أريد أن أتزوج لا هناء ولا غيرها .. أخي أرسل لي عقد عمل و سأسافر "

شهقت كريمة تهتف بجزع" ماذا؟؟؟.. تسافر ؟؟؟.. لماذا؟ لقد كنت ترفض فكرة السفر .. هل ستسافر وتتركني يا طلال؟؟"

قال بهدوء " أجل يا أمي سأسافر مثل أي شاب .. مثل أخي الذي سافر قبلي"

هتفت باتساع عينيها مصدومة "وستتركني بسبب بنت نصرة!"

قال بعصبية "دعينا من بنت نصرة ..لقد ضاع الأمل حتى في استعادتها .. دعينا منها ومن قلبي الذي حرقته بيدي ولا تشغلي بالك به يا أمي.. يكفي فقط مفاخرتك بابنك الذي طلق زوجته أمام الجميع من أجل رد اعتبارك .. رغم أنك وخالتي من بدأتما بإلقاء الإهانات ..لكن المهم

أني كنت رجلا وابن أبي وأعدت لك حقك
..اتركيني وشأني إذن"
دخل والد طلال من الخارج وتطلع فيهما بينما
قالت كريمة بقهر" هم من بدأوا بإهانتنا حين
أحرجونا أمام أهل البلدة بما جهزوه لابنتهم "
نظر طلال للأعلى يائسا من اقناعها بغير ما
تقتنع به وتتمسك به من عادات مقيتة
للمفاخرة ثم نظر إليها قائلا "وها أنا قد أجلت
فكرة الزواج كلها وسأسافر"
صرخت كريمة بلوعة وهي تراه يستدير ويكمل
صعود السلم "طلال .. طلال"
لم يرد طلال واستمر في الصعود فلطمت
كريمة على وجهها وقالت لزوجها صارخة
بولولة" ابني سيتركني ويسافر يا عطية .. نور
عيني سيبتعد عني يا أبا حمدي "

××××

صباح اليوم التالي

دخل جابر من باب الشقة يحمل أكياسا توجه بها نحو المطبخ مباشرة ثم عاد بكيس صغير وبعض الأطباق يضعها فوق منضدة السفرة .. فخرجت إليه أم هاشم ووقفت عند باب الغرفة ترتدي قميصا داخليا باللون السماوي يصل إلى منتصف فخذيها .. شعرها مسدلا على ظهرها ووجهها في حالة شديدة من التورم فلم تتوقف عن البكاء حتى الآن.

لمحها جابر وقال بلهجة مرحة" أحضرت بعض الأشياء من السوبر ماركت لتوضع في الثلاجة وأحضرت أيضا فول وطعمية وباذنجان مقلي.."

ردت أم هاشم بخفوت وهي تستند برأسها على إطار الباب "بالهناء والشفاء يا رب"

ثم وقفت تتطلع فيه وهو يفرغ ما في الأكياس في الأطباق وهي لا تصدق أبدا ما حدث أمس

..لقد ظلت تتحدث طوال الليل .. تبوح له بكل شيء ..بكل إحساس ..بكل وجع حتى أدمعت عيناه وانشطر قلبه من أجلها .. لكنها لا تزال في حالة صدمة .

قال جابر وهو يخرج أرغفة الخبز الطازج من الكيس "زين اتصل بي مبكرا ..إنه مدعو على الغداء عند هلال ليجلس مع إسراء كما طلبت "

سألته "هل هو بخير بعد موضوع قسم الشرطة ليلة أمس؟ .. أقصد هل لهذا الموضوع تبعات؟"

رد جابر " لا أعتقد فقد تنازل طلال عن الشكوى كما قلت لك ..أتمنى فقط ألا يتعرض له مرة أخرى ..بصراحة لم أحب أن يتطور الأمر حتى قسم الشرطة"

غمغمت " كتب الله له الخير"

ناظرها جابر مشفقا .. لقد أنهكها البكاء وهو لا يعرف كيف يتصرف .. كيف يوقفها .. ظن أنها

حينما استسلمت للنوم أخيرا بين ذراعيه بأنها قد توقفت عنه ..لكنها عادت للبكاء حينما استيقظت وها هي تبدو أمامه قد ذرفت المزيد من الدموع.

قال بلهجة مشجعة وابتسامة حانية " هيا لتأكلي .. لقد نسينا الطعام يوم أمس وأشعر بجوع شديد"
ظلت ملتصقة بخدها على إطار الباب خائرة القوى فأشار لها بيده وهو يتخذ مقعده أمام الطاولة الصغيرة قائلا " تعالي هيا "
تحركت نحوه ببطء حافية القدمين وهي تقول بضعف" كُل أنت بالعافية أنا معدتي مشدودة"
حين اقتربت منه سحبها لتجلس على حجره وتأمل وجهها قائلا "يا إلهي لقد تورم وجهك أكثر.. ماذا أفعل معك ؟..هل نذهب لطبيب ليصف لك دواء مهدئا أم ماذا؟"

غمغمت بخفوت وهي تمسد على لحيته" أنا بخير.. يكفي أنك أمامي لأكون في خير كثير "
قال يتأملها متألما "لقد انهكك البكاء يا أم هاشم أخبريني ماذا أفعل معك؟"
قالت وهي تمرر نظراتها على صفحة وجهه " لا تبتعد ..ما تفعله هو ألا تبتعد .. فبعدما أخبرتني بأنك ملكي لن أسمح لك بالابتعاد.. (وأضافت باكية من جديد) أصبحتَ ملكية خاصة لبنت الشيخ زكريا فيا ويل من تقترب منك .. يا ويلها "
قرصها من خدها قائلا " من حكم فيما يملك فما ظلم يا ست مشمش"
طوقت عنقه بذراعيها ونامت على كتفه بعد أن طبعت عليه قبلة فقال جابر مناغشا " هيا تماسكي فهناك مالم أعترف به بعد"
شددت من احتضانه ولم ترد ..فقال جابر ويده تدلك جسدها "اليوم سنذهب لنتناول الغداء

على البحر ..الحقيقة أنا لست ضليعا في أمور التنزه والاستمتاع بالوقت لكني سأتصل بزين ليغششني .."

استمرت في صمتها .. لا تجد لديها طاقة للرد .. لا تزال في حالة انهيار .. إنكار .. ذهول .. ولولا يقينها بأنه لا شيء يعجز عنه الله .. لأصابها الجنون.. فحقيقة حب جابر لها .. حقيقة أنه تزوجها ليبني معها بيتا وأسرة .. تزوجها ووقع في حبها .. هي الجنون ذاته .

تحسست كتفيه وأعلى ظهره وطبعت قبلة على عنقه ثم شددت من احتضانها له تشتم عطره بقوة لعله ينعشها.. يخرجها من حالة الانهاك والانهيار الذي هي تعانيه لكنه أصابها بالمزيد من الخدر فقال جابر بلهجة شقية مداعبا" علينا أن نأكل أولا (وضربها على فخذها

) عليّ أن آكل لأجد الطاقة والقوة للنزال معك يا مشمش"
لكن مشمش لم يكن لديها القوة لخوض أي نزال.. لقد استسلمت وسلمت كل أسلحتها وقررت الاستمتاع قليلا بالأسر.

xxxx

بعد العصر

وقفت في غرفتها مشدودة الأعصاب لا تعرف إن كان ما تريد أن تقوله لزين سيفهمه أم لا لكنها صلت صلاة استخارة وتوكلت على الله ..
كان صوته منذ أن دخل قبل قليل واحتل الباحة الأمامية للبيت حيث تلك الجلسة المظللة يأتيها عبر النافذة التي تطل نافذة غرفتها عليها .. صوته رجوليا واثقا ..وفي الوقت نفسه يعكس شخصية بسيطة ومرحة.

توترت أكثر وهي تفكر في هذه التفاصيل ..
تشعر بالخوف بسبب ما يصيبها به من ارتباك
.. وتخشى أن يكون تأثرها به ليس حقيقيا وإنما
بسبب ظروفها الحالية وشخصيته ..

تذكرت صاحباتها اللاتي اتصلن بها منذ أن
انتشر خبر ما حدث بين زين وطلال وكيف
فرحن لها أو حقدن عليها بمزاح لتقدم زين
أشهر عازب في القرية لخطبتها ..
كل هذا يربكها ويشوش على أفكارها ويزيد من
خوفها ..

في الخارج كانت نسمة هذه المرة من تضع
الصينية أمام زين بوجه أحمر ثم قالت برقة
مصطنعة "أرجو أن يعجبك الشاي "
تقبض هلال وانقلب وجهه بينما رمقتها نصرة
بنظرة حازمة لتعود للداخل لكن زين شاكسها

حين ناظرها باتساع عينيه يسألها متوجسا "هل هذه هي المرة الأولى التي تصنعين فيها الشاي؟"

أسرعت بهز رأسها نافية فقال وهو يلتقط كوب الشاي ويقربه منه ليدقق فيه بنظراته ثم يشتمه" إذن لماذا أحسستُ بالغدر وأنت تقدمين لي الشاي وتقولين أتمنى أن يعجبك؟"

احمر وجهها وقالت ضاحكة "أبدا والله لم أقصد شيئا"

وضع زين الكوب وضيق عينيه قائلا وهو يمسك ببطنه" اعترفي ..هل طلبت منك إسراء أن تضعي لي فيه شيئا كما فعلت سعاد حسني في الفيلم حتى تتخلص من العريس؟"

ضحك الجالسون ثم قالت نصرة من بين ضحكاتها

" أسعد الله قلبك يا زين"

قال زين ضاحكا " أخبروني قبل أي شيء أين مكان الحمام "

"السلام عليكم"
قالتها إسراء وهي تخرج إليهم من البيت تداري ارتباكها خلف ملامح جادة فرد زين السلام بصوت هادئ وقد اختفت ملامح المرح من على وجهه وحلت مكانها الجدية وهو يتطلع فيها و يلملم نبضات قلبه التي انفرطت منه في المكان بدخولها ..
قالت نصرة" سأقوم لأجهز الغداء فلابد أنك جائع"
قال زين بهدوء " الحقيقة هذا على حسب النتيجة ..فلو رزقنا بـ (نعم) سأتغدى معكم فأنا جائع وإن لم..."

ترك عبارته معلقة بينما إسراء لا تعرف أين توجه نظراتها لتبدو عادية ..ليست جريئة وليست خجولة مراهقة.

أسرع هلال بالرد بدبلوماسية " في كل الأحوال البيت بيتك ونحن جيران وعشرة عمر وسنظل هكذا "

رد زين بجدية "أكيد طبعا"

تحركت نصرة تسحب في يدها نسمة التي لا تزال واقفة تراقب الجميع بينما مال كريم على زين يكمل حديثا قُطع بدخول الأخرين فقال هامسا "المهم أنك شوهت وجهه لأني كنت أحلم باليوم الذي أكبر فيه وآخذ بحق أهلي منه"

رد زين بخفوت وهو يمسح على شعر الصبي "لا بأس يا عم كريم لقد أخذته لك فلا داعي للدخول في المشاكل "

قال هلال وهو يستقيم واقفا" سألحق بصلاة العصر قبل أن تفوتني فقد وصلت قبل حضورك بمدة بسيطة"
قال زين "لقد سبقتك الحمد لله"
تحرك هلال يدخل بينما بقي كريم مرتبكا لا يعرف هل عليه أن يتركهما هو الأخر أم يجلس معهما كما كانوا يفعلون عند حضور طلال ..
فلم يخبره أحد بأي تعليمات ..
جاءه صوت أمه من الداخل تقول" يا كريم..
تعال لتحضر المنضدة وتفردها "
استأذن الأخير وتحرك بسرعة يتركهما صامتين مرتبكين .. يجلس كل منهما نفس الجلسة التي كانا يجلسانها قبل أسبوعين .. هو يحتل الأريكة في الواجهة ويميل بجذعه للأمام يستند بمرفقيه على فخذيه ويشبك أصابع يديه في جلسة مرتاحة واثقة ببنطاله الجينز وتيشيرت أخضر زيتي يتطلع فيها وهي تجلس إلى يمينه

بجلسة جانبية بصمت ترتدي عباءة شبابية رقيقة.
دقق فيها بكليتها وهي تجلس على المقعد بظهر مفرود وقبضتين إلى جوارها تثبت أنظارها أمامها كعسكري في نوبة حراسة فسألها بهدوء "كيف حالك؟"
هزت رأسها عدة مرات وأجبرت نفسها على النطق وهي توبخها على ارتباكها الغريب فقالت" الحقيقة أود أن أشكرك على ما فعلته أمس"
رد زين بهدوء " لا شكر على واجب كنت سأفعلها مع كل الفتيات من جيراننا"
أضافت بلهجة لائمة ضمنيا " وإن كنت معتادة على التصرف وحدي وكنت قادرة على إيقافه عند حده بدون فضائح"

ارتفع حاجبه وتراقصت ابتسامة حلوة على شفتيه ثم أسرع بالرد " كما قلت لك .. لا شكر على واجب .. كنت سأفعلها مع كل الفتيات "
ازداد تقبض إسراء إلى جانبيها وأجبرت نفسها على النظر إليه لمواجهته لكن عينيه الواسعتان كانتا لامعتين بنظرة ساحرة بحسب ما تصفهما أختها السخيفة المراهقة همسة التي تمنت أن تضربها اللحظة لأن كل ما تقوله أمامها عنه تستحضره وهي تتحدث معه دوما.. فاستعادت ما قرأته يوما عن آداب وقواعد النظر الأخرين وركزت على منطقة بين عينيه أو حاولت فعل ذلك ثم قالت" الحقيقة أنا أردت أن أتحدث معك قليلا ليس لأني لدي بعض الأسئلة ولكن"
صمتت تتطلع فيه حين رفع إصبعه كتلميذ في الفصل ثم قال" آسف للمقاطعة ولكن أريد أن أسأل هل هناك درجات رأفة؟"
"نعم؟!!"

قالتها بعدم فهم فأوضح زين "أقصد ..بعد تصحيح درجاتي هل هناك درجات رأفة إن لم أحصل على درجة النجاح؟.."

كلماته المازحة كانت مؤثرة جدا بالنسبة لها .. أسلوبه الذي تعمده للتخفيف من توترها داعب قلبها وناغشه لكنها تمسكت بجديتها وقالت باعتراض" زين من فضلك كف عن المزاح"
نطقها لأسمه بهذه الطريقة التي لا يعرف ما هي الكلمة المناسبة لوصفها بعثر دقات قلبه حولها لكنه تحلى بالهدوء وأشار لها أن تكمل فقالت إسراء تستكمل حديثها" أنا أعلم أن ما سأقوله قد يكون غريبا أو ربما ليس معتادا في جلسات التعارف لكني أردت أن أخبرك بشيء"
قطعت حديثها مرة أخرى حينما رفع أصبعه وقال وعيناه تراقبان خلسة قبضتها التي ناحيته

تكاد تمزق قماش فرشة الأريكة" أبلة سراء عندي سؤال أخر حتى أستعد للإجابة .. هل هناك ملاحق ؟.. أقصد إن رسبت في جزئية هل هناك دور ثاني؟"

ازداد ارتباكها فاستقامت واقفة بحركة تلقائية وهي تقول "هل هذه سخرية أم أنني ثقيلة الظل إلى هذه الدرجة؟!!"

رفع أنظاره إليها لثوان ثم استقام واقفا يقول بهدوء" لا هذا ولا ذاك أنا كنت أناغشك فقط كي نرفع عن كلينا الحرج والارتباك .. لماذا شعرت بأني أسخر منك؟"

رمقته بنظرة جانبية عسلية ناعمة قبل أن تنظر أمامها موضحة "لأنه بالتأكيد أنت تعرف بأنك شاب تشرف أي فتاة ستتقدم لخطبتها"

لامت نفسها على جرأة تصريحها بينما أنعش هذا التصريح قلبه وداعب غروره لكنه حافظ على جدية ملامحه وقال وهو يرفع سبابته

ليهرش في أرنبة أنفه "قد أكون مدركا ذلك عن نفسي .. لكني لا أملك قلوب وعقول الأخرين وبالتالي يساورني القلق كأي إنسان عادي حين أكون مهتما برأي أحدهم فيّ"

احمرت وجنتاها بشكل لذيذ .. هي كلها لذيذة منعشة حتى في عبوسها وجديتها ..

كيف كان غافلا عن وجودها .. ومتى بالضبط تشكلت لتصبح هذا الكائن الأنثوي الجميل الماثل أمامه؟..

دبت الحرارة في جسده وهو لا يزال واقفا لا يفصله عنها إلا نصف متر وتمنى لو كان نصف انش بينما قالت إسراء التي ازدادت تأثرا بكلامه" انسيتني ما كنت أريد أن أقوله"

قال بهدوء لينفض عنها ارتباكها" دعيني أسالك أنا ما الذي كنت تريدين الحديث عنه حين طلبت التحدث معي؟"

قالت بجدية "كما قلت أنت انسان جيد تشرف أي بيت تدخله طلبا للزواج .. (ورفعت إليه أنظارها فاربكت دواخله بلون عينيها وهي تضيف بثقة وجرأة لم تتخط حد الحياء) أنا أرى بك كل المواصفات التي تتمناها أي فتاة ..أخلاق وتعليم ..وسيرة طيبة (وأضافت بلهجة أكثر لينا) ووالدتك سيدة رائعة "

"لكن.."

قالها بهدوء فسحبت نفسا عميقا وقالت "لكن أنا متخوفة من الخوض في علاقة وأنا لازلت لم أستعد توازني النفسي بعد .. أخشى أن أكون ظالمة لك إن وافقت .. فأنت إنسان رائع ولهذا أخشى من أن لا أقدم لك ما تستحقه لأنى لازلت لم أتخط تأثير تجربتي السابقة ..وفي الوقت نفسه أعرف بأن وقتك ضيق وبأن إجازتك على وشك الانتهاء وعليك بتحديد وضعك بشأن الارتباط قبل سفرك"

أعجبه صدقها فرد بجدية وبلهجة واثقة "أنا لو لم أحظ بموافقتك لن أفكر في التقدم لأي فتاة أخرى على الأقل في الفترة الحالية (وهرش في مؤخرة رأسه مضيفا بحنق) الحقيقة أنا لم أكن أفكر في الزواج من الأساس ..ولم أكن ملاحظا لوجودك لكن سامحها الله أمي جعلتني أغير مخططاتي كليا"

بدى أمامها كولد صغير ممتعض فأشاحت بنظراتها وابتسامة خجول تتراقص على وجهها الجاد وقد بدأ قلبها في الترنح في صدرها وكأنه يستيقظ من نوم عميق فسألته سؤالا مباشرا وهي تعود إليه بنظراتها "أفهم من هذا الكلام أنه إن كانت إجابتي بالرفض وذلك للسبب الذي شرحته لك منذ ثوان لن تتقدم لخطبة أي فتاة أخرى قبل سفرك؟"

كان سؤالا مراهقا لا يليق بمعلمة حازمة.. ولكن يناسب أختها همسة ذات السادسة عشر

..هكذا وبخت نفسها ولم تدر لماذا أضحت تتصرف كالمراهقات وتريد جوابا رومانسيا..
لكن زين لم يبخل عليها بالإجابة فقال" دعيني أرد بجواب أكثر دقة ..إن رفضتني .. سأعاود التقدم لك حين أعود الإجازة القادمة .. هذا إن كنت لازلت غير مرتبطة"
قال الجملة الأخيرة يشعر بأن صدره يضيق بينما اشتعل وجه إسراء واحمر وقلبها يواصل الترنح فأشاحت بنظراتها بعيدا عنه وساد الصمت لبرهة وزين يتأملها متمنيا لو يتجمد الوقت ويظل يتأملها من هذا القرب ..هذا إن نجح في التحكم في بعض الرغبات الأخرى التي بدأت تزداد في صدره ..
قال زين ليفض الصمت الغريب " هذا دوري لأسألك سؤالا وأريد ردا صريحا مباشرا كما أراك صريحة"

ناظرته فدقق في عينيها وسألها" هل هناك مشاعر لا تزال عالقة فيما يخص تجربتك السابقة؟"

كان سؤالا ثقيلا على قلبه لكنه كان عليه أن يسأله ووقف خلال الثواني التالية يستشف الإجابة من كل تفاصيلها وليس لسانها فقط .. فكانت إسراء به رحيمة حينما أسرعت بالرد وهي تشمخ بأنفها" لا الحمد لله ..اطمئن من هذا الجانب ..فالله سبحانه وتعالى كان لطيفا بي حتى في ابتلائه"

"الحمد لله"

عبارة تلقائية خرجت من بين شفتيه مع زفرة ارتياح شديد ..أصابتها بالرجفة وفضحت شعوره بالسعادة وهو يتلقى الصدق من عبارتها الواثقة المغلفة بالإيمان فأسرعت إسراء بالإشاحة بأنظارها وشردت للحظات ترتب أفكارها.. فعاد زين لتأملها ثم قال بلهجة جادة

" لو أردت سماع رأيي فيما قلته لي منذ قليل .. فأنا أرى أنه مادامت لا توجد مشاعر عالقة وأن هناك ارتياح مبدئي لي من جهتك فنحن على الطريق الصحيح .. أي إنسان يختار شريكه بهذه الطريقة التي وصفتها أنت صفات مناسبة وارتياح مبدئي والباقي بتوفيق من الله .. وبالنسبة لي لن أطالبك بغير منحنا فرصة لنتعرف على بعضنا خلال فترة خطبة سأكون أنا غالبيتها خارج البلاد "

احمر وجه اسراء ولم ترد بل أخذت تفكر في كلامه لبعض ثوان قبل أن تعود لتقول بلهجة متحفزة وكأنها قد تذكرت شيئا" هناك أمر هام سيكون من أحد شروطي إن وافقت"

صمت زين يتطلع فيها بترقب فرفعت سبابتها تقول" شرطي أنني لن أشتري في جهاز عرسي إلا الأساسيات لبداية أي حياة بين فردين.. ومن

كل جهاز قطعة واحدة ولن يخرج جهازي بشكل استعراضي ولكن لنقله فقط لشقتي"
ضرب زين بظاهر يده في باطن الأخرى صائحا بحماس "أوافق جدا ..فأنا أكثر شخص يكره التبذير .. وهل المال يأتي بسهولة ليصرف على المفاخرة أمام الناس !.. نقطة تلاقي جيدة أبلة سراء"
ارتفع حاجباها بغيظ وهي تسمع (أبلة سراء) مجددا منه فأشاحت في اللحظة التالية بوجهها وندائه لها بلقب الاستاذة يوم أمس يشعرها بالحرارة في وجهها كلما تذكرته في الوقت الذي داعب خيال زين خاطرة وجودها معه في شقته الخاوية حاليا من أي شيء فتوهجت أعصابه وأسرع بقطع الصمت قائلا بمشاكسة "لكن عليك بمعرفة أمر هام"
عادت إسراء إليه بأنظارها فقال بتلقائية" كَمّوني!"

رمشت بعينيها تسأله باندهاش" ما معنى كَمّوني؟"
دقق في عينيها وقال " لون عينيك كلون الكَمّون .. كنت أحاول وصف اللون لأنه ليس عسليا وليس أخضرا"
اشتعلت وجنتاها حتى أصبحتا كحبتي طماطم فتحركت تقول "سأنادي أبي"
أسرع زين بالقول " أبلة سراء لم أقل إلا ملاحظة عفوية على اللون الذي كان يحيرني بالفعل"
حانت منها التفاتة جدية بوجه قان ثم عادت للنظر أمامها مبتعدة فأفلتت منه ضحكة
وأسرع بالقول" أبلة سراء.. أبلة سراء"
توقفت والتفتت إليه فقال بلهجة متسلية" هل من الذوق أن تتركيني ولم أخبرك بعد بالأمر الهام"
غمغمت بارتباك" ظننت ..ظننت"

أكمل لها زين عبارتها يتحكم في رغبة في الانفجار بالضحك "هل ظننت أن حديثي عن لون عينيك هو الأمر الهام ؟.. لا لا اسمحي لي كان هذا تعليقا عفويا (وصمت قليلا فطالعته بترقب ليضيف) إن كان جوابك بالرفض فيسكون عليك دفع تعويض لي"

اتسعت عيناها وردت "نعم؟!!.. لم أفهم" قال زين بلهجة صبيانية حانقا" طبعا ستدفعين لي تعويضا فأنا مثل أي شخص يعاني في شهور الغربة والوحدة ويعمل غالبية وقته وحين يعود يعد لنفسه برنامجا حافلا بالمتعة والتسلية والمرح يعوض به شهور المعاناة والتعب لكن للأسف الإجازة قاربت على الانتهاء ولم أحظ بأي من هذا .. فالإجازة بدأت برؤيتك وانتظار ردك فارتبكت كل خططي .. حتى سفرتي للساحل التي كنت أترقبها ودفعت لها من جيبي مبلغا وقدره ..وأنت لا تعرفين كيف يحترم زين

النقود.. ضاعت وضاع عليّ المبلغ ولم استمتع به بل تركت أصحابي الكلاااااب يستمتعون بذهن صاف هناك وعدت .. هذا بخلاف تلفيات أخرى الوضع الحالي بيننا لا يسمح بالبوح بها .. ولهذا سأطالبك بأن تدفعي لي مبلغا كبيرا تعويضا عن ما سببته لي يا أبلة سراء"

اتسعت عيناها وهذه المرة كان قلبها قد ترك مكانه وازداد ترنحا في كل الاتجاهات واعترفت لنفسها بأنه يملك مزيجا عجيبا مريحا من الرجولة والاتزان والمرح جعله يبدو أمامها اللحظة ساحرا فاحمر وجهها وأسرعت بالمغادرة وهي تغمغم" سأنادي أبي"

أما زين فاتسعت ابتسامته وقال لنفسه" وقعت يا زين يا ابن دبور .. وقعت ولم يسم عليك أحد .. وها أنت ستدخل القفص الذهبي بكامل إرادتك يا غبي "

××××

"نجمة .. من اختار لها هذا الاسم المميز؟"
هزت مليكة ساقها بتوتر ثم ردت على الطبيبة بحشرجة" أبي.. أمي رحمها الله كان اسمها كوكب وأقترح أبي أن نسميها نجمة فأحببت الاسم جدا"
"ولدت بعد انفصالك أليس كذلك؟"
"نعم"
"كيف كانت علاقة والدها بها؟"
هزت مليكة ساقها وهي تجلس أقصى يمين إحدى الأرائك أمام الطبيبة وقالت "كانت علاقة جيدة وكان له مواعيد محددة لزيارتها فلم أرغب من أن تحرم من والدها"
"وكيف كانت علاقة نجمة به"
"كانت تحبه وتحب عائلة والدها وكانت تذهب لزيارتهم في المناسبات"
"وأنت كيف عشتِ بعد ولادة نجمة ؟.."

سحبت مليكة نفسا وأخرجته ثم أجابت "عشت لها ولدراستي وقررت عدم الزواج مرة أخرى"

"وزوجك السابق ألم يحاول ..."

قاطعتها مليكة بجمود " كان اخوتي قد حذروه من التعرض لي بناء على طلبي ..فلم أره إلا بضع مرات"

"وماذا حدث بشأن نجمة حين اتفقت أنت ومفرح على الزواج؟"

بلعت ريقها وردت بطريقة آلية "كان شرطي أن تعيش نجمة معي ورغم صعوبة تنفيذ الأمر في بلدتنا فالمطلقة لا تأخذ أولادها لبيت زوجها ولا يرضى رجل بتربية ابنة رجل أخر لكن مفرح وعدني بأنه سينفذ ذلك رغم يقيني بصعوبة الأمر على نفسه .. ووعدنا نجمة أن تبقى في بيت جدها شهرا"

"وماذا حدث؟"

استمرت في هز ساقها تمسك بقماش عباءتها الأنيقة تعتصره في يدها وقالت " الحقيقة وضعنا كان معقدا من كل جانب فالأمر لم يكن يخصنا وحدنا أنا ومفرح فقط ..صحيح ما وعدني به مفرح كنت على ثقة في أنه سينفذه مهما كلفه ذلك لكنه كان يحتاج لترتيبات كثيرة وكنت أتمنى أن آخذها لبيتي الجديد بعد أسبوع أو أثنين من زواجي لكنه طلب مهلة شهرا حتى يكون الوضع أخف انتقادا عند أهل البلدة"

سألتها الطبيبة " وأهل مفرح كيف كان رأيهم؟"

صمتت قليلا ثم ردت " لم يقل مفرح شيئا ..لكني كنت أعرف بأن الأمر كان مرفوضا من والديه وهو أصر على تنفيذه هذا ما وصلني بشأن هذا الموضوع"

"متى حدث الحادث؟"

كانت مليكة تشعر بأنها تركب الأفعوانية (قطار الموت) في إحدى مدن الملاهي .. وبأن سرعتها

تزداد في اتجاه أشد كوابيسها صعوبة فردت بحشرجة " بعد أسبوعين من الزواج"
سألت الطبيبة وهي تراقبها بحذر "ماذا حدث؟"
صمتت واحتقن وجهها كمن يبتلع في جوفه قنبلة على وشك الانفجار ويحاول بكل جهده السيطرة عليها فقالت الطبيبة "إن أردت التوقف في أي وقت يا مليكة .."
قاطعتها بسرعة " لا .. أريد أن أتحدث في هذا الموضوع اليوم .. لقد وعدت نفسي أكثر من مرة أن أفعلها وجبنت لكني أريد أن أفعلها اليوم بدون تأجيل"
"حسنا كما تريدين .. قلت أن الحادثة كانت بعد أسبوعين من زواجك"
"أجل"
"وما الذي تذكرينه عن تلك الليلة؟"

سألت مليكة فجأة " هل استطيع إدخال مفرح.. إنه قد جاء معي هذه المرة"
ارتفع حاجبا الطبيبة وسألتها " هل تريدينه أن يحضر الجلسة ؟"
"أجل"
"لا بأس"
كان مفرح يجلس في العيادة بالخارج يتحدث في الهاتف فاقتربت منه الممرضة وأشارت له للدخول فاتسعت عيناه متفاجئا وأسرع بإنهاء المكالمة ..
بعد دقيقة كان يطرق الباب ويدخل عابس الوجه قلقا لأن مليكة أخبرته بأنها ستتحدث عن نجمة اليوم وطلبت منه أن يؤجل سفره ويرافقها فخشي من أن تكون قد تعرضت لأي انهيار فالجلسة اليوم هي أهم وأصعب الجلسات .

قالت الطبيبة بابتسامة هادئة "تفضل باشمهندس مفرح مليكة ترغب في أن تحضر باقي الجلسة إن لم يكن لديك مانع"
تفاجأ مفرح بالطلب واستجمع شجاعته وتقدم ليجلس بجوار مليكة على الأريكة بعد أن منحها ابتسامة مشجعة لكنه كان مضطربا مترددا فالأمر لم يكن ذكرى مؤلمة لمليكة وحدها.. بل له هو أيضا ولا يعلم إن كان مستعدا نفسيا لاسترجاع الذكرى مرة أخرى أم لا .
قالت الطبيبة لمليكة "نعود لما كنا نقوله حدثت الحادثة بعد أسبوعين من الزواج"
قالت مليكة "أجل"
"ماذا حدث؟"
صمتت .. صمتت كثيرا .. والأفعوانية تقترب من القفز بها في الهواء ثم الانقلاب فقالت بعد

قليل " تلقيت خبرا بعد منتصف الليل بأن ..
بأن .. نجمة .. سقطت من النافذة"
بدأت الأفعوانية بالارتفاع بها لعلو شاهق
وساد الصمت لبرهة لكن مليكة قررت هذه
المرة التحمل .. فقالت " يبدو أنها قد اشتاقت
لي هذا هو التفسير المنطقي الوحيد لما حدث
وحاولت تسلق الشجرة للنزول"
"وهل تعرف كيف تذهب إليك بعد ذلك؟"
أجابت مليكة نافية " لا طبعا حتى أنها تعلم أن
البوابة عليها حارس وسيمنعها من الخروج إن
تهورت وفعلتها "
سألتها الطبيبة " إذن كيف فعلتها في رأيك؟"
تنهدت مليكة بألم شديد يقبض على صدرها
وردت بعصبية "لا أعرف ..لا أعرف هذا ما
حدث"
"هل زرتها بعد زواجك؟"
هزت رأسها وأجابت "أجل عدة مرات"

"متى كنت عندها أخر مرة؟"
ردت "قبلها بيوم"
"يوم الحادث"
قالها مفرح بهدوء يداري ألمه فناظرته مليكة مضيقه عينيها و سألته "يومها؟"
رد بهدوء "أجل يا مليكة كنا عائدين من مزرعة العمدة خرجنا أنا وأنت وركبنا الخيل في المزرعة "
قالت مليكة متفاجئة" أجل نسيت هذا ..(وأضافت وقد تدفقت ذكرياتها) أنا زرتها يومها حتى أننا وعدناها بزيارة للمزرعة أخر الأسبوع لتركب الخيل ووقتها قالت بأنها لا تريد خيل السرايا تريد أن ترى خيل المزرعة"
هز مفرح لها رأسه بموافقة بينما قالت الطبيبة بلهجة معجبة" الحقيقة عليّ أن أعترف بأن علاقتكما من أجمل وأقوى العلاقات التي قابلتها

..وأرى أنكما لولا تلك العلاقة المميزة بينكما لما بقى أحد منكما قويا حتى الآن"
حانت ابتسامة من مليكة وهي تنظر لمفرح الذي رمقها بنظرة حانية ثم عادت لتنظر للطبيبة التي انتهت الهدنة التي منحتها لها وأكملت "ماذا تذكرين عن تلك الليلة؟"

عادت الأفعوانية للصعود بها فجأة فقالت مليكة والقنبلة في جوفها تبدأ بالعد العكسي " أذكر بأن قلبي قد انتزع مني على حين غفلة.. وبعدها لم أشعر بشيء.. صدقا لم أكن أشعر بشيء وكأني مخدرة.. وكأني أراني من بعيد ..أراني أتحرك مرتدية اسدال صلاتي وأهرول على السلم ومفرح يهرول خلفي .. رأيتني وقعت على السلم ولم أشعر بأي وجع رغم أن الكدمة كانت كبيرة وبقيت أعالجها لفترة بعدها ..ورأيت مفرح يرفعني ويسندني لأمشي حتى

سيارته.. رأيت وجوه الغفر تنظر لي بشفقة ..ورأيت بعض الجيران يطالعونني بتعاطف وبعضهم يرمقني بنظرات لائمة..(بدأت أنفاسها تتسارع والأفعوانية تسرع من حركتها لأعلى ومليكة تضيف) في رحلتي في السيارة التي كان يقودها مفرح كنت أشعر بأنهم يكذبون ..وبأني سأذهب لأجدها نائمة في حضن أمي"

صمتت فجأة وعيناها ظلتا متسعتين مثبتتين في الفراغ لبرهة فسألتها الطبيبة " هل تذكرين ما حدث بعد ذلك؟"
ردت مليكة دون أن تحرك أنظارها " أذكر كل شيء ..أذكره ولا أعرف هل أتمنى أن أنساه أم أتمسك بألا أنساه"

تألم مفرح ولاحظ ساقها التي تهزها بقوة فتطلع في الطبيبة هادئة الملامح أما مليكة

فانتهى العد التنازلي وانفجرت القنبلة بداخلها .. قنبلة أجلت انفجارها كثيرا .. وفي نفس اللحظة انقلبت بها الأفعوانية بحركة مفاجئة فقالت بانفعال بدأ يزداد مع كل كلمة " كانت ممددة على الأرض ..ومغطاة بملاءة مخضبة بالدماء ..فلذة كبدي كانت تنزف ولم يسمحوا لي بالاقتراب (أخذت قبضتها تضرب على ساقها بتوتر مضيفة) لم يسمحوا لي بأن أوقف نزيفها كانت .. كانت.."

بدت كمن تعاني من صعوبة في التنفس وهي تثبت نظراتها في الأرض تستعيد اللحظات المؤلمة ثم أضافت بانهيار مفاجئ " كانت تنزف ..ابنتي كانت تنزف ولم أسعفها"

وصل توتر مفرح لأعلى مدى وتطلع في الطبيبة التي سألتها " مليكة ..هل تريدين التوقف؟"

رفعت الأخرى لها عينين متسعتين تقول بلهجة عصبية مستنكرة "أقول لك ابنتي كانت تتزف تقولين نتوقف!"

صمتت الطبيبة بينما طالع مفرح زوجته بقلق وقلبه يتفتت من الألم وبدأت أنفاسه بالتسارع فعادت مليكة للبكاء تقول "لم يدعوني أراها .. لم يدعوني آخذها إلى حضني لربما كانت خائفة.. لربما كانت خائفة حينما ماتت وكانت تحتاج لأن تموت بأمان في حضني"

قال مفرح من بين أنفاسه المتوترة "كانت قد ماتت يا مليكة"

قالها بخفوت متألم فنظرت إليه الأخيرة باتساع عينيها الذاهلتين فأكد لها بنفس الخفوت "كانت ماتت بالفعل حينما وصلنا ..سقطت ميتة صامتة ..الحارس وأخواك أكدوا بأنها لم تنطق ..أي أنها ماتت فور سقوطها لم تتألم ولم تشعر بالخوف "

صرخت فجأة بعينين متسعتين " وأنا كنت أين حينما ماتت ابنتي؟ .. كنت بين ذراعيك !!(وضربت على صدرها بقوة آلمت مفرح نفسه) ابنتي كانت تموت وأنا بين ذراعيك يا مفرح"

لم يستطع مفرح الصمود أكثر فلف ذارعيه حولها يحضنها غير عابئ بوجود الطبيبة التي تركتهما يتعاملان مع الموقف تحت اشرافها ..فما فهمته سابقا أنهما لم يتصارحا أبدا ولم يتشاركا وجعهما بشأن تلك الحادثة.

قال مواسيا لمليكة التي تنظر في الفراغ باتساع عينيها ورأسها على صدره "كان من الممكن أن يحدث لها هذا في أي وقت.. عمرها ينتهي في هذه اللحظة حتى لو كانت في حضنك كانت ستموت ولن تستطيعي منع ذلك.."

كان الوجع حاضرا شاخصا في الوجدان.. وكأن دماء نجمة لا تزال ساخنة لم تجف .. وكلاهما

يتألم ..فلم تكن مليكة وحدها التي استحضرت الذكرى الموجعة ..بل مفرح أيضا كان متألما من أجلها .. متألما لدرجة أنه لم يدرك أنه كان يبكي وهو يحتويها بين ذراعيه.

أما مليكة فانفتح الجرح أخيرا .. انفتح ليخرج ما فيه من صديد ..انفتح للفضفضة ..للبوح ..للصراخ ..الصراخ الذي لم تفعله لحظتها .. فأخذت تضرب على صدرها بقبضتها وكأنها تحاول أن تخفف من الألم في قلبها وهي تردد " نجمة ماتت يا مفرح ماتت .. وترقد الآن في قبر موحش مظلم ..(ورفعت رأسها إليه ممسكة بقميصه تقول والدموع الصامتة تتساقط من عينيها) نجمة تخاف الظلام ..تخاف الظلام يا مفرح.. ابنتي وحدها وتخاف الظلام " قالتها ثم نكست رأسها تمسك بها بكلتا يديها وتبكي بانهيار.. فقبل مفرح رأسها قائلا" إنها

بجوار والدتك ..كانتا مرتبطتين ببعضهما هي معها الآن وبجوارها"
رفعت إليه رأسها تقول" أمي التي ماتت حزنا عليها لكني لازلت حية أعيش وكأنني ليس لدي ابنة ماتت"
وعادت للضرب على رأسها والنحيب " وكأن ليس لدي ابنة ماتت "
تركتها الطبيبة تبكي قليلا ثم تدخلت تقول "لو كل إنسان فقد ابنا ومات حزنا عليه لفقدنا نصف البشرية يا مليكة "
تطلعت مليكة في الطبيبة تشهق من البكاء فأضافت الأخرى "والدتك توفيت لأن عمرها انتهى ولا أعتقد أنه من الإيمان بالله أن يموت الإنسان قهرا لوفاة عزيز لديه أين الصبر والاحتساب.. أنت إنسانة مؤمنة وجزء من الإيمان الصبر على البلاء .."

انتحبت من جديد فقالت الطبيبة" كما قال لك مفرح كانت ستموت لأنها لحظتها قد حانت .. أعلم بأن الحادث ليس سهلا عليك كأم لكن الرضا بقضاء الله.."

قاطعتها مليكة بسرعة تقول" أنا راضية والله راضية ..لله ما أعطى ولله ما أخذ ..ولا أقول إلا ما يرضي الله"

قالت الطبيبة " لكنك لا تريدين مسامحة نفسك"

صمتت مليكة وظلت تطالعها بدون رد فقالت الطبيبة "هناك ملايين الأمهات فقدن أولادهن ..ومنهن من فقدت أكثر من واحد .. ومع هذا لم يحرمن على أنفسهن الحياة مثلك .. جزء من الرضا بقضاء الله هو مواصلة الحياة وليس لأنك لم تموتي بعدها فأنت لست أما جيدة"

تدخل مفرح يقول بعد محاولة للسيطرة على أعصابه ومسح دموعه " الله هو الرحمن الرحيم يا مليكة هل ستكونين أرحم عليها من خالقها!

تطلعت مليكة في وجهه والمزيد من الدموع الصامتة تنهمر من مآقيها فقالت الطبيبة "سأسالك سؤالا : هل لو كانت نجمة تشعر وتحس الآن في قبرها .. هل ستكون سعيدة لأنك تعيشين حياة بائسة حزينة وتحرمين على نفسك السعادة؟"

ردت مليكة مدافعة " على الأقل ستشعر بأني حزينة من أجلها "

قالت الطبيبة بهدوء " الأطفال لا يريدون إلا السعادة لأهلهم .. وأنا أكيدة بأنها تريدك سعيدة .. "

"لكني لا أستحق السعادة"

قالتها مليكة بصوت مختنق فتدخل مفرح ممسكا بكتفيها يديرها لتواجهه قائلا بحمائية "بل تستحقينها.. أنت ..(وأكمل بصوت متهدج) أنت أعظم امرأة عرفتها .. ليس لأنك زوجتي ولكن لأنها الحقيقة .. انظري لشريط حياتك منذ السادسة عشرة وما كابدته حتى الآن ومع هذا كنت صامدة شامخة يضرب بك المثل في الصبر والاحتمال .. وكما قالت الدكتورة جزء من عبادة الصبر العيش بسعادة .. انظري لرأي من يحبونك فيك .. لقيمتك عند أهلك عند صاحباتك ..عند أهل البلدة الذين يحملون لك كل احترام رغم ما حدث ..والله حين يرضى على عبد يحبب فيه خلقه "

طالعته مليكة بصمت فتدخلت الطبيبة مضيفة "انظري لولدي مفرح وما فعلاه من أجلك ..أنت بنفسك قلت بأنك متأثرة جدا بما فعلاه .. ألم تفكري بأن كل هذه رسائل من الله

لك لكي تعيشي سعيدة ؟.. ألم تفكري في أن الله يريد لك السعادة لهذا منحك حب ولدي مفرح تخفيفا لك في مصابك ؟"

صمتت مليكة تفكر فسألتها الطبيبة "أخبريني بصراحة ألا يستحق مفرح وأولاده وأهلك وأصحابك أن يروك سعيدة ؟"
ناظرتها في صمت فأضافت الطبيبة "إنه قرارك وحدك يا مليكة .. إما أن تستمري في التمسك بتحريم السعادة على نفسك أو أن تواري الحزن في الصندوق الأسود كما يفعل الكثيرون وتقرري العيش بسعادة دون أن تتركي لمشاعر الذنب أن تسيطر عليك .. إيمانا منك بأن الصبر على الفواجع لا يعني الانغماس في الحزن .. إنه قرارك يا مليكة .. قرارك وحدك .. فماذا ستختارين؟"

xxxx

دخل شامل الفيلا فقالت سوسو" أخيرا حضرت يا شامل لقد سخنا الغداء للمرة الثانية"

قال شامل وهو يضع مفتاح السيارة على منضدة جانبية "آسف على التأخير"

قالت بسمة لحماتها قبل أن تنادي على زيلا "أنا سأذهب لأخبارها بغرف الطعام مرة أخرى"

أما ونس فوقفت مترقبة وهي ترى كامل يسأل "ماذا حدث مع الرجل ؟"

رد الأخر متهكما "ماذا في اعتقادك سيحدث .. الرجل كان متحمسا لفكرة أن توأمين متطابقين سيقدمان البرنامج وبالطبع شعر بالإحباط حين ابلغته برفضك"

قالت سوسو "والله يا كامل كانت فرصة جيدة جدا لتظهرا في التلفاز ويكون لكما متابعين"

حاجبا مرفوعا مهددا منحته بسمة لكامل وهي تمر تحمل صحنا كبيرا من البورسلين لتضعه

على منضدة السفرة فمنحها ابتسامة وقال لها بلهجة مغيظة وهو يتابعها بنظراته "ليتني أستطيع لكنت فعلتها فقط لإغاظتك وأنت ترين المعجبات يتجمعن حولي"
منحته بسمة ابتسامة صفراء مستخفة بينما تخصرت ونس تقول لشامل" موع جا بات!"

أحاطها شامل بذراعه قائلا بعد أن حدج أخاه بنظرة نارية "إنه يبالغ جنيتي (وأضاف متنهدا وهو يتحرك معها نحو طاولة السفرة) ها هي الفرصة قد ضاعت برفض هذا الغبي الوقوف أمام الكاميرا.. كنا سنشتهر ومطعمنا سيشتهر"
تحرك كامل ليجلس على كرسي السفرة قائلا "لا تقل غبي"
رد شامل بتوبيخ " بل غبي وأبو الأغبياء وضيعت فرصة جيدة من يدينا"

قال كامل بامتعاض" لست أنا هذا الشخص الذي يقف أمام الكاميرات يرسم ابتسامة بلهاء على وجهه ويتودد للسيدات اللاتي يتصلن للسؤال عن طبخة"

مط شامل شفتيه وقال وهو يرفع طبقا فارغا مسطحا ينوي بأن يرميه في وجهه كالطبق الطائر" اخرس لا أريد أن أسمع لك صوتا اليوم"

سأله غنيم "ولماذا لم تعرض عليه أن تقدم أنت البرنامج وحدك يا شامل؟"

رد شامل "ألمحت له في ردي بأني موجود إن أراد تنفيذ الفكرة بي وحدي "

سألته سوسو وهي تتابع بابتسامة ترتيب ونس للأطباق على السفرة "ولماذا تأخرت كل هذا إذن؟"

نظر شامل لكامل الذي فهم بأن هناك شيئا ما مهم سيقوله ثم قال "الحقيقة قابلت بعض الأصحاب بالصدفة بعد أن انتهيت من لقاء المنتج وتحدثنا قليلا وعلمت بأن شيرويت تزوجت"

رفع كامل حاجبه بينما تجمد الباقين بتفاجوء لتسأله سوسو بسرعة" كيف ؟ومن؟"

رد شامل " أخبروني بأنها تزوجت من هاني الدهان وأخبروا الجميع بأنهما كانا متزوجين عرفيا واضطرا لتوثيقه رسميا بسبب الحمل لكن الجميع يتحدث في الخفاء عن الفضيحة والسبب الحقيقي للزواج"

غمغم غنيم بأسف" لا حول ولا قوة الا بالله!"

قال كامل بأسف "هاني الدهان!"

ناظره شامل بنفس الشعور بالأسف فسألت سوسو بتوجس "ما به؟"

ناظرا بعضهما من جديد ثم أوضح شامل "إنه كثير العلاقات النسائية وكثير الزواج والطلاق وسجل له أكثر من محضر ضرب لزوجاته ويعتمد على نفوذ عائلته في الشرطة"

قال كامل بعبوس " بالتأكيد والد شيرويت قد علم بكل هذا وسيطلقها منه في أسرع وقت" هز شامل رأسه مؤيدا ثم قال" أتعلم ..لقد تذكرت وأنا في الطريق بأنه كان يلاحقها دائما لكنها كانت تصده ودوللي صديقتها التي أعطتها الحبة المخدرة ذلك اليوم هي صديقة مقربه منه لهذا فالأمر واضح بما حدث بالضبط" أقشعر بدن بسمة وارتعشت بشكل واضح فحضنت نفسها ليرفع كامل رأسه لها ويسألها بخفوت" هل أنت بخير؟"

كانت تشعر باستياء شديد فتغضنت ملامحها بينما قالت سوسو" شيء بشع ..بشع اللهم عافنا"

أمسك كامل بيد بسمة لتجلس على الكرسي المجاور فأطاعت وهي لا تزال تحضن نفسها فقبل كامل رأسها مهدئا وسحبها ليضمها قائلا "لا بأس سنغلق الحديث في هذا الأمر .."

قال غنيم بضيق "اغلقوا هذا الأمر وهيا لناكل أنا جائع جدا"

اعتدلت بسمة ونظرت لكامل تطمئنه عليها بابتسامة خفيفة بينما رن هاتف شامل فعقد حاجبيه ورد ثم نظر لكامل باتساع عينيه متفاجئا .

الفصل السابع والثلاثون

رن هاتف شامل فعقد حاجبيه ورد" أهلا وجيه بك .. تفضل .. (وتلاقت عيناه المتسعة مع عيني كامل وهو يقول بابتسامة) حقا ؟ هذا شيء يسعدني شكرا لثقتك .. تمام .. تمام ..حدد الموعد واخبرني.. سلام"

أغلق الخط وتطلع في كامل بإغاظة فرفع له الأخر جانب شفته العليا بامتعاض لتسأل ونس" ماثا حدث؟"

(ماذا حدث)

قالت سوسو "هذا المنتج أليس كذلك؟"

اتسعت ابتسامة شامل وصفق بيديه بخشونة قائلا " ابنك سيظهر في التلفاز يا سوسو"

××××

في المساء

وقابلت آمالي.. وقابلت الدنيا..
وقابلت الحب
أول ما قابلتك واديتك قلبي ..
يا حياة القلب.

سرت ارتعاشة في جسد أم هاشم لا تعرف إن كانت من هواء البحر المظلم الذي تقف أمامه اللحظة أم من كلمات الأغنية التي تنبعث من أحد مكبرات الصوت الخاصة بتلك الكافيتريا التي اختارا أن يجلسا فيها قبل أن يصعدا للشاليه الذي يقيمان فيه .

لقد خرجت هي وجابر عند المغرب وذهبا لمول تجاري كبير اشتريا أشياء كثيرة .. ملابس وأحذية وأشياء شخصية لها ولجابر .. بالرغم من أنها لم تكن في مزاج للشراء لكنه أصر على ذلك .. كان يريد أن يخرجها من حالة الانهيار

التي تسيطر عليها منذ أمس .. ولكنها كل ما كانت تريده .. أن تتأبط ذراعه وهما سائران بالمول التجاري.. فقط تتأبط ذراعه وتسير معه على مهل ولا يهم أبدا إلى أين .. وهذا ما تحقق لها أخيرا .

راقبها جابر من جلسته بجوار الطاولة التي اختاراها بعيدة بعض الشيء عن زحام الكافيتريا حتى أنها في ركن خافت الضوء قليلا .. راقبها وهو يتحدث في الهاتف فسمع مصطفى يقول بلهجة متهكمة" يبدو من صوتك أن أمورك في أحسن حال"

تراقصت ابتسامة على وجه جابر وقال بلهجة مراوغة" نحمد لله على كل شيء"

قال مصطفى بلهجة جادة " الحمد لله أن أراح الله قلبك.. فأنت منذ عشرة أيام في حالة مقلقة منذ دخول ميس المستشفى لهذا أنا سعيد من أجلك"

لم يجد جابر ما يقوله أو يوضح به .. فهو لم يستطع مشاركته فيما فعلته كاميليا آخر مرة في المستشفى .. صحيح ألمح له من قبل أنها تتودد إليه وترسل له رسائل تزعجه لكنه لم يفسر له أكثر .. و بالطبع لم يحك له ما بدر منها وما فعله معها .. فللأسف ستظل أم ابنته .. لكنه كان قد ألمح له بدون تفاصيل أن هناك خلافا بينه وبين أم هاشم .. ومصطفى كعادته ذكي ويعرف متى يضغط لمعرفة المزيد ومتى يحترم الخصوصية .

قال جابر بلهجة ممتنة " الحمد لله يا مصطفى .. فضل الله عليّ كبير .. أراح قلبي ولم يعد يشغلني إلا ميسة ..أتمنى أن استطيع تعويضها"

غمغم مصطفى مشجعا " إن شاء الله تفاءل خيراً فربك كريم"

قال جابر " ونعم بالله .. ما أخبار خطبة حمزة ؟..هل اتفقتم على شيء؟"

"أجلناها بضعة أشهر"

"لماذا؟؟"

تنهد مصطفى ورد " لأن حمزة متحرج من ظهور علامات الحمل على والدته .. تعرف والد العروس له معارف كثيرون وينوي أن يقيم حفل خطبة كبير وحمزة يشعر بالحرج فأمه بطنها واضحة لن نستطيع اخفائها"

ضحك جابر وقال " ما شاء الله .. لا تلمه يا مصطفى فالوضع في المدينة مختلف عن الريف وهو بسم الله ما شاء الله أضحى رجلا"

قال مصطفى بتفهم " أعلم ذلك ومتفهم لموقفه وأهل عروسه متفهمون أيضا للموقف "

تحدث جابر " على خير إن شاء الله وتنجب أم حمزة بالسلامة"

"العقبى عندكم إن شاء الله"

تطلع جابر في أم هاشم الواقفة على بعد خطوات وتراقصت ابتسامة على وجهه وذلك الحدس يشغله منذ أمس لكنه يشفق عليها من البوح بتخميناته فقال لمصطفى "لعل كرم الله يكون قريبا"

بعد قليل أغلق الخط وترك مقعده .. وأم كلثوم لا تزال تشدو.

أكتر م الفرح دة ماحلمش
أكتر م اللي أنا فيه ماطلبش
بعد هنايا معاك يا حبيبي
يا حبيبي
لو راح عمري أنا ماندمش

وقف بجوارها يقول" حمص الشام الذي طلبته برد يا ست مشمش"

صوته خطفها من شرودها فاستدارت إليه بابتسامة لتجد ابتسامته التي يتلخص فيها معنى السعادة تستقبلها فقالت "ها أنا قادمة"

مد كفه يحتضن كفها وتحركا فوق الرمال الباردة حتى عادا للطاولة.

أملي .. حياتي ..عنيا

يا أغلى مني عليا.

يا حبيب امبارح .. وحبيب دلوقتي

يا حبيبي لبكرة ولأخر وقتي

أبعدت أم هاشم كوب حمص الشام بعد ثوان تقول" لقد برد لا أريد"

رفع جابر حاجبه وقال" تتدللين يا بنت الشيخ!"

ضحكت أم هاشم فقال" سأطلب لك غيره"

هزت رأسها وردت بإنهاك عاطفي " ليس لدي شهية ..معدتي لا تزال مشدودة"

قال جابر معترضا "لم تأكلي جيدا منذ أمس "

تطلعت فيه تقول بابتسامة ونظرة حالمة" أشعر بالشبع صدقني (ثم سألته باهتمام وهي تنظر للهاتف الذي يضيء على الطاولة) من

الذي يتصل بك بإصرار وتتجاهله منذ ساعة تقريبا؟"

غمغم جابر بابتسامة متشفية " هذا زين يلح حتى أعود كي يتفق مع هلال على التفاصيل وموعد الخطبة"

ابتسمت وغمغمت" فرحت جدا بموافقة إسراء"

تراقصت نظراته فوق وجهها مبتسما .. ثم عبس حينما وجد عينيها تترقرقان بالدمع من جديد .. فقالت أم هاشم وهي تمسح طارف عينيها" ماذا أفعل بنفسي فالدموع تتدفق وحدها.. والأغنية .. الاغنية وكأنها متآمرة عليّ لانزال دموعي"

قال جابر وهو يهز رأسه" الاغنية رائعة وكأني أسمعها وأركز في معناها لأول مرة"

تعانق الكفان والعيون .. فغارت الشفاه تطلب المساواة .. بينما صوت (ثومة) يعزف لحن عشق على أوتار القلوب المشتاقة للحب.

احكيلي .. قولي.
إيه م الأماني ..
ناقصني تاني ..
وأنا بين إيديك.

كانت كفه مستقرة على فخذه وهي تحضن كفها تحت الطاولة .. يجلسان في مواجهة البحر على بعد أمتار من الكافيتريا .. تحيط بهما الأضواء الخافتة فسحبت أم هاشم يده ورفعتها إلى شفتيها وقبلتها بحب جارف غلبها .. فابتسم جابر وتطلع حوله ليتأكد من أنهما منعزلان نسبيا وسحب يدها يطبع قبلة طويلة على ظاهرها فتدفقت المزيد من الدموع من عينيها.

وكفاية أصحى على ابتسامتك
بتقولي عيش
أسمعها غنوة ..
بتقولي حبي ما ينتهيش
تأمل جابر عينيها البنيتين الدافئتين المكحلتين بالأسود الذي زاد على لون عينيها دفئا ثم نزلت عيناه لشفتيها المكتنزتين قبل أن يشيح بنظراته عنها يتطلع في البحر الأسود أمامه قائلا بابتسامة حلوة مسكرة مدغدغة للأعصاب "يا لحلاوة هداياك يا شيخ تيمور!"
عقدت أم هاشم حاجبيها تسأله" ما به جدي؟"
ناظرها بطرف عينيه ثم قال بغموض
"سأخبرك فيما بعد .. حين تتوقفين عن البكاء سأخبرك بالمزيد"
غمغمت بقلب سعيد متأثر "وهل هناك مزيد؟"

قال بلهجة شقية وهو ينظر لها نظرة خاصة "المزيد.. والمزيد ..والمزيد (ثم أضاف وهو يفك اشتباك أصابعهما ويترك مقعده واقفا) هيا لنصعد للشاليه لنكون على راحتنا فالأمور معك تخرج عن عقالها يا ست مشمش ولست مستعدا لضياع هيبتي في الشارع في هذا العمر" ابتسمت واستقامت واقفة بينما أشار جابر لنادل الكافتيريا الذي اقترب مسرعا يخبره بالحساب فأخرج جابر من جيبه النقود ثم سأل أم هاشم عن فكة لتسرع بفتح حقيبتها وتخرج كيس نقودها تمنحه بعضا منها . بمجرد أن غادر النادل أسرع جابر بالإمساك بمعصمها قبل أن تعيد كيس النقود فناظرته بتساؤل ..ليرفع جابر حاجبا ويخرج الكيس المشبوك بطرفه سبحته وأمسك بها قائلا "أيتها السارقة!"

أسرعت بخطف السبحة منه ودستها بسرعة في حقيبتها وهي تقول" أعد لي سبحتي"
هتف معترضا "نعم؟؟.. سبحتك ؟!.. متى أضحت سبحتك !"
أغلقت شفتيها عن ابتسامة مشاكسة تريد البزوغ فظهرت بدلا منها الغمازتان وهي تقول" مادامت ترقد في حقيبتي منذ أسبوع أصبحت ملكي"
ارتفع حاجباه وغمغم "من أفتى لك بهذه الفتوى؟!"
ردت هاربة وهي تعلق الحقيبة على كتفها "هيا يا جابر لا تضيع وقتنا سنقف ونتجادل في سبحة !"
ناظرها متخصرا وهي تسبقه ثم ضرب كفا بكف وأسرع باللحاق بها ليتحركا فوق الأرض الرملية يتركان البحر خلفهما .

تأبطت أم هاشم ذراع جابر الذي أسبل جفنيه ليرمقها بنظرة جانبية قائلا" ولك عين لتتأبطي ذراعي بمنتهى الجرأة بعد ما فعلتيه !"
مطت شفتيها ولم ترد حتى وصلا للأسفلت فأعانها لتصعد بضع درجات لتصل للرصيف وهي ترفع ذيل عباءتها ثم أخرج من جيب بنطاله السبحة السوداء يسألها" أهي تخصك أم اشتريتها لي؟"
نظرت أم هاشم للسبحة وقالت بغموض "لا أعرف إن كانت تخصني أم تخصك لكني اشتريتها"
عقد حاجبيه يناظرها بتساؤل فقالت "سأحكي لك لربما أجد عندك تفسيرا"

خليني .. جنبك .. خليني
في حضن قلبك .. خليني
وسيبني أحلم ..سيبني
يا ريت زماني .. ما يصحنيش .. ما يصحنيش

تطلع فيها جابر مشدوها بعد أن قصت له حكاية السبحة ثم نظر لها في يده لتضيف أم هاشم " لم أفهم ماذا حدث بعدها.. وبحثت عن المرأة في المكان .. ومليكة تشهد على ذلك .. وسألت أحد عمال محطة البنزين.. ولم أعثر لها على أثر "

رمش جابر بعينيه لثوان ثم غمغم وهو يتطلع في السبحة "الغريب أن تكون واحدة في سن أم جميل هذه موجودة في هذا المكان شبه الخالي في توقيت متأخر من الليل كما حكيت"

أضافت أم هاشم " والأغرب يا جابر أنها قالت لي أسبوعا .. حددت أسبوعا وبالفعل بعد سبعة أيام جئت أنت لتطلبني من عمي .. سبحان الله !"

قالتها بصوت مختلط بالتأثر فتطلع فيها مليا ثم قال بعد برهة "أيا كانت كينونة أم جميل

هذه .. فهذه بشارة يا بنت شيخي .. بشارة لك من رب العالمين "

أنزلت أم هاشم نظراتها للسبحة في يده ثم رفعتهما مغرغرتان بالدموع فقابلت عينيه اللتين لمعتا بالدموع وهو يضيف" أنا مؤمن بأن هناك أمورا خارجة عن إدراك الإنسان ذي العقل المحدود .. فالكون أكبر وأعظم منه وفي قبضة رب العالمين .. يدبر الأمر كيفما يتراءى له سبحانه .. فلا تجهدي عقلك في تفسير كينونتها.. بل أن قوة الموقف وهيبته في عدم التفسير يا أم هاشم .. (ومنحها ذراعه قائلا) هيا لنأخذ الأكياس من السيارة ونصعد لشقتنا"

تأبطت ذراعه وهم بعبور الطريق الأسفلتي السريع الذي يفصل بين الشاطئ والمباني السكنية قبل أن يتطلع جابر في أحد المحلات على الرصيف المقابل قائلا " هذا محل يبيع المكسرات لماذا لم انتبه له!"

عبرا الشارع معا واقترب جابر من المحل قائلا"
فلنشتري لك المكسرات يا ست مشمش
(واتسعت ابتسامته يقول في سره) لعل تخميني
يكون صحيحا"
طلب من البائع تشكيلة من المكسرات ثم قال
وهو يتطلع في الواجهة الزجاجية" أهذه
(مكاداميا)؟"
قال البائع ببشاشة" أجل يا باشا"
سألها جابر "تجربين المكاداميا ؟ستعجبك"
عبست أم هاشم تقول باندهاش" مكا.. ماذا
!!... أهو نوع من الدواء!"
لملم ضحكة ورد عليها" لا نوع من المكسرات
يا ذات اللسان الطويل (واستدار للبائع يقول)
اعطني واحدة"
ناوله البائع بضع وحدات بالمغرفة بينما
غمغمت متفكهة "ظننته اسم مبيد حشري
والله !"

ناظرها جابر بطرف عينه يقول" هل أعيد المبيد الحشري أم ستتذوقينه بدون لسان طويل؟"
وضعت يدها فوق الأخرى على بطنها تلملم ضحكة وهي تقول "وهل قلت شيئا !"
أعطاها واحدة التقطتها بين أصابعها تتمتم وهي تتفحصها "بسم الله الرحمن الرحيم"
وضعتها في فمها تمضغها ثم رفعت حاجبيها تقول" حلوة يا جابر ..حلوة جدا أريد منها"
غمغم مشاكسا" كانت مبيد حشري قبل ثوان!"
ردت مبتسمة" زلة لسان طويل وراحت لحال سبيلها.. اعتذر للمكاداميا "
استدار جابر للبائع الذي أخبره بثمن الكيلو فشهقت أم هاشم من المبلغ الكبير وهمت بالرفض فأسرع جابر بالطلب .. لتقول أم هاشم معترضة" جابر لا داعي فهي.."

قطعت حديثها حينما حدجها بنظرة موبخة ..فبلعت لسانها وهي تراه يحاسب البائع ويستلم منه الطلبات ثم قالت شاعرة بالذنب وهي تسير بجواره" لم يكن هناك داع مادام المبلغ كبيرا بهذا الشكل .. هي بصراحة رائعة لكن ليس لدرجة هذا المبلغ"
قال جابر وهو يتوجه للسيارة الراكنة تحت البناية التي يسكنا فيها" أخرسي يا أم هاشم" غمغمت باستسلام "خرست " ثم فتحت الكيس وبدأت في التقاط بعض الوحدات باستمتاع بينما جابر يخرج الأكياس من السيارة.

بعد قليل كانت أم هاشم في الغرفة تخلع عباءتها بينما صوت أم كلثوم يأتي من بعيد من نفس الكافيتريا على شاطئ البحر التي تطل

عليها النافذة .. فوقف جابر يتطلع في تفاصيلها بملابسها الداخلية ثم اقترب منها.

يالي حبك خلا كل الدنيا حب
يالي قربك صحى عمر وصحى قلب
وأنت معايا يصعب عليا
رمشة عنيا ولا حتى ثانية
يصعب عليا لا يغيب جمالك
لا يغيب جمالك .. ويغيب دلالك ..ولو شوية.

أحاط ذراعيه حولها من الخلف فمنحها دفئا مدغدغا للأعصاب ثم طبع على كتفها عدة قبلات رقيقة وقال "رائحة جلدك تحمل عطرا جديدا"
غمغمت وهي تذوب كالشوكولاتة بين ذراعيه" كريم عطري جديد ابتعته"

أمسكها من خصرها يديرها لتواجهه وقرب شفتيه من شفتيها هامسا" أنت وعطورك ستقضين على جابر"

"جابر"

قالتها بصوت متهدج مفعم بالعاطفة فأجاب بصوت أجش "يا قلب جابر وتوأم روحه "

قالت وهي تتحسس عضلات رقبته" قلها من جديد .. قل تزوجتك لأنك أم هاشم"

قهقه جابر وغمغم" هل عدنا للجنون؟"

أصدرت زمجرة حانقة وهي تذوب تحت كفيه اللذين تواطآ مع جاذبيته الخشنة لتأجيج مشاعرها فمال جابر يطبع قبلة على شفتيها بين كل كلمة وهو يقول" تزوجتك ..لأنك ..أم هاشم ..زكريا.. جاد الله .. تيمور.. التي بشرني بها الشيخ تيمور "

رفعت حاجبيها تقول باندهاش " ماذا قلت؟..
أية بشارة؟!! "
همس قبل أن يلتهم شفتيها " سأخبرك بكل
شيء .. فلست وحدك من جاءتك البشارة
بالارتباط بي يا بنت شيخي "
قالها وأخبرها بالبشارة .. بشارة الشيخ تيمور له
.. ثم تحول الوضع بينهما بعد ذلك لفوضى
مشاعر متأججة مختلطة بدموع الفرح وعدم
التصديق .

قد كدة مشتاق إليك
قد كدة ملهوف عليك

xxxx

بعد منتصف الليل

قال مفرح في الهاتف وهو يترك غرفة الأولاد
بعد أن اطمأن أنهما قد ناما" لا تؤاخذيني يا
بسمة أعلم بأنك اتصلت أكثر من مرة بي وبها

لكني شغلت بمليكة وبعدها قلت بأن الوقت
قد تأخر سأتصل بك في الصباح"
قالت بسمة وهي تنظر لكامل المستلقي
بجوارها على السرير يتابعها باهتمام "لم
أستطع النوم يا مفرح .. لهذا ألحيت في
الاتصال .. كنت قلقة لأني أعلم بأن جلسة
اليوم مع الطبيبة ستكون عن نجمة"
قال مفرح وهو يمسك بين عينيه شاعرا
بالإرهاق" لقد انهارت وقالت كل شيء.. وغادرنا
العيادة وهي في حالة سيئة وكأن نجمة قد ماتت
اليوم.. فأخذت حبة مهدئ أعطتها لها الطبيبة
ونامت منذ ساعة تقريبا"
أطرقت بسمة برأسها في صمت متألم ثم سألته
بعد برهة "وماذا قالت الطبيبة؟"
أجاب مفرح " قالت أن رد فعلها هذا طبيعي
وكأننا قد فتحنا جرحا قديما ونظفناه من القيح
ويحتاج للوقت حتى يطيب .. وأنها تمارس

حاليا طقوس حزنها على ابنتها بدون الضغط على نفسها حتى تكون صلبة ومتماسكة من أجل الأخرين .. ونصحتنا أن نتركها لتأخذ وقتها في حزنها "

تنهدت بسمة وقالت بحزن" حسنا سأتصل بك في الصباح لأطمئن عليها(وأعطت الهاتف لكامل بعد أن قالت) كامل يريد التحدث معك"
بعد دقيقة أغلق كامل الخط وتطلع في بسمة التي توليه ظهرها تجلس على طرف السرير تسند رأسها بكفيها فمد يده يدلك ظهرها قائلا بلهجة حانية "ستتحسن إن شاء الله"
استدارت إليه بعينين دامعتين .. فسحبها لتنام على صدره قائلا "إن شاء الله ستتحسن أنت نفسك قلت إنها قوية"
غمغمت بسمة بخفوت باك "يا رب يا كامل يا رب"

أما مفرح فقال لوالده في الهاتف بعد قليل في محاولة إقناعه بأن مليكة تحتاجه "صدقني يا أبي مليكة بالفعل مريضة وتحتاجني بجوارها"
غمغم عبد الرحيم يداري امتعاضه "وأنا قلت لا بأس ..ابق ما تشاء في العاصمة"
شعر مفرح بالضيق الشديد وكأنه ارتكب ذنبا في حق والده الذي يعاني من الرهاب من بقائه في العاصمة وعدم العودة للقرية فقال "عموما سأباشر بعض الأمور الخاصة بالقرية عبر الهاتف وإن جد جديد أبلغوني"
قال عبد الرحيم يداري ضيقه" لا تقلق فمصطفى هنا.. اذهب الآن فالوقت متأخر وأنا متعب وأريد أن أنام"

أغلق عبد الرحيم الخط يشعر بالاختناق .. فقالت نحمده التي ترقد بجواره على السرير والتي استيقظت عندما سمعت المكالمة "قلت

لك السنيورة ستجبره يوما على البقاء في العاصمة وتركنا"

هدر عبد الرحيم بغيظ " اسكتي يا نحمده ..اسكتي"

قالت بغيظ أشد يكاد رأسها أن ينفجر منه وهي تعتدل لتدير ظهرها له" سكتت ..سكتت افعلوا ما تريدون.. يكفيني شعوري بالقهر .. حسبي الله ونعم الوكيل فيكِ يا من كنتِ السبب في خراب البيت"

بعد قليل خرج مفرح من الحمام بعد أن اغتسل وتوجه للغرفة التي يتخذها مكانا للمبيت ليرتدي ملابس مريحة ينوي بعدها أن يذهب ليبيت بجوار مليكة الليلة .. فسمع صوتا بالخارج .

خرج وهو يكمل ارتداء تيشيرته فوق بنطال بيتي ليجد باب غرفة الأولاد مفتوحا ..فاقترب منه

ليجد مليكة تقف أمام الخزانة المفتوحة تخرج منها أغطية ثقيلة للنوم فسألها "ماذا تفعلين يا مليكة؟"

ردت وهي تأخذ الأغطية وتتوجه لسريري الولدين" أغطي الأولاد فالجو بارد"

تطلع مفرح في جهاز مكيف الهواء الذي يعمل في الوقت الذي استيقظ أدهم فأشار له مفرح بأن يصمت.

ازدادت ضربات قلب الصبي وهو يتطلع فيها وقد فهم بأنها في نوبة مشي أثناء النوم وهي المرة الأولى التي يراها فيها على الطبيعة .

غطته مليكة جيدا فراقب عينيها الزجاجيتين ..قبل أن تتوجه هي لتغطي إياد فقال مفرح "تمام.. هيا لتعودي للنوم"

وقفت تنظر حولها ثم سألته" أين نجمة؟"

أخذ مفرح يفكر في الرد ثم قال مراوغا" هيا لننام يا مليكة"

استدارت إليه تسأله" أين نجمة؟"
استيقظ إياد يتطلع في الجميع فأشار له أخوه محذرا مما جعل الثاني ينتبه بفضول طفولي ويدقق في مليكة التي تحركت تتجاوز مفرح وتخرج لتبحث في غرف البيت قائلة "أين نجمة يا مفرح؟"
قال مفرح" تعالي لننام يا مليكة وفي الصباح سنبحث عنها"
قالت له بعصبية "كيف سنتركها ضائعة وننام؟!"
قالتها وتوجهت نحو باب الشقة المغلق تحاول فتحه فاقترب منها مفرح بهدوء ظاهري وضربات قلبه تضرب بقوة في صدره بتوتر وهو يقول" سأخرج معك لنبحث عنها ..ولكن تعالي لتنامي قدرا قليلا "
لم تستجب لكلامه بل استمرت في محاولة فتح الباب بينما قال مفرح بحزم لولديه اللذين وقفا

في الممر يتابعان ما يحدث بتوتر "أدهم .. إياد عودا للنوم"

نطق الكلمة السحرية التي جعلت مليكة تنظر حولها فجأة باتساع وقد استيقظت في الصالة أمام باب الشقة.. فازدادت ضربات قلبها بشكل هستيري ووعت لأنها سارت وهي نائمة.. ولأن الأولاد قد رأوها في هذه الحالة فشعرت بالحرج وانفجرت بالبكاء تقول" فعلتها مجددا ..فعلتها مجددا"

أخذها مفرح في حضنه وتحرك معها نحو غرفة النوم وهو يقول" اعتقد بأن كلمة إفاقتك هي (أدهم وإياد) كما خمنت الطبيبة يا مليكة هذه هي المرة الثانية التي تستيقظين بسببها "

ازداد نحيبها بقوة فأشار مفرح لولديه ليعودا لفراشهما وهو يهز رأسه لهما مطمئنا .. ثم دخل مع مليكة يساعدها في الاستلقاء على السرير ..

أخذت تبكي بحرقة فاستلقى بجوارها يأخذ رأسها إلى حضنه ويقرأ لها القرآن حتى هدأت ونامت من جديد.

xxxx

بعد عدة أيام

هللت نجف وهي ترى أم هاشم تدخل من الباب فمالت الأخيرة لتحضنها بسعادة لا تقل عن سعادة حماتها التي قالت" أنرت بيتك يا أم هاشم"

ردت الأخيرة بامتنان "بنورك يا خالتي "

خرج زين من المطبخ في يده طبقا يحمل فوقه ساندويتشا وقال بلهجة ساخرة " هل شرفتما !.."

نظرت له وقالت بلهجة خطرة "ماذا تفعل في مطبخي؟!!"

ابتسامة شريرة ارتسمت على وجه زين وهو يقول متجها بالطبق نحو منضدة السفرة" كما رأيتِ أعددت لنفسي طعاما"

هتفت باستنكار" في مطبخي!!"

رد ببرود" في المطبخ الموجود بشقة أخي"

قالت بانزعاج" أنا لا أحب أحدا أن يدخل مطبخي (ونظرت لحماتها تقول) إلا خالتي طبعا"

قال بامتعاض وهو يقضم من الساندويتش الضخم" ابقي في مطبخك واطبخي طبيخك ولن يقتحمه أحد"

تدخلت نجف تقول " أخبرتك أن تنتظر بضع دقائق يا زين حتى أنتهي من مكالمة خالتك"

رد ببرود "ولماذا أنتظر؟.. ولماذا اتعبك من الأساس والمطبخ أمامي يا ست الحبايب ..هل أنا عاجز!"

مطت أم هاشم شفتيها وقالت "سأمررها لك هذه المرة لأجل خاطر خالتي (قالتها وتحركت نحو السلم تضيف) سأبدل ملابسي"
هتف زين بغيظ "وماذا ستفعلين المرة القادمة إن شاء الله!"
استدارت إليه تقول بثقة من فوق السلم "سأغلق المطبخ بالمفتاح طبعا"
اتسعت عيناه وهو يراقبها تصعد السلم ثم نظر لأمه يقول "ما هذا الجبروت يا أمي!"
ضحكت نجف ثم قالت "والله البيت بدونها كان موحشا وفارغا"
قبل أن يرد دخل جابر يضع حقائب صغيرة في مدخل البيت وهو يقول" السلام عليكم"
غمغمت نجف وجابر يميل ليقبل رأسها" وعليكم السلام ورحمة الله يا ولدي أنرت بيتك"

قال زين بغيظ "كنت بقيت لأخر الشهر لماذا أتعبت نفسك بالعودة بهذه السرعة يا أخي "
تراقصت ابتسامة على شفتي جابر ورد ببرود" يا ليتني أقدر على البقاء لكنني لم أرغب في أن أترك العمل أكثر من ذلك"
صرخ زين باستنكار "العمل .. العمل الذي أحضرك وليس أخوك الذي ينتظرك لتجلس معه في جلسة الاتفاق وتحديد يوم الخطبة !.. إجازتي على وشك الانتهاء يا معلم جابر"
قال جابر متهكما" سبحان مغير الأحوال !..كنا ندفعك دفعا قبل أيام .. في هذا المكان .. وكنت تقول (ولوى شفتيه يقلده) لا أريد الزواج أنا حر كالطير "
قال زين وهو يشير بسبابته على أخوه وأمه" أنتما السبب .. وهذه التي تتجبر عليّ لأني دخلت مطبخها .. أنتم من لابد أن تحاكموا

بتهمة إدخال شاب مثل الورد مثلي في قفص الزوجية"

قال جابر بلهجة ذات مغزى" حبيبي ولماذا تضغط على نفسك .. لنصرف نظر عن الموضوع وتبقى كالورد بدون أقفاص"

هتف زين بسرعة" لاااا ..من قال هذا .. أنا برمجت عقلي على الزواج وانتهى الأمر ولا يوجد سبيل للتراجع"

سأله جابر" ماذا فعلت بالسيارة؟"

أطرق زين برأسه يقول بلهجة تمثيلية بائسة" سأبيع الغالية قبل موعد بيعها حتى أشتري الشبكة وخلافه"

قال جابر بلهجة ساخرة" بارك الله فيك والله تضحية كبيرة"

ناظره بملامح بائسة يقول بلهجة مسرحية وهو يضع يده على صدره "كله من أجل إسراء"

غمغم جابر ساخرا وهو يحمل الحقائب ويصعد السلم "عيني يا عيني على الحب من أول نظرة (وأضاف بجدية) عموما لا داعي لبيع السيارة قبل موعد سفرك سأقرضك أنا ما تريد وردهم لي حين تبيعها"

لمعت عينا زين وهتف بفرحة "بارك الله فيك يا أخي .. والله ونعم الأخوة .. وبالطبع أنت أخي حبيبي وتريد أن تجاملني لذا سأترك عليك مصاريف ضيافة أصدقائي"

توقف جابر على السلم ونظر إليه يقول" لا تحتاج لأن تقول هذا يا زين أهلا بهم طبعا .. أما هدية الخطبة فسأجعلها في شيء يخص شقتك إن شاء الله"

قال زين موضحا "بارك الله فيك يا أبا ميس ولكن لنركز على استضافة أصدقائي أولا يوم الخطبة فغالبيتهم سيأتون من الصباح الباكر وعلينا ضيافتهم"

قالت نجف باندهاش "وهل سنغلب في ضيافتهم يا بني؟.. الحمد لله البيت مفتوح للجميع"

قال زين موضحا "العدد ليس صغيرا يا أمي (ورفع انظاره لجابر قائلا) عموما أخبرني بتكاليف ضيافة أصدقائي بعد انتهاء الخطبة ونقتسمها سويا .. المهم جهز نفسك لنذهب لبيت هلال الليلة .. الليلة يا جابر لا تقول لي متعب من السفر ومثل هذه الأمور"

قال جابر وهو يصعد" إن شاء الله تعالى.. سأصعد الآن لأبدل ملابسي وأمر على المحلات ثم اتصل بهلال لنحدد موعدا لزيارتهم الليلة بإذن الله "

قال زين مطمئنا "لا تقلق بشأن المحلات كل شيء حدث كما طلبته"

فغمغم جابر بامتنان" بارك الله فيك"

دخل جابر لغرفة نومه فوجد أم هاشم بروب الحمام تقف أمام خزانة الملابس شعرها المبلل مرفوع بمشبك فقال لها بلهجة مغتاظة" أم هاشم ..أريد أن أذهب للعمل"
تحكمت في ابتسامة من شفتيها الماكرتين بعد أن رمقته بنظره خاطفة ثم قالت" وهل فعلت أم هاشم شيئا؟!"
ناظرها من رأسها حتى أخمص قدميها فذابت أمام نظراته ليسألها جابر وهو يخلع ملابسه" ما أخبار الدوار؟"
قالت أم هاشم وهي تخرج له ملابس نظيفة وتتحرك لتضعها على السرير " أشعر بتحسن الآن ولا أدري ماذا حدث لي في الطريق وأشعرني بهذا الغثيان!"
لم يستطع جابر منع نفسه أكثر فسألها "متى جاءت عادتك الشهرية يا أم هاشم؟"
عبست وهي ترد" لا أذكر لا أحسب لها"

ارتفع حاجباه فأضافت بابتسامة وهي تتحرك نحو إحدى الحقائب وتميل لتفتحها" إنها تتأخر قليلا وقد تصل لثمانية وثلاثين يوما ..وبصراحة حينما أركز معها أتوتر لهذا ما عدت أحسب لها "

قال لها مفكرا "لقد جاءتك مرة واحدة بعد زواجنا تقريبا بعد الأسبوع الأول"

اعتدلت تضع بعض الأشياء على السرير وهي تهز رأسها بالإيجاب ..فقال جابر" عليك بحسابها من الآن فصاعدا يا ذكية فربما كنت حاملا"

تجمدت لثوان في وضع مائل ثم اعتدلت ببطء وقد سقط قلبها في رحمها الذي شعرت ببعض التقلص المفاجئ فيه وهي تتمتم بصوت هارب منها "حامل!"

قال جابر "أنا أخمن.. حدسي يخبرني بذلك لكن لا نريد أن نعشم أنفسنا ثم نصاب بالإحباط "

ارتعش بدنها من الخاطرة فقالت بخفوت وهي تعتدل وتضع يدها على بطنها" هل تتوقع بأني حامل يا جابر؟"

اقترب منها يحيط وجهها بكفيه فرفعت أنظارها المتسائلة إليه ليقول" هذا مجرد تخمين حاولي تذكر موعدها بالضبط ونحسب فإن فات الموعد نذهب غدا لعمل تحليل ما رأيك؟"

ترقرقت الدموع في عينيها وهي تطالعه بعدم استيعاب فقال جابر "لهذا لم أخبرك بما أخمنه حتى لا تذرفين المزيد من الدموع يكفي ما بكيته الأيام الماضية.. عموما ربما أكون مخطئا وتصورت ذلك للهفتي على الإنجاب"

سألته بتأثر " مني؟"

قرصها في ذقنها قائلا" طبعا منك يا عود القرفة ذا الغمازتين"

لفت ذراعيها حول جذعه تحضنه وهي تقول بصوت متهدج "سأحمل طفلك في رحمي يا جابر"

مسد على ظهرها ليخفف من ارتعاش جسدها قائلا" إن شاء الله أنا شخصيا أخطط لأنجب منك عشرة أولاد"

ضحكت من وسط بكائها مرددة" عشرة!"

رد بابتسامة" أجل عشرة فاستعدي لذلك"

شددت من احتضانه وهي لا تزال ترتعش لتلك الخاطرة الحلوة وتمتمت" يا رب يا جابر يا رب"

ابعدها عنه ينظر إلى وجهها قائلا" كله بأمر الله ..أما نحن فنفعل ما علينا وبما يأتي بالعشرة أولاد مرة واحدة"

أفلتت منها ضحكة من بين دموعها ثم عضت على شفتها السفلى ..فقال جابر وهو يبتعد "اذهبي من أمام وجهي الآن وارتدي شيئا بالله عليك فلا أريد أن أتأخر على العمل"
قالها وهو يخطف الملابس التي أخرجتها له من الخزانة ويتوجه للحمام مبرطما "هل سنترك أشغالنا وأعمالنا بسبب الست مشمش وحلاوة الست مشمش!"
راقبته يغلق باب الحمام خلفه ثم وضعت يدها تتحسس بطنها فانهمرت الدموع على وجهها وهي تغمغم بترجٍ" يا رب"

××××

كانت جالسة فوق المقعد الوثير.. مرتدية عباءة بيتية سوداء.. ركبتاها مرفوعتان تحضنهما وهي مولية ظهرها للنافذة تتطلع في عرائس الأميجرومي المرصوصة على المقعد المجاور .

إنها في حالة حداد منذ أيام .. منذ ذلك اليوم الذي تحدثت فيه عن نجمة .. حين انفجر قلبها وتفتت لأشلاء .. لكنه كان انفجارا من أجل إعادة الترتيب .. كان إعادة فتح لجرح لم يلتئم بشكل سليم .. لهذا تعيش في حالة حداد .. ملتزمة غرفتها .. ترتدي الأسود ولا تتحدث لأحد ..حتى هاتفها مغلق .. وكأنها قد دفنت ابنتها قبل أيام.

كانت بحاجة لأن تعبر عن حزنها كما تريد .. بحاجة لأن تمارس حقها في الحزن على ابنتها بدون الشعور بالذنب تجاه أحد .. ومفرح ساعدها في أن تبقى في خلوتها دون مقاطعة من أحد .. حتى أهلها كان يطمئنهم عليها دون أن يسمح لأحد بزيارتها .. فلم تكن قادرة حتى على التواصل مع الولدين ..

هذه المرة تصرفت بدون الشعور بالذنب تجاه أي أحد .. حتى وهي تسمع همس الولدين خلف الباب .. وتسمع مفرح يمنعهما من محاولة اقتحام خلوتها التي في نظر ابنيها قد طالت .. حتى وهي تسمع مفرح يتحدث مع والده كل يوم ويبرر له لماذا لم يعد للبلدة حتى الآن .. كل هذا أصرت على أن تتجاهله وتحترم أدميتها في الرغبة في البقاء لبعض الوقت بعيدا عن الجميع .

عاد همس الولدين من خلف الباب إلى مسامعها .. همسهما كان يربت على قلبها الموجوع رغم كل شيء .. همسهما الذي يتبعه فتح الباب قليلا جدا ليتلصصا عليها أثناء انشغال مفرح .

هذه المرة فُتح الباب أكبر قليلا من المرات السابقة فحركت عينيها ببطء نحوه فلم تجد أحدا .. لكنها فوجئت بصوت أزيز تبعه دخول

تلك الدمية التي تخص إياد على شكل قرد يتحرك على عجلات بمتحكم الكتروني عن بعد.
اقترب منها القرد الصغير وتوقف عندها وسمعت همسهما دون أن ترى أحدا منهما فدققت في القرد ولاحظت الورقة المثبتة في يده .
ابتسامة ضعيفة ارتسمت على وجهها الحزين ومالت ببطء تلتقط الورقة وتفتحها
(انقذينا .. أبي في المطبخ يطبخ أشياء غريبة .. الإمضاء ابنك إياد)
استدار القرد وتحرك مغادرا ثم عاد بعد دقيقة إليها بنفس الطريقة فالتقطت الرسالة التالية.
(مفرح الزيني طرد الخادمة ونحن نعيش على الطعام الجاهز منذ أيام ..واليوم قرر أن يطبخ بنفسه ..والأمر غير مبشر بالخير .. ابنك أدهم)
كانت قد سمعت بأن مفرح قد طلب من الخادمة المغادرة بعد أن لاحظ بأنها تقضي

معظم الوقت تتحدث في الهاتف ولا تلتفت لعملها ..

عاد القرد من جديد يحمل رسالة جديدة فالتقطتها

(المشكلة أن الطعام الذي يصنعه أبي مريع .. ابنك أدهم)

ابتسمت من جديد وراقبت حركة القرد يذهب ويعود وهي تشعر بأنها خائرة القوى غير قادرة على التحرك فالتقطت رسالة أخرى تقول :

(أنا مريض منذ ليلة أمس عندي مغص)

عبست ملامحها وهي تكمل القراءة (وأرسلت لك على الواتساب لكنك تغلقين هاتفك .. أبي صنع لي مشروبا دافئا لكني لا أشعر بالتحسن وبطني تؤلمني)

انتبهت فجأة لصوت إياد يتألم وأدهم يقول بفزع "إياد ماذا بك يا إياد!!"

دبت فيها قوة مفاجئة فتركت المقعد وأسرعت
نحو الخارج فوجدت إياد يتلوى في الأرض
صائحا" بطني آه بطني"
خرج مفرح من المطبخ مفزوعا بينما انتفض
إياد واقفا بمجرد أن وجد مليكة أمامه فصاح
وهو يسرع يحضنها" أمي"
هتف أدهم مغتاظا "أفسدت كل شيء يا غبي"
ابتسمت مليكة وهي تحضن إياد ونظرت لأدهم
تفرد ذراعها الأخر فقال محرجا وهو يقترب
"انسان غبي اقسم بالله"
حضنتهما مليكة بينما قال مفرح بغيظ" ألم
أخبركما بأن تتركاها وشأنها؟"
ابتعد أدهم عن حضن مليكة وقال لوالده
بلهجة ماكرة" أنت قلت لا تدخلا عليها الغرفة
.. فأخرجناها منها "

حاول مفرح الحفاظ على جدية وجهه وهو يقف متخصرا في الممر بينما قالت مليكة بخفوت مبتسم "اتركهما"

رفع إياد رأسه لها قائلا "والله بطني تؤلمني يا أمي"

غمغمت وهي تمسح على شعره "سأبحث لك عن دواء لعسر الهضم"

قال مفرح بمرح "ما دمتِ قد خرجت من الخلوة فهيا لنتغدى لقد طبخت بيدي وأنت لم تأكلي إلا لقيمات الأيام الماضية"

سألته مبتسمة" وماذا طبخت بالضبط؟"

أجاب بفخر" كفتة وسلطة"

بعد قليل تطلع ولدا مفرح في صينية الكفتة على طاولة السفرة وقال أدهم" لماذا أشعر بأنها محترقة؟"

رد مفرح مدافعا" ليست محترقة"

قال إياد متسائلا "أين الأرز؟ .. أنا لا آكل إلا مع الأرز"
وضع مفرح أمامه رغيفا من الخبز وهو يقول" لا يوجد أرز اليوم ..كُل"
سألته مليكة " لماذا لم تطلب طعاما جاهزا يا مفرح؟"
ناظرها يقول بلهجة متأثرة مصطنعة" هل تعنين أن طعامي سيئ يا مليكة؟! .. بعد أن وقفت في المطبخ وتعبت وأنا أرص في الصينية أصابع الكفتة الجاهزة التي كنت تحتفظين بها في البراد ثم وضعتها بالفرن وقطعت السلطة بعد كل هذا المجهود تقولين سيئ!"
أسرعت مليكة بالقول وهي تتبادل النظرات مع ابنيها" لا لا من قال هذا سلمت يديك .. ثلاثتنا نشفق عليك من التعب"
ونظرت للولدين ليأكلا دون المزيد من الحديث
.

أما هي فأمسكت بإصبع كفتة محترق ولم تقدر على مواصلة التمثيل بأنها بخير ..
إنها تعاني .. وقلبها مكلوم متألم والجرح الذي فُتح قبل أيام ينزف بشدة ..
راقبها مفرح وهي تحدق في اصبع الكفتة شاردة وقبل أن يلقي تعليقا مازحا ليخرجها من شرودها رفعت إليه مليكة أنظارها وقالت بمقلتين دامعتين" مفرح .. أريد أن أزور قبر نجمة"

xxxx

عند المغرب

هل هي حقا حامل؟
شعور بالقشعريرة يسري في جسدها كلما مرت الخاطرة بذهنها .. وقد ترددت على ذهنها مرارا وتكرارا منذ ساعات..

وقفت شاردة في المطبخ تتحسس بطنها كل فترة ودموعها مصرة على الانهمار حتى أنها خشيت من أن تلمح حماتها ذلك فتعتقد بأن هناك مشكلة بينها وبين جابر.

إن ما يحدث معها مؤخرا هو كرم كبير من الله.. كرم يغدق عليها بالسعادة .. يشعرها بالرضا بعد الشبع ..وبالشبع بعد حرمان طويل ..ويا له من شعور .. ويا لها من نعمة!.

"السلام عليكم"

قالها جابر وهو يدخل من الباب فأسرعت أم هاشم بمسح دموعها وأكملت تقطيع السلطة بينما ردت نجف وزين السلام ليقول الأخير"

رائع أنك جئت مبكرا هيا اجهز واستعد"

قال جابر بغيظ" يا بني لايزال هناك ساعة ..سنتعشى أولا و.."

قاطعه زين قائلا" ولماذا نتعشى ليس لدينا وقت"

هدر جابر مقاطعا" زين ..نوبة التوتر التي تنتابك هذه قبل أي حدث ارحمني منها بالله عليك"

خرجت أم هاشم تراقب ما يحدث بعد أن تبادلت النظرات المبتسمة بينها وبين جابر فقال زين بلهجة تمثيلية "تصيح في وجه أخيك المتوتر ..بلا رحمة ..بلا إنسانية!"

ضحكت نجف فسألت أم هاشم ساخرة "ماذا يحدث معه كان بعقله المسكين!"

ناظرها زين بامتعاض بينما قالت نجف "انه هكذا كلما اقترب من أي حدث هام .. ليلة الامتحان .. الليلة السابقة لسفره .. لابد أن يوترنا بتوتره"

قال زين لأمه "حتى أنت يا أمي!"

ضحكت نجف بينما قال جابر وهو يصعد السلم" تعالي يا أم هاشم أريدك دقيقة"

قالت الأخيرة لحماتها هلا أكملتِ إعداد السلطة يا خالتي؟"
ردت نجف بترحيب "لا بأس اصعدي لزوجك"
أسرعت أم هاشم بالعدو فوق السلم تهرول للطابق العلوي وبمجرد أن دخلت الغرفة أخرج جابر من جيبه كيسا يخرج منه شيئا وهو يقول "بصراحة لم أستطع الصبر للغد واشتريت اختبار حمل منزلي"
طالعته أم هاشم بتفاجؤ ليوضح جابر" اشتريت اثنين لأني قرأت في التعليمات أنه يفضل أن يتم بعد الاستيقاظ من النوم في الصباح.. لهذا قلت نقوم باختبار اليوم ..ولو لم يظهر شيء نقوم به مرة أخرى غدا صباحا ما رأيك"
اشتعلت وجنتا أم هاشم وقالت بحشرجة وهي تأخذ منه الكيس "حاضر"

قال جابر بلهفة واضحة "اذهبي وقومي به الآن (ثم حاول تلجيم لهفته حتى لا يشعرها بالضغط فأضاف) وعلينا ألا نشعر بالإحباط إن كان سلبيا"

هزت رأسها وتمتمت "الله المستعان"

في الدور الأرضي ناغش زين أمه وهي تجلس عند منضدة السفرة تقطع السلطة "سأتزوج يا نجفة وأحقق لك أمينتك"

ابتسمت تقول "بارك الله لك يا حبيبي والله لا تتصور مدى سعادتي بأنك ستتزوج من اسراء"

غمغم زين يدعي اللا مبالاة" هي عادية.. أنا فقط أردت أن ادخل السرور على قلبك من باب بر الوالدين"

ناظرته نجف بنظرة خاصة فحاول زين التمسك بلا مبالاته لثانية.. اثنتين.. ثلاثة.. ثم انفجر ضاحكا واقترب منها يحضن كتفيها

بذراعه من الخلف قائلا وهو يميل ليطبع عدة قبلات على خدها " لا تحرجيني يا نجفة" شاركته الأخيرة في الضحك وهي تقول "اسعدك الله يا بني وأعطاك أنت وأخيك على قدر طيبة قلبيكما"

في الدور العلوي وقفت أم هاشم تتطلع في أداة الاختبار المستطيلة الشكل أمامها فوق الحوض الذي تشكل بداخله خطا ملونا بشكل سريع وانتظرت وهي تحبس أنفاسها لترى إن كان الخط الثاني سيظهر أم لا.

أحيانا تكون الثواني دهورا.. وكأن عقارب الساعة تجمدت وحركة الكون توقفت.. بينما الأنفاس المحبوسة في الصدور تئن في انتظار الفرج لتخرج في صيحة فرح أو .. في زفرة من خيبة أمل.. فوقفت أم هاشم تحدق في أداء

الاختبار بذهول وترمش بعينيها لتتأكد من أنها ترى (خطين) .
خطان يقولان (ليس بداخلك روحا واحدة الآن بل روحين)
خطان كشريط القطار يخبرانها ببداية رحلة جديدة.
خطان .. خط يخصها والآخر يخصه.. يخبرها بأنه موجود .

طرق جابر على الباب يقول بقلق "أم هاشم ما كل هذا الوقت؟"
لم ترد عليه بل ظلت على حالة الجمود تتطلع في الخطين الواضحين أمامها ..ففتح جابر الباب ودخل فلم تتحرك.. لكنه حين اقترب منها قالت له بحشرجة وهي تعطيه ورقة التعليمات وعيناها مثبتتان على أداة الاختبار "اقرأها مرة

أخرى وأخبرني ما معنى خط واحد وما معنى خطين؟"

لم يأخذ منها جابر الورقة بل أمسك بأداة الاختبار واتسعت ابتسامته يقول بفرحة عارمة" حدث .. حدث يا عود القرفة وحدسي كان صحيحا"

استدارت ترفع أنظارها الذاهلة لوجهه الذي تتراقص فوقه السعادة فسحبها وضمها قائلا" مبارك يا بنت شيخي"

كانت متخشبة فابتعد عنها جابر يتطلع فيها مبتسما و ضحك ثم غسل يده وسحبها إلى خارج الحمام تاركا أداة اختبار الحمل على الحوض.. فتطلعت فيها أم هاشم وهي تبتعد ثم استدارت له حين وقفا في الغرفة تقول "علام تبارك لي؟"

حضن وجهها بكفيه يقول بابتسامة مليحة" على ولدي الذي تحملينه في بطنك"

اقشعر جسدها وتدفقت الدموع في عينيها وهي تقول
"هل قرأت التعليمات جيدا ؟..ربما أخطأنا الفهم"
قال جابر باندهاش "ألم ترِ هذا المشهد في فيلم أو مسلسل من الذي تتابعينهم؟"
انهمرت دمعة على خدها فأسرعت بمسحها بسرعة وهي تقول" رأيت كثيرا ..لكني لم أكن انتبه لمعنى العلامات.. فلماذا أدقق والنتيجة سأعرفها من المشهد بعد ثوان"
قال بنفس الابتسامة السعيدة" خطين تعني حامل"
تقوست شفتيها لأسفل وقالت وهي لا تزال مصدومة "ربما أخطأ هذا الاختبار ..من يضمن بأنه لا يخرف"
اتسعت ابتسامته وحضنها قائلا" لا يخرف بإذن الله .. مبارك يا مشمش أنا سعيد جدا"

أبعدته برفق لتنظر لوجهه قائلة "لا تتسرع في إعلان الفرح يا جابر (ووضعت يدها على قلبها تقول) لن أتحمل خيبة الأمل"

قال مطمئنا" لن يخيب الله أملنا إن شاء الله عموما غدا سآخذك لنقوم بتحليل دم لنتأكد ..هل هذا سيطمئنك؟"

هزت رأسها فحضنها وسحقها بين ذراعيه قائلا" الحمد لك والشكر لك يا الله"

كانت متخشبة ذاهلة تشعر بتنميل في أطرافها وقشعريرة في رحمها فقالت "لا تتسرع يا جابر أرجوك حتى لا أشعر بالإحباط لي ولك إن كان هذا الاختبار كاذبا"

أبعدها قائلا" حسنا لن نتسرع ..لننتظر للغد ونرى التحليل"

واخفى السعادة في قلبه حتى لا يوترها ومال يقبل شفتيها المبللتين بالدموع.. فجاءهما

صوت زين صارخا من الأسفل "الوقت يمر ولم نأكل"
أفلت جابر شفتيها وقال من بين أسنانه" الرحمة يا رب حتى لا اقتله"
بعد دقائق نزلا من الدور العلوي فتطلعت نجف في أم هاشم وقالت بقلق "هل أنت بخير يا بنيتي؟"
دمعت عيناها من جديد فأسرعت بمسحها وهي تهرول نحو المطبخ بينما ناظرت نجف وزين جابر الذي قال" لا شيء أنا فقط أشك في أنها حامل وهي تريد أن تتأكد بعمل اختبار في المعمل لذا سنذهب غدا إن شاء الله"
قالت نجف بابتسامة متسعة" ما شاء الله .. أكثر الله من أخبارنا السعيدة يا رب .."
بارك زين لأخيه في الوقت الذي خرجت أم هاشم تضع الأطباق على المنضدة فقال لها" مبارك يا أم هاشم .. أتمنى ألا يأتي ابن أخي

لسانه طويل هو الأخر .. ساعتها ستكون كارثة عائلية"

ردت عليه وهي تعود للمطبخ" طبعا ستكون كارثة فالولد وعمه في نفس الوقت أمر صعب الاحتمال"

ضحك جابر وأمه بينما قال زين وهو يراها تعود من المطبخ وتجلس على طاولة السفرة وهي لا تزال بملابس البيت "لماذا لم تستعدي .. ألن تذهبي معنا؟"

قالت أم هاشم بلهجة معتذرة "سامحوني لن استطيع .. أشعر بأن دمي ثقيل اليوم ولست في ذهن صافي"

قالت نجف" لا بأس يا ابنتي ارتاحي"

فغمغمت أم هاشم في سرها" ليتني أرتاح بالفعل وأتأكد هل أنا حامل أم لا"

××××

العاشرة مساء

دخلت نجف من الباب تلقي السلام على أم هاشم الجالسة أمام التلفاز فأسرعت الأخيرة بوضع الوشاح على رأسها ليقول زين من على الباب "أنا سأصعد لشقتي وفي الصباح نتحدث يا جابر لنحدد ماذا سنفعل تصبحون على خير"

رد جابر تحية المساء لأخيه ثم أغلق الباب لتسأل أم هاشم وهي تتطلع في وجهيهما" طمئنوني هل سار كل شيء على ما يرام؟"

قالت نجف بسعادة" الحمد لله اتفقنا على كل شيء والخطبة بعد عشرة أيام"

قالت أم هاشم بسعادة "ما شاء الله .. تمم الله لهما على خير"

تحرك جابر نحو المطبخ بينما قالت نجف "كلهم يقرئونك السلام أخبرتهم بأنك متوعكة "

تمتمت أم هاشم "جزاهم الله خيرا"
قالت نجف وهي تتحرك نحو غرفتها" سأذهب
لأنام أنا الأخرى تصبحان على خير"
أسرعت أم هاشم خلف جابر فوجدته أمام
الثلاجة المفتوحة يشرب من زجاجة مياه باردة
فقالت له بخفوت "جابر"
أغلق جابر الثلاجة وسألها" هل أنت بخير؟"
وقفت أمامه تقول بعينين دامعتين وفم مقوس
لأسفل" لا لست بخير يا جابر ..أريد أن أتأكد
إن كنت حاملا أم لا "
قال وهو يضع الزجاجة على المنضدة الرخامية
بجواره" قلنا سنذهب صباح الغ..."
قاطعته تقول" بل الآن .. نذهب الآن أرجوك "
قال لها وهو ينظر في ساعة يده "كيف الآن يا
مجنونة لقد تجاوزت العاشرة مساء "

قالت بترجٍ" بالتأكيد هناك معامل مفتوحة لوقت متأخر أرجوك يا جابر أنا كنت أتلوى من القلق الساعات التي تركتموني فيها وحدي"
قال جابر وهو يحيط جذعها بذراعه" استهدي بالله وتعالي لننام وغدا سنذهب إن شاء الله"
قالت بإصرار باكٍ" أرجوك يا جابر أرجوك .. أنا لن أنام طوال الليل وسأظل كحيوان السلعوة ألف في الغرفة"
ضحك وناغشها قائلا وهو يمرر إبهامه على شفتيها" لم أكن أعلم من قبل بأن السلعوة حلوة بهذا الشكل"
استطالت على أطراف أصابعها وأخذت تمطر وجهه بالقبلات وهي تقول "أرجوك أرجوك أرجوك"
أسرع جابر بإغلاق باب المطبخ وهو يقول ضاحكا" يا مجنونة بهذه الطريقة لن نذهب إلا لغرفة النوم توقفي"

توقفت تسأله بترجٍ طفولي "هل سنذهب؟"
شاكسها مغيظا "لا"
عادت لإمطاره بالقبلات على وجهه فواصل الضحك وهو يغمغم" قلت لك هذه الطريقة لن تؤدي للمعمل أبدا"
توقفت وناظرته قائلة " صدقني شيطاني كان يهمز لي أن أذهب لأقرب معمل في المركز وأنتم بالخارج وأعود سريعا"
أظلم وجهه وقال لها بلهجة خطرة" نعم !! ماذا قلت؟.. اسمعيني مجددا بم كنت تفكرين؟!"
أشاحت بأنظارها بعد أن رمقته بنظرة جانبية وغمغمت "كان مجرد تفكير"
قال جابر بلهجة تحذيرية "أم هاشم!"
نظرت إليه تقول بسرعة" كانت همزة شيطان واستعذنا بالله فذهبت بعيدا"

ربت على خدها بكفه بطريقة مهددة قائلا
"هداك الله يا بنت الشيخ زكريا"
عادت تقول له بترجٍ وهي تمسك بصدر جلبابه
الأبيض" من أجل خاطري نذهب الآن يا جابر
فلن أطيق الصبر للصباح"
تنهد قائلا" ما دمت قد حلفتني بخاطرك الغالي
فاذهبي وبدلي ملابسك"
ألقت بنفسها عليه تحضنه وهي تقول بتأثر" لا
حرمني الله منك أبدا يا جابر"
ربت على ظهرها قائلا "ولا منك يا أم قلبي.. هيا
بسرعة فالوقت تأخر وسيصعب علينا إيجاد
معمل تحاليل لا يزال يعمل"
تركته مبتعدة وهي تقول" حالا ..حالا "

××××

طلب زين الرقم الذي حصل عليه من هلال
قبل مغادرته وانتظر ردها في الوقت الذي
توترت اسراء وهي تتطلع في الرقم غير المسجل

الذي خمنت قبل أن يوضح لها تطبيق الكشف عن هوية المتصل بأنه زين فردت" السلام عليكم"

ارتسمت ابتسامة بلهاء على وجه زين وقال وهو يتمشى في صالة شقته الفارغة "وعليكم السلام ورحمة الله انه أنا زين الدين .. لقد حصلت على رقمك من والدك قبل مغادرتي واستأذنته في أن أتصل بك"

تطلعت في اختيها الجالستين أمام التلفاز تتابعان حلقة من مسلسل هندي واحمرت وجنتاها حينما تقابلت عيناها بعيني أمها ثم تحركت نحو السلم المؤدي لسطح البيت وهي تقول" أجل لقد أخبرني"

تنهدت نصرة ودخلت لغرفة نومها فطالعها هلال الذي انتهى من تبديل ملابسه لتقترب منه وتقول "من كثرة فرحتي أشعر بالخوف من أن أفرح"

ربت على ظهرها يقول" ربك كريم ولم يرض لنا بالظلم فعوضنا خيرا"
دمعت عيناها وغمغمت" الحمد لله أن جبر الله بخاطر إسراء فهي تستحق الأفضل"
ضمها هلال مواسيا وهو يتمتم "فليتمها الله على خير"
على الهاتف قال زين "كيف حالك أبلة سراء"
"الحمد لله"
سألها بشقاوة "هل اشتقت لي؟"
صمتت تداري تلعثمها وحرجها .. فقال مبتسما" كنتِ هادئة اليوم طوال الجلسة"
غمغمت تقول "وماذا كنت سأقول؟"
قال بلهجة مازحة "كنت تدخلت لتقولي يا أبي لا تطلب شيئا من زين وترفق به"
سألته وهي تجلس في منتصف السلم المظلم وكأنها تتخفى بالظلام من أجل بعض الخلوة
"هل كانت طلبات أبي فيها شيء مبالغ فيه؟"

قال مبتسما "لا ..أنا أمزح وأشاكسك لا أكثر"
تذكرته وهو يجلس في الجلسة قبل قليل ..تارة يكون جادا حين يناقشون التفاصيل وتارة أخرى يكون مشاكسا فقالت بعفوية" أنت شخص متقلب"
سألها بهدوء" ماذا تعنين بمتقلب؟"
ردت موضحة " أقصد ..تارة تكون جاد جدا وأخرى تشاكس كصبي شقي"
سألها " وهل هذه ميزة أم عيب؟"
احمرت وجنتاها واشتعلتا وردت بتحفظ لم يخف عليه "لم أحدد بعد أنا فقط قلت ما يدور برأسي"
وضربت على رأسها بيدها بضربات صامتة موبخة ليسود الصمت لبرهة ثم قطعه زين قائلا بطريقته الصبيانية
"أبلة سراء"
"نعم"

"هل ستخبريني أم أخبرك"
"بماذا؟"
"بأي شيء وكل شيء "
شعرت بأن ذهنها فارغ من كل شيء فقالت
"تكلم أنت فأنا لازلت غير معتادة"
دخل غرفة النوم بخطوات متمهلة وهو يقول
"كنت أتمنى أن يوافق والدك على إقامة حفل الخطبة قبل عشرة أيام فالإجازة لم يعد فيها الكثير"
غمغمت توضح "تعرف أنه يحتاج للوقت ليعد بعض الأمور"
جلس زين على السرير وفتح الدرج بجواره يخرج منه علبة سجائر التقط واحدة منها ثم التقط قداحة يشعلها فعبست إسراء وسألته"
هل هذا صوت قداحة؟"

همهم بالإيجاب وهو يستند بظهره إلى ظهر السرير ويمدد ساقيه أمامه فسألته بتفاجؤ "هل أنت مدخن؟"

سحب نفسا من السيجارة وأخرجه وهو يرد مبتسما" ما بك لماذا صعقت بهذا الشكل؟"

قالت مفسرة "تفاجأت ..فلم أر في يدك علبة سجائر"

سألها بشقاوة مبتسما " وهل كنتِ تدققين فيّ خلال المرات التي تقابلنا فيها؟"

تلعثمت وردت بلجلجة بدت فيها أمام نفسها كالخرقاء" لا .. أقصد عادي .. لم أتخيلك مدخنا"

نفض رماد السيجارة في منفضة سجائر فوق الكومود وقال مبتسما" لا أستطيع أن أصف نفسي بالمدخن .. أنا أفعلها في المناسبات فقط وفي غير وجود جابر دبور طبعا"

ضيقت عينيها تسأله "هل تخاف منه؟"

رد عليها "لا .. ولكن أحترمه"
هزت رأسها وقالت" بالطبع فهو من رباك"
سحب نفسا وأخرجه مهمهما بالإيجاب فقالت
بعبوس" لكن التدخين يبقى تدخين ولا يوجد
ما تقوله (في المناسبات) !"
قهقه ضاحكا فحلحلت ذبذبات صوته
الرجولية جمودها وتسربت إليها لتداعب قلبها
بينما قال زين بمزاج رائق" يوجد يا أبلة سراء
..يوجد تدخين في المناسبات ..فالعلبة تظل
معي لأيام فلا أدخن إلا مجاملة في جلسة مع
صديق أو حينما أشعر بالوحدة أو ... حينما
يكون مزاجي رائقا"
قال عبارته الأخيرة بلهجة ذات مغزى وأضاف"
وأنا حاليا في الحالة رقم ثلاثة"
لم تجد ما تقوله خاصة وأن العلاقة بينهما
لازالت غير رسمية بالإضافة لأنها لم تعتد على
التصرف دون تحفظ فاندفعت لتهرب من

اللحظة وقالت بلهجة طفولية فاجأتها قبل أن تفاجئه "ما رأيك بأني سأفتن عليك لجابر وأخبره بأنك تدخن"

انفجر ضاحكا فازداد اشتعال وجهها وتسارعت دقات قلبها ليقول زين بعد موجة ضحك "يا فتّانة ..سأخبر تلامذتك أن أستاذتهم فتّانة (وأضاف بلهجة مغيظة) لا تتعبي نفسك هو يعرف .. لقد دخل عليّ ذات مرة وأنا أدخن ولم يعلق"

أسرعت بالقول شاعرة بالحرج "عموما أنت حر .. هذه صحتك وأنت حر"

صمت قليلا يفكر وهو ينفث دخان السيجارة من فمه ثم قال "هذه هي المعضلة"

"أية معضلة؟"

رد بلهجة هادئة " أني أوشك على أن أقيد حريتي بيدي"

سألته باهتمام "هل هذا ما جعلك بدون زواج حتى الآن"

"أجل"

"ولماذا غيرت رأيك؟"

اتسعت ابتسامته بينما وبخت إسراء نفسها في سرها " ما هذا الأسلوب الرخيص ؟..وما هذا السؤال المراهق الذي سألتيه ؟.. إنه لا يليق بطالبة في الإعدادية (فأسرعت بالقول متخذة واجهة الأستاذة وهي تستقيم واقفة) آسفة عليّ أن أغلق الآن فأمي تشير لي بأن الوقت قد تأخر .. سنتحدث في وقت لاحق .. تصبح على خير سلام"

أغلقت الخط بسرعة ثم نظرت للهاتف في يدها وأغمضت عينيها غير مصدقة لأنها أغلقت في وجهه فأخذت تضرب على رأسها عدة مرات وهي توبخ نفسها" ماذا حدث لك يا إسراء؟.. لماذا تتصرفين كالخرقاء"

أما زين فظل لبضع ثوان يحدق في الهاتف في يده بعينيه الواسعتين ثم انفجر ضاحكا حتى دمعت عيناه وهو يطفئ السيجارة في المنفضة ويضرب كفا بكف .. بعدها اعتدل وكتب لها على الواتساب "أبلة سراء"

صافرة الواتساب أوقفتها عن توبيخ نفسها فنظرت في الهاتف ثم قالت لنفسها "أقسم بالله سيعتقد بأني مختلة عقليا(وكتبت بتماسك) نعم"

كتب لها " أغلقتِ الهاتف قبل أن أرد على سؤالك"

كتبت بسرعة "آسفة.. آسفة جدا انقطع الخط يبدو أن هناك مشكلة في الشبكة"

واسرعت بالإضافة "عموما تصبح على خير" "أبلة سراء"

زفرت وكتبت" نعم"

"لم أرد على السؤال بعد (وجه حزين)"

شعرت بالمزيد من الحرج لكنها كتبت "تفضل"

اتسعت ابتسامته وكتب " الإجابة هي أنني كنت أؤجل الخوض في أي تجربة حقيقية لأني لم أجد من تشجعني على خوضها (وجه يغمز) بالإضافة لأنني رأيت جابر أمامي وقد سُرقت سنين شبابه في الغربة وفي زيجة غير موفقة فربما كنت أحاول نيل قسط من المتعة والمرح قبل خوض التجربة"

سألته باهتمام "تقصد علاقة جابر بزوجته الأولى؟"

"أجل للأسف لم تكن موفقة"

تنهدت وكادت أن تكتب ما يذم فيها لكنها تراجعت وكتبت "ليهديها الله كاميليا بنت العسال"

عبس وسألها "هل حدث شيء بينكما؟"

أجابت " لا شيء لا تشغل بالك"

قال بإصرار " أخبريني فأنا أعرفها غبية منذ أن كنا صغارا"

سألته بعبوس " ماذا تقصد؟"

كتب لها " كاميليا زميلتي بالفصل وأم هاشم كذلك"

"حقا؟!!"

"أجل .. أخي غالبا أقسم أن يتزوج من زميلاتي بالمدرسة (وجه ضاحك)"

أرسلت له وجها مبتسما ثم كتبت" لم أكن أعلم بهذا"

فكتب زين "لكني حاولت إرضاء أمي بزيارتكم وحدث ما حدث وتغيرت كل قناعاتي فجأة"

تراقصت ابتسامة مراهقة على شفتيها فسجل لها رسالة صوتية أسرعت بفتحها لتسمعه يقول حانقا" لهذا سأظل أقول دوما حسبي الله فيكم جميعا يا من ورطموني هذه الورطة"

تسارعت دقات قلبها وهي تكتب بابتسامة "أنا ورطة؟"
كتب لها بسرعة "أجل ورطة بوجه عابس وعينين كمونيتين كعيون القطط قد ورطوني"
غمغمت إسراء بالسؤال وهي تكتبه له" أهذا مدح أم ذم؟"
صوت ضحكات مكتومة جاءتها من أسفل السلم فنظرت لأختيها وهما تراقبانها وتكتمان الضحك لتبادر همسة قائلة "هل تحدثين نفسك يا أختاه؟"
أشارت لهما بالابتعاد وتطلعت في رده " في يوم ما سأشرح لك تفاصيل (الورطة) لتقرري بنفسك إن كان كلامي مدحا أم ذما (وجه يغمز)"
تسارعت دقات قلبها وأسرعت بالكتابة" الوقت قد تأخر وأشعر بالنعاس .. تصبح على خير"
كتب لها" ليتني أصبح على (ورطة)"

أغلقت الواتساب بسرعة ووقفت على السلم في فوضى من المشاعر وكأنها في حالة من إعادة التشكيل فغمغمت لنفسها بابتسامة" بل أنا التي أشعر بأنني في ورطة"
أما زين فغمغم وهو يستلقي على ظهره ويحدق في السقف "أحلى ورطة"

xxxx

وقفت أم هاشم تمسك بذراعها في بهو أحد معامل التحليل تتابع جابر الذي يتحدث مع موظف الاستقبال وهي ترتجف .. ولا تزال هيبة الخاطرة تسيطر عليها .
اقترب منها جابر وقال وهو يعدل لها كم العباءة لتغطي ذراعها بالكامل "يقول بعد ساعتين سأعيدك للبيت وأعود لـ.."
قاطعته بسرعة "لا سأبقى معك"
قال لها عابسا "الوقت قد تأخر"

جادلته قائلة" ولماذا تذهب وتعود لنبقى سويا"
نظرتها القلقة جعلته يقول باستسلام" تعالي لنرى أين سنذهب في هذا الوقت"

بعد ساعة ترجلا من السيارة التي أوقفها جابر عند أحد الأرصفة وتحركا إلى حيث السور العريض المطل على النهر فقال لها بلهجة موبخة" هل أعجبك تسكعنا في الشوارع في هذا الوقت المتأخر!"
غمغمت مجادلة "وهل نحن هاربان من أسرتينا! ..أنا أتسكع مع زوجي وأنت تتسكع مع زوجتك يا جابر "
رفع حاجبه فلملمت ضحكة وأشارت له على الناس حولهما قائلة "انظر إلى الناس من حولك"

تطلع جابر حوله فوقعت عيناه على شاب وفتاة مراهقان يوليان ظهريهما للطريق ويلتصقان في جلسة حميمية فوق سور النهر استفزت طبيعته المحافظة فقال لها "ناس من هذه العينة!"

ردت تجادله "ولماذا علقت على هذين ؟..عندك مثلا هذا الرجل الذي تحدجه زوجته بنظرات شرسة وغالبا ستنقض على ذراعه تعضها خلال دقائق .. ما بهما؟.. رائعان"

خطف جابر نظرة سريعة على من تتحدث عنهما بينما أكملت أم هاشم "وعندك تلك الغندورة الشابة على الناحية الأخرى التي تجلس فوق السور بينما زوجها تقريبا يلعب لها في أصابع قدميها "

خطف جابر نظرة سريعة نحو من تقصدهم قبل أن يقول لها بلهجة حازمة وهو يمنع نفسه

بصعوبة من الضحك "اخرسي يا أم هاشم وكفي عن التحديق في الناس"
ردت عليه ببراءة" أنا لم أحدق في أحد أنت من دفعتني لذلك"
رفع كفه أمامها يقول بإشارة صارمة "اغلقي فمك يا بنت الشيخ"
زمت شفتيها فتعلقت أنظاره بهما قبل أن يشيح بعينيه بعيدا عنها ثم قال مشيرا على عربة الترمس" أتريدين ترمس؟"
هزت رأسها بالرفض وقالت" معي مكسرات بالحقيبة (ثم وضعت كفيها خلفها على السور وقالت) هيا"
عقد حاجبيه وسألها" ماذا تعنين بـ(هيا)؟!!"
غمغمت بوجنتين مشتعلتين ولهجة شقية" ارفعني من خصري كالأفلام حتى أجلس على السور"
هتف بلهجة استنكارية" نعم !!!"

قالت بلهجة متسلية" نعم ماذا يا جابر ..هل أنا
أقل من هذه الغندورة البيضاء التي يلعب
زوجها في أصابع قدميها أم لأني عفريتة سوداء
تحرمني من ذلك!"
ضربها على رأسها بطرف أصابعه يتحكم في
رغبة شديد للانفجار في الضحك وهو يقول"
اخرسي يا أم هاشم وتعقلي"
غمغمت بمسكنة ممزوجة بالمزاح" إنها أمنيتي
والله"
سألها باندهاش" أية أمنية يا مجنونة؟!!"
ردت بدلال وهي تذوب تحت نظراته القوية"
أن أجلس فوق السور يا جابر"
مط شفتيه وتطلع في ذيل العباءة ليتأكد من
أنها طويلة حتى الأرض بينما أضافت أم هاشم
بلهجة شقية " حسنا لا داعي أن تحملني من
خصري "

ناظرها قائلا بسخرية" هذا على أساس أني كنت سأفعلها مثلا!!"
ناظرته بمسكنة وأضافت بلهجة رقيقة مصطنعة" ألأني سمراء ليس من حقي الجلوس على السور"
ناظرها بغيظ قائلا "بل لأنك مختلة عقليا "
وشعر بالحرج كيف سيرفعها لتجلس على السور فلم يجد إلا أن يناولها ساعده .
نظرت له بتساؤل ليقول جابر " إن لم يفلح فانسي الفكرة"
استندت على ساعده ورفعت نفسها وهي تقول" سيفلح إن شاء الله"
استقرت على السور فعدل ذيل العباءة ليتأكد من أنه يغطيها بالكامل ثم قال لها "هل تحققت أمنيتك الآن يا ست مشمش؟"
هزت رأسها تطبق شفتيها ببعضهما فظهرت غمازتيها ثم قالت بدلال" لا حرمني الله منك"

قال لها مناكفا "هيا انزلي إذن"
رفعت حاجبيها ثم غمغمت وهي تفتح حقيبتها" ألا يكفي أنك لن تلعب في أصابع قدمي مثلما يفعل ذلك الرجل مع الغندورة البيضاء"
ضحك جابر وهو يضرب كفا بكف ثم سألها" أهذي طريقتك في التغلب على التوتر .. المناكفة ؟"
هزت رأسها معترفة ثم أخرجت كيسا صغيرا به بعض المكسرات وناولته بعضا منها.. فمد كفه لها يأخذ المكسرات ثم أخذ منها المكاداميا يعيدها لها قائلا" أنت تحبينها"
قالت وهي تلقيها في فمها" إنها رائعة آكل منها كل يوم القليل حتى لا تنفد"
قال جابر" كلي يا أم هاشم وأحضر لك منها ما تريدين"
غمغمت بدلال أنثوي" إنها غالية الثمن"

سقطت غريقة في عينيه المرفوعتين إليها تحملان لها نبعين من حنان وعشق لا تزال لا تصدق حقيقته بينما قال جابر بصوت أجش" مُري جابر يا بنت شيخي ولا تحملي هم شيء أبدا.. اتركي كل شيء عليّ وبإذن الله سأعوضك عن كل ما مررت به في حياتك"

لمعت الدموع في عينيها وقالت" وهل هناك أكثر من هذا عوض من الله ؟.. والله يا جابر رؤيتك نفسها عوض .. التواجد بالقرب منك وحده عوض .. يا جابر قلبي"

كان يشع منها طاقة عشق تخرج مع كلماتها هزت قلبه هزا.. فلمعت عيناه بالدموع فجأة وأسرع بالقول ليخرج من تأثير الغيمة الوردية التي ظللت فوقهما" عموما مهما قلتِ لي لا تتعشمي ..فلن ألعب في أصابع قدميك أبدا في مكان عام"

قالها وانفجرا ضاحكان.

××××

سقط جسد الطفلة فجأة من فوق الشجرة ليرتطم بالأرض ويتحول لجثة هامدة فأخذت ونس تصرخ بقوة لكن صوتها كان محشورا في حنجرتها .

فتح شامل عينيه واعتدل في السرير وأخذ يهزها بقوة ليوقظها مقربا شفتيه من أذنها الخالية من السماعة وهو يسمعها تطلق همهمات عالية متألمة" ونس .. ونس استيقظي يا ونس"

شهقت ونس بكل قوتها وهي تفتح عينيها وتستقيم جالسة فجأة فحضنها شامل قائلا" ما بك ؟ لماذا تتكرر الكوابيس معك؟"

كانت ترتجف بقوة فتعلقت بعنقه وأخذت تبكي في صمت..

صمت لا تعرف كيف تتخلى عنه.

××××

اتسعت ابتسامة جابر وهو يتحدث مع أحد أطباء المعمل ثم سلم عليه شاكرا وعاد لأم هاشم التي تراقبه من بعيد ممسكا بنتيجة التحليل في يده .

ابتسامته المتسعة أكدت لها الأمر فارتج قلبها في صدرها بعنف .. قلبها الذي كان قبل ثانية لا يزال في حالة من الإنكار أو عدم التصديق ..لكن ما قاله جابر بعد ثوان وهو يقف أمامها.. كان أقوى من أن تتحمله أعصابها "مبروك يا مشمش"

خارت قواها فجأة فأسرع جابر بالإمساك بها وهو يقول" أم هاشم .. أم هاشم"

ساعدها لتجلس على أقرب مقعد بينما الصورة أمامها تتأرجح وكأنها محمولة فوق الأمواج وشعور لحظي بسقوط قلبها في رحمها فأسرعت إحدى السيدات المتواجدات بإحضار كوب من الماء من قارورة الماء المتواجدة

بالمكان فأخذها جابر منها شاكرا وأخذ ينثر فوق وجهها الماء المثلج.

بدأت الصورة تستقر أمامها وعاد قلبها لموضعه فتطلعت أم هاشم في جابر الذي يميل عليها متفحصا ويسألها بقلق واضح" هل أنت بخير؟"

فضلت ألا تتسبب في الحرج لهما على الملأ وحاولت النهوض .. لكنها بدلا من ذلك أجهشت بالبكاء رغما عنها فأسرعت بإخفاء وجهها في جلبابه.. فربت جابر على ظهرها وسألها "هل آخذك لطبيب ؟"

غمغمت من بين دموعها "بل للبيت .. خذني لبيتي يا جابر"

تحاملت على ساعده بينما ذراعه الأخر يدعم ظهرها ولم تعرف كيف استطاعت الوصول للمصعد أو ركوب السيارة بينما المرأة التي

ناولتها الكوب قالت لزوجها" سمعت الطبيب يخبر زوجها بأنها حامل ..يبدو أنها قد تأخرت في الحمل .. مسكينة .. فليرزق الله كل مشتاقة"

أما في السيارة فسألها جابر قبل أن يتحرك "هل أنت متأكدة أنك بخير ؟"
وتطلع حوله في الشارع الهادئ نسبيا بعد أن أغلقت بعض المحال أبوابها فقد تجاوزت الساعة منتصف الليل وقال "أتريدين أن نبحث عن طبيبة لتفحصك؟"
كانت أم هاشم شاردة النظرات في حجرها بينما يدها تتحسس بطنها فرفعت إليه مقلتيها البنيتين دامعتين تقول" لا أعرف كيف أشكر الله .. أخبرني كيف أشكر الله يا جابر لقد جبر بخاطري وجعلني أنا عفريتة القرية السوداء امتلك قلب جابر دبور والآن سيرزقني بهاشم

..(وأمسكت بكمه تهزه قائلة بغير تصديق)
هاشم يا جابر .. سأكون أما لهاشم حقيقي ..
هاشم جابر إسماعيل دبور"
رفع حاجبيه وقال ضاحكا "هل قررت بأنه ولد!!"
قالت بحشرجة " بإذن الله ولد .. ربي سيجبر بخاطري إن شاء الله"
قال مشاكسا "ولماذا لا يكون إسماعيل جابر إسماعيل دبور!"
هزته مجددا تقول بلهجة مترجية "بل هاشم يا جابر أرجوك"
اتسعت ابتسامته وقال" لا بأس هاشم يا ست أم هاشم"
سألته مجددا " أخبرني كيف أشكر الله على نعمته "
قال وهو يشغل السيارة" لست وحدك من تريدين شكره فأنا أيضا أريد أن أحمده وأشكر

فضله (ثم استدار إليها يقول) ما رأيك أن نذهب لأداء العمرة؟"

هتفت بفرحة "حقا يا جابر!!"

قال لها مفكرا" طبعا ..لننوي أداء العمرة ونرتب لها إن شاء الله"

سألته بتأثر وعينين دامعتين " هل تعرف كم أحبك؟"

اتسعت ابتسامته ورد" لا لا أعرف كم تحبيني"

ارتمت عليه تحضنه بقوة وهي تقول باكية "أنا أحبك جدا جدا جدا يا جابر"

قال جابر بعبوس وهو ينظر في الشارع الهادئ أمامه" أم هاشم تعقلي هل أذهبت الفرحة عقلك!"

استمرت في بوحها المتأثر وهي ترتعش فوق صدره قائلة "أحبك حبا بحجم الكون كله"

أبعدها يقول بلهجة حازمة أمام دموعها "لنعود لبيتنا أولا وهناك سنتناقش من منا بالضبط يحب الأخر أكثر يا بنت الشيخ زكريا"
قالها واعتدل أمام المقود يتحرك بالسيارة إلى حيث البيت الذي كان قفرا وأضحى عامرا بالحياة.

××××

بعد يومين
بعد الفجر

أهو وداع أم لقاء؟
نهاية أم بداية؟
نهاية ليل مظلم أم بداية فجر جديد؟

بين ظلمة ليل راحلة وضوء نهار عائد توقفت سيارة مفرح أمام منطقة المقابر وخلفها سيارة أكرم صوالحة ومعه أخوه عمار .. ثم سيارة

كامل نخلة بعد أن أصرت بسمة على الحضور مع مليكة .
حضروا جميعا من العاصمة تحت جناح الليل لتلبية مطلب مليكة بزيارة ابنتها ..
إنها زيارتها الأولى لقبرها .. أو بمعنى أدق زيارتها الأولى وهي مستيقظة .. بعد أن كانت تزورها أثناء نومها .. فلم تستطع فعل ذلك منذ دفنها .. فالوجع أقوى من التحمل وهي خبيرة في إنكار الوجع وادعاء أن كل شيء على ما يرام .

كانت قبضتاها مضمومتين فوق ركبتيها وهي جالسة في السيارة لا تشعر بساقيها حين ترجل مفرح واستدار حولها ليساعدها في الخروج حتى تقف على قدميها.. فتطلعت في وجهي أخويها أكرم وعمار الصامتين يرسلان لها رسائل مشجعة ثم في وجه بسمة التي تترجل من سيارة كامل تتشح بالسواد مثلها .. ثم تحركت

تمسك بذراع مفرح لتسير بين المقابر فتفاجأت بوجود والدها الذي يقف مستندا على عصاه عند مدفن آل صوالحة ينتظرها مع أخويها بشر وعلي ..وعلى بعد خطوات خلفهم كانت تقف أم هاشم بجوار جابر الذي صلى الفجر ثم مر عليها بناء على رغبتها لتكون مع صاحبتها في هذه اللحظة .

كان الصمت يخيم على الكون ..صمت يرسل رجفة في القلوب مع رهبة المكان وسكون ساكنيه .. فوقفت مليكة تتطلع في مدفن آل صوالحة وعادت إلى رأسها صور لأيام كثيرة زارت فيها هذا المكان ليلا .. وحدها .. تحاول دخول البوابة الحديدية المغلقة .. وحين تفشل .. كانت تقف وجهها للحائط .. كفها على الحائط .. قلبها يخترق الحائط ليرسل سلاما للراقدين خلفه .

سألها مفرح بخفوت "هل سندخل؟"

هزت رأسها بالإيجاب ..وقبل أن تتحرك استدارت وتطلعت في المشهد المهيب خلفها ..والدها.. وأخوتها الأربعة وصاحبتاها يقفون في صمت .. وخلفهم شواهد القبور.

جاءوا جميعا من أجلها .. من أجل دعمها .. ففهمت الرسالة الإلهية .. فهمت الرسالة والمعنى .. لهذا أرادت أن تكمل الطريق إلى قبر ابنتها .. تكمله حتى تغلق الجرح وتعود أكثر قوة وتحملا واحتسابا .. فاستدارت ودخلت من البوابة .

اقتربت بسمة من أم هاشم تحضنها في صمت بينما سلم كامل على جابر ..لتقول أم هاشم هامسة وهي تتطلع في مليكة تدخل بوابة مدفن آل صوالحة" هناك شيء كنت دائما أتعجب له"

ناظرتها بسمة بتساؤل لتقول أم هاشم "كيف ترك خالد ابنته لتدفن في مقابر الصوالحة؟! .. تعلمين بأن العادات تقول بأنها لابد أن تدفن في مقابر عائلة والدها "

ردت بسمة "أعتقد لأن والدة مليكة رحمها الله كانت منهارة وأصرت على أن تدفن في مدافن الصوالحة ووصت بعدها بأن تدفن بجوار نجمة ..وبصراحة خالد نفسه كان منهارا يوم دفنها"

لم تقتنع أم هاشم وقالت" وكيف أهله يتركون حفيدتهم تدفن بعيدا عن مقابر العائلة ؟!"

هزت بسمة كتفيها وردت "ربما لأنهم يقدرون الذكور عن الإناث .. أذكر أنهم اغتموا حين علموا بأن مليكة حامل في أنثى"

مطت أم هاشم شفتيها وقالت "لا زلت أراه غريبا ولا يدخل رأسي"

في داخل المدفن .. وبالتحديد عند قبر نجمة الذي يجمعها مع جدتها كوكب انهارت مليكة على ركبتيها .. انهارت وهي تواجه الحقيقة .. نجمة ماتت وذهبت للجنة بغير حساب .. فخرج الألم من صدرها صرخة .. صرخة قوية خرجت من صميم الفؤاد . صرخة شقت الظلام فلاح أول شعاع من ضوء النهار .. زقزقت بعده العصافير فوق أعشاشها.. وتحركت الشفاه تتلو آيات القرآن وتطلب الرحمة للأحياء والأموات .

xxxx

بعد أسبوع

ربتت أم هاشم على بطنها بحنان يتدفق غريزيا في أوردتها منذ أن تخلق هذا الكائن في رحمها .. فمن أكثر منها سعادة وقد امتلكت قلب الرجل الذي أحبته والذي زرع في أرضها بذرته لتنبت ثمرا ..رزقا من كريم جبار .

تمتمت بالشكر كعادة أضحت تلازمها كلما فكرت فيما أهديت به في الأيام الأخيرة من كرم الله .. ووقفت في المطبخ تشكل أصابع كفتة الأرز استعدادا لقليها في الزيت يأتيها أصوات الضيفات اللاتي تملأن الصالة عالية .

إن البيت امتلأ بالنساء منذ الصباح غالبيتهم من أقارب جابر فالجارات سيذهبن إلى حفل الخطبة الذي سيقام أمام بيت هلال جمعة آخر النهار .. لقد حضرت أم ياسين عمة جابر.. وخالاته وزوجات أخواله وبناتهم جميعا وأحفادهم أما ساحة البيت في الخارج فعلمت من جابر بوصول أول فوج من أصدقاء زين منذ قليل وما فهمته أن العدد كبير على أن يكون الفوج الأول فقط .

قال جابر في الهاتف في وقفته أمام باب الشقة المفتوح "ماذا تعني بأن هؤلاء مجرد دفعة إن عددهم ما شاء الله في ساحة البيت!"

قال زين ضاحكا" قلت لك يا جابر من سيأتي لتهنئتي كثيرون أخبرني هل يوجد ما يكفي من الطعام؟"

هدر جابر مستنكرا" هل المشكلة في الطعام يا غبي أم فيمن سيطبخ الطعام"

قال زين " قلت لك نحضر طباخا"

رد جابر عابسا " لم أتصور أن العدد كما تلمح له الآن"

تنهد زين وقال مهادنا " أخبرني ماذا أفعل ؟.. هل أتصل بطباخ أم ماذا أنا أخبرتكم والله العظيم"

قال جابر من بين أسنانه " انزل يا زين ..لماذا لم تنزل حتى الآن وقد بدأ اصحابك في التوافد!"

قال زين بسرعة " سأنزل حالا فقد استيقظت للتو على اتصالاتهم"
أغلق جابر الخط وقال بعصبية لأمه التي تتطلع فيه" ابنك يقول أن هذه دفعة من الضيوف وأنه أخبرنا بأن العدد ليس بالقليل"
قالت له أمه تهدئ من عصبيته "لا تقلق يا جابر سيمر اليوم على خير يا بني ..اتصل أنت بالجزار ليسرع بإرسال المزيد من اللحم"
قالت عمته الجالسة في الصالة المليئة بقريباته بينما الأطفال يلعبون خلفه أمام باب الشقة "أكثر الله من أصدقائه يا جابر الولد ما شاء الله محبوب"
قال جابر غاضبا" وهل أنا معترض على أصدقائه يا عمتي؟.. أنا معترض على الوقت الضيق والمجهود الذي سيبذل لضيافة كل هؤلاء"

خرجت أم هاشم من المطبخ تقول "لا تقلق يا
جابر احضر لي المزيد من اللحم كما قالت
خالتي واخبره أن يقطعه ويقسمه كما طلبت
منه أخر مرة ولا تقلق بالباقي أحلى طعام
سيخرج لأصحاب زين إن شاء الله "
شعر بالضيق الشديد مشفقا على أم هاشم فهو
يعلم بأنها ستتولى الموضوع كله على عاتقها
..في الوقت الذي قالت فيه إحدى خالاته"
نحن موجودات لا تقلق وسنساعد بعضنا"
رد جابر قاصدا أم هاشم" يا خالتي أنا أعرف
الرأس اليابس هذه .. ستهلك نفسها وحدها في
كل شيء"
لملمت أم هاشم ابتسامتها وأسرعت بالقول
بطريقتها المازحة "لا طبعا سأترك لهن كل ما
يمكن فعله خارج المطبخ"
سألتها إحدى بنات خالته "وداخله؟!"

ردت أم هاشم ضاحكة "سأكهرب العتبة حتى لا يدخل أحد معي"
قال جابر بغيظ بعد أن أطلق زفرة غاضبة "الرحمة يا رب حتى لا أحطم رأس إحداهن!"
غمغمت أم هاشم للجالسات "سأتظاهر بأن هذا التقريـع لا يخصني "
جز جابر على أسنانه يقول " سأتصل بالجزار"
فأسرعت أم هاشم تقول وهي تداري ضحكة" وأنا سأختفي من أمامه قبل أن أفقد رأسي"
قالت بنت عمة جابر لأمها بصوت خافت بعد أن عادت أم هاشم للمطبخ "فرق كبير بينها وبين زوجته الأولى"
أشاحت أم ياسين بيدها قائلة بقرف "أتركينا من هذه السيرة العكرة هداها الله بعيدا عنا"

تكلمت إحدى أخوات نجف وهي تشير على ميس التي تقف بجوار الأولاد الذين يلعبون

أمام باب الشقة الذي يحتفظ بمدخل جانبي خاص بعيد عن ساحة البيت" لكني أشعر بالشفقة على ميس"

ردت أم ياسين بثقة " كاميليا لن تبقى بدون زواج وقتا طويلا .. وساعتها من حق جابر أن يضم البنت لنجف لأن أم كاميليا ليست على قيد الحياة.. هذا في حالة أن رفضوا إعطائها له بالحسنى "

قالت أخت نجف بخفوت غامزة للأخيرة "ابنك يبدو أنه غارق في حب أم هاشم يا نجفة ألم تري كيف يحمل الهم لأنها ستتعب في إعداد الطعام "

ابتسمت نجف وردت" أسعد الله قلبه وقلبها ..بصراحة تستحق المحبة أنا أيضا قلقة عليها فقد كانت متعبة في الصباح وتتقيأ بسبب الحمل"

غمغمت إحدى بنات أختها تقول متهكمة"
عيني يا عيني حتى خالتي قلقة عليها .. ماذا
فعلت أم هاشم هل سحرت لهما"
بعد قليل دخلت نجف المطبخ تقول" انهن
يقطعن الخضار بالخارج والبصل والثوم أين
الأرز لننقيه؟"
أشارت لها أم هاشم على وعاء بلاستيكي كبير
فحملته نجف لتقول الأولى معترضة "لا
تحمليه يا خالتي نادي على إحدى البنات
لتحمله عنك (ثم غمغمت بغيظ) أين هند
ووفاء ؟.. أرسلتهما لإحضار المزيد من الحلل
الألومنيوم الكبيرة من بيت عمي ولم تعودا حتى
الآن!"
قالت نجف بامتنان" تعبتِ يا بنيتي نخدمك
يوم أن تلدي بالسلامة"
ارتسمت ابتسامة سعيدة على شفتي أم هاشم
.. كلما حدثها أحدهم عن الحمل ترتسم تلك

الابتسامة السعيدة على شفتيها ثم قالت
"العقبى في زفاف زين إن شاء الله وأكون وقتها
أحمل هاشم على ذراعي .."
قالت نجف ضاحكة "هذا إن صمد لنهاية العام
الذي حدده مع والدها .. فإحساسي يخبرني بأن
ابني سيتزوج بعد عدة أشهر بإذن الله"
ضحكت أم هاشم وهي تقلب الكفتة في الزيت
فقالت نجف فجأة وكأنها قد تذكرت شيئا
"صحيح يا أم هاشم على سيرة حفلات
الزفاف.. هل صحيح سبق وأن تقدم لك ذلك
الشاب الأسمر قريبكم للزواج منك ؟"
تجمد جابر قبل أن يقترب من المطبخ حينما
سمع سؤال أمه وارتفع حاجباه لترد أم هاشم
متفاجئة "محسن ! .. من أخبرك بهذا
الموضوع؟"
عبس جابر بينما ردت نجف "سمعتهن
يتحدثن أمام صباح في يوم زفاف سامية"

تنهدت أم هاشم وقالت "صباح التي لا تبتل في فمها الفولة ولا تكتم خبرا أبدا .. هذا حقيقي لقد تقدم لي لكن لم يحدث نصيب"
غمغمت نجف وهي تحمل الوعاء" هذا من حسن حظنا"
ضحكت أم هاشم وقالت شاعرة بالإطراء" لا حرمني الله منك (ثم هتفت باعتراض ونجف ترفع الإناء وتضعه فوق رأسها) قلنا لا تحمليه يا خالتي"
تركت نجف المطبخ فقابلها جابر وأسرع برفع الإناء من فوق رأسها ثم وضعه على طاولة السفرة وتحرك بعدها عائدا إلى المطبخ.
وقف على الباب يتطلع في ظهرها يشعر بضيق شديد .. هذا الشاب كان لا يحب أن يراه يتحدث مع أم هاشم رغم أدبه .. والآن وهو يتصور بأنه كان يفكر فيها كزوجة يشعر بأن حريقا يشتعل في صدره .

شعرت أم هاشم بالحر ففكت وشاحها الذي يغطي رأسها قليلا ثم لمحت جابر واقفا عند الباب فبادرته بالقول" لا تعترض يا جابر.. أنت تعرف بأني لا أحب أن يدخل أحد المطبخ معي وهن يساعدنني بتقطيع الخضار وتنقية الأرز في الخارج"

اقترب خطوتين ودخل المطبخ وهو يسألها بعبوس" هل تقدم محسن من قبل لخطبتك؟"

اتسعت عيناها وأدركت بأنه قد سمع ليضيف جابر "لم أسمع بهذا الموضوع من قبل.. متى حدث ذلك ؟"

أدخلت يدها في الوشاح المفتوح لتمسح جانب من رقبتها المتعرقة وردت بحرج "في اليوم الذي سافرت فيه لحضور زفاف بسمة"

ازداد عبوس وجهه وهو يقول" أي قبل خطبتي لك بأسبوع!"

هزت رأسها بالإيجاب فسألها "ولماذا رفضته؟
كان مناسبا في كل شيء"
قالت بمراوغة "كدت أن أفعلها"
"ثم؟"
تنهدت ووضحت بوجنتين مشتعلتين " طلبت مهلة أسبوعا في محاولة مني لطرد أحدهم من قلبي فلم أستطع .. لكني رغم ذلك قررت أن أذبح قلبي وأوافق مع طلب خطبة طويلة ففوجئت بأن مالك قلبي يطلبني من عمي ووافقت فورا "
سألها جابر باستهجان" هل تعنين بأني خطبتك على خطبته!!"
قالت أم هاشم موضحة " أنت لم تكن تعلم ..الأمر اشبه بتقدم اثنان في نفس الوقت لخطبتي فوافقت على واحد وأبلغت عمي برفضي للثاني ..ومحسن تقبل الأمر.. وكما ترى تقدم لخطبة رباب بعدها وقرأوا الفاتحة"

تطلع فيها مشدوها .. رغم الحريق الذي
يشتعل في صدره لكنه بهت ..
أي حب هذا الذي أهدي به ..وأي إيثار
وتضحية تحملها له هذه المخلوقة ! .. سبحان
من يؤلف بين القلوب ويزرع فيها المحبة
ويعلق الأرواح ببعضها.
رغم ذلك تدخل جانبه الواقعي ليقول لها بغيظ
من بين أسنانه مداريا تأثره " أتعلمين يا أم
هاشم كلما أتذكر السبب الذي جعلك تغامرين
بالزواج بي أشعر برغبة في ضربك علقة ساخنة
؟.. والله لم ينقذك من جنونك إلا ستر الله"
ابتسمت له تلك الابتسامة ذات الغمازتين التي
تأسر قلبه فاستدار مبتعدا لتعلي صوتها تسأله
"هل طلبت اللحم من الجزار؟"

××××

سألته بسمة على الهاتف" كيف الحال
عندك؟"

تطلع كامل في أخيه الذي يستعد لتسجيل أول حلقة له على التلفاز في ذلك الاستوديو الممتلئ بطاقم عمل البرنامج وقال من وقفته في أحد الأركان بعيدا عن الفوضى من الاسلاك والكاميرات الموجودة "إنه متوتر ويوترني معه" قالت بدلال لتشاكسه" كنت أريد أن أحضر معك يا كيمو لربما اكتشفني منتج لأقدم برنامجا فليس بالضرورة أن أكون ممثلة" أغمض عينيه وقال بصوت مسموع "سأحاول ألا أُستفز .. سأحاول أن أكون هادئا في الرد ..سأحاول أن أكون زوجا متفهما يتعامل مع سخافات زوجته بمنتهى التحضر ولن أرد" قهقهت بسمة فابتسم كامل وتلاقت عيناه بعيني أخيه الذي خاطره فكريا من وقفته في مطبخ مكشوف تم إعداده للتصوير "كيف أبدو؟"

رد عليه كامل "مريع وقبيح ومقزز"

تمتم شامل ساخرا "طمأنتني الحمد لله"
اتسعت ابتسامة كامل بينما قالت بسمة مستمرة في مناكفته "أتعرف ما هي الموهبة التي سيكتشفونني فيها وأحطم بها الأرقام القياسية في عدد المشاهدة ؟"
مط كامل شفتيه ولم يرد فقالت" راقصة "
رد كامل بلهجة ساخرة "هذه بالذات سأقول كما قال فؤاد المهندس (على يدي) ..الحقيقة لم أر في مثل موهبتك في الرقص شبيه"
ضحكت بسمة وهي تتحرك في الغرفة وأضافت "خاصة في الميوعة والليونة"
هز كامل رأسه ورد ساخرا " أجل أعرفها.. أعرفها ..قلت لك ليس لك شبيه.. معجزة ليونة متحركة "
قال المخرج بصوت عالٍ" هيا نستعد .. هل أنت جاهز يا أستاذ شامل "
رد شامل" إن شاء الله"

تكلم كامل بسرعة "اذهبي الآن فالتصوير سيبدأ"
أغلق الخط فنظر شامل نظرة خاطفة لتوأمه الذي تسارعت دقات قلبه مثله ثم نظر للكاميرا واتسعت ابتسامته وهو يقول ببشاشة" مساء الخير ..معكم شيف شامل نخلة في أولى حلقات برنامجكم الجديد ....."

××××

بعد صلاة العصر وقف جابر يتابع بذهول الساحة الممتلئة بالشباب بعد أن تم وضع طاولات بها ساهم الشباب الضيوف بأنفسهم في نقلها مع عمال الفراشة الذين أحضروها حين طلبها جابر عندما وجد العدد يزيد.. أما الكراسي فتم وضعها بالشارع أمام البيت فانقسم العدد بين الساحة التي يقفون فيها يتفكهون ويضحكون بصوت عال وخارج البيت لمن يريد الجلوس .. وقد قام أولاد خالات

وأخوال جابر وأولاد عمته الذكور بالمساعدة في ضيافة الضيوف بالشاي والعصائر وغيرها..
أما زين فكان يتحرك بينهم يسلم على هذا ويمازح ذاك ويرحب بذلك في الوقت الذي امتلأ الشارع الرئيسي بالسيارات الخاصة على مختلف المستويات من البسيطة إلى غالية الثمن هذا بخلاف سيارات الأجرة .
ترك زين أصدقائه قليلا واقترب من أخيه الأكبر يكتم ضحكاته شاعرا بالشفقة عليه فداعبه قائلا" ماذا يا جبورتي لماذا هذا الوجه وهذه النظرات لأخيك الصغير المسالم؟"
اقترب أحدهم من جابر فابتسم له بترحيب ليقول زين مهللا" عبد السلام!.. أخيرا رأيتك يا ولد"
حضنا بعضهما ثم قال زين "هذا أخي الكبير جابر"

رحب به جابر ترحيبا حارا يتمتم ببعض كلمات المجاملة ليقول زين لجابر" صاحبي عبد السلام من أيام الجامعة (ثم أضاف وهو يستدير وهو يبحث بين الواقفين) شلة الكلية ستجدهم هناك في الركن البعيد من الساحة اذهب إليهم وأنا سآتيكم حالا"

استأذن عبد السلام ليعود زين بنظراته لأخيه الذي يناظره بغيظ مما جعله يقول ضاحكا" ماذا يا جبورتي قلت لك سأتحمل نصف التكاليف"

هدر فيه جابر موبخا "وهل القصة قصة نقود يا ... (وبلع السبة قائلا) لا تجعلني أشتمك وأهينك أمام أصحابك ..أنا مشفق على النساء بالداخل اللاتي ابتلين بالطبخ لهذا العدد الكبير"

قال زين غامزا" هل أنت قلق على كل النساء بالداخل يا جبورتي؟.. أم على بنت الشيخ زكريا التي أخذت عقلك!"

ناظره جابر بغيظ فاقترب زين من أخيه وقبل كتفه قائلا "أخبرتكم والله أن أصحابي كثيرون واقترحت عليكم أن نحضر طباخا"

هتف جابر بغيظ "وما أدراني أن العدد سيكون بهذا الشكل المهول .. ما هذا؟ .. هل أنت نجم سنيمائي وأنا لا أعرف"

انفجر زين ضاحكا فازداد غيظ جابر ونظراته النارية لأخيه الذي أسرع بتقبيل كتفه مرة أخرى وقال من بين ضحكاته مفسرا " أنا زين حبيب الملايين (وأضاف وهو يعد على أصابعه) أصدقائي من أهل البلدة وأصدقائي من القرى المجاورة وأصدقائي من أيام الجامعة وأصدقاء الغربة وهم بالطبع من محافظات الجمهورية كلها"

غمغم جابر ساخرا بغيظ" ما شاء الله النجم الشعبي زين الدين دبور! .. لماذا لا ترشح نفسك للانتخابات!"

قال زين مربتا على صدره ومستمتعا باستفزاز أخيه" يوما ما سأفعلها يا أخي وسأرشح نفسي إن شاء الله"
رفع جابر قبضته يعض عليها بغيظ فأسرع زين بالهرب وصاح مهللا حينما لمح وفدا جديدا وصل عند الباب "ما هذا النور عاش من رآكم يا كلاب"

تحركت ميس بلا هدف بين الموجودين واقتربت من جابر تشده من جلبابه فنظر لها قائلا" لماذا تقفين هنا بين الرجال أيتها الآنسة الصغيرة .. هيا عودي للعب مع الأولاد"
تكتفت تناظره باعتراض فربت على شعرها قائلا بلهجة جادة" هيا يا ميس أبوك مشغول الآن مع الضيوف" تحركت الأخيرة عائدة للداخل .. بينما رن هاتف جابر فأسرع بالرد "نعم هلال"

قال هلال باندهاش " ما صناديق المياه الغازية الكثيرة هذه التي أوصيت بإرسالها يا جابر؟.. ألا يكفي الصناديق وعلب الحلوى التي أرسلها زين في الصباح كهدية منه"

قال جابر موضحا " هذه هدية مني أنا أخو العريس هل لديك اعتراض؟!"

قال هلال زافرا "لا يا سيدي ليس عندي أي اعتراض أنا فقط أقول الخير كثير والحمد لله"

ناظر جابر المنظر أمامه ثم قال "عموما لا تقلق.. فالجيش الذي دعاه زين ويحتل بيتي حاليا سيقضي على الأخضر واليابس عندك"

ضحك هلال ورد" أجل رأيتهم وأنا عائد قبل ساعات"

قال جابر بلهجة متهكمة " لا يا حبيبي قبل ساعات شيء والآن شيء أخر .. أشعر بنفسي في

أخر لقطة من فيلم أم العروسة .. لا ينقصني إلا أن تأتي الشرطة للقبض عليّ"

قهقه هلال ثم قال" بعيد الشر عليك .. عموما أهلا بزين وبجيش أصحابه كلهم"

بعد قليل بدأت صواني الطعام في الخروج من البيت فهلل الشباب الواقفون وساعدوا دون حرج أولاد خالات وأخوال جابر الشباب في ترتيب المائدة .. فنادى جابر على زين ثم قال له "قسم أصحابك لمجموعات تنتهي مجموعة فتخرج لتجلس على الكراسي بالخارج وتدخل مجموعة أخرى"

خرجت نجف إلى الساحة بعد قليل لتسأل جابر إن كان هناك مجموعة باقية لم تأكل بعد .. فطمأنها الأخير بأن أخر مجموعة هي التي

تأكل حاليا.. ثم أضاف بامتعاض" إلا إذا هل علينا وفود أخرى جاءت من الدول المجاورة لتهنئ ابنك على الخطبة .. أفكر في أن نقيم حفل زفافه في الإستاد"

ضحكت نجف بينما ترك زين مكانه أمام أحد الطاولات التي كان يأكل منها مع المجموعة الأقرب له من أصدقائه وقال "سمعتك يا جابر.. سمعت كل شيء "

رمقه الأخير بامتعاض بينما أخذ زين يد والدته واقترب من أصدقائه يقول" هذه الحاجة يا أوباش"

حيا الشباب الحاجة نجف بالتهليل و الصياح فضحكت ودعت لهم بالسعادة ليقول

"أحدهم سلمت يدك يا حاجة والله الطعام لم آكل أجمل منه من قبل "

غمغم أخرون" صدقت الطعام رائع جدا"

ضحكت نجف وقالت بفخر" هذا طبيخ زوجة ابني جابر"
زفر جابر من بعيد وأشاح بوجهه يشعر بالغيظ خاصة حينما بدأ الشباب في اعلان إعجابهم الصريح بطعام (زوجة جابر) ..فناظر زين أخيه بطرف عينيه يكتم الضحك ثم قال لوالدته" أنت البركة يا ست الكل "
قالها وهو يجعلها تتأبط ذراعه ليعيدها لداخل البيت مارا بأخيه الواقف يطحن ضروسه بينما الشباب مستمرون في التغزل في الطعام صنفا صنفا من بعيد وصوتهم يخترق مسامعه .
في الداخل أخذت النسوة يحاولن تنظيف وترتيب المكان بعد حالة الفوضى التي ألمت بالبيت صواني هنا وأطباق هناك بينما بعض الشابات يقفن في حمام البيت يغسلن الصواني والصحون أولا بأول وتشاركهن وفاء وهند ورباب بنات عم أم هاشم .

أما الأخيرة فكانت لا تزال في المطبخ منذ وقفتها في الصباح الباكر وقد بلغ بها التعب مبلغه حتى أنها لم تعد تشعر بساقيها لكنها كانت تعاند كعادتها ترغب في أن تتم ما فعلته للنهاية .. بداخلها طاقة من التحمل ترغب في أن تشعر جابر بالفخر بها أمام قريباته .. شعور يسيطر عليها لم تستطع أن تتجاهله بأن تشرفه أمام قريباته وترفع رأسه بينهن .

استمرت في غرف المزيد من الطعام وهذه المرة للشباب أقارب جابر وبعدها ستغرف للنساء في الصالة في الوقت الذي كانت ميس لا تزال تتجول بحيرة بين الموجودات المشغولات عنها بالثرثرة وبما يفعلن .. وقد تركت الأطفال الأخرين مستمرين في اللعب وإثارة الفوضى أمام باب الشقة.

إنها تشعر بالنبذ .. شعور يتملكها منذ فترة .. كان يظهر على استحياء قبل انفصال والديها وازدادت حدته بعد انفصالهما.. مما أعطى فرصة لبعض الأطفال للتنمر عليها مثل أولاد خالها عماد الذين لا ينجدها منهم إلا أصغر أبناء بدير الذي يخافون منه .

وقفت أمام المطبخ تتطلع في أم هاشم من بعيد وراقبت حركتها المستمرة تضع إناء هنا وترفع إناء أخر من على النار وتضعه هناك.. تغرف أطباقا فتأتي إحداهن لتنقلها لمنضدة السفرة في الصالة.
عند خروج أخر طبق من المطبخ لمحتها أم هاشم منكمشة بجوار السلم فقالت لها" تعالي"

تطلعت فيها ميس ثم رفعت ذقنها بكبرياء زائف دون حركة فقالت أم هاشم وهي تشير بيدها" تعالي يا ميس سأخبرك بشيء"
انتابها الفضول أو ربما أرادت أن تجد سببا يحفظ لها ماء وجهها وهي تلبي النداء فتحركت بخطوات بطيئة مترددة تقترب من باب المطبخ الذي تنبعث منه رائحة شهية تدغدغ معدتها .
سألتها أم هاشم" هل ستأكلين مع الأولاد أم أضع لك طبقا هنا؟"
ردت ميس بجفاء" سآكل مع أبي"
قالت أم هاشم" أبوك مسكين يقف على قدميه منذ الصباح ولا أعرف إن كان سيسمع الكلام ويأكل حين نضع الطعام لجداتك أم لا لكنني سأغرف للصغار هل ستأكلين معهم"
هزت رأسها بلا .. فقالت أم هاشم وهي تقرب كرسيا خشبيا صغيرا من المنضدة الرخامية" لا

تيبسي رأسك هكذا .. تذكريني بواحدة أعرفها تعالي واصعدي"

عقدت ميس حاجبيها فقالت أم هاشم موضحة" اصعدي لتجلسي فوق المنضدة فالرؤية من فوقها ستكون رائعة ستراقبين باب الشقة وستراقبين ما نفعل من منطقة خاصة جدا "

طالعتها ميس بتردد فقالت أم هاشم" هيا لا تتعبي قلبي فلن أستطيع أن أحملك .. أو أستطيع لكن أبوك جعلني أحلف على المصحف أني لن أحمل شيئا ثقيلا.. يعرفني أعاند نفسي"

مدت أم هاشم كفها لميس حتى تمسك به لتصعد .. فترددت الأخيرة لثوان تتطلع في ذلك الكف الأسمر الممدود .. ثم مدت يدها الصغيرة لتمسك بساعد أم هاشم وتصعد على الكرسي ومنه للمنضدة الرخامية .. فقالت أم

هاشم بتشجيع" هل رأيت كيف هو الشعور
حين تجلسين على شيء عالٍ"
تخضبت وجنتا ميس لكنها ظلت محافظة على
عبوسها فسألتها أم هاشم وهي تعود للموقد"
هل أضع لك الطعام"
ردت ميس بجفاء "لا أريد"
قالت أم هاشم مهادنة" على راحتك"
ساد الصمت وظلت ميس تراقب أم هاشم
لفترة حتى غرفت الأخيرة طبقا ثم وضعته
بجوارها تقول" هذا إذا غيرت رأيك وقررت
الأكل قبل الأولاد"
طالعت ميس الطعام بتردد ورائحته التي تدغدغ
مشاعرها ولا تعلم لماذا أصابتها رغبة في البكاء
لكنها تحكمت فيها بينما قالت أم هاشم تدفعها
بذكاء للتخلي عن العناد وتناول الطعام" كما
تريدين .. كنت ستسبقين الصغار الأخرين
وتأكلين في ركن عالٍ وحدك .. عموما أنا انتهيت

من غرف الطعام لهم وسأنادي إحدى الفتيات لتأخذه"

نظرت ميس للطبق بجوارها وبعد بعض التردد مدت يدها لتحمله وتضعه على حجرها ثم ملأت الملعقة بالطعام ودستها في فمها فابتسمت أم هاشم في سرها لكنها لم تعلق حتى لا تثير عنادها من جديد .

أما في الخارج فتطلع جابر في الأولاد الصغار أمام باب الشقة ولم يجد ميس فعبس ونظر في الشقة من الداخل وسقط قلبه بين قدميه فأسرع ينظر في الساحة بين الضيوف وعاد بخطوات مسرعة نحو البيت يسأل الجالسات" أين ميس؟"

بحثت نجف حولها وقالت "كانت هنا منذ قليل ربما تكون في الحمام "

تطلع جابر نحو المطبخ فلمحها في تلك الجلسة فوق المنضدة وقال زافرا براحة "إنها في المطبخ مع أم هاشم"

شعر الجميع بالراحة إلا هو .. أصابته غصة في قلبه .. وأصابته شفقة على ابنته التي كانت تدس الطعام في فمها وهي تحضن الطبق بذراعها الأخر .. المشهد كان مؤثرا لجابر ومستفزا لمشاعر الأب فيه ولم يدر ماذا يفعل لها .. لو هناك أي شيء قد يقنع أمها بأن تتركها له .. أي شيء لفعل ذلك .. وتمنى من قلبه أن تتقبل ميس أم هاشم .. لن يكون طماعا ويتمنى أن تحبها وتتعلق بها .. يريدها فقط أن تتقبلها وتتعامل معها بدون جفاء وعدائية .. ساعتها سيستريح قلبه.. ويعلم أن بنت شيخه لن تخيب ظنه أبدا.

اقترب من المطبخ بخطوات بطيئة ثم قال "أنت هنا يا بابا وأنا أبحث عنك!"

غمزت له أم هاشم ثم قالت" أتركها تنتهي من الأكل قبل الصغار يا جابر فهي الآن تحتل مكانا مميزا في بيت والدها لن يستطع أحد الجلوس فيه"

ابتسم جابر ونظر لابنته التي بادلته الابتسامة ثم قال بحشرجة وهو يقترب ويطبع قبلة حانية على خد ابنته" طبعا ميس دوما لها مكانا مميزا في بيت أبيها وفي قلبه أيضا (وسألها) هل رأيت الملاءات الجديدة لسريرك بغرفتك ؟.. مرسوم عليها تلك الرسوم المتحركة التي تحبينها"

هزت ميس رأسها وقالت "رأيتها وأعجبتني"

قال جابر" اليوم ستبيتين عند أبيك أنا اتفقت مع أخوالك على هذا .. هيا انتهي من طعامك

واغتسلي لترتدي الفستان الجميل الذي اشتراه لك عمك لحضور حفل الخطبة"

بعد ساعة

دخل جابر غرفة النوم فوجد أم هاشم أمام المرآة تستعد .. وقد ارتدت العباءة التي ستحضر بها حفل الخطبة وشعرها مرفوع بعقدة خلف رأسها تستعد للف الحجاب عليه وقد بادرته بالقول" ظننتك ذهبت مع زين وأصحابه الذين ذهبوا لبيت هلال"

قال جابر وهو يقترب منها" ذهبت ووقفت قليلا لاستقبال المدعوين وعدت لآخذك أنت وأمي"

سألته" هل سبقنا أقاربك على بيت هلال؟"

رد وهو يضمها بذراعيه من الخلف أمام المرآة" أجل لم يبق إلا أنت وأمي وميسة"

أغمضت عينيها وهي تستشعر دفئه فهذا ما تحتاجه بعد يوم شاق طويل كهذا فدلك جابر ظهرها وهو يقول "أعرف بأنك مجهدة جدا لماذا لا تنامين لساعة فحفل الخطبة ممتد نامي ساعة وسأعود لأوقظك"

كتمت تأوها متألما يريد أن يفلت من شفتيها بسبب ألم ظهرها الذي يدلكه وقالت "لا يصح يا جابر تعرف الناس تدقق فيمن حضر من بيت العريس ومن تأخر وينسجون الحكايات"

قال غاضبا" أنت من أجل (لا يصح) هذه أهلكت نفسك يا أم هاشم اليوم"

أدارت له وجهها ورفعته إليه مبتسمة ..فقال جابر من بين أسنانه بوعيد" أنتظر فقط حتى ينتهي الحفل وسأتصرف مع هذا البارد حبيب الملايين"

ضحكت أم هاشم ثم قالت " هلا أحضرت لي علبة المصوغات الذهبية من الخزانة فذراعي يؤلمني"
مسد على ذراعها ثم قبل رقبتها من الخلف وتحرك يقول "ذكرتني بشيء "
تحرك نحو الخزانة وأخرج منها علبة مخملية مستطيلة وهو يقول" أحضرت لك هذه .. كنت قد أوصيت عليها وأنا أشتري لك شبكتك وأرسلها لي الصائغ مع أحد صبيانه في الأسبوع الذي كنت فيه عند زوجة مفرح في العاصمة"
تطلعت أم هاشم في العلبة المخملية بترقب ووجنتين مشتعلتين ففتح جابر العلبة ورأت فيها ما جعل عينيها تبرقان وتترقرقان بالدمع فقال جابر محذرا " بدون هرمونات عاطفية"
هزت رأسها ضاحكة وعيناها دامعتان وهي ترى قرطين من الذهب على شكل فليفلة أمسكت بهما ثم أسرعت بخلع القرط الذهبي في أذنيها

وأبقت على الفليفلة الحمراء فسألها جابر وهو يلبسها القرط "هل ستتركين هذا في أذنك؟"
هزت رأسها بالإيجاب فقال " ألا يوجد سبيل لأقناعك بالتخلي عنه؟"
هزت رأسها بلا ثم قالت بحشرجة وهو يلبسها القرط "سأظل أرتديه حتى أرزق بابنة ..حينها سأعلقها على صدرها بدبوس عندما تولد ..
سأورثها الفليفلة الحمراء هدية والدها لي"
انتهى جابر من إلباسها القرط ثم أمسك بسلسلة رقيقة بها دلاية من نفس الفليفلة الذهبية ولكن أكبر فقال لها "كتبت لك عليها"
تطلعت في وجهه ثم دققت في الفليفلة لتجد محفور عليها عبارة (رُزِقتُ حُبِك) فازداد تدفق الدموع في عينيها وهي تهمس بتأوه " جابر !"
ألبسها لها حول عنقها فلمستها أم هاشم وهي تتطلع في المرآة بينما تناول جابر أسورة بها دلايات كثيرة من الفليفلات الذهبية وتناول

ساعدها يلفها حول معصمها فقالت أم هاشم بلهجة حانقة" من سبب الانهيارات العاطفية الآن!"

حضنها مبتسما فانتحبت على صدره بينما أخذ هو يقرأ فوق رأسها بأدعية وآيات التحصين قبل أن يقول" بارك الله لي فيك وقدرني على اسعادك و شكر نعمته عليّ"

أبعدها يقبل جبينها فقالت أم هاشم بحنق" أنت مصر على القيام بما يمس القلب"

طرق على الباب أتبعه صوت ميس تقول" أبي" فتحرك جابر يفتح الباب ووجدها قد ارتدت فستانها الوردي المنفوش من التل وشعرها مسدلا على كتفيها تمسك بيدها مشطا وقالت "مشط لي شعري "

ارتفعا حاجبا جابر وسألها" أين جدتك ألم تكن تساعدك في ارتداء الفستان؟"

قالت ميس بحنق "جدتي لا تعرف سوى أن أترك شعري على ظهري وأنا أريده في شكل مختلف فجميع الفتيات تركنه كذلك"

تبادل جابر النظرات الحائرة مع أم هاشم ثم قال مستسلما "سأحاول"

راقبته أم هاشم وهو يجلس على السرير ويمشط شعر ابنته العسلي الطويل بينما قالت ميس بضيق "أبي أنت تشد شعري"

قال جابر بارتباك" آسف .. الحقيقة لست ضليعا في تمشيط شعر الفتيات"

انتهت أم هاشم من لف حجابها واقتربت تقول "دعيني أساعدك أنا"

ترددت ميس قليلا بينما انتهز جابر الفرصة وأسرع بترك ميس لأم هاشم التي أخذت تمشط لها شعرها وهي تقول "بسم الله ما شاء الله"

قالت ميس بلهجة طفولية متفاخرة" شعري ناعم وطويل مثل أمي"
غمغمت أم هاشم ساخرة وهي تلوي فمها" ومثل أبوك يا حبيبتي وهل هناك أنعم من شعر والدك!"
قالت ميس "أنت شعرك مجعد رأيته ذات مرة ماذا فعلت به لتفرديه؟"
تدخل جابر قائلا بعبوس" لا تعايري أحدا بما أعطاه الله لك يا ميسة"
قالت أم هاشم لميس" لا بأس يا ست ميس شعرك أحلى من شعري لكني أحب شعري وهو مجعد وأراني مميزة به (وغمغمت بعدها بصوت مسموع) سامحني يا رب"
ضحك جابر بصوت خافت بينما انتهت أم هاشم من وضع بعض الدبابيس في شعرها وقالت "ما رأيك؟ أنظري في المرآة وأخبريني"

تحركت ميس نحو المرآة فوجدتها قد صنعت لها ضفيرة لفتها كالطوق حول رأسها بينما باقي الشعر تركته حرا على ظهرها وثبتت دبابيس الشعر على هيئة ورود بنفس لون الفستان فوق الضفيرة فبدت كتاج من الورد.

قال جابر معجبا "ما هذا الجمال أعجبني شعرك جدا"

قالت أم هاشم "إن لم تعجبك نستطيع فكه وتصفيفه بشكل أخر"

هم جابر بالاعتراض فأشارت له بألا يتدخل بينما اشتعلت وجنتا ميس وقالت تداري إعجابها بشكلها" لا بأس أي شكل لا يهم"

رفعت أم هاشم حاجبا وهي تراها تهم بالمغادرة وغمغمت "ألم يكن لا يعجبك شيئا قبل دقائق"

قال جابر لابنته" ألا يوجد شكر لأم هاشم لأنها ساعدتك؟"

غمغمت ميس باقتضاب من عند الباب"
شكرا"
قالتها وأسرعت بالمغادرة بينما قالت أم هاشم
لجابر "هيا بنا لأني لو بقيت لدقائق أخرى
سأنام"
تطلع فيها مدققا ..ترتدي عباءة سوداء بأكمام
واسعة مطرزة بصفين طويلين من الألوان
المتداخلة من بداية الرقبة حتى الخصر أبرزها
اللونين الزهري والفيروزي وأكمام واسعة من
عند الأطراف مزين أساورها بنفس الشريط
الملون مع شريط أخر باللون الفيروزي أما
حجابها فكان باللون الفيروزي ملفوف معه
حجاب أخر باللون الوردي يظهر من منتصف
رأسها وطرف الشريط الملون مثبت فوق رأسها
كطرحة تنزل من الجانبين .

عيناها مكحلتان بكحل ثقيل يزيد من دفء اللون البني فيهما فقال عابسا" هل تضعين شيئا على شفتيك"

ردت أم هاشم "ملمع شفاه يا جابر هذا مجرد ملمع شفاه وردي"

قال بعبوس" امسحي هذا الملمع قبل أن أمسحه لك .. تعرفين كيف سأفعل"

أشاحت بنظراتها وقالت بلهجة شقية " إن كنت تريد أن تتأخر على الحفل أفعل ما تريد"

جز على أسنانه وقال بلهجة آمرة "امسحي هذا الملمع عن شفتيك وارتدي ذهبك"

رفعت له ساعدها الذي ارتدت فيه الأسورة الجديدة وقالت "ها أنا ارتديه ..والسلسلة والقرط تحت الحجاب"

قال جابر "بل ارتدي شبكتك ..العقد الذهبي الكبير الذي أهديته لك ليظهر من فوق العباءة"

قالت له مجادلة "لست مولعة بارتداء الذهب يا جابر"
رد بهدوء" أعلم ذلك لكن الناس للأسف تقيس تقديري لك بهذه الأمور ..ورغم أني لا أحب أن أنساق لأفكارهم لكن الأمر يتعلق بك وأنا أريد أنا أظهر لهم كيف أنك مميزة عندي .. ليتني أستطيع أن أقولها للجميع صراحة "

ارتجف قلبها شاعرة بالدغدغة من كلماته فضربت كفها فوق الأخر على بطنها تقول مقاومة ترقرق الدمع في عينيها" لا حول ولا قوة إلا بالله !..من يصر على تفجير هرموناتي ونزعاتي البكائية الآن!"

××××

كان الحفل يملأ الشارع الضيق الذي يقبع فيه بيت هلال وتم عمل صوان في الشارع الأكبر بالقرب من بيت يحيى ليكون لجلسة الرجال

من أهل البلدة بينما الشباب يملؤون الشارع الفرعي حتى منصة العروسين الخشبية المرتفعة قليلا عن الأرض والتي وضع فوقها كرسيين للعروسين ..

أما زين فكان يرتدي حلة عريس أنيقة ويقف بين الشباب الذين يشعلون المكان صخبا ورقصا على أنغام ال DJ بينما جابر يقف مع هلال يتطلع في الحفل الصاخب فقال الأخير لصبي الفراشة ضاحكا" اتصل بمعلمك يا بني وأطلب منه المزيد من الكراسي أخشى أن يأتي المزيد "

قال جابر مبتسما "سامحك الله يا زين"

تدخل يحيى الواقف معهما يقول" زاده الله من فضله ومن حب الناس له .. اتركه فمحبة الناس رزق"

خرجت إسراء أخيرا وبجوارها نصرة التي ترن زغرودتها لتعلو فوق صخب الأغاني بينما

دموعها تغرق خديها الأحمرين .. هذه المرة لم تطبل ولم تغن .. هذه المرة خافت من الفرح .. ربما لأن الفرحة هذه المرة أكبر والخير أوفر فأجلت احتفالاتها ليوم زفاف الغالية إسراء . أما العروس فخرجت من باب البيت تختلط سعادتها بالتوتر وزاد عليهما الارتباك وهي تراه يقف في استقبالها بتلك الحلة التي زادت من وسامته .. ولأول مرة تشعر بأن همسة ونسمة لم يكونا عادلتين في وصف وسامته .. فرغم المبالغات والتنهدات التي صدرت من أختيها واصفتان لهيئته بالحلة إلا أنها أحست بأنهما ظلمتاه في الوصف ..فيكفي ذلك السحر الذي يشع منه وهو ينظر لها بهذه النظرة التي كانت وحدها تكفي لأن تكون عوضا وجبرا لخاطرها .

تطلع فيها زين واحتلت الجدية ملامحه وهو يشير بكفه لتتقدمه .. هذا ما لاحظته عنه ..

إنه لا يظهر جانبه الصبياني المرح إلا في حدود المقربين لكنه الآن شديد الهدوء والجدية و.. الوسامة .

كانت أمام عينيه رقيقة كوردة جميلة شذا رائحتها يذهب عقله .. فستانها جزءه العلوي باللون الفضي وتطريز كقشر السمك لامع يغطي جذعها حتى الخصر والتنورة عادية وبسيطة من طبقات فوق بعضها من الشيفون الناعم بلون (كافيه لاتيه) وكذلك كان حجابها .. زينة وجهها بسيطة وكحل عينيها يبرز اللون الكموني .

تحركت أمامه ترفع طرف فستانها الذي كاد أن يوقعها مع الكعب العالي فأسرع زين بالإمساك بساعدها وساعدها على اعتلاء الدرجتين الخشبيتين للمنصة حتى صعدت واستدارت تنظر له بغيظ فابتسم لها وساعدها لأن تجلس على مقعدها ..

لقد كانت رافضة لموضوع المنصة والجلوس أمام الناس حتى في تجربتها السابقة كان مقعد العروسين بداخل البيت لكن هذه المرة أصر والداها أن يقيموا لها منصة مرفوعة قليلا في الشارع وكأنهما لا يزالان يعانيان من جرح التجربة السابقة ..فتدخل زين وقتها لتقريب وجهات النظر لكن دموع نصرة كانت لها الضربة القاضية مع إسراء فقبلت على مضض .

جلسا فأسرعت ميس بترك يد جدتها نجف وتحركت نحو عمها الذي استقبلها وأجلسها على ساقه.

فابتسمت إسراء وهي تتطلع فيها لتقول ميس" أنا سعيدة جدا لأنك ستتزوج مس إسراء"

قال زين ضاحكا " أنا هنا لألبي رغبات الجميع في الزواج من مس إسراء يا حبيبتي"

احمرت وجنتا الأخيرة فقرب زين وجهه بجوار أذنها قائلا " مبهر"

رمقته بطرف عينيها الكمونيتين تحملان له تساؤلا غير منطوق فمال من جديد يقول" كل شيء فيك مبهر لماذا رفض والدك عقد القران ..لماذا ..لماذا.. كيف سأتحمل أنا الآن؟!"

أشاحت بنظراتها ثم أخذت تتلقى التهاني هي وزين من المدعوين .. بينما وقفت نصرة تقول لإحدى الجارات وهي تشير على صناديق للمياه الغازية" لم يكن هناك داع لهذا يا أم صفوة" قالت الأخيرة بسعادة" هذا شيء بسيط الحمد لله أن عوضها الله بمن هو أفضل منه"

ابتسمت نصرة بامتنان وعادت بنظراتها لتتطلع في إسراء من بعيد وتجول بنظراتها في المدعوين .. إنها لم تتوقع أن يحضر هذا العدد الكبير خاصة أصحاب زين الذين يجعلون أجواء الحفل نارية من الحماس والرقص .. وهل أكثر من هذا عوض وجبر خاطر ؟.. فغالبية أهل البلدة حاضرون منهم مصطفى الزيني وأولاده

ومفرح والحاج عيد القللي أيضا.. بينما اعتذرت ونس عن الحضور بسبب امتحانات تخص المعهد الذي تدرس فيه ووعدت بزيارة خاصة لإسراء مع شامل للتهنئة ..

قالت نصرة لأم هاشم التي تقف بجوارها" الله كريم .. رد لنا كرامتنا أمام أهل البلدة"

قالت أم هاشم وهي تربت على كتفها" الحمد لله والشكر لله أنتم تستحقون كل الخير فلم تأذوا أحدا أبدا"

اقتربت مهجة من المنصة يحميها وليد من الزحام حتى وصلا للعروسين فسلما عليهما ثم وقفا بجوارهما يتابعان الحفل .. فتقدم أحد شباب البلدة يقول لزين" ألن تنزل وتشارك معنا في الرقص يا عريس؟"

قال زين ضاحكا" بعد قليل"

غمغم صاحبه غامزا" لا بأس(ثم قال لوليد) وأنت يا ابن الوديدي أين ابداعاتك في الرقص؟"

رد وليد" أنا أيضا بعد قليل.. يكفي الشباب ما شاء الله يشعلون الحفل"
ضحك الشاب وابتعد بينما قالت مهجة لوليد بلهجة ساخرة " ما هذا العقل ما شاء الله!.. هل ستقف بجواري عاقلا؟"
حدجها بطرف عينيه الزرقاوين وقال "أحاول أن أمثل دور العاقل"
سألته ضاحكة "وكيف كانت النتيجة؟"
صمت قليلا ثم استدار لها قائلا بلهجة حانقة" فشل ذريع ابق هنا سأذهب لأجامل زين وأعود فلا يصح ألا أجامله يا مهجتي"
قالت الأخيرة بلهجة ساخرة" لا يصح طبعا ألا ترقص في حفل خطبة زين فماذا سيقول عنك؟.. تخليت عنه في يوم كهذا؟!"

ربت على خدها قائلا" يعجبني فيك عقلك (وأشار على بطنها الصغير قائلا) انتبهي لابن الودايدة حتى أعود"

قالها وتحرك يشق طريقه بين النساء حتى وصل لجموع الشباب وانخرط وسطهم يرقص .. فتأملته وهو منطلق كطفل صغير..
إنه في طور التغيير .. يحاول أن يكسب ثقتها وهذا يسعدها .. ويجعلها متفائلة للقادم .
بعد قليل دخلت فرقة شعبية بالطبل والمزمار من أول الشارع بها راقص تنورة شعبي يلف ويدور بتنورته الملونة على أنغام المزمار وظهرت من خلفه راقصة شعبية فصاح الشباب بشقاوة يصفقون بحماس " الراقصة حضرت الراقصة حضرت "
اتسعت عينا جابر ونظر لهلال قائلا" هل أحضرت راقصة يا هلال؟!!"

قال الأخير ضاحكا" حبيبي هذه الفرقة هدية العريس أنا لست مسؤولا عنها"
هتف جابر باستنكار وهو ينظر لزين الجالس بعيدا بجوار عروسه" العريس !!"
ضحك هلال بينما ابتسم يحيى أما جابر فكان يتفتت من الغضب.
اقتربت الفرقة تدخل الشارع الفرعي وعلا صوت تهليل الشباب فلمح زين الراقصة وامتقع وجهه واتسعت عيناه يقول" يا ويلي.. راقصة؟!!"
طالعته إسراء بعدم فهم فأشار لها بأنه سيعود بعد قليل وترك مقعده فقابله أحد أصدقائه ليبادره زين قائلا" أين الزفت سعد؟"
حين وجده أسرع إليه قائلا" ما هذا الذي فعلته يا زفت من قال بأني أريد راقصة؟!"
قال سعد بابتسامة موضحا" أنت قلت فرقة شعبية"

هتف زين بصوت عال من بين الموسيقى الصاخبة " قلت فرقة شعبية لم أذكر أمر الراقصة يا زفت"

رد سعد موضحا "ذهبت للاتفاق مع صاحب الفرقة فترجتني المرأة أن استأجرها وأشفقت عليها"

هتف زين بغيظ" اشفقت عليها ولم تشفق عليّ مما سيفعله معي جابر دبور !"

غمغم سعد " إنها من ضمن الفرقة وأم لستة أولاد حرام يا زين "

هتف زين باستنكار "من !! الراقصة!!"

هز سعد له رأسه فبحث زين بين الواقفين بقلق وتقابلت عيناه بعيني أخيه اللتين بديتا غاضبتين رغم المسافة فبلع ريقه وتحرك يذهب إليه.

قابله جابر في منتصف الطريق وقال بتقريع "راقصة يا ابن دبور!!"

قال زين بسرعة " سأوضح لك .. الأمر حدث فيه سوء فهم أنا طلبت من سعد فرقة شعبية فتفاجأت بأنه قد استأجر الراقصة معهم"
علا صفير بعض الشباب حول الراقصة فناظر جابر أخيه الذي أسرع بالقول وهو يتطلع في الراقصة" بالله عليك هل تعد هذه راقصة سأكتسب بسببها ذنوب؟!! .."
استمر جابر بالإشاحة بوجهه عن الناحية التي تتواجد فيها وتسارعت حركة السبحة في يده ليقول زين وهو يتطلع في الراقصة الشعبية أمامه باتساع عينيه "انظر إليها وستجد بنفسك أن الاسم ليس له علاقة أبدا بالواقع "
كانت الراقصة ترتدي عباءة باللون الليموني مفتوحة من الجانبين وبدون أكمام وترتدي تحتها كمين طويلين باللون البيج وبنطال يلتصق بساقيها باللون البيج أيضا فقال لأخيه

"إنها راقصة فاضلة ..غاية في الاحتشام ..
ترتدي بنطالا تحت العباءة.. وأم لستة أولاد "
هدر فيه جابر قائلا" اخرس حسابك معي بعد الحفل إن شاء الله"
تركه وتحرك مبتعدا حينما لمح أم هاشم وتقابلت عينيهما بينما أرسلت نجف لزين مع ابن خالته حتى يقدم لعروسه الشبكة فعاد ليجلس بجوار إسراء التي سألته بقلق" ماذا يحدث؟"
مال عليها يقول بجوار أذنها" لا تقلقي أمر بسيط أخي سيقطع رأسي لأن صاحبي الذي استأجر الفرقة استأجر معها راقصة "

تطلعت أم هاشم في جابر الذي أشار لها بأن تبق مكانها ولا تحاول اختراق الواقفين للوصول إليه بينما أخذ هو يشق طريقه إليها اقترب منها يسألها" كيف تشعرين الآن؟"

قالت بابتسامة" بخير لا تقلق عليّ"
قال جابر " لماذا لا تدخلي وتجلسي بالداخل
أنت واقفة منذ الصباح"
قالت وعيناها متعلقتان به" لا تقلق عليّ أنا
قوية .."
سألها" أين ميسة؟"
ردت وهي تشير على حماتها" مع خالتي"
تلاقت عيناه بعيني ابنته فأسرعت الأخيرة بترك
جدتها والاقتراب منه ثم قالت له "أبي احملني"
رفعها جابر على ذراعه وقال" ألم تكبري على
الحمل يا ميسة؟"
تعلقت بعنقه ونامت برأسها على كتفه بدلال
بينما جزت أم هاشم على أسنانها وأذناها
تلتقطان حديث اثنتين خلفها صوتهما عال
يتحدثان عنها وعن جابر .. ورغم أنها لم تعد
تلتفت لتلك الأحاديث .. فقلبها أصبح عامرا
بالسعادة متخما بالرضا .. لكنها تشعر

بالاستفزاز حين يتحدثون عن جابر فغمغمت بصوت عال" اللهم طولك يا روح!"

انتهت عمة زين من المرور على الواقفات بالشبكة كتقليد ريفي ثم ناولت العلبة لنجف التي تقف بجوار ابنها وتناوله الشبكة ليلبسها لعروسه الخجول ..
مال عليها يلبسها العقد الذهبي فارتجف قلبها وعطره الرجولي يتسلل إليها في الوقت الذي تلكأ زين قليلا في إغلاق قفل العقد فازدادت إسراء ارتجافا وحرجا قبل أن يبتعد ويلبسها باقي الشبكة التي خطفت أنظار الموجودين وحبست أنفاسهم .. فقد كانت شبكة تليق بزين دبور .. وبمجرد أن ألبسته إسراء محبسه الفضي وتعالت الزغاريد تكالب الحاضرون على تهنئة العروسين والتصوير معهما .

بعد قليل سحب الشباب العريس بإصرار حتى ينزل معهم ساخرين منه لأنه التصق بالمقعد بمجرد أن جلس بجوار العروس فأخذوه لمنتصف الشارع.. وبدأ زين بالرقص على أنغام الاغنية الشبابية بيديه وذراعيه وسط الشباب.

الله يرضى عليك
خليني أشوفك تاني
مشتاق وعنيك وحشاني
وبفكر دايما فيك

راقبته إسراء وراقبت كريم الذي تشجع هو الأخر وبدأ في الرقص أمامه فكريم انطوائي لكنه على ما يبدو معجبا بزين لهذا يحاول تقليده في كل شيء فوقفا يرقصان أمام بعضهما .

وحياتك حن عليا
سلم كدة صفي النية
دنا جاي مسلم ليك

حانت التفاتة سريعة من زين نحو إسراء أثناء رقصه مع الشباب وتقابلت عيناهما وكأنه يخبرها بأنها المعنية بتلك الكلمات .. التفاتة سريعة بنظرة رشقت كالسهم في القلب المرتجف ثم عاد لرقصه الرزين.

وصي قلبك شوية
منك خليني أقرب
دالحب حبيبي جنة
واسأل عنه المجرب
هيقولك نعمة غالية
معقول م النعمة تهرب !

xxxx

في تلك الأثناء وفي بيت أخر من بيوت القرية القلائل الذين لم يحضروا حفل خطبة إسراء على زين دبور كانت كريمة تبكي بحرقة بينما طلال يودع والده .. ثم اقترب من أمه يقبل رأسها ويدها فقالت بقهر" ستتركني يا طلال؟"

غمغم بلهجة مخنوقة بالبكاء" سامحيني يا أمي ..لو بقيت سأموت وستفقدينني للأبد ...أتركيني لأبتعد فلم أعد أطيق البقاء"

ازداد نحيب كريمة فخلص طلال نفسه من بين يديها المتشبثتين به وسلم على خالته التي تسكن في البيت المجاور لبيتهم والتي خرجت لتودعه ثم أسرع بالركوب في سيارة أخيه حمدي الذي يسافر معه إلى العاصمة ليوصله للمطار..

تطلع طلال بنظرة أخيرة لأمه المنتحبة ثم تحركت به السيارة بينما أخذت كريمة تبكي بانهيار.. فقالت أختها باكية وهي تدعي بصوت عال" حسبي الله فيك يا نصرة أنت وبنتك"

صرخت كريمة في أختها بجنون " أنت السبب .. أنت السبب فيما حدث يوم عقد القران .. أنت من قلب الحفل لمشاجرة"

ضربت أم هناء على صدرها تقول شاهقة" أنا يا كريمة .. أنا من أفسدت الحفل؟!"
قالت كريمة صارخة في وجهها" أجل أنت .. أخذت تذمين فيما جلبوه وأحرجتني أمام الناس حتى انفعلت "
غمغمت أم هناء " سامحك الله يا أختي أنا لن أرد عليك تفهما لحالتك"
ضربت كريمة على صدرها تقول بقهر " لا أحد يشعر بحالتي الآن وأنا أفقد صغيري الذي تركني وسافر بسببك"
صاحت أم هناء تقول باستنكار " بسببي أنا؟!!.. وهل أنا من شتمت أم العروس وأهنتها؟؟.. هل أنا من سكبت على وجهها العصير؟؟!!"
صرخت كريمة بدورها " كان كله بسببك.. أنت من كنت تريدين افساد الزيجة حتى يتزوج ابني من بنتك"

شعرت أم هناء بالإهانة خاصة مع خروج بعض الجارات من البيوت يراقبن ما يحدث بينما أخذ عطية يهدئ زوجته وحاول إدخالها البيت فقالت أم هناء مدافعة "اخرسي .. أنا بنتي يأتيها كل يوم عريس ونرفضه لسنا منتظرين ابنك يا حبيبتي ليتزوج من بنتي"

تخلصت كريمة من يدي زوجها وقالت لأختها صارخة" بل كنت تتلهفين حتى يتزوج طلال من بنتك .. كنت تدخلين شقته تحلمين بأن تكون شقة بنتك ..والتلميح المبطن بأننا أهل وبأن طلال لا ينفعه إلا واحدة من عائلته .. وبنتك التي تتردد علينا كل يوم تقول (تريدين شيئا يا خالتي) .. كل حركاتكم كانت مكشوفة أنت وبنتك ..عموما ها هو قد سافر .. سافر وابتعد .. فابحثي لبنتك عن عريس أخر ..حسبي الله ونعم الوكيل .. حسبي الله ونعم الوكيل في كل من ظلم ابني وكسر بقلبه"

قالتها ودخلت بيتها فأسرع زوجها بالدخول خلفها يشعر بالحرج من الجيران .. لتغلق أم هناء باب بيتها بعنف ..فترد عليها كريمة بإغلاق باب البيت بعنف هي الأخرى .

xxxx

بعد أن هدأ الشارع الذي كان يشتعل بالموسيقى والرقص .. جلس زين مع إسراء في غرفة المعيشة وأخذ يتطلع فيها بينما هي مطرقة برأسها تفرك في فستانها بأصابعها ثم غمغمت وهي تنظر لباب الغرفة المفتوح "لماذا تأخروا في احضار الطعام؟"

قال لها بهدوء" اتركيهم يا مؤذية ..هل جلوسي معك وحدنا يقرصك!"

غمغمت بحرج "لا أبدا أنا قلت لابد أنك جائع" طالعها بعينيه الواسعتين فقالت لتفتح أي موضوع بدلا من الجو المربك لها الذي يحيط بالجلسة " ما شاء الله أصحابك كثيرون"

هز رأسه في صمت ثم قال" أبلة سراء"
رمقته بنظرة دغدغت أعصابه فقال بصوت رجولي عميق "هل أستطيع أن أقول شيئا؟"
هزت رأسها بخفر فقال " أنت جميلة جدا يا أبلة"
ارتعش قلبها فغمغمت إسراء بصوت هارب منها" زين توقف ..أنا أشعر بالحرج الشديد من هذا الكلام"
قال لها بلهجته الصبيانية "دعيني أقول ما أريد أن أقوله ..فلربما قتلني أخي وترملت قبل أن أعقد عليك"

دخلت نصرة وأختها تحملان صينية كبيرة للعشاء فأسرع زين بمساعدتهما في وضعها على المنضدة ثم وقف يقول "ما شاء الله سلمت أيديكما"

انطلقت زغرودة عالية من نصرة ثم حضنت إسراء وانفجرت في البكاء.

كانت إسراء تعرف بأن أمها متأثرة بشدة .. طوال الحفل وهي تراقبها وأشفقت عليها حينما أجلت طقوسها في الإعلان عن الفرح ليوم الزفاف ..

ربتت عليها نصرة تحضنها بقوة بينما قالت إسراء بحنو "كفى بكاء يا أمي"

ابتعدت نصرة تقول لزين" والله ليس لأنها ابنتي لكني أقول لك إسراء هذه جوهرة لو لفيت العالم كله لن تجد مثلها أبدا"

قال زين مبتسما" أنا واثق من هذا جدا "

تدخلت أخت نصرة تقول متهكمة " من يشهد للعروس ! .. هيا يا نصرة اتركي العروسين ليتناولا العشاء"

عادت نصرة تحضن ابنتها بقوة وتقبل وجنتيها فقالت أختها موبخة "كفى يا امرأة إنها لن

تذهب إلى أي مكان حاليا وستبيت في حضنك
"

ابتعدت نصرة مع أختها وغادرتا الغرفة بينما عادت إسراء لتجلس هي وزين الذي قال متنهدا بلهجة ذات مغزى" يا بختك يا نصرة .. ليتني كنت مكانك "

احمر وجه إسراء وسقطت منها الملعقة أرضا فمال زين يلتقطها ثم أعطاها ملعقته يقول" خذي ملعقتي وأنا سآخذ الملعقة الإضافية"

غمغمت إسراء "زين أرجوك توقف عن إرباكي" قال ببراءة مستهبلا وهو لا يزال يمد لها يده بالملعقة " وهل فعلت شيئا الآن؟.. أنا أعطيك الملعقة .. هل ترتبكين حين ترين شكل الملاعق!"

أفلتت منها ابتسامة فرفع يده يبعد عنها الملعقة قبل أن تمسك بها قائلا وهو يميل بوجهه" أخيرا ضحكتِ"

طالعته تقول باندهاش "ماذا تعني بـ (أخيرا)
وهل كنت عابسة الوجه؟"
هتف ساخرا" لا .. حاشا لله.. بل أنا عابس
الوجه المتجهم دوما"
وقفت أمامه تصيح باستهجان" هل أنا
متجهمة الوجه يا زين؟!!"
رفع إليها عينيه الواسعتين وقال بابتسامة حلوة
" قسما بربي أحلى زين أسمعها على الأطلاق
تخرج من بين شفتيك يا أبلة"
هدأ صوتها وقالت بترجٍ" زين أرجوك"
تأملها واقفة أمامه وتمنى بشدة أن يمد ذراعيه
ويحضنها لكنه قال بصوت هادئ "سأتوقف
وآكل في صمت ولكن بشرط"
سألته عابسة" أي شرط؟"
قال بلهجة ماكرة "أريد رشوة"
ناظرته بتوجس تسأله وقد استعادت وجه
المعلمة " ماذا تعني برشوة؟!"

صمت قليلا ثم قال عابسا وهو ينظر في يدها التي تلبس فيها شبكته" هل انكسر الخاتم في يدك؟!! "

عبست إسراء وأخذت تقلب في أصابع يدها فخطف زين يدها وطبع قبلة سريعة في باطنها

.

شهقت الأخيرة بإجفال وخطفت يدها من يده ثم ارتدت خطوتين للخلف وغطت وجهها بكفيها بسرعة في حرج وارتجاف فاتسعت ابتسامته وقال" حصلت على رشوتي هيا يا أبلة سراء لنأكل"

xxxx

بعد ثلاثة أشهر

راقبها كامل من خلف نظارته الشمسية يحرص على ألا تفلت منه في الزحام وألا تراه يتتبعها في ذلك اليوم المشمس من فصل الشتاء لكنه فقد صبره بعد قليل واتصل بها .

تطلعت بسمة من خلف عجلة القيادة في الهاتف بجوارها وارتبكت للحظات بين الهاتف والطريق فهذه هي المرة الأولى التي تقود فيها السيارة وحدها بدون مرافق وتبتعد مسافة كبيرة عن الفيلا .

لقد أصرت على أن تركب السيارة الصغيرة وتقودها للمكتبة العامة في وسط العاصمة لتحصل على بعض المراجع العلمية من أجل رسالة الماجستير التي تحضرها .

وضعت سماعة الهاتف اللاسلكية في أذنها وردت" نعم كامل لماذا تتصل؟"

قال باستهجان " ما معنى لماذا تتصل؟.. هل هذه طريقة جيدة لمحادثة زوجك يا باشمهندسة!"

قالت ضاحكة وهي تركز في الطريق أمامها "أقصد لقد اتفقنا بأنني من سيتصل بك حينما

أصل للمكتبة (ثم اسرعت بالقول عابسة) هل أنت في الشارع؟"
همهم كامل ثم قال وهو يركز على سيارتها التي أمامه" أجل أنا ذاهب لإحضار الهانم الصغيرة مدللة البيت من المعهد لأن زوجها النجم المشهور اتصل بي وأخبرني بأنه سيتأخر في التصوير"
ضحكت بسمة وقبل أن تجيب لمحت سيارة كامل من خلال المرآة الأمامية خلفها مباشرة فارتبكت للحظات تشعر بالغيظ لكنها عادت واعترفت بشعورها بالراحة فقد كان توترها على أشده وهي وسط زحام العاصمة وللحظة ندمت على خروجها وحدها .. ومع هذا صاحت بغيظ "كامل لماذا أتيت خلفي يا كامل!!"

تراقصت ابتسامة على شفتيه وقال مستهبلا "يا إلهي ظننت بأنك لن تتعرفي عليّ وأنا متخفي خلف النظارة الشمسية"

قالت بلهجة مستخفة وهي توزع نظراتها بين المرآة الأمامية والطريق "هاهاها لديك خفة ظل مميزة"

قال لها مناكفا "أنا إنسان لطيف"

ردت بتهكم" جدا يا حبيبي (ثم قالت فجأة بلهجة متوترة) كامل سأصف السيارة يا كامل اسكت"

غمغم بلهجة متهكمة" حاضر ..حاضر.. الله معك "

كان صف السيارة عندها أصعب من السير بها وخاصة حينما يكون المكان مزدحما وعليها أن تركز لحشر سيارتها بين سيارتين دون لمسهما. أوقف كامل سيارته على مقربة من ساحة تلك المكتبة العامة ووقف يتابع بسمة بتوتر هو

الأخر في وضع استعداد للتدخل إن لزم الأمر
بينما أخذت هي تتلقى تعليمات سائس الساحة
الذي كان يعطيها إشارات للحركة حتى نجحت
أخيرا في صف سيارتها بين سيارتين ..فأطلقت
زفرة ارتياح ثم نظرت للهاتف وقالت" هل لا
زلت على الهاتف؟"
جاءها صوته هادئا" أجل"
سألته" كم من عشرة تعطيني يا أستاذي"
رد بابتسامة "عشرة من عشرة يا تلميذتي
النجيبة"
اتسعت ابتسامتها وترجلت من السيارة ثم
التقطت حقيبة يدها وحقيبة اللابتوب
وعدلت من ملابسها ..فتأملها كامل ترتدي
فستانا حتى الركبة فوقه سترة شتوية وكوفية
حول رقبتها وبنطال جينز وتعقد شعرها في
عقدة خلف رأسها .

يعترف بأنه لا يحبها أن تخرج وحدها ليس قلة ثقة فيها ولكن غيرة .. إن زوجته جميلة وملفتة وهذا يضايقه ولا يشعره بالراحة ومع هذا لا يزال يحارب ذلك الشعور بداخله كما لا يزال يحارب شياطينه التي لا تزال تتعمد مضايقته من حين لآخر لكنه قطع شوطا كبيرا نحو سلامه الداخلي..

قاطعت بسمة شروده وهي تشير له من بعيد قائلة في الهاتف "لا تقل لي بأنك ستبقى واقفا هنا أمام المكتبة تنتظرني تحت المطر حتى انتهي وأخرج"

قالتها بلهجة مسرحية متهكمة فقال لها باستخفاف" لا مطر ولا شمس أنا مضطر للتحرك فورا حتى أعيد ونس حين تنتهين أخبريني حتى أطمئن عليك"

أشارت له بيدها فأخرج يده لها من النافذة ملوحا لتتحرك بسمة وتصعد لسلم المكتبة

وهي تحاول أن تبعد عن ذهنها ما يشغلها منذ الصباح ..
هل ستأتيها عادتها الشهرية هذه المرة أيضا أم أن الحمل الذي تشتاق إليه سيتحقق أخيرا ؟
أما كامل فتحرك بالسيارة مبتعدا إلى معهد ونس التي كانت في تلك اللحظة تدفع أحدهم بقوة وغل فسقط أرضا غارقا في دمائه .

الفصل الثامن والثلاثون

قبل قليل

تطلعت ونس في اللوحة أمامها في تلك الغرفة التي يستخدمها طلبة المعهد للرسم..
كانت وحدها تضع اللمسات الأخيرة لإحدى لوحاتها بينما خرج زملائها بعد انتهاء محاضرات اليوم لكنها أرادت أن تستغل انتظارها لكامل الذي أخبرها شامل على الواتساب بأنه سيحضر ليعيدها للبيت في أن تنتهي من تعديل معين قبل أن تغادر وإلا ستظل قلقة وهو يشغل بالها حتى تأتي للوحة في اليوم التالي .
عند الباب وقف أحد الأساتذة يتأملها لبضع دقائق في وقفتها الجانبية تقف أمام اللوحة الكبيرة المعلقة على الحامل ترتدي بنطال من الجينز وفوقه فستان شتوي يبرز بطنها ..ثم

اقترب ببطء فانتبهت ونس بعد أن نبهتها سماعتاها بحركة أحدهم خلفها وبمجرد أن تعرفت على هويته بدأت تتوتر ..
إن هذا الرجل الذي يتجاوز الخمسين من العمر يوترها بنظراته التي تشعرها بأنها ليست نظرات بريئة .. كما لاحظت أكثر من مرة أنه يتعمد لمس يدها حين يقف ليعطيها ملاحظاته أو لمس ذراعها بلمسات تبدو في ظاهرها عفوية وغير متعمدة لكنها أكيدة أنها ليست كذلك .. خاصة وأنها متكررة وقد لاحظت أنه يفعل ذلك مع بعض زميلاتها ومنهن من تتقبل هذا بشكل عادي كأن يفرد ذراعه على كتفيها وهو يشرح لها ومنهن من تشعر بالضيق لكنها لم تر واحدة منهن اعترضت .. فالأمر حساس خاصة وأنه يفعلها بشكل يبدو عفويا لذا لم يكن منها إلا أن تبدي عبوسها أو امتعاضها كل مرة إذا لمس يدها فتبعد يدها وتحافظ على مسافة

بينها وبينه .. لهذا يشعرها بالتوتر وعدم الراحة كلما اقترب والآن تشعر بتوتر مضاعف لأن الغرفة خالية من الأخرين .

تقلص جنينها في رحمها مع توترها وذلك المدعو البروفسير نزيه يقترب فتأملت ابتسامته اللزجة وشعره الفضي الطويل الذي يربطه بطوق خلف ظهره كذيل حصان قصير وهو يقول" كيف حال فنانتنا الصغيرة ونس؟"

ابتعدت بحركة تلقائية خطوتين للخلف وهي تهز رأسها بشفتين مزمومتين يدها فوق بطنها الظاهرة ..فقال بروفسير نزيه وهو يتطلع في اللوحة بانبهار "رائع يا ونس ..أنت حقا موهوبة ..ورغم أنك لا تتبعين التوجيهات بل تتصرفين كما يحلو لك لكن النتيجة دائما تفوق توقعاتنا (ودقق في اللوحة أمامه للحظات ثم أضاف) أنا منبهر الحقيقة .. كما كنت منبهرا باللوحة التي رسمتِها في المسابقة التي نظمتها سفارة إيطاليا

وعندي شعور قوي أنك من أقوى المرشحين لنيل الجائزة رغم أن المسابقة عالمية"
رغم مديحه لكن توترها لم يقل في الوقت الذي تطلع فيها البروفسير نزيه ثم قال" اقتربي أريد أن أريك شيئا"
ظلت ونس على حالها فقال نزيه بعبوس "ما بك يا ونس؟.. هل هناك شيء أنا أتحدث معك (وطرقع وسطاه وإبهامه أمامها قائلا) هااي هل سماعتك تعمل؟"
هزت رأسها وحديثه عن سماعتيها قد ضغط على الشعور الدفين بالنقص بداخلها ..فأسرعت بحركة تلقائية تعني (أنا شخص طبيعي وليس بي شيء) واقتربت متقبضة بقبضة على جانبها والأخرى بقيت غريزيا على بطنها وكأنها تدفع عن جنينها مجهولا لا تعرفه بينما قال نزيه وهو ينظر للوحة "أنت هنا بهذا اللون الأزرق وبهذه الدرجة القاتمة أوحيت لي بالحزن ..

وموضوع اللوحة من المفترض أن يكون مبهجا فهل هذا مقصود؟"

أسرعت ونس تخرج دفترها فلا تزال تستخدمه كأداة رسمية للتعبير وكتبت" هذا مقصود طبعا ..فلا أجد أن هناك بهجة وسعادة دون قدر من الحزن .. هذا القدر هو ما يجعلنا نشعر بطعم السعادة .. فكيف سنشعر بها إن لم نختبر الحزن؟!"

نظر إليها يقول مبهورا "رائع ..أنت تثبتين لي كل يوم بأن بداخلك عمقا قد لا يظهر كانطباع أولي عنك .. "

واقترب منها أكثر ليقف بجوارها وحرك ذراعه بطريقته التي تبدو عفوية فلمس بذراعه ذراعها وهو يضيف "لوحاتك وأعمالك الفنية كلها تعكس شخصا شديد الحساسية والعمق في المشاعر"

انكمشت ونس تلقائيا وتقلص ذراعها بعدم راحة لكنها أخذت تهدئ من شعورها بالتوتر وتخبر نفسها بأن عليها ألا تبدو متهورة غريبة الأطوار فالجميع يدقق فيها في الروحة والغدوة وكأنها كائن عجيب ..هذا بخلاف من يتودد إليها بدافع الفضول ليرى كيف تتعامل بسماعتيها وليحدد حدود (إعاقتها) لهذا تحرص دوما على أن تبدو طبيعية أكثر من اللازم وأن تحجم من تلقائيتها وميلها الفطري للاندفاع وتقيد ردود أفعالها .. فأهل المدينة مختلفون عن القرية لذا فهي كونس لا تكون على سجيتها إلا في بيت غنيم .. وتترك جموحها وتمردها ليظهر في أعمالها الفنية فقط.

أضاف نزيه بلهجة غير مريحة وهو يتأملها " الحقيقة من النادر أن يجتمع الحس الفني العالي والموهبة مع الأنوثة والجمال"

ازدادت ضربات قلبها توترا وازداد جنينها تقلصا
فعاد ينظر للوحة قائلا بمديح لتفاصيلها وهو
يشير بيده على الخطوط "رائع هذا الخط
أحببت جدا أن يكون متعرجا في المنتصف
وعلى جانبيه لونين متناقضين"
تأملت ونس ببعض الفخر لوحتها واسترخت
قليلا بينما نزلت يد نزيه للأسفل ثم أعاد رفعها
هذه المرة من الخلف وتحركت يده بحركة
يكررها كثيرا مع طالباته فيمسح على ظهرها من
أعلى لأسفل بحركة متتالية كنوع من الـ (حنان
الأبوي) الظاهري قائلا" أحسنت ونس أنت
بموهبتك تجبرينني على الوقوف أمام لوحاتـ.."

قطع عبارته فجأة حينما دفعته ونس عنها بقوة
وغل شديدين مطلقة صيحة استنكارية ثم
قالت "ابتعد " وذلك بعد أن انفرط عقد
تحكمها في أعصابها برد فعل اندفاعي عصبي
بمجرد أن لمس ظهرها.. فاختل توازن

البروفسير ذو القامة القصيرة وارتطم بالحائط خلف اللوحة في نفس الوقت الذي أمسكت ونس بحقيبتها تبحث عن الصاعق الكهربي لكنها من الانفعال لم تفتح الحقيبة بل ضربته بها في وجهه قبل أن يحاول استعادة توازنه فأمسك نزيه بحامل اللوحة في طريقه للسقوط لتقع فوقه وترتطم في طريقها برف خلفه وتوقع برطمانات الألوان فنزل واحد منهم فوق رأسه وانفجرت الدماء من جبهة الرجل الواقع على الأرض.

كل هذا حدث خلال ثوان وساد الصمت بعدها فوقفت ونس تحدق في الرجل بذهول مما فعلت.

بعد ساعة

ظل كامل يحدق في الطلبة الخارجين من بوابة المعهد في انتظار ونس وهو يتأفف وهم بأن

يتصل بها حين جاءه اتصال من شامل فبادره بالقول" مدللتك تتركني عند البوابة ولم تخرج حتى الآن "

رد شامل بلهجة متوترة" كامل .. ونس أرسلت لي رسالة على الواتساب تقول (تعالى) ورسالة أخرى (تعالى فورا) ولم ترد عليّ بعدها.. ماذا يحدث؟"

ترجل كامل من السيارة وقال بلهجة قلقة وهو يتحرك ليدخل من البوابة" سأرى أين هي"

دخل من بوابة المعهد يقول لرجل الأمن" أريد أن أسأل عن طالبة اسمها ونس عيد"

رد رجل الأمن" انتظرها بالخارج"

كشر كامل ملامحه قائلا "تأخرت وأريد أن أعرف أين هي" ورفع هاتفه ليطلبها فبادرت

فتاة تقول وهي تخرج من البوابة "ونس عند المدير هناك مشكلة حدثت"

بعد قليل كان كامل أمام مكتب المدير يقول للسكرتيرة بلهجة خطرة وهو يرى تجمع بعض الطلاب خارج الغرفة "قلت أريد أن أدخل للمدير لقد أخبروني أن ونس عيد بالداخل"

تحركت السكرتيرة تطرق الباب وتفتحه وقبل أن تفتح فمها كان كامل يطل من خلفها بقامته الطويلة فانكمشت وتركته يمر وهو يقول "السلام عل..."

قطع عبارته وعيناه تقعان على ونس تقف في أحد الأركان تتنفس بانفعال وعلى وجهها علامات الغضب لكنها انتبهت لكامل حين قال" ونس !"

قال المدير بارتباك" أهلا يا أستاذ"

كانت لا تزال تتنفس بانفعال لكنها تحركت بشكل تلقائي نحو كامل وأمسكت بكم سترته الجلدية بكلتا يديها وكأنها تحتمي به وهي لا تزال تناظر المدير وذلك البروفسير الجالس أمام المكتب رأسه مربوط بالشاش بعداء .

سألها كامل بقلق وانزعاج" ماذا حدث؟"

تدخل المدير قائلا" هل أنت زوجها؟ لقد جئت في وقتك"

تكلم كامل وهو يدور بعينيه بين ثلاثتهم" أنا أخوه ..هلا أفهمني أحدكم ماذا يجري ولماذا هي هنا؟"

رد المدير بلهجة متحاملة "السيدة ونس اعتدت بالضرب على أستاذها بالمرسم ..والأستاذ نزيه مصر على اتخاذ الإجراءات القا..."

قطع عبارته حينما تفاجأ بكامل يندفع نحو الرجل فيمسك بتلابيبه يوقفه على قدميه قائلا بلهجة عدائية "وماذا فعلت أنت لتضطر لضربك بهذا الشكل الواضح أمامي!!"

قال المدير صائحا وهو يترك مكتبه ويتحرك ليخلص نزيه الذي بدت عليه علامات الرعب من يد كامل" يا أستاذ من فضلك نحن نريد أن نحل الموضوع لا أن نعقده "

ضرب كامل على المكتب بجواره وهو يقول "وأنا أريد أن أعرف الموضوع حتى أحله"

انتفض المدير ونزيه معا بينما استدار كامل يسألها بعصبية" ماذا فعل يا ونس ؟"

قبل أن تجيب كان نزيه يسرع بالقول منفعلا "الذي حدث أنها هاجمتني بدون سبب.. لم أفعل لها شيئا ..كنت أتحدث معها عن لوحتها

لكنها غريبة الأطوار ودوما يظهر منها سلوك غير طبيعي والكل يعرف ذلك "

هتفت ونس فجأة "كذب"

تفاجأ نزيه والمدير بأنها تنطق .. ثم أسرع الأول بالقول ليسيطر على الوضع خاصة مع عدائية كامل البادي أمامه طويلا مخيفا "الكل يعلم بأنها لا تستجيب لتوجيهات المعلمين إلا القدر القليل .. (ونظر للمدير هاتفا) أنا طالبت قبل ذلك أن يتم الكشف النفسي على الطلبة المعاقين بالذات قبل دخولهم للمعهد فمن مثلهم لا يكونوا أسوياء بسبب إعاقتهم آآآآآه"

لكمة كامل التي انفجرت في أنف البروفسير أخرسته وفجرت الدماء منه فأسرع المدير يبعده وهو يقول بتوتر "نادوا على الأمن اطلبوا الشرطة "

في نفس الوقت توقفت ونس وسيطرت على أعصابها بعد أن كانت تهم بالاندفاع نحو نزيه لكن ما فعله كامل جعلها تتركه لتولي الأمر وتتابع في صمت مغتاظ.

تدخل بعض الطلبة من الواقفين بالخارج لمساعدة المدير في ابعاد كامل الذي يناظر نزيه بنظره خطرة وهو يقول "أسمعني مجددا ما قلته عنها"

برطم نزيه بحدة " أنا لن اسكت على هذا أبدا "

قال المدير يرفع رأسه لكامل" أرجوك يا أستاذ ما فعلته هذا بلطجة لقد كنت أحاول أن اقنع الأستاذ نزيه قبل أن تدخل أن يتخلى عن تصعيد الأمر والتحقيق مع الطالبة لكنك تزيد من الأمر سوءا"

دخل أفراد الأمن ووقفوا ينتظرون أوامر المدير بينما تراجع كامل خطوتين للخلف وهو لا

يسقط أنظاره المتوعدة عن نزيه قائلا بوعيد "أنت لا تعرف ماذا سأفعل بك .. سأفهم منها أولا وبعدها سأستدعي أنا الشرطة بنفسي"

توترت ملامح نزيه بينما طالع المدير البروفسير ليتحرى صدقه حائرا أما كامل فانتحى بونس بجوار باب المكتب المفتوح ومال عليها يمسك بكتفيها محدقا في وجهها وهو يقول" أخبريني بكل شيء"

أحسته غاضبا وازداد ارتباكها وحرجها من سؤاله فقال مشجعا" أخبريني بكل شيء يا ونس مهما كان محرجا حتى أتصرف .."

همت بالإمساك بدفترها فهتف كامل بقلة صبر" تحدثي يا ونس (ثم نظر في عمق عينيها وإلى قبضتها التي رفعتها مضمومة أمام فمها بينما الأخرى على بطنها وكأنها تهدئ ركل جنينها وسألها) هل تحرش بك؟"

بحرج شديد قربت وجهها من أذنه فأولاها لها وهو يسمع صوت نغمة هاتف شامل ترن في جيبه بإلحاح لتقول ونس بارتباك وبلهجة أغلب حروفها مبتورة" إنه مريب يتعمد طوال الوقت لمس يدي أو ذراعي بشكل يبدو عفويا لكنه متكرر .. واليوم تحسس ظهري فلم أدر إلا وأنا أدفعه بقوة فوقع عليه الرف إنه يصيبني بالاشمئزاز"..

صمتت تتطلع فيه لثوان لترى إن كان رد فعلها كان مبالغا فيه لكنه لم يمنحها فرصة التطلع فيه بعد أن اندفع نحو نزيه قائلا" تحرشت بها يا ابن ال****"

قبل أن يستطيع أحد إيقافه كان كامل قد أمسك بالرجل وضربه برأسه ثم تركه ليسقط على كرسيه حينما تدخل الواقفون ومنهم أستاذ أخر بالمعهد دخل مسرعا لمنع كامل

وابعاده بصعوبة بينما صرخ نزيه متألما وهو يمسك برأسه" كذب إنها كاذبة .. هل ستصدقون غريبة الأطوار هذه .. ربما سقطت سماعتها فلم تسمع وتخيلت شيئا لم يحدث"

قال المدير صائحا في كامل يداري شعوره بالخوف من هيئته " من فضلك يا أستاذ أنت بهذا الشكل تصعد.."

قاطعه كامل هاتفا وهو يتخلص ممن يمسكون به ويخرج هاتفه من جيبه" بل أنا من سيصعد الأمر وسيتصل بالشرطة وسأحبسك معه لأنك تداري على ما يفعله هذا الأستاذ .. وسأبلغ سفارة إيطاليا المشرفة على هذا المعهد لتحقق في هذه الفضائح التي تحدث فيه"

هتف المدير مدافعا" يا أستاذ نحن معهد محترم والبروفسير من خيرة الأساتذة هنا ولم

تشتك إحداهن منه أبدا ولا يوجد دليل على ذلك"

في خارج المكتب انقسم الواقفون فمنهم من كان مشغولا بتحديد هوية كامل فقالت احداهن بثقة " صدقوني هذا هو الشيف الجديد في برنامج الطبخ ..أمي تتابعه ..كما أن لهجته المختلفة تؤكد لي ذلك فذلك الشيف ليس من أهل البلد"

في نفس الوقت كانت هناك فتاتان تنظران لبعضهما مترددتان في التدخل للشهادة ضد هذا الأستاذ ..فهما في نفس صف ونس وتتعرضا لنفس المضايقات التي قد لا تؤخذ على أنها تحرشا صريحا فسألت إحداهن الأخرى" ما رأيك هل نتشجع وندخل؟"

قالت الأخرى وهي تتطلع في زملائها الذكور الواقفين "لا نريد الفضائح أرجوك"

قطعا همسهما حينما ناظرتهما ونس من وقفتها على الباب .. وكأنها تحثهما على الشهادة فهي لاحظت بأنه يفعل نفس الأفعال معهما لكنهما ناظرتاها بنظرة جبانة خوفا من الحرج أمام الزملاء فعادت الأخيرة تنظر لكامل متألمة من كل الكلام الجارح الذي قاله الأستاذ عنها بينما قال كامل للمدير بلهجة مهددة "لن أسكت .. أنا وزوجها سنبلغ الشرطة وسيأتون لفحص الكاميرات (ورفع أنظاره يتفحص سقف المكان مضيفا) بالتأكيد المكان كله به كاميرات كما أرى"

شعر المدير بأن الأمر سيتطور لفضيحة ونظرته للبروفسير اشعرته بأنه متردد فأسرع بالقول" اهدأ يا أستاذ وسنحل الموضوع أنا شخصيا متأكد من أن البروفسير نزيه قلبه طيب ولن يرضى للموضوع بأن يتطور"

قالها وهو يحدج نزيه بنظرة تحثه على التنازل لكنه انتفض مرعوبا عندما ضرب كامل على سطح المكتب بيده قائلا بلهجة غاضبة" ونحن لن نتنازل ليس بعدما فعله لها وبعدما وصفها بالمعاقة غير المتزنة نفسيا"

صمت نزيه ورغم شعوره بخروج الأمر عن السيطرة لكن كبريائه كان يمنعه من التراجع فراقب كامل بعينين قلقتين بينما حاول الأستاذ الأخر التدخل قائلا" ماذا يرضيك يا أستاذ؟"

ناظره كامل بنظره جانبية مجيبا" يعترف بما فعله لها أولا أو نتفحص الكاميرات وبعدها سأخبرك بم يرضينا"

تطلع الأستاذ في المدير الذي تطلع بدوره في نزيه وقد بدأ يتأكد بأن الموضوع حقيقي لهذا أسرع بالقول بمهادنة خوفا من انتشار الفضيحة " حسنا دعنا نوقف الأمر عند هذا

الحد .. البروفسير لن يقدم شكوى ضد ونس ونحن لن نحقق معها وسنعتبر الأمر سوء فهم من الطرفين (وأضاف بلهجة أكثر لينا) إن ونس من الطالبات الموهوبات جدا والأساتذة يقدرونها والمعهد اختارها من المجموعة التي أرسلت أعمالها الفنية في المسابقة العالمية"

قال كامل بإصرار" لن تمن علينا بإجراءاتك خاصة بعد الكلام الجارح الذي قاله هذا الأستاذ عنها .. أنا مصر على تفحص الكاميرات أو أتصل بالشرطة وتكون فضيحة المعهد كبيرة على مواقع التواصل"

صمت المدير لبرهة يقلب الأمر في رأسه ثم جلس على مكتبه صاغرا يفتح حاسوبه فقال نزيه صارخا " ما هذه المهزلة ! أنا البروفسير نزيه (واستقام يحاول الهرب) أنا لا أقبل بأن.."

يد كامل التي قبضت على عنقه قاطعت كلامه فتدخل الأستاذ الأخر بسرعة قائلا بعد أن أبعد يد كامل برفق عن عنق الرجل " أرجوك أستاذ نزيه اهدأ ودعنا ننهي هذا الأمر على خير"

لم يجد نزيه بدا من البقاء خاصة ونظرات كامل المهددة تحاصره فوقف يطحن ضروسه في قلق بينما أخذ المدير يتعامل مع حاسوبه قائلا وهو يبحث فيه" سأبحث فيما تم تسجيله من كاميرات المرسم خلال الساعتين الماضيتين"

حين وصل للمقطع المسجل والذي عرض نزيه في وقفته صامتا لعدة دقائق على الباب ثم اقترابه من ونس ومحادثته لها فكانا يوليان ظهريهما للكاميرا لكن بدا انكماشها واضحا في وقفتها الجانبية بعد ذلك وهي تتحدث معه حتى ظهر لحظة تحسس نزيه لظهرها واندفاعها بعد ذلك.

بمجرد أن رأى كامل المشهد فارت دماؤه فانقض على نزيه بلكمة قوية أوقعته هو و الكرسي أرضا مطلقا سبة وقحة بينما تدخل الواقفون لمنع كامل من الاستمرار في الهجوم عليه.

مسح نزيه الدم من فمه وأخذ يتنفس بانفعال هاتفا "الأمر كان عفويا ..إنها مثل ابنتي ..هي من فهمت الأمر خاطئا"

هتف كامل بشراسة "في عمر ابنتك في عمر أمك لا تضع إصبعا عليها .. والآن اختر هل تأخذ عقابك مني أم تفضل أن تتدخل الشرطة؟"

تدخل المدير يقول لكامل بشبه ترجٍ" أرجوك يا أستاذ نحن معهد له سمعته فلا داعي لتصعيد الأمر (وأشار على نزيه الذي لا يزال جالسا على الأرض متحاشيا النظر للجميع وقال) يكفي ما فعلته به وما قامت به ونس"

تحركت ونس نحو كامل وأمسكت بذراعه فنظر إليها لتهز له رأسها ثم قالت" يك في كاميّ (واستطالت على أطراف أصابعها لتهمس له وهي تمسك ببطنها فمال بأذنه ليقابلها) عندي تقلث شديد من التو...تتتتر"

ناظر كامل نزيه الصامت في جلسته على الأرض فقال المدير "أنا أعتذر لك بالنيابة عن البروفسير لما بدر منه تجاه ونس .. إنها من الموهوبات ونتنبأ لها بمستقبل رائع بل إننا لدينا شعور بأنها قد تكون مرشحة بقوة للفوز بالجائزة الإيطالية "

تدخل الأستاذ الأخير يقول لكامل "يكفي ما حدث يا أستاذ أرجوك"

وضع كامل يده على ظهر ونس يهم بالمغادرة وهو يقول "لو اشتكت مجددا منه"

أسرع المدير قائلا" سنحل أمر البروفسير نزيه ونرى امكانية تبديل محاضراته مع زميل أخر"

تحرك كامل بونس مغادرا بينما حاول زميل نزيه مساعدته على القيام لكن الأخير نفض يده بكبرياء مجروح .

خارج المكتب راقب الطلبة المتجمعون خروج كامل وونس فنظرت الأخيرة لزميلتيها اللتين رفعتها لها إبهاميهما بإعجاب جعل الأخيرة تتطلع فيهما بتعجب بينما الباقون منقسمون بين الإشارة على كامل بأنه الشيف الذي يظهر في التلفاز متعجبين من الفرق بين شخصيته البشوشة على الشاشة والعبوسة في الحقيقة وبين الاندهاش من أن ونس تكون زوجة هذا الشاب الوسيم المشهور .

بمجرد أن خرجا من البوابة قال لها كامل بمزاج عكر "ارتدي سترتك فالجو بارد وستمطر في أي وقت "

ليتفاجآ بشامل يترجل من سيارته مسرعا والدم هارب من وجهه فأسرع نحو ونس التي دمعت عيناها بمجرد أن رأته وتفحصها قائلا "ما بك هل حدث شيء؟"

قال كامل باقتضاب" لا شيء مشكلة بسيطة وتم حلها لنعد للبيت"

تفحصها مجددا بقلق بدى جليا على وجهه فقال كامل بامتعاض "إنها سليمة لا تقلق ليس بها شيء مشدودة الأعصاب لا أكثر"

ناظره شامل سائلا بعد أن فشل في قراءة أفكاره " ماذا حدث بالضبط؟"

قال كامل وهو يتوجه ناحية سيارته "في البيت سأحكي لك"

هتف شامل بإصرار "لن أتحرك قبل أن أفهم يا كامل"

أشار له كامل على نفسه يقول بتحفز جعل شامل يتأكد من أن هناك ما لن يعجبه "ألست كافيا أمامك للتصرف"

صاح شامل "أريد أن أفهم يا كامل"

رد كامل باقتضاب" أستاذها ضايقها وأنا تصرفت معه"

عبس يناظرهما قائلا "ضايقها كيف؟"

سأله كامل بغيظ " ما الذي أتى بك ألم يكن عندك تصوير؟"

رد بضيق " قطعته واستأذنت حينما لم يرد أحد منكما (ونظر لونس يسأل) ماذا حدث

أفهموني؟ (واتسعت عيناه هاتفا) تحرش بك!!!"

قال كامل بهدوء " الموضوع بسيط والرجل أخذ منها ومني ما يستحقه"

وقف بعض الطلبة يتطلعون من بعيد في التوأمين المتماثلين باندهاش بينما قال كامل من بين أسنانه بخفوت" كف عن الفضائح لقد تم التعامل مع الأمر"

هم شامل بالاندفاع نحو بوابة المعهد لكن توأمه قرأ أفكاره وطوقه من الخلف قائلا بحزم" قلت لك الموضوع تم التصرف فيه فلا داعي للفضائح أنت شخص مشهور الآن وما قد يصدر منك أو مني سيؤخذ على أنه أنت "

نظر شامل لأخيه يسأله بخفوت خطر" كيف تحرش بها بالضبط ؟"

رد كامل بلهجة قاطعة " الرجل وضع يده على ظهرها فدفعته ووقعت فوقه برطمانات جرحته وأنا تصرفت وانتهى الموضوع يا شامل (ونظر لونس التي تمسك أسفل بطنها وتناظر شامل بتوتر وقال) وزوجتك تعاني من تقلصات والأخرون يتطلعون فينا فهيا أمامي"

بدم محروق هم شامل بالتحرك ثم سأل كامل" هل ضربته يا كامل وبردت ناري؟"

هز كامل رأسها قائلا "حدث .. اهدأ وتحرك لنعود للبيت"

تحرك شامل نحو زوجته يتفحصها وهو يسألها "هل فعل أكثر من ذلك يا ونس ؟"

هزت رأسها نافية بقوة فقال كامل وهو يعود لسيارته " لو فعل أي شخص لك أي شيء افعلي ما فعلت مجددا ولا تخافي من أحد "

هزت رأسها في طاعة فركب كامل السيارة وأشار لأخيه "تحرك أنت أولا فأنا سأتصل ببسمة لأرى هل انتهت أم لا "

xxxx

نزلت بسمة من المكتبة العامة تتطلع في السماء الغائمة التي تنذر بهطول مطر قريب فسخرت من حظها العاثر الذي جعلها تقرر أن تقود السيارة في الزحام لأول مرة في طقس كهذا .. متسائلة عما ستفعل لو انهمر المطر وهي عائدة للبيت .

تحركت نحو الساحة حيث تكون سيارتها وهي تفكر في أن ترد على رسائل كامل المتكررة على الواتساب عما إن كانت قد انتهت أم لا بأن تطلب منه أن يأتي .. لكنها عادت ونهرت نفسها بأن عليها الاعتماد على نفسها ..

لفت انتباهها شابة تقف على مقربة تحدث نفسها ببرطمة فاتسعت عيناها واقتربت منها تقول بتفاجؤ" رحمة!!"

كانت رحمة صبرة قبل لحظات تغمغم لنفسها "ما الذي أخرجني في هذا الجو؟ خاصة وأني لم أنجز شيئا .. (ونظرت في هاتفها مضيفة) أين أنت يا عم حامد؟"

سمعت من تقترب منها منادية فانتبهت ثم قالت بصدمة "بسمة!!"

كان الوضع بينهما مربكا ما بين حرج وتحفظ ومشاعر عشرة قديمة حتى أن بسمة لم تدر كيف تكون التحية بينهما فاكتفت بمد يدها لها لتسلم عليها بتحفظ بينما اتسعت ابتسامة رحمة وقالت بسعادة حقيقية" كيف حالك يا بسمة سمعت بأنك قد تزوجت من أحد أقارب بانة.. وسعدت لهذا الخبر كثيرا"

كانت مشاعر بسمة متناقضة لكنها لم تستطع الإنكار بأنها تحمل بداخلها حنينا لها فقالت بلهجة صادقة "الحمد لله فضل ونعمة "

تطلعت فيها رحمة تقول بصدق مماثل " ما شاء الله لا قوة إلا بالله تزدادين جمالا مع الوقت "

غمغمت بسمة شاعرة بالإطراء " أشكرك أنت أيضا ما شاء الله عليك ..أخبريني ماذا تفعلين هنا؟"

قالت رحمة بضيق "جئت من أجل تحضير بحث يخص الكلية "

عقدت بسمة حاجبيها وقالت" هل لازلت بالكلية !"

غمغمت رحمة بحرج" أجل"

رن هاتفها فاستأذنت بسمة وردت "نعم يا عم حامد ..أين أنت ؟(ونظرت في ساعتها مضيفة بضيق) نصف ساعة !! (ثم هزت رأسها باستسلام وقالت) سأعود للمكتبة واتصل بي حينما تصل "

أغلقت الهاتف بضيق واضح على ملامحها ثم غمغمت أمام أنظار بسمة المتسائلة "هذا السائق الذي يوصلني يبدو أنه قد تعطل في الطريق "

هزت بسمة رأسها ولم تعرف ماذا تقول أو ما هو اللائق وما هو غير اللائق .. فبادرتها رحمة بسؤال جرئ" هل أنت سعيدة في حياتك ؟"

تراقصت ابتسامة تلقائية على شفتي بسمة وتكتفت أمامها تهز رأسها بالإيجاب وهي تقول" الحمد والشكر لله "

قالت رحمة بطريقتها الصريحة التلقائية" حمدا لله .. الحقيقة أحيانا كنت ألوم نفسي على بعض العبارات التي قلتها لك يوما .. لكنه أخي .. رغما عني لابد أن أكون متعاطفة معه .. رغما عني أتمنى له السعادة من كل قلبي خاصة وبعد أن علمت ماضيه البائس .. أنت لا تعرفين ما هو سيد بالنسبة لي (ثم أطرقت مضيفة بوجنتين مشتعلتين) ومع هذا أحيانا كنت ألوم نفسي بأنه كان لابد أن أكون أكثر تفهما لموقفك"

اتسعت ابتسامة بسمة وقالت بهدوء" كبرتِ يا رحمة ومع هذا لازلت تحتفظين بتلقائيتك وصراحتك وهذه صفة جيدة لا تفقديها .. عموما لا تؤنبي نفسك كثيرا فكلنا نتعاطف مع من نحبهم ونلتمس لهم الأعذار وأحيانا لا نكون حياديين .. وبصراحة لن أنسى مناقشتك معي.. ولن أنسى حديثك عن الرضا بالقدر ..

أعترف بأن كلماتك وضعتني على الطريق ..
جعلتني أعيد ترتيب الكثير من الأفكار .. حتى
طريقتك المتعاطفة مع أخيك جعلتني أسأل
نفسي من يشفق علىّ أنا ومن يتعاطف معي ..
فقررت أن أخوض رحلة طويلة وحدي أعترف
بأنها لم تكن سهلة لكنك كنت أول من أنار
مصباحا في ذهني بكلامك وبحديثك عن
تجربتك مع أهل زوج والدتك الراحل"

اشتعلت وجنتا رحمة وقالت بسعادة "أرجو ألا
يكون في قلبك شيء ضدي ..أنا دوما أذكرك
بالخير أمام الجميع.. وأتحدث عن أخلاقك
وعن كرمك معي حين أتيت للبيت ليس لي
مأوى إلا بيت أخي ولم تعترضي ربما لم نكن
صديقتين لكنك لم تزعجيني بأي طريقة "

حديثها أصاب بسمة برغبة في البكاء لكنها ردت
ببرود ظاهري لتنهي هذا الحوار المؤثر " عموما

أنا سعيدة لأنك بخير يا رحمة ..لماذا لا تأتين لأوصلك؟"

قالتها بسمة بعفوية ودون تفكير فقالت رحمة بارتباك" لا شكرا (ونظرت للمبنى خلفها تقول) سأرى إن كان هناك كافيتريا في هذه المكتبة أم لا"

بدأت قطرات المطر تتساقط فوق رأسيهما فقالت بسمة بإصرار" تعالي معي ولا تقفي تحت المطر (وأضافت بلهجة ضاحكة) لكن أحذرك بأني جديدة في القيادة"

ابتسمت رحمة ووقفت مرتبكة للحظات ثم تحركت خلف بسمة التي ذهبت تبحث عن سيارتها .

بعد قليل كانت رحمة تستقر بجوار بسمة التي ردت على مكالمة كامل تقول" أنا تحركت يا كامل"

قال لها غاضبا " لماذا لم تبق وأنا سآتي إليك فالمطر قد يشتد"

لم ترغب في إخباره بوجود رحمة معها حتى لا يسيء الفهم فقالت " لا بأس .. أنا سأتعامل إن شاء الله لا تقلق "

قالتها وأغلقت الخط في نفس الوقت الذي رن هاتف رحمة فنظرت لاسم سيد وارتبكت ثم ترددت هل ترد عليه أم تؤجلها لكنها تذكرت بأنه بالتأكيد قد علم من السائق بتأخره وسيقلق فأسرعت بالرد وهي تتحاشى النظر لبسمة "نعم سيد"

ارتبكت بسمة وأشارت لها عابسة بألا تشير لوجودها معها فهزت رحمة رأسها وصوت سيد يأتيها قائلا بقلق "عم حامد أخبرني بتعطله في الطريق أين ستبقين؟ ..أنا بيني وبينك ساعة على الأقل حتى أصل إليك والجو ماطر

..أخبريني أين ستكونين لأرى إن كان عمرو يستطيع المرور عليك فمقر شركته الأقرب إليك"

أسرعت بالقول وهي تتطلع في بسمة التي تركز على الطريق أمامها "ليس هناك داعي أنا التقيت بإحدى صديقاتي وستوصلني بسيارتها"

قال سيد" هل أنت متأكدة؟"

قالت رحمة مطمئنة" صدقني أنا معها الآن"

قال سيد "تمام سأعود للاطمئنان عليك ..هل تعلمين أين الست هانم ليزا لا ترد على هاتفها"

ردت رحمة "ليزا عادت من الخارج منذ ساعتين وأتوقع بأنها نائمة اتصل بزهرة واسألها "

أغلقت الخط بعد لحظات لتسألها بسمة بفضول" من ليزا؟"

تنهدت رحمة وغمغمت "إنها أختنا من خليل"

اتسعت عينا بسمة وعوجت شفتيها باستنكار فقالت رحمة بابتسامة حلوة "سيد يسميها (عمله السيء في الدنيا)"

رفعت بسمة حاجبيها وبدا لها الحديث عن (سيد) كمن تتحدث عن شخص ما كانت تعرفه يوما ولم يعد كذلك فسعدت لهذا الشعور ثم سألت رحمة بفضول " وما قصة ليزا هذه ؟"

بعد نصف ساعة وصلت بسمة للشارع الرئيسي المؤدي لحي سماحة وقد اشتد هطول المطر فتوقفت هناك وقالت لرحمة باعتذار" أنا آسفة لن أستطيع دخول الحي ليس لشيء إلا لأن زوجي سيستاء إن علم بذهابي للحي فأرجو أن تسامحيني "

قالت رحمة بسرعة وهي تمسك بعتلة الباب " طبعا ..طبعا .. بارك الله لك .. أنا التي عليها أن تشكرك على توصيلي"

قالت بسمة "انتظري لتشيري لأي توكتوك يدخل بك الحي حتى لا يغرقك المطر "

قالت رحمة بإصرار " لا تشغلي بالك يوجد الكثير منهم على بعد أمتار أشكرك مرة أخرى"

فتحت عتلة الباب فأوقفتها بسمة تقول بلهجة صادقة " رحمة قد تتقاطع طرقنا أو لا تتقاطع مرة أخرى ..لهذا أريد أن أقول لك لولا حساسية الوضع بيننا لأصبحنا صديقتين "

نظرت لها رحمة وقالت بابتسامة حلوة" أتمنى لك السعادة من كل قلبي يا بسمة "

هزت بسمة رأسها فودعتها رحمة وترجلت ترفع حقيبتها فوق رأسها ثم أسرعت بركوب أول توكتوك قابلها ..

افترقتا وكلتاهما تحمل ودا في قلبها للأخرى فتحركت بسمة بالسيارة وهي تسرع للرد على كامل الذي قال بانزعاج" أين وصلت؟"

قالت كاذبة خوفا من إثارة غيرته" أخطأت الطريق يا كامل .. وعائدة الآن للطريق الصحيح "

xxxx

بعد نصف ساعة

توقفت سيارة شامل في مرآب الفيلا واستدار لونس يحضن وجهها بكفيه قائلا" لم يحدث منه سوى ما أخبرت به كامل أليس كذلك يا ونس ؟"

هزت رأسها بتأكيد فطحن ضروسه قائلا"
أشعر برغبة في تمزيقه إربا "

غمغمت "كاميّ فعيا ذيك ضَيَبه بقوة"

(كامل فعل ذلك ..ضربه بقوة)

حضنها شامل قائلا " أي تصرف مماثل من أي
شخص لا تخافي وافعلي كما فعلت "

اتسعت ابتسامتها وغمغمت من فوق كتفه"
ييلأثف يم أجد حَجَيّ في ايغُيّفة يأقذفه به "

(للأسف لم أجد حجرا في الغرفة لأقذفه به)

ابتسم شامل لكن القلق كان مسيطرا عليه
خاصة مع حملها فأبعدها عنه وألصق جبينه
بجبينها قائلا بلهجة حارة العاطفة " جنيتي
الشجاعة ..هيا لنطمئن أمي"

قبل أن يترك السيارة رن هاتفه فرد على الرقم
غير المسجل قائلا" نعم "

راقبت ونس احمرار وجهه وارتعاش مقلتيه قبل أن يدير وجهه عنها ويفتح عتلة الباب قائلا" شكرا يا فندم أعزك الله "

قبضت ونس على ذراعه الضخم بقوة تمنعه من الخروج وقبل أن يستوعب كانت تسحب الهاتف من يده وتفتح مكبر الصوت .. فحاول شامل أخذ الهاتف منها بالقوة لتسرع بالإشارة له على بطنها ليحاذر والصوت الأنثوي يأتيهما من الهاتف المرفوع فوقها في يدها "أنا حقا معجبة جدا بك يا شيف ..ما شاء الله تنير الشاشة بطلتك الوسيمة "

وضحكت بدلال فاستوحشت ملامح ونس ..بينما شامل يحاول أخذ الهاتف منها بحرص حتى لا تصدر صوتا مجنونا أمام المتصلة قائلا "شكرا يا فندم ألف شكر"

قالت المتصلة" إذا زرت نادي (...) ابلغني حتى نلتقي هناك وأعبر لك بنفسي عن إعجابي بك (وأضافت بسرعة) وبرنامجك طبعا "

غمغم شامل بحرج" إن شاء الله يا فندم شكرا لك "

ناظرته ونس بغل فأشار لها بأن تغلق الخط دون أي فضائح فضغطت على المكالمة تغلقها ثم تفلت على المتصلة فخطف منها الهاتف قائلا" إياك أن تخطفيه مني مرة أخرى "

تخصرت تزم شفتيها بغضب بينما ترقرقت الدموع في عينيها ... وتبعها دمعة نزلت بسرعة خاطفة فمسحتها بظاهر يدها بعناد واستدارت لتترك السيارة .. فأمسك شامل بذراعها يمنعها من الخروج وأدارها إليها قائلا وهو يحتضن وجهها بكفيه "ما بك ونوس "

ظلت عابسة دامعة العينين فحضنها بين ذراعيه لتقول وهي تحيط ظهره بذراعيها" يا أحـ ببب عمليَ كـ ايجدييييد ويا أحـ ببب معجا با تا ك"

(لا أحب عملك الجديد ولا أحب معجباتك)

غمغم شامل بلهجة حانية" هذه ضريبة الشهرة ونوس وأنا أتعامل معهن بلباقة والله لا أكثر من ذلك "

غمغمت بحنق "يا أحببب"

(لا أحب)

أبعد وجهه عنها يتطلع فيه وهو يقول" أعدك بأني سأتخذ رقما خاصا للأسرة والمقربين وأغلق الأخر معظم الوقت (وتطلع في شفتيها المزمومتين وقال ضاحكا) ولا تزمي شفتيك هكذا أمامي مرة أخرى "

ومال يطبق عليهما بشفتيه فتشبثت ونس بملابسه باستسلام لقبلته قبل أن ينفتح باب المرآب خلفهما الكترونيا ويدخل ضوء النهار منه ليغلب ضوء المرآب الصناعي الخافت ثم ظهرت سيارة كامل الضخمة خلفهما فأفلت شامل شفتيها بينما أخفت ونس وجهها في كفيها بحرج ليقول كامل من النافذة "عيب على طولك ما تفعل يا بيك هل تحسب نفسك في فيلم رخيص "

تطلع شامل في المرآة الجانبية ببرود يداري ابتسامة شقية فأخرج كامل ذراعه من السيارة قائلا" تزحزح يا حلوف والله لو ضغطت على الزمور سأفزع صغيرك في بطنها"

خرجت ونس من السيارة مسرعة نحو الباب الموصل للفيلا فتحرك شامل بالسيارة يبعدها

زافرا ليصفها في أحد الأركان فدخل كامل بالسيارة خلفه .

بعد دقيقة خرج شامل من السيارة وسأل كامل بغيظ "ما شكله هذا الوقح ؟"

رد كامل بقرف" في أواخر الخمسين ويبدو مختلا عقليا لا تشغل بالك به لقد لقنته درسا وونس دفعته دفعة بنت رجال فأصابت رأسه.. وأنا لولا الموجودين لمات في يدي .. فلا تقلق منه .. والمدير وعد بأن يبدل حصصه مع أستاذ أخر بعد أن هددته بالفضيحة "

هز شامل رأسه بعبوس وتحرك ليدخل ثم سأله "ألن تدخل؟"

رد كامل وهو يميل بجذعه للخلف ليستند على السيارة "أنتظر حرمنا المصون آتية خلال دقائق"

ابتسم شامل ودخل بينما وقف كامل بالمرآب حتى وصلت بسمة التي شعرت بالارتباك من انحدار بداية المرآب لأسفل فنزلت بالسيارة بتوتر مع توجيهات كامل الذي ضغط على زر المتحكم الالكتروني ليغلق باب المرآب بعد دخولها وراقبها وهي تصف سيارتها ثم تضع يدها على صدرها تنطق الشهادتين براحة وخرجت من السيارة تقول" أشعر بأن ركبتاي من الهلام"

راقبها كامل بصمت يديه في جيبي بنطاله فقالت له متفكهة "لا تقل بأنك تنتظرني في هذا المرآب المظلم لأنك تشتاق إليّ!"

رد ببرود مناكفا وهو يقترب منها " لا بالطبع .. ولكن خوفا من أن تصطدمي بسيارتي أثناء دخولك "

راقب نظرتها المغتاظة وهو يتحكم في ابتسامته واقترب منها يقول" ولسبب أخر أهم"

مال عليها دون كلمات إضافية يطبق على شفتيها فاتسعت عينا بسمة متفاجئة قبل أن تسترخي بعد ثوان وتبادله القبلة معترفة لنفسها بأنها كانت بحاجة ماسة لحضنه وقبلته بعد رحلتها الشجاعة اليوم في هذا الطقس .

حين أبعد شفتيه عنها قالت بخفوت وهي تدس يدها بين فتحتي السترة الجلدية الأنيقة التي يرتديها لتتحسس صدره "ما كان هذا ؟"

رد ويده تتحسس عنقها "تشاجرت مع أحدهم ولا زلت أشعر بالغضب فأردت أن أتناول مهدئا "

اتسعت ابتسامتها التي تخطف قلبه وسألته" مع من تشاجرت ؟"

قال وهو يتطلع في زرقة عينيها كمن يتطلع في بحر أزرق رائق "ستعرفين القصة حين ندخل الفيلا "

قالت وهي تتحسس فكه "سوسو قالت مادام المطعم ليس به حجز اليوم بسبب الأمطار سنجلس كلنا في جلسة عائلية "

مال عليها ليقبلها فقالت مازحة وهي تمنعه بيديها على صدره "يكفيك جرعة مهدئ واحدة حتى لا تضر كثرة المهدئات بصحتك"

ضحك وضربها على فخذها ثم كتف يدها خلف ظهرها بيديه قائلا" لا هذه من أجلك أنت .. جائزة لك لأنك قدت السيارة اليوم لأول مرة في الزحام وفي هذا الطقس دون أخطاء "

ومال يمنحها جائزته فتلقتها بكل سعادة وامتنان.

xxxx

قبيل العصر

بملابس بيتية رياضية وقف جابر يديه في جيبي بنطاله يستند بكتفه على باب المطبخ يتطلع في أم قلبه التي تقف أمام الموقد .. تطلع في قامتها النحيفة التي امتلأت بعض المناطق فيها بسبب الحمل ونظر لبطنها الصغيرة التي لا تظهر حتى الآن إلا في الملابس المحددة لتفاصيل جسدها كذلك الرداء البيتي الذي ترتديه من بنطال من قماش شتوي وبلوزة قصيرة عليه.. أما في ملابسها الفضفاضة خارج البيت فلم يلحظ أحد بعد وقد أخفوا خبر الحمل حتى هذه اللحظة ولم يخبروا إلا المقربين .

استدارت أم هاشم وراقبت وقفته فأظهر لها وجها متمسكنا ونظرة بائسة استدعت شفقتها فقالت شاعرة بالذنب" يا جابر أنت من قلت بأنك لن تأتي للراحة في منتصف اليوم وستأتي عند المغرب"

قال بلهجة مسكينة " وهل قلت شيئا؟.. أنا صامت"

زفرت تقول باستياء " لا حول ولا قوة إلا بالله! لا تشعرني بالذنب لأنك جائع"

غمغم بمسكنة" لا بأس"

أدارت وجهها للقدر على النار فكشفت عنه الغطاء وأدخلت الشوكة في قطعة من اللحمة ثم أخرجتها وهي تقول "الطعام أوشك على النضج بإذن الله (وحركت الشوكة في الهواء وهي تقترب منه قائلة) ذق هذه وأخبرني إن كانت قد نضجت"

وقفت أمامه وهو لا يزال مستندا بكتفه على الحائط بوقفة متكاسلة فنفخت في قطعة اللحم ليميل برأسه يلتقطها من الشوكة فأعطتها له وهي تقول" ساخنة حاذر"

التقطها جابر يبردها في فمه وتحرك مبتعدا برضا وهو يقول "لا تزال تحتاج لوقت إضافي قليل على النار"

خرج للصالة حيث تجلس أمه على الأريكة التي تحبها بينما ميس عند منضدة السفرة تقوم بواجباتها المدرسية وهي لا تزال بلبس المدرسة بعد أن أنزلها السائق عند بيت والدها لتتغدى وبعدها سيوصلها جابر لبيت أخوالها .. فمسح على شعرها بيده قائلا "لقد ألغيت حصة مس إسراء اليوم فالمطر شديد ولا داعي لخروجها من البيت في هذا الجو"

هزت ميس رأسها بابتسامة فناغشته أمه تقول وهي تراه يجلس على الأريكة أمام التلفاز" هل ارتحت الآن وستجلس في انتظار الطعام بعد أن وقفت على رأس المسكينة ذهاب وعودة على المطبخ!"

واصل جابر مضغ قطعة اللحم وهو يهز رأسه برضا لأمه التي قالت له " ألم تخبرنا بأنك ستتأخر من أجل طلبية؟"

رد بفم ممتلئ " الطلبية تأجلت بسبب هطول المطر وغلق بعض الطرق هل كنتما تريدان مني أن أبقى في المحل في هذا الطقس!"

خرجت أم هاشم من المطبخ فراقبتها عينا جابر وكل ما يصدر عنها كالعادة هو متعلق به .. آسرا لعينيه ويخلب لبه .. راقبها حتى استقرت بجواره على الأريكة تربع ساقيها فوقها فمد يده

يتحسس بطنها قائلا" هذه الملابس تظهر بطنك بشكل ملحوظ أم أنها كبرت قليلا"

اتسعت ابتسامتها وقالت بدلال" الاثنان"

التقطت ميس الحديث فعقدت حاجبيها تفكر فيما سألتها عنه والدتها أكثر من مرة عما إن كانت أم هاشم حامل أم لا .. لكنها لم يكن لديها إجابة فأدارت وجهها نحوهما ولاحظت بطن أم هاشم لأول مرة ولم تفهم هل بطنها الصغيرة هذه تعني أن هناك طفلا صغيرا بالداخل أم أنها مثل معلمتها ذات الكرش في المدرسة التي سألها التلاميذ عما إن كانت حاملا أم لا فنفت ذلك !..فاندفعت تسأل" هل يوجد طفل في بطنك؟"

نظر جابر لأمه وقد نسي بأنهم قد قرروا عدم إخبارها بهذا الأمر حتى تعتاد على وجودها

بالبيت ووجود أم هاشم فقال لها معترفا" أجل سيأتيك أخ إن شاء الله"

اتسعت عيناها بصدمة وتملكتها مشاعر مضطربة أبرزها الخوف والغيرة فسألت" كيف يكون أخي وأمي لم تلده؟"

رد جابر بهدوء وهو يمسح على بطن أم هاشم غير قادر على إخفاء فرحته" لأنه أخوك من والدك هو ابني مثلما أنت ابنتي"

ازداد شعورها بالغيرة .. شعور لم تعرف اسمه لكنه كان يتعاظم في صدرها وانتابتها رغبة مفاجئة في البكاء لكنها تحكمت فيها وسألت "أهو صبي أم فتاة؟"

ردت أم هاشم" لا زلنا لا نعرف حتى الآن فهو متقوقع على نفسه ولا يريد إخبارنا ..غالبا يريد مفاجأتنا"

طالعتها ميس بنظرات مغتاظة وهي تستعيد مشهد تربيت يد والدها على بطن أم هاشم منذ لحظات بينما لملم جابر فرحته الواضحة على وجهه وقال "سيكون لك إخوة مثلما أولاد خاليك لهم إخوة"

سألته ببراءة طفولية "هل سينام هذا الطفل في غرفتي في الطابق العلوي؟"

رد جابر نافيا "لا بالطبع سيكون له غرفة مثلك لكن فرحتي الكبرى ستكون دوما بابنتي الكبيرة ميسة"

تدخلت نجف تقول" بالطبع وهل هناك مثل فرحتنا بوصول ميس .. والدك أقام لك سبوعا وعقيقة وزعت على الشارع كله .. أتعلمين لازلت أحتفظ بتلك القطعة الخزفية التي كانت توزع مع حلوى سبوعك كانت وردية وعلى

شكل ملاك .. انتهي من واجبك المدرسي وسأريك إياها"

هزت ميس رأسها وهي لا تزال تشعر بالضيق وعادت تنظر في كراستها بدون تركيز بينما لاحظت أم هاشم جابر الساهم أمام التلفاز بشرود فحاولت مناكفته بأخذ متحكم التلفاز من يده قائلة" لماذا غيرت الفيلم يا جابر"

قال لها باعتراض "لقد قارب على الانتهاء وأريد أن أرى النشرة الإخبارية"

حاولت الحصول على المتحكم الإلكتروني منه بينما هو يبعده وهي تقول" أريد أن أرى أخر جزء أحبه جدا ويضحكني"

رد عليها بمناكفة" وأنا أريد النشرة الإخبارية و الفيلم شاهدتيه أكثر من مرة وسيعاد في الإعادة"

ضربت يدها على الأخرى فوق بطنها و ردت مقارعة وهي ترمقه بنظرة جانبية" والأخبار ستعاد أيضا .. كل ساعة تعاد كما أن كل الأخبار انفجارات وقتلى يا جابر"

ناظرها بنظرة جانبية مشاكسة وقال بلهجة ذات مغزى وابتسامة شقية تتراقص على شفتيه" وأنا أحب النشرات ذات الانفجارات والقتلى والجرحى مالك أنت"

أشاحت أم هاشم بوجهها تداري ابتسامة محرجة ولم تجد الرد المناسب على كلامه أمام أمه وابنته بينما قالت ميس زافرة بضيق" صوتكما عالي وأنا أريد أن أكتب الواجب "

ناظرها جابر بنظرة عاتبة على أسلوبها الفظ فانكمشت ميس مردفة" من فضلكما"

تدخلت أم هاشم تقول "قلت لك يا بنت الحلال ادخلي غرفة الضيوف إنها هادئة بعيدة عن صوت التلفاز وصوتنا"

قالت ميس بامتعاض واضح" أريد أن أبقى بجوار أبي فأنت تبقين معه طوال اليوم أما أنا فسأغادر بعد قليل"

تدخلت نجف قبل أن يرد جابر بحدة" بنيتي غرفتك موجودة وتأتين عندنا أكثر من مرة في الأسبوع وترحلين في المساء .. وليلتي الجمعة والسبت تبيتين معنا ..ولو أردت البقاء للابد سنكون سعداء بذلك"

ردت ميس على جدتها" لن أستطيع لأني أريد أن أعيش مع أمي أيضا"

شعر جابر بغصة في قلبه فاستقام واقفا يقول بهدوء" يؤذن لصلاة العصر سأذهب لأتوضأ"

طحنت أم هاشم ضروسها وهي تراقب ظهر جابر المغادر تشعر بالغضب الشديد من ميس .. إن هذه الطفلة تصر على استفزازها وحرق دمها لكنها دوما تذكر نفسها بأنها طفلة وممزقة بين والديها وأن شعورها هذا شعور طبيعي تجاهها لكنها حين تُحزن جابر وتضغط على نقطة ضعفه يخرج ذلك أم هاشم عن السيطرة .. فهي تتحمل ما يخصها لكنها لا تستطيع تحمل أي حزن يصيب جابر.

راقبت ميس هي الأخرى والدها الذي غادر الجلسة نحو الحمام وشعرت بالارتباك ولم تفهم بم أخطأت ..ثم سمعت أم هاشم تقول زافرة" اللهم طولك يا روح !.. (وعلت صوتها) أنا على وضوء سأنتظرك لنصلي معا يا جابر"

xxxx

انهارت منة الله في البكاء في ساحة بيت مصطفى بينما قالت لها إحدى خالاتها مهدئة" حبيبتي ستكون بخير لا تقلقي"

قالت بانهيار "لماذا لم يأخذوني معهم للمستشفى؟"

رد أخوها ياسر بامتعاض" كنتِ بالمدرسة هل سينتظرونك حتى تحضري وهي متعبة وعلى وشك الولادة!!"

قالت بلهجة باكية" أريد أن أذهب إليها"

رد ياسر بعصبية يداري قلقه على والدته "سنذهب ولكن حينما تلد بإذن الله.. هيا أدخلي من المطر حتى لا تمرضي وتوقفي عن البكاء وإلا لن تذهبي إلى أي مكان "

في نفس الوقت في بيت العمدة دخلت نحمده على المساعدتين تسألهما "عم تتهامسان؟"

ارتبكت تماضر وردت" كنت أخبرها عن زوجة الحاج مصطفى"

قالت نحمده بعبوس "ما بها صفاء .. هل حدث شيء وأنا آخذ قيلولتي ؟"

أجابتها تماضر" أخذوها إلى المستشفى يبدو أنها ستلد"

هتفت نحمده بعصبية "وهل تقفن وتضيعن الوقت في الثرثرة هيا إلى العمل"

قالتها وتحركت عائدة لمجلسها ودمائها تزداد غليانا فصفاء ستلد الولد السادس لمصطفى بينما مفرح ابنها الوحيد ليس له إلا ولدين .. ولدين استولت عليهما بنت الصوالحة وسيطرت عليهما كما سيطرت على أبيهما قبلهما ..

إنها تتفتت من الغيظ والحقد والغضب..
وتعذب ببطء بمشاعرها هذه وهي مقيدة في التصرف .. حتى أن ضغطها أضحى عاليا بشكل مستمر وهذا يثير عصبيتها وغضبها أكثر..
خاصة بعد أن حذرها الطبيب أخر مرة من خطورة حالتها .

أسرعت بالاتصال بابنتها الكبرى التي بادرتها بالقول" كيف حالك يا أمي هل تواظبين على دوائك ؟"

ردت بعصبية" حالتي زفت .. والصداع لا يهدأ "

قالت فايزة مهدئة " يا أمي أرجوك ..عليك إذن بالحفاظ على ضغطك طبيعي وألا تنفعلي "

هتفت بعصبية " كيف لا أنفعل وكل شيء من حولي يقهر .. حال أخوك مثلا الذي يضيع عمره على الطريق ذاهبا وعائدا من العاصمة"

قالت فايزة تحاول تهدئتها "يا أمي اتفقنا أن تنزعي هذا الأمر من رأسك أنا خائفة عليك .. الطبيب حذرك من ضغطك دائم الارتفاع هذا ومضاعفاته.. أرجوك حاولي أن تخرجي مليكة من رأسك"

قالت بغيظ " هل أنت من تقولين ذلك يا فايزة!!"

قالت الأخيرة موضحة " أنا مثلك مغتاظة ودمي محروق ولا أطيقها لكني قلقة عليكِ فكلام الطبيب آخر مرة كان غير مطمئن ..حاولي نسيانها كي تخففي من غضبك وعصبيتك"

صاحت تقول " كيف أنساها وقد ضيعت حياة ابني وترهقه ذهابا وإيابا من وإلى العاصمة خلال الأسبوع حتى تعيش الهانم في العاصمة وفي

المدن الجديدة التي دفع في الشقة التي اشتراها فيها مبلغا مخيفا"

غمغمت فايزة بحقد "بصراحة حينما بحث زوجي على أسعار الشقق في هذه المدينة أبلغني بأثمان مرعبة .. شعرت بالأسف على أخي لإضاعة أمواله في شقة هناك وتحمل السفر بهذا الشكل المرهق .. وسمعت أيضا أن المدرسة التي التحق بها ولداه مصاريفها عالية جدا .. كل هذا لتقلد أخويها في العاصمة وتنافسهما"

قالت نحمده بقرف " تأتينا بطفل من رحمها أولا كي تنافس به .. أتركيني في خيبتي الثقيلة يا فايزة .. إن صفاء ذهبت لتلد السادس وأنا ابني توقف نسله بسبب بنت الصوالحة"

هتفت فايزة متفاجئة" صفاء ولدت!"

في تلك الأثناء كان مصطفى يقف متوترا بشكل واضح في إحدى المستشفيات بمركز المحافظة يقرأ القرآن من المصحف الصغير في يده بينما حمزة يتحدث في الهاتف مع خطيبته بصوت خافت وأخوه محمد يتفحص هاتفه ثم انتبه الجميع حينما خرجت الطبيبة إليهم بوجه باسم فصدق مصطفى واقترب منها مع ولديه .

بادرتهم الطبيبة بالقول" حمدا لله على سلامتها هي والمولودة بخير تستطيعون رؤيتها بعد نقلها لغرفتها"

زفر حمزة ومحمد بينما قال مصطفى بارتياح شديد" اللهم لك الحمد والشكر .. اللهم لك الحمد والشكر "

xxxx

في المساء

ترجل جابر من السيارة وتجنب الأرض الطينية بسبب الأمطار لكنه لم يدع ميس تخرج إلا بعد أن طرق بوابة أولاد العسال وانتظر أن يفتح أحد أبناء بدير الباب حتى لا تتبلل بالمطر فقد اضطر لإعادتها بالسيارة رغم قصر المسافة بسبب الطقس .

حملها وعاد ليضعها على البوابة فلوحت له ميس مودعة فأشار لها بأن تدخل بسرعة ثم وقف شاردا تحت المطر حتى بعد أن استأذنه ابن بدير وأغلق البوابة .

كان يتمنى أن تبيت عنده الليلة لكن أمها اتصلت بها وانفعلت ترفض الفكرة لأنه ليس يوما من الأيام المتفق عليها لمبيتها عنده.. فأنفعل هو الأخر وكاد أن يأخذ الهاتف من ميس ليتشاجر معها رغم أنه لم يتحدث معها

منذ تلك الحادثة بينهما في المستشفى قبل ثلاثة أشهر .. لكن أمه أسرعت بالتحدث مع كاميليا وأخبرتها بأنهم سيخيرون البنت .. وللأسف طلبت ميس العودة لأمها فلم يجدوا بدا من النزول عند رغبتها .

تنهد جابر والمطر لا يزال يسقط فوق رأسه فتحرك فوق بعض الأحجار يرفع جلبابه الذي تبلل بالمطر متجها نحو سيارته ثم ركبها وعقله مشغول على ابنته ..

لا يشعر بالراحة من أن تتربى مع أبناء أخوالها الذكور .. هذه الخاطرة لا تشعره بالأمان خاصة مع شخصية أمها غير المراعية لشيء .. وتمنى أن يجد طريقة لأن تبقى في بيته للأبد .. لكنه عاد يطمئن نفسه واثقا في ربه فرفع عينيه للسماء قائلا" اللهم أني استودعتك ابنتي يا من

لا تضيع ودائعه فاحفظها من كل سوء ومن كل شر يا رب العالمين "

xxxx

بعد دقائق

تطلعت كاميليا في ميس التي فكت وشاحا طويلا كان يحيط برأسها وكامل جذعها ووضعته جانبا لتخلع ملابسها وتسرع بارتداء أخرى شاعرة بالبرد فسألتها "لمن هذا الوشاح؟"

ردت ميس " إن جدتي لفتني به قبل أن أخرج"

"وأين ملابس المدرسة؟"

أجابت ميس وهي تعطيها البلوزة لتقلبها لها على الوجه الصحيح" بدلتها عند أبي ووضعتها في الحقيبة ذكريني أن أعيد هذا الرداء مرة

أخرى لبيت أبي حتى يكون لي ملابس هناك أبدل فيها"

لوت كاميليا شفتيها بامتعاض وآلمها معصمها كلما جاءت سيرة جابر.. آلمها موضع الكسر الذي أخذ وقتا حتى التأم .. لكن الغل بداخلها ظل يزداد .. والغضب يتعاظم .. لن تنسى ما فعله بها .. لن تنسى إهانته لها .. رفضه لها .. لن تنسى أنه لم يُقدِّر تنازلها حينما أشارت له صراحة بموافقتها على العودة له .. ولن تنسى رد فعله القاسي وكلماته الأكثر قسوة.

إن كبريائها قد جرح ولن تستطيع نسيان هذا أبدا ولا أنه قد فضل عليها تلك السوداء التي يتحدث أهل القرية كيف هو مهتم بها .. وكيف يظهر تقديره لها كلما حانت له الفرصة ..

أيفعل ذلك ليحرجها أمام الناس؟ .. ليهينها؟ .. ليخبرهم بأن بنت الشيخ تعيشه في سعادة وراحة بال؟ .. هل هذا مقصده ؟!.

أعطتها البلوزة وبدأت في استجوابها كما تفعل كل مرة تعود فيها من عند والدها .. فالفضول يقتلها لتعرف تفاصيل علاقته بأم هاشم وحياته معها .. ورغم أن ميس لا تزال صغيرة ولا تحكي لها بالتفصيل الذي تريده لكن ما وصلها يحرق قلبها ويشعرها بالغيظ الشديد .

سألتها " ماذا فعلت اليوم احك لي"

ردت ميس تهز كتفيها بلا مبالاة" كتبت الواجبات المدرسية هناك"

رفعت حاجبا وسألتها "هل هذا فقط ما فعلتيه؟!!"

حركت ميس مقلتيها يمينا ويسارا تبحث عما تقوله قبل أن تغضب منها والدتها ككل مرة لأنها لا تجد في رأسها ما تحكيه ثم أضافت" وأكلنا وجلسنا أمام التلفاز كان هناك فيلما كانوا يشاهدونه وأنا نمت قليلا على حجر أبي"

رفعت كاميليا زاوية شفتها العليا وسألتها" هذا فقط ما يفعلونه في حياتهم؟!"

قالت ميس مضيفة" أبي أحضر ألحفة من الطابق العلوي فتدثرنا بها فوق الأرائك أمام التلفاز .. أنا وهو وجدتي وأم هاشم لهذا ألبستني جدتي الوشاح حتى لا أبرد (وصمتت قليلا لا تعرف ماذا تضيف ثم قالت) ..أم هاشم صنعت لنا مشروب (السحْلَب) وأحببته كثيرا .. لقد قالت أن الجو بارد والمشروب سيدفئنا .. وطلب منها أبي أن تصنع له (شوربة عدس) لأنه يشتهيها فوعدته بأنها ستصنعها

غدا .. و .. و (عادت تفكر أكثر وتعتصر ذاكرتها ثم قالت) وأبي تحدى أم هاشم في أن يصنع فشارا لأنه لم يصنعه من قبل .. فأخبرته جدتي بالطريقة ودخلتُ أنا وهو المطبخ وصنعناه معا وكسب أبي الرهان وأغاظ أم هاشم التي اضطرت بسبب ذلك تركه ليشاهد نشرة الأخبار بدلا من المسلسل الذي كانت تريده.. (وصمتت للحظات تلهث ثم بلعت ريقها وأضافت) ثم قامت أم هاشم وصنعت لي فطيرة بالشكولاتة لأن أبي أخبرها أني أحببتها المرة الماضية حتى أنها وضعت لي بقية الفطيرة لآخذها معي"

قالتها ميس وهي تتوجه لحقيبة مدرستها وأخرجت منها ملابس المدرسة ثم فتحت كيسا كان في يدها حينما حضرت وأخرجت منه علبتين بلاستيكيتين وقالت بسعادة وهي تفتحها "أعطتني باقي الفطيرة"

هتفت كاميليا بغيظ" ولماذا أخذتها منها؟!"

ردت ميس بارتباك" أبي قال ذلك"

قالت كاميليا بلهجة تحذيرية " في المرة القادمة قولي لها لا أريد "

غمغمت ميس " ولكني أريد"

قالت كاميليا غاضبة " كما قلت لك لا تأخذي منها شيئا مرة أخرى"

ردت ميس مجادلة " ولكن أبي سيغضب مني إنه يحزن كلما ضايقت أم هاشم في شيء"

مطت شفتها وردت بإصرار "قولي له أمي قالت ذلك"

قالت ميس بتحدٍ "قولي له أنت ذلك ..فأنا لا أريده أن يغضب مني"

زفرت كاميليا بغيظ وسألتها "وماذا في العلبة الأخرى؟"

ردت ميس وقد عادت لها ابتسامتها "هذه مخبوزات أعطتها لي جدتي لآخذها معي للمدرسة "

لوت كاميليا شفتيها لتضيف ميس ما جعل أمها تستشيط غضبا" إنها مخبوزات صنعتها أم هاشـ.."

صرخت كاميليا بعصبية " أم هاشم ..أم هاشم هل أضحت حياته هو وأمه لا تدور إلا حول أم زفت هذه!!"

ناظرتها ميس بارتباك لا تفهم المعنى فجلست كاميليا على طرف السرير تهز ساقها بعصبية وهي تعود للنظر لهاتفها فشعرت ميس بالضيق لضيق أمها رغم أنها لم تفهم السبب لكنها خمنت أن تكون هي السبب في حالة أمها ربما

أخطأت في شيء لا تعرفه فقالت تهم بترك الغرفة" سأذهب للحمام"

لم ترفع كاميليا أنظارها بل تطلعت في الهاتف تتفقد صفحات الفيسبوك .

إنها تشعر بالضجر ويخنقها الملل ولا تجد ما تفعله في يومها .. فهي ممنوعة من الخروج وحدها ..تخرج فقط في المناسبات أو في مشاوير يكون معها فيها أحد أخويها أو واحدة من زوجتيهما .. وصاحباتها يأتينها مرة واحدة في الأسبوع ولا يسمح بأكثر من ذلك.. وكل هذا يخنقها بشدة .

هذا بخلاف طلبات الزواج التي تأتيها ممن لا يناسبون طموحها .. لا يوجد فيهم من لم يسبق له الزواج أو من سبق له الزواج ولا يعول وهذا يجرح كبريائها ويشعرها بالحرج أمام أهل البلدة إن قبلت بهذا الوضع حينما يقارنونها

ببسمة الوديدي التي تزوجت من خارج البلدة بل من دولة أخرى وتعيش في العاصمة وعلى وشك إعادة افتتاح مشروعها من جديد .. مشروعها وبيت الجد صالح الذي يعرف الجميع بأن زوجها قد أعاد ترميمه على نفقته الخاصة هدية لها ..

الغيظ سيقضي عليها .. وما يحدث معها يؤكد لها الفكرة المسيطرة عليها منذ طلاقها .. أنها لن تحقق أي شيء مما تحلم به مادامت محبوسة بين حدود هذه القرية اللعينة .. لو كانت في العاصمة لوجدت من يقدر جمالها ويرضي غرورها.

جاءها إشعار برسالة خاصة على الفيسبوك فأسرعت بفتحها لتجدها ردا على رسالة كانت قد أرسلتها منذ أيام لإحدى الصفحات الخاصة بوكالة فنية تكتشف المواهب..

كان يتملكها الفضول لتعرف هل لو كانت خارج القرية وتقدمت لهم ستُقبل .. أو ربما كان يتملكها العطش لسماع بعض عبارات الإطراء عن جمالها .. لهذا أرسلت لهم مستفهمة .

قرأت الرسالة : "نعتذر عن التأخير في الرد .. عن أي قسم من المواهب تسألين آنستي؟"

ترددت قليلا تقضم ظفر إبهامها ثم كتبت" التمثيل"

كتب مدير الصفحة " تمام معك رؤوف زكي المنتج هلا أرسلت لي على هذا الحساب لنتحدث"

أرسل لها رابطا فضغطت على الحساب الشخصي له فوجدته قد أرسل لها من حسابه رسالة خاصة تقول "الشروط هي أن ترسلي بياناتك وصورة شخصية"

تسارعت دقات قلبها .. فقد اقتربت من لحظة الحصول على مدح من أحدهم .. ففتحت الصور في هاتفها واحتارت أي من صورها التي تصورها لنفسها ليل نهار سترسلها .. فاختارت بعد بعض الحيرة صورة لوجهها بزاوية جانبية تضم فيها شفتيها كمنقار البطة وتبدو فيها خضرة عينيها واضحة بينما شعرها العسلي متدلي على كتف واحد فضغطت على زر إرسال وانتظرت رد الفعل وهي تشعر بالتوتر وبعض الخوف من إرسال صورتها لشخص غريب .

جاءها بعد لحظات رد المدعو رؤوف قائلا" واااااو !.. ما شاء الله ما هذا الجمال الساحر"

اتسعت ابتسامتها بفرحة فكتب يسألها ليتأكد" ما هو الاسم؟"

كتبت بتردد" كما هو مكتوب بحسابي (كامي)"

"ألا يوجد اسم ثلاثي؟"

"لا ..أفضل أن يكون كامي فقط "

"حسنا يا آنسة كامي كم عمرك؟"

تحركت مقلتاها بحيرة وازدادت أنفاسها توترا ثم كتبت "خمس وعشرون"

كتب لها رؤوف "حسنا يا آنسة كامي ..نحتاج صورة كاملة لك وليس الوجه فقط يظهر فيها قوامك ورقما للتواصل لأننا سندخل المتقدمات في تصفية مبدئية يتم اختيار خمس منهن وبعدها سنتواصل معهن لتحديد مواعيد للحضور للمقابلة الشخصية واستكمال باقي إجراءات التصفية حتى نختار الوجه الجديد الذي سنرشحه لأحد الأفلام القادمة"

بدأت تشعر بالخوف وعقلها يخبرها بأنها حتى لو فازت في التصفية فلن تستطيع أن تذهب لتلك الوكالة بكل أسف فلن يسمح لها أحد بذلك ..

قال رؤوف" آنسة كامي هل لازلت موجودة؟"

"كاميليا"

قالها بدير من الخارج فارتبكت وضغطت على خاصية الحظر لتحظر حساب رؤوف وأغلقت الهاتف ثم أسرعت تخرج لبدير الذي كان يقف في الصالة وقالت "نعم أخي"

سألها بعبوس "ماذا حدث مع زوجتي أخويك اليوم؟"

قالت بحدة" هل أسرعتا بالشكوى؟!"

أغمض عينيه لثوان يتحكم في رغبة تزداد بداخله مع الوقت لضربها علقة ساخنة ثم قال من بين أسنانه" لم تشتكِ إحداهما أنا من سألت حينما أخبرني ابني بأن مشاجرة حدثت بصوت عال بين نساء البيت صباحا"

ردت كاميليا ببرود " إنهما مغتاظتان لأني لا أشارك في عمل البيت أو الطهي .. لماذا لا تتركاني في حالي لا أفهم !"

تنهد بدير وقال بهدوء ظاهري " يا كاميليا ما تقولينه هذا لا يصح.. كيف ستبقين في البيت كالضيفة! .. قبل زواجك كنت تتدللين كثيرا ووجدان من كانت تحمل البيت فوق رأسها.. حتى أتت زوجة عماد وشاركتها بينما كنت دوما تلعبين دور الصغيرة وكانتا تتحملانك لكن الآن لم تعودي صغيرة وأصبحت تشاركينهما الحياة في البيت"

تكتفت تقول بذقن مرفوع " أولا أنت قلت لي بأني ضيفة في هذا البيت وأن هذا بيتك أنت وعماد .. ثانيا هناك سيدتان في البيت ولا أجد أن الأمر يحتاج لثالثة .. ثالثا أنا لست معتادة على ذلك كنت في بيت جابر لا أقوم سوى

بالطبخ وباقي الأمور تأتيني فتاة لتفعلها كيف سأ"

قاطعها قائلا بحدة " كان هذا في بيت جابر يا كاميليا .. ومع هذا لم يعجبك وأصريت على الانفصال .. والآن لم يعد يصح أن تبقي بهذا الشكل دون مشاركة وترك الأعمال عليهما"

امتقع وجهها وهتفت بغيظ" إن كانت الست وجدان لا يعجبها ذلك وتشعر بثقل أعمال البيت عليها تحضر مساعدة نحن لسنا فقراء"

رد بدير موضحا "وجدان لا تحب دخول أحد غريب البيت"

هزت كاميليا كتفيها ببرود استفزه وقالت "إذن عليها أن تتحمل نتيجة تعنتها هذا"

زفر ورفع قبضته أمامه يتحكم في أعصابه حتى لا يضربها ثم سألها" ماذا قلت بالنسبة للعريس الأخير الذي حدثتك عنه؟"

مطت شفتيها ثم قالت بتعال "إن قبلت بأن يكون ولداه الاثنان معنا فشرطي ألا أكون مسؤولة عنهما ..أمه تتولى تربيتهما"

أمسك بذراعها يهزها صائحا في وجهها " هل أنت حمقاء؟ .. أنت بالفعل لديك قصورا في عقلك .. أفيقي يا كاميليا وانظري حولك .. انظري للواقع .. لست بكرا لم يسبق لها الزواج حتى تتدللي .. أنت مطلقة يا كاميليا مطلقة ولن يرغب أحد في الزواج من امرأة سبق لها الزواج حتى لو كانت جميلة مثلك فكفي عن هذه الحماقة ولا تضيعي حياتك بيدك واستفيدي من الدرس السابق "

خلصت يدها من ذراعه هاتفة في وجهه بعصبية "وهل أنا أقل من تلك السنيورة بنت الوديدي التي تزوجت ممن لم يسبق له الزواج والتي لا استبعد بأنك كنت على استعداد لترك وجدان التي كنت تدافع عنها منذ لحظات لترضي حبيبة القلب لو كانت قد طلبت منك ذلك"

"كاميلياااااا (قالها بصوت مخيف وهو يناظرها بنظرات خطرة مطبقا على ذراعها مرة أخرى بيده ثم قال بلهجة خطرة) مرة أخرى ستتحدثين عن هذا الأمر سأفعل مالا أحب أن أفعله .. سأضربك علقة تكسر عظامك صدقيني.. وسأزوجك لمن أريده أنا"

ناظرته منكمشة بينما هتفت ميس من خلفها" أمي"

تركها بدير وقال من بين أسنانه المطبقة على أعصابه "ومع هذا سأصبر عليك لبعض الوقت لربما تعقلتِ .."

قالها وتحرك يدخل غرفته ويصفع الباب خلفه شاعرا بالاختناق .. لماذا ذكرته بها وهو يحاول النسيان؟! .. لماذا ذكرته بجرح كبريائه وبقلبه المتألم؟!.. ولماذا ذكرته بثأره الذي ينوي بأن يأخذه من ذلك المتعجرف الذي أخذها من البلدة .. المتعجرف الذي يتباهى بأمواله بإعادته ترميم البيت الذي حرقه حتى لا تعود .. لماذا ذكرته .. فلتتركه في مصيبته .. في قلبه الذي سيحترق حينما تعود هي للتردد على القرية لتتابع مشروعها ..

عادت كاميليا إلى غرفتها تجز على أسنانها بغيظ وعصبية وجلست على السرير تشعر بالقهر والحصار .. فصعدت ميس على السرير بجوارها

وربتت على ذراعها تقول بمواساة" لا تحزني يا أمي"

قالت كاميليا بقهر" كل هذا بسبب والدك .. بسبب زواجه من تلك السوداء"

شعرت ميس بالحزن على أمها فقالت تحاول الفوز باستحسانها "لقد علمت اليوم الإجابة على السؤال الذي سألتني إياه أكثر من مرة"

ناظرتها كاميليا بعبوس فقالت ميس شاعرة بالضيق "أم هاشم في بطنها طفل"

شهقت كاميليا هاتفة" سينجب من أم هاشم؟!!!!.. سينجب من السوداء أطفالا سود مثلها؟!!!!"

تطلعت فيها ميس بارتباك بينما زاد الخبر من غيظ أمها وأشعرها برغبة في قتل أحدهم حتى تنفس عما بداخلها من غضب وحقد ..

إن هذا كثير .. كثير عليها تحمله .

××××

علا الضحك في غرفة صفاء بالمستشفى ومحمد يحدث أخاه عبد الله الذي يقضي الخدمة بالجيش على الهاتف مضيفا" يا بني عادي جدا .. اذهب بمنتهى البشاشة وقل لهم أريد إذنا لزيارة والدتي التي ولدت وحضور سبوعها.. وعِدهم بأنك ستحضر لهم السبوع و(المغات) هدية لهم حين تعود إليهم "

استمروا في الضحك فخرج محمد ليكمل مكالمته خارج الغرفة وهو يقول" أنت الوحيد الذي لم يكبر في أذنها بعد هيا أسرع .."

كانت منة تحمل أختها الصغيرة وتقول لباقي أخواتها "تشبهني كثيرا"

شاكسها ياسر قائلا" ولماذا لا تشبهني أنا هل وجدتموني على باب مسجد ؟!!.. عموما لم تظهر ملامحها بعد"

أسرعت بالقول بحماس "ارسل لي صورتها التي التقطها يا يامن أريد أن أرسلها لأصحابي"

نظرت صفاء لزوجها الذي يجلس على المقعد المجاور لسريرها وتبادلت معه الابتسام قبل أن تقول بوهن لحمزة "لماذا لا يخرجوني اليوم لأرحل معكم إلى البيت؟"

قال حمزة موضحا" لابد أن تبيتي يا أمي حتى الصباح ليطمئنوا على حالتك خاصة وأني أخشى عليك من الجو البارد بالخارج والمطر لا يزال غزيرا .. أحدنا سيبقى معك وسيغادر الباقون "

قال مصطفى لابنه" أمك لن تستطيع النوم في مكان غريب يا حمزة .. لو لأجل التدفئة

سندفئها جيدا في نقلها للبيت فاسأل الطبيبة لو يمكن إكمال علاجها بالبيت فأنت موجود"

هز حمزة رأسه يقول باستسلام" سأتصل بالطبيبة وأسألها"

قال مصطفى لابنه "بمجرد أن تستعيد والدتك صحتها سنجلس مع والد عروسك ونحدد موعد الخطبة .. (وأضاف مشاكسا) نريد أن ننتهي من هذا الأمر قبل أن نأتي بالطفل الثامن"

ضحكت صفاء ولكزت زوجها بحرج بينما ناظر حمزة والده بامتعاض .. ليقول مصطفى" لماذا تنظر إليّ هكذا؟.. أنا لازلت شابا وبصحتي وكذلك أمك وشهيتي ازدادت لإنجاب المزيد من الأولاد بعد أن رأيت قطعة السكر الصغيرة هذه"

ضحكات مكتومة جاءت من ناحية يامن وياسر فسألهما مصطفى متصنعا العبوس "علام تضحكان؟!!"

أسرع ياسر بالقول" لا شيء ..ألف مبروك يا حاج تربيها في عزك"

سألت منة "ماذا سنسميها ؟.. اختاروا من الاسماء التي اقترحتها"

قال مصطفى وهو ينظر لبكره" من سيسميها هو أخوها الأكبر"

رفع حمزة حاجبيه متفاجئا فقابلته نظرة صادقة من والده جعلته يهرش في رأسه شاعرا بالإطراء لتسأله منة "هل ستسميها من الأسماء التي اخترتها أنا يا حمزة؟"

رفع حمزة حاجبا ورد" لن اسميها اسما من الأسماء المائعة الخاصة بصديقاتك يا منة"

هتفت عابسة" وماذا ستسميها إن شاء الله!"

غمغم ياسر بلهجة ماكرة" سمها (أيسل)
سيفرح يامن لذلك فهو يحب هذا الاسم جدا"

لكزة من مرفق يامن في بطن أخيه جعلته
يضحك متأوها بينما ناظره حمزة قائلا
بامتعاض" ولا هذا الاسم أيضا"

هتفت منة بتحدٍ "ولن نسميها على اسم عُلا
خطيبتك أيضا"

رد عليها بامتعاض "سنسميها الاسم الذي
كانت أمي تريد أن نسميك إياه ثم جاء نصيبك
في اسم منة الله (ونظر لوالديه قائلا) سنسميها
حبيبة .. حبيبة مصطفى الزيني"

غمغم مصطفى بابتسامة شاكرة راضية وهو
يتطلع في وجه زوجته " بارك الله في حبيبة
وأخوتها ورزقنا برهم اللهم آمين "

xxxx

قال جابر في الهاتف باندهاش" بصراحة احترت معك يا زين .. ما كل هذه المصاريف التي تصرفها على الشقة!! .. الفاتورة التي أعطاها لي صاحبك الذي أحضر صنابير الحمامات حتى احتفظ بها في الأوراق التي تخصك عندي تقول أن هذه الأشياء بمبلغ كبير جدا لازلت مذهولا منه"

ضحك زين وقال موضحا "اسمعني يا شيخ الشباب ..أولا هذه النقود دفعتها في أشياء معمرة بدلا من أن أضطر لأن أبدلها كل بضع سنوات .. إنها صنع أوروبي وعليها ضمان عشر سنوات أي أنها ستعيش أكثر من ذلك إن شاء الله كما أني اشتريتها في عرض عليه خصم كبير مع أشياء أخرى"

زفر جابر وقال مستسلما" تمام يا عبقري زمانك سنرى في النهاية كيف ستكون شقتك"

شاكسه زين ضاحكا" لا تغار من أخيك الأصغر يا جبورتي اخبرني واشتري لك مثلها"

مط جابر شفتيه قائلا" لا يا حبيبي شكرا لك حمدا لله جددت شقتي قبل شهور"

أيده زين بمرح" طبعا يا عريس"

رد جابر متهكما" العقبى عندك عندما تكون عريسا"

تنهد زين وغمغم" يا رب يا جابر ..فأنا لا أصدق أنه قد مر ثلاثة أشهر فقط .. ما له الوقت يمر ببطء شديد"

قهقه جابر واعتدل في جلسته على السرير وعيناه تتبعان أم هاشم أمام المرآة وهو يقول" انزل ونزوجك فورا"

قال زين متنهدا "يا ليتني أستطيع فالحالة متأزمة معي بشدة"

ضحك جابر ليضيف زين بغيظ "تضحك على أخيك المسكين الذي يعاني من الوحدة؟!"

قال جابر بصدق " يسر الله لك أمورك .. عموما أنا موجود في أي شيء تحتاجه .. إن أردت أن تنزل إجازة للزواج في أي وقت افعلها ولا تهتم بشيء"

قال زين بلهجة ممتنة" أنا متأكد من ذلك .. لا حرمني الله منك يا أخي"

بعد قليل أغلق جابر الخط وظل يراقب أم هاشم وهي تصفف شعرها الذي عادت له تموجاته لكنه لا يزال ناعما والتي سألته "بم سمى مصطفى الزيني ابنته الصغيرة ؟"

رد جابر وهو يضع الهاتف على الكومود "حبيبة .. سأذهب لأبارك له في الصباح إن شاء الله "

غمغمت بابتسامة" اسم جميل ما شاء الله"

تأملت نفسها واعترفت باكتشافها لنقطة ضعف لديها ظهرت بعد زواجها .. ألا وهي (المنامات) .. لقد أصبح لديها هوسا بشراء وارتداء المنامات ..

تركت المقعد أمام المرآة واقتربت من السرير فتأمل جابر ذلك الروب القصير من التريكو الأحمر والذي خلعته بمجرد أن اقتربت لتظهر تحته منامتها المكونة من قطعة فوقية من الصوف الأبيض بحمالتين عريضتين وتصل إلى منتصف بطنها الصغيرة وتحتها شورت قصير وجورب من الصوف الأحمر فقال متعجبا" لم أكن أعلم بأن هناك منامات شتوية عارية وقصيرة!"

ردت متنهدة وهي تدس نفسها تحت اللحاف "يوجد يا جابر يوجد ..هل اخترعتها أنا مثلا !"

سألها بابتسامة خاصة" ألا تشعرين بالبرد فالجو لا يزال يمطر بالخارج"

ردت وهي تلتصق به "أنا عموما لا أرتدي الكثير في الشتاء (وناظرته بنظرة شقية مضيفة) كما أن الحمل يشعرني بالحر"

سألها مناغشا بابتسامة حلوة لا تزال تخطف قلبها كلما رأتها عيناها" ولماذا إذن تلتصقين بي الآن؟ "

ردت بنعومة أنثوية " لأدفئك ألم تقل بأن الجو يمطر بالخارج"

قهقه جابر فاتسعت ابتسامتها اللؤلؤية المؤطرة بالغمازتين ليسحبها لتنام على صدره مغمغما" أشعر بلهفة كبيرة لرؤية ابننا أو بنتنا"

رفعت رأسها تناظره بقلق وهي تقول " أتعلم .. أحيانا تنتابني الوساوس وأفكر في أن أولادي سيأتون سُمر البشرة"

قال جابر يرفع حاجبا" وما بهم السُمر؟"

ابتعدت عنه وتربعت لتواجهه وهي ترد بجدية" أنا فقط أخشى عليهم من التنمر يا جابر (ووضعت يدها على صدرها مضيفة بلهجة آلمته) أنا جربته .. جربت التنمر .. وأعرف كم هو بشع يؤلم الروح .. وأشفق على أولادي من أن يواجهوه"

وضع كفه على خدها يحضن جانب وجهها وقال وهو يتأملها "ولماذا لا تقولين بأن هذه فرصة جيدة لنعلمهم بألا يلتفتوا لآراء أي شخص جاهل ..لماذا لا تعتبري هذه فرصة جيدة لأن ننمي فيهم الثقة بالنفس والشعور بالعزة .. أنا وأنت لن نستطيع تغيير الناس لكننا

نستطيع أن نجعل ثقة أولادنا في أنفسهم
توقف ألسنة الناس عن التنمر عليهم "

أمسكت كفه بتأثر وقبلت باطنها ثم عادت لتنام كالقطة الناعمة على صدره الدافئ وهي تتمتم بعاطفة حارة " لا حرمني الله منك أبدا يا جابر قلبي"

مسد على شعرها مرددا" ولا منك يا أم قلبي"

ساد الصمت لبعض الوقت وكلاهما ينعم بدفء الأخر قبل أن تقول أم هاشم "وبالنسبة لموضوع المشروع؟"

تغير صوته ورد بهدوء حازم "لن نعود لهذا الأمر يا أم هاشم"

رفعت رأسها واعتدلت جالسة تقول وهي تبعد شعرها خلف أذنيها "اسمعني يا جابر"

قال لها بجفنين ناعسين "سمعتك من قبل يا قلب جابر"

أصرت على الاسترسال فقالت" أنا أريد أن أشارك في هذا المشروع يا جابر .. بسمة ومليكة سيقيمان مشروعان للنساء في بيت الجد صالح واحد لتجهيز الخضروات والأخر للسجاد والصناعات اليدوية للنساء"

رد عليها بنفس الهدوء " سمعت هذا الكلام من قبل وكان ردي .. إن كان مصروفك الذي أعطيه لك لا يكفيك سأزيده لكن لا تخرجي من أجل العمل هل أنا عاجز حتى تعملي"

قالت بصبر تحاول إقناعه " يا جابر لا تنظر للموضوع من هذه الزاوية .. أنا لا أريد أن أعمل لأني في حاجة للمال بل إنني قد أخبرت بسمة بأني لن أتقاضى أي شيء في المقابل صحيح هي لا توافق على ذلك لكني سأصر على رأيي ..أي

أنني لست بحاجة للمال ..أنا أعيش في خير زوجي والحمد لله .. كل ما أريده أن يكون لي دور في المشروع"

أشاح جابر بوجهه عنها غير راض مجيبا على إلحاحها" حتى لو كان ذلك لن أقبل أبدا بأن تجهدي نفسك ..صاحبتاك من الممكن أن تستأجرا من يدير المشروع"

أسرعت بالإمساك بفكه بين أصابعها واجباره على النظر إليها وهي تقول بلهجة لينة ودلال أنثوي ناعم حارق لأعصابه" وظيفتي ستكون الإشراف فقط على سير العمل حتى الحسابات بسمة تنوي تعيين من يتولى هذا الجانب"

غمغم بعبوس واستهجان" محاسب رجل!!"

ردت بسرعة" بل أنثى ..المشروع كله خاص بالنساء .. سيؤمن فرص عمل للكثيرات من بلدتنا والقرى المجاورة المعيلات لأسرهن

(وأضافت بعاطفة صادقة وإيمان قوى بهدف المشروع) صدقني يا جابر هذا المشروع يهمني وبسمة ومليكة خارج البلدة وتريدان الاطمئنان على سير المشروع .. وأنا أريد المشاركة .. سيكون إشرافا لعدد قليل من الساعات يوميا"

سألها ساخرا" وحين تلدين ..أين ستتركين هاشم إن شاء الله؟!"

اتسعت ابتسامتها وقلبها يرفرف من السيرة ثم قالت وهي تداعب لحيته " يا رب أن يكون هاشم يا رب ..عموما بالنسبة لطفلي سآخذه معي فكما قلت لك الأمر مجرد اشراف كأني صاحبة المشروع واتفقد وأباشر الأمر فيه .. وأتابع سير العمل"

طالعها بحيرة بين عدم استساغته للفكرة ووقوعه تحت تأثير استعطافها له ورغبته في

تنفيذ الأمر ثم قال" لا .. لازلت غير مرتاح لخروجك كالعاملات من البيت"

شعرت بالغيظ وتكاثرت هرمونات الحمل في دمائها كإعلان فقاعات المياه الغازية في التلفاز فوجم وجهها ولمع تحدي أنثوي في عينيها هو جزء من تكوينها وجابر يدركه جيدا فبدت أمامه كنمرة متحفزة باردة النظرات فما كان منه إلا أن رفع حاجبا متحفزا يناظرها صامتا فاستدارت فجأة وأولته ظهرها تقول" تصبح على خير يا جابر"

تحكم في ابتسامة واقترب منها يقول ويديه تتصرفان بشقاوة فوق المنامة" ظننت أننا سنحتفل بمناسبة ارتداء هذه المنامة لأول مرة"

هرمونات الحمل بدأت تنافسها هرمونات أنثوية أخرى فأغمضت عينيها ولملمت

ابتسامة هي الأخرى ثم ردت متصنعة البرود"
ظنك ليس بمحله"

سألها هامسا بجوار أذنها فدغدغ أعصابها
"لماذا؟"

فتحت عينيها وردت وهي تقاوم تأثيره عليها
"لأنها منامة للعرض فقط"

قهقه جابر عاليا فازداد الوضع في أعصابها سوءا
ولملمت شفتيها تقاوم ضحكة ملحة
فاحتضنها من الخلف ومد كفه يمسد على
بطنها العاري .

لن تستطيع مقاومته .. تعرف نفسها جيدا ..
نظرة من عينيه تخضع كل عفاريتها ..وحضن
دافئ كهذا الحضن يدك حصونها مهما كانت
عالية .. لكنها تحاول إقناعه مستخدمة أنوثتها
..

أنوثتها التي أعاد لها هو الثقة فيها فازدهرت بين يديه وفي أحضانه ..

أنوثتها التي أكتشف هو مكامنها ومنحها الفرصة لأن تتدلل وتستكشف بنفسها تأثيرها عليه ..

أنوثتها التي لازالت حتى الآن تقف مذهولة وهي ترى تفاصيل تأثيرها عليه ک رجل ..في تلك اللحظات التي تشبه الدخول إلى عالم العجائب .. لا تشعرها فقط بأنها أنثى كاملة وقد كانت تظن غير ذلك لسنوات طويلة .. بل وتتوجها ملكة على عرش الأنوثة بيدي سيد الرجال ..

هكذا يكون .. وهكذا ما تفعله فيها رجولته .. ونظرته .. و حبه ... و قبلاته التي يداعبها بها هذه اللحظة على أعلى ذراعها وهو يقول بصوته الرخيم" أتتمنعين يا عود القرفة؟! ..

ألأنك ناعمة ومثيرة وترتدين منامة جديدة..
تفعلين ذلك !"

ردت مجادلة تحاول التماسك " كل منا
يستخدم ما يملك للتأثير على الأخر يا جابر "

على الرغم من التحدي الذي حملته جملتها الصريحة لكنه شعر بالسعادة أن تصل لهذه النقطة من الثقة في تأثيرها كأنثى عليه .. وهذا ما استوقف أم هاشم في نفس اللحظة .. وصدمها كيف نطقت عبارتها الأخيرة بكل ثقة ..وقد أثر فيها ذلك .. أثر فيها بشدة فاستدارت إليه بسرعة تاركة ذلك الجدل جانبا لتتطلع في وجهه بتأثر للحظات ثم مالت لتقبل موضع قلبه.

استندت بعد ذلك بمرفقها على الوسادة وطالعت وجهه بحب كبير وهي تقول بلهجة ممتنة خاضعة له" أنا لا أتحداك يا جابر .. أنا

فقط أحاول اقناعك وشتان بين الحالتين ..
فأنت تعلم جيدا من تكون بالنسبة لي ..والله
أنت أغلى عندي من الروح التي تحتل جسدي"

أبعد شعرها عن جانب وجهها ورد" وأنت بت
تعلمين جيدا ماذا تكونين بالنسبة لجابر"

ألقت بنفسها على صدره تتمرغ في حنانه ودفئه
وهي تغمغم "لا حرمني الله منك أبدا"

غمغم وهو يتحسس ظهرها بحنان "ولا منك يا
أم قلبي"

نازعتها نفسها المائلة للتمرد فقالت بطريقتها
الطريفة محذرة "لكن كن على استعداد
للإلحاح .. فلن أيأس عن اقناعك يا جابر"

ابتسم جابر برضا وداعبها مرددا عبارتها
الشهيرة" اللهم طولك يا روح"

xxxx

"بِسْ ..بِسْ ..هل نمتِ؟!"

صافرة الواتساب جعلتها تعتدل في سريرها بسرعة وتمسك بالهاتف لتكتب "لا لم أنم بعد"

سألها زين "هل أتصل بك؟"

نظرت إسراء لأختيها المنكمشتين في السرير الأخر بجوار بعضهما تثرثران تحت الغطاء وتركت سريرها الدافئ لتخرج للصالة وهي تكتب له" تمام"

ثوان وكان زين يتصل بها وهو يجلس على سريره في تلك الغرفة التي يؤجرها في سكن مشترك وقال وهو يجفف شعره بالمنشفة "كيف حالك؟"

جاءها صوته مرهقا بشكل واضح.. إنه مشغول في العمل منذ أيام وكان التواصل بينهما على

الواتساب فقط بعبارات سريعة .. صحيح يرسل لها أكثر من مرة خلال اليوم لكنه تواصل سريع للاطمئنان .

ردت وهي تبحث عن مكان لتجلس فيه دون أن يسمعها أحد فهدوء البيت سيجعل صوتها مسموعا" أنا بخير الحمد لله هل انتهيت من عملك؟"

لقد اشتاق لصوتها .. بل إنه بات مكافأته التي يشجع بها نفسه بعد يوم شاق طويل ..فعاد بجذعه لظهر السرير وهو يسألها بخفوت" هل اشتقتِ لي؟"

اشتعلت وجنتاها رغم برودة الجو وسألته لتهرب من سؤاله "هل انتهى العمل أخيرا؟"

همهم بالإيجاب فقالت بغيظ "زين أنت ترهق نفسك كثيرا .. لم يكن هناك داع لتلك الوظيفة الإضافية التي التحقت بها"

رد بصوت هادئ مرهق "هل تريدين أن تأتيني فرصة لجمع المال وأتركها"

قالت معترضة "لكن يا زين هذا ارهاق عليك"

تكلم بلهجة جادة " قلت لك من قبل أريد جمع المال وتأسيس شقتنا بأسرع وقت"

ردت موضحة " لا أنا ولا أهلي نقيّم الناس بما يملكون من مال يا زين"

سألها بلهجة متسلية " أفهم من هذا الكلام أني إن أخبرتك بأنني لا أملك مالا لتجهيز الشقة ستوافقين على أن نتزوج؟"

ردت مؤكدة "بالتأكيد.. فأنت تعرف رأيي في هذا الموضوع"

اتسعت ابتسامته قائلا " ومع هذا أنا أريد أفضل شيء لي ولك"

قالت بتعاطف "لكن ليس بهذه الطريقة .. أنت تهلك نفسك"

رد بلهجة جادة " في الغربة تشعرين دوما بأن كل وقت يمر عليك هو ثمين من الممكن استغلاله للاستفادة أكثر .. ربما الوحدة وعدم وجود من نحبهم بجوارنا يجعلنا نتطرف في هذا الشعور فنبذل قصارى جهدنا لنقصر الوقت على أنفسنا لربما استطعنا جمع ما يكفي للعودة للوطن والاستقرار ..عموما أعدك بأنني سأكون متوازنا حينما تكونين معي هنا .. ذلك سيشعرني بدفء العائلة التي افتقده في الغربة"

غمغمت بخفوت "إن شاء الله"

"أبلة سراء"

اشتعلت وجنتاها وردت "نعم"

"ألن تكافئيني؟"

أحست بأنه سيبدأ وصلة شقاوة مسائية فسألته "ماذا تقصد؟"

رد بلهجة متسلية " ألا تكافئين تلامذتك حينما يقومون بأي إنجاز ؟.. ها أنا قد انتهيت من عمل هام في وقت قصير"

رفعت حاجبا ثم ردت مغيظة " أحسنت يا ولدي سأطلب من زملائك أن يصفقوا لك"

"تؤتؤتؤ ..ليس هذا ما أريده يا أبلة"

جاءها صوته جذابا مدغدغا لأعصابها .. فدارت ارتباكها وسألته "ما الجائزة التي تريدها ؟.. سأرسل لك قلم أو مسطرة هدية"

قالتها وكتمت ضحكتها وقد استقر بها الحال للوقوف على السلم المؤدي للسطح فقال لها زين " يا أبلة سراء راعي السن وفرق الاحتياجات .. أطفال الابتدائي الذين تدرسين لهم يناسبهم

القلم والمسطرة.. أما أنا في عمري هذا وظروف غربتي ووحدتي أحتاج لهدايا من نوع أخر"

استفز شخصية المعلمة بداخلها فسألته بتحفز "مثل ماذا؟"

أحس بتحفزها فكتم ضحكته ورد بلهجة شقية "مثل قُبلة .. صورة بدون حجاب فأرى شكل ولون شعرك"

هتفت بعصبية "زين والله سأغلق الهاتف"

قهقه ضاحكا وقال بسرعة "آسف يا أبلة أعتذر "

دارت ابتسامة معترفة بداخلها بأنه رغم شقاوته يقف عند حد معين لا يتخطاه .. واعترفت أيضا بأنها افتقدته الأيام الماضية فلم تعد تكفيها العبارات السريعة.. تريد أن تثرثر معه وقتا طويلا.

"إسراء"

اسمها بهذه الجدية علمت بأنه سيتبعه بما سيزلزل قلبها من مكانه فأصدرت همهمة.. ليغمض زين عينيه قائلا بصوت أجش خافت اقتلع قلبها من مكانه " اشتقتُ إليك .. هل اشتقتِ لي؟"

ساد صمت مرتبك من ناحيتها فأضاف زين بإلحاح" لا تهربي من الإجابة ككل مرة .. قولي نعم أو لا ..وأعدك لن أحزن لو قلت لا .. أنا فقط أريد أن أعرف إن...."

"أتشووو!"

فتح عينيه على اتساعها بينما استمرت اسراء في عطسها "أتشووو!"

انفجر زين ضاحكا .. ضحكة حلوة صبيانية افتقدتها لأيام .. أعادته ذلك الصبي المشاغب

رائق المزاج .. ضحكة باتت تتسلل إلى عالمها المتحفظ فتملأه بفقاعات صابون ملونة .. تدغدغ قلبها وتنعشه .

أخذ يضحك حتى مال بجذعه للأمام ثم قال حين انتهت من نوبة العطس" يا أبلة أنا أجيد العربية والانجليزية لكني لا أعرف شيئا عن لغة أهل الكواكب الأخرى "

غمغمت بوجنتين حمراوين وهي تضحك بحرج "يبدو أنني سأمرض"

غمغم من وسط ضحكات متبقية" بعيد الشر على حبيبي .. سمعت بأن الجو بارد ومطر عندكم حتى أن بعض الطرق قد أغلقت .. عندي الجو معتدل"

ردت شاعرة بالحرج من الموقف السابق "أجل وأنا جسدي يبرد بسرعة"

قال بلهجة حارة" أوففف!.. وأنا ....(صمت فجأة يكتم ضحكة ملحة ثم قال) سأصمت .. حتى لا تغلقي الهاتف في وجهي"

عطست إسراء مرة أخرى فقال بقلق هذه المرة" ضعي لحافا أخر عليك ما دمتِ تعطسين بهذا الشكل"

غمغمت وهي تمسد ذراعها " أنا لست بغرفتي ..أنا أقف على سلم السطح"

اعتلت الجدية وجهه وقال بعبوس "نعم!!.. في هذا الجو!!"

غمغمت بحرج وهي تحك جبينها بأناملها " همسة ونسمة في الغرفة منذ ساعات بسبب برودة الجو والصالة صوتي سيكون فيها مسموعا للجميع"

أسرع زين بالقول "ولماذا لم تخبريني؟ ..لماذا خرجت أصلا من غرفتك في هذا الجو كنت اخبريني ونؤجل الاتصال للغد"

غمغمت بتلقائية ليست معتادة عليها" أنت لم تتصل بي منذ أيام بسبب العمل لهذا لم أستطع أن أرفض اتصالك"

تسارعت دقات قلبه وهو يستقبل منها.. أخيرا ..اهتماما ولهفة .. فقد صبر عليها طوال الفترة الماضية وهو مدرك بأنها تحتاج الوقت لتتخلى عن تحفظها الذي فهم بأنه جزء من تكوينها وزاد عليه ما تعرضت له من قبل .. لهذا كان يعلم بأن عليه الصبر.. وها هو يتلقى البشائر الأولى لكنه قال بلهجة جادة" عودي لسريرك فورا يا إسراء ..سلام"

أغلق الخط فاحمرت وجنتاها ومسدت ذراعيها بالتبادل وهي تنزل مسرعة .

حين دخلت الغرفة وأسرعت بدس نفسها تحت الأغطية جاءتها رسالة على الواتساب لتجده يقول " تصبحين على خير يا ورطتي تدثري بالأغطية جيدا"

فوضعت إسراء الهاتف بجوارها واستلقت على السرير مغمضة العينين باسمة الثغر واستسلمت للنوم .

xxxx

"أنا سأنتقم منكما يا كلاااااااب"

قالها مفرح بصوت جهوري أجفل مليكة وهي ترص الأطباق في الغسالة ..إنه في غرفة المعيشة يتصارع مع ولديه بشكل عنيف لا تحبه لكن مفرح أخبرها قبل ذلك بأن هذا العنف يحبه الذكور .

حاولت شغل نفسها عما يفعلونه ويوترها وأصوات الدفع والصيحات الحماسية لا تزال تخترق عليها المطبخ .

لقد اضطر مفرح للمبيت الليلة على عكس جدوله فهو كان ينوي السفر أخر اليوم بل إنه يتعمد مؤخرا التقليل من المبيت في البيت وهي تعرف السبب .. تعرفه جيدا .. إنه يهرب منها ..وهي تهرب منه .. وكلاهما حائر في الوصول للأخر .. رغم أنهما يدوران في فلك بعضهما !..

تريد أن تعود لمليكة القديمة ..مليكة قبل الحادث .. تحاول وتحاول لكنها لا تشعر بأي نجاح .. رغم تحسنها الكبير واستعادتها لنشاطها وحياتها .. ورغم استقرارها في العاصمة وسعادتها بوجودها بجوار أخويها لكن بقيت خطوة أخيرة .. خطوة تريد فيها

استعادة مليكة القديمة استعادتها من أجل مفرح ..

تتمنى أن تعود بالزمن من أجله .. فلم تعد واثقة في مليكة الحالية .. التي لا تشبه مليكة العروس ولا مليكة الأم الثكلى .. أضحت مليكة جديدة مليكة تفخر بها إلا في نقطة واحدة .. نقطة ضبابية اللون لا تعرف عنها شيئا .. مليكة الأنثى .. لهذا .. ومن أجله تؤجل وتماطل في خطوة معينة .. خوفا من أن تصدمه بأن يجد رد فعلها كالسابق .. لهذا تشفق عليه فلن تتحمل خيبة أمله بعد كل ما تحمله وصبر عليه .. لذا تبحث عند مليكة القديمة على جزئية معينة تخص علاقتها الخاصة بمفرح ..ومع هذا تعترف بأنها قد أضاعت وقتا طويلا وتشعر بالتيه .. حتى وصية طبيبتها النفسية التي لا تزال تزورها في جلسات متباعدة والتي ندمت لأنها تأخرت في عرض نفسها على الطب

النفسي الذي ساعدها كثيرا في تحسن حالتها .. وصتها الطبيبة ألا تشغل نفسها برد فعلها حتى لا تتوتر لكنها أوضحت للطبيبة بأنها تريد لمفرح عروس جديدة ..فإن كان قد رفض من قبل أن يتزوج عليها فعليها هي أن تكون عروسه الجديدة .. لكن أين تجد هذه العروس! .

خرجت من المطبخ وأصوات الصراعات لا تزال توترها فدخلت غرفة المعيشة تقول باستنكار" ألا يكفي ما تفعلونه لقد تعبت أعصابي!"

كان مفرح يجلس أرضا والاثنان يصارعانه كل واحد يمسك بذراع ..فصاح مفرح من بين لهاثه" قولي لهذين الكلبيين اللذين يتكتلان عليّ"

صاحت باستنكار وهي ترى الثلاثة بالفانلات الداخلية" لماذا خلعتم ملابسكم!"

لم يرد عليها أحد فزفرت وأسرعت بالتقاط المتحكم الالكتروني لتزيد من حرارة التدفئة المركزية في الشقة ثم سألتهم" هل أصنع لكم مشروب الشوكولاتة الساخنة؟"

لم يرد عليها أحد وهم مستمرون في الصراع حتى رأت أدهم يُدفع ويرتطم في أحد المقاعد فصرخت تقول" مفرح!"

هتف بغيظ "هل مفرح وحده السبب!.. انظري ماذا فعلا بي"

وأشار لعضلات ذراعيه وأثار احمرار وخدوش عليهما بينما قال أدهم وهو يعتدل ويعود للانقضاض على والده" أنا بخير يا أمي لا تقلقي (ثم صاح صيحة عالية قبل أن يعود للانقضاض على مفرح) تم تفعيل وضع الانتقاااااام"

أسرعت بالقول بصوت عال ليسمعوها وهي تلتقط متحكم التلفاز لتغير القناة الرياضية "ما رأيكم في أن نشاهد مسرحية معا؟"

صرخة خرجت من ثلاثتهم قائلين" نحن ننتظر مباراة ملاكمة مهمة"

مطت شفتيها بغيظ وهي تراهم يعودون لصراعاتهم فقالت بحنق "أنا سأدخل غرفتي وأنام واسهروا أمام المباراة وقطعوا بعضكم"

قالتها زافرة بينما شرد مفرح لوهلة في مغادرتها بإحباط ففاجأته لكمة من قبضة إياد في وجهه أفاقته من شروده.

xxxx

واسقيني واملا

واسقيني تاني

م الحب .. منك

من نور زماني

اسقيني ياللي .. من يوم ما شفتك

حسيت كأني اتخلقت تاني

صدح صوت أم كلثوم في تلك الليلة الشتوية في فيلا غنيم الذي يجلس يستمع للأغنية مستعيدا الذكريات بينما سوسو تجلس على المقعد المجاور تقرأ في إحدى المجلات .. في الوقت الذي كان شامل يجلس على أريكته المفضلة هو وونس على يسار غنيم .. يتفقد في هاتفه ردود الأفعال على حلقته الأخيرة وونس تسند برأسها على ذراعه وتناكف والدها عبر الواتساب .

أما بسمة فوقفت في الناحية الأخرى من البهو تتحدث في الهاتف في مكالمة مرئية عبر الانترنت مع وليد ومهجة وتظهر أمها في الخلفية .

قال وليد بامتعاض وهو يمسد على بطن مهجة الجالسة بجواره " أبوك يريدني أن أسميه سليمان .. ومهجة تريد أن أسميه مفرح "

سألته بسمة ضاحكة " وماذا قررت أنت ؟"

رد ضاحكا بلهجة عابثة " قررت أن اسميه وليد .. وليد وليد سليمان الوديدي"

ضحكت فاطمة بينما أبدت مهجة انزعاجها فضحكت بسمة عليهم وهي تتطلع في كامل الواقف أمامها مكتفا ذراعيه تحت صدره يدندن بخفوت مستندا على النافذة التي ترسم قطرات المطر على زجاجها خلفه مسارات وخطوط مستقيمة ومتعرجة.. متقاطعة ومتقطعة كمسارات البشر في الدنيا..

أنا كنت إيه قبل ما أشوفك ؟

كنت إيه؟

وكنت عايش يا حبيبي أيامي ليه؟

ارتبكت قليلا مما يفعله بصوت خافت جدا مع الأغنية مصرا على تشتيتها عما تفعل كطفل غيور فأشاحت بنظراتها عنه تقول" لماذا أنت صامتة يا أمي؟"

قالت فاطمة ضاحكة "لست معتادة على هذه المكالمات المرئية"

قال كامل من خلف الهاتف بصوت عال لحماته "حين نأتي المرة القادمة أريد محشي وبط يا حاجة فاطمة"

قالت بسعادة جمة" تعالى يا حبيبي ولك ما تشتهيه .. (ثم أضافت بلهجة أمومية) أسعدك الله يا ولدي وأبعد عنك أولاد الحرام"

أمن خلف دعوتها ثم استمر يشاغل بسمة ويناغشها بالأغنية بصوت خافت حتى اضطرت

في النهاية للتحرك مبتعدة عنه لتركز في الحديث مع والدتها فذهب خلفها مستمرا في مناكفتها.

طريق حياتي مشيته قبلك في ليل طويل

لا قلب جنبي .. يحس بيا .. ولا طيف جميل

ولما شفتك .. أول ما شفتك

بكل شوق الدنيا لقتني .. مشدود إليك

شبكت ونس أصابعها فوق أصابع شامل التي تمسد على بطنها ولاحظت حين انتهت من الحديث مع والدها بأن مجموعة الواتساب الخاصة بطلبة المعهد يتحدثون منذ مدة ولديها رسائل كثيرة فدخلت المجموعة بفضول لتقرأ ما الذي يحدث قبل أن تتسع عيناها غير مصدقة لما تراه .

اعتدلت بحركة مفاجئة فتطلع فيها شامل بينما هي تنظر لصورة إعلان صوره أحد الزملاء لصفحة السفارة الإيطالية التي أعلنت عن نتيجة المسابقة العالمية لتجد اسمها وفهمت من أحاديثهم أنها قد فازت بجائزة خاصة مقدمة من لجنة التحكيم .. جائزة لونس عيد .. ميزت حروف اسمها بالحروف اللاتينية وفهمت من الأحاديث بين الطلبة بفوزها .. وعبارات تهاني كثيرة موجهة إليها .

انتفضت صارخة بفرحة أجفلت الجميع فناظروها بقلق لتستدير لشامل الذي وقف بدوره مفزوعا وتضع يدها على خدها بذهول ليسألها بعدم فهم "ماذا حدث؟؟!!"

أسرعت بإعطائه الهاتف بيد مرتعشة من الفرحة وهي تطلق صيحات مجنونة وتتقافز

ممسكة ببطنها بينما تطلع الجميع فيهما بتوتر
..

اتسعت ابتسامة شامل بعد ثوان وهتف بفرح "فعلتِها يا ونس .. فعلتِها .. فزتِ بجائزة لجنة التحكيم الخاصة .. (وصاح بسعادة زلزلت المكان) فعلتها جنيتي وفازت ..فازت"

اختلطت صيحات الفرح من الجميع مع ذهول المفاجأة لكن صيحة ونس كانت الأعلى والأكثر سعادة ..وذهولا.. وانهيارا ..فتعلقت بعنق شامل تتقافز بفرحة عارمة وهي تصيح عاليا "ونث عيد فازت .. ونث عيد فازت "

xxxx

وقفت أمام المرآة تنظر لنفسها ..

هل سيصدقونها حين تخبرهم بأنها بكل ثقتها في نفسها كإنسانة وبكل أناقتها التي يستشهدون

بها وبما يعرف عنها من ذوق راق .. هل سيصدقونها حين تقول بأنها .. مليكة صوالحة .. تشعر بارتباك وهي تستعد من أجل مفرح ؟..

أجل هذا ما قررته أو بمعنى أدق أنها لم تعد تستطيع الصمود أكثر من ذلك.. إنها تشتاق إليه .. تشتاق إليه كزوجة وهذا الاشتياق غلب خوفها وترددها الذي يمنعها عنه .. اشتياقها إليه لم يعد يحتمل غلب رغبة العاشقة بداخلها لأن تتريث حتى تستعيد مليكة العروس في أبهى صورة ..

لكن الاحتياج والشوق غلباها هذه المرة .. ووجوده في البيت الليلة دحض كل دفاعاتها وتسويفاتها وخوفها .. الاحتياج والشوق قضيا عليها فدعت في سرها ألا تخذله الليلة .. ألا تخذل مفرح بعد كل هذا الانتظار .. وأن يرى

فيها ولو تحسن بسيط عن مليكة السابقة في هذا الموضوع الحساس.

كان الهدوء يعم المكان منذ فترة بعد أن انتهوا من مباراة الملاكمة مشاهدة وتنفيذا .. وبعدما سمعت مفرح يلقي عليهما تحية المساء ويدخل غرفته .

ارتدت قميص نوم تحبه وتعطرت بالعطر الذي يحبه مفرح وتركت شعرها العسلي حرا على ظهرها .. لكن التوتر يسيطر عليها وكأنها أول مرة لها معه.

في نفس الوقت كان هو في غرفته ينظر للابتوب أمامه بشرود ولا يفهم حرفا من الموقع الذي بحث عنه من أجل بعض المعلومات التي يريدها لرسالة الدكتوراه .. كان ينوي أن يستغل الوقت مادام سيبيت في البيت وسيجافيه النوم بأن ينجز بعض الأجزاء المعلقة بدراسته هاربا

حتى من الخروج بعد نوم الأولاد لغرفة المعيشة ..

إنه يحتمي بهما في وجودها .. يحتمي بهما من نفسه .. من ضعفه .. من شوقه الذي يذبحه .. وكلما ألحت عاطفته لوصالها ذكر نفسه بالتحسن الذي حدث لها .. أخاف نفسه من أي ضغط قد يفرضه عليها بحاجته الملحة لها .. وكل هذا يجعل حالته سيئة .. إنه يتعذب بمعنى الكلمة .

غمغم مفرح زافرا بغيظ من نفسه وهو ينكش شعره "أنت لن تنجز شيئا يا مفرح طالما رأسك القذرة لا تفكر إلا في موضوع واحد فقط"

تحرك مقبض الباب برفق فعقد حاجبيه ينظر للباب قبل أن تتبدل ملامحه وتتجمد بعد أن اتسعت عيناه في صدمة.

وكأنها المرة الأولى بينهما .. كانت تدخل من الباب كما دخل عليها ليلة عرسهما من باب مماثل .. يتملكها الارتباك هذه اللحظة .. بينما هو كانت تتملكه اللهفة تلك اللحظة قبل ثماني سنوات.

خطت خطواتها نحوه ببطء بينما قطع مفرح الخطوات ليلة زفافهما إليها في عجلة..

كانت ضربات القلب العالية تشغل حيزا كبيرا من الفراغ حولهما في الغرفة .. فتطلعت في وجهه المصدوم وهو يتأملها فاغر الفاه .. ترتدي قميص نوم على طراز قديم من الشيفون الأبيض الشفاف بنصف كم وبفتحة رقبة دائرية واسعة مكشكشة تكشف الكثير من بياض كتفيها ونحرها .. وينتهي بعد ركبتيها بكورنيش عريض ..

كانت أمامه كربات الجمال القديمات .. وكأنها فاتنة من العصر الروماني .

وقفت أمامه تفرك كفيها ببعضهما ورفعت إليه وجهها الذي يعشق ملامحه تقول بارتباك" أعرف بأني قد تأخرت عليك .. كنت أعمل جاهدة لاستعادة مليكة العروس التي تزوجتها .. خوفا من أن أخذلك بعد طول انتظار .. وللأسف أشك في أني قد تخلصت من عقدتي التي تنهي كل لقاء بيننا بنهاية مأسوية .. لكني يا مفرح (وتطلعت في ذراعيه الأسمرين اللامعين اللذين كان يصارع بهما قبل ساعات ولصدره العريض وقالت بصوت متهدج بالعاطفة وعيناها مركزتان على شفتيه) لكني يا مفرح اشتاق إليك بشدة والشوق ..."

لم تستطع أن تتفوه بعدها ولم يستطع هو استحضار المزيد من ضبط النفس فقد أمسك

بذقنها وانقض عليها مهاجما شفتيها بقبلة عنيفة جائعة ويداه تتعاملان بنزق مع قميصها الذي كان يكشف عن كل شيء تحته بوضوح .. لكن هذا لم يكن يكفيه.. كان يريد أن يتفقد أملاكه .. يستعيد السيطرة عليها ..يؤكد ملكيته لها .. يعيد ختمها بخاتمه ويعيدها... للحياة .

قبّلها بكل ما أوتي من شغف ..وواصلها بكل ما يحمل في جنبات صدره من شوق معذب .. وشوقها واحتياجها الواضحان دون أن تبوح بهما يصعّبان عليه مهمة الترفق بها .. فتأرجحا سويا فوق حد فاصل بين العقل والجنون .. الجنة والجحيم ..

لم ينطقا بشيء .. ولم يحتاجا للنطق.. فلغة الجسد أبلغ من الكلمات ..وأسهل في الاستيعاب وأسرع في الوصول ..

لم ينطقا بشيء .. إلا بترديد اسميهما لبعضهما بمناجاة واستنجاد .. باعتراف ضمني وصريح بالحب ..

كانت بين ذراعيه كملكة اختصر فيها كل النساء .. وكان بين ذراعيها عاشقا محروما إلى حد الشفقة ..

واصلها كطوفان هادر ..كإعصار كاسر ..وامتلكها برقة وعنف .. بلين وقسوة .. بتحضر وهمجية..

وهل يطلب من المحروم التروي أمام وليمة شهية ؟!.

بعد بعض الوقت استلقى مفرح على ظهره دامع العينين متأثرا بذلك اللقاء الذي ليس له شبيه وبالرغم من بكائها وهي تنام على صدره لكنه لم يكن يسيطر عليه إلا السعادة .. لقد استعادها أخيرا.. استعادها رغم بكائها الحار ككل مرة..

أما مليكة فكانت غير قادرة على التوقف عن البكاء ..فالقوة السوداء التي تشعرها بالذنب نهاية كل لقاء كانت هناك في آخر الرحلة ككل مرة .. صحيح كانت واعية قوية هذه المرة وأخبرت نفسها بأنها لم تقصر في شيء وبأنها تستحق السعادة التي حصلت عليها منذ قليل لكنها لم تستطع التوقف عن البكاء فغمغمت بإحباط مشفقة على مفرح" آسفة يا مفرح آسفة جدا .."

استمرت يده تتحسس ظهرها العاري وردد بصوت أجش "ابكي يا مليكة ولا تتأسفي .. ابكي بدون حرج ..أنا بت أعرف سبب بكائك ..ولست غاضبا ولا حزينا ولا محبطا .. يكفيني تلك اللحظات التي كنت فيها بين ذراعي .. يكفي كيف كنت معي .. هذا عندي أهم شيء"

رفعت وجهها الباكي إليه تقول أمام واحتي عينيه الخضراوين "أنا أحبك يا مفرح ..أحبك لدرجة لا تتخيلها ..وأرغب في اسعادك بأي شكل ..بأي ثمن ..وكنت رغم الألم الشديد ورغم نار الغيرة مستعدة لأن اتفهم موقفك إن تزوجت بأخرى ..كل هذا لأني أحبك ..بل إن كل ذنوبي منذ أن عرفتك كانت لأني أحبك .. حتى فشلي في تقبل الواقع في تجربتي الأولى لأني أحبك يا مفرح"

على الرغم من عذاب السيرة باستعادة الماضي أرتج قلبه لاعترافها فقال بصدق" وأنا واثق من هذا مليكتي"

مال يلتهم شفتيها من جديد وكأن نار التلاقي لم تخمد قبل قليل .. فقالت مليكة حين أطلق سراحها "لا تحزن أرجوك لأني ابكي"

أسند رأسه للخلف على الوسادة وقال بكسل متخم بعد التهام وليمة " ابكي كما تريدين ..فقد فهمت بأن بكائك هذا يكون بقدر حبك ومتعتك بين ذراعي ..لهذا لم أعد أشعر بالضيق إن بكيت "

عادت لتنام على صدره العاري تتحسسه كما تفعل يده فوق بشرتها واعترفت له " كنت حائرة كيف أبدأ ..كيف أبادر .. فكرت للحظة أن أصنع عشاء بسيطا على ضوء الشموع في غرفتي بعد أن ينام الولدان لكني أدركت بأن ذلك لن يناسب لهفتك ..كنت أعلم بأنك ...."

قطعت حديثها حينما أحست باهتزاز عضلات صدره بقوة قبل أن تسمع صوت ضحكته الخافتة فرفعت رأسها تناظره بتساؤل .

فتح مفرح جفنيه الناعسين وقال لها من بين ضحكاته "شموع يا مليكة!.. شموع! .. وهل

لشخص جائع محروم مثلي أن يعي معنى العشاء الأنيق والشموع وأنت متشخصة أمامه يا بنت الصوالحة كوليمة شهية .. والله لو كنتِ فعلتها لكنت أكلت الشموع والطاولة كلها كمقبلات وأنا ألتهمك .. (وعاد يغمض عينيه بتكاسل وهو يغمغم ساخرا) قال شموع قال!"

ضربته على صدره تقول بلهجة موبخة" هل تتهكم علي يا مفرح!"

أصدر تأوها ضاحكا ثم أجاب" اطلاقا.. أنا أتهكم على حالتي"

سألته بلهجة قلقة "هل أنت سعيد الآن ؟..أخبرني بكل صراحة"

ناظرها بعينين استعادتا الحياة بوصال الحبيب ..عينين استعادتا زهو الرجولة وعنفوانها وقال بلهجة متسلية والسعادة تطل من كل إنش في وجهه "أتريدين الصراحة (ودس ذراعه تحتها

ليرفعها لتتمدد فوقه وقال) سأخبرك حينما نقرر النوم .. فمازالت سهرتنا ممتدة يا مليكتي"

××××

ظهر اليوم التالي

كان الغيث وفيرا فأجزل العطاء وداوى القلوب التي أصابها الهوى .. فسقى حتى روى .. وزرع حتى أثمر .

توقف عصفور خلف زجاج نافذة المطبخ يزقزق فرحا بتوقف المطر.. فتأملته مليكة بابتسامة وهو ينفض ريشه بانتعاش ثم طار .. ليصيب الحزن قلبها .. حزن لا يزال يزورها لكنها تقاومه رغبة منها في العيش والتمتع بنعم الله عليها .. وتذكرت ذلك الكتيب المرسوم الذي أهدته لها ونس وابتسمت فرحة من أجل ذلك العصفور الذي تحرر وطار في السماء..

كانت تقف في المطبخ برداء شتوي من المخمل بأكمام طويلة لكنه قصير فوق ركبتيها وقدماها في خف بيتي من نفس قماش ولون الرداء.. شعرها مرفوع بمشبك للأعلى بينما أطرافه متدلية على الجانبين .. تصنع طبقا من سلطة غربية تتقن صنعها ويحبها مفرح .. لتقدمها بجانب الطعام الذي طلبته جاهزا اليوم ..

لقد ناما بعد الشروق وبالتحديد بعد أن جاء وقت استيقاظ الولدين للذهاب للمدرسة فتركها مفرح لتوقظهما واستسلم هو للنوم .. لتقرر بعد مغادرة الولدين أن تمنح الخادمة إجازة فاتصلت بها حتى لا تأتي اليوم واستسلمت للنوم بجواره ولم تفق إلا منذ ساعة فأسرعت بطلب طعام جاهز.

أحست بخطواته في خارج المطبخ فتراقصت ابتسامة على شفتيها وهي تستعيد تفاصيل ليلة أمس ..تستعيد كل لحظة لها معه .. كل كلمة .. وكل اعتراف .. كانت ليلة بطعم السعادة المختلطة بالدموع المالحة تذكرها بليلة عرسهما.

دخل مفرح المطبخ حافي القدمين منكوش الشعر لم يفق بعد بشكل كامل وتطلع فيما ترتديه فدقق في ساقيها الأبيضين المثيرين وفهم بأن الولدين لم يصلا بعد .. فاقترب بصمت وعانقها من الخلف قائلا وهو يمرغ وجهه في جانب رقبتها "صباح الخير"

لحيته دغدغت أنوثتها فسرت رجفة في جسدها وهي ترد "قل مساء الخير لقد تجاوزت الساعة الثانية عشرة"

غمغم وهو لا يزال يمرغ وجهه في عنقها "مساء الخير هذا الرداء القصير حلو جدا ..وساقاك مذهلتان"

احمرت وجنتاها وقالت" طلبت طعاما جاهزا أعتقد بأنك جائع"

سألها بصوت خافت "متى يأتي الولدان؟"

ردت وهي تنظر لساعة الحائط "خلال ساعتين أو ثلاث حسب الطريق "

غمغم وهو يطبع قبلات على جانب عنقها "حقا!.. إذن ليس لدينا وقت للطعام"

سألته عاقدة حاجبيها "ماذا تقصد؟"

"تعالي وسأخبرك"

سحبها من يدها فقالت باعتراض "مفرح لنأكل أولا"

استدار لها قائلا " قلت لك ليس لدينا وقت فالولدان قادمان لنؤجل الطعام"

ضحكت بحرج فألصقها بالحائط خلفها لتقول باعتراض وهي تمنع يديه عن رفع ردائها "مفرح!"

قال وهو يلصق جسده بجسدها ويطبع قبلات على نحرها "لم نجرب المطبخ بعد .. جربنا الحمام ولم نجرب المطبخ"

ضربته على ذراعه فلم يمنحها الفرصة والتهم شفتيها كالمحروم الذي لا يعرف الشبع.

xxxxx

بعد ساعتين

وضعت مليكة اللمسات الأخيرة على السفرة بعد أن بدلت ردائها القصير لأخر من بنطال وبلوزة مريحين بلون أبيض وبعض الرسومات

الأنثوية بالأحمر على صدر البلوزة ولفت حول عنقها وشاحا خفيفا باللون الأحمر .. شعرها الندي مرفوع فوق رأسها بمشبك شعر .. فاقترب مفرح يجفف رأسه بالمنشفة وهو يتأملها والفرحة العارمة تنعش قلبه بعد سنين طويلة من الحزن .. ثم عقد حاجبيه وهو يتطلع في المائدة العامرة أمامه مغمغما" ما شاء الله ما كل هذا!"

رمقته بنظرة ذات معنى ثم داعبته بالقول وهي تضع الطعام في الطبق الذي جلس أمامه "بعد ليلة أمس كان لابد أن يكون فطورك يليق بفطور عريس"

جلجلت ضحكته فارتج قلبها بسعادة وكأن نجاحها في إسعاده إنجاز يجعلها راضية عن نفسها ..يمنحها قوة للتغلب على أي مشاعر سلبية تريد أن تصرعها..

قال مفرح من بين ضحكاته وهو يحشر قطعة لحم مشوية في فمه " وليس أي عريس من فضلك ..عريس خبرة بتفاصيل عروسه فانطلق دون عوائق "

وضعت أمامه المزيد من الطعام وهي تقول بضحكة محرجة" اخرس يا مفرح (ونظرت في ساعتها مغمغمة) الولدان على وشك الوصول"

قال وهو يلتهم المزيد من الطعام" أنا شخصيا لن انتظر أحدا"

تأملته وهو يأكل بجوع فرفع أنظاره لها يسألها بعبوس" لماذا تلفين هذا الوشاح حول رقبتك؟. هل بردت؟"

مطت شفتيها وقالت وهي تبعد الوشاح عن عنقها" حتى أداري فعلتك الشنيعة هذه "

اتسعت عيناه وهو يتطلع في علامة حمراء على عنقها ثم قال ضاحكا" لماذا احمرت بهذا الشكل؟!"

لكزته بقبضتها في كتفه بتوبيخ فسألها بشقاوة غامزا "وكيف حال الأخريات في الأماكن الأخرى؟"

غمغمت بحرج وهي تعيد لف الوشاح على عنقها" اخرس يا مفرح (وأضافت بوجنتين حمراوين) والله عيب لو رآني أحد بهذا الشكل "

وضع قطعة من اللحم في فمه وهو يقول" أخبريهم بأنني أردت توثيق الحدث بعلامة مميزة "

لكزته بقبضتها مرة أخرى في كتفه فقهقه ضاحكا وقال "احمدي ربك أني لم ألتهمك أنت شخصيا "

ازداد اشتعال وجنتيها وتذكرت حالته الجائعة ليلة أمس فاقتربت منه ومسحت بيدها على شعره ومؤخرة عنقه فاستجابت مستقبلاته الحسية كلها للمستها ..

مالت مليكة عليه واحاطت عنقه من الخلف بذراعها تطبع قبلة على رأسه وهي تقول بلهجة تفيض بالعاطفة والحنان بجوار أذنه "سأظل طوال عمري شاعرة بالذنب تجاهك .. مهما منحتك لن أشعر بالرضا عن نفسي وسأطالبها بمنحك المزيد"

بلع الطعام ومسح يده في منديل السفرة ثم قال وهو يفك ذراعها عن عنقه ويمسك بيدها لتتحرك من خلفه وتواجهه" وأنا من ناحيتي سأستغل من الآن فصاعدا هذا الشعور بالذنب أسوأ استغلال"

ضحكت فقبل يدها ثم رفع نظره يقول أمام وجهها المشرف عليه" أتعلمين لماذا أنا بهذه السعادة؟ .. لأنك تغلبت على كبوتك ولم تخذلي ثقتي بك .. ولأنك كنتِ معي ليلة أمس بكل كيانك (ووضع يدها على خده ثم قبل باطن اليد قائلا) من قال بأنك لم تستعيدي مشاعر مليكة العروس ؟.. لقد كنت كأول مرة لنا معا .. كنت تلك العروس ..بكل أنوثتها ورقتها وعشقها لمفرح لكنك زدت عليها نضجا وعنفوانا وشوقا وتحررا من الخجل .. كنت تعرفين ما تريدين ..وكنت أعرف ما سأمنحه لك .. أنا وأنت لم نكن نستكشف بعضنا البعض ..بل كان كل منا يعرف نقطة ضعف الأخر .. يعرف ما يسعده .. كل منا كان جريئا وعفويا في المنح والطلب"

قالت هامسة وعيناها مغرغرتان بالدموع "المهم أنك سعيد"

همس مجيبا " لأنك سعيدة .. فقمة السعادة هي التي نتشاركها سويا أنا وأنت "

مالت تقبل جبينه ثم قالت" أعدك أن نتشارك سويا لحظات كثيرة قادمة من السعادة"

قال بلهجة عابثة" ساعديني إذن في التخلص من الولدين لبضعة أيام "

هتفت مليكة عابسة" ها !!"

قال موضحا" أريد أن أخطفك لبضعة أيام وحدنا .. فلازال قلبي يعاني من الحرمان الشديد ويحتاج لفترة مكثفة من المداواة"

داعبته تقول ساخرة" مكثفة أكثر من هذا ! "

قال معترضا " لا لا لا .. أنت قلت بأني عريس .. والعريس ينفرد بعروسه بضعة أيام .. خاصة وإن كان عريس عاش فترة طويلة في مجاعة فمن حقه أن يأخذ فرصته كاملة مع عروسه

دون مقاطعة .. ما رأيك في أن نرسلهما إلى البلدة؟"

اتسعت عيناها وهتفت باستنكار "عند الحاجة نحمدو؟!!"

قال لها مصححا "عند مهجة"

"ومدرستهما؟!!"

قال من بين أسنانه" ليسا في الثانوية يا مليكة!"

رمشت بعينيها باستنكار فأضاف بلهجة مشجعة" نحتاج لمساحة خاصة لم نحظ بها أبدا مليكتي .. مساحة لي أنا وأنت فقط .. وأعدك بأني سأتركك تنفذين أفكار السرايات الخاصة بالطاولات والشموع والعشاء الرومانسي .. أعدك أن أكون متحضرا وألا أكل الشمع بعد التهامك"

ضحكت وهي تمرر يدها على لحيته تلك الحركة التي تعرف بأنه يحبها فسألها مفرح "ما رأيك؟"

مررت أنظارها القوية على صفحة وجهه من علٍ وقالت بلهجة قاطعة" لن أرسل ابنائي إلى أي مكان يا مفرح"

جز على أسنانه بغيظ فضحكت تقول "اسمعني أرجوك"

أفلت وجهه من يدها وتطلع في الطعام أمامه قائلا بغيظ" لا أريد أن أسمع شيئا"

قالها والتقط إصبعا من الكفتة حشره في فمه ثم أضاف بحنق طفولي وهو يقسم حمامة محشوة بالأرز بيديه "ولن أنتظر أحدا أنا جائع"

رن جرس الباب بشكل متواصل في الوقت الذي كان فيه أدهم يحاول فتح الباب بالمفتاح فعبست مليكة تسأله" هل أغلقت الباب من الداخل؟"

قال بامتعاض " بالطبع فما أدراني أنهما لن يحضرا مبكرا فيروننا في وضع فاضح في المطبخ أو على أريكتك الأنيقة ذات القماش باهظ الثمن الذي لا أذكر أسمه"

اغلقت فمه بيدها شاعرة بالحرج وأسرعت بالهرولة تاركة غرفة السفرة ثم عاد ثلاثتهم بعد دقيقة.

هتف إياد يقول بسعادة" أبي أنا سعيد لأنك لم تسافر"

بغيرة طفولية من ولديه ظل مفرح منتبها للطعام دون رد فوقف إياد أمام المائدة يقول

باتساع عينيه" هل لدينا مناسبة اليوم ما كل هذا الطعام؟"

غمغم مفرح بامتعاض خافت" لدينا عريس لا يجد فرصة للانفراد بعروسه"

ربتت مليكة على كتف مفرح في وقفتها بجواره موبخة ثم قالت لابنها "قل ما شاء الله..
(وأضافت مفسرة) قررت أن نحضر وليمة اليوم هكذا بدون سبب"

ناظر إياد أخيه الصامت ثم غمز له ليستعد وتحركا سويا ليتخذا لهما مكان بجوار المائدة واحدا على اليمين والأخر على اليسار .. ثم تنحنح أدهم يقول بجدية" أبي كنا نريد أن نطلب منك طلبا"

غمغم مفرح بفم ملوي وهو يركز في طعامه" لست في مزاج لأي شيء الآن"

أسرع إياد بالتدخل يقول بلهجة لينة "بصراحة نحن سعيدان لأنك لم تسافر وستبقى معنا يوما إضافيا على جدولك المعتاد ..وأعتقد أن هذا من حسن حظنا حتى ترى هذا الإعلان .."

أخرج أدهم ورقة من جيبه متبادلا النظرات القلقة مع أخيه ووضعها مفرودة بجوار طبق مفرح الذي يمصمص عظام الحمامة بغل.

ألقى مفرح نظرة سريعة على الورقة ثم عاد لما يفعل سائلا "ما هذا؟"

تطلعت مليكة في الولدين ثم مالت بوجهها لتتطلع في الورقة بعد أن اتخذت مكانا لها بجوار مفرح بينما قال إياد مفسرا" هذا إعلان عن رحلة لإحدى مدن الجنوب لمدة أسبوع"

لمعت عينا مفرح وتوقف عما يفعل بينما خطفت مليكة الورقة تتفحصها بعبوس ليسأل الأول" متى؟"

أجاب أدهم "بعد عشرة أيام ..ويريدون ردا سريعا حتى يحجزون تذاكر الطيران والفندق"

خطف مفرح الورقة من يد مليكة يقرأها بفرحة وهو يلحس أصابعه ثم جحظت عيناه وهو ينظر لقيمة الاشتراك للفرد وغمغم مصدوما" بكم؟!!!"

أسرع إياد شارحا " المبلغ يبدو كبيرا لكن احسبها يا أبي ..تذكرة طيران وإقامة في فندق خمس نجوم ..والبرنامج رائع سيتضمن جولات سياحية وترفيهية.. كما سيكون به دورات تنمية بشرية عن الثقة بالنفس والتعامل ضمن فريق وخلافه"

قالت مليكة بمشاعر أمومية قلقة" لا لا أسبوع في مكان بعيد ..."

قاطعها مفرح يقول" موافق"

هتف الولدان بفرح غير مصدقين بينما اتسعت عينا مليكة تناظر مفرح برفض فقال لها من بين أسنانه" هذه فرصة رائعة رغم (ونظر في المبلغ وأضاف بلهجة بائسة) رغم المبلغ الذي سيصيبني بذبحة صدرية وأنا أدفعه"

قالت مليكة بعبوس" وأنا أرفض"

قال إياد حانقا" أمي!!"

تدخل أدهم يقول باندهاش وهو يناظر أبويه" الحقيقة كنا قلقين من رد فعل أبي وليس أنت يا أمي لأن المبلغ كبير خاصة وأنه كان معترضا بشدة على إدخالنا هذه المدرسة باهظة التكاليف وأنت من بذلت مجهودا كبيرا في إقناعه "

غمغم مفرح بقرف وهو يعود للطعام" ولازلت معترضا .. لماذا أدفع هذا المبلغ المخيف حتى لو كانت مدرسة إسلامية ستهتم بتحفيظ

القرآن وتدريس الفقه والعلوم الشرعية بجوار مناهج دولية !!.. ما به شيخ القرية الذي كان يحفظكما القرآن .. هل قصر في شيء !"

ناظره أدهم بامتعاض فقال مفرح مغتاظا" أنا لم يصرف عليّ خلال حياتي التعليمية كلها واحد في المائة مما صرف عليكما حتى الآن رغم أني ابن عمدة بلدنا .. ووصلت للدكتوراه .. والله يا كلاب لن أتنازل على أن تصبحا رائدي فضاء بعد كل هذه المصاريف "

غمغمت مليكة تقول بلهجة عاتبة" هل سنعود لهذا الموضوع ؟! "

نظر إليها قائلا" أنا لم أقل شيئا يا ستي ..ودفعت مصاريفهما ..وسأدفع هذا المبلغ من أجل الرحلة "

ونظر للورقة مجددا بملامح بائسة ليتأكد من أنه قد قرأ المبلغ صحيحا ولم يتخيل أصفارا

ليست موجودة فصاح الولدان بفرحة "لا حرمنا الله منك يا أبي"

قالت مليكة باعتراض" لكني لم أوافق بعد"

شعر الولدان بالإحباط بينما ناظرها مفرح بغيظ فقالت "نستطيع أن نذهب لهذه الرحلة في إجازة نصف العام كلنا ولا داعي لأن يذهبا لمكان بعيد وحدهما"

قال إياد يحاول إقناعها" لكنه برنامج متكامل يا أمي ليس فقط للترفيه ..سيكون هناك معسكر للتنمية البشرية كما أخبرتك "

قال مفرح بلهجة ساخرة مؤيدة وهو يهز رأسه " وأنا من أكثر الناس إيمانا بالتنمية البشرية .. أعشقها .. (وتحاشى النظر لمليكة التي عقدت ذراعيها تحت صدرها وأضاف) لهذا أنا موافق من أجل تنمية بشريتكما "

أضاف أدهم يقول لأمه" كما أننا نحتاج لأن نعتمد على نفسينا أنا وإياد في عدم وجودكما"

هتف مفرح مؤيدا مرة أخرى وهو لا يزال يتحاشى النظر لمليكة" أجل .. أهم شيء الثقة في النفس .. ما شاء الله عليكما .. أنا فخور بك يا ولد من أجل هذه الخطوة التي (وخطف نظرة سريعة للورقة بجوار الطبق وأكمل) ستكلفني مبلغا كبيرا حتى تثق في نفسك أنت وأخوك .. "

هلل الولدان ولم يعيا للهجة والدهما الساخرة ثم قالا بترج لمليكة" أرجوك يا أمي"

قالت مليكة بهدوء" أنا مدركة أهمية هذه الرحلة بالنسبة لكما (ونظرت لمفرح مضيفة) ولأهمية الأمر بالنسبة لك لكن هناك أمر أريد أن ألفت نظر أبيكما له"

واقتربت من مفرح تقول هامسة وعيناه الخضراوان تناظرانها بجدية" لن أستطيع أن أكون معك بكليتي وأنا قلقة عليهما (وأضافت بلهجة صريحة تعبر عن دواخلها) تذكر عقدتي مما حدث أول زواجنا ستدرك بأني لا أبالغ فيما أقول "

لم يفهم الولدان ما همست به لكنهما راقبا الجدية التي علت وجه والدهما وهو يمسح يديه في منديل السفرة مفكرا .. ومضت الدقائق الصامتة في ترقب ليقول مفرح بعد برهة "فهمتك .. وسأقترح عليك فكرة"

تحركت عيناها على صفحة وجهه فاستدار بجذعه لها يسند ذراعه على ظهر كرسيه وهو يقول" ما رأيك أن نحجز نحن أيضا نفس الأيام في نفس الفندق أو فندق قريب منهما حتى

تكوني قريبة منهما وتطمئني عليهما خلال النهار وفي الوقت نفسه يتحقق لنا ما أريده"

اتسعت ابتسامتها وألقت بنفسها عليه تحضنه وهي تقول برضا "أحببت الفكرة جدا لا حرمنا الله منك يا مفرح "

صاح الولدان بفرح بينما اتسعت ابتسامة مفرح وهو يقول بسعادة" ولا منكم أبدا يا حبيبة مفرح"

xxxx

بعد أسبوعين

أغلقت ونس الهاتف مع والدها تزفر بتوتر وتحركت لتجلس بجوار شامل على طرف السرير فسألها باهتمام "هل لا يزال متوترا بشأن سفرك ؟"

هزت رأسها بالإيجاب ..فقال شامل" لا أعرف ماذا أفعل معه .. وبصراحة أشفقت عليه حينما جاء خصيصا إلى هنا حينما علم بأمر السفر ليتأكد من أني لا أنوي بأن أستقر بك في إيطاليا للأبد"

مسدت ونس على بطنها تهدئ من ركل جنينها المتوتر بتوترها وشردت صامتة ..فمد شامل يده يتحسس ظهرها قائلا" ما بك جنيتي؟ .. أنت تزدادين قلقا وتوترا يا ونس .. وهذا غير صحي .. حتى أني بت أفكر إن كان عدم السفر أفضل لك حتى تتخلي عن توترك "

استدارت إليه تقول برفض "كيف؟! .. هذه جائزة كبيرة"

قال شامل موضحا " أنت بحالتك هذه تجبرينني على فعل ذلك وبصراحة أشعر بأن الأمر ليس له علاقة بتوترك من السفر .. أشعر

بعينيك تقولان كلاما لكن هناك ما يمنعك من البوح به .. وتؤكد الكوابيس التي تنتابك بشكل مستمر هذا الكلام .. في البداية قلنا هذه تخاريف وهلاوس هرمونات الحمل لكن الموضوع زائد عن الحد.. ما الذي يشغل رأسك يا ونس؟!"

تطلعت في وجهه بتردد ثم استدارت إليه بكليتها تقول بلهجتها مبتورة الحروف "وماذا لو كان ما يشغل رأسي ليس حقيقيا ومن الممكن أن يسبب المشاكل"

عقد حاجبيه وقال "لا أفهم .. عليك بالتوضيح حتى نحدد معا إن كان حقيقيا أو خطيرا أم لا"

سقطت دمعة سريعة على خدها فاجأته وزادت من قلقه بينما جلست هي على السرير مربعة الساقين ويديها في حجرها فبدت أمامه بردائها في بنطال أبيض مخطط بخطوط طولية حمراء

وبلوزة بنصف كم بالأخضر الزيتي وشعرها الكستنائي على شكل ضفيرتين كمراهقة في الخامسة عشر .. رغم بطنها المنتفخة البارزة أمامها وقالت بنفس اللهجة مبتورة الحروف " بما أننا سنركب الطائرة ..وقد تسقط بنا ونموت ..لذا أنا بحاجة لقول ما أريد أن أقوله ولو لمرة واحدة قبل أن أموت "

قال شامل عابسا " لماذا هذا التشاؤم يا جنيتي! .. لا تخافي من ركوب الطائرة فأنا معك .. لكني أشجعك على قول ما تريدين .. ولا تخافي .. ألا تثقين في شامل ؟"

قالت بعد أن سقطت دمعة أخرى " أنا خائفة من أن أقول كلاما قد يؤلم البعض ثم يكتشف في النهاية أنه تخريف"

أمسك بيديها قائلا " أخبريني يا ونس دون خوف وأنا سأقرر إن كان كلاما مهما أم لا"

قالها شامل ولم يعرف بأنه سيصدم بشدة بعد لحظات حينما يستمع لما ستقوله ونس عما حدث قبل ثماني سنوات .

xxxx

الفصل التاسع والثلاثون

ساد صمت غير مفهوم فتطلعت ونس في وجه شامل لترى رد فعله لكن الأخير احتاج لبضع دقائق قبل أن يجلي صوته ويقول "الحقيقة يا ونس ..قصة غريبة جدا وتثير الحيرة في النفس والتساؤل .. هل التحدث عنها الآن سيفيد بشيء؟.. أم لا ..أقصد ..أقصد"

"تقثد أنك يا تثدقني؟"

(تقصد أنك لا تصدقني؟)

قالتها ونس بإحباط شديد فأسرع شامل بالقول "لا طبعا أصدق أنك رأيتيه لكن .. أشعر بشعور الحاج عيد ..هل التحدث في هذا الأمر الآن منطقي؟.. خاصة وأننا غير متأكدين .. (وأسرع بالتوضيح) والأمر ليس لأنك تهلوسين لكن الوقت ليلتها ..وسنك ..وحالتك الصحية وقتها

..أنت قلت أنك كنت مريضة ..كل هذا يضعنا في حيرة"

انتحبت ونس توضح " يكنه يشعيني بعدم الياحة يشعيني أني أييد أن أوصل ما يأيت حتى ويو كان تخييفا يأصحاب الأمي وبعدها ثأشعي أن ضمييي مستييح .. تعيفني أثوأ شيء عندي أن يظي أميي غيي منفذ في يأسي .. يظي يعذبني حتى أغيقه"

(لكنه يشعرني بعدم الراحة .. يشعرني بأني أريد أن أوصل ما رأيت حتى لو كان تخريفا لأصحاب الأمر وبعدها سأشعر بأن ضميري مستريح .. تعرفني أسوأ شيء عندي أن يظل أمر غير منفذ في رأسي ..يظل يعذبني حتى أغلقه)

سحبها شامل لتنام برأسها على صدره وهو يقول دعينا نفكر في الأمر إذن .. (وصمت لبرهة

ثم أبعدها عنه قائلا) ما رأيك في أن نصلي صلاة استخارة ونرى كيف سيوجهنا الله ؟"
هزت رأسها موافقة واثقة في أن شامل سيتولى الأمر عنها جيدا فعاد لضمها على صدره ..وأخذ يفكر بشرود شاعرا بالشفقة عليها أن عاشت مع هذا الأمر .. فلو كان تخريفا فقد ظل يستنزف طاقتها الفكرية والشعورية لسنوات ولو كان حقيقة فهو كارثة حقيقية.

xxxx

بعد عدة أيام

في قاعة كبيرة في أحد الفنادق الكبرى وقف كامل يديه في جيبي بنطال حلة أنيقة ..وأخذ يزفر بضجر وهو يتطلع مجددا في بسمة الجالسة بجوار سوسو وونس وغنيم يتابعون أجواء الحفل الضخم أمامهم بفضول .
لقد وصلوا قبل قليل لحضور الحفل السنوي الذي تقيمه القناة التي يقدم فيها شامل

برنامجه ..وقد ضم الحفل المشاهير من الفنانين ورجال الأعمال والمذيعين ..
حيث أصر شامل على حضورهم جميعا خاصة أنه كان يخشى أن يحضر وحده مع ونس ثم ينشغل عنها بالمجاملات ..
اقترب شامل من توأمه الذي يرمق الجميع بنظراته المتعالية في وقفته بالقرب من طاولة العائلة وقال له" لماذا تقلب وجهك هكذا لا أفهم "
ناظره كامل بغيظ وقال بلهجة ساخرة " أين اختفيت يا نجم النجوم كلهن يأتين لطلب التقاط الصور معي معتقدات أني أنت"
ضحك شامل قائلا بلهجة مغيظة "ماذا أفعل أكثر من ذلك يا كيمو؟.. لقد أصريت على حضورك حتى يروننا اثنين ولسنا واحدا"
اقترب صاحب القناة ومعه صاحب الفندق في جولته للترحيب بالحاضرين ..فسلم شامل

بحرارة على رئيس القناة ثم قدم إليه كامل الذي رحب به.. ثم قام صاحب القناة بتقديم مالك الفندق للتوأمين قائلا "السيد آسر الراوي*
صاحب الفندق وصديقي "
سلم آسر على التوأمين مرحبا ليقول صاحب القناة لآسر مازحا "أحدهما يكون مذيع برنامج الطبخ الجديد لكني كالبقية لن أستطيع معرفة من فيهما وكأنهما متآمران علينا حتى لا نفرقهما عن بعضهما "
ضحكوا جميعا ليقول شامل من بين ضحكاته مازحا "أنا مندهش كيف لا تستطيعون التفرقة بيننا فأنا بالطبع أوسم بكثير"
قهقه الجميع ليقول آسر بلهجة عربية مكسرة توحي بأن صاحبها عاش كثيرا في بلاد الغرب" لا تظلمهما يا عدلي فكل منهما يرتدي رابطة عنق مختلفة"

* أحد أبطال رواية (خلف أقنعة القلوب) للكاتبة (رغيدا المصرية) .

قال شامل بإعجاب "يبدو أن آسر بك لديه قوة ملاحظة"

ابتسم آسر ليقول كامل " كلما تأتيني معجبة أخبرها أن تذهب لتبحث عن شبيهي برابطة عنق زرقاء"

ضحك الثلاثة الباقون ثم قال شامل موضحا " إن سبب إصراري على مجيئه معي الليلة هو أن يعرف الجميع أن لي توأم "

سأله عدلي "هل يطاردنه المعجبات معتقدات بأنه أنت؟ "

أجاب شامل" أجل و الحقيقة لم أفعل ذلك بإحضاره معي شفقة به ولكن خوفا على معجباتي فهو يعاملهن بفظاظة وسيسيئ لسمعتي"

قهقه آسر وقال" يا إلهي سيظننن بأنه أنت"

وقف شامل وقفة متعجرفة يد واحدة في جيب بنطاله وقلد توأمه بالقول بعجرفة وملامح

ممتعضة" أنا لست شامل والله ..لست هو ..هل أخرج لكِ هويتي حتى تتأكدي؟"
قهقه أربعتهم حتى كامل فقال عدلي لشامل بإعجاب وهو يربت على كتفه " سيكون لك مستقبل كبير في التقديم التلفزيوني يا شامل فلديك حضورا قويا"
ابتسم شامل في حرج شاكرا في الوقت الذي لمح عدلي دخول اثنين من المدعوين فقال "ها هي ضحى حضرت ومعها فادي ورد** ..تعالى يا آسر بك لأعرفك عليهما"

استأذنا من التوأمين مبتعدين ..فاقترب التوأمان من طاولة الأسرة ليسأل شامل والده" ما الأخبار يا أبا نخل؟"
قال غنيم بابتسامة " حفل ضخم فعلا ..مع من كنتما تقفان قبل ثوان؟"

**شخصيتان من رواية (زخات الحب والحصى) لشموسة

رد شامل موضحا وعيناه مستقرتان على ونس الصامتة الهادئة هدوءً ليس من شيمها " كان عدلي بك صاحب القناة ومعه صاحب هذا الفندق اسمه آسر الراوي سأعرفك عليهما بعد قليل فقد ذهبا لاستقبال أحد الضيوف"

قالت سوسو وهي تنظر من بعيد عند باب القاعة الرئيسي حيث تقع طاولتهم بالقرب منها" أليست هذه المطربة ضحى؟"
ردت بسمة بعفوية "أجل هي قابلتها ذات مرة شخصية لطيفة "
نظرة نارية حدجها بها كامل فانتبهت لما قالته وأسرعت بالانشغال بأي شيء لتهرب من لهيب نظرته فلم ترد أن تتوتر الليلة خاصة وأنه قد وافق على حضورها على مضض .. فشامل أصر على حضورهم جميعا حتى لا تكون ونس وحيدة إن انشغل عنها بعد أن أصرت الأخيرة

على مرافقة شامل شاعرة بالغيرة عليه.. أما كامل فالغيرة جعلته مترددا في حضور بسمة رغم أنه لم يفصح عن ذلك علنا لكنها تعرف علته كما هو يعرفها فلم يكن ليطلب منها البقاء في البيت في الوقت الذي كان والداه وونس ذاهبين للحفل.. وهذا ما جعلها تلتزم في جلستها بجوار حماتها حتى لا تثير غيرته وهو ينظر لهذا وذاك ممن قد ينتبهون لجمالها .. خاصة بعد أن أوقفها أحدهم ليسألها عن اسمها مصرا أنه قد رآها في مسلسل ما في رمضان ..

إن جمالها أحيانا يشعرها بأنه يجلب عليها المشاكل خاصة مع زوج غيور ككامل لكنها لم تترك لنفسها الفرصة للاستغراق في الضيق لهذا السبب .. فكما اعتادت مؤخرا أن تتعامل مع اختلافاتهما وخلافاتهما التي لا يوجد لها حل

بنوع من التقبل لفكرة الاختلاف مادام الأمر لا يشكل لها مشكلة كبيرة ويمكنها أن تسقطه أو تتغاضى عنه ..

تابعت عيناها كامل الذي تحرك مبتعدا فاعتذرت لحماتها واستقامت لتلحق به في الوقت الذي اقتربت إحدى المدعوات تقول لشامل" أنا معجبة جدا بك يا شيف ..وأنفذ كل وصفاتك ..هل تسمح بأن التقط معك صورة من فضلك ؟"

ابتسم لها شامل ووقف بجوارها بينما هي ترفع هاتفها لتأخذ صورة لهما معا ثم حيت آل غنيم بإيماءة من رأسها وابتعدت.

قالت سوسو وهي تتابع أجواء الحفل وتتفحص المشاهير "هل الرجل ذو الملامح الأوروبية الذي كان مع رئيس القناة أجنبي يا

شامل؟.. فلديه لكنة أجنبية في حديثه
التقطتها أذناي "
قال شامل وهو يتطلع في ونس التي تلوي
شفتيها بتبرم شاعرة بالغيرة من معجباته
"اسمه آسر الراوي يا أمي مالك هذا الفندق ..
ربما يكون نصف أجنبي أو عاش معظم عمره
بالخارج لا أعرف (ثم قال لونس) ما رأيك في
اسم آسر؟"
رفعت سوسو حاجبا معجبا ونظرت لغنيم
تجرب نطق الاسم "آسر شامل نخلة"

لم ترد ونس فمد شامل يده لها حتى تقف
فأعطته إياها ثم استقامت لتقف إلى جواره
فتطلع شامل فيما ترتديه بإعجاب وقال
مناغشا "أنت جنية حقيقية بهذا الفستان"

كانت ترتدي فستان سهرة من لونين ..الجزء العلوي عبارة عن بلوزة مشغولة بالورود البيضاء البارزة على قماش من التل الشفاف وتحتها طبقة مبطنة باللون الوردي تنتهي بخصر مرتفع فوق بطنها العالي ثم تنورة بتموجات طولية سميكة من الساتان الوردي اللون الذي ينزل باتساع حتى الأرض ..شعرها كضفيرة واسعة القُطَب تنزل على كتف واحد بها ورود بيضاء صغيرة ..

كانت كما هي دوما في عينيه .. خليطا من الطفولة والأنوثة ..الرقة والشقاوة .. لكنها منطفئة .. منذ ذلك اليوم الذي اعترفت له وصلت إلى مرحلة الانطفاء الكلي ..وتمر بالكثير من الانفعالات مؤخرا .. فمن ناحية حملها ومن ناحية السفر بعد يومين وهي متوترة لتجربة السفر وركوب الطائرة لأول مرة ومن ناحية ثالثة قلقها منذ أن علما أنهم سيلتقون اليوم

بمفرح وآل صوالحة بعد انتهاء الحفل ..فأدرك هو وهي حينما علما بتلك المصادفة التي جعلت آل صوالحة في أحد قاعات هذا الفندق في هذا التوقيت بالذات بأنها إشارة لهما بعد أن صليا صلاة الاستخارة .

حاوط خصرها بذراعه يقول مداعبا" ونوسي البائسة"

لم ترد عليه فقال" يا جنيتي .. أنا عمري خمس وثلاثون عاما .. سافرت كثيرا ..والتقيت بالكثير من الفتيات لكن بقي قلبي مغلفا بالسلوفان لم تقدر على أن تقترب منه أي أنثى حتى قابلت قدري .. جنيتي الشقية التي سلبت عقلي وخطفت قلبي وأنا وقفت لها مستسلما"

توردت وجنتاها ورمقته بنظرة ساحرة لا تزال تأسره فأكمل حديثه" فهل تعتقدين أني سأنبهر بحياتي الجديدة وبمن حولي من المعجبات؟!"

أمسكت بطرف سترته في صمت وكأنها تريد أن تختبئ في حضنه وعيناها بهما الكثير من الكلام ثم قالت بعد برهة "أحياننن أخاف أن أفقد ك .. هذه الافككار تعذب ني"

رد شامل مطمئنا" أنا وأنت شاهدنا ذلك البرنامج عن الحمل وتأثيره على الحامل حتى على أفكارها وأحلامها ومشاعرها أليس كذلك؟"

هزت رأسها بالإيجاب فأضاف" عليك ألا تستسلمي إذن لهذه الأفكار ونوسي .. هل هناك فنانة ربحت جائزة عالمية ستستلمها خلال أيام تقف بائسة بهذا الشكل؟!"

لم تستجب لمناغشته بل سألته بنبرة قلقة "هيّ تعتقد أن مفيح ثيتفهم ما ثنخبره به؟"

(هل تعتقد أن مفرح سيتفهم ما سنخبره به؟)

ربت على ظهرها قائلا "لا تشغلي بالك بهذا الأمر.. أنا من سأخبر مفرح بيني وبينه وأفهمه

بأنك تريدين إرضاء ضميرك ولهم مطلق الحرية بعدها في اعتبار تلك القصة حقيقة أو خيال "
هزت ونس رأسها ليقول شامل" لم تخبريني ما رأيك في اسم (آسر) يعجبني"
غمغمت قائلة" حيو اعج بني يكن حيف الثين .. ايا يكـ في اثم ونث!"
(حلو .. أعجبني لكن حرف السين ..ألا يكفي اسم ونس !"

اقتربت بسمة من كامل الذي يلتقط أحد كؤوس العصير من أحد الندل المتجولين فأسرع بإعطائها الكأس وأخذ كأس آخر له.. ثم تحرك النادل مبتعدا فقالت بسمة بصوت رقيق بطريقة مصطنعة" أنا لم أتزحزح من مكاني كامل بك وأجلس مؤدبة فهل أعجبتك؟"
رمقها بطرف عينه بنظرة تفحصتها من رأسها حتى أخمص قدميها .. تقف أمامه مذهلة

..تنافس أجمل جميلات الحفل .. بل وتتفوق عليهن.. وهذا ما يشعل غيرته لأنها ملفتة ولو استسلم لأفكاره المتطرفة قد يحبسها في البيت للأبد.

كانت ترتدي فستانا من القماش عاجي اللون ينزل ليلف جسدها بدون ابتذال أو وصف فاضح .. لا يصل لقدميها وإنما مرتفع عنهما بشبر .. وحذاء بكعب رفيع عال باللون العاجي أيضا .. يزين صدر الفستان خطوط عشوائية باللون البترولي .. ويلف خصرها الرشيق شريط من الساتان البترولي اللون ..

وارتدت فوق الفستان سترة قماشية باللون البترولي جعلت زرقة عينيها مذهلة .. فبدت بهذه الهيئة ومع شعرها المعقوص للخلف بشنيون منخفض بسيط تبدو كسيدة أعمال تمتلك طلة أنثوية وعملية في نفس الوقت.

لم يرد على مداعبتها ولكن نظر في ساعة يده
قائلا "ألا يكفي هذا القدر ونرحل ؟.. من
الممكن أن نترك ونس مع أبي وأمي ونخرج
لنجلس خارج القاعة أنا وأنت "
قالت بسمة معترضة " ولماذا نترك الحفل ؟
فالسهرة لطيفة وفرصة جيدة لرؤية المشاهير"
مط شفتيه بامتعاض في الوقت الذي مرت
خاطرة سريعة في رأسها تقارن حضورها السابق
لحفلات من هذه النوعية وحضورها الآن .. لم
يتغير شيء .. نفس الصخب والانفتاح.
المشاهير في الواقع يختلفون كثيرا عن الصورة
المنسوجة في خيال الافراد العاديين مثلها
..لكنها كانت قبل سنوات تنبهر بهذا المجتمع
وكأنه الوجه اللامع البراق للعاصمة قبل أن
تدرك خطأ أفكارها وتنضج في نظرتها لأمور
كثيرة حولها بعد أن اكتشفت بأنه بريق زائف .

فشتان بين بسمة القديمة وبسمة الحالية ..نظرتها للأمور ..مشاعرها .. أفكارها .. كل شيء تغير .. تبدل .. وكأنها صارت أطول قامة وأصلب ظهرا وأسعد قلبا وتشعر بالاكتمال .. والرضا .

نظرت لكامل الذي يتأمل الحضور من هذا الركن البعيد نسبيا عن صخب وزحام الحفل الضخم .. تأتيهما أصوات الضحكات والأحاديث مختلطة مع صوت الموسيقى.. وصوت الكاميرات المستمرة في التقاط الصور هنا وهناك بشكل مستمر لتسجل فعاليات الحفل.

اقتربت احداهما منهما تقول بسعادة" شيف شامل أنا أمل بكري صحفية بجريدة...."

قاطعها كامل بلهجة عابسة "لست هو"

همهمت الصحفية بعدم فهم "نعم!"

تدخلت بسمة تقول" هذا ليس شامل نخلة حبيبتي"
قالت الصحفية بابتسامة مجاملة " لا بأس لو لم يرغب في عمل لقاء صحفي معه .. لكن هل من الممكن أن أحصل على صورة معه هذا طلب شخصي وليس للنشر"
قال كامل بعبوس وهو يهز كتفيه" قلت لك لست هو ..هل ترغبين في رؤية هويتي؟"
أسرعت بسمة تقول بعد أن بحثت عن مكان شامل "ها هو شامل حبيبتي أما هذا فتوأمه"
تطلعت الصحفية في شامل من بعيد ثم شهقت مصدومة .. وتحركت نحوه بينما برطم كامل "نحن هنا منذ ساعة ولا يزال هناك من لم يكتشف أننا اثنان"
قالت بسمة موضحة" الحفل كبير جدا لدرجة أني حينما ألمح فنانا أو فنانة يختفي بعد ذلك

ولا أراه ثانية .. كما أن شامل أخبرنا أن هناك قاعات داخلية مفتوحة على الحفل"

ساد الصمت وتعلقت بذراعه يتطلعا أمامهما فدققت بسمة في إحدى الحاضرات .. تقف بجوار شاب وسيم ويلتقط بعض المصورون لهما صورا وقالت" أليس هذه هي المطربة الشابة (....)؟"

هز كامل رأسه فأضافت بسمة "وهذا هو الممثل (....) يبدوان مختلفان قليلا عن الحقيقة ..فهي أقصر مما تظهر به على الشاشة وأصغر سنا بكثير "

غمغم كامل" اعتقد أنها من ضمن من سيحيون الحفل"

نظرت إليه تسأله "حقا كيف عرفت؟"

هز كتفيه وأجاب" علمت من شامل أسماء من سيحيون الحفل"

قالت بسمة وهي تعود لتأملها " هي موهوبة بصراحة رغم تلك المشاكل التي تثيرها في الصحف من وقت لأخر لكنها موهوبة منذ صغرها أحب أن أسمع صوتها (وتطلعت في الممثل الشاب الذي يقف بجوارها يضحكان ويتشاكسان كالأطفال وقالت) تبدو فعلا صغيرة اعتقد أن هذا الممثل قريبها على ما أتذكر .. هل تعتقد أن بينهما قصة حب؟"
غمغم ممتعضا " ما أعتقده أن علينا أن نرحل فقد مللت"
قالت بلهجة طفولية تشاكسه " لم يكتشفني منتج بعد يا كيمو .. انتظر حتى يتم اكتشافي"
ناظرها بامتعاض وقال من بين أسنانه" دعي الدقائق الباقية لنا في هذا الحفل تمر على خير يا بنت الوديدي إن لم ترغبي في أن تنتهي بجريمة ..فأنا متحفز وأمسك أعصابي

بصعوبة.. وأشعر بأنه لو تجرأ أحدهم وأطال النظر بك لن استطيع الوقوف ساكنا"
غمغمت بدلال وهي تتعلق أكثر بذراعه" هل لازلت جميلة في نظرك حتى في وجود الممثلات الشهيرات يا كيمو؟"
رمقها بنظرة جانبية ينظر إلى وجهها بديع الحسن وزرقة عينيها التي ازدادت صفاءً وروعة مع زرقة السترة وطابع حسنها الذي يستفزه دوما للتقبيل .. فرمشت بسمة عدة مرات مثل الشخصيات الكرتونية ليقول كامل بصوت متهدج" أغار عليك من كل من ينظر إليك حتى لو كنت شمبانزي يا باسمة"

ضحكت ضحكة حلوة رفرف لها قلبه ثم جادلته تقول "الحمد لله لم ألحظ أحدا ينظر لي بطريقة أو بأخرى.. خاصة وأن الحفل مليء بالفنانات الشهيرات الجميلات"

لم يرد كامل .. فهو يلحظ ويدقق من ينظر لها ومن لا ينظر لكنه يحمد ربه أنها ليست من ذلك النوع من النساء اللاتي يبحثن عن نظرات الإعجاب بهن من الرجال حولهن .. فهو كرجل مثل غيره من معظم بني جنسه يستطيع تقييم المرأة أمامه إن كانت متحفظة ومحترمة مثل بسمة ..أو من نوع أخر .. كل هذا من نظرة العين ولغة الجسد.

اقترب أحد مصوري الحفل ولاحظ بسمة وكامل فأعجبه جمالها ووسامته ووقف يلتقط لهما عدة صور ..فانتبهت بسمة لصوت الكاميرا الذي أصبح معتادا منذ حضورهم فالتصقت بكامل وهي تبتسم فلف كامل ذراعه حول خصرها بتملك ليلتقط لهما المصور عدة صور ثم أخرج من جيبه بطاقة عمل يمنحها لكامل

قائلا" إن أردت سيادتك نسخة من الصور اتصل بي من فضلك"
قالها ثم حياهما وابتعد .. في الوقت الذي ناداه شامل بعد أن انتهى من حديث صحفي سريع مع الصحفية أمل بكري..
نظر كامل إليه فأشار له ليقترب ففعل ذلك ممتعضا وقد خاطره الأخر فكريا أن يلتقطا صورة لهما معا حتى تنشر في الصحف ويعرف الجميع أن له توأم.
التقطت الصحفية صورة للتوأمين قبل أن يسمعوا صوتا عاليا يقول باندهاش
"معقول؟؟.. جيراني الحلويات من الدول الشقيقة هنا؟؟"
انتبهوا متفاجئين بتسونامي التي تقترب منهم فنظر التوأمان لبعضهما باندهاش بينما اقتربت بسمة وونس كل واحدة منهما وقفت بجوار زوجها في وضع متحفز للهجوم ..فبلعت

تسونامي ريقها وقالت بابتسامة متوترة" كيف حالكم .. جميعا ؟"

ساد الصمت بينما الصحفية واقفة تنظر في الجميع التوأمان مخروسان وزوجتاهما عابستان تقفان في وضع مستعد للهجوم يناظرون جميعا تلك الراقصة التي ترتدي فستانا ذهبيا فوق الركبة ومفتوحا من جانب واحد ..وشعرها مسدلا على ظهرها والتي اسرعت بالقول" لم أعرفكم على زوجي (واستدارت حولها تشير على رجل عجوز بدين يقف يحدث النادل وقالت) برعي بك رجل أعمال"

هز التوأمان رأسيهما بمجاملة حتى تنصرف فشعرت تسونامي بالرعب من وقفتهم المتخشبة فعدلت من شعرها الطويل بحركة مختالة من يدها وهي تقول للصحفية بلهجة مائعة" أنا تسونامي تعرفينني بالطبع "

أسرعت المذيعة بالقول" طبعا ..طبعا ..أهلا بك هل أستطيع أن أقوم معك بمقابلة صحفية "؟

سحبت كل زوجة زوجها تاركين تسونامي مع الصحفية وعادوا أربعتهم للاقتراب من الطاولة التي يجلس عليها غنيم وسوسو اللذين كانا يضحكان على ما حدث فقال كامل لأهله "هل نغادر؟"

اعترض شامل قائلا" الحفل لا يزال في أوله لنرى فقرات الحفل سيكون ممتعا"

هم كامل بالاعتراض فأضاف شامل وهو ينظر في ساعته "مفرح لم ينته من الحفل بعد ..أين ستذهبون ونحن سنقابلهم "

عقدت بسمة حاجبيها تقول "سنقابل مفرح!!.. متى وأين؟"

رد شامل موضحا " مفرح ومليكة هنا في أحد القاعات يحضران حفلا"

هتفت بسمة بحاجبين مرفوعين متفاجئة
"حقا!!.. لم يخبرني كامل"
أجابها الأخير بسرعة " علمنا الأمر بالصدفة
فقررنا أن نتقابل بعد الحفل (وقال لتوأمه)
سنجلس أنا وزوجتي بالخارج في بهو الفندق
حتى تنتهي أنت وينتهي هو"
قال غنيم "إن كنتم تنوون على السهر سأطلب
سيارة أجرة لإعادتي أنا وسوسو بعد الحفل
مباشرة فلن نتحمل السهر أنا وهي"
قال كامل عابسا "لماذا يا أبي!"
قال غنيم موضحا " كونوا على راحتكم نحن
سنغادر بعد قليل"
تحدث كامل قائلا " إذن سأوصلكما"
رد غنيم بحزم" لا داعي.. فقط اطلب لي سيارة
أجرة فالأمر لا يحتاج لإيصالنا والعودة"
اهتز الهاتف في جيب شامل فأخرجه يدقق في
الاسم مغمغما وهو يبحث حوله" هذا مخرج

البرنامج (ثم أسرع بالرد) نعم أستاذ راضي
(وصمت قليلا يبحث بين الجموع على مدى
القاعة الضخمة وقال) أين أنت بالضبط لا
استطيع تحديد مكانك .. حسنا أنا قادم"
اغلق الخط وربت على ظهر ونس يقول بلهجة
حانية " سأعود بعد قليل (ثم قال لكامل) هيا
معي فهناك جمع من الصحفيين يقومون بعمل
لقاء مع طاقم البرنامج"
اعترض كامل ليقول شامل وهو يسحبه من
ربطة عنقه" هيا يا حلوف وكف عن الكسل..
ألم ترغب في أن تنتشر معلومة أننا اثنان ولسنا
واحدا هيا"
سحبه بضع خطوات فهدر كامل بغيظ "اترك
ربطة عنقي إن أردت تجنب الفضائح"
تركها شامل ودفعه أمامه فاستدار كامل ينظر
لبسمة نظرة تحذيرية مطت لها شفتيها
وفهمت الرسالة ..فابتسمت له ابتسامة صفراء

ثم جلست على الطاولة بجوار حماتها
بامتعاض كما فعلت ونس ..
قال غنيم لبسمة معلقا" يخنقك هذا الولد
أليس كذلك؟"
تنهدت وردت وهي تخرج الهاتف لتحاول
الاتصال بمليكة التي كانت تعلم بأنها ذاهبة
لحفل ما لكنها لم تكن تعلم اسم الفندق " لا
أنكر بأني أشعر بالضيق من مبالغته لكني وعدت
نفسي بأن أتكيف مع ما لن استطيع أن أغيره
فيه .. خاصة وأنه لا يشكل لي أزمة كبيرة
بالإضافة لأنه يتحملني ويطوع نفسه في
المقابل في أشياء أخرى من أجلي "
ابتسم لها غنيم ابتسامة صامتة أشعرتها
بالفخر من نفسها .. فأن تحظى بإعجاب رجل
بحكمة غنيم أمر كبير بالنسبة لها بينما قالت
سوسو "اعترف أن ابني متطرف في هذا الجانب

لكن أعتقد أن سبب هذا التطرف هو ما وهبك الله من جمال يا بسمة ما شاء الله "

ابتسمت بسمة بوجنتين مشتعلتين فقالت سوسو بلهجة متفاخرة " الحقيقة صديقاتي يحسدنني على زوجتي ولديّ في كل شيء الحمد لله"

تحدثت بسمة بلهجة متأثرة تقول لحمويها " لا حرمني الله منكما والله بعيدا عن ارتباطي العاطفي بكامل فأنتما خير عوض لي"

قالتها وهي تمسك بذراع سوسو بدفء .. فابتسمت لها الأخيرة ثم قالت معلقة

"تحتاجين لتعديل طلاء شفتيك يا بسمة .."

وضعت الأخيرة هاتفها على الطاولة بعد أن اتصلت بمليكة دون رد ثم التقطت حقيبة يدها الصغيرة بترولية اللون من على الطاولة لتخرج منها مرآة صغيرة بينما نظرت سوسو

لونس الصامتة الشاردة ثم تبادلت النظرات المتسائلة مع غنيم ..
جاءتهم ضحكة مائعة من تسونامي التي لا تزال تقف على مقربة تمسك بذراع زوجها العجوز وحولها بعض المدعوين فغمغمت سوسو بامتعاض "من أين خرجت لنا الليلة؟!"
فغمغمت بسمة بقرف " خرجت من حمام الفندق بالتأكيد ويبدو أنني سأتخذ دور كامل في التحفز لضرب إحداهن "
ضحك غنيم وسوسو ثم قالت الأخيرة وهي تنهض" بمناسبة الحمام أريد الذهاب إليه (وسألت ونس) هل تريدين الذهاب للحمام يا ونس؟"
انتبهت الأخيرة وهزت رأسها بالإيجاب ثم استقامت تمسك بحقيبتها الوردية وتلملم فستانها لتقول بسمة وهي تعيد المرآة للحقيبة" وأنا سأذهب معكما"

تحركن بعد دقيقة تخرجن من أحد الأبواب الجانبية للقاعة على الناحية الأخرى ..تقصدن الحمام بعد أن سألن أحد الندل عن مكانه.

بعد دقائق قالت بسمة لحماتها بلهجة متهكمة "سأسبقكما حتى لا يأتي بعلي ويجدني قد ذهبت للحمام بدون إذنه"

ابتسمت سوسو بينما خرجت بسمة تتحرك بأناقة في ممر طويل حتى وصلت لباب القاعة الجانبي الذي خرجت منه قبل قليل وبمجرد أن دخلت القاعة سمعت نداءً مصدوما يقول " بسمة !!"

فرفعت عينيها ثم غمغمت بصدمة مماثلة "سيد !!"

قبل قليل

خرج سيد صبرة من أحد الأبواب الجانبية للقاعة مبتعدا عن صخب الحفل الكبير الذي وصل إليه منذ قليل حتى يتصل بها ..

إنه غير قادر على التواصل مع الناس أو الاستمتاع بأجواء الحفل وهي مسيطرة على رأسه ..
يعرف بأنها غاضبة منه وأنه قد عاند معها وبالغ في عصبيته لذا قرر أن يتصل بها .
رفع الهاتف على أذنه ووقف بجوار باب القاعة من الخارج مستندا باليد الأخرى على خصره مباعدا طرف سترته الأنيقة للخلف فجاءه صوتها حادا تقول بتحفز "نعم ماذا تريد؟"
رفع حاجبا وقال بلهجة خطرة " ما معنى ماذا أريد؟"
صرخت بحنق " لماذا تتصل ؟"
رد بلهجة متسلية متصنعا الحزم " أنا اتصل في الوقت الذي يعجبني"
قالت بلهجة معاندة " وأنا أرد في الوقت الذي يعجبني أيضا"
كشرت ملامحه وهتف محذرا " آية!"

صرخت بحنق وهي تعتدل على السرير وأمامها اللابتوب " نعم .. ماذا تريد من زفتة؟؟.. ألم تتركني وتذهب!"

تنهد وقال موضحا " قلت لك كان لابد أن أذهب فصاحب القناة شدد عليّ للحضور وتحرجت من الاعتذار"

قالت بلهجة ساخرة " وفاجأتني اليوم صباحا بأننا مدعوان للحفل .. وأنت تعرف بأني منذ يومين مضغوطة في تنفيذ التصاميم التي طلبها أحمد وسبق وأن أجلتها أكثر من مرة بسبب انشغالي حتى جاء وقت التسليم النهائي اليوم.. هذا بالإضافة لأني بحاجة لتحضير المادة الخاصة بحلقة الغد وبأن الوقت سيضيع كله اليوم في تسليم التصاميم قبل الساعة الخامسة.. فماذا تتوقع مني!!"

قال موضحا بصبر " يا آية ..أنا أوضحت لك أني قد نسيت إخبارك .. تداخلت الأيام في رأسي ولم أتذكر أمر الحفل إلا صباحا حينما صادفني خبر على فيسبوك عن الحفل ..وأنت عاندت وانفعلت وجعلتني أعاند معك وأغادر غاضبا ..كان من الممكن أن تأتي معي ساعتين ثم نعود لتستكملي تحضير ما تريدين "

قالت بغيظ وهي تقف على ركبتيها فوق السرير " أتعني أني أنا السبب يا سيد!"

قال بلهجة ساخرة " لا يا روح سيد أنا بالطبع السبب .. أنا المجنون"

صرخت حانقة " أنا مجنونة يا سيد!!"

رد مغازلا بهمس وهو يقرب الهاتف من فمه " بل أنتِ روح سيد .. (ثم أضاف بلهجة مشاكسة) فأنا لا استمتع بالحفل منذ أن وصلت وذهني مشغول بك .. أقول لنفسي يا سدسد لو كانت يويا موجودة الآن لكتمت على

أنفاسك .. وقامت باستجوابك بشأن من صافحت ولمن ضحكت ..لكنك الآن تستمتع بالحرية"

وضعت يدها في خصرها وقالت بامتعاض "وما دمت تستمتع بالحرية الآن .. لماذا اتصلت بي إذن؟!"

اتسعت ابتسامة مشاكسة على شفتيه ورد بلهجة متسلية مغيظا " لأخبرك بأن فادي ورد وضحى وغالبية المشاهير هنا يا روحي"

هتف صارخة بحنق " سيد ...سيد لا تغيظني والله سأبكي"

قهقه بتسلٍ وهرش في لحيته البنية الأنيقة ثم قال هامسا وهو يطرق برأسه ليخفي عن المارين ملامحه " و لأخبرك بأني أعشق الأسر بين يديك يا سكاكري .."

عادت تجلس على السرير ومطت شفتيها تقول ببؤس طفولي " ليتني ذهبت معك اهيء اهيء "

قال لينهي الحديث " ركزي فيما تفعلين لتنتهي منه قبل أن أعود"

ردت حانقة " الذي يقهر أني أوشكت على الانتهاء بالفعل ليتني ذهبت معك"

قهقه ضاحكا ثم قال مغيظا وهو يعود ليدخل القاعة "اذهبي الآن يويا لست متفرغا ..سلام"

جاءه صراخها الحانق قبل أن يغلق " سيد يا غليظ ..سيد"

أغلق الخط ووقف بداخل القاعة بالقرب من الباب يعيق الطريق بجسده الضخم وهو يتفقد سريعا المكالمات الفائتة والرسائل .. ثم انتبه لدخول إحدى السيدات فعاد للخلف خطوتين لإفساح الطريق وهو يرفع رأسه بنظرة شاردة قبل أن يتفاجأ بها .. بسمة شاخصة أمامه فهتف تلقائيا باتساع عينيه "بسمة!!"

رفعت الأخيرة أنظارها وتوقف قلبها عن النبض
لثوان من المفاجأة وغمغمت "سيد!!"
سألها باندهاش " ماذا تفعلين هنا؟"
احتاج الأمر منها لبضع ثوان حتى تفيق من
الذهول وترد بلهجة استنكارية " ماذا تقصد؟ ..
هل أنت فقط من يحضر حفلات الفنانين؟"
كانت أمام ناظريه أكثر فتنة وجمالا من ذي
قبل .. لن يستطيع أن ينكر هذا.. لذا كسر
نظرته المحدقة فيها بذهول المفاجأة وأجاب
موضحا " لم أقصد .. لقد تفاجأت فقط
..(ورفع إصبعيه أمامها يطرقعهما قائلا) أها
..لابد أنه أخو زوجك ..سمعت بأنه قد أصبح
يقدم برنامجا .. (ثم سألها)كيف حالك ؟"
تقبضت إلى جانبيها تداري ارتباك المفاجأة
وغمغمت وهي تهم بالتحرك " بخير وفي نعمة
كبيرة الحمد لله"

رد بصدق " أدامها الله عليكِ.. صدقيني فرحت لك جدا حينما علمت بأنك تزوجت" قالت بسرعة متخطية المفاجأة وهي تتحرك لتتجاوزه إلى داخل القاعة " أشكرك .. بعد إذنك"

"هل سامحتني؟"

قالها سيد بسرعة قبل أن تبتعد وهو يتطلع في ظهرها .. فتخشبت بسمة لثوان ثم استدارت إليه ووقفت أمامه صامتة متكتفة لبرهة بوقفة ذكرته بذلك اليوم الذي ودعها فيه في بيت الجد صالح .. لكن نظرتها تلك اللحظة البعيدة كانت تائهة رغم تصنعها الكبرياء والبرود أمامه .. نظرة عذبته فلم ينسها أبدا .. أما الآن فعيناها الزرقاوان مستقرتان على وجهه تناظرانه بـ ثقة.

هل اختلفت؟ .. أجل كثيرا .. يشعر وكأنها شخص آخر .. هناك ثقل لوقفتها ..ظِل لها .. لم تعد تلك الفتاة القروية الساذجة باردة الوجه .. تحولت .. أو تطورت .. أو نضجت لا يعرف بالضبط .. ما أدركه من خبرته في البشر أنها أضحت شخصا مختلفا وغريبا عنه ..وعن تلك الفتاة القديمة التي تزوجها ذات يوما .

تكلمت بسمة بثقة وهدوء وهي لا تزال عاقدة ذراعيها أمامها " لن أنكر بأني قد تعرضت بارتباطي بك لمحنة صعبة قلبت حياتي .. لكني أصبحت ناضجة بشكل كاف لأدرك بأن كل شيء بقدر وكل إنسان له ابتلاءه في الدنيا .. لن أرفع عنك المسؤولية يا سيد .. حتى لو كنت أصدق أنك لم تكن مدركا لمشاعرك تجاه الأخرى وقت أن تزوجتني ولكني في نفس الوقت لن أحاسبك لإدراكي بأن بعض البشر هم محطات في حياة أناس أخرين ..سواء كانوا

مؤثرين أو غير مؤثرين .. وأدركت أيضا أن بعض المحطات قد تغير طريقك للأبد .. (وأحنت رأسها لثانية تنظر للأرض ثم رفعتها تقول بكبرياء وثقة) عش حياتك يا سيد ..فرغم أننا لم يكتب لنا السعادة معا و ربما تألمنا وعانينا وأوجعنا بعضنا البعض ..لكن تقاطع طرقنا كان سببا لأن يُجبر كل واحد منا على البحث عن السعادة.. سعادته .. أنت تفيق من انكارك لمشاعرك تجاه الأخرى .. وأنا أفيق من غفلتي لأبحث عن بسمة الحقيقية .."

ألمت الراحة بقلبه .. وحاوطته السعادة من كل جهة .. لقد جاءت لحظة التحرر من الذنب .. جاء اليوم الذي يتأكد من أنها قد سامحته فلمعت دموع التأثر في عينيه وقال بلهجة ممتنة" أنا لا أجد ما أقوله سوى (شكرا) يا بسمة .. من كل قلبي أشكرك لأنك كنت أكرم

وأنبل من أن تنتقمي مني بألا تخبريني بتلك العبارات السابقة ..ألف شكر"

هزت رأسها واستدارت توليه ظهرها تستمر في طريقها دون كلمة إضافية تقطع القاعة بخطوات رشيقة ثابتة وذقن مرفوع وهي تخبر نفسها "ربما لو كنتَ قابلتني قبل سنة كنتُ صببتُ عليك كل لعناتي .. لكني الآن راضية تماما .. فخورة بنفسي وبما وصلت إليه ..وسعيدة جدا بعوض الله "

انتبهت من شرودها واستفاقت من حالة الذهول التي كانت لا تزال تسيطر عليها ثم تطلعت حولها بتوتر في خشية من أن يكون كامل على مقربة فلا تريد أن تقلب الليلة لمجزرة ..

حين اقتربت من الطاولة سألها غنيم" أين سوسو وونس؟"

ردت تداري توترها مما أدركته متأخرا بأن كامل وسيد في مكان واحد هذه اللحظة "قادمتان " ونظرت نحو تلك الجهة التي كان سيد عندها فلم تجده ولم تعلم كيف ستكون اللحظة التالية لو كان سيد قد انخرط وسط المدعوين وقابل كامل .

الخاطرة وحدها أرعبتها بشدة .. في الوقت الذي لاحظ غنيم توترها الشديد وسألها" ما بك يا ابنتي؟"

استدارت إليه .. وقررت أن تخبره .. فالموضوع أكبر من أن تتصرف فيه وحدها فقضمت شفتها لبضع ثوان ثم قالت "رأيت زوجي السابق هنا قبل دقائق.. وأخشى أن يقابله كامل"

لاح القلق على وجه غنيم ثم قال لها وهو يرى سوسو وونس آتيتان من بعيد "حسنا .. علينا المغادرة فورا .. سأتصل بكامل وشامل"

xxxx

في نفس الوقت وفي قاعة أخرى من قاعات الفندق كانت مليكة تجلس على إحدى الطاولات بجوار مفرح وولديه وعائلة عمار وعائلة أكرم ويصفقون للأخير الذي يستلم شهادة تقدير في الحفل المقام بمناسبة ختام أحد المؤتمرات الطبية العالمية.. فراقب مفرح السعادة المرتسمة على وجه مليكة وحماسها وهي تصفق لأخيها وازدادت سعادته ..

لقد عاش أجمل أيامه على الإطلاق في تلك السفرة التي ذهبا فيها مع الولدين لإحدى مدن الجنوب .. يكاد لا يصدق حتى الآن أنه استعادها.. أنها بعد حب دام خمسة عشرة سنة تقريبا أخيرا عادت إليه بكليتها.. بل إنها

بمشاعر الذنب التي تحملها له أضحت تغدق عليه بمبالغة .. وهو مستمتع .. سعيد .. يشكر ربه كثيرا .. يعتبر أن ما يحدث معه مؤخرا هو عوض ربه له بعد سنوات طويلة من الصبر والاحتساب .. وقد أجزل له ربه العطاء .

تأملها تجلس بأناقة وشموخ لا يبارحانها ..هما جزء من تكوينها .. وتأمل رداءها الشبيه بالجلباب المصنوع من المخمل الأسود الذي يعكس لمعة ذاتية مع الضوء وأكمام تنزل من أحد الأطراف كمثلث أطول من الرسغ منقوش على العباءة بخيوط باللون الكموني ورود وأفرع شجر تزين الأكمام والجزء السفلي من العباءة مع حجاب فاتح اللون بسيط .. تابع حماسها وهي تستقبل أخاها العائد للجلوس للطاولة وتهنئه .. ثم استقام يبارك له بدوره وعاد للجلوس في مقعده.

مالت عليه مليكة فداعب عطرها أنفه.. فهي كالعادة ملكة العطور التي كانت لسنوات طويلة عذابه و أضحت منذ أيام قلائل جنته ..وقالت " العقبى لك حينما تحصل على الدكتوراه يا حبيبي"

شاكسها قائلا بابتسامة واسعة" أنا شخصيا لم أعد متعجل على الحصول عليها فأنا حاليا مشغول بتحضير شهادة عالمية في موضوع آخر"

الشقاوة التي تطل من عينيه جعلتها تتورد وتقول متصنعة للحزم "يبدو أن الدلال سيفسدك يا مفرح ويلهيك عن أهدافك"

غمغم بلهجة متسلية " من الوارد أن يحدد الإنسان لنفسه أهدافا جديدة يتمنى أن يصل إليها .. هذا جزء من دروس التنمية البشرية صدقيني ..حتى اسألي ابنيك"

ارتفع حاجباها الجميلان وسألته "وما هي أهدافك الجديدة إن شاء الله؟!"
صمت لبرهة يكتم الضحك ثم سألها بلهجة ذات مغزى" هل تريدين الإجابة الآن وهنا؟!"
اشتعل وجهها وعادت للنظر أمامها تدفن وجهها في طبقها تتصنع الجدية بينما قلبها يرفرف بسعادة بين جنبات صدرها لأنه سعيد.. ولأن الأيام الماضية بينهما كانت وكأنها قد صنعت من خيال.
رن هاتفه فأسرع مفرح بالرد "نعم كامل .. انتهيتم؟ .. حسنا سنخرج إليكم بعد قليل .. فقط أخبرني أين سيستقر بكم الحال في الفندق "

حين أغلق الخط ناظرته مليكة باستفهام ليجيب مشيحا بنظراته عنها " هذا كامل إن

العائلة كلها في حفل القناة التابع له برنامج شامل في أحد قاعات الفندق الآن .."
اتسعت عيناها بمفاجأة وهي تقول"
هنا؟..الآن؟ .. لقد أخبرتني بسمة بأنهم ذاهبون لحفل ولم أدقق في اسم الفندق الذي أخبرتني إياه"
قال مفرح وهو يرشف من كوب العصير "أية خدمة مليكة هانم .. احضرتك إلى هذا الحفل وسأجعلك تقابلين صاحبتك أيضا "
قالت مليكة مضيقة عينيها "لهذا وافقت أن تبيت اليوم في العاصمة بخلاف جدولك المعتاد .. من أجل أن تقابل صاحبيك؟!!"
غمغم ببراءة مصطنعة وهو يضع يده على صدره "أنا؟!!.. سامحك الله يا بنت الصوالحة (وتوجه بالحديث لأصهاره قائلا) صاحباي شامل وكامل هنا مع أسرهم وسأقابلهم أنا

وملیکة بعد قلیل ..ما رأیکم في أن تنضموا لنا؟..
ستکون سهرة لطیفة؟"
قالت ملك ابنة أكرم بحماس" الشيف شامل!
.. أريد أن ألتقط صورة معه وأريها لأصحابي"
ناظر أكرم عمار ثم قال" لا بأس ستكون فرصة
جيدة "

xxxx

بعد قلیل کان سید یقول لآیة في الهاتف وهو
یخرج من باب القاعة "یویا"
قالت له صارخة "ماذا؟.. هل تريد أن تغيظني
مجددا يا سيد؟"
أبعد الهاتف عن أذنه يكتم الضحك ثم قال
متصنعا البراءة "أنا فقط اتصلت لأخبرك أنك
حبيبة روحي وقلبي"
صرخت بطريقة مجنونة" لا تستفزني يا سيد
واذهب لمعجباتك"

لم يقدر على التماسك فقهقه ضاحكا ثم قال وهو يهم بالابتعاد بعد أن قرر المغادرة حتى لا يتقابل مع زوج بسمة ويكون سببا في أي حرج لهما " اسمعي يا بنت أنا قررت أن أهرب من الحفل"

هدأت وسألت "حقا؟!"

قال وهو يقرب فمه من الهاتف " أجل فقد اشتقت إليك فجأة .. اشتقت إليك بجنون وأريد الليلة بالذات أن أقضي معك ليلة لا تنسى"

هدأت تماما وسألته بدلال" ولماذا اليوم بالذات"

رد مراوغا" بدون أسباب .. اليوم أريد أن أحبك حتى الموت يا يويا"

غمغمت بعشق" سيد"

فقال بصوت متهدج " روح سيد ..والله روح سيد التي رُدت إليه "

ساد الصمت فقال وهو ينزل السلم إلى البهو الرئيسي للفندق "اسمعي يا بنت ..الليلة ستكون مميزة بحق .. سأحجز غرفة لنا هنا في الفندق .. وأمر عليك بعد قليل و .."

قبل أن يكمل حديثه لمح بسمة وعائلة زوجها يقفون في بهو الفندق فعاد بضع درجات للخلف ثم صعد من جديد فقالت آية بقلق" سيد هل هناك شيء؟"

قال وهو يهرول صاعدا "لا شيء كنت أقول يويا أني سأحاول أن أحجز لنا غرفة للمبيت في هذا الفندق وأوصلك عند الشروق لمحطة الإذاعة"

استندت على ظهر السرير بظهرها ولعبت في خصلات شعرها وهي تقول بدلال" ولماذا في الفندق؟"

قال سيد بابتسامة شقية " لأني أريدها ليلة صاخبة.. وهات معك بدلة الرقص الجديدة"

اعتدلت تقول باتساع عينيها" أي بدلة تقصد؟"

قال بهمس وهو يقترب من القاعة عائدا "البدلة الزرقاء التي أحضرتِها بمناسبة عيد زواجنا الشهر القادم والتي تخبئينها في أحد الصناديق في الرفوف العليا من الخزانة .."

شهقت متفاجئة فأكمل بلهجة حارة "يا الله.. ستكون مذهلة مع لون بشرتك الأبيض ..لذا لن أتحمل الصبر حتى الشهر القادم لأراها عليك"

سألته عابسة "كيف عرفت؟"

انفجر ضاحكا وهو يقف بجوار باب القاعة كما كان يحدثها قبل قليل ثم أجاب من بين ضحكاته" يا بنت ..أنا أحفظك كخطوط يدي .. (ثم أضاف بسرعة) ادع أن نجد غرفة شاغرة فقد علمت بأن الفندق يستضيف مؤتمرا طبيا عالميا .. سأؤكد لك الحجز لتستعدي"

هتفت بقلق أمومي" وباسل ونغم"

قال مطمئنا "لا تقلقي سأتصل برحمة وأخبرها بأي حجة لتبقى بجوارهما حتى الصباح ..
(وأضاف حين أحس بتردد جانبها الأمومي الذي اكتسبته في السنوات الأخيرة) هيا يويا لم نبت خارج البيت وحدنا منذ أن ولدا .. كما أنهما لم يعودا رضيعان"
بعد دقائق أغلق الخط ودخل القاعة محدثا نفسه "على الأقل تأكدنا من أن آل غنيم قد غادروا الحفل .. لنبق بعض الوقت حتى يغادروا الفندق تماما.."
سلم على بعض المعارف بمجاملة ثم اخترق المدعوين حتى اقترب من آخر القاعة حيث انتهت فقرة توزيع الجوائز على أطقم العمل التابعة للقناة ..فوقف بجوار ضحى وفادي لتسأله الأولى" أين اختفيت؟"
هرش في رأسه وأجاب" أنا هنا"

قالت مذيعة الحفل" والآن نبدأ فقرات برنامجنا الساهر .. مع أولى فقراتنا .. مع موهبة شابة اشتهرت منذ الطفولة وحازت موهبتها الغنائية على إعجاب منقطع النظير"
غمغمت ضحى "هذه البنت أحبها موهوبة بالفعل"
رد سيد و فادي مؤيدين بينما ساد ارتباك والمذيعة والحضور ينتظرون تقدم المطربة الشابة لالتقاط الميكروفون .. لكنها لم تظهر ..
فاتجهت أنظار الجميع نحو المنتج الشاب صاحب شركة الانتاج التي ترعاها والذي بدا عليه الحرج والغضب وهو يبحث حوله فبدا على الجميع الاستياء وناظرت ضحى صاحب القناة صديقها هي وفادي فوجدته مستاء بشدة
..فأسرعت تتحرك نحو المذيعة بخطوات واثقة أثقلتها خبرة السنين وتقدمت بأناقة بفستانها الفضي بدون أكمام وشعرها القصير

وأمسكت الميكروفون تقول " مساء الخير .. صحيح أنا لست من ضمن الأسماء التي أعلن أنهم سيغنون الليلة .. لكن شهيتي انفتحت للغناء بعد أن حضرت هذا الحفل الجميل .."
انفجرت القاعة بالتصفيق فأضافت ضحى شاعرة بالإطراء من ترحيب الناس" لذا اسمحوا لي أن افتتح أنا الفقرات بغناء مهدى لعدلي بك .. الذي يجمعه بنا أنا وفادي صداقة وعشرة سنين طويلة .. سأغني أغنية مباركة له على النجاح الكبير للقناة على مدى سنين"
ناظرها عدلي بامتنان كبير بينما اندفع المنتج الشاب ليغادر القاعة هاربا من النظرات المتسائلة ليبحث عن تلك المتهورة.
أضافت ضحى "تعلمون .. أنا دوما اشجع الشباب الصاعد .. وهناك أغنية أدندنها هذه الأيام لأحد الفرق الشبابية سأغنيها معكم تشجيعا لهم "

ذهبت نحو الفرقة الموسيقية وأعطت بعض التعليمات لقائدها بينما امتن الحاضرون لأن تفتتح مطربة بقيمة ضحى الحفل .. فعادت الأخيرة وبدأ العزف لتبدأ هي الغناء .

متخافش من بُكره ..
خاف بس من خوفك ..
خلِّى الحياة فكرة ..
و ارسمها بحروفك ..
افرش سَمَاك ألوان ..
اعشق بكل جنان ..
وإياك تعيش ندمان ..
أو مَحنِى لظروفك ..

تحركت ضحى نحو سيد الذي تفاجأ بها فسحبته من يده وهو يضحك وعادت لتقف مكانها وهي تشير لمعدي الحفل بين المقطع الموسيقي تطلب ميكروفونا إضافيا حتى جاءهما فالتقطه سيد وبدأ في الغناء أمامها وكأن

الأغنية اختيرت قدرا في هذا التوقيت ليغنيها بكل مشاعره:

كل الجراح جواك ..
بالصبر تطرح ورد ..
خطاويك عيدان خضرا ..
و مسيرها يوم تشتد ..
دى الشمس مهما تغيب ..
يفضل شروقها نصيب ..
لو حتى كنت غريب ..
حضن القلوب يتمَد ..

اشتعل الحفل بالحماس الذي انتقل للمطربين فوقفا أمام بعضهما يغنيان بسلطنة في صوت واحد :

افتح بيان الصمت ..
و اصرخ بصوت مسموع ..
لو زاد عليك الصعب ..
خلّى الجبين مرفوع ..

إفتح عينيك شبابيك ..
ضُم الوجود بإيديك ..
دا الفرح مستنيك ..
و الحلم مش ممنوع .

xxxx

استقرت بسمة شاعرة ببعض الراحة لجلوسهم في أحد الأركان الداخلية في الدور الأرضي من الفندق بعيدا عن باب الاستقبال حتى لا يتصادف مرور سيد ويراه كامل الذي لم يفهم حتى الآن سبب إصرار والده على مغادرة الجميع للحفل مدعيا بالاكتفاء ما داموا قد حضروا جزءا منه .. ولم يرتح غنيم إلا بعد أن أخبر شامل بوجود سيد فأسرع الأخير بالموافقة على ترك الحفل والمغادرة لإبعاد كامل تماما .. لكن غنيم وشامل لم يستطيعا الافلات من المقابلة مع مفرح بعد أن أخبر

الأخير أصهاره لذا قرر غنيم عدم المغادرة
والبقاء خوفا منه لأي تطور أخر .
في جلسة مرتفعة عما حولها بسلم خاص وكأنها
جلسة خاصة.. جلس الجميع يرحبون
ببعضهم البعض آل غنيم وأولاد صوالحة
فقالت مليكة وهي تقبل وتحضن ونس
"اشتقت إليك ونوس .. لماذا أنت هادئة
هكذا؟ ..هل يثقل عليك الحمل؟"
ابتسمت ونس وعادت لمعانقة مليكة بعاطفة
قوية دون رد فمسدت مليكة على ظهرها ثم
أجلستها بجوارها ..والتفتت لبسمة التي
جلست على الناحية الأخرى منها لتكمل معها
الحديث وكل واحدة منهما تبسمل وتقرأ أدعية
الحسد في سرها مشيحة بنظراتها عن بطن
ونس خوفا من أن تحسدها دون أن تشعر ..
فقالت مليكة لبسمة التي تلتفت حولها بعد أن

قصت عليها ما حدث" لا تقلقي فبالتأكيد لن يغادر الآن مادام الحفل ممتدا"
قالت بسمة بتوتر وهي تراقب سلما جانبيا على يسارها " أعتقد أن هذا السلم مؤدي للدور الثاني الذي تقع به قاعة الحفل"
قالت مليكة مطمئنة" لا تقلقي .. ثم أنني لا أعلم مما تهربين"
أوضحت بسمة " أنا لا اهرب يا مليكة .. أنا فقط لا أريد مواجهة بينهما .. كامل ليس متحكما في أعصابه بشكل كامل بعد ولا أريد أي تهور منه"
ربتت مليكة على يدها تقول شاعرة بالذنب "لولا أني وجدت الثلاثة متمسكون بجلوسهم معا هنا فأسرعت بالإعداد للمفاجأة التي طلبتها لمفرح .. لتحججنا بأي شيء وغادرنا .. لكن أعدك ألا نتأخر "

نظرت بسمة للسلم فتطلعت مليكة فيما تشاهد لتجد تلك المطربة الشابة تنزل منفعلة تطقطق بحذائها العالي بعصبية بينما الممثل الذي شاهدته بسمة معها في القاعة يسرع للامساك بيدها ليوقفها فقالت مليكة" أليست هذه.."

قبل أن تكمل قالت بسمة" أجل هي ..ولا أدري ماذا حدث؟ هل تشاجرا؟.. لقد كانا منسجمين ويتضاحكان في الحفل بالأعلى"

راقبتاهما باهتمام والممثل الشاب يحاول على ما يبدو اقناعها بشيء بينما هي تعاند ليظهر على أعلى السلم المنتج الذي ناظر المشهد بغضب فقالت مليكة "ومن هذا ولماذا يناظرهما بهذا الشكل؟"

دققت بسمة فيه وقالت" أعتقد أنه الأخ الأكبر لهذا الممثل وصاحب شركة الانتاج التي ترعى

المطربة.. أذكر أني حضرت حفلا قديما لهذه البنت حين كانت لا تزال مراهقة ورأيته معها"
تحرك المنتج مندفعا يتجاوز أخاه والمطربة الشابة ونزل السلم مبتعدا ليتطلع الشاب الأخر في أخيه بقلق ثم يسحب الفتاة الغاضبة من يدها و يلحق به.
عادت بسمة ومليكة بوجهيهما للجالسين معهم فغمغمت الأولى يتملكها الفضول "ترى ماذا حدث؟"
قالت مليكة " يبدو أنه كان حفلا ضخما يضم المشاهير"
ردت بسمة بزهو طفولي تغيظها" حبيبتي أنا معتادة على مثل هذه الحفلات"
ضحكت مليكة وقالت "تفاخرين يا بنت الوديدي ! (ونظرت لونس تناغشها بالقول) كيف حال الشقي هل استقريتم على اسم له؟"

غمغمت ونس" كيّ يوم نقتيح اثم جديد ..
واليوم اقتيح شاميّ اثم آثر وقد أحبه وايداه"
(كل يوم نقترح اسما جديدا واليوم اقترح شامل اسم آسر وقد احبه والداه)
مسدت مليكة بعاطفة قوية على ظهر ونس تقول" لا تعلمين كم أنا سعيدة بتحقيقك للمستحيل بالنطق وبتلك الجائزة التي فزت بها ..أنا فخورة بك يا ونس "
ابتسمت الأخيرة أخيرا .. ثم تبادلت النظرات مع شامل الجالس على الناحية الأخرى في الوقت الذي قالت فيه مليكة هامسة لبسمة بعاطفة صادقة" وسعيدة من أجلك أيضا يا بسمة وسعيدة لحالتك الآن .. رغم أنك قابلت سيد منذ قليل"
ابتسمت بسمة وردت" الحقيقة لو كنت فكرت من قبل أني قد أقابله يوما لربما توترت وخفت من أن تهاجمني الذكريات المؤلمة مرة

أخرى .. لهذا أنا سعيدة لأني لم اهتز أمامه ..ولم أشعر بشيء ..وكأنه شيء من ماضٍ بعيد رحل بحلوه ومره ولم تبق إلا الذكرى .. ذكرى لأيام مضت وولت"

تأملتها مليكة لتقول بسمة مضيفة "وكأنه بات شخصا آخر غير الشخص الذي في ذاكرتي .. كما لو كان هذا الشخص الذي كان معي في الماضي قد حُبس هناك .. حُبس فيه .. تركته في الذاكرة وأغلقت عليه بالمفتاح ورميت المفتاح في البحر .. فتلاشى ذلك الشخص القديم .. تلاشى ولم يعد له وجود ..ولم تبق سوى ندبة .. ذكرتني بقصة حكاها لي عمي غنيم ذات مرة " قالتها بعاطفة قوية وهي تنظر له وهو مندمج في الحديث مع أكرم صوالحة بينما مفرح يتشاكس مع التوأمين ويضحكون بصوت خافت فسألت بسمة مليكة "وكيف الحال

معك (وغمزت لها) ابن عمتي يبدو مختلفا منذ عودتكم من تلك السفرة"
غمغمت مليكة بوجنتين متوردتين" ابن عمتك ينتقم مني .. ويستغل شعوري بالذنب تجاهه "
ضحكت بسمة في الوقت الذي نظرت مليكة لزوجة أخيها أكرم والتي أشارت لها بما يعني أن كل شيء على ما يرام ثم أكملت زوجتي أكرم وعمار الحديث مع سوسو .

لم يمر إلا بضع دقائق ثم اقترب نادل يحمل كعكة مضيئة بشمعتين على شكل رقم ستة وثلاثين ..وأخريات رفيعات ومشتعلات كالصواريخ حول الرقم .. وتقدم ليعطيها لمليكة التي ناظرت مفرح المندهش ثم بدأت بترديد أغنية عيد الميلاد مع ولديه وباقي شباب آل صوالحة الصغار..

فأحس مفرح بالحرج الشديد بينما ألقاه التوأمان ببعض العبارات الساخرة الخافتة المتهكمة .

انتهت مليكة والشباب وانتظرته للنفخ في الشمع فناظرها قائلا "شمع مرة أخرى!!.. أنت تعرفين عقدتي من الشمع وأساليب السرايات هذه يا مليكة"

توردت وجنتاها دون رد فأسرع هو بالقول لولديه وهو يأخذ الكعكة من يدها " انفخا في الشمع بالنيابة عن أبوكما فقد شاخ وأصبح في السادسة والثلاثين من العمر "

سحب شامل صاروخا مشتعلا ومد به يده لونس التي بدى عليها الاهتمام والحيوية بعد مشاهدة الكعكة .. فأخذت منه الصاروخ المشتعل بينما وزع مفرح باقي الصواريخ على الواقفين ثم أسرع الولدان بالنفخ في الشمعتين وبعدها تلقي مفرح التهاني من الحاضرين يداري

شعوره بالحرج ..قبل أن يسأل مليكة وهو يهرش في رأسه شاعرا بالغباء " في أي يوم نحن؟"
ردت موضحة "يوم ميلادك بعد عدة أيام لكني انتهزت الفرصة قبل سفر شامل وونس لإيطاليا ..وسفر عمار بعدهما لإحدى صفقاته ..فقلت ما دمنا قد تجمعنا بدون موعد فلنحتفل بعيد ميلادك .. وكنت أتمنى أن يكون أبي وعلي وبشر موجودين .."

ربت مفرح على ظهرها شاعرا بالامتنان لتقول سوسو بمحبة خالصة "عيد ميلاد سعيد يا مفرح ..لا تعرف مدى اعتزازنا أنا وغنيم بك وبمعرفتك أنت وأسرتك.."
شكرها مفرح لتقول بسمة" عيد ميلاد سعيد يا ابن عمتي"

عبس كامل قائلا بلهجة خطرة تحمل في طياتها المزاح "باسمة .. لا تُعيّدي أحدا غيري!"
ضحك الحاضرون ثم قالت ابتسام زوجة أكرم" قطعي الكعكة يا مليكة"
جلست الأخيرة أمام الطاولة الصغيرة في وسط الجلسة التي استقرت عليها الكعكة لتقطعها
بينما اقترب أدهم وإياد لتهنئة والدهما الذي مال يحضنهما فقال إياد" لقد فاجأتنا أمي ولم نشتر لك هدية"
مسد مفرح على شعر ابنه ثم استدار للتوأمين يسألهما مشاكسا" أين هدية عيد ميلادي يا ولد أنت وهو؟"
ناظر التوأمان بعضهما ثم سأله كامل متصنعا البراءة "هل تريدها الآن ؟.. حسنا ليس عندنا مانع"

قال مفرح بصوت خافت محذرا "احترما نفسيكما واعلما أننا في مكان عام مع أصهاري وأمام ولداي"

غمغم شامل بلهجة متسلية" إذن لا تسأل أسئلة لن تستطيع تحمل إجابتها"

ناظرهما مفرح بمقلتين مقلوبتين ووعيد صبياني .. وأشار على الأطباق التي قطعت فيها الكعكة " كُلا صامتين وحسابي معكما فيما بعد "

بعد قليل تحرك أكرم صوالحة متعللا بتلقي مكالمة ولحق بمفرح وشامل أمام أنظار ونس وكامل الوحيدين اللذين كانا يعلمان بما يحدث..

تحرك أكرم وذهنه مشغولا يحاول أن يجد تفسيرا منطقيا لطلب مفرح الغريب بأن يلحق به دون أن يشعر أحد لأن شامل لديه شيء يريد أن يقوله مشددا عليه ألا يشعر الباقون بشيء وخاصة مليكة .. لكنه فشل في تخمين ما

الذي يمكن أن يكون سببا لهذا الطلب الغريب
..
بعدها بدقائق لم تحتمل ونس البقاء مكانها
وتحركت تغادر الجلسة وسط اندهاش
الأخرين الذين نادوا عليها فلم تقل إلا " أييد أن
اذهب لشاميّ"
(أريد أن أذهب لشامل)
وتحركت غير مبالية باستغراب الجميع لكن
كامل ترك مقعده وتحرك خلفها وهو يجز على
أسنانه فحاولت بسمة القيام للذهاب معه
لكنه أشار لها بيده أن تبقى مكانها.

خارج أحد الأبواب الزجاجية وقف مفرح وأكرم
أمام شامل في حديقة الفندق في هذا الوقت من
الليل .. وقفا مترقبان بفضول لما سيقوله..
فوقف شامل شاعرا بالحرج لكنه شجع نفسه
قائلا بعد أن أجلى صوته "الحقيقة أنا لا أعرف

كيف أبدأ ..ولا إن كان عليّ أن أقول ما أقول أم لا ..لكني أشعر الآن بشعور ونس زوجتي .. وأشعر بحيرتها ..رغم أني لم أعرف إلا قبل أيام لذا أشفق عليها من أن تحمل هذا الذي تظنه حقيقيا لما يزيد عن ثماني سنوات"

ناظر مفرح أكرم ثم قال" ماذا تقصد يا شامل أقلقتنا؟"

دلك شامل جبينه بأنامله وقال بعد أن سحب نفسا طويلا "حسنا .. ونس لديها قصة تخص موت ابنة السيدة مليكة "

عبس الوجهان أمامه وقد لاحت الذكرى في مقلتيهما كندبة مؤلمة بمجرد أن تلفظ بها شامل الذي أسرع بالقول" ونس تقول بأنها قد رأت الحادث ..وقصت على والدها حينها .. فطلب منها عدم التفوه بأي شيء لظنه بأنها قد تكون قد التبس عليها الفهم ..فقد كانت صغيرة في الخامسة عشرة من عمرها ..لكن ونس لم

تنس ولم تستطع النسيان ..وحينما فُتحت السيرة مرة أخرى بما حدث للسيدة مليكة مؤخرا من انهيار ازداد شعور ونس بالثقل بسبب ما لا تعرف مثلي إن كان حقيقة أم خيال ..الأمر ظل يضغط على أعصابها خاصة مع ظروف الحمل حتى أصبح يؤثر عليها بشكل سلبي واضطرت لأخباري ..ولقد وقعت مثلها في حيرة إن كان ما رأته حقيقة أم خيال ..لذا اعتذر مقدما عما يمكن أن يثيره ما سأقوله من ذكريات أنا فقط أريد أن أساعدها حتى تشعر بالراحة بإيصال الموضوع لأصحاب الأمر"

"تكلم يا شامل "

قالها أكرم بدون صبر وقد استنفر ذهنه لهذه المقدمة الغريبة فقال شامل "سأخبركما بكل شيء"

قبل ثماني سنوات

كانت الحمى شديدة ظلت تصارعها لساعات لا تشعر بشيء حولها لكنها استيقظت أخيرا بعد أن انخفضت حرارتها بفعل ذلك الدواء الذي أعطاه لها والدها وهو يضع لها الكمادات الباردة طوال الوقت .

استيقظت بعد منتصف الليل ووجدت نفسها وحدها في الغرفة .. فقامت تبحث عن والدها ولم تجده.

أحست ونس بالخوف فما شاهدته من هلاوس أثناء الحمى جعلها بحاجة لحضن ..بحاجة للشعور بالاطمئنان .. فالمرض يخيفها .. يشعرها بدنوها من الموت .. الموت الذي لا تعرف كنهه ..ولا تفهم عنه شيئا بسنوات عمرها الخمسة عشر ..سوى أنه يجعل البشر غير موجودين ..فيصيب ذويهم

بالحزن كما أصاب موت والدتها والدها بالحزن
..
اشتد الخوف في قلبها وهي وحدها في البيت بدون والدها الذي علمت فيما بعد بأنه قد ذهب ليحضر إحدى الممرضات لتمرضها فهو لديه رهاب من الحمى بعد ما أصابها وهي صغيرة وسبب لها ضعف السمع .
ثبتت سماعتيها في أذنيها ولفت وشاحا حول رأسها وخرجت من البيت فقابلتها الحقول المظلمة المترامية الأطراف أمامها وزادت من شعورها بالفزع والخوف ..فهرولت تاركة البيت قاصدة التوغل في القرية لتبحث عن والدها أو تلجأ لبيت نصرة مؤقتا .. تصرف تعرف بأنه سيجن جنون والدها لأنه يكره خروجها من البيت بدون إذن فما بال الوقت المتأخر الذي لم تكن تعرف كم الساعة وقتها لكن الطرقات الخاوية من الناس والسكون

الشديد الذي يتآمر مع الظلام لإخافتها .. إلا من أصوات صراصير الحقول ونقيق الضفادع بين الدقيقة والأخرى.. زاد من حالتها سوءا. كان الخوف يزداد وهي تتحرك في الظلام بين بيوت القرية المغلقة في وجهها فقررت أن تتوجه لبيت نصرة وفي الوقت نفسه تبحث عن والدها لعلها تقابله في طريقها .

عند سرايا الصوالحة تلك البناية الضخمة التي تشبه بالنسبة لما حولها قصرا من قصور القصص التي تقرأ عنها في مكتبة المدرسة توقفت بفضول .. فلطالما كان هذا المبنى الغريب وسط البيوت العادية يثير فضولها لتعرف ما بداخله .. وتمنت كثيرا أن تدخله وتتجول فيه لما سمعته من زميلاتها من مبالغات عما يوجد بالداخل .. لكن ما جعلها تتوقف وشغلها عن شعورها بالخوف الذي

يسيطر عليها في السكون الموحش حولها هو ملاحظتها أن بوابة السرايا كانت مواربة بقدر يدخل شخص تقريبا .. فتساءلت ..أيمكن أن يكونوا قد نسوا البوابة مفتوحة؟
كيف وهي تعلم أن هناك رجلا بدينا اسمه العم عبد المقصود يقف دوما أمامها! .. هذا ما لاحظته وحفظته من خلال مرورها من أمام السرايا يوميا إما للمدرسة ذهابا وإيابا أو لزيارة نصرة ولسراء .
اعتراها الفضول .. تملك منها .. سيطر عليها كليا فتقدمت من البوابة ونبضات قلبها تتسارع بجنون .. ثم وقفت لترى ماذا يوجد بداخل حديقة السرايا ..لكنها فوجئت بمشهد غريب.
العم عبد المقصود يقف هناك بالقرب من باب السرايا الداخلي ظهره للبوابة الخارجية يحرك رأسه بين باب السرايا وكأنه يراقبه وبين شيء ما على يمينه يرفع له وجهه لتتفاجأ ونس

بشخص يقف على الشجرة الملاصقة لإحدى النوافذ العليا ..
ورأت طفلة صغيرة كما وضح لها في الضوء الخافت من حجم جسمها تجلس على النافذة ثم حملها ذلك الشخص بين ذراعيه وبدأ يبحث عن طريق للنزول لكن قدمه انزلقت فجأة فاختل توازنه وافلتت الطفلة من بين يديه فأسرع بمحاولة الإمساك بها ولحقها يقبض على ملابسها بسرعة قبل أن تسقط ..لكنها أفلتت من يده بعد ثوان أخرى وسقطت على رأسها لتستقر بعدها في الأرض دون حركة ..ويسقط ذلك الشخص خلفها أرضا ..
الأمر كله حدث خلال دقيقة تبعها شهقة من الحارس الذي كان منشغلا هو والشخص الذي سقط بما حدث فلم يسمعا شهقة ونس وفزعها مما رأت ..

تملكها الخوف وهي تتساءل .. هل ماتت الطفلة؟.. فجثم ذلك الشعور بالخوف من الموت فوق صدرها و أوقف أنفاسها للحظات وهي تبتعد عن البوابة في رعب .

لكن قدميها كانتا ترتعشان فلم تستطع أن تبتعد كثيرا فدخلت إلى أول شارع جانبي قابلها على بعد أمتار قليلة من بوابة السرايا وجلست على الأرض تحاول تنظيم أنفاسها وسؤال ملح يشغلها: هل ما رأته كان حقيقيا أم أنه كأحلام اليقظة التي تنتابها أحيانا؟.

صوت عراك هامس جاءها من البوابة القريبة فأطلت برأسها لتجد ذلك الشخص يفلت من يد العم عبد المقصود ويسرع بالهرب من السرايا وهو يعرج بشكل واضح ويمسك بذراعه وعلى الضوء الخافت تعرفت عليه .. علمت من هو قبل أن يهرول بسرعة مبتعدا وهو يعرج

حتى اختفى في أحد الشوارع على الناحية المقابلة.

لم تستطع لفترة القيام من جلستها على الأرض في ذلك الشارع الجانبي ..تعاني من ضيق في التنفس وارتخاء في العضلات .. وخلال تلك الدقائق سمعت صياح العم عبد المقصود لإيقاظ مَن بالسرايا.. وسمعت تجمع الأهالي وصراخ خادمات السرايا والجارات .. وحين تمالكت قوتها واستقامت واقفة وخرجت من مكانها كان الناس يتوافدون على المكان .. ثم تبعه وصول سيارة إسعاف يخرج منها المسعفين بسرعة .. وبعدها تعالى المزيد من الصرخات فوقفت تحضن نفسها وهي ترى بسمة تصل مفزوعة وتدخل للسرايا وتبعها وصول أم هاشم ثم مليكة التي لم تكن على علاقة قوية بها حينها ولم تكن تعلم بأن الطفلة تكون ابنتها ولم تدر ساعتها من تخبر بما رأته ..

كل ما التقطته سماعتيها من بين الزحام والأصوات المتداخلة ..أن الطفلة أرادت الخروج للبحث عن أمها وسقطت من فوق الشجرة ..فأسرعت ونس بالعدو مبتعدة وهي تحدث نفسها في سرها "كذب ..كذب"

بعد حوالي ساعة وجدها عيد عائدة بخطوات شاردة فكاد قلبه أن يتوقف وارتخت ساقاه حتى أنه مال بجذعه يستند بيديه على ركبتيه ينطق بالشهادتين ..

لقد كاد أن يصاب بأزمة قلبية حينما عاد ولم يجدها وذهب يبحث عنها وعاد مرة أخرى للبيت لعلها تكون قد عادت... كان الناس في وادٍ وهم يتحدثون عن الطفلة التي سقطت من فوق الشجرة وهو في وادٍ أخر يبحث عن المراهقة المتمردة غريبة الأطوار التي أبتلي بها ..

حين اقتربت اعتدل وقبض على ذراعها بقوة صارخا" أين كنت؟"
حاولت الإشارة له فلم يعطها الفرصة بل سحبها إلى داخل البيت منفعلا ولايزال جسده يرتجف من الخوف مما سمعه عن تلك الطفلة التي فقدوها فجأة فترجم انفعالاته بالغضب والعصبية .. لتسرع ونس بإخراج دفترهاوكتبت له بخط مرتعش "إنهم يكذبون ..الطفلة لم تقفز من النافذة وحدها"
عبس عيد وتجمد فكتبت له شارحة كل شيء ..كتبت ما أخافه وأفزعه لكنه شك فيما تقول فقال بعصبية وهو يخطف الدفتر ويمزقه "ما تحاولين قوله إياك أن تكرريه مرة أخرى لي أو لأي أحد ..(وأمسك بذراعها مهددا) أغلقي فمك تماما هل سمعت ..ما تقولينه هذا سيحرق البلدة كلها ونحن لن نقدر على

الوقوف أمام الصوالحة خاصة وأنني أشك في
صحة ما شاهدتيه فأنت محمومة"
همت ونس بالاعتراض فهدر فيها عيد بكل ما
أوتي من قوة و .. خوف "اخرسي تماما وإياك أن
تتلفظي بهذا الموضوع أبدا يا ونس إن كنت لا
تريدين أن تفقدي والدك أيضا"

انتهى شامل من قص الحكاية التي روتها له
ونس وساد صمت مصدوم وكأن الرجلين
الواقفين أمامه تحولا لتماثيل من شمع متسعة
العينين .. ورغم حرجه من الموقف برمته شعر
شامل وكأن حجرا قد أزيح من فوق صدره
فقال مردفا " ربما لا تكون رواية ونس حقيقية
لكن صدقاني أنا شاركتها فيها لبضعة أيام
وشعرت بالثقل فأعتذر لو لم تكن حقيقية"

في هذه الأثناء كان كامل يقول بغضب وهو يمسك بذراع ونس ليمنعها من الاستمرار في البحث عن شامل "ونس توقفي أين ستذهبين؟"

قالت بعناد" أييد شاميّ أيجوك"

(أريد شامل أرجوك)

لمحت من بعيد وقفته خارج الباب الزجاجي أمام مفرح وأكرم فأسرعت تلملم فستانها المنفوش وتلحق به فوقف كامل يراقبها مستسلما حتى وصلت إلى زوجها ثم استدار عائدا إلى الجلسة.

فتحت ونس الباب الزجاجي تخرج إليهم وكأنها تريد أن تتأكد من ردود الأفعال بنفسها ..فانتبه شامل وأسرع إليها يقول بلهجة لائمة "لماذا خرجت يا ونس فالجو بارد؟"

قالها وهو يخلع سترة حلته ويضعها على كتفيها بينما عيناها مسلطتان على الرجلين

المسمرين أمامها ففرد شامل ذراعه حولها يضمها إليه وهو يقول "لقد أخبرتهما وانزاح الأمر من فوق رأسك سواء كان حقيقيا أم لا" تحركا ليقفا أمام الرجلين وشامل لايزال يضمها إليه داعما فقالت ونس لهما" أنا آثفة آثفة يو كان حقيقيا ويم أخبيكم به حتى الآن وآثفة يو يم يكن حقيقيا فأزعجتكما به"

(أنا آسفة آسفة .. لو كان حقيقيا ولم أخبركم به حتى الآن وآسفة لو كان لم يكن حقيقيا فأزعجتكما به)

ضمها شامل يمسد على ذراعها وأخبرهما موضحا ما تقول " تقول إنها آسفة لو كان حقيقيا ولم تخبركما به ..وآسفة لو لم يكن حقيقيا وأزعجتكما به "

قطع أكرم الصمت المصدوم بعد أن ظل رأسه يعمل في تفنيد ما سمع ومحاولة تحديد الحقيقة من التخريف في القصة وسألها" هل

تسمحين لي بأن أسالك بعض الأسئلة يا ونس؟"

ازداد تشبثها بشامل وأومأت برأسها فسألها "هل تذكرين شكل حارس السرايا وقتها؟"

ردت بعد إيماء وأجابتهما ليكرر شامل لهما ما قالت" أجل .. الرجل البدين ذو الكرش والشارب الكث العم عبد المقصود"

ناظر أكرم مفرح الصامت ثم عاد يسألها "تمام وهل تذكرين متى كان الحادث؟ أقصد صيف أم شتاء؟"

رفعت ونس مقلتيها تتذكر ثم أجابت ليوضح شامل لهما " كان في الربيع .. في نهايته لأنني مرضت قبل امتحانات الاعدادية بفترة قصيرة"

هز أكرم رأسه وسألها" وهل ذلك الشخص الذي رأيته يتسلق الشجرة تعرفينه؟"

هزت رأسها فصدم أكرم ونظر لمفرح بعد أن كان قد جهز نفسه لإجابة نافية فعاد يسألها باهتمام وعينين متسعتين" من هو؟"
أجابت فوضح شامل "لا أعرف اسمه لكني أعرف أنه كان صاحب وليد"
عبس مفرح ونطق أخيرا "وليد من؟"
ردت ونس "ويبد أخو باسما"
هتف مفرح باستنكار "وليد الوديدي؟!!!"
هزت رأسها بالإيجاب فسألها أكرم " هل تعرفين ابن مَن ذلك الشخص في القرية؟"
قالت فترجم شامل عابسا مما قالته " ليس من القرية إنه من قرية أخرى لكني أعرفه ..كان يضايقني عند الخروج من المدرسة وهو ينتظر وليد بعد اليوم الدراسي.. وإسراء تشاجرت معه ذات يوم لهذا السبب واشتكت لوليد الذي منعه من تكرار ذلك "
سألها أكرم " لكنك لا تعرفين اسمه؟"

هزت ونس رأسها نافية ليسألها أكرم وهو غير مستوعب حتى الآن لما قالته "وهل كنت ترينه في القرية بعد ذلك اليوم؟"

ردت فوضح شامل " لا لم أره بعد ذلك ولكني رسمت صورته حتى لا أنسى وجهه"

ضيق أكرم عينيه وغمغم "رسمتها!"

ردت فترجم شامل " أجل حتى لا أنسى .. إنها في الصندوق القديم في بيت أبي"

تنهد أكرم وصمت شاردا بنظراته في الأرض بوقفة متخصرة ولا تزال الصدمة تسيطر عليه

بينما مسد شامل على ذراعها يقول بحنو "أحسنت حبيبتي"

ناظرتهما ونس تقول" آثفة"

سألها أكرم رغم عدم تصديقه للقصة " هل هناك شيئا أخر تذكرينه يا ونس؟ ..أي شيء"

هزت رأسها فقال بلهجة دبلوماسية" أنا أشكرك على هذه المعلومات وسواء كانت حقيقة أم لا أنا مقدر جدا لما قلته لنا"
هزت ونس رأسها وهي تكتم رغبة ملحة في البكاء ..البكاء من أجل الشعور بالخلاص بعد سنوات من المعاناة للاحتفاظ بسر .
في الجلسة العائلية زفرت بسمة براحة حينما وجدت كامل عائدا ..فهي تجلس في توتر شديد منذ أن غادر خلف ونس تخاف من أن يقابل سيد صدفة ..وهذا ما كان يقلق غنيم أيضا بينما تساءلت مليكة "أين ذهب مفرح الولدان يتساقطان من النوم؟!"
بعد دقائق عاد مفرح وأكرم الذي ناظرهما الجميع بتساؤل فاختلقا بعض الحجج لاختفائهما بينما لم يعد شامل وونس إلا بعدهم بمدة ثم قرروا جميعا الرحيل ..

منهم من يزفر براحة ومنهم من أصابته الصدمة في مقتل .

xxxx

بعد ساعتين

وقف مفرح في الحديقة الصغيرة التابعة للبناية ذات الطابقين التي يمتلك هو الشقة العلوية منها بينما عمار يمتلك الشقة السفلية .. وقف مع عمار بعد أن سبقهما عائلتاهما إلى الداخل وانضم لهما أكرم بعد قليل الذي تقع فيلته على بعد شارعين فأوصل عائلته وأسرع بالانضمام إليهما.

وقف ثلاثتهم مرتبكون مشوشون غير قادرين على استيعاب ما سمعوه .. لا يصدقونه لكنهم في نفس الوقت لا يقدرون على نسيانه .. وكأن ونس قد تخلصت من الحمل الجاثم على صدرها فألقته فوق صدر الثلاثة رجال

..ولدهشتهم.. كان حملا ثقيلا جدا على النفس.

قال عمار بذهول" هل من الممكن أن تنسج كل هذا من خيالها؟"

رد مفرح مقارعا "ولكن لا تنسى أنها كانت مراهقة في الخامسة عشر وأنها طوال عمرها لها شخصيتها المختلفة "

قال عمار مفكرا " أتعرفان ما الذي يجعلني أشعر بأن هناك خطب ما؟"

ناظراه باهتمام فاردف" عم عبد المقصود بعد الحادث بشهر تقريبا طلب الرحيل فجأة رغم أنه يخدمنا منذ سنوات طويلة .. واختفى هو وعائلته بعدها بدون مقدمات .. وقيل بأنه قد جاء إلى العاصمة هنا واستقر بها .. وعلى مدى الثماني سنوات الماضية نما إلى علمي معلومة لا أعرف مدى صحتها بأنه أصبح يتاجر بالفاكهة ومرتاحا ماديا"

قارعه أكرم بهدوئه المعهود قائلا "وهل هناك مشكلة في ذلك ؟.. "
رد عليه عمار موضحا " هناك يا أكرم مشكلة طبعا ..فثماني سنوات قليلة لأن يكون في الحالة المادية التي وصلتني عنه"
قال أكرم بغير تصديق "نحن لانعرف تفاصيل عنه لنحكم عليه"
غمغم مفرح شاردا هو الأخر" ما كان يثير استغرابي دوما أن مليكة قد زارت نجمة في يوم الحادث ..وكانت الصغيرة تعد معنا الأيام المتبقية للذهاب معنا .. فكيف تشتاق لها فجأة كما تصورنا أو فسرنا الأمر يومها بأنها حاولت النزول عبر الشجرة .. من أين جاء هذا التصور في ذهن الصغيرة ؟.. كما أن مليكة لفتت انتباهي لأمر أخر في جلسة العلاج النفسي التي حضرتها معها .. أن الصغيرة كانت

تعلم جيدا أن البوابة عليها حارس ولن يسمح لها بالخروج إن أرادت"
نكش عمار شعره بعصبية وقد بدأت شكوكه تزيد ليقول مفرح "المهم ماذا سنفعل هل سنهمل القصة أم..؟"
قاطعه عمار بتصميم" لاا ..القصة أثارت بداخلي تساؤلات كثيرة ورتبت بعض قطع البازل التي كانت ناقصة في حادثة موت الصغيرة في رأسي ..ولن أهدا إلا بعد أن أتأكد من أنها مجرد تخريف"
قال أكرم بهدوء " الحقيقة أنا أيضا أشعر بأن حياتي لن تعود كما كانت قبل معرفة هذه القصة إلا بعد أن أتأكد تماما من أنها غير حقيقية (ونظر لمفرح يسأله) كيف نستطيع أن نحصل على الرسم الذي رسمته ونس لمن تعتقد بأنه الجاني؟"

أجابه مفرح " شامل أخبرني بأنه سيتحدث مع حماه ليخبره بما قالته ونس .. وسيحدد لنا يوم أذهب للعم عيد لأحصل على الرسمة .. ربما أفادت بشيء"

سأل عمار أخاه " هل سنخبر بشر وعلي؟"

غمغم أكرم بقلق " أخشى من علي .. سينفعل ويتهور فليسترها الله (ونظر لمفرح يقول) وأنت يا مفرح لا تخبر مليكة"

قال الأخير بسرعة " بالطبع لا ..وهل أنا مجنون لأخبرها بأمر كهذا!"

xxxx

خرجت ونس من الحمام ترتدي منامة رقيقة بألوان مبهجة من بلوزة تنزل باتساع كبير حتى منتصف الفخذ وتحتها بنطال قصير ..بطنها بارز أمامها بشكل يدغدغ رجولة شامل كلما رآها ..فاتسعت ابتسامته لتبادله هي الابتسام وتتوجه نحو المرآة لتمشط شعرها المموج .

ها هي قد استعادت حيويتها .. دبت فيها الطاقة بعد فترة ليست بالقليلة كانت فيها منطفئة مكتئبة وكانوا يظنون بأن السبب هو الحمل وهرموناته ومخاوفها من مسئولية الإنجاب ..لكن ها هي عادت لحيويتها ولألوانها المبهجة وكأنها قد تخلصت من حجر ثقيل كان جاثما على صدرها يمنعها من التنفس .. ناداها لتقترب فانتهت من تمشيط شعرها وتركته مسدلا على ظهرها ثم وضعت من ذلك العطر كما توصيها مليكة دوما بأن تهتم بنظافتها الشخصية وأن تتعطر ..

رائحة العطر تسللت إلى داخل روحها وأنعشتها وملأت الفراغ الذي أحدثه رحيل الحجر الثقيل عنها .. فاستدارت إليه بوجنتين مشتعلتين تقترب بخطوات تشبه القفز لا تتماشى مع

شكل بطنها ثم سألته "متى يأتي الثفيّ أنا متحمثة جدا"

(متى يأتي السفر أنا متحمسة جدا)

اتسعت ابتسامته وروحه قد رُدت إليه بعودتها لنشاطها وصخبها .. إنها صاخبة الحضور .. صخبا محببا يذهب الوحشة في قلبه .. فربت لها على فخذه لتقترب ..فاقتربت بوجنتين مشتعلتين ليشدها لتجلس على حجره ثم تطلع فيها بقلب مرتجف متأثر وروح تهفو لروحها الحرة ..ثم أمال جذعها للخلف ومال يلتهم شفتيها فلفت ونس ذراعيها حول عنقه مستجيبة لقبلته ..

إنه يدغدغ مشاعرها بما يفعل دوما .. يشعرها بأنها مميزة ..مكتملة ..ليس هناك ما ينقصها .. تدرك بأنها مختلفة منذ صغرها .. وبأنها ليست كالبنات العاديات ..ليس فقط بسبب ضعف سمعها ولكنها بكليتها مختلفة .. أحيانا كانت

تتهم نفسها بأنها هبلاء ناقصة العقل .. لكنها كانت تعود وترفض هذه الفكرة بشدة .. فهي تفهم كل شيء ..لكن سلوكها وردود أفعالها هي المختلفة وهذا أمر ليس بيدها .. صحيح منذ أن تزوجت شامل وهي تحاول ألا تظهر بمظهر (غريبة الأطوار) لكنها تفشل في تحقيق ذلك ..أو ربما الأمر ليس كذلك بدليل تحفظها إلى حد كبير في المعهد .. وفي الأماكن العامة .. أما شخصيتها الحقيقية فالمناخ العام في فيلا آل غنيم يعطيها المساحة لأن تكون على سجيتها .. بعيدا عن الاستهزاء والتنمر .. بتقبلهم لشخصيتها.. حتى شامل لم يشعرها أبدا بأنها غريبة الأطوار .. دوما هو الداعم المشجع .. هو الملجأ والسند .. وما فعله اليوم يجعلها تعشقه ملايين المرات أكثر .. وما يثيره فيها حاليا بيده التي تسللت تحت المنامة وبحضنه وبرائحته المميزة لها وبشفتيه المداعبتين

لتفاصيلها .. كل هذا يدخلها في سحر عالم جميل .. فتتركه يقود أنوثتها بكل أمان .. أجل إنها الكلمة السحرية التي ساعدتها على أن تكون زوجة عادية مثل الأخريات تُقبل على العلاقة الخاصة بدون نفور .. وأن تتقبل منه مالم تعتقد يوما أن تتقبله من رجل.. كل هذا بسبب الثقة والأمان.. والكثير من عشق متجدد ليس له أول من آخر .. عشق تحمله فقط لجني المصباح شامل.

أطلق شامل سراح شفتيها وسألها بلهجة شقية "هل سنبوح بالمزيد من الأسرار الليلة؟!"

xxxx

استقبلته مليكة بقلق حينما دلف لغرفة النوم فبذل مفرح مجهودا كبيرا للتصرف دون أن يشعرها بشيء ..وكم كان ما يجول في عقله مزعجا ومؤلما وهو يتصوره حقيقة.

سألته بلهجة قلقة" أين كنت كل هذا الوقت؟..وفيما كنت تتحدث مع أكرم وعمار؟!!"

غمغم مراوغا وهو يتجاوزها ويخلع سترته الشتوية" لا شيء ..كنت أتناقش مع عمار في بعض الأمور التي تخص العمل"

عقدت حاجبيها وسألته بارتباك" هل علم أحد؟"

خلع قميصه ثم استدار إليها يسألها" علم بماذا؟"

بلعت ريقها وقالت بلهجة باكية" بأني أنا من كنت أحرق الحقول"

اتسعت عيناه وأسرع نحوها قائلا بلهجة لينة "يا مليكة هذا الأمر انتهى ونسيه الناس منذ أن توقفت الحرائق ..كما أنني لا أحب تعبير (أُحرق الحقول) لأنك لم تكوني تحدثي سوى ضررا بسيطا يتم احتوائه بسرعة بستر من الله"

قالت مدافعة عن نفسها وهي تعيد خصل من شعرها المسدل على كتفيها إلى خلف أذنها " لكنهم لا يزالون يعتقدون بأن من أحرق الحقول هو من أحرق بيت الجد صالح"
مط شفتيه وعاد لاستكمال خلع ملابسه وهو يقول" هذا ما أترقب لمعرفته ..لكن الرجال الملثمين الذين فعلوها اختفوا تماما منذ تلك الحادثة (ثم أضاف بضيق) اغلقي هذه السيرة يا مليكة"
لم تشعر بالراحة .. إن به شيئا مختلفا هذا المساء ..حتى أنه لم يعلق على قميص نومها .. وهو الذي أصبح شقيا ووقحا في الفترة الأخيرة ..
اقتربت منه وحضنته من الخلف ..فأعادت له بعضا من اتزانه النفسي الذي اختل بما سمعه الليلة .. وأحس بشفتيها تقبلان ظهره العاري ..فأسكنت شفتاها ألم الذكرى وأججت فيه

نارا تتجدد بقربها ..ليمسك مفرح بيدها ويستدير إليها مدققا فيما ترتديه من قميص يجمع بين الرقة والإغراء .. الأناقة والأنوثة الطاغية .. ثم عادت تلك القصة المزعجة تحتل أفكاره من جديد وأشفق عليها من هذا الخبر إن كانت القصة حقيقية ..فسحبها بعاطفة قوية يحضنها قائلا بتأثر " أنا أحبك يا مليكة ..أحبك حبا مجنونا كالذي يتحدثون عنه في كتب العشق .. أحبك في كل مراحل حياتك ..وأنت مراهقة وأنت عروس وأنت أُم .. وأنت امرأة ناضجة .. أحبك كامرأة خلقت لتملك قلبي في يديها .. أحبك ويا ليتني أقدر على أن أحمل عنك كل الحزن ..وكل الهم ..حتى تكوني سعيدة .. أحبك لدرجة أنا عاجز عن وصفها .. فمهما قلت أجد الكلمات باهتة باردة ركيكة أمام ما أشعر به نحوك "

كانت ترتجف أو ربما هو من كان يرتجف .. فكلاهما انصهر في الأخر .. القلب يقبِل القلب .. والروح تعانق الروح ..أما الجسد .. فمشتاق وكأنه لا يعرف الشبع .

ابعدت وجهها تتطلع في واحتيه الخضراوين وقالت بينما هو غارق في عطرها المذيب لأعصابه" وجودك في حياتي هو أعظم نعمة مَنّها الله عليّ .. وأسأل الله ألا يحرمني منك أبدا ويقدرني على إسعادك"

أخرسها مفرح بقبلة ثم اندمجت بعدها تفاصيلهما وكأنهما قد أصبحا كائنا واحدا غير قابل للفصل .

xxxx

بعد يومين

يا شمس قلبي وضله
يا حكاية العمر كله
يا شمس قلبي وضله
يا فرحة عمري كله

في الوقت الذي كان شامل يساعد ونس في ربط الحزام في مقعد الطائرة استعدادا للهبوط في مطار روما وعيناها المتحمستان تشعرانه بالراحة بأن استقلالها للطائرة لأول مرة قد مر بسلام .. كانت بسمة تتطلع في كامل الذي يدندن مع الأغنية بينما سيارته الضخمة تخترق طرقات القرية غير الممهدة .. فابتسمت تقول وهي تعدل من الوشاح الذي وضعته على رأسها "تبدو سعيدا لوصولك للقرية هذه المرة"

تنهد ثم قال وهو يتطلع في المرآة الجانبية "متحمس جدا لافتتاح البيت والمبيت فيه"

شاكسته تقول" لكني سأبيت في بيت والدي ..في غرفتي وأنت عليك أن تعود أخر اليوم لأني أشفق على عمي غنيم من أن يسافر أحد أبنائه لإيطاليا والأخر للبلدة ويقرر المبيت فيها عدة أيام ويتركه وحده بالمطعم"

امتعض وجهه ورد موضحا " أولا باشمهندسة باسمة أبي قادر على إدارة المطعم وحده وديمتري يساعده .. ثانيا أنت من أصريت على أن يتم افتتاح المشروع الآن وليس بعد أن يعود شامل ومدللته من السفر"

قالت مبررة " لأن شامل وونس ليس لهما علاقة بالمشروع حتى أؤجله خاصة وأني تأخرت في افتتاحه ..كما أنني أستطيع أن أبيت في بيت أبي هذه الأيام التي سأمكث فيها لأباشر الأيام الأولى من المشروع"

قال بلهجة قاطعة " لن تبقي وحدك في هذه البلدة يا باسمة وهذا الأمر منتهي"

زفرت بضيق فرفع حاجبيه وسألها " ألا تريدينني بجوارك؟"
أسرعت بالرد " بالطبع أريدك.. كيف تقول هذا! .. أنا فقط أشعر بأني أعطلك"
اتسعت ابتسامته وهو يركز في الطريق أمامه وأجاب غامزا " لا تعطليني في شيء ..بل أنا المتشوق للمبيت في البيت الجديد و تجربته أنا وأنت"
توردت ثم تمتمت وهي تشيح بوجهها لتنظر من نافذتها " وقح.. لا تفكر سوى في الوقاحة"
رد معترفا بابتسامة شقية " وأية وقاحة .. إن هذا البيت ارتبط بمشاعري وصراعاتي مع ذاتي من أجلك ومشاعر أخرى كانت ملحة بشدة ..خاصة حينما علمت بأنك صاحبة البيت ..
كم مرة تمنيت أن أقبِّلك فيه .. كم مرة تمنيت أن يهدم ذلك السور الذي أقيم بين البيت والمشروع حتى تغلق علينا بوابة واحدة أنا

وأنت .. كم مرة ضبطت نفسي وانفعالاتي وردود أفعالي وأنا أعلم بأنك على بعد أمتار حتى لا أسيء لك .. أريد أن أعيش فيه معك كزوج وزوجة ولا أعرف لماذا يسيطر عليّ تنفيذ هذا الأمر بشدة ..وإن شاء الله إن لم يكن قد حدث الحمل حتى الآن فسيحدث في هذا البيت ..أنا أتفاءل به"

شعرت بغصة في قلبها لكنها استغفرت ربها في سرها تطلب من نفسها الرضا فنعم الله عليها كثيرة بينما أحس كامل بمعاناتها وهذا ما يجعله يبتلع إحباطه في كل مرة يتأكدان فيها من عدم حدوث الحمل رغم أنهما سليمان طبيا وليس لديهما ما يعوق حدوثه .. فيحاول ألا يظهر اهتمامه بالموضوع رغم شوقه الشديد ..لذا رفع صوته يغني مع الأغنية وهو يحرك نظراته بينها وبين الطريق أمامه موجها لها كلمات الأغنية:

طالت عليا الليالي
في وحدتي وابتهالي
اناجي صورة فخيالي
لحد ما شفتك انتي
وقلت انتي الي كنتي
منورالي .. منورالي الليالي

ثم مال عليها فجأة يقول مناغشا" ما رأيك في
أن تعطيني قبلة في وسط الطريق "
دفعته ضاحكة حتى اعتدل وعاد ينظر أمامه
وهي تقول "كامل تعقل نحن في القرية سيرانا
الناس أو سنقع في الترعة بجوارك "
قال ضاحكا وهو يشير للطريق الخالي أمامه "لم
نصل لبيوت القرية بعد "
في نفس الوقت كانت سيارة بدير تتحرك نحو
الاتجاه المعاكس على الجانب الأخر من الترعة
وقد تعرف على السيارة الضخمة لكامل
بسهولة وحين مر بجوارها شاهد الاثنان

يتضاحكان وكامل يميل عليها ففارت دماؤه وحرقت الغيرة والحقد قلبه ليتمتم وهو يضرب على المقود بغيظ" لا .. لن أتحمل ترددهما سويا على القرية من جديد .. لن أتحمل هذا أبدا .."

بعد قليل وصلت لكامل رسالة على الواتساب فأسرع بالنظر في هاتفه ثم ابتسم وهو يقول" وصلا لإيطاليا .. البيك أرسل لي صورة من المطار .. (ونظر لبسمة قائلا بغيظ) لابد أن نخطط أنا وأنت للسفر خارج البلاد مثلهما .. (وأضاف بلهجة صبيانية) أشعر بالغيرة والحقد عليهما "

ضحكت بسمة وهي تضرب كفا بكف في الوقت الذي ركن كامل سيارته عند بيت الوديدي .. فترجلت بسمة تعدل وشاحها وانتبهت لعيون الجارات اللاتي تتأملنها بفستانها القصير فوقه

سترة شتوية وتحته بنطال من الجينز .. لكنها لم تعد تهتم بأحد .. فراقبت كامل وهو يخرج من السيارة ببنطاله الجينز وحذائه الرياضي الأبيض وتلك السترة الشتوية السوداء التي تزيد من وسامته ولاحظت عبوس وجهه فركزت في اتجاه نظراته وهو يتطلع بانزعاج واضح نحو حارة داخلية تطل من آخرها وزة .

أمسكت بسمة بكمه تقول ضاحكة " أقسم بالله بت أشعر بأن الوز في بلدتنا بات يتحضر للقائك يا كامل .. فمن غير المنطقي أن نرى كل مرة وزة في طريقك كلما حضرنا.. وكأنك تستقطب الوز "

تحرك نحو السيارة ليخرج منها أكياس الهدايا وهو يقول بعبوس "لماذا لا تذبحون كل الوز؟ .. أو تتركونني لأكسر أعناقهم جميعا"

دارت ضحكتها بيدها بعد أن قالت مستمتعة
بإغاظته "حبيبي يا كيمو .. يبدو أن الوز في بلدنا
يعشقك"
ناظرها من أمام باب السيارة المفتوح بامتعاض
بينما خرجت فاطمة مهرولة عندما أحست
بوصولهما فحضنت بسمة بقوة ثم رحبت
بكامل بسعادة كبيرة" أنرتنا يا حبيبي"
غمغم بلهجة لينة رغم جدية ملامحه "البلدة
منيرة بأهلها يا حاجة فاطمة "
قالت بسعادة "المحشي والبط وكل ما تشتهيه
صنعته لك بيدي"
قال كامل وهو يحمل الأكياس " سلمت يداك
(ثم أضاف بلهجة حانقة أضحكت بسمة)
نسيت أن أخبرك بأني أريد أن آكل (ممبار)
وابنتك أخبرتني بأنها لا تتقن صنعه"

بسعادة شديدة وكأنه يقلدها وساما بطلباته "
أحلى ممبار صنعته لك .. وسأطهي لك كل ما
تشتهيه .. ألست باقيا معنا لعدة أيام؟"
غمغم كامل "إن شاء الله (ثم قال لبسمة)
تعلمي صنع الممبار يا ست هانم"
مصمصت بسمة شفتيها متهكمة بينما قالت
فاطمة" لماذا تقفان على البوابة؟"
قال كامل وهو يعطي الأكياس لبسمة" لايزال
هناك أكياسا بالسيارة ..أين وليد؟"
ردت فاطمة " وليد بالمزرعة سأتصل به ليأتي"
ونادت إحدى السيدات لتأخذ من بسمة
الأكياس.. فأعطى كامل لبسمة باقي الأكياس
وقال" أدخلي وسأنتظر وليد"
شاكسته بالقول الهامس" لا أريد أن أتركك مع
الوزة حتى لا تخاف يا كيمو "
ابتسم لها ابتسامة صفراء وقال بلهجة
مستخفة "مستوى الاستظراف لديك أصبح

خطيرا على حياتك فاحترسي (ثم قرب رأسه منها هامسا بلهجة جادة) لا تنسي أن تؤكدي لأمك على الموضوع القديم لربما لا تزال غير متأكدة "

عبست بعدم فهم فهمس" عشرة أضعاف"

زفرت بيأس فلملم ضحكة متسلية على شفتيه وهو يدير وجهه لصوت سيارة توقفت على بعد ليجد الدكتور مهاب يترجل منها بعد أن صف سيارته بالقرب من بوابة مزرعة الوديدي للمواشي المجاورة لبيت الوديدي ..

أظلم وجه كامل وقال لبسمة بلهجة آمرة "ادخلي"

تلكأت قليلا لتطمئن من أن كامل لن يقوم بأي تصرف متهور بينما توجه الأخير ليغلق باب سيارته مختلسا النظرات نحو مهاب الذي تقدم نحوه بخطوات هادئة يقول "السلام عليكم"

لم يرد كامل وتعمد التجاهل ليقول مهاب "كنت أود أن أعتذر عن سوء الفهم الذي حدث آخر مرة"

رفع كامل نظراته المتعالية لمهاب الذي تحركت عيناه بنظرة خاطفة دون إرادة منه لبسمة الواقفة على البوابة.. فلا يزال قلبه متعلقا بها .. هذه النظرة جعلت كامل يلتفت خلفه فتفاجأ بأن بسمة لا تزال واقفة فاشتعلت الغيرة في صدره وحدجها بنظرة نارية جعلتها تدخل بسرعة لكنها وقفت خلف البوابة تتمنى ألا يحتد الأمر بينهما.

استدار كامل نحو مهاب واقترب منه متحفزا يقول من بين أسنانه" ألم أحذرك من التواجد في أي مكان تتواجد فيه زوجتي!"

ازداد شعور مهاب بالإهانة وجرح الكرامة وهو الذي لا يزال يشعر بالحرج من رد فعل كامل السابق الذي جرح كبرياؤه واشعره بالخزي من

نفسه وبالحرج أمام أهل القرية بأنه يتواصل مع سيدة متزوجة ..فتنازل وضغط على نفسه ليقدم اعتذارا لكامل أمام عمال المزرعة الواقفين أمام البوابة لحظتها لعله يمحو صورته المغلوطة التي أخذت عنه .. لكن تصرف الأخير بهذه الفظاظة زاد من شعوره بالإهانة فقال بغضب وكبرياء مزيف " أنا تنازلت رغم أنك تعديت عليّ المرة الماضية لكني قررت أن أعتذر عن تصرفي الغير مقصود به أي إهانة للباشمهندسة بسمة"

أمسك كامل بتلابيبه حين سمعه ينطق باسمها وقال بغضب" قلت لك لا شأن لك بها ولا أريد منك اعتذارا .."

الخوف أضيف لمشاعر مهاب بالإهانة والحقد على كامل الذي فضلته بسمة عليه .. وندم على مبادرته واعترف بحماقة الفكرة التي خطرت له

حينما لمح سيارة كامل عند دخوله للشارع فقال وهو يحاول أن يتخلص من يد كامل شاعرا بالرعب من هيئته العدائية" كان هذا تحضرا مني أن أحاول توضيح سوء الفهم الذي حدث لكن للأسف ليس كل الناس تعرف التحضر"
كان كامل يخبر شياطينه تلك اللحظة بأن تتعقل لكن ذلك البارد المرتعب كالفأر أمامه ومع هذا يتواقح بالكلمات والنظرات لا يساعده على ذلك ..فسحبه إليه حتى كاد أن يرفعه من ملابسه وقال له بخفوت خطر من بين أسنانه " صدقني سأجعلك تندم كثيرا إن لم تلتزم بما قلته لك .. عيناك لا ترفعهما على زوجتي .. وإن وجدتها في طريق تتخذ طريقا آخر وإلا..."
خرج وليد مسرعا من بوابة المزرعة بعد أن أبلغه العمال بما يحدث بينما وقفت بعض الجارات الفضوليات وبسمة تجز على أسنانها بالداخل.

هتف وليد وهو يخلص الطبيب من يد كامل
"ماذا حدث؟ .. أخبرني ماذا حدث يا كامل"
ترك الأخير ملابس الطبيب الذي كان يبذل
قصارى جهده حتى لا يظهر عليه الرعب
ليحافظ على بعض من كرامته وقال له محذرا
أمام الجميع " ضع في رأسك ما قلته جيدا
والا..."
سأله وليد عابسا" أخبرني يا كامل ماذا فعل
مجددا"
رد الأخير وهو يعود لسيارته" هو يعلم جيدا
ماذا فعل"
استدار وليد للأخر الذي قال موضحا وهو ينظر
للمتفرجين حوله" كنت أعتذر له عن سوء
الفهم السابق لكنه لا يتفاهم إلا بقبضته"
ناظره كامل بنظرة نارية فأسرع وليد بسحب
الطبيب بعيدا حتى لا يتطور الأمر.. بينما دخل
كامل من البوابة ليجد بسمة تناظره بغيظ

..فحدجها بنظرة نارية قائلا بتحذير "اتقي شري هذه اللحظة فشياطيني تستفزني لقتله" تركته ودخلت غاضبة بينما خرجت إليه فاطمة لتطلب منه أن يدخل وسرعان ما انضم له وليد ليقوده للداخل وكامل لا يزال يغلي من الغضب.

××××

آخر النهار

في مركب صغير يقف على مقدمته أحد الأشخاص يجدف بمجداف طويل .. كان شامل وونس يتابعان البيوت الأثرية حولهما في مدينة البندقية .. حيث كان الجو شاعريا حولهما وصوت لغناء شجي باللغة الإيطالية يأتيهما من مكان ما مختلطا بعزف آلة موسيقية يؤجج العاطفة في الصدور رغم برودة الطقس .. تطلع شامل في ونس المبهورة بما حولها وداعب أنفها الأحمر من البرودة ثم تأكد من

غلق معطفها حولها جيدا فالطقس كان باردا ..
لكن الأجواء حولهما رومانسية وممتعة ..
لقد أصر أن يركبا القطار السريع من روما
لمدينة البندقية فور وصولهما صباح اليوم ..
ورغم إرهاق السفر لكن الأمر كان يستحق بعد
أن وعدها بأنهما سيستقلان مركبا ليتجولا به
في المدينة.. في زيارة سريعة ستنتهي مساء
اليوم ليعودا مجددا لروما بالقطار .
استمر في التقاط الصور لهما فقالت ونس
بانبهار" يائع جدا"
(رائع جدا)
سألها مناغشا "هل أعجبتك المدينة؟"
ناظرته بعينين لامعتين تهز رأسها بالإيجاب
فقال لها" أين مكافأة الجنيّ إذن ؟"
هذه الجملة تعرف ماذا يقصد بها فاحمرت
وجنتاها واختلست النظر للرجل الذي يحتل
أول المركب أمامهما يجدف في صمت ليقول

شامل" هذا تقليد ونوس ..أي ثنائي يأتي للبندقية لا بد أن يقبلا بعضهما في المركب"
اتسعت عيناها تناظره باندهاش ثم عادت وضيقتهما وهي تلتقط نظرته المتسلية فقالت
" أنت تكذب "
قال ضاحكا " أكذب فيما يخص التقليد لكني صادق فيما يخص القبلة "
قالها وأنزل الهاتف الذي كان يصور به وسحبها إليه يقبل شفتيها الباردتين قبلة حارة في مدينة البندقية.

xxxx

ترجلت بسمة من السيارة وفتحت بوابة بيت الجد صالح دون أن تستدير خلفها .. فتطلع كامل في ظهرها بضيق ثم أخرج حقيبتين صغيرتين وكيسا وضعت فيه فاطمة علبا من الطعام وتوجه يعبر البوابة خلفها قائلا "هل

ستظلين تلوين فمك هكذا ..ألا يكفي أنه بسببك لم استطع الأكل جيدا"
توقفت خطواتها العصبية عند باب البيت واستدارت إليه هاتفة باستنكار" لم تستطع الأكل!!.. لم .....(وتحكمت في غضبها أمام نظرة الاستنكار التي حدجها بها وقالت) لن أقول إلا ما شاء الله لا قوة إلا بالله"
أدارت ظهرها إليه وهمت بفتح الباب فقال بلهجة آمرة "انتظري"
تجمدت فأزاحها ليخرج مفاتيحه يفتح الباب ثم تقدم يضع ما في يده في مدخل البيت من الداخل وهي تهم بالدخول فهتف من جديد "قلت انتظري"
تجمدت مرة أخرى باندهاش خاصة مع جدية وجهه فخرج كامل ومال يرفعها فوق ذراعيه .
تفاجأت بسمة وأطلقت صرخة قصيرة قبل أن تحيط ذراعيها بعنقه وتنظر له بوجنتين

متوردتين ..فقال لها بلهجة موبخة" هذا يثبت أني أكثر رومانسية منك.. انظري ماذا تفعلين وكيف تفسدين اللحظة"

هتفت باستفزاز "وأنت لم تفعل شيئا.!!"

تحرك ليدخل وهو يقول "أنا شخص لطيف"

أطلقت شهقة ساخرة قصيرة من حنجرتها فقال وهو يدلف من الباب بساقيه الطويلين" اششششش"

أغلق الباب خلفه بقدمه فأخذت بسمة بضع ثوان تتأمل فيهن وجهه الوسيم وهي في هذا الوضع الأكثر راحة على الاطلاق محمولة فوق ذراعيه .. يخطو بها إلى بيتهما الجديد ..ثم أدارت وجهها تتطلع في البيت لأول مرة بعد الحريق وسرعان ما اتسعت عيناها بانبهار ممزوج بالصدمة وكامل ينزلها لتقف على قدميها..

كان البيت بنفس روح البيت السابق تقريبا رغم أن الأثاث جديد وكل شيء حولها جديد ..لكنه كان من نفس الطراز مع تغير بعض الألوان وإضافة بعض الإضافات وكأن بيت جدها صالح رحمه الله قد تم تجديده فأضحى خليطا من روح الأصالة مع الحداثة ..بذوق كامل وبسمة .

استدارت إليه تقول بتأثر والدموع تترقرق في عينيها" شكرا يا كامل ..حقا ألف شكر"

شاكسها واضعا يديه في جيبي بنطاله وهو يقول" أرأيت من منا أكثر رومانسية"

تطلعت في المكان حولها من جديد ..وتحركت تلمس الأشياء الجديدة .. التي تخصها والتي صنعت من أجلها.. هرولت نحو الغرف تفتح الواحدة تلو الأخرى بتفقد سريع ثم استدارت إليه واسرعت مهرولة نحوه تتعلق بعنقه وتحضنه.. فأخرج كامل يديه من جيبي بنطاله

وضمها بحنان أنساها ما يفعله من حماقات عند الغضب.

ابعدت وجهها عنه تناظره بامتنان فقال هامسا بمداعبة " هل أستحق حضن فقط!"

استطالت على رؤوس أصابعها وعانقت شفتيه بشفتيها فلم يمنحها كامل إلا لحظات قبل أن يميل بها وينقض على شفتيها ملتهما في قبلة قوية خاطفة للروح .

اطلق سراح شفتيها بعد قليل فظلت مستسلمة له تناظر وجهه الذي يشرف عليها من علو ومقدمة شعره التي سقطت على وجهه بينما قال كامل بهمس حار" أتذكرين تلك المرة التي دخلت فيها إلى هنا وأنت تظنين بأني قد رحلت؟"

هزت رأسها بابتسامة محرجة فقال كامل "كان البقاء معك لبضع لحظات وحدنا صعبا .. وكانت مغادرتك بعدها أصعب .. بينما التصرف

الأسهل وقتها حين قبضت عليك تقلدينني وتسخرين مني هو هذا "

وأطبق على شفتيها بقبلة عنيفة جعلت رأسها يدور ثم أطلق سراحها يعدلها لتستقيم على قدميها الخائرتين وقبل أن تجد طريقها للتوازن مال يحضن ساقيها بذراعيه ثم رفعها يلقي بها فوق كتفه فصرخت بسمة معترضة" كامل ماذا تفعل ..كامل !!"

غمغم وهو يتجه لصعود السلم حيث الطابق الأعلى" أكمل لك ما كنت أتمنى أن أفعله بك وقتها"

هتفت معترضة" كامل انزلني"

قال وهو يصعد السلم" ليس قبل أن أحقق أحلامي وأمنياتي كلها التي تمنيتها لنا في هذا البيت"

××××

قال بدير في الهاتف بوجه مظلم الملامح
"اممم ..إذن تشاجر مع طبيب البهائم مرة أخرى.. تُرى ماذا فعل ذلك الطبيب من جديد؟"
قال له محدثه " لا أحد يعرف لكن بدا واضحا بأنه يمنحه الإنذار الأخير"
شرد بدير قليلا يقلب الأمر في رأسه ثم قال لمحدثه "تمام إن جد جديد أبلغني .."
أغلق الخط وجلس على الأريكة في إحدى غرف الدور الأرضي في منزله والغل والحقد لا يتركاه منذ أن رآهما ظهر اليوم وصورتهما السعيدة في السيارة لا تريد أن تتركه في حاله .. خاصة وأن حديث أهل البلدة عن المشروع الذي ستعيد بسمة افتتاحه بشكل أكبر وأضخم بعد أن شاركت بنت الصوالحة معها فيه يستفزه ..هذا بالإضافة لغيظه الشديد لمبيتهما الآن في بيت

الجد صالح بعد أن أعاد فارسها المغوار تجديده.

كل هذا يغضبه .. يشعره بالهزيمة .. ألا يكفي الشهور الماضية التي عاشها في غضب وكبت وحرقة أعصاب بسبب كامل هذا الذي جاء متفاخرا بنقوده وسيارته الفارهة ليخطفها منه بعد أن كان واثقا بأن قبولها بالزواج منه مسألة وقت لا أكثر ..

هل أتى كامل هذا حتى يحرق دمه؟! .. حتى يهزمه المرة بعد الأخرى؟!.. حتى يفسد عليه مخططاته؟ .. انتصر عليه يوم أن فضح حصاره لبسمة في ساحة المشروع.. وانتصر عليه حين قلب الأمر لصالحه وتزوجها .. وانتصر عليه حين ألقى بنفسه في النار لينقذها من البيت الذي أوصى هو بحرقه ليبعدها عن القرية فظهر كامل أمام الجميع بمظهر المنقذ الجبار

وها هو يعيد تجديد البيت لها من ماله الخاص .. فالكل بات يعلم بتلك المعلومة ..وكأنه يقصد بأن يوصل له هذه المعلومة ويبيت في البيت معها ليميته كمدا ..
عليه أن يفعل شيئا .. لابد أن يفعل شيئا ليبرد ناره ويشفي غليله من كامل هذا .
دخل عماد الغرفة فخرج بدير عن شروده ولوى فمه قائلا "خيرا"
طحن عماد ضروسه وتقبض إلى جانبيه يقول وهو يبذل مجهودا كبيرا ليكون هادئا ودبلوماسيا حتى يحصل على ما يريد " لقد خسرت في البورصة"
قال بدير بلهجة متهكمة" وما الجديد في هذا الخبر ؟!"
قال عماد " لا يا بدير ..هذه المرة الخسارة كبيرة جدا .. لقد تداينت ووضعت الأموال في البورصة لأعوض خسارتي.. وصدقني كان ذلك

في أسهم مضمونة جدا لكن لا أعرف ماذا حدث وخسرت "

قال بدير بامتعاض وهو يقلب في هاتفه "والمطلوب؟"

بلع عماد ريقه بصعوبة وقال " المطلوب أن تقرضني مبلغا من المال وسأكتب لك ...."

قاطعه هاتفا باعتراض " لا يا روح أمك فالإيصالات القديمة موجودة ولم تدفع ثمنها بعد .. معتمدا على أني من أجل اسم العائلة وحتى لا ننفضح ويقولون بدير سجن أخاه صابر عليك حتى الآن .. لكن لا تستغل كرم أخلاقي معك أكثر من ذلك "

قال عماد بلهجة متوسلة " بدير أرجوك أنا في مصيبة كبيرة"

تطلع فيه الأخير وهو يمسك بسبابته وإبهامه طرف شاربه ثم قال "إن أردت المزيد من المال تنازل لي مقابله عن نصيبك في الأرض"

انفجر فيه عماد قائلا باستنكار "هل جننت؟!!
.. إن تنازلت عن أرضي لك كيف سأعيش أنا
وأولادي؟.. وماذا سأقول لهم حينما يكبرون؟..
فرطت في أرض جدكم بدلا من أن أزيدها
ومنحتها لأولاد عمكم !!"
هز بدير كتفيه ورد ببرود " حسنا هذا شأنك
أنت وأولادك ولا يخصني في شيء ..لكن
إعطائك المزيد من إيصالات الأمانة انتهى"
عاد عماد ليمسك أعصابه ويقول بتوسل
"بدير أنا في كارثة حقيقية "
استقام بدير واقفا يهم بمغادرة الغرفة وهو
يقول ببرود كاد أن يسبب لأخيه جلطة "إذن
عليك أن تضحي حتى تنقذ نفسك وأن تكف
عن المضاربة في البورصة والاستمرار في
الخسارة"

انقلبت مقلتا عماد وهتف بغل " الحقيقة أنا لا أملك تجارة مشبوهة مثلك لأنمي بها أموالي ..فبيع المحاصيل كما تعلم لا يكفي "
انقلبت عينا بدير وتحرك نحوه ليمسك بفكه ضاغطا بقوة وهو يقول بلهجة خطرة "تحدث مرة أخرى وأذكر أمر تجارتي وسترى مني وجها آخر .. لقد حذرتك أكثر من مرة .. قسما بالله سأجعلك ترى النجوم في الظهيرة وأنت تعلم ما الذي يقدر بدير على أن يفعله .. لذا إما أن ترضى بشرطي أو تبحث لنفسك عن مكان آخر لتقترض منه"
قالها وهو يترك فكه بخشونة ويربت على كتفه بطريقة مهددة ..بينما الأخر يناظره بغيظ مكبوت فتحرك بدير يترك الغرفة تاركا أخاه الأصغر يتفتت من الغل والغضب وهو يقول من بين أسنانه " حسنا يا بدير .. إن دخلت السجن لن أدخله وحدي .. فما كان يمنعني

عنك طوال هذه السنين العار الذي سيلحق بعائلة العسال للأبد .. لكن ما دمت سأدخل السجن .. فلندخله معا يا شقيقي "

xxxx

العاشرة مساء

نزل كامل السلم ولاحت ابتسامة رضا دافئة على وجهه وهو يتطلع في ذلك البيت الذي له وقع خاص في نفسه.. إن وجودهما وحدهما فيه الآن يشعره بالحميمية وبدفء الأسرة ..ورائحة الطعام التي تنبعث من المطبخ بعد أن طلب منها أن تسخن له العشاء تشعره بالسكن والاكتمال .

تحرك نحو المطبخ ووقف على بابه يتطلع فيها ثم قال بحاجب مرفوع "أريد أن آكل باقي الممبار"

استدارت إليه وهي تعدل المنشفة على رأسها قائلة بتنهيدة "حاضر يا سيدي ..هل لديك أوامر أخرى؟"

غمغم بشفتين ممطوطتين وهو يتأمل منامتها الشتوية الملتصقة بجسدها الأنثوي المغري بشدة وقال" سأخبرك حين أتذكر"

وضعت مقلاة الزيت على النار وأخرجت الممبار الذي أرسلته والدتها معهما حتى تقليه ثم استدارت تقول وهي تثبت المنشفة" الجو بارد .. هذا البيت يحتاج للتدفئة"

قال كامل مشفقا "لماذا لم تجففي شعرك بمجفف الشعر قبل نزولك"

ردت بلهجة ساخرة "ماذا أفعل فيمن لا يصبر ...(وقلدته) جوعان .. جوعان"

ابتسم ابتسامة وسيمة أمام عينيها ثم قال بلهجة حانية" سأجفف لك شعرك حين تنتهين"

استدارت تغرف باقي الطعام ..فاخرج الهاتف من جيبه يقول معترفا" احساسي وأنت تعدين لي الطعام في بيت يخصنا وحدنا أنا وأنت في ليلة شتوية كهذه يغمرني بالدفء ويشعرني بالتأثر"

استدارت إليه تبادله الشعور وهي تقول "غالبا ارتبطت الأنثى في الأذهان بتجهيز الطعام ..حتى لو كان أفضل وأمهر الطباخين في العالم من الرجال فالشعور بالدفء في عملية الإطعام ذاتها تكون مقترنة بالأنثى "

هز رأسه مؤيدا وقال" اتفق وبشدة .. فمثلا أبي طباخ ماهر وربما أمهر من أمي لكن اليوم الذي تطهي فيه أمي يكون للطعام وقع أخر وكأنه ممزوج بعاطفتها وحنانها "

ابتسمت له ابتسامة دافئة ثم نظرت للهاتف الذي وقف يقلب فيه وسألته" هل أرسل شامل المزيد من الصور؟"

مط شفتيه وقال بامتعاض "أغرق هاتفي بالصور وهو لم يصل إلا اليوم .. إنسان مزعج"
سألته مدققه في ملامحه" هل تشتاق إليه حينما يبتعد عنك؟"
اتسعت ابتسامته دون رد وهو يضغط على بعض اشعارات الفيسبوك التي أتته فوجد إشعارا بذكر اسمه من صديقته دعاء .. ليعبس ويضغط عليه مندهشا ..فليس له تعامل مباشر معها ..إنهما مجرد معارف على الفيسبوك من بين مئات المعارف بدون احتكاك حقيقي أو تعامل.
تصلب ظهره فجأة واتسعت عيناه ثم اكفهر وجهه وهو يقول بحشرجة" متى حدث ذلك؟؟؟؟"
استدارت إليه بسمة عاقدة حاجبيها فرفع أنظاره لها يقول بلهجة خطرة "متى حدث ذلك ؟؟؟"

توترت بعدم فهم فأضاف بصوت أعلى "متى تقابلت مع طليقك؟؟؟؟"
هربت الدماء من وجهها وسقط قلبها بين قدميها بينما عاد كامل ليدقق في الصورة ليفهم وهو يتساءل" هل هذه صورة قديمة؟!!!"
اقتربت بسمة تجرجر قلبها بين قدميها لتنظر في الهاتف في يده المرتعشة من الغضب بينما انتبه كامل بأن الصورة منشورة على صفحة القناة التي كانوا يحضرون حفلها قبل يومين ضمن منشور عبارة عن ألبوم صور لفاعليات الحفل يضاف إليه يوميا عددا من الصور التي التقطت في الحفل فكانت الصورة أمامه مضافة بتاريخ اليوم وفوقها كتب مسئول الصفحة معلقا" حضر الملحن سيد صبرة برفقة زوجته السابقة .. وهناك أخبار بأنه قد انفصل عن زوجته المذيعة آية سماحة وبأنه قد عاد لطليقته "

اتسعت عينا بسمة بينما دقق كامل في صورتها تقف متكتفة أمام سيد وهي ترتدي ملابس الحفل التي كانت ترتديها قبل يومين .. ودعاء قد قامت بالتعليق تحت الصورة بعد أن ذكرت اسم حساب (كامل نخلة) قائلة (هذا الكلام غير صحيح فهي الآن زوجة كامل نخلة .. الأخ التوأم للشيف شامل نخلة).

أما باقي التعليقات فكانت تشيد بجمالها وفتنتها وبأنه من الطبيعي ألا يفرط فيها وهي بهذا الجمال ..ومنهم من علق بوقاحة (كيف تملكه الغباء لتطليق فاتنة مثلها !).

تمنت بسمة لحظتها أن تنشق الأرض وتبتلعها بينما رفع كامل أنظاره لها يقول مصدوما" متى قابلتيه؟.. متى؟؟"

أسرعت بالرد بصوت مرتجف "كانت صدفة .. كان في الحفل وكانت صدفة"

ألقى بالهاتف بعصبية فاصطدم بإحدى خزائن المطبخ الأرضية بينما غرز كامل أصابعه في لحم ذراعيها وهو يصيح غاضبا "صدفة .. صدفة يا بسمة ..وقفت تتحدثين معه صدفة من خلف ظهري!!"

حاولت السيطرة على شعورها بالتوتر الشديد وهتفت بلهجة مستنكرة " ما معنى (من خلف ظهرك) ؟.. هل تشك بي؟"

صرخ في وجهها وهو يناظرها بعينين تقدحان شررا " لا تغيري مجرى الحديث "

رفعت ذقنها بكبرياء تقول وهي تمنع نفسها من البكاء " لا... فهذا هو المجرى الصحيح ..هل تشك بي يا كامل؟"

قال من بين أسنانه يهزها فازداد شعورها بالألم في ذراعيها "لا تستفزيني وأنا في هذه الحالة ..لو كنت أشك بك ما كنت ستقفين أمامي حية الآن تدافعين عن نفسك"

صرخت أمام الإعصار الذي يتشخص أمامها شاعرة بالإهانة "أنا لم ارتكب جرما ولست مدانة بشيء ..الأمر حدث صدفة ..كنت عائدة من الحمام وتقابلنا صدفة"

شعر بأن أعصابه ستفلت منه وبأن الغضب يتوحش بداخله فتركها ورفع يده لجبينه يحكه بقوة ثم ضرب دورق بلاستيكي بجواره فوق المنضدة وهو يقول "ووقفت لتتحدثي معه؟"

انتفضت مرتعبة من ارتطام الدورق بالأرض ثم قالت موضحة " لم أقف سوى دقيقة"

استدار إليها يضرب على المنضدة بجواره يحاول ألا يؤذيها بما يتكاثر بداخله بسرعة من غضب " لماذا ..لماذا وقفت معه ؟.. لماذا سمحت له بأن يتحدث معك؟.. لماذا سمحت لعينيه بأن تدققان بك؟!"

حاولت أن تكون هادئة وقالت مشيرة بيديها لتهدئه "كامل أرجوك اهدأ وافهم الأمر.. كنت

قد وعدته بأني سأسامحه إن وجدت السعادة ..فسألني إن كنت قد سامحته.. الأمر لم يستغرق سوى..."

ضرب الخزانة بقدمه بعصبية هاتفا "لماذا سامحتيه؟.. لماذا تكلمت معه من الأساس.. أكان سعادة البيك يتحجج بسؤالك حتى يقف ويتأملك؟!! ..وربما كان هو من طلب من الصحفي تصويركما ليحرق دمي ..(وأشار على الهاتف الملقى في الأرض قائلا) انظري ماذا يقولون.. انظري لشكل التعليقات (وارتجف كمن تأكل النار قلبه مضيفا) انظري لوقاحة التعليقات يا بسمة قبل أن تطلبي مني الهدوء والتعقل "

تكلمت موضحة " صدقني الأمر حدث بالصدفة ..هو نفسه بدا متفاجئا"

قبض على مرفقها هادرا بوحشية " لا تدافعي عنه ..لا تذكريه ..لا تفكري به"

اشفقت عليه .. فالغضب الواضح وضوح الشمس على ملامحه والغيرة التي حولته لبركان منفجر أمامها مستعد لإحراق كل شيء مثلما يحترق هو ما جعل حبها ينتصر على غضبها فقالت موضحة بلهجة ترتعش من البكاء" يا كامل كانت مجرد دقيقة ..بعدها قررت فورا أن أترك الحفل منعا للمشاكل بينك وبينه ..لهذا أخبرت عمي غنيم وهو أخبر شامل وطلب منه المغادرة .."

قال بلهجة ساخرة ونظراته تلمع بغضب جم " أبي وشامل يعرفان أيضا !!(وضرب على صدره بقوة) وأنا القرطاس بينكم .. أنا شوال الدقيق الذي سحبتموه خارج القاعة بسرعة"

صرخت في وجهه والدموع تنهمر فوق وجنتيها "حتى لا تثير المشاكل كما تفعل الآن"

تحدث بوعيد وهو يترك ذراعها ويعود خطوتين للخلف " لا ..أنتم لم تروا المشاكل بعد ..القناة

والصفحة سأتصرف معهما ولكن بعد أن
أتصرف مع هذا ال***"
استدار ليخرج من المطبخ فكاد الخوف من
تهوره أن يقضي عليها لذا قطعت المسافة
بينهما بسرعة وأمسكت بملابسه تقول بترجٍ"
أرجوك ..أتوسل إليك لا تفسد حياتنا بتهورك
.. أرجوك يا كامل"
أفلت ملابسه من يدها واستدار إليها مبتعدا
وهو يقول من بين أسنانه "اتركيني ..فهذا الوقح
يحتاج لتأديب حتى يحترم حرمة غيره .. إن كان
يشعر بنفسه شهريار زمانه يتسامر مع هذه
ويتصور مع تلك حتى لو كانت ملك غيره
(وضرب بيده على باب المطبخ مواصلا قذف
صواريخ غضبه) فأنا سأوقفه عند حده ..
سأعلمه أنك خط أحمر لا يرفع عينيه فيك "
صرخت فيه بعصبية من بين دموعها " أنا
لست (هذه) أو (تلك) يا كامل ..أرجوك تحكم

في أعصابك لأنك ستلقي بكلام جارح لن استطيع نسيانه "
دموعها وتوسلها آلموا قلبه فزادوا من احتراقه الذاتي ليعود ليمسك بذراعها قائلا بوعيد "
وأنتِ حسابك معي فيما بعد .. حسابك معي أن وقفتِ معه حتى ثانية واحدة دون علمي"
ترك ذراعها واستدار فقالت متوسلة "حلفتك بالله يا كامل"
غمغم وهو يتحرك مبتعدا "سألقنه درسا لن ينساه"
كان الغضب يعميه تماما والدخان يخرج من أذنيه و منخريه المتسعين بانفعال وهو يغادر المطبخ ويسرع لصعود السلم المؤدي للطابق الأعلى.. يشعر وكأن نارا تأكل في جسده .. نار الغيرة المؤلمة .. وهو يستعيد الصورة والتعليقات تحتها التي توشك أن تُذهب عقله في نفس الوقت الذي سمع صرخة بسمة

المرتعبة ..صرخة سقط بسببها قلبه بين قدميه وجعلته يستدير بسرعة ويهرول نازلا نحو المطبخ في لمح البصر.. ليجد في استقباله نارا حقيقية تخرج من المقلاة على الموقد وبسمة تمسك بكوب ماء فهتف صارخا وهو يندفع نحوها" لا ..لا إياك"

لم تكن في وعيها الكامل ومنظر النار يعيد لها ذكريات احتراق البيت الذي تقف فيه الآن وهي تقف مذهولة تحدق في النار أمامها .. ولم تكن قادرة من الأساس على رفع الكوب ..فأمسك بها كامل يدفعها نحو باب المطبخ وأسرع بالتقاط غطاءً معدنيا مقتربا من النار المشتعلة في مقلاة الزيت .

صرخت بسمة "حاذر يا كامل"

بهدوء وضع الغطاء فوق المقلاة فخمدت النار وهدأ المنظر المخيف فوق الموقد في لحظات فأسرع كامل بإغلاق مفتاح الغاز ووقف متخصرا

يلهث أمام الموقد لثوان يتأكد من انطفائها.. ثم استدار إليها ليجدها تجلس القرفصاء على باب المطبخ تحضن نفسها وترتجف بشكل واضح فأسرع إليها ينزل على ركبتيه ويأخذها إلى حضنه قائلا "حمدا لله .. حمدا لله (وأبعدها يتفحصها قائلا) هل أصابك شيء .. أأنت جاهلة لتفكري في سكب الماء على الزيت المشتعل!!"

غمغمت بحشرجة "توقف عقلي فجأة و.." انفجرت بالبكاء ودفنت وجهها في صدره متشبثة بملابسه في حالة انهيار شديد ...فحضنها كامل بقوة وهو يقبل رأسها عدة مرات مطمئنا ..ثم مال يضع ذراعه تحت ركبتيها وهو يستقيم واقفا يحملها فوق ذراعيه وتوجه صاعدا للطابق الأعلى قائلا ببحة مرتجفة" قدر الله ولطف بنا الحمد لله.. الحمد لله "

دخل غرفتهما بعد دقيقة ووضعها على السرير يتفحصها من جديد ليتأكد من أنها لم يصبها شيء ..فأخذت من بين بكائها تضربه بقبضتها .. ببطء أول الأمر ثم بدأت وتيرة الضربات تزداد في غيظ فبقي ساكنا يناظرها بملامح مظلمة.. وعيناهما تتلاقيان في عتاب مؤلم على إيقاع قبضتها فوق صدره.. تضربه بغيظ .. بشكوى .. بترجٍ .. برغبة في قتله .

ولم تعرف بأن قوتين كانتا تتصارعان بداخله لحظتها .. غضبه وغيرته من ناحية .. وحبه الجارف لها من ناحية أخرى .. كدُبين شرسين يتقاتلان .. أسود حالك وأبيض ناصع .. وهو الجاني .. هو الملام .. وهو الضحية .. أمسك كامل بقبضتها بعد لحظات وقد صرع الأبيض الأسود بداخله ومال يغرقها في حضنه .. فأطلقت بسمة نحيبا عاليا مزق قلبه وجعله

يردد في استسلام لا يخرج أبدا إلا لها " حاضر .. حاضر .. أنا باقي بجوارك ولن أذهب إلى أي مكان"

xxxx

في نفس الوقت في حي سماحة هدر سيد في الهاتف قائلا بصوت مخيف" لا يا عدلي بك ما حدث هذا اساءة لي وللسيدة بسمة"

قال عدلي في الهاتف" أنا أعتذر يا سيد كان خطأ فادحا من مسؤول الصفحة ومن أخبره بالمعلومة بأنها كانت زوجتك هو المصور الذي التقط لكما الصورة وتوقع أنه خبر حصري لصفحة قناتنا"

قال سيد باستهجان " خبر حصري من نسج الخيال دون التحقق من المعلومة!!"

جاءه صوت عدلي يعترف " أنا لا أدافع عما حدث ولكني أوضح لك كيف حدث .. سأتصرف حالا يا سيد"

هتف الأخير باستنكار" هكذا!!.. يطلقون الشائعات ثم يمر الأمر ببساطة!!"
قال رئيس القناة بضيق "ماذا يمكن أن نفعل أكثر من مسح الصورة وتقديم اعتذار!!"
تكلم سيد وهو يهز رأسه بعصبية " أرجو أن يتم ذلك الأمر فورا عدلي بك ..فورا"
أغلق الهاتف بعد لحظات وهو يشتم من بين أسنانه واستدار نحو آية المكفهرة الوجه التي تقف تهتز أمامه بعصبية والتي بادرته بالقول"
هكذا انتهى الموضوع بخوفك الشديد على سمعة السيدة طليقتك بينما أنا ليس لي أي رد اعتبار؟!!"
قال يحاول التماسك" مسح الصورة وتكذيب الخبر رد اعتبار لنا جميعا يا آية وسرعان ما سيُنسى الموضوع "

صرخت باعتراض " وأنا... كيف انسى؟؟ ..
كيف انسى تلك الصورة لك مع جميلة
الجميلات!!"
نظر لأعلى بيأس فصاحت آية مهاجمة "لماذا
لم تخبرني يا سيد بأنك التقيت بها ووقفت
تتحدث معها ؟؟..لماذا؟؟"
قال مفسرا " لم أرغب في إثارة غيرتك الأمر لم
يستغرق إلا دقيقة"
جن جنونها من تبريره فهتفت " ولماذا من
الأساس تتحدث معها؟؟ لماذا؟؟ هل حنيت
لها؟؟"
كان يعلم بأنها غاضبة وتتلفظ بما لا تعيه
فصاح بحزم " آية تحكمي في غضبك ولا
تتفوهي بما سيغضبني منك "
وقفت متكتفة أمامه تهتز بعصبية ثم قالت
بعينين دامعتين "لماذا وقفت تتحدث
معها؟؟؟"

أجابها مفسرا " كنت قد طلبت منها حين انفصلنا أن تسامحني ..فسألتها إن كانت قد فعلت أم لا ..ويبدو أن المصور ابن ال...(بلع السبة مضيفا) يبدو أنه قد التقط لنا الصورة دون أن ندري .. كان لقاءا عابرا سريعا اخبرتني فيه بأنها سعيدة في حياتها"

هتفت ساخرة بقلب يتألم بالغيرة "هل اطمأننت عليها الآن وارتاح قلبك الرقيق!"

قال يواجهها بما يعرفه عنها حتى لو ادعت غير ذلك" آية لا تنكري بأنك مثلي بداخلك شعورا خفيا ببعض الذنب تجاهها"

رفعت ذقنها بكبرياء ترفض الاعتراف فقال "أنا أعرف جيدا ما تشعرين به ..رغم أنك لم تكوني أبدا طرفا في قصة طلاقنا.. وأنني أتحمل ذنبها كاملا ..لكني أعلم بأنك ارتحت حينما سمعت من بانة أنها تزوجت من جديد واستقرت "

وقفت مشيحة بوجهها بعناد تهز ساقها بعصبية تكتم المشاعر الجاثمة على صدرها فانهمرت دموع صامتة على وجهها .. أسرعت بمسحها وهي تعود لتنظر له قائلة " أنا لم أفتح فمي معك أبدا حينما كانت زوجتك ..(وضربت على قلبها) كنت أكتم احتراق قلبي دون أي كلمة ..لكنك الآن زوجي .. زوجي أنا.. هل تريدني أن أرى صورة كهذه ولا يحترق دمي .. خاصة مع تلك التعليقات.. (كيف تركها؟).. (من يترك هذه الفاتنة !) .. (له كل الحق في أن يندم ويردها فقد كان غبيا)"

قال يروض جموحها كما يفعل دوما " آية تعقلي وكفي عن غيرتك هذه"

عادت لتصرخ باعتراض "أنت خفت على سمعتها ولم تهتم بمشاعري والآن تطلب مني أن أكف عن غيرتي!! ..هل آية الآن هي المخطئة المبالغة في رد فعلها والتي من

المفترض أن ترى صورة كهذه فتبتسم بكل هدوء وهي تراك واقفا معها تتحدث!!"

ناظرها بغضب يحاول التحكم فيه بحكمة اكتسبها مع سنين عمره فتحركت آية مبتعدة وقد غلبها البكاء فتألم قلبه من أجلها وناداها" آية.. آية أين ستذهبين أنا أتحدث معك" حينما لم ترد أدرك بأنها تبكي فزاد تألم قلبه لكنه قال بغضب وهو يتوجه خلفها" آية أنا أتحدث معك"

دخل من الباب الداخلي الموصل بين الشقتين أخواته رحمة وليزا وزهرة والتوأمين باسل ونغم ووقفوا ينظرون للمشهد من بعيد في قلق بينما وقف سيد يطرق على باب الغرفة هادرا بغضب وهو يحاول فتحه "آية افتحي وإلا سأكسر الباب"

تدخلت ليزا تقول بارتباك وبفصحى ركيكة"
سيد أرجوكي بدون همجية .. إن التفلين
(الطفلين) يبكيان"
غمغمت زهرة ساخرة وهي تمصمص شفتيها"
(سيد) و (ارجوكي) معا في نفس الجملة !!"
ناظرهن بغضب قائلا بصوت مخيف وهو يشير
بإصبعه آمرا "لا أريد مخلوقا هنا في هذه
اللحظة.. هيا"
انتفضن من الرعب وتفرقن كالدجاجات
..فأسرعت رحمة بحمل باسل ذا العامين بينما
حملت ليزا نغم التي تبكي في الوقت الذي
سبقتهم فيه زهرة هاربة لشقتهن .

قال سيد لآية بلهجة آمرة وهو يضرب على
الباب" آية افتحي الباب ....فورا"
كانت تعرف بأنها لن تصمد أمامه .. وحده من
يقدر على تلجيمها حينما تهيج كمجنونة ..

وحده من يملك مفاتيحها ومن يهيمن عليها ..
كلمة آمرة كهذه وبتلك الطريقة التي لا يلجأ إليها إلا حينما تكون هي خارج السيطرة تجعلها تتحرك كما تفعل لا إراديا الآن وتفتح الباب صاغرة .

في الشقة المجاورة دخلت أخواته وأغلقن الباب لكنهن بقين خلفه فوقفت رحمة تقضم أظافرها بقلق وهي تهز باسل مهدهدة بينما قالت ليزا باندهاش" لابد أن يكون هناك خخخطأً ساخخخخناً للؤنف المنزلي"
(لابد أن يكون هناك خطا ساخنا للعنف المنزلي)
قالتها وهي تشدد بمبالغة شديدة على نطق حرف الخاء فناظرتها زهرة بقرف بينما قالت رحمة بحمائية "أين العنف يا ليزا؟.. هل مد يده عليها يوما أو على أحد منا؟!"

رمشت ليزا وهزت كتفا وهي تعترف " لا لم يهدث ..لكنها تشبه الجوريلا .. كلما انفئلت اشئر بالخخخوف من ان تفأل مثلما تفأل مع ال bad boys في الشارئ"

(لا لم يحدث لكنها تشبه الغوريلا ..كلما انفعلت أشعر بالخوف من أن تفعل مثلما تفعل مع الـ bad boys في الشارع)

غمغمت زهرة هازئة بعد أن ضربت على جبينها بيدها عدة مرات " (لكنه) وليس لكنها .. و(انفعل) وليس انفعلت يا ليزا .. لا أدري لماذا انقلب معك المذكر مؤنثا حينما حاولت نطق حرف الخاء التي تقرفيننا بنطقها بتلك الطريقة المبالغة (وأضافت بقرف) عموما لا تقلقي فسرعان ما ستجدينهما يخرجان مبتسمان وكأن شيئا لم يكن ..فهو لا يستطيع تحمل حزنها وغضبها منه أبدا"

هتفت رحمة موبخة "زهرة تأدبي وتحدثي باحترام "

تركتهما زهرة قائلة بحنق "تأدبت وخرست ..نادوني حينما يتصالحان حتى تدمع عيناي تأثرا بالمشهد العاطفي"

راقبتها رحمة باندهاش وهي تبتعد ثم نظرت لليزا وقالت مدافعة عن سيد" إنه والحمد لله يعرف كيف يتحكم في غضبه ولم تفلت أعصابه أبدا من قبل يا ليزا .. ويعرف جيدا كيف يمتص غضب الأخرين و كيف يتصرف بنضوج ودون تهور فلا تقلقي"

قالت ليزا مجادلة " ولماذا أنت واكف هنا بكلك؟"

(ولماذا أنت واقف هنا بقلق)

ردت رحمة مفسرة " لأنني متوترة فحسب"

هزت ليزا كتفيها تقول " لازلت غير مكتنئة بأنه لا توجد خخخخطوط ساخخخنا للئنف الأسري ..ربما أنت فكط لا تئرف رهما"

(لازلت غير مقتنعة بأنه لا يوجد خطوط ساخنة للعنف الأسري .. ربنا أنت فقط لا تعرف يا رحمة)

قالتها وأخرجت هاتفها من جيبها مبتعدة وهي تحمل نغم على خصرها وترسل لأحدهم رسالة فأدركت رحمة بأنها بالتأكيد قد أرسلت لرامز .. فهي لن تتهور وتتصل به في وجود زهرة التي بالتأكيد ستفتن عليها لسيد .. فاطرقت برأسها وعادت لتركز في أي أصوات لشجار قد تأتي من الشقة الأخرى .

قال سيد بلهجة هادئة وهو يقف أمامها في منتصف الغرفة متخصرا "آية .. أنا تحدثت معها لمدة دقيقة ..ثم قررت أن أترك الحفل

حتى لا أسبب لها ولزوجها الحرج ..لكنهما غادرا قبلي .. لذا كفي عن غيرتك هذه ولا تلتفتي لتلك التفاهات أنت وحدك بعد الله تعلمين قدر مشاعري تجاهك"

سألته بغيرة طفولية " كيف أصبحت؟ .. هل ازدادت جمالا؟ .. الصورة تقول بأنها..."

قاطعها بلهجة حازمة موبخة " آية ..إنها زوجة لرجل أخر الآن وسؤالك هذا لا يليق"

انفجرت باكية وهي تقول" أنا لست سيئة يا سيد.. واعترف بأني شعرت بالراحة من أجلها لأنها تزوجت من جديد .. أنا فقط أغار عليك منها ومن غيرها.. لا أحقد على جمالها إلا بسببك أنت .. "

قال بهدوء المربي " يا آية ..لو كانت هذه الميزة فيها تشتري قلبا لما كنت معك الآن ولما

تعذبت أنا بسبب مشاعري تجاهك ..ولا عانيت ما عانيت"

أطرقت برأسها تبكي فأدرك أن موجة عنادها قد كُسرت لهذا لجأت للبكاء فمد يده ليمسك بساعدها ويسحبها إلى صدره ويميل على قامتها القصيرة يدفن وجهه في رقبتها ..فقالت آية تعري أمامه وحده أعمق أعماق مشاعرها "أنا لا أكرهها كإنسانة ..صدقني أنا أشعر بالامتنان لها لأنها تركتك لي ..لو لم تفعل ذلك لظللنا أنا وأنت نتعذب وكل منا يقاسي عذاب الفراق .. أنا بالفعل أدين لها بسعادتي هذا ما لن أستطيع انكاره"

غمغم سيد هامسا" دعينا ننسى هذا الأمر ..كانت صدفة قدرية حتى تخبرني بأنها سعيدة فأرفع ذنبها عن كاهلي .. وهذا هو السبب الذي جعلني أحجز تلك الغرفة في الفندق ..أردت

الاحتفال معك بالتحرر من الذنب .. أردت الغرق فيك يويا .. الغرق في حبك في أنوثتك"
همست وهي غارقة في حضنه "سيد"
" روح سيد"
"أنا أغار عليك بشدة والغيرة تقتلني"
قال وهو يمسد على ظهرها بحنان "ليس هناك داعٍ للغيرة أيتها الحمقاء ..لماذا تنسين أحيانا أن سيد صبرة في كفيك"

حضنا بعضهما بقوة ثم أبعد سيد رأسها ليتأمل وجهها المرفوع إليه ويمسح بإبهامه دموعها قائلا بلهجة حانية" لا تبك فدموعك تحرق قلبي"
قالها ومال يقبل شفتيها ..يختم على أقواله السابقة بختم خاص بسيد صبرة .

××××

"هل جننت يا كامل؟!!"

قالها شامل لتوأمه الذي يقف خارج الغرفة يتحدث معه في هاتف بسمة بعد أن حاول الاتصال به ولم يفلح فاتصل بهاتف بسمة وبادره بالقول الأثير بينهما (ماذا يحدث معك؟) فحكى له كامل ما حدث..

قال كامل من بين أسنانه بخفوت حتى لا تستيقظ بسمة التي غفت منذ قليل بعد وصلة طويلة من البكاء المنهار "أجل أنا مجنون ..وأريد أن أريه ماذا يفعل المجانين حتى يقف عند حده"

قال شامل بلهجة تحذيرية " كامل ..لا تبالغ في رد فعلك لهذا تركنا كلنا الحفل حتى لا تصطدم به ..بسمة نفسها كانت قلقة جدا من أن تقابله"

صاح بخفوت وهو يتفتت من الغضب المكبوت " وهل تريدون مني أن آخذه بالأحضان إن رأيته !!..(وأضاف بحرقة) أنت لم

تر الصورة والتعليقات يا شامل ..لا أحد يشعر بالنار التي تأكل في قلبي وأنا اتصوره يقف أمامها ويستعيد شعوره بها"

قال شامل بلهجة جادة " رأيت الصورة يا كامل حينما بدأت المكالمة بيننا وأدرك جيدا شعورك السيء لكن..."

قاطعه كامل قائلا بغليان " بل أشعر بأنني على وشك الموت .. بداخلي غضب شديد يشعرني بأني لو نمت وأنا على هذه الحالة لن استيقظ"

عدل شامل رأس ونس النائمة على كتفه في رحلتهما بالقطار للعودة لروما وقال مهدئا وهو يشعر بالقلق عليه خاصة في عدم وجوده بجواره " اهدأ واستغفر ربك واحمده على أنه قد قدر ثم لطف بكما مما حدث قبل قليل ..هيا اذهب وكن بجوار زوجتك وأنا سأتصل بمن أعرفهم في القناة وأطلب منهم أن يمسحوا الصورة فورا لا تقلق"

نفث كامل دخانا من منخريه ..فقال شامل وهو ينهي المكالمة "واصلح هاتفك أول شيء في الصباح حتى أستطيع أن أحدثك "
قبل أن يغلق ساوره بعض القلق فقال" كامل أنا أحذرك من التهور أو الاحتكاك بطليقها ..والله سأضربك علقة موت إن لم تتحكم في أعصابك ..سلام"
قالها وأغلق الخط فجز كامل على أسنانه بقوة يود لو يقتل أحدهم لينفس عما يشعر به ..لكنه حينما تذكر وجه بسمة الباكي استغفر ربه وتماسك وهو يعود للغرفة بهدوء مقتربا من السرير.. ففطر وجهها المتورم من البكاء قلبه ليسرع بالتمدد بجوارها ويحيطها بذراعه ويضمها إلى صدره لعل النار في قلبه تهدأ .. داعيا ربه ألا تصيبه جلطة بسبب ما يحدث.

××××

الثامنة من صباح اليوم التالي

ترجل مفرح من سيارته التي وقفت أمام بيت عيد القللي وترجل معه بشر وعلي صوالحة في زيارة كان عيد ينتظرها منذ أن أخبره شامل بما قالته ونس ..

لقد صُدم حينما وجدها لا تزال تذكر تلك الحادثة القديمة .. بعد أن نسيها واعتبرها تخريفا .. ولم يفهم بعقله البسيط لماذا لا تزال تتذكرها ؟!.. ولماذا تشعر بالثقل كما أوضح له شامل؟! .

ألقى مفرح السلام كذلك فعل مرافقيه ثم قال " شامل أخبرنا بأنه قد تحدث معك "

رد عيد بهدوء "أجل أخبرني .. ولا تؤاخذوني لو كانت ابنتي قد فتحت جرحا قديما ..أنا شخصيا لمت زوجها أن طاوعها في ذلك "

قال علي بانفعال" لماذا لم تخبرنا يا عم عيد؟!! .. لماذا لم تخبرنا ونحن نقرر إن كانت القصة حقيقة أم خيال؟!"

رفع عيد إليه عينين ذابلتين غارقتين في التجاعيد وقال "نحن أناس بسطاء يا بني .. وهي كانت صغيرة ومحمومة وكما تعرف فهي مختلفة عن باقي الفتيات.. كيف تطلب مني أن أصدق حديثا كهذا وأنقله لكم ثم تكتشفون زيفه بعد ذلك فتكون ابنتي سببا في استنفار أكبر عائلتين في البلدة الصوالحة وأولاد الزيني وربما بسببها أتهم أناس أبرياء.. أنا خفت على نفسي وعلى ابنتي .. وقلت لو كان هناك شبهة جريمة فالشرطة ستعرف ..(ونظر لمفرح مضيفا)ألستم من تحكمون البلدة؟"

هم علي بالرد بانفعال لكن بشر وضع يده على كتفه يمنعه وقال بلهجة عاتبة" أهذه هي

نظرتك لنا يا رجل يا طيب! .. بأننا قد نؤذيك
إن كانت قصة ابنتك مزيفة "
غمغم عيد بحرج وهو يشيح بيده" هكذا تصور
عقلي ساعتها .. كما أنني لم أصدق القصة
ولازلت"
تكلم مفرح بهدوء" نحن فقط نريد أن نتأكد
من أن القصة خيالية يا حاج عيد .. لذا هلا
بحثت لنا عن تلك الصورة ؟"
تحرك عيد بقامته القصيرة المنحنية يدخل
بيته قائلا "لحظة لقد جهزت لكم الصندوق"
غاب لثوان بالداخل والقلق يسيطر على
ثلاثتهما رغم ميلهما لأن القصة غير حقيقية ..
ثم عاد الرجل العجوز يحمل صندوقا خشبيا
قديما فتحه أمامهم وهو يقول "إن به أشياء
كثيرة تخصها من أيام الطفولة (وأخرج ورقة
مطوية بعناية وقال) لقد جئت لكم بالصندوق
كاملا حتى لا تقولوا بأني أخفي شيئا وحتى نغلق

هذا الموضوع للأبد .. انظروا لا توجد إلا هذه الورقة بين كل الأشياء الغريبة التي تحتفظ بها ابنتي "

أمسك بشر الورقة واستعد مفرح بكاميرا هاتفه حتى يصورها ويرسلها لشامل المستعد لحظتها هو وونس بجوار الهاتف حتى تؤكد لهم ونس بأن هذه هي الرسمة المقصودة.

فتح بشر الورقة ببطء ثم اتسعت أعين ثلاثتهم بذهول وصدمة .

الفصل الأربعون

كان كامل يقف على شاطئ البحر في يوم مشمس رائق يلوح لها كي تقترب .. فهرولت بسعادة نحوه تغوص بقدميها في الرمال الناعمة ..لكن السماء تلبدت فجأة بالغيوم وهاج البحر دون سابق إنذار لتتبين بأن الشاطئ قد تحول لصخرة عالية يقف كامل فوقها قبل أن تغضب الأمواج وتضرب الصخرة ليسقط هو وتصرخ هي "كاااامل"

فتحت بسمة عينيها الزرقاوين واعتدلت من نومتها تنطق بالشهادتين تشكر الله على أنه كان كابوسا وليس حقيقة ..ثم انتبهت لضوء النهار الذي يتسرب من خلف ستائر النافذة..

تطلعت حولها فلم تجده فقفزت من السرير بسرعة ترتدي خُف البيت وخرجت نحو الحمام لتجده هو الأخر خاليا .

أسرعت إلى السلم مهرولة حتى وصلت للطابق الأرضي وهتفت بارتجاف" كامل"

"نعم"

جاءها صوته الرخيم آتيا من المطبخ .. جاءها مطمئنا .. يحتل قلبها بذبذباته فيملأه بالدفء..

لتسرع نحو المطبخ ويستقبلها بطوله ويملأ ناظريها بوجوده بينما رائحة القهوة تتسرب إلى رئتيها.

ناظرها كامل متفحصا وقد بدت منزعجة ..شعرها الأسود الناعم في حالة من الفوضى المحببة وهي تناظره بعينيها الزرقاوين فسألها

"هل حدث شيء؟"

لفت ذراعيها حول جذعه تحضنه وتضع خدها على صدره متمتمة" لا شيء رأيت كابوسا أخافني"

عبس يسألها وهو يمشط شعرها بأصابعه"
خيرا .. ماذا رأيت؟"
غمغمت مراوغة "لا شيء (ثم سألته) كم الساعة؟"
رد عليها وهو يشدد من احتضانها "حوالي السابعة"
ابتعدت عنه ترفع وجهها إليه سائلة" لماذا استيقظت مبكرا؟"
أخفى عليها أنه لم ينم من الأساس .. إن بداخله نارا مشتعلة من الغيظ والغيرة وقال بلهجة حاول ألا تفضح انفعالاته" لا شيء ..استيقظت جائعا فقلت أعد لنا الإفطار"
سألته باهتمام "من أين تأتي رائحة القهوة لا تبدو أنها سريعة التحضير؟"
أبعد جسده قليلا ليكشف عما خلفه قائلا" وضعت لنا ماكينة قهوة صغيرة"

دغدغت السعادة قلبها الذي بات ليلة أمس مفطورا واتسعت ابتسامتها تنير وجهها الذي لا يزال يعاني من التورم من بكاء الليلة الماضية ثم تجاوزته تقول" أنا سأصنع لنا القهوة ..هل تعمل مثل الماكينة التي بالمطعم؟"

أجاب وهو يعود لوضع الأطباق على صينية "نفس الفكرة لكن الأخرى أكثر تعقيدا وتناسب مطعما أما هذه فتناسب بيتا واستخداما بسيطا لفردين ..المهم لتتناولي الفطور أولا حتى لا تؤذي القهوة معدتك"

قالت بلهجة ساخرة مشاكسة لعلها تليّن من تخشبه الذي استشعرته وهي تحضنه "لا تقول بأنك نهضت قبلي لتعد لي الفطور يا كيمو كما يحدث في المسلسلات العاطفية؟"

جاراها في مزاحها قائلا "هل رأيت زوجا أكثر مني رومانسية"

أولاها ظهره ليحمل الصينية فأسرعت تحضنه من الخلف هامسة بمشاعر أنثوية متدفقة " أنا أحبك يا كامل نخلة ..أحبك ولم أحب رجلا غيرك ..ذاكرتي قبلك فارغة .. خاوية ..ومنذ أن عرفتك تسكنها أنت وحدك ... تسكنها بكليتك ..بتفاصيلك حتى المستفز المعصب منها .. ذاكرتي ملكك للأبد"

تعالت دقات قلبه رغم أنف حريق أعصابه وكلماتها تتسلل إلى داخله كالماء فتنزل بردا وسلاما لكنه قال باستنكار "أنا مستفز.. معصب!!!... أنا انسان لطيف"

ضحكت وابتعدت عنه وهي تقول "سأقتبس مقولة فؤاد المهندس وأقول (على يدي)!"

ابتسم وتحرك بالصينية لخارج المطبخ فتبعته وهي تضيف متهكمة " إن كنت أنا بارعة في الرقص ستكون أنت إنسان لطيف"

قال وهو يسحب كرسيا ويجلس بعد أن وضع الصينية على المنضدة "هل هذا يعني أني لو أصبحت إنسانا لطيفا بالشكل الذي تريدينه ستتقنين أنت الرقص؟"

اتسعت ابتسامتها الحلوة كصباح مشمس رغم الطقس الغائم بالخارج وقالت وهي تميل لتستند بمرفقيها على ظهر الكرسي المقابل فينسدل شعرها حول وجهها كلوحة تفتح الشهية "أعدك أن أحاول .. إن حاولت أنت أن تكون غير معصب أو مستفز"

رفع أنظاره لأعلى عدة ثوان يدعي التفكير ثم عاد ينظر إليها قائلا" ما دام هناك أمل في إتقانك الرقص فأعدك أن أحاول"

ضحكت من جديد فأشار لها لتجلس لكنها قالت "سأغتسل أولا"

شدها من معصمها لتجلس وهو يقول" كلي أولا ..ثم اصعدي لتستعدي لافتتاح مشروعك

.. لولا أنهن كلهن نساء لكنت حضرت معك الساعات الأولى"

ناظرته بامتنان ثم سألته وهي تقطع رغيف الخبز "وأنت ..ماذا ستفعل حتى أنتهي؟"

أجابها "عندي بعض الأعمال تخص المطعم سأقوم بها عن طريق الإنترنت.. ثم أذهب لمركز المحافظة لأصلح هاتفي ..أعتقد أنه يحتاج شاشة جديدة فقط وبعدها قد التقي بمفرح (وسألها) متى تريدين أن تذهبي للبنك من أجل المعاملات المالية التي كنت تنوين القيام بها؟"

أجابت وكأنها قد تذكرت "غدا صباحا إن شاء الله"

غمغم "إذن سأذهب معك غدا للبنك"

ردت بامتنان" لا حرمني الله منك يا كامل"

ساد الصمت بعدها .. وكلاهما يتحاشى الحديث عن ليلة أمس خوفا ورعبا من اندلاع المزيد من الحرائق!.

xxxx

"سامح !!!!! سامح الباجوري!!!!"

قالها بشر بذهول بينما مفرح جالس على أحد المقاعد في مكتب بسرايا الصوالحة غير قادر على التفوه بشيء والحيرة تأرجح أفكاره كبندول الساعة يمينا ويسارا بينما علي يقف أمامه يأكل في نفسه بعصبية منذ أن وصلوا وأغلقوا عليهم المكتب وبدأوا اتصالا جماعيا مع أكرم وعمار .. إنهم في حالة غريبة منذ أن فتحوا الصورة قبل ساعة لتطل أمامهم صورة لسامح الباجوري الأخ الأصغر لخالد زوج مليكة السابق .. للحظات وقفوا ينظرون ذاهلين للرسم المتقن لذلك المراهق الذي عرفوه في ذلك الوقت حين كان في السادسة عشرة من عمره .. حتى

أخرجهم عيد من حالتهم المتخشبة حين سألهم "أتعرفونه؟"
لكنهم راوغوه أو بمعنى أدق راوغه مفرح وبشر بينما كاد علي من صدمته أن يتلفظ بالاسم والكنية .. قبل أن يسحباه من أمام الرجل العجوز المندهش وشكراه ثم انصرفوا ومفرح يرسل الصورة لشامل وبعدها جاءهم تأكيد ونس بأنه الشخص المقصود.
عبر هاتف بشر تكلم أكرم بصوت هادئ خرج ليملأ الغرفة قائلا بثبات رغم الارتباك الذي شملهم جميعا" لا نريد أن نتسرع في التصديق ..لاحظوا أن ونس قالت أن ما تذكره عنه أنه كان يضايقها ..ربما.. وأقول ربما.. حتى لا ننجرف خلف سراب ونوتر أعصابنا .. ربما هي كمراهقة تكره هذا الشاب التبس عليها الأمر خاصة وأنها كانت مريضة تلك الليلة "

هتف علي "أكرم هلا أخبرتني كيف وصل خالد بهذه السرعة للسرايا ليلة الحادث قبل أن يبلغه أحد؟!"

تكلم عمار مجادلا" إن لم نخبره فهناك من أخبره لأن الخبر قلب البلدة كلها وبالتأكيد من يعرفه اتصل به"

هتف علي برفض " لا لا .. الوقت من السرايا إلى بيتهم في قريتهم حوالي نصف ساعة أما هو فقد وصل في حدود ربع أو ثلث ساعة أنا أذكر وقتها أني تفاجأت بسرعة حضوره ..وكان بملابس لا توحي بارتدائها على عجل"

استرجع مفرح المشهد المؤلم في ذهنه بينما رد بشر "لكنه كان منهارا وفي حالة سيئة "

هتف علي ليؤكد ما يتصور " بالطبع سيكون منهارا إنها ابنته ..وأن كان ما أفكر به صحيحا فقد كان السبب في موتها"

سأله أكرم " ما الذي تفكر به بالضبط يا علي؟"
رد الأخير بسرعة وهو يتحرك في الغرفة بتوتر
"أفكر في أنه قد أرسل سامح لنجمة ..أنا أذكر
أن الثلاثة أيام الأخيرة قبل موتها كان سامح
يتردد يوميا على السرايا ويستأذن ليأخذها في
نزهة صباحية ثم يعيدها .. لقد كان يفعل ذلك
قبل هذا لكن ليس أكثر من مرة في أسبوع واحد
ربما كان يتفق معها على هذا"
قال بشر بقلب مقبوض من الفكرة" ماذا تقصد
هل كان يريد خطفها؟"
رد عمار عبر الهاتف "ربما"
أضاف مفرح بحشرجة وهو يرفع أنظاره إلى
الواقفيّن أمامه " ليحرق قلب مليكة لأنها
تزوجت مني"
قال علي مؤيدا "لا استبعد ذلك ..خاصة وأنه
يعلم بأن القانون في الدولة يجعل حضانة

الطفل في حالة زواج الأم لأم الأم ..أي لأمي رحمها الله"
قال عمار مضيفا على تصورهم " وربما وصله الخبر بأنه مليكة تستعد لأخذها للعيش معها ..نجمة من الممكن أن تكون قد أخبرته"
هتف بشر باستنكار "كان من الممكن أن يواجهنا.. ويرفض ونتناقش "
تكلم مفرح بقرف" إنه جبان ..خالد جبان ولا يواجه"
نطقها متألما وجرح كان يظنه قد التأم قد عاد للنزف من جديد .. ليضيف علي مؤيدا بكره " أجل هو جبان ..فلو كانت نجمة قد أخبرته بما كانت تنوي مليكة على فعله لم يكن ليواجهنا أبدا لأنه يعلم أن أهله لن يدعموه في طلبه وهو لن يكون قادرا على مواجهتنا بدون جلسة عرفية فيها أهله .."

أكمل له عمار "اتفق مع هذا الرأي ..فكلنا نعلم أنهم يحرصون على تعاملاتهم التجارية مع المنتجات الزراعية لأهل البلدة هنا ولو عادوا الصوالحة سنستخدم نفوذنا لمنع تعامل أهل قريتنا معهم.. إنها الوسيلة التي جعلتهم يضغطون عليه للتوقيع على عدم التعرض لها والا لأخبرنا الشرطة بعد حادثة ضربه لها"

أسود وجه مفرح وهتف بانفعال" هل ضربها؟!!!!"

رد بشر بوجه عابس " آخر ليلة لها في بيتهم كانت مليكة قد وصلت لقرارها بلا رجعة وتريد المغادرة ..فانفعل عليها وتشاجرا فانزلقت وهو يمنعها من المغادرة من فوق السلم وهي حامل وكسر ذراعها وتعرضت لنزيف .. وقد انتهزنا هذه الفرصة وهددناه بإبلاغ الشرطة عن الواقعة إن لم يطلقها ويوقع على تعهد بعدم التعرض لها.. خاصة بعد أن مرضت بشدة تلك

الفترة التي قضتها بالمستشفى ليس بسبب كسر ذراعها ولكن بسبب حالتها النفسية وهددنا أهله أيضا بمصالحهم في بلدتنا .. وأهله كما تعلم ماديين جدا.. كما أنهم لم يكونوا متحمسين لإنجاب مليكة لفتاة فقد كانوا يرغبون في صبي يحمل اسم العائلة.. المهم أنه أجبر على طلاق مليكة وعلى التوقيع بعدم التعرض لها بأي شكل من الأشكال.."
أضاف علي بعصبية " وبالتالي هو يعلم بأن أهله لن يوافقوه على المطالبة بالبنت .. أو ربما عرض عليهم ولم يوافقوا فعلا "

قال مفرح و قد فارت دمائه "لو كانت تحليلاتنا صحيحة فسوء النية موجود لأنه استند على معلومة وصلته سواء من نجمة أو من شخص أخر وبدلا من أن يتصرف بعد التنفيذ ليثبت حالة وبشكل قانوني بأن نجمة لا تعيش مع

جدتها بعد زواج أمها .. بادر هو بالخطوة ربما ليخفيها عنكم ويحرق قلب مليكة عليها ويتهمكم بالتقصير"

هتف علي" بمناسبة الاتهام أنا كنت دوما أحمد الله كلما تذكرت الصغيرة لأن والدها لم يتهمنا بالتقصير وصدق القصة التي أخبرناها للجميع بأنها نزلت وحدها فسقطت .. وقد رحمنا هذا من استجوابات الشرطة وتشريح جثة وخلافه.. و الحقيقة بسبب امتناني لرد فعله لم اشك بشيء لكن الأمر الآن يفسر نفسه"

قال أكرم بحيرة" ما تحللونه هذا خطير .. خطير جدا ..ولهذا أطالبكم بالتريث في التصرف وأن نكون هادئين عند البحث عن الحقيقة"

قال علي بانفعال" هادئين!! .. هادئين!!.. لقد حرق قلب أختنا يا أكرم ..حرق قلبها وأمرضها بمشاعر الذنب"

قال أكرم بحزم" امسك أعصابك يا علي أرجوك حتى نتأكد"

تدخل عمار قائلا "دعوني أسأل سؤالا أخر يراود أفكاري حاليا ..فقطع البازل في رأسي لازلت أرتبها ... هل تعتقدون أنه قد وافق على دفن الصغيرة في مقابرنا ولم يصر كأي أب عادي بأن تدفن في مقابر عائلته بسبب ترجي أمي رحمها الله له بأن يتركها لتدفن عندنا؟.. حتى أهله لم يعترضوا .. صحيح هم ماديون وربما لم يرغبوا في كسب عداوتنا .. لكن هذا الأمر يمس سمعتهم ..إنهم حتى لم يحاولوا معنا لإقناعنا ..لقد تركوها لنا دون مقاومة ...بل وشعرت ببعض الاستعجال منهم على سرعة دفنها.. ألا يؤكد لديكم كل هذا بأن القصة حقيقية؟"

خيم الصمت المؤلم على الجميع ..والذكريات الموجعة تعتصر قلوبهم حتى قطع أكرم

الصمت قائلا عبر الهاتف "علينا بالحصول على دليل قبل أن نعيد فتح الموضوع .. وهذا الدليل لن يكون شهادة ونس ولا تلك الرسمة التي رسمتها .. لابد من دليل قوي يجعلنا نتأكد أولا من أن تلك القصة حقيقية"

قال بشر "الدليل عند عبد المقصود .. لابد أن نجد هذا الرجل ونحاول الضغط عليه"

صمت أكرم لبرهة ثم رد "اتفق مع هذا الكلام نبحث عن عبد المقصود ونرى كيف يمكن أن نتصرف معه .. وبعدها لكل حادث حديث"

xxxx

العاشرة صباحا

وقفت بسمة تتأمل الساحة التي امتلأت بالفتيات والسيدات المتحمسات للبداية في أرض المشروع الذي أضحى تجاريا يحمل اسم (نجمة).. واعترفت لنفسها بأن وليد قد بذل مجهودا كبيرا فاجأها حين حصل على عدد كبير

من التعاقدات للتوريد لأكثر من محل ومركز تجاري بمركز المحافظة ..كما أنه اتفق مع أكثر من مكان لبيع السجاد والأعمال اليدوية في القسم الأخر من المشروع .

إن النجاح طعمه حلو المذاق يملأ النفس بالطاقة والثقة ..ويمنح الكثير من الأمل .. وهي بذلت الكثير حتى تستحقه .

في الخارج أوقف جابر السيارة أمام بوابة المشروع فأهدته أم هاشم ابتسامة لؤلؤية مؤطرة بغمازتين لكنه حدجها بنظرة ممتعضة جعلتها تقول ضاحكة "ما بك يا جابر؟.. ألم توافق؟"

قال بامتعاض "وافقت بسبب الإلحاح"

رفعت سبابتها تقارعه قائلة "لاااا.. بل لأنك اقتنعت يا جابر ..اعترف ..فأنت لن توافق على شيء لست مقتنعا به"

أعترف بداخله بأن ما تقوله حقيقة وأعترف أيضا أن فهمها لشخصيته يغازل كبريائه لكنه قال مراوغا "هذا فقط لننال رضا بنت الشيخ"
قالت بسعادة " جزيت الجنة وأدخل الله في قلبك السرور كما تسعد دوما بنت الشيخ "
رفع سبابته مثلها وقال محذرا" لكن قراري هذا سأسحبه في أي وقت أشعر فيه أنك ترهقين نفسك"
هزت رأسها موافقة فأضاف "وكما اتفقنا.."
ردت عليه مؤكدة" كما اتفقنا.. بضع ساعات في اليوم .. (ونظرت للبوابة ثم قالت بلهفة وهي تفتح باب السيارة) اعذرني فقد اشتقت لبسمة واشتقت للجميع"
ترجلت مسرعة ..فتأمل قامتها الطويلة وهي تمر من أمام السيارة بعباءتها الفضفاضة التي تخفي بطنها .. لتلوح له أم هاشم مودعة حينما وصلت لبوابة المشروع.. فتحرك جابر مغادرا

وهو يدعو الله أن يحفظها هي وجنينها من كل سوء.

أسرعت أم هاشم مهرولة إلى الداخل تفتح ذراعيها لبسمة فتقابلتا بالقبلات والأحضان ثم قالت بسمة بتأثر" اشتقت إليك يا مشمش ما شاء الله يا بنت (وهمست تقرصها في ذراعها) هل الزواج يحلي بهذا الشكل؟"

تراقصت ابتسامة شقية على شفتي أم هاشم وقالت غامزة " الزواج من شيخ الشباب يفعل أكثر من هذا يا أختاه "

تهكمت بسمة عليها تقلدها "أنا أساعده كي يجد السعادة .. إنه لا يقصد أن يستغلني هو فقط غير مدرك لما يفعل .. سأتركه حين أشعر بأن مهمتي انتهت"

رفعت أم هاشم طرف وشاحها تغطي وجهها بحرج ثم عادت تنظر لها وتقول " كفى تهكما

عليّ يا بنت الوديدي.. إن هذا ما يطلق عليه مقولة (من الحب ما جعل الإنسان يفكر كالحمار العاشق).."

انطلقت ضحكة بسمة وسألتها وهي تتأبط ذراعها "وماذا يفعل جابر حين يتذكر ما كنت تعتقدينه فيه"

أجابت أم هاشم ببراءة مصطنعة " تنتابه رغبة غريبة لضربي"

قالت بسمة ضاحكة " لم يخطئ الرجل فأنا ومليكة كنا كذلك"

سألتها أم هاشم" وكيف حال الرجل الغامض؟"

تنهدت بسمة وردت بجدية " سأخبرك حين ندخل لمكتب الإدارة"

دخلت نصرة تطلق زغرودة عالية ثم قالت "السلام عليكم.. كيف حالك يا أبلة بسمة؟.. كيف حالك يا أم هاشم؟"

ردت بسمة السلام بحرارة بينما قالت أم هاشم" لو أعرف بأنك قادمة كنا انتظرناك أنا وجابر"

ابتسمت الأخيرة ونظرت حولها للفتيات المتجمعات حول إحدى السيدات تدون اسمائهن وقالت" بسم الله ما شاء الله ..ربي يجعله فاتحة خير لنا جميعا"

اقتربت بعض الفتيات اللاتي كن يعملن في المشروع القديم وقالت إحداهن لبسمة باعتراض" لا تقولي بأن أم هاشم ستعود للإشراف علينا يا أبلة بسمة!"

ابتسمت لها أم هاشم ابتسامة شريرة بينما قالت بسمة ضاحكة "وهل نستطيع الاستغناء عن أم هاشم!"

هتفت أخرى قائلة "ألم تتزوجي يا أم هاشم؟"

وضعت الأخيرة يدها فوق الأخرى على بطنها التي لم تعد مسطحة وردت باستخفاف "وما التعارض بين الزواج والعمل يا حبيبتي!"
ردت عليها الفتاة المراهقة " لماذا تريدين العمل ؟..أنا حينما أتزوج سأبقى في البيت"
قبل أن ترد أم هاشم بلسان لاذع تدخلت بسمة تقول" لأنها لا تعمل معنا بل هي شريكة معي أنا ومليكة"
غمغمت نصرة بـ(ما شاء الله) بينما شهقت الفتيات بصدمة فلاح الحرج على وجه أم هاشم وخطفت نظرة سريعة لبسمة شاعرة بالامتنان الشديد ثم قالت للفتاة "استعانوا بي لأنهم يعرفون بأن عندي حساسية للمرقعة وإضاعة الوقت"
قالت أخرى بإحباط "والخالة نصرة ستعمل من البيت في تجهيز الوجبات الجاهزة على الطهي أي أننا لن نراها كل يوم"

قالت نصرة ضاحكة" أعدكن لو أعطتني أم هاشم تقريرا عن التزامكن في العمل سآتيكن كل يوم خميس وقت الاستراحة لنطبل ونغني كما ترغبن"

علت الفرحة وجوههن وأسرعن مبتعدات لإخبار الأخريات بينما قالت أم هاشم لنصرة" سأنسق معك بشأن الطلبات ..المهم أن يكون لك هاتفا يا نصرة حتى أتابع معك وأنا هنا"

غمغمت الأخيرة وقد احمرت وجنتاها "أبو كريم سيحضر لي واحدا وسأخبرك برقمي"

قالت أم هاشم "على بركة الله أنا متحمسة جدا الله المستعان (ثم تأملت المرأة الأربعينية التي تقف لتتلقي الطلبات وتنظم الفتيات وقالت) أتمنى أن تكون هذه المرأة كفئا لمهمة إدارة المشروعين "

ردت بسمة" لا تقلقي تحدثت معها أكثر من مرة في الهاتف ..واليوم قابلتها ..كانت موظفة

إدارية في أحد المصانع القريبة ولديها خبرة طويلة"

غمغمت نصرة بلهجة مشفقة "مسكينة ترملت منذ عامين وتعمل من أجل إعالة أولادها"

قالت بسمة" إن شاء الله ستكون على خير ما يرام وأنت يا أم هاشم ستشرفين عليها بالتأكيد وتخبريننا برأيك فيها .. كما أن المحاسبة الخاصة بالمشروع ستأتي بعد قليل وستتعرفين عليها أيضا "

قالت نصرة بسرعة" عليّ أن أذهب أنا يا أبلة بسمة لقد جئت لأهنئ وأبارك سريعا جعلها الله فاتحة خير ..والله لولا أني أحببتكن لما أصريت على هلال أن أعود للعمل ..والحمد لله أنه وافق أن أعمل من البيت وأرسل لكم الطلبات"

تكلمت بسمة" لو وجدنا حجم الطلب كبير سنعين لك فتاة أو اثنتين لمساعدتك يا أم كريم إن شاء الله "

هتفت الأخيرة بسعادة" على بركة الله استودعكما الله"

بمجرد أن غادرت نصرة أمسكت بسمة بذراع أم هاشم تقودها للداخل وهي تقول " تعالي لنجلس فقد تعبت قدماي من الوقوف"

دخلت أم هاشم خلفها إلى تلك الغرفة التي كان يدار منها المشروع سابقا ..والتي اختلفت تماما ..فقد تم تجديدها إلى غرفة مريحة وتبديل المكتب القديم الذي كانت بسمة قد أخذته من بيتهم إلى مكتب جديد أنيق عليه حاسوب .. فهتفت أم هاشم "اللهم صل على النبي ..ما هذا الجمال يا ناس!"

ضحكت بسمة وقالت "غرفة تليق بالسيدة المشرفة على المشروع"

تكلمت أم هاشم بلهجة جادة" لم يكن هناك داع لأن تقولي بأني شريكة لكما في المشروع ..الخبر سيجوب القرية بعد قليل وليس له داع"

ابتسمت بسمة وقالت بصدق" كنت أنوي أن أفعل ذلك خاصة وأني أعلم بأنك قد اقنعت زوجك بصعوبة ..لكنني أخبرت البنات بالحقيقة فعلا "

رفعت أم هاشم حاجبا وقالت باندهاش "كيف أكون شريكتكما يا بنت الوديدي؟! .. (وأسرعت بالقول) لا تقولي أنت شريكة بالمجهود وهذا الكلام ..فكما تعلمين أني وعدت جابر أني لن أجهد نفسي ..وأني سآتي لمباشرة العمل لبضع ساعات في اليوم وأتابع الباقي من البيت وبالتأكيد لا يسمى هذا مجهودا"

قالت بسمة بلهجة متسلية " بل أنت شريكة حقيقية بالمال يا ست مشمش .. لقد اتصل

المعلم جابر بمفرح قبل عدة أيام وطلب منه أن يعرض عليّ أن يشارك في المشروع باسمك ..وألا نخبرك إلا بعد أن يتم الاتفاق على كل شيء ..وقد وجدتها فرصة جيدة لك حتى نضمن بقائك في الاشراف على المشروع دون أن يمنعك زوجك (وربتت على أحد الملفات فوق المكتب بجوارها وقالت) والأوراق والعقود عندك لتفحصيها ..لا ينقصها إلا توقيعك"

طالعتها أم هاشم بصدمة ..فأضافت بسمة بابتسامة قبل أن تنظر للهاتف الذي يرن في يدها "وبالمناسبة ..النقود التي استلمتها من المعلم جابر لن تُرَد .. ذهبت في احتياجات المشروع ..لذا ليس أمامك إلا التوقيع بصمت يا بنت الشيخ "

تجمعت الدموع في عينيّ الأخيرة وغمغمت بتأثر وهي تضع يدها على قلبها وتنظر للملف

"هل فعل جابر ذلك من أجلي!"

غمزت لها بسمة وهي ترفع الهاتف على أذنها وتجيب" نعم وليد " ثم أشارت لها بأنها ستخرج قليلا وتركتها في المكتب تحدق في الأوراق ذاهلة .

على بوابة المشروع وقف وليد مبتسما لها وهي تقترب ثم بادرها بالقول حينما خرجت إليه "كيف الحال؟"
رفعت مقلتيها الزرقاوين إليه تقول" الحقيقة مجهود كبير يا وليد بذلته في تجهيز كل شيء يخص المشروع والإعلان في القرية والقرى المجاورة عن إعادة افتتاحه .. وتلك التعاقدات التي حصلت لنا عليها.. بصراحة لا أعرف كيف أشكرك"

قال لها بابتسامة " لا شكر على واجب يا بسمة .. بل أنا من يشعر بالخزي لأني لم أقم بذلك في أول مرة"

تكتفت تشاكسه قائلة "كنت معترضا لأني مطلقة"

صحح لها قائلا " بل خوفا عليك من كلام الناس .. صدقيني أنت لست مختلطة بهم بالقدر الكافي لتعلمي كيف يرون الأمور خاصة مع المطلقة والأرملة"

همت بالحديث لكنه رفع يده مقاطعا "لن أنكر بأن نظرتهم ظالمة ..ولن أنكر بأن التعميم مرفوض لكن الإبحار ضد التيار فيما يخص السمعة في مجتمع صغير كبلدتنا حماقة ومخاطرة كبيرة كادت أن تجبرك على دفع الثمن غاليا لولا ستر الله ..وأنت بنفسك رأيت ما فعله الحقير بدير"

رغم ذلك التمرد الذي اكتسبته في السنوات الأخيرة لكنها تفهمت منطقه .. ليضيف وليد بلهجة جادة "صدقيني لو عاد بنا الزمن لرفضت عملك مرة أخرى لنفس الأسباب التي قلتها.. لكني بالتأكيد كنت سأغير طريقة تصرفي مع ما حدث .. وربما اضطررت لترك عملي بمزرعة المواشي وجئت لأشاركك في إدارة مشروعك إذا ما أصريت أنت على العمل .. تجنبا لأي كلمة قد تقال في حقك"

ربتت بسمة على ذراعه العضلي تقول مدعية الجدية" كبرت يا ولد"
تحركت عيناه نحو شيء ما خلفها وقال "كبرت طبعا ويتم مشاغلتي ومعاكستي هذه اللحظة من الفتيات "

في نفس اللحظة التقطت أذنا بسمة قبل أن تستدير عبارات هامسة من خلفها (انظري لزرقة عينيه) (يا ويلي كالسماء الصافية).
تطلعت بسمة في المراهقتين اللتين وقفتا بالقرب من البوابة واللتين استدارتا هاربات بحرج بمجرد أن أدارت لهما بسمة وجهها .. ثم ضحكت وعادت تنظر لأخيها قائلة" يبدو أن مباشرتك للأمور الخارجية للمشروع هنا ستجلب عليك بعض المتاعب مع بنت عمتي"
تنهد وليد وقال بلهجة تمثيلية شقية "كله من أجلك يهون يا أختاه"
ضحكت وضربته على ذراعه مجددا وهي تقول "ألم أقل لك بأنك كبرت"
قال وليد بجدية وهو يتطلع في عمق عينيها" المهم أن أكون قد كبرت في نظرك يا بسمة"
قالها بلهجة رجولية جادة أثرت فيها بشدة ..في الوقت الذي خرج فيه مفرح وكامل من مزرعة

العمدة .. واقتربا منهما يلقيان التحية ..فقال كامل لبسمة "مفرح يفكر في استئجار أحد الأشخاص البارعين في مواقع التواصل لإنشاء صفحة للمشروع وتسويق وبيع المنتجات الخاصة بالسجاد والأعمال اليدوية.. وسيقوم وليد بالتنسيق معه لشحن الطلبات وكافة المعاملات التجارية"

نظرت بسمة لوليد ومفرح ثم عادت لكامل تقول "فكرة جيدة جدا ..أنا الحقيقة أكاد أطير من السعادة .. لا أصدق كل هذا الدعم منكم جميعا"

شاكسها مفرح قائلا" آسف أنا أدعم زوجتي فقط في هذا المشروع "

فرد وليد "وأنا أدعم أختي مادام الأمر كذلك"

نظرت بسمة لكامل العابس الهادئ بشكل مقلق فابتسم لها ابتسامة هادئة بينما قال مفرح لوليد "أريدك دقيقة يا وليد "

انتحى به جانبا بينما سألت بسمة" ما بك؟"
هز كتفيه دون رد فسألته" هل اصلحت هاتفك؟"
أجابها" سأذهب أنا ومفرح لمركز المحافظة بعد قليل هو لديه مشوار هناك"
قالت له " ما رأيك في أن نخرج في المساء ونتناول العشاء خارج البيت ؟.. أم تريد أن تأكل من الطعام الذي ترسله أمي؟"
هز كتفيه قائلا بهدوء" أي شيء "
أما مفرح فمسد على لحيته عدة مرات وسأل وليد بلهجة حاول أن تكون عادية" هل تعرف أخبارا عن سامح الباجوري؟"
عقد وليد حاجبيه باندهاش قائلا" يااااه ...من ذكرك به؟!!"
برر مفرح بنفس اللهجة التي تبدو عادية" مر من أمامي شخص في أحد الأماكن في مركز المحافظة فاعتقدت بأنه هو بعد أن كبر

وتملكني الفضول لأعرف أخباره ..ألم يكن صديقك وفي مثل عمرك ؟"

رد وليد معترفا " كان صديقي فعلا.. ويكبرني بعام أو اثنين لا أذكر لكننا لم نعد كذلك"

قال مفرح بلامبالاة ظاهرية يلجم نفسه من الرغبة في معرفة المزيد" حسنا لا بأس تملكني بعض الفضول لا أكثر"

لكن وليد أردف وهو عابس الوجه يداري شعورا بالحزن" لقد انقطعت علاقتنا تقريبا ..فسامح لم يعد سامح"

سأله مفرح مستفهما" هل حدث شيء؟"

هز وليد كتفيه وأجاب " لا أحد يعرف .. لقد اختفى فجأة لفترة كبيرة .. قيل سافر لأقاربه في العاصمة .. وانقطعت بعدها علاقته بالجميع .. وحين ظهر بعد سنوات كان شخصا آخر .. تبدل الفتى الضاحك المشاكس بسبب المخدرات"

اتسعت مقلتا مفرح وغمغم " المخدرات!"
أجابه وليد " هذا ما يتداول بين الشباب عن حالته في المجالس المغلقة ..فبالطبع عائلته لن تعترف بذلك على الملأ .. لكن ما يقال من مصادر مقربة من العائلة أنه صرف مبالغ كبيرة جدا على المخدرات .. وأنه باع الكثير مما يملك من أجلها.. وبأن أهله قد أدخلوه مصحة للإدمان أكثر من مرة لكنه كان يهرب منها .. ووصل الأمر لمنع النقود عنه وزرع كبسولة له تحت الجلد لعلاج الإدمان .. لكنه ذهب وباعها ليحصل على المخدر"
ارتفع حاجبا مفرح بصدمة ليضيف وليد بأسف "هذا ما سمعناه وما يدور من شائعات وتؤكده حالته الغريبة .. المهم أننا لم نعد أصدقاء منذ وقت طويل"
تمالك مفرح نفسه من الصدمة وربت على كتف وليد قائلا" لا حول ولا قوة الا بالله"

قالها وشرد مفكرا والكثير من الخيوط تتجمع أمامه لتكشف قصة صادمة مؤلمة لا يعرف لو صدقت كيف من الممكن أن يخبر بها مليكة !.

xxxx

في الداخل وقفت أم هاشم في المكتب تسند ظهرها بقبضتها بينما يدها الأخرى تمسك بالهاتف على أذنها وهي تقول بتأثر" جابر"

"نعم"

"جابر"

"نعم"

"ماذا فعلت؟"

"ماذا فعلت؟"

تكلمت بحنق "تكلم يا جابر!"

رد عليها بلهجة مندهشة " تكلمي أنت ألستِ المتصلة؟!"

سألته وهي تمنع نفسها من البكاء " ما موضوع الشراكة هذا لم يكن هناك داع له"

رد عليها بهدوء " اعتبريه استثمارا لنا باسمك في المشروع "
مسحت دمعة باغتتها وسقطت وهي تقول بحشرجة" لم يكن هناك داع "
سألها عابسا " هل تبكين!"
ردت بخفوت " لا ولكن ابنك يجعلني عاطفية فتصرف معه"
اتسعت ابتسامته لكلمة (ابنك) التي تدغدغ قلبه وعاد بظهره لظهر المقعد خلف مكتبه وقال" يحدد موقفه أولا إن كان صبيا أم فتاة ثم سأتصرف معه"
غمغمت" لازلت لا أصدق ما فعلت"
قال باستنكار " لماذا يا أم هاشم؟.. أولا أنت زوجتي ..وثانيا هذا سيحقق لك ما تريدين تحقيقه وفي نفس الوقت سيحفظ كرامتنا أمام المتربصين بنا لنشر القيل والقال "

تمتمت بخفوت " الحقيقة أنا عاجزة عن التعبير لا أجد ما أقوله"
قال بحزم " لأنه لا داعي لقول شيء"
دعت له بحب جارف " أسعدك الله في الدارين يا جابر يا ابن نجف ..ونجاك من كل شر وسوء يا رب "
ربت دعائها كالعادة على قلبه فقال " اللهم آمين ولك بالمثل إن شاء الله .. (وأضاف موضحا) وكما اتفقنا لا تجهدي نفسك .. لقد اتفقت مع سائق توكتوك سأرسل لك رقمه سينتظر منك اتصالا كل يوم ليعيدك للبيت"
"تمام.. (وأضافت بسعادة وصدمة) لازلت لا أصدق لم أتخيل نفسي يوما صاحبة مشروع"
ناغشها مغازلا " يأمرنا عود القرفة أمر"
قالت بعاطفة واضحة " سلمت يا جابر القلب"

ساد الصمت لبرهة ثم قالت أم هاشم فجأة بلهجة منزعجة وهي تنظر للحاسوب الموضوع على المكتب " جابر ..لم تعلمني على ذلك البرنامج المحاسبي الذي وعدتني به منذ فترة"

أبعد الهاتف عن أذنه ينظر فيه ثم عاد ليضعه عليها قائلا " بسم الله الرحمن الرحيم! ..من معي؟"

ضحكت ثم قالت "جابر"

"نعم"

تكلمت بلهجة أكثر لينا" البرنامج يا جابر"

رد بنفس لهجتها المنغمة " حاضر يا أم قلبه"

سألته بإلحاح "متى؟"

صمت مفكرا ثم قال " ما رأيك في الغد ؟.. أمر عليك بعد انتهاء عملك وأعود بك للمعرض وستكون فرصة جيدة لتري المعرض فلا أعتقد أنك دخلتيه من قبل"

ردت نافية "لا ..لم يحدث (وأضافت بلهجة عاشقة) كنت أتمنى كثيرا أن أدخله لأسأل هل تريد سكرتيرة أو محاسبة للعمل عندك .. والله كانت أعز أمنياتي حتى لو سأعمل بدون مال"
ارتجف قلبه ورد بلهجة ممتنة " الحمد لله أن جمعنا من غير حول لنا ولا قوة"
تدفقت الدموع في عينيها فغمغمت وهي تمسح طرفيها " أنت وابنك مصران على بكائي"
قال باستنكار " وماذا قلت أنا؟!"
ردت ضاحكة بعينين دامعتين " تقول كلام يمس القلب"
شاكسها هو الأخر " وأنت أيضا تفعلين"
حركت يدها أمام وجهها تقاوم فورة مشاعر مربكة وهي تقول " هيبتي ستضيع بهذا الشكل أمام البنات .. كيف سأضبط خط سير العمل وأنا بهذا الوجه الباكي .. (ورفعت صوتها لتتغلب على حالتها) هيا اذهب لعملك يا جابر

وسأذهب أنا لتفقد سير العمل واقبض على حالات المرقعة"

أغلقت الخط ووقفت لبرهة تتمالك أعصابها المنهارة وهي ما تزال لا تصدق بأنها أضحت شريكة في المشروع ..ثم سحبت نفسا عميقا وقالت وهي تتحرك نحو الخارج" يا معين يا رب"

××××

هدر كامل بقوة " ماذا أفعل بنفسي حتى ترتاحون جميعا؟!"

قالها في الهاتف في طريقه للعودة بعد أن أصلح شاشته فجاءه صوت شامل مهدئا " يا كامل أين هدوءك وبرودك يا رجل!"

صرخ فيه منفعلا بعينين تشعان بالغضب " كيف تطلب مني الهدوء؟! .. لماذا لا يفهمني أحد؟!!. لماذا لا تفهمونني!! .. لقد وقف مع

زوجتي وتحدث معها وتم التقاط الصور لهما ..
هل رأيت التعليقات؟؟؟ هل رأيتها؟؟؟"
سحب شامل نفسا عميقا يهدئ من توتره من حالة أخيه وقال " يا كامل أنا أفهمك جيدا وأنت تعلم ..ولأني أفهمك وأشعر بك .. أشفق عليك من حالتك هذه .. الصورة تم حذفها ليلة أمس .. أنا بمجرد أن تحدثت معهم في القناة أخبروني بأنه قد تم حذفها بالفعل وبأن سيد صبرة تحدث بنفسه مع صاحب القناة وطلب ذلك فورا ونشر تكذيبا .. وسألوني إن كنتَ تريد أن ينشروا صورتك أنت و بسمة التي التقطت لكما في الحفل"
ضرب كامل على المقود عدة مرات فبدا أمام أخيه فاقدا للسيطرة تماما مما زاد من قلقه عليه بينما صاح الأخر" لا تتلفظ باسمه أمامي ..ولا أريد أن ينشر أحد صورة زوجتي على

مواقع التواصل .. لو فعلوها سأقاضيهم هذه المرة ولن يوقفني أحد"

لم يستطع شامل تحمل حالة توأمه التي توتره هو الأخر فصاح بانفعال لا يحدث له إلا نادرا "اهدأ يا كامل أنت بهذا الشكل ستضر نفسك"

فزعت ونس التي جاءها صوت شامل من وقفته في شرفة غرفتهما بالفندق رغم أن بابها الزجاجي كان مغلقا بينما قال كامل قبل أن يخلع السماعة اللاسلكية من أذنه "أذهب الآن يا شامل.. لا أريد التحدث معك"

قالها وأغلق الخط فشتم شامل من بين أسنانه ونظر للسماء يلهج بالدعاء لربه حتى يحفظ أخاه من جنونه ..ثم تحرك يفتح الباب الزجاجي ويدلف للغرفة فاستقبلته ونس بابتسامة مشفقة لكنه كان عابسا قلقا وتحرك يجلس على السرير مفكرا.

اقتربت منه ووقفت بين ساقيه ثم رفعت
وجهه إليها بين كفيها تقول بحنان "ما بك؟"
غمغم بخفوت "أشعر بالقلق على كامل"
سألته " من أجل تيك الثوية ؟"
(من أجل تلك الصورة؟)
هز رأسه بالإيجاب فاقترحت" ما يأيك أن نعود
فويّ اثتيامنا ييجائزة ونيغيّ باقي الزيايات "
(ما رأيك أن نعود فور استلامنا للجائزة ونلغي
باقي الزيارات ؟)
ابتسم لها ولم يرد .. فقبلت رأسه بحنان قائلة"
يا تقيق .. ثنعود بثيعة .. كما أنك ثبق وأن قيت
بأنه يا يتهوي إيا عندما تكون موجودا حتى
توقفه إذا خيج عن الحد "
(لا تقلق سنعود بسرعة .. كما أنك سبق أن
قلت بأنه لا يتهور إلا عندما تكون موجودا حتى
توقفه إذا خرج عن الحد"

ابتسم يقول ملاطفا وهو يمسد على بطنها البارز أمامه "ألا زلتِ تذكرين ما قلته؟"
قالت بصدق " أنا يا أنثى أي شيء تقويه (وأشارت على رأسها بسبابتها مضيفة) ونث يا تنثى أي شيء يقويه شاميّ .. فهو ييتثق هنا"
(أنا لا أنسى أبدا أي شيء تقوله .. ونس لا تنسى أي شيء يقوله شامل إنه يلتصق هنا)
ناظرها بحنان يتدفق من مقلتيه وسحب كفها يقبل باطنه ثم وضعه على قلبه قائلا" وونس بكليتها ملتصقة هنا"
ضحكت ثم مالت عليه تقبل شفتيه بقبلة ساخنة جعلته يناغشها قائلا حين أفلتت شفتيه " هل تنوين أن تخبريني بسر قبل أن نخرج للتنزه؟"
قالت بوجه أحمر كحبة طماطم" أحب أن أقبيك وتقبيني "
(أحب أن أقبلك وتقبلني)

أسرعت بتغطية وجهها بكفيها وانسدل شعرها يغطيه هو الأخر .. فقال شامل بشقاوة وهي تدغدغ ببراءتها وتلقائيتها رجولته "فقط القبلة؟!!"

استدارت مبتعدة ..فاستقام واقفا يقول وهو يضحك" تعالي هنا واخبريني ..فقط القبلة ما تحبينها بيننا يا أم آسر؟!!"

xxxx

قبيل الغروب

تطلعت فيه بسمة وهما عائدان من مركز المحافظة..

لا تنكر بأنه قد اندمج معها بعض الشيء في زيارتهما لأحد مراكز التسوق الكبيرة حيث اشتريا بعض الأشياء الضرورية للبيت .. لكنه رفض أن يأكلا بالخارج بل إن مزاجه لم يكن متحمسا للبقاء حتى الليل وطلب منها أن يعودا

ليتناولا العشاء في البيت ..ومع هذا تشعر بأنه ليس على ما يرام ..

إنه متحفز وصامت ونائي بنفسه عنها رغم محاولاته لادعاء غير ذلك .. ولا تعرف كيف تتصرف .. هل تفتح الموضوع من جديد وتقابل طوفانه وعصبيته أم تصبر حتى ينساه؟!

..

ناغشته قائلة" لم تشغل لي أغنية في الذهاب ولا في الإياب أهذه هي الرومانسية يا كيمو !"

قال لها بهدوء" ربما عليك أنتِ اختيار أغنية هذه المرة"

عقدت حاجبيها ثم مدت يدها تشعل ضوء السيارة فلم تكن الرؤية قوية مع عتمة الغروب ومالت برأسها تقرب عينيها من مشغل الموسيقى حتى كادت أن تلصق رأسها به فعبس

كامل قائلا وهو يوزع نظراته بينها وبين الطريق أمامه " ماذا تفعلين؟"

رفعت إليه وجهها فبدت عيناها من هذه الزاوية كحجرين من الفيروز وقالت وهي لا تزال مائلة بجذعها " أدقق فيه ..فلم أجربه من قبل"

أفلتت ضحكة من شفتيه وضربها على مؤخرة رأسها قائلا" اعتدلي"

زمت شفتيها تتصنع الحنق وهي تعتدل ليقول كامل " أنا موصل الهاتف بسماعات السيارة يا باشمهندسة"

رفعت حاجبا وسألته باستنكار " أهذا اللقب تهكمي يا أستاذ كامل!"

مشط مؤخرة رأسه بأصابعه وهو يقول "وهل قلت أنا شيئا!"

أمسكت بهاتفه ثم سألته" كلمة السر"

سحب منها الهاتف وكتبها دون أن تراها ثم أعاده لها فاتسعت عيناها هاتفة باستنكار"
كامل هل تخفي عني كلمة السر؟!"
ناظرها ببرود ثم عاد ينظر في الطريق أمامه ..فقالت بغيظ "حسنا يا كامل وأنا أيضا سأضع كلمة سر لهاتفي"
ناظرها بحاجب مرفوع فأغاظته مرقصة حاجيبها ثم تطلعت في الأغاني على هاتفه وقالت "نختار عبد الحليم الذي يحبه الأستاذ كامل"
وقلبت في قائمة الأغاني ثم ضغطت على واحدة وبدأت الموسيقى.
ميز كامل الأغنية فورا فرمقها بطرف عينيه بينما صدح صوت عبد الحليم:
كل كلمة حب حلوة قلتهالي
كل همسة شوق بشوق سمعتها لي
والأمان ..والعطف والقلب الحنين

والأماني كلها سلمتهالي
بس قلبي لسة خايف م الليالي
وأنت عارف قد إيه ظلم الليالي

تخضبت وجنتاها وهي تتبادل معه النظرات اللامعة فمد كامل يده ليشبك أصابعه بأصابعها وغلبته عاطفته القوية تجاهها فسحب يدها ومال ليقبلها.. ثم احتفظ بها على فخذه متسلطنا مع الأغنية ..قبل أن يتكهرب الوضع فجأة .

قبل دقيقة

كان بدير يقود السيارة بعبوس بينما بسطاويسي الذي يجلس بجواره يتابع الصمت المتحفز بين بدير وأخيه الذي يجلس في المقعد الخلفي في مشوارهم إلى مركز المحافظة لتقديم واجب العزاء في أحد معارفهم..

لقد تشاجر الأخوان المتحفزان لبعضهما قبل المغادرة فحاول بسطاويسي جاهدا الصلح بينهما لكنه فشل .. ولم يجد إلا أن يضغط على عماد للركوب معهما في سيارة واحدة ..بدلا من الذهاب بثلاث سيارات لربما تفاهما أثناء الرحلة وزال الجو المشحون بينهما ..لكنه بدأ يندم على اقتراحه هذا بسبب ذلك التحفز العالي للشجار الذي يسيطر على المشوار .. حتى تفاجأ بتوقف السيارة فجأة عند مدخل القرية أمام سيارة كامل نخلة.

كان بدير قد لمح السيارة من بعيد ولمح بسمة بجواره وكالعادة كانا يناظران بعضهما ثم رفع ذلك اللزج يدها وقبلها ففارت الدماء في رأسه وذلك الجرح في قلبه يئن فعاند ولم يمنحه مجالا للمرور.

وقفت السيارتان أمام بعضهما سيارة بدير ناحية السور بينما سيارة كامل ناحية الترعة وسكن الوضع لثوان والرجلان يناظران بعضهما بتحدٍ جعل كامل يترك يد بسمة التي سقط قلبها بين قدميها في الوقت الذي تراقصت نظرة خبيثة في عيني بدير.

حاول كامل التماسك وأخرج رأسه من نافذة السيارة يقول " أتريدني أن أنزل في الترعة بسبب سيادتك!"

أخرج الأخر رأسه بدوره يقول بلهجة مستفزة" عد إلى الخلف وافسح لي الطريق.. الحل بسيط .. أنا شخصيا لن أتحرك "

قال كامل متصنعا البرود" لا بأس أنا لست متعجلا لنبقى هنا طوال الليل"

قالها وعاد يدخل رأسه فشعرت بسمة بالتوتر ..بينما ضغط بدير على زمور السيارة أكثر من

مرة بعصبية مصدرا صوتا مزعجا جعل كامل يطحن ضروسه بقوة ويشد على قبضته فوق عجلة القيادة.

قال بسطاويسي لبدير " تحرك يا بدير لسنا متفرغين للعب الأولاد هذا "
هز الأخير رأسه رافضا وهو مستمر في الضغط على الزمور فاخرج بسطاويسي رأسه من السيارة يقول لكامل بلهجة دبلوماسية متحاشيا أي حماقة قد يرتكبها ابن عمه " عد للخلف يا أستاذ وكن كريما"
أخرج بدير رأسه هو الأخر وتحركت مقلتاه نحو بسمة ثم عاد ينظر لكامل قائلا بلهجة ساخرة" يبدو أنه لا يعرف كيف يعود بها للخلف يا بسطاويسي"

فك كامل حزام سيارته فأسرعت بسمة تقول بتوسل "كامل أرجوك ... لا تجعله ينجح في استفزازك"

لم يرد عليها فقد جنت شياطينه وهو من الأساس يبحث عن سبب لقتل أحدهم فترجل من السيارة ووقف بجوار الباب قائلا بلهجة مهددة" تحرك إن كنت تريد المرور والذهاب لمشوارك "

ترجل بدير من سيارته يشعر بالسعادة لنجاحه في استفزازه.. ولوجودها تراقبه من خلف زجاج السيارة .. وتعاظمت رغبة في داخله لأن يكسر أنف كامل أمام زوجته .. في الوقت الذي ترجل الرجلان الأخران متحفزان بدورهما ليقول بدير ببرود وبلهجة استفزت كامل "لا بأس لنبقى هنا ليس عندي أنا الأخر مانع (وخطف نظرة سريعة نحو بسمة أطارت البقية الباقية من عقل كامل وهو يضيف بسماجة ويضغط على

حروف آخر كلمتين) خاصة و أن الجو جميل جدا"

تقدم كامل نحوه هادرا بتحذير " أمامك دقيقة إن لم تتحرك سأرمي بك في الترعة"
قال بدير وهو يضرب على كتف كامل بخشونة "تضرب من يا حبيبي.. هل جننت!"
هتف كامل وهو يدفعه في كتفه فارتد الأخير بقوة بضع خطوات للخلف " أضربك أنت وأضرب عشرة من أمثالك لأنك تستحق الضرب"
تدخل عماد بعصبية العشيرة مدافعا عن اسم العائلة " هل تهيننا في بلدتنا يا هذا "
حاول بسطاويسي التدخل لمنع تطور الأمر لكن الطرفين كانا يعاندان حتى قال بدير وهو يربت على ذراع كامل العضلي مهددا " اسمع يا هذا.. احترم نفسك واحترم أهل البلدة ..وإلا

ستكون أنت من يغادر من هنا في عربة إسعاف"

تدخل عماد يقول وهو يقف أمام كامل بتحدٍ هو الأخر "وما الداعي للإسعاف.. فليغادر إلى قبره مباشرة"

كانت بسمة مرتعبة بشدة فأمسكت بهاتفها تتصل بمفرح وهي ترتجف مانعة نفسها من التهور بالنزول من السيارة لأن هذا سيجن جنون كامل خاصة وهي تلتقط نظرات بدير المختلسة لها .. بينما أمسك كامل بتلابيب بدير وأخوه معا ودفعهما بعيدا عنه قائلا باستنكار "من الذي ستقتلانه!"

وتحرك نحو السيارة يخرج من أحد أدراجها مسدسه ثم أغلق ضوء السيارة على بسمة وأقفل الأبواب عليها بالقفل مشهرا مسدسه في وجه الثلاثة ..في الوقت الذي قالت فيه بسمة برعب في الهاتف " مفرح! "

قال بسطاويسي بتوتر" ما هذا يا أستاذ ..هل جننت؟.. ستطلق علينا النار أمام أنظار الجميع"

قالها مشيرا إلى السيارات التي تجمعت خلف السيارتين وخرج منها من وقف يشاهد من بعيد خاصة مع مشاهدة المسدس في يد كامل بينما دارى بدير شعورا بالتوجس بداخله فلم يكن على استعداد هذه المرة أيضا للهزيمة منه أمامها والسماح له بالانتصار عليه.

أما عماد فلمعت في رأسه فكرة خبيثة جعلته يقول محاولا استفزاز كامل لعله يضغط على الزناد نحو بدير " إنه يختبئ خلف مسدسه يا جماعة"

تدخل أحد الواقفين محاولا إثناء كامل عن إشهار مسدسه لكن الأخير رد على عماد " لا يا حبيبي ..أنا فقط لا أحب أن أوسخ قبضتي"

تجمع بعض الناس من الناحية المقابلة لتهدئة بدير الذي هدر وهم يمسكون به صائحا" ماذا تعني بهذا الكلام يا هذا؟.. بل نحن من سنلقي بك هنا في الترعة أنت وسيارتك"

صوت زمور غاضب أتي من خلف بضع سيارات خلف كامل ليظهر بعدها مصطفى الزيني مقتربا يعدل عباءته على كتفيه ويقول بلهجة غاضبة "ما الذي يحدث هنا !! (ثم رمق كامل قائلا بغضب) ابعد مسدسك يا كامل هذا لا يصح" قال كامل وهو ينزل المسدس "وهل يصح أن يعاند بالوقوف أمام سيارتي ويطلب مني العودة للخلف .. ثم يهينني .. (وأضاف يمارس قوة كبيرة لضبط أعصابه) أقسم بالله لو أمسكت أحدهم لن أتركه إلا ميتا"

وقف بدير ممتعضا وقد اغتم هو وأخوه لظهور مصطفى.. فبدير يمقته ويعلم أنه أصبح لديه حظوة عند العمدة مؤخرا ..وأن الشائعات تؤكد

بأنه العمدة القادم ..لذا لن يستطيع المجاهرة بعدائه رغم أن كليهما يعلم بما يكنان لبعضهما من بغض ..أما عماد فظهور مصطفى أوقف ما كان يتمناه من استفزاز كامل لضرب بدير بالرصاص.

قال مصطفى للواقفين" تفضلوا يا جماعة كل منكم لسيارته .. وأنت يا بدير تحرك يسارا حتى يمر كامل "

ناظره بدير بغضب فأشار مصطفى على صف سيارات خلف سيارة كامل قائلا" لن نعيد صف بأكمله للخلف لأنك لا تريد أن تتحرك يسارا يا بدير"

قال الأخير معاندا وهو يشير لليسار" أين سأذهب هل سأخترق السور!!"

قال مصطفى بلهجة حازمة" تحرك يا بدير المساحة ستكفي السيارتين"

زفر الأخير واستدار بعصبية ليركب سيارته ويتحرك بها نحو اليسار ..فقال مصطفى لكامل الذي لم تحد عيناه عن بدير" هيا يا كامل ولا تجعل حماقة الأخرين توقعك في مشاكل .. هيا سَلم الله طريقك"

هز كامل رأسه ولجم غضبه احتراما لمصطفى الزيني ثم قال بحشرجة" من أجل خاطرك يا حاج مصطفى"

قالها وركب سيارته من جديد يفتح ضوءها و يعيد المسدس لمكانه وتحرك ملوحا لمصطفى ومتجاهلا نظرات عماد وبسطاويسي النارية .. أما بدير فرفع الهاتف وقال فيه قبل أن يركب أخوه وابن عمه" عصفور .. أريدك بعد ساعتين.. انتظرني عند البيت حتى أعود من مشوار سريع"

××××

بعد دقائق كان الصمت يخيم على السيارة بعد أن انتهى كامل من الرد على مكالمة مفرح وطمأنته .. فأخذ يشتم بشتائم خافته من بين أسنانه وهو يختلس النظر إليها ووجدها تنظر أمامها مغلقة الملامح .

كانت تفكر بحيرة كيف من المفروض أن يكون رد فعلها .. هل تنفعل في وجهه حتى لا يفعلها ثانية ويسمح لأحمق مثل بدير أن يستفزه حتى يصل لمرحلة إشهار المسدس في وجهه ؟.. أم تكون لينة هادئة متفهمة لحالته الغريبة من الغضب المكبوت ؟.. أم تستسلم لرغبتها في البكاء الهيستيري ؟!.

صمتها أشعره بالذنب .. وبدلا من أن يعترف بذلك انفعل بغرور ذكوري وضرب على عجلة القيادة عدة مرات قائلا بعصبية " طبعا كامل مخطئ ..كامل المتسبب في كل البلايا.. من كان

المفروض أن يسمع اهانته ويسكت .. من كان من المفترض أن يعود للخلف صاغرا أمام هذا الكلب ..(ونظر إليها هاتفا باستنكار) أكان عليّ أن أرى عينيه وهما تختلسان النظر إليك واتحكم في رغبتي في تصويب رصاصتين في عينيه حتى أكون ذلك الشخص اللطيف المسالم الذي تريدونه كلكم!!"

استمرت في صمتها محدقة أمامها فهدر غاضبا وهو يضرب على المقود" انطقي"

انتفضت مجفلة ..لكنها لم ترد ..ولم تنظر إليه فأشفق عليها أن أخافها وعاد للنظر أمامه يستغفر وهو يسمع صوت أذان المغرب .

ركن كامل السيارة بعد قليل أما البيت فترجلت في صمت وفتحت البوابة بالمفتاح ثم سبقته للداخل..

دخل كامل يضع الأكياس فوق منضدة السفرة ..فخلعت سترتها الشتوية وأخرجت بعض

المشتريات من الأكياس واتجهت لترصها في المطبخ فلحق بها .

كانت باردة صامتة مغلقة الملامح كتلك المرات التي رآها فيها قديما .. وكانت هي مدركة لحالتها .. مدركة لأنها قررت الاختباء تحت قشرتها الباردة التي طالما اختبأت تحتها في حياتها السابقة ..لكن الأمر هذه المرة مختلف.. هذه المرة هي عادت لتلك الواجهة الباردة بإرادتها وستغادرها بإرادتها .. ولا تفعل ذلك ترفعا كما كانت تفعل قديما ولكن رغبة منها في أن تترك له المساحة حتى يهدأ ويراجع نفسه .. فلا هي قادرة على البوح بمشاعرها الهستيرية الأنثوية التي تتملكها في هذه اللحظة ولا ترغب في الانفعال عليه وتأجيج غضبه .."

"لا أريد طعاما من الثلاجة"

قالها بتحفز لعله يستفزها لتتخلى عن برودها لكنها غمغمت" تمام"

سألها مستفزا " هل تخاصمينني؟!"
"لا"
قالتها وهي تضع بعض الأشياء في الثلاجة
فسألها عابسا " لماذا أنت صامتة إذن؟!"
ردت ببرود " ليس لي رغبة في الكلام"
هتف بلهجة صبيانية " أنا أريد بيتزا"
نجح هذه المرة في استفزازها فرفعت حاجبا وسألته باستنكار" بيتزا!!"
هز رأسه بالإيجاب مؤكدا فقالت بعبوس "ولكن لم أقم بعمل عجينتها من قبل"
قال ببرود" تصرفي .. ابحثي في الإنترنت عن الطريقة "
انتظر رد فعلها فأدارت له ظهرها تقول وقد عادت لبرودها" تمام"
طحن على ضروسه وغادر المطبخ يشتم بخفوت من بين أسنانه .

عاد بعد قليل بعد أن بدل ثيابه وصلى المغرب فوجدها في حالة من الفوضى وهي لا تزال تقف بملابس الخروج التي لطختها بالدقيق كما لطخت بعض الأدوات التي تتناثر حولها بينما الهاتف معلق فوق رف أمامها تنظر للوصفة وتنفذ.

انطفأت اضاءة الشاشة أمامها فزفرت ومدت يدها تضغط عليها بإصبعها الملطخ بالدقيق المختلط بالماء في عجينة سائلة لزجة .. فتحرك الهاتف وسقط في اتجاه منطقة العجن .. لكن يد كامل التقطته قبل أن يلمسها ثم قال لها باستهجان وهو ينظر على الطاولة الرخامية" ماذا تفعلين بالضبط؟!!"

ردت بنفس البرود" أعجن البيتزا لسيادتك" تطلع فيها.. يداها ملطختان بالعجين وبعض البصمات منه فوق خدها وجبينها وأخرى على طابع الحسن فقال بذهول وهو يمد يده يمسح

خدها "يا الهي كل هذه الفوضى من أجل قطعة بيتزا!"
استمرت تناظره ببرود وهي تحاول ألا تظهر له تأثرها بلمسته فمسح بإبهامه على طابع الحسن الذي يستفزه دوما ولم يستطع بعدها الصمود فمال يقبله.
حاولت بسمة الاعتراض وقالت" كامل!"
تجاهلها ورفع شفتيه عن ذقنها وقبل شفتيها فوقفت بسمة متسمرة يداها مرفوعتان في الهواء ملطختان بالعجين السائل بينما كامل يعمق من قبلته باحثا بين شفتيها عن السلام النفسي.. طالبا اللجوء إلى شطآن عينيها .. ومعانقة روحها للأبد.
ابتعد بعد قليل ..بعدما أشعل ما أشعل فيها من نيران وقال لاهثا بلهجة آمرة " لا تمدي يديك في العجين"

تابعته عيناها حتى وصل إلى الحوض وشمر عن ذراعيه وبدأ في غسل يديه بالصابون بتلك الطريقة التي يفعلها الأطباء قبل دخولهم لغرفة العمليات فوقفت متسمرة ويداها الملطختان لا تزالا معلقتان حتى انتهى وجفف يديه بحرص في مناديل المطبخ الورقية ثم اقترب من العجين غير المتجانس وقال بامتعاض "ما هذا!"

ردت باعتراض "نفذت التعليمات المكتوبة "

مد يده يفتح هاتفها ويقرأ سريعا ثم ألقى به جانبه وهو يقول" ما هذا القرف !!.. سأعلمك

أنا في المرة القادمة طريقة أفضل من هذه"

راقبته وهو يعجن العجين بيدين متمرستين وسمعته يقول مستنكرا " كيف تكونين زوجة كامل نخلة ولست ماهرة في الطبخ !!"

عبست وقالت مبررة" أنا فقط فاشلة في المعجنات"

قال وهو يرش دقيق على المنضدة الرخامية ويعجن " إن اتقان العجائن هام جدا .. اسمعي ..هذا لن يستمر طويلا.. فبمجرد أن نعود للعاصمة سأعطيك دورة تدريبية في فنون الطهي"

صمتت قليلا لتستوعب ثم سألته بشفتين معووجتين متهكمة "وهل ستكون الدروس كدروس القيادة إن شاء الله؟.. أم كدروس السباحة ؟!

نظر إليها وتحركت مقلتاه عليها بنظرة حسية بطيئة أرسلت الرجفة في جسدها قبل أن تتوقفا على بلوزتها التي انفتحت تكشف ما تحتها بكرم بالغ وغمغم ساخرا" كل هذا من أجل عجن قطعة عجين !!"

أنزلت أنظارها تنظر للبلوزة المفتوحة ثم عادت تتطلع في وجهه بحاجب مرفوع بكبرياء ليقول كامل "الإجابة على سؤالك هي : على

حسب اجتهاد الطالبة في نيل رضا المعلم (وعادت نظراته لتستقر على البلوزة المفتوحة وأضاف) وأعتقد بأننا سنتفق بسهولة فلديك عادات ممتعة جدا وأنت تقفين في المطبخ "

xxxx

بعد ثلاث ساعات

قال بدير لعصفور في وقفته في ساحة البيت" هل فهمت المطلوب ؟"

هز الأخير رأسه بالإيجاب ليقول بدير محذرا "احذر من أن يشعر بك أحد"

قال الأخير مطمئنا" لا تخف يا معلمي (وضرب على صدره قائلا بفخر) أنت تعلم بأن عصفور رجل المهام الصعبة"

غمغم بدير بلهجة متهكمة" سنرى يا حلو كيف ستنفذ المهام الصعبة.. ولك مكافأة كبيرة جدا بعدها "

تهللت أسارير عصفور بينما رن هاتف بدير فأشاح له بالمغادرة ورفع السماعة على أذنه يدخل من باب البيت وهو يقول" نعم ... (وصمت قليلا يرفع حاجبا ثم سأل بلهجة خطرة) هل أنت متأكد بأنه زهير؟ .. زهير عبد النبي؟؟؟؟"

جاءه صوت محدثه قائلا" أجل يا معلم بدير أنا متأكد.. لقد زار البلدة ليلة أمس متخفيا في الظلام .. وعلمت من أحد أقربائه بأنه عندما هرب من الشرطة معتقدا بأن ابنه قد غرق في الترعة ومات بعد الشائعة التي وصلته وهو محبوس.. أصيب أثناء الهرب برصاصة في قدمه جعلته يختبئ فترة كبيرة يعالج ساقه التي التهبت وساءت حالتها ..وعندما استطاع الحركة خاف من العودة بسبب الشرطة فبقي فترة متخفيا في إحدى القرى المجاورة غير قادر حتى على الاتصال بزوجته أو والديه ..فلم يكن

مع أي منهم هاتف .. حتى قابل أحد أقاربه صدفة أول أمس وعلم بأن ابنه لا يزال حيا لهذا قام بزيارة بيته تحت ظلام الليل وقد أخبرني قريبه بهذا السر الذي يخفونه عن أهل البلدة"
قال بدير وهو يهز رأسه "أحسنت يا حميد أحسنت .. وأين هو الآن؟ هل لا يزال في بيته؟"
رد حميد بلهجة متفاخرة" لا بل غادر عند الفجر كما أخبرني قريبه فراقبت البيت وصدق حدسي بأنه سيعود لزيارتهم في مساء اليوم وبالفعل حضر بعد الغروب ومكث بضع ساعات ثم غادر منذ قليل ..فتتبعته.. وها أنا ذا أقف أمام البيت الذي يختبئ فيه في قرية (....)"
صمت بدير قليلا يفكر ثم قال" اسمع.. أريدك أن تتصل بالشرطة من أي خط هاتف مجهول الهوية.. وأبلغهم بمكان وجوده .. ثم أكسر الشريحة وتخلص منها"

قال حميد بطاعة" علم وينفذ يا معلم بدير"
أغلق بدير الخط وتنهد قائلا بلهجة متهكمة
"مسكين زهير ..حظه عاثر ..لو لم يكن قد
هرب ليلتها كنت تنازلت أنا عن بلاغي وانتهي
كل هذا .. (وتحرك يدخل الغرفة محدثا نفسه
) ومن سوء حظه أن ظهر في يوم أنا فيه في أسوأ
حالاتي المزاجية التي تمنعني من الصفح عنه ..
صحيح المنحوس سيظل منحوسا!..(وأضاف
بغضب) مثل نحسك يا بدير وأنت غير قادر
على اخراجها من رأسك .. لكن هانت ...
هاااانت جدا وستنتقم أسوأ انتقام يا أبا علاء "

xxxx

اليوم التالي

الحادية عشرة صباحا

ترجلت بسمة من السيارة أمام بوابة المشروع
بعد أن انتهيا من مشوار البنك لإنهاء بعض

المعاملات المالية .. وكم شعرت بالسعادة وهو معها خطوة بخطوة ..
لا تنكر حبها للاستقلالية التي حصلت عليها مؤخرا بشق الأنفس ..لكنها في قرارة نفسها لم تتخل عن احتياجها كأنثى للشعور بأن لها ظهرا يحميها ..
مالت على نافذة السيارة تسأل كامل " هل ستتأخر؟"
أجابها " لا اعتقد ..سأذهب لمزرعة الوديدي فقط كما أخبرتك لأسوي بعض الأمور مع وليد بخصوص توريدات اللحم للمطعم"
ترددت قيلا ثم قالت بقلق" كامل أرجوك لا داعي لـ ..."
قاطعها قائلا" لن أتعرض لذلك الزفت الطبيب مادام لن يحتك بي"
غمغمت " أتمنى ألا تجده اليوم فوليد أخبرني بأنه ينوي الرحيل عن المزرعة آخر الشهر"

رد بامتعاض " علمت ذلك .. أحسن شيء فعله والله .. العقبى للباقين .. ليتني استطيع أن أضربهم بالرصاص لأتخلص منهم دفعة واحدة .. (وأضاف بعبوس) هيا اذهبي لعملك ودعيني انتهي من المشوار"

سألته وقد اتخذت قرارها" ما رأيك في أن نعود للعاصمة اليوم "

عقد حاجبيه وأجاب " نعود! .. ألم يكن لديك أمور تخص المشروع تريدين إنجازها؟"

أجابته قائلة " سأحاول ضغطها كلها اليوم والانتهاء منها ونعود ما رأيك؟"

هز رأسه وقال " تمام"

سألته " هل نرحل في المساء ؟"

قال عاقدا حاجبيه " في المساء ؟.. ألم تعدي مهجة بأن تستضيفيها مساء اليوم بعد أن أخرج أنا لأقابل مفرح .. فكما قلت لك نهائي

الدوري الأوروبي اليوم واتفقنا أنا وهو أن نشاهد المباراة سويا .."

عبست وقد تذكرت زيارة مهجة لها حيث سيوصلها وليد ويذهب هو لمشاهدة المباراة مع أصحابه ثم يعود إليها بعدها فقالت" لا بأس سأبذل قصارى جهدي حتى انتهي من كل شيء اليوم ونغادر غدا صباحا"

هز كامل رأسه موافقا فابتعدت تغلق الباب ..ليلوح لها مغادرا وعيناها تتبعانه بينما قلبها يشعر بالقلق الشديد ..

إنه لا يزال على غير طبيعته ..كما لو كان يحاول أن يتكيف مع وضع يعذبه .. والعصبية لا تزال تسيطر عليه حتى وهو يحاول اخفائها .. لكنها تشعر به .. إنه يغلي داخليا.. ولا تعرف كيف تريحه .. كيف تجعله يسقط ما حدث من ذاكرته .. وجاء شجاره مع بدير ليزيد من غضبه..

إنها في حيرة شديدة ولا تعرف من تستشير .. لا ترغب في أن تقلق حماها عليه ..ولا توأمه البعيد هذه اللحظة.. وتساءلت هل تستشير مفرح ؟.

نقر على كتفها أفاقها من شرودها لتجد أم هاشم تقول" بسمة ...ماذا تفعلين؟.. ألم تنتهي من مرحلة تقبيل مؤخرة السيارة والإطارات خلفه حين يغادر؟!.. أعتقد أنه قد أضحى هناك أشياء أخرى أبدى للتقبيل"
ناظرتها بسمة تعض على شفتها السفلى ثم سألتها "هل يعرف المعلم جابر عن جانبك الوقح ؟"
رفعت مقلتيها لأعلى ثم قالت تتصنع البراءة "بصراحة الرجل يتفاجأ به من حين لأخر"
سألتها الأخرى "وماذا يفعل؟"

أجابت أم هاشم باندهاش " ماذا سيفعل يا بسمة سوى طلب الصبر من الله على ما ابتلي به!"
ضحكت الأخيرة و قالت وهي تدخل معها من بوابة المشروع " اشتقت للسانك الطويل يا وقحة "

xxxx

"تمشينا في حي تياثتيفي .. إنه جمي جدا يا كامي ..أحلى من الثوي .. البيوت باييون البيتقاي واكينا مثيجات يغم بيودة ايجو"

(تمشينا في حي تراستيفير ..إنه جميل جدا يا كامل.. أحلى من الصور .. البيوت باللون البرتقالي ..وأكلنا مثلجات رغم برودة الجو)

قرص شامل أنفها المحمر من البرودة بينما أدارت ونس كاميرا الهاتف لتسلطها على نافورة قائلة" "انظي ..هذه نافوية جمييية يكنها ييثت

مثي تيك اينافوية ايشهيية ..اثمها اثمها ...نثيت الاثم.."

(انظر هذه نافورة جميلة لكنها ليست مثل تلك النافورة الشهيرة .. اسمها ..اسمها نسيت الاسم)

كانت عينا كامل تتحركان بين الطريق أمامه والهاتف المثبت بجوار عجلة القيادة وهو يستمع لثرثرتها بعد أن أصرت أن تحكي له إلى أين ذهبا وماذا فعلا.. والفرق بين الحقيقة وما قرأته على الإنترنت لتضيف ونس" ايمهم أننا اثتمتعنا بوقتنا في هذا الشاري وميشينا كثيا ونبحث ايآن عن مطعم ييبيتزا يأني ثيت أجوع كثيا .. إن البيتزا هنا جمية جدا يا كامي ..يابد ان تزوي إيطابيا"

(المهم أننا استمتعنا بوقتنا في هذا الشارع ..ومشينا كثيرا.. ونبحث الآن عن مطعم للبيتزا

لأني صرت أجوع كثيرا .. إن البيتزا هنا جميلة جدا يا كامل ..لابد أن تزور إيطاليا"

رد عليها بامتعاض "زرتها من قبلك لذا ارحميني من ثرثرتك واعطني شامل "

ردت بلهجة متسلية وابتسامة شقية تتراقص على شفتيها "يكنك يم تزيها مع باثما "

(لكنك لم تزرها مع باسمة)

قالتها وهي تخرج لسانها فأخذ شامل منها الهاتف مبتسما بينما هتف كامل "هل كانت تغيظني؟ .. هل كانت هذه البنت تغيظني يا شامل !!"

رد شامل ضاحكا "لا لم تغيظك"

"لكني رأيتها"

قال شامل بقلق " انتبه أمامك ..فلم يكن هناك داع لأن تجيب على المكالمة المرئية وأنت تقود السيارة"

فجأة صرخت ونس بفرح كبير فهتف كامل مفزوعا "لماذا صرخت؟!!"

طمأنه شامل وهو يراها تتراقص أمامه في ساحة الشارع المرصوف "لا تقلق إنها سعيدة"

رد كامل متهكما وهو يتطلع أمامه" صبرك الله على ما ابتلاك به .. ولماذا تصرخ إن شاء الله .. هل وجدت محلا للبيتزا؟"

هتفت ونس وهي تدور حول نفسها بمعطفها السميك باللون الاصفر الهادئ والقلنسوة الصوفية من نفس اللون فوق رأسها " الثيج .. الثيج ..إنها تمطي ثيجا يا شاميّ"

(الثلج .. الثلج ..إنها تمطر ثلجا يا شامل)

أجاب شامل موضحا" إنها تمطر ثلجا كما سمعت"

عبس كامل وصمت وهو يهدئ من سرعة السيارة متطلعا في الطرق أمامه حين وجد عددا

من الصبية كانوا يلعبون كرة القدم وبدأوا في الشجار"
كان الشارع الترابي ضيقا .. ولم يهتم الأولاد باقتراب سيارة كامل فأخرج رأسه من نافذتها هاتفا" ابتعدوا.. افسحوا الطريق"
لم يلتفت إليه أحد بل احتد العراك بين الفريقين وامسكوا في خناق بعضهم البعض وبدأ بعضهم في التقاط الحجارة من الأرض ورميها بشكل عشوائي فقال كامل بعصبية" اغلق الخط يا شامل فأمامي صبية يتشاجرون بالحجارة وسيكسرون زجاج السيارة وعندها سألقي بهم واحدا تلو الآخر في الترعة "
ترجل بعدها مسرعا وهو يقول" توقفوا قلت.."
لم يكن هناك من هو منصت له فاقترب بضخامته هادرا بصوت مرعب "قلت توقفوا عن الشجار وعن رمي الطوب"

بدأوا تدرجيا في الاستيعاب ..وتوجسوا من هيئته العدائية وصوته رغم سيطرة الانفعال على نظراتهم العدائية له فقال بحزم" وهو يفض اشتباكا بين أخر صبيين .. هيا تفرقوا ما دمتم لا تحسنون اللعب مع بعضكم "
تفرقوا على مضض وعلامات الشجار واضحة على وجوههم وملابسهم ليقول كامل" العبوا سويا وتوقفوا عن أذية بعضكم البعض"
هم بالعودة للسيارة حينما هتف أحدهم "إنهم يكذبون فالنتيجة اثنان مقابل ثلاثة وليس واحد مقابل ثلاثة"
هتف صبي أخر مجادلا " قلنا ذلك الهدف لن يحسب"
جز كامل على أسنانه يتحكم في مزاجه العصبي ثم قال "عيدوا اللعب من جديد.. الغوا النتيجة وعيدوا اللعب"

قال أحدهم من الطرف الخاسر بحماس "
نعيد" بينما قال زعيم الطرف الرابح وهو يناظر
كامل بمقلتين مقلوبتين وعلامات خربشة
حمراء على وجهه "لسنا موافقين "
ناظره كامل بامتعاض قائلا" إذن ستحقق الفوز
هذه المرة ولكنك ستخسر لعب مباريات كثيرة
في المستقبل لأنهم سيمتنعون عن اللعب مع
فريقك (ثم أضاف مشيحا بذراعه) هيا تفرقوا
وافسحوا الطريق ولا تعودوا للشجار"
تفرقوا على الجانبين لمرور أحد التكاتك من
خلف كامل بينما عاد الأخير لسيارته .. وتحرك
مخترقا الشارع ..
جاءه اتصال جديد من شامل فاستقبله ليسأله
الأخير "ماذا حدث؟"
غمغم كامل بهدوء" لا شيء ..قلت لك عدد من
الصبية كانوا يلقون الحجارة ويمنعون السيارة

من المرور (وأضاف بقرف) ما هذا الجيل العنيف لم نكن هكذا "
قال شامل ضاحكا" اتق الله يا أخي"
تحكم كامل في ابتسامة وقال متهكما" أنا وأنت كنا طيبي المعشر ..لطفاء كالنسيم ..ليس بيننا إلا المودة والحب"
أكمل له شامل "واللكمات وضربات الرأس والضرب بالكراسي والعض .. (وسأله مستهبلا) هل تعتقد أننا تركنا شيئا لم نفعله ببعضنا يا كيمو؟"
رد الأخر بلهجة متسلية" لم أجرب أن ألقي بك من الشرفة "
ضحك شامل وقال" بصراحة سوسو لم يكن يصيبها الإغماءات المتكررة من فراغ يا توأمي (ثم أضاف بعاطفة صادقة) اشتقت إليك يا حلوف"

غمغم كامل وقد اقترب من مزرعة الوديدي للمواشي ومنتجات اللحوم " بلا اشتقت إليّ بلا بطيخ .. أنت تلهو وتمرح في روما الآن ..وأنا دمي يحرق هنا في كل لحظة.. (وأضاف بامتعاض) هيا اذهب واتركني لأنتهي من عملي حتى أعود للعاصمة غدا"

سأله شامل "هل قررتما العودة؟"

رد كامل" أجل بسمة ستنهي كل شيء اليوم"

غمغم شامل براحة كبيرة" هذا أفضل شيء فلا أرغب في أن تحتك بذلك المدعو بدير مرة أخرى"

قال كامل وهو يطفئ محرك السيارة وقد عاد لغليانه" ادع ربك ألا أراه خلال الساعات المتبقية لي هنا وإلا لا أعرف ماذا سأفعل به"

هدر شامل فيه" كامل!"

قال كامل هاربا قبل أن يغلق الخط" سلام"

نظر شامل للهاتف في يده وزفر بغيظ فلا يزال يشعر بشعور غير مريح تجاه حالة كامل ثم رفع أنظاره يتأمل ونس التي فتحت كفيها تتلقى زخات الثلج الهشة فيهما ثم قالت" ثويني شامي أييد أن أيثل الثوي يأبي وثوثو وبابا غنيم ..ليت أبي يعيف كيف يتيقى مكايمة ميئية يكنت ايته الثيج"

(صورني شامل ..أريد أن أرسل الصور لأبي وسوسو وبابا غنيم ..ليت أبي يعرف كيف يتلقى مكالمة مرئية ..لكنت أريته الثلج"

وجه شامل كاميرا الهاتف نحوها فاتخذت بعض أوضاع التصوير الأنثوية التي تدهشه كل مرة وتصيبه بالضحك وهي تتصرف بشكل يكاد يكون احترافي .. ثم تأمل هسترتها ببطنها العالي وأنف الدمى الأحمر في وجهها تحت القلنسوة وهي سعيدة ومنطلقة تحت الثلج الذي بدأ

يتسارع في الهطول فقال لها وهو يعيد الهاتف لجيب معطفه "يكفي هذا يا ونس ستمرضين ..هيا لنعود للفندق بتاكسي إن لم نجد في طريقنا محلا للبيتزا"

قالت معترضة وهي تتقافز "اتثي بمكايمة ميئية بثوثو أييد أن اييها هطوي الثيج"

(اتصل بمكالمة مرئية بسوسو أريد أن أريها هطول الثلج)

قال شامل بحزم "يكفي حتى لا تبردين"

اقتربت منه وامسكت بطرف معطفه تقول بترجٍ طفولي" أيجوك شامي أيجوك"

(أرجوك شامل أرجوك)

تنهد وقال " ثلاث دقائق فقط وبعدها سنعود للفندق فورا"

قالت بابتسامة ساحرة كجنية ماكرة تسرق القلوب "بي ثنذهب يمحي نأكي فيه بيتزا ثاخنة جدا في هذا ايجو ايباييد"

(بل سنذهب لمحل نأكل فيه بيتزا ساخنة جدا في هذا الجو البارد)

xxxxx

بعد العصر

"السلام عليكم"

قالها جابر وهو يدخل المعرض عائدا بأم هاشم بعد أن ذهب ليأخذها بعد انتهاء العمل في المشروع .. وقادها واضعا يده الممسكة بالسبحة على ظهرها للداخل مما استدعى انتباه جميع العمال متسائلين من هذه المرأة السمراء ذات الطلة الخاصة التي أدخلها معه واضعا يده على ظهرها بهذه الأريحية ..ليتقدم أحدهم وهو الوحيد من أهل القرية بينهم مرحبا "أهلا بالست أم هاشم أنرت المعرض"

ابتسمت له الأخيرة شاكرة وعيناها تتجولان في المكان قبل أن يدخلها جابر مكتبه فسرت

الهمهمات بين العمال بفضول ليرد الرجل على تساؤلاتهم" إنها زوجته الجديدة"
اتسعت العيون باندهاش وغمغم أحدهم "التي تزوجها بعد الست كاميليا رائعة الجمال؟"
سمعت أم هاشم ما قاله .. لكنها لم تعد تبالي .. فهناك جدارا عازلا قد بني بينها وبين آرائهم.. جدار من السلام النفسي .. أما جابر فشعر بالاستفزاز من أجلها فوقف عند باب المكتب يقول بحزم " لا تقفوا للتسامر بهذا الشكل ..ليذهب كل منكم إلى عمله (وقال لعامل البوفيه) أعد لنا شيئا لنشربه يا عم سعيد"
تحرك الرجل العجوز على الفور بينما سأل جابر "هل أتى هلال وأخذ كريم ؟"
رد أحدهم بالإيجاب فعاد جابر لأم هاشم التي جلست أمام مكتبه وقال لها مداعبا" أنرت المكان يا بنت الشيخ"

ظهرت غمازتاها وهي تقول بابتسامة متسعة"
النور من نور صاحب المكان"
ابتسم وأشار لها على مكتب صغير آخر بالغرفة
قائلا" هلا جلست هنا أمام الحاسوب"
تحركت أم هاشم بعباءتها من المخمل الرمادي
وحجاب أسود لتجلس أمام الحاسوب بينما
وقف جابر بجوارها مائلا على الشاشة وبدأ
يعرض عليها البرنامج المحاسبي الذي طلبت
التعرف عليه..
دخل العم سعيد يحمل صينية عليها كوبا من
العصير وفنجانا من القهوة فنظرا كلاهما لكوب
العصير بامتعاض قبل أن يقول جابر للرجل"
هلا أحضرت لها شيئا غير العصير"
قال الرجل مدافعا "أحضرته من بائع العصير
على أول الشارع وأضمن نظافته"
قالت أم هاشم موضحة" لا أحب العصير يا
عم سعيد"

تكلم الرجل ببشاشة وهو يضع فنجان القهوة أمام جابر" لا بأس يا ست الكل هل تريدين شايا؟"

أجابت أم هاشم" لو عندك علبة مياه غازية مثلجة سأكون شاكرة"

عبس جابر يقول لها باعتراض" أليست المياه الغازية مضرة .. والجو بارد"

قالت أم هاشم "مرة واحدة لن تضير ..اشتهيها بشدة"

التقط فنجان القهوة وقال للرجل الواقف يتابعهما بابتسام " ما دمت تشتهيها لن نقدر على أن نقول شيئا ..احضر لها يا عم سعيد"

أسرعت أم هاشم بسؤال الرجل قبل أن يغادر" هذا هو الفنجان رقم كم اليوم يا عم سعيد؟"

تطلع الرجل في جابر فتجمدت يد الأخير بالفنجان على فمه ثم أسرع يقول بهدوء "اذهب أنت يا عم سعيد وأنا سأخبرها بنفسي"

ناظرها الرجل بابتسامته الطيبة وغادر بينما
طالعت أم هاشم جابر تسأله بحاجب مرفوع"
لماذا صرفت الرجل قبل أن يجيب على سؤالي"
وقعت عيناه على شفتيها الممتلئتين ثم
أجبرهما على الابتعاد والنظر في الشاشة مجيبا"
حتى لا أضطره للكذب"
وضعت يدها فوق الأخرى على بطنها فأصدرت
أساروها الذهبية صوتا وهي تسأله "ولماذا
سيضطر للكذب؟"
رد جابر محدقا في شاشة الحاسوب وابتسامة
شقية تتراقص على شفتيه" لأني لا أريده أن
يقول الصدق"
قالت بوعيد " يا جابر ستجدني فوق رأسك من
حين لأخر لأفتش خلفك صدقني "
أنزل أنظاره إليها ثم أمسك بفكها يعدل وجهها
نحو الشاشة قائلا" ركزي في الشاشة أمامك
حتى ننتهي و نعود للبيت "

تنهدت وقالت "اللهم طولك يا روح!"
"اللهم قصرك يا لسان!"
غمغم بها ساخرا وهو يكتب بعض الأرقام في إحدى الخانات على الشاشة فاشتعلت وجنتاها وتحركت مقلتاها البنيتان الدافئتان تناظرانه بنظرة جانبية ورائحة عطره الرجولي تأسر حواسها .. فتلاقت الأعين بانجذاب ليس له علاج لتقبض أم هاشم أصابعها فوق المكتب حتى لا تتهور وترفع يدها لتتخلل الشعيرات البيضاء في لحيته والتي تدعوها لمداعبتها وعادت تنظر للشاشة فبدأ جابر بالشرح.

بعد قليل عاد العم سعيد بعلبة المياه الغازية فوق الصينية فسألته أم هاشم بابتسامتها المليحة "مثلجة؟"
أومأ الرجل برأسه مؤكدا فوضعت يدها بجوار فمها وكأنها حاجزا بينها وبين جابر المشرف

عليها من علو وقالت للرجل بصوت خافت مسموع" أريدك أن تساعدني في تخليص هذا الرجل من إدمان القهوة والشاي"
اختلس الرجل العجوز النظر لجابر ثم سألها" كيف؟"
قالت بنفس الخفوت" سنغش له القهوة .. بدلا من ملعقة بن ضع له ربع ملعقة ..وإن زاد الطلب عن فنجانين في اليوم أبلغني حتى آتي واضبطه بالجرم المشهود .. "
ضرب جابر على المكتب قائلا لها "هل سننهي اشغالنا اليوم ؟"
سحب العجوز الصينية وأسرع بالمغادرة وابتسامة تزين وجهه ففتحت أم هاشم علبة المياه الغازية مبرطمة ثم تجرعت منها وقالت براحة كبيرة بعدها "يا إلهي ..كنت سأموت منذ الصباح حتى أشربها (واستدارت للشاشة

وقالت) هذا البرنامج رائع أريد منه نسخة لأتدرب عليه"
غمغم قائلا" ألم تقولي بأن هناك محاسبة تم تعيينها للمشروع؟!"
ردت موضحة " هذا صحيح لكني أريدها أن تُدخل الفواتير وكل ما يخص الحسابات في برنامج كهذا .. وأريد أن أشرف عليها لذا عليّ أن أكون متمرسة فيه.. (وناظرته بنظرة خاصة مضيفة) عليّ أن أنمي قدراتي حتى أليق بأن أكون سيدة أعمال "
هز جابر رأسه وقال " لا بأس سأطلب من زين أن يرسل مندوبا من الشركة التي ثبتت لنا هذا البرنامج ليثبت نسخة في حاسوب المشروع أليس لديكم واحدا؟"
رشفت بعضا من المشروب ثم ردت " أجل اشترينا واحدا ..لكني لا أملك حاسوبا في البيت"

قال لها جابر "بسيطة ..نشتري حاسوب أو حتى لابتوب .. ما رأيك أن نطلب من زين أن يشتري لك لابتوب كالذي أرسله لخطيبته؟ "
دارت سعادتها قائلة بمشاكسة " مهما فعلت يا جابر لن أوافق على أكثر من فنجانين من القهوة في اليوم "
غمغم مغازلا " أنا أصبحت مدمنا للقرفة بالعسل يا بنت شيخي "

xxxx

الثانية والنصف بعد منتصف الليل

أغلق كامل باب البيت خلفه ووقف لثوان يتطلع في الجدران حوله .. والتساؤلات الذاهلة تعصف به .

كيف فكر في أن يتخطى محيط هذه الجدران التي كانت يوما من الأيام مشتعلة وظل يحترق ذاتيا حتى قبل ساعتين ..

هل انطفأت نيرانه بما فعل؟
هل تصرف بتهور وصبيانية؟
أهناك تبعات لما حدث أم أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد؟!
وكيف ستكون ردة فعلهم حينما يعلمون بما فعل ؟
هل أخطأ أم أصاب.. نجح أم فشل .. نهى أم انتهى.
لم يجد إجابة على تساؤلاته فاخترق بهو البيت بخطوات بطيئة ، ذاهلة ، مجهدة بشدة ..
وتحرك صاعدا إلى الطابق الأعلى.
حين فتح الباب كان ضوء الغرفة مظلما إلا من ضوء خافت على جانبي السرير فتطلع في بسمة الغارقة تحت الأغطية والتي أرسل لها رسالة قبل ساعتين ردا على اتصالاتها الملحة بأنه سيتأخر في الوصول..

تحرك بهدوء حتى لا يوقظها فلم يكن في حالة نفسية تسمح له بالتواصل مع أحد وعاد ليخرج متجها للحمام .. خلع ملابسه كلها يضعها في سلة الغسيل ووقف عاريا ينظر لوجهه في مرآة الحوض .. ينظر إلى عمق عينيه .. إلى عمق روحه .. في لحظة صدق ومواجهة مع النفس .. ثم توجه نحو صنبور الماء العالي ووقف تحت الماء الدافئ .

بعد قليل لف منشفة حول خصره وخرج من الحمام تستقبله برودة الطقس فدخل الغرفة يبحث لنفسه عن ملابس نظيفة ثم دس نفسه تحت الأغطية بجوارها بعد دقائق فهمست بسمة وجفناها ثقيلان مجهدان "كامل كم الساعة؟"

مد كفه ليحضن جانب وجهها دون رد ولم تكترث هي بالرد بل تحركت لتلتصق به

وتحيطه بكل جسدها قائلة "تأخرت عليّ
وكنت أشعر بالبرد "
أحاطها بذراعيه بقوة فزرعت رأسها في حضنه
ونامت بعد أن قالت" أيقظني عند الفجر حتى
نتحرك للعاصمة فلا أعتقد بأني سأقدر على
النهوض وحدي ..فأنا.. مرهقة جدا"

دفن وجهه بين كتفها ورأسها دون أن ينطق
بشيء.. بينما ظلت عبارة واحدة ترن في رأسه ..
عبارة قالها له والده يوما " احذر من أن ينفد
رصيدك من الستر يا كامل في توافه الأمور ..
لأنك بالتأكيد ستحتاجه يوما ما ..في لحظة ما"
في نفس الوقت كان هاتفه يضيء على حوض
الحمام باتصالات متكررة من شامل وعشرات
الرسائل تسأله السؤال الشهير بينهما "ماذا
يحدث معك؟"

xxxx

بعد ساعتين

كانت الظلمة حالكة وكأنها ليلة غاب عنها القمر وخاصمتها النجوم ..

الجو بارد .. كل شيء حوله بارد برودة لم يقابلها أبدا في حياته.. الهواء .. الفراغ .. عظامه التي تئن من الألم هذه اللحظة باردة وكأن البرودة قد تحالفت مع الألم الرهيب حتى يعذباه ..

حتى الأرض الطينية الرطبة التي تلامس بشرة وجهه وهو مكوم على جنبه على طرف أحد الحقول كانت باردة ..

كم بقي هنا ؟.. وهل سينقذه أحد؟ .. كي يتخلص من ذلك الألم الحارق الذي يفتت خلاياه .. فالرصاصة كانت كقنبلة انفجرت في جسده وشظاياها لا تزال تتفتت وتنفجر بشكل مستمر ولا نهائي حتى الآن بداخله .. لكنه غير

قادر حتى على الصياح ..الاستغاثة .. طلب النجدة ..

نظر للسماء فأحسها مغلقة أمام وجهه .. بأبواب من فولاذ أو ربما خوفه مما خلفها يجعله يعتقدها غير قابلة للاختراق .. فهو يشعر بالضآلة .. بالذل .. بالحاجة للمساعدة .. وهو شعور لم يشعر به منذ وقت طويل جدا .. لقد انفضوا كلهم من حوله فلم يبقى له إلا.. هو .. فحاول تحريك لسانه للفظها لكنه لم يقدر أو ربما ذلك اللسان عصاه فقبض بقوة على الأرض الطينية تحته وأخذ العرق يتفصد من جبينه حينما حاول مجرد محاولة للاعتدال في نومته.. وهاجمته موجة ألم قاتلة .. قاتلة لدرجة أنه لم يتحملها فقال بقلبه ما عصي لسانه على التلفظ به "يا رب" ثم غاب عن الوعي من جديد ..

بعد قليل كان الضوء قد بدأ يتسلل معلنا بداية يوم جديد و انتشر الفلاحون في الحقول فاقترب أحدهم من ذلك الخيال المتكوم على طرف أحد الحقول ثم فزع صائحا" قتيل ..قتيل الحقوني قتيل"

هرول المتواجدون بسرعة واقتربوا بحذر لتفحص الرجل الملقى على الأرض ثم شهقوا بذهول حينما حددوا هويته فتفحصه أحدهم واضعا أذنه على قلبه ثم صاح "لا يزال يتنفس .. إنه حي ..حي "

xxxx

السادسة صباحا

قال كامل في الهاتف "ما كل هذه الاتصالات والرسائل طوال الليل يا حلوف !.. هل تركت حضن زوجتك لترسل لي الرسائل!!"

صمت جاء من جانب شامل وهو يستمع لصوت توأمه بينما أضاف كامل وهو يضع

الحقائب في السيارة" كنت نائما ..نائما ..هل سأطمئنك عليّ حتى وأنا نائم !"
رد شامل بهدوء" لا أعلم لماذا ظللت قلقا طوال الليل وينتابني شعور غير مريح ربما بالغت ..المهم أنكما بخير"
أشار كامل لبسمة التي تغلق باب البيت بالمفتاح يسألها إن كان قد بقي شيء ..فأكدت له بإيماءة من رأسها بأن هذا كل شيء ثم قال بلهجة متهكمة "اطمئني يا (ماما شامل) رضيعك كامل بخير"
سأله شامل بوجوم" هل ستغادران الآن للعاصمة؟"
رد كامل قائلا وهو يغلق البوابة الحديدية بالمفتاح "أجل يا ماما شامل سنتحرك الآن"
تجاهل شامل سخرية توأمه وقال" حسنا طمئني حين تصلان بالسلامة ..حتى لو كنت نائما لأني لم أنم طوال الليل"

قال كامل وهو يجلس خلف المقود بضخامته ويربط الحزام " حاضر يا ماما هل هناك أوامر أخرى يا ست الحبايب؟"

لم يرد شامل وإنما أغلق الخط بصمت فزفر كامل بينما سألته بسمة التي استقرت بجواره" هل اتصلت سوسو ؟.. ألم تكن تتحدث مع شامل؟!"

رد عليها وهو يرمي بالهاتف بجواره ويخلع السماعة اللاسلكية من أذنه ويلقي بها أيضا "بل هو شامل"

قالها وتحرك بالسيارة بينما وضعت بسمة له كوب القهوة إلى جواره وأغلقت المعطف حولها جيدا ثم نزلت قليلا بجسدها في المقعد وقالت وهي تحتضن كوبا ساخنا أخر بين يديها" لازلت أشعر بالإجهاد الشديد وبرغبة قوية في النوم .. أعتقد بأني سأنام في الطريق حتى بعد هذا الكوب من القهوة ..لكني أخشى

أن تنعس أنت أيضا أثناء القيادة فلا أشعر بأنك قد نمت طوال الليل"

غمغم بذهن شارد "لا بأس ..نامي ..هل تريدين أن أنزل لك ظهر المقعد قليلا؟"

ردت وهي تملأ رئتيها برائحة القهوة" لا سأشرب القهوة أولا"

وأدارت رأسها المستند على المقعد إليه تسأله بلهجة ناعسة "هل أنت بخير تبدو مرهقا مثلي ؟"

هز رأسه لها مؤكدا ثم شرد في الطريق أمامه يفكر في حيرة .. هل سينجح في إخفاء ما فعله عن شامل ..فهو لم يحاول من قبل إخفاء شيء عنه!!.

××××

العاشرة صباحا

وقف عماد في ممر أحد المستشفيات يتطلع في ساعته وفي أحد الأبواب المغلقة بقلق شديد بينما كاميليا تجلس باكية على أحد المقاعد بجوار وجدان المنهارة بالبكاء وأولادها الثلاثة يقفون منهارين .. إنهم في حالة من الصدمة والذهول منذ أن جاءهم خبر إصابة بدير بطلق ناري .. وهرعوا في الساعات الأولى من الصباح إلى المستشفى وها هم لا يزالون في انتظار خروجه من غرفة العمليات ..

أما بسطاويسي فكان يجلس على مقعد بعيد يسند رأسه بكفه ..حزين على صاحب عمره وابن عمه.. يحاول أن يفهم ماذا حدث له لينتهي به الأمر ملقى وسط الحقول مصابا برصاصة .. لقد فشل في الاتصال به منذ الساعة التاسعة ليلة أمس ولم يعرف عنه شيئا

حتى جاءهم الخبر المشئوم قبل الفجر .. ومنذ تلك اللحظة ورأسه تراجع كل أسماء الأعداء لتخمين من من الممكن أن يكون قد فعلها .

فُتح الباب وخرج الطبيب فقفز الجميع من أماكنهم بترقب ليقول الأول " لقد أخرجنا رصاصة من الفخذ سببت تهتكا في الأنسجة وضررا في العظم ..لكن المقلق هو وجود إصابة بالغة أسفل الظهر نتيجة لارتطامه بشيء ما أو سقوطه وهذا ما سيحتاج للمتابعة في الفترة القادمة .. بالإضافة لأنه قد خسر كمية كبيرة من الدم أدخلته في غيبوبة لم يفق منها حتى الآن .. عموما سيوضع تحت الملاحظة ونرى تطور الحالة..

قال عماد بقلق" المهم هل سيكون بخير يا دكتور؟"

رد الطبيب " كما قلت لا يزال تحت الملاحظة
فاستعدوا لكل الاحتمالات.."
ناظرت كاميليا الجميع بعدم فهم بينما أمسكت
وجدان بملابس أكبر أولادها علاء الواقف
بجوارها وقالت بذهول " ما معنى هذا؟!! .. ما
معنى هذا؟!! ..ماذا سيحدث لبدير ؟؟..
فليفهمني أحدكم"
بينما أطرق بسطاويسي برأسه يغمغم بحزن" لا
حول ولا قوة الا بالله!"

xxxx

بعد يومين مساءً

كان الكل مترقب لتلك اللحظة التي لم تكن قبل
شهر قابلة للتصديق لكنها الحياة التي تظل
تخفي في جعبتها الكثير من المفاجآت.. وقدر
الله المانح للعطايا بغير حساب ..
في بيت عيد كان يجلس بتوتر على الأريكة
القاسية تحته وهو يهدر بعصبية في وجه كريم

الذي يمسك بهاتف عيد " لماذا لم يتصلوا حتى الآن ؟"

تدخلت إسراء التي جاءت مع أخيها لتساعد عيد الذي لا يعرف كيف يتلقى مكالمة مرئية ولتشاهد لحظة تسلم ونس للجائزة " يبدو أن فقرة تسلمها لم تحن بعد يا عم عيد"

قال عيد حانقا "وماذا لو انقطع الإنترنت هذا"

ابتسمت لتوتره الذي يخفيه بعصبيته وقالت" ليس هناك مشكلة .. سيسجلون الحدث ويرسلوه لنا بعدها "

رن هاتفها فسأل عيد بلهفة " هل يتصلون؟"

نظرت إسراء في هاتفها وأجابت وهي تستقيم واقفة "لا إنه خطيبي .. إن الأستاذ شامل سيتصل بهاتفك أنت يا عم عيد ..(وتحركت مغادرة للغرفة) من بعد إذنك"

هتف عيد عابسا "ألم يغلق الخط معك قبل قليل!!"

على باب الغرفة أدارت إسراء لعيد وجهها مبتسمة بينما جاءها صوت زين يقول "لماذا يصرخ هذا الرجل!!"

تحركت تغادر الغرفة فنظر عيد لكريم الذي يقلب في الهاتف ثم صاح يقول لإسراء" لا تتأخري فربما اتصلوا ولم يعرف هذا الولد كيف يرد"

رفع كريم حاجبيه شاعرا بالإهانة بينما قالت اسراء من الخارج" حاضر لا تقلق"

سألها زين" لم يتصلوا بعد؟"

أجابت " لا والرجل متوتر ويوترنا معه"

قال زين بشقاوة " وأنا ..أليس من حقي مكالمة مرئية لأمتع ناظريّ باللون الكموني؟"

تخضبت وجنتاها بالحمرة وقالت وهي تستند بكتفها على باب البيت والحقول المظلمة أمامها تسري رجفة في الأبدان أقوى من برودة الطقس "ألم تتصل بمكالمة مرئية ليلة أمس؟"

رد معترضا " كان هذا ليلة أمس أين جرعة اليوم؟.. لقد كنتِ مشغولة عني طوال النهار"
شاكسته تقول بتمنع " يكفيك مكالمة واحدة مرئية في الأسبوع"
هتف باستنكار " نعاااام!! .. مكالمة واحدة في الأسبوع يا ذات القلب المتحجر!!.. ألا يكفي أنني أنام وأصحو وأنا أتخيل لون شعرك وطوله وشكله .. لكنك لا تريحيني !"..
لم ترد عليه فقال مهددا " اسمعي ..أنا صرفت الكثير منذ أن خطبتك ولابد أن أجد مقابله الكثير من الأشياء الجميلة بعد أن أتزوجك"
استندت بيدها على خصرها وقالت باستنكار " أفندم!! .. ولماذا لم تطلب من والدتك بالمرة معاينتي قبل أن تتزوجني يا أستاذ حتى تتأكد من أن أموالك ستصرف على ما يستحق"
قال بوقاحة " ليتني أفعل ذلك ..بشرط أن أكون حاضرا لأعاين بنفسي"

قالها وانفجر ضاحكا فقضمت شفتها السفلى تمنع نفسها من الابتسام.. ثم قالت" احترم نفسك يا زين"

قال من بين ضحكاته المدغدغة لقلبها" احترم نفسي أكثر من هذا !!.. صدقيني يا أبلة سراء أنا أمارس معك أقصى درجات الاحترام حتى لا تعاقبيني وتمنحيني وجه (الست الناظرة).. فيكفيني حالة الجفاف العاطفي الذي أعانيه .. وأظل أخبر نفسي ..أصبر يا زينو ..يوما ما سيحن قلبها عليك وستفاجئك بصورة لها وهي بشعرها.."

سألته بتحفز "وماذا لو لم يعجبك شعري ؟.. ماذا ستفعل؟.. فلنفترض أنه طويل وأنت تحبه قصيرا أو العكس ماذا ستفعل"

رد بجدية هذه المرة " لن أفعل شيئا بالطبع (وهمس بحرارة) أنا أحبك يا أبلة في أي شكل"

اشتعل وجهها وتسارعت دقات قلبها بجنون لذلك فسألها وقد عادت لهجته للشقاوة" ها.. هل نجحت في الامتحان بهذه الإجابة الصادقة فقررت أن تمنحيني مكافأة بأن ترسلي لي حين تعودين للبيت صورة لك بدون حجاب؟"
ردت بلهجة مغيظة " لا .. سأكافئك بأن أغلق الخط لأن العم عيد يناديني لأحضر فورا ..سلام"
قالتها وأسرعت بإغلاق الخط ثم وقفت لبرهة تهدئ من ضربات قلبها المجنونة قبل أن تعود للداخل وعلى شفتيها ابتسامة وهي تستعيد شقاوته ووقاحته .

xxxx

في نفس الوقت كان الجميع في فيلا غنيم في انتظار اتصال شامل .. غنيم وسوسو على مقعديهما الوثيرين بينما أريكة شامل وونس شاغرة أما أريكة كامل وبسمة فكان يجلس

عليها هو في انتظار انضمام بسمة التي تراجع بعض الأمور الخاصة بالعمل مع أم هاشم على الهاتف .

قالت أم هاشم" ارسلي لي المقطع المصور حين تسجلونه حتى أشاهده .. هذه البنت عوضها الله هي الأخرى خير عوض ما شاء الله "

ردت بسمة" إن شاء الله .. نحن في انتظار الاتصال في أي لحظة"

قالت أم هاشم لميس" اخفضي صوت التلفاز قليلا"

مطت الأخيرة شفتيها واخفضته درجة واحدة فتركت أم هاشم الأريكة ودخلت لغرفة الضيوف وهي تقول "سأبتعد أنا حتى لا أفقد أعصابي "

سألتها بسمة " هل ستبيت عندك اليوم ألم تكن تبيت أيام الخميس والجمعة فقط؟"

أجابت أم هاشم" منذ ما حدث لخالها وجابر أحضرها إلى هنا لأن أمها تذهب للمستشفى كل يوم"

عقدت بسمة حاجبيها وسألتها" وماذا حدث لخالها؟"

شهقت أم هاشم وقالت " ما هذا ؟..ألم يخبركم مفرح بما حدث لبدير؟"

عقدت بسمة حاجبيها وسألتها " ماذا حدث لبدير؟"

الاسم استدعى انتباه كامل فأدار وجهه لها عابسا بينما قالت أم هاشم" يا إلهي.. كيف فاتني أن أخبرك!!.. إنه حديث البلدة.. لقد أطلق عليه أحدهم الرصاص"

شهقت بسمة وسألت كامل ذو الملامح المتسائلة "هل كنت تعلم ما حدث لبدير؟.. هل أخبرك مفرح؟"

هز كتفيه وقال" لم أتواصل مع مفرح منذ أن عدنا من القرية .. لكن أتوقع بأنه جاء للعاصمة اليوم فشامل سيرسل لأم أدهم البث المصور على هاتفه على حسب ما فهمت .. ماذا حدث للكلب بدير؟!"

ردت بسمة "تقول أم هاشم أنه قد أطلق عليه الرصاص"

رفع حاجبيه ثم سألها" هل مات ؟"

قالت بسمة بما أجابت به أم هاشم" لا .. لكنه في غيبوبة ولم يستعد وعيه حتى الآن"

قال غنيم " لا حول ولا قوة إلا بالله من بدير هذا يا كامل؟"

غمغم الأخير بقرف" إنه ذلك الكلب صاحب المشكلة مع بسمة .. فليذهب للجحيم"

بينما قالت أم هاشم "يبدو أن مليكة أيضا لا تعرف وإلا لكانت قد أخبرتك (وأضافت بلهجة

متهكمة) أصبحتما من أهل المدينة وتصلكما الأخبار متأخرة"

سمعت باب الشقة يفتح وجابر يلقي السلام على ابنته فأسرعت بالقول" سأغلق لأن جابر وصل .. لا تنسي أن ترسلي لي المقطع المصور سلام.."

أغلقت بسمة الخط وتحركت لتجلس بجوار كامل الذي كان شاردا ..فغمغمت بصوت خافت" لا حول ولا قوة الا بالله!"

هتفت سوسو بسعادة" شامل يتصل"

في مكالمة جماعية لهاتف عيد وهاتف كامل وهاتف مفرح في نفس الوقت .. كان أحد الأشخاص الذين استأجرهم شامل لتصويره هو وونس عن طريق هاتفه قد بدأ ببث مراسم تسلم الجائزة حيث قال مذيع داخلي للحفل باللغة الإيطالية التي يتم ترجمتها عبر سماعات مع الحضور للغاتهم الأم "والآن مع جائزة

خاصة أرادت لجنة التحكيم منحها للسيدة ونس عيد وذلك عن لوحتها التي تحمل عنوان " لا للتنمر"

انتاب ونس ضيق تنفس مفاجئ فتذكرت ما قاله شامل لها عن تمارين النفس ..ونظمت أنفاسها وهي تنظر له ثم استجابت ليده التي أوقفتها ورافقتها نحو المنصة.

كانت ترتدي بذلة رسمية نسائية باللون الرمادي تحتها قميص حريري طويل باللون الأبيض مكشكش من تحت الرقبة حتى بطنها العالية بينما شعرها معقوص كذيل حصان منخفض أسفل رأسها.

صوت التصفيق كان يأتيها عبر السماعتين في أذنيها عاليا وواضحا وحماسيا لدرجة تثير الدهشة والبكاء.

وقف شامل بالقرب من المنصة يراقبها وقلبه الذي يضرب بعنف في صدره يرافقها في كل خطوة ... كان قلقا من ارتباكها .. فخورا بها .. يريدها في أحسن صورة حتى تحظى باللحظة الكاملة.

اقتربت ونس من ثلاثة رجال وسيدة هم من يقدمون الجوائز واستلمت من أحدهم لوحا زجاجيا محفور عليه كلمات بحروف لاتينية و مثبت في علبة مخملية عريضة ..

أخذتها وهمت بالانصراف بسرعة في ارتباك ليشير لها شامل والواقفين أن تنتظر قليلا حتى تلتقط لها الصور.. فوقفت تحمل الجائزة بين يديها تضغط شفتيها ببعضهما فالشعور كان هائلا لدرجة لم تتخيلها.

علقت سوسو بتأثر" تبدو ناضجة بهذه البذلة"

قالت بسمة " إنها بالفعل مختلفة في هذا الزي لكنها تبدو مرتبكة للغاية .. بصراحة الموقف مربك "

تحركت ونس متعجلة للابتعاد فأرشدها مذيع الحفل لأن تقف أمام المنصة لتلقي بكلمة قصيرة فاقتربت وهي تتطلع في شامل الذي يرتدي بذلة رسمية أنيقة هو الأخر والتقيا معا خلف الميكروفون .

ابتسم شامل لها مشجعا .. فتطلعت ونس أمامها تنظر للوجوه الكثيرة والعيون التي ترمقها بفضول .. هل تحلم؟ .. هل عادت إليها أحلام اليقظة التي كانت تهرب فيها وهي صغيرة من واقعها لتعيش في الخيال ما لا تستطيع تحقيقه في الواقع؟! ..

مالت على الميكروفون تقول بكلماتها المبتورة "اثمي ونث عيد وهذا زوجي شامي نخية (وأشارت على بطنها) وهذا ابني يبما نثميه آثر"

(اسمي ونس عيد وهذا زوجي شامل نخلة وهذا ابني ربما نسميه آسر)

ابتسم شامل فلم يكن هذا ما تدربا على أن تقوله بينما ناظرته ونس تقول أمام الجميع" يقد نثيت كي شيء"

(لقد نسيت كل شيء)

هز رأسه لها مطمئنا وقال لها بالعربية التي تصل للحضور مترجمة " قولي ما تريدين" سحبت نفسا عميقا ثم مالت على المكروفون تقول للحاضرين وقلبها يكاد يحطم صدرها ويخرج منه" ثأتحدث إييكم بايعيبية يكن تيك الثماعات التي وضعتموها في أذنيكم ين تثتطيع أن تتيجم ما أقويه جيدا يأني يا أثتطيع نطق كي ايحيوف.. يذا ثيقوم زوجي بإعادة ايكيام على مثامعكم مية أخيي يتترجمه ثماعاتكم.. يكني مثية عيى أن أتحدث بنفثي .. فهذا ايأمي في هذه اييحظة بايذات هام جدا باينثبة يي "

مال شامل الذي يقف بجوارها على
الميكروفون قائلا " مساء الخير اسمحوا لي أن
أترجم ما قالته زوجتي : سأتحدث إليكم
بالعربية لكن تلك السماعات التي وضعتموها في
أذنيكم لن تستطيع أن تترجم ما أقوله جيدا
لأني لا أستطيع نطق كل الحروف.. لذا سيقوم
زوجي بإعادة الكلام على مسامعكم مرة أخرى
لتترجمه سماعاتكم.. لكني مصرة على أن
أتحدث بنفسي .. فهذا الأمر في هذه اللحظة
بالذات هام جدا بالنسبة لي"
قالت مليكة التي تستند بظهرها على صدر
مفرح في جلسة حميمة على الأريكة في منزلهما
وهي تمسك بهاتفه وتشاهد البث الحي "هذه
البنت تسيطر على قلبي ..تشعرني بأنها ابنتي"
داعب مفرح بإبهامه ظهر يدها التي تنام تحت
يده على الأريكة ثم قبل رأسها المستند على

رقبته وهما يشاهدان شامل يعيد ما تقوله ونس .

أكملت الأخيرة "أنا اثمي ونث عيد عندي ضعفا بالثمع وايتدي ثماعات مثيما تيتدون انتم ثماعات ايآن .. انتم تحتاجونها يفهم ايأخي ..أما أنا فأحتاجها يفهم ايكون كيه من حويي.."

شامل " أنا اسمي ونس عيد عندي ضعفا بالسمع وأرتدي سماعات مثلما ترتدون أنتم سماعات الآن .. أنتم تحتاجونها لفهم الأخر ..أما أنا فأحتاجها لفهم الكون كله من حولي"

"أنا من قيية ثغيية أحببت اليثم منذ ثغي وكان يي العايم الميون الذي أهيب إييه من ايواقع ايذي اشعي فيه بالنقث .."

"أنا من قرية صغيرة أحببت الرسم منذ صغري وكان لي العالم الملون الذي أهرب إليه من الواقع الذي أشعر فيه بالنقص .."

"يوحتي ايتي يثمتها هي عن ايتنمي.. حتى أخبي ايجميع كم هو بشع .. فإن كان ايشعوي باينقث مؤيما فايتنمي واينقد وايتعييق اييذع يقتي اليوح .. "

"لوحتي التي رسمتها هي عن التنمر.. حتى أخبر الجميع كم هو بشع .. فإن كان الشعور بالنقص مؤلما فالتنمر والنقد والتعليق اللاذع يقتل الروح.."

"حين كنت في قييتي ايثغيية كنت أعتقد أن ايتنمر يخث ايأماكن ايثغيية فقط يكني عندما عشت في ايعاثمة وجدت تنميا أيضا وحين شاهدت أفياما عايمية يأيت تنميا ..حتى أنني جيبت ذات مية وكتبت في مواقع ايبحث كيمة (تنمي) ووجدت قثثا كثيية في كي بقعة من ايعايم ففهمت بأنه ثلوك بشري مقيت .."

"حين كنت في قريتي الصغيرة كنت أعتقد أن التنمر يخص الأماكن الصغيرة فقط لكني عندما عشت في العاصمة وجدت تنمرا أيضا ..وحين شاهدت أفلاما عالمية رأيت تنمرا ..حتى أنني جربت ذات مرة وكتبت في مواقع البحث كلمة (تنمر) ووجدت قصصا كثيرة في كل بقعة من العالم ففهمت بأنه سلوك بشري مقيت .."

"فهمته يكن ما يا اثتطيع اثتيعابه هو اثتهانة ايناث بايكلمات ايتي يتيفظونها .. ما يا اثتطيع اثتيعابه هو اينظية ايفوقية يمن هم من ذوي ايهمم .. وكأن أويئك المتنمييون حين ويدو كاميون كان يهم فضي في ذلك !.."

"فهمته لكن ما لا أستطيع استيعابه هو استهانة الناس بالكلمات التي يتلفظونها .. ما لا أستطيع استيعابه هو النظرة الفوقية لمن هم

من ذوي الهمم .. وكأن أولئك المتنمرون حين ولدوا كاملون كان لهم فضل في ذلك!.."

سقطت دمعة ساخنة مباغتة من عين ونس فمسحتها مضيفة "لذا أيدت أن أقوي يكي إنثان احذر فقد تثبح ثاحب عاهة بعد قيبي .. وأقوي أيضا ذوي ايهمم يا يحتاجون يشفقتكم بي يكثيي من ايتقبي وايحب "

لمعت الدموع في عيني شامل وأعاد كلامها "لذا أردت أن أقول لكل إنسان ..احذر فقد تصبح صاحب عاهة بعد قليل .. وأقول أيضا ..ذوي الهمم لا يحتاجون لشفقتكم ..بل لكثير من التقبل والحب "

رفعت ونس الجائزة مضيفة " هذه ايجائزة أهديها يأبي ثانع ايفخار ايذي تحمي جنوني

ونزعتي ايفنية وأقوي يه (وقربت فمها من الميكروفون تقول بلهجة شقية) أحبك يا عيد "..

ضحك شامل وأعاد كلامها " هذه الجائزة أهديها لأبي صانع الفخار الذي تحمل جنوني ونزعتي الفنية وأقول له أحبك يا عيد .."

انهمرت الدموع من عيني عيد الذابلتين وهتف شاعرا بالحرج أمام إسراء وكريم المتأثرين مثله "بم تهذي بنت الكلب هذه!"

أضافت ونس وهي ترفع أنظارها لشامل الواقف بجوارها "وأهديها يجني ايمشاح خاثتي ايذي يه ايفضل في أن اثل إلي هذا ايمكان بعد اياه ثبحانه "

وابتعدت خطوتين ثم عادت تقول" شكيا"

وجد شامل صعوبة في إعادة عباراتها الأخيرة
فصمت لثوان يناظرها بعينين مغرغرتين
بالدموع فضحكت وأشارت له على الميكروفون
ليعيد لهم ما قالت .. فمال عليه يقول بصوت
رجولي أجش ومتأثر "وأهديها لجني المصباح
خاصتي الذي له الفضل في أن أصل إلى هذا
المكان بعد الله سبحانه ..شكرا"

انفجرت القاعة بالتصفيق في الوقت الذي قبل
شامل رأسها ثم حضنها بتأثر قائلا" أنا فخور
بك .. فخور بك يا ونس"
حين انقطع البث أخذت سوسو تبكي بتأثر
وقالت "أريد أن اعترف لكم بأنه حين تزوج
شامل من ونس وبالرغم من حبي لها من أول
لحظة رأيتها لكنني كنت أشعر ببعض الضيق
من تعليقات صاحباتي .. كنت أعلم بأنهن
يتحدثن من خلف ظهري كثيرا مستهجنات أن

يتزوج ابني من ذات همة ..ومنهن من كانت تسألني بفضول ..كيف تعيش معنا .. وكنت أرى تهكما غير صريح منهن .. فتجاهلت كل ذلك لأني رأيت ابني سعيدا وهذا ما همني .. وكنت أفكر كثيرا.. إن كنت قد شعرت بالألم من أجل بعض الانتقادات التي جاءتني بشكل غير صريح.. فكيف هو شعور شخص كونس عاش ويعيش متعرضا للتنمر في كل وقت .. الغريب أنهن الآن من يتصلن بي ويهنئنني.. سبحان الله!"

قال غنيم " ونس عبرت عن الموضوع بالسهل الممتنع .. إن الكلمة بالفعل تقتل أرواحا وتشوهها للأبد .. والمشكلة أن جزءا كبيرا من هؤلاء القتلة لا يعرفون كم روح قد قتلوا بتعليق انتقادي أو سخرية على سبيل الضحك"

ردت بسمة" أنا أعتقد أنه لو كل منا فكر في مشاعر الأخر قبل أن يحكم عليه أو فيما يعانيه قبل أن ينتقده سينقذ أناسا كثيرين من لسانه "
قال غنيم "المهم أن علينا الاحتفال ببنتنا ونس وهذه الجائزة التي تستحق الإشادة"
قالت سوسو بحماس" أجل ..أنا متحمسة منذ الآن لإقامة حفل كبير بهذا المناسبة"
نظرت بسمة لكامل الصامت الشارد وسألته" كامل هل هناك شيء؟"
انتبه لحديثها فقال وهو يستقيم واقفا ويتحرك مبتعدا" لا شيء سأعود لمباشرة العمل في المطعم"
تأملت بسمة ظهره بحيرة فهو يبدو في حالة غريبة .. ليس غاضبا مثلما كان قبل أيام لكن به شيء غريب .. لا تفهمه .

××××

بعد أسبوعين
صباحا
"يا حلوف"
قالها شامل وهو يضرب كفه بكف أخيه ويحضنه حينما استقبله في المطار ثم عانقا بعضهما بينما ونس غارقة في حضن عيد الذي وصل صباح اليوم وذهب مع كامل لاستقبال ابنته.
قال عيد بلهجة منزعجة وهو يمسح عينيه بأصابعه" لماذا تبكين؟"
قالت وهي تتطلع فيه" أنت أيضا تبكي"
مسح عينيه جيدا وقال معاندا" لا أبكي ولا شيء
(وتحسس بطنها يسألها) كيف حال حفيدي؟"
هزت رأسها وردت" بخيي "
(بخير)
ونظرت لكامل تقول " هناك ايمزيد من الثوي ثأييها يك"

(هناك المزيد من الصور سأريها لك)

هتف باعتراض" شكرا لست مهتما ..يكفي هاتفي الذي اغرقتماه صورا أنت وزوجك" قالت بلهجة متسلية وهي تتحسس بطنها" ما هذا ايكيام .. أنا يم أحك يك كي شيء بايتفصيي"

(ما هذا الكلام .. أنا لم أحك عن كل شيء بالتفصيل"

ناظرها بتذمر ثم تحرك مع شامل الذي وضع الحقائب في حقيبة السيارة يسأله" ما أخبار التقلصات؟"

قال شامل بلهجة هامسة "أخفض صوتك فلم نخبر والدها بأنها قد تعرضت لتقلصات شديدة هي ما جعلتنا نؤجل العودة حتى يستقر الوضع .. (ثم أضاف مطمئنا) إنها أفضل الحمد لله .. آسر نخلة يمارس بعض الشقاوة المؤلمة (

وأغلق غطاء السيارة قائلا) تتملكني الشفقة عليها فهي صغيرة وضعيفة على هذه الآلام" أخرجت ونس هاتفها واقتربت من والدها وهي ترفعه لتلتقط لهما صورة فقال" انتظري "

وأعاد مسح عينيه بكبرياء قبل أن تلتقط لهما ونس صورة فقال لها "ارسليها لي على تلك الدائرة الخضراء في الهاتف التي نتحدث عليها حتى أري الصورة للجميع "
هزت رأسها ثم مالت على خده تطبع قبلة وهي تصورهما ..فأبعدها عيد يقول بتبرم" تحشمي يا بنت ما هذه الميوعة"
ضحكة رنانة خرجت من حنجرتها دغدغت قلبه قبل أن تضيف بشقاوة "اشتقت إيك يا عيد"

××××

"الوضع لم يتغير يا كاميليا"

قالها عماد صارخا وهو يمسك بذراعها في صالة بيت العسال بينما هي تناظره بغل ليضيف والقسوة تطل من عينيه "أنا هنا من يحدد كل شيء الآن حتى يفيق أخوك ..لذا ستلتزمين بالتعليمات كلها .. خروج بدون إذن كما فعلت أمس بحجة زيارة بدير في المستشفى ممنوع .. إن أردت زيارته اخبريني وأنا سأرسل لك من يوصلك .. رغم أني لا أعلم ما الذي ستستفيدينه من زيارة شخص في غيبوبة .. أنا أطمئنكم عليه .. وأبنائه وزوجته موجودون هناك وأي جديد ستعرفونه فورا"

كانت كاميليا تشعر بالضياع والخوف الشديد من أن يحدث شيء لبدير ..فهو رغم كل شيء أكثر رحمة من عماد الواقف أمامها تطل القسوة من عينيه .. ولا تعلم كيف سيكون مصيرها إن مات بدير وتولى عماد التحكم في كل

شيء .. هذه الخاطرة مخيفة بحق فهتفت بقهر "متى سأتخلص من هذا السجن ..متى؟"
ترك ذراعها وقال بقرف " لو كنت عاقلة لكنا وثقنا بك"
صرخت بانفعال " هل تعني بأني لست عاقلة!!"
ابتسم ساخرا وقال " انظري لما فعلته بحياتك وأنت تعرفين الإجابة"
لم تستطع التحمل فرفعت سبابتها أمامه محذرة " اسمع هذا الوضع أنا لن أحتمله أقسم بالله سأختفي من حياتكم ولن..."
لطمة قوية على وجهها أخرستها فكتمت ميس الواقفة على باب إحدى الغرف فمها برعب
بينما قبض عماد على ذراعها مجددا وهو يقول بفحيح مرعب" إياك .. هل سمعت إياك أن تتلفظي مجددا بما قلته قبل ثوان .. صدقيني لحظتها لن يمنعني عن قتلك أحد يا كاميليا"

رفعت عينيها الخضراوين إليه تناظره بغل شديد وقبل أن ترد جاءهم ابن بدير الأوسط يقول لاهثا وهو يحمل الهاتف على أذنه" لقد أفاق أبي لقد أفاق.. أفاق من الغيبوبة "

xxxx

عند المغرب

"ألف مبروك يا أم سامية"

قالتها نجف لصباح من جلستها على الأريكة بجوارها في بيت جابر لتقول صباح بسعادة

"بارك الله فيك يا حاجة نجف.. الحقيقة البنت كانت حزينة على حظها العاثر عندما مات أحد أقارب محسن في بلدته واضطررنا لتأجيل الإعلان عن خطبتهما كل هذا الوقت .. عين حاسد أصابتنا أعوذ بالله "

قالت أم هاشم وهي تعتدل في جلستها أمامها بعد أن وضعت صينية الضيافة "الموت ليس

بيد الإنسان وحفلات خطبة وزفاف كثيرة تؤجل "

قالت صباح بحرج ضاحكة" طبعا هذا ما قلته لها لكنها تأثرت بالتأجيل وفي نفس الوقت كانت قلقة من المزيد من التأجيل لأن الحالة المادية متعسرة قليلا .. فكما تعلمون زوجنا بنتين في وقت قصير وزواج البنات خرابا للبيوت والله"

ربتت نجف على فخذ صباح قائلة" رزقكم الله إن شاء الله ..لا تقلقي ربك سيفرجها ..

(واستقامت واقفة تضع قدميها في خفيها وهي تقول) سأذهب لأصلي المغرب .. لا تؤاخذيني يا أم سامية كوني على راحتك "

غمغمت الأخيرة "تفضلي يا حاجة تقبل الله مقدما "

قالت أم هاشم" قولي لعمي لا يحمل هما فالله كريم "

ناظرتها صباح ثم قالت " هذا ما أقوله دوما ليحيى أنت لم تفعل شيئا سيئا في حياتك وإن شاء الله ربك سيجبر بخاطرك"

كانت أم هاشم تفهم ما تحاول صباح قوله وتحكمت في أعصابها حتى لا يظهر عليها شعورها بالاستفزاز .. فهي بالتأكيد ستساعد عمها فهذا أمر مفروغ منه لكن أسلوب صباح يثير غثيانها فقالت "إن شاء الله خير .. وأنا معكم في أي شيء تحتاجونه"

ضحكت صباح وقالت " كما أن رباب كانت تتمنى أن تطبخي أنت العشاء ليلة الخطبة ..فمحسن سيأتي معه عدد من أقارب جدتك من البلدة وبالتأكيد لابد أن نضيفهم .. وهي تعلم بأن محسن يعجبه طهيك ومتأكدة من أن أهله سيحبونه كذلك"

ردت أم هاشم بابتسامة هادئة "لا بأس يا زوجة عمي سأحاول أن أتفرغ ذلك اليوم من أوله للطهي قولي لرباب لا تشغل بالها "
مدت صباح يدها والتقطت كوب العصير من فوق الصينية ثم قالت بلهجة لئيمة " أعلم بأنك قد أصبحت سيدة أعمال وصاحبة مشاريـع .. لقد قلت لها والله .. أم هاشم ليست متفرغة لتلك السخافات لكن تعلمين البنت غشيمة ولها عشم فيك "
زفرت أم هاشم تقول " لا داعي لهذا الكلام يا أم سامية رباب أختي"
طرقات على الباب أتبعها صوت حركة المفتاح دون أن يفتح ثم نحنحة أعلنت وصول جابر .. فأسرعت أم هاشم نحو الباب لتفتحه بينما وضعت صباح الكوب وعدلت من وشاحها..
تنحنح جابر مرة أخرى قبل أن يدخل وقد سمع صوت صباح بمجرد وصوله وسمع ما قالته

فقال بلهجة هادئة" السلام عليكم كيف حالك يا أم سامية؟"
قالت الأخيرة بابتسامة "بخير والحمد لله سلمت من كل شر يا رب"
هز رأسه وتحرك صاعدا للدور الأعلى فأسرعت صباح بالقول "سأذهب أنا ونتحدث فيما بعد السلام عليكم"
صاحبتها أم هاشم حتى الباب وهي تقول" سلمي لي على عمي وباركي لرباب"
توقف جابر في منتصف السلم واستدار يتابعها بصمت حتى أغلقت الباب ورفعت إليه رأسها تقول" سأعد العشاء حالا"
خرجت نجف تقول" كيف حالك يا ولدي؟"
رد جابر وهو يحرك السبحة السوداء في يده" بخير والحمد لله يا أمي (ثم ناظر أم هاشم قائلا) هل هناك شيء؟"

قالت أم هاشم" كانت تخبرني عن تحديد موعد حفل خطبة رباب"
هز رأسه وقال" أخبرني الحاج يحيى حين قابلته صباحا وباركت له.. هل هناك شيء أخر؟..
سمعتها تتحدث عن طهي وعشاء وأنا أفتح الباب"
ردت أم هاشم مفسرة" تريدني أن أعد العشاء يوم الخطبة ..فأهل العريس سيأتون من محافظة أخرى و..."
قاطعها " اعتذري لها"
رفعت حاجبيها متفاجئة وهي تقول " أعتذر لها "!
قال جابر بهدوء" أجل اعتذري لها .. فلديها بنات ما شاء الله تستطيع هي وبناتها إعداد عشاء الضيوف"
تكلمت معترضة " لكن يا جابر سيفرح عمي إن فعلت ذلك "

قال بإصرار " تستطيعين اسعاده بطرق أخرى"
تدخلت أمه وقد شعرت بصدمة أم هاشم
فقالت " وما المشكلة يا ولدي أن تجامل عمها
وتطبخ لضيوفه طعام العشاء إن كانت ترغب
في ذلك "
ناظر أمه من فوق السلم يقول ملجما انفعال
يموج في صدره منذ أن سمع اسم محسن " أنا
غير موافق لأن تقضي اليوم كله في بيت عمها في
وجود ضيوف ومدعوين وزحام ..وأن تقف في
المطبخ هناك طوال النهار مقيدة بملابس
معينة وتجهد نفسها .. عليهم أن يفهموا بأنها
أصبحت متزوجة وليست متفرغة لأن تقضي
معهم النهار من أوله واقفة في المطبخ"
تكلمت أم هاشم "لكن"
رفع يده قائلا بلهجة قاطعة اندهشت لها
"ليس هناك لكن .. لن نذهب إلا أخر النهار
لتقديم التهنئة والمجاملة .. تستطيعين

مجاملة عمك بالطريقة التي تريدينها غير الذهاب والبقاء طوال اليوم عندهم"
غمغمت أن هاشم " لكني متحرجة منهم ..فقد طلبت مني بنفسها .. ولا أريدها أن تقول تزوجت وتكبرت علينا"
قال وهو يحرك السبحة بين يديه " أنا سأخبر الحاج يحيى وأعتذر له بنفسي متعللا بتعبك من الحمل ..ولا تقلقي من أي شيء ..مجاملتك ومجاملتي لأهلك ستصلهم وزيادة"

استدار صاعدا منهيا الحديث فهزت نجف رأسها لأم هاشم بألا تعلق الآن على شيء ..بينا صعد جابر السلم وهو يبرطم لنفسه بصوت خافت" عريس من الذي ستطبخ له إن شاء الله !!"

xxxx

في المساء

راقبت سوسو ونس التي تقف أمام الأكياس توزع الهدايا التي اشتروها من إيطاليا ثم مالت على شامل تقول" عليكم بزيارة الطبيبة بسرعة لتتابع الحالة .. فتلك التقلصات التي باغتتها هناك بهذه الشدة ليست مطمئنة كما قال لكم الطبيب الإيطالي"

هز شامل رأسه وقال" أنا حجزت بالفعل موعدا مع الطبيبة بمجرد وصولي صباح اليوم .. (وأضاف بشفقة) بدأ الحمل يثقلها يا أمي حتى بت أتألم من أجلها رغم أنها ليست كثيرة الشكوى "

ربتت على ساقه تقول بتعاطف" إن شاء الله ستكون بخير "

قال غنيم وهو ينظر للكيس الذي يحتوي على هديته "أحببت الهدية يا ونس سلمت يدك يا بابا"

مالت عليه تطبع قبله على خده ثم تحركت تلتقط كيسا أخر وتتجه نحو سوسو ففتحت الأخيرة الكيس وأخرجت منه وشاحا ملونا وقالت بسعادة "رائع جدا ..كالعادة لا منافس لك في ذوقك يا ونس "

اتسعت ابتسامة ونس بسعادة بينما راقبت بسمة كامل المصر على مناكفتها قائلا" أنا اتحدث معك أريد هديتي أولا قبل البقية "

استدارت إليه تقول بلهجة حازمة" قينا أثبي قييبا"

(قلنا اصبر قليلا)

قال لها بإصرار صبياني" أريد أن أعود للمطعم لذا اعطني هديتي"

زفرت ثم توجهت نحو أحد الأكياس
..فابتسمت بسمة وهي تراقبهما ثم عادت ونس إليه تحمل كيسا فقال متنهدا وهو يلتقطه منها
" أتمنى أن تعجبني فأنا لا يعجبني أي شيء بسهولة "
فتح الكيس ليجد قميصا باللون الفستقي مطبوع عليه اسم ماركة شهيرة فراقبت بسمة ملامحه وهو يتصنع الجدية ويفرد القميص أمامه وأدركت بأنه قد أعجبه لكنه أعاد طيه قائلا " تمام (وأعطاه لبسمة يقول) ضعيه يا بسمة في خزانتي من فضلك "
قالت ونس باستنكار "أين كيمة شكيا."
(أين كلمة شكرا؟)
تجاهلها يلتقط الهاتف الذي يرن في جيبه وقال "شكرا يا شامل"
ابتسم الحاضرون بينما تحرك مبتعدا اسرعت باعتراض طريقه تقول" أنا من اختيت كي شيء"

(أنا من اخترت كل شيء)

رد عليها مناكفا " وأخي من دفع ثمنها أي أن الشكر يعود له "

ضيقت عينيها بغيظ ..فأشار لها على الهاتف الذي يلح وقال" عندي اتصال من فضلك فلا تعطليني (ورفع الهاتف على أذنه يقول) نعم مفرح ظننتك ستأتي اليوم لتسلم على شامل"

جاءه صوت الأخير يسأله بلهجة مرتعبة" كامل .. أين مسدسك يا كامل ؟؟"

عقد كامل حاجبيه وتطلع في شامل الذي ناظره بقلق ثم قال لمفرح" ماذا تعني بهذا السؤال؟!!"

صرخ مفرح بعصبية "سؤالي واضح أين مسدسك يا كامل ؟"

رد بحشرجة "مسدسي في السيارة ..لماذا تسأل؟"

استقام شامل واقفا واقترب ببطء بينما قال مفرح "هلا تأكدت من فضلك؟"
تحرك نحو المرآب قائلا" أقول لك مسدسي بالسيارة ماذا هناك يا مفرح؟"
أسرع شامل باللحاق بأخيه الذي دخل المرآب وفتح السيارة .. لكنه وجد الدرج خاليا ..فاصفر وجهه وقال بصدمة "لا أجد المسدس"
قال مفرح صارخا" أين ومتى فقدته أيها الغبي!!"
قال كامل بارتباك" لا أعرف .. لا أذكر ..إنه دوما في السيارة "

أمسك شامل الهاتف منه وضغط على مكبر الصوت فأعصابه لم تتحمل الصبر وقال" شامل معك يا مفرح... ماذا حدث أخبرنا بسرعة أرجوك "

فسر مفرح بلهجة مصدومة " الذي حدث أيها السادة أنه قد عثر على مسدس بجوار إحدى الترع ..وتم تسليمه للشرطة وجاءتني معلومة غير رسمية من معارفي هناك أنه بالكشف عنه وجد بأنه هو المسدس الذي أطلق منه النار على بدير وبأنه مسجل باسم كامل غنيم نخلة"

الفصل الحادي والأربعين

وما أصعب الهزات الأرضية التي تأتي على حين غرة فتقلب عالمنا رأسا على عقب .

العائلة كلها كانت خلف التوأمين في المرآب لمعرفة ما يحدث وقلب كل منهم يخبر صاحبه بأن هناك مصيبة .. في الوقت الذي قال فيه كامل في الهاتف وهو يحك جبينه "المسدس كان في السيارة آخر مرة حينما أخرجته في مشاجرتي مع بدير ..(واستدار يتطلع في وجه والده الذي تفاجأ به يقف مع البقية خلفهما ثم قال) لم أر بدير هذا يا أبي منذ تلك المشاجرة (ونظرة لبسمة الجاحظة العينين ثم أمه مضيفا) لم أره بعدها أقسم بربي .. لست متهورا لدرجة أن أحاول قتله"

تدخل صوت مفرح يقول" لقد أصيب في الفترة التي كنت فيها بالقرية يا كامل هل أنت مدرك لحجم المصيبة ؟.. مسدسك وجدوه .. والناس شاهدوك تتشاجر معه وتشهر في وجهه المسدس .. الأمر خطير جدا .. (وجاء صوته محتارا) و الحقيقة لا أعرف ماذا أفعل ولا ماذا أقول.. لا أعرف"

وضعت بسمة يدها على موضع قلبها الذي سقط بين قدميها وتخشبت مخروسة في صدمة بينما قال غنيم وهو يعاني من ضيق في التنفس " والرجل نفسه الذي أصيب هل أخذت الشرطة أقواله يا مفرح؟ ..هل تحدث عمن أصابه؟"

رد مفرح بصوت مخنوق "لقد استيقظ من غيبوبة طويلة ولم يتم استجوابه بعد .. وبصراحة لا أعرف ماذا سيقول ..لكن لو لم

يذكر اسما صريحا غير اسم كامل الوضع
سيكون صعب جدا خاصة وأنك كنت في
القرية وقتها ولا أعرف كيف سنفسر للشرطة
ضياع مسدسك الذي خرجت منه الرصاصة ..
الأخبار جاءتني بشكل ودي لكن سرعان ما
سيخرج أمر رسمي بالقبض عليك "
قالت سوسو بارتعاش " القبض عليه !!"

حين أغلق الخط مع مفرح وقف كامل مذهولا
معقود اللسان بينما شامل يحك جبينه بارتباك
شاعرا بأنه على وشك الإصابة بأزمة قلبية
مضاعفة من أجله هو وتوأمه .. وانتابه شعور
بالخوف جعله ينقض على كامل ممسكا
بتلابيبه ويدفع به للخلف حتى ضربه بالحائط
صائحا في وجهه "أرأيت إلى أين أوصلنا
تهورك؟.. أرأيت المصيبة التي حلت علينا يا
بيك؟"

لم يقاوم كامل ولم يدافع عن نفسه ..ولم يقل شيئا ..كان ذاهلا تائه النظرات يحاول الاستيعاب بينما بسمة تقاوم دوار مفاجئ شاعرة بأن الأرض تميد بها .. ضربه شامل مرة أخرى في الحائط بغضب شديد هادرا " كيف ستخرج منها الآن؟.. كيف؟"
لتطلق ونس صرخة تبعها صيحة غنيم قائلا "سوسو!!"

بعد قليل كانت سوسو ممددة على السرير في غرفتها وقد تم إفاقتها لكنها كانت في حالة انهيار وغنيم يجلس بجوارها ..
أما كامل فكان يقف على باب الغرفة مشلولا لا يعرف ماذا حدث وكيف يتصرف .. أفكار كثيرة متداخلة بداخله.. وغضب شديد من نفسه ومما حدث ..لكنه محاصر مكبل .. ولأول مرة يشعر بذلك.

اقتربت منه بسمة تتطلع فيه بعينين يملأهما التساؤل ثم أمسكت بملابسه وهي لا تزال غير قادرة على الاستيعاب هي الأخرى فقال بحشرجة "لم أفعلها يا بسمة أقسم لك لم أره بعدها "

ظلت ممسكة بملابسه لكنها أسندت جبينها على صدره وانفجرت ببكاء صامت فقال غنيم "سأتصل بالمحامي لأرى ماذا يمكن..."

"لا ..(قاطعته سوسو وأضافت) ابني لن يدخل السجن يوما واحدا يا غنيم .. ابني لن يدخل السجن ..والله سأموت لو حدث سأموت"

xxxx

مسدت وجدان على ساعد بدير الراقد في المستشفى تقول بنحيب" حمدا لله على سلامتك لا حرمنا الله منك يا أبا علاء"

من رقدته على ظهره ساكنا لا يتكلم ولا يتحرك حرك بدير عينيه نحوها يطالعها بنظرات تائهة..

إنه يعاني من الصدمة والذهول منذ أن استيقظ لا يصدق ما حدث له ..

أصواتهم من حوله يشعر وكأنها تأتيه من غرفة أخرى ..بل إنه يشعر بشعور المتفرج على نفسه وعلى الأخرين .

قال بسطاويسي يشد من أزره" إن شاء الله ستتحسن حالتك يا ابن عمي وستعود كما كنت"

حرك بدير مقلتيه نحوه دون رد فقال بسطاويسي وهو يستقيم واقفا "أنا سأذهب الآن وسأكون عندك في الصباح الباكر إن شاء الله (وتحركت مقلتاه بنظرة خاطفة نحو كاميليا التي تجلس في الركن وقال) هل يريد أحدكم أن أوصله في طريقي؟"

رد عماد بلهجة هادئة على غير عادته" عشت يا أبا محمد أنا سأعود بالباقين لا تشغل بالك"
عدل بسطاويسي من وضع عباءته على كتفيه وتحرك نحو الباب يلقي السلام مغادرا بينما تلاقت نظرات الاخوان بدير وعماد بغموض ليتذكر كلاهما ما حدث .

ليلة الحادث الحادية عشر مساء

وقف بدير أمام بوابة منزله يتطلع في ذلك التوكتوك الذي يقوده عصفور والذي أوقفه وترجل منه ملقيا التحية ..فدخل بدير البوابة وأدخل عصفور ثم أغلقها والتفت إليه قائلا
"أرني لأصدق"
ضحك عصفور وقال وهو يخرج شيئا ملفوفا في كيس أسود "لماذا تشك في قدراتي يا معلمي!"
التقط بدير الكيس وفتحه بلهفة قائلا"
بصراحة السرعة شككتني "

رد عصفور بفخر "الحقيقة حظي كان جيدا ..فمنذ أن طلبت مني الحصول على مسدس ذلك الغريب وأنا أقود التوكتوك الذي أعمل عليه خلفه في طرقات القرية وخارجها حتى جاءت اللحظة"

لمعت عينا بدير وهو يخرج مسدس كامل في يده ويقلب فيه مستمعا لثرثرة عصفور "لقد اضطر لترك السيارة عدة دقائق من أجل فض اشتباك عدد من الصبية يلعبون بالكرة.. لحظتها شعرت بأن الأقدار قد سهلت لي المهمة فقد كان ذلك في شارع هادئ من شوارع القرية ترك هو السيارة مفتوحة ليمنع الأولاد من التراشق بالحجارة حتى لا تصيب سيارته الثمينة ..فركنت التوكتوك وتسللت من خلف السيارة وأنا أكاد أزحف على بطني ثم مددت يدي لأبحث عن ذلك الدرج الذي يخفي فيه المسدس شاعرا بالامتنان لأنه من خوفه على

السيارة ترك بابها مفتوحا (وأكمل ضاحكا) ألم أقل لك كان حظي جيدا.. وخلال دقيقتين كنت قد أخذت المسدس وعدت إلى التوكتوك .. ولا أخفيك سرا كنت خائفا بشدة .. فلو قبض علي هذا الضخم ربما أكلني وأنا حي فأسرعت بالتحرك بسرعة وقلبي يكاد يحطم صدري"

تراقصت ابتسامة على شفتي بدير وهو لا يزال يتفحص المسدس وغمغم قائلا" أحسنت أحسنت..(ثم أظلمت ملامحه فجأة ومد يده ليمسك بتلابيب عصفور قائلا بتهديد) إياك أن يتفوه فمك بهذا الأمر حتى لنفسك ..تخرج من هنا فاقدا للذاكرة"

هز عصفور رأسه عدة مرات مرتعبا من بدير الذي انقلب فجأة ليضيف الأخير مستمرا في تهديده "لو علم مخلوق بهذا الأمر ستتهم أنت بسرقة المسدس وستسجن .. كما أن ذلك

الغريب لو علم بأنك من سرقته أنت تعرف جيدا ماذا سيفعل بك"
بلع عصفور ريقه قائلا" أنا ..أنا لن أتفوه بأي شيء صدقني يا معلم بدير ..أنا خادمك المطيع"
تركه بدير وعاد يقول بلهجة لينة مخرجا شيئا من جيب جلبابه "وأنا وعدتك بمكافأة كبيرة ولا أخلف بوعدي أبدا"
أعطاه مبلغا من المال جعل عينا عصفور تخرج من محجريها فخطفه منه قائلا بسعادة جمة" عشت يا معلم بدير وعاش لنا كرمك"
عاد بدير للهجة التهديد قائلا " أنا أكافئ من يعمل معي ..ولكني لا أسامح في الخطأ ..وقتها أنت وعائلتك ستصبحون في عداد الأموات"
هز الأخير رأسه قائلا وهو يرفع يده ليلقي عليه التحية" لساني قُطع من هذه اللحظة"

أشار له بدير ليغادر فأسرع بفتح البوابة والخروج في الوقت الذي ابتسم الأول شاعرا بالسعادة وغمغم لنفسه "جاء وقت الانتقام" ثم أسرع بوضع المسدس في جيب جلبابه وخرج من البوابة.

في نفس الوقت ألقى عماد السيجارة التي كان يدخنها في شرفة شقته بالطابق الثاني مختبئا في ركن مظلم ومتابعا لما يحدث .. فسحقها تحت قدميه ثم أسرع بالدخول لشقته ينوي اللحاق ببدير .. فبالرغم من أنه لم يسمع من الحديث إلا بضع كلمات غير مفهومة ..لكن حدسه يخبره بأن بدير يدبر لشيء .. كما أنه قد قرر منذ أيام أن يراقبه كي يعرف أين هو المخزن الجديد للبضاعة.

بعد قليل كان بدير يقود سيارته مبتعدا عن المناطق السكنية من القرية والتي كانت هادئة

في تلك الساعة المتأخرة في ليلة شتوية إلا من تجمعات صغيرة لبعض الشباب المهتمين بكرة القدم العالمية والذين كانوا يجتمعون في مقاهي القرية يتابعون مباراة أوروبية بكل حماس .

شرد بدير وهو يتجه نحو الحقول المظلمة المترامية الأطراف مبتعدا شيئا فشيئا عن أضواء القرية يفكر في المكيدة التي يدبرها لذلك الغريب زوج بسمة ..إن الفكرة لمعت في رأسه حينما رأى المسدس في يد كامل يوم أمس وبسرعة تذكر تهديده للطبيب البيطري ففكر بأن يستغل الموقف لصالحه فيحصل على مسدس كامل ويطلب من أحدهم قتل الطبيب ثم يلقى به في طريق من يسلمه للشرطة ..وبهذا سيكون قد تخلص من كامل هذا لفترة طويلة وفضحه في البلدة.. وربما انفصلت عنه بسمة..

سرت رعشة في جسده عند هذه النقطة والأمل بداخله يتجدد .. فغمغم لنفسه "هذه المرة ستكون مطلقة مرتين ..وعينها مكسورة وستقبل بي .. ووقتها سأريها كيف أنها لم تتزوج من رجل حقيقي بعد"

اشتعل جسده كله وانتشى فكره لهذه الخاطرة..

إنها تلك اللحظات التي يشعر فيها باقترابه من نصر جديد .. إن امتلك بسمة سيكون قد حقق الصورة الكاملة التي يسعى إليها .. سيكون ملكا .. المال وفير ... وتجارته مؤمنة بعيدا عن عين الشرطة وعن عين عماد فقد غير مكانها قبل أيام .. صحيح غروره لا يسمح له بالشعور بالتهديد من شخص كعماد لكنه أراد أن يزيد من أمانه .. حياته كلها لم يعد ينقصها سوى فاتنة كبسمة يمتلكها ليريها كيف هو العشق .. ليجعلها تقر

بنفسها وتعترف بأنه سيد الرجال .. وبأنها تزوجت مرتين مرة من العاصمة ومرة من دولة أخرى ولم تعترف بأنها تزوجت إلا حينما تتزوجه هو .. بدير العسال .

أخيرا خرج من شروده وانتبه لتلك السيارة التي تسير خلفه على بعد .. واستعاد عقله ما سجله خلال شروده بأنها تتبعه منذ دقائق فعقد حاجبيه بتركيز يحاول أن يهدئ من سرعته تدريجيا ربما تعرف عليها خاصة وأن هذا الطريق مقطوع تقريبا ومن النادر أن تمر منه سيارة حيث الطرف الغربي من القرية الذي لا يوجد فيه إلا حقول واسعة على يساره وترعة ضيقة على اليمين وينتهي بطريق مقطوع يربط القرية بقرية مجاورة .

أحس عماد بأن بدير قد انتبه له وقد كان متوقعا لهذا منذ أن دخل خلفه إلى هذا الطريق واستعد لذلك فقد حانت لحظة المواجهة ..

عليه أن يجد المكان الجديد للبضاعة وأن يضغط عليه هذه المرة ويجبره بأي ثمن أن يعطيه مالا .. فلم يعد أمامه إلا هذا الحل وإلا خسر كل شيء .

اشتعل الغضب في عيني بدير حينما تأكد من ظنه .. إنه عماد .. عماد الذي أصبح مزعجا وسيضطره في النهاية لأن يؤذيه إن لم يكف عما يفعل .

أوقف السيارة في عرض الطريق وترجل منها غاضبا فأوقف الأخر السيارة على بعد أمتار واستعد للمواجهة فخرج بهدوء ثم وقف بجوار سيارته يناظر اقتراب أخيه الآتي نحوه والشرر يلمع في عينيه رغم الضوء الخافت حولهما .

قال بدير غاضبا" ماذا تفعل هنا؟؟.. لماذا تمشي خلفي؟"

رد عماد ببرود " هل ستمنعني من السير في الشارع بسيارتي!"

أمسك بتلابيبه وقال "انطق ماذا تفعل هنا؟؟"
أبعد يديه عن ملابسه بخشونة قائلا "حتى أعرف أين أخفيت البضاعة يا بدير (ثم نظر في الاتجاه الذاهب إليه بدير وأضاف ساخرا) عموما أصبحت الخريطة سهلة ..فلا يوجد في هذا المكان الخالي إلا عددا من المباني تعد على الأصابع ..وتقريبا خمنت المكان (ومال عليه هامسا) بيت عبد الواحد عباس القديم المهجور .. إنه رجل من رجالك ويبدو أنك قد قررت اللجوء اليه بعد أن فشلت في الحصول على بيت عيد القللي الذي كنت تنوي إخفاء البضاعة فيه"

عاد بدير ليمسك بتلابيبه ولصقه بالسيارة خلفه قائلا من بين أسنانه "اسمع .. هذه أخر مرة سأقولها .. اتق شري .. لقد حذرتك أكثر من مرة فاتق شري وإلا ستندم"

دفعه الأخر قائلا بمقلتين مقلوبتين " لن أذهب هذه المرة إلا إلى الشرطة لأبلغهم بأنك تتاجر في الحشيش والمخدرات .. ما كان يمنعني من قبل أن اتصل اتصالا مجهول الهوية وأبلغ عنك هو عدم رغبتي في التسبب في الفضيحة لعائلة العسال ..فكما سيلحق العار بأولادك سيلحق بأولادي أيضا وسيظل في سجل العائلة أجيالا يعيّر بها أحفادنا وأحفاد أحفادنا لكن ما دمتُ أُوشك على خسارة كل شيء وسيفضحني الدائنون لذا فلم يعد لدي ما أخسره فالفضيحة قادمة للعائلة وسيعيّر بها أولادك مثل أولادي"

ضربه بدير في صدره بعنف قائلا "بل كنتَ صامتا طوال هذه السنين لأنك طامع في البضاعة ولا تريد أن تخسرها"

رد الثاني بملامح شرسة " طامع في حقي ..لقد أقمتها أنت على ما ورثته من أبي أي أن لي نصيب فيها"

دفعه بدير يقول وقد ازداد غضبه " ليس لك شيء ..ولو لم تذهب إلى حال سبيلك الآن سأقتلك وأدفنك هنا ولن يشعر بك أحد"
تحداه عماد بتصميم هذه المرة قائلا " أنا لن أتحرك هذه المرة إلا قدمي بجوار قدمك "
حذره بدير يحاول التحكم في أعصابه من التهور قائلا " قلت اذهب ولا تجعلني اؤذيك"
لكن عماد لم يتحرك بل قال " لن اتزحزح عن الذهاب معك .. (وصمت يفكر لبرهة ثم قال بانتصار) ولماذا انتظرك ..ما دمت قد خمنت المكان فالباقي سهل أنا ذاهب بنفسي"
اصرار عماد وذلك التحدي الذي يطل من عينيه جادا هذه المرة مع تهديده بالذهاب للمخزن والذي خمن مكانه صحيحا كل هذا أوصل بدير لمرحلة غير مسبوقة من الغضب ..فأسرع بإخراج المسدس من جيب جلبابه وهو يدفع أخاه ليلصقه بسيارته ويحشر

المسدس في رقبته قائلا من بين أسنانه بتهديد" حاول أن تقترب من شيء يخصني وستندم .. أنا حتى الآن صابر على حماقاتك .. (وحاول لجم انفعالاته حتى لا يتهور ويضغط على زناد المسدس المغري فقال) اذهب الآن وسنجلس حينما أعود ونتحدث عن ديونك وفيما يمكن أن أفعله لمساعدتك"

كان عماد قد وصل لمرحلة من القوة لم يكن يريد أن يفقدها .. لقد استطاع التأثير في بدير هذه المرة حتى تنازل وقرر المساومة ..ولهذا قرر أن يحتفظ بذلك الشعور بالقوة وألا يعود ذليلا أمامه .. يعرفه ماكر وسيذله إن أقرضه شيئا جديدا فقال مهادنا هو الأخر "حسنا ابعد المسدس"

ابتعد بدير عنه ثم قال له مشيرا بالمسدس "اركب سيارتك وغادر"

هز عماد رأسه بينما فكر بدير بأن عليه تغيير مكان البضاعة في أسرع وقت ليتفاجأ بعماد يضرب مرفقه بحركة مفاجئة لم يكن يتوقعها جعلت ذراعه يرتخي بسرعة ويقع المسدس من يده ..فانحنى الاخوان نحوه وكان عماد هو الأسرع في التقاطه ورفعه في وجه أخيه وعيناه تلمعان بالانتصار مبتعدا عدة خطوات للخلف وهو يلهث بقوة .

ضربات قلبيهما اخترقت الصمت الكئيب الذي خيم لحظة كان فيها الحقد أشد سوادا..

والطمع يعمي البصيرة .. والنفس الأمارة بالسوء ليس لها رادع ..

شعر بدير بالخطر لكنه حرص ألا يظهر عليه وهو يقول بلهجة خطرة "ماذا تظن نفسك فاعلا؟!!"

الشعور بالقوة لذيذ ..ممتع ..خاصة وهو يقرأ القلق في عيني بدير فقال عماد بمقلتين

مقلوبتين مشيرا بالمسدس " أمامي إلى المخزن لآخذ حقي في بضاعة أبي"

لم يكن بدير مستعدا للتنازل بعد .. غروره وكبريائه وعدم رغبته في الهزيمة جعلوه يراهن على عدم جدية أخاه في التنفيذ ..فاقترب منه يحدق في عينيه قاصدا ارباكه وهز ثقته في نفسه وهو يقول" لا أظن بأنك جاد فيما تهدد به"

ابتسم عماد قائلا "بل أنا جاد ..فرصاصة واحدة تكفي لأن تكون في عداد الأموات وأحصل أنا على كل شيء.. على حقي من بضاعة أبي"

استمر بدير في خطواته الحذرة يقطع الطريق نحو أخيه الذي ابتعد عن السيارة بمسافة مركزا نظراته في عينيه كمن يروض كلبا شرسا ..وقد تأكد من الحركة العفوية التي صدرت من الأخر بالرجوع خطوتين للخلف بأنه ليس جادا

فيما يهدد به فقال مهادنا" ابعد هذا المسدس وسنتفاهم"

أجبر عماد نفسه على الوقوف وعدم التراجع واستمد بعضا من القوة من المسدس في يده قائلا" ليس هناك مجالا للتفاهم .. هذه المرحلة انتهت والآن أنا من سيفرض الشروط وإلا...."

ناظره بدير متسائلا" وإلا ماذا ؟"

"وإلا هذا المسدس سيحدد مصيرك (وعقد حاجبيه يدقق في المسدس قائلا) ترى ..لمن هذا المسدس الذي أحضره لك عصفور ..(وأسرع بالقول وهو يرفع أنظاره عن المسدس) أليس هذا..."

قطع حديثه حينما باغته بدير بلكمة أسفل ذقنه بيد بينما الأخرى تقبض على ساعده لتوجه فوهة المسدس لأعلى.. فتمالك عماد نفسه بسرعة ولم يترك له مجالا للحصول على

المسدس مهددا من بين أسنانه "لم تترك لي مجالا إلا أن أنفذ تهديدي يا بدير"
أخذت يد بدير الأخرى تمنع ذراع عماد الأخر من التدخل للمساعدة في الحصول على المسدس وهو يقول بغرور" بل أنت أجبن من أن تفعلها"

كلماته حفزت عماد ألا يستسلم فأي تراجع منه يعني المزيد من الخسارة .. فخلص ذراعه من يد بدير وحاول دفعه بكل قوته والأخر يحاول تخليص المسدس من يده..
تناظرت الأعين بغضب .. وتنافر القلبان بكره ..وانتفخت العروق بالرغبة في الانتقام بينما العرق يتفصد برائحة المال الحرام.. فتشابك الاخوان للحصول على المسدس الموجه لأعلى وكل منهما يحاول دفع الأخر بجسده حتى أنهما دارا حول نفسيهما مرتين قبل تنزل يديهما

بالمسدس لأسفل وينجح عماد بكل شراسة وتشبث يائس بالفرصة الأخيرة في دفع بدير بقوة للخلف فاختل توازن الأخير ليسقطا معا على حافة نتوء صخري .
السقطة كانت قوية وعماد يقع بكل جسده فوق بدير الذي مزق الألم أسفل ظهره الملامس لحرف النتوء ليتبع ذلك صوت رصاصة مكتوم وألم آخر لا يحتمل في فخذه فأطلقت آهة ألم عالية وكأن قنبلة انفجرت ففتت عظامه تزامن مع ألم أخر لا يقل عنه شدة في أسفل ظهره ..بعدها ساد الصمت وجحظت عينا الاخوين يناظران بعضهما البعض في صدمة قبل أن يرتخي جفنا بدير فورا مغشيا عليه من شدة الألم.

في ذهول وعدم تصديق اعتدل عماد يناظر أخاه الذي كان مائلا على ذلك النتوء الصخري

الذي يشبه سورا قصيرا جذعه للخلف وساقيه للأمام ونظر للمسدس في يده ولم يدر من منهما من ضغط على الزناد.. لكنه أسرع بإلقاء المسدس أرضا ورفع يديه بحركة متنصلة من المسؤولية بينما ظلت مقلتاه تتحركان باهتزاز على المشهد الصادم أمامه.

بعد برهة قام بالانحناء يسحب أخوه من ملابسه ليعدله قائلا بحذر "بدير .. بدير انطق يا بدير "

وارتعش جسده حتى بدا ذلك واضحا على يديه اللتين تمسكان بملابس أخيه وهو يناظر بحدقتين متسعتين بقعة الدم الكبيرة التي غطت جانبا من جلباب أخيه فتسارعت انفاسه وهو يسحبه ليبعده فلاحظ ثقل جسده وتساءل في نفسه (هل مات؟!!).

الخاطرة أرعبته فتركه ليقع على الأرض فوق بركة طينية وابتعد خطوتين للخلف يناظره بذهول وصوت لهاثه يخترق الصمت ثم عاد يميل عليه ويلكزه بيده قائلا بحشرجة "بدير .. بدير"

ثم وضع يده يتحسس الدماء وكأنه يتأكد من أنها دماء حقيقية ورفع كفه ينظر فيه بذهول قبل أن يستقيم واقفا ويسرع بمسح يده من دم أخيه في بنطاله..

عينا الأخر نصف المغلقتين وذلك الصمت المفاجئ بعد انطلاق الرصاصة مباشرة جعله يرجح بأنه قد مات .. فشعر بالرعب ونظر حوله في الطريق المهجور وسط الحقول وزاد شعوره بالخوف فابتعد عدة خطوات للخلف يضع يده على عنقه ثم قرر الفرار ..

تحرك عدة خطوات أخرى عائدا لسيارته وعقله يفكر بسرعة في كل شيء قبل أن يتوقف

و يسرع بالهرولة عائدا إلى حيث يرقد أخوه ليلتقط المسدس الملقى في الأرض والرغبة في الفرار تلح عليه بقوة .. ووضعه في جيبه وأسرع بركوب سيارته والتحرك للخلف حتى وصل لمساحة تسمح له بالاستدارة والابتعاد ..تاركا خلفه بدير ملقى على الأرض.

عاد الاخوان من شرودهما واسترجاعهما لما حدث فانفض تشابك عينيهما ليغمض بدير عينيه بإرهاق بينما قالت هدى لزوجها مشيرة على ابنتها التي تميل عليها "ابنتك نامت"
رد عماد "سنعود للبيت بعد قليل"
أخذت الأخيرة تعد نفسها للمغادرة بينما عاد عماد يتطلع في وجه أخيه مغمض العينين وعاد لشروده من جديد يتذكر ما حدث بعد ذلك .

ليلة الحادث

دخل عماد غرفته لاهثا وتطلع في زوجته النائمة فحمد ربه أنها لم تسهر في انتظاره فلا يريد لأحد أن يراه في الحالة التي كان عليها..

كان تائها ..خائفا.. مرتبكا ..وجسده ينتفض بشدة فذهب لخزانة الملابس ليخرج منها ملابس نظيفة وخرج من الغرفة في صمت متوجها نحو الحمام.

وقف في الحمام بعد دقائق مرتديا كيسا بلاستيكيا في يديه وأخذ يمسح المسدس جيدا من البصمات .. وتفصد العرق من جبينه بغزارة رغم برودة الجو وتسارعت أنفاسه مع حركته على المسدس وهو ينظفه بقطعة قماش مستعيدا كل الحكايات التي سمعها خلال حياته عن الجرائم وكل الأفلام التي من الممكن أن يتذكرها عن هذا الأمر وعقله يحاول التفكير في

المصيبة التي وقعت على رأسه دون سابق انذار..

أنّبه ضميره أنه لم يتأكد من وفاة أخيه فربما لم يمت وكان يمكن اسعافه .. لكنه خاف من العودة للمكان فربما شاهده أحد هذه المرة ولن يستطيع ساعتها تبرير سبب وجوده .. كما اعترف لنفسه بأن هذا أفضل .. فلو لم يمت فليدعه ليموت .. لأنه يعرف بدير .. يعرفه جيدا .. لو عاد للحياة سينتقم منه أشد انتقام ولن تأخذه به شفقة ولا رحمة .. لذا هو الأخر لابد ألا تأخذه شفقة أو رحمة عليه .. فليبق في هذا المكان المهجور حتى يكتشف أحد وجوده .. ثم عاد للتساؤل .. هل من الممكن أن يُكتشف بأنه الفاعل ؟..

استعاد كل شيء في ذهنه فلم يجد أي دليل عليه سوى بصماته على هذا المسدس الذي لا

يخصه بل هو لذلك الغريب الذي تشاجر مع بدير .. فقد لفت المسدس انتباهه وقت المشاجرة وعلم بما لديه من بعض المعلومات عن أنواع المسدسات بأنه غال الثمن .. وزيارة عصفور اليوم وإعطائه المسدس لبدير يثبت له صحة تخمينه لكنه لم يستطع تخمين علام كان ينوي بدير؟ .. ومن الذي كان ينوي قتله بمسدس ذلك الرجل حتى يلفق له التهمة ؟..لكن لم يكن الأمر بالأهمية التي تجعله يضيع من وقته ليفكر فيه ..المهم أن المسدس في يده وأنه ينظفه بمبالغة حتى يتأكد من خلوه من أي بصمات وعليه أن يتخلص منه فورا .. لكن كيف وأين ؟.

بعد ساعة لف عماد المسدس بعد تنظيفه في كيس ثم خلع الكيس البلاستيك من يده وأسرع بخلع ملابسه وغسلها جيدا كي لا تلاحظ

زوجته أي شيء عليها وتأكد من خلوها من أي أثر ثم وضعها في سلة الغسيل .
خرج من الحمام .. ووقف في الصالة يبحث عن مكان مؤقت ليخفي فيه المسدس ثم قرر الخروج من البيت مرة أخرى ..

بعد نصف ساعة كان قد أخفى المسدس بشكل مؤقت في مكان آمن وبدلا من أن يعود للبيت قرر اللحاق بالشوط الثاني من المباراة على المقهى حتى يثبت تواجده في مكان ما ..حتى أنه تعمد تلك الليلة السهر في المقهى مع بعض المعارف حتى يكون لديه شهود على مكان تواجده .. كل هذا فكر فيه بتوتر وهو يقضي ساعات الليل قلقا ..ثم عاد لبيته قبيل الفجر مصاحبا لأحد الجيران حتى يكون شاهدا على عودته .. لكنه لم يستطع النوم إلى أن جاءهم في الساعات الأولى خبر العثور على بدير.

حين علم بأنه لا يزال حيا تملكه الرعب طوال وجوده بالمستشفى من رد فعل بدير حين يستيقظ ..لكن عقله كان قد تحفز للتفكير في المزيد من الأفكار الشيطانية ووضع أكثر من خطة للتصرف في الموقف ..وكم أسعده طول مدة الغيبوبة حتى اقترب من التصديق بأنه لن ينجو منها لكن خبر افاقته الذي أتاهم صباح اليوم أربكه بشدة ومع هذا لم يسمح لذلك الشعور بأن يؤثر فيه.. كل ما كان يهمه هو أن ينفرد ببدير لبضع دقائق ليتحدث معه ويتفق على كل شيء ..

نفض عماد عنه شروده واستقام واقفا وهو يقول لزوجته واخته" هيا لنعود فيكفي على أخي هذا القدر ..علينا ألا نجهده .."
استقامت كاميليا ونظرت لبدير شاعرة بالإحباط والقلق فهو هادئ هدوءً عجيبا ولا

يتحدث ولا حتى يستجيب لأحد .. نظراته شاردة وكأنه تائه ..وما قاله الأطباء اليوم عن حالته الصحية مقلق ...فلا تتصور أن بدير بهيبته قد يهزمه أي شيء ..ولا تتصور أنها ستكون تحت رحمة عماد الذي بدا منتشيا بما يتناقض مع حجم الكارثة التي ألمت ببيت العسال.

قال عماد لوجدان المصرة على المبيت مع زوجها" هل تريدين شيئا يا أم علاء ؟"

هزت الأخيرة رأسها نافية وعادت لتستند برأسها على كفها بحزن بينما قال عماد لأخيه "سأراك في الصباح يا أبا علاء ولا تقلق .. لقد نفذت كل ما اتفقنا عليه"

عبارته الأخيرة قالها بلهجة ذات مغزى لم يفهمها إلا بدير .. وهو ما جعله يستعيد بعد مغادرة عماد ما حدث له منذ أن استيقظ ..

لقد فتح عينيه عدة مرات بعد منتصف ليل أمس لكنه لم يكن يعي أين هو أو ماذا يحدث .. كان يفتحهما ليحدق في سقف الغرفة لبضع دقائق ثم يعود للنوم حتى الدقائق الأولى من الفجر كما سمع وجدان تخبر الطبيب بأنها حين استيقظت عند الفجر وجدته يحدق في السقف .. بعدها ظل مستيقظا لفترة لكنه كان مشوشا .. كل ما يذكره هو أصوات عديدة من حوله لم يعرف أصحابها .. ميز منهم فقط صوت وجدان وبأنه في مستشفى ما .. لكنه لم يكن قادر على تحريك جسده أو حتى الكلام .. وتناوبت فترات النوم واليقظة حتى بدأ يشعر بالتركيز أكثر لكن حالة جسده كانت كما هي .. وبمجرد أن حضر عماد وأشرف وجهه عليه من علو .. بمجرد أن رآه .. تذكر كل شيء وهاجمه صداع شديد ..

بعد وقت قليل من استيقاظه انتهز عماد خلو الغرفة من الجميع واقترب منه وعاد يطل عليه من علو .. وقتها ظل يتطلع في وجه أخيه ولأول مرة يلاحظ أن ملامحهما متقاربة إلى حد كبير .. كان يشعر بشعور مرعب ..ليس من عماد كشخص وإنما من القادم .. كان مرتعبا من المجهول .. فقد سبق وأخبر الطبيب بأنه غير قادر على تحريك نصفه السفلي فأخبره بأنه سيخضع لبعض الفحوصات لتحديد الحالة.. الشعور بالعجز المسيطر عليه منذ أن استيقظ يشعره بالخوف .. ماذا لو كان قد فقد القدرة على الحركة؟ .. تسارعت دقات قلبه وتلك الخاطرة تعذب أفكاره بينما عيني عماد يطل منهما شعور بالنصر وبالتشفي وبحقد لم يدرك إلا لحظتها بأنه من غذاه .. ومع الحالة التي هو عليها من العجز فالوضع كارثي.

يذكر أن عماد قال له هامسا بعينين حمراوين "علينا أن نتحدث بشأن ما حدث"
ناظره بمقلتين تائهتين ليقول عماد " لو تذكر جيدا ستجد أنك من بدأ الهجوم وأنا كل ما أردته هو أن أذهب معك.. وتذكر بأنك من رفعت عليّ المسدس أولا ومن حاولت قتلي أولا .. وتذكر بأننا كنا ممسكين بالمسدس معا .. (وصمت قليلا يتطلع في وجهه ثم أضاف) المهم علينا الآن أن نضع النقاط على الحروف ..إن أخبرتهم بأني من كنت معك.. سأنكر ذلك .. خاصة وأني استطيع إثبات وجودي في مكان أخر طوال الليل (ومال عليه أكثر هامسا) كما أن أداة الجريمة غير موجودة .. (ورفع رأسه) أي أنه ليس لديك دليل على اتهامي بشيء ولن تستفيد شيئا من ذلك .. بل ستفضح عائلة العسال وستجلب لها العار للأبد .. لن أقول لك فكر في أولادي لكني سأقول فكر في أولادك

الذين سيوصمون بالعار للأبد لأن عمهم قد أصاب أبيهم في مشاجرة "

صمت عماد قليلا ليعطي له فرصة لاستيعاب ما قاله ثم أكمل" كما أنك بحالتك هذه.. لا تؤاخذني ..ستحتاج لمن يرعى شئون العائلة .. ومن يساعدك في فترة علاجك التي قد تطول .. يكفي حالة ساقك السيئة التي أخبرنا بها الطبيب ... فكر في أختك كاميليا التي تحتاج إلى من يسيطر على جموحها واستهتارها (ومال يهمس بلهجة ممطوطة) فكر في البضاعة التي بالمخزن (واعتدل مضيفا) بالمناسبة اطمئن .. لقد ذهبت إلى هناك وكسرت الأقفال وتممت على كل شيء ثم غيرت الأقفال .. فكن مرتاح البال (وتنهد بطريقة تمثيلية وأضاف) نعود لما كنت أقوله .. فكر في كل هذا ستجد بأنه ليس من مصلحتك أن تبلغ الشرطة عني يا أخي أنت ذكي وتعرف ذلك جيدا"

تعاظم الغضب المكبوت في صدر بدير لكنه كان كالمقيد غير القادر على فعل شيء .. واعترف لنفسه بأن ما قاله عماد صحيح بكل أسف فبذل مجهودا للنطق وقال بحشرجة " ماذا تريد؟"

اتسعت ابتسامة منتصرة على وجه عماد ورد " ماذا أريد؟.. هذا سؤال جيد أشعر بالسعادة لأنك سألته..(وتحرك يسحب المقعد إلى جوار السرير وجلس يقول وقد زادت ثقته) لقد تغيرت المقاعد الآن ..وسأدير أنا شؤون العائلة (وأضاف بنظرة خاصة) بما في ذلك شئون البضاعة ..وعليك ألا تخاف عليها لأني سأشاورك في كل شيء حتى لا نخسر .. أما عن استجواب الشرطة لك عن ملابسات الحادث فدعني أخبرك بالخطة التي ستبعد أعين الشرطة عنا ..فهم يحتاجون لاسم لتخبرهم به .. قل لي (لماذا) ... سأقول لك .. لأنك إن

اخبرتهم بأنك لم تر وجه من أصابك ولا تتهم أحدا بعينه هذا سيوسع دائرة البحث حولك لإيجاد الجاني .. وأخشى أن يقودهم ذلك للبحث خلفك واكتشاف ما سيودي بك إلى السجن ..لكن لو أخبرناهم باسم ذلك الغريب صهر سليمان الوديدي سيحصرون البحث عليه هو بالتحديد .. وبذلك يا أخي ستكون قد نفذت ما كنت تطمح إليه عندما سرقت مسدسه .. فبالتأكيد هناك تهمة ما .. كنت تنوي أن تلصقها به .. لذا الحل الأمثل أن تخبرهم باسم كامل نخلة وبذلك ستحقق انتقام قلبك العاشق من بنت الوديدي التي فضلت الشاب الوسيم ابن المدينة عليك .. ماذا قلت في أفكار أخيك العبقرية؟"

صمت بدير مترددا ولم يعرف سبب هذا التردد .. لماذا لم يعد متحمسا لاتهام كامل نخلة ؟.. رغم أن هذا ما كان يسعى إليه من الأساس!

..ولماذا تذكر ذلك الحلم الغريب الذي رآه وهو ملقى في الظلام غير قادر على الحركة ..

قال عماد وقد لاحظ شرود نظراته" إن كنت لا تريد فلا بأس لكن كما قلت لك لابد أن تتهم شخصا بعينه حتى تبعد أعين الشرطة عنا .. آه بالمناسبة لا تحاول اتهام زهير عبد النبي ..فقد بدأت الشائعات فور العثور عليك مصابا بأن زهير هو من حاول قتلك .. والحقيقة كنتُ سعيدا لإلصاق التهمة بزهير حتى علمت من أحد معارفي في الشرطة بأنه قد قبض عليه بالفعل صباح يوم اصابتك ..أي قبلها بساعات ..وبالتالي فإلصاق التهمة به أمر غير منطقي فهو محبوس الآن على ذمة ذلك البلاغ الذي قدمته ضده قبل عدة شهور .. لذا لا يوجد عندنا سوى هذا الغريب صاحب المسدس .."

ظل بدير يتطلع في وجه أخيه الذي اكتشف للتو أنه داهية ولم يعرف لماذا اغتم.. أهو الشعور بالتهديد والخوف من المنافسة أم حزن على أن ينزلق إلى هذا الطريق.

أكمل عماد ثرثرته قائلا بهمس " بمناسبة المسدس .. كنت أنوي أن أتخلص منه .. لكني وأنا أفكر في الخطط أثناء فترة غيبوبتك فكرت في أن أتريث لربما ألصقتها بكامل هذا بطريقة أو بأخرى وبالتالي لو وافقت على خطتي فتأكد من أنه لن يفلت منها أبدا .. أولا هناك شهود على مشاجرتكما قبل الحادث وبأنه قد أشهر في وجهك المسدس ..ثانيا ظهور المسدس ومقارنة الرصاصة التي أخرجوها من جسدك سيتأكدون بأنها خرجت من مسدس كامل نخلة ومع اتهامك له صراحة سيكون كل هذا إدانة كاملة له ستزج به خلف القضبان لعدد كبير من السنوات.. ها ماذا قلت؟"

بلع بدير ريقه بصعوبة وسأله بخفوت " كيف ستوصل المسدس للشرطة ؟"
لمعت عينا عماد وأجاب" لا تقلق سألقي به في طريق من سيأخذه للشرطة .. وبعد الفحص سيكتشفون بأنه ملك لكامل وسيقارنون بالطبع بينه وبين الرصاصة التي خرجت من جسدك لأن حادثة اصابتك هي المتداولة حاليا .. ها اتفقنا يا بدير؟"

عاد بدير من شروده وذكرياته مع ما حدث وما تم الاتفاق عليه مع عماد والذي جعله يضع المسدس بالقرب من مكان الحادث وسلمه من وجدوه للشرطة .. وتحركت مقلتاه تحت جفنيه حين دخل الممرض يقول "سنغير له القسطرة "
فتغضنت ملامح بدير باستياء شديد شاعرا بالمهانة .

xxxxx

بعد منتصف الليل

إن الشعور بعدم الأمان قاتل .. شعور سبق وأن مروا به قبل أكثر من عشر سنوات حين اندلعت الحرب .. فحاولوا الصمود .. التشبث بالأرض لكن الوضع كان صعب التحمل خاصة بعد ما حدث لأخي سوسو الذي سجن ظلما بسبب الوضع السياسي ومات بالسجن وما حدث لأصحاب شامل وكامل.

الشعور بعدم الأمان قاتل وغنيم وسوسو لم يعودا قادران على تحمل المزيد من المحن خاصة مع كبر سنيهما.

الشعور بعدم الأمان قاتل خاصة حين تكون في بلد غير بلدك ..فمهما نجحت في زرع نفسك في أرض جديدة سيظل الشعور بالغربة مختبئا في أعمق نقطة بقلبك .

كانوا قد وصلوا إلى شاليه يملكونه في إحدى المدن الساحلية خارج العاصمة قبل قليل .. وجميعهم لا يعرفون كيف أصبحوا على الطريق بعد أقل من ساعتين من تلقيهم الخبر من مفرح .. خرجوا في سيارتين من الفيلا بعد إطفاء كاميرات المراقبة والاتصال بديمتري يبلغونه بسفرهم لعدة أيام طالبين منه أن يباشر المطعم في غيابهم .. بينما أعطوا زيلا إجازة . كلها أمور حدثت بسرعة وبشعور كبير بالخوف لم يترك لهم مجالا للتروي أو التفكير .. كانوا بحاجة للجوء لمكان آمن .. كانوا بحاجة للتفكير حتى تهدأ سوسو من حالتها المنهارة ..كانوا بحاجة للبحث عن مكان للجوء للمرة الثانية وهذه المرة فعلوها بسبب كامل .. كامل الذي لا يزال لم يخرج من صدمته ولا يستوعب أنه قد أصبح مجرما سيخرج أمر

بالقبض عليه خلال ساعات لاستجوابه في محاولة قتل.

الأمر برمته كان ضربا من الجنون لكنه جنون أفضت إليه مقدمات منطقية كان هو السبب فيها..

ماذا فعل بنفسه وماذا فعل بعائلته؟!!

خروج العائلة كلها معه بدلا من أن يبتعد هو هاربا كالمجرمين هزه بقوة ..أشعره بفداحة ما اقترفته يداه.

جلس على مقعد في صالة الشاليه فجلست بسمة بجواره لا تعرف ماذا تقول وكيف تفكر هي الأخرى ..مصدومة ..مشلولة وتشفق على حالته الصامتة ووجهه الهارب منه الدماء ..

إنها تلك اللحظات التي تتبخر فيها الكلمات وتتلاشى أمام هول الموقف فتصاب الألسنة بالخرس ولا يبقى إلا الندم سيدا للموقف .

نزل غنيم من الطابق العلوي يقول وهو يتوكأ على عصاه بإجهاد "لقد أخذت حبة المهدئ ونامت أخيرا .. أين شامل؟"
ردت بسمة بحشرجة "صعد مع ونس ..فهي متوترة بشدة وتعاني من التقلصات .."
هز رأسه فتركت بسمة مكانها وأسرعت إليه تسأله بترقب لربما وجدت عنده إجابة تطمئنها عن القادم" ماذا سنفعل يا عماه ؟"
رفع كامل وجهه لوالده فتواجها لثوان معدودة لم يستطع كامل الاستمرار بعدها في النظر في عيني والده وأطرق برأسه .

كانت نظرات والده كالسهام النارية تحمل كل ما يجعله يشعر بالخزي من نفسه .. بينما رد غنيم بحشرجة وهو يتحرك ليجلس على أقرب مقعد "المحامي يقول أن موقفه معقد وأن علينا أن ننتظر لنرى ماذا سيقول بدير هذا ..فلو

سمى شخصا بعينه غير كامل ..سيختلف مسار القضية"

قالت بارتجاف " ولو لم يفعل ؟.. لو قال لم أر من أطلق عليّ الرصاص؟"

نظر غنيم لبسمة ولم يرد ..بل فتح أزرار قميصه وقال شاعرا باختناق "ناوليني يا بسمة حقيبة الأدوية"

أسرعت نحو حقيبة صغيرة وُضعت على المنضدة تفتحها وكل ذرة فيها ترتجف بينما قفز كامل من مقعده فجأة يقول " لماذا جئت معكم إلى هنا ؟.. عليّ أن انتظر استدعاءهم لي لأخبرهم بأنني لم أفعلها ..هناك من سرق مسدسي ليوقع بي ..بالتأكيد هناك مخرج"

هدر غنيم غاضبا وهو يمسك بصدره " اسكت ..لا تقل شيئا ولا تتحرك من هنا حتى نرى ماذا سيقول الرجل عند الأخذ بأقواله .. وبعدها

نحدد حجم المصيبة التي لا أعرف حتى الآن
كيف سنخرج منها"
امتقع وجه كامل وتحرك مغادرا للمكان
..فأسرعت بسمة خلفه تنادي عليه لكنه لم
يرد كان غاضبا متوترا ويشعر بالخزي.
حين لحقت به على باب الشاليه هتفت "كامل
إلى أين؟"
لكنه لم يرد بل ظل يتحرك فوق الرمال متجها
نحو البحر ووقف أمامه تائها بين المد والجزر
كالأمواج السوداء الغاضبة أمامه وتحت سماء
أشد سوادا كهذا اليوم الذي يعيشه .

xxxx

بعد يومين

ظهرا

"إذن أنت تتهم كامل نخلة بمحاولة قتلك؟"
كانت ضربات قلبه تضرب بعنف في صدره ..
ماذا دهاه؟ .. لماذا يشعر بالتردد؟ .. ألم يقرر

أن يجاري عماد في خطته للأسباب الوجيهة التي أخبره بها أخوه ؟.. ألم يقرر أن يجاريه في كل شيء حتى يسترد صحته ويقف على قدميه من جديد ثم ينتقم من عماد شر انتقام على كل ما بدر منه؟.

همس بدير بضعف "نعم"

سأله الضابط الجالس بجوار سريره في المستشفى " ماذا حدث بالضبط؟"

صمت قليلا ثم قال بصعوبة" لا أعرف ..كنت أسير بسيارتي فوجدته يغلق عليّ الطريق كما حدث في اليوم الذي سبق وشاهده الكثيرون .. عاندنا بعضنا في مرور السيارتين وتشاجرنا فانفعل وأخرج مسدسه وأصابني بمسدسه ثم هرب"

"إلى أين كنت ذاهبا في هذا الطريق المهجور ؟"

بلع بدير ريقه ورد " إنه طريق مختصر أحب أن أخرج منه على الطريق الرئيسي بين القرى

اختصارا للوقت .. كنت ذاهبا لأشتري شيئا من المدينة "

صمت الضابط يدقق في وجهه ثم سأله " هل كان معه أحد بالسيارة؟"

"لا"

"كم كانت الساعة بالضبط؟"

"لا أذكر بالتحديد كان وقت المباراة التي كانت تذاع ليلتها"

"أ هذا كل شيء؟"

"نعم"

استقام الضابط واقفا وقال " عموما إن تذكرت أي شيء أخر أبلغنا"

هز بدير رأسه وأغمض عينيه يشعر بالإجهاد الشديد وكأنه قضى عمره يلهث .. وشعر بالعطش .. ذلك الشعور الذي يسيطر عليه منذ أن استيقظ .. لكنه كلما شرب لا يصل للارتواء أبدا .

xxxx

عند المغرب

حركت أم هاشم رقبتها وكتفيها بألم وهي تجلس أمام طاولة السفرة وقد أوشكت على الانتهاء من عمل حلتين ضخمتين من المحشي .. هذا ما وصل إليه تفكيرها .. فلا تزال تشعر بعدم الراحة من طلب صباح منها أن تطبخ لهم عشاء الضيوف واعتذارها عن تلبية هذا الطلب واعتذار جابر لعمها.

قالت نجف بشفقة" ألم تنتهي بعد يا أم هاشم لقد أرهقتِ نفسك.. "

قالت أم هاشم بإجهاد "قاربت على الانتهاء"

غمغمت الأخرى "جزاك الله خيرا بما تفعليه يا ابنتي "

قالت أم هاشم وهي تلف المحشي وترصه في إحدى الحلل " والله يا خالتي رغم التعب لكني أشعر بالراحة أكثر ..وإن شاء الله هذا المحشي

سيساعد معهم في العشاء الذي سيقدمونه فرغم ما أرسله جابر لبيت عمي صباح اليوم من هدايا أكثر الله من خيره .. والهدية التي أهديتها أنا لرباب .. لكني أعرف بنات عمي وزوجته .. لسن بارعات بالمطبخ وسيحرجن أنفسهن مع الضيوف"

ضحكت نجف وقالت" أضحكتني صباح وهي تحكي أخر مرة عن زوج ابنتها سامية الذي صدم حين علم بأنها لم تكن هي التي تطبخ أثناء فترة الخطوبة"

ابتسمت أم هاشم وهي تتذكر ثم قالت" الحمد لله أن الرجل عاقل ولم يعنفها ..بصراحة لم أكن أحب أن يكذبن عليه"

قالت نجف باستنكار "وهل هذا شيء يمكن الكذب فيه؟.. من حقها حماتها أن تغضب منها ليس لأنها ليست ماهرة في الطبخ ولكن بسبب الكذب "

فتح جابر باب البيت ودخل يقول" السلام عليكم"

ردا السلام بينما عقد هو حاجبيه وقد لفت انتباهه الحلتين الضخمتين فوق المنضدة فسألها" ما هذا؟؟"

ردت نجف موضحة " أم هاشم قررت أن تطبخ حلتين كبيرتين من المحشي وترسلها لهم ما دمت لا تريدها أن تذهب من أول النهار يوم غد "

اشتعل الغضب في صدر جابر وهدر بقوة فاجأتهما " ألم أقل لا؟؟؟؟"

تفاجأت أم هاشم مثل نجف برد فعله العنيف فناظرته باندهاش ليندفع جابر نحوها صائحا وهو يضرب على المنضدة بعنف" ألم أقل لا لن تطبخي لأحد !!!"

ارتبكت وردت " أنت لم ترغب في أن أذهب من أول اليوم وأقضي الوقت خارج البيت فقلت لو أساعدهن في عمل المحشي هنا في الـ...."

هدر مقاطعا " أنا قلت لا .. ألم أقل ذلك يا أم هاشم؟؟ "

استقامت واقفة وتبادلت النظرات المندهشة مع حماتها ثم ردت بارتباك " ظننت ..ظننت.."

تدخلت نجف تقول " ما المشكلة يا جابر .. إنها في بيتها ولم تخرج .. وسترسل.."

قاطعها جابر حينما أدار وجهه الغاضب نحوها يقول باستنكار" سترسله ليتغزل الرجال في طعام زوجتي!! .. سترسله ليتمتع العريس بطعام من كان يرغب في الارتباط بها ويحكي ويتغنى أمام أهله بمهارتها في الطهي !!"

اتسعت عينا نجف وهي ترى الغضب يشتعل في عينيه بشكل لم تره إلا نادرا بينما ترقرقت عينا أم هاشم بالدموع مصدومة.

في الوقت الذي أحس جابر بالحرج من الحالة التي سيطرت عليه لكن شعوره بالغيرة كان خارجا عن السيطرة فاستدار لأم هاشم قائلا بغضب "لماذا لم تلتزمي بما قلت ؟؟؟"

قالت بحشرجة تداري سعادتها الممزوجة بالصدمة " أنا فهمت أنك.."

قاطعها مجددا وقد جن جنونه " لا تفهمي شيئا مرة أخرى غير الذي أقوله (وأمسك بإحدى الحلل يحملها مضيفا) وهذا الطعام سأرميه في القمامة"

أسرعت بالإمساك بالحلة تقول بسرعة" إنها نعمة الله يا جابر"

أفاق من حالته وترك الحلة مستغفرا ثم استدار مبتعدا وهو يردد الاستغفار بصوت عال ..

فراقبته وهو يصعد غاضبا ثم نظرت لحماتها التي أشارت لها بيدها قائلة بهمس" اصعدي خلفه فورا وراضيه"

بعد دقيقة كانت أم هاشم تدخل من باب الغرفة تلهث ..فوجدت جابر واقفا يفتح أزرار جلبابه الأمامية يهم بخلعه ولم ينظر في اتجاهها حيث كان مكفهر الوجه غاضبا بشدة .. فاقتربت منه دامعة العينين تقول بحشرجة "أنت رفضت لأنك تغار عليّ ؟"

لم يرد عليها بل هدر صائحا وهو يرفع سبابته في وجهها" إياك أن أقول شيئا مرة أخرى ولا تنفذيه"

لم تستطع الكلام .. كانت متأثرة بشدة فهزت رأسها بطاعة وهي تقترب منه وتحيط ذراعيها برقبته معانقة لكنه لم يستجب لعناقها ولم تلين ملامحه .. كان يغلي بالغيرة فقال وهو لا

يزال غاضبا " لن تهدئيني بهذا الشكل يا بنت الشيخ "
غمغمت وهي تشدد من ذراعيها حول عنقه وتقبل رقبته " حاضر لن أفعلها ثانية"
أبعدها عنه يقول عابسا "هذه آخر مرة يا أم هاشم .. وأريدك أن تقصري في كل ما يخص محسن هذا خاصة وأنه قد أصبح صهركم وسيتواجد كثيرا"
مسدت على لحيته الرمادية وهي تهز رأسها وتبكي ثم استطالت تقبل شفتيه المزمومتين لكن ملامحه العابسة لم تلين بل أبعدها ليناظرها قائلا" لماذا تبكين الآن؟"
ردت بخفوت متحشرج " لأني لا أصدق أنك تغار عليّ إلى هذه الدرجة"
رد عابسا" وهل صدقت الآن؟"

تغضنت ملامحها بتأثر وهزت رأسها بالإيجاب
فقال بعبوس" أ يعجبك الحالة التي أبدو
عليها؟"
هزت رأسها بالإيجاب فرفع حاجبا مغتاظا يقول
باستنكار" يعجبك!!!"
ضحكت من بين دموعها وهزت رأسها نافية ثم
قبلت شفتيه مجددا ليقول لها بعد أن أطلقت
سراحه "اقسم بالله دمي لا زال محروقا"
حضنته بقوة وهي تقول " بعيد الشر عليك من
حرقة الدم لن تتكرر أعدك"
ابتعدت عنه تتطلع في وجهه الذي لا يزال
عابسا ليقول جابر بتوبيخ" وبالطبع أهلكت
نفسك فهاتان الحلتان بالتأكيد أخذتا النهار كله
.. انظري لوجهك المرهق... كيف طاوعتك أمي
على هذا لا افهم!!"

وضعت قبضتها أمام فمها تناظره متصنعة البراءة فقال مستمرا في عبوسه" ابتعدي يا أم هاشم دعيني أبدل ملابسي"
أخرج الجلباب الأبيض من عنقه وخلعه فقالت أم هاشم بحذر وهي تأخذ الجلباب منه" أريد أن أقول شيئا ولكن لا تنفعل ..هو فقط مجرد سؤال"
ناظرها متحفزا فقالت " لقد قمت بعمل كمية كبيرة من المحشي فماذا سنفعل بها؟
قال بامتعاض "ضعيها في البراد"
قالت موضحة "الكمية كبيرة يا جابر"
أشاح لها بيده قائلا بعصبية" وزعيه على أهل الشارع (ثم استدرك قائلا) لا .. ولا حتى أهل الشارع ..فكلهم سيعرفون من التي صنعته ولا أريد لأحد يعرفك أن يتغزل في طعامك"
ضحكت وهي تمسح دموعها قائلة" جبر الله بخاطرك في الدنيا والآخرة"

استدار عابسا يرتدى ملابس بيتية رياضية
فعادت تسأله بإلحاح" ماذا سنفعل يا جابر؟"
ظل صامتا لفترة دون رد ثم ناظرها بعد قليل
قائلا بنظرة لامعة" أنا سأقول لك ماذا سنفعل
..سأتصل بالجزار وأطلب منه لحما وسنسلقه
..وأحضر لك أطباقا من الفوم ونعد اطباقا من
المحشي مع اللحم ونغلفها .. ثم أنزل أنا لمركز
المحافظة وأوزعه على الفقراء بنفسي ونقتسم
الثواب أنا وأنت ما رأيك؟"
غمغمت بلهجة متأثرة" ونعم الرأي"
قال يهز رأسه وقد بدأ يهدأ " نتعشى ثم
ترتاحين قليلا وبعدها نسهر لنعد الأطباق سويا
..حتى من الممكن أن تسلق أمي اللحم أثناء
راحتك لن تعترض "
هزت رأسها ثم عادت تحضن وجهه بيديها
وتستطيل لتقبل شفتيه ثم همست بلهجة

عاطفية ساخنة وهي تداعب لحيته" سأنزل لأسخن الطعام.. صينية بطاطس بالدجاج.."
قاطعها يقول بعناد صبياني" لاااا ... سأكل من المحشي اليوم.. سوي لي طبقا"
اتسعت ابتسامتها وهي تتطلع فيه لبرهة ثم عانقته بقوة وهي تقول" حاضر ..أنت تطلب روحي يا جابر ولن أؤخرها عنك "

xxxx

"ابني ضاع يا غنيم افعل شيئا.. حلفتك بالله أن تفعل شيئا"
قالتها سوسو في حالة انهيار منذ أن أخبرهم مفرح بما قاله بدير عن اتهامه بمحاولة قتله بينما وقفت بسمة تعاني ضيقا في التنفس وهي تتطلع في كامل الواقف مطرق الرأس واجم الوجه يتنفس بانفعال ..ولم يكن شامل أفضل منه وهو يحاول تصور القادم بينما ونس منزوية في صمت تمسك ببطنها .

أما غنيم فكان جالسا منحني الظهر مستندا على عصاه فالضربة هذه المرة قوية وقاتلة.
تكلمت بسمة وهي تنظر في وجوههم "والحل .. ماذا سنفعل؟ .. ماذا سيفعل كامل؟"
غمغم شامل بضيق " هذا هو السؤال ؟؟ماذا سنفعل؟.. فالمحامي يقول بحسب ما عندنا من معلومات أن موقفه صعب خاصة وأنه كان في قرية صغيرة أي ليس هناك كاميرات قد تثبت وجوده في مكان ما لو كان بالعاصمة لربما تواجد في المطعم وقتها وسجلت الكاميرات ذلك أو التقطت الكاميرات أمام الفيلا دخوله أو خروجه"
صرخت سوسو بانفعال" تكلم يا غنيم"
قال بغضب " وماذا سيفعل غنيم في مصيبة كهذه؟.. الأمر بالقبض عليه سيصدر خلال ساعات وبالتأكيد سيبحثون عنه .. وليس من المنطقي أن يسلم نفسه دون أن يكون معه

دليل براءته ..لكن في موقف كهذا ماذا سنفعل ..المسدس يخصه والرجل اتهمه صراحة والناس شهدوا بأنه سبق وأن هدده .. (ونظر لكامل يقول بلهجة غاضبة) ماذا سأفعل أخبرني؟"

هتفت بسمة بلوعة " نفعل أي شيء ..أي شيء (ونظرت لكامل تقول) عليك أن تختفي حتى نجد دليلا لبراءتك ..ولابد أن نعرف تفاصيل القضية والملابسات حتى نبحث عن الدليل "

قال شامل متسائلا " أين سنخفيه إنهم سيأتون للفيلا قريبا .. وبالطبع سيبحثون عنه في كل مكان"

تكلمت سوسو بسرعة " يسافر .. يسافر بسرعة إلى أي مكان"

هتفت بسمة بقلب مقبوض "يسافر!"

ردت سوسو بتأكيد "أجل يسافر وبسرعة حتى نبعده عن يد الشرطة

قال شامل باعتراض " وهل هذا حل؟"
صرخت فيه " أجل هذا هو الحل .. كان يوما أسودا يوم أن قررت البقاء هنا يا كامل وعدم السفر لأمريكا .. كان يوما أسودا"
أطرقت بسمة برأسها وهي تقف بجوار كامل ممسكة به .. وكلمات حماتها تخترق قلبها كخنجر ثم رفعت وجهها بعد برهة تتطلع في صمته ونظرته المحدقة في الأرض أمامه .. يداه في جيبه شارد الفكر مغموم النفس بينما قال شامل مفكرا " أعتقد أن تأشيرته لأمريكا لا تزال سارية لكن المشكلة هي المخاطرة في الذهاب للمطار الآن .. القرار كما قال أبي سيصدر قريبا وربما صدر والخبر بالتأكيد انتشر في البلدة كلها الآن فلا أعتقد أنه يمكن أن يغادر بالسفر بالطيران "
وضعت بسمة يدها على فمها ..فنظر إليها كامل وتشخصت أمامه نتيجة تصرفاته كشبح

مخيف يكبر ويتضخم مع كل دقيقة تمر به منذ ثلاثة أيام بينما ازداد حزن بسمة.. فكل شيء انهار فجأة ولم تعرف السبب .. بعد أن بدأت حياتها تتخذ المسار الصحيح.

رن هاتفها فانتفضت مجفلة ثم أغلقته .. كانت مليكة وبالتأكيد علمت من مفرح.

اجفالها من الاتصال لم يخف على كامل كل ما يحدث حوله منذ أن جاءهم الخبر لم يخف عنه .. كل ردة فعل .. كل نظرة قلق وخوف منهم.. كل انفعال ..كل هذا أثر فيه بشدة حتى ونس المنكمشة الصامتة على غير عادتها تمسك ببطنها .. كل ألم تشعر به اللحظة من التوتر هو السبب فيه .. كيف سيتحمل ذنبهم جميعا .. لأول مرة يفكر بهذه الطريقة .. لقد كان دوما معتزا بنفسه فخورا بها يتصرف بثقة حتى وهو في بلد غريب .. كيف زلت قدماه؟..

كيف تهور بهذا الشكل؟.. وكيف ورط عائلته بهذه الطريقة .

قالت بسمة "لابد أن نخفي كامل لفترة حتى نجد دليلا على براءته .. سأتصل بمفرح هو له علاقاته وبالتأكيد..."

أمسك كامل بمعصم يدها التي تحمل الهاتف وقال لها بحشرجة خافته مهزومة "مفرح له وضع حساس في البلدة ..وبمجرد أن يصدر الأمر الرسمي بالقبض عليّ سيكون صعبا عليه أن يعاون مطلوبا للعدالة على الاختباء"

انهارت سوسو وصاحت مولولة" مطلوب للعدالة!!.. أنا لن اتحمل هذا .. لابد من حل .. لابد أن يسافر ..سننفضح بين الناس والفضيحة لن تكون في محيط المعارف فقط (ونظرت لشامل مردفة) شامل أصبح مشهورا وسيزج باسمه في الموضوع وسننفضح في كل

مكان وسيدمر مستقبله والمطعم سيغلق أبوابه"

تساءل شامل مفكرا" ومن أين سنحصل على تأشيرة لبلد أخر بهذه السرعة؟ إن هذا مستحيل"

هتفت بسمة" نخفيه حتى يحصل على التأشيرة"

قال شامل مقارعا " بمجرد أن يصدر أمر بالقبض عليه ستبلغ كل المطارات والموانى بمنعه من السفر"

صرخت سوسو بهيستريا "ابني لن يبيت في قسم الشرطة يوما واحدا (وهزت زوجها تضيف باكية) ابني غريب عن البلد ومتورط يا غنيم ماذا سيفعلون به بالداخل"

تطلعت فيها بسمة وونس بشفقة متفاجئتين بحالتها الهيستيرية بينما أطرق غنيم قائلا "سأبحث موقفه مع المحامي يا سوسو إن شاء

الله إن كان هناك مخرج وسأوصي عليه بداخل السجن إن حبس على ذمة التحقيق "
صرخت بجنون " لا .. توصي من على من؟!!
..توصي على وافد من غير البلد؟.. أم توصي على كامل الذي لن يتحمل نظرة فوقية أو معاملة غير لائقة وسينفعل ويوقع نفسه في المزيد من المشاكل داخل السجن ويعقد الأمر"
مرة أخرى شعر كامل بالخزي وتعاظم إحساسه بالذنب وهو يرى صورته في عيون الأخرين .. ألهذه الدرجة هو متهور للحد الذي يجعل والدته لا تثق في تصرفه في ظرف كهذا ... أهو بهذه الرعونة ؟.. أكان يحتاج لأن يقع في مصيبة كهذه حتى يرى نفسه في عيون الأخرين؟..

انهارت سوسو بالبكاء فجلست ونس بجوارها تربت على ظهرها..
وساد الصمت المنتحب حتى رفعت سوسو رأسها تقول بوجه مغرق بالدموع "نهربه خارج البلد"
طالعوها بصدمة فصرخت" لماذا تنظرون إليّ هكذا؟.. أجل نهربه من البلد ..هل تطلبون مني أن أسلم ابني البريء للشرطة؟؟"
قال غنيم محتفظا بهدوئه " يا سوسو اهدئي ودعينا نفكر "
انتفضت تقول بهستيريا" نفكر في ماذا؟.. هل هناك أي حل أخر؟؟؟"
تدخل شامل قائلا" بهروبه سيثبت على نفسه التهمة يا أمي "
ردت على ابنها بعصبية " وهل حينما يدخل السجن سيقدر على إثبات براءته والخروج ؟"

أجاب عليها غنيم " ربك لا يرضى بالظلم يا سوسو"
غلبها البكاء وهي ترد عليه " هناك من ماتوا في السجن مظلومين يا غنيم وأنت تعرف "
أغمض عينيه لثوان وهو يعلم من تقصد ثم رد عليها مقارعا "بعيدا عن أي شيء ..هذا عمره هل ستكفرين بالله؟"
قالت باكية " ونعم بالله .. لكن لا تطلب مني أن أسلم ابني للشرطة.. (وناظرتهم جميعا تضيف) لماذا لا يشعر بي أحد؟ ..لماذا؟"
قالتها وأجهشت بالبكاء الصامت فاستمرت سياط العذاب تجلد كامل في الوقت الذي وقفت ونس تربت على ظهر حماتها والألم يمزق قلوب الجميع لتقول بسمة وقد غامت الرؤية أمامها "لو هذا هو الحل الوحيد نهربه إذن "

ردت عليها سوسو مؤيدة " أجل لابد أن نهربه .. ندفع أي مبلغ مطلوب ونهربه"
هتفت بسمة بسرعة "أنا معي نقود .. خذوا ما تريدون (وسقطت دمعة فوق خدها فمسحتها وهي ترفع أنظارها لكامل الواقف بجوارها قائلة) ندفع أي مبلغ لنرحل من هنا يا كامل "
جلدة أخرى جُلد بها كامل الذي توقفت أطرافه عن الاستجابة للحركة .. حتى لسانه كان معقودا يناظرهم بنظرة صامتة ذاهلة.. فكل ما يحدث كان أقوى من الصدمة نفسها بينما أمسك شامل برأسه واستدار مبتعدا في عصبية متخليا عن هدوئه المعهود وأخذ يضرب بقدمه أحد المقاعد بقوة وغضب شديدين فراقبته ونس بقلق .
قالت سوسو لغنيم بلهجة مترجية "ماذا قلت؟.. هل ستبحث عن طريقة لتهريبه؟"

تنهد غنيم وقال وهو غير قادر على استيعاب الفكرة بعد " يا سوسو هل سيفر كالجبان !"
ردت ساخرة " لا سيدخل السجن شجاعا ليعاقب على جريمة لم يرتكبها!"
قارعها غنيم " الفضائح التي تخافين منها ستحدث أيضا حينما يهرب.. وبدلا من أن يقولوا سُجن أخو الشيف شامل سيقولون ارتكب الجريمة وهرب"
استدار شامل يرد على والده لاهثا" لكنه على الأقل سيكون في أمان"
طالعه كامل بينما قال غنيم " حتى أنت يا شامل !"
حاول الأخير استعادة هدوئه ورد بحشرجة مكفهر الوجه " وهل هناك مخرج غير هذا؟ .. بالنسبة للفضيحة فحدث ما حدث ..وإن وصل الوضع للاستغناء عني في البرنامج لن

أستطيع أن أفعل شيئا فالفضيحة آتية لا محالة وعلينا التعامل معها "
هتفت سوسو وكأنها قد تذكرت شيئا" ماذا لو اتهموا شامل أيضا؟"
ناظروها جميعهم فهتفت موضحة " الرجل قال رأيت كامل وبالطبع شامل سيتم التحقيق معه هو الأخر لتطابق شكله مع كامل"
اصفر وجه ونس وهتفت مرتعبة" شامي!!!"
أسرع شامل بالقول "أنا كنت خارج البلد يا أمي ولم أعد إلا من يومين وهذا سهل إثباته "
تنفست ونس الصعداء بينما قال غنيم" ومع هذا سيستدعونه من وقت لأخر لو هرب كامل ليتأكدوا من أنه ليس هو (وأضاف مستسلما بعد قليل من الصمت" يبدو أنه ليس لدينا حل أخر .. لابد أن نجد من يستطيع تهريبه من البلد .. وأضاف بلهجة حزينة مستاءة) لكن هذا الموضوع خطير ولو قبض عليه..."

عاجلته سوسو بالرد باكية " لو بقى سيقبض عليه أيضا يا غنيم"

رفع الأخير أنظاره لكامل فتطلع الأخير في وجه والده معقود اللسان ولم يستطع الرد .. فلم يكن لديه ما يقوله .. ليطرق غنيم رأسه قائلا "الله المستعان"

اندفعت بسمة قائلة بصوت مخنوق بالبكاء وهي تمسك بذراع كامل " وأنا معه ..سأذهب معه"

رفع إليها حموها أنظاره قائلا بعصبية" تذهبين معه أين؟.. إنه سيهرب محشور في إحدى سفن البضائع بالبحر أو عبر الصحراء بالبر أو ما شابه ذلك"

قالت بعاطفة قوية وهي تلتصق به " لا يهم سنذهب بأي طريقة ..أنا معه"

تكلم كامل بصعوبة قائلا بحشرجة " هذا صعب يا بسمة"
رفعت إليه عينيها الزرقاوين مليئتين بالدموع قائلة " أنا معك إلى أي مكان"
تغضنت ملامحه ورفع يده الثقيلة بصعوبة يلمس خدها بكفه بحركة خاطفة بينما قال شامل برد قاطع " ستبقين هنا يا بسمة وحين يسافر سنرى كيف ستسير القضية.. لو لم نستطع إثبات براءته ستسافرين له إن أردت فهو لن يستطيع دخول البلد بعدها"
تأثر كامل من العبارة الأخيرة وتعجب من تأثره متذكرا رغبته قبل عام في الهجرة بينما قالت بسمة "من الغد سأستخرج جواز سفر و..."
رد شامل " اهدئي يا بسمة ..السفر خلفه مباشرة سيكون محفوفا بالمخاطر حاليا .. لنرى سير القضية أولا"

هتفت مفجوعة وهي تلتصق بكامل " هل سأنتظر حتى تنتهي القضية كي أراه!!"
رد غنيم بلهجة مؤنبة " أو نثبت براءة سيادته"
نظرت بسمة لكامل بغير تصديق أنها قد تفارقه .. فزادت نظراتها المعذبة من شعوره بالألم وعذبه اجهاشها بالبكاء وهي تتشبث بملابسه وتدفن وجهها في صدره فوضع يده على رأسها يطحن ضروسه وتلاقت عيناه بعيني والدته اللتين تحملان لوعة أم توشك على فقد ولدها قبل أن تجلس الأخيرة مستسلمة وتجهش بالبكاء هي الأخرى.
قال غنيم بعد بعض الوقت من التفكير" أنا وسوسو لابد أن نعود للفيلا حتى لا نثير القلق والشكوك حولنا .. وأنت يا شامل ستظل أنت وونس مع كامل وبسمة هنا لأنه لو طلب كامل للتحقيق فستجر للشرطة للتأكد من أنك لست هو ..ونحن نرغب في بعض الوقت قبل هذه

الخطوة .. لذا سأعود أنا وسوسو ولو سألتنا الشرطة سنخبرهم بأنكم في سفرة لكننا لا نعلم أين وفي الوقت نفسه سأرى ماذا يمكن أن أفعل لتهريبه (وصمت قليلا ثم حك جبينه بألم قائلا) يا الهي ..لا أصدق أني أقولها هكذا ببساطة (تهريبه) وتماسك قائلا وهو يرفع أنظاره للجميع "نحن في ورطة كبيرة .. زلزال قوي قد ضرب عائلتنا في مقتل ..وبقدر التكاتف والتوكل على الله والسعي في الخروج من الأزمة ..بقدر ما سيحفظنا إن شاء الله .. جددوا النية مع الله وأنا ثقتي في الله كبيرة أن يلهمنا الصواب .. (وأشار لولديه) اطلبوا لنا سيارة خاصة لتقلنا إلى العاصمة أنا وسوسو"

قال شامل "أنا سأوصلكما "

قال غنيم بصرامة " قلت ابق مكانك ولا تظهر هذه الأيام وسنرى ماذا سيحدث في الأيام

القادمة .. واتكالنا على الله الذي لا يغفل ولا ينام "

xxxx

بعد أربعة أيام

قال سليمان الوديدي مبررا "المسدس سرق بالتأكيد ..صهري ابن أكابر ولن يلجأ أبدا لأفعال الشوارع هذه"

رد عليه أحد الواقفين من أهل البلدة في وقفتهم في الشارع الذي يقع فيه بيت الوديدي ومزرعته " لكن الكل يعلم بأنه يغار على زوجته بشكل مبالغ فيه يا حاج سليمان "

رد الأخير وهو يلملم عباءته " تعلمون الباشمهندسة حباها الله بالجمال ومن حقه أن يغار عليها .. لكنه بالتأكيد ليس مجنونا ليفعلها"

قال أخر " بصراحة الناس رأوه أكثر من مرة يهدد هذا وذاك بالقتل يا حاج "

عاد سليمان للتبرير " كان مجرد تهديد وستثبت براءته خلال الأيام القادمة ..(وتحرك مبتعدا وهو يقول) لا تؤاخذوني عندي اتصال هام لابد أن أجريه "

قالها منسحبا وعادت ملامحه للتجهم ..فمنذ أن انتشرت الأخبار في البلدة بأن صهره حاول قتل بدير وهو لا يعرف بم يرد عليهم .. تحرك مقتربا من بيته في الوقت الذي خرج فيه وليد منه عابس الوجه وهو يقول لمهجة في الهاتف " انزلي لأمي يا مهجة فهي راقدة من الحزن واخبرتني المساعدات بأنها رفضت طعام الإفطار "

أغلق الخط بعد دقيقة وتلاقت أنظاره مع والده ليبادره سليمان بمجرد أن اقترب منه قائلا " ماذا سنفعل الآن ؟.. لقد فضحنا وأصبحت سيرتنا على كل لسان .. فضحنا بهذا النسب الذي لم يعد يشرف"

قال وليد بضيق " يا أبي لم تثبت التهمة عليه بعد"

همس سليمان بانفعال " وهل سيحتاج الأمر لغير ذلك لإثبات إدانته ؟.. مسدسه والشهود واتهام بدير"

رد عليه وليد " أنا وأنت بتنا نعلم حقارة بدير العسال"

قال سليمان من بين أسنانه هامسا " الشرطة ليس عندها سوى الدلائل.. وهذه القضية لن يستطيع الخروج منها حتى لو كان بريئا كما تدعي أختك المصون التي لا ترد على اتصالاتي"

حك وليد جبينه بإرهاق ورد على والده " لأنها في وضع صعب يا أبي وأنت انفعلت عليها في الهاتف حين علمت وهي ليس بيدها شيء لتفعله "

قال سليمان بغيظ من ردود ابنه التي باتت باردة " وهل يعجبك ما يحدث ؟.. هل أنت قادر على التعامل معه؟"

أجابه وليد معترفا " لست كذلك ..ولا أعرف من أصدق.. هل فعلها كامل حقا .. أم دبرت له مكيدة .. وللأسف تشاجرت مع نصف أصحابي بسبب هذا الموضوع .. عموما علينا تحمل كلام أهل البلدة حتى نرى كيف ستسير القضية"

سأله سليمان ساخرا " وأين مفرح أفندي ليخبرنا بأي معلومات جديدة عن القضية "

قال وليد وهو يضع الهاتف في جيبه " أترك مفرح في حاله يا أبي فهو في حالة عصبية سيئة منذ أن خرج أمر بالقبض على صاحبه"

سأل سليمان ولده بحيرة " وماذا سنفعل إن حكم عليه بالسجن؟"

تنهد وليد ورد بحيرة أكبر " لا أعرف فبسمة تحب زوجها ومتعلقة به "
قال سليمان هامسا من بين أسنانه "وهل ستظل على ذمة مجرم محكوم عليه بالسجن؟!!.. ماذا عن سمعتنا ..ومصالحنا !! "
قال وليد بإرهاق " هذا سابق لأوانه يا أبي أرجوك"
غمغم الأخير بغيظ " سابق لأوانه! .. أي أن علينا أن نبقى في هذا الوضع المخزي حتى يأتي هذا الأوان الذي لا أعرف متى (واستدار يتحرك نحو بوابة المزرعة يضرب جانبيه بقنوط مبرطما) ما هذا النحس يا ربي ما هذا النحس!"
أما وليد فأطرق برأسه ولم يعرف كيف يتصرف .. فالفضيحة باتت تلاحقهم وتضيق عليهم الخناق في كل مكان .. وفي الوقت نفسه بسمة تدافع عن زوجها باستماتة .. وهو لا يعرف كيف سيتصرف لو حكم عليه وتمسكت هي

بالبقاء على ذمته .. هذا الامتحان صعب عليه .. وهو لا يريد أن يخسر بسمة مرة أخرى.

xxxx

علا نشيج بسمة فقالت مليكة بتعاطف شديد "تماسكي يا بسمة أرجوك ..شدة وستزول بإذن الله"

قالت الأخيرة من بين دموعها " الوضع صعب يا مليكة ..لا أستطيع التصور بأننا سنفترق لفترة لا نعرف مداها ..والقادم مبهم ..ولو قبض عليه .. لو قبض عليه .. "

علا نشيجها ولم تقدر على التحدث فتحرك كامل الذي كان قد اقترب من الغرفة قبل دقيقة وسمع بالصدفة مبتعدا وقد اشتد به الغضب من نفسه ومن كل شيء ..

إنهم في حالة من الوجوم والحزن منذ أيام حتى هو وشامل لا يتحدثان إلا بالكاد .. متحاشيان انفعالا قد يحدث بينهما خاصة وهو يعلم جيدا

أن شامل يرغب في ضربه ويدرك في قرارة نفسه أنه يستحق ذلك.

ابتعد مندفعا إلى خارج الشاليه عازما على شيء ما وقد فقد صبره الذي يحاول أن يتحلى به كل هذه الأيام ..في الوقت الذي انتبه شامل الواقف في المطبخ مع ونس يعدان طعام الغداء فأسرع باللحاق به على باب الشاليه قائلا" إلى أين؟"
كان المطر ينهمر بينما البحر في حالة هياج
خلفه فقال كامل وهو يتحرك على الرمال قاصدا السيارة المرابطة في الشارع المجاور"
سأذهب الى ابن(***) هذا .. فما دمت قد حاولت قتله كما يقول فدعني أنفذ ذلك حقيقة حتى أبرد ناري على الأقل .. فلن أدخل السجن مظلوما ومقهورا في نفس الوقت"
هتف شامل خلفه " عد يا كامل فالوضع لا يحتمل جنونك "

تسارعت خطوات كامل فوق الرمال هاتفا تحت المطر" أنا لن أتحمل البقاء مكبلا انتظر لحظة القبض عليّ ما دام ليس هناك مفر من سجني فسأسجن لجريمة ارتكبتها بالفعل"
كان في حالة هياج عصبي وقد استبد به اليأس.. وكأنه أراد معاقبة نفسه لا معاقبة بدير فأسرع شامل بالحاق به ومنعه قائلا" تعقل ولا تزيد من الوضع سوءا"
هتف في وجه أخيه بلهجة غاضبة يائسة " إن الوضع سيء بالفعل ..سيء لدرجة توحي بأني انتهيت ولم يبقى إلا أن تنزل كلمة (النهاية) بموتي حتى ترتاحون جميعا من وجودي في حياتكم "
أمسك بذراعه يسحبه قائلا " تعال عد إلى الداخل"
نفض الأخر ذراعه هادرا " اتركني يا شامل"

انفلتت أعصاب الأخير ولم يستطع تحمل الضغط العصبي أكثر من ذلك فأخذ يدفع توأمه في صدره صائحا مع كل عبارة " ماذا تريد ها؟.. ماذا تريد؟.. ألا يكفي ما وصلنا إليه بسببك ؟..ألا يكفي ما يمر به أبي وأمي وهما في هذا العمر ؟..ألا يكفي ما قاسته أمي بوفاة خالك في السجن وأنت تعلم أن هذا الأمر لم تستطع نسيانه .. كل هذا بسبب من ؟.. بسبب تهورك .. بسبب عنجهيتك ورعونتك ..بسبب ثقتك المبالغة في نفسك.. ألم تتعظ؟.. ألم تتعظ" رغم أن هذا ما كان يريد كامل سماعه.. انقض عليه والرغبة في قتال بعضهما البعض قوية الى حد الجنون.

إنها عادة تخصهما وحدهما ..قد يفزع منها الأخرون ..قد يستهجنونها .. لكن لا أحد يفهم

تلك اللغة العنيفة بينهما التي ينفثان بها عن طاقة الغضب إلا هما .

في الداخل قالت بسمة باكية" أبي عنده حالة هياج واتصل بي أكثر من مرة يطلب التحدث مع كامل لأنه يغلق هاتفه ..لكني أراوغ ولا أترك لهما مجالا للحديث خاصة وأن أبي لا يهمه إلا الفضيحة أمام أهل البلدة ويتحدث في أمر الطلاق"

هتفت مليكة بصدمة " الطلاق!"

ردت بسمة وهي تمسح دموعها وتعتدل في جلستها على السرير " أجل ..لكني لست في حالة ذهنية تسمح بالمناقشة والجدال معه لهذا أغلق هاتفي معظم الوقت .. ووليد وأم هاشم يتصلان بي عبر الإنترنت"

سألتها مليكة " وماذا عن موقف وليد من الموضوع ؟"

ردت بسمة " إنه حائر ومضغوط من أبي ومن أهل البلدة لكنه لم يقل شيئا .. حاول أن يعرف أين نحن ورفضت إخباره"
سمعت بسمة صياح أحد التوأمين آتيا من الخارج فأسرعت بالقول "اغلقي الآن يا مليكة"

في الخارج ضربه كامل في صدره يبعده وفي حركة مباغتة كان قد انقلب معه على الرمال المبللة ولكمه في وجهه قائلا" ما دمت قد دمرتكم اتركني أذهب .. اتركني لأتلقى مصيري" دفعه شامل من فوقه وأصبح هو فوقه هادرا بجنون" لو كانت حياتك وحدك كنت تركتك لتذهب إلى الجحيم لكن بكل أسف.."
قطع عبارته حينما وضع كامل ساعده في رقبة الثاني يبعده عنه وكلاهما يتطلع في عين الأخر منتفخ العروق ..فلكمه شامل في فكه بينما بدأ

خيط من الدماء يسيل من جرح فوق حاجب كامل.

خرجت بسمة وونس مفزوعتان ووقفت الأخيرة تتطلع فيهما بعينين جاحظتين بينما اندفعت بسمة تقول لشامل" حلفتك بالله لا تفعل ذلك يكفينا ما فينا من حرقة قلب" لكمه شامل فصرخت بسمة ومالت عليه تشده من ذراعه ليتركه فنفض شامل ذراعه من يدها بخشونة واستقام واقفا وهو يصيح فيها بغضب "حين تجدينا نتشاجر لا تقتربي يا بسمة ..لا تفعليها مهما حدث لأنك من الممكن أن تتأذي"

كان في حالة نادرة من الغضب حتى ونس كانت تحدق فيه باندهاش فمسح فمه من بقايا الدماء وأولاهم ظهره واقفا على بعد أمتار والمطر يغرق ملابسه .. أما كامل فاستقام واقفا بعد أن دفع يد بسمة التي كانت تحاول

مساعدته على النهوض بعيدا وقفز ..لكنه لم يكن قد استكفى بعد .. فقلب مقلتيه واندفع نحو شامل يهاجمه من الخلف مطوقا ذراعه حول رقبته يضغط بقوة بينما الثاني يحاول الفكاك.

منظرهما كان مخيفا وكأنهما دُبان يتعاركان تحت الأمطار فتطلعت بسمة التي أغرقها المطر فيهما بذهول بينما حاولت ونس الواقفة عند الباب الاندفاع نحوهما لكنها صرخت فجأة من ألم في بطنها وظهرها أخرج بسمة من جمودها وأسرعت إليها تقول صارخة وهي تراها تميل بجذعها على إطار الباب "ونس ما بك؟" أطلقت ونس آهة عالية جمدت الدبين المتعاركين فنظرا إليها قبل أن يسرع نحوها شامل بقلق ويساعدها للدخول للشاليه .. بينما ظل كامل واقفا متخصرا تحت المطر ينهت

بانفعال ..فاقتربت منه بسمة وامسكت بيده تقول "تعال لننظف هذا الجرح الذي ينزف "
نفض ذراعه من يدها واستمر على وقفته متخصرا وصدره يعلو ويهبط قائلا من بين لهاثه" ادخلي أنت واتركيني ..ادخلي ستبردين"
قالت بإصرار" لن أتحرك إلا حينما تدخل معي يا كامل"
مسح وجهه المغرق من المطر بكفه ورفع شعره الملتصق بجبينه ثم صمت ينظر أمامه يتمنى لو يفيق من هذا الكابوس فيجد حياته قد عادت كما كانت قبل أسبوع .
بعد دقائق سحبها من معصمها بعصبية ودخل مبرطما " بتِ أكثر عنادا من ولدي نخلة "
في إحدى الغرف بالداخل اقترب شامل بعد أن بدل ملابسه لأخرى جافة من السرير يسأل ونس وهو يجلس بجوارها" كيف حالك الآن"

هزت رأسها فعاد يسألها وهو يتحسس بطنها "لازال الألم موجودا؟" هزت رأسها نافية ثم قالت" كنتَ غاضبا بشدة لم أيك بهذا الشكي من قبي"

(كنتَ غاضبا بشدة لم أرك بهذا الشكل من قبل)

مسح على رأسها مغمغما" آسف وتطلع في هاتفها الملقى بجوارها على السرير يصدر صفيرا وسألها " هل لا يزال والدك قلقا ؟"

ردت وهي تنظر في الهاتف " أخبيه دوما بأني بخيي ويست متوتية "

(أخبره دوما بأني بخير ولست متوترة "

قال شامل" أرهقني وأنا أطمئنه بألا يقلق عليك وبأن كامل لم يفعلها وأرهقني حتى أقنعته بأن الشرطة لن تأخذني بدلا من كامل بسبب تطابق ملامحنا لأن صورة بصماتنا مختلفة .. المهم

أني أشعر به يصدق بأن كامل لم يفعلها .. لكنه قلق عليك "

ردت ونس " هو يا يصدق أن كامي فعيها ..وتشاجي مع بعض من تحدثوا معه في هذا الموضوع وطيدهم ..تعيف مزاجه العصبي "

(هو لا يصدق أن كامل فعلها .. وتشاجر مع بعض من تحدثوا معه في هذا الموضوع وطردهم ..تعرف مزاجه العصبي)

غمغم شامل بتأثر "الحمد لله أن الناس تصدقنا .. مفرح ووالدك "

ساد الصمت لبرهة ثم تطلع في وجهها المصفر وإلى بطنها قائلا بشفقة" لا أصدق أنك ستمكثين الشهرين الباقيين في هذا العذاب"

ابتسمت ابتسامة ضعيفة ليقول شامل" ليتني تركتك تذهبين مع أبي وأمي بعيدا عن هذا الجو المشحون"
أسرعت ونس بمعانقته تدفن وجهها في كتفه معلنة عن رفضها للفكرة بينما غمغم شامل بضيق صدر داعيا " استرها يا رب معنا وافرجها علينا"

بعد قليل كانت بسمة تنتظر خروج كامل من الحمام وقد بدلت ملابسها لأخرى جافة وثقيلة بينما صوت الرياح والمطر المتداخل مع صوت البحر يأتيها مخيفا من الخارج ليزيد من شعورها بالخوف .

خرج كامل عاري الجذع يرتدي بنطالا بيتيا فناولته قميصا وكنزة ثقيلة ليرتديها وتطلعت في ذلك الجرح في جبينه الذي لا تزال الدماء تسيل

منه ثم أسرعت بسحبه وهو لا يزال يرتدي ملابسه وأجلسته على طرف السرير ثم أحضرت طبقا به القليل من البن .
ناظرها كامل بتساؤل فأجابته وهي تضع بعضا من البن المطحون فوق الجرح قائلة" لم أجد أي شيء في الشاليه لتغطية الجرح ووقف النزيف فلجأت للطريقة الشعبية"
انتهت مما تفعل وتحركت لتضع الطبق على الكومود بجوار السرير وعادت إليه تتأمل شروده لبضع ثوان ثم اقتربت منه فرفع لها عينين متألمتين قائلا بلهجة معذبة " اصرخي في وجهي .. اضربيني .. قولي لي (أنت أضعت حياتك واضعتني معك)... قولي (خذلتني يا كامل بعد أن وعدتني بالحماية والأمان) .. امنعي نفسك عني ..اطلبي الانفصال مني حتى أجاوبك بأنانية بأنني لن افعلها وستبقين زوجتي

رغما عنك .. افعلي أي شيء لتعاقبيني به يا بسمة فأنا استحق العقاب"

حضنته في صمت .. أخذت رأسه إلى حضنها وحضنته بقوة ثم علا نشيجها وبكت بحرقة .. هذا كل ما فعلته فزاد ذلك من عذابه أضعافا .. ويا ليتها فعلت ما طلبه منها لربما رحمته .. من نفسه !!.

xxxx

قال مفرح في الهاتف منفعلا " أنا لن أزوره فليذهب إلى الجحيم .. هل سأزور من الصق تهمة بصاحبي "

قال مصطفى مجادلا وهو يتحرك مع جابر في ممر المستشفى " ومع هذا كان لابد أن تزوره يا مفرح ..الحاج عبد الرحيم لديه كل الحق فالناس ستستهجن هذا الأمر خاصة وأنك ابن العمدة"

قال الأخير بغضب " يقولون ما يريدون ..
صدقني لو رأيته سأضربه حتى يموت في يدي ..
هذا الكاذب دمر مستقبل كامل وأسرته ودمر
حياة بنت خالي كيف تطلبون مني أن أزوره
وأمثل تمنياتي له بالشفاء!!"
نظر مصطفى لجابر يشير له بعينيه بأن مفرح
منفعل ثم قال "صدقني أنا وجابر نضغط على
نفسينا لزيارته لكن زيارة المريض واجبة"
قال مفرح وقد استعاد بعضا من هدوءه" أبلغوه
بأني لن أيأس حتى أجد دليلا على براءة صاحبي"
زفر مصطفى وأغلق الخط ينظر لجابر الذي
يسير صامتا بجواره يتطلع في أرقام الغرف
وغمغم" إنه منفعل"
نظر إليه جابر يسأله" وما رأيك أنت؟ .. هل
تعتقد بأن كامل فعلها؟ "

ظل مصطفى صامتا فأضاف جابر" الحقيقة أنا أشعر بالحيرة .. (وأطرق برأسه يقول بحرج) قبل أيام حدث موقف مع بنت الشيخ اشتعلت فيه غيرتي عليها بشكل فقدت فيه السيطرة لبضع دقائق ..لهذا عندما سمعت بما قاله أهل البلدة قلت ربما فعلها تحت وطأة هذه المشاعر"

ابتسم له مصطفى ابتسامة جعلت جابر يشعر بالمزيد من الحرج فهتف الأخير مغتاظا " لماذا تبتسم !!.. أنا أسألك سؤالا جديا والوضع لا يحتمل أي فرصة لتهكمك "
لملم مصطفى ابتسامته وعباءته وقال بجدية" أنا لن استطيع الجزم إن كان قد فعلها أم لا ..فبرغم نظرتي في كامل التي تخبرني بأنه حتى لو كان قد فعلها في لحظة انفعال فلا أظنه جبانا سيتركه ويغادر أو سيهرب من الشرطة

كالمجرمين لكني رأيت في حياتي ما يجعلني لا أعتمد فقط على نظرتي في الناس فكلنا تأتينا لحظات ضعف .. أما ما أنا متأكد منه فهو أن بدير شخص يحترف الكذب لدرجة تمنعني من تصديقه "

بعد دقائق كان مصطفى يقول لبدير الراقد أمامهما " ألف لا بأس عليك يا بدير "
هز الأخير رأسه ليقول جابر بصدق رغم مشاعر البغض تجاهه" إن أردت أي شيء يا أبا علاء لا تتردد اطلبني فورا وستجدني "
ناظره بدير .. ناظرهما معا .. يجلسان بجوار بعضهما .. ورغم اختلاف الملامح لكنهما كانا متشابهين إلى حد غريب .. هما دوما كذلك رغم أن مصطفى الذي يماثله في العمر يكبر جابر بثلاث أو أربع سنوات لكنهما كانا دوما متشابهين حتى حين كبرا وتفرقت طرقهما لفترة

كبيرة ظلا متشابهين .. ربما هذا ما سهل تقاربهما في السنة الأخيرة ..
ما الذي يهذي به؟
ولماذا بات يتأمل الكثير من الأمور من حوله ؟.. أهو بسبب رقدته التي طالت؟ أم بسبب الشعور بالخواء الذي يعانيه بداخله؟ .. أم بسبب ذلك الحلم الغريب الذي رآه وهو ملقى على الأرض ينزف؟ ..
لا يعرف إن كانت هلوسة أم حلما.. فقد غاب عن الوعي بعد أن استيقظ ووجد نفسه عاجزا عن الحركة وملطخا بالطين في ليلة شتوية باردة .. وحينما اشتد به الألم والخوف والوحدة.. فرأى نفسه يركب حمارا هزيلا حتى توقف به الحمار بجوار أحد الحقول.. ووجد مصطفى وجابر شابين يافعين يقفان في وسط الحقل مشمران ساعديهما ..يمسك كل منهما بفأس ويحرث الأرض ..فطالعهما بنظرة فوقية

ليقول له مصطفى بابتسامة تضيء وجهه" ألن تلقي السلام ؟"
قال على مضض "السلام عليكم"
حاول أن يحث الحمار على الحركة لكنه كان معاندا بينما قاله له مصطفى " اتركه وتعال انضم إلينا"
قال باستنكار " أنضم إليكما!!"
تكلم جابر " أجل تعال وازرع معنا"
هتف بهما " لا أريد ولست متفرغا "
ولكز حماره فعانده ليقول مصطفى "تعال ولا تعاند .. تعال لنفلح سويا"
رد عليهم بعبوس " لست مهتما ولست متفرغا"
لكز حماره الهزيل بقوة فبرك الأخير فجأة ووقع بدير من فوقه .. ثم رأى بعدها مصطفى وجابر أمامه والأول يمد يده له قائلا" لقد برك حمارك فهل أنت آت ؟"

أفاق بدير من شروده متحيرا من هذا الحلم الذي رآه ومعناه إن كان حلما وليس هلوسة بينما قال له مصطفى وهو يستقيم واقفا ويهم بالمغادرة " أسأل رب العرش العظيم أن يشفيك يا بدير (ونظر له نظرة أشعرت بدير بالرهبة وقال بلهجة ذات مغزى) انصحك بأن تجدد نيتك مع الله.. وتبرئ ذمتك من أي ذنب ارتكبته في حق أي أحد حتى تستجاب دعواتك بالشفاء .. واتق شر دعوة المظلوم .. فالظلم ظلمات يوم القيامة "

ناظره بدير بنظرة مشوشة تائهة بينما ربت جابر على كتفه قائلا" شفاك الله وعفاك بإذن الله "

ألقيا عليه السلام فتعجب لتلك البساطة والراحة التي يحدثانه بها رغم أنه يعلم جيدا أنهما لا يطيقانه وراقب مغادرتهما ودخول وجدان بعدها الغرفة ثم حدق بنظراته في

السقف وقد عاد إليه شعوره بالخوف .. ذلك الشعور الذي أحس به وهو ملقى في الظلام .. أحس بالخوف وعبارة مصطفى تتردد في رأسه لتزيد من رعبه (الظلم ظلمات يوم القيامة).

xxxx

بعد منتصف الليل

لكز إياد أخاه قائلا" أدهم انهض لقد استيقظت وتريد أن تخرج "

عبس أدهم وقفز من السرير متجها هو وأخوه إلى خارج الغرفة حتى وصلا للصالة فوجدا مليكة تقف عند باب الشقة تحاول فتحه لكنه كان مغلقا بالمفتاح من الخارج ..

إن عمار يحرص كل يوم في عدم وجود مفرح بأن يصعد مساء ويغلق النوافذ كلها بالأقفال وكذلك باب المطبخ ثم يغلق باب الشقة عليهم من الخارج .. ويعيد فتحه في الصباح ..

وكذلك يفعل أبوهما حينما يبيت معهم الفارق
أنه يغلق باب الشقة من الداخل..
سأل إياد أخاه هامسا "ألم تمض فترة كبيرة لم
تستيقظ أثناء النوم ..ماذا حدث ؟"
قال أدهم متحيرا "ربما هي قلقة من شيء ما ..
هذا ما فهمته من أبي أن هذا يحدث حينما
تكون مضغوطة نفسيا .. المهم لا تتفوه
باسمينا حتى لا تستيقظ وتصاب بنوبة بكاء
شديدة .. فكما قال أبي سنستخدم كلمة الأمان
عند الضرورة فقط "
اقتربا من مليكة ليقول أدهم بهدوء" ماذا
تفعلين يا أمي؟"
ردت بصوت هادئ ناعس دون أن تستدير
إليهما" أريد الذهاب إلى بسمة اتصل بمفرح
ليحضر ويفتح الباب"
قال لها أدهم "حاضر سأتصل به تعالي لتنامي
حتى يأتي "

توقفت عن الحركة لدقيقة .. ثم استدارت و تحركت بهدوء نحو الأريكة في بهو الشقة وجلست عليها فقال إياد" ادخلي إلى غرفتك يا موكا"

قالت وهي ترفع ساقيها فوق الأريكة" لا.. بل سأنتظر مفرح هنا ليحضر ومعه بسمة "

نظرا لبعضيهما ثم عادا ينظران إليها فاستلقت مليكة على الأريكة تعدل من وضع إحدى الوسائد تحت رأسها وأغمضت عينيها ..فهرش أدهم في رأسه يفكر ثم قال وهو يلتقط المتحكم عن بعد ويشعل التدفئة المركزية في المكان" احضر لها لحافا "

عاد إياد بعد قليل يحمل لحافين أعطى واحدا لأدهم الذي غطاها به وهو يسأل أخاه" لماذا أحضرت لحافك ؟"

قال إياد وهو يستلقي على الأريكة الأخرى"
سأنام هنا بجوارها لأتأكد من أنها لن تستيقظ
مرة أخرى "
قالت مليكة مغمغمة من بين جفونها المغلقة
"دُمدُم"
رد أدهم على اسم الدلال الخاص به يقول
"نعم"
قالت وهي تعتدل في نومتها لوضع أكثر راحة
"أخرج ملابس نظيفة لـ (أُودة) كي أحممه"
كتم أدهم الضحك وناظر أخاه المتسع العينين
بصدمة وقال" حاضر"
أضافت مليكة بلهجة ناعسة وهي تتدثر
باللحاف "وأحضر كتاب الاستحمام الخاص به
حتى ينشغل به ويكف عن أكل فقاعات
الصابون"
قهقه أدهم ونظر لأخيه الذي قال بصدمة "أنا
آكل الصابون !!"

ناظراها واطمأنا بأنها قد عادت للنوم ليقول أدهم وهو ينظر لأريكة ثالثة" وأنا سأحضر لحافي وأنام معكما (وتحرك يقول لأخيه مغيظا وهو يرقص حاجبيه) وسأحضر لك ملابس نظيفة كي تحممك أمي يا (نونو)"

عض إياد على شفته السفلى بغيظ ثم رماه بإحدى الوسائد ..فأسرع الأخر بالابتعاد بينما تدثر الأول باللحاف قائلا بغيظ "سامحك الله يا مليكة .. تحممني!! .. هيبتي ضاعت في هذا البيت !"

xxxx

بعد يومين

"غدا !!!"

قالها كامل على الهاتف وقد سقط قلبه بين قدميه فأتاه صوت والده قائلا " أجل يا كامل الرجل يريدك فجر الغد لتلحق بالسيارة التي ستغادر ليلة رأس السنة ..هذا هو المخرج

الوحيد للأزمة حاليا .. هذا الرجل متخصص في التهريب عبر الحدود ولقد دفعت له دفعة من المبلغ الذي طلبه والدفعة الأخرى عندما يوصلك لتلك السيارة المغادرة مساء الغد فكما قلت لكم الشرطة جاءت صباحا وسألت عنك"

نظر كامل لشامل وانقبض قلباهما من فراق بات محتوما ثم نظر لبسمة وأطرق برأسه حائرا لتسأله الأخيرة بمقلتين تتحركان على صفحة وجهه بقلق " ماذا حدث ؟"

ظل كامل صامتا لبرهة ثم قال لوالده باستسلام " حاضر"

الكلمة خرجت مع روحه وروح غنيم الذي قال بسرعة بصوت مخنوق " بكل أسف لن نستطيع أنا أو أمك رؤيتك قبل السفر لأننا نخشى أن نكون مراقبين ولهذا ابتعت هذا الخط الجديد لأحدثك منه زيادة في الأمان"

لم يعلق كامل كانت الغصة في صدره تمنعه من الحديث فقال غنيم بصعوبة" اعطني شامل لأخبره ببعض الترتيبات قبل أن أعطيك سوسو لتتحدث معها فهي منهارة حاليا وتحاول السيطرة على نفسها"

ناول الهاتف لأخيه وعيناه متعلقتان ببسمة ثم همس قائلا بحشرجة "عليّ أن أغادر في الثانية بعد منتصف الليل حتى أصل عند الفجر لمدينة (...) لأقابل سمسارا ينفذ هذا النوع من الرحلات"

تناظرا لبرهة في عذاب فارتعشت المقلتان وارتجف القلبان وهي تهمس بلوعة قلب " تغادر "

ثم ألقت بنفسها على صدره وانفجرت بالبكاء.

××××

فتح مفرح باب الشقة يقول بقلق واضح على ملامحه " ماذا حدث ما بها أمك ؟"

أجابه أدهم وهو يتحرك خلف والده المتجه نحو غرفة النوم" لا ندري لقد عدنا من المدرسة فوجدناها جالسة متخشبة في غرفتها ولم تقل سوى (أنتظر حتى يأتي مفرح).. حتى ظننا أنها نائمة لكن عينيها كانتا مستيقظتين فهممنا بالاتصال بخالي عمار لكنها قالت لا أريد إلا مفرح"

قال الأخير وهو يفتح باب الغرفة "أجل أرسلت لي رسالة وجئت فورا"
طالعها مفرح وهو يدخل الغرفة فهربت الدماء من وجهه وهو يدقق فيها .. كانت جالسة في مقعد بجوار النافذة تطالعه بأنظار ذاهلة بينما إياد واقفا أمامها فسألها بحشرجة" مليكة هل أنت بخير؟"
قالها وهو يسرع نحوها ينزل أمامها على ركبته متفحصا ومكررا سؤاله "هل أنت بخير ؟"

رفعت شاشة هاتفها إليه ببطء فتطلع فيه عاقدا حاجبيه ثم قال" هذه صورة من نتيجة تحليل .. ما هذا ..ما بك؟"

تكلمت بارتجاف" أنا ...حامل"

شهق إياد وناظر أخاه الواقف على الباب بينما ارتجف جسد مفرح وحك جبينه بأنامله يقول بعدم استيعاب" ماذا قلت؟"

تغضنت ملامحها وقالت بخفوت باك وهي ترتعش " أنا حامل يا مفرح ...حامل"

تجمعت الدموع في عينيه وظل يناظرها ويناظر الهاتف لعدة ثوان ثم أمسك به يكبر صورة التحليل الذي لم يفهم منه شيئا إلا اسمها وتاريخ اليوم فسألها" هل .. هل أنت متأكدة؟"

هزت رأسها بالإيجاب وقالت بصوت مرتعش "أكرم أكد لي"

ناظرها بعينين متسعتين بينما أشار أدهم لأخيه ليغادرا الغرفة فأطاعه بعد تلكؤ في الوقت الذي همست فيه مليكة" أنا حامل بطفلك يا مفرح أخيرا" ..

سرت رجفة في جسده من العبارة فحضن وجهها بين كفيه وانهمرت دموعه يقول بصوت مرتعش "مليكة"

غمغمت موضحة " لاحظت تأخر عادتي الشهرية لكني أخذت ألهي نفسي عن التفكير في الأمر .. فأنت تعرف عدد المرات التي خذلتني فيها وجاءت .. لكن صباح اليوم لم استطع الصبر أكثر فقد تأخرت كثيرا وبدلا من أن أطلب اختبار حمل منزلي أخذت السيارة وقمت بتحليل دم في أحد المعامل .. وعدت لانتظر أن يرسلوا لي النتيجة على الهاتف وأنا أخبر نفسي بأنني أتوهم .. وحين أرسلوها لم أصدق ما قرأته فأرسلتها لأكرم وأكد لي الخبر"

أنزل نظراته المتسعة إلى بطنها ..فأمسكت بكفه تضعها عليه ليتحسسها فهمس بتأثر "مليكة "

قالت بعد قليل "المشكلة أني منذ أن علمت وأنا غير قادرة على الحركة ..قدماي لا تطاوعاني (وأضافت باكية) أشعر .. أشعر بأني لو تحركت سيسقط مني ما عشت عمرا أدعو الله أن أحمله "

حضنها بقوة قائلا بعدم تصديق" يااااه يا مليكة .. يااااااه (وهمس بجوار أذنها) يعلم الله أني لم أتمن في حياتي أن أنجب طفلا إلا من رحمك أنت .. وكنت أنوي أن أقترح عليك أنا هذه المرة أن نجرب الحقن المجهري "

بكت في صدره فأضاف" الحمد والشكر لله .. (ثم ردد ذاهلا) يا الهي! أنت حامل يا مليكة .. حامل (وأبعدها ينظر في وجهها الباكي وقال)

أليس علينا زيارة الطبيبة؟ .. أليس علينا التأكد منها؟"

هزت رأسها موافقة .. فقال وهو يخرج هاتفه "سأرى إن كان من الممكن أن نطلب موعدا عاجلا اليوم عند الطبيبة التي كنت تترددين عليها من قبل "

أوقفته تقول من بين دموعها" انتظر قليلا حتى أخرج من حالة الصدمة .. أنا بالفعل مخدرة القدمين وغير قادرة على الحركة ولا أعرف ماذا أفعل "

تطلع فيها ثم قال بلهجة تحمل عشقا كبيرا "سأحملك حتى ولو فوق ظهري طول العمر "

قالها ثم وضع ذراعه تحت ركبتيها وحملها واقفا فضحكت من بين دموعها وعانقته بسعادة جمة ..

حين أجلسها على السرير قالت مليكة وهي تمسد على ساقيها "قدماي مخدرتان "

قال هامسا وهو يدلك لها ساقيها "أعتقد أنها من وقع المفاجأة (ثم حضنها بقوة مغمغما) وكأن الله يريد أن يهون عليّ حزني على كامل بهذه الفرحة التي لم تكن في الحسبان .. الحمد لله الحمد لله .. يا رب تم علينا فرحتنا ببراءته يا رب "

xxxx

منتصف الليل

كان يجلس عاري الجذع ظهره إلى ظهر السرير بينما بسمة تجلس بين ساقيه وهو يلبسها كنزته التي التقطها من على الأرض حتى لا تبرد ثم أدفأها بالأغطية بينما هي لا تزال تبكي دون توقف منذ ساعات ومنذ أن علمت بأنه سيغادر.. حتى خلال لقائمها المشتعل قبل قليل كانت تبكي بانهيار..

كان وداعا متجمرا .. انصهرت فيه المشاعر وتلاشت فيه الكلمات وانهمرت فيه الدموع

بغزارة وكل منهما ينهل من الأخر وكأنها المرة الأخيرة التي سيطارحه فيها الغرام.. المرة الأخيرة التي سيلمسه .. سيشم رائحته .. سيذوب في تفاصيله ويقبل شفتيه ليستمد جرعات من الحياة ..

تمنت أن تستجديه ليبقى.. وتمنى أن يخفيها بين ضلوعه لترحل معه ..

حاولت أن تكون أكثر صلابة أمامه وبذل هو جهدا كبيرا حتى لا يظهر تأثره أمامها .

مد يده يمسح وجهها الباكي قائلا وهو يحاول التماسك من أجلها" كفى بكاء يا باسمة أنت وعدتني أن تكوني قوية"

لفت ذراعيها حول جذعه ورفعت رأسها تقبل رقبته واستمر نشيجها بلا توقف فنظر كامل للساعة التي كانت دقاتها كالطبول تعلن عن اقتراب لحظة الفراق ..ومال يحضنها بقوة مقاوما رغبة قوية في البكاء..

إن الدرس هذه المرة قاسٍ بشدة .. بل إنه يكاد يجزم بأنه لم يتعرض لمحنة أقسى من هذه أبدا .. مدانا في جريمة لم يرتكبها وسيفر هاربا كالجبان من البلد .. سيترك عائلته .. وسيترك حبيبته إلى رحلة محفوفة بالمخاطر .. الأمر برمته كصفعة قوية حارقة ومؤلمة لا يعلم ما الذي ستتركه من أثر بعدها لكنها بالتأكيد ستترك ندبة مؤلمة في كرامته .. لكنه متماسك أمام الجميع ..متماسك رغم ما يتملكه من غضب من نفسه ومن قلق من القادم .. ومعترفا بأن عليه أن يبتعد عمن يحبهم حتى لا يؤذيهم أكثر مما فعل .

مسد على رأسها يقول بحشرجة بجوار أذنها "أنا لا زلت في حالة صدمة ولا أصدق ما حدث ولا أصدق أني من المفروض أن أتركك بعد قليل "

تشبثت به بقوة تسحب رائحته إلى رئتيها
وتغوص في دفء أحضانه بينما أضاف كامل
ساخرا من نفسه "أنا الذي ما كنت أطيق
فراقك لساعات .. وأغار عليك من كل العيون
التي تحيط بك سأُجبر على تركك لبعض الوقت
عقابا لي على حماقاتي"
علا نشيجها تتمتم باسمه فقبل جانب رأسها
ومشط شعرها الأسود على ظهرها قائلا
بحشرجة" اتفقنا بأنك ستكونين قوية "
ابعدت وجهها وناظرته تقول بترجٍ" خذني معك
يا كامل خذني معك لن أتحمل فراقك سأتحمل
أي وضع أنا لست مدللة "
ابتسم ابتسامة ضعيفة وهو يمرر أصابعه على
صفحة وجهها وقال" الوضع صعب يا بسمة
ولن اسمح بأن تتعرضين للخطر أبدا "
عادت لبكائها تتشبث به بقوة وهي تغمغم"
لماذا يحدث هذا ؟..لماذا بعد أن وجدتك أحرم

منك .. لماذا؟ .. (وعادت تذكر نفسها بما قالته لها مليكة بألا تقنط من رحمة الله فغمغمت) اللهم لا اعتراض "

همس وهو يدلك ظهرها "سامحيني يا باسمة .. بدلا من أن أكون عوض لك كنت...."

أسرعت بوضع يدها على فمه هامسة" يكفي هذا ..أنت قلت علينا أن نتعامل مع الكارثة " قبل جبينها ثم جانب عينها وأغرقها في حضن أخر وعيناه ترتفعان إلى الساعة المعلقة على الحائط من جديد ثم قال" سنتحمل أنا وأنت الفراق قليلا حتى يجمعنا القدر .. وسأدعو الله ألا يطيل الفراق بيننا .. فهذا هو العقاب ..هذا عقابي .. أن احرم منك لبعض الوقت هو العقاب .. ويا له من عقاب صعب على كامل "

xxxx

بعد ساعتين

وقف كامل على رصيف في موقف الحافلات السياحية يقول لمفرح في الهاتف "لهذا لم نخبرك بما ننوي أن نفعل لمعرفتنا بأن وضعك حساس .. شامل سيخبرك بالتفاصيل حينما يلتقيك فقد بتنا كلنا نتصرف كالمجرمين ونشك في كل شيء حتى في الاتصالات الهاتفية"

وقف مفرح في شرفة منزله بالعاصمة يقول مطرقا برأسه محتارا " أنا لا أعرف ماذا أقول يا كامل ...صدقا أنا لا أجد ما أقوله ..وأخشى عليك من هذه الخطوة ..رغم أني أرى القضية معقدة لكني لم أكن أحبذ أن تأخذ خطوة كهذه"

قال كامل معترفا " وأنا أيضا لم أكن أفضل أن أفر كالجبان لكن حالة أمي سيئة ووجودي سيعرض الجميع للخطر .. أتمنى أن أقدر على العودة قريبا بعد أن يتم إثبات براءتي "

صمت مفرح ووقف يتطلع في السماء المرصعة بالنجوم وقرصت الدموع عينيه وهو يسأله بحشرجة" ستتحرك الآن؟"

"أجل"

قال بحشرجة " كنت أود أن أودعك يا صاحبي" رد كامل بصوت متأثر " لا داعي لذلك .. لا أريد توريطك معي .. لا إله إلا الله "

"محمد رسول الله"

قالها مفرح بصوت مخنوق ثم وقف يحدق في الهاتف والحزن يعتصر قلبه في الوقت الذي تطلع كامل في بسمة الممسكة بذراعه ثم قال مناكفا لونس المنكمشة في معطفها الأصفر

"قللي من الثرثرة لأنك تجلبين لمن يسمعك الصداع .. ولا تُحزني أخي ولا ابن أخي .. وإياك أن تعتقدي أنك قد تخلصت مني .. سنلتقي من جديد .. (وأضاف بصوت مخنوق) هنا أو في أرض أخرى سنلتقي من جديد "

أجهشت ونس بالبكاء وشبكت ابهاميها وسبابتيها أمامه لتشكل له قلبا غير قادرة على النطق فأشاح بنظراته لثوان يقاوم التأثر ثم قال ساخرا" قلت لك هذا القلب ترسليه لشامل وليس لي "

تطلع التوأمان في بعضهما فقال شامل بحشرجة يسحب نفسا عميقا " هيا الحافلة ستتحرك وسنتابعك بالهاتف "

علا نشيج بسمة وتشبثت بملابس كامل فضمها وهو يقول لتوأمه" بسمة أمانة عندك حتى نلتقي "

غمغم شامل بحشرجة "هيا يا كامل الحافلة" أبعدها كامل قائلا" لا نريد فضائح يا باسمة ولا نريد لفت الانتباه لنا أرجوك "

كانت عيناها الزرقاوان الباكيتان تستجديانه للبقاء .. تخبرانه بما اقترفه في حق صاحبتهما من ذنب كبير .. وهو ذاهب ليعاقب على هذا

الذنب .. فناظر الجميع بنظرة أخيرة ثم تحرك بعد أن قبل رأس بسمة .. وربت بيده على رأس ونس وأسرع يحمل حقيبة صغيرة على ظهره ويصعد للحافلة قبل أن تضعف قدماه ويستجيب لتوسلات قلبه.

بينما ضمت بسمة قبضتها أمام فمها حتى لا تصرخ وهمت بأن تتحرك خلفه فأمسك شامل بذراعها بحزم قائلا "لا تضعفيه يا بسمة .. إن الأمر غاية في الصعوبة بالنسبة له أنا أشعر به جيدا"

تحركت الحافلة فظل كامل متقبضا يحاول ألا يطاوع نفسه في أن يتطلع خلفه لكنه استدار قبل أن تنعطف الحافلة وتخرج إلى شارع أخر فألصق وجهه بالزجاج البارد ليخطف نظرة سريعة إليهم .. في الوقت الذي قالت بسمة بلوعة قلب " الصبر من عندك يا رب"

xxxx

بعد ثلاث ساعات

"سِحْس .. اسمي سِحْس "
قالها الرجل الخمسيني الأصلع وهو يتطلع في كامل مدققا في محطة الحافلات ثم أضاف بلهجة ذات مغزى " أنا من سيوصلك للمراد"
طالعه كامل بصمت وعبوس فقال الرجل وهو يتحرك بجواره "تبدو ابن أكابر فعلا .. تستحق أن يدفع لك المبلغ الكبير الذي دفعه الوالد حتى يلحق بنا في آخر لحظة .. لكني توقعت أن أرى شابا ناعما مدللا صغيرا في العمر وليس رجلا ناضجا وضخما مثلك فأولئك هم من يرتكبون الحماقات ويجلبون المصائب لأهاليهم"
طحن كامل ضروسه وتقبض وهو يمشي إلى جواره ونسمات اليوم الجديد أخر يوم في العام تتسلل إلى صدره المتأجج بكل المشاعر

المؤلمة بينما وخز كلمات ذلك الرجل الأصلع يزيد من رغبته في قتل أحدهم .

رفع إليه الرجل أنظاره وقال بابتسامة بنية اللون" بصراحة الحاج الباشا والدك كان يرغب في أن يؤجر لك رحلة خاصة .. لكني أقنعته أن يوفر نقوده فما الداعي لتأجير رحلة خاصة لك بينما من الممكن أن تأخذ مقعد في سيارة أجرة وتشارك الأخرين (وأضاف متهكما) يبدو أن السيد الوالد كان يرغب في تدليلك حتى وأنت هارب من شيء ما .. عموما أنا أفهمته أن وجودك وسط مجموعة أكثر أمانا لك فالرحلة عبر الصحراء ليست سهلة وستضطرون لقطع طرق وعرة حتى تهربون من أعين الشرطة والجيش "

سأله كامل والصداع يضرب برأسه " متى سنتحرك؟"

قال الرجل موضحا وهو ينهت بجانبه من السير " حاليا ستذهب معي لتنضم للمجموعة التي سترافقها وسنتحرك كلنا في المساء ..لأوصلكم إلى نقطة ما في الصحراء حيث الشخص الذي سيتولى تهريبكم كي تتسللوا إلى الدولة المجاورة"

رن هاتف كامل فأخرجه من جيبه يقول" نعم أبي"

قال سحس " سلم لي على الحاج الباشا والدك وأخبره بأن هذا ليس اتفاقنا .. قلنا لا تجلب معك أي شيء ثمين لا ساعة ولا هاتف ولا أي شيء"

سأله كامل عابسا "ماذا تعني ؟.. هل سأكون بدون هاتف؟!!"

توقف سحس أمامه قائلا " يا أستاذ شبكة الاتصالات ستنقطع بمجرد أن تتوغل في الصحراء ..لكن هذا جهاز قد يعرضك أنت

والمجموعة للخطر فمن الممكن أن تلتقط قوات تأمين الحدود إشارته"
قال كامل "لن افتحه أبدا؟"
رد سحس بلهجة قاطعة " وأنا لا أثق في كلمة أحد ..ومسئوليتي أن اسلم المجموعة للرجل الذي سيصحبكم بدون هواتف أو أي وسيلة للاتصال"
قال غنيم الذي كان يستمع للحديث " ماذا هناك يا كامل؟"
أجاب الأخير والده في الهاتف " يقول بأن عليّ أن أتخلى عن الهاتف "
صمت غنيم بينما وصل لكامل نحيب أمه بجوار والده .. في الوقت الذي قال سحس بلهجة جادة وهو يقف أمام كامل فبدا ذا شخصية قوية " آسف لن أتحرك خطوة واحدة قبل أن تتخلص من الهاتف .. فهذا يعرض المجموعة التي ستذهب إليها للخطر

..كلهم بدون هواتف ومحبوسين منذ أيام عندي حتى يخرجوا في مساء اليوم ..وأنت الوحيد الذي سمحت له بأن يلحق بنا في هذا الوقت المتأخر لأن الحاج الباشا والدك دفع ما يستحق ..ولهذا لا تؤاخذني لابد أن تتخلى عن الهاتف قبل أن نخطو خطوة أخرى "

هتف كامل بغضب "كيف سأتخلى عنه"

هز الرجل كتفيه وقال" افعل ما تراه مناسبا ..الق به في النهر (واتسعت ابتسامته البنية مضيفا) أو أعطه لي على سبيل الهدية"

عبس وجه كامل وقال لوالده " أنا مضطر أن أغلق الخط يا أبي ولا أعرف كيف سأتصل بك بعد ذلك"

قال غنيم بحشرجة باكية شقت قلب كامل إلى نصفين " في حفظ الله يا ولدي "

سأله كامل بصوت مرتعش " هل أنت غاضب مني يا أبي ؟"

رد غنيم يقاوم البكاء " لا .. اذهب في حفظ الله.. لعل الله يكتب لنا لقاء قريبا "
أولى كامل ظهره للرجل وقد دمعت عيناه .. فهمس بحشرجة" سامحني يا أبي وقل لأمي أن تسامحني "
قالها وأغلق الخط ثم وقف برهة يحدق في الهاتف يفتح صورة مجمعة لأهله .. تطلع في وجوههم ثم كبر الصورة على وجه بسمة قبل أن يغمغم لنفسه "هذا عقابك .. تقبله بصلابة الرجال يا ابن نخلة .. حتى تجد حلا للورطة التي وقعت فيها "
قالها ثم أرسل رسالة لشامل غير قادر على الاتصال به حتى لا ينهار كتب له فيها " أنا وصلت للرجل ومضطر أن اتخلى عن الهاتف لأسباب أمنية هذا شرطه حتى يساعدني .. سأتحرك في المساء مغادرا البلد .. كلهم أمانة في رقبتك حتى نلتقي أيها المتطفل على حياتي "

ضغط على أمر ارسال ثم ضغط على أمر محو كل محتويات الهاتف وشعر لحظتها أنه يمحو تاريخه كله .. صور من يحبهم .. وأرقامهم الشخصية وذكرياته معهم .. لكنهم لن ينمحوا أبدا من ذاكرته أو قلبه.

××××

عند الظهيرة

تطلع عمار صوالحة في المحل الضخم للخضر والفاكهة في سوق شهير في العاصمة واليافطة الكبيرة المكتوب عليها (الحاج عبد المقصود وأولاده لتوريد الخضر والفاكهة) ثم اقترب يتطلع في داخل المحل المزدحم فاستقبله أحد العمال قائلا" أنرتنا يا باشا مُرني"

قال عمار" أريد المعلم عبد المقصود"

رد العامل" المعلم مشغول حاليا ..مُرني وكل طلباتك مجابة"

قال عمار بإصرار وهدوءٍ مزيف "أريده شخصيا .. قل له عمار صوالحة"
تطلع العامل في سيارة عمار الثمينة ثم هز رأسه قائلا "سأحاول"

بعد قليل كان عبد المقصود يتطلع في وجه عمار بمفاجأة وذهول وهو يدعوه لداخل غرفة تتوسطها صورة كبيرة له خلف المكتب الذي جلس عليه يقول بتوتر لم يخف على عمار " ما هذه المفاجأة يا عمار بك؟!"
تطلع عمار في ملامحه المتوجسة فازداد شعوره بالانقباض فأحيانا تكون الحقيقة ثقيلة على القلب مؤلمة حتى لو كنت تسعى لمعرفتها .. فقال موضحا " كنت بالجوار وقد سمعت بأنك أصبحت تاجرا كبيرا للفاكهة فقلت أزورك وأهنئك على هذا النجاح الكبير في هذا الوقت القصير"

لم يرتح عبد المقصود للهجته فقال بابتسامة متوترة "بارك الله لك يا عمار بك ..إنه لشرف كبير أن تزورني بنفسك "
قال عمار بلهجة ذات مغزى "صدقا قصة نجاحك تستحق الإشادة يا عبد المقصود .. فما سمعته فعلا شيء مذهل .. هذه التجارة.. والأفدنة التي اشتريتها في قريتك ..والبيت الكبير هناك وهنا .. كل هذا يؤهلك لأن تدخل في موسوعة جينيس لتحقيقك كل هذا في ثماني سنوات فقط"

لم يفهم الرجل ماذا قصد عمار بـ(موسوعة جينيس) لكنه فهم من لهجته ونظراته أن هناك شيئا مريبا فبلع ريقه وقال" الحمد لله هذا من فضل ربي يرزق من يشاء"
هز عمار رأسه ورد " ونعم بالله.. (واستقام واقفا مضيفا) عموما أنا جئت فقط لأسلم

عليك وأخبرك بأن تستعد لاستدعاء الشرطة لك "

امتقع وجه الرجل لكنه حافظ على ملامحه عادية قدر استطاعته وقال "الشرطة!!"

قال عمار بلهجة هادئة " أجل سنحتاج لشهادتك في الحادث القديم الذي يخص حفيدة الصوالحة"

بلع ريقه وسأله بعبوس " شهادة؟!.. أية شهادة؟"

أجابه عمار " شهادة بما حدث يا عبد المقصود ..فيؤسفني أن أخبرك بأنه قد ظهرت أدلة تخبرنا بأن الحادث كان بفعل فاعل"

شحب وجه عبد المقصود وهتف بحشرجة" بفعل فاعل!!"

قال عمار "أجل ..لهذا ننوي أن نبلغ الشرطة لتبحث في تلك الأدلة.. وبالتأكيد لابد من استدعاءك للسؤال عن تفاصيل تلك الليلة"

سأله عبد المقصود " ولكن ما هي هذه الأدلة؟؟"

رد عمار " هذا موضوع خاص بالصوالحة يا عبد المقصود وسنخبره للشرطة فقط وهي ستتولى التحقيق ..لهذا استعد لكي تدلي بشهادتك (وتحرك يهم بالمغادرة ثم توقف يخرج بطاقة عمل ويضعها على المكتب قائلا) وطبعا سنقدر تعاونك معنا جدا .. رقم هاتفي عندك لو كنت لا تملكه .. اتصل بي إن تذكرت شيئا يخص الحادثة لم تخبره لنا وقتها وسنقدر لك هذا.. السلام عليكم"

استدار وهو يطحن ضروسه محافظا على هدوءه وقد أكد له ارتباك الرجل كل ظنونهم .. فخرج الى سيارته يركبها وينطلق بها وهو يقول لأكرم عبر الهاتف "أوهمته بأننا ننوي إبلاغ الشرطة .. علينا أن ننتظر لنرى رد الفعل الأيام القادمة"

أما عبد المقصود فأغلق عليه باب المكتب من الداخل وفتح هاتفه يتصل برقم.

في نفس اللحظة كان خالد الباجوري يخرج من بيت آل الباجوري متجها نحو سيارته المرابطة في ساحة البيت بينما زوجته تقف على الباب تحمل طفلا على ذراعها وخلفها طفل في الخامسة من العمر وهي تقول" ألم تقل بأنك ستقضي اليوم معنا يا خالد ؟"

استدار إليها يرد ببرود ولهجة مستخفة " أخبرتك بأنه قد جاءتني مواعيد مهمة .. هل سأترك عملي لأجلس بجواركم !! (واخرج هاتفه من جيبه ونظر فيه عابسا ثم رد بغيظ من بين أسنانه وهو يبتعد نحو السيارة) ماذا هناك يا عبد المقصود .. ما الذي فكرك بنا ألم نتفق ألا..."

قاطعه عبد المقصود قائلا بارتباك شديد"
خالد بك .. الحقني يا خالد بك"

xxxx

في المساء

قالت الطبيبة بابتسامة وهي تضع جهاز
السونار على بطن أم هاشم "ما شاء الله لديه
ساقين طويلين"
ابتسمت أم هاشم ونظرت لجابر الجالس
مبتسما يتابع الشاشة السوداء ثم سألتها مازحة
"ألا تستطيعين معرفة إن كان أسمر البشرة أم
لا؟"
ضحكت الطبيبة وقالت وهي تعطي منديلا لأم
هاشم وتعود لمكتبها" لا ولكن أستطيع أن
اخبرك إن كان صبي أم فتاة"
مسحت أم هاشم بطنها وناظرتها وهي تعتدل
جالسة وتقول "هل أعلن عن هويته أخيرا؟!"

أجابت الطبيبة "أنا كنت أعرف منذ البداية لكني انتظرت حتى أتأكد"

أنزلت أم هاشم ساقيها وقالت بلهفة " طمئنيني يا دكتورة بالله عليك"

قالت الطبيبة وهي تدون ملاحظاتها " ولد إن شاء الله يا أم هاشم "

تغضنت ملامح الأخيرة ونظرت لجابر الذي قال وكل جزء من وجهه يعلن عن مدى سعادته" نعمة وفضل كبيرين من الله"

قالت الطبيبة بمشاكسة" يبدو أنكم تحبون الذكور"

ردت أم هاشم وهي تمنع نفسها عن إطلاق زغرودة فرحة "الأمر ليس كذلك ..أنا فقط تمنيت أن أسمي هاشم حتى أكون أم هاشم فعلا "

ابتسمت الطبيبة ثم ناولتهما صورة بالموجات فوق الصوتية للجنين فالتقطها جابر بلهفة

واضحة وتطلع فيها بتأثر وفي سره يغمغم "
ولدي .. هاشم جابر دبور "
بعد ساعة كانا يدخلان البيت وقد تحسنت حالة أم هاشم المزاجية عما كانت عليه قبل خروجها .. فهي مكتئبة منذ أن عرفت خبر اتهام بدير لكامل والذي انتشر في البلدة كلها .. فتأثرت بشدة حزنا على صاحبتها وحاول جابر رفع معنوياتها خلال الأيام الماضية لكنه لم ينجح.

اقتربت أم هاشم تحضن نجف قائلة بسعادة كبيرة "هاشم يا خالتي هاشم جابر دبور"
اتسعت ابتسامة حماتها وقالت " مبارك علينا هاشم نسأل الله أن يأتينا في أتم صحة يا رب"
قالت أم هاشم لميس " سيكون لك أخا يا ميس أسال الله أن يكون سندا لك من بعدنا"

اختلطت الفرحة بالغيرة في قلب الصغيرة
لتقول أم هاشم بما نصحتها به مليكة "أتعلمين
.. والدك قرر أن يشتري لك هدية كبيرة يوم
مولد هاشم أليس كذلك يا جابر"
لمعت عينا ميس بترقب وبدأت تفكر في الهدية
بينما رد جابر وهو يتوجه ليجلس بجوار أمه
"طبعا لأنني سأكون سعيدا أن لدي طفلين
ميس وهاشم"
ربتت نجف على ظهره تقول "بارك الله لك
فيهما يا حبيبي"
مال جابر يقبل يد أمه فدمعت عينا الأخيرة
وهي تستشعر فرحته بأن حقق حلمه في إنجاب
ذكر يحمل اسمه وقالت " اسأل الله أن يرزقك
بره وترى أحفاده اللهم آمين يا رب "
رن هاتف ميس فقالت بعصبية "تأخرت يا أبي"
قال لها جابر " قلت لك ابق الليلة عندنا"

تكلمت ميس " إن أمي تتصل كل نصف ساعة تلح على قدومي .. وأنا لا أريد أن أحزنها لأنها حزينة وعصبية هذه الأيام منذ مرض خالي بدير"

غمغم جابر ممتعضا " لا حول ولا قوة الا بالله.. هيا استعدي لأعيدك"

رن هاتف نجف فقربته من عينيها وقالت وهي تفتح الخط "هذا زين"

قال زين لوالدته " كيف حالك يا نجفة .. سنة جديدة سعيدة "

ردت بسعادة وهي تشير لجابر ليفتح لها مكبر الصوت" وانت بخير يا ولدي أسأل الله أن يحميكم من كل شر .. بارك لأخيك سيرزقه الله بهاشم بإذن الله"

خرج صوت زين عبر مكبر الصوت يقول "ما شاء الله ألف مبروك يا أبا هاشم "

اتسعت ابتسامة جابر وقال بسعادة" العقبى لك قريبا"

غمغم زين متنهدا " يا رب يا جابر ..لا أعرف لماذا طالت المدة بهذا الشكل .. المهم لا تقترب من اسم إسماعيل أنا من سيسميه إن شاء الله"

قال جابر معاندا " إن شاء الله سآتي بإسماعيل أيضا"

هتف زين" لاااااا هذا الاسم محجوز .. لقد اتفقت مع إسراء أن نسمي ابننا إسماعيل"

ضحكت نجف وغمغمت" رزقكم الله يا بني"

قال جابر بعناد صبياني "من يأت بالصبي أولا يسميه إسماعيل (وناظر أم هاشم التي خرجت من المطبخ بنظرة خاصة تقول الكثير وهو يضيف بابتسامة واسعة) فأنا أتمنى أن يرزقني الله بهاشم وإسماعيل وتيمور"

قوست أم هاشم فمها لأسفل بتأثر ثم مالت على ميس التي تلبس حقيبتها فوق ظهرها تقول وهي تعطيها لفافة" هل تريدين باقي الكيك معك أم احتفظ به لك حينما تعودين"
نظرت ميس للفافة وخافت من أمها فقالت" لا سآكله حينما أعود"
عبس جابر بينما هتف زين "ميوس حبيبة عمها ..لماذا لا ترسلي لي على الواتساب مثلما اتفقنا؟"
قالت بحرج "لم أجد رقمك"
قالت لها أم هاشم "إنه مسجل على هاتفك سأريك كيف تجدينه في المرة القادمة "
هتف زين مناكفا حينما سمع صوت أم هاشم " ألف مبروك يا أم هاشم حمدا لله لم تأت فتاة سمراء فلن نجد لها عريسا في بلدتنا"
رفع جابر حاجبا متحفزا لتقول أم هاشم " كيف واسماعيل زين الدين دبور سيكون

موجودا إن شاء الله !.. فأنا أنوي أن أزوج كل بناتي لأبناء عمهن زين لذا لست قلقة على زواج البنات "

قهقه زين وقال" إن كان عمهم جابر سيعفينا من المهر والشبكة وخلافه فعلى بركة الله"

تغرغرت الدموع في عيني نجف وهي تقول" رزقكم الله بالذرية الصالحة وجمعكم على الخير والمحبة ..وملأ هذا البيت بالبركة والمودة ..كانت أمنية إسماعيل رحمه الله أن يملأ هذا البيت بأولاد دبور "

مال جابر وقبل رأس أمه بينما قال زين" اللهم آمين يا رب ..في حياتك يا بركتنا"

رن هاتف ميس مرة أخرى فاستقام جابر واقفا وهو يقول مداريا عن ابنته رغبة قوية في الانفجار في أمها" سأذهب لأوصل ميسة يا زين سنتحدث فيما بعد"

بعد ساعة

اعتدلت كاميليا من رقدتها وهتفت في وجه ميس "ماذا قلت؟؟ .. حامل في صبي هل أنت متأكدة؟؟!!"

هزت ميس رأسها فامتقع وجه كاميليا وزاد احباطها .. لماذا يحدث لها كل هذا؟!..إن عالمها يتزلزل من تحت قدميها شيئا فشيئا .. ومنذ ما حدث لبدير ينتابها الخوف من المستقبل .. فعماد صعب التفاهم معه وهي تراه يسيطر على كل الأمور مؤخرا خاصة مع حالة بدير الصحية التي قد تفقده القدرة على الحركة لفترة لا يعرف مداها .. فالأطباء لم يجزموا بحالته بعد .. كل هذا يخيفها ويشعرها بوحدة شديدة .. ليأتي هذا الخبر الذي أحرق أعصابها ..

أم هاشم ستنجب الذكر الذي ينتظره جابر .. ستنجب ذكرا يرث أمواله من بعده .. عضت

على قبضتها في غيظ شديد .. وشعور كبير بالندم يعذبها .. فلأول مرة تشعر بالندم على شيء بهذا الشكل.. لو كانت طاوعته وانجبت له صبي بعد ميس..

ازداد حقدها على جابر وأم هاشم .. ازداد بشدة فزاد من رقعة السواد في قلبها وأعمى بصيرتها .. ازداد إلى حد الجنون والأفكار الخطرة.

xxxx

قبيل منتصف الليل

عام يوشك على أن يلفظ أنفاسه الأخيرة .. يغادر بحلوه ومره .. فتظل انتصاراته معلقة كنياشين على الصدور بينما الخيبات تترك ندباتها وخدوشها على القلوب ..

عام يغادر .. وسيغادر معه عزيز ترك في القلب جرح لن يطيب إلا بعودته..

كان ولدا مفرح يشعلان صواريخ نارية صغيرة تلمع في يديهما تقليدا لزملائهم الذين قرروا أن

يحتفلوا بالعام الجديد فجلسوا في بث جماعي مباشر مع أصحابهم بالمدرسة يستقبلون العام الجديد معا يحملون أمنيات صغيرة لأحلام كبيرة في المستقبل .. بينما مليكة تجلس ساهمة تستعيد تفاصيل زيارتها لبسمة اليوم .. لقد عادت بسمة من ذلك الشاليه في الصباح الباكر وكانت مليكة ومفرح في استقبالهم .. وقضيا مع آل غنيم اليوم كله والحزن يغيم على الأجواء فبقيت هي مع بسمة المنهارة وجلس مفرح مع شامل ولم يتركوهم إلا في المساء .

تدثرت بغطاء خفيف فوق ساقيها في جلستها على الأريكة وتطلعت في ظهر مفرح الذي تراه من خلف زجاج الباب واقفا في الشرفة ساهما يحدق في السماء بشرود .
كان مفرح يفكر في صاحبه الذي من المفترض أن يكون في طريقه لمغادرة البلد الآن ..

كيف يستطيع أن يثبت براءته.. إن الجريمة وقعت في الليل أي في وقت كان فيه كامل في بيته ومع زوجته كما قضي كل أيامه في القرية .. ليته ما اعتذر عن مقابلته يوم وقوع الجريمة.. لقد اتفقا على مشاهدة مباراة في أحد المقاهي الكبيرة في مركز المحافظة لكنه كان يومها في محافظة أخرى واتصل به قبل المباراة بساعتين معتذرا لعدم استطاعته مقابلته لاضطراره للبقاء لفض خلاف بين تاجرين يتعامل معهما وشرح له عنوان المقهى لكن كامل أخبره بأنه مكتئب ولم يكن متحمسا للخروج من الأساس إلا لتغيير الجو معه وبأنه سيشاهدها في البيت مع بسمة .. لو كان شاهدها في المقهى لكان لديه شهود ..

أما في الفيلا فكان غنيم يمسد على رأس سوسو الراقدة على السرير تبكي بينما شامل يقف في

البهو أمام النافذة يتطلع في السماء وكأنه يناجي أخاه عن بعد ..
لا أحد يشعر بصعوبة الأمر عليهما .. لا أحد سواهما سيشعر بهول ما يشعران به .. إن ابتعاد كامل عنه كانشطار الشخص لنصفين .

أما بسمة فكانت في غرفتها تبكي بانهيار وهي تحضن قميص كامل وتشتم رائحته وهي تسأل نفسها متى ستراه ثانية .
في نفس اللحظة صرخت ونس صرخة كبيرة وهي تخرج من غرفتها .. فاستدار شامل يقطع السلم ركضا حتى وصل إليها ليجدها تمسك ببطنها والماء يغرق ساقيها ..
خرجت بسمة مفزوعة من غرفتها تقول" ونس ما بك؟؟ "
بدأت ونس بالتوجع صارخة" ثأموت الأيم شديد ثأموت يا شامي"

(سأموت.. الألم شديد.. سأموت يا شامل)

أسندها شامل يطالع بسمة قائلا بارتباك" هل أحضر الطبيب أم نذهب بها للمستشفى ؟"

ردت بسمة بارتباك مماثل " أعتقد المستشفى أفضل "

وتطلعت في الماء باندهاش فقابلتهم سوسو على السلم وهتفت " يا الهي إنها ستلد .. بسرعة يا شامل لقد انفجر ماء الرأس ..إنها تلد"

هتف شامل برعب "ستلد في الشهر السابع!!!"

xxxx

في نفس الوقت كان كامل يتطلع في الصحراء المترامية الأطراف أمامه التي توغلت فيها السيارة منذ فترة بعد أن أوصلهم سحس إلى نقطة ما وسلمهم لبدوي ملثم هو من يقود تلك السيارة التي يجلس هو في مقدمتها بجوار

السائق بينما سبعة أفراد مختلفي الجنسيات
يجلسون في السيارة من الخلف ..

خلال الساعات المتبقية من نهاية العام أخذ
يستعيد شريط حياته وتعجب من رغبته
السابقة في أن يترك هذا البلد وأن يهاجر .. وكان
يسعى لذلك بكل ما أوتي من قوة ..
ها هو الآن .. يخرج من ذلك البلد بعد أن
لفظه .. وكم كان الأمر مؤلما لدرجة لم يكن
يتوقعها ..
فلم يكن يعلم أنه قد زرع نفسه في أرض هذا
البلد دون أن يعي ..
لم يكن مدركا بأن قلبه قد اختار حبيبته منه
وأن أولاده سيحملون دم الشعبين ..
ولم يكن يعي أن قلبه سينخلع بخروجه بهذا
الشكل مغادرا البلد تاركا خلفه أسرته وحبيبته
وصاحبه ..

لم يكن يعي أشياء كثيرة أدركها بعد فوات الأوان..
واستمر ذلك السؤال الذي يلح عليه منذ الصباح يحيره :
كيف يمكن أن يثبت براءته أثناء وجوده في قرية قضى الوقت كله فيها مع زوجته
وهل ما يفعله الآن هو الصواب ؟
هل هروبه هو الحل ؟؟

الفصل الثاني والأربعون

عام جديد .. فرصة جديدة .. تحمل الأمل وتعد بالأفضل .. تعدنا ونعد أنفسنا.. وطوبى لمن صدقت نيته .

مع شعاع الفجر الوليد كان عيد يهرول في ممر المستشفى والسائق الذي أرسله غنيم لإحضاره يتحرك بجواره حتى يوصله للغرفة كما أمره غنيم..

ازدادت هرولته المرتبكة حينما لمح غنيم يجلس على أحد المقاعد في استراحة جانبية ممسكا بعصاه شاردا بنظراته في الأرض بينما سوسو وبسمة تجلسان على مقعدين قريبين كل منهما في ملكوتها فاقترب يقول لاهثا " كيف حالها ؟"

رفع غنيم أنظاره وحاول الوقوف بصعوبة لكن عيد منعه وتحرك يجلس إلى جواره بينما أجاب

الأول وهو يشير للسائق بأن يغادر "لا زالت بالداخل.. وشامل معها"
كان الخوف يسيطر عليه وشيطانه يرعبه أن تلقى حتفها مثل أمها .. هذا ما سيطر عليه طوال الطريق وهو يستعيد ذكريات لماضٍ مؤلم فاستدار ليسأله "هل قالت الطبيبة أي شيء عن حالتها؟ إنها لا تزال في الشهر السابع" أجاب غنيم وهو لا يزال زائغا بنظراته " لم تقل شيئا إلا أنها ستلد.. "
تطلعت بسمة في عيد الذي ألقى عليها السلام فردته بهدوء ثم نظرت لسوسو المتكتفة ترتدي مثلها ملابس رياضية بيتية ومعطفا ثقيلا فوقها و(كروكس) في قدميها .. وجهها المتورم من البكاء الخالي من المساحيق بينما شعرها معقوص للخلف .. هيئة لا تختلف عن هيئتها في شيء .

إنها لحظة من اللحظات الثقيلة التي تحمل من المشاعر والمتناقضات والأمنيات ما قد يجعلها دهرا وليست مجرد لحظة.

تركت بسمة مقعدها وتحركت لتجلس بجوار سوسو ومسدت على ظهرها بمواساة فناظرتها الثانية بابتسامة ضعيفة وربتت على يدها بينما دمعت عينا عيد فرفعها إلى أعلى يقول في سره "يا رب يسر ولا تعسر.. إنها عبدتك الضعيفة "

في الداخل كانت ونس تصرخ وهي تمسك بملابس شامل الذي أصرت على دخوله معها بعد أن انتابتها نوبة هلع حينما اشتدت آلام المخاض "شامي أموووت شامي .. لا أييده .. لا أييد أن أنجب .. أنا أموووت"

"شامل أموووت يا شامل .. لا أريده .. لا أريد أن أنجب .. أنا أموووت"

قالت الطبيبة بلهجة حازمة " ادفعي أكثر يا ونس ..ادفعي ..اقتربنا"
غمغم شامل مشجعا وهو يمسك بيدها والعرق يتصبب من جبينه "جنيتي ..سأعد حتى ثلاث ثم تدفعين فيها بكامل قوتك ..هيا واحد اثنان ..ثلاث ..هيا يا ونس"
احمر وجهها بشدة وانتفخت عروقها حتى أوشكت روحها على الخروج من جسدها .. لكن روحا أخرى هي التي خرجت مطلقة صرخاتها بينما كفت ونس عن الصراخ واجهشت بالبكاء .

بعد نصف ساعة

خرجت الطبيبة لتطمئن الجميع بما فيهم شامل الذي ترك ونس قبل قليل بعد أن نقلت لغرفتها فقالت" ونس بخير حمدا لله ..
والمولود سيظل في الحضانة لفترة حتى يكتمل نموه وتعليمات زيارته ستعرفونها من الطبيب

القائم على حالته (وناظرت الوجوه التي تمتمت بالحمد والشكر وقالت) حمدا لله على سلامتها "

بعد أن غادرت سأل عيد بلهفة " متى سأرى ابنتي؟"

رد شامل مطمئنا "سندخل لها حالا"

لم ينتظر عيد كلمة أخرى بل اندفع نحو الغرفة فتابعته أنظار شامل ثم سأل والديه بإرهاق

"علام تنويان؟ .. أنا أرى أنه لا داعي لوجودكما.. ولا حتى بسمة ..سأبقى معها أنا والحاج عيد"

قال غنيم بصوت عال قبل أن يدخل عيد الغرفة "ولماذا لا يأتي الحاج عيد ليستريح عندنا؟"

استدار إليه عيد يقول برفض قاطع" أنا سأطمئن على ابنتي وسأعود لبلدتنا.. اذهب أنت واسترح يا بيك تبدو متعبا "

لم يكن غنيم في حالة تسمح له بالجدال
فأطرق برأسه مستسلما بينما قالت بسمة رغم
رغبتها في الانزواء " وأنا سأبقى معك فبالتأكيد
ستحتاج ونس لامرأة بجوارها "
في الداخل مال عيد يأخذ رأس ابنته إلى صدره
قائلا "الحمد لك والشكر يا رب"
غمغمت ونس بضعف" يقويون ضعيف وثيبقى
في ايحضانة"
" يقولون ضعيف وسيبقى في الحضانة"
قال مشجعا" أنت الأهم .. والمستقبل أمامك
لتأتي بعشرة أولاد غيره "
تكلمت بوهن وهي تنظر لسقف الغرفة "يم أيه
جيدا أخذوه بثيعة ويم أحفظ شكيه يأيثمه "
(لم أره جيدا أخذوه بسرعة ولم أحفظ شكله
لأرسمه)
كان عيد لا يزال تحت وطأة تلك المشاعر التي
كانت تأكله طوال فترة حملها والتي تضاعفت

وتضخمت أثناء طريقه إلى المستشفى فسحب رأسها إلى صدره من جديد وقبّلها عدة مرات فاستشعرت ونس قلقه وغمغمت بابتسامة تشاكسه "تحشم يا عيد "

انهمرت دموعه واستمر في ضم رأسها في صدره مغمغما بابتسامة " كدت أن أموت قلقا بسببك يا بنت الكلب "

xxxx

العاشرة صباحا

"ألم تتذكر شيئا جديدا؟"

سأله الضابط الذي حضر لأخذ أقواله للمرة الثانية فبلع بدير ريقه وقال بهدوء" لا"

تطلع فيه بتدقيق ثم سأله" صف لي سيارة كامل نخلة ليلة الحادث"

رد بهدوء وكلمات متقطعة " سيارته التي يعرفها.. كل أهل ..البلدة"

قال الضابط بإصرار " صفها لي "

"سيارة دفع رباعي كبيرة سوداء"
سأله الضابط وهو يدقق في ملامحه "ولماذا اتهمت كامل نخلة بالذات وليس توأمه؟.. أعني ما فهمته بالبحث عن كامل نخلة أن له توأما متطابقا فكيف استطعت التعرف عليه ؟..هل أخبرك بأنه هو كامل ؟"
صمت بدير قليلا يفكر ثم أجاب ببطء " لأنه هو من كان موجودا في البلدة ومعه زوجته ولم يظهر أخوه أبدا في ذلك الوقت "
أنزل الأخر جفنيه لثوان ثم رفعهما يقول " كم كانت المسافة التي أطلق عليك منها الرصاص .. قل لي بالتقريب"
"عدة أمتار"
صمت قليلا ثم قال" هذه القصة مشابهة لما حدث قبل الحادثة بيوم الفارق فيها هو اطلاق الرصاص ..ألا ترى ذلك؟"

عاد إليه تردده وشعوره بعدم الراحة ..لكنه ذكر نفسه بخطورة ما يفكر فيه وبما قاله عماد من أن أي اتهام عام بدون تحديد هوية الجاني سيفتح عين الشرطة على عائلة العسال ..فأجاب إجابة مراوغة "لا أذكر إلا هذه القصة"

"لا تذكر إلا هذه القصة (رددها الضابط خلفه ثم هز رأسه يقول) حسنا إن تذكرت شيئا يا بدير أبلغني"

قالها وهو يستقيم واقفا ويشير لمرافقه ليستعدا للمغادرة فقال بدير بصوت ضعيف "هل أستطيع أن أطلب شيئا من سيادتك؟"

ناظره الضابط ليقول بدير "كما ترى حالتي لا تسمح لي بالذهاب إلى قسم الشرطة وكنت أريد أن أتنازل عن بلاغ"

عقد الضابط حاجبيه وسأله" أي بلاغ؟"

قال بدير " بلاغ كنت قد قدمته قبل عدة شهور ولا أعرف ماذا حدث فيه من إجراءات قانونية.. لكني أريد أن أتنازل عنه .. كان ضد رجل يدعى زهير عبد النبي"

xxxx

عصرا

مشاعر الأمومة لا يمكن وصفها بكلمات مختصرة فما بال إنسانة مثلها تجد صعوبة في التعبير بالكلمات .. لكنها تعتقد أيضا بأن الشعور الذي يسيطر عليها منذ أن رأت طفلها لن تستطيع أن تعبر عنه برسم لوحة واحدة .. تحتاج للوحات كثيرة لتصف مشاعرها تجاهه .. كل هذا ولم يمر على قدومه إلى هذه الدنيا سوى ساعات.

قال شامل وهو يضمها إليه في وقفتهما أمام الحضانة " لمَ البكاء يا ونس؟"

ردت بضعف " إنه ثغيي جدا وضعيف"

(إنه صغير جدا وضعيف)

قالتها وهي تتأمل طفلها في الحضانة فقال شامل" الطبيب طمأننا أن حالته بالنسبة لعمره جيدة .. لذا سندعو الله أن يكون قويا ويحارب من أجل البقاء معنا"

رفعت رأسها إليه قائلة " أنا خائفة شامي ويا اعيف ماذا فعيت حتى أيده قبي موعده"

(أنا خائفة يا شامل ولا أعرف ماذا فعلت حتى ألده قبل موعده)

تماسك وهو يقول غاصبا نفسه على التفاؤل" لم تفعلي شيئا يا جنيتي إن شاء الله سيتحسن لأنه ابن الجنية ومارد المصباح"

سألته وهي تتطلع في وجهه "أيم يتصي بعد؟"

(ألم يتصل بعد؟)

رد مراوغا " من تقصدين؟ كامل؟ .. لا أتوقع أن يتصل اليوم ولا حتى غدا"

تطلعت في عينيه فهرب بنظراته.. إنه حزين .. يشعر وكأنه قد فقد أحد أطرافه ويجد صعوبة في التعامل بدونه .. لكنه لا يملك رفاهية الانهيار أو الانزواء والغرق في أحزانه كما يرغب .. لديه عائلة كاملة معلقة في رقبته وزوجة نفساء تحتاج لدعم نفسي وتشجيع وطفل خديج ولد قبل موعده يرقد بين الحياة والموت.

اقتربت الممرضة وأخرجت آسر من الحضانة وقالت لونس وهي تعطيه لها لتحمله

"سنحاول أن نساعده على الرضاعة من صدرك سيدة ونس .. لكن عليك ألا تشعري بالإحباط إن لم يستجب من أول مرة .. فالرضاعة بالنسبة للطفل مجهدة وهو ضعيف .. كما أننا سندربك كيف تستخدمين جهاز استدرار حليب الصدر وتحتفظين به من أجله فكلما

غذيناه بلبن الأم كلما ساعده ذلك على النمو بشكل أسرع"
هزت ونس رأسها فقادتهما الممرضة لغرفة داخلية وساعدتها على وضع آسر على صدرها ..فوقف شامل يتطلع في المشهد كيف أصبحت ونس أما.. وأصبح هو أبا .. (أب) كلمة لم تتح له الفرصة حتى هذه اللحظة بالشعور بها .. فما تمر به عائلته من محنة وما يشعر به من قلق على كامل منعاه من ذلك خاصة وهو يحس بشعور غير مريح وبأن توأمه يعاني لكنه غير قادر على تحديد شيء بعينه.
على الرغم من أن الصغير لم يستجب للرضاعة واكتفى فقط بوضع ثدي أمه في فمه وعاد للنوم إلا أن مشاعر الأمومة كانت تتدفق من ونس فانهمرت دموعها ورفعت أنظارها لشامل تقول

بارتجاف" أنا أحبه يا شامي أحب آثي جدا جدا جدا"

" أنا أحبه يا شامل ..أحب آسر جدا جدا جدا"

ابتسم لها بإنهاك فقالت من بين دموعها " يا أييد أن أتريكه هنا كيف سأتيكه وأيحي ...كيف؟"

" لا أريد أن أتركه هنا .. كيف سأتركه وأرحل ..كيف؟"

قال شامل بلهجة حانية " لابد أن يبقى في الحضانة ليكتمل نموه يا ونس .. أعدك أن نزوره مرتين يوميا"

بكت وعادت تتطلع فيه مغمغمة باصرار" إنه ثغيي جدا وأنا أحبه جدا ويا أييد أن أتيكه أبدا"

(إنه صغير جدا وأنا أحبه جدا ولا أريد أن أتركه أبدا)

في غرفة ونس كانت بسمة تبكي في حضن مليكة التي حضرت قبل ذهاب ونس لرؤية طفلها

فربتت مليكة على ظهر بسمة التي غمغمت "أشعر بأني أموت يا مليكة .. خاصة وأنه لم تأتنا أية أخبار منه حتى الآن"

مسدت الأخيرة على ظهرها وقالت بشفقة "شدة وستزول إن شاء الله.. أسأل رب العرش العظيم أن يحفظه وييسر أمره ويظهر براءته"

بكت بسمة .. ثم ابتعدت بعد قليل تمسح دموعها وتحاول التماسك وهي تقول " تعالي اجلسي لا تقفي بهذا الشكل.. هل يجلس مفرح بالخارج؟"

هزت مليكة رأسها وقالت وهي تجلس على طرف السرير "ينتظر شامل أن يعود من الحضانة (وأضافت بحزن) إنه هو الأخر ليس على ما يرام منذ أن علم برحيل كامل .."

أطرقت بسمة برأسها تمسح بقايا الدموع فقالت مليكة" بسمة .. أعلم بأن الظرف غير

مناسب لكني لن أستطيع الصبر أكثر من ذلك لابد أن أخبرك"

طالعتها بسمة بتساؤل فاحمرت وجنتا مليكة وترقرقت عيناها بالدموع وهي تقول" رغم أني لا أصدق حتى الآن وأجريت التحليل ثلاث مرات لأتأكد .. لكني حامل يا بسمة ..حامل"

أطلقت بسمة صرخة متفاجئة وهي تستقيم واقفة وتقول" ماذا قلت؟؟؟"

انهمرت دمعة من عين مليكة وردت بابتسامة وهي تمسحها "حامل أخيرا.. وبشكل طبيعي دون تدخل"

أسرعت بسمة نحوها ومالت تحضنها بقوة وارتجاف من المفاجأة وهي تقول" يا الهي .. ألف ألف مبروك .. الحمد لله ..هذا خبر رائع ..رائع"

ابتسمت مليكة فابتعدت عنها بسمة تقول بتأثر "سعيدة من أجلك يا مليكة .. كيف تلقى مفرح والأولاد الخبر؟"

أجلستها الأخيرة على طرف السرير بجوارها وهي تقول" مفرح سعد كثيرا لكن ما حدث لكامل يشغله جدا عن أي شيء لكنه سعيد .. أما الولدان فمصدومان من الخبر .. وأشعر ببعض مشاعر الغيرة بداخلهما والخوف من أن أتوقف عن حبهما لكن هذا متوقع لذا أحاول طمأنتهما"

قالت بسمة وهي تمسك بيديها" أنا سعيدة جدا من أجلك ..صدقا هذا الخبر جاء ليخفف عني وعنا جميعا ما نمر به الحمد والشكر لله"

قالت مليكة بلهجة صادقة" العقبى لك قريبا"

هزت بسمة رأسها بكآبة فقالت مليكة "أشعر بأنه قريب جدا أخبريني هل جاءتك عادتك الشهرية منذ آخر مرة أخبرتني فيها ؟"

ردت بسمة بعدم اهتمام" لا أعرف متى أخبرتك ولا أذكر متى جاءت ولا أهتم حاليا بشيء سوى أن أطمئن على كامل .. ادعي له يا مليكة ..ادعوا له كلكم أن نطمئن عليه"

غمغمت مليكة" إن شاء الله لا يرضى ربك بالظلم"

دخلت ونس عائدة من الحضانة وجهها متورم من البكاء فسألتها بسمة باهتمام" ما بك؟"

قالت منفجرة في البكاء" لا أييد أن أتيكه وأيجي أييد أن أبقى بجوايه"

(لا أريد أن أتركه وأرحل أريد أن أبقى بجواره)

أسرعت مليكة إليها وحضنتها تقول "لا ... عليك التماسك .. فالحزن والبكاء سيؤثران على اللبن وهو مهم جدا لاكتمال نموه "

بكت ونس في حضنها فقالت مليكة مشجعة "أنا أفهم شعورك جيدا وجربته .. لقد وضعت

نجمة في الحضانة لفترة وكنت أذهب اليها كل يوم"
قالتها وشردت متفاجئة من ذكرها لنجمة بهذه العفوية ..
هل هذا يعني أنها تخطت حقيقة موتها؟ ..
هل هذا مؤشر لتحسن حالتها؟ ..
عليها أن تسأل طبيبتها النفسية حينما تزورها المرة القادمة.

أما في الخارج فسأل مفرح شامل" ألا توجد أية أخبار؟"
رد الأخير مهموما" لا شيء وينتابني شعور غير مريح تجاهه ..إنه يعاني من شيء ما وخائف وحائر"
قال مفرح بحزن " كنت أتمنى أن أراه قبل السفر ..لم تتح لي الفرصة حتى لوداعه أو التفكير معه في القضية وتفاصيلها"

علق شامل بعد تنهيدة مكتئبة" الحقيقة كلنا لم تتح لنا فرصة للاستيعاب .. كنا مصدومين لا يشغلنا سوى حمايته والبحث عن طريقة لإخفائه حتى نجد وقتا للبحث في ثغرات القضية"

وضع مفرح يديه في جيبي بنطاله وشرد بأنظاره أرضا يقول" لم أعد قادر على معرفة تفاصيل التحقيقات .. كل ما حصلت عليه وأخبرتكم به كان بشكل غير رسمي قبل أن يصدر أمرا بالقبض على كامل وفتح التحقيق .. وسأموت لأعرف ماذا قال بدير من تفاصيل"

قال شامل بلهجة مكتئبة" أعتقد أنهم سيستدعونني في أية لحظة وأخبرت المحامي أن يستعد"

فرك مفرح في شعره بغيظ ثم سأله" متى من المفترض أن يتصل بك كامل؟"

أجابه شامل بصوت خافت "كان من المفترض أن يكون قد اتصل بنا .. فحسب المسافة بين الدولتين قد وصل منذ عدة ساعات .. لكنه لم يفعل ولهذا أشعر بالقلق الشديد وأخشى أن يكون قد تم القبض عليه من حرس الحدود"

سأله مفرح مستفهما" ألستم على اتصال بأي شخص ليطمئنكم ؟"

رد شامل موضحا " لا يوجد سوى الوسيط الذي تم الاتفاق معه.. وهو لم يفد أبي بشيء .. أخبره فقط أنه أوصل كامل والمجموعة التي معه للشخص الذي سيعبر بهم الصحراء.. وبأنه لن يستطيع التواصل معه حاليا فالرجل لا يعود من سفرته بسرعة بل يختفي لبعض الوقت"

زفر مفرح وقال" رغم أني لا أرضى له بدخول السجن لكني لا أوافق على هروبه أبدا"

رد شامل بصدق" أنا شخصيا لازلت أرزح تحت انفعالات جمة وغير قادر على استيعاب ما حدث لنا خلال أسبوع واحد .. ولا أفكر سوى في سلامته وفي التعامل بصمود أمام تبعات الفضيحة "

أطرق مفرح برأسه مهموما وشعور بفقدان صديقه يخنقه بينما غمغم شامل وهو يتطلع في عيد الجالس على مقعد رأسه للخلف ويغط في نوم عميق "ماذا أفعل مع هذا الرجل ذا الرأس اليابس؟"

رفع مفرح أنظاره في الاتجاه الذي ينظر إليه شامل ليضيف الأخير "ترجيناه أن يذهب مع أبي وأمي ليستريح لكنه رفض .. ومصر على البقاء بهذا الشكل معنا وبالطبع سيرفض رفضا باتا المبيت .. لهذا أبلغت السائق أن يستعد لإعادته للقرية وقتما يقرر (ثم أضاف وهو يتحرك) سأخبر ونس أن تستعد للمغادرة ..

وليعينني الله على اقناعها بالخروج وترك آسر هنا .. رأسها أيبس من والدها ولا تريد التفاهم في هذا الأمر"

xxxx

ليت الأرض تنشق وتبتلعه .. ليته مات في تلك الليلة حتى لا يشعر بما يشعر به الآن من ذل وانكسار .. ليته مات وانتهى حتى لا يرونه بهذه الهيئة المخزية ..

شعر بدير بالمهانة وهم يخرجوه من السيارة.. أخوه عماد وابنه علاء ومحمد ابن بسطاويسي يحملونه إلى الداخل ..

تأمل بوابة البيت التي خرج منها قبل ثلاثة أسابيع على قدميه ويعود الآن ليعبرها محمولا والجيران متجمعون أمامها يتابعون ما يحدث يحوقلون ويتمتمون بعبارات مشفقة ..

أيقصدونه هو بدير العسال الذي كان يمشي بينهم مختالا؟ ..

أ يعني الطبيب ما قاله قبل قليل أنه قد يقضي البقية من حياته على كرسي؟
قعيد على كرسي !!
تطلع في وجوه من يحملونه وفي وجه عماد الغامض والذي بدا وكأنه يشعر بالراحة لأنه سيبقى حبيس كرسي .. ثم وجوه الباقين المشفقة.. تطلع في وجوههم جميعا .. وتمنى الموت .
بعد دقائق كانوا قد وضعوه في سريره وعماد يقول "هذا وضع مؤقت حتى نقوم بتعديلات في الدور الأرضي لتنتقل للعيش فيه أنت وأم علاء"
"لا"
قاطعه بدير بوهن وأضاف" لا أريد أي شيء .. ولا أريد أن أرى أحدا مهما كان"
قال عماد بهدوء" على راحتك (ونظر لكاميليا التي تحدق في بدير خائفة من القادم خاصة

بعدما علمت بأنه قد لا يسير على قدميه مرة أخرى وقال) هيا يا كاميليا اتركيه الآن .. طلب أن يكون وحده"

تلكأت تنظر لبدير فوجدته مغمض العينين .. بينما هدر فيها عماد" قلت هيا "

قالها وهو يخرجها من الغرفة ويخرج أولاد بدير المصدومين ثم تحرك نحو الباب لكنه توقف عنده قائلا بلهجة متهكمة استفزت بدير وزادت من سوء حالته النفسية "أعجبتني تلك الحركة التي قمت فيها بالتنازل عن بلاغك في حق زهير عبد النبي .. الناس متعاطفون معك بشدة في الخارج .. نتعلم منك دوما التخطيط العالي يا أبا علاء"

لم يرد بدير .. تقبض إلى جواره ولم يرد فقال عماد ببرود" أرتاح يا بدير ولنا جلسة بعدها لنتحدث في شؤون العمل"

قالها وخرج يغلق الباب خلفه وساد الصمت الكئيب .. ففكر بدير فيما آلت إليه حياته وتساءل .. لماذا عليه أن يعيش؟ .. ماذا سيفعل في حياته القادمة؟

فُتح الباب ففتح عينيه ليجد وجدان قد دخلت وبدأت في خلع عباءتها على عجل وبدلتها بأخرى بيتية ثم اقتربت منه بوجهها المتورم من البكاء تقرب منه دورق الماء وهاتفه على الكومود وهي تقول" حالا سأعد لك الغداء" أمسك بمعصمها فتطلعت فيه بتساؤل ليقول بخفوت" لست مجبرة على خدمتي ولا البقاء حتى على ذمتي"

أسرعت بوضع يدها على فمه لتسكته ثم قالت بلهجة باكية" لا تقل هذا يا بدير .. أنا معك في الحلو والمُر"

ابتسم يقول بخفوت ساخرا " وأنا كنت لك (المُرّ) أعرف ذلك .. والآن ستزداد حياتك معي مرارة"

غمغمت بلهجة باكية " لكنك ستظل أبا أولادي"

هز رأسه وقال" أعرف أنك بنت أصول ولكني أقولها لك ..حين تريدين الانفصال ولو حتى في غرفة أخرى فلك هذا"

أعادتها لهجته المراعية عشرين سنة للخلف .. إلى بدير الذي تزوجته قبل أن يصبح سميك الجلد وتغيره الأيام .. فربتت على يده ثم قالت "دعنا من هذا الحديث .. سأنزل لأرى ماذا طبخت هدى وأحضر لك الطعام"

قالتها وخرجت بسرعة تكتم دموعها مصدومة مما علمت به أنه لن يستطيع السير على قدميه مرة أخرى .. في الوقت الذي تطلع بدير في ذلك الذي ينتظره في الركن البعيد من الغرفة ..

وتمنى الموت للمرة التي فقد عدها .. تمنى الموت قبل أن يضطر لاستخدام هذا الكرسي المتحرك.

xxxx

في المساء

"ما شاء الله ..ألف حمدا لله على سلامة ونس ..هل هي مستيقظة لأبارك لها؟"

قالتها أم هاشم في الهاتف وهي تقف في غرفة نومها فردت بسمة بإنهاك مستلقية على سريرها" أعتقد أنها نامت الآن .. لقد كانت تنتحب بشدة لفراق الصغير وتركه بالمستشفى ..كما أرادت أن يبقى والدها ويبيت لكنه صلّب رأسه وتركنا في المساء فأوصله السائق .. اعتقد بأنها تعاني من ضغط انفعالات كثيرة عليها"

قالت أم هاشم بشفقة " سييسر الله أمرها ويحفظ وليدها إن شاء الله

..وأنت كيف حالك؟"

صمتت بسمة قليلا ثم ردت " أنا في حالة سيئة جدا لكني أحاول أن أتماسك من أجل الباقين ..من أجل والديه المسكينين وونس التي تحتاج لرعاية تعلمين ليس لديها أم لتكون بجوارها في فترة كهذه من حياتها فنحاول أنا ومليكة أن نكون بجوارها .. (واستدركت تقول) الحقيقة مليكة كالعادة تقوم بالدور الأكبر .. ظلت معنا هي ومفرح والولدان حتى المساء .. والولدان ومشاكستهما ولعبهما مع شهبندر أمام عمي غنيم خففا عنه الساعات التي تمر ببطء"

قالت أم هاشم بتعاطف شديد وهي تمسد على بطنها" جزيتم جميعا الجنة وفك الله كربكم.. ألا يوجد أخبار؟"

"لا جديد وأنا أكاد أن أجن"

قالتها بصوت مخنوق بالبكاء فغمغمت أم هاشم" إن شاء الله سيطمئن قلبك يا بسمة

..الابتلاءات لا تأتينا إلا في نقاط ضعفنا ..
سأتصل بونس في الصباح لأبارك لها"
اقترب جابر ووقف خلفها ثم طبع قبلة رقيقة على مؤخرة رقبتها السمراء الملساء ..فارتجف جسدها ورمقته بنظرة موبخة بطرف عينيها البنيتين وعادت لتستمع لبسمة التي قالت"
أريد أيضا أن أزور أمي ..إنها حزينة جدا بسبب ما حدث ولكن يبدو أنني سأؤجل الزيارة لبضعة أيام حتى تسترد ونس صحتها وتستقر الأمور هنا"
مد جابر ذراعيه من الخلف ليمسد على بطن أم هاشم في حنان جارف ومنظرها وهي تقف بمنامة أرجوانية بنطالها قصير حتى الركبة مغري فعاد لطبع قبلة أخرى رقيقة على مؤخرة عنقها .
تلوت قليلا وظهرت غمازتيها بحرج وهي تقول لبسمة" سأراك قريبا إذن"

قالت بسمة" أجل إن شاء الله"
قالت أم هاشم وقد بدأت تفقد تركيزها مع محدثتها " هذا رائع لأني أشتاق إليك سأتركك الآن ونتحدث في الصباح"
"إن شاء الله"
قبل أن تغلق الخط قالت أم هاشم " تماسكي يا صاحبتي فلولا البلاء لوردنا القيامة مفلسين"
"ونعم بالله تصبحين على خير"
"وأنت من أهل الخير"

أغلقت بسمة الخط وأعادت تشغيل الأغنية التي تربطهما وأخذت تحدق في السقف وتفكر فيه متسائلة أين هو الآن ؟.

أبا أتأسف وأنا ما خطيت ..
لأني بالفعل حبيت
أنا سمعتني الأيام ..
ياليتك تسمعي يا ليت

أما أم هاشم فقالت وقد بدأت حرارة جسدها في الاشتعال" جابر!.. والله خشيت أن تلاحظ بسمة أن عقلي ليس معها"

قال بشقاوة خلف أذنها" مع من إذن؟"

لملمت ابتسامة أكثر شقاوة وردت " أنت تعرف من يسلب عقلي ويتحكم في كل أمري" أبعد رأسه يتطلع فيها قائلا باستنكار " وهل كنتِ تريدين أن تتحكمي في عقلي وكل أمري ولا أكون معك بالمثل؟!"

ابتسمت ثم وضعت يدها فوق يده التي تمسد برفق على بطنها وقالت "أشعر بأني أشبه من بلعت شيئا فوقف في معدتها بهذه البطن الصغيرة"

ازداد التصاقه بها وهمس وأنفه وشفتيه يداعبون عنقها وكتفها "كل شيء فيك جميل ويزيد إغراءً يوما بعد يوم"

قالت بإحباط" كل شيء يزيد إغراءً إلا هذا الذي هو عقدتي ..لا أجد اختلافا مؤثرا فيه حتى مع الحمل"

قهقه ضاحكا فأدارت وجهها إليه تطالعه بحنق ليقول جابر بلهجة ساخنة" مالك أنت بهذه الأمور ..لا تتدخلي فيما لا يخصك يا عود القرفة"

استدارت بكليتها لتلتصق به ورائحة عطره الرجولي الساخنة تستولي شيئا فشيئا على ذراتها ثم قالت بلهجة مغوية وهي تدلك صدره بكفها "أنت تستحق أن يصنع لك تمثالا لعشقك للباذنجان الأسود يا أبا هاشم"

قهقه ضاحكا وضرب رأسها برأسه بخفة قبل أن يقول مغازلا "باذنجانة سمراء صاحبة أجمل غمازتين رأيتهما في حياتي وشفتين مغويتين إلى حد ارتكاب الجرائم من أجل الوصول إليهما "

قالها ثم أطبق على شفتيها المغموستين كصاحبتهما في القرفة والعسل.

xxxx

صباح اليوم التالي

القهوة هي الشيء الوحيد المتبقي لها مع الذكريات الحلوة لتمدها بطاقة نفسية للقيام والمواصلة.

كانت تتملكها رغبة قوية للنوم لأيام .. ربما هروب .. ربما تخدير لآلامها النفسية ربما رغبة في اختصار الوقت ..لكن عقارب الساعة باتت كامرأة عجوز ثقيلة الحركة ..

نزلت بسمة بعد أن اطمأنت على ونس وفي يدها كوبا من القهوة والقلق يأكل قلبها أكلا ووقفت تنظر لغنيم وسوسو اللذان يتابعان شامل بينما الأخير يقول في الهاتف "إن كانت إدارة القناة ترى أن فسخ العقد معي من مصلحتها فلن أستطيع قول شيء ... "

صمت قليلا يستمع لمحدثه ثم قال بانفعال"
الناس تتحدث بدون بينة .. وأخي مظلوم
ونسعى لإثبات براءته هذا ما استطيع قوله لكم
أما قرارات إدارة القناة لا أملك أن أتدخل فيها ..
عموما حتى تتخذوا القرار في هذا الموضوع فأنا
أطلب إجازة من تصوير الحلقة الأسبوعية
..لأن زوجتي ولدت وابني في الحضّانة ومشغول
مع عائلتي هذه الأيام..... بارك الله فيك شكرا
لك ... أبلغني بقرار القناة من فضلك حين
يصدر حتى أرتب أموري .. سلام"
أغلق الخط وهو يجز على أسنانه بعصبية
فسألته سوسو " هل قرروا فسخ العقد
معك؟"
رد شامل بعبوس " ليس بعد .. المخرج كان
يتحدث معي بصفة غير رسمية ويخبرني بأن
هناك تخوف من انتشار الخبر في الصحف"

قالت سوسو بقلق "الخبر انتشر بالفعل بين معارفنا ولقد أغلقت هاتفي بسبب الاتصالات"
لم يرد غنيم .. كان يقف شاردا يلقي بكل ثقله على عصاه فسألت سوسو ابنها" ألم يتصل بعد؟"
هز شامل رأسه فسألت وهي تتطلع في الوجوه " هل حدث شيء لابني وتخفون عني؟"
أسرع شامل بتكرار كذبته التي أخبرها بها ليلة أمس" قلت لك يا أمي لن يتصل لفترة هذا من أجل أمانه وأماننا لربما هواتفنا مراقبة"
قالت باكية" يتصل على الخط الجديد الذي ابتاعه غنيم ..يتصل اتصالا واحدا لطمأنتنا ..بهذا الشكل سنموت"
أصر شامل على كذبته قائلا "حتى هذا لا نضمن أنه لم يتم مراقبته هو الأخر لهذا لا تتوقعي منه اتصالا قريبا"

أطرقت بسمة برأسها بينما قالت سوسو باستسلام" استرها معه يا رب .. وسلم طريقه واحفظه من كل سوء .. سأصعد لونس هل هي مستيقظة يا بسمة؟"

ردت الأخيرة" أجل تستعد للذهاب لزيارة الصغير"

غمغم شامل" إنها لم تنم ومستعدة منذ الفجر"

صعدت سوسو للدور العلوي بينما غمغم غنيم "اللهم هون هذه الأيام الثقال علينا واجمع شملنا قريبا (ثم قال لابنه بخفوت بعد أن تأكد من صعود زوجته) هل من جديد؟"

هز شامل رأسه نافيا فقال غنيم من بين أسنانه" المشكلة أن هذا الرجل الذي اتفقت معه يرفض أن يحدد لي مكانا لمقابلته وسؤاله وجها لوجه خوفا من تتبع الشرطة لي.. ومصر على القول بأنه ليس لديه معلومات عن

المجموعة ولن يستطيع التواصل لفترة مع الشخص الذي أوصلهم"

سحبت بسمة نفسا عميقا تحاول التماسك وقالت بلهجة باكية" يا رب سأموت من القلق عليه"

تنهد غنيم بحزن فأردفت قائلة" إياكما أن تخبئا شيئا عليّ خوفا من أن تحزنانني كسوسو ..والله أنا متماسكة حتى أكون قوية أمامكما فلا تخفيا عليّ شيئا يخصه مهما كان"

لم يرد شامل فقالت بسمة بلهجة متوسلة" ألا يخبرك حدسك بشيء يا شامل ألستما تشعران ببعضكما؟"

قال بسخرية مرة "لست منجما ..أنا فقط أشعر بما يشعر به وأتوتر مع توتره"

سألته بلهفة "وبم تشعر حاليا تجاهه ؟"

صمت قليلا ولم يدر هل يخبرهما بأنه يشعر به متوتر بشكل كبير أم لا فقال باقتضاب "حاليا لا أشعر بشيء"

قالها وتحرك مبتعدا وهو يناجي أخاه في سره" اخبرني بشيء يا حلوف طمئني حتى "

رن جرس البوابة فعاد شامل من طريقه إلى باب المطعم الداخلي وتوجه نحو شاشة صغيرة بجوار باب الفيلا الداخلي وفتحها ليرى ضابط شرطة فبلع غنيم ريقه بقلق بينما قال شامل" جاءوا أسرع مما كنت أتوقع .. (ثم استدار لبسمة يقول) هلا ذهبت مع ونس لزيارة الصغير بدلا مني ؟"

هزت رأسها مطمئنة فقال غنيم "وأنا سأتصل بالمحامي ليقابلك في قسم الشرطة الله المستعان"

××××

بعد عدة ساعات

سأله وكيل النيابة مجددا "هل أنت متأكد سيد شامل أنك لا تعرف مكان أخيك كامل؟"

قال شامل بإنهاك " صدقني أنا أيضا قلق وأريد أن أطمئن عليه"

تدخل المحامي قائلا " كما ترى أن موكلي شامل نخلة لم يكن في البلد في الفترة التي حدثت فيها الجريمة"

تطلع وكيل النيابة مجددا في جواز السفر الذي يحمل اسم شامل نخلة صامتا بينما تبادل شامل النظرات مع محاميه الذي طمأنه .

طُرق الباب ودخل أحدهم يعطي وكيل النيابة نتيجة فحص بصمات شامل فنظر فيها ثم أملى على مساعده" يخلى سبيله بضمان محل إقامته على أن يستدعى كل فترة لفحص بصماته والتأكد من أنه شامل نخلة"

قالها ونظر لشامل قائلا" مضطر لهذا الإجراء
نظرا لتطابق شكلك مع توأمك"
هز شامل رأسه بينما أضاف وكيل النيابة"
ونصيحة مني إن تواصلت مع توأمك أخبره بألا
يعقد موقفه بهروبه"
هز شامل رأسه مجددا وهو يغمغم في سره"
المهم أن اتواصل معه واطمئن"

xxxx

في المساء

رغم الأجواء القاتمة الكئيبة إلا أنها أصرت ألا تغرق نفسها في الحزن . أصرت على ألا تتوحد مع مآسي المحيطين وأن يكون لها حياة خاصة تفصلها حتى عن أعز الناس لها . . إنها مهارة جديدة تعلمتها .. أن حبها ودعمها وتعاطفها مع من تحبهم لا يعني أن تنغمس في الحزن إلى حد يؤثر على حياتها الشخصية.. فلآدميتها ولنفسها عليها حق .. ولزوجها عليها حق ..

خاصة وهو مهموم وقلق منذ سفر صاحبه
وانقطاع الأخبار عنه.

تطلعت مليكة في قميص النوم باللون
المشمشي الذي ارتدته وربتت على بطنها
فأصابتها تلك الرجفة .. وخفقة القلب .. التي
تشعر بهما كلما فكرت في حملها ثم رتبت
خصلات شعرها البني وتركته مسدلا على
كتفيها حرا كرغباتها هذه اللحظة .
بعد قليل دخل مفرح غرفة النوم عائدا من
الخارج بعد يوم طويل مجهد بدأ بخبر القبض
على شامل للاشتباه بأنه كامل نخلة فجاء من
البلدة إلى العاصمة ليكون معه في قسم الشرطة
وانتهى بالإفراج عنه .. دخل ليجد مليكة في
استقباله في هيئة تذهب العقل المشغول
بالكثير من الأمور المعقدة .

ألقى السلام وراقب احمرار وجنتيها وهي تسأله" هل شامل بخير؟"
رد بصوت منهك وهو يخلع ملابسه ويراقب تفاصيلها المغرية الظاهرة بوضوح من تحت القميص " بخير الحمد لله .. كان يوما مجهدا لكن انتهى بالإفراج عنه كما قلت لك في الهاتف"
مطت مليكة شفتيها وهي تتحرك لالتقاط الملابس من يده قبل أن يلقي بها في الأرض قائلة بغيظ" ألن تكف عن عادة إلقاء الملابس في الأرض يا مفرح !!"
سحبها من ذراعها لترتطم بصدره العاري وقال بحشرجة " هل تنتظرنا ليلة ساخنة؟"
توردت أكثر وقالت وهي تداعب عنقه بأصابعها" ماذا أفعل اشتقت لك وأنت غائب عني "

عقد مفرح حاجبيه قائلا "ما هذا الكلام؟.. هل تشككين في أداء مفرح الزيني يا بنت السرايات!"
ضحكت والتصقت به أكثر وهي تقول بأنوثة تسللت إلى عالمه القاتم المكتئب فنشرت فيه البهجة " أنا أتحدث عن الشوق .. هل تعرفه؟"
هذا التصريح منها .. من مالكة قلبه .. بهذا الشغف الذي طال انتظاره أشعل حواسه كلها .. وداعب كبرياءه الذكوري .. وخفق له قلبه بقوة ينفض عنه الحزن فطبع قبلة على جانب وجهها وتسللت يده تتحسس مفاتنها قائلا" أعرفه ..فهذا اللعين ظل يتفنن في تعذيبي لسنوات"
قالت بلهجة تمثيلية بائسة "يبدو أنه قد قرر أن يعذبني أنا الآن يا مفرح"

أبعدها قليلا يتطلع في القميص بتروٍ ثم قال"
تؤتؤتؤ الأمر يحتاج لسرعة التدخل للقضاء على
هذا الشوق اللعين "
ألصقها به مجددا ومال يقبل شفتيها بحرارة
وذراعاه تحيطان بها باحتواء كامل وترجٍ للهرب
إلى عالمها بعيدا عن الواقع المحبط .. لأن تلون
عالمه الباهت بألوان قوس قزح .. لأن تغسل
قلبه من الكآبة وتدلله في عالم ناعم عطر من
ريش نعام .
بعد بعض الوقت كان لا يزال لاجئا إلى حضنها
لا يرغب في الانفصال عنها .. عن عالمها
الجميل بينما هي تبكي كعادتها بعد الوصول إلى
خط النهاية وتمشط شعره الأسود بأصابعها
فرفع رأسه يقول بهمس أجش" أنا أعرف بأننا
لم نحتفل كما يجب بخبر حملك بسبب
الأحداث الأخيرة لكني في غاية السعادة يا مليكة
حتى لو منعتني الظروف من الإعلان عن فرحتي

بل أعتبر أن هذا الخبر في هذا التوقيت بالذات لم يكن فقط للتخفيف عني ولكنه جاء في هذه الظروف رحمة بي حتى لا أفقد عقلي من الفرحة ..صدقيني أنا لازلت مصدوما بالخبر لدرجة عدم التصديق ..ربما لو كبرت بطنك قليلا لصدقت ..(وسرت رجفة في جسده انتقلت لجسدها الملتصق به وهو يقول بتأثر متأخر) يا إلهي لازلت لا أصدق أنك حامل في طفلي "

مسدت على لحيته وفوديه الذين تسللت إليهما الشعيرات البيضاء وقالت وهي تتطلع في واحتيه الخضراوين" أنا أيضا لازلت لا أصدق حتى أنني استيقظ كل يوم وأجري اختبارا للحمل لأتأكد من أني لا أهلوس"

قبّل نحرها وقال هامسا وهو يبعد خصل شعرها عن جبينها" تحدثت مع الصائغ حتى اشتري لك هدية بهذه المناسبة"

قالت وهي تمسح دموعها "لكني لا أريد هدية من الصائغ"
قال لها " أشيري بخنصرك وأنا أنفذ"
نظرت في عينيه قائلة" أريد طقم بورسلين كالذي كسرته في شقتنا القديمة"
رفع حاجبيه مندهشا فقالت موضحة " هذا الطقم كان عزيزا عليّ يا مفرح ولا أستطيع مسامحتك على تكسيره"
غمغم باندهاش "لهذه الدرجة!"
هزت رأسها بالإيجاب فقال وهو يميل ويقبل شفتيها " حاضر ..ست الحسن أم أولادي تأمر أمر"

xxxx

بعد يومين
قبيل العصر

تطلعت أم هاشم في ساعتها بغيظ وهي تنظر للبوابة في وقفتها في ساحة المشروع ثم رفعت

الهاتف تطلب رقما وقالت بعد برهة باختناق"
ألا يزال التوكتوك معطلا يا ناصر؟"
رد ناصر بلهجة معتذرة " اعتذر يا ست أم
هاشم لا أدري ماذا حدث له فجأة ..نحاول
إصلاحه"
قالت بعدم صبر" حسنا أنا سأبحث عن
توكتوك أخر فلن أعطل نفسي أكثر من ذلك "
أغلقت الخط ثم قالت لمشرفة المشروع وهي
تعدل وشاحها" أنا سأذهب يا أمل فقد تأخرت
اليوم ..إن جد جديد أبلغيني في الهاتف"
قالت أمل بابتسامة" في أمان الله"
حملت أم هاشم بعض أكياس الخضروات
المجهزة التي أخذتها لبيتها وتحركت في عجلة
من أمرها وهي تنظر في ساعة الهاتف مغمغمة"
لقد تأخرت وسيغضب جابر إن علم بذلك
سامحك الله يا ناصر"

خرجت من البوابة وتحركت مغادرة وهي تلتفت بين الحين والأخر خلفها كلما سمعت صوت محرك سيارة لربما وجدت توكتوكا يأخذها للبيت لكنها تعلم أن المنطقة لا تمر منها التكاتك إلا نادرا لأنها محاطة بالأراضي الزراعية لذا عليها أن تصل لأقرب شارع تمر به التكاتك عادة لتستقل واحدا ..

انعطفت يسارا وسارت بمحاذاة حقل برسيم تفكر فيما أخبرتها به مليكة بأنها حامل.. وكم كان وقع الخبر عليها مؤثرا وفرحت من أجلها بشدة.

لقد كانت تشعر بالحرج من مليكة وبسمة حينما حملت .. تعرف أنهما ستفرحان من أجلها لكنها لم ترغب في أن تؤلمهما فغمغمت "الحمد لله أن جبر بخاطرك يا مليكة والعقبى لك يا بسمة يا بنت فاطمة بعد أن يزيح الله الغمة ويثبت براءة الرجل الغامض"

مرت على سيدتين تجلسان أمام أحد البيوت القليلة المتاخمة للحقول فألقت عليهما السلام واستمرت في سيرها بخطوة عسكرية واسعة فردتا عليها السلام وظلتا تتأملانها وهي تبتعد ثم قالت إحداهما للأخرى "أين التوكتوك الذي تتحرك به في الغدوة والروحة.. يبدو أنه لن يوصلها اليوم"

قالت الأخرى وهي تتأملها " اختلفت كثيرا بعد الزواج أم هاشم"

ردت الأولى بلهجة تقريرية " وهل من تتزوج رجل كجابر دبور لن يبدو عليها اختلاف !..

الجميع أصبح يعلم كيف يقدّرها .. يكفي عباءاتها غالية الثمن ومصوغاتها الذهبية وتلك الأنوثة والنضارة التي تشع من وجهها لتعلمي بأنه يدللها .. لقد بت أشعر بأن بشرتها السمراء أضحت فاتحة اللون .. ما شاء الله لا أقصد الحسد "

قالت الأخرى " لا تنكري أن جابر هو الأخر أصبح مختلفا بعد الزواج منها ..وكأنه قد صغر عشر سنوات"

قالت الأولى بلهجة العارف بالأمور " هو صغير في السن.. لا يغرك لحيته الرمادية إنه من عمر أخي كان يذهب معه إلى المدرسة .. لو حلق لحيته سيبدو أصغر من سنه الحقيقي"

تكلمت الأخرى " يبدو أنه لم يكن سعيدا مع بنت العسال"

أشاحت الأولى بيدها تقول بقرف" يكفي أنها مغرورة ..تشعرك بأنها ملكة زمانها .. ماذا تفعل بحياتها الآن؟.. مطلقة ومركونة في بيت أهلها كالبضاعة المستعملة"

جادلتها الأخرى " لا تقولي هذا .. أسمع أن من يرغبون في الزواج منها كثيرون لكنها ترفض "

مصمصت الأولى شفتيها وقالت " غبية ستضيع حياتها وشبابها .. ألا يكفي ما حدث

لأخيها بدير .. مسكين لا أصدق أن الرجل الغريب زوج بنت الوديدي قد فعلها"
قطعت استرسالها في الحديث وشهقت بقوة وهي تنظر على مدى بصرها على أم هاشم ثم أطلقت صرخة مفزوعة شاركتها فيها الأخرى بصوت عال .

قبل دقيقة

رن هاتف أم هاشم فنظرت فيه ثم توقفت لثوان وهي تغمغم بالمقولة الشهيرة "(جاءك الموت يا تارك الصلاة!) .. (ثم ردت) نعم جابر"
سألها بلهجة جادة " أين أنت ولماذا تلهثين؟"
ردت معترفة " بصراحة التوكتوك تعطل وتأخرت على العودة فخرجت لأبحث عن توكتوك أخر"
قال جابر بتوبيخ " لماذا لم تخبريني يا أم هاشم كنت أرسلت لك واحدا أخر!"

ردت وهي تسير لاهثة" لم يكن هناك داع اقتربت من الوصول لشارع تمر منه التكاتك"
قال جابر بعصبية " قلت لك لا أحب أن تقطعي الحقول وحدك .. أخبريني أين أنت بالضبط أنا اقتربت من الشارع الموازي لشارع المشروع"
سألته باندهاش " هل تركت المعرض مبكرا اليوم؟"
"أجل فهناك حالة وفاة في بيت عطاالله وأريد أن ألحق بالجنازة"
غمغمت " سمعت بالخبر ..عظم الله أجرك (ثم شهقت فجأة بإجفال وصاحت) ماذا تفعلين؟!!"
صرخ جابر في الهاتف الذي أغلق" أم هاشم ..أم هاشم"
كانت أم هاشم قد تفاجأت بمن دفعتها بكتفها فسقط الهاتف منها أرضا بينما أخرى باغتتها

بضربة قوية برأسها ترنحت من أجلها .. ثم أخذت الأولى تبحث في يديها عن أي مصوغات ذهبية ترتديها فلم تجد إلا خاتما حاولت سحبه من يد أم هاشم لكنه كان ضيقا.. في الوقت الذي توازنت فيه الأخيرة بسرعة وهتفت بشراسة وهي تبعدهما" ابتعدا ماذا تريدان؟"

كانتا امرأتين قويتي البنية ملثمتين بشكل مريب ..فعاجلتها إحداهما بلكمة في بطنها ضربت في جنب أم هاشم فتمزق لها ظهرها وأسرعت بغريزة الأمومة بحضن بطنها بذراعيها في الوقت الذي كانت السيدتان الجالستان أمام البيت البعيد قد أسرعتا بالهرولة نحوها تطلقان صراخا عاليا ..
شعرت المعتديتان بضيق الوقت فأسرعت إحداهما بالإمساك بأم هاشم تنوي أن تكتفها

كي تضربها الأخرى فقامت أم هاشم بضرب المرأة التي تواجهها بساقها بضربة قوية آلمت ظهرها وبطنها لكنها لم تتوقف بل استدارت تصرخ بشراسة " ماذا تريدان؟.. ابتعدا " وتبعتها بعضة في يد المرأة فتخلت عنها لثوان كانت الأخرى تباغت أم هاشم بضربة في رأسها في اللحظة التي كانت تقبض على أذن الأخرى من فوق وشاحها فاختل توازن أم هاشم وسقطت أرضا وقد أدركت بأنهما ليستا سارقتين.. وإنما تقصدانها بالذات .. تقصدان جنينها ..

بحمائية الأمومة تخلت عن المقاومة وتكومت بسرعة على جنبها في الأرض تحضن ركبتيها بذراعيها في الوقت الذي أخذت إحداهما تضربها بقدمها بينما الأخرى تقول لصاحبتها "بسرعة ..بسرعة الناس قادمون"

أخذت الثانية تضرب أم هاشم بقدمها بتصرف سريع لتنهي مهمتها بسرعة بينما الأخيرة لا تزال متكومة تحمي بطنها بكامل جسدها من الضربات..

ضربات في وجهها وذراعيها وساقيها .. وألم يمزق بطنها وظهرها .. وأصوات صراخ وجلبة .. كلها حدثت خلال دقائق قليلة .. لم تعطها مجالا للاستيعاب ..فقط خاطرة واحدة هي ما كانت تسيطر عليها .. هل ستفقد هاشم؟ .. هل الآلام المبرحة التي تشعر بها تعني أنها ستفقده؟ .. فغمغمت بفم مملوء بالدماء قبل أن تتلقى ضربة أخرى في وجهها " يا معين يا معين "

وصول السيدتين وانقضاضهما على المعتديتين تحاولان إبعادهما عنها خلص أم هاشم من الضربات التي كانت تتلقاها في وجهها وأكتافها فدفعت المعتديتان السيدتين الأخريين

المستمرتين في الصراخ بعيدا وهربتا قبل وصول عددا من الفلاحين الذين أسرعوا مهرولين نحوهن..

انسحبتا بسرعة مهرولتان حينما ظهرت سيارة نصف نقل فدخلتا للمقعد بجوار السائق وانطلقت السيارة بسرعة.

كان مشهدا غريبا على مجتمع صغير يعرف بعضه البعض ..فحاولت السيدتان رفع أم هاشم لكنها كانت متخشبة على وضعها تحضن ركبتيها بقوة وترفض الاستجابة لمحاولتهما لتفحصها .. كانت تشعر بالخوف ليس على حالها وإنما على جنينها فالمرء شجاع مالم يهاجم في نقطة ضعفه .

في نفس اللحظة ركن جابر سيارته في وسط الطريق وترك بابها مفتوحا مهرولا نحو ذلك التجمع من بعض الرجال وسيدتين .. لقد مرت عليه الدقائق التي كان يبحث فيها عنها كدهور

من الرعب .. لكن المشهد الذي رآه مزق قلبه وشطره إلى نصفين .
كانت أم قلبه مكومة على الأرض والدم يغطي وجهها ..مشهد قادر على أن يحوله لتنين ينفث الحرائق يقضي به على الأخضر واليابس..
اقترب بسرعة ومال يتفحصها بلوعة قلب فأفسحت له السيدتان الطريق لينزل على ركبته ويرفع رأسها وهو ينادي عليها بالتياع " أم هاشم ..أم هاشم"
رفعت إليه عينين باكيتين ..فأخذ يمسح الدم عن وجهها بكم جلبابه وهو يردد اسمها بذهول وصدمة فهمست" هاشم ..هاشم يا جابر"
حملها بسرعة فوق ذراعيه فتألمت وقبضت بقوة على ملابسه بينما قالت إحدى السيدتين للمتجمعين" إنهما من الغجر .. رأينا وشوم يديهما جيدا"

وغمغمت الأخرى بشفقة" لا حول ولا قوة الا بالله !..لو لم نرها ونصرخ لماتت بين يديهما ..كانتا تضربانها بغل"

الدقائق التالية كانت الأصعب في حياة جابر ولم يكن يعي قبلها أنه لم يلتق بالأصعب بعد حتى مرت عليه هذه الدقائق.. كانت مرتخية الجسد باكية العينين لا يعلم ما حجم الضرر الذي لحق بها بالضبط خاصة حينما صرخت متوجعة وهو يدخلها للمقعد الخلفي لسيارته ..فتطوعت إحدى الواقفات ممن تعرف أم هاشم بالركوب في المقعد الخلفي لتسند رأسها على فخذها بينما زوج السيدة أسرع بالركوب بجوار مقعد السائق وتبعه أخرون بالذهاب خلف سيارة جابر التي أسرعت تنهب الطريق نهبا وهو يحاول أن يسيطر على جسده الذي يرتعش مرددا "لطفك يا رب لطفك يا رب"

xxxx

بعد ساعتين

المعنى الحرفي لاقتلاع القلب هو ما يعانيه جابر منذ ما حدث .. كان يقف أمام باب غرفة الفحص يقرأ القرآن ويلهج بالدعاء أن يحفظ له زوجته وطفله.. إنه يكاد يصاب بنوبة قلبية لكنه يحاول أن يتماسك خاصة أمام الجمع من البلدة الذين حضروا خلفه وعلى رأسهم يحيى وهلال الذي يقف يتطلع في وجهه بقلق على صاحبه .. بينما نجف تجلس بجوار نصرة وإسراء وصباح على مقعد تستند برأسها على كفها وتبكي.

يقولون الرجال أشداء ويتحملون الصعاب لكن ماذا عن انفطار القلب؟!.

خرج الطبيب أخيرا فتعلقت عينا جابر به بترجٍ صامت ألا يقول ما يفجعه ليتكلم الأول قائلاً

"تم فحص السيدة أم هاشم وهي بشكل عام في حالة جيدة .. تلقت ضربات في عدة أماكن من جسدها لكنها كدمات بدون كسور الحمد لله والطبيبة النسائية ستطمئنكم عن حالة الجنين "

حمد جابر ربه حمدا كثيرا أنها بخير وغمغم ليحيى وهلال قبل أن يدخل الغرفة "المهم أنها بخير.. المهم أنها بخير "

حين دخل الغرفة هيأ نفسه لخبر قد يحزنه لكنه ظل يردد لنفسه ليهدئها " الحمد لله على كل شيء المهم أنها بخير "

وجد الطبيبة تقول" كفي عن البكاء يا أم هاشم"

تطلع فيها جابر بنظرات متسائلة فقالت الطبيبة لجابر مفسرة" أجرينا لها فحصا والجنين حالته جيدة بشكل عام .. يوجد كدمة كبيرة في جنبها لكنها حمدا لله لم تؤذي الرحم

.. وسنراقب وضع الجنين خلال الساعات القادمة لنطمئن أكثر.. ألف سلامة"
قال جابر بامتنان" أشكرك ..جزاك الله خيرا"
راقب الطبيبة تغادر بعد أن ألقت السلام وتطلع في الممرضة التي تضع دواء بالحقنة في المحلول المعلق الواصل ليد أم هاشم عبر أنبوب رفيع.. ثم أخرج لها اكرامية فشكرته بأدب وغادرت .

بمجرد خروجها نزل على ركبتيه أرضا وسجد لله شكرا .. ثم استقام واقفا واقترب من السرير يتطلع في وجهها الذي تورم بشدة كملاكم خرج للتو من مباراة ..
كانت متكومة على جنبها تبكي.. ولأول مرة تشعر بهذا الشعور المؤلم بالهزيمة .. بالاقتراب من الخسارة .. ولم تكن بالنسبة لها خسارة عادية بل خسارة فادحة ..

مال عليها ووضع يده تحت رقبتها ليرفع رأسها قليلا ثم قبل جبينها هامسا بجوار رأسها "فداك نفسي .. فداك نفسي يا أم هاشم .. والله لانتقمن لك ولقلبي وكرامتي أشد انتقام من هؤلاء المجرمين السارقين .. ليتك رميت لهما ما كانتا تريدانه دون مقاومة"

غمغمت باكية بصوت خافت " لا يا جابر ..لم يكن غرضهما السرقة"

أبعد رأسها يحدق في وجهها باندهاش لترفع له وجهها المتورم قائلة" لأول وهلة ظننت ذلك لكنهما كانتا تقصدان قتل ما في بطني"

قال جابر يهدئ من روعها " أنت فقط تتوهمين لماذا سترغبان في ذلك بالتأكيد غرضهما السرقة"

قالت أم هاشم بإصرار من بين شفتيها المتورمتين بشدة" لاااا ..كانتا تقصدان إسقاط حملي أنا متأكدة ... وكل ضرباتهما كانت

موجهة لبطني وظهري لهذا شعرت بالخوف وتوقفت عن مقاومتهما.. يا جابر لولا خوفي على هاشم لما أفلتتا من يديّ وكنت أكلتهما بأسناني .. أنا لست موهومة (وانتحبت) كانتا تقصدان هاشم أقسم لك .. (وغمغمت) ابنك سيضيع مني حسبي الله ونعم الوكيل "

بكت بحرقة فزاد نحيبها من سوء ما يشعر به .. كان منظرها يمزق نياط قلبه .. وكان هو غاضبا .. غاضب إلى حد الجنون .. ويتألم إلى حد العذاب .. وما قالته للتو غريب وشيطانه الذي يستغل غضبه حاليا أبشع استغلال يهمز له بالكثير ..فقال يلجم نفسه وهو يحضن رأسها بخفة حتى لا يؤلمها "قدر الله وما شاء فعل .. أعدك سنجد الجاني "

غمغمت بخوف "هاشم يا جابر ..هاشم سيتركني"

قال برفق "الطبيبة طمأنتنا مبدئيا على وضعه "

قالت باكية " وماذا لو تضرر ماذا لو.."
قاطعها حينما أبعد رأسها عنه وقال وهو ينظر في عينيها وتلك الكدمة المتورمة بجوار عينها تؤلم قلبه "لو كان مكتوبا له ذلك فليس في يدنا إلا الرضا بقضاء الله .. هذا امتحان لصبرنا هل سنفشل فيه ؟.. أنا احتاجك كي تثبتيني فوالله سأكون أشد منك حزنا لو حدث له شيء ..لقد انتظرت الولد الذي سيحمل اسمي طويلا يا بنت شيخي حتى تجاوزت الأربعين من العمر لكن (وتغضنت ملامحه وتحشرج صوته) لو أراد لنا الله غير ذلك فلن نقول إلا ما يرضيه"
انفجرت بالبكاء ولم تعقب فدفن رأسها في صدره وتفكيره فيما قالت يؤجج رغبته في الانتقام متسائلا : مَن مِن الممكن أن يكون قد فعلها؟.

حينما خرج بعد قليل دخلت أمه ونصرة وإسراء وصباح لتطمئنن عليها بينما استقبل هو مصطفى الزيني الذي حضر قبل قليل ويبدو على وجهه علامات الانزعاج وهو يبادره قائلا" كيف حدث ذلك؟"

طالعه جابر متماسكا لكن صاحبه كان على دراية جيدا بما يعانيه بينما تدخل هلال قائلا" السيدتان اللتان دافعتا عنها تقولان أن المعتديتين من الغجر الذين يسكنون أطراف المحافظة"

رد مصطفى مؤيدا "هما بالتأكيد ليستا من البلدة ..هذا تصرف غريب عنا"

قال جابر " أم هاشم تقول أن الغرض لم يكن السرقة وأنهما كانتا تستهدفان ما في بطنها"

عبس مصطفى ليقول هلال " أنا أيضا اندهشت حينما سمعت من الأهالي التفاصيل

..لأنهم أعطوني هاتف بنت الشيخ المكسور لأعيده لها باعتباري صديق زوجها ..و لو كانتا تنويان السرقة لماذا تركتا الهاتف خلفهما حتى لو أرادتا الهرب بسرعة ..إنهما معتادتان على هذه الأفعال"

قال جابر والغضب بداخله يزداد اشتعالا حتى كاد يطيح بعقله" لابد أن أعرف من هما وماذا كان غرضهما بالضبط والله قسما بالله لأحرقن.."

"جابر!"

قالها مصطفى بحزم وأضاف "تريث ولا تتعجل ..وأعدك بأن أتحقق من الأمر"

قال الأخر بتصميم" بل أنا من سيذهب لهؤلاء أينما وجدوا ..لابد أن أعرف الحقيقة"

هتف مصطفى عابسا " أين ستذهب بالله عليك؟.. هل ستدق بابهم لتخبرهم بما حدث فسيخرجون منهم السيدتين معترفتين !!"

اعترف جابر لنفسه بعدم منطقية ما تفوه به لكن الشياطين تضرم المزيد من النار في صدره بينما أضاف مصطفى بلهجة أكثر حزما " تعقل فمنهم من هو خطر مثلما منهم من هو مسالم كأي عشيرة .. دعني أنا أتقصى الأمر"

أمسك بذراعه يقول بترج" أرجوك يا مصطفى سأموت لو لم أرد اعتباري واعتبار زوجتي"

ربت مصطفى على ذراعه مطمئنا .. بينما رن هاتف جابر فنظر فيه ثم أغلق الخط فعاد يرن مرة ثانية بإلحاح ليقول مصطفى مغادرا" سأذهب أنا ..ألف لا بأس على بنت الشيخ .. سأطلعك على الجديد بإذن الله.. ولكن عدني أن تلزم مكانك بجوار زوجتك فهي الأولى بالرعاية حاليا"

جز جابر على أسنانه بقوة وتقبض على سبحته يقول "الله المستعان"

تحرك مصطفى مغادرا يلقي السلام على الموجودين من أهل البلدة بينما ازداد الحاح الهاتف فرد جابر مبتعدا قليلا عن الواقفين"
نعم يا زين"
قال الأخير مفزوعا" جابر ماذا حدث ؟..ما هذا الذي سمعته ؟؟"
قال جابر بصوت مخنوق " امرأتان غريبتان عن البلدة هاجمتا أم هاشم في الطريق"
سأله زين" هل تشاجرت معهما؟"
رد جابر " لا ..ولا تعرف السبب لما حدث .. نخمن أنهما سارقتان لكن أم هاشم تؤكد بأنهما قصدتا إسقاط حملها ويؤكد ذلك الأسلوب الذي ضُربت به"
هتف زين غاضبا " إسقاط حملها !! لماذا؟!!"
قال جابر وهو يحك جبينه بأنامله " لا أريد أن أتهم شخصا بعينه دون دليل ..(وشرست

ملامحه) وإن حصلت على الدليل أقسم بالله
لن أمررها أبدا (وضرب على الحائط بقبضته)
لن أمررها"
سأله زين وقد غلب على صوته الحزن " وكيف
هي الآن وما هو وضع الجنين؟"
رد جابر " الجنين بخير لكنه لا يزال تحت
المراقبة .. أما هي (واختنق صوته بما استفز
حمائية زين تجاه أخاه مردفا) هي في حالة
نفسية سيئة .. لقد أوسعتاها ضربا يا زين
..استغلتا خوفها على ابنها وضرباها فاستسلمت
رغم طبيعتها النارية "
قرصت الدموع عينا جابر فأشاح بوجهه عن
الواقفين على بعد خطوات قائلا بحشرجة "
اذهب..اذهب الآن أنا غير قادر على الكلام"
قالها وأغلق يعض على قبضته بقوة حتى لا
يؤذي أحدا مرددا" اللهم الهمني حسن التصرف
"

xxxx

سحبت بسمة نفسا عميقا وتحركت مع ونس لتنزلا لمقابلة الضيوف .. لقد فوجئت بالزيارة وترددت في النزول ولوهلة كادت أن تعتذر متعللة بأي شيء خاصة وأنها في حالة نفسية تسوء مع كل ساعة تمر بها وهي لا تعلم شيئا عن كامل .. لكن حس المسئولية الذي يسيطر عليها مؤخرا ورغبتها في رفع رأس سوسو أمام معارفها و عدم الهرب ومواجهة المحنة بكل شجاعة جعلها تضغط على نفسها وتنزل مع ونس خاصة حينما علمت بوجود الحاجة إلهام.

في غرفة الاستقبال قالت سوسو" صدقيني يا حاجة الهام ابني بريء.. صحيح هو عصبي ويغار على زوجته بشدة لكنه ليس مختلا ليطلق النار على أحد"

قالت إلهام بتعاطف "لست في حاجة لقول ذلك يا سوسو هانم لم يشك أحدنا في أن كامل قد فعلها .. والله إبراهيم حزين منذ أن علم بالخبر"

دخلت بسمة تلقي السلام فابتسمت لها بانة واستقامت واقفة تحمل طفلا رضيعا على كتفها وسلمت عليها تقول "كيف حالك يا بسمة؟"

سلمت عليها بسمة بترحيب بينما رحبت إلهام بونس بحنان وقبلت وجنتيها وهي تقول" ألف حمدا لله على سلامتك"

هزت الأخيرة رأسها في صمت واستدارت لتسلم على بانة بينما حضنت إلهام بسمة تغمغم" ما شاء الله من عين كل حاسد"

ابتسمت بسمة فقالت إلهام" جئنا لنبارك للحفيد والعقبى لك عن قريب يرزقك قادر

كريم يا بسمة يا بنت (وسألتها) ما اسم الست الوالدة؟"

غمغمت بسمة "فاطمة "

فأردفت إلهام" يا بسمة يا بنت فاطمة (وقالت لبسمة) ولا تسأليني مثل أولادي لماذا الدعاء باسم الأم بالذات هكذا تعودنا"

ابتسمت سوسو ابتسامة ضعيفة وأشارت لها لتعود للجلوس بينما جلست بسمة بجوار بانة وونس لتقول سوسو "أنرتمونا يا حاجة والله"

قالت الهام بحرج " الحقيقة كنا مترددين هل نزوركم للمباركة أم نؤجلها من أجل الظرف الذي تمرون به ..لكن بانة حينما اتصلت بك قالت بأنكم ترحبون بالزيارة"

قالت سوسو بلباقة" اسعدتمونا بالزيارة "

نظرت بانة لبسمة تقول" إن شاء الله تظهر براءة كامل قريبا"

ابتسمت الأخيرة وتطلعت في الرضيع الذي تحمله بانة ولوهلة فكرت في أن بانة لو كانت قد وافقت على كامل لكان هذا الصبي ابنه بينما هي تجلس في قريتهم الآن مطلقة وعازفة عن الزواج .. لكنها أسرعت بطرد الخاطرة عن رأسها وقالت "مبارك لك أنت أيضا ما اسمه؟"

ردت بانة بابتسامة " عز .. عزالدين "

هزت بسمة رأسها وقالت" أجل تذكرت ..أخبرتني سوسو حينما عادت من زيارتك في المستشفى "

قالت بانة بلطف "العقبى لك"

هزت بسمة رأسها وسألتها "وأين الصغيرة شمس؟"

ردت بانة" أرادت البقاء للعب مع أولاد أروى وآية"

وأسرعت بالإطباق على شفتيها بحرج بينما قالت بسمة" ما شاء الله لا قوة الا بالله (ثم

نظرت حولها تقول) أين زيلا ألم تضايفكم بشيء؟!"

تركت سوسو الحديث مع إلهام وقالت" تعجليها يا بسمة لا أعرف لماذا تأخرت وتأكدي من أنها أخرجت الضيافة لغنيم والحاج إبراهيم سماحة في الحديقة "

انتهزت الأخيرة الفرصة لتترك الجلسة بينما نظرت بانة لونس تتطلع فيها بتدقيق

..فاقتربت منها الأخيرة وهي تنظر للرضيع فوق ذراعها ثم سألتها بطريقتها العفوية " أخبييني

..هي شعيت بايخوف حين يأيت أوي طفي يك؟.. وكيف تعيفين بأنك أم جيدة"

(أخبريني ..هل شعرت بالخوف حين رأيت أول طفل لك؟.. وكيف تعرفين بأنك أم جيدة)

ارتبكت بانة قليلا تحاول فهم ما قالته فأسرعت ونس تقول" هي فهمت ما أقويه أم أكتب يك؟ "

(هل فهمت ما أقوله أم أكتب لك ؟)

ابتسمت بانة وردت" لا داعي أعتقد بأني فهمت سؤالك"

في المطعم قال رامز بحيرة" الحقيقة يا شامل لا أعرف ماذا أقول ولا أعرف لو كنت في مكان كامل هل كنت سأسلم نفسي أم لا (وأضاف بسخرية مرة) خاصة وأنت تعلم تجربتي مع السجون"

سأله شامل " بما أن القانون الدولي هو تخصصك ما رأيك في القضية باعتبارنا وافدين ولو فرض وقبض على كامل .. فهذا الصمت مريب جدا .. ماذا تتوقع أن يكون موقفه؟"

سحب رامز نفسا من سيجارته وأطلقه وهو يقول بلهجة ساخرة "القانون!! .. عن أي قانون تسأل يا عزيزي؟.. فكما تعلم أن من يريد الالتفاف حول القانون سيجد ألف ثغرة

للإيقاع به .. والأمر كما تصفه يبدو مكيدة واضحة فمن الصعب أن تجتمع صدفة سرقة المسدس وأن يطلق به الرصاص على شخص بينه وبين كامل خصومة في آن واحد لابد أن هناك مستفيدا مما حدث ..شخص من طرف كامل أو من طرف الرجل الأخر ..أو شخص يعرفهما معا"

قال شامل متنهدا " المحامي يتابع القضية نأمل أن يستطيع إيجاد شيء "

سأله رامز بصوت مخنوق "لم يظهر كامل بعد؟"

هز شامل رأسه بحزن فسأله رامز "وأنت بم تفكر .. هل ستسكت وتنتظر أن يظهر ؟"

زفر شامل وقال " يبدو أنني سأستسلم للهاتف الذي يلح على رأسي وأفعله بدون أن أخبر أحدا"

عقد رامز حاجبيه وسأله" فيما تفكر ؟"

أجاب شامل " أن أبحث عنه في أقسام الشرطة وسجون الدولة"

××××

"يا حبيبي لا تجهد نفسك"

قالتها مليكة في الهاتف بلهجة حانية فرد والدها على الطرف الأخر بلهجة واهنة " أريد أن أراك يا مليكة وأبارك لك على الحمل بنفسي"

نظرت لمفرح الواقف بجوارها هو وولديه في المول التجاري ثم قالت "حاضر أنا سآتي إليك قريبا"

قال متذمرا" قلتِ هذا أكثر من مرة ولم يحدث"

قالت معترفة " سامحني يا أبي هناك أمور لم أتخطها بعد"

قال بإصرار " دعيني أزورك أنا إذن"

تكلمت مشفقة عليه " لا لا يا حبيبي ..هذه المرة أنا جادة وسأزورك خلال أيام صدقني"
قال العجوز " حسنا سأعتبر هذا وعدا ..وسأنتظرك حتى نقيم احتفالا بحملك ..والله لأذبح وأطعم الفقراء وأهل البلدة بهذه المناسبة (وأكمل بلهجة مختنقة بالبكاء) أنت لا تعلمين مدى سعادتي منذ أن سمعت بالخبر.. شعرت بأن الله أراد أن يخفف عني الإحساس بالذنب تجاهك ..وأراد أن يرفع رأسي بين الناس الذين وصفوك بالعقيم ..وأولهم عبد الرحيم الزيني سامحه الله .."
غمغمت بتأثر" دعنا نصبر على هذا الخبر يا أبي حتى يستقر الحمل ..تعلم أنه حدث بعد صبر طويل وأنا شديدة الخوف عليه"
قال مؤيدا " حاضر سأؤجل الاحتفال بحملك أمام أهل البلدة لما بعد .. لكن لابد أن نتجمع كلنا ونحتفل .. (وتحشرج صوته) والله كنت

أدعو لك في صلاتي كي يزيح عنك الهم ويرزقك بالذرية الصالحة"

بعد دقائق كانت مليكة تمسح طرف عينيها وتغلق الخط مع والدها ثم نظرت لمفرح تقول" مصر إما يأتي بنفسه أو أذهب أنا إليه .. أعلم بأني أنانية في عدم ذهابي إليه لكني في نفس الوقت أشفق عليه من السفر"

قال مفرح بلهجة مشجعة "قرري وأنا معك في أي شيء"

قال إياد بتململ "تعبت ساقاي يا أمي أين هذا المحل الشهير الذي تبحثين عنه"

أجابت وهي تستأنف السير معهم" أنا متأكدة أنه هنا في الطابق الثالث رأيته ذات مرة"

زفر أدهم فقالت بغيظ " كلكم اشتريتم ما تريدون والآن أصبح السير مملا!!"

لم يرد عليها أحد فمطت شفتيها وأسرعت الخطى أمامهم تبحث في المحلات حولها بينما

أعطي مفرح الأكياس التي في يده لولديه لينضما للأكياس التي يحملانها ثم توكأ على كتفيهما قائلا بلهجة ساخرة وهو يعرج" عليكما الترفق بأمكما يا أولاد .. ما المشكلة أن سرتما عدد من الكيلو مترات يوازي لف قريتنا مرتين سيرا على الأقدام.. أين الصحة؟.. أين النشاط؟... أين الإسعاف؟"

ضحكات مكتومة تم بلعها على الفور ومليكة تستدير نصف استدارة وتحدجه بنظرة متعالية فغمغم بابتسامة وسيمة خطفت قلبها رغم احتفاظها بجدية ملامحها" لا تلتفتي لهذيهما يا حبيبتي (وزاد في خطواته العرجاء) هذان الكلبان يفتريان عليك "

اتسعت عيناها فجأة وقالت بسعادة" ها هو المحل"

أسرعت إليه بحماس بينما نطق مفرح وولديه بالشهادة قبل أن يقتربوا لينضموا إليها وهي

تقف لامعة العينين فاغرة الفاه أمام واجهة المحل البراقة .. ثم أشارت على أحد الأطقم المرصوصة في الواجهة وقالت بغرام " هذا هو الطقم.. وكأنه يعرف بأني قادمة فوقف في استقبالي في الواجهة الزجاجية"

ابتسم مفرح ثم تجمدت الابتسامة على وجهه وشهق وهو يضرب على صدره بطريقة مسرحية قائلا" كم ثمنه؟!!!"

نظرت إليه ورمشت عدة مرات وبراءة الأطفال على وجهها بينما دقق الولدان في السعر وشهقا كوالدهما ليقول أدهم "ما كل هذا المبلغ من أجل عدد من الأطباق!"

قال مفرح له " لو كنت أعرف الإجابة لكنت أخبرتك بها (ومال يدقق في الرقم قائلا) أخبروني كم خانة يتكون منها الرقم أشعر بأن عيناي تضاعف الأرقام هذه الأيام"

تكتفت مليكة وردت بكبرياء على لهجته المتهكمة " هذا الطقم كان عندي في نيشي يا مفرح وأنت من كسرته"

رد مستهبلا " الثاني كان بلون أخر غير هذا"

ردت عليه وهي تنظر للطقم وابتسامة واسعة ترتسم على شفتيها "هذا لون جديد"

قال مناكفا " لنسأل عن اللون القديم لربما وجدنا عليه خصم بنسبة تسعة وتسعون بالمائة"

عادت تناظره قائلة بشموخ "كان هذا هدية أخي أكرم لي"

سألها مستنكرا "بنفس هذا المبلغ المبالغ فيه؟!!"

ردت بصدق " بمبلغ أقل بقليل فقد زاد مع زيادة الأسعار خلال الثماني سنوات الماضية"

قال باندهاش " ولماذا أشتري عدة أطباق بهذا المبلغ الخرافي بدلا من أشتري لك بنفس المبلغ ذهبا أو الماس؟!"

أجابته ببساطة استفزته " لأنه سينييه"

هتف متهكما " سيييي... ماذا؟؟؟ .. يا مليكة يا حبيبتي أنا رجل فلاح.. قروي ..بسيط ولا أفهم في مثل هذه الأمور ولا أستوعبها يا بنت الصوالحة"

مدت يدها في جيبه تخرج حافظة نقوده وهي تقول" لا تمثل عدم الفهم يا مفرح .. ولا تحاول الهرب .. قلت ستهديني الهدية التي أريدها"

قال وهو يتابعها تخرج البطاقة البنكية الخاصة به" غيرت رأيي"

ردت بابتسامة شريرة وهي تعيد له الحافظة بعد أن استولت على البطاقة البنكية" إذن

عليك بتعويض ما كسرته بنفسك .. وسأنتظر منك الهدية التي تحددها أنت يا ابن الزيني "
وتحركت بأناقة تدخل المحل وهي تقول" لن أغيب سأدفع وأطلب من أحد العمال أن يحمل لنا الكرتونة إلى مرآب المول"
تابعها ثم نظر لولديه المتسمرين يقول " هذا درس لكما لتعرفا كيف أن بعض الأخطاء يكون تصحيحها باهظ الثمن .."
كتم ولداه ضحكهما فأضاف متنهدا قبل أن يلحق بها إلى داخل المحل "ودرس أخر لكما .. ألا تتزوجا من بنت باشوات .. فهن مكلفات جدا ويؤلمن الجيوب"
ضحك ولداه بينما دخل هو ووقف بجوارها يتطلع فيها وهي تراقب العامل الذي يضع أمامها بعض الأطباق ثم همس بحنق يناكفها لآخر لحظة " كان من المفترض أنك تسري عني في الأيام الصعبة لم جعلتها أصعب الآن!"

كانت تحفظ أسلوبه المازح فأدارت له وجهها بابتسامة شقية كان يوما على استعداد لدفع عمره كله من أجل الحصول عليها بهذه السعادة وليس مبلغا من المال مهما كبر لا يوازي سعادتها التي تطل من عينيها اللحظة وقالت له " من كسر شيئا يصلحه يا باشمهندس مفرح (ثم التقطت طبقا تتطلع فيه بعينين تتفجر منهما القلوب الحمراء وقالت له بغرام) أنظر يا مفرح .. أنظر لجماله "!

تطلع الأخير في الطبق وعلامات الغباء ترتسم على وجهه وهو يبحث عن سبب منطقي يجعل هذه الأطباق بهذا السعر الخرافي.

××××

نزلت كاميليا تداري ارتباكها فسألتها هدى باندهاش" من هذه السيدة التي تريدك في وقت متأخر كهذا يا كاميليا؟"

ردت بمراوغة " وكيف لي أن أعرف ! (ونظرت لابن بدير تسأله) هل أنت متأكد أنها تريدني أنا "

هز الفتى المراهق رأسه فتحركت نحو الخارج بسرعة وهو يقول لهدى" السيدة تبدو غريبة وليست من القرية"

في الخارج هتفت كاميليا هامسة من بين أسنانها بعد أن تلفتت يمينا ناحية باب البيت ويسارا ناحية البوابة المواربة" كيف تجرؤين على القدوم إلى هنا ؟..ماذا تريدين؟!!"

قالت المرأة بخشونة "أريد باقي المبلغ المتفق عليه"

هتفت كاميليا من بين أسنانها باستهجان " أي مبلغ وقد فشلتم في إسقاط حملها !!.. الأخبار جاءتني قبل قليل بأنها لا تزال حُبلى"

ردت المرأة بعبوس مدافعة " نحن فعلنا ما قدرنا عليه لكن السيدتين اللتين تدخلتا وتسببتا في جمع الناس أفسدتا الخطة"

لوت كاميليا شفتيها وضربت يديها فوق بعضهما فرنت أساورها وهي تقول بلهجة متهكمة " وما المطلوب مني الآن؟"

أجابت المرأة بلهجة عدائية " باقي مستحقاتنا"

هتفت كاميليا باستنكار " هل سأدفع لمهمة فاشلة؟!!"

قلبت المرأة مقلتيها وقالت بتهديد " أفضل من أن نذهب لزوجها ونطلب منه الأمان لنخبره بمن طلب منا أن نسقط حملها"

جبنت كاميليا وقالت بارتباك وهي تدفعها لتغادر " سأرسل لك الدفعة الباقية غدا مع الوسيط كما اتفقنا من قبل فلا أملك سيولة من المال في هذه اللحظة .. هيا من هنا "

تصلبت المرأة مكانها وقالت بإصرار " لكننا لن نستطيع الانتظار ..نريد أن نختفي عن العيون ..فزوجها يبحث عنا ويتوعدنا كما عرفنا ..كما أننا نريد تعويضا"

قالت كاميليا بلهجة مستنكرة " تعويض!! ..أي تعويض!!.. ألا يكفي أنكما سمحتما للناس أن يتعرفوا عليكما .. فليس هناك سيرة سوى السيدتين من الغجر اللتين تهجمتا على بنت زكريا "

قالت المرأة بلهجة خشنة " نريد تعويضا على ما فعلته بي تلك المرأة بنت زكريا ..لقد شقت لي أذني"

قالتها وهي تكشف الوشاح عن وجهها وأذنها المجروح المشقوق لنصفين وقالت" لقد شدتني من الحلق وهي تقاومني "

قالت كاميليا بهمس مغتاظ" قلت لكم إنها شرسة ..لو كنتم زدتم العدد لكنا انتهينا من أمرها "

قالت المرأة بإصرار " نريد باقي الدفعة والتعويض أسرعي لأن زوجي ينتظرني بالخارج"

لطمت كاميليا على وجهها وقالت " يا إلهي .. وزوجك معك .. ستلفتان الانتباه بهذا الشكل .. من أين سآتي لكم بنقود الآن.. لقد اتفقنا أن الدفعة الباقية يوم غد"

قالت المرأة موضحة " كما قلت لك علينا أن نختفي بسرعة ونحتاج لنقودنا وإلا..."

قاطعتها كاميليا تقول وهي تشعر بالرعب الشديد " ليس هناك (إلا) خذي.. خلصيني"

قالتها وهي تخلع أسورتين من يدها وتمنحهما لها فتطلعت المرأة فيهما بتدقيق مقتربة من الضوء ثم عضت على إحداهما وأعادت التدقيق فيها لتقول كاميليا بكبرياء " ذهب ..

ذهب خالص يا حبيبتي ..فأنا لا ألبس إلا ذهبا خالصا (ودفعتها لتخرج من البوابة وهي تقول) وصلك حقك والتعويض وزيادة هيا أريني عرض أكتافك "

قالت المرأة بطمع وهي تتطلع في الأسورة الباقية في يد كاميليا" لماذا لا تعطيني الثالثة بالمرة"

قالت كاميليا وهي تدفعها" هيا من هنا ولا أريد أن أرى وجهك ثانية.. هيا بسرعة فأخي عماد على وشك الوصول ولو رآك أنت أو زوجك لا أعرف ماذا سيفعل بكما"

قالتها ثم أغلقت البوابة خلف المرأة ووقفت تراقبها من بين القضبان لتتأكد من أنها قد ابتعدت ..ثم وضعت يدها على قلبها تهدئ من ارتجافها.

لقد أوقعت نفسها في مصيبة ولا تعرف ماذا تفعل.. كان حقدها على أم هاشم يعميها وهي

تتصرف بكل حماقة وتلجأ لهذه السيدة وأختها لتنفيذ خطة لإسقاط حمل أم هاشم.. فقد كانت ولا تزال تشعر بالغيظ والقهر أنها ستنجب ولدا لجابر يرث أمواله .. ومنذ أن علمت بالخبر وهي تغلي .. لكنها لم تحسب حساب أن يتم التعرف على السيدتين وإفلات أم هاشم من المكيدة .. والآن لم يخسر إلا هي ..

لطمت على وجهها تغمغم "المهم أن يقف الأمر عند هذا الحد وتختفي المرأة عن العيون .. يا للمصيبة السوداء التي حلت فوق رأسك يا كاميليا "

xxxx

"ماذا سنفعل الآن؟"

سؤال سأله خالد الباجوري فهتف والده بانفعال " هل تسألنا؟.. هل تسألنا؟ .. من السبب في كل البلايا التي حلت على رأس

الباجورية ؟..من السبب فيما نعانيه منذ أن تزوجت من بنت الصوالحة؟.. من السبب في أن ولداي أصبحا قاتلين ..وواحد منهما مدمنا ؟.. من السبب في خيبة أملي في أولادي الذكور؟"

تدخل عم خالد يقول لأخيه" اهدأ يا عبد الفتاح ..علينا التفكير بهدوء"

التفت إليه عبد الفتاح الباجوري يقول بانفعال " أي هدوء يا عكاشة ؟ أي هدوء ؟.. الزفت عبد المقصود الذي نهب منا مبلغا وقدره كي يغلق فمه يقول بأن الصوالحة لديهم دليل ويريدون التحقيق في الحادثة القديمة .. (وأضاف بحرقة قلب) ألا يكفي خسارتي لسامح ..هل هناك المزيد من الخسارة تنتظر عائلتنا وتفضحنا ؟"

قال عكاشة مفكرا " ولماذا لا يكون عبد المقصود هذا يكذب؟"

رد خالد بلهجة عابسة " لا أعتقد ..لأنه بدا متوترا وهو يحدثني وأعتقد أنه خائف على ما وصل إليه .. كما أنه لم يطلب شيئا هو أخبرنا بما حدث مع عمار"

ازدادت ضربات قلب سامح الذي يتلصص على باب مكتب والده في البيت وازدادت سرعة أنفاسه وهو يتحسس رقبته ..فحضن نفسه بقوة وابتعد منتفضا وهو يقول لنفسه بهمس "يا ويلي لقد كُشف المستور.. كشف المستور ..وستعرف مليكة ..وسيعرفون كلهم ..أني قاتل ..قاتل"

قال عكاشة في المكتب "لا اعتقد أنهم على استعداد لإعادة فتح القبر وتشريح الجثة ..لا أتوقع أن مليكة ستتحمل ذلك"

قال عبد الفتاح وهو يضرب كفيه بجنبيه بحيرة " ماذا لو فعلوها؟ .. ماذا لو كان لديهم دليلا قويا؟ .. ماذا لو ضغطوا على عبد المقصود

فاعترف ؟.. فهو بالتأكيد لن يترك كل ما وصل إليه يذهب سدى.. (وتطلع في أخيه يقول بلهجة مترجية) دبرني يا أخي (ونظر لخالد يقول بلهجة قاسية) دبرني يا بيك يا سبب البلايا"

صرخ خالد منفجرا في وجهيهما " سبب البلايا ..سبب البلايا ..ألن ننتهي من هذه السيرة؟.. ماذا أفعل لأكفر عن أخطائي أكثر من هذا ؟.. السفر وألغيته .. زواج مرة أخرى وتزوجت ..أطفال وأنجبت لكم ذكرين .. ماذا تريدون مني؟ ..ماذا؟؟؟"

قالها وترك المكتب هاربا من كل شيء .. من ماضيه ..من أخطائه ..من خيباته .. من حياته الكئيبة ..ومن تلك اللحظة التي تشخص فيها أمام وجهه كل شيء حاول نسيانه.. فأسرع ليركب سيارته والذكريات تلاحقه .. تطارده

كمطاردة خلية من النحل .. خلية نحل لم تستسلم إلا بعد أن أوسعته قرصا حتى تورم.

قبل ثماني سنوات

ليلا

"كيف حالك يا عبد المقصود؟ "

قالها خالد لحارس البوابة الذي انتفض واقفا يقول بمفاجأة وهو يخفي السيجارة التي بيده خلف ظهره " خالد بك؟"

نظر خالد للسرايا المطفأة الأنوار وقال بلهجة ذات مغزى " ظننت بأنك ستقضي اليومين اللذين يقضيهم الصوالحة عند الدكتور أكرم في العاصمة في جمع أصدقاءك في غرفتك بالداخل لتدخنوا الحشيش كما فعلت قبل ذلك حين ذهبوا ذات مرة للتصييف "

قال عبد المقصود باختناق" يا خالد بك كانت مرة واحدة رأيتني فيها ولم أكررها"

رد الأخير بابتسامة باردة " ولهذا أنا أحفظ السر ولم أخبر الصوالحة بما رأيته تلك الليلة (وأضاف بلهجة لئيمة) ولم أخبرهم أيضا أن ابنك يومها كان يجرب إحدى سيارات الصوالحة وكسر فانوسها وأنا ساعدتك في إحضار الميكانيكي بعد منتصف الليل وإصلاحها والتشديد عليه ألا يخبر الصوالحة"

راقب خالد امتقاع وجه الرجل متذكرا كيف كان يمر بالصدفة في وقت متأخر من الليل وهو يعلم بأن الصوالحة في هذا الوقت من العام يكونوا خارج القرية فوقف يتأمل السرايا وقتها ويستعيد الذكريات المؤلمة ولفت انتباهه شيئا مريبا يجري بداخلها ثم قبض على عبد المقصود فيما كان يفعل .

قال عبد المقصود مدافعا عن نفسه " وأنا لم أكررها يا خالد بك وأشكرك أنك لم تخبر الصوالحة عن تلك الليلة"

استمر خالد فيما عزم عليه فقال بنفس اللهجة اللئيمة "ما هذه الرائحة هل هذه سيجارة حشيش؟.. ألا زلت تدخن الحشيش؟"

استمر عبد المقصود في إخفاء السيجارة خلف ظهره وهو يقول" ماذا تريد في هذه الساعة يا خالد بك .. فأنت بالتأكيد تعرف أن ابنتك مع الصوالحة في العاصمة .. ولا أظن أنك قد قطعت المسافة إلى هنا لتهددني بفضح أمري عند الصوالحة والتسبب في قطع عيشي"

هرش خالد في أرنبة أنفه وقال بلهجة هادئة " تؤتؤتؤ ..لا تقل هذا يا عبد المقصود ستجعلني أغضب منك وأنا غضبي مؤذي ... أنا فقط أردت أن أسألك .. هل تريد أن تحصل على مبلغ كبير من المال ؟"

عقد عبد المقصود حاجبيه بتساؤل ليضيف خالد وهو يراقب ردود أفعاله بحرص "سمعت

أنك ستزوج ابنك البكري وبالطبع الزواج يحتاج لمصاريف"

سأله بعبوس " ماذا تريد مني يا بك؟"

اقترب منه أكثر وقال محدقا في عينيه"

سأعرض عليك صفقة إن ساعدتني في شيء ما ستحصل على مبلغ يجعلك تترك الخدمة عند الصوالحة وتبدأ حياتك في مستوى مختلف تماما .. لأن المبلغ الذي سأعرضه عليك كبير جدا"

بلع عبد المقصود ريقه ..ليقول خالد بلهجة محذرة وهو يرفع سبابته في وجهه " لكن إن أخبرتك بما أريد وعرف شخص ثالث بالموضوع ستخسر كل شيء ..ستخسر خدمتك عند الصوالحة لأني أعرف بأنهم لن يرضوا بأن يكون حارس السرايا حشاش وغير مؤتمن أدخل أصحابه ليتسامر معهم وترك ابنه يجرب سيارتهم وعندي الميكانيكي شاهد

على ما حدث تلك الليلة .. وستخسر الكثير
لأنني سأستغل نفوذ عائلتي في كل مكان حتى لا
تحظى بوظيفة أخرى"

تردد عبد المقصود قليلا ثم سأله يقلب الأمر
في رأسه" وماذا لو عرفت المطلوب ولم أستطع
تنفيذه؟"
حرك خالد يده أمام فمه كمن يغلق سحابا وقال
" ستغلق فمك للأبد لأني سأفعل بك ما قلته
قبل قليل "
بلع عبد المقصود ريقه صامتا لبرهة ثم سأله
بفضول شديد " ماذا تريد؟"
قال خالد "ابنتي"
عبس الأخر يسأله بعدم فهم " ماذا تعني؟"
رد خالد بهدوء " أريد أن آخذ ابنتي منهم "
عقد عبد المقصود حاجبيه وسأله " كيف؟"

أفصح خالد عما يخطط له منذ مدة فقال "سأرسل لك من سيأخذها في الليل ليستيقظوا في الصباح فلا يجدونها ويظنون بأنها قد خطفت من قبل مجهولين "

هتف عبد المقصود باستنكار " ها ؟... وكيف سيحدث ذلك؟.. هل تظن بأني حتى لو سمحت لك بالدخول من البوابة ليلا ستقدر على اختراق باب السرايا؟!!. إنهم يغلقونه من الداخل مساء كل يوم "

شعر خالد بتجاوب الرجل في الخطة فأجابه "سنأخذها من فوق الشجرة الملاصقة لنافذة غرفتها "

عبس الرجل وقال باستنكار " إنها تنام مع الحاجة كوكب"

قلب خالد مقلتيه ورد عليه " أنا وأنت نعرف بأن الحاجة كبيرة بالعمر وسمعها ثقيل ونومها أثقل ..أما نجمة فاتركها عليّ"

تعرق عبد المقصود وقال وهو يحاول الاستيعاب" أنت سترسل أحدهم ليأخذ الطفلة عبر نافذة غرفتها وبالتأكيد سيحدث ذلك في الليل.. والمطلوب مني أن أفتح لمن سترسله البوابة يأخذها؟"

قال خالد مضيفا "ولك مبلغ كبير إن نجحت في أخذها ..سأدفع لك (*****)

اتسعت عينا عبد المقصود من المبلغ الكبير الذي سمعه فشعر خالد انه اقترب من تحقيق هدفه ليرفع الآخر السيجارة من خلف ظهره ويسحب منها نفسا مفكرا ثم يقول" وماذا سأقول للصوالحة عن الخاطف وكيف دخل ؟..فبالتأكيد ستقع التهمة عليّ"

قال خالد مبتسما "أعجبني سؤالك ..سأرسل بعد أن آخذ ابنتي من سيضربك على رأسك فيحدث لك جرحا بسيطا ستخبر الجميع بعدها أن هناك مجهولين قد قاموا بضربك

واقتحام السرايا وأنك لا تعرف ماذا حدث بعدها فقد سقطت مغشيا عليك.. وبالتالي لن يشك بك أحد"

سحب عبد المقصود نفسا أخر ولمعت عيناه بالطمع ليحفزه خالد قائلا "وبعدها بفترة تستقيل لأي سبب وتودع حياة الفقر للأبد"

سأله عبد المقصود بحرج وهو يهرش في رأسه "لا تؤاخذني يا بك ولكن ما الذي يضمن لي أنك لن تتراجع عن اعطائي المبلغ بعد أن تحصل على ابنتك؟"

كشر خالد عن أنيابه شاعرا بالإهانة من أن يتهمه هذا الصعلوك بالنصب لكنه تماسك من أجل تنفيذ خطته الانتقامية ورد" سأرسل لك نصف المبلغ مع من سأرسله تلك الليلة لأخذ البنت فلا تدخله إلا بعد أن يعطيك إياه والنصف الأخر سأرسله لك مع الرجل الذي سيضربك بعد أن أضمن نجاح الخطة تماما ..

(وأضاف غامزا) ولا تقلق الرجل سيكون غريبا من خارج المحافظة تماما "
صمت عبد المقصود لبعض الوقت يدخن سيجارته ويفكر في المبلغ الكبير الذي سيغير حياته وفي احتمالات كشفه ثم رفع رأسه لخالد قائلا "متى تريد أن تنفذ ؟"

عاد خالد من ذكرياته وأوقف سيارته أمام إحدى المقاهي في مركز المحافظة وأخرج سيجارة أشعلها يسحب منها نفسا طويلا ولا تزال الذكريات تطارده.. لقد قرر هذا القرار حينما علم بنجاح مفرح أخيرا في الحصول على موافقة أهله وأهلها وأنهما سيتزوجان .. فزاد حقده عليه أكثر من ذي قبل ..فإن كان يحقد على مفرح لأنه فشل في أن يجعل مليكة تحبه وظلت تحب مفرح حتى بعد أن تزوجته وانتهى الأمر بطلاقهما ..فقد زاد حقده عليه حينما

نجح في الحصول على الموافقة على زواجهما الذي كان يعلم بأنه صعب نظرا للعداء الطويل بين العائلتين ..ذلك العداء الذي كان يعلم منذ صغرهما أنه مانع قوي لزواجهما ..

لهذا لم يقدر على تحمل أنهما سعيدان بينما هو التعيس .. هو من ضحى بصداقته مع مفرح من أجل الحصول عليها .. وكم خسر ولا يزال يشعر بالخسارة لتلك التضحية .. هو من فشل في اقناعها به بعد أن حاول كثيرا وتحمل شعور مؤلم بأنها لا تفكر إلا في مفرح .. رغم أنها لم تفصح بذلك صراحة لكنه كان يعلم ..

هو من ظل متحملا إحساسه بوجود مفرح بينهما حتى في لحظاته الخاصة معها .. وكأنه شبح أسود يطل عليه .. هو من فشل في أن يقنع مليكة بأنه يحبها .. يعشقها إلى حد الجنون .. إلى حد خان صاحبه من أجل الحصول عليها .. هو من أُجبر من أهله وأهلها

على طلاقها على غير رغبته فلم يكن قادرا على اطلاق سراحها رغم نظرات الكره التي كانت تنظر إليه بها في أواخر أيامهما معا .. هو من أُجبر على أن تعيش ابنته بعيدة عنه لأن أمها تحب رجلاً أخر .. هو من كان ينتظر أن توافق مليكة على العودة إليه يوما فتفاجأ بوفاة زوجة مفرح وبسعي الأخير للحصول على موافقة العائلتين..

لذا حينما أعلن عن موعد زفافهما وعلم من ابنته أنهما ينويان على ضمها لتعيش معهما ساعتها أوغر صدره بالحقد ..وبدلا من أن يطالب بابنته بعد زواج أمها قرر الانتقام من الجميع وأولهم أهله الذين رفضوا الوقوف معه للمطالبة بالبنت بعد زواج مليكة خوفا على مصالحهم في القرية ورغبة منهم على طي صفحة مليكة التي لم يكونوا يستسيغون زواجه منها من الأساس ولم يعجبهم أنها

أنجبت أنثى ..فكانوا يضغطون عليه بشدة حتى يتزوج ويأتي لهم بالحفيد .. فأراد أن ينتقم منهم وأن يحرق قلب مليكة على ابنتها .. ويعاقبها .. لهذا قرر أن يفعل فعلته بعد زواج مليكة مباشرة .. قرر أن يأخذ نجمة ويسافر .. وأن يأخذها بشكل غامض زيادة في الانتقام منها .. فرتب كل شيء بعد أن اتفق مع عبد المقصود .. حصل على تأشيرة سفر له ولابنته وقرر أن يخطفها يوم السفر دون أن يخبر أحدا عن سفره .. وحده سامح أخوه المراهق ذو السابعة عشر عاما وقتها من ائتمنه على سره مستغلا حبه له ولنجمة .. أخبره بخطته لأنه لم يرغب في أن يخبر أي شخص غريب قد يوصل الخبر لأهله فيمنعونه من السفر ويمنعونه من أخذ البنت خوفا من الصوالحة .. حتى الرجل الذي اتفق معه على الاعتداء على عبد المقصود كجزء من الخطة لم يخبره بالسبب كان فقط

في انتظار اتصال منه ليلتها ليذهب إلى عبد المقصود ويضربه .. ونوى أن يتصل به حينما يحصل على البنت ويكون في طريقه للمطار.. لكنه لم يكن يعلم بأن الليلة ستتحول لليلة كارثية مفجعة.. تزيد من تعاسته.

xxxxx

ارتخى جسد سامح وسال خيط من الدموع على جانبي عينيه وهو يرجع رأسه للخلف في جلسته أرضا في شرفة غرفته وسقطت من يده حقنه المخدر وهو يخبر نفسه بأن مفعول الحقنة سيخدر كل آلامه العضوية والنفسية بعد قليل وسينسيه .. سينسيه ما عاد لذاكرته .. وكأنه قد نسيه يوما !..

ناظر السماء الخالية من النجوم وتذكر مليكة .. تلك الشخصية الاستثنائية التي عرفها يوما وأثرت فيه وهو مراهق.. وتذكر نجمة التي رغم ولادتها بعد انفصال أخيه عن أمها تعلق بها

وكان دائم الزيارة لها .. وتذكر كيف استمرت علاقته الجيدة بمليكة حتى بعد انفصالها عن خالد.. لقد كان هو الوحيد من عائلته كلها التي لم تقطع علاقتها به حتى أخواته البنات الأكبر منه قطعت مليكة علاقتها بهن بعد مشاجرة تطاول فيها أخواته عليها .. هو الوحيد من كان يحظى بهذه المكانة عندها من بيتهم ربما لأنه الأصغر ولأنها دخلت بيتهم حين كان في العاشرة من عمره .. وحتى بعد أن انفصلت عن خالد وهو مراهق في الثانية عشرة من عمره ظل على اتصال بها وبنجمة بعد ذلك ..

لكنه كان يحب خالد أيضا ويعرف بأنه تعيس لهذا حين أخبره أخوه أنه ينوي السفر دون إخبار أحد ويطلب منه المساعدة في خطف نجمة لم يتردد .. فقد كان يعتقد وقتها أنه الحل الأمثل حتى يشعر خالد بالسعادة بالبعد عن ضغط عائلته عليه ..وتحمس لوعد خالد

له بأنه سيرسل له ليسافر إليه بعد أن تستقر أحواله بالخارج فهو كمراهق وقتها كان يشعر بالاختناق من أهله وتحكماتهم في حياته ..
وحده خالد من كان يفهمه ويغطي على أغلاطه .. ولا ينكر أن المغامرة كانت حماسية استفزت تمرد المراهق بداخله فقرر التنفيذ .. حتى حبه لمليكة لم يفكر فيه وقتها كان مدفوعا بحس المغامرة راغبا في مساعدة أخيه الأكبر بما شعر بأنه التصرف الصحيح بعد رفض أهلهما الوقوف معه للمطالبة بابنته والضغط عليه للزواج من أخرى ..
كانت مهمته أن يكثف زيارته لنجمة بدلا من يوم واحد في الأسبوع لأكثر من مرة واتفق معها في أخر مرة أنهما سينفذان لعبة سرية بينهما وهي خطة للهروب من السرايا دون أن يعرف أحد ..ثم يخبران الجميع بعدها بمغامرتهما معا .. وكان يعتمد هو وأخوه على نوم الجدة الثقيل

ومساعدة الحارس لهما لتنفيذ الخطة بأن يصعد الشجرة دون أن يشعر به أحد وتنزل معه نجمة التي كانت متحمسة لخوض المغامرة بعد أن أوهمها بأنها كالأميرة التي كانت في القصة محبوسة وأنقذها الأمير ..

قبل ثماني سنوات
ليلة الحادث

كانت ضربات قلبه تصم أذنيه وعبد المقصود يفتح له البوابة بهدوء شديد وهو يتلفت حوله بينما انتظر خالد في السيارة على بعد ثلاثة شوارع حتى لا يلفت الانتباه.. فإلى حد ما سامح ليس وجها مألوفا في القرية مثله وان حدث أي شيء سيدعيا بأنه مراهق مجنون أراد زيارة ابنة أخيه ولعب مغامرة معها ..كما هو الحال لو زل لسان نجمة وأخبرت أحدهم بالخطة .. لذا انتظره خالد على بعد ثلاثة شوارع لينفذ

المهمة بينما لاح على الحارس التفاجؤ حينما وجد سامح هو من يدخل من البوابة وقد ظن أن خالد سيرسل رجلا أكبر سنا ..لكن سامح لم يعطه فرصة للاعتراض.. فالأمر كله لابد أن ينتهي في بضع دقائق .. لذا ناوله لفة النقود وأسرع نحو الشجرة ليتسلقها وقد بدأ يتوتر ويشعر بأن الأمر جدي وليس مجرد لعبة ..

حين وصل لنجمة وقبل أن ينقر برفق على زجاج النافذة كانت هي تفتحها و تقول" كنت أتساقط من النوم يا سامح"
"اششششش "قالها بهمس مرتعب وأشار لها يساعدها على الصعود فوق النافذة وجسده كله يختض بشكل عجيب .. ثم تعلقت برقبته فحملها وتحرك لينزل .. فزلت قدمه من فوق غصن الشجرة الذي كان يقف عليه في نفس الوقت الذي تركت نجمة عنقه لتلحق

بحقيبتها الصغيرة التي انزلقت من فوق كتفها فانزلق جسدها من ذراعه وأفلتت منه ..

ارتعب سامح وأسرع بالإمساك بملابسها وسمعها تطلق تأوها ..ولم يعرف أين ارتطمت كل ما كان يفكر به لحظتها أن يعدلها ويتمكن من الإمساك بها جيدا .. وكم كان هذا صعبا جدا فثقل جسدها كله كان يحمله بيد واحدة هي التي تمسك بالقماش بينما الأخرى تمسك بجذع الشجرة في الوقت الذي استمر جسده في الانتفاض وقلبه يكاد يخرج من حلقه وهو يعاني بقوة كي لا تفلت منه .. حتى جاءت اللحظة التي فقد فيها قدرته على الامساك بالقماش وأفلتت البنت من يده وشاهدها وهي تسقط فجحظت عيناه وسقط خلفها وكأنه يرغب في اللحاق بها وإمساكها في الهواء.. لكنه ارتطم بالأرض بقوة وأحرق الألم ذراعه وساقه.

اعتدل بسرعة ينظر لاهثا في البنت التي نزلت صامتة ملوية العنق ولم يفهم .. فهزها ثم رفع أنظاره غير المستوعبة للحارس الذي كان يضرب بيديه فوق رأسه مولولا في صمت .. فتملكه الخوف .. بل الرعب .. خاف بشدة .. جبن من المسئولية .. فاستقام واقفا بصعوبة وصدمته شديدة .. صدمة أذهبت عقله وسحقت قلبه .. ماذا حدث ؟.. وماذا فعل .. لم يكن هذا في الخطة .. ولم يتح له الوقت لينفذها من الأساس .. لقد حدث ما حدث في لمح البصر..

تحرك للخلف وعيناه الذاهلتان تحدقان في البنت الراقدة على الأرض .. تحرك متحاملا على نفسه ليهرب ..فأمسك به الحارس يقول بهمس" إلى أين ستتركني مع هذه المصيبة؟؟؟!!! "

دفعه سامح .. دفعه بكل ما أوتي من قوة وبكل ما تفرضه عليه غريزة البقاء .. دفعه يحاول الإفلات والهرب .. لكن الثاني لم يبتعد إلا خطوتين ثم عاد للإمساك به قائلا "ماذا سأفعل في هذه المصيبة؟!!"

دفعه من جديد.. وأسرع يفر هاربا وهو يمسك بذراعه ويعرج على ساقه التي كانت تؤلمه بشدة.. لكنه جرى .. جرى كثيرا .. جرى كمن تطارده الأشباح.. كمن تطارده (نجمة) .. تجري خلفه في الطرقات المظلمة .. وخيل إليه أنه سمعها تهتف خلفه " إلى أين يا سامح؟ .. إلى أين ستتركني؟ .. خذني معك .. أنا أتوجع .. ساعدني"

عاد سامح بذكرياته وقد نجح المخدر في أن يشعره بالتحسن المؤقت .. تحسن يدرك بأنه لوقت قصير سيعود بعده لعذاب الذكريات

والكوابيس .. فاستقام واقفا وبدل قميصه الرمادي لأخر كثير الألوان ..ووقف يناظر نفسه في المرآة بابتسامة بلهاء متسعة لا تزور وجهه إلا مع المخدر .. تطلع في شكله وتملكته رغبة في الطيران في التحليق في السماء .. فأسرع بإخراج مبلغ كان قد حصل عليه من أمه بعد أن هددها بقتل نفسه أمامها إن لم تعطه المال فأعطته سلسلتها الذهبية التي باعها على الفور .. وخرج من الغرفة منتشيا وهو يفكر .. هل يذهب للشلة المجتمعة الآن في إحدى الشقق الفاخرة في مركز المحافظة يستمتعون بوقتهم على أكمل وجه؟.. أم يذهب لـ(سماهر)ليقضي معها ليلة حمراء ؟

xxxxx

وضع النادل كوب الشاي أمام خالد فهز له رأسه وتطلع في زجاج واجهة المقهى المطلة على الشارع ونفث دخان سيجارته ولا تزال

الذكريات تطارده ... لقد ظل منتظرا أخوه في سيارته حتى يعود بنجمة وهو يتمم على كل شيء .. جوازي سفريهما وملابسه .. وملابس جديدة اشتراها لنجمة .. كما استعد لأن يتصل بالرجل المنتظر للإشارة حتى يذهب لعبد المقصود ويضربه كما اتفقوا..

قبل ثماني سنوات
ليلة الحادث

كان لحظتها يشعر بالحماس ..وبالاقتراب من تحقيق النصر ..فبمجرد أن تأتي ابنته سيقنعها بأنهما ذاهبان للتنزه .. ويطير بها إلى العاصمة ليلحق بالطائرة المغادرة في الثامنة صباحا .. وكم أشعره ذلك بالسعادة .. وهو يتخيل مليكة والصوالحة كلهم معتقدين بأن البنت قد خطفت .. وحتى حين يكتشفون بأنه هو من خطفها ..سيكون خارج البلاد ولا يفكر في أن

يعود .. سيبقى في الخارج للأبد ولتنعم مليكة بين ذراعي مفرح ..
خاطرة أنهما كانا لحظتها بين ذراعي بعضهما كعروسين كانت تزيد من حقده عليهما .. لقد نالا السعادة بينما سيعيش هو في تعاسة للأبد.
لمح أخاه آتيا من بعيد يهرول فاصفر وجهه وصدم وهو يجده في الحالة التي كان عليها وبدون نجمة.. بينما ركب سامح بجواره وقال بكلمات لاهثة متقطعة" أسرع ..أسرع ... إنهم خلفي ..خلفي ..سيمسكون بي"

حرك خالد السيارة بسرعة وهو يقول بانزعاج " هل أمسكوا بك؟ ... هل أمسكوا بك قبل أن تصل اليها؟"
لم يرد سامح .. كان في حالة غاية في السوء ويتلفت خلفه في رعب فحضن نفسه بقوة وهو ينتفض أمام عينيه.

قال له خالد يطمئنه وهو يضغط على البنزين مبتعدا" اهدأ وافهمني من رآك ؟.. هل استيقظ أحدهم؟"

ظل سامح يرتجف بقوة ويتمتم بعبارات متقطعة والعرق يتصبب منه " أسرع ..أسرع أرجوك "

زاد خالد من سرعة السيارة وهو يضرب على المقود ويشتم من بين أسنانه لاعنا حظه العاثر .. لقد فشلت الخطة وكشف أمر أخيه وخسر هو المبلغ الذي أعطاه للحارس.. ماذا سيفعل الآن؟. هل سيؤجل سفره أم ماذا؟.. لن يستطيع أن يترك ابنته ليربيها مفرح؟ .

كانا قد خرجا من القرية ودخلا لقريتهما فأوقف السيارة أخيرا واستدار لأخيه يمسك بكتفيه ويديره نحوه وهو يقول مطمئنا

"قلت اهدأ يا سامح ولا تخف .. سنقول بأنك

مراهق مجنون قررت أن تقوم بمغامرة
وسينتهي الأمر بتوبيخك لا أكثر.. المهم ألا
يفتح عبد المقصود الزفت فمه"

حضن سامح نفسه أكثر واستمر في انتفاضه
الشديد كمن أصابه الفواق وقال بتأتأة" لقد
..لقد ..سقطت من يدي رغما عني ... لمممم
..أستطع الامساك بها .. فسقطت ..."
اتسعت عينا خالد وسأله "ماذا تعني؟.. من التي
سقطت؟!!!!"
رفع إليه سامح عينين ذاهلتين يقول منتفضا"
نجججججمة"
سقط قلب خالد بين قدميه متفتتا وهتف
ملتاعا وهو يهزه بعدم فهم " نجمة؟!!.. نجمة
وقعت منك ؟..وقعت؟ ... ابنتي وقعت؟"
انفجر سامح بالبكاء بينما عينا خالد كادتا أن
تخرجا من محجريهما يحاول الاستيعاب قبل

أن يفتح عتلة الباب المجاور لأخيه ويدفعه قائلا "عد للبيت ..انزل"
خرج سامح مدفوعا من السيارة بينما أدارها خالد بسرعة وعاد للقرية وهو يتصل بالإسعاف .. أما سامح فسقط من الصدمة مغشيا عليه وعثر عليه بعض المارين بسيارتهم من أهل القرية وحملوه لبيت الباجوري.

بعد عشر دقائق كان خالد يوقف سيارته وينزل منها مهرولا يفرق المجتمعين أمام بوابة السرايا بسرعة حتى يدخل ثم تباطأت خطواته حتى وقف أمام جسد ابنته الممدد على الأرض يضع يديه فوق رأسه ويحدق فيه متخشبا من هول الصدمة.
صراخ وعويل يحيط بالمكان .. وعلي يهتف في حالة انهيار" لا تلمسوها ربما أذيتموها بتحريكها سننتظر طبيب المركز"

تحرك خالد دون الشعور بقدميه ..وكأنه لا يملك قدمين ..ونزل على ركبتيه أمامها ومن نظرة واحدة أيقن ما أيقنه بِشر قبله ولم يستطع علي استيعابه .. لقد ذهبت نجمة .. ماتت .. ابنته ماتت ..وهو من قتلها .

ورغم يقينه كانت الصدمة تحاول التشكيك في ذلك الشعور .. أو ربما التشبث بالأمل الواهي فمد يديه وحملها وسط صراخ علي" لا تحركها قد تؤذيها .."

حملها خالد ينوي بأن يسرع بها إلى أقرب مستشفى لكن سيارة الاسعاف التي اتصل بها سمع صوتها بالخارج .. ليعلن المسعفين بعد دقائق بأنها قد سقطت ميتة .

عاد خالد بذكرياته وتطلع في انعكاس صورته في زجاج المقهى بجواره .. أي عقاب هذا الذي

عوقب به .. لقد لف الحبل حول عنقه وشنق نفسه دون أن يدري .. كفر عن كل سيئاته بما اقترفت يداه .. ويبدو أن هذا لم يكن كافيا فعاش طوال هذه السنوات وهو يرى أخاه يضيع وقد فشلت كل المحاولات في مساعدته .. والآن .. وبعد كل هذا يظهر ما يجعل الماضي يعود .. والجروح تصحو.. والذاكرة تفيق من خدرها! ..

لا .. أبدا .. لن يسمح بذلك .. لقد نال عقابه بما يكفي .. فلن يضيف إليها فضيحة للعائلة .. هذا الموضوع لابد أن يعود للظلام كما كان .. ويبقى ماضٍ مؤلم يعذبه هو وحده .

xxxxx

في وقت متأخر من الليل أوقف جابر سيارته وترجل منها يلف حول مقدمتها ثم فتح الباب لأم هاشم التي طلبت أن تغادر المستشفى في ظلام الليل حتى لا يراها أحد..

لقد رفضت زيارة الجميع بعد أن رأتها حماتها ونصرة وصباح .. لم ترغب بعدها في أن يرى أحدا وجهها المتورم .. فيكفيها الشعور بالإهانة .. وجرح الكرامة .

لقد تأذت نفسيا بشكل كبير وتتمسك حاليا بإيمانها بالله كي تعود كما كانت .. والحقيقة أن جابر لم يتركها طوال اليوم ولم يتوان في طمأنتها بإيجاده للجناة والقصاص منهم ..وتذكيرها باختبارات الله لعباده .

حاولت انزال قدميها على الأرض بصعوبة والألم في كتفيها وأعلى ذراعيها وساقيها شديد وكلما شعرت به أحست بالمصيبة التي كانت من الممكن أن تحدث لها لولا ستر الله وتصرفها الجيد بحماية طفلها ..

كان الشارع هادئا تماما فحملها جابر فوق ذراعيه لتهمس هي باعتراض "جابر قد يرانا أحد !"

قال وهو يتمم على اغلاق السيارة بالمفتاح الأوتوماتيكي" ماذا نفعل لقد ضاعت هيبتي وبات الكل يعرف بأنك نقطة ضعف جابر دبور "

عقدت ذراعيها المتوجعين حول عنقه وانهمرت دموع ساخنة من عينيها كحالها طوال اليوم فزادت بذلك من حزنه وغضبه المكبوتين وهو يراها بهذا الضعف على عكس طبيعتها مما أشعره بصعوبة ما حدث بالنسبة لها.

استقبلتهما نجف في ساحة البيت فقال جابر لأمه بلهجة هادئة" لا تؤاخذينا يا أمي أن بقيت ساهرة حتى هذا الوقت .. ولكن أرادت أم هاشم أن نتحرك في وقت متأخر"

قالت نجف وهي تغلق خلفه البوابة وتمسح دموعها بطرف وشاحها "أنارت بيتها من جديد"

حتى حزن أمه وشفقتها على زوجته يزيدان من عذابه ومن رغبته في الانتقام ..

دخل البيت وصعد السلم فقالت أم هاشم وهو يدخل بها الغرفة ليضعها فوق السرير"

سامحني اتعبتك وحملتني مسافة طويلة"

بلع وقع لهجتها المنكسرة في نفسه بصعوبة وقال مشاكسا لعله يبدد جو الكآبة والحزن المخيم على قلبيهما" ماذا تقصدين باعتذارك هذا؟ .. هل تقولين بأنه يصعب عليّ حملك والسير بك لمسافة طويلة؟!!"

قالت بهدوء مفسرة "لا والله .. أقصد أنك صعدت بي السلم وأنا ثقيلة"

قلدها بوضع يده فوق الأخرى على صدره قائلا
" اللهم طولك يا روح.. هل تلمحين لشيء يا أم هاشم؟"
أخيرا التقطت مزاحه وابتسمت ابتسامة
ضعيفة بشفتيها المتورمتين وهي تقول" لا
والله قصدت الشفقة عليك لا أكثر"
نادته أمه من الطابق الأرضي فتركها وخرج من
الغرفة ثم عاد بعد دقيقة يقول "أمي أعدت لك
طعاما.. سأبدل ملابسي وأنزل لأحضره"
قالت بضعف وهي تبذل مجهودا متوجعا
للحركة" لا أريد طعاما"
سألها وهو يراها تحاول ترك السرير "إلى أين؟
سأساعدك أنا في تبديل ملابسك"
قالت وهي تحاول الوقوف "سأستحم ..فكل
جسدي تراب وعرق"
اقترب منها قائلا بلهجة مرحة تغطي على
الوجع" لا اسمحي لي أن استغل هذه الفرصة"

وحملها فوق ذراعيه فقالت بضعف "ماذا تفعل؟"
قال بنظرة ذات مغزى "سأحممك بنفسي ..وبعدها سنأكل سويا فأنا لم آكل طوال اليوم وجائع"
لم تعلق ولم تشاكس كعادتها ولم تلق بعبارات وقحة ولا بنظرات شقية .. كانت مستسلمة .. ضعيفة .. كمحاربة تركت درعها وسلاحها وقررت السكون لبعض الوقت.. فحتى أكثر الناس قوة وشجاعة تباغتهم لحظات من الانكسار والهزيمة ورغبة في الانسحاب .

بعد قليل كانت تجلس في الحمام فوق كرسي صامتة وهو يضع الماء الفاتر فوقها ويحممها برفق متحكما في مشاعر الغضب والألم التي يزدحم بها صدره وهو يرى الكدمات الواضحة على جسدها.. فرفعت عينيها تراقبه باستكانة

واستسلام وهو يدللها وأحست بما يشعر به من ألم .. لكنها لم تكن قادرة حتى على استحضار كلمات مواسية فأجهشت ببكاء صامت جعله يقول بلهجة حانية وهو يجفف جسدها الأسمر برفق "لا تبكي يا أم قلبي لا تبكي.. أعدك بأن انتقم منهم"

لم يكن يشغلها ذلك بل كان شيء واحد يسيطر عليها فسألته بصوت ضعيف "هل طمأنتك الطبيبة حقا على هاشم؟.. أم قالت لك شيئا لا أعرفه ؟"

مال عليها يحضن وجهها بين كفيه قائلا "ابننا سيكون بخير ..لكني لا أحب أن تبالغي في التفكير في الأمر ..فلا أحد منا يعلم ماذا تخبئ له الأقدار ..هذا التعلق الزائد به سيؤذيك يا أم هاشم"

تمسكت بفانلته تقول "لا أريد أن أفقده .. هذا هديتك لي .. هدية لم أجرؤ يوما على أن أحلم

بها فأتتني بغير حول لي ولا قوة.. كيف لا تتعلق بها روحي "

قال لها بلهجة حانية" من رزقك به قادر على أن يرزقك بأحسن منه"

أجهشت بالبكاء وهي تقول "هل قالت لك الطبيبة بأنه لن يكتمل حمله لهذا تقول هذا الكلام ؟"

ساعدها في ارتداء ملابسها وهو يقول" لم تقل شيئا يا أم هاشم إلا ما أخبرتك به ...أنا فقط أخاف عليك من هذا التعلق فلا مفر من القدر وسأذكرك بما قلته لصاحبتك قبل أيام (لولا البلاء لوردنا القيامة مفلسين) "

وبخت نفسها في سرها وغمغمت بما فكرت به لحظتها "أعرف بأني أبدو سخيفة ومثيرة للشفقة ومتورمة كجحش في مطلع الطريق تم ضربه بوحشية ليتحرك "

ابتسم وتطلع في المنامة القطنية التي انتهى من مساعدتها في ارتدائها وقال" هل أنت متأكدة من أنك لن تبردي بهذه الملابس الخفيفة؟"

نظرت لمنامتها بلون سماوي هادئ وقالت "لست متحملة أي ملابس ثقيلة على جسدي فموضع الكدمات يؤلمني وأشعر بوجهي منتفخا كبالون كبير ويؤلمني بشدة خاصة أثناء الكلام.. كان الله في عونك وأنت ترى منظري هذا"

قال وهو يحملها مجددا ليعيدها للغرفة" إذن كفي عن الكلام لترحمي نفسك من الألم"

حين وضعها في السرير وغطى ساقيها بالأغطية قالت بضعف" سامحني أتعبتك"

حضنها بحنان جارف فتمرغت في صدره تتلمس الأمان ..تطلب اللجوء .. تنشد الاختباء عن العيون وتذكرت لحظتها والدها فتشبثت

بجابر بقوة ..ليغرقها في المزيد من حنان الأب .. وعناية الزوج .. وعشق الحبيب وكم كانت في أشد الحاجة لذلك .. فلم يبخل عليها.
غمغمت بصوت مكتوم في صدره" لا أريد أن أرى أحدا ..ولا أن يراني أحد بهذا الوجه المرعب ..أريد أن أبقى وحدي حتى استعيد توازني النفسي أرجوك "
غمغم وهو يقبل رأسها" حاضر .. لك ما تشائين يا أم قلبي"

بعد ساعة كان جابر يغلق الهاتف مع مصطفى الزيني الذي أخبره بأنه يعتقد بأنه قد توصل لهوية السيدتين وقريبا سيستطيع الوصول إليهما .. فتطلع فيها وهي مستغرقة في النوم على جانبها ونظر لوجهها المتورم ثم تطلع في سواد الليل أمامه عبر زجاج الغرفة المغلق يطلب من نفسه الصبر والتروي ..

وما أصعب ما يطلبه من نفسه .. وما أصعب من مجاهدة النفس الغاضبة الراغبة في الانتقام.

xxxx

بعد يومين أخرين

بعد الظهر

أدخل بشر أولاده وأولاد أخيه علي في السيارة يعيدهم من مدرستهم في مركز المحافظة إلى السرايا ..وقبل أن يركب رن هاتفه برقم غير مسجل فرد "السلام عليكم"

جاءه صوت يقول" بشر صوالحة؟"

"تفضل من معي؟"

"لدي رسالة لك تقول.. من الأفضل ألا تنبش في الماضي ..لأنه لن يؤذي من تبحثون عنه فقط ..وإنما سيؤذيكم أنتم أيضا فالنبش في المستور سيؤلم الجميع ..ولن تستفيدوا شيئا

إلا أذية أنفسكم ..خذ بالنصيحة واترك الماضي
..فمن راح لن يعود"
هتف بشر بعصبية "من أنت؟.. ومن أرسلك؟"
انقطع الخط فجز على أسنانه وهو يعيد
الاتصال بالرقم لكنه وجده مغلقا ثم جاءه
اتصال من علي وهو يتخذ مكانه خلف عجلة
القيادة فرد وهو يغلق الباب" نعم علي ... (
وهتف باندهاش) أنت أيضا جاءك اتصال!!"

xxxx

قال عبد الرحيم الزيني بسعادة "مبارك يا بني
..أخيرا سنرى لك المزيد من الأولاد"
قال مفرح لوالده بابتسامة "الحمد لله ..حالة
مليكة تتحسن بعد الصدمة التي أصابتها بسبب
حادثة موت ابنتها ..لهذا أنا سعيد.."
قال عبد الرحيم بهدوء " المهم أنك سعيد"
نظر مفرح لأمه الصامتة وقال يداري شعوره
بالاختناق" ألن تباركي لي يا حاجة نحمدو؟"

كان الخبر بالنسبة لها غير سعيد .. ربما لشعورها بأن مليكة تتفوق عليها شيئا فشيئا .. مرة حين لم تستطع فضحها والتشفي فيها ..ومرة حين أبعدها عن القرية واشترى لها بيتا في العاصمة .. ومرة حينما اختارها الولدان وأشعراها بالقهر وخيبة الأمل .. ومرة وهي ترى مفرح يوزع أيام الأسبوع بين القرية والعاصمة .. ومرة وهي تجد مصطفى الزيني سيخلف زوجها وهو مالم يفصح به عبد الرحيم صراحة لكنه أمرا بات واضحا وضوح الشمس ويراه حتى أعمى البصر ..والآن ما كان يعيبها لم يعد موجودا وستجلب لمفرح المزيد من الأولاد .. كل هذا يزيد من كرهها لها .. لم تتقبلها يوما زوجة لابنها ولن تتقبلها حتى تموت .. هكذا هي لا تعرف الوسطية .. إما قمة الحب أو قمة الكره ... وهي تكره مليكة صوالحة فردت بلهجة فاترة "مبارك"

ابتسم مفرح ابتسامة مُرة وقال "بارك الله لك .. كيف حال ضغطك هل تلتزمين بالأدوية؟" ردت بفم ملوي" وهل تغير أي مما يرفع ضغطي حتى يتحسن !"

قال لها مفرح مداريا شعورا كبيرا بالحزن" ألف لا بأس عليكِ .. أخبريني متى ستكون زيارتك للطبيب حتى أدونه على الهاتف كي لا أنسى ..تعلمين بأن ذاكرتي ضعيفة"

قالت بلهجة متهكمة" لو كان من أجل السنيورة ست الحسن بالتأكيد كنت ستتذكر بدون هاتف"

بلع ريقه يعلم بأنها تتعمد استفزازه بينما هدر عبد الرحيم غاضبا "نحمدو هل سنعود للسيرة التي تفرقنا ولا تجمعنا؟!"

أشاحت بوجهها فقال مفرح "سأتذكر يا أمي ..أعدك بأني سأتذكره بدون تدوينه فليس لي بركة إلا أنت "

قال عبد الرحيم " أتركها الآن وقل لي متى ستحضر ولديك ؟..اشتقت إليهما"
قال مفرح بابتسامة " متى ترغب يا أبي سأحضرهما ..ما رأيك في نهاية الأسبوع؟"
دخل عويس يقول "لا تؤاخذني يا حضرة العمدة"
سأله عبد الرحيم" ماذا هناك يا عويس؟"
رد الأخير" الحاج مصطفى أحضر امرأتين ورجلا وأمرنا بحبسهما هنا في إحدى الغرف "
عقد مفرح حاجبيه بينما قال عبد الرحيم" هل وجد الغجر الذين تعدوا على زوجة جابر دبور؟!!"

xxxx

قالت بسمة بضيق وهي تتطلع في الطريق أمامها في جلستها في المقعد الخلفي لإحدى سيارات عائلة نخلة بينما السائق يقودها عبر

أروقة البلدة "لماذا لا تريدين أن أمر عليك يا أم هاشم.. سأسلم على أمي وأزورك"
ردت أم هاشم معتذرة " سامحيني يا بسمة لا أريد أن أرى أحدا وأرفض أي زيارة مهما كان"
تدخلت مليكة تقول عبر مكالمتهما الجماعية " دعيها تطمئن عليك يا أم هاشم وتطمئنني .. والله قلبي يؤلمني بشدة منذ أن علمت بالخبر "

ردت أم هاشم بهدوء مطمئنة " أنا بخير يا بنات .. ولكن وجهي لا يزال متورما بشدة ويزعجني ..ويشعرني بالحرج من مقابلة أي أحد ..كما أنني احتاج لبعض الوقت لاستعادة توازني النفسي "
تنهدت بسمة وقالت " عموما أنا سأبقى ليومين أو ثلاثة ..وإن شاء الله أراك قبل عودتي للعاصمة"
سألت أم هاشم "هل من جديد ؟"

ردت بسمة وقد عاودتها الرغبة في البكاء " لا جديد سوى الموت ببطء .. مر أسبوع هل تصدقان .. مر أسبوع على سفره ولا أحد يعرف شيئا عنه .. وأفكاري تذهب لمناطق شديدة اليأس لكني أقاوم وأدعو الله كثيرا "

قالت مليكة مواسية " اسأل الله أن يفك كربكم ويطمئنكم على غائبكم "

غمغمت بسمة وأم هاشم "اللهم أمين "

ثم سألت بسمة " وأنت يا أم هاشم هل اكتشفوا شيئا عن الفاعلتين؟"

ردت الأخيرة موضحة " لا أعرف ..فجابر يرقد كل ليلة يغلي من الغضب وأنا أحاول ألا أضغط عليه بالسؤال كي لا أزيد من شعوره بالتقصير ..مؤكد ما حدث يجرح كرامته"

"وقلبه "

قالتها مليكة بمشاكسة فابتسمت أم هاشم ابتسامة واهية هي تقول" الحمد لله أن جاء كل

شيء في وجهي وجسدي بعيدا عن هاشم .. كل شيء فداء له"

ابتسمت بسمة وألح عليها الحنين لتجربة الأمومة كما أزعجها ذلك الشعور بالغثيان الذي بات متكررا حتى كادت أن تتقيا في الطريق

فغمغمت بعبوس " لقد اقتربت من البيت .. سأحدثكما في المساء لأطمئن عليكما يا بنات .. سلام "

أغلقت بسمة الخط وترجلت من السيارة تشكر السائق ..وهي تعدل من وشاحها فوق رأسها ولا تعلم لماذا باتت تلتزم بالوشاح عند خروجها من البيت منذ سفر كامل وليس فقط لأنها تزور القرية..

لاحظت عيون بعض الجارات التي تناظرها بفضول فتملكها الضيق وقررت ألا تهتم .. فقد كانت تتوقع ذلك ..لكن سرعان ما ترقرقت الدموع في عينيها حين لمحت في أخر الشارع

وزة فغمغمت من بين دموعها " لم يأت معي هذه المرة .. لقد أتيت وحدي "
ثم سحبت نفسا عميقا ودخلت إلى بيت الوديدي .
أما أم هاشم فتحسست وجهها المتوهج الملتهب برفق في الوقت الذي سمعت طرقا على الباب فشعرت بالانزعاج .. وتساءلت عن هوية من سيصعد إلى الطابق العلوي..
لقد سمعت جلبة قبل قليل بالأسفل لكنها لم تهتم فهي في عزلة منذ يوم الحادث والجميع يحترم ذلك .
جاءها صوت ناعم من خلف الباب يقول "أم هاشم أنا إسراء سأضع لك صينية الأكل وأرحل "
تركت أم هاشم سريرها ببطء متوجعة وشعرت بالحرج من إسراء رغم انزعاجها من التطفل على

خلوتها فهي ككل يوم تنتظر جابر أن يعود لتأكل أي شيء يصعد به قد طبخته حماتها..
اقتربت من الباب وفتحته تقول لإسراء "لا تؤاخذيني على عدم النزول "
حافظت إسراء على ثباتها الانفعالي عند رؤية وجه أم هاشم رغم تحسنه عما كان من قبل وتحركت تدخل بصينية عليها أطباق وضعتها على أقرب طاولة وهي تقول بلهجة عادية تداري بها شعور كبير بالألم والشفقة والغضب من أجلها " لا تشغلي بالك بنا.. أردت فقط أن أضع لك الطعام وأرحل بسرعة "
قالت أم هاشم بهدوء " ليس هناك داع فأنا انتظر جابر عند المغرب"
قالت إسراء بإصرار " أنت حامل وعليك أن تأكلي جيدا (ثم قالت بلهجة محرجة) أنا من طبخت وأحضرت الطعام أنا وأمي للحاجة

نجف لنتغدى معها ..وكنا نرغب في أن تشاركينا بالطابق الأرضي لكن لا بأس"
غمغمت أم هاشم بامتنان " جزاك الله خيرا ..أنا واثقة بأنه طعام جميل"
ردت إسراء " ليس مثل طهيك .. بصراحة زين يذلني به وقال صراحة ليس هناك منافس لطهيك.. فماذا أفعل الآن يا ست أم هاشم فرغم اتفاقي معه على هذه الحقيقة لكن الغيرة تأكلني"

ابتسمت الأخيرة فآلمتها شفتيها ثم قالت" أسعدكم الله ورزقكم حب بعضكما .. حين تتزوجان سأغرقكما بالطعام"
ابتسمت لها إسراء وقالت متنهدة" أنا قلقة على زين فمنذ ما حدث لك وهو في حالة من العصبية والمزاج العكر ..مستاء بشدة لحالة

أبي ميس (ونظرت في هاتفها مضيفة) ولا يرد عليّ منذ الصباح وأشعر بالقلق عليه"
غمغمت أم هاشم "إن شاء الله ستطمئنين عليه"
تحركت إسراء تقول بلهجة متهكمة على نفسها" قلت سأضع الصينية وأرحل ثم وقفت أصدع رأسك بثرثرتي لا تؤاخذيني"
ابتسمت لها أم هاشم وودت أن تقول أي عبارة مجاملة لكنها لم تكن قادرة فناظرتها بنظرات معتذرة وهي تراها تسرع نحو الباب وغمغمت "سلمي لي على نصرة وقولي لها ألا تؤاخذني في عدم النزول "
أسرعت إسراء بإغلاق الباب خلفها وتخلت عن ملامحها المرحة وتغضنت بالألم تدعي "حسبي الله ونعم الوكيل فيمن فعل فيك ذلك"

××××

بعد ساعة

صرخت بسمة بانفعال" ما معنى هذا الكلام؟؟؟؟"

رد سيلمان الوديدي" معناه ما سمعتيه ..لن تعودي إلى هذا المجرم المطلوب للعدالة "

قالت بعدم استيعاب " أبي أرجوك ..لا تتصرف بهذا الشكل ..اسأل نفسك هل تصدق أن كامل قد يرتكب جريمة كهذه؟"

رد بلهجة مستخفة " أصدق أو لا أصدق ليست هذه هي المشكلة ..لقد انفضحنا أمام أهل البلدة.. واختفاء زوجك وبحث الشرطة عنه يسيء لسمعتنا ..لذا لن تخرجي من هنا حتى تظهر براءته أو يقبض عليه فترفعين قضية للانفصال عنه"

قالت بلهجة قاطعة " أنا لن أنفصل عن كامل ولن أتركه ولن يجبرني أحد على فعل ذلك "

شعرت فاطمة بالتوتر وهي تراقب ما يحدث وتبادلت النظرات القلقة مع مهجة التي وقفت تمسك ببطنها المنتفخة بينما أمسك سليمان بذراع بسمة يقول من بين أسنانه " افهمي يا غبية .. كامل لن يستطيع الإفلات من هذه القضية وسيحكم عليه بالسجن ..هل ستظلين على ذمة رجل مسجون ؟!"

رفعت ذقنها تقول بإصرار "حتى لو حدث هذا لن انفصل عنه أبدا"

صاح سليمان باستهجان وهو يهزها " سيسجنونه مدة قد تصل لخمسة عشرة سنة ..هل أنت مدركة لما أقول؟"

انقبض قلبها لكنها قالت بلهجة قاطعة " لن أنفصل عن كامل يا أبي مهما حدث سأنتظره ..وسأموت وأنا زوجته"

دفعها بعيدا وهو يقول بقرف " كنتِ تمسكي بزوجك السابق بهذه القوة وقتها "

صرخت بانفعال وقد جن جنونها " من فضلك يا أبي لا تتحدث عن الماضي ولا تقارن .. واعلم بأن ابتعادي عن كامل لن يحدث أبدا"

لا تعجبه شخصيتها الجديدة القوية فهتف هو الأخر بصوت مخيف متشبثا بأن يكون له الكلمة العليا " وأنا لن أسمح لك بهذا .. وهذا البيت لن تخرجي منه أبدا حتى يعلم أهل البلدة أننا لا نشارك في إيواء المجرمين ..وأنك لجأت لبيت أهلك حين حدثت المصيبة"

تحركت بسمة تترك صالة الطابق العلوي إلى غرفتها وهي تقول" أنا عائدة إلى العاصمة فورا"

دخلت لتحضر حقيبتها وهاتفها الموضوعين على السرير فأمسك سليمان باب الغرفة ووقف يسده بجسده قائلا" قلت لن تتحركي من هنا "

اقتربت بسمة منه تقول باستنكار " أنا لست صغيرة يا أبي لتحبسني "

خطف الهاتف من يدها وقال أمام عينيها الجاحظتين" سأحبسك وأمنعك من هاتفك .. وأريني من سيجرؤ من عائلة زوجك على الاقتراب من البلدة ...وإن كان زوجك مختبئا فليريني نفسه ويأتي ليخرجك ولا يتخفى كالمجرمين من الشرطة "

تمالكت أعصابها بقوة كي لا تتصرف بقلة أدب كأن تدفعه وتخرج .. وحدثت نفسها بأنه والدها حتى لو كان مصرا على قهرها ولا يهمه إلا سمعته واسم العائلة أمام الناس بينما أغلق سليمان باب الغرفة أمام عينيها الذاهلتين وسمعت صوت المفتاح فأسرعت تضرب على الباب قائلة بهستيريا" أبي ..أبي ماذا تفعل؟ .. لماذا أنت مصر على اذلالي وجرح كرامتي.. أنا لست صغيرة ..ولست مجرمة لأني أحب زوجي واتمسك به .. أبي اتركني لأرحل أرجوك"

قالت فاطمة باكية " لماذا يا سليمان .. البنت تحب زوجها والشاب لم نر منه إلا كل أدب واحترام"

رد وهو يعدل من عباءته فوق كتفيه " كل هذا لا يهم الآن ..ففضيحتنا تملأ البلدة"

قالت بسمة وهي تضرب الباب "أعطني هاتفي على الأقل لأتواصل مع الناس أرجوك "

استدار يقول بجبروت " ليس هناك خروج وليس هناك هاتف .. وستبقين هنا حتى يظهر المجرم الذي تزوجتيه ..وإن لم يكن قد أظهر براءته وقتها سنطلقك منه بالمحكمة بعد أن يسجن .."

صرخت بعصبية من خلف الباب وهي تضرب بقبضتها عليه " أنا لن انفصل عن كامل يا أبي حتى لو ذبحتني"

تدخلت مهجة تقول " يا خالي هذا الأسلوب لا يليق بفتاة في العاشرة فما بالك بامرأة ناضجة ومتعلمة كبسمة"

ناظرها يقول محذرا " اسكتي أنت ولا تتدخلي فلست متفرغا لفزلكتك"

امتقع وجه مهجة بغيظ بينما نظر سليمان لزوجته يقول وهو يضع المفتاح في جيب جلبابه الداخلي" لن تخرج حتى للحمام حتى أعود وتقسم أمامي على المصحف بأنها لن تتحرك من هذا البيت حتى الذهاب للمشروع لحين تحديد موقف كامل "

استدار مغادرا ينزل السلم فنادته فاطمة " سليمان"

"أبي"

"سليمان"

سألت بسمة " ألا يوجد معك مفتاحا أخر يا أمي؟"

ردت الأخيرة باكية "لا"
سألت بسمة " أين وليد؟"
ردت مهجة " إنه في مشوار في العاصمة وسيأتي في المساء"
شعرت بسمة بالدوار وبرغبة في التقيؤ فتحركت نحو السرير لتجلس عليه بإنهاك وجسدها يرتجف من العصبية .. ولم تعرف ماذا ستفعل في هذه المصيبة ..إنها حتى لا تحفظ أي رقم من الأرقام .. وبمن تستجير فليس من المنطقي أن يتدخل غنيم أو شامل لإعادتها إلى العاصمة في غياب زوجها.. حتى مفرح لو تدخل ستقوم مشاجرة وقد تتأثر بها علاقة مهجة ووليد كالمرة السابقة ..
أما وليد فلا تعرف كيف ستكون ردة فعله ..وبصراحة بعد ما عادت علاقتهما مرة أخرى يتملكها خوف شديد من اختبار تلك العلاقة فالعلاقات تبدو جيدة مالم يتم اختبار مدى

قوتها وبعد ذلك لا يبقى منها إلا العلاقات الحقيقية .. وهي لا تريد أن تصدم فيه من جديد ولا أن تحمله فوق قدرته على التصرف.

xxxx

قبيل العصر

"كاميليا؟؟؟!!!"

قالها جابر والشرر يتطاير من عينيه فقال مصطفى بلهجة حزينة "للأسف هذا ما اعترفت به السيدتان والرجل الذي يصاحبهما وبأنهم قد حصلوا على مقدم مالي منها وعلى هاتين " وأخرج من جيبه الداخلي الأسورتين فناظرهما جابر بذهول وتعرف عليهما على الفور فهو من أهداهما لها ..ففقد سيطرته على نفسه .. فقد حلمه الذي يتحلى به .. فقد صبره على الحماقات وترفعه عنها .. جن جنونه .. واشتعلت رأسه بالغضب .. بل تحول هو بكليته لكتلة من الغضب الخارج عن السيطرة

.. فتحرك مغادرا وهو يقول" لقد فاض الكيل.. فاض"

أسرع مصطفى يمسك به قائلا" تماسك يا جابر ولا تفقد أعصابك حتى لا تخطيء"

ناظره هادرا بعينين ناريتين " بعض الناس لا ينفع معهم التهذيب ..لا ينفع معهم سوى قلة الأدب ..لا ينفع معهم سوى الإجرام .. فإن كانت هي وأهلها يستهزئون بي فقد أخطأوا .. أخطأوا خطأ فادحا.. وعليّ أن أريهم كيف يكون جابر حين يفقد صبره ويغضب .. عليهم أن يروا وجها أخر يليق بهم "

أفلت من يده وأسرع بالمغادرة فناداه مصطفى غاضبا وهو يسرع خلفه "توقف يا جابر ودعنا نتحدث بالعقل أولا "

غمغم جابر وهو يخرج من بوابة بيت مصطفى الزيني" فاض الكيل وسيندمون فهذا لن يمر على خير .. والله لن يمر على خير أبدا"

ألقى بنفسه في السيارة وانطلق بها مسرعا .. ولأول مرة لا يستجيب لنداء مصطفى الذي أدرك بأن صاحبه وصل لدرجة خطيرة من الغضب .. فأسرع إلى سيارته وهو يقول لعويس آمرا " احضر الرجل والسيدتين إلى بيت أولاد العسال .. وحاذر أن يفلتوا منكم فهم محترفون في ذلك .. إياك أن يفلتوا "

××××

دخل هلال الشارع متوجها إلى بيته فلاحظ يحيى في آخره وأشار له بالتحية ثم أسرع الخطى نحوه ليقابله الأخر في منتصف الطريق فسأله هلال "هل رأيت جابر دبور؟"
هز يحيى رأسه نافيا فأخرج هلال هاتفه وعاود الاتصال به قائلا" لقد غادر المعرض منذ فترة وليس بالبيت ولا يرد على هاتفه .. وبصراحة أشعر بالقلق عليه من أن يتهور ويذهب وحده

للبحث عن هؤلاء الغجر .. يخبرني وأذهب معه أنا وبعض الرجال إن أراد"
توقف تاكسي على أول الشارع فلفت انتباهما وترجل منه زين دبور يحمل حقيبة سفر صغيرة وانقد السائق في الوقت الذي هتف هلال متفاجئا "أليس هذا زين؟؟"
أسرع الرجلان الخطى إلى أول الشارع حتى قابلاه عند بيت دبور واجما جادا وقد تبددت واجهته المرحة ..فسلما عليه وسأله هلال" ما هذه المفاجأة ؟..ولماذا لم تخبرنا بقدومك؟"
قال زين بلهجة جادة " لم أكن متأكدا من حصولي على تذكرة السفر .. كنت على قائمة الانتظار حتى أخر لحظة .. (وناظرهما مضيفا) كان لابد أن أحضر فلست مطمئنا على جابر .. وخشيت أن يذهب لهؤلاء الغجر وحده (وأضاف بلهجة غامضة) أو أن يظهر من حرضهم على زوجة أخي "

قال هلال " هذا ما كنت أقوله للحاج يحيى قبل دقائق ولهذا أبحث عنه "
عقد زين حاجبيه وسأله "ما معنى تبحث عنه؟
(وأخرج هاتفه يضعه على أذنه وهو يقول) أين هو؟"
أجابه هلال" لا أعرف ليس بالمعرض أو بالبيت وأبحث عنه أنا الأخر"
لم يرد جابر على زين فقال يحيى" إن شاء الله سيظهر بعد قليل"
رن هاتف هلال فأسرع بالرد" السلام عليكم
(وجحظت عيناه قائلا) جابر!!!! ..(وصمت قليلا يسمع وعلامات الهلع تتشكل على وجهه
ثم قال) حسنا سنأتي حالا "
انخلع قلب زين وهو يسأله" ماذا حدث لجابر؟؟"

رد هلال "جابر في حالة عصبية شديدة عند بيت العسال يطلب مقابلة عماد أو بدير ويبدو أنه ينوي على الشر "
وصفر لتوكتوك يمر حتى توقف وتحرك هو ويحيى مسرعا فقال زين "اسبقاني وسآتي خلفكما مباشرة"
قالها وأسرع بالعدو إلى داخل البيت ثم طرق على الباب بحزم ..فتبادلت نجف النظرات مع نصرة وإسراء وأختيها ثم أسرعت إسراء بفتح الباب ووقفت متسمرة تهتف بصدمة" زين!! "
ارتجف قلبه متفاجئا بوجودها لكنه لم يكن في مزاج يسمح له بالتفكير بأي شيء سوى جابر
فنظر خلفها يقول "أين مفتاح شقتي يا أمي نسيت أن أحضر نسختي معي ؟"
هرولت نجف نحوه تقول بفزع "ماذا هناك يا ولدي ؟..ما الذي أعادك فجأة؟ .. (وضربت

على صدرها تقول وقد هربت الدماء من وجهها
) هل ولدي جابر بخير !!"
ألقى بحقيبته أرضا وأجاب "ابنك بخير جئت
لأرى من تجرأ و تطاول على أهل بيته.. أين
المفتاح؟"
أسرعت نجف تخرج محفظة صغيرة من
صدرها وأخرجت منها المفتاح بينما الباقيات
يحدقن في حالته الغريبة وأولهن إسراء
المتخشبة بجوار الباب تكاد لا تصدق أنه
شاخصا أمامها في تلك اللحظة فأعطت نجف
المفتاح لابنها تقول" هل حدث جديد
طمئني؟"
كان قد استدار متجها للسلم الخارجي المؤدي
للطابق الثاني فنظر إليها صارخا بعصبية
أوقعت قلوب الجميع "ليس هناك جديد
..ولكننا نعاني من القديم ..نعاني من مصاهرتنا

لعائلة وسخة آن الأوان لوضع حد لحماقة ابنتهم "

هتفت نجف بعدم فهم" من تقصد؟"

قال بغل " أقصد كاميليا يا أمي .. كاميليا التي يقف ابنك الآن أمام بيت أبيها وقد يقتلها بيده بسبب ما فعلته في أم هاشم .. أنا كنت أشك فيها من البداية لكني قلت إن بعض الظن إثم .. والآن بدلا من أن يوسخ أخي يده بها أنا من سأتصرف فإما أن أقتلها أو أبلغ عنها الشرطة"

استدار صاعدا لأعلى بينما أمسكت نجف بقلبها تغمغم بصدمة "كاميليا .. كاميليا السبب فيما حدث!!"

ظلت أنظار إسراء الذاهلة متعلقة بأعلى السلم حتى نزل مجددا بعد دقيقة مهرولا ولم ينظر لأحد بل وضع شيئا بجانبه ومر كالطلقة

من أمامهن فصرخت إسراء" إنه يحمل مسدس"
اختل توازن نجف فأسرعت نصرة بالإمساك بها وهي تغمغم باكية "استرها يا رب"
بينما لم تدر إسراء بأنها هرولت خلفه تناديه"
زين .. زين ماذا تظن نفسك فاعلا بهذا المسدس؟"
توقف عند البوابة واستدار إليها يخلع محبس الخطبة وأمسك بكفها يضعه فيه أمام أنظارها الذاهلة قائلا" احتفظي بهذا من أجلي .. وفي حالة لم أعد أو تعقد الأمر لك مطلق الحرية في التصرف فيه ..ترميه تبيعيه وتتصدقي بثمنه.. أو تعلقيه في سلسال حول رقبتك"

اتسعت عيناها وانقبض قلبها بينما أسرع هو بالهرولة حتى أول الشارع وأمام أنظارها ألقى بنفسه في أحد التكاتك المارة واختفى من أمامها

..فلم تستطع ساقاها حملها بعد ذلك
وسقطت جالسة على عتبة بيت دبور تحدق
في المحبس في راحة يدها بذهول وخوف
شديد عليه .

الفصل الثالث والأربعون

قبل قليل

هدر جابر بصوت مخيف" إذن دعني أقابل الحاج بدير مادام عماد غير موجود"

رد علاء بتوتر من أمام بوابة بيت العسال " أبي لا يقابل أحدا حاليا"

صاح جابر بغضب عارم " لقد اتصلت بعمك ولا يرد اتصل به حالا قبل أن أفقد أعصابي وأفعل ما أندم عليه"

تكلم علاء بارتباك وهو يخرج هاتفه من جيبه "أنا أيضا اتصلت به و لا يرد .. سأعاود الاتصال"

ابتعد جابر عدة خطوات للخلف ووقف يستند بظهره على الحائط المقابل قائلا بعناد " وأنا لن أغادر"

فوقف بعض الجيران يتابعون بفضول وتدخل أحدهم مقتربا من جابر يقول" ما بك يا معلم جابر ؟..لم نرك في هذه الحالة من قبل"
أفلت جابر ذراعه من يد الرجل قائلا بمزاج عكر ليس من شيمه " اتركني الآن بالله عليك يا حاج عاشور"
قال الرجل بإصرار وفضول" اخبرني ماذا حدث"
كان جابر كمن يمسك بقنبلة بدأت في العد العكسي للانفجار ويحاول التصرف فيها قبل أن يتحول كل شيء لأشلاء .. فأخذ يُذَكِّر نفسه بابنته وسمعتها.. يُذَكِّر نفسه بعاقبة الغضب المبالغ فيه ..ويحاول ممارسة كل الحيل العقلية لعدم التهور وفضح كاميليا في الشارع كله .. فلم يرد على الرجل وإنما هدر في علاء صائحا" جد لي عمك حالا"
توقفت سيارة عماد بعد أن اتصلت به زوجته في نفس الوقت الذي اقترب بسطاويسي مهرولا

آتيا من بيته القريب حينما أخبره الناس بما يحدث.. ليقول عماد بانزعاج وتحفز وهو يقترب من جابر "ما هذا؟.. هل تتهجم على البيت في غيابي؟"

قالها وهو يضرب بظهر يده على كتف جابر بتهديد شاعرا بالإهانة أمام الجيران فدفعه جابر في كتفه قائلا" بيتك حدوده هذه البوابة وأنا لم اتخطاها ولم أقترب منها"

بعنجهية هتف عماد باستهجان وهو يقترب من جابر متحديا " وطرقك على البوابة وصوتك العالي ..وترويعك للنساء والأطفال.."

دفعه جابر بخشونة وهو يقول " أنا أعلي صوتي كيفما أشاء ..هذا بدل من أن تسأل ما السبب وماذا أريد تتحدث بهذه الطريقة؟"

تدخل بسطاويسي قائلا " ماذا حدث يا معلم جابر؟"

ضاع السؤال وإجابته وسط حمم الغضب المتبادلة بين الرجلين ليرد جابر على عماد " عموما قبل أن تطلب مني احترام النساء سيطر على أهل بيتك أولا"

جنت العبارة جنون عماد فاندفع ينقض عليه ليسرع بسطاويسي بحضن ابن عمه من الخلف في الوقت الذي توقفت فيه سيارة مصطفى الزيني وترجل منها الأخير فتفرق الواقفون الذين يتابعون بفضول يفسحون له الطريق ليسرع هو نحو جابر ويبعده بعيدا عن عماد وكلا الخصمين يحدج الأخر بنظرات نارية.

مال مصطفى على جابر قائلا" جابر .. أعلم بما تشعر به لكن تذكر أنها أم ابنتك"

ناظره جابر بنظرة جعلت مصطفى يشفق عليه .. نظرة غضب مكبوت وشعور بالقهر .. وهو يرزح تحت وطأة مشاعر قوية قاسية تتصارع لحظتها مع أخلاقه وعقيدته .

استدار مصطفى يقول للناس" تفضلوا يا جماعة لأشغالكم لا داعي للوقوف "
تململ الواقفون في المغادرة بينما قال مصطفى لعماد" السلام عليكم يا عماد ..هلا ضيفتنا في بيتك .. فهناك أمر خطير لابد أن نتحدث فيه "

××××

كانت الأصوات الآتية من الدور الأرضي غريبة أو ربما شعور داخلي ما جعل أم هاشم تشعر بالقلق لكنها لم تكن قادرة على النزول
فأمسكت بهاتفها واتصلت بحماتها التي بادرتها باكية" جابر وزين ذهبا يتوعدان لبيت العسال .. إن زين يحمل مسدسا يا أم هاشم"
شعرت أم هاشم بالتشوش لثوان وهي تتساءل في سرها عما تقوله حماتها عن زين الغير موجود بالبلد لكنها سمعت نصرة تقول باكية" استرها على عبيدك يا رب لا تبكي يا حاجة نجف"

سقط قلب أم هاشم بين قدميها فاستقامت واقفة وأسرعت بلم شعرها المجعد في عقدة وهي ترتدي خف البيت وتسرع بالنزول..
حين وصلت للدور الأرضي كانت نصرة تربت على ظهر نجف وتشاركها البكاء فسألت أم هاشم بجزع" ماذا يحدث؟"
تطلعت نصرة في ملامح أم هاشم المتورمة وقالت باكية" أبو ميس ذهب لبيت العسال ..وهلال أخبرني في الهاتف بأن أبا ميس علم أن كاميليا هي التي استأجرت الغجريتين"
اتسعت عينا أم هاشم وغلى دمها فأخذت تشتم في سرها شاعرة بالإهانة أكثر من ذي قبل واستدارت تنوي الصعود لغرفتها قائلة" اتركوا الذبابة الخضراء عليّ سأجعل القرية كلها تشاهدها وهي ..."
قاطعتها نصرة قائلة" يا أم هاشم .. جابر هناك ومنفعل جدا .. وزين عاد من السفر منذ قليل

وأخذ مسدسه وذهب خلف أخيه ونموت من الرعب لما يمكن أن يحدث وكيف ستنتهي الليلة"

تجمدت أم هاشم وتبدل غضبها بالقلق فقالت باندفاع" سألحق بهما"

قالت نجف باكية" لا تزيدي من اشعال الأمر يا بنيتي ..فجابر لن يحب خروجك دون إذنه ولا تدخلك"

تطلعت فيها الأخيرة متقبضة لتضيف نصرة "هلال وعمك يحيى معهما ومصطفى الزيني تدخل ليفض الخلاف قبل أن تتحول المشاجرة لبحور من الدم بين العائلتين"

انقبض قلب أم هاشم بينما غمغمت نجف وهي تنكس رأسها وتبكي بقلة حيلة "أخشى من تهور زين إن معه مسدسا والشيطان شاطر"

اشفقت أم هاشم على حماتها فاقتربت منها وجلست إلى جوارها تربت على ظهرها مواسية

ثم قبّلت رأسها قائلة " سيكونان بخير بإذن الله"
بينما تحركت نصرة تقول" سأذهب لأرى أين ذهبت إسراء ..كانت تهرول خلف زين ..
استرها على عبيدك يا رب"
رددت أم هاشم وقد بدأ الخوف يسيطر عليها"
استرها على عبيدك يا رب"

××××

في الدور العلوي من بيت العسال ضربت وجدان على ذراع كاميليا ببعض الخشونة توقظها من النوم قائلة" انهضي .. انهضي الدنيا مقلوبة بالأسفل وأنتِ نائمة؟!!"
رفعت كاميليا جذعها تقول بعبوس" ماذا هناك يا وجدان؟.. لماذا توقظيني"
قالت الأخيرة بقلق "ماذا فعلت؟.. الدنيا مقلوبة"

اعتدلت كاميليا تستفيق من قيلولتها العصرية وسألتها" ماذا تعنين؟"
ردت وجدان من بين أسنانها "أعني أن أبا ميس عندنا ..وفي حالة هياج وتشاجر مع عماد ثم جاء مصطفى الزيني وحضر عدد من أفراد عائلة العسال .. ماذا فعلت؟"
اصفر وجه كاميليا وسقط قلبها بين قدميها وهي ترد بارتباك "أنا؟؟.. أنا لم أفعل شيئا"
صوت عالٍ جاء من الأسفل فأسرعت وجدان مهرولة تخرج من الغرفة وتسرع للطابق الارضي تقول لنفسها" استر يا رب فلا يتدخل علاء ولا يتشاجر من أجل عمه"

في غرفة الضيوف ذات البابين باب على ساحة البيت يدخل منه الضيوف وأخر على صالة البيت من الداخل كان مصطفى يقول للعمدة

عبر الهاتف " فهلا شرفتنا لحضور الجلسة يا عمدتنا؟"

جاءه صوت عبد الرحيم يقول "تصرف أنت بالنيابة عني وانهِ الموضوع يا أبا حمزة"

علا صوت شجار الحاضرين فأسرع مصطفى بإنهاء المكالمة قائلا" كما تريد سأذهب الآن"

أغلق الخط وهدر في جابر وعماد المتحفزين لبعضهما" أرجوكما لنهدأ حتى نتحدث"

تدخل يحيى وهلال اللذان وصلا للتو وأجلسا جابر وجلسا بجواره بينما وقف مصطفى يناظر بصرامة عماد المتحفز الذي بدأ يتيقن بأن هناك مصيبة قد حدثت لتجعل جابر دبور يفقد أعصابه بهذا الشكل وبالتأكيد الأمر يتعلق بكاميليا.

قال مصطفى لعماد بلهجة حازمة " إن لم تحترم وجودي ووجود الحاضرين سنغادر فورا لكن لا تلومنا على أي شيء بعد ذلك"

شده بسطاويسي وابن عم أخر له ليجلس فنفذ على مضض وأخذ عقله يحاول ربط الخيوط ببعضها داعيا في سره أن يكون تخمينه خاطئا..
بينما جلس مصطفى على المقعد المقابل لجابر يقول لعويس الواقف على باب الغرفة" لا تدخل أحد إلا من عائلة الطرفين"
كان الناس لا يزالون يقفون بفضول في الخارج بينما نساء البيت بما فيهن كاميليا التي نزلت للأسفل يقفن في الصالة يتابعن ما يحدث بقلق شديد .. في الوقت الذي كان بدير في سريره يحاول أن يرفع نفسه بصعوبة.
إن الأصوات عالية وهو يشعر بتوتر شديد ولا يفهم .. أهذه مشاجرة أم أنها الشرطة أم ماذا..
وهاتفه انزلق بين السرير والكومود وهو يحاول الامساك به ..
رفع جذعه فآلمه فخذه وظهره بشدة وبدأ يتصبب عرقا وكأنه يقوم بمجهود كبير

..وتعجب كيف كانت حركة بسيطة كهذه يقوم بها في السابق دون أن يلتفت لها.
حين نجح في رفع جذعه أخيرا حاول الاستناد بكفيه على الكومود والسرير حتى يسحب نصفه السفلي قليلا ويعتدل جالسا لكن كفه انزلقت من فوق الكومود ومال على جانبه ثم سقط من فوق السرير والآلام المبرحة تمزقه..
فجز على أسنانه وحاول بصعوبة التحامل على ذراعه للاعتدال ليتفاجأ بدورق الماء يسقط فوقه ويغرقه .

في الطابق الأرضي أخذت وجدان توصي ابنها الكبير بألا ينفعل وألا يدخل نفسه في كلام الكبار لكن علاء شعر بالإهانة وسحب ذراعه من يد أمه ثم دخل ليجلس في الجلسة وفي نفس الوقت تطلع الواقفون بالشارع في المرأتين والرجل الغريبين عن أهل القرية

والمساقين من قبل الغفر يدخلوا ساحة بيت العسال وفهموا فورا ما يحدث فضربت إحدى النسوة الواقفات يدها على صدرها قائلة" يبدو أن هؤلاء هم الغجر المهاجمون لبنت الشيخ زكريا"

ردت الأخرى" يبدو كذلك وهذا يفسر حالة الغضب التي كان عليها المعلم جابر"

تكلم رجل مشاركا في الحديث وهو يضرب كفا بكف" هل وصلت غيرة الحريم ببنت العسال لتأجير من يسقط حمل بنت الشيخ!"

قالت إحداهما" وما أدراك ربما تنتقم لأن أم هاشم سرقت منها زوجها بعدما سحرت له"

ناظرها الرجل باستهزاء بينما ردت عليها الأخرى "لا تقولي سحرت له .. فكلنا نعرف من هي كاميليا وكيف هو غرورها ..بصراحة لم تكن تليق برجل بدماثة خلق المعلم جابر"

في الداخل قفز عماد من مكانه هاتفا بعصبية"
ما هذا الكلام الفارغ؟؟ ..هل فشلت في إيجاد
من تتهمهم بالاعتداء على زوجتك فجئت
لتلصق التهمة بنا حتى ترفع رأسك من الخزي
أمام أهل البلدة؟؟!!"
استقام جابر هو الأخر وقال مشيرا بسبابته
بلهجة تحذيرية " احترم نفسك وتهذب وإلا
هذا اليوم لن يمر على خير"
أمسك به يحيي وهلال بينما قال مصطفى
عابسا لعماد الذي يمسك به بسطاويسي
ليعيده للجلوس "يا عماد ..إن كانت الجلسة
ستسير بهذا الشكل فصدقني الأمور ستتعقد..
أين بدير ألم يخرج من المستشفى ليته
يستطيع الحضور"
رد عماد بصلف " أخي مريض (وأضاف بذقن
مرفوع) وأنا من يتولى شؤون العائلة "

لوي بسطاويسي فمه من عنجهية ابن عمه وجلافته بينما تملك الحزن من قلب علاء شاعرا بالحسرة على والده وتحرك يغادر الجلسة.

تنهد مصطفى وقال "إذن دعني أخبرك أن الأمر خطير ..وحين أقول لك أن أختك هي المتسببة فيما حدث لبنت الشيخ زكريا فاعلم أني لن أتحدث إلا عن بينة"

نظر عماد إلى جابر وقال بإصرار " وأنا أقول لك بأنه كاذب ويحاول تلفيق التهمة لأختي وهذا أمر لن أقبل به ولن أمرره"

هدر مصطفى عابسا " هل تتهمني بالكذب يا عماد؟!!"

أمسك بسطاويسي بذراع عماد يحاول أن يحذره من التمادي في العصبية في حضور ممثل

العمدة ثم قال ببعض الهدوء" يا حاج مصطفى هذا كلام غير مقبول وافتراء على بنت عمي"
قضمت كاميليا ظفر إبهامها وهي تقف في الصالة تهز ساقها بتوتر بينما وجدان وهدى تناظراها بغضب.. فسمعت جابر يقول "الغجريتان قالتا بأنها من استأجرتهما لإسقاط حملها"
كانت تشعر بالرعب ولم تجد إلا الهجوم وسيلة حتى لا تطاوع نفسها في الهرب وحبس نفسها في غرفتها ترتجف من الخوف فادعت الشجاعة وانطلقت تدخل مجلس الرجال قائلة" هذا كذب ..كذب حسبي الله فيمن يفتري عليّ .."
بدأت تبكي فتحفز عماد حينما وجد جابر قد انتفض واقفا عندما رآها بينما أمسك هلال ويحيى بالأخير يمنعانه من انفلات أعصابه بشكل سيجعل الحق عليه هو وليس هي

..فقال جابر والشرر يتطاير من نظراته " قسما بجلال الله لو كنتِ رجلا يا كاميليا لما خرجت من تحت يدي إلا ميتة"

أرعبتها هيئته و ذكرتها بيوم المستشفى فشعرت بالألم في معصمها بينما تدخل يحيى قائلا " اهدأ ووحد الله يا جابر "

بينما قال عماد وأبناء عمه يمسكون به " هل تهددها أمامي (وناظرها يقول) عودي إلى الداخل ..هيا"

أسرعت بالدخول لكنها بقيت بجوار الباب ترتجف وعقلها يحاول التفكير في مخرج من تلك المصيبة في الوقت الذي تكلم بسطاويسي وقد تملك منه الغضب هو الأخر "يا جابر ..نحن حتى الآن نحاول التحلي بالأخلاق رغم أنك جئت لتتبلى على بنتنا دون وجه حق" "إذن نبلغ الشرطة وهي تحقق في الأمر وتعثر على الجاني"

قالها زين وهو يدخل الغرفة يناظر بسطاويسي وعماد بعينين مقلوبتين بينما اتسعت عينا جابر وهتف بدهشة " زين!!.. متى جئت؟"

رد الأخير من وقفته أمام الباب وعيناه لا تحيدان عن جانب آل العسال "جئت لأرى هل سنأخذ حقنا بالشرطة أم بيدينا .. أنا جاهز لكل الاحتمالات"

نظر بسطاويسي في المسدس المعلق في حزام زين وقال باستنكار "هل تحمل سلاحا؟"

نظر جابر لزين بعينين جاحظتين و حمائية الأخ الكبير جعلته يجبر نفسه على التصرف بحكمة حتى لا ينفعل ويرتكب جريمة بينما انفعل عماد قائلا "هل جئتنا مهددا بسلاحك ؟؟؟.. أخوك يفتري علينا وأنت تريد قتلنا ..إن كنتم تريدونها حربا فآل العسال سيلقنونكم درسا لن تنسوه لأجيال قادمة"

هدر مصطفى يرفع كفه" كفى"

ساد الصمت فنظر لزين قائلا بلهجة حازمة"
هات المسدس"
ناظره زين بعينين ناريتين وصدره يعلو ويهبط من الانفعال فقال مصطفى بلهجة أكثر صرامة
" قلت هات المسدس أو أخرج من الجلسة فورا"
تطلع فيه جابر بترقب وبدأ الخوف على أخيه يتسلل إليه في الوقت الذي كان زين يصارع انفعالاته ويحاول تلجيم مشاعره الغاضبة وهو يمد يده ببطء للمسدس ثم أمسك بمقدمته وأعطاه لمصطفى على مضض وهو يقول "هذا فقط من أجل مقامك يا حاج مصطفى .. لكن قسما بربي أي تطاول على جابر أو على عائلة دبور لن أسكت عليه"
مجددا مارس جابر المزيد من الجهد لضبط النفس حتى لا يستفز زين وقال له بحشرجة "اجلس"

ناظر زين أخاه الذي يكبت غضبه فزاد تحفزه وهو يتحرك ليجلس في المقعد المجاور للباب ينفض طرف سترته بعصبية ويناظر عماد بعينين مقلوبتين مهددتين بينما قال مصطفى للغفير" ادخل من في أمانتك يا عويس"

أمر عويس الغفر فأدخلوا الرجل والمرأتين فنظرت كاميليا من زاوية باب الغرفة المفتوح ثم لطمت على وجهها وعادت تقضم ظفر إبهامها ليقول مصطفى لإحدى السيدتين " تكلمي ..من طلب منك مهاجمة بنت الشيخ زكريا"

بلعت المرأة ريقها وقالت" كاميليا العسال"

دخلت كاميليا تصيح" كذب وافتراء .. ماذا دفعوا لك لتقولي هذا الكلام"

ثم هتف عماد "ليس هناك دليلا على هذا الافتراء ..هاتان السيدتان ماكرتان وتريدان الافلات من فعلتهما بتلفيق التهمة لأختي ..

فطبيعي إن حدث شيء لزوجة جابر سيحاول البعض إلصاقها بزوجته السابقة"
عادت كاميليا تقول وقد شعرت ببعض الأمل في الإفلات من جريمتها " لم أر هاتين السيدتين في حياتي"
أشاحت المرأة بيدها تقول لكاميليا بغضب "هل تتنصلين الآن ؟..أنت من سلطتنا وطلبت أن نسقط حملها وأعطيتنا مبلغا من المال ووعدتنا بضعفه إن نفذنا "
صاحت كاميليا باكية" كذب"
تكلم عماد مجادلا ليحفظ ماء وجه العائلة " ولماذا ستريد اختي فعل ذلك إنها مخطوبة ومشغولة بالتجهيز لزواجها"
تفاجأت كاميليا بما قاله أخوها لكنها التقطت طرف الخيط وقالت وهي تنظر ناحية جابر بكبرياء زائف" بالضبط أنا مخطوبة ولست

متفرغة لتلك الترهات ولا يهمني لا جابر ولا زوجته ولا أعرف هاتين السيدتين"
هدرت المرأة الأخرى بشراسة" بل أنت من طلبت منا ذلك"
أخرج مصطفى الاسورتين من جلبابه يسأل" وماذا عن هاتين؟"
أجابت إحدى السيدتين "لقد أعطتني إياهما أم ميس والدليل أن ثالثتهما معها"
ارتبكت كاميليا وبحركة تلقائية وضعت يدها ذات الأسورة الثالثة خلف ظهرها وهي تصيح مستمرة في تمثيلها " هذا كذب ..لا أعرف عن تلكما الأسورتين شيئا"
لطمت وجدان في الصالة على وجهها وهي ترى يد كاميليا ذات الاسورة الواحدة والمخبأة خلف ظهرها بينما نظر عماد جاحظا في الأسورتين المميزتين من بعيد وتيقن من أن حدسه

صحيح وأن ما كان يخشاه قد حدث وفضحتهم كاميليا في البلدة"

تكلم جابر قائلا بحسرة " أنا أعرفهما ..فأنا من اشتريتهما.. وعندي الفواتير التي تخص الثلاث أساور ..وكما ترى هي مميزة التصميم ابتعتهما من صائغ بعينه بالعاصمة اتعامل معه منذ سنوات .. وستجد ختمه على الأسورة من الداخل معروفا ومميزا وأنا أكيد أن التصميم ليس له شبيه في المحافظة كلها"

أغمض عماد عينيه لثوان شاعرا بالفضيحة بينما انقلب وجه بسطاويسي ومن كان جالسا من آل العسال وتملكهم الحرج

في نفس الوقت تحرك لسان زين بين ضروسه وهو يناظر كاميليا بمقلتين مقلوبتين ويحجم رغبة في قتلها وتخليص أخيه من بلائها بينما

هتفت الأخيرة باكية وهي تتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعها" لا أعرف ربما سقطتا مني ولم أدرِ"

قال مصطفى باستهجان " سقطتا منك ولم تلحظي إلا الآن؟!!"

غمغمت بارتباك " أقصد لاحظت وكنت أبحث عنهما"

حاصرها بقوله "أنت أنكرت معرفتك بهما قبل دقيقة"

كانت تشعر بالرعب وجسدها يختض رغم تماسكها الظاهري فردت "لم أميزهما من بعيد (وأجهشت بالبكاء متمتمة) حسبي الله فيمن يريد توريطي في هذا الأمر وأنا بريئة منه ..هناك من سرق الأسورتين وأراد أن يزج باسمي ظلما"

قال زين ببرود " حسنا ..لنبلغ الشرطة وهم يحققون في الأمر"

اتسعت عيناها تردد بتفاجؤ "الشرطة!!"

رد زين بحاجب مرفوع " نعم الشرطة ..
سنأخذ هاتين المرأتين وهذا الرجل ونسلمهم لهم ونخبرهم بما حدث لبنت الشيخ وهم من سيجدون الجاني ويوجهون له تهمة الشروع في القتل .. (وضغط على الحروف مضيف) وهي تهمة قد تصل عقوبتها لخمسة عشر سنة"
بهتت كاميليا وتلجلجت تقول"كككم!! .. أنا لم أفعل شيئا.. لم أر هاتين السيدتين من قبل "
قال مصطفى موضحا " زين لم يقل شيئا ..هو تحدث عن الجاني يا أم ميس"
وقفت ميس عند أول السلم تشعر بالارتباك والخوف ولم تفهم ما يحدث بغرفة الضيوف ولماذا والدها غاضب وأمها تبكي ..فاشفق عليها بلال ابن خالها المراهق أصغر أولاد بدير وأمسك بيدها قائلا" تعالي لنصعد فوق السطح ..أريد أن أريك فرخ الحمام الجديد الذي فقس من البيض"

لم يعطها مجالا للاعتراض وسحبها في نفس الوقت صعد علاء ابن بدير الأكبر يبحث عن والده شاعرا بالغضب أن تم تنحيته عن الجلسة فقفز الدرجات بتحفز وأسرع نحو غرفة والده وطرق الباب.

لم يأته ردا فطرق مجددا في الوقت الذي كان بدير يشعر بالذل والقهر ويكاد أن يبكي وهو يتصور منظره أمام الطارق وهو ملقى على الأرض على هذا الحال .

فتح علاء الباب وجحظت عيناه فأسرع نحو والده الذي شعر ببعض الراحة أنه علاء وليس أحد أخر ليسرع الأخير بمحاولة رفع والده من فوق الأرض فاستند عليه بدير والغضب من حالته المخزية يقهره حتى حط متوجعا على فراشه بصعوبة ليقول علاء بتأثر" ماذا حدث لك يا أبي؟"

ابتسم الأخير ابتسامة مُرة ورد" هذا السؤال لا أعرف إجابته بعد"
قال له علاء وهو ينظر لملابسه المبللة" لقد أغرقتك الماء"
قال بدير لاهثا" اتركنا من هذا الآن واخبرني ماذا يحدث بالأسفل"
أطرق علاء برأسه وهو يقول" يبدو أن عمتي كاميليا لها يد فيما حدث لزوجة العم جابر الجديدة"
جز بدير على أسنانه ثم سأله "وماذا حدث لزوجة جابر بالضبط؟"

رغم أن جابر كان يعلم أن تنفيذ ذلك صعب بسبب ابنته لكنه استخدمه كورقة ضغط قائلا" ليس عندي خيار إلا إبلاغ الشرطة ومعنا المنفذ والدليل (وناظر كاميليا بنظرة ذات مغزى مضيفا) وأعتقد أن عندي ما يقال من

أمور أخرى سأرغب في التحدث عنها .. ولدي ما يثبتها أيضا "

هربت الدماء من وجهها وأحس عماد أن هناك ما يلمح له جابر وأخبره حدسه أن هناك المزيد من المصائب وهو ما يخشي أن تقال في جلسة ستفضح آل العسال ففكر بسرعة في أي طريقة للمراوغة لكن ما حدث بعد ثانية لم يعطه أي فرصة لفعل شيء حين ولولت إحدى السيدتين تقول باكية "لا داعي للشرطة ..هي من حرضتنا واتفقت معنا وأعطتنا الأسورتين ..وقد زرتها هنا مساء يوم الحادث لأخذ بقية حقي واسأل الشاب الذي فتح لي الباب"

امتقع وجه عماد وكاميليا بينما سألها مصطفى مضيقا عينيه "من من أهل البيت فتح لك الباب؟"

أجابت المرأة" شاب مراهق فتح لي الباب ثم نادى عمته "

استدار عماد ينظر في وجه أيمن ابن بدير الأوسط الذي شب برأسه بعفوية حينما تحدثت المرأة عنه ثم عاد للخلف مرتبكا
فلمحه مصطفى من جلسته وقال "تعال يا بني"
امتقع وجه أيمن وخطا خطوتين ليقف عند الباب فصرخت المرأة" هو .. هذا هو من فتح لي الباب"
سأله مصطفى "هل جاءت هذه المرأة من قبل لتقابل عمتك؟"
وقف أيمن ينظر بارتباك لعمه عماد حائرا هل يقول الصدق أم يكذب ثم أطرق برأسه متقبضا وتمتم وهو يبتعد "لا أعرف شيئا "
قال مصطفى وهو يهز رأسه " وصلت الإجابة فلو كانت الإجابة (لا) لنطقها بشكل قاطع "
رغم تيقنه من أنها فعلتها إلا أن عماد جادل من أجل كرامة العائلة فقال معترضا "هذا ليس دليلا يثبت أي شيء"

ثم صرخت كاميليا في محاولة للفرار من الموقف العصيب " كل هذا كذب وافتراء .. (ونظرت لجابر تهتف) هل سَحَرَتْ لك تلك السوداء فتحاول إلصاق التهمة بي حتى ترضيها بعد أن فَشِلَتْ هي في دفع ابنتي لكرهي بأسلوبها الملتوي كعادتها؟؟؟"

انتفض جابر واقفا فأسرع هلال ويحيى بالإمساك بذراعيه وهو يهدر بقوة خلعت قلبها من مكانه "إياك ونطق اسم زوجتي على لسانك ؟؟هل تفهمين؟ .. بنت الشيخ زكريا خط أحمر ومقامها فوق رؤوس الجميع "

و قال زين بشراسة وهو يسرع بالوقوف بجوار أخيه " أنتم مصرون على أن يكون الدم حتى الركب الليلة "

تدخل مصطفى هادرا بغضب " هلا سيطرت على أختك يا عماد إن كنت ترغب في عدم تعقيد الوضع "

أسرع الأخير بدفع كاميليا إلى الداخل قائلا بعصبية "تعالي معي"
سحبها نحو أقرب غرفة أمام عينيّ وجدان وهدى وأدخلها قائلا بخفوت " لا أريد حرفا يزيد الوضع سوءا .. وحسابك معي فيما بعد يا بنت ال *** "
قالها وأغلق الباب عليها بالمفتاح.. فجلست كاميليا على أحد المقاعد لا تعرف كيف ستنتهي هذه المصيبة.
عاد عماد للجلسة بينما أخذ هلال يهمس لجابر بألا يفعل ما يمكن أن يؤخذ عليهم بينما قبل زين كتفه قلقا عليه من فورة الغضب المكبوت فجلس عماد يفكر كيف سيخرج من الموقف بأقل خسائر ممكنة وبادر بالقول " لا تؤاخذوها ..شعرت بالظلم فتفوهت بما لم تعيه"
هدر جابر باستنكار "الظلم؟!!"

هذه المرة حاول زين أن يلجم هو انفعاله حتى يهدئ أخاه فسحبه قائلا "اجلس يا جابر واهدأ وهناك ألف طريقة وطريقة ليرد بها اعتبارك " قالها وهو يحدج عماد شذرا .. فجلس جابر مكفهر الوجه بينما قال مصطفى مشيرا على السيدتين والرجل" اعدهم لبيت العمدة وتحفظ عليهم جيدا لنرى هل سيحل الأمر وديا أم سيضطروننا لسلك مسلك أخر ليس من عاداتنا"

أسرع الغفير بالتنفيذ بينما نظر مصطفى لعماد مضيفا " هل سننهي هذا الإشكال يا عماد أم ستجادلون ..وتجادلون إلى ما لا نهاية؟.. أنا شخصيا لست متفرغا وأُذن لصلاة العصر ولم نصلها بعد"

قال عماد لحفظ ماء وجهه "أنتم مصرون على الصاق التهمة بأختي ولكن حتى لو افترضنا أن الكلام صحيح ..فالموضوع لا يندرج إلا تحت

عنوان غيرة حريم (وأضاف مستدركا) ليس لشيء فأختي كما قلت لكم مخطوبة ولكن ربما موقف قديم حدث بينها وبين بنت الشيخ "
صاح جابر باستنكار " غيرة حريم !! .. تمتهن كرامة زوجتي وتعرضها هي وابني للموت وتقول غيرة حريم!!"
قال زين شاعرا بالإجهاد الشديد واستنزاف الطاقة " قلت لكم هذا التفكير الإجرامي ليس له مكان إلا السجن"
هدر مصطفى فيه بلهجة موبخة " زين بالله عليك نريد أن نحل لا نعقد"
تكلم يحيى يقول بهدوء "دعنا ننهي الموضوع يا بني"
تقبض الأخير بينما قال مصطفى لعائلة العسال " ما حدث هو شروع في القتل ويلزمه تعويضا ماديا"

جادله عماد قائلا بلؤم" ألم تقل بأن بنت الشيخ زكريا بخير هي وطفلها ؟"
كاد جابر أن ينطق فوكزه هلال ليترك التعامل لمصطفى الذي قال بلهجة محذرة من التمادي في الجدال " عماد "
أمسك بسطاويسي بيد عماد يمنعه من التفوه بأي حماقة وقال لمصطفى " طلباتكم يا حاج مصطفى"
فوق السطح كانت ميس تجلس أرضا في أحد الأركان تحضن ركبتيها وتبكي فاقترب منها بلال يحضن في يده فرخ حمام صغير وقال لها وهو يجلس على عقبيه أمامها" انظري ميوس لما خرج من البيضة قبل أيام"
توقفت ميس عن البكاء وتطلعت في الفرخ الصغير بين كفيه بتعاطف ثم رفعت إليه عينيها الباكيتين تقول" أعده لوالديه بسرعة فبالتأكيد هو يتألم بعيدا عنهما"

قال بلال بابتسامة ليخفف عنها "أتعلمين يا ميس ..لقد أعطتني تربية الحمام فرصة للتأمل وتعلم الكثير من الأمور .. فمثلا بالرغم مما هو معروف عن أي زوجين من الحمام الترابط الشديد إلا أنني لاحظت ذات مرة أن هناك زوجين دائمي الشجار ينقرون بعضهم البعض بشكل عجيب وحين فقس البيض وخرجت الفروخ بدأ نقارهما وشجارهما ينتقل للصغار ويؤذيهم ..بل كانا أحيانا يلتهيان بالشجار عن إطعام صغارهما .. فسألت أحد أصدقائي الأكبر سنا والأكثر خبرة في تربية الحمام عما أفعل ونصحني أن أفصل الزوجين عن بعضهما وأن أختار أكثر فرد منهم يهتم بالأطفال هو الذي يبقى مع الصغار .."

طالعته تحاول فهم ما يقوله فانزل بلال أنظاره لها قائلا" ما أقصده أنه أحيانا يكون ترك

الزوجين لبعضهما أقل خسارة لأطفالهما من بقائهما في عش واحد "
وابتسم وهو يستقيم واقفا فتابعته مقلتاها وهو يبتعد ليعيد الفرخ مكانه ثم قال" هيا اقترحي عليّ اسمين للفرخين الجديدين.."

في الطابق الأرضي هتف عماد باعتراض" هذا مبلغ كبير جدا يا حاج مصطفى!!"
قال مصطفى بلهجة قاطعة" هذا ما يفرض هذه الأيام في أحداث مشابهة ..وآخرهم المشاجرة التي حدثت بين عائلتي بخيت وعبد الراضي الورداني حين تشاجر شابان من العائلتين وكسر أحدهم ذراع الأخر.. تم دفع هذا المبلغ كتعويض "
تقبض عماد وناظر أقاربه مكفهر الوجه يشتم كاميليا في سره ثم عاد للجدال قائلا " ولكن أنتم

قلتم أن بنت الشيخ وابنها بخير وهذا المبلغ الكبير مبالغ فيه جدا"

قال جابر هادرا " وهل تعتقد أن هذا المبلغ يليق بكرامتي وكرامة زوجتي ويعوض ما حدث لها من أذى نفسي وجسماني ؟!! (ورفع سبابته) وعزة وجلال الله كل مالكم لا يكفي لتعويض ظفر كسر في يد بنت الشيخ زكريا ..لكني مضطر للاكتفاء بهذا فقط من أجل مصلحة ابنتي وعدم تصعيد الأمر ووضعه بين يدي الشرطة .. وكرامة لمقام أبي حمزة والشيخ يحيى وباقي الموجودين"

أمسك بسطاويسي ذراع عماد ومال عليه هامسا من بين أسنانه" دعنا ننتهي من هذا الأمر بدلا من أن يصل الأمر للشرطة وتُجر أختك في أقسام الشرطة وننفضح كلنا"

غمغم عماد بغيظ هامسا "وهل هناك فضيحة أكثر مما يحدث الآن !! "

لكنه في قرارة نفسه كان يعلم بأنه مضطر لأن يقبل فليس هناك مفر بينما تدخل بسطاويسي قائلا "ونحن أيضا سندفع المبلغ كرامة لوجود الحاج مصطفى الذي يمثل عمدة بلدنا ..ولكي نثبت لكم أننا مسالمون ولا نريد المشاكل"

قال مصطفى براحة " هذا عين العقل سأجهز وصل الأمانة بالمبلغ المطلوب"

تدخل جابر يقول " ولي شرط أخر من بعد اذنك يا حاج مصطفى"

تطلع فيه الجميع ليقول جابر" أريد ابنتي"

غمغم عماد بحاجبين معقودين " ماذا تعني؟"

رد جابر " رغم كل شيء لم أرغب في أن أحرم بنتي من أمها في هذا السن .. لكن مادامت أمها مخطوبة وستتزوج فأنا أريد ابنتي ..فلن أتركها لتتربى بعيدا عن أولادي"

تدخل مصطفى قائلا "حقه أن يطالب بابنته في حالة زواج أمها هذه عاداتنا ..,, حتى القانون في صفه نظرا لوفاة الجدة أم الأم "

تكلم زين الذي لم يعجبه أن ينتهي الأمر بالتعويض " ويحق له أيضا حينما تكون الأم بهذا الإجرام"

هتف عماد متصيدا الأخطاء لإفشال الاتفاق " أرأيتم التطاول "

حدج مصطفى زين بنظرة موبخة بينما أسرع هلال بترك مكانه وسحب زين للخارج .. فصاح الأخير معترضا "هل تعتقدون بأن انتهاء الأمر بالتعويض مهما كان المبلغ سيبرد نار أخي وناري؟!!"

سحبه هلال بقوة يغمز له ألا يعطي فرصة للطرف الأخر بالالتفاف والمراوغة .. ثم لف ذراعه حول رقبته يحاول السيطرة على غضبه مبتعدا وغادرا الجلسة .. فتابعت أنظار جابر

أخاه بقلق يشعر جيدا بما يشعر به وأكثر لكنه مضطر لأن يبقي الأمر عند هذا الحد .. فكون كاميليا أما لميس هذا يلجمه في التصرف .. فمن غير المعقول جرها لأقسام الشرطة ..فتقبض بقوة يحاول التحكم في مشاعره بينما قال مصطفى لعماد الذي ينظر لوصل الأمانة بوجه مكفهر" وقع يا عماد واثنين من الشهود يوقعا معك"

زفر الأخير ووقع مكرها ثم أعطى الإيصال بخشونة لجابر بعد أن وقع عليه شاهدان وهو يحدجه بنظرة تتمنى له الموت قبل أن يستخدم هذا المبلغ الكبير من المال الذي سيخرج من حوزة بيت العسال.. فنظر جابر في الإيصال بعبوس ثم سأل" وماذا عن طلبي الأخر؟"

جز عماد على أسنانه وأشاح بوجهه قائلا "اعطنا وقت لنخبر البنت وأمها"

حاول جابر أن يخفف عن نفسه مشاعره التي لا تزال غير راضية بأنه على الأقل سيحصل على ميس بشكل أسرع مما توقع.. وترك مقعده متجها نحو مصطفى بالإيصال وهو يقول " هذا المبلغ تبرُع باسم بنت الشيخ زكريا في مشروع المستوصف الطبي الخيري الذي يقام حاليا في أول القرية"

اتسعت عيون أولاد العسال وامتقعت وجوههم بصدمة بينما ناظر مصطفى صديقه بنظرة احترام وهو يأخذ منه الإيصال .. لينظر جابر لعماد الذي يوشك على الإصابة بذبحة صدرية ويقول "المبلغ سيتكرم الحاج مصطفى بتحصيله منكم ..وسأنتظر منك اتصالا لتخبرني بالوقت الذي ستنتقل فيه ميسة لمنزلي بشكل دائم ..وسنتفق على مواعيد زيارتها لأمها بعد ذلك .. (ورفع إصبعه محذرا) واعلم أني هذه المرة اضطررت للقبول

بالتعويض من أجل مصلحة ميسة .. لكني لن أقبل بليّ ذراعي مرة أخرى بسببها.. ضعوا هذا في اعتباركم وأبلغه لأم ميسة"

تبادل الحاضرون من أولاد العسال الحديث مع عماد بمجرد أن غادر الضيوف يؤكدون عليه ضرورة أن يقوم بالسيطرة على أخته التي فضحتهم بين أهل القرية ثم ربت بسطاويسي على كتف عماد قائلا" سأمر على بدير لأطمئن عليه في المساء ولكن عندي مشوار مهم سأنتهي منه وأعود .. واخبره أنني لابد أن أراه هذه المرة أو يرد على اتصالاتي على الأقل السلام عليكم"..

بمجرد أن غادر الجميع استدار عماد يدخل البيت وهو يتفتت من الغضب المكبوت وتوجه مباشرة نحو تلك الغرفة التي يحتجز فيها كاميليا فنظرت هدى لوجدان بتوتر بينما

استقامت كاميليا واقفة حين دخل عليها عماد مكفهر الوجه.
كل المبررات التي فكرت فيها خلال الدقائق الماضية لم تستطع أن تتفوه بها حينما اندفع عماد نحوها قائلا وهو يهوي على وجهها بصفعة "هل وصل بك الأمر إلى هذا الحد يا بنت ال *** "
صرخت كاميليا والصفعات تتوالى عليها من أخيها الغاضب فأسرعت وجدان وهدى بمحاولة منعه في الوقت الذي استاء بدير وقال لولده بالدور الأعلى "انزل وحاول منع عمك وإلا سيقتلها بين يديه"
أسرع علاء بتلبية أمر والده بينما ازداد شعور بدير بالعجز وتذكر وجه عماد ليلة الحادث والقسوة التي تطل من عينيه .. فحاصرته الآلام المبرحة في كل جسده وهو يسمع صوت صرخات كاميليا المتوجعة وكلماتها الوقحة في

وجه أخيها فعض على قبضته وهو يسأل نفسه "كيف وصلت أخته الى هذه الدرجة من الحمق والوقاحة؟!"

في الدور الأرضي قالت وجدان" سننفضح أمام الناس "

فصاح عماد من خلف علاء وأيمن ابنيّ بدير اللذين يحاولان منعه بصعوبة من الانقضاض عليها مجددا بمساعدة هدى "اسمعي المبلغ الذي سيدفع كتعويض لجابر ستدفعينه أنت من نصيبك "

اتسعت عينا كاميليا جاحظة وصرخت بوجه مغرق بالدموع "وهل أنا من وقعت على الإيصال ووافقت على المبلغ؟؟!!"

جز عماد على أسنانه وقال وهو يبحث عن شيء ليرميها به" وهل كنت تريدينني أن أتركهم لجرنا لأقسام الشرطة يا بنت ال **** ؟.. هل

كنت تريدين أن تبيتي في غرفة الحجز ؟.. كما قلت ..هذا المبلغ لن أدفع منه مليما ..ستدفعينه من نقودك التي بالبنك.. هذا أولا .. أما ثانيا فأمامك أسبوع لتقرري مَن مِن العريسين اللذين تقدما لك الأسبوع الماضي ستوافقين عليه .. (وأضاف بلهجة تحذيرية) هل سمعتني ؟. أسبوع واحد لتختاري منهما ..واعلمي بأني لست بدير لأمهلك الوقت وأصبر عليك .. بعد أسبوع ستعطينني ردك النهائي لأني لن اتحملك في هذا البيت كثيرا .. وجهزي بنتك حتى تنتقل للعيش مع والدها كان هذا ضمن الاتفاق"

قالها وخرج من الغرفة غاضبا فأسرع الباقون باللحاق به وتركوها تقف وحدها ..جاحظة العينين ..وجهها عليه أثار صفعات عماد ..

كانت متسمرة في حالة ذهول تتساءل كيف انهار كل شيء حولها فجأة ؟..وماذا ستفعل في هذه المصائب التي حلت فوق رأسها.

xxxx

بعد صلاة المغرب

وقف جابر في ساحة بيت دبور يعطي المسدس لزين قائلا بلهجة لائمة "لا تتهور بالمسدس مرة أخرى يا زين ..إن النفس لأمارة بالسوء" أخذه الأخير وقال وهو يضعه في حزامه "لن أسمح لأحد بأن يتعدى عليك .. والله لم تبرد ناري حتى الآن"

ربت جابر على جانب وجه أخيه قائلا بعاطفة قوية " لا حرمني الله منك وبارك فيك وحفظك ..أنا أيضا أشعر بالقهر لأني مكبل باعتبارات كثيرة فمن ناحية ميسة ومن ناحية تقاليدنا التي لا تفضل إدخال الشرطة بيننا "

لاح التجهم على وجه زين فأسرع جابر بالقول وهو يحرك سبحته بكلتا يديه "تعودت دائما أن أبحث عن النقاط الإيجابية حتى في أسوأ المواقف ورأيت أن ما حدث رغم بشاعته عجل بأن أضم ميسة إلى بيتي.. وهذا المبلغ الذي أخذته منهم تعويضا حرق دمهم وسيوقفهم عند حدهم إن شاء الله (وقال بعاطفة صادقة) و رأيناك أيها المشاغب"

أضاف زين " وفضح كاميليا في البلدة كلها .. فالخبر انتشر بأنها تغار من بنت الشيخ واستأجرت من يسقط حملها"

تغضنت ملامح جابر وقال بأسى" يعلم الله كم بذلت من مجهود خرافي لأمنع الفضيحة عن ميسة (وتحرك يدخل للبيت قائلا وهو يمسك بذراع اخيه) تعال لنطمئن أمي وبنت الشيخ"

دخل جابر يلقي السلام فقابلته أمه وهي تتطلع في ولديها لتطمئن بأنهما بخير فحتى بعد أن

اتصل بها جابر بنفسه بعد انتهاء الجلسة
وطمأنها عليهما كانت لا تزال تشعر بالقلق
فقالت" حمدا لله على سلامتكما "
وأجهشت بالبكاء تخبئ وجهها بطرف وشاحها
فاقترب منها جابر يحضن قامتها القصيرة بينما
قال زين بلهجة هادئة " لماذا البكاء يا نجف
هل هذا هو الترحيب بعودتي؟"
ناظر جابر أم هاشم التي تقف باسدالها بجوار
طاولة السفرة وتبادلا ابتسامة واهنة بينما أصر
زين على مناكفة أمه قائلا" لم أتلق ترحيبا يليق
بي حتى الآن يا نجفة (ونظر لأم هاشم يداري
استياءه من أثار ما حدث على وجهها وأضاف)
ولا قالت لي زوجة ابنك الشبيهة بملاكم خرج
من مباراة ..كيف حالك يا زين ..أنرت البيت يا
زين ..طبخت لك يا زين"

ابتسمت أم هاشم ابتسامة واهنة وقالت " لم نطبخ اليوم لكن سأصنع لك ولجابر شيئا سريعا"

قال وهو يتحرك ليترك المكان "لا ..سأغتسل و أبدل ملابسي وأذهب لمشوار هام أولا"

قالت أم هاشم بلهجة ذات مغزى "المشوار الهام كان في حالة سيئة اليوم"

عبس زين بقلق فأبعدت امه رأسها عن حضن جابر وقالت" اطمئن عليها يا ولدي ..لقد وجدتها نصرة جالسة في الشارع على عتبة الباب لما يقرب من ساعة لم تكن قادرة على القيام من مكانها "

تملك القلق من قلب زين فتحرك مسرعا وهو يقول" أنا ذاهب"

قالها وأسرع مغادرا بينما قالت أم هاشم لجابر " وأنا سأعد طعاما سريعا"

راقبها وهي تدخل المطبخ بينما قالت نجف لولدها البكري "أحسنت بوضع المال تبرعا في مشروع خيري حتى لا يعتقدون أننا نقبل العوض"

دارى جابر الاستياء الذي لا يزال يسيطر عليه وقال "ليت كان بوسعي أن أفعل أكثر"

غمغمت نجف " ربك فوق الكل يا ولدي ..ويجازي كل إنسان على عمله في الدنيا .. احتسب عند الله الذي لا يغفل ولا ينام"

قال جابر بإرهاق "ونعم بالله"

تكلمت نجف " سألحق بصلاة المغرب لم أصلها بعد "

قال جابر وهو يتركها لتجلس على مقعدها المفضل لتصلي "تقبل الله.. لقد صليت أنا وزين مع الجماعة العصر وجلسنا في المسجد نتحدث حتى أذن للمغرب وصليناه الحمد لله "

تحرك نحو المطبخ ووقف يراقب أم هاشم التي خلعت اسدالها وتقف هادئة تعد شيئا أمام المنضدة الرخامية.. فأدارت وجهها إليه بابتسامة ضعيفة تحاول التخفيف عنه فدخل خلفها ووارب الباب .

بمجرد أن اقترب منها لم تدر أم هاشم لم أجهشت فجأة بالبكاء .. فسحبها إلى حضن دافئ حصين ومال يخبئ وجهه بين كتفها ورقبتها هامسا "حقك فوق رأسي يا بنت شيخي"

غمغمت بعاطفة جارفة " بل أنت من هو فوق رأسي .. لا حرمني الله منك أبدا يا جابر وحفظك من كل شر.. كدت أن أموت من الخوف عليك "

غمغم يكبت غيظا شديدا " ليتها رجل ..والله لو كانت رجلا لاقتصصت لك منه بيدي"

غمغمت أم هاشم " وليتها لم تكن أم ابنتك لكنت سلطت عليها عفاريتي و سحلتها في الشارع أمام أنظار الجميع لكنها أفلتت مني بنت المحظوظة"

ازداد في ضمها .. في زرعها في حضنه .. لتعمق جذورها في أرضه .. وهو يقول هامسا " قدرك معي أن تتحملي وجودها في حياتي من أجل ميسة"

غمغمت تتمرغ في حضنه وكأنها تتلقى منه دواء لجروحها " قدر سأظل أشكر ربي عليه طوال حياتي .. انسى الأمر يا أبا هاشم ولا تحرق دمك قدر الله ثم لطف بنا.. حسبنا الله هو نعم الوكيل "

تمتم جابر " ونعم بالله "

××××

سأل زين نصرة "أين عم هلال؟"

ردت عليه بتطمين "آت حالا ..لقد نادى عليه أحد الجيران يريده في أمر ما فذهب له وسيعود بسرعة"

قال زين ببؤس " أنا أكاد آكل نفسي من الجوع لا أذكر أخر مرة تناولت فيها الطعام"

ضربت على صدرها تقول بتعاطف" العشاء سيكون جاهزا حالا .. كم ستبقى معنا قبل السفر مرة أخرى ؟"

رد بهدوء " أسبوع"

غمغمت وهي تشير للأرائك في ساحة البيت" تفضل حتى يأتي هلال.. أنت لا تتصور فرحتي برجوعك فبرغم الظرف الصعب لكن رؤيتك كانت مفاجأة سعيدة"

لمح إسراء آتية من خلفها بوجه مقلوب فقفزت ضربات قلبه لأقصى سرعتها وهو يتابعها حتى تجاوزتهما وسبقته نحو الجلسة الخارجية ثم وقفت تنتظره متخشبة لا تنظر

نحوه فقال زين لنصرة وهو يهرش خلف رأسه
" يبدو أن رؤيتي لم تكن سعيدة للكل"
ابتسمت نصرة وأمسكت بذراعه تقول بترج هامس" أنت الكبير العاقل يا زين .. وتعرفنا نحن النساء أحيانا نكن مجنونات فلا تلتفت لأي كلام غاضب اليوم "
تطلع في إسراء ثم عاد لنصرة يقول" ادعي لي أن أفلت من عقاب أبلة الناظرة يا أم كريم "
كتمت نصرة ضحكتها وتحركت لتدخل البيت بينما تحرك زين نحوها وعيناه تتحركان ببطء لتشملها من رأسها حتى أخمص قدميها وكل الشوق الذي كان يقتات عليه خلال الشهور الماضية يعربد بداخله هذه اللحظة ويلهمه بأفكار مجنونة تقطع بسببها الرقاب..
وقف أمامها فتقبضت بقوة حتى لا تهتز ولا أن يظهر عليها ارتجاف قلبها ولا تأثير حضوره

القوي عليها بينما قال زين بصوت زاد من ارتعاش قلبها " مساء الخير أبلة سراء"
انتفضت غاضبة تقول وهي تنظر إليه "نعم ماذا تريد؟"
تطلع في وجهها المكفهر من الغضب وعينيها الكمونيتين اللتين تحدجانه بغيظ وأجاب بهدوء" أريد محبسي يا أبلة "
قالت باستهجان " أي محبس؟.. ليس لك عندي شيء"
قال زين معترضا " لاااا ..هذا المحبس الفضي اشتريته بنقودي ولن أمشي بدونه وقد أرتكب من أجل استعادته جريمة"
تكتفت وقالت هازئة " جريمة كالتي كنت تنوي أن توقع نفسك فيها قبل ساعات؟؟ .. جريمة كنت ستقترفها وكأنك مراهق صغير جاهل غير متحضر!"

سقطت عنه اللهجة المازحة وقال لها عابسا"
هل كنت تتوقعين مني أن اتحلى بالهدوء
والحكمة بعد ما حدث لزوجة أخي؟!.. هل
كنت تريدينني أن أترك أخي يواجه ظرفا صعبا
كهذا وحده ؟.. أنا أعرف جابر وأعرف أن
نضجه واحساسه بالمسئولية سيمنعاه من
الأخذ بالثأر بالطريقة التي من الممكن أن تبرد
ناره ..فكنت أحاول أن آخذ له بحق العائلة
كلها"
فكت عقدة ذراعيها وصاحت باستنكار " هل
الحياة غابة لا يوجد فيها شرطة؟"
رد بتحفز " أنا كنت مستعدا لكل الاحتمالات يا
إسراء .. في مواقف مثل هذه وفيما يخص جابر
بالذات سأفعل أي شيء من أجله حتى لو
سأضحي بحياتي"
انفعلت صارخة دون إرادة منها وسيرة الموت
التي عاشت معها الساعات الماضية تقبض

قلبها " هكذا الأمر ببساطة؟.. أخوك فقط هو ما تفكر فيه .. دون وضع أي اعتبار لأخرين أصبحت حياتهم مرتبطة بك ؟...لأخرين مروا بأصعب اللحظات في حياتهم اليوم مرتعبين لا يعلمون ما هو مصيرك"

تسارعت دقات قلبه بشكل غير مسبوق.. هل يحلم؟ ..هل تلك الدموع التي بعينيها والتي سقطت منها دمعة ومسحتها بكبرياء بسببه؟ .. هل تخلت أخيرا عن تحفظها وعبرت عن مشاعرها تجاهه؟ .. هل تحمل له مشاعر بهذه القوة دون أن يدري وقد ظن أنه هو وحده من وقع في فخها؟

بدأت إسراء تعي شيئا فشيئا ما قالته باندفاع فاحمر وجهها وهي تتطلع فيه وهو يناظرها بنظرات ذاهلة ..ثم ازداد احمرارا وهو يقترب منها ببطء قائلا بحشرجة" ماذا قلت؟.. أعيدي ما قلتيه"

عادت خطوات للخلف حتى التصقت بالحائط وهي تقول بارتباك "قصدت ..قصدت خالتي نجف طبعا ..المسكينة كانت في حالة يرثى لها (ثم أطلقت صرخة خافتة صغيرة تقول محذره بصوت هارب منها) زين!!"

كان زين قد رفع كفيه واقترب أكثر حتى أحست بأنه على وشك أن يحضنها قبل أن تتجمد كفاه في الهواء مع تحذيرها.. فمارس جهدا كبيرا للسيطرة على نفسه وهو يراقب انكماشها اللذيذ بعد وصلة التقريع وزاد اشتعال أعصابه وأحس بأنه سيجن إن لم يقبلها ..فقال بحشرجة وكفاه يحيطان برأسها دون أن يلمسها "ماذا أفعل بك الآن وردي المناسب على كلامك سيتسبب في قطع رقبتي؟؟"

كانت أنفاسها متلاحقة كأنفاسه يتطلعان في بعضهما من هذا القرب الذي يشعل توهجا يحيط بهما فما كان منه إلا أن مد يده وأمسك

بطرف وشاحها وطبع عليه قبلة قوية ..فكاد قلبها أن يغشى عليه .
عاد زين خطوات للخلف وهو يرفع سبابته قائلا بتصميم "قسما بالله لتكونين حلالي وتزفي إليّ قبل أن أترك هذا البلد عائدا لغربتي"
اتسعت عيناها بذهول فاستدار هو نحو البوابة قائلا " أين عم هلال .. لابد أن أجده فورا"

××××

العاشرة مساء

"بسرعة يا وليد ..أريد دخول الحمام بالله عليك وأشعر برغبة قوية في التقيؤ"
قالتها بسمة باضطراب وهي تسمع صوت وليد يعالج عتلة الباب فقال لها "ابتعدي أنت عن الباب"
كانت قد قضيت الساعات الماضية تبكي حتى غلبها النوم ثم استيقظت قبل وصول وليد بفترة قصيرة .. وكم شعرت بالإهانة والذل أن

تحتاج لاستخدام الحمام ويغلب عليها الغثيان
لكنها محبوسة بهذا الشكل المهين .. بينما
والدها لم يعد من الخارج بعد..
حاولت في الوقت القصير الذي قضته بعد
استيقاظها حتى وصل وليد عائدا من العاصمة
تخيل سيناريوهات للأيام القادمة.. و كيف من
الممكن أن تتصرف.. وكم شعرت باحتياجها
الشديد لكامل ..
دفع وليد الباب بكتفه بعد أن عالج القفل
فانفتح الأخير لتتنفس فاطمة الصعداء بينما
تجاوزته بسمة مسرعة نحو الحمام .. وسمعتها
أمها التي ذهبت خلفها تفرغ ما في معدتها بينما
وقفت مهجة تتطلع في وليد العابس الوجه
يتفحص أثار التلف في الباب وهو يبرطم "لا
أصدق انه تركها محبوسة كل هذا الوقت"
حاولت مهجة التعامل مع الرغبة الملحة
بداخلها لتوجيهه لما يمكن عمله بعد ذلك ..

وأوصت نفسها بالحذر من إعلاء سقف الأمنيات حتى لا تحبط فتتأثر علاقتهما مرة أخرى.. ربما السبب متاعب الحمل وهرموناته وربما لأنها أضحت أكثر مرونة من السابق لكنها لم ترغب في خوض أي شجار وتركته ليتصرف مع أخته .. فهما ناضجان خاصة وأن بسمة ليست طرفا ضعيفا أو يستحق الشفقة فستتدخل حمائيتها للدفاع عنها ..بل إنها قوية وصامدة وتدافع عن حقها بشجاعة .. وفي الوقت نفسه بات وليد أكثر مراعاة وتفهما لذا صمتت تتأمله .

غابت بسمة في الحمام بعض الوقت ثم خرجت لتسألها أمها" هل أنت بخير؟"

غمغمت الأخيرة براحة" الحمد لله"

قال وليد متعجلا "هلا أسرعت وأحضرت حقيبتك يا بسمة "

طالعته العيون بتساؤل فأشار لساعته قائلا"
أبوك على وشك العودة لذا علينا التحرك فورا
لأعيدك للعاصمة قبل وصوله "
تفاجأت بسمة وحدقت في وجهه ليقول وليد "
هل ستضيعين الوقت في تأمل ملامحي! .. هيا
بالله عليك قبل أن يعود وتسمع الناس أصواتنا
العالية "
نفضت بسمة عنها المفاجأة وأسرعت نحو
الغرفة تقول" سأحضر حقيبتي بسرعة"
تأملته فاطمة بمشاعر مختلطة بين السعادة
والقلق فقال وليد لأمه "حين يحضر اخبريه أني
من كسر الباب وأني أخذتها لأعيدها للعاصمة
ودعي الباقي عليّ حين أعود"
واستدار لمهجة التي ألجمتها الفرحة وقال
ببؤس طفولي" لو تعدين أي شيء في خمس
دقائق لآكله في الطريق فأنا جائع جدا "

غمغمت وهي تتحرك لتنزل والدموع تملأ عينيها " حاضر ..حاضر"

بعد خمس دقائق كانوا جميعا بالطابق الأرضي ووليد يقف على باب البيت في انتظار بسمة التي لفت وشاحها حول رأسها وهي تنزل مسرعة بينما أعطت مهجة لوليد علبتين فسألها" ما هذا؟"

قالت وهي تتطلع في ملامحه المرهقة مشفقة لعودته مرة أخرى كل هذه المسافة دون راحة " وضعت لك البسلة فوق الأرز وقطعت فوقها اللحم لتكون سهلة الأكل في السيارة فليس هناك وقت لعمل سندوتشات .. وكذلك صنعت لبسمة فلم تأكل طوال النهار"

قال وهو يأخذ العلبتين" سلمت يداك (وقال لبسمة التي تحضن أمها) هيا لابد أن نخرج على الطريق قبل أن يصل أبوك"

تركت بسمة حضن أمها وناظرتا بعضهما باكيتين لتقول بسمة من بين دموعها" لا أعرف متى سأراك ثانية لكني سأتصل بك دوما ..وإن شاء الله مادام وليد في صفي فسيستطيع أن يحضرك لزيارتي .. لم أكن أحب أن أفعل هذا لكن أبي من أجبرني على ذلك"

مسحت فاطمة عينيها بطرف وشاحها وقالت" يسر الله لك حياتك يا بسمة وأسعدك يا بنت بطني "

"هيا يا ست الناس"

قالها وليد بنزق من أمام البيت واقفا بجوار سيارته فقالت بسمة" حاضر حالا"

تحركت تقبل وجنتي مهجة ثم توجهت ناحية الباب لكنها توقفت وانعطفت يسارا ناحية المطبخ فسألتها أمها باندهاش " ماذا تفعلين؟"

غمغمت وهي تبحث في الخزانات" أبحث عن برطمان الجبن القديم"

عقدت فاطمة حاجبيها بينما قالت مهجة"
جهزت لك طعاما مع وليد"
سحبت بسمة برطمانا بلاستيكيا وناظرته
بسعادة وهي تقول "لا .. بل أريد هذا الجبن
القديم الحادق ...الحقيقة أحلم بهذا البرطمان
منذ أيام وكنت أخشى ألا أجده "
فتحت بسمة البرطمان وتشممت رائحة الجبن
ثم سحبت ملعقة تقول "إياكم أن تكونوا قد
أكلتم قشر البرتقال "
دست الملعقة في البرطمان تخرج من بين
الجبن قشرة برتقال مخللة واستدارت حولها
تبحث عن قطعة خبز فتطلعت فاطمة في
ابنتها بذهول وهي تبعد عن مخيلتها ما تفكر
فيه حتى لا تحبط بعد ذلك .. بينما تحركت
مهجة للمطبخ تخرج لبسمة رغيفا من الخبز
الفلاحي فقطعت منه بسمة لقمة لتضع فيها

قطعة قشر البرتقال في الوقت الذي صرخ فيه وليد من الخارج "ارحموني"
غمغمت بفم مملوء بالطعام" آتية "
وتحركت وهي تحضن البرطمان ثم سحبت كيس الخبز في طريقها للخارج.
قابلها وليد يجز على أسنانه فناولته كيس الخبز ليضعه في المقعد الخلفي ثم استدار إليها يقول" ابوك لو رآنا سيستخدم ورقة التهديد الشهيرة وسيحلف على أمك بالطلاق لليّ ذراعنا .. علينا أن نخرجك من هنا قبل مجيئه ..
(وأخرج من جيبه هاتفها يعطيه لها قائلا)
وجدته يحتفظ به في درج مكتبه"
لم تستطع بسمة المقاومة فاستطالت لتحضنه بذراع بينما الأخر لا يزال يحضن البرطمان وغمغمت باكية" لا حرمني الله منك يا وليد"

ربت على ظهرها ثم سحبها ودار حول مقدمة السيارة ليجلسها وعاد لمقعده أمام أنظار زوجته وأمه المودعة لهما وتحرك بسرعة ليخرج على الطريق قبل وصول والده ..فاستدارت بسمة تنظر لأمها التي تمسح دموعها بطرف وشاحها وانهمرت دموعها هي الأخرى .. فلم تتوقع أبدا أن تأتي عليها لحظة تغادر فيها القرية هاربة تحت جناح الظلام.

xxxx

الثانية عشر والنصف بعد منتصف الليل

الساعات تمر ببطء سلحفاة في حجم ديناصور يجثم فوق الصدور .. وهو يتلوى من القلق .. واليوم بالذات هناك شيء يحدث معه هو يستشعره لكنه غير قادر على تحديده .. تحرك شامل في الحديقة جيئة وذهابا بعد أن انتهى العمل في المطعم وأغلقت أبوابه.. تحرك

يشعر بأنه على وشك الجنون ..فمدة أسبوع بدون أي أخبار أمر مقلق بشدة .. ويشفق على والده الذي يلتزم صمتا يزيد من وجع قلبه . أخرج هاتفه من جيبه واتصل بالمحامي الذي رد عليه بعد برهة ليقول شامل باعتذار" أنا آسف جدا .. أعلم أن الوقت متأخر لكن تحملني .. هلا بحثت مرة أخرى عن اسمه في أقسام الشرطة في العاصمة ..أعلم أننا بحثنا قبل ذلك لكن أرجوك هلا قمنا بذلك مرة أخرى؟"

بعد دقائق خرجت ونس من باب الفيلا ووقفت تتطلع فيه بقلق وشفقة فلفحتها برودة الجو لتتدثر جيدا بالوشاح الثقيل حول كتفيها وتقترب منه فاستدار شامل نحوها حين سمع خطواتها ثم قال بلهجة لائمة" لماذا

خرجت في هذا الجو يا ونس؟.. أمي شددت عليّ بشأن حساسية حالتك الصحية كنفساء "
ابتسمت ونس وتذكرت استياء حماتها من حركتها الكثيرة دون راحة ثم اقتربت من شامل وأمسكت بذراعه بنفس الطريقة التي يفعلها كامل معه فزفر شامل قائلا "ليته ما أوصاك بهذا الأمر ..وكأنه يقصد تعذيبي حتى وهو بعيد"
أخذت عينة دم من إصبعه ووضعتها على قياس مستوى السكر وانتظرت النتيجة ثم عبست تقول "عايي يا شامي ..أعييا من المية الثابقة"
(عالي يا شامل أعلى من المرة السابقة)
غمغم عابسا "لا تشغلي بالك يا ونس ..واذهبي بالله عليك للداخل (ونظر في ساعته وقال)
الوقت قد تأخر لماذا لم تنامي حتى الآن "

هزت كتفها برفض طفولي ثم قالت بابتسامة " كنت أيسم يوحة (واخرجت هاتفها من جيبها ووضعت بدلا منه الجهاز وأضافت) صويت يك ما يثمت "

(كنت أرسم لوحة ..صورت لك ما رسمت)

تطلع شامل في الهاتف وارتجف قلبه كانت صورة له هو وكامل مرسومة بالقلم الرصاص .. أحدهما مبتسم الوجه عاقدا ذراعيه أمام صدره والثاني رغم جدية ملامحه كان منبسط الوجه مبتسم العينين يلف ذراعه حول رقبة الأخر بشكل غير محدد إن كان يحضنه أو يخنقه وعبارة مكتوبة فوق اللوحة (ماذا يحدث معك؟)

قرصت الدموع عيني شامل وغمغم "ليتني أستطيع أن أصل إليه كي اسأله هذا السؤال يا ونس"

اقتربت منه وحضنت جذعه فربت شامل على ظهرها وقبّل رأسها مغمغما بخفوت "هل أنت سعيدة لأن آسر استجاب أخيرا للرضاعة؟"
هزت رأسها وقالت "متفائية بهذا ايحدث يا أعيف كيف أعبي عن شعوري بشأنه يكني متفائية "

"متفائلة بهذا الحدث لا أعرف كيف أعبر عن شعوري بشأنه لكني متفائلة "

قبّل رأسها مجددا ثم قال" يا رب يا ونس .. أتمنى أن يرحمنا من هذا العذاب ويطمئننا عليه"

توقفت سيارة وليد أمام فيلا نخلة ليقول الأخير" حمدا لله على سلامتك سيدة بسمة"
أحاطت عنقه بذراعيها تقول بتأثر شديد "مهما وصفت لك شعوري لن أستطيع التعبير عنه جيدا .. خاصة في هذه الأيام التي أفتقد فيها

وجود كامل في حياتي ..ولا عن مدى إحساسي بالامتنان أن لي ظهرا وسندا من عائلتي"
حضنها وليد قائلا" تمنيت أن أسمع هذه العبارة منك يوما يا بسمة والحمد لله أن حقق الله لي ذلك .. أتمنى دوما أن أكون ذلك الأخ الذي تتمنينه وأن أكون دوما على قدر المسؤولية"
أبعدت رأسها تقول بلهجة باكية" لا أدري لماذا تلح على رأسي طول الطريق مشاهد من طفولتك ..كنتَ طفلا جميلا جدا"
رن هاتف وليد للمرة العاشرة فلملم ضحكاته التي انفجرت مع عبارتها وقال هيا" انزلي حتى أرد عليه بعد أن أتركك"
نزلا من السيارة فأسرعت بسمة تفتح البوابة بمفتاحها ليستدير شامل عابسا بينما تحفزت ونس ولمعت عيناها فدخلت بسمة وتطلعت في وجهيهما ثم تغضنت ملامحها وقد فهمت

سبب تخشبهما على هذه الحالة فقالت
"آسفة لست هو"
نفض شامل عنه المفاجأة وقال" لم تخبرينا أنك ستعودين في نفس اليوم وفي هذا الوقت المتأخر هل حدث شيء؟!!"
غمغمت باقتضاب "لا شيء .. تشاجرت مع أبي"
ابتأست ملامح شامل وقد فهم السبب فقال وهو يقترب منها" ومن أوصلك ؟..ولماذا لم تطلبي منا أن نرسل لك السائق"
ظهر وليد من خلفها يقول" السلام عليكم"
سلم عليه شامل مرحبا ليقول وليد لبسمة" سأذهب أنا"
قالت باعتراض "الوقت قد تأخر!"
تدخل شامل قائلا "بسمة على حق ..بِت معنا الليلة"

قال وليد معتذرا" لن أستطيع فهناك أمور في البيت تستدعي عودتي فورا"
قالت بسمة مشفقة "ولكنك لم ترتح حتى"
قال وليد وهو يعود لسيارته وصوت هاتفه يرن" لابد أن أعود كما تعلمين "
حين ركب السيارة قالت بسمة بتأثر" طمئني عليك حين تصل.. لن أنام إلا بعد أن تطمئنني"
أشار لها بيده مودعا فوقفت تشيعه بنظراتها
بينما سحب وليد نفسا ورد على الهاتف بمجرد أن ابتعدت السيارة يقول بهدوء "نعم أبي"
أتاه سيلا من الشتائم والتهديد والوعيد فقال له " يا حاج الناس ستتحدث سواء كانت في بيت أبيها أو في بيت زوجها ..ومادامت تحبه ومتمسكة به لماذا نعذبها .. كما أنه حتى لو كان كامل قد فعلها فقد حدث الامر نتيجة لمشاجرة أي أنه ليس مجرما بطبعه وانما لحظة انتصر فيها الشيطان وهذا يحدث أحيانا

في بلدتنا ليست قصة جديدة .. كما أنك بالتأكيد لا تريد معاداة غنيم بك خاصة وأن القضية لا تزال قيد التحقيق"

أبعد الهاتف عن أذنه حتى لا يسمع صياح والده الغاضب ثم أعاده يقول بهدوء" لا تنفعل حتى لا تؤذي صحتك.. حين أعود سنتحدث يا حاج .. سلام"

أغلق الخط وزفر يشعر بالخلاص وتمنى أن يصل البيت فورا فقد كان مجهدا جدا.

xxxx

صباح اليوم التالي

حبينا .. حبينا ..

حبيناكي حبينا

لو ما حبينا عيونك

ما اتعذبنا ولا جينا

على رائحة القهوة الصباحية داعبت كلمات الأغنية قلب بسمة ومشاعرها فوقفت في المطعم تتذكر رقص كامل مع شامل وونس ذلك اليوم ..وتذكرت هيئته المهلكة ونظراته القوية التي كانت تحاصرها هذه الفترة ..واشتعلت أعصابها من ذكرى تلك القبلة في غرفة التبريد .. تحب قبلته وما تفعله بها .. تحب كل شيء فيه .. كل شيء يخصه .. وتحفظ تفاصيله عن ظهر قلب حتى التي تزعجها منه ..

انها تمر بأصعب فترات حياتها هذه الأيام.. لكنها وعدت نفسها أن تكون قوية .. لهذا لم تستسلم لرغبتها في النوم رغم عدم نومها طوال الليل حتى بعد أن اطمأنت على وصول وليد في الثالثة صباحا لم تستطع النوم .. وفي الصباح نزلت مبكرا لتعد القهوة بمعرفتها في المطعم وتعيش على رائحتها مع الذكريات.

تطلعت في غنيم الواقف يتسلم شيئا يخص المطعم بدلا من شامل الذي ذهب مع ونس لآسر في زيارة صباحية .. وحمدت ربها أنه لم يستفسر منها عن السبب الذي جعلها تعود بعد منتصف ليل أمس .. تعرف بأنه قد خمن ما حدث لكنه لم يرغب في جرحها بالسؤال واكتفى بالصمت دون تعليق .

بعد قليل دخل شامل المطعم وانخطف قلبه بأغنية من أغنيات كامل المفضلة فتبادل مع بسمة ابتسامة حزينة ليسأله غنيم الذي استقر على أحد المقاعد" كيف حال الصغير؟"
رد شامل مطمئنا "حمدا لله ..بدأ يستجيب للرضاعة ..ونس متأثرة جدا وكانت تبكي .. هي الآن تحكي لسوسو عن تفاصيل الزيارة وتريها الصور "

قال غنيم بهدوء " الله كريم بإذن الله يعود معكما قريبا (ودقق في وجهه وأضاف) عليك بالاهتمام بصحتك يا شامل ..أخبرتني ونس قبل مغادرتكما إلى الحضانة عن عدم نومك طوال الليل"

وضع شامل يديه في جيبي بنطاله وقال بإرهاق" ليلة أمس كنت قلقا ومشدود الأعصاب ولازلت حتى الآن"

رن هاتفه فأخرجه من جيبه وتطلع في الرقم غير المسجل ثم أجاب" آلو"

"شامل هذا أنا"

(هذا أنا)..

كلمة لو سئل عن معناها فلن يستطيع تفسير إن كان يعني بهذه الـ (أنا) هو أم نفسه.. فسقط قلبه بين قدميه وصرخ بحشرجة " كامل (ثم هتف وعيناه تكادا تخرجان من محجريهما) أين أنت يا زفت"

اتسعت عينا غنيم وتركت بسمة كوب القهوة فوق الطاولة العالية وأسرعت إليه وقد توقف قلبها عن النبض بينما أنصت شامل إلى صوت أخيه المرهق بشدة "شامل اسمعني لأني ليس معي وقت سوى دقائق للتحدث في الهاتف .. أنا في قسم شرطة (...) .. لقد سلمت نفسي في مدينة (...) وتم ترحيلي للمحافظة التي تقع فيها قرية مفرح بعد رحلة طويلة مجهدة من المماطلة .. فوصلت مساء أمس وسيتم عرضي على النيابة ظهر الغد .. وعليك إرسال المحامي ليكون معي في التحقيق "

حاولت بسمة أخذ الهاتف من شامل فحدجها بنظرة رافضة وأشار لها ألا تفعل وهو يقول لتوأمه "لا تقلق حالا سأتحدث معه "

قال كامل في عجلة "مضطر أن أغلق الخط ..لا تخبر أمي بالله عليك.. اخترع أي قصة.. وطمئن أبي وباسمة ..سلام "

أغلق الخط فوقفت بسمة تمسك بقلبها ليقول شامل لاهثا وهو يتطلع حوله ليتأكد من خلو المطعم " لقد سلم نفسه منذ أسبوع ووصل لمحافظة (...) ليلة أمس .. سأتصل بالمحامي "

قبل أن يرفع الهاتف على أذنه صاح بجزع "بسمة"

وأسرع بالإمساك بها قبل أن تسقط على الأرض مغشيا عليها ..

××××

أغلق كامل الهاتف ثم تحرك مع اثنين من العساكر في أروقة قسم الشرطة المزدحم حتى عاد إلى غرفة الحجز الملحقة بالقسم والتي بات فيها ليلته.

تطلع فيه المساجين بفضول ..فتحرك يجلس في أحد أركان الغرفة الضيقة الخانقة وأسند

رأسه للخلف بإجهاد شديد ثم عاد بذكرياته لليلة رأس السنة.

قبل أسبوع

كان ينظر للصحراء المترامية على الجانبين والظلام الذي يحيط به ينافس تلك القتامة التي تجثم فوق صدره والحيرة التي تأكله..
إنه منذ أن وصل صباح اليوم وقاده سحس لبيت مهجور وجد فيه مجموعة من الرجال مختلفي الجنسيات ينتظرون مثله السفر أخذ يفكر بهدوء بعيدا عن الضغط العاطفي لعائلته .. يفكر في موقفه ومدى صحة تصرفه بالهرب وتأكيد التهمة عليه .. لكنه في الوقت نفسه ومن المعلومات التي عرفها عن الحادث موقفه صعب ..خاصة وأنه لا يعرف بالضبط في أي يوم حدثت الجريمة وفي أي وقت بالضبط.

سأل أحد الأفارقة المتواجدين بالسيارة بلغة عربية مكسرة عن الوقت المتبقي للوصول للحدود فرد عليه السائق بأنهم قد قطعوا ربع المسافة فقط.

عاد كامل يتطلع من النافذة من جديد ويفكر .. ماذا لو سلم نفسه؟ .. وحاول مع المحامي إيجاد ثغرة في القضية ..بالتأكيد أقوال بدير هذا مهما كانت متقنة لابد أن يكون فيها ثغرة يمكن إثبات كذبه منها ..

إن عليه أن يختار بين أمانه وحريته وكبريائه من ناحية وشرفه وشرف عائلته وكرامته من ناحية أخرى .. وتساءل كيف ستواجه عائلته المجتمع بعد هروبه .. كيف ستواجه بسمة أهل القرية؟ .. إنها ستكون في نظرهم زوجة القاتل الهارب.

هو ليس بجبان ولم يكن أبدا كذلك .. لا ينكر أن الخبر زلزل الأرض من تحت قدميه ..ولا

ينكر بأنه قد صدم بما قاده إليه تهوره وبأن تأثير ما تسبب فيه على كل فرد في عائلته قد أضاف عليه حملا ثقيلا ربما أثر على قراراته ..وربما هي الصدمة التي شلت عقله عن التفكير..

ربما هو الخوف .. أجل عليه أن يتعرف حتى بينه وبين نفسه بأنه يخاف من تجربة السجن ..فمهما كان هو ليس في بلده ومهما ادعى عدم تأثره إلا أن هناك وشم طُبع في لا شعوره بعد تجربة الحرب والهجرة يجعله يشعر بالخوف من السجون والظلم أكثر من الشخص العادي.. ومع هذا وبرغم كل شيء ..عليه أن يعترف أيضا أن هروبه تصرف خاطئ

.. سأل نفسه سؤالا مباشرا قبل نفاذ الوقت " هل تملك الشجاعة يا ابن نخلة لمواجهة أخطاءك؟ .. أم أنك جبان .. لا تسوى قرشا في سوق الرجال بدون أموال والدك وحمايته"

عند هذه اللحظة لم يدر أنه قد اندفع يقول بخشونة "توقف"
عبس السائق وسأله" ماذا حدث؟"
كررها يمسك بعجلة القيادة "توقف قلت"
هدر الرجل " لماذا؟"
نطقها بعزم " أريد النزول"
صاح السائق " نعم!!.. هل جننت؟؟.. لا يوجد خيار لذلك"
قال آمرا وقد بدأ القرار يترسخ في يقينه "قلت توقف وانزلني"
تدخل أحدهم يقول من المقاعد الخلفية بتوتر" أين ستنزل يا أستاذ الطريق الذي نسير عليه مهجور والليل والصحراء حولنا!"
تجاهله كامل وأمسك بذراع السائق يقول" أريد أن أنزل هنا"
أخرج السائق من أحد الأدراج مسدسا وأشهره في وجه كامل قائلا بلهجة تنافس ملامحه

قسوة "لا يوجد نزول وإلا سأقتلك هنا وأدفنك دون أن يشعر بك أحد"

صاح أحد الراكبين قائلا بتوتر "وحدوا الله يا جماعة "

ناظر كامل السائق بنظرات شرسة قائلا وهو يتطلع في المسدس" غيرت رأيي وسأنزل بهدوء واكملوا أنتم طريقكم "

قال السائق باندهاش" أين ستنزل أيها المجنون؟!.. وماذا ستفعل؟"

أجابه كامل "هذا ليس من شأنك إن كنت لا تريدني ألا أثير المشاكل أنزلني ..وإلا صدقني في أقرب مكان سألفت الانتباه لنا وسيقبض علينا كلنا"

قال أحدهم من الخلف" إنه بالتأكيد يخشى أن تبلغ عنا الشرطة"

رد كامل "لكم وعدي بألا أفعل (وعاد ينظر للسائق مضيفا) صدقني لن أسكت فأمامك

خيارين أن تصدق كلمتي بأني لن أوشي بكم أو أسبب لكم المشاكل "
لاح التردد قليلا على وجه السائق ثم قال بتهديد " ليس هناك نزول هل فهمت .. وإن حاولت سأفرغ فيك طلقات هذا المسدس "
صمت كامل ونظر للمسدس في يد الرجل ثم أخذ ذهنه يعمل في وضع الخطط متسائلا كيف سيفلت منهم وهذا الرجل يستطيع قتله وتركه في الصحراء؟.
بعد حوالي ساعة عرجت السيارة إلى أحد الطرق غير المعبدة حتى وصلوا لبناء قديم وحيد غير مكتمل الجدران وسط مساحة كبيرة من الخلاء والظلام .. ففهم كامل بأن هذا المكان لشراء وقود للسيارة وهو ما تأكد منه حينما خرج رجل عجوز من خلف تلك الجدران غير المكتملة يحمل جالونا كبيرا فنزل له السائق.

بسرعة أخذ كامل قراره ونزل من السيارة وسط ذهول البقية وقال للسائق الذي امتقع وجهه "إلى هنا وكفى ..سأكمل طريقي أنا للعودة"

تطلع فيه السائق بغضب لكنه لم يستطع التحدث أمام الرجل الأخر وأحس كامل أنه لم يجد بدا من تركه فبالتأكيد هو ليس غبيا ليعرض المجموعة كلها للخطر من أجل راكب واحد مشاغب مثله ليقول السائق من بين أسنانه" كما تشاء .. وأعلم أنك ستندم لأن هذا المكان مهجور تماما"

انقد السائق الرجل العجوز النقود وركب السيارة التي تحركت مبتعدة فتطلع كامل فيها ثم في المكان الخالي حوله وسأل نفسه" ماذا بعد؟"

دقق فيه العجوز قائلا باندهاش" ما الذي أنزلك هنا ولماذا تركتهم"

أجاب كامل باقتضاب" عليّ أن أعود هل تملك هاتف؟"

ضحك العجوز فلاحت أسنانه المتكسرة ورد" أي هواتف في هذا المكان يا أستاذ .. لا يوجد شبكات للهاتف من الأساس في هذه المنطقة ألا تعرف أين نحن؟"

سأله كامل" ما اسم هذه المنطقة؟"

الإجابة لم يفهم منها كامل شيئا سوى أن أقرب مكان به تجمعات سكنية على بعد كبير جدا فسأله" وهل أنت هنا وحدك؟"

تحرك العجوز مبتعدا وهو يجيب " أكل العيش يا أستاذ ..أنا ابقى هنا أثناء الليل ..وشخص أخر يبدل معي بالنهار"

ونزل يجلس على صخرة أمام بعض الحطب المشتعل ثم أنزل من فوقه أبريقا وصب منه في كوب وألقى بما فيه أرضا وعاد يملأه بالشاي ويعطيه لكامل فالتقطه الأخير وهو يضع

حقيبة ظهره على الأرض ويتخذ من إحدى الصخور مجلسا ثم نظر في شكل الكوب المتسخ باشمئزاز لكنه كان بحاجة لشرب أي شيء ربما شعر ببعض الدفء في هذا الجو قارص البرودة فرشف بعضا من الشاي شديد المرارة وسأله" ألا تخشى من بقاءك هنا وحدك "

قال الرجل ساخرا " كما يقول المثل (ماذا ستأخذ الريح من البلاط؟) ماذا سيأخذ أي شخص مني؟ .. (وأضاف بلهجة جادة) الخوف لا يسكن إلا القلب الفارغ "

سأله كامل "كيف أستطيع الذهاب لأقرب مكان مأهول بالسكان؟.. هل أستطيع استئجار أي سيارة؟"

أجاب الرجل وهو يرشف الشاي بصوت مسموع من كوب متسخ أخر " هذا أمر غير معلوم .. فالسيارات تمر من هنا بشكل نادر

ربما كل يومين أو ثلاثة تمر واحدة كله حسب الأرزاق "

سأله " وأنت كيف تعود صباحا ؟"

رد العجوز " الرجل الذي يستلم مني وردية النهار يحضر بسيارة صغيرة أغادر بها ثم أعود له في المساء وأحيانا يرسل شخصا أخر بالسيارة ليحل محلي أثناء النهار "

سأله كامل بلهفة" هل تستطيع ايصالي لأقرب مكان أقدر أن أحصل منه على مواصلة أخرى؟"

صمت الرجل قليلا يحتسي الشاي ثم قال" لا أعرف فالسيارة ليست ملكي وإنما ملك ذلك الشخص ..وبصراحة هو بخيل ويعطيني إياها على مضض"

قال كامل وهو يتحسس جيبه ليتأكد من أنه لا يزال يحمل بعض النقود "سأتفاهم معه وأدفع له ما يريد"

هز الرجل كتفيه (بلا أعرف) ثم ساد الصمت.

قضى كامل ليلتها جالسا على تلك الصخرة يحدق في الظلام ويسترجع كل شيء مر به في حياته وكأنه يعيد تقييم كل شيء حوله .. ينظر للأمور بنظرة شمولية متجردة من الأنا ومن عنجهيته .. متجردة من وجود شامل في حياته .. فقط هو .. كامل .

حين بدأ يبهت لون الظلام ويقترب النور وجد الرجل العجوز يتوضأ من إناء قديم يغرف به الماء من إناء فخاري كبير ثم سمعه يسأله" هل ستصلي معي؟"

استقام كامل واقفا يقول" أجل ..فأنا أحوج للصلاة في هذه اللحظة" وتوجه بعدها يلتقط الإناء ليتوضأ.

بعد عدة ساعات قضاها العجوز بعد أن فرغا من الصلاة في تلاوة القرآن بصوت مسموع منغم يثير في النفس الشجن من مصحف صغير جدا كان يلصقه بعينيه سمع كامل صوت سيارة

قادمة ليجد أمامه نصف نقل ينزل منها رجل عابس الوجه يختلف تماما عن ذلك العجوز البسيط فوقف الرجل يتطلع في كامل باستغراب ثم سأل العجوز" من هذا؟"
تكلم كامل" احتاج لمواصلة وسأدفع لك ثمنها"
وقف الرجل ذو الوجه المقلوب يتطلع في كامل ويبدو أنه قد فهم من هيئته بأنه ميسور الحال فنطق بالمبلغ الذي يريده.
ارتفع حاجب كامل بينما ناظره العجوز بغير رضا لكنه لم يتدخل فاعترض كامل على المبلغ الكبير الذي طلبه .
مط الرجل شفتيه قائلا "هذا ما عندي ..إن لم يناسبك فانتظر الفرج يومين ..ثلاثة أنت وحظك"
كان المبلغ الذي طلبه الرجل أكبر بكثير مما يحمل في جيبه فتملك الغضب من كامل وجز على أسنانه ينوي بأن ينقض على الرجل قائلا

"هل تعلم أني قادر على ضربك وأخذ السيارة منك ؟"
وأكمل في سره" لكني لن أفعلها لأني احتاج لباقي رصيدي من الستر في طريق مجهول سأحمل فيه روحي على كفي"
دون أي كلام أخرج الرجل من جيبه مسدسا صغيرا وقال لكامل ببرود "وأنا أيضا أستطيع فعل ذلك بك "
امتقع وجه كامل يتطلع في المسدس الذي يُشهر في وجهه للمرة الثانية في وقت قصير فأضاف الرجل بتهديد وهو يشير بالمسدس "هيا من هنا لا تقف في هذا المكان فهو يخصني .. الصحراء ممتدة أمامك (ونظر للعجوز قائلا بلهجة معنفة) وأنت لا تستبقي أحدا هنا مرة أخرى .. تفضل خذ السيارة وأرحل"
لاح الاستياء على وجه العجوز لكنه تحرك مرغما ففهم كامل أن الرجل هو رب عمله ولم

يدر كيف يتصرف فاستخدامه للقوة لن يفيده فاخرج من جيبه كل النقود التي يحملها .. فما كان متفق عليه أن يحول له شامل نقودا بمجرد وصوله للدولة المجاورة.. وقال للرجل بلهجة جرحت كرامته وهو يشعر بالإذلال وباضطراره لمهادنة صاحب السيارة الجشع بدلا من دق عنقه" صدقني ليس معي إلا هذا المبلغ"

تطلع الرجل في المبلغ في يد كامل ثم سأله" كم هذا المبلغ ؟"

حين أخبره كامل رد الرجل باعتراض" آسف هذا نصف ما أريد تقريبا"

قال كامل وهو يطحن ضروسه فلم يتعرض لموقف كهذا أبدا في حياته "ليس معي إلا هذا المبلغ صدقني "

هز الرجل كتفيه واستدار يقول للرجل العجوز الذي يناظر كامل بتعاطف "هيا لماذا لازلت واقفا"

قال كامل" ربما لو أوصلتني لنقطة ما.. أتصل بأهلي ويرسلون لك باقي المبلغ"

رد الرجل باستهجان" لست صغيرا يا أستاذ لأصدق هذا الكلام.. كما أنني لست من سيوصلك ولكن هذا العجوز الذي تأخر على العودة .. أي أنني لا أضمن صدق تنفيذك لما تقول "

رفع كامل قبضته يسيطر على غضب متأجج بداخله فتطلع الرجل في ساعة كامل قائلا "من الممكن أن آخذ هذه مع المبلغ"

نظر كامل في الساعة التي أهدته إياها بسمة وقال له باستنكار "هل تعلم كم ثمن هذه؟"

هز الرجل كتفيه ورد" لا ..ولكن تبدو ثمينة"

فكر كامل قليلا ثم قال مشترطا" لو أعطيتك إياها ستترك لي المبلغ"
رد الرجل نافيا " بالطبع لا ..فما أدراني بسعر هذه الساعة وان كنت سأستطيع التصرف فيها أم لا .. لذا سأأخذ الاثنين .. موافق؟ أم أطلب من العجوز المغادرة؟"
صمت كامل لبرهة والغضب والغيظ يحرضاه على ارتكاب الجرائم ثم قال وهو يخلع الساعة من يده بقلب متألم "موافق"

بعد ساعة كان كامل لا يزال في السيارة بجوار العجوز الذي أخذ يثرثر أثناء الطريق ..فمرا من أمام كمين للشرطة وتوتر كامل وخاف أن يُقبض عليه قبل أن يسلم نفسه .. فبالطبع وجوده في منطقة مهجورة كهذه سيعتبرون أنه كان ينوي الهرب وليس تسليم نفسه وهو يريد أن يثبت حسن نيته بالمبادرة .. لكن السيارة مرت بدون

تفتيش وأخذ كامل يفكر .. ماذا يفعل؟.. فهو لا يحمل أي نقود وفرصة القبض عليه تزداد مع اقترابهم من العمران فسأل العجوز "ألا توجد هواتف في المكان الذي تسكن فيه؟"
رد الرجل نافيا " لا توجد أي هواتف إلا في الأماكن الحكومية كقسم الشرطة مثلا ستجد هاتفا أرضيا فلا توجد شبكات للهواتف المحمولة"
تقبض كامل وعاد يتطلع في الصحراء والشمس تضرب في رأسه المليء بالأفكار ثم لمح على الجانب الأخر مقرا لقسم شرطة المنطقة ..
تسارعت ضربات قلبه وأخذت أنظاره تتحرك مع تحرك السيارة تتطلع فيه حتى ابتعد عنه ..ثم نظر أمامه يفكر ويوازن الحلول المطروحة والاحتمالات غير المرغوب فيها وقال للعجوز "توقف هنا"

عبس الأخير وهو يهدئ من سرعة السيارة حتى أوقفها وناظره بتساؤل
فبلع كامل ريقه وقال له" سأنزل هنا"
نظر الرجل حوله وسأل" هنا أين؟"
أجابه كامل وهو يمسك بحقيبة ظهره "لمحت مقرا لقسم شرطة سأذهب إليه ليتصلوا لي بأهلي"
هز الرجل رأسه فقال كامل وهو يفتح عتلة الباب" ادعي لي أيها العجوز لعلها ساعة استجابة "
تحركت مقلتا الأخير على وجه كامل وقال بلهجة صادقة " أنا لا أعلم لماذا أنت هنا في هذا المكان؟.. لكني أسأل الله أن ييسر أمرك ويهديك للطريق الصحيح "
ابتسم كامل وترجل من السيارة ووقف يناظر العجوز مترددا ثم قال له وهو يفتح حقيبته

ويخرج منها مصحفا بحجم الكف "خذ هذا لتقرأ فيه بشكل أوضح واعطني الأخر الصغير" تطلع الرجل في المصحف في يد كامل متفاجئا ثم مد يده يأخذه بامتنان وتأثر وفتح صفحاته ذات الخط الأكبر والأوضح بينما مد كامل ذراعه الطويل يأخذ المصحف الصغير المهترئ من رف السيارة وتحرك مغادرا في الاتجاه العكسي ليسلم نفسه بنفسه قبل أن يتم القبض عليه .

عاد كامل بذكرياته يتطلع في الجدران الخانقة حوله ويتذكر كيف تحمل غرفة حجز أخرى أكثر ضيقا على مدى الأيام الماضية ..فبمجرد أن سلم نفسه وضعه ضابط برتبة صغيرة في غرفة الحجز حتى يحضر مأمور القسم الذي كان في مهمة كما قيل له .. وبعدها بيومين قابل ضابط شرطة أعلى رتبة من الأول فأمر بأخذ

صورة من بصماته وطلب الكشف عنها ثم أعيد لغرفة الحجز مرة أخرى دون أن يسمح له بإجراء أي اتصال هاتفي .. وأحس خلال تلك الأيام أن هناك تعنتا ضده هو بالذات لأنه من جنسية أخرى ولم يفهم السبب لكن ما سمعه من بعض المساجين بعد ذلك أن هناك عملية إرهابية نفذت ضد أفراد من الجيش ليلة رأس السنة بالقرب من المنطقة .. فخمن بأن ما يحدث معه من تعنت وتطويل ربما توجسا منه أن يكون على صلة بالمعتدين وقد أكد له عسكري تخمينه حينما أجابه بتوجس حين كرر طلبه في أن يجري اتصالا هاتفيا " وهل تعتقد أننا سنعطيك الفرصة بأن تتصل بزملائك الإرهابيين ليحضروا لتفجير قسم الشرطة أيضا أيها الوافد الإرهابي؟!!"

على الرغم من سذاجة ما قاله العسكري فهم كامل أن هناك حالة من الاستنفار ولم يدر

وقتها أهو تعيس الحظ أن سلم نفسه في توقيت كهذا في مكان كهذا ..أم ذا حظ سعيد أن بادر بذلك قبل أن يقبض عليه في هذا التوقيت بالذات وتلفق له المزيد من التهم .. لكنه ظل في هذه المعاناة متحملا .. يلجم نفسه عن الغضب ويأمرها بالصبر حتى لا يزيد موقفه تعقيدا .. وكم كان ذلك صعبا عليه .. حتى تم التحقيق معه بشكل رسمي قبل يومين وصدر قرار بترحيله إلى هذه المحافظة بعد أن تم الكشف عن هويته ومعرفة بأنه مطلوب على ذمة قضية هنا .

إنه خائف من القادم ...خائف من أن يفشل في إثبات براءته ..خائف على أمه حين تعلم بأنه قد سلم نفسه ..وخائف على الجميع وخائف من التجربة كلها ..

أخرج كامل المصحف الصغير المهترئ من جيبه .. الشيء الوحيد المتبقي له والذي رافقه

خلال الأيام الماضية في الحبس وعاد ليكمل تلاوة القرآن آملا أن يتمكن من ختمه قبل أن يُعرض على النيابة غدا .

xxxx

بعد عدة ساعات

"أنا متفائلة إن شاء الله وستكونين حاملا يا بسمة"

قالتها سوسو وهي تتحرك بحماس جيئة وذهابا في غرفة بسمة التي ترقد في الفراش تنتفض منذ أن سمعت بخبر كامل قبل عدة ساعات .. لقد سقطت مغشيا عليها فحملها شامل لغرفتها وتم افاقتها لكنها كانت تعاني من هبوط شديد وسيطرت عليها نوبة من البكاء فاستدعوا لها طبيب العائلة الذي تعامل مع ضغطها المنخفض ثم طلب أن تقوم ببعض التحاليل من بينها تحليل للحمل .. فاتصلت سوسو

بمعمل التحاليل لإجراء تحليل عاجل لها أجرته قبل ثلاث ساعات .. وكان خوفها على كامل الذي سلم نفسه للشرطة أقوى من خوفها من الحقنة هذه المرة .
وها هي سوسو في انتظار أن تُرسَل لها نتيجة اختبار الحمل على الهاتف ..وكلها حماس ولا تعرف هي أو ونس التي تشارك حماتها الحماس بمكالمة كامل هذا الصباح فقد طلب منها شامل ألا تخبرهما ..

قالت سوسو وهي تفكر" أنا شككت في ذلك بصراحة .. فنوبات الغثيان التي باتت متكررة بالإضافة لذلك البرطمان ذو الرائحة الكريهة الذي أحضرته معك ليلة أمس ووقفت تلتهمين منه في الثانية صباحا شككني في أمرك"
ابتسمت ونس لحماتها التي أضافت وهي تتحرك في الغرفة" أتمنى أن يكون التخمين

صحيحا وأن تكون مفاجأة حلوة لكامل حين يتصل الأسبوع القادم ..فشامل يقول أنه قد يتصل بعد أسبوعين من وصوله .. (وتنهدت متألمة) بصراحة لازلت لا أصدق أننا في هذا العصر قد نحتاج لكل هذا الوقت للتواصل ..لكن الحرص واجب"

صفارة صدرت من هاتف سوسو الذي تمسكه في يدها فنظرت فيه بلهفة تفتح الرسالة ثم صرخت بفرح "إيجابي.. إيجابي .. النتيجة ايجابية يا بسمة"

لثوان أحست الأخيرة بالتشوش وسألتها بغباء" ما معنى هذا؟"

أسرعت إليها سوسو لتريها شاشة الهاتف "أنت حامل.. حامل يا بسمة"

تطلعت الأخيرة في وجه حماتها بذهول صامت وانسابت بعض الدموع من عينيها المتسعتين

الزرقاوين ثم وضعت يدها على بطنها تنظر إليه قائلة بذهول" حامل ... أنا حامل "

بعد قليل سقطت فاطمة من طولها وأخذت تبكي بانهيار ووقع منها الهاتف ..فأسرعت المساعدات بالبيت بإسنادها حتى جلست تفترش الأرض بينما التقطت مهجة الهاتف تسأل بسمة" ما الأمر يا بسمة ؟..ما بها خالتي؟"

انتحبت الأخيرة غير قادرة على الكلام لتشد فاطمة ثوب مهجة حتى تعيد لها الهاتف فأعادته لها بقلق .

قالت فاطمة باكية" أتقولين الصدق يا بسمة؟ ..حقا ...أنت حامل؟" شهقت المساعدتين بصدمة وأفلت لسان إحداهما تقول للأخرى بصوت خافت" ألم تكن عقيما!!"

ناظرتهما مهجة شذرا وطلبت منهما مغادرة المكان ثم عادت تتطلع في حماتها وقرصت الدموع عينيها بينما قالت فاطمة وهي تمنح الهاتف لمهجة" اسمعي ما تقوله بنيتي لربما كنت أهلوس"

فتحت مهجة مكبر الصوت وسألت بتأثر" هل أنت حقا حامل يا بسمة؟"

ردت الأخيرة من بين نشيجها الباكي" أجل أنا حامل ..حامل ..حامل في طفل كامل"

xxxx

قبيل الغروب

"عم هلال ..أبو كريم .. عم هلال"

زفر هلال واستدار لزين يقول" يا حبيبي عندي مشوار هام أقسم بالله فارحمني "

قال زين بابتسامة " قل (موافق) وستتخلص مني ..بسيطة المسألة "

قال هلال بغيظ " قلنا ليلة أمس أن أسبوعا مدة قليلة جدا لتعقد قرانك وتتزوج"
تكلم زين وهو يرفع الهاتف على أذنه "سأتصل بصاحبك لاشتكيك له"
اقترب منهما يحيى الذي خرج للتو من منزله وناظرهما بتساؤل ليقول هلال مفسرا
"المجنون يريد أن يعقد قرانه ويزف أخر هذا الأسبوع"
صحح له زين قائلا" لا ..ليس هذا ما أريده ..ما أريده أن أعقد وأتزوج الليلة ..ولكنك تتحدث عن إجراءات ما قبل الزواج ..و أشياء لم تكتمل في الشقة بعد لهذا منحتك فرصة أسبوعا "
ابتسم يحيى وهو يتطلع في لهفته بينما رد هلال" هذا صحيح فكما قلت لك حتى لو استطعنا الانتهاء من الإجراءات المطلوبة لعقد القران هناك أشياء لم اشتريها بعد وليس هناك وقت لشرائها"

أغلق زين الهاتف حين لم يرد جابر وقال" اسمعني يا عم هلال إسراء من الأساس ترغب في نقل كل شيء بدون أي احتفال وأنا ليس عندي مانع أبدا أن نستكمل تجهيز شقتنا بعد الزواج ..فأنا شخصيا هناك بعض الأشياء التي أريد شرائها ولم أفعل وسأشتريها في المستقبل إن شاء الله "

قال هلال رافضا" ولماذا هذه السرعة؟؟"

صرخ زين قائلا" تسألني لماذا؟؟؟ .. لأني أرغب في الزواج من ابنتك بشكل عاجل هذا هو السبب"

عبس هلال بينما ضحك يحيى وقال" خير البر عاجله يا أبا كريم ..أنا شخصيا أرى الأمر أكثر بركة أن يتم بشكل غير مرتب له"

توقفت سيارة جابر على بعد أمتار وترجل منها يتطلع في وقفة زين مع هلال ويحيى قبل أن يهتف زين "ها قد حضر جابر "

وأسرع نحوه يسحبه من ذراعه فناظره جابر باستنكار وهو يعود به بخطوات مسرعة قائلا" جئت لك بولي أمري"

ضحك الواقفان بينما قال زين لأخيه " تصرف مع صاحبك واقنعه .. لقد طلبت من الشركة مد إجازتي ووالله لو تعلمون كم سأخسر من مال بسبب هذه الإجازة لأشفقتم عليّ وزوجتموني الليلة ..لكن كله من أجل إسراء"

نظر جابر لهلال فقال الأخير بعصبية" أبعد أخاك المجنون عني يا جابر.. أي زفاف هذا الذي سنلحق أن نجهز له خلال أسبوع!!"

ابتسم جابر وقال "دعنا نفرح بهما يا هلال ..وأي شيء ناقص من الطرفين أنا سداد"

هلل زين وقبل كتف أخاه ثم قال بسعادة" لا حرمني الله منك يا أبا هاشم (ونظر لهلال يسأله) ها ..ماذا قلت ؟.. هل أذهب لأحضر المأذون حتى تعود من مشوارك؟"

xxxx

ظهر اليوم التالي

سأل وكيل النيابة" ماهي ماركة سيارتك التي ذهبت بها إلى القرية يا كامل؟"

رد الأخير بهدوء "سيارة دفع رباعي ماركة (....) سوداء"

"هل استعملت أي سيارة أخرى خلال فترة إقامتك هناك ؟"

"لا ..لمَ قد أفعل ذلك وعندي سيارتي !"

"أعطني رقم لوحتها "

أملاه كامل رقما ثم عبس بارتباك واضح جعل وكيل النيابة والمحامي الجالس أمامه يدققان فيه ..فعاد لتصحيح أحد الأرقام ثم غمغم بإرهاق واضح" أحيانا انسى الأرقام والتواريخ"

سأله وكيل النيابة وهو ينظر في ملف القضية أمامه" هل لازلت لا تذكر أي شيء مميز قد

فعلته مساء يوم الثالث من ديسمبر بين الحادية عشر مساءا والواحدة صباحا؟"
أجاب كامل بإجهاد ذهني" كما قلت ..ماذا سأفعل في قرية صغيرة في ليلة شتوية سوى المكوث بالمنزل ...أنا وزوجتي قضينا الأيام في بيتنا هناك"
طرق وكيل النيابة عدة مرات بقلمه على المكتب مفكرا ثم سأله" وإلى أين كنت متوجها في تلك المنطقة التي سلمت نفسك فيها؟"
عبس كامل ورد مراوغا " كنت في مشوار يخص العمل في إحدى المدن القريبة من المنطقة حينما جاءتني أخبار تخص الأمر بالقبض عليّ وتفاجأت بأن مسدسي قد اختفى من سيارتي دون أن أدري فلا استخدمه إلا نادرا.. "
قال وكيل النيابة مقاطعا" تقصد ذلك اليوم الذي أشهرته في وجه بدير أمام الناس "

رد كامل بعصبية "هذا ما حدث فعلا .. لقد كانت لحظة جنون استفزني فيها بدير هذا فأخرجت المسدس لتهديده ..لكني بالتأكيد لست مجنونا لأذهب إليه وأطلق عليه الرصاص ..ولا أعتقد أن مشاجرة كالتي وصفها ذلك المدعو بدير وذكرتها لي سيادتك الآن من الممكن أن تستفزني لإشهار مسدسي فلا تؤاخذني انظر لهيئتي.. بالتأكيد ضربه علقة ساخنة سيكون أسهل بالنسبة لي وسيفرغ طاقة غضبي لو كانت روايته صحيحة .. ولهذا سلمت نفسي بنفسي حتى أثبت حسن نيتي وأني لست مجرما "

أشار المحامي لكامل أن يهدأ بينما قال وكيل النيابة" أرجو أن تتحدث بشكل اهدأ يا كامل حتى تستطيع الرد على الأسئلة بشكل أكثر دقة ووضوح"

قال الأخير باختناق " كيف لي ان اهدأ وأنا منذ أسبوع في حالة يرثى لها بسبب المط والتطويل في ترحيلي إلى هنا "

تدخل المحامي يقول بدبلوماسية" كما ترى سيادتك إنه مرهق ومستنزف بعد رحلة طويلة من الإجراءات حتى وصل إلى هنا"

صمت وكيل النيابة لبرهة ثم قال "لنعطيه فرصة للهدوء وترتيب أفكاره (وأملى على مساعده) يحبس على ذمة القضية خمسة عشر يوما قابلة للتجديد"

بعد قليل خرج كامل من مقر النيابة مع قوة من الشرطة .. معصماه مقيدان بالأصفاد ليرحل إلى أحد السجون على أطراف المحافظة

.. كان مرهقا مستنزفا يائسا ويشعر بخزي من قيد معصميه البارد لكنه تماسك عند رؤيتهم .

في الوقت الذي جحظت عينا شامل وتسارعت دقات قلبه وهو يراه أخيرا ولم يعرف هل يندفع

إليه ليحضنه أم يصارعه أم يبكي لرؤيته سالما .. بينما وقف غنيم يتوكأ على عصاه ويتطلع فيه صامتا متألما على حال ابنه الذي لم يعرف منذ أن تلقى الخبر يوم أمس هل عليه أن يحزن عليه أم يسعد لأن ابنه رجل حقيقي وليس جبانا .. أما مفرح فوقف واجم الوجه مغلق الملامح يتابع خروجه من مبنى النيابة .. ابتسم لهم كامل ابتسامة ضعيفة وكأنه يريد أن يخفف عليهم وقع ما اقترفه في حقهم.. ثم خاطر شامل فكريا يقول" أريد مالا وطعاما وملابس يا حلوف (ثم أضاف بصوت مسموع مشاكسا والعسكري يقوده نحو سيارة الشرطة التي تقف على بعد أمتار) لماذا لا تبدل معي الملابس وتذهب معهم أنت"

ابتسم شامل ابتسامة ضعيفة بينما عبس العسكري بتوجس واستمر في سحبه نحو السيارة ..فأدار كامل وجهه ينظر لمفرح الذي

يقف صامتا وقال ساخرا بنفس المشاكسة
"وأنت ..صدعت رأسنا (أنا ابن عمدة... أنا ابن عمدة) أين سيطرتك يا حضرة ابن عمدة وأنا أقاد بهذا الشكل إلى السجن !"
لم يقدر مفرح إلا على منحه ابتسامة ضعيفة بينما نظر كامل إلى شامل قائلا" إياك أن تقترب بسمة من السجن أو مقر النيابة أو أي شيء من هذا ..اخبرها بذلك"
ثم نظر إلى والده مبتسما قبل أن يصعد إلى السيارة ورفع له يده بعلامة النصر .. فبادله غنيم الابتسام وكلاهما يداري ألما عظيما في صدره..
قبل أن تغادر السيارة تحمل معها قلوبهم
هتف شامل " أتانا آسر نخلة"
اتسعت عينا كامل بمفاجأة وعقد جبينه يحسب الوقت فأضاف شامل " ولد قبل موعده وموجود بالحضانة "

عادت عينا كامل للاتساع بينما تحركت السيارة تأخذه بعيدا مصدوما من المفاجأة .
سند شامل والده ليعيده للسيارة فقال الأخير" سأقوم باتصالاتي لأوصي عليه في السجن وأدعو الله أن يهديه وألا يستفزه أحد بالداخل.."
عقب مفرح قائلا بحشرجة" أنا أيضا سأوصي عليه في السجن"
فغمغم غنيم وهو يدخل السيارة " اللهم الطف بنا في قضائك وقدرك يا كريم "

xxxx

بعد أربع ساعات كانت إجراءات إدخال كامل السجن قد انتهت فوقف لبرهة يتطلع في المبنى أمامه وبجواره أحد العساكر يقوده إلى محبسه.. ولوهلة ابتسم لنفسه بسخرية .. لقد نجا من ويلات الحرب ولجأ آمنا مكرما إلى بلد أخرى ولم يلق ما لَقِيه بعضهم من عذاب ..

ليدخل السجن بعد ذلك بسبب طيشه فغمغم لنفسه" يا ويلك يا كامل ماذا فعلت بنفسك يا غبي!"

في نفس الوقت كان وكيل النيابة يتناقش مع أحد زملائه وهو يتفحص ملف القضية قائلا "بعيدا عن رواية المجني عليه التي تتطابق بشكل مثير للشك مع ما حدث قبل الحادث بيوم ..فأقواله تتعارض مع الواقع .. أولا ذكر أن المتهم قد أطلق عليه الرصاص من على بعد أمتار وهو ما يتعارض مع التقرير الطبي الذي أفادنا به المستشفى من أن الرصاصة خرجت من مسافة قريبة جدا من الفخذ بل تكاد معدومة مما جعلها تسبب تمزقا شديدا في العظام والانسجة .. كما أن أثر الإطارات على الأرض الطينية التي رفعت صباح يوم الحادث

لا تشير لوجود سيارة كبيرة الحجم مثل سيارة المشتبه به .. وإنما سيارة صغيرة الحجم" قال زميله" وهذا ما سيستند عليه الدفاع عن المتهم حين يطلع على ملف القضية "
شرد وكيل النيابة قائلا " لابد من دليل قاطع على براءته إن أراد كامل هذا أن يختصر وقتا طويلا من التحقيق والمحاكمة (ورفع سماعة الهاتف يقول) أريد كشف تحركات من المرور عن السيارة رقم(...)في الأسبوع الأول من ديسمبر الماضي"

xxxx

وقفت بسمة في الحديقة تنتظر قدوم غنيم وشامل اللذين كانا على وشك الوصول عائدين من مقابلة كامل.
لقد اعتذرت عن مرافقة سوسو وونس لزيارة الصغير في الحضانة وبقيت في الفيلا حتى تنفرد

بحميها وسلفها لتعرف تفاصيل زيارتهما وهي تدعو الله ألا تعود حماتها وونس قبلهما ..

وضعت يدها على بطنها تتحسسه وهي لا تزال لم تبرح مرحلة الصدمة بعد فبالرغم من ترقبها وانتظارها لهذا الحدث على مدى الأشهر الماضية لكن التمني والترقب شيء ووقعه في النفس عند حدوثه شيء أخر.

ترى كيف ستكون ردة فعل كامل؟.. وهل ستنتظر حتى يخرج من السجن كي تخبره أم تبلغه في أقرب وقت ؟..

والسؤال الأهم هل سيخرج كامل من السجن قريبا أم عليها أن تهيئ نفسها للأسوأ؟!

نفضت عنها أفكارها السوداء التي تتماشى مع مزاج الحمل الأكثر سوادا وتذكرت ردود أفعال الجميع على خبر حملها بداية من سوسو التي أخذت تخطط لأن تخبر كامل بنفسها بالخبر

بمجرد أن يتصل بها.. وونس التي بدأت تتخيل السيناريوهات بشأن علاقة ابنها بابن عمه ثم رد فعل أمها التي لا تزال في حالة صدمة وانهيار تبكي في كل اتصال من الاتصالات الكثيرة بينهما منذ أمس برغم أنها قد سبق ومهدت لها منذ أن ذهبت إلى الطبيبة أن هناك أملا في أن تحمل لكن يبدو أن المسكينة لم تتشبث بالأمل حتى لا تحبط .. تذكرت أيضا اتصالا مؤثرا من مفرح لمباركتها واتصال جماعي ضمها هي ومليكة وأم هاشم قضوا غالبية وقته يبكين من الفرحة وانتهى باقتراح الأخيرة حتمية أن تتقابلن وتتصورن وهن حوامل صورة للذكرى... وليد أيضا كان متأثرا بشدة وهو يبارك لها ليلة أمس.. كل هذه القلوب التي سعدت من أجلها خففت عليها محنتها وشحذتها بالطاقة للصبر وتحمل المحنة .. لكنها في قرارة نفسها تعلم بأنها

مسكنات لوجع ينخر في قلبها على حبيب الروح.

سمعت صوت السيارة تمر في الممر الفاصل بين الفيلا والمطعم والمؤدي للمرآب فأسرعت تدخل الفيلا حتى تقابلهما عند باب المرآب الداخلي.. واستقبلتهما بلهفة وتساؤل فقال غنيم" حبس على ذمة القضية كما كنا متوقعين وتم ترحيله لسجن المحافظة"

وضعت يدها على قلبها وسألتهما بحشرجة" وكيف حاله كيف بدا لكما؟"

هز شامل رأسه وقال "بدا مجهدا جدا لكن معنوياته مرتفعة"

تحرك غنيم يقول" سأستريح في غرفتي حتى تعود سوسو"

سألت بسمة شامل بلهفة" هل أستطيع الاتصال به أو يستطيع هو الاتصال بي؟"

أجاب شامل بإرهاق" لم يدخل السجن إلا اليوم يا بسمة وقدمنا طلبا لزيارته ولا أعرف إن كان سيستطيع الاتصال بك أم لا .. من فضلك جهزي له بعض الملابس لنرسلها له .. (وتطلع في ملامحها الذابلة وجفونها المنتفخة وقال مشفقا) ولنصبر ونرى إلام ستؤول إليه الأمور"

سألته بحشرجة" هل هناك أمل يا شامل ؟" غمغم بيقين "الأمل في الله كبير فهو لن يرضى بالظلم أبدا"

xxxx

بعد أيام

الزغاريد .. صيحات الفرح العالية التي تخرج من القلب إلى قلوب الحاضرين .. كانت البهجة حاضرة والأحباب مجتمعون والقلوب تملأها الأمنيات البكر رغم تكرار الحدث .. لكن الفرق

بين الماضي والحاضر كبير ..كبير باتساع قلب محب عاشق .
وقفت إسراء للمرة الثانية أمام مسجد الشيخ تيمور لكن اليوم لم يكن أبدا أشبه بالبارحة ..كانت أكثر قلقا .. أكثر توترا .. و... أكثر فرحا ..
على الرغم من أنها تقريبا تكاد لم تتواصل مع زين بعد ذلك اليوم الذي رفضت إعطائه المحبس فيه وطلب من والدها التعجيل بالزفاف ليوافق والدها في اليوم التالي ويبدأوا في سباق الزمن ..فالعائلتان كانتا تجريان في كل الاتجاهات لإعداد التجهيزات..
ورغم شعورها بالإجهاد ومواصلتها الأيام الماضية بدون نوم تقريبا إلا أنها كانت سعيدة جدا ..وكأنها لم تعش تلك اللحظة من قبل ..
أما نصرة فكانت على باب المسجد تبكي بجوار نجف وصباح وعمة العريس وخالاته .. الجميع كانوا حاضرين إلا أم هاشم التي اعتذرت لأن

وجهها رغم تحسنه لم يعد لحالته الطبيعية الكاملة بعد ..

في داخل المسجد وقبل القيام بالإجراءات الرسمية لتوثيق الزواج أخرج هلال من جيبه ورقة بيضاء وقلم ثم قال بحرج "الحقيقة لم أجد الفرصة لإعداد قائمة الأثاث بعد ..خاصة وأن هناك أشياء لم نجد الفرصة لشرائها ..إن شاء الله نشتريها بعد الزفاف ..لهذا أرجو أن تساعدني يا زين في كتابة القائمة فكما تعلم...."

قطع عبارته حين سحب منه زين الورقة وكتب في أعلاها (قائمة أثاث إسراء هلال جمعة) ثم نزل يكتب في أسفل الصفحة (توقيع الزوج زين الدين إسماعيل دبور) ومرر الورقة لجابر الذي يجلس بجواره يقول "وقع يا شاهد العريس"

ابتسم جابر ووقع دون تعليق ..فمرر زين الورقة لأخي هلال الذي حضر من العاصمة

لحضور عقد قران ابنة أخيه وقال "وقع يا شاهد العروس"
حين انتهى الأخير من التوقيع طوى زين الورقة وأعطاها لهلال وهو يقول" أكتب محتويات القائمة على راحتك يا أبا كريم"
دس هلال الورقة في جيبه شاعرا بالامتنان بينما قال زين للمأذون بحنق "اسرع يا شيخنا تأخرنا كثيرا"

حين نادوا عليها خطت إسراء بقدميها الحافيتين ودخلت المسجد مسبلة الاهداب بفستان بسيط باللون البصلي ووقفت في ركن فناظرها هلال وقرصت الدموع عينيه وتلك الذكري المؤلمة تسيطر على أفكاره رغما عنه..
بينما اتسعت ابتسامة زين فنبهه المأذون لأن يوقع قائلا بمشاكسة "وقع يا عريس ولا تضيع وقتنا في التسبيل "

أسرع زين بالتوقيع على الأوراق قائلا بانشراح
قلب مصحوب برقصات مجنونة داخل صدره
"العريس وقع وبصم بأصابعه العشرة منذ مدة
يا شيخنا"
ابتسم الحاضرون يتمتمون بالمباركة وقد بدا
واضحا أن الذكرى السابقة لا تزال عالقة
بأذهان الجميع وليس هلال وحده ..حتى زين
الذي لم يحضرها لاحظ ذلك جيدا فتعمد
المزاح ليغلب التوتر المخيم على الحدث ..

أعطيت الأوراق لكريم ليذهب بها إلى أخته
فأمسكت بالقلم ووقعت عليها ثم وضعت
بصمتها.. فعاد كريم بالأوراق للجالسين أرضا..
ليمسك المأذون بيد هلال ويمد يده ليمسك
يد زين فقال الأخير "لحظة يا شيخنا"

شاكسه المأذون قائلا وهو يراه يستقيم واقفا" أنت من تعطلنا الآن وكنت تستعجلنا منذ الصباح الباكر"

تحفزت ملامح هلال وهو يتابعه متوجها نحو إسراء بينما انكمشت الأخيرة ..ليمد يده ويلتقط كفها يسحبها معه وسط همسات معترضة منها فعاد يجلس مكانه وأجبرها على النزول والجلوس خلفه ليقول زين "لا تؤاخذني يا عم هلال"

تنحنح جابر الذي يجلس بجواره فنظر إليه زين قائلا" الأوراق التي وقعنا للتو عليها تثبت بأنها قد أصبحت رسميا زوجتي وننتظر مباركة الشيخ"

مط هلال شفتيه بامتعاض فأمسك المأذون بكفه ووضعها في كف زين الذي أبقى على يده اليسرى تحضن كف اسراء التي كانت تنتفض

من التوتر والحرج وبدأ المأذون في قول عباراته المشهورة لإتمام عقد القران.
فرفعت إسراء أهدابها المسبلة إلى أمها التي كانت تبكي على باب المسجد وحماتها التي كانت تضحك وتضرب كفا بكف على ما يفعله ابنها بينما همسة ونسمة تتهامسان بسعادة وهما تلتقطان الصور .
علت الزغاريد بالخارج حين انتهى المأذون من المراسم فاستدار زين وأمسك برأس إسراء يطبع قبلة على جبينها بعد أن قال "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات "
فاستقام هلال شاعرا بالغيظ وسحب ابنته لتستقيم واقفة ثم حضنها مباركا في حضن عاطفي مؤثر ..بينما تلقى زين التهاني من الحاضرين وعلى رأسهم جابر الذي غمغم قائلا وهو يحضنه" مبارك لك ..أخيرا ستتعقل وتستقر"

أبعد زين رأسه عن كتف أخيه ورد "الثانية نعم .. الأولى أشك فيها "
ثم ضحك وطبع قبلة على كتفه وتوجه بعدها لتلقي التهنئة من الحاج يحيى.
بعد دقائق كان زين يخرج من المسجد وسط الزغاريد العالية ويميل على يد أمه ليقبلها ثم قبل رأسها وهي تدعو له باكية بالسعادة بعدها تلقى التهاني من عمته وخالاته بينما إسراء غارقة في أحضان نصرة التي تبكي.. فقال زين بشقاوة وهو يقترب منها ويأخذها منها "اتركي القليل لغيرك يا حماتي"
وفي اللحظة التالية كانت إسراء المتخشبة غارقة في حضن رجولي دافئ عطر.. حضن زوجها.. عوضها.. وحين يكون العوض من السماء يأتي في أروع حالاته ..
بعدها تحول الشارع بدون ترتيب مسبق لساحة من الاحتفال .. انطلقت فيها نصرة

تطبل وتغني أغانيها التي تحبها .. عادت من جديد للغناء .. عادت لتصدح بصوتها .. تغرد بفرحة مختلطة بالدموع ..والأقارب والجيران وصاحبات إسراء حولها يصفقن ويغنين معها .. بينما الرجال يقفن جانبا يتلقون ما يوزعه أهل العريس على الحاضرين من علب العصائر والحلوى..

أما زين فكان يقف بالقرب يتحفظ على يد إسراء تحت ابطه بينما هي محمرة الوجه يكاد أن يغشى عليها من الحرج والخجل وهي تحاول افلات يدها منه فمال عليها قائلا "فاتت فرصة الافلات يا أبلة"

رفعت إليه عينيها الكمونيتين المؤطرتين بالكحل وقالت "زين أشعر بالحرج أمام الناس" مال عليها وهمس بجوار أذنها" هل هذا يعني أنني لو اختليت بك ستتركينني أفعل ما أريد؟"

ازدادت حمرة وجهها بشكل واضح واشاحت به فضحك ومال على أذنها قائلا بسخرية
"وتتظاهرين كل هذا الوقت بالحزم والسيطرة ..بينما أنت ترتبكين وترتعشين من حضن واحد"
استمرت بالإشاحة بوجهها وقد لاحظ البعض خجلها الواضح أما هي فاستنكرت ما يحدث معها .. طوال عمرها هي ثابتة على الأرض تحتفظ بهدوئها وبثباتها الانفعالي .. أما هذه اللحظة فكانت تشعر بأنها كريشة تتأرجح مع نسمة صيف هبت في عز الشتاء .. هبت بحضوره المفاجئ .
سألها "ألن تعطني محبسي؟"
حركت كتفها رافضة وهي لا تزال تشيح بوجهها عنه وصاحباتها يقفن يتغامزن ويشاكسنها بإشارات مخفية من بعيد .

ابتسم زين وهو يتأملها وضربات قلبه لا تريد أن تهدأ منذ الصباح .. كانت شهية وكان هو جائعا .. كانت رقيقة فاتنة .. وكان هو لا يصدق أنها أضحت حلاله ..كانت تسر العين والقلب وكان هو يتقافز من السعادة .. هي كانت.. وهو كان .. فأضحى الاثنان بعد تلك اللحظة في خبر كان.

على صوت نصرة الجميل وطبلتها انتحى جابر جانبا مبتعدا عن الزحام وأنظاره لأعلى نحو أم هاشم التي تطلق الزغاريد من الشرفة فأشار لها على الهاتف فاختفت بالداخل لتحضره.

هو الي خطبها هو الي نقاها
راح وقال لابوها أنا دايب في هواها

فتحت أم هاشم هاتفها وهي تعود لتقف في الشرفة فقال جابر" الاحتفال ينقصه وجودك" قالت بفرحة صادقة "مبارك لهما ليسعدهما رب العالمين"

قال جابر "اتصلت لأخبرك أني تذكرت يوم عقد قراننا وأنا بالمسجد.. ولازلت أذكر شكل الفستان الذي كنت ترتدينه وكيف كنت منكمشة ولحظتها خشيت أن تكوني قد ارتبطت بي لأنك حسبتها بالعقل"

قالت بصوت متهدج "وأنا أيضا كنت أتذكر تلك اللحظات منذ قليل ..لم أصدق وأنا أوقع اسمي بجوار اسمك وتمنيت أن أبصم بقلبي وشفتيّ على القسيمة"

ضحك جابر ضحكة نبعت من القلب فأضافت بطريقتها المتهكمة "تضحك عليّ لأني كنت غبية غباء الحمار العاشق"

تطلع حوله ليتأكد من أنه ليس هناك من ينظر نحوه وأضاف بلهجة ذات مغزي" بل فرس فرس أسمر جامح ..بركاتك يا شيخ تيمور"..

انتبه جابر لما يحدث على بعد وتطلع في نصرة التي أعطت الطبلة لسيدة أخرى بدأت تطبل وتغني بدلا منها بينما وقفت هي في وسط الواقفات ترقص بجسدها البدين وتهز كتفيها وذراعيها والسعادة تتراقص على وجهها الأحمر

فعاد جابر يقول لأم هاشم "أكمل الله لهما فرحتهما ..الحقيقة أنا أشكر الله على أن يسر لنا هذه المصاهرة"

غمغمت أم هاشم "العقبى لميس إن شاء الله ..أين هي لا أراها"

رد وهو ينظر للاتجاه المقابل "تقف مع عمتي وبناتها .. (وأضاف) والعقبى لهاشم .. أتمنى من الله أن يمد في عمري حتى أراه يكبر أمام عيني ويصبح رجلا كزين ..وأن أحضر زفافه"

قالت بعاطفة جارفة "أطال الله في عمرك يا جابر وقر عينك بأولادك وأحفادك"

نافسها في قوة العاطفة وهو يقول " ولك بالمثل يا أم قلبي"

في الساحة كانت السيدة تغني إحدى الأغنيات فاقترب هلال ووقف أمام زوجته وبدأ يرقص أمامها.

خدناها خدناها

خدناها بالسيف القاضي

وأبوها ماكنش راضي

وعلشانها بعنا الاراضي

الحلوة اللي كسبناها

تطلعت إسراء في والديها وهيستريا الفرح التي تسيطر عليهما وبدأت تبكي فربت زين على يدها التي تتأبط ذراعه وطبع قبلة فوق حجابها ثم غمغم وهو يميل على أذنها بمشاكسة حتى تكف عن البكاء "هل سمعت الأغنية؟.. من أجلك دفعنا الكثير ... الكثيير ..فأرجو مراعاة ذلك فأنا انتظر المقابل بصراحة "

تطلعت في وجهه باستنكار فمنحها ابتسامة وسيمة .. بل هو كله كان وسيما رجوليا يفتح الشهية على الحياة وقال غامزا" وأول ما انتظره محبسي يا سارقة المحابس "

كانت نصرة تبكي وبدأ هلال يشاركها البكاء مع الرقص .. عيناهما في تلاقى تتحدث من خلف الدموع.. جبر الله بخاطرنا.. أكرمنا في الغالية إسراء .. عوض صبرنا وصبرها .. رفع رأسنا ورأسها .. ونصرنا على من أذانا ..

خدناها بالملايين

وأهلها ما كانوش راضيين

وعلشانها بعنا الفدادين

الحلوة اللي كسبناها

توقف هلال فجأة وأخذ رأس نصرة رفيقة العمر وحبيبة القلب بين يديه وقبل جبينها بتأثر .. فالعوض بعد شقاء طويل يكون وفيرا ..جابرا للقلوب.

xxxx

تطلعت بسمة للمرة العاشرة في هاتفها خلال العشر دقائق الماضية .. لقد أخبرها شامل أن كامل اتصل به يخبره بأنه سيتصل بها حتى تتلقى المكالمة بعيدا عن أمه.. فأسرعت بالهرولة إلى جناحها وها هي في انتظار اتصاله ..في انتظار أن تروي اشتياقها له ولو بصوته..

ومض قلبها مع وميض الهاتف وأسرعت بالرد وهي لا تعرف هل رن أم لا فضربات قلبها كانت عالية جدا .. فهمست بحشرجة ترد على الرقم غير المسجل "آلو"

"باسمة"

جاءها صوته أجشا خافتا ..وأتاها اسمها منطوقا بطريقته التي لا تشبه أحدا فانفجرت ضرباتها كالمفرقعات النارية وقالت بصوت مرتعش "كامل ..اشتقت إليك يا كامل"

لم تستطع التماسك .. فأخذت تبكي رغما عنها فانتحى كامل جانبا يولي ظهره لعنبر المساجين المزدحم خلفه وحشر جسده في ركن ضيق حتى كاد أن يلتصق بالحائط وهو يهمس "لا تبكي بالله عليكِ.. فأنا غير قادر على تحمل المزيد"

سألته "رقم من هذا؟"

رد بخفوت "هاتف أحدهم يخفيه عن العيون ويؤجره لمن يرغب"

سألته عاتبة" لماذا لم تطمئنني عليك قبل ذلك ...والله يا كامل كنت أموت ببطء لكني لم أسمح لنفسي بالانهيار حتى لا يخفوا عني أي خبر يتعلق بك"

أجابها كامل موضحا" قضيت أياما صعبة ولم يكن معي أية نقود وانتظرت حتى استطاع مفرح ادخال نقود لي حين وصلت إلى هنا"

بكت بخفوت فقال كامل "لا أعلم إن كنت بقرار تسليم نفسي للشرطة قد ظلمتك معي أم لا ..لكني لم أقبل على نفسي أن أكون جبانا بهروبي فسامحيني"

"كامل"

"روح كامل"

قالت باكية " أنا أيضا لا أعرف إن كان إخبارك بأمر معين في هذا التوقيت تصرف جيد أم لا لكني غير قادرة على الصبر والانتظار فسامحني..."

سألها بقلق " ماذا حدث يا باسمة؟"

"أنا حامل"

اتسعت عيناه وهتف " ها ؟... ماذا قلت؟؟؟"

"حامل"

توقف المهرجان الصاخب في صدره وسألها بصوت مرتعش "أتقولين الصدق يا باسمة؟"

قالت مؤكدة " أجل ذهبت للطبيبة فطمأنتني ... تقول بأني في الأسبوع التاسع ..أي بدأت في الشهر الثالث ..هل تصدق"

دارت عيناه لتختلسا نظرة سريعة خلفه ثم عاد يدفن وجهه في الحائط وانعقد لسانه .. يحاول ألا يقفز فرحا ..فترك مهمة القفز لقلبه الذي عاد لصخبه وأبعد الهاتف لثوان عن أذنه وتغضنت ملامحه ثم ترقرقت الدموع في عينيه .. فاستند بجبينه على الحائط وهمس" يا الهي لا أصدق بأني سأكون أبا .. أنت تحملين طفلي ..تحملين طفل كامل وبسمة"

ابتسمت تقول " أنا أيضا لازلت في مرحلة الصدمة"

كان الخبر أكبر من استيعابه أو ربما الظرف النفسي وتلك الضغوط التي يرزح تحتها كانت أقوى من تحمله.. فأحس بأنه على وشك البكاء خاصة وهو يتصور أنه قد لا يحضر لحظة

ولادة ابنه فقال بصوت متهدج" عليّ أن أغلق الخط ..سأتصل بك متى سنحت الفرصة ..مبارك يا بسمتي ..وشكرا على منحي هذه الهدية"

ردت بسمة " الشكر لله وحده ..أراد أن يخفف عنا أنا وأنت المحنة"

همهم والبكاء يلح عليه بشكل غريب "سأتصل بك مرة أخرى .. أحبك.. سلام"

حين أغلق الخط سحب نفسا عميقا وأخرجه ببطء يغالب البكاء ومسح عينيه برجولة واستدار بعينين حمراوين يعطي الهاتف لصاحبه بينما قال له أحد المساجين وهو يمضغ الطعام "بصراحة يا شيف كامل طعام مطعكم رائع"

أيده الباقون المتجمعون حول أطباق الطعام التي أرسلها شامل له فهز كامل رأسه ..ليسأله

أحدهم "ما بك؟.. هل كنت تبكي ؟..هل حدث شيء؟"
تخلى عن تحفظه وصمته المعهودين وكأنه أراد أن يعلن الخبر بمكبر صوت ورد بحشرجة خافتة مصدومة "زوجتي حامل وسأصبح أبا"

xxxx

بعد يومين
صباحا
كان ياما كان
كان في عصفور
قلبه صغير
ريشه قصير
كان بيرفرف برة السور
كان انسان من طين من نور

دندن إياد الأغنية بصوت خافت مسموع من جلسته في المقعد الخلفي للسيارة بجوار أخيه

فبلعت مليكة الجالسة في المقعد الأمامي ريقها بصعوبة وشاركته في الدندنة بشجن ..فناظرها مفرح الجالس خلف عجلة القيادة وأخبر نفسه أن عليه أن يلفت نظر ولديه بما تحمل هذه الأغنية من ذكرى لمليكة ..فيبدو أنهما يرددانها لأنها تحبها دون أن يربطا معانيها بها ..

ونظر في المرآة الأمامية وقال لابنه " ارحمنا من غنائك"

هتف إياد بعبوس وهو يبعد سماعة الهاتف عن أذنيه" ألا يحق لي أن أغني!!"

غمغم مفرح" لا .. لا يحق لك أن تغني في حضوري"

تدخل أدهم قائلا" ولا في حضوري ..بالله عليك أخبره يا أبي .. إنه يصيب رأسي بالصداع"

لوى إياد شفتيه يناظر أخاه باستياء بينما ضغط مفرح على مشغل الأغاني يقول" فلنسمع أغنية أفضل"

صدح صوت كاظم الساهر:
سلام على جسد كالخرافة
يفتح كالورد أجفانه
ويختار عني فطور الصباح
وأشعر أن السرير يسافر فوق الغمام
اتسعت عينا مليكة وناظرته بنظره موبخة بينما تخشب الأخير لثوان يطالع ولداه عبر المرآة بحرج.
سلام على الخصر يخطر بالبال مثل المنام
سلام على قمرين يدوران حول ..
أغلق الأغنية بسرعة وأشاح بوجهه نحو نافذته وكذلك فعلت مليكة بوجنتين حمراوين ليقول إياد معترضا" لماذا أغلقتها يا أبي!"
غمغم مفرح يناظره في المرآة "غيرت رأيي لقد اقتربنا من القرية"

سأل إياد مستهبلا وهو يتبادل النظرات الشقية مع أدهم الذي يخفي شقاوته خلف هدوءه" ما اسمها هذه الأغنية إنها تبدو قليلة الأدب"

أطبق مفرح شفتيه بقوة حتى لا ينفجر في الضحك بينما عبست مليكة وأدارت وجهها لابنها تقول" ولماذا تسأل عنها مادامت قليلة الأدب يا إياد؟"

تبادل النظرات مع أخيه الذي احمرت وجنتاه ثم عاد ينظر لمليكة قائلا بابتسامة خبيثة" حتى أتجنب سماعها إن وجدتها أمامي "

أشاح مفرح بوجهه للنافذة بجواره ومسد عدة مرات على لحيته يكتم الضحك فحركت مليكة أنظارها بين ثلاثتهم وعادت تنظر أمامها بامتعاض ليقول إياد لأخيه " هل ذكر خصرها؟"

هز أدهم رأسه ورد" أعتقد ذلك"

فقال إياد وهو يتطلع في النافذة جواره و يلملم ابتسامة وقحة من فوق شفتيه " تؤتؤتؤ عيب هذا الكلام والله "

ناظرت مليكة مفرح الذي يزم شفتيه حتى لا يضحك وأمسكت بالهاتف تكتب له على الواتساب" هل تضحك يا مفرح.. إنه لا يزال صغيرا على هذا الكلام"

التقط هاتفه وقرأ رسالتها ثم كتب" ليس صغيرا ولا شيء فهو على أعتاب مرحلة البلوغ"

كتبت "تعجبك أنت الوقاحة"

"أعشقها وأنت تعرفين ذلك جيدا"

قرأت ما كتب بعبوس ثم رفعت أنظارها إليه فغمز لها .

احمر وجهها واشاحته بعيدا تتطلع في النافذة فأرسل لها رسالة أخرى يسأل "ما أخبار مستوى الشوق عندك ؟..نريد أن نختبره تحت سقف سرايتكم الليلة"

نظرت للهاتف تتطلع فيه وازداد اشتعال وجهها ولم ترد عليه.

بعد قليل دخلت السيارة في القرية فشعرت مليكة بشعور مقبض وذكريات كثيرة تتصارع للانفجار في وجهها .. ذكريات قديمة وأخرى حديثة .. لكنها فعلت ما وعدت نفسها به .. بألا تترك لتلك الذكريات الفرصة لأن تكسر ما رممته في نفسها ..

حين وقفت سيارة مفرح في حديقة السرايا كان عبد الغني صوالحة يقف أمام الباب في استقبالها ومعه أخويها وزوجتيهما فتأثرت مليكة بهذا الاحتفاء وترجلت مسرعة ترتمي في حضن والدها الذي غمغم" مبارك لك على الحمل يا بنيتي لقد جبر الله بخاطرك " قالت مليكة" لا حرمني الله منك يا حبيبي"

تكلم مفرح بعد أن سلم هو وولديه على الواقفين سأوصل الولدين عند جدهما عبد الرحيم ليقضيا اليوم معه وأنا عندي مشوار هام لابد أن الحق به وبعدها سنعود ثلاثتنا إليكم في المساء"

قال عبد الغني لا تتأخروا يا مفرح فأكرم وعمار وأسرتيهما سيحضرون في المساء (وربت على ذراع مليكة التي تنام رأسها على صدره وأضاف) نريد أن نجتمع ونحتفل"

قال مفرح "إن شاء الله (ثم طلب من ولديه أن يعودا للسيارة قائلا وهو ينظر في ساعته) هيا لا أريد أن أتأخر عن موعدي"

عاد الولدان للسيارة على مضض بينما سأله بشر "هل أنت ذاهب لزيارة صاحبك كما سبق وأن أخبرتني؟"

هز مفرح رأسه يجيب" أجل .. أخيرا حصلنا على إذن بزيارته"

غمغم بشر بتعاطف" يسر الله له كل عسير"
تكلم مفرح وهو يخطو للخلف "يا رب ..
دعواتكم جميعا أن يظهر الله براءته ويرده إلى
أهله سالما"

xxxx

قالت أم هاشم وهي تقف أمام شقتها" لماذا لا
تدخلان قليلا يا نصرة لا يصح أن تقفا على
الباب هكذا؟"
ردت الأخيرة "لا لا ..جئنا فقط لنضع بعض
الأشياء بالشقة حتى لا ننساها .. والله فوق
رأسي آلاف الأشياء"
غمغمت أم هاشم "سامحيني كان لابد أن أكون
معك لكني أنتظر أن يعود وجهي لطبيعته"
غمغمت نصرة وهي تدقق في وجهها" الحمد لله
لم يبق إلا أثرا بسيطا وستحضرين حفل الزفاف
في أحسن هيئة إن شاء الله .."
قالت نجف بإصرار "ادخلا لتشربا الشاي حتى"

ردت نصرة "والله صعب أمامنا الكثير .. و لا أنا ولا إسراء ننام حتى نجهزها (وأمسكت بطرف وشاحها تضعه على فمها وهي تضيف) حتى أنني قلت لإسراء ستزفين من هنا ..وتسقطين نائمة بعدها وسيخنقك زين"

اشتعل وجه إسراء وقالت لامها بتوبيخ" أمي ارحميني"

غمغمت نصرة بلهجة شقية" ماذا قلت غير أن نحذر الشاب حتى لا يعقد أمالا على ليلة الزفاف "

ضحكت نجف وأم هاشم فسألت نصرة" هل خرج زين؟"

ردت نجف "نعم خرج مع جابر في الصباح ..ولم ينم هو الأخر فهو يبيت عندنا في غرفة الضيوف منذ أن وضع الأثاث بالشقة

..وشعرت به مستيقظا طوال الليل .. كان هناك شيئا يخص العمل يعده كما فهمت منه"

قالت إسراء لأمها وهي تصعد ببعض الأكياس"
سأضع هذه في الشقة بسرعة وأنزل"
هزت نصرة رأسها وعادت لمحدثتيها ..

فتحت إسراء باب الشقة تبسمل وخلعت
حذائها على الباب ثم دخلت تضع الأكياس
فخرج زين بهدوء من إحدى الغرف حين مرت
من أمامها.
استدارت إسراء مجفلة وكادت أن تطلق صرخة
مفزوعة لكنه أسرع بإغلاق فمها بكفه قائلا
بهمس "اششششش إنه أنا"
لم تعرف هل عليها أن تطمئن أم تتوتر فقالت
بلجلجة حين رفع كفه عن فمها "زززين ماذا
تفعل هنا؟"
رد بشقاوة" أنتظرك بالطبع ..فمنذ أن قلت
ليلة أمس أنك ستمرين في الصباح لتضعي
بعض الأشياء في الشقة وأنا أخطط كيف

سأصعد دون أن يلاحظ أحد .. أنا هنا انتظرك منذ ساعتين"
اشتعل وجهها وقالت وهي تعود خطوتين للخلف "ولماذا تنتظرني ..ماذا تريد؟ .."
تحرك نحوها فرفعت أصبعها تقول محذرة "زين وجودك هنا خطأ كبير ..وإن لمحنا أحد.."
قطعت حديثها وأطلقت صرخة قصيرة حين لف ذراعه حول خصرها بتملك وألصقها بصدره فهتفت "زين!"
قال هامسا وهو يتطلع في وجهها" إن كنت لا تريدين أن يرانا أحد اخفضي صوتك"
قالها بصوت مرتجف كجسدها الذي يختض أمام صدره ثم مال يحضنها بقوة قائلا "لست قادرا على الصبر على الأيام المتبقية يا إسراء "

كادت أن تبكي من الارتباك والخجل فغمغم زين وكفه تتحسس ظهرها برفق " لا تخافي من أي شيء أبدا وأنا موجود على قيد الحياة"
قالت بترج خافت" أمي قد تصعد في أي لحظة"
أبعد وجهها بكفه فظنت أنه سيطلق سراحها لكنه تطلع مليا في وجهها وجفنيها المسبلين ثم مال بوجهه وأطبق على شفتيها.. فسقط قلب اسراء بين قدميها وتقبضت إلى جانبيها مستسلمة لتلك المشاعر التي أخذت تتصارع مع قلقها وتوترها لتكون لها الغلبة بينما استمر زين في ارتشاف الشهد من شفتيها رويدا رويدا من أجلها ومن أجله حتى لا تنفلت أعصابه بلا رجعة ..
أطلق سراح شفتيها وأبعدها بعد برهة ثم حضنها بقوة يقاوم الرغبة المحترقة في أعصابه للحصول على المزيد بينما أحست إسراء بالشلل التام ..لم تكن قادرة حتى على رفع يديها

المتقبضتين بجانبها وابعاده ..وهذا أغضبها من نفسها فغمغمت بعبارات مترجية لكنها غير مفهومة فاشفق عليها وأبعدها عنه يقول لاهثا بانفعال "حسنا ..نكتفي بهذا القدر من أجل خاطر هاتين الكمونيتين اللتين لا تريدان التطلع في وجهي"

بوجه مشتعل وقلب يرتج بقوة وبنفس النظرات المسبلة الخجول استجمعت إسراء أعصابها للابتعاد مغادرة بخطوات واسعة مبتعدة عن حضنه الدافئ ذو الرائحة العطرة ..بينما ألقى زين بنفسه أرضا واضعا يده على صدره ومغمغما "فليحضر أحدكم المطافئ هناك من يشتعل ذاتيا هنا.."

راقبت أنظار أم هاشم إسراء وهي تنزل مسرعة وعبست حين أحست بارتباكها وارتعاش يدها التي تعدل بها وشاحها بينما هربت أنظار إسراء

من الجميع وغمغمت بارتباك وهي تتحرك مغادرة "هيا يا أمي حتى لا نتأخر على ما ينتظرنا"
قالت نصرة "حاضر "
ثم ألقت التحية على أم هاشم ونجف وغادرت.

دخلت نجف البيت بينما ظلت أم هاشم واقفة تتطلع في أعلى السلم المؤدي لشقة الدور الثاني بعبوس ..فقالت نجف "ماذا تفعلين عندك يا أم هاشم تعالي لنكتب بقية الطلبات التي سنطلبها من الجزار لنضعها في ثلاجة العريس"
ردت أم هاشم بصوت عال "آتية حالا يا خالتي"
وأغلقت الباب بصوت عال.

في الشارع قالت نصرة لاهثة" لماذا تسرعين الخطى هكذا؟.. ما بك؟"
غمغمت الأخيرة ولأول مرة تخفي عن أمها شيئا" لا شيء لا شيء فكما تعلمين أمامنا الكثير من العمل"
صفر الهاتف في جيبها فأخرجته لتقرأ رسالة زين" شهد.. شفتاك تقطران شهدا"
ازداد ارتجاف جسدها وقلبها يدق بعنف في صدرها فوصلتها رسالة أخرى " المرة القادمة لن يوقفني مخلوق عن ارتشاف الشهد كله"
ورسالة ثالثة" لقد أنسيتني السبب الرئيسي الذي جعلني أقوم بهذه الخطة من الأساس ألا وهو رؤية شعرك ما دمت لا زلت تعاقبيني على خلع المحبس ولا تريدين إرسال صورة لي بدون حجاب"

ورسالة رابعة" ما رأيك أن تتحججي بأي شيء وتعودي للشقة وأعدك أن أرى شعرك فقط" (وجه يغمز)

زفرت إسراء تشعر بالغيظ من نفسها لاستسلامها له بهذا الشكل المخزي إنها لم تبد حتى تمنعا تحفظ به ماء وجهها وسمعت صوت رسالة خامسة ففتحتها "أبلة سراء هل ستأتين؟"

فجزت على أسنانها وأسرعت بإغلاق الهاتف تماما.

بعد قليل كانت أم هاشم تنظر من شق باب الشقة الموارب حتى لمحت زين ينزل بخطوات خفيفة سريعة من الشقة ويغادر بيت دبور فضحكت في سرها بينما قالت نجف" ماذا تفعلين عندك يا أم هاشم؟"

أغلقت الأخيرة الباب قائلة بابتسامة" ها؟ .. لا شيء ظننت أن هناك من يطرق على الباب .. لكنني وجدت قطا شقيا ماكرا أسرع بالهرب"

××××

دخل كامل وعيناه مسلطتان على توأمه فتطلع ضابط السجن عابسا في التوأمين المتطابقين وقال "تعال يا كامل لديك زيارة (ثم استقام واقفا يترك مكتبه وهو يقول) سأترككم معا لبعض الوقت (ونظر لمفرح يسلم عليه) شرفتنا يا باشمهندس مفرح .. بلغ سلامي للعميد أبو المعاطي"

سلم عليه الأخير ممتنا فتوجه الضابط يقول هامسا للعسكري الذي أحضر كامل ويقف عند الباب "فتح عينيك على المسجون ولا تغفل ثانية واحدة ..واحفظ ما يلبسه جيدا وما يلبسه توأمه ولا تسمح لهما بالتقارب"

هز العسكري رأسه ووقف يتطلع في الثلاثة أمامه بتركيز شديد بينما قال شامل وهو يضرب على ذراع كامل بخشونة " اشتقت إليك أيها المتطفل على حياتي"

ابتسم كامل وقال بحماس "أرني إياه أريد أن أرى صورته"

عقد مفرح حاجبيه متسائلا وراقب شامل يعطي هاتفه لكامل فتطلع الأخير في صورة آسر باتساع عينيه وقال" يا الهي إنه صغير جدا ما هذا الإنتاج الضعيف يا شامل .. لم يعجبني أداءك "

قال شامل بفخر أبوي "لكنه مكافح هذا الولد ..أشعر بأنه قد ورث هذه الصفة من أمه"

رفع كامل رأسه يسأله" و كيف حالها؟"

أجابه شامل "تأكل في نفسها كل يوم لأنها لا تستطيع العودة به للبيت .. بالمناسبة لم

نخبرها بموضوع سجنك أشعر بأن هذا الخبر سيزيد من تأثرها بالأحداث "

ابتسم كامل ابتسامة ضعيفة وعاد يدقق في الصورة فقال مفرح" مبارك لك على حمل بسمة"

رفع له كامل عينين متأثرتين وقال "تأتيني لحظات أشعر فيها بأني أهلوس .. كما أهلوس بحقيقة وجودي داخل جدران هذا السجن "

ابتسم مفرح بتعاطف وقال وهو يربت على كتفه "ربك كريم ..أنا أيضا أنتظر طفلا ثالثا"

اتسعت عينا كامل ليقول مفرح بابتسامة واسعة" ألا تدعو هذه الأخبار الحلوة للتفاؤل؟"

أطرق كامل برأسه ووضع الهاتف على الطاولة أمامه واجما فقال مفرح مشجعا" تماسك يا صديقي شدة وستزول بإذن الله"

رفع كامل له أنظاره وقال" من الجيد أنك استطعت الحصول على الزيارة ظننتهم سيوافقون لشامل فقط "

قال مفرح "لقد قمت باتصالاتي حتى أستطيع الحضور ..علينا أن نتحدث ونفند القضية"

قال كامل بيأس "المحامي زارني وتحدثنا ولا أعرف ماذا سنفعل"

قال شامل مطمئنا "أنا متفائل إن شاء الله فما قاله المحامي بعد الاطلاع على ملف القضية أن هناك ثغرات فيها سيعتمد عليها ..لكن الأمر يحتاج لبعض الوقت حتى يتم تحديد أول جلسة .. فأنت تعرف الإجراءات ..لكن مادام هناك أمل سنتشبث به ونتحلى بالصبر"

قال كامل بلهجة متأثرة " المهم أن أخرج قبل ولادة ابني .. كم أشعر بالحسرة والحزن أني لم أكن مع بسمة لحظة أن علمت بالخبر"

غمغم مفرح بغيظ وهو يعض على قبضته "ليتني قابلتك ذلك اليوم ولم أعتذر ..ليتنا شاهدنا المباراة سويا لكان المقهى كله شاهدا على تواجدك معي وقت حدوث الجريمة "
هز كامل رأسه موافقا قبل أن يرفعها لمفرح جاحظ العينين هاتفا" ماذا قلت ؟؟...يوم المباراة؟؟!!!"
هز مفرح رأسه فسأله كامل" هل كانت المباراة في الثالث من ديسمبر أم في الرابع منه؟"
رد مفرح" في الثالث يا بني آدم"
انتفض كامل واقفا وسقط قلبه بين قدميه في نفس اللحظة وهو يقول صائحا "تأكد من فضلك ..أنا كنت أظنها يوم الرابع من ديسمبر وأننا غادرنا القرية صباح اليوم التالي"
أخرج مفرح هاتفه من جيبه يقول بعبوس "لماذا ستجعلني أشك في نفسي "

وكتب على محرك البحث اسم المباراة بينما قال شامل مؤكدا وهو يتطلع في وجه توأمه ويحاول قراءة أفكاره " في الثالث من ديسمبر يا كامل .. نفس اليوم الذي كنت اتصل فيه بك طوال الليل أتذكر؟"

مال كامل يمسك بكتفي أخيه قائلا بعينين متسعتين" هذا اليوم أنا لم أكن بالبيت .. هذا اليوم ذهبت للعاصمة"

"ها !!!!"

قالها شامل بصدمة وهو يستقيم واقفا بينما جحظت عينا مفرح وسأله "كيف هذا؟"

قال كامل بعينين متسعتين وهو يمسك برأسه غير مصدق لما اكتشفه للتو" أقول أني لم أشاهد المباراة ..ذهبت للعاصمة وعدت"

هتف شامل قائلا وضربات قلبه تنافس قلب أخيه كسباق العدو في الماراثون "أين كنت ؟..تكلم بسرعة"

ناظره كامل وعلامات الاحباط تعود لتحتل وجهه "كنت عند شخص لا أتوقع بأنه قد يشهد بأني كنت معه .. كنت عند سيد صبرة"

xxxx

الثالث من ديسمبر ليلة الحادث
الثامنة والنصف مساء

قال كامل في الهاتف ساخرا "وأخذت تشدد عليّ ..(سنجتمع قبل المباراة بساعات يا كامل لنتعشى ونعيد الأمجاد) .. (علينا أيضا أن نلتقط لنفسنا الصور ونرسل الصورة لشامل الذي لا يكف عن إرسال الصور لك وإغاظته وربما لعبنا في الصور وأضفنا فتاتين جميلتين بجوارنا للتمادي في إغاظته) .. (كف عن كآبتك يا كامل وقابلني مبكرا وسأعشيك في أفخم مطعم في المحافظة كلها) .. وها أنا قد غادرت

البيت ومستعد للوليمة الضخمة لتفاجئني سيادتك باعتذارك عن الحضور"
جاءه صوت مفرح يقول بأسف شديد" أعتذر بشدة يا كامل ..صدقني أشعر بالغيظ بسبب السهرة التي فسدت .. أنا هنا منذ العصر أصالح تاجرين مهمين أتعامل معهما ..ولم أتوقع أن يمتد الموضوع ويطول.. المشكلة أني غير قادر على تركهما والانسحاب في نصف الجلسة ..لابد أن أبقى حتى تحل المشكلة ..حتى المباراة يبدو أني لن ألحق بها ..عموما أنا سأعطيك عنوان المقهى أنا حجزت لنا طاولة هناك اسبقني و...."
قاطعه كامل باقتضاب " لا لن اذهب لأي مكان"
قال مفرح يحاول إقناعه " اسمعني يا كامل لا يزال هناك ساعتين ونصف على موعد المباراة ربما لحقت بك في الشوط الثاني"

قال كامل بلهجة مكتئبة وهو يوقف سيارته عند أول القرية قبل أن يغادرها" لا أريد ..لست في مزاج للخروج من البيت من الأساس ..أخبرتك بهذا منذ الصباح لكنك أصريت على أن نتقابل ..سأعود وأشاهد المباراة على الانترنت مع بسمة"

غمغم مفرح بإحباط "حسنا كما تريد (ثم سأله) هل ستغادر صباح الغد؟"

"أجل إن شاء الله"

قال مفرح " حسنا سأتصل بك حين أكون في العاصمة.. سلام "

أغلق كامل الخط وهم بتشغيل السيارة للعودة لكنه تذكر بأن مهجة ستزور بسمة كما تواعدتا أن تقضيا السهرة معا وربما تكون قد حضرت بالفعل فأحس بالحرج من العودة ومهجة موجودة وحتى لو لم تصل بعد سيكون الوضع

محرجا مع وليد وقد يضطر للخروج معه لأحد المقاهي لمشاهدة المباراة وهو ليس في مزاج جيد للتحدث مع أحد فلا يزال قلبه يحترق بسبب ما حدث الليلة قبل الماضية .. لا يزال غاضبا وغير قادر على تمرير الأمر.. ولولا ما حدث ليلتها وانهيار بسمة لكان قد ذهب لسيد هذا وأوسعه ضربا حتى يمنعه من الاجتماع ببسمة مستقبلا ..

إنه يحاول التعامل مع غضبه ويحاول إخماد نار غيرته لكن تلك العبارات الجارحة لا تزال تستفزه من آن لآخر .. تأجج غيرته .. تجرح كبريائه ولا يستطيع تحمل فكرة أن سيد هذا قابلها ونظر إليها بعينيه واستعاد علاقته بها .. فليصفوه بالمبالغ .. فليصفوه بالمعقد ..فليصفوه بالمجنون لكن أمر زواجها السابق لا يزال يجرحه بشدة .

زفر بقوة واحتار أين يذهب ليقضي تلك الساعات؟.. هل يتصل بمفرح حتى يعرف منه عنوان المقهى؟.. أم يتوجه هو لمركز المحافظة ويبحث بنفسه عن أي مقهى يقضي فيه وقته؟ ..

أسند رأسه للخلف وأغمض عينيه مجهدا يشعر بأن انفعاله المكبوت قد يصيبه بجلطة أو ربما رفع مستوى السكر في دمه مثل شامل ..

عادت تلك الصورة تلح على رأسه من جديد والتعليقات الوقحة تجرح كبريائه فالتقط الهاتف يدخل على فيسبوك ويبحث عن صفحة القناة كما يفعل كل يوم.. ورغم أن الصورة حذفت ليلتها .. لكنه بات يتابع ألبوم الصور الخاص بالحفل والذي يضاف إليه صورا جديدة كل يوم خشية من أن يكون هناك المزيد من الصور لبسمة حتى لو كانت وحدها

فقد طلب شامل منهم عدم نشر أي شيء يخصها ..
لم يجد شيئا في الصور المضافة جديدا ..فنظر في التعليقات الخاصة بذلك المنشور الذي كتبته القناة تعتذر فيه عن تعليق كتب من قبل مسؤول الصفحة كان قد نزل على إحدى صور الحفل واكد المنشور أن ما حدث كان خطأ وأن سيد صبرة لا يزال متزوجا من مذيعة الراديو آية سماحة ..
راقب التعليقات ليتأكد من خلوها من أي اساءة فلفت نظره سؤال من سيدة تقول(ما الذي يحدث؟) فتبرعت أخرى بقص عليها ما حدث وأضافت (ولقد أكد الملحن سيد صبرة أنه يكن كل احترام لطليقته) ووضعت رابط لصفحة سيد صبرة.
عبس كامل وضغط على الرابط ليجد صفحة باسم وصورة سيد صبرة عليها منشور يتحدث

فيه قائلا (الأخبار التي تتحدث عن انفصالي عن زوجتي آية سماحة غير صحيحة وتلك الصورة التي التقطت لي مع السيدة بسمة الوديدي كانت صورة في حفل جماعي لإحدى القنوات .. والتقطت لنا سويا في مكان عام .. لقد انفصلنا باتفاق الطرفين في العام الماضي ..واتفقنا على أن نبقى أصدقاء.. وزوجتي الحالية تتفهم علاقتي ببسمة بكل رقي ..لذا أرجو أن تتوقفوا عن نشر الشائعات عن طلاقي لآية وتتفهموا علاقتي الراقية بالسيدة بسمة)

جحظت عينا كامل وشبت النار في رأسه يتطلع في تعليقات المنشور الكثيرة والتي كان من بينها تعليق يقول ساخرا (ما هذه المرونة في التعامل؟! زوجتك تحترم علاقتك بطليقتك!!!)

وتعليق أخر" له كل الحق يا جماعة أن يُبقي على علاقتهما فمن رأى صورتها سيفهم أن هذه لا يمكن قطع علاقته بها أبدا " (وجه يغمز)

ألقى كامل بالهاتف بجواره وهو يلقي بسبة وقحة وشغل سيارته متوجها دون تردد نحو العاصمة والدم يغلي في رأسه .. ينوي أن يلقن هذا الرجل درسا لن ينساه ..

بعد ساعتين

بعد قيادة متهورة على الطريق متخطيا كل تعليمات السرعة دخل كامل بسيارته الضخمة إلى حي سماحة .. لقد كان يعرف المنطقة كمعلومة سابقة لكنه لم يكن يعلم أين يقع الحي بالضبط وهذا ما سأل عنه وعن سيد صبرة حتى وصل لذلك المقهى التي قيل له بأنه صاحبه.

لقد فكر بالاستعانة برامز لكنه لم يرغب في أن يدخل أحدا بينه وبين سيد.. كان يريده هو .. يريد أن ينفرد به ..ولم يرغب في أن يتحدث عن زوجته أمام شخص ثالث ..

ركن السيارة تحت إحدى البنايات الملاصقة للمقهى وترجل منها وهو يرى المقهى مزدحما بالناس المنتظرين بدء المباراة فأقترب يسأل أحد الجالسين عن سيد..

أشار له الرجل على سلم وهو يجيب" في مكانه بالطابق الأعلى (ونادى بصوت عال) يا طأطأ الأستاذ يسأل عن سيد باشا"

ضاع صوت الرجل بين صوت التلفاز وأصوات الحاضرين العالية بينما لم ينتظر كامل وتحرك مدفوعا بالنار التي تحرق أعصابه ليصعد السلم .

في غرفة علوية سمع كامل سيد يقول بغيظ" يا لتلكؤك يا وائل ..المباراة ستبدأ يا بني أدم ولم يأت أحد منكم حتى الآن .. (وصمت قليلا ثم قال) الكل على وشك الوصول عدا رامز فلا يزال متوعكا وأعتذر عن الحضور"

ظهر كامل أمام سيد يصعد السلم فاتسعت عينا الأخير متفاجئا وقال بسرعة "اذهب الآن يا وائل (وسأل كامل بهدوء) ما الذي أتى بك إلى هنا؟"

وقف يتطلع فيه متحفزا.. وكذلك فعل كامل ..تطلع فيه هو الأخر لثانية ثم انفجر كل شيء بداخله بعدها ..

تضخم الغضب .. تضخم كغول شديد التوحش تغذيه غيرة مجنونة وعشق وافتتان .. وتصب عليه كرامته وكبريائه الوقود .. فتأجج.. أفلتت أعصابه.. جن .

إن هذا هو آخر إنسان على وجه الأرض كان يرغب في مقابلته .. فليقولوا ما يريدون ..فلن يهم ولن يفيد .. إنه يغار عليها منه .. يغار ولا يحتمل سيرته..

ظل سيد صامتا وقد فهم بأن كامل ينوي على الشر ..بينما الأخر يقترب منه بعينين يعربد فيهما الجنون ..كانا مماثلان لبعضهما في الطول ..ضخمان ..لكن الكتلة العضلية لسيد كانت الأكثر ..والجنون عند كامل كان الأكبر.

تكلم سيد قائلا "إن كنت هنا بشأن تلك الصورة فقد حُذفت وتم نشر تكذيبا"

انقض عليه كامل يمسك بتلابيبه صارخا "أنا هنا لأضع حدا لوقاحتك.. لأخبرك بأن الاقتراب من بسمة يعني هلاكك"

نفض سيد عنه يد كامل قائلا بلهجة قاطعة " أنا لم أتجاوز حدودي تجاه بسمة ف..."

صاح كامل بجنون وهو يوجه لكمة إلى وجه سيد تفاداها الأخير"لا تنطق باسمها .. هل سمعت؟.. اسمها لا يلفظه لسانك"

دفعه سيد للخلف مدافعا عن نفسه وهو يقول بلهجة منزعجة "إن كنت قد جئت لتتواقح على سيد صبرة فأعلم بأنك لن تعود إلى بيتكم سليما"

عاد كامل إليه وأمسك بكتف قميصه يقول بتحدٍ " إن كنت تريد أن تجرب من منا سيكسر عظام الأخر فليس عندي أي مانع"

أدرك سيد أنه في حالة من الجنون ..ورغم استيائه من جرأته ووقاحته بتهديده لكن كان يتفهم حالته بل أن غضبه هذا أسعده.. فهو يؤمن بأنه بقدر الغيرة يكون الحب .. وهذا الذي يستعر في عيني هذا المجنون غيرة عاشق يفتقد للحكمة في تلجيم غضبه .. فاستغفر ربه ورفع سبابته يقول محذرا " اسمع ..أنا أحاول

أن أضبط أعصابي معك متفهما لموقفك (وأبعد يده عن ملابسه بخشونة مضيفا) لكن لا تتمادى.. دعنا نتحدث بهدوء وسأوضح لك كل شيء وأن الصورة..."

هدر كامل موضحا" أنا لا أتحدث عن تلك الزفت الصورة ..أنا أتحدث عن وقاحتك وأكاذيبك التي تنشرها على صفحتك بشأن زوجتي"

اتسعت عينا سيد ورد غاضبا بصوت جهوري "عن أي شيء تتحدث أنا لا أفهم شيئا"

أخرج كامل هاتفه من جيبه وفتحه على الصفحة التي لا تزال مفتوحة كما هي منذ ثلاث ساعات ورفعه في وجه سيد حتى كاد أن يلصقه به هادرا "عما نشرته على صفحتك صباح اليوم ويخص زوجتي بسمة الوديدي"

أمسك سيد بالهاتف ينظر فيه مغمغما باستهجان" ولكن هذه ليست صفحتي"

صاح كامل فيه باستنكار "هل ستتصرف كالجبان الآن وتنكر!"
ألقى سيد بالهاتف على المقعد بجواره قائلا بتحذير وقد بدأ ينفد صبره "أنا لست جبانا ..فاحترس لما تتفوه به يا هذا .. هذه ليست صفحتي وسأتصرف حيال هذا الأمر"
لم يكن كامل في حاله تسمح له بالفهم.. كان جسده ينتفض من العصبية والدم يسري في أعصابه كماء النار.. وتماسُك سيد وتعقله باكتفائه بالدفاع فقط دون الهجوم استفزه .. أشعره بأنه يستهين به فصاح مهددا وهو يدفعه في كتفه "لا يهمني كل ما تقوله من ترهات (ثم أمسك بتلابيبه يهزه وهو يحدق في عينيه قائلا بشراسة) إياك والاقتراب من بسمة الوديدي .. هل سمعت؟.. بسمة الوديدي زوجتي أنا ..زوجة كامل نخلة ..إن رأيتها في

مكان تدير وجهك للناحية الأخرى ..لسانك لا ينطق باسمها ..وإلا قسما بالله سأريك..."
نفد صبر سيد فدفعه دفعة قوية للخلف وهو يصيح بصوت جهوري" أنا صابر عليك حتى الآن.. لكن قسما بربي إن لم تهدأ لنتحدث كعاقلين سأجعلك مسخرة الحي "
تعرقل كامل بالمقعد خلفه وفقد توازنه فكاد أن يسقط لكنه تمسك بمنضدة جانبية واستقام واقفا ثم التقط مطواة سيد التي كانت بجوار برتقالة نصف مقشرة في طبق من الفاكهة وأشهرها في وجه سيد وقد أضحى عبدا لشيطان الغضب فقال وهو يقترب منه بالمطواة والجنون يلمع في عينيه "من الذي ستجعله مسخرة ..أتظن لأنك في وسط جيرانك لن استطيع تلقينك درسا؟"
عقد وائل حاجبيه أسفل السلم وهو يسمع أصوات الشجار التي تأتي من الطابق العلوي

مختلطة بأصوات المباراة العالية خلفه والتي بدأت للتو فأدار وجهه لصاحبيه اللذين قابلاه قبل ثوان على باب المقهى ثم أسرع بالصعود

بينما ناظر سيد كامل بهدوء وقال بلهجة صادقة وقد أشفق عليه رغم أسلوبه المستفز

"يا أخي اهدأ وإلا ستخسر الكثير بسبب غضبك هذا"

استفزه سيد بهذا التعقل واستفزه أكثر حين أضاف "السيدة بسمة لم يعد يربط..."

اندفع مهاجما وهو يصيح " لا تتفوه باسمها .. ولا تدعوني بأخيك "

قالها كامل بجنون مستعر ثم تجمد بعد ذلك وهو يرى تألما على وجه سيد فأنزل نظراته ليجد سيد يمسك بجانبه والدماء تتفجر من تحت أصابعه .

نظر كامل بصدمة لطرف المطواة الملطخ بالدم بينما هتف وائل بجزع "سيد"

واقترب يدفع كامل بعيدا ويرفع قميص سيد الذي يجز على أسنانه متوجعا لفحصه.
دخل أحمد وعمرو وتفرقا على الفور الأول يمسك بكامل ويلصقه بالحائط والثاني يسرع نحو سيد بينما كامل لا يزال يحرك أنظاره الذاهلة من فوق كتف أحمد بين المطواة وسيد.
ماذا فعل؟ .. إلى أي مرحلة من الجنون وصل .. يكرهه؟ نعم .. يمقته؟ هذا أكيد .. وربما يتمنى أن يقتله لكن بقبضته كالرجال ..وليس بسلاح كالمجرم .. حتى فكرة القتل هذه اللحظة وهو يرى الدم على المطواة في يده والدماء التي يراها تخرج من جسد خصمه كانت صعبة على نفسه ..
قال سيد متوجعا" جرح سطحي يا شباب لا تفزعوا"

أيد وائل كلامه قائلا" أجل جرح سطحي لكن يحتاج لطبيب ليخيطه لك ويوقف النزيف"

نفض كامل عنه بعضا من الذهول وتحفزت ملامحه يناظر أحمد الذي قال غاضبا "ما الذي أتى بك إلى هنا؟ ..أنا سأحبسك ..اتصل بالشرطة يا عمرو"

وقف عمرو مشغولا بمتابعة جرح سيد بينما تدخل الأخير يقول وهو يلتقط منشفة صغيرة أحضرها له وائل من الحمام وضغط بها على الجرح "اتركه يرحل يا أحمد"

انقلبت عينا كامل بينما تركه أحمد وسحب المطواة من يده وطواها وهو يقول بإصرار "لن يغادر قبل أن تأتي الشرطة"

دفعه كامل وقد تخلى عن جزء من صدمته وقال" استدع ما شئت هل تحسبني سأرتعب .. لست نادما "

قال أحمد بعصبية "أنت تحتاج لتأديب"
تدخل عمرو على الفور يمنع أحمد من التمادي
فوقف يفصل بجسده بينهما بينما هدر سيد في
كامل بمزاج عصبي متوجعا" قلت هيا غادر
المكان فورا ..والموضوع الذي جئت بشأنه
قلت لك بأني لم أحاول أن اتعدى حدودي مع
السيدة بـ .. السيدة زوجتك .. أما عن الصفحة
فهي مزيفة وسأتصرف في هذا الأمر"
نزلت أنظار كامل ليد سيد التي تحبس الدماء في
جنبه وتحير هل يغادر ويتركه أم يبقى فقال
أحمد باصرار وهو يحاول إبعاد عمرو عن
طريقه" وأنا قلت سأبلغ الشرطة لتقبض عليه"
تحرك وائل نحوه وقال بتوبيخ "قال لك اتركه
يا أحمد .. هيا لنأخذ سيد إلى الطبيب"
قال عمرو لكامل بهدوء حازم " هيا معي "
وقاده من ذراعه للخارج والأخر ينفض يده
بخشونة وهو يسير بجواره بعد أن التقط

هاتفه من فوق المقعد ثم سمع صوت أحمد المنفعل ووائل يمنعه.

نزل كامل للطابق الأرضي واخترق المقهى نحو الخارج تتطلع فيهم بعض العيون التي سمعت الصياح في الدور العلوي دون تبين لتفاصيله..

عند بوابة المقهى قال عمرو لكامل" اذهب في أمان الله"

العبارة هزت كامل ..فناظره عابسا فأضاف عمرو بلهجة صادقة " وانصحك أن تتق الله في غضبك ..فوالله أرى فيه هلاكك"

ازداد عبوس كامل وارتبكت دواخله ..فتحرك شاردا نحو سيارته ولا يزال ذهوله لما اقترفت يداه يسيطر عليه .. وتطلع في يده التي جرحت سيد بالمطواة .

اقترب رجل عجوز منه يقول غاضبا" لقد ركنت سيارتك مكان سيارتي واضطررتني لصفها بعيدا"

لم يرد كامل وإنما ضغط على مفتاح السيارة يهم بالركوب فقال الرجل "إلى أين أنت ذاهب ؟.. عليك بدفع ثمن ركن السيارة مكان سيارتي وتحت البناية التي أملكها"

استدار كامل إليه قائلا بعصبية" ابتعد عني أيها الرجل "

قال الأخر بإصرار " لن تغادر حتى تدفع ثمن الركنة تحت بنايتي ومكان سيارتي"

قال كامل والشياطين تتراقص أمامه وقد بدا له الرجل مختلا" عن أي ركنة تتحدث؟.. لم أتركها إلا ربع ساعة ..كما أنه شارع عام"

زفر عمرو الواقف عند المقهى واقترب يقول "اتركه بالله عليك يا عم برقوق "

قال الأخير لعمرو" ألا ترى أسلوبه المتعجرف"

فتح كامل الباب فأمسك به الأخير بعناد أخرج كامل عن السيطرة من جديد فصاح فيه" ابتعد عني حتى لا أؤذيك"

أطلت رؤوس بعض الجالسين في المقهى لتتابع ما يحدث بينما صرخ برقوق" لماذا تصرخ في وجهي من تعتقد نفسك "

أمسك عمرو ببرقوق يبعده في الوقت الذي لمح كامل سيد يخرج من المقهى مرتديا سترة جلدية مغلقة يده في جيبيها ويبدو أنه يضغط على الجرح بهذه الوضعية حتى لا يلفت انتباه أحد بينما الرجل الأشقر يسير بجواره وأحمد يسرع الخطى نحو سيارة قريبة يفتحها ليجلس سيد بصعوبة في المقعد الذي يجاور السائق واستقر ذلك الأشقر في المقعد الخلفي..

فلحق به الشاب الملتحي الذي كان يقف معه .. كما توجه ذلك العجوز إليهم يقول " إلى أين يا شباب ألن تشاهدوا المباراة ؟"

تحركت سيارة أحمد مغادرة .. وركب كامل سيارته وتحرك في الاتجاه المعاكس مبتعدا مارا بسيارة الشباب الأربعة.. فتبادل كامل وسيد النظرات الغاضبة قبل أن يتفرقا.

xxxx

الرابعة عصرا

الأمل يتضخم في الصدور.. يتشكل بقوة .. يَعِد .. ويمنح الفرصة للتمني ..فقاد شامل السيارة عائدا من زيارة كامل بعد أن فجر الأخير تلك المفاجأة التي لم يكن هو نفسه يعرفها .. ورغم ذهوله بتفاصيل ما حدث وتشكك كامل من موافقة سيد .. لكن شامل كان لديه أمل .. كان يشعر بأن الله لم يكشف هذا الأمر في هذا التوقيت من فراغ .. وشجعه مفرح حين أخبره بأنه لا يظن بأن سيد سيرفض المساعدة ..لهذا توجه على الفور إلى حي سماحة .. مستعدا لأن

يدفع عمره مقابل أن يقبل سيد بالشهادة مع كامل.

توقفت سيارة التوأمين الضخمة بالقرب من الحي فنظر رامز لشامل ثم اقترب وركب بجواره وسلم عليه قائلا " ماذا هناك ؟.. لماذا طلبت مني أن نتقابل في أقرب مكان للحي الذي أسكن فيه؟"

قال شامل وهو يسيطر على انفعالاته" رامز ..أريد أن أقابل سيد صبرة بشكل عاجل "

رفع رامز حاجبيه وقال باندهاش" سيد صبرة .. لماذا ؟"

قال شامل "ليس هناك وقت أرجوك "

قال رامز متعجبا "حسنا أنا لا أعرف إن كان موجودا الآن أم لا فقد عدت للتو من العمل ..لكن هيا بنا "

بعد دقائق

وقف وائل أمام سيد في وسط الشارع يديه في جيبي بنطاله يناظره بنظرة متعالية فلوى الثاني شفتيه وقال وهو يمسك بطرف السترة الشتوية التي يرتديها صاحبه " أنا لا أفهم هل تنوي الدخول في مسابقة للأناقة .. أم ماذا؟ .. لقد صار لديك هوسا باقتناء الملابس يا وائل " بنظرة متسلية من عينيه الزرقاوين رمقه وائل ثم قال وهو يعدل من سترته بخيلاء" يا حبيبي طوال عمري وأنا ملك الأناقة .. كما أنني معتاد على هذا المستوى الراقي من الملابس وأنت تعلم هذا "

غمغم سيد هازئا وهو يربت بكفه الغليظ على جانب وجه وائل بخشونة "حبيبي يا أنيق ما أروعك .. (وعاد ليتطلع فيه بنظرة حاقدة قائلا) وأم ميري تتركك هكذا دون ضابط ولا رابط ترتدي وتتأنق كيفما تشاء .. لماذا لا تجعلها

تعطي دروسا في ذلك لبنت سماحة التي تفتح
معي تحقيقا إن خرجت متأنقا "
قبل أن يجيب عبس وجهه وهو يرى تلك
السيارة السوداء الضخمة تدخل أول الشارع
وشك إن كانت لمن يخمن أم أنها تشبهها فنظر
وائل لما ينظر إليه صاحبه ثم قال باستنكار "
هل أتى مرة أخرى ؟؟!!..(ثم عبس يقول)
أليس مطلوبا في جريمة قتل كما سمعنا ؟"

هز سيد كتفيه وتذكر ما حدث تلك الليلة التي
حضر فيها كامل وتشاجرا .. وتذكر ذلك الجرح
الذي أصيب به وتحكم في الرغبة التي تراوده
من آن لأخر لأن يدق عنقه ويلقنه درسا في
عدم التهور لكن الحياة علمته أن يتحكم في
ثورات غضبه .. فسأل وائل وهو يرى السيارة
ستركن على بعد " هل عاد الكونت من عمله؟
"

رد وائل وهو يتابع ما يتابعه صاحبه " لم يعد بعد"
فقال سيد بارتياح " هذا جيد فلست في مزاج لفض اشتباكات ولا الشجار مع أحد "
قالها وهو يعود بذاكرته لليلة الحادث .

الواحدة بعد منتصف ليل الرابع من ديسمبر
قال سيد بحزم" يا أحمد قلت لك انتهى الأمر"
قال الثاني بقرف " بصراحة لم يعجبني تصرفك إنه يحتاج لتأديب"
رد سيد " أنا تركته لأني تفهمت حالته وسعيد لأن بسمة لديها من يحبها كل هذا الحب الجامح لهذا سأمررها له من أجلها"
غمغم عمرو الواقف يتطلع في الهاتف بجوار النافذة في الغرفة التي يستريح فيها سيد في عيادة الطبيب الذي قام بخياطة الجرح له "

هذه الصفحة أنشئت منذ ثلاثة أشهر باسمك
يا سيد كيف لا تعرف"
رد الأخير متهكما "والله لم أبحث عن نفسي
على مواقع الانترنت من قبل "
ضحك الموجودون إلا أحمد بينما قال عمرو "
لابد أن تفعل أو أن تكلف من يفعل كل فترة
فقد أصبحت مشهورا ... إن صاحب الصفحة
الذي يدعي أنه أنت يستخدم اسمك للترويج
لشركة اكتشاف المواهب الغنائية ويوهمهم
بأنك صاحب الشركة "
انتفض سيد يعتدل متوجعا في جلسته على
السرير وقال غاضبا "هذه الصفحة لابد أن نبلغ
شرطة الانترنت عنها "
قال عمرو "بالتأكيد سنفعل"
تكلم وائل متعجبا "شبكات التواصل الاجتماعي
هذه مخيفة .. أي شخص يستطيع أن ينشئ
أي صفحة بأي اسم "

قال عمرو وهو يتفحص منشورات الصفحة"
هذا حقيقي رغم القيود التي باتت توضع مؤخرا
لكن فرصة التلاعب لا تزال كبيرة للأسف (ثم
أضاف مندهشا) المنشور الذي يقصده كامل
نخلة صاحب الصفحة يدعي فيه على لسانك
أنك قد طلقت بسمة العام الماضي وليس قبل
أربع سنوات .. وهذا يعني بحسبة بسيطة أنك
أنجبت طفليك من أية وبسمة لا تزال على
ذمتك بعض التعليقات استنتجت ذلك.. لديه
حق كامل أن يجن جنونه فمن منا سيقبل بأن
تلوك الألسنة سيرة زوجته "
غمغم سيد باستياء" لا حول ولا قوة إلا بالله..
هل ستتصرف فيها يا عمرو ؟ "
هز الأخير رأسه وقال وهو يهرش في لحيته "
طبعا .. لقد أرسلت بالفعل لإدارة الفيسبوك
وإن لم تتصرف سيسعدني أن أتصرف أنا ..ولكن

علينا أن نرى إن كانت شرطة جرائم الانترنت ستعتبر ما حدث هذا جريمة أم لا"
استقام سيد واقفا وهو يقول بتوجع واضعا يده على جرحه " المهم يا شباب ما حدث الليلة لا أريد أن يعرف به أحد .. فليس هناك داعي لنشره ..خاصة وأن كامل هذا يبدو مجنونا فيما يتعلق بأي ماضي يخص زواج بسمة الأول ..
(ونظر لأحمد الممتعض الملامح يقول) أرجوكم لا يخرج هذا الأمر عن أربعتنا ..(ثم تحرك مضيفا) هيا لنغادر وفكروا معي ماذا سأقول لآية عن الجرح"
قال وائل وهو يغادر معه" اخبرها بما أخبرت به الطبيب ..أنك دخلت في عراك فوق أحد الكباري مع صاحب سيارة أخرى فطعنك وفر هاربا ولا تعرف عنه شيئا "
تهكم عمرو وهو يخرج خلفهما ويجر أحمد معه" شعرت بأن الطبيب كان يناظر أحمد

المقلوب الوجه ويعارك ذباب وجهه بشك في أنه من فعل بسيد ذلك"
غمغم سيد مازحا" جميل جدا ..وجدت الحل .. سأخبر آية أن أخاها هو من طعنني "
أعقب ذلك انفجار في الضحك رج العيادة التي لم يبق فيها في هذه الساعة المتأخرة سوى الممرض والطبيب.

عاد سيد من ذكرياته وهو يرى رامز يقترب مع شامل فقطع برقوق عليهم المشهد حينما اعترض طريق شامل يقول بتحفز "هل جئت مجددا ؟.. بالتأكيد أنبك ضميرك لأنك لم تدفع ثمن الركنة تلك الليلة وجئت لتدفعه"
نظر كلا من شامل ورامز في وجه برقوق عابسين بينما هدر سيد بحزم "برقوق .. اتركه "

انتفض الأخير من صوت سيد ومط شفتيه يقول مبتعدا" من أجل خاطرك أنت فقط يا سيد باشا "

اقترب رامز يلقي السلام ويتطلع في النظرات المترقبة ثم قال" هناك من يسأل عنك يا سيد "

قال وائل بعبوس" لماذا عدت؟"

أيقن سيد أنه ليس هو .. فلا توجد تلك النظرة في عينيه التي تتمنى له الموت فقال لصاحبه "هذا ليس هو إنه توأمه"

قال شامل بارتباك " السلام عليكم .. الحقيقة أنا فعلا لست كامل أنا شامل .. وجئت إليكم وأنا أشعر بالحرج الشديد وبالخزي مما فعله أخي تلك الليلة "

رفع رامز حاجبيه وسأل" أية ليلة تقصد ؟"

أجابه وائل" هذا موضوع يطول شرحه "

نظر شامل لسيد يقول بصوت مخنوق "أنا جئت أتلمس فيك شهامة أولاد البلد وأعرف جيدا أنك شهم ولن تردني خائبا ولن تترك مظلوما يزج خلف القضبان وتضيع حياته "
عقد سيد حاجبيه فأضاف شامل "ربما وصلتك الأخبار بأن كامل أخي متهم في جريمة قتل"
هز سيد رأسه ولم ينكر لنفسه أنه شعر بالاستياء الشديد والحزن على بسمة حينما سمع بالخبر فأضاف شامل" أخي لفقت له تلك التهمة بعد أن تم سرقت مسدسه وتنفيذ الجريمة به ..مستغلين شجارا كان قد حدث قبلها بين أخي والمجني عليه .. وحتى يثبت أخي براءته لابد أن يثبت تواجده في مكان أخر وقت وقوع الجريمة .. (وصمت يتطلع في الوجوه الحائرة وركز في وجه سيد المتسائل وأضاف)

الجريمة حدثت وقت مباراة (...) حين كان
كامل عندك وحدث ذلك الشجار بينكما "
ارتفع حاجبا سيد بمفاجأة بينما قال وائل
باندهاش " هل أنت متأكد؟"
تطلع رامز في الجميع وقال "أفهموني عما
تتحدثون "
رد وائل عليه بعصبية" اصمت فالأمر جدي
..وسأخبرك فيما بعد"
رد شامل على سؤال وائل " تستطيع أن تتأكد
من الشرطة بنفسك (ونظر لسيد يقول)
ولهذا...."
قطع عبارته حينما سأله سيد " في نيابة أي
قسم هو ؟"
أسرع شامل بالرد وقلبه يتقافز بترقب" في نيابة
قسم شرطة (....) في محافظة (.....) التابع لها
القضية "

قال سيد وهو ينظر في ساعته" لن نلحق الوقت اليوم (ثم رفع هاتفه يطلب رقما وقال) عمرو تفرغ صباح الغد من أي شيء مهما كان ..لدى أربعتنا مشوارا هاما لا يحتمل التأجيل" وقف شامل يحدق فيه بامتنان كبير .. ولولا الملامة .. لبكى أو لسقط مغشيا عليه من الراحة.

xxxxx

في المساء

نزلت مليكة متأنقة بفستان من الحرير الأسود مكشوف الذارعين يحيط بجسدها .. شعرها مرفوع بأناقة لأعلى فقابلها أدهم وإياد يتطلعان فيها بإعجاب وقال الأخير " واااااو Very Beautiful "

ابتسمت وسألت زوجات أخواتها اللاتي يرتبن سفرة ضخمة مع الخدم " أين أبي والباقون؟"

ردت زوجة بشر " الحاج عبد الغني سينزل بعد قليل ..فهو يرتاح في غرفته حتى نستعد .. وباقي الرجال دخلوا غرفة المكتب وأغلقوا الباب على أنفسهم .. ربما هناك مباراة أو ما شابه ويريدون الهرب كعادتهم "

عبست مليكة وقالت " لا .. ليس هناك مجالا للمراوغة .. سنجتمع الليلة كلنا "

وتحركت نحو المكتب تقول " أنا ذاهبة لإحضارهم"

اقتربت من المكتب تعدل من فستانها .. فقد أرادت أن ترتدي شيئا مميزا اليوم خاصة وأن الجلسة عائلية .. وتساءلت كيف سيكون رأي مفرح في الفستان فهو يحب اللون الأسود .

تسمرت فجأة واسم (نجمة) يضرب برأسها بقوة .. فتجمدت يدها على مقبض الباب قبل أن تفتحه أو بمعنى أدق جمدها بعد أن فتحته وصار مواربا ثم تحولت الدقائق التالية .. لنوع

من الهلاوس السمعية .. جعلتها تسمع أشياء صادمة .. مؤلمة .. مفجعة .. فجرت قنبلة في قلبها وهي تفتح الباب وتقف تتطلع في أخواتها الأربعة وزوجها الذي اتسعت عيناه هاتفا بجزع" مليكة"

ناظرتهم تنتفض لبضع ثوان ثم سقطت مغشيا عليها .

xxxxx

الفصل الرابع والأربعون

وكأنه قد بقي في قلبها مكانا للحزن .. وكأن الفواجع هي قدرها .. أو ربما كانت على موعد مع اختبار قوتها النفسية .. مع اختبار مدى صلابتها بعد فترة من التعافي.. بعد سنين من جلد الذات ..أو ربما كانت رحمة بها للتوقف عن جلد الذات ..فالرحمة أحيانا تأتينا من رحم المصائب !.

كان اسم نجمة هو ما جمد يدها على الباب الذي فتحته تنوي أن تقبض عليهم متلبسين بجريمة الهروب من التجمع العائلي ليبقى الباب مواربا وتتخشب هي خلفه.

قال علي بانفعال " اسمعوا كل هذا لابد ألا نسكت عليه ..ما هذه الوقاحة والجرأة؟!!..

يتسببون في قتل نجمة ثم يهددوننا كي لا نفضح أمرهم!"

قال أكرم" اهدأ يا علي فالأمر ليس هينا وليس بسيطا أن نقدم بلاغا للشرطة نتهم فيه والد نجمة بالتسبب في موتها"

استطاعت أخيرا منح جسدها أمرا بالقيام بشيء ففتحت الباب في الوقت الذي قال فيه بشر لعلي" لاحظ أن بلاغا مثل هذا سيجلب الكثير من الألم لمليكة في قضية وتحقيقات فهل هي على استعداد لذلك ..."

"مليكة!!"

قالها مفرح مفزوعا وهو يسرع إليها فسقطت قلوبهم جميعا بين أقدامهم ..وساد صمت مرتبك .

خرج كلامها من فمها بصعوبة شديدة

"مممماذا.. نجمة قُ تـ لت "

أحاطها مفرح بذراعه المرتعش يسندها ويراقب ملامحها بجزع فقد كان معارضا قبل دقائق للرأي الذي يقول بأنها لابد أن تعرف وكان هذا الرأي بزعامة علي الذي هتف بحمية أخ مقهور على أخته" أجل يا مليكة هذه هي الحقيقة خالد الباجوري هو بالتأكيد خلف هذا الأمر فكل الشواهد تدينه وتثبت بأن الحادث كان بفعل فاعل وليس لأنها حاولت الخروج من أجلك.. "

رفعت قبضتها وضربت على قلبها برتابة تحاول استيعاب ما يقال فأضاف علي بسرعة وهو يقترب منها " لست مذنبة يا مليكة انفضي عنك هذا الشعور وتوقفي عن جلد ذاتك" استمرت مليكة في الضرب على قلبها وهي تحدق فيه ثم في الوجوه الأخرى بذهول بينما قال أكرم هادرا في أصغر اخوانه" اسكت يا علي"

قال الأخير متألما "عليها ان تنفض عنها الشعور بالذنب ..عليها أن تعرف أن ابنتها قتلت وأنها لم تقصر في حقها "

أطلقت آهة متوجعة وهي تضرب على صدرها بشكل أقوى لا تعرف إن كانت بذلك تفيقه من الصدمة أم توقف شعورها بالوجع فيه .. في الوقت الذي أحس فيه مفرح بأنه سيصاب بنوبة قلبية خوفا عليها .

ساد الصمت المرتبك فلم يكونوا مستعدين بعد لإخبارها فظلت مليكة تضرب على صدرها مصدرة آهاتها ليقول مفرح" تعالي لترتاحي .. فلا تعلمي ما حكمة أن تظهر هذه الحقيقة الآن"

" آاااااه "

آهة أخيرة قالتها مليكة قبل أن تسقط مغشيا عليها.

xxxx

"باسمة"

"حبيب باسمة"

سألها كامل على الهاتف بخفوت " كيف حالك؟"

ردت تبذل جهدا كي لا تبكي " بخير يا كامل لا تحمل همي "

صمت كامل يفكر فيما علمه ظهر اليوم وفي الصدفة الغريبة التي حدثت له .. ولم يعرف ما تفسير ذلك بالضبط.. وما الحكمة من أن يكون خلاصه في يد غريمه؟ .. وهل سيقبل سيد بأن يشهد معه؟ .. هل سيقبل بعد ما بدر منه تلك الليلة أن ينقذه ؟.. أم أن عقابه على أفعاله مستمر .

يعرف أن شامل لن يستسلم وسيذهب إليه ليقنعه بكل الطرق حتى لو اضطر للتوسل له وهذا يغضبه وكأن العقاب لم ينته بعد .. لكن مفرح كان واثقا وهو يتحدث عنه بأنه سيأتي

وسيقبل بالشهادة .. وهو يثق في نظرة مفرح في الناس.. فهل يجرؤ على التفاؤل أم انه سيؤذي نفسه إن فعل؟.

"كامل هل أنت معي؟.. هل تسمعني؟"

خرج من شروده يقول" حلمت بكِ ليلة أمس"

سألته" خيرا إن شاء الله ماذا رأيت؟"

ضحكة خافتة جاءتها فأصابتها بعدوى الابتسام ثم قالت" قل يا كامل "

نظر لزملائه في عنبر المساجين خلفه ثم قال بهمس أجش" لا ينفع الشرح حاليا يا باشمهندسة"

تراقصت ابتسامة على شفتيها مشفقة عليه ..

بينما تغضنت ملامح كامل وقال بهمس ملتهب" أشتاق إليك بشدة يا باسمة شوق يكويني"

سقطت دمعة حارة من عينها مسحتها وهي تقول" اللهم قرب البعيد يا رب"

سحب نفسا طويلا ثم قال" لابد أن أغلق الآن.. اسمعي موال لكاظم الساهر اسمه (البارحة بالحلم) سيحكي لك تفاصيل الحلم الذي رأيته"

قالت بسمة وهي تمنع نفسها من البكاء لأنه سيغلق الخط "حاضر"

فأضاف كامل " واهتمي بنفسك وبابني من أجلي يا باسمة أرجوك"

ردت بخفوت "حاضر ..وأنت أيضا اهتم بنفسك من أجلي ..واعلم بأني سأنتظرك "

سألها بخفوت " حقا يا باسمة ستنتظرينني؟"

ردت بتأكيد " مهما طال الوقت .. هل لديك أي شك في ذلك؟"

رد بصدق " ليس عندي شك ..لكني أردت أن أسمعها منك كي تواسيني "

قالت بلهجة باكية " سأنتظرك مهما طال الوقت ..سأنتظرك للأبد يا كامل"

شعر بالاختناق فغمغم بسرعة "سلام"
نظرت بسمة في الهاتف وتألم قلبها .. إنها تحاول التأقلم على الوضع الجديد.. وتحاول فلسفة الأمر مع نفسها ..تخبرها بأنها على الأقل تستطيع سماع صوته لدقائق.. تخبرها بأن هذا اختبار لحبها لكامل في السراء والضراء .
فتحت الهاتف وبحثت عن الأغنية وشغلتها وانفجرت بالبكاء بعدها وهي تسمع كلماتها.

البارحة بالحلم حبيبي باحضاني
بوسني من وجنتي وطفالي نيراني
قلتله حبيبي اقترب عوض لي حرماني
هل تقبل مروِتك تتركني وحداني

اموت حسرة وقهر لو لحظة تنساني
اقبل اعيش بسجن لو انت سجاني
يا عمي هذا الحلو للموت مشاني
هو ال حرق مهجتي وهو اللي داواني

الشفة فستق حلب والدلع صبياني
ما نريد يطلع صبح نورك علي كافي
مادام عندنا الحلو خلو الضوا طافي
ميت على شوفتك ولحضنك الدافي
وصحيت من نومتي صحيت وأنت ببلد ثاني

غمغمت من وسط بكائها" الصبر من عندك يا رب أنت وحدك تعلم"

xxxx

"مليكة ..مليكة ردي علي"
كانت في حالة ما بين اليقظة والحلم تبكي بانهيار صامت ولا تستجيب لأي من حولها..
فجلس أكرم على السرير بجوارها لينفجر فيه مفرح بعصبية" لا تلمسها ولا أحد فيكم يلمسها"
كان مرعوبا عليها يخشى أن يفقدها ..
وسيطرت عليه رغبة قوية لحظتها لقتل خالد

.. ذلك الكائن الذي تسبب ولا يزال يتسبب لهما في المصائب .

ناظره أكرم بنظرة صارمة صامتة بينما تدخل عمار ليسحب مفرح بعيدا عن مليكة قائلا بهدوء "مفرح أرجوك تماسك"

هدر الأخير منفعلا" أنا لا أريد أن أتماسك أريد أن آخذ زوجتي وأرحل من هنا وإلا سأرتكب جريمة قتل (واختنق صوته مضيفا) أريد أن أعود بها للعاصمة كي تراها طبيبتها النفسية"

دخلت ملك ابنة أكرم تقول بسرعة " أبي جدي يا أبي"..

أسرع أكرم بترك مليكة واللحاق بابنته بينما تساءل اخوته إن كان الرجل العجوز قد سمع شيئا.. وتحيروا مع من يبقون فقرروا اللحاق بأكرم حينما سمعوا نداء منه لعمار من الطابق الأرضي بينما بقي مفرح مع مليكة.

وقف أدهم وإياد عند باب الغرفة المفتوح يراقبان من بعيد بعد أن صرف أدهم أحفاد الصوالحة الأصغر منه سنا الذين كانوا يراقبون ما يحدث معهما في الوقت الذي رفع مفرح فيه جذع مليكة وحضنها وهو يقول" ردي علي يا مليكة ردي أرجوك"

كانت الدموع لا تزال تنهمر من وجهها فقال مفرح يحاول لملمة شتات نفسه حتى يسندها في مصابها" أعلم بأن الخبر صادم .. لكنك لا تعلمين ما الحكمة في أن يظهر الأمر الآن .. ربما أراد الله أن يخفف عنك إحساسك بالذنب..

كان الله يختبر إيمانك يا مليكة بالسنوات الماضية من الحزن وحين نجحت في اختباره أظهر لك ما يخفف عنك.."

بقي جسدها مرتخيا كليا وهو يحضنها مستمرا في دعمها وقال " قدرها أن تموت .. بأي حال كانت ستموت في تلك اللحظة ..لكن الله أراد

أن يزيح حمل ذنبها من فوق اكتافك ..كل الدلائل تشير لأن أبوها حاول سرقتها عن طريق أخيه سامح"

انتحبت مليكة هذه المرة بصوت مسموع بينما اتسعت عينا أدهم ونظر لأخيه فقال مفرح وكأنه يرد على سؤال لم تسأله" سأخبرك بما حدث كي أثبت لك أنه بالتأكيد هناك رسالة أو معنى من وراء ذلك"

في الدور الأرضي كان أولاد الصوالحة يهرولون لنقل والدهم للمستشفى بعد أن سمع الرجل العجوز بعض العبارات التي قالها مفرح بانفعال وهم ينقلون مليكة للطابق العلوي معنفا علي لأنه أخبرها عن أن موت نجمة كان بفعل فاعل

.

أما في الدور العلوي اقترب أدهم وأغلق الباب على أبويه بهدوء بعد أن سمع القصة التي قصها مفرح عن الدلائل التي تشير لتورط خالد والحارس السابق للسرايا ورواية ونس والصورة التي رسمتها للجاني ..فناظره إياد يقول والدموع تنهمر من عينيه "لماذا هي تتعذب كل هذا العذاب؟.. إن مليكة شخص طيب.. إنها أفضل شخص رأيته في حياتي .. أليس الأشرار هم من يعذبون؟"

كانت أسئلته البريئة صعبة الإجابة حتى على أخيه الأكبر منه بعام فسحبه ليعودا للطابق الأرضي ..بينما قال مفرح لمليكة التي تنتحب في حضنه بصوت عال دون أي قدرة على التعبير اللفظي عما تشعر به لحظتها " لو تريدين مني أن أقتله من أجلك.. من أجلنا .. من أجل نجمة سأفعل .. سأفعل أي شيء من أجلك يا مليكة لكن أرجوك تماسكي "

كان قلبه مفطورا عليها يحاول جمع شتات عقله فاستقام واقفا يقول وهو يحملها "دعينا نرحل من هنا ..سنرحل"
تشبثت به تهز رأسها رافضة بينما انتبه هو لأنها لا ترتدي ملابس محتشمة كي يخرج بها فوضعها على السرير مرة أخرى وحضن وجهها الباكي يرفعه إليه قائلا" أنا أشعر بوجعك لكني سأذكرك بما تقولينه للجميع وقت المحن" أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ..وأشهد أنك من خيرة الناس"
انتحبت تمسك بقميصه فتوجع لوجعها وحضنها يشاركها البكاء شاعرا بالعجز عن مساعدتها ومتوعدا خالد في سره .

بعد ساعة اقتربت ابتسام زوجة أكرم من باب الغرفة وطرقت عليه بحرج فترك مفرح مليكة التي استسلمت للنوم وفتح الباب .

قالت له" أكرم يريد أن يطمئن على مليكة وأنت لا ترد على هاتفك"
تحسس مفرح جيوبه ثم رد عليها بذهن مشتت "لا أعرف أين هو"
أعادت السؤال "كيف حالها"
رد عليها "لقد استسلمت للنوم قبل قليل"
غمغمت" الحمد لله فأنت تعلم أنها لا يمكن أن تتناول المهدئات بسبب الحمل"
شعر بالخوف على طفله الذي ببطنها ورد" أجل أعلم ذلك (ثم سألها وكأنه قد انتبه للتو) أين الجماعة؟ هل الحاج عبد الغني بخير؟"
ردت ابتسام "لقد تعرض لأزمة قلبية ونقلوه بسرعة إلى المستشفى"
تفاجأ بالخبر وقال" حقا لم أدر بذلك والله "
قالت ابتسام بسرعة "أكرم يخبرك أن تبقى بجوارها ولا تتركها أبدا حتى يعود"
سألها" وكيف حال الحاج؟"

ردت مطمئنة " الحمد لله حالته مستقرة ..إن احتجت لأي شيء أخبرني ..نحن ساهرون ..ولا تقلق على الولدين إنهما مع أحفاد الصوالحة كلهم يلعبون البلايستيشن"

هز مفرح رأسه فابتسمت له مشجعة وتحركت مغادرة .

اغلق مفرح الباب ثم عاد ليجلس بجوار مليكة النائمة ويتحسس بطنها بقلق ثم غمغم" اللهم الطف بنا في قضائك وقدرك يا كريم وحسبنا الله ونعم الوكيل "

xxxx

صباح اليوم التالي

قام مفرح مفزوعا من النوم على صوت هاتف مليكة الذي يرن فنظر حوله ولم يجدها .. أسرع بالبحث في الحمام ثم خرج من الغرفة مهرولا ..

لقد نام بعد شروق الشمس .. نام بعد أن ظل يتحدث طوال الليل مع شامل من هاتف مليكة .. كان بحاجة للفضفضة أو ربما لرأي أخر .. فالرغبة التي كانت بداخله لقتل خالد كانت قوية ومؤذية .. لكن شامل ظل يهدئ من انفعاله يذكره من مغبة الغضب ويذكره بما حدث لكامل وبأن الموضوع قد انتهى رغم ألمه ووجعه وأن الماضي لن يعود .

نزل شاعرا بالحرج حين وجد نفسه أمام زوجة بشر وأولادها ولم يعرف أين الجميع وهل عاد الرجال من المستشفى أم لا فسألها" أين مليكة؟"

اتسعت عيناها وقالت" ماذا تعني بهذا السؤال؟.. أليست بالغرفة بالأعلى"

قال لها بتوتر " هلا بحثت عنها في السرايا من فضلك ..وأنا سأبحث في الحديقة"

أسرعت نحو الطابق العلوي لكن ابنها الصغير أوقفها حين قال" عمتي خرجت" استدارت إليه بعينين متسعتين بينما أمسك مفرح برأسه كيف نسى أن يغلق باب الغرفة بالمفتاح فهرول نحو الخارج والطفل يكمل " رأيتها وأنا العب في الحديقة تركب سيارة عمي مفرح وتغادر "

سقط قلب مفرح بين قدميه و خرج إلى الحديقة مهرولا وتأكد من أن سيارته غير موجودة فأمسك برأسه واستدار يقول لزوجة بشر التي وقفت على باب الفيلا "اتصلي بإخوتها إن كانوا لايزالون بالمستشفى وأخبريهم أن يبحثوا معي"
ردت وهو يسرع بالعدو خارج البوابة" بشر بالأعلى سأوقظه"

وضع مفرح نفسه في أقرب توكتوك وهو يوجهه للذهاب إلى خارج القرية إلى المكان الأقرب للمنطق لأن تكون قد ذهبت إليه مليكة .

xxxx

الرغبة في الانتقام .. نار تأكل في العقل وتوغر الصدر .. يغذيها الشعور بالألم.. والألم في صدرها عظيم .. ألم يفوق الحدود ..

لم تعرف في هذه اللحظة هل كانت تفضل ألا تعلم بالحقيقة وتبقي على إحساسها بالذنب أم لا.. لكن الحقيقة أحيانا تكون أصعب من الاحتمال.. أصعب من التصديق .. وأصعب من التعامل معها ..

وهي قررت ماذا ستفعل .. قررت الانتقام لابنتها ..

هذا هو ما كان يسيطر على عقل مليكة وهي تقود سيارة مفرح وتخرج من القرية .. لقد

استيقظت لتجده ينام بجوارها بملابسه فبدلت ملابسها ونزلت وهي تعلم ماذا ستفعل بالضبط ..

أمام بيت كبير عاشت فيه ذكريات مقبضة تصارع فيها مشاعر الذنب لأنها لم تستطع أن تحب رجلا كان زوجها ركنت السيارة بعد قليل في منتصف الشارع ونزلت تدفع البوابة التي تُركت مفتوحة في هذا الوقت من الصباح .. تحركت بهدوء غريب قد يجعل من يعرفون بمرضها يشكون بأنها سائرة وهي نائمة لكنها لم تكن كذلك .. كانت واعية وهي تتحرك في ساحة البيت .. وبدلا من أن تتجه نحو باب البيت الداخلي اتجهت يمينا إلى باب تلك الغرفة الأرضية التي تطل نافذتها المفتوحة على ساحة البيت والتي لها بابان باب من ممر جانبي وباب أخر من داخل البيت .. اتجهت إلى

تلك الغرفة التي تعلم بأنها غرفة المكتب الخاص بخالد .
حين اقتربت سمعته يتحدث بالداخل وصوته وحده جلب عليها ذكريات علاقة سيقت إليها وهي ابنة السابعة عشرة.
بمجرد أن خطت لتدخل الغرفة تجمد خالد واتسعت عيناه ثم سقط الهاتف من يده .. هل يراها؟.. هل يراها حقا أم أنه يهلوس؟ .. هل مليكة تقف أمامه الآن ؟!!.
غمغم بفم جاف وضربات قلب لم يتب أبدا عن حبها تضرب في صدره "مليكة؟"
تطلعت فيه وهو يخرج من خلف مكتبه ويقترب عدة خطوات منها يناظرها بنفس تلك النظرات المهووسة التي تعرفها .. فدقق فيها خالد بعدم تصديق .. كانت أمامه ترتدي عباءة بيتية سوداء فضفاضة وتلف وشاحا أبيضا حول رأسها .. ورغم السنين التي مرت وجدها

أحلى من ذي قبل .. تحيطها تلك الهالة من الجاذبية التي لم ير مثلها عند امرأة غيرها .. بل هي ستظل شخصا استثنائيا بالنسبة له ..

بادرته بالقول "أنت قتلت ابنتي"

لم يعرف إن كان سؤالا أم خبرا ولم يتفاجأ فبالتأكيد إن كانوا قد علموا بالأمر فستعلم هي

فرد "إنها ابنتي أيضا"

هدرت غير مصدقة "قتلتها !!"

تألم قلبه وقال وهو يقترب منها لربما نجح في لمسها لو لحظة "كان حادثا غير مقصود "

صرخت بذهول والجنون يتراقص في عينيها "أرسلت سامح ليخطفها!!!"

رد بحشرجة متألمة" لم يكن أمامي إلا هذا"

ضربت على قلبها قائلة " أن تخطفها لتحرق قلبي!!"

رد بسخرية مُرة "يكفي على قلبك حب مفرح"

وضعت يدها في جيب عباءتها وأخرجت مسدسا أخذته من مكتب والدها وصوبته نحوه فتفاجأ خالد لكنه حافظ على هدوءه وقال "هل ستقتلينني؟ ...لا بأس .. ستريحينني من العذاب .. (وتطلع فيها بتدقيق مضيفا) فيالها من ميتة على يديك .. فإن لم أستطع أن أحيا على يديك فأهلا بالموت"

قالت باتساع عينيها الذاهلتين" لا اصدق أنك تقول هذا الكلام بهذه البساطة وأنت السبب في موت ابنتك"

انهار فجأة وصرخ فيها "ها أنت قلتها أنا السبب .. (وضرب على صدره) أنا السبب في موت ابنتي .. أنا السبب فيما حدث لأخي الصغير الذي انجرف للإدمان وأصبحنا ننتظر كل يوم خبر وفاته بجرعة زائدة (وتطلع في عينيها قائلا بجنون) ألا يكفيك هذا العقاب؟.. ألا يكفيكم كلكم فتريدون إبلاغ الشرطة .. (وارتعش صوته

مضيفا بلهجة متألمة وهو يمسك برأسه) ألا يكفيكم ما عشته وما أعيشه من معاناة أضيفت لعذابي معك "

هتفت باستنكار" أنت من عذبت نفسك هذه هي الحقيقة التي لم أستطع وقتها أن أخبرك بها .. أنت من عذبت نفسك حين تزوجتني وأنت تعرف علاقتي بمفرح"

رفع سبابته مشيرا عليها قائلا بحقد "وأنت تزوجتني وأنت تحبينه"

ردت بثقة ونضج تواجه أفكاره الملتوية " كنت تعلم ملابسات ما حدث جيدا والضغط الذي تعرضت له ومع هذا تزوجتني ..لكني لم أكن أعرف حين تزوجتك بأنك تعرف قصة حبي لمفرح ..ظننتك صديقا عاديا له ..ولم أعرف إلا منك بعد الزواج أنك تعرف بقصتنا بكل تفاصيلها"

هتف متألما بلهجة اتهام وهو يضرب على صدره" ومع هذا لم تقدري تضحيتي به من أجلك"

لم تؤثر فيها لهجته .. كانت تعرفه يلوي ذراع الحقيقة دوما ليظهر في ثوب الضحية التي تستحق الشفقة فقالت صارخة "تقصد لم أقدِّر خيانتك له واستغلالك للظروف .."

تكلم مبررا" كنت ستتزوجين على أي حال ..كانوا سيزوجونك بسرعة ..فلماذا لا أحصل عليك أنا"

سحبت صمام أمان المسدس وقالت " أنا هنا من أجل نجمة .. أنا هنا كي أنتقم لابنتي"

قال منفعلا "اقتليني .. إن قتلتني ستريحينني من عذاباتي صدقيني .. ستريحينني من حياة ليس لها معنى .. لكن هل سترتاحين بعدها خاصة حينما تبرري سبب قتلك لي ويتم التحقيق في الأمر والنبش في الماضي .. هل

سترتاحين حينما يعاد فتح الجرح ؟ .. (وفتح ذراعيه أمامها قائلا) افعلي يا مليكة ..افعليها ..فلن يضير الشاة سلخها بعد ذبحها"

"مليكة!!!!"

قالها مفرح وهو يهرول نحو باب الغرفة بعد أن لمحها من النافذة الأرضية لكن الأخيرة لم تلتفت ولم تهتز .. ظلت ممسكة بالمسدس تحاول أن تأمر نفسها بالضغط على الزناد بينما هتف خالد وهو يناظر من كان يوما صديقه الصدوق

"مفرح"

حدجه الأخير بنظرة خاطفة وعاد لينظر لزوجته التي توجه المسدس لخالد وراقب إصبعها على الزناد قائلا بهدوء حذر "مليكة" قالت بلهجة متألمة وهي لا تحيد عينيها عن خالد" سأتخلص منه"

أخذ مفرح في الاقتراب وهو يقول بحذر داعيا في سره ألا تضغط على الزناد" مليكة لا تتهوري فلن تستفيدي شيئا"

نظرت إليه فتأكد من عينيها اللتين تحدقان في عينيه أنها ليست نائمة وقالت "سأشفي غليلي ..سآخذ بحق ابنتي ..بحق سنوات عمري التي ضاعت وأنا أشعر بالذنب وأعذبك معي"

وقف مفرح أمامها يقول" هذا لن يحييها .. أعطني المسدس"

صرخت في وجهه "قلت ابتعد يا مفرح"

قال يقنعها وعيناه تتحركان بين وجهها والمسدس "مليكة فكري في طفلنا ..فكري في أدهم وإياد .."

سقطت دمعة فمسحتها بسرعة فأضاف" فكري في عوض الله"

قالت تقاوم ترددها" ابتعد يا مفرح سأقتله"

نظر ليدها على الزناد وبلع ريقه بينما ابتعد خالد من خلفه شاعرا بالحقد وهو يراهما حتى في موقف صعب كهذا يبدوان متفاهمين .. روح واحدة في جسدين كما كان يراهما قديما .. شعر بالحقد من كلمة (طفلنا) فوقف في جهة أخرى خلف مفرح وأمام فوهة المسدس يقول بلهجة متألمة" لو موتي سيخلصك من عذابك فهو أيضا سيخلصني من عذابي ..فافعلي ما تريدين لأني غير قادر على قتل نفسي"

استدار إليه مفرح وأمسك بتلابيبه ووجه لكمة انفجرت في وجهه حتى يكف عن تشجيعها وهو يصيح "أخرس أنت"

في نفس الوقت الذي دخل فيه سامح من الباب الداخلي يصفق بيديه تصفيقا رتيبا وهو يقول ساخرا "مؤثر جدا هذا المشهد .. هي تريد أن تقتل أبا ابنتها ..وهو يريد أن يموت على

يديها ..وزوجها يقف أمام المسدس مضحيا
بحياته كي لا تفعلها"
تجمد المشهد وكل العيون تحدق فيه بينما
وجه سامح أنظاره نحو مليكة
ليقول خالد" سامح!"
كان الأخير عائدا للتو من سهرة طويلة .. وكان
منتشيا .. فرآها .. وسمعها .. وتعرف عليها ..
لكنه سيطر على انفعاله .. متخذا من انتشائه
ستارا كما يفعل دوما لإخفاء مشاعره المعذبة ..

ابتعد مفرح عن خالد الذي كان مائلا عليه فوق
المكتب وتطلع في شكله
.. كان نحيفا بشكل ملفت .. تحت عينيه
الغائرتين سواد شديد.. وكذلك فعلت مليكة
وتألم قلبها من هيئته .. هل هذا هو الصبي
الضاحك المشاكس ذو العاشرة الذي قابلته أول
مرة في هذا البيت؟ .. هل هذا هو المراهق ذو

السابعة عشر الذي كانت علاقتها جيدة به حتى بعد حتى طلاقها؟.

اقترب منها سامح يتطلع في وجهها .. يواجهها.. يواجه أسوأ كوابيسه لحظة أن تعرف مليكة بأنه الجاني .. وبأنفاس متسارعة تظهر على صدره الذي يعلو ويهبط قال "إن أردتِ الانتقام فوجهي فوهة مسدسك نحو الفاعل الحقيقي"

قالها بملامح خطرة وهو يمسك فوهة المسدس ليوجهه إلى صدره ويقول لها آمرا "اضربي ولا تترددي ..هذا هو المكان الصحيح"

نظر مفرح لفوهة المسدس ولإصبعها الذي من ضغطة صغيرة سيحدث كارثة ولذلك المجنون الذي يناظرها دون أن تحيد نظراته عن وجهها وأسرع نحوهما ليضع يده هو الأخر فوق المسدس يقول بترجٍ وهو يمارس أقصى درجات ضبط الأعصاب" حلفتك بالله أن تفكري في

أولادك .. وأن تفكري في أن نجمة لم تكن تحب أن تفعلي هذا.. هاتي المسدس يا مليكة "
كانت تتطلع في عيني سامح .. وما رأته من ألم كان هائلا ..وكم أوجعها ما آلت إليه حالته بينما اقترب خالد يقول لأخيه "ابتعد من أمامها"

قال مفرح لمليكة ويده لا تزال على المسدس "أولادك في انتظارك يا مليكة .. طفلنا الذي تحملينه في بطنك يريد أن يخرج إلى الدنيا"
فُض تشابك الاعين بين مليكة وسامح حينما نظر الأخير لأخيه قائلا بانزعاج "ابتعد عني ..سأخلصكم جميعا مني ومن عاري "
في نفس الوقت ترك إصبع مليكة الزناد أمام عيني مفرح المركزتين عليه فأسرع بسحبه من يدها متنفسا الصعداء وبدأ في إخراج خزينة الرصاص.

تركت مليكة المسدس وهي لا تزال تنظر لسامح وسألته ذاهلة " كيف اقنعتها بالذهاب معك؟"

ترقرقت الدموع في عينيه ورد بحشرجة "أوهمتها بأنني الأمير الذي سيخلصها من السجن وبأنها مغامرة سنخبر بها الجميع بعد ذلك ..ولم تكن تعلم بأنها لن تعود لأن خالد كان سيأخذها للعاصمة ليستقل الطائرة مسافرا بلا رجعة"

صفعة هوت على وجهه من يدها فظل واقفا يحدق فيها دون حراك .. وبالرغم من أن قلبها موجوعا عليه هو الأخر.. لكنها نبشت بأظافرها في وجهه تقول بحرقة قلب "لماذا .. لماذا يا سامح ..كانت تحبك .. كانت متعلقة بك"

انتهى مفرح من تأمين نزع الرصاص من المسدس ووضعه في حزامه وتحرك ليطوقها

بذراعيه ويخلص وجه سامح الذي يناظرها بجمود والدموع تنهمر من عينيه مستسلما لعل ما تفعله يخلصه قليلا من عذابه فحاول مفرح ابعادها لكنها قاومته تحاول تخليص نفسها منه وهي تصرخ بهيستيريا" لماذا يا سامح؟.. لماذا أنت بالذات كانت تحبك .. وكنت أنا أيضا أحبك"

حاول مفرح السيطرة عليها بينما دخلت زوجة خالد تصرخ وخلفها ابنه فاستدار إليها الأخير ناهرا" اخرسي ولا تفتحي فمك"

كتمت فمها تتطلع في المشهد الغريب فصرخ فيها" اذهبي للداخل "

و تحرك خالد يبعد سامح الذي لا يزال متجمدا وأثار أظافر مليكة تدمي وجهه لكن الأخير دفعه بعيدا يقول" ابتعد عني"

اشفق خالد على حالة أخيه الذي بقي واقفا متقبضا جاهزا لتلقي العقاب ومليكة لا تزال

تقاوم مفرح بكل قوتها .. بكل حرقة قلبها .. ليقول خالد صارخا "هل حالنا هذا مرضيا لك يا ست مليكة ؟..ألا يكفيك انتقام الله منا؟ .. اذهبي وانعمي هيا بقصة حبكما العظيمة؟" افلتت مليكة من مفرح حينما فقد الأخير سيطرته على أعصابه لوهلة .. فاندفعت هي نحو سامح واندفع هو يمسك بتلابيب خالد ورفع قبضته التي تجمدت في الهواء وتواجها .. بكل مرارة الماضي تواجها .. بحب لا يزال مترسخا في قلبيهما تحول لغابات من الألم والحسرة تواجها .. تطلعا في عيني بعضهما وصور كثيرة من ماض كان ولا يزال ذكرى لأجمل أيام الصبا والمراهقة .. ذكريات كلاهما حاول محوها ولم ينجح .. ورغم ذلك ناظره خالد بحقد وتطلع فيه مفرح بحسرة ثم قرر أن يلجم غضبه .. أيقظه عقله أن يضع حدا لهذا الموقف الهستيري فتركه وأسرع نحو مليكة

التي كانت تصفع وتضرب سامح المتخشب أمامها وهي تصرخ" لماذا.. لماذا ..لماذا؟" سحبها مفرح فكانت هي الأخرى قد أصابها التعب والانهاك وبدأت قواها تخور ومقاومتها له تضعف فأسرع بحملها .. وتحرك إلى الخارج .. فشيعتهما عينا خالد بحقد على صاحب وحبيبة لا يزال يتألم قلبه على فراقهما.

حين خرج مفرح من بيت الباجوري كان علي يخرج من سيارته بعد أن أخبر بشر الجميع وذهب يبحث في أماكن أخرى بينما حضر هو لبيت خالد.. فوضعها مفرح في سيارته التي تركتها مليكة مفتوحة وساعده علي ثم قال متوعدا وهو يتوجه نحو بيت الباجوري" الانتقام سيكون على يدي أنا"

أسرع مفرح بمنعه هادرا "يكفي هذا .. عد .. يكفينا هذا من أجل مليكة ومن أجل الجميع.. "

حاول علي الاندفاع لكن مفرح كان حازما وقال" انتظر قرار اخوتك ولا تعقد الأمر أرجوك" على مضض ومدفوعا من زوج أخته ركب علي سيارته بينما تحرك الأول نحو سيارته هو الأخر فوجد مليكة متقوقعة على نفسها تبكي . ركب بجوارها وانطلق عائدا وهو يتمتم "يا رب لا ملجأ لنا منك إلا إليك"

××××

عند الظهيرة

"وماذا كان يفعل كامل عندك ؟"

سؤال سأله وكيل النيابة فرد سيد بهدوء " هناك صفحة مزيفة باسمي قيل فيها أمورا على لساني تخص السيدة زوجته التي كانت زوجتي وانفصلنا قبل أربع سنوات.. هو تصور أن

الكلام على لساني وجاءني منفعلا وعلا صوتنا فأخبرته بأن الصفحة مزيفة وتدخل الشباب لإقناعه بالرحيل"

تدخل عمرو قائلا وهو يعطيه بعض الأوراق " وقد تم تقديم شكوى لإدارة فيسبوك طبعتها لسيادتك وتم إبلاغ شرطة جرائم الانترنت واغلاق الصفحة"

أضاف سيد "وأنوي ان أقيم دعوى قضائية إن تم التوصل لصاحب الصفحة"

صمت وكيل النيابة ينظر في الأوراق ثم سأله" ومتى بالضبط كانت زيارته في أي ساعة؟ "

رد وائل " وقت المباراة بالضبط والمقهى كان مليء بالزبائن الذين سمعوا جانبا من المشاجرة ورأوا كامل"

أضاف سيد" كما أن كاميرات المقهى سجلت دخوله وخروجه"

وأعطاه عمرو اسطوانة مضغوطة يقول "وهذه نسخة من تفريغ الكاميرات لكن التسجيلات الأصلية تستطيع النيابة الاطلاع عليها في أي وقت"

تدخل محامي كامل يقول " كما رأيت سيادتك هذا يثبت أن موكلي لم يكن بالقرية من الأساس وقت وقوع الجريمة"

قال وكيل النيابة" ولماذا لم يذكر هذا في التحقيق؟"

رد المحامي "موكلي لم يكن يعلم موعد وقوع الجريمة بالضبط فقد مر عليها ما يقرب من شهرين الآن وكانت التواريخ مختلطة في رأسه وظن أن المباراة كانت يوم الرابع من ديسمبر وليس الثالث .."

نظر وكيل النيابة في الأربعة رجال أمامه أحمد الصامت ووائل وعمرو وأخيرا سيد ثم قال "

وقعوا على أقوالكم إن لم يكن لديكم أقوال أخرى؟"

بعد قليل كان أحمد يقول بامتعاض وهو يخرج من مبنى النيابة "هيا اسرعوا فلست متفرغا يكفي اليوم الذي ضاع"

قال سيد بغيظ "ومن جاء بك من الأساس؟.. كان ثلاثتنا كافين للشهادة وأهل الحي موجودون إن طلبوا المزيد من الشهود.. هل غصب عليك أحد للمجيئ (واستدار لوائل يسأله) هل طلبت منه المجيء للشهادة "

هز وائل رأسه نافيا فسأل عمرو" هل طلبت منه يا عمرو"

رد عمرو وهو يتفحص أحمد السائر بجواره " من هذا ؟.. أنا لا أعرفه أصلا ..هل تعرفه يا وائل؟"

هز الأخير رأسه بإنكار فناظر أحمد ثلاثتهم بامتعاض وتحرك أمامهم يخرج من المبنى يديه في جيبي بنطاله ..ليغمغم عمرو يقلده " قرف.. أقسم بالله قرف"

انفجروا ضاحكين فتجاهلهم أحمد .. ليغمز سيد لصاحبيه ثم يناديه" يا أبا عز الدين ما رأيك أن تدعونا على حسابك على أحد الكافيتريات على الطريق لنتناول فطورنا؟"

لم يرد عليه أحمد بل توقف وأخرج يديه من جيبيه حينما وجد غنيم واقفا خارج المبنى فاقترب منه يسلم عليه وتبعه أصدقائه يسلمون عليه هو وشامل فقال غنيم وهو يشدد على يد سيد بين يديه" أنا عاجز عن شكرك يا بني جزاك الله كل الخير على قدر أخلاقك وشهامتك أنت وأصحابك"

غمغم سيد بحرج شديد " لا تقل هذا يا غنيم بك أي شخص مكاننا كان سيفعل بالمثل هذه أمور ليست فيها نقاش"

قال غنيم وهو لا يزال يشد على يده" وأعتذر لك عما بدر من كامل ربما هو متهور قليلا لكنه يغار على زوجته جدا طبعا هذا ليس مبررا لكن.."

قاطعه سيد وقد ازداد حرجه من الرجل الأكبر سنا " انتهى الموضوع يا غنيم بك ليس هناك داع لفتحه فليرده الله إليكم سالما بإذن الله"

تكلم شامل قائلا لسيد "بالمناسبة يا سيد مفرح الزيني يقرؤك السلام ويخبرك بأنه سيتصل بك فيما بعد ليشكرك بنفسه ..لأنه لم يستطع الحضور اليوم لظرف شخصي"

قال سيد مبتسما "الباشمهندس مفرح من خيرة الرجال ابلغه سلامي "

سأل غنيم "وأنت كيف حالك يا أحمد؟"

رد الأخير "بخير الحمد لله "
تكلم غنيم بامتنان "شكرا لك أنت أيضا فلن ننسى معروفك هذا أبدا أنت وأصحابك "
قال أحمد بصدق " استغفر الله! .. لا أحد يستطيع أن يكتم شهادة حق يا غنيم بك"
نظر غنيم لوائل وعمرو قائلا "جزاكم الله خيرا"
رد وائل "جزانا وإياكم"
قال سيد وهو يتحرك "علينا أن نغادر فلدينا أشغال مهمة بالعاصمة"
اعترض شامل قائلا "لا ..لم نضيفكم على الأقل"
وأضاف غنيم يقول لأربعتهم" ما رأيكم أن نذهب لمكان ونفطر .. أو أن تتفضلوا معنا في مطعمنا ؟"
قال سيد معتذرا وشاعرا بالحرج " شكرا غنيم بك ولكن علينا الذهاب فورا"
غمغم غنيم معترضا" لكن.."

ربت سيد على يده وهو يسحبها للسلام مودعا وقال "إن شاء الله تطمئنون على كامل ..هيا يا شباب"

لم يترك لغنيم وشامل الفرصة بل تحركوا نحو سيارة سيد التي تقلهم عائدين للعاصمة فحياهم غنيم وشامل والأول يتمتم متأثرا" الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه"

نفس العبارة كان يرددها سيد بصوت عال في طريقه للعودة فسأله وائل الذي يجلس بجواره" هل تشعر بالراحة الآن؟"

قال سيد " الحمد لله أن أعطاني الفرصة لأسدد ديني تجاه بسمة بشكل عملي ..لن أدعي المثالية.. ولن أقول أني لم أمنع نفسي أكثر من مرة من أجلها عن الرغبة في تلقينه درسا كلما تذكرت جرح بطني.. لكني الآن حين أفكر في الأمر أجد أن قدر الله قد منحني فرصة كي

أسدد دينها الذي في رقبتي .. أتمنى لها السعادة
مع الرجل الذي يحبها كل هذا الحب"
غمغم عمرو من المقعد الخلفي" ربك لطيف
دوما بعباده لو نفهم رسائله .. الحقيقة ما
أصاب كامل محنة كبيرة وأن يدبرها الله بهذا
الأمر ليخرجه منها فهو لطف منه ..ومع هذا
أشفق عليه بصراحة "
تكلم أحمد بصدق فرضته اللحظة" أنا أيضا
رغم أني لا أطيقه لكني أشفقت عليه من دخول
السجن ظلما في جريمة كبيرة مثل هذه "
أسرع عمرو بالقول مهللا بلهجة متهكمة "
الكونت نطق يا رجال .. ابن سماحة تكلم أخيرا
ونزل من برجه العاجي.. تصفيق حار لهذه
الكلمات المؤثرة "
صفق هو ووائل بينما صفر سيد مهللا
فناظرهم أحمد بامتعاض ليقول سيد بلهجة
شقية "وبهذه المناسبة السعيدة سيدعونا

الكونت على حسابه على أفخم فطور على الطريق"
غمز له وائل يذكره باسم استراحة على الطريق ليقول سيد "سيدعونا للإفطار الفخم في قرية(السياحية"...)
ناظرهم أحمد بطرف عينه بينما صفق وائل وعمرو وصفرا هاتفان" تحية للكونت نصير الشعب الجائع "

xxxx

بعد العصر

"سيد!!! .. كامل كان عند سيد تلك الليلة؟!!"
قالتها بسمة باتساع عينيها بذهول ليقول شامل لها " هذا ما حدث ..وتشاجرا وجرحه كامل للأسف"

أمسكت بسمة بساعده تقول" أنا سأذهب لسيد هو لن يتأخر أنا أعرفه جيدا .. سأذهب إليه وأترجاه لو لزم الأمر"

قال شامل بحزم شاعرا بالانزعاج من مجرد الفكرة رغم أنهم ليسوا بحاجة لتنفيذها "لن تذهبي لأي مكان يا بسمة.. أنسيت أن هذا سيثير حفيظة كامل؟.. عموما أنا ذهبت إليه بنفسي يوم أمس"

ناظرته بترقب وهو يضيف" وذهب هو وأصحابه الثلاثة للنيابة وأدلوا بشهادتهم اليوم"

اتسعت عيناها وأطل منهما الأمل ليقول شامل "وصدر أمر بالإفراج عن كامل"

شهقت متفاجئة وهي تضع يدا على فمها وترتكن بالأخرى على منضدة السفرة بجوارها .. ثم تسمرت تناظره والدموع تنهمر من عينيها

هامسة وقلبها يكاد أن يتوقف في صدرها "
الإفراج!!"
أولاها شامل ساعده لتمسك به قائلا" تماسكي
..فالفرح آت يا زوجة أخي"
سألته بلهفة" ولماذا لم يأت معكما؟"
ابتسم قائلا "الافراج عنه من السجن يحتاج
بعض الإجراءات يقوم بها المحامي "
هتفت ونس باتساع عينيها "ثجن كامي
بايثجن؟!!"
(سجن كامل بالسجن؟)
استدار إليها شامل متفاجئا بوجودها وقال
مازحا" هذه السماعات تعمل بكفاءة شديدة يا
ونس"
سقط عنه المزاح وتحرك نحوها حين قالت له
بوجه مزرق كمن يعاني من صعوبة في التنفس
"كامي بايثجن ايمثكين بايثجن"
(كامل بالسجن المسكين بالسجن)

اسندها شامل قائلا "سيخرج إن شاء الله اليوم فقط ثبتت براءته وسيخرج"
لانت ساقا ونس وتمسكت به ليقول شامل ساخرا "سأسند من أم من يا جماعة قفا طابور ولا يغشى عليكما مرة واحدة (وتحرك بها ليجلسها على كرسي السفرة التي تقف بجواره بسمة وقال مطمئنا وهو يتطلع في وجهها المرفوع إليه) إنه بخير يا ونس وسيخرج سريعا جدا لقد ثبتت براءته اليوم يا ونوسي"
قالها ثم مال وطبع قبلة على خدها فسألته بسمة التي لا تزال ترتجف غير مصدقة "هل حقا سيخرج كامل يا شامل ؟..احلف بالله "
ابتسم قائلا والدموع تقرص عينيه" سيخرج بإذن الله"
قالت ذاهلة تحاول الاستيعاب " وسيد صبرة هو من شهد ليخرجه!!"..

هز شامل كتفيه وقال" هذا حقيقي ..سبحان الله صدفة غريبة أو بمعنى أدق تدبير للقدر بالتأكيد له مغزى"

غمغمت متأملة ما حدث "إن الله أراد لسيد أن يسدد دينه لي .. (وأضافت بحشرجة) ولقد سدده اليوم .. (وانهمرت دموعها) لقد سدده بإعادة كامل لي ولابنه"

قال شامل مضيفا " وهناك دليل أخر ظهر لبراءة كامل "

نظرت له بسمة وونس ليقول شامل "لقد أفاد تقرير المرور أن سيارتنا كان السيد المبجل كامل نخلة يقودها بسرعة جنونية تلك الليلة ..وقد سجل له الرادار أكثر من مخالفة لتجاوز السرعة "

غمغمت بسمة" الحمد لله ..الحمد لله قضاء أخف من قضاء"

سألته ونس "هي ثوثو تعيف؟"

(هل سوسو تعرف؟)

قبل أن يرد سمعوا صوت سوسو من الداخل تصيح بذهول" ماذا قلت؟.. ماذا قلت يا غنيم؟.. ابني في السجن؟؟.. ابني سلم نفسه؟؟؟"

غمغم شامل "ها قد أخبرها أبي(وأضاف ساخرا) على أن أستعد لأحملها هي الأخرى... حمال هذا البيت أنا ؟!!!"

xxxx

في المساء

بعد نوم عميق دام لساعات طويلة كان مفرح ملازما لها.. أحست فيه بأن أكرم قد زار غرفتها مرة أو مرتين فتحت مليكة عينيها وتطلعت حولها وتفاجأت بالمنظر .

كان مفرح نائما وهو جالس على مقعد بجوار السرير بنفس ملابسه التي حضر بها صباح

أمس بينما إياد ينام ممددا بجوارها على السرير وأدهم ينام على الأريكة ..
تحركت بصعوبة تشعر بالدوار وبأن عضلاتها تؤلمها وغادرت السرير لتغطي أدهم بالغطاء الذي كان مستقرا بجواره أرضا فاعتدل مفرح يقول بصوت أجش من أثر النوم "مليكة"
ردت عليه بصوت مبحوح دون أن تنظر إليه" لا تقلق أنا لست نائمة "
قالتها ثم دخلت الحمام ..
بعد قليل دخل إليها مفرح يناولها ملابس نظيفة حين سمعها تغتسل فأخذتها منه ترتديها ثم تحركت معه مستندة على ساعده ليعودا إلى غرفتها في صمت .
سألها حين جلست على السرير " هل ما في بطنك بخير؟"
رفعت إليه وجهها وردت" لا أعرف"

قبّل رأسها ..ثم تطلع في حالتها الصامتة تحدق في الفراغ وشعر بالقلق .. لكنه لم يكن يعلم أنها لم يعد لديها دموعا لتذرفها .. أنها وصلت لحالة لم تعد تجدي معها الدموع .

قالت مليكة بعد فترة من الصمت " أنا أعلم بأني لن استطيع تناول المهدئات .. فانصحني بشيء يخفف عني ما أشعر به"

رد مفرح " حين اتصلت بطبيبتك قالت أنه إن اضطررنا سنعطيك نوعا خفيفا من المهدئات "

هزت رأسها تقول بتصميم " لن آخذها .. والله وحده المستعان"

مسد على رأسها يقول" ما رأيك أن نقرأ القرآن؟"

هزت رأسها موافقة فتحرك يحمل ابنه من فوق السرير ليضعه على أريكة أخرى وغطاه ثم عاد إليها فقالت له "بدل ملابسك لشيء مريح"

غمغم وهو يجلس بجوارها على السرير
ويسحب المصحف الذي كان يقرأ فيه في
الساعات التي مكثها بجوارها" لا يهم"
نامت على صدره فقبل رأسها وفتح المصحف
فسألته "هل ذهبتُ لخالد صباح اليوم أم أني
أهلوس؟"
هز رأسه وقال يؤكد لها " نعم فعلتِ (وأضاف
) واخوتك منقسمون ما بين اتخاذ خطوة تجاه
خالد أو الاكتفاء بالعقاب الإلهي ..وانتهى الأمر
بأن يتركوا لك القرار ..خاصة وأن فضح الأمر
سيتطلب فتح القبر وتشريح الجثة "
همست بحشرجة متألمة "اقرأ يا مفرح .."
هز رأسه وأحجم عن إخبارها بأن والدها قد
بات في المستشفى ليلة أمس وعاد عصر اليوم
.. لم يرغب في تحميلها المزيد من الضغوط
فأحاطها بذراعه وهي لا تزال تنام على صدره
وبدأ في تلاوة القرآن بينما هي تحدق في الفراغ

بعينين قد نضب منهما الدمع .. تستعيد ما حدث منذ ليلة أمس .

xxxx

بعد يومين

الصباح الباكر

سحب زين طبق البيض المسلوق ناحيته قبل أن تأخذ منه أم هاشم واحدة ثم وقف يحشر الطعام في فمه في عجلة من أمره ..فطالعه جابر وأم هاشم بذهول بينما قالت أمه "اجلس يا بني ولا تأكل وأنت واقف"

غمغم بفم ممتلئ وهو يشرب رشفتين سريعتين من كوب الشاي" لا يوجد وقت يا حاجة"

قالت أمه "لا يزال الوقت مبكرا "

تكلم وهو يحشر لقمة أخرى في فمه" لدي أشياء كثيرة لأفعلها قبل موعد ذهابي لاصطحاب إسراء من صالون التجميل "

غمغمت داعية " أتم لكما الله على خير وعَمّر بيتكما بالسعادة والذرية الصالحة .. والله فرحتي لا توصف .. رغم أنك ستتزوج وتسافر بعد وقت قصير لكني كنت أحزن على شقتك المغلقة لسنوات طويلة"

اتسعت ابتسامة زين ورفع كوب الشاي على فمه بينما قالت أم هاشم متهكمة بلهجة ذات مغزى "حمدا لله سنتخلص من القطط الماكرة التي تختبئ في الشقة لتنقض على القطط الأخرى المسكينة وتجعلها تفر منها هاربة"

غمغمت نجف باندهاش "هل رأيتِ قططا في الشقة !!"

ردت أم هاشم مسبلة أهدابها تلعب بالطعام أمامها " شعرت قبل يومين حين جاءت نصرة وإسراء هنا بوجود قط ماكر في الدور العلوي.. حتى أن المسكينة نزلت مسرعة تكاد تموت من الفزع"

سعل زين بقوة وناظرها بوجه ممتقع فظلت مسبلة أهدابها بينما راقبهما جابر بتدقيق.
قالت نجف "ربما أفزعها ذلك القط يومها على السلم ..لماذا لم تخبريني يا أم هاشم علينا بطرده إن عاد"
غمغمت بابتسامة شقية وهي تنظر لطبقها" أتوقع أنه سيكف عن الشقاوة من الآن فصاعدا يا خالتي ..وسيهدأ ويستقر في مكان"
تطلع جابر في وجه زين فتلاقت أنظارهما ليسرع الأخير بالهرب بعينيه ويقول وهو يضع طبق البيض أمام أم هاشم "كُلي .. كُلي واتركي القطط في حالها ... ألا يؤلمك فمك من كثرة الثرثرة"
رشفت من كوب الشاي دون أن تنظر إليه وعلى وجهها ابتسامة منتصرة بينما هرب زين إلى غرفة الضيوف التي يبيت فيها منذ أيام قائلا " سأعد نفسي وأرى ماذا ينقصني "

بعد قليل تركت نجف السفرة وتحركت لتحضر شيئا من غرفتها فسأل جابر أم هاشم "ما الأمر؟.. شعرت بأنك ترمين بعض الكلام المبطن على زين"

ضحكت فأنارت أسنانها اللؤلؤية وجهها وهي تقول " قبل يومين جاءت إسراء ونصرة لتضعا شيئا بالشقة فوقفت نصرة تثرثر معنا بينما صعدت إسراء وحدها ثم نزلت بعد دقائق ترتعش من الارتباك وأخذت أمها بسرعة ورحلت فشككت بالأمر وظللت أراقب الباب حتى رأيت أخاك ينزل من الشقة يتسحب كاللصوص مغادرا"

اتسعت عينا جابر ثم ضحك قائلا" الوقح اللئيم "

ضحكت أم هاشم فزينت غمازتيها جانبي وجهها ..ليفرد جابر ذراعه على ظهر الكرسي خلفها قائلا بهمس" أنا ملتزم الأدب لأكثر من

أسبوعين حتى الآن .. وليلة أمس حين عدت
أخر الليل وجدتك نائمة يا نذلة"
ناظرته بطرف عينيها البنيتين الدافئتين تلملم
ابتسامة شقية تتراقص فوق شفتيها فأضاف
جابر هامسا وهو يمد يده ليتحسس بطنها
العالي " أعلم بأنك أُجهدتِ الأيام الماضية في
ترتيبات زواج زين ..وليلة أمس في ضيافة أقاربي
الذين جاءوا ليحضروا ليلة الحناء ثم قضيت
السهرة في ليلة حناء العروس ..لكن ماذا أفعل
والشوق ذباح يا بنت شيخي"
تراقصت ضربات قلبها وذلك الدفء الذي
يتوهج بينهما يقضي على برودة الطقس
حولهما ..وتطلعت في وجهه المشع بالضوء
أمام عينيها .
كانت تعلم بأنه مشتاق لكنه كان يشفق عليها
من كدماتها ..وكانت هي أيضا تشفق عليه من
كدماتها ..فقالت بطريقتها الخاصة في الحديث

"أنا بالفعل كنت أنتظرك ليلة أمس .. ليس من أجل هذه الأمور.. تعرفني مؤدبة ولا أفكر فيها .. لكن لا أعلم ماذا حدث وفُصِلت الكهرباء عني فجأة فنمت"

قهقه جابر ضاحكا وقال وهو يضربها على رأسها " مؤدبة جدا ..أشهد لك بذلك وأبصم بأصابعي العشرة"

ضحكت وعلقت وهي تسبل أهدابها وترشف من كوب الشاي " أهم شيء الأخلاق "

قال جابر بهمس ساخن وهو يقرب رأسه منها قليلا ويكبح جماح نفسه حتى لا يمد أصابعه ويتحسس شفتيها " الليلة .. الليلة لن أقبل أية أعذار ..فهاتان الماكرتان تعذباني كلما نظرت إليهما .. سنعود معا إن شاء الله بعد الحفل فإياك والنوم"

رغم مهرجان الرقص الشعبي الذي يحدث في صدرها إلا أنها تمتمت بلهجة تمثيلية مطيعة "

حاضر أمرك يا أبا هاشم فالمرأة لا تملك إلا إطاعة زوجها "

غمغم جابر قائلا بلهجة ساخرة" ما شاء الله على الأدب !..ما شاء الله على الطاعة!..

محظوظ أنا والله ..لكن حين أقول لك أمس اتركي النسوة اللاتي جلبتهن للمساعدة في ضيافة الضيوف وطبخ الطعام ولا تجهدي نفسك ..كلامي لا ينفذ"

وضعت يدها على صدرها تقول مستهبلة" أنا فعلت ذلك !!"

ضحك جابر وضربها على رأسها قائلا "لا .. بل أنا من فعل ذلك"

ردت ساخرة "لماذا فعلت إذن يا جابر !.. لماذا لا تسمع الكلام ..تعبت قلبي"

رن جرس البوابة فقضم شفته السفلى واستقام واقفا يقول بوعيد" حاضر صبرك عليّ أنت

ولسانك الطويل هذا حين أنفرد بك في المساء
"
خرجت أمه من الغرفة تقول "يبدو أن خالاتك وعمتك قد وصلن"
قال جابر "بصراحة لا أعلم لماذا لم يبتن .. لماذا يتعبن أنفسهن بالذهاب لبيوتهن مساء والعودة مرة أخرى صباحا ..البيت واسع ويساع الجميع"
غمغمت نجف تدعو خلفه بعد أن خرج " وسع الله رزقك وأبقى بيتك مفتوحا بوجودك فيه يا جابر يا ابن بطني "
فأمنت أم هاشم خلفها "آمين آمين آمين"

xxxx

العاشرة صباحا

الفرج قادم .. مهما طال الوقت .. يكفي أن هناك وعدا بالمجيئ .. ولهذا الوعد وعلى هذا الأمل ..هي على استعداد للانتظار مهما طال

الزمن .. وحمدا لله فالزمن لن يطول والفرح آت والفرج آت والحبيب على وشك الوصول.

وقفت بسمة أمام بوابة السجن .. أو بمعنى أدق على الجانب الأخر من الطريق بينما غنيم وشامل ومفرح يقفون أمام البوابة في انتظار خروجه ..

لقد أصرت على الحضور لتختصر الوقت حتى تراه .. ومنذ أن علمت بما فعله زوجها السابق وهي لا تزال مصدومة .. مصدومة من تلك الزيارة التي قام بها كامل لطليقها دون أن يخبرها ومذهولة من التوقيت .. تشعر بأنها معقودة اللسان .. لكنها ممتنة لرب العالمين وممتنة لسيد .. حتى كامل هي ممتنة له أن كان خارج القرية ذلك الوقت .. ممتنة وسعيدة وتشعر بأن هذه المحنة قوّت علاقتها بكامل.. وأثبتت

لها إلى أي حد هو مجنون بها وإلى أي حد عوقب على تطرفه في حبه لها ..وأثبتت لكامل أنها متمسكة به مهما حدث .. كانت دوما تخبره بأنها تتمنى أن تجد الفرصة كي تثبت له بالدليل العملي أنه ليس مجرد فرصة جيدة لها ..وها هي الاختبارات تتوالى عليهما ..لكنها قوية ..صلبة ..تستمد شعورها بالثقة من متانة علاقتهما ..وهذه القوة والصلابة والثقة لم تأت من وعود حالمة رومانسية تطير مع أول هَبّة ريـح ..ولكنها ثمرة نبتة نضجت وأشتد عودها فاضحت كجذع شجرة متين مد جذوره تحت الأرض وكلما مرا بمحنة ازداد امتداد الجذور .. وغَلظ الساق واشتد العود ليقاوم الريـح والهزات والمحن.

انفتحت أبواب السجن فازداد تسارع ضربات قلبها وشعرت بالتقلص المفاجئ في رحمها حين رأته .. رأت كامل يخرج من البوابة فاستندت

على مقدمة السيارة تقاوم هبوطا في قلب تركها وهرول إليه .
بملابس رياضية خرج كامل من بوابة السجن نحو الحرية يسحب نفسا عميقا إلى صدره .. ليجد والده يقف في استقباله فمال على يده يلثمها .
دمعت عينا غنيم وربت على ظهر ابنه فرفع كامل رأسه وقبل كتف والده لتنهمر دموع غنيم وهو يربت على جانب وجهه.. دموع غالية لم يرها كامل من قبل فتماسك هو عن البكاء وحضنه هامسا "سامحني يا أبي "
ربت غنيم على ظهر ولده يقول" يعلم الله أني لم أغضب عليك أبدا يا بني كي أسامحك"
تدخل شامل قائلا "أنا الذي عليك أن تطلب منه السماح وتتذلل له"
استدار كامل لتوأمه يتطلع فيه ..مستردا أخيرا نصفه الأخر ..فحضنه حضن رجولي مفعم

بالعاطفة ليتشبث به شامل بقوة .. و تسقط عنه كل مقاومته .. كل تماسكه .. كل تحمله ..ويتشبث بنصفه الأخر فاستند بجبهته على كتفه وغلبه البكاء الصامت لم يشعر به إلا توأمه الذي كان أكثر منه تماسكا ..فربت على ظهره بخشونة قائلا بتهكم ليداري رغبته في مجاراته في البكاء" انتظرت منك يا نذل أن تقول بدل معي يا أخي الملابس وسأسجن بدلا منك .. انتظرت أن تقول عبارات من نوع سأعترف للشرطة أني من أطلقت النار على بدير وعش حياتك أنت يا توأمي كما يحدث في الأفلام .. لكن ماذا نفعل ..لم يعد هناك توأم يضحي من أجل الأخر في هذا الزمن"

توقف عن لهجته الساخرة حين لمحها تقف على الناحية الأخرى من الطريق وتفاجأ بوجودها فازدادت ضربات قلبه وأشاح بعينيه

لبرهة لا يصدق أنه خرج وسيلمسها بعد دقائق .. دقائق ستمر عليه كالدهور منذ اللحظة ..

حين غاب شامل في تشبثه بأخيه غمغم كامل متهكما" يا عم شامو هل نمت على كتفي"
رفع شامل جبهته وأولى ظهره للطريق ومسح عينيه الحمراوين فقال كامل متهكما وهو يهم بالسلام على مفرح وفكره مشغول بتلك الفاتنة التي تقف على الناحية المقابلة بالشارع "يا حبيبي يا حساس البكاء لا ينفع الآن"
ضربه شامل لكمة مفاجئة في بطنه فانحنى كامل للأمام متوجعا ليحاول شامل مهاجمته بغيظ بينما الأخر يبتعد للخلف ثم هرب ناحية مفرح الذي يضحك وهو يقول" يا غبي نحن أمام السجن سيعتقلونك بالداخل (ونظر لمفرح يقول وهو يسلم عليه سلاما رجوليا ويحضنه) وأنت تضحك وتتركه"

غمغم مفرح متأثرا" ألف حمدا لله على سلامتك يا وحش"
ربت كامل على ظهره ثم نظر لشامل الذي كان لا يزال يرغب في ضربه وقال" لجم هذا الثور يا مفرح بالله عليك"
قالها وهو يسرع نحو الطريق ليعبره .. ليعبر إليها .. حتى لو كانت بينهما البحور لخاضها ليصل إليها .
تأملته بسمة آتيا ...لحيته طويلة غير مشذبة وتعجبت انه يتركها بهذا الشكل .. ويبدو عليه خسارة بعض الوزن .
وتأملها كامل وهو يعبر الطريق .. ترتدي سترة أرجوانية طويلة فوق بلوزة عاجية اللون وبنطال من الجينز ووشاح يغطي رأسها.
اقترب ووقف أمامها فتكحلت الأعين برؤية الحبيب واستفاق القلب من نوبة إغماء لحظية وتراقص بهياج..

وقف يتأملها يخشى من اختصار الإنشات الباقية ..يطلب من نفسه مالا تطيقه .. يطلب منها الصبر ..لكن بسمة لم تستطع التحمل فألقت بنفسها عليه .

كيف يتسع الكون في حضن! .. وتتلاشى برودة الطقس في حضن!. ويكون الملجأ من العالم حضن !!..

انتحبت بسمة ..بكت بقوة وهي تتحسس عضلات ظهره وتشتم رائحته وكأنها تريد أن تتأكد أنه حقيقة .. أنه واقع ملموس بينما دفن كامل وجهه بين كتفها ورقبتها وانعقد لسانه يستشعر دفئها بين ذراعيه .

ماذا يقول؟ وبم يواسيها؟ وكيف يشرح لها شعوره؟..

كيف يخبرها بأنها بالنسبة له وطن وأرض زرع فيها بذرته؟..

وكيف تخبره أنه بالنسبة لها أرض مدت فيها جذورها حتى اشتد عودها بعد أن كان ضعيفا لينا ؟.

كيف يشرح لها حال لياليه بعيدا عنها ؟..

وكيف تخبره عن حال أيامها بعيدا عنه ؟

للحظات فقدا الشعور بأي شيء حولهما

..أحاطتهما فقاعة تفصلهما عن الواقع وأخذا يقاومان رغبة في السقوط الحر من فوق جبل شاهق متعانقان لا يفرقهما أي شيء حتى يسبحا معا في فضاء سرمدي .. وعناق أبدي .

تدخل صوت شامل ليخترق تلك الفقاعة ..

يفقأها بصوته وهو يقول" كامل نحن في الشارع وسنتأخر على أمك .. كما أني سأعاود للسفر مرة أخرى بعد أن أخذ ونس لتحضر حفل زفاف قريبتها "

أبعدها كامل مرغما لكنها ظلت تلقي عليه ثقلها وكأن ساقيها كانتا من هلام فأسندها وتحرك

معها نحو السيارة التي استقر والده في مقدمتها فأجلسها في المقعد الخلفي ثم ذهب ليسلم على مفرح الذي أخبره بأن عليه العودة لمليكة لظرف خاص سيعرفه من بسمة أو شامل فحضنه كامل وقال" شكرا يا صاحبي على كل شيء"

ربت مفرح على كتفه وغمغم" لا حرمني الله من وجودكما في حياتي"

كانت عينا بسمة الباكيتان تراقبانه من نافذة السيارة وكأنها تخشى أن يغيب عنها أو أن تكتشف أنه ليس حقيقة وأنها تهلوس .. تابعته وهو يترك مفرح ويستدير حول السيارة ثم يدخل بقامته الطويلة ليجلس بجوارها ..

فتحرك حجري الفيروز في عينيها فوقه فخفق لهما قلبه المنهك ثم سألها متهكما وهو يتطلع في وشاحها "ما هذا الأدب نحن لسنا بالقرية؟"

غمغمت بابتسامة ضعيفة "عودة للجذور "

ابتسم وحضنها .. فقال شامل من أمام عجلة القيادة وهو يتحرك بالسيارة" بالله عليكما نكتفي بهذا القدر من الأحضان فنحن على الطريق فارحموني"

أبعدها كامل ولم يعقب على ما قاله أخوه بل مال بجذعه ونام برأسه على فخذ بسمة عاقدا ذراعيه أمام صدره ..فنظر شامل في المرآة الأمامية وقال" إلى أين ذهب؟"
نظر غنيم خلفه وابتسم ليقول شامل مبرطما " يا ربنا .. هل قدري أن أقود لهما السيارة مرة وهي ملفوفة بالملاءة ومرة وهو نائم على حجرها !.. يا أستاذ كامل هلا تعاونت معنا لنصل لبيتنا سالمين؟ "
لم يرد كامل وإنما عدل موضع رأسه على فخذها ليتخذ وضعا أكثر راحة وأغمض عينيه فمسدت بسمة على ذراعه بحنان جارف وعلى

شعره الطويل ثم مالت لتطبع قبلة على رأسه فسحب كامل نفسا عميقا ثم استرخى.

بعد قليل قال شامل باستفزاز "أنت يا بني آدم!"
تكلمت بسمة بحشرجة " نام يا شامل .. كامل يغط في نوم عميق "
نظر غنيم خلفه ثم قال لشامل "دعه ينام لبعض الوقت"
أما بسمة فاستمرت في التمسيد على ذراعه ورأسه وهي تتمتم في سرها" اللهم لك الحمد والشكر ..اللهم لك الحمد والشكر "

xxxx

بعد ساعتين

توقفت السيارة في المرآب وسوسو وونس التي تحمل رضيعها تقفان في استقبالهم فلم تستطيعا الصبر حتى يدخل إليهما بل أن سوسو

اتصلت بهما أكثر من مرة أثناء الطريق فخرج إليهما كامل الذي أيقظوه قبل قليل.. في نفس الوقت كان نباح شهبندر يأتي من الحديقة وهو يبحث عن مكان ليدخل منه لكامل.

انهارت سوسو عند رؤية ابنها ..فعانقها كامل يحضن قامتها القصيرة بين ذراعيه ومال عليها يقبل رأسها لترفع إليه سوسو وجهها وتتأمل ملامحه المرهقة وتمسد على لحيته قائلة" لماذا تطلق لحيتك بهذا الشكل غير المهندم يا كامل ؟!"

لم يرد عليها وإنما مال يحضنها من جديد فأكملت سوسو بكائها في حضنه وقالت وهي تضربه على ظهره بقبضتها "لن انسى لكم أنكم أخفيتم عني"

وقف الجميع يراقبوهما لتقول سوسو باكية "حماتك أرسلت بط وحمام ومحشي صباح اليوم .. وأنا وافقت على دخول البط والحمام

من أجلك فقط (وابتعدت تقول وهي تتأمله)
تبدو هزيلا ..ألم تكن تأكل من الطعام الذي
يرسله شامل لك؟"
لم يكن قادرا على الحديث فقال بخفوت "أنا
بخير يا سوسو لا تقلقي"
ربتت على صدره فتألم لذبولها وأضاف "محنة
ومرت وأعدك لن تعود"
ثم نظر لونس التي تناظره بعينين باكيتين ومد
يده يربت على رأسها فمدت ذراعيها بالسرير
المحمول لتريه الصغير..
تطلع كامل في الصغير باتساع عينيه فاقترب
شامل يحمل السرير من ونس ويعطيه لتوأمه
فتطلع فيه كامل بنظرات متأثرة بينما راقبته
بسمة وهو يميل ليقبل جبينه .
قال شامل" خرج أمس من الحضانة وهذا أول
يوم له بالبيت .. أرأيت مدى ارتباط ابني
بعمه؟"

ابتسامة حانية زينت شفتي كامل ..ابتسامة لا تخرج إلا للكائنات الصغيرة ومال يطبع قبلة أخرى على جبين الصغير وهو يقول" ما شاء الله"

حين دخلوا الفيلا قالت ونس "شهبندي ثيجن بايخايج "

(شهبندر سيجن بالخارج)

أسرع شامل بفتح باب الفيلا الذي يخربش فيه شهبندر لينطلق الأخير متجاوزا شامل الذي رفع حاجبا ويدخل كالطلقة نحو كامل فاستقبله الأخير وهو يميل عليه ليداعبه ويدلك له فراءه بينما قال شامل متوعدا" تتجاوزني يا كلب من أجله !"

بعد ساعة وفي إحدى الغرف الأرضية دخل شامل وأغلق الباب خلفه ثم تأمل ونس التي ترضع صغيرها فغمغم ضاحكا " لازلت حتى

الآن غير مستوعب لأننا أصبحنا ثلاثة ولا
لكونك قد أصبحت أما"
رفعت إليه وجهها تردد خلفه بابتسامة
واسعة" أنا أم"
جلس بجوارها ومال يقبل رأسها ثم قال" لم
نحتفل بولادتك أيتها الأم المناضلة.. لابد أن
نقيم حفلا من أجلك فقد كسبت جائزة عالمية
وولدت أول أحفاد عائلة غنيم"
ضحكت ونس وقالت" ثوثو تنوي أن تقيم
حفيا هي أخبيتني بذيك"
(سوسو تنوي أن تقيم حفلا هي أخبرتني بذلك)
هز رأسه ثم قال " علينا أن ننتهي من الطعام
بسرعة حتى نستعد للسفر "

كانت بسمة تقف في المطبخ وقد انتهت من
تحمير البط والحمام فنادت على شامل كي
يقلب لها حلة المحشي الكبيرة فوق صينية ثم

تركته وتسللت للطابق العلوي بحجة أن تخبر كامل بأن الغداء جاهز ..
إنها منذ أن صعد ليغتسل وهي تتحرق شوقا للصعود خلفه تريد أن تلمسه .. تحضنه .. تقبله .. تذوب في جزيئاته لكنها كانت تعد له الطعام من ناحية وتشعر بالحرج من تركهم والصعود خلفه من ناحية أخرى.
هرولت على السلم والشوق يسبقها واقتربت من غرفتهما لكن الباب كان مغلقا من الداخل فطرقت على الباب طرقات خفيفة وانتظرت و لم تجد ردا فمطت شفتيها بإحباط وعادت لتنزل من جديد .

نزل كامل بعد قليل بعد أن اغتسل وبدل ثيابه لكنه أبقى على ذقنه كما هي فقالت سوسو باعتراض" لماذا لم تهذب لحيتك؟"
غمغم قائلا "فيما بعد يا سوسو فيما بعد"

قطعت ونس طريقه ورفعت أمامه لوحتها التي رسمتها وكتبت عليها عبارة (ماذا بعد) وقالت" ما يأيك ؟"

(ما رأيك ؟)

تراقصت عيناه فوق اللوحة ثم تنحنح يخفي تأثره قائلا" رأيي أنك كالعادة ترسمينني أقل وسامة من شامل (وأخذها منها يضعها جانبا وهو يضيف) عموما سآخذها منك وأعلقها في المطعم مجاملة لك"

هتفت باعتراض "مجامية !!.."

(مجاملة !!..)

رد بهدوء مستفز " أجل فلا أريد أن أردك خائبة"

قالت باستنكار "ألن تشكيني"

(ألن تشكرني)

"لماذا؟"

قالت متنهدة " يا كامي الانثان يابد أن يشكي
الناث عيى ما يقدمونه يه حتى يو كان شيئا
بثيطا حتى يو كان يم يعجبك يبما أنا أتحمي
فظاظتك يكن الأخيين ين يتحميوا"

(يا كامل الإنسان لابد أن يشكر الناس على ما يقدمونه له حتى لو كان شيئا بسيطا ..حتى لو كان لم يعجبك ..ربما أنا أتحمل فظاظتك لكن الأخرين لن يتحملوا)

طقطق كامل رقبته يمينا ويسارا وتقبض بينما جاءهما ضحك شامل من عند منضدة السفرة
ليقول كامل بهدوء وهو يتجاوزها نحو المطبخ
" شكرا يا ونس على النصيحة "
هتفت خلفه "وعيى اليوحة !"

(وعلى اللوحة !)

رد مناكفا دون أن يتوقف أو يستدير إليها "
حين أعلقها في المطعم سأشكرك إن شاء الله"

استدارت تنظر لشامل عابسة ثم غمغمت وهي تقترب منه" فظ"

وقف كامل على باب المطبخ يتطلع في بسمة التي كانت توجه زيلا ثم قالت تعطيه الهاتف الذي تضعه على أذنها" أمي تريد التحدث معك"

أخذ منها الهاتف ورد" كيف حالك يا حاجة فاطمة"

جاءته زغرودة قوية تبعتها عدد من الزغاريد المشاركة في الخلفية فابتسم بينما وقفت بسمة تتأمله ..

إنه منطفئ هذا ما تشعر به .. هادئ أكثر من اللازم ..حتى عنجهيته ومشاكساته غير موجودة .. كان به شيئا مختلفا أو ربما ضائعا .. وكأنه مثقل الروح.

قال كامل "بارك الله لك يا حاجة الحمد لله"

تكلمت فاطمة باكية "والله يا حبيبي قلت لهم كامل لا يفعلها أبدا ..كامل ابن أكابر وابن ناس محترمين وليس مجرما"

غمغم متأثرا" أعزك الله يا حاجة"

استرسلت فاطمة وهي تنهت من الانفعال" ومبارك لك أن ربك عوض صبر بسمة وصبرك بالذرية .. والله يا كامل فرحتي .. فرحتي ..."

اجهشت بالبكاء فنظر كامل لبسمة كي تنقذه وهو يقول" الحمد لله أن أكرمنا الله وشكرا على الطعام كنت أشتهيه...سأزورك قريبا أنا وبسمة إن شاء الله"

أخذت بسمة منه الهاتف وطلبت من أمها ألا تبكي بينما وقف كامل يتأملها بشوق كبير .

حين أغلقت الخط سألته بخفوت "لماذا كنت تغلق عليك الباب من الداخل؟"

تأملها بعينيه الجريئتين بنظرة مدققة من رأسها حتى أخمص قدميها ثم رد بخفوت "لأنك لو

دخلت خلفي لن أغادر الغرفة قبل ثلاثة أيام على الأقل"

ترقرقت عيناها بالدموع بينما قال كامل بمشاكسة تخرج من روح مرهقة بشدة "لقد زاد وزنك قليلا"

قوست شفتيها لأسفل فمد يده يتحسس بطنها فلم تستطع بسمة الصمود فقالت باكية وهي تتمسك بملابسه "يا الهي أنت هنا .. أنت هنا وأنا لا أهلوس"

لم يعرف من منهما الذي حضن الأخر أولا .. فاتسعت ابتسامة زيلا وتحركت تحمل طبق السلطة وتغادر المطبخ بينما قالت بسمة باكية وهي تشتم رائحته وتتمرغ في حضنه" كنت أعد نفسي لغياب طويل وحرمان منك لفترة"

غمغم كامل وهو يغرق في حضنها" وأنا أيضا ولهذا كنت أموت ببطء في كل لحظة تمر عليّ بدونك"

دخل شامل يقول "ما شاء الله ما هذا الذي يحدث ..هيا أنا جائع وأنوي أن آكل طعام الأيام الماضية كلها .. كما أن أمامي أنا وونس سفر " كانا يبذلان جهدا للانفصال وكل طرف ينتظر من الأخر فعلها قبل أن يستجمع كامل قواه ويبعدها ثم يمسح عنها دموعها .. فاقترب شامل وسحبه قائلا "ليس هذا وقت الغراميات البط والحمام ينتظروننا يا كيمو"

حين خرج كامل مع شامل من المطبخ كان غنيم يقول لسليمان الوديدي في الهاتف" بارك الله فيك يا حاج سليمان"
تحكمت بسمة في مشاعر الاستياء التي تريد أن تظهر على وجهها عند سماعها لاسم والدها وتحركت نحو منضدة السفرة بينما قال سليمان وهو يقف أمام بيته وخلفه فرقة شعبية تعزف وعمال مزرعة المواشي يوزعون

أكواب الشربات على الناس "هل تسمع
الاحتفالات ببراءة ابننا كامل يا غنيم بك؟"
قال غنيم مجاملا رغم تخمينه لموقفه السابق
بعد عودة بسمة تلك الليلة بعد منتصف الليل
" بارك الله فيك يا حاج سليمان أشكرك على
شعورك النبيل"
غمغم سليمان وهو يسلم على أحدهم الذي
يبارك له" لا تقل هذا يا غنيم بك نحن أهل ..
هل كامل بجوارك كي أبارك له"
غمغم غنيم" طبعا "

بعد قليل قالت سوسو وهي تتطلع في السفرة
التي يتجمع حولها الجميع كاملين غير
منقوصين" لا حرمنا الله من جمعتنا ولا فرق
بيننا أبدا"
أضاف غنيم" وزادنا من فضله ومن كرمه
..وأبعد عنا شياطين الإنس والجن"

تطلعت بسمة في كامل الهادئ الذي لا يأكل بشهية ويلهو بطعامه ووضعت له صدر البطة تقول" لماذا لا تأكل؟"
ناظرها قائلا "لم استعد توازني النفسي بعد"
ابتسمت له ابتسامة حانية فتأمل وجهها الفاتن وعينيها الزرقاوين وشفتيها وطابع الحسن
بينما قالت سوسو لونس باعتراض "هل ستأكلين وأنت تضعينه على حجرك بهذا الشكل؟!"
قالت ونس "إنه يبكي كثيبا كيما تيكته يييد أن ييتشق بي"
(إنه يبكي كثيرا كلما تركته يريد أن يلتصق بي)

ربت شامل على ظهرها ثم ساعدها في وضع الطعام في طبقها بشكل سهل التناول بيد واحدة في الوقت الذي قالت فيه سوسو بتفاؤل" علينا إقامة حفل .. فلم نحتفل لا

بجائزة ونس ولا بولادة آسر والآن خروج كامل من محنته"
رد كامل بهدوء" لست في مزاج للتواصل الاجتماعي حاليا يا سوسو احتاج لفترة لاستعادة توازني النفسي"
تدخل غنيم قائلا "اتركيه حتى يعود لطبيعته يا سوسو"
غمغمت الأخيرة" ولكن عليك بتشذيب هذه اللحية المقرفة يا كامل "
ابتسم كامل ولكنه لم يرد.

××××

عند صلاة العصر

قالت أم ياسين عمة جابر بقرف "تستحق الفضيحة بنت الـ (×××) ليته أبلغ عنها الشرطة"
لكزتها نجف مشيرة بعينها على ميس الواقفة بعيدا على باب غرفة جدتها مرتدية فستان

منفوش بينما أم هاشم تصفف لها شعرها
فقالت أم ياسين بغيظ "و الله كلما أتذكر يفور دمي "
قالت نجف بيقين صادق "أنا وأم هاشم احتسبنا ما حدث عند الله والله يمهل ولا يهمل"
سُمعت جلبة بالخارج بينما قالت إحدى بنات خالة زين "وصل العريس"
دخل زين ليسلم على أمه ببدلة العرس الأنيقة
فانفجرت الزغاريد من حوله بينما انفجرت نجف بالبكاء.. فمال عليها يحضنها قائلا
"جئت حتى تريني بالبدلة يا نجفة لا لتبكي "
أخذت تمطره بالقبلات ثم دعت له بكل الدعوات التي خرجت من قلبها فلثم يدها ثم تلقى التهاني من عمته وخالاته وأم هاشم قبل أن تقترب منه ميس قائلة "واااو تبدو عريسا "
قال ضاحكا "وأنت تبدين عروسا"

فقالت "أريد أن التقط صورة معك يا عماه"
ترك زين لإحداهن التقاط صورا له معها ومع أمه وخالاته ثم تحرك يستعد للمغادرة حتى يحضر إسراء من صالون التجميل فقالت ميس "أنا سعيدة جدا لأنك ستتزوج من أبلة إسراء"
رد زين بلهجة شقية" وأنا الحقيقة ..أكثر منك سعادة "
انفجرت الزغاريد بقوة حوله وانفجرت معها دموع الفرح والدعوات بالسعادة

××××

دخلت نصرة لصالون التجميل لاهثة وتحركت بعباءتها المطرزة ووجهها الأحمر نحو الغرفة التي تقودها إليها نسمة حتى ترى إسراء في الثوب الأبيض.
هل سيصدقونها إن قالت أنها تحلم بهذه اللحظة منذ أن حملتها أول مرة بين ذراعيها وتطلعت في وجهها الصغير؟ .. اليوم بالذات

تذكرت كل مراحل حياتها .. وكيف كانت فتاة ذكية عاقلة منذ صغرها.

فتحت الباب فقالت إسراء بلهفة" أمي" تغضنت ملامح الأخيرة ووقفت تتطلع فيها والدموع تنهمر من عينيها فتزيد من احمرار وجهها الممتلئ .. إن الغالية إسراء ترتدي الثوب الأبيض أخيرا فقالت" أعوذ برب الفلق من عيني ومن عين كل من رآك ولم يصل على النبي"

أسرعت إسراء إليها بفستانها المنفوش وحضنتها .. هل سيصدقون إن علموا أن جزء من فرحتها هو تحقيقها لحلم أمها بأن تراها عروس ؟.. وتحمد ربها أنها لم تفعلها فقط كي تحقق حلم أمها ولكنها فعلتها لأنها قالت (أوافق) وبصمت بأصابعها العشرة .

علت الزغاريد الآتية من الخارج ودخلت أم هاشم ببطنها البارز من عباءة فاخرة باللون

الأسود ومطرزة بالورود الزهرية بأكمام واسعة وتمتمت وهي تقترب لتقبل العروس "اللهم صل على النبي"

باركت لإسراء ووقفت تثرثر قليلا ثم قالت وهي تضرب على رأسها " نسيت أن أخبر العريس بأن يدخل "

قالتها وهي تفتح باب الغرفة فانفجرت زغاريد الفرح وبرز زين عند باب الغرفة طويلا أنيقا مبتسما ابتسامته الساحرة فخطفت إليه إسراء نظرة خاطفة قبل أن تخفض نظراتها.

اقترب بقلب يتراقص من الفرح على أنغام دقاته وتأمل هالتها البيضاء بفستان بقماش كله مطرز بالورود البيضاء البارزة ينزل باتساع وحجاب أبيض حول رأسها ورقبتها ..وطرحة صغيرة فوق رأسها.

وقف أمامها فظلت مطرقة برأسها يكاد قلبها أن ينفجر من الطرق في صدرها .. ليمد يده ويرفع ذقنها كي تنظر إليه فأسرعت بإنزال وجهها .. عاد لرفعه قائلا "لا أريد سوى أن أطلب منك محبسي .. أعطني المحبس وإلا سأرتكب فضيحة"

كانت حلوة .. حلوة كأحلى حلم مر في خياله .. تكاد أن تصيبه بأزمة قلبية من حلاوتها .. وكان وسيما .. وسيما إلى حد الإغماء .

تحركت إسراء تطلب من أختها همسة الواقفة متأنقة بجوارها والتي تحمل لها حقيبة صغيرة بها هاتفها فناولتها الحقيبة وأخذت منها المحبس وأعادتها إليها

فمد زين يده لها لتلبسه المحبس ..

شاكسته تقول بكبرياء" وهل أنا من جعلتك تخلعه حتى ألبسه لك!"

عيناها كانتا مكحلتين بالأسود فتألق اللون الكموني فيهما أمامه وهو يقول بحاجب مرفوع" إن لم ترغبي في أن أقوم بأي خطوة مجنونة أمام الناس ألبسيني إياه فورا"
احمرت وجنتاها وأمسكت بيده اليمنى لتلبسه إياه ..فسحب يده يقول شاعرا بالإهانة " اليمنى .. ستلبسيني إياه في اليمنى!! "
احمرت وجنتاها خاصة مع ضحك الواقفات وأسرعت بالإمساك بيده اليسرى ووضعت فيه المحبس .. فأمسك يدها ورفعها إلى شفتيه يقبلها.
تنهدت أختاها بهيام بينما أطرقت إسراء رأسها بخجل شديد تغطي باليد الأخرى عينيها..
فأمسك زين برأسها وطبع قبلة على جبينها ثم حضنها وانفجرت الزغاريد من جديد.
حين خرجت الزفة من صالون التجميل استقبل هلال ابنته بكريته وفخره بالأحضان

ثم طبع قبلة على جبينها وسلم على زين بحرارة يوصيه عليها بينما ساعدت أم هاشم حماتها على الخروج من المقعد الأمامي لسيارة العرس المزينة بالورود التي يقودها أحد أصدقاء زين ..فتوجهت إليها إسراء تقبلها بينما العجوز تمطرها بالدعوات .

تحرك العروسان ليجلسا بالمقعد الخلفي في الوقت الذي ذهبت أم هاشم لتجلس في المقعد الخلفي لسيارة جابر التي يقودها هلال بينما جابر في القرية يستقبل الضيوف .. فجلست نصرة بجوار زوجها بينما استقرت همسة ونسمة وكريم بجوار أم هاشم .. أما ميس فأصرت على حشر نفسها بجوار جدتها في سيارة العريس ..

لينطلق موكب كبير من السيارات الخاصة وسيارات الأجرة لنقل الضيوف إلى القرية .

xxxx

أغلق كامل باب الغرفة فاستدارت بسمة إليه ترتدي القميص البرونزي شعرها الأسود مسدلا على ظهرها وبطنها ظاهرة من القميص الضيق كالكرش الصغير.. كانت فاتنة إلى حد يفوق احتمال جائع مثله وعيناها كانتا حكاية أخرى حكاية تحتاج لقصيدة غزل لهما وحدهما .

تخضبت بالحمرة تقول" لم أرغب في ارتداء قميص جديد ..أحببت أن ارتدي شيئا تحبه ..لكن أعتقد أنك على حق ..فقد اكتسبت بعض الوزن"

اندفع كامل يقطع الخطوات بينهما وحضن وجهها يقبلها بشوق يكاد أن يذبح قلبيهما .. يقبلها باحتياج .. برغبة في التعافي من السقم ..وخرجت من حنجرته آه متوجعة.

حين أطلق سراح شفتيها حضنها بقوة هامسا من بين قبلاته التي يوزعها على عنقها وكتفها

"باسمة مهما وصفت شوقي إليك ستخرج الكلمات ركيكة .. أنت يا باسمة .. أنت"
"بسمتي أنت .. ووجعي ..وجنوني والصاعقة التي شطرت قلبي إلى نصفين"
قالتها بسمة مرددة قصيدته لها فابتسم وهو يرفع وجهها إليه ثم أطبق على شفتيها يقبلها بقبلة عنيفة مثل مشاعره ..ومال يضع ذراعه تحت ركبتيها وحملها .. وسقط معها على السرير ..
سقط في بحر عينيها .. فاغتسل وتطهر من آثامه .. وضمد جراحه .. وتحت ظلال رموشها اعترف بأخطائه وهزائمه.. وعلى باب قلبها طلب الصفح فلم يرد خائبا .. فغزل فوق جبينها من الوعود الجميلة تاجا ..ومن آهات الشوق قصيدة .. وقدم قلبه إليها قربانا .

بعد بعض الوقت قبل بطنها من تحت الغطاء عدة قبلات ثم غطاها ودفن رأسه في حضنها يسألها "متى سنذهب للطبيبة؟"
ردت وهي تقبل رأسه" متى شئت"
غمغم مسترخيا "أشعر برغبة في عدم الخروج حاليا .. لكن هذا المشوار بالذات لن أستطيع تأجيله "
دلكت ظهره تقول "خذ وقتك يا كامل ولا تتعجل ..طبيعي بعد ما مررت به أن تحتاج لبعض الوقت حتى تستعيد حياتك .. الحقيقة ما حكيته لنا بعد الغداء عما مررت به احزنني بشدة"
غمغم وهو يعتدل على ظهره ويدس ذراعه تحتها ويسحبها لتنام فوق صدره "أهم شيء ألا تبتعدي عني يا باسمة احتاج إليك بشدة"
(احتاج إليكِ)

هزتها العبارة وأثرت فيها ..فلم يحتجها أحد من قبل .. وحين يكون حبيب العمر.. كامل نخلة بكل اعتداده بنفسه وعجرفته من يحتاجها .. فهي على استعداد لتقديم روحها كي تساعده.

رفعت رأسها ومسدت على لحيته غير المشذبة تقول بهمس" أنا وما أملك لك يا كامل ..وحبي لك لن يهتز مهما حدث.. وسأبقى معك تحت كل الظروف ..وكنت مستعدة لانتظارك طوال العمر"

سألها بصوت مبحوح " هلا طلبت منك طلبا؟ "

قالت وهي تصفف شعره بأصابعها " أشر بخنصرك "

بلع ريقه فتحركت تفاحة آدم في عنقه وقال " هلا أغلقنا أي حديث عن الشخص الذي شهد

ببراءتي .. فهذا الموضوع كان وسيظل يشعرني بعدم الراحة وما حدث نال من كبريائي "
هزت رأسها وقالت " لك ما تريد .. أتمنى فقط أن نطوي هذه الصفحة للأبد "
قالتها ثم مالت على شفتيه تقبله فاعتصرها بين ذراعيه .

xxxx

في المساء

أمام الصوان الكبير الذي يتحدث عنه كل أهل البلدة وعن الذبائح والولائم التي يقيمها جابر دبور احتفالا بزواج أخيه توقفت سيارة شامل في زيارة سريعة من العاصمة لتحضر ونس حفل العرس فترجلت هي ورضيعها من السيارة وترجل معها أيضا عيد القللي الذي مروا عليه وأخذوه في طريقهم.

قال عيد لونس يأخذ منها سرير آسر المحمول
" اتركيه معي وأذهبي فأخشى أن يصيبه شيء
من الزحام"
ترددت ونس وتطلعت في وجه شامل فقال لها
مطمئنا" إن سيادته نائم نوما عميقا .. اذهبي
ولا تقلقي ودعي الهاتف في يدك حتى أطلبك
حين يستيقظ"
تطلعت في آسر فقال عيد بعصبية" اذهبي هل
سنأكله!"
ابتسمت لوالدها وتحركت أمام عيني شامل
تخترق تجمع السيدات بعد أن ضبطت
سماعتيها على وضع يسمح لها باستيعاب هذا
الكم من الأصوات العالية المختلطة ..فتطلعت
فيها بعض الفتيات لتقول إحداهن "تبدو
ناضجة انظري لملابسها الأنيقة .."
كانت ترتدي فستانا باللون الأزرق السماوي
وحذاءً أبيضا ذا كعب عال علمتها سوسو كيف

تسير به باستقامة ويغطي رأسها وشاح أبيض ناعم فبدت ناضجة ومختلفة كليا عن تلك الفتاة المتمردة غريبة الأطوار التي كانت عليها قبل ما يقرب من عام .

اقتربت بثقة واتزان نحو إسراء فهللت هي وصاحباتهما منذ أيام الدراسة يرحبن بها فحضنتها إسراء بسعادة تقول "أهلا بصاحبة الجوائز العالمية"

قالت ونس بصوت عال "مبايك يك إثياء أتمنى يك الثعادة"

(مبارك لك إسراء أتمنى لك السعادة)

صرخت الفتيات من الفرحة حين سمعنها تتحدث فضحكت ونس وغطت وجهها بكفيها بحرج ثم أشارت لهما على السماعتين الحديثتين بفخر .. لتقول إحداهن بمحبة "والله حين أرتنا إسراء المقطع المصور وأنت

تستلمين الجائزة وتتحدثين شعرنا بالفخر أنك بنت قريتنا .. ربك عوضك خيرا الحمد لله"
سألتها إسراء" هل خرج آسر من الحضانة ؟"
أشارت لها ونس تقول" أجي .. إنه مع أبي (ثم نظرت حولها تسأل) أين نثية "
(أجل .. إنه مع أبي ..أين نصرة)
سلم شامل وعيد على جابر وهلال ومصطفى الزيني وجلسا في مجلس الرجال فراقب شامل عيد الذي يحضن سرير حفيده ويتطلع فيه بملامح سعيدة وراقبه وهو يرحب بمن يمر به ثم يشير على حفيده قائلا بفخر "هذا حفيدي .. ابن ونس "
ربت مصطفى الزيني على فخذ شامل يخرجه من شروده حين قال " مبارك لكامل براءته البلدة ليس لها حديث إلا هذا الخبر "
ابتسم شامل وقال براحة " الحمد لله أن أظهر الحق "

أما جابر وهلال الواقفان على باب الصوان فتطلعا في العدد الكبير من المدعوين وأغلبهم من أصحاب زين الذي يتوسطهم الأخير منهمكا في الرقص على الأنغام العالية ..ليقول جابر وهو يضرب كفا بكف" لا أفهم كيف ومتى دعا كل هؤلاء في أسبوع واحد!"

ضحك هلال وقال "حمدا لله أن الذبائح كافية وأنك أحضرت اثنين من الطباخين ليقدموا الطعام "

رد جابر "بصراحة أمنت نفسي .. حين قال هذه المرة كثيرون أمنت نفسي حتى لا ننفضح"

ربت هلال على كتف صاحبه يقول" حفظكم الله من الفضيحة"

ناظره جابر قائلا بمحبة" صرنا أصهار يا صاحبي هل تصدق؟"

رد هلال بتأثر" أنت وعائلتك دوما زاد الخير علينا "

قال جابر بلهجة صادقة "يعلم الله كم أدخلت هذه المصاهرة من سعادة على قلبي يا صديقي"
لوى هلال شفتيه وقال متهكما" ظننت أن علاقتك بمصطفى الزيني هي فقط ما تسعدك"
قهقه جابر ضاحكا ثم قال" هل تغار كالحريم يا هلال!"
لوى الأخر فمه ممتعضا فربت جابر على ظهره .. ثم تعانقا عناقا رجوليا يحمل محبة صادقة صنعتها سنين طويلة .
في جانب النساء عادت نصرة لتقبل ونس من جديد وهي تقول بسعادة "ما احلاك يا ونس.. إياك أن تسافري قبل أن أرى الصغير
..(وأضافت بلهجة متعاطفة) والله كنت أريد أن أزورك لكن هلال منعني بسبب تلك الظروف التي حدثت لأخي زوجك"
ردت ونس بحمائية" إنه مظيوم وثبتت بياءته"
(إنه مظلوم وثبتت براءته)

ربتت عليها نصرة تقول "ما شاء الله وأنت تتحدثين ...ما شاء الله" وأطلقت زغرودة.

اقتربت إحدى النساء من نصرة تبارك لها ثم قالت وهي تنظر حولها "ما شاء الله يا أم كريم ..تمم الله لها على خير ..إسراء تستحق كل خير"

غمغمت نصرة بالحمد لتضيف المرأة غامزة" بالمناسبة صاحبتك ستموت قهرا ..وصلني من واحدة مقربة لها أنها ستموت قهرا لأن اسراء تزوجت من هو أفضل من ابنها مئات المرات بينما هي ابنها بعيدا عنها"

غمغمت نصرة غير راغبة في تعكير مزاجها" أصلح الله لها حالها بعيدا عنا"

في ناحية أخرى قالت إحدى صاحبات إسراء لها بجرأة وهن يتابعن زين يرقص وسط الشباب

"هل أنت متأكدة أنه لن يسقط نائما بمجرد أن يدخل الشقة؟" لكزتها إسراء بحرج بينما حمل عدد من الشباب زين وأخذوا في رفعه في الهواء وتلقيه على سواعدهم عدة مرات والأغنية تعزف ..

آدي الزين .. وآدي الزينة
قالوا الجنة هي جنينة
ع الياسمينا نشوف أساميا
لو زفينا الزين ع الزينة

×××

وقفت نصرة على باب الشقة تبكي وتحضن إسراء بعد أن دخلت معهما ومكثت بعض الوقت تحضر طعام العرسان على السفرة تخلله أحضان وقبلات لإسراء وتوصيات لزين بأن يهتم بها.. وانتهى بها المطاف لوقفة طويلة على باب الشقة تحضن ابنتها وتبكيان فجاء صوت إحدى أخوات نصرة من الطابق الأرضي

والتي تشعر بالحرج من الصعود" هيا يا أم كريم لا يصح هذا"
قالت نصرة غير قادرة على تحريك قدميها "حاضر ..حاضر (ثم قالت لزين) ترفق بها يا زين.. ولا تحزنها ..واحفظها في عينيك ..إنها غاليتي جوهرتي الثمينة"
هز الأخير رأسه مطمئنا بينما اخترقت أم هاشم أخوات نصرة الواقفات عند السلم وبنتيها وقالت بعصبية" دعوني أمر لقد فقدت صبري "
قالتها وصعدت وهي تمسك ببطنها بينما قالت نجف من الداخل" ترفقوا بها يا جماعة إنها بكريتها"
اقتربت أم هاشم وهي تلهث فسحبت نصرة من يدها وهي تقول" تصبحان على خير"
تحركت معها نصرة وهي تقول باكية" لن أوصيك يا زين"

تنفس الأخير الصعداء وقال بعد أن خرج يودعها على الباب "لا تقلقي (واستدار ليجد إسراء قد اختفت فغمغم بعبوس) أين ذهبت؟!"

في غرفة النوم فكت إسراء حجابها واستدارت تتطلع في قميص النوم والروب المفرودين على السرير عاقدة حاجبيها وانحنت تتفحصه بعناية وقد تعرفت عليه .. إنه القميص الذي أعجبها ذات مرة حينما كانت هي وأمها تشتريان الملابس لونس فدمعت عيناها وغمغمت بتأثر" فعلتها يا نصرة!"

أسرع زين نحو باب غرفة النوم فوجده موصدا من الداخل فطرق عليه قائلا" أبلة سراء ألم تنسي أحدا خارج الغرفة قبل أن تغلقيها من الداخل !"

قالت بتوتر" أريد أن أبدل ملابسي"

رد عليها وهو يفك ربطة عنقه "وأنا أيضا أريد أن أبدل ملابسي ..لماذا تستأثرين بالغرفة وحدك!"

قالت بعصبية "اتركني على راحتي يا زين"

صاح معترضا " لاااااااا ..لم يكن هذا اتفاقنا .. لو تركتك على راحتك سأبيت على الأريكة"

جاءه صوتها من الداخل يقول "أنا لم اتفق معك على شيء"

قال بلهجة متسلية وهو يخلع سترة البدلة ويلقي بها هي وربطة العنق على أحد المقاعد ويشمر ساعديه " ابتعدي إذن عن الباب"

جاءه صوتها تسأل بتوجس" لماذا؟"

رد عليها وهو يفتح أزرار القميص العلوية ويخرج أطرافه خارج البنطال "لأني أنوي أن أكسره"

هتفت من خلف الباب "وهل هناك عريس متحضر يكسر الباب على عروسه!!"

رد عليها "وهل هناك عروس تفهم في الأصول تغلق الباب عليها من الداخل"

ساد الصمت وطال انتظاره فعقد زين حاجبيه ثم طرق على الباب يقول وقد ذهب عنه المرح "إسراء"

صوت فتح القفل جاءه ثم ساد الصمت بعدها فامسك بمقبض الباب وفتحه و وقف على باب الغرفة متخشبا.

كانت تقف بعيدا بجوار طاولة الزينة ترتدي روب أبيض طويل شعرها بنيا فبدى شكلها غريبا بدون الحجاب ..

فركت إسراء كفيها بتوتر واضح ثم أشارت على شعرها تقول" قصير .. إنه قصير ..لا أعرف إن كنت تحب القصير أم لا.. لكن شعري لا يستطيل إلا بصعوبة ..ومزينة الشعر اضطرت لقص أطرافه فأصبح أقصر "

شعرت بأنها حمقاء بعد ما قالته خاصة وهو يحدق فيها متخشبا قبل أن يقترب منها ببطء وعيناه تتفحصان وجهها وشعرها الذي يلمس بالكاد كتفيها وبدون أن يتفوه بشيء حضن وجهها بكفيه ومال يطبق على شفتيها بقبلة حارة جائعة.

ارتجفت إسراء وأصابتها نفس الحالة من الاستسلام دون مقاومة ..ليرفع زين وجهه عنها بعد قليل ويقول لاهثا "أنت مصرة على أن تفاجئيني بأشياء لا أعرفها عن نفسي .. فلم أكن أعرف بأني أحب الشعر القصير إلا الآن"

أراحها رأيه فمهما حاولت أن تتصنع التعقل ..بداخلها أنثى تحب أن تكون جميلة ومرغوبة في عيني زوجها و... حبيبها .

قال وهو يبتعد عنها ويتطلع فيما ترتديه" تعال لنصلي أولا.. قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة "

بعد قليل خلع زين قميصه بعد أن فرغا من الصلاة والدعاء وراقبها وهي ترفع عنها اسدال الصلاة فسحبها إلى حضنه يقول وهو يتأملها بدون حجاب" تبدين مختلفة ..لست الأبلة الناظرة"

عبست ملامحها فمنحها ضحكة أبهجت قلبها ثم مال يحضنها بقوة وهو يقول " أنت أقصر مما اعتقدت هل كنت تغشينني في طولك أم أنا الذي أشعر بك بدون الحجاب والملابس الفضفاضة فتاة في السابعة عشر؟"

لم ترد كانت تشعر بالخجل والخدر والحرج وكل المشاعر المرتبكة.. فأبعدها قليلا وألصق جبينه بجبينها يقول بهمس حار" لماذا ترتجفين؟"

قالت مجادلة "لا أرتجف"

قال لها وهو يميل ليقبل عنقها ويده تتحسس جسدها "أنا الذي اختض إذن فهلا حضنتني حتى أشعر بالطمأنينة "

لم ترد فرفع رأسه يقول مناغشا ومشفقا عليها وهي ترتعش بين ذراعيه "أنا خائف يا أبلة سراء هلا حضنتني بذراعيك"

هزت رأسها رافضة بخجل فضحك وقال بهمس "يا قاسية القلب"

ابتسمت وأسبلت أهدابها وتوترها يزيد وهي تستشعر لمساته الرقيقة على جسدها فسألها زين" هل أنت جائعة؟"

ردت بما تشعر به" لا أعرف"

ضحك مجددا فساهم هو وعطره ودفؤه في زيادة توترها قبل أن يسألها" لا تعرفين إن كنت جائعة أم لا؟"

ظلت صامتة فرفع ذقنها بأصابعه وهمس " يا الهي أنت جميلة جدا "

ومال يلتهم شفتيها بقبلة أكثر سخونة وعمقا ويده تزيد في جرأتها ..
حين أطلق سراح شفتيها حملها فوق ذراعيه فازداد توترها وهمست معترضة "زين!"

وضعها على السرير وخيم فوقها قائلا بأنفاس ساخنة متسارعة" أنت متوترة للغاية وكلما ماطلنا ستزدادين توترا دعيني أخلصك من ذلك الخوف بأن آخذك إلى ذلك المجهول الذي تخشين الذهاب إليه.. كي أثبت لك أنه لا يوجد ما يستدعي خوفك "
قالها ولم يعطها فرصة للاعتراض بل مال عليها يقبلها ويدغدغ مشاعرها بأحاسيس تشعر بها لأول مرة .. فاستسلمت له تماما دون مقاومة تذكر وكأنه يسيطر عليها بسحره كلما اقترب منها.

××××

الفصل الخامس والأربعون والأخير

اليوم التالي
العاشرة صباحا

تأملت نومته وابتسامة تتراقص على شفتيها ثم مدت إصبعها تتحسس فكه وذقنه وهي تبتسم بخجل .

ماذا دهاها؟.. إنها تذوب كحلوى الهلام وتتصرف كالمراهقات ولا تعرف هل هذا جيد أم سيء .. إنها لم تتعود على ذلك.. تعودت أن تكون الكبيرة العاقلة الرزينة ..جزء هو تكوين فيها والباقي اكتسبته خلال نضوجها المبكر .

لكنها مع زين تبدو مختلفة.. تتصرف بطفولية وحماقة أحيانا.. حين تستعيد حالتها بين ذراعيه أمس وكيف كان معها رقيقا وحازما في نفس الوقت .. خاصة مع توترها الشديد تضحك على حالها .. هي المعلمة الحازمة كانت

كعصفور يرتجف في يوم ماطر .. ضاعت هيبتها أمام زين الذي خرج من حلم جميل ليحول كل شيء حولها ليكون جميلا مثله .
لقد وقعت في حبه هذا ما أخبرت به نفسها خلال فترة خطوبتهما رغم أن علاقتهما كانت عن بعد وتأكدت من هذا الشعور حينما عاد على حين غرة كعودة المطر بعد سنين عجاف ..
لم تتخيل يوما أنها ستقع في الحب .. إنها شخص عملي واقعي والزواج عندها يعني مودة ورحمة والتزام لمشاركة شخص أخر الحياة ..ولم تكن تعرف قبل أن تقابله أن مشاعر المراهقات حقيقية والتعلق برجل يمكن أن يحدث لها مثلهن .

هل غاب في النوم؟ .. نظرت في الساعة وضحكت على نفسها لقد ناما بعد الشروق ..

بعد أن ظل طوال الليل يشاكسها تارة ويغازلها تارة أخرى.. ولم يتركها إلا بعد أن نفضت عنها توترها وشعرت بالاطمئنان فتناولا الطعام عند الفجر ثم استسلما للنوم بعد الشروق ..ورغم إرهاقها الأيام الماضية إلا أنها لم تنم إلا ثلاث ساعات .

تململ في نومته وراقبته يفتح عينيه ويتطلع حوله ثم يرفع أنظاره نحوها فانكمشت في نفسها بحركة عفوية جعلته يرفع حاجبا ويقول" هل رأيت زومبي؟! .. هذا هو شكلي حين استيقظ من النوم عليك الاعتياد على ذلك .."

تطلعت في شعره الناعم المنكوش فتحرك زين وانقلب على بطنه يدفن رأسه في حجرها ويعود للنوم

قالت له "هل ستكمل نومك؟"
همهم بالإيجاب فقالت" أمي بالتأكيد على وشك الوصول"
غمغم بنعاس "نامي يا إسراء لن نفتح لأحد"
عبست تقول باستهجان" لن تفتح لأمي!!"
همهم بالإيجاب وأضاف "أنت مخطوفة ومحبوسة في هذا البيت ولن يراك أحد"
قالت بغيظ" زين كف عن الفظاظة"
انقلب على ظهره ليكون رأسه على فخذها ورفع إليها أنظاره يقول" كم ستدفعين؟"
راقبت نظراته الشقية فأشاحت بوجهها بوجنتين مشتعلتين فأضاف وهو يمد ذراعه لأعلى ليمسك بأطراف شعرها القصير" أبلة سراء"
حين لم ترد اعتدل جالسا ومد يده ليدير وجهها المتورد إليه قائلا" قلت كم ستدفعين لأقوم واستعد لاستقبال الزائرين؟"

رمشت تقول وهي تتصنع الجدية "وهل
ستطلب شيئا مقابل كل شيء تفعله؟!"
هز رأسه بالإيجاب وأضاف "معك سأقبل
بالرشاوي والمكافآت والمنح وكل شيء"
قالت بحاجب مرفوع وهي تقاوم خفقان قلبها
المتسارع "ولكن هذا استغلال"
مال بوجهه يقول بلهجة حارة أمام شفتيها"
وأنا أجيد الاستغلال خاصة حينما يكون
لشخص بهذا الجمال وهذه الحلاوة .."
عاودها التوتر لكنه هذه المرة من النوع
المدغدغ للأعصاب بينما أطبق زين على
شفتيها وحاوطها بذراعيه ثم سحبها ومال بها
ليستلقيا على السرير..
غمغمت باعتراض من بين هجوم شفتيه
"ولكن أمي على وشك الوصول"
قال لها ويده تتسلل تحت ملابسها "قلت لك
أنت مخطوفة وأسيرة هنا فكفي عن التوتر"

بعد قليل سُمعت الزغاريد آتية من الطابق الأرضي فخرج زين من الحمام ليجدها واقفة بجوار طاولة الزينة يبدو عليها التوتر فألقى بالمنشفة على السرير واقترب منها يسألها" ما بك ؟..لماذا أنت متوترة بهذا الشكل؟"
ردت عليه "لا أعرف لست معتادة ..وأشعر بالخجل الشديد ..لا أعرف"
ضمها زين إلى صدره مطمئنا وطبع قبلة على رأسها قائلا" لا بأس ستعتادين على الحياة الجديدة بسرعة"
اقتربت الزغاريد شيئا فشيئا حتى رن جرس الباب ..فتركها وخرج ليفتح فقابلته حماته بالزغاريد تدخل بصينية طعام الصباحية وخلفها أمه وأم هاشم وخالات العروس.
رحب زين بهن وتحرك بعد أن أمطرته أمه بالقبلات ليحضر إسراء التي رفضت الخروج معه فاتسعت عيناه قائلا "لا يصح"

قالت بعناد طفلة صغيرة" أريد أمي"
ضرب زين كفا بكف وقال ضاحكا "من منا شخصيته متقلبة الآن ..سألتقط لك صورا وأنت منكمشة بهذا الشكل خلف الباب وأريها لتلامذتك في الفصل"
بعد قليل خرج إليهم يقول "أم كريم ابنتك لا تريد الخروج وملتصقة خلف باب الغرفة محرجة"
ضحكت الموجودات فقالت أم هاشم لنصرة التي ترص الطعام على السفرة "ادخلي لابنتك يا أم كريم ودعيني أنا أرص الطعام"
حين دخلت نصرة ألقت إسراء بنفسها عليها فحضنتها نصرة تزغرد باكية فشاركتها إسراء البكاء تقول" أشعر بالحرج الشديد يا أمي"
تطلعت فيها الأخيرة ضاحكة ثم دققت في الروب الأبيض الذي ترتديه وقالت باكية"
بسم الله ما شاء الله وكأنه صمم لك"

تكلمت إسراء بتأثر" لم يكن عليك شراءه إنه غالي الثمن"
قبلتها نصرة تقول "وهل هناك أغلى منك يا نور عيني هيا إلى الخارج لا يصح .. ضيفاتك ينتظرنك "
قالتها وهي تسحبها لخارج الغرفة وترفع المزيد من الزغاريد.. فوقفت خجلة تتلقى التهاني من الموجودات بينما زين يجلس على السفرة يمسك بورك بطة ويأكله فاقتربت تقول له من بين أسنانها بهمس " هيبتي ضاعت بسببك " غمغم ضاحكا " لا إله إلا الله .. ألف سلامة عليها "
عبست وسألته" من!"
رد عليها ضاحكا " هيبتك"
بعد قليل وبعد أن غادرت الضيفات خرجت إسراء إلى الصالة بعد أن اغتسلت و بدلت ملابسها لقميص أخر رقيق فتأملها زين الذي

يجلس بجوار منضدة السفرة ثم ربت على المقعد بجواره ..
اقتربت لتجلس وتطلعت في ملامحه الجادة بترقب فاسند ذراعه على ظهر مقعدها وأمسك باليد الأخرى كفها قائلا وهو يتطلع في وجهها "من هذه اللحظة أحمل هم تركك بعد ثلاثة أسابيع .. الأمر سيكون صعبا عليّ وأشفق عليك من الآن ..لكن أعدك بأني سأرسل لك في أقرب فرصة"
هزت رأسها فقال" أعلم أيضا أنك مرتبطة بعائلتك فدعينا نتحمل الغربة معا حتى آخر العام ..فكما تعلمين أني لا أنوي إضاعة سنوات عمري بالخارج لهذا أضغط نفسي كثيرا حتى أعود واستقر ببلدي ..لكن مع نهاية العام سنقرر معا هل نكتفي بهذا القدر ونعود أم نستمر عامين أو ثلاثة أخرين نزور فيهما الوطن

في الإجازة الصيفية ..وأعدك أن يكون القرار مشتركا"

هزت رأسها موافقة وقالت " أنا معك في أي مكان "

تأملها قليلا ثم مال يحضنها قائلا "إسراء"

"نعم"

"أنا أحبك"

××××

عند الظهيرة

"هذا ما أذكره سيادتك عن ليلة الحادث "

قالها بدير لوكيل النيابة الذي حضر مع قوة عسكرية لأخذ أقواله مرة أخرى بعدما ثبتت براءة كامل .. فناظره وكيل النيابة بنظرة طويلة مدققة ثم أسبل أهدابه بينما الأخر يحبس أنفاسه ويداري اضطرابه خلف وجه بارد الملامح .. فقال وكيل النيابة" ألا ترى أن

القصة تتشابه مع ما حدث في المشاجرة التي قبلها؟"
استمر بدير في كذبه قائلا "صدقني يا باشا هذا ما يتذكره عقلي"
سأله بشك "هل تعني بأنك قد فقدت الذاكرة عما حدث ليلتها؟"
ادعى بدير التشوش وقال "لا أعرف يا باشا "
سأله وكيل النيابة "ولا تذكر مع من تشاجرت على مسدس كامل نخلة فأُصِبت في فخذك؟"
بلع بدير ريقه وبرغم شعوره بالراحة أن تبرأ كامل من القضية لكنه لم يكن ليعترف على نفسه وعلى أخيه ويدخلان السجن بعد أن يتم معرفة نشاطهما المشبوه وتشرد عائلتيهما ويوصم آل العسال كلهم بالعار حتى الأجيال القادمة فقال "أنا لا أذكر شيئا يا باشا صدقني"

استقام وكيل النيابة واقفا وأشار لمرافقيه للتحرك وهو يقول" حسنا يا بدير إن تذكرت أي شيء أبلغني"

خرج وكيل النيابة من غرفة بدير فقال عماد الذي كان يقف متوترا خارج الغرفة " أنرتنا يا باشا لماذا لا تبقى حتى نضيفك؟"

سأله وكيل النيابة" أنت عماد العسال أليس كذلك؟"

غمغم الأخر يداري ارتباكه بإجادة أقل من أخيه الأكبر" أجل أنا هو"

هز وكيل النيابة رأسه وتحرك مع عماد لينزل للطابق الأرضي فوقفت كاميليا أمام نافذة غرفتها تنظر لوكيل النيابة الذي يغادر بعد أن أوصله عماد لسيارته وعادت تقضم ظفر إبهامها بتوتر ..

إنها لا تزال حائرة محاصرة من عماد الذي أمهلها حتى بعد غد كمهلة إضافية ..هذا بعد أن تشاجرا أمس وضربها بعصى المكنسة على ذراعها حينما رفضت أن تذهب للبنك لتسحب منه المبلغ الذي دفعه لجابر ..لكنه لا يتفاهم وتعلم أنه سيعذبها لتدفع ولا تعرف ماذا تفعل .. لقد دخلت لبدير صباحا وبكت واشتكت له ووعدها بأنه سيتصرف معه .. لكنها في قرارة نفسها تشعر بأنه لم يعد يملك السيطرة على عماد خاصة وهو طريح الفراش بهذا الشكل بالإضافة لأنه مثل عماد يرى أنها لابد أن تتزوج بدون تأخير مصرا مثل عماد على أن تختار من آخر عريسين تقدما لها والاثنان أسوأ من بعضهما ..واحد بلغ الخمسين من العمر أرمل ولديه ثلاثة أولاد ومن قرية مجاورة.. والثاني على ذمته زوجة أخرى ويرغب في التعدد

..والأسوأ أن الاثنين مستواهما المادي لا يرقى لطموحها أبدا .

على سيرة الطموح أخرجت هاتفها وفتحت فيسبوك مجددا على تلك الصفحة الخاصة بوكالة اكتشاف المواهب وتطلعت مرة أخرى في عنوانها في العاصمة الذي باتت تحفظه عن ظهر قلب رغم أنها لا تعرف كيف تذهب إليه وراودتها نفس الأفكار الشيطانية التي تشجعها على أن تهرب من البيت وتذهب للعاصمة .. بعد أن تأخذ كل شيء يخصها ..ذهبها وملابسها وبطاقتها البنكية وتهرب إلى العاصمة .. لكنها عادت وذكرت نفسها بأنها إن خاطرت بفعل ذلك سيكون من أجل الذهاب لتلك الوكالة .. ولو نجحت ستعمل بالتمثيل وهذا معناه أنها ستكون مشهورة وأهلها سيستطيعون الوصول إليها ومعاقبتها على هروبها..

أي أنها لن تستفيد شيئا بهروبها ..كما أنها مخاطرة كبيرة قد تعرضها لانتقام عماد الذي لا يرحم.

ماذا ستفعل؟.. ولماذا الأيام أضحت من سيء لأسوأ ..فلم يكتفي القدر بالمصائب التي تنهال فوق رأسها ..ولا بحديث أهل القرية عن غيرتها من السوداء التي جعلتها ترسل لها من يحاول اسقاط حملها .. ولا بالمبلغ الكبير الذي دفعه آل العسال تعويضا .. والمشروع الخيري الذي أصبح اسم بنت الشيخ زكريا من كبار مساهميه .. لم يكتفي القدر بذلك لتعرف بأن الخبر الوحيد الذي كان يشعرها بالشماتة والتشفي أن زوج بسمة هو من حاول قتل بدير وسبب له عاهة مستديمة وأنه سيقضي عددا كبيرا من السنوات مسجون وبالتأكيد ستطلق منه بسمة وتصبح مطلقة للمرة الثانية .. هذا الخبر تم نفيه وتمت تبرئة زوج بسمة ..هذا ما علمته

من الأخبار التي تدور بالقرية وبأن سليمان الوديدي وابنه أقاموا الاحتفالات ووزعوا الشربات احتفالا بالخبر .

إنها في حالة مزاجية سيئة ..وباتت لا تطيق البيت ..ولا تطيق حياتها ..خاصة وان عماد أمرها بأن تنزل مع وجدان وهدى للمشاركة في أعمال البيت وهي لم تفعل وتعرف بأن الشجار بينهما سيحدث من جديد لا محالة.

لماذا هي قليلة الحظ؟.. لماذا خلقت في مكان ليس مكانها؟.. مع أناس لا يقدرون جمالها ولا يضعونها في المكانة الصحيحة؟ ..وماذا ستفعل تجاه العريسين ؟..عليها أن تعترف أنها تخاف من أن يؤذيها عماد أكثر مما يفعل لقد هددها المرة الماضية بتشويه وجهها وأحداث عاهة مستديمة لها.

تلمست بحركة تلقائية وجهها متسائلة هل من الممكن أن يكون صادقا في تهديده؟ ..
بعد بضع دقائق من التفكير جاءتها الإجابة التي أراد عقلها ذو المخاوف تصديقها بأنه شرس ولن يجد من يوقفه عند حده ويحميها.
أخرجها من شرودها وقوف بسطاويسي أمام البوابة يتحدث في الهاتف فسألت نفسها هل يكون هو منقذها؟ .. هل تقلل من سقف طموحاتها فتستغل ما تملك من جمال لتحقيق طموحها المادي؟

في غرفة بدير قال الأخير منفعلا" نفذ ما أقوله يا عماد"
قال الأخر بملامح شرسة" ما هذا الذي تهذي به؟.. أية تجارة التي سأوقفها لبعض الوقت؟!!"

كان الطمع يشل تفكيره بعدما نال ما سعى إليه بعد صبر طويل فقال بدير من بين أسنانه" يا غبي افهم ..الشرطة الآن تبحث عن الجاني بعد براءة كامل نخلة ..وبالطبع سيبحثون حولنا ..لهذا لابد أن نوقف تجارتنا الممنوعة بعض الوقت.. مُر الرجال بأن يتفرقوا ولا يتواصلوا معنا إلا بعد أن نخبرهم ..وأغلق على البضاعة ولا تقترب من مكانها أبدا لفترة ..علينا ألا نثير الشك"

أطرق عماد برأسه متقبضا يطحن ضروسه فقال بدير شاردا بنظراته" وأنا سأظل أدعي عدم التذكر حتى تيأس الشرطة مني (ونظر لأخيه مضيفا بسخرية مُرة) وطبعا هذا ليس من أجلك ..ولكن حفاظا على اسم العائلة وعلى ألا يشرد أولادنا"

بلع عماد ريقه وأدرك بأنه لا مفر من تنفيذ ما يقوله بدير خوفا على صيده الثمين فتحرك

يخرج من الغرفة عابسا ليوقفه بدير قائلا "
هناك شيء أخر ..لا تأخذ من كاميليا مبلغ
التعويض فهذا سيؤثر كثيرا على المبلغ الذي
تملكه"
هتف عماد بشراسة "أليست هي المتسببة في
فضيحتنا ؟..أنت لا تعلم ماذا يقول أهل
البلدة"
قال بدير بإنهاك نفسي وهو يستند برأسه
للخلف على ظهر السرير" أعلم كل شيء فليس
لأني حبيس هذا الفراش يعني أني لا أعلم"
قال عماد باستهجان " وتريدني أن أدفع أنا من
جيبي هذا المبلغ الكبير نيابة عنها!!"
حدجه بدير بجانب عينيه بنظرة حادة أشعرت
عماد بأنه قد استعاد روحه الثعلبية ثم سأله"
ماذا فعلت بثمن البضاعة التي بعتها للتجار
الذين أخبرتك عنهم؟"

تأتأ عماد قليلا ثم رد" نصيبي صرفته على تسديد ديوني"

سأله الأخر ببرود مخيف "ونصيبي؟"

غمغم عماد "بالطبع سأعطيه لك هل تحسبني سآكل حقك!"

ضحكة قصيرة ساخرة خرجت من حنجرة بدير ثم أظلم وجهه وقال" ادفع من نصيبي تعويض كاميليا ..والباقي تضيفه على حسابي بالبنك هل فهمت؟"

انقلبت مقلتا عماد يحاول استشعار مدى قوته ليضيف بدير بتحذير" واحذرك من التلاعب معي وإلا سأهد المعبد على من فيه وسأسلم نفسي وأبلغ الشرطة عنك"

امتقع وجه عماد وهتف بغيظ" هل هذا معناه أنك ستتركها بدون زواج أيضا حتى تتعطف سيادتها وتختار فارس الأحلام الذي لم يسبق له الزواج ؟..لقد رفضت فرصا جيدة قبل

ذلك.. وإن بقيت أكثر من هذا ستفضحنا إنها مهووسة بنفسها وتعاني من الفراغ"
قال بدير "لا لن أتركها على هذا الحال فهي بالفعل ستفضحنا ..(وغمغم من بين أسنانه) ليتنا لم نبلغ بسطاويسي برفضها وتركنا الباب مواربا معه"
عقد عماد حاجبيه وسأله "ولماذا بسطاويسي بالذات؟!"
قال بدير مفسرا "لأنه ابن عمنا يا ذكي ..وسيتحمل بلواها من أجل العائلة ولن يطلقها مهما فعلت ..كما أنه سيضعها عند حدها إن جنت"
قال عماد "وهل ستتحمل أختك الحاجة عَوالي زوجته الأولى؟.. لقد رفضت أكثر من عريس حتى قبل زواجها من جابر من أجل أمهاتهم لعدم رغبتها أن يكون لها حماة ..فما بالك أن تكون ضرتها بمقام حماتها"

قال بدير "هذا الكلام لن يفيد الآن فها هي قد رفضته ولن نستطيع أن نطلب منه نحن أن يعود لطلب يدها ..المهم سنضغط عليها لتختار من العريسين الأخيرين"
عض عماد على قبضته يقول "الغبية أضاعت علينا الفرص لمصاهرة من هم أكثر ثراء من هذين العريسين"
أما بدير فاستند برأسه على ظهر السرير وأغمض عينيه متسائلا ..لماذا لا يزال يشعر بعدم الراحة حتى بعد براءة كامل نخلة .. ما به.. ماذا يحدث معه ؟.

في الدور الأرضي وبالتحديد في ساحة البيت وقفت كاميليا تسمع صوت بسطاويسي الذي لايزال يتحدث في الهاتف ففركت شفتيها ببعضهما لتوزع ملمع الشفاه الذي وضعته قبل دقائق وأبعدت الوشاح ليكشف عن غالبية

شعرها ..في الوقت الذي أنهى بسطاويسي الحديث في الهاتف وهو يدفع البوابة ويدخل ثم وقف متسمرا يتطلع فيها وهي مطرقة الرأس تتفحص هاتفها مدعية الانشغال ..
تحركت عيناه عليها بدءا من شعرها الذي صبغته بالأحمر ثم عباءتها البيتية التي تحدد قوامها الممتلئ وذراعيها الأبيضين مكشوفي الساعد فبلع ريقه وقال "كيف حالك يا بنت عمي؟"
بحركة تمثيلية ادعت التفاجؤ وقالت بلهجة هادئة وهي ترفع وجهها إليه" أبو محمد"
اقترب منها يسألها" لماذا تقفين بهذا الشكل؟"
ردت بمسكنة "انتظر فتى الصيدلية ..طلبت منهم مرهما لأدهن ذراعي"
سألها عاقدا حاجبيه "وما به ذراعك"
تغضنت ملامحها وقالت بلهجة حزينة" ألا تعلم؟"

تكلم بسطاويسي قائلا "لا .. لا أعلم"
قالت بمسكنة " ألا تعلم أن عماد قد أخذ من مالي غصبا ليدفع مبلغ التعويض؟"
رفع بسطاويسي حاجبا فقالت وهي ترفع ساعدها لتريه كدمة زرقاء" هذا بعد أن ضربني ضربا مبرحا .. انظر .. أيرضيك هذا يا ابن عمي؟"

عبس بسطاويسي ثم قال "لا يرضيني طبعا ..لكنك يا كاميليا أحرجتنا كلنا بما فعلت"
ردت لتصحح صورتها أمامه "إياك أن تتصور مثلما يقول أهل البلدة أني فعلتها غيرة على جابر من تلك السوداء"
لاح الاهتمام على وجهه فأضافت" أنا لو كنت أريد العودة لجابر لما كنت أصريت على الطلاق من الأساس (وناظرته بعينين مسبلتين وأردفت) أنا كنت انتقم منها لأسباب قديمة

كانت تفعلها بي وتسلط عليّ من يؤذونني لأن عينيها كانتا على جابر منذ فترة طويلة ..وتفعل الأفاعيل للوصول إليه ..والآن تعذب ابنتي كلما ذهبت إليها والبنت تخاف من أن تخبر والدها"

لم يكن بسطاويسي ساذجا ليصدقها لكنه قال " عموما يا كاميليا التفتي لحياتك من الآن فصاعدا "

قالت بحزن " حياتي!.. أين هي حياتي ؟ .. تقصد التي أحياها هنا في عذاب عماد أم الحياة التي ستفرض عليّ حينما أغصب على الزواج من واحد من الاثنين المتقدمين لي.. واللذين لا يوجد فيهما من يملأ عيني.. ولا من يحميني من بطش أخي"

قال بسطاويسي بلهجة ذات مغزى " لو كنت وافقت على الزواج مني كنت استطعت التدخل ..لكني للاسف تدخلي محدود ..حتى لو كنت ابن عمك"

قالت بدلال "لديك ثلاث نساء يا أبا محمد"
بلع ريقه الجاف وهو يتطلع فيها عن قرب وقال
" قلت لك لن أستطيع أن أطلقهن وأشرد
أولادي هذا مستحيل"
حركت كتفها تقول بغنج " أنا أيضا مستحيل
أن أكون ضرة لثلاث نساء"
قال بلهجة حارة وعيناه تأكلانها أكلا " ستكونين
الرابعة والأخيرة ..ولن تأتي واحدة بعدك .. لك
شقتك في بيتي الكبير ..ولك كل ما تطلبين من
مال ودلال يا ست الناس"
ناظرته مترددة وتطلعت في جلبابه التقليدي
لمن هو في سنه والذي يختلف حتى عن جلباب
جابر الأبيض الشبابي ونظرت إلى بنيته الممتلئة
و كرشه العالي فأصابها الغثيان بينما أضاف
بسطاويسي بحنكة التاجر وهو يدقق فيها
بعينيه" قولي نعم وسيكون بسطاويسي رَجُلِك
الذي سيدافع عنك وستكون لك شقتك في

الدور الرابع في بيتي .. ولك ذهبك ومصروفك الخاص"

هل تملك خيارا ؟ ..هل حظها العاثر يعطيها فرصة الاختيار؟.. إن لديها الآن ثلاثة عرسان.. كل واحد منهم أسوأ من الأخر ولا يرقى لطموحاتها ..وأخواها يريدان اخراجها من البيت بأقصى سرعة وكأنها تجثم فوق صدور الجميع .. والهرب غير مضمون العواقب خاصة وأنها لا تعرف أحدا بالعاصمة لتلجأ إليه .. الميزة الوحيدة التي تجعل بسطاويسي متفوقا عن منافسيه هو ثراءه ..فهل تستطيع التغاضي عن عيوبه خاصة وهو متزوج ثلاث غيرها ؟. جاءها الجواب في عقلها أنها ربما كانت ميزة وليس عيبا ..ففي هذه الحالة ستوزع أيام الأسبوع بين زوجاته.. وسيكون نصيبها قليل ..بدلا من أن تكون زوجته الوحيدة التي تخدمه.. بل سيكون لها وقتها الخاص لتدلل

فيه نفسها .. ومع هذا لا تزال كرامتها أمام أهل البلدة مجروحة من أن تتزوج من رجل لديه ثلاث نساء فقالت بدلال" لو لم تكن متزوجا من ثلاث "

قال بسطاويسي بلهجة جادة" لست أول ولا آخر من يفعل ذلك يا كاميليا"

تحدثت تجس نبضه "إن وافقت على هذا الوضع عليك بتعويضي لأنني ضحيت وقبلت بهذا"

قال ملهوفا لاستدراجها إلى مصيدته" لك كل ما تريدين من تعويض"

تنهدت تضع شروطها لترى ردة فعله" أولا مبلغ كمبلغ التعويض الذي دفعته لجابر يكون مهري (وخافت أن يأخذه عماد و يأخذ منها المبلغ في نفس الوقت فقالت) وتعطيني إياه بنفسك"

بدأ يشعر بدنو الفوز فهز رأسه يقول "لك هذا"

زادت من شروطها بما تحاول به ارضاء كرامتها المجروحة فقالت "وشبكتي لن تقل عن أغلى شبكة جاءت لأي فتاة بالمحافظة كلها"
مجددا هز رأسه يقول "حاضر ..رغم أن هذا سيكلفني كثيرا خاصة مع زوجاتي الأخريات اللاتي سيطالبن بالمساواة لكن من أجل عيونك أوافق حتى ترين كيف يقدرك ابن عمك"
لم يكن هذا كافيا ليحفظ كرامتها أمام أهل البلدة فأضافت" ويقام لي حفل عرس تذبح فيه الذبائح ويعرف الجميع قدري عندك"
على الرغم من أن ما تطلبه كان مبالغا فيه خاصة وأنها ليست زيجتها الأولى لكن رغبته في الحصول عليها وامتلاكها كانت أقوى فقال" موافق (وأسرع في اتمام الصفقة قبل أن تزيد عليه من شروط قائلا) هل أعيد طلب يدك من أخيك؟"

بلعت ريقها مترددة وظلت تحدق فيه صامتة
فأسرع هو بوضعها أمام الأمر الواقع قائلا
بابتسامة سعيدة " السكوت علامة على الرضا
(وضرب كفيه ببعضهما ينادي ليسمح له
بالدخول) يا علاء .. يا علاء"
خرج له أيمن ابن بدير الاوسط فقال له" الحاج
بدير ينتظرني"

بعد دقائق كان بسطاويسي قد دخل مع أيمن
ليسمح له بالصعود إلى بدير بعد أن طالعها
بنظرة شهوانية يدقق مجددا فيما سيحصل
عليه مقابل ما سيدفعه بينما وقفت كاميليا
مترددة ..حائرة.. مفزوعة.. تتساءل ..أي
مصيبة فعلتها في حق نفسها بهذا القرار؟
ولكن هل كان هناك فرصة أفضل من ذلك
وهي ذات حظ قليل في الحياة؟! .

xxxx

"بسم الله ما شاء الله"
قالتها الطبيبة وهي تتفحص بطن بسمة بجهاز الموجات فوق الصوتية فتطلعت الأخيرة في كامل الذي يرتدي نظارته الطبية ويحدق باهتمام في الشاشة لتقول الطبيبة "توأمان يا بسمة"
رفعت بسمة رأسها تقول بصدمة " نعم !!"
ثم تبادلت النظرات مع كامل الذي لم يقل عنها صدمة ثم قال للطبيبة" ماذا قلت؟"
قالت الأخيرة" قلت حامل في طفلين"
أمسكت بسمة بيد كامل بقوة تمنع نفسها من البكاء فبادلها هو الأخر القبض على يدها بينما أضافت الطبيبة "المرة الماضية حينما أتتني بسمة كانت آخر حالة تدخل قبل خروجي لحالة ولادة فاطمأننا سريعا على وجود كيس الحمل وطلبت منها بعض التحاليل .. والآن أرى جنينين "

وحركت أداة الاشعة على بطنها تشاكسهما لينفصلا عن بعضهما ويعودان للالتصاق فتجمعت الدموع في عيني بسمة تتطلع في الشاشة بينما كامل يكاد أن يقفز من مكانه ليلمس الشاشة بيده شاعرا بالقشعريرة في بدنه

.

شغلت الطبيبة السماعات في الغرفة فسمع صوت كركض الخيول فنظر كامل وبسمة لبعضهما قبل أن تقول الطبيبة "هذا صوت قلبيهما "

تغضنت ملامح كامل بتأثر وناظر بسمة متسعة العينين يقبض على يدها بقوة فهمست بتأثر " كامل "

سأل الأخير الطبيبة بحشرجة "هل هما صبيان؟"

أعطت الطبيبة منديلا لبسمة لتمسح بطنها وعادت لمكتبها تقول "ليس واضحا بعد

نوعهما .. سأكتب لها على فيتامينات وبعض الأدوية التي تستخدميها عند الضرورة"
ساعدها كامل لتعتدل وتطلع في وجهها وهي تقول مصدومة والدموع تنهمر من عينيها"
سأنجب توأمين يا كامل"

عبارة ظلت ترددها طوال طريق العودة حتى دخلا لفيلا غنيم فأخذ يرد عليها بنفس الرد المشاكس "قلت لك عشرة أضعاف لم تصدقيني "
نظر لهما غنيم عاقدا حاجبيه بينما قالت سوسو بهلع "لماذا تبكين يا بسمة هل حدث شيء؟"
لم تستطع الرد بل استمرت في بكائها فأحاط كامل كتفيها بذراعه وقال" تماسكي يا بسمتي"
ازداد قلق الجالسون فتبادل غنيم وسوسو النظرات القلقة بينما تركت ونس اللوحة التي

تطرزها بجوار سرير صغيرها المحمول
الموضوع بجوارها وأخذت تتطلع فيهما فقال
كامل" سأخبركم حينما يأتي المتطفل على
حياتي"
لم يكد ينهي عبارته حتى دخل شامل الذي
استشعر بأن أخاه يريده وقال" ماذا تريد؟"
استدار كامل يناظره بنظرة غامضة فقال شامل
"خلصني المطعم مزدحم ..بالمناسبة عليك أن
تسارع في تشذيب هذه اللحية وأن تتعلم
الابتسام حتى تقوم بدوري قليلا مع المعجبين
وتدعي أنك شامل نخلة الشخصية المشهورة "
قالت سوسو بعصبية" اتركه يقول لنا ماذا
حدث يا شامل"
في نفس الوقت كان كامل يزيح يد أخيه من
على كتفه ويقوم بليها خلف ظهره وهو يقول
بعنجهية" أنا كامل نخلة يا حبيبي .. هل فهمت
كامل نخلة"

توجع شامل بينما تكلمت بسمة أخيرا "أنا حامل في توأمين"
لاحت المفاجأة على الوجوه فصفقت ونس بقوة بينما غمغم غنيم" ما شاء الله"
أما شامل الذي يحاول التخلص من يد أخيه قال متوجعا " ماذا؟؟ توأمان!!"
قال كامل مستمتعا بمناكفته "هذا أقل شيء عندي يا ولد .كامل نخلة .. كامل بك نخلة قلها حتى أتركك"
هتفت سوسو بتعاطف وهي تترك مقعدها وتتوجه إليها " حبيبتي يا بسمة أنا أشفق عليك من الآن أيتها المسكينة"
غمغمت بسمة وهي تمسك بيدي سوسو "بصراحة رغم سعادتي أشعر بالخوف"
لمحت سوسو نظرات غنيم اللائمة ..فأسرعت بالقول" لا أقصد طبعا اخافتك فبالتأكيد العلم

تطور الآن ..فتجربتي كانت قبل خمسة وثلاثين عاما "

ونظرت لغنيم لترى إن كانت قد أبلت بلاء حسنا ليسألها الأخير" هل علمتما نوعهما "

هزت بسمة رأسها نافية وقالت "لم تعرف الطبيبة بعد نوعهما "

توترت ملامح ونس لما يحدث بين التوأمين وتركت مقعدها تقترب من كامل قائلة بعبوس "اتيكه"

(اتركه)

ناظرها وهو مستمر في لي ذراع أخيه وخنق رقبته بالذراع الاخرى وقال" عودي لطفلك ولا تتدخلي"

وقفت ونس عابسة قبضتيها في جنبيها وقالت "قيت اتيكه أنت تؤيمه"

(قلت اتركه أنت تؤلمه)

غمغم شامل متألما" اذهبي أنت يا ونس"

قال كامل "ها قد قالها لك (ثم قال لشامل) هيا قلها كامل بك نخلة"
استجمع شامل قواه ونفضه عنه بعنف ثم ألصقه بالحائط خلفه وكاد أن يكسر في طريقهما إحدى التحف الجانبية.. فصرخ آسر معترضا على ايقاظه.
أسرعت إليه ونس بينما هتفت سوسو في ولديها " ما الذي تفعلانه بالله عليكما وقد أصبحتما أبوين .. لقد تعبنا حتى نام الولد "
أولتهما بسمة ظهرها لا تتحمل مزاحهما العنيف بينما قال شامل وهو يضغط بساعده على رقبة توأمه وباليد الأخرى يشده من شعيرات لحيته غير المشذبة "أنا أشذب لحيته يا أمي من أجلك"
هدر غنيم فيهما" اذهبا وتقاتلا كالثيران بعيدا عنا.. هيا"

تحركت بسمة تنتحي في إحدى الغرف لتتصل بأمها وتخبرها بعد أن كتبت لصاحبتيها في مجموعة الدردشة الخاصة بثلاثتهما رغم شكها من أن مليكة في حالة تسمح لها بالمتابعة " أنا حامل في توأمين يا بنات "(وجه يختبئ خلف كفين)

xxxx

بعد ثلاثة أسابيع

في الصباح

كانت اللحظة أصعب من تصورهما .. والألم فاق التوقعات والحسابات .. بدءا من الليلة الماضية التي قضياها ساهران طوال الليل وفشلت خفة ظل زين في تخفيف الأجواء المشحونة بوجع الفراق وحرارة العواطف ..انتهاءً بهذه اللحظة التي خرج فيها من شقته مسرعا على السلم لكنه توقف في منتصفه حينما صاحت إسراء تناديه.

استدار متقبضا ليجدها تسرع إليه حافية القدمين وتلقي نفسها في حضنه تبكي بحرقة .. فحضنها بعنف محاولا التماسك لكن مهمته كانت صعبة خاصة مع نحيبها المعذب له وهي تتشبث بملابسه بقوة .

غمغم بحشرجة" سأرسل لك بأقصى سرعة ممكنة إن شاء الله .."

ازداد نحيبها ولم تكن قادرة على تركه فقال بلهجة معذَبة "إسراء.. أرجوك ساعديني على تحمل فراقك أشعر بأني سأموت "

جاء صوت جابر من الدور الأرضي" ستتأخر يا زين "

أبعدها بحزم قائلا بهمس "كما اتفقنا .. اغلقي الشقة وعودي لبيت والدك لا تبقي بمفردك فيها "

هزت رأسها .. فطبع قبلة سريعة على شفتيها واستجمع قواه واستدار ينزل على السلم مسرعا

.. فقابلته أم هاشم و أمه عند باب الشقة الأرضية ..فقبل زين رأس الأخيرة ويدها يداري تأثره لتغمغم نجف "لا اله الا الله"
رد بحشرجة وهو يبتعد بسرعة مغادرا ليلحق بجابر "محمد رسول الله"
جلست اسراء على السلم تبكي فسمعت نجف وأم هاشم صوت نحيبها يأتي من أعلى فتبادلتا النظرات المشفقة ثم همت أم هاشم بأن تصعد لها قبل أن تدخل نصرة لاهثة تلقي السلام ..فأشارت لها نجف أن تصعد لابنتها.
هرولت نصرة على السلم وانفطر قلبها حينما وجدت إسراء بهذا المنظر فجلست بجوارها وأخذتها إلى حضنها لتقول إسراء" قلبي يؤلمني يا نصرة ..يؤلمني بشدة"
غمغمت الأخيرة مشجعة" ستجري الأيام سريعا ..وسيجمعكما الله أسرع مما تتخيلين"
لتنفجر إسراء في البكاء في صدر أمها .

xxxx

بعد العصر

"وماذا قررت؟"

قالتها بسمة بمواساة وهي تتطلع فيها تجلس هادئة على طرف الأريكة فردت مليكة "قررت أن اكتفي بهذا القدر من الألم .. عقاب الله أشد من أي عقاب"

اشفقت ونس الجالسة تحمل السرير المحمول لابنها النائم وترقرقت الدموع في عينيها فقالت "آثفة يم أخبيك وقتها ..أبي كان يشك في قثتي" (آسفة لم أخبرك وقتها أبي كان يشك في قصتي)

ابتسمت لها مليكة ابتسامة ضعيفة وقالت بحشرجة" كلها أقدار.. وسبحانه وتعالى له حكمة في ذلك .. الحقيقة أن ذلك الكتاب الذي رسمتيه لتخبريني بشكل غير مباشر كان يصيبني

بالحزن ..لكني كنت أشعر بالراحة حين أرى العصفور يطير بحرية في السماء"
عدلت بسمة من الوشاح حول رأسها وأمسكت يد مليكة تقول" كان هذا عمرها يا مليكة في هذه اللحظة ..بتلك الطريقة"
غمغمت الأخيرة بصوت مبحوح" اللهم لا اعتراض على قضائك"
تأملتها بسمة مشفقة ..لكنها فخورة بها أنها صامدة ولم تنهار فهي نفسها صدمت وانهارت حينما علمت بالقصة المؤلمة وتمنت زيارتها لكن مليكة ظلت في سرايا الصوالحة كل هذه الفترة حتى اطمأنت على والدها ولم تقرر العودة إلا قبل يومين بسبب انتهاء إجازة نصف العام "

دخلت تماضر تضع أمامهن العصير فتفاجأت بها بسمة قائلة" ماذا تفعلين هنا؟"

قالت تماضر مبتسمة "جئت من أجل خاطر الست مليكة"
سألتها الأخيرة "هل أدخلت الضيافة لمفرح وضيفيه؟"
هزت تماضر رأسها بالإيجاب ثم غادرت
..فسألت بسمة" كيف أحضرتها من القرية؟"
ردت مليكة "مفرح ليس مرتاحا مع الخادمات الموجودات هنا ..فاقنع زوجها أن ينتقلوا جميعا إلى العاصمة هو وتماضر وأمه وأطفاله واستأجر لهم شقة صغيرة بالقرب من هذه المدينة .. كما توسط له للحصول على وظيفة في أمن المدينة.. فتأتيني هي في الصباح وتغادر أخر اليوم معه"
قالت بسمة "رائع جدا"
صدر صوتا صغيرا منزعجا من آسر ..فابتسمت مليكة ابتسامة واهنة ومدت يدها تقول" اعطني إياه"

اقتربت منها ونس فأخرجته مليكة من السرير
وحملته تناظره بحنان جارف..
سألتها ونس "هي جنينك بخير "
"هل جنينك بخير "
ابتسمت مليكة وردت "حمدا لله اطمأننا عليها
في القرية حين زرت طبيبة هناك .. وزرت
طبيبتي هنا حين عدت ..كنا قلقين جدا ..أنا
شخصيا شعرت للحظات أني سأفقدها"
"سأفقدها !!!(رددتها بسمة قائلة باتساع
عينيها وأضافت) هل علمت نوع الجنين ولم
تخبريني؟"

غمغمت الأخيرة بابتسامة واهنة "علمت فقط
ليلة أمس (وأردفت بلهجة متألمة) الله
يعوضني بالكثير .. لذا عليّ أن أكون متماسكة
واحتسب وجعي عنده .. (وأضافت برضا
صادق) الحمد لله"

سألتها بسمة" وكيف كان رد فعل مفرح والولدين؟ "

أجابت مليكة "سعدوا جدا خاصة مفرح لم أتخيل أنه سيسعد بهذا الشكل "

قالت ونس "هي تعيمين أن باثمة حامي في توأمين"

(هل تعلمين بأن بسمة حامل في توأم؟)

اتسعت عينا مليكة وقالت متفاجئة "حقا يا بسمة توأمان؟"

ردت الأخيرة" ألا ترين بطني أكبر من بطنك رغم أنك تسبقينني بأسبوعين.. أنا كتبت على مجموعة الدردشة حين علمت وأم هاشم أقامت مهرجانا من الاحتفالات وطبعا علقت ببعض التعليقات الوقحة.. لكني كنت أعرف أنك لم تكوني متابعة ثرثرتنا لفترة .. "

نظرت مليكة لبطن بسمة وقالت" ما شاء الله ولماذا لم تخبريني على الهاتف؟"..

ردت بسمة "كانت حالتك الأيام الماضية لا تسمح"
عبرت مليكة عن سعادتها قائلة" الحمد لله أن جبر بخاطرك ..هل علمت نوعهما؟"
هزت بسمة رأسها نافية تقول" ليس بعد؟"
غمغمت مليكة "أنا سعيدة ..سعيدة جدا"
جاء صوت الثلاثة رجال يتشاكسون بغرفة أخرى فسألت مليكة "كيف حال كامل؟"
ردت بسمة "أفضل .. بدأ يستعيد توازنه(ثم سألتها بتردد) هل ستحضرين الحفل الذي ستقيمه سوسو الجمعة القادم ؟"
قالت مليكة "سأحضر إن شاء الله.. سأحضر فهذه المرة لا أريد أن أغرق في الحزن .. كما أن مفرح والولدين ليس لهم ذنب .. سأحضر وسأتغلب على الحزن وأعيش بسعادة من أجلهم ومن أجل نجمة "

xxxx

في المساء

توقفت سيارة التوأمين في حي سماحة يقودها شامل بعدما أوصلا زوجتيهما للفيلا ..فزفر كامل الذي يجلس بجواره متأففا ليقول الأول "هيا ودعنا ننتهي من هذا الأمر.. أنت مدين له بالاعتذار"

راوغ كامل قائلا بتكبر" لم يفعل إلا ما سيفعله أي رجل يحترم نفسه ..وأنا لو كنت مكانه ورغم أني لا أطيقه كنت فعلت نفس الشيء.. إذن الأمر بديهي لا يحتاج للاعتذار"

"كامل"

قالها شامل بحزم فتأفف الثاني لكنه كان يعلم توأمه ويعلم أنه يريد أن يفعل ذلك هو فقط يحتاج منه أن يدفعه حتى يتخلى عن كبريائه فأضاف "هذا ليس الأمر الوحيد الذي تدين له به فاعتداؤك عليه أيضا عليك الاعتذار عنه يكفي بأنه لم يبلغ عنك الشرطة"

هتف كامل بامتعاض" يريد أن يظهر بدور البطل الهمام وربما كان يفعل ذلك ليظهر أمام بسمة بمظهر الفارس النبيل ذو الأخلاق العالية"

قال شامل بإصرار " حتى لو كان هذا هدفه فلازلت مدينا له بحياتك وبعودتك لبيتك وزوجتك"

جادله كامل رغم موافقته على كل ما يقوله .. جادله فقط من أجل المجادلة وهما ينتظران أن ينزل لهما رامز" لو لم يفعلها كان تقرير المرور سيفيد بأني كنت بالعاصمة"

قال شامل " ومع هذا فعلها هو وبادر بالسفر هو وأصحابه للشهادة في صالحك والتي كانت وقتها وسيلة انقاذك الوحيدة"

خرج رامز من بيت سماحة يرتدي ملابس رياضية مريحة واقترب يحي التوأمين عبر نافذة السيارة قائلا "لماذا لا تصعدا قليلا إلى شقتي"

قال شامل مفزوعا " لا بالله عليك ..لا نريد مشاكل مع أحمد سماحة فالحمد لله أخي حبيبي لم يترك لنا علاقة جيدة مع أحد"
نظر كامل لأخيه ممتعضا فقال شامل لرامز "اسحبه للخارج يا رامز حتى لا أخرج وأجره أنا"
ابتسم رامز وعلق السيجارة في فمه ثم فتح الباب يشد ذراع كامل قائلا بسخرية "كيف سأسحب هذا الثور؟"
نفض كامل يد رامز بعنف فرفع الثاني يديه لأعلى متصنعا الخوف وقال "آسف يا باشا هو من طلب مني "
نزل كامل ومط قامته بكبرياء مزيف ثم تحرك نحو المقهى فأنزل رامز رأسه وابتسم لشامل عبر النافذة ثم أسرع باللحاق به.
بعد دقائق كان رامز يقف أمام سيد وأصدقائه في الخن قائلا" لدي زائر يستأذن لمقابلتك يا سيد "

ابتعد بينما أكمل كامل صعوده وهو يحاول التخلي عن حرجه وترويض كبريائه.. يخبر نفسه بأنها خطوة أخيرة عليه أن يقوم بها ليغلق صفحة الماضي .. يشجعها بأن عليه التصرف برجولة حتى لو كان يشعر بالهزيمة أمام غريمه .

ساد الصمت الواجم والكل يتطلع في كامل الذي بادر بالقول بصوت رخيم "السلام عليكم" ردوا السلام منهم من رده بترحيب ومنهم من رده على مضض ليقول كامل" عليّ اعتذار واجب لك يا سيد"
غمغم الأخير بوجوم" ليس هناك داع لذلك" قال كامل موضحا " لقد انفلتت أعصابي ذلك اليوم وأعماني الغضب وأعتذر عن تهوري لكن هذا لا يعني أني أسحب كلامي الذي قلته لك يومها .. زوجتي لا تقترب منها ولا.."

قال سيد مقاطعا" وهل أخبرك أحدهم أني قليل الشرف وقد أنظر لامرأة متزوجة؟"
أسرع وائل بالتدخل قائلا " هو بالتأكيد لا يقصد أن يعيب فيك يا هولاكو"
تكلم كامل موضحا "أنا فقط أضع النقاط فوق الحروف"
تدخل رامز قائلا" سيد من أكثر الناس شهامة ورجولة رأيتهم في حياتي "
قالها بصدق أحرج سيد بينما تدخل عمرو قائلا" وسيد متفهم جدا لكلامك يا كامل .. وتأكد من احترامه الكامل للسيدة زوجتك وأضمنه لك برقبتي"
قال كامل يداري نارا لغيرة لا تريد أن تخمد في صدره ولا يظن بأنها قد تخمد يوما "أنا أيضا مدين لكم بالشكر الكبير عما فعلتموه من أجلي"

رد أحمد الوحيد الذي لا يزال جالسا بينهم "الأمر لا يستحق الشكر فهذا أمر بديهي ..فنحن نتربى على الرجولة والشهامة يا بن نخلة"

لم يدر كامل إن كان يقصد شيئا بكلماته تلك أم لا لكنها استفزته فرد عليه" ونحن لا نقل عنكم شهامة ورجولة يا ابن سماحة ..وما أخطأته في حقك في الماضي أخبرتك بتفاصيله وبأنه لم يكن مقصودا به الإساءة لك خاصة وأني لم أكن أعرفك معرفة حقيقية .."

كشر أحمد عن أنيابه وقال بتحذير" لا تفتح هذه السيرة"

هز كامل رأسه وقال" تمام لن أفعل لكنني أقول لك أمام الجميع أن ما بدر مني في الماضي كان خطأ واعتذرت لك عنه"

تدخل رامز يقول لأحمد" لقد شرح لي يا أحمد عن الملابسات كما قلت لك"

قال عمرو يحاول تجنب الخلاف "حصل خير يا جماعة لننسى الماضي ونفتح صفحة جديدة (ونظر لأحمد بنظرة موبخة وهو يضيف) فمن منا لم يخطئ في حياته ..كلنا نخطئ"

قال وائل لكامل الذي يقف على باب الخن عابس الوجه متقبض تمر الثواني عليه ببطء سلحفاة كسيحة "هل هناك اعتذار أخر لأحد من الموجودين بالمكان ؟..ابحث جيدا قبل أن أمنحك صك الغفران"

لم يبتسم كامل لمشاكسته وإنما هز رأسه نافيا وقال" علي أن أغادر"

قال عمرو "لماذا لا تبقى معنا قليلا"

ناظره أحمد باستهجان بينما قال كامل" شكرا لكم (ونظر لسيد نظرة أخيرة محذرة قبل أن يغادر قائلا) السلام عليكم"

أسرع رامز خلفه في الوقت الذي رد عمرو ووائل السلام وأضاف الأخير "زورونا تجدوا ما يسركم"

تحرك كامل على السلم متحكما في شعوره بالخزي وفي رغبة لتحطيم كل شيء في طريقه وهو يصارع نفسه كي يهذبها .. كي تستوعب الدرس جيدا ..وتذكر وهو يسرع بخطوات غاضبة يخرج من المقهى ورامز خلفه النقاش الذي دار بينه وبين والده منذ أيام حينما سأله ذلك السؤال الحائر في جلستهما في الحديقة ليلا " لماذا كان خلاصي من محنتي في يد أكثر إنسان كرهته في حياتي؟"

رد عليه غنيم "ربما هو تأديب لك من الله أو لطف بك"

ناظره كامل باستغراب ليوضح غنيم "قد يكون تأديب لك حتى لا تبالغ في غضبك وأن تحاول المرة القادمة ألا تقع فريسة له"

سأله كامل "واللطف؟"
أجاب غنيم "وقد يكون لطفا بك أن جعلك مدينا لأكثر شخص تمقته حتى تخفف من شعورك الذي يجعلك مادة سهلة للاستفزاز والوقوع في براثن شيطان الغيرة .. (وربت على كتفه وقال) إنها دعوة لك لوضع الماضي في صندوق أسود والقائه في البحر يا كامل"
قال الأخير متألما "أقسم لك يا أبي أني بالفعل لجمت كثيرا من شياطيني"
تكلم غنيم قائلا "أعتقد أن عليك ألا تقف عند هذا الحد وأن تستمر في مواجهة نفسك حتى تصل لمرحلة السلام الداخلي"
سأله حائرا "وهل سأصل لها يوما؟"
أكد له والده بيقين " ستصل حينما تلقي بالماضي خلف ظهرك يا بني "
صمت قليلا مطرق الرأس ثم عاد ليسأله" وماذا تعتقد أنت؟.. هل هو تأديب أم لطف؟"

أجابه غنيم" أنت عليك أن تكتشف ذلك بنفسك وتقرر "

عاد كامل من شروده وترك شامل واقفا مع رامز وجلس أمام مقود السيارة مقررا أن يقود هو طريق العودة وغمغم يقول لنفسه التي لا تزال تصارع كبريائه وكرامته المجروحين " كانا الاثنين معا يا كامل .. تأديبا ولطفا ..قدر الله ثم لطف بك يا ابن نخلة"

××××

بعد شهرين

وقفت كاميليا تتطلع في ابنتها التي تخرج من البوابة بينما بلال ابن بدير يحمل حقيبتها ويضعها في سيارة جابر .. فبكت ولم تدر إن كان بكائها هذا على فراق ابنتها أم على زواجها الذي سيتم غدا من بسطاويسي الذي لم تجد أفضل منه لتتزوجه بسبب حظها القليل في الحياة ..أم تبكي على إضاعتها لجابر من بين يديها .. فمنذ

أن ضاقت عليها الدنيا ولم تجد ما تبحث عنه وأجبرت على تقبل الأمر الواقع شعرت بغبائها حينما فرطت في جابر وتركته لتستولي عليه تلك السوداء وتنجب له الولد الذي سيتمتع في خيره كما كانت هي تتمتع به .. لكنها تصرفت بغباء.. وفات الأوان وضاع منها جابر للأبد .. كما ضاعت حياتها السابقة وهي مقبلة على تلك الحياة الجديدة التي ستبدأ غدا وعليها أن تعترف بأنها لأول مرة تشعر بالخوف.

أما جابر فجلس في السيارة يضم ميس الباكية في حضنه وقال لها " أعدك أن أبذل قصارى جهدي كي أعوضك عما تعانيه يا ميسة .. لا تبكي يا صغيرتي .. لا تؤلمي قلبي فوالله لو كان هناك شيئا في يدي لفعلته لكنها أقدار (وأبعدها ينظر في وجهها قائلا) أنت الآن ستعودين لبيت أبيك وأجدادك وستبقين فيه حتى تغادريه عروسا تملكين فيه مثلك مثل اخوتك القادمين

إن شاء الله ولن أمنعك أبدا من زيارة أمك ..رتبي معها الأوقات التي ستزور فيها بيت أخوالك واخبريني.. لا تبك يا صغيرتي فوالدك أضاع من عمره سنينا كي لا يعيش معك لحظة كهذه "

قالها جابر وهو يواسي ابنته الباكية في حضنه.

xxxx

قالت أم هاشم في مكالمة جماعية وهي تتفحص الصورة التي تجمعها مع بسمة ومليكة وثلاثتهم حوامل "أشعر بأن بطني ستنفجر في الصورة بينما بطنيكما كموديلات المجلات"

ردت مليكة وهي تطوي الملابس في الخزانة" طبيعي أن تكوني هكذا.. هل تريدين أن تكوني على وشك الولادة ولا تكون بطنك بهذا الشكل!"

سألت أم هاشم بسمة وهي تتحرك في المطبخ"
وأنت يا بسمة ألم تعرفي نوع الطفلين بعد لقد
وصلت للشهر السادس يا فتاة ؟"
ردت الأخيرة من أمام حاسوبها وكتبها
الموضوعة فوق السرير في غرفة نومها
"للأسف لا يزالا يحضنان بعضهما ..لكننا
نتوقع أنهما صبيان فعائلة زوجي مشهورة
بإنجاب الذكور"
غمغمت مليكة" إن شاء الله ستكون بنت
وصبي"
ضحكت بسمة وقالت وهي تستند بظهرها
المتألم على الوسائد خلفها "أتمنى ذلك فحماي
يكاد أن يجن ليرزق بحفيدة أنثى أما أمي فمترقبة
بشدة حتى أكثر من فرحتها بولادة ابن وليد"
سألتها مليكة "وكيف حال والدك مع حفيده؟"
ردت بسمة تعوج فمها " سعيد ومتفاخر وكأنه
لم ينجب أحد حفيدا ذكر غيره"

سألت مليكة "هل جاءت ميس لتستقر عندك يا أم هاشم ؟"
تنهدت الأخيرة وردت "ذهب والدها لإحضارها وأعتقد أن البنت متأثرة بزواج أمها"
توقفت يد مليكة عن العمل لبضع ثوان وساد الصمت لتقطعه بعد برهة تداري تلك الندبة في قلبها" إن شاء الله ستتأقلم ..وأنا أكيدة أنك تستطيعين تحسين علاقتك بها"
قالت أم هاشم "أنا أحاول جاهدة يعلم الله ..ليس من أجل جابر فقط ولكن من أجلها هي فمهما تكون فهي طفلة ليس لها ذنب "
تنهدت مليكة لتضيف أم هاشم" ادعو لي يا بنات فأنا متعبة جدا وأقضي الليل أدور في الغرفة كالقطة التي أشعلوا النار في ذيلها ..وجابر المسكين لا ينام أيضا ويظل بجواري طوال الليل يقرأ القرآن وأشعر بالشفقة عليه"

قالت بسمة ببؤس وهي تمسد على بطنها "لا تخيفيني أنا مرعوبة جدا من الآن خاصة مع ولادة التوأم"
تكلمت مليكة بهدوء" فليرزقنا الله بساعة ولادة سهلة .. ويقر أعيننا بأولادنا ويحفظهم لنا إن شاء الله"

xxxx

في اليوم التالي

لو كان الشوق يمنح قوى خارقة بقدر قوته في الصدور لأمكنه من اختراق الزجاج الفاصل بينهما وهو يراها تقف تنتظر دورها في إنهاء إجراءات دخول البلد ..
شهران من العذاب.. شهران من اللهاث لإنهاء أوراق استقدامها .. شهران من الإجهاد في البحث عن منزل مناسب للزوجية.. وشهران من الشوق واللوعة وسهر الليالي على الإنترنت .

تطلعت فيه إسراء ينتظرها خلف الزجاج بقلب ملهوف فأخذت جواز سفرها ثم انتظرت حقائبها وهي تلتفت بين الدقيقة والأخرى إليه وتراه من خلف الزجاج وكأنها تتأكد من وجوده .. ثم دفعت عربة الحقائب تخرج من البوابة أخيرا ليستقبلها زين بملامح هادئة رزينة ويقبل رأسها مسيطرا على مشاعره الجامحة في صدره ..وهو يسألها بحشرجة "هل أنت بخير بعد ركوب الطائرة؟"

ردت بخفوت معترفة "خفت قليلا"

حضن كفها وسحبها وهو يدفع عنها عربة الحقائب للخارج إلى حيث يصف سيارته ثم وضع الحقائب في حقيبة السيارة.. وبمجرد أن ركبا لم يستطع التحكم أكثر في أعصابه فسحبها إلى حضنه يعانقها بقوة قائلا بتأوه عال" أخيييرا ...أخيرا يا إسراء أنت معي "

غمغمت متخلية عن تحفظها المعهود"
اشتقت إليك يا زين"
أبعدها عنه يقول " لاااا أنت لا تعرفين شيئا عن الشوق .. أنا سأخبرك به بالتفصيل الممل حينما نصل إن شاء الله .."
اتسعت ابتسامتها واحمرت وجنتاها وهي تراه يستعيد شخصيته المرحة فالأيام الماضية كانت صعبة على كليهما بينما شغل زين السيارة وتحرك بها منطلقا على الطريق ثم التقط كفها يطبع عليه قبلة حارة سعيدة ممتنة ومشتاقة وهو يقول " حمدا لله أن جمعنا على خير أسأل الله ألا يبعدك عني ولا يفرقنا أبدا"

××××

لقد جاءه الولد الذي سيحمل اسمه.. رزق بهاشم.
هرول جابر يدخل مركز الولادة التابع للطبيبة التي تتابع عندها أم هاشم الحمل والتي نقلها

إليها يحيى بعد أن فاجأتها آلام المخاض قبل ثلاث ساعات ..
لقد تلقى الخبر بعد أن أوصل هو وهلال إسراء للعاصمة لتستقل الطائرة مسافرة إلى زوجها ..فبمجرد أن خرجا من المطار تلقى الخبر ولم يستطع بعدها لملمة أعصابه ..
دخل منطقة الاستقبال يسأل عن غرفتها ودخل خلفه هلال يضرب كفا بكف ضاحكا على حال صديقه بينما اتجه جابر على الفور يبحث عن رقم الغرفة ..

حين اقترب من الغرفة استقبلته نصرة وصباح بالزغاريد فاتسعت ابتسامته بسعادة شديدة وسلم على يحيى الذي بارك له .. ثم أعطى الحلوان للعاملات اللاتي تجمعن يباركن له ..
ودخل بعدها الغرفة ملهوفا ليجد أم هاشم تجلس على السرير نصف جلسة ويبدو على

وجهها انهاك الولادة بينما أمه التي أطلقت زغاريدها تجلس على أحد المقاعد ويستقر حفيدها في حجرها وبجوارها ميس التي تتطلع في أخيها بعبوس.

في خارج الغرفة قالت نصرة لهلال باكية "الحمد لله أن طمأنك زين على وصولها قلبي كان يأكلني عليها صبرني الله على فراقها"

قال هلال "المهم سعادتها يا نصرة ..بعيدة أو قريبة المهم سعادتها ..والبنت افترقت عن زوجها بعد ثلاثة أسابيع فقط من عرسها"

قالت نصرة "وهل قلت شيئا فليكتب لهما الله السعادة "

قال جابر وهو يجلس بجوار أم هاشم التي أجهشت بالبكاء بمجرد أن رأته "لماذا تبكين الآن؟"

نظرت لهاشم ذو البشرة التي تميل للسمرة الذي يستقر بين ذراعي والده وقالت "دموع الفرح بوصول الغالي وابن الغالي"
قبل رأسها قائلا بلهجة عاشقة "حمدا لله على فضله وكرمه .. (ثم قال مشاكسا) فعلتها يا أم هاشم وأنا غير موجود!"
غمغمت وهي تمسح دموعها" ما ذنبي أنا إن كان ابنك يحب المفاجآت .. هل كنت سأقول له تأدب ولا تخرج إلى الدنيا حتى يأتي والدك !"
ضحك ثم قال متأثرا وهو يتطلع في ابنه الذي يحمله "والله كنت سأموت من خوفي عليكما وأنا على الطريق عائدا"
غمغمت "لا حرمني منك يا أبا هاشم (وانتحبت باكية وهي تضيف) ولكن لمن جاء الولد أسمر بهذا الشكل يا جابر؟"
كان الصغير ذا بشرة سمراء أفتح قليلا من لون بشرة أم هاشم فتطلع جابر يبحث في الغرفة

حوله بينما ضحكت والدته ثم رد على سؤالها"
لمن يا ترى؟ إنه أمر عجيب"
قالت نجف بلهجة ذات مغزى وهي تغمز له
"جاء وقت الهدية الكبيرة التي وعدت ميس بها
يا جابر عند وصول أخيها"
انتبه جابر لميس الجالسة بجوار أمه تراقب ما
يحدث بصمت فقال بسرعة "طبعا ..طبعا
وسنخرج أنا وهي اليوم بمجرد أن أعيد أم
هاشم للبيت ونذهب لأكبر محل للألعاب
نشتري كل ما تريد.. ما رأيك؟"
ابتسمت ميس بسعادة ثم عادت تراقب الكائن
الصغير من بعيد بينما مسدت أم هاشم على
رأس الصغير متمتمة بالحمد ثم قالت" هلا
كبرت له في أذنه"

رفعه جابر إليه يقبله بحنان جارف والفرحة
تتراقص على وجهه وقال وعيناه تلمعان

بالدموع " سأكبر له بالطبع .. وسأذبح الذبائح ..وأقيم الاحتفالات بوصول ولدي ..هاشم جابر دبور .. أسأل الله أن يحفظه ويرزقنا بره " ومال يكبر في أذن أول أولاده الذكور.

xxxx

قبيل العصر

"ما قلته تسمعه بدون مناقشة"

قالها عماد هادرا بلهجة متسلطة فقال علاء بانفعال" ولكنها سيارة أبي وأريد أن أقودها"

قال الثاني بلهجة قاطعة "ما قلته ينفذ يا علاء "

ناظره علاء بغيظ وعنفوان الشباب يدفعه لارتكاب جرائم فتدخلت وجدان تقول لعماد" لماذا تتعامل معه بهذه الطريقة؟.. إنه لم يخطئ حينما قرر أن يحضر زفاف عمته بقيادة سيارة أبيه"

استدار إليها عماد قائلا بلهجة محذرة "لا تتدخلي فيما يتحدث فيه الرجال يا أم علاء"

هتفت باعتراض " ولكن هذا ابني والسيارة سيارتنا"

وقفت هدى تنظر لزوجها الذي تغير حاله بعبوس بينما صاح عماد في وجه وجدان قائلا "قلت لا تتدخلي والكلمة العليا في هذا البيت لي أنا وعلى الجميع الطاعة"

تدخل علاء يقول لعمه بحمائية "لماذا تصرخ في وجه أمي أنا لا أسمح لك"

أمسك عماد بملابس علاء قائلا " احترم نفسك وتعلم كيف تتعامل مع عمك باحترام"

"عمااااد"

قالها بدير صائحا من الدور العلوي فساد الصمت فجأة ..فأضاف بدير" تعال يا عماد فورا وإلا ستندم"

امتقع وجه الأخير وتصلب لبضع دقائق حائرا بين هيبته أمامهم وخوفه من لهجة بدير ثم تحرك صاعدا يضرب بقدمه درجات السلم

غاضبا .. ليجد بدير الذي خرج إلى صالة البيت على كرسيه المتحرك والذي لم يكن ينوي أن يذهب معهم لزفاف كاميليا متعللا بمرضه يستقبله بوجه مخيف ذكره بحاله قبل الحادث ..

رفع بدير اليد الخشبية للمكنسة ووضعها في رقبة عماد قائلا" إياك أن تظن لأني أصبحت أجلس على هذا الكرسي فهذا يعني أنك مسموح لك بأن تتطاول على زوجتي .. (وأضاف بلهجة محذرة) إياك والتجاوز مرة أخرى في حق وجدان هل فهمت؟"

شعرت الأخيرة بالتأثر بما يقوله بدير وقد افتقدت سيطرته على البيت بينما أضاف بدير أمام مقلتي أخيه المقلوبتين تناظرانه بغضب "وأعلم بأني أسمح لك بإدارة الأمور تحت اشرافي وأنني بكلمة واحدة مني قد تنقلب حياتك"

طحن عماد ضروسه وسأله"وماذا أيضا؟"
رد بدير "لا تنسى كل هذا وأنت تأمر وتتحكم في هذا البيت .. كما أنني كنت أنتظر أن ننتهي من زواج كاميليا لأخبرك بقراري"
بلع ريقه وسأله "أي قرار؟"
قال بدير بما يفكر فيه منذ مدة " قرار الانفصال بيننا في البيت"
اتسعت عينا وجدان متفاجئة وناظرت هدى التي لا تقل عنها تفاجؤ بينما سأله عماد مندهشا "ماذا تعني؟"
رد بدير بلهجة قاطعة "سنقسم البيت بيننا ويصبح لكل منا عيشته المستقلة حتى في الطعام.. ننفصل فصلا تاما يا عماد.. وهذا قرار ليس فيه رجعة "

××××

داعب شامل ابنه الذي يستقر في عربة الأطفال أمامه فابتسم له الأخير لتتسع ابتسامة شامل

ويغمغم بسعادة "متى تكبر حتى تكف عن البكاء والعصبية؟.. لقد أخذت من عمك العصبية ومن أمك العند والحمد لله على كل شيء"

استدارت إليه ونس التي تقف أمام لوحة معلقة على حامل تمسك بيدها فرشاة للرسم وقالت باعتراض" شامي!!. أنا عنيدة!"

غمغم مصححا "قلت جميلة .. جميلة ..يبدو أن سماعتيك بهما شيء غير مضبوط"

عبست وقالت" أنت تكذب"

رد عليها مراوغا " لست جميلة؟!!..(وطالعها بنظرة خاصة من رأسها حتى أخمص قدميها يقول) إذن كما تريدين لست جميلة (وأضاف بلهجة ذات مغزى) وإن كنت أراك رائعة الجمال غير أن ابنك لا يعطينا الفرصة الكاملة لأخبرك بذلك"

توردت وزمت شفتيها فبكى آسر لتقول ونس
"ها هو ابنك يا يعجبه كيامك"
(ها هو ابنك لا يعجبه كلامك)
حمله شامل مهدهدا ونظر إليها قائلا" هو لا يعجبه أي شيء يا ونس علينا أن نعترف بذلك يذكرني بعمه وهو صغير "
وتحرك نحو والديه الجالسين على الجانب الأخر من الفيلا وقال "انظري يا سوسو للنظرة الممتعضة .. انظري كيف يحدجني أنا أبوه بتعال.. إنه فيروس مستشري في العائلة على ما يبدو"
حملته سوسو من شامل وقالت مداعبة الصغير" لا تقل هذا الكلام إنه كقطعة السكر "
دخلت بسمة مع كامل عائدين من الخارج فبادرتهما سوسو تسأل بلهفة" ها ماذا قالت الطبيبة لا يزالا يحضنان بعضهما؟"

نظرت بسمة لكامل الذي تحرك يديه في جيبي بنطاله ليجلس على أحد المقاعد ووضع ساقا فوق الأخرى ثم نظر لشامل الذي صرخ قائلا وهو يندفع" لا .. لا أنت تكذب وتلعب لعبة . .. لا أصدق"

انفجر كامل بضحكة شريرة فانقض عليه شامل يخنقه بينما سألت سوسو "لا تقولا صبي وفتاة .. (ونظرت لبسمة) حامل بفتاة؟"

رفعت بسمة سبابتها ووسطاها أمامهم فصاحت سوسو ذاهلة " فتاتان .. حامل بفتاتين هل أنت متأكدة"

نظرت بسمة ضاحكة لغنيم الذي أمسك بصدره يقول لاهثا " يا ربنا ..لا أصدق.. سأرى انتاجا أنثويا لآل نخلة هل أنتما متأكدان!!!"

هزت بسمة رأسها ضاحكة بعينين دامعتين بينما استمر شامل في خنق أخيه الذي قال له

مغيظا "كامل نخلة يا ولد كفاءة ودقة في الأداء
"

استقام غنيم واقفا واقترب من بسمة يحيطها بذراعه وهو يقول بسعادة "لك هدية يا بسمة على هذا الخبر ..والله تمنيتها سنينا وحقق ربي دعائي"

قالت تضحك بسعادة "وأنا سعيدة لسعادتك يا عماه"

قبل غنيم جبينها فقال كامل لوالده وهو يحاول التخلص من أخيه" هذا بخلاف وعدك أنك ستكتب قطعة أرض باسم أية حفيدة أنثى ستأتيك فما بالك هاتان اثنتان بفضل الله"

استمرت زمجرة شامل المغتاظة بينما تبادلت ونس وحماتها النظرات السعيدة المتفاجئة أما غنيم فقال وهو يضم بسمة" الحمد لله رب العالمين أنا سعيد جدا .. وأعتقد أن أبي وأجدادي سعداء أيضا"

قال كامل لأخيه مغيظا" هل رأيت ؟..أبوك وأجدادك سعداء بسبب انجاز كامل نخلة" قالها ثم توجع ضاحكا وشامل يحكم لف ذراعه حول عنقه.. قائلا " أنت لا يجب أن تعيش ساعة واحدة بعد ذلك "

xxxx

في المساء

كانت تشعر بالغيظ والكبت والحسرة والاختناق من أول ساعة في حياتها معه .. رغم ما فعله من أجلها وتلك الشبكة التي اشتراها لها ودارت من أجلها العيون وتلك الزفة التي لفت البلدة ..والاحتفال الذي أقيم ..والمهر الذي دفعه لها في يدها ..كل هذا رغم أنه رفع رأسها أمام أهل البلدة لكنها لم تكن سعيدة خاصة وهي ترى زوجاته الثلاثة يستقبلنها بالدور الأرضي يلوين شفاههن ويطالعنها بنظرات مقيمة حاقدة ..

تعلم بأنها أجمل منهن وأصغرهن عمرا لكن الشعور الذي يخيم فوق صدرها بأنها دفنت شبابها وجمالها مع رجل مثل بسطاويسي يكاد أن يقتلها.

جاءها صوته يتجشأ ثم سألها "هل أنت متأكدة يا كامولیا يا حبيبتي أنك لا تريدين الأكل؟"

استدارت إليه من وقفتها أمام النافذة تتطلع في الظلام الدامس أمامها تاركة لبرودة الجو مجالا لعلها تطفئ نارها ..ودققت في جلسته وهو يفترس الطعام ودون أن تدري قارنته بجابر ليلة زفافهما وهي تهز رأسها رافضة.

ترك بسطاويسي باقي ذكر البط أمامه ولعق أصابعه ثم مسح يده وفمه بمنديل واستقام واقفا وأخذ يتطلع في فستانها اللامع الذي دفعت فيه مبلغا كبيرا ..ولشعرها المسدل على ظهرها ناعما وقال بابتسامة واسعة وهو يقترب منها" نأتي للكلام المهم ..وللحظة التي انتظرها

منذ فترة (وأضاف وهو يرفع الفستان) ألن تخلعي هذا وتريني الحلويات؟"
أبعدت كاميليا الفستان من يده فأحاطها بسطاويسي بذراعيه يقول بلهجة حارة "أنا مشتاق ..مشتاق يا كامولييتي"
قالت باعتراض" ألن تغسل يديك أولا!!"
ضحك قائلا" يدي نظيفة لكن من أجل خاطرك سأفعل "
خرج من الغرفة فزفرت بضيق وأخذت تخبر نفسها أن تكون لينة معه حتى تستطيع التأثير عليه وكسبه إلى صفها والاستفادة منه لتحقيق أمان مادي على أقل تقدير.
حين عاد إلى الغرفة أغلق الباب خلفه فتوقفت عن فتح سحاب فستانها حينما طوقها بذراعيه والرغبة تبدو متأججة في عينيه فقالت" سأبدل ملابسي"

دفعها بسطاويسي على السرير ونزل فوقها بثقل جسده قائلا بحرارة" ليس هناك داع فأنا لن أستطيع الصبر أكثر من هذا يا بنت عمي ..صبرت كثيرا لامتلك هذه الفتنة المتفجرة" قالها وأطبق على شفتيها بقبلة .. كانت بالنسبة لها ... مريعة .

xxxx

"تضحك يا مفرح !!!"

قالتها مليكة في الهاتف بغيظ فقال مفرح من بين قهقهته " أضحك عليك وأنت تشعرين بالغيرة"

ردت بعبوس وهي تتحرك في غرفة النوم " أنا مستفزة جدا .. أصبح كل شيء في حياته بريهان فعلت بريهان قالت ..ما هذا الاسم أصلا؟!!"

قهقه عاليا فصاحت بغيظ "لا تضحك وتستفزني أنت الأخر ..الولد صغير على مثل هذه الأمور؟"

قال مفرح " أية أمور يا مليكة؟.. هو لم يقل أي شيء ..بل أنت من تلاحظين عليه كثرة اتصالاته وحديثه مع زميلته بالفصل ..واعترفتِ بنفسك أن كلها أحاديث عادية ليس بها حديثا خاصا "
قالت بإصرار وعصبية " قلت لك إياد منجذب إلى هذه الـ بريهان "
ذكرها مفرح قائلا " العام الماضي كان منجذبا لأخرى وبنفس الكيفية ..مجرد دردشة واهتمام أكثر من باقي زميلاتها ..وأنت بنفسك قلت لن نعلق لا بالتشجيع ولا بالمنع مادام الأمر يمشي في مسار لا يخرج عن الحدود"
تطلعت مليكة في بطنها في شهرها السابع أمام المرآة وتحسستها وهي تقول "ومازلت أقول هذه (البرنجان) تتحدث معه بشكل مبالغ فيه ..أين أهلها لا أعرف!!"

انفجر مفرح ضاحكا فأضافت مليكة بقرف" وابنك يستفزني وهو يقول سمي بريهان يا أمي "..

استمر مفرح في الضحك لتكمل مليكة "وما استفزني أكثر أنها تريد أن تتحدث معي (وعوجت شفتيها تقلد إياد) بريهان تريد أن تتحدث معك يا أمي من كثرة ما حكيت لها عنك"

سألها مفرح ضاحكا "وهل تحدثت معها؟"

قالت مليكة بعصبية " أتحدث مع من؟!! .. لم أفعل طبعا اعتذرت بلباقة ..وكم كنت أود أن أرد عليها وأعطيها درسا في الحياء هي وأمها التي تترك ابنتها ذات الثانية عشر تتحدث بهذا الشكل في الهاتف وعبر غرف الدردشة مع الصبيان دون سيطرة "

قال مفرح مشاكسا" يا الله ..ستكونين حماة صعبة ..مساكين زوجات وأزواج أولادي"

قالت بقلق" انتبه للطريق يا مفرح تعرف أني لا أحب أن تقود السيارة في الليل"
رد بلهجة حارة " ماذا أفعل وأنا مشتاق لم استطع البقاء حتى الصباح في البلدة وقررت أن أنام في حضن حبيبتي المنتفخة الليلة"
عبست تقول "أنا منتفخة يا مفرح!!"
قال مصرا على مشاكستها وممتنا لأنها تقاوم الحزن بكل قوتها بمساعدة طبيبتها النفسية"
أجل يا مليكة منتفخة لا تنكري ذلك "
نظرت في المرآة في شكلها بالرداء القصير عند منتصف فخذيها الذي ترتديه وردت مبررة
"هذا لأن الحمل في فتاة يزيد من وزن الأم بشكل ملحوظ اسأل أي شخص سيؤكد لك هذه المعلومة"
قبل أن يرد بتهكم جاء صوت لطرق عالي على بوابة البناية التي تجمع شقة مفرح وشقة عمار بحديقة صغيرة فعبست مليكة حينما زاد

الطرق وزاد عليه صوت صياح فقالت "ماذا يحدث؟"

سألها مفرح بقلق "ماذا هناك؟"

أمام البوابة كان يطرق بكل قوته .. وينادي عليها بصوت عال" افتحي يا مليكة .. افتحي"

فتح عمار الباب وتطلع في الشاب الذي يقف أمامه وهتف بغضب "من أنت؟"

قال الشاب "عمي عمار ..أريد أن أقابلها "

دقق فيه عمار جيدا ورغم ملامحه التي تأثرت بمضاعفات الإدمان تعرف عليه فقال متفاجئا "سامح!"

ضرب سامح على صدره يقول" أجل أنا سامح (وعلا صوته يصيح جارحا سكون الليل) أنا سامح الباجوري وأريد أن أقابل مليكة صوالحة"

تطلع عمار في الشارع الساكن حوله وخشي من الفضائح ومن أن تسمعه مليكة فلا يرغب في أن

يذكرها أحد بالحادث ..فأمسك بتلابيبه يقول بتهديد من بين أسنانه "اذهب من هنا وإياك والظهور أمام مليكة في أي وقت وإلا سأبلغ عنك الشرطة ..هل فهمت؟"

صاح سامح معترضا وهو يتخلص من قبضته "لن اذهب قبل أن أقابلها (ونادى بصوت عال) مليكاااا"

دفعه عمار بعيدا وهو يقول بعصبية "صدقني سأؤذيك"

اختل توازن سامح الذي كان غير متزن من الأساس وسقط جالسا ثم استقام يقول بتصميم وجنون" لن امشي قبل أن أقابلها حتى لو قتلتموني "

أمسك عمار بملابسه وهم بلكمه لكن صوت مليكة جاءه يقول "اتركه"

استدار إليها عمار بوجه غاضب فقالت مليكة التي تقف في منتصف الحديقة ترتدي عباءة

وحجاب وخلفها أدهم وإياد وزوجة عمار وأولاده" اتركه يا عمار"
قال عمار معترضا "مليكة"
نظرت لسامح وهي تقول" اتركه حتى أرى ماذا يريد من فضلك"
قال عمار له "قل ما تريد هيا"
قال سامح وهو لا يرفع عينيه عن مليكة " دعني اقترب منها أرجوك فقط دقيقة"
دفعه عمار قائلا "اذهب من هنا .. ابتعد وإلا سأقتلك "
قالت مليكة " اتركه يا عمار من فضلك"
تردد الأخير قليلا ثم ترك له مجالا للدخول خطوتين فقط بالحديقة ووقف بجواره متحفزا لأي حركة يقوم بها هذا الذي يبدو أمامه مختلا عقليا ..فاقتربت مليكة منه بثبات تتطلع فيه بهدوء .. تريد أن تعرف ماذا يريد .. بينما تحرك

إياد وأدهم مقتربان بحمائية ووقفا بالقرب متحفزان ..
أما عمار فوقف بكتفه بينهما ظهره لمليكة يواجه سامح استعدادا لأي حركة غير متزنة منه ..ففاجأهم سامح بأن نزل على ركبتيه أمامها.
عبس عمار وتحرك خطوة للخلف ليراقب ما يحدث عن كثب في وضع تحفز بينما اتسعت عينا مليكة وتطلعت فيه.
رفع سامح وجهه إليها وانهار في البكاء وهو يسألها بتأتأة وارتجاف واضح " هل هناك مخرج؟ .. هل هناك فرصة للخلاص مما أنا فيه؟ .. أخبريني .. هل هناك أمل ولو بعد سنوات طويلة أن تغفري لي؟ .. أيوجد أمل كهذا أستطيع أن اتشبث به لأجد سببا للاستمرار على قيد الحياة ؟"

وقفت أمامه تمسك ببطنها المتقلصة ..
وشعرت بالحسرة والأسف على شبابه الذي
ضاع بسبب غلطة ليس له ذنب فيها..
ولأنها مليكة .. التي جربت من صنوف الألم
ومن مشاعر الذنب الكثير كانت تعلم جيدا بما
يمر به .. فغمغمت بتماسك " نجمة كانت
تحبك ..وكانت مصرة على أنها ستتزوجك
حينما تكبر رغم محاولتنا افهامها أن هذا لا
يجوز.. كنت فارس أحلامها "
لاحت ابتسامة ضعيفة على وجهه المرفوع
أمامها والمغرق بالدموع وقال بحشرجة "أعلم
ذلك ".
بلعت مليكة ريقها وقالت "وهل تعتقد أن
نجمة لو كانت على قيد الحياة سيعجبها حالك
هذا؟"
ارتعشت مقلتيه بالألم أمامها وأجاب " لكنها
لم تعد على قيد الحياة"

ردت تبث فيه الأمل "وما أدراك ..ربما كانت تراك الآن من الجنة لا أحد يعلم"
سألها سامح بلهجة معذبة تمزق نياط القلب " هل هناك أمل في أن تسامحيني يوما على خطأ لم أتعمده"
صمتت قليلا تتطلع فيه ثم تحاملت على نفسها وقالت بصلابة " إن تخلصت من الإدمان وأصبحت شخصا تفتخر به نجمة .. شخصا يستحق أن يكون فارس أحلامها البريئة ..ساعتها نجمة ستسامحك ..أما أنا فلن أقول غير ما يرضي الله ..هذا قدرها وما كتب عليها "
قال سامح بإلحاح وبارقة أمل ضعيفة تلمع في عينيه " لو جعلت نجمة فخورة بي ستكونين أنت أيضا فخورة بي؟"
سحبت نفسا عميقا وردت بصلابة " أجل يا سامح ..فأنا أكثر شخص جرب مشاعر الألم والاحساس بالذنب ..لهذا لو تخطيت ما أنت

عليه الآن سأكون سعيدة من أجلك ومن أجل سعادة نجمة ..وسأحترمك.. "

صمت يتطلع إليها وهي تشرف عليه بشموخ .. صمت وقتا طويلا يحدق في عينيها .. وكأنه يستمد منهما قوة خفية .. فعبس عمار وكاد أن يجره للخارج .. لكن سامح هز رأسه أخيرا وقال بصوت مبحوح "اتفقنا (واستقام واقفا يكرر) اتفقنا (وخطى للخلف مرددا) اتفقنا .. شكرا لك يا مليكة.. شكرا لك .. (وفتح ذراعيه في الهواء عندما وصل للبوابة وقال ببحة صوت) شكرا بحجم السماء "

واستدار يهرول خارجا ثم اختفى من أمامهم .

ظلت مليكة مكانها تحدق في الأرض بذهول أن استطاعت قول ما قالته بهذه الشجاعة فاقترب عمار منها بعد أن أغلق البوابة بإحكام وأحاط كتفيها بذراعه يسألها" هل أنت بخير؟"

رفعت إليه وجهها وهزت رأسها بالإيجاب ..فضمها عمار وقبل رأسها قائلا" زادك الله من قوتك وصبرك واسعدك في الدارين يا مليكة"

xxxx

صباح اليوم التالي

تطلعت كاميليا في بسطاويسي الذي يضع عباءته على كتفه ويستعد للخروج ورسمت ابتسامة صفراء على شفتيها حينما نظر إليها يلتهم تفاصيلها في ذلك القميص المكشوف الذي ترتديه وقال" أنا مضطر للخروج من أجل أشغالي وبما أنك لازلت عروسا فابقي في الشقة على راحتك ..لكن بعد ذلك تنزلين كل يوم للحاجة عوالي"

عبست وقالت" ماذا تعني بأن أنزل للحاجة عوالي؟!!"

أجاب وهو يلتقط هاتفه وحافظة نقوده ويضعهما في جيب جلبابه" أقصد أن هذا

البيت تديره الحاجة عوالي.. و هي من تقول من يفعل ماذا؟.. وزوجتاي الثانية والثالثة تعرفان ذلك وتعملان تحت إمرتها .. حتى أولادي كلهم يعلمون أن كلمة الحاجة عوالي فوق كلمة والدتهم "

هتفت باستنكار "نعم !!!! إمرة من؟؟؟. هل هي حماتي!!... إنها ضرتي مثلي مثلها"

قال بسطاويسي "لا لا لا هذا الكلام لا أريد سماعه يا كامولیا ...عوالي هنا هي كل شيء في هذا البيت ..أنا شخصيا أستشيرها في كل شيء"

قالت باستنكار "أنت قلت بأن لي شقتي وحدي"

رد عليها وهو يتطلع حوله " وها هي الشقة ..لكن الحياة مشتركة بالطابق الأرضي ..ولابد أن تعرفي بأني لا أتحمل حزن أو غضب عوالي أبدا ..فكل ما ترينه هذا من جاه ومال كان أصله

أموالها التي منحتها لي كي أشغلها وأبدأ بها حياتي "

هتفت صارخة " ومالي أنا بهذا؟!!!"
عبس وناظرها بنظرة صارمة " مالك أنه نظام البيت هنا ..أنا مشغول طوال اليوم وعوالي هنا بدلا مني ..ما تقوله ينفذ "
تذكرت ما تعرفه عن عوالي هذه والمرات القليلة التي قابلتها في المناسبات فهو قد تزوجها أرملة صغيرة السن .. إنها من أصل فقير تزوجت قبله من عجوز طاعن في السن لتخدمه وحين مات ورثت منه مبلغا كبيرا فتزوجها بسطاويسي الذي يصغرها ببضع سنوات ومنحته مالها كي يستثمره ..وهو أساس كل ما يملكه بسطاويسي الآن .. قالت باعتراض "لا ..هذا الكلام لن أقبل به"
تنهد بسطاويسي وقال " كاميليا ...كوني ذكية حتى تسير المركب ..أنا واثق من ذكائك..

صباحية مباركة يا عروسي لن أتأخر عليك (ونظر لجسدها وأضاف) بل لن أستطيع أن أتأخر عليك .. (واقترب يمسك بوجهها ويلتهم شفتيها بقبلة ثم غادر الغرفة يقول) السلام عليكم"

في الطابق الأرضي نزل بسطاويسي نافشا ريشه فتطلعت فيه زوجتاه الثانية والثالثة بفم ملوي فألقى تحية الصباح وتوجه للحاجة عوالي التي تجلس تتوسط الأريكة ببدانتها ومصوغاتها الذهبية الكبيرة التي تزين صدرها وذراعيها وقال "صباح الخير يا أم محمد"
ردت عليه بلهجة متهكمة" صباح الخير يا عريس.. أتمنى أن تكون سعيدا بالزواج لأنك مسكين محروم من النساء "

ابتسم وقال مناغشا" اتفقنا إنها الرابعة والأخيرة يا عوالي ..بنت عمي ولحمي وكان علي ألا اتركها لهذا وذاك لأنها مطلقة"

صوت ساخر خرج من حنجرتها ثم قالت "بسطاويسي لست في مزاج لترهاتك وتبريراتك التي أحفظها جيدا "

ضحك بسماجة قائلا" حاضر أمرك يا غالية"

قالت محذرة "هذه البنت أسمع عنها التمرد وستأكل عقلك بجمالها (ورفعت يدها فأصدرت أساورها اللامعة صوتا وهي تقول محذرة) والله لو لم تكن مطيعة وتخضع لقانون البيت سأسود عيشتك وعيشتها ..لا أريد تمردا من الباقيتين"

قال بهدوء "لا تقلقي ..لكن امنحيها فرصة فهي لازالت عروسا .. (وتحرك مغادرا يقول) السلام عليكم"

في شقتها في الطابق الرابع أسرعت كاميليا إلى الحمام وأفرغت ما في معدتها بقرف ..ثم رفعت وجهها تنظر لنفسها في المرآة قائلة" ماذا فعلت بنفسك يا كاميليا ؟..أي مصيبة أوقعت نفسك فيها ..وكيف تدهور بك الحال من جابر دبور إلى هذا الحيوان !"

xxxx

بعد ثلاثة شهور تقريبا

اطمأنت بسمة على الأحوال بالمشروع مع مديرته .. خاصة في غياب أم هاشم التي سافرت في رحلة عمرة ثم استعدت للمغادرة حين لمحت كامل يخرج من بوابة بيت الجد صالح ويغلقها .. وهو يتحدث في الهاتف قائلا " هذا جميل ..وقع معهم على العقد بهذه الصيغة ولا تنسى الشروط التي حددناها من قبل .. مبارك يا حلوف .. (وأضاف مشاكسا) عموما جهز نفسك لأن تتولى المطعم بالإضافة

لحلقات برنامجك لفترة لأني أنوي أن آخذ باسمة وتوأمتينا بعد الولادة في إجازة طويلة نسافر فيها لإحدى الدول الأوروبية (وأبعد الهاتف عن أذنه حتى لا يسمع الشتائم من الطرف الأخر ثم أعاده قائلا).. آلو .. آلو .. شامل لا أسمعك .. سأتصل بك فيما بعد " قالها وأغلق الخط بابتسامة متسلية فسألته بسمة "ماذا حدث؟"

أجابها مفسرا "لقد عرضت عليه القناة تجديد العقد لبرنامجه بمبلغ مضاعف وسيقومون بعمل تغيرات في البرنامج ليكون أضخم "

ابتسمت بسمة في سعادة وقالت " مبارك له"

ثم مدت يدها إليه ليسندها فأمسك بكفها يقودها نحو السيارة لكنها رفضت قائلة "دعنا نذهب لبيت أبي سيرا على الأقدام (وأضافت بدلال وهي ترفع إليه عينيها الزرقاوين) أريد أن أسير معك بالبلدة"

اتسعت ابتسامته وأعطاها ذراعه لتتعلق به قائلا" ما هذا النشاط! ..منذ متى وأنت تحبين السير ..أنت تعذبيني مثل شامل كي تمارسي رياضة المشي كما قالت الطبيبة النسائية "
ابتسمت ترفع له وجهها الفاتن فتطلع في طابع الحسن الذي يزين ذقنها وهي تقول "اليوم أشعر برغبة في السير معك في شوارع البلدة ..
(وتطلعت في هيئته الوسيمة وذقنه الأنيقة المشذبة وشعره الذي يتفاخر به وقالت) أريد أن أسير وأنا متعلقة بذراع أميري الوسيم الذي سيتحمل السير بجوار بالون منتفخ مثلي"
ضحك كامل وقال متهكما وهو يسير بجوارها "بالون متفجر الأنوثة بصراحة "
تمسكت أكثر بذراعه تشعر بالسعادة والفخر وهي تسير في بلدتها بهذا البطن المنتفخ .. رغم شعورها الدفين ببشاعة منظرها وهي على وشك الولادة في أي وقت ..ورغم عذاب

الشهور الماضية في الحمل حتى وصل بها الحال هذه الأيام لأن تنام جالسة بسبب ثقل حملها .. بالإضافة لمعدتها التي لا زالت لا تقبل كل أنواع الطعام .. ورغم إجهاد التجربة ووصولها للحظات من الضغط النفسي لولا وجود كامل ودعمه ومؤازرته لها لما تخطتها .

بعد دقائق قالت بسمة ببؤس" أشعر بالجوع لكني أعرف أني سأتقيأ إن أكلت كما يحدث لي دوما خاصة مع طعام أمي الدسم"

نظر كامل حوله وقال" ليتك قلتِ قبل أن نبتعد عن السيارة فهناك أكياس من البسكويت المالح لا تزال بها .. عموما لو مررنا بمحل به بسكويت مالح سأشتري لك"

وضحت قائلة" لا أتوقع أن تجد هنا .. ورغم أن البسكويت الذي خبزته لي خفيف فعلا وطعمه رائع لكني أريد أن آكل مثل البشر أموت من الجوع ولا أصل للشبع حتى لا تلتهب معدتي "

قال كامل مشجعا وهو يربت على يدها" هانت يا باسمتي هانت "
ردت بحنق "لا تقل هانت .. هذه الكلمة تخبرني بها منذ شهور .. اسمع .. بمجرد أن نحضر ولادة مليكة غدا وأطمئن عليها سنعود للعاصمة ونتجه فورا للطبيبة نخبرها بأن تتدخل وتتصرف لن أستطيع تحمل هذا العذاب أكثر من ذلك "
قال مهدئا وشاعرا بالشفقة عليها "يا باسمة لازلت في أول الشهر التاسع "
قالت ببؤس" كامل أنت لا تشعر بي"
تكلم عاتبا" كيف لا أشعر بك ؟..أنت تعلمين أني أتعذب مثلك ولا آكل حينما لا تأكلين ولا أنام جيدا مثلك"
توردت وردت معترفة" أعلم هذا .. سامحني لكني متعبة بشدة "

ربت على يدها قائلا " إن شاء الله سنذهب للطبيبة ونرى "
سألته "هل ستقابل مفرح الليلة؟"
رد نافيا" لا أعتقد ..فهو كما فهمت مشغول بترتيبات ولادة زوجته صباح الغد إن شاء الله"
غمغمت بمحبة "أتمنى من الله أن تلد مليكة بالسلامة .. أشعر بالسعادة لأن معنوياتها مرتفعة باقتراب ولادة ابنتها خاصة بعد أن قررت الطبيبة التدخل بولادة قيصرية
(وضحكت مضيفة) أم هاشم لو علمت بأن مليكة ولدت وهي غير موجودة بل ولدت في المحافظة وليس في العاصمة شفقة بوالدها من السفر ستنجلط "
كانت عيون من حولهما تتطلع فيهما بفضول ..في بنت الوديدي التي عادت قبل سنوات مطلقة وقيل بأنها عقيم وها هي الآن تسير مع زوجها الشاب وبطنها منتفخة بهذا الشكل

الكبير الذي يجعلهم يشكون في أنها حامل في توأمين رغم حرص فاطمة على عدم إخبار أحد إلا بعد الولادة خوفا من الحسد ..

كانت العيون تتطلع فيهما .. وكان قدره أن يراهما معا .. أن يراها بهذا الشكل وهي تسير بدلال متعلقة بذراع زوجها وبطنها منتفخة بطفله ..

تطلع بدير فيها عبر نافذة السيارة التي تقترب لتمر من جوارهما ترتدي فستانا ورديا طويلا وحذاء رياضي أبيض وتلف رأسها بوشاح أبيض ..

تطلع فيها قبل أن تلتقي عيناه بعيني زوجها الشرستين .. ويقرر أن يشيح بنظراته عنهما وينظر للناحية الأخرى حيث الحقول الممتدة بجوار ابنه الذي يقود السيارة وبمجرد أن ابتعدت السيارة عنهما عاد ينظر من نافذته ..

يداري الألم في قلبه الذي لا يزال متعلقا بها .. لكنه لم يعد حبا تملكيا جشعا ..تلاشى كل هذا مع التغير الذي حدث ولا يزال يحدث له .. وبقى الحب في صورته النقية .. خاليا من جشع القلب .. خاليا من الطمع والنرجسية .. خاليا من الخبائث .. بقي نقيا مستقرا بين حشايا القلب .. ففعل ما وعد به نفسه .. ونجح في أن يحققه في الفترة الماضية .. تمنى لها السعادة .. وقرر ألا يكون حبها في قلبه إلا كشعلة دافئة تنير له الأيام الموحشة القادمة ..وأن يحاول قدر استطاعته تعويض وجدان عما اقترفه في حقها ..فليس لها ذنب أن قلبه مال لأخرى ..

أما كامل فتحكم في أعصابه وتقبض بقوة حينما لمحه يمر بالسيارة وينظر إليها .. فناظره في عينيه بشراسة حتى أدار الأخر وجهه .

لم يتغير شيئا من عصبيته لكنه بات يجاهد نفسه أكثر منذ تلك المحنة حتى يكون أكثر تحكما في غضبه .. وتحسنت حالته عما كانت عليه من قبل لكنه لا يزال أمامه الكثير .. وهو قد وعد نفسه أن يتغير .

قاطعت بسمة شروده وهي تلهث من السير قائلة بلهجة متسلية " ما دمت لن تسهر مع مفرح الليلة ما رأيك في أن أجرب أن أرقص لك اليوم في السهرة يا كيمو "

تسمرت عيناه أمامه لثوان ثم نزل بأنظاره لبطنها الذي لا ينقصه سوى رأس دبوس رفيع لينفجر وقال لها متهكما " لم تفعليها وأنت بصحتك وبكامل لياقتك ورشاقتك وستفعلينها الآن !!"

عبست تقول بلهاث واضح" ماذا تقصد يا كامل ها؟ .. تقصد أني لست بكامل صحتي ولياقتي ورشاقتي ؟"

طالعها يرفع حاجبا وأضاف على كلامه "
ولست بكامل قواك العقلية أيضا "
وقفت في وسط الطريق متخصرة وقالت وهي
تنهت" هل تشك في قواي العقلية أيضا يا
أستاذ كامل "
كانت لذيذة بفستانها الوردي وخلفها الحقول
الخضراء في لوحة بديعة مزينة بطفلتيه
القابعتين في أحشائها وراقبها تقول وصدرها
يعلو ويهبط "تكلم"
قال مناكفا انظري لنفسك ثم حدثيني عن
الرقص .. أنت فاشلة فيه من الأساس
فستجريينه وأنت بهذا الحال !!.."
قالت بمزاج عكر "هل ستذلني لأني لا أعرف
كيف أرقص !"
تطلع حوله وحمد ربه أنهما يقفان في طريق
خال من المارة ثم قال بغيظ "عن أي رقص

تتحدثين وأنت تنهتين من مجرد السير يا بنت الحلال!!"

رفعت كفيها أمامه تقول" تمام تمام .. عموما أنا سأخلصك من مرافقة امرأة منتفخة ومجنونة وغير رشيقة ولا تتمتع بالصحة ولا اللياقة وسأبقى مع أمي ولن أخرج إلا للذهاب للاطمئنان على مليكة صباح الغد .. و سأبقى على ذلك حتى موعد الولادة ..فابحث لك يا أستاذ كامل على من هي رشيقة وليست منتفخة "

قالتها وتحركت تسبقه بخطوات عصبية ثم توقفت واستدارت تقول بوعيد " أقصد إياك أن تبحث عن أخرى.. إياك .. هذا إن كنت تريد أن تبقى على جسدك قطعة واحدة وليس مقطعا وموزعا في أكياس"

قالتها واستدارت تسير بعصبية مرة أخرى فاتسعت عيناه لثوان .. ثم ضرب كفا بكف

يقول" لا حول ولا قوة إلا بالله! .. متى
سنتخلص يا رب من مزاج الحمل الناري هذا "
أسرع خلفها قائلا "يا باشمهندسة باسمة "
استدارت إليه تقول بتحفز" ماذا تريد؟"
اتسعت ابتسامته وقال" حاذري أن تقعي حتى
لا تتدحرجين على الأرض بعدها"
راقب اشتعال الغضب في عينيها فقهقه ضاحكا
ثم أمسك بيدها لتتأبط ذراعه من جديد بينما
برطمت بسمة بعصبية وهي تمشي بجواره"
سيفضحني لأني لا أعرف الرقص "
قال مستنكرا " هل أنا من فتح السيرة أم أنت؟"
نظرت إليه مضيقة عينيها الزرقاوين تقول"
أتنكر أني حاولت ذات مرة وكانت النتيجة لا
بأس بها"
هرش في لحيته الخفيفة ثم قال" هذا لو اعتبرنا
أن هز الأكتاف رقصا وليونة يا سيدة باسمة "

امتقع وجهها فأشاح بوجهه يضحك بتلك الضحكة التي خطفت قلبها قبل عام ثم عاد يقول لها مناكفا "لقد أصبحت مجنونة ..الحمل أثر على قواك العقلية"

زمت شفتيها وناظرته بعينين تنافس في لونهما السماء الصافية فوقهما ثم قالت "أنا مجنونة يا كامل!!!"

هز رأسه مؤيدا ببرود ثم عد على أصابعه وهو يسير بجوارها" مجنونة وفاشلة في الرقص ..وتأكلين الفاكهة بدون غسيل ..وفاشلة في عمل المعجنات"

ضيقت عينيها فنظر إليها مضيفا بلهجة عاشقة "وفاتنة .. وجميلة العينين .. وذات طابع حسن يستفزني لعضه .."

تسارعت دقات قلبها فأردف بابتسامة تستفزها لأن تقبله وسط الطريق "ملكتِ كامل نخلة

بالثلاثة .. عينيه وقلبه وعقله فلم يعد يملك من أمره شيئا لأنه أصبح في قبضة باسمته"

xxxxx

هل تضرم في نفسها النار حتى ترتاح من عيشتها؟..

ماذا تفعل ... إلى أين تذهب ؟.. ولماذا لا يقدرها أحد .. لماذا حظها قليل وحالها مائل طوال عمرها بينما الباقيات الأقل منها جمالا سعيدات .

وقفت كاميليا تهز ساقها بعصبية مشيحة بوجهها عن بسطاويسي الذي هدر فيها قائلا"

كاميليا ..كما قلت ستنزلين فورا وتعتذرين لعوالي"

تجمعت الدموع في عينيها .. وطحنت ضروسها .. إنها محاصرة وتشعر بالقهر .. لا تحب نظام هذا البيت .. لا تحب أن يفرض عليها النزول

يوميا لتقديم فروض الولاء والطاعة لضرتها ..
ما هذا الجنون !.
المشكلة أنها جربت العودة لبيت أبيها فأعادها عماد بشكل مخزٍ لبسطاويسي وأبلغها بأنه ليس هناك طلاق هذه المرة ..
ماذا تفعل في حياتها.. إنها تموت من القهر ودمها يغلي يوميا .

صرخ بسطاويسي قائلا " كاميليا أنا حتى الآن أدللك وأنفذ لك كل طلباتك المادية لكن كما قلت لك عوالي هي كل شيء"
لم ترد ..وقفت تهز ساقها مستمرة في عصبيتها فقال بسطاويسي ببعض الدبلوماسية "كنت أراهن على ذكائك في كسب عوالي يا كاميليا ..عموما سأتركك لتراجعي نفسك .. أنا ذاهب لمشوار مهم وأريد عندما أعود أن أجدك قد

تصرفت بذكاء ..وإلا سأفقد صبري عليك وستخسرين كل شيء"
قال كلماته بتهديد وغادر فشعرت بالخوف .. فهو بالتأكيد لن يطلقها ..خوفه على اسم العائلة لن يجعله يفعل ذلك مهما فعلت .. لقد جربت معه الشهرين الماضيين وتأكدت من ذلك .. لكنه سيحيل حياتها إلى جحيم .. ستفقد الجانب الوحيد الجيد في حياتها معه وهو المال.. فهو كريم معها .. صحيح يضيق عليها الخناق .. ويمنعها من الخروج إلا لسبب وجيه .. وصحيح تتحمل العلاقة الخاصة معه بعذاب واشمئزاز لكنها وسط هذا الوضع الكارثي لا تجد مفرا من التحمل أو التخلص من حياتها ليس هناك حل ثالث.

بعد قليل نزلت بخطوات عصبية من الطابق الرابع إلى الأول ثم وقفت تسحب نفسا وتطوع

نفسها للتحمل.. فرتبت من خصلات شعرها المسدل فوق ظهرها وعدلت مصوغاتها الذهبية وعباءتها اللامعة .. ثم دخلت بكامل زينتها ترسم ابتسامة الأفاعي على وجهها .. دخلت بذقن مرفوع وكبرياء مزيف إلى بهو البيت الممتلئ بأولاد بسطاويسي بأعمارهم المختلفة من زوجاته الثلاثة .. فراقبتها ضرتيها الثانية والثالثة بنظرات متشفية فهي تحرق دمهما بطريقتها المتعالية وجمالها الفاتن وسنها الأصغر .. لكنها تجاهلتهما فهما أضعف منها وهي قادرة على أن تمارس معهما مكائد الضرائر .. وتوجهت نحو عَوالي التي تجلس تتوسط الجلسة كعادتها بهيبتها وحجمها ولمعة مصوغاتها الذهبية وقالت بلهجة تمثيلية " مساء الخير يا أم محمد "

ناظرتها الأخيرة بمقلتين مقلوبتين.. فقالت تتصنع المرح وهي تكاد تنفجر من الغيظ "هل غضبت ست الكل مني لأني انفعلت قليلا ؟!.."

xxxxx

في المساء

يا ربي إن عَظمَتْ ذنوُبِيَ كثرةً فلقد عَلِمْتُ بأن عَفوَكَ أعظمُ

إن كان لا يَرجُوكَ إلا مُحْسِنٌ فمَن اِلذي يَدعُوْ ويرْجُوْ الآثِمُ

أدعُوْكَ ربّيْ كمَا أمَرْتَ تضرُّعَاً فلإنْ رَدَدْتَ يَدِيْ فمَنْ ذا يرْحَمُ

انبعثت الابتهالات من أحد مكبرات الصوت من مسجد قريب فتطلع بدير من الشرفة في السماء

المرصعة بالنجوم وسرت القشعريرة في جسده
..
إن تحت جلده ما يشبه دبيب النمل يأكل فيه منذ مدة .. وأضحى استماعه للقرآن الذي يبثه المسجد يشعره ببعض الراحة .. بينما الرغبة في اللجوء إليه تزداد في قلبه إلحاحا .
لكنه يشعر بالخزي بأن يقف أمامه .. يريد .. ويخاف أن يُرَد .
اليوم فقط يشعر بأنه قد يتجرأ ويفعلها ..
اليوم فقط بعدما فعل ما فعل .
جاء صوت عماد هائجا من الخارج ينادي"
بدير.. أين أنت يا بدير؟"
عبس وتعامل مع كرسيه ليتحرك به حتى خرج من الغرفة ثم وجد ابنه يقف مع عمه أمام باب البيت الذي تم تقسيمه إلى شقتين منفصلتين يحتل هو الطابق الأرضي بينما يتخذ عماد الطابق الثاني من مدخل خاص .

قال عماد بمجرد أن رآه" بدير نحتاج لأن نتحدث بشكل عاجل"

أشار له بالدخول وسبقه إلى إحدى الغرف وهو يخمن سبب زيارة عماد الذي بادره بالقول منفعلا وهو يغلق باب الغرفة خلفه" ما هذا الذي سمعته؟.. هل جننت ؟..هل فقدت قواك العقلية يا بدير ؟...أي مدرسة التي قررت أن تبنيها "

رد عليه عابسا "وما شأنك أنت؟"

هتف عماد باستنكار " ما شأني؟... من أين ستأتي بالأموال لبناء مدرسة يا بدير ؟!!"

رد بدير بهدوء "من مالي الخاص"

صاح عماد " مالك الخاص!! .. هل تعرف كم سيكلف بناء مدرسة؟"

تكلم بدير بصراحة "عماد (وصمت قليلا وتسارعت دقات قلبه لما سيعلنه ثم قال) أنا قررت التوقف عن التجارة الممنوعة والتبرع

بكل أموالي التي كسبتها منها لبناء شيء مفيد ..
وأخجل من أن أبني بها مسجدا فلم أجد أفضل
من مدرسة"
طالعه عماد بذهول لبضع ثوان ثم اقترب منه
يتحسس جبينه قائلا" هل أنت مريض يا بدير
؟"
أبعد الثاني يده عنه بخشونة وقال بلهجة واثقة
" لا لست مريضا ولكني تبت إلى الله "
ارتجف صوته مع الجملة الأخيرة بينما هتف
عماد باستنكار " هكذا ببساطة!!"
رد بدير بهدوء متوقعا رد الفعل " وهل يحتاج
الأمر للتعقيد؟"
حاول عماد الاستيعاب لكن ما كان يقوله يفوق
تصديقه فقال " بدير ماذا تقول هل ستتصرف
في أموالك فعلا؟!!!"
رد الأخر بهدوء " أجل"
هتف قائلا "إنه مال كثير"

"مال حرام"
حاول عماد أن يجد تفسيرا يفهمه عقله فقال " هل وصل بك اليأس من حالتك الصحية لأن تفعل ما تفعله الآن؟"
أجابه بدير ببساطة أذهلته هو شخصيا " إنه أمل وليس يأسا"
"نعم؟!!! .. بم تهذي ؟!"
سحب بدير نفسا وقال بلهجة صادقة " أتمنى أنت أيضا أن تفعل مثلي يا عماد"
كان الأخر ينظر إليه كمن يتطلع في مجنون فهرش في رأسه وقال بطمع " حسنا إن كنت لا تريد المال أعطني إياه"
رد بدير بلهجة قاطعة " لا .. أريد أن أبني المدرسة لربما كسبت بضع حسنات من خلف بنائها .. (وأضاف أمام عيني أخيه الجاحظتين) ونصيبي في البضاعة الموجودة سأتنازل عنه لك

وأتمنى أن تساعدني ونتخلص منها نهائيا أنا وأنت"

ظل عماد على جحوظ عينيه ورغم عدم استيعابه لما يحدث إلا أن النظرة التي يراها في عيني أخيه تخبره بأنه قد اتخذ قراره لكنه قال ربما ليثبت لنفسه أنه يفعل الصواب" أنت ترتكب خطأ فادحا في حق أولادك"

تكلم بدير بانفعال "بل أطهرهم من المال الحرام ..انظر إلينا أنا وأنت وكاميليا بعد أن تربينا من حرام وأكلنا من حرام"

كرر عماد عبارته وكأنه يبث الطمأنينة في نفسه الأمارة بالسوء بأنه على صواب " أنت ترتكب خطأ فادحا في حق أولادك "

تكلم بدير بإصرار " هذا قراري الذي اهتديت إليه أخيرا"

سأله عماد باستنكار " وكيف ستعيش ؟"

"من الأرض الزراعية التي أملكها"

"وهل ستكفيك بعد حياة الترف التي عشتها ؟"
"سأكيف حياتي على قدر ما ستعطيه الأرض"
صاح عماد ولا يزال لا يصدق " أنت فقدت عقلك"
رد بدير بهدوء غريب " ولماذا لا تقول استعدته"
سأله عماد ليتأكد من أنه لا يهلوس "هل أنت متأكد؟؟؟؟"
"أجل متأكد "
الطمع في قلبه زاد وهو يقول " البضاعة أصبحت ملكي ولا رجعة في هذا الكلام "
قال بدير بحزن على أخيه " للأسف أصبحت ملكك أعانك الله على حملها الثقيل وذنوبها الأثقل ..ليتني تخلصت منها بعد وفاة أبي ولم أستمر فيها "
تحرك عماد الذي لا يزال غير مصدق يهم بالمغادرة وهو يقول " على راحتك يا بدير

(واتسعت ابتسامة شيطانية جشعة على شفتيه وأضاف ساخرا) على راحتك يا أبا علاء .. ابني المدارس وعش من خير الأرض ...لكن لا تأتيني باكيا بعد ذلك "

قالها وتحرك مغادرا لا يصدق بأنه سيستأثر بالبضاعة كلها ..بينما قال بدير في سره" يا رب سترتني حتى الآن ولم تفضح تجارتي فأتمها عليّ بالستر من أجل أولادي"

تحرك بالكرسي نحو الحمام ثم خرج بعد قليل ينوى بأن يقوم بما كان ينويه فتفاجأ في غرفة نومه بوجدان تقف أمام خزانة الملابس تخرج علبة مصوغاتها وتقترب منه لتعطيه إياها. تطلع فيها بعدم فهم فقالت "ما دمت قد قررت أن نتخلص من كل شيء فأعتقد بأن هذا الذهب أيضا سنحتاج للتخلص منه"

تفاجأ ولسعت الدموع عينيه فقال بصوت مرتعش "كنت تعرفين؟"
ردت بهدوء " كنت أشك منذ مدة كبيرة .. وتأكدت حينما سمعتك بالصدفة قبل قليل وأنت تتحدث مع أخيك"
اعتصر الحزن قلبه أكثر مما هو حزين على نفسه وعلى حظها معه .. فما كان قديما يشعره بالقوة أصبح يراه خزيا وعارا .. أو ربما كان يعلم في قرارة نفسه طوال عمره أنه كذلك لكنه كان يجهل بما يعلم أو ربما كانت نفسه الأمارة بالسوء تنكره .. وقدر وجدان أن تكون الشخص الوحيد الذي يتعرى أمامه بكل ما به من عيوب .. قدرها أن تراه على حقيقته .. وهذا يشعره بالشفقة عليها .. وبأنها تستحق من هو أفضل منه .

ابتسم لنفسه بسخرية وتعجب .. كيف كان يرى نفسه وكيف أضحى يراها .. غريب أمر الانسان ..

نظر للعلبة في يدها وقال "اخرجي منها شبكتك فقد كانت بمال حلال وكذلك كل قطعة ذهبية أهديتها لك بعد كل محصول فقد كانت من خير الأرض هذا ما أذكره والباقي هاتيه لندخله في أموال المشروع التي سنخرجها"

غمغمت وهي تهم بالابتعاد" حاضر"

أمسك بمعصمها ورفع أنظاره إليها يحاول صياغة ما يشعر به " وجدان ..أنت الغالية أم أولادي .. أنا دوما أناديك بالغالية لأنك كذلك ..ربما انحرف قلبي عن مساره لكن هذا لا يعني أني لا أقدرك ولا أحبك "

دمعت عيناها فقال بدير " سامحيني يا أم علاء .. واعلمي بأني سأنفذ لك ما يرضيك مهما كان لأعوضك عما بدر مني في حقك"

صمتت وتمنت تلك اللحظة أن تسأله عن بسمة لكنها لم ترغب في أن تفتح جرحا تحاول أن تبقيه مغلقا فقالت بصدق "أنا معك يا بدير .. وبالنسبة لتلك الأموال التي تريد التخلص منها فأشعر بالراحة الآن والاطمئنان على أولادي.. والحمد لله الأرض الزراعية ستعيشنا عيشة ميسورة الحال"

ابتسم مطمئنا فما أجمل من أن تكون له رفيقة تعينه على الاستقامة حتى لو كانت استقامة متأخرة فقبّل يدها يقول "بارك الله لك يا أصيلة يا بنت الأصول ورده إليك في أولادك " قالت بصدق" وأطال الله لنا في عمرك يا بدير" تحركت تعيد العلبة للخزانة بينما قال بدير في سره " رغم أن الأيام على هذا الكرسي مُرة كالعلقم لكني أتمنى أن يطيل في عمري فعلا .. كي تتاح لي الفرصة لأمحو ولو بعضا من ذنوبي "

حرك كرسيه ووجهه إلى اتجاه معين .. ينوي بأن يفعلها .. يشعر بأنه أخف حملا الآن .. لكنه لا يزال يشعر بالرهبة من اللقاء .. من الوقوف بين يديه .. من تسليم أمره له .. فرفع يديه عاليا وقال " الله أكبر "

استدارت وجدان إليه حينما سمعت العبارة وتطلعت فيه متفاجئة ثم انهمرت الدموع من عينيها ..

بينما ظل السؤال الحائر في قلب بدير الذي كان يرتجف من الرهبة في تلك اللحظة .. سؤال لا يعرف له إجابه

هل ستُقبل توبته ؟

xxxx

صباح اليوم التالي

دخلت بسمة مسرعة إلى المستشفى الكبير في مركز المحافظة وهي تمسك ببطنها فهرول كامل خلفها قائلا بعصبية" تمهلي يا باسمة"

قالت له بتأثر "لن أسامحك لأنك لم توقظني في الموعد يا كامل "
عبس يقول وهو يمسك بها ليسندها وهي تكاد أن تنكفئ على وجهها " يا حبيبتي أنت لم تنمي طوال الليل وكنت تتألمين وتتوجعين وتلفين الغرفة من التعب فأشفقت عليك حين نمت "
قالت بلهجة بائسة وهي تتحامل على الشعور بالوجع أسفل ظهرها " لا يا كامل كان لا بد أن أكون معها ..ألا يكفي أن أم هاشم ليست موجودة .. وهي ليس لها أخت لتكون بجوارها"
قال يخفف من حالتها المتأثرة المبالغ فيها " أليس لها زوجات إخوة "
" أنا الأقرب إليها يا كامل "
قالتها بلهجة متأثرة وهما يدخلان المصعد نحو الطابق الذي به غرفة مليكة.

في غرفة مليكة ألصق الثلاثة رؤوسهم ببعض يتطلعون في الكائن الصغير أمامهم على حجر مليكة فقال إياد مبهورا" واااااو .. إنها صغيرة الحجم "

قال أدهم عابسا " وجميلة جدا وهذه مشكلة كبيرة"

سألهم مفرح باندهاش" لماذا؟!!"

رد أدهم" لأنها ستلفت أنظار الصبيان"

قال إياد بقلق " كيف ستدافع عن نفسها من فظاظتهم ستحتاج لحماية بالتأكيد "

تكلم أدهم بحمائية" نحن سنحميها "

هز إياد رأسه موافقا فاصطدم برأس والده الملاصق له وهو يقول "لن ندع أحدا يقترب منها بالطبع ولن نتركها لتتحرك وحدها "

أمسك مفرح برأسه وابتعد قائلا بغيظ "هل ستتحكمان في ابنتي الصغيرة الجميلة الرقيقة وأنا حي !!"

رفع أدهم رأسه معتدلا يقول باستنكار "إنها أختنا وهذا واجبنا"

راقبتهم مليكة وهم يتطلعون في طفلتها الصغيرة التي تحملها فوق ذراعيها ثم ضمتها تقول" أنتم الثلاثة ابتعدوا واتركا لنا مجالا لنتنفس "

قال مفرح لمليكة بلهجة طفولية بائسة "ابعديهما عن ابنتي يا مليكة لا تسمحي لأحد أن يحملها سواي "

قال إياد معترضا "نحن لنا حق فيها أيضا أليست أختنا!!"

قال مفرح مغتاظا "لكنها ابنتي أنا السبب بعد الله في وجودها في هذه الحياة"

أغمضت مليكة عينيها بإرهاق ثم فتحتها بعد برهة تقول "اهدأوا وسنقسم أوقات حملها والاعتناء بها بينكم"

قال مفرح بسرعة " لكن أنا الأب .. إذن لي النصيب الأكبر أليس كذلك؟"
ضحكت ومالت تحضنه بذراعها بتأثر مغمغمة" لا أصدق ..يا الهي لا أصدق أني أحمل طفلتك بين ذراعّي يا مفرح"
عاد مفرح لجديته وربت على ظهرها قائلا وقلبه لا يزال يتراقص من الفرحة " مبارك حبيبتي سعادتي لا توصف "
ابتعدت عنه وانزلت نظراتها تتطلع في وجه ابنتها باكية بينما فُتح الباب فجأة واقتحمت بسمة الغرفة تقول "مليكة آسفة يا مليكة تأخرت في الاستيقاظ سامحيني "
قال مفرح متهكما وهو يتحرك مبتعدا "ها قد جاءت السيدة بالون "
اقتربت بسمة من صاحبتها وحضنتها بتأثر شديد ثم قالت دامعة العينين "آسفة كان يجب أن أكون بجوارك"

ردت مليكة تطمئنها" لا بأس ..أنا كنت
معترضة من الأساس على وجودك وقت الولادة
رغم أنها قيصرية ..والحمد لله أنا بخير ..مفرح
والأولاد معي .. وبشر وعلي كانا هنا وذهبا
لإحضار أبي والباقين "
تطلعت بسمة في صغيرتها وقالت وهي تمسك
بأسفل بطنها الثقيل "ما شاء الله"
حمل مفرح ابنته من بين ذراعي أمها
بسعادة فقال إياد لمليكة باعتراض" أنت قلت
لن يحملها أحد الآن "
رفع مفرح حاجبا وقال له" أريد أن أريها
لصاحبي (ثم غمغم مبرطما) سيمنعونني من
حمل ابنتي!"
فسرت مليكة لبسمة" يتشاجرون من يحملها ..
فمنعت ثلاثتهم حتى أضع لهم جدولا"
ضحكت بسمة وسألت الولدين " ما رأيكما في
أختكما؟ "

هتف إياد" إنها جميلة وهذه مشكلة "
اتسعت عينا بسمة وقالت ضاحكة "هذا أغرب
انطباع سمعته في حياتي"

خرج مفرح لكامل الواقف بالخارج فسلم عليه
وقال له بسعادة " انظر لابنتي فلذة كبدي
حفيدة الزيني "
مال كامل يقبلها بحنان جارف مباركا فقال له
مفرح وهو يعود بها للداخل" العقبى لك"
غمغم كامل بإرهاق "أتمنى من الله أن تمر الأيام
بسرعة فبسمة تتعذب حرفيا وتعذبني معها "
دخل مفرح للغرفة يعيد الصغيرة لأمها فقال
إياد" سنسميها بريهان أليس كذلك؟"
عبست مليكة وكذلك مفرح الذي قال" بل
سأسميها على اسم جدتي أم أبي"
اتسعت عيون الموجودين وهتفوا في نفس
واحد" نعم !!!!"

نظر إليهم وقال بحاجب مرفوع " ما بكم؟..
لماذا فزعتم هكذا ؟..قلت سأسميها على اسم
جدتي أم أبي "
هتف أدهم "إنه اسم قديم جدا"
بينما قالت مليكة باندهاش " ألم نتفق على
الاسم "
تركهم مفرح وتحرك مغادرا وهو يقول " أنا
قررت وذاهب لتسجيل اسمها في الاستقبال
لأنهم طلبوني أكثر من مرة "
قالت بسمة بعدم تصديق وهي تتحرك خلفه
"مفرح انتظر .. مفرح "
نادته مليكة" مفرح"
كان قد غادر الغرفة فنظرت مليكة لبسمة
وقالت "هو بالتأكيد يمزح "
أسرعت بسمة تخرج خلفه وهي تمسك بأسفل
بطنها متجاهلة الألم الذي يزورها كل فترة

وهتفت بعصبية اكتسبتها من الحمل " مفرح تعال .."

رد عليها بإشارة متجاهلة من يده وهو يبتعد بينما وقف كامل يتطلع فيهما بعدم فهم ثم سألها" ما الأمر؟"

ردت تجز على أسنانها "يريد أن يسميها على اسم جدته"

"وما المشكلة"

"ست أبوها"

سألها كامل باندهاش "ما بها ؟"

قالت بسمة " ماذا تعني ؟.. اسم جدته (سِت أبوها)"

اتسعت عينا كامل ثم ضحك بينما عادت بسمة للغرفة تقول لمليكة " أنا صبري قليل هذه الأيام وزوجك يعصبني"

قالت مليكة مبتسمة" صدقيني يمزح ويناكفنا لا أكثر"

أمسكت بسمة بأسفل بطنها متألمة فسألتها مليكة" ما بك؟"
ردت الأخرى "متعبة ومتألمة ومزاجي عكر ..وكامل يوشك على أن يطلقني بسبب حالتي النفسية والجسدية "
قالت مليكة مطمئنة" هانت "
قالت بسمة بعصبية" لا تقولي (هانت) هذه الكلمة باتت تعصبني"
ضحكت مليكة وقالت" (اقتربنا) ها هي كلمة جديدة"
مالت عليها بسمة وقبلت جانب رأسها تقول بمحبة جارفة لصاحبتها" مبارك لك يا مليكة عسى أن تكون كل حياتك القادمة أفراحا ..هل ستسمونها الاسم الذي قلت لي عليه من قبل؟ .. (وأضافت ممتعضة) هذا إن كان زوجك لم يفقد عقله ويسجلها باسم جدته"
ردت مليكة " أشرقت .. إن شاء الله"

اعترف إياد وهو ينظر لأدهم "لا بأس ..أحب اسم أشرقت أيضا وأوافق عليه"
رددت بسمة بسعادة وتأثر" أشرقت مفرح الزيني"
أمسكت ببطنها من جديد متألمة فقالت مليكة" لماذا لا تجعلي الطبيبة تفحصك"
قالت بسمة "لا أعلم .. قررنا أن نزور طبيبتي حين نعود للعاصمة مساء اليوم إن شاء الله"
ازداد التقلص فتغضنت ملامحها بينما تطلعت فيها مليكة بقلق فتوجعت بسمة وقالت "سأخرج لكامل لنرى طبيبا فالألم يشتد"
شعرت بصعوبة في الحركة ..فقالت مليكة لابنيها المتسمرين يتابعانها " ساعداها لتخرج فزوجها لن يستطيع الدخول إليها "
أمسك بها الولدان في الوقت الذي شعرت بسمة وهي تتحرك معهما أن الألم يزيد حتى

خرجت لكامل الذي قفز من مقعده مفزوعا يقول" ما بك؟"
أمسكت بيده بقوة تقول" ألم شديد .. شديد جدا .. أشد من أي مرة "
نظر حوله بارتباك ثم قال وهو يسندها "تعالي لنبحث عن طبيب"
لم تقدر على الحركة لأكثر من بضع خطوات ووقفت تقبض على قميص كامل الذي بدأ توتره يزداد قبل أن تشعر بسمة بانفجار في بطنها وبماء ساخن يتدفق منها فصاحت مفزوعة "الماء .. الماء"
سألها كامل بغباء" أي ماء!!"
قالت له وهي تشد قميصه" ماء الرأس انفجر ..ماء الرأس.. أنا ألد .. أنا ألد يا كامل الحقني .."
ارتبك الأخير ونظر حوله يشعر بالشلل وهي متشبثة به وغير قادرة على التحرك معه في الوقت الذي خرجت بعض الممرضات من ممر

جانبي ووقفن يطالعن كامل بتدقيق ثم قالت إحداهن " شيف شامل أنا ... "
هب فيها كامل صارخا "لست هذا الزفت .. بسرعة زوجتي تلد ..تلد "
انتفضت الممرضات لأول وهلة مفزوعات من رد فعله قبل أن يدققن في بسمة ويتحركن بسرعة للتصرف .. بينما أمسكت بسمة بكامل تقول و هي تبكي "كامل أنا خائفة وأريد أمي .. أريد أمي حالا "
قال لها يطمئنها "نحن في المستشفى لا تقلقي"
هزت رأسها تقول بإصرار " لا ..أريد أمي يا كامل .. أنا خائفة وسأموت "
هتف بصوت عال وهو يساعدها على السير " أين الطبيب"
صرخت فيه والألم الذي لا يحتمل بدأ يتسارع بشكل جنوني " أقول لك أريد أمي يا كامل"

××××

يا جابر القلوب يا الله .. اجبر كل قلب مكسور

.

إن هذه من اللحظات الاستثنائية التي مرت بها ..بل هي أعظم لحظة مرت عليها .. وكيف لا تكون كذلك وهي في بيت الله ..تطوف حول كعبته مع جابر القلب زوجها وابن قلبها هاشم

.

تمسكت أم هاشم بجابر تطوف معه وهي تحمل ابنها الذي ينام فوق كتفها بينما حماتها التي اقتنعت أخيرا بالجلوس على مقعد يدفع بها جابر وابنته ميس تجلس فوق حجر جدتها

..

أ من الممكن أن تمر عليها لحظة أعظم من هذه اللحظة؟! .

(يا رب أرِح .. ثم هون.. ثم اشف كل نفس لا يعلم بوجعها إلا أنت)

بالدموع انتهت أم هاشم بعد قليل من دعائها أمام الكعبة بأن يحفظ الله لها بيتها وزوجها وابنها وألا يفرق بينهم ودعت لصديقتيها وكذلك فعل جابر في أخر لحظات لهما في الحرم المكي قبل أن يغادروا جميعا .

في خارج الحرم سألت ميس " بعد كم ساعة سنصل لعمي زين؟ "
رد جابر "بعد أربع ساعات من الآن فهو في مدينة أخرى"
اتسعت ابتسامتها تقول" اشتقت إليه ولميس إسراء"
سأل جابر أمه "هل أنت بخير يا أمي؟"
ردت الأخيرة وهي تسير بجواره وتمسح دموعها" بخير يا ولدي فليكتب لنا الله العمر ونزور بيته مرة أخرى "
قال جابر "اللهم آمين"

ثم نظر لأم هاشم بابتسامة حانية وأخذ منها هاشم النائم ليحمله على ذراعه فدلكت أم هاشم ذراعها ليسألها جابر " سعيدة ؟"
ردت بقلب مطمئن "وهل من تراك أمام عينيها لا تكون كذلك؟!"
حضن كفها وتحرك مغادرا يحمل طفله على ذراعه ويسير مع أمه وابنته بينما أمسكت أم هاشم بهاتفها وكتبت في مجموعة الدردشة التي تجمعها بصديقتيها "دعوت أمام الكعبة أن ييسر لكما كل عسير وأن تلدا بالسلامة ..)

xxxx

بعد ولادة متعسرة خلقت من جديد .. بسمة جديدة .. وحياة جديدة .. فأشرقت عليها شمس حياتها التي ظنت يوما أنها انتهت .. لكن العوض حين يأتي من رب العالمين يكون مذهلا .

كانت الغرفة مليئة بالناس .. أمها تجلس على الأريكة تزغرد تارة وتبكي تارة بينما وليد ومهجة التي تحمل ابنها (زيد) يقفان بجوار النافذة وتبدو عليهما السعادة أما غنيم وسوسو لم يبرحا مكانهما بجوار سرير الصغيرتين حفيدتي آل نخلة .. وونس تهدهد صغيرها وتتابع الصغيرتين أيضا.. أما والدها فقال وهو يتحرك مغادرا بعد أن قام بالواجب " أنا مضطر للمغادرة .. أرجو أن تعيد التفكير يا غنيم بك فلا يصح أن تأتي وتغادر بسرعة "

أبعد غنيم عينيه عن حفيدتيه ورد " في المرة القادمة يا حاج سليمان فعليّ أن أعود للعاصمة قبل الظلام"

غمغم سليمان وهو يغادر بعد أن سلم عليه " مبارك لكم (ونظر لبسمة يقول) مبارك يا بسمة وإن شاء الله المرة القادمة نبارك لك حين تأتين لنا بصبي"

ابتسمت له ابتسامة واهنة وشعرت بالغصة فهو الوحيد الذي لا تشعر بفرحته من أجلها .. تعلم كم هو متحيز لانجاب الذكور لكن ليس بهذا الشكل خاصة وهو يرى الفرحة العارمة لآل نخلة .

دخل كامل الغرفة بعد مغادرة والدها وتطلع في والديه اللذين يكادا يفقدان عقليهما أمام الصغيرتين ثم نظر لبسمة وتعانقت عيناهما.

انهما لم يختليا ببعضهما منذ أن فاجأتها آلام الولادة صباح اليوم ..فقد بقيت لساعات في انتظار طلق الولادة في أثنائها حضر أهله من العاصمة بعد أن ابلغهم بالخبر .. ثم ولدت أخيرا.. ولدت أميرتين جميلتين.

قال كامل "شامل يريد أن يراهما"

حملت أمه إحداهما ووضعتها على ذراعه فطالعها كامل بقلب مرتجف ثم حملت الثانية

ووضعتها بجوارها فاتسعت ابتسامة كامل ..
ابتسامة لم تكن بهذه السعادة على وجهه من قبل وهو يحمل طفلتيه ثم نظر لبسمة وعاد ينظر لابنتيه ..
كانتا توأمتين متطابقتين بشعر أسود وعينين زرقاوين كعيني والدتهما فقال كامل "يا الهي قلبي يرتجف .. ما شاء الله .. ورثتا جمال أمهما"
ابتسمت بسمة فتحرك كامل ليقف على باب الغرفة يقول لشامل الذي دقق في الصغيرتين" أنظر يا شامو أصبحت أبا لأميرتين"
اتسعت ابتسامة شامل وقال" ترى من منهما ستقع في حب ابني وتتزوجه"
ضحك كامل ورد" هذا السؤال ستجيب عنه السنين القادمة المهم ألا تقعا الاثنتان في حبه"
قال شامل سعيدا" مبارك لك يا حلوف "

لم يرد كامل على مشاكسته بل اتسعت
ابتسامته في سعادة وهو يتأملهما وعاد للغرفة
ليجلس بجوار بسمة على السرير ..

تطلعت بسمة في طفلتيها وقالت "أتمنى من
الله أن تعيشا بسعادة دون معاناة "
قال كامل متأثرا" أصبح عندي ثلاث بسمات ..
ثلاث بسمات ستضيئن حياتي"
طالعته بنظرات عاشقة فأضاف" شكرا بسمتي
على كل الخير الذي جلبتيه لحياتي "
غمغمت بتأثر" لا أعرف من منا عليه أن يشكر
الأخر "
سألت سوسو "هل استقريتما على الأسماء؟"
صمت الجميع بترقب بينما تعانقت عيني
بسمة وكامل ليجيب الأخير " سنترك لغنيم بك
مهمة تسميتهما "

نظر غنيم لسوسو وتراقص قلبه الذي خطفته حفيدتاه فرحا ثم قال" حسنا ما رأيكم في هَنا وهَانيا.."

نظر كامل لبسمة التي اتسعت ابتسامتها ثم قال " أحببت الاسمين ..هَنا وهَانيا كامل نخلة"

دعا لهما غنيم "ليهنيكما الله بنعمه وفضله"

نظر كامل لبسمة وتمتما معا" اللهم آمين"

الخاتمة

تمضى السنون بحلوها ومرها .. وتدور عجلة الزمن فتتشابه القصص حتى المختلفة منها .. فتتلاقى الطرق.. وتتشابك الأقدار فتنسج... حياة .

حياة يكون كل فرد فيها بطلا لقصته ..

بعد خمس سنوات

جاء العيد ببهجته وألوانه وفرحته المدغدغة للمشاعر.. جاء بدفئه الذي يغمر القلوب .. والعيد لا يكون عيدا إلا .. مع الأحبة .

سلم زين من صلاة الفجر فسلمت إسراء بعده ثم استقامت بعد لحظات تخلع عنها اسدال الصلاة وبقيت بمنامتها المكونة من شورت قصير وبلوزة ذات حمالات ..فألقت بالاسدال على المقعد وتوجهت نحو السرير.

أسرع زين خلفها يقول مستنكرا" إلى أين؟؟!!"

قالت وهي تلقي بنفسها على السرير وتتدثر بغطاء صيفي خفيف "سأخطف بضع دقائق أخرى من النوم"
أسرع يدس نفسه خلفها على السرير قائلا "إنه يوم العيد "
غمغمت مغمضة العينين "اتركني أنام ساعة واحدة فأمامي يوم طويل بعد أن تذبحوا الأضحية"
قال ويده تمارس بعض الشقاوة على جسدها "وهل أنا من تطوع ودعا أهلي وأهلك على الغداء في أول أيام العيد؟.. كان من الممكن أن يكون التجمع عند جابر بالطابق الأرضي ثم نزور أهلك آخر اليوم ونقضي عندهم السهرة"

أدارت وجهها إليه تقول باستنكار "ألم أعرض عليك الفكرة وأنت وافقت خاصة وأنها أول سنة نقضي العيد في الوطن!!"

لعبت أصابعه في شعرها الذي يلامس بالكاد كتفيها وهو يقول "أنا وافقتك ولكن لم أفرض عليك هناك فرق بين الاثنين"

قالت وهي تعود بوجهها لتنظر أمامها" وأنا لم أقل أنك فرضت عليّ شيئا.. كل ما قلته أن أمامي يوم طويل"

قالتها وحضنت الوسادة مغمضة عينيها

..فهمس زين بجوار أذنها ويده تزداد جرأة" أبلة سراء"

زمت شفتيها حتى لا تبتسم وأصدرت همهمة فأعاد النداء بلهجة أكثر حرارة فاعترفت لنفسها بأنها لن تستطيع مقاومة سحره عليها لكنها استدارت تقول بوجه جاد "نعم يا زين "

همس أمام شفتيها " أقول اليوم يوم العيد"

تلاعبت ابتسامة على شفتيها وسألته "والمطلوب؟"

غمغم بهمس " عيديتي"

مدت يدها تتحسس وجهه الذي تحبه
وغمغمت "هذا على أساس أنك محروم يا
مسكين فتريد عيدية؟!"
اتسعت ابتسامته وطوق خصرها بذراعيه
يسحبها إليه وهو يعتدل على ظهره فأصبحت
على بطنها بجواره وجذعها فوق صدره وهو
يقول "اللحظات الجميلة تزداد جمالا في
المناسبات يا أبلة"
ابتسمت رغما عنها وهي تقول " طوال عمرك
تلميذ طماع"
أشار لها بسبابته على شفتيه وهو يقول" هيا
امنحيني عيديتي"
توردت ومالت عليه تقبل شفتيه فأسرها هناك
..عند شفتيه وبين ذراعيه اللذين أحكما
الالتفاف حولها بتملك ..
الشغف قد يشتعل في لحظة كتلك اللحظة
التي مرت بهما قبل خمس سنوات حينما قابلا

بعضهما في بيت والدها .. لكنه يحتاج لشخصين ناضجين ذي قلبين دافئين لتبقى جذوة الشغف مشتعلة .. وهذا ما جمعهما في سنوات الغربة التي انتهت أخيرا قبل بضع شهور حينما قررا الاكتفاء والعودة .. ليؤسس زين مكتبا للمحاسبة القانونية ودراسات الجدوى للشركات بالإضافة لاستثماره لجزء من أمواله في معارض جابر للأجهزة المنزلية التي ازداد عدد فروعها واحتل واحدا منها أحد طوابق فرع المول التجاري العالمي الذي يتوسط مركز المحافظة.. أما اسراء فتستعد للعودة مع بداية السنة الدراسية لمدرسة اللغات التي يدرس فيها أولاد عائلة دبور.

تحركت يد زين لتزيح حمالة البلوزة في نفس الوقت الذي سمع طرقا على الباب وصوت صغير يقول" أمي ..أبي"

زمجر زين بينما أفلتت إسراء من بين شفتيه تقول لاهثة وهي تعيد حمالة القميص لموضعها "نعم"
ليسرع زين بالقول وهو يحكم ذراعيه حولها" ما الذي أيقظك الآن يا إسماعيل؟"
حاولت إسراء الافلات منه في الوقت الذي رد الصغير "هيا لقد جاء العيد يا أبي"
رد زين ساخرا بامتعاض" ألف مبروك.. هيا اذهب لتكمل نومك "

ضحكت إسراء ونجحت في الافلات من بين ذراعيه ثم غادرت السرير فضرب زين بقبضته على السرير مغتاظا .. بينما فتحت هي الباب لإسماعيل ذي الأربع سنوات الذي وقف على باب الغرفة يقول مشيرا للتلبية التي تخرج من مآذن المساجد "هيا نخرج للعيد"

تطلعت إسراء في الجلباب الأبيض الذي ارتداه وقالت "ولبست أيضا!!"
هز رأسه فتمتمت "هذا رائع يا إسو .. ولكن إن ارتديته في الوضع الصحيح سيكون أروع"
قالتها وناظرت زين الذي اعتدل على السرير يشير لابنه بالاقتراب ثم تطلع في الجلباب المقلوب وقال وهو يساعده في خلعه" صلاة العيد لم تبدأ بعد يا إسماعيل فلمَ العجلة يا بني؟"
قال الأخير وهو يرتدي الجلباب ثانيا بمساعدة والده" أريد أن نصلي ثم أعود لأرتدي ملابس العيد أنت قلت العيد في الوطن أحلى بكثير "
عدل زين الياقة لابنه وقال " ألا يوجد (كل عام وأنت بخير يا أبي)"
اتسعت ابتسامة اسماعيل وعيّد على والده الذي طبع على خده قبلة ثم حمله فجأة على حجره وأمال رأسه للأسفل يدغدغ رقبته

بأسنانه مصدرا زمجرة وحش بعد أن قال" هذا الطفل شهي يا إسراء لابد أن آكله "
صدرت صرخات ضاحكة من ابنه حتى تركه والده أخيرا وعاد يستلقي على السرير فقال اسماعيل بحنق" أبي ..ماذا تفعل؟؟!!"
قال زين وهو يخبئ رأسه تحت الوسادة سأنام قليلا حتى يأتي موعد صلاة العيد يكفي أنك أضعت عليّ عيدية العيد"
عدل اسماعيل من جلبابه وهو يقول عاقدا حاجبيه "هل سيعطيك عمي جابر عيدية مثلما ستعطيني أنت عيدية !!"
غمغم زين بصوت مكتوم " فكرة جيدة ..أنت تفكر بشكل عملي مثل أبيك يا ولد .. سأطالب بأن يمنحني عيدية أليس أخي الكبير"
قال إسماعيل وهو يشد يد والده" إذن لم تضع العيدية بعد هيا يا أبي لننزل"

قال زين بلهجة متسلية" لم أقصد هذا
..قصدت عيدية من أمك"
نظر إسماعيل لأمه يقول باندهاش "هل
تعطيك أمي عيدية !!"
أسرعت إسراء بسحب ولدها بينما زين يرد"
طبعا الكبار يتبادلون هدايا من نوع خاص"
أخرجت إسراء ابنها من الغرفة وهي تقول"
تعال يا حبيبي لنترك والدك لينام"
وقف اسماعيل في الصالة يقول بإحباط "أريد
أن أنزل للعيد"
قالت إسراء وهي تمشط له شعره" بابا أخبرك
أن صلاة العيد لم يحن وقتها بعد"
قال إسماعيل بإصرار" لكني سمعت البوابة
تفتح قبل قليل"
ردت إسراء مفسرة "هذا بالتأكيد عمك قد خرج
لصلاة الفجر"

تكلم الصبي مقارعا " إذن هم مستيقظون
بالطابق الأرضي أريد أن أنزل لجدتي"
قبل أن تعترض إسراء قال زين من الداخل"
اتركيه ينزل يا إسراء إنه لحوح كمن انجبه"
قالت إسراء بحرج "لا يصح الوقت مبكر جدا
كما أنني أخشى أن ينزل وحده على السلم "
غمغم زين من تحت الوسادة" إنهم يستيقظون
للفجر ..كما أن اليوم عيد فلا تكوني بهذه
الحساسية جدته ستسعد بحضوره في أي
وقت"
عدلت إسراء لأبنها هيئته واسرعت بوضع
الاسدال عليها فقال زين بلهجة حازمة "اتركيه
ينزل وحده وكفي عن حمايتك الزائدة له
فالوضع هنا في القرية يختلف عن أي مكان أخر
كما أن البوابة مغلقة"

بتردد فتحت إسراء باب الشقة وسمحت لابنها الصغير بالنزول وهي توصيه "إن أعطاك أحد شيئا لابد أن تشكره"
هز إسماعيل رأسه وغادر لكنها وقفت تراقبه بقلب قلق وهو يمسك بسور السلم ويخطو بخطواته الصغيرة نازلا الدرجة بعد الأخرى ببطء.

تعترف بأنها تبالغ في حمايته ..ولولا تدخل زين دوما ينبهها لذلك الجانب فيها لشب ابنها طفلا اعتماديا أفسده التدليل .. ربما هي سنوات الغربة التي أكسبتها هذه الصفة خاصة وأنها ولدته هناك ولم يكن معها إلا زين.. فقد كان عليها الاختيار بين أن تعود لتلد في بيت والدها أو أن تبقى مع زين الذي لم يستطع الحصول على إجازة ..فقررت البقاء معه حتى لا تحرمه من لحظة وصول ابنه ولا تزيد من قلقه عليها

والذي كان واضحا أثناء فترة الحمل لذا تحملت تجربة الولادة ولأول مرة في الغربة وافتقدت نصرة كثيرا رغم أن زين اعتنى بها جيدا اثناء فترة حملها ونفاسها لكن لا أحد أبدا يحل محل نصرة .. نصرة التي كان فراقها خلال سنوات الغربة مؤثرا لكلتيهما بالرغم من المكالمات المرئية الطويلة التي كانت بينهما يوميا ..

أخرجها من شرودها صوت ابنها الذي صاح بفرحة "عمييييييي"

أطلت برأسها لتتأكد من وجود جابر الذي كان عائدا للتو من الصلاة والذي استقبل إسماعيل مرحبا وقال وهو يميل على رأسه مقبلا "مرحبا"

قالت إسراء من الطابق الثاني" لا تؤاخذنا يا أبا هاشم إنه مصر على النزول إليكم"

قال جابر دون أن يرفع نظراته لأعلى " لا بأس..
أتوقع أن الاشقياء قد استيقظوا أيضا كل عام
وأنتِ بخير "
قالت إسراء "وأنت بخير وسعادة"
أمسك جابر بكف الصغير يساعده على نزول
الدرجات المتبقية وسمعت صوت نجف
بمجرد أن فتح جابر باب الشقة يقول في فرح
مرحبة بحفيدها" ما هذا النور ..ما هذا النور"
اطمأن قلب اسراء حين أُغلق الباب فعادت
لشقتها ..ثم اطلقت شهقة مجفلة بمجرد أن
أغلقت الباب حينما تفاجأت بزين خلفه
فهتفت بحنق" زين ألن تكف عن هذه
العادة؟!"
ضحك الأخير وسحبها من ذراعها يسجنها بين
الحائط وجسده وهو يقول بلهجة حارة "كفي
عن المراوغة وهات عيديتي"

قالها ثم مال على شفتيها يقبلها ..ورغم شعورها بالغيظ لكن كل مشاعرها السلبية تبخرت بين شفتيه خلال ثوان.. ونسيت كل شيء إلا ما كان يخبرها به زوجها لحظتها .

xxxx

في شقة جابر وبالتحديد في الطابق العلوي منها كانت أم هاشم تقف في غرفة بكريها هاشم ذي الخمس سنوات والذي كان يتقافز أمامها على السرير لحظتها بالملابس الداخلية فقالت "لا تتعب قلبي معك يا هاشم وهيا ارتدي ملابسك فلست متفرغة للمرقعة"

استمر الأخير في القفز على السرير وفي اغاظتها فزفرت الأخيرة مغمغمة بعبارتها الشهيرة" اللهم طولك يا روح"

ردد هاشم بشقاوة جملتها وهو مستمر في القفز أمامها ثم انفتح الباب فشهقت وهي ترى ابنتها مهرة الأصغر بعام تدخل الغرفة كالطلقة

وهي لا ترتدي إلا ملابسها الداخلية الوردية اللون فانلة أنثوية بحمالتين ذات فيونكتين رفيعتين من عند الكتف وشورتا قصيرا..
وأسرعت تصعد على سرير أخيها الأكبر تشاركه في القفز فسألتها أم هاشم" لماذا خلعت ملابسك يا مهرة ؟!!"
ردت مهرة بابتسامة لؤلؤية مليحة "أنت البسيني إياها"
عقدت أم هاشم حاجبيها وقالت بغيظ "استطعت خلعها ولم تستطيعي لبس غيرها !!.. لماذا لم تساعدك ميس؟"
ردت مهرة وهي مستمرة في القفز "رفضت وطردتني كي تبدل ملابسها"
قال هاشم لأخته وهو يمسك بيدها "تعالي لنقفز قفزة عالية"

هدرت أم هاشم فيهما بحزم" كفا عن القفز (وأمسكت بهاشم تقول) هيا اكمل ملابسك حتى ألبسها ملابسها"

صرخت مهرة بفرحة حينما سمعت صوت والدها ينادي على ميس من الدور الأرضي فهتفت هي و هاشم الذي أفلت من يدي أمه" أبي عاد ..أبي عاد"

اسرع هاشم بالإفلات منها هاربا كأخته أمام عينيها الذاهلتين فهتفت أم هاشم" بنت يا مهرة تعالي لترتدي ملابسك"

في الطابق الأرضي كان جابر يحمل تيمور أصغر أولاده ذا العامين والذي استقبله بمجرد دخوله بينما أخذت نجف تدلل حفيدها إسماعيل ابن زين الوحيد.. فتفاجأ جابر بهاشم ومهرة ينزلان السلم واتسعت عيناه وهو يقول ضاحكا " ما هذا العرض الصباحي بالملابس الداخلية!!"

كان هاشم الأسرع في النزول فانزل جابر تيمور أرضا ثم استقبل هاشم الذي حضن ساق والده فمال جابر يقبل رأسه ثم قال" هيا ارتدِ ملابسك كي نذهب لنصلي العيد (وأشار على إسماعيل) أرأيت كيف ارتدى ابن عمك ملابسه"

ضحك هاشم فلاحت أسنانه البيضاء وسط سمرة بشرته الجميلة فسحبته نجف لتعطيه من كيس بحجرها قطعا من السكاكر الملونة كانت قد أعطت لإسماعيل منها.. أما جابر فكانت عيناه معلقتان بتلك الأميرة السمراء التي تنزل السلم بتهور تكاد أن تقع ..
كانت سمرتها لامعة أفتح قليلا من أمها ونحيفة ساقاها رفيعتين كخلتي الأسنان فتأملها بابتسامة متسعة مغمغما "حاذري يا بابا"

بمجرد أن وصلت لأخر السلم رفعت ذراعيها
إليه ليحملها فالتقطها فوق ذراعه بينما وقفت
أم هاشم أعلى السلم متخصرة..
ضحك جابر حينما رأى زوجته بهذا الشكل
المتحفز بينما قالت هي "تعالي يا مهرة"
أبعدت مهرة خصل من شعرها القصير المجعد
الهائش الذي يصل بالكاد لكتفيها عن وجهها
وقالت بدلال وهي تمسد على لحية جابر
"سأبقى مع أبي "

ضحك جابر وقال "اتركيها قليلا "
قالت أم هاشم بحنق" لا يصح يا جابر أن تعتاد
على الخروج بالملابس الداخلية من غرفتها"
وافقها جابر في الرأي فنظر لمهرة نظرة عاتبة
ومال يهمس في أذنها" عيب أن تخرجي بهذا
الشكل أمام الجميع"

ناظرته بعينين واسعتين بنيتين كبدرين لامعين
ثم نظرت لجدتها التي بادرتها بالقول " تؤتؤتؤ
..عيب ..عيب غطوا عيونكم يا أولاد"
تطلعت مهرة في هاشم واسماعيل اللذين
يتابعان ما يحدث وفيهيهما مملوءان بالسكاكر
فهتفت فيهما بعبوس "إلام تنظران؟!! "
ثم عادت تنظر لوالدها واتسعت ابتسامة
محرجة تقطر عسلا أظهرت غمازتين على
الجانبين ثم تملصت منه لتنزل وهي تقول" لا
تذهب سأعود بسرعة"
أنزلها جابر فأسرعت بالهرولة نحو السلم بعد
أن ضربها على مؤخرتها ثم راقب تلك التي تشبه
قطعة البسكوت بالقرفة المغموسة بالعسل
وهي تصعد السلم وتأخذ قلبه معها حتى
وصلت لأمها ..ثم نظر لهاشم المنهمك في
الحديث مع ابن عمه وقال" وأنت يا أستاذ

هاشم هلا لبست بسرعة حتى نذهب لصلاة العيد"
استعرض هاشم أمام والده عضلات غير موجودة في ذراعه الأسمر الرفيع فقهقه جابر وقال "تمام يا سيادة القوي هيا ارتدِ جلباب الصلاة .."

أطلقت نجف ضحكة رائقة فنظر جابر للجهة التي تنظر إليها ليجد تيمور يخرج من المطبخ مرتديا حذاء والده الذي اخرجه من الخزانة المجاورة للباب ويلبس إناء الطبخ المعدني فوق رأسه وأخر في يده يطرق عليه بملعقة مصدرا صوتا مزعجا.. فتأمله جابر ضاحكا وتذكر تلك المقولة التي ترددها أم هاشم فتصيبه بنوبة ضحك تعليقا على تيمور بالذات الذي ولد ببشرة خمرية فاتحة اللون جعلها تتبنى نظرية عجيبة بأنها لو استمرت في الانجاب لربما جاء

الولد العاشر أشقر اللون بعد أن ينتهي مخزون السمرة بداخلها .
ابتسم وهو يجلس على المقعد يتذكر عبارتها تلك وسحب إسماعيل إليه ليقبل رأسه وعينه لا تزال تراقبان ذلك المشاغب الصغير آخر العنقود الذي قررا بعد ولادته أن يكتفيا بهذا القدر من الأولاد ..داعيان أن يبارك لهما الله فيمن رزقهما..
أما نجف فغمغمت ضاحكة وهي تضع يدها على أذنيها من الصوت العالي" أمك حينما تنزل وترى ما فعلته في مطبخها سيغشى عليها "

بعد قليل في الطابق العلوي وقفت مهرة على السرير ترتدي عباءة صغيرة ووقفت أم هاشم أمامها تمشط لها شعرها وهي تناغشها بالقول "ما أجملك يا مهرتي .. إن شاء الله حين ترتدين فستان العيد ستخطفين الأنظار"

سألتها مهرة " لماذا لوني مثل لونك وليس كجدتي أو أبي؟"
غمغمت أم هاشم" قدر الله فلا أحد يختار لون بشرته"
قالت مهرة" لبنى صاحبتي تقول أني سوداء.. هل أنا سوداء ؟"
كانت العبارة تلك تؤلمها أكثر مما كانت تؤلمها حينما كانت طفلة .. فهي كأي أم لا تتحمل أن يمر أولادها بنفس ما مرت به هي .. لكن جابر يدعهما في هذا الأمر ويولي له اهتماما خاصا.. وقد نجح في ذلك مع هاشم لكن مهرة وضعها كفتاة يعرضها لتلك التعليقات السخيفة أكثر.
قالت أم هاشم باستنكار " لبنى بنت فاتن جارتنا !! ..سبحان الله على جمالها هي وأمها (وعادت تكظم غيظها مستغفرة) استغفر الله العظيم ..ستجعلانني أغتابهما .. اسمعي يا مهرة

كما اتفقنا لا تهتمي بتلك التعليقات .. ماذا قال عنك والدك"

اتسعت ابتسامة الصغيرة اللؤلؤية واجابت وهي تتمايل بدلال راقصة على كلماتها المنغمة "قال بأني أميرة سمراء ..صنعت من قرفة وعسل ومكسرات .. وبأني .. حبة قلب أبيها ذات الغمازتين الشقيتين ..وضحكتي تقطر عسلا"

ضحكت أم هاشم ثم قالت وهي تحضنها وتقبلها على خدها" وهل هناك أهم من رأي أمك وأبيك؟"

رفعت مهرة أصبعها الصغير تقول مضيفة "وعمي زين ..يقول بأنه يحب سمرتي ويشبهني بالأميرة التي بالرسوم المتحركة"

قالت أم هاشم وهي تعود للتعامل مع شعرها" رائع"

أضافت مهرة بصوتها الرقيق " وأبلة إسراء ..وجدتي تغني لي (وتراقصت بميوعة أنثوية

فطرية تغني ..آه يا اسمراني اللون ..حبيبي الاسمراني)"

ضحكت أم هاشم وقالت وهي تمسكها لتقف منضبطة "اعتدلي يا مائعة .. أمنيتي أن أعرف من أين ورثت هذه الميوعة فأمك ذكر متخفي و لا تعرف عن الميوعة شيء"

طرق على الباب اتبعه دخول ميس التي قالت بعبوس "هل تمشطين لها شعرها؟.. كنت أريد أن تصففي لي شعري"

قالت أم هاشم " من عينيّ .. سأنتهي منها وأصفف لك شعرك فهي مصرة أن تذهب مع والدها للصلاة"

قالت ميس بحنق " أنا أيضا ذاهبة .. عموما ..تمام شكرا"

استغفرت أم هاشم حين رأتها تغادر غاضبة واحتارت ماذا تفعل معها ..إنها دوما عصبية

حانقة مهما حاولت كسب ثقتها.. وسرعان ما سيطر عليها الشعور بالذنب واتهمت نفسها بأنها تفضل ابنتها على ابنة زوجها فقالت لمهرة "انتظري قليلا يا مهرتي فأريد أن أفكر في تصفيفة شعر تليق بالعيد ..اذهبي ونادي أختك لأنتهي منها أولا وأنا أفكر"

نزلت مهرة من السرير ونادت ميس بعد أن قالت لوالدها من الطابق العلوي "إياك أن تغادر بدوني "

دخلت ميس التي أضحت في الحادية عشر من عمرها إلى الغرفة بعد دقائق ..فقالت أم هاشم " لا تكوني نزقة يا ميس فلم تعودي صغيرة على هذا"

قالت الأخرى بكبرياء وهي تستسلم لأصابع أم هاشم على شعرها" لم أرغب في أن أفرض نفسي عليك"

تنهدت أم هاشم وقالت" أخبرتك ألف مرة من قبل أنك عندي مثل مهرة"
صمتت ميس ولم ترد وتركتها تمشط لها شعرها مترقبة للتصفيفة التي ستصنعها لها هذه المرة.
لن تنكر بأنها تصفف لها شعرها بشكل مميز .. ولن تنكر بأنها تحاول التقرب منها لكنها غير قادرة على تقبل الأمر الواقع ..غير قادرة على تقبلها مكان أمها .. رغم اعترافها بأن الأمور في هذا البيت أفضل كثيرا بعد زواج والدها منها ..وأنه هو شخصيا أصبح أكثر سعادة .. وأن أمها دوما منشغلة عنها وتدور معظم لقاءاتهما واتصالاتهما على رغبة أمها في معرفة تفاصيل الحياة في بيت والدها .
رن هاتفها فتطلعت فيه ثم تجاهلت المكالمة وهي تعيده لجيبها فظنت أم هاشم أنها أمها ..ورغم شعورها بالضيق والغضب كلما جاءت

سيرتها وتذكرت تلك الحادثة التي كادت أن تفقد فيها ولدها هاشم .. وبرغبة قوية في جرها من شعرها وسحلها أمام الجميع إن تصادف والتقيتا في إحدى المناسبات .. وحمدا لله أنها لا تحدث كثيرا .. ولا يكون إلا لقاءا خاطفا تحرص كلتاهما فيه على ألا تقترب من الأخرى .. إلا أنها سألتها حينما ألح الهاتف "من يتصل بهذا الالحاح؟"

قالت ميس ببرود" هذه صاحبتي لا أرغب في الرد عليها"

سألتها أم هاشم وهي تصنع لها ضفيرة داخل الشعر "لماذا .. بالتأكيد هي ترغب في أن تهنئك بالعيد"

ردت ميس ببرود" لا أريد تهنئتها"

سألتها " هل أنتما متخاصمتان؟"

"أجل"

"ماذا فعلت لك؟"

رغم أنها لا تحب أن تظهر دواخلها أمام أم هاشم ودوما تتعامل معها بتحفظ بعكس إسراء زوجة عمها والتي سعدت سعادة شديدة لأنها عادت وستستقر في البلدة وستسكن الشقة العليا لكنها كانت تشعر تلك اللحظة بالحزن وترغب في التحدث مع أحد فأجابت"
خاصمتها لأني علمت بأنها تتحدث من خلف ظهري مع الفتيات بأن والداي منفصلان وبأنني لا أعيش معهما ويسخرن مني"
فارت الدماء في رأس أم هاشم وهتفت" إياكِ أن تسمحي لأحد بالسخرية منك.. هل واجهتها؟ .. هل واجهت صاحبتك بما علمت؟"
هزت ميس رأسها بالإيجاب وقالت "أجل ..وأخذت تعتذر ..لكني لن أسامحها لقد جرحتني بما قالت من خلف ظهري وكنت أظنها صديقة "

قالت أم هاشم متعاطفة " اسمعي يا ميس ..أنا أعلم جيدا ما هو التنمر وكيف هو مؤلم ..لكن عليك ألا تلتفتي لما يقولون .. صدقيني الكل يتحدث من خلف ظهر الأخرين ..إنها عادة مقيتة يتصف بها البشر فلا تلتفتي لما يقولون من خلف ظهرك ..من يواجهك فقط هو ما تضعيه عند حده وتظهري له بأنه لم ينل منك.. صدقيني سيبحثون دوما عن أي شيء ليتحدثوا عنه من خلف ظهرك ..إن لم يكن هذا الموضوع فستجدينهم يتحدثون عن شكلك ..عن طول قامتك ..عن نحافتك ..عن وزنك الزائد ..عن نوع شعرك .. دوما سيخترعون شيئا ليمارسوا موهبتهم في انتقاد الناس .. لذا خذيها نصيحة من مجرب ..لا تجعلي من هذا الأمر عقدتك .. وإياك وإظهار الضعف أمامهم .. إن شعروا بأنهم قد نالوا منك لن يرحموك "

صمتت ميس تفكر في كلامها .. وسألت نفسها .. هل تستطيع أن تفعل ذلك؟.. هل تستطيع ألا تظهر نقطة ضعفها هذه؟ .. والأهم من ذلك.. هل ستتقبل يوما حقيقة انفصال والديها؟

××××

وقف عيد يتطلع بسعادة في سيارة التوأمين التي تقترب وعيناه تتركزان على حفيده آسر الذي يطل برأسه من النافذة ويلوح له قائلا بمجرد أن استقرت السيارة "اشتقت إليك يا جدي"

اتسعت ابتسامة عيد في نفس الوقت الذي انحشر رأسان متشابهان بعينين زرقاوين يخرجان من جانبي آسر على يمينه وعلى يساره وخرج صوت مزدوج يقول" اشتقت اليك يا جدي"

اتسعت ابتسامة عيد وغمغم" ما شاء الله"

زفر آسر بغيظ وصرخ "ادخلا رأسيكما هذا جدي أنا"
ترجل شامل من المقعد المجاور للسائق يسلم على عيد وكذلك فعل كامل قبل أن يعود لمكانه أمام عجلة القيادة ثم فتح الأول باب السيارة لينزل منها آسر متأففا وهو يعدل ملابسه ويقول لهنا وهانيا "ليس لكما شأن بجدي اذهبا لجدكما"
مال شامل قائلا لابنه" لماذا هذه الفظاظة يا آسر؟"
قبل أن يجيب على عتاب والده صاح مشيرا خلفه على السيارة "انظر لما تفعلان يا أبي"
كانت التوأمتان تخرجان له لسانيهما عبر النافذة فقال شامل بحزم "عيب يا بنات"
من المقعد الخلفي ربتت بسمة على ذراعي ابنتيها ببعض الحزم منبهة وهي تقول "كفا عن السخافات وافسحا الطريق لونس لتنزل.."

كانت ونس تلملم حقيبة يدها وهاتفها ..
فنزلت الفتاتان لتفسحا المجال لونس لتترجل من السيارة.. وقالت هنا لعيد الذي يميل ويحضن حفيده" أنت جدنا أيضا أليس كذلك؟"
رد عيد بابتسامة وهو يطبع قبلة على رأسي الصغيرتين أمامه" طبعا"
نظرت التوأمتان لآسر ورقصتا له حاجبيهما فجز الأخير على أسنانه بغيظ.. بينما تعلقت عينا عيد بونس التي تغادر السيارة ببطن منتفخ تعدل من وشاحها وهي تقول بفرحة لا تختلف عن فرحة الصغار "اشتقت إليك يا عيد"
تراقص قلبه من الفرحة كعادته كلما رآها تزدهر وتنضج أمام عينيه واستسلم لحضنها الحاني ..
معترفا بأنها لا تزال طائشة عفوية تنافس ابنها في العناد لكنها نضجت كثيرا ..وهدأت كثيرا ..وباتت أكثر مسئولية بعد أن أصبحت أما

وبعد الخبرات التي اكتسبتها بعد الزواج والذهاب للعاصمة والاحتكاك بالآخرين .. وبعد أن انهت دراستها بالمعهد واضحت تشارك في معارض محلية ودولية بالإضافة لخط انتاج الكعكات الذي افتتحه شامل من أجلها في المطعم لتصنع كعكات الحفلات وتزينها.

قال كامل لشامل "لا تتأخر ..سأوصل بسمة والبنتين لبيت الوديدي وأقابلك عند مكان ذبح الأضحية ..نريد أن ننتهي من المهمة سريعا حتى نعود للعاصمة تعلم ماذا ينتظرنا هناك"

هز شامل رأسه بينما ركبت بسمة بجوار كامل بعد أن سلمت على عيد في الوقت الذي بقيت ابنتاها بالمعقد الخلفي ..وسألت كامل والسيارة تتحرك مبتعدة" ما الذي ينتظركما بالعاصمة؟.. ولماذا لا نبقى حتى المساء فالمطعم اليوم إجازة وسيستأنف العمل غدا"

رد كامل مراوغا "لدينا بعض الأمور الهامة ..كما أننا كل عام نقضي نصف النهار فقط هنا كي نقضي بقيته مع والداي .."

أمام بيت عيد سأل الأخير حفيده وهو يتطلع في السيارة المغادرة "هل تعرف كيف تفرق بين التوأمتين؟"
رد آسر بضيق" أجل أعرف بالطبع .. فواحدة سخيفة والأخرى أسخف منها"
قالت ونس بلهجة موبخة "آثي تأدب"
(آسر تأدب)
سألها عيد وهو يرى شامل يدخل بعض الأكياس لداخل البيت "ربما تضايقانه"
أجابت ونس مفسرة " إن ثلاثتهم يضحكون طوال الطيبق وتدعوا يؤوثنا من اللعب على الهاتف فهم يلعبون تاية ويتشاجيون تاية أخيى"

(إن ثلاثتهم يضحكون طوال الطريق وصدعوا رؤوسنا من اللعب على الهاتف فهم يلعبون تارة ويتشاجرون تارة أخرى)

اتسعت ابتسامة عيد سعيدا كلما تذكر بأنها قد تحسنت في نطق حرف (اللام) بينما لا تزال تجد صعوبة في نطق حرفي الراء والسين فمسد على بطنها بحنان يسألها "كيف حاله؟"

تنهدت تقول "لا يقل شقاوة عن آثر (وحضنت ذراعه وهي تضيف بلهجة شقية) المهم أني اشتقت إليك كثيرا ..كثيرا"

قال وهو يدخل معها هي وحفيده "وأنا اشتقت إليك يا بنت الكلب"

عضت على شفتها السفلى تشير بعينها نحو آسر فقال عيد معاندا "هل ستمنعونني من قول ما أشاء ..أنت بنت كلب وهو ابن كلبة ..ما رأيك؟.. أريني من منكم سيعترض"

ضحكت ونس ودخلت معه البيت الذي تجدد و أضحى من ثلاث طوابق فقد أصرت بعد أن أصبح لها دخلا خاصا بها من المعارض التي تشارك فيها وكعكات المناسبات التي تصنعها والتي لاقت إقبالا جيدا ..ومن بيع أعمال فنية أخرى لها أن تعيد بناء البيت الصغير وتؤسسه بأثاث جيد ..وتضيف له طابقا علويا كشقة من طابقين بينهما سلم داخلي لتكون لها هي وزوجها يبيتان فيها كلما حضرا للقرية .. وهو ما أشعر عيد بالفخر أمام أهل البلدة.. بأن ابنته هي من أعادت بناء البيت وأصر أن يكتبه باسمها خوفا من أن يظهر بعد وفاته قريب من بعيد فيشاركها في إرثها .. ولم يعرف كلاهما أن شامل قد ساهم بطريق غير مباشر في المساعدة في المبلغ الذي بنت به ونس البيت .

xxxx

إنه متوتر ..عليه أن يعترف بذلك .. صحيح ليست المرة الأولى التي يخرج فيها للناس لكنها المرة الأولى خلال الخمس سنوات الماضية التي سيرونه يتحرك في طرقات القرية بالكرسي المتحرك .. وأول مرة بعد الحادث سيصلي العيد مع المصلين في الساحة ..

منزوي هو عن الجميع منذ ذلك الحادث ..لا يخرج إلا للمتابعة الطبية أو لأمر هام ويتحرك بالسيارة التي يقودها أحد أولاده ..

حتى حينما انتهى من بناء المدرسة وسلمها رسميا للدولة لتدير شئونها وأراد المحافظ تكريمه تحجج بوضعه الصحي واعتذر ..فلا زال بداخله غصة وحرج من وضعه على الكرسي وشعور بالنقص .. ولا يشعر من الأساس بالفخر من بناء المدرسة فهي تمثل أمامه رمزا للمال الحرام.

هذه السنة قرر أن يخرج لصلاة العيد مع الناس ربما كان هذا مجاهدة منه لنفسه التي تراوده من آن لأخر بالعودة لمطالبة عماد بنصيبه من البضاعة .. فشهوة المال تلح عليه ..تحاول أن تضعف قراره ..وتبرر له الأمور بإنه إن كان قد أصبح قعيدا فلماذا لا يستمتع بالمال ؟..لماذا لا يعيد لنفسه رهبتها بين الناس بماله ؟.. لماذا لا يعود لممارسة سطوته على من حوله ؟ .. لهذا قرر أن يهذبها ويخضعها بالخروج اليوم ومواجهة الناس بهيئته هذه للصلاة في الساحة .. أراد أن يروض نفسه وأن يضعها عند حجمها الطبيعي.

عدلت له وجدان جلبابه بعد أن ساعدته في ارتداء ملابسه فربت على يدها يقول" بارك الله لك يا أم علاء"

تطلعت في لحيته التي أطلقها فمشطتها بيدها تقول "إن لم تكن تشعر بالراحة فلا تضغط على نفسك"

غمغم بابتسامة غامضة" بل عليّ الضغط عليها"

لم تفهمه وجدان .. لم تكن تفهمه قديما .. كان هناك دوما جانبا غامضا بعيدا عنها يحتفظ به لنفسه ولا تفهمه حاليا .. فصمتت .

إنه ينفرد بنفسه كثيرا .. ويصلي كثيرا ..أكثر من الصلوات المفروضة .. ويجلس مع شيخ القرية الذي يأتيه مرتين في الأسبوع ليقرأ معه القرآن .. ورغم هذا تجده على دراية بما يحدث في القرية عن طريق بسطاويسي قريبه وصديقه الذي لم ينقطع عن زيارته أبدا .. وعلى دراية أيضا بكل ما يحدث في البيت ..

البيت الذي أضحى مقتصرا على أولادها الثلاثة بعد أن انفصلوا عن أخيه وعائلته .. وعلى الرغم من أن الحياة لم تعد ببذخ الماضي وترفه لكنها باتت أكثر راحة وهدوءً .. وبساطة .

سألته وهو يتحرك بكرسيه نحو باب البيت" هل ستعود فورا بعد الصلاة أم ستحضر ذبح الأضحية؟"

رد عليها دون أن يلتفت" سأبقى مع الجزار حتى ينتهي وبعدها سأعود لنقضي العيد معا هذا إن لم يتفرق أولادك هنا وهناك ..وقتها لن تجدي سواي لتجلسي معه"

ضحكت وجدان وقالت "ما رأيك في أن تأتي معي لزيارة أهلي في المساء؟"

أدار وجهه لها قائلا "تعلمين أني لم أعد بارعا في الثرثرة ومخالطة الناس فسامحيني"

قالت بسرعة" لا بأس ليس هناك مشكلة"

سكت لبرهة ثم قال "أعتقد أن عليك تزويج ابنك حتى تأتيك كنة تكون لك رفيقة في هذا البيت بدلا من وحدتك"

قالت وجدان مبتسمة " لست وحيدة إلى هذا الحد فأنت موجود ..ولازالت علاقتي بهدى جيدة ونقضي معظم النهار معا ..لكن على سيرة زواج علاء كنت قد عرضت عليه منى بنت أخي ووجدت منه ترحيبا بالفكرة"

صمت بدير قليلا ثم قال "لو كان هو موافقا وأنت ترتاحين للفتاة فعلى بركة الله"

اتسعت ابتسامتها ورددت وهي تدعو له في سرها أن يحفظه لهم "على بركة الله"

أما بدير فتحرك يخرج من باب البيت متجها نحو البوابة التي ينتظره عندها ولداه أيمن وبلال.

إنه لا يزال يرزح تحت الكثير من الضغوط .. يجاهد نفسه من ناحية ويحاول التعايش مع وضعه الصحي من ناحية.. والتعايش مع الوضع المادي الذي تبدل من الثراء للحالة الميسورة من ناحية ثالثة .. لكن امتحانه الأكبر كان مع ولده علاء أكبر أبنائه الذي لم يتقبل تبرعه بجزء كبير من أمواله لبناء المدرسة ..

لقد أنهى علاء دراسته وخدمته في الجيش وعاد يضع أحلاما لمشاريع ينوي بأن يقيمها ليبدأ حياته العملية لكنه تفاجأ بما فعله وبأن المبلغ الذي يستطيع بدير أن يساهم به معه لا يغطي إلا جزءً بسيطا من احتياجاته المادية للمشروع .. وقتها وأمام ثورة ابنه لم يجد إجابات مقنعة له يرد بها على تساؤلاته .. لماذا تبرع بكل هذا المبلغ؟ .. كيف فرط فيه بهذه السهولة؟.. ألم يفكر في أولاده وهو يفعل ذلك؟.. وما زاد من

حسرة بدير هو ذلك الثراء الذي بدا واضحا على عماد والذي جعل أولاده يشعرون بالارتباك وعدم الفهم.

لم يجد بدير ما يقوله لعلاء عن السبب الحقيقي.. فإن كان قد اخفى عنه وعن الجميع الحقيقة في الماضي حتى لا يورطهم معه ..فهو يخفيها الآن لشعوره بالخزي من نفسه وخوفه من أن تهتز صورته أمام أعينهم .. لكنه اضطر للتلميح لعلاء بأن هذه الأموال يشعر أن بها شبهة حرام ففعل ذلك إبراءً لذمته .. أخبره بجزء من الحقيقة لكن علاء لم يتفهم ذلك .. وتوترت العلاقة بينهما بعدها .. وما أحزن بدير بشدة .. هو أن يرى علاء يتقرب من عمه ويلازمه .. صحيح أنه حذر عماد من توريط علاء في أي شيء يخص التجارة المشبوهة لكنه لا يشعر بالراحة.. خاصة حينما لجأ علاء لعمه ليقرضه مبلغا كبيرا يسدده على أقساط ..

يبدو أن امتحانه الأكبر سيكون في أولاده لا مع نفسه.. خاصة وهو يرى نفسه غير قادر على تحقيق أحلامهم المادية .. علاء ذو الرابعة والعشرون أكثرهم تمردا.. وأيمن يبدو متذبذب بشأن تقبل ما فعله من التخلي عن الجانب الكبير من أمواله لكنه لم يبد أي رد فعل .. أما بلال فهو الوحيد الذي يطمئن عليه ربما لأنه كان صغيرا حينما حدث ما حدث ..وربما لسبب آخر يجعل هذا الولد الذي أضحى في الثامنة عشر من عمره لا يشعر بالقلق عليه.

أخرجه بلال من أفكاره حينما سأله" هل أنت بخير يا أبي .أتريد أن نتحرك"

هز بدير رأسه ثم سأل" أين علاء ألم يستيقظ بعد؟"

من خلف ظهر بدير الجالس على كريسه المتحرك نظر بلال لأيمن ليرد الأخير "سيلحق بنا يا أبي"

هز بدير رأسه مجددا وتحرك يضغط على متحكم الكرسي ويخرج من البوابة وبجواره ولديه .

كان يرغب في أن يحتمي بأولاده.. فإن لم يكن لديه ما يختال به من مال يشعره بالقوة فهم قوته الآن خاصة وأن المعنى الحرفي للتعبير أضحى الآن أكثر دقة .

أسرع بلال يزيح حجرا من أمام كرسي والده في الطريق بينما بدأت العيون تتطلع في بدير .. وتحييه ..فالتقط النظرات المشفقة منها والمتعاطفة والمتشفية أيضا والفضولية .. وأخذ يتوقف كل بضع مترات ليتلقى التحيات من أهل البلد في رحلته إلى أقرب ساحة للصلاة .. حتى لمحها .. أجل لمحها على الجانب الآخر

من الترعة .. دوما يفصل بينهما شيء .. دوما طريقهما متوازيا لا يتقابلان أبدا .. وهذه المرة لم تلمحه ولم يلمحه زوجها الذي يقود السيارة فقد كانا منهمكان في الحديث ورأى فتاتيهما تطلان من نافذة السيارة في المقعد الخلفي .. ابتهج قلبه لرؤيتها .. فلم يرها منذ مدة كبيرة ..ربما لأنه لا يخرج كثيرا .. ابتهج قلبه لكنه أشاح بأنظاره يثبتها أمامه على ذلك الطريق غير المعبد يحاول أن يجد لكرسيه أرضا ممهدة .. لقد سمع ذات مرة أن السفر فيه سبع فوائد .. لكنه أيقن الآن أن الخروج من البيت أيضا له فوائد هذه إحداهن .. رؤيتها لثوان .

xxxx

في إحدى الساحات الواسعة التي تستضيف صلاة العيد وصل سليمان الوديدي يعدل من عباءته بخيلاء ومعه ابنه وليد وحفيده يزيد ووقفا يسلمان على عدد من مهنئين لهما بالعيد

في نفس الوقت ومن ناحية أخرى وصل بدير واستقر بكرسيه في أحد الصفوف الخلفية وأخذ يتأمل الجميع .. يتأمل ويدقق ويحلل مثلما يفعل السنوات الماضية ..

بعد قليل توقفت سيارة عماد على بعد ..السيارة الوحيدة تقريبا فالغالبية أتوا إما مشيا على الأقدام أو بوسيلة المواصلات الداخلية وهي التوكتوك .. نزل عماد من السيارة نافشا ريشه بشكل أغاظ بدير واستدر شفقته عليه في نفس الوقت ونزل معه أولاده و .. علاء .

تألم قلب بدير .. وعيناه تراقبان اقتراب عماد وعلاء الذي أخفض أنظاره بحرج حينما التقت بأنظار والده.. ليقول عماد لبدير " لماذا لم تنتظر حتى نتحرك معا يا حاج بدير بالسيارة؟"

رد بدير بهدوء " رغبت في الحضور سيرا بمقعدي .."

وناظر علاء فأطرق الأخير برأسه ..

تحرك عماد مبتعدا ليسلم على بعض الناس فقال بدير لولده البكري" طلبتك ليلة أمس ولم ترد على الهاتف "

غمغم علاء بارتباك " كنت مشغولا في استلام وترتيب البضاعة في المحل وعندما عدت في المساء أخبرتني أمي أنك نمت "

صمت بدير مسلطا نظراته الهادئة إليه ثم قال بعد برهة " الايصالات التي كتبتها لعمك نظير المبلغ الذي اقترضته"

قاطعه علاء يسأله مندهشا "من أخبرك بأني كتبت له إيصالات أمانة؟!!!"

ابتسامة مُرة زينت زاوية شفتي بدير ولم يعرف بم يرد.. كيف يخبره بأنه من علمه ذلك ؟..كيف يخبره بأنه من بدأ معه بذلك؟ .. وبأنه أرسل لعماد وهدده بألا يورط ابنه في أي شيء حرام وضغط عليه حتى أخبره الثاني بكل تشفٍ أنه قد جعل علاء يوقع له على إيصالات أمانه

مقابل المبلغ .. كيف يخبره بأنه اضطر للتفريط في بعض الإيصالات التي يحتفظ بها لتهديد عماد الذي هو غير مأمون الجانب حتى يحصل على الايصالات التي بحوزته وتخص ابنه شاكرا لربه أن المبلغ أقل بكثير مما اقرضه لعماد قديما .. فبدل معه إيصالا بإيصال حتى أعتق عنق ولده من يد أخيه وبقي معه بعضهم سيحتفظ بهم ليس لشيء ولكن لإخافة عماد الذي توحش وازداد جشعا بعدما حصل على كل البضاعة لنفسه وأضحى يعمل فيها وحده .. رد بدير " أنا أعلم كل شيء يا علاء ..فليس لأني حبيس هذا الكرسي لا أعلم شيئا"

أخفض الأخير أنظاره وشعور بالذنب تجاه والده يسيطر عليه فاستطرد بدير "المهم ..هذه الإيصالات التي بحوزة عمك قد أخذتها منه"

رفع علاء أنظاره متفاجئا بينما وقف أخواه يتبادلان النظرات ليضيف بدير "أخذتهم ولم يعد عليك شيء لعمك .. فلست بحاجة لإعادة المال له "

تفاجأ علاء وقال باندهاش "كيف حصلت على الإيصالات ومن أين سددت له المبلغ أنت قلت..."

" هذا دين قديم بيني وبينه (قالها بدير مقاطعا وأضاف) المهم ألا تلجأ له مرة أخرى في شيء .. محل الهواتف الذي أردت افتتاحه ها قد حصلت عليه .. اكسب واصرف على نفسك بالحلال وإياك والاقتراض مرة أخرى"

اتسعت ابتسامة علاء ومال يلتقط يد والده يقبلها قائلا بفرحة شديدة" لا حرمنا الله منك يا أبي"

أحس بدير ببعض الراحة لكنه لا يزال قلقا عليه ..إنه ضعيف أمام حاجته للمال وهذا

يعرضه للرضوخ لنفسه الضعيفة كما حدث حينما لجأ للاقتراض من عمه.

ضرب أيمن على ذراع أخيه قائلا بلهجة ضاحكة "مبارك يا عم علاء العقبى لي حينما أتخرج من الجامعة وانهي الخدمة العسكرية"

ابتسم علاء بينما سأل بلال "هل تحتاج لمن يساعدك بالمحل؟"

قال علاء ضاحكا "تفضل يا عم بلال هل منعتك!"

سأله بلال بلهجة ماكرة "وكم سيكون راتبي؟"

ظل بدير يتأملهم ولا تزال روحه قلقة خائفة من ذنوبه على أولاده.. حتى خوفه من دخول السجن لم يكن إلا من أجلهم فهو محبوس على أية حال في هذا الكرسي .. لكن دخوله السجن سيوصم أولاده وأحفاده بالعار لهذا لا يزال قلقا رغم مرور السنين من أن يُكتشف نشاطه السابق .. فملف الحادث الذي تعرض له لا

يزال مفتوحا .. صحيح لم يتم التوصل لشيء .. وصحيح لا يزال مصرا على ادعاء فقدان الذاكرة لما حدث ليلتها ..لكن القضية لا تزال مفتوحة حتى وإن توقف التحقيق فيها ..كل هذا يزيد من خوفه ويزيد من الحاحه على ربه أن يتمها عليه بالستر ..فقال هامسا مع أصوات التلبية المصاحبة لأجواء العيد التي تخرج من مكبر الصوت "رب استرني ولا تفضحني من أجل أولادي .. ولا تأخذهم بذنبي واهدهم واهد لي نفسي وساعدني على تقويمها "

اقترب يحيى من الساحة ومعه هلال وأولاده نسمة وهمسة و كريم الذي أصبح شابا يافعا في التاسعة عشر من عمره ويرافقهم جابر الذي يمسك بيد ولده هاشم من ناحية ويد إسماعيل ابن اخيه من الناحية الأخرى بينما زين يحمل

مدللة العائلة خاطفة القلوب مهرة فوق ذراعه وميس تسير بجواره تتأبط ذراعه.

اتسعت ابتسامة بلال حينما لمح جابر فأسرع للسلام عليه ومعايدته هو والباقين فسلم عليه جابر وهو يبذل مجهودا مع نفسه بألا يأخذ الشاب بمشاعره تجاه عائلة العسال كلها.. لقد بات لا يطيقهم كلهم بعد الحادث الذي تعرضت له أم هاشم .. وما حدث لتلك العائلة خلال الخمس سنوات الماضية يزيد من وضعها غموضا بالنسبة له ومن مشاعر النفور عنده تجاهها ..خاصة تجاه عماد.. ولولا أنه لا يريد أن يحرم ابنته من أمها لما وافق على أن تزور بيت أخوالها أبدا .

ابتسمت ميس لبلال وقالت له" طلبت منك أن تنزل لي اللعبة على الهاتف ولم تفعل .. "

ضحك وقال "سامحيني كنت مشغولا بالامتحانات كما تعلمين ..حينما تحضرين مساء كي تري عمتي أعدك أن أنزلها لك ..(ثم سأل) أين الجدة نجف؟"

ردت ميس" إن قدميها متعبتان فرفض أبي وعمي أن تجهد نفسها "

أدار بدير وجهه يبحث عن ابنه فوجده عائدا من عند عائلة دبور وهلال جمعة وتلاقت عيناه مع عيني جابر الذي رغم مشاعره تجاه تلك العائلة كان يشفق على هيئة بدير على الكرسي فهز له رأسه بتحية صامتة .. ابتسم لها بدير ابتسامة ضعيفة وعاد ينظر أمامه معترفا لنفسه بأنهم قد كسبوا عداء جابر بسبب كاميليا ..

"كاميليا .. هم أخر فوق ظهرك يا بدير .. ضرس مزعج نخر فيه السوس لا أنت قادر على خلعه ولا متحمل نوبات وجعه المتكررة المعذبة "

وصل طلال إلى الساحة ومعه والده واخوته الذكور وأبنائهم الصغار وسلم على بعض الناس الذين هنأوه بالعودة من السفر .. فلمحت عيناه زين من بعيد يقف وبجواره ثلاثة أطفال .. ميز ابنه من بينهم بسبب لون البشرة .. فشعر بغصة في قلبه ..
لو لم يطلق إسراء لكانت انجبت له هذا الولد .. بحثت عيناه عنها بين النساء الحاضرات فلم يجدها فأطرق برأسه وتذكر أنه سيبدأ حياته هو الأخر في القريب العاجل وتذكر حديثه المحبط مع أمه قبل قليل ..

قبل ساعة

"ألم تجد بعد كل هذه السنوات من الانتظار إلا فتاة من العاصمة لتتزوجها يا طلال؟!!"

قالتها كريمة بانهيار فرد طلال بعصبية " هذا الأمر ليس بيدي يا أمي ..وأوضحت لك من قبل ما حدث .. هي وأسرتها كانوا يعيشون في الغربة فتعرفت عليها وأعجبت بها ولكنهم قرروا العام الماضي العودة نهائيا للوطن فتحدثت مع والدها بشأن نيتي في الارتباط بها في أول زيارة لي للوطن"

قالت شاعرة بالقهر " ولماذا لا تأتي هي لتعيش معنا؟؟ .. كل البنات يتركن أهلهن بعد الزواج ويذهبن إلى حيث يقرر الزوج "
زفر باختناق وأجاب " يا أمي إنها متعلقة بأهلها ..وكان شرط والدها عليّ أن تسكن بجوارهم في الحي الشعبي الذي يسكنون فيه في العاصمة ..كما أن فرص العمل في العاصمة والمرتبات أفضل من هنا إن قررت الاستقرار وعدم السفر"

هتفت باستنكار " وشقتك التي دفعت فيها الكثير لتجهيزها ؟!!"
رد عليها بهدوء " شقتي ستبقى كما هي وسأبيت فيها أنا وهي حينما نأتي لزيارتكم"

هتفت باستنكار وغيرة واضحة " هل ستشتري لها شقة في العاصمة؟!! .. أي سيكون لهذه الغندورة التي لم تر من الحياة شيئا بعد شقتين!!"
قال طلال بعصبية " أمي بالله عليك لا تفسدي علي هذه الزيجة .. والله لو أفسدتها هذه المرة أيضا سأعود للسفر ..ولن تري وجهي مرة أخرى"

امتقع وجه كريمة وهي تناظره بقهر وحرقة قلب وغمغمت باكية "هل بعد كل هذه السنين

وأنا محرومة منك ستستقر في العاصمة وتأتيني أخر كل أسبوع تقضي معي بضع ساعات !!"

عاد طلال من شروده وتحرك مبتعدا إلى الناحية الأخرى حتى لا يتقابل مع زين ولا يجدد الذكريات ..عليه أن يعيش الحاضر وأن يتزوج وينجب .. كان يتمنى أن يلبي لوالدته ما تريد لكن الأمر خارجا عن إرادته ..فهو ليس على استعداد أن يخسر هذه الفتاة كما خسر إسراء من قبل ..كما أنه لم يعد يطيق البقاء لفترة طويلة في هذه القرية .. لماذا لا تستطيع أمه أن تفهم ذلك ؟!.

كان وصول مصطفى الزيني هو ما يترقبه الجميع.. لقد بات الكل يعلم بأنه العمدة القادم ..خاصة وأنه يدير كل شيء تقريبا بالنيابة عن عمه عبد الرحيم الزيني بسبب كبر سنه

وانشغال ابنه الدكتور مفرح الذي نال درجة الدكتوراه في العلوم الزراعية العام الماضي والمشغول طوال الوقت بين العاصمة ومزرعة العمدة.

ظهر مصطفى الزيني وخلفه جيشه الصغير .. عزوته وعمله الصالح في الدنيا .. أولاده الخمسة الذكور.. أكبرهم الدكتور حمزة الطبيب في أحد مستشفيات المحافظة وأصغرهم ياسر الذي أصبح في العشرين من عمره بينما حبيبة الصغيرة آخر العنقود ذات الخمس سنوات ممسكة بيد أخيها حمزة ..

اقترب مصطفى بهيبته يحمل على ذراعه حفيده الوحيد مصطفى ابن حمزة ويسلم على هذا وذاك ممن تجمعوا لتحيته ومعايدته .. ثم لمح بدير في آخر الصفوف على كرسيه فتحرك نحوه وسلم عليه يهنئه بالعيد ..

امتن بدير لهذا السلام أكثر من أي شيء آخر في ذلك الصباح .. فقال مصطفى بلهجة مشجعة
" علينا أن نشكرك على تلك المدرسة التي تبرعت ببنائها يا أبا علاء ..جزاك الله خيرا وجعلها في ميزان حسناتك"
العبارة أسعدت بدير وأعطته أملا في أن تقبل توبته فقال بامتنان "جزانا وإياكم يا حاج مصطفى"
هيئته الجديدة والنظرة المختلفة التي تطل من عينيه أسعدت مصطفى .. فقال بلهجة صادقة "أسأل الله أن يجمعنا دوما على الخير وصالح الأعمال"
قالها وهو يربت على يده وكأنه يشجعه على التقدم في طريقه الجديد ثم انسحب عائدا لأول الصفوف ليتبادل التهاني بالعيد مع الباقين
فتأمله بدير وهو يبتعد وأيقن بأن هذا كان غرضه من الخروج اليوم ومشاركة الجميع في

الصلاة .. أراد أن يجاهد نفسه بالرفقة الطيبة .. و سبحان مغير الأحوال ..فقبل سنوات كان يشعر بالضيق كلما رأى مصطفى الزيني والآن يشعر بالراحة والمؤازرة من جملتين قالهما له!..

أما مصطفى فكان يردد في سره" سبحان من يحيي القلوب بعد موتها ويهدي ويوفق إلى طريق الحق .. اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب "

من وقفتها مع أختها على بعد خطوات من زين وقفت نسمة تراقب أولاد مصطفى الزيني الذين انتهوا من السلام والتهنئة ثم أخذوا يتشاكسون فيما بينهم قبل الاصطفاف للصلاة .. وركزت عينيها عليه هو بالذات كيف يناكف الجميع بخفة ظله التي تعرفها عنه .

إنه محمد ابن مصطفى الزيني ..حلمها المستحيل .. الذي يكبرها بثلاث سنوات والذي دخلت نفس الكلية التي دخلها هو .. كلية التجارة ..

مر على ذاكرتها أول يوم لها بالكلية حينما كانت تقف مرتبكة لا تعرف أين تذهب ولمحته .. لمحته وتعرفت عليه على الفور ..وهل هناك فتاة في القرية لا تعرف أولاد مصطفى الزيني؟!! .. رأته يومها وهو يترك أصدقائه ويقترب منها مدققا يسألها" ألست ابنة المعلم هلال جمعة من قرية (....)"

لم تصدق أنه تعرف على شكلها .. يومها علمت أنه عضو في اتحاد الطلبة وأرشدها لوجهتها الصحيحة وأعطاها بعض التعليمات .. كما طلب منها أن تلجأ له في أي شيء تريده .. بعدها انسحب كحلم خاطف جميل .. وقضت

هي تلك السنة تراقبه معظم الوقت .. باتت تحفظ جدول محاضراته وتتحين الفرص لمتابعته من بعيد وأحيانا كانت تلتقي عينيهما فيسألها عن أخبارها وإن كانت تحتاج لشيء .. حتى انتهت السنة وتخرج هو ولم تعد تراه إلا صدفة .. إما في القرية أو في زيارات كان يقوم بها للكلية من حين لأخر..

لكن اسعد لحظة مرت عليها عندما علمت بأنه بات شريك لزين زوج أختها في المكتب الذي افتتحه .. لقد مرت على زين ذات يوم في المكتب ليشرح لها شيئا يخص مادة من مواد السنة النهائية وقابلته هناك وعلمت بأنه شريكا له في المكتب وقتها كادت الفرحة أن توقف قلبها ..لأن زين وعدها أن يوظفها فور تخرجها وهذا ما حدث بالفعل .. فقد أصبحت تعمل كمحاسبة تحت التمرين في مكتب زين منذ شهرين وتلتقي بمحمد يوميا .. صحيح لا

تحتك به إلا في إطار العمل ..لكن المشاعر بداخلها تزيد وشعورها باليأس أيضا يزيد معها .. فهي تعلم جيدا من هو ومن هي عائلته حتى باتت تفكر هذه الأيام في تنفيذ ما تلح عليها همسة في عمله.. أن تترك العمل عند زين .

أفاقت نسمة على لكزة من مرفق همسة وسمعتها تقول من بين أسنانها" عينك .. ابعدي عينك ستفضحيننا إنه قادم ناحيتنا"

أسرعت نسمة بخفض نظراتها بارتباك بينما اقترب محمد يسلم على زين قائلا "كل عام وأنتم بخير يا أبا إسماعيل "

رد زين بحفاوة "كل عام وأنت بخير يا شريك"

نظر محمد لمهرة التي تقف بجوار عمها ومال نحوها يقول" ما هذا الجمال الأسمر "

وهم بطبع قبلة على خدها فأدارت وجهها تخبئه في ساق عمها ليقول محمد" هل أستطيع أن آخذ قبلة؟"

عقدت حاجبيها وعادت تنظر إليه قائلة بعبوس "عيب"
كتم زين ضحكته وقال له بلهجة حازمة "عيب يا محمد ما تطلبه"
تحكم محمد في رغبته في الانفجار بالضحك وهو يراقب نظرات تلك القزمة ذات الأربع سنوات التي ترمقه شذرا من عينيها الواسعتين البنيتين وقال" أنا آسف آنسة مهرة ولكن نيتي شريفة"
عبست مهرة بعدم فهم فأردف محمد" هل تتزوجيني آنسة مهرة ؟"

ازداد عبوس مهرة ورفعت نظراتها لعمها ثم عادت تنظر إليه قائلة" أمي قالت أنا لازلت صغيرة عيب أن نتحدث في هذا الموضوع"

اعتدل محمد وتبادل مع زين النظرات الضاحكة ليقول الأخير" تضع نفسك في مواقف محرجة يا محمد"
ضحك الأخير ثم مال مجددا بجذعه يسألها "سأنتظرك حتى تكبري ما رأيك؟"
رمشت عدة مرات بعينيها تفكر ثم أولته ظهرها وحضنت ساق عمها ..فاستمر محمد في مناكفته لها قائلا "هل أعتبر هذا رفضا يا آنسة مهرة؟"
أشارت له بيدها دون أن تستدير له بإشارة متعجرفة متعالية تعني (انصرف من هنا)
جعلت زين ومحمد ونسمة وهمسة الواقفتان على بعد خطوات تدعيان عدم الانتباه لما يحدث ينفجرون بالضحك.
قال محمد ضاحكا وهو ينسحب مغادرا وقد بدأ المصلون في الاصطفاف وأخوه يامن ينادي عليه " أنا منسحب بكرامتي"

قال له زين" كل عام وأنت بخير يا محمد عسى أن تكون العام المقبل قد وجدت من ترضى بك ولا ترفض طلبك "

ضحك محمد وغادر مشيرا ليامن بأنه قادم فتابعته نظرات زين وهو يتذكر كيف أنه لم يكن يفكر في مشاركة أحد في مكتب المحاسبة إلا صديق له من نفس المحافظة تعرف عليه في الغربة ليتفاجأ بعرض مصطفى الزيني على جابر حينما علم منه بعودته ورغبته في الاستقرار في الوطن وتأسيس مكتب للمحاسبة ودراسات الجدوى بأن يشارك محمد ابنه معه لأنه كان ينوي إقامة نفس المكتب فرحب زين بالعرض .

على ناحية أخرى كان جابر قد انتظر أن ينتهي مصطفى من تحية الراغبين في تهنئته بالعيد ثم سلم على صديقه بحرارة مهنئا بالعيد و أخرج

ورقة مالية من حافظة نقوده يعطيها للصغير
فقال مصطفى لحفيده "خذ من يد عمك"
أمسك الصغير بالورقة بينما قال مصطفى
لميس المرافقة لوالدها في خطواته" ما شاء
الله بارك الله لك فيها "
قالها وهو يخرج من جيب جلبابه ورقة مالية
كبيرة فنظرت ميس لوالدها ثم أخذتها منه
بوجنتين مشتعلتين متمتمة بالشكر .
قال مصطفى لجابر بلهجة صادقة" أدعو لك
أن تكون العام المقبل في الأراضي المقدسة
تؤدي فريضة الحج يا أبا هاشم "
قال جابر بلهجة متمنية " وأدعو لك بالمثل
..واتمنى من الله أن يجمعنا يوما أنا وأنت في
هذه الرحلة يا أبا حمزة"
اتسعت ابتسامة مصطفى وابتهج قلبه من
الفكرة فقال" ما رأيك نرتب لها سويا يا جابر؟"

غمرت السعادة قلب الأخير قائلا" ياله من وعد ..ويا لها من رفقة تبهج القلب ..فليكتبها لنا الله يا صديقي ."

بعد قليل انتهت الصلاة وتبادل أهل البلدة التهاني وبدأوا في التفرق للحاق بذبح الأضاحي فاقترب مصطفى الزيني من هلال يقول "كنت أريدك في أمر هام يا أبا كريم"
لاح الاهتمام على هلال وتحرك معه جانبا بينما اقترب محسن وخلف وطفليهما فقال يحيى" أين كنتما؟!!"
رد محسن بابتسامته المعهودة وهو يعطي ابنه الذي يحمله فوق ذراعه لجده "زوج ابنتك عطلنا كالعادة وحضرنا متأخرين على وقت الصلاة"

هدهد يحيى حفيده ابن رباب ومال يسلم على ابن سامية ويمنحه عيدية العيد بينما اقترب محسن من زين وجابر وسلم عليهما ..
رحب به زين وجابر وتبادلا التهاني وكذلك فعلا مع خلف ليقول محسن لجابر " ابلغ سلامي لأم هاشم يا أبا هاشم "
تقبض جابر إلى جانبيه وتمنى أن يلكمه في ابتسامته اللؤلؤية لكنه أخبر نفسه أنه بالتأكيد يدعوها بكنيتها وليس باسمها مجردا فقال باقتضاب وهو يضغط على الحروف "إن شاء الله سأبلغ بنت الشيخ زكريا بسلامك"

حين ابتعد هو وخلف مال زين على أذن أخيه قائلا "لماذا أشعر بأنك لا تطيق محسن قريب أم هاشم؟"
راوغ جابر قائلا من بين أسنانه" أنا.. أبدا ألم ترني أرحب به!"

عقد زين حاجبيه يدقق في أخيه وقال " لا أدري .. ولكن كلما صادفت مرور الشاب من أمام بيتنا ووقوفه للسلام أشعر بأنك تبذل مجهودا لتكون لطيفا معه.. هل فعل شيئا؟"

عبس جابر وسأله وقد بدأ يشعر بالذنب "حاشا لله لم أر منه ما يسيئه .. هل تراني فظا معه؟"

أسرع زين بالقول "أبدا لم أقصد لكن لأني أخوك وأعرفك أشعر بأنك تتعامل معه بتحفظ شديد .. ليلة أمس مثلا حينما مر من أمام البيت وسلم عليك كنت تكلمه باقتضاب غير معلن حتى أنك لم تعرض عليه الدخول للضيافة "

عقد جابر حاجبيه ورد باستهجان" وهل كلما مر سأضيّفه في بيتي !!"

ارتفع حاجبا زين باندهاش ثم قال "إنها عبارة ترحيبية نقولها مجاملة يا جابر لكل من يمر من أمام البيت وأنت نفسك تقولها دوما "
رد جابر مراوغا وهو يربت على ذراع أخيه بعصبية "هيا أسرع قبل أن ينشغل الجزار ..قم أنت بتوصيل أختيّ زوجتك والأطفال للبيت ثم الحقني أنا وهلال إلى مكان ذبح العجل حتى ننتهي من تقسيمه وتوزيعه على مستحقيه"

راقبه زين بحاجب مرفوع وهو يبتعد وتمتم بفضول" هناك شيء غامض في هذا الأمر لابد أن أعرفه"

xxxx

توقفت سيارة مفرح الزيني في حديقة سرايا الصوالحة فنزلت مليكة بعباءتها الأنيقة ليسرع إياد بالترجل ويدور حول مؤخرة السيارة قائلا" انتظري يا موكا"

أسرع بالوقوف بجوارها فظهر فرق الطول بينهما بعد أن أصبح أطول منها وأمسك بهاتفه على طول ذراعه البارز العضلات من تحت كم قصير وبدأ في التقاط الصور لهما ..
لاحظت مليكة أنه يثبت الكاميرا إلى أسفل قليلا فقالت له بعبوس "ماذا تفعل بالضبط؟!!"
هرش في لحيته الخفيفة ورد متفكها" أركز على العباءة التي دفعنا فيها مبلغا وقدره"
حاولت مليكة التملص بغيظ من ذراعه الذي يحيط بكتفيها بينما نزل أدهم ذو الثامنة عشر من العمر من المقعد بجوار السائق يرتدي نفس ملابس أخيه الأصغر بعام وكأنهما توأمان نفس التيشيرت الجملي اللون بنصف كم يبرز عرض كتفيه وعضلات ذراعيه فوق بنطال جينز أسود وحذاء رياضي ضخم جملي اللون وينافس إياد في الطول فلا يفرق بينهما سوى الملامح فأدهم شعره ولحيته الخفيفة باللون

البني الفاتح بينما إياد شعره أسود اللون وأكثر نعومة .

قال إياد ممازحا وهو يطوق كتفيها بذارعه"
تعال يا بني لتتصور مع (العباءة هانم) إنها ثمينة من أرقى بيوت الأزياء"
صاح مفرح من أمام عجلة القيادة بعصبية "
بالله عليكما هل هذا وقت المزاح!!"
قالت أشرقت من نافذة السيارة " لقد استيقظ أوس يا أمي"
ترك إياد مناكفة مليكة وتوجه ليأخذ الأكياس من حقيبة السيارة بينما أنزل أدهم أشرقت من السيارة فأسرعت نحو علي الذي خرج من باب السرايا يرحب بهما وهي تصيح" خالي علي"
استقبلها الأخير بين ذراعيه بينما أنزل أدهم أخوه أمجد البالغ من العمر أربع سنوات والذي

انجبته مليكة في نفس العام الذي أنجبت فيه أم هاشم مهرة ..
بعدها فك أدهم الحزام الخاص بمقعد أصغر اخوانه أوس ذا العامين والذي استيقظ للتو وحمله ينزله أرضا ليذهب لمليكة ..
لقد ولد أوس هو الأخر في نفس العام الذي ولد فيه تيمور جابر دبور مما جعلها هي وأم هاشم مادة للسخرية والفكاهة من بسمة.
ترجل مفرح من السيارة ليسلم على علي وبشر الذي خرج للتو ثم مال الأخير يقبل أمجد الزيني فقال مفرح متعجلا" سلموا على جدكم بسرعة حتى نسرع لبيت العمدة"
قالت أشرقت بتذمر "أريد أن أبقى هنا يا أبي"
قال مفرح موضحا" ماذا قلنا في الطريق يا شيرو؟ ..سنذهب لنسلم على جدك عبد الرحيم ونعيّد عليه ثم نعود إلى هنا "

دخل أمجد وأشرقت مع علي إلى الداخل بينما أخذ بشر أوس من مليكة وسبقها إلى الداخل فاقتربت من مفرح تسأله بقلق" ما رأيك أن يبقى أوس معي أخشى أن ..."
قاطعها مفرح قائلا" لابد أن يراه أبي يا مليكة"
غمغمت بسرعة "لا أقصد شيئا سوى القلق عليه "
تكلم أدهم مطمئنا" لا تقلقي عليه يا أمي .."
هزت رأسها ودخلت تقول" سأستعجلهم"

بمجرد أن اختفت بالداخل قال مفرح لولديه اللذين أصبحا طوله "هيا أسرعا وسلما على الحاج عبد الغني فلا نريد أن نتأخر أكثر من ذلك ألا يكفي أن صلاة العيد قد فاتتنا؟ (ثم مال على إياد يقول له) اقرضني هاتفك يا إياد فهو يشبه هاتفي كي لا تكتشف مليكة ضياعه مني"

طالعه إياد ببرود ثم قال "أبي هذا الهاتف أغلى بكثير من هاتفك الذي أضعته ..وأكثر إمكانيات لأني ببساطة أحافظ عليه ولا أضيع هاتفي كل فترة"

ناظره مفرح بغيظ ثم قبض على ملابسه قائلا من بين أسنانه "ومن دفع لك ثمن هذا الهاتف الثمين الذي تمنعه عن والدك يا نذل؟"

تدخل أدهم قائلا " حتى لو أعطاك هاتفه .. من أين ستحضر شريحة برقمك يا أبي في هذه الساعة .. فنحن صبيحة أول أيام العيد ..أي لن تجد فروعا لشركة الاتصالات مفتوحة قبل المساء على أقل تقدير "

ترك مفرح ملابس إياد بامتعاض ثم صاح في ولديه " تصرفا واشتريا لي هاتفا مثل القديم بالضبط "

رد أدهم نفس الإجابة السابقة" المحال مغلقة يا دكتور مفرح"

زفر الأخير يمسد على لحيته مفكرا وهو يشيح بنظراته حائرا فيما يمكن أن يفعل ثم نظر لولديه قائلا بغيظ" لا تقفا أمامي كدرفتي باب افعلا شيئا"

غمغم أدهم وهو يتطلع في هاتفه عمدا ليناكف والده" سأبحث لك عن واحد به سلسلة تشبكه بقفل متين في جيبك يا أبي"

خرجت ضحكات مكتومة من أدهم وإياد ثم أضاف الأخير "لا لا ..يحتاج لهاتف ينطق وينبهه حينما ينساه أو يقع منه"

وقف مفرح متقبضا ينظر لولديه وهو يطحن ضروسه ثم أمسك بتلابيبهما معا ..في نفس الوقت الذي أكمل أدهم لأخيه الاقتراح "من الممكن أن يبكي الهاتف وينبهه (لا تتركني وحدي يا مفرح عاااااا)"

فأضاف إياد ساخرا " أو يكون بصوت امرأة (وقلد صوتا ناعما مائعا) هل ستتركني وحدي يا

خائن يا غشاش يا مفرح! .. هانت عليك العشرة يا قاسي القلب!"

جاء صوت مليكة يسأل" من سيترك من؟.. وما علاقة مفرح بالأمر؟!!"

أسرع الأخير بترك ملابس ولديه وادعى أنه يربت على صدريهما متصنعا ابتسامة صفراء وهو يقول" لا أبدا يا حبيبتي كنا نتناقش في شيء ما"

أضاف إياد بلهجة متسلية" كنا نتناقش في التقنيات الحديثة في الهواتف"

عقدت مليكة حاجبيها بعدم فهم ثم قالت "ألن تسلموا على أبي؟"

قال الشابان وهما يتحركا نحو الداخل" آه طبعا سنعيّد عليه فورا"

وقفت مليكة تحرك انظارها بين ابنيها وزوجها ثم سألت الأخير بعد أن دخلا "هل هناك شيء يا مفرح أشعر بك قلقا؟ "

رد بسرعة" لا أبدا.. اطلاقا ..كنت فقط استعجلهما"
هزت رأسها ثم قالت" هيا لتسلم على أبي ونستعجل الأولاد "
ابتسم مفرح وغمغم في سره " يا منجي من المهالك يا رب "

xxxx

حتى العيد يمر عليها بدون معنى .. بدون أي شعور مميز مثله مثل باقي الأيام بل ربما أسوأ منها لأنها لن تستطيع التحجج بأي شيء والبقاء في شقتها ..
تعلم بأنها لابد أن تنزل للطابق الأرضي للتحضير لأجواء العيد والعزائم والمجاملات التي لا تنتهي في بيت بسطاويسي ..
لقد سئمت من حياتها ولم تعد تعرف أين المفر فرغم مرور خمس سنوات لكنها لم تعتد ولن تعتاد على حياتها معه.. إنها تتعذب في كل

لحظة تبذل مجهودا ذهنيا ونفسيا لتجد لنفسها فرصة للبقاء بما يحفظ كرامتها وكبريائها بين زوجات بسطاويسي بعد أن فشلت في الهرب للعاصمة .. قبل ثلاثة أعوام.

أجل حاولت الهرب .. فلم يكن أمامها مفر غير ذلك .. لقد تحججت وباتت يومها في بيت العسال أو بالتحديد في بيت بدير فقد انقسم البيت لبيتين وكانت قد رتبت كل شيء في حقيبة صغيرة .. مصوغاتها الذهبية وأوراقها وبطاقتها البنكية .. كل ما كبرت قيمته وخف حمله .. وتسللت بعد الفجر في محاولة يائسة للفرار ..

كانت تنوي السير على قدميها داخل البلدة متخذة طرقا فرعية مهجورة بعض الشيء حتى تصل للطريق الموصل بين القرية وقرية أخرى مجاورة ومن هناك كانت ستتصرف في أي

وسيلة مواصلات توصلها لمحطة القطار.. ولم تكن تعرف ماذا ستفعل في العاصمة بالضبط .. لكن هذا ما فكرت فيه وقتها كحل لحياتها التعيسة .. لكن للأسف تلك المحاولة أجهضت حين شعر بها بدير وهو يصلي الفجر ولمحتها وجدان وهي تخرج ملثمة من البوابة فأسرع أخوها بالاتصال بعماد الذي لحق بها على بعد عدة شوارع وأعادها للبيت .. ويومها ضربها ضربا مبرحا حتى أحدث لها كسرا في ذراعها الذي سبق وانكسر معصمه ..ولولا تدخل بدير وأولاده يومها لكان عماد قد شوهها أو ربما قتلها .. وهكذا أعادوها لبيت بسطاويسي مدعين بأنها قد سقطت من فوق السلم.. وبقي هذا الأمر سرا بينها وبين أخويها وعائلتيهما فقط دون أن يعرف بسطاويسي .

مسدت كاميليا على ذراعها وهي تستعيد الذكرى المؤلمة وتطلعت بمشاعر مكتئبة في بسطاويسي الذي يكمل ارتداء ملابسه .. إنها لا تطيقه .. وكيف تتقبله وهو لا يليق بها .. ولهذا لن تدع محاولات ضرائرها للسخرية منها لأنها لم تنجب منه أن تجعلها تغير قناعتها .. فهي ترفض ذلك منذ البداية ولا تتصور أن تحمل في رحمها طفلا من بسطاويسي وهو لا يهتم بالأمر ربما لأنه يملك جيشا من الأولاد .. ويحب تفرغها له بدون الانشغال بأي طفل . وإن كان على أمواله فهي تحصل منه على ما تستطيع الحصول عليه .. وتستخدم ضعفه أمام جمالها وجسدها لتحصل على ما تريد من مال وهدايا .. الشيء الوحيد الذي تستطيع الحصول عليه منه ..لكنها غير قادرة على تغيير نمط حياتها الخانقة الضاغطة معه ولا الإفلات من يد تلك المرأة المتسلطة عوالي .. ليتهما

يموتا في ساعة واحدة وتتخلص منهما ..بسطاويسي وعوالي .. ليتها ترى موتهما في القريب العاجل حتى تتحرر من ذلك السجن .. بل إنها لو تجد طريقة لقتله دون أن تدخل السجن لفعلتها.

"كامولیتي أنا أتحدث معك"

انتبهت على صوته في جلستها على السرير فقالت "ها؟"

كرر بسطاويسي ما قاله" أقول أني سأذهب لذبح الأضحية ولا تتأخري في النزول كالعيد الماضي فيتوتر الجو ونقضي اليوم في المشاجرات .. كما أن اليوم سيكون مزدحما بالولائم والضيوف"

لوت شفتيها فأسرع بالقول ليغير من مزاجها "هل أنت سعيدة بالأساور التي اشتريتها لك؟"

هزت رأسها بصمت فقال "المهم كامولیتي لا ترتديهن الآن حتى يلاحظنها الباقيات ..تعلمين لا أريد مقارنات وغيرة ووجع رأس "

مطت شفتيها ثم قالت "مهما اخفينا فعوالي لا يخفى عليها شيء وستلاحظهن حين ارتديهن يوما .. وكأنها تحفظ كل قطعة من ذهبي جئت بها إلى هذا البيت وكل قطعة ملابس"

قال وهو يضع هاتفه في جيب جلبابه" عوالي ذكية وعاقلة ..صحيح لا يفوتها شاردة ولا واردة لكنها تدعي الجهل .. (و أضاف بلهجة ذات مغزى) المهم يا كامولیا جهزي نفسك لسهرتنا الليلة .."

رن هاتفها فلمحت اسم ميس لكنها اعتدلت بجذعها جالسة وقالت باندهاش "أليس اليوم هو يوم زوجتك ..."

قاطعها قائلا "العيد كله سأقضيه معك كامولیتي (وتحركت انظاره على جسدها الفاتن

في ذلك القميص المكشوف وأضاف) هن مشغولات بأولادهن وبالمجاملات الاجتماعية ..أما أنت فمتفرغة لي يا حياتي.."

وتحرك نحوها فتحكمت بشعور داخلي بالاشمئزاز واستسلمت لقبلته المريعة ملتهما شفتيها ويده تتحسس مفاتنها قبل أن يطلق سراحها مغادرا الغرفة وهو يقول "سأقابلك على الغداء بالأسفل وسأظل على شوق حتى يأتي المساء لذا لا تتأخري في بيت العسال مساءً.. سأكلف أحدا من أولادي ليوصلك عند المغرب وإن لم أكن متفرغا لأعيدك سأرسل لك منهم من يعيدك .. سلام"

غادر الغرفة وسمعت باب الشقة يغلق فالتقطت منديل ورقي ومسحت فمها جيدا ثم رقدت على جنبها مغمضة العينين تدعو عليه بالموت ..وبأن تصبح أرملة في القريب العاجل .. ثم أسرعت بإطلاق العنان لخيالها الذي باتت

تعيش فيه أكثر من ذي قبل .. فتخيلت نفسها محاطة بالكثير من الرجال المعجبين بها والنساء الحاقدات عليها .. ورأت نفسها أجمل ما يكون وتخيلت رجلا مفتول العضلات يسير بجوارها وهي متعلقة بذراعه وتتباهى به أمام الجميع ...

الخيال هو الشيء الوحيد الذي تهرب فيه من واقع لا تريد أن تعترف بأنها من ذهبت إليه بقدميها وبغبائها ونرجسيتها .

xxxx

وصلت سيارة مفرح لبيت العمدة بعد أن أوصلت مليكة للسرايا ..لقد طلبت نحمده صراحة من ابنها قبل سنوات ألا تدخل مليكة لبيت العمدة أبدا ..ورغم تدخل الحاج عبد الرحيم وقتها ناهرا مستنكرا لطلب زوجته ..ليس حبا في مليكة ولكن خوفا على مشاعر مفرح.. لكن الأخير أخبرهما بأنه لن يضغط على

أمه في تقبل من لا تريد في بيتها .. و لا يرضى لمليكة ان تدخل مكانا غير مرحب بها فيه لذا قرر ألا تزور مليكة بيت العمدة أبدا .. متجاهلا الهمس الذي يدور في البلدة والذي يستهجن انقطاع مليكة عن زيارة بيت حميها.. لكن مفرح عود نفسه على التجاهل فليس بيده ما يستطيع فعله في هذه العلاقة المعقدة بين العائلتين.. فقام بفصل الفريقين وأسقط من حساباته أي شيء أخر ..ولهذا كلما زاروا البلدة يوصل مليكة لسرايا الصوالحة ويأخذ أولاده لبيت العمدة .. وقد سبق وأن زاره العمدة عدة مرات في بيته في العاصمة على قدر ما كانت صحته تسمح .. حتى فايزة زارته مع زوجها وأولادها أكثر من مرة وكل منهما يحاول الابقاء على صلة الرحم .. وحدها نحمده التي لا تزال تعاند ..

الزمن يتدخل أحيانا لرأب الصدع وإخفاء الجروح لكنها لم تتزحزح عن موقفها بل تزداد عنادا كلما شاخت .. حتى علاقتها بأولاد مفرح فاترة وكأنها قد قررت اخراجهم من قلبها بسبب كرهها لأمهم التي انتصرت عليها أكثر من مرة .

ترجل أدهم من السيارة التي كان يقودها من سرايا الصوالحة إلى بيت العمدة ووقف يرفع عينيه وقلبه يرتجف أمام تلك التي تقف في شرفة المنزل المجاور شابة في السابعة عشر لا تزال تسرق نبضة من قلبه رغم عدد الفتيات اللاتي قابلهن في العاصمة .. فتحركت منة الله بمجرد أن رأته ينظر نحوها وعاد إليها شعورها بالغضب .. وهمت بمغادرة الشرفة لكن إياد وقف بجوار أخيه ولوح لها قائلا" عيد سعيد يا باشا"

غمغمت "عيد سعيد يا إياد"

قالتها ونظرت لأدهم شذرا ثم دخلت من الشرفة بعصبية ..فطحن الأخير ضروسه ليقول إياد " أنت بهذا الشكل لن تكسبها أبدا.. إنك تتصرف كجحش بري معها"

ناظره الأخير شذرا وقال باستهجان وعجرفة" ومن قال لك بأني أسعى لكسبها!!"

حدجه إياد بنظرة متعجبة ثم ضرب كفا بكف وهو يتوجه للسيارة لمساعدة والده في إخراج اخوته ..وتركه يقف متخصرا في وسط الشارع عيناه معلقتان لأعلى.

خرج عويس من بوابة العمدة يرحب بمفرح وأولاده وهو يردد بما شاء الله .. فقال مفرح له وهو ويساعد ابنته على مغادرة السيارة" احمل الأكياس التي بحقيبة السيارة إلى الحاجة نحمدو يا عويس"

قالت أشرقت لوالدها وهي تعطيه دبوس الشعر الذي سقط من شعرها البني الذي يشبه شعر أمها" شعري أصبح غير مرتب"
قال مفرح حائرا وهو يرفع لها خصلة من شعرها ويضع الدبوس" لا أعرف كيف صففت لك أمك شعرك"
كانت ترتدي فستانا قطنيا باللون الأبيض ذا خصر مرتفع ينزل باتساع بسيط حتى بعد ركبتيها .. كان بدون أكمام ومشغولا من عند الصدر بوردات بالخيط ملونة .. وحذاء أنثوي أرضي بسيط كبساطة الفستان الذي يعكس ذوق أمها وأناقتها ويحمل اسم ماركة ملابس شهيرة.. أما شعرها فكان مسدلا على ظهرها رفعته لها مليكة من الجانبين والأمام بخصل ملفوفة مثبتة بعدد من الدبابيس على شكل فراشات ملونة فوق رأسها.

انتهى مفرح من تثبيت الدبوس فوقع في الثانية التالية لتقول أشرقت بحنق "أنت فاشل يا أبي في تصفيف الشعر مثلما تصففه أمي"
قال الأخير متهكما وهو يلتقط الدبوس ويتفحصه" حبيبتي لا يوجد بشري على هذه الأرض ينافس أمك في هذه الأمور "
اقترب منه إياد يقول ضاحكا وهو يتابع تركيز مفرح في الدبوس ومحاولة غلقه وفتحه "ماذا تفعل يا أبي؟"
غمغم مفرح "أحاول أن أفهم Mechanism (آلية) هذا الدبوس "
انفجر إياد ضاحكا يقول "ميكانيزم يا أبي!!"
شاركه مفرح الضحك ثم ترك له الدبوس ومال على أشرقت يحضن وجهها بكفيه ويقبل خدها قائلا بمداعبة أبوية " أنت جميلة ومشرقة في قلب أبيك ولا تحتاجين لشيء يبرز جمالك "

اتسعت ابتسامتها برضا بينما سأل مفرح أمجد
الذي يجلس القرفصاء يتابع شيئا بجوار
الحائط "ماذا تفعل يا أمجد؟"
قال الأخير باهتمام" هناك حشرة في التراب
انظري يا شيرو"
اشمأزت الأخيرة وابتعدت تقف خلف إياد قائلة
"لا تجعله يخيفني بها يا أودة"

قال مفرح وهو يحمل أصغر أبنائه بعد أن فك
حزام مقعده "أترك الحشرات وتعال يا أمجد"
لمعت عيني الأخير ونظر لأخته بنظرات ماكرة
ثم أمسك بالحشرة متجها نحوها فصرخت
متشبثة بساق إياد ..ليقول له الأخير " ألم
تسمع ما قاله أبوك .. اترك الحشرة وكف عن
إخافتها وإلا سأطعمك الحشرة بنفسي "
ناظر أمجد أخته وقال بامتعاض" أنثى تافهة!"

في تلك الأثناء كان مفرح يبتسم وهو يتطلع في مصطفى الزيني العائد وحده مع حفيده بعد الصلاة والذي بادره قائلا بابتسامة" كل عام وأنت بخير يا دكتور مفرح"

اقترب مفرح يسلم عليه بحرارة قائلا "أهلا يا جدو"

ابتسم الأخير وقبل حفيده على وجنته فقال مفرح "ما شاء الله من يراك لن يصدق أنك في الخمسين من العمر وبأنك صرت جَداً"

قال مصطفى بابتسامة شقية" الأولاد هم من يكبروننا يا مفرح "

غمغم مفرح مؤيدا وهو يشير على أدهم وإياد الذين أدخلوا أخوتهم الصغار في بوابة بيت العمدة" أعرف عما تتحدث فعندي درفتي باب أحيانا لا أصدق كيف تمر السنون بهذه السرعة"

قال مصطفى وهو يسلم على أدهم وإياد الذين اقتربا بينما مفرح يخرج عملة ورقية ويضعها في جيب الصغير "ما شاء الله فليصلح الله من شأنهما ويجعلهما لك سندا يدعيان لك من بعدك"

بتهور المراهقين اندفع أدهم يقول "أريد أن أتحدث معك في أمر ما يا عمي"

عبس مفرح بينما جف حلق إياد بترقب ليقول أدهم وهو يحاول أن يسيطر على غضب مكبوت قائلا لمصطفى الذي ينظر إليه بفضول "لماذا تسمح لمنة الله بأن تتواجد في مجموعة الدردشة الخاصة بفصلها على الواتساب؟ .."

لاحت الجدية على وجه مصطفى بينما نكز إياد أخوه في ظهره بحركة مخفية لكن الأخير كان كقدر يغلي رُفع عنه الغطاء فاندفعت منه الأبخرة الحارقة دون سيطرة فأردف أمام نظرات أبيه المندهشة " أنا أعلم بهذه

المعلومة من أصدقائي في المدرسة القديمة ..ولم يعجبني هذا أبدا وأمرتها..."
قاطعه مصطفى قائلا بهدوء خطر" أمرتها!!!"
أحس مفرح بأنه على وشك الإصابة بجلطة بينما أسرع أدهم ليصحح الكلمة بارتباك
"أقصد طلبت منها أن تغادرها لكنها رفضت"
ساد الصمت ..ونكز إياد قد تحول لقرص موجع في ظهر أخيه فمسد مفرح على لحيته عدة مرات محرجا وهو يحدج ابنه بنظرات غاضبة بينما احمر وجه الأخير وازداد ارتباكه وقد أدرك بعد فوات الأوان أنه قد تهور.
أما مصطفى فحافظ على هدوئه المهيب ورد" هل مجموعة الفصل هذه شباب فقط أم شباب وبنات؟"
أسرع أدهم بالرد "طلاب الفصل كله شباب وبنات"

قال مصطفى " إذن هي ليست الوحيدة من بنات فصلها فيه .. هل وصلك أي تجاوز منها مع أي طالب أخر بشكل يخرج عن إطار الغرض الخاص بالمجموعة وهو تبادل المعلومات التي تخص أحوال الفصل والدروس وخلافه؟"

أحس أدهم بالحرج فأسرع بالقول مصححا " لا لا حاشا لله لم يكن هذا قصدي فمنة الزيني فخر لعائلة الزيني كلها بأخلاقها وأدبها"

قاطعه مصطفى بنفس الهدوء يقول " إذن ما دامت لا تفعل شيئا يخرج عن الحدود التي تجعلها فخرا لأولاد الزيني فلا أرى سببا لطلبك هذا يا أدهم"

استطاع مفرح أخيرا الحديث فتدخل قائلا" ابنتك فخر لعائلة الزيني كلها ما شاء الله عليها .. (واستدار يقول لابنه بلهجة حازمة) لذا لا تتدخل فيما لا يعنيك يا أدهم (وأسرع بتغيير

دفة الحديث قائلا لمصطفى) هل بدأوا في ذبح الأضاحي؟"

رد مصطفى "أجل ذبح أضاحي بيت العمدة وبيت فاضل الزيني تجري حاليا وأولادي هناك يباشرون الأمر.. أنا جئت فقط لأعيد مصطفى لأمه وسألحق بهم .. هل ستحضر لتباشر توزيع الجزء الخاص ببيت العمدة على مستحقيه يا أبا أدهم "

قال مفرح بامتنان "بارك الله فيك يا أبا حمزة وفي أولادك.. بصراحة لولا وجودك أنت وأولادك لما استطعت أنا انجاز المطلوب مني في بيت العمدة (وربت على كتفه مضيفا) لكنك دوما الرجل الذي يعتمد عليه .. أنا سآتي أنا وأدهم وإياد لنشارك فرحة الذبح وتجمع أولاد الزيني لكن أمور التوزيع على المستحقين فسأتركه لك فأنت أعلم بها مني "

قال مصطفى وهو يتحرك نحو بوابة بيته" لا بأس ..استعدوا إذن لنذهب معا"
تحرك معه مفرح حتى بوابة بيت فاضل الزيني المجاور لبيت العمدة ثم قال بصوت خافت معتذرا "لا تؤاخذنا على ما قاله أدهم .. تهور الشباب ..أعدك ألا يتخطى حدوده مره أخرى "

هز مصطفى رأسه عدة مرات ثم قال" أخبرني حينما تستعد لنذهب سويا"

حين دخل مصطفى قابلته صفاء بابتسامة لكنها عبست حينما وجدته جاد الوجه يعطيها حفيده فنادت على زوجة ابنها الطبيبة الشابة واعطتها مصطفى الصغير فأخذته الأخيرة واتجهت لإحدى الغرف بينما نادى مصطفى على منة.
سألته صفاء بقلق " هل حدث شيء؟"

رد عليها وهو يشاهد منة تنزل مسرعة"
سأخبرك فيما بعد"
قالت منة" نعم أبي"
سألها " ماذا حدث مع أدهم الزيني؟"
ارتبكت منة وأسرعت بالقول" لا شيء كان معترضا على وجودي في مجموعة الفصل على الواتساب ويريدني أن أخرج وأن أكلف إحدى الزميلات بإخباري بالمهم فيه أولا بأول"
"وماذا قلت له حينما طلب ذلك؟"
أجابت والدها " أخبرته بأنه ليس من حقه أن يطلب مني هذا الطلب ..فأنا كبيرة وناضجة وأعرف المسموح به وغير المسموح .. وبأنه لا يحق له الانفعال عليّ"
رفع مصطفى حاجبه يردد بتحفز أبوي " انفعل عليك !"
أسرعت منة بتوضيح موقف أدهم " هو فقط كان حادا في حديثه ..وأنا أخبرته بأني لا أسمح

لأحد بتوجيهي أو الاعتراض على ما أفعل .. أو أن يتعامل معي بهذه الطريقة فهو ليس أخي أو أبي وتشاجرنا وانتهى الأمر على ذلك"

هز مصطفى رأسه وقال "أحسنت قولا وفعلا .. وإياك أن تسمحي لأحد بتخطي حده معك حتى لو كان قريبا لنا "

هزت منة رأسها ثم سألته بتوجس" هل عنفته يا أبي؟ .. رأيتك من الشرفة تتحدث معه"

ضيق عينيه يسألها بدلا من أن يجيبها" وهل يفرق الأمر معك إن كنت عنفته أو لا"

ارتبكت منة وأسرعت بالقول" أنا أقصد أن أوضح أن أدهم لم يقصد الإساءة هو فقط عصبي ويتهور أحيانا هذه طبيعته لكنه في المجمل مهذب جدا "

تأمل مصطفى ابنته في صمت لبرهة ثم رد "عصبي أو متهور .. كل هذا لا يهمني .. المهم ألا يتعدى حدوده"

هزت منة رأسها ثم سألته" أين حبيبة؟"
أجاب والدها وهو يهم بالتحرك نحو غرفة مكتبه " مع حمزة أخذها ليشتري لها بعض الأشياء ..وبقية اخوانك مع الجزار وسألحق بهم بعد قليل عودي لما كنت تفعلين "
أطاعت منة وتحركت مغادرة وذهنها مشغول بذلك البغيض الفظ الذي يدعى أدهم الزيني ..
في الوقت الذي رن فيه هاتف مصطفى فتطلع في المتصل ثم أعاده لجيبه فسألته صفاء بفضول" ماذا حدث مع أدهم؟"
رد مصطفى " لا شيء الولد تصرف بتهور ووضعته عند حده "
ضحكت صفاء وقالت "ألا يزال يبدي اهتماما بها ؟"
رد مصطفى بهدوء " لا تتسرعي في نسج الأحلام يا صفاء .. إنهما لا يزالان صغيران ومشاعره قد

تتغير مع مرور الوقت خاصة مع احتكاكه
ببنات العاصمة"
بحمائية واندفاع قالت صفاء" وهل ابنة
مصطفى الزيني أقل في شيء حتى من بنات
العاصمة .. كما أنهما ليسا صغارا .. هل نسيت
أني تزوجتك وأنا في مثل عمرها ؟.. صحيح أنت
كنت أكبر قليلا منه .. كنت في العشرين من
عمرك لكن لم نبتعد كثيرا عن عمره"
رد مصطفى مبتسما " الزمن اختلف يا صفاء
(وأضاف مناغشا وهو يداعب ذقنها) كما أنه لا
توجد من تقارن بك في شيء حتى ابنتك.."

أمسكت بيده تقول بتأثر" اعدتني ثلاثين عاما
للوراء .. حين تقدمت لخطبتي .. رأيتك شابا
مميزا .. وشعرت وقتها بأني محظوظة .. وبعد
كل هذه السنوات أقول بأني أكثر حظا مما

ظننت .. لا حرمنا الله منك يا أبا حمزة ورزقك السعادة في الدارين"
ضم كفها بيده قائلا " رزقنا أنا وأنت يا صفاء.. أسأل رب العرش العظيم ألا يفرقني عنك في الدنيا أو في الآخرة .. (وأضاف بابتسامة) بالمناسبة لقد تحدثت مع هلال جمعة "

xxxx

في بيت العمدة كان مفرح ينفرد بأدهم في إحدى الغرف ويواجهه غاضبا" بالله عليك ما هذا السخف الذي فعلته؟!.. هل أنت صغير لتتصرف بهذا الحمق!!"
وقف أدهم أمامه متقبضا مكفهر الوجه ولم يجد ما يبرر به فعلته التي يعترف بأنها حمقاء فأضاف مفرح" حتى وإن كانت لديك مشاعر تخص منة ..فلا يصح أن تفعل ما فعلت مع والدها .. من أنت لتتدخل؟ .. وبأي حق تناقش والدها فيما يخص ابنته؟"

قاطعه أدهم بإنكار لا يزال يمارسه حتى مع نفسه" أنا لا أحمل أي مشاعر خاصة تجاه منة الله"

ناظره مفرح باستهجان فأضاف الأخير" إنها قريبتي ومن الطبيعي أن أنصحها.."

هدر مفرح غاضبا " احتفظ بنصائحك لنفسك فليس لك الحق في التدخل"

غمغم أدهم بعصبية " هذا خطئي لأني أردت لفت نظرهم لشيء.. لن أفعلها ثانية.. هي لا تهمني من الأساس.. تدخل المجموعة تخرج منها أو حتى تدردش مع أحد زملائها لا يهمني الموضوع "

ربت مفرح على صدغ ابنه ببعض الخشونة قائلا بلهجة ساخرة" أجل لا يهمك يا ابن مفرح .. فاضبط نفسك وأحمد ربك أن مصطفى الزيني رجل راجح العقل"

طحن أدهم ضروسه بينما تحرك إياد الذي كان يقف بالقرب من الغرفة مبتعدا بعد أن كان يشعر بالتوتر من المواجهة بين أدهم ووالده لكنه حمد ربه حينما وجد الموقف بينهما تحت السيطرة..

في غرفة العمدة كان الأخير جالسا على إحدى الارائك يتطلع بسعادة في أحفاده الصغار ويخرج ببطء وبيد مرتعشة من حافظة نقوده أوراقا مالية من فئات صغيرة ليعطيها كعيدية..

فاندفع أمجد الزيني قائلا" جدي عبد الغني أعطاني عيدية وأخوالي كانوا سيعطونني لكن أبي قال حينما نعود"

قال عبد الرحيم بعبوس طفولي "وأنا سأعطيكم أكثر مما سيعطيكم عبد الغني وأولاده .. وهل جدكم عبد الرحيم الزيني قليل "

هتف أمجد "يحيا جدي"

أخذت أشرقت من عبد الرحيم العيدية ووضعتها في حقيبتها الأنيقة بينما دخلت فايزة تمسك بيد أوس وهي تقول لوالدها " عيناه أصبحتا خضراوين بنفس درجة عيني مفرح بعد أن ولد بهما زرقاوان "

ابتسم عبد الرحيم وهو يتطلع في أصغر أحفاده وأشار لفايزة قائلا" قربي مني هذا الولد الذي انسى اسمه دوما"

قالت فايزة وهي تقربه منه " أوس يا أبي أوس"

غمغم عبد الرحيم وهو يمسد على رأس حفيده بيده المرتعشة ويميل ليقبله "يصعب عليّ حفظه"

غمغمت فايزة بفم ملوي" أكيد من اختيار بنت الصوالحة"

قالت أشرقت "لم أقبلك يا جدي ..أنت عيّدت علي بالمال.. وأنا سأعيد عليك بالقبلات"

غامت عينا عبد الرحيم وهو يميل بجذعه ليمنحها خده حتى تطبع عليه قبلة أنعشت قلبه العجوز ثم طبع قبلة على رأسها بسعادة كبيرة ..بينما لوت فايزة شفتيها مرة أخرى وأسرعت بحمل أوس ومغادرة الغرفة وهي تغمغم بصوت خافت "مائعة وساحرة كأمها"

خرجت فايزة لنحمده التي تجلس في بهو بيت العمدة مكتومة لم يعد شيء يسعدها .. لا شيء .. حتى أولاد مفرح الصغار لا تشعر ناحيتهم بأي عاطفة بسبب كرهها لأمهم ولكل شيء يدور حولها بشكل يخالف لما تريد .. وقد بات كل شيء مخالفا..

قالت فايزة وهي تدلل الصغير "سلم على جدتك يا أوس"

قالت نحمده بعصبية" اتركيه بالأرض إنه ليس صغيرا ويتحرك كالعفريت هنا وهناك"

مطت فايزة شفتيها وانزلته وهي تقول" ألن تكفي عن هذه العصبية يا أمي ..إنك لم تعودي تري مليكة .. ومفرح يأتي بأولاده كل فترة .. وها هي قد انجبت لمفرح ثلاثة أولاد"

ردت نحمده تناظرها بقرف " تغيرتِ يا فايزة ..تغيرتِ منذ أن تعودت قدماك على زيارتهم في العاصمة"

ردت فايزة موضحة "أخبرتك من قبل بأنني لم أتغير يا أمي لازلت لا أحبها ..ولازلت أرى أن مفرح يفعل الكثير ليميزها عن بقية النساء وهذا يحرق دمي ..ولازلت متفقة معك في شعورك تجاهها ..لكن الحياة لابد أن تستمر ..وليس من الطبيعي أن أقاطع أخي الوحيد من أجلها.. كمان أنه بعدما أخذها للعاصمة وبعدما أنجبت له الأولاد لم يعد هناك مجالا ليفترق عنها .. ولهذا كان لابد أن أتصرف بذكاء كي لا أخسره وتكسبه هي وحدها "

غمغمت نحمده " بلا بذكاء .. بلا بغباء ابعدوا عني واتركوني في حالي "
اقترب أوس وأخرج من جيبه ورقة مالية من التي منحها له جده عبد الرحيم وأعطاها لنحمده فنظرت له بحاجب مرفوع بينما ضحكت فايزة وقامت بسحبه من أمام جدته وهي تقول "احتفظ بها يا حبيبي "
ووجهته ليغادر الغرفة وهي تنادي على إحدى بناتها لتأخذه ..ثم وقفت تتطلع في أمها بحيرة وأسف .

أما في الخارج فأعطى أمجد لأدهم ما يملكه من نقود وهو يسأل" كم هذا المبلغ؟"
رفع أدهم حاجبا وقال له "ألا تستطيع العد؟"
هرش أمجد في رأسه وقال بحروفه الضائع نصفها " الأرقام كبيرة أهم شيء أخبرني هل هذه النقود تكفي لأشتري سلاحا في اللعبة؟"

في نفس الوقت خرج إياد إلى ساحة بيت العمدة خلف والده الذي كان ينتظره هو وأدهم للذهاب لمكان ذبح الأضحية وقال وهو يعطيه الهاتف " أمي تريدك .. وتسألني لماذا تغلق هاتفك"

جز مفرح على أسنانه وهمس " كان من الممكن أن تخبرها أني غادرت"

رقص إياد حاجبيه ورد بهمس " أتريدني أن أكذب .. استغفر الله !"

خطف مفرح منه الهاتف بغيظ وتحرك خطوتين مبتعدا فتركه إياد وعاد للداخل إلى حيث تجلس جدته وصاح فيها بصوته الذي أصبح رجوليا خشنا وهو يضرب على الباب فجأة فأفزعها " افردي وجهك يا نحمدو .. ألا تشعرين بالسعادة لرؤية أحفادك ورؤيتي على وجه الخصوص !!"

ضحكت فايزة وسألت إياد" هل تنوي أن تلحق بأدهم وتدخل كلية الهندسة أنت أيضا؟"
تنهد إياد بطريقة تمثيلية ورد " لا.. أنا أنوي الاكتفاء بهذا القدر من التعليم وأتزوج وأجلس في البيت معزز مكرم"
انفجرت فايزة بالضحك بينما رفع هو حاجبه لجدته التي لم يعد يضحكها شيء وقال لها متوعدا " صدقيني ستضطرينني لأن أدغدغك في النهاية فأنا أكره الكآبة "
أما في ساحة البيت وقف مفرح يسمع مليكة التي هتفت بشك" هل أضعت هاتفك مجددا يا مفرح؟!"
فمسد على لحيته عدة مرات ثم قال معترفا " حبيبتي دعيني أشرح لك ملابسات الموقف"

××××

بعد قليل

أغلقت مليكة الهاتف وزفرت مغمغمة" فقدت فيك الأمل يا مفرح.. هل نعين لك شخصا ليحمل لك هاتفك وأوراقك؟!"

فرد علي ذراعه على كتفيها يسألها" هل حدث شيء؟"

انتبهت وردت" لا شيء كنت أطمئن على الأولاد"

قال علي وهو يسير معها ليخرجا من الغرفة لبهو السرايا" تعالي لتري ماذا أحضر اخوتك من هدايا لأولادك"

ناظرته مليكة قائلة" تقصد أشرقت بالذات"

ضحكة مكتومة خرجت من فم علي فلوت مليكة شفتيها وهي تقترب من تجمع العائلة الذي يملأ بهو السرايا بأولاد الصوالحة والأحفاد المتجمعين في يوم العيد.. ودققت في الأكياس الموضوعة على المنضدة ثم قالت" يا جماعة

تحدثت معكم من قبل فيما يخص أشرقت وأخبرتكم بأن تدليلها الزائد والمنح المبالغ فيه سيفسدها"

رد بشر ببراءة مصطنعة " نحن توقفنا عن شراء الهدايا لها كلما حضرت إلى هنا كما طلبت منا .. لكن اليوم يوم عيد ..ولم نحضر لها وحدها أحضرنا لكل الأطفال .. أليس كذلك؟"

قالها وهو يتطلع في وجوه إخوته الباقين فغمغم أكرم بحرج معترفا" بصراحة أحضرنا للأولاد هدايا رمزية كي نغطي على فعلتنا (ونظر لمليكة يقول بابتسامة طفولية) لن أجادلك فيما تقولين لكني بالفعل غير قادر على التحكم في نفسي"

ردت ابتسام زوجته ساخرة" إنه يتصرف كالمراهق صدقيني.. كلما مررنا على محل للألعاب أو لملابس الأطفال توقف من أجل شراء شيء لأشرقت ..والله لم يفعلها حينما كان

أولاده صغارا .. أنا لو كان بإمكاني الإنجاب حاليا لفعلتها لآتيه بطفل صغير حتى يلتهي به عن بنتك "

كانت مليكة تدرك جيدا أنهم يرون فيها نجمة وتتفهم مشاعرهم ..لكنها لم تر فيها نجمة أبدا .. والتي لو لم تمت لكانت شابة في عمر أدهم .. فنجمة وأشرقت عندها مختلفتان ربما لأنها أمهما والأكثر إحساسا بهما ..

أسرعت بنفض الذكريات المؤلمة من رأسها وقالت وهي تنظر لملك ابنة أكرم "العقبى لملك إن شاء الله حينما تتزوج وتنجب لك حفيدا يا أكرم (وأضافت بلهجة ممتنة) أنا شاكرة جدا لما تفعلونه لكن أنتم تعلمون جيدا أن هذا أسلوب خاطئ في التربية لهذا لن أستطيع أن أقبل الهدايا (ونظرت لوالدها الجالس على يمينها واستدركت) عدا هدية الحاج حبيبي لها"

تدخل عبد الغني قائلا" خذي كل الهدايا هذه المرة يا مليكة فمنها ملابس ستصغر عليها إن تركوها لمناسبة أخرى.. خذيها ولا تكسري بخاطر إخوتك وهذه فعلا المرة الأخيرة.. "
تنهدت مليكة وقالت وهي تتحرك لتجلس بجواره "حاضر يا حاج ..لكن هذه حقا أخر مرة "

قال عبد الغني عابسا "لكن هذا الكلام لا ينطبق عليّ فأنا جدها واشتري لها ما أشاء حتى لو اشتريت لها سيارة حقيقية"
ربتت مليكة على ظهره ثم حضنت ذراعه تقول بدلال" بالطبع جدها حبيبي يفعل ما يريد "
وطبعت قبلة على خده .. فتدخل عمار يشاكس والده" ما معنى هذا ؟..عليك أن تعدل بين أحفادك يا حاج عبد الغني ..ألا يكفي أنك تميز مليكة عنا طوال عمرك باعتبارها الابنة الوحيدة (وغمز لإخوته ثم أضاف) إن

اشتريت لأشرقت سيارة تشتري لكل واحد من أحفادك سيارة مثلها"

هلل الأحفاد ومنهم من صفق ومن صفر فهدر العجوز عابسا "اخرسوا .. أنا أشتري ما أريد لمن أريد .. ومليكة عندي وأولادها في ركن خاص بقلبي فتقبلوا هذه الحقيقة أو اشربوا من البحر"

غامت عينا مليكة وأمسكت بيد والدها تقبلها ورفعت رأسها تمطر خده بالقبلات مغمغمة" لا حرمني الله منك يا ابي "

بينما غمغم عمار وهو يكتم الضحك" حاضر يا حاج سنشرب من البحر "

xxxx

بعد الظهر

"بسمة أين أنت يا بُسبُس ؟"

قالتها مهجة وهي تخرج من باب البيت فوجدتها في الساحة تلعب في التراب وقد

أفسدت فستان العيد فأسرعت إليها قائلة
بعبوس "انظري ماذا فعلت بنفسك
وبالفستان!"
قالتها وهي تجرها خلفها لتعود للبيت فقالت
بسمة الكبيرة لمهجة وهي تنظر لأبنة أخيها
التي تبلغ من العمر عامين" لماذا لم يأخذها
وليد مع الأولاد لمزرعة المواشي ؟"
ردت مهجة مفسرة" كانت نائمة.. سأصعد
لأبدل لها ملابسها"
قالت بسمة مشاكسة "ترفقي بشبيهة عمتها أنا
أحذرك يا بنت الزيني"
ضحكت مهجة وحملت ابنتها وصعدت
لشقتها بينما تكلمت فاطمة تكمل ما كانت
تقوله " لا توجد حجج أخرى يا بسمة..
ستنفذين ما قلته لك .. الشهادة التي كنت
تريدينها وأضعتِ كل هذه السنوات بعد الولادة
للحصول عليها ها أنت قد نلتِها والحمد لله"

قالت بسمة بمراوغة" يا أمي لم يمر على حصولي على الماجستير إلا أسبوعين و لم أتعافى بعد من المجهود.. تعرفين كيف مرت السنين الماضية بصعوبة ما بين تربية التوأمتين والدراسة"

قالت فاطمة تحاصرها " وانتهت الفترة والحمد لله يا بسمة ..لاحظي أنك أصبحت في السادسة والثلاثين من عمرك يا بنيتي .. وفرص الإنجاب تقل مع تقدم العمر ..وكل من حولك ما شاء الله أنجب مرتين وثلاثة ..حتى ونس أتم لها الله على خير حامل للمرة الثانية"

قالت بسمة وهي تستعيد أيام الحمل الصعبة في التوأمتين والولادة والفترة التي تلتها" أنا أنجبت توأمتين يا أمي .. وكان من الطبيعي أن آخذ هدنة بعدها"

قالت فاطمة بإصرار " خمس سنوات راحة تكفي ..ولا تؤجلي الموضوع أكثر من ذلك"

لوت بسمة شفتيها وقالت "هل سلطك أبي بعدما فشل في استفزازي في الغدوة والروحة لأني لم أنجب ذكرا؟!"

قالت فاطمة موضحة " أنت تعلمين أني كنت صابرة عليك شفقة على انشغالك بالدراسة والمشروع وتربية التوأمتين ..لكن مادامت الدراسة قد انتهت ونلت الشهادة نفكر في هذا الأمر الهام"

غمغمت بسمة مشاكسة "ومن قال لك بأن الدراسة انتهت ..هناك الدكتوراه حتى أصبح الدكتورة بسمة مثل مفرح "

ضربت فاطمة على صدرها وناظرتها بصدمة فأشفقت عليها بسمة و قالت ضاحكة وهي تفرد ذراعها على كتفيها " ولكني بالتأكيد سآخذ هدنة قبل التسجيل للحصول على الدكتوراه يا أمي"

ناظرتها فاطمة بعدم فهم وقالت " وما أهمية تلك الشهادة يا بنيتي.. أنت حمدا لله متزوجة ولديك أولادا وعندك مشروعك الخاص الذي يتوسع مع الوقت اللهم بارك حتى أنك زودت عدد العاملات فيه"

ربتت بسمة على ظهرها وأجابت "أريدها من أجل بسمة يا أمي .. أشعر بأنها ستضيف لي الكثير"

ناظرتها فاطمة بحيرة فقالت بسمة وهي تطبع قبلة على خدها "أعدك أن أفكر بجدية في أمر الإنجاب ثانية ...المهم عليّ أن استعد للمغادرة فكامل يتنظر بالخارج"

قالت فاطمة" والله لم أشبع من البنتين بعد"

قالت بسمة مبتسمة " ألم نكن عندك الأسبوع الماضي يا فاطمة .. للأسف كامل مصر على العودة بسرعة .. يقول بأن لديه هو وشامل أمر مهم بالعاصمة ..أين مهجة لأسلم عليها ؟"

في الخارج تطلع كامل الذي يتحدث في الهاتف مع توأمه في توأمتيه اللتين تخرجان من بوابة مزرعة المواشي المجاورة مع خالهما وليد وابن خالهما يزيد ..فابتسم وهو يلاحظ الحماس البادي عليهما وتأملهما كيف كبرتا وأصبحتا في الخامسة من العمر ..

راقب خطواتهما التي تشبه القفز بما يدل على حماسهما.. في فستانين متشابهين باللون الفوشيا وحذاء أرضي أنثوي مريح .. وشعرهما الأسود مسدلا على ظهريهما ..

أسرعت هنا تقول لوالدها" أطعمنا البقرة والجاموسة يا أبي"

فأضافت هانيا بحماس "ورأينا البقرة الصغيرة التي ولدت قبل أيام كانت ترضع من أمها"

هز كامل رأسه لهما وقال قبل أن يعود لحديثه على الهاتف" ألن نقول شكرا يا خالي"

قالت التوأمتان في وقت واحد" شكرا خالي وليد"

مال عليهما وليد يحضنهما معا ويطبع قبلات على خديهما قائلا بلهجة حانية "وهل عندي أغلى من قطتاي الصغيرتين (ثم نظر لابنه ومال يقبل وجنته مضيفا) ولا أسدي الصغير"

ابتسم يزيد بينما اعتدل وليد قائلا لكامل" لماذا تقف على الباب هكذا؟"

رد كامل "علينا أن نعود بسرعة ولا تنس ما اتفقنا عليه"

قال وليد مطمئنا" لن انسى بالطبع .. (وتحرك يدخل هو ابنه قائلا) سأستعجل لك بسمة"

تطلعت التوأمتان في أول الشارع فقالت هنا لهانيا" انظري هذه وزة"

اتسعت عيناهما معا بانبهار طفولي وأسرعت هانيا نحو السيارة تحاول أن تفتح بابها ففتحه لها كامل المنشغل بالحديث بالهاتف ثم تابعها

بحاجب مرفوع وهي تحاول تسلق السيارة العالية لتصل لعلبة بلاستيكية فقرب لها العلبة وعاد لحديثه .

فتحت هانيا العلبة التي تحتوي على ساندويتشات أكلوا منها أثناء رحلتهم فجرا ثم قالت لهنا التي اقتربت منها "لا يوجد خبز" قالت هنا وهي تلتقط قطعة من الكيك " لا بأس سنطعمها هذه"

أسرعت هانيا بوضع العلبة على المقعد واللحاق بأختها حتى تطعما الوزة التي أخذت تتطلع فيهما وهي تميل برأسها قليلا .. في الوقت الذي لمح كامل ابنتيه تقتربان من الوزة فاتسعت عيناه وأسرع بوضع الهاتف في جيبه مهرولا ناحيتهما وهو ينادي بحمائية أبوية" هنا ..هانيا "

ثم حملهما من خصريهما دفعة واحدة كل واحدة بذراع وأشاح بقدمه في الهواء في وجه

الوزة عابسا فوقفت الأخيرة ثابتة مكانها وكأنها تتطلع فيه بتحدٍ .. ليتركها كامل ويستدير عائدا وسط صراخ التوأمتين المعترضتين اللتين أخذتا ترفسان بساقيهما في الهواء.
تطلعت بسمة في المشهد وهي تزم شفتيها حتى لا تضحك ..فناظرها كامل عابسا وهو يلقي بتوأمتيه في السيارة ويغلق الباب بالقفل..
فاطلتا من النافذة المفتوحة تصرخان باعتراض" أبي كنا سنطعم الوزة"

قال كامل وعلامات الانزعاج على وجهه لا تقتربا من الوز فهو ليس كبط جدتكما فاطمة الذي تطعمانه فوق سطح بيت الوديدي أنه يعض"
تكتفتا أمامه تناظرانه بنظرات مستهجنة ثم قالت هانيا" الوز لا يعض بهذه الخطورة يا أبي"
هدر كامل فيهما "قلت يعض وعضته بشعة (ثم أضاف مغتاظا وهو يلمح بطرف عينيه

ويسمع ضحك بسمة أمام البيت) وأنا أبوكما وحين أقول شيئا تسمعان الكلام"
اقتربت بسمة فقالت هنا بحنق وهي تفتح كفها لتريها بقايا الكيك الذي تعجن "أمي ..أبي يرفض أن نطعم الوز"
ضربت بسمة على صدرها ضاحكة "
ستطعمين الوز بالكيك !!.. يا لفضيحتك بين أهل القرية يا بسمة .. (ثم أضافت وهي تخرج منديلا مبللا من حقيبتها وتمسح يد ابنتها)
أبوكما على حق فالوز يعض .. (وأضافت بلهجة متسلية وهي ترمق كامل بطرف عينيها) خاصة حينما تعشق أحدهم فهي تطارده (واقتربت برأسها هامسة بجوار أذن كامل) وتقبله قبلة مؤلمة"
جز الأخير على أسنانه يبتسم لها ابتسامة صفراء مستخفة بينما خرجت فاطمة من

البوابة لتودع حفيدتيها وهي تقول بلهجة لائمة" هل ستذهبون دون أن أودع حفيداتي!!"
استدارت بسمة تقول "لا يا أمي كامل أدخلهما في السيارة ليحميهما من الوزة"

اقتربت فاطمة من نافذة السيارة ثم أخذت تمطر حفيدتيها بالقبلات بتأثر فسألتها هنا" لماذا تبكين في كل مرة تودعينا فيها يا جدتي؟"
غمغمت فاطمة " لأني اشتاق إليكما كثيرا والله"
ربتت هانيا على ذراع جدتها وقالت بتعاطف "سنعود بسرعة"
غمغمت فاطمة "إن شاء الله (ثم همست لبسمة وهي تودعها) لا تنسي ما اتفقنا عليه"
مطت بسمة شفتيها وقالت ممتعضة "إن شاء الله"

حين ركبت بسمة في المقعد الأمامي تخصرت هنا تقول باعتراض "ولماذا أمي تجلس بجوارك يا أبي وليس أنا.."

تدخلت هانيا تقول هي الأخرى" بل أنا"

ناظرتهما بسمة باستهجان بينما رد كامل "لا أنت ولا هي ولا حتى أمك .. عمك سيجلس بجواري مثلما جئنا صباحا .."

قالت هانيا بتذمر "لماذا لا يقود عمي شامل سيارة أخرى ..فآسر الفظ يضايقنا طوال الطريق"

قالت بسمة موبخة "والله أنتم الثلاثة ملوك الفظاظة "

تحركت السيارة فأشارت بسمة لأمها ولوليد مودعة بينا تطلع كامل في الوزة التي لا تزال واقفة وغمغم "خسارة لن أستطيع اخراج المسدس أمام الفتاتين لأطلق عليها الرصاص.."

ضحكت بسمة ضحكة عالية فناظرها يتحكم في ابتسامة تتراقص على زاوية شفتيه وقال" لماذا تضحكين يا ست هانم؟ (ثم أضاف وهو يتطلع في الطريق أمامه) ما عمر الوز في بلدكم .. ها ؟"

استمرت بسمة في الضحك.. فأضاف "هل الوز من الكائنات المعمرة؟ .. خمس سنوات ونفس الوزة تقف تستقبلني كل مرة .. لماذا تضحكين؟!!"

xxxx

عبست ونس وهي تتطلع في الصفحة الخاصة بكعكات المناسبات التي تصنعها ..فقد كانت ترد على اسئلة المتابعين للصفحة والخاصة بالأسعار ورأيهم في الكعكات وتفاجأت بإحداهن التي تتحدث بشكل سلبي ..فتحركت لتجلس بجوار شامل على السرير وهي تقول"

هذه الميأة كاذبة لم يثبق أن اشترت أي شيء منا ..لماذا تقول هذا الكلام عن كعكاتي؟!"

(هذه المرأة كاذبة لم يسبق أن اشترت أي شيء منا لماذا تقول هذا الكلام عن كعكاتي؟!)

نظر شامل في الهاتف عابسا ثم قال" تجاهليها ..لماذا دخلت في جدال معها يا ونس ربما هي من صفحة منافسة"

زمجرت بغيظ فأخذ منها الهاتف ثم مشط لها شعرها بأصابعه بحنان وهو يتأمل وجهها الذي لم يختلف منذ أن تعرف عليها قبل ست سنوات.. لم يختلف في التفاصيل ولا فيما تثيره ملامحها بداخله من مشاعر.. وقال بعاطفة جياشة" أتعلمين أنك لم تتغيري أبدا ؟..ربما ازددت نضجا ..لكن جانبك الطائش لا يزال يؤثر بي .. يستفز حمائيتي ويجعلني أشعر بأني مسئولا عنك .. وأحيانا أحس بأني مقصر في

حقك وأنه كان عليّ أن أقابلك أبكر من ذلك كي لا تكون حياتك صعبة"
اتسعت ابتسامتها وقالت وهي تتأمل ملامحه "حين تزوجتني كانت تزويني بعض اللحظات التي أشعي فيها بأنك قد تندم على زواجك مني خاثة بعدما أثبحت مشهويا وحولك العديد من المعجبات .. لكن ثقتي بك التي ليث لها حدود كانت تهزم هذا الشعوي بثيعة .."
(حين تزوجتني كانت تزورني بعض اللحظات التي أشعر فيها بأنك قد تندم على زواجك مني خاصة بعدما أصبحت مشهورا وحولك العديد من المعجبات .. لكن ثقتي بك التي ليس لها حدود كانت تهزم هذا الشعور بسرعة ..)
اضجع شامل على جانبه فوق السرير مستندا على مرفقه يقول وهو يمشط لها شعرها المموج الطويل "كيف أندم وأنت الجنية التي لم أر مثلها .. وكأنك خلقت من طين أخر غير

الطين الذي خلقت منه بقية النساء ..سبحان من بيده أمر القلوب وزرعك في قلبي فمددت جذورك فيه سريعا واحتللته كاملا يا شقية" حضنت وجهه بكفيها ومالت تطبع قبلة على جبينه قائلة بعاطفة قوية " أنا أحبك شامل أحبك.."

اتسعت ابتسامته قائلا " لا تتصوري مدى سعادتي في كل مرة أسمع فيها اسمي بحروف صحيحة ..صدقيني هذا وحده انتصارا يوضع في لوحة انتصاراتك ونوس .. أنت رغم ضعفك الظاهري تملكين إرادة قوية يا بنت لا يملكها رجال بشوارب .. (وأضاف بتأثر) والله لن أنسى ذلك الانبهار الذي رأيته في عيني طبيبة السمعيات حينما كنا نغير لك السماعات لنوع أحدث .. ولن أنسى عبارتها لك وقتها حين قالت (أنت حققت معجزة يا ونس)"

مالت عليه وقربت شفتيها تقبله بعد أن همست باسمه.. فأضاف شامل بهمس حار حين تركت شفتيه "كيف تشكين في أن امرأة أخرى قد تخطف قلبي وأنا غارق في حبك يا شقية "

تطلعت ونس في عينيه وردت " إن حققت أنا انتثايا فثيكون بفضلك بعد الله .. فأنت أثتاذي ومعلمي وحايثي وحبيبي.. وجني المثباح الذي أيثله لي الله "

(إن حققت أنا انتصارا فسيكون بفضلك.. فأنت أستاذي ومعلمي وحارسي وحبيبي.. وجني المصباح الذي أرسله لي الله)

تحسس شامل ظهرها وقال بلهجة شقية" هل تعتقدين أن لدينا وقتا لأخبرك بسر سريع قبل وصول كامل بالسيارة؟"

ضحكت فهم بتقبيلها في الوقت الذي سمعوا فيه صياح آسر بالأسفل فعبس شامل وقفز مسرعا يغادر الغرفة.

قبل دقيقتين

خرج عيد من باب البيت يبحث عن حفيده ثم تسمر جاحظ العينين حينما وجده يلعب بالطين الذي يصنع منه الفخار وقد لطخ ملابسه كلها فهتف قائلا وهو يبعده عن الطين" ماذا تفعل يا آسر"

قال آسر موضحا" أصنع تمثالا من الفخار"

قال عيد بغيظ" أنت صنعت فوضى وليس تمثالا"

عبس آسر وسأله" ما هو شكل الفوضى؟ "

قالها وهو ينظر حوله على أشكال الفخار فقال عيد وهو يلملم ما صنعه حفيده "هذه هي الفوضى يا ابن ونس.. "

صرخ آسر قائلا بلهجة والده بتذمر" لقد أفسدت ما قمت به يا جدي"
قال عيد بحزم "اذهب لأمك كي تغتسل"
أضاف آسر بنفس اللهجة غاضبا " أتعرف يا جدي ..أنا لن أزورك مرة أخرى لأنك لا تسمح لي بعمل الفخار وتلوينه"
هتف عيد باستنكار " أنا لا أسمح لك !!..
والمرات السابقة التي صنعت فيها أشكالا ولونتها وأخذتها معك أو تركتها هنا (ثم أضاف باستهجان) ولماذا تحدثني بلهجة أبيك كلما انفعلت يا ابن ونس ..ها؟!"
"ماذا يحدث؟"
قالها شامل وهو يتطلع في هيئة ابنه الملطخة وفي الفوضى ثم قال لآسر" هل هذه طريقة الشطار في احترام كبار السن ! .. تؤتؤتؤ أين احترامك لجدك؟!"

تحرك آسر يدخل البيت هاربا فقال شامل لعيد" لا تغضب منه أنا سأؤدبه"
لاحت ابتسامة نادرة على وجه عيد وقال" أتركه فهو لا يزال صغيرا .. إنه يذكرني بأمه وعنادها ..غير أن الأخيرة لم تكن في مثل سنه تتواصل بالكلام ..تصرخ فقط وتعترض وتعاند"
قال شامل وهو لا يزال يشعر بالاستياء" لا بالطبع ..عيب عليه ما فعل"
قال عيد بعاطفة قوية تطل من عينيه مصرا على كلامه " قلت لك اتركه فما زال صغيرا"
بعبوس دخل شامل البيت وصعد للطابق العلوي فسمع ونس توبخ آسر في الحمام .. فانتظرهما حتى خرجا ليقول آسر متحمسا" هل سنعود لجدي غنيم؟"
لم يرد عليه شامل فرفع آسر عينيه لأمه ثم عاد لوالده فقالت ونس" بابا غاضب"

اقترب الصغير يسأل والده " هل أنت غاضب مني؟"

رد شامل متصنعا العبوس " نعم .. فليس من الأدب الانفعال على جدك"

أطرق آسر برأسه لتتدخل ونس قائلة "ثيعتذي له يا شامل فويا"

(سيعتذر له يا شامل فورا)

فقال آسر بشقاوة متهكما على طريقة نطق أمه " أجل ثيعتذي له يا شامل فويا"

حينما نزلوا من الطابق العلوي ناظرهم عيد بنظرة افتقاد حتى من قبل رحيلهم .. فاقتربت منه ونس تقول" ألن تغيي يأيك وتأتي لتعيش معنا بالعاثمة ..كما قلت لك ثندبي لك مكانا مثتقلا بك"

(ألن تغير رأيك وتأتي لتعيش معنا بالعاصمة ..كما قلت لك سندبر لك مكانا مستقلا بك)

قال وهو يربت على ظهرها "قلت لك لا أحب العيش بالعاصمة .. هذه قريتي التي عشت بها أكثر من ستين عاما ولا أطيق العيش في مكان غيرها "

قالت ونس وهي تحضنه " ثأزويك قييبا إذن" (سأزورك قريبا إذن)

ابتسم عيد قائلا" البيت في انتظاركم كل يوم"

اقترب آسر مطرق الرأس يقول "آسف يا جدي"

غامت عينا عيد ومال يمسك برأسه المطرق ويقبله قائلا" المرة القادمة سأجهز لك الطين لتصنع شيئا جديدا إن شاء الله .. فأنت موهوب بالفن مثل أمك"

جاء صوت نفير سيارة من الخارج فقال شامل وهو يتحرك" ها قد وصل كامل (وقال لحميه وهو يسلم عليه) لا تؤاخذنا هذه المرة الزيارة

قصيرة لأن لدينا شيئا هاما في العاصمة لكن سنعوضها إن شاء الله "

هز عيد رأسه بتفهم ..فتحرك شامل يسبق زوجته وابنه بينما مال عيد على حفيده من جديد وقبل وجنته قائلا" سأخبرك بما أخبرك به كل مرة حتى تتذكر هذه الكلمات كلما تذكرتني فتغرس في ذاكرتك.. احفظ أمك في عينيك وكن شبيها لوالدك في كل شيء .. وإياك أن تنتقص منها يوما حتى لو صرت أطول منها.. هل فهمت "

لم يكن آسر يفهم ما يقوله جده بالضبط غير أن يكون ولدا مطيعا فهز رأسه له كما يفعل كل مرة بينما اعتدل عيد يتطلع في ونس التي حضنته تقول بعاطفة قوية وهي تمطره بالقبلات" أحبك يا عيد "

فغمغم ضاحكا " قلنا تحشمي يا بنت الكلب"

xxxx

ضربت نصرة على صدرها تقول لهلال بعدم تصديق "من؟؟.. قلت من؟؟"

"اششش (قالها هلال وهو يقف معها في إحدى الغرف في شقة إسراء ثم أضاف) اخفضي صوتك وتحكمي في فرحتك قليلا حتى نستوعب الموضوع"

سألته بلهجة متأثرة " هل أنت متأكد يا هلال؟"

اتسعت ابتسامته ورد" بالطبع متأكد .. أقول لك حدثني قبل ساعات بعد صلاة العيد"

قبل ساعات

تطلع هلال في وجه مصطفى الزيني الذي انتحى به جانبا وأخذ عقله يفكر بسرعة فيما يمكن أن يريده منه.. وبسرعة أرجع الأمر لطلب يخص عمله كسمسار عقارات مثلما لجأ له حين أراد أن يشتري مكانا لافتتاح الصيدلية الخاصة بابنه

عبد الله .. لكن مصطفى الزيني قال" الحقيقة نريد أن نتشرف بمصاهرتك يا أبا كريم"
للحظة تسمر هلال يستوعب ويعيد في عقله العبارة ثم قال بعفوية "ها؟ (قبل أن يستدرك بالقول) نحن من نتشرف يا حاج مصطفى وهل هناك مصاهرة تعلو على مصاهرة مصطفى الزيني"
قالها وهو ليس متأكدا من أن عقله قد استوعب المغزى بينما قال مصطفى" بارك الله لك"
سأله هلال ليتأكد مما سمع "من لمن إن شاء الله؟"
قال مصطفى "محمد ابني لنسمة ابنتك"
كان هلال يحدق فيه متفاجئا بينما أضاف مصطفى "محمد كما تعلم معه بكالوريوس تجارة ويشارك زين دبور في مكتب المحاسبة

الذي يملكه في مركز المحافظة كما أنه ككل أولادي وبناتي له شقة في بيتي .."
تنحنح هلال يقول مداريا وقع المفاجأة عليه "كل أولادك يا حاج مصطفى ونعم الأخلاق والتربية"
قال مصطفى بسعادة كبيرة" أعزك الله يا أبا كريم "
تكلم هلال يحاول أن يجد كلمات مناسبة " كما قلت لك مصاهرتك شرف لنا يا حاج مصطفى ولكن كما تعلم عليّ أن استشير البنت"
قال مصطفى متفهما" آه طبعا خذ وقتك وإن كان هناك قبولا أبلغني كي نحدد موعد للزيارة أنا والحاجة ومحمد ابني "

انتهى هلال من قص ما حدث لنصرة التي أمسكت بقلبها تقول" لا أصدق ..يا الهي لا

أصدق سنناسب مصطفى الزيني !.. بنتي ستكون كنة بيت مصطفى الزيني!"
قال هلال بتأثر "والله شعرت بأن الخبر وحده يشعرني بالفخر ..ناسبت بيت جابر دبور والآن مصطفى الزيني .. سنوات العمر لم تضيع هدرا يا أم العيال"
ربتت على صدره تقول" هذا بفضل تربيتك لهم يا هلال"
قال بلهجة صادقة" لا والله ..أنت من فعلت كل شيء بينما أضعت أنا بضع سنين تائها ألف حول ذاتي .. ولولا مثابرتك وكفاحك وصبرك عليّ لضعت وضاع الأولاد ..ولكانت سمعتنا الآن على كل لسان"
ترقرقت الدموع في عينيها وقالت بصوت مرتعش تحاول نفض التأثر الذي حتما سيجلب الكثير من الدموع "دعنا من الذكريات ولنركز في الحاضر ..وماذا قلت له؟"

رد هلال " ماذا سأقول غير سأشاور الجماعة ..
تصوري اللئيم جابر كان يعلم ولم يخبرني ..
المهم جسي نبض ابنتك"
قالت نصرة باستنكار" وهل ستعترض على
عريس كهذا!"
تكلم هلال باصرار " يا نصرة ابنتك ليست
جاهلة.. كما أنها بالتأكيد قابلته عند زين في
المكتب ..لذا اسأليها عن انطباعها عنه قبل أن
نخبر الرجل بأن يدخل البيت حتى لا نسبب
لأنفسنا الحرج "
غمغمت نصرة معترفة "صدقت والله ..
الفرحة أربكتني وشلت تفكيري"
قال هلال "حين نعود للبيت اسأليها ..وإن
قالت نعم سأتصل بالحاج مصطفى"
قبلت نصرة ظاهر يدها وباطنها وغمغمت "كم
أنت كريم يا رب "

بعد قليل

تركت نصرة المطبخ الذي تقف فيه أم هاشم وإسراء و لم تستطع الصمود حتى يعودوا للبيت فأخذت تبحث عن ابنتيها في الوقت الذي كانت فيه نسمة واجمة وهي تستمع لما تقوله أختها همسة وهما جالستان عند منضدة السفرة تقطعان الخبز من أجل عمل الفتة فغمغمت بصوت بائس وقلب يمزقه الألم "حاضر يا همسة حاضر .. كفي عن محاضراتك لي .. سأترك التدريب عند زين .. ولا أعرف كيف سأقنع أبي بأن يوافق على أن أعمل في مكان أخر ..وبما سأبرر له تركي للعمل عند زوج أختي (ثم عادت تقول لأختها بلهجة متوسلة) ماذا لو بقيت حتى أراه فقط ..لا أريد شيئا والله سأراه فقط"

قالت همسة شاعرة بالتعاطف مع أختها
وبالخوف عليها من أن تتأذى أكثر من ذلك"
نسمة قلنا سنغلق هذا الموضوع"
اقتربت نصرة تقول" ماذا تفعلان؟.. أكل هذا
الوقت من أجل تقطيع الخبز!!"
غمغمت همسة "حالا .. لقد قاربنا على
الانتهاء"
نظرت نصرة لنسمة وقالت بابتسامة طفولية "
بنت يا نسمة جاءك عريس"
مطت نسمة شفتيها وقالت "لا أفكر في الزواج
حاليا يا أمي ..أخبرتك بذلك أكثر من مرة"
أسرعت همسة بالقول مازحة" وأنا أخبرك أني
جاهزة للزواج في أي وقت يا أمي "
عوجت نصرة شفتيها يمينا ويسارا وقالت
لهمسة "ولماذا رفضت آخر عريس إذن يا
صاحبة اللسان الطويل!"

هرشت همسة في رأسها وردت" كان ثقيل الظل يا نصرة"
تجاهلتها الأخيرة وقالت لنسمة بحماس " أنت لا تعرفين من أي عائلة يكون العريس ..والله عقلك سيطير من الفرحة"
قالت نسمة بإجهاد عاطفي " بالله عليك يا أمي أنا لست في حالة مزاجية تسمح بـ.."
قاطعتها نصرة تقول بفرحة" إنه محمد الزيني"
تدلى فك همسة وحركت أنظارها بين أختها وأمها ثم هتفت بغير تصديق "قلت من؟؟؟؟!!!"
قالت نصرة مؤكدة" أقول محمد ابن مصطفى الزيني طلب أختك للزواج"
انتفضت الأخيرة واقفة بغير تصديق بينما تكلمت همسة بالنيابة عن أختها "ماذا تقولين يا أمي؟!!"

قالت نصرة وهي تمسك بوجه نسمة الذاهلة وتطبع قبلة على خدها "الحاج مصطفى الزيني تحدث مع والدك بعد صلاة العيد وطلب منه تحديد موعد للزيارة هو ومحمد (وسألت نسمة) ها.. ما رأيك ؟..أعتقد أن هذا العريس لا يمكن رفضه"

كان الأمر مفاجئا بالنسبة لنسمة بل صادما فلم يتحمل قلبها الفرحة وسقطت من طولها وهي تقول "محمد!!"

فأسرعت نصرة وهمسة بالإمساك بها قبل ان تسقط أرضا.

xxxx

كانت صفاء تباشر عمل المساعدات وتعطي توجيهاتها لمنة وعُلا زوجة ابنها استعدادا للغداء في الوقت الذي دخل محمد يبحث عن والده.

انه متشوق لمعرفة هل نفذ وعده له بأن يفاتح هلال جمعة بعد صلاة العيد في رغبته للتقدم لطلب يد ابنته نسمة للزواج ..فحينما تحرك ليباشر أمر الأضاحي مع إخوته لم ير والده قد تحدث معه ..

سأل منة التي تمر حاملة صينية رقاق باللحم المفروم لتضعها على الطاولة الكبيرة" أين الحاج؟"

هتفت بغيظ "ألا ترى الصينية ساخنة في يدي؟!"

قال ساخرا وهو يلتقط منها الصينية ويتحرك بها نحو المنضدة "لا والله لم يعلمونا في المدارس أنني أستطيع التعرف على الصينية الساخنة من مجرد النظر.. أين الحاج؟"

ردت بمشاكسة وهي تعقد ذراعيها أمام جذعها" أين تعتقد أن يكون؟.. في غرفة مكتبه طبعا"

لصق كفه المفرود يغطي وجهها ويدفعها للخلف قائلا" لسانك يحتاج لقصه ويسعدني أن أفعل ذلك"

تحرك نحو غرفة أبيه والتفكير في نسمة لا يزال يحتل فكره .. إنه معجب بها منذ فترة كبيرة وبالتحديد منذ دخولها للجامعة .. لكنها كانت صغيرة وكان هو في سنته الأخيرة من الدراسة وتنتظره الخدمة العسكرية قبل أن يقرر أن يبدأ حياته .. فانتظرها حتى تنتهي من دراستها وينتهي هو من جيشه ويبدأ حياته العملية .. وخلال تلك السنوات كان يتعمد لقاءها صدفة بزيارات متكررة للكلية أو التواجد في بعض المناسبات التي يخمن أنها قد تحضرها في القرية .. وابتسم لنفسه وهو يتذكر بأنه أحيانا كان يقف بسيارته في مدخل القرية أو بالقرب من مكان تعتاد هي على الذهاب إليه ليراها .. ويسيطر عليه دوما شعور بأنها تميل إليه ..

وهذا الشعور زاد بداخله حينما تعامل معها في مكتب المحاسبة..

لقد تفاجأ باقتراح والده بأن يشارك زين دبور بدلا من أن يفتح مكتب صغير وحده .. وكانت فكرة ممتازة خاصة وأن زين له خبرة أكبر منه بكثير ..ولم يكن يعلم بأنه سيكون على موعد لمقابلتها والتعامل معها عن قرب حينما جاءت لتتدرب في المكتب .. فازداد اعجابه بها ليس فقط لميله القلبي لها ولكن لأدبها واحترامها فقرر ألا يضيع وقتا أكثر من ذلك.

دخل على والده في مكتبه يقول بحنق" لماذا تتجاهل اتصالاتي منذ الصباح يا حاج أنا ابنك حبيبك "

لملم مصطفى ابتسامة تريد البزوغ على شفتيه ورد ببرود متعمد" هل وزعت اللحم الخاص بالعائلتين؟"

رد مطمئنا " حدث يا حاج وكل شيء تمام ..هل ستعيّد عليّ أنت بعيدية؟"

غمغم مصطفى وهو يستقيم واقفا ويضع سبحته على المكتب "ألم تكبر على العيدية يا محمد"

قال محمد حانقا "ولأني كبرت أريد عيدية من نوع خاص ..هل تحدثت مع الحاج هلال؟"

هز مصطفى رأسه بالإيجاب فسأله محمد "وماذا قال؟"

هتف الثاني بغيظ "وماذا سيقول يا ذكي ..قال مثلما يقول كل الناس في مثل هذه المواقف يشرفنا مصاهرتكم وسنسأل الجماعة ونخبركم بالرد"

هز محمد رأسه ثم عاد يسأله بلهفة "ومتى سيردون"

" محمد"

"نعم يا حاج"

"اخرج واستعجل الغداء أنا جائع"
"حاضر يا حاج (قالها محمد وتحرك مغادرا لكنه توقف والتفت إليه يقول) جهز نفسك إذن لنزورهم عن قريب (ثم اتسعت ابتسامته مضيفا) قلبي يحدثني أن الجماعة سيرحبون جدا .. وأنا قلبي لا يخطئ في احساسه أبدا "

قالها وخرج مغادرا فضرب مصطفى كفا بكف يقول باستنكار "لم يقل حتى سيوافقون من أجل مصاهرة عائلة الزيني ومكانتها ..بل لأن قلبه حدثه بذلك ابن الـ..."

xxxxx

أسرع آسر و التوأمتان نحو جدهم غنيم في الحديقة ثم توقفوا على باب الفيلا يتطلعون في أرض الحديقة المليئة بالبالونات بينما شهبندر يستقبلهم بفرحة ..فاتسعت أعينهم وسألوا "هل لدينا احتفالا .. أم هذا من أجل العيد ؟"

رد غنيم وهو يشير لهم من جلسته في مقعده المفضل في الحديقة للاقتراب "أجل لدينا عيد ميلاد بسمة"

اتسعت العيون متفاجئة وهم يقتربون قبل أن تتكتف هنا وتقول لأختها بلهجة العارفين "قلت لك أبي قال لأمي (عيد ميلاد سعيد يا باسمتي) وقبلها من فمها صباح اليوم مثل الأمير والأميرة في الفيلم"

كتم غنيم الضحك وقال "ها ..أخبروني ماذا فعلتم يا أشقياء اليوم في القرية؟"

أمام الفيلا بعد قليل أوقف مفرح السيارة فترجل أدهم وإياد ليقول الأول لوالده وهو يعدل من ملابسه بامتعاض "في المرة القادمة سأسافر بسيارتي بدلا من أن نحشر كلنا في سيارة واحدة ..صرنا ما شاء الله عائلة كبيرة"

قال مفرح مقتربا منه بعد أن ترجل من السيارة "فكرة جيدة أن تسافر المرة القادمة بالسيارة التي اشتريتها لك ..ولكن خذ أخوتك معك حتى أستطيع السفر مع أمك وحدنا في هدوء يا باشمهندس"

قالها وربت على كتفه عدة مرات مغيظا وتحرك ينزل الأولاد الأصغر فنزلت مليكة من السيارة واقتربت من إياد الذي وقف يراقب وجه أخيه المغتاظ وسألته هامسة" ماذا حدث في غيابي؟"

همس إياد مجيبا "هذا سيحتاج لجلسة نميمة نعقدها أنا وأنت في أقرب فرصة وسأحكي لك كل شيء يا موكا"

في الفيلا وقفت بسمة أمام سوسو متفاجئة حينما اكتشفت بأنهم يعدون لحفل عيد ميلادها .. صحيح يقيمونه كل عام كاحتفال بسيط ببعض الحلوى على العشاء ويقدمون

لها الهدايا لكنها تشعر أن الأمر هذه المرة أكبر قليلا ولم تتوقع أن هذا هو سبب عودتهم مبكراً من القرية.. فنظرت لكامل الذي يقف بجوارها يديه في جيبي بنطاله ثم عادت تقول لسوسو "لا حرمني الله منكم أبدا"

اقترب كامل وأحاط جذعها بذراعه يقول "الاحتفال هذه المرة مميز لحصول باسمتي على درجة الماجستير في العلوم الزراعية"

نظرة الإعجاب التي رأتها في عيني كامل كانت تعني لها الكثير .. نظرة احترام وتقدير لتحقيقها شيء كان أبعد من خيالها .. فمالت على ذراعه بخدها بامتنان في الوقت الذي دخل فيه شامل من باب المطعم يقول "هيا يا حبيب والديك هذا عيد ميلاد زوجتك وليس زوجتي ..انصب

الشواية بالحديقة وأريدك كشعلة من النشاط تخدم كل من في الحفل"

استدار كامل يناظره ببرود فقال شامل بغيظ "لا تناظرني هكذا.. اخرج يديك من جيبيك وتحرك"

قالت بسمة بامتنان" أنا الحقيقة مقدرة تعبكم.. سفر بعد الفجر ومتابعة الأضحية ثم العودة والاستعداد لهذا الحفل كل هذا في يوم واحد"

دخل آسر يقول مهللا "أبي ..عمي ..لقد جاء أمجد وأشرقت وأوس"

اتسعت عينا بسمة متفاجئة وقالت وهي تتحرك معهم لخارج الفيلا" جاءت مليكة؟!!.. لقد وصلوا للقرية هذا الصباح!!"

حين خرجت للحديقة وجدت مليكة ومفرح وأولادهما فحضنت صاحبتها تقول "لم تخبريني على الهاتف صباحا أنك ستأتين"
حضنت أشرقت ساقي بسمة قائلة" عمتي"
فمالت بسمة لتحضنها وهي تقول "حبيبة عمتك "
بينما ردت مليكة "كنا نحضر لك مفاجأة"

اعتدلت بسمة وقالت بتأثر "هل قدتم المسافة عائدين بعد سفر الصباح من أجلي!"
قال مفرح مشاكسا وهو يتخذ لنفسه مقعدا بجوار غنيم" كان بودي أن أقولها بكل صدق أني تكبدت مشقة العودة للعاصمة مرة أخرى في نفس اليوم من أجل عينيك الجميلتين يا بنت خالي ..لكن زوجك سيغضب ..لذا أنا حضرت كي أقابل هذين الوحشين"

ناظره كامل بامتعاض بينما ابتسمت بسمة في نفس الوقت الذي رن فيه جرس البوابة ففتحه شامل ليدخل وليد ومهجة وولديهما يزيد وبسمة الصغيرة فاتسعت عينا بسمة وقالت "حتى وليد !!"

قال الأخير بمرح "ها قد جئت كيف ستحتفلون بمجيئي؟"

اتجهت مهجة نحو أحضان أخيها مفرح الذي داعب الصغيرة بسمة فلم يلحق رؤيتهم صباح اليوم معتمدا على أنه سيقابلهم في العاصمة .. بينما حضن وليد أخته يقول" عيد ميلاد سعيد يا بسمة ..ومبارك للمرة الألف على الماجستير ..أمي كما تعلمين أبي يقيدها بجواره"

مط كامل شفتيه وهو يرى وليد قد وقف بجوار بسمة يحيطها بذراعه بينما الأخيرة تتطلع في الجميع باكية وهي تقول "لا أصدق أنكم كلكم

تكبدتم عناء السفر في يوم العيد لتهنئتي بعيد ميلادي"
قالت مليكة "أم هاشم أيضا كانت تريد أن تأتي لولا أنه يوم العيد وصعبا عليها هي وأسرتها السفر في هذا اليوم"
قال إياد " عيد ميلاد سعيد يا عمتي "
وتبعه أدهم فقالت الأخيرة بامتنان" شكرا لكم جميعا .. صدقا أنا متأثرة بشدة"
تكلم شامل موضحا " احقاقا للحق كامل صاحب الفكرة ولم نستطع التأجيل نظرا لأنه اليوم الوحيد الذي سيكون فيه المطعم معطلا.. (ونظر للجميع يقول) هيا سنقوم بالشواء أولا لتناول الطعام قبل أن نحتفل ..وسأحتاج لمساعدة أدهم وإياد في نقل الشاشة الكبيرة من غرفة الألعاب للحديقة
سأترك عليكما هذا الأمر "
سألته مليكة" أين ونس؟"

رد شامل "تستريح قليلا من تعب السفر
وستنزل بعد قليل"

بعد قليل انتحت بسمة بصاحبتها تسألها
بفضول "هل أخبرت مفرح بالخبر؟"
قوست الأخيرة شفتيها لأسفل وقالت ببؤس
"ليس بعد"
كتمت بسمة ضحكتها ..فناظرتها مليكة بغيظ
في الوقت الذي اقتربت التوأمتان منهما لتقول
هانيا "أمي نريد أن نخبرك بشيء"
سألتهما بسمة " ما الأمر؟ "
رفعا أنظارهما لمليكة ثم قالت هنا" نريدك في
موضوع"
قالت بسمة لمليكة بلهجة متهكمة " نستأذنك
يا أخت مليكة فلدينا أسرارا"
قالت الأخرى بنفس لهجتها" تفضلي يا أختاه
أنت وبناتك وأسراركن"

بمجرد أن ابتعدت بسمة إلى داخل الفيلا تطلعت مليكة في مفرح الذي يقهقه عاليا وهو يقف مع التوأمين ووليد وأدهم وإياد فأشارت للأخير تقول "بِس بِس"

ضحك إياد واقترب منها فتعلقت بذراعه ورفعت عينيها إليه تقول والفضول الشديد يقتلها "ها أخبرني ماذا حدث"

في الفيلا قالت بسمة باعتراض "انتما اشتريتما ألعابا كثيرة أقربها الأسبوع الماضي!"
قالت هنا بحنق " لكن يا أمي ليس عندنا مطبخ لعرائسنا"
ردت بسمة "ولكن عندكما كل شيء يخصهن .. غرفة نوم وأدوات تجميل.. وملابس .. فليس لأن أشرقت جدها عبد الغني اشترى لها لعبة لابد أن تشتريا مثلها"

قالت هانيا بترجٍ" لكنها تغيظنا يا أمي"
زمت بسمة شفتيها وعلقت " هذا شيء غير لطيف .. عليكما اخبارها بذلك لا أن تشتريا مثلها"
استمرت هنا في محاولة إقناعها "يا أمي أشرقت تقول أن اللعبة من الممكن شراؤها من الانترنت .. أدهم أخبرها بذلك .. أي لن تتعبي في الذهاب لشرائها"
سحبت بسمة نفسا واخرجته ببطء ثم نزلت على عقبيها تقول وهي تحضنهما "أنتما اشتريتما ما يكفي من الألعاب ..ولابد أن تعتادا على عدم التقليد ..كما أن أشرقت صاحبتكما وتقضين معا أوقاتا كثيرة في اللعب ..ولهذا العبا معها بالمطبخ مادامت قد أحضرته معها "
تكتفت هنا بغضب فقالت هانيا بترجٍ "لعبة واحدة أخرى يا أمي"

قالت بسمة بحزم وهي تستقيم واقفة "سنتحدث لاحقا في هذا الأمر (واستدركت تقول لابنتيها بلهجة محذرة) وإياكما أن تخبرا جدكما غنيم هل سمعتما؟.. إياكما أن أعرف بأن الخبر قد وصله (وربتت عليهما تقول) هيا اذهبا والعبا مع الأولاد واتركوني لأتابع الضيوف"

قالتها وتحركت صاعدة للدور العلوي لتبدل ملابس السفر تدعو في سرها ألا يعرف غنيم .. فهو يدللهما بشكل مبالغ فيه ولا يرفض لهما طلبا مهما كان غاليا وباءت كل محاولات اقناعه بالعدول عن ذلك بالفشل ..

أما التوأمتان فناظرتا بعضهما تشعران بالغيظ والغضب وبدأتا بالتخاطر فكريا للتفكير كيف تستطيعان الحصول على لعبة مثل لعبة أشرقت .

في الحديقة قالت مليكة" تهور أدهم فعلا بما فعل لكنني بصراحة سعيدة لأنه يحمل مشاعر لمنة الله .. هذه البنت تذكرني دوما بنجمة"

قال إياد متحمسا " حسنا سأخبر هذا الجحش الذي ينكر اهتمامه بها بأنك تباركين الموضوع"
اتسعت ابتسامة مليكة وأسرعت بالقول" لا لا أرجوك لا أريده أن يشعر بالضغط أتركه يخرج من متاهة مشاعره بنفسه"
حضن إياد جذعها بذراعه وفتح هاتفه يقول "إذن أخبريني برأيك في هذه"
نظرت مليكة للصورة بعبوس وقالت "ما هذا القرف"
شاكسها قائلا "هذه قرف !!..هذه قمر"
غمغمت مليكة" صورة قليلة الحياء"
سألها إياد مشاكسا " كيف وهي ترتدي ملابس عادية!"

حركت كتفيها وردت بثقة " من نظرتها .. من نظرتها ووضع التصوير الوقح"
ضحك إياد بصوت عال وقال" يا الهي أنت تغارين فعلا"
انتبه أدهم الذي كان يدلل شهبندر وسمع تعليق مليكة على الصورة فترك الكلب واقترب منهما ليقول إياد" أمك تغار بالفعل من البنات حولنا فجهز نفسك ستكون حماة صعبة"
نظر أدهم للصورة وقال مفسرا "هذه فتاة مشهورة على مواقع التواصل يا أمي إنه يغيظك فقط "
سألت مليكة "تعني أنها ممثلة؟"
هرش إياد في أعلى أنفه يقول" الحقيقة هي ليست ممثلة بالضبط"
تدخل أدهم موضحا" إنها فتاة تعرض مقاطع مصورة لن تعجبك على أحد التطبيقات على الهاتف "

بدا الانزعاج على وجه مليكة وسألت إياد بجدية" هل هذا حقا نمط الفتيات الذي تحبه؟"

انفجر الأخير ضاحكا ثم ضمها إليه يطبع قبلة فوق حجابها قائلا" اطمئني يا موكا يوما ما حينما أقرر أن أتزوج سأطلب منك أن تختاري لي على ذوقك من أختار من بينهن .. وإن شغلت إحداهما قلبي أعدك بأني لن أتزوجها إلا بعد أن تنال إعجابك تماما .. والاجابة على سؤالك لا .. أنا مثلما يقول أبي دوما على نفسه فلاح ابن فلاح مهما حصلت على شهادات وسكنت المدن.. وهذا النوع من الفتيات لا نقيمه بقرش"

ناظرته مليكة وقالت بعاطفة أمومية " حماك الله يا حبيبي "

ثم أمسكت بوجهه بين كفيها فمال إليها لتقبله بينما رفع أدهم حاجبا .. فأمسكت مليكة

بوجهه هو الأخر وسحبته إليها لتطبع قبلة
على خده ثم قالت "حفظكما الله "
اقترب مفرح منهم وتطلع في ولديه ثم أبعدهما
عنها قائلا" اذهبا وافعلا شيئا مفيدا"
تطلعا فيه باندهاش فقال وهو يلف ذراعه
حول كتفيها " هيا اذهبا والعبا مع اخوتكما
الصغار"
نظرا لبعضهما شاعران بالإهانة ثم مطا
شفتيهما وسحب أدهم أخاه مبتعدا بينما
ناظرت مليكة زوجها وسألته" هل حدث
شيء؟"
لم يرغب في الاعتراف بأنه بات يشعر ببعض
الغيرة .. فشكلها الصغير في العمر بجوارهما لا
يوحي أبدا بأنهم أم وابنيها رغم أنه لو كان
تزوجها ذلك الوقت لأنجبتهما فقال مراوغا
"أبدا لا شيء"

ناظرته مليكة ثم ترقرقت عيناها بالدموع
وقالت "مفرح .. هناك أمر لابد أن أخبرك به"

xxxx

تجمعت العائلتان حول طاولة السفرة في بيت زين دبور ولم تكف كراسي السفرة الاثني عشر الحاضرين فتم الاستعانة بمقاعد أخرى حول الطاولة الكبيرة حتى تستوعب العدد بالأطفال الصغار ..

قال جابر لكريم الذي كان يتوجه للجلوس على أحد المقاعد" هل دونت الفواتير التي جاءت ليلة أمس في آخر الليل يا كريم؟ "

رد كريم بصوته الرجولي الخشن "لا تقلق كل شيء تم إدخاله على البرنامج المحاسبي"

ربت جابر على ذراعه قائلا" بارك الله فيك"

راقب هلال علاقتهما بسعادة.. إن كريم رغم التحاقه بالكلية لم يترك العمل عند جابر ..

حتى في أيام دراسة الثانوية العامة الصعبة كان يوزع وقته بين الدروس والعمل عنده .. وذلك للارتباط الكبير الذي حدث بينهما .. إنه يشعر بأن جابر صار بالنسبة لكريم أباه الثاني .

تحرك كريم يجلس بجوار والده فربت على ظهره بفخر في الوقت الذي همست أم هاشم لمهرة التالية في الجلسة بجوار والدها بعد ميس "اجلسي على مقعد كالكبار لم تعودي صغيرة يا مهرة "
زمت الأخيرة شفتيها بحزن بينما تحركت أم هاشم لتجلس على الناحية الأخرى من جابر وحاولت أخذ تيمور من على حجر جدته التي تطعمه فقالت نجف "اتركيه لي سأطعمه أنا" قالت أم هاشم "لن تستطيعي الأكل يا خالتي .. لو هناك مكانا يسمح بكرسي أخر لكنت أجلسته عليه"

قالت الأخرى بإصرار" قلت اتركيه على حجري لأطعمه أنا يا أم هاشم"
هز جابر رأسه لأم هاشم بما يعني (اتركيها على راحتها) بينما قال زين بسعادة وهو يغرف الطعام في طبقه "أنرتمونا يا جماعة"
قالت إسراء باستنكار " ألن تضيفهم وتغرف لهم أولا!!"
قال وهو يملأ طبقه بالفتة " ليسوا أغرابا يا إسراء"
تطلعت فيه تزم شفتيها على ابتسامة تريد البزوغ بينما قالت نصرة التي تجلس بجوار حفيدها وتطعمه في فمه" لسنا ضيوفا يا حبيبتي"
ابتسمت إسراء وهي تتطلع في أمها التي تدلل إسماعيل وتذكرت فرحتها حينما علمت إنهم لن يسافروا مرة أخرى .. ثم نظرت لأختها التي تجلس بجوارها على الناحية الأخرى والتي لا

تزال تعاني من الذهول وقالت لها هامسة" كلي يا ست الهانم وحسابك معي فيما بعد .. قصة حب تصل إلى حد الإغماء ولا تخبريني !"

تدخلت همسة التي تجاور نسمة هامسة "قصة حب بائسة والله يا إسراء لكن على ما يبدو أنها قد لجأت لمن عقد لها عملا سحريا بنت المحظوظة"

ناظرتهما نسمة الجالسة بينهما بوجنتين مشتعلتين وعادت تلعب بالملعقة في الطبق بيد مرتعشة وقلب يخفق بشدة وذهول .. لا تصدق أن محمد يريدها للزواج .. تشعر بأنا في حلم .

على الناحية الأخرى من السفرة قبّل جابر رأس ميس التي تجلس بجواره ووضع لها الطعام في

طبقها فابتسمت له شاكرة ليهمس لها بلطف
" هذا الفستان يبدو عليك رائعا "
ابتسمت تقول" هذا هدية عمي زين ومس إسراء لي "
قال جابر يزم شفتيه متصنعا البؤس " ظننته الفستان الذي ذهبنا أنا وأنت واشتريناه "
ردت ضاحكة " ذلك الفستان سأرتديه في المساء وأنا ذاهبة لبيت خالي بدير إن شاء الله"

اكتست ملامح جابر بالجدية وقال " زين سيوصلك وسيتابعك بالهاتف أولا بأول .. حين تنتهين من رؤية والدتك سيعيدك لأني سأكون بالخارج في المساء "
هزت ميس رأسها بطاعة .. بينما وضع جابر لمهرة بعض الطعام في طبقها وتطلع فيها وهي تقوس شفتيها للأسفل فسألها" ما بك؟.. كلي يا بابا"

هزت كتفها برفض وخطفت نظرة لأمها
وعادت تنكس رأسها في الطبق بعينين
مغرغرتين بالدموع فنظر جابر لأم هاشم ثم
عاد إليها يقول" ما بك يا مهرتي؟"
هزت كتفها من جديد وتغضنت ملامحها
بالبكاء فقالت أم هاشم "أنت كبيرة يا مهرة
وعليك أن تجلسي على مقعد كالكبار ..انظري
لهاشم وإسماعيل وميس يجلسون على
مقاعد"
ارتعشت الدموع في عينيها الواسعتين البنيتين
فلم يقدر جابر على الصمود وقال وهو يمد يده
لها "أتركيها يا أم هاشم ولا تحزنيها في العيد..
تعالي يا بابا"
نزلت الصغيرة من كرسيها وأسرعت نحو والدها
الذي رفعها وأجلسها على حجره فقالت أم
هاشم بامتعاض "ارتحت الآن ؟"

أسندت الصغيرة ظهرها إلى الخلف على صدر والدها واتسعت ابتسامتها فمسح جابر دموعها وقبّل رأسها لتغمغم أم هاشم "سبحان الله ..طوال عمري أكره المرقعة فرزقني الله بملكة المرقعة نفسها"

سألها إسماعيل" ما معنى المرقعة يا خالتي؟"

تنحنحت أم هاشم وردت "شيء يرفع ضغط خالتك يا حبيبي"

ناظرت ميس أختها الصغيرة بغيظ وألقت الطعام في فمها تبلعه بصعوبة .. إنها تكره مهرة هذه .. ليس لديها مشكلة مع أخويها الذكور إلا مهرة لا تحبها ولا تحب التفاف الجميع حولها.

قال هاشم بلهجة متباهية" أنا رجل كبير وأجلس على المقعد"

رد جابر مشجعا "أنت حبيب أبيك رجل ناضج"

توردت وجنتيه فمد زين ذراعه يربت عليه مغمغما" ما شاء الله عليك (ثم وضع القليل من الفتة في طبق الصغير مضيفا) كل يا حبيبي الفتة الخرافية من يد زوجة عمك "

اتسعت عينا إسراء باندهاش بينما قال زين لمهرة مشاكسا" أنت مرتاحة عندك؟ "

اتسعت ابتسامتها وتمرغت بمؤخرة رأسها في صدر والدها بدلال فقال لها" تعالي لتجلسي على حجري أنا وسأطعمك "

هزت كتفها بتمنع فأطرق زين برأسه وادعى البؤس قائلا "هكذا يا مهرة .. أنا بائس ..أنا حزين"

ناظرته بتعاطف وهو يدعي البكاء ثم قالت له "أمي قالت لا أجلس على حجر أحد "

أمسك زين نفسه من الضحك وكذلك فعل الجميع وقال لها "ولكنك لا تجلسين على مقعد الآن "

رمشت بعينيها عدة مرات ثم ردت " هذا أبي"
ضحك الجميع فقال زين "وأنا عمك هل
ستتركينني بائس حزين أبكي دون أن
تصالحيني؟"
راقب الجميع حيرتها ونظراتها المتعاطفة معه
قبل أن تقرر النزول من على حجر والدها بذلك
الفستان الأبيض المنفوش ذو الاكتاف العارية
الذي يظهر سمرة بشرتها اللامعة واقتربت من
عمها فمال بجذعه ناحيتها لتطبع قبلة سريعة
على خده وهي تربت بكفها الصغير على ذراعه
مواسية وهمت بأن تعود لأدراجها فقال زين
باعتراض "هذا فقط ؟!!"
تنهدت وقالت "ماذا تريدني أن أفعل لك؟"
وضح زين قائلا "تعالي اجلسي على حجري
سأطعمك أفضل من أبيك"
تنهدت وقالت بطريقة أمها" اللهم طولك يا
روح !"

انفجر الجميع بالضحك بينما أمسك بها زين
وأطلق زمجرة وهو يقول لإسماعيل وهاشم
"سأكل هذه البنت "
حملها زين وأخذ يعضعضها فأطلقت صرخات
صغيرة ضاحكة وهي تستنجد بجابر الذي
تدخل ضاحكا "أتركها يا زين فورا"

تركها الأخير فعدلت من فستانها متذمرة
وعادت لتتسلق حجر والدها وتجلس وكأنها
تجلس على كرسي العرش فقالت أم هاشم وهي
تضع الطبق أمامها "كلي وانتهي بسرعة كي تتركي
لوالدك فرصة أن يأكل"
قالت مهرة وهي تقطع قطعة لحم " أنا
سأطعمه لا تقلقي"
راقب جابر نظرات أم هاشم المغتاظة ثم مال
عليها هامسا" هل تغارين من بنتك يا
مجنونة؟! "

زمت شفتيها وقالت" ستفقأ مرارتي بهذه الميوعة يا جابر .. خاصة وأني لن أستطيع أن أفعل معك أمام الناس مثلها "
ضحك الأخير بصوت خافت وقال لها "أعدك بأني سأعوضك"
قالت بدلال" حقا"
ناظرها بنظرة ذات مغزى ثم اعتدل ليجد مهرة تمد له يدها بقطعة لحم التقطها في فمه
فربتت مهرة على صدره قائلة" بالهناء والشفاء يا حبيبي"
عوجت أم هاشم شفتيها بينما منع جابر نفسه بصعوبة من الضحك ولم يستطع التعليق أمام الجالسين بأن ابنتها تقلدها فقال " هيا كلي بنفسك وكفي عن اطعامي يا مهرة"
هزت الأخيرة رأسها بطاعة ثم رفعت إليه قمريها البراقين تناظره .. فتطلع فيها جابر مبتسما لتستطيل بعنقها وتطبع قبلة على

لحيته ذاب لها قلبه فربت على ظهرها وتطلع في أولاده الثلاثة الباقين ..يشكر ربه على نعمته.. والتقت عيناه بعيني ميس الجالسة بجواره فمال وقبل جانب رأسها يقول" أنا فخور بآنستي الصغيرة لتفوقها العلمي"

قال زين مشجعا" أتعلمين يا ميس .. في كل مرة ستكونين فيها الأولى على المدرسة سأحضر لك هدية كبيرة"
اتسعت ابتسامتها بفخر فأضافت إسراء "وربما دخلت كلية الطب وحققت حلمي "
قالت ميس "إن شاء الله"
تمتمت نصرة وهي مستمرة في اطعام إسماعيل "سبحان الله لو كانت إسراء دخلت كلية الطب لأصبحت طبيبة الآن "
عبس هلال الذي كان شاردا في التفكير في مصاهرة مصطفى الزيني الوشيكة وكيف عليه

أن يعد العدة ليجهز نسمة بما يليق بالمصاهرة
"اتركينا من هذه السيرة يا نصرة قدر الله وما شاء فعل"
قالت نصرة شاعرة بالذنب لانفعاله فهي تعلم بأنه يحمل نفسه سبب عدم دخولها كلية الطب" وهل قلت شيء"
أسرعت إسراء بالتدخل قائلة" قدر الله وما شاء فعل أنا مؤمنة بأنه لو كان خيرا لكتبه الله لي"
غمغم زين وهو يضع أمامها المزيد من الطعام "كلي يا أم إسماعيل كلي فيكفيك فخرا بأنك تزوجتني (ووضع الطعام في طبق حماه يقول) كل يا حماي من يد ابنتك"
قالت إسراء مشاكسة "أخبرتك بأن أم هاشم وأمي ساعدتاني في الطبخ ..والفتة بالذات بإشراف أم هاشم "
تجاهل زين كلامها واستمر في حديثه قائلا "إسراء حبيبتي سفرة من هذه؟ .. وأطباق من

هذه ؟.. وصواني من هذه؟.. وبيت من هذا؟..
إن هذا هو المهم أما الباقي فشكليات"

ضحك الجميع فقالت إسراء من بين ضحكاتها
"لكن الأمانة تقتضي أن نقول الحقيقة فلولاها
لما استطعت عمل كل هذا"
غمغمت أم هاشم بحرج" لا تقولي هذا والله
لم أفعل شيئا وأنت وأخوتك ونصرة تكبدتن كل
شيء "
استمر زين في مشاكستها فوضع بعض الطعام
في طبق كريم المنشغل بالتقليب في هاتفه أثناء
الأكل وقال " كل يا كريم لا تشعر بالحرج
فطبيخ أختك لا يعلو عليه أي طبيخ أخر "

رفعت أم هاشم حاجبا وقد بدأ صبرها ينفذ
فقال زين "من لم يأكل بعد (وتصنع الانتباه
فقال وهو يضع بعضا من الطعام في طبق أم

هاشم) آه نسيتك يا زوجة أخي لا تؤاخذيني ..
كلي ولا تتحرجي ففتة أم إسماعيل خرافية"

تركت أم هاشم الملعقة في الطبق فأصدرت
صوتا عاليا ..بينما تطلع فيها زين يسألها
مستمتعا باستفزازها" هل حدث شيء يا زوجة
أخي ؟"
رد معظم الجالسين حتى الصغار في نفس
اللحظة نيابة عنها بما أدى لانفجار الجميع
بالضحك" اللهم طولك يا روح !"

xxxx

دخل كامل المطعم المغلق ليحضر المزيد من
اللحم من أجل حفل الشواء فناداه توأمتاه ..
ليستدير عاقدا حاجبيه قائلا" لماذا اتيتما
خلفي؟.. انتظراني في الحديقة"
قالت هانيا "لأننا نريد أن نحدثك على انفراد في
أمر هام يا أبي"

رفع حاجبا مندهشا يردد "انفراد!! (ثم مال بجذعه يتطلع فيهما بترقب وقد بدأتا بالحديث معه بلهجة بلده التي يتعاملون بها مع جدهما غنيم و جدتهما سوسو وقال) تفضلا حدثاني على انفراد"

بدأت هنا الحديث تقول " نحن مستاءات جدا يا أبي "

هزت الأخرى رأسها مؤيدة فأضافت الأولى "نشعر بأننا توأمتان بائستان"

تدخلت هانيا مضيفة بلهجة بائسة " الأسر الأخرى تتمنى أن يكون لديها توأمتين متطابقتين جميلتين مثلنا ليدللوهما"

رمش كامل بعينيه أكثر من مرة وهو يتطلع في الأداء المسرحي أمامه بهذه المقدمة المثيرة للدهشة والضحك في الوقت ذاته ..ثم مد يديه ورفع هنا من خصرها ليضعها على إحدى الطاولات ثم رفع الأخرى لتقف بجوارها

ووقف يتطلع فيهما متخصرا وهو يسأل" ما الأمر ولماذا هذه المقدمة المسرحية؟"

قالت هانيا بمسكنة وهي تضع كفها الصغير على خده "أيرضيك أن نكون بائستين في يوم العيد؟"

قالت هنا بلهجة حزينة " حتى الأطفال الأيتام يفرحون في العيد"

كان يعلم بأنهما ماكرتان لكن سيرة اليتم ارتجف لها قلبه وهو يتصورهما يتيمتين بدونه بينما وضعت هنا يدها هي الأخرى على وجنته فالتفت إليها لتقول بمسكنة" أمي رفضت أن نشتري مطبخا لعرائسنا مثل أشرقت وقالت بأنه يكفي ما لدينا من لعب"

وأضافت هانيا تناظره بعينيها الزرقاوين "ومنعتنا من أن نطلبها من جدنا غنيم رغم أن جد أشرقت هو من اشتراها لها"

بلعت هنا ريقها واستمرت في طريقتها التمثيلية مضيفة على كلام أختها "أي أنه عادي كل الجدود يشترون الألعاب لأحفادهم ..لكن أمي لا يهمها مشاعرنا ولا حتى فرحتنا بالعيد "
وضعت هانيا يدها على قلبها وقالت ببؤس "أشعر بحزن شديد ..هل يرضيك أن نحزن يوم العيد يا أبي كأطفال الشوارع!"
ظل كامل يراقبهما وهما تعرضان قضيتهما بهذه الطريقة المسرحية وصحح لهما نطق كلمة من لهجة بلده التي يستخدماها لحظتها للتأثير عليه .. لهجة أبوه وأجداده التي يتقناها كإتقانهما للهجة بلد أمهما ..لكن غالبية تعامل أحفاد نخلة يكون باللهجة المحلية حتى لا يشعران بالغربة خاصة في المدرسة .
ورغم مكرهما الذي يعرفه الجميع ورغم الطريقة التمثيلية الماثلة أمامه ..اعترف لنفسه

بأنهما قد نجحتا في استدرار عاطفته الأبوية ..
وبأنه وقع في فخهما ..

تأمل هَنا الأكبر من توأمتها بخمس دقائق والزعيمة .. ولهانيا الأكثر هدوءً وحكمة وعاطفية ..وأشفق لحظتها على والديه كيف تعاملا معه هو وشامل .. ومر في ذاكرته الكثير من المواقف له ولتوأمه بل إن مراقبتهما ليل نهار يثير ذلك دوما في نفسه ونفس أخيه .. ذكريات لتفاصيل كثيرة مرت بهما وهما صغار .. وراوده ذلك الشعور الأبوي الذي دوما يشغله كأب كيف يؤمن لهما مستقبلهما المادي والعاطفي حتى لا تحتاجان لأحد ؟..كيف يحميهما من أي معاناة واجهته هو وتوأمه؟.

اقتربت هانيا وطبعت قبلة على خده ذاب لها قلبه وهي تقول بنفس الاستعطاف "أيرضيك ألا يكون عندنا مطبخ مثل عرائس أشرقت"

قبلت هنا خده الأخر مضيفة بنفس الدلال الأنثوي مستمرة في إحكام المصيدة حوله قلب أبيها "أرجوك يا أبي حلفتك بباسمة"

رفع كامل حاجبا ولملم ابتسامة تريد البزوغ على شفتيه وهو ويرفع أنظاره تلقائيا نحو باب المطعم الموصل للفيلا ينظر لشامل الذي جاء خلفه ليتعجله ويبدو أن الأخير قد سمع طرفا من الحديث لأنه علق " هل يُنصب لك فخا؟"
رد كامل وهو يتطلع في ابنتيه" أجل وانزلقت فيه وأُحكم عليّ إغلاقه"
غمغم شامل وهو يتحرك ليدخل المطبخ "بالهناء والشفاء يا حبيبي "

حين خرج شامل من المطبخ كان كامل يقول لابنتيه باستسلام" حسنا أنا سأتحدث مع باسمة وسأشتري لكما اللعبة"

صرختا من الفرح وتناوبتا في أمطاره بالقبلات فتلقاها ضاحكا وهو يحضنهما بذراعيه في الوقت الذي دخلت بسمة من باب المطعم تقول" ماذا يحدث هنا؟"
قال شامل وهو يتجاوزها ويخرج" هما (واحد) وبسمة (صفر)"
نظرت بسمة لكامل الذي تعلقت هانيا الواقفة فوق الطاولة برقبته بينما مالت هنا التي تجاورها لتنام على صدره وهي تقول" أبي حبيبي نحبك جدا جدا"
تكتفت بسمة وقد فهمت ما فعلته الماكرتان ليقول كامل" سنشتري لهما اللعبة هذه المرة

فقط يا باسمة.. وسيجلس أربعتنا فيما بعد
ونضع اتفاقا يقنن شراء اللعب"
قالت بسمة لابنتيها من بين أسنانها "ألم أقل لا
تتحدثا في هذا الأمر؟"
ردت هنا المحتمية بوالدها "أنت قلت لا
تتحدثا مع جدي غنيم"

قهقه كامل عاليا ثم حضن كل واحدة بذراع
وحملهما معا مقتربا من بسمة التي تقف
متكتفة وقال لبسمتيه الصغيرتين "هل قلتما
لماما عيد ميلاد سعيد؟"
قالتا في صوت واحد" عيد ميلاد سعيد يا ماما "
ومالت هانيا من فوق ذراع والدها تضع قبلة
على خد بسمة وتبعتها أختها على الخد الأخر ..
فرق قلب بسمة لهما رغما عنها بينما أنزلهما
كامل أرضا وقال" هيا أذهبا وسنتحدث فيما
بعد متى سنشتري اللعبة"

هللت التوأمتان بسعادة وقالت هنا لأختها وهي تشدها مهرولة" تعالي لنخبر أشرقت ونغيظها" رحلتا فاستدارت بسمة تتطلع في كامل قائلة "هل صدقت تمثيلهما؟"

ابتسم تلك الابتسامة الوسيمة التي تخطف قلبها وهز رأسه نافيا ثم أمسك بيدها وشدها نحو الداخل إلى مطبخ المطعم فقالت باندهاش" كامل ماذا تفعل .. كامل"

××××

في ركن من الحديقة انفجر مفرح بالضحك فقالت مليكة بعينين تترقرق فيهما الدموع "تضحك يا مفرح!!"

قال من بين ضحكاته" وماذا يمكن أن نفعل.. حامل مرة أخرى قصدي رابعة خير وبركة .."

قالت قبل أن تدفن وجهها في كفيها" والله أواظب على وسيلة منع الحمل منذ أن قررنا أن نكتفي بما رزقنا الله به"

استمر في الضحك على صدمتها وفرد ذراعه على كتفيها يطبع قبلة فوق حجابها .. إن خبر حملها دائما يشعره بالفرحة بشكل خاص .. بسعادة الفلاح حينما تستجيب الأرض لغرسه.. وفرحة الزوج الذي اشتاق للمزيد من الأولاد من المرأة التي عشقها .

همس بجوار أذنها مشاكسا "من الطبيعي أن تحملي يا مليكة ..خاصة حينما يكون لديك رغبات مكبوتة لفعلها أكثر من مرة في الليلة الواحدة"

راقب وجهها الذي ابعدت كفيها عنه ولاح عليه الامتقاع.. فعاد يهمس مشاكسا "هل تعتقدين أن الحمل قد حدث في ليلة كليلة أمس التي قمت فيها تطالبين بمرة ثانية .. "

اشتد امتقاع وجهها فاستمر في مناكفتها " لماذا لم تطلبي وأنت مستيقظة يا مليكة ..هل قصرت معك في شيء في هذا الجانب؟.."
قالت بغيظ تداري حرجا شديدا " مفرح اسكت .. أنا لم أحاسبك بعد على ما فعلته ليلة أمس"
هز كتفيه ورد بلهجة متسلية " ولماذا تحاسبيني؟ حاسبي نفسك أولا "
ناظرته مليكة وهي تجز على أسنانها ولا تعرف لماذا بدأت تقوم بهذا السلوك المحرج على فترات متقطعة .. حيث تقوم ليلا وتحاول اغوائه لتطلب علاقة زوجية ..أقربها ما حدث ليلة أمس.

الليلة السابقة

"مسيو مفغح .. مسيو مفغح"
فتح مفرح عينيه متفاجئا فوجدها تميل فوقه تقبل عنقه وتفتح أزرار منامته لتضع قبلات

تائهة فوق صدره فغمغم ناعسا وهو يضحك "مليكة عودي للنوم"
استمرت في عملها ويدها تتحسس جسده بجرأة لا تفعلها وهي مستيقظة فغلب على مفرح الضحك وحاول إبعادها بهدوء قائلا "أنت من تصعبين عليّ المقاومة "
وحضنها يعيدها لتستلقي بجواره ثم تطلع في وجهها يبعد عنه شعرها الناعم ويقول "حينما تستيقظين سـ.."
لم يكمل عبارته حينما وجدها تحضنه مرددة "مسيو مفغح ..أحبك أحبك ..لماذا تتركني اشتاق إليك"
غمغم مغتاظا" ما تقولينه هذا تطير فيه الرقاب يا بنت الصوالحة (وأضاف بصوت متهدج فوق رقبتها وقد أوشكت أعصابه على الإفلات خاصة مع يدها ذات اللمسات الجريئة) ألم نكن سويا قبل النوم يا مفترية !"

ظلت تردد بإصرار من بين قبلات توزعها على جسده " مسيو مفغح.. أحبك ...أحبك ..أحبك ..وأريدك"

ضحك مفرح على أعصابه التي أفلتت من عقالها ..وعلى الجدال الذي سيدخل فيه معها بعد أن تستيقظ وتكتشف ما فعلاه أثناء نومها لكنه لم يقدر على الصمود فهمس قائلا بلهجة حارة " وأنا أحبك أحبك أحبك وأريدك يا مليكتي "

ومال يقبل عنقها وهو يخلع عنها منامتها الرقيقة وسط همهمات راضية منها وهي تتمتم" مسيو مفغح "

غطت مليكة وجهها بكفيها وهي تقف أمامه في حرج بالغ بعد أن قص عليها تفاصيل ليلة أمس .. كانت تعلم حينما استيقظت فجرا بأنهما كانا سويا أثناء نومها لكن الفرصة لم تسنح لهما

بالتحدث عن الموضوع إلا الآن لتعجلهما بالسفر .

إنها تشعر بالضيق من هذه الحالة التي لا تعرف لها سببا .. لقد أخبرتها الطبيبة أن هذه حالة نادرة الحدوث تصيب من يعانون من مرض المشي أثناء النوم وتختلف أسبابها من شخص لأخر من الذين يعانون منها .. لكن بالنسبة لها ربما هو شعور مخزن بالذنب تجاهه يجعلها راغبة في تعويضه ..

ورغم أنها تهتم بهذا الجانب بشدة في حياتها ..خاصة بعد أن قلت نوبات بكائها بعد العلاقة الزوجية .. قلت حدتها وعدد مراتها لكنها لم تتوقف تماما.. لكن يبدو أنه حتى في نومها يشغلها هذا الأمر .

استجمعت شجاعتها ونفضت عنها حرجها تقول وهي تكشف وجهها "هل تضحك!! .. أنا

لم أحاسبك بعد على ما فعلته لأننا استيقظنا قبل الفجر متعجلين .. كيف تقوم بهذا الفعل اللا أخلاقي يا دكتور مفرح"

رفع حاجبيه وقال بلهجة متسلية "لا أخلاقي!!.. تعرفين ردي مليكة هانم على هذا الموضوع .. زوجتي حلالي تطلب طلبا موقعا بـ (مسيو مفغح) وثلاثة من (أحبك) وواحدة من (أريدك) .. ماذا تريدين مني أن أفعل؟ ..خاصة حينما تكونين جريئة وتحفظين خريطة جسدي جيدا"

راقب احمرار وجهها الذي تحول لحبة طماطم أمامه وهي تواجهه وتطحن ضروسها ثم قالت "كان من الممكن أن تعيدني للنوم مثلما تفعل حين أحاول الخروج أو حتى توقظني"

رد ببرود "تؤتؤتؤ كيف أوقظك وأعرضك لنوبة بكاء هستيرية مليكتي ..أنا لا أرضى بذلك أبدا .. كما أني إنسان و لي مشاعر أيضا وأنت تثيرينها

بما تفعلين (وغمز بعينه مضيفا) و تكونين شهية جدا في هذه الحالة خاصة مع اسمي المنطوق بالفرنسية (وهرش في لحيته السوداء مضيفا بلهجة متسلية) من الممكن أن تحللي مع طبيبتك النفسية أسباب نطقك لاسمي بهذه الطريقة التي كانت تنطقها بها تلك المعلمة.. هل غرتِ عليّ إلى هذه الدرجة وشعرت بأنها تهدد مكانتك في قلبي يا مسكينة!"

هتفت بغيظ وقد نجح في استفزازها "من هذه التي سأغار منها (ثم تقبضت إلى جانبيها تقول مستغفرة) استغفر الله العظيم .. لا تجعلني ارتكب ذنبا في حقها .. (وأضافت بكبرياء) حبيبي .. أنا مليكة صوالحة"

رد عليها واضعا يديه في جيبيه "وأنا مفرح الزيني يا هانم (ومال برأسه ناحيتها مضيفا بهمس) ومستعد لتلبية رغبات الهانم

المكبوتة في أي وقت وفي أي حالة مرة مرتين أكثر .. "

راقب امتقاع وجهها فأضاف بهمس" اخبريني فقط قبلها كي استعد بالوسائل المساعدة حتى أنفذ لك رغباتك المكبوتة كلها دون تقصير"

دفعته فجأة تقول هاربة بعصبية " ابتعد عني يا مفرح ..فأنا امقتك هذه الساعة"

وتحركت مبتعدة فسألها ضاحكا "إلى أين؟"

غمغمت "سأطمئن على أوس ..أقصد هذا ليس من شأنك"

شيعها بنظراته مقهقها وهو يتأمل عباءتها الأنيقة وجسدها الذي لا تظهر تفاصيله من تحت ملابسها الفضفاضة لكنه يحفظ كل إنش فيه كاسمه وقال لنفسه بلهجة متسلية " ترى كيف سيكون وقع الخبر على الجحشين الكبيرين ؟"

××××

في غرفة التبريد .. الثلاجة الكبيرة الخاصة بالمطعم أغلق كامل الباب وحاصر بسمة بجسده عند الحائط فقالت " كامل الناس بالخارج"

تحسس وجهها الفاتن بأطراف أنامله وقال بحشرجة وبالطريقة التي تسبب ارتجافا في جسدها" أريد أن أقبلك بعيدا عن العيون "

قالت بدلال وهي تلعب في أزرار قميصه بأصابعها" في الثلاجة يا كامل!"

قال هو يتحسس وجهها بشفتيه "لن اتحمل حتى مغادرة الضيوف والصعود لغرفتنا (وأضاف وهو يفك الوشاح الصغير حول وجهها) كما أن بناتك يتبعانا في كل مكان لذا علينا أن ننتهز خلو المطعم وانشغال الباقين ونعيد ذكرى أول قبلة لنا"

قالت وهي تطبع قبلة على صدغه "الثانية تقصد"
رد أمام شفتيها "بل الأولى ..فقبلة السيارة لا تحسب لأنك لم تتجاوبي معي فيها .. قبلة الثلاجة كانت أول استسلام حقيقي لك بين ذراعاي "
ناظرته بعشق فغطس في زرقة عينيها اللتين لا يمل من تأملهما وأضاف" كما أني كما عودتك أن أهديك قصيدة في يوم ميلادك لن أقدر على القائها أمام الجميع كما تعلمين ..ولا أطيق انتظارا لنصعد لجناحنا .. أريد أن ألقيها على مسامعك قبل بداية الاحتفال"

استطالت بسمة وطبعت قبلة سريعة على شفتيه فاستطرد كامل بأنفاس ساخنة عطرة:

الوقت معك يا سيدتي يعاندني
يجري في حضورك .. ويزحف في غيابك
لكن حبك علمني الصبر
وألبسني روح المحاربين لآخر العمر
فقادتني شفتاك إلى الجنون..
وصارعت طابع حسنك كطفل عنيد
ثم دونت انتصاراتي كنقشٍ..
فوق شطآن عينيك .
ورغم مرور السنين ..
لا زلت أبحث عن حل
مع جمالك .. .وجنوني.

اغرورقت عينا بسمة بالدموع وقالت بحشرجة" قد لا أكون بارعة في كتابة القصائد مثلك لكني سأقول لك ما أشعر به تجاهك .. أنت بكليتك قصيدة .. وحياتي معك قصيدة ..

أنت قصيدتي التي أحياها كل يوم وكل لحظة يا كامل .. أنت فارس أحلامي .. جائزتي "
أطبق على شفتيها بقبلة تخبرها بقوة مشاعره تجاهها ..مشاعر زادت مع السنين ولم تقل .. وأضيف عليها عشرة العمر.. وقوى من رباطها الأولاد لكنها ظلت محتفظة بكينونتها بينهما .. مشاعر مجنونة لا تخضع لحسابات العقل .. انجذاب لم يفتره مرور الوقت .. وحب كبير .. أكبر من تصورهما .. أكبر من المصاعب والتحديات.. أكبر من عقدهما النفسية ..وأقوى من وحوشه ووساوسه ..ومن جروح ماضيها .

حين أطلق سراح شفتيها قالت وهي تشعر بشقاوة يده تحت ملابسها" هل تعلم بأن أمي تلح عليّ لننجب مرة أخرى"

قال بابتسامة شقية على شفتيه وهو يلصق جسده بجسدها "هذا ما كنت سأطلبه منك بعد أن انتهيت من الماجستير لذا دعينا ننفذ الآن"

ضحكت وحاولت إبعاد يده عن ملابسها وهي تقول" كامل تعقل نحن في الثلاجة"

نجح في فتح أزرار بلوزتها الأمامية ومال يطبع قبلات أكثر سخونة على نحرها فقالت بسمة "يا مجنون"

صوت ابنتيهما نما إلى مسامعهما يناديان عليهما ..فتجمد كامل بينما اتسعت عينا بسمة

وابعدته تقول هامسة "بناتك في المطبخ كيف سنخرج الآن؟"

شتم من بين أسنانه ثم همس قائلا "أششش سترحلان حينما لن تجدانا"

قالت هانيا في المطبخ " أين ذهبا؟"

قالت هنا وهي تضيق عينيها وتخرج لتبحث في صالة المطعم الخالية "هما بالتأكيد هنا .. فأنا لم أترك باب المطعم الداخلي وانتظرتك لتحضري التابلت لنريهما اللعبة"

قالت هانيا وهي تقترب من باب المطعم الخارجي "ربما غادرا من هنا "

ثم حاولت فتحه فوجدته مغلقا لترد عليها هنا" هذا يوصل للشارع يا ذكية هل سيتركان الحفل والضيوف ويغادران الفيلا!"

وعادت للمطبخ من جديد تقول "هما بالتأكيد في المطعم أو في المطبخ"

دخلت هانيا خلفها تنادي" أبي .. أمي"

بينما ضغطت هنا على زر الاتصال بوالدها في التابلت فأصدر هاتف كامل رنينا جعل بسمة تشهق وجعله يجز على أسنانه وهو يخرجه من جيبه ملقيا سبة ثم قال لها "بناتك ذكيات أكثر من اللازم وستجلطاني يا بسمة"

تتبعت التوأمتان المصدر الذي خرج منه الصوت في داخل المطبخ وتحركتا في ممر بعده مؤدي للمخزن الداخلي فوجدتا غرفة التبريد قد فتحت وكامل يقول بلهجة جادة مدعيا الانهماك في العمل " عدي كم كيس من الجمبري عندك على الرف يا بسمة"

قالت الأخيرة بلجلجة وهي تلمس الرفوف بالداخل" حححاضر"

توقفت التوأمتان تناظراهما متسعتا العينين ثم سألت هنا" ماذا تفعلان؟"

تنحنح كامل وهو ينظر في هاتفه مبديا الانشغال والتدوين ورد" كنا نحضر المزيد من اللحم فلاحظت أن هناك نقصا في الثلاجة فقمنا بعد الأصناف"

نظرت إليهما بسمة وسألت" لماذا تبحثان عنا؟"

بسرعة نفضت التوأمتان حيرتهما وتكلمت هانيا بحماس مشيرة على التابلت في يد توأمتها "جئناكما بصورة المطبخ وثمنه .. إن أشرقت اللئيمة كانت قد أرسلت صورته لجدها كي يشتريه لها"

كتمت بسمة الضحك ونظرت لكامل الذي قال من بين أسنانه" حاضر ..حاضر سأشتريه لكما ..هيا اخرجا من الثلاجة حتى لا تمرضا (وأحاط جذع بسمة بذراعه مضيفا وهو يخرج) يكفي على أبوكما جلطته"

xxxx

ركنت سيارة والدها أمام الصيدلية الكبيرة التي تحتل شارعا حيويا من شوارع القرية والتي تحمل يافطة مكتوبا عليها (صيدلية الدكتور عبد الله الزيني) ونزلت ترتدي في قدميها خفا ضخما (كروكس) وبنطالا من الجينز تحت فستان قصير ..

إن المسافة قصيرة من السرايا للصيدلية لكنها في نفس الوقت طويلة سيرا على الأقدام وهي لم تعتد على ركوب العربات ذات الثلاث عجلات المسماة بالتوكتوك التي يستعملها أهل القرية للتحرك بداخلها .

دفعت الباب الزجاجي ودخلت تلقي السلام فاستدار عبد الله وانفجرت دقات قلبه محدثة فوضى غير مرئية بالمكان لكنه تقبض الى جنبيه بقوة معترفا لنفسه بأنه الآن فقط وفي تلك اللحظة قد أحس بأن اليوم عيد.

تكلمت برقة تقول " أريد محلول للعدسات اسمه (.....) من فضلك"

انتبه لأن فكه كان متدليا قليلا وهو يتطلع في وجهها الذي يذكره بالبدر ليلة تمامه خاصة مع ذلك الحجاب الأبيض ذو النقوش الملونة فتنحنح يتكلم بمهنية "هذا النوع غير موجود للأسف .. ناقص من السوق"

لاح الاحباط على وجهها وتحركت عيناها بشرود هنا وهنا ثم قالت" شكرا سأبحث عنه حين أعود للعاصمة"
قال بثقة "هو ناقص من السوق كما قلت لك .. عندي نوع أخر اسمه(...)"
ردت بإحباط " للأسف يسبب لي حساسية في عيني"
رغما عنه تتطلع في عينيها البنيتين قبل أن تهم بالمغادرة فأسرع بالقول" سأحاول أن أبحث لك عن هذا النوع أعطني فقط بعض الوقت"

تجدد الأمل في قلبها وقالت وهي تعود إليه "سأكون شاكرة جدا أنا هنا في البلدة حتى مساء الغد"
غمغم عبد الله في سره وضربات قلبه تكاد تُسمع في الشارع كله "سأبحث في كل صيدليات الدولة من أجل بدر البدور وعينيها (ثم تنحنح

يقول) لا بأس اتركي لنا رقمك أو مري علينا غدا"
أسرع مساعده بالتدخل يقول لها بحماس شديد "نحن أطلقنا في الصيدلية خدمة الواتساب .. ليس عليك العودة مرة أخرى ..فقط اتركي لنا العنوان أو ارسلي لنا على الواتساب ما تريدين وسنوصله حتى البيت"

قطع حديثه الحماسي حينما دعس عبد الله على قدمه فنظر له ليجده يشير له بيده بحركة مخفية أن يبتعد فانكمش المساعد بارتباك وابتعد خطوتين للخلف بينما قالت هي" لا بأس اعطني الرقم وسأتابعكم على الواتساب"
أخرج عبد الله بطاقة العمل الخاصة بالصيدلية وهم بأن يكتب لها رقم هاتف محمول شخصي له غير المدون على البطاقة لكنه نهر نفسه بألا يتصرف بمراهقة وعدم

مهنية وأعطاها البطاقة فقالت وهي تنظر فيها "تمام سأرسل لكم في المساء لأسأل عن محلول العدسات أنا..."

قاطعها عبد الله قائلا" أعرف طبعا ..الآنسة ملك ابنة الدكتور أكرم صوالحة"

ابتسمت ملك ابتسامة تلقائية وغمغمت "آه نسيت أن هنا الكل يعرف بعضه"

قال بكبرياء " ليس هذا فحسب بل عائلتينا بينهما مصاهرة"

رمشت بعينيها عدة مرات فارتفع فولت الكهرباء في جسده ثم نظرت في البطاقة لتقرأ الاسم فقال بلهجة متفاخرة" أنا عبد الله الزيني"

رفعت إليه وجهها مبتسمة.. ثم عبست فجأة تقول "ولكن الدكتور مفرح زوج عمتي ليس له إخوة ذكور!"

شعر بالإهانة فرد بانفعال " عائلة الزيني عائلة كبيرة و لا تتلخص في مفرح فقط يا آنسة.. أنا ابن الحاج مصطفى فاضل الزيني"

شعرت ملك بغبائها فقالت وهي تدلك جبينها بأناملها" آه فعلا .. لا تؤاخذني أعرف طبعا عمو مصطفى الزيني"

غمغم في سره "يا لحلاوة (عمو مصطفى الزيني) التي تنطقينها"

قالت ملك وهي تهم بالمغادرة "حسنا سأرسل لكم في المساء كي اسأل إن كنت قد استطعت الحصول عليه أم لا شكرا دكتور عبد الله .. السلام عليكم"

رد السلام وهو يشعر بالإحباط لرحيلها السريع رغم أن هذه هي أطول فترة تواجدت فيها في الصيدلية .

إنها تتردد على الصيدلية منذ عامين تقريبا في الأوقات التي تحضر فيها إلى القرية .. وشاهدها

عدة مرات أخرى إما في مناسبات تخص عائلة الصوالحة ويكون هو وعائلته مدعوين إليها أو بالصدفة في تحركاتها البسيطة في القرية ..
ويذكر أن مرة وجدها في محل شهير للوجبات السريعة في مركز المحافظة مع أولاد أعمامها وكان هو مع أصحابه فقضى الوقت كله يراقبها خلسة .
استدار إلى مساعده يناظره شذرا وقال بغيظ "من أدخلك في الحديث يا قاطع الأرزاق؟!!"
قال الثاني بارتباك" ألم تقل أن علينا أن نخبر الجميع بخدمة الواتساب"
لم يرد عليه عبد الله وإنما دخل إلى غرفة داخلية حيث مخزن الأدوية.

إنه غير قادر على نزعها من رأسه .. يشعر بانجذاب شديد نحوها وينتظر زياراتها لبيت جدها كانتظار الصحراء للمطر ..رغم يأسه من

أن يكون بينهما أي شيء في يوم من الأيام .. فهي قد تربت في العاصمة ولا يعتقد بأنها قد ترضى بأن تعيش في القرية أو حتى في مركز المحافظة إن فكر في الارتباط بها .. ولا يعرف حتى كيف يجس نبضها فهو لا يريد أن يسبب حرجا لوالده إن رفضت هي أو أهلها أن تتزوج ابنتهم وتترك العاصمة .. أما هو فلن يقدر على ترك قريته .. أبوه زرع فيه هو واخوته الانتماء للقرية وللمحافظة .. وهذا ما جعله بمجرد أن تخرج وانتهى من خدمته في الجيش أن يفتتح صيدليته في القرية .. ولا يعتقد أن قصة حمزة وزوجته قد تتكرر ..فقد رفض حمزة أيضا العمل بالعاصمة وأصر على أن يعمل بالمحافظة وقبلت زوجته الطبيبة أن تنتقل للعيش معه في شقة في مركز المحافظة ولا يبيتان في شقتهما في بيت والده إلا في الإجازات الأسبوعية أو المناسبات ..

فهل توافق ملك على ترك العاصمة من أجله؟
إن كانت زوجة حمزة قد فعلها فالحب يربطها بأخيه منذ سنوات ..أما ملك فلماذا قد تفعلها وهي لم تنتبه لوجوده إلا قبل لحظات !.

في المخزن أخرج هاتفه من جيبه وطلب حمزة وألح في الطلب حينما لم يرد عليه من أول مرة حتى جاءه صوته ناعسا وهو يقول "لماذا الالحاح في الطلب يا صيدلي"
قال بغيظ " انهض واستيقظ وانتبه لي"
رد حمزة متثائبا" هل تعتقد أنه بعد فتة أمك الدسمة التي تناولناها على الغداء سيكون عندي أي قدرة على الاستيعاب اليوم؟ ..أنا شخصيا أخشى من مناوبة المساء ..أشعر بأني نسيت الـ"
قاطعه عبد الله يقول حانقا" اسمع يا حمزة عليكم بإيجاد طريقة لأصل إلى بدر البدور"

صمت حمزة لثوان ثم قال بلهجة ساخرة "هل جاءتك النوبة يا مسكين؟ .. بالتأكيد زارتك اليوم؟"

رد عبد الله بحنق " أجل زارتني .. وأنا الآن في حالة سيئة ..جد لي حل "

قال حمزة باستنكار " وكيف أوجد لك حلا!!"

هتف عبد الله " تصرف يا حمزة والله سأتهور وأفعل أشياء قد تفضح العائلة كلها .. لقد جاءت قبل قليل وخطفت قلبي ككل مرة"

غمغم حمزة متهكما " اووف !..السارقة ..كيف لم يعلموها في سرايا جدها ألا تخطف قلوب الناس.. المهم هل كنت مأمنا على قلبك عند شركة تأمين جيدة؟"

صاح عبد الله بغيظ " حمزة كف عن المزاح والله الأمر بات لا يحتمل"

قال حمزة بحيرة " يا بني هل أيقظتني من قيلولتي فقط لتطلب مني أن أجد لك حلا .. (وأضاف مشاكسا) أنا كنت أعرف أن وقوفك في الصيدلية في يوم العيد لسبب ما"

قال عبد الله بحمائية " الصيدلية مفتوحة أربع وعشرين ساعة يا طبيب "

رد حمزة مستمرا في المزاح " أنا أتحدث عن تواجدك أنت بنفسك فيها بدلا من المساعدين يا صيدلي "

"حمزة"

"نعم"

"جد لي حل"

هتف الأخير " وماذا سأفعل يا بني في هذه القصة المعقدة .. أنت تريد أن تجس نبضها بعيدا عن الرسميات حتى لا تحرج العائلتين بالرفض ..كيف أحلها أنا؟"

قال الأخر بيأس" إذن أنت مثلي تعترف بأن موافقتها شبه مستحيلة وأنها لن ترضى أبدا على ترك حياة العاصمة؟"

استمر حمزة في مزاحه عله يخفف من شعور أخيه بالضيق " ليست هذه العقبة الوحيدة في هذا الأمر فقط يا صيدلي ..ولكن تصور شعورها عندما تتقدم لها فتكتشف أن أول لقاء بينكما كان حينما جاءت لشراء فوطا صحية .. أي فتاة لن تقبل بهذه الذكرى الشنيعة مع من ستتزوجه "

عبس عبد الله وسأله باندفاع " ما هذا؟.. كيف عرفت؟.. أنا لم أخبرك بما اشترت أول مرة!! "

انفجر حمزة ضاحكا وهو يقول "يا الهي لا أصدق أن هذا ما حدث فعلا"

ازدادت عصبية عبد الله فقال حانقا " حمزة صدقني سأسبب لكم فضيحة في البلدة كلها

...أنا عقلي يخبرني بأمور مراهقة وصبيانية
..لكني أحاول أن أحافظ على وقاري ...لكن
والله يا طبيب إن لم تجدوا لي حلا ستندمون"
قال حمزة ضاحكا " ها أنت قد قلتها طبيب
..وفي الكلية لم يدرسونا كيفية توفيق رأسين في
الحلال ولا فك العقد وجلب الحبيب .. لكن
أعدك أن نجلس ونفكر معا كيف تفاتحها في
الأمر بشكل غير رسمي لتجس نبضها .. هلا
تركتني أنام قليلا لأن عندي مناوبة بالمساء "

حاول عبد الله العودة لضبطه لنفسه وأعصابه
والتي تنفلت دوما برؤيتها وقال بخفوت "حسنا
يا حمزة للحديث بقية سلام"
أغلق الخط ووقف شاردا وسؤال يلح على
ذهنه ..ماذا سيفعل إن رفضته بسبب عدم
رغبتها في العيش في المحافظة؟.. ماذا سيفعل

والأمر بداخله يأخذ مسلكا جديا لم يحدث معه من قبل ؟

xxxx

في المساء

علت ضحكات الرجال مفرح ووليد وكامل وأدهم وإياد وهم يجلسون أمام شاشة عملاقة تم وضعها في ركن من الحديقة يلعبون عليها الألعاب الالكترونية وشهبندر يجلس بجوارهم يتابعهم بكسل واستمتاع .. بينما شامل يقف بالقرب منهم يشوي اللحم ..

خرجت ونس للحديقة وسلمت على مليكة وحضنتها ثم حضنت آسر الذي رحب بأمه وكأنه قد افتقدها.

سألتها مليكة "كل هذا نوم؟"

ضحكت ونس وقالت "لم أشعي بنفثي (ثم نظرت للشواية تقول) يا الهي أشعي بالجوع ويائحة اللحم شهية"

"لم أشعر بنفسي .. يا الهي أشعر بالجوع
ورائحة اللحم شهية"

ابتسمت مليكة فذهبت ونس إلى شامل الذي استقبلها يضمها تحت جناحه قائلا" حبيبي استيقظ أخيرا"
قالت وهي تتمطى "لقد نمت كثيبا ..لماذا لم توقظني لأكون مع الناث؟"
(لقد نمت كثيراً ..لماذا لم توقظني لأكون مع الناس؟)
قبل رأسها مغمغما "حبيبي ينام مثلما يريد"
قالت وهي تحاول التقاط قطعة لحم من فوق الشواية الساخنة لكنها أبعدت يدها بسرعة
"جائعة جدا "
التقط طبقا وقال" أجمل طبق لجنيتي وطفلي"

ابتسمت والتقطت منه الطبق تأكل قطعة اللحم الساخنة فوضع لها السلطات والأطباق الجانبية .

اقترب كامل يقول باستنكار "ولماذا هي التي تبدأ ؟!.. لقد كانت نائمة بينما نحن منتظرون أن تنتهي"

قال شامل بغيظ" أنت بالذات تسكت .. هل لديك الجرأة بالمطالبة بالطعام وأنت تجلس كالسلطان وأنا أقوم بكل شيء !!"

رد كامل ببرود ويديه في جيبي بنطاله "عيد ميلاد من هذا ؟"

قال شامل بفم معووج وهو يعرف ماذا سيقول "بسمة "

وضع كامل يده على صدره وقال ببرود مستفز "وأنا زوجها"

تدخلت سوسو مقتربة من شامل تقول" أنا
سأوزع الأطباق وسأبدأ بالأطفال "
ونادت على الأطفال الذين يتوسطون الحديقة
جالسين في الأرض يفرشون ألعابا مختلفة
أمامهم "هيا تعالوا للطعام يا أولاد"
اقترب الذكور آسر ويزيد وأمجد الزيني ..بينما
ظلت الفتيات مكانهن منغمسات في اللعب
فأخذت سوسو تضع لهم الطعام في أطباق
بينما قال شامل لتوأمه" أذهب واحضر الكعكة
من المطعم يا بارد وحضر الحلوى
والمشروبات"
ببرود متعمد كاد أن يجلط شامل تحرك كامل
ثم غمز لبسمة الواقفة بعباءة سماوية اللون
مطرزة تنافس زرقة عينيها أن تتبعه ..فحدجته
بنظرات ناهرة وعادت لحديثها مع مليكة .

أمام الشاشة العملاقة هتف وليد في مفرح
"سيهزماننا يا مفرح"
قال الأخير من بين أسنانه وضحكات ولديه ترن
بجواره" الكلاااااب لا يراعون مقاما ولا سنا "
قال له أدهم ضاحكا" لماذا تنافسنا إذن
..اعترف بالهزيمة واستسلم بكرامة"

قال وليد صائحا "سيستوليان على السلاح لا
تعطيهم الفرصة"
مال مفرح بجوار ولديه وقال هامسا
"بالمناسبة نسيت أن أخبركم خبرا هاما"
قال أدهم لأخيه" ركز إنه يحاول تشتيت
انتباهك "
استمر مفرح هامسا "أمكما مليكة حامل "
حاول الاثنان التركيز بينما صرخ وليد "ماذا
تفعل يا مفرح ؟"

استمر مفرح في قوله هامسا" اقسم بالله مليكة حامل وننتظر طفلا"
ارتبك الشابان ونظرا إليه بمفاجأة ثم قال إياد باستنكار" أخ جديد!"
قال مفرح يهز كتفيه "أنا وهي لا زلنا شبابا"
تطلع الشابان في بعضهما ثم سأله أدهم باستنكار " كم طفلا تخططون لإنجابه بالضبط كي نعرف؟"
مط مفرح شفتيه ورد ببرود" إن هذا الموضوع نتركه ببركة الله"
اتعست عيناهما فأضاف "أفكر في أن أبيع سيارتي واشتري واحدة أخرى عائلية "
قال إياد متهكما "تقصد سيارة جماعية كسيارات الأجرة"
صرخ وليد هاتفا بانتصار "فزنا يا مفرح فزنا"
أسرع الشابان بالنظر في الشاشة بينما استدار مفرح لوليد يصيح بانتصار ويضرب كفه بكف

زوج أخته التي تراقبهما من بعيد مبتسمة .. ثم عاد ينظر لولديه المغتاظين وقال غامزا" لا أحد يهزم مفرح الزيني"

سأله أدهم بوجه غاضب "والخبر الذي قلته لنا ؟"

رد مفرح بإغاظة" خبر صحيح مئة بالمئة (ثم نظر حوله يقول) أين الطعام؟ المرء منا يجوع بعد النصر "

تركهما متسمرين وذهب ليحضر طبقا ثم أشار لمهجة التي تقف مع بسمة ومليكة فأسرعت إليه ..

اتسعت ابتسامة وهو يتأمل ابنته الأولى وحبيبة قلبه ثم طوقها بذراعه يسألها" كيف الحال؟"

هزت رأسها تقول "بخير حمدا لله "

"وأخبارك مع وليد؟ "

تطلعت في وليد الذي سيبدأ منافسة جديد مع أدهم وإياد وقالت " أنا وهو نهتم برعاية نبتة الحب التي زرعها الله في قلبينا كما نصحتني "
ابتسم وقال لها " كما قلت لك من قبل..
صحيح الحب يصنع المعجزات كما يقولون لكنه يحتاج لرعاية من الطرفين وبيئة مناسبة ليعيش ويستمر وينمو .. فهو وحده لا يكفي لاستمرار اثنين مع بعضهما في حياة طويلة..
الحب يا مهجة في نظري كالكائن الحي .. أحيانا يمرض .. وقد يموت أو يصيبه الجنون "
رفعت أنظارها إلى معلمها ثم هزت رأسها بطاعة مستوعبة للدرس ..فقال مفرح بلهجة قاطعة" ستبيتين في بيت أخيك الليلة ..فلا أتوقع أن وليد سيعود بكم ليلا "
ردت عليه " وليد يقول بأننا سنبيت هنا عند بسمة"

هتف مفرح باستنكار "نعم !! ألا يوجد لك أخ في العاصمة !!..ستبيتين عندي أنت وأولادك وإن أراد هو أن يبيت عند اخته فهو حر"
ضحكت مهجة فقال "سنقضي السهرة أنا وأنت نثرثر يا جميل وتخبريني بأخبار البلدة كلها"
ضحكت وقالت بحاجب مرفوع " هل تقصد بأني ثرثارة !!"
مال على قامتها القصيرة يطبع قبلة على وجنتها .. وقبل أن يرد انطلق فجأة صراخا أنثويا أسقط قلوبهم جميعا قبل أن يروا الثلاث فتيات هنا وهانيا وأشرقت يمسكون بشعر بعضهن فأسرعت مليكة وبسمة إليهن لفك الشعر من أصابعهن وهتفت الأخيرة "ماذا حدث؟.. ماذا حدث ؟"
قالت مليكة وهي تفض الاشتباك" الثلاثة ضد بعضهن البعض "

تم فض الاشتباك لتقول هنا بانفعال لأشرقت "اذهبي أنت ومطبخك(ثم استدارت لهانيا تقول) وأنت ابتعدي عني"

قالت أشرقت صارخة "هل تشتمين هدية جدي!"

فصاحت هانيا فيهما" أنا لن ألعب معكما مرة أخرى"

تطلع الجميع في الموقف وهم يحاولون منع الضحك فأبعدت مليكة ابنتها وسألتها" ماذا حدث كنتن تلعبن في أمان الله"

فغمغمت أشرقت بكبرياء وهي تعدل من أناقتها " لن أحضر هنا مرة أخرى "

واستدارت مبتعدة فتطلعت مليكة في مفرح الواقف من بعيد ثم غمغمت "سنرى يا أشرقت هانم .. المهم لا تلحين في الحضور للعب معهما "

نظرت بسمة لتوأمتيها المنفعلتين تناظران بعضهما في غضب بينما هتفت كل منهما في وجه الأخرى "أنت فاشلة .. "
"بل أنت الفاشلة "
واسرعتا بالدخول للفيلا فضربت بسمة كفا بكف وأسرعت خلف طفلتيها بينما تطلعت مليكة في أشرقت التي ذهبت وجلست على ساق أدهم الذي يلعب لعبة الكترونية مع وليد وإياد فضربت كفا بكف هي الأخرى ضاحكة.

أصدر هاتفها صفيرا باستلام رسالة ففتحتها وهي تنتحي جانبا لتجد رسالة من رقم غير مسجل عبارة عن مقطع مصور.. فعقدت حاجبيها وابتعدت لتقف في أحد الأركان بعيدا عن الصوت وضغطت على تشغيل المقطع عابسة قبل أن تتطلع فيه باتساع عينيها متفاجئة .

شاهدت في المقطع باب إحدى الغرف يفتح ويدخل منه شاب يرتدي بنطالا من الجينز وتيشيرت أخضر بنصف كم يحمل ملفا من الأوراق في يده وبعض الأقلام الملونة يحشرها في فمه وكوبا خزفيا كبيرا .. فدخل يغلق الباب بقدمه ثم أسرع نحو طاولة صغيرة يضع ما معه عليها حتى كاد أن يسكب ما في الكوب ثم اعتدل واقفا وتحرك يقف أمام الطاولة يستند بكفيه على الطاولة خلفه قائلا بابتسامة لبعض الرؤوس الجالسة أمامه على شكل نصف دائرة "مساء الخير .. أعرفكم بنفسي ..اسمي سامح الباجوري .. اخصائي نفسي للإدمان .. ومدمن سابق (وناظرهم بنظرات ماكرة مردفا) .. هل سمعتم؟.. مدمن سابق وكل ما فعلتموه ومالم تفعلوه أخوكم فعله من قبل .. وحمدا لله تعافيت منذ ثلاث سنوات وسبعة أشهر وخمسة أيام و.. (أخرج هاتفه من جيبه ونظر

فيه ثم قال) وست ساعات التطبيق يقول هذا .. من التطبيقات المهمة بالمناسبة حملوه على هواتفكم (قالها وهو يعيد الهاتف إلى جيبه ثم أردف) سأكون مرشدكم النفسي خلال الفترة القادمة وأعدكم أن تكون رحلة مثمرة بإذن الله إن أردتم التعافي بنية صادقة وإرادة من حديد .. ولكن دعوني أتعرف عليكم أولا الاسم والسن ومدة الإدمان والرمز ..كل منا سيختار لنفسه رمزا أو اسما حركيا .. بالنسبة لي أنا؟ .. أنا رمز النجمة"

انتهى المقطع لكن مليكة ظلت تتطلع في الهاتف بيد مرتعشة والذكرى تجددت في قلبها.. لقد انفتح الصندوق الأسود فغمر الحزن قلبها .. لكنها تأملت سامح مرة أخرى .. كيف اكتسب وزنا وصارا شابا أنيقا موفور

الصحة ..فجاهدت كي تطرد الحزن من قلبها
كما تفعل دوما وتقاومه بكل قوتها .

جاءتها رسالة من سامح يقول فيها (مساء الخير
..ترددت كثيرا قبل أن أرسل لك هذا المقطع ..
لكني في النهاية استسلمت لإلحاح عقلي .. ..
كنت قد وعدتك أني سأكون شخصا ذا قيمة
كما تحب نجمة أن أكون .. فأحببت أن أبدأ من
هنا ..وأمد يد المساعدة لمن يحتاجونها بالفعل
بما أني قد مررت بما مروا به ..تماما كما مددتِ
أنتِ يد المساعدة لي .. أرسلت إليك هذا
المقطع لأقول لك شكرا من أعماق قلبي على
كرمك .. ولأخبرك بأن هذه هي فقط البداية ..
وأرسلت إليك أيضا لأخبرك بأني قد وفيت
بوعدي لك .. فهل ستوفين بوعدك لي
وتعطيني مسامحتك وعفوك؟"

بيد مرتعشة كتبت مليكة "الآن نجمة فخورة بك .. أتمنى لك التوفيق"
رد سامح بسرعة " شكرا لك بحجم الكون .. وعيد سعيد يا مليكة"

رفعت أنظارها تبحث عن مفرح الذي طالعها من بعيد وهو يشاكس مهجة ثم ترك أخته وترك طبقه جانبا واقترب منها بقلق .. فظلت تنظر له حتى اقترب وسألها "ما الأمر؟"
فتحت المقطع المصور من جديد فتطلع فيه مفرح باهتمام قبل أن تتسع عيناه متفاجئا وقرأ ما كتبه سامح لها عاقدا حاجبيه ثم رفع أنظاره يقول باستنكار " كيف يجرؤ على الإرسال لك؟.. ومن أين حصل على رقم هاتفك؟"
قالت مليكة مبررة "أراد أن يخبرني بأنه قد نفذ اتفاقنا (ثم أضافت بذهول) هل رأيت كيف تغير يا مفرح؟.. نجمة بالتأكيد فخورة به "

هدر مفرح بصرامة" لقد أخبرك بما يريد وانتهى الأمر ..(وضرب على الهاتف بيدها عدة مرات بعصبية يقول) هذا الرقم تحظريه فورا هل فهمت فورا يا مليكة؟.. ولا أريد أي تواصل بينكما مرة أخرى "

تطلعت فيه متفاجئة من رد فعله مما شغلها قليلا عن شبح الذكريات المؤلمة ليضيف مفرح " المرة الماضية سكت على مضض حينما جاء إليك في منتصف الليل واحجمت عن الذهاب إليه وضربه أو إبلاغ الشرطة عنه وقلت حالة إنسانية ..لكن الآن أراه في أحسن حال وموفور الصحة والشباب "

تسمرت مكانها فأردف بعصبية " لماذا تنظرين إلي هكذا ؟!!..هل كلامي مسموع؟؟.. هذا الولد لا يتواصل معك مجددا وإلا لا أضمن رد فعلي"

هزت رأسها بطاعة وهي لا تزال تتطلع فيه فسحب الهاتف من يدها وحظر الرقم بنفسه

قائلا بانزعاج " بلا عيد سعيد ..بلا بالتوفيق ..بلا زفت .. ما هذه الوقاحة!"
وضع الهاتف في يدها بخشونة بعدما حظر الرقم وابتعد وهو يشعر بأنه على وشك ارتكاب جريمة مع هذا المدعو سامح .. فتطلعت مليكة في ظهره المغادر وقالت لنفسها متفاجئة " هل يغار؟ .. هل يغار من الولد؟.. أقصد .. من الشاب؟ .. (وتحركت تلحق به هاتفة) مسيو مفغح انتظر "

xxxx

دخل جابر غرفة نومه ثم اتسعت عيناه وهو يتطلع فيها ملقيا السلام ..
كانت تقف بوقفة استعراضية مغرية بجوار الخزانة ..فقال يقلدها وهو يقترب منها "اللهم صل على النبي .. (ثم أضاف يتأملها) طوال السهرة وأنا مع الرجال كان ذهني مشغولا حول شكل منامة العيد هذا العام وكيف ستكون"

بشعور كامل بالأنوثة والثقة قالت وهي مستمرة
في وقفتها المغرية "وكيف وجدتها "
تطلع جابر في قميص النوم اللامع القصير حتى
منتصف الفخذ والذي يلف جسدها الأسمر
الذي ينافسه في اللمعان .. وفي الفتحة الجانبية
التي تصل تقريبا حتى الخصر وإلى حمالات
القميص الرفيعة ...ثم تطلع من وقفتها
الجانبية إلى ظهرها المكشوف تماما حتى
الخصر وقال" الحقيقة ما أراه هذا فاق تخيلاتي
بمراحل .. خاصة وأنك تعلمين أني لم أكن
أعرف من قبل أن هناك ما يسمى بمنامة العيد"

غمغمت أم هاشم وهي تستعرض جسدها
النحيف كملكة إغراء متوجة في عيني رجل
واحد هو سيد الرجال في نظرها "يوجد يا جابر
يوجد منامة العيد ..هل اخترعتها أنا مثلا

(واقتربت منه تقول أمام شفتيه) وعدتني بأنك ستعوضني عن مرقعة بنتك وتدللني"

تطلع في عينيها الدافئتين كقطعتين من الشوكولاتة .. وقال ويده تتحسس جسدها الطري ورائحته المميزة تغزو رئتيه "سأعوضك بكل ما تريدين يا أم قلبي وأم أولادي.. يا رفيقة الدرب وصاحبة أكثر شفتين مغويتين رأتهما عيناي "

وأمالها على ذراعه يلتهم شفتيها الماكرتين اللتين لا تكفان عن إغوائه كلما وقعت عيناه عليهما .. فلفت أم هاشم ذراعيها حول عنقه بلهفة ..وتعانق القلبان عناقا أبديا هو أجمل عوض لكليهما .

xxxx

شهقت بسمة وهي تتطلع في الكعكة التي صنعتها ونس خصيصا لها الليلة الماضية كما علمت للتو .. ولم تكن وحدها من كانت تتطلع في الكعكة بإعجاب فكل الموجودين كانوا ينظرون لها بانبهار حتى صغار العائلة كانوا جميعا يلتفون حول المنضدة التي وضعت عليها في ركن من الحديقة وحولها أصناف من الحلويات والمشروبات .. فأخذت كاميرات الهواتف تصور الكعكة بينما قال شامل بفخر وهو يلف ذراعه حول ونس" من ابداع زوجتي ونس عيد"

رفعت الأخيرة أنظارها إليه فتعانقت عيناهما لثوان قبل أن تنام على كتفه وتسمع بسمة تقول بصراحة" لم أر مثلها في حياتي"

كانت الكعكة بيضاء دائرية من ثلاثة طوابق ملفوف حول كل طابق ما يشبه شريط السينما به صورا تخص بسمة .. وفوق الكعكة تمثال لها من السكر تجلس واضعة ساقا فوق الأخرى ..ترتدي فستانا طويل باللون البترولي وشعرها أسود مفرودا حتى منتصف ظهرها وعيناها الزرقاوان واضحتان وكأنهما تشعان بضوء فيروزي .

اقتربت بسمة تتطلع في الصور عن قرب .. صور لها وهي صغيرة في مراحل مختلفة من عمرها فرفعت أنظارها تقول بدهشة "من أين حصلت على هذه الصور ؟"
تطلعت ونس في وليد خلف بسمة الذي يقف ملتصقا بمهجته فناظرته بعينين دامعتين وعادت تنظر للكعكة فوجدت صور لها مع كامل واحدة في حفل زفافهما وأخرى هو وهي

في مناسبة عادية ..وأكثر من صورة لها وهي في مراحل الحمل المختلفة ..

صورة أخرى كانت تحمل فيها توأمتيها في اليوم الذي ولدتهما فيه وبجوارها كامل .. وصورا لها مع التوأمتين في مراحل عمرهما المختلفة.. وفي الطابق الأخير من الكعكة ثلاث صور .. واحدة لها في يوم مناقشة رسالة الماجستير .. والأخرى هي وكامل والتوأمتين .. والثالثة صورة لها ولصاحبتيها ومعهم ونس .. التقطت لهن ذات يوم في ساحة المشروع .

هتفت بسمة باكية" رائعة .. أكثر من رائعة بل مبهرة .. أنا عاجزة عن الشكر "

تدخل كامل يقول لأخيه" نسيت في تقديمك أن تقول أنها فكرتي وأن ونس نفذتها "

تكلم شامل معترفا" فعلا هي فكرة كامل بل إنه قد شارك ونس في صنعها (وأضاف بلهجة متسلية) أو لنكون أكثر دقة كان مساعدا لها"
هتف كامل باعتراض "مساعد !!.. أنا من صنعت مكونات الكعكة يا بك وهي من تولت التزيين "

غمغم شامل مشاكسا وهو يضم ونس إليه "وهل في الكعك سوى التزيين!!"
تكلمت ونس تقول بامتعاض " بثراحة أتعبتني وعثبتني .. فأنت لا تفعل ثوى الأوامي والاعتياض والتدخل فيما لا يعنيك"
(بصراحة أتعبتني وعصبتني .. فأنت لا تفعل سوى الأوامر والاعتراض والتدخل فيما لا يعنيك).

اتسعت عينا كامل وقال باستنكار " أنا أتدخل فيما لا يعنيني يا ونس هانم !! ..ثم تعالي هنا من سمح لك بأن تجعليها مكشوفة الذراعين والرأس؟!! "

قالت ونس باستهجان "وهل كنت سألبسها اسدال الصلاة وهي تجلس فوق الكعكة!!.. كما أنها ليست بسمة ولكنه تمثالا لها"

تدخل مفرح يقول بلهجة ساخرة "اهدوا يا جماعة .. سأحاول أن أبعد أنظاري عن الذراعين المكشوفين اللذين في حجم عود الكبريت (ونظر لولديه قائلا) غطي عينيك يا بني أنت وهو "

علت الضحكات بينما ناظرهم كامل بامتعاض فاقتربت منه بسمة تقول" حبيبي أنت يا كامل لا حرمني الله منك "
لانت ملامحه وناظرها بعشق بينما قالت هنا لونس باعتراض "ولماذا لم تضعينا فوق الكعكة مع أمي ؟"

ابتسمت لها ونس بينما أيدتها هانيا فتدخل آسر قائلا "وأنا أيضا ..كنت أريد تمثالا لي معها فوق الكعكة"
قالت هانيا باستنكار" ولكنه عيد ميلاد أمنا نحن !"
هتف آسر "وأمي التي صنعتها .. إذن لابد أن أكون فوق الكعكة "

تدخل غنيم يقول "كفوا عن الشجار (واقترب من بسمة يقبل وجنتيها قائلا) عيد ميلاد سعيد يا ابنتي .. أنا فخور بك"

انهمرت الدموع من عينيها وقالت" كلامك هذا وسام على صدري يا عماه (ثم نظرت للجميع من حولها تقول) وهذا الجمع الذي يضم أغلى الناس على قلبي والذي لا ينقصه سوى فردين هما أمي وصاحبتي أم هاشم .. يجعلني ممتنة لكل شيء ولكل شخص شجعني ووقف بجواري ودعمني .. كلكم قدمتم لي الكثير"

انهمرت دموعها فلف كامل ذراعه حول عنقها من وقفته خلفها وكأنه يدعمها بينما أضافت بسمة بعد برهة " حينما أنظر لحياتي في الماضي وللطريق الذي سلكته حتى هذه اللحظة أشعر بالفخر من نفسي وأشعر أيضا

بالامتنان للرجل الذي تقبلني بكليتي وأحبني وأعطاني بدون حساب (وأدارت وجهها ترفعه لأعلى تنظر لكامل الذي منحها ابتسامة وسيمة ثم عادت تقول وهي تمرر أنظارها على كل الموجودين) شكرا لكم ألف شكر ..هذا اليوم لن أنساه أبدا"

تلقت بسمة التهاني والهدايا من الجميع بتأثر خاصة وليد الذي ألبسها خاتما ذهبيا هديته لها وحضنها قائلا "لا حرمني الله منك يا حبيبتي"
غمغمت "ولا منك يا حبيبي"
ففرقهما كامل يقول "نكتفي بهذا القدر "

ارتفع حاجبا وليد فأضاف كامل" أم يزيد تنادي عليك "
ضحكت مهجة وقالت "تعالى يا وليد أريدك بجواري"

تدخل مفرح يقول بلهجة متسلية" عيد ميلاد سعيد يا فاتنة المجرة"

قبل أن يبدي كامل استيائه قال أدهم وإياد نفس العبارة وتحول اللقب بعد ثوان ليقوله لها الجميع حتى الصغار .. فضحكت بسمة من بين دموعها ولم تستطع الصمود وحضنت كامل بقوة .

بعد قليل وقف غنيم يطوق سوسو بذراعه ويتطلع في الحفل العائلي وفي ولديه وزوجتيهما وأحفاده .. خاصة أحفاده الذي لا يمل من مراقبتهم ويشعر بالسعادة وهو يقضي حياته الهادئة معهم .. وتطلع في باقي المدعوين الذين باتوا أهلا ورفقة طيبة ..وقال لزوجته "حمدا لله أن نظرتي لم تخب وأن زواج ولدينا من هذا البلد زرعهما به ليستقرا بدلا من الهجرة لبلاد لا نعرفها "

رفعت سوسو إليه وجهها تقول " أنت دوما نظرتك لا تخيب يا غنيم ولهذا أنا أثق تمام الثقة في رؤيتك في الناس "
قبّل جبينها في الوقت الذي بدأت أغنية جديدة من مشغل الموسيقى في الحديقة فتطلعا بسعادة في شامل الذي يقف بجوار ونس المصرة على أن ترقص رقصة بلد زوجها والتي تعلمتها لأول مرة في ليلة زفافها.. فأخذ شامل على أنغام الموسيقى يتحرك معها على وقع الخطوات وهي تمسك ببطنها فانضم لهما آسر.

أحس غنيم بالفخر أن حفيده يعرف رقص أجداده .. بينما تحركت التوأمتان هنا وهانيا وهما تشدان والدهما بإصرار وانضمتا للصف تؤديان الرقصات ..فأشار شامل لغنيم وسوسو لينضما إليهما ..

ضحك الأخير وسحب سوسو خلفه لينضما للصف ووقف الباقون يطالعونهم بسعادة .. فأسندت مليكة رأسها على صدر مفرح وتأبطت مهجة ذراع وليد بينما وقف أدهم وإياد يلتقطان للراقصين صورة جماعية .. ستخلد ذكرى هذه اللحظة للأبد .

أما بسمة فكانت عيناها مركزتان على كامل الذي يركز في خطواته الراقصة على توأمتيه ثم رفع عينيه يبحث عنها وتلاقت عيناهما في حديث صامت فرفع شعره من فوق جبينه للخلف بمشط يده وهو يترك الصف ويقترب منها بطلته التي لا تزال تخطف أنفاسها .

مد يده لها فناظرته بارتباك .. لكن كفه ظل مفتوحا أمامها حتى وضعت يدها في يده فأطبق على كفها وسحبها خلفه نحو ساحة الرقص

فقالت معترضة" كامل لا أعرف .. لا أعرف يا كامل وسأبدو هبلاء "

تجاهل اعتراضها وسحبها خلفه عائدا للراقصين ..ووقف بينها وبين ابنتيه الأمهر من أمهما.. وأخذ يعلمها الخطوات الراقصة وهي تحاول التقليد فشبك أصابعه في أصابعها ..

رفعت أنظارها إليه تقول ضاحكة وهي تحاول الالتزام بالخطوات "هل تعرف ماذا ينقص هذه اللحظة ؟"

ابتسم ورد بثقة "كوب من الاسبريسو من صنع يد كامل نخلة .. (وأضاف بلهجة حارة) وسيصنعه خصيصا لفاتنة المجرة بعد هذه الرقصة "

رفعت يده المشبكة في يدها إلى شفتيها وقبلتها بامتنان فغمز لها كامل بما يعني (تأمري أمر) واستمرا يرقصان على أنغام إحدى أغاني كامل المفضلة .

بتأمر ع الراس والعين
اشرب واسقيني م العين
متلك يا سكر بيدوب
يا اسمراني يا مهيوب
معقول نلاقي محبوب
ومش معقول نلاقي اتنين

انتهت
وإلى لقاء مع حكايات أخرى
مع حبي
شموسة

بداية النشر 3 يناير 2020
تمت بحمد الله في 18 ديسمبر 2020